بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وتمم بالخير [illegible] في ابداع غرائب القران وبفضله العظيم [illegible] رغائب الفرقان فاليه منتهى الامال
والسؤل [illegible] الحمد لله الذي جعلني من شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه [illegible]
[illegible] الشهوات [illegible] من زخرف الدنيا وزبرجها [illegible]
[illegible]
الامان الفارقة الفانية والاوايل الملهية المنبهة عن السعادات الباقية [illegible] الملكوتات الدايمات والمشاق
ارواحهم الى اللذات الحقيقيات [illegible] ديمومة العزة
والجبروت [illegible] من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت [illegible] بوجوده وبقوا ببقائه [illegible] معبوده [illegible] الذات
واتحدت عندهم المختلفات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وآله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم
الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام الدين النيشابوري [illegible] يقول ان العلوم عند ذوي الانتباه [illegible]
كلام الملوك ملوك الكلام [illegible]
معرض التحدي [illegible] وهذا شان القران العظيم والفرقان الكريم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا [illegible]
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله [illegible]

فاضطرهم التحيز الى اتيان الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل دليل على حقيقة
المنزل وصدق المنزل عليه فكيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الاخرين وحكم ما بين الخلايق اجمعين قال صلى الله عليه وسلم في وصفه
هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو
الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء لا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه
هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به
عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء
المحققين والائمة المتقين في كل عصر وحين بالخوض في تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرايبه والاطلاع على
رغايبه نقلا وعقلا واخذا وانحاء فتباعدت مطارحها وتباينت مواقع نياتهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتفننت مقاطع
اقلامهم فمن وجيز وموجز ومطنب وملغز ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني وعلم اللحاظ فشكر الله
تعالى مساعيهم وصان عن اذراء القادح معاليهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عندي ركون الى الاضاليل
وسكون على شفا جرف الاباطيل الا من عصمه الله وانه لقليل ومنهم من مزج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان ياخذ
العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلفظ الدر الثمين ويسقط السبج والزجاج واذ قد وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون
المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين
من الانسان وكان قد وفقني الله تعالى من ابان الصبى وعنفوان الشباب حفظ لفظ القران وفهم معنى الفرقان وطالما التمس بعض اجلة
الاخوان واعزة الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم على حسن ظنونهم ويوفقنا من الاسعاف
بسؤلهم والانجاح بمظنونهم من ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل الاثبات واقوال الثقات من
الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المدققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا
استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي ساير الفنون لا كمن هو باعجابه بشعره مفتون
كيف وقد قال عز من قايل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا فلما كان التفسير الكبير
المنسوب الى الامام الافضل والهمام الامثل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والاصول افضل المتاخرين
فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله بغفرانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابقا لمسماه وفيه من اللطائف
والبحوث ما لا يحصى ومن الزوايد والغثوث ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله
على الراغبين جاذبت سياق عبارته واوردت حاصل كلامه وقربت مسالك اقدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشيء من الفرائد
واهمال لما يعتد به من اللطائف والفوايد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي ساير التفاسير من اللطايف المهمات او رزقني الله
تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراات المعتبرات والوقوفات المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات
مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي اتمامه من المسايل الموردة في التفسير الكبير والاعتراضات وحل ما يوجد في الكشاف من
المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يورده من ظن ان تصحيح القراات وغرايب القران انما يكون بالابيات والمستشهد
كلا فان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرايب القران على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات فعلى ايراد بعض
المتجانسات التي يعرف منها اصول الاشتقاقات وذكر طرفا من الاشارات المقنعات والتاويلات والحكايات المبكيات والمواعظ
الزاجرة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القران الكريم اولا مع ترجمته على وجه بديع وطريق منيع يشتمل
على ابراز المقدرات واضمار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان هذا النوع من
الترجمة مما تسكب فيه العبرات ويزل المترجمون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشئ الواقف على متن اللغة العربية فضلا
عن الدخيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف الثمام ليكون الكتاب
كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام
فخير الكلام ما قل ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسئول ممن بيده مفاتح الفضل
والاحسان وخزاين البر والامتنان وهذا اوان الشروع في تفسير القران ولنقدم امام ذلك مقدمات **المقدمة الاولى** في فضل
القراءة والقارئ وآداب التلاوة وجواز اختلاف القراات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه بعشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت
لهم النار وعنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله

اتى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال يضرب من اول القرآن الى اخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين
عن عائشة رض قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر في القرآن مع سفرة الكرام البررة والذى يقراء القرآن ويتعتع فيه
وهو عليه شاق له اجران عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون
كتاب الله عز وجل ويتدارسون بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملئكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل
بن معاذ الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قراء القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس
في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل
صاحب القرآن مثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اذن الله بشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن
اقراء وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر آية تقراء وفي الصحاح كلها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام
بن حكيم بن حزام يقراء سورة الفرقان في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقراء على حروف كثيرة لم يقرانيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقراها
قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم يقرانيها فقال صلى الله عليه وسلم
ارسله اقراء يا هشام فقراء عليه القراءة التي سمعته يقرا فقال صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي اقراء يا عمر فقرات
القراءة التي اقرانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه اذا تقرر
ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى ان نفصل بينهما
اسماءهم واسامي رواتهم لتبيين من نسب في اثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق ذكر القراء السبعة وتسمية نقلتهم من الرواة
وطرقهم من الثقات **ابو عمرو** زبان بن العلاء البصري روى عن مجاهد بن جبير وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومات في سنة اربع وخمسين ومائة رحمه الله ورواته ثلثة ابو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمرو حفص
بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح الموصلي المعروف باوقية طريق ابي قبيصة حاتم
بن اسحق الموصلي وابو شعيب صالح بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابرهيم بن حماد طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله
الهاشمي رحمهم الله تعالى وابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي حسن بن الحسين الصواف رحمه الله
وعباس بن الفضل الانصاري روى عنه ابو عمرو محمد بن عمر بن رومي طريق ابي اسحق ابرهيم بن كعب الموصلي وطريق شباب بن الخليفة وهو الا
واوقية طريق ابن اسحق ايضا عن اوقية رحمهم الله تعالى **ابن كثير** هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس
عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة عشرين ومائة رحمه الله تعالى ورواته اربعة ابو الحسن احمد بن محمد بن
عبد الله بن القاسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجال لانه يروي عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل
بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ابو ربيعة محمد بن اسحق بن اعين الربعي طريق الزيندي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر محمد بن
الحسن المعروف بنقاش الموصلي وابو محمد اسحق بن احمد الخزاعي المكي طريق الزيندي وهو الهاشمي طريق ابن شنبوذ وطريق الهاشمي وطريق
ابي بكر احمد بن محمد بن الطوابقي وطريق ابي القاسم السرنديبي وطريق ابي الحسن علي بن ذوابة القزاز وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بنداد
الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي ابو الحسن احمد بن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال
لانه روى عن ابي الاخريض وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكوة وشبل بن عباد عن ابن كثير روى عن القواس
قنبل طريق ابي ربيعة طريق ابن مجاهد طريق ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق ابي القاسم السرنديبي ربيعة بن صالح عن ابن كثير
طريق عبد الله بن سعوة وطريق شعيب بن حمزة عبد الله بن فليح عن رجاله عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن
اسمعيل بن عبد الله عن ابن كثير روى عن ابن فليح ابو علي الحداد طريق النقاش وطريق الهاشمي وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ رحمهم الله
نافع ابي نعيم المدني قراء على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي صلى الله عليه
وسلم وتوفي في سنة تسع وستين ومائة ورواته ثلثة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابي الزعراء وابو بكر الحسن بن علي
بن بشار النحوي وابو جعفر احمد بن فرج الضرير قالون واسمه عيسى بن ميناء النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن العباس الرازي
طريق ابي بكر احمد بن حماد المقرئ وابو ابرهيم مصعب بن ابرهيم اليزيدي طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هرون
المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجيزي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق الحسن بن العباس الرازي وطريق ابي عمرو

القاضي ورش اسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن عبد الرحيم الاصبهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المزني وطريق
ابي القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري روى عنه احمد بن ابرهيم الفقيه وطريق
ابي بكر محمد بن محمد بن سعيد البغدادي رحمهم الله تعالى **ابن عامر** اليحصبي الشامي قراء على المغيرة بن شهاب المخزومي على عثمان بن عفان رض
عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في حرم الله سنة ثمان عشر ومائة وله روايان روى عنه عن رجاله ابو محمد عبد الله
بن احمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي وعن رجاله ابو ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد
طريق الحسن بن عبد الله المقرئ وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المقرئ طريق الحسن ايضا وابو الحسن محمد بن النضر
بن موسى بن الاخرم الربعي المعروف بابن الاخرم عن الاخفش عن ابن ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ابو ايوب بن تميم
وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه البخاري عن الحلواني عن هشام طريق الجد احمد بن الحسين بن مهران وابي
الحسين احمد بن الحلواني عن هشام الصفار طريق ابي الحسن على بن حماد الازرق وابو اسحق ابرهيم بن يوسف الرازي الخياط
رحمهم الله **عاصم** بن بهدلة الاسدي قراء على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقراء ايضا على عبد الرحمن السلمي على الحسن والحسين على على كرم الله وجهه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في سنة
ثمان وعشرين ومائة وله روايتان ابو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة الاسدي وكان ربيب عاصم [illegible] روى عنه ابو
هبيرة [illegible] طريق ابي الحسن الهيثم وطريق احمد بن علي الخزاز وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبيد الصمد بن محمد وابو بكر
شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب التكري وابو زكريا يحيى بن آدم القرشي طريق ابي
حمدون الطيب بن اسمعيل وطريق شعيب بن ايوب [illegible] الصريفيني وابو يوسف يعقوب بن خليفة [illegible] بن سعد بن هلال الاعشى
[illegible] روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب [illegible] محمد بن حبيب الشموني [illegible] العليمي الانصاري رحمه الله
المفضل بن محمد الضبي روى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابي بكر بن شنبه وابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق
محمد بن يحيى القطعي رحمهم الله تعالى **حمزة** بن حبيب الزيات العجلي قراء على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن
حبيش على على بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في سنة ست وخمسين ومائة
ورواته [illegible]
[illegible] ويروى
نصير بن عبد الله المقرئ وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد الضرير في طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القاسم
ابن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن هشام البزار طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق
محمد بن سليمان وطريق ابي واصل وابو عمرو والدوري طريق ابي الزعراء رحمهم الله تعالى **كسائي** قراء على حمزة بن حبيب على يحيى بن
وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم توفي في سنة تسع وثمانين ومائة رحمه الله تعالى وله
ستة رواة ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الاذاني روى عنه ابو الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم المقرئ طريق ابي الفضل العباس
الوليد بن المرداس ابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق احمد بن جدي ابو المنذر نصير بن يوسف النهري النحوي روى عنه محمد بن
ادريس الاشعري المعروف بالدنداني طريق ابو علي الحسين بن علي بن حماد الازرق وابو عبد الله محمد بن عيسى الاصبهاني طريق
ابي علي الحسن بن عباس الرازي وابو جعفر احمد بن محمد بن رستم الطبري طريق بكار بن احمد المقرئ وابو جعفر علي بن ابي نصر النحوي
طريق الازرق المذكور ابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي حمدويه بن ميمون الزجاج طريق ابي العباس
احمد بن ابي يعقوب التمار ابو حمدون الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف ابو عمرو حفص بن عبد العزيز
الدوري روى عنه ابو بكر الحسن بن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم ابو الزعراء طريق ابي بكر مجاهد وابو الحسن
علي بن سليم طريق ابي القاسم هبة الله بن جعفر وطريق ابي ابرهيم عن احمد الجبني وابو جعفر احمد بن فرج الظريف طريق ابي بكر النقاش
الموصلي رحمهم الله تعالى ذكر الائمة المختارين وتسمية رواتهم **ابو جعفر** يزيد بن القعقاع القاري المدني وقاره موضع من المدينة
ورواته اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن ميناء النحوي ابو مسلم سليمان بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي
عبد الرحمن قتيبة بن مهران **يعقوب** بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقراء على ابي المنذر سلام بن سليمان الطويل
على عاصم وابي عمرو ورواته ثلثة روح بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب برويس طريق
ابي بكر محمد بن هرون وطريق ابي الحسن احمد بن محمد بن يعقوب بن مقسم الفقيه ابو احمد زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل ايضا
وطريق محمد بن هرون تخلف بن هشام بن طالب بن غراب البزار طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم

الفقيه ابو احمد زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل ايضا وطريق محمد بن هرون خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزار طريق ابي
الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار فقرا خلف على سليم على حمزة رحمهم الله سهل بن محمد
بن عثمان بحستاني طريق ابي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق ابن صبيح حاتم وقرا سهل على يعقوب
ايوب بن المتوكل رحمهم الله تعالى وهذا هو المعول عليه من القرآت واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك
في اثناء التفسير لا في خلال القرآت والله اعلم بالصواب **المقدمة الثانية** الاستعاذة المندوبة اليها في قوله عز من قائل
فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قراها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير هبيرة اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم فقراها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي والكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ان الله هو السميع العليم وقد روي استعيذ بالله ونستعيذ مخيرا وقرا سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
ومنشا هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فاذا قرات القرآن الاية وحم السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى
جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات الحمد لله حمدا كثيرا ثلث مرات وسبحان الله
بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى سحق في كتاب الشرع عن ابي سعيد الخدري
انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وروى
الضحاك عن ابن عباس انه قال اول ما نزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم قال قل يا محمد استعيذ بالله السميع من الشيطان الرجيم ثم قال قل
بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق ثم في المقدمة مسايل **الاول** الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد
من قوله تعالى فاذا قرات اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا المراد فاذا اردتم القيام الى الصلوة و
الاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن النخعي ويروى عن حمزة وابن سيرين ايضا ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ ولانه قد
يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب فيناسب ان يستعيذ من ذلك **الثاني** الاكثرون على ان الاستعاذة
مندوبة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة وزيف لان الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات
الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها ومن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها لان النبي
صلى الله عليه وسلم واظب عليها وقال تعالى فاتبعوه ولان الامر في فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاستعذ
وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب
وما لا يتم الواجب الا به هو واجب وعن ابن سيرين وجوبها في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان
الثالث المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر وهو دعاء الافتتاح ولان الجهر كيفية وجودية
والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانما تستحب في كل ركعة لما مر ان الحكم يتكرر بتكرر العلة ولكنها اكد في الاولى
الرابع اعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ
والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فهنها ابحاث **البحث الاول** معنى التعوذ الالتجاء او الالتصاق يقال اطيب اللحم عوذه
وما التصق منه بالعظم اي التجا الى رحمة الله او التصق بفضله والباء في بالله للالصاق كما ان من في من الشيطان للابتداء لانه ابتدا بالتبرؤ
من الشيطان والتصق برحمة الله واعانته والاستعاذة لا تتم الا ان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع دينية ودنيوية ودفع المضار
عاجلة وآجلة وان الله قادر على تحصيل المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه ويتولد عن هذا العلم في القلب حالة
هي انكسار وخضوع ويحصل منهما في القلب ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الآفات ويفيض عليه الخيرات يصير
لسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله والركن الاعظم في الاستعاذة هو ان يعلم العبد ان الله سبحانه عالم بكل المعلومات والا جاز
ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان يعلم
انه جواد مطلقا والا لجاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر سوى الله على تحصيل مرامه والا لم يكن صادق الرغبة في الاستعاذة
به والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض
الاكياس ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الا ان يجيء بعد من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب
ولولا اعانة الله تعالى وارشاده لم تتخلص سفينة فكره من امواج الضلالة وايضا كل واحد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى
لنفسه الجهل والكفر وكم من مضل مبطل في الدنيا ولا خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد
الاوسط للطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتح الخيرات وايضا البدن بيته الجحيم وعليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس
الخمسة الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبعة والشهوة والغضب ومحال تصرف كل منها غير متناهية بحسب الشخص

والعدد ويحصل من كل منها اثر في القلب يجره من اوج عالم الروحانية الى الحضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات
الا بنور الله تعالى وايضا كما انه لا غاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخيالات وكما انه
لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها وكذلك لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واجد السعادات الحقيقيات
وفي بعض الكتب الالهية قال تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه
من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب
غيري وبيدي مفاتيح الابواب وباب غيري مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في ساير الادعية
والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق
لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه ولا على افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله
فاعبده وتوكل عليه اذا امرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوساوس والهواجس كما انه اذا جعل الاكل و
الشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب وان كان الاشباع والارواء
من الله تعالى وان كان بخلق الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا اليه
ولا ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك **البحث الثاني** المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق و
يفتقر الى الاستعاذة به تعالى ولهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم فاعطي السلام والبركات في قوله يا نوح
اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى اني
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله عدوه واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرات
عمران اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقال لنبينا صلى الله عليه
وسلم قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس فوقي شر العقد وكفى شر الوسواس الخناس **البحث الثالث** المستعاذ به وانما هو
الله تعالى او كلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامات اما البحث عن اسم الله فيجيء في تفسير البسملة واما كلمات
فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى في بكلمة كن من مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين بالارواح
العلوية المقدسة في دفع شر مردة الارواح الخبيثة وانما تحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره الالتفات الى
ماسوى الله واما اذا توغل في بحر التوحيد لم تستعذ الا بالله ومن الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك واذا
فني عن نفسه [illegible] عليك كما اثنيت على نفسك **البحث الرابع** المستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة
[illegible] الشيطان [illegible] والرشاد [illegible]
الانس والجن [illegible] وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن [illegible]
[illegible] شيطان [illegible] سيبويه [illegible]
وقد جعل سيبويه [illegible] شاط يشيط اذا بطل [illegible]
[illegible] والرجيم [illegible] المرجوم [illegible] الملعون [illegible]
[illegible] الشياطين بالشهب [illegible] الاستعاذة
قوله ان الله هو السميع العليم [illegible] القرآن ان العبد كانه يقول يا من يسمع كل مسموع ويعلم
[illegible] وسوسة الشيطان [illegible]
الجن والشياطين [illegible] **الاول** لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان
سليم الحس [illegible] وان كان جسما لطيفا [illegible] الرياح العاصفة ولزم ايضا ان لا يقدر
على الاعمال الشاقة [illegible]
[illegible]
[illegible] **الوجه الثاني** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان الله قد اعانني فاسلم **الوجه الثالث** قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا تفيد اثباتهم اذ على تقدير
ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع و
كل فرع ادى الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء عليهم السلام كما يجيء يدل على صدق اخبارهم
ومن جملة ما اخبروا عنهم وجود الجن والشياطين فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا
حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملئكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون ويليها مرتبة الارواح المعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملئكة
الكرسي ثم ملئكة السموات طبقة فطبقة ثم ملئكة كرة الاثير ثم ملئكة كرة النسيم ثم ملئكة كرة الزمهرير ثم ملئكة المسلطة
على البحار ثم على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد
تكون مشرقة خيرة من قبيل الملئكة وقد تكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ الجن ماخوذ من الاستتار عن
العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة الانسان وطوايف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن و
الشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل في الذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن اخيارهم والشياطين
اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم متصرفين
في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الادمي كيف وقد ورد في القران لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملئكة
لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه
وسلم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القران افتتخذونه وذريته اولياء من دوني واما كيفية الوسوسة فيروى ان
عيسى عم دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني ادم فاراه ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه فاذا ذكر الله
خنس فاذا لم يذكره وضع راسه على حبة قلبه قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات
وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملائكة لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد
بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء الاية فمن الخواطر ما هو اصل السعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة وسبب اشتباه خطاء الخواطر
بصوابها الحذار بعد اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا
جاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا واتفق المحققون على من كان اكله من الحرام
لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل
الى مرادها والشيطان اذا دعى الى زلة ولم تجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيفما امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى ان الانسان
بينا هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان فيحدث له ميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج
ليس الا ذلك التذكر واليه الاشارة في القران حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل
هذا التذكير وانما يقدم الشيطان على ذلك لعدم وقع فطرة الاول لحكمة عرفها الله تعالى فيه والمقصود من الاستعاذة الالتجاء
في دفع وسوسة الا ان ذلك معظم المقاصد ولهذا خص بالذكر العظيم ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية
جاز **نكت في الاستعاذة الاولى** اعوذ بالله عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الواجب لان اعوذ اشارة الى الحاجة التامة
وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الافات ومن عرف نفسه بالقصور عرف الله بانه قادر على
كل مقدور ومن عرف نفسه باختلاف الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب **الثاني**
سر الاستعاذة الالتجاء الى قادر يدفع عنك الافات وقراءة القران من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القران
عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة عند الفرار من العدو والغدار تقول اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك الجبار تقول بسم الله الرحمن الرحيم **الثالث** الاستعاذة تطهير اللسان
عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية هي ذكر الله فتقول بسم الله **الرابع** العبد مامور بمحاربة
العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وبمحاربة العدو الباطن ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا
حاربت العدو الظاهر كان مددك الملك يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين فاذا حاربت العدو الباطن كان مددك الملك

ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر ان غلب بقي الدين واليقين وكانوا ماجورين وان غلب
العدو الباطن كانوا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا ولا خلاص من شره الا بان يقول
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **الخامس** قال تعالى يا عبدي تلبث بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل على ببستانك بل انزلت معرفتي
فيه لم ابخل عليك ببستاني فانزلك فيها وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انت الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك
ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من لوث الوسوسة وقل اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم **السادس** اقسم في حق ابويك انه لمن الناصحين فدليهما بغرور واقسم فيك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بعاقبة معاملته
فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **السابع** انما اختص اسم الله للاستعاذة به من بين ساير الاسماء لان العدو كلما كان اشد احتيج
الى عون اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم الذي لا يرضى بشيء من
المنكرات من الشيطان الرجيم **الثامن** الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان بقي في الخدمة الوفاء من السنين ولم يقدم على ضرنا مع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبت الشيطان لحظة واحدة لكان
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **التاسع** يقول الله تعالى عبدي انه يريك وانت لا تراه فينفذ
كيده فيك فتمسك بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان **العاشر** الالف واللام في الشيطان للجنس
ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس مطلقا مرئيا او غير مرئي ولو جعل للعهد جاز فيدخل ذريته فيه تبعا **الحادي عشر** الشيطان
بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاعرف
انه لا يجعلك بعيدا حيث جعلك قريبا **الثاني عشر** انه شيطان رجيم وانا رحمن رحيم فاحذر من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم
الثالث عشر الشيطان عدو غالب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصدك
العدو الغالب فافزع الى الحبيب الغالب **المقدمة الثالثة** في مسائل جمة **المسئلة الاولى** القراءات السبع متواترة لا بمعنى
ان ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفق على قراءته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف في قراءته ولا مدخل للقاري في ذلك الا من حيث ان
مباشرته لقراءته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك لكان بعض القران
غير متواتر كملك ومالك ونحوها اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قران بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه متواتر
دون الاخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية لكليهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة
وتخفيف الهمزة ونحوها **الثانية** اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل نفي جواز القراءة بها
مطلقا لانها لو كانت من القران لبلغت في الشهرة الى حد التواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال القوي
انه قرانها في الصلوة على اهل المنع **الثالثة** السبعة الاحرف التي نزل بها القران في قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا
القران انزل على سبعة احرف لكل اية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ذكر العلماء [illegible] لغات قريش ولا
تتضاد [illegible] جايز عندهم ان يكون في القران لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم [illegible] يتخيرون من كل لغة احسنها
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

دون المعنى قال بعض العلماء انى تدبرت الوجوه التى تختلف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة انحاء لا تزيد ولا تنقص وبجميع
ذلك نزل القرآن الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها ابن مسعود كالصوف
المنفوش الثانى ابدال حرف بحرف كالتابوه والتابوت الثالث تقديم وتاخير اما فى الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب
زيد واما فى الحروف نحو افلم ييأس الذين آمنوا وافلم يايس الرابع زيادة حرف ونقصان فيه نحو ماليه وسلطانيه وفلا تك
فى مرية الخامس حركات البناء نحو يحسبن بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقراء ابن مسعود
بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف فى اللحن والتزين لا فى نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه
الوجوه السبعة التى بها اختلف لغات العرب قد انزل الله باختلافها القرآن متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من نزل عن ظاهر التلاوة
بمثله او من تعذر عليه ترك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعنى
فان قيل فما قولكم فى القراءات التى تختلف بها المعانى انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف وليس
يجوز ان يكون لما نزل الله من الفاظ التى تختلف معانيها اما يجرى اختلافها مجرى التنافى والتناقض لكن مجرى التغاير الذى
لا تضاد فيه ثم انما يتجه على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم الشرعى على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب واحدى
القراءتين يقتضى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله فجعل المسح للابس الخف فى وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذى
لا يجوز القراءة الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس يقدر من ترك فى مثله عما هو المنزل حتى يراجع الصواب
ويفزع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن
من الطهر وحتى يطهرن مشددة الطاء من التطهير فان القراءتين ههنا يقتضيان حكمين مختلفين فيلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض
لا يقربها زوجها حتى تطهر لانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة فى امثال هذه الا بالنقل الظاهر ومن دل
فى مثله الى ما يقتضى امرا قد علم ثبوته ولم يقرأ به فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا وفى صحف واحد فيقراه الزبا بالراء والباء من الربا
فى المال فانه منهى عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتنافى فغير موجود
فى كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافى عند ورود الناسخ يثبت المنسوخ ويتبين ان فى علم الله حكم المنسوخ
وقوله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن اى ظاهر وباطن والظاهر ما يعرفها العلماء والباطن ما يخفى عليهم فنقول فى ذلك كما امرنا وكل
علمه الى الله تعالى وقيل هو ان يومن بظاهر وقوله لكل حد مطلع اى لكل طرف من حدود الله التى يوقف هنالك ولا يتجاوز عنه
من مامور او منهى او مباح مصعد وما فى يوقى منه ويفهم مقدار من الثواب والعقاب يعاينه فى الآخرة كما قال عمر رضه لو ان لى
ما فى الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعنى ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت **المقدمة الرابعة** فى كيفية جمع
القرآن روى عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الى ابو بكر رضه مقتل اهل اليمامة واذا عنده عمر رضه قال ابو بكر ان عمر اتانى فقال ان القتل
قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة فانى اخشى ان يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها فيذهب قرآن كثير وانى ارى ان تامر بجمع القرآن
فقال قلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى هو والله خير لم يزل عمر يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى
له فرايت فيه الذى راى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فتتبع القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند ابى بكر رضه حتى مات ثم كانت عند عمر
رضه حتى مات ثم كانت عند حفصة مدة الى ان ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلى الى بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها عليك
فارسلت الى عثمان رضه فارسل الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ان ينسخوا
الصحف فى المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا
حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف بعث عثمان فى كل افق بمصحف من تلك المصاحف وامر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق او يخرق قال
زيد بن ثابت فرايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون احسن والله عثمان رضه وقال على رضه لو وليت لفعلت فى المصاحف الذى
فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولى زيد بن ثابت نسخ المصاحف قال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله ويوليها رجل
والله لقد اسلمت وانه لفى صلب رجل كافر يعنى زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن فى المصحف ابو بكر رضه مخافة ان يضيع منه شئ
غير انه لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤن بقراءة مختلفة على سبيل ما اقراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه الى وقت عثمان رضه
ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما نزلت آية الا وقد امر رسول الله صلى الله عليه من كان يكتب له ان يضعها فى موضع كذا
من سورة كذا فما نزلت سورة الا وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روى عن ابن عباس رضه

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر
فيه كذا كذا وعن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الانصار ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وابو
زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتى غير انهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدفتين ولو لم يلزموا القراء توالى
سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم او كتبها ثم خرج فى سرية فنزلت فى وقت
مغيبه السورة فانه كان اذا رجع ياخذ فى حفظ ما نزل بعد رجوعه وكتابته فيتتبع ما بعده فانه على حسب ما يتسهل له فيقع فيما
يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب فى حفظ انسابها و
اشعار شعرائها من غير كتابة ومنهم من كان كتبها فى مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه
من جد المسلمين فى حفظ القرآن فلا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظرون فيه ولما ان مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسبيله وجند المجاهدون والانصار اجنادا افترقوا فى اقطار الدنيا واستحر القتل فى بعضهم كما مر خيف حينئذ ان يتطرق اليه
ضياع فامروا بجمعه فى المصحف **المقدمة الخامسة** فى معانى المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وغير ذلك
المصحف مفعل من اصحف اى جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال المصحف
بكسر الميم وروى ان ابا بكر استشار الناس بعد جمع القرآن فى اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها
الى بعض لانه مركب مصدر كتب اى جمع قال تعالى اولئك كتب فى قلوبهم الايمان اى جمع حتى آمنوا بجميع ما يجب عليه فالكتاب
فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشئ باسم الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم المنزل على نبينا صلى الله
عليه وسلم كما ان التورية اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل المنزل على عيسى والزبور المنزل على داود عليهم السلام والقرآن
يهمز ولا يهمز فمن همز فهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قران والتركيب يدور على الجمع والضم ومنه القرء الحيض لاجتماع الدم فى ذلك
الوقت ومنه قولهم قريت الماء فى الحوض فالقرآن نزل شيئا بعد شئ فلما جمع بعضه الى البعض سمى قرآنا لانه جمع السور وضمها قال
تعالى ان علينا جمعه وقرآنه اى تاليفه وضم بعضه الى البعض وقولك قرات معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض ومن لم يهمز القرآن
وهو قراءة اهل مكة اما على تخفيف الهمزة واصله كما مر واما على انه وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمى بذلك لانه قرن السور
والآيات بعضها الى بعض وقيل ان القرآن اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القرآن فرقانا لانه يفرق
بين الحق والباطل والمومن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن فانها تهمز ولا تهمز وهذا اكثر وعليه القراء والسورة لانها
جمعت وقرنت بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت فى الطول المقدار الذى اراده الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله
الرحمن الرحيم ولا يكون السورة الا معروفة المبتدأ معلوم المنتهى وقيل اشتقاقه من سور البناء والمدينة لان السور يوضع
بعضه فوق بعض حتى ينتهى الى الارتفاع الذى يراد فالقرآن بعضه فوق بعض ووضع آية بعد آية حتى يبلغ السورة فى عدد الآى المبلغ
الذى اراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها وضعت بالعلو والرفعة كالسور المدينة سميت سورا لارتفاعه قال
النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب اى شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بانها من
الآيات كما ان سور المدينة محيط بساكنيها وابنيتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو مثل جملة وجمل وجمع سورة البناء سور
بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسارة اى الابقاء سوارا فى الاناء اى افضلت منه بقية ومنه سور الدواب
كانها قطعة من القرآن على حدة واما الآية فقد قال جمع من العلماء انها فى القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع
معناه فصلا فصلا والآية توقيف لا يعلم الا بالتوقيف وقال بعضهم معناها العلامة لانها علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها وانفصالها عن الآية المتقدمة
بها والمتاخرة عنها [illegible] وقيل معناها الجماعة من قولهم خرج القوم بآيتهم اى بجماعتهم [illegible] وقيل معناها العجيبة
لانها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين وهو قولهم فلان آية من الآيات [illegible] ووزنها فعلة بسكون العين و
اصلها اية [illegible] فاستثقلوا التشديد [illegible]
[illegible]
[illegible] وقال الكسائى اصلها آيية فاعلة كدابة [illegible]
مستثقلا [illegible] واما الكلمة فان تركيب ك ل م يفيد القوة والشدة وتقاليب هذه الحروف الثلاثة [illegible] الاشتقاق
الكبير [illegible]
ومنه الكلم الجرح وفيه شدة [illegible]
[illegible]
متابعها ومنها م ل ك ملكت العجين اذا [illegible] ومنه ملك الانسان [illegible] فى اللفظ الواحد

لقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض ومنه قولهم القصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة
ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة
لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وافعال الله كلمات لانها انما حدثت بقوله كن او لانه حدث في زمان قليل كما يحدث
الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة كذلك لفظ وضع لمعنى مفرد وفايدة القيود تذكر في ذلك العلم والكلام ما تضمن كلمتين
بالاسناد ومنه الكلام النفسي اتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسي شعر
ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا وقد يسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها يحدث
عقيب صاحبتها قال تعالى فليأتوا بحديث مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كاللبنة واللبن والرطبة والرطب
لان الرطب واللبن مذكر والكلم مونث وتصغير رطب رطيب وتصغير كلم كليمات بالرد الى الكلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون
الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفونه فسر ابن عباس بكليم الله موسى وقت
المناجاة واما الحرف وهو الواحد من حروف المعجم سمي حرفا لقلته ودقته ولذلك قيل حرف الشيء لطرفه لانه اخره والقليل
منه والحرف ايضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف ايضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة ايضا حرف فهو من
الاضداد والحرف ايضا في اللغة القراءة قال النبي صلى الله عليه وسلم انزل القران على سبعة احرف والحرف ايضا احد اقسام
الكلمة وذلك لان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادي الى ضميمة نحو من وقد فهو حرف والا فان دلت في
اصل الوضع بهيئة التصريفية على احد الازمنة الثلثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو نصر ينصر والا فهو اسم
كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق
لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان معناها يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب
فانه لو سلم ان معناه يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من
حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على الزمان لان تجرده عن الزمان عرض كعرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا
بزماني الحال والاستقبال لان قولنا لاحد الازمنة تحديد لادنى درجات الاقتران ولو سلم انه يجب الاقتران باحد الازمنة
فقط فذلك في اصل الوضع ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان اخر مجازا **المقدمة السادسة** في ذكر السبع الطول
والمثاني والمئين والطواسيم والحواميم والمفصل والمسبحات وغير ذلك فالسبع الطول مضمومة الطاء جمع طولى
كالفضلى والفضل هي البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا
جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال
بعضهم السابعة من السبع سورة يونس لان الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سور تلوا السبع الطول واولها يونس و
اخرها سورة النحل لانها تثنت الطول اي تبعت واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القران كلها طوالها
وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وقد قيل المثاني في هذه الاية
ايات الفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المائون فهي سبع اولها سورة بني اسرايل واخرها سورة
المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة اية وقيل المائون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع الطول
هي المائون الى الحواميم وبعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلتها كذا وان شئت قلت الطواسيم قال الراجز وبالطواسيم
التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طاها والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلتها
كذا وان شئت قلت الحم قال ابن عباس ان لكل شيء لبابا وان لباب القران الحم او قال الحواميم وكان من قال الحم نسب السور
كلها الى حميم وهو من اسماء الله تعالى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم
عرايس القران عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرات على علي بن ابي طالب رض القران في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغ
الحواميم قال يا زر بن حبيش قد بلغت عرايس القران فلما بلغت راس العشرين من حمعسق والذين امنوا وعملوا الصالحات في
روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال يا زر
امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسالك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين وموافقة الابرار واستحقاق حقايق الايمان والغنيمة
من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزايم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القران
فادع هؤلاء الدعوات حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان ادعو بهن عند ختم القران واما المفصل فما بعد الحواميم
من قصار السور الى اخر القران لكثرة التفصيل فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

والاعلى كان في فواتحهن ما يدل على التسبيح وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ من المسبحات سبح اسم ربك
الاعلى وقد كان العلماء يقولون هذه السورة في التهجد ويعرفون بركتهما واما المقشقشات فسورة الكافرون والاخلاص
لانهما تبريان من النفاق والشرك يقال قشقشه اذا ابراه وتقشقش المريض من علته اذا افاق المريض منها وبرا واما المعوذتان
فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال المعوذات **المقدمة السابعة** في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف
بعض في المصحف وهي في الاصل واحدة فاول ذلك بسم الله كتب بحذف الالف التي قبل السين وكتب اقرأ باسم ربك وسبح باسم ربك
وبئس الاسم ومن ما اسمه بالالف والاصل في ذلك كله واحد وهو ان يكتب بالالف وانما حذفت من باسم الله فقط لانها اصل الف
وصل مما قط من اللفظ فكثر استعمالها اياه في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل امر يبتدا به فامنوا ان يجهل القاري معناها وكتب
فيما موصولا كل القران الا في البقرة في ما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها في ما فعلن في انفسهن من معروف وفي الانعام في ما
اوحي الي محرما وفيها ليبلوكم في ما اتيكم وفي الانفال لمسكم في ما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم وفي النور في ما
افضتم وفي الشعراء في ما ههنا امنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر في ما هم فيه يختلفون وفيها في ما كانوا فيه يختلفون وفي
الواقعة في ما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك فموصول وكتب من ما موصولا كل القران الا ثلثة مواضع في
النساء فمن ما ملكت ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وفي الروم من ما ملكت ايمانكم وكتب انما موصولا كل القران الا ثلثة مواضع
في الحج وان ما تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمن وان ما تدعون من دونه الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب انما موصولا
كل القران الا في الانعام ان ما توعدون لات وكتب لكيلا مقطوع عن كل القران الا ثلثة مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب
لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب بئسما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة بئسما يامركم به ايمانكم
وفيها ولبئسما اشتروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب اينما مقطوعا جميع القران الا اربعة مواضع في البقرة فاينما
تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القران الا عشرة مواضع
في الاعراف ان لا اقول على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجا من الله الا اليه وفي هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله
الا هو وفي الحج ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان ان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن
بالله وفي القلم ان لا يدخلنها اليوم واختلف في يوسف ان لا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا
باسقاط النون كل القران من غير استثناء مثل الا تفعلوه والا تغفر لي وكتب ان لم موصولا في كل القران الا في الانعام ان لم يكن ربك
وفي البلد ان لم يره احد وكتب في هود فان لم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب ام من موصولا
كل القران الا في اربعة مواضع في سورة النساء ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة ام من اسس بنيانه وفي الصافات ام من خلقنا
وفي حم السجدة ام من ياتي امنا وكتب انما موصولا الا في الرعد وان ما نرينك وكتب عن ما موصولا الا في الاعراف عن ما نهوا عنه
وكتبا ان لن مقطوعا الا في الكهف الن نجعل لكم موعدا وفي القيمة الن نجمع عظامه وكتبا كلما
موصولا الا في سبعة مواضع في النساء كلما ردوا الى الفتنة وفي الاعراف كلما دخلت امة وفي المؤمنون كلما جاء امة وفي الملك
كلما القي فيها فوج وفي ابراهيم من كل ما سالتموه وكتب يوم هم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار
يفتنون وكتب الرحمة في جميع القران بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب
وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك وفي الروم فانظر الى اثار رحمت الله وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها
ورحمت ربك خير مما يجمعون وكتب النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة واذكروا نعمت الله عليكم وفي ال عمران واذكروا
نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم وفي ابراهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها وان تعدوا نعمت الله وفي النحل
وبنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمان في البحر بنعمت الله وفي الملائكة اذكروا نعمت
الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء الا سبعة مواضع في ال عمران اذ قالت امرات عمران وفي يوسف امرات العزيز
تراود وفيها امرات العزيز الان حصحص وفي القصص وقالت امرات فرعون وفي التحريم امرات نوح وامرات لوط وامرات فرعون
وكتب سنة بالهاء كل القران الا خمسة مواضع في الانفال فقد مضت سنت الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا
ولن تجد لسنت الله تحويلا وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصية بالهاء الا في موضعين في المجادلة و
معصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء كل القران الا في ال عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة
بالهاء الا في الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص
قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب [illegible] بالهاء [illegible] كلمة بالهاء

الاربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القرآن من ذكر الاية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه ايت فانها بالتاء وكتب فطرت الله وشجرت اقرايتم اللات ولات حين مناص وذات بهجة وهيهات هيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملؤا بالالف الا اربعة مواضع في المؤمن فقال الملؤا الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملؤا اني يا ايها الملؤا افتوني يا ايها الملؤا ايكم يأتيني فانها كتبت بالواو وكتبت في يبسط وما سوية بالسين وكتب في بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب في ال عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته بالالف وكتب في اول يوسف والزخرف قرانا عربيا بغير الف وفي ساير القرآن قرانا عربيا بالالف وكتب في الاعراف ويونس كل سحار عليم بالالف بعد الحاء وفي الشعراء لساحر عليم بالالف قبل الحاء وكتب في الذاريات ساحر او مجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة وخلف في قوله انا لننصر رسلنا في المؤمن وكتب في يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفي اخر يوسف فنجي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء كذلك نجي المؤمنين بالياء ونون واحدة وكتب جميع ما في القرآن من ذكر الايدي بياء واحدة الا في الذاريات والسماء بنيناها بايد فانها كتبت بيائين والاصل كتبته بياء واحدة والان بغير الف الا في الجن فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب في حم السجدة سماوات بالالف وما سواه كتبت سموات بغير الف وكتب في اول سبا عالم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفي الاعراف خطيتكم بحرفين بينهما وكتب رءا بغير ياء كل القرآن الا في النجم لقد راى من ايات ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما راى وكتب في يونس وما تغني الايات بالياء على الاصل وفي القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب في البقرة يؤتي الحكمة بالياء وفي النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا الله ما يشاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كان الا قوله اجيبوا داعي الله وكتب ثمودا بالالف في حال النصب وهي اربعة مواضع في هود والفرقان والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما انت بهادي بالياء وفي الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب في الحج ولؤلؤا بالالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفي طه يا ابنؤم بالواو وموصولا وكتب في الحجر وق اصحاب الايكة بالالف وفي الشعراء وصاد ليكة بغير الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المؤمن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفي الجمعة ذو الفضل العظيم بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا بواو بعدها الف كل القرآن الا في الروم وما اوتيتم من ربا فانه بغير واو وكتب لدا الباب بالالف ولدى الحناجر بالياء وكتب ولا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الالف وفي مصاحف الشام ولامة مؤمنة بزيادة الالف ايضا وكتب ايه المؤمنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها ايها وايتها بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان امهم ضلوا السبيل وفي الاحزاب وهو يهدي السبيل وهما راس اية وكتب في الانسان قواريرا بالالف قوارير من فضة بغير الف وكتب في الانعام انكم لتشهدون وفي الاعراف انكم لتاتون الرجال شهوة وفي العنكبوت اينكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة انكم لتكفرون بالياء وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف ان لنا لاجرا بغير ياء وفي الشعراء ائن لنا لاجرا وكتب في النمل اننا لمخرجون بالياء وكذا في الصافات ائنا لتاركوا وما سواهما فهو ءانا بغير ياء وفي الواقعة ائذا بالياء وفي ساير القرآن اذا بغير ياء وكتب في هود في اموالنا ما نشؤا بالالف بعد الواو ومثله في الانعام يا تيهم انبؤا وفيها انهم فيكم شركؤا وفي عسق ام لهم شركؤا وفي الروم من شركايهم شفعؤا وفي ابرهيم فقال الضعفؤا وفي الشعراء فسياتيهم انبؤا وفيها ايضا ان يعلمه علمؤا وفي فاطر من عباده العلمؤا وفي الصافات لهو البلؤا وفي حم الاولى وما دعؤا الكافرين وفي الدخان ما فيه بلؤا وفي الممتحنة انا برءؤا وكتب جزؤا بالواو الا بالكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤا هلك ويتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم واتوكؤا عليها وتفتؤا تذكر ويدرؤا عنها ونبؤا الذين ونبؤا هم وينشؤا في الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف ليقوا بها الهمزة المضمومة او على لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها او بالالف وحدها لجازت وكتب في الانعام من نبأي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذا في يونس من تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي القربى وفي طه ومن اناي الليل وفي عسق او من وراي حجاب وكتب ما في القرآن من ذوات الواو بالالف مثل دعا وعفا وتلاها والاطحيها وتليها ودحيها وسجى وما زكى وذوات الياء تكتب بالياء ومثل هدى وسعى وقضى والاحرف هي ومضى مثل الاولين وجنا الجنتين دان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس وكلا الجنتين في كلمة مثل الدنيا والعليا جعلنا الاخيرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا في قوله يحيى ءامات واحيى وفي بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة بالعدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو وفي الانعام وهم على صلوتهم يحافظون وصلوتي ونسكي

وفي الانفال وما كان صلوتهم وفي اول المؤمن في صلوتهم خاشعون وفي الواقعة على صلوتهم وفيها صلوتهم يحافظون وفي ارايت عن صلوتهم ساهون وكتب فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف عليهما بالالف وكتب في البقرة واخشوني ولاتم وفي المائدة واخشون بغير ياء وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله بالياء وفي ال عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب في سبحان اخرتن بغير ياء وفي المنافقون لولا اخرتني بالياء وكتب في يوسف ما نبغي بالياء وفي الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفي هود يوم يات لا تكلم بغير ياء وفي النحل يوم تاتي كل نفس بالياء وفي الدخان يوم تاتي السماء بالياء وفي الانعام وقد هدان بغير ياء و انني هداني بالياء وفي الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفي هود فكيدوني جميعا وفي هود فلا تسالن بغير ياء وفي الكهف فلا تسالني بالياء وفي الكهف ان يهدين ربي بغير ياء وفي القصص ان يهديني سواء السبيل بالياء وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري بالياء وفي الزخرف واتبعون هذا بغير ياء وكذلك في المؤمن وفي الاعراف فهو المهتدي بالياء وفي سبحان والكهف فهو المهتد بغير ياء وفي ابرهيم قل يا عبادي الذين امنوا بالياء وفي الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزا بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبء وملء الارض ودفء باسقاط الهمزة ومن غرايب الهجاء ونوادر ما كتب في القرآن وعتو عتوا كبيرا وفي سبا والذين سعوا بغير الف وفي الحشر والذين تبوءا الدار بواوين بغير الف وفي المعصرات كذابا بغير الف وفي القلم بايكم المفتون بيائين وفي ال عمران افائن مات بالياء وفي ال عمران افائن مت بغير ياء وكتب انا قليلا ونحوه بالالف وكتب فادرءتم ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء الف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابي وحسابي وماليه وسلطانيه وفي القارعة ما هيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه وبهديهم اقتده ان الهاء فيهما لبيان الحركة او لغير ذلك وكتب في سورة النساء فمال هؤلاء القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي المعارج فمال الذين كفروا واللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا منها ما هو انفع للقاري واكثر فائدة واما الجزئيات كلها فقد راعيناها الا ما شاء في كتابة متن القرآن من هذا الكتاب كما بلغنا عمن تقدمنا من السلف الصالحين والعلماء المتقين ودواتهم وجعلها في الامام كذلك وستراها في مواضعها ان شاء الله تعالى وانما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف وهي في الاصل واحدة لان الكاتبين لو كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه آخر جمعا بين المذهبين على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكلما كتب في المصحف على الاصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القرآن يلزمه بكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجايه واجب ومن طعن في هجايه فهو كالطعن عليه في تلاوته [illegible] والفائدة للقارئ في معرفة ان يكون على يقين ان الذي يقراه هو القرآن الذي انزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلا خلاف فيه من جهة من الجهات وقد اجمعت الائمة من الاولين على القراء والعلماء والكتاب ان يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه وعلم هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو وبالالف بغير الواو [illegible] وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك [illegible] وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها لا يدل على القراءتين والله اعلم المقدمة الثامنة في اقسام الوقف قطع الكلام [illegible] عند اكثر الائمة [illegible] تام ومطلق وجايز والمجوز لوجه والمرخص ضرورة ولازم من الوقف ما [illegible] الكلام كقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين [illegible] يخادعون الله صفة للمؤمنين [illegible] الخداع عنهم [illegible] واثبات الخداع ونظايره [illegible] والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدا به نحو الله يجتبي اليه من يشاء [illegible] وكالفعل المستانف مع السين سيقول السفهاء سيجعل الله بعد عسر يسرا [illegible] والجايز ما يجوز فيه الوصل والوقف [illegible] ان واو الوصل يقتضي العطف ويقدم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالآخرة والمجوز لوجه نحو اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة لان الفاء في قوله فلا يخفف للتعقيب تضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على الاستيناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغنى ما بعده [illegible] يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الضمير المذكور قبله [illegible] جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف فيه [illegible] مواضع كثيرة وسيتلى عليك مواضع الفصل والوصل في جميع القرآن [illegible] ان شاء الله تعالى [illegible] الوقف في تلك التام والكافي والحسن ولا مشاحة في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى ولكن علامة اللازم م وعلامة المطلق ط والجايز ج

والمجوز ز والمرخص ص وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الاية دايرة صغيرة هكذا ه وانما التزمنا ايراد هذه الوقوف لانه مشكلها و بلوغها في الغرض الى حيث حصر والبلاغة على معرفة الفصل والوصل لان ذلك بحسب الصياغة وما نحن فيه بحسب الصناعة وكل منهما تابع لارتباط المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل والبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق **المقدمة التاسعة** في تقسيمات يعرف بها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان تعتبر دلالته على تمام مسماه او على احد جزئيه او على لازم ما الذهني الاولى دلالة مطابقة كدلالة البيت على مجموع الحايط والسقف والثاني دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف او على الحايط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحايط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيات بمشاركة من الوضع والعقل تقسيم اخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد وهو ما لا جزء له اصلا مثل ق علما و ما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان لجزء دال على معنى لكن لا في ذلك المعنى نحو اسد الله علما لشخص انساني وما كان له جزء دال على معنى في ذلك المعنى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم اخر اللفظ المفرد باعتبار وحدته وتعدده مدلوله وتعدده بما اربعة اقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثاني مقابل ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن حسب من الخارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى واول واشد كالوجود للخالق والمخلوق فانه وقوعه على الخالق اول واشد واولى واشد كالابيض على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك السامع في انه متواطئ نظرا الى اشتراك الكل في اصل المعنى او مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن وقوعه فمتواطئ كالانسان بالنسبة الى افراده فان كلها متوافقة الانسانية مستوية فيها وان لم تشترك في مفهومه كثيرون فهو جزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى امر منضم اليه من قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج الى احد القراين الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيين والعلم اما اسم كابرهيم وموسى وعيسى واما ان يكون لقبا اشعر المسمى بمدحا او ذما كاسرايل او كنية وتختص بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن نحو ابي لهب وام القرى وابنة عمران وابن ادم وقد يكون العلم علما لجنس ابره بحيث لا يكون بعض افرادها الخارجية اولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة الخارجية واذا اطلق على فرد من الافراد الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل لمطابقة الحقيقة الذهنية لكل فرد خارجي مطابقة كلي طبيعي لجزئياته فهذه تمام اقسام **القسم الاول** وان اللفظ واحد والمعنى الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان اللفظ حقيقة للمتعدد من مدلولاته ان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى اخر لعلاقة واشتهر فيه وهو عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان كان العرف الخاص وشرعي ان كان الشرع والا فالنسبة الى المنقول عنه وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان انتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان بالعكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد ولا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثلاثتها نصوص في معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما متكثرة اللفظ والمعنى فلانه حينئذ يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر ومؤول لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل وبازائه المبين وان كان متفاوتها فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو واقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلوة كما تحتمل ذات الاركان تحتمل الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئة المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمؤول ويشملهما المتشابه والنص ممتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والتاويل اشتقاقه من آل يؤول اي رجع وفي الاصطلاح كما تقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فقط نيد في الرسم بدليل يصيره راجحا اي بحسب ذلك المرجوح فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت الاقسام الاربعة كلها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى الاشتقاق ان تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد احدهما الى الاخر وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان وغير المشتق صفة ان دل على معنى قايم بالذات كالعلم والكتابة وغير صفة ان لم يدل كالجسم **تنبيه** العلاقة المعتبرة في المجاز انما يقع بحكم الاستقراء على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر للعصير او كاينا عليه

كالعبد على من اعتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب اذ الجاري في الحقيقة هو الماء كالميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل مثل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك اي اسنانك اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله صلى الله عليه وسلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالنداوة استعاروا البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم اثما لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في اذانهم اي انامله ومنها العكس نحو كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اطلاق اسم المطلق على المقيد كقوله **شعر** فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان اي قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت الخلق على غضبان يريد المحكوم عليه وظاهر انهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام كقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء ومنها العكس كقوله تعالى حكاية عن محمد صلى الله عليه وسلم وانا اول المسلمين لان الانبياء قبلهم كانوا كذلك ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسال القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا ومنها اطلاق اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اي ديته قال يا كل كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة على العموم كقوله عز من قايل علمت نفس ما احضرت اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين على الاخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعاء له ومنها اطلاق المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها ويجيء ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز والحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد في الجراة فيستدعي مشبها ومشبها به ووجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك الخد كالورد او عقليين كالعلم يشبه بالحيوة او احدهما محسوسا والاخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخيالات كالشقيق اذا شبه باعلام ياقوت منشرة ملزوم في قرن الحسيات والوهميات بقولك نطقت الحال بشيء هو لها شبيه باللسان وانه صورة وهمية وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه الشبه اما ان يكون امرا واحدا او لا وحينئذ اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط النار اذا شبه بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصودا من مجموعها الهيئة واحدة كقوله **شعر** كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض حال كونه متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانبه ويسمى هذا التشبيه المركب ومتى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية ويجي تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا اعتبنا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير يسمى مثلا كقولك للمتردد في امر مالي اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى وذلك لان الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه اعني الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده بالذكر في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعير وهو زيد مثلا في قولك زيد اسد برز في معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى شان العارية وانما جرا وهم على الدعوى ما اوقع بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم يعقب بصفات او تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضع التجريد والترشيح واما ان يلحقها التجريد والترشيح اذا عقبت فمتى عقبت بذلك بصفات ملايمة للمستعار به سميت مرشحة نحو رشا ورتا سدا وفي الفراش صورو قد بقي من الاصطلاحات في قولهم هذا عام او خاص او مطلق او مقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشترك فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل يشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب وكذلك المعنى الكلي لشموله الجزئيات التي تحته وقولنا على مسميات ليخرج المثنى وليدخل المستحيل اذ لو قلنا على شيئا لخرج اذ ليس على انها ليس بشي وقولنا باعتبار امر اشتركت تلك المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد والنكرات فانها وان دلت على مسميات هي احادها لكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيها بل باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية او عقلية وقولنا مطلقا ليخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد وقولنا ضربة احتراز من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني ادم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل وبهذا يخرج نحو رجال اذا تاملت فهذا حال العام والخاص بخلاف وهو ما دل على مسميات الى اخره فمن صيغ العموم

اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذي والتي والجموع المعرفة تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضاف
نحو عبيدي حر واسم الجنس المضاف والمعرف تعريف الجنس مثل غلامي والغلام والنكرة في سياق النفي نحو ما في الدار واحد والتخصيص قصر
العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما كما يطلق عليه ايضا انه
عام لتعدده وتكرره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين وكضماير الجمع ولا يستقيم تخصيصه الا فيما يستقيم توكيده
بكل لكونه ذا اجزاء يصح افرادها حسا او حكما الى النكرة كقوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء والمخصص احد اربعة اشياء
الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير الموثر عليه ولا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه اقتضاء الرجم
لا وجود الزنا والثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مومنة والرابع الغاية واتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد
يخص بالمنفصل وذلك اما بالعقل كقوله تعالى الله خالق كل شيء واما الحس نحو واوتيت من كل شيء واما الدليل السمعي كقوله تعالى
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء خصصته الاية الاخرى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ويوصيكم الله في اولادكم
خصصه قوله صلى الله عليه وسلم القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المامور من الاتيان
بفرد عنها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد منها وذلك اما في معرض الامر نحو اعتق رقبة او مصدر الامر
كقوله فتحرير رقبة مومنة او الاخبار عن المستقبل مثل ساعتق رقبة ولا يتصور الاطلاق في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رايت رجلا
ضرورة باسناد الروية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع في جنسه فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد
وهذا الرجل وانا وانت والدال على الشايع لا في جنسه فيدخل فيه الدال على المتعين بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة واصطلاحا
وقد يطلق المقيد على ما اخرج من شايع بوجه بان يكون الدال على ماهية بوصف زايد عليها كرقبة مومنة فانها وان كانت مطلقة في
جنسها من حيث هي رقبة مومنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه مقيدة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص
العام فيجوز التقييد بالمتصل استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة تقسيم آخر
المقيد على الكلام قسمان احدهما الذي يحتمل ان يقال لقايله صدقت او كذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب
ويقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال العقل تواطيهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر الواحد والثاني ما لا يحتمل ذلك ويقال له
الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان
الحصول وهو التمني ونوع يستدعي في مطلوبه ذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان
طلب اقبال فنداء ومتى امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو
ذلك تقسيم آخر الحكم خطاب الله تعالى او من اذن له الله تعالى بافعال المكلفين بالاقتضاء والتخيير او الوضع اما التخيير فيراد به الاباحة
واما الاقتضاء ففعل مع امتناع الترك وهو الوجوب او جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع الفعل وهو الحظر و
التحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب الصلوة او سببا
كالزنا في وجوب الجلد او شرطا كالوضوء لحدث الصلوة واما الصلوة الصحة والبطلان او الحكم بهما فامر عقلي لا حكم شرعي لان
صحة العبادات اما كون الفعل مسقط للقضاء كالفقهاء واما موافقه امر الشارع كالمتكلمين ولا شك ان العبادة اذا اشتملت على
اركانها بشرايطها حكم العقل بصحتها بكل من التفسيرين سوا حكم الشارع بها حكم او لا والصحة في المعاملات ايضا حكم عقلي لانها فيها كون
الشيء بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب والشرايط وارتفاع الموانع حكم عقلي بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع
بها او لم يحكم وقس البطلان والفساد على ما قلنا وكل حكم ثبت على خلاف الدليل بعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر
للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك المقصود من ايرادها لان معاني كتاب
الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين ومندرج فيها المنسوخ والناسخ باعتبار لان الناسخ بيان انتهاء امد الحكم الشرعي ومنها
مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر ومؤول ومنها حقيقة ومجاز ومنها تشبيه وتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي والجزئي
ومنها الخبر والطلب باقسامها ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات وتذكرها في علم التفسير امر مهم والله اعلم
المقدمة العاشرة في ان كلام الله تعالى قديم اولا ذكر قوم من ايمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف
المنتظمة المسموعة اما ان كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم
ان المسموع ليس الا هذه الحروف واما انها قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم وايضا كل حادث متغير والتغير
على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام المولف من الحروف والاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبداهة وكيف لا وانها اصوات
تحدث عن القاري شيئا بعد شيء فلو قلنا انها عين كلام الله لزمنا القول بان الصفة بعينها قايمة بذات الله تعالى وحالة في بدن هذا الانسان

وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا للشيء وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة
فللقران وجود عيني وهو القايم بذات الله وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شيء من سمات النقص ووجود ذهني كما لحافظ القران ووجود في
العبارة وهو على لسان القاري ووجود كتابي وهو المثبت في المصاحف ولا ريب ان القران من حيثيات هذه الوجودات حادث بل القرآن
انما يطلق على المحفوظ والمكتوب والمتلو بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القايم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على كل صوت فانه يقوم
بجسم ولا على كل حرف فانما يقدر عليه ذو جارحة بل لعل ذلك في الشاهد فقط فالكلام القديم كالقديم نطق ويسمع ولا آلة ولا جارحة
كما ادرك وعلم من غير قوى وعضو من يدرك كما ينبغي لمن يدرك ادراكه كما ينبغي فلا يلومن الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب وكلمته عدل نوره
ظهوره ووجوده شهوده وعيانه بيانه والكفر بها سواء ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام **المقدمة الحادية عشر**
في كيفية استنباط المسايل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير قول القايل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا مباحث
لفظية ومباحث معنوية اما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها ما يتعلق بعلم
الصرف ومنها ما يتعلق بعلم النحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بعلم المعاني ومنها ما يتعلق
بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بالفقه ومنها ما يتعلق بعلم
له بالاحوال اما القراءة فكما مر واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان معناه كذا والرجيم كذا والباء واللام
ومن معانيهما كذا فكل واحد منها اما الاشتقاق فان اعتبر الاشتقاق الكبير وقلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هي مستعملة
او مهملة وكذا كل من تراكيب ش ط ن او ش ي ط ن ومن تراكيب ر ج م واذا كانت مستعملة فاصل المعنى في كل من المستعملات كيف يعتبر
فيحصل مسايل كثيرة وان اعتبر الاشتقاق الصغير فهل للعوذ معنى آخر غير الالتجاء وان كان فما الاشتراك بينهما اي شيء فيحصل مسايل
واما الصرف فكان يقول اعوذ فعل مضارع متكلم واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيف والله اصله
الاله كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى
وادغمت في الثانية وقالوا يا الله في النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من المحذوفة فكانك قلت يا آله وقيل اصله لاه الحقوا بها
الالف واللام وانشد والحلقة من ابي رياح يسمعها لاهه الكبار ولو عدت هذه المسئلة من اللغة جاز لانه غير قياسي والشيطان فعلان او فيعال
والرجيم فعيل بمعنى مفعول وكلاهما للمبالغة وهذه مسايله واما النحو فاعوذ فعل فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله
متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان يعرف مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم
فهذه مسايله واما البديع فان يقول انما اختير الرجيم دون اللعين والمرجوم لتوافق الفاصلة الاخرى وهو الرحيم اذا ابتداء القاري بعد
الاستعاذة بالبسملة والاكثر مع ان اول القرآن ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى وليكون تجنيسا خطيا وترصيعا
واما المعاني فان يقول انما اختير المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار والدوام اي سياتي اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم
يقل انا اعوذ وانا عايذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد على تجدد في هذا القول في لحظة فلحظة ثابت مستمر
لان عوذي مستمر ولم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال في بسم الله ابتداء لان الاستعاذة ههنا اهم امتثالا للامر ولانه لا يعوذ
الا بالانقطاع عن الغير والتبري عن سوى الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص ولانه موافق لما ورد في القرآن فاستعذ بالله وانما
اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره في ذهن السامع بعينه ليكون دل على انقطاعه عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا
باللام الجنسي ليدل على هذه الحقيقة التي هي مادة كل شر فيشمل كل فرد منها ضرورة وجود الحقيقة في اي فرد يفرض ولو اريد
بالعهد ايضا جاز كما مر ولو نكرت فان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان رجيم لاطالت والمقام مقام اختصار
وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد وذم ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشا كل كمال ومصدر كل خير واما البيان
فان قوله اعوذ معناه التصق ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام والمراد التصق برحمته وفضله فهو اذن
مجاز لغوي في نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة يجوز بعد علما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا ويثبت كون
اللفظ موضوعا لشيطان الجن فقط كان استعاذه فاذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق
بالاستدلال فاما من جهة التصور واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة في التركيب من مفهوم
العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم وان كلا منها كيف يعرف بالحد والرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله
فان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة واما الثاني فان قولنا اعوذ
لفظه خبر ومعناه دعاء اي اللهم اعذني واما انشاء نحو بعت واشتريت واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب
فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر في معنى الطلب من مسايل علم المعاني ايضا واما ما يتعلق باصول الدين فان يعلم ذات الله

وصفاته من انه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التي بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع
ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو ما سبق في المقدمة الثانية واما ما يتعلق باصول الفقه فان يعرف
ان الاستعاذة الواردة في الكتاب والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا فانها تقتضي الفور
او يحتمل التراخي واما ما يتعلق بالفقه فانها تستحب في الصلوة ام لا وان استحب فيجوز في المكتوبة ام لا وان جازت ففي كل ركعة في الاولى وحدها
ويسرها ام يجهر واما ما يتعلق بعلم الاحوال كالنكات التي ذيلنا بها المقدمة الثانية وانها لا تكاد تحصى فهكذا يجب ان تستنبط المسائل
من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى في شيء من ذلك الى ما ليس من العلم كان يقول في قراءة الاستعاذة القراءة المشهورة سبع هي كذا
وكذا ورواة كل قراءة منهم وما منشاء كل قراءة وفي اللغة ان واضعها من هو وكيف نشات اللغات وما معنى الاشتقاق وما ذا ايدته
وفي الصرف انه معرفة احوال الكلم التي ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما حد الفعل والكلمة الى
غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفي النحو ان التركيب يشتمل على الاسم
والفعل والحرف والاسم معرب منصرف ومبني وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هي وكل منها
ما يختص باي شيء من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف ما يختص واصناف الفعل كم هي واصناف الحرف كم هي ولا
سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يوجد نكت مخصوصة بهذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا
الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين لزمنا ايراد كل العلوم او اكثرها في تفسير كلام واحد وانه محال شنيع اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب
القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقايد الفاسدة والمذاهب الباطلة في الملة
الاسلامية وغيرها او فسرها بما هو مباين عنه كانواع الافات واصناف المخافات حتى يلزم تكثير المسائل المخل عن التعسف والاعنات
ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد تطلق بالخلف وداد عن الجادة وانحرف من سواء السبيل نعم لو اريد بطرف من الاصطلاحات والمسائل
على سبيل التصدير من غير اشارة الى ماخذها الاصلية ودلايلها الكلية الا نادرا جاز ذلك ما لا يتجاوز حد الضرورة ومقدار الواجب
كما اشرنا اليه في المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شيء وبيان
كيفية اعجاز القران ونحن قد راينا الاليق بها ايرادها في مواضعها اذا اقتضت النوبة اليها فلنشرع الآن في المقصود وهو التفسير
المسمى بغرايب القران ورغايب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك
نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

القراءة مالك بالالف
بسهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو وكذلك يدغم كل حرفين التقتا من كلمتين اذا كانا
من جنس واحد مثل فيه هدى او مخرج واحد ولثات طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان المدغم ساكنا مثل انبتت
سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى الادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا
نحو احل لكم ومس سقر او منقوصا مثل وما كنت ترجو وكنت ترابا ويعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا قبله ساكن مثل
البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كاد يزيغ وقال رب كل القران والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها ويكون الاظهار
اخف من الادغام نحو افانت تهدي افانت تسمع وعن يعقوب ادغام الجنبين في كل القران اذا التقتا من كلمتين الصراط باشمام الراء
ههنا وفي جميع القران حمزة وعن يعقوب بالسين كل القران وعن الكسائي باشمام السين كل القران الباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم
بضم الهاآت كل القران حمزة وسهل ويعقوب بضم كل ميم جمع مزيد ابن كثير ونافع غير ورش مخير ورش يضم الميم عند الف القطع فقط نحو
الذين هم **الوقوف** العالمين لاتصال الصفة بالموصوف كذلك الدين للعدول عن الغايب الى المخاطبة نستعين للابتداء

الدعاء المستقيم لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم للاتصال بالصفة الضالين ○ معنى التفسير وفضله روى عن جندب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله تعالى برايه فاصاب فاخطا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوا مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالراي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار
على النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امرا اخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما سمعه فان الصحابة قد فسروا القران و
اختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
وقد كان التاويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل
من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له الراي والهوى لا يلوح من القران ذلك المعنى وهذا قد
يكون مع العلم بان المراد من الاية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى وجه
يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من
القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله اذهب الى فرعون
انه طغى هو النفس والوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القران
وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والاضمار والحذف والتقديم والتاخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير
ولا تشفى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهيم والاستنباط والغرايب لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة
مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء
ولم يدر بماذا ظلموا فانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد
الاصلية والفرعية واعلم ان مقتضى الديانة ان لا يؤول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث تبطل الاعيان التي فسرها
النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها
ولكن يجب ان تثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقايق اخرى ورموزا ولطايف بحسب ما كوشف له فلا باس فان الله تعالى ما
خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيئا في عالم المعنى وهو الاخرة الا وله حقيقة في عالم الحق وهو عالم
الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك سائر
تقاليبه ومن ذلك سفرت المراة اي كشفت عن وجهها والفرس لانه يكشف عن حاله حينئذ والرفس لانه يكشف عن عضوه والكشف حال القيد
في رسفانه واصح فمن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في
اخر المقدمة العاشرة ومنه اسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغير ذلك ونحن على ان نورد بعد القرآن مع الترجمة القراءة ثم
الوقوف ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التاويل ان كان ولم يذكره في التفسير ونذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان
التفسير فلنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه
يكون فعلا او اسما فيه رائحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا نحو ابدا باسم الله او ابتدائي باسم الله او باسم الله ابتداء
او باسم الله ابتدائي او الابتداء وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله باسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدا له
فيكون المراد ذاتا ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا باسم الله اقرأ او اتلو او ابدا لان الذي يتلو التسمية مقروء
كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال باسم الله والبركات كان المعنى باسم الله احل وارتحل وكذا الذابح ونظيره في حذف متعلق
الجار قولهم في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين اي بالرفاء اعرست وتقدير المحذوف متاخرا اولى على قوله تعالى باسم الله مجريها ومرسيها
لان تقديم ذكر الله تعالى ادخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رايت
شيئا الا ورايت الله قبله ولانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولوا باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص
اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما في اياك نعبد صرح بتقديم الاسم افادة الاختصاص قال في الكشاف و
انما قدم الفعل في اقرا باسم ربك لان تقديم الفعل هناك اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم وقال صاحب المفتاح
الصواب ان يقال معنى اقرا اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرا الثانية وذكر في معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهان احدهما تعلق
الكتابة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كان فعل لا يجيء معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكر الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدا فيه
باسم الله فهو ابتر وانما تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن اي متبركا باسم الله اقرا كما في قوله بالرفاء والبنين اي اعرست ملتبسا بالرفاء
وهذا اعرب واحسن انما قدرنا دخل في العربية فلانه لا يعرف الا من له دربة بفنون الاعتبار لانه خلاف الاول فانه مبتذل واما كونه احسن
فلانه يجعل اسم الله كالالة وفيه خروج عن الادب لان الالة من حيث انها الة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اهم شيء فقدمه

واقسم فانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وكذا الحمد لله الى اخره الثاني انهم استحسنوا التفخيم
اللام وتغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر
بالتعظيم ولان اللام الرقيقة يذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه اكثر فيكون ادخل في الثواب كما جاء
في التورية احب ربك بكل قلبك حرفا اخر كما عدوا الدال حرفا والطاء حرفا آخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال
الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان اضطراب استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يعق عائق الكسرة وعدم
اضطراب الطاء مكان الدال الثالث طول الباء من بسم الله اما الدلالة على همزة الوصل المحذوفة واما اشارة الى انه لا يستفتح
كتاب الله الا بحرف معظم وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله قال
اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة
الله يرتفع حاله ويعلو شانه الرابع ابقاء لام التعريف في الخط على اصله في لفظ الله كما في ساير الاسماء المعرفة واما حذف الالف
قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة عند الكتابة ولانه يشبه اللات في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في
قولنا الله الاله وهو ستة احرف ويبقى بعد التصرف اربعة في اللفظ الف ولامان وهاء والهمزة من اقصى الحلق واللام من
طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذا حال العبد يبتدا من النكرة والجهالة ويترقى قليلا في مقامات العبودية حتى اذا وصل آخر
مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الى الفناء في بحر التوحيد كما قيل النهاية رجوع
الى البداية اما حذف الالف قبل نون في لفظ الرحمن فجايز في الخط ولو كتب حسن الاسم احد العشرة التي بنوا اوايلها على السكون وهو عند
البصريين في الاصل سمو بدليل تكسيره وجمعه على اسماء وتصغيره على سمي وتصريفه على سميت ونحوه فاشتقاقه من السمو العلو وهو
مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشارة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في المعلومية فهو عال عليه حذف
عجزه كما في يد ودم وبني حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن فلما احرك الساكن للاعراب اسكن المتحرك للاعتدال واحتيج الى همزة الوصل اذا كان
دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم قال الشاعر
شعر باسم الذي في كل سورة سمه قد ورد تمامه على طريق تعلمه وقد يضم السين فيقال اسم كان الاصل عنده سمو وعند
الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم كالعلامة المعروفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه
اوساما وقال بعض المتكلمين ومنهم الاشعري ان الاسم غير المسمى وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما
كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقايق التي لم يوضع لها اسما لان الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى
واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين او بالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم اسما للمسمى وكون المسمى
مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافات متغايران لا محالة ولا يشكل ذلك بكون الشخص عالما بنفسه لانهما متغايران
اعتبارا ولان الاسماء اصوات وحروف هي اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا كواجب الوجود لذاته ولانه لا يلزم من التلفظ
بالعسل وجود الحلاوة باللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى كقوله تعالى تبارك اسم ربك
مكان تبارك ربك والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقايص يجب تنزيه مسماه اسمه مما لا ينبغي وايضا قد يراد بلفظ
الاسم مجازا كقوله شعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا
قلنا المراد الذات التي عبر عنها بهذا اللفظ ولهذا وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين
اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك المعين فافترقا السابع
وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحروف رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال
لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشي من الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفردا والفعل
مركب والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وايضا
الاسم مستغن في الافادة عن الفعل دون العكس والاظهر ان اسماء الماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء المشتقات لان
الاولى مفردة والثانية مركبة ويشبه ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات بانفسها لانها لا تعرف الذوات
الا بتوسط الصفات القايمة والمعرف قبل المعرف فيناسب السبق بالذكر التاسع اقسام الاسماء الواقعة على المسميات تسعة اولها
الاسم الواقع على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشي بحسب جزء من اجزايه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع عليه بحسب صفة
حقيقية قايمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشي انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك خامسها
بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية مع صفة اضافية كالعالم والقادر عند القايل

[illegible]
هذا فقال تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال ليهنك العلم يا ابا المنذر وزيف بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه
عظمة ولا انه صفة واما القيوم فمعناه كونه قايما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي وهو استغناؤه عن غيره والثاني
ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال
ان الاسم الاعظم هو الله وهو الاقرب لانا نقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان
دالا على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت اسماء بنت زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم قال اسم الله
الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وعن بريدة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسالك اني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سال الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله تعالى في الاية
والحديث اصل والصفات مرتبة عليه هذا واما اسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزايه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبراة
عن شايبة التركيب بوجه من الوجوه واما الاسم الدال بحسب اسم الصفة حقيقة فتلك الصفة اما ان يكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من
كيفيات الوجود واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود وكيفيات الوجود فهذه ثلثة اقسام فمن القسم الاول اسماء الدالة على الوجود ومنها
الشي ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند الاكثرين كقوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شي هالك الا وجهه اي
ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيئا غيره ولان الشي عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى
الله خالق كل شي فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالق نفسه ومثله وهو على كل شي قدير وقلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من
صفات المدح قلنا انه هو خير من لا شي وان كان ساير الاشياء مشتركة معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح
بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم وله الشي بالحقيقة وباقي الاشياء شبيهها استعارة كوجودها ومنها الموجود ومنها
الموجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله ومنها الذات
ولا شك في جواز اطلاقه اذ يصدق على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحب الصفات القايمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابرهيم عليه السلم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات الله اي في طلب رضاه ومنها النفس
قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال صلى الله عليه وسلم انت كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص
قال صلى الله عليه وسلم لا شخص اغير من الله ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله
ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداه
ومنها النور قال تعالى الله نور السموات والارض وليس المراد ما يشبه كيفية المبصرة فانما المراد انه الظاهر بنفسه المظهر لغيره
اذ لا ظهور ولا اظهار فوق ظهوره واظهاره فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فما ذا
هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف ياتيك تمام التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور والله اعلم بحقايق الامور ومنها الصورة وقد
ورد في الخبر ان الله خلق آدم على صورته فقيل معناه خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما نقله من نطفة ودم وما كان جنينا

ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا وفقه واحدة وقيل في حديث اخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق ادم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه على صفة في كونه خليفة في الارض متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس وكما قد كتبنا في هذه رسالة ومنها الجوهر فانه لا يطلق عليه بمعنى موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ويستغني المحل عنه لان ذلك انما هو عن كون وجوده زائدا على ماهيته وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى اخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شيء في شيء اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد به لزم وجب الامتناع عنه ومنها الجسم ولا يطلقه عليه الا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد به ولزم منه الامتناع ومنها الماهية والانية التي هي حقيقته التي يسال عنها بما هي وثبوته الدالة عليه بلفظة ان ولا باس باطلاقهما عليه اذا اريد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق انه احق الاشياء بهذا الاسم اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق ويقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد شعر الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل واما بحسب ما يقال ان هذا الخبر صدق وهذا الخبر احق واصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق لان اعتقاد وجوده وجوبه اصوب الاعتقاد القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يراد فيه الازلي ويراد بهما ما لا اول له في الطرف الماضي كالابدي في المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد للتوالي والتعاقب زيدت الميم للمبالغة ويعني بالنسبة في هذه الالفاظ انه تعالى منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد والمستمر ويعني بهما لاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا يخفى امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقهما بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله تعالى جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف و منها الباقي قال الله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك فانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدايم وهو الباقي ومنها واجب الوجود لذاته اي ذاته اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو ممتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل حي اي جاء بنفسه ومنها الكاين قال الله تعالى وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا كائنا قبل كل كون ويا باقيا بعد الفنا كل كون واعلم ان لفظة كان تفيد الحصول فالثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شيء بشيء الاول يتم باسناده الى ذلك الشيء وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفية زيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث الصفات الحقيقية المغايرة للوجود وكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل هذه الصفات بذاته تعالى اشد الانكار لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع الجهات ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب الذاتي ومع انه صفة للغير والصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة موجودة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة ان يكون عالما قادرا حيا ثم انا ندرك تفرقة بين قولنا ذات الله ذات وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وبين هذه الصفات واذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول للعلم صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية العارية عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة انه لم يقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بان يقال انها صفة باعتبارها يصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شانه ان ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان واجب الوجود احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة على النحو الافضل ولهذا مدح الله تعالى به نفسه قائلا الله لا اله الا هو الحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية فمنها التكوين فانه عند المعتزلة والاشعرية نفس الكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان تؤثر على سبيل الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب ويلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الاثار وان كانت حادثة افتقر الى تكوين آخر وتسلسل الاخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقولات من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه معلوما مذكورا ممدوحا محمدا فيقال يا ايها المسبح بكل لسان ويا ايها الممدوح عند كل انسان ويا ايها المرجع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا النوع

من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله تعالى بحسب هذا النوع من الصفات غير متناه ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا مثل الموجد ومعناه المؤثر في الوجود والمحدث وهو اخص لان الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينبئ عن التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منهما الايجاد الدفعي وكذا الفاطر وهو مثل الصانع ويفهم منه تكليف واما الخالق فهو التقدير واثره في حق الله يرجع الى العلم واما البارئ فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق من مصلحة يقال برا القلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض معين ومنها الفاظ تدل على ايجاد شيء بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية ومنها تدل على ايجاد النوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمي نافعا واذا خلق الالم يسمى ضارا واذا خلق الحيوة سمي محييا واذا خلق الموت سمي مميتا واذا اختصهم بالاكرام سمي برا لطيفا واذا اختصهم بالقهر سمي قهارا جبارا واذا قل المعطي سمي قابضا واذا كثر سمي باسطا واذا جازى الذنوب بالعقوبة سمي منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمي عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء سمي قابضا باسطا واذا حصل في الجاه والحشمة سمي خافضا رافعا اما الصفات السلبية فمنها ما تعود الى الذات كقوله انه ليس جوهرا ولا جسما ولا مكانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شيء غيره في ذاته وفي صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما تعود الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله تعالى عنها وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفي النوم لا تاخذه سنة ولا نوم وكنفي النسيان وما كان ربك نسيا وكنفي الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم بغيره لا يشغله شان عن شان واما راجع الى اضداد القدرة ككونه منزها عن افعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج في فعله الى الات وتقديم المادة والمدة انما امرنا اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت في قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانه لا ينتهي قدرته ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى الصفات الوحدة كنفي الانداد والاضداد ليس كمثله شيء ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله والى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يوذي من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين ولا يتضرر بمعاصي العاصين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء ليس لاحد ان يعترض عليه لافعاله وحكمه ولا يسال عما يفعل وهم يسالون لا يخلف الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه سالم عن نقايص الامكان ومنها العزيز وهو الذي لا يوجد له نظير ولا يغلبه شيء والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه اما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوي ذي القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم [illegible] عالم الغيب والشهادة وهو بكل شيء عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته الله اعلم بما في انفسكم [illegible] وعلم ادم الاسماء كلها [illegible] ومنها الخبير [illegible] العليم وكذا الشهيد اذا اخذ كونه شاهدا لها واذا اخذ كان من وصف الكلام والحكيم قد يشارك العلم من حيث [illegible] حقائق الاشياء كما هي وتباينه باعتبار صدور الاشياء عنه كما ينبغي واللطيف قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والتحقيق انه الذي ينفذ تصرفه في جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر ان يكلمه الله [illegible] ومن اصدق من الله قيلا [illegible] وكان الله شاكرا عليما كان سعيهم مشكورا و ذلك انه [illegible] كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر [illegible] يحبهم ويحبونه والله يحب المطهرين [illegible] كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها [illegible] الكراهية عبارة عن ارادة عدم [illegible] ومنها ما يرجع الى السمع والبصر [illegible] السميع والبصير [illegible] واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثاني لا يسبق عليه غيره [illegible] كالاخر فانه الذي يتاخر بعد غيره ولا يتاخر عنه غيره و كالقيوم فانه الذي يقوم بذاته ويقوم به غيره ولا يفتقر هو الى غيره [illegible] الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية [illegible] الاسلام [illegible] استقاقه [illegible]

استعجاب المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العلي العظيم وهما متقاربان او متغايران لقوله تعالى في موضع آخر وهو
العلي الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد والكبرياء ردائي والعظمة ازاري والرداء ارفع من الازار وهو ايضا اخص بتحريم الصلوة
بالله اكبر دون الله اعظم ولا يستلزم اطلاق الكبر والعظم على الله بحسب الجهة والمقدار كما للاجسام لمحال لزوم التبعيض و
التجزية ومنها العلي والمتعال فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف
على الممكنات واما ان يقال ان تطلق هذه الاسماء للاذن الشرعي ويكل معانيها الى الله تعالى واما ان نستمد في ادراكها بضرب من
الكشف والعيان العاشر في الاسماء المضمرة قال عز من قائل انني انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره هذا الذكر الا حكاية وما
جاء من قول بعض اهل الكمال شعر انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء
ارادته في ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله
الا هو وانما يصح من الخاشعين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غايب بالنسبة الى
ما فوق تلك الدرجة ورب غايب حاضر كما قيل شعر يا غايبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغايب الحاضر وفي لفظ هو اسرار
عجيبة منها ان العبد اذا قال ياهو فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف
بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء الغايبين ويقول ياهو ومنها اذا قيل ياهو فقد حكم على ان كل ما سوى نفي محض لانه لو حصل في
الوجود شيان لكان قوله هو صالحا لهما جميعا فلا يتعين النداء ومنها اذا قال يا رحمن كانه يذكر رحمته او يطلب رحمته وكذا اذا
قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال ياهو فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال ياهو فكانه يقول
اجل حضرتك ان امدح واثني عليك بسلب نقايص المخلوقات عنك وهي صفات الجلال نحو لا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا في محل
ولا باسناد كمالات الممكنات اليك وهي صفات الاكرام لكونه مبدأ للموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا
بهويتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر المنادي بسيط محض لا طريق الى تصوره الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد
كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به مالكه الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار ذكر الغزالي قدس سره
لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان لا اله الا هو معناه كل شيء هالك وقوله الا هو معناه الا وجهه
ومن جملة الاذكار الشرعية ياهو يا من لا هو الا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت لعني بعض المشايخ من الذكر
ياهو يا من هو يا من لا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله والثاني فناء في الله والثالث فناء عما سوى الذات والرابع فناء عن
الفناء عما سوى الذات الحادي عشر في بقية مباحث الاسماء اختلفوا في ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا فمال بعضهم الى التوقف
لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا فقيها ومستغنيا فلولا ان اسماءه توقيفية لوصف مثلها وان كان على سبيل
التجوز القايلون بعدم التوقف اجتمعوا بان اسماء الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القرآن
مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب عدم التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى
قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها فكل اسم دل على صفات الكمال ونعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن
بعد التوقيف فلم [illegible] كذلك والغزالي قدس سره فرق بين اسماء الذات وبين اسماء الصفات فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه ورد في
القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ بهم وهو ملزوم لكونه جهلا لانهم قالوا
اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها الغضب وغضب الله عليهم ومنشؤها
التعجب بل عجبت ويسخرون وفيه من قرأ بضم التاء [illegible] والتوحيد [illegible] القلب [illegible] ومنها المتكبر والجبار ومنها الحيا
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا والحيا تغير [illegible] القلب والوجه عند [illegible] والقانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل
واحد من هذه الاحوال امورا توجد معها في البداية وآثارا توجد معها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم
[illegible] من الاخر الحاصل [illegible] في النهاية ايصال الضرر الى المغضوب عليه [illegible] حمله على [illegible] الاخر الحاصل
في النهاية ايصال الضرر [illegible] وغير [illegible] الله تعالى في اربعة الاف [illegible] القرآن [illegible]
والف في التوراة والف في الانجيل والف في الزبور وقد يقال الف في اللوح المحفوظ ولم يصل الى البشر وهذا غير
مستبعد فان اقسام صفات الله بحسب السلوب والاضافات لا تنحصر [illegible] الاطلاع على [illegible] في تدبير العالم
العلوي والسفلي اكثر [illegible] على اسماء الله اكثر [illegible] كل مخلوق [illegible] خاصية [illegible] كتاب الاعتقاد
والجواهر والنبات والاحجار خرجت الاسماء عن حد العد والاحصاء [illegible] عز من [illegible] فان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا
نرى في كتب العزايم اذكارا غير معلومة وفي غير مفهومة وقد يكون [illegible] غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى فكيف لا شك

مطلب اسرار في لفظ هو

مطلب اسماء الله تعالى توقيفية ام لا

ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء اصلا لم تفد وان دلت فاحسن الاحوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية والاذكار
فيه ان الاذكار المعلومة اودخل في التاثير من قراءة تلك المجهولات الا ان اكثر الناس اذا قرؤا هذه الاذكار المعلومة ولم تكن لهم
نفوس مشرقة تجذبهم الى عالم القدس ويلوح عليهم اثر التمنيات لم يظهر عليهم شروق انوارها ولهذا ورد رب تال القرآن والقرآن يلعنه
نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرى تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصلت عندهم اوهام انها كلمات عالية استولى
عليهم الفزع والاوهام على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد من الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتاثر نفوسهم وتوثر
وهذا الوجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة فاعلم ان بين الخلق وبين اسمائه تعالى مناسبة عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة
الضم فكل اسم يغلب معناه على النفوس اذا وغلب صاحبه على ذلك كان انتفاعه به اسرع والله الموفق حكي ان الشيخ ابا النجيب البغدادي
قدس الله سره كان يامر المريد مرة او مرتين بالرياضة بقدر ما يرى مصلحة فيه ثم يرى يقراء عليه اسماء التسعة فكان ينظر الى وجهه فان
راه عليه التاثير عند قراءة اسم منها قال له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان راه تاثر عند سماع
اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال ابوب المكاشفات تنفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس
عن احوالها الفطرية ولكنها تضعف النفس بحيث لا تستولي على الانسان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة
الارواح جنود مجندة اعلموا فان كلا ميسر لما خلق فهذه تمام البحث عن مطلق الاسماء الثاني عشر في الابحاث المتعلقة باسم الله المختار
عند الخليل ومتابعيه وعند اكثر الاصوليين والفقهاء ان هذا اللفظ غير مشتق البتة وانه اسم علم له سبحانه لانه لو كانت مشتقا لكان
معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومه عن وقوع الشركة فيه وحينئذ لا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد المحض ولا يدخل الكافر بقوله
اشهد ان لا اله الا الله في الاسلام كما قال اشهد ان لا اله الا الرحمن او الا الملك لا يدخل في الاسلام بالاتفاق وايضا
الترتيب العقلي ذكر الذات ثم تعقيبه الصفات نحو زيد الفقيه الاصولي النحوي ثم انا نقول الله العالم القادر ولا نقول بالعكس فدل ذلك على
ان الله اسم علم وقراءة من قرأ الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض يخفض اسم ليس لاجل انه جعله وصفا وانما
هو البيان نحو انه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وايضا قال الله تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد بالصفة والا لزم خلاف
الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك الا الله حجة القائلين باشتقاقه قوله عز من قائل وهو الله في السموات وفي الارض
فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك جاريا مجرى قولك هو زيد الذي لا نظير له في البلد قالوا لم لا يكون
الاشارة ممتنعة في حقه تعالى كان اسم العلم له ممتنعا وايضا العلم للتمييز ولا مشارك فلا حاجة الى التمييز قلنا وضع العلم لتعيين الذات المعينة
ولا حاجة الى الاشارة الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة وكان النزاع بين الفريقين لفظي لان القائلين بالاشتقاق متفقون على ان الاله
مشتق من اله بالفتح الاهة اي عبد عبادة وانه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم
اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة
مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره وينبغي ان يكون المراد من كون الله تعالى معبودا كونه مستحقا مستاهلا لان يعبد كل ما سواه
كما يليق بحال العابد فان اللايق بحال المعبود لا يقدر عليه احد من المخلوقات ولا يخفى ان الاستحقاق والاستاهال حاصل له ازلا
وابدا فيكون الها ازلا وابدا وان كل ما سواه عابد بقدر استعداده وعلى حسب حاله حتى ان النبات والجماد والكافر والفاسق وان
من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا والعبد الصالح من يعبد الله تعالى
لذاته لا لغرض رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه حتى لو فرض حصول المرغوب لم يكن عابدا ومع ذلك فينبغي ان يقطع النظر عن عبادته ايضا
وقيل اشتقاقه من الهت الى فلان اي سكنت اليه فالنفوس لا تسكن الا اليه والعقول لا تقف الا لديه لان الكمال محبوب بذاته
الا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل من الوله وهو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات
الجهالة وتيه الخذلان وقيل من لاه ارتفع لانه تعالى مرتفع من مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات وقيل من اله في الشيء اذا
تحير فيه لان العقل وقف بين اقدام على اثبات ذاته نظرا الى وجود مصنوعاته وبين تكذيب لنفسه لتعاليه عن ضبط وهمه وحسه
فلم يبق الا ان يقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال فههنا العجز عن درك الادراك وقيل من لاه يلوه
اذا احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل عن كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها وجودا وعدما وشروقا وافولا
ولو كانت الشمس ثابتة في كبد السماء لما حصل اطمينان بكون الشعاع مستفادا منها ولما كان ذاته تعالى باقيا على حاله وكذا الممكنات التابعة
له فربما يخطر ببال الضعفاء ان هذه الاشياء موجودة بذواتها فلا سبب لاحتجاب نوره الا كمال ظهوره فالحق محتجب والخلق محجوب وقيل
من الله الفصيل اذا ولع بامه لان العباد يتضرع به في البليات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه هذا شان الناقصين واما
الكاملون فهو جليسهم وانيسهم ابدا شكا بعض المريدين كثرة الوسواس فقال الشيخ كنت حدادا عشرين وقصابا عشر وبوابا عشر فقيل

وكيف وما رايا منك قال القلب كالحديدة اليته بنار الخوف عشرا ثم شرعت في غسله عن الاوضار والاوزار عشرا ثم وقفت على باب القلب عشرا اسل سيف لا اله الا الله فلم ازل حتى يخرج منه حب غير الله ويدخل فيه حب الله فلما احلت عرصة القلب عن غيره وقعت فيه محبة وسقطت من بحر الجلال قطرة من النور فغرق بها القلب فبقي في ملك القطرة وفني عن الكل ولم يبق فيه الا محض سر لا اله الا الله وقيل ان اله الرجل بالله اذا فزع من امر نزل به فالهه اجره والمحبة للخلايق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطايف اسم الله انك اذا لم تلفظ بالهمزة بقي لله ولله جنود السموات والارض وان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية على صورة له ما في السموات وما في الارض وان تركت اللام الثانية ايضا بقي الهاء المضمومة من هو قل هو الله احد والواو زايدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع هما هم هذا بحسب اللفظ واما بحسب المعنى فاذا دعوت الله فانك دعوت بجميع الصفات بخلاف ساير الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به والله تعالى اعلم الثالث عشر فيما يتعلق بالرحمن الرحيم فعلان من الرحم والرحيم فعيل منه واشتقاقه من الرحمة وهو ترك عقوبة من يستحقها واراده الخير لاهله واصله الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها وانعطافها على ما فيها واختلف في منع صرف رحمن اذ ليس له مونث على فعلى كعطشى ولا على فعلانة كندمانة فمن شرط في منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه ومن شرط فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه واذا سقط الشرطان للتعارض فللصرف وجه وهو ان الاصل في الاسماء الصرف ولمنع الصرف وجه وهو القياس على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم قوم انهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما التاكيد والاتباع لقولهم جاد مجد قال طرفه شعر متى ادن منه ينا عني ويبعد وقوم الرحمان اشد مبالغة لا سيما لان الزيادة في اللفظ على الزيادة في المعنى قالوا ولهذا جاء رحمان الدنيا والآخرة رحيم وربما يقال رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته في الدنيا عمت المومن والكافر والبر والفاجر وفي الآخرة اختصت بالمومنين فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم بالعكس اما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله لانه من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به واما خصوصيته فرجوعه الى اللطف بالمومنين والتوفيق قال الضحاك الرحمن باهل السماء حيث اسكنهم السماء وطوقهم الطاعات واطلق السنتهم بانواع التسبيحات وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطاعم واللذات والرحيم باهل الارض حيث ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب قال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بماية رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ماية رحمة وانه انزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه بها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة قال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم اذا لم يسئل غضب قال صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء وهي ما اعطى وجاد والرحيم بالالاء وهي ما صرف ودفع الرحمن بالانقاذ من النار وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم الجنان ادخلوها بسلام امنين الرحمن الراحم القادر على كشف الضر والرحيم الراحم وان لم يقدر على كشف الضر وتسمية مسيلمة الكذاب بالرحمن تعنت منهم وانقطاع من اسماء الله تعالى ونعال العطا ولنا قرنه الله تعالى بالرحيم لان هذا المجموع لم يسم به غيره وانما قدم الرحمن وهو الاعلى على الرحيم والعادة التدريج من الادنى الى الاعلى لان الرحمن تناول عظام النعم واصولها واردفه بالرحيم كالتتمة ليتناول ما رق ولطف واعلم ان الاشيا التي انعم الله تعالى بها على الخلق اربعة اقسام الاول ما يكون نافعا ضروريا معا وذلك بالدنيا كالتنفس فانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفي الآخرة معرفة الله تعالى فانها اذا انقطعت عن القلب لحظة مات القلب واستوجب عذاب الابد الثاني ان يكون نافعا لا ضروريا كالمال في الدنيا وكساير العلوم والمعارف في الآخرة الثالث ان يكون ضروريا نافعا كالآفات والعلل ولا نظير لهذا القسم في الآخرة الرابع ان لا يكون نافعا ولا ضروريا كالفقر في الدنيا والعذاب في الآخرة وبالجملة فكل نعمة دنيوية او اخروية فانما تصل الى العبد او تندفع عنه برحمة الله وفضله من غير شايبة غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا عذابه الرابع عشر في نكت شريفة الاولى كل العلوم تندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القرآن وعلوم القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في الباء من بسم الله وذلك ان المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذا الباء للالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو نهاية الطلب واقصى الامد وقيل انما وقع في ابتداء كلام الله بالباء دون الالف لان الالف فيه تطاول وارتفاع والباء انكسار وتسفل فمن تواضع لله رفعه الله الثانية مرض موسى عليه السلام واشتد وجع بطنه فشكى الى الله فدله على عشب في المفازة فاكله فعوفي ثم عاوده ذلك المرض في وقت اخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه فقال يا رب اكلته اولا فشفيت به واكلته ثانية فضرني فقال لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى الكلاء فحصل فيه الشفا وفي الثانية ذهبت منك الى الكلاء فازداد المرض اما علمت ان الدنيا كلها سم وترياقها اسمي الثالثة بات رابعة ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها واخذ ثيابها وقصد الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب ففعل ذلك ثلث مرات فنودي من زوايا البيت ضع القماش واخرج فان نام الحبيب فالسلطان يقظان الرابعة كان بعض العارفين يرعى غنما

فحضر في غنمه الذئب ولا يضر اغنامه فمر عليه رجل وناداه متى اصطلح الغنم والذئب قال حين اصطلح الراعي مع الله الخامسة روي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية قصد وامر ان يكتب بسم الله على باب الخارج فلما ادعى الالهية وارسل الله موسى ودعاه ولم ير به اثر الرشد وقال الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر كفره وانا انظر ما كتبه على بابه والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار امنا من الهلاك وان كان كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول عمره الى آخره كيف يكون حاله السادسة سمى نفسه رحمانا رحيما فكيف لا يرحم روي ان سايلا وقف على باب رفيع فسال شيا فاعطي قليلا فجاء بفاس واخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل هذا قال اما ان تجعل الباب لايقا بالعطية او العطية لايقا بالباب الهي كما اثبت في اول كتابك صفة رحمتك فلا تجعلنا محرومين من فضلك يا كريم السابعة اذا اشترى العبد شيا من الدواب او المتاع وضعوا عليه سمة الملك لئلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول عبدي عدوك الشيطان فاذا شرعت في طاعة وعمل فاجعل عليها اسمي وطاعتي وقل بسم الله الرحمن الرحيم الثامنة اجعل ذكر الله قرينك حتى لا تبعد عنه في احوالك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع خاتما الى ابي بكر رضي وقال اكتب فيه لا اله الا الله فدفعه الى النقاش فقال اكتب لا اله الا الله محمد رسول الله فكتب النقاش ذلك فاتى ابو بكر رض بذلك الخاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فراى فيه لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق فقال يا ابا بكر ما هذه الزوايد فقال يا رسول الله ما رضيت ان افرق اسمك واسم الله وما رضي الله ان يفرق اسمي عن اسمك التاسعة ان نوحا لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها فنجى بنصف هذه الكلمة فما ظنك بمن واظب على هذه الكلمة طول عمره العاشرة الناس ثلثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه فقال انا الله للسابقين الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين الله معطي العطاء الرحمن المجاوز عن زلات الاولياء الرحيم الساتر لعيوب الاغنياء مثلك ما لو علمه ابواك لفارقاك ولو علمت المراة لخانتك ولو علمت الامة لعدمتك على الفرار ولو علم الجار لسعى في تخريب دارك الله توجب ولاية الله ولي الذين امنوا الرحمن تستدعي محبة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم تقتضي رحمته وكان بالمومنين رحيما هو رحيم بهم في ستة مواضع في القبر وظلماته وفي القيمة وحسراتها وقراءة الكتب وفزعها والصراط ومخافاته والنار ودركاته والجنة ودرجاتها الحادية عشر مر عيسى عليه السلم على مقبرة فراى تعذب ملئكة العذاب ميتا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فراى ملئكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا وكان قد مات وترك امراة حبلى فولدت وربت ولدا حتى كبر فسلمه الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت ان اعذبه بناري في بطن الارض وولده يذكر اسمي على ظهر الارض الثانية عشر كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال اقول يوم القيمة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشر بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الاحرف التسعة عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة في تلك الساعة حينا الخامسة عشر لما كانت سورة التوبة مشتملة على القراءة القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفق الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبعة عشر مرة في الصلوة المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل والعذاب وانما خلقك للرحمة والثواب السادسة عشر قال صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما نزلت هذه الاية على ادم قال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابرهيم عليه السلم فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فانزلت على سليمان عليه السلام فعند ذلك قالت الملائكة الان تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى ثم تاتي امتي يوم القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا هريرة فاذا توضات فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ فاذا غشيت اهلك فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتب له من الحسنات بعدد نفس اعقابه ان كان عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة فاذا ركبت دابة فقل بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله تكتب لك الحسنات بكل خطوة واذا ركبت سفينة فقل بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله تكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين الجن وعورات بني ادم اذا نزعوا ثيابهم ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعين الجن في الدنيا فكيف لا يكون حجابا بينك وبين الزبانية في العقبى شعر

كانت لنفسي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك النفس اهوائي
فصار يحسدني من كان يحسدني وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

هذا تمام الكلام في تفسير البسملة اما تفسير الفاتحة

فيه ايضا مسائل الاولى في اسماء هذه السورة كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب
سمي بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة وفي الصلوة ولان فاتحة كل كتاب كاسمه فاتحة القران وقيل لانها
اول سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لان اولها الحمد الثالث ام الكتاب وام القران لانها اصل القران واصل الكتاب
منزلة لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر والنبوات ولان فيها حاصل جميع الكتب السماوية وذلك هو
الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات او لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية
وذلة العبودية او لانها افضل سورة في القران كان مكة ام القرى اشرف البلدان واصل لجميع البلدان حيث دحيت الارض من تحتها
وكان الحمى ام الملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع والملدم الضرب الرابع السبع المثاني لانها تثنى في كل صلوة او لان نصفها ثناء
العبد للرب والنصف الاخر اعطاء الرب للعبد او لانها مستثناة لهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انزلت في التورية
والانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة فانها السبع المثاني والقران العظيم او لانها نزلت مرتين او لانها اثنيت في مدائح الله تعالى
الخامس الوافية لانها تجب قراءة كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادس الكافية قال صلى الله عليه وسلم القران عوض عن غيرها وليس
غيرها عوض عنها السابع الشفاء والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم الثامن الاساس لانها اول سورة القران
فهو كالاساس او لانها تشتمل على اساس العبادات والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القران واساس القران الفاتحة
واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت واشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله التاسع الصلوة قال صلى الله عليه وسلم
حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشيء باعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة
الفاتحة في الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم عباده فيها ادب السؤال فبدا بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادي عشر
سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال اكثر العلماء انها مكية وخطؤا
مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل من القران وانها السبع المثاني
وسورة الحجر مكية بالاختلاف ومنها قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني ولا يسعنا القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث
بضع عشر سنة بلا فاتحة الكتاب وقد جمع طايفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة مرة وبالمدينة مرة اخرى وعلى هذا
فانها لم تثبت في المصحف مرتين لانها لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضايل هذه السورة انه لم يوجد فيها الثاء وهو الثبور ولا تدعوا
اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهي جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهي الخزي يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا
معه والزاء وهو الزفير والزقوم وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهي لظى كلا انها لظى والفاء وهو الفرق يوم تقوم الساعة
يتفرقون فلما اسقط الله هذه الحروف الدالة على العذاب وهو بعدد ابواب جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب
على الظن بان من قرأ الفاتحة نجى منهم من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركاتها الثاني عشر في المباحث اللفظية الحمد مبتدا ولله
خبره اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل الى
الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قالوا سلاما قال سلام قوم وكان هذا تحية ابرهيم عليه السلام احسن من تحيتهم واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان اصله النصب ان قوله اياك نعبد بيان لحمدهم وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد
والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد لتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او الاستغراق ووهم لانه لو
سلم كون اللام للاستغراق فحمد ابويه لا يدخل فيه وايضا الحمد لا يفهم منه الا حقيقة الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه وهو الحمد
وقرأ بعضهم بكسر الدال للاتباع وبعضهم بضم اللام الرب المالك ربه يربه فهو رب او مصدر وصف به للمبالغة كالعدل وهو مطلقا
وهو مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار رجع الى ربك وقرأ بالنصب على المدح او بتقدير نحمد والعالم اسم موضوع
للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض لقولهم
قال فرعون وما رب العالمين فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل على جنس مما سمي
وبالواو والنون تغليبا لمن فيه من صفات العقلاء ومالك يوم الدين صفة اخرى واليوم هو المدة من طلوع جرم الشمس الى غروب
نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا من عرف الشرع ويراد في الاية الوقت
لعدم الشمس ثمة والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى المفعول به مثل
يا سارق الليلة اهل الدار واما افادة التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه اما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف وسيق
الذين اتقوا وبمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبد فيكون من تلك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وحينئذ لا يعمل فيكون الاضافة
حقيقية وقرأ بنصب الكاف ورفعها وجرها وبسكون اللام مخففا وبكسر اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك فها

ونصبا

ونصبا وجرا اياك ضمير منصوب منفصل ولا محل للكاف والخطاب نحو ارايتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وحكاية الخليل
اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا
وقرأ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل شعر فهياك والامر الذي قد جبت
موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة العرب
في الكل والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوايد وسننظم لك في سلك التقرير فايدة في هذا
الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع يقال طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى
باللام او بالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار
موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك والهدي الذي يساق الى الحرم
اي ثبت قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوا كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله
مسيطر ومصيطر يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفايدة التاكيد كقولك هل
ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان وذلك ابلغ في وصفه بالكرم من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل ثانيا وقرأ ابن مسعود
صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا تعريف كقوله ع
ولقد امر على اللئيم يسبني او لان المغضوب عليهم ولا الضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة غير السكون ويجوز ان يكون
بدلا وان كان من معرفة ولا نعت للافادة والفرق عليهم الاولى والثانية الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على
انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت في دقه وكل ما في القران
من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب في اللغة الشدة وقد عرفت معناه يجب
لله على الخالق وعلى الخلق واصل الاضلال الغيبوبة من الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر غاب عن الحق قال تعالى اذا ضللنا في الارض
وغير هنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الاخر ويقول انا زيد غير ضارب كما تقول انا زيد لا ضارب وبعضهم ما قرأ
ايوب السختياني ولا الضالين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جان وامين مدا وقصرا معناه استجب كان دويد بمعنى امهل وعن ابن عباس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم معناه افعل الثالث في المباحث الفقهية وفيه مسايل الاولى اجمع الاكثرون ومنهم الشافعي على ان قراءة الفاتحة
واجبة في الصلوة فان ترك منها حرفا وهو يحسنها لم تصح صلوته وعن ابي حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه صلى الله عليه واظب طول عمره
في الصلوة فيجب علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ايضا اقيموا الصلوة التي اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه كان يقرا الفاتحة
فيها فيجب وايضا روي في ذلك اخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج وروى رفاعة
بن مالك ان رجلا دخل المسجد فصلى فلما فرغ من صلوته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلوة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم
اذا توجهت الى القبلة للصلوة فكبر واقرأ بفاتحة الكتاب وظاهر الامر للوجوب ولا سيما في معرض التعليم وايضا الخلفاء الراشدون
واظبوا على قراءتها طول العمر فقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المواظبة على قراءة الفاتحة توجب هجران
ساير السور وذلك غير جايز ان لم تكن واجبة حجة ابي حنيفة فاقرؤا ما تيسر من القران قلنا الفاتحة هي المتيسرة من القران المحفوظ
على جميع الالسنة ثم قال اذا قرأ اية واحدة كفت مثل لم وحم والطور ومدهامتان وابو يوسف ومحمد لا بد من قراءة ثلث ايات او اية
واحدة طويلة مثل اية الدين الثانية قراء المدينة غير قالون والبصرة والشام وفقهاؤها على ان البسملة ليست باية من الفاتحة
ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولا يجهر بذلك عندهم في الصلوة وقراء
مكة والكوفة غير حمزة وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه لما روي عن ام سلمة انها قالت
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم اية الحمد لله رب العالمين اية الرحمن الرحيم اية مالك
يوم الدين اية اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم اية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
اية عن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمان غيري قلت
بلى فقال باي شيء تفتتح القران اذا افتتحت الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلوة فقال اقول الحمد لله فقال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده عن علي بن ابي
طالب انه اذا كان افتتح السورة في الصلوة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص وباسناده
عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابع فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله سبحانه قسمت الصلوة يعني بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله مجدني عبدي فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي فاذا قال
مالك يوم الدين قال فوض امره الي عبدي فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط
المستقيم قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل الى غير ذلك من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط المصحف القرآن في مصاحف السلف
مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يكتبوا امين وايضا قال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ما اعظم اية في القرآن قال بسم الله
الرحمن الرحيم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انها ليست باية تامة في قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فتكون اية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عليه السلم عند ركوب السفينة
بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب وقراءة التسمية
فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا ايضا اولئك الذين هدى الله فبهديهم
اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر رضه قال نزلت بسم الله الرحمن
الرحيم في كل سورة وايضا البسملة من القرآن في النمل ثم انا نريها مكررة بخط القرآن فوجب ان يعتقد كونه من القرآن مثل فباي الاء ربكما تكذبان
وويل يومئذ للمكذبين حجة المخالف خبر ابي هريرة ايضا في رواية اخرى قال يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي الى اخره قال لم يذكر التسمية ولو كانت اية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايات
فالترجيح للمثبت لا للنافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم تعد التسمية اية حتى يحصل للرب ثلث ايات ونصف من اياك نستعين
الى اخر السورة واما اذا قلنا التسمية اية صار القسم الاول اربع ايات ونصف فيحصل التنصيف قلنا نحن نعد التسمية اية
ولا نعد انعمت عليهم وهذا اولى رعاية لتشابه المقاطع وهو غير صفة او بدل ولا يختل الكلام بجعله منقطعا عما قبله لان
الامتداء بصراط المنعم عليهم لا يجوز الا بشرط ان يكون المنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدليل قوله تعالى الم تر
الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا هذا المجموع كلام واحد وهذا بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف
غير مختل النظام قالوا روت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله قلنا قال الشافعي لعل عائشة
جعلت الحمد لله اسما لهذه السورة كما يقال قرا فلان الحمد لله الذي خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار في الرحمن
الرحيم قلنا التكرار للتاكيد غير عزيز في القرآن فان قيل ان عدّ التسمية اية من كل سورة على ما روي عن ابن عباس من تركها فقد
ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله فما وجه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في سورة الملك انها ثلثون اية وفي الكوثر
ثلاث ايات مع ان العدد حاصل بدون التسمية قلنا اما ان نعد التسمية مع ما بعدها اية وذلك غير بعيد الا يرى ان قوله تعالى الحمد لله
رب العالمين اية تامة وقوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بعض اية واما ان يراد ما هو خاصة الكوثر ثلاث ايات فان
التسمية كالشيء المشترك فيه من السور الثالثة عن احمد بن حنبل ان التسمية من الفاتحة ويسر بها مالك لا ينبغي ان يقرا بها
في المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعي اية ويجهر بها الان بعد ما ثبت كونها من الفاتحة او القرآن لا يعقل فرق بينها وبين باقي الفاتحة
حتى يسر بها ويجهر بذلك وايضا انه ثناء على الله وذكر له فوجب ان يكون اعلانه به مشروعا لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم
مطلب وجوب اعلان ذكر الله
اباءكم او اشد ذكرا وايضا الاخفاء والستر انما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة فضيلة قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن مات
ولسانه رطب من ذكر الله تعالى وكان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول يا من ذكره شرف للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات
وقد ثبت منه ذلك تواترا ومن اقتدى به لن يضل قال صلى الله عليه وسلم اللهم ادر الحق معه حيث دار روى البيهقي في السنن الكبير عن
ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر في الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم وروى عن عمر رضه وابنه وابن عباس وابن
الزبير مثل ذلك وروى الشافعي ان معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع و
السجود ثم انه اعاد الصلوة المهاجرون والانصار يا معاوية سرقت التكبير من الصلوة مع التسمية بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير
عند الركوع والسجود ثم انه اعاد الصلوة مع التسمية والتكبير وقال وكان معاوية شديد الشكيمة فلولا ان الجهر بالبسملة كان مقررا عند
كل الصحابة لما جسروا على ذلك حجة المخالف ما رواه البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله وابي بكر وعمر وعثمان
فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد وفي رواية ما سمعت احدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية لم يجهر احد منهم ببسم الله الرحمن الرحيم
وعن عبد الله بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم اي بني اياك والحدث في الاسلام فقد صليت خلف ابي بكر وعمر
فقالوا الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين والجواب ان حديث انس معارض لما روى عنه ابو قلابة عن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ويروى ايضا انه سئل عن الجهر والاسرار
ببسم الله فقال لا ادري هذه المسئلة واذا اضطرب الروايات عنه وجب الرجوع الى ساير الدلائل وايضا فيها تهمة اخرى

وهو ان عليا رضه كان يبالغ في الجهر بالبسملة فلما كان زمن بني امية بالغوا في المنع من الجهر في ابطال اثار علي بن ابي طالب
فلعل انسا خاف منهم ولهذا اضطربت اقواله وايضا من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم اولي النهى والكبار و
العلماء على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا اعلى حالا من انس وابن المغفل واقرب موقفا وانه صلى الله
عليه وسلم ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك ولهذا لم يسمعها ورواية المثبت
اولى من النافي والدلايل العقلية معنا ويؤيدها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كما مر التسمية في الوضوء تقديم على الوضوء سنة
عند عامة العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا او سهوا لم تصح صلوته لنا قوله صلى الله عليه وسلم
توضأ كما امرك والتسمية غير مذكورة في اية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب والحايض لم يقولهما بقصد القراءة والتسمية عند الذبح
وعند الرمي الى الصيد وعند ارسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا او ناسيا لم تحرم الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند
ابي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم تحل وان نسي حل والعلماء اجمعوا على انه يستحب ان لا يشرع في عمل الا ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فاذا
نام قال بسم الله واذا انتبه قال بسم الله واذا قام قال بسم الله واذا اكل او شرب قال بسم الله او اعطى او اخذ قال بسم الله ويستحب
للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات وادخل القبر قيل بسم الله وهذا اخر احواله
من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا احضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله ترجمة القرآن تكفي الصلوة
ام لا قال الشافعي ترجمة القرآن لا تكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القرآن ولا في حق من لا يحسنه وقال ابو حنيفة انها كافية
في حق القادر والعاجز وقال ابو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر لنا انه صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وجميع الصحابة
ما قرؤا في الصلوة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز عاقل قيام الترجمة اي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام
خالق القوى والقدر قالوا روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام
الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطاء في القرآن ان يقرا مكان العليم الحكيم بل ان يضع اية الرحمة مكان اية العذاب قلنا الظن بابن
مسعود غير ذلك قالوا وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى بيان القرآن بهذا اللفظ ما كان
في زبر الاولين لكن بالعبرانية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون
الموجود فيها قرآنا فان النظم المعجز من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل قراءة الفاتحة واجبة على المأموم او الامام
او كليهما الشافعي في القول الجديد قال يجب قراءة الفاتحة على المقتدي سواء اسر الامام في القراءة او جهر بها وفي القديم يجب اذا
اسر الامام ولا يجب اذا جهر وهو قول مالك واحمد وابو حنيفة يكره القراءة خلف الامام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من
القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشمل المفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي في جامعه باسناده
عن عبادة بن صامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اراكم تقرؤن خلف امامكم
قلنا اي والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرا بها قال هذا حديث حسن وايضا قراءتها لا تبطل الصلوة
عندهم ولكن يجوز ويبطلها عدم القراءة عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا
واخبار بين ضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول ان القرآن مخصوص بغير الفاتحة للامر واما الاخبار فبعد صحتها لا بد من الترجيح
معنا لان الاشتغال بقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولانه احوط الفاتحة واجبة في كل ركعة او في الصلوة مطلقا مذهب
الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم الصحابة
لانه صلى الله عليه وسلم كان يقراها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد
الخدري انه امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نقرا بفاتحة الكتاب في كل ركعة فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط
فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة اصلا وقيل تجب في ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب
وعند ابي حنيفة تجب القراءة في الركعتين الاولين لقول عائشة رضها فرضت الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر
فهما اصل والزوايد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاولين وتكره في الاخريين وعند مالك تجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما
وفي الثلاثية في اثنين وفي الرباعية في ثلاث ترك القراءة في الصلوة وقراءته اذا ثبت ان القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من
حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روى ان عمر بن الخطاب رضه صلى المغرب فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال
كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا باس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة وايضا لعله ترك الجهر بالقراءة
لا نفس القراءة في الترتيب الفاتحة يجب رعاية الترتيب في اخر الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب انه لم يحفظ شيئا من الفاتحة
قرا بقدرها من غيرها من القرآن ثم ذكر من الاذكار ثم عليه وقفه بقدرها فان تعلم قراءة ما لم يفرغ منه وما نقل عن ابن مسعود انه

كان بكران يكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القران فالظن به ان هذا النقل عنه كذب والانجحد المتواتر كيف يليق بجلاله الرابعة
فيما يختص الحمد من الفوايد الفايدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللولوة والياقوتة الثمينة والحمد
للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال صلى الله عليه وسلم
احثوا التراب على وجوه المداحين والحمد مامور به مطلقا قال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال
على انه مختص بنوع من انواع الفضايل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة من الفضايل باختياره وبغير اختياره
والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة من الفضايل وهي سبيلة الانعام اليك والى غيرك ولابد ان يكون على جهة التفضيل لا على التهكم والاستهزاء
والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح قال شعرا افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده انما جعله
راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من
الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضة الذم ولهذا قيل الشعير يوكل ويذم والمدح نقيضة الهجاء والشكر
نقيضة الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا المامور من المدح قد يكون لغير المختار ولو قال
الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القايل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت
مستحق للحمد العظيم ولا ريب ان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على ما اعطى من جزيل النعماء والنعمة في الاعطاء
اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتدا
لشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال احمد الله افاد كون ذلك القايل
على حمده فاذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله
تعالى وملكه كما ينبي عنه اللام الجنسي واللام الجارة وذلك بسبب كثرة ابلائه ونوالايه على عبيده ولمائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمده شخص
فقط ولهذا لو سئلت هل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على جميع الخلايق
كان كمل ثنا ان قيل ان المنعم مستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاد مستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال
صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله خلق تلك الداعية في ذلك المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط
المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وامنه من فوات الانتفاع ولهذا قال عز من قايل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره
فانه يطلب بذلك الانعام غرضا اما ثوابا او ثناء او تحصيلا للكمال او تخليصا من رذيلة البخل وطالب الغرض لا يكون منعما ولا مستحقا
للحمد في الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل محال فكان اعطاوه جودا محضا فثبت ان لا مستحق للحمد الا الله
الثالثة انما لم يقل احمد الله لان الانسان عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلفه فوق ما يستطيعه وذلك ان نعم الله على
العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللايق بها وايضا
انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية وازال عنه العوايق والصوارف وكل ذلك انعام من
الله تعالى فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعم الله
فقد اشرك وهذا المعنى قول الواسطي الشكر شرك لما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدروا
ونقل ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو توفيقي لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك
عن شكرك فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك الرابعة عن النبي صلى الله عليه وسلم على عبد فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي
اعطيته ما لا يقدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه انما انعم الله على العبد بشي واحد فاذا قال الحمد لله فمعناه المحامد التي اتى
بها الاولون والاخرون من الملايكة والثقلين لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله دعويهم فيها سبحانك اللهم الى
اخره والى ابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي بقي للعبد
طاعات غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي الخامسة لا شك ان الوجود
خير من العدم وان الوجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعامه تعالى واصل الى كل ما سواه فاذا قال العبد الحمد لله على كل مخلوق
وعلى كل حادث احدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا
اشهد انها باسرها لك لا شركة لاحد فيها معك السادسة في التسبيح مقدم على التحميد لانه يقال سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداية
بالتحميد والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه منزها مبرا في ذاته وصفاته عن النقايص والتحميد يدل على كونه
محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر

على تحصيل ما يحتاجون اليه والا اذا كان غنيا في دفعه والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان يكون كونه محسنا لا يتم
الا بعد ما يكون منزها عن النقايص والافات السابعة الحمد لله تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا عن النعم السابقة وتعلق
بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاولى تغلق عنك ابواب النيران وبالثاني تفتح لك ابواب
الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان يذكر في موضعها ليحصل المقصود
قال السري قدس سره منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع حريق في بغداد واحترقت دكاكين
بغداد فاخبر واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين
سنة فالحمد لله على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد لله على اعمال القلوب افضل من الحمد على اعمال الجوارح والحمد لله
على النعم من حيث هي عطية المنعم اولى من الحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث هي عطية المنعم اولى من الحمد
عليها من حيث هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللايق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة ادم
فقال الحمد لله رب العالمين واخر دعوى اهل الجنة ان الحمد لله رب العالمين فاجعل كلمة مبتداه منبئة عن الحمد فاجتهد ان يكون
اول اعمالك واخرها مقرونا بكلمة الحمد العاشرة لا يحسن عندنا ان نقتصد قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا
قال لولده اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان الولد ان كان بارا يجيبه ويطيعه
وان كان اثمه اقل فكذا اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا احمد ومن كان عاصيا كان ذنبه اقل بخلاف ما لو قال قولوا الحمد
الحادية عشر شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجري مجريهم بانكم تثبتون فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على شرف النعم
وهو الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الاختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند الى الله فاستحق
الحمد لذلك وشنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبح
في فعله ولا جور في قضيته وعندكم لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو امكن تصور
الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم مما صدر لكنه محال فانه حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة
الى المحل المخصوص الثانية عشر اختلفوا في شكر المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة ادلتهم قوله تعالى الحمد لله
فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله رب العالمين وترتب الحكم على الوصف المناسب يدل
على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجي الشرع وبعده
والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد لله عرفنا من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيل ساير الاذكار والعبادات في انها يوتى بها الا لان
الله تعالى يستكمل بها ولا انه نعمه تجازى بها ولكنها التحقيق نسبة العبودية واظهار الامكان والله حسبي ابحاث في قوله رب العالمين
الفايدة الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم كما مر وذلك
اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك فالقسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد والجسم اما علوي او سفلي
والعلوي كالسموات وما يندرج فيه العرش والكرسي والسدرة المنتهى واللوح والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر
الاربعة الارض بما عليها وفيها والماء والهواء المحيط وما يتشعب منه من القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة النسيم
الهواء الصافي والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض واجناسها
انواعها القسم الثالث الارواح فهي اما سفلية خيرية كالجن او شريرة كالشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملايكة السموات
قال صلى الله عليه وسلم ما في السموات موضع شبر الا وفيه ملك قايم او قاعد او غير متعلقة وهي الملايكة المقربون وما يعلم جنود
ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا كما مر ان الله العالمين من حيث اخراجها
من العدم الى الوجود ورب العالمين من حيث انه يبقيها حال استمرارها فكان من اكثر احاطة باحوال الموجودات وتقاسيمها كان
اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الفايدة الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي شيئا ليربح عليه وثانيهما ان يربي ليربح عليه
والاول شان المخلوقين الذين غرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او عقب او غير ذلك والثاني شان الحق سبحانه كما قال خلقتكم لتربحوا
علي لا لاربح عليكم وكيف لا يجوز عليه وانه متعال عن الاستكمال من غيره بحدث في خزانته بسبب التربية والاعادة والافادة
اختلال يجب المحبين في الدعاء بربنا في الخلق ماشيا وتمكن علمه من المقال ويغني كرمه عن السؤال ومع كل شي رحمته وعلمه والمربي
كل ... ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه
انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم

ولا نعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات
الفافا الفائدة الثالثة لما كان لفظ الله احسن الاسماء عقبه بكل الصفات وهو رب العالمين اذ معناه ان وجود ما سواه فائض
عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الفائدة الرابعة رب العالمين
ثم انه يربيك كانه ليس له عبد سواك وهو الله الواحد القهار الاحد الصمد وانت تخدمه كان لك اربابا غيره فما انصفت
ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت بعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الادمي بنيان
الرب السادس في فوايد قوله الرحمن الرحيم الاولى الرحمن الرحيم بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن
لانك تسلم الى نطفة قذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم لانك تسلم الى طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة م
الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم فقال اطلب المهم اليسير من الرجل اليسير فكان الله يقول لو اقتصرت على الرحمن
لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤالي الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني شراك
نعلك وملح قدرك الثالثة الوالد اذا اهمل حال ولده ولم يرد به ظن ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب من لم يؤدبه
الابوان ادبه الملوان وعكسه بحال من يقطع يده لاكلة بها او يضرب لتعليم حرفة التادب لخصلة شريفة فكل ما في العالم من محنة
وبلية فهي في الحقيقة رحمة ونعمة وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر ع
كما يجي في موضعها يؤيد ما ذكرنا والحكيم المحقق هو الذي يبني الامور على الحقايق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
شر كثير الرابعة اعطى مريم ع رحمة ولنجعله اية للناس ورحمة منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار واعطانا رحمة وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو به من النار الخامسة وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فكان من حاله
انه لما كسر اسنانه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيمة يقول امتي امتي فلما نصف نفسه بكونه رحمانا رحيما فكانه يقول
الرحمة الواحدة لا تكفي لاصلاح الموجودات فذرني وعبيدي فانا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية والتناهي لا يدرك غير المتناهي
فتستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابرهيم بن ادهم انه قال كنت ضيفا لبعض القوم
فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين والقى الغراب ذلك
الرغيف على وجهه وعن ذي النون انه قال اني كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرايت
عقربا قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النيل فقعد عليه واخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته
حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف الاخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرايت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى يقصد
فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل العقرب الى الافعى فلدغتها وماتت وفي ادعية العرب يا رازق النعاب في عشه وحكايته
ان ولد الغراب كما يخرج من البيضة يكون كانه قطعة لحم فتهجره امه تنفرا حتى اذا خرج ريشه عادت اليه فيبعث الله اليه في تلك المدة
ذبابا يغتذي به وروي ان فتى قرب وفاته واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقام
فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال صلى الله عليه وسلم اما كان يصلي اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا
بلى فقال هل عق والدته فقالوا نعم فقال هاتوا امه فاتي بعجوز عوراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا عفوت عنه قالت لا اعفو لانه
لطمني ففقا عيني فقال صلى الله عليه وسلم هاتوا بالحطب والنار قالت وما تصنع بالنار فقال صلى الله عليه وسلم احرقه بالنار بين يديك
جزاء بما عملت فقالت عفوت عفوت للنار حملته تسعة اشهر للنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد
ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت رحيمة فقط فلم تجوز الاحتراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على الرحمن الرحيم
سبعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة انزل منها واحدة بين الانس والجن والطير والبهايم والهوام
يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية
ورحمته بلا نهاية السابع في فوايد قوله مالك يوم الدين من قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق و
المخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
روي انه يجاء يوم القيمة برجل وينظر في احوال نفسه فلا يرى لنفسه حسنة اليه فياتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول
الهي ماذا عملت يقول الله لست لما كنت نايما تتقلب من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت
اما انا فلا تاخذني سنة ولا نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل ويوزن حسناته بسيئاته فتخف حسناته فتاتيه بطاقة فتثقل
ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلما تثقل مع ذكر الله غيره واعلم ان مبنى حقوق الله على المسامحة لانه غني عن العالمين واما

حقوق

حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا
من لا دراهم له ولا متاع قال المفلس من امتي ياتي يوم القيمة بصيام وصلوة وزكوة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم
هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ما يقضى عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار الثانية
من قرا مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زايدا فيكون ثوابه اكثر الثاني اي في يوم القيمة ملوك ولا مالك الا الله الثالث المالكية
سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست لذلك الرابع العبد دون حالا من الرعية فيكون القهر في المالكية اكثر منه في الملكية الخامس
الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونه رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم
راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه ولا يستقل في امر الا باذنه حتى
انه لا يصح منه القضاء ولا الامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرا ملك ان
كل واحد من اهل البلد يكون مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا وايضا قل اعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرا فيه غير ملك الناس
متعين وايضا الملك اقصر ومالك يلزم منه تطويل الامل فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام اللفظ واجيب بان العزم يقوم مقام
الفعل لو مات قبل الاتمام كما لو نوى بعد غروب الشمس يجب صومه بخلاف ما لو نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام
اما المتفرعة على الاولى فقراءة المالك ارجى من قراءة الملك لانه اقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه
راسا براس والمالك يطلب منه العبد الكسوة والتربية والانعام يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم
عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك والمالك انت تطمع فيه الملك لا يختار عن العسكر الا كل قوي سوي ويترك من كان مريضا
عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك له هيبة وسياسة والمالك له رافة ورحمة واحتياجنا الى الرافة والرحمة
اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك الى اخره وفي
الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا ابدلوا قلت خزاينهم ونفدت ذخايرهم وانه تعالى
كلما كان اكثر عطاء كان اكثر ملكا فان عطاءك عشرة ولا ذرة في ملكه عشر عبد من لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا قرن بقوله مالك
يوم الدين قوله رب العالمين الرحمن الرحيم ومثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة
من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله في الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة تتضمن صلاح المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة
طيبة الى اخره فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف انه مالك
يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيئا [illegible] نفعا واتم [illegible] يكون عادلا [illegible] البركة في العالم [illegible] السلطان عادلا وجائرا
يحكى ان انوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى عليه العطش فراى بستانا فاتاه ودخله وقال للصبي فيه
اعطني رمانة فعصرها فاخرج منها ماء كثيرا فشربه فاعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة
اخرى فاعطاه فعصرها فخرج منها ماء قليلا فوجد عصفا فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي لعل ملك البلد عزم على الظلم
فلشؤم ظلمه صار هكذا فتاب انوشروان في قلبه [illegible] اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها اطيب من الاولى فقال
للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال لعل الملك تاب عن عزمه فحمد انوشروان مقالة الصبي وطابقه لاحوال قلبه فتاب بالكلية وكان
من بيان عدله [illegible] في عهده قول نبينا صلى الله عليه وسلم ولدت في زمن الملك العادل الثالثة كونه ملكا ومالكا معناه قادر على
ترجيح جانب وجود الممكنات على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من عز وذل وموت وحيوة ومنافع ومضار وعلى قضيته الحكمة والعقاب
فهو المالك للحق وانه مالك يوم الدين ايضا لان القدرة على الاحياء بعد الاماتة والعلم بالاجزاء المتفرقة من ابدان الناس قد ثبت
به احتفيه فاذا كان الحشر والنشور لا ياتي الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تتعلق بكل الممكنات فلا مالك ليوم الدين الا الله تعالى
قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن القيمة غير موجودة فينبغي ان يقال مالك يوم الدين [illegible]
[illegible] فالجواب [illegible] قيام القيامة امرا حقا لا يجوز الاخلال به [illegible] الحكمة وجود القيامة
[illegible] وقيل من مات فقد قامت قيامته زال السؤال الرابعة [illegible]
[illegible] ليوم الدين [illegible] خلق الجنة وخلق اهلها [illegible] لصفة لطف وصفة قهر [illegible] صفة
مظهر ولا يسال عما يفعل لان كل سؤال يتعلق [illegible] الخامسة في هذه السورة من اسماء الله [illegible] الرحمن الرحيم
الملك [illegible] بيتك باضاف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك

فانا الرحيم ثم اجازيك فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة دليل على ان العناية بالرحمة
اكثر منها بساير الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتروا بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب السادسة الحمد والمدح والتعظيم فيما بين الناس انما يكون لكونه في ذاته كاملا وان لم يكن له احسان اليك او اما لكونه
محسنا واما رجاء وطمعا في المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه وتعالى يقول ان تعظمون الكمال الذاتي فاحمدوني فاني
انا وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان كنتم تعظمون
رهبة فانا مالك يوم الدين التاسع في فوايد قوله اياك نعبد واياك نستعين الاولى لا شك ان تقديم المفعول مفيد للاختصاص اي لا نعبد
احدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا
بمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما
فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا اومن كان ميتا فاحييناه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه واخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته
كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من اول عمره الى اخره مع انفتاح باب التقصير وانخلاع ربقة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه
الوجوه واما المستقبل فاموره المتعلقة بما بعد الموت فانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع للعبد في شيء من احواله
الا اليه ولا يستحق لعبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلايل القاطعة وجوب كونه عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من
الصفات الكمالية واما كون تاثير غيره من الفلكيات والطالع والنفوس كذلك فمشكوك فيه لم نجزم بانه لا تاثير لها فيجب طرح
الشكوك والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف واعلى كانت العبودية
اهنا وامرا ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني
ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدافع الحاجات هو فلا يستحق العبادة الا هو وقضى الا تعبدوا الا
اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا اجلالا فالعكس يحكى ان واحدا
من المصارعين الاستاد بن صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاد مرارا فقيل له فلان الاستاد فانصرع في الحال وما
ذاك الا لاحتشامه بعد عرفانه وايضا ذكره يورث العبد قوة ليسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كما ان من اراد حمل ثقيل
يقدم عليه دواء وغذاء يعينه على ذلك وكما سهل على العاشق جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا اذا مسهم
طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طايف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة تطلع له جلال من
مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة لاداء حق العبودية وايضا ان بدا بالعبادة نص الموهن بليلة الى ان المعبود من هو فيلقي في قلبه
وسواس الا اذا غير هذا الترتيب واذا قال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته مقدم على الموجود فناسب
ان يكون مقدما في الذكر وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العباد ولا على العبادة ولا على المنعم عليه ولا على النعمة ولهذا قيل اسرايل
اذكروا نعمتي التي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في قوله نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انها
تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبي عن التعظيم والتكريم كقوله تعالى حكاية عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال
لما ظهرت عبوديتي ولم تستنكف ان تكون عبدا لي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط
ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة
بالجماعة اولى كما قال صلى الله عليه وسلم التكبيرة الاولى في صلوة الجماعة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل الثوم
والبصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جار واذا كان ثواب الجماعة لا يبقى بهذا القدر من الايذاء فكيف يبقى بما هو اكثر من ذلك
ايذاء للمسلمين من الغيبة والنميمة والسعاية وساير انواع الظلم ومنها ان يكون المراد عبدك والملئكة معي والحاضرون بل جميع عبادك
الصالحين ومنها ان المومنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفع منزلتك
عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقيل اياك نعبد واياك نستعين ومنها ان العبد
يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير واني اخلطها بعبادة جميع العالمين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل وفيها عبادة
الانبياء والاولياء بل الملئكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة عبد فاشترى الكل اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان
يقبل دون البعض في تلك الصفقة الرابعة من فوايد العبادة من طاب له الاشتغال بها ثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته
واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمات مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا قد عدد من كثرة صلوته بالليل حسن
وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة الخ واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها

واداء الامانة واجب عقلا وشرعا واداء الامانة من احد الجانبين سبب لادايها من الجانب الاخر فقال بعض الصحابة اتى اعرابي
الى باب المسجد فنزل عن ناقته فتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي
اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقطع يده وسلم الناقة اليه قال صلى الله عليه
وسلم لابن عباس يا غلام احفظ في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال في العبادات انتقال من عالم الغرور الى دار السرور
ويكون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة ان حية سقطت من السقف وتفرق الناس وهو
في الصلوة فلم يشعر بها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يشرع في الصلوة كانوا يستمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل
ومن استبعد فليقرأ قوله تعالى فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التاثير فكيف جمال الله تعالى وعظمته
اذا تجلى على قلب الموحد العابد ويحدث الحيرة والدهش بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان
العبادة لها ثلث درجات لانه اما ان تعبد الله تعالى رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه ويخص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع
الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان تعبد الله تعالى تشرفا بعبادته وبقبول
تكاليفه وبالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية واما ان تعبد الله تعالى لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب
العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخشوع والذلة وهذه اعلى الدرجات وتسمى بالعبدية واليها الاشارة بقوله المصلي اصلي لله فانه
لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه فسدت صلوته يحكى ان عابدا من بني اسرائيل عبد الله سبعين سنة فارسل الله اليه ملكا
ان عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك ولا تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودية واني لا ازال عليها افعل ما علي
فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال الله تعالى بم اجاب العابد فقال انت اعلم يا رب انه قال كذا وكذا فقال
الله تعالى ارجع اليه وقل له قبلنا طاعتك بسبب نيتك وتحقق ان اثبات نسبة الامكان هو قصارى مجهود العابدين ونهاية
مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المومنين فانه عاقبة حال المتقين قال عز من قايل ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولان العبدية اشرف المقامات مدح الله نبيه في قوله
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وافتخر عيسى عليه السلام بذلك اول ما نطق وقال اني عبد الله وكان علي كرم الله وجهه
يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت فاجعلني عبدا كما اردت ومنهم
من قال العبودية اشرف من الرسالة فبالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل
عن التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال اشرف التقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
ان محمدا عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون التاسع في فوايد قوله واياك نستعين الاولى
لا شك ان للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانها لا تحصل الرجحان لاحد الطرفين والا كان ذلك المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد
ان ينتهي الى الله تعالى وايضا الخلايق يطلبون [illegible] في القدرة والفعل والجد والطلب ولا يفوز به [illegible]
فليس له الا باعانة الحق [illegible] وايضا قد يطلب الانسان حاجة من غيره [illegible] مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء ملك الداعي في
القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله [illegible] فايدة الاستعانة
في [illegible] كالشبع الحاصل عقيب الطعام [illegible] فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم
الثانية لقايل ان يقول الاستعانة على العمل انما يحسن قبل الشروع فيه لا بعده فلم قدمت الاستعانة على العبادة الجواب
كانه يقول شرعت في العبادة فاستعين بك في اتمامها ولا يمنعني مانع ولا يردني راد فان قلب المومن بين اصبعين من
اصابع الرحمن وايضا [illegible] الاستعانة مطلقة تناول كل مستعان فيه [illegible] العبادة كالوسيلة لطلب الاعانة على الحوايج
وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا نريد بالاعانة [illegible] كما قال ابراهيم عليه السلام حيث [illegible] بيده ورجله ورماه الى
النار فجاء جبرئيل فقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسأل الله تعالى فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المومن
في الصلوة مقيد [illegible] عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر كما ان الله تعالى قال يا نار كوني بردا وسلاما على
ابراهيم وكذلك تقول له نار جهنم جز يا مومن فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين بغيرك لان الغير يكون محتاجا
الى الاعانة فانا اقطع الواسطة ولا انظر الى اعانته الخامسة اياك نعبد [illegible] العبادة فاردفه باياك نستعين
لازالة ذلك السادسة [illegible] معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله تعالى واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكما مذكور في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
فاشتغال العبد من العدم السابق الى الوجود [illegible]

واحوال المعاد ليدل على كونه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فمبداها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب واذا تم
الوفاء بالعهد من ترتب عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الخ وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه **السابعة** في الالتفات الوارد في
السورة وجوه منها ان المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلاجرم اثنى على الله تعالى بالفاظ الغايبة الى قوله مالك
يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت باني اله رب رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت يا عبدي رفعنا
الحجاب وبدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من
كونه ربا لا يخرج شيء من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جلايلها ودقايقها مالكا للامر كله في المعاتبه تعلق العلم بمعلوم عظيم
الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته
يخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها ان الدعا
بالحضور اولى كما ان الثنا بالغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء عليهم السلم ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكما رب
زدني علما رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع في الصلوة ينوي القربة فاثنى على الله بما هو اهله
فاستجاب الله دعاءه في تحصيله تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة **الثامنة** اعلم ان المشركين طوايف
منهم اتخذ الهه من الاصنام المعدنية كالحجر والذهب والفضة والنحاس ومنهم من اتخذ من النبات المعين ومنهم من اتخذ
من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذ من الاجسام البسيطة اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس والعلوية كعبدة الشمس
والقمر وساير الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملئكة عبارة عن الارواح الفلكية
يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملئكة ومنهم من قال
للعالم الهان احدهما خير والاخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وساير الصفات منبئه
عن سبب اثبات ساير انواع الحمولة واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع
المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله فثبت ان سورة الفاتحة
مشتملة الى ههنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
العاشرة في فوايد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سوال ان طلب الهداية من المومن وهو المهدي تحصيل الحاصل واجيب بان المراد
منه صراط الاولين في تحمل المشاق العظيمة لاجل مرضاة الله تعالى يحكى ان نوحا عم كان يضرب كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان
يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط هما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمومن
بعد ان عرف الدليل صار مستهديا لكنه مع ذلك لا بد له من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين المستقيم
بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط هو استعمالها في موضعها على قضية
العدالة الشرعية وهو محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والشجاعة محمود وفي القوة النفسانية
الجربزة والبلادة مذمومان والوسط وهو الحكمة محمودة وبالجملة فانه يحصل من التوسط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة
والورع والحرية والسخاوة ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة الغضبية كسر
النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والسكون والتحمل والتواصل والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم
وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل كمال التوسط في القوى الثلثة كمال العدالة ويتبعها
الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافات وحسن الشركة والتسليم والتوكل والتعظيم للمعبود الحق و
ملئكته وانبيائه واولي الامر وانقيادا اوامرهم ونواهيهم والتقوى بكل هذه المعاني وتتمها ولان القوة النطقية ذاتية
للانسان والشهوية والغضبية خصلتان بواسطة تعلق البدن وكمال التوسط من النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن ان يزيد
منها وكمال التوسط في الاخرين ان يستعملها بحيث لا يمكن اقل من ذلك لا يفضي الى تحصيل سعادة الدارين وايضا العلم النظري يقبل
الزيادة بمعنى تواصل اوقاته وقلة الفترات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات
الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وربما صار الانسان بالدليل الواحد يبقى غافلا عن ساير الادلة
فكانه يقول عرفنا الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وايضا قد يراد بالصراط المستقيم
الاقتداء بالانبياء وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع
كالخليل عليه السلم ولو امر ان يذبح انقاد كاسمعيل عم ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس عم ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه
اعلى منصبا هتم كموسى مع الخضر عم وعن الجناب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة

فقلنا

فقلنا الا تستنصر الا تدعو لنا فقال قد كان من كان قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم ياتي بالمنشار فيوضع على راسه
ويجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه وكان الشيخ يقول الاحباب يدعونني الى
طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والاراء والعقل ضعيف
والعمر قصير والقضاء عسير فاهدني الطريق السوي الذي لا ازيغ به حكي عن ابرهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي
على ناقة فقال له يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال له ابرهيم ان لي مراكب
كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا نزلت علي نعمة ركبت مركب الرضى واذا دعتني النفس
الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القران او الاسلام
وليس بشيء اذ يصير المعنى هذا صراط المتقدمين مع انهم لم يكن قرانا ولا اسلاما اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقوانينها كما قال
تعالى فبهديهم اقتده وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية لقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم لم يزل
ومهتد يضل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير الصراط الذي هو الجسر الممدود على متن طرفي جهنم سهل الله علينا
ونبذه وعبوره **الثانية** انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء
لتلميذه اذا قلت تقبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك وان تنساني عن جماعة المسلمين فان ذلك اوقع عندي من
قولك رضي الله عنك لان ذلك هذا تخصيص للدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانا راجح لانه لا بد ان يكون في
المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله الدعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن هنا ورد في السنة ان تصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة في حق النبي فيستجاب الوسط بتبعيه ذلك لا محالة
وايضا قال صلى الله عليه وسلم ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه
وهو ما عصى بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلاجرم لما
طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله الذين انعمت عليهم والفرار من الضالين جميعا في قوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا رجي ان يكون كذلك في الاخرة ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا **الثالثة** المستقيم اقرب خط يصل بين نقطتين والعبد
عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم ايضا المستقيم واحد وما سواه معوج يشبه بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد
من الخوف واقرب الى الخلاص ايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سمي الصراط المستقيم **الحادية عشر في فوايد قوله صراط**
الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة انها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لو قصد الفاعل نفسه بها فلا
عليه الاحسان [illegible] وما بكم من نعمة
فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله [illegible] الا انه الخالق لتلك النعمة وداعية ذلك الانعام فيه والقابل [illegible]
النعماء كلها [illegible] من الله تعالى [illegible] بتوفيقه واعانته بان اباح الاسباب وازاح الاعتذار واول نعم من الله على عبده
نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم عقب
ذلك بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا **الثانية** هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا [illegible] قوله صراط
الذين انعمت عليهم [illegible] الجواب ان
قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين [illegible] ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا
[illegible]
[illegible] **الثالثة** [illegible]
[illegible] الذين انعم الله عليهم [illegible] الدنيا والاخرة من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكان اصل النعم الدنيوية هي الحيوة المستعقبة لكل المنافع وكذا اصل النعم

الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع
الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله فكذا الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة
الاثر الى القابل وبذلك القبول يستاهل الثواب والمرض لا يبقى مخلدا في النار فان من شرفه الله تعالى باعظم الانعام لن يعاقبه
باشد الالام فما الانعام الا بالاتمام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يكون انعاما
قلت النزاع لفظي لان الاصلح الايمان يصدر عنه ولا يليق بحكمته وكمال خلاف ذلك ثم ما شئت قسمه الثاني عشر في فوايد قوله غير
المغضوب عليهم ولا الضالين الاول من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم المايلون في كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط و
منهم اليهود والضالون هم المايلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب لزمه البعد
والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطايل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب
عن المقصود وبقي بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوا واذوه حتى
قالوا بعد ان نجاهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله
ثالث ثلثة روى عدي بن حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق
ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤ بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن سواء السبيل هذا شان الفريقين
واما المومنون فطلبوا التوسط بين المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم امة وسطا كنتم
خير امة اخرجت للناس وخير الامور اوساطها الثانية الاية تدل على ان احدا من الملئكة والانبياء ما اقدم على عمل واعتقاد
يخالف الحق والا كان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء والاهتداء بطريقه ما الفايدة
في انه من عدل من ان يقول اهدنا الصراط المستقيم الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل
قلت الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المومن ورجاءه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت
عليهم يدل على الرجاء وبان في الاية تدل على الخوف فيكمل الايمان بطرفيه وركنيه الثالث عشر في تفسير السورة مجموعا وفيه مناهج
المنهج الاول نسبة عالم الغيب الى الشهادة نسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل فكل شاهد فله في الغايب اصل والا كان
كسراب زايل وخيال باطل وكل غايب فله الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف هو بالنسبة الى
المبادي فهو مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ولكل مطاع في عالم الروحانية مطاع في عالم الجسمانية
والمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من ان يكون بينهما ملاقاة ومجانسة وبهما يتم
سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة يشتمل عليها خواتيم سورة البقرة اربعة منها
ما يتعلق بالمبداء وهي معرفة الربوبية اعني معرفة الله تعالى وملئكته وكتبه ورسله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون
كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها ما يتعلق بالوسط احدهما مبدا العبودية وقالوا سمعنا
واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى الحضرة
الملك الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع حرايات في الدعاء اولها ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا فضد
النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
على الذين من قبلنا ووضع الاصر والثقل يوجب الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى
كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا لانك انت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجانا
بكليتنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها
انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين هذه المراتب ذكرها محمد صلى الله
عليه وسلم في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر الى المظهر فوقع التعبير عنها
بسورة الفاتحة فمن قراها صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد محمد صلى الله عليه وسلم من المصدر الى المظهر
فلهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم الفاتحة معراج المومن المنهج الثاني المداخل التي ياتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلثة الشهوة
والغضب والهوى الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية فالشهوة افة لكن الغضب اعظم منها والغضب افة لكن الهوى
اعظم منه قال الله تعالى وينهى عن الفحشاء الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى فالشهوة تصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب تصير
ظالما لغيره والهوى ظالما للرب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظلم ثلثة ظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى ان يترك فالظلم الذي لا يغفر

هو الشرك

هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة
الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الستة في بني ادم خصلة سابعة
هي الحسد وهي نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص الذميمة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور
الانسانية بالحسد في قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبايث الشيطانية بالوسوسة في قوله تعالى يوسوس في
صدور الناس من الجنة والناس روي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال من هذا قال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل
قال له فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء الثلاثة في التسمية واقعة
للاخلاق الثلاثة الاصلية المذمومة والايات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق الذميمة السبعة بيان ذلك ان من عرف الله
تباعد عنه شيطان الهوى افرايت من اتخذ الهه هويه يا موسى خالف هواك ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه
رحمن لم يغضب لان منشا الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ للرحمن ومن عرف انه رحيم صح نسبته اليه فلا يظلم نفسه
ولا يلطخها بالافعال الذميمة البهيمية واما الفاتحة فاذا قال العبد الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف
انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجد ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن
قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال
صراط الذين انعمت عليهم زال عنه كفره واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته وزال عنه الاخلاق الستة
فاندفع عنه الحسد ثم ان جملة القران كالنتايج والشعب من الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتايج والشعب من تلك
السبعة فلا جرم القران كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة تتعلق بالرب والملك والاله وبها ختم القران
عليها كانه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل اعوذ برب الناس وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل
الهوى فقل اله الناس المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبداء والوسط والمعاد الحمد لله
اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين
ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه ولهذا جاء في القران الاستدلال بخلق الخلايق كثيرا قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت والذي خلقني فهو
يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب ابائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرا باسم
ربك الذي خلق وهذه الحالة كما انها في نفسها دليل على وجود الرب كذلك هي في نفسها انعام عظيم وذلك ان الاعضاء المختلفة الطبايع
والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب
وموافق للغرض كما يشهد به علم تشريح الابدان [illegible] الرحمن الرحيم الذي تم احسانه
قبل الموت وعند الموت وبعد الموت ملك يوم الدين يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان [illegible] بعد هذا اليوم يوما اخر يظهر
فيه تمييز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم ومن ههنا تمت معرفة الربوبية ثم قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها
في تقرير العبودية وهي [illegible] الاعمال والاعتقاد [illegible] احدهما [illegible] العبادة وهو قوله
اياك نعبد والثاني بانه لا يمكن ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين واما الاثار المتفرعة على الاعمال فهو حصول [illegible]
والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين طرفي الافراط والتفريط وهو قوله اهدنا الصراط المستقيم [illegible] وهو قوله صراط الذين
انعمت عليهم [illegible]
[illegible] غير المغضوب عليهم ولا الضالين [illegible] اصحاب البدع والاهواء واجب شعر [illegible]
[illegible] المنهج الرابع قال صلى الله عليه وسلم
حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال
الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول
الله مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد [illegible] واذا قال اياك نستعين يقول الله توكل
علي عبدي [illegible] واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي
ولعبدي ما سال [illegible] قسمت الصلوة بيني وبين عبدي [illegible]
[illegible]
جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد [illegible] اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي [illegible]
اذكركم انا جليس من ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام [illegible]

ذكره الله تعالى في القران كثيرا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملئكة ونحن نسبح بحمدك واخره كلام اهل الجنة في الجنة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله غير ممكن تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في ذات الله وكل من تفكر في مخلوقاته و مصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فحمد الله اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله وقوف العبد بفعله وكرمه على وجوده وانعامه في ترتيب العالم وتربيته وانه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي يدل على ان ذلك تعلى ان الله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف شعر ايحسب الظالم في ظلمه ، اهمله القادر ام امهله ، ما اهمله بل لهم موعد ، لن يجدوا من دونه موئلا ، وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي معناه اياك نعبد يدل على اقدام العبد على الطاعة والعبادة ولا يتم ذلك الا باعانة الله على دواعيه فيه خالصة عن العارض فان العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا العبدي ولعبدي ما سال تقريره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسايل الحقة واكثر هلك في المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء ما هو الا هداية الله تعالى وارشاده كما قال الملئكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابرهيم عليه السلم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى ع رب اشرح لي صدري ويسر لي امري

المنهج الخامس

ايات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبع القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند الله اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى ان الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية كل الامور كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال فقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظرا الى الحق والى الخلق والمنعم والنعمة لانه الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان الركوع متوسط بين القيام والسجود وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فيحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع واللايق برحمته ان يرد الى الانتصاب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين يناسب السجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع فقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه السجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سوال لاهم الاشياء فيليق بالسجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مناسب للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقراء التحيات لله كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم قراءها في المعراج فالصلوة معراج المومن

المنهج السادس

ايات الفاتحة سبع كما تقرر ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فبعدد ايات الفاتحة تسوى الى الاعمال السبعة فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المومن من كثرة صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار

المنهج السابع

انه كان لرسول الله صلى الله عليه معراجان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الحس لما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب وهذا بمنزله قاب قوسين او ادنى اشارة الى فنايه في نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوقه للتمن الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء الملئكة الحافين من حول العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا تتصاعد الى ان ينتهى الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفصيلها الا الله او من ارتضاه والمقصود ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وتحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني في الافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالوادي المقدس

طرى

طرى وايضا عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة و حرص وساير الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما تختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه في الدنيا وفي القبر ويكون معه في القيمة وفي الجنة وصحب اصحاب الكهف كلبهم فلزمهم في الدنيا وفي الاخرة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهر فارفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والاخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر من ان يقاس اليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وبهذا المقام ينكشف له نور سبحان الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء فيتجلى له نور الابد والازل ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان تكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان كل صفات الجلال وسمات الكمال له لا لغيره وهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان وتدهش الالباب ثم عد ايها المصلي الى نفسك وحالك وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملئكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت وجهي معراج الخليل ع وقولك ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله معراج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فقد جمع المصلي بين معراج الملئكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لتدفع العجب من هذا المقام تفتح لك احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين تفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقوله صراط الذين انعمت عليهم يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فجنات المعارف الربانية انفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوة واما الجسماني فاولى المراتب ان تقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل اهل القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرا سبحانك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القران واجتهد في ان تنظر من الله الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الى الان جاد بترجي خشية عرضها على نار جوف الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع ثم اتركها تستقيم مرة اخرى فان هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض بغاية التواضع واذكر ربك بغاية العلو فقل سبحان ربي الاعلى فانها ثانية فقد تلك ثلثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تخرج من عقبة الشهوات وبالسجود الاول من عقبة الغضب الذي هو راس الموذيات وبالسجود الثاني تخرج من عقبة الهوى الداعي الى كل المضلات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات بالجنان وقوة الايمان فيصعد نور روح محمد صلى الله عليه وسلم فتتجلى في الروح ويحصل هناك روح وريحان فتقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كانه قيل لك ثم قلت هذه الكرامات فقل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذي هداك فاي شيء هديتك اليه فقل اللهم صل على محمد وال محمد فقيل ان ابرهيم هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاءه فقل كما صليت على ابرهيم فيقال لك هذه الخيرات من محمد وابرهيم او من الله قل بل من الله انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله بهذه الاثنية والمدايح ذكره الله تعالى في محافل الملئكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا سمع الملئكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله انهم الملئكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك زايرين فابدء بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين السلام عليكم ورحمة الله وعن الشمال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فالجوم اذا دخل المصلون بجنة الملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

المنهج الثامن

عظم المخلوقات جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية وخلاء لا غاية والزمان امتداد وهمي شبه بنهر خرج من قعر جبل الازل فامتد ودخل في قعر جبل الابد فلا يعرف لانفجاره مبدا ولا لاستقراره منزل فالاول والاخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال هذه الاربعة الرحمن الرحيم

فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرًا وباطنًا ووسع الزمان اولا واخرا وهو منزه من الافتقار الى المكان والزمان فانه كان ولا
مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي ووسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري
الزمان شبه جري الماء فالعلو صفة الكرسي والعظمة صفة العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله تعالى ولا يؤده حفظهما وهو
العلي العظيم والعلو والعظمة من درجات الكمال القوي وفوق الكل درجة الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم
من الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه استحق الالهية ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم انطق بيا ذا الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله
والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس والانجاس والارجاس واولى المراتب التطهر من دنس الذنوب توبوا الى الله
توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا والاخرة وهو مقام المعرفة من الالتفات الى اعماله وهو
مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم من الالتفات الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين
ثم قم قائما فاقم وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل الله اكبر من الكل كما
ترى من ان لا تراني ولا يراني ولا يسمع كلامي كما قال صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
او اكبر من ان تصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق
على قضاء حق عبوديته اذا قلت الله اكبر فاجل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم
انتقل الى عالم الامر والتكليف واجعل سورة الفاتحة مرآة لك تبصر فيها عجائب الدنيا والاخرة وتطلع منها على انوار تجلي اسماء الله
الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى
الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات
والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن الرحيم ابصرت
به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النوال واذا قلت مالك يوم الدين ابصرت به عالم الجلال وما يحصل به هنا لك من
الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت
اهدنا الصراط المستقيم ابصرت به عالم الحقيقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات
واصحاب الكرامات واذا قلت غير المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشف
لك هذه المقامات فلا تظنن انك قد بلغت الغايات بل عد الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم اركع
من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب ثانيا وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن
حمد فانك اذا انتهيت الغيرك وخدمتها لنفسك فالله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم ولا تكبر في هذا المقام
لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير واتخذ به الى غاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان
السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى الله اليه ايها الملك طر فطار ثلاث الاف سنة ثم ثلثين ثم ثلثين
فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الاخر فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الطرف الاخر من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان
ربي الاعلى اما فوائد السجدتين فالاولى الازل والثانية الابد والفصل بينهما هي الدنيا فتعرف بازليته انه لا اول فتسجد له وبابديته
انه لا اخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الاخرة والثانية فناء الاخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناء الكل
في انفسها والثانية بقاؤها ببقائه وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزة الاله الخالق
والامر وايضا الاولى سجدة شكر بمقدار ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما اتانا من اداء حقوق كبريائه
وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فواضع السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على
اداء العبادة وايضا ليناسب الاجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة ومن الفردية الى الزوجية وايضا الانتصاب صفة الانسان
والانحناء صفة الانعام والجثو صفة النبات ففي الركوع هضم النفس مرتبة واحدة وفي السجود مرتبتين ولعل ما قلنا من الفوائد
اكثر مما ادركنا **المنبع التاسع** في اللطائف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم سال ربه فقال ما جزاء من حمدك فقال الله تعالى
الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال اهل التحقيق من ههنا جعلها فاتحة كتابه وخاتمة كلام احبابه في جنته واخر دعويهم ان الحمد لله رب
العالمين وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان اول ما خلق الله العقل من نور مكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتي
وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك ونقل ان ادم لما عطس فقال الحمد لله فاول الكلام الفاتحة الحمد ثالث الحمد واول الكلام لخاتمة
المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله فاتحة كتابه وايضا اول كلام الله الحمد لله واخر انبيائه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الاول والاخر

مناسبة فجعل الحمد لله اول اية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد واحمد وعنه
هذا قال صلى الله عليه وسلم انا في السماء احمد وفي الارض محمد فاهل السماء في تحميد الله ورسول الله احمدهم والله تعالى في تحميد
اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله احمدهم اخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالرحمة والنعمة فلما كان
الحمد اول الكلمات وجب ان تكون النعمة والرحمة اول الافعال فلهذا قال سبقت رحمتي غضبي اخرى ان رسول الله اسمه احمد اي
اكثر الحامدين حمدا فوجب ان تكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين اخرى ان من اسماء الرسول سوى محمد واحمد
الحمد والحامد والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد تتضمن النعمة وقال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم فقوله نبئ اشارة الى محمد وهو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور الرحيم
صفتان لله فالعبد يبتغي يوم القيمة وقدامه الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه اسماء تدل على الرحمة وخلفه خمسة من اسماء الله
تدل على الرحمة كثيرة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله تعالى غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين
هذه الاصناف من الرحمة اخرى في الفاتحة عشرة اسماء خمسة من صفة الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك وخمسة من صفات
العبودية العبادة والاستعانة وطلب الهداية وطلب الاستقامة وطلب النعمة في قوله انعمت عليهم فكانه قيل اياك نعبد لانك انت
الله واياك نستعين لانك رب اهدنا يا رحمن وارزقنا الاستقامة يا رحيم وافض علينا سجال فضلك يا مالك اخرى الانسان مركب
من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فيتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمأن اليه
الا بذكر الله تطمئن القلوب ويتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الديان رب اعوذ بك من همزات الشياطين
ويتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان و
يتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان ويتجلى للابدان بصفة القهر والمالكية لان البدن غليظ كثيف
فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان لمكان هذه التجليات فانغلقت له ابواب النيران وفتحت عليه
ابواب الجنان ويرجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على
ترك اللذات وارتكاب المنكرات وبالطاعة للنفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطان
طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط المستقيم بجوهر العقل الملكي طلب موافقة الارواح المقدسة المدانية فقال صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وصوم شهر رمضان وحج البيت فشهادة ان لا اله الا الله من تجلي نور اسم الله واقام الصلوة من تجلي نور اسم
الرب لان الرب من التربية والعبد محتاج الى التربية في اياته عند الصلوة وايتاء الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة
على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع جوع الفقراء فيعطيهم ويحكى ان يوسف حين تمكن من
مصر كان لا يشبع فقيل له في ذلك فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع حصل له
فطام عن الالتذاذ بالحسيات فعند الموت يسهل عليه مفارقتها وحج البيت من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب الهجرة
عن الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيامة وايضا الحاج يكون عاريا حاسرا وهو يشبه احوال القيمة
اخرى الحواس الخمس ولكل ادب فادب البصر الاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه وادب الذوق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فاستعن بانوار الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على اداء
هذه الاحوال الخمس اخرى الشطر الاول من الفاتحة مشتمل على الاسماء الخمسة لله فيفيض انوارها على الاسرار والشطر
الثاني مشتمل على الصفات الخمس للعبد فيصعد من هذه الاسرار الى تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قراءته وتقرب
الاسرار الى حاجة العبد اما لدفع ضرر او جلب خير وكل منها اما في الدنيا واما في الاخرة فهي اربعة وهنا قسم خامس هو
الاشرف وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله الم طلبت منه اشياء
الله فان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت نور الرحيم طلبت
منه العصمة من مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون من افات الدنيا الموقعة في عقاب الله والاخرة اخرى
الله تعالى فيها اخرى المتجلي اما تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا للعظماء الانبياء والملئكة المقربين وهناك تجلية
الاحوال بالعبد عليها اسم الله ويتجلي الصفات وهو في اواسط الاحوال ويكون للاولياء واولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الايات والافعال وهو في بداية الاحوال ويكون لعامة العباد

الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما اخرى في الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتيم الامور بسم الله ذكر الحمد لله شكر ببسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد استحق رحمة اخرى رحيم الاخرة وكلمتان اضيفا اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان توسطا حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء **المنبع العاشر** فايدة للخلق خمس احوال واولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية في معرفة المبدا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية في معرفة المبداء ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها في معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينبغي ويحجم على ما لا ينبغي وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل المشاهد فقال اياك لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرازق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك واياك نستعين لانك المالك اياك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الى دار السرور ولابد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذي يكتب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد باعانتك فالمشقة شاسعة والطريق كثيرة فلا طريق الا ان طلب الطريق فهو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لابد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء اولا والصديقون والشهداء والصالحون رفيقا ثانيا غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نارية وهي الدنيا بما فيها ونورية وهي ما سواها اللهم عنا كل ما يحجب بينك وبيننا انك رب العالمين ومالك يوم الدين ۝

سورة البقرة مدنية وايها مائتان وسبع وثمانون غير انه نزل يوم عرفة بمنى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله حروفها ... كلمها ... عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

القراءة لاريب بالمتخلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه وكذلك قوله تعالى لا خير ولا جرم وذلك لاجتماع الفتحة مع الالف ولتاكيد معنى النفي للجنس فهي ابن كثير وكذلك التشبيع كل هاء كناية في جميع القران هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلي وخلف ويزيد وورش من طريق البخاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة ولا خلاف في ادغام اصل النون والتنوين في اللام والراء والياء والميم انما الخلاف بينهم في اظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يؤمنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال الا في احرف نبينه بذكرها في مواضعها الباقون بالهمزة بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع الباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختيار والاعشى ومدهم بمنزلة اربع الفات واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قدر فتحتك فيك تماما وبالاخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همز باب السكت روى

عن حمزة وحماد والشموني انهم يسكتون على كل حرف ساكن بعده همزة سكتة لطيفة الارض والانهار قالوا امنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكن والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتداء بها والاختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة **الوقوف** الم للاختلاف لا ريب على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم تستانف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب وحذف خبر تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقوف على التقدير على فيه وهدى خبر محذوف اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب باعمال معنى الاشارة في ذلك على تقدير اشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لان الذين صفتهم ينفقون للعطف ليدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القران لهم هدى وليدخل الصحابة المؤمنون بالغيب في ثناء الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدى والذين كانوا اولئك على هدى خبرهم مختصا واختص هدى القران بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك لاختلاف النظم بتقديم المفعول يوقنون لان اولئك مبتداء وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل اية وقفا للامام اعلمه بعلامة المفلحون **التفسير** وفيه ابحاث **البحث الاول** في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم الف با تا ثا اسماء مسميها الحروف الملفوظ التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة باتا وبالتفخيم نحو باتا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة وقولهم با تاء مستهجاة مقصورة نحو لا وقولهم كيف لا لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا ذلك في التهجي لكثرة الاستعمال واستدعائها التخفيف الذي رواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وايضا ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي خليق بان يصرف الى التسامح والتجوز لانها اسم الحروف وبما مثلا زمانا او لان الحروف قد تطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سال اصحابه كيف تنطقون بالباء التي في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف فقال قولوا به كه ثم انهم راعوا في هذه التسمية لطيفة ثم انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا وهما ايضا يهملان في ابداع اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتحليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا عليها لفقد مقتضى الاعراب نحو واحد اثنان ثلثه دال ثوب جارية فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا الى الالف والدليل على ان سكونها وقف وليس مبنيا لانها لو بنيت لحذى بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين والتناسب في الم وما يجري مجراه من فواتح السور قولان احدهما ان هذا طريق مسدود وسد محجوب استاثر الله به والتخاطب بالحروف المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب **شعر** بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه عن ابي بكر الصديق في كل كتاب سر وسره في القران اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال بعض العارفين العلم كبحر اجرى منه واد ثم اجرى من الواد نهر ثم اجرى من النهر جدول ثم اجرى من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله تعالى من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله تعالى لطاحوا حايرين وبادوا بادين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا تحتمل الشمس ابصار الخفافيش وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه وزيف هذا القول بنحو قوله تعالى الا يتدبرون القران تبيانا لكل شي وهدى ورحمة للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما وبقوله صلى الله عليه وسلم اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير وايضا لا يخاطب المكلف بما لا يفهم كما لا يتكلم العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لازم لان الراسخين لو كانوا عالمين كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند ربنا فايدة على ما لا يخفى وبقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد رويناه عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فيها تواضع للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما لا يظهر فيه وجه الحكمة كثير من افعال الحج ويحسن من الله الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما

بل كمال الانقياد في الثاني يظهر اكثر فلم يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فايدة اخرى هي اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء للسورة وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد الحارثة بن لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون و سيعود تمام الكلام في هذا القول الثاني انها اسماء الله تعالى وروى عن علي رضي الله عنه انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب منه ما روى سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى فان الرحمن اسم الرحمن لكننا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجمع الثالث انها اسماء القران وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف دال على اسم من اسماء الله تعالى او صفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول آخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه مجيد مالك منان وفي كهيعص الكاف كاف لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق والكاف محمول على الكبير والكريم والياء مجير والعين العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل وفي الر انا الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام من جبرائيل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبرائيل على محمد عليهما الصلوة والسلم السابع الالف انا واللام لي والميم مني قاله بعض الصوفية الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد ليكون كالايقاظ وقرع العصى لمن تحدى بالقران اي ان هذا المتلو عليهم قد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوا مقطعة حتى اوردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الحروف رغبة في اصغائهم ليهجم عليهم القران من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه جار على ما روى ابن عباس انه مر ابو ياسر بن اخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسألوا عن الم ننشدك الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السماء قال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا اني لا اعلم اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت عليه هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى مدته احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال مائة واحدى وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال نشهد ان كنت صادقا ما ملك امتك الا مائتين واحدى وثلثين سنة فهل غير هذا قال نعم المر قال حيي لا ندري باي اقوالك ناخذ قال ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يوقتوا انها كم تكون فان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فيما يقوله اني لاراه يستجمع له هذا كله فقال اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الثاني عشر يدل على انقطاع كلام واستيناف كلام آخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قراءة الحمد وتريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الا الامام الاميون واهل الخط والكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا فلما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير معلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم بكم ذلك الكتاب اي نزل وهذا الاتيان في كل فاتحة السادس عشر الف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة في اول الامر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا والميم اشارة الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء في الله بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم السابع عشر الالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفه وهو آخر المخارج اي اول ذكر العبد ووسطه وآخره لا ينبغي الا الله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذفت منها المكررات بقي ما يمكن ان يركب منه على صراط حق نمسكه فهذا غريب مع انه تكلف فلهذا اوردته واعلم ان الباقية من الفواتح من بعد حذف المكرر اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر وقد اورد الله تعالى الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها [illegible] ومن المطبقة صط ومن المفتحة نصفها الرهوسح قكي ومن المستعلية نصفها قص ط ومن المنخفضة الم ك ه ي ع س ر ح نصفها ومن حروف القلقلة نصفها قط واكثر الفاظ القران من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي

منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاء في معظم هذه الفواتح تراكيب كلامهم مكررتين والله تعالى اعلم التاسع عشر قيل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم من آخره اي اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت بالتسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه الثاني لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين نحو معدي كرب وبعلبك ولم يسم احد منهم مجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وال عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة في السورة وجزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء فيلزم ان يكون متقدما متاخرا وهو محال وليس هذا كتسميتهم صادا هذا الحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا تاخر المركب من المفرد بوجهين وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ولزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من انها ليست بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يميز كل واحد من الاخر بعلامة خفية وعن الثاني بان تسمية السورة بلفظة معينة ليست من الامور العظام التي توفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية ثلثة اسماء خروج من كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا فاما منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو نحو وكما لو سمي ببيت شعر او بطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع ان لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان تاخر ما هو متقدم باعتبار آخر غير مستحيل في لسان الصوفية ان هيأت الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود اي من قرأ فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفه الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتاتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه الاعراب لكونه اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم اذا فتح نونها صار كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا والحكاية الثاني فيه الامران الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتانيث قال شعر يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استيفاء صورته [illegible] سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وانما مر في صاد و قاف ونون مفتوحات فيحتمل ان يكون منصوبا بفعل مضمر نحو اذكر وحركت لالتقاء الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريقة قولهم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القران والقلم بعد هذه محلوف بهما واستكره الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى للعطف لا للقسم [illegible] لمخالفة الثاني للاول في الاعراب [illegible] الجر لكونها غير منصرفة [illegible] وهذه الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صورة الحروف انفسها لا على صور اساميها [illegible] الاسماء لا المسميات [illegible] الملفوظ ومن ثم [illegible] السورة [illegible] البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صح الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد [illegible] كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك ولانه وان كان حاضرا نظرا الى اللفظ لكنه غائب نظرا الى اسراره وحقائقه [illegible] البقرة [illegible] انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او الاشارة الى ما وعد الانبياء ان الله سينزل على النبي المبعوث من ولد اسماعيل والمراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم الثانية [illegible] وهو الكتاب [illegible] شعر [illegible] الكتاب [illegible] الثالثة ان للقران اسماء كثيرة منها الكتاب والقران وقد تقدم ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه فرق بين الحق والباطل

وعشرين سنة ولانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اى ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او شرف او فخر ومنها التنزيل وانه
لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبه ما يحدث به فان الله تعالى خاطب به المكلفين ومنها الموعظة
قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقران الحكيم الر كتاب احكمت
اياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة ومنها الهدى والهادى هدى للمتقين ان هذا القران يهدى للتى هى
اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطى مستقيما ومنها حبل الله واعتصموا بحبل الله المتين جميعا ومنها الروح وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا لانه سبب لحيوة تلك الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان
وتبيانا لكل شىء ايات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر للناس من ربكم ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم
لانه نزل نجما نجما ومنها المثانى مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لانه تثنى فيه والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك
فحدث قال ابن عباس اى القران ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم ومنها البشير والنذير قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا
ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر باسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور
الذى انزل اليه معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز ومنها الكريم انه لقران كريم ومنها العظيم ولقد اتيناك
سبعا من المثانى والقران العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليه مبارك ومنها البينة الا من بعد ما جاءتهم البينة ومنها الخيرات
ينزل عليكم من خير ومنها الحسنة والحكمة والموعظة الحسنة فهذه جملة الاسماء ويجئ تفسيرها فى مواضعها الرابعة فى تاليف
ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففى التاليف وجوه ان يكون الم مبتداء وذلك مبتداء ثانيا والكتاب خبره والجملة
خبر المبتداء الاول اى هو الكتاب الكامل الذى يستاهل ان يسمى كتابا كما هو يقول هو الرجل الكامل فى الرجولية وكقولهم هم القوم
كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتداء محذوف اى هذه الم ويكون
ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة اخرى ويفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت
الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتداء خبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر
مبتدا محذوف اى هو يعنى المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفى قراءة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب **البحث الثالث** فى
قوله لا ريب فيه الريب مصدر رابنى وحقيقته قلق النفس روى الحسن بن على عن النبى صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
فان الشك ريبة والصدق طمانينة اى كون الامر مشكوكا فيه مما يقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن ومنه ريب الزمان
لنوائبه المقلقة وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بظبى حاقف اى معوج مضطجع وهم محرمون فقال لا يريبه احد بشئ اى
لا يزعجه والحاصل ان الريب شك وزيادة ظن سوء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقى مرتاب فيه قلت ما نفى
ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب ان يقع فيه
ومثله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم فى الواقع دلالة على ان
الشك فيه مما لا ينبغى ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير ولو فرض فوجه ازالته ان تحرزوا انفسهم ويرهنوا قواهم فى البلاغة
حتى يتم المعارضة ام تتضاءل دونها فان قلت هلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول فى قوله لا فيها غول قلنا لان المقصود
هنا ليس الا نفى الريب عنه واثبات انه حق وصدق ولو عكسه لافاد ذلك مع ما ليس بمراد وهو ان ريبا دق فى نفس الامر بعض
بانه ريبا فى غيره من الكتب كما فى قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا معتالة العقول وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيها
بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة بان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما توجب الاستغراق الا
ان الاول بطريق نفى الماهية والثانى جميع الافراد لان قوله لا ريب جواب عن القايل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه
يكون سلب جميع الافراد **البحث الرابع** فى قوله هدى للمتقين وفيه مسايل الاولى فى حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى
وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط موصلة الى البغية بدليل وقوعه فى مقابلة الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى ولانه يقال مهدى فى معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد فلم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزم من وجوب
وبان مقابلة الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قوله مهدى انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود
كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح فى العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطلقا فخطاء لوقوعه صفة للقران وان زعم حينا
فصحيح لوقوعه فى مقابلة الضلال الثانية المتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقى من وجاها اذا اصابه

ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقى حافره ان يصيبه ادنى شىء وهو فى الشرع المؤتمر للمامورات المجتنب عن المحظورات
واختلف فى الصغاير انها اذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم روى عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى
يدع ما لا باس به حذرا مما به باس فحقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة التقوى
اى التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا اى تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اى اخلاصها والتقوى
مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن
بما فى يد الله اوثق منه بما فى يده وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة
وعن ابرهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق فى لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون فى افعالك عيبا ولا ملائكة العرش فى سرك عيبا وقال الواقدى
ان تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القايل **شعر** خل الذنوب صغيرها
وكبيرها فهو التقوى كن مثل ماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وفى قوله هدى للمتقين ثم فى موضع اخر
شهر رمضان الذى انزل فيه القران هدى للناس دليل على ان الناس محصورة فى المتقين والاخرون كالانعام بل هم اضل الثالثة لما اختص
كون القران هدى للمتقين اولا وايضا المتقى مهتد ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا بالذكر مدحا
لهم كقوله انما انت منذر من يخشيها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه صلى الله عليه وسلم منذر كل الناس وايضا قوله هدى للمتقين
كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك الله تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو فيه وبوجه اخر بما هم عند مشارفتهم لاكتساء
لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز من باب تسمية الشئ بما هو آيل اليه واللطف فيه انه لو قال هدى للصايرين
الى التقوى بعد الضلال لكان اطنابا فى موضعه فان تصدير السورة التى هى اولى الزهراوين وسنام القران واول المثانى بذكر اولياء
الله المرتضين من عباده هو اللايق بالمقام فاختصر الكلام باجرايه على الطريقة التى ذكرنا فان قلت كيف وصف القران بانه
كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى فى ذلك للعقل لا للقران ومما يؤكد ما
قلنا ما نقل عن على كرم الله وجهه انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقران فانه خصم ذو وجهين
ولهذا فان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد معه على التعيين عقلا كان او سمعا صار
كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القران هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقران ليس هدى فيه فكيف
جعل هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى فى تعريف الشرايع والمطلق لا يقتضى العموم او كونه هدى فى تاكيد ما فى العقول ايضا
[illegible] الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتداء محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتداء اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه
ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة والظرف والذى هو ارسخ عرقا فى البلاغة ان يقال الجملة باسرها [illegible]
حروف التهجى مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصاب [illegible]
اخذا بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى
ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة لكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك
كونه يقينا لا يحوم الشك حوله [illegible] ففى الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه
[illegible] وفى الثانية ما فى التعريف من الفخامة اى الكتاب يستاهل ان يقال له الكتاب وفى الثالثة ما فى تقديم الريب
على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز فى ذكر المتقين
البحث الخامس فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الاية وفيه مسايل الاولى الذين يؤمنون اما موصولة بالمتقين وتصف بالمدح
[illegible] بتقدير اعنى الذين او هم الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير
كونه صفة يكون اما واردة بيانا وكشفا وذلك اذا فسر التقوى بالذى يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان [illegible]
والصلوة ام العبادات البدنية قال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين [illegible] والزكوة افضل
العبادات المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر الكلام اختصارا بذكرها كالعنوان لسائر الطاعات
[illegible] ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز من قائل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكر
[illegible]
القلب وبالصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب [illegible] اولا

ثم تحليته بالعقايد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة عدا على سبيل المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقي هو موسوما بهذه
السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات الله الجارية عليه تمجيدا وتعظيما الثالثة
الايمان افعال من الامن يقال امنة وآمنة غيري ثم يقال امنة اذا صدقه وحقيقه امنة عدم التكذيب والمخالفة وتعديته
بالباء لتضمنه معنى اقر واعترف واوثق به قال في تفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان على اربعة اقوال الاول
قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا
عدي بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار والوثوق كما مر من حديث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى اخر وهو
ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادتين فهو كافر ومن
اخل بالعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء
كانت واجبة او مندوبة او من الاقوال والافعال او الاعتقادات وبعضهم كابي علي وهاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط
دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكباير ما لم يرد فيه فالمومن عند
الله من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا
او نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو
الايمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك
كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شيء منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود
وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعل شيئا من الطاعات ايمانا ما لم توجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من
المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة ينقص
ايمانه وان ترك نافلة لم ينقص ومنهم من قال الايمان اسم للفرايض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان
معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا
في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل
وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في
تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات
الله تعالى فلاجرم اقدم كل طايفة على تكفير من عداه من الطوايف والانصاف ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد
صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته او مرئيا او غير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني
ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب الاشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القايم بالنفس
المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل
القلب فقط فمن هولاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مومن كامل
الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة الكتب والرسل واليوم الاخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان
الايمان معرفة الله تعالى مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب
القول الرابع قول من قال هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى
هذا الشرط ايضا بل المنافق مومن الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المومنين في الدنيا وحكم الكافرين في الاخرة وهذا قول الكرامية
ثم قال الامام رحمه الله عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع
الاعتقاد فهاهنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك ان الايمان اكثر الالفاظ دورانا على السنة المسلمين فلو
صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا النقل ولتواتر وليس كذلك وايضا الايمان المعدى بالباء
على اصله اتفاقا فغير المعدى ايضا يكون كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القران اضافه الى القلب وقلبه
مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا لزم التكرار
وايضا الايمان قرن بالمعاصي الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والذين
امنوا ولم يهاجروا ومع عظم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس رض في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
بما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك يدخل في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان
انما المومنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهذا لا يليق الا بالمومن القيد الثاني ان الايمان ليس عبارة عن تصديق

باللسان

باللسان لقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين القيد الثالث الايمان ليس عبارة عن مطلق التصديق
لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مومنا القيد الرابع لا يشترط التصديق بجميع صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم
اعتقها فانها مومنة بعد قوله صلى الله عليه وسلم اين الله قالت في السماء ويعلم ما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل وكما
تم العرفان مات او وجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مومنا وكان الامتناع عن النطق جاريا
مجرى المعاصي يوتى بها مع الايمان وبهذا حكم الغزالي رحمه الله قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان
ووجودا في الاذهان ووجوده في العبادة ولا ريب ان الوجود العيني كل شيء هو الاصل وما في الوجودات فرع وتابع فالوجود
العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا
النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كساير الانوار واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وكلما ارتفع حجاب ازداد نوره فيقوى
الايمان ويتكامل الى ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقايق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب ويعرف كل
شيء موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد خاتم النبيين في جميع ما اخبروا عنه اجمالا وتفصيلا على حسب نوره
وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مامور والاجتناب عن كل محظور فيضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة
والملكات الحميدة نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فلاحظه المومن لهذا
النور ومطالعته ولمواقعه واما الوجود اللفظي فخلاصة ما اصطلح عليه الشارع شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا يخفى
ان التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله من غير نور المذكور لا يفيد الا كما يفيد العطشان التلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير
عما في الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشية كان التلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل
عظيم في الحكم بايمان المرء وكفره فجعل ذلك وما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض
امر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السراير والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب بمعنى الغايب
اما تسمية بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب يسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان
يكون مخفف فيعل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه
ولهذا لا يجوز فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من البعث والنشور والحساب والوعد والوعيد
وغير ذلك ويجوز ان يكون بالغيب حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اي يومنون غايبين عن المومن وحقيقته ملتبسين بالغيب
نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان باطنهم بخلاف ظاهرهم [illegible]
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله
في القران وورد في الخبر وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم وقوله لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم
حتى يخرج رجل من امتي يواطي اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما الخامسة اقامة الصلوة احد
ثلثة اشياء اما تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها
والمحافظة والذين هم على صلواتهم دايمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت وانما قال الاسدي شعر
اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا غزالة اسم امراة شبيب الخارجي قاتلت الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب
القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا اي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات [illegible]
والتشمير لادائها من غير فتور عنها ولا توان من قولهم قام في الامر بخلاف تقاعد عنه وتثبط [illegible]
لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت القيام وبالركوع والسجود والتسبيح [illegible] اقنتي لربك واسجدي واركعي [illegible]
كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة تجمع هذه المعاني بحق المدح والثناء السادسة الصلوة في الشرع عبارة عن الهيات
والاقوال المخصوصة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم للاعرابي [illegible]
المفروضة واشتقاقها من الصلا [illegible] قال الاعشى شعر وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم
[illegible]
[illegible]
[illegible]

معنى ان للايمان وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في [illegible]

اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال في الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسفات التابعة الرزق
لغة ما ينتفع به وقد يشتمل الحلال والحرام والماكول وغيره والمعتزلة ومن يجري مجراهم زادوا قيدا اخر وهو ان لا يكون ممنوعا من
الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال في الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق
الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخال من التبعيضية صيانة لهم وكفهم عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول
الفعل دلالة على كونه اهم وبمحصور بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان العكس من الانتفاع بالرزق في اسناده الى الله تعالى
على الاطلاق وتكرير الاولى مذهب المعتزلة الى الادب اقرب ولا سيما في هذا المقام لاستحقاق المدح بالاتفاق عند الثامنة
انفق الشي وانفده اخوان وكل ما فاوه فاء وعينه فانه دال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك ويدخل في هذا الانفاق الزكوة
من الزكوة التي هي اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من يجب نفقته ومن الانفاق في الجهاد فهي ان يتناول كل
منفق في سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق واكن
من الصالحين البحث السادس في قوله تعالى والذين يومنون الاية وفيه مسايل الاولى انه يحتمل ان يراد بهولاء مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله شانه ...

فاجيب بان الذين هولاء عقايدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستيناف يجي
تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفة مثل احسنت
الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما في الاية احسن وابلغ لانطوايها على بيان
الموجب وتلخيصه وثانيها ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذا
الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك الموصوف غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا
وثالثها ان يجعل الموصوف الاول صفة للمتقين ويرفع الثاني على الابتداء واولئك خبره فيكون اختصاصهم بالهدى والفلاح
تعريضا باهل الكتاب الذين لا يومنون بنبوة رسول الله وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في انهم سيفلحون عند الله تعالى
والفصل من هذه الوجوه لاولها لان الكلام المبني على السوال والجواب اكثر فايدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان
السوال على الوجه الاخير كالضايع لان موجبا اختصاصهم بالهدى قد علمت وايضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل
الموصول الاول كالكلام الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على
الباطل وقد يصرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا واستطى الحق واقتعد غارب الهدى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده
واوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل فالافضل اما الارشاد الى
الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اي هدى لا يبلغ كنهه قال
الهذلي شعر فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم اي لحم وارب بالمكان اذا اقام والابهم للاستعظام اذ الكني
انما يكون للاشراف كان الاقسام بالطير ايضا للاستعظام لوقوعهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الهدى كثير ولا يبصره
الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدي بها الا العلماء الثالثة في تكرير اولئك تنبيه
على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين وسط العاطف بينهما الاختلاف خبريهما
الخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شي واحد
الرابعة هو فصل وفايدته بعد الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة التوكيد وايجاب ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه دون
غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك الخامسة المفلح الفايز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذي انفتحت
له وجوه الظفر وكذلك اخواته في الفاء والعين يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه الذراع فلاحا ومعنى التعريف في
المفلحون اما العهد اي المتقون هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الاخرة او الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين
فهم هم لا يعدلون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر
الله عز وجل التنبيه على اختصاص اليقين بنيل ما ينال له احد على طرق شتى ذكر اسم الاشارة فان في ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه
المذكور دون قبله لاهل الاكتساب من اجل الخصال التي عددت لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحون وتوسيط الفصل اللهم
زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم اولى الزهراوين وقد ورد في الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل
لهم طالما كنتم تكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقكم وابيتم
انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم سيعلم اهل الجمع من اهل الكرم اين
المتقون فليأخذ العاقل بحكمة الله وهو نوط الثواب وتعليق العقاب بالعمل الصالح والنجي لا بما هو غير مضبوط من عفوه عن
بعض المذنبين ووده لبعض المومنين وده بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب ابعد
الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدره من اشباع شخص او ارواء من غير تناول لطعام وشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع
بها من وفق لها وهو ان شاء الله اعلم واحكم

ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

القراءة ءانذرتهم بهمزتين عاصم وحمزه وعلي وخلف وابن ذكوان وروى الحلواني عن هشام ءاانذرتهم بهمزتين بينهما مدة الباقون
يهمزون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم ممالة
ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وحمزة وفي رواية ابن سعدان وابو عمرو وكذلك قوله عز وجل بقنطار والانعام

وكالجار والغار ومن الضار واشعارها واشباه ذلك حيث كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقرأه حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو اسحق ابرهيم بن احمد عن ابي الحرث عن علي وورش من طريق البخاري مدغمة النون والتنوين في جميع القران العظيم الابهام في الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو الاختيار عندنا **الوقوف** لا يؤمنون على سمعهم لان الواو للاستيناف غشاوة لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان نظم وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم

التفسير وفيه مسايل الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فايدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قايم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قايم جواب عن سوال سايل وقولهم ان عبد الله لقايم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم ايضا نحو والله ان عبد الله لقايم قال ابو نواس **شعر** عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك باليأس حسن موقع ان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم في الذهن وجدانه لا يوجد كقولك انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء فكانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون الثانية لما قدم ذكر اولياءه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحه اياهم بها عقبه ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة جمع مارد وهو المتناهي في الفساد من الكفار الذين لا ينجع اي لا ينفع فيهم الهدى وسواء عليهم انذرتهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلاف ما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الجملتين ههنا في الغرض والاسلوب اذ الاولى مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستيناف مبني على تقدير سوال وذلك ادراج له في حكم المتقين وتصيير تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدأ واولئك خبره لا جملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين واما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف تعريف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق ويجحده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء والذي كفر درعه اي غطى فلبسه فوقه قال في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذه الاية ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلنا التحقيق في هذا وامثاله ان كلامه تعالى ازلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم منه فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متاخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الاية فافهم الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر وءانذرتهم في موضع الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما يصح وقوع الفعل مخبرا عنه مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقوله لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكون منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في الداخل عليهما الهمزة وام واستواؤهما في علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين كائن لكن لا يعينه فكلاهما معلوم بعلم غير متعين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معنيان احدهما استواء طرفي الحكم في ذهن المستفهم والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب وفائدة العدول عن العبارة الاصلية وهي سواء عليهم الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول اليأس عنهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله تعالى بل في علمنا فنزلت الاية بحسب ما يليق بحالنا في باب التقرير والتصوير او نقول فائدته ان نعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف ما لو اخبر عن الامرين بطريق الهمزة وام فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة

لان المقام المبالغة وتاثير الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقوله لا يؤمنون اما مؤكدة للتي قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض السادسة الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتمانه وتغطيته لئلا يتوصل اليه والغطاء الغشاوة فعالة من غشاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد به تارة اللحم الصنوبري المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى ساير الاعضاء بتوسط الاوردة والشراين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهي والقيام بمواجب التكاليف ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بل بمجرد ارادة موجده انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون كما ان البدن بل القلب اللحمي الصنوبري من عالم الخلق هو نقيض ذلك الا له الخلق والامر وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها والروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحي والسمع قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صوت ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج تلك الحركة تلك العصبة فتسمع قاله ابن سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هو قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء يلاقي المبصر ويأخذ صورته من خارج ويكون ذلك ابصارا وفي اكثر الامر يسمون ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين نسبة البصيرة الى القلب ولكل من العين والقلب نور اما نور العين فمادي فينطبع فيه الاشباح لانه من عالم الخلق فهو نور جزئي ومدرك جزئي واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلي ومدرك كلي وادراك كل منهما عبارة عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه ويتدرج في الضعف بحسب تباعد المرئي حتى لا يدركه او يدركه اصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصر له كثيرة في موضع واحد قياسا على انوار الكواكب والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسة والمنزوعات المختلفة لا يلزمها الاشتراك في اللوازم وهذا القدر من التحقيق في تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلا في حكم التغشية الا ان الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون على قلوبهم وفي تكرير الجار ايذان باستقلال الختم على الكل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قوله **شعر** كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص اذ لا يلبس ان لكل واحد بطنا ولهذا لم يؤمن نحو فرسهم وثوبهم والمراد الجمع رفضوه ومنها ان السمع في الاصل مصدر والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن في قولهم وفي اذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على حواس سمعهم ومنها الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمال يخرجهم من الظلمات الى النور الثامنة من الناس من قال السمع افضل من البصر لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف ونتائج العقول الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى المبصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق السمع الريح والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجايب الله تعالى في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع و قد اسمع الله تعالى كلامه موسى عليه السلم من غير سبق سوال ونوقش في الرؤية وفي المثل ليس وراء العيان بيان وفي العين جمال الوجه دون السمع والحق ان من فقد حسا فقد فقد علما وهو المتوقف على ذلك الحس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من السمع والبصر وغيرهما من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل فسبحان من دق في كل مصنوع حكمته واحسن كل شيء خلقه الثامنة الاية الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سيان والاية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لا يؤمنون وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالايتين ونظايرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسال عما يفعل واما المعتزلة واشياعهم فيقولون كيف يرتضي فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الايات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وبمجددته فيأولوا الاية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى تخلوا في زمرة الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه لقوله سال به الوادي اذا هلك فطارت به العنقاء اذا اطالت الغيبة وليس للوادي والعنقاء عمل في هلاك

مطلب انظر فيه التامل وامعن [illegible]

ولا في طول غيبته وانما شك حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي لطول غيبته بحال من طارت به العنقاء اذ الشيطان هو
الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في
قولهم بنى الامير المدينة او انهم لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله
ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من
قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل
عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبح ولا يليق بالحكمة وسئل عن تكفير اهل الجبر فقال لا لانهم
عظموه حتى لا يكون لاحد قدرة وتاثير وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية
لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعثة
الرسل وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الاخر الا
لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وهذا يقتضي
مذهب الاعتزال فلهذا بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة والسطوع اذا
لوحظت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات لخرج شيء من الاشياء عن علمه وقدرته وتاثيره و
ايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدائية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات
كلها مستندة منتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته والآيات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله ولو شاء لهديكم اجمعين ولو
شئنا لآتينا كل نفس هديها قل كل من عند الله كثيرة وكذا الاخبار اعملوا فكل ميسر لما خلق له كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج آدم
وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية التنزيه من الظلم
والقبائح فاقول لا ريب ان الله تعالى منزه عن القبائح ولكن لا بالوجه الذي يذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل من
مبدائية الكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك
الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال لا يقوم احدهما مقام الآخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة
ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال
المستتبعة لها ومظاهر القهر اهل النار والافعال المتعبة فههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل من
كل منهما بوجود الآخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم
يظهر الشبع والري ولله در القائل شعر فبضدها تتبين الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار
خلقا يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله
وبهذا نظر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الاية وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما
نطفة ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا بالروح باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي ام سعيد واذا تؤمل فيما
قلت ظهر ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل
الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين وليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض تحت
تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا بعيدا الا ان كلا منهما من ضروريات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص به
تعالى مع ان كلا منهما ضروري في مقامه فهذا القائل يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظ فافسد من حيث اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة
الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانا لما بينا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشيء
الفلاني سببا وواسطة للشيء الفلاني كما انه ليس ان يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض غاية ما في الباب ان يقول اذا علم
ان الكافر لا يؤمن فلم يامره بالايمان ويبعث اليه النبي فاقول فائدة بعثة الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة ترجع الى المؤمنين الذين جعل
الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما انت منذر من يخشاها كما ان فائدة نور الشمس بسبب تعود لاصحاب العيون الصحاح واما
فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم كفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا
وهم كافرون غايته ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة النعي عليهم انهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى ربما
لا يظهر لهم ايضا لغاية نقصانهم كما ان الاكمه ربما لا يصدق البصراء ولا يعرف ان التقصير والنقصان منه وان سائر الشرائط من
محاذات المرئي وظهور النير موجود وانما يعرف نقصانهم ارباب الابصار واما حديث التفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية

والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لا ريب ان للانسان ارادات وقوى بها يتم لها حصول الملائم واجتناب المنافي
الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار والتفرقة المذكورة سببها في الرعشة نقصت واسطة هي الداعية
وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات واستعن بها في سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل
فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لم يستفد باصباح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التاسعة
العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يمنع العطش ويردعه
بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم
والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته واخطره و
معنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ
بالله منه العاشرة اتفق المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله ولهم
عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب عليه العفو وذكروا ايضا دلايل عقلية مبنية
على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله
قادر على ايصال النفع اليه من غير توسيط ذلك العذاب والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم الله ان الكافر لا يظهر
منه الا العصيان فتكليفه امر متحصل ترتب عليه العذاب وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد
هذا التكليف او وجد لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق للداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم
ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفا الله عنه الا يرعى هذا الكرم العظيم ما بقي في الآخرة او سلبته
عقول اولئك المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم ولما كان في الدنيا بحيث قال
ادعوني استجب لكم وفي الآخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون واجيب بان تعذيبهم نقل الينا بالتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا نصير الى انكاره والشبه التي تمسكتم بها منهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح واقول قد بينت في البرهان
النير في المسئلة الثامنة ان وقوع فريق في النار ضروري في حكمته تعالى وكل ما يقتضيه حكمته وكماله كان حسنا ومن ظن انه قبيح
كان لخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبح في اللفظ الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشأها وموجدها وهل يستقبح
احد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا وبعضها للخنوع جدرانا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعلا
يطأها الافراس حيث يرى كلا منهما في مصالح الوجود ضروريا ثم العذاب وهو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان
والملزوم لا ينفك عن اللازم وما تسبب عدم اشتغال الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك ان محل الكسب هو الدنيا
والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد ان يوتى الامتثال في الآخرة كما ان المريض اذا قال له طبيب حاذق اشرب
الدواء الفلاني فعصى واحتج اذا مضى وقته واشرف على الهلاك فقال له اشرب الآن لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك
وكذا لو قال مثلا لواحد افعل الامر الفلاني في هذا الوقت فغفل عنه في وقت آخر لم يعتد به مثلا ولا ينفعه الايمان بل عن الامتثال
قد فات ولا سيما اذا ابصر بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت
في عباده وخسر هنالك الكافرون

ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين
يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا
يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل

لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ
بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

القراءة ومن الناس بامالة قراءة قتيبة ونصير كل القران ما كان مكسورا من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف وورش من طريق البخاري يومنين غير مهموز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة و نصير وابن ذكوان من طريق مجاهد غير النقاش بن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر ويقلب الثانية واوا ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء ولا بقلب اول ف ادوى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبهها مما اختلفا الهمزتان فيهما الا ان يكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء وجاوية واشباه ذلك مستهزؤن بترك الهمزة في الخالين يزيد وافق وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها وعن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتبيين شبه الياء والواو وطغيانهم حيث كان بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو بالهدى وما اشبهها من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقرا اهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة تجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم **الوقوف** بمؤمنين لما مر في المقدمة الثانية امنوا لعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي يشعرون للاية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الحسار بما بعده مرض لان الفاء للجزاء فكان تاكيده لما في قلوبهم مرضا لعطف الجملتين المتفقتين يكذبون في الارض لان قالوا جواب اذا وعامله مصلحون لا يشعرون كما امن السفهاء للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فليعجل رد السفه عليهم لا يعلمون امنا لتبدل وجه الكلام معنى مع ان الوصل اولى لبيان تقابل الحال المتنافيين وهو المقصود شياطينهم لان قالوا جواب انا معكم تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم والجاز الابتداء بانما مستهزؤن يعمهون بالهدى لانقطاع النفس ولا يلزمه العود لان ما بعده يبدو ومن ما قبله مفهوم مهتدون **التفسير** وفيه مباحث **البحث الاول** في قوله ومن الناس من يقول الاية وفيه مسايل الاولى عن مجاهد قال اربع ايات من اول هذه السورة نزلت في المؤمنين واثنان بعدها نزلتا في الكافرين وثلاثة عشر بعدها نزلت في المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد الغير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من التركيب اربعة عشر قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا لانه خلف او كما عرف ما تنقضي سكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الايمة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المسئلة المشهورة من ان المقلد مؤمن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في نوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد واختيارا كما فرمعاندا النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان كذا مع السكوت النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختياريا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز حيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر اما اذا كان اضطراريا فلا يكفر صاحبه لان توقفه اذا كان الى مهلة النظر وكان يخاف الى نفسه من ترك الايمان الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي

مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره وباطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ومنه النافقاء احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء براسه فانتفق اي خرج الثانية زعم القوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الاخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وايضا انه قصد التلبيس والكافر الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وايضا الكافر ما رضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى كفره الاستهزاء والخدع دون الكافر الاصلي ولغلظ كفر المنافقين قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الكفار في ايتين وحال المنافقين في ثلث عشر اية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة الثالثة قصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة واصل ناس اناس بدليل انسان وانس واناسي حذف الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله **شعر** ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا قليل ويونس من الصغر الاتي على خلاف مكره كانسان سموا بذلك لظهورهم وانهم يونسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول كما يقال وزن ق افعل وهو اسم الجمع كرخال للانثى من اولاد الضان واما الذي مفرده رخل بكسر الخاء فرخال بكسر الراء ومن في من يقول موصوفة ان جعلت اللام في الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال اذ لا يكون معنى الكلام ان في جنس الانس كيت فيعود فايدة الكلام الى الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطايفة الموصوفة تكون لا محالة من الناس ولا يجوز ان يكون موصولة حينئذ لان الصلة تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فيبطل فايدة الوصف ايضا فيبقى الكلام غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن تكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا المذكورين ولا يجوز ان يكون من موصوفة اذ ذاك لان فايدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يحاذيه لفظ الكلام اذ يصير المعنى ان المختوم على قلوبهم طايفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم فيقع ذكره ضايعا والضمير العايد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ومجموعا اخرى باعتبار المعنى ومثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الاية في يقول وامنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر لانهما قطرا الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الطريقة واكمله فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الاخر وان كانوا من اليهود فكيف صح ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدون على خلاف صفته فقولهم هذا لو صدر منهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوا على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضية او الى الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق قولهم امنا والاول في ذكر شان الفعل والثاني بالاسم قلت اما الجملة الفعلية ليكون مطابقا لما احدثنا في الدخول في الايمان لترويج دعواهم الكاذبة والجملة الاسمية لنفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم عن جنس البت والقطع وانهم ليس لهم اسمها الا ان يكونوا طايفة من طوايف المؤمنين كان هذا اكد وابلغ من ان لو قال وما امنوا ونظيره قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ثم قوله وما هم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا بترك الدلالة للتقييد في امنا و يحتمل الاطلاق اي انهم ليسوا من الايمان في شيء فضلا من الايمان بالله واليوم الاخر لان الايمان لا يعتبر بهما **البحث الثاني** في قوله يخادعون الله اعلم ان الله تعالى ذكر من قبايح افعال المنافقين اربعة اشياء اولها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سمي الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والمخادعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السداد والسلامة وابطال ما يقتضي الاضرار بالغير والتخلص منه فهو بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة وهذا غير جائز في مخادعة الله والمؤمنين لانه العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يتخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال **شعر** تلك الفتاة التي علقتها عرضا ان الحكيم وذو الاسلام لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله

من حيث انهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع
المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله عليهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه
لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا
بالمكروه من وجه خفي ويجوز ان يدلس على عباده ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره و
نواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون
الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله و
الله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض الاحاطة بفضل زيد لان زيدا
كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكره توطية وتمهيد ووجه الاقتصار بخادعت على واحد ان يقال خدعني بر فعلت
الا انه خرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه وله
وخدعهم من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان
كاذبين فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم واعطاءهم
الحظوظ من المغانم واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسوال الذي يذكر ههنا من انه تعالى لم ابقى المنافقين على حالة
من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من اغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء ابليس وذريته ونحل العقد في الجميع بما سلف
لنا من المعاملة المضاهية لمعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرهم يحيق بهم ودائرته تدور عليهم لان الله تعالى يدفع ضرار
الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون
انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وانفسهم ايضا تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة
والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه و
انه لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن
موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض ويجوز ان يستعار لبعض اعراض القلب
كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم غلا وحسدا واذا لقوكم
قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك وما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم واعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك
شيء منظوم بالجواهر شبه التاج ان يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق اعطاك شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف
والخور لانهم كانوا يطمعون ان ريح الاسلام تهب ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق
وما قذف الله في قلوبهم من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا
كفرا الى كفرهم فاسند الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم البدن غير النقي
كلما غذوته زدته شرا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطمع ويحتمل ان يقال الغل والحسد
قد يفضي الى تغير مزاج القلب ويؤدي الى تلف صاحبه كقوله **شعر** اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله كالنار تاكل بعضها
ان لم تجد ما تاكله فانضاء صاحبه الى الهلاك هو المعني بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم
بالحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب
وسماجته وما يروى عن ابرهيم ان كذب ثلث كذبات احدها قوله اني سقيم وثانيها قوله لسارة حين اراد ان ينتصها الظالم انها
اختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة الكذب
سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو وقد يعتبر فيه علم المخبر بمخالفة الخبر والصدق نقيضه وقراءة من قرا
يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو للمبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق
فقيل صدق نحو بان الشيء وبين ومنه قولهم قد بين الصبح لذي العينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي اذا
اجرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافقين
كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان [illegible]
والدوام اي بسبب ان هذا شانهم ودابهم **البحث الثالث** في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض الى قوله ولكن لا يشعرون
هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا

اذا قيل

اذا قيل لهم كذا واما على يقولون اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وامنوا ليس
من اسناد الفعل الى الفعل فانه لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل
لهم اما النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحققوا ايمانهم وانهم في الصلاح واما
بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم ويغيظهم واما بعض المؤمنين فلا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالذين
والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن
والسدي ان بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان للشارع سننا موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان
ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاحوال وحفظت الفروج فكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشرعية
واقتحم كل واحد على هواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم
لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظواهر مؤمنون اوهم ذلك ضعف امر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيصير سببا لطمع الكافر
في المؤمنين فهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين ولما نهوا عن الافساد
في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب وكان سعيهم
لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسر الافساد بموالاة الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة
هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد اذاعة اسرار المسلمين
ونسبة انفسهم الى الاستقامة والسداد وجيء باداة القصر لانه على ان صفة المصلحين خلصت بهم وتمحضت اي حالنا مقصورة على
الاصلاح لا يتعداها الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقيق ما بعدها كقوله اليس ذلك بقادر
لافادة التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما
والذي ابكى واضحك والذي امات واحيا والذي امره الامر رد الله ما ادعوه من الانتظام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف
الذي فيه ما يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله فكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان
من التاكيد ومن قبل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون **البحث الرابع** في قوله واذا قيل لهم آمنوا الاية هذا هو النوع
الثالث من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما القبيح ما كانوا عليه ومما يجر على الفساد
والفتنة والثاني دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وعبادته اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما
ينبغي لان كمال حال الانسان في هاتين فكان من جوابهم فيما بينهم او القائل ان سفهوهم لتمادي سفههم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف
حقه الجاهل **شعر** واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل وما في كما يجوز ان يكون كافة تصحح دخول الجار على الفاعل
الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو وزيد صديقي كما عمرو اخي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت
واللام في الناس للعهد اي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهود وذلك ليكون ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هولاء ثابتا او ليحصل
ايمانكم لحصول ايمان هولاء وآمنوا كما آمن عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم اي كما امن اصحابكم او يحتمل ان يكون للجنس اي
كما امن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشئ عن الاعتقاد القلبي اي جعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في
عدم التمييز بين الحق والباطل والهمزة للاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء يشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا
قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه او للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرف الناس في السفه
وهو خفة الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجر اذا امالته قال ذو الرمة **شعر** جرين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها
مر الرياح النواسم وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم والاخلال بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق و
لانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما
نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واراد وا عبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من اسلامهم وضعف في اعضادهم عن انس انه سمع عبد الله
بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ارض تخترف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي
فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل انفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر
الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت
قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني فجاءت اليهود فقال
صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك
فخرج عبد الله بن سلام فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله

ثم ان الله تعالى قلب مقرونا بالموكدات التى بيناها فى قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به
الى السفه فهو السفيه وكذا باع آخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايضا من السفه معاداة
المحدود يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم كالطود محز نطحة الاوعال وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لان الوقوف
على ان المومنين على الحق وهم على الباطل امر عقلى نظرى واما النفاق وما يؤول من الفساد الى الارض فامر دنيوى مبنى على العادات وخصوصا
عند العرب فى جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التحارب والتجاذب هو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم
معه احسن طباقا قاله **البحث الخامس** فى قوله واذا لقوا الاية هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الاية وبين قوله ومن
الناس من يقول آمنا ان الاولى فى بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه بيان معاملتهم مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس
نزلت هذه الاية فى عبد الله بن ابى واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله
ابن ابى انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء منكم فذهب واخذ بيد ابى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى
الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه
وماله لرسول الله ثم اخذ بيد على كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال
عبد الله لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبى واخبروه بذلك فنزلت لقيته
ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اى عداك ومضى
عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية
بالمومنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك اى انهى اليك حمدى لفلان وذمى عن ابن عباس ومنه انى
احمد اليكم غسل الاحليل اى اعلمكم انه امر محمود وشياطينهم رؤساؤهم واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اما اكابر المنافقين
فالقائلون انا معكم اى مصاحبوكم وموافقوكم على امر دينكم اصاغرهم واما اكابر الكافرين فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا
الشياطين بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد فى الارض وانما خاطبوا المومنين باضعف الجملتين وهى الفعلية وشياطينهم باقواهما
اعنى الاسمية المحققة بان لانهم فى ادعاء حدوث الايمان عن صميم القلب منهم لا فى ادعاء انهم اوحديون فى الايمان كاملون
اما لان انفسهم لا تساعدهم عليهم وهكذا قول لم يصدقوا عن صدق رغبة وباعث داخلى واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه
التوكيد وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفى حيز القبول
والرواج وكان مظنة التحقق ومنه للتوكيد وانما فصل العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزئون لان الاول معناه
الثبات على الكفر والثانى رد للاسلام لان المستهزئ بالشئ منكر له دافع ودفع نقيض الشئ اثبات وتاكيد للشئ ولان الثانى بدل منه
لان تحقير الاسلام فقد عظم الكفر ولانه استيناف كانه قيل ما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون
والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء احدها قوله الله يستهزئ
بهم وهو استيناف فى غاية الجزالة والفخامة كان سائلا سأل اما مصير امرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفى الالتفات من الحكاية
الى المظهر ان الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى استهزاؤهم بالنسبة اليه فى حكم العدم وفى تخصيص الله الكريم مع قرينة
ان المومنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج المومنين ان يعارضوهم
باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا المعنى
انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ وسمى جزاء الاستهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او
عاملهم الله تعالى معاملة الاستهزاء فى الدنيا لانه كان يطلع الرسول على اسرارهم مع كونهم مبالغين فى اخفائها وفى الآخرة
على ما روى عن ابن عباس رضه اذا دخل المومنون الجنة والكافرون النار فتح الله بابا على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين
فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب
الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء
وانما لم يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله نحن مستهزئون لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله
فيهم ونزول الايات فى شانهم اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى
قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم فى طغيانهم يعمهون وهو من مد الجيش وامده اذا زاده والحق
به ما يقويه وكذلك مد الدواة والسراج زادهما ما يصلحهما وانما قلنا انه من المدد لا من المد فى العمر والاملاء لقراءة نافع من موضع آخر
واخوانهم يمدونهم فى الغى على ان الذى بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له قاله فى الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهرى مده اى

غيا اى امهله والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو ومعنى مد الله تعالى اياهم فى الطغيان يعرف من تفسير ختم الله
على قلوبهم وقد توجه بانه لما منعهم الطاف التى منحها المومنون بقيت قلوبهم تتزايد الدين والظلمة منها تزايد الانشراح والنور فى
صدور المومنين فسمى ذلك التزايد مددا او بانه لم يقسرهم او بانه اسند فعل الشيطان الى الله لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى
ما فى هذا التوجيه من التكليف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ومن هذا القبيل ما قيل ان النكتة فى اضافة الطغيان اليهم
هى ان نعلم ان التمادى فى الضلالة مما اقترفته انفسهم فان الله برئ منه فان الانتهاء الى الله لما كان ضروريا فكيف يتبرأ من ذلك
ويعمهون فى موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى فى البصر وفى الراى والعمه فى الراى خاصة وهو التردد والتحير لا يدرى اين
يتوجه وثالثها قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى اختاروها عليه واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء
فيه اعطاء بدل واخذ آخر قال ابو النجم **شعر** اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا
كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بنى اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون
الدنيا بعمل الآخرة جعلوا التمكن من الهدى بحسب الفطرة الانسانية الشخصية كالثمن فى ايديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة
وهى الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفى المثل ضل دريص نفقه اى جحره والدرص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن يعنى بامره فاستعيرت
الضلالة للذهاب عن الصواب فى الدين والربح الفضل على راس المال والتجارة مصدر وانما اسند الخسار اليها وهو لصاحبها اسنادا
مجازيا بالملابسة التجارة المشترى وقد يقال بع عبدك وخسرت جاريتك مجازا اذا دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة
بالهدى مجازا اتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة لتكون الاستعارة موشحة كقوله **شعر** ولما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش فى وكريه جاش له صدرى لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق
التجارة لان مطلوب التاجر فى متصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس ما لهم كان هو الهدى
فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة امر عدمى فلا عوض ومعوض ولا ربح ولا راس المال وهكذا حال من يدعى الارادة ولا يخرج من
العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين فى المكاسب عندما يبقى
عليه درهم واذا قيل الليل كمنا ادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسأله ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية ٥

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون
او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم
فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين
يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله
على كل شىء قدير

القراءة اذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو بالكافرين وما اشبههما مما
كان فى محل الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير ويعقوب غير روح شاء الله حيث
كان بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان **الوقوف** نارا لان جواب لما منتظر لما فيهما من معنى الشرط مع دخول الفاء التعقيب
فيها لا يبصرون لا يرجعون للعطف وهو للتخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل ومعنى الواو جاز وقفه لعطف الجملتين مع انهما اية
وقد اعترضت بينهما اية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر مبتداء محذوف اى هم يجعلون او حالا
عامله معنى التشبيه فى الكاف وذو الحال محذوف اى كاصحاب صيب الموت بالكافرين ابصارهم لان كلما استينافا فيه لان تمام المقصود
بيان الحال المضاد للحال الاول قاموا وابصارهم قدير **التفسير** لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان

ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقايق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين والغايب كانه شاهد وفيه تبكيت للخصم
لا الدوام الامر بالكثير الله تعالى في كتبه امثاله وتلك الامثال نضربها للناس وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركته تباعد مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب ان تحصى صنف فيها كتب
مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولا يخلوا من غرابة ومن ثم
حوفظ عن التغيير واما ههنا فاستعير المثل للحال او الصفة او القصة التي فيها غرابة ولها شان شبهت حالهم العجيبة الشان
من حيث انهم اعرضوا من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحصنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم
يتواصلوا بذلك النعيم الابد باستبطانهم الكفر فتحول حالهم الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في
توجه الطمع الى شيء مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القوية مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد بالذي استوقد
ما جمع كقوله وخضتم كالذي خاضوا وحذف النون لاستطالته بصلته او قصد جنس او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا
فلو لا عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة اذ يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص
واحد نحو مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا واوقود النار سطوعها وارتفاع لهبها واوقدتها نارا استوقدتها
ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
والاستضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث
للحمل على المعنى لان ما حوله المستوقد اماكن واشياء او مستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق
النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة والعام حولا لانه
يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم والضمير يعود الى الذي استوقد نظرا الى المعنى كما ان الضمير في حوله رجع اليه من حيث اللفظ و
قيل الاولى ان يقال الجواب محذوف مثل فلما ذهبوا به لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو
ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان من حصولهم خابطين في ظلام متحيرين خاسين بعد الكدح في احياء النار
ثم ان سائلا كانه قال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم اي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل
ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اي مثلهم كمثل الذي ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد
الفعل الى الله انما اذا طفيت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد او يكون المستوقد نارا لا يرضاها
الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة قد اشتعالها واضاءتها فنا فيها الدنيوية
قليلة البقاء والباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح فلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها واما نارا خفية او نوها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله
وخيب امانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوئهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ في الغرض وهو ازالة النور عنهم راسا وطمسه
الطلاقات الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان
ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه وما امسكه وما يمسك الا الله
فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى افعال القلوب كقوله
عشيته فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها
من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد الروية وتمنع النظر [illegible]
ظلمة لا يتراءى فيها شبحان [illegible]
وجعله من قبيل المتروك المطروح الذي لا يلتفت اليه [illegible]
[illegible] صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا [illegible]
[illegible] عن سعيد بن جبير نزلت الاية في اليهود وانتظارهم لخروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي
العرب فلما خرج كفروا به فكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم بعد ظهوره كزوالها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] شعر وقفنا الهوى [illegible]

حيث انت فليس لي متاخر عنه ولا متقدم جد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم ومثله حال مريد الطريقة المرتفع الذي
بايتر ولازم خلوة وصحبة حتى شرقت له من صفات الحق شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق مطرقه الهواجس
وازعجة الوساوس فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه وفضل بوامسه ثم ان الله تعالى
ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاح عقب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فكيف تقدير الكلام مثل
المنافقين كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين يشبه بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما
فانت مخير في التشبيه بايتهما شئت جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلات جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا
يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وشبه حالهم في مقام المطمع في حصول المطالب
ونجح المارب لا يحظون الا بضد المطموع فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدايد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل
على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وتدرجا من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف محذوفا حيث قلنا او كمثل
ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء كيف
ولي الماء الكاف اذ التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لا بد له من راجع هذا هو المحقق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان
القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعيد والوعد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة
من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين
بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة
والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب ايضا وتنكير صيب للدلالة على انه نوع من المطر شديد هايل كما نكرت
النار في التمثيل الاول والسماء هذه الظلة والفايدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء انه لو جاء من السماء معرفة فيفيد ان يتصوب
من سماء اي من افق واحد من ساير الافاق ولكنه غمام مطبق اخذ بافاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب
وبنا البناء على فيعل والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية في العناصر باذن الله تعالى فحركتها وخلطتها تحصل
من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك باسخان الحرارة بجرين من الاجسام المائية وجزء من الاجسام الارضية واشياء بين البخار
والدخان من الاجسام الارضية اما الدخان فقد يتعدى حيز الهواء الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل وربما يبقى فيه الاشتعال فراى كان
كوكبا يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فرايت العلامات الهايلة الحمراء والسوداء والبخار الصاعد فمنه ما يلطف
ويرتفع جدا فيتراكم ويتكرر بدبيبه في اقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكتنف فيقطر فيكون التكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه
ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا وينزل كما يوافيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني
السحاب فنزل وكان الجامد وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فنزل وكان ضعيفا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها
بالثلج وربما جمد البخار بعدما انحل القطرات ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارقه السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب
وذلك انه اذا عرض خارج فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخل واستحال ماء واحدث شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة
البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الجواهر البخارية الدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون
منها الرياح واذا تصعدت فيتميز البخار من الدخان انعقد البخار سحابا فيبرد وتقلقل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فحصل من تقلقله
فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما امتد ذلك التقلقل لكثرة وصول المواد ويكون اعالي السحاب
اكثف لان البرد هناك اشد او يكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع الى اسفل وقد اشعلته المحاكة والحركة نارا برقا فتشق
السحاب شعلة بجرم بطيء فيسمع من ذلك ضرب من الرعد وان كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة وربما وجد منه مندفعا فيه
سهل الانشقاق فخرج بلا رعد واشتعال فهذا القدر من الحقايق في هذا المقام لا ضير في معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها
الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من سيبويه والاخفش لاعتماده على الموصوف
والصيب ان كان سحابا فظلماته تحمية وطبقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه وانسجامه تتابع القطر و
ظلمة اظلال الغمام مع الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونهما مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونهما ملتبسين بالجملة
سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق قال البحتري شعر يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات لانهما
في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ان يراد بهما الحدث كانه قيل وان عاد وابراق ونكرت هذه الاشياء لان المراد منها كانه قيل فيه ظلمات
داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم المذكور قال حسان شعر يسقون من
ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى وهي واد بدمشق والبريص نهر من انهارها ويصفقون اي يمزج

والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل كيف حالهم مع
ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل اناملهم مع انها هي التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة
ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد الى الرسغ وليس بعين الاصابع كالمسبحة مثلا
لجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام واراد الخاص وقوله من الصواعق اي من اجل الصواعق نحو سقاه من العيمة وقد
يحصل مما ذكرنا الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء
الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت ويقال صعقته الصاعقة اذا
اهلكته فصعق اي مات بشدة الصوت او بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية
او مصدر كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله **شعر** واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما
والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض معاقب الحيوة لا يصح معه احساس واحاطة الله بالكافرين مجاز اي لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط بحقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة وضعت لمقاربة الشيء
فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه في حالتي حقوق البرق وخفوقه واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى
ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة وفوقها
العدو وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اذ اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم
من قام في الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه
فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء الله لزاد في وصف الرعد فاصمهم او
في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب وهذا
الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله **شعر** فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن
ساحة الصبر اوسع قال عز من قايل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء الاول وقد يجيء للمبالغة
كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه والمراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف
ثابت فعلى تقدير الخوف اولى والشيء اعم العام كما ان الله تعالى اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على
المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل فمن الاشياء ما لا يتعلق به القادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته
واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغني ان من الانات ولحظة
من اللحظات عن تاثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته ونقيضها العجز ولا قادر بالحق الا هو سبحانه وتعالى

يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وقد ادغما
كل ما كان قبلها ساكن مثل خلقكم وصديقكم وبورقكم وميثاقكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد
يدغمها باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب **الوقوف** يتقون لان الذي صفة الرب تعالى بناء
للعطف الجملتين المنفيتين لكم لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون **التفسير** لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار
والمنافقين وذكر صفاتهم ومجاري امورهم عاجلا واجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام رونقا وبهاء و
يزيد السامع هزة ونشاطا ومن لطايف المقام انه تعالى يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك اولا والان اريد في اكرامك وتقريبك
فاخاطبك من غير واسطة ليحصل للسمع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية ازداد قربا وحضورا
وايضا الايات المتقدمة حكايات احوالهم وهذا امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهو ان يرفع ملك الملوك الواسطة من
البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف ويستلذ هذا وقد نص عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني

فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويومروا
بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام انادي الانشائية لا الاخبارية وههنا نكتة وهي ان
اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا
فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف في حال
النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني استجب لكم واذا سألك عبادي عني فاني قريب فاذكروني اذكركم
ويا وضع في اصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا ونائما وللتبعيد المنادي عن ساحة عزة المنادي وههنا
واستقصارا كقول الداعي في جواره يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد ليستحق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة
قلوبهم وقد ينادى القريب المفاطن من غير هذه الصورة بيا ويكون المراد به ان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا نحو يا ايها الذين
امنوا يا عبادي يا ايها النبي لان ما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان يتيقظوا ويميلوا
بقلوبهم وبصايرهم اليها واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليصح المقصود بالنداء
مع ضرب من التاكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التوضيح التنبيه المفخم فايذان معاضدة حرف النداء بتاكيد
معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام فجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد
العموم بدليل صحة تاكيده بكل واجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء فالاقرب انه
لا يتناول الا الموجودين في ذلك العصر وانما يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد
صلى الله عليه وسلم حكم الموجودين في عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل ساير
الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا اصححوا نسبة العبادة وذلك بان من عرف نفسه بالامكان ليعرف
ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف ربه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والقدرية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية
ويعرف نفسه بالمامورية والذلة ليعرف ربه بالامرية والعزة فلا يجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا بوجه
من الوجوه ولا قدرة بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا مايلا بين يدي مولاه طايعا له بكل ما يامره وينهاه لانه اذا تصور كونه
عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد سيدا فلا محالة يوطن نفسه بطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته في شيء اصلا اذ قال
له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والاتم تصح نسبة عبوديته عن الاصمعي انه اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني
قال ايش تاكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا
المعنى ليشمل الكافر والمؤمن وكل من له اهلية الخطاب ويندرج فيه المبادي والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم القصور
البشري وضعف قواهم الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى
معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس والتنبيه لسمة العبودية اما الامكان او الحدوث او مجموعهما كل منهما في
الجواهر وفي الاعراض اما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء وان الى ربك المنتهى
واما الاستدلال بامكان الصفات خلق السموات والارض الذي جعل لكم الارض فراشا بحدوث الاجسام قول ابرهيم عليه السلام
اني لا احب الافلين وبحدوث الاعراض دلايل الانفس ودلايل الافاق فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك والموجود
بعد العدم له موجد وليس هو نفسه ولا الابوان ولا ساير الناس لعجز الكل ولا طبايع الفصول والافلاك والافاق في افق
الامكان فهو شيء غير متسم بسمة الحدوث والامكان والنقصان وهذا الطريق اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى في محكم
كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان ما فيه تذكير النعم السالفة وعطية السالفة عليهم وعلى ابائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل
الى الانصاف وترك الجدال واما قوله لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي والاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل
بالعاقبة وهو على الله محال والجواب ان الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما
وطمعكما في ايمانه ثم الله عالم بما يؤول اليه امره وايضا من عادة الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لانجازها على
ان يقولوا عسى ولعل حينئذ لا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب او جاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا
يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق
عباده ليعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير و
التقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجح حال المرتجي بين ان يفعل
وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني على ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا

ليعبدون لا يا عبدوا وقيل لعل بمعنى كي ووجه بانها للاطماع والكريم والرحيم اذا اطمع فعل يجري مجرى وعد المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي
قال القفال في لعل معنى التكرير والتاكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد وكقولهم علك ان تفعل كذا وعل تفيد التكرير ومنه العلل
بعد النهل فقول القايل افعل كذا لعلك تظفر بالحاجة معناه افعله فان فعلك يوكد طلبك له ويقويك عليه **البحث الثاني** اذا كان
مفهوم العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تتقون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على
ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا صيروا اصحاب العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط وهو معنى الاتيان
بالاوامر واما قوله الذي جعل لكم الارض فراشا الاية فنقول فيه لفظ الذي مع صلته اما ان يكون في محل النصب بدلا من الذي خلقكم
او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على المدح ايضا اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه
بقضية معلومة فقول جعل الارض فراشا قضية معلومة فاذا دخل عليها الذي كان تنبيها للعلاج وتعريفا به والحاصل انه تعالى عدد
في هذا المقام عليهم خمسة دلايل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق اصولهم وثلث من الافاق وهي جعل الارض فراشا والسماء بناء والامور
الحاصلة من مجموعهما وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشياء الى الانسان
نفسه ثم ما منه منشاؤه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه ثم
السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من انزال الماء
عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني ادم وايضا خلق المكلفين احياء قادرين
اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فذاك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصول
مقدم على ذكر الفروع وايضا كل ما في السماء والارض من الدلايل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة
والقدرة والشهوة والعقل والملكات ووجوه الدلالة فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم وانسب وههنا مسايل الاولى في
منافع الارض الفراش اسم لما يفرش كالمهاد لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش
على ما ظن فسواء كانت كذلك او على شكل الكرة فالافتراش ثابت ولا مدفوع لعظم حجمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم
تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من
جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت ما يلي المركز فكما انه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك
لان ذلك هبوط وصعود ايضا الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة
من تحتها ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومن الله تعالى به على عباده في خلق الارض انه لم يجعل في غاية الصلابة كالحجر ولا
في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها وتاتى حفر الابار واجراء الانهار
ومنها ان لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف تستقر الانوار ويتسخن منها فيمكن جوارها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع
ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو قريب من ربعها ان لم تخلق صحيحة
الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث اذا انحدب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شيء منها مكشوفا وصار مجموع
الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها
للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في
الجنوب وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة فيستوي في ذلك راكب
البر وراكب البحر وسنو الجبال وان سمحت لا تخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في
استدارتها ومنها الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والاثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها
ومنها التجاذب الطبيعي فيحصل التماسك في ابدان المركبات ومنها الاختلاف في بقاعها في الرخاوة والصلابة والعذوبة بحسب اختلاف
الاغراض والحاجات وفي الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود
ومنها انضمامها بالنبات والارض ذات الصدع ومنها اخذ الماء المنزل من السماء فاسكناه في الارض ومنها
العيون والانهار والعظام المنبتة والارض مددناها والقينا فيها رواسي والسماحة تاخذ واحدة وثمر بسبعمائة كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة ومنها حيوتها وموتها وبها الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل
دابة ومنها النباتات المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها
دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر
نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية

فانظر

فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع
بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة
والصنايع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة
والسبب فيه ان معظم فايدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفايدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة
فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن هنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيمياء افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي
من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشد اليه الحاجة في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا من المنافع اكثر مما عددنا فاذا
تامل العاقل في هذه الغرايب والعجايب اعترف بمدبر حكيم ومقدار عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر الثانية في منافع السماء
البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او ابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا عليها خباء
جديدا ثم ان الله زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وبالعرش
العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وما يسطرون وسماها سقفا محفوظا
وسبعا طباقا وسبعا شدادا واذكر ان خلقتها اشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل الضياء والصفاء وجعل
لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير ونجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها
في ظلمات البر والبحر وفي الشمس طلوعها يسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبها يصلح منه الهدو والقرار
في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت
البرودة والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان
ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة مع تضادهما
متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الارض وههنا نكتة كان الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع
بناؤه على كوة الفقير فلا يصل الى الفقير لكني ادير الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه اما ارتفاع الشمس وانخفاضها
فقد جعل الله تعالى سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويستكثف
الهواء فيكثر السحاب والمطر وتقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية البواطن وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر
المواد المتولدة في الشتاء وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتتحلل فضول الابدان و
يجف وجه الارض ويتهيا للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فتدرك الثمار وتستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء
واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب وتنضبط المواقيت الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء
وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى
القمر وقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا اساله وانا اهديت الي سرورا فقد اهدى
اليك نورا ثم انشا يقول **شعر** ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر وقد كفيتني الاحصاء والجملا ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا
او قلت زانك ربي فهو قد فعلا وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدرك الهارب ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب
وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وساير الكواكب بالشمس وكمية حركاتها وبيان اختلافات
اوضاعها وعلل كل منها امر براسه لا يحتمل ايرادها ههنا قال الجاحظ اذا تاملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج
اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه
وضروب النبات مهيئة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل
وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثالثة في السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل لانها معبد الملئكة
وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما اتى ادم عليه السلام بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى لا يسكن في جواري من عصاني
وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وورد في الاكثر ذكر السماء مقدما على
ذكر الارض والسماويات موثرة والارضيات متاثرة والموثر اشرف من المتاثر وقال اخرون بل الارض افضل لانه تعالى وصف بقاعا
من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله مشارق الارض و
مغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فان قيل واي بركة في المفاوز
المهلكة قلت انها مساكن الوحوش ومراعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذا البركات قال وفي

الارض لايات للموقنين تشريفا لانهم هم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض منها خلقناكم وأودعهم فيها و
فيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم واولاد
ثم علم الله اصناف حاجاتهم قال يا ادم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي هي كالام فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي ان اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض
منهما هل كان يحصل منهما هذه المنافع ثم اني جعلت هذه الاشياء في الدنيا مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة والحاصل ان الارض لك
بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك الوانا من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم معناه نردكم
الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان مقامك من الام التي هي لذلك اضيق من مقامك من الارض ثم
انك كنت في بطن الام تسعة اشهر فما اصابك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما
كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا لله فحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا خرجت
اليها بالراس طاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته
ومشيته ان جعل الماء سببا لخروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشاء
نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما يتبصر بها من يستبصر ويتفطن لها من يعتبر ومن في من الثمرات للتبعيض
كما انه قصد تنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مفرد في سياق الاثبات فكانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل
الثمرات بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا ثم ان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا له
بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق وان اريد به العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به
كانه قيل رزقا اياكم وانما جمع الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك
فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة ولان القلة تضعف موضع الكثرة نحو ثلث قروء وتنبيها
على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الاخرة الخامسة قوله فلا تجعلوا اما ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان
العبادة اساسها التوحيد وان لا تجعل لله ندا ولا شريكا او بلعل فينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي نصب لكم هذه الادلة القاطعة والايات
الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل والا يقال الا للمثل المخالف المناوي من ناددت الرجل خالفته ونافرته
وند ندودا اذا نفر وقوله معنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يستدعيه ونفي ما ينافيه وقوله وانتم تعلمون ترك المفعول
معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش وكنانة لا يشق
غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه في امر دياناتكم من جعل الاصنام لله اندادا
هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون انه ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم
تعلمون لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه ليس في العالم احد يثبت شريكا يساويه
في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة لكن الثنوية يثبتون الهين حكيما يفعل الخير وسفيها يفعل الشر اما اتخاذ معبود سوى الله ففي
الذاهبين اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق هذه الكواكب وهي المدبرات في هذا
العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله والفريق الثاني عبدة المسيح عليه السلم والفريق الثالث عبدة الاوثان
فنقول لا دين اقدم من دين عبدة الاوثان لان اقدم الانبياء الذين نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلم وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الان والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة
لكن العلم بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض علم ضروري فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب
ان يكون لهم غرض اخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد البلخي ان كثيرا من اهل الصين
والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم ذو صورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا
عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الملائكة فيعتكفون على
عبادتها قاصدين بها طلب الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد المشبهة وثانيها ما ذكره اكثر العلماء
وهو ان الناس لما راوا تغيرات احوال العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب واعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها
في طوالع الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذاتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة

لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما راوا الكواكب
مستترة في اكثر الاوقات اتخذوا الها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى
اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا العبادة لتلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها
ان اصحاب الاحكام كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الف والفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت
على وجه خاص فانه ينتفع باحوال المخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الافات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم
انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ونسوا مبداء الامر بتطاول المدة واشتغلوا بعبادتها ورابعها
انه اذا مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله اتخذوا صنما على صورته وعبدوها
على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها العلهم
اتخذوها قبلة لصلوتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال
القوم انه يجب عبادتها وسادسها العلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل فهذه
الوجوه هي التي يمكن حمل مذهبهم عليها لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل الى ما يرجع حاصل مذاهب عبدة الاوثان الى
الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع تلنا لما تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة
على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة
لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يفيد بطريق عبادته الا الحنفية والاخلاص ورفع الوسايط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل
خروج الاسكندر عمدوا الى هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة و
قد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم للامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات
كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع
وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن يحيى لما ساد قومه بمكة وتراس على طبقاتهم
وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه اوثان نستنصر بها فننتصر و
ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يأتوا بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس
الى تعظيمه وذلك في ملك شابور ذي الاكتاف وعن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء و
خربه عثمان بن عفان رضي الله عنه ومنها نوبهار الذي بناه منوچهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل
لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب
للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن
عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق في قومه وهو يقول شعر اربا واحدا ام
الف رب ❊ ادين اذا تقسمت الامور ❊ تركت اللات والعزى جميعا ❊ كذلك يفعل الرجل البصير ❊

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

القراءة ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس يعرف مما مر الوقوف من مثله صادقين والحجارة على تقدير
هي اعدت للكافرين والوصل اجوز لان قوله اعدت بل الجملة الاولى في كونها صلة للكافرين التفسير لما ثبت بالايتين السابقتين
على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما نزل عليه وقد ذكر في
كون القران معجزا طريقان الاول انه اما ان يكون مساويا لكلام الفصحاء او زايدا عليه بما لا ينقض العادة او بما ينقضها والاولان
باطلان لانهم وهم زعماء الحوار وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين ومتفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا متهالكين في
ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل

فمن القسم الثالث الطريق الثاني ان يقال لا تبلغ السورة المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا
فامتناعهم عن المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك انه لن يعارض
في مستانف الزمان وان لم يعارض الى الان قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما في وقت التحدي والا لزم تقرير المبطل
المشبه للمحق وحيث لم يقع المعارضة وقتئذ علم ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجي واعلم ان
شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق
ومن فسر الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرا عن
التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب وبما ينخرط في سلك هذه الاراء فقد كذب ابن اخت خالته فانا نقطع ان
الاستغراب من سماع القران انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تاثيرا لا يمكن انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد معجزتي ان اضع الشاعر يدي على راسي ويتعذر ذلك عليكم وكان
كما قال جاز الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل وايضا تسمية كل اسلوب غريب معجز باطل وكذا تسمية كل كلام مبرا عن التناقض او مشتمل
على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القران بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزايد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه
المخلوقات باسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الا ان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه يثبت صحة النبوة لكن النبي صادق و
قد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلامه صفته يجب ان يكون في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقران اذن في غاية البلاغة ونهاية
الفصاحة والبلاغة وهي بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها
وهي فيما كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهي خلوص الكلام عن التعقيد
والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدري
من اين يتوصل وباي طريق معناه يحصل واما اللفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من
العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم اكثر وان تكون اجرى على القوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر منزهة عن الغرابة
سلسلة عن الاستكراه والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما يجمع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القران وجوه
كثيرة تقتضي نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة
العرب اكثرها في وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ملك او ضربة او طعنة او وصف حرب او وصف عادة وليس في القران
من هذه الاشياء مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرا عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا فان لبيد بن ربيعة
وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخييل ركت شعرهما ومنها ان كلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق في بيت
او بيتين من قصيدة والقران كله فصيح ككل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول
وكل مكرر في القران فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ومنها
انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الاخرة ولا يخفى ضيق
عطن البلاغة في هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى
عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقران جاء فصيحا في كل فن من فنون الكلام فانظر في الترغيب الى قوله فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الترهيب وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه
وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم
من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وفي الوعظ افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
وفي الالهيات الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
ومنها ان القران اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان وعلم الاحوال
وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القران وبلاغته فانه كان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر كما هو فوق البشر شعر
فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما اختير نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال
لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لانزله جملة واحدة وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اي على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا
فشيئا وحينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل
وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اقصر سورة وهي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل

على عبدنا

على عبدنا دون ان يقال على محمد صلى الله عليه وسلم كقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد تشريفا له صلى الله عليه
وسلم واعلاما بانه ممن يصح نسبة العبودية المامور بها في يا ايها الناس اعبدوا واو اضافة العبد الى الضمير ايضا تويد ذلك ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه ان السعادة في نسبة العبدية فهي التي توصل الى مقام العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر
انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي وكمال العبدية في كمال الحرية عما سوى الله واما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا
انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان افراز كل عن صاحبه احسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول
ونحوها ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخر كان انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا و
ثم جزء او القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحاذق اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة
مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة في
الصلوة بسورة تامة افضل من مثله متعلق بمحذوف اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما انزلنا او لعبدنا ويجوز ان
يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب والنظم الانيق او فاتوا ممن هو
على حاله من كونه بشرا عربيا واميا لم يقرا الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين كقول من قال للحجاج وقد توعد بقوله لاحملنك
على الادهم والاشهب مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم
يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه وعليه المحققون فيروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان
ذلك مطابق للايات الاخر فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع في المنزل لا في المنزل عليه اذ
المعنى وان ارتبتم ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول اقتضى الترتيب ان
يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فاتوا بسورة ممن يماثله وايضا لو كان عائدا الى القران اقتضى ان يكونوا عاجزين عن
الاتيان بمثله متفرقين اميين او قادرين ولو عاد الى النبي اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك
ان الاعجاز على الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقرير نقص للنبي صلى الله عليه وسلم وايهام ان الاتيان بالقران
عمن يكون قادرا ممكن وايضا الاول هو الملايم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد تثبيت واحد امي بنحو ما اتى به هذا
الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهو جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما الهتهم كانه قيل ان كان المراد كما
تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد دفعتم في منازعة محمد صلى الله عليه وسلم الى فاقة شديدة فعجلوا الاستعانة
بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها الهة ومن جهة ابطال ما انكروه من اعجاز
القران واما اكابرهم ووجوههم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة او ليحكموا لكم او عليكم ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه الشيء الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها بتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذلك اذا كان انحط منه قليلا و
دونك هذا اي خذه من دونك اي من ادنى مكان منك واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف و
العلم ومنه قول من قال لعدوه وقد كان يثني عليه رياء انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى
حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى
ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون
الله وزعمتم انهم يشهدون يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى
شعر تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك قدام الزجاجة والحال ان الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان
يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون
اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان
البلاغة تابى بهم الطباع ويجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد وعلى الثاني يحتمل معنيين ادعوا
من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة
دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة بصح بها التداعي عند الاحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم و
انخزالهم وان الحجة بهرتهم ولم يبق لهم متشبث غير قولهم الله يشهد انا صادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشي والحمد لله
فقيل له الحمد لله في هذا المقام ريبة والمراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس فكانه قيل لهم ادعوا الله غير
الله من الجن والانس من اردتم كقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله
دون كل شاهد واعلم ان التحقيق في التحدي هو ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنبوة

وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوني اهدكم سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذي اقدرني الله عليه
لله تعالى اياه على يدي وانتم لا تقدرون عليه لتعرفوا انى خصصت بمزيد فضل من عنده وانى صادق فيما اقول وان انصفوا
من انفسهم بمشية الله تعالى وتوره هدايته واتبعوه واهتدوا والا بقوا في الضلالة خاسين وكل هذا من عالم الاسباب التي ربطه
الله تعالى من الوقايع والحوادث حسب ما اراد ولا يلزم من هذا ان يكون للعبد قدرة مستقلة يقع التحدى عليها بل الله يهدى من
يشاء وكل بقيد وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فاتوا القوله وادعوا المعطوف عليه ويجوز ان يكون قيدا لقوله وادعوا لان قوله
فاتوا مقيد بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم صادقين في ان الصنم
تعينكم وفي ان القران غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام
ولهذا لم يلزم الفاء في قولك انت مكرم ان جئتني وانما يتقدم ما يدل عليه ومثل هذا في القران كثير فاعتبر في كل موضع واما قوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاية فاقول اولا انها تدل على اعجاز القران وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه احدها انا نعلم
بالتواتر ان العرب كانوا ابعادونه اشد المعاداة ويتهالكون في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من
اقوى ما يدل على ذلك فان انضاف اليه مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث
لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه صلى الله عليه وسلم ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف
عاقبة امره لتهمة فيه حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدى الى هذه الغاية وثالثها انه لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع
خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا وفي لن تاكيد بليغ
في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قال لان احدا لو عارضه لم يمتنع ان يتواتره الناس وبينا قلوه عادة لا سيما و
الطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين واذا لم تقع المعارضة الى الان غلب على الظن بل حصول الجزم انها لا تقع ابدا لاستقرار الاسلام
وقل شوكة الطاعنين وانما جي بان الذي دون اذا الذي للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم
وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه
بالغلبة على من يقاومه ان غلبتك لم ابق عليك وانما اختير قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله
طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحذف مفعول الفعل كثير دون مفعول اتى فهو جار مجرى الكناية التي يعطيك اختصارا
بعينك من طول المكنى عنه كالو قلت اتيت فلانا واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة
لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجى بالواو وبدون الواو وقد اجتمعتا في قوله وانه لقسم لو تعلمون
عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء النار لصقه وذميمة ترك العناد فوضع موضعه من حيث
انه من نتايجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه اذا اردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى يريد فاتبعوني و
افعلوا نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفايدته الايجاز الذي هو من حلية القران وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار
ولهذا شيع بتقطيع امورها والوقود ما يرفع به النار واما المصدر فهو مضموم وقد جاء فيه الفتح فان قيل صلة الذي والتي يجب ان
تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل
الكتاب وسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون اشارة الى النار التي نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك في سورة
التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة اولا والمعنى اتقوا نارا ممتازة
عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها تنفس ما يراد احراقه واحماؤه او بانها لا فراط حرها اذا اتصلت
بما لا يشتعل به نارا اشتعلت وارتفعت لهبها ولعل الكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل نفس بما يشاكله من
العذاب والحجارة وقيل هي حجارة الكبريت وقيل هي ما نحتوها اصناما كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا
فيها انها شفعاؤهم عند الله وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتوبيخا
لتغيظ مطلوبهم ونحوه ما يفعله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اى يمنعون حقوقهما حيث يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء في الحجارة لتاكيد التانيث في الجماعة نحو صقورة وقديد ومن في الخلد من هذه الاية
ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة ومن قوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هي الافئدة
اى وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مكفرا في درك ما خلق الانسان
لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما قعد العاطف لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت
هذه النار فقيل اعدت للكافرين

وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

الوقوف الانهار رزقا لان قالوا جواب كلما متشابها خالدون التفسير انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد
والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المومنين جريا على سننه المعهودة من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم
البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل هما مخلوقتان ام لا ظاهر الايات من نحو قوله اعدت للمتقين اعدت
للكافرين والاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم في صلوة الخسوف انى رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار فلم ار كاليوم
منظرا قط يدل على وجودها وكذا في حديث اسكن آدم وحوا الجنة وقد جمع الله تعالى في الاية جميع اللذات من المسكن وهو الجنات
ومن المطعم وهو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرات ثم ازال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون اتماما للنعمة والحضور
وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو
حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سرور بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه
البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوايل ضوئه واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف
هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهى يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهى انما المعتمد
بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين على جملة وصف عذاب الكافرين كما تقول يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو
والاطلاق ولك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وقال
بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القران مع وجود القرينة غير عزيز كقوله واذ يرفع
ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اى يقولان ربنا ثم المامور به في قوله وبشر اما الرسول صلى الله عليه وسلم واما كل من له
استهال ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال لام
بظهر الغيب تاتيني واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب
التكليف واستدل بهذه الاية من كان ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول
عطف بعض الاجزاء على الكل جايز لغرض من الاغراض كقوله وملئكته ورسله وجبريل وميكال ثم ههنا مذاهب منهم من قال ان
العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عذابا استحقاقا واجبا وهو على قول اهل السنة ولا يرد عليه الاشكال ومنهم
من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكباير وبالندم على ما اوجد من
الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وانما طوى ذكر هذا الشرط في الاية للعلم به فانه قد ذكر في
العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجرى
مجريهم ومنهم من ابطل القول بالاحباط لان من امن وعمل صالحا استحق الثواب الدايم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق العقاب الدايم والجمع
بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا اهل النار وانه من اهل الجنة
ويعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه و
التركيب داير على معنى الستر كانها فعلة من جنة اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاق العاملين
لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة
العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار من الاسناد المجازى لان الجارى هو الماء وكذا من تحتها اى من تحت
اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا روح فيها وصور لا حيوة
لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي
في علم المخاطب ويراد انها فعل التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الراس شيبا ويشار باللام الى الانهار المذكورة
فيها انهار من ماء غير آسن الاية وكلما رزقوا اما صفة ثانية لجنات او خبر مبتداء محذوف اى هم كلما رزقوا او جملة مستانفة
لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا يشابه فلهذا

فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اى اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن فى منها ومن ثمرة
لابتداء الغاية كما لو قلت رزقنى فلان فيقال من اين فيقول من بستانه فيقال من اى ثمرة فيقول من الرمان فالرزق قد ابتداء من الجنات
والرزق من الجنات قد ابتداء من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير لان المراد النوع من انواع
الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنا
الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع من التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنا
فان ذلك انما يكون بنوع التفاح اولا وبالذات وبتشخصه ثانيا وبالعرض لان التشخص امر زايد على حقيقة الشئ فاعلم وانتصاب
رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذى اى هذا مثل الذى رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفه رحمهما الله لان ذات
الذى رزقوا فى الجنة لا يكون هى ذات رزقوه فى الدنيا والضمير فى قوله واتوا به يرجع الى الرزق فى الدنيا والاخرة جميعا
لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين والغرض فى تشابه ثمر الدنيا وثمر الاخرة ان الانسان
بالمالوف انس والى المعهود اميل وانه اذا ظفر بشئ من جنس ما سلف له به عهد وراى فيه مزية ظاهرة افرط ابتهاجه وطال التعجب
وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصروا الرمانة والنبقة فى الدنيا وحجمها ثم ابصروا رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما
يرون الشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل وازيد فى التعجب من ان يفاجوا ذلك الرمان وذلك
النبق من غير سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الامر فى ظهور المزية
وكمال الاستغراب فى كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت
مكانها اخرى وانهارها تجرى من غير اخدود والعنقود اثنا عشرة ذراعا ويجوز ان يعود يرجع الضمير فى واتوا به الى الرزق كان
هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا فى نفسه اما التساوى ثوابهم فى كل الاوقات فى القدر
والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص واما الانسان اذا التذ بشئ واعجبه لا يتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاوه بما يشبه الاول
من كل الوجه فكان ذلك نهاية اللذة وعن الحسن ان الاشتباه فى اللون فقط قال يوتى احدهم بالصحفة فيا كل منها ثم يوتى بالاخرى
فيقول هذا الذى او تيناه من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده
ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئتها الاولى
قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة ليس الا معرفة الله وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية
وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمراة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل فى الدنيا
ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لكن العلايق البدنية فاذا زال العلايق بعد الموت وشاهد تلك المعارف قال هذه هى التى
كانت حاصلة لى فى الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال اهل التحقيق الجنة جنة الوصول الى بحار الملكات الحميدة والاخلاق
الفاضلات والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشارات والالهامات وغيرها من المواهب وانهم يوتون
احوال الاشتى فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذى شاهدته قبل هذا فيكون
الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقته اخرى كما ان موسى عليه السلام شاهد نور الهداية فى صورة نار فيكون نارة ملكا نارا
صفة غضبه كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا ونارة تكون نار المحبة تقع فى محبوبات النفس فتحرقها ونارة
تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شئ له صورة فى الدنيا فله فى الاخرة معنى
اخر غيبى كقوله صلى الله عليه وسلم فى دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم وقوله واتوا به متشابها جملة معترضة
تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لاسيما
التى تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وهما لغتان فصيحتان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى وجماعة
ازواج مطهرة وفى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فيما لو قيل طاهرة وهى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل
المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهى ان المراة اذا حاضت فالله تعالى يمنع من مباشرتها قال فاعتزلوا النسا
فى المحيض مع انها معذورة بتحيضها فاذا كانت اللواتى فى الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن اذا كنت نجسا بالمعاصى مع انك غير معذور
فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع الدخول فى المسجد الذى يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف
يمكن من دخول الجنة التى لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج آدم منها بسبب الزلة الحمادة عنه وايضا من كان
على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته او يستكره فكيف بمن على قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصى والخلد عند المعتزلة
الثبات الدايم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فنفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنكم من يرد
الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التابيد داخلا فى مفهوم الخلد كان قوله تعالى
خالدين فيها ابدا تكرارا ويقال فى العرف حبسه حبسا مخلدا او وقف وقفا مخلدا والحق ان خوف الانقطاع ينغص النعمة وذلك لا يليق
باكرم الاكرمين وهو اعلم

ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين
امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا
اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون

الوقوف فما فوقها من ربهم للتفصيل بين الجمل مثلا لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتداء اخبار
من الله عز وجل جوابا لهم ويهدى به كثيرا الفاسقين لان الذين صفتهم ميثاقه لعطف المتفقين فى الارض الخاسرون
التفسير لما بين كون القران معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا فى ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب
الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعنى قولهم مثلهم كمثل الذى استوقد نارا او كصيب قالوا الله اعز واجل واعلى من ان يضرب
الامثال فانزل الله هذه الاية وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت
اليهود وقالوا ما يشبه هذا الكلام فنزلت والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهايم والطيور
واجناس الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم سيرة فى حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجراء
من الذباب واضعف من البعوضة وكلفتنى مخ البعوض ولقد ضرب الامثال فى الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان وحبة الطا
البر وكحبة خردل والمنخل والحصاة والارضة والدود والزنابير قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع فى
قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد
الزراع يا سيدنا اليس حنطة جيدة نقية زرعت فى قريتك فقال بلى فقال فمن اين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا
الزوان تقلعوا معه الحنطة دعوهما يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما
ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وافسر لكم ذلك الرجل الذى زرع الحنطة هو ابو البشر والقرية هى العالم والحنطة
الجيدة النقية هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله والعدو الذى زرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصى التى يزرعها
ابليس واصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنوا اجالهم فيحصد واهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية
وكان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون من ملكوته المتكاملين وجميع عمال الاثم فيلقونهم
فى اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار فى ملكوت ربهم من كانت له اذن فليسمع واضرب
لكم مثلا اخر يشبه ملكوت السموات رجلا اخذ حبة الخردل وهى اصغر الحبوب فزرعها فى قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت
كاعظم شجرة من البقول وجاء طير السماء تعشش فى فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله اجره وعظمه ورفع ذكره ونجا به
من اهتدى وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل فى صدوركم
وقال قلوبكم كالحصاة التى لا تنضجها النار ولا يلينها الماء ولا ينقصها الرياح وقال لا تدخروا ذخايركم حيث السوس والارضة فتفسدها
دواب عليها لباسها وهنالك رزقها وهن لا يغزلن ولا يحصدن ومنهن ما هو فى جوف الحجر الاصم وفى جوف العود يا تيهن بلباسهن
وارزاقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم هذا ونحن نرى ان الانسان
يدرك معنى يلوح كما ينبغى فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف ذلك ان من طبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن
مع منازعة الخيال واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثانى يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة
البيان والوضوح وجب ذكره فى الكتاب الذى انزل تبيانا لكل شئ ان الله تعالى هو الذى خلق الكبير والصغير وحكمته فى كل

ما خلق وبراء عامة بالغة وليس الصغير احب اليه من الكبير ولا الكبير اصعب اليه من الصغير والمعتبر اذن ما يليق القصة فاذا كان
اللايق بها الذباب والعنكبوت لخسة مضرب المثل ووهنه فكيف يضرب بالفيل ويبني مستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يعني على
من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم شعر وكم من عايب قولا صحيحا وافته من الفهم السقيم
والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اشتكى
النساء والحشى وكان الحي وصار منتقص القوة منكسر الحيوة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان مثال هذه الصفات انما تطلق على الله تعالى
بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادي كحديث سلمان رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حي كريم يستحيي اذا
رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد بترك من يترك رد المحتاج اليه
حياء منه ومعنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة
في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام
شعر من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل فلولا اباء الدار لم يصح بناء الجار وقد استعير الحياء فيما لم يصح فيه شعر
اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد يصف كثرة مياه الامطار في طريقه انه ايما ذهب راى الماء فكانه يعرض
نفسه على النوق فتستحي فتكرع فيه مسافر كانها السبت وهو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبهه وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد
وفيه لغتان استحيت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اتخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد
اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم اي مثلا حقا او البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك انما يضرب
به المثل قد يسمى مثلا كما يقال حاتم مثل في الجود او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدم عليها او انتصبا مفعولين لجري ضرب مجرى
جعل والبعوض في اصله صفة على فعول من البعض القطع فغلبت ومنه بعض الشي لانه قطعة منه وفي معناه البقّ والعصب ومن
غرايب خلقه انه مع صغره اعطي كل ما اعطي الفيل مع كبره ففيه اشارة الى ان خلق احدهما ليس باصعب من خلق الاخر واشارة الى حاله
الانسان وكمال استعداده كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اي على صفته فاعطاه على ضعفه من كل صفة من صفات
جلاله انموذجا ليشاهد في مراة نفسه جمال الصفات ربه ومن العجايب ان خرطومه في غاية الصغر ومع ذلك مجوف ومع فرط صغره وكونه
مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله تعالى في راس خرطومه من السم وقوله
فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا تمثيل الله بهذه الاشياء او اراد فما فوقها
في الصغر كجناح البعوض حيث ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وهذا اولى لان الاية نزلت في بيان ان الله تعالى لا يمتنع
من التمثيل بالشي الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول والفاء ههنا تفيد الترتيب في الذكر لانه يذكر في هذا المقام الاخس
فالاخس كقوله شعر يا دار مية بالعلياء فالسند لانه يذكر في تعريفها الامكنة الاخص بعد الاعم فكان العلياء موضع وسيع
يشتمل على مواضع منها السند واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفايدته التوكيد يقال زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد
وان الذهاب منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شي فزيد ذاهب وليس مراده من هذا التفسير
اما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصد الى المعنى البحت اي ان لم يكن في الدنيا شي لم يوجد ذهاب زيد فهذا جزم بوقوع
ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اي شي في الدنيا وما دامت الدنيا فيه فلا بد من حصول شي فيها ففي ايراد الجملتين مصدرتين
وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين رميهم
بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره حق الامر ثبت ووجب والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وماذا فيه وجهان
ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتداء وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا
فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله وجوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب ويجي على العكس كما تقول
في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام
الرازي الارادة ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته والمه ولذته فالمتكلمون
قالوا انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي الجايز على الاخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا
فالجاحظ والكعبي وابو الحسين البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي او الصارف
والاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما انها صفة زايدة في العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول واما
ان تكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون قديما وهو القول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قايما بالله تعالى وهو قول

الكرامية او قايما بجسم اخر ولم يقل به احد او موجودا لا في محل وهو قول ابي علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا
استرذال واستحقار كما قالت عايشة رض في عبد الله بن عمرو بن العاص حين افتى بنقض ذوايب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو هذا
محقرة له ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على
الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان اهل الهدى كثير في
انفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فالمهديون كثير
في الحقيقة وان قلوا في الصورة شعر ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا فاسناد الاضلال الى الله تعالى
اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم فتسبب لهداهم وزادت الكفرة رجسا الى رجسهم
فتسبب لاضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة شعر فواسقا عن قصدها جوايرا يذهبن في نجد وغورا غايرا
والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند
المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في
الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل شهادته ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجوز خلفه ويقال
للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمال في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اللمز والتنابز ان المنافقين
هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل
الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العالم بانه بحر وسكت
عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شي من لوازمه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا اوصاه ووثقه عليه والمراد بالناقضين
اما كل من ضل وكفر لانهم نقضوا عهدا ابرمه الله باراءة اياته في الافاق وفي انفسهم وبما ركز في عقولهم من اقامة البينة
على الصانع وعلى توحيده وعلى حقيقة شرايعه بعد ازاحة العلات وازالة الشبهات واما قوم من اهل الكتاب قد اخذ عليهم العهد والميثاق
في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم امره وامر امته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته
وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الذي اخذ على جميع ذرية آدم واذ اخذ ربك الاية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة
ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسم لما تعقدوا به
عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق الله به عهده من اياته
وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل اما قطيعة ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم او
قطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض و
كفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه
من يتولاه شبه بامر يامر به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به والامر حرف واحد هو اللازم الجازم
نحو ليفعل وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب
وغيره من الندب والاباحة يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور او الجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر
تقديره بان يوصل اي بوصله والافساد في الارض اما اظهار المعاصي واما التنازع واثارة الفتن واولئك هم الخاسرون لانهم
استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ۝ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شي عليم ۝

القراءة فاحياكم وبابه بالامالة علي ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القران يعقوب وهو وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلي

وابو عمرو **الوقوف** فاحياكم للعدول اي هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون سموات عليم **التفسير** هذه الاية
مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيتولد بمعونة قرائن الاحوال ما
ذكرنا ومن جملة هو ان الكفار حين صدور الكفر منهم لا بد من ان يكون على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالث فاذا
قيل لهم كيف تكفرون بالله ومن المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين سائر الاحوال الكافر بالعلم بالصانع
والجهل به لانه لا يمكن تصور الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله او جاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة كالقعود والقيام
والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك العلم بالصانع او الجهل
به في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام او في حال العلم بالله تكفرون ام في حال
الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال بهذه القصة وهي انكم كنتم امواتا فصرتم احياء وسيكون كذا وكذا من الاماتة
ثم الاحياء ثم الرجوع اليه فينبغي ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عمن له صورة اختيار في
الترك مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ وكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي ان كنتم
امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم اباكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا يشك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم
حين ينفخ في الصور او حين تسالون في القبور ثم اليه اي الى حكمه ترجعون اي بعد الحشر للثواب والعقاب او من قبوركم وهذه القضايا
ايضا مما لا يشك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز
ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد بخمول الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا قال ابو نخيلة السعدي **شعر** واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض ولا يخفى ان
الاية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلاث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثم بعثناكم
من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم واتيناه اهله ومثلهم معهم واعلم ان هذه الاية دالة على امور منها
اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر الحي العالم السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على ان لا قدرة على الاحياء
والاماتة الا الله فيبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع البينة على الدليل العقلي
الدال عليه لان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب
الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اي يعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه
لا يترك على هذا الموت بل لا بد من حيوة ثانية للسوال او للحشر ثم من الرجوع اليه للثواب او العقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة
فاحياه وصوره احسن صورة وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور و
القصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بان يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا عبرة ويبقى مدة مديدة
في اللحود ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون
شعر يمر اقاربي بجنباء قبري كان اقاربي لم يعرفوني الهي اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاخية وجوهنا جائعة بطوننا
مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيمة سوآتنا فلا تضعف مصايبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين
بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الاية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها بذكر ما هو
كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم
من النظر في عجايب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكير بالاخرة وبثوابها وعقابها لاشتمالها على اسباب
الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران
والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وظاهر الاية لا يدل الا على خلق ما في الارض لاجلهم دون
الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد بها الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما
فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اي مجموعة والمجموع الذي من جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشيء الواحد
ويندرج فيه جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنائع والحرف وبعضهم
يستدل بها على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان ينتفع بها ويستنفع بها ويمكن ان يقال بهذه الاية والا كان تصرفا
في ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بغرض فانه ان كان لا يخلو من فائدة
وغاية والا كان عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية علية فاعلة لان هذا فيما اذا كانت فاعلية ناقصة تستكمل بتلك
الغاية اما اذا كانت فاعلية تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان يكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق تنبه له

من نبه عليه قيل انه تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا قابل الكل بالكل فيقتضي مقابلة الفرد بالفرد والتعيين
يستفاد من دليل منفصل والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وايضا ثم تقتضي
التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا اولا ولم يكن متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل
وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه
استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد ما خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر و
المراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق وهذا كقولك لا تخرج من هذا الثوب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواها
سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها قصدا
خلقا آخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر وكقوله
ثم كان من الذين امنوا وتفسير هذه الاية في قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين وتقدير الاقوات
في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك هذا القدر ثم استوى الى السماء في يومين
اخرين ومجموع ذلك ستة كما قال خلق السموات والارض في ستة ايام فان قيل اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلنا اجاب
في الكشاف لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة
الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله
كانتا رتقا وهو الالتزاق وزيف بان الارض جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قول الله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوى الى السماء يدل على ان خلق الارض وخلق ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة
وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية
السماء مقدمة على خلق الارض وزيف بان قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها و
الارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها مقدما على تدحية الارض بل على خلقها لانهما متلازمان وحينئذ يعود
التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله ان تقول لغيرك الست قد
اعطيتك نعماء عظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت عنك الخصوم ولعل ما اخر في الذكر مقدم في الوقوع قلت وهذا صحيح معقول
من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة في انه تعالى خلق الارض اولا في
غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال وصنع فيها البركة وقدر الاقوات في اربعة ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات ثم دحى الارض وجعلها
اعظم مما كانت عليه كهيئتها الان والله تعالى اعلم والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام
ثم البيان ثانيا ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان الحصول بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء
في معنى الجنس ولهذا جمع سماء فالوجه العربي هو الاول ومعنى فسويهن عدل خلقهن وقومه واخلاه من العوج والفطور واتم
خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثمة خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات وكما المصالح
مقتضى الحكمة والتدبير وهذا تمام الدليل [illegible] وبرهانه [illegible] من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه لو لم يعرف تفاصيلها لم يمكن
خلقها على هذا بغاية الاتقان والاحكام فسبحان من لا يخفى عليه مثقال ذرة في الاجواف والذرة في الاصداف والقطرة في البحور والخطوط
في الصخور [illegible] ان النقل قد دل على وجود سبع سموات وتخصيص عدد بالذكر
لا يدل على نفي الزائد [illegible] اهل الارصاد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

سمعا وما يعلم [illegible] الا هو [illegible] وما هو الا ذكرى للبشر والله اعلم

واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا

أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون

القراءة خليفة واشباهها بالامالة عند الوقف ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة وفريضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقه واما العين والحاء والراء فعلى اختلاف من اهل المدينة فاشدهم امالة حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب اني اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو **الوقوف** خليفة بناء على ان عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عاملا اذ وصل الدماء لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح يقتضي الوصل ونقدس لك ما لا تعلمون **التفسير** هذا ابتداء الاخبار عن كيفية خلق ادم عليه السلام وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط على سلك ما تقدمه من النعم فان النعمة على الاباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرفية اي اذكر وقت قول ربك كقولك واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل واحد من بني ادم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازات والملائكة جمع ملاك واصلها ملاك بتقديم الهمزة من الالوكة والرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملائك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت الهمزة المفردة لكثرة الاستعمال والقيت حركتها على الكاف والحاق التانيث للجمع نحو حجاجة وقد لا يلحق واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف والعلية وان كان بعده في عقولنا واذهاننا واذ جعل الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة وقدم ذكر الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف عالم السفلي بوجود الانبياء فيه وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب منهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وهو قول المتكلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين تولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هي النفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما نسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس الى الاضواء فمنها نفس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة الاثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان بجالينوس وجع في الكبد فراى في المنام كان امرا يامره ان يفصد الشريان الذي على ظهر الكف اليمين بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء عليهم السلام في اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني ادم عشر الجن والجن وبنو ادم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وكلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة سماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة سماء الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادقات الواحد من السرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما فانها كلها تكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين اشياع اسرافيل والملائكة الذين هم جنود جبريل وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادته ولا يسامون وانما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك

فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبريل صاحب الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة ومنهم الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني ادم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنته ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان معناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم ثم اما لانه صار خليفة لاولئك الجن المتقدمين ويروى ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن عباس والسدي وعن الحسن ان المراد بالخليفة ابناء ادم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض وانما وحد بتاويل من يخلف وخلفا يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات ولا يخلفه شيء منها اذا لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكوة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفاء القلب العقل ولو لم تمسسه نار النور في مصباح السر فيه الخفي اذا استنار مصباح بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرافة والرحمة واللطف والقهر ولا نظير عن الصفات لاعلى الملك فاعلم الغاية في اخبار الملائكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسالوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا واعلم ان الجمهور من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وذلك يتناول جميع المامورات واجتناب المنهيات لان المنتهي مامور بتركه الا ويدخل فيه بدليل صحة الاستثناء وايضا لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الايات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل فيها والاعتراض على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني ادم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا والعذر دليل الذنب وايضا قوله لهم ان كنتم صادقين دل انهم كانوا كاذبين فيما قالوا وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا يعلمون ما تعالى بذلك علم في كل المعلومات وايضا علمهم بالافساد وسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد والا لكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم وايضا قصة هاروت وماروت وقالت ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله تعالى ان غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الانكار على الله بل تنبيه الله على ذلك لا [illegible] المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم راى فعلا لا يهتدي الى وجه الحكمة فيه استفهم عنه كانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فما ابلغ حكمتك ومنها ان ابداء الاشكال طلبا للجواب غير محذور الحكيم لا يفعل السفه البتة وكيف السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلال بعض ان الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى كما هو مذهب اهل العدل فكانوا اضافوا الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم

ونفت السفه الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح والتسبيح تنزيه ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها
وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملئكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى بقوله انى اعلم ما لا تعلمون اى من الخيرات الكثيرة
التى لا يتركها الحكيم لاجل الشرور القليلة وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد
المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها ان قولهم اتجعل مسئلة منهم ان يجعل الارض او بعضها لهم ان كان صلاحا
نحو قول موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء اى لا تهلكنا فقال تعالى انى اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم وصلاح هولاء فبين ان الاختيار لهم السماء
ولهولاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير شعر الستم خير من ركب
المطايا اى انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب
والحكمة فقال تعالى انى اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل فانا اعلم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التى تقتضى
ايجادهم وفيه ان استحقاق ملك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه غنى عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية
المذنبين والجواب عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة ومن
العجب انه مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا واما بنحمة ربك فحدث قالوا اما سألنا للقدح في حكمتك فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل
لطلب وجه الحكمة وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان اولى ويروى عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق
آدم اخفى الكلام بين الجماعة همسا الملائكة فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق
آدم وفضله عليهم وعلمه الاسماء كلها قال انبئونى باسماء هولاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا
الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملئكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم
قالوا ظنا لما انهم قاسوه على حال الجن الذى كانوا قبل آدم في الارض وهو مروى عن ابن عباس والكلبى واما لانهم عرفوا خلقه
وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التى منها الفساد والغضب الذى منه سفك
الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة انى جاعل في
الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند
ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وانه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا
فيها وسفكوا الدماء وانه لما كتب في اللوح ما هو كاين الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك ولان الخليفة اذا كان المرا
به في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وجود
الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله النار خافت الملئكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال لمن عصانى
من خلقى ولم يكن يومئذ خلق الا الملئكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال انى جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية
منهم تظهر واما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجئ الكلام فيها واختلف الناس في ان الملئكة لهم قدرة على المعاصى
والشرور ام لا فالفلاسفة وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين
لان قولهم اتجعل اما معصية او ترك اولى وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم وهذا يقتضى كونهم مزجورين وقال لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على
الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله فيمتنع تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والواو في ونحن نسبح للحال
كقولك احسن الى فلان ونحن احق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذا التقديس من سبح بالماء وقدس في الارض اذا
ذهب فيها وابعد والتبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفى المكان المستلزم لنفى الجسمية والعرض والضد والند واما في الصفات
بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب
المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون انا الغنى من الكل سبحانه
هو الغنى انا الذى عن كل شئ سواى فهو تحت قهرى وتسخيرى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ انا المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه
ان يكون له ولد انا الذى اخلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذى سخرت الانعام القوية للبشر
الضعيف سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذى اعلم لا بتعليم المعلمين ولا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا انا الذى اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح ومن آناء
الليل فسبحه واطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء
فسبح لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ايها العبد واظب على تسبيحى وسبحوه بكرة واصيلا والا فالضرر يعود اليك فان

استكبروا

استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون يسبح له الحجر والمدر والرمال والشجر والدواب
والليل والنهار وهى لا يسامون والظلمات والانوار والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام
يسبح لله ما في السموات والارض وان من شئ الا يسبح بحمده ايها العبد انا الغنى عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء
فلا حاجة بها الى ثواب التسبيح ولا اضيع ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
باطلا لكنى اوصل ثواب هذه الاشياء اليك ليعرف ان من اجتهد في خدمتى احمل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من
في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرنى بالعبودية لينتفع به لا فى سبحان ربك رب العزة فانك اذا
ذكرتنى في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما اقرضنى وان كنت انا الغنى
حتى ارد الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه له لا حاجة لى الى العسكر ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن اذا
نصرتنى نصرتك ان تنصروا الله ينصركم واخدمونى يا ايها الناس اعبدوا ربكم لا لانى احتاج الى خدمتك فانى انا الله الملك ولله ملك السموات
والارض ولكن اصرف عمرا قصيرا لتنال ملكا كبيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم قوله بحمدك في موضع الحال اى نسبحك ملتبسين بحمدك
فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الكلام افضل فقال ما اصطفى الله للملئكة
سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية
قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحى الذى
لا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح اى نصلى والتسبيح الصلوة وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا
ابتغاء لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة في انوار معرفتك انى اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا
ولا تغتموا بان فيهم من يفسد ويسفك فانى اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم ابليس وفى قلبه من الكبر والحسد
والنفاق ما فيه انكم لما وصفتم على انفسكم بهذه المدائح فانتم في تسبيح انفسكم لا في تسبيحى اصبر حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدنى
ثم يخشون يرعون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية
ربهم مشفقون والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وادخلنى برحمتك في عبادك الصالحين واعلم من المصالح في ذلك
ما هو خفى عليكم ولكم في هذا الاجمال ما يغنيكم من التفصيل فان افعالى كلها حكمة ومصلحة وان خفى عليكم وجه كل واحد على انه
قد تبين بعض ذلك لهم في قوله عز وجل

وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ● قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ● قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ●

القراءة انبئونى وكذلك خاطئون وخاسئين وفمالئون ونحن المستهزءون وليطفئوا وليواطئوا ومتكئين وقال استهزءوا ومتكأ ويستنبئونك وبابه برئا وبرءون وبابه كهيئة واشباه ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وهؤلاء بغير الواو والمد يزيد ويعقوب واوقيه ومصعب عن نافع قالون قال ابو اسحق هما كلمتان لا يمدها ويمدا ولاء وهؤلاء بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وقرأ ابو عمرو والبزى من طريق الهاشمى بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية وكذلك في المفتوحتين والمضمومتين وعن نافع تليين الاولى واثبات الثانية وكذلك في المضمومتين واما في المفتوحتين فكابى عمرو وابنهم عن ابن عامر روايتان بهموزة مكسورة الهاء الباقون بهموزة مضمومة الوقوف صادقين علمتنا الحكيم انبئهم باسمائهم لمكان فاء التعقيب بما بهم لان قال جواب فلما تكتمون التفسير وفيه ابحاث البحث الاول الاشعرى والجبائى والكعبى على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى

خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعاني وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني بدليل قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا يدل على ان الملائكة وادم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقراين كالاطفال فقال الهمه وبعث داعيه على الوضع ومثل علمناه صنعة لبوس اي الهمناه والمراد علمه ما سبق من الاصطلاحات قوم كانوا قبل واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على ان المراد بالاسماء المسميات قلنا تعليم المسميات غير معقول فان المراد اسماء المسميات وعوض الالف واللام عن المضاف اليه كما في قوله واشتعل الراس اي علمه اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد ادم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق كل ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد بلغة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا ساير اللغات ثم لا يبعد بل ينبغي ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فان كان من السمة فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء فان العلم بالدليل قبل العلم بالمدلول وانما قلنا ينبغي ذلك لان الفضيلة في معرفة حقايق الاشياء اكثر من الفضيلة في معرفة اسمائها من الحقايق ما يتوقف ادراكها على آلة تدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لادم تلك الالات وقد عرفها بها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربي لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتي لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل ان حصل التعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقايق الاشياء فالعقل متمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ الذكور لان في جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب الكامل على الناقص والتذكير على التانيث ومن الناس من تمسك بقوله انبئوني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين اي في اني لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اي في قولكم انه لا شيء مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل علموني باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين في ذلك الاعلام وقيل اخبروني ولا تقولوا الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوكيد لما هم عليه من القصور لانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يخبروا واعلى الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطاهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا فاذا لم تعلمنا ذلك فكيف نعلمه او انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم يفسدون في الارض فقلنا لك اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك نسبحك تسبيحا اي ننزهك تنزيها وهو مصدر غير متصرف اي لا يستعمل الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية واذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجري في الاعيان تجري في المعاني قالت المعتزلة هنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالآية على انه لا سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلة اذا فسرت التعليم بوضع الدليل فعندي حركات النجوم دلايل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك تعليم ادم الحكيم بهذا الفعل الصيب فيه وعن ابن عباس انه اراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي يجعل ادم خليفة في الارض وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط واشرح فيندرج فيه علمه باحوال ادم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله ما كنتم تكتمون ما اسر ابليس في نفسه من الكفر والكبر وان لا تسجد وقيل لما خلق ادم رات الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلا يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسره منهم قائله بعضهم لبعض واسره عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى

البحث الثاني

قالت المعتزلة ما ظهر من ادم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء والى من توجه التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابرهيم الى لوط عليهما السلام واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات اولا فان علموا فقد قدروا على المعارضة والا فكيف عرفوا ان ادم اصاب فيما ذكر اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا وان ادم عرض

عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا ويقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من ادم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق آدم والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات او من باب الارهاص وهما عندنا جائزان القاطعون بانه عليه السلام ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليه يوجب الطرد والتحقير فوجب ان تكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هي الاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون رسولا الى الاشرف والمرء الى قبول القول ممن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء وانها عرفت التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان في السماء احد من الجن

البحث الثالث في فضل العلم

لو كان في الامكان شيء اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل ادم بذلك الشيء ومما يدل على فضيلته الكتاب والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك ما يروى عن مقاتل ان الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ولقد آتينا ابرهيم الكتاب والحكمة ورابعها القرآن يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم اي العلماء في اصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم جعلهم في الآية في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون آمنا به وبشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما وبالبكاء والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبالخشية انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة له وبني بكل قدم مدينة في الجنة له ويمشي على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا له فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحمة الله على خلفائي فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلى الله عليه وسلم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحور وعن ابي هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم من العلماء فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد بسبعين درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها والعابد يقبل على عبادته لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه حين بعثه الى اليمن لان يهدي بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وتغرب وعن ابن مسعود مرفوعا من طلب العلم ليحدث ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن ابن عامر الجهني مرفوعا يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء يوم القيمة لا يفضل احدهما على الاخر وفي رواية فيرجح مداد العلماء وعن واقد الليثي ان النبي صلى الله بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر فاما احدهم فراى فرجة في الحلقة فجلس اليها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع وفر فلما فرغ من كلامه قال الا اخبركم عن النفر الثلثة فاما الاول فاوى الى الله فآواه الله اليه واما الثاني فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فاعظم بمرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله

الحوايج فاسالوها الناس قيل يا رسول الله ومن الناس قال اهل القران قيل ثم من قال اهل العلم قيل ثم من قال صباح الوجوه قال
الراوي و المراد باهل القران من يحفظ معانيه وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما او متعلما او مستمعا او محبا و لا تكن الخامس فتهلك
قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وساير الناس همج لا خير فيه ان
المستمع و المحب بمنزلة وما احسن قول بعض الاعراب لولده كن مستمعا عالما او ذيبا خالسا او كلبا حارسا واياك ان تكون
انسانا ناقصا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحدث انسانا فاوحى الله تعالى اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه
الا ساعة وكان هذا وقت العصر فاخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلني على وفق عمل
في هذه الساعة قال اشتغل بالتعلم وقبض قبل المغرب قال الراوي ولو كان شى افضل من العلم لامره النبي صلى الله عليه وسلم به في
ذلك الوقت واما الاثار فان مصعب بن الزهير قال لابنه تعلم العلم فانه ان يكون لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان
لك مالا وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله وبامر الله
كمثل الشمس لا تزيد ولا تنقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له
وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا
يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى وهو المستغرق في المعارف
الالهية غير متفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله
كمثل السراج تحرق نفسه ويضيء غيره وقال سفيان الناس يقومون بين مجلس على ثلثة اصناف وذلك اني افسر القران فاولى
عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يذنب كان مومنا مخلصا
وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقيل صلوة العصر والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر و
الضحك خلف الجنازة والضحك في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم ارق بالتلميذ من الاب والام لان الاباء والامهات
يحفظونهم من نار الدنيا وافاتها والعلماء يحفظونهم من نار الاخرة وشدايدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول
وقلب عقول وقال بعضهم سل مسئلة الحمقى واحفظ حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان زينت بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الامراء
وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه بجنب العلم
وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة وجاء بالخيانة فركزه فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب
النصيحة وقال علي كرم الله وجهه العلم افضل من المال بسبعة اوجه العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة
والمال ينقص المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره المال يحصل للمومن والكافر
والعلم لا يحصل الا للمومن جميع الناس يحتاجون في امر دينهم الى صاحب العلم ولا يحتاجون الى صاحب المال العلم يقوي الرجل عند المرور
على الصراط والمال يمنعه منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيا فله سبع كرامات ينال فضل المتعلمين
وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده فاذا خرج من مجلسه طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم فنزلت الرحمة عليهم
حصل له نصيب وما دام يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون في زمرة انا عند المنكسرة قلوبهم
لاجلي واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق ينفر عن الفسق ويميل الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منه
وان كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسوال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة
نفر سبعة اشياء علم ادم الاسماء كلها وعلم ادم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني
من تاويل الاحاديث وعلم داود علم صنعة الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير وعلمنا منطق الطير وعلم عيسى
التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم
فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر سببا لوجود تلميذه مثل موسى ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان
لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن امه وعلم محمد صلى الله عليه وسلم لوجدان الشفاعة فمن علم
اسماء المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام قولا من رب رحيم والخضر علم الفراسة يجد
صحبة موسى فامة محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الحقيقة لا يجد من صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و
ويوسف بتاويل الرويا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتاويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وايضا فان
يوسف ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسر الكلامه ومبينا
لنفسه ووارثا لنبيه وداعيا لخلقه وواعظا لعباده وسراجا لاهل بلاده وقايد الخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه كما جا

في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء روي عن نافع بن الازرق
قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الماء الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها قال نافع الفخ يغطى له باصبع
من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر وقال لولده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروة وانس في
الوحشة وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسايل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس و
كمال للشريف وجلال للملك وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا يقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد ان يخدمك في ساير الاشياء
بل تخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه وقيل له لا تسمع فسد اذنيه وقيل له لا تكلم
فوضع يده على فيه فقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا
عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يكن ان يعتذر منه ولا ترفع شكايتك الا الى من ترى عندك حتى تكون حكيما فاضلا
ولبعضهم افة الزعماء ضعف السياسة وافة العلماء حب الرياسة واما النكت فالمعصية عند الجهل لا يرجى زوالها وعند الشهوة
يرجى زوالها انظر الى زلة ادم فانه بعلمها استغفر والشيطان عصى وبقي في التي ابدا لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف لما صار
ملكا احتاج الى وزير فسال جبريل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فراه في اسوء الاحوال فقال لجبريل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء
حاله فقال له جبريل ان ربك عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة
ان من ذب عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل
اراد واحد خدمة ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك
التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة
الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك لجهلي والان علمت ان الباب باب الرب وقال حكيم القلب ميت وحيوته بالعلم والعلم ميت وحيوته
بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه
بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا اخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك
قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البرئ من غير جرم فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك
منه على سبيل السهو فمن علم حقايق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين والدنيا وان الكلب
المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت باوضار المعصية كيف لا تطهر
ببركة العلم بالله وبصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة وكذا الشارب يقول حسبته حلالا
وكذا الزاني يقول تزوجتها فانه لا يحد واما الحكايات فيحكى ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء فيهم ابو يوسف فاتي برجل فادعى
عليه اخر انه اخذ من بيته مالا بالليل ثم اقر الاخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه
اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للاخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على
القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما وجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر
بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بيحيى بن
يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا بالحديد فقال الحجاج انت زعمت ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بلى فقال الحجاج لتاتيني حجة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال اتيك بينة واضحة من كتاب الله تعالى يا حجاج
فتعجبت من جرائته بقوله يا حجاج قال ولا تاتني بهذه الاية ندع ابناءنا وابناءكم فقال اتيك بها واضحة من كتاب الله قال تعالى ونوحا
هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن ابو عيسى فقد الحق عيسى بذرية نوح قال فاطرق مليا
ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرا هذه الاية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل المدينة جاوا الى
ابي حنيفه ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة الى اعلمكم
لاناظره فاشاروا الى واحد فقال لهذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم
قالوا نعم قال وان ناظرته ولزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا
قال ابو حنيفه فنحن لما اخترنا الامام في الصلوة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفه
يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جايز وابو حنيفه ينكره فقال ابو حنيفه
هذا الربيع يقول ليس لك بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون
فيبطل بيعتهم فضحك المنصور فقال اياك يا ربيع وابا حنيفه فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي ويحكى انه دخل

اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق الثلاث ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه
وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفه فقال احضرني امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في
دار واحد واخرج واحدا وقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت فلما سكت قبض على اللص ورد الله عليه جميع
ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفه فتى يغشى مجلس ابي حنيفه فقال يوما اني اريد التزوج من ال فلان وقد خطبتها
اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله يسهل الامر عليك بعد ذلك فاقرضه ابو حنيفه
ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل
ذلك فاشتد على اهل المراه وجاؤا الى ابي حنيفه يشكونه ويستفتونه فقال له ابو حنيفه ترضى بهذا والا اقررت لرجل بدين فلا
يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليها فقال الرجل الله الله لا يسمعوا ابو فرضي هذا فبذلك وحصل ببركة علم ابي حنيفه فرج كل واحد
من الخصمين وسال ابو حنيفه عن رجل حلف ليقربن امراته في نهار رمضان فلم يعرف احد وجه الجواب فقال يسافر بامراته فيطاها
نهارا في رمضان وقال المريسي للشافعي كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب على شي واحد وكان هذه المناظرة
عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على خلاف هذا الجالس فاقر بر خوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سال الحسين
بن علي رضي الله عنه حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سالتم حاجة فاسالوها من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل
القران او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم واما القران ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال ما حاجتك فكتبها
على الارض فقال الحسين ع سمعت ابي عليا ع يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفه فاسالك
عن ثلث مسايل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلاثة
فلك ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا حول ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي
الايمان بالله فقال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطا ذلك قال فمال
معه كرم قال فان ذلك قال ففقر معه صبر قال فان اخطا ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين ع ورمى
بالصرة اليه واما الوجوه العقلية فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس
ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل وهو العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي
بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة وكما يعيش يموت وكما يموت يبعث ومنها ان اللذة
ادراك المحبوب وكلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملئكة
والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا
الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في اخر حالك في غاية
الشرف وايضا ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما استحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية
واعظم موهبة وانه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى
جزاؤهم عند ربهم جنات تجري عدن الى قوله لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة
انما يفيد الحصر ولاجل اللام للاختصاص في لمن خشي ربه والسبب في لان العلماء هم اهل الخشية انه من لم يكن عالما بالشي استحال
ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك
عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق
من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكون
السلطان قادرا على منعه عالما بقبايح افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد من الله لا يحصل
الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم
بالله وبهذا يعرف باهر قدر العلم ومن هنا امر حبيبه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف
نبي الله موسى بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق
الطير ولولا شرف العلم لم يكن الهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم
العلم صار نافذ القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة

وذلك ان التفكر يوصلك الى الله والعبادة توصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر
كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عليه السلام عظم الحكمة فاني لا اجعل في طلب عبد الا واردت ان اغفر له
فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي ينال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال سبحانه لداود قل لاحبار بني اسرائيل
ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم
والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في واحد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان التقى لا يوجد
بدون العلم كما بينا في ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا
قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد وان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجرة والتقوى
كالثمر واما الانجيل قال عز من قائل في السورة السابع عشر منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار
اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم فلا
تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل اذا العلم يشفع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان لا تقولوا على
الله تعالى يقول يوم القيمة ما ظنكم بربكم فيقولوا ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول اني قد علمت استودعتكم حكمتي لا لشر اردته
بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى جنتي برحمتي وبالجملة تكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة
ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل تاذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس
كذلك والعلم اينما وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر
به بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا وكانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في
العلم وان كثيرا مما كانوا يعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب
منه فهابوه وانقادوا له شعر لو لم تكن فيه ايات مبينة كانت بداهته تنبيك عن خبر وما فضل الانسان على الحيوان الا
لاختصاصه بالمزية النورانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقايق الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة
شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب
والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منهما الى انواعهما
وانواع انواعهما واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره ويعرف اثر كل شي ومؤثره
ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليته وجزئيته فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها
وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال
من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل
صفة العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة ادم بالعلم بعد افحامهم بالتسبيح والتقديس وان ابرهيم اشتغل
في اول امره بطلب العلم متنقلا بفكره من الكواكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل الى السلطان الباهر والبرهان الزاهر
الى المقصود وهو الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم نورا والجاهل ميتا فقال او من كان ميتا فاحييناه وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا [illegible] ويهدي الله لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء [illegible]
[illegible] كذلك لا ينبغي [illegible] الله تعالى [illegible] وعلم الفقه كالقناة [illegible] والزهد
[illegible] وعلم البدع كالسيل يهلك الاحياء ويفسد الخلق واما
الاخبار والاثار الدالة على [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] العلماء الا اذا
دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى
الزهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وعن
عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال [illegible] يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها [illegible] ونظروا الى قصورها
والى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع احد بمثلها فيقولون ربنا
لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم
الناس ولم تجلوني [illegible] اليم عذابي [illegible]
الطلب [illegible] اربعة الموضع الاول [illegible]

خير منه واذا لم تجد من الصاحب الزيادة والكرامة فالكلب خير منه واذا لم تجد من المال الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه وقيل لايتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء لايتم الدين الا بالتقوى ولايتم القول الا بالفعل ولايتم المروة الا بالتواضع ولايتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه لجابر بن عبد الله الانصارى قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لايستنكف من تعلمه وغنى لايبخل بماله وفقير لايبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزء من الدنيا لاترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا **البحث الرابع** فى حد العلم الاشعرى العلم ما يعلم به وربما قال بعض الثقات بعالمنا القاضى العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه الفعال اثبات المعلوم على ما هو به والكل دائرة المعتزلة هو الاعتقاد المقتضى لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة فى النفس مطابقة للمعلوم ولايخفى خروج علم الله تعالى منهما فانه لايطلق هناك النفس وفيه مفاسد آخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهى وقيل اصح الحدود صفة توجب تميزا لايحتمل النقيض والحق فى هذا المقام ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كلما يقع فى ذلك النور فهو مدركه فكذلك للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولايدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا ادراكات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورية وشروقا ازداد انبساطه فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا يكون الحال فى كل مشكل اما اذا كان العالم بحيث يكون كالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نوريته ولايتجاوز عن مرتبته فى العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لايمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة فى نوره بل يكون نوره نافذا فى الكل مشرقا فيها محيطا بها ازلا وابدا فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء وههنا اسرار آخر لايجوز التعبير عنها لعزتها يتفطن لبعضها من وفق لها لاهلها **البحث الخامس** فى الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول الثانى الشعور فهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لايوصف به تعالى الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقته المعقول حلت فى العاقلة حلول الشكل فى المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة فى العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال **شعر** الله يعلم انى لست اذكره وكيف اذكره اذ لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حضور المعنى فى النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلف فى تفسيرها من قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره فى نفسه ثم ادرك ذلك الشئ ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذى ادركه ثانيا هو الذى كان قد ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا انها فى ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشئ فى لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لايكادون يفقهون حديثا اى لايقفون على المقصود الاصلى من التكاليف العاشر العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك اخرى فيجرى ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين فالعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادى عشر الدراية وهى المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهى ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثانى عشر الحكمة وهى اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملى اخص منه بالعلم النظرى وفى العمل اكثر استعمالا منه فى العلم وقيل هى الاقتداء بالخالق سبحانه بقدرة القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان ينزه علمه من الجهل وفعله من الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والاراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجرى مجرى التضرع الى الله تعالى فى استنزال العلوم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة النفس بها يهتدى بسرعة الى الحد الاوسط فى كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية لانه مستوى من ذكت النار اذا اشتعلت الثامن عشر الفطنة التنبه لشئ قصد تعريضه كالاحاجى والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل دليل او حد العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الواحد والعشرون الظن

وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل هو ممدوح وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثانى والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك فى النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهى المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لابتوسط الفكر من الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهى ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهى تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وجدت الناس اخبر تقله السابع والعشرون الراى وهو احالة الخاطر فى المقدمات التى ترجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الراى راى والراى للفكرة كالالة للصانع ولهذا قيل اياك والراى الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهى اختلاس المعارف من فرس السبع الشاة فضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولايعرف له سبب الاصفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ان فى امتى لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث فى الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه الى الشق **التأويل** عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ادم فتجلى فيه فبالتجلى علمه التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المرآة تكون خليفة للمتجلى فيه انبؤنى باسماء هؤلاء اى باسماء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين فى دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات بحمده وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيتخلق عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله وعلم ادم الاسماء لان الملائكة ليس لهم الترقى فى الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولايتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرائيل عم لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقى اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم آدم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لايطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه فى انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة كما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى يظهر على اعلى الشجرة كذلك ادم عبر على اجزاء شجرة الوجود فكان فى كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل شئ اسم يلائمه حتى انه باسماء الله تعالى جاء متعلق وفقه فضلا عن اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان ظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوٓا اِلَّآ اِبْلِيسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يٰٓاٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظّٰلِمِينَ ۝ فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ اِلٰى حِينٍ ۝ فَتَلَقّٰٓى اٰدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَاِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ

كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

القراءة للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران عنهما انهما يشمان الكاف الكسر ويرفعان الهاء وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملايكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين والسايل والبايس فانهما بالهمزة شيئما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش عن طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فتلقى حمزة ادم نصب كلمات رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي ومحياي ومثواي بالامالة كل القران على غير ليث النار بالامالة كل القران وكذلك كل كلمة في اخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قراها على غير ليث وابي حمدون وحمدويه والبخاري عن ورش وحمزة في رواية سعدان وابي عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات فروى ابرهيم بن حماد عن الزيدي الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن الزيدي الغار بالامالة وساير الروايات عنه بالتفخيم لعله دونهما واختلفوا في وقف ابي عمرو في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة بن عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف ابليس لانه معرفة والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذي ولا عامل فيجعل الجملة حالا الكافرين شيئما لاتفاق الجملتين الظالمين كانا فيه لعطف الجملتين المتفقتين عدو لاختلاف الجملتين حين تاب عليه الرحيم جميعا لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون النار لان ما بعده مبتدأ وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لاولئك لان تمام المقصود بوعيد هو الخلود مثل بيان خلوصهم خالدون التفسير لما خصص الله تعالى ابانا ادم بالخلافة ثم علمه من العلم ما ظهر بذلك مزيته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى النسق ههنا ظاهر الا انه قال في موضع اخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل تسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بل المتم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعض ان السجود كان لله تعالى وادم كالقبلة فقوله اسجدوا لادم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف عن هاشم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم ادم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم حالا من الساجد وزعم اخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغير والصحيح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا لعبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز ان تختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل ان يكون بمعنى صار والثاني بانه لا يلزم ان يكون الجن في هذه الاية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الاية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال الكونه على مقتضى اهل اللغة وهو الاستتار قالوا وان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار وخلقته من طين والملائكة انهم من النور كما قال صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته الا انه حجة الاخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل اولى لان تخصيص العمومات في كتاب الله اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين الوف من الملائكة فغلبوا عليه وعلى هذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار وانه ليس كذلك بل كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب باسجدوا وحينئذ لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم والتصق بهم فتناوله الامر لما تبين في اصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة من الذكور والاناث ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ اخر ما حكاه في القران بدليل قوله ما منعك

مطلب وقال كثير من الفقهاء

الا تسجد

الا تسجد اذ امرتك لان قوله تعالى ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الاية الكلام في ان البشر افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول وقالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور الاول ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بقوله سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية تدل على انه تعالى يقول للملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من الهرم والمرض والافات لا يتركون العبودية لحظة واحدة وان البشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب الثاني عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعايشة رض اجرك على قدر نصبك ولقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها اي اشقها واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومتنزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم خايفين وجلين وكانه لا يقدر احد من بني ادم انه يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ويؤكده قصة ادم فانه اطلق له في الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك لم يملك نفسه والثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع اخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث السامة وهذا شان الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم تطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصير احدهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص والثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم افضل الصوم صوم النبي داود ع كان يصوم يوما ويفطر يوما الثالث عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى الاية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب ارايت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء اخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان الة التنفس فينا غير الة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في الة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها ويلعنون اعداءه ببعض اخر وبان ثناء الله يستلزم تبعيد من اعتقد في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادايه في اوقاته اللايقة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد يقع على وجه يستحق بها ثوابا اكثر من ثواب طاعة الرابع انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الخامس الملائكة رسل الى الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم ومتوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسول فلم قلتم انه كذلك كما لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره او الى ملك اخر السادس انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة الترفع والرياسة بينهم ولهذا قالوا اتجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقيكم ورد بان تقوى الانسان اكمل فان له مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج السابع لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين في المعاني الصحيحة للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعهما مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في ساير الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من البشر في كثرة الثواب قلت والحق ان جميع الدرجات مندرجة تحت العبودية كما اشرنا اليه فيما مر فيفيد افضلية الملائكة لكن المقربين منهم فقط دون غيرهم ومفضولية المسيح فقط دون غيره كمحمد صلى الله عليه وسلم التاسع ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان ادم وحوا لو لم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان ادم لعله اخطا في ذلك الاعتقاد وهذا جائز لان الزلة اما جايزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا ولا يلزم من مفضوليته وقتئذ مفضوليته وقت نبوته جاز على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت ثم لا نسلم ان ذلك في باب الثواب بل في باب القوة والقدرة والحسن والجمال وغير ذلك فانهم خلقوا من الانوار وادم خلق من التراب فاغتر رغبة فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تقلبا ملكين فيصح لسند لالا وايضا يحتمل ان يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة والخالدين دونكما كما تقول لغيره ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون

ولانا ويكون المعنى ان المنهى عنه هو الملائكة وكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غايتهما في الباب ان الاية تدل على مفضولية
ادم ولا يلزم منه مفضولية جميع الانبياء كمحمد صلى الله عليه وسلم ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم
اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه
لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفى ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسمية والقوة والقدرة والعلم ورد بانه لا يلزم
من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشر ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولا يخفى ان التشبيه في السيرة
من غض البصر في بعض الصفات من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا في الصورة ورد بان قوله فذلك
الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيمه بالتشبيه في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها وان سلمنا ان التشبيه
في الاخلاق المرضية فذلك لا يوجب مفضولية من جميع الوجوه وان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة الحادي عشر وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلفين والانسان افضل منهم واما المكلفون وهم الملائكة والانس والجن والشياطين
ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملائكة ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم
على جميع ممن خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا هب ان جنس
الملائكة افضل من جنس بني ادم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الاخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل
من افراد المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم ولا يلزم من كون الملك
افضل من البشر في تلك الكرامات وهي حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال البهية ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة
للثواب الثاني عشر الانبياء ما استغفروا الا بدءوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابرهيم رب
هب لي حكما والحقني بالصالحين ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا
لانفسهم ولكن طلبوا المغفرة للمؤمنين فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من
البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب افضليتهم في القرب والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال ان استغفارهم
للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها الثالث عشر وان عليكم لحافظين ويدخل فيه الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية
افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة فيكون افضل ورد بان الحافظ والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود
الرابع عشر يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس
وقف حواليه ملوك الاطراف ولا يدل على انهم اكرم عند السلطان من ولده الخامس عشر والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله و
التقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا لما قال الشاعر شعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال عمر بن الخطاب لو قدمت
الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين وقع التنازع في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي
ومعوية ومنع من ان الواو يفيد الترتيب وعورض بتقديم بث على الاخلاص السادس عشر ان الله وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة
كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه ولا تشريف بل تشريف الامة بذلك السابع عشر ان جبريل افضل من محمد لان الله
وصفه بست من صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون
وشتان بين الوصفين ورد بان وصفه ههنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا الثامن عشر ان جبريل ع معلما للنبي صلى الله عليه وسلم
ولغيره من الانبياء لا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم بكيفية مخلوقات وما فيها من العجائب
والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم الخالية والقرون الماضية
والمعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة آدم ولان تعليم جبريل كان في الحقيقة تعليم الله
ولم يكن جبريل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم مع كثرة ثوابهم التاسع عشر ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا تدل على
انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوا امر الله لما خالفوه الا في ادعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم العشرون قال
صلى الله عليه وسلم حكاية عن الرب اذا ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه وهذا يدل على ان الملاء الاعلى اشرف ورد بعد قبول
خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملاء الاعلى خير من ملاء عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة
اتفقوا على ان الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذواتها بسيطة
مبراة من الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط
وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل مما له الطرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجود الملائكة وبان الملائكة ليس لها الا

الا الاستغراق في مطالعتها النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل
الثاني الجواهر الروحانية برية من الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الحذر مع كثرة
العلائق ادل على الاخلاص وايضا من البين ان درجتهم حين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
وما ذاك الا بسبب الانكسار والحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انين المذنبين
احب الي من زجل المسبحين الثالث بنية من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها المنحصرة في اشخاصها التامة
خرج الى الفعل والانبياء ليس كذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء في
انهما بالفعل التام اشرف منهما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج
التعقلات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة لقوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة
المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة بل هو انما يجري في النفوس الفلكية التاسع الروحانية ابدية الوجود مبراة عن التغير
والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليس كذلك ورد بانه لا قدم في الوجود الا الله وان سلم انهما وان كانت ممكنة الوجود لذاتها
فهي واجبة الوجود بمباديها واعترض بما عليه كثير من المحققين ان النفوس البشرية ايضا ازلية بمباديها وكانت كالظلال تحت العرش
يسبحون بحمد ربهم الى ان المبدا الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد وشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها واستحكم
الفتها فبعث من تلك الظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكورة
في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الاخر ورد
بان الشرف عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السماوية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل
اما الاول فبالاتفاق على احاطة الارواح السماوية بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد
من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى
بالجوع فلا يكون لذة الملائكة بالعلم والعمل كلذة البشر لعروض الفترات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانيات والحجب الظلمانية
فهذه المزية من اللذة مما يختص بالبشر ولعل هذا هو المراد من قوله انا عرضنا الامانة الاية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق
اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت بطل الشعور فيها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا للغير
لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقوتهم ليست من جنس
القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الخلقة اللطيفة تشق الصخرة الصماء وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها
من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر العلوية انفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين على امور الصعاب
ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى مناظم العالم السفلي الا فيما هو شر لهم واعترض بانه لا مانع
من ان تتفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستولية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملئكة لهم اختيارات فائضة عن
انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما تتوجه الى الخير باغاثة
الملك على ما ورد في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع
الافلاك كالابدان والكواكب كالقلوب والملئكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكانت
اختلافات احوال الافلاك مبادي لحصول الاختلافات في هذا العالم فكذا ارواح العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم
السفلي بل يكون عللا ومبادي لها فهذه هي الاباء وهناك المنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب
بان لا موثر عندنا الا الله تعالى العاشر الروحانيات الفلكية مبادي لروحانيات هذا العالم ومعادنها منها نزلت فتوسخت باوضار
الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر الشيء ومصعده اشرف منه المبدا واليه المنتهى واعترض بان هذا
مبني على عدم حشر الاجساد ودون ذلك خرط القتاد الحادي عشر اليس ان الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي اليس ان الملئكة يعينونهم في
المضايق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط ويوم بدر وحنين وكما في قصة نوح من نجو السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم
الى الملئكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر اخر العمل ولا يلزم من كون الشيء واسطة افضليته الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء
اما خيرة محضة وهم الملئكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه وشريرة من وجه اخر وهم البشر تحكم بافضلية الملك
وكذا التقسيم بالناطق المايت وهو الانسان والناطق غير المايت وهو الملك والمايت غير الناطق وهي البهايم يرشد الى ان الانسان متوسط
الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب القسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود واجيب بما مر غير مرة من ان النزاع
في كثرة الثواب حجة القائلين بفضل الانبياء على الملئكة الاول ان الله تعالى امر الملئكة بالسجود لادم وثبات ادم لم يكن كالقبلة

وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت الثاني جعله خليفة له خلاف الولاية كما مر وخلق الدنيا متعة
لبقايه والاخرة مملكة لجزائه ولعن ابليس بسبب التكبر عليه وجعل الملائكة حفظة اولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين لهم مع
جميع هذه المناصب بقول ولدينا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمال الثالث انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم والاعلم افضل الرابع
ان الله اصطفى آدم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل هذا
بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الاية دخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين على محمد صلى الله عليه
وسلم وههنا لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والملائكة من العالمين والتقرير
ظاهر السادس عبادة البشر اشق لان الادمي له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مامور بالاستنباط والقياس
فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات
ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت امنون من ذلك
ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر السادس خلق الملائكة عقولا بلا شهوة و
للبهايم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب هواه عقله صار ادون من البهايم اوليك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله
هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين بالاخر الثامن الملائكة حفظة بني ادم والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روى
ان جبريل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل
وقال لو دنوت انملة لاحترقت العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض اما الذي في السماء فجبريل وميكايل واما الذي
في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكايل وزيران فهذا تمام الكلام في حجج وعليك الاختيار
بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجايز ان يظن ان به عذرا بين انه غير ذي عذر بقوله ابى
لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا قصد العاطف نحو قولك اتيته عابر سبيل يعني نخلع لا تقول لعيني لانها يابان ثم انه جاز ان لا يكون
الاباء مع الكبر فعطف عليه واستكبر ليعرف ان الاباء مفضي الى الاستكبار وكان من الجايز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله
وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان لان احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا اما عندنا فلمنع الاحباط فلان خاتمة
لما كان على الكفر علم الله انه ما كان مؤمنا واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني في اول الملل والنحل عن شارح الاناجيل شبه مناظرة بين ابليس
والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر وحكم الا ان لي على مساق حكمه اسولة الاول
انه قد علم قبل خلقي اي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيته فلم كلفني بمعرفته وما الحكمة
في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصيته وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف
الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فاذا عرفت واطعت فلم كلفني بطاعة ادم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف
على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي الرابع اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة
واوجب عقابي مع انه لا فايدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر الخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة آدم بعد
ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالدا في الجنة السادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة
وكانت الخصومة بيني وبين ادم فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يروني ويوثر فيهم وسوستي ولا يوثر فيهم في حولهم وقوتهم وما
الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة والقايم على ذلك فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة السابع سلمت هذا كله فلم
اذا استمهلت امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم اليس بقاء العالم على نظام الخير
خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له انك في تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا
مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسال عما افعل والخلق مسؤلون هذا مذكور في التورية
ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور وليس يعدوها عقايد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت
العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص ولا جواب
عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى فاللعين لما ان حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق وحكم الخلق في الخالق
فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا
لا حكم الا لله كقوله لا سجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشية من اللعين وكانت في الاول مصدرها وهي
في الاخيرة مظهرها ولهذا قال ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة
بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاراها وقال

صلى الله عليه وسلم جملة لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه هم القول الثاني
ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قايل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل انه سيكفر
فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قايل ان كان بمعنى صار وقيل لما كفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق
عليه انه كان من الكافرين فانما حكم بكفره على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير
منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم
عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا
منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر البعض الموجود لا اضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يوكد
ذلك ما روي عن ابن بريدة انه قال ان الله تعالى خلق خلقا من الملائكة قال لهم اني خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك فبعث الله نارا
فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال اخرون معنى الاية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان كفرهم كان ظاهرا عند نزول
الاية او لان الافراد الذهنية تكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق ولا يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان اي من افراد هذه الماهية
وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الايمة
لان الجمع المعرف للعموم ويويده قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل
في ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم ملائكة الارض واستعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك واما
الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون
بالسجود القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن الاية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو
اباحة لانه كان ماذونا في الانتفاع بجميع الجنة ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله
تعالى ابتلى ادم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلفه ان يكون في الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة
ان ياكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع انه منعه من تناوله من اشد
التكاليف وانما لم يقل وهبت منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكان الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال رجل لغيره اسكنتك
داري لا يصير الداري ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها في هذه السورة ففي سائر القران ما يدل
على ذلك وانها مخلوقة منه خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم ان المراة خلقت من ضلع لن تستقيم لك
على طريقة فان استمتعت بها استمتعت وبها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن مسعود وناس
من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج من الجنة واسكن ادم الجنة بقي فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ
ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند راسه امراة قاعدة فسالها من انت
قالت امراتك قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قال ولم قال لانها خلقت من شيء حي
قيل فلما اراد ادم مد يده اليها منعته الملائكة وقالوا ادفع مهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلي على محمد واله قال ومن محمد قالوا من اولادك
خاتم النبيين ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا ادم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل
الملوك ولباسهما النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى ادم منطقة مكللة بالدر والياقوت
حتى ادخلا الجنة فهذا الخبر يدل على ان حواء خلقت قبل ادخاله الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت في الجنة والله اعلم
بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت في الارض او في السماء وعلى تقدير كونها في السماء هل هي دار الثواب ام جنة اخرى
فقال ابو القسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا
قالا لان دار الثواب للخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان
من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد غضب الله تعالى عليه كيف يقدر ان يصل
الى جنة الخلد ولان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لادم وقتئذ ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر نقله الى السماء
ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبطهما الى السماء الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجمهور هي في دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم لان السكنى في جميع الجنات
محال فهي للعهد ولا معهود بين المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها
نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا
رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما او اي زمان شئتما فان حيث قد يعبر عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا

بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل عطف وكان بينهما رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى
في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول سبب الوصول الى الاكل فكانه قال ان دخلتموها اكلتم وفي الاعراف
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المختار تقديرا كل ايضا فلهذا
لم يعطف ههنا بالفاء او المراد اسكن من السكنى ولما في الاعراف فالمراد اسكن بمعنى الدخول ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهي في
لا تقربا للتنزيه او للتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما
وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل او الجواز ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشياء الاباحة
فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه واولى ليرجع حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب
عصمة الانبياء وقيل نهي تحريم قياسا على قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من الظالمين ولانه استحق
الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في ولا تقربوهن بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج
لم يكن بهذا السبب كما يبين ان شاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليهما من اسباب الاكل منها ومما يدل
على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي السنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود
انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع وانس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب
ان كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يختص بما له ساق وقوله تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما شجر
اي اخذ يمنة ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما
لم يكن مقصودا فذكره لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احدنا ان يقيم عذره في التخلف فقال اشتغلت بضرب غلماني لاساءتهم الادب
كان هذا القدر احسن من ان يذكر عين الغلام واسمه وصفته فلا يظن احد ان ههنا تقصيرا في البيان فتكونا جزم عطفا على لا تقربا او نصب جوابا
للنهي من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الاية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في
هذه الاية كهي في قوله وما فعلته عن امري فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلت قدمه فالضمير للجنة و
من قرأ ازالهما فهو من الزوال عن المكان مما كانا فيه اي من النعيم والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان الضمير في عنها للشجرة واعلم
ان الناس اختلفوا في عصمة الانبياء عليهم السلام والنزاع اما في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا
او في افعالهم وسيرهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة وقالت الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم
كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية واما ما يتعلق بالتبليغ فاجمعت الامة
على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز غير ممكن واما المتعلق
بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطأ فيه عمدا واما السهو فجوزه بعضهم واباه آخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا الكبائر منهم
عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التأويل
وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطاء لكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى وهي على
التحفظ اقدر والشيعة لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطاء وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة
انهم معصومون من وقت مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم واكثر اصحابنا على تجويز ذلك
قبل النبوة والمختار انه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من
عصاة الامة مصداقه قوله عز من قائل يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين شعر وصغاير الرجال
الكبير كبائر ولا يجوز ان يكون النبي اقل حالا من الامة بالاجماع الثاني وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله تعالى
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا لكنه شاهد عدل من الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث وبتقدير اقدامه
على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الرابع انه صلى الله عليه وسلم لو اتى
بمعصية لوجب علينا الاقتداء لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب والحرمة محال الخامس فعلم بالبديهة انه لا شيء اقبح من نبي رفع الله درجته
وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس اتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم يكون حينئذ منزلا في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم السابع انهم كانوا يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيتناول فعل ما ينبغي
وترك ما لا ينبغي الثامن وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب
التاسع انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء من المخلصين لقوله في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي
حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان

غير النبي افضل من النبي الحادي عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا والنبي افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي
اولى الثاني عشر اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز الاقتداء به في ذنبه الثالث عشر لا ينال عهدي الظالمين
فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى الرابع عشر روي ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على وفق دعواه فقال كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك على الوحي النازل عليك من فوق سبع سموات افلا اصدقك
في هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه ذا الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك
الشهادة والمخالف تمسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله شركاء فيما آتاهما فان هذا يقتضي صدور
الشرك عنهما والجواب على ما يجيء في الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة
عربية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي
قالوا ان ابرهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم الاخر لقوله تعالى هذا ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام منه بطريق الانكار وقوله
ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في
الوحي قلنا الخطاب له والمراد الامة كما في يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء
يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله ما ننسخ من آية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته والجواب سوف يأتي في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا لقوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم
محفوظين عن التخبيط قالوا في باب الفتيا وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم
قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء قصة كل في موضعها على انا نقول شعر يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شيء سره فسها عما سوى الله في التعظيم لله شعر فشغل الادنى عن الارفع هو المذموم واما الشغل بالارفع عن الادنى فمحمود قالوا
في الافعال وعصى آدم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي
ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل
هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت قبل النبوة ثم لنفرض انه صدر ذلك الفعل عن آدم بعد النبوة فاقدامه عليه
اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طائفة من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما وشاو
بالصائم فيغفل عن صومه فيأكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله و
قاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسي وروي عن ابن عباس لما اكلا منها وبدت لهما سوآتهما اخرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر
الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء منك فقال له اما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة مما حرمت عليك قال بلى يا رب
ولكن وعزتك ما كنت ارى احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا كدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب
عليه لانه غير قادر على تركه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها رفع القلم عن ثلث واجيب بالمنع من اقدامه على ذلك الفعل لما وقع عقيب قول
ابليس لانه كان يعلم ما جرى من ابليس من ترك سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما لو صدقاه لكانت المعصية في تصديقه اعظم من اكل الشجرة
لانهما اذن يسوءان الظن بالله لانه ناصح والرب غاش وما روي عن ابن عباس فهو من باب الاحاد ولا يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة
رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن الامة رفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
اني اوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرم
حتى يكون مأذونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا يسكر لا فيها غول الذاهبون الى انه فعله عامدا اربع فرق منهم من قال
النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من آدم وكان كبيرة مع ان آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال
فعله عمدا لكن كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب وفعل المنهي عمدا لا يليق
بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطأ فيه وذلك لا يقتضي
كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظة هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روي انه صلى الله عليه
وسلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به واراد نوع الحرير والذهب
ونوع الوضوء فمراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة
اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل آدم اللفظ على موضعه فكيف يعد مخطئا وايضا هب ان الخطأ

هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع ذلك اقدم على
التناول فكذلك وان لم يكن قرينة فلا يعد مخطيا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين بالوحي
فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وايضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطأ فيها كبيرة من الظنيات فان قلنا المصيب واحد
فالمخطي فيها معذور بالاتفاق واجيب بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية ايضا كما مر وبان ادم لعله قصر في معرفة القرينة
او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد تكون
ظنية وترتب التشديد في الخطاء فيها لان النبي قد يواخذ بما لا يواخذ الامة قيل وقد يحمل الخطاء في الاجتهاد من جهة ان ادم
ظن ان النهي في قوله ولا تقربا لينا ولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد اكله فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة آدم مع ان ابليس
كان خارج الجنة وادم فيها قلنا اما لانه دخل في فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما روي وان كان
بعيد المار وي عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات
واما لانه دخل الجنة في صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما لانه
كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس لهما على جهة وسوسة بعض اتباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء
فيستحيل ان يقبلا قوله عادة والاسناد الازلال والاخراج الى الشيطان لانهما كانا بسبب منه وعن بعض العرفاء ان زلة آدم هب انها كانت
بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من فلا بد من الانتهاء الى الذي لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله
تعالى ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلما لم يقبلا عدل الى اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكم من شياطين الانس تراهم
يوسوسون اليك على الترتيب اعاذنا الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل انهما لم يصدقاه فعدل الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها ونسيا
النهي فوقعا فيما وقعا والله اعلم بحقايق الامور اهبطوا خطاب لادم وحوا وابليس اما في وقت واحد بناء على ان ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة
واما لادم وحوا في وقت وله في وقت اخر قبل ذلك وقيل انه خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح ان الخطاب لهما وذريتهما مراده ايضا لانهما لما
كان اصل الانس جعلا كانهما الناس كلهم والدليل عليه ما قال تعالى اهبطا منها وقوله فاما ياتينكم مني هدى وما هو الاحكم يعم الناس كلهم
واهبطوا امروا باحد لا شبه الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى المذلة والهوان اشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب
عليه من الثواب العظيم ويمكن ان يقال نفس الاهباط عقوبة ولا ثواب عليه انما يحصل الثواب على حسب العمل بعد ذلك ومعنى بعضكم لبعض
عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض وليست هذه هي العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا وسيكون حالكم كذا لانه عالم التضاد والتنافي وليس كعالم الانوار الذي لا تعاند فيه ولكم
مستقر استقرار او موضع استقرار حالتي الحيوة والموت ومتاع تمتع بالعيش الى حين هو يوم القيمة او حين انقضاء آجالكم والحين المدة
طويلة او قصيرة ولهذا لو قال انت طالق الى الحين فمضت لحظة طلقت وفي قصة ادم وما جرى عليه بسبب الزلة معتبر عجيب وموعظة
بليغة لنبيه في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم ولله در القايل شعر يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل
الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ودرك فوز العابد انسيت ان الله اخرج آدم منها الى الدنيا بذنب واحد ومن فتح الموصلي كنا
قوما من الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها شعر تطلب الراحة في دار العنا
خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله فتلقى آدم الاية اصل التلقي التعرض للقاء ثم يوضع موضع الاستقبال للملتقى الجائي ثم يوضع موضع
القبول والاخذ وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم اي تلقنه ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله في صلاحيته وصف كل منهما
بالفعل فيما يصار عمله فيهما تقول بلغني ذلك وبلغته واصابني خير واصبت خيرا ونالني ونلته فتلقى ادم من ربه كلمات اي اخذها
ووعاهما واستقبلها بالقبول وتلقى ادم كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يخفى يجوز ان يكون معنى التلقي من الرب ان الله تعالى عرفه
حقيقة التوبة لان المكلف لابد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله من تدارك الذنوب فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه تنبه
على المعصية على وجه آل امره الى التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكر النعمة العظيمة عليه حتى صار من الداعي
القريبة الى التوبة او على كلمات لو حصلت التوبة معهن كمل حالها وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي رواية عن ابن عباس
ان ادم عليه السلام قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك
غضبك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى فقال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت
ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى ادم من ربه قال علم الله ادم وحواء امر الحج فحجا فهي الكلمات التي يقال في الحج فلما فرغا من الحج
اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت
عائشة رضي لما اراد الله ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال

اللهم

اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا
يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لم يصبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم يا ادم قد غفرت لك
ذنبك ولم ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من
عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي ان التوبة تتحقق من ثلثة امور مترتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل
فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات
محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي
ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم على
ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلقوا اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله تعالى ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك
فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى راجع الى ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يفارق الرجل خدمة سيده فيقطع
السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه باحسانه ومعروفه وهذا معنى قوله قبول التوبة من الله وغفرانه ذنوب العباد
التايب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى
المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع
اليه قد طبع او جلب نفع او دفع ضرر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود وان فيضه لا ينقطع ولا تقصير الا من القابل فكلما
ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة
لكثرة التايبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل
الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل
الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء ادم على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر واذا كان حال الانبياء الى هذا الخطيئة واحرى فمن
احاطت به خطاياه احق بالبكاء واذ قال نبينا صلى الله عليه انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فهو احوج
بالاستغفار فان الغين كان يكون بالنسبة الينا دينا وذلك ان الغين شيء يغشى القلب ويغطيه بعض التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن
يمنع كمال ضوئها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من النفاق والشقاق وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر
لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان [illegible] وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يحصل في طريق المحبة حتى
يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك الصحو وهذا تاويل ارباب الحقيقة وقال اهل الظاهر ان القلب لا ينفك
عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع ذلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا ان ابليس قال
يا رب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه قال صدره مساكن لك قال يا رب زدني فقال لا
يولد لادم ولد الا ولد لك عشرة قال يا رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال يا رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم
في الاموال والاولاد قال فشكا آدم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وسلطته علي وانا
لا اطيقه الا بك فقال تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال يا رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال
رب زدني قال لا احجب عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغروا والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها
اسم جامع لمعان ستة اولها الندم على ما مضى وثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل وثالثها اداء كل فريضة ضيعتها فيما
بينك وبين الله تعالى والرابع اداء المظالم الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة
البدن مرارة الطاعات كما ذاق حلاوة المعاصي وكان احمد بن الحرث يقول يا تايب الذنوب [illegible] يا صاحب الذنوب
ان الذنوب في الديوان مكتوب يا صاحب الذنوب ابشر ان في القبر مكروب يا صاحب الذنوب انت عذاب الذنوب مطلوب وانما
اكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القران والسنة لذلك على انه قد ذكرت في موضع اخر
قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية قوله قلنا اهبطوا الاية فايدة تكرار الامر بالهبوط ابهما هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا
والثاني من السماء الدنيا الى الارض وضعف بانه لو كان كذلك لكان قوله وفي الارض مستقر عقيب الهبوط الثاني لا الاول
وايضا قوله منها يعني ان الهبوط الثاني ايضا من الجنة لا من [illegible] آدم وحواء لما ابتليا بالزلة وتابا بعد الامر بالهبوط وقع في
قلبهما ان الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة ثانية ليعلما ان حكمه باق لتحقيق الوعد المتقدم في قوله اني جاعل في الارض

خليفة ووجه ثالث وهو ان يكون التكرير للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم روى في الاخبار ان ادم هبط بجزيرة
سرنديب من الهند وحواء بجدة من ارض الحجاز وابليس بالايلة من نواحي البصرة والحية باصفهان فلم يتلاقيا مائة سنة ثم ازدلفا
اى تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة وتمنيا على الله تعالى المغفرة والتوبة بمعنى فحصلت اسماء هذه
المواضع من هذه المعاني وما في اما مزيدة لتاكيد الشرط ونونه لحوق النون المؤكدة والشرط الثاني وجزاءه مجموعين جواب
الشرط الاول تبع واتبع بمعنى وانما جاء في طه فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعي وفي الهدى وجهان احدهما المراد منه
كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبي وفيه تنبيه على نعمة اخرى عظيمة فكانه قال وان اهبطتكم من الجنة
الى الارض فقد انعمت عليكم بما يؤديكم مرة اخرى الى الجنة مع الدوام لا ينقطع عن الحسن لما هبط آدم الى الارض اوحى الله تعالى اليه يا ادم
اربع خصال فيها كمل الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بيني وبينك وبين الناس فاما التي
لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاذا عملت اجزيك واما التي بيني وبينك فعليك بالدعاء وعلي الاجابة واما التي بيني وبينك
وبين الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به وقيل رسول وكتاب بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة فمن تبع هداي
في الاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم سيصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئا كثيرا من المعاني
لان قوله فاما ياتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم ذلك
الا به من العقل ووجوه التمكين وجميع في قوله فمن تبع هداي تامل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها
وجمع فيها فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف الم يحصل للنفس لتوقع مكروه او انتظار محبوب
وزواله يتضمن السلامة من جميع الافات والحزن الم يعرض للنفس لفقد محبوب وفوات مطلوب ونفيه يقتضي الوصول الى كل اللذات
والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغي مقدم على حصول ما ينبغي وهذا يدل على ان المكلف الذي اطاع الله
تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند الميزان ولا عند الصراط
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال قوم من
المتكلمين ان اهوال القيمة تعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنسئلن
الذين ارسل اليهم ولنسئلن وفي الحديث تدنى الشمس يوم القيمة من الخلق حتى يكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق
فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده الى فيه وحديث الشفاعة وقول كل نبي نفسي نفسي الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه يقول امتي امتي مشهور قلت لا ريب ان وعد الله حق فمن
وعده الامن يكون امنا لا محالة الا ان الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الامن الكلي ما لم يصل الى الجنة لانه لا يطمئن قلبه ما لم يتم له
علم اليقين عين اليقين وايضا ان جلال الله تعالى وعظمته تدهش الانسان برا كان او فاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة فلا عمل
الا بالاخلاص ولا حكم بالاخلاص الا بالله لانه من عمل القلب وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ولهذا جاء والمخلصون
على خطر عظيم وكان دأب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل
لا خوف عليهم امامهم فليس شيء اعظم في صدور الذين يموتون مما بعد الموت فامنهم الله تعالى ثم سلاهم فقال ولا هم يحزنون على ما
خلفوه بعدوفاتهم في الدنيا ثم ان الائمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالاخرة لان مجاري الامور في الدنيا لا تخلو من مواجب الخوف والحزن
قال صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل قلت المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره لا يرى شيئا من الكاره
مكروها وانما مرادة محبوبة فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فترك الارادة
تصحح نسبة العبودية وبالرضوان تحصل مفاتيح الجنان وتنكشف الهموم والاحزان ويتساوى الفقر والوجدان وتثبت حقيقة الايمان والذين
كفروا وجحدوهم مولاهم وكذبوا باياتنا لا تباعهم حكام هم بحسب شهواتهم واهواءهم اولئك اصحاب النار ملازموها دائما سرمدا سواء كانوا من
الانس او من الجن اعاذنا الله منها بمنه وحوله وجسيم طوله التاويل انكم تجدون من الطبيعة بالطبيعة الملكية الروحانية اسجدوا
لادم بخلاف الطبيعة تعبدا ورقا وانقيادا للامر وامتثالا للحكم اسجدوا له تعظيما لشان خلافته وتكريما للفضيلة المخصوصة به فمن
سجد له فقد سجد لله تعالى كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا لادم لا لاجل ادم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابا لكم ولا
تزيد في درجاتكم ولكن فائدتها تعود الى الانسان لقوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض فان الانسان يقتدي بهم في
الطاعة ويتادب بادابهم في امتثال الاوامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس فسجدوا الا ابليس
لانهم خلقوا من نور والنور من شانه الانقياد والافاضة وانه خلق من نار والنار من شانها الاستعلاء طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق

على ادم كما ابليس لانه ابلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اى ايجب لك نعيم الجنة بما فيها وما كان زلك فيها حق لانك ما عملت بعد عملا
تستحق به الجنة اذا عطي هذه الشجرة الواحدة منها وهي كلها اى فانا خلقتها فان طمعت فيها ايضا فاعلم ان للانسان همة عالية
وحرص شديد لا يزال يقول جهنم هل من مزيد ولا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه اى سابقة رحمته وعنايته سبقت رحمتي
غضبي ثم انه ابيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقيل لهما اقتنيا بها ولا يوقنا ثانية القتنه
على انفسكما ولا تضيا من قربة المحبة ماء المحنة على راسكما ولا تقربا هذه المحبة وقد عرفت لاجله في الحقيقة يحبهم ويحبونه لكن
سبب التمني والدلال الذي يقتضيه غاية الجمال وايضا وانه وقع وسع اسباب الانبساط اولا ثم ضيق عليه الامر اخرا شعر
وادنيتني حتى اذا ما فتنتني بقول يحل العصم سهل الاباطح تجافيت عني حين لا لي فيك حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح خلقه
بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واسكنه الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآت وجهه وانبت
شجرة المحبة بين يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض ايضا كامر ثم عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما
انكر موسى باقداح الكلام واذاقه لذة شرب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق الى جماله وطمع في وصاله وقال رب ارني فاجابه
بسطوة لن تراني وذلك ان البلاء والولاء توامان والمحبة والمحنة رضيعان لبان والمطلوب كلما كان ارفع كان اعز وامنع
والجمال لا بد له من الدلال وبه يتميز العاشق الصادق من المدعي المحتال فلماذا اقا شجرة الغرام خرجا من دار السلام فما لاهل الغرام
ودار السلام وابن الفارغ السالي من المحب الغالي شعر فبتنا على رغم الحسود وبيننا حديث كطيب المسك شيب بالخمر
فلما اضاء الصبح فرق بيننا واي نعيم لا يكدره الدهر وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يبق بعد ان كان مسجود الملك مجوج
التيماك الى السماك مسمول الرعاية موفورا العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدل باستيناسه الاستيحاش بدعوته المكية
بعنف ان اخرج من غير مكث ولا بحث فان لهما يد التقدير بحسن التدبير وكان الشيطان المسكين كذيب يوسف لطخ خرطومه بدم
نضح فلما وقعا من القربة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لماذا قاما من شجرة المحبة المورثة للمحنة استوحشا من كل شيء واتخذاه عدوا
بعضكم لبعض عدو وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما ان ذاته لا تقبل الشركة في التعبد كذلك لا تقبل الشركة في المحبة
فلما استقر حبة المحبة في ارض قلب ادم جعل الارض مستقر شخصه ليتمتع بتربية بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة
المعرفة وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان داود قال يا رب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا
فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابتلى بالهبوط بشره بان وحيه لا ينقطع وهدايته لا يرتفع وان من زرع بذر
المحبة بماء الطاعة واتباعه فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى من الهبوط الى الارض لانهم رجعوا بجذبات
العناية والهداية الى ذرى حظاير القدس

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي
اوف بعهدكم واياي فارهبون ● وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم
ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي
فاتقون ● ولا تلبسوا الحق وانتم تعلمون ● واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
واركعوا مع الراكعين ● اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون ● واستعينوا بالصبر
والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ● الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون

القراءة اسرايل بغير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف يعني وكذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد عن المفضل فارهبون
فاتقون بالياء في الحالين يعقوب وكذلك كل ياء محذوف في الخط عند راس الاية وروى مسبح بن حاتم وابن دريد عن
سهل وعباس بالياء في الوصل اول كافر بما الدقيقه واحمد بن فرج الوقوف فارهبون بتبع الحرف كافر به لاتفاق الجملتين
وعلى قليلا اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون تعلمون الراكعين الكتاب افلا تعقلون الصلوة الخاشعين
لان الذين صفتهم راجعون التفسير انه تعالى لما اقام دلايل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات العامة للبشر ومن
جملتها خلق ادم الى تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود الانة لشكيمتهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونه اخبارا بالغيب مدرجا في مطاوي ذلك ما يرشدهم الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق فاسرايل
هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم غير منصرف للعلمية والعجمة المعتبرة لقب له ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرانية عبد
وايل الله قوله يا بني اسرايل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد صلى الله عليه وسلم وحد النعمة
وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة فالعايد من الصلة محذوف اي انعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم كثير وعبيد
المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرايل نعمه عليهم ولما ال الامر الى امة محمد ذكر المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى
على بني اسرايل ان نجاهم من فرعون وظلل عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاءوا
واعطاهم عمودا من النور اضاءة لهم بالليل وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوايد منها ان فيها ما يشهد
بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو التورية والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا
مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد والقران ومنها ان تذكر النعم الكثيرة يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم تفيد
ان المنعم خاصة خصهم بها من بين ساير الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدايه فتذكير
النعم السالفة مطمع في النعم الاتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعم على الاباء نعم على الابناء اذ لولاها
لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى اباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا ان اباءهم انما
خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه اباه فما
ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه و
المعنى اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس
وتحقيقه في قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيبعثه واليه الاشارة في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف فساكتبها للذين يتقون الاية وفي ال عمران واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم الاية وفي الصف واذ قال عيسى بن مريم الاية وعن ابن عباس ان الله كان عهد الى بني اسرايل في التورية اني باعث
من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي ياتي به اي بالقران غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين
اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به ساير الانبياء بني اسرايل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي الذي من ولد اسمعيل وتصديق
هذا في القران يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا ثلثة يوتون
اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بعيسى ثم امن بمحمد فله اجران ورجل ادبت امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها
ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم
جحده قلنا اما لان هذا العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا
خفيا لعدم تعين الزمان والمكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه كما جاء في الفصل التاسع من السفر
الاول من التورية ان هاجر لما غضبت عليها سارة ترآى لها ملك من الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي
سارة فقال لها ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا وتسميه اسمعيل من
اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فنقل هذا الكلام
خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين الى البادية لا يتجاسرون على التخول في اوايل العراق واوايل الشام الا
على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجتهم الامم وحجوا بيتهم و
دخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيد رهبته اي نيابا رهبت رهبته

بتقديم المفعول للاختصاص فتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء
المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبل التكرير لاجل الاضمار والتفسير والرهبة
هي الخوف والخوف اما من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني
لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيامة اكثر وبالعكس روي انه ينادي مناد يوم القيامة وعزتي
وجلالي ان لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة
قوله وامنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القران ومصدقا حال موكدة من الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في
القران ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى فكان الايمان بالقران موكدا للايمان
بالتورية والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد وبالقران في التورية والانجيل فكان الايمان بمحمد والقران تصديقا
للتورية والانجيل وتكذيب محمد والقران تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة انه ما في
كتب الانبياء لا يكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي ولا من كفر
اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤالان الاول كيف جعلوا اول من
كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب وفي الوجوب الجواب وجوه الاول انه تعريض انه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به
وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم
على العكس فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا
في التورية مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث ولا تكونوا اول كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقران من بني اسرايل
الرابع ولا تكونوا اول كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد يوجب تكذيبكم بكتابكم الخامس المراد بيان تغليظ
كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب
الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح اطلاق احدهما على الاخر السادس ولا تكونوا اول
من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبها قريظة والنضير فكفروا ثم تابعت
ساير اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول كافر به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال الثاني كانه يجوز
لهم الكفر اذا لم يكونوا اولا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ما عداه بخلافه وايضا في قوله وامنوا دلالة على ان كفرهم
اولا واخرا محظورا وايضا قوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد
ترونها لا يدل على وجود عمد لا ترونها اكد ذلك ههنا قال المبرد هذا خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا فانه
سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر بعدكم الى يوم القيمة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا
في اشتروا الضلالة بالهدى لا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في
قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو الرشى التي ياخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه وتسهيل لهم
ما صعب عليهم من الشرايع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكانه امرهم
بالرهبة لاجل جواز العقاب ثم امرهم بالتقوى على تعيين العقاب ثم قوله ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كان
قوله وامنوا امر بترك الاغواء والكفر والضلال والاضلال الغير طريقان لان السامع الدليل فاضلاله بتشويشه او كتمانه وان لم يسمعه
فاضلاله بكتمانه ومنعه من الوصول اليه فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا الحق الجزم بلا المقدرة او النصب عطفا
على النهي قولها اشارة الى القسم الثاني والباء في بالباطل للالصاق في قوله ليست التي الشيء بالشيء خلطته به وكان المعنى ولا تكتبوا
في التورية ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما وانما الاستعانة في كتب بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا
الحق ملتبسا بالمكر وهو الشبهات التي تردونها على الناس وذلك ان النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر
محمد كانت نصوصا خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتاملين
كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا بين
لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن قلت ههنا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع
بين اكل السمك وشرب اللبن فلهذا اولى لان يكون على استقلال لكل منهما الا ان يحمل على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم اثما
او كفورا اذ لا يجوز ان يراد طاعة احدهما وانتم تعلمون ان اضلال الخلق من الضرر العظيم الذي يعظم عليكم يوم
القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان وان قيد بالعلم لا يدل على جوازها حال عدم العلم

لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان
خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس
والكتمان بين لهم ما الزمهم من اصول الشرايع فقال واقيموا الصلوة اى التي عرفتموها بوصف النبي بناء على انه لا يجوز تاخير البيان المجمل
عن وقت الخطاب واما القايلون بجواز التاخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون المقصود ان يوطن
السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المامور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني امرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله ويكون
الغرض ان يعزم العبد على ادائه في الوقت الشرعي ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة
الزيادة وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذ من التطهير من زكى نفسه
تزكية اذا مدحها وطهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال
صلى الله عليه وسلم عليك بالصدقة فان فيها ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فيزيد في الرزق
ويكثر المال وتعمر الدار واما التي في الاخرة فستر العورة وتصير ظلا فوق الراس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود
دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص
الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المسلمين فلا تكرار لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة
وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المفهوم وامرا بالتذلل للمومنين ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرايع بناء
على ما خصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على ماخذ اخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول والهمزة
في اتامرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي واختلف
في البر ههنا قال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ثم يرتكبونها وقال ابن جريج تامرون
الناس بالصلوة والزكوة وتتركونهما ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو الى
الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل
يامرون من نصحوه بالسر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل يامرون غيرهم باتباع التورية وانهم
خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ما امنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه
في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله تعالى على ذلك والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير المكلف فكيف
يتوجه الذم على ما صدر عنه فالمراد وتغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب اى التورية
وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل افلا
تعقلون وهو تعجب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير اتغفلون ذلك افلا تعقلون
وقس على هذا نظايره في القران فانها كثيرة وللتعجب ههنا وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير
الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا
يقبله العقل الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل
لهذه التخويفات والا لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراءة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ
فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف
المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الاية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني
بامراة يقبح منه ان ينكر عليها واجيب بان المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال
بالاخر والذم في الاية مترتب على الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحق
انه مكابرة فعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي
جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم مثل الذي
يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون
لم دخلتم النار فانا ادخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ
بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل وعن يزيد بن هرون بن مات وكان واعظا زاهدا
فرؤي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما اتاني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى
الله كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج

الى الشرح وجمك المامور حجتنا يوم تاتي الناس بالحجج ولما امرهم الله تعالى بالايمان وترك الاضلال وبالتزام الشرايع وموافقة
القول الفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا
على ما تحبون من الدنيا والتدخل فيها بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم
ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر
لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه يقال لشهر رمضان شهر الصبر
ومن حبس نفسه عن قضاء شهوة البطن والفرج زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة
الله وانما قدم الصبر على الصلوة لان تاثير الصبر في ازالة ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات
ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اى واستعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه
وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على ما يهمه الى الله
بالصلوة والصبر كلما يلم به امر اعتنا بها في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم
بالطويات والاسرار ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وكان من عند البلاء وانكشاف الغموم والقرب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اى الصلوة والاستعانة بها وجميع المامورات والمنهيات في هذه
الايات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا ربهم وانهم
الى الحكم راجعون فتصدر عنهم الاعمال من طيب النفس وانشراح صدر ولهذا قال في المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا
كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالملحد اذا لم يعتقد في فعلها منفعة لا يواتيه طبعه في الاشتغال بها وان كان
زمانا يسيرا فيثقل عليه والموحد حيث اعتقد في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه
ترجية الاوقات بوظايف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال
روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن والتواضع ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة
وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم يجوز لان الظن هو الاعتقاد
الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اي البعث والنشور كفر فكيف يمدح به وسبب هذا التجوز انهما يشتركان
في رجحان الاعتقاد وانما افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الاخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقرب
من العلم وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقات الرب اما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب
اللقاء ووقته غير معلوم الا انه متوقع بكل لحظة ووقوعا راجحا عند المؤمن لانه قطع امله او لانه يحب لقاء ربه ان زعمتم انكم اولياء
لله من دون الناس فتمنوا الموت ويحتمل ان يكون معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان
الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وباعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات
المدح وبقي ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة بالاية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد
الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويتناول
الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء
في اللغة وصول احد الجسمين الى الاخر اتصال التماس وهذا اللقاء سبب الادراك بحيث يمتنع حمله على اصله وجب حمله
على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك مانع اضمر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف
الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي الاية لا ضرورة فحمله على الادراك
اولى البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك
في اول الخلق بخلاف ايام حيوتهم في الدنيا فانه قد ملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال
فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون فدلت الاية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما
والله اعلم

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا

ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون

القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف العالمين ينصرون
التفسير انما اعاد الله سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من
الناس كقوله باركنا فيها للعالمين ويقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة لقرينة العلم بانه لم يو كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلكم
على عالمي زمانكم لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد
لكنه مطلق في الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة فالاية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان
يكونوا افضل من كل العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها وقيل الخطاب لمومني بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا
قردة وخنازير وفي جميع ما يخاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه المعرب لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء
تنبيه وارشاد لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب روي عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله
بنو اسرائيل وما يغني بما تسمعون غيركم واتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدايد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى
وقوله لا تجزي الى اخر الاية الجمل منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه
ومنهم من يقول اتسع فيه فجرى مجرى المفعول فيه فحذف الجار فهو في فبقي لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قوله ام مال اصابوا
قال شعر فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ولا يخفى ان هذا التكليف لا يتمشى في ساير الجمل بل
يتعين تقدير الجار والمجرور العايد ومعنى لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي ضحى بها ابن نيار قبل
الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في تقدير المصدر اي قليلا من الجزاء مثل ولا يظلمون
شيئا ومعنى تنكير النفس ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك
قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى وفي الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة
لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا فداء والضمير في ولا تقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية غير المجزي عنها
وهي التي لا يوخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها
لو شفعت لها لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا منها لا يوخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عايدا الى ما دلت
عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي مثل ثلثة انفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل
عظيم وتنبيه على ان الخطب شديد لانه اذا وقع احد في كربة وحاولت اعزته دفاع ذلك عنه بدات بما في نفوسها الابية من مقتضى
الحمية فيتحمل عنه ما يلزمه وتذب عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان راى من لا طاقة له بما نعته عاد بوجوه
الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن هذه الامور تعلل بما امكنه
من نصر الاخوان ومدد الاخدان فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير من المعاصي وترغيب في
تدارك ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استعداد ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة
وتلافي البوادر فالاية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذا اليوم الاية قبول
الطاعة على اخذ الفدية وفي موضع اخر من هذه السورة عكست القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب
المال الى علو النفس فيتمسك اولا بالشفيع ثم يستروح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة فيغير الترتيب
اشارة الى الصنفين والله اعلم واعلم ان الشفاعة هي ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان
صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة اجمعت على ان لمحمد صلى الله عليه رتبة الشفاعة في الاخرة وعليه حمل
قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه لا شفاعة للكفار وبقي الخلاف
فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقي خالدا في النار ولا شفاعة له و
ساير الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والايات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة كثيرة
عرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدين فيها ابدا فخرج غير صاحب الكبيرة وبقيت الاية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود
كانوا يدعون ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوق

يجي بما يجي الغرضين في الايات المناسبة ان شاء الله تعالى ولما ثبت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض
والنقصان من القابل ويجوز ان لا يكون الشيء مستعدا لقبول الفيض من واجب الوجود الا انه يكون مستعدا لقبول ذلك
الفيض من شي قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشي متوسطا بين الواجب وذلك الشي ومثاله في المحسوس الشمس فانها لا تضئ
الا القابل لها كالسقف فانه لما لم يكن مقابلا لم يكن مستعدا لقبول النور منها لكنه لو وضع طشت مملو من الماء الصافي
انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسايط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين
السقف وهذا يدل على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث لا شفاعة الا له

واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ
فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون واذ واعدنا
موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم
من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

القراءة سوء العذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعا مفتوحتين الاصبهاني عن ورش وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل
ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القران حمزة وعلي وخلف وعن ابي عمرو وحمزة ما بين الفتح والكسر
وان حاله على مفعول في الفتح لاعن اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص ورويس المفضل والاعشى والبرجمي والفرقان لعلكم مدغما عباس
وكذلك بدعا ادغام قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضمومة ما قبلها مثل وكون كالكبرا والياء المكسورة
ما قبلها مثل سبتا والنبيين اولا الالف المفتوح ما قبلها مثل والمؤمنين وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم عظيم تنظرون
ظالمون تشكرون تهتدون التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعم على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة
ليكون ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان وكذا واذ في جميع هذه
القصة بمعنى محذوف الوقت مفعول به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة المكان العالي لان من صار اليه نجا اي
تخلص من ان يعلوه سيل ولان الموضع تخلص مما انحط عنه واصل ال اهل بدليل اهيل واهالي في تحقيره وتكسيره على الاعرف قلبت
الهاء على خلاف القياس همزة ثم الف وجوبا فان الالف بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الا في الاشرف له خطر يقال ال النبي ال
الملك ولا يقال ال الحايك فانما يقال اهله وهكذا لا يقال ال البلد وال العلم وانما يقال اهلها وعند الكسائي اصله اول بدليل
تصغيره عند بعضهم على اويل كانهم يولون الى قلب الواو الفا على القياس وفرعون علم لمن ملك العمالقة ولا يخلق بن لاوذ بن ارم
بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وتبع لملك اليمن واختلف في اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان
وابن اسحاق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس
وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعفه لان كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة
وقال محمد بن اسحاق هو غير فرعون يوسف فان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بال فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا على
اهلاك بني اسرائيل بامره والفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر يسومونكم من سام خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن
كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء
العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب
كله سوء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سايره والمراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في ذلك
العذاب فابن اسحاق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في الاعمال فصنف يبنون وصنف يحرثون ومن لم يكن من اهل العمل وضع عليه جزية يودونها
السدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة وكثير الكنيف ونحوه ولا ذنب اكون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لاسيما

في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان يأخذ بهم رأفة واشفاق من اشد العذاب حتى ان من هذه حالته ربما تمنى الموت سئل عن حكيم
اي شئ اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال يذبحون ابنائكم
ومعناه يقتلون الذكور من اولادكم دون الاناث والذي دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي افناء الرجال وانقطاع النسل
بالآخرة ومنها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى تمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء
القوي في الانتفاع بالمولود من اعظم العذاب ومنها ان الابناء احب وارغب من البنات ولهذا قيل شعر سروران ما لهما ثالث
حيوة البنين وموت البنات لقوله صلى الله عليه وسلم دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن
مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالابناء الرجال ليطابق النساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع
المراة من غير لفظها قالوا وانما كان يأمر بقتل الرجال الذين يخاف عليهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالابناء
الاطفال للظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن
لالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن اطلاق النساء عليهن مثل
اني اراني اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابرهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت
كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كبارهم يموتون
والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدي ان فرعون راى نارا اقبلت
من بيت المقدس حتى استولت على بيوت مصر واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسالهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس
من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا قال بقتل ابنائهم في تلك السنة قيل والاقرب
هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والا قدح ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا محتملا
والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجل البديهيات وهو انه
ممكن الوجود فعده من العقلاء لا يكون من العقل ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا كفر
الجحود والعناد او يقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابرهيم ثم واقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت اذا اخبر الله تعالى
عنه بان قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود
ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابرهيم بواو فالوجه فيه
انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة
سوى الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن
عليهم والذي في ابرهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مامورا بذلك في قوله وذكرهم بايام الله وعن بعضهم ان معنى يستحيون
يفتشون حياء المراة اي فرجها هل بها حمل ام لا وفيه تعسف والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير بذلكم الى الانجاء
والحمل على النعمة اولى لانها هي التي يحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث نجوا
اهلاك من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ في اذلالهم وههنا نكتة وهي انهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة
الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا وكانه قيل لا تغتروا بفقر محمد وقلة انصاره في الحال فانه
سينقلب العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا
ويتنسى امر الاخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة وهي صفاتها الذميمة واخلاقها الردية تسوم الروح الشريف بذبح ابناء الصفات
الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال القذرة الحيوانية ولا ينجيه من ذلك الا الله تعالى قوله
واذ فرقنا بكم البحر نعمة اخرى في نعم اي فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وعلى عدد الاسباط لو كانوا اثني عشر
ومعنى بكم انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما او يراد فرقناه بسبب انجائكم لان يكون حالا اي ملتبسا
بكم روي انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال في معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بني اسرائيل ان يستعيروا
حلي القبط اما ليخرجوا خلفهم لاجل المال واما ليبقى اموالهم في ايديهم ثم نزل جبرئيل وقال اخرج ليلا كما قال الله تعالى واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي ليلا وكانوا ستمائة الف كل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر الى فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال
الراوي فوالله ما صاح ليلة ديك فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى يجتمع الى ستمائة
الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه الف الف ومائتا الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله تعالى فاتبعوهم
مشرقين اي بعد طلوع الشمس فلما شارفهم موسى الى البحر قال له يوشع اين امرك ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى البحر فاقحم

يوشع

يوشع فرسه في البحر وكان يمشي في الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس وهو عليه ثم رجع وقال له يا موسى اين امر ربك فقال البحر
فقال والله ما كذبت وما ربك كذب ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فانشق البحر اثنى عشر
طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهب الصبا نحو البحر حتى صار طريقا يبسا فاخذ كل سبط منهم طريقا ودخلوا فيه فقالوا
لنبيهم اين اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم
السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان المياه فصارت فيها كوى فتراؤوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون
لما بلغ شاطئ البحر راى ابليس واقفا فنهاه من الدخول فهم ان لا يدخل البحر فجاء جبرئيل على مهر فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون
داخل البحر فصاح مكائيل بهم الحقوا اخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم الماء فذلك قوله تعالى واغرقنا
آل فرعون قيل ذلك اليوم كان يوم عاشورا فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وانتم تنظرون انكم ترون التطام امواج
البحر بفرعون وقومه وقيل ان قوم موسى سالوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسال موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائتي الف نفس فنظروا
اليهم وقيل المراد وانتم بالقرب منهم قال الفراء لقد ضربت واهلك ينظرون اليك فما اعانوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان
كانوا لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب
وفرعون النفس الامارة وقومه صفات النفس والعصا عصا الذكر فينفلق بحر الدنيا بنفي لا اله ويتشبك ماء شهواته يمينا وشمالا
ويرسل الله تعالى ريح العناية وشمس الهداية على طريق بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات ويخوض موسى القلب وصفاته
فيعبرون بتنجيم عناية الا الله الى ساحل البحر وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم ولما دخل
بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ونسبه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث
بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذي القعدة وعشر ذي الحجة وانما
قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي لان الليل وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر لشرفها ولعدد الاربعين خاصية
يعرفها اهل الذوق ولهذا جاء في الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والجنين يتقلب
في الاطوار في الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد من
تقدير مضاف اي انقضاء اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اي تمام الاربعين ومن قرا واعدنا من المواعدة
فمعناه ان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله في الاعراف كقوله
ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فصل اولا ثم اجمل ومعنى ثم في قوله ثم اتخذتم العجل استبعاد مضمون
ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته ولانه تعالى لما واعد موسى حضور الميقات لانزال التورية عليه بحضرة السبعين
تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهارا لدرجة موسى وسائر بني اسرائيل واتوا عقيب ذلك باشنع انواع الجهل والكفر كان
ذلك في محل التبعيد والتعجيب كما تقول احسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدني بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من
الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل
قالوا تخذ يتخذ وقد اجرى اتخذ مجرى الافعال القلبية في الدخول على المبتداء والخبر نحو جعل وصير فلان تقديره اتخذتم العجل
الها الا انه حذف الثاني للعلم به ولذكره في مواضع اخر منها في طه فقالوا هذا الهكم واله موسى وقوله من بعده اي من بعد
مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني اسرائيل الثياب والحلي التي استعاروها من القبط
قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامري في مسيره مع موسى ثم في البحر نظر
الى حافر دابة جبرئيل حين تقدم في البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامري اخذ ما كان معه من الذهب وصور
منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت كانه الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذ القوم الها لانفسهم ولهذا
وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله وانتم ظالمون كما قال ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه و
المشرك وضع اخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو في وانتم اما للحال واما للاعتراض اي وانتم اقوام من عادتكم
الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد
الخميصة وقال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوه
كانه قال ان هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد الى هذه الغاية فكيف هؤلاء
الاخلاق والاخلاف وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود من الخلاف والمشاقة فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد وما اقطع شان الجهلة المقلدة رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا

بان يكون البشر نبيا وقد تحمل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة
التي تكاد تكون قريبة من حد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدقه ما اتى وذلك ان السامري القى الى القوم ان موسى عم
انما قدر على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك
بان جعله بحيث خرج منه صوت عجيب واطمعهم في صيرورتهم مثل موسى في اتيان الخوارق اذ لعل القوم كانوا مجسمة و
حلولية فجوزوا حلول الاله في بعض الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة
محمد صلى الله عليه وسلم فانهم بعد مشاهدة الايات العظام القريبة من الالهام عبدوا الاصنام بل الانعام وامة محمد صلى الله عليه
وسلم مع ان معجزتهم القران وهو لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا نبيهم طرفة عين بحال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم
في التورية ومثلهم في الانجيل وقوله ثم عفونا عنكم اي حين تبتم بان تقتلوا انفسكم من بعد ذلك الامر العظيم الذي ارتكبتموه
من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى وهو في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان
يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية نحو رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود و
الجراة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال و
الحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هناك ان ذلك لاجل موسى وفي هذه الاية بين ذلك التخصيص على سبيل
التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر وقيل اتينا موسى التورية ومحمد الفرقان لكي تهتدوا
به يا اهل الكتاب وفيه تعسف

واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم
فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ● واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ● ثم بعثناكم
من بعد موتكم لعلكم تشكرون ● وظللنا عليكم الغمام
وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما
ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ●

القراءة بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو بكر وطريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وقرا ابو عمرو بالاختلاس
انه هو مدغما ابو عمرو وغير عباس وكذلك الكل ما كان بينهما ياء او واو ملفوظة مثل من دونه هو وانه تقوى واشباه ذلك حتى حيث كان
بالامالة نصير والعجلي نرى مكسورة الراء وروى ابن رومي عن ابن عباس وابو شعيب عن اليزيدي وكذلك الكل بياء بعدها ياء استقبلها
الف ولام مثل ولو يرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلي وخلف وقرا ابو عمرو
بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى **الوقوف** فاقتلوا انفسكم عند بارئكم لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم الرحيم
ينظرون تشكرون السلوى ما رزقناكم يظلمون **التفسير** انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك
من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة في حق اولئك الباقين وفي
اعقابهم الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشيء
من ذلك متى رجعوا عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلى الله عليه وسلم في التوبة فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها
على النفس فلان يرغب احدنا في مجرد الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدي ضرر فبين ههنا

ان الضرر انما يعود على انفسهم فبذلك استحقوا العذاب الابدي والفرق بين الفاآت الثلث في الاية ان الاولى للتسبيب لا غير
لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب اما لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل
النفس في شرعهم لا بالندم واما لان تمام توبة المرتد في شرعهم والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان
القاتل عمدا لا يتم توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول او يقتلونه ومعنى الى بارئكم المنهي عن الريا في
التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اي القتل خير لكم عند بارئكم
جملة معترضة عند التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والموت لا بد واقع
فليس في تحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة على الفاء الفصيحة اي المفصحة عن محذوف تقديره فان تبتم فتاب عليكم
وعلى هذا يكون الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى
كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق
على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العليم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال
المختلفة بروا من التنافر مناسبة للحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة والغباوة فلا جرم كان جزاؤهم
بتفكيك ما ركب من خلقهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وعظموها باتخاذ من لا يقدر على شيء
منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح
في الحال او في المال واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون كقوله ولا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم فسلموا على انفسكم
وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد
العجل منهم وقيل لما امرهم موسى عم بالقتل اجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيل على حدة واتاهم
هرون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاحتبوا
بافنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او منظر اليهم او اتقاهم بيد او رجل ويقولون امين دوى
ان الرجل كان يبصر ولده او والده او جاره فلم يمكن المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلون
الى المساء وقام موسى وهرون يدعوا الله ويقولان هلكت بنو اسرائيل البقية البقية يا الهنا فكشفت الضبابة والسحابة و
اوحى الله تعالى اليه قد غفرت من قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل
ومنهم من لم يعبد ولكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى
قالوا معنى قتل النفس قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس وقوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة
كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى عم من الطور الى قومه فراى ما هم عليه من عبادة
العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال فاحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى
سل ربك حتى نسمع كلامه فسال موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا
موسى عم من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وادعوا وكان موسى عم متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع
احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني انا الله لا اله الا انا ذو
بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد
ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كان الذي
يرى بالعين جاهر بالروية والذي يرى بالقلب مخافت بها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع من الروية كما ان تلك نوع
من القعود ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال يعني ذوي جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر كالغلبة واما لانه جمع جاهر وانما
اكد وابهذا لئلا يتوهم ان المراد بالروية العلم او التخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقتهم اي اماتتهم فقيل نار وقعت
من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعق
موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم بدليل ما ينظرون اليه لقوله وانتم
تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم
وليس معي واحد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة
البعث بعد الموت او نعم الله بعد ما كفرتموها فطلب توبة بني اسرائيل عن عبادة العجل فقال لا الا ان تقتلوا انفسهم وقيل
ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان ياتيه موسى في ناس

من بني اسرائيل معتذرين الى الله من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء
لماذا رجعت اليهم ولا يكون معي منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى
ان هي الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الاخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا
الا اعطاك فادع يجعلنا انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قال المفسرون وليس في الاية ما يدل على ترجيح احد
القولين على الاخر ولا على ان الذين سالوا الرؤية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة
لانه خطاب شافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا تستعمل في الموت ثم
في الاية فوايد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها تشبيه هودهم
معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بجحود اسلافهم نبوة موسى مع مشاهدتهم لعظم تلك الايات ليتنبهوا انه انما لا يظهر على النبي
صلى الله عليه وسلم مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفواده كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا اخبره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة
تلك الايات كانوا يرتدون كل وقت ويتحكمون عليه وكيف يتعجب من مخالفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالاية على امتناع رؤية
الله تعالى لانها لو كانت امرا جايز الوقوع لم ينزل بهم العقوبة كما لم ينزل بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت في قولهم
لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته تعالى في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته في الاخرة الذي هو محل
النزاع فلعل رؤيته يقتضي زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح الرؤية دليل زايد على صدق
المدعي بعد ثبوته تعنت وايضا لا يمتنع ان الله علم فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء بسالك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاء الاستنكار ولان طالبه
الرؤية جهرة مطالعة الذات غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى
وظللنا اي جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه كما يجيء في المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظل
ضوء ثان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول
بطوله كما كان لادم قبل الزلة وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع لا ازيد
ويبعث الله الجنوب فيحشر عليهم السلوى وهي السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا ازيد مجاهد المن صمغ حلو وهب هو الخبز الرقيق
الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم وهذا كاثر وعن عمر فوعا الكماة من المن وفيه شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طاير
احمر كلوا على ارادة القول اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعني فظلموا بان
كفروا هذه النعم فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم
يظلمون لان وبال الظلم عايد عليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال هاهنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة
كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله في ال عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل ٥ ٥

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا
وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم
وسنزيد المحسنين ● فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا
على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ●

القراءة نغفر بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وجبلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وابو زيد
عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء نغفر لكم مدغما كل القران ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة علي قولا غير بالاخفاء يزيد

وابو شنبطاعز قالوزف كذلك يخفيان التنوين والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او اولها الوقوف خطاياكم
المحسنين يفسقون التفسير القرية مجمع الناس من قريت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق
القرية على البلد والجمع القرى بغير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها
قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوي في النسبة الى الظبية وعلى خلاف القياس عند سيبويه حيث يقول
ظبيي على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه وقيل الباب باب القرية
التي كانوا امروا بدخولها وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا
لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات وخشوع وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم
يخفضوها ودخلوا مترجحين على اوراكهم وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدا محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة
واصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت كقوله شعر شكا الي جملي طول السرى يا جملي ليس الي
المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى الاصل صبرا اي اصبر صبرا كان القوم امروا ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا
بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة
القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزم ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب لا لان التوبة
لا تتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن
نفسه وكذا من عرف بمذهب خطا ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطاء عدوله ليزول التهمة عنه في
الثبات على الباطل وليعودوا الى مثل الاثر بعد معاداته ويحسن الظن به وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا حطة ان نحط في
هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى الغفران في نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفر الله تعالى فقد
غفرت واذا غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المونث وحال بينه وبين الفاعل حايل جاز التذكير والتانيث والخطا
الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطا خطأ وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا
واصله خطايئ بياء ثم همزة ابدلت الهمزة الفا فانفتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به ولكن
الفاصلة اي سنزيدهم احسانا او ثوابا او سعة وذلك لان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف
واما من هو محسن بطاعة اخرى في ساير التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه
الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اي المحسن بها نزيد على غفران الذنوب
ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا ثم قولكم حطة موثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك
بطاعات اخر زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن مخطئ تصير الكلمة سببا لغفرانه ومن محسن تصير سببا لزيادة
ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى
مفعولين واحد بنفسه والاخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل
بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول والمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى
ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين وهو لفظ حطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر
مستقل بمعنى ما امروا به لم يواخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا
مكان حطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بين العراقين حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم عدولا عن
طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين
ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو ان وضعوا غير ما امروا مكان
ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله
عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشي عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من
جهة العلو كرعج ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر النازل من عند الله تقطيعا لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة
الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التاكيد واما ان يراد انهم
استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزل الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلونه قبل ذلك التبديل مستمرا الى
اوان هذا الظلم اظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا ينبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار

لو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا ومما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا انه الذى لا يجوز تحريم الصلوة
بلفظ التحميد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها و
اجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير
اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الاية يتناول كل من بدل قولا بقول اخر سواء اتفق القولان فى المعنى او لم
يتفقا اسؤله لم قال فى البقرة واذ قلنا وفى الاعراف واذ قيل لانه صرح بالقايل فى اول القران ازالة للابهام ولانه الكلام مرتب
على قوله اذكروا نعمتى وفى الاعراف لم يسبق الابهام ولم قال هنا ادخلوا وهناك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة
مقدمة فى الذكر على الاعراف ولم قال فى البقرة فكلوا وفى الاعراف وكلوا بالواو لما بيّنا فى قوله وكلا منها رغدا وفى
الاعراف فكلا ولم قال فى البقرة خطاياكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا
الى نفسه وكان اللايق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهنا لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل
هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكر فى الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفى
الاعراف بالعكس لان الواو لجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللايق بالمحسن الله ثم العبادة والخضوع ثم
ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللايق بالمسئ عكس ذلك ولانه ذكر فى هذه السورة ادخلوا هذه القرية
فقدم كيفية الدخول ولم قال فى البقرة وسنزيد المحسنين وفى الاعراف سنزيد لانه فى الاعراف ذكر امرين قول الحطة وهو
اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران والاخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزع
الجزائين على الشرطين وفى البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعنى دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو
وايضا الاتصال اللفظى حاصل فى هذه السورتين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف لان من اللايق به سنزاد فحذف
الواو ليكون استينافا للكلام وما الفائدة فى زيادة كلمة منهم فى الاعراف لان اول القصة مبنى على التخصيص ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عد صنوف انعامه وامره عليهم فلما انتهت القصة
قال فبدل الذين ظلموا منهم فهناك ذكر امة عادلة وههنا ذكر امة جائرة فصار اخر الكلام طابقا لاوله واما فى البقرة فلم
يذكر فى اول الايات تميزا وتخصيصا حتى يلزم فى اخر القصة مثل ذلك لم قال فى البقرة فانزلنا وفى الاعراف فارسلنا لان
الانزال يفيد حدوثه فى اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية وانما يحدث بالاخرة وقيل
لان لفظ الارسال فى الاعراف اكثر فروعى التناسب لم قال فى البقرة بما كانوا يفسقون وفى الاعراف يظلمون لانه لما بين فى
البقرة كون الظلم فسقا اكتفى بذلك البيان فى الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين
فى موضعين والله اعلم بالصواب ٥

وَاِذِ اسْتَسْقٰى مُوسٰى لِقَوْمِهٖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا
مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نَصْبِرَ
عَلٰى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا
وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ
اَدْنٰى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَاِنَّ لَكُمْ مَا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوا

يكفرون

يَكْفُرُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ

القراءة عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم الهاء والميم حمزة
وعلى وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة
فقط وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين وبابه بالهمز نافع الا فى موضعين فى الاحزاب ان وهبت
نفسها للنبى وبيوت النبى الا فزوى اسمعيل وقالون عنه بغير همز **الوقوف** الحجر لحق المحذوف اى فضرب فانفجرت عينا مشربهم
مفسدين وبصلها هو خير سالتم لان قوله وضربت ابتداء باخبار عما يؤل اليه حالهم من الله بغير حق يعتدون **التفسير**
جمهور المفسرين سوى ابى مسلم على ان هذا الاستسقاء كان فى التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقياء فقيل له اضرب بعصاك
الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان
تتقدان فى الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان حجرا مربعا له
اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلثة اعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى السبط الذى امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف
وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا وقيل اهبطه ادم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذى وضع
عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه
معجزة فحمله فى مخلاته واما للجنس اى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر فى الحجة و
ابين فى القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا فى مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصفة والشكل
فقيل كان من رخام وكان ذراعا فى ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا لم يعتبر الفوقانى ومقابله واما
الضرب فقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون والفاء فى قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق فى فتاب عليكم وفى هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف
من اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس واحد ومعناه خروج الماء بسعة و
كثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخلافهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجه بان الفجر فى الاصل هو
الشق والبجس الشق الضيق فلا يتنافيان كالايتنافى المطلق والمقيد والعام والخاص ولعله انبجس اولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون يظهر
الماء ما قليلا ثم يكثر لدوام خروجه او لعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس اى كل سبط مشربهم كان امر
كل سبط مشربهم كان امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة فى الرهط الواحدان لا يقع بينهم
من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم وانما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما اجمل
فى قوله اثنتا عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اى وقلنا او وقال لهم كلوا من
المن والسلوى الذى رزقناكم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تثبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء وكانما
اعطاهم الماكول والمشروب والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مقررة
لمضمون جملة اسمية وقيل حال منتقلة ومعناه النهى عن التمادى فى حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بانه ان وقع التنازع بسبب
ذلك الماء فلا تبالغوا فى ذلك التنازع ويرد على هذا القول ان الافساد منهى عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضى ان يكون المنهى عنه
هو التمادى فى الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان يقال ان المنصوبات فى نحو قوله عز من قايل ولا تعثوا فى الارض مفسدين
ثم وليتم مدبرين وفى نحو قولهم تعال جائيا وقم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو قاعدا وقد سار الركب بعنى فى الاية بحث
وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فان له ان يحدث اى فعل خارق شاء
من غير ان يطلب له سبب وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسايط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم
وجوز والانقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الكاين فى الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه انس انه اتى النبى
صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس
كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود فى الجملة اما نبوعه من بين
الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانسانى وصفاته فى عالم القالب بمثابة موسى وقومه وانه يستسقى ربه لاروائهم
من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفى والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس
على حجر القلب فينفجر اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط الانسان وهى خمس حواس

ظاهر وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فتستوفي حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الاية زعم بعض
المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان اللائق بحال المكلف الصبر على ما ساقه الله اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا
صفوا ولاسيما اذا كان المسؤل ادون واخس ولهذا انكر موسى عليهم فقال اتستبدلون وقال الاخرون انه غير معصية لان قوله كلوا
واشربوا عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء من اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فنزعوا الى ما الفوه ورغبة الانسان
فيما اعتاده في اصل التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاد وان كان شريفا ولعلهم من التيه فسألوا هذه الاطعمة
التي لا توجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فيصح ان يكون
التبديل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل ومن كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من نصيب وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة
نفي التبديل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا
ويجوز ان يريدوا انهما صوب واحد لانهما معا من طعام اهل البلاد والترف ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه ومعنى يخرج
لنا يوجد ويظهر والبقل ما ابنته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث وغير ذلك من اطايب البقول التي يأكلها الناس
عادة والقثاء الخيار والفوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو للعدس والبصل اوفق وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية
ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اخبزوا وقال الفراء هي لغة قديمة الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون مقدار
كقولهم في ضده هو بعيد المحل وبعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا
نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية ومصر اما مصر فرعون والتنوين
فيه في القراءات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمة واما مصر من
الامصار كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا
اراد ان يبين مال حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين الخزي
والهوان فقال وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى الزمتهم ضربة
لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلاء اصل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم و
تفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القران وحيا نازلا من السماء على محمد صلى
الله عليه وسلم هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك قوله وباءو بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا
بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه وهو ارادة انتقامه ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والخفاءة بالغضب بسبب كفرهم بايات الله اي القران بل وبالتورية لان الكفر به مستلزم للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد
قتلت اليهود لعنوا اشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل فان الاتي بالباطل قد
يكون ما اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد ياتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وادخل في الفحش ونحوه ومن
يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعي الاله الثاني برهان والنبي بالهمز فعيل بمعنى فاعل من نبا بالتخفيف اي اخبر
لانه نبا من الله قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبا مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمزة في النبي كما تركوا في الذرية
والبرية والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك وقيل اصله من نبا
من ارض الى ارض اي خرجت منها الى اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبي الله اي اخرج من مكة الى المدينة وقيل النبي
بالادغام من النبوة وهي ما ارتفع من الارض اي انه شرف على سائر الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول انما جمع على
انبياء لان الهمز لما ابدل والزم الابدال جمع جمع ما اصل له لامه حرف العلة ذلك بما عصوا تاكيد بتكرير النبي بغير اللفظ الاول
كقول السيد لعبده وقد احتمل منه ذنوبا سلفت عنه فعاقبه عند اخرها هذا بما عصيتني وخالفت امري وهذا بما تجرات علي
واغترت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر والقتل على معنى انهم انهمكوا في العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا
على جحود الايات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك الكفر والقتل مع عصوا سائر انواع المعاصي واعتدوا حدود
الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم بين سبب ذلك او لا بما فعلوه في حق
الله تعالى وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يتلوه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي المتعدية
الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب وقيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين سبب ما نزل بالفريقين من البلاء ليظهر انه لا يتخلف ذلك على قانون العدل له

وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي ال عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا فلنا الحق المعلوم فيما بين
المسلمين الذي يوجب القتل ما في قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمانه وزنى بعد احصان
وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد تاكيد العموم اي لم يكن هناك لا هذا الذي يعرفه
المسلمون ولا غيره البتة والله تعالى اعلم واحكم ٥

ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ● واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم
من الخاسرين ● ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا
لهم كونوا قردة خاسئين ● فجعلناها نكالا لما بين
يديها وما خلفها وموعظة للمتقين

القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وعلي وخلف وورش من طريق البخاري والخزاز عن هبيرة وكذلك كل راء بعدها ياء
وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى واسارى وبوارى ووارى كلها بامالة ما قبل الالف الصابين بغير همز
ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة **الوقوف** عند ربهم لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون
الطور لان التقدير وقلنا لكم خذوا تتقون من ذلك لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين خاسئين للاية والعطف
بالفاء للمتقين **التفسير** قد انجر الكلام في الاي المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب ومن نقض اثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته
سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين امنوا واختلف المفسرون ههنا لان قوله في اخر الاية من امن يدل على ان المراد
من قوله امنوا شيئا اخر كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا فعن ابن عباس المراد الذين امنوا قبل مبعث محمد بعيسى عليهما السلم مع البراءة
مع اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري كانه قيل ان
الذين امنوا قبل مبعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل لليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى كل من امن بعد مبعث محمد بالله و
اليوم الاخر وبمحمد فلهم اجرهم وعن سفين الثوري ان الذين امنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون والذين هادوا يقال هاد
يهود وتهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين امنوا هم المؤمنون
بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة وهو عائد الى الماضي وكانه قيل ان الذين امنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين من امن
منهم وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا عن ابن عباس وقيل نسبوا
الى يهودا اكبر ولد يعقوب وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التورية واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان
ينزلها عيسى ع قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى ع قال للحواريين
من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران ومؤنثه نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمز
اشتقاقه من صبأ الرجل يصبو اذا خرج من دينه الى دين اخر وكانت العرب يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابئا لانه اظهر دينا
على خلاف اديانهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وعن قتادة قوم يعبدون الملئكة
ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل وهو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه

امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء الثانى انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر
تعظيمها لانها هى الالهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه ويذهب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابرهيم صلوات
الرحمن عليه فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاول اذا امنوا بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما اوجبه كالايمان برسله وامنوا باليوم
الاخر وبما وعد فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من امن رفع على انه مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة
خبر ان او نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من والذين معنى الشرط قال اهل البرهان
قدم النصارى على الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب فى الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وادعى فى المائدة
المعنيين فقدمهم فى اللفظ واخرهم فى التقدير لان تقديره والصابئون كذلك قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها
معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النقم وللمفسرين فى هذا الا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل
الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف
والكذب والتبدل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم وثانيها ما روى عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من
عند ربه بالالواح فرا واما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها امر فجبرئيل بقلع الجبل الطور من
اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فحينئذ قبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان الله ميثاقين
الاول حين اخرجهم من صلب ادم واشهدهم على انفسهم والثانى انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد وانما قال
ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اى كل واحد منكم او لان الميثاق شى واحد اخذ من كل واحد منهم ولو قال
مواثيقكم لاشتبه ان يكون لكل منهم ميثاق اخر والواو فى ورفعنا اما واو عطف ان جعل الميثاق مقدما على رفع الجبل كما فى قول الاصم
وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم وقيل الطور هو الجبل مطلقا عن
ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذى وقع المناجاة عليه ويجوز ان ينقله الله تعالى الى
حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل فى الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا
على ارادة القول اى وقلنا خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة وغير متكاسلين ولا متغافلين وقيل بقوة ربانية
واذكروا ما فيه احفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر لان الذكر الذى هو ضد
النسيان من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون رجاء منكم ان يكونوا متقين او قلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم
معطوف على محذوف اى فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة
الى التقدير من بعد ذلك اى من بعد القبول والالتزام قال القفال قد يعلم فى الجملة انهم بعد قبول التورية ورفع الطور تولوا عن التورية
بامور كثيرة فحرفوا التورية وتركوا العمل به وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها
ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله اواخرهم ولم يزالوا فى التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون
عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصى فى عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور
فى تراجم التورية التى يقرؤنها ثم فعل متاخروهم بالاخفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب
انكارهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب وجحوده بحقه وحالهم فى كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم بامهالكم و
تاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اى من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله تعالى تفضل
بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثانى لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر قد انتهى عنده
قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله ولولا فضل الله عليكم رجوعا بالكلام الى اوله اى لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على
ردكم للكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضى
بدون قد لانها لتاكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او لتاكيد المضارع نحو ليضرب زيد ولكن قد تقرب الماضى من الحال فيصير
الماضى كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام فى التحقيق وعند الكوفيين تقدير القسم قبله عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا فى
زمن داود عم بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل اوب فى شهر من السنة حتى لا يرى الماء
لكثرتها وفى غير ذلك الشهر فى كل سبت خاصة فحفروا احياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان يدخلها فيصطادونها
يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد
استنت الابناء سنة الاباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد فى السبت ونهوهم فلم ينتهوا
وقالوا نحن فى هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما ينزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم

وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلثة ايام ثم ماتوا قال بعضهم وفى الكلام حذف اى ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون
المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه اما نفس الاصطياد
لانهم امروا من العقوبة فيه بالتجرد للعبادة فجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد
منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول انما امرنا لشى اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقردة خاسئين خبر
الكون اى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم
وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان تقول الاستاد للمتعلم البليد الذى لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان الانسان
هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التى باعتبارهما كان ذلك الجسم
انسانا وايجاد اعراض اخر باعتبارهما صار قردا وايضا لو جوزنا ذلك لم نامن فى كل ما نراه قردا وكلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك
شك فى المشاهدات واجيب بان الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسمانى سار فى جميع
البدن او جزء فى جانب من البدن كقلب ودماغ او مجرد كما تقول الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع فى بقاء ذلك الشى مع تطرق
التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التاويل يجوز فى الملك الذى يكون جثته فى غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول صلى
الله عليه وسلم ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغير
الخلقة وتشويه الصورة وعدم القدرة على النطق وساير الخواص الانسانية فيتالمون بذلك ويتعذبون ثم اولئك القرود
بقوا او افناهم الله تعالى وان بقوا فهذا القرود التى فى زماننا منهم ام لا والكل جايز عقلا الا ان الرواية عن ابن عباس انهم مكثوا
الا ثلثة ايام ثم هلكوا فجعلناها الى المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت وهذه الامة نكالا عقوبة شديدة رادعة عن الاقدام
على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ما يقصده الناس من التشفى واطفاء نايرة الغيظ وانما جعلناها
عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الاخرين فيعتبرون
او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم او جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم
والاولى عندى ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخة ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا
عنها فهم فى حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لانه امر اعتبارى والعقوبة فى نفسها واحدة
ثابتة على حالها لم تزدد لاجل الذنب المتاخر شى فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق
المتاخر المترقب مائة اخرى لكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين
لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن
الاعتداء من صالحى قومهم والله تعالى اعلم بالصواب ٥

واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا
هزؤا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ● قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك
فافعلوا ما تؤمرون ● قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال
انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ● قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله
لمهتدون ● قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى

الحرث مسلّمة لاشية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا
يفعلون ● واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم
تكتمون ● فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم
اياته لعلكم تعقلون ● ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي
كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
● وما الله بغافل عما تعملون

القراءة يامركم بالاختلاس ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مجموع ومن ذوات الراء هزوا ساكنة الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرا حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرا حفص عن الخراز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارأتم بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة هزوا الجاهلين نصف الجزء ما هي ولا بكر لا بين ذلك على تقدير قد بين لكم فافعلوا ما تؤمرون ما لونها صفراء الى اخر الاية لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين ما هي لان التقدير فان البقر او لا لان البقر ابلاء لعذر تكرار السؤال علينا لمهتدون الحرث لان قوله مسلمة صفة بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لاشية فيها جئت بالحق لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون فادارأتم فيها تكتمون للاية والفاء بعدها ببعضها لان التقدير فضربوه فحيي قيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون قسوة الانهار الماء خشية الله لتفصيل دلايل القدرة تعملون التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطرق ثم شكا ذلك الى موسى عم لما اجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسال الله فاوحى الله اليه ان الله يامرهم ان تذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجد ولها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها وامر موسى عم ان ياخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدا بالشكاية فقتلوه قودا واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا بالاية قالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بسؤالهم اخرا وبدليل انه لم يؤمر بتجدد بل المامور به في الثانية هو المامور به في الاولى بالاتفاق وبدليل المطابقة للذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في ان الامر ادي بقرة غير معينة وبدليل قول ابن عباس لو ذبحوا بقرة ما لاجزاءتهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على السؤال واجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد والتعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون مغايرا كلفوا في الاول اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان تكون صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ان تكون لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب منهم من قال في التكليف الواقع اخيرا يجب ان يكون مستوفيا كل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذ كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول الاشبه بالروايات وبطريقة التشدد عليهم منذ ترك الامتثال فاذا ثبت ان البيان لا يتاخر وان تكليف بعد تكليف دل على ان الاسهل قد ينسخ بالاشق وان المرتقى

لولا تدبا مره بالسهل اختيارا فاذا امتنع الولد منه وقد يرى المصلحة في ان ياموه بالصعب ويدل ايضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لاداية الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى عم ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ لما تتخذنا هزوا استفهام بطريق الانكار معناه لا تجعلنا مكان هزء او اهل هزء او مهزوا بنا والهزء نفسه لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى عليه السلام امرهم بذبح البقرة وما اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيى بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فعن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى عم هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى في الوحي وذلك ايضا كفر وعن اخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جايزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة او المراد ما اعجب هذا الجواب كانك تستهزئ بنا الا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين لاطلاق اسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى او اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم انه قيل ان المامور بذبحه بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما على قول القائل انها للعموم فلا بد من بيان ان ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا تكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين ساير العصي بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الاية العجيبة لا تكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على يد موسى او لعل القوم ارادوا قتل اي بقرة الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين وقال المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة رجعوا الى موسى او الخطاب وان افاد العموم الا ان القوم ارادوا الاحتياط فسالوا مزيد البيان وان اليه الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا باوصافها الخارجة فالجواب بالاوصاف الخارجة لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم وانما وقع السؤال عن المشخصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي السؤال عن الصفات الذاتية والخواص وسبب العدول اما اقامة الحقيقة الشخصية مقام الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة ايضا قد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها مغايرة لحقيقة ساير البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورتها واما لان الاستدلال السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بمن فكان طالبا للعوارض ومهما الجزئي غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت اخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف شعر نواعم بين ابكار وعون فان اتوك فقالوا انها نصف فان اطيب نصفيها الذي ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه يدخل على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون اي ما تؤمرونه مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به او امركم بمعنى مامورکم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير ولما بين لهم كال الحال في السن شرعوا في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التاكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قاني وارتفع اللون على انه فاعل سببي لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة وكانه قيل شديد الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك بان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند اعتقاد او علم او ظن بحصول شيء لذيذ او نافع وعن علي رض من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض الامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته الازلية وارادته السرمدية ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن والمعنى انا بمشية الله

تهتدى للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التى بها يمتاز عما عداها وانا ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا فى
البيان لمهتدون لها انا او انا ان شاء الله على هدى فى استقصاء السؤال اى نرجو انا لسنا على ضلالة فيما نفعله من هذا
البحث او انا بمشية الله نهتدى للقاتل لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض اى بقرة غير ذلول لم تذلل الكراب واثارة الارض و لا
من النواضح التى يستقى عليها السقى الحروث لا الاولى للنفى والثانية مزيدة للتاكيد لان المعنى لا ذلول تثير وتسقى على ان الفعلين
صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية والذل بالكسر اللين ضد صعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا
استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صبور وامراة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او مخلصة من العمل بحيثية
مرسلة عن الحبس او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شئ من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف
معظم لون الفرس وغيره اى لا لون فيها يخالف سائر لونها فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه اذا خلط
بلونه لونا اخر واصلها وشية حذفت فاوها كما فى عدة وزنة الان اسم للوقت الذى انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة
وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو بالف جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال فى امرها
فحصلوا البقرة الجامعة هذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو القطع اعلى العنق وهو المستحب فى الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة
اسفل العنق وهو المستحب فى الابل والمرعى فى الحالتين قطع الحلقوم والمرى لكن عنق الابل طويل فاذا قطع اعلاه تباطا الزهوق و لا
يكره الذبح فى الابل والنحر فى البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كاد
ينقطع خيط اسهابهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر
للوجوب بل الفور والا لما ترتب هذا الذم على تاخيرهم واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم فى شانها
لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اى يدفعه ويزحمه او ينفى كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا
عن البراءة والتهمة اصله تدارأتم ادغمت التاء فى الدال فاحتيج الى الهمزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير فى فيها الى القتلة المعلومة من
قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما كنتم تكتمون من امر القتل وقد حكى ما كان مستقبلا فى وقت التدارء كما حكى ما كان مستقبلا الحاضر فى
قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب
الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب الفساد وانه سيجعل الحق له سبيلا وان ما يستره العبد
من خير او شر ودام ذلك منه فان الله سيظهره ويفضحه قوله صلى الله عليه وسلم ان عبدا لو اطلع الله من وراء سبعين حجابا لاظهر الله
ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير فى اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص او الانسان ويحتمل ان يعود
الى القتيل بدلالة قتلتم او ما كنتم تكتمون واختلف فى البعض من البقرة وقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذى يلى
الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين فى اى بعض ارادوا وههنا محذوف
بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوا فحيى فقلنا كذلك يحيى الله الموتى روى انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما
وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذوا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا صلى الله عليه
وسلم ليس للقاتل من الميراث شئ والسر فيه ان استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وقول الشافعى رح لم يفرق بين
ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغى او غير مستحق عمدا كان او خطاء وعند ابى حنيفة رح لا يرث فى العمد والخطا الا ان
العادل اذا قتل الباغى فانه يرثه وقال مالك لا يرث من ديته ويرث من سائر امواله ومحل كذلك نصب على المصدر اى يحيى الله الموتى
مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين الا انهم لم يؤمنوا به تلك من طريق العيان
والمشاهدة وشتان بين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكرى البعث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يحتاج
الى تقدير وقلنا بعد تقدير فضربوه فحيى ويريكم اياته دلائله على انه قادر على كل شئ فدلالة هذه القصة على وجود الصانع
القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار فى الايجاد والاعدام اية ودلالتها على براءة ساحة من سوى القاتل اية
ودلالتها على حشر الاموات اية فهى وان كانت واحدة الا انها فى الحقيقة ايات عدة ويمكن ان يراد بالايات غير هذه اى مثل هذه الاية
يريكم سائر الايات كما ان مثل هذا الاحياء يحيى سائر الاموات وفى قوله كذلك دون ان يقال كهذا تعظيم للمشار اليه بتبعيده كما قلنا
فى ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لا اثر
للمخصصات فى ذلك فان قيل ما الفائدة فى ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة اكد
وعن الحيلة ابعد فلعله كان للمحتال يتوهم ان موسى عم انما احياه بضرب من السحر وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه
ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب ولما فى ذبح البقرة من القربان واداء التكاليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القر

على طلب الحوائج وما فى التشديد عليهم لاجل تشديدهم من اللطف لهم وللاخرين فى ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله
على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تاويله
من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الرب ان يكون من احسن ما يتقرب به فتى السن حسن اللون بريا من العيوب سمينا نفيسا
سمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم فان قيل هلا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ
قصة واحدة ويذهب الغرض فى تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال اولا وبقتل النفس المحرمة وما يتبعه من الاية ثانيا
على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير فى بعضها الى البقرة وهى مذكورة فى الاولى قوله ثم قست قلوبكم الاية خطاب لاولئك
اليهود الذين كانوا فى زمن موسى او الذين هم فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك الذى عددنا
من جميع الايات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة
والغلظ مثل لنبوها من الاعتبار والاتعاظ فهى كالحجارة مثلها فى القسوة او هى اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال
هى اقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف اى هى كالحجارة او مثل اشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد
مثلا وانما قيل اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط القسوة او لانه لم يقصد معنى الاقسى و
لكن قصد وصف القسوة بالشدة فكانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد
كريم وعمرو اكرم وكلمة او ههنا ليست للشك فعلام الغيوب لا يشك فى شئ وانما هى للتخيير اى بهما شئت شبهت فكنت صدوقا ولو
جمعت بينهما جاز ثم اخذ فى بيان فضل قلوبهم على الحجارة فى شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اى ان منها للذى
فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير وان منها للذى يشقق انشقاقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة
وقلتها فان الابخرة يجتمع فى باطن الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا تفشت وانفصلت وان كان صلبا حجريا اجتمعت وصارت
مياها ولا يزال يتواتر مددها الى ان ينشق الارض من مزاحمتها وتسيل انهارا وعيونا واما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا تتأثر من
الوعظ والنصح بعد مشاهدة الايات ومعاينة الدلائل ويشقق اصله يتشقق فادغم التاء فى الشين كقولهم يذكر فى يتذكر لما يهبط
بالذى يتردى على الجبل عند التسمى من خشية الله اما لانه تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والادراك كما روى من تسبيح الحصى فى كف
النبى صلى الله عليه وسلم واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد بها من الاهباط والانفصال عن
كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تأثر وقيل اى يزلزل من اجل ان يحصل خشية الله فى قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع و
الدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم فى الدنيا والاخرة
فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفى الصفة عن الشئ لا يستلزم ثبوت
صحتها مثل لا تاخذه سنة ولا نوم التاويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان فى ذبحها حيوة القلب الروحانى وهو
جهاد الاكبر موتوا قبل ان تموتوا شعر اقتلونى يا ثقاتى ان فى قتلى حيوتى * وحيوتى فى مماتى ومماتى فى حيوتى * مت بالارادة تحى
بالطبيعة وقال بعضهم مت بالطبيعة تحى بالحقيقة ما هى اى بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق والاخلاص لا فارض فى سن الشيخوخة
فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد ولا بكر فى سن شرخ الشباب فيستهويه
سكره عوان بين ذلك كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها
يريد انها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيما الصالحين لا ذلول تثير الارض لا يحمل ذلة الطمع ولا تثير بالة الحرص ارض الدنيا لطلب
زخارفها ومشتهياتها ولا تسقى حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق
مسلمة من افات صفاتها ليس فيها علاقة مطلب غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا
يعنى القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا او من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها اضرب لسان بقرة النفس
المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بدوام الذكر فيحيى باذن الله عز وجل وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار مراتب القلوب فى القسوة مختلفة فالتى تتفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها الغلبات انوار الروح بترك اللذات والشهوات
بعض الاشياء المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والهند والتى يشقق فيخرج منها الماء هى التى يظهر عليها فى بعض الاوقات
عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيرى بعض الايات والمعانى المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتى تهبط من خشية الله مما
يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين
والفرق انها فى المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد فى قربهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد فى غرورهم
وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلى انوار الحق ورؤية برهانه فاداء الايات

للخواص سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ويريكم اياته لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لاخص الخواص كما قال في حق يوسف
لولا ان راى برهان ربه سئل الحسين بن منصور عن البرهان فقال واردات ترد على القلوب فيعجز النفوس عن تكذيبها ٥

افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ● واذا لقوا
الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون
اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ● ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون ● فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون ● بلى من كسب
سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

القراءة الا اماني حيث كان خفيفا يزيد الا قوله تلك امانيهم وليس بامانيكم ولا اماني وغرتكم الاماني فان
اربعتهن بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء يعقوب وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة خطياته بالجمع ابو جعفر ونافع
الوقوف يعلمون امنا والوصل اجوز لبيان حاليهما المتناقضين وهو المقصود عند ربكم افلا تعقلون يعلنون
يظنون يعلمون قليلا يكسبون معدودة ما لا تعلمون النار لان الجملة مبتدا وخبر بعد خبر خالدون الجنة
خالدون التفسير لما ذكر سبحانه وتعالى قبايح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفه بما قبايح اخلاف المعاصرين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اي يحدثوا الايمان
لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فامن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية
ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام حين كلم موسى
بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في الاخر ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس
من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون انهم مفترون كذابون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في
ذلك كما تقول الرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان ياخذ عنه لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلمهم واحبارهم الذين
تعمدوا التحريف عنادا واغراضا من الاغراض الدنيوية واذا لقوا اي اليهود قال منافقوهم امنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق

ونجده بنعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعته وصفته ماخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا اي رزق ذلك وتسهل له طلبه
او قال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقوهم المؤمنين
وينافقون اليهود ليحاجوكم عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هذا محاجة
عند الله الا ترى انك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما الزم تعالى
من اتباع الرسل محاجة فيه الى دينه وقال الحسن يحاجوكم يوم القيمة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون
ان ذلك مما يزيد فضيحتهم في الاخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه التناصر والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه
ارحت عليك عند الله وانت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخايب وقيل لتصيروا
محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكى هذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا
تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان نخوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون
لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة
لا يعلمون الكتاب الا اماني واحدها امنية على افعولة من منى اذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنيه لان المتمني يقدر
في نفسه ويجوز ما يتمنى والمراد ان اليهود ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم
وما يمنيهم الاحبار من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الاماني الا اكاذيب المختلفة التي سمعوها من علمائهم فقبلوها على
التقليد يقال هذا شيء رويته او تمنيته اي اختلقته وذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا ابلكذا وفي الصحاح انه مقلوب المين
وهو الكذب وقيل الا ما يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب من قراءته قال في رثى عثمان تمنى كتاب الله اول ليلة واخرها لاقى حمام المقادر
والقاري مقدر للكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه ويقدر ما
يذكر لهم فيقتلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قراء اماني بالتخفيف حذف المدة
كما يقال مفاتح وان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدمه من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة
المنافقين منهم ثم الفرقة المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى
العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن ان كان متمكنا من العلم ولا سيما في اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه
العذاب الاليم عن الثوري صديد اهل الجحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ
قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت في حره ولا شبهة في دلالتها على نهاية الوعيد والتهديد
يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد كما تقول للمنكر هذا مما كتبته بيمينك حكى عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله والوعيد
مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثاني ابلغ ولهذا جيء بثم وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا تنبيه على شقاوتهم انهم استبدلوا
النفع الحقير بالاجر العظيم الاجل الدايم فويل لهم مما كتبت ايديهم اي مما اسلفت من كتبة ما لم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون
بذلك بعد من الرشى وفي اعادة الويل في الكسب دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب الكتبة واسنادها الى الله فكذلك
يلحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا النار نوع اخر من قبايح
افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا دليل سمعيا فلا
يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا اربعون يوما هي ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة فانما
نعذب مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة وايام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل ايام مضت ومضين والعهد
ههنا يجري مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار وانه يدل على
عدم الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر انقص النقايص فان قيل هب ان الخلف في
الوعد لوم ونقيصة لكنه في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوز من كامل ولعل للكرم طريقا اخر سوى
هذا فتامل وام اما معادلة بمعنى اي الامرين كاين على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وانا
واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل اتقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول واستانف منوالا
ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير الاثبات وفي الاية تنبيه على ان القول بغير دليل باطل وان
كل ما جاز وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات والى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لانه

لما دل الدليل على وجوب العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم
بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون عن ابن عباس وجدنا اهل
الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين فقالوا لن نعذب فى النار الا ما وجدنا فى التورية فاذا كان يوم القيمة اقتحموا فى
النار فساروا فى العذاب حتى انتهوا الى سقر وفيها شجرة الزقوم الى اخر يوم من الايام المعدودة قال لهم خزنة اهل النار
يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا فى النار الا اياما معدودة فقد انقضى العدد وبقى الابد قلت وفى مثل حالهم ضلال
الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح افعال الاشباح الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر
الى اصلها تصير الى حظائر القدس ولا يزاحمها شئ من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر فطام الارواح من لبان
التمتعات الحيوانية ثم تخلص من العذاب ويرجع الى حسن الماب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات
الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوى وكل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ولم يجد عن نفسه
انها كيف يتدنس ويتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية والسبعية وكيف يتصفى ويتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية
الملكية فيفتقر الصداء مراة القلب بحيث لا يبقى فيه شئ من الصفاء الفطرى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها
الامرور الدهور وكرور الاعصار وقد ينضم الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا فى النار فى ويل طويل وزفير وعويل
نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا والسيئة اصلها سيوئة من ساء يسوء سوءا ومساءة فقلبت الواو ياء وادغمت
وهى من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول جميع المعاصى صغرت او كبرت فضم اليها شرط اخر وهو كون السيئة محيطة به
ليختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة فى المجسمات احاطة السور فى البلد والظرف بالمظروف فنقل الى الخطيئة وهى عرض لمعنيين
من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة مبترة الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات وتستولى عليها احاطة العدو بالانسان
بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والاية وان وردت فى اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبمثلها تمسك المعتزلة
فى اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فيه يتحقق الاحاطة التامة واعلم ان فى
المسئلة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا وهو قول بشر المريسى
والخالدى ومنهم من قطع بالاية وعيدهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذى عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة والامامية
القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف فى حق بعض المعفو عنه والبعض المعذب
على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت فى وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفى جحيم وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا ومن الحديث
من شرب الخمر فى الدنيا ولم يتب منها لم يشربها فى الاخرة من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذى يشرب فى انية الذهب
والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم وعن ابى سعيد الخدرى قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل
الا ادخل النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلان يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع من ان هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال
الكل والبعض عليها نحو كل من دخل دارى فله كذا او بعض من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل و
لاحتمال المخصصات القاطعون بنفى العقاب عن اهل الكبائر احتجوا بنحو قوله تعالى ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يا عبادى
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لا يصليها الا الاشقى الذى كذب وتولى
وبالعمومات الواردة فى الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية حكم بالفلاح على كل من امن وعمل
بنحو قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من
الترجيح بجانب الوعد بصرف التاويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن فى العرف واهمال الوعد بالضد وايضا القران مملو من قوله
تعالى عفوا غفورا رحيما كريما وكذا الاخبار فى هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات
وهو الايمان ولم يات بما هو اقبح القبائح وهو الكفر فلا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصى ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازى الهى اذا كان
توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهى لما كان الكفر لا ينفع معه شئ من الطاعات
كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شئ من المعاصى واذا دلت الايات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل
العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه العقاب ثم ينتقل الى دار الثواب ويبقى هنالك ابد الاباد وهو
المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب اقرب من حيث انهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو والمغفرة كالقهر والانتقام ولكن
لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب والبعض المستحق

للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب
فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير من امنك حتى تبلغ الخوف والله الموفق المستعان ٥ ٥ ٥

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين
احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس
حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم
وانتم معرضون ● واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون
ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم
وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون

القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلى والمفضل
القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلى وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة
اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلى وخلف والمفضل تظاهرون تخفيفا عاصم وحمزة وعلى
وخلف حذف احدى التائين للتخفيف الباقون بالتشديد ووجه ادغام التاء فى الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف
اسارى بفتحها تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم على والبخارى عن ورش والخزاز
عن هبيرة الباقون اسارى بفتحها تفادون تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب
وابو بكر وحماد بناء الاخر الكلام على اول الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب **الوقوف** الزكوة لان ثم لترتيب الاخبار
اى ومع ذلك انتم معرضون تشهدون من ديارهم لان تظاهرون يشبه استئنافا وكونه حالا اوجه والعدوان
اخراجهم ببعض لابتداء الاستفهام او النفى مع فاء التعقيب الدنيا لعطف الجملتين المختلفتين العذاب يعلمون بالاخرة
لان الفعل مستانف وفيه فاء التعقيب للجزاء ينصرون **التفسير** انه سبحانه كلفهم بثمانية اشياء الاول قوله لا تعبدون
من قرأ بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرأ بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفى اعرابه اقوال احدها انه اخبار فى معنى
النهى كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهى كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر ويؤيد هذا القول
عطف وقولوا واقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله **شعر** الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى
اى الحرب ويحتمل ان تكون مفسرة وان تكون مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بنى اسرائيل توحيدهم وثانيها موجب

قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا بينهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن
جميع ما لابد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل
عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالوحي والرسالة **التكليف الثاني** قوله وبالوالدين
احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا يعبدون او احسن ليناسب وقولوا ويمكن ان يقدر ووصينا ثم عطفنا
على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولابد من تقدير القول اما قبل لا تعبدوا واما قبل احسنوا واما قبل قولوا وانما جعل
الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون
سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما اشبه انعام الله تعالى من حيث انهما
لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد
وان اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال الولد
بالاسترباح والغبطة والله سبحانه ياخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد والولد ذاتي
حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الممكن والواجب ذاتية لا عرضية وههنا اسرار فليتامل ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا والطالب
الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب ونصب الادلة وازاح
العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى بان
يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع وعركوز في كل العقول وقد ورد اطع الوالدين وان كانا كافرين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الاية الملاقاة وقد
تلطف ابرهيم صلوات الرحمن عليه في دعوة ابيه من الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب
وفي تنفيذ وصاياهما ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى اخر الاية
التكليف الثالث الاحسان الى ذوي القربى ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال
الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك اي الرحم مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك
العروق والسبب العقلي في تاكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة لاتحاد الالفة والرعاية والنصرة ولهذا صار كالمتابع لحق
الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب زيد دخل فيه
الوارث وغير الوارث وغير المحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاحفاد لا الابوان والولد
على الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية لم يتفع نسبهم
ونحن لو ترقينا الى الجد العالي وحسبنا اولاده كثروا ولهذا قال الشافعي تنتهي الى اقرب جد ينسب هو اليه ويعرف به وذكر وليه في
مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانه يصرف الى اولاد شافع لانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي
والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد والشافعي هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن
هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال الشافعي ويدخل فيه في زمان الشافعي واما في زماننا فلا ينصرف الا الى اولاد الشافعي لانه
اقرب من ينتسب اليه الان ولا يدخل الاقارب من جهة الام في وصية العرب لان العرب لا يعدون قرابة الام قرابة ولا تقعد بها العرب
قرابة ولا يفتخرون بها اما لو اوصى العجم يدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب
بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام لا يدخل في الوصية مطلقا
سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان
الى الاقارب قريب من الاحسان الى الوالدين وذلك بان يحسن في وصالهم بما تيسر له شرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا
معسرين وهو موسر **التكليف الرابع** الاحسان الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم وفي حفظ وليه
حفظ ماله واستنماء قدر النفقة والزكوة وسوق الملك بما امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية قانون الغبطة وقانون
حقوق النصيحة قال ابن عباس يتيم بيتيم وييتم يتيمهم واليتيم في غير الانسان من قبل امه واليتيم من الدواب الا انت
لمن الاما جميع يتيم لان اليتيم من صفات الابتلاء كما في الوجع والحبط وجيع وحبط
جاحل يتيم يتامى وفي الكشاف انه اجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتامى
التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه ولانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شي له يكون
الدائم السكر وهو اسوء حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك واحتجوا بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة

وعند الشافعي واحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يقع منه كقوله
تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى ذوي القربى
واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف يقتضي المغايرة **التكليف السادس** قوله وقولوا للناس حسنا او حسنا على الوصف اي قولا
ذا حسن او قولا هو الحسن في نفسه لافراط حسنه او ليحسن قولكم حسنا والظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد
القصة قيل انه مخصوص اما تخصيص الناس اي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل اية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما تخصيص
القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع
الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفساق فحسن القول معتبر
ايضا ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل
الى الغرض باللطف من القول لم يعدل الى قوله غيره ما كان الرفق في شي الا زانه وما دخل الخرق في شي الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا
داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم **التكليف السابع والثامن** قوله اقيموا الصلوة واتوا
الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليهم
بتوليهم وهذه التكاليف ايضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اعانة المضطر واجبة وان لم
يجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدني او مالي وكل منهما اما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون
بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا موتمرا لله تعالى بحيث لا يرى لنفسه شيا من التصرف والاختيار كالعبد المايل بين يدي مولاه
واليه الاشارة بقوله لا تعبدوا الا الله والبدني الخاص هو الصلوة واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة
واركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالي العام
لكونه منوطا بالمقدرة والامكان سببه اما نسب او لا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالدان والمقارن الاقارب
واللاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك اذا كان الولي جدا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي غيره وغير النسب اما الاحتياج
والفقر وهو المساكين او لا لاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن
تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب بما لا مزيد
عليه وقد كرر اكثر هذه المعاني في سورة النساء بضرب من التاكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى
ذي القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم اصناف اخر وهم الجار وغيره اليهم فكانه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا
قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب للمتقدمي بني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجهه ان اول الكلام معهم وكذا اخره الا بدليل يوجب
الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود فانه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمهم
التمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التورية من نعت محمد وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وانتم مع ذلك
توليتم الا قليلا منكم وهم الذين امنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور المعجزات
كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد اخذنا ميثاق ابائكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفي قوله لا تسفكون دماءكم اشكال
وهو ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه فاي فايدة في النهي والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يتقربون
في قتل النفس التخلص من عالم الفساد اللحوق بعالم النور وكثير من يصعب عليه الزمان او المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل
غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه او لا تتعرضوا المقاتلة من يقتلكم فتكونوا
قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم او المراد اخراج بعضكم بعضا من ديارهم
لان ذلك مما يعظم فيه المحنة حتى يقرب من الهلاك واعراب لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم
اقررتم وانتم تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه
بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شايعا فيما بينهم مشهورا او لانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود
على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم معنى ثم الاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم
وشهادتهم وانتم مبتداء وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير
الصفة منزلة تغير الذات كما تقول خرجت بغير الوجه الذي دخلت به ويقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وما

عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول وتظاهرون التظاهر التعاون ولما كان الاخراج من الديار وقتل البعض بعضا مما يعظم به الفتنة واحتيج فيه الى اقتدار وغلبة بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن تظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع ان الله تعالى لا يسأل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع اسرى كسكرى وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران كعجالى وعجلان وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على انه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال او غيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتداء ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره افتؤمنون ببعض الكتاب اى بالفداء وتكفرون ببعض اى بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوهم فعيرتهم العرب وقالت كيف يقاتلونهم ثم يفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان يذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا وقد يكون المناقضة ادخل في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحجة في امرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض والكل في الميثاق سواء والخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اى استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكري الصانع كالدهرية يجب ان يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد مطلقا وفي قوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة يدل على وصول الحقوق الى مستحقيها لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الاخرة ممتنع يستتبع وجود احدهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق **التاويل** واذ اخذنا ميثاقكم في عهد الست بربكم لا تسفكون دماءكم بامتثال اوامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل **شعر** الى الحتف مشى قدمي ارى قدمي اراق دمي ولا تخرجون انفسكم من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة وتخرجون فريقا من ديارهم لا يقتصرون على ضلالكم بل يتعاونون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان ياتوكم اسارى تفادوهم فمن اسير في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسير في قيد حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى ومن اسير في ايدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن اسير في حبس وجوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكونين ويوصله الى معبوده ومن اسير في قبضة الحق فليس لاسراهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم ولا اليهم بغيره سبيل ولا لديتهم الا بهم دليل افتؤمنون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم في اول الخطاب الست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه لا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى والله اعلم بالصواب

ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى
بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ● وقالوا
قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ● ولما جاءهم

كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ●
بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من
فضله على من يشاء من عباده فباءو بغضب على غضب وللكافرين
عذاب مهين ● واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا
ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون
انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ●

القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير بئسما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف ينزل مخففا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب **الوقوف** القدس استكبرتم لتناهي الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب بعض كذبتم لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون غلف لان بل اعراض عن الاول وتحقيق للثاني يؤمنون لما معهم لان الواو للحال كفروا لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر جوابها متحد وقوله وكانوا من قبل حال اعتراض كفروا به لان ما بعده مبتداء لكن الفاء يقتضي تعجيل ذكر جزائهم الكافرين من عباده لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب مبين لما معهم مؤمنين **التفسير** لما ذكر الله سبحانه في الآلاء المتقدمة صنيع اليهود في مخالفة امره تعالى ومناقضة حالهم اكد ذلك بتذكير نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقيض المقصود زيادة في تبكيتهم اما الكتاب فهو التوراة اتاه الله تعالى اياه جملة واخرج عن ابن عباس انه لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل اية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى ع فحملها التقفو الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اى ابتعنا على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع وزكريا ويحيى وغيرهم ومعنى ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى ع فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ان الله سيبعث لهذه الامة على راس كل مائة من يجدد لها دينها وقيل عيسى بالسريانية ايشوع اى المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وهو الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن سمي بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول روبة **شعر** قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وايدناه قويناه من الايد القوة وروح القدس الروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ورجل صدق اى بجبرئيل سمي بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن لان الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذي نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وكون الروح ههنا جبرئيل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذي بشر مريم بولادته وقد تولد عليه السلام من نفخة جبرئيل في امه وهو الذي رباه في جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله افكلما وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد اتينا لافادة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وان تهيا لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذا لاموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبي على الباطل ويحتجون على ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على ادم ع ففريقا كذبتم على التمام وما بقي منه غير مكذب وفريقا تقتلون

اى ما تيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم حولتم قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة قال صلى الله عليه وسلم
عند وفاته مازالت اكلة خيبر تعادنى فهذا اوان انقطاع ابهرى والعداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق
يخرج من القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوزان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره
فى القلوب كقوله شعر فاضربها بلاد هش فخرت وفايدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد رعاية الفاصلة فى يقتلون
بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل فريقين احدهما مخصص بالتكذيب والاخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم
هو الذى اقتضى عندهم احد هذين حتى خص المنعوت به دون ساير الناس باحد الامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف
الاصناف لاكرم الاوصاف بغاية الاستخفاف غلف جمع اغلف وهو كل ما فى غلاف ومنه الاغلف للذى لم يختن اى قلوبنا
مغشاة باغطية فلا تتاثر من دعوتك لحايل الحايل بينهما وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين جمع غلاف اى قلوبنا اوعية للعلم والحكمة
فنحن مستغنون بما عن غيره ولا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على
الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اى طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذى احدثوه بعد نصب الادلة
وازاحة العلة وفى هذا العطف للمكلفين ان لا يتعلقوا الى المعاصى بالايلاء نحو هذا العذر وابدا مثل هذه الحجة ولكن يشمرون
عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يومنون اى ايمانا قليلا يومنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وبقليل
مما كلفوا به يومنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اى بشئ قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اى
لا يومنون اصلا لا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تعقل اى لا تعقل البتة وذلك ان الايمان بالله انما يعبا به اذا كان مومنا
بجميع ما انزل الله فاذا فرق بين اوامره فهو عن الايمان بمعزل ولما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا واستهانوا بمجيئه ويجوز ان
يكون جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا على ان المراد
بالكتاب هو القران ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة فى اصول الشرايع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول
يلزمه الكتاب عرفا او مجازا لان الكتاب مستلزم للرسول لا محالة بدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث
محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القران يسالون به الفتح والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى اخر
الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التورية وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فيقتلكم
معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اى يسالون
انفسهم الفتح عليهم كالسين فى استعجب واستسخر ويسال بعضهم بعضا ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اى فلما جاءهم النبى الذى كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به من ذرية اسمعيل
عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا وعنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته
كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله وهى الابعاد عن الخيرات
الحقيقية الباقية على الكافرين اى عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس و
يدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تعالى ذكر وقولوا للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن وايضا
اولئك بالنسناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم اضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد
يكون مضمرا يعود الى المعهود ذهنى فيفسر حينئذ بنكرة منصوبة ويعد بما المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اى بئس شيئا اشتروا
به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف فى اعراب المخصوص فقيل مبتداء والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتداء محذوف اى هو ان
يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم بابدانهم كما ان الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه
من عقاب الله تعالى فاتى باعمال يظن انها تخلصه من العقاب وكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهولاء اليهود لما اعتقدوا فيما
اتوا به انها تخلصهم من العقاب وتوصلهم الى الثواب فقد ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القران لانهم كانوا مومنين
بغيره ثم بين الوجه الذى لاجله اختاروا هذا الكفر فقال بغيا اى حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على
ذلك الكفر هو الجهل لا البغى ولما كان الباعث على البغى قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغى هو ان ينزل الله من فضله الذى هو
الوحى على من يشاء ويقتضى حكمته ارساله وهذا هو اللايق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل فى قومهم فلما وجدوه
فى العرب حملهم ذلك على البغى والحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اى لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على
اى حسدوه على ان ينزل فباؤا بغضب على غضب لا بد من اثبات سببى غضبين احدهما تكذيبهم عيسى وما انزل عليه والثانى تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم

وما انزل عليه فصار ذلك سببا بعد سبب لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبى وعكرمة وابى العالية وقتادة وقيل الاول
لعبادتهم العجل والثانى لكتمانهم نعت محمد وجحدهم نبوته عن السدى وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من
الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد
بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل ان هذا الكفر وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول مسلم ومعنى الغضب فى حقه
تعالى قد عرفت ان اراده عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام واما تزايده وتكثره فيصح فيه ذلك كما صح فى العذاب فلا يكون
غضبه على من كفر بخصلة واحدة كغضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر موضع المضمر اى ولهم عذاب
وفايدته ما ذكر فى قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة لما حصلت مع العذاب
جاز ان يجعل ذلك من وصفه لانها بسبب منه ولا يلزم من قران العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون العذاب والاهانة كالولد المؤدب
واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب وقد يستدل به على عموم ما قالوا نومن بما انزل علينا اى بالتورية وكتب ساير الانبياء
الذين اتوا بتقرير شرع موسى ويكفرون بما وراءه اى قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الانجيل والقران وهو الحق
الضمير يعود الى ما وراءه او الى القران فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما
لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القران فصار كانه هو والعامل فى مصدقا محذوف وهو يبدوا ويثبت على الاصح و
اما الواو فى وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون الحال وحينئذ اما ان يكون العامل فيها هو العامل فى
قوله ويكفرون على ان كلا منهما حال فيجيان حالا واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما حالان متداخلان وفى قوله وهو الحق
مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لما ثبت نبوته بالمعجزات ثم انه اخبر ان هذا القران منزل من عند الله
وانه امر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان ببعض الانبياء وبعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضهم
محال وايضا انه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم علما ولم يقرأ ولم يخط ثم انه تعالى بالقصص والاخبار مطابقة لما فى التورية فيعلم بالضرورة
انما استفادها من قبل الوحى وايضا القران يستدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما اخبر الله تعالى انه مصدق التورية وجب اشتمال
التورية على الاخبار عن نبوته فمدعى الايمان بالتورية يجب ان يومن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه اخر كذب دعواهم وهو
ان التورية لا تسوغ قتل الانبياء وانهم سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم الالد جايز والكلام وان كان على
وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل ويقتلون حكاية حال ماضية واصل لم لما بادخال لام التعليل فى ما الاستفهامية
حذفت الالف للتخفيف اى لاى غرض وباى حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء وفى قوله ان كنتم مومنين تشكيك فى ايمانهم وقدح فى
صحة دعواهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدم وفيه تنبيه على ان اليهود المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد صلى الله عليه
وسلم من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التاويل هذا حال اكثر الطالبين
المتشبهين يضعون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته نفوسهم قبلوه وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا منهم فريقا
عن محل احياء الطلب ويثيرون الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان
الطالب اذا ابتلى فى اثناء الطلب بالوقفة او الفترة لم يضره ذلك ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبعد ذهمة
الاستاذ والشيخ فاما اذا زلت قدمه عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة
الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى
عند رفع حوايجهم فى صالح دعايهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه واظهروا عداوته
وما انصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لاوليائه كما جاء فى الحديث من عادى لى وليا فقد آذننى بالمحاربة وانا
اغضب لاوليائى كما يغضب الليث لجروه ٥

ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم
ظالمون ● واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم

العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين
اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه
من العذاب ان يعمر والله بصير بما تعملون

القراءة ولقد جاءكم مدغمة الدال في الجيم كل القرآن ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة
وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرا حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء
وضم الميم وكذلك كل ما التي الميم حرف ساكن وقيل الهاء كسرة بما تعملون بياء الخطاب يعقوب **الوقوف** ظالمون الطور لتقدير القول
واسمعوا بكفرهم مؤمنين صادقين ايديهم بالظالمين على حيوة على تقديره ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف
على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا ويود مستانف للبيان وانما لم يدخل من في الناس ودخل
في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من الديباج سنة لان ما بعد
يصلح مستانفا وحالا ان يعمر يعملون **التفسير** السبب في تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه اخر في قوله نؤمن بما انزل
علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى ثم بعد ظهور المعجزات الواضحات
على يده اتخذوا العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد ولما نيط به
من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية لجاجهم وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة
وظاهر الاية تدل على انهم قالوا هذا القول اعني سمعنا وعصينا وعليه الاكثر وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه
بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب
الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا وفي هذه الاستعارة لطيفة وهي ان الشرب مادة لحيوة
ما تخرجه الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم وفي قوله واشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري
وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى ولا ريب ان جميع الاسباب تنتهي الى الله
تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا بئسما يامركم به المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يامركم به ايمانكم بالتورية عبادة
العجل فليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان
اليهم اعلم ان الايمان عرض ولا يصح عنه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر قل ان كانت لكم الدار الاخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار
الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في
حروف الجر ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فتعلق حينئذ بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند الله ظرف وخالصة
حال والعامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند الله او ما يتعلق به او كان ولكم
وسوغ ان يكون عند خبر كان لكم اذا كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد قوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول
خلص كذا من كذا والمراد بالدار الاخرة الجنة لانها المطلوبة من الدار الاخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة
وحمله على عندية المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خالصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون ههنا
تفيد التجاوز والتخطي في المكان كما تقول لمن وهبت منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوزك الى غيرك والناس للجنس
وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت

من ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه
ليصح الزامه بالثاني فكقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا
في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه
الاسباب عظموا وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي المنتظر المبشر به في التورية منهم لا من العرب وكانوا
يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالاية وبيان الملازمة
ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الاخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ومنازعته
معهم بالجدال والقتال فالموت خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النقص ولا يفوت الا القليل
النكد والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه لا يتركها العاقل نظرا الى غايتها كالفصد ونحوه والنهي عن تمني الموت
في قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وامتني
ما كانت الممات خيرا لي محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال القائل **شعر** الا موت يباع فاشتريه،
فهذا العيش ما لا خير فيه، الا روح المهيمن روح عبد، تصدق بالوفاة على اخيه، فان ذلك نوع من عدم الرضا بالقضاء ويدل
على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم وعلى تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الاخرة فان ذلك خارج عن قانون
الادب ونوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان عليا كرم الله وجهه يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار
تلبس تحت الثوب وتحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن رضه ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه
سقط الموت وعن حذيفة كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الان
الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك
كان البشارة فاما احدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي بي وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي وليس لهم ان يقلبوا هذا السؤال على محمد
صلى الله عليه وسلم فيقولوا انك تدعي ان الدار الاخرة خالصة لك ولامتك دون من ينازعك في الامر فارض بان نقتلك ونقتل امتك
فانا نراك وامتك في الضر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت تخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ
الشرايع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته فله ان يقول لاجل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة
فلما يخلو من النزاع والشوق الى اللقاء وربما العبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الابق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا في
اموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء
احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه
كره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا
من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وتحريف كتاب الله وساير قبايح افعالهم وذكر الايدي مجاز لان اكثر الاعمال
يتم بمباشرة اليد وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من افعال
القلب حتى لا يطلع عليه احد وانما هو قول الانسان بلسانه تمنيت او ليت لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب فلو انهم تمنوا
لنقل ذلك كما ينقل ساير الحوادث العظام ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن اكثر من الذر وايضا لو كان التمني بالقلوب
لقالوا انا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك وايضا لو انه تعالى اوحى اليه انهم لن يتمنوا لم يكن في العقل رخصة الاقدام
على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو ان لا يكون الدار الاخرة
خالصة لهم واما انها ليست لهم بالاشتراك ايضا فيستفاد من الاية التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الى ذلك
لانه اذا كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبايح ما قدموا فيجازيهم بما يستحقون له وفي وضع الظاهر وهو بالظالمين
مقام المضمر وهو بهم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم
اولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفايدة في قوله ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون
الدار الاخرة خالصة لهم وهناك كونهم اولياء الله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب ان ينفي الاول
بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن اولان الدعوى الثانية اخص فلانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الاخرة وليا بمعنى انه يلي النبي في الكمال

والاكمال ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من اثبات العام في قولك الانسان
موجود فحيث كان الدعوى الاولى ابعد احتيج الى اداة هو في باب النفي ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الاية المتقدمة انهم
لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لان ههنا قسما ثالثا وهو ان لا يتمنى الحيوة ولا الموت فقال
ولتجدنهم احرص الناس مؤكدا باللام والنون والقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير لانه اراد نوعا من
الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ عظيم لان المشركين لا يؤمنون
بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر
بالجزاء كان خليقا بالتوبيخ وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل
اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار
سال ويحسن ان يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتداء اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم
اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكر ما اشتمل عليه قبله وكانه مذكور وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهي انضمامهم
في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك لقولهم عزير ابن الله وقال ابو مسلم في الاية تقديم وتاخير اي ولتجدنهم طايفة من الذين
اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم اي كل واحد يغرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو يعمر حكاية لودادتهم وكان
يجيء لو عمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر بناء
على العرف ولانه اول عقد يستحيل وقوعه في اعمار بني ادم او منتهى والضمير في قوله وما هو يعود الى احدهم وان يعمر فاعل
بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون والضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه
قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب ان يعمر ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله
بصير بما يعملون فيه تهديد لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة عن الفساد والبصر قد يراد به العلم فالله بصير ههنا الامور
اي عارف به وقد يراد به انه على صفة لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه ما لم يثبت الحجاز
فان قلنا ان من الاعمال لما لا يصح ان يرى تعين حمل البصر فيه على العلم والله اعلم بالصواب

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ● من كان عدوا
لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو
للكافرين ● ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر
بها الا الفاسقون ● اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم
بل اكثرهم لا يؤمنون ● ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ●

القراءة لجبريل مفتوحة الجيم مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير وقرا حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص ويحيى مفتوحة الراء والجيم مهموزا مشبعا وقرا يحيى مختلسا الباقون بكسر الراء والجيم مهموزا ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرا ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل مهموزا مشبعا **الوقوف** للمؤمنين للكافرين بينات لان هذه الواو للابتداء او الحال والحال وجه لاتحاد القصة الفاسقون فريق منهم لان بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون

اوتوا الكتاب قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل لما قبله لا يعلمون قد يجوز للاية والوصل للعطف على نبذ
لا تمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع **التفسير** هذا نوع اخر من قبايح افعال اليهود والسبب في نزوله انه صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي اخر الزمان
فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد من الرجل يكون او من المراة فقال اما العظام
والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المراة فقال صدقت فما بال الولد يشبه اعمامه دون
اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت قال اخبرني اي الطعام
حرم اسرائيل على نفسه وفي التورية ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى
هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب
على نفسه وهو لحمان الابل والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها امنت بك اي ملك ياتيك بما تقول
عن الله قال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل ياتي باليسر والرخاء فان كان هو الذي ياتيك
امنا بك فقال عمر وما مبدا هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر
ووصفه لنا فطلبنا فلما وجدناه بعثنا لقتله رجلا فدفع عنه جبريل وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو الذي اخبر ان لم
يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وملك وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبريل فقال
عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك على عمر فانزل الله تعالى هاتين الايتين وقيل
كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك
فقال والله ما احبكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى اثاره في كتابكم ثم
سالوه فقالوا من صاحب صاحبكم فقال عمر جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل
يجيء بالخصب والسلم فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر ان
كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر
وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبريل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا والاقرب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل
بالقران على محمد صلى الله عليه وسلم كما يشعر بذلك قوله فانه نزله اي ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القران مصدقا
لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقران ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عادك
فلان فقد اذيته واسات اليه او ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه
فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في التنزيل بما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله الى اخره
اي ان عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل بالقران من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء به باذن الله وامره الذي لا محيص عنه
ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه مامور وجب ان يكون معذورا ومن حيث انه اتى بالهداية
والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوه من هذا سبيله عداوة الله ولو انه تعالى امر ميكائيل بذلك لانقاد لامره ايضا
لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فالوجه في تخصيص جبريل بالعداوة وجبريل ممتنع من الصرف للعلمية والعجمة بشرطها وعن
ابن عباس وغيره ان معناه عبد الله والضمير في نزله للقران وان لم يجر له ذلك ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها
من دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشان صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه واكثر الائمة على ان القران
انما انزل على محمد لا على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء ثباته في قلبه فمعنى على قلبك حفظه اياك
وفهمكه وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق القران ومتادبا باداابه كما في حديث عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران وكان حق الكلام
ان يقال على قلبي الا انه جاء على حكاية كلام كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك ومعنى
مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادي والغايات دون الاوساط التي يتطرق اليها الاختلاف
بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وهدى وبشرى ان القران يشتمل على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال
القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الاتي بتلك الاعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه
بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر ايضا ولا ريب ان البشرى تختص بالمؤمنين واما الهدى فلانهم
هم المنتفعون به كما مر في هدى للمتقين ولما بين في الاية المتقدمة ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل القران على قلب محمد

ان يكون عدو الله تعالى بين في الاية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة
بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو للغير هو الذي يريد انزال المضار به وهذا التصور يستحيل في حقه تعالى من العاقل
المفاطن الا العاقل المتغابي فمعنى من كان عدوا لله اي لاولياء الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ان الذين
يوذون الله ورسوله او يراد بذكر كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق
عدوه وينقاد له من قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملئكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في الازل بالقهر هولاء في
النار ولا ابالي كما ان محبة المومنين لله نتيجة محبة الله اياهم يحبهم ويحبونه وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات
الخلق محدثة والاول علة للثانية وافرد الملكان بالذكر لا لفضلهما كانهما من جنس اخر فان المتغاير في الوصف
قد ينزل منزلة التغاير في الذات ولان الاية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن ان ينص على اسميهما وتقديم جبريل في الذكر يدل على
انه افضل من ميكائيل وايضا ان جبريل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق
وهو سبب بقاء الابدان والواو في جبريل وميكائيل بمعنى او لان عداوة احد هولاء يوجب عداوة كما ان عداوة كلهم يوجب
ذلك ويحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان
عداوة هولاء كفر الايات البينات هي ايات القران ولا يبعد ان يشمل ساير معجزاته وان كان لفظ الانزال اباه عنه بعض النبو
ومعنى كون الاية بينة ان العلوم تنقسم الى ما يكون طريق تحصيله من الدليل الدال عليه اكثر مقدمات فيكون الوصول اليه
اصعب والى ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب وهذا هو الاية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها و
جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها وليس في الظاهر تخصيص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد
له الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه ماخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد من الحسن اذا استعمل الفسق
في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن امر الله تعالى من فسخ
من التمر ثقبا صغير الانتقال انه فجر التمر وفي قوله الا الفاسقون وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس فكان ذكر الفاسق اولى ليأتي على
الكافر وغيره الثاني ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره وهذه الايات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي
بلغ في الكفر نهاية القصوى وهذا نوع اخر من فضايح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا
فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما
بالذي كان نذكر لكم فنزلت واللام في الفاسقون للجنس او اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالايات
البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان
من تعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وانما قيل فريق
منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول
اي كتاب الله لانهما بدليل كتاب الله وهو القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم بذلك
رصين من قبل التورية ولكن المكابرة بجحدهم ونبذ وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله التورية لانهم كفروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فرفوا ما عن سفين ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه

اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به ٥

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين
ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم

بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
ولقد علموا لمن اشتريه ماله في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا
به انفسهم لو كانوا يعلمون ۝ ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند
الله خير لو كانوا يعلمون ۝

القراءة ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة
وعلي وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الملكين بكسر
اللام ههنا وفي سورة الاعراف قتيبة على اذا انزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الوقوف على ملك سليمان لان الواو قد يصلح
حالا لبيان نزاهة سليمان وبعدما افتروا عليه السحر وقيل على جعل ما نافية ولا يصح لمناقضة ما في سياق الاية من اثبات السحر لما خبره
معطوف على قوله السحر على انها وان كانت نافية يحتمل ان يكون الواو حالا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفي الاية عشر ايات
احدها كافة في انما والاخيرة نكرة منصوبة في لبئسما والباقية جزئية ثم نافية ثم جزئية على التعاقب وماروت ۝ فلا تكفر ۝ وزوجه ۝ باذن الله
ولا ينفعهم ۝ من خلاق ۝ بجوز الوقف لابتداء اللام انفسهم ۝ يعلمون ۝ خير ۝ يعلمون ۝ التفسير من قبايح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا
على السحر ودعوى الناس اليه وهذا شان اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم
الذين كانوا في زمن سليمان عليه السلام من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه
لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ يتناول الكل قال السدي لما جاءهم محمد صلى
الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقران فنبذوا التورية واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت
ومعنى تتلو تقرا او على ملك سليمان اي على عهده وفي زمانه وقيل تلا عليه اي كذب فالقوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك المملكة
بسبب ذلك كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملك سليمان واما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن وانهم كانوا يسترقون
السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان
سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي
في الخبر ان سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك
فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه
ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموا الناس انه من عمل سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء من
بعض الوجوه ويضعف قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرايعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين
الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرايع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه اختلف في سبب اضافتهم السحر
الى سليمان فقيل ليروج ذلك فيهم وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما سخر الله الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب على ظنونهم انه
استفاد ذلك من الجن وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم
بين ان الذي براه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال
يعلمون الناس السحر وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل على الملكين هاروت وماروت عطف بيان للملكين على انهما ممنوعان من الصرف
للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقيل بدل لانهما ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت
وماروت اما السحر في اللغة عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرية وفي الشرع مختص
بكل امر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين
الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه
وسلم ان من البيان لسحرا اي ان بعض البيان سحر لان صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطيف عبارته ويقدر
على تحسين القبيح وتقبيح الحسن يخط تارة فيقول اسوأ ما يكن ويرضى وتارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها السحر
الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور
والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام

مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذاهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن الانسان من المشي
عليه لو كان موضوعا على الارض لا امكنه المشي عليه لو كان كالجسر وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي اوجبه وقد اجمعت
الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان
النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكي في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الجواب مع
الديك نبت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت
الامم على ان الدعاء مظنة الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل
عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة
اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على
البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح من الارواح السماوية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا
كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تصرف البتة الا في هذا البدن فاذا ارادت ان يتعدى تاثيرها
الى بدن اخر اتخذت تمثال ذلك الغير ووضعته عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه واقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك
لقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس
ثم ان كانت للنفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى فان كانت بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان
الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس متى تطابقت موجهة الى الغرض الواحد
كانت توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهش ويحصل لها في ذلك
انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن قالوا فثبت
ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر جدا لا سيما
ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها ومن الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين بالارواح
الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب
السفينة يرى الشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة وترى العظيم من البعيد صغيرا
وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحى اذا
اخرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة مختلفة الالوان ثم اديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان و[illegible]
النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان
قد يلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشيء اخر وكذا الناظر في المراة ربما قصد ان يرى سطح
المراة هل هو مستو ام لا فلا يرى شيئا مما في المراة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به وياخذ عيونهم
اليه حتى اذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول
وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة التي تظهر من الالات المركبة على النسب الهندسية او لضرورة الخلاء كما يشاهد من تمثالين
يقتل احدهما الاخر ومنه الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او
باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر
عرفا لان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه
عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه
بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب وحينئذ تضعف القوى الجسمانية فيتمكن الساحر من ان يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور
وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية
لطيفة وذلك شايع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله تعالى غاية الامر وقوع
هذه الخوارق باجراء العادة عند سحر الساحر والمتفقون على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف ولعموم قوله تعالى قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز لا يمكن الا ان اجتنابه اقرب الى السلامة كعلم الفلسفة التي
لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من اعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم
وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر اما النوع

الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية
والشكل فالاظهر اجماع الامة على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ في التصفية وقراءة الادعية وتدخين بعض الادوية
الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير
من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وضعف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان
كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يديه لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على
يديه لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم تتم فصوله
الباطل كان العريف واما ساير انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا اعترانسانا فمات فان قال ان
سحري يقتل غالبا وجب عليه القود فان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه
فخطأ وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل
دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر او وصفه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب وان اقر باني كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك
منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت فقد روي عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جمعا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت الملئكة
منهم ومن تبقيه الله مع ما ظهر منهم من القبايح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملئكة فقال اختاروا
ملكين من اعظم الملئكة علما وهدى وديانة لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما شهوة الانس
وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به فهبطا الى الارض
فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك
نفسه في منزلها في مثال صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة
عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا
الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سايل عليهم فقالت ان اظهر
هذا السايل للناس ما رأى منا فسد امرنا فان اردتما الوصول الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل
ارتفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ انه انما اصابهما ذلك بسبب تعيير بني ادم وفي رواية اخرى ان الزهرة
كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا
يعرجان به الى السماء فتكلمت المراة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصارت هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين
عذاب الاخرة اجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيمة وهما يعلمان الناس السحر
ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله
ما يدل عليها ولان الدلايل الدالة على عصمة الملئكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها
صعدت الى السماء وجعلها الله كوكبا مضيا ولانه ذكر في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني ادم لعصيتماني فقالا
لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فالاذن السبب في انزالهما ان السحر كثر في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا
غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك المكذبين
ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد وايضا تعريف حقيقة السحر ليتميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين اعداء
الله والالفة بين اولياءه ولعل الجن انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون تشديدا
في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب
مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما
اذا كانا ملكين بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول فيهما ليكون ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس
ثبت انه لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي وما يعلم الملكان احدا حتى ينهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار
من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او متوصلا به الى شيء من المعاصي والاغراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم
في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امرأته واما لانه يفرق
بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل
قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عند ذلك شيئا من افعاله وان شاء لم يحدث وكا

الذى يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن يكون المراد وكونه الى زوجه لما كان اشد خصت بالذكر ليدل بذلك على ان سائر
الصور بتاثير السحر فيها اولى وقراء الاعمش وما هم بضارين به من احد فجعل الجار جزءا من المجرور وهو واحد واضاف الى المجموع وفصل بينهما
بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه فى وجوه المفاسد ولقد علموا هولاء اليهود واللام فيه للابتداء وكذا فى لمن اشتريه
استبدل ما تتلوا الشياطين واختاره على كتاب الله ما له فى الاخرة من خلاق من نصيب كانه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص
وقيل معنى الاية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الاخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع
الاخرة منافع الدنيا ولبئسما شروا به انفسهم اى باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله
اى لو كانوا يعلمون بعى ههنا سوال وهو انه كيف اثبت لهم العلم اولا فى قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بل القسم اخما الاثم نفاه عنهم فى قوله لو
كانوا يعلمون فان لو لامتناع الشئ لامتناع الاول وكذا لو كان للتمنى فان التمنى استدعاء امر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين
لم يعلموا فالذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون فى تعلم السحر لنا
ان القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل صم بكم عمى حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم
بقوله ولقد علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون ادعى الى الطاعة وانهى عن المعصية فقال ولو انهم امنوا بعى بما
نبذوه من كتاب الله وهو القران او التورية التى يصدقها القران او كلاهما والقوا فعل المنهيات وترك المامورات او اتقوا الله فتركوا
ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشئ من ثوابه خير ولا بد من تقدير فعل يكون انمع ما بعده فاعلا له
اى لو ثبت انهم امنوا وجواب لو محذوف وغنا ايضا يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اى لاثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على
ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه سادسد جواب الشرط منفيا عنه ودخل اللام الموطئة فى
الشرط غير واجب فى القسم المقدر وان كان هو الاكثر على ان دخول اللام الموطئة فى لو مستقل فيشبه ان يكون الاكثر بل الا الواجب ههنا
عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمنى مجازا عن ارادة الله تعالى ايمانهم كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتداء لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير مما هم فيه لامنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمنى كما تقرر والله اعلم
التاويل واتبعوا ما تتلوا شياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذى هو خليفة الله فى ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن
شياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما انزل فيه وخذلانا من العلوم الضارة
غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكى الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب فانهما من
العالم العلوى الروحانى اهبطا الى ارض العالم الجسمانى بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة الحيوة الدنيا
واتباع اخداعها فوقعا فى شبكة الشهوة التى ركبت فيهما ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التى تخامر العقل وزنيا بغى الدنيا الدنية
وعبدا صنم الهوى فعذبا منكبين روسهما بالالتفات الى السفليات والعراضهما عن العلويات تحرما استماع خطاب الحق وكشف
حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملكية الروحانية ما يعلمان من احد من الصفات البهيمية والسبعية
والشيطانية والقوى البشرية حتى يلهماها انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين مرء القلب وزوج دينه ٥ ٥

يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين
عذاب اليم ● ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ● ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها
الم تعلم ان الله على كل شئ قدير ● الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ● ام تريدون

ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ●

القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننساها مهموزا ابن كثير
وابو عمرو وغير اوقيه وروى اوقيه بغير همز الباقون ننسها من الانساء نات بخير بغير همز ابو عمرو وغير ابراهيم بن حماد ويزيد
والاعشى وورش وحمزة فى الوقف الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطهما ان يهمز كل ما كان ساكنا اى عطفا على
المجزوم او جوابا للمجزوم كل القران مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها واشباه ذلك فقد ضل
بالاظهار حجازى غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهر من الذال عند الذال والظاء حيث وقعا مثل قوله تعالى فقد ظلم ولقد
ذرانا واشباه ذلك **الوقوف** واسمعوا اليم من ربكم من يشاء العظيم او مثلها قدير والارض ولا نصير ربع الجزو
من قبل السبيل **التفسير** لما شرح الله تعالى قبائح افعال اليهود شرع فى قبائح اخلاقهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
جدهم واجتهادهم فى القدح فيه والطعن فى دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين فى ثمانية وثمانين موضعا من القرآن قال ابن عباس
وكان يخاطب فى التورية يا ايها المساكين وكانه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة اخرا حيث قال وضربت عليهم المسكنة
وهذا يدل على ان الله تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالى يعطيهم الامان عن العذاب اخرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا ولا سيما فان المؤمن اسم من اسماء العظام ففيه دليل على انه تعالى يقربهم منه فى دار السلام وقيل امنوا على الغيبة
نظرا الى المظهر وهو الذين ولو قيل امنتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية ثم انه لا يبعد فى الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله
من احديهما ويأذن فى الاخرى ومن هنا قال الشافعى لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت او فارسية فلا يبعد
ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن فى قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول راعنا
لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم
راعنا يا رسول الله واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهى راعنا ومعناها اسمع لا سمعت كما صرح
بذلك فى سورة النساء ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها متفاوتة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا
افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهى انظرنا وروى ان سعد بن معاذ
سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم
تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم
نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اى انت راعى غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل
على المساواة بين المتخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعنا اسماعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اى راع كلامنا ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس فى انظرنا الا سؤال الانتظار
وقيل انها يشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اى اعوذ عياذا فقولهم راعنا اى
فعلت رعونة ويحتمل انهم ارادوا واصرت راعنا اى ذات رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا
قولا راعنا اى منسوبا الى الرعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين والنظر نظرا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس
من نوركم امر الله تعالى ان يسالوا الامهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة كانهم قالوا له توقف فى كلامك وبيانك
مقدار ما يصل الى افهامنا وهذا القدر غير خارج عن قانون الادب فقد يلتمسه المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شئ من
الفوائد وان كان المعلم غير مهمل دقائق التفهيم والارشاد من التثبت والتانى والاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل انظرنا
انظر الينا مثل واختار موسى قومه اى من قومه والغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كانت افاضته عليه اظهر واقوى وفى قراءة
ابى انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ واسمعوا معناه احسنوا استماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا يحتاجوا
الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا استماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الاية من الاولى للبيان
لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة
لتاكيد النفى وقرى ولا المشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل فى سياق النفى فمعنى ما يودون ان ينزل يودون ان لا ينزل والثالثة
لابتداء الغاية والخير الوحى وكذلك الرحمة اعم يعنون برحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون

ان ينزل عليكم شئ من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان الله يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان وانها رشحة من بحار كماله ان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ من اية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الاية مسايل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل ايضا وهو ان تغير الشئ في صفته وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بعده دافعا لاباحته فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن امتي الخطأ والنسيان ونحوه بل بمقتضيه العقل ايضا بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صم الى اخر الشهر فان الى وان وجبت مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا تسمى نسخا لانه ليس متاخرا ويمكن ان يقال انه قيد متاخرا انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك ويخرج الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص يبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على المكلف بعد ان لم يكن فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعدما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع وايضا يقطع بانه اذا ثبت تحريم شئ بعد ثبوت وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعني بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء الحكم الشرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبرائة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانتساخ القيام عمن انكسر رجله وقولنا متراخ ليخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق له غاية في علم الله فاذا انتهى الى تلك الغاية التي بناها ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا لذلك

المسئلة الثانية انعقد الاجماع من اكثر ارباب الشرايع من المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة قد تختلف باختلاف الاوقات فمما يدل على جواز النسخ وفي التورية ان الله امر ادم بتزويج بناته من بنيه وتحريم ذلك في شريعة من بعده بالاتفاق وهذا مما يدل على وقوعه وكيف لا وقد ثبت بالدلايل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبصحة نبوته يلزم نسخ شرع من قبله فلم يكن لليهود والنصارى نص صريح يعلم منه امر شرعهم على اليقين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم بها ما دامت السموات والارض وايضا ان نسخ الحكم الشرعي ظهرت له تعالى لم يكن ظاهرا فهو البداء او لا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع من انه قول موسى ويؤكد انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا به في عهده فدل ذلك على انه امر افتريه المتاخرون منهم وعن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة شرب دواء في وقت او حال وضرره في اخر بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد وزع اجزاءه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا فشيئا بحسب وقت وقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو اصلح بالنسبة الى المتزمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الله عز وجل فقد جف القلم بما هو كاين الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في الاستقبال بقرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين امده ونص له على زواله فذلك الوارد ناسخ والاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر له فيه الظهور متقدما احدهما ومتاخرا الاخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود ونسب الحوادث المتعاقبة بعضها الى بعض بالتقدم والتاخر والمعية وجد وجوداتها المترتبة اشبه شئ بكتاب يقرؤه القاري سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع من ذلك تلاه مجموع اخر حسب ما رتبه الحكيم العليم بمباديه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء شئ وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب وهذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ولك ان تعبر عن المجموع اللدفي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للمفطن المتبصر

المسئلة الثالثة اتفقوا على وقوع النسخ في القران لوجوه احدها هذه الاية اعني ما ننسخ من اية واجاب ابو مسلم بان المراد بالايات المنسوخة الشرايع التي في الكتب القديمة من التورية والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الاية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب وايضا ان ما ههنا تفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجي بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الاية لا تدل على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان ياتي بما هو خير منه [illegible] الاعتداد بالحول في قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل بسنة او اقل او اكثر فجعل السنة مدة العدة يكون زايلا بالكلية وثالثها الامر بتقديم الصدقة بين يدي نجوى الرسول [illegible] منسوخة بالاتفاق واجاب ابو مسلم بان ذلك انما زال لزوال السبب لان سبب التعبد بها ان يمتاز المنافقون عن المؤمنين [illegible] ومن لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي انه لم يتصدق غير علي كرم الله وجهه وبدليل قوله فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم [illegible] المرابطة الواحد للعشرة في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل القبلة [illegible] ابو مسلم حكم القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال [illegible] بيت المقدس وسائر الجهات في ذلك سواء [illegible] التبديل يحتمل رفع واثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف [illegible] على وقوع النسخ في الجملة [illegible] ابو مسلم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب ان الضمير للمجموع وايضا نسخه بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيقته في نفسه فكونه قرانا

المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالايات المعدودة او التلاوة فقط كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه قال كنا نقرأ اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروي لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب او الحكم والتلاوة كما روي عن عايشة رضي الله عنها كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باق في الحكم وروي ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الاية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة وننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به فاذا زال الحكم التعبد وطال العهد نسي او ان ذكر نقاله طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسيا عن الصدور او يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم كما روي انهم كانوا يقرؤن السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الاية الامر بنسخها وهو ان يامر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها وننسئها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وقيل ما ننسخ من اية نبدلها اما بان نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما وننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من اية نرفعها بعد انزالها او ننسأها بالهمز نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما تقوم مقامها في المصلحة ولا يخفى ان قوله نات بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الاية عند جمهور المفسرين اية القران وعند ابي مسلم التورية والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم وكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة اية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نات بخير منها او مثلها ان حملنا الاية على ما يتضمن حكما على المكلف ان الثاني احق واصلح بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقتهما ويراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول او مساو له فكل منهما قد يقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثوابا وان حملنا الاية على ذلك فتعين الاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال اعلى منه وان خص اثبت كما لهم ابدا ناسخ ويمحو صفاتهم دايما ازاهرها لا ينسخ من اثار عبادتهم شيء الا ابدل منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من اثار الربوبية وايضا انهم ربما يشاهدون بعض الوقايع الشريعة في الصور اللطيفة كسبها المخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا المقام اخر لا يشاهدون ذلك تلك المشاهدة فيظن السالك الغر انه حجب عن ذلك المقام او الحال فقيل ما ننسخ من ايات المقامات او ننسها بان يحجبها من ادراك الخيال نات بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم ان الائمة استنبطوا من الاية مسايل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم لا الى بدل لقوله نات بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الاية لا تدل الا على وجوب الاتيان باية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم اخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة علمنا الثانية زعم

قوم ان النسخ لا يجوز بالنقل لان الانقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كون الاثقل اجرلك
على قدر نصبك وايضا قد وقع النسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشورا برمضان والحبس في البيوت للزاني بالحد واما
النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشي الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس
الى الكعبة الثالثة عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نات بخير منها وذلك يدل على ان الماتي من جنسه كما اذا قال الانسان
ما اخذ منك من ثوب اتك بخير منه يفيد انه ياتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القران قرآن وايضا نات يدل على ان الآتي هو الله لا
الرسول وايضا اللاتي بخير والسنة لا تكون خيرا من القران وايضا قوله الم تعلم ان الله على كل شي قدير دل على ان الآتي بذلك
الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريفها المكلف تحت مشيته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى
واجيب بان قوله نات بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيا مغايرا للناسخ يحصل بعد
حصول النسخ وذلك لان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الاية الاولى فلو كان نسخ تلك الاية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور قلت
ويمكن دفع الدور بان يقال المراد انما اردنا نسخها من اية نات بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان اية
الوصية للاقربين منسوخة بقوله الا لا وصية لوارث وبان اية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حاصلا
للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله الشيخ والشيخة لعملك السموات
والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما
للنبي صلى الله عليه وسلم فيدخل الامة تبعا او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور اثار قدرته و
وضوح ايات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ما شاهد ليلة المعراج بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من روية الايات الى كشف
الصفات ومن كشف الصفات الى عين الذات ثم نسخ عن الخيال ما ثبت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي امر واحد فهو وليه
فعيل بمعنى فاعل وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على له ملك السموات
فيدخل تحت الاستفهام ويكون قوله من وضع الظاهر موضع الضمير ولا يوقف على والارض ام تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله
ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهر فالتقدير وقولوا انظرنا و
اسمعوا فهل تفعلون هذا كما امرتم ام تريدون ان تسالوا رسولكم ولان سال قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط وهي شجرة كانوا
يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب كما سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم الهة وهذا قول الاصم والجبائي وابو
مسلم وقيل انه خطاب لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط
من قريش فقال يا محمد ما اومن بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى
في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا رسول الله فاتبعوه فقال له بقية
رهط فان لم تستطع ذلك فاتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرايض كما جاء موسى الى قومه
بالالواح من عند الله كما ساله السبعون وعن مجاهد ان قريشا سالت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال
نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرايل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة من اول قوله يا بني اسرايل اذكروا نعمتي حكاية عنهم و
محاجة معهم ولان الاية مدنية ولا نجري ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن بالرسول لا يكاد يسال ما يتبدل كفرا بالايمان
وليس في ظاهر الاية انهم اتوا بالسوال فضلا عن كيفية السوال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو ان السوال الذي
ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشي لا يكون كفرا وان كان ذلك طلبا لوجه الحكمة التفصيلية
في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا فالتكفير اما لانهم
طلبوا منه ان يجعل لكم الها كما لهم الهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الاية ان يكون ام تريدون
معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم ام اما ان تكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم واقع يكون
احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فيسال وجه الحكمة في النسخ ونحوه على
سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورافته
الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتنقير عن تفاصيل حكمه
التي لا تكاد تنحصر ويوهم ان السائل في شك مما امر به او نهى عنه وعلى هذا لا يوقف على نصير واما منقطعة على انه اضراب عن
الاستفهام الاول واستانف استفهاما ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السوال بل يكون
تنبيها للمكلفين على ان السوال عما لا يهم لهم مما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتى يقفوا على الاعتقاد الحق

فالتقليد الصرف بما لا سبيل الى درك تفاصيله او لا تتم معرفتها وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي تقدم تفسيره

ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا
واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شي قدير ۝ واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله ان الله بما تعملون بصير ۝ وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين ۝ بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ وقالت اليهود ليست النصارى
على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي وهم يتلون
الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ۝

الوقوف كفارا لان حسدا مصدر محذوف اي يحسدون حسدا او حال او مفعول له فهو اوجه والوصل اجوز الحق لعطف الجملتين
المختلفتين بامره قدير الزكوة لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله بصير او نصارى امانيهم صادقين عند ربه لعطف الجملتين
المتفقتين يحزنون النصارى على شي لعطف الجملتين المتفقتين على شي لان الواو للحال الكتاب مثل قولهم لان فالله مبتدا مع فاء التعقيب يختلفون
التفسير هذا نوع اخر من مكايد اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر
بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل واهدى منكم سبيلا فقال كيف نقض العهد
فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد
نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال
اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت وكفارا نصب على الحال او مفعول ثان ليردونكم على انه بمعنى يصيرونكم والحسد من اقبح الخصال الذميمة قال صلى الله
عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب الا ان الامرا بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق
بالجهالة والعلماء بالحسد يعني ان موسى لما ذهب الى ربه راى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسال ربه
ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله ثلثا كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة
ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشي اياك والكبر فانه اول ذنب
عصى الله به ابليس ثم قرا فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة اخرجها امكنه الله
من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين
حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شي من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف

احسن على امر الدنيا وهو يصير الى النار اعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذى
ذم الله تعالى صاحبه فى هذه الاية وغيرها ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسوءهم ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا فان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله
تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنين رجل اتاه الله
مالا وانفقه فى سبيل الله ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة
وقد تكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة وقد تكون مندوبة فى نحو الانفاق فى سبيل الله
وتشهى العلم والتعليم وقد تكون مباحة وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان لم تحصل له وهى اخبث الثانية
ان يحب زوالها عنه اليه كرغبته فى داره الحسنة او امرأته او ولايته فالمطلوب بالذات حصوله له فاما زواله عن غيره
فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهى زوالها بل يشتهى لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما
الرابعة ان يشتهى لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان فى الدنيا والمندوب اليه
ان كان فى الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف والاولى اخبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم ولاسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من اذاه انسان ابغضه قلبه
وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضى للتشفى والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل
ان تمسسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فان واحدا من امثاله
اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه
قد رضى بمساواته وثالثها ان يكون فى طبعه ان يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرات فى التزاحم
على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة فى التزاحم على نيل المنزلة عند الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها
حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير فى فن من الفنون فانه لو سمع نظيرا له فى اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته لان الكمال
محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله الا لله تعالى فمن طمع فى المحال خاب
وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد
من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال الغير وقد يجتمع بعض هذه
الاسباب ويتعظم الحسد ويتقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا فى الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفى بالمتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق
فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين ارباب الدين واصحاب اليقين وان يكونوا بلقاء اخوانهم مستانسين وببقاء اقرانهم فرحين ونزعنا
ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالى وهو ان يعلم
ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلى وهو العلم
بان الحسد قذى فى عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته فى عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس
ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود فى دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا فى دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك
فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع فى دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا يزال يزيد غمومك واحزانك الى ان تفضى بك الى الدنف
والتلف شعر اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله * كالنار تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله * وقد يستدل بحسد الحاسد على كونه
مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد * لا زلت محسودا على نعمة * فانما الكامل من يحسد *
والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور فى ابليس واصدقائه مدحور عند الحق واوليائه فهل هو الا كمن رمى
حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا نصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع
على عينه الاخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشجه وعدوه سالم فى كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال
واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا له فى الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما العمل فهو ان ياتى بالافعال المضادة
لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على
قطع اسباب الخير سعى فى ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبا بل محبا له فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وذلك

التكليف يصير بالاخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود امر غير داخل فى وسعه فكيف يعاقب
عليه واما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهار اثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر اسباب المحنة اليه
ثم ان اليهود كانوا يريدون رجوع المؤمنين عن الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان صواب حق فالقوا اليهم ضربين من الشبهة لعلمهم
ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة احدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم واموالكم
واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذى ساقكم الى هذه والثانى فى باب الدين بالقدح فى المعجزات وتحريف التورية وقوله من عند
انفسهم اما ان يتعلق بودوا اى تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على
الحق واما ان يتعلق بحسدا اى منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا اى فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقاتلة والاعراض عن
الجواب لان ذلك اقرب الى تسكين النائرة لا دائما بل حتى ياتى الله بامره عن الحسن انه المجازاة يوم القيمة وقيل قوة الاسلام وكثرة
المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال لانه عنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار فالاية منسوخة
لان الغاية التى علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل بل يحل محل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان انسخه عنكم
عن الباقر رضى الله لم يومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال حتى نزل جبرئيل بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان
اول قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون ويصفحون والكفار حينئذ اصحاب قوة وشوكة
والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر على بعض التشفى والاستعانة بسائر اصحابه فامروا ان لا
يهيجوا قتالا ولا فتنة وايضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وايضا حمل الصابر الى القوة
قوتا ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشديد وعلى هذا لا تكون
الاية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شىء قدير فهو يقدر
على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات
من خير من حسنة صلوة او صدقة فريضة او تطوع فهو تعميم بعد ما خص تنبيها على ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من
الطاعات ولا بد من اضمار اى تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شىء من
الاعمال وفيه ترغيب المحسن وترهيب المسىء وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالت النصارى لن يدخلها الا من
كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد كل قول الى قائله علما من تكفير كل منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا والهود جمع هائد كالبزل وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذى خرج نابه ووحد اسم كان
حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك امانيهم على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية
امانيهم يريد ان امانيهم جميعا فى البطلان مثل هذه وقيل هى قولهم لن يدخل الجنة او اشير بتلك الى ان ودادتهم ان لا ينزل على
المؤمنين خير من ربهم امنية وودادتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم لن يدخل الجنة امنية اى تلك الامانى الباطلة امانيهم وقوله
قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض على هذا وهات اسم فعل بمعنى اعط
ويتصرف فيه بحسب المامورات هات هاتيا هاتوا هاتى هاتين وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة آت من الايتاء برهانكم
حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم وفيه دليل واضح على ان المدعى نفيا او اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه
باطلة من ادعى شيئا بلا شاهد لا بد ان تبطل دعواه بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من اسلم الى اخره جملة شرطية مثبتا
ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اى بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان
لهؤلاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيب لهم فى الاسلام وبيان مفارقة حالهم لحال
من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة بل ان غيرتم طريقتكم فاسلمتم وجهكم لله واحسنتم فلكم الجنة وانما خص
الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس وينبوع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان الوجه قد يكنى به
عن النفس والذات كل شىء هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادات السجدة وهى انما تحصل بالوجه وهذا
الاسلام اخص من الاسلام الذى ورد فى الحديث ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتى الزكوة وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلى بجميع القوى والجوارح فى كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذى امر ابرهيم
صلوات الرحمن عليه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله اى خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله
غيره ولا معلقا رجاءه بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اى حال كونه محسنا فى علمه وعمله ومعنى الاحسان هو الذى فى الحديث
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا تصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية

فان مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجهه فلا يصدر عنه شئ من السيئات
واما الطاعات والمباحات فتكون مقتضية لتزايد الحسنات ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب
من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذلك ان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات
او التودد الى الحيوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروايح المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين
الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعله لداعي الحق فهو العمل الحق وكل ما عمله لغير الله فحلالها
حساب وحرامها عقاب روي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس
فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به فليس لبنيه ان يقول
في نفسه او بلسانه عند تدريسه او تجارته نويت ان ادرس لله وللتجربة هيهات انما الحديث نفس او لسان وما ذلك الا كقول الفارغ
نويت ان اعشق وانما النية انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تصير ذلك ملكة لنفسك شعر والناس فيما
يعشقون مذاهب فمنهم من يعمل الباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل الباعث الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة لقصور هممهم
عن طموح ما فوقهما من الكمالات واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين في الاية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق الاخر والظاهر حمل لفظي اليهود والنصارى
على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل واحد من كل من الطائفتين في حق الاخرى روي ان وفد نجران لما قدموا على
رسول الله اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شئ من الدين كفروا بعيسى والانجيل وقالت
النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شئ اي يعتد به وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب اقل من لا شئ عن ابن عباس
والتصدق واقلت وذلك ان الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مع ايمان برسوله وبكل ما انزله وهم يتلون الكتاب الواو للحال
والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن
بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السموية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور
اي قولا مثل الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد لطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون
الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شئ وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم
في سلك من لا يعلم فقالوا قول الاحمق للتشهي والعصبية منهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم جميعا
ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا اعاذنا الله تعالى منها ٥ ٥

ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في
خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم
في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق
والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ
الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية كذلك
قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات

لقوم يوقنون القراءة قالوا اتخذ الله بلا واو العطف اتباعا لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب
كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في آل عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام وافقه الكسائي
في النحل ويس الوقوف خرابها للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين لان ما بعده اخبار وعيد مبتدا مستطر عظيم وجه الله عليم ولدا
تعجيلا للتنزيه سبحانه والارض لان ما بعده مبتدا قانتون والارض لان اذا اجيبت بالفاء وكانت للشرط فيكون اية قولهم قلوبهم
لان ما بعده كذا الاستيناف يوقنون التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله و
قتلهم وسبى الذرية واحرق التورية ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر فنزلت الاية فيهم وعن الحسن وقتادة و
السدي نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس واعانه على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل
نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله بمكة والجاؤه الى الهجرة فصاروا مانعين له و
لاصحابه ان يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
والوجه اتصال الاية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة فقط فبين الله انه لا اظلم منهم فكيف يدخلون
الجنة وعلى الاخرين هو انه جرى ذكر مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بذكر قبائحهم ومن استفهامية
لتقرير النفي اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني مفعوليه لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد وحذف حرف الجر ان
او التقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا باس ان يجي
الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا من اظلم ممن آذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه
الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد بمن منع العموم ايضا الا الذين منعوا من اولئك النصارى والمشركين باعيانهم والسعي في خراب
المساجد بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان فان قيل قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك اعظم من هذا
القول ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنا وقتل النفس قلت اما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لان المسجد موضوع
لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع الشئ في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه
الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له معبودا عرف وجوب عبادته
عقلا او شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة فتخريب المتعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار
المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق والمنافق كما مر اسوأ حالا من الكافر
الاصلي بالاتفاق اولئك المانعون ما كان لهم اي ما ينبغي ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب و
ارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب
الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى ساير المساجد وانه يذل المشركين
لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام احد منهم الا خائفا من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد
الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك وامر النبي صلى الله عليه وسلم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار
بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا في امر يتضمن الخوف نحو ان يدخلوا للمحاكمة او المخاصمة او المحا
وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله فمن ههنا
قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخص الشافعي النهي بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخوله المساجد كلها لما روي انه صلى الله عليه
وسلم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد واجيب بانه في اول الاسلام ثم نسخ بالاية خزي قتل ومنعهم من المساجد او بالجزية في
حق اهل الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب وفيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية و
عمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوايد الاولى في بيان فضل المساجد من ذلك اضافتها الى
الله تعالى في الاية وذلك كالدليل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الاخر في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وسلم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله
اسواقها وليس ذلك الا لان المسجد يذكر الحبيب والسوق يشغل عنه وفي الاية نكتة وهي ان مخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر
يلزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان الثانية في فضل المشي الى المساجد عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في
بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فيه فريضة من فرايض الله كانت خطوتاه احديهما تحط خطيئته والاخرى ترفع درجته
وقال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب آثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين والتمويه وامر عمر رضي الله عنه ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتتادى التحية بالفرض او النفل نواها او لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد واسحق وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء ابن ابي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري واصحاب الراي الخامسة في [illegible] السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشراء فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشراء فيها وان يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوها بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات للخطبة ثم لا باس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فمكروه ايضا عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسئلة في المسجد وكان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض في المسجد وقال مالك وجماعة من اهل العلم يكره رفع الصوت في المسجد بالعلم وغيره ولا باس اونشد فيها الضالة لا عن عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وعن شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن اوفى يقضيان في الرحبة خارجا عن المسجد الثامنة النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد جوازها في البيت الا الانبطاح فانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهية البزاق في المسجد عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا وليبصق عن يساره او تحت قدمه فيدفنها العاشرة عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزلنا وليعتزل مسجدنا وعنه صلى الله عليه وسلم من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه الانس الحادي عشر في بناء المساجد في الدور عن عائشة قالت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب ولله المشرق والمغرب الاية الاكثرون على انها نزلت في امر يختص بالصلوة ومنهم من زعم انها نزلت في امر لا يختص بالصلوة اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها ان المراد به تحويل المؤمنين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف والجهات ملكه فاينما امركم باستقبال شيء فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى اياها قبلة انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وقال ابو مسلم ان كلا من اليهود والنصارى قال ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد الى السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى ولد هنالك من اهله مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق فكيف تخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق وثانيها قول قتادة وابن زيد ان الله نسخ بيت المقدس بالتخيير الى اي جهة شاء الا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه نسخ ذلك التخيير بتعيين القبلة الكعبة قبلة فلا الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم تعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية عذرا لنا في خطائنا وهذا الحديث يدل على انهم حينئذ ما صلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر انها نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومي براسه نحو المدينة فمعنى الاية اينما تولوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فثم وجه الله اي فقد صادفتم رضاه ان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل او التخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب في تولوا للمانعين والساعين يريد انهم اينما هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه

فقالوا

فقالوا انصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الاية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة فمن وجه نحوه شطر منها يريد طاعتي وجد ثوابي وكان هذا عند النجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك انها نزلت ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارضه فلله بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها في اي مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل قوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المامورة المرضية وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلوة او في غيرها وفيه ان المجتهد اذا ادى بشرائط الاجتهاد بابا فهو مصيب ومعنى فولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولي هاربا فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد عمت المجسمة من الاية ان لله تعالى وجها وايضا سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب انا لا نتركه على ظاهره لا له فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه لو كان محاذيا للشرقي استحال استحال ان يكون حينئذ محاذيا للغربي فلا بد من تاويل هو ان الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقهما واوجدهما فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة والمراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض او المراد فثم مرضات الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى رضاء احد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه او جهة ام كيف يكون جسما او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحيان والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلة والشرف والمراد بالسعة كمال الاستيلاء في القدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه قادر على الاطلاق في توفية ثواب من يقوم بالمامورات على شرطها وتوفية عقاب من تكاسل فيما عليهم بمواقع ثباتهم فيجازيهم على حسب اعمالهم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع اخر من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد مر ذكرهم في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر والضمير يصلح للعود اليهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا وابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجوب لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف واي كل ما في السموات والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى انه دوام الممكنات واستمرارها جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل ما الكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيمة فسئل هذا في المكلفين وقوله بل له ما في السموات يعم المكلف وغيره فنعدل الى تفسير اخر قائلا المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من اثار القدرة وامارات الحدوث او كون جميعها تحت ملكه وتسخيره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة في قانتون للتغليب ويراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابد قنت له مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه الجمع على الاصل يحكى ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي رضي الله عنه لئن كان عيسى الها فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني بديع السموات بديع خبر مبتدا محذوف اي هو بديع السموات والارض عمم ولا لان المالكية والاختصاص لا يلزم كون المالك موجد المملوك ثم خصص ثانيا يقال بدع الشيء بالضم فهو بديع وابدعه اخترعه لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كاليم بمعنى مؤلم وضعف ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واصل التركيب من قضى يدل على القطع فمنه القاضي لانه اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا اتمه واحكمه لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه اداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشيء لانه كان مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل ههنا ومعنى قضى امرا اتمه او حكم بان يفعله او احكمه قال شعر وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع ثم من قرا فيكون بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قرا بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر في الفعل او في الفاعل او فيهما نحو اذهب تنتفع واذهب يذهب زيد واذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل الامر وذلك اكثري وقد لا يكون الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا اخر مغايرا له فيقول القائل اذهب تذهب او فيذهب معناه اعلام ان الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شيء اخر كما ان المقصود في الاية من الامر بالوجود هو نفس الوجود

فاوقع كان التامة جوابا لمثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بتاء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشأنه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فروعي ذلك وههنا بحث آخر وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى الشيء على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا وايضا لان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتأخر عن المحدث بزمان مخصوص محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور او التسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن الثاني اما ان يخاطب المخلوق ويكون قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم عبث سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته او يرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انا لا تأثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها فكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين فعند مجيء الثاني ينقضي الاول واما احدهما فهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الاية على الظاهر غير جائز فلا بد من تاويل والاصح ان يقال ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا المكون بحال المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يأبى وفيه تأكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم عن الاصم وقيل امر للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون يعني الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ايضا ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالاية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الاية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تحضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك فاوحى الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد ويزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا يأتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القرآن اية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم من مكذبي الرسل تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به كما ان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكذلك هؤلاء المشركون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذا المعاصرون من اليهود والنصارى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الآيات لقوم يوقنون فيعرفون انها آيات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها آيات ظاهرة هي القرآن العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة كمجيء الشجر وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا لعل في تلك الآيات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كما فضى بها الى حد الالجاء المخل بالتكليف وكان يجب استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب وخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الآيات وتعاقبها ينافي كونها خوارق العادة فلا يبقى آيات وكل ما ادى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة **التأويل** مساجد الله التي يذكر فيها اسمه اساميها عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر وذكر كل واحد مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه ترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله تعالى الى داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات اولئك ما كان لهم ان يدخلوا هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطرات الخوف من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب ولهم في الاخرة عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها وفيه في مشرق كل قلب ومغرب شارق وطارق وطارق القلب من هواجس النفس يطرق بظلمات

الى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى ومشارق القلب من واردات الروح بانوار الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فيكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا انجلت شمس صفات الجلال لخفيت نجوم صفات الجمال واذا استوى سلطان الحقيقة على مملكة الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء اذ ليس عند الله صباح ولا مساء وتلاشى العبدية في كعبة العندية ونودوا بفناء الفناء من عالم البقاء رفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب لسعته بلا كيف كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن التقي والله اعلم

انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون

القراءة ولا تسأل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر **الوقوف** ونذيرا للعطف اي نذيرا وغير مسؤول الا لمن قرأ ولا تسأل على النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهم الهدى من العلم لان نفي الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع اهوائهم فكان نفي الاطلاق خطرا نصير تلاوته لان ما بعده مبتدأ آخر مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني يتلونه حالا من مفعول آتينا او من فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن اهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب على القرآن كما يجيء يؤمنون به للابتداء بالشرط الخاسرون العالمين ينصرون **التفسير** لما بين غاية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد ما نزل ما يكفي في باب الاقتداء والاهتداء من الآيات البينات اراد ان يسلي ويسري عن رسوله كيلا يضيق صدره فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسب ما يقتضيه الحكمة وهو ان لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل لا جبار ونحالك عن ان تكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسؤول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب واما قراءة النهي فيروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق الكلام ينبو عن ذلك ولانه صلى الله عليه وسلم مع علمه الاجمالي بحال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحق كما اذا سألت عمن وقع في بلية فيقال لا تسأل عنه فكأن المسؤول يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى فيه اقناط لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون باشتراس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين ان ملتهم التي كان نبيهم هي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق ليس وراءه هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم شبهاتهم وآراءهم الباطلة المنسوخة بعد ما جاءك من العلم بامر الديانة لوضوح البراهين وسطوع الدلائل ما لك من الله من عقابه وسخطه من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك قال اهل البرهان انما قال في هذه الاية من بعد ما جاءك كما قال في آية القبلة على ما يجيء

لان العلم ههنا علم كامل لبيرو رآءه علم وهو العلم بالله وبصفاته وان الهدى هدى الله فكان لفظ الذى اليق لانه فى التعريف
ابلغ فانه يعرف بجملته ولا ينكر وقط الالف واللام بخلاف ما فانه قد يكون نكرة ولا يدخله الالف واللام وخصت اية القبلة بما و
زيد من لابتداء الغاية والوقت لان المراد قليل من كثير من العلم وهو العلم بالقبلة والتقدير من الوقت التى جاء فيه العلم بالقبلة
فالقبلة الاولى تنحت بهذه الايات وليس الاول موقت بوقت اعنى العلم بالله وبصفاته فلم يحتج الى زيادة من التوقيتية وقريب من
معنى القبلة ما فى ال عمران فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فلهذا جاء بلفظ ما وزاده لفظ من وامانى سورة الرعد فانه قال
ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم لان العلم ههنا هو الحكم العربى اى القران فكان بعضا من الاول وهو العلم بالله وبصفاته
فعبر بلفظ ولم يزد من غير موقت والله اعلم باسرار كلامه وفى الاية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا يكون اتباع
الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به لقوله بعد الذى جاءك من العلم فلان لا يجوز التوعد
الا بعد القدرة على المامور به كان اولى فبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذى علم الله منه انه لا يفعل الشئ يجوز منه
ان يتوعد على فعله ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل
هو هذا الوعيد او هو احد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا للامة لانهم اذا علموا ان الحال التى لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد
فى حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر لم يبق لهم طمع فى الخلاص لو وجد منهم ذلك الذين اتيناهم الكتاب قيل انهم المؤمنون
الذين اتيناهم القران لان الكتاب الذى يمدح على تلاوته هو القران والاصح انه لما تقدم ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم
ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتبعون مقتضاه من غير تكاسل ومتمسكين
باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته او يخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه اولئك يؤمنون
بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلو الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين ومن الواضعين عن حقه فاولئك
هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به وبعثهم ورده فرجعوا منه بخفى حنين وفاز وانجح من بنى اسرائيل الايتان رجوع
الى اول القصة تذكير النعم بعد تعداد موجبات النقم ليتنبه منهم من وفق للتنبه والله المستعان وعليه التكلان

واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس
اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ۝ واذ
جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتى للطائفين
والعاكفين والركع السجود ۝ واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا
بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر
قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير

القراءة ابرهام بالالف فى البقرة والنساء الا قوله اتينا ال ابرهيم وفى الانعام ملة ابراهام وفى جميع براءة الا قوله ابرهيم
وفى ابرهيم واذ قال ابرهام وفى النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفى عسق وجميع المفصل الا قوله فى المودة
الا قول ابرهيم وفى الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد فى هذه السورة فقط واعلم ان ذكر ابرهيم فى القران تسعة
وستون موضعا منها ثلثة وثلثون ابراهام بالالف فى قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان وستة وثلثون ابرهيم بالياء والعلة فى ذلك اتباع
مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار عند الائمة ان يقرا ههنا بالالف اتباعا للمذهب والبواقى بالياء
لانه احسن فى اللفظ واشهر ويوافقه سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل واسرافيل واسمعيل عهدى مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وانه

مدغمة الذال فى الجيم ابو عمرو وهشام بيتى بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر
فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد **الوقوف** فاتمهن اماما ذريتى الظالمين وامنا الى قوله واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر
بين ماضيين مصلى كذلك ومن فتح الخاء سوى الافعال الثلثة فلا وقف السجود واليوم الاخر عذاب النار لان نعم وبئس للمبالغة فى المدح
والذم فيبتدا بهما تنبيها على المدح والذم المصير **التفسير** انه تعالى لما استقصى فى شرح نعمه على بنى اسرائيل والمشركين ومقابلتهم
النعم بالكفران والعناد شرع فى نوع اخر من البيان وهو ذكر قصة ابرهيم صلوات الرحمن عليه لان كلهم معترفون بفضله وانهم من اولاده ومن
ساكنى حرمه وخدام بيته وفى قصته امور تعرف توجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض
التكاليف ثم وفى بها فنال منصب الاقتداء فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد وبانقياد حكم الله والتزام تكاليفه ومنها
انه طلب الامامة لذريته فقيل له لا ينال عهدى الظالمين فيعرف انه طالب الحق فيجب ان يترك التعصب والمراء ووضع ما رفعه الله
لينال رياسة الدارين ومنها ان القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فاريد ازالة غيظهم بان هذا البيت قبلة ابرهيم الذى
اعترفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها انه دعا بارسال النبى من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وسلم فيجب على من يعترف بابرهيم ان يعترف بمحمد اما
قوله اذا ابتلى العامل فيه اما مقدر نحو واذكر ويكون بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال انى جاعلك للناس اماما
وعلى هذين التقديرين يكون ظرفا للمكان او للقال وموقع قال على الاولين استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال انى جاعلك
وعلى الثانى جملة معطوفة على ما قبلها من الايات ولا يخفى ان الاستيناف اصوب ليناسب سياق الجملتين الاتيتين اور ودهما ايضا على طريقة
السؤال المقدر والجواب وليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه
بالبلوى تشبيها لامره بامر المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا منا قد يؤمر ليعرف ما يكون من المامور حينئذ فالحكيم يجوز حقيقة
الابتلاء عليه تعالى مع انه عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار
احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى
كان فى الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط فاما حدوث تلك الماهيات ودخولها فى الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند
وقوعها بدليل هذه الاية وامثالها المذكور فيها الابتلاء او كلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة
منها انه لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفى القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال ان لا يقع وما علم انه لا يقع استحال
ان يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الواجب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه
وانما المنافى للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان
لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء ازيد من
ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه فكذا الزائد ونوقض بمراتب الاعداد التى لا نهاية لها وايضا المجموعية
والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهى فاما الذى لا نهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التى لا نهاية
لها هل يعلم الله عددها مفصلة او لا يعلم فان علم عددها فهى متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها
ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عدد فاما اذا لم يكن لها عدد فى نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم
فهو متميز فى الذهن عما عداه وكل متميز عما عداه فما عداه خارج عنه فكل ما خرج عنه غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم
بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها والحق ان نور الانوار لا يتناهى وورائه ما لا يتناهى الا
بتناهى ولحاطة غير المتناهى بغير المتناهى غير بعيد وقد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهى قوتنا ونورنا
هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذى هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابرهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور وهذه
الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلى فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا
وعن ابن عباس وابى حنيفة رضى الله عنهما رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن ام لا
واختلف المفسرون فى ان ظاهر لفظ التنزيل هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهى الامامة وتطهير
البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد صلى الله عليه وسلم وكل هذه تكاليف شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها
اكثر من ان تحصى ولهذا كان ثواب النبى اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روى فى كيفية بنائه
عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن باقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان فى الموقف كرمى الجمار وغيره واما الاشتغال
بالدعاء ليبعث نبى اخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك فى غاية الصعوبة واعترض على هذا القول
بان المراد من الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع واجيب بانه اخبر ابتلاه بكلمات على الاجمال

ثم اخبر انه اتمهن ثم فصل تلك الامور وهذا الترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضايعا ولا ينقطع النظم
القايلون بان ظاهر الاية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم الكلمات التى تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم
بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس هي عشر خصال كانت فريضة في شرعه وهي عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق
وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل
ابتلاه الله تعالى من شرايع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون الاية وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
وعشر في المؤمنون وسال سايل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هو مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام و
الوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكواكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم
الذي وفى وقيل ما ذكر في قوله رب اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه
والصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنايم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كل ما في فعله كلفة
واللفظ يتناول لمجموع هذه الاشياء وكل واحد منها الا ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان
قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق ان هذا يختلف
باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة
كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين سنة ومنها ما هو بصدد الاحتمال فقد يكون
ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كمنام او الهام والضمير في فاتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن
احسن التادية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى اي فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر
الكلمات بما سال ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم
لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به اي ياتمون بك والاكثرون على ان الامام ههنا النبي لانه جعله اماما لكل الناس
فلو لم يكن مستقلا بشرع كان تابعا للرسول وبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شيء والذي يكون كذلك لا بد
ان يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ايمة يهدون
بامرنا الا على من هو دون من يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والفقيه والقاضي وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد
فعظمه في عيون اهل الاديان كلها واقتدى به من بعده من الانبياء في اصول مللهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم ثم القايلون بان
الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الاية واما الهام من نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة في
الارض ومنع ان الامام يراد به ههنا النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامامة لكن الاية تدل على ان النصوص طريق الامامة وذلك لا نزاع
فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الاية على ذلك وفي الاية دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان
معصوما من جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه
مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق ذرأ خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان
يكون منسوبا الى الذر لصغار النمل والفم من تغير النسب كالدهري في النسبة الى الدهر ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل
بعض ذريتي كما يقال ساكرمك وزيدا ولا يخفى ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم قد لا يليق بذلك
لان ناسا غير محصورين لا يخلو من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى ملته فجعل في اولاده
واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس
ثم محمدا افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض وكان يكفي في الجواب نعم الا انه لم يكن حينئذ نصا في ان ذلك البعض
من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدي المؤمنين كان غايته ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلمكان التنصيص على
اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها على كل عهد عهده الله تعالى
الى بني ادم اذ لا رياسة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم تعين الصالح
للامامة بطريق برهاني وذلك ان دعاءه مستجاب البتة فكل نبي مجاب ولانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه
بالذكر معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما اجيب اسعافا
لطلبته بابلغ واتمه كما اذا قيل لمن اشرف على الموت اوص لابنك بشيء فيقول الابن مني احمى اي كل ما يبغي مني فهو لابني فكيف اوصي
له بشيء ولا يرد ان يونس قد نال عهده مع انه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق ادم ربنا

ظلمنا انفسنا الا على الكفر والفسق وقد يستدل الامامية بالاية على ابطال امامة غير علي كرم الله وجهه قالوا انهم كانوا مشركين
قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا الا يقال انهم كانوا ظالمين حال
كفرهم فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليهم دايما ولهذا يسمى النايم مؤمنا لانه
ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا له حال النوم وايضا المتكلم والماشي حقيقة في مفهوميهما مع ان اجزاء المتكلم والماشي لا توجد
دفعة فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان
مؤمن في الحال الا انه كان كافرا قبل سنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التايب عن المعصية لا يسمى عاصيا وكذا التايب عن الكفر
وان قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة او المانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة في الاية النبوة
فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل
عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السراير خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا
ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان
اي الم امركم لكن المراد في الاية لا يمكن ان يكون ذلك فانا وامره تعالى لازمة للظالمين كالمطيعين فثبت ان المراد كونهم غير مؤمنين
على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا تنفذ احكامه
اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدي به
لم تفسد صلوته قال ابو بكر الرازي ومن الناس من يظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق
قاضيا وهذا خطا نعم انه قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جاير فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جايزة
لان الذي ولاه بمنزلة ساير اعوانه وليس من شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على
الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام
ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعى ذلك على ابي حنيفة وقد اكرهه ابن هبيرة في ايام بني امية على قضايه وضربه فامتنع من ذلك
فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال له الفقهاء ابل له شيا من عمله اي شي كان حتى يزول عنك الضرب فتولى له
عد احمال التبن الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عد له اللبن الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يفتي
في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد او ارادوا في عد اجره لما فعلت وقصته في امر زيد بن علي مشهورة وحمله المال اليه وفتياه
الناس سرا في وجوب نصرته القتال معه وكذا امره مع محمد وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن وفي الاية انذار بليغ وتخويف شديد عن وخامة
عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه محط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين و
ثالثا عن مزية السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلايق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء
اليها وخامسا عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القايل شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم اخره ياتيك
بالندم * نامت عيونك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم * وللاخر شعر مرتع ظلم الورى وخيم * يا صاحب البغي والجبرية *
لا تظلم الناس واخش نارا * وقودها الناس والحجارة * ايحسب الظالم في ظلمه * اهمله القادر ام اهملا * ما اهملوه بل له موعد * لن يجدوا من دونه
موئلا * اتلعب بالدعاء وتزدريه * وما يدريك ما صنع الدعاء * سهام الليل لا تخطي ولكن * لها امد وللامد انقضاء * واعلم ان عهد الله الذي
ياخذ على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده هو عهد الربوبية
ربكم ورب ابائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظك بنظر الربوبية فيربيك ويرعاك وبعد نعم الوجود ويعطيك نعم التحقق كالصحة
والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل
وعدوان وانما الملائكة الله وعبيده وانصار لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا التقصير فان الى الله المصير وما للظالمين
من نصير قوله واذ جعلنا البيت تقرير تكليف اخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعمالها
في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين ساير الافراد حتى صار علما والابدان يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام
العهد ليستفيد الاختصاص ويسمى بالعلم الاتفاقي وانما التزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت كبعض حروفه الا
انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة نشات بسبب الكعبة نفسها
ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام بعينهما هنا والمراد والله اعلم منتهم من الحج
وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سبب الامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول يكون بمعنى امنا
موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل انه مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة كعلامة عن الحسن

اى يثوبون اليه فى كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابرهيم واجعل
افئدة من الناس تهوى اليهم وقيل مثابة اى يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد
مخلوق لله او بان الله تعالى القى تعظيمه فى القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية و
دنيوية قال صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما و
الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان ظان الخافقين يختصون هنالك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن اراد و
لا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فتارة نتركه على ظاهره ونقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبى اليه ثمرات
كل شىء الا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الوجود بخلافه فقد يقع فيه القتل الحرام كقتل المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة
والقتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلى وانما احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب
الشافعى الى ان المعنى انها لم تحل لاحد ان ينصب الحرب عليها وان ذلك احل لرسول الله فاما من دخل البيت من الذين وجب عليهم الحدود
فقال الشافعى ان الامام يامر بالتضييق عليه بما يؤدى الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد فى الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك
من قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه وعند ابى حنيفة لا يستوفى قصاص النفس فى الحرم الا ان يخشى القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه ولا يكلم
ولا يطعم حتى يخرج فيقتل وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد لا يستوفى من الملتجى واحد من القصاصين ولو التجا الى
المسجد الحرام قال الامام ومسجد اخر يخرج منه ويقتل لان تاخيره يسير وفيه صيانة المسجد وحفظ حرمته وقيل يبسط الانطاع و
يقتل فى المسجد تعجيلا لتوفية الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اى اتخذ الناس من مكان ابرهيم الذى وسم لاهتمامه به
واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعلى هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرا بالكسر على الامر فعلى ارادة القول اى وقلنا اتخذوا
منه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفى مقام ابرهيم فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء ابرهيم من الشام الى مكة
قالت له ام اسمعيل حتى تغسل راسك فلم ينزل لان سارة شرطت عليه ان لا ينزل عندها على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع
قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقى اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابرهيم ع كان يبنى
البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت قدماه وقيل انه الحجر الذى قام ابرهيم
عنده الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابرهيم ثم قام على هذا الحجر فى هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابرهيم الحرم كله فعلى هذا
يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة ومزدلفة والجمار لانه قام فى هذه المواضع ودعا فيها والقول بان
مقام ابرهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم فى العرف يختص بذلك الموضع بعرف المكى وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه فى رطوبة
الطين حتى غاص فيه رجله وذلك من اظهر الدلايل على صنع الله تعالى واعجاز ابرهيم ع وكان اشد اختصاصا به فاطلاق مقام ابرهيم اولى
ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم
فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ومن هنا تحريدية على نحو رايت منك اسدا او وهب الله لى منك وليا مشفقا
ففيه بيان المتخذ والمربى والموهوب وتميزه فى ذلك المعنى عن غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك
بموطئ قدم ابرهيم ع وركعتا الطواف خلف المقام وفى الحجر ثم فى المسجد اى مسجد كان ثم حيث شاء ومتى شاء ليلا ونهارا سنة عند
الشافعى فى اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابى حين قال هل على غيرها قال لا الا ان تطوع وفى قوله
الاخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابى حنيفة ايضا مختلفة وعهدنا والمراد بالعهد هنا الامر اى الزمناهما
ذلك وامرناهما امرا وثقنا به عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اى طهرا والمراد
التطهير من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى واما من الشرك ومظانه فلانه مقام
العبادة والاخلاص وكل هذه اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا فالمراد افراده على طهارته مثل ولهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن
لم يطهرن لخلقهن طاهرات واما ان يكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس ان بيتى طهرتهم متى حجوه للطايفين الى اخره العطف يقتضى
مغايرة فالطايف من يقصد البيت حاجا ومعتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور او يعتكف والركع السجود جميعا راكع وساجد
اى من يصلى هناك وعن عطاء اذا كان طايفا فهو من الطايفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز
ان يريد بالعاكف الواقفين يعنى القايمين كما قال للطايفين والقايمين والركع السجود والمعنى للطايفين والمصلين لان القيام والركوع
والسجود هيات للمصلى ولعل الوجه الاول اولى ليكون الركع السجود كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا قرنا

الطايفين بالعزباء دلت الاية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة لانه تعالى مدحهم بذلك وقد روى عن ابن عباس ومجاهد
وعطاء ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفى اطلاق الاية دليل على جواز الصلوة فى البيت فرضا كان
او نفلا خلافا لاحمد ومالك فى الفريضة فالاول وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء
من اجزايه واجيب بان التوجه الى جزء منه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل
لا غ قوله تعالى واذ قال ابرهيم قيل فى الاية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يمكن الا بعد دخول البلد فى الوجود فقوله
واذ يرفع وان كان متاخرا فى التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت فى ترتيب القصة فوايد منها انه اجمل القصة فى قوله واذ ابتلى
الى فاتمهن ثم فسر وفى التفسير قدم الاتم للاسم ولا ريب انه ذكر جعل ابرهيم اماما اولى بالتقدم لعموم نفعه للخلايق ولتقدمه فى الوجود
ايضا ثم ذكر جعل البيت مثابا للناس وامنا لانه المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل فى ضمن رعاية الاتم فوايد
منها انه كما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل جزء من اجزائها ايضا كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
مجمل ثم فسر بقوله ذلك بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابرهيم وذكر البيت اولا وقع مجملا ثم فسر انه كيف بنى ومنها انه وقع ختم الكلام بادعية
ابرهيم ووقع ختم الادعية بذكر لخاتم النبيين وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب اكثر مما احصينا
هذا بلدا آمنا فا امن مثل عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نايم وانما قيل ههنا بلدا امنا على التنكير وفى سورة ابرهيم هذا
البلد امنا لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا وكانه قال اجعل هذا الوادى بلدا امنا وذاك الدعاء صدر وقد جعل
بلدا وكانه قال اجعل هذا المكان الذى صيرته بلدا ذا امن واما لان الدعوتين واحدة والمراد جعل هذا البلد بلدا امنا فيفيد مبالغة
زايدة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلدان الكاملة فى الامن بخلاف قوله اجعل هذا البلد امنا ففيه طلب الامن بنفسه
قيل سال الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير ذى زرع ولا ضرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده
تكرارا واجيب بان التوسعة فى الرزق مغاير لطلب ازالة القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله امنا من الافات فلم يصل اليه جبار
الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة وقصد اهلها بكل سوء واجيب بان مقصوده
لم يكن تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا اخر من الثمرات من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه ثمرات كل شىء وانما سال
ابرهيم ع الامن وان يجبى اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا ذا خصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون
سببا لاجتماع الناس وانثيالهم اليه من كل اوب زايرين عاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل
الصالح واختلف فى ان مكة هل كانت امنة محرمة قبل دعوة ابرهيم وصار ذلك موكدا بدعايه فقيل نعم لما روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صار حرما امنا بدعوته وقبلها كانت كساير
البلاد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم انى حرمت المدينة كما حرم ابرهيم مكة وقيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله بمنع الله تعالى
من الاصطلام وبما اوقع فى النفوس من التعظيم ثم صار امنا على السنة الرسل ومن امن منهم بدل من اهله يعنى وارزق المومنين
من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث ميز هناك بين المومن والكافر فقيل لا ينال عهدى الظالمين فعرف الفرق
بينهما فقيل ومن كفر عطفا على من امن كما مر ومن شرطية وهو مبتدا متضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف
استرعاء يختص بمن ينصح للمرعى فيؤدى عن الله امره ونهيه ولا ياخذه فى الدين لومة لايم ولا سطوة جبار وظالم وابعد الناس عن
النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذيب ظلم اما الرزق فلا يبعد ايصاله الى المومن والكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولانه قد
يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة على انه متاع قليل وامد يسير فيما بين الازل والابد قليلا اى متاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا
فنعم المومنين فى العاجل موصولة بنعيمهم فى الاجل ونعم الكافر مقطوعة عنهم بعد الموت والزايل لا يجدى طايلا فرايت ان متعناهم سنين ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجيه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوقف
الذين كفروا الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالاضطرار الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك
الذى اضطر اليه او ذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا وامكان
موضع والقياس مصار وكلاهما شاذ مثل معاش وكلا مستعمل والله اعلم

واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم ● ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة

مسلمة وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب
عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة
لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين و
وصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين
فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله اباءك
ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة قد
خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون

القراءة ارنا وبابه ساكنة الراء ابن كثير ودويس وقياسا على كسرة فخذ او تسكن فيقال فخذ قرا ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وحذرا من الاجحاف ويعلمهم بالاختلاس عباس وكذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع وروى ابن سعدى عن ابن عباس يكلمنا وتحدثنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس عباس يكذلك مثل فى اعينكم والحكم واوصى من الايصاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون وصى بالتشديد شهداء اذ عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون شهداء يذ وكذلك ما اشبه كل القران الوقوف واسمعيل لاضمار القول اى يقولان ومحله نصب على الحال منا للابتداء بان ويجوز الوصل وجه لطيف على تقدير فانك او لانك العليم مسلمة لك لعطف المتفقتين علينا وقد ذكر الرحيم ويزكيهم الحكيم نفسه للفصل بين الاستفهام والاخبار فى الدنيا لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين اسلم لان قوله قال عامل اذ والاوجب ان يقال فقال والا انقطع النظم العالمين ويعقوب لارادة القول على الاصح ومن وصل جعل الوصية فى معنى القول مسلمون لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لان اذ بدل لاذ الاولى او اذ الاولى ظرف شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها من الاولى فوقف على الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدى فله وجه لا يتضح لان الانكار متوجه على قولهم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدى ولحال لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون قد خلت لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استينافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم لعطف الجملتين المختلفتين يعملون التفسير عن وهب بن منبه قال ان آدم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما راى سعتها ولانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب اما لارضك عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى فقال الله انى ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى ويقدس لى وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى وسابوئك منها بيتا اختاره لنفسى واخصه بكرامتى واوثره على بيوت الارض كلها باسمى واسميه بيتى انطقه بعظمتى واحوطه بحرمتى واضعه فى البقعة التى اخترت لنفسى فانى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتى فقد عظم حرمتى ومن احله فقد اباح حرمتى ومن امن اهله استوجب بذلك امانى ومن اخافهم فقد جفانى ومن عظم شانه فقد عظم فى عينى ومن تهاون به فقد صغر فى عينى سكانها جيرانى وعمارها وفدى وزوارها اضيافى اجعله اول بيت وضع للناس واعمره باهل السماء والارض ياتونه افواجا شعثا غبرا على كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجيجا

ويعجون ضجيجا بالتلبية فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى وضافنى ووفد على ونزل بى فحق على ان اتحفه بكرامتى وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا ادم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبى حتى ينتهى بعد ذلك الى نبى من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون امينى عليه ما دام حيا فاذا انقلب الى وجدنى قد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الى والوسيلة عندى واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه واعلامه مشاعره ومناسكه لرجل امة واحدة قانتا بامرى داعيا الى سبيلى اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وامره فيفعل وينذر لى فيفى ويدعونى فاستجيب دعاءه فى ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا او يغيروا واجعل ابرهيم امام ذلك البيت ولاهل تلك الشريعة ياتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقى وغربى وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه اليه آدم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وعن على كرم الله وجهه البيت المعمور بيت فى السماء يقال الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الارض يصلى فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاء ما بين المشرق والمغرب ما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفى وعن ابن عباس انه كان اشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل وامه فعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابرهيم النبى قط الا ثلث كذبات ثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة فى شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سالك فاخبريه انك اختى فى الاسلام فانى لا اعلم فى الارض مسلما غيرى وغيرك فلما دخل ارضه راها بعض اهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم ارضك امراة لا ينبغى لها ان تكون الا لك فارسل اليها واتى بها وقام ابرهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد اشد من القبضتين فقال ادعى الله ان يطلق يدى ولا اضرك ففعلت فاطلق يده ودعا الذى جاء بها فقال انك انما جئتنى بشيطان ولم تاتنى بانسان فاخرجها من ارضى واعطها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما رآها ابرهيم انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كفى الله يد الفاجر واخدم خادما قال ابو هريرة فتلك امكم يا بنى ماء السماء قلت وذلك انها ملكتها سارة ابرهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب واما تتمة القصة فبعد ان غارت سارة على هاجر حيث لم يكن لسارة من ابرهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى ليس فيه انيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض

كالراية تائية السيول فيأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في
اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم
بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا
نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهاليهم فنزلوا معهم حتى
اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب الغلام فلما ادرك زوجوه امراة
منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابرهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم
سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت قال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير
عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه انس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته فسالني
كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشئ قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة بابك
قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شاء ان يلبث ثم اتاهم بعد
فلم يجده فدخل على امراته فسال عنه قالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت
على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت
نعم اتانا شيخ حسن الوجه والهيئة واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشئ قالت نعم
يقرا عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد
ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه وصنعا ما يصنع الوالد بالولد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني
بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما
حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابرهيم بهذا الحجر فوضعه
له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي رضي الله عنه انه مر عليه الدهر
بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان
يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم
فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه واعلم ان للبيت اربعة اركان
ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعشر سنين واعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليها اليوم فلم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من
جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم صلوات الله عليه وضيقوا عرض الجدار من الحجر الاسود الى الشامي الذي
يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك
لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على
قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده على الصورة التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية
حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني
عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع
فوقه فيرفع [illegible] ورفع القواعد [illegible] ذهب اليها الاكثرون [illegible] ان القواعد كانت موجودة [illegible]
[illegible] الاحاديث [illegible] ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة
انواع من الدعاء في الحالة الاولى قولهما ربنا تقبل منا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

اختياره

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الشيطان ثم عرض له يوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يامره جبريل ثم يرمي بالحصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا
يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح
اطلاقه على معنييه معا وكذلك المدلول الحقيقة والمجاز بصحة ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطي من النكاح غاية ما في الباب
ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقط من النسك الذبح والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه
فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فيحمل المناسك على جميع اعمال الحج لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني
مناسككم بعد ما بين هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرعه الله لابرهيم اي علمنا كيف نعبدك واين نعبدك وبماذا نتقرب اليك
حتى نخدمك بذلك كما يخدم العبد مولاه وتب علينا التوبة عليهما محمولة على ما عسى ان يكون قد فرط منهما من الصغائر عند من يجوزها
على الانبياء او على ترك الاولى او هضما لانفسهم ويحتمل ان يكون ذلك لغيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التجرد تشددا
في الانصراف عما لا يليق بهما قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة وايضا العلم اشبا بالذرية
لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وذلك لغاية شفقتهما عليهم ويأتي مباحث التوبة مكملة في قصة ادم ثم
قد ذكر النوع الثالث انهما وابعث فيهما رسولا منهم وفيهم امران الاول ان يبعث في تلك الامة رسولا ليبين لهم الشرع القويم ونهج
الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل اليهم اذا كانوا جميعا من ذريته كان ذلك اجل
ولانه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشاه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق
من الاجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى في موضع اخر لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ولقوله صلى الله عليه وسلم
انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد واما الرؤيا فما رات امه وهي حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة وهي ان الخليل لما دعا للحبيب
بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا فلا جرم جزى الحبيب الخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في
الاخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة محمد فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم ابو الملة ملة ابيكم ابرهيم ومحمد
ابو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرافة والرحمة فلما ثبت لكل منهما
الابوة قرن بين ذكريهما في التحية ومنها ان ابرهيم منادي الشريعة واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي
للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول اخر الزمان ومنها ان الخليل تبرأ من سائر الاديان اني بريء
مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم ذكر لذلك الرسول صفات اولها يتلوا عليهم اياتك
فهو الفرقان المتلو عليهم او جميع ما بلغه من دلائل التوحيد وغيره او نبئا القران ومثله معه وثانيها ويعلمهم الكتاب اي معانيه وحقائقه
وذلك ان التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا عن التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته
نوع عبادة ولا سيما في الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام وثالثها قوله والحكمة اي

ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه الامران فيضع كل شيء موضعه وقد قربتهما ببعض
الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسبه قوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت لمالك
ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب الشافعي هي سنة الرسول لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه
ثم عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة
فما يتلوهما مستقلة بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع اولى وقيل هي الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب
الايات المحكمات وبالحكمة المتشابهات وقيل هي ما في احكام الكتاب من الحكم والمصالح ويزكيهم لان الانسان يتم بامرين
التخلية والتحلية كما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم بها يجب عليه التحذير من سمات النقصان ليتخلى عنها فلذلك يجوز
ما يتعلق به النبي صلى الله عليه وسلم سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ والتذكير والتشبث باحوال الدنيا
ليتقوى بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي مكارم الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم من الشرك
وسائر الارجاس لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم ازكياء يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا
وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق المصالح
واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه للتحقير والنفي اي لا يرغب احد يقال رغب
عن الامر اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من سفه الرفع على البدل من الضمير في يرغب لان ذلك انه غير موجب مثل هل
جاءك احد الا زيد سفه نفسه ومعنى سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه الحديث الكبر ان تسفه الحق
وتغمص الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتجهيلها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه
فلم يفكر فيها فيستدل بما يجد فيها من اثار الصنع على وحدانية الله تعالى وحكمته ويرتقي الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي عبيدة
اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه واما الانم فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار نحو زيد ظني مقيم اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو
بانه الم راسه ووجعا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى ومشركي العرب وتعجيب من حالهم
فان اعظم مفاخرهم ومنصبهم الانتماء الى ابراهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع والاخلاص فان قيل ملة ابراهيم
عين ملة محمد في الاصول والفروع او بينهما اتحاد في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفان في فروع
الاعمال فلا سبيل الى الاول لان من شرع محمد نسخ سائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ايضا راغبا عن ملة ابراهيم
ولان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد قلنا المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط ولكن نبوة محمد من جملة الاصول التي
مهدها ابراهيم والمراد بملة ابراهيم في الاية اصولها التي لا تختلف بتغير الاعصار وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد راغبا عنها الا انه
التي مهدها ابراهيم والمراد بملة ابراهيم في الاية اصولها التي لا تختلف لانه امر باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث
من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه
تعالى لما سفه من يرغب عن ملة ابراهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه للرسالة من ولد الخليقة وعرفناه
الملة الجامعة للتوحيد والعدل والامامة الباقية والقيام الشامخ حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزم
من الكرامة وحسن التولي فليحق كل ذي لب ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راي له والله الموفق ثم بين سبب
الاصطفاء فاعل اصطفيناه في اذ قال اي اخترناه في ذلك الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر
ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلك لكان بحقه ان يقال اذ قلنا
له والاكثرون على انه تعالى انما قال له قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس واطلاعه على امارات
الحدوث فيها فلما عرف ربه قال اسلمت فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه ويحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد
منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان
كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله فاستقم كما امرت والمقصود الانقياد لاوامر الله
تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب والاسلام صفة الجوارح وان ابراهيم
كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل باكثر قصص ابراهيم اشارة
الى ان طريق عرفانه النظر في المربوبات فلا جرم وصل الى الرب بطريق عرفانه وان محمدا عكس ذلك الترتيب فلا جرم بدا من الله فاعلم انه لا اله
الا الله والاول طريق حسن سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه

على كل شيء شهيد ومن هنا يعرف اكملية محمد صلى الله عليه وسلم شعر واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم تستطعه الاوائل
فالف ابراهيم دلالة على استقامة سيرته وميم محمد دليل على انه اكمل الاوضاع وبه ابتداء الامر من حيث انتهى فتمت دائرة النبوة وحصلت
الخاتمية وكما ان الف ابراهيم دليل وجود الاستقامة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالف ابليس دلالة عدم الاستقامة الا
ابليس ابى واستكبر والوجود خير والعدم شر فحصل من خاء الخير مع لام الابتلاء واذ ابتلى ابراهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومن شين الشر مع دال الدوام على الكفر وكان من الكافرين اسم الشدة والكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل
بين الشيئين ومنه الخلال فلا جرم كان ابراهيم صلوات الرحمن عليه واسطة في الطريقة ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من
الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب فلا جرم كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وحبيب رب العالمين
وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك واول الفكر اخر العمل اول ما خلق الله تعالى نوري انا اول من ينشق عنه القبر
آدم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر فمحمد صلى الله عليه وسلم ابو الحقيقة وان كان ابراهيم عليه السلام ابا الطريقة
والحقيقة لكونها مقصودة بالذات اقوى من الطريقة لا جرم وقع الصلوة على ابراهيم في الصلوة تبعا للصلوة على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وان الصلوة لا ترجع بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره ولتعدى الى ما كان فيه ووصى بها ابراهيم التوصية من جملة الامور
المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن ابراهيم اوصيته بكذا ووصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه
وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة الحاصلة له بعد الموت الى القربات الحاصلة له في الحيوة ويكمل الموصى على هذا الوصل بسبب
الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة او الجملة وهي اسلمت لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية
الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم
ولان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد
الكلي وفي الاية دقائق ترغيبية في قبول الدين منها انه لم يقل وامر بها لان الوصية عند امارات الموت وعند ذلك يكون الاهتمام
بالمامور اشد ومنها انه خص بنيه بذلك في اخر عمره مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل ذلك على ان اهتمامه بذلك اتم ومنها
التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان او مكان ولم يخلطها بشيء اخر ثم نهاهم ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة
الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرئ ويعقوب
بالنصب فمعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب قالا لكل منهما يا بني اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار
الواو ياء لاجل النصب فادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين اخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم
اليه ومنعكم من غيره ووفقكم للاخذ به فلا تموتن فهو نهي عن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لانها
عن نفس الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة ومثله قوله صلى الله عليه
وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه في قوة قوله لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكانه نهيهم لا على حال الاسلام موت لا خير
فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا يحل فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد
الحضور عند وفاته والخطاب للمؤمنين اي ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي ولاهل الكتاب
المعاصرين كانه قيل لهم كيف تزعمون ان ما انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وصايا الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر
لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيف فرغبتم في دين محمد ويحتمل ان يكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون
على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت قيل اي اوائلكم من بني اسرائيل كانوا شاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد
ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة احد الامرين كائن فيهما فقط فان كان الحضور ثابتا
لم تكن الدعوة ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار فالوجه ان يقال المراد ان الحضور غير ثابت لتطاول الزمان فان دعوتهم يهودية
الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه تعالى نص على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى اخره ويتجه على هذا التقدير ان يكون ام منقطعة
كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استانف استفهاما ثانيا لتقرير النفي اي ما كنتم شهداء او لتقرير الاثبات على ان اوائلهم
قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدونه وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال
العلماء من لا يعقل ومن خصص ما بغير اولي العقل قال المراد بالسؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب روي ان يعقوب
لما دخل مصر راى اهلها يعبدون النيران والاوثان فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله
لا انهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهور من احوال الاسباط انهم كانوا قوما
صالحين وابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وقدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة ابائه لان العم اب

والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد هو الاخوة قال صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه اى لا تفاوت بينهما لا تفاوت بين
صنوى النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جد فنص الشافعى انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا
يسقطون بالجد والبه ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وزيد وقال ابو حنيفة انه حقيقة
وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابى بكر الصديق وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا لا طريق
لنا الى معرفة الله تعالى الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذى دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذى
انت تعبده واباؤك يعبدونه فدل على ان طريق المعرفة هو التعليم واجيب بمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال
الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات الله تعالى وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجرى
الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته وايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذى دل عليه وجودك ووجود
ابائك كقوله اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الها واحدا بدل من اله ابائك مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص
والمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله نصب حالا من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير في له
اليه ويجوز ان يكون جملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون
خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اى قوله ربها فاقتصصت عليكم اخبار
وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك فزتم كما فازوا وان ابيتم
خسرتم انتم دونهم ولا تسألون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا انهم
يعذبون اياما معدودة بكفر ابائهم باتخاذ العجل وفي الاية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية
عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتونى يوم القيمة باعمالكم لا بانسابكم فانى لا اغنى عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم
الاية تدل على ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعرى على انه لا تأثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان
موجدا لا فعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما اراده العبد وليس كذا بل المقدور والقدرة كلاهما واقع
بقدرة الله تعالى لكن الشىء الذى حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا
بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد ان لا يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيه استحال ان لا يتصف به فاى معنى لكون العبد
قادرا عليه وايضا الذى هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين
معا فلا يكون قدرة الله مستقلة والمفروض بالخلاف فبقى ان يكون بقدرة العبد وعن القاضى ان ذات الفعل واقعة بقدرة
الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع لقدرة العبد وضعف بان الحركة من الجلوس في الدار
المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهى عنه قد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق
وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق اسفراينى ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله
مستقلة بالتأثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعى توجب الفعل والله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذى
وضع الاسباب المتأدية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة و
الداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعى لا توجب
الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب
وقول الاشعرى اقرب الى الادب وقول امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا ينافى كون ذلك المؤثر
منسوبا الى اثر اخر بعيد ثم الى ابعد الى ان ينتهى الى مسبب الاسباب وفاعل الكل ومبدأ المبادى واليك الاختيار بعقلك دون هواك

التاويل من قوله واذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء واشدهم بلاء وابتلى الخليل بكلمات هى احكام النبوة
الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقد المالوفات وموجبات الخلة التبرى عما سوى
الخليل انى برىء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لى الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له اتحبر بل في الهواء الك
من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين والرضا بما امر به عند ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين بخلاف ما قال
نوح ان ابنى من اهلى فلا جرم بدله الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان الله تعالى
اوحى الى داود فرغ لى بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فقال فرغ لى قلبك انى جعلت القلب للانسان مثابة يرجعون اليه بالطلب
وزوارى كما يرجعون الى الكعبة وما منا للسالك من تصرفات الشيطان ومكايده حين بلغ منزل القلب لان القلب حرم الحق
محروسة من دخول الشيطان وانما جولان الشيطان في ميادين الصدور كقوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا عند الوصول
الى كعبة القلب من مقام ابرهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى لا الى غيرى كما قال ابرهيم انى ذاهب الى ربى سيهدين
وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل في الميثاق ان طهرا القلب عن ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهى
واردات الاحوال والعاكفين وهى الملكات والمقامات والركع السجود هى صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص
والتواضع والخوف والرجاء والتسليم والرضاء والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابرهيم الاية لما اهبط آدم
الروح الى ارض الجسد ففقد ما كان يجد من روايح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب
من جنة حظيرة القدس له بابان شرقى الى حظيرة رب العالمين تطلع منها شوارق الالطاف وباب غربى الى عالم الجسد وفيه قناديل
العقل وانزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلى وقد القم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله فى ارضه
فلما كان يوم طوفان آفات صفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وفار تنور الشهوات رفع بيت معمور القلب الى السماء الرابعة
معنى حجب استار خواص العناصر الاربع واختفى حجر الذرة فى ابى قبيس صفات النفس فلما امر ابرهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب
وعمارته من خمس اصل اركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بناء القلب بدلالة السكينة هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين
فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجىء باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام وبنا ولها ابرهيم الروح وهو يبنى الى ان بلغ موضع
الحجر فنودى من ابى قبيس الهوى ان لك عندى وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استار صفات النفس والهوى فوضعه مكانه وكان
ابيض فلما استحيض اللذات الدنيوية ومشركوا الشهوات النفسانية فى جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت
القلب سالا ربهما الاستسلام لاحكامه الظاهرة الشرعية والباطنة التى جف القلم بها فى الازل وكذا الذرية المتولدات من الصفات
الروحانية والنفسانية وان يبعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فمن لم يكن له فى القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام
الرسول الخارجى ثم ان ابرهيم الروح يوصى لمتولداته من القلب وصفاته والسر وصفاته والنفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس
الخمس والاعضاء والجوارح كلها بملته وفى الايات اشارة الى انه تعالى اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه محب له ظهر اثار انوار
تجليه على قلبه وسره ونفسه وقواه وحواسه وجميع اعضائه فيخضعون له بكليتهم فيعبدون الها واحدا لاستغراقهم من الهوى والدنيا والاخرة

وقالوا كونوا هُودًا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما
كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى
وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن
من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم
ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام يقولون ان
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله

بغافل عما تعملون ۝ تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ۝

القراءة ام تقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة

الوقوف تهتدوا حنيفا المشركين من ربهم لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اي امنا غير مفرقين منهم لاحتمال الابتدا والحال وجه مسلمون اهتدوا لابتداء شرط اخر مع العطف شقاق للابتداء بين الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله لاحتمال الواو الابتداء والحال العليم لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قولهم امنا بالله وقوله فان امنوا شرط معترض صبغة الله لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة على جعل الواو للابتداء او للحال والعطف على امنا عابدون و ربكم لان الواو يصلح ان يكون عطفا على الحال الاولى ويصلح ان يكون مستانفا اعمالكم مخلصون لمن قرا ام يقولون بياء الغيبة ومن قرا بالتاء لم يقف لكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا او نصارى ام الله من الله تعملون قد خلت ما كسبتم تعملون

التفسير انه تعالى لما بين بالدلائل المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله قل بل ملة ابرهيم اي نكون اهل ملة مثل واسأل القرية اي اهلها او بل ملة نتبع ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او نحن اهل ملة وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن الحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل او هو شبهه وحينئذ يشتمل على فاعل ومفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابرهيم الحنيف فلما سقطت الالف و اللام لم يتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب الحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل وحاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابرهيم فاتباعه اولى وهذا جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان يزعم اليهود والنصارى انا على دين ابرهيم فاز بحت عنهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قائلون بالتثليث واليهود بالتشبيه وايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابرهيم التي هي محض التوحيد وخالص الاسلام في شيء قالوا الخطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته وهذا جواب اخر برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد صلى الله عليه وسلم وجب الاعتراف بنبوته والايمان به وبما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابرهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة في الدليل وعن الحسن قوله قل بل ملة ابرهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان معرفة النبي والكتاب متوقفة على معرفة وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي صلى الله عليه وسلم فهم حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر عدد بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم ان كلا منهم حق في زمانه ولا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد في معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلاجرم لا نخص بالقبول بعضا دون بعض المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا وهوى ولما بين الطريق الواضح في الدين وهو ان يعرف الانسان نبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم في مثل هذا الايمان وههنا سؤال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما امنتم به والجواب ان قوله فان امنوا بكلمة الشك دليل على ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا لسلامته عن التناقض بخلاف غيره فلا اهتداء الا بهذا ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق والتمثيل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان امنوا بما امنتم به وقيل معناه انكم امنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان امنوا هم بمثل ذلك في التورية فقد اهتدوا لانهم يتوسلون به الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الاية دليل على انهم كانوا قبل هذا

الاهتداء

الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها والعمل بها ليفوز بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق خلاف وعداوة وهو ماخوذ من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه او من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي وصف القوم بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به الايقاع في المحن فلاجرم امنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله وناهيك به من كاف كافل ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن قال سيبويه لن يفعل نفي سيفعل ولقد انجز وعده بما قريب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب وكم من مثله في القران وكل ذلك مما تاكد به اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي يسمع دعاءك ويعلم نيتك في اعلاء كلمة الحق واعلائها فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد لاعدائه اي هو منهم بمراى ومسمع يعلم ما يسترون من الحسد والغل فيعاقبهم على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء اي عليكم صبغة الله وفيهما فك النظم واخراج الكلام عن الالتيام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التي يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس واصله ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم به يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم امنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان. تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره قوله انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا في الشيء يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما للثوب وقيل سمي الدين صبغة لظهور هيئته على صاحبه سيماهم في وجوههم من اثر السجود من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل وصف هذا الايمان عنهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل صبغة الله فطرته اقول وذلك ان اثار النقص الامكاني لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به وقيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز اي لا صبغة احسن من الايمان بالله في الدين الذي شرع لكم لتطهركم به من اوضار الكفر واوضار الشرك ونحن له عابدون عبادة عن كمال الايمان كما تقدم مرارا قل اتحاجوننا اما المحاجة فهي اما قولهم نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة الاوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركي العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم واما للكل والمعنى اتحاجوننا في شان الله في دينه وهو ربنا وربكم والمولى شانه يفعل بعبيده ما يعلم فيه مصلحته وبعين لها هلا عبيده كلهم في ذلك لا يختص بعجمي دون عربي ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا يرجى بها الكرامة كذلك لنا اعمالنا او الاثنتا وبه الاعتبار ولكن نحن له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يؤهلنا اخلاصه بمزيد الكرامة عنده ام تقولون من قرا بتاء الخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استيفاء استفهام اخر اي بل تقولون والهمزة للانكار كما في اتحاجوننا واحتمل ان تكون متصلة بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا واستبعادا للامرين ها كان منهم وعن الزجاج اي بحجتين تتعلقون في امرنا وانا التوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرا بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة لانقطاع الاستفهام الاول بسبب الالتفات قل انتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره صدق وقد اخبر في التورية والانجيل والقران بان ابرهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده ولانهم مقرون بان الله اعلم وقد اخبر بنفي ما ادعوه فان قالوا الله اعلم ظهر بهتهم وان قالوا نحن فقد بان خطاؤهم وان قالوا لا نعلم فيمن عن جحود وعناد او اشتغلهم فاذن فائدة الكلام انما التنبيه واما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قوله من الله اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابرهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل اشنع واما ان يتعلق بكتم اي لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها واخفاها منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين يعلمون شهادة من الحق ويشهدوا لابرهيم بالحنيفية وتعريض باهل الكتاب انهم كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابرهيم وعزة الشهادة ثم تحريفها ثم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل ما عند الله لهم والوعيد اعتراء لهم على من قبل ملك مجازي لكان ام الحذر والوجل وكيف بالرقيب القريب الذي يعلم اسراره وبعد عليه انفاسه وانكاره ثم هو بهتك

على ان يدخله جنته او ناره تلك اشارة الى ابرهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الاية ههنا لغرض اخر وهو زجرهم عن الاشتغال
بوصف ما عليه الامم السالفة من الدين فان اديانهم لا تنفع الا اياهم لا نداراس اثارهما وانطماس انوارها واما الان فالدين
هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان البين فيجب اتباع المعلوم ما تنفاه والقاء المظنون والغاوي ولا ايثال المتاخر
عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل يعمله مجزي

سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله
المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم • وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا • وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا
لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة
الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله
بالناس لرءوف رحيم • قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة
ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله
بغافل عما تعملون • ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية
ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين •
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون • الحق من ربك فلا تكونن من الممترين •
ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يات
بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير • ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون

ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا
منهم فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم •
تهتدون • كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا
ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم •
تكونوا تعلمون • فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون

القراءة يشاء الى بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون يشاء ولى بقلب الثانية واوا ودوى الخزاعى وابن شنبوذ
عن اهل مكة يشاء الى بقلب الاولى واوا والروف مهموزا مشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل والبرجمى وقرا يزيد بتليين الهمزة
والاشباع الباقون لروف على وزن لرعف يعملون ولئن بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو ويعقوب الباقون بالتاء مولاها
بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون بياء الغيبة ابو عمرو والباقون بالتاء لئلا مدغما غير مهموز عن ورش وعن ابن كثير وحمزة وعلى
وخلف ويعقوب مدغما مهموزا الباقون مظهرا مهموزا والاختيار عن يعقوب وهشام الاظهار فاذكرونى بفتح الياء ابن كثير **الوقوف**
عليها والمغرب مستقيم شهيدا عقبيه هدى الله ايمانكم رحيم فى السماء لان الجملتين وان اتفقتا فقد دخلت الثانية حرف تاكيد
يختصان بالقسم والقسم مصدر ترضيها لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام شطره من ربهم يعملون قبلتك قبلتهم وكلاهما للتفصيل
الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض من العلم لان ان جواب معنى القسم فى لئن ولو فصل كان وصف الظلم مطلقا وفى الاطلاق وحشة
الظالمين لانه لو وصل صار صفة وهو مبتداء فى مدح عبد الله بن سلام واضرابه ابناءهم يعلمون الممترين الخيرات جميعا قدير الحرام
من ربك تعملون الحرام لان حيث متضمن الشرط شطره لتعلق لام كى بحجة تدقيقا تحرزا من اثبات الحجة بعد النفى والوصل فى العربية اصح
ولا منافاة لان المراد من الحجة الخصومة وبان الحق لا يناى فى الخصومة تهتدون اذا علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلمون وان
علق بما بعده وقف على تهتدون دون يعلمون تعلمون ولا تكفرون **التفسير** هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا فى الاسلام
قالوا النسخ يقتضى اما الجهل او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه نسخا
له وان كان مقيدا بالدوام فكذلك وان كان معتقدا بالدوام فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبدا وان كان عالما بلا دوامه
كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم خصصوا هذه الصورة بمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فهنا لا مصلح
فان الجهات متساوية وهذا دليل على ان هذا التعيين ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل فى الماضى
كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم سيطعنون فى كانه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك
ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك نزلت الاية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه
فوايد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجاة المكروه اشد مما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم
وقيل الرامى يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان من لا يميز بين من ماله وعليه فى امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذى يضيع
امر اخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا يانسون بموافقة النبى صلى الله عليه وسلم اياهم فى القبلة
فلما تحول استوحشوا لا سيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن والاصم انهم مشركوا العرب قالوا ابى الا الرجوع الى
موافقتنا ولو ثبت عليه اولا لكان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن بعض ليس له دليل
معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالراى والتشهى والاقرب ان يكون الكل داخلا فيه لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشفى
فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا الا ما ولاهم ما صرفهم استفهموا على جهة التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التى كانوا عليها القبلة بيت
المقدس وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير فى كانوا الى السفهاء
اى ما الذى صرف الرسول والمؤمنين عن القبلة التى كانوا السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهى الى المغرب

وقبلة النصارى وهى الى المشرق فكانهم قالوا كيف يتوجه احد الى غيرها بين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اى البلاد بما والارض كلها والجهات باسرها ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التى اقتضت الحكمة فى هذا الزمان توجيه الناس اليها ويحتمل ان يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشتمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر فى اية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد عليه كما لا اعتراض على من يتصرف فى ملكه كما يريد وان افعاله تعالى لا تعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا تهتدى عقول البشر الى تفاصيل حكمها الكثيرة قد يستنبطون بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة فى الصلوة والحكمة فيه ان للانسان قوة عقلية تدرك المجردات والمعقولات بها وقوة خيالية يتصرف بها فى عالم الاجسام وقلما ينفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع فى ادراك المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذى يريد ان يثنى على ملك مجازى فانه يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة يجرى مجرى كونه مستقبلا للملك و القراءة والثناء يجرى مجرى الثناء عليه والركوع والسجود جاريا مجرى الخدمة وايضا الخشوع فى الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتاتى ذلك الا اذا بقى فى جميع صلوته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين واذا اختص بعض الجهات بمزيد شوق فى الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين المؤمنين وقد من عليهم بذلك واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى اى جهة شاء يتوقف مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الائتلاف وايضا كانه تعالى يقول للمؤمن انت عبدى والكعبة بيتى والصلوة خدمتى وقلبك عرشى والجنة دار كرامتى فاستقبل بوجهك الى بيتى وبقلبك الى ابواب دار كرامتى وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى استقبلوا مطالع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد ومنه خلق الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وما بينهما قبلة ابرهيم ومحمد وخير الامور اوسطها وايضا الكعبة سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا فالوسط بالوسط اولى والطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسى قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسى من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سيناء وزيتا وجودى ولبنان وحراء كانه قال اذا كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فائت الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت نحوها مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سببا لظهور دولة العرب كانت رغبتهم فى توجهها اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة ويكدر بذلك قلوب المسلمين فازيل تشويشهم وايضا الكعبة منشا محمد فتعظيمها يقتضى تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه فبمقدار حشمة المرء يكون قبوله فهى الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذى ذكره الله فى قوله وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه وفى اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدى اى كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بالهداية بان جعلناكم وكما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولله المشرق والمغرب كما خصصنا بعض الجهات المتساوية بمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مختصين بالعدالة بر امتنا وامتنانا مع تساوى الخلق فى العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشئ وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه فى ليلة القدر ثم من المعروف المشهور عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذى لا يقدر عليه احد غيرى جعلناكم امة وسطا الجوهرى يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم فكل موضع صلح فيه بين فهو وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شئ اعدله وشئ وسط بين الجيد والردئ وامة وسطا اى عدلا شعر هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالى بمعظم وذلك ان العدل متوسط فى الاخلاق من طرفى الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله تعالى فى معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل فى الجمادات قال فى الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابى فقال اعطنى من سطاتهن اراد من خيار الدنانير ويؤيده قوله تعالى فى موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون فى الدين بين المفرط والمفرط والغالى والمقصر فى شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا النبى ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط فى الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لتكونوا شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة فى الاخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم دعوى ان الامم يجحدون تبليغ الانبياء

يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قالت الحكمة فى ذلك تميز امة محمد صلى الله عليه وسلم فى الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة الامم عليهم وانما جى هذا الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والذى اخبر الله تعالى عنه معلوم مثل الشمس فصح الشهادة عليه واما ان يشهدوا على الناس باعمالهم التى خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة فى الدنيا وذلك ان الشاهد فى عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكل من عرف حال الشخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفا على الاخرة لان عدالتهم فى الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضى فلا اقل من حصولها فى الحال ثم رتب كونهم شهداء فى الدنيا فان قيل لعل التحمل فى الدنيا ولكن الاداء فى الاخرة قلنا المراد فى الاية الاداء لان العدالة انما يعتبر فى الاداء لا فى التحمل ومن ههنا يعلم ان اجماعهم حجة لا يحتمل كل واحد منهم محقا فى نفسه بل بعض ان هيئتهم الاجتماعية تقتضى كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل مع ذلك لهم الشهادة فى الاخرة فيجرى الواقع منهم فى الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا اثبتوا الحق عرفوا عند من اقامه ومن الزمهم يشهدون بذلك يوم القيمة كان الشاهد على العقود يعرف ما الذى تم وما الذى لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم او يكون المعنى ليكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة فى الثانى لان الغرض فى الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فبقى صلة الشهادة فى مركزها والغرض فى الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت عن مركزها ليفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شئ شهيد مع رعاية الطباق للاول وانما قيل شهداء على الناس فى الدنيا لان قولهم يقتضى التكليف اما بفعل او بقول وذلك تعليم لا لهم فى الحال قيل الاية متروكة الظاهر لان وصف الامة بالعدالة يقتضى اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب فى جعلناكم للموجودين عند نزول الاية لان خطاب من لا يوجد محال فالاية تدل على ان الاجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع وقد سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذى اجمعوا عليه وان كان خطا لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك فى خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص فى نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان لا يكون الشخص مقبول القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الاية الى قيام الساعة كما فى سائر التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة واخرها باسرها لزالت فائدة الاية اذ لم يبق بعد انقضائها من يكون الاية حجة عليه فعلمنا ان المراد به اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا وعدولا عند الاجماع فلو امكن اجماعهم على الخطا لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق فى ذلك فلا منة وما جعلنا يريد الجعل بمعنى الشرع والحكم التى صفة موصوف محذوف هو ثانى مفعولى جعل اى وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها اى كنت معتقدا لاستقبالها كقولك الشافعى على كذا وفى الجملة وجهان احدهما ان هذا الكلام بيان للحكمة فى جعل الكعبة قبلة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود وامتحانا للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى الكعبة اختيارا ثانيا اى ما رددناك الى الجهة التى كنت عليها الا امتحانا للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان للحكمة فى جعل بيت المقدس قبلة يعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغاية هى ان نمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام فى لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هى لتقرير الحكمة والفائدة التى يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه ليعلم حزبنا من النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو العلم الذى يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلى بالحادث الفلانى فى الوقت الفلانى غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث هو حال حدوثه وبعد حدوثه وانما جاء المضى والاستقبال من جهة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان مكنوفا بزمانين سابق ولاحق فاذا نسبت العلم الازلى الى الزمان السابق قلت علم الله واذا نسبت الى زمانه قلت يعلم واذا نسبت الى الزمان اللاحق قلت سيعلم فجميع هذه التغيرات انبعثت من اعتبارك وعلم الله واحد فافهم او ليميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فيحمى التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمرته او لنرى كما يستعمل الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم

في الابتداء راجع الى المخاطبين ومثاله ان جاهلا او عاقلا اجتمعا فيقول الجاهل الحطب يحرق النار ويقول العاقل بل النار يحرق الحطب ويجمع بينهما النعيم ليعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لتعلم ايها الجاهل وهذا من الكلام المنصف مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى ثم ان هذه المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الله من مال بالاول لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في امر النسخ اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير رايه وعن السدي لما توجه الى الكعبة اختلفوا قال المنافقون ما ولاهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس وقال اخرون اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية وتهيئا بالتخفيف للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي يدخل هي عليه من باب كان او علمت ويبطل عمل ان في الظاهر وكذا في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العايد الى القبلة لانها هي المذكورة او الى ما دل عليه الكلام السابق من التولية في ما ولاهم او الجملة او الردة او التحويلة في وما جعلنا ومعنى كبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف شديد والاعراض عن طريقة الاباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل فهو مبني على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب اعتقاد حقيته الا على الذين هدى الله الواجد محمد وعناهم هذا ثم الله الى الثبات على دين الاسلام بان نصب لهم الدلايل ولا ثم جعلهم منتفعين بها ثانيا والا فالدلالة عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين المعاصرين واللام لتاكيد النفي الداخل في كان تنتصب المضارع بعدها بتقدير ان اي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن وقال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقريركم على ذلك مفسدة لكم واضاعة لصلواتكم اي لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم آثار الايمان واشرف نتايجه او لان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما غلبوا تغليبا للاحياء ومثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال عن الشك في حقية النسخ في شيء وانما هو لاجل الاطمينان وبرد اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذلك بحيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية عمرهم مكفوة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ حق في وقته كما ان الناسخ حق في وقته سواء عمل المكلف بهما في وقتيهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم ان يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله المسلمين على الجواب وقيل بل المعنى وفقكم لقبول هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا وحكي عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله فبهداهم اقتده ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم ان الله بالناس لرءوف رحيم الجوهري الرافة اشد الرحمة رؤفت به ارؤف بالضم وفيها رافة ورآفة ورءفت ورافت بالفتح فيهما ورئف به بالكسر رافا والصفة رؤف ورؤوف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة هي دفع المكروه وازالة الضرر ولا تاخذكم بهما رافة والرحمة اسم جامع خصص اولا ثم عمم فالمراد ان الرؤف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة او كيف لا ينقلكم من شرع الى شرع هو اصلح لكم او انما هدى من هدى لانه بالناس رؤف رحيم فمن كان اقبل للفيض كان الاثر عليه اظهر قوله عز من قايل قد نرى معناه كثرة الرؤية ههنا وان كان في الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله كان اثوابه مجت بفرصاد كما ان رب في الاصل للتقليل ثم قد تستعمل في معنى التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ووجه ذلك ان المادح يستقل الشيء الكثير من المدايح لان الكثير منها كالقليل بالنسبة الى الممدوح ومنه قد يعلم الله فان للتمدح بكثرة العلم يقول لا تنكر ان اهون شيئا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في جهة السماء وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وعن ابن عباس انه قال يا جبريل وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها فقال جبريل انما انا عبد مثلك فسل ربك ذلك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء مجيء جبريل بما سال فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولانا لم يدر ان يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابيه ابرهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلده ومنشايه ولا يبعد ان يميل طبعه الى شيء ثم تهييا في قلبه اذن الله فيه وقيل انه استاذن جبريل في ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله تعالى قد اذن له في الدعاء وكان يقلب وجهه في السماء ينتظر مجيء جبريل للاجابة وعن الحسن ان جبريل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للتحول اليها ولم يكن

قبلة

قبلة احب الى رسول الله من الكعبة كان ينتظر الوحي لذلك وعلى هذا قيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يبين له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة ولذلك كان يقلب وجهه عن الاصم وقيل وعده لذلك وقبلة بيت المقدس ابنه بحيث يجوز النسخ الكل لاجل الوعد كان على تقليل طرفه وهذا اولى والا لم يكن القبلة ناسخة للاولى بل كانت مبتداة لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة للاولى ولانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلفوا في صلوته بمكة فقيل كان يصلي الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس ستة اشهر او عشرة اشهر او ثلاثة عشر او ستة عشر او سبعة عشر وهو الاكثر او ثمانية عشر او تسعة عشر وقيل كان بمكة يصلي الى بيت المقدس الا انه يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس واختلفوا ايضا في ان توجه بيت المقدس كان فرضا لا يجوز عليه غيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرا في توجيه اليه والى غيره فعن الربيع انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية والاولى قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سالوا رسول الله عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس كان ذلك فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضيها فدل على انه كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولهم وليت كذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله تعالى وحكمته وعن الاصم ان جهة وجهك الله تعالى اليها بحيث تكون ترضى لا تسخطها كما قال لمن انقلب على عقبيه وقيل ترضى عاقبتها لانك تعرف بها الموافق من المنافق فول وجهك اي كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء وبه يتميز الاشخاص وشطر المسجد الحرام اي نحوه وجهته قاله الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشيء والكعبة واقعة من المسجد في النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وزيف بالفرق بين النصف وبين المنتصف والمكلف مامور بالثاني دون الاول عن ابن عمر بينما الناس بقباء في صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها فكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي الموطا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا في المراد في المسجد الحرام ففي شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة اهل المشرق والمغرب وهذا قول مالك وقال اخرون القبلة هي الكعبة لما اخرج في الصحيحين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرني اسامة بن زيد قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة في صرف القبلة الى الكعبة كما قال في حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال اخرون القبلة هي المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعي في اظهر قوليه ان يستقبل المصلي عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظاهر قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة مشيرا به الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبي صلى الله عليه وسلم بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة الصلوة وهي من اعظم شعاير الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف للكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة امر معلوم وغيره مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابي حنيفة ويوافقه القول الاخر للشافعي فمحاذات جهة الكعبة كافية لان في استقبال عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان في ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب واكتفي به في الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة مما يحتاج الى النظر الدقيق لم يتات لهم حينئذ ثم لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم وسمى مسجدهم بذي القبلتين ولان استقبال عين الكعبة ان كان واجبا فلا سبيل اليه الا بالدلايل الهندسية فانها هي المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلايل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى التحقيق في اصابة العين للبعيد غير بعيد فما من نقطتين في الارض ولا في السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما الخط والغرض ان يكون المصلي حاصلا على قوس من عظيمة ارضية مارة بقدميه وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدايرة الهندية وغيرها من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وقد برهنا على كثير منها في كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهي اما ارضية وهي الجبال والقرى والانهار او هوائية وهي الرياح او سماوية وهي النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون في الطريق جبل مرتفع يعلم على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك الرياح قد تهب في بعض النواحي من صوب معين واما

الثماونية ففي النهار لابد ان يراعي قبل الخروج من البلد الشمس عند الزوال اهي بين الحاجبين ام على العين اليمنى ام اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس في البلاد الشمالية ملتمايعد وهذه المواقع وكذلك يراعي وقت العصر ويعرف وقت المغرب وانها تغرب عن يمين المستقبل او هي مايلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الفجر مشرق الشمس و يحاذى مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وبالليل يستدل بالكوكب الذي يقال له الجدي فيعرف انه على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن او الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل في بلده فليعول عليها في الطريق كله اذا طال السفر فحينئذ اذا انتهى الى بلد سال اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها في ساير طريقه ومعرفة دلايل القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين في مذهب الشافعي الاول كاركان الصلوة وشرايطها قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ليس بتكرار لان الاول خطاب للرسول وهذا خطاب للامة او لان الامة قد دخلت في الاول تبعا واحتمل ايضا ان يكون الخطاب مختصا باهل المدينة وفي الثاني عم المكلفين جميعا في جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل هو القبلة ولابد من حالة يقع فيها الاستقبال فلنتكلم في هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك في كتبنا الفقهية الركن الاول الحالة وهي الصلوة للاجماع على ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها الا في حالة الخوف واما نافلة الا في حالة الخوف وفي السفر راكبا كان او ماشيا متوجها الى طريقه لما روى عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف في الماشي وكذا عن ابي حنيفة ولا يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم الاصح نعم ان سهل بان لم تكن مقطرة او لا حران بها والا فلا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث وجهته ركابه واما عدم الاشتراط عند الصعوبة فلدفع المشقة واختلال امر السير عليه واما الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في ساير الاركان الا الماشي فعليه الاستقبال في كل ركوع وسجود ودوام الاتمام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة في السجود على السرج او الاكاف بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس لراكب التعاسيف الذي لا مقصد له رخصة ترك الاستقبال في النفل الركن الثاني القبلة المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك في الفريضة لنا انه صلى فيها الى بعض اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم يتخير في استقبال اي جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ايضا ان كان مردودا وان كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر موخرة الرحل صحت صلوته والا فلا وموخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده مسامتا بمعظم بدنه الشاخص وان انهدمت الكعبة حاشاها وبقي موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه الى هواء البيت والحالة هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت ولو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الان على سطح الكعبة فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر موخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام استحبابا والقوم يقفون مستديرين بالبيت والا فصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في اخريات المسجد صح صلوتهم لان البعيد يزداد محاذاته ترتيبين ذلك انا اذا جعلنا البيت سافي مثلث متساوي الساقين والصفوف خطوطا متوازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان يعاين القبلة يسوي محرابه بناء على العيان ويصلي اليه ابدا ومحراب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطاء فهو صواب قطعا فيسوي ساير المحاريب اليه وفي مبنى المدينة بساير البقاع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي الطرق التي من عادتهم تعين التوجه اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشا فيها قرن من المسلمين ولا بد من الاجتهاد في التيامن والتياسر فيقال لا مدخل في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ولا يجوز الاجتهاد في الجهة وفي شيء من محاريب المسلمين لان الخطاء منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر ويقال ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة او بامارات اخر فلا يجتهد ولا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره عن علم وكان المخبر ممن يعتمد بقوله رجع الى قوله ولم يجتهد ايضا في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر ياخذ بقوله ولا يجتهد وكذلك في الحوادث اذا روى العدل خبرا يوخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل الروايات وليس من التقليد في شيء ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظاهر وقد يكون دلالة كما في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها

ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد من يخبره عن علم فقد فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر الا بمعرفة ادلة القبلة كما عددنا اجتهد ولم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغايب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حايل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلايل على المجتهد لغيم او حبس او تعارضت عليه كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعدم البصر او لعدم البصيرة فالواجب عليه التقليد كالعامي في الاحكام وتقليد الغير هو قبول قوله المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطاء يقينا او كان دليل الاجتهاد الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطاء قضى على الاصح وان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد في اثناء الصلوة انحرف وبنى فهذه هي المسايل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان وعن السدي انهم اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير في انه الحق اما للرسول اي انهم عرفوا من نبوته وشرعه ما يشتمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف الخاص وهو انسب بالمقام وذلك ان علماءهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة ابرهيم واسمعيل عليهما السلم وايضا انهم كانوا يعلمون نبوة محمد بالمعجزات وبالبشارات وكل ما اتى النبي صلى الله عليه وسلم فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما تعملون وعد للمتقين ووعيد للناكصين والمعاندين ثم بين اصرار اهل الكتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل هم جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل هم علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اعتقادهم الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون بقلوبهم ثم يتركون الحق في الظاهر فهم المتبعون للهوى ونوقش فيه بان كل صاحب شبهة صاحب هوى قالوا الايتان المكتنفتان بهذه الاية مخصوصتان بالعلماء منهم لان الجمع العظيم لا يجوز منهم الكتمان وكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها قالوا اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا دأب العامي المتحير ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع قبلته ووجه بان المراد من قوله ما تبعوا قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجماع لا ينافي اتباع البعض بكل اية بكل برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك جواب القسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن لتوطية [illegible]

تشبيه عرفانه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد بالعلم بنبوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم بالمظنون
عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك
في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته قد خانت فقبل عمر راسه وجاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه وفيه
تفخيم لشانه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة معرفتهم الحاصلة من ظهور المعجزات على يده انه لا تفيد الا كونه
نبيا وهم لا ينكرون ذلك وانما ينكرون كونه النبي المبعوث في كتبهم فرد الله تعالى عليهم ذلك فافهم وانما خص الابناء بالذكر لانهم اعرف
واشهر وصحبة الابناء الزم وبقلوبهم الصق ولو نسا ويا فالذكور اولى بالذكر وقيل ان الضمير للعلم والقرآن او تحويل القبلة وفي الكل تكلف
ينبو عنه قوله ابناءهم وينافيه الحديث عن عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلى الله عليه وسلم من آمن
به واظهر الحق وهو ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يعني سوى المؤمنين
منهم ليكتمون الحق الذي هو امر محمد وامر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك
يحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال وان يكون مبتدا خبره من ربك ثم في اللام يكون وجهان العهد
والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق او الجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه
وما سواه كالذي عليه اهل الكتاب باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون الحق من ربك وقد يجوز ان يكون النهي
التحضيض عما يعلم الله منه عنه لمثل ما تقرر في قوله ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة اسم الجهة وانما لم تحذف
الواو كما قالوا ولدة في جمع الولد الصبي وانما لا يجتمع مع الهاء في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الكل واما الى الله وثاني مفعولي موليها
محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة وجهة اما شريعة
واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها بصلواته التي يتقرب بها الى ربه والكل يفرح بما هو عليه ولا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة
ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات الدنيوية وهي الشرف والفخر بقبلة ابرهيم والاخروية وهي
الثواب الجزيل المعد للمطيعين واينما تكونوا من جهات الارض يات بكم الله جميعا في صعيد القيامة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب
والمخطي انه قادر على ذلك وقيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهتان من الله تعالى وهو الذي وجه عباده
اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالتين ولا يلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم القيامة فيحكم بينكم وقيل لكل
قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلة من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة
وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم الجزاء ويجعل صلواتكم ولحل كانها الى جهة واحدة لمحاذاة الجميع
الكعبة وقراءة ابن عامر مولاها معناه احدهما انما وليته نفسه والاخر وقد ذيت له تلك الجهة وحببت اليه وقيل ولكل مخلوق
قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك
الكعبة بل قبلة جسدك هي وقبلة روحك انا وقبلتي انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي رحمه الله استدل بقوله تعالى فاستبقوا
الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل وعند ابي حنيفة التاخير افضل لاحراز الفضيلة الانتظار ولتكثير الجماعة ولما روي انه
صلى الله عليه وسلم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رايت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حافظوا على شيء ما حافظوا
على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم يا علي ثلث لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت
والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه وانما النزاع
فيما اذا تحقق دخول الوقت ثم تكاسل المكلف وتثاقل وتغير اسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت
يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به لكونه من ربك وما الله بغافل
عما تعملون وعد للممتثلين ووعيد للمتغافلين واعلم ان امر التولية ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال والحال ان
الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام والثانية على ان يكون غائبا عنه ولكن يكون في البلد والثالثة على ان يكون
خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للقريب من التكليف ما ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما
لم ينط بالاخر وذلك انه اكد الاول بان اهل الكتاب يعلمون حقيته بشهادة التورية والانجيل واكد الثاني باخبار الله تعالى عن
حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كان قوله فباي آلاء ربكما تكذبان وامثال ذلك
تكرر حيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية الاولى توهم ان التحويل انما فعل رضى للنبي بطلبا الهوى حيث قال فلنولينك قبلة ترضيها فازيل الوهم
بتكرار الامر وبعقبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة بمجرد رضاك دعواك كقبلة اليهود والمنسوخة التي انما يقيمون
عليها بمجرد الهوى والتمني ولكنها حق من ربك بعد انها وافقت رضاك وفي الثالث بان الغرض فيها ان الاولى لتعميم الاحوال والثانية

لتعميم

لتعميم الامكنة والثالثة لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها
الزم هذه القبلة فانها قبلة الحق لا قبلة الهوى الزم هذه القبلة فيها ينقطع عنك حجج هذه العندي وهذا قريب من الثالث وسادسها
هذه الواقعة اولى الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد والتقرير وسابعها قلت الاية الاولى
مشتملة على تكليف خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك نحو المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو
تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن صلوات الله عليه وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض ومما يؤيد هذا التاويل بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الا بشهادة نفسه حيث لم يبق الا هو وهو مقام
الفناء في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير وايضا اقتصر ههنا على امر النبي دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد
الحرام حرام لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد وايضا قدم على الاية قوله
ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من
المحتمل ان يظن ان التكليف الاخص ناسخ للتكليف الخاص والعام له وللامة كرر الاية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم
المكلفين والله تعالى اعلم بحقائق الامور قوله لئلا يكون اي ولو لاجل هذا الغرض وقال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون
للناس عليكم حجة والناس قيل للعموم وقيل هم اليهود كانوا يطعنون بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد اين يتوجه في
صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم والان لما ترك التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابرهيم وانما اطلق
الحجة على قول المعاندين لان المراد بها المحاجة او بنوها حجة تهكما او طباقا او بناء على معتقدهم لانهم يسوقونها سياق
الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم فكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل
والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق
للزم قبلة الانبياء او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل
الا بمعنى الواو وانشد شعر وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذا طعنوا في دينكم من غير سبب
فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشوني واحذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم فعلى المرء ان
ينصبه بين عينيه في كل افعاله وتروكه خشية الله وبقطع الرجاء والخوف عمن سواه ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه
القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اهتداؤكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لا وفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في اخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان
الله تعالى في كل وقت نعمة على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا اتمام النعمة في امر القبلة وذاك تمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن
علي كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور
يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه ولاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الاخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم
في الدنيا بارسال الرسول او ولاتم نعمتي ببيان الشرائع واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا
مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا
وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعم الله على العبد لا ينقطع وكل نعمة سابقة فيضم اليها اخرى
لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخيرا وبداية ونهاية وفي ارساله فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة لما لهم فيه من الشرف
ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب وكون القران
متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على محامد
الاخلاق الحميدة ففي تلاوته خير الدنيا والاخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قد مر في دعاء ابرهيم وفي قوله ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس في امر الديانة فعلمهم ما احتاجوا اليه
في اصلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف بامر الذكر والشكر
وقد مر ذكر الشكر في تفسير الحمد وقوله ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله
اقول له ارحل لا تقيمن عندنا لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المنهي ويحتمل من حيث العربية ان تكون لا نافية والنون
ليست للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير جاحدين لنعمتي واما الذكر فباللسان وهو ان يحمد ويسبح ويمجد ويقرا كتابه وبالقلب
وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه
ووعده ووعيده وليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا من كل ذرة الى موجدها او بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة في

الاعمال المامور بها فارغا عن الاشتغال المنهي عنها وبهذا الوجه يسمى الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله واما ذكر الله فلا بد ان يحمل على
ما له تعلق بالثواب واظهار الرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء
اذكركم بالاجابة اذكروني في الدنيا اذكركم في الآخرة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في
البلاء اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصدق والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية
اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء معي

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن
لا تشعرون ۝ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص
من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ۝ الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ۝ اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير وانما جازت مع امتناعها في الحروف لكثرة استعمال الكلمة الاسترجاع
الوقوف والصلوة الصابرين اموات لا تشعرون والثمرات الصابرين لان الذين صفتهم مصيبة لان قالوا جواب اذا راجعون لان اولئك مبتداء على الاصح ومن ابتداء بالذين فخبره اولئك مع ما يتلوه ووقف
على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون **التفسير** انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات
ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى
الاستعانة على الوظايف بالصبر والصلوة فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب
الخشوع والتذلل للمعبود والتدبر لايات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب تجر في التالي الى اداء حقوق ساير الطاعات والاجتناب
عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر والتاييد ومزيد التوفيق والتسديد ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول
كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني وسلوك ديني فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فقتلت
فان قتلاكم احياء عندي من قبله محبته فديته رؤيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجائز ان يجعل يجمع الله تعالى من
اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كان وان كان في حجم الذرة فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يحسن تجويز واليه
الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الايات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها وعشيا اغرقوا
فادخلوا نارا والفاء للتعقيب وقال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فلم يزل ارباب القلوب
يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا هم الشهداء والمراد قولوا انهم احياء في الدين
وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الدين في شيء ولا تقولوا مثل ما يقول منكروا البعث انهم لا ينشرون
وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم يحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذه الوجوه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فايدة وكذا
لقوله مع المومنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتالم ويلتذ
ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيمة الكبرى حتى تنضم الاحوال الجسمانيات الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس ان الاية نزلت
في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تاكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه قصد المختبر لاحوالكم هل تصبرون
وتثبتون على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم ونظيره من الجوع على الستر ادما يدكم فيه

حط بناء ان الكثر المفسرين

بل المستعير امر اولا بالشكر على اكمال الشرايع ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم حض على التثبت عند طروق النوايب وبروق المصايب
ومعنى بشيء بقليل من هذه الاشياء وايضا لو قال باشياء لاوهم ان من كل واحد من الخوف وغيره ضروبا وليس بمراد وفيه ان كل بلاء
اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه وفيه ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه
ومحبوب فاذا خطر ببالك وهو قد مضى يسمى ذكرا وتذكرا وان كان في الحال يسمى ذوقا ووجدانا لانها حالة تجدها من نفسك وان
تعلق بالاستقبال وغلب حصوله على قلبك يسمى انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب يسمى خوفا واشفاقا وان
كان محبوبا يسمى ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد به القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع بن انس ان المراد بهذه المخاطبة
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يامنون قصدهم اياهم
واجتماعهم عليه وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع
فقد اصابهم في اول مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى
مع ابي بكر فقال ما اخرجك فان الجوع قال اخرجني ما اخرجك قال الجوع اخرجني ما اخرجك وكانوا ينفقون اموالهم في الاستعداد
للجهاد ثم يقتلون فهنالك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء
ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخدان
واما نقص الثمرات فقد يكون بالجدب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي يعني الخوف خوف الله والجوع
صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال صلى الله
عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول
الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شيء
ويحتمل ان يعطف على الخوف يعني وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة قال الامام الغزالي
الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهايم لنقصانها اليس لشهوتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة
صبرا ولا في الملائكة فليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بخدمة الكبير المتعال وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة حضرة ذي
الجلال واما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكن اذا بلغ انضم
له مع الشهوة الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعي العقل
والشهوة تضاد وتصادم فضد العقل اياها هو المعني بالصبر وانه ضربان بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا كالثبات على الالام
ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فان كان تحبسا عن شهوة البطن والفرج يسمى عفة وان كان احتمال المكروه فان كان في مصيبة
خص باسم الصبر ويضاده حالة هي الجزع وهي اطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حالة الغنى
سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وان كان في حال مبارزة الاقران يسمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب
يسمى حلما ويضاده البرم وان كان في نايبة من النوايب يسمى سعة الصدر ويضاده الضجر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام يسمى كتمان
النفس وان كان عن فضول العيش يسمى زهدا وضده الحرص وان كان على قدر يسير من المال يسمى قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان
الم المكروه ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا باس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بكى على ابراهيم ابنه فقيل له في ذلك فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي
ربنا انما الصبر عند الصدمة الاولى والا فكل احد يسلو وهو بما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس ادامة الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله
تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها على
مقدار الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى في الحديث القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا
ان الله مع الصابرين وعلق النصر بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة وجمع
للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف
الايمان لان الايمان لا يتم الا بترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار بكل منهما انما يتاتى بالصبر فكل الايمان صبر الا ان كل واحد
منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر والى فلهذا عاد الى النصف وقد سماه الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يوتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتى باصبر
اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول تعالى لقد انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن

لك الاجر فيعطى اضعاف جزآء الشاكرين ومن فضيلة الصبر انه قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر فان
المشبه به يجب ان يكون اقوى كما قال شارب الخمر كعابد الوثن وروى ان سليمان ع يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه
واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من
يدخله اهل البلاء امامهم ايوب ع ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة فقال الذين اذا اصابتهم
مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفاتهم وتختص من بين ما يصيب الانسان بحالة مكروهة كالنازلة
والواقعة والملمة وانما نكرت لتشمل كل مضرة ينالها من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى مسبب الاسباب بواسطة
ظاهرة او خفية قالوا انا لله اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما يقال ان الملك والدولة رجع الى فلان لا يراد
الانتقال بل القدرة وترك المنازعة انا لله اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك انا لله اشارة الى المبداء
وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالفنآء فيه وانا اليه راجعون اشعار بالبقاء به انا لله رضى بقضائه وانا اليه
راجعون ايمان بقدره واعلم ان الرضاء بالقضآء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فهو ما قلبه
الى شى والتفت خاطره اليه يجعله الله تعالى منشاء للافات لينصرف وجه قلبه من عالم الحدوث الى عالم القدس كما ان ادم لما تعلق
قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فبقى آدم مع ذكر الله ولما طمع استيناس يعقوب بيوسف ع اوقع الفراق بينهما فبقى يعقوب
مع ذكر الحق ولما طمع محمد صلى الله عليه وسلم من اهل مكة في النصرة والاعانة صار وامن اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل
ذلك الشى بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد الى الله وقد يتوقع العبد من جانب خيرا
فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحيى العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين
ومن جذبة الحق الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد
الداخل على السلطان المهيب ينصرف فكره اليه ويشتغل بالكلية عمن سواه ويصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضا
بافضية الحق سبحانه من غير ان يبقى في طاعته شبهة المنازعة عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى انه طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه
راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شى يوذى المومن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امره الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتى فاجرنى فيها
وعوضنى خيرا منها الا اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفى ابو سلمه وقلت هذا القول فعوضنى الله محمدا صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس اخبر الله تعالى ان المومن اذا سلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبة كتب الله تعالى له ثلث خصال
الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر رض قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون قيل الصلوة من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعيم العاجلة و
الاجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة كقوله رافة ورحمة دون رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة
اى رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب والفايزون بالكرامة والثواب وهم المتمسكون بادب المستثبتون
على الذم وكفروا في الاية حكمان فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضائه والصبر على اداء فرايضه لا يصرفه
عنها مصايب الدنيا والنفل قول انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوايد منها ان غيره يقتدى به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار
وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فهى ان يوطنوا انفسهم لهذه المصايب
اذا وردت فيكونوا ابعد من الجزع وايضا اذا علموا انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيكون ذلك الخوف تعجيلا للابتلاء فيستحقوا
بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر بوقوع هذه الابتلاء ثم يوقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه تمييز المنافق
وتمييزه عن الموافق كما ان الحكمة في نفس الابتلاء ايضا ذلك شعر دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة بل في الشدايد تعرف الاخوان
شعر اذا قلت اهدى الهجر لى حلل البلاء ٭ يقولين لولا الهجر لم يطب الحب ٭ وان قلت كربى دايم قلت انما ٭ يعد محبا
من يدوم له الكرب ٭ فان قلت ما اذنبت قالت مجيبة ٭ حيوتك ذنب لا يقاس به ذنب ٭

ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح
عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ٭

ان الذين

ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه
للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب
الرحيم ٭ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم
لعنة الله والملئكة والناس اجمعين ٭ خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ٭

القراءة ومن تطوع بتشديد الطاء وبالجزم حمزه وعلى وخلف وزيد ورويس
الباقون بالتخفيف وفتح الاخر على المضى الوقوف شعاير الله للشرط مع فاء التعقيب بهما لان التطوع خارج عن معنى
كونهما من شعاير الله فكان استينافا وحكم عليم في الكتاب لان اولئك خبر ان اللاعنون للاستثناء اتوب عليهم لاحتمال
الواو للاستيناف والحال الرحيم اجمعين لان خالدين عامله معنى الفعل في اللعنة اى لعنهم الله حتى قراء الحسن والملائكة وما بعده
بالرفع فيها لان ما بعده حال بعد حال واستينافا اخبار ينظرون التفسير ان في تعلق الاية بما قبلها وجوها منها ان السعى بين الصفا
والمروة من شعاير ابرهيم كما مر في قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة الذى فيه احياء شرع ابرهيم ومنها انه من اثار هاجر واسمعيل
وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتهما فناسب ان يردف اية الابتلاء ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا
في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلاثة اولها ما يهتدى العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك بقوله فاذكروني
اذكركم واشكروا لي وثانيها ما ذكر في العقول قبحه والتنفر عنه كالالم والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتالم منه الا
ان الشرع لما ورد به بين الحكمة والابتلاء والامتحان فحينئذ يعتقد المسلم حسنه وكونه حكمة وصوابا وذلك قوله ولنبلونكم الاية
وثالثها ما ليس يهتدى العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل يراها كالعبث الخالى عن المنفعة والمضرة فياتى بها تعبدا محضا وهو اكثر افعال
الحج من السعى ورمى الجمار ونحوهما فذكر طرفا من هذا القسم عقيب القسمين الاولين تتميما للاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا
والمروة هكذا باللام علمان للجبل المعروفين بمكة زادها الله شرفا والصفا في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصو
واصفاء وصفى على فعول واذا نعتوا الصخرة قالوا صفاة صفواء واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب وعن
الاصمعى المروة حجارة بيض براقة يقتدح منها النار الواحدة مروة والشعاير جمع شعيرة وهي العلامة وذلك ان السعى بين الجبلين من اعلام
دين الله او هما من متعبداته وقد شرعه الله تعالى لامة محمد او لابرهيم عليهما السلم قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس السعى عبادة
تامة في نفسه وانما يصير عبادة اذا كان بعضا من ابعاض الحج فلهذا قرن بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد رجل محجوج اى
مقصود وهو ايضا كثرة الاختلاف والتردد حج فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك
والحاج ياتى البيت اولا ليعرفه ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود الى طواف الزيارة ثم يعود لطواف الصدر ومنه محجة
الطريق لكثرة تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف كالزاير وثم يقضى
والعمرة اسم من الاعتمار غلب على النسك المعروف والجناح الحرج والاثم من قولهم جنح كذا اى مال اليه كان صاحبه مال الى الباطل
او لان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحت الواجب والندب والمباح وظاهر الاية لا يدل على احد
الثلثة بالتعيين فلهذا اختلف العلمآء فان السعى واجب ام لا متمسكين بدلايل اخر فعن الشافعى انه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله
صلى الله عليه وسلم كتب عليكم السعى فاسعوا وليس المراد فيه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك السعى بحيث لا يفوت كقوله تعالى
فاسعوا الى ذكر الله ولما ثبت انه صلى الله عليه وسلم سعى ويجب علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى
مناسككم والامر للوجوب وعن ابى حنيفه انه ليس بركن ولكنه واجب وعلى تاركه دم وعن ابن الزبير وابن عباس وانس انه تطوع وليس
على تاركه شى لان رفع الحرج دليل الاباحة لقوله بعد ذلك ومن تطوع خيرا اجاب الشافعى بما روى انه كان على الصفا اساف وعلى المروة
نايلة وهما صنمان كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان

اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لفعل الجاهلية وان يكون عليهم
جناح في ذلك فرفع عليهم الجناح فالاباحة تعرف الى وجود الصنمين حال السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة عند ابي حنيفة
او دم البراغيث عندنا فيقال لا جناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة ولهذا قال
عروة لعايشة ارى انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة قالت بئسما قلت يا ابن اختي ان هذه لو كانت على ما اولتها
كانت لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل تطوف يتطوف فادغم كمن قرا يطوع بالتشديد واصله يتطوع والتطوع ما تبرعت
من ذات نفسك من غير ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزايد على قدر الواجب وعن الحسن
المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ فان الله شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمى الطاعة شكرا تشبيها بجزاء النعمة وفيه
تلطف بالعباد مثل من ذا الذي يقرض كانه يقول وان كنت غنيا عن طاعتك الا اني اجعل له من الموقع ما لو صح علي ان انتفع بها لما
ازداد وقعة على ما حصل عليهم بالسراير فيوتي كل ذي حق حقه وهو وعد لمناسبة قرينة الشكر وان كان ايضا يحتمل التحذير
من الاخلال بوظايف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون كلام مستانف يتناول كل من كتم شيا من الدين وقيل هم اهل الكتاب
وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سالوا نفرا من اليهود عما في التورية من صفته عليه السلم ومن الاحكام
فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص السبب لا توجب خصوص الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية ولا
ريب ان كتمان الدين يناسب استحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف ولا يخفى ان القران قبل مصيره متواترا
يمكن كتمانه والجمل من القران اذا كان بيانه بخبر الواحد يجري فيه الكتمان وكذلك القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلايل العقلية
ولان جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عايشة رض انها قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيا من الوحي فقد اعظم الفرية
على الله والله تعالى يقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات فحملت الاية على العموم وعن ابي هريرة قال لولا آيتان من كتاب الله تعالى
ما حدثت حديثا بعدان قال الناس اكثر ابو هريرة وتلا ان الذين يكتمون قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشي مع الحاجة اليه وحصول
الداعي الى الاظهار لانه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا فلما كان ما انزل الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج اليه في الدين
وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف احدنا اذا كانت مما يقوى الداعي الى اظهارها وعلى هذا الوجه يمدح من يقدر على كتمان
السراير لان الكتمان مما يشق على النفس وفي الاية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته
والمراد بالبينات كل ما انزل الله على الانبياء كتابا ووحيا لان ادلة العقل والهدى يدخل فيه الدلايل العقلية والنقلية لان الهدى
الدلالة فيعم الكل وبعبارة اخرى الاول هو التنزيل والثاني ما يقتضيه التنزيل من الفوايد لقوله من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب فيشمل كون خبر الواحد والاجماع والقياس حجة لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لا على التعيين
لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه ولم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره
مرة اخرى قيل لم لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا عن الكتمان مامورا بالبيان ليكثر المخبر ويتواتر الخبر واجيب بان هذا غلط لانهم
ما نهوا عن الكتمان الا وهم ممن يجوز عليهم الكتمان ومن جاز منهم التواطو على الكتمان جاز منهم التواطو على الوضع والافتراء فلا
يكون خبرهم موجبا للعلم ومن الناس من يحتج بالاية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار دل على وجوب العمل بالذي اظهره
لا سيما وقد قال الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالاية ايضا على عدم جواز اخذ الاجرة على التعليم
لانها دلت على وجوب التعليم ولا اجرة على اداء الواجب وقيل في الكتاب اي في التورية والانجيل من نعت الرسول ومن الاحكام والمعنى
انا لخصناه بحيث لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل المراد بالمنزل الاول كتب
الاولين وبالهدى القران اولئك تبعيد لهم عن درجة الاعتبار يلعنهم الله عن كل خير ويلعنهم يدعو عليهم باللعن اللاعنون الذين
يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الارض وهوامها فانها تقول منعنا القطر
بشوم معاصي بني ادم واللاعنون دون اللاعنات تغليب العقلاء وقيل هو الهوام فقط والتذكير لانه تعالى وصفهم بصفات
العقلاء مثل والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقالوا لجلودهم لم شهدتم وقيل كل شي سوى الثقلين تقدير انها
لو كانت عاقلة كانت تلعنهم او لانها في الاخرة اذا اعيدت وجعلت من العقلاء فانها تلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل
ان اهل النار يلعنونهم ايضا لانهم كتموهم الدين كلما دخلت امة لعنت اختها وعن ابن مسعود اذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق
وان لم يكن مستحق رجعت الى اليهود الذين كتموا ما انزل الله سبحانه وعن ابن عباس ان لهم لعنتين لعنة الله ولعنة الخلايق قال ذلك اذا وضع الرجل
في قبره فيقال له ما دينك ومن ربك فيقول لا ادري فيضرب ضربة يسمعها كل شي الا الثقلين فلا يسمع شي صوته الا لعنه ويقول له الملك لا دريت
ولا تليت الا الذين استثناء منهم وفيه من الوجه ما فيه وقد مر ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فان من ترك

ردالودیعة

رد الوديعة ثم ندم لان الناس لاموه او لان الحاكم رده ثم اذا ندم لم يكن تايبا واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرطوا منهم
وبينوا ما كتموه او بينوا للناس ما احدثوا من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين فاولئك
اتوب عليهم اقبل توبتهم بان اسقط عنهم العقاب تحملا واضع مكان الثواب تفضلا بدلا له قوله وانا التواب الرحيم ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بهولاء المكلفين ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا اذا لم يتوبوا وعلى
هذا القول يكون اطلاق الكفر عليهم وهم من اصحاب الكباير مجازا تغليظا او يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين
من يعتد بلعنه وهم المومنون اجمعون وقيل يوم القيمة يلعن بعض الكفار بعضا فيعم المومن والكافر وقيل لعن الجاهل والظالم
مقرر في العقول حتى ان الظالم قد يلعن نفسه اذا تامل في حاله وقيل وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا
وان زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر اذا جن لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا اللعن والبراءة منه وكذلك سبيل
ما يوجب المدح والموالاة من الايمان والصلاح اذا مات صاحبها وجن لا يتغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحالة في الاية دليل
على ان الامور بخواتيمها اذا كفر ومات لا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خالدين فيها في اللعنة وقيل
في النار واضمرت وان لم يجر لها ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لمكانها والاول اولى لتقدم ذكره لفظا ولان اللعنة تشمل النار وزيادة
ولانها تصح في الحال والمال جميعا بخلاف النار فانها في الاستقبال ومن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب
الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل وقد سلف مثل ذلك لا يخفف عنهم العذاب بل يكون ثابتا به في الاوقات باقيا على المبلغ الذي يجب له
حسب ما استحقه ولا هم ينظرون اذا استنظروا من الانظار الامهال او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة اعاذنا
الله تعالى من تلك الحالة بتعميم فضله وجسيم طوله **التاويل** الصفا للسر والمروة للروح والسالك بينهما يسعى في صفا السر
بقطع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لامر الله وفي مروة الروح يوصل الخير الى اهله وعياله ونفسه لمراقبة احوال الباطن و
مزاولة اعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبع مراتب ان تصل بركات سعيه الى سبعة اداية في الظاهر والى سبعة اطوار
في الباطن والى سبعة اقاليم العالم لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ومن كمال رافته باهل محبته ان جعل
اثار اقدامهم اشرف الامكنة وساعات ايامهم اعز الازمنة فالى تلك المعاهد والاطلال تشد الرحال وتلك المشاهد والاثار
تعظم وتزار ۞ اهوى هواها لمن قد كان ساكنها ۞ وليس في الدار لي هم ولا وطر ۞ ۞

والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ● ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما
ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر
بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون ●

القراءة لا اله الا هو بالمد وكذلك جميع التهليل روي الهاشمي
عن ابن كثير اورود الاثر في هذه الكلمة وهو قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وروى ابو الفرج عن ابن قتيبة الا هو بالامالة الفحش كان الريح مفردا حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا **الوقوف**
واحد نظرا الى ان ما بعده وصف اخر والى الاختلاف بالنفي والاثبات الرحيم من كل دابة ضرورة طول الاية والا فاسم ان لايات
والجار وما يتصل به معترض والاولى الوصل والرجوع يعقلون **التفسير** الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلثة
وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه واحد فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث
هو انسان لان الانسان الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين بل قد ينقسم الى الابعاض والاجزاء وذلك من جهة اخرى ثم زعم قوم
ان الواحد صفة زايدة على الذات لان الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا فقط ولانه يصح تعقل الجوهر
مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر ولان مقابل الجوهر

العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبيا لكان سلبا للكثرة فان كان الكثرة سلبية وسلب
السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كان الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات وان كانت الوحدة
سلبية حصل من الامور المعدومة امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق
لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشئ المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد ذهننا واعتبارنا
فثبت ان كون الشئ واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك الذات والجواب ان كون الشئ واحدا في ذاته معناه كونه بحيث
يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا تتوقف على حصول الذهن في الخارج ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة
على الذات كانت الوحدات متساوية في ماهية الوحدة ومتباينة بتعيناتها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا وذلك محال ثم ان
شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة حتى العدد فان العشرة الواحدة يعرض لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان
فالعشرتان مرة واحدة قد عرضت لها الوحدة من هذه الجهة فلا شئ من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود
لان الموجود ينقسم الى الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين
احدهما ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل ولا من امرين ايضا واليه الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للممكنات باسرهم
والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدا لجميع الممكنات
وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان الاتيتان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى تدل على اثبات وحدته في
الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد واحد تريد الواحدية في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة
الثانية تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبود الحق فمعناه لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان
اثبات الحق وقع في تلك القرينتين بالمطابقة ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج
وذلك انه قد يفنى في عالم اللاهوت ويبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع عالم الشهود فيلزمه حينئذ نفي ما سوى الحق و
اذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سواه حتى يعرج الى المقصود فمن ثم عكس الترتيب في القرينتين ولان
الاولى مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان
العقلي على انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا يجمعه اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا يحصره اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية
ولا اجزاء اعتبارية كما في البسائط الجنسية هو ان كل مركب فانه يمكن ان يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره
لا يكون واجب الوجود لذاته وايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث
انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده ولا نعني بكون الوجود زائدا
على الماهية او غير زائد الا هذا واما انه تعالى وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شئ
الى شئ اصلا ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمال الجميل كونه عديم النظير
ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى ولا ان في واجب الوجود لذاته واجب الوجود
من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته حتى عن حمل الوحدة عليه وعن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة
فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار
لتخلص عن ظلمات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار وشروق انوار الواحد
القهار وللناس تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد
في ذاته فلانه لو شارك غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن واما انه واحد
في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته من نفسه ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية
وصفاته غير متناهية بل له في كل معلوم علوم غير متناهية يجب لغبار ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولانه موصوفية ذاته
بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته وكون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته يستكمل بها لان ذاته كالمبداء لتلك الصفات ولن يستكمل
المبداء بما عن المبدا بل ذاته مستكملة بذاته ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد يقتضي التقرير ههنا الى حيث يقصر
العبارة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه الذي لاجله ظهر
الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا لا نعلم من ذاته الا انه مبدا جميع الممكنات من طبع على قلبه مني بالخذلان ومن كشف له الغطاء صار
حيران فلا احاطة للقطرة بكثرة الماء ولا ظهور لضوء السها عند حلول الشمس كبد السماء اشتاقه فاذا بدا اطرقت من اجلاله لا خيفة
بل هيبة وصيانة لجماله فالموت في ادباره والعيش في اقباله واصد عنه اذا بدا واروم طيف خياله واما انه واحد في افعاله

…والواحد الحق سبحانه وا…

فلان

فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته وبعد البون من الواجب بالذات والممكن بالذات يوجد التفاوت بين فعليهما ان فرض للممكن فعل
من نفسه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه تعالى
خص بذكر الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة
الفردانية واشعارا بانه ما خلق الخلق الا للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الاية ذكر علماء المعاني ان في ايجاز هذه
الاية ان يقال ان في ترجح وقوع اي ممكن كان على لا وقوعه لايات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لا مع الانس والجن فحسب بل مع الثقلين
ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا وفيهم من يرتكب التقصير في باب النظر والعلم بالصانع من لا يحصى
من طوايف الغواة لم يكن مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطا قال انزل بالمدينة على النبي صلى الله عليه وسلم
والهكم اله واحد فقال كفار قريش بمكة ولهم حينئذ للكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في خلق السموات
والارض الى اخرها وعن سعيد بن جبير لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا ان الله واحد ان كان صادقا فليأتنا باية فنزلت
وزعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق لان المخلوق هو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير الخلق
غير نفس المخلوقات ولو كان عينها والخالقية صفة الله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث
الحادث بخلق الله تعالى ولا يصح تعليل حدوثه بنفس ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق
فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من النحاة على ان العالم في قوله تعالى خلق الله العالم مفعول به
لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله اياه وهذه الجهة هي التي صيرته
اية وقد عد الله تعالى في هذه الاية ثمانية ايات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فسويهن
سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبعة حركات مختلفة كالبطوء والسرعة بعد التوسط في
الحركة والوقوف والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احديهما ان السموات لا يتطرق
اليها الا الاختلاف الوضعي والثانية ان حركة الكوكب في الفلك ليس كحركة السمك في الماء ولكنه يدور بادارة الفلك اياه ان
كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر يتضمنها فلكه الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها تخالف مركزه في الاغلب ثم
ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم انفصاله من الفلك الكلي جسمان نعليان متبادلا الوضع
الغلظ والرقة يسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض سمي بالتدوير ويكون الكوكب مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات
المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منها متشابهة في نفس الامر ويعني التشابه ان يقطع المتحرك من المحيط في ازمنة
متساوية قسيا متساوية او يحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك اربعة اثنان
متوافقان في المركز وخارج وتدوير ولعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق
وخارج وتدوير وللشمس اثنان موافق وخارج ولكل من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك بسيطة موضوعة في
الزيجات واما المختلفة فالشمس يقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية
وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين والمشتري في اثني عشر سنة جميع ذلك بالتقريب
واذ قد تقرر ذلك بالاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك لمقدار معين مع اشتراكها
في الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر مختار خبير قدير قهار وكذا التخصص كل منها بحيز معين وكذا تعين نقطتين من سطح الفلك للقطبية
مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكوكب والتدوير في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك
الكلية الى الخوارج المراكز وابقاء المتممات على اقدار معينة في الرقة والغلظ وكذا تعين كل من الاجرام بحركة معينة السيارات كما قلنا
انفا والثوابت بحيث يتم دورا في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتاخرين
والفلك الاعظم في يوم بليلته وكذا تعيين جهات الحركات شرقا او غربا او شمالا او جنوبا وكذا تعيين المبادي والحركات وتخصصها
بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلنا ان ذواتها حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول لان الحركة انتقال
من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير والابتداء بالحركة بعد ان لم تكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل
تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من الكواكب بعظم اخر ويكون اخر كصغر عطارد وبياض زهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ
وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظر وبين الشمس وذلك في الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف تاثيراتها في هذا العالم باذن
خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب والنسق الانيق في تركيب الافلاك واختلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف اوضاعها
المستتبعة لاتصالاتها وانصرافاتها اترى انها مبنية على حكمة وبقدرة قدير خبير ام هي واقعة عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في

بناء رفيع وقصر مشيد ان للتراب والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر
ثم تزين نفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل بالجنون ومحل عليه بسخافة الراى بل بعده من زمرة الانعام لا من جملة الانام
الاية الثانية خلق الارض ومن تامل فى شكلها من الاستدارة وما فى جزها مركوزة واقعة فى مركز العالم حتى ابعث منها بوقوع الشمس عليها
مخروط ظلى فى مقابلة الشمس متى وقع فيه الخسف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء لمكان الاستقرار عليها ومن فى اختلاف وضاع بقاعها
بالنسبة الى السماء حتى اختلف مرور الشمس وساير الكواكب بسمت روس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت
الطوالع والمطالع بحسب تغاير الافاق ومن ساير اعراضها ومنافعها التى نقر بطوف منها فى نفسه الذى جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها
الى مدبر قدير وعليم خبير واحد فى ملكه وملكه يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند الاية الثالثة اختلاف الليل والنهار اما النهار
فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفى عرف الشرع بزيادة ما بين طلوع الفجر الصادق وبين طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن
مدة خفاء الشمس تحت الافق او بنقصان الزيادة المذكورة وذلك لان الشمس اذا غابت يقع راس مخروط ظل الارض الى فوق فوقع الابصار ابتداء خلفه
الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقى فيكون اول الفجر الكاذب لكان الضوء مرتفعا عن الافق بعد واول الفجر الصادق اذا قرب من
الافق جدا وينبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الارض طلع مركز جرم الشمس فى مقابله فظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان اى يتعاقبان
مجيا وذهابا لقوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ذهابا ظلاما وضياء او طولا وقصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان
الاخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان باختلاف البلاد ان فان البلد كما ازداد عرضا عن خط الاستواء
وهو الموضع المحاذى لمنطقة الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره فى الصيف طولا وفى الشتاء قصرا وبالعكس فى
الليل وقدير يتقطول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازايه الليل ثم الى الاكثر من ذلك الى حيث
يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا وذلك اذا صار قطب الفلك الاعظم محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا حيث
يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وكون الليل والنهار فى انفسهما ايتين على وجود الصانع
ووحدانيته ظاهر وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش فى الايام
والنوم والراحة فى الليالى ومن الغرايب تعاقب المتنافيين على امر واحد هو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق فى اول الليل على النوم
يشبه موت الخلايق ولا عند النفخة الاولى ويقظتهم عند طلوع الفجر الصادق تضاهى عود الحيوة اليهم فى النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل
بظهور الفجر المستطيل فيه من اعجب الاشياء كما نجد ولما صاف بسيل فيما بين بحر كثيف بمتزجان وكل هذه الامور دلايل على وجود
مبدع عظيم الشان غنى عن الزمان والمكان مبرا عن سمات الحدوث والامكان الرابعة الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ملتبسة بالذى
ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع الناس والفلك بالضم والسكون السفينه واحد وجمع بضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة اسد وتانيث
صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينه ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اى المراكب التى تجرى والتركيب يدل على الاستدارة و
الدوران ومنه الفلك لجسم كرى يحيط به سطحان متوازيان مركزاهما واحد وفلكة المغزل فلكة ثدى الجارية استدارة والبحر خلاف البر
قيل سمى بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه تبحر فى العلم والمال ويسمى الفرس الواسع الجرى بحرا لقوله صلى الله عليه وسلم فى فرس ابى طلحة
ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف فى تفسير قوله عز من قائل الذى جعل لكم الارض
فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط
الشرقى ومستطيلا عن الغربى الى وسط العمارة اربعة خليجات اولها اذا ابتدى من الغرب الخليج البربرى لكونه فى حدود بربر من ارض الحبشه
طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعرضه خمسة وثلثون فرسخا وعلى ضلعه الغربى بلاد كفار الحبشه وبعض الزنج وعلى الشرقى
فى بلاد مسلمى الحبشه وثانيها الخليج الاحمر طولها من الجنوب الى الشمال اربعماية وستون فرسخا وعرضه بقربه منتهى ستون فرسخا وبين طرفيه
وفسطاط مصر الذى على شرقى النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربى بلاد زنجه من البربر وبعض بلاد الحبشه وعلى ضلعه الشرقى
سواحل عليها فرضه مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لقوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الذوابة الشرقية منه وثالثها
خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعماية وستون فرسخا وعرضه قريب ماية وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربى بلاد عمان ولهذا ينسب
البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب واحيايهم من الحجاز واليمن والطايف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربى من هذا البحر والشرقى من الخليج
الاحمر فلهذا تسمى العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب فيها مكة زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقى بلاد فارس ثم هو مد و
ثم مكران ثم سواحل السند وورابها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال الضلع الشرقى بلاد فارس ثم هو مود ثم مكران
متصل بالمحيط الشرقى وضلعه الغربى خمساية فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات الفنا والضين ولهذا يسمى بحر الصين ومن زاويته
الغربيه الى زاويته من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا قد دخل الى العمارة من جانب الغرب خليج عظيم

بر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب ويحاذى ارض السودان وينتهى الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس
والجلالقة والصقالية الى بلاد الروم والشام ويتشعب منه شعبه من شمال ارض الصقالية الى ارض مسلمى بلغا ويسمى بحر ورنك طوله
المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثة وثلثون واذا جاوز تلك النواحى امتد نحو المشرق عما وراء جبال غير مسلوكة وارض غير مسكونة وتشعب
منه ايضا شعبه يسمى بحر طرابزون فهذه هى البحار المتصلة بالمحيط واما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر
وابسكون لكون هذه الولايات على سواحل مستطيل الشكل اخذ من المشرق الى المغرب باكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى
الشمال بقريب من مائتين ومن عجايب البحار والحيوانات المخلوقة الاعظام والانواع والاصناف ومنها الجزاير الواقعة فيها فقد
يقال فى بحر الهند من الجزاير العامرة وغير العامرة الف وثلثماية وسبعون منها جزيرة عظيمة فى اقصى البحر مقابل ارض الهند فى
ناحية المشرق وعند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب دورها ثلثة الف ميل فيها جبال عظيمة وانهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الاحمر
وحول هذه الجزيرة تسع عشر جزيرة عامرة فيها مداين وقرى كثيرة ومن جزاير هذا البحر جزيرة كله يجلب منها الرصاص القلعى وجزيرة
سريرة التى يجلب منها الكافور وغرايب البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رايت من عجايب
البحر قال سلامتى منه والسفينه مما الهم الله تعالى ثم اجراها بقدر على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينه
لما جرت ثم عجيب صنعتها لما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح لما سلمت من
تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبها الماهر وعلى شدايد ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشى ليس بغيره لما انبعث الدواعى
الى اقتحام الاخطار فى هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار فى البرارى والبحار فلا جرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح و
ينتفع المحمول اليه من حيث يجد ما اعوزه وفى الاية دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما
انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء فقد مر تحقيق ذلك فى تفسير قوله او كصيب
من السماء وان المراد من السماء السحاب او التقدير من جانب السماء وانما نكر من ماء فلان الغرض الوحدة الشخصية او الصنفيه
يعنى ماء هو سبب حيوة الارض لا المطر الذى قد لا ينبت شيئا كما جاء فى الحديث ليس السنة بان لا تمطر وانما السنة التى تمطر
ولا تنبت ولا ربيا ان فى انزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله فى غاية الصفاء واللطافة والعذوبة
وصيره سببا للارزاق وانزله بعد قنوط الناس وشدة احتياجهم اليه واودع فى نزوله حيوة الارض اى حسنها ونضارتها
ورواءها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار وانواع الاشجار والاثمار و
جريان جداول بينها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين فوقعت الربيع كشف الصبى فى الانسان وموت الارض
من ترشيح الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضرتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودها وبقائها على الهيئة الاصلية بالموت
كانها جسد لا روح فيه فلا رداءة عليه السادسة وبث فيها من كل دابة وانه معطوف على انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويصح
عود الضمير فى فيها الى الارض لان قوله فاحيى عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشى الواحد فكانه قيل وما انزل من الارض من
ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيى اى فاحيى بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لان معاش الحيوان بل حيوته بل وجوده على الماء وجعلنا
من الماء كل شى حى واعلم ان الحيوان اما متولد واما متوالد وكلا الصنفين يحتاج الى الصانع فرد حكيم يحكى ان مخصا قال بحضرة عمر رضى الله عنه انى اتعجب
من امر الشطرنج رقعته صغيرة ولو لعب الانسان فيه الف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر رضى الله عنه ههنا ما هو اعجب منه وهو ان مقدار الوجه
شبر فى شبر ثم ان مواضع الاعضاء التى فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم لا يتغير البتة مع ذلك لا ترى شخصين
ابدا يشتبهان فى الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التى ظهرت فى هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التى لا حد لها ولولا هذه
الاختلاف لاشتبه الناس بعضهم ببعض وانقطع نظم معايشهم وحوايجهم ومن تامل كتب التشريح وقرا كتاب الحيوان وتتبع
عجايب المخلوقات ووقف من تراكيبها وخواصها على ما يقضى منه العجب ويفضى به الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريف الرياح
مع رقتها ولطافتها وفى ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان بتنفس الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب الريح ومن قبل تلقيح
الاشجار وسوق السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الاهوية الوبائية الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها
فى جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اى صبا ودبورا وعلى كيفيات متخالفة حارة وباردة وعاصفة
ورخاء ومن قرا الريح بالوحدة فليس فيها دلالة على العذاب فى هذا المقام والذى جاء فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت
الريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع اولى كما قال تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح
مبشرات وقال وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد يختص اللفظة فى القرآن بشى فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء
فى التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير معين قال وما يدريك لعل الساعة قريب وما كان من لفظ ادريك فانه مفسر وما ادريك

ما القارعة وما ادريك ما هيه الثامنة السحاب المسخر بين السماء والارض سمي سحابا لانسحابه في الهواء ومعنى التسخير التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف طبعه بقاسر ومسخر وايضا لو دام لعظم ضرره لاستر الجذب والاحجال فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به في وقت الحاجة ودفعه عند زوالها بمدبر ومسخر لا محالة وفي نفس السحاب من عظمه وتراكمه وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله وسده الافق في لحظه وانقشاعه في اخرى واشتماله على الرعد والبرق والسمر والتطبيق الى غير ذلك من العجايب ولالات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره واما قوله تعالى لايات فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اي مجموع هذه الاشياء الثمانية ايات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد منها ايات يدلك على مدلولات كثيرة كما فصلنا وايضا فكل واحد منها من حيث انها موجودة تدل على وجود موجدها وكونه قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واما قوله تعالى لقوم يعقلون فانما خص الايات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر وفيه الاستدلال وفي الاية من الفوائد ان التقليد مذموم فيما الى تحقيقه سبيل ومنها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا لم يحتج الى النظر في شيء منها وانما خص الايات الثمانية بالذكر مع ان ساير الاجسام والاعراض مستوية في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلايل وبين كونها نعما على المكلفين ومتى كانت الدلايل كذلك كانت انجع في القلوب واشد تاثيرا في الخواطر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها والله تعالى اعلم ٥

ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله و
الذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب
ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال
الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبراوا منا
كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف فيهما يزيد وسهل ويعقوب اذ تبرا بادغام الذال في التاء وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل وقرا حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالامالة عباس وقتيبة لجواز من النار **الوقوف** كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا لمن قرا ان وان بالكسر فيهما شديد العذاب الاسباب تبراوا منا عليهم من النار **التفسير** انه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلايل الباهرة عقبها بتقبيح ما يضاده فبضدها تتبين الاشياء والند المثل المناوي كما سلف والمراد بالانداد ههنا هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى ونذروا لها النذور وقربوا لاجلها القرابين وقيل يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدي واستدل على تعينه بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد ان يكون محبتهم لله تعالى مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ودليل الاول انه لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا وامثالا لله تعالى يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المومنون لله تعالى ويمكن تزييف الحجج بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وايضا علمهم بانها لا تضرهم ولا تنفعهم ممنوع ولو علموا بذلك ما اشركوا وايضا التبري لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى افرايت

من اتخذ

من اتخذ الهه هويه يحبونهم يحبون عبادتهم الذين او التقرب اليهم او الانقياد لهم او يعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله من اضافة المصدر الى المفعول اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه منهم المومنون لانه غير ملتبس وقيل كالحب اللازم عليهم لله وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسايط بينه وبينهم بخلاف المشركين يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس وهو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة وفيهم قال الشاعر **شعر** اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة ؛ لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة ؛ واعلم ان اطلاق محبة العبد لله تعالى قد ورد في القران والحديث كما في هذه الاية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابرهيم صلوات الرحمن عليه قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الان فاقبض وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ماذا اعددت لها فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال عليه الصلوة والسلم المرء مع من احب ثم ان الايمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع من انواع الارادة والارادة لا تعلق لها الا بالجايزات فيستحيل تعلق المحبة بذات الله وصفاته فمعنى قولنا نحب الله نحب طاعة الله وخدمته او نحب ثوابه واحسانه واما العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شيء محبوبا لاجل شيء اخر دار او تسلسل واذا كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته وغلبته والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب فالله احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص والكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع على دقايق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم وبحسب الترقي في درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المومن فيشغله عن الالتفات بغيره ويفنى عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي ويتكلم بلسان الحال ليس في جبتي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل بحظ نفسه لمحة بصر كما قيل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ومحبة الله محبة اوليائه ومقربيه ومناواة اعدائه ومخالفيه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين لعين تفدى الف عين وتتقى ويكرم الف للحبيب المكرم ولو يرى قرئ بالياء والتاء وان وان بالكسر والفتح فههنا اربعة تقديرات الاول لو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذا عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم وان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم وحذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب ويقدر من الفظاعة ما لا يكتنه كنهه كقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه بخلاف ما وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني ولو ترى يا محمد او من يتاتى منه الرؤية هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم وقت معاينتهم العذاب معاينتهم ان القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرايت امرا عظيما فعلى هذا ان يرون مع معموليهما بدل من العذاب قال الفراء الوجه فيه تكرير الرؤية اي ترون ان القوة لله جميعا الثالث بياء الغيبة وكسر ان وان ومعناه كالاول والجملتان معترضتان او المعنى لقيل ان القوة لله والرابع على هذا القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع حقهما الدخول على الماضي نظم المستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف في اخباره وقيل لان الساعة قريب فكانها قد وقعت وكذا الكلام في اذ تبراوا وانه بدل من اذ يرون وقيل هو معمول شديد والمراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء او شياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان والتبري اما بالقول وهو الاقرب او بظهور العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عقابه شيئا فكيف عن غيرهم وراوا العذاب الواو للحال اي تبراوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرا بهم اي عنهم فان تقطع في معنى زال او وقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون او الباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع ومصالحهم انقلبت عليهم والسبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتواصل به قالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به والمراد ههنا الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد من الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمن ولذلك اجيب بالفاء كانه قيل ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا والى حال التكليف والمتبوعون مفتقرون الى اتباعنا ونصرتنا حتى نتبرا منهم بعدم النصرة والاعانة كما فعلوا هم اليوم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اراءة اعمالهم حسرات هو ثالث مفعول ارى ومثل ذلك التبري يريهم اعمالهم حسرات فان ذلك التبري نوع اراءة والمراد بالاعمال قيل الطاعات لزمتهم فلم يقوموا بها وضيعوها عن السدي وقيل المعاصي واعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها عن الربيع وابن زيد وقيل ثواب طاعاتهم التي اتوا بها ؛ فاحبطوه بالكفر عن الاصم وقيل اعمالهم التي قربوها الى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة الندم على ما فات حتى يبقى

الناد م كالحمر من الدواب لا منفعة فيها والتركيب يدور على الكشف ومنه انحسر الطاير انكشف بذهاب ريشه والحاصل انهم
لا يرون مكان اعمالهم الا حسرات فيا ايها المغرور بالسلامة ما اعددت ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا
يوم يدع المسرور كئيبا الدنيا دار تجارة فالويل لمن تزود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على
التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوى الحكم افادة التاكيد
كقوله تعالى وهم يخلقون فانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم بحقايق اسرار ه

يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين • انما يأمركم بالسوء
والفحشآء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون • واذا قيل لهم اتبعوا ما
انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آبآءنا اولو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع الا دعآء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون •

القراءة خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو وغير عباس ونافع وحمزة وخلف والهاشمي وابن ربيعة عن البزي والقواس والحمام
وابو بكر عن البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه مثل هل نبئكم وبل نقذف مدغما حيث كان علي وهشام **الوقوف** طيبا والوصل اجوز
لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان مبين ما لا تعلمون اباءنا لابتداء الاستفهام ولا يهتدون لحق المحذوف اي صم لا يعقلون
التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة
والوصيلة والحامي والاية مسوقة لتقرير طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا مفعول كلوا او حال من ما في الارض
وهو المباح الذي انحلت عقدة الخطر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل وحل عند الرجال وحل الدين وجب
لانحلال العقدة بانقضاء المدة والحلة لانها تحل عن الطي اللبس وتحلة القسم لان عقد اليمين تحل به ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه
كالميتة والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد به ما يقرب من الحلال
لان الحرام يوصف بالخبيث قل لا يستوي الخبيث والطيب والوصف لتاكيد المدح مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب
اللذيذ او يراد بالحلال ما يكون بجنسه حلالا وبالطيب ما لا يتعلق به حق الغير والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم
لما يغترف والفعلة بالضم والسكون اذا كانت اسما يجمع في التصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى
به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا اخفاء له قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم بالسوء متناول لجميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء ما
التي جاوزت الحد في القبح فلهذا قد يخص الاول بما لم يجب فيه الحد والثاني بما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا
افح الكل لان وصف الله تعالى بما لا ينبغي من اعظم الكباير لهذه الاية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغاير والكباير و
الكفر والجهل كلها من خطوات الشيطان بل لا يامر الشيطان الا بهذه الامور بدليل انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا وغرضه
ان يجره الى الشر اخر مثل ان يجره من الافضل الى الفاضل فيتمكن بعد ذلك ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق
ليصير ازدياد المشقة سببا للنفرة عن الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقايد الفاسدة
وقول الرجل هذا حلال وهذا حرام بغير علم بل يقينا ومقلد الحق لانه وان كان مقلدا للحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه
قادر على تحصيل العلم بالحق ثم انه اقنع بالظن والتخمين ومعنى امر الشيطان ووسوسته بالامر من الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم
له وقبولكم وساوسه واذا كان الامر المطاع مرجوما مذموما فكيف حال المامور المطيع وفي هذا معتبر للمجبلين ومزدجر للعقلاء اعاذنا الله

بحوله وايدنا من مكر الشيطان وكيده واذا قيل لهم اي للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والالتفات الى الغيبة للنداء على
ضلالتهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا
فالاية مستانفة وانما خص هذا الموضع بقوله الفينا لان الفيت يتعدى الى مفعولين البتة وكان نصا في ذلك فورد في الموضع الاول
على الاصل واقتصر في المائدة ولقمان على لفظ وجدنا المشترك بين المتعدي الى واحد والمتعدي الى اثنين اكتفاء بما ورد في الاولى
مع تغيير العبارة عارضوا ما انزل الله من الدلايل الباهرة بالتقليد فما اعقلهم وانصفهم فلا جرم اجاب الله تعالى بقوله اولو كان
الواو للعطف لا للحال على ما وقع في الكشاف والهمزة للرد والتعجب وفعل الاستفهام محذوف وكذا جواب الشرط والمعنى ايتبعونهم
ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون الصواب يتبعونهم ايضا وتقرير الجواب ان يقال للمقلد اعرفت ان المقلد محق ام
لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان عرفت فاما بتقليد اخر ويلزم التسلسل او بالعقل فذاك كاف في معرفة الحق والتقليد ضايع
وايضا علم المقلد ان حصل بالتقليد تسلسل وان حصل بالدليل فانما يتبعه المقلد اذا علم بذلك الدليل ايضا والا كان مخالفا له فظهر ان
قبول قول الغير من غير دليل عين الضلال ومثل الذين كفروا فيه للعلماء طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار اما في المشبه اي مثل من يدعو الذين
كفروا الى الدين كمثل الذي ينعق يقال نعق الداعي بالضان اذا صاح بها واما نعق الغراب فبالغين المعجمة شبه الداعي الى الحق براعي الغنم والكفرة
بالغنم ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد وهؤلاء الكفار يسمعون صوت الرسول والفاظه وما كانوا ينتفعون
بها فكانهم لا يفهمون معانيها واما باضمار في المشبه به اي مثل الذين كفروا كبهايم الذي ينعق والطريق الثاني التصحيح بغير اضمار اي مثلهم في دعائهم
الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا او مثلهم في دعائهم الهتهم كمثل الناعق
في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال يا زيد يسمع من الصدى يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا الاوثان لا يسمعون
الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء ومثلهم في قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل الراعي اذا تكلم مع البهايم دليل سخافة العقل فكذلك عبادتهم
لها او مثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل الذي يتكلم مع البهايم فكما ان ذلك عبث ضايع فكذا تقليدهم واتباعهم صم عن استماع الحق
والانتفاع به بكم عن اجابة الداعي الى سبيل الخير عمي عن النظر في الدلايل فهم لا يعقلون العقل المسموع ولا المطبوع وذلك ان طريق
الاكتساب الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد علما فلما فقدوا فايدة الحواس فكانهم عدموها خلقة قال ابن داود بن رشيد
العقل نوعان مطبوع ومسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العين والاخر بمنزلة الشمس ولا يكمل الابصار الا
بهما وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه اما سمعتم قول الله عز وجل
حكاية عن الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى الهدى او يرده عن ردى
التاويل الذين كفروا لم يسمعوا اذ خاطبهم بقوله الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا في الصف الاخير من الارواح المجندة
في اربعة صفوف الاول للانبياء والثاني للاولياء والثالث للمؤمنين والرابع للكافرين فما شاهدوا شيئا من انوار الحق ولكنهم
قالوا بالتقليد بلى — بل نتبع ما الفينا — عليه آباؤنا ٥

يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله
ان كنتم اياه تعبدون • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله
غفور رحيم • ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله
يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم • اولئك الذين اشتروا الضلالة

بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل
الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

القراءة الميتة بتشديد الياء يزيد الباقون بالسكون فمن اضطر بكسر النون وضم الطاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم فمن اضطر بضم النون وكسر الطاء يزيد الباقون بضمها الوقوف تعبدون لغير الله للشرط مع فاء التعقيب عليه رحيم قليلا لان ما بعده خبران بزكيهم والوصل اولى لاتصال البعض جزائهم بالبعض اليم بالمغفرة للابتداء بالتعجب والاستفهام والوجه الوصل للمبالغة في الانكار على النار بالحق للابتداء بان بعيد ربع الجزء التفسير انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا في دلايل التوحيد والنبوة واستقصى شرح اهل النفاق والشقاق من المشركين واهل الكتاب وذيل كلا من ذلك بما يناسبه ومن ههنا شرع في بيان الاحكام الشرعية الاول اباحة الاكل للمومنين بعد ما عم للناس كلهم وهذا بالنظر الى الاصل وقد يصير واجبا العارض كما لو اشرف على الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كموافقة الضيف واستدل بقوله من طيبات ما رزقناكم على ان الرزق قد يكون حراما فان الطيب هو الحلال ولو كان الرزق حلالا البتة لم يبق في ذكر الطيب فايدة اذ يصير المعنى كلوا من حلال ما احللنا لكم واجيب بالمنع من ان معنى الطيب ما ذكر بل المعنى كلوا من مستلذات ما رزقناكم ولعل اقواما ظنوا ان التوسع في الاكل الحلال والاستكثار من الملاذ مذمة ممنوع فرفع الحرج واشكروا الله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة و تقرون انه مولى النعم فان الشكر راس العبادة والتركيب يدور على الكشف والاظهار ومنه كشفوا اذا كشف عن ثغره فنشر النعم وحصرها باللسان من الشكر وباطن الشكران تستعين بالنعم على الطاعة دون المعصية وقال بعضهم شعر اولينني نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور باسرها فلاشكرنك ما حييت فان امت فليشكرنك اعظمي في قبرها عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نباء عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري ولما اجمل في الاية ما يباح اكله ذيل بحصر ما هو محرم ليبقى ما عدا ذلك على اصل الاباحة فقيل انما حرم عليكم الميتة وهي ما لم تدرك ذكاتها وما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما ليس بمحترم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم يكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق ايضا بين ما يوكل نظيره في البر كالبقر والشاة وبين ما لا يوكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي ره وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه لان الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة و لهذا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى وتاكلون منه لحما طريا وشبهوه بما حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه وكالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد وهو المروي عن علي رض وابن مسعود وابن عمر رض لقوله صلى الله عليه وسلم ذكوة الجنين ذكوة امه وقال ابو حنيفة لا يوكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكوة الجنين كذكوة امه ورد بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا اخرج حيا لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للخبر حينئذ فايدة لان ذلك معلوم ولما روي عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكوته ذكوة امه وكشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك في الشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو ميت ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر واللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن

والفساد ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة كلها الا جلد الخنزير لنجاسته والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر ما يوكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقول عبد الله بن حكيم اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر الا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا قدم البازي من عنده نفسه على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال النجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجاة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين ولاجل تخليل الكلب وان لم يكن ضرورة وكذا استعمال جلد الميتة قبل الدباغ لتجليل الدابة والكلب وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة من الضرورة وقد نقله الثقات عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل عليه السلام عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوه ولا تاكلوه والدخان وان كان نجسا لكنه قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سايلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان لم يفسد الماء قل او كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على صفة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة الاصحاب عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سايلة وقالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف فان وقع في ماء او في مايع اخر فقولان ثم الذباب والبعوض ونحوهما وان كان بطهارة ميتها فهي محرمة لانها مستقذرة ومندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل الطعام والفواكه والماء والجبن والاخبز بها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يسامح به وسال عبد الله بن مبارك ابا حنيفة عن طاير وقع في قدر مطبوخ فمات فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يوكل بعد ما يغسل ويراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول على شريطة ان كان وقع فيها في حال سكونها كما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يوكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط فيها في حال سكونها فمات تفتت في الميتة اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة ذبح ما لا يوكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكما لو ذبح المجوسي ما يوكل اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها طاهران عند ابي حنيفة دون الشافعي ومالك الا لان الاية عينا وهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل سواء كان مسفوحا او غير مسفوح لاطلاق الاية الا الكبد والطحال الخبر عند من يقول بتنا قبل الاية اياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزايه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه واختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز احتج ابو حنيفة بان ازى المسلمين يقرون الاساكفة على استعماله من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى واهل المعتمر اذا رفع صوته بالتلبية قال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبايح اهل الكتاب اذا سمى عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولان النصراني اذا سمى الله تعالى فانما يريد به المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي والسعيد بن المسيب وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما لو اراد المسيح وعن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ظاهر الاية يقتضي ان لا يكون سوى هذه الاشياء محرما لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سوى من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر غير باغ افتعل من الضر وهو الضيق اي الجي استثنى من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد وان لا يجد ماكولا حلالا لا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناول لما اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن اضطر فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف يقال بغى الجرح ودم وترامى الى الفساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشي فهو بغي والعدوان الظلم وتجاوز الحد وللايمة في الاية قولان احدهما واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا لا يكرهه النفس فعدل الى اكل الحرام اللذة ولا عاد اي متجاوز قدر الرخصة او غير باغ اي طالب اللذة ولا عاد متجاوز سد الجوع عن الحسن وقتادة والربيع غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة والثاني واليه ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي بسفره هل يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل

وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الاية الاخرى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ
ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار باقيا في الحالين وليس كذلك لان حال الاكل لا يبقى وصف
الاضطرار وايضا الانسان نفور بطبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى نهيه عن التعدي في الاكل وايضا ان نفي ماهية البغي
والعدوان وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق حينئذ نفي العداوة في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص النفي بالاكل كما
ذهبتم اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي حنيفة قوله تعالى في اية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر
فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع اسباب
الهلاك عن نفسه اذا صال عليه اجمل وقيل وجبة وايضا الضرورة تبيح تناول الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا تناول
محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه الوصول الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان
الرخصة اعانة على السفر واذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية والسعي في تحصيل المعصية محظورة فالجمع
غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يكون ضروريا لدفع الهلاك ويحرم الى حد الشبع وقال
عبد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل حتى يشبع ويتزود فان غنى عنها طرحها والاول اقرب لان
سبب الرخصة اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة وكما ان الجوع في الابتداء
لا يبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثر وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير و
الشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش دون اساغة اللقمة وفي التداوي بها وجهان وبساير المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع
الى ان يشرف على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول وحد وتعرض محترون في جنبه
لخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه بطوء ونماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون اليقين ومعنى قوله فلا اثم عليه
رفع الحرج والضيق كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ودفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي
وجوب الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان
تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكره بعد المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك اولعل المضطر يزيد على تناول قدر
الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة او انه لما بين هذه الاحكام والمكلفون
بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم بهم حيث وفقهم للطاعة ان الذين يكتمون عن ابن عباس
نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون
ان يكون النبي المبعوث فيهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم فغيروها
ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت نبي اخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه
مخالفا لصفة النبي فلا يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة الفعل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل
في بطونهم حال اي ملء بطونهم اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه
اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر وذلك انهم كانوا
يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الاخرة النار لاكلهم في الدنيا
الحرام ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كتموا كلامه في الدنيا بل بنحو اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم لغضبه عليهم كما هو ديدن الملوك
من الاعراض عند السخط والاقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالاثناء عليهم ويقبول اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
بيان لتماديهم في الخسارة فان احسن الاشياء في الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة
واضرها العذاب فهم في خسران الدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح الامور باحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على
النار تعجب من حالهم في تلبسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب الشيء لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه
اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن وهذا التعجب منهم في حال التكليف
واشترائهم الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد انه اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم يسكنون ويصبرون على النار لليأس
من الخلاص وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في اصبرهم للاستفهام بمعنى
التوبيخ معناه اي شيء صبرهم عليها حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء سبب
حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في حقه تعالى ذلك
الوعيد الشديد او ذلك الكتمان وسوء معاملتهم انما هو بسبب ان الله نزل الكتاب يعني جنس الكتب السماوية او القران بالحق الصدق

او ببيان الحق وقد نزلت في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار على الكفر فانه
تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب جنسه فقالوا في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق خلاف
بعيد عن الحق او الذين اختلفوا في القران فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير والذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح
كل منهما في الاخر او ذكر كل منهما للايات الدالة على نبوة محمد تاويلا اخر فاسدا وحرفوا كلا منهما على وجه اخر لاجل عداوتك
هم فيما بينهم في شقاق بعيد ومنازعة شديدة فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم موافقة وموافقه
وعن ابي مسلم اختلفوا في الكتاب اي توارثوه مثل ان في اختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم ان الاية وان نزلت في اهل الكتاب
يشبه ان تكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكباير
وكان السبب في تعقيب هذا الحكم الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل والبانها واحلوا بعض ما حرم
الله كبعض الشحوم فسيقت الاية تعريضا بصنيعهم وتحريضا لجزائهم وجزاء اجزائهم والله اعلم **التاويل** الميتة جيفة الدنيا
والدم هي الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم سدوا مجاري الشيطان بالجوع
ولحم من مادة الشره والحرص وما اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء وسمعة والله تعالى اعلم واحكم

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر
من امن بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين
واتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين
البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المفلحون

القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص والخراز عن هبيرة الباقون بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر
الباقون بالتشديد والنصب **الوقوف** والنبيين لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي
الرقاب للطول مع انتهاء شرع المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج المعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون واعني الصابرين
البأس صدقوا ط المتقون **التفسير** هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم
عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك
وجبت له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر
القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب لاهل الكتاب لان المشرق
قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته
فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من جملتها
الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها وان يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير المقربة
الى الله ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى ليكون
الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان مع صلتها يشبه المضمر في انها لا توصف والمضمر ادخل في الكتابة الاختصاص
من المظهر فهو اولى بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقدير حذف المضاف اي بر من امن وقيل التقدير هكذا ولكن ذا البر من امن وقيل البر
بمعنى البار مثل رجل صوم اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القران لقرات ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر
في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند العلم بذاته المخصوصة والعلم

بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلايل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم
والعلم بالاصول التى عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوبه وقدمه وبقايه وكونه عالما
بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوبه وقد
بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والايجاد
وبعثة الرسل وثانيها الايمان باليوم الاخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات وثالثها الايمان بالملئكة
ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدا ووسطا ونهاية ومعرفة المبدا
والمنتهى هو المقصود بالذات اعنى الايمان بالله واليوم الاخر واما معرفة مصالح الوسط فلا يتم الا بالرسالة وهى منوط بالوحى الذى
ياتى به الملك فثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به داخل في الاية الثانى ايتاء المال على حبه اى على حب المال عن ابى هريرة انه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الصدقة خير قال ان تصدق وانت صحيح حريص تامل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابى الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذى يتصدق عند الموت مثل الذى يهدى بعد ما يشبع
والسبب انه عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند ظن الموت يحصل الاستغناء وبذل الشئ عند الاحتياج ادل على الطاعة
من بذل عند الاستغناء عنه وايضا الاعطاء حال الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت
وايضا الهبة عند الموت يشبه الهبة عند الخوف عن الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اى يعطى ويحب الاعطاء رغبة
في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اى يعطى المال على حب الله وطلب رضائه ثم ذكر سبحانه وتعالى من يؤتون المال اصنافا ستة
اولهم اولوا القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل
لا تعبدون الا الله وانما قدم ذوى القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المساكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان
لانها صدقة وصلة ولتاكد استحقاقهم للتركة الورثة وحجر بسببه على المالك فى الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا فى الثلث
واطلق ذوى القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس وتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذى لا والد
له ولا هو كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابعهم الاصناف ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله جعل ابناء السبيل لملازمته له كما يقال
لطير الماء ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وللناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به وخامسهم السائلون وهم المستطعمون
ويدخل فيه المسلم والكافر وقريب منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وسادسهم المكاتبون واشار
اليه بقوله وفى الرقاب اى فى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى فك الاسارى
والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا
يقال للمملوك رقبة كانه يراقب العذاب ولا يقال له عنق الثالث والرابع قوله واقام الصلوة واتى الزكوة وقد سلف مباحثهما
ثم ان الاية حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال فى الوجوه المذكورة ثم قفاه بايتاء الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه على
ظنوهم ان فى المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الاخر من بات شبعان
وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم يكن الزكوة
واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روى عن على كرم الله وجهه ان الزكوة نسخت كل حق كان يراد الحقوق
المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
وهو مرفوع على المدح اى هم الموفون او عطف على من امن والمراد بالعهد ما اخذ الله من العهود على عباده بقولهم وعلى السنة
رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث امنوا بالانبياء والكتب ويندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء
من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذور والايمان او بينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة
فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا الحق اينما كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم او بينه وبين الناس واجبا
كعقود المعاوضات او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا ونذروا اوفوا واذا ائتمنوا
ادوا واذا قالوا صدقوا السادس والصابرين فى البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص لاظهار الفضل الصبر فى
الشدايد ومواطن القتال على ساير الاعمال قال ابو على الفارسى اذا ذكرت الصفات الكثيرة فى معرض المدح او الذم فالاحسن
ان يخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب فى الوصف والابلاغ فى القبول فاذا
خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان وعند
الاتحاد فى الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون فى افادة اختلاف الحركة المدح والذم ان اصل المدح او الذم

من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد وقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل
او هو والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اى اريد الظريف او العاقل
والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر لا فعل لهما لانهما ليسا بنعتين وحين البأس القتال
فى سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة اولئك الذين صدقوا فى ايمانهم وجد وانه الذين واولئك هم المتقون نظير
ما بين الجملتين فى القطع للاستيناف قوله على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات فصفوا
بالبر الذى هو اصل كل خير واجيب بان اولئك الموصوفين لهم فلصدق فى الاسلام وهم المتسمون بسمة التقوى وكل منهما
منطو على جميع الخيرات ومتضمن لكل المامورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات وذكر الواحدى ههنا ان الواوات فى
هذه الاوصاف للجمع فمن شرايط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا
ينبغى ان يظن الانسان ان الموفى بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر فى البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند استجماع هذه الخصال
حتى قال بعضهم ان البر من خواص الانبياء والحق انه ليس بمستبعد ان يوجد الامة موصوفة بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا فى النبى
ولا سيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان اهل الكتاب خلوا بجميع اوصاف البر اخلوا بالايمان بالله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهبت اليهود الى التجسيم والنصارى الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد
الجسمانى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبريل عدونا وكفروا
بالكتب السماوية افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقتلوا النبيين وطعنوا فى نبوة سيد المرسليين واتسموا بسمة الشح حتى اشتروا
بايات الله ثمنا قليلا ونقضوا العهود او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا فى اللاواء لن نصبر على طعام واحد
ولا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون والعجب كل العجب منهم حيث ادعوا البر ولا شئ واحد من اجزاء البر
فيهم وهذه غاية المحنة ونهاية العناد والله بصير بالعباد التاويل ليس البر تولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن
البر الحقيقى هو بر يحى معكم بتوليه وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لتؤمنوا به لا لاله نور برى وبر يحيى
لكم بحضور الملائكة حين بايعكم بر يحيى لكم وبر يحيى لكم ليس بمحدث كبركم معى بل هو بر قديم فى الكتاب القديم وبنور هذه المحبة
يحبون اهل يحبهم النبيون فالجنسية علة الضم واتى المال على حبه اى ما حصل للعبد من بر الحب وما مال الى سره من عواطف
الحق ينفقه على حب جنبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوى القربى وهم الروح و
القلب والسر وذا قرابة الحق واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات
تجلى صفات الحق والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم فى التردد والسفر الى
عوالم المعقولات والمخيلات والمحسوسات والموهومات والسائلين الدواعى الحيوانية والروحانية وفى الرقاب فى فك رقبة
السر عن اسر تعلقات الكونين حينئذ اقام الصلوة الحاضرة مع الله بالله واتى الزكوة مواهب الحق الى اهل استحقاقها من الخلق وهم
الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد والعبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين فى البأساء مراعاة الحقوق ورفض
مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات تجلى صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود
واولئك   هم المتقون   من شرك الانانية   والله تعالى اعلم

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شئ فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم فى القصاص
حيوة   يا اولى الالباب   لعلكم   تتقون

الوقوف في القتلى بالانثى لان العفو اعطاء الدية صلحا كان فكان خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا باحسان ورحمة لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستانفا اليم تتقون التفسير هذا حكم آخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط واما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف الخسيس ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك ما يروون ان رجلا قتل رجلا من الاشراف ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ما تريد فقال احد ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملؤن داري من نجوم السماء او تدفعون الي جملة قومكم حتى اقتلهم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى بين عباده في القصاص وقيل نزلت في واقعة قتل جرت ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك اقتص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصة لان الحكاية تساوي المحكي والمقص لتعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الاية يدل على وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده او المسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما خطأ الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجبا اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك بل هو مندوب الى الترك بقوله وان تعفوا اقرب للتقوى واما على الناس واما على اجنبي وليس ذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب رعاية المساواة على تقدير القتل لا يوجب نفس القتل قلنا عن الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام لانه متى حصل شرائط وجوب القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاؤه ويحتمل ان يكون خطابا مع القاتل لانه كتب عليكم تسليم النفس عند مطالبة الولي بالقصاص وذلك ان القاتل ليس له ان يمتنع ههنا وليس له ان ينكر بل الزاني والسارق الهرب من الحدود ولهما ايضا يستتر بستر الله فلا يعترفا فكان امر القتل اشنع وفيه حق الادمي اكثر وعن الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة القتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات والاية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في كيفية المماثلة التي يجب رعايتها فقال الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المرة والا حزت رقبته وكذلك ان احرق الاول بالنار احرق الثاني فان مات في تلك المرة والا حزت رقبته روي انه صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يفعل به مثله ولانه يجوز ان يقال كتبت التسوية في القتلى الا في كيفية القتل وحيث لم يستثن دخل وايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتله في اللواط لانه محرم بل بالسيف كما لو قتل صغيرا باللواطة فانه قتل بالسيف على الاصح ولو لم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم تفد الاية الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيئين الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة تناول النفس و تعين السيف لقوله صلى الله عليه وسلم لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة من الله تعالى فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة الدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله اجاب اصحابنا بانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسال عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا فيه منفعة القاتل من حيث انه اذا علم لا بد وان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل نحو بعت هذا بذاك الحر مقتول بدل الحر ثم فيه قولان الاول ويروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين لان الالف واللام تفيد العموم ان كل حر يقتل بالحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا لا بغير حر وهو يناقض الاية ولان هذا القول خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهمال التسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك وقالا لما قتل العبد بالعبد فلان يقتل بالحر وهو فوقه اولى وكذا القول في قتل الانثى بالذكر وانما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان الذكورة والانوثة كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يعرف

بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة رضي الله عنهم ان الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص الحرة بالمراة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك لتناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التفاضل غير معتبر في نفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فمنعوا عن ذلك وايضا نقل عن علي كرم الله وجهه والحسن البصري ان هذه الصور هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فانما حر قتل حر عبدا فهو قود فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقية ديته وان قتل عبد حرا فهو به قود فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد وان قتل رجل امراة فهو بها قود فان شاء اولياء المراة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف ديته الى اوليائه وان شاؤا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا قتلت امراة رجلا فهي قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية الى اوليائه وان شاؤا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فلا اكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء من العفو كقولك سير زيد بعض السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى المفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له فالجواب انه يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق وذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان القتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا التاويل وبان القاتل قد يتوب وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى سمى التائب مؤمنا على سبيل التغليب وايضا لعل الاية نازلة قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخا له وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخا له في النسب كقوله والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر او فحكمه اتباع او فعليه اتباع فقيل على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في المطالبة بل يجري فيها على العادة المالوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجدا لعين المال فان لا يطالبه الزيادة على قدر الحق وان كان واجدا لغير المال الواجب فالامهال الى ان يستبدل وان لا يمنعه بسبب اتباع عن تقديم الاهم من الواجبات على المعفو عنه اداء اليه باحسان بان لا يدعي الاعدام في حال الامكان ولا يؤخره مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه وان يؤدي ذلك على بشر وطلاقة وقول جميل من غير مطل وبخس وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافي بمعروف ويؤدي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا اذ لم يكن لليهود الا القصاص وللنصارى الا العفو واثبات الخيرة فضل من الله ورحمة في حقنا لان ولي الدم قد يكون الدية آثر عنده من القود اذا كان محتاجا الى المال وقد يكون القود آثر عنده من الدية اذا كان راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الآخرة فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل مع قتل القاتل او دونه او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه الدية كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اعفي احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن

بين العالم

وسعيد بن جبير ومقاتل وغيرهم ولما كانت الاية مشتملة على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون القصاص ازالة الحيوة وازالة الشيء لا يكون نفس ذلك الشيء فالمراد ولكم في شرع القصاص حيوة واي حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا اقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل ولم يقتل ولم يُقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القران حيوة القلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع وكقولهم اكثروا القتل ليقل القتل واوجز ذلك قولهم القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للاية من وجوه الاول ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس انفى للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خصص بقيل القتل قصاصا انفى القتل ظلما طال والاية تفيد هذا المعنى من غير تقدير وتكلف الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الاية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هو الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة فالتنصيص على المقصود الاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن وانه في كلامهم لا في الاية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتمد عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الاية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة التركيب والاية مع غاية وجازتها فيها السبب والوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم نقيض كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الاية جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة مرعية في الاية لمكان التضاد بين لفظي القصاص وحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الاية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي كشفه فلان وانه لكما يليق بهم العاشر اشتمال الاية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الاية واحدة وفي كلامهم ثنتان وان اعتبر التنوين في الاية نقصت الادوات وبقي زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء فاين الوجازة يا اولي الالباب يا ذوي العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو بمعنى صاحب واولات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال واعراب اولو كاعراب جمع المذكر السالم وزادوا في اولى واوا فرقا بينها وبين الى الجارة او لو عليه واللب العقل ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء والذين يتفكرون في العواقب ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة او لعلكم تتقون نفس الخوف لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقي على الاية بحث وهو انه يسئل اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو يموت لان المقدر من عمره ذلك القدر وكذا اذا هم انسان بقتل اخر فارتدع خوفا عن القصاص فان ذلك الاخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان كل وقت صح وقوع قتل صح وقوع موت فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل سبب بدور مسببه معه وجودا وعدما وشرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سبب الحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فارتدع عما هم فيه ففايدة شرع القصاص هي فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكر فايدته منكر فايدتها وكلا الانكارين مذموم وصاحبها عند العقلاء ملوم والله تعالى اعلم **التاويل** كما كتب القصاص في قتلاكم كتب على نفسه الرحمة في قتلاه وقال من احبني قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان متوجها اليه تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى محبته لم يكن مستحقا بكمال محبته فمن عفي له من الاحياء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معروف من معارفه فالواجب على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك الوفاء بملابسة والتجلبب بالحياء فله عذاب اليم فان الكفران مرتعه وخيم ولكم في القصاص حيوة الدارين والبقاء برب الثقلين يا اولي الالباب الذين بذلوا قشر الروح الانساني عند شهود الجلال الصمداني لعلكم تتقون شرك وجودكم

كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين

والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ۝ فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ۝ فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ۝

القراءة خاف بالامالة حيث كان موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالتخفيف من الايصاء **الوقوف** خيرا لان قوله الوصية مفعول كتب وانما لم يؤنث الفعل لتقدمه ولاعتراض ظرف وشرط بينهما او الوصية مبتداء وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم ابتدأ الوصية والوصل اولى لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين وان كان بعدها فاء التعقيب لانه حكم آخر يبدلونه عليم لذلك عليه رحيم

التفسير هذا حكم آخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لان في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء فالاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وزيف بانه ترك الظاهر لا شك ان الخير قد ورد في القران بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد من خير فقير فمن يعمل مثقال ذرة خيرا لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال مطلقا قليلا كان او كثيرا بدليل قوله من خير فقير فمن يعمل مثقال ذرة خيرا وانه تعالى اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل او كثر قال تعالى وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الاية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال يفهم منه ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى فانه يراد بكثير النعمة وان كان احد لا ينفك عن نعم الله وهو باب من المجاز المشهور ينفون الاسم عن الشيء لنقصه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لندرة من يموت فاقدا اقل ما يتمول ثم القائلون بهذا اختلفوا في ان المسمى بالخير في الاية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف المرء لمقدار من المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا لا ينافي في اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل على مولى لهم في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي قال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير وليس لك كثير مال وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلثة الاف قالت كم عيالك قالت قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب معنى الايصاء لا معنى الكتب اعني على رفع الوصية بكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف بمعنى الوصية ولا يحتاج الى الجواب والاقربين قيل هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من سوى الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير واوصى للغني لم يكن معروفا ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لولد الولد البعيد مع حضور الاخوة لم يكن ما يأتيه معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين آثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم ان الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم نسخها وقال معناها كتب عليهم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم ولا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت فالوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين ولو قدرنا حصول المنافاة فهذه الاية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم ان الميراث تخرج القريب الوارث ويبقى القريب الذي لا يكون وارثا داخلا في الاية وذلك ان من الوالدين من لا يورث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال

ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوي رحم فاية الميراث مخصصة لهذه الاية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الاية منسوخة قالوا نسخت باية المواريث او بالاجماع او بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى لحق بالمتواتر فيجوز نسخ القران به عند الجمهور ومن الايمة الامة من قال هي منسوخة في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن البصري ومسروق وطاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الاية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث اما باية المواريث او بقوله لا وصية لوارث او باجماع الامة فبقيت الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال صلى الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب وهؤلاء القائلون بان الاية ما صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصري هم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا يرثه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن طاوس ان الاقارب كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله فمن غير الايصاء او ما قاله الميت فاوصى به عن وجهه ان كان موافقا للشرع بعد ما سمعه وتحققه فلا معنى للسماع لو لم يقع العلم به والمبدل اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل المنهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية عن الموضع الذي بين الله تعالى الوصية فيه فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للابعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين فاوعدهم على تركها فانما اثمه ما اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يواخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الانسان اذا امر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لا يعذب بنياحة غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حدتها ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل فاتى وعيد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا والخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فسئل انه انما يصح في امر منتظر مظنون والوصية وقعت وعلمت واجيب بان المراد ان هذا المصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التاويل او شاهد فيه اثما اي تعمد بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات ذلك وقبل تحقق الوصية ياخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على ما ابرم الا بانه فكان الموصي يقول وقد حضر الوصي والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب او ان اريد فلانا مع انه غير مستحق لزيادة او انقص فلانا مع انه مستحق الزيادة فعند ذلك يصير السامع خائفا من جنف واثم لا قاطعا به وايضا من الجائز ان لا يستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حيوته فمن اين يحصل القطع بما فعل وقد يعدل عن الحق في اخر الامر وبتقدير ان يستقر الوصية ومات الموصي على ذلك لم يبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما نسب الى الموصي وقد يعز حينئذ الى الجنف والاثم فيحتاج الى الاصلاح بينهم برايه على وفق الشرع التفسير الثاني بان خاف بمعنى علم وقد يستعمل الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف منشاؤه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الاخر استعمالا شايعا من ذلك قولهم اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فمعنى الاية ان الميت اذا اخطا في وصيته او جار فيها متعمدا فلا حرج على من علم ذلك ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتاده والربيع وفي الاية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين اذا خاف المصلح افضاء المنازعة الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه دفع الحرج حتى لا ينافي الوجوب وفيه مع ذلك نكتة هي ان الاصطلاح بين القوم يحتاج الى الاكثار من القول لذلك قد يفضي الى الاسهاب والتكلم ببعض ما لا ينبغي فبين انه تعالى لا ياخذ على المصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلاح صحيحا ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان ان يصل رحمتي اليك ايها المصلح مع تحمل اعباء الاصلاح اولى او المراد ان الموصي الذي اقدم على الجنف والاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير في قوله فلا اثم عليه الى الموصي واعلم ان اكثر الايمة وان ذهبوا الى وجوب الوصية منسوخ باية المواريث الا انهم اتفقوا على انها الان جايزة في الثلث لما روى انه صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اني ذو مال

ولا يرثني الا ابنة لي افاوصي بثلثي مالي قال لا قال فبالثلث قال الثلث والثلث كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كانت الورثة فقراء والوصية اوسع مجالا لمن لا ارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من ساير الورثة كما لو زاد على الثلث الاجنبي فان الزايد يحتاج الى اجازة [الورثة] الله تعالى حسبي التاويل كتب على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال والاغنياء يوصون في اخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون في مبادي احوالهم عن الكل والمعنى اذا حضر قلب احدكم مع الله ومات نفسه عن الصفات الحيوانية فعليها ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت من ازدواجهما والاقربين وهم القلب والسر ترك كل مشرب يظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لرفع العادات وترك الشهوات بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب مشربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا شعر

وكل له سول ودين ومذهب ۝ ووصلكم سولي وديني هواكم ۝ وانتم من الدنيا مرادي وهمتي ۝ مناي مناكم واختياري رضاكم ۝

حقا على المتقين من الشرك الخفي ولهذا لم يقل على المسلمين والمومنين لانهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر يحتمل النسخ واحكام البواطن وهي الحكم والحقايق لا يحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله فمن غيره من الروح والقلب والسر الوصية الصادقة من نفسه الميتة فانما اثمه عليهم وسبب هذا التاكيد ان السر والقلب والروح كلهم من عالم الروحاني وصفاتهم حميدة باقية فترك مشاربها والخروج عنها صعب جدا فمن خاف تعرض من موص جنفا في ترك المشارب بان يبالغ في المجاهدات لنيل المشاهدات وانما تجاوزا عن حد الشرع في قمع الطبع فاصلح بينهم بين الروح والقلب البدن والسر ولكن نظر شيخ كامل ومرب عارف فلا حرج على المصلح حسبنا الله ونعم الوكيل

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
لعلكم تتقون ۝ اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع
خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون ۝ شهر
رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون ۝
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون ۝ احل لكم ليلة الصيام

الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن
وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا
تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها
كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون ● القراءة

فدية طعام مضافا مساكين بالجمع ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والحلواني والرازي عن هشام والبخاري فدية بالتنوين طعام بالرفع مضافا الى مساكين بالجمع الباقون مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرور فمن تطوع بتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة وجزم العين حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل القران غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان بمعنى القراءة فان عباسا فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقران الفجر ان قران الفجر ولا تعجل بالقران ان علينا جمعه وقرانه فاتبع قرانه الباقون بالهمز اليسر والعسر حيث كانا مثقلين يزيد وقوله فالجاريات يسرا ولتكملوا من التكميل ابو بكر وحماد وعباس ويعقوب ويس الباقون من الاكمال الداعي اذا دعاني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو بالياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين بي لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون لا لان اياما ظرف الصيام او الاتقاء معدودات لان المرض والسفر عارضان فكانا خارجين عن اصل الوضع اخر لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له ما قبله مسكين لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له لان التقدير والصوم خير لكم تعلمون والفرقان لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه للابتداء بشرط اخر اخر العشر قد يجوز تشكرون قريب لان قوله اجيب مستانف دعان العاء يرشدون نساءكم لهن عنكم لعطف الجملتين المختلفتين لكم لعطف المتفقتين من الفجر كذلك الى الليل وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفتان ولكل واحد شان في المساجد لان تلك مبتدا فلا تقربوها لان كذلك صفة مصدر محذوف اي بين الله بيانا كبيان ما تقدم يتقون التفسير هذا حكم اخر والصيام مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في اللغة الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اذا قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صايم وانه في الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة يعني المفطرات كالاكل والشرب والوقاع في زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولا بد في صحته من النية في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولا بد للصايم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء اغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي كرم الله وجهه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون المحافظة عليها لقدمها او المعاصي لان في الصوم ظلفا للنفس عن المعاصي ومواقعة السوء او لعلكم تنتظمون في سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل مثل دراهم معدودة واصله ان المال القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كانه قال اني رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه الشبه بين الفرضين مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة وان اختلفت الموقتات ثم ان الايمة اختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان فعن عطاء ثلاثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا ايضا فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه نسخ بصوم رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان صوما اخر كان واجبا وايضا ذكر حكم المريض

والمسافر

والمسافر في هذه الاية وفي الوقت لو ها فلو اتحدا الصوم ان كان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه الاية التخيير من الصوم والفدية وصوم رمضان واجب على التعين فجعلنا فاز والثاني هو اختيار ابي مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا الترتيب في غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلالهم الاول بانه ليس الخبر انه نسخ عنه وعن امته كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب بالشرايع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم من ثبت في شرعه ولكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا الصيام وجب بغير هذه الاية وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الاية الثانية جعل واجبا على التعين فاعيد حكم المرض والسفر ليعلم ان الحكمها نابت في رخصة الافطار ووجوب القضاء كما هما اولا وعن الثالث ان الاختلاف وسلم لكن في التخيير والتعين اما في نفس الصوم فلا وهاهنا سوال وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف يكون ناسخا التخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول بل المقدم في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتاخر منسوخا كاية الاعتداد بالحول وهكذا البحث في القران اية مكية متاخرة في التلاوة عن الاية المدنية وذلك كثير قال القفال انظر الى العجيب مما به الله علينا من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلايل فلا يكثر ولا يكثر ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي انزل فيه القران لكونه شريفا مقدسا وبين خامسا ازالة المشقة في الزامه فاباح تاخيره لمن شق عليه من المسافر والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وفي قصة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث يصدر عنها الافعال كلها سليمة فالمرض زوالها واختلف الايمة في المرض والسفر المبيحين للافطار على اقوال احدها ان اي مريض كان واي مسافر كان فله ان يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين يروى انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وعن داود الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها ان المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يودي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه وبين ما يودي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتد حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد اذن ما يوثر الصوم في تقويته ثم يعتد به والتاثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص لا يعرف فيه بيان فيعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال الرجال واخلاقهم وعن الزهري يحتمل مسافر الكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه الى الارض الفضاء قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي مقدر بستة عشر فرسخا ولا تحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم هي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف ما اذا تكرر في يومين فحينئذ يناسب الرخصة ولما روى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي ايضا ان عطاء قال لابن عباس اقصر الى عرفة فقال لا فقال الى مر الظهران فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطايف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا تحصل الا في ثلث مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله صلى الله عليه وسلم على انه لا تحصل الاقامة اقل من يوم وليلة لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة يصير مقيما وكذا قوله والمسافر ثلثة ايام لا يوجب ان لا يحصل في اقل من ثلثة ايام وايضا الترجيح للافطار لقوله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته وانما قيل او على سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يبيح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف المرض فانه صفة قائمة به ان حصلت حصلت والا فلا وعدة فعلة من العد بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى المطحون وعلم المراد من هذا وانما قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات للعلم بانه لا يوثر عدد على عددها وانه لا يتاتى الا بمثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة واخر جمع اخرى تانيث اخر وانه غير منصرف للصفة والعدل عن الاخر منكرا واعلم ان قوما من علماء الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام في السفر قضى في الحضر واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولان قوله يريد الله بكم اليسر ينبي عن ارادة الافطار ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وهذه رواية بدل لام التعريف بميم التعريف

وقوله الصايم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجي من قوله
تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة ان حمزة الاسلمي سال النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله هل اصوم في السفر فقال صم ان شئت وافطر ان شئت قالوا وفي الاية اضمار التقدير فمن كان مريضا او على سفر
فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من راسه ففدية اى فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء فعن الشافعي وابي حنيفة ومالك
والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طايفة الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي واحمد
واسحق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم
يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي وغيرهم
انه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده قراءة فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلثة اقوال الاول وهو قول اكثر
المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين الصيام الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين والفدية في معنى الجزاء
وهو عبارة عن البدل القايم عن الشي وانه ههنا عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي
هو من غالب قوت البلد لكل يوم مد ويصرف الى الفقير المسكين قالوا كان في بدو الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص
لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدي حتى
نزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسختها من قرا باضافة الفدية الى طعام فالاضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرا مساكين على
الجمع فلان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مائة وثلثة و
سبعون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان المريض والمسافر من لا يطيق اصلا واليه الاشارة بقوله فمن
كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة وهو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا هذا اولى لانه لم
النسخ اقل فان نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق اقل من نسخ التخيير عنه وعن الصحيح المقيم الثالث انه نزل في الشيخ الهرم عن السدي وعلى
هذا لا تكون الاية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اى يكلفونه او يقلدونه والتركيب
يستعمل فيمن يقدر على شي مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع اذا خافتا على نفسيهما وولديهما و
اتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما الفدية والقضاء والفدية لحق الوقت وقال
ابو حنيفة لا يجب الا القضاء كيلا يلزم الجمع بين البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم المسكين الواحد اكثر من القدر
الواجب او صام مع الفدية عن الزهري فهو اى التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم متاعب الصيام خير لكم
من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم اشق
عليكم وان اجركم على قدر نصبكم او تعلمون بالله فتخشونه وتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوايد
البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصايم فرحتان
حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال
له الريان يدخلون منه الصايمون يوم القيامة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من فطر صايما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصايم شيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر من
ان تحصى ولم يكن فيه الا التشبه بالملكة والارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة
لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة واما صوم الطريقة فالامساك عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واحل وصوم الحقيقة
الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن شعر صمت عن غيره فلما تجلى كان لي شاغل عن الافطار وتشوقت مدة ثم لما ازدني
جل عن مدى الانظار قوله عز من قائل شهر رمضان الشهر ماخوذ من الشهرة وعن مجاهد رمضان اسم الله تعالى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله تعالى وعلى هذا شهر رمضان اى شهر الله والاكثرون على انه اسم
علم الشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر
ياتي وقت الخريف ويطهر وجه الارض عن الغبار فسمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر
من وقع الشمس والارض رمضاء وفي الكشاف الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع كما
سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اى يزعجهم بشدته عليهم او لان الذنوب ترمض فيه اى تحترق وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

انما سمي رمضان لانه يرمض ذنوب عباده وكان هذا من قولهم رمضت النصل جعلته بين حجرين املسين ثم دققته ليرق وعن الازهري
انهم كانوا يرمضون اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن
اللغة القديمة سموها بالازمنة القديمة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك شهر رمضان يجمع على رمضانات
وارمضاء واضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يتلفظ بالشهر جاز كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا الحديث
لان التسمية وقعت وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القران او على انه بدل من الصيام كانه في قوله كتب عليكم الصيام او
على انه خبر مبتدا محذوف اى هي اى الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول مع صلته صفة لشهر رمضان
قال ابو علي هذا اولى ليكون نصا في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزال القران فيه وقرى بالنصب على صوموا شهر رمضان او على
الابدال من اياما او على انه مفعول وان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان تصوموا ومعموله بالخبر وفايدة وصف
الشهر بانزال القران فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك انه كما اختص باعظم ايات الربوبية ناسب ان يختص باشق
سمات العبودية فيتقد رهض النفسية في العبد في مدارج الانس ويصل الى معارج القدس ويخرق له الحجب الناسوتية
ويطلع عليه الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القران ويتبدل له العلم بالعيان وكان حينئذ من العجايب ما كان وفي انزال القران في رمضان
اقوال فعن سفيان بن عيينة انزل في فضله القران كما تقول انزل في علي كذا وقال ابن الانباري انزل في ايجاب صومه على الخلق القران
كما تقول انزل الله في الزكوة كذا اى في ايجابها وانزل في الخمر كذا اى في تحريمها والقولان متقاربان او هما واحد فانه لم ينزل سوى
قوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام الايات واختيار الجمهور ان الله تعالى انزل القران في رمضان عن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين ثم انه لا شك ان القران
قد انزل منجما مفرقا على حسب المصالح والوقايع فاولت الاية بان المراد ابتداء فيه انزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول
هي التي يورخ بها لشرفها وانضباطها هذا قول محمد بن اسحق وانه انزل جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما و
ليس يبعد ان يكون للملايكة الذين هم سكان السماء الدنيا مصلحة في انزال ذلك اليهم وفيه مصلحة للرسول من حيث توقع الوحي من
اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبرئيل المامور بالانزال والتادية ولاسيما على راي الفلاسفة الذين جبرئيل عندهم هو العقل الفعال
الاخير الذي يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان وعلى هذا القول يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القران من اللوح المحفوظ
الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم نزل على محمد صلى الله عليه وسلم منجما الى اخر عمره ويحتمل ان يقال انه سبحانه كان ينزل الى السماء الدنيا
ليلة القدر كل سنة ما يحتاج اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى ان تم انزاله وعلى هذا يكون تعين رمضان الذي انزل فيه القران
نوعيا لا تخصيصا هدى للناس وبينات منصوبان على الحالية اى انزل وهو هداية الناس الى الحق وهو ايات واضحات مكشوفات
من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل من الكتب السماوية وسر ذلك ان الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي مشتبه فوصفه اولا
بجنس الهداية ثم قال انه من نوع البين الواضح ويحتمل ان يقال القران هدى في نفسه ومع ذلك ففيه ايضا بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون
المراد بالهدى والفرقان التورية والانجيل او يقال الهدى الاول اصول الدين والثاني فروعه ويزول التكرار نقل الواحدي عن الاخفش و
المازني ان الفاء في فمن شهد زائدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا وهم لظهور كونها للجزاء كانه قيل لما علمتم اختصاص هذا الشهر بفضيلة
انزال القران فيه فانتم ايضا خصوه بهذه العبادة ومعنى شهد اى حضر ثم قيل ان مفعوله محذوف والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء
في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقوله شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان الشهر فالمعنى فمن شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم
البلد والمقام فليصم في الشهر وصاحب هذا القول ارتكب الاضمار حذرا من لزوم التخصيص في حق المسافر الا انه يلزمه ما فرضه ايضا لك
لان الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع انه لا يجب عليهم الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل شهدت عصر فلان وادركت زمانه
فلا يلزم منه الا احد الامرين وهو التخصيص بقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فيكون اولى من الاول لان الاضمار والتخصيص
اذا تعارضا فالتخصيص اولى فكيف اذا وقع الاضمار والتخصيص في جانب والتخصيص وحده في جانب هذا ما قاله الامام فخر الرازي معترضا
به على صاحب الكشاف وغيره قلنا الانصاف ان الترجيح مع صاحب الكشاف لان لزوم الاضمار في الاية ممنوع وذلك ان شهد ههنا متروك
المفعول كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من كان على حالة الحضر سواء كان في البلد او في منزل من المنازل ويعني الاقامة واما
التخصيص فمشترك على القولين الا انه على قول صاحب الكشاف اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعد
ذلك وعلى سفر تكرارا قلنا انما اعيد ليرتب عليه حكم القضاء كالمريض وايضا لا يلزم من ايجاب الصوم على الحاضر عدم ايجابه على المسافر ولو
بالمفهوم اولا وبالمنطوق ثانيا فاين التكرار وانما وضع المظهر وهو الشهر مقام المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشانه واعلاء لمكانه
وتمكينا في القلوب وتعظيما في النفوس كقولهم ان تسالوا الحق يعطه الحق سائله وههنا بحث وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه

جملة شرطية ومالم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه الجزاء والشهر عبارة من اوله الى اخره فظاهر الاية يقتضي ان الصوم لايجب عليه الا
عند شهود الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل في الزمان المنقضي واجيب بان المراد من الشهر جزء من اجزائه وهذا مجاز مشهور و
المعنى من شهد جزءا من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم ان كان هذا الجزء من اول الشهر كما لو شهد هلال رمضان فهذا موافق لما نقل عن علي
كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا عام يدخل فيه الحاضر والمسافر
الا ان قوله ومن كان مريضا او على سفر خصصه وان كان في اثناء الشهر فيوافق قول ابي حنيفة ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر انه قضا
ما مضى فلا حاجة الى ارتكاب التجوز وهو اطلاق لفظ الشهر على جزء من اجزائه ولا يلزم منه المحال المذكور اذ المراد من شهد الشهر اجمع و
لكن بحيث قد وجد منه الصوم في جميع ايامه او المراد من عزم على كونه مقيما في الشهر فليصمه ويعلم منه انه ان كان حاضرا في بعضه يتعلق
ايجاب الصوم بذلك البعض فقط بدليل قوله ومن كان منكم مريضا او على سفر فانه لما علم الوجوب للحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم
الحكمان جميعا الحاضر في بعضه والمسافر في البعض فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه والصوم فيه عبادة مستقلة وكان ما نقل عن علي
كرم الله وجهه امر الزامي بحرمة الشهر كما انه لو ادرك الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة وفي قول تكبيرة لزمها قضاوها
اذا طهرت واما ان شهر رمضان بم يثبت حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا
العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما ومهما شهد عند القاضي عدل واحد انه راى الهلال ثبت لما روي ابن عمر انه راى الهلال وحده فشهد
عند النبي صلى الله عليه وسلم فامر الناس بالصوم ولما روي ان عليا كرم الله وجهه شهد عنده رجل على رؤية هلال رمضان فصام وقال الصوم يوم
من شعبان احب الي من ان افطر يوما من رمضان وللاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر الشهور الا برؤية عدلين وعند ابي حنيفة
يثبت هلال رمضان في الغيم بواحد وفي الصحو يعتبر الاستفاضة واذا راى في موضع شمل الحكم لمن هو على ما دون مسافة القصر منه و لا
يجب الصوم بذلك على من هو على مسافة القصر يريد الله بكم اليسر معناه في اللغة السهولة ومنه اليسار للغنى لانه يتسهل به الامور وتتيسر المقاصد واليد اليسرى
لبقائها على اليسر اولان الامور تتسهل بمعاونتها اليمنى والعسر نقيضه وفي الصحاح قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم واوسطه
ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه اوجب الصوم على سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما اوجبه
على المريض والمسافر وبهذا يتحقق صدق قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء ومن كمال رافته تعالى انه نفى الحرج او لا
ضمنا بقوله يريد الله بكم اليسر ثم نفاه صريحا بقوله ولا يريد بكم العسر والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان
يستدل به على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق والمعتزلة تمسكوا بالاية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه
على الصوم حتى اجهده فقد فعل ما لم يرد الله منه اذ كان لا يريد العسر واجيب بانا نحمل اللفظ على انه تعالى لا يامره بالعسر وان كان قد يريد به
العسر فان الامر عندنا قد يثبت بدون الارادة كما انه يجوز ان يامر ولا يريد جاز ان يريد ولا يامر قوله ولتكملوا اجمعوا على ان الفعل المعلل
محذوف فمن القراء التقدير ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكر وهو الامر لصوم العدة وتعليم
كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم
من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي ان تشكروا علة الترخيص والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل مضمر
مقدر قبله كانه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا والفرق اي حذف النون في الاول للنصب وفي هذا للجزم ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون
يبقى في هذا الوجه غير مربوط بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا وفيه ايضا بعد ويحتمل ان يقال ولتكملوا معطوف على اليسر كانه
قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا وانما قيل لتكملوا العدة ولم يقل ولتكملوا الشهر ليشمل عدة ايام الشهر
وعدة ايام القضاء جميعا وعدى فعل التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي ولتكبروا الله حامدين على ما هديكم والمراد بالتكبير قيل انه
تعظيم الله تعالى والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان يقر بصفاته
العلى بصفاته واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به من ند وصاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يعتد به الا مع الاعتقاد القلبي
واما العمل فالتعبد بالاوامر والتبعد عن النواهي وهذا لا يختص بوقت اكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير
الفطر وانه مشروع في العيدين لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر والاضحى رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى ياتي
المصلى واول وقته في العيدين جميعا غروب الشمس ليلة العيد وعن احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانما يكبر في يومه لنا قوله تعالى
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم قال الشافعي سمعت من ارضى من اهل العلم بالقران يقول لتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان
ولتكبروا الله عند اكمالها واكمالها بغروب الشمس اخر يوم رمضان واما اخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يحرم الامام بصلوة العيد
لان الكلام مباح الى تلك الغاية والتكبير اولى ما يقع به الاشتغال والمسنون في صيغته ان يكبر ثلاثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة
يكبر مرتين لنا الرواية عن جابر وابن عباس وايضا فانه تكبير موضوع شعارا للعيد وكان وترا كتكبير الصلوة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله وحسن

واستحسن في الام ان يكون زيادته ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله
بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر قال في الشامل والذي تقوله الناس لا باس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله
والله اكبر الله اكبر ولله الحمد ويرفع الناس اصواتهم بالتكبير ليلتي العيد في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سفرا كانوا وحاضرين
وفي اليومين في طريق المصلى وبالمصلى الى الغاية المذكورة سواء يصلي المكبر مع الامام ولا ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى
واختلف في ان التكبير في اي العيدين اوكد ففي القديم ليلة النحر لاجماع السلف عليها وفي الجديد ليلة الفطر لورود النص فيها قوله
سبحانه واذا سالك عبادي عني وجه اتصاله بما قبله هو انه لما امر العباد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر نبههم على انه مطلع على ذكرهم
وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب رجاءهم وانه امرهم بالثناء ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها على حسن
الطلب وسبب نزوله ما روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كان في غزاة
وقد رفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلى الله عليه وسلم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا وعن
قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا فنزلت وعن عطاء انهم سالوا في اي ساعة ندعو فنزلت وقيل فرض عليهم الصيام
كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصائم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا وتيهم في ذلك التكليف ثم ندموا وسالوا
النبي صلى الله عليه وسلم عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم وبهذا الوجه تصير الاية
مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل ممن يجوز التشبيه فيسال
عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا او
كيفية الاذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة وهل اذن ان ندعو كيف شئنا او ما
اذن الا بان ندعوه على وجه معين كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان السؤال
كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع واطلاق قوله اذا دعان يرشد الى
الاذن في الدعاء على اي نحو اراد ما لم يتجاوز قانون الادب عرفا كقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب ههنا
بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس ومنقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر ممكن في
تحققه الى اجزائه وكل مفتقر ممكن وايضا كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي
الابعاد او من جانب واحد فكذلك مع ان كونه بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء
مختلفة الطبائع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل بالاتفاق وايضا هذه الاية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة
لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا
عن المغرب فقالوا فثبت ان المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة
انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم و
بين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجودها لما كان بايجاد الصانع فهو كالمتوسط بين
ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجود تلك الماهية اليها بل ماهية كل شيء انما صارت هي هي بجعل الصانع حتى
ماهية الوجود فيه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها
قلت استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي
الابعاد مختلفة ونفاها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قائم عليها قريب منها اقرب من وجودها اليها
لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بضرب اخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شنعة
الجهال شعر دعرت اليها احذار الرقيب وكتمان سر الحبيب حبيب اذا ما تلا اشيت في نودة يقول لي ادع فاني قريب ان سالوه اين
ربنا صح الجواب باني قريب وان سالوه هل يسمع ربنا دعاءنا صح الجواب باني قريب وان سالوه كيف ندعو ربنا بالصوت ام بالخفاء صح ان
يجاب باني قريب وان سالوه هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صلح في الجواب فاني قريب وان سالوه اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح
ان يجاب باني قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم ان الدعاء مصدر دعوات ادعوا وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا
وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية والاستمداد والمعونة قال بعض الظاهريين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب
ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا فلا لان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد
فيها شيئا ولا ينقص ولان المقصود ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات

الصديقين الرضا بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك ولان الدعاء شبه بالامر والنهي وذلك خارج
عن الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العلماء ان الدعاء
من اعظم مقامات العبودية لانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة
بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول
والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقاً بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع
الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره وما روي عن جابر ان جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا
كانا خلقنا الان ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير
قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله منبه على ما قلنا فانه صلى الله عليه وسلم علقهم بين الامرين رغبهم بسابق القدر
ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حيوته للعمل الذي سبق به القدر قبل وجوده
الا انك يجب ان تعلم الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان
الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في
الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سبباً لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شيء
من ذلك خارجاً عن قانون القضاء السابق وناسخاً للكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة
العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستعلاء الى حضيض الاستكانة
والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفاً بالله تعالى وعالماً بانه لا يفعل الا ما وافق مشيئته وسبق
به قضاؤه وقدره ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الامارة راجياً فيما عند الله من الخير خائفاً
من الاقدام على موقف المسائلة والمناجاة وان يكون استجابته صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقاً بالاجابة وجديراً بالقبول وان
يعود بركته عليه قال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما
ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما
استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب
دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها
وجوهكم واما شرائط الدعاء فبما بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واغذاء له بلقمة الحلال وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل
الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب
لذلك وذكر المحققون ان الدعاء مفتاح باب السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر
له وعن ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قالوا فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة
وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه انه صلى الله عليه
وسلم قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا ترد
دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي وجلالي لانصرنك
ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي فقال النبي صلى الله عليه
وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء
وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى علي فلا تجعلوني كغمر
الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه وآخره ومن لطائف الآية انه تعالى قال فاني قريب دون ان يقول فقل اني قريب كما قال في سائر
الاسئلة والاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
يسألونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وهذه الاسئلة اصولية يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
ويسألونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسألونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول ويستنبئونك احق هو قل اي وربي يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا وكأنه سبحانه يقول عبدي انت انما تحتاج
الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك وايضاً في مقام السؤال قال عبادي وهذا يدل على ان العبد له وفي

مقام الاجابة قال فاني قريب وهذا يدل على ان العبد وايضاً لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه اشارة الى ان ما للتراب
ورب الارباب وانما يصل من حضيض الامكان الثاني الى ذروة الوجوب والبقاء بفضل الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجابة
استجاب بمعنى واستجاب له اي فليمتثلوا امري اذا دعوتهم للايمان والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا
الاستجابة وليؤمنوا بي كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ارادة ان يكونوا من الراشدين المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى
هي المستتبعة للجزاء عاجلاً وآجلاً من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
وفي ضده ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى وحاصل الكلام اني اجيب دعاءكم مع اني غني عنكم على
الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه وفيه نكتة وهي انه تعالى لم يقل اجيب دعاء
كلا يصير المذنب محروماً عن هذا الاكرام بل قال انا اجيب دعاءك على جميع احوالك فكن انت ايضاً مجيب الدعاء وهذا يدل على ان
دعاءه تعالى شاملة ورحمته كاملة تعم المطيعين والمذنبين والتائبين وقيل الدعاء في الاية هو العبادة لما روي عن النعمان
بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله وقيل المراد من الدعاء التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة
قوله عز من قائل احل لكم جمهور المفسرين على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزل كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب وصاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وصلى العشاء
ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك التيسير لمن بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائماً
فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم يأكل ليلته ويومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري او صرمة بن قيس او قيس بن عمر وعلى
اختلاف الروايات كان صائماً فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته
عينه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت احل لكم ففرحوا فرحاً
شديداً وابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم
على هذه الامة بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت
الحرمة ثابتة فهذه الاية رافعة لها ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا
يمتنعون من الاكل والشرب والوقاع اعتقاداً منهم بقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس
الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالحرمة فلا جزم بالنسخ ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى
الخيانة قيل ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول
الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديراً بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا
بما كانوا يصنعون بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب واكتسب وتكسب
والمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو تكونان بعد
المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان
والعفو التسهيل والتوسعة والتخفيف قال صلى الله عليه وسلم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهماً
درهم وقال اول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله والمراد التخفيف بتأخير الصلوة الى آخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفواً اي سهلاً
فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار آحاد لا يوجب شيء منها
حمل القرآن على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام فان الواحدي اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع
ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف والرفث الجماع ايضاً الفحش من الكلام وكلام النساء في
الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميساً ان تصدق الطير ننك لميسا أترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما روجع
النساء هميساً اي مشياً ليناً ولميس اسم امرأة اي ان يصدق الفال ننكها وقال ابو علي معناه الفرج وقال جامع الرجل وناك فاذا اردت
الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان او
المس ونحوها كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء في قوله
بهن فاتوا حرثكم فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجاناً لما وجد منهم قبل الاباحة او البيان كما سماه اختياناً لانفسهم قال الاخفش انما عدي
الرفث بالى لتضمنه معنى الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فيضم جسد احدهما الى جسد

صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال
الجعدي شعر اذا ما الضجيع ثنى عطفها ۝ تثنت فكانت عليه لباسا ۝ او يمنعه الستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج
فقد احرز ثلثي دينه او المراد تستر بها عن جميع المفاسد التي يقع في البيت لو لم يكن المراة حاضرة كما يستر الانسان بلباسه عن الحر والبرد
وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للاخر في ذلك المحظور الذي كانوا يفعلون وضعف بان هذه القرينة
واردة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس اما لانه جنس واما لانه مصدر لابس وضع موضع الصفة وموقع قوله
هن لباس لكم استيناف لانه كالبيان لسبب الحلال فان مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه او
هو عالم ولم يذكر في الاية ان الخيانة فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تاخر هو مثله بدليل فالان باشروهن فتعين ان يكون
المراد به الخيانة في الجماع ومن المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه
جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب وقيل ان الاية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو دام هذا التكليف
تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من الغاء الفضيحة اي قبل توبتكم وعلى قول ابي
مسلم لا اضمار فالان باشروهن تاكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب من البيان وان حل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها
حتى الصباح والجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يباشر الرجل الرجل والمراة المراة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم ولان
الرفث اريد به ذلك الا ان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه فصح ما نقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ورجع النزاع لفظيا
واما المباشرة في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ولا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع عن الجماع لا يدل
على المنع مما دونه من الاستمتاعات وابتغوا ما كتب الله لكم جعل وقضى او كتب في اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها
ولكن للغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهة
ذلك وعن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا باس ان يعزل عن الامة وعن علي كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا
المحل الذي حلله الله لكم كقوله فاتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد ان كانت محرمة عليكم و
عن ابي مسلم وابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات التي خلال ولا
اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة وهو الذي
كتب في القران الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب
الله من الثواب لكم ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان توزع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية
ولا يتفرغ المكلف حينئذ لطلب ليلة القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه فالان باشروهن لتفرغوا لطلب الغاية من
صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين
اسود وابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر من الليل ولا يستبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل كنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بلاهة عدي وقلة فطنته وفي الصحيحين ايضا عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط
احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يكاد يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا
انه انما يعني الليل والنهار واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره
عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض عن اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق
كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو داود شعر فلما اضاءت لنا سدفة ۝ ولاح من الصبح
خيط انارا ۝ والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة اولا ثم لما اشتبه الامر على بعض من لا دربة له باللغة العربية
نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغني به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة
الى التشبيه البليغ كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل
في الفصاحة من حيث انها استعارة كاملة في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى فالفصاحة في هذا المقام تركت
الاستعارة وليس هذا من باب تاخير البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار
لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى العارف بقوانين العرب واستعمالاتهم لا بالاضافة الى الاغبياء نعم التفهيم يعم البليد والذكي
والله المستعان ولا يسبق الى الوهم ان المشبه بالخيط الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه يناقض ما ورد في الخبر لا يغرنكم

الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو ايضا يبدو دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا
اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما انفجر من الضياء اي انشق وبين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين
اتصلا عرضاه فالذي ينتهي اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتداء منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعالى
واختلاف الليل والنهار فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية
فدلت الاية على ان حل المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا
الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن جنسه بل على حرمة الوصال
ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف
ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله انك تواصل فقال اني لست
مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او اني على ثقة باني لو احتجت اطعمني من الجنة او اني اعطيت قوة من طعم وشرب
والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك كان
بالخيار في الاستيفاء الا ان يخاف التقصير في الصوم المستانف او في سائر العبادات فيلزم حينئذ ان يتناول بمقدار الحاجة وقد يتشبث
الحنفي بالاية في جواز النية في نهار رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل
صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول الاقل ملحق بالاغلب فابطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله
صلى الله عليه وسلم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ويروى من لم ينو وانما جوز في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه صلى الله عليه وسلم
كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم او اني اذا صائم وايضا فلا يجب اتمام الصوم النفل لقوله ثم اتموا
والامر للوجوب الشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختصص به واعلم انه سبحانه خصص بالذكر من المفطرات الرفث والاكل والشرب لان
النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الاية او استفيدت من السنة فمنها الاستمناء لان الايلاج من غير الانزال مبطل فالانزال
بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس او القبلة دون الفكر والنظر بشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند
احمد ان كرر النظر حتى انزل افطر ومنها الاستقاء لقوله صلى الله عليه وسلم من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض
ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء او دواء او لا فالحلق جوف وكذا باطن الدماغ
والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل
الى الدماغ ولا باس بالاكتحال وليست العين من الاجواف وانه صلى الله عليه وسلم اكتحل في رمضان وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا
[illegible]

بانا نتعبد بما نطلع عليه ولا معنى للصبح الا ظهور الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل واذا كان الشخص عارفا بالاوقات
ومنازل القمر وكان بحيث لا حايل بينه وبين الفجر وترصد فمتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر وحينئذ يحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل
الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على اخره وجعل الخيط الابيض وقت الطلوع والخيط الاسود ما اتصل به
من اخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت و
الفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال له الاعمش انك لثقيل على قلبي وانت في بيتك فكيف اذا زرتني
فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال لماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره يعني انه كان ياكل بعد الفجر الثاني قبل طلوع
الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الاكسال فلا صلوة له واعلم ان في الاية ترتيبا عجيبا ونسقا انيقا وذلك الرفث لما كان من اشنع الامور التي
يجب الامساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد وقعت الخيانة كما مر في الاخبار قدم اباحته
اولا ثم بين السبب في اباحته ثم وبخ المختانون في شانه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته ليرتب عليه الغرض الاصلي من الرفث
وهو طلب النسل وليعطف عليه اباحة الاكل والشرب جميع ذلك الى اخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما ابيح فيها بين مدة الصوم
الذي هو المقصود الاصلي وتلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم وليلته اعني من اول الفجر الصادق
الى غروب الشمس ثم لما كان زمان الاعتكاف مستثنى من ذلك لانه فهم من الاية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلة ولا بسائر
السنة ولياليها عقب اباحة الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حالة الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
قال الشافعي الاعتكاف حبس المرء نفسه على شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى
تقربا اليه وهو من الشرايع القديمة قال تعالى وطهر بيتي للطايفين والعاكفين وللائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح
قوليه ووافقه ابو حنيفة واحمد انها الجماع ومقدماته المفضية الى الانزال لان الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه
الحقيقة مادام في المعتكف وحين يخرج لحاجة ولم يتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والعناق وكل ما فيه تلاصق البشرتين خالفنا الدليل فيما
اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة فيها وقد علم ان المس بغير شهوة جايز لانه صلى الله عليه وسلم كان يدني راسه من عايشة لترجل راسه
وهو معتكف فبقي ما فيه الشهوة على اصل المنع احتج من قال انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا يبطل الصوم والحج فلا يفسد الاعتكاف لانه
ليس اعلى درجة منهما واجيب بان النص مقدم على القياس واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه متميز عن ساير البقاع من حيث انه بني
لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى طهرا بيتي للطايفين والعاكفين اي لجميع العاكفين
وعن عطا انه في مسجد المدينة لقوله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة
فيهما وفي مسجد بيت المقدس لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري
لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام راتب ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان
الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي يجوز لانه بغير صوم عاكف
وانه تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف مع الصوم افضل موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف
في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف
في رمضان وايضا لو تلازما لخرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر رضي قال يا رسول الله اني نذرت
في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليلة ابو حنيفة لا يجوز لانه يجب الصيام
في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة حال الاعتكاف وهو ان الصلوة لما لم يجب فيه بالنذر بالاجماع لم يجب بلا نذر
ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متقاربان فكل منهما كف وامساك والصلوة افعال المباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل
احدهما وصفا للاخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صايما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا
لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط
ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة
الى جميع ما تقدم من اول اية الصيام الى ههنا لا الى عدم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حد واحد اللهم الا انه اراد امثال تلك الحالة وحد
الشي مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعلل فقدرها بمقادير
مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال ههنا فلا تقربوها وفي موضع اخر فلا تعتدوها لان العامل بشرايع الله اوامر او نواهي متصرف في حيز
الحق فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي هو المقصود الا ان الاحوط ان لا تقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل
كيلا يداني فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات

لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك
ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى حمى الله محارمه وقيل لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل الاحكام
المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوا تلك الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها
اي اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به ونهاكم عنه في هذا المقام بين ساير ادلته على دينه وشرايعه ارادة ان يتقي
الناس التقوى جعلنا الله تعالى من المتقين بفضله ورحمته والله الموفق **التاويل** صوموا لرويته وافطروا لرويته الضمير
عايد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم فصوم اللسان عن الكذب والنميمة وصوم العين عن محل الريبة
وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا فقس الباقي وصوم النفس عن التمني والشهوات وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم
الروح عن نعيم الاخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على ابايكم واجزايكم فانها كانت صايمة عن
المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون مشارب المركبات
وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانيات والروحانيات فحين افل كوكب استدعاء الحظوظ الفانية تطلع شمس حقوق الملاقاة الروحانية
الباقية كما قال صلى الله عليه وسلم للصايم فرحتان عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له فترة في السلوك
لمرض غلبات صفات النفس وكسل الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى يدركه
العناية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الاعطاف فعدة من ايام اخر في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في
صدق الطلب طعام مسكين فالطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويغتنم بر فيدفع تلك
المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مواهب الحق وشراب مشاربه وهو معنى ابيت عند ربي يطعمني
ويسقيني فمن تطوع خيرا فمن زاد في الغداء اي كلما فطم من مشرب وسقي من مشرب اخر فيدع ذلك المشرب ايضا الى ان يصير مشربه
المشارب كلها ودوام الصوم كقوله وان تصوموا خير لكم فينزل فيه حقايق القران وهذا معنى قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران
فيكون على مادبة الله لا بمعنى انه ياكل من المادبة فانه دايم الصوم ولكن المادبة تاكل حتى يفنيه عن وجوده ويبقيه بشهوده فيكون خلقه القران
وحينئذ يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال وبينات من الهدى والفرقان فيقال له اصبت فالزم وهو معنى قوله فمن شهد
منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد ناداني ربي وقال انا بدك اللازم فالزم بدك رمضان يمحض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم رمضان
اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غيره يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من الرياضة و
المجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا لمراد حصول الصحة لا لذاقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لو لم يرد بنا اليسر لم يجعلنا طالبين اليسر
شعر لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا ولتكملوا العدة انواع الفوايت تجد بات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا
الله لتعظموه عظما هداكم الى عالم الوصال بالتجلي صفات الجمال ولعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال والحلة
الوهم والخيال قوله سبحانه احل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تلونات في الاحوال فتارة تكون بحكم غلبات الصفات الروحانية في
ضياء نهار الواردات الربانية وحينئذ يصوم عن الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة تكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية
مردود الى ظلمات الصفات الحيوانية وهي حالة الصحو فخصه الله تعالى بنهار كشف الاستار وطلوع شموس الاسرار ليصوموا فيه عما سواه
وبليلة اسباب استار الرحمة ليسكنوا اليها ويستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات ويعني بالرفث الى
النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي يتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم يحميكم
عن حرارة شموس الجلال كيلا يحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال الصالحة واستعمال الاموال على قوانين
الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالان باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة ما كتب الله لكم من المقامات
العلية وكلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم اثار انوار المحو فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب وجمع وفرق واخذ
ورد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتلوين وتمكين كما قيل **شعر** كان شيئا لم يزل اذا اتى كان شيئا لم يكن اذا مضى في المساجد اي في
مقامات القربة والانس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا
مقام اهل التمكين فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف وبالتحول فيها يا اهل الكسوف والخسوف الله حسبي

ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام

لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ۞ يسالونك عن الاهلة
قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون

القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والبرجمي وهشام فرحكلوا الباقون بكسر الباء **الوقوف** تعلمون عن الاهلة للفصل بين السؤال والجواب والحج لابتداء حكم اخر مع النفي من اتقى لعطف الجملتين المختلفتين ابوابها لعطف المتفقتين تفلحون **التفسير** لما كان الصوم منتهيا الى الافطار والافطار يتضمن الاكل ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يبيح الاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن حالة الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال الحرام اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه والاول اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما المعادن والنبات فلا يحرم شيء منهما الا ما يزيل الحيوة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان فينقسم الى ما يوكل والى ما لا يوكل وما يحل فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك مذكور في كتب الفقه والثاني وهو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول فيه اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون ماخوذا من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مالك وذلك اما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منه الخمس وقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوا من كافر له حرمة وامان وعهد والثالث الماخوذ قهرا بالاستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط لفظي الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يؤخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وافراز الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرف الى غير المصارف الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والسرف المحرم وكل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه وبينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة منكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غير الاكل من التصرف كالاكل في هذا الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال وقد يقال لمن انفق ماله انه اكله والادلاء اصله من ادليت دلوي ارسلتها في البئر للاستقاء فاذا استخرجها قلت دلوتها ثم جعل كل القاء قول او فعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصير الى مراده وفلان يدلي الى الميت بقرابة ورحم اذا كان منتسبا اليه فيطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء بالدلو وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي اي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم او لا تلقوا امرها والحكومة فيها اليهم لتاكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق بين الوجهين ان الحكام على الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشى التي هي رشا الحاجة فيها ليصير المقصود قريبا واذا اخذها حكم السوء مضى في الحكم من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن يشتبه عليه الحق كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبه فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصدا الحق فيما تصنعانه من القسمة واقترعا وليأخذ كل منكما ما تخرجه القسمة بالقرعة ثم تحالا وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ احق روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري

قالوا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسالونك عن الاهلة وقيل ان السائلين هم اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بانه انما يرى كذلك لانه يستفيد النور من الشمس وانه مظلم في ذاته وينفصل ابدا بين المضيء والمظلم منه دائرة لاستدارة المنير والمستنير وينفصل بين المرئي وغير المرئي من القمر ايضا دائرة والدائرتان تنطبقان في الاجتماع لا يظهر شيء من المستنير ويكون القطعة المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذلك في الاستقبال لكن القطعة المضيئة هي التي تلي البصر والقمر في هذه الحالة يسمى بدرا وفي سائر الاوضاع متقاطعان اما في التربيعين فعلى زوايا قوائم تقريبا وفي غير التربيعين على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين تنقسم كرة القمر بهما الى اربع قطع اثنتان منها متقابلتان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان ويقع في مخروط البصر احدى الاوليين واحدى الاخريين لكنه يحس بالمضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساويان تقريبا وفي غيرهما تختلف المتجاوزتان ويتساوى المتقابلتان والقطعة المرئية من المتجاورتين الواقعتين في مخروط البصر في التربيعين الاول والاخير من الشهر اصغرهما لان زاويتها اصغر اللتين تليان الابصار اعني انها حادة وتسمى القطعة المرئية الصغيرة اول ما يبدو الى الليلتين هلالا او يجمع على اهلة لانه يتعدد اعتبارا وفي التربيعين الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني انها منفرجة وانما لم يجابوا بذلك لان المكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعول عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت وهي المعالم التي يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدة حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته والميقات من الوقت كالميزان من الوزن فلعمري انه لو منع مانع من ان تضبط هذه الامور لا ينتهض ولا يتيسر الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حيث يعود من كل تشكل الى مثله ولا سيما من الهلالية الى مثلها شهرا وبذلك قدر السنون وضبطت الاوقات والفصول فلن يمكنه جحود فائدة على تقدير وجوده ولو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مفيض الخير والجود وامتناع الخرق والالتيام كما ذهب اليه كل من ذلك طائفة من اللئام لكفى به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي افراد الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى له وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى اشهر اخر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء ويمكن ان يقال لتوقف الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران والزكوة يتعلق بالحول والاصل في تقدير السنين لعودة الشمس من نقطة كاول الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة يتعلق باليوم بليلته فلم يبق من الاركان المتعلقة بالشهر سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم قوله عز من قائل وليس البر بان تاتوا البيوت عن البراء قال نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والجاهل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب تشديدا لامر الاحرام ولكن البر من اتقى ولكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل ان الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم يستظلوا الوبر ولم ياكلوا السمن والاقط وعن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم يدخل بيته بل ياتيه من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله بناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سالوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما يسنح لكم هو على شاكلة الصواب وانظروا في واحدة تفعلونها انتم وتحسبونها برا وليس من البر في شيء او انه تعالى لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا واتفق وقوع القضيتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذاك عكس الواجب ولما ثبت بالدليل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب البريء عن العبث والسفه فاذا رأينا اختلاف حال القمر وجب ان نعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا الاستدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق او قادحين بالشك فقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر ولا من كمال العقل انما البر ان تاتوا الامور من وجوهها التي يجب ان يؤتى

منها وهذا باب مشهور من الكناية قال الاعشى **شعر** وكاس شربت على لذة ❊ واخرى تداويت منها بها ❊ لكي يعلم الناس اني امرؤ ❊
اتيت المعيشة من بابها ❊ وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما كانوا يفعلونه من النسئ وكانوا يوقعون الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها
مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات
ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق **التاويل** بالباطل اي بهوى النفس والحرص والاسراف وتدلوا
بها الى الحكام يعني النفوس الامارة بالسوء من اموال الناس من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة للزاهدين
مواقيتا ورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قيامه
بالشريعة ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال طاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس
للمحبين وقت الاوقات محبوبهم كما ليس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله اعلم قوله تعالى

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين ۝ واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث
اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك
جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم ۝ وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ۝
الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين ۝
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله

يحب المحسنين ۝ **القراءة** ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي وخلف الباقون من باب المفاعلة وقيل انه
من جملة ما كتب في المصحف بغير الف كالرحمن **الوقوف** ولا تعتدوا المعتدين من القتل للعارض بين
الحكمين المتفقين فيه للابتداء بالشرط مع الفاء فاقتلوهم الكافرين رحيم الدين لله لتبدل الحكم الظالمين قصاص لان الاعتداء خارج
عن اصل الموجب وفرعه ما اعتدى عليكم لعطف المتفقين المتقين التهلكة لاختلاف المعنى اي لا تقحموا في الحرب فوق ما يطاق واحسنوا لاحتمال
تقدير الفاء او اللام المحسنين **التفسير** لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية باشق اقسامها على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله
عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولا يقاتل رياء ولا سمعة الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم
القتال من المحاجرين الذين هم بصدد القتال بالفعل دون التاركين قيل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة ومنع بان الامر بقتال
من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل وكذا ما روي عن الربيع بن انس ان اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقاتل من قاتل ويكف عمن كف فالذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء اي المستعدين
للقتال سوى من جنح للسلم او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستحلين لها فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل
في سبب نزول الاية انه صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل بالحديبية وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركين عن دخول
البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك فصالحوه على ان يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا له مكة ثلثة ايام حتى يطوف وينحر الهدى

ويفعل ما يشاء فرضي صلى الله عليه وسلم بذلك وصالحهم عليه وعاد الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان
لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله تعالى هذه الايات
وبين له كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة المسلمين ولكون
الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوي الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل
الياس من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او لا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من غير المستعدين كالنساء والشيوخ
والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او المفاجات من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعاني الثلثة بازاء التفاسير الثلثة في
الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين عما شرع الله لهم في الصحاح ثقفته اي صادفته وفي الكشاف الثقف وجود
على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال **شعر** فاما تثقفوني فاقتلوني ❊ فمن اثقف فليس الى خلود ❊ امر في
الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية زاد التكليف فامر بالجهاد معهم سواء قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه
المقاتلة عند المسجد الحرام وسمي حراما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اي من الموضع الذي
اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لم يسلم منهم يوم الفتح واخرجهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا وتخويفهم وتشديد الامر
عليهم حتى اضطروا الى الخروج والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا
الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل روي ان صحابيا قتل رجلا من
الكفار في الشهر الحرام فعاب المؤمنون على ذلك فنزلت اي لا تستعظموا الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار على الكفر
في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام الكفار
على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى عرض الذهب على النار ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم في
الدين وابقاء على مهجهم وحرمهم اشد من القتل الذي اوجبه عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضي التخلص من غموم الدنيا وافاتها
شعر لقتل بحد السيف اهون موقعا ❊ على النفس من قتل بحد فراق ❊ وقيل الفتنة العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم فكانه
قيل اقتلوهم حيث ثقفتموهم واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل
فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعي في المنع من الطاعة التي ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل
ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم ولو اتى ذلك على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك
اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا عن طاعة معبودكم يروى ان الاعمش قال لحمزة ارايت قراءتك اذا صار الرجل مقتولا
فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد قالوا ضربنا وذلك ان وقوع
القتل منهم في بعضهم كوقوعه فيهم فان انتهوا قيل اي عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس وقيل اي عن الشرك
بدليل قوله فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم والكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر
عن الحسن قلت ان اريد بالقتال استحلالهم قتل المسلمين تلازم القولان والانتهاء عن الكفر ظاهره التلفظ بكلمة الاسلام واثره في
حقن الدم وعصمة المال وباطنه التشبث باركان الاسلام جميعا واثره في استحقاق الرحمة والغفران وقد يستدل بقوله والفتنة
اشد من القتل على ان التوبة عن القتل العمد بل عن كل ذنب مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة
القاتل اولى وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق اذا اسلم فالقاتل غير الكافر اولى ويمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبني على
المساهلة وظهر الفرق وايضا الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان لا يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب
قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله تعالى وقاتلوهم قيل انه ناسخ لقوله ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام بقيت حرمته غاية ما في الباب ان هذه الاية عامة وما قبلها مختصة
اياها وهذا جائز فان القران ليس على ترتيب النزول ولو كان على الترتيب ايضا فلا يضرنا لجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك
ان الخاص قاطع في دلالته تقدم او تاخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون
فتنة قيل اي شرك وفتنة وكفر وعلى هذا فالاية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر راسا وانما الغالب الازالة لان من قتل منهم فقد
زال الكفر ومن لم يقتل كان يخاف من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى تكون كلمة الله هي العليا وهو المراد ايضا من قوله ويكون الدين لله اي ليس
للشيطان فيه نصيب لوضوح شانه وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا يعبأ بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد
به او محمولة على قصد ازالة الكفر فيترتب هذا العزم على القتال كلي لا يتخلف عنه وقيل فتنتهم انهم كانوا يضربون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اى قاتلوهم حتى تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابى مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون
منهم القتال الذى اذا ابدأوا كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده من انواع المضار ولا يخفى ان تحوله ويكون الدين لله يرجح القول الاول ويكون
المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الامر الذى وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فلا عدوان الا على
الظالمين اى فلا تعتدوا على المنتهين فيكون مجموع قوله الا على الظالمين قائما مقام على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا
عنه بدليل انحصاره فى غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين وعلى الوجهين سمى جزاء الظلم ظلما للمشاكلة كما يجئ فى قوله بمثل
ما اعتدى عليكم او انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر
الحرام وهو ذو القعدة سنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة
سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر والافعال القبيحة فكيف يمنعنا
عن القتال بمكة دفعا لشرودكم واصلاحا لفسادكم والحرمة ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اى وكل حرمة يجرى فيها القصاص
من هتك حرمة اى حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات
فى سنة ست فقد دفعتكم حتى قضيتموها على زعمهم فى سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذنت لكم فى قتالهم فافعلوا بهم
مثل ما فعلوا ولا تبالوا والتم اكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله حين تنتصرون فمن اعتدى
عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والتاييد والتقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم او بالمكان
ان جاز شامل للمتقين وغيرهم قوله عز من قائل وانفقوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال وانه يفتقر الى العدد والعدة وقد يكون ذو المال
عاجزا عن القتال وقد يكون القوى على القتال عديم المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق فى سبيله اعداد الرجال وتجهيز الابطال وبروى
انه لما نزل الشهر الحرام بالحرام قال رجل من الحاضرين والله يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ينفقوا فى سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بشقص يحمل فى سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفاق صرف المال فى وجوه المصالح فلا يقال المضيع انه منفق وانما يقال المبذر وسبيل الله دينه فيشمل
الانفاق وفيه الانفاق فى الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق فى صلة الرحم وفى الصدقات وعلى العيال او فى الزكوات والكفارات
او فى عمارة بقاع الخير وغير ذلك والاقرب فى هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال انه يراد به الانفاق فى الجهاد ولكنه عبر عنه بقوله فى
سبيل الله ليكون كالتنبيه على السبب فى وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه فى سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله
اهتز نفسه ونشط وهان عليه ما دعا اليه والباء فى بايديكم مزيدة مثلها فى اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم
اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدى الانفس كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اى لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة
كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابى عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد ولم يوجد مصدر
على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها فى الاعيان التنضبة للشجر والتتفلة لولد الثعلب
ويجوز ان يقال اصلها التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من هلك مشدد العين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار
فى الجوار وليس الغرض من هذا التكليف على ما ظن تصحيح لفظ القرآن كيلا يخرم فصاحته فانه اجل من ان يحتاج فى تصحيحه الى الاستشهاد بكلام
الفصحاء من البشر وكيف لا وهو حجة على غيره وليس بغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما امكن فيه وللمفسرين
فى هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال لجع الى الانفاق وروى البخارى فى صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الاية فى النفقة وذلك ان لا ينفقوا
فى مهمات الجهاد اموالهم فيستولى العدو عليهم ويهلكهم او ينفقوا كل مالهم فيحتاجوا ويحتاجوا فيكون نهيا عن التقتير والاسراف وعنهما جميعا
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او المعنى انفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا ان انفقنا هلكنا ذلا وفقرا نهوا عن
ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للانفاق او انفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق فى التهلكة والاحباط منا او اذى او رياء او سمعة ولا تبطلوا
اعمالكم ومنهم من قال انه راجع الى غير الانفاق اى لا تخلوا بالجهاد فتعرضوا للهلاك الذى هو سخط الله وعذاب النار اى لا تقتحموا فى الحرب
حيث لا ترجون النفع ولا يكون لكم فيه الا قتل انفسكم فان ذلك لا يحل كما روى عن البراء بن عازب انه قال فى هذه الاية هو الرجل يستقتل بين
الصفين وانما يجب ان يتقدم اذا طمع فى النكاية وان خاف القتل روى الشافعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار
ارايت يا رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس فى جماعة العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبى
صلى الله عليه وسلم الجنة ثم انغمس فى العدو فقتله بين يدى الرسول وروى ان رجلا من الانصار تخلف من اصحاب بير معونة فراى الطير عكوفا على
من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه ساتقدم الى العدو فيقتلوننى ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه اصحابى ففعل ذلك فذكروا فيه للنبى صلى الله عليه
وسلم فقال فيه قولا حسنا وروى اسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثروا

على اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا سبحان
الله يلقى بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى فقال ايها الناس انكم تأولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية
فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبى صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت
وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا فى اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه يرد علينا
ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة فى الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن فى ارض
الروم وقيل ان الاية من تمام ما قبلها الى ان قاتلوكم فى الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم حرمة الشهر على
ان تستسلموا لمن قاتلكم فتركوا بتركهم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لى فانزل الله تعالى هذه
الاية وذلك ان يرى انه لا ينفعه معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهى عن القنوط من رحمة الله تعالى واحسنوا فى
الانفاق بان يكون مقرونا بطلاقة الوجه وعلى قضية العدالة بين التقتير والاسراف وفى فرائض الله عن الحسن ان الله
يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب والقرب مقتضى الارادة الذاتية
وهذا رمز والله ولى كل خير التاويل وقاتلوا من يمنعكم عن السير فى سبيل الله واراد ان يقطع عليكم طريقه من شياطين الانس والجن
حتى نفوسكم التى هى اعدى عدوكم ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا بالطبع ولكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة
بقدم الاستطاعة من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم ومجاهدتها مخالفة هواها واخرجوهم
من صفات النفس كما اخرجوكم من جمعية القلب وحضوره والفتنة اى المحنة التى ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة
عن الله اشد من قتل النفس بمخالفة هواها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا يلتفتوا الى النفس وصفاتها اذا كنتم امنين مطمئنين
فى مقامات القلب والروح حتى يزاحموكم فى الحضور وداعية الهوى فان نازعوكم فى الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق
واقطعوا مادة تلك الدواعى عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصدكم عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لا بد لها فلا تقتلوا
فى مجاهدتها الشهر الحرام اى ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بتوانى النفس ونزاعها وغلبات صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم
باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت واستولت فعالجوها بضدها البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا
الله فى طرفى الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط فى الحقوق والافراط فى الحظوظ او بموافقة النفوس
ومخالفة النصوص او بالركون الى الفتور بالحسبان والغرور قوله تعالى 5

وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا او به
اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن
تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلثة
ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن
اهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب

القراءة من راسه وكذلك الباس والكاس كلها بغير همزة ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى وحمزة فى الوقف الوقوف
لله لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدى لعطف المختلفين محله لابتداء حكم كفارة الضرورة او نسك لان اذا للشرط
مع الفاء وجوابه محذوف اى فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم وقفه لحق الحذف ولابتداء الشرط من الهدى
رجعتم كاملة الحرام العقاب التفسير الحج فى اللغة القصد كما مر فى قوله فمن حج البيت او اعتمر وفى الشرع عبارة عن افعال
مخصوصة وهى على ثلثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو الركن او لا يتوقف

فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو الركن او لا يتوقف فاما ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر وهو الهيئة والاركان عند الشافعي خمسة الاحرام
والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او تقصيره وخالف ابو حنيفة في السعي ولا مدخل للجبران في الاركان
واما الابعاض اعني الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمي وفاقا وفي الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس وفي المبيت بمزدلفة
والمبيت بمنى وفي طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم والرمل والاضطباع في الطواف وفي السعي واستلام الركن
وتقبيله والسعي في موضع السعي والمشي في موضع المشي والخطب والاذكار والادعية الى غير ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض
ولا دم في تركها واما في العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيهما ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام وهل هذا الامر مطلق او مشروط
قال الشافعي على انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيه فليتمه كما اذا كبر
للصلوة لزمه الاتمام فرضا كان او تطوعا وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام
قد يراد به فعل الشيء تاما كاملا كقوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن اي اداهن على التمام والكمال وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل اي افعلوا الصيام
تاما الى الليل وهذا اولى من تقدير انكم اذا شرعتم فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان من اوائل ما نزلت في
الحج فحملها على الايجاب ليكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولانه قرئ واقيموا الحج والعمرة والشاذ
يصلح للترجيح وان لم يصلح للفظ كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فتناوله لنا
اكثر فائدة فيكون اولى وايضا انه احوط واعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو
واجب قال تعالى يوم الحج الاكبر وفيه دليل على وجود حج اصغر وما ذاك الا العمرة بالاتفاق ولكن الحج واجب على الاطلاق لقوله تعالى ولله على
الناس حج البيت فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة
والزكوة والحج والصوم فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلى الله عليه وسلم افلح الاعرابي ان صدق وقال صلى الله عليه وسلم بني
الاسلام على خمس الحديث ولم يذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روى عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل عن العمرة اواجبة هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار
احاد فلا تعارض القرآن وايضا لعل العمرة ما كانت واجبة حين ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاحاديث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلك
في السنة السابعة من الهجرة وايضا انها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سال النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال صلى الله عليه وسلم حج عن ابيك واعتمر امر بهما والامر
للوجوب وروى عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن عمر ان رجلا قال له اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وحمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف قالوا قراءة
علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع فكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة
وبانها ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء
النسكين وجوها ثلثة الافراد والتمتع والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران
بان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع
هو ان يحرم بالعمرة من ميقات بلده في اشهر الحج وياتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد
التحلل من العمرة وقبل الاحرام بالحج وانه ايضا يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى
الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة في جواز هذه الوجوه وانما الخلاف
في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك والامامية بل قالوا
لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق
المروزي وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد قوله واتموا الحج والعمرة وذلك ان
العطف يقتضي المغايرة وانما تحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال عند الافراد اكثر فيكون
الثواب اكثر وذلك هو الفضل وما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لعابها يسيل على كتفي
فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن
عمر وقد رجح الشافعي رواية عائشة وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله واقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت
قليل العلم حجة القائلين بافضلية القران ان القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا
واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنا نقول ان الاتي بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فمجموع هذين الامرين

افضل من الاتيان بالحجة المقرونة واختلف في تفسير الاتمام في قوله تعالى واتموا فعن علي كرم الله وجهه وابن مسعود وابن عباس ان
اتمامهما ان تحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان
الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية بان لا يرجع
حتى يتم الفرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر
في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت الرجوع
ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه مع التوسع في الزاد والرفق
بالفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل او يكتريها الثاني الاخوان والرفقاء المقيمون يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان
الله تعالى جعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول لهم استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين
يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب
الدار قال بسم الله وبالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله
والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون السادس في النزول والسنة ان يكون اكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل صلى ركعتين ودعا الله كثيرا السابع
ان قصده عدو او سبع بالليل او بالنهار فليقرأ اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي
الذي لا يموت الثامن مهما علا نشزا من الارض في الطريق ويستحب ان يكبر ثلثا التاسع ان يكون هذا السفر منفردا بنفسه من الاغراض العاجلة كالتجارة
وغيرها العاشر ان يصون لسانه عن الرفث والفسوق والجدال ثم بعد الاتيان بهذه المقدمات ياتي بجميع اركان الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة
الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الامور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون ممتثلا لقوله واتموا الحج والعمرة لله اقتداء
بابرهيم صلوات الرحمن عليه حين ابتلى بكلمات فاتمهن وقيل المراد من قوله واتموا افردوا كل واحد منهما بسفره ويؤيد هذا
تاويل من قال ان الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع حاصله الى معنى ابتوا بالحج والعمرة تامين كاملين بمناسكهما
وشرائطهما واداءهما لوجه الله بدليل قوله فان احصرتم قال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للملك لانه
كالمحبوس في الحجاب والحصير معروف سمي به لانضمام بعض اجزائه الى بعض فكان كلا منها محبوس مع غيره والحصير الجنب ايضا
والاكثرون على ان لفظ الحصر مخصوص بمنع العدو ويقال حصره العدو اذا منعه عن مراده وضيقه وعن ابي عبيد وابن السكيت
والزجاج وغيرهم ان لفظ الاحصار مختص بالمرض ونحوه من خوف وعجز قال تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقيل الاحصار
مختص بمنع العدو ومنه ما روي عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو وفائدة الخلاف في الاية تظهر في مسئلة
فقهية وهي انهم اتفقوا على ان حكم الاحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال ابو حنيفة يثبت
وقال الشافعي ومالك واحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روي انه صلى الله عليه وسلم
مر بضباعة بنت الزبير فقال اما تريدين الحج فقالت اني شاكية فقال حجي واشترطي ان تحلي حيث حبست وفي حكم المرض كل عرض صحيح كضلال
الطريق ونفاد الزاد حجة ابي حنيفة ظاهر كلام اكثر اهل اللغة وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه
الحج من قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطائفة من اهل اللغة وايضا الهمزة في احصر ليس للتعدية لما انه حصر في اقتضاء
المفعول فيكون الموجود او لصيرورته ذا كذا فيؤل المعنى الى انكم ان وجدتم او صرتم محصورين فلا يبقى النزاع وايضا المانع انما يتحقق
عند وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل ولا مانع بالنسبة اليه فثبت ان لفظ الاحصار حقيقة في العدو دون المرض و
ايضا لفظ المانع على المرض غير معقول لانه عرض لا يبقى زمانين وايضا لو كان المريض داخلا في المحصر لكان في قوله فمن كان منكم مريضا
نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه واعتذر عن هذا بان المريض انما خص بالذكر لان له حكما خاصا وهو حلق الراس فصار تقدير
الاية ان منعتم لمرض تحللتم بدم وان تاذى راسكم بمرض حلقتم وكفرتم وايضا فاذا امنتم يناسب الخوف من العدو اذ يقال في المرض
شفي وعوفي لا امن ولو قيل ان خصوص اخر الاية لا يقدح في عموم اولها قلنا لا يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل انه منع الكفار
خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول الاية ان الكفار احصروا النبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية وان اختلفوا ان الاية هل نزلت قبل او بعد سبب النزول الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب غير جائز ثم في الاية
اضماران والتقدير فتحللتم او اردتم التحلل فعليكم ما استيسر او فاهدوا ما استيسر اي ما تيسر مثل استعظم وتعظم واستكبر وتكبر
اما الاضمار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل او نية التحلل واما الاضمار الثاني فلان قوله
ما استيسر اما مرفوع على الابتداء وخبره محذوف واما منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية

الشرح وهي شيء محشو تحت دفتي الشرج جدى وقرى من الهدى جمع هدية كمطية ومطى وهذه لغة تميم ومعنى الهدى ما يهدى الى بيت الله
تقربا اليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه
الاجناس والمحصر المحرم اذا اراد التحلل وذبح وجب ان ينوي التحلل ولا يتحلل قبل الذبح واكثر الفقهاء على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج
وعن ابن سيرين انه لا احصار فيها لانها غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة وكان عائدا اليهما وبانه
صلى الله عليه وسلم تحلل بالاحصار عام الحديبية وكان معتمرا وما حد الاحصار قالت العلماء لو منعوا ولم يتمكنوا من المسير الا ببذل مال
فلهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون على انه لا يجب
القتال على الحجيج وان كان العدو كفارا وكان في مقابلة كل مسلم اقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو
لبسوا المخيط لدفع حر او برد لا فرق على الاصح في جواز التحلل بين ان يمنعوا من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون
بالتحلل الامن من العدو المواجه ولو صدوا عن الطريق وهناك طريق اخر ووجدوا شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل
في الحال واذا سلكوه ففاتهم الحج لحزونته او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضاء على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا مجهودهم
فصاروا كالمصدودين مطلقا نعم لو استوى الطريقان من كل وجه وجب القضاء لان الموجود فوات محض وفي قوله ولا تحلقوا رؤوسكم
حتى يبلغ الهدى محله حذف لان الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدى محله بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ الهدى محله وينحر فيما جاز
تذكير الهدى لان كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالى اعجاز نخل منقعر وفي موضع اخر اعجاز
نخل خاوية والمحل اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه او اسم للمكان قال الشافعي يجوز اراقة دم الاحصار
لا في الحرم بل حيث حبس وقال ابو حنيفه لا يجوز ذلك الا في الحرم يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة حجة الشافعي انه صلى
الله عليه وسلم احصر بالحديبية فنحر هناك واجيب بان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري
ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة ورد بقوله تعالى هم
الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الاية صريحة في انهم نحروا الهدى في غير الحرم وايضا
قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سواء كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب ان يكون المحصر
قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله في الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا
يناقض ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العلق في الحال وايضا لو كان الموصل الى الحرم هو المحصر فكيف يومر بهذا
الفعل مع قيام الخوف وانما كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير فما ذا يفعل حجة ابي حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل وقوله حتى يبلغ
الهدى محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى ذلك المكان وايضا هب ان لفظ المحل يحتمل الزمان والمكان الا ان قوله ثم محلها الى البيت العتيق
وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان والبيت نفسه لا يراق فيه الدماء فتعين ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب
على المحرم في ماله من فدية وجزاء وهدى فلا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا اذا عطب الهدى فينحر في طريقه ويخلي بينه وبين المساكين
والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس بالدلائل المذكورة وقالوا الهدية لا تكون هدية الا اذا بعثها الى دار المهدى اليه فالهدى كذلك
ورد بان هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر اذا كان عادما للهدى فهل له بدل ينتقل اليه للشافعي فيه
قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدى في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفه لانه تعالى لم يوجب له الا الهدى وما اثبت له بدلا وعلى هذا فانما
اذا بعث فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال لا وصام بدلا لعظم المشقة والاخر واليه ذهب ابو حنيفه انه يستمر على احرامه حتى
يجد والقول الثاني انه له بدلا وهذا الصحيح وبه قال احمد قياسا على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح الطعام
لان قيمة الهدى اقرب اليه من الصيام واذا لم يرد النص بابدال الهدى فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام بكل مد يوما وقيل صوم التمتع
عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلثة ايام وبالجملة الاية دلت على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلقوا ويحلقوا الابعد تقديم ما استيسر
من الهدى كما انه امرهم ان لا يناجوا الرسول الابعد تقديم الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدى محله حتى ينحر الهدى بحيث حبسه وحتى يعقلوا
ان الهدى بعث يجمع الى الحرم بلغ مكانه الذى يجب ان ينحر فيه اى الحرم ولكن الافضل في الحج يوم منى وفي العمرة المروة وبانه ينوي
التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان مصدودا عن البيت دون اطراف الحرم
فهل له ان يذبح في الحل فيه وجهان اصحهما الجواز عند الشافعي ولا يلزمه ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه قال مالك
واحمد لان المصدودين مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه في عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يأمر
الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفه عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام في السنة الاولى
من سني الامكان فكالتطوع وان كان مستقرا عليه كان لو شرع في صلاة ولم يتمها بقي في ذمته وبما احصر بمرض ونحوه

وقد صححناه بالاية تحكم الهدى ما مر في الاحصار بالعدو وان صححنا بان كان قد شرط التحلل به اذا عرض فهل يلزمه الهدى للتحلل فان كان
قد شرط التحلل بالهدى فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدى فلا وكذا ان اطلق على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا
قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدى محله ربما لحقه مرض او اذى في رأسه ان صبر فالله تعالى اذن له في ازالة ذلك
للموذى بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستأنف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في رأسه فاضطر
الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسكة
ثم قيل للمتعبد ناسك لانه اخلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف
العبادات التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام فليس في الاية ما يدل
على كميتها وكيفيتهما وبماذا يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفه ان بيانه في حديث
كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة
قلت لا قال صم ثلثة ايام واطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وثانيهما
عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في العدد قال العلماء المرض قد يحوج الى اللباس والى
الطيب والدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا فدية نحو هذه المحظورات بفدية الحلق لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه يدخل
فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شاة ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجيء في قوله تعالى
فلا رفث وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الاية ايضا اضمار ان فحلق فعليه فدية فاذا امنتم ان
كان معناه الامن بعد الخوف وقبل التحلل فجواب الشرط وهو فامضوا محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن و
سعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول لجبل ماتع اي
طويل وكل من طالت صحبته مع الشيء فهو متمتع به وقد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج وهو
ان يقدم ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما روي عن عمر انه خطب
وقال متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك
المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لاصحابه في ذلك
ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان السبب فيه انهم كانوا
لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم
في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة الى
الحج انه يتمتع بمحظورات الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان الحج وقيل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل
الانتفاع بتقربه بالحج ولوجوب الدم على المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام ويجيء تمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان يحرم بالعمرة الى الميقات فان جاوزه مريد النسك ثم احرم بها فان كان الباقي
اقل من مسافة القصر فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة وان كان الباقي مسافة فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم
وفرغ من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدى لانه اشبه الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي الشافعي
انه لا يلزمه الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم
وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها
ان يقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة القابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا
زاحم بالعمرة حجة في وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله في وقت الامكان ولم يوجد وعن سعيد بن المسيب قال كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان عاد
الى الميقات الذي انشأ العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا كاشتراط نية القران
وهذا لان الدم منوط بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها وكذا في اشتراط الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما
وقت الحج فهي وقت العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان يأكل منه او دم نسك حتى يجوز ذلك ذهب
ابو حنيفة الى الثاني ومال الشافعي الى الاول لما روي ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال له علي تنهى عن رخصة انزلها الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم للغريب الحاجة فابطلها فسمى المتعة رخصة وهذا دليل النقص وايضا التمتع تلذذ وانه ترفه في العبادة لانها مستدعية تكليف
وايضا انه تعالى اوجب الهدى على المتمتع بلا توقيت ولو كان نسكا كان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام

في مراتب هذا والهدي كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة السادس وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة ويجزي
كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على ثنيكين الثني من المعز وهو الذي دخل في السنة الثانية او جذع الضأن وهو ايضا في السنة الثانية
يستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعدما احرم بالحج جاز لان التمتع قد تحقق فترتب عليه الهدي جبرا له
وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق بسببين وهما الفراغ من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما
جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد
الهدي وقيس عليه ما اذا لم يجد ما يشتريه به او يبيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي اي بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل
الحج ظرفا للصوم ولا يصلح ساير افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدي الذي هو اصل فكذا البدل له
وقال ابو حنيفة اي في وقت الحج وهو اشهره فجاز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال احمد في رواية وفي اخرى قال يجوز بعد التحلل
من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيا منها في يوم النحر وفي ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب ان يصوم الايام الثلثة قبل يوم عرفة
فان الاحب للحاج يوم عرفة ان يكون مفطرا كيلا يضعف عن الدعاء واعمال الحج ولم يصمه النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة بل يروى انه صلى الله
عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان الشخص ان كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم حيازة للفضيلتين ويعلم مما ذكرنا انه
يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواحد للهدي فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها
الى منى لما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج فاذا فات صوم الايام الثلثة في الحج لزمه القضاء
عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابي حنيفة يسقط
الصوم بالفوات ويستقر الهدي في ذمته وسبعة اذا رجعتم للشافعي في ان المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال للمتمتعين من كان معه هدي فليهد ومن لم يجد فليصم ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم
والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه من الاعمال وعلى الاصح
لو توطن بمكة بعد فراغه من الحج صام بها وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية على
وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة الاصح عند
امام الحرمين وطايفة وبه قال احمد لا يجب لان التفريق في الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق في الصلوات المؤداة
والاصح عند اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق تفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل
وهو الحج والرجوع وما قدر ما يقع به التفريق اصح الاقوال التفريق باربعة ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على
اصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس له صوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى اهله تلك عشرة كاملة طعن فيه
بعض الملحدين ان هذا من ايضاح الواضحات فمن المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان ههنا عشرة
غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوايده ان الواو في قوله وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل قد يكون للاباحة بمعنى او كما في
قوله تعالى مثنى وثلث وربع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين اي جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا فقد لكنت نفيا التوهم
الاباحة وايضا فايدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم السياقة وكفى به افادة وايضا
المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم مع الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قايما مقام المبدل وهما في الفضيلة
سواء وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك جاز ان يعود الى الثلثة او الى السبعة وايضا قوله تلك
عشرة كاملة تدفع التخصيص الذي يتطرق الى كثير من العمومات في الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص وايضا ان مراتب الاعداد
ثلث الاحاد والعشرات والمئات وهذه من وسطاها فكانه قال انما اوجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد
طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما تعتد به الهمم فيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها
وايضا هذا الخطاب مع العرب ولم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى ذلك بيانا قاطعا كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال هكذا في الشهر وهكذا و
هكذا ثم اشار بيده ثلث مرة اخرى وامسك ابهامه في الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية على التسعة والعشرين وايضا
فيه ازالة الاشتباه والتصحيف الذي يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة في الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة في الاجزاء حتى لا يتوهم انها
بسبب التفريق غير مجزية كما لا يجزي في كفارات الظهار والقتل ووقاع رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا في معنى الامر
اي فليكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل ويكون الحج المامور به تاما كاملا كما قال تعالى واتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى
في قول النبي صلى الله عليه وسلم الصوم لي وانا اجزي به والحج ايضا مضاف اليه تعالى في الاية واتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا
الاختصاص فالعقل ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج

فلانه عبادة لا يطلع العقل البتة على وجوه الحكمة فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضي التباعد
عن اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يؤتى به الا لمحض ابتغاء مرضات الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع في زمان
الحج فيكون جمعا بين مشقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من مشقة الى مشقة والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه
الله تعالى بالكمال في باب العبادة والتنكير في اللفظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على لطايف قرآنه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام اختلف العلماء في ان المشار اليه ماذا قال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع وما ترتب عليه لانه ليس البعض اولى من
البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي بل يعود الى الاقرب اولى وهو الحكم يوجب الهدي
على المتمتع وايضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمي والميقاتي والافاقي وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية
من تحريمهم العمرة في اشهر الحج والنسخ يثبت في حق الناس كافة ويتفرع على مذهب ابي حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان
عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وعلى مذهب الشافعي انه يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شيء فان لزوم الهدي على الافاقي بسبب
انه احرم في الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل به والمكي لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فلا خلل في حجه
تمتع او قرن او افرد فلا يلزمه الهدي ولا بدله ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذي طوى وعن طاوس اهل
الحرم وعن الشافعي هم الذين يكونون على اقل من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد
وعن ابي حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت ذو الحليفة على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام
والمصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من صوب اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من صوب المشرق والعراق وخراسان وكل منها
الثلثة من مكة على مرحلتين فهذه هي المذاهب واوفقها للاية مذهب مالك لان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام الا ان الشافعي
قال قد يطلق المسجد الحرام على الحرم قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول الله صلى الله عليه وسلم اسري به من الحرم لا من
المسجد وقد يقال الحاضر فلان فلانا اذا دنا منه ومن كان مسكنه دون مسافة القصر فهو قريب نازل منزلة المقيم في نفس مكة وفي مذهب
ابي حنيفة بعد فانه يؤدي الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر رعية
من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو الثاني لما قلنا ان المسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الغرض الذي هو
الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء اي عليهم وذكر حضور الاهل والمراد حضور المحرم
لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث اهله ساكنون واتقوا الله في محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كانه يراد عاقبة فعله التي كقول القايل لتذوق
فصل التاويل الحج اظهار حج رب البيت وشهوده وهو سيرة ابرهيم صلوات الرحمن عليه كما قال اني ذاهب الى ربي وكذا احرم في
البيت [illegible] فالحج هدى اسمعيل وما اسرى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذهابه بالله احصر حتى قيل له واتموا الحج والعمرة لله حج
ما جرى له كان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال [illegible] في الحقيقة بان
[illegible] باعداء النفس والهوى [illegible] القلب [illegible] الروح [illegible] الاحوال [illegible] الاعمال فما استيسر من
الهدي [illegible]
[illegible]

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق

ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير
الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر
الحرام واذكروه كما هديكم وان كنتم من قبله لمن الضالين
ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم
او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في
الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي
الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله
سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في
يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله
واعلموا انكم اليه تحشرون

القراءة فلا رفث ولا فسوق بالرفع فيهما ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد وزاد يزيد ولا جدال بالرفع والباقون بفتح الثلثة وكذلك روى القطعي من طريق الحسن الهاشمي واتقوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل بالياء ومن تاخر روى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف بالتليين

الوقوف معلومات في الحج يعلمه الله التقوى للعارض بين الجملتين للمتفقين الالباب من ربكم لان اذا اجيبت بالفا فكانت شرطا في ابتداء حكم اخر الحرام لعطف المتفقين هديكم لان الواو تصلح حالا واستينافا الضالين واستغفروا الله رحيم ذكرا من خلاق النار مما كسبوا الحساب نصف الجزء معدودات لان الشرط في بيان حكم اخر عليه الاولى لابتداء شرط اخر مع العطف عليه الثانية لتعلق اللام اتقى لاختلاف النظم تحشرون

التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك البرد شهران او الحج حج اشهر معلومات اي لا حج الا فيها خلافا لما كان عليه اهل الجاهلية من النسيء قبل ويمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في قولهم ليل قايم ونهار صايم واتفق المفسرون على ان شوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد توخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر ومن هنا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر وعن ابي حنيفة وعشرة ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما راه في ساعة منها ورمي الجمار يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحايض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر

ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت الحج في قوله قل هي مواقيت للناس والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهرا معلومات واجيب بان تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات للحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا واما حالهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا له او المراد انها معلومات ببيان الرسول او المراد انها موقتة باوقات معينة لا يجوز تقديمها ولا تاخيرها كما يفعله اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل على انه لا يجوز لاحد ان يهل بالحج قبل اشهر الحج وبه قال احمد واسحق الظاهر حكما و لان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة الاولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان لا ينعقد صحيحا لاداء الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام للحج فجاز تقدمه على الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدا واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء ويعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قالوا اشهر من اكابر الصحابة انهم قالوا من اتمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا فيحتاج الى ان يحرم قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بانه في حق من لا يكون داره سحيقا فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذه الشهور ان يحج وبماذا يحصل هذا الالتزام المسمى بالاحرام لانه يحرم حينئذ عليه اشياء كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية نعم انها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج على النية ادل منه على التلبية او سوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في اخرها ولا في اثنائها نطق واجب وكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط انعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدي وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة والحج فقد احرم وروي هذا القول للتاويل في تفسيره وعن عايشة انها قالت لا يحرم الا من اهل ولبى وايضا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا يكره الزيادة على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل فان راى شيئا قال لبيك ان العيش عيش الاخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى انبعث دابته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني ولبى وان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم ياخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير التلبية في دوام الاحرام مستحب قايما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قايل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرا بفتح الثلثة او برفعها فلا اشكال ومن قرا برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل ولا يكونن رفث ولا فسوق والثالث اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير العرب فتقف بالمشعر الحرام وساير العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويوخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج وربما يستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قرئ كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش المودي الى العداوة

والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها
يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد المهية بل بجزئه فيكون الفتح ادل على عموم النفي اما تفسير
الرفث فعن ابن عباس هو الجماع ولذا في الحج والعمرة نتايج منها فساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من
الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة
او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا اثر له في
الفساد على الصحيح وعن مالك واحمد انه يفسد ما بقي من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل حصول التحلل ووقت التحلل
عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا وذلك اذا
طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من رمي النحر والحلق والطواف اعني الرمي والحلق او الرمي والطواف او الحلق
والطواف حصل التحلل الاول وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه
لا يحل الى الاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الايمة الحج بطول زمانه وكثرة اعماله بخلاف
العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال صلى الله عليه وسلم اذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شي
الا النساء واللواطة واتيان البهيمة في الافساد كالوطي في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما ولمالك في اتيان
البهيمة ثم ساير العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسدا يجب المضي فيهما
وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى
من قابل ومن نتايج الفساد الكفارة يستوي فيها الحج والعمرة ونصها الهاجس على الترتيب بدنة ان وجدها لان الصحابة نصوا على
البدنة والا فبقرة والا فسبع من الغنم والا قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن النتايج
القضاء باتفاق ولما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان المقضي عنه فرضا او تطوعا فان القضاء يجب واصح الوجهين
في القضاء انه على الفور لا على التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل وكذا الكلام
فيمن ترك الصوم او الصلوة بعدوان على الاشبه لان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدي لا يستحق ذلك ولو كانت المرأة
محرمة نظر ان جامعها وهي نايمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد ولكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا
افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق
بالجماع فليس للمحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية يروى عن علي كرم الله وجهه وابن
عباس ثم انهما اوجبا بالقبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شي ولا يفسد شي من مقدمات الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال
سواء انزل او لم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد وقيل الرفث باللسان ذكر الجماع
وما يتعلق بهما والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنى والفحش لقوله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صايم وعن ابي عبيدة الرفث الافحاش وعنه الرفث اللغو في
الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصي قال تعالى ففسق عن امر ربه وقيل هو التنابز
بالالقاب والسباب قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان قال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق
وقتاله كفر وقيل الايذاء والافحاش ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد هو الذبح للصنايم ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية واما الجدال فانه
فعال من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رايه واختلف المفسرون فيه فعن الحسن
هو الجدال الذي يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال الا انه مع الرفقاء وفي الحج اسمج كلبس الحرير
في الصلوة وقال محمد بن كعب القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال اخرون بل حجنا اتم فنهاهم الله عن
ذلك وقال مالك في الموطا الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح وانجيل هنالك وغيرهم
يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب وقال القسم بن محمد كانوا يجعلون الشهور على العدد فيختلفون في يوم النحر
ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول اخرون بل غدا فكانه قيل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك
ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل فيه في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق
عليهم ذلك وقالوا انروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا فقال صلى الله عليه وسلم لهم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي
ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال حينئذ وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج اختلافهم في ان ايهم المصيب مقام ابرهيم وقيل انه النسي نهوا

عن ذلك فان الزمان قد عاد الى ما كان عليه الحج في وقت ابرهيم صلوات الرحمن عليه قال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل النفي في
الالفاظ الثلثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنا والجدال على الشك في الحج ليصح خبر الله تعالى بان هذه
الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر وان حملنا الكلام على النهي صح ان يراد بالرفث الجماع ومقدماته وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه
وبالجدال جميع اصنافه فعلى هذا يكون في الاية بعث على الاخلاق الحميدة والاداب الحسنة وبالحقيقة لا رفث نهي عن طاعة القوة
الشهوية التي توجب الانهماك الشهوية ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستعلاء ولا جدال رمز
الى تسخير القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف في ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه فمنه ينشأ الاراء المخالفة و
الاهواء المتصادمة والعقايد الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدال ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه
هو الذي منشأه صرف العصبية ومحض المراء لتنفيذ الاراء الزايغة وتحصيل الاغراض الزايلة والاغراض الفارغة واما الذب
عن الدين القويم والدعاء الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة واراء محمودة حتى يستقر
الحق في مركزه ويضمحل صولة الباطل ويركد ريحه فمامور به في قوله عز من قايل وجادلهم بالتي هي احسن وانه احدى شعب البيان
وقلما يكون انجع من قاطع البرهان وما تفعلوا من خير يعلمه الله لم يتعرض لمقابلة الخير وان كان عالما به ايضا النكتة هي اني اذا علمت منك
الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك ضده اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي بك هكذا في الدنيا فكيف تكون في العقبى وفيه
ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم
اطلاع مولاه على سرايره وخفاياه اجتهد في اداء ما امره واحترز عن ارتكاب ما نهاه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم
عن الشر ليستعملوا مكان الرفث التعفف وبدل الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال والشقاق الوفاق مع الرفاق وتتميم المكارم
الاخلاق وتنبيها على شرف النفس وطيب الاعراق وقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبايح
فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا
يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الاخرة ينجيك من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الاخرة
يبلغك دار السرور زاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الاخرة سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس **شعر** اذا انت
لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا
وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسألون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم
الله سبحانه ان يتزودوا ما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على
استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمته تعالى ودفع الوسايط والروابط التي عليها يدور
المناهج وبها ينتظم المصالح روي ان بعض العارفين زهد فبلغ زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسال احدا
شيا حتى ياتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم يات شي حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي قسمت لي
والا فاقبضني اليك فالهمه الله في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام
بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك
في الدنيا اما علمت اني ارزق العباد بايدي العباد احب الي من ان ارزقهم بيد القدرة وقيل في الاية حذف اي تزودوا العاجل
سفركم وللاجل فان خير الزاد التقوى فاتقون وخافوا عقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله **شعر** انا ابو النجم وشعري
شعري يا اولي الالباب يعني ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق ولما منع الناس عن الجدال اختلج في الاغلب
قلب المكلف بشبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان يكون منهيا وايضا كانت محرمة في
الجاهلية وقت الحج وان امرا يستحسن ظاهرا ان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان
يقاس التجارة على ساير المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فدفع هذه الشبهة بنزول ليس عليكم جناح
ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وزيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله واخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله عن ابي مسلم انه حمل الاية على ما بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس
عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله عن ابي مسلم انه حمل الاية على ما بعد الحج
قال والتقدير وزيف بان حمل الاية على موضع الشبهة اولى من حملها لا على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج
واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنايها التشاغل بغيرها واعمال
الحج متفرقة فيحمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك

يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الاية كانوا يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق لا يطلق الدجيج الا اذا كانوا جماعة ولا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيهما في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الحرج ومن المعلوم انه انما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي انه قيل له هل انتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق رضي ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخروية على اعمال الحج موجبة لفضل الله ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القران بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والجاه والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو التفضل والثواب والجنة والرحمة تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب القربة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليكم عظيما ورفع الجناح قد يستعمل فيما يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه افاضة الماء وهو صبه بكثرة التقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هلا منعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث فقيل انه لم يبق علما بعد ما جمع ثم جعل علما لمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجود لها كجار الله وكثير من المتاخرين وان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي هي محض التانيث سقطت والباقية علامة الجمع المونث وزيف بان عرفات مونث وان قلنا انه لا علامة تانيث فيها الا متمحضة للتانيث ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مونثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتاويل بعيد كما في قوله

شعر ولا ارض ابقل ابقالها

فتانيثها لا يقصر عن تانيث مصر الذي هو بتاويل البقعة وقال بعض المتاخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسر في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسر فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف للضرورة لم يجد فالمانع هذا مع انه جوز المبرد والزجاج مع مانع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرئ القيس في رواية

شعر تنورتها من اذرعات واهلها * بيثرب ادنى دارها نظر عال *

وبعضهم بفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كما في الاسم فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف ولا انه بقاء التنوين في مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع منه يسمى يوم عرفة وعرفة وعرفات هي الموضع المخصوص فقيل التروية التفكر وسببه ان ادم عليه السلام لما امر ببناء البيت فبنا وتفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك باول شوط من طوافك فقال يا رب زدني قال اغفر لاولادك اذا طافوا به قال زدني قال اغفر لكل من استغفر له الطايفون من موحدي اولادك قال حسبي يا رب حسبي وقيل ان ابرهيم صلوات الرحمن عليه راى في منامه ليلة التروية كانه يذبح ابنه فاصبح متفكرا اهل هذا من الله او من الشيطان فلما راه ليلة عرفة يومر به اصبح فقال عرفت يا رب انه من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية الارواء فان اهل مكة كانوا يجهزون الماء للحجاج الذين يقصدونهم من الافاق فيتسعون في الماء بعد ما تعبوا في الطريق من قلة الماء او لانهم يتروون الماء الى عرفة او لان المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة فشربوا منها حتى رووا واما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان ادم وحواء التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن ابن عباس او لان جبريل عليه السلام علم ادم عليه السلام مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم او لان ابرهيم عرفها حين راها بما تقدم من النعت والصفة عن علي وابن عباس وعطا والسدي او لان جبريل عرف بها ابرهيم المناسك وقد مر في قوله وارنا مناسكنا او لان ابرهيم وضع ابنه اسمعيل وامه هاجر بمكة ورجع الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم عرفة بعرفات وقد سبقت القصة في بناء البيت في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد او لما ذكرنا انفا من منام ابرهيم او لان الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالك للحق بالربوبية والجلال ولانفسهم بالفقر والاختلال والخلة فقال انا ادم وحواء عليهما السلام

لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الان عرفتما انفسكما وقيل من العرف وهو الرائحة لان المومنين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله مقام ضدها قال صلى الله عليه وسلم خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار عن الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى في المائدة اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمر وابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية عشية يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة في موقف ابرهيم عم في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما لهم في هذه الاية لقرت اعينهم فقال يهودي لعمر لو ان هذه الاية انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر اما نحن فجعلناها عيدين فكان ذلك يوم عرفة ويوم جمعة ويوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ويوم قطيعة القاطعين ان الله برئ من المشركين ورسوله ويوم اقالة عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا ويوم وفد الوافدين في الخبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم زائره ويوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ويوم خص صومه بكثرة الثواب قال صلى الله عليه وسلم صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة كفارة سنتين وقال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم ويوم اقسم الله تعالى به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس والشفع التروية وعرفة والوتر يوم النحر ويوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة عن عائشة رضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت لهم ولا علينا ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم ان من دخل مكة محرما في ذي الحجة او قبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات وحينئذ يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج وكذا الذي اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة يوم السابع من ذي الحجة بعد ما صلى الظهر خطبة واحدة يامر الناس فيها بالذهاب غدا بعد ما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة ان لا يدخلوها بل تضرب قبة الامام بنمرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة من ان تضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون ياخذون في الاذان معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذن من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] واذا وقفوا استقبلوا القبلة [illegible] الى غروب الشمس [illegible] الحج [illegible] قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة [illegible] دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام [illegible] وقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة [illegible] الحاج هناك في هذا الوقت لحظة واحدة [illegible] غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب [illegible] وقيل لان الناس يجتمعون بها [illegible]

قريح ولا يقفون بها في سيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر الى ان يعودوا الى منى اربعة رمي جمرة العقبة والذبح والحلق
او التقصير والطواف فطواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم ياتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال والترتيب
في الاعمال الاربعة على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فعلها واما انه
ليس بواجب فلما روى عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله
اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني افضت الى البيت قبل
ان ارمي قال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك واحمد وابي حنيفة ان الترتيب بينهما واجب ولو تركه
فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج من سنة ابرهيم وذلك ان الحمس كانوا لا يقفون
بعرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون قبل ان تغرب
الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع الى النحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل في غور الارض
ويشير الجبل هناك فامر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين فامره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من
المزدلفة قبل طلوع الشمس فان السنة ايضا من قبيل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لان الصلوة والمقام
والمبيت به والدعاء عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية
قال وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقال عند
المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب
المزدلفة لكونها في حكم المشعر ذكرا قال تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه ان فاذكروا امر وهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا
والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون
كما هديكم ما مصدرية او كافة الحق الامر بالذكر ولا تم قيد ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة كي تكونوا شاكرين والهداية
اما كل انواع الهدايات او الهداية الى سنة ابرهيم في مناسك الحج او اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه بحسب الراي والقياس فان
اسماء الله تعالى توقيفية او الذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني الذكر بالقلب والمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته او المراد بتثنية الامر
تكريره وتكثيره كقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هديكم متعلقا بالامرين جميعا او الذكر الاول مقيد بانه
عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اقامة للوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء الى معارج الحقيقة وهو
ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام او المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله
من قبل الهدى او من قبل الرسول او من قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انه الافاضة من عرفات وعلى هذا فالاكثرون
قالوا انه امر لقريش وخلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف به اولى ولانهم اهل الله
وقطان حرمه فلا يليق بجاههم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج
الناس الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له الى من هذا مقام ابائك وقومك فلا تذهب فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف
بها وامر سائر الناس بالوقوف بها والحاصل ثم ليكن افاضتكم من حيث افاض الناس اي الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين
وان الافاضة المامور بها صواب والاخرى خطأ كما تقول احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى كريم
والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه وصيرورة المعنى فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات ولا ان يقدر
تقديم هذه الاية على ما قبلها في الوضع ومن القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال الامر للناس جميعا وقوله من حيث افاض الناس المراد
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فان من سنتهما ذلك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس
وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا مقتدى به كان ابرهيم امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان
ووجه ثالث وهو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وانها امر قديم كما يقال هذا مما فعله الناس قديما
والقول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني
ابرهيم واسمعيل ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والعرب الذين كانوا
واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس فامرهم الله تعالى بان تكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام واورد على هذا القول ان ثم حيث للزمان قليل ويمكن ان يجاب بان القران اولى ما يحتج به وعن الزهري ان الناس

في هذه الاية آدم ع واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي بكسر السين اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل
فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في المخالفة الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم و
لكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما بعد ابتغاء لمرضات الله لا
للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم الامكان والقصور من خصائص
الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارفع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه عن شداد
بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك
ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر
الله كفى ولو زاد فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وانت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذا الجلال والاكرام
من كل ذنب اذنبته ومعصية ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بناء للمبالغة كما مر مرارا
واختلف اهل العلم في المغفرة الموعودة في هذه الاية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قائل
انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على القول الاخر قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج او من اعمال
مناسككم ان المناسك جمع المنسك وانه يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس
ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضائل ابائهم في السماحة والحماسة وصلة
الرحم ويتناشدون فيها الاشعار وغرضهم الشهرة والترفع بماثر سلفهم فلما انعم الله تعالى عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لابائهم ثم
الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوات
في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار بعد الفراغ من الحج كالادعية الماثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل
معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم اثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية واطعتم الاذى عن طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله
فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية بموجب السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات ومعنى كذكركم اباءكم
توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الاباء واقيموا الثناء على الله مقام تعداد مفاخر الاباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا
والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي وان كانوا يذكرون الاباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على
مولى النعماء اولى مع ان حسنات ابائهم محبطة بسبب اشراكهم وعن الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم اباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول
ابه ابه امه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه فاكتفى بالاباء عن الامهات كقوله سرابيل

مطلب فاذكروا الله كذكركم اباءكم

تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الاباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل لا ينسى ذكر ابيه وكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله وقال ابن الانباري
العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالاباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيم اباءكم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالاباء وقال من كان
حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية فان الواحد منكم لو نسب الى والدين نادى منه واستنكف وقيل كان الطفل يرجع
الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله كذلك وعن ابن عباس معنى الاية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالدك
اذا ذكر بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما يقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد
منهم ذكرا واما في موضع نصب عطفا على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من اباءكم على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الاباء لا فعل الذاكر وهو الابناء
فان الذكر بل كل فعل يعتد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره عن الفاعل وذلك الفعل باحد الاعتبارين مغاير له بالاعتبار
الاخر وانما لزم اعتبار الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله
ذكرا مثل ذكركم اباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل مما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله تقول وجهك احسن وجه اي احسن
الوجوه فاذا نصبت ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد اقره ضيفا فالقراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى
يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال الذكر اشد ذكر باجرائه اضافة ووجه نصبه على ما قال ابو علي ان يجعل الذكر ذكرا اعجازا ويجوز نسبة الذكر
الى الذكر بان يجعل ان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر بجد وشد بسببه وعلى جميع الوجوه فمعنى او ههنا ليس هو التشكيك وانما المراد بها النقل عن
الشيء الى ما هو اقرب واولى كقول الرجل لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون ذكرهم اشد لان مفاخر ابائهم متناهية
وصفاته الكمالية غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان ولازم الثاني نور وبرهان ثم انه تعالى بعد
ما امر به نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف
الى ذلك طلب نعيم الاخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الاخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه
ان لا يوجد فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بالام الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من افات الدنيا والاخرة

عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل يعوده وقد انهكه المرض فقال له ما كنت تدعوا الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت معاقبني به في الاخرة فعجله في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي والانصاف ان الله سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه وقد يفضي ذلك به الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظايف الطاعات ومن ذا الذي يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصرون في الدعا على طلب الدنيا منهم عن ابن عباس انهم المشركون كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابي علي الدقاق رحمه الله انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلب الماكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والاخرة وقال الاخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وصوبتوا لانهم سالوا الله في اعظم المواقف واشرف المشاهد اخس البضايع وادون المطالب المشبه تارة بكنيف واخرى باحقر من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقوله ربنا اتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان يعطي اي يوجد الاعطاء معناه اجعل اعطاءنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطالع النفس في الدنيا احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الاخلاق لتدبير الامور المنزلية والمدنية فلما قال عز من قايل وما له في الاخرة من خلاق اي طلب نصيب حذف مفعولنا لان كل من ليس له في الاخرة طلب ولا همته الى اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطموح فمطلوبه عبث وسفه ووبال وضلال اي شي فرضت علما او عملا روحانيا او جسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شي ينظر الا اليك ولا يرغب في كل ما يرغب الا لاجل ما لديك ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الاية ان هذا الفريق مجابة دعوتهم او لا فقال طايفة من العلماء انهم ليسوا باهل للاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمرتضين من عبيده وقال اخرون قد يكون الانسان مجابا بالاكرامة والاجتباء بل مكرا واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال في الاية اضمار اي يقول ربنا اتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق لان همته مقصور على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة و النصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تصبك حسنة تسوءهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل اما النصرة واما الشهادة واما في الاخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والاخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا قال ما تريدون قد سالت لكم خير الدنيا والاخرة وعن علي كرم الله وجهه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء و عذاب النار امراة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العلم النافع وهو الايمان والطاعة وفي الاخرة التنعم بذكر الله والانس به وبرؤيته قلب لا تلذذ في الدنيا والاخرة الا بهذه شعر الجنة من الحبيب مجالس وحبيب قلبي في الفواد انيس وعن قتادة الحسنتان طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الاخرة الجنة ومنشأ البحث ان الحسنة في الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما رآه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة اي حسنة او يريد حسنة توافق حال الداعي وحكمة الله والتصريح به فانه لا يكون الاعطاء اي اعطاء حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى النعم شعر قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب واي نصيب مما اكتسبوا اي من جنسه او كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة من الابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطاياهم اغرقوا والكسب ما يناله المرء بعمله ومنه يقال للارباح انها كسب فلان او لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السريع نقيض البطيء والحساب المحاسبة وهو العد قال الزجاج هو ماخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وكذا انه قد يكون وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا لخلقه قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير

اعمالهم وكمياتها وكيفياتها ومقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال لهم هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل المحاسبة المجازاة وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز ان الحساب سبب للاخذ والاعطاء وقيل انه تعالى يكلم العباد في احوال اعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال ان كلامه ليس بحرف ولا بصوت قال انه تعالى يخلق ذلك الكلام في اذن كل واحد منهم او في جسم يقرب من اذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا لخلقه ومعنى كونه سريع الحساب ان قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير ان يفتقر في احداث شي الى فكر وروية وعزم ولذة التعود وفي الخبر انه يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة وروي في لمحة او انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم لانه قادر على ان يعطي مطالب جميع الخلايق في لحظة واحدة كما ورد في الدعاء الماثور يا من لا يشغله سمع عن سمع او ان وقت جزائه وحسابه سريع يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم قوله تعالى واذكروا الله اي بالتكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لان الامر بالتكبير امر بالذي يتوقف التكبير على حضوره وانما اخبر عن هذا النسق لانهم ما كانوا منكرين للرمي وانما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في ايام معدودات هي ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر اولها يوم القر لان الناس يستقرون فيه بمنى الثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني عن عبد الرحمن بن معمر الديلي ان رسول الله صلى الله عليه امر مناديا فنادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج وايام منى ثلثة من تعجل في يومين فلا اثم عليه واعلم ان التكبير المشروع في غير الصلوة وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الاحوال بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هديكم وذكرنا صورة التكبير هناك ايضا ولا فرق في التكبير المرسل بين عيد الفطر والاضحى واما التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه لا يستحب في عيد الفطر لم ينقل ذلك عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه وانما يستحب في الاضحى وتقييده هو ان يوتى به في ادبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد طلوع الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوات وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في اشهر اقواله ووجهه ان الناس فيه تبع الحجاج وهم يبتدون التكبير عقيب الظهر يوم النحر الى الصبح خمس عشرة صلوة فيكون اخرها صلوة الصبح من اخر ايام منى ويكبرون قبل ذلك التلبية والقول الثاني للشافعي انه يبتدا به من صلوة المغرب ليلة النحر الى الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير في اعقاب ثماني عشر صلوة والقول الثالث يبتدا من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والاسود والنخعي وابي حنيفة واعترض عليه بان هذه التكبيرات تنسب الى ايام التشريق فوجب ان يؤتى بها وان انضم معها زمان اخر فلا اقل من ان يكون هي اغلب والقول الرابع يبتدا بها من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من ايام فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول اكابر الصحابة كعلي وعمر وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وابي يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا فقال الله اكبر ومد التكبير الى العصر من اخر ايام التشريق ولان هذا هو الاحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول انما يكون التكبيرات مضافة الى ايام التشريق لانها اكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم اشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا تنحر حتى تشرق الشمس واما رمي ايام التشريق فانه يجب ان يرمى كل يوم بعد الزوال و الغروب بكل جمرة من الجمرات الثلث بالترتيب مبتديا من الجمرة الاولى من جانب المزدلفة ومختتما برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة رميات سبعا في سبع دفعات لان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك رماها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمى في الحج سبعون حصاة يرمي الى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة واحدى وعشرون في كل يوم من ايام التشريق الى الجمرات الثلث الى كل واحد سبع تواتر النقل قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجاج ان يبيتوا بمنى الليلتين الاولين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني فمن اراد منهم ان ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال احمد ومالك والشافعي وعند ابي حنيفة يسوغ النفر ما لم يطلع الفجر فاذا طلع لزم التاخر اي تمام الايام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله ويجيئان مطاوعين بمعنى عجل وهذا اوفق لقوله تعالى ومن تاخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كساير الايام وقد سئل هنا ان المتاخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه

مطلب واعلم ان التكبير المشروع

فلا اثم وهذا انما يقال في حق المقصر الذي يظن انه قد رهقه اثام فيما اقدم عليه واجيب بان الرخصة قد تكون عزيمة كالقصر عند
ابي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلمكان هذا الاحتمال رفع الحرج في الاستعجال والتاخر دلالة على ان الحاج مخير
بين الامرين او بان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتاخر اثما مخالفا لسنة الحج فبين الله تعالى ان لا اثم على واحد منهما
وقيل ان المعنى في ازالة الاثم عن المتاخر انما هو لمن زاد على مقام الثلثة وكانه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام بها فيها ثلثة فمن نقص
فلا اثم عليه ومن زاد على الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل الاية سيقت لبيان ان الحج مكفر للذنوب والاثام لا لبيان
ان التعجيل وتركه سيان كما ان الانسان اذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الان اذا تناولت السم فلا باس يريد ان الترياق دواء
كامل في دفع المضار لا ان تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحد وقيل ان جوار البيت مكروه عند كثير من العلماء لان ذلك
قد يفضي الى نقص حشمة البيت ودفعة في قلبه وعينه فامكن ان يختلج في قلب احد ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجيل
من المسارعة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج في واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء
سيئة سيئة مثلها بل هاهنا اولى لان المندوب يصدق عليه انه لا اثم على صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله لمن
اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه اثم منهما فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه
وقيل معناه ان هذه المغفرة انما تحصل لمن كان تقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين ولمن كان متقيا عن جميع المحظورات
حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اي فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار
بالحج السابق كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وبعث على التشديد فيه لان الحشر وهو اسم يقع على ابتداء
خروج الناس من الاجداث الى انتهاء الموقف يوجب تصوره لزوم سيرة الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من
قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجأ الا اليه ولا مستعان الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله **التاويل**
الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل الى اربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ثم لو صدق طلبه قبل الاربعين
وما امكنه الوصول فقريب ان يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في عنفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين يجري منه على الحيف
اذ ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة التي اخرها الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها وليتجردها كالمحرم بعد الاغتسال
بماء الانابة يتزر بازار التواضع والانكسار ويتردى برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا
يخرج من حكم الوقت ولا يدخل فيما يورث المقت ولا جدال في الحج لا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصول لا في الاصول ولا في الفروع
فلا في ما الهامه احد يخاصم ولا في نجابها لاحد يزاحم فمن نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وتزودوا الكل تزاد فزاد اولى العشور كعك وسويق وهم الذين مقصدهم البيت ومقصودهم الجنة وزاد اولى
الالباب التقوى وهم من مقصدهم ومقصودهم رب البيت وتقوى اهل العشور مجانبة الزلات ومواظبة الطاعات
وتقوى اولى الالباب مجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان
تبتغوا فضلا مقام ابتغاء الفضل يعني الرحمة بترك الموجود وبذل المجهود وهو في سيره الى عرفات ومقام ابتغائه يعني انه هو
القربة ببذل الوجود عند الوقوف بعرفات لان الحج عرفة وعرفة المعرفة ومقام ابتغائه يعني الرزق فهو قبل سيره الى عرفات وقال
جمع من المحققين انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه لقوة عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله في الله عند المشعر الحرام
يعني القلب الذي حرام عليه الاطمينان بغير ذكر الله واذكروه كما هديكم اي كما هدى قلوبكم يهدي نفوسكم كيلا يقع في خطر حب الدنيا
وان كنتم من قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الضالين في طلب الدنيا وحظوظ النفس من حيث افاض الناس يعني محمدا وساير الانبياء
والاولياء اي ليكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل الالة
غير المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله الى قوله واستغفره اي اذا وجدت هذا لا يخلو من حظ فاستغفروا فاذا قضيتم مناسككم
الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فلا تامنوا مكر الله وواظبوا على الذكر كذكركم اباءكم في صغركم للافتقار وفي كبركم للافتخار او
اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان اثر الطاعة واثر المعصية تظهر في
الحال على القلب في ايام معدودات هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين ووقف على الوسط ليكون من اهل الجنة
فلا اثم عليه ومن تاخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع الى الوقوف والله ولي التوفيق قوله تعالى

ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله ما في قلبه وهو

الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث و
النسل والله لا يحب الفساد ۝ واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ۝ ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد ۝ يا ايها الذين امنوا ادخلوا
في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين
فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم ۝
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة و
قضي الامر والى الله ترجع الامور ۝

القراءة مرضاة بالامالة والوقف بالهاء علي وكذلك يقف على هيهات هيهات وعلى حدائق ذات
ذاة وعلى افرايتم اللات اللاه وعلى ولات حين ولاه وعلى مريم ابنت ابنة وافق ابو عمرو في ولات حين بالهاء السلم بفتح السين
ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي والباقون بالكسر والملائكة بالجر يزيد عطفا على ظلل او على الغمام والجواد وان كان فاعل يأتيهم
الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح الجيم
الوقوف قلبه لان الواو للحال الخصام والنسل الفساد جهنم المهاد مرضات الله بالعباد كافة لعطف الجملتين المتفقتين
الشيطان مع احتمال الجواز مبين حكيم وقضي الامر الامور **التفسير** لما امر بذكر الله في الحج الى تعديد فرق الناس بحسب اغراضهم في
الدعاء ناسب ان يعطف على ذلك تقسيم اخر يعرف منه مطامع انظار الناس على الاطلاق ليعرف ارباب النفاق من اصحاب الوفاق عن السدي
نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه وقال والله
يعلم اني لصادق فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع وعقر الحمر وقيل انه اشار على بني
زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه ساير الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به فقالوا نعم الراي
ما رايت ثم خنس بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمي بهذا السبب اخنس وكان اسمه ابي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك
فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم ففيهم نزلت وقوله بعد ذلك ومن
الناس من يشري اشارة الى هؤلاء الشهداء واختيار المحققين من المفسرين انه لا يمتنع ان يكون الاية نازلة في الرجل خاصة ثم يكون عامة في امثاله
فهذه الاية عامة في المنافقين كانت السنتهم حلوة وقلوبهم امر من الصبر والضمير في يعجبك قوله يعود الى من ويحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى
اللفظ يعني يعجبك بروقك ويعظم في قلبك وفي الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله اي يعجبك ما يقوله في باب الدنيا طلبا للمصالح العاجلة فقط
كالامان من القتل والاخذ من الغنائم واما ان يتعلق بيعجبك لان قوله وحلو كلامه انما يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الاخرة لما يرهقه
في الموقف من الهيبة والحيرة او لانه لا يؤذن له في الكلام والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل سامع ويشهد الله على ما في قلبه يحتمل ان يكون
ذلك الاستشهاد بالحلف وان يكون بقوله الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة واللديدان
جانبا الوادي كان كلا من المتخاصمين في جانب ومنه اللدود وهو ما يصب من الادوية في احد شقي الفم واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت
الغدر او على الظرف وجعل الخصام الد على المبالغة نحو جد جده او الخصام جمع خصم كصعاب في صعب والمعنى هو اشد الخصوم خصومة
والحاصل انه جدل بالباطل شديد الفسوق في معصية الله عالم اللسان جاهل العمل واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق
سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل اولئك المسلمين من احراق الزرع وعقر المواشي واصل السعي المشي بسرعة وقد يستعار لايقاع الفتنة
والتضريب بين الناس وقيل لما انصرف من بدر مر ببني زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم و

فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا لما اجمله قوله ليفسد وقيل افساده هو القاء الشبه في عقايد المسلمين وعلى هذا فيكون
اهلاك الحرث والنسل معنى اخر وهذا تفسير مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة
الى نقص قوته النظرية والاهلاك عبارة عن فعل المنكرات وفيه نقصان قوته العملية وقيل واذا تولى اى اذا كان واليا فعل ما يفعله
ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع
والنسل الولد ونسلت الناقة بولد كثير والتركيب يدل على الخروج وقيل اهلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل
افناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبايح واذا لم يردها لم يخلقها
لان الخلق لا يكون الا بالارادة ومنع من ان المحبة نفس الارادة بل المحبة عبارة عن مدح الشي وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مرجح
لاحد جانبي كل ممكن على الاخر الا الله والا انسد باب اثبات الصانع يدل على ان الكل بارادته ومشيته وقد مر تحقيق ذلك فيما سلف واعلم
انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها حسن كلامه في طلب الدنيا وثانيها استشهاده كذبا وبهتانا وثالثها اللجاجة في
ابطال الحق واثبات الباطل ورابعها سعيه في الارض للافساد وخامسها سعيه في اهلاك الحرث والنسل فوقع قوله والله لا يحب
الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة اشنع من الكل دالة على جهله المركب عن ان يرجى منه وذلك قوله واذا قيل له اتق الله في
ارتكاب شي من هذه المنهيات والقايل اما الرسول صلى الله عليه وسلم قولا خاصا او عاما بجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه واما كل واعظ
وناصح اخذته العزة بالاثم من قولهم اخذت فلانا بان يفعل كذا اى الزمته ذلك وحملته عليه اى اخذته الغلبة والاستيلاء والانفة
وحمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات الى هذا الوعظ وعدم الاصغاء اليه او من قولهم اخذته الحمى اى لزمته
واخذ بالكبر اى اعتراه ذلك والمعنى لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الاثم الذي في قلبه وذلك الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في
الدلايل فحسبه جهنم كافية هي جزاء له يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر ورفعه على الخبرية او على الابتداء
اذا كان ما بعده معرفة او على الابتداء اذا كان ما بعده نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلى تقدير
كونه خبرا لوقوع المعرفة بعده يكون اضافة لفظية اى محسب وكافله قال يونس واكثر النحويين جهنم اسم النار التي يعذب الله بها في
الاخرة وهي اعجمية وفيها العلمية والتانيث وقال اخرون انه اسم عربي سميت نار الاخرة بها لبعد قعرها حكي عن رؤبة انه قال
ركية جهنام بكسر الجيم والهاء اى بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اى غليظه سميت بذلك
لغلظ امرها في العذاب والعقاب ولبئس المهاد اى ما يمهد لاجله فان المعذب في النار يلقى على النار كما يوضع الشخص على
الفراش ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التمهيد والتوطية قوله تعالى ومن الناس من يشري الاية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا
نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الي او ارمي
بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم نزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا الاية وقيل اخذ المشركون صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب
اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة
فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى قال صهيب وبيعك فلا نخسر ما ذاك فقال انزلت فيك
كذا وقرا الاية وعن الحسن نزلت في ان المسلم لقي الكافر فقاتل حتى قتل وقيل نزلت في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب
انسانا يقرا هذه الاية فقال عمر انا لله قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت في علي كرم الله وجهه بات على فراش رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه الى الغار ويروى انه لما نام على فراشه قام جبريل عند راسه وميكائيل عند رجله وجبريل ينادي بخ بخ
من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الاية ثم ان الاية تدل على ان ههنا مبايعة فاكثر المفسرين على ان العامل هو البايع
ومعنى يشري يبيع وشروه بثمن بخس والله هو المشتري ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعمل المكلف وهو بذل نفسه في
طاعة الله تعالى من الصلوة والصيام والحج والجهاد وهو المثمن والجنة هي الثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشرى ههنا الاشتراء وذلك ان من اقدم
على الكفر والمعاصي وكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت حقا للنار واذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار فصار حال
المؤمن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشتري بها نفسه والمؤمن يبذل انفاسا معدودة ويشتري بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقي
عليه درهم فكذا المكلف لا ينجو عن ربقة العبودية ما دام يبقى له نفس واحد في الدنيا وهذا قول عيسى عليه السلام واوصاني بالصلوة والزكوة
ما دمت حيا وقوله عز من قايل للنبي واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وابتغاء مرضات الله اى طلب رضوانه نصب على العلة الغائية
وفيه دليل على ان كل مشقة يتحملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا كان عمله ضلالا او كدا وبالا
والله رؤوف بالعباد فمن رافته جعل النعيم الدايم جزاء على العمل القليل وجوز لهم كلمة الكفر ابقاء على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن

بالايمان ومن رافته انه لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رافته ان المصر على الكفر مائة سنة اذا تاب ولو في لحظة اسقط عقابه
واعطاه ثوابه ومن رافته ان النفس له والمال له ثم انه يشتري ملكه بملكه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه
يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق ايضا على الصلح وترك الحرب
والمنازعة وهو ايضا راجع الى هذا فانه يذكر ويونث واختلف في المخاطبين فقيل امر المسلمين بما يضاد حال المنافقين اى الذين
امنوا بالالسنة والقلوب دوموا على الاسلام فيما يستقبل من ايامكم ولا تخرجوا منه ولا من شي من شرايعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا يلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اهل الغواية والكاين في الدار اذا علم ان له في المستقبل خروجا منها لا يمتنع ان يؤمر
بدخولها في المستقبل خروجا حالا بعد حال ومعلوم ان المؤمنين قد يخرجون من خصال الايمان بالنوم والسهو وغيرهما من الاحوال
فلا يبعد ان يامرهم الله بالدخول في الاسلام فيما يستانف من الزمان او امرهم بان يكونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال
البلوى فيه ولا تتبعوا اثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخور في امر الدين مثل ولا تنازعوا فتفشلوا او يكون المراد
بالدخول في السلم ترك الذنوب والمعاصي فان من مذهبنا ان الايمان باق مع الفسق والعصيان او يكون المراد الرضا
بالقضاء والتلقي بجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في الخبر الرضا بالقضاء باب الله الاعظم او يكون المراد ترك الانتقام
وسلوك طريقة العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المامورين اى ادخلوا بجمعكم
في السلم ولا تتفرقوا ولا تختلفوا وان يكون حالا من السلم على انها مونث كالحرب اى ادخلوا في شرايع الاسلام كلها واصل الكف
المنع فسمي الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرق والشذوذ ورجل مكفوف اى كف بصره من ان ينظر وكف القميص لانها يمنع الثوب
من الانتشار والكف طرف اليد لانه يكف بها عن ساير البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين امنوا بالسنتهم
ادخلوا بكليتكم في الاسلام ولا تتبعوا اثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يقيموا على بعض شرايع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية واستاذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك فامروا ان يدخلوا في شرايع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشي من احكام التورية لثبوت نسخها بالكلية
فان التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع اثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين
امنوا بالكتاب المتقدم اكملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات التي يتمسكون
يتمسكون بها في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابي مسلم ان المبين من صفات البليغ الذي يعرب عن ضميره ولا يخفى
انه اعرب عن عداوته لادم ولنسله وقيل مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه ورضوانه قوله
فان زللتم المخاطبون ههنا المخاطبون في قوله ادخلوا فيجي الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم
عن الطريق الذي امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلايل العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله
عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذه نهاية في الوعيد كما لو قال الوالد لولده ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي كان ابلغ في
الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب وكما ان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ وقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللايق
بالحكمة تمييز المحسن من المسيء وان لا يسوي بينهما في الثواب والعقاب وروي ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرا
القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله الاية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجي والذهاب لان هذا
من شان المحدثات والمركبات وانه تعالى ازلي فرد في ذاته وصفاته فذكروا في الاية وجهين الاول وهو مذهب السلف الصالح
السكوت في مثل هذه الالفاظ من التاويل وتفويضه الى مراد الله تعالى كما روي عن ابن عباس انه قال نزل القران على اربعة اوجه لا يعذر
احد بجهالته ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه يعرف من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله الثاني وهو قول جمهور
المتكلمين انه لا بد من التاويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجي الايات مجيا له تفخيما لها كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته
وقيل المراد اتيان امره وباسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع اخر او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا وايضا الامر في قوله وقضي
الامر يدل على معهود سابق وما ذاك الا الذي اضمرناه لا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها محال وعند المعتزلة اصوات
فيكون اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد وحينئذ فالمراد ما يليق بتلك
المواقف من الاهوال واظهار الايات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهي فلا يبعد ان مناديا ينادي يوم القيمة الا ان الله يامركم
بكذا ومعنى كونه في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في ان واحد او يكون المراد حصول اصوات مقطعة
مخصوصة في تلك الغمامات تدل على حكم الله تعالى على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تعالى يخلق نفوسا منطقة

في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها حال اهل الموقف في الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل الملاقي به محذوف والمعنى الا ان يأتيهم الله بباسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه وقيل ان في بمعنى الباء اي يأتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر اتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طي ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل بناء على ان الخطاب في ادخلوا في السلم لليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه ويجوزون المجيء والذهاب على الله تعالى ويقولون انه تعالى تجلى لموسى عم على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان الاية لا تدل الا على ان قوما ينتظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ومبطلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظل والغمام جمع لا يكون كذلك اذا كان مجتمعا ومتراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها يكون في غاية الكثافة والعظم وكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان يأتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير ونزول الغمام علامة لظهور الاهوال في القيمة قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا او استعير لتتالي العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة ليقوموا بما امروا به من تعذيب وتخريب ولا حاجة الى التاويل لان اتيانهم ممكن وقضي الامر وفرغ من امر اهلاكهم وتدميرهم او عما كانوا يوعدون به فلا يبقى لهم عزة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان يأتيهم الله ويقضي الامر فوضع الماضي موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب او الساعة كل ما هو آت قريب واما لان اخبار الله تعالى كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضاء بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلة من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفا على لفظ الله والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيرا من امور خلقه اما اذا صاروا الى الاخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقولهم رجع امرنا الى الامير اذا كان هو يختص بالنظر فيه فعلى المكلف ان يدخل في السلم كما امر ويحترز عن اتباع آثار الشيطان كما نهي ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله ومعنى تعالى يرجع الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيامة ههنا معنى القراءتين في ترجع وايضا قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه ويقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك وان لم يكن احد يذهب به او المراد ان العباد يردون امورهم الى من خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالاختيار واما الكافرون فبشهادة الحال قال الله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال

التاويل النفس الامارة تظهر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة وترى انها اولى الاولياء ولكنها اعدى الاعداء وتسعى في تخريب ارض القلب وابطال حرث الصدق في طلب السعادة واهلاك نسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة وتشمخ بانفها عن قبول الحق فحسبه جهنم البعاد ومن الناس من يشري نفسه هذا شان الاولياء باعوا انفسهم خالصا لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق الله وتسليم الاحكام والاقضية لله ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله وهذا مقام يضيق عن اعلانه نطاق النطق ولا يسع اظهاره في ظروف الحروف **شعر** وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله

يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب

القراءة ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد وكذلك في آل عمران والنور موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب **الوقوف** بينة لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اي فبدلوا ومن يبدل العقاب من الذين آمنوا لان والذين مبتدأ وفوقهم خبره ولو وصل صار فوقهم ظرفا ليسخرون او حالا لفاعل يسخرون وفيه ظاهر يوم القيمة حساب ومنذرين لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه بينهم لعطف المختلفين باذنه مستقيم من قبلكم للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما يأتكم عطف على ام حسبتم تقديره احسبتم ولم يأتكم متى نصر الله قريب

التفسير انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الاية ثم ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد وهذا السؤال سؤال التقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة ولا لكثرة الايات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين عن انهم لو بدلوا عن آيات الله لوقعوا في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كي يعتبروا ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن آية مميزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد ايتائنا الايات اياها حتى يخبروك عن كميتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن ما كثيرا من الآيات آتيناهم والآيات الواضحات اما معجزات موسى عم كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها وهي تسع آيات ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واما الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من آمن واقر ومنهم من جحد وبدل ومن يبدل نعمة الله قيل انها الآيات والدلائل وهي اجل اقسام النعم لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الآيات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الآية البينة هي ما في التورية والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه فيها وقيل المراد بنعمة الله ما آتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها ان لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف بل استعملوها في غيرها او بيت هي لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول وهو ان المراد من النعمة الآيات فمعنى مجيئها التمكن من معرفتها اذ لم يعرفها فكانت غائبة فان الله شديد العقاب قال الواحدي الرابطة محذوف اي له والتحقيق انه ترك هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك وصفا ذاتيا ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب الذي لاجله كان التبديل سيرتهم فقال زين للذين كفروا الاية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على الباقي من نعيم الآخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد والفصل مع ان التانيث ليس بحقيقي عن ابن عباس ان الاية نزلت في ابي جهل واضرابه من كفار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين

ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في التنعيم والراحة كانوا يسخرون من فقراء المومنين والمهاجرين ثم المزين منهم هو
نص المعتزلة انهم غواة الجن والانس فيجوا امر الاخرة في اعين الكفار وهوان لا صحة لها فلا تنغصوا عيشكم في الدنيا
كقول من قال شعر اتترك لذة الصهباء نقدا * بما وعدوك من لبن وخمر * قالوا واما الذي يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك
فباطل لان المزين للشيء هو المخبر عن حسنه وان كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعله
المستحسن له مصيبا وان كان كافرا واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر ويزيف بان تزيين الكفر لجميع الكفار لا بد
ان يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه مردود وانما المزين من يجعل الشيء موصوفا بالاوصاف الحسنة
سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيها من اللذات والراحات وهذا اخبار عما
ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر وقال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب تقول ان يذهب بك لا يريدون ان ذاهبا
يذهب به ومنه قوله تعالى انى يوفكون انى يصرفون ولما كان الشيطان لا يملك ان يحمل الانسان على الفعل قهرا فالانسان
بالحقيقة هو الذي زين لنفسه والمحقق ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانها جميع الحوادث اليه اظهر في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب والحلاوة و
ركب في الطباع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الالجاء الذي لا يمكن تركه بل امكان رد النفس عنها ليجاهد
المومن هواه فيقصر نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام ويتم غرض الابتلاء او نقول المراد بالتزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا ولم يمنعهم
عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تعالى زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو
ضعيف لان الله تعالى خص بهذا التزيين الكفار وتزيين المباحات لا يختص به الكفار ولئن قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه
دايم التشرق به فان قلت انه يريده لكونه معقود الهمة به لا عيش عنده الا عيش الدنيا بخلاف المومن فان تمتعه من طيبات الدنيا
ويهجيها وان كثرماله وجاهه مكدر بالخوف والوجل من الحساب في الاخرة قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى
الاشتغال عن الاخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فبقي الاشكال بحاله ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تعالى
بعد تذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم بعد ذلك بفعل
يديمونه فقال ويسخرون من الذين امنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هولاء المساكين تركوا الطيبات الدنيا
وتحملوا المتاعب لطلب الاخرة ولا يخفى انه لو طلب بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت
السخرية منقلبة عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين
اتقوا فوقهم يوم القيمة اما بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في مهاوي
الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان ومجرد استبعاد امر المعاد وحجج
المتقين يوم القيمة تستند الى العناد ووعيد الرحمن ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المومنين بالكافرين يوم القيمة كونها حقة وباقية فوق سخرية الكافرين بالمومنين في الدنيا لكونها
باطلة ومنقضية ومن في قوله والذين اتقوا دون ان يقول امنوا كما قال من الذين امنوا بعث على التقوى وان كرامة المومن منوطة بها
والله يرزق من يشاء بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وبحرمان فقراء
المسلمين عنها على انهم على الباطل فرد الله تعالى عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد تستتبع عاقبته هي الاستدراج في حق الكافر
والابتلاء في حق المومن او يرزق من يشاء من مومن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سوال سايل فالامر امره
والحكم حكمه ولا يسال عما يفعل او من حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذ اجاء ما لم يكن قد قدره ما كان هذا في حسابي فالمعنى ان الكفار
وان كانوا يسخرون من فقراء المومنين فلعل الله يرزق المومنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغنام بما افاء عليهم من اموال
صناديد قريش ورؤساء اليهود ويسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا
فلم انها عتاب وحلالها حساب فما يرزق العبد في الاخرة من النعيم المقيم بغير عتاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق في الاخرة
بالمومنين وفي الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا لا فناء له ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها
بغير حساب او يقال ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله م
فالفضل بلا حساب والحساب انما يحتاج اليه اذا كان بحيث اذا اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد
انقضاء الادوار والاعصار يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا فعلى هذا لا يتطرق الحساب البتة الى الثواب او اراد
ان الذي يعطى لا نسبة له الى ما في خزاين ملكه وقدرته فلا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي او معنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطي بمجرد

الفضل

الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعة ماية من قولهم فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على
قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة الاية فيه اشارة
الى ان الباغي والحاسد والنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك داء قديم في الانسان ثم الامة
الواحدة كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله تعالى
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وهذا يدل على ان النبيين عليهم السلم بعثوا حين الاختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو
كانوا قبل ذلك مجمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم حينئذ اولى ومنها النقل المتواتر ان ادم واولاده كانوا مسلمين
مطيعين لله تعالى الى قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق
ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح فلعل الناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق
يتوقف على النظر والنظريات مستندة بالاخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم
يعرض له سبب خارج فالصواب له بالذات والخطا بالعرض وما بالذات اقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا
فالاولى ان يقال كان الناس على الحق ثم اختلفوا الاسباب خارجة كالبغي والحسد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي عن ابن عباس والحسن وعطاء انهم كانوا على الباطل لان بعثة
الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم ولو قيل ان تقدير الاية فاختلفوا فبعث الله كما قراء به ابن مسعود
فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر فالوا من وفاة ادم الى زمان نوح
كانوا كفارا بحكم الاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس عليهم السلم كما يقال دار الكفر وان كان فيها مسلمون
القول الثالث عن ابي مسلم والقاضي ابي بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرايع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع
وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر نعمه والاجتناب عن القبايح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف
فيفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فعلم من ذلك ان تلك الوحدة متقدمة على جميع الشرايع فلا يكون الا استفادة من العقل
ثم سال القاضي نفسه فقال اوليس اول الناس ادم وانه كان نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون مع اولاده متمسكين بالشرايع
العقلية اولا ثم ان الله تعالى بعثه الى اولاده ويحتمل ان شريعته قد صارت مندرسة ثم رجع الناس الى الشرايع العقلية
القول الرابع التوقف فلا دلالة في الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس ان المراد من الناس اهل الكتاب الذين
امنوا بموسى ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد فبعث الله النبيين وانزل معهم الكتب كما بعث داود ومعه الزبور ومعه الانجيل
ومحمد ومعه الفرقان صلوات الرحمن عليهم ليكون تلك الكتب حاكمة في تلك الاشياء التي اختلفوا فيها وهذا القول وافق قول من
قال بان الخطاب في يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم لاهل الكتب فيراد بالناس اذن ناس معهودون ثم انه تعالى وصف النبيين
بصفات ثلث الاولى كونهم مبشرين الثاني كونهم منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة
والانذار يجري مجرى ازالة المرض والاولى كتاب الله كتناول الغذاء والثاني كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات
مقدم على الثاني لانه مقصود بالعرض الصفة الثالثة قوله وانزل معهم الكتاب بالحق وفي قوله معهم والضمير يعود الى عامة
النبيين دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل طال ذلك الكتاب ام قصر دون ذلك الكتاب ام لم يدون
معجزا او كان غير معجز قبل انزال الكتاب قبل وصول الامر والنهي اليهم قبل التبشير والانذار فلم قدم التبشير والانذار على انزال الكتاب
واجيب بان الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم وغيرهما وبان المكلف انما
يتحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لو لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب والخوف
انما يقوى عند التبشير والانذار فلهذا قدم ذكرهما على انزال الكتاب قلت فيه فايدة اخرى لفظية هي ان لا يقع فاصلة كثيرة بين
الثالثة وبين الاوليين او بين الثالثة وبين ما رتب عليها من قوله ليحكم اي الكتاب لانه اقرب ولا محذور في نسبة الحكم اليه تجوزا
كما لا محذور في كونه هدى وشفاء واللام للجنس او اريد مع كونه كل واحد كتابه وقيل ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب
وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه بعد الاتفاق او في كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب
حكم الله وما اختلف فيه اي الحق الا الذين اوتوه اي اعطوه الحق وادروه لمباشرة اسبابه القريبة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير
للكتاب اي الا الذين اوتوا الكتاب المنزلة لازالة الاختلاف كانهم عارضوا الكتاب بنقيض ما انزل لاجله انزل كيلا يختلفوا فزادوا
في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد بعثة الانبياء وانزال الكتب كما مر في القول الاول وقال
كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا واما تحريفهم وتبديلهم من بعد

ما جاءتهم البينات يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء الكتاب اى وما اختلف فيه من اختلف الا من بعد مجى البينات التى هى الكتب كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينه ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة لايتاء الكتاب ويعنى بها الدلايل العقلية التى نصبها الله تعالى على اثبات الاصول التى لا يمكن اثباتها بالدلايل السمعية واذا حصلت الدلايل العقلية والسمعية لم يكن فى العدول عذر ولا علة ولو حصل الاعراض كان سببه بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا ولولة الانصاف وكثرة الاعتساف ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اى فهدى الله الذين امنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف واللام بمعنى الى اى هداهم الى ما اختلفوا فيه كقولهم ثم يعودون لما قالوا اى الى ما قالوا باذنه قال الزجاج بعلمه وقيل بامره فبالامر يحصل التميز بين الحق والباطل يحصل الهداية وقيل فى الاية اضمار اى فهداهم فاهتدوا باذنه اى لا جاز ان ياذن لنفسه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل الى كمال الدارين او هو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق او الطلب لا يتاتى الا باحتمال شدايد التكليف واعباء الارشاد والتعليم قال سبحانه ام حسبتم على طريقة الالتفات التى هى ابلغ تشجيعا لرسول الله وللمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان نظره اعلى فى مراتب قرب المولى فبلاؤه اقوى فهو بالابتلاء اولى قال فى الكشاف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده وقال القفال ما هداه تقدير الاية فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء قومهم افتسلكون سبيلهم ام تحسبون ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما يأتكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر عن ابن عباس لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم فى ايدى المشركين واظهرت اليهود العداوة له فانزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدى نزلت فى غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت فى حرب احد لما قال عبد الله بن ابى لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون انفسكم وتنصرون الباطل لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان فى والتصديق لرسولى دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم به وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس فى المعيشة ومقاساة الاحوال فى جهات العدو كما قال ذلك من قبلكم من المؤمنين ومثل الذين خلوا حالهم التى هى فى الشدة وبيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء والضراء وهو عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه والضراء هى اشارة الى انفتاح ابواب الشر والافة اليه وزلزلوا حركوا وازعجوا بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة وهى من زل الشى عن مكانه والتضعيف فى اللفظ للتضعيف فى المعنى وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لان الخايف لا يستقر بل يضطرب لقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا بالخوف المقيم المقعد ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية فى الدلالة على كمال الضر والبؤس والمحنة فقال حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله لان الرسول لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية فى الشدة لا مطمح ورائها ومن قرا يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال بالنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع على الحال الماضية المحكية كقولهم شربت الابل حتى يجى البعير يجر بطنه الا ان نصر الله قريب اى فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المؤمنين كذلك فى تحمل الاذى والمتاعب فى طلب الحق فان نصر الله قريب لانه ات وكل ما هو ات قريب والحاصل ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينالهم من المشركين والمنافقين اذى كثير ولما اذن لهم فى القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال والانفس ما لا يخفى فعزاهم الله تعالى فى ذلك وبين ان حال من قبلهم فى طلب الدين كان ذلك والمصيبة اذا عمت طابت و ذكر الله تعالى من قصة ابرهيم والقائه فى النار ومن امر ايوب وما ابتلاه به ومن امر ساير الانبياء فى مصابرتهم على انواع المكاره وما صار ذلك سلوة للمؤمنين روى خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقالوا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب ان كونه رسولا لا يمنع من ان يتاذى من كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى انه سينصره الا انه ما عين له ذلك الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب وقته ولهذا اجيب بان نصر الله قريب لا بان نصر الله كاين وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا لقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم وعلموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين امنوا انهم قالوا قولا

ثم ذكر كلامين احدهما متى نصر الله والثانى الا ان نصر الله قريب فهذا الثانى قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم فى الاية دليل على ان كل من لحقه شدة بجبانه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه واما ان يموت واذا مات فقد وصل الى ما يمهل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم النصرة اللهم انصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير **التاويل** انه تعالى اذا فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه ويريه اياته وكراماته فان تغير باحواله وتعجب بكماله فيقبل على خطوط النفس ويبدل نعمة الله بموافقتها ورضاها فان شديد العقاب بان يغير احواله ويسلب عنه كما له كان الناس امة واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق وانزل معهم الكتاب الذى جف به القلم للسعادة او الشقاوة كقوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانه من الجنة والنار وما اختلف كل فريق الا وقد اوتوا السعادة او الشقاوة فى حكم الله وقضائه ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا من بعد البينات وهى معاملاتهم فيها يتبين السعيد من الشقى وبالعكس والله الموفق

يسألونك ماذا ينفقون ● قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ● كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ● يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ● ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ●

الوقوف ينفقون السبيل للابتداء بالشرط عليم كره لكم خير لكم لتفصيل الاحوال شر لكم لا تعلمون قتال فيه كبير على ان قوله وصد مبتدا وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال وصد عطف على كبير اى القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام او وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيوقف ههنا ويجعل و اخراج اهله مبتدأ وقيل وصد عطف والوقف على سبيل الله وكفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اى القتال منا وان كان كبيرا ولكن الصد والكفر والاخراج التى كانت منكم اكبر من القتل استطاعوا والاخرة لان الجملتين

فتكرار اولئك بنيته على الابتداء مبالغة في تعظيم الامر النار خالدون في سبيل الله لان ما يفعل خبر ان رحمت الله رحيم
التفسير انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال على الآجل بكل ما يمكن من الدخول في السلم وبذل
المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم انتظار النصرة الله شرع لما بعد ذلك في بيان الاحكام
وهو من هذه الآية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنته المرضية من خلط بيان التوحيد وذكر النصيحة و
الوعظ ببيان الاحكام ليكون كل منهما موكدا للآخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسالونك ماذا ينفقون عن ابن عباس
نزلت الآية في رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي دينارا قال انفقه على نفسك فقال ان لي دينارين فقال انفقهما على
اهلك فقال ان لي ثلثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة فقال انفقها على والديك قال اني لي خمسة قال انفقها
على قرابتك قال ان لي ستة قال انفقها في سبيل الله وهو احسنها اي اقلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو بن
الجموح وهو الذي قتل في يوم احد وكان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ينفق من اموالنا واين نضعها اما بحث
ماذا فقد تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا واما ان القوم سالوا عما ينفقون لا عمن ينفقون بصرف النفقة اليهم
فكيف طابق قوله في الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الآية فالوجه فيه انه حصل في الآية ما يكون جوابا
عن السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني
الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق قال القفال السؤال
وان كان واردا بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية فمن المعلوم لهم ان الذي امر بانفاقه ما لخرج قربة الى الله تعالى وحينئذ
يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله انها بقرة لا ذلول سؤالهم عن البقرة ما هي حيث كان من المعلوم ان البقرة بهيمة شانها
كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سالوا هذا السؤال اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اي شيء
كان ولكن بشرط كونه ما الاحلال او مصروفا الى المصرف كما لو سال شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اي طعام اكل والطبيب يعلم انه لا
يضره اكل الطعام اي طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق اي شيء اراد لكن
بشرط وهو ان يراعى في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم
بمصالح جميع الفقراء والترجيح لابد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق
وايضا لو لم يعطه قريبه احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وايضا قريب المرء جزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق
على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على الاكتساب لصغرهم ثم للمساكين الذين هم غير اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك في
دار الاقامة من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلدهم وما لهم ما يبلغون به الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شيء من مال
بناء على ان الخير هو المال او من كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلب الجزيل الثواب وهربا من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن
الجزاء عن السدي ان الآية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروق والاولى
واجبا ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب قوله تعالى كتب عليكم القتال كان النبي
صلى الله عليه وسلم غير ماذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن في قتال المشركين
عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الآية تقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فيستفاد
من لفظ كتب واما العموم فلانه قوله عليكم ان يمنع الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم القصاص كتب عليكم
الصيام وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطا يقتضي الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة
وقوله عليكم يقتضي ان يخص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت والعموم في عليكم مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع
وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد
حينئذ على الكل وهو كره لكم ليس المراد ان المومنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال
شاقا على النفس وهكذا شان ساير التكاليف وكيف لا والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة وانها في القتال اكثر لان الحيوة
اعظم ما يميل اليه الطباع فبذلها ليس بين **شعر** والجود بالنفس اقصى غاية الجود وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه
من الخوف من كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التي نذكرها والكره
الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي هو مكروه لكم وقرى بالفتح بمعنى
للعموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانه اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله
تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان بالاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا

شيئا وهو خير لكم فربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد ولهذا احسن
شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وحسن تحمل الاخطار في الاسفار لتحصيل الربح في المال
وكذا تحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى **شعر** العلم اوله مر مذاقته لكن اخره احلى
من العسل وههنا كذلك لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطرات القتل وصون المال عن الانفاق
ولكن فيه انواع المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان استباحوا بيضة
الاسلام واستباحوا حريمهم واستاصلوهم عن آخرهم واما منافع الجهاد فمنها الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء
على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات عليه والثواب في الاخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء كلمة الله وتوطين
النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب في القرآن قال فعسى الله ان ياتي بالفتح
وقد وجد وعسى الله ان ياتيني بهم جميعا وقد حصل وانتم لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى فعلي يعلم الاسباب وما يترتب عليها
والحوادث وما نشأت هي منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وعلمكم
انفعالي فلعلكم التصورات تظنون المبادي غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد وفيه ترغيب عظيم في اداء وظايف
التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والمورد فان الانسان اذا تصور تصورت نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يأمر
العبد الا بما فيه خيره وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله فان كرهه طبعه فكأنه تعالى يقول ايها العبد اعلم ان علمي اكمل من علمك فكن مشتغلا
بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك وهواك فهذه الآية في هذا المقام تجري قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون
الحكم الثاني قوله يسالونك عن الشهر الحرام اكثر المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدرهم ان يكون الامر
بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم هل يحل لهم الحرام في هذا الزمان وهذا المكان ام لا
يؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم في جمادي
الاخر قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص
الزهري وعكاشة محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة
وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا
نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين
ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد
بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمع وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهاني ان استكره
احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستاذنا ان يتخلفا
في طلب بعيرهما فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت
بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن
عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا
راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم
فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم من جمادي الاخر وكانوا يرون انه من جمادي وهي رجب فتشاوروا القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم
هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتل
فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المومنون العير
والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف
ويبذعر في الناس لمعايشهم سفك فيه الدماء واخذ فيه الحراب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك
على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب
فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادي واكثر الناس في ذلك فنزلت يسالونك عن الشهر الحرام اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول الخمس وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل
مكة في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان
فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمن بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا

واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعًا وقتله الله و طلب المشركون جثته بالثمن فقال صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان هذا السؤال كان من الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه خفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقراء عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرا وانما جاز وقوع قتال مبتدا لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله قل قتال ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفا مشارا به الى الاول والا كان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي سالوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبدالله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكباير مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام واعلاء كلمته فاختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سالوا عنه ثم الجمهور اتفقوا على ان حكم هذه الاية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعًا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن ان يقال ان قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه الى تقدير النسخ والله اعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله من القتل في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا منها في الشهر الحرام فكيف تعيبون عبدالله بن جحش على ذلك القتال مع انه ظن انه في جمادى واعلم ان قوله وصد قد مر وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فقيل انه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد الحرام منع الناس عن الصلوة فيه والطواف به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالاجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد في المعنى فكانه لا فصل وبان التقديم لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا احد وكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر الحرام اي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام للقسم والصد عن سبيل الله هو المنع عن الايمان بالله وبمحمد او عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بان الاية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن جحش وعام الحديبية كانت بعد غزوة بدر واجيب بان معلوم الله كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهلا له اذ كانوا هم القائمين بحقوق المسجد ولهذا قال عز من قائل وكانوا احق بها واهلها وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال وايضا انها اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبدالله بن جحش ولم يكن قاطعا بانه في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون ان هذه الامور تصدر عنهم في الشهر الحرام والفتنة الشرك او القاء الشبهات في قلوب المؤمنين او التعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار اكبر من القتل لان الفتنة تفضي الى القتل في الدنيا والى استحقاق العذاب الدائم في الاخرة فصح ان الفتنة اكبر من القتل فضلا عن ذلك القتال الذي وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمي يروى انه لما نزلت الاية كتب عبدالله بن جحش الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن استمرار الكفار على عداوة المسلمين حتى يردوكم عن دينكم كي يردوكم عنه كقولك لمت حتى ادخل الجنة يعني كي ادخل ويجوز ان يكون بمعنى الى كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم كقول الرجل لعدوه وهو واثق بانه لا يظفر به ان ظفرت بي فلا تبق علي ومن يرتدد ومن يرجع منكم عن دينه فيمت وهو كافر باق على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فلما يفوته من فوائد الاسلام العاجلة فيقتل عند الظفر به ويقاتل الى ان يظفر به ولا يستحق من المؤمنين موالاة ولا نصرا ولا ثناء حسنا وتبين زوجته عنه ويحرم الميراث واما في الاخرة فيكفي في تقريره قوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واعلم ان الردة اغلظ انواع الكفر حكما وانها تارة تحصل بالقول الذي كفر كجحد مجمع عليه وكسب نبي من الانبياء واخرى بالفعل الذي يوجب استهزاء صريحا بالدين كالسجود للشمس والصنم والقاء المصحف في القاذورات وكذا لو اعتقد وجوب ما ليس بواجب ويشترط في صحة التكليف فلا يصح ردة الصبي والمجنون وههنا بحث اصولي وهو ان جماعة من المتكلمين ذهبوا الى ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافاة فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات الكافر عليه لان من كان مؤمنا ثم ارتد والعياذ بالله فلو كان ذلك

الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الابدي فاما ان يبقى الاستحقاقان وهو محال واما ان يقال ان الطاري يزيل السابق وهو ايضا محال لانهما متنافيان وليس احدهما اولى بالتاثير من الاخر بل السابق بالدفع اولى من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع وايضا شرط طريان الطاري زوال السابق فلو عللنا زوال السابق بطريان الطاري لزم الدور و بحث فروعي وهو ان المسلم اذا صلى ثم ارتد ثم اسلم في الوقت فعند الشافعي لا اعادة عليه لان شرط حبوط العمل ان يموت على الردة لقوله تعالى عطفا على الشرط فيمت وهو كافر وعند ابي حنيفة لزمه قضاء ما ادى وكذلك الحج لمطلق في موضع اخر مطلقا ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون والحبط في اللغة ان ياكل الابل شيئا يضرها فيعظم بطونها فيهلك وفي الحديث وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم سمي بطلان الاعمال بهذا لانه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه ولا شك ان المراد من احباط العمل ليس هو ابطال نفس العمل لان العمل شيء كما وجد فني وزال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتكفير المعنى ان عقاب الردة الحادثة يزيل ثواب الايمان السابق اما بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي هاشم وجمهور المتاخرين من المعتزلة او لا بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي علي وقال المنكرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد في كتاب الله هو ان المرتد اذا اتى بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه يمكنه ان ياتي بدلها بعمل يستحق ثوابا فمعنى حبط عمله انه اتى بعمل ليس فيه فايدة بل فيه مضرة عظيمة او المراد تبيين ان اعماله السابقة لم تكن معتدة بها شرعا روي ان عبدالله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم يكن لهم في القتال اجر فنزلت ان الذين امنوا الاية لان عبدالله كان مؤمنًا وكان مهاجرا فصار بسبب هذا القتال مجاهدا وقيل انه تعالى لما اوجب الجهاد بقوله كتب عليكم القتال وبين ان تركه سبب للوعيد اتبع ذلك ذكر من يقوم به فقال ان الذين امنوا الاية ولا يكاد يوجد وعيد الا ويعقبه وعد ومعنى هاجروا فارقوا اوطانهم وعشايرهم من الهجر الذي هو ضد الوصل والهجر الكلام القبيح لانه مما ينبغي ان يهجر وجاز ان يكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدين وهو ايضا هجرهم فبهذا السبب كان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذي هو المشقة او من الجهد بالضم الطاقة لانه يبذل الجهد في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك ويجوز ان يكون معناها ضم جهده الى جهد اخيه في نصرة دين الله والمساعدة ضم ساعده الى ساعد اخيه لتحصيل القوة اولئك يرجون رحمت الله يحتمل ان يكون الرجا بمعنى القطع واليقين لكن في اصل الثواب والظن انما دخل في كميته وكيفيته ووقته ويحتمل ان يراد المنافع التي يتوقعونها فان عبدالله بن جحش ما كان قاطعًا بالثواب في عمله بل كان يظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء ليعلم ان الثواب على الايمان والعمل غير واجب وانما ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب ايضا صح لانه معلق بان لا يكفر بعد ذلك وهذا الشرط مشكوك وايضا المذكور ههنا هو الايمان والهجرة والجهاد ولا بد للانسان مع ذلك من ساير الاعمال والتوفيق فيها مرجو من الله وايضا المراد وصفهم بانهم يفارقون الدنيا مع هذه الخصال مستقصرين انفسهم في نصرة دين الله فيقدمون عليه راجين رحمته خائفين عقابه والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون والله غفور رحيم يحقق لهم رجاءهم ان شاء بعميم فضله وجسيم طوله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب وقال شاه الكرماني علامة الرجا حسن الطاعة وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب روي عن لقمن انه قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تامن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالاخر وهذا لانهما من حكم الايمان وهما للمؤمن كالجناحين للطاير اذا استويا استوى الطير وتم في طيرانه ومن هنا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون
قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
في الدنيا والاخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير

وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء
الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ● ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك
ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة
والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون ●

القراءة اثم كثير بالثاء المثلثة حمزة وعلي الباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو والباقون بالنصب لاعنتكم بغير همزة روى ابو ربيعة عن اصحابه وعن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب والهمزة ليدل على اصل الكلمة **الوقوف** والميسر للناس قد يجوز مع اتفاق الجملتين تنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ينفقون العفو تتفكرون لتعلق الجار والاخرة اليتامى خير فاخوانكم المصلح لاعنتكم حكيم يؤمن لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم لوقوع العارض وان اتفقت الجملتان يؤمنوا اعجبكم الى النار والوصل اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه لان جملة والله يدعو يقابل الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلعطف المستقبل على المستقبل يتذكرون **التفسير** الحكم الثاني بيان حرمة الخمر والميسر قالوا نزلت في الخمر اربع ايات بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا واقام الصلوة بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا ثم انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه اعرابي بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والحكمة في وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المالوف شديد فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعي بما روى ابو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وهذا دليل على ان الخمر عندهم كل ما خامر العقل اي خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار العقل المرأ وكذا ما روى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما جرى ذكر هذه الاشيا خصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان وكلما في معناها من ذرة او سلت وعصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة في خبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا في غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام فمراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه انه كالخمر في الحرمة وهو المراد عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل فقال صلى الله عليه وسلم كل شراب اسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي والمفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء وايضا الايات الواردة في الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرهما بلفظ السكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر وكذا في قول عمر ومعاذ

الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر في علة التحريم وايضا قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله تعالى تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله تعالى علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن والنبيذ سكر ورزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون الا بالمباح وايضا ما روى في الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا نسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ فشرب واعلم ان السكر حرام جنسه قل ام كثر نيا او مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة رض قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فمل الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاء رجل فساله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال اني طبخته وفي نفسي منه شيء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه قال لا قال فان النار لا تحل شيئا قد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب ان ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا حد على شاربه الا اذا سكر وان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فيحرم ويتعلق بشربه الحد روى ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد نقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا المقدار الذي يسكر فان ذلك حرام ويحل ولا يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل وغيرها حلال نيا كان او مطبوخا ولا يحرم منه الا القدر المسكر وذكروا في حد السكران عبارات فعن الشافعي الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يفرق بين السماء والارض وقيل الذي يتمايل في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب ان الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن اي شيء سألوا فيحتمل انهم سألوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سألوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سألوا عن حل شربه وحرمته الا ان الله تعالى اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسألونك عما في تعاطيهما واما كيفية دلالة الاية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ومما يؤكد هذا ان السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزم منها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغير ذلك من وجوه الانتفاع والاستعمال وصرح ايضا بان الاثم الحاصل منها اكبر من النفع المتوهم فيها عاجلا وان لم يقنع كبار الصحابة بهذه الاية طلبا لما هو اكمل في التحريم ثقة واطمينانا كما التمس ابرهيم صلوات الرحمن عليه مشاهدة احياء الموتى طلبا لمزيد الايقان وركونا الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما لماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرايع قلت كم من نقيض في الاديان السالفة تممه شرع خاتم النبيين وايضا هذا اللزوم شرعي ويمكن ان تختلف الشرايع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعليهما يقال يسرته اي قمرته مشتق من اليسار لانه يسلب يساره عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله او من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب وقال ابن قتيبة الميسر من التجزئة والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموا فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للضارب بالقداح ياسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور وقال الواحدي يسر الشيء اي وجب والياسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام اساميها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا ويغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء وفي حكم الميسر سائر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروى ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الا ان الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا من الرهان وكف اللسان عن الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال او اخذ مال وهذا ليس كذلك ويحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير من السلف

واما السبق في النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك لما
فيهما من التأهب للجهاد والكلام في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء
فمعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها عدو العقل الذي هو عقال
الطبع واشرف خصائص الانسان ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكي بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول في
يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضي ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في
الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك فقال ما انا باخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قوم
وامسي سفيههم ومن خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر
المعاصي كالزنى وغيره وكفى بقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر
الله وعن الصلوة وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ذما لها وتقريرا لاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال
قالوا يا رسول الله ما طينة الخبال قال عرق اهل النار وعصارة اهل النار وكذا الكلام في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل
واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا يغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا ترك المماكسة في الثمن يعد ذلك فضيلة
ومكرمة وكان يكثر ارباحهم بذلك السبب قال ابو محجن شعر اقومها زقا بحق بذا كم يساق الينا تجرها وفسوقها قال بقراط
في الخمر عشرة منافع خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن البشرة وتطيب النكهة وتزيد
في الباه والنفسانية انها تسر النفس وتقرب الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع الميسر التوسعة على ذوي الحاجات
لانهم كانوا يفرقونه على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان منافع الخمر والميسر لكونها مظنونة عاجلة اقل من اثمهما
لكونه متيقن الحساب دائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل لعقاب ابدي لا نهاية له الحكم الرابع ويسألونك ماذا ينفقون
وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما رأوا الله تعالى
ورسوله يحضان على الانفاق ويدلان على عظم ثوابه سألوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو ما يتيسر
ويسهل مما يكون فاضلا عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو عن الذنب راجعا الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو
ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو ان الغالب ان ذلك انما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله وحاصل الامر
يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير والتقتير وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحبس لاهله قوت سنة وقال صلى الله
عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو
الزكوات ذكرها ههنا بجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى رأي المكلف وقيل ان هذا
كان قبل نزول آية الصدقات وكانوا مأمورين بان يأخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين
الله لكم الآيات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصادره فهكذا يبين لكم في مستأنف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا
والآخرة فتأخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما وهو اكثرهما
منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا الادنى
على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس ويسألونك عن اليتامى
عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعنه عن ابن عباس قال لما انزل الله تعالى
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين يأكلون انطلق من كان عنده مال يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه
وجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى يأكله ويفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح
لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما اليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتأديب وصلاح ماله بالتبقية والتثمير
لئلا تأكله النفقة عليه والزكوة منه واما للولي فلان احراز الثواب خير له من التجوز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه ويفسد معيشته
وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح
خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون
نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير في الدنيا والآخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في
الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد وان تخالطوهم في الطعام والشراب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم
فذلك جائز كما يفعله المرء بالعيال ومع اخوانه في الدين فان هذا ادخل في حسن العشرة والمؤالفة وقيل المراد بهذه المخالطة اخذ قدر

اجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك ان شاء الله تعالى اذا انتهينا الى تفسير قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن
كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقيل المراد ان تخالطوا اموال اليتامى باموالكم انفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة
للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط اليتيم نفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة
في قوله قل اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا
انه تعالى قال بعد هذه الآية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم
اخوان في الاسلام ليتأكد الالفة بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا يفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها ويعلم
ضمير من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازيه على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفيه
تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لوليه ان قصر ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة
بان ضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا
الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده وقد يستدل بالآية على انه
تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول
ولو شاء لاعنت ولهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم
السادس ولا تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الآية ابتداء شرع وحكم آخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة
اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان
حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان
الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستأمره فنزلت هذه الآية ثم العلماء اختلفوا في
الآية في موضعين الاول في موضوع لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي
وشاهدي عدل ولا شك ان الموقوف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطئ ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى و
انكحوا الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطئ لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس
هو العقد بل هو الوطئ لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطئ بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس
من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطئ فيحسن استعمال
اللفظ فيهما قال ابن جني سألت ابا علي عن قولهم نكح المرأة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا
انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امرأته وزوجته لم يريدوا غير المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح
في هذه الآية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون يتناول
بغير قرينة لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل وايضا النصارى قالوا
بالتثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا شرك محض وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اميرا وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان
ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة بالمشرك وقال ابو بكر الاصم
كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها واضافوها الى الجن و
الشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه ان اليهودي حيث لا يسلم
ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب
انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله
كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان والنبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف انه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر
حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب
بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف ولعله خص الكلام اولا ثم عمم هنا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا
ان اكثر عبدة الاوثان معترفون بان اله العالم واحد وانه ليس له في الالهية بمعنى خلق العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم
المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تو

النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه نهى كل من كان كافرا بانه مشرك النفرع المشركات تشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من امن بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المومنات يشمل من آمن منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج يهودية او نصرانية فكتب عليه عمر ان خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات يختص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات روي هذا عن الحسن وضعيف بان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين الا ان يقال ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يومن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والالتزام احكام الاسلام ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يومنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفيات فان وافق سر العلن كان مومنا حقا والا كان منافقا جدا ولامة مومنة هذا اللام في افادة التوكيد تشبه لام القسم والمراد بالامة وكذا العبد في قوله ولعبد مومن امة الله وعبده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي ولامراة مومنة كانت حرة او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة والجواب محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمومنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتالف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة والمعاشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وتقديره اضداد ما توقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المراة لاربع لمالها وحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة مومنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اهل العلم الى ان في الاية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لانه لا سبب للتفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل وان المومنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار الى ما يودي اليها فان الزوجية مظنة الالفة والمحبة في الظاهر وقد يحمل المودة على الاتفاق في الدين فلعل المومن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطموح الى اسلام المشرك فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المومنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القايل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعو الى الجنة حيث امر بالتزوج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان اولياء الله وهم المومنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يودي اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يوثروا على غيرهم باذنه بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرا الحسن والمغفرة بالرفع على الابتداء اي المغفرة كائنة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الايات تنبه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون

التاويل ان خمر الظاهر كما تتخذ من اجناس مختلفة كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه تسكر النفوس والعقول الانسانية التي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اقداح المشاهدات من سنا في تجلي الصفات اذا ادرت الكوس انجحت شهوات النفوس فتسكر القلوب بالمواجيد عن المواعيد والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار بمطالعة الجمال عن مطالعة الكمال فهذا شراب حلال لانه فوق عالم التكليف وانه يمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس وملاذ لاهل القرب والاستيناس شعر فصحوك من لفظي هو الوصل كله * وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا * فما مل ساقيها وما مل شارب * عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا * قوم اسكرهم وجود الشراب اسكرهم شهود الساقي شعر فاسكر القوم دور كاس * وكان سكري من المدير * الكاس والشراب والساقي والمسقى ههنا واحد كما قيل

شعر رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر * فكانما قدح ولا خمر * وكانما خمر ولا قدح * واتم الاعراض عن كون الوصال في النهاية اكبر من نفع الطلب الحسنة في البداية اما الميسر فانه اثم كبير عند الاخيار وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نقود العالمين في فردانية نقش الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما الان اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وبعبارة اخرى في الخمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع في الخمر الباطن والميسر الباطن واهل الظاهر اكثر من اهل الباطن والله اعلم

ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ● نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المومنين ● ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ● لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم ● للذين يولون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم ● وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ●

القراءة حتى يطهرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة انى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرا العباس بالامالة اللطيفة كل القران الباقون بالتخفيف لا يواخذكم وبابه الهمزة وكل همزة تحركت وتحرك ما قبلها مثل يوخر ويود واشباه ذلك بغير همز يزيد وورش والشموني وحمزة في الوقف الوقوف عن المحيض اذى لا لكونه اذى تاثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض للعطف حتى يطهرن لان اذا متضمنة الشرط للفاء في جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله المتطهرين حرث لكم لان الفاء كالجزاء اي اذا كن حرثا فاتوهن والا فقد اختلفت الجملتان شئتم قد يجوز لوقوع العارض لانفسكم ملاقوه المومنين بين الناس عليم قلوبكم حليم اشهر رحيم عليم التفسير الحكم السابع ويسالونك عن المحيض قيل انه تعالى جمع في هذا الموضع بين ستة اسولة فذكر الثلاثة الاول بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان سوالهم عن تلك الحوادث وقع في احوال متفرقة فلم يوت بحرف العطف لان كل واحد من تلك السوالات مبتدا وسالوا عن الوقايع الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السوال عن الخمر والميسر والسوال عن كذا وكذا روي ان اليهود والمجوس يبالغون في التباعد عن المراة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فنزلت الاية فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت يعني ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن واتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمراة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا في ما دون السرة وفوق الركبة فالشافعي وابو حنيفة وابو يوسف يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا اي امتنع الناس في زمان الحيض ترك العمل بالاية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي

البائنة على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك
باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء نعم المحيض الاول
مصدر ليصلح عود الضمير اليه في قوله قل هو اذى اى الحيض شئ يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى
المكان والتقدير هو ذو اذى وانما قدم قوله هو اذى لترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد
من فضلة يدفعها طبيعة المراة من طريق الرحم حتى اذا احتبست تلك الفضلة لمرضت المراة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط
فكان اذى وقذرا ولا يرد عليه دم الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لان ذلك الدم صالح يسيل من دم عرق ينفجر في عنق
الرحم ويؤيده ما روى في الصحيحين عن عائشة رضه قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول الله اني امراة استحاض فلا اطهر
افادع الصلوة فقال لا انما ذلك دم عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك
الدم ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري
ومنه سيل الحوض لان الماء يحيض اليه والواو والياء من حيز واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد ويراد
به انه تعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه
ذو دفعات اى يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها انه ذو رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه
كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه
فالاصل بقاء التكاليف وزوالها انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان
ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التامل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة
فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى
حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين
فان رات الصبية ما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعي رحمه واعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن
لتسع سنين وقيل ان اول وقت الامكان يدخل بالطعن في السنة السابعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا
تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل
مدة الحيض عند الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما و
ليلة لقول علي كرم الله وجهه ما زاد على خمسة عشر يوما فهو استحاضة وعن عطا رايت من يحيض خمسة عشر يوما واما الطهر
فاكثره لا حد له فقد لا ترى المراة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال
مالك ما اعلم بين الحيضين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود فقد ثبت ذلك من عادات النساء وروى انه صلى الله عليه
وسلم قال تمكث احديهن شطر دهرها لا تصلي اشعر ذلك باقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ستة او سبعة
وفي الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في
علم الله اى مما علمك الله من عادتك او من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف
والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القران والسجود والغشيان بنص القران والطلاق في حق بعضهن ثم ان اكثر فقهاء
الامصار على ان المراة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي و
الثوري والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رات الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رات
عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل الاغتسال حجة الشافعي ان الاغتسال القراءة المتواترة حجة الاجماع فاذا حصلت قراءتان
متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرا يطهرن بالتخفيف فانهاء الحرمة عند انقطاع الدم ومن قرا يطهرن بالتثقيل فان غاية
تطهرها بالماء والجمع بين الامرين يمكن بان يكون النهاية حصول الشيئين ومعنى قوله ولا تقربوهن اى لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله
فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن
فاتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهر بالاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المراة
فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطا وطاوس هو ان تغسل الموضع وتتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع
ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند عوز الماء من حيث امركم الله اى المأتي الذي امركم الله به
وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم والزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن
وذلك بان لا يكن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين

مما عسى ان يبدو عنهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك بمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين
عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كان نجاسة روحانية
حكمية انما المشركون نجس او يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار و
الاوزار الحكم الثامن نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان الغرض الاصلي
في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى في المأتي الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها
من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر رضه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت
قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وتحويل الرحل
قيل ظاهر الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان ياتي
الرجل المراة مجبية اى في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة
تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث
لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان تتقى الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اى مزدرع و
منبت للولد وهذا على سبيل التشبيه ففرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر
اقيم مقام المضاف اى هن مواضع حرث فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اى جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون
جهة بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل
هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال ولا معنى للاذى الا ما يتاذى الانسان منه بنتن وتلوث وتنفر طبع والاذى
في الدبر حاصل ابدا فالاعتزال عنه اولى بالوجوب ومعنى انى شئتم كيف شئتم من قبلها او قائمة او باركة او مضجعة وقيل انى بمعنى
اين اى فاتوا حرثكم اى وقت شئتم من اوقات الحل يعني اذا لم تكن اجنبية او محرمة او صائمة او حايضا وعن ابن عباس ان شاء عزل
وان شاء لم يعزل وقيل متى شئتم من ليل او نهار والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى
ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث اسم المراة لا الموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله
انى لك هذا اى من اين فدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتي متعددا وبقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك
العمل بعمومه في حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه الحجج ولو سلم مساواته دلائل
الخصم في القوة فالاحتياط في الاجتناب احوط كيف لا وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات
غرض التوالد والتناسل الذي به بقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الكاينات لكفى به منقصة ووهنا واذا كان الزنا يكون سببا لهلاك
النسب محرما واكد التحريم لكونه مفسدا للعقل والقتل لكونه مفسدا للنفس فبان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا افناء النوع اولى
كاللواطة واتيان البهيمة والاستمناء ولهذا عقبه بقوله وقدموا لانفسكم اى افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل
لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الاية اشتملت على الاذن في احد الموضعين والمنع من الموضع الاخر فكانه قال لا تكونوا في
قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في ربقة الاخلاص وتقديم الطاعة ثم انه اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التاكيد بقوله
واعلموا انكم ملاقوه وهذه الجمل الثلثة المتوالية لا تحسن الا اذا كانت مسبوقة بالنهي عن شئ يشتهى فقوله وقدموا لانفسكم غرض
على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من اداب الخلوة وقوله واتقوا الله زجر عن المحظورات
والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير بيوم البعث والحساب الذي لاجله اضاع فعل الطاعات وترك المنهيات وما احسن هذا
الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كلا بحال الوعيد من الوعيد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما لانه كالمعلوم من نحو
قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات وما كان الغرض من البشارة مثل ذلك فلان
يعطى الحكم التاسع ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهي نهي عن الحلف بالله كثيرا فان من اكثر ذكر شئ في معنى من المعاني فقد جعله
عرضة اى معرضا له قال فلا تجعلوه في عرضة اللوايم وذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة في ذلك
من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك ولا يبقى لليمين عنده وقع ولا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في
العبودية ومن كمال التعظيم ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يستشهد له في غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا
علة للنهي اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا تقيا ولا يثق الخلق باعتقاده
انه اتقى اعظم واجل من ان يستشهد باسمه العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس صدق لهجته وبعد عن الاغراض الفاسدة فعدوه برا
متقيا وامن الاخلاف الى واجب حق الله فدخلوا بينهم في مواطنهم واصلاح ذات بينهم ومعنى اخر هو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة

والعرضة فيكون اسما للشئ الذي يوضع في عرض الطريق فيصير مانعا للناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء ويقول فلان عرضه
دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم او اصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني
فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه فسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شئ
مما تحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا فاللام في
لايمانكم اما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض يعني لا تجعلوا شيئا يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اي لا
تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع لحلفكم عليم بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن
القوة فسمي الحلف بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل
لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا لغوا قال صلى الله عليه وسلم من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام
يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فمذهب الشافعي وهو قول عائشة والشعبي وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله
مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة
ومذهب ابي حنيفة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي ومكحول ان اللغو هو ان تحلف
على شئ تعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة الخلاف ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا
حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد من ذلك حجة الشافعي ان الاية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد
لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذي يقصده الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما يقوله
الناس في الكلام لا والله وبلى والله فاما اذا حلف على شئ انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق
قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن قلبا لغوا البتة وايضا انه سبحانه ذكر قبل هذه الاية النهي عن كثرة الحلف فذكر عقيب ذلك حال هؤلاء
الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب
الكفارة والمؤاخذة عليهم يفضي اما ان يمتنعوا عن الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرنا
هو المناسب ويؤيده ما روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لغو اليمين قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله وروي انه صلى الله
عليه وسلم مر بقوم ينتضلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت والله ثم اخطا فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث
الرجل يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم كل ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة نعم انها قالت ايمان اللغو ما كان في الهزل
والمراء والخصومة التي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابة في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد
كالطلاق والعتاق وايضا انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب
الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل بين الجد والهازل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة او فعل المعصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذ بترك
هذه الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي باقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك المعصية الطاعة وفعل المعصية وعن الضحاك ان اللغو
هو اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله باثم الحلف اذا كفرتم وقيل هو ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمد واختاره القاضي ابو بكر
ثم ان الشافعي قال معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدته من الايمان
ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفكم اخذا بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد
الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وقال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان
اللغو حلف الانسان على الشئ يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على الشئ وهو يعلم انه فيه اثم كاذب ليرضي
به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشئ المباح له فعله
ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله غفور
حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تكفرون او تتوبون عنها الحكم العاشر للذين يؤلون من
نسائهم يقال في اللغة الى يؤلي ايلاء وايتلى ايتلاء وتالى تاليا والالية والقسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث القدسي اليت ان
افعل خلاف المقدرين والايلاء في الشرع فهو الحلف على الامتناع من وطئ الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا
في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن المسيب كان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك
لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المراة ثم ان اهل الاسلام كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى
ويتامل فان راى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان راى المصلحة في المفارقة عن المراة فارقها ثم المتعارف ان يقال الى على كذا

وانما عدي ههنا بمن لانه اريد لا يأتيهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال سالي منك كذا او ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل
يبعدون من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين والتربص التلبث والانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة المصدر الى الظرف كقولهم
بينهما يوم اي مسيرة في يوم فان فاؤا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمؤمنين ما عسى يقدمون عليه
من طلب الضرار بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لغير ذلك من الاسباب
وان عزموا الطلاق بان عقدوا القلب على رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم
ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدة هي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور
منه الوقاع وكان تصرفه معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله الذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه
بالله تعالى ويصح بالطلاق والعتاق وايضا لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في المدة وعند ابي حنيفة يتنصف برق المراة وعند مالك
برق الرجل كما قالا في الطلاق لنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير هذه المدة انما كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو
قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة ومدة الرضاع ومدة العنة ويصح الايلاء في حالتي الرضاء
والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المراة سواء كانت في صلب النكاح او كانت مطلقة
طلقة رجعية لان الرجعية يصدق عليها انها امراته بدليل قوله انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون
من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع
ذكره لم يصح ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايذاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون
قدر الحشفة وان الى ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء
واذا كانت المراة رتقاء او قرناء والحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اما الله
تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها في مدة الايلاء خرج من الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد
وقول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدليل الدال على وجوب الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول
والله لا اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة في الاية لانها مبينة في سائر
المواضع من القران وعلى لسان الرسول وقوله تعالى فان الله غفور رحيم يدل على عدم العقاب وانه لا ينافي الكفارة وكما
ان التائب على الزنى والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك لا يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا
قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة
من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين بالوطئ يحصلان لو وطئ فيكون ما يلزمه بالوطئ مانعا له من الوطئ ويكون
هو بتعليقه بالوطئ مضرا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر او يفيء او
يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به الذم قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وقيل الاقوال اصحها ان عليه كفارة اليمين والثاني
عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين كفارة اليمين وبين الوفاء الركن الثالث المحلوف عليه وهو الجماع وهذا من صرائح الفاظه وكذا
النيك والوطئ والاصابة ومن كناياتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تحمل الا بالنية الركن الرابع المدة فعن ابن عباس انه
لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطاها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول وان حلف يوما وهذان المذهبان في غاية البعد وعن ابي حنيفة
والثوري انه لا يكون موليا حتى يحلف على ان لا يطاها اربعة اشهر او فيما زاد وعن مالك واحمد والشافعي انه لا يكون موليا حتى يزيد
المدة على اربعة اشهر فعند الشافعي اذا الى منها اكثر من اربعة اشهر اجل لاربعة اشهر وهذه المدة يكون حقا للزوج فان مضت طالبت
المراة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج منها طلقها الحاكم عليه وعند ابي حنيفة اذا مضت اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه
حجة الشافعي ان الفاء في قوله فان فاؤا يقتضي كون ما بعده من حكمي الفيئة او الطلاق مشروعا متراخيا عن انقضاء الاشهر الاربعة
وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج وفي ان الزوج لا بد ان يصدر
عنه شئ يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاؤا تفصيل للحكم المتقدم كما تقول انا نزيلكم هذا
الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى الاخر والا لم اقم الا ريثما اتحول وايضا الايلاء طلاق في نفسه فالطلاق اشارة اليه وايضا
الغالب ان العازم للطلاق والضرار وترك الفيئة لم يخلو من مقاولة ودمدمة وحديث نفس فذلك الذي يسمعه الله كما يسمع وسوسة
الشيطان واستدل على صحة مذهبه في ان الفيئة لا بد ان تقع في الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاؤا فيهن وردا بانها شهادة
فلا معول عليها والرجوع الى الحق اولى والله حسبي **التأويل** كما ان الانسان محيض في الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن يمنعهن عن
الصلوة والصيام فكذا للرجال محيض في الباطن هو سبب نقصان ايمانهم يمنعهم عن حقيقة الصلوة وهي المناجاة وعن حقيقة الصوم

وهي الامساك عن مشتهيات النفوس وكما ان المحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات دواعي الصفات البشرية والحاجات
الانسانية فكلما غلب الهوى تكدر بالصفا وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفا ولذلك نهى سرادقات الجلال
يا قلوب الرجال اعتزلوا نساء النفوس في محيض غلبات الهوى حتى يطهرن يفرغن من قضاء الحوائج الضرورية للانسان من الماكول والمشروب
والمنكوح فاذا تطهرن بماء التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة في طلب القربة فاتوهن من حيث امركم الله يعني عند ظهور شواهد
الحق لزهوق باطل النفس واضمحلال هواها ان الله يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين باخلاق العبودية بل يحب
التوابين عن بذل الوجود ويحب المتطهرين ببقاء الشهود نساؤكم حرث لكم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون
فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء القائمون بالله الداعون الى الله باذن الله
فكما ان الدنيا مزرعة الاخرة لقوم فالدنيا والاخرة مزرعتهم ومحترفهم يحرثون فيها انى شاء واو كيف شاء واو ما يشاؤن الا
ان يشاء الله فقد فنيت مشيتهم في مشيته وبقيت قدرة تصرفهم بتقويته لا يؤاخذكم الله القلب كالارض للزراعة والجوارح
كالالات الحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع في الارض المربية للزراعة لا تنبت وان كان في الدمن الالات الحرا
اما ان كان لما يجري على الظواهر من الخير او في اثره في القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله تعالى من كمال فضله وكرمه لا يضيعه
بل يضاعفه فان كان ما يجري عليه في الظاهر فان لم يكن له اثر في القلب كان لغوا ولا يؤاخذ وان كان له اثر في القلب فهو صدد
المؤاخذة وان شاء الله غفره للذين يؤلون من نسائهم من وقع له من اهل القصة وقفة او فترة في اثناء السلوك من ملالة النفس
او نفرة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان لا يفارقوه في الحقيقة ويعاونوه بالهمم العلية ويتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة
تعلق الروح بالجنين كما جاء في الحديث ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل
ذلك فان فاؤا الفيئة المصدق الطلب ودماية حق الصحبة وينفخ فيه روح الارادة مرة اخرى لا خطوة بعين القبول فان هذا ربيع
لا يرعاه الا المهزولون وربع لا يسكنه الا المعزولون بل شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون
وان عزموا الطلاق لعزمه على طلاق منكوحة المواصلة فان الله سميع لمقالتهم عليم بحالتهم وهو حسبي

والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر
وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ۝
الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم
ان تأخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك
هم الظالمون ۝ فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره
فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله

وتلك

وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ۝ واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات
الله هزؤا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من
الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شئ عليم ۝ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من
كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى
لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون ۝

القراءة ان يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء نبينها بالنون المفضل الباقون بياء الغيبة يفعل ذلك
مدغما حيث كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهر ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم غير الاعشى **الوقوف** قروء الاخر
اصلاحا بالمعروف العطف المتفقتين ولاتمام المقصود في تفضيل الرجال درجة حكيم مرتان لعطف المتفقتين باحسان حدود الله
الاول افتدت به تعتدوها الظالمون ربع الجزء غيره لا لطلاق الزوج الثاني على خطر الوجود لا مستقر معهود فكان خارجا من
مقتضى الجملة الاولى ان يقيما حدود الله يعلمون او سرحوهن بمعروف لطول الكلام لتعتدوا نفسه هزؤا لطول ما بعده يعظكم به
بالمعروف الاخر واطهر لا تعلمون **التفسير** الحكم الحادي عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهي
التي اوقع الطلاق عليها اما ان يكون اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان تكون منكوحة وحينئذ اما ان
لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
واما ان يكون مدخولا بها وحينئذ ان كانت حاملا فعدتها وضع الحمل قال تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت
حاملا فان امتنع الحيض في حقها اما للصغر المفرط او للكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله سبحانه واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن وان كان الحيض في حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرءان وان كانت
حرة فعدتها ثلثة اقراء بهذه الاية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخول بها الحائل من ذوات الحيض لا يقال
العام انما يحسن تخصيصه اذا كان الباقي اكثر من حيث انجرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب لا المغلوب فيقال للثوب
اسود اذا كان عليه السواد لا البياض وههنا الباقي قسم واحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه لانا نقول
اما الاجنبية فتخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحائل
والآيسة لان ايجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث يحصل الاقراء ولا اقراء في حقها واما الرقيقة فنزر وجها كالنادر فثبات
اللفظ باق على تناوله الاغلب وانما لم يقل ولتتربص المطلقات بل اخرج الامر في صورة الخبر اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة
الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عنه موجودا وبناء الكلام على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تاكيد وتقوٍّ ولو قيل ويتربص المطلقات
لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن ثلثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء
طوامح الى الرجال نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن والقروء جمع قرء او قرء بفتح القاف وضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح
بفتح القاف فقط ولا خلاف ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل

بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما اما الاول القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت
الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي واما الثاني عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو
قول ابي عبيد واما الثالث القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان لكل من الطهر والحيض وقتا معينا
وهذا قول ابي عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان الثلثة يجب ان تكون
من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعايشة ومالك وربيعة واحمد
في رواية وقال عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول ابي حنيفة والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة
العدة عند الشافعي اقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة
انقضت عدتها وعند ابي حنيفة ما لم يطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال
الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل
او تتيمم عند عدم الماء او يمضي عليها وقت صلوة حجة الشافعي قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في زمان عدتهن واجيب بان
معنى الاية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر اي مستقبلا لثلث وقيل هذا يقوي استدلال الشافعي لان قول القائل
لثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلث عقيبه فمعنى الاية طلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان
الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عايشة
انها قالت هل تدرون بالاقراء الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي والنساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع واكثر احوال الرحم
اجتماعا واشتمالا على الدم اخر الطهر اذ لو لم تمتلئ تلك المعايض لما سالت الى الخارج فمن اول الطهر ياخذ في الاجتماع والازدياد الى
اخره والاخر هو حال الكمال الاجتماع فاخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا الاعتداد بالاطهار اقل زمانا بالاعتداد بالحيض فلزم
المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى هذا الاصل واوفق له وايضا
الاية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى اقراء خرجت عن العهدة فيكون متمكنة من الاعتداد بالاطهار التي مدتها اقل ومن
الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزايد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم
دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض
هو الذي يستبرأ به الارحام ولان الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط
ولان الطلاق في طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى
اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولهم المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص مضي ثلثة قروء او على ظرف فيه اي مدة
ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون كل واحد من الجمعين مكان الاخر
ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايضا فلعل القروء اكثر استعمالا فالاقراء القليل منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة
شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة
ذلك متعذرا على الرجال جعلت المراة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند
الشافعي اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت
خمسة عشر يوما وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رات الدم فقد انقضت عدتها لحصول
ثلثة اطهار فمتى ادعت هذا او اكثر منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل
امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا
وذلك ان المراة لها اغراض كثيرة في كتمانها اما كتمان الحمل فاذا كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة
الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج اخر واحبت ان تلصق ولدها بالزوج الثاني واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المراة
اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعته
فاذا حاضت اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وهكذا ان كتمت الحيضة الثالثة
واذا كتمت حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا
الحيض ولان حمل المعنى على ما هو شريف اولى ولقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض
لان الاية وردت عقيب ذكر الاقراء ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن
به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن وان من امن

بالله وبعقابه لا يجتري على مثله من العظايم وفيه ان من جعل امينا في شيء فخان فيه فامره عند الله شديد الحكم الثاني للطلاق الرجعة
وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجماع البعولة والتاء لتاكيد التانيث في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع
وانما هو مقصور على السماع ويقال للمراة ايضا بعل وبعلة كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من بعل هذه الناقة
اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن
احق بردهن برجعتهن قال تعالى في مواضع اخر وان رددت الى ربي وفي موضع اخر ولئن رجعت فكانه يردها من التربص الخلاف ومن
الحرمة الى الحل في ذلك اي في مدة التربص لانه اذا انقضى وذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة انما يكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن
ان ارادوا اصلاحا ما بينهم وبينهن واحسانا اليهن لا الضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا والقصد المضارة استوجب
من الله العقاب وان صحت رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السراير فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها
فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى بالاحقية او يقال انهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل
ان يتزوج بهن اخر فاذا فعلن ذلك كان الزوج الاول احق بردهن وان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل
الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات النساء فلا يكلفهم ما ليس لهم ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة
مماثلة الواجب الواجب في كونهما من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت ثيابه او خبزت لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله
بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها
ومالها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا ياذن
في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامراتي كما تتزين لي
لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الاية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج
درجا اي مشى ودرج اي مضى بسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال
على النساء في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيبه من المغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج
عليها ويتسرى وليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المراة ام ابت ولا قدرة للمراة على التطليق ولا على الرجعة
فاذن الا المراة كالاسير العاجز في يد الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر اخر اتقوا
الله في الضعيفين اليتيم والمراة وذلك انه من كانت نعم الله عليه اكثر كان صدور الذنب عنه اقبح واستحقاقه للزجر اشد وقيل بل الغرض من الاية
ان فوايد الزوجية هي السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك
مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المراة منها اوفر ثم ان الزوج اختص بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام
بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المراة اشد رعاية لهذه الحقوق الزايدة فيكون هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله
بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا بالسجود لغير الله لامرت المراة بالسجود لزوجها والله
عزيز حكيم غالب لا يمنع مصيب في افعاله واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث للطلاق هو الطلاق
الذي يثبت فيه الرجعة وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امراته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على
المراجعة ثابتة له فجاءت امراة الى عايشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عايشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزل الطلاق مرتان فعلى هذا تكون الاية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثلث وهذا تفسير
من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو مذهب الشافعي وهو اليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الاية الاولى ان حق الزوجة ثابت للزوج ولم
يذكر ان ذلك الحق ثابت دايما او الى غاية معينة فكان ذلك كالمجمل المفتقر الى المبين فذكر عقيبه ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت
فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتداء والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال
دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة وكقولهم لبيك وسعديك و
هذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن
عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهم ويؤكده العدول عن لفظ الامر وهو طلقوا مرتين
اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها ثنتين او ثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس
واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة

في الوجود ومنهم من قال لا يقع وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها
الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي
لاعن امراته وطلقها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ومما يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة اما قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
اي امركم بعد الرجعة او بعد معرفة كيفية التطليق احد هذين فالتسريح الارسال والاطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك
بالمعروف هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة
الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق مرتان قيل له صلى الله عليه فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان
يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو اقرب لولا الخبر الذي رويناه لان الفاء في قوله فان
طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان قوله فان طلقها
طلقة رابعة وانه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الاية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية
اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان
او يطلقها وهو قوله فان طلقها ولو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة
فهي ان النفس جهولة اذا افتقدت عرفت فلو كانت الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما تظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان
كمال التجربة لا تحصل بالمرة الواحدة فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين لتجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح له امساكها
راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة
بسوء ولا ينفر الناس عنها فهذا التدريج والترتيب يدل على كمال رافته بعبيده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وذلك
قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا مما اعطاها من المهر والثياب وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها
في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها على عوض ويدخل فيه النهي من ان يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم للائمة والحكام ويجوز ان يكون
الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون روي ان الاية
نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المراة كانت حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت فرق بيني وبينه فاني والله ما اعيب عليه
في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده وقال صلى الله عليه لا حديقته
فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله
الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري
والحسن وعطاء وطاوس انه لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن
شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اي فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت ومعنى فيما افتدت به نفسها واختلعت به فوجب ان يكون
هذا راجعا الى ما اتاها ولقوله صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وازيد ولان ذلك اجحاف بجانب المروة ورضا
بالمراة بعدما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا ياخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا
الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمراة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا
يرضى عند المخالعة الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهيته ويتاكد هذا بما روي ان
امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت بيتك قالت ما بت منذ كنت اقر لعيني
منهن فقال عمر لزوجها اخلعها ولو بقرطها اي حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بما لها كله وسهل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك
انه كانت فيهما درتان قيمتهما اربعون الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان تحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير به
مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي وداود الى انها لا يباح الخلع الا عند الخوف والغضب من ان لا يقيما حدود الله كما في الاية
وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق او كانت تكره صحبته لسوء خلقه
او دينه او تحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها من الكراهة فافتدت ليطلقها او ضربها الزوج تاديبا فافتدت او منعها حقها من النفقة

وغيرها او افتدت لتتخلص منه فان كان الزوج يكره صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه
وان كان نافذا والزوج ماثوم بما فعل فالخلع المباح هو ان تكون المراة بحيث يخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم
تطعه اعتدى عليها ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف من موص جنفا ومن قرا الا ان يخافا على البناء للمفعول
جعل الا يقيما بدلا من الف الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان
بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينتقص به العدد واذا خالعها ثلث
مرات لم ينكحها الا بمحلل وروي هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني
ووجهه بانها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى
كالاقالة في البيع فاذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يجب عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم
انه فسخ لا ينتقص به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر ويروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا
وقد قال عقيب ذلك فان طلقها فلا تحل له من بعد لكان الطلاق اربعا ولان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت في مخالعته
عن امراته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي حصل الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن
عباس ان امراة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي صلى الله عليه وسلم عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها على قرء واحد
تلك اي المذكورات من احكام الطلاق حدود الله فلا تعتدوها فلا تجاوزوا عنها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون والظالم
اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد وكيف لا والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين ثم انه ظلم من
الانسان على نفسه حيث اقدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المراة عدة او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك
الرجل الامساك بالمعروف او التسريح بالاحسان او اخذ من جملة ما اتاها شيئا لا بسبب نشوز من جهة المراة الحكم الخامس من احكام
الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق الرجعة وذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والسبب في ايقاع
اية الخلع بين اية الرجعة وبين هذه بعدما مر من مناسبتها للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة
ومعنى الاية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اي تتزوج غيره والنكاح يسند الى الرجل
كالتزوج ويقال فلان ناكح في بني فلان اي لها زوج منهم هذا عند من يفسر قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره
بان التطليق الشرعي هو الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده ان طلقها الطلاق الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى
نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطء لان قوله زوجا يدل
على العقد وقد نقلنا هذا عن ابي علي فيما سلف في تفسير قوله ولا تنكحوا المشركات ويؤيد هذا ما روي عن عائشة ان امراة رفاعة
جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع
وانما انث لان من العرب من يؤنث العسل وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك
الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت
رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا فالقصد
من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر ان يستفرش زوجته رجل اخر
ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما يحصل بتوقيف
الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا زاجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته واحدة او
ثنتين ثم نكحت زوجا اخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن له عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات
لان هذه طلقة ثالثة من حيث انها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل يملك
عليها ثلثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلث واذا تزوج الغير المطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا
نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها اذا احلها للاول ففيه قولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط
وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك وياثم به وقال مالك واحمد والثوري هذا
النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطء لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي
لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اي الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح عليهما على المراة المطلقة
والزوج الاول في ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كانا عليه من النكاح فهذا تراجع لغوي وظاهر الاية يقتضي ان يحل للزوج الاول

هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة فاء التعقيب في قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى ان النكاح ههنا بمعنى العقد وان التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطي لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب ان الاية مخصوصة بقوله تعالى والمطلقات يتربصن ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما او غرضهما انهما يقيمان حدود الله حقوق الزوجية ولم يقل ان علما ولا يجوز ان يفسر الظن ههنا بالعلم لان اليقين في الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوزها او اضرار منه فالرجوع مذموم الا انه صحيح شرعا ومن قرأ يبينها بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأ بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها عامة يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت هي حدود الله وسيبينها الله تعالى على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى لما بين الاحكام المهمة للطلاق استأنف حكمي الامساك والتسريح بيانين اخرين في ايتين متعاقبتين لان جملة الامر في الطلاق تؤل الى احد هذين احدهما قوله سبحانه فاذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها العمر للانسان اجل والموت الذي ينتهي به اجل ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقول الرجل لصاحبه اذا ابلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذي يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانه بعد تقضيه غير زوج وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف راجعوهن من غير توخي ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضي عدتها و تبين ولما امر بعد الطلاق باحد الامرين استأنف حكم كل منهما فقدم حكم الامساك على طريقة النهي لا الامر لان المامور به يحصل بمرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه ان يضارها في الاستقبال والمنهي لا يمتثل الا اذا انتهى في كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة وتحمل موجبات النفرة والعداوة كلها وروي ان الرجل كان يطلق المراة ثم يدعها فاذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة تسعة اشهر او اكثر وقيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر هذه الافعال رجاء ان تختلع المراة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا اي لا تضاروهن ليكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فيكونوا متعدين لتلك المعصية وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله او بتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه ولا في معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا ايات الله هزوا فمن قرب بما يجب طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة في ابواب العدة والرجعة والخلع وترك المضادة ولم يتشمر لادائها كان كالمستهزئ بها والمراد لا تهاونوا بتكاليف الله كما بها وربما يكون من باب الهزو والعبث وعن ابي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى ان المستغفر من الذنب اذا كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بايات الله ثم انه تعالى لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا في ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدأ اولا بذكرها على الاجمال فقال واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول لكل نعمة الله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم خصص نعم الدين بالذكر لشرفها فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القران والسنة وذكرهما مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به في محل النصب حالا مما انزل او فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتدأ وقوله يعظكم به خبرا واتقوا الله في اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثاني وهو حكم المراة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بلوغ الاجل ههنا على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم تخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في عصبة والخطاب للازواج الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا الحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن اذا تراضوا اي الخطاب والنساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول وقيل بمهر المثل وفرعوا عليه مسئلة فقهية توافق مذهب ابي حنيفة وهي ان تنكح نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يعترض عليها بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء ولان النساء بالعشيرة يتضررن بذلك فقد يعتبر مهورهن

بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الاية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد و السدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد ولا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا يبقى بين الشرط والجزاء نسبة قالوا اليس بعد انقضاء العدة قدرة للزوج على عضل المراة والجواب انه قد يقدر على الظلم وقد يجحد الطلاق او يدعي انه كان راجعها في العدة او يدس الى من يخطبها بالوعيد والتهديد وينسبها الى امور ينفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن على ان الاولياء كانوا يمنعونهن من العود الى اولئك الذين كانوا ازواجهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يئول اليه فالمراد من يريدون ان يتزوجهم فيكونوا ازواجهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالاية في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمراة ان تزوج بنفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح وهذا مبني على ان الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لها ولكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا في الزوج وايضا فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه مهما عضل انعزل واذا انعزل لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه ويتأكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل كما يضاف الى الفاعل المباشر فقد يضاف ايضا الى المتسبب مثل بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا لدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول او لكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر تخصيص لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر اي من ادناس الاثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد تخفى المصلحة والعاقبة علينا او يشتبه المصلحة بالمفسدة الحاصلة فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله ولي التوفيق **التأويل** انه سبحانه من كمال الكرم والاصطناع اذا صدر من العبد امارات النشوز والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرائط الوفاء ويتحرك داعية في صميم قلبه من نتائج محبة ربه اذ لم يكن له ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة والاوبة فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك من طلب منا فلاحا فليلازم عتبتنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حق في ذمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق برعاية الحق فيتقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بدرجة بل بدرجات غير متناهية والله عزيز اعز من ان يراعي العباد مع عجزهم كمال حقوقه حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما ليس في وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني اهل الصحبة لا يفارقون بجريمة وجريمتين كما في قصة موسى والخضر في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخاين صديقا مثله فان ندم بعد ذلك عن فعاله وشام ذلك الصديق وامثاله ترجع الى صحبة اشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان بعضله من صحبة الاقران وفيه ان الله تعالى يتجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الرفقاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه الا ان يؤدي الى مداهنة واهمال حق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله اعلم بالصواب

والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف
نفس الا وسعها لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده و
على الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور
فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح
عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله
بما تعملون بصير • والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم
في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن
سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى
يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم • لا جناح عليكم ان طلقتم
النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين • وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما
فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان
تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير

القراءة

القراءة لاتضار بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء ولا خلاف في قوله ولا يضار كاتب بالفتح ما اتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء النساء او بهمزتين عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر الباقون النساء وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النساي او تماسوهن حيث وقعت علي وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وروح وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالاسكان **الوقوف** الرضاعة بالمعروف وسعها لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك عليهما للابتداء الحكم في استرضاع الاجنبية بالمعروف بصير وعشرا بالمعروف خبير في انفسكم معروفا اجله لابتداء الامر فاحذروه للفصل بين موجبي الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا بتقديره غفور حليم فادجوه والوقف اليوم حليم فريضة لعطف الجملتين المختلفتين ومتعوهن لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المامور في الاولى تقدره الثاني لان متاعا مصدر متعوهن والوقف لبيان انه غير متصل بما يليه من الجملتين العارضتين بالمعروف لان حقا يصلح نعتا للمتاع اي متاعا حقا ويصلح مصدر محذوف اي حق ذلك حقا المحسنين النكاح للتقوى بينكم بصير **التفسير** الحكم الثاني عشر الارضاع والوالدات قيل هم المطلقات والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات ولهذا ذكرت عقيب اية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المتضمن لايذاء الولد لايذاء الزوج وربما رغبت في التزوج بزوج اخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى المطلقات رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشانهم وايضا انه تعالى قال في الاية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك للزوجية لا للارضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط الاولى ان يحمل على المزوجات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة تجبان في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يقتضي الامر للوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اي عامين والتركيب يدور على الانقلاب فالحول ينقلب من الوقت الاول الى الثاني وكاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الاخر وليس التحديد بالحولين تحديدا ايجاب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع او اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاع فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الاخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا على ان يفطماه قبل الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فيعلم من التحديد ان الارضاع ما لم يكن في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي وبه قال علي وعمر وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتاخيهما في التاويل اي في المصدر لان كلمة ما تارة تقع مصدرية فلا تنصب وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم وانما قيل المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الاباء يجب عليهم رعاية مصالحه كما قيل كله لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظار الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وايضا المعروف في هذا الباب قد يكون محدودا بشرط وعقد وقد يكون غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك اقل من قدر الكفاية لحقها ضرر من الجوع والعري ويتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الاية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة فانه يستاجر المراة على الارضاع والحضانة بالنفقة والتكليف الالزام قيل اصله من الكلف وهو الاثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة من قرا لا تضار

بالرفع فعلى الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها ومن قرأ بالفتح
فعلى النهي صريحا ويحتمل البنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار
والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط
في شأن الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا تضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما
وجب عليه من الرزق والكسوة او يأخذ منها وهي تريد ارضاعه او يكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان
يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده او تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه
من يدها او يفرط من شأنها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها ولم يقل بولده لان المرأة لما نهيت عن المضارة اضيفت
اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل
ذلك للعلماء فيه اقوال لانه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة واحتمل في الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء
فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وما بينهما تفسير المعروف
فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها
ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الاضرار وقيل المراد وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فيجب عليه عند موت المولود
الاب كل ما كان واجبا على الاب وهذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات
دون الام والاخوة من الام وهو قول عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفين وابرهيم وقيل هو وارث الصبي من الرجال والنساء
على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والولي عن ابي حنيفة
واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد من الوارث هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه وورثه
وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين
كما في الدعاء المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفين وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما وليس من باب المفاعلة وانما
هو ثلاثي على فعال كالغثار والاباق وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم انه يحتمل ان يكون
المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا
عن تراض منهما وتشاور ومع ارباب التجارب واصحاب الرأي فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقصان
وهذه ايضا توسعة بعد التحديد وذلك ان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع
فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة وحينئذ يبعد موافقة
الكل على ما يكون فيه اضرار الولد وان اتفقوا على الفطام قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ومع اجتماع الشروط
لم يصرح بالاذن بل دفع الحرج فقط ولما بين حكم الام انها احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب منها الى غيرها فقال وان
اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم فلا جناح عليكم يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي يعديه الى مفعول ثانيا
كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به وعن الواحدي التقدير ان تسترضعوا لاولادكم فحذف اللام للعلم به
مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام انها اذا تزوجت بزوج فيمنعها بحق ذلك الزوج
عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره بها زوج اخر ومنها ان تأبى المرأة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها
ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجدنا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول عن الام الى غيرها فان لم نجد
مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما ايتموه المرأة
اي ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن قرأ ما اتيتم بالقصر فهو من اتى اليه احسانا اذا فعله كقوله انه كان وعده
ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة وليس التسليم شرطا للجواز
والصحة وانما هو ندب الى الاولى وفيه بعث على ان الذي يعطى المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون اهنأ واطيب
لنفسها للتخلط في شأن الصبي ولهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكونوا حينئذ مستبشري الوجوه ناطقين بالقول
الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن قطعا لمعاذيرهن ثم اكد الجميع بان ختم الاية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا ان الله
بما تعملون بصير الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الانفس حين موتها واصل
التوفي اخذ الشيء كاملا وافيا وبني للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى اجله ورزقه وعليه قراءة علي كرم الله وجهه

يتوفون

يتوفون بفتح الياء والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب
الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو فلعل السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء
فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على متعارف الاوساط ويذرون يتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بتصاريف
ترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر مثل قوله يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وقد مر وعشرا اي يعتددن
هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الايام والليالي داخلة معها قال في الكشاف ولا تراهم قط
يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل في السبب التغليب ان مبدأ الشهر من الليل والاوائل اقوى من الثواني وايضا
هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليق ان تسمى ليالي استعارة او المراد عشرة اذ كل منها يوم بليلته وذهب الاوزاعي و
الاصم الى ظاهر الاية وانها اذا انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج نقل عن الحسن وابي العالية انه تعالى انما حد
العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة قلت ولعل هذا من الامور التي لا يعقل معناها كاعداد الركعات
ونصب الزكوات وانما الله ورسوله اعلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امرأة مات زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف
عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرائر تمسكا بظاهر عموم الاية وقياسا على موضع الحمل والا اذا كانت
المرأة حاملة فانها اذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
ولو زعم قائل ان ذلك في الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبي صلى الله
عليه وسلم حللت فانكحي من شئت وعن علي رضي الله عنه انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء
وغيرها والمدخول بها وغيرها قال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول ورد بعموم الاية ولهذا ايضا لم يفرق بين ان ترى المعتدة في المدة
المذكورة دم الحيض على عادتها او لا ترى خلافا لمالك فانه قال لا تنقضي عدتها حتى ترى عادتها من الحيض في تلك الايام مثل التي كانت
عادتها فان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها في عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان تحيض في كل شهرين
مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد وان كانت عادتها ان تحيض في كل خمسة
اشهر مرة فههنا يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعي انها ان ارتابت استبرأت نفسها من الريب كما ان ذات الاقراء لو ارتابت وجب
عليها ان تحتاط وتعتبر المدة بالهلال ما امكن فان مات الزوج في خلال شهر هلالي والباقي اكثر من عشرة ايام فتعتد ما بقي وتحسب
ثلثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقي ثلثين وتضم اليها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذي مات فيه الزوج
فقد انقضت العدة وان كان الباقي دون عشرة ايام فتعتده وتحسب اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقي عشرة ايام من الشهر الخامس
وان كان الباقي عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال فتعتد باربعة اشهر بالاهلة
وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قولي الشافعي انها
ما لم تعلم زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها يقين موته
او طلاقه وايضا فالنكاح معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها
خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من
تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعني به ترك
التزين بثياب الزينة وترك التحلي والتطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد ويحرم عليها ان تختضب بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من
اليدين والرجلين والوجه ولا منع منه فيما تحت الثياب ولا منع من التزين في الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن
التنظيف بغسل الرأس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضي ان تركت الاحداد ولكنها
تعصي لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة ان تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على
زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن والشعبي انه غير واجب لان الحديث يقتضي حل الاحداد لا وجوبه لكنه صلى الله عليه وسلم قال
المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة بالمشق وهو الطين
الاحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرايع والا لم يخص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب
انما خصوا بالذكر بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك كقوله انما انت منذر من يخشاها مع انه منذر للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن
اجلهن اذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن اذا
تزوجن في مدة العدة وجب على كل احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من
اشتمال الرحم على ماء زوجها الاول وقيل معناه لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين

والتطييب ونحوهما مما يتفرد المرء بفعله وفيه دليل على وجوب الاحداد بالمعروف بالوجه الذى يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل اصحاب
ابى حنيفة الفعل بهما على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولى والجواب بعد التسليم ان المراد من الفعل هو التزويج ان الفعل
قد يسند الى المسند مثل بنى الامير دارا وقد تقدم فى قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله بما تعملون
خبير الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح
ومعناه ان تضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وغير المقصود الا انه اشعار بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال انه
سوق الكلام لموصوف غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر شعر وحسبك بالتسليم
منى تقاضيا واصله من عرض الشى وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو قسم
من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان خطب فلان فلانة اى سالها امرا وشانا فى نفسها وكذا فى الخطبة
والخطاب فان فى كل منهما شانا ثم النساء على ثلثة اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهى الخالية عن الزوج والعدة الا
اذا كان قد خطبها اخر واجيب اليه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء ولم
يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك الثانى ما لا يجوز خطبتها
تعريضا ولا تصريحا وهى منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا لتشويش الامر على زوجها ولامتناع المراة عن اداء حقوق
الزوج اذا وجدت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها فى حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة
الوفاة ويتوارثان الثالث ما يفصل فى حقها بين التعريض والتصريح وهى المعتدة عن الرجعية سواء كانت معتدة عن وفاة او عن
طلقات ثلث او من طلقة بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما كذبت فى انقضاء العدة
بالاقراء مسارعة الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن الوفاة فظاهر الاية تدل على انها فى حقها لانها ذكرت عقيب اية عدة
المتوفى عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا
يحتمل غير النكاح فالغالب ان يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك
فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعى والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك او من يجد مثلك او لست بايم واذا حللت فاذنينى وعدة
اخرى من الالفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لى امراة صالحة
ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك
او اخطبك وعن ابى جعفر محمد بن على انه دخل على امراة وهى فى العدة فقال قد علمت قرابتى من رسول الله وحق جدى على وقدمى فى
الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبنى فى عدتى وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله قد دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابى سلمة فتوفى عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير
فى يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم فى انفسكم اى سترتم واضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين اباح
التعريض فى الحال ولا ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذى لاجله اباح التعريض فقال
علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت فى باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله تعالى
عنه الحرج ثم قال ولكن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذى هو العقد لانه سبب فيه كما قيل النكاح
الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فالمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة للاحسان اليها والاهتمام
بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهى عنها اما ان يكون المواعدة فى السر بالنكاح فيكون منعا
من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك اتيتك الاربعة والخمسة عن ابن عباس كقوله دعينى اجامعك فاذا تمت
عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن او يكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المراة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة او نهيا ان يعاهدها
الا تتزوج باحد سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود به اى لا تواعدوهن بشى يوصف بكونه سرا الا بان تقولوا قولا معروفا
وهو التعريض وعن ابن عباس رضى الله عنه هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامور وعزم عليه و
العزم عقد القلب على فعل من الافعال عيناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهى عن العزم فعن نفس الفعل اولى
وقيل معنى العزم القطع اى لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ويروى لم يبيت
الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا
تشبيها بالحبل الموثق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اى حتى يبلغ هذا التكليف نهايته وباقى الاية بيان موجبى الخوف و
الرجاء كما تقدم الحكم الخامس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء

ما لم تمسوهن

ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال ثم ذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان
حصل الدخول استقر كله وعدتها ثلثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول فحكمها فى هذه الاية وهو ان لها مهرها ويجب لها المتعة لها وان حصل
الدخول فحكمها غير مذكور فى هذه الآيات الا انهم اتفقوا على الواجب فيهما مهر المثل قياسا على الموطوءة بالشبهة بل اولى لوجود النكاح
الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه الاية تدل على انه لا مهر التى لا تكون
ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض غير الممسوسة وقد سلف حكم الممسوسة
المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية مشعر بان نفى الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس
وليس كذلك فانه لا جناح عليه ايضا بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان اباحة الطلاق وهذا الطلاق لا يصح الا قبل المسيس
او بعده يحتاج الى ان يكون الطلاق فى طهر لم يجامعها فيه او لعل ما بمعنى الذى لا المدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتى
لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح فى تطليق غيرهن او المراد من الجناح فى الاية لزوم المهر اى لا مهر عليكم ولا تبعة فى تطليقهن فان
الجناح فى اللغة الثقل يقال جنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه نفى الجناح ممدودا الى غاية هى اما المسيس او الفرض
والجناح او الذى يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفى فى اول الاية هو لزوم المهر وايضا ان تطليق
النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده وفى القسم الاول وجب نصف المفروض كما يجى فيجب ان يكون المنفى فى القسم الاول مقابل
المثبت فى الثانى واتفقوا على ان المراد بالمسيس او المماسة فى الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تاديب للعباد فى اختيار
احسن الالفاظ للتخاطب والتفاهم والفرض فى اللغة التقدير اى تقدروا مقدارا من المهر ومعنا ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس
او بعدم الفرض على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما فى هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا ان وقيل بمعنى حتى والكل تعسف
ثم انه تعالى لما بين انها لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعى وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا
الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وهو قول شريح والشعبى والزهرى وعن مالك ويروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها
واجبة لانه تعالى قال فى اخر الاية حقا على المحسنين فجعلها من باب الاحسان ورد بان لفظ على تنبى عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل
المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع وتسمى التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان فى سعة من ماله واقتر صار من القترة وهى الغبار كانه التصق بالارض لضيق ذات يده وقدره اى
قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف او قدره مقداره الذى يطيقه لان ما يطيقه هو الذى يختص به والقدر والقدر لغتان فى جميع معانيهما
وفى الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التى اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع يخالف المقتر قال الشافعى
المستحب على الموسع خادم وعلى المقتر المتوسط ثلثون درهما وعلى المقتر مقنعة وعن ابن عباس انه قال اكثر المتعة خادم واقلها مقنعة واى قدر
ادى جاز فى الكثرة والقلة والنظر فى اليسار والاعسار الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا تزاد على نصف مهر المثل لان حال المراة
التى يسمى لها المهر احسن من حال التى لم يسم لها ثم لما لم يجب زيادة على نصف المسمى اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن اى تمتيعا
بالمعروف بالوجه الذى يحسن فى الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج فى الغنى والفقر وعلى ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة
حقا ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون محسنا فهذا شانه وطريقته او على المحسنين الى انفسهم فى
المسارعة الى طاعة الله تعالى الحكم السادس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وذلك قوله سبحانه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية واعلم
ان مذهب الشافعى ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهو ان لا يكون مانع حسى او شرعى فالحسى نحو الرتق
والقرن والمرض او يكون هناك معهما ثالث وان كان نائما والشرعى كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض والاحرام المطلق فرضا كان
او نفلا وقد فرضتم فى موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط او ثابت الا ان يعفون اى المطلقات
عن ازواجهن فتقول المراة ما رآنى ولا خدمته ولا استمتع بى فكيف آخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء يعفون وبين الرجال يعفون هو
ان الواو فى الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شى وانما وزنه يفعلن والفعل مبنى لا اثر فى لفظه للعامل والواو فى
الثانى ضمير جماعة الذكور واللام محذوف ووزنه يعفون والنون علامة الرفع فقوله او يعفو عطف على محل ان يعفون والذى بيده عقدة
النكاح الولى وهو قول الشافعى ويروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابى حنيفة ويروى عن على وسعيد بن المسيب
وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولى ان يهب مهر موليته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذى بيد الولى هو عقد النكاح فاذا عقد حصلت
العقدة اى المعقودة كالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولى وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها المهر وقال
انا احق بالعفو حجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم الا ان يقال ان كان
الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او يقال

سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل يعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة حجة اخرى لو كان
المراد به الزوج فقد قال او لا ان طلقتموهن ثانيا ان يقال الا ان يعفون او يعفو على سبيل الخطاب ايضا واجيب بان سبب العدول
عن الخطاب الى الغيبة هو التنبيه على المعنى الذى لاجله يرغب فى العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذى حبسها بان ملك
عقدة نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها سبب فى الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها
ثم قال الشافعى اذا ثبت ان الذى بيده عقدة النكاح هو الولى فهم منه ان النكاح لا ينعقد بدون الولى وذلك الحصر المستفاد من تقديم
بيده على عقدة النكاح فيبين انه ليس فى يد المراة من ذلك شىء وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى
التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور لاصالتهم وكمالهم وانما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى
الاتقاء لان من سمح بترك حقه تقربا الى الله فهو من ان يأخذ حق غيره ابعد ولانه اذا استحق بذلك الصنع الثواب فقد اتقى العقاب واحترز
عنه ولا تنسوا الفضل لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس نهيا عن النسيان فان ذلك غير مقدور بل المراد منه الترك وذلك ان
الرجل اذا تزوج المراة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتاذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل لها مهرها
من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتاذيه منها فلا جرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الآخر ببذل كل المهر او تركه
والا فالتنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابى وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق
كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علىّ فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الاية بما يجرى مجرى
الوعد والوعيد على العادة المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير التجنى

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان
خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم
ما لم تكونوا تعلمون ◉ والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم ◉
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ◉ كذلك يبين الله
لكم اياته لعلكم تعقلون ◉

القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير رويس الباقون بالرفع الوقوف
قانتين او ركبانا لان اذا فى معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ازواجا لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية
او فليوصوا وصية والوصل اجوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قايم مقام خبر المبتدا اخراج من معروف حكيم بالمعروف
المتقين تعقلون التفسير الحكم السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعاير المتقين اعقبها
بذكر الصلوة التى تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى وعند ذلك التزود وحصول الانقياد للاوامر والانتهاء عن مناهيه تحصيلا للسعادة
الدارين وتكميلا لمصالح الدارين وقد اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفى الاية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع واقلها
ثلث والصلوة الوسطى تدل على شىء زايد والا لزم التكرار وذلك الزايد لو كان الرابعة لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمداومة المحافظة
رعاية شرايطها من طهارة البدن والثوب والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان باركانها وابعاضها وهيئاتها والاحتراز
عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان والجوارح ومعنى المفاعلة فى المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك
الله الذى امرك بالصلوة كقوله فاذكرونى اذكركم وفى الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلى والصلوة فمن حفظ الصلوة
حفظته الصلوة عن المناهى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وحفظته من المحن والفتن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفى
الصلوة القراءة والقرآن شافع مشفع فى الخبر يجىء البقرة وآل عمران كانهما غمامتان فتشهدان وتشفعان وان سورة الملك تحاج

عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه فى الحشر وتقف فى الصراط عند قدميه وتقول للنار لا سبيل لك عليه وفى الصلوة الوسطى
سبعة اقوال الاول ان الله تعالى امر بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اى الصلوة وما روى من اخبار الآحاد لا معول
لا معول عليها فيجب ان يؤدى كلتيهما على نعت الكمال ونعت التمام ولعل هذا هو الحكمة فى ابهامها ولمثل ذلك اخفى الله تعالى ليلة
القدر فى ليالى رمضان وساعة الاجابة فى يوم الجمعة واسمه الاعظم فى اسمائه ووقت الموت فى الاوقات ليكون المكلف
خائفا عازما على التوبة فى كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلوة
الوسطى فقال حافظ على الصلوات تصبها وعن الربيع ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سايرهن قال السايل لا
قال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى القول الثانى ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون
درجة اعلاها شهادة لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والصلوات المكتوبات واسطة بين الطرفين القول الثالث انها
صلوة الصبح وهو قول على وعمر وابن عباس وابن عمر وابى امامة ومن التابعين قول طاوس وعطا وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعى قالوا
ان هذه الصلوة تصلى فى الغلس فمبدؤها فى ظلمة الليل واخرها فى ضوء النهار وايضا انها فى النهار صلوتين الظهر والعصر وفى الليل
صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجمعان فى السفر وكذلك المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما
قال القفال والتحقيق هذا يرجع الى ما يقوله الناس فلان يتوسط اذا لم يمل الى احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله
تعالى فى قوله والفجر وليال عشر وايضا قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها
فى تلك الاية بالذكر للتاكيد وخص الصلوة الوسطى فى هذه الاية بالذكر للتاكيد فيغلب على الظن انهما واحد وايضا قرن هذه الصلوة
بذكر القنوت فى قوله وقوموا لله قانتين وليس فى المفروضة صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا شك انه تعالى افردها
بالذكر لاجل التاكيد والصبح احوج الصلوات الى ذلك فيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء البارد والخروج الى المسجد فى الوقت
الموحش وايضا الافراد بالذكر ينبئ عن الفضل ولا ريب فى فضيلة صلوة الصبح ولهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروى ان التكبيرة
الاولى منها فى الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين اولاهما قبل الوقت ايقاظا للناس حتى لا تفوتهم السنة وخص
اذانها بالتثويب وهو ان يقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم فان الانسان اذا قام من منامه فكانما صار موجودا بعد العدم وعند ذلك
يزول عن الخلايق ظلمة الليل وظلمة النوم والغفلة وظلمة العجز والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان نحوة وعقلا وقوة وفهما فهذا
الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل
الظلمات والنور وعن على كرم الله وجهه ان الصلوة الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هى الصلوة
الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر وهو مروى عن عمر وزيد وابى سعيد الخدرى واسامة بن زيد وهو قول ابى حنيفة واصحابه لان
الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه فى وقت الصلوة القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان يصلى بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه وربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد
هممت ان اصرف على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية وايضا ليس فى المكتوبات صلوة وقعت وسط الليل والنهار
الا هذه وانها صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين البردين برد الغداة وبرد العشى وان اول امامة جبرئيل كان
فى صلوة الظهر كما ورد فى الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة مع ما ورد فى فضلها تنوب عن الظهر لا عن غيرها وعن عايشة كانت تقرأ
والصلوة الوسطى وصلوة العصر وكانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغلب على الظن ان المعطوف عليه العصر هو
الظهر الذى قبله وروى ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد وسالوه عن الصلوة الوسطى فقال هى صلوة الظهر كان
تقام فى الهاجرة القول الخامس انها صلوة العصر وهو مروى عن على وابن مسعود وابن عباس وابى هريرة ومن الفقهاء النخعى وقتادة والضحاك
وهو مروى عن ابى حنيفة ايضا لما ورد من التاكيد فيه كقوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله
بها فى قوله والعصر ان الانسان لفى خسر ولما يحتاج فى معرفة وقتها الى تامل اكثر فى حال الظل فالمغرب يعرف بغروب الشمس والعشاء
بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن داير نصف النهار ولما فى وقتها من اشتغال الناس بحوايجهم وعن على كرم الله
وجهه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن صلوة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا رواه البخارى ومسلم
وساير الايمة وهو عظيم الموقع فى المسئلة وفى صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التى
شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املى عليك كما
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذويب
لانها بين بياض النهار وسواد الليل ولانها وسط فى الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب

عن المتهجد

والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمن بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق
القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح والجسد فكانه قيل حافظوا على صورة الصلوات بشرايطها وحافظوا على معاني
الصلوة وحقايقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة وبعدها ثم ان الشافعي احتج بالاية على ان الوتر ليس بواجب والا كانت الصلوات ستا
فلم يبق لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان الوسطى في الفضيلة من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او
الوسطى في الزمان هو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانه ثلث ركعات فيتوسط بين الاثنين والاربعة او الوسطى في الصفة كصلوة
الصبح تتوسط بين صفة الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس ان القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل
ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بها في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة من الذكر وعن الحسن
والشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه قال صلى الله عليه وسلم كل قنوت في القرآن
فهو طاعة ومن يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها
وسننها وادابها وفيه زجر لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزي وذهب جهله الى انه لا حاجة بالله تعالى الى صلوة العباد
ولو كان كما قالوا وجب ان لا يصلي اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج الى الكثير من عبادتنا وكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وساير الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله
بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل صاحبه الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت
عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده
ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا لله مديمين لذلك القيام في اوقات وجوبه واستحبابه فان خفتم
عدوا فحذف المفعول به للعلم به او فان حصل لكم خوف او كنتم على حالة الخوف على انه متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين
او راكبين وقيل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تاكيد الوقت حتى
يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام جمع قائم وتجار جمع تاجر وجمع رجل يقال رجل
رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على ابل فلو كان على فرس فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية
اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال فسوف يجيء بيانها في سورة النساء ان شاء
الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال فهو المراد ههنا ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى
غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح لانه لا ضرورة
اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر لانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة
لذلك الفعل ويدخل في الخوف المفيد هذه الرخصة الخوف في القتال الواجب كالقتال مع الكفار ومع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس
او عن حيوان محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي والخوف الحاصل لا في القتال
كالهارب من الحريق والغرق والسبع وكذا المطالب اذا كان معسرا خايفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار يرخص لها في هذه الصلوة
لان قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن يعني فحافظوا
على الصلوات والصلوة الوسطى وكما بينه بشروطه واركانه وسمى الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا
الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع على لسان نبيه وكيف
تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما اما مصدرية او كافة الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بوجه اخر والذين يتوفون منكم
الاية من قرا وصية بالرفع فوصية مبتداء خبره لازواجهم وجاز وقوع النكرة مبتداء لتخصصه بما تخصص به سلام عليكم او التقدير
فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر او وفي الامر او المفترض او الحكم وصية فالمبتداء مضمر او كتب عليهم وصية او ليكن منهم وصية او وصية
الذين يتوفون وصية او الذين يتوفون اهل وصية الى الحول وكل هذه الوجوه جايز حسن ومن قرا بالنصب على تقدير فليوصوا وصية او توصون
وصية مثل انت سير البريد او والزم الذين يتوفون وصية ومتاعا نصب على المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا او التقدير
جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبل الكلام يدل عليه او نصب على الحال او نصب على الوصية وغير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك
هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى انه حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان
يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول
الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا ونسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن لقوله
صلى الله عليه وسلم الا لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر ان لها النفقة ان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى

لهن وهو قول علي وابن عباس وعايشة واختاره المزني قياسا على النفقة وفرق بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى
فلتحصين الماء وهو موجود وعند الشافعي لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة ووافقه مالك
والثوري واحمد ومبنى الخلاف على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما ترك لي منزلا في مكة فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى
يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني على النسخ والاخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تاخذ النفقة
من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول قال وانما نزلت
الايتان على هذين التقديرين ليكون كل واحدة منهما معمولا بها وعن ابي مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ و
نحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الاية الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى
حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة التي ضربها الله تعالى فلا جناح عليكم فيما
فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب فيه انهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة
والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المراة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب ويؤكده ما روت زينب بنت
سلمة قالت سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد
اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مرتين او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي
اربعة اشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على راس الحول قالت كانت
المراة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او
طاير فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة ثم ترمي بها ثم تراجع بما شاءت من طيب او غيره
فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول
ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها وانما قال ههنا من معروف منكرا لان المراد وجه
من الوجوه التي لهن ان تاتينه واما في الاية السابقة فالمراد الوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال تلك الاية متاخرة في النزول على هذه
باجماع المفسرين ولانه نكرة ولانه لان النكرة اذا كانت نكرة وصارت معرفة قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول
الحكم التاسع عشر وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم الخامس عشر
وروي انها لما نزلت ومتعوهن الى قوله متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك
لم افعل فنزلت هذه الاية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي واعلم ان للمطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم
يفرض لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة
فهي مستثناة من عموم هذه الاية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها او لم يفرض واختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قولي الشافعي
وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها تستحق المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول وفي الجديد لها المتعة وهو قول علي وابنه الحسن
وابن عمر رضي الله عنهم لعموم الاية ولقوله تعالى فتعالين امتعكن وكان ذلك في حق نساء دخل بهن النبي صلى الله عليه وسلم وليست
كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا بمقابلة عوض وهذه استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة للايحاش
وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الاية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة

الى الحول ... متاعا ... والله اعلم

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال
لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر
الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض

ويبسط واليه ترجعون **القراءة** فيضاعفه بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه
بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالالف والرفع وكذلك
في سورة الحديد ويبسط بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وابي عون عن قنبل وسهل وعاصم وابن
ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلى الحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين **الوقوف** الموت احياهم لا يشكرون
عليم كثيرة ويبسط ترجعون **التفسير** قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص اعتبارا للسامعين ليحملهم ذلك
الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال الم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبار الاولين وتعجيب
من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم يره ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب او يكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته
علمك ولهذا عدى بالى وعلى هذا يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف هذه القصة الا بهذه الاية ويجوز ان يقال العلم بها سابقا
على نزول الاية ثم انه تعالى انزل الاية على وفق ذلك روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين
فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وروي ان حزقيل النبي ابن ثم يقال له ذو الكفل مر عليهم بعد زمان طويل
وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب مما راى فاوحى تعالى اليه اتريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها العظام ان الله
يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها الى البعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه نادها ان الله يامرك ان تكتسي لحما ودما ثم نادى
ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم كانوا يقولون سبحانك الله ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حيوتهم وكان
يظهر امارات الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب اجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا
القتال فهربوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية
ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر فاحياهم الله تعالى بعد الثمانية وبقي فيهم شيء من ذلك
النتن وبقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي عليه السلام ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما
كثر فيهم الموت خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم تدلهم
على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قدرتك فبعثتك فارسل الله عليهم الموت فلما راه عليه السلام ضاق قلبه فدعا مرة اخرى
فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف ففيه دليل على الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون
وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد اي خرجوا وهم مؤتلفوا القلوب وضعف بان ورود الموت عليهم وفيهم كثرة
يفيد مزيد اعتبار بحالهم بخلاف ما لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم بينهم ائتلاف ومحبة فلو ورد على قوم بينهم اختلاف
في وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد الفهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا ليعلم ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الفوت
وحذر الموت مفعول لاجله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد وانها خارجة
عن العادة ولا امر ولا قول كما مر في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا
الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا غير انهم لم يكونوا رأوا عند الموت من الاهوال والاحوال ما يصيرون بها معارف ضرورية
ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الاخرة لمخالفة العادة انما احياهم ليستوفوا بقية اجالهم ان الله لذو فضل على الناس تفضل عليهم بان
خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافي وتفضل على منكري المعاد باقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا
وذلك ان تركيب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان ممكنا في نفسه وقد اخبر الصادق بوجوده وجب القطع به
وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعت بقوله
وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان في هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار
تقديره وقيل لهم قاتلوا وان كان استينافا خطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب والهاب كيلا
ينكص على عقبه محبة للحيوة وحذرا من خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون
ويعلم ما يضمرونه وهو ما وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
اي في باب الجهاد كانه ندب العاجز عن الجهاد ان ينفق على الفقير وامر القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه في طريق الجهاد وذا في من ذا
اما زائدة ومن استفهام في موضع الرفع والذي مع صلتها خبره او موصولة الذي بدلها او اسم اشارة خبر من والذي نعت له او بدل
منه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد يجيء
الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل من ظاهر الامر وقيل ان هذا كلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله
وانما ورد مستانفا في الانفاق اما على الاطلاق وهو الاليق بعموم لفظ القرض ولما الواجب منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما

انما يليق بالواجب وانما عبر الواجب لان القرض التبرع اشبه وهذا قول الاصم وقد روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد من هذا
القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن
اليهود فانه له صدقة ويشبه ان يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان قلبه انه اذا قدر انفق واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق
وعن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما يفعل ليجازى واصل القرض القطع ومنه المقراض والانقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض
فكانما قطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض في الاية مجاز فان القرض انما يأخذه من يحتاج اليه لفقره
وذلك في حق الله محال ولان البدل في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا يضاعف ولان المال الذي يأخذه المستقرض لا يكون
ملكا له وههنا المال الماخوذ ملك الله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله فكما ان القرض
يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال به فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم
مصدر وكونه مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يشوبه من ولا اذى ولا يفعله رياء ولا سمعة
وانما يفعله خالصا لوجه الله تعالى متواضعا فانتصب على الحال وعلى المفعول الثاني ان ضمن يضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان
الضعف وان كان مصدرا الا انه قد يقع موقع المصدر كالعطاء فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي **شعر**
اكفرا بعد رد الموت عني ❊ وبعد عطائك المائة الرتاعا ❊ وانما جاز جمع المصدر بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاقراض في المقدار
والاخلاص وغير ذلك والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن
السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض
ويبسط يقتر على عباده ويوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر فليس له الا ذلك
سواء انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى اذا علم المكلف ان القبض و
البسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضات الله ويحتمل ان يكون المعنى والله
يقبض بعض القلوب حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب
ما قدمتم من اعمال الخير والله ولي التوفيق واليه انتهاء الطريق

الم تر الى الملاء من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
والله عليم بالظالمين ● وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه
ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ● وقال
لهم نبيهم ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم
وبقية مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملئكة ان في ذلك لاية

لكم ان كنتم مؤمنين ● فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم

بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة

بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا

لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله

كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا

وانصرنا على القوم الكافرين ● فهزموهم باذن الله وقتل داود

جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله

الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح ونادى بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بصطة بالصاد ابو نشيط والشمونى غير النقاش وكذلك يباصط ويبصط الرزق ولا تبصطها كل البصط فما اصطاعوا وما اشبه ذلك فمنى الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالضم هو والذين بالادغام روى ابن مهران وعن العطار عن ابى شعيب وشجاع وكذلك ما اشبهها فئة ومئة وبابهما غير حمونى بن يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف دفاع الله وكذلك فى سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله الوقوف من بعد موسى لان لو وصل صار ابعث ظرفا لقوله الم تر وهو محال فى سبيل الله الا تقاتلوا وابنائنا تعظيما الابتداء ام معظم منهم بالظالمين ملكا من المال والجسم من يشاء عليم الملائكة المومنين بالجنود لان قال جواب لما منى للابتداء بالشرط مع الفاء فليس منى للابتداء بشرط اخر مع اتحاد المقصود بين لعطف المختلفين منهم تعظيما لابتداء ام معظم معه لان قالوا جواب لما وجنوده ملاقوا الله لان ما بعده مفعول قال باذن الله الصابرين الكافرين لان ما قبله دعاء وما بعده خبر ماض يتصل بكلام طويل بعده ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ واتساق المعنى فان الهزيمة كانت بقتل داود جالوت مما يشاء العالمين التفسير القصة الثانية قصة طالوت والملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملؤن العيون هيبة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة وجمعه املاء قال شعر وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملاؤا بما يحتاج اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملأ الرجال ملاءة فهو ملى اذا كان مطيقا له او لانهم يتمالؤن اى يتظاهرون ويتساندون والغرض من ايراد هذه القصة عقيب اية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبى لهم لم يحصل العلم بذلك وباولئك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود وهو الحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبى هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف لقوله تعالى من بعد موسى لكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه اشمويل واسمه بالعربية اسمعيل وعن السدى هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها اياه فسمع دعاءها فسمته شمعون والشين يصير سينا بالعبرانية وهو من ولد لاوى بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا امير انصدر فى تدبير الحرب عن رايه وينتظم به كلمتنا وكان قوام بنى اسرائيل بملك يجتمعون عليه يجاهد الاعداء ويجرى الاحكام ونبى يطيعه الملك ويقيم امر دينهم وياتيهم بالخبر من ربهم نقاتل فى سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهى القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اى ابعث لنا ملكا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبر ان لا تقاتلوا والشرط فاصل

بينهما وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اى ان كتب عليكم القتال فهل يتوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صايب فى توقعه وما لنا الا نقاتل قال المبرد ما نافية اى ليس لنا ترك القتال فالاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اى ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما فى كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن ان ادخال ان فيه ومن الكسائى واستحسنه الفارسى ان التقدير اى شىء لنا فى ان لا نقاتل اى اى داع وغرض فى ترك القتال فسقطت كلمة فى على القياس وقد اخرجنا اى وحالنا على القياس انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبى والقهر على نواحينا ومن بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد فى قمع عدوه روى ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف فسال الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر وسياتى ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل من تكلف فى الاسلام على القعود عن القتال وانى وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العايد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمى كجالوت امتنع من الصرف للعلمية والعجمة المعتبرة وقد يمكن تكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة فى الجسم وقد يوافق العبرانى العربى وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفى الاية تقرير لتوليهم وتاكيد لذلك فان اول ما تولوا هو انكارهم امر النبى المبعوث اليهم بالتماسهم وذلك انهم قالوا انى يكون كيف ومن اين يحق ويصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف فانتظمت الجملتان فى سلك الحالية استبعدوا تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهرون والملك كان فى سبط يهوذا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثانى انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به وعن وهب انه كان دباغا وعن السدى كان مكاريا وقال الاخرون كان سقاء فازيلت شبهتهم لوجوه الاول قال ان الله اصطفاه عليكم اختاره دونكم واستخلصه من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله روى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت الثانى وزاده بسطة فى العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلهما الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من النسب والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس والعلم والقدرة الحاصلة بجوهر الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب ذا القوة والبطش يكون الانتفاع به فى مصالح البلاد والعباد اتم من النسيب الغنى اذا لم يكن له علم يضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة فى العلم هو حذقه فيما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغى ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روى انه كان يفوق الناس براسه ومنكبه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بنى اسرائيل والاظهر ان المراد بها القوة لانها المنتفع بها فى دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث والله يؤتى ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له والمالك اذا تصرف فى ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح له عليه باب الرزق ووسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت الاية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبى ثم انه لما قال ان الله تعالى قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رافته بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا اخر دل على صدق النبى واكثار الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى عليهما السلام ثم ان مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة واية من عند الله دالة على صدق تلك الدعوى فقيل ان الله تعالى انزل على ادم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقى فى ايدى بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شىء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سالوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال ذلك النبى ان اية ملكه انكم تجدون التابوت فى داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه فى موضع البول والغائط فدعا النبى صلى الله على نبينا وعليه عليهم فى ذلك الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما

حتى اتوا منزل فعلى هذا اتيان التابوت مجاز لانه اتى به ولم يأت هو بنفسه وقيل انه صندوق من خشب كان موسى يضع التورية
فيه وكان يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعد ما قبض موسى لسخطه على بنى اسرائيل ثم قال نبى ذلك القوم ان اية ملك طالوت
ان ياتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء والملائكة كانوا يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا
الاتيان حقيقة حقيقه واضيف الحمل الى الملائكة فى القولين جميعا لان من حفظ شيئا فى الطريق جاز ان يوصف بانه
حمل ذلك الشئ اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع فى ذراعين وقرا ابى وزيد بن
ثابت التابوه بالهاء وهى لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثانى لقلة
باب سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف وهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه
يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجئ التابوت كان معجزة لنبى ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان اية قاطعة
فى ثبوت ملك طالوت وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزته لانه مقرونا بالتحدى والجواب ان التحدى كان
من النبى لا منه فيه سكينة فعيلة من السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقيه فبمعنى
الباقية يقال بقى من الشئ بقية والمراد بالسكينة الوقار والبقيه اما ان يكون ناشيا حاصلا فى التابوت اولا الثانى قول
الاصم وعلى هذا فمعنى انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمانت نفوسهم واقروا له بالملك وانتظام
ما بقى من دين موسى وهرون ومن شريعتهما فهذا كقوله صلى الله عليه وسلم فى النفس المؤمنة مائة من الابل اى بسببها وعلى الاول
اقوال الاول عن ابى مسلم كان فى التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بان
الله تعالى ينصر طالوت وجنوده فيزول خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هى صورة من زبرجد وياقوت لها راس كراس الهر
وذنب كذنبه وجناحان تأن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن على
كرم الله وجهه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اى طيبة واما البقية فهى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وشئ من الالواح وقفيز من المن انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى ال موسى وال هرون لان ذلك التابوت
قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وفى التابوت اشياء توارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الال
هم الاتباع قال تعالى ادخلوا ال فرعون وانجيناكم من ال فرعون ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والال مقحم لتفخيم
شانهما كقوله صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى لقد اوتى هذا مزمارا من مزامير ال داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن
لاحد من ال داود من الصوت الحسن ما كان لداود ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين بدلالة المعجزة على صدق المدعى وههنا
محذوف والتقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما فصل طالوت بالجنود اصله فصل
نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار فى حكم غير المتعدى والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان والانصار وكل
صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة روى ان طالوت قال لقومه لا ينبغى ان يخرج معى رجل بنى بناء لم
يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجرى الله لهم نهرا فقال اى نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك
اما باخبار النبى او بالوحى ان كان نبيا ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر قيل فى حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بنى اسرائيل
مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الايات الباهرة اظهر الله علامة قبل لقاء العدو ويتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان
الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتاثيره حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدى انه نهر فلسطين وعن قتاده والربيع انه نهر بين الاردن
وفلسطين ونهر بتحريك الهاء وتسكينها لغتان فمبتليكم اى ممتحنكم ولما كان الابتلاء من الناس انما يكون ليظهر الشئ وثبت ان الله
لا يثيب ولا يعاقب على علمه انما يفعل ذلك ليظهر الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا بالتكليف لا جرم سمى التكليف ابتلاء فمن
شرب منه فليس منى هو كالرجل ليس مستظل بى ولا متحد معى من قولهم فلان منى يريد انه كان بعضه لاختلاطهما واتحادهما وليس
من اهل دينى وطاعتى ومن جملتى واشياعى ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ومنه طعم الشئ لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا
فى ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفه لا يحنث الا اذا كرع فى النهر حتى لو اغترف بالكوز ماء من ذلك
النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشئ هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشئ وقال الباقون بل اذا اغترف الماء بالكوز من ذلك
النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل فى اللفظ الاول ان يكون النهى مقصورا على الشرب من النهر حتى
لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهى ذكر فى اللفظ الثانى ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده
استثناء من قوله فمن شرب منه فليس منى لصحة النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة

فى اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر والغرفة بالضم بمعنى المغروف ملء الكف عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها
هو ودوابه وخدمه ويحمل منها وهذا يحتمل ان ذلك من معجزات نبى ذلك الزمان كما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه روى الخلق العظيم من الماء
القليل ويحتمل انه كان ماذونا ان ياخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بغرفة واحدة بحيث كان الماخوذ فى المرة الواحدة يكفيه ولدوابه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
عدد اصحاب طالوت حين جاوزوا النهر [illegible] قال البراء بن عازب [illegible] ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا
اربعة الاف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وابلغه وهذا هو الركن الاعظم فى المبالغة المحاربة فانه ان كان جبانا لم يحصل طائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى الالات والعدد
والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار فاقترحوا ما يقولهم ويثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء
يفتقر الى ان يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم وهو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب الله دعاءهم فهزموهم
كسروهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطا خبر اخوة
على ابيهم ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم فى المصاف فبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت
بيضته فيها ثلثماية رطل من الحديد فلم يخرج اليه فقال يا بنى اسرائيل لو كنتم على الحق لبارزنى بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من
يخرج الى هذا الاقلف فسكتوه فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا

فقال طالوت انكحه ابنتي واعطيه نصف مملكتي فقال داود فانا خارج اليه وكانت عادته انه يقاتل بالمقلاع الذيب والسباع في المرعى
وكان طالوت عاد فاجلاديه فلما هم داود بان يخرج الى جالوت مر بثلثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففيناميته جالوت ثم لما خرج
الى جالوت رماه فاصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ناسا كثيرا قيل فحسد طالوت ولم يفله وعده ثم ندم على صنيعه فذهب
يطلبه الى ان قتل واتاه الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو
الاصلح وكمال هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى كان يبعث اليهم نبيا وعليهم ملكا وكان ذلك الملك
ينفذ امر ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكه طالوت فلما توفى اشمويل اعطى الله داود النبوة ولما توفي طالوت اعطاه الملك
اياه ايضا ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله ويروى انه بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله الملك والحكمة سبع سنين
وقال بعضهم هذا الانبياء جزاء له على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع جعل النبوة جزاء على بعض الطاعات كما قال تعالى
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته ولهذا ذكر بعض حديث الهزيمة والقتل وترتيب الحكم على الوصف
المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاحجار معه وقد قهر العدو العظيم المهيب بالالة الحقيرة وقال اخرون ان النبوة لا يجوز
جعلها جزاء على الاعمال ولكنها يحصل عناية الله تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم
الملك على الحكمة مع انه ادون منها فالجواب انه تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود في مدارج السعادات والتدرج في مثل
هذا المقام من الادون الى الاشرف وهو الترتيب الطبيعي وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس وقيل
منطق الطير علمناه منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه مما تعلم ذلك من ابائه فانهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء واتيناه
الحكمة وفصل الخطاب ولا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه على ان العبد لا ينتهي قط الى حالة يستغني عن التعلم سواء كان
نبيا اولم يكن ولهذا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظاهر واما من قرأه بالالف فاما ان يكون
مصدر الدفع نحو جمح جماحا وكتب كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة من المؤمنين على ايدي
انبيائه وائمة دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله واعلم
ان الله تعالى ذكر في الاية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الاخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به
وهو الشرور في الدين كالكفر والفسق والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء عليهم السلام وائمة الهدى ومن يجري
مجراهم من الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر او الشرور في الدنيا كالهرج والمرج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبياء
او الملوك الذابون عن شرايعهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الملك والدين توامان الاسلام اس والسلطان حارسه فما
لا اس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضايع وعلى هذا فمعنى قوله لفسدت الارض اي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها
من الحرث والنسل وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض عيث
الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى لولم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزلت سخط الله فاستوصل اهل الارض ويصدق ذلك
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدفع من يصلي من امتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن
لا يحج وبمن جاهد عمن لا يجاهد ولو اجمعوا على ترك هذه الاشياء لما نظرهم الله طرفة عين ثم تلا هذه الاية ولكن الله ذو فضل على
العالمين بسبب ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره وبقهره ولطفه وعدله وفضله **التأويل** الم تر الى الملاء ان القوم
لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كتموا اعرض نقد دعواهم على محك معناهم فلما افتضحوا عند الامتحان او عجزوا عن الكرهان
وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان يزعمون انهم يصلي ويصوم ويحج ويزكي لله وفي الله
باللسان دون صدق الجنان فيظهرها كان لله وما كان للهوى في كفتي الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطال
فتولوا الا قليلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء واحرز من الكيمياء **شعر** تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل
تعيرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل وانما تولى المدعون مقصودهم لانهم لم يخلص لله قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا
الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا واوجب القتال علينا وانشدنا ومولانا فلعل الله صدق دعواهم اعطى منالهم واكرم مثواهم
كما قال قوم من السعداء في اثناء البكاء والصعداء وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
فلا جرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة
الى الحكم الالهية جلت وعلت في جلباب تعاليها عن ادراك العقول البشرية كمعاني من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك علينا وليس
هذا باعجب من قول المقربين المريدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من يفسد فيها استعظاما لشان آدم واستحقارا بالحجب الانسانية والتخيير
فلما تكبر بنو اسرائيل وقالوا نحن احق بالملك وضعهم الله وحرموا الملك ولما تواضع طالوت لله وقال كيف استحق الملك وسبطي ادنى اسباط

وقالوا

بني اسرائيل وبيتي ادنى بيوت بني اسرائيل رفعه الله واعطاه الملك ولما توقفت الملائكة وترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود
آدم ولما عرضت الخلافة على آدم فتواضع لله وقال انا للتراب ورب الارباب اكرمه الله تعالى بسجود الملائكة وحمل اعباء الامانة
ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه اشارة الى ان اية خلافة العبد ان يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه وهي الطمانينة بالايمان
والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك آل موسى هو عصاء الذكر كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي اذا فغر
فاه تلقف عظيم سحر سحرة صفات فرعون النفس وان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان يتداوله ايدي الجذبان وتابوت قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وان كان في تابوتهم بعض التورية ففي تابوت المؤمن جميع القران وان كان في تابوتهم صورة الانبياء
ففي تابوت المؤمن رب الارض والسماء كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانسانية
تابوت القلب الرباني سلم له ملك الخلافة وانقاد له جميع اسباطه صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت
النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا وما زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحق من المبطل ويميز
الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده قنع من متاع الدنيا بما لا بد منه من الماكول والمشروب والملبوس والمسكن وصحبة
الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اي ما يمسك رمقهم لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها تجاوز عن حد الضرورة فيها لا تطيق قتال جالوت النفس
وجنود صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا بمرض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ولما
برزوا لجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الى
ربه مستعينا به مستغنيا عن غيره قائلا ربنا افرغ علينا صبرا على الايتمار بطاعاتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة
الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا عند التسليم في الشدة والرخاء ونزول البلاء وهجوم احكام القضاء في
السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة وصفاتها التي هي اعدى عدوك
بين جنبيك خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس اذا خنجر الحرص على الدنيا وحجر الركون
الى العقبى وحجر تعلقه الى نفسه بالهوى حتى صار الثلثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم و
الرضا فرمى به جالوت النفس فسخر الله له ريح العناية حتى اصاب بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول
وخرج من قفاها وقيل من ورائها ثلثين من صفاتها واخلاقها ودواعيها وهزم الله باقي جيشها واحزابها واتاه الله ملك
الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه مما يشاء من حقايق القران واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني
ارباب الطلب بالمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين كما قال ولكل قوم هاد لفسدت ارض استعدادهم المخلوقة في
احسن التقويم عن استيلاء جالوت النفس بتبديلها اخلاقها وتكدير صفاتها ولكن الله ذو فضل على العالمين فمن كمال فضله
ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول تربيتهم ووفقهم على التثبت
باهداب سيرتهم وثبتهم على اهاضات في حالة تزكيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا ولكن الله
يزكي من يشاء ۝

تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين ۝ تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن
اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن
الله يفعل ما يريد ۝ يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل

ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون

القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع والتنوين
وكذلك في سورة ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم **الوقوف** بالحق للابتداء بان المرسلين
الجزؤ الثالث على بعض لانه لو وصل صار الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى بعض فيكون موسى عليه السلام
من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات للعدول القدس من كفر ما يريد ولا شفاعة الظالمون
التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الاية التي هي اتيان التابوت
وغلبة الجبابرة على يد داود وهو صبي من ايات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرئيل
وفيه تشريف عظيم كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك من
غير تفاوت ولان في تلاوتها حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من امتك ليتحملوا شدايد الجهاد كما احتملها الامم السالفة ولانها تدل
على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب فيما يراه من الكفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق كاداء الرسل من قبلك فالمصيبة اذا عمت
طابت ولمثل هذا ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم اكد بقوله وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير ان تعرف بقراءة ودراسة
وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولمثل هذا كرر فقال تلك الرسل اي الذين تعرفهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من
فضله الله بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى ثم ورفع بعضهم درجات قيل اي الى درجات فنصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله
ورفعناه مكانا عليا اي له وقيل حال من بعضهم اي ذا درجات وقيل مصدر في موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لان الدرجة بمعنى
الرفعة وكانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وايدنا عيسى بروح القدس ومع ذلك تدنا لهم من قومهم ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات
وانت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم تختلف امم اولئك ولكن ما قضاه الله فهو كائن وما قدره فهو واقع
واعلم ان الامة اجمعت على بعض الانبياء افضل من بعض وعلى ان محمدا افضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ومنها قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قرن ذكره بذكر محمد في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لساير الانبياء ومنها
انه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة
ولرسوله ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته اكثر وقد ينتهي الى الف من جملتها القران بل القران يشتمل على الفي معجزة
وازيد لان التحدي وقع باقصر سورة وهي الكوثر وانها ثلث ايات وكل ثلث ايات من القران يصلح للتحدي فيكون معجزا براسه ومنها ان معجزته
وهي القران باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الاصوات والحروف ومعجزاتهم
من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها انه اجتمع فيه من الخصال الحميدة والاخلاق المرضية ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله اولئك الذين
هدى الله فبهديهم اقتده اي اطلعناك على احوالهم وسيرهم فاختر انت منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز ان يكون مامورا بالاقتداء بهم
في اصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرايع فاذن المراد محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة وكان تحمل اعباء
الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها ان هذا الدين افضل والاسلام ينسخ بساير الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان امته افضل كنتم
خير امة اخرجت للناس فاذا كان التابع افضل فالمتبوع افضل ومنها ان امته اكثر لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين
اثرا قويا في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القران فقد نودي باسمه يا ادم اسكن يا موسى اني انا الله وناديناه ان يا ابرهيم
يا عيسى اني متوفيك واما النبي صلى الله فانه نودي بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحيوته لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واما الاحاديث
في هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون فهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى اذا دنا
منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ الله ابرهيم خليلا وقال اخر ماذا
باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر ماذا باعجب من جعله عيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ماذا باعجب من ادم اصطفاه الله عليهم
وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته فسلم رسول الله صلى الله على اصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل
الله وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك وان عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان ادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب
الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول شفيع يوم القيامة
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة

وظهورا

وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة
وروى البيهقي في كتاب فضايل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة
الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ذكرته في العقول ان ذخاير كل ملك ينبغي ان تكون على
مقدار من يخص بملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اعم من نبوة ساير
الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة لا جرم اعطي من كنوز العلم والحكمة وذخاير المعارف والحقايق ومن جوامع الكلم وبدايع
الحكم ومحاسن العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت احد قبله ولن يؤتى احد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بان معجزات ساير
الانبياء كانت اعظم من معجزاته فان ادم جعل مسجود الملائكة وابرهيم القي في النيران فانقلبت بردا وسلاما واوتي موسى العصا واليد
البيضاء وداود لان له الحديد وفي يده وسليمان اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف
محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروا بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر
انه لم يعمل سيئة قط ولا هم بها والجواب ان كون ادم مسجود الملائكة لا يوجب كونه افضل من محمد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله كنت نبيا وادم بين الماء والطين ونقل ان جبرئيل اخذ بركاب محمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج وهذا اعظم من السجود وايضا انه تعالى يصلي بنفسه على محمد الى يوم القيامة وسجود الملائكة لادم ما كان الا مرة واحدة على
ان ذلك السجود ايضا انما كان لاجل نور محمد الذي كان في جبهته وان اول الفكر اخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن
تامل كتب دلائل النبوة وجد في مقابلة كل معجزة كانت لسابق ما هو افضل منها لمحمد صلى الله عليه وسلم واما قوله لا تفضلوني ولا تخيروا
فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وايضا التميز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضايلهما جميعا وذلك مرتبة لا يليق بكل احد
فرد النبي عنه حتى لا يؤدي الى المحذور والحاصل ان التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منها ورد في مقام
اخر ولغرض اخر بحيث يراهم يرددون بشانه ويجعلون من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك وقال انا اكرم الاولين والاخرين انا
سيد العالمين وحيث راهم يرددون بشان بعض الانبياء زجرهم عن ذلك وقال لا تفضلوني على انه لا يلزم من النهي عن شيء عدم
مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقا في الواقع وينهى عن الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر
لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم ان تعرفوا احقية جميع الانبياء وتؤمنوا بهم وللزجر الى ما كان فيه فقوله من كلم الله التقدير من
كلمه فحذف العايد وقرا كلم الله بالنصب وليس بقوي فان كل مؤمن فانه يكلم الله قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وانما الشرف في ان
يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سمع ما ليس بحرف ولا صوت كما لا يمتنع رؤية ما ليس بكيف ولا
بجهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على ان موسى سمع كلام الله واختلف في ان محمدا ليلة المعراج هل كلمه
الله ام لا منهم من قال نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما اوحى واورد ههنا ان التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله ابليس حيث
قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الايات واجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل على انه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل
الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق ان المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كما كمكالمة موسى ومكالمة
الغضب وهي الموجبة للعن كما في حق ابليس وان عليك اللعنة الى يوم الدين وكما في اهل النار اخسئوا فيها ولا تكلمون واما قوله ورفع بعضهم
درجات فقيل ان المراد بيان ان الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ ابرهيم خليلا واعطى داود الملك والنبوة وسخر لسليمان الجن والانس و
الطير والريح وخص يحيى بالعفة والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعثة الى الثقلين وبكونه خاتم
النبيين الى ساير خصايصه هذا اذا حملنا الدرجات على المناصب والمراتب اما اذا حملناها على المعجزات ففيه ايضا وجه وذلك ان
كل واحد من الانبياء اوتي نوعا اخر من المعجزة لايقا بزمانه فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة
بما عليه اهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص مناسبة الطب لان ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد وهي القران مناسب
ما عليه الناس وقتئذ من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء
وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الامة
والصحابة وقوة الدولة واذا تاملت الوجوه الثلثة علمت ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان مستجمعا للكل فمنصبه اعلى المناصب ومعجزته
اقوى وابقى وقومه اكثر ودولته اعظم واوفر وقيل المراد بهذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع
بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم ويريد نفسه ويكون ذلك
افخم من التصريح به وسيل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شيت
لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود

نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة واتينا عيسى بن مريم وايدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله واتينا للتعظيم وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الايتاء واما قوله كلم الله ففيه من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر هو ان امتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو درجتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من امتهما لهما بل نازعوا وخالفوا عن الواجب عليهم في طاعتهما اعرضوا ثم ان الرسل بعد مجئ البينات ووضوح الدلائل اختلف اقوامهم فمنهم من امن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله اى ان لا تقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفيرهم بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من امن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند انفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الاية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره ولان الدواعي تستند لا محالة الى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة يقيدون المطلق في الايتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشية الجاء وقسر كما يقال لو شاء الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من افعال نفسه ثم انه تعالى لما امر بالقتال فيما سبق بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت عقبه تارة اخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم وذلك فانه مختص بالزكوة لانه قوله من قبل ان ياتي يوم كالوعيد وانه لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون على انه عام يتناول الواجب وغيره وليس في الاية وعيد وانما الغرض ان يعلم ان منافع الاخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من اعمال الله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدى به من العذاب او يكتسب ما لا حق بغنى منه ولا خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه او لان الخوف الشديد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير الاية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين اى ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسق فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل الكافرون هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفائت الفضل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم **التأويل** تلك ايات الله اسراره وانواره ورموزه واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات ومنح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجات في الخلوات ثم نظروا عن البان تلك اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل البعد والغفلات وعبدة طواغيت الهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات وانت عبرت المكونات وكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله وقت فابليت بسفاء محبريل ثم لقيت من العقوم ما لقيت حتى لك ان تقول ما اوذى نبى مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقى من مشرب سقيت فما اوذى بفطام مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم وانما هو تفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم اثار على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت بالاقلام كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل وغوى ثم الفضل فضلان علم يمتاز به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص يمتاز به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدو الخلقة لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان في قوله جعل الظلمات والنور يخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض بعد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه راى ادم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون

في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة وابرهيم صلوات الرحمن عليه في السماء السابعة وان محمدا صلى الله عليه وسلم ما بقى في مكان بل دفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم لما اخبر عن فضيلة الخواص انها كانت بسبب تفضيله اياهم اخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم اخبر عن احراز الفضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان اى ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا ملكا وما لا في صلاح انفسكم واغتنموا ساعة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان ياتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفعه خلة خليل سوى لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق ووعدناهم الثواب وحذرناهم العقاب وقد اعذر من انذر والله المستعان وعليه التكلان

اللّٰه لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

القراءة تعرف مما مر **الوقوف** الا هو لان قوله الحى يصلح بدلا عن الضمير وخبر ضمير اخر محذوف القيوم لاختلاف الجملتين ولا نوم وما في الارض لابتداء الاستفهام باذنه لانتهاء الاستفهام وما خلفهم للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقيد بمشيته مثبتا بالنفى بما شاء لاختلاف الجملتين والارض لاختلاف الجملتين حفظهما العظيم في الدين لان من الشرط مع فاء التعقيب الوثقى قد قيل للاستيناف بالنفى والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اى استمسك بها غير منفصمة لها عليم امنوا لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولى تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور للفصل بين الفريقين الطاغوت لان يخرجونهم حال الى الظلمات النار خالدون **التفسير** قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلثة اعنى علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص بعضها ببعض والغرض من ذكر القصص اما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النسق ايضا حكمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان مجبول على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته ويصير اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه واذ قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده فذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن على كرم الله وجهه سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر يقول من قرا اية الكرسى في دبر

كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما فى القران فقال لهم على تم اين انتم عن اية الكرسى ثم قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا على سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسى وعن على
كرم الله وجهه انه قال يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول
يا حى يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك
الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال
هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضى نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الاية مشتملة من نعوت
جلاله واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت الشرف الى اقصى الغايات ونهاية التصورات ولنشتغل بالتفسير
اما لفظ الله فقد مر تفسيره فى اول الكتاب واما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره فى قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو
واما الحى القيوم فقد سلف ايضا معناهما فى شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم الاسماء الله الحى القيوم
ويؤكده ما رويناه من قصة بدر ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقت الشدة فى السجود واما الدليل العقلى فان الحى قيل هو
الذى يصح ان يعلم ويقدر وهو الدراك الفعال فاورد عليه ان هذا لا يقتضى المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه فى
ذلك ونحن نقول ان الحى فى اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه الصحة من هذه الحيثية فقط بل كل شىء يكون كاملا فى جنسه
فانه يسمى حيا ومن هنا يصح ان يقال احى الله الشجر واحى الله الارض فان كمال حال الارض ان تكون معمورة وكمال حال الاشجار ان
تكون مورقة نضيرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون جامدا فلا يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة حيوة فالمفهوم
من الحى هو الكامل فى جنسه والكامل فى الوجود هو الذى يجب وجوده من ذاته فلا حى بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته
واما القيوم فيطلق بالمجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر فى قوامه الى غيره والثانى ان غيره يفتقر فى قوامه اليه وبهذا
الثانى يزيد على مفهوم الحى ومن هذين الاصلين يتشعب جميع مسايل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد فى ذاته وجميع
جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر فى تحققه الى وجود ذينك الجزئين فيقدح فى كونه قيوما ومنها
انه لا شريك له فلو اشتركا فى الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب
مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها انه لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس فى جهة ليشار اليها والا
كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها
انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا قيوما كانت حقيقته حاضرة عنده
ذاته وذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن
قيوما بمعنى كونه مقوما لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او بغير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر
والحى اصله الحيى كحذر وطمع فادغمت الياء فى الياء عند اجتماعهما وكلا اليائين اصل وقال ابن الانبارى اصله الحيو بدليل الحيوان
فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلنا ياء مشددة وضعف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو
والقيوم مبالغة قايم واصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قوووما على فعول
لقيل قووم وعن عمر انه قرأ الحى القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حى قيوم اكد ذلك بقوله لا تاخذه سنة ولا نوم ولهذا فقد العاطف
بينهما وكذا فيما بعدهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى النعاس اى لا ياخذه نعاس فضلا ان يلحقه نوم او يقول نفى الاخص
اولا ثم نفى الاعم ليفيد العموم المبالغة من حيث لزوم نفى النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على نفى الاخص لزم منه نفى الاعم فى
المعنى انه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع واهمل انك لوسنان نايم ومما
يدل على ان السهو والغفلة والنوم على الله محال هو ان هذه الاشياء اما ان تكون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلى التقديرين
فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا
يكون حيا ولا قيوما هذا خلف روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان موسى عم سال الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه
ينام ثم اعطاه قارورتين مملوتين فى كل واحدة وامره بالاحتفاظ وكان تحرز بجهده الى ان نام فى اخر الامر فضرب احديهما على الاخرى
فانكسرتا وكان ذلك مثلا فى بيان انه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب ان ينسب هذا السوال
الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبى الله تجويز النوم على الحى القيوم والتجويز شك والشك فى مثله كفر ثم لما بين كونه
قيوما اكده بما ترتب عليه حكما وهو قوله له ما فى السموات وما فى الارض لان كل ما سواه انما تقومت ماهيته وحصل وجوده بتكوينه

ملكا له ويلزم منه ان يكون حكمه جاريا فى الكل ولا يكون لغيره فى شئ من الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذى يشفع
عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اى لا يشفع وفيه رد على المشركين القايلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم
من كون غيره غير متصرف فى ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول
بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثانى بقوله ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم
والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا او لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء وعن مجاهد
وعطا والسدى اى يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان بعدهم من امر الاخرة الضحاك والكلبى ما بين ايديهم الاخرة لانهم يقدمون
عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما فى
السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق
باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة
ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى اذن لهم فى تلك الشفاعة ام لا فانهم لا يحيطون بشئ من علمه
اى من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان يراد ولا يعلمون الغيب الا باعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة من الانبياء لا يعلمون الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم
اولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه فى السموات وفى الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات والارضين اعظم واجل وان ذلك
مما ينقطع دون الانتهاء الى ادنى درجة من درجاتها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشئ اذا
احتمله واطاقه وامكنه القيام به من غير ضيق قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى اى ما يحتمل غير ذلك واما
الكرسى فاصله التركيب والتلبد ومنه الكرس بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتركب بعض اوراقها
على بعض والكرسى لما يجلس عليه لتركب خشباته وللمفسرين فى معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض
وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسى لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء
السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدى انه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسى موضع
القدمين وينبغى ان تحمل هذه الروايات ان صحت على ما لا يفضى الى التشبيه كقوله موضع قدم الروح الاعظم او ملك اخر عظيم القدر
عند الله تعالى وههنا اسرار لا احتياط اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عبدا عليها من عباده فهو اعلم بمحارم اسراره وقيل المراد من كرسيه
ان السلطان والقدرة والملك له لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمى اصل كل شئ الكرسى ولانه تسمية للشئ باسم مكانه
فان الملك مكانه الكرسى وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسى وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسى
الارض كما يقال لهم اوتاد الارض وقيل المراد من الكلام تصوير عظمة الله تعالى وكبريائه ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد واختاره
جمع من المحققين كالقفال والزمخشرى وتقريره انه تعالى خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم فمن ذلك انه جعل
الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود
انه يمين الله فى ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدى الملوك وكذلك ما ذكر فى القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء
ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء
ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا فلما تقرر هذا
ان المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى الكعبة والطواف والحجر تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة فى
العرش والكرسى ولا يؤده اى لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اى حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وامره فى
الكل على نعت واحد وصورة واحدة ولا يتفاوت عليه كانت الاجسام علوية او سفلية كبيرة او صغيرة ثم بين ان كونه مقوما للممكنات معتبرا للارض
والسموات متعال عن المتحيزات ومقدس عن المتغيرات فقال وهو العلى العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف والعزة
والجلال وكيف لا وهو متمم المكان ومدبر الزمان قوله سبحانه لا اكراه فى الدين الاية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار
ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر علة فى اقامته على الكفر الا ان يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز فى دار الدنيا هى دار
الابتلاء والاختبار وينافيه الاكراه والاجبار ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغى يقال بان الشئ واستبان وتبين اى ظهر
واتضح ومنه المثل قد تبين الصبح لذى عينين والرشد اصابة الخير والغى نقيضه اى تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى
من الضلال بكثرة الحجج والبينات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت واصله من طغى الا
ان لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم صيرت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسى انه مصدر كالرغبوت والرهبوت والرحموت

على ذلك انه يفرد في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى اولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به واما قوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فالتانيث لارادة
الالهة واما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال ابو العالية الساحر وعن بعضهم
الاصنام وقيل مردة الجن والانس وكل ما يطغى وانما جعلت هذه الاشياء اسبابا للطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن اضللن
كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر لابد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك
بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق به والوثقى تانيث الاوثق وهذا من باب
الاستعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام اقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل
الوثيق المحكم حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشئ من غير ان يبين فصمته فانفصم والقصم
من قوله لا انفصام لها للمبالغة لانه اذا لم يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع اولى وقيل ان الموصول ههنا محذوف اي التي لا انفصام
لها كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي من له وقيل معنى قوله لا اكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على انه اخبار في معنى النهي والاكراه
الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في اهل الكتاب
خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم واما الكفار الذين تهودوا او تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك
ويكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان
يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما فقال لا والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه اي لا تقولوا لمن دخل
في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من
الاعتقاد الطيب وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام
اهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسال الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك و
اجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين امنوا اي متولي امورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي
لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على ان الطاف الله تعالى في حق المؤمن وفيما يتعلق بالدين
اكثر من الطافه في حق الكافر وذلك انه يخرجهم من الظلمات الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الضلالة الى الهدى ومن الشك الى
اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا امن والمؤمن الاصلي ولا يبعد ان يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا في الظلمة البتة فان
العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين
الدفع والرفع تشابه ومثله قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم انهم ما كانوا قط في النار وروي انه
صلى الله عليه وسلم سمع انسانا يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله قال خرج من النار ومن
المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القران من الظلمات والنور الكفر والايمان الا قوله في اول الانعام وجعل الظلمات
والنور فانه عنى به الليل والنهار قال العلماء جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول
الادراك قلت قد مر ان الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية والمعارف اليقينية انوار يزداد النفس بها نورية واشراقا فلا
حاجة الى هذا التكليف والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في موضع الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات وانما وحد
النور وجمع الظلمة لان الحق وما يرجع اليه طريقه واحدة وهو ايضا في نفسه واحد واما الباطل فلا حصر له ولطرقه كما ان الخط
المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من يتسبب الى الطغيان كالمجاز
فان الحوادث باسرها تستند الى المبدا الاول بالحقيقة وينتهي الى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا اولئك الكفار اوهم مع من
يطغيهم من الوسائط والوسائل اصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم اعاذنا الله من ذلك **التاويل** الحي القيوم اشير بهما الى الاسم
الاعظم لان اسمه الحي يشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحي ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من
نعوت الكمال واسمه القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفة الحي
معاني جميع اسمائه وصفاته وعند تجلي صفة القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل
فلا يرى في الوجود الا الحي القيوم اذ سلب الحي سلب جميع اسماء الله وسلب القيوم سلب قيام الممكنات ففني التعدد وبقيت الوحدة فيذكره عند
شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية فقد ذكره باسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى لا حينئذ ينطق بالله فيكون الحال

كما جرى على لسانه فاما الذاكر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى الحال غيبته وعند شهود
العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته
فاذا كنت كذلك فاذكره باي اسم شئت لا تاخذه سنة ولا نوم لان النوم اخ الموت والموت ضد الحيوة فهو الحي الحقيقي فلا يلحقه
ضد الحيوة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل من ذا الذي يشفع عنده يوم القيمة
الا عبده محمد فانه ماذون في الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين ايديهم من اوليات
الامور قبل خلق الخلائق كقوله اول ما خلق الله نوري اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام وما خلفهم
من احوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون
بشئ من علمه وانما هو شاهد على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من انباء الرسل ويعلم امور اخرتهم واحوال اهل
الجنة والنار وهم لا يعلمون شيئا من ذلك الا بما شاء ان يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش في عالم الانسان قلبه ومثال
الكرسي سره وسوف يجئ تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله على العرش استوى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض
بالنسبة الى سعة قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانساني حفظ اسرار السموات والارض وعلم ادم الاسماء كلها ولما اظهر
لمخلوقاته من العرش والكرسي ولقلب المؤمن وتنزه علوا في المرتبة وعظم في الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء
واتزر بازار العظمة والبهاء وهو اولى بالمدح والثناء فقال وهو العلي العظيم فمن علا في الاخرة والاولى فبا علائه ومن عظم
فبتعظيمه ثم اخبر عن عزة لارباب اليقين بقوله لا اكراه في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين في التمني مع ان التمني نوع من
الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج
وضيق عطن ثم شرع في مزيد شرح حقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت يتبرأ منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص
هوى النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص
عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وانابة
القلب الى الفناء في الله وخلاء السر في البقاء بالله وهذا هو الشكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد ما افاق عن سكر سطوات شراب
التجلي تبت اليك اي عن هذه الافاقة وكان مخصوصا عن عالمي زمانه بالايمان العياني وشريكا مع القوم بالايمان البياني كما قيل **شعر**
لي سكرتان وللندمان واحدة شئ خصصت به من بينهم وحدي ثم العروة الوثقى التي استمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من المحدثات
لقوله كل شئ هالك الا وجهه ولا يكون ايضا من الطاعة والا كانت منفصمة بل يكون من بطشه ان بطش ربك لشديد ولكن لكل
عروة مناسبة لمقامه في الايمان فهي للعوام توفيق الطاعة وللخواص مزيد العناية بالجذبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة
التي تفنيهم عن ظلمات الغيرية وتبقيهم بنور الربوبية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وانما
فانية من معالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجري عليها الانفصام فالمجذوب لا يتخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن
تصرفات جذباته فقال الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان
والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات الحدوث و
الفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدة والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان الولاية
والمحبة من قبل الكفار اي هم اولياء الطاغوت لكونهم اندادا لمحبوبهم كحب الله فان الطاغوت لوحدته بمعزل عن الولاية
وان فسر بالشيطان والنفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية
والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها تحت بعض اولئك اي ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام
اصحاب النار وان لم يكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم ۵ والله يهدي الى الرشاد ۵

الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي
الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين

اَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلٰى عُرُوشِهَا قَالَ اَنّٰى يُحْيِي
هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَاَمَاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ اِلٰى طَعَامِكَ
وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ اِلٰى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ اٰيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ
اِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ اَعْلَمُ
اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّ اَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي
الْمَوْتٰى قَالَ اَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلٰى وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ اَرْبَعَةً
مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ اِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلٰى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ
ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ •

القراءة ربي الذي مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا احيي بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد في المكسورة في قوله تعالى ان انا الا نذير واشباه ذلك مية وبابه مثل فئة وفدر لبثت وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف وسهل ويعقوب لم يتسن في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت فهاء السكت تزاد للوقف والباقون بالهاء الساكنة في الحالين وانما الهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال اعلم والموصول على الابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بتشديد الزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرا ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة **الوقوف** الملك لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لان قال عامل اذ واميت ج الظالمين للعطف باو والتعجب عروشها لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موتها لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه كم لبثت يوم لم يتسنه وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحما لتمام البيان لان قال جواب لما قدير الموتى تؤمن قلبي سعيا لاعتراض جواب الامر حكيم **التفسير** انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلثا اولاها في اثبات العلم بالصانع والباقيتان في اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابرهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء في اتاه قيل لابرهيم لانه اقرب في الذكر ولانه يجوز ان يؤتي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابرهيم ولا ابعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا ومعناه ان اتاه اي لان الله اتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته في ربه شكر الذي كقولك عادا في فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان اتاه وعن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين ما كسر ابرهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان المخلوق عاجز عن الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى موثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصير بابعاضه واحواله

ولما مر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب الم نخلقكم من ماء مهين ويروى ان الكافر دعا حينئذ بشخصين فاستبقى احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم عم لما راى من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل من ذلك الى دليل اخر ومثال آخر اوضح من الاول فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قالوا وفيها دليل على جواز الانتقال للمجادلة من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول او في المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا وان سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر و اقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله تعالى بالقتل والتخلية فكيف يؤمن منه عند استدلال ابرهيم عم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب و عند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان تطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سواله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السوال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر وقالوا ان ابرهيم عم لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر اتدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء ام بواسطة الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فنظيره او ما يقرب اليه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابرهيم عم بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهي اذن بتحريك رب الارض والسموات قلت وفيه ايضا طريق اخر يذكر في التاويل ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد يقرئ بهما وافصح منهما القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوجا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته القصة الثانية قوله سبحانه او كالذي من ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير ارايت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر ونظيره من القران قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل من رب السموات ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله ومثل قول الشاعر **شعر** فلسنا بالجبال ولا الحديدا وعن الاخفش ان الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذي حاج ابرهيم او الى الذي مر وعن المبرد انا نضمر الفعل في الثاني والتقدير الم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله انى يحيي استبعاد ولانه لا يليق بالمؤمن ولانه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم ان الله على كل شيء قدير وذهب سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال ان ارميا هو الخضر وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب بختنصر بيت المقدس واحرق التورية وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله وبانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا فتشريفه الله تعالى بالتكليم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك وفي نفس قصة من الاعادة وغيرها اكرام له ايضا روي عن ابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك وقال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي من اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب والشجر وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى عنه في موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء

ثم عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العنب لم يتغير
فنظر فاذا التين والعنب كما شاهد ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام
البالية ان الله جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه
ثم جاء الراس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو
قائم ينهق فخر عزير ساجدا فقال اعلم ان الله على كل شئ قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا اباؤنا ان عزير بن سرحيا
مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التورية وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه يقرا التورية فلما اتاهم
بعد مائة عام جدد لهم التورية واملاها عليهم عن ظهر قلبه ثم يخرم منها حرفا وكانت التورية قد دفنت في موضع فاخرجت وعورضت
بما املاه فما اختلفوا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهي
بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرج منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من
خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان
من قواعدها فتساقطت على السقوف المنهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله
وخوى بطن الحامل وعلى معنى عن اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف
...
اكيف نحييها وترى كيف ننشزها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر هذا القطع فان الحيوة يكون بالانشاط

وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة ومن قرا بالزاء فمعناه نحركها
ونرفع بعضها الى بعض للتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المراة لانها ترتفع عن حد رضاء الزوج وكيف في موضع الحال
من العظام والعامل فيه ننشزها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم ان اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام حماره وان اللام فيه
بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا ان الله تعالى احيا راسه وعينيه وكانت بقيته ...
...
كيف ذلك هو الاستفهام في قوله اولم تؤمن للتقرير كقوله شعر الستم خير من ركب المطايا وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيب

بما اجاب به ليعلم السامعون انه صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا بذلك عارفا به لان المقصود من هذا السوال شئ اخر واللام في قوله ليطمئن
يتعلق بمحذوف اي ولكن سالت ليزيد قلبي سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال فقد يعرض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا
اذا قلنا المطلوب حصول الطمانينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شئ اخر فلا اشكال فخذ اربعة من الطير
عن ابن عباس هن طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره
ويصيره اي املهن فضمهن اليك وقال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتاملها ويعرف اشكالها وهياتها
وحلاها كيلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك وفي الاية حذف كانه قيل املهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا وقيل
معنى صرهن قطعهن فلا اضمار روي انه امر بذبحها ونتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها وان يمسك
رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي ارضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء طير
الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها وانكر ابو مسلم هذه القصة وقال ان ابرهيم لما طلب احياء الموتى من الله
اراه الله تعالى مثالا قرب به الامر عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اي فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك
حال الحيوة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن الى الطيور لا الاجزاء
ياتينك سعيا وزيف قول ابي مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين وبان ما ذكر غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان ظاهر الاية يدل
على انه اجيب الى ما سال وعلى قوله لا يكون الاجابة حاصلة ولان قوله على كل جبل منهن جزءا دليل ظاهر على تجزية الطيور وحمل الجزء على احد
الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على
كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدي
وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابرهيم وكانت سبعا واما قوله ثم ادعهن ياتينك سعيا فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ في
الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة مشيا كانت او طيرانا واحتج الاصحاب بالاية
على ان البنية ليست شرطا في صحة الحيوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعي والعدو وقال القاضي
دلت الاية على انه لا بد من البنية من حيث اوجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول المقارنة لا يدل على وجوب المقارنة اما الانفكاك
عنه في بعض الاحوال فيدل على ان المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الاية على حصول فهم النداء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان
دليلا قاطعا على ان البنية ليست شرطا للحيوة واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء **التاويل**
ان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا قبله ادعى الربوبية وما ادعاها احد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب
وغاية لطافته في الجوهر دايم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما تمنى وكل الى نفسه مال الى عالم الحس
موافقا السيرة الطبيعي لانه خلق من تراب دفعة الى السفل فيرى الكمال في جميع المال ثم في طلب الجاه فيصرف اللاغبة ثم في الحكم و
التسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فقال انا احيي واميت و
ليس للعالم رب الا انا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا اصلح جوهره بحسن تربية النبي صلى الله عليه
وسلم او من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس في الوجود سوى الله فهو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعني كن
فانيا عن وجودك الكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فانه جدا وان لم يكن مجدا فان الجد من يدق بمطرقة لا اله
الا الله دماغ نمرود النفس الى ان يومن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ما سوى الله قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب اعتراض على قول الكافر انا احيي واميت والمراد ان ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن اطلاع شمس الحيوة من افق
البدن فان كنت صادقا في دعواك ان هذا ياتي منك فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه ايتا القيامة من مات
فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لانه ان امكنه ان يدعي الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه ان يدعي الاماتة
بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس من المغرب فهذه طريقة عذراء لا يرد عليها شئ من الاعتراضات المذكورة في
التفسير ثم اخبر عن اظهار قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدعي في حجته عقيب الدعوى بقوله تعالى او كالذي مر على قرية
وذلك انهم ما انكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت من سجن الاشباح وتقوت بالعلوم
الكلية التي استفادتها من عالم الحس فما حاجتها ان ترجع الى السجن والقيد كما ان الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب وكبر قدره وعظم وقعه
لم يحتج ان يرجع الى المكتب وحال الصباء فهو سبحانه لكمال فضله ووافر فضله دفع هذه التسويلات النفسية ودفع هذه الشبهات الفلسفية
بان امات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله مهما احيى عزير الروح احيى معه حمار الجسد وكما ان عزير الروح
يكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كوثر تجلي صفات الجمال والجلال ويسقيهم

ربهم شرابا طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فقد علم
كل اناس مشربهم **شعر** شربنا واهرقنا على الارض فضلها وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة عن خليله
وذلك قوله رب ارني فيفرح منه رائحة قول موسى رب ارني انظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فما راى غير النصب و
التعب وادب بتاديب الخاطب الجاني وعرك بتعريك لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري وصاحب السر
الري صاح **شعر** شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت فلسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق بقوله رب ارني
انظر اليك ويعربد اخرى لقوله ان هي الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل ما زلت قدمه في ادب من اداب العبودية في الحضور والغيبة فلا
جرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة فان اول ما شاب شيبة ابرهيم ويحترم غدا بالكسوة ان اول من يكسى ابرهيم ولما ابتلي في ماله فبذل للضيفان
وابتلي بولده فاسلم وتله للجبين وابتلي في نفسه فاستسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلي بجبريل فقال اما اليك فلا فلا جرم اكرمه الله بالامامة
اني جاعلك للناس اماما وامامته انه اول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربي واول من سلك طريق الحق وقال اني ذاهب الى ربي
سيهدين واول من نطق بالمحبة وقال اني لا احب الافلين واول من اظهر الشوق وقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واول
من اظهر العداوة من غير المحبوب فانهم عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسال الروية وقال رب ارني ولا تظن انه اشتاق الى رب وانما
كان وقت سواله **شعر** ولست حديث العهد شوقا ولوعة حديث هواكم في حشاي قديم ولكنه من حفظ اداب الاجلال كالابتح على نفسه
باب السوال ويقول حسبي من سوالي علمه بحالي الى ان ثار التقدير الحسن التدبير وساله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه
ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود هل رايت منه ما تقول فوجد الخليل المامول فادرج في السوال فاخفى سره وهو ارني في علنه وهو كيف
يحيي الموتى وهو يعلم انه يعلم السر واخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان اسمعه من كلامه بفضله ووجوده وقال اولم تؤمن وكان في هذه
الكلمة من اعجاز القران ثلثة معان مضمرة اولم تؤمن وقت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا اولم تؤمن بميعادي وبي
في الجنة فاريك ثمة اولم تؤمن بما طلبت من الاحياء ثم لكل منها الاثبات في لفظي النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة بلى سرا اشارة
بلى امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن ما كان مقصودي الايمان او الايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحياهم ولكن ليشتاق
ليطمئن قلبي بما تريد او بلى امنت بميعادك ورويتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برويتك في الجنة ولكن فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق
فاضطراب قلبي من غاية يقيني او بلى امنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سالتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك يحصل مقصودي كما ان من له
معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك لانه اليك لانه يعلم ان الله لا اقرب الجمال وان العزة والحسن والاحسان
وفي مذهب الملاح الطلب ذو السبيل بيد فيقول ارني كيف تخيط الثياب فكل صانع فاخر في صنعته يريد ان يري جودة عمله فيحض
المعشوق عنده بلا حجاب وهو يخيط الثوب ويقول انظر الي كيف اخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع
ودافع وتطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الخليل من اضطراب قلبه واضطرار حاله بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا
دعاه حقق رجاءه وقال خذ اربعة من الطير الاية والمراد انك محجوب بك عني فحجاب صفاتي عن صفاتك محجوب وبحجاب ذاتك
عن ذاتي مصنوع فمهما يموت عن صفاتك تحيى بصفاتي واذا افنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ اربعة من الطير وهي الصفات الاربع
التي تولدت من العناصر الاربع التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينها وهو
الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات
زوج خلق منها زوجها ليسكن اليها فالحرص زوج الحسد والبخل زوج الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج
معين بل هي كالمعشوق بين الصفات فيعلق بها كل صفة فهي الابواب السبعة للدركات التي من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء
مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور
الاربعة طاوس البخل فالتزين بالمال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص وبكوره من حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه
في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل به النار
فصارت النار عليه لما القي فيها بردا وسلاما والمبالغة في تقطيعهن ونتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو اثار الصفات المذكورة
وهدم قواعدها على يد ابرهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل هي الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية
وهي النباتية والارواح الثلثة الحيواني والطبيعي والانساني والملكي فهذه الجبال كالاشجار والزروع واجزاء الطيور كالتراب المخلوط
بالزبل يجعل على الزرع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من اولئك ويتربى بتربيتها فيتصرف فيها الروح الانساني فيحييها
بنور هو من خصائص ارواح الانسانية فيكون تلك الصفات ميتة عن اوصافها حية باخلاق الروحانيات هذا الخواص الخلق الذين
الغالب على احوالهم الروح وخواص الخواص ولمن ادركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد جمود هذه الصفات يتجلى له بصفات المحيي

فيجي هذه الصفات الفانية عن اوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد فى تلك الحالة حيا بحيوته محييا بصفاته كما قال
لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق
وبى يبطش كما ان اميا يقول لكاتب ارنى كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه فى يد الامى واخذ بيده فيكتب فيظهر الكتابة من يد
من يد الامى على الصحيفة فى تلك الحالة بظن الامى على انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب **شعر** عجبت منك ومنى
افنيتنى بك عنى ادنيتنى منك حتى ظننت انك انى فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامى فيعلم الامى انه امى وان الكاتب هو الكا
فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اى ذنب حسبان انك كاتب وانت نبى امى
عربى ما وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى وان تجلى لخليله بصفة واحد وهى
صفة المحيى ليريه اية من اياته وهى كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد راى من ايات ربه الكبرى
والخليل طلب الروية لنفسه رب ارنى والحبيب طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هى وذلك لعلو همته ورفعة مرتبته وكمال
معرفته ولعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود وكان قول الخليل بالنسبة
الى هنا تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الروية بجميع الصفات فان جميعها داخلة فى الاشياء
ولكمال معرفته طلب روية الماهية فقال كما هى وهذا هو اللب الحقيقى الذى لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز
لعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسراره الا من يليق بذلك من مخلوقاته والله اعلم

مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله
واسع عليم ● الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ● قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها
اذى والله غنى حليم ● يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله و
اليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه
صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم
الكافرين ● ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله
وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها
ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ● ايود

احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار
له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم
تتفكرون ●

القراءة انبتت سبع وبابه بالادغام ابو عمرو وحمزه وعلى وخلف وهشام وسهل
يضعف وبابه بالتشديد ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف رياء الناس غير
مهموز حيث كان يزيد والشمونى والخزاعى عن ابن فليح وحمزه فى الوقف الباقون بالهمز الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلى غير ليث
وابى حمدون وحمدويه ودويس عن يعقوب وكذلك ما كان فى محله النصب من الاعراب كل القران بربوة بفتح الراء حيث كان ابن
عامر وعاصم الباقون بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع ووافق ابو عمرو فيما اتصلت بالهاء والالف بما يعملون بصير
بالياء التحتانية ابو عون عن قنبل الباقون بالتاء للخطاب **الوقوف** مائة حبة لمن يشاء عليم عند ربهم لعطف المختلفين
يحزنون اذى حليم والاذى لتعلق كاف التشبيه اى ابطالا مثل ابطال الذى الاخر صلدا كسبوا الكافرين ضعفين لابتداء
الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل بصير الانهار لان ما بعده صفة لجنة ايضا الثمرات لان الواو للحال ضعفاء والاولى
اولى والوقف على فاحترقت لتنافى مقصود الاستفهام والمعنى ايحب احدكم احتراق جنة صفتها كذا فى حالة كذا تتفكرون **التفسير** نصف السبع
انه سبحانه لما ذكر من اصول المبدا والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه بيان التكاليف والاحكام قال القاضى فى كيفية
النظم انه تعالى لما اجمل فى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الاية
تلك الاضعاف وانما ذكر بين الايتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد
الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت انى خلقتك واكملت نعمتى عليك بالاحياء والاقدار
وقد علمت قدرتى على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازى القليل بالكثير ثم ضرب لذلك
الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة ومن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعدما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبى صلى الله
عليه وسلم ليرغبوا فى المجاهدة بالنفس والمال فى نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولى المؤمنين وان الكفار
اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن فى سبيل الله وما ينفق الكافر فى سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا
بد من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التى تملكها العباد الا بالانفاق اتبعه احكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار ليصح التشبيه
اى مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فيدخل الجهاد وجميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة
لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا تتشعب منها سبع شعب
لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجد فى الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد فى
الجاورس والذرة وغيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلثة قروء فى اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اى تلك
المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين فى الاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستحق
ذلك فى مشيته والله واسع كامل القدرة على المجازاة لان فيضه غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصادفها
وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل له عنده ثم لما عظم امر الانفاق اردف ببيان الامور التى يجب
رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن قد يراد منه ايراد الانعام قال تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار
الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صنوان من منح سائله ومن منع سائله وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير ومن تغير وجه الحال
عند صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعباد عباده وان المعطى هو الله وانه كان العبد فى هذه الدرجة كان
محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان فى درجة البهايم التى لا يترقى نظرها من المحسوس الى المعقول ومن الاثار
الى المؤثرات فاما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمؤمنون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير
بما اذل اليه ويقول له لست الا مبرما وما انت الا ثقيل وباعد الله بينى وبينك ومعنى ثم تراخى الرتبة فاظهار التفاوت بين الانفاق
وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل تركهما لا انهما انكر ان فى سياق النفى لهم اجرهم عند ربهم وقال فيما يجى
فلهم اجرهم لان الموصول ههنا لم يتضمن معنى الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوى وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب

استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنا الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار وكان التاكيد بما يوجب
الربط بينهما هنالك انسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم
من قوله في سبيل الله ان قولهم لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل الكباير
حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتج المعتزلة بالاية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم
والجواب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل والثاني ان الكباير تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب
الانفاق والجواب بان الانفاق على تقدير المن لا ثواب له اصلا فكيف يتصور دفعه ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب لا تنكره
وذلك برد السائل بطريق احسن واعذر حسنة ومغفرة عفو من السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذا رد بغير مقصوده
فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل بان يعذر المسئول اذا رده ردا جميلا
خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اتبع الايذاء فقد جمع بين الانتفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضرر واما القول
المعروف ففيه انتفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان اولى ومن الناس من خصص الاية بالتطوع لان الواجب
لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق فما
وجه المن حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا
فقال يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير وعن ابن عباس بالمن على الله والاذى للفقير كالذي اى كابطال المنافق
ثم شبه المنافق بالحجر اما ان يعود الى المان المؤذي على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم
القطر والصلد الاجرد النقي ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله تعالى لعمل المان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس
يرون في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما
كانت لله تعالى فلم يوت بها على وجه يستحق الثواب كما ذهب الوابل بما كان على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة
اوجبت له اجرا وثوابا ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبهم العمل الظاهر كالتراب و
المان المؤذي والمنافق كالصفوان ويوم القيمة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان شبيه بما اذا طرح بذرا
في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقي مستودع بذره خاليا لا شيء فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلى
هذا فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عايد الى معلوم غير مذكور اى لا يقدر احد من الخلق على ذلك البذر الملقى في ذلك التراب الذي
هو على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيامة وناهيك بكون المان والمنافق ملزوزين
في قرن شناعة شان المان والاذى وقيل الضمير عايد الى الذي اما لان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق
الذي واما لانه اشير بالذي الى الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا
على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين معناه على قولنا
سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اى يوطنون انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا
من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها في
موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحيوة العاجلة والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبت نفسه
كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف
قال الزجاج ينفقونها مصدقين بها للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب
هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطا المراد انهم يتثبتون انفسهم تثبيتا في طلب المستحق وصرف المال في وجهه قال الحسن
كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض
النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمان قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت
ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البغت والاتفاق فان الافعال
ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاتها ونورانيتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة
وهي البستان وقري كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة النفس والربا في المال قيل
وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها اذكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما يضربه

الرياح كما ان الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها فاذن البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة
تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكما ان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه
فينبغي ان يكون هذه الارض بحيث تربو وتنمو فاتت اكلها اى ثمرتها وما يؤكل منها ضعفين مثلي ما كانت تعهد منها وقيل مثلي ما يكون في غيرها
فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القدر يصيبها ولا ينتقص شيء من ثمرها لكرم منبتها او المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر
قل ام كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه وقوام يده ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة
والكثيرة بالوابل والطل فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة وكذلك نفقتهم تزيد في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون
من وجوه الانفاقات وكيفياتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازي بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب في
الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا اخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اى لن يود وفي
له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب كان الجنة انما تكونت منهما لكثرتهما
فيها الثاني تجري من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد في رونقها وبقائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب
اولا بالذكر لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع قال في الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله
وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه
الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اى صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء
كالعمود فيه نار فاحترقت اى الجنة ولا يخفى ان هذا المثل في المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة في غاية
الكمال وكان هو في نهاية الاحتياج الى المال وذلك اوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح وشاهد تلك الجنة
محترقة بالصاعقة فكم يكون في قلبه من الحسرة وفي عينه من الحيرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج
يوم القيامة فاذا اتبع الانفاق النفاق او المن والاذى كان ذلك كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورث الخيبة والندم
التاويل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله
ومن اعطاها تمرة الى الفقير ياخذها الله بيمينه ويربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل ومن اعطى قلبه
الى الله فهو يربيه بين اصبعي جلاله حتى يصير اعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بايثار صفات الاو
ومتوجات الخلوات على طلاوات الحق وارباب الصدق للقيام باموره في تشغيف صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة فهذا لم يحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
طلبه لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لا يطلبون عوضا من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله
بان يقول عملت هذا العمل لاجلك ووجب لي عليك اجري ولا اذى بان يطلب من الله غير الله اى لهم اجرهم عند ربهم
في المنام فقال لكل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني لهم اجرهم عند ربهم منزلهم في رتبة العندية عند مليك مقتدر
لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له ان لم يكن عنده ما يتصدق به
خير له عنده من صدقة يتبعها من الجهل اذى في طلب غير الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة في الطلب
غيره ولولا حلمه لخلق في التراب ورب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة
بالاغراض فهي نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن اقبل على الباطل فقد بطل حقوقه في الاعمال
فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك في الصدقة طلب الحق لما امتننت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار
سبب وصولك الى الحق وهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء اى لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد
العليا بيد الفقير والسفلى بيد الغني لان الفقير ياخذ منه الدنيا ويعطيه الاخرة كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر ولو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان
عليه تراب هو عمله فاصابه وابل الورود انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مصقا خاليا لا يقدرون على شيء مما كسبوا وتوسلوا
به الى الله والله لا يهدي القوم الكافرين بنعمة طلب شهوة الجاه الى الخواص وهذه الوصال وتثبيتا من انفسهم وتخليصا
لها في طلب الحق ورضاه من حظوظ انفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة هي بقية عالية عند الحق اصابها وابل الوارد
الربانية فاتت ثمرتها وابل الطل الالهامات فاتت اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من ولاية الوصال وشهود ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية لا يعطي اهل الدنيا نصيبا

من الاخرة وكذلك يعطي اهل الله نصيبا من الاخرة بالتبعيه ولا يعطي اهل الاخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير
كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات او لاستيفاء اللذات واستبقاء الحبوة ثم ضرب مثلا للروح الانساني وقلبه بجنة
له في كل الثمرات اذ خلق في احسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم السماوات منورا بانوار العقل والحواس التسليمات
متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة فجنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها الانهار الى ان اصاب لصاحبها ضعف الانسان
وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من اعمال البر فيه
نار من الريا والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في احسانه معكم بايتاء الاستعداد النظر وتقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعمالكم في طلب
امالكم وتستعدوا للموت قبل حلول اجالكم   الله حسبي ونعم الوكيل   5

يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم
من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان
تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد ● الشيطان يعدكم الفقر
ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله
واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة
او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ● ان تبدوا
الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم
ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ● ليس عليك
هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم
وانتم لا تظلمون ● للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون
ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم
لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ● الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم

عند ربهم

عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ●

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء وصلا البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب الى من يؤته الله الباقون بالفتح فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف والخزاز الباقون فنعما هي بكسر النون والعين والميم مشددة في القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم وبابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلي وخلف وابن شاذان عن خلاد مخير وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على ميزان فعلى **الوقوف** من الارض لعطف المتفقين تغمضوا فيه حميد بالفحشاء وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق وفضلا عليم وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا الالباب يعلمه انصار فنعما هي خير لكم لمن قرأ نكفر مرفوعا بالنون او الياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم خبير من يشاء لابتداء الشرط فلانفسكم لابتداء الذين وجه الله لا تظلمون في الارض لان يحسبهم وان صلح حالا لابعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف لان تعرفهم يصلح استينافا والحال اوجه اي يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بجمعهم ما في بطونهم من الضر وبهم لا يسألون الناس على الحال وان يجعل يسألون استينافا فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا عليم فلهم عند ربهم يحزنون **التفسير** لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه المن والاذى وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئسما اصنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الصدقة في اربعة في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر يخص الزكوة في غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء معينا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعي تم بالعث وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها وايضا لا يجب الزكوة في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة يجب العشر في القليل والكثير استدلالا بعموم الاية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مشهور مذكور في الفروع ولذلك ولطولها لم نشرع فيها وما المراد بالطيب في الاية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الرديء لما روي في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون بشرار اموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وتغييره والاية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي وجه اخذتم المال امن حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد ما يكون طيبا من جميع الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد تكون شرعا وقد تكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا وجب ان يكون الماخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للاية لان الماخوذ في هذه الحالة لا يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد ورديء فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكوة من رديء مالك ولا يكلف ايضا جيده لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة توخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب حينئذ هو الوسط ثم ان قلنا ان المراد من الانفاق في الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يكونه قضاء لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى ولا تيمموا الخبيث

لا تقصد وه يقال يممته وتيممته وتاممته كلها بمعنى قصدته ومحل تنفقون نصب على الحال فعلم منه عليه ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتداء مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن واصله من الغموض وهو الخفا يقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا راى ما يكره اغمض عينيه كيلا يرى ذلك فكثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضونه لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمضتم بصر البايع اي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تجزون به النعيم الابدي او حامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم انه تعالى رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر من وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر انما الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر اما الشر فقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويحتمل ان يكون استعماله في الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار ويقال الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويامركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر المامور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل للانفاق هو ان يبذل كل ما له في سبيل الله والطرف الافحش ان لا يبذل شيئا لا الجيد ولا الردي والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردي فالشيطان اذا اراد نقله من الافضل الى الافحش فمن خفي حيلة ان يجره الى الاوسط وهو وعد بالفقر ثم الى طرفه وهو امر الى الفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يمكن ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة وهو التخويف بالفقر اذا اعطى الجيد من ماله فاذا اطاع الطاعة زاد فمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج بالمنع الحقوق الواجب فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعد الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد الفقر في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بافة اخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف ومرض وهم بخلاف الانتفاع بما في الاخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الاخرة فانه باق لا يزول وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام ومضادات النية فلا لذة الا وفيها الم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على ادراكها عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في اية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات او ان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق وحصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مما عرف من الانسان انه منفق كانت الهمم معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولمثل ذلك من التاثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كامل للخلف قادر على انجاز ما وعد عليم بحال من انفق ثقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما ترجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمن الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة واتاه الله الملك والحكمة ورابعها القران بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتامل ايها المسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية المقدار متناهية العدد متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمراتب مدة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني الى فعل العدل والصواب ولذلك سال ابرهيم رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى عليه السلم انني انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكى عن عيسى انه قال

اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وكلها النظرية واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة راي فعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول فيها يفرق كل امر حكيم اي محكوم وفي الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هي بايتاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا الا ان وسعوا الدايرة اذ لا بد من الانتهاء اليه اينما سلكوا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول اما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلايل قالوا هذه الحكمة لا يفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ما له وما عليه وعند ذلك يقدم او يحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية الاخلاص او الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير اما لانه عايد الى ما واما لانه عايد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم ومنه الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثه عليه بتعليق التزام قربة بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او اكلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله علي صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه او دخل او لم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال الاول يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة او اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي او رزقني ولدا فلله ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التنجيز وان يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يعرض التزامه بالنذر اما المعاصي واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المراة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القران في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر في معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوة الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او الحج بشرط المشي اذا جعلناه افضل من الركوب وهو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل الركوع او السجود او القراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا قائما في الشمس فسال عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات وينفقون اموالهم في المعاصي او للرياء او لا يفون بالنذر او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر كاصحاب في صاحب او جمع نصير كاشراف في شريف وقد تمسك المعتزلة بها في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر وقد يقال ان الشفيع في العرف لا يسمى ناصرا ولا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهر على سبيل الظن القريب القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك بها ساقطا

سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقة السر افضل ام العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة و
الكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره اذا اخبر على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق
لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد وكماله في ايمانه فنعما هي من
من قرأ بسكون العين فمحمول على انه وقع على العين حركة حقيقية على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده
ومثله ما يروى في الحديث في انه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما بالمال الصالح للرجل الصالح بسكون العين
ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصل المشاكلة ومن قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة شعر نعم الساعون
في الامر المبر قال سيبويه ما في تأويل الشيء اى نعم الشيء هي وقال ابو على الجبائي في مثله ان يقال ما في تأويل شيء لان ما ههنا نكرة
اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوص بالمدح والتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات فحذف المضاف للدلالة او نعم
شيئا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك اشق على النفس فيكون اكثر
ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه
يطلب الرياء والمعطي في ملأ من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الاخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة
في يد الاعمى وبعضهم يلقي الى الفقير في السر وقال ايضا ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية
فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وايضا الاظهار هتك
ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر الناس على الفقير اخذه تلك الصدقة لظن تلك الاستغناء فيقع الفقير في المذمة والناس
في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للاخذ واهانة له واذلال المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من اهدى
اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهرها اقتدى غيره
به لم يستبعد والحالة هذه ان يكون الاظهار افضل روى ابن عمر عن ابن عباس النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل السر من العلانية والعلانية
افضل من السر لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو
يدفع تلك الشهوة فهنا الشيطان يورد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه افضل
علانيته سبعين ضعفا كما روى عن ابن عباس ثم صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان لله تعالى عبادا
راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته وذهبت عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار
عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل
غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى واعلام الدين وسائر الخلق بهم يتمسك
في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب الزكوات وفي دفعها الى
السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روى انه صلى الله عليه وسلم كان اكثر صلواته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة
الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره وان لم يعرف باليسار كان له افضل
ولاسيما اذا خاف الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الاطعمة
وانما قيل وتؤتوها الفقراء لان [illegible] الفقراء [illegible]
فاذا قصد منه هذا الاستظهار [illegible] الفقراء [illegible]
فعلى تحقيق حال الفقير [illegible] ونكفر عنكم من قرأ بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط
والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء [illegible] فهو خير لكم ونكفر
بالرفع عطف عليه [illegible]
[illegible]
في النون والضمير لله [illegible]
[illegible]
من سيئاتكم [illegible]
واحسن احوال العبد [illegible] الخوف والرجاء [illegible]
وقيل [illegible] والله بما تعملون خبير [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

عمرة القضاء وكانت معه اسماء بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك فانزل الله تعالى ليس عليك هداهم فامرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال الكلبي ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار
ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوهم ان يسلموا فاستأمروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على اهل دينكم فانزل الله ليس
عليك هداهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على اهل كل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك
والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فتكون الاية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل
الذمة واباه غيره ومعنى الاية ليس عليك هدى من خالف لشرعك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه
الله لا توقف ذلك على اسلامهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمه الله انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى
الله ومبينا للدلائل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك
وبرك وصدقتك وفيه وجه اخر ليس عليك ان تلجئهم الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون
به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها اولا ولكن المنفي اولا هو الهداية
اى الاهتداء على سبيل الالجاء وكذا الثاني ومنه يعلم ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا
التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى و
الانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطف من يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي
عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هداهم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو وامته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات
وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فلا يضركم كفرهم او فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما
تنفقون الا ابتغاء وجه الله اى لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم او سد خلة مضطر فقد علم
الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اى لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونون منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا
وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا طلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يتوجه مثله الى الله وفائدة الخام الوجه
انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلت له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يعبر به عن الشرف مطلقا وايضا قول
القائل فعلت هذا الفعل له احتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره واما اذا قال فعلته لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا
من خير يوف اليكم جزاؤه في الاخرة اضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية وانتم لا تظلمون
لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم لما بين انه يجوز صرف الصدقة الى اى فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال
للفقراء اى ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كان تقدم ذكر رجل فيقول عاقل لبيب اى ذلك الذي مر ذكره وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا
للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء وقيل عمادة صدقاتكم للفقراء وقيل نزلت في فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم
اصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين المسجد يتعلمون القران ويصومون ويخرجون في كل غزوة فمن
كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم
وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي ثم انه تعالى وصف
هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين احصروا انفسهم على الجهاد في سبيل الله لان سبيل الله مختص في عرف القران بالجهاد ولان
وجوب الجهاد في ذلك الزمان كان اكد فكانت الجهاد الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله اشد فوضع الصدقة فيهم يكون اوقع موقعا
لحاجتهم وتقوية قلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائي ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات في الغزوات
فاحصرهم المرض والزمانة هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض اى سيرا
فيها وذلك اما لاشتغالهم في العبادة او بالجهاد فلا يفرغون للزراعة والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان
مرضهم وعجزهم حصرهم منه الثالثة يحسبهم اى يظنهم الجاهل بحالهم ومن لم يختبرهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسألة و
اظهارهم التجمل تكلفا منهم والتعفف اظهار العفة وهي ترك الشيء والكف عنه الرابعة تعرفهم اى انت يا محمد وكل راء بسيماهم السيماء
والسيمياء العلامة التي يعرف بها الشيء من السمة العلامة فوزنه فعلى وقال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدي اثر الجهد
من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابو زيد رثاثة ثيابهم وقيل [illegible] في العيون وقيل اثار الفكر لانه صلى الله عليه
وسلم كان كثير الفكر الخامسة لا يسألون الناس الحافا اى الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطى والتركيب يدل على الشمة

كا تدلزم المسئول لزوم الساتر للمستور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل
الملحف ومعنى الاية انهم ان سالوا سالوا بلطف ولم يلحوا واورد عليه انه ينافي التعفف الذي وصفوا به قبل والجواب انه قد نفي
السوال والالحاف جميعاً كقوله ولو ترى الضب بها ينجحر اى لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفيف وفائدة
الكلام التنبيه على شرف طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والاخر طيّاش خفيف فاردت ان تمدح
احدهما وتذم الاخر فان قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام لا يخوض ولا يحتد اردت وصفه بذلك لان من الاوصاف الحميدة
الحسنة تنبيه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه ولا يتركون السوال الا الحاح شديد منهم على انفسهم
لشدة حاجتهم كقوله **شعر** ولى نفس اقول لها اذا ما تنازعني لعلى او عسانى ✻ وقيل ان عدم السوال بطريق الالحاف يتضمن معنى
السوال عنهم راساً لان كل سائل فلابد فلابد ان يلح في بعض الاوقات كانه يقول اذا ارقت ماء وجهي فلا ارجع بغير مقصود
وقيل لعل الساكت عن السوال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون في حال سكوته انطق ما يكون فيرق القلوب له فالمراد انهم
وان سكتوا عن السوال لكنهم لا يضمون الى ذلك السكوت من رثاثة الحال واثار الانكسار ما يقوم مقام السوال فان ذلك
نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله
عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن يستعف يعفه الله لان ياخذ احدكم حبلا يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له
من ان يسال الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان ثواب الانفاق الذي هو اعظم المصارف لا يكتنه فلذلك وكل
الى علم الله تعالى بخلاف الاية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على اهل الاديان قال في اخر الاية وما تنفقوا من خير يوف
اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذي حسن عنده موقع خدمته انى بحسن خدمتك عالم وبحقك عارف كان ابلغ مما لو قال ان
اجرك واصل اليك ثم ارشد في خاتمة الايات الى اكمل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية
وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام فكلما نزلت بهم
حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يوخروا وهما متعلقين بوقت وحال والباء بمعنى في اى في الليل والنهار وسرا وعلانية ∴
منصوبان على الظرفية ايضا اى في اوقات السر والعلن او على وصف المصدر اى انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا عن كيفية
الانفاق وقيل لما انزلت للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث على بوسق تمر ليلا فنزلت ذلك
وفي تقديم ذكر الليل تقدم السر على العلانية دليل على ان صدقة علي كان اكمل وعن ابن عباس ما كان على يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدني
ربي فقال ذلك ونزلت الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين تصدق باربعين الف دينارا عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
في السر وعشرة في العلانية وقيل في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الاية والله
تعالى اعلم بحقيقة الحال **التأويل** انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه اصلاح النفاق من وجهين الاول لو فسر الطيب بالحلال فتقبل
الله منها ولو فسر بالجودة فلجبر نقد جوده ليثاب على التعظيم لامر الله وليثاب على الشفقة على خلق الله ليثاب على الايثار ويؤثرون
على انفسهم الثاني ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليثاب على زيادة الايمان فان المتصدق في صدقته كالزراع
في زراعته فكما ان الزراع كلما ازداد ايقانا بحصول الثمرة اجتهد في جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانا بالبعث
والجزاء زاد في جودة صدقته لتحققه ان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها او قدم ذكر الكسب على ذكر
المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسب يده وفي الاية معنى اخر لطيف انفقوا من طيبات نبات
ما كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طبيعتكم في تخلية سرائركم بمكارم الاخلاق ولكن النفقة
طيبة من خيانة الشبهات طيبا انفاقها من خيانة الاغراض الدنيوية والاخروية تطيب منفقها من خيانة الانثار والنظر في الانفاق
الى من الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فالله قبوله طيب عن الوسايط فياخذها بيده فيربيها قبل ان تقع في يد الفقير واذا
كانت في البطيبة في انفاقها فالله قبول طيب فانها ابلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله
فلله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من اصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب
ولستم باخذيه هذا الخبيث لا في اصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لانكم خلقتم من اصل طيب وطينة طيبة والروح من اطيب الاطايب
لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم احياكم بالاحسان فلنحيينه حيوة طيبة
ثم يرزقكم من الطيبات ما رزقكم فليس بكم شيء خبيث في الظاهر والباطن الا ان تغمضوا فيه فتقبلوه وفيه كل مولود يولد على فطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم تكن الخيانة ذاتية للانسان بل كانت طارية عادية لذا انزل الله تعالى كلمة طيبة

في لا آله الا الله لتطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم ويستحقوا يوم القيامة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلموا
ان الله غني فمن كمال غنايته اراد ان يغنيكم ثواب الانفاق حميد على ما انعم بهذا التكليف يتوسل به الى الكمال الابدي الشيطان
حين يعدكم الفقر ظاهرا فهو يامركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فتضمن البخل والحرص والياس من الله والشك في مواعيد
الخالق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك
العفة والقناعة والتمسك بحبل الدنيا وهو راس كل خطيئة وبذر من كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسة فسوف يبتلى بهذه
الافات واضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق افاض عليه سحاب غفرانه وبحار احسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والاثام
والفضل ما لا يدرك الاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمة عاجلا كما قال يوتي الحكمة من يشاء
وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات
تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور
يهدي الله لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى عالم النور ثم اخبر عن توفية الاجور
للمنفق في المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا بالانفاق النفاق وبالاخلاص الرياء
من انصار لا ناصر بالحقيقة الا الله ومن ياذن له الله ابداء الصدقات صدا اخفائها تخليصها من شوب الحظوظ واليه الاشارة
في قوله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اى عن حظوظ نفسه ليكون خالصا
لوجه الله فصاحبها يكون في ظل الله قال صلى الله عليه وسلم ان المراد يكون في ظل صدقته يوم القيمة ان كانت صدقته لله كان في ظل
الله بان كانت الجنة في ظل الجنة وان كان للهوى كان في ظل الهاوية فمعنى قوله ان تبدوا الصدقات اى تظهروها لطمع ثواب الجنة
فان طمع الثواب صوب حظ فنعما هي فانها مرتبة الابرار ان الابرار لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين
يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان خواصها لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاء وان الله
بها ولي الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللقاء المعهود ولك الوسيلة وعلى الانبياء الفضيلة وانت سيد الاولين والاخرين
وانت اكرم الخلائق على رب العالمين ولكن ليس عليك هديهم ولكن الهداية من خصايص شاننا ولوايح برهاننا انت تدعوهم ونحن
نهديهم ثم نبه على افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذي احصره الحق في طلب المعاش لا الذي احصره الفقر والعجز عن طلب
الكفاف اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له في المشرق طريق ولا له في المغرب نصيب ومنه الى غيره مهرب كان بخلاج الارض
ضاقت برحبها عليه فما يزداد طولا ولا عرضا يحسبهم الجاهل اغنياء لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل
الغيرة اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست لك فلست غيري وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فان سيماهم لا يرى بالبصر الانساني بل يرى بالنور الرباني فمن سيماهم في الظاهر من ظهور اثار الباطن انهم لا يسئلون الناس الحافا
لا بقليل ولا اكثر لان اثار الواردات على قلوبهم الكشف عن سرايرهم متفرعة بالتعفف نفوسهم فاضمحل ظلمة فقرهم وفاقتهم وما ينفقوا
من خير من المال والحال وخدمة بالنفس او اكرام او ارادة حتى السلام على هولاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان
الله به عليم ومن سيماهم انهم اذا وجدوا واما لا لم يتقوا عن الفقر بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم
عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون في الدنيا على ما يفوتهم لانهم تركوا الله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا في الاخرة لا يحزنهم
الفزع الاكبر الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور والله اعلم بالصواب

الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ يمحق الله الربوا ويربي

الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ۝ ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ۝ فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من
الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ۝
وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم
ان كنتم تعلمون ۝ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون

القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلى وخلف هذا اذا
كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله وما اوتيتم
من ربوا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا مشددة مكسورة الذال حمزة وحماد وابو بكر غير ابن غالب والبرجمي حمزة يقف بغير
همز بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون
بالعكس ميسرة بضم السين نافع ميسرة بضم السين واثبات اليا زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا
خفيفا عاصم الباقون بتشديد الصاد وادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب عباس مخير
الباقون مبنيا للمفعول **الوقوف** من المس مثل الربوا كيلا يظن ان ما بعده من قولهم وان امكن جعل واحل حالا لا باضمار قد
وحرم الربوا ابتداء شرط او استيناف المعنى ما سلف لتناهي الجزاء الى الله النار خالدون الصدقات اثيم عند ربهم يحزنون مؤمنين
ورسوله اموالكم مستانفا وحال عاملة بمعنى الفعل في لام التمليك ولا تظلمون ميسرة تعلمون لا تظلمون **التفسير** الحكم الثاني
من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص ما امر بها
والربوا زيادة منهي عنها وايضا المامور بالانفاق من طيبات المكاسب وحيان يردف بالمكسب الحرام وهو الربوا والحلال وهو البيع
ويناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الذين ياكلون الربوا اما الاكل فيعم جميع التصرفات الا انه عبر عن الشي بمعظم مقاصده
وكيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا من الربوا لا يمكن ان يوكل
ولكن يصرف الى الماكول فالمراد التصرف فيه والربوا في اللغة الزيادة من ربوا يربو ومن امالها فلاجل كسرة الراء وهو في المصاحف
مكتوبة بالواو وانت مخير في كتابتها بالالف والواو وفي الكشاف كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف
بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا قسمان ربوا النسية وربوا الفضل ان الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون
المال مدة على ان ياخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طلب المدين براس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما
ربوا الفضل فبان يباع الحنطة بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس انه كان لا يحرم الا القسم الاول وكان يقول لا ربوا الا في النسية ويجوز ربوا
النقد فقال له ابو سعيد الخدري اشهدت ما لم نشهد سمعت ما لم نسمع ثم روى له الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب
والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الاخذ والمعطى
فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اواني واياك في ظل بيت ما دمت على هذا فيروى انه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا في بيت معنا عكرمة
فقال رجل يا عكرمة اما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برايي ثم بلغني ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حرمه فاشهدوا اني قد حرمته وبرأت الى الله منه حجة ابن عباس ان قوله تعالى احل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقدا وقوله وحرم
الربوا لا يتناوله لان كل زيادة ليست محرمة فوجب ان يبقى على الحل ولا يخرج الا العقد المخصوص الذي كان بينهم فيما بينهم ربوا وهو ربوا النسية
وقد تاكد هذا الراي بما روي عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربوا في النسية وفي رواية لا ربوا فيما كان يدا بيد وذكر

ابو منهال انه سال البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالنا رسول الله صلعم
عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نساء فلا يصلح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين
اما النسية فبالقران واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة الربوا في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة وذلك
ان الربوا انما ثبت فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه اما الاشياء الاربعة للشافعي في علة الربوا فيها قولان
الجديد ان العلة الطعم لما روي عن معمر بن عبد الله قال كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثل بمثل اطلق الحكم
باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان
العلة فيها الطعم مع الكيل او الوزن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا ثبت
الربوا في كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات
فكل ما هو قوت او يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربوا وعند ابي حنيفة العلة الكيل حتى يثبت الربوا في الجص والنورة وعن
احمد روايتان كالذي حنيفة والاخرى كالجديد واما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما عينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما
صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت
رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا
ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب في تحريم الربوا فهو ان من يبع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيا يحصل له زيادة درهم
من غير عوض ولحرمة مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء راس المال في يده
مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزايد متيقن وتفويت المتيقن
لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا
من تحصيل الدرهم الزايد نقدا او نسيا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لما يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من
القرض ولانه تمكين للغني من ان ياخذ مالا زايدا من الفقير وقيل ان حرمة الربوا قد ثبتت بالنص ولا يجب ان يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا
لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبط الشيطان فيل من زعمات
العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس اي مسه الجني فاختلط عقله
وكذلك جن الرجل ضربه الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا ارادوا القبيح ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى
طلعها كانه رؤس الشياطين فورد القران على ذلك وقيل ان الشيطان تمسه الوسوسة المودية التي تحدث عنده والفزع فيصرع كما
يصرع الضعفا في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان الشيطان لا يبعد
قوته على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الاية اقوال الاول ان اكل الربوا يجي يوم القيمة مجنونا تلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله من المس يتعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او
يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكل الربوا فانهم
ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم ياكلون الربوا فاربى الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الهوى والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال
مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربوا على ذلك اورثه الخبط في الاخرة واوقعه في ذل الحجاب بينه وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب
قولهم انما البيع مثل الربوا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع والا
كان حق النظم في الظاهر ان يعكس فيقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع ومن حق القايس ان يشبه محل الوفاق ثم
انهم كانوا يقولون وتحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسية فهذا حلال فكذا اذا
اعطى العشرة باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون
صفر اليد في الحال ويحصل له اموال كثيرة في المال فاعطاء الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان
المال فاجاب الله تعالى عنه بحرف واحد وهو قوله واحل الله البيع وحرم الربوا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض بالقياس فان
ذلك من عمل ابليس امر الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس وقال انا خير منه ثم ان ظاهر الاية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم
الربوا دون الاكل ام على اكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يجب بهذه الاية كون اكل الربوا من الكباير ويجب تاويل مقدمة
الاية بان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه الا ان جمهور
المفسرين حملوا الاية على وعيد من تصرف في مال الربوا لا على وعيد من يستحل هذا العقد وقيل ويحتمل ان يكون قوله واحل الله البيع

وحرم الربوا من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لان جعله من كلام الكفار لايتم الا باضمار
هو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار او على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لوكان من تمام
كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة لايقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا
متمسكين في البيع بهذه الاية فلولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها وههنا بحث فقيل
وهو ان الاية من المجملات التي لايجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لايفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية
فيكفي في العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادته العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل واحل الله البياعات بلفظ الجمع ومع
ذلك فقد تطرق اليه تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لايليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم اطلاق
اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وايضا روى ان عمر رضي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سالناه عن
الربوا ولو كان هذا اللفظ مفيدا للعموم لم يقل ذلك وايضا قوله واحل الله البيع يقتضي ان يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربوا
يقتضي ان يكون كل بيع حراما لان الربوا هو الزيادة ولو كان هذا اللفظ مفيدا ولابيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا
ووجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة فمن بلغه موعظة من ربه فانتهى امتنع من استحلال الربوا وتبع النهي
فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج والتنوين في موعظة
للتعظيم او للتقليل اي موعظة بليغة او شيء من المواعظ وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا
فالمراد له فيما اكل من الربوا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه
اول ما يخرج من عصيرها وامره الى الله لانه ان انتهى عن اكل الربوا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله العامل بتكليفه فيستحق المدح
والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ومن عاد الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا واما
القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربوا وكان قد بالغ في الآي السالفة في
الحث على الصدقات ذكر ما يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يمحق الله الربوا ويربي الصدقات اما في الدنيا
واما في الاخرة وذلك ان الغالب في المربي وان كثر ماله ان يؤول عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه وبغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما
يطمع الظلمة في ماله فظنا منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لايقبل منه صدقة ولا
جهادا ولا سخاوة ولا صلة ثم ان مال الربوا لايبقى عند الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد
الفقراء بخمسمائة عام وهذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربوا المثل
الذي ضربه فيما تقدم مثل صفوان عليه تراب ونظير قوله تعالى ويربي الصدقات المثل الاخر كمثل حبة بربوة كمثل حبة انبتت سبع
سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولايقبل منها الا الطيب ويأخذها بيمينه فيربيها
كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى اللقمة لتصير مثل احد وايضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وتميل القلوب اليه ويلطع
الاصابع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعاف ومداخله للفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان
في المال والصدقة وان كان نقصانا في المال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لايلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول
على ما ندب اليه العقل والشرع والله لايحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمزاولة كتمار وقوال
والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو ايضا للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الاثام وذلك لايليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا ووجه
آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم الى الاكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى اكل الربوا ويكون تغليظا في امر
الربوا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الاية دلالة على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم يقل لا يحب
عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الاثام كالربوا فان استحلاله كفر وهو في نفسه اثم مذموم في جميع الاديان
لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فبقي الاية ساكتة عن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن التكلم بجمع
بينهما ثم قد عرف بدليل اخوان الكفار الذي لم يواظب على سائر الاثام لايستاهل محبة الله وذلك لاخلل في السكوت عن حكمه ههنا والله اعلم
ثم ذكر الترغيب والترغيب على عادته من ذكر الوعد والوعيد فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية فاحتج به من قال العمل الصالح خارج عن
مسمى الايمان كما مر واجيب بانه قال في الاية واقاموا الصلوة واتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ورد بان الاصل
حمل كل لفظ على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى في غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع بالنقد

وذلك

وذلك النقد حاضر متى شاء البايع اخذه والثاني جار مجرى المبيع في الذمة نسية ولاشك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن
عباس فيما يستقبلهم من احوال القيامة ولاهم يحزنون بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض
ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لايلحق اهل الثواب والكرامة ولي
الاسم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولاهم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل لغيرهم من السعداء لانه لامناقشة في
الاخرة وايضا انهم لايحزنون بسبب انهم لم يضيعوا منا طاعة ازيد مما اصدروا حتى صرنا بها مستحقين لثواب ازيد مما وجدناه لان هذه
الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المراة اذا بلغت عارفة بالله وكما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت او الرجل
بلغ عارفا بالله وقبل ان يجب عليه الصلوة او الزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف الله ههنا حصول
الاجر على حصول الاعمال والجواب ان الموجبة الكلية لاتنعكس كنفسها وقد دلت الاية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم
العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف كان يجوز ان يظن انه لافرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم
فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا فبين انه يحرم اخذ ما بقي من الربوا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا ايها
الذين امنوا ثم قال في اخره ان كنتم مؤمنين فالجواب ان هذا كما يقال ان كنت اخي فاكرمني معناه من كان اخا اكرم اخاه ومعناه اذ كنتم
مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان او يا ايها الذين امنوا بالسنتكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم قال
القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لايتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى اجتنب كل الكبائر او يجب
ان المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله تعالى على ذلك لان المنتظر
لحلول الاجل اذا حضر الوقت ووطن نفسه على ان تلك الزيادة قد حصلت فقطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاء انما
يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الاية اصل كبير في احكام الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولاينقض ولايفسخ وما لم يوجد منه في
حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولايجوز في الاسلام فهو عفو لايتعقب وان كان النكاح وقع على عقد
حرام فقبضته المراة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمى وهذا مذهب الشافعي واما سبب نزول الاية فعن ابن
عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف بن ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنوا المغيرة يربون لثقيف
فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقالوا بنوا
المغيرة ما جعلنا اشقى الناس بالربوا ووضع الناس عنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتي بعدها فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله
وقال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر لايبقى لي
ما يكفي عيالي اذا اخذتما كله فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف لكما فتفعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنهاهما ونزلت الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد كانا شريكين في الجاهلية
يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان كل ربوا
من ربوا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فاذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربوا
ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربوا فان لم تفعلوا اي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال
فيه دليل على ان من كفر بشريعة واحدة من شرايع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرايعه وعلى هذا يكون ما لهم فيئا للمسلمين
وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على معاملة الربوا لانه خطاب مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا ايها الذين امنوا ومعنى
قوله فاذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا من لم ينته عن الربوا بحرب من الله فالمفعول له محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا
قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اسلام غيرهم فهذه القراءة في الابلاغ اكد ومن قرا فاذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اي كونوا على
اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله فقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في
كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربوا ان كان شخصا قبض الامام عليه واجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس
الى ان يظهر منه التوبة وان كان ذا شوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر الصديق رضي مانعي الزكوة وكذا
القول لو اجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربوا وعن معاملة الربوا فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار

على ان كان هى التى تسمى تامة بمعنى وجد الشئ وحدث فى نفسه لا بمعنى وجدت موصوفية بشئ فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر
وقراء عثمان تقد ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم او المستدين ذا عسرة والقراءة المشهورة اولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المشترى
بل يعمه وغيره من ارباب العسرة وهى اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود من المال والنظرة التاخير والامهال وفى الاية حذف والتقدير
فالحكم او فالامر نظرة وقرى فنظرة بسكون الظاء وقرى عطاء فناظرة على الامر اى سامحه بالانظار وناظرة اى صاحب الحق منتظرة اوذو
او ذو نظرته مثل مكان عاشب اى ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرى بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى
الضمير فقد حذف التاء كقوله واقاموا الصلوة واختلفوا فى ان حكم الانظار يختص بالربوا او عام فى الكل فعن ابن عباس وشريح و
الضحاك والسدى وابرهيم الاية فى الربوا قال الكلبى قال بنو عمرو لبنى المغيرة هاتوا رؤس اموالنا ولكم الربوا ندعه لكم فقال بنوا
المغيرة نحن اليوم اهل عسرة فاخرونا الى ان ندرك الثمرة فابوا ان يوخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر
المفسرين انها عامة فى كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلابد من الحاق سائر الصور به لان العاجز
عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول اكثر الفقهاء مالك وابو حنيفة والشافعى والاعسار فى الشرع هو ان لا يجد له فى ملكه
ما يوديه بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكن اداء الدين من ثمنه وجد زادا او ثوبا لا يعد من ذوى العسرة اذا امكنه بيعها واداء
ثمنها ولا يجوز له ان يحبس الا وفوق يومه لنفسه وعياله وما لابد لهم من كسوة لصلوتهم ودفع الحر والبرد عنهم وهل يلزمه ان يوجر
نفسه من صاحب الدين او غيره الاصح انه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له ما يوديه لا يلزمه القبول واما من له بضاعة كسدت عليه فوجب
عليه ان يبيعها بالنقصان ان لم يكن الا ذلك واذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بما له عليه ووجب الانظار
الى وقت اليسار فاما ان كان له ريبة فى اعساره جاز ان يحبسه الى ظهور الاعسار واذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذى
لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض فلابد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك وان لم يكن عوض كالاتلاف وضمان
وصداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وان تصدقوا اى على المعسر بما عليه على الدين يدل على ذلك ذكر المعسر وذكر
راس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل
به وان علمه كانه لا يعلم او يعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده او تعلمون ان ما يامركم به ربكم اصلح لكم وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالاية الاولى
فلابد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان العاملين بالربوا كانوا اصحاب ثروة وجلالة واعوان
وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم ختم احكام الربوا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من
الشدائد والاهوال واتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصى وفعل الاوامر فى الدنيا فهذا القول يتضمن الاتيان بجميع التكاليف و
انتصب يوما على انه مفعول به والمعنى فتاهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله اى الى ما اعد لكم من ثواب
او عقاب والى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب احدها كونه جنينا لا يملك تصرفا ولا يتصرف فيه الا الله
وثانيها خروجه الى فضاء العالم وهناك يرى الابوين ولغيرهما تصرف فيه ظاهرا وفى الحقيقة لا تصرف الا لله فكانه عاد الى الحالة الاولى
وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اى جزاء ذلك او المكتسب هو الجزاء كما يقال الكسب الرجل لما يحصله بتجارته والمراد ان كل مكلف
فانه يصل الى جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل ان
يقول كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذى اوقع نفسه
فى ذلك الورطة لان الله تعالى مكنه وازاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه وامهل هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب
فهو اشارة ان الله تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف فى ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظالما عن ابن عباس انها اخر اية
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل وقال ضعها على راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش النبى صلى الله عليه وسلم
بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله اعلم **التأويل** اخبر عن حرص اهل
الدنيا وهم اكلة الربوا بعد ذكر قناعة اهل العقبى فمثل اكل الربوا كمثل من له جوع الكلب ياكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم
الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم
الا اكلة الخضر فانها اكلت حتى امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة
هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذى ياكل ولا يشبع وفى الحديث مثلان احدهما للمفرط بحيث يفضى به الى الهلاك فى الدنيا والعقبى فى جميع
الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم وذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها
حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها فتهلك او تقارب الهلاك والمثل الاخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر

وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التى ينبتها الربيع بتوالى امطاره ولكنه من كلاء الصيف التى ترعاها المواشى بعد هيج
البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية يكثر منها وهو مثل التاجر الذى يكتسب المال بطريق البيع والشرى ويودى حقه
وان كان له حرص فى الطلب والجمع لكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ما اضر به واحل الله البيع وحرم الربوا يعنى كيف يكون ما نال
الامر ظلمته مثل ما نال الظلمة ارتكاب المنهى فمن يكتسب الربوا فى ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة المعصية وامره الى الله يرزقه
من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع اثيم عامل بالطبع مقيم فى ظلمة اصراره ثم احضر على العاملين بالشرع الخارجين
عن الطبع الذين آمنوا ايمانا التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلوة وعن ظلمة الركون
الى الدنيا بانوار ايتاء الزكوة تجذبهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع
الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوات انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازى فقال يا ايها الذين آمنوا باللسان
اتقوا الله اى بالله كما جاء كنا اذا احمى الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى جعلناه قدامنا ومن شرط المومن الحقيقى اتقاء
بالله فى ترك الزيادات كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقى من الربوا اتركوا ما سوى الله فى طلبه ان كنتم
مومنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تمنعكم فاذنوا بحرب من الله ورسوله بعدمنهما وبعض وان تبتم تركتم غيره
فلكم رؤس اموالكم وهى الكرامة التى بها على كثير من خلقه وهى المحبة يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتى فى غير موضعها وان كان ذو عسرة
لم يصل اليه ما اعد لاجله فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه اجلا وان تصدقوا تبذلوا فينا تمنون من صنوف برنا فى الدنيا
والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر ما اهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكرى
عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين ثم انه سبحانه كما جمع فى القرآن خلاصة الكتب جمع فى خاتمة الوحى خلاصة اى القرآن واتقوا
يوما الاية وذلك ان فائدة جميع الكتب دلالة المومنين النجاة عن الدركات السفلى وهى سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصى والاخلاق
المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهى ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة
وجذبات الحق والفناء عن انانية والبقاء بهويته فقوله فاتقوا شامل لما يتعلق بالسعى الانسانى من هذه المعانى لان حقيقة التقوى
مجانبة ما يبعدك عن امره ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام بخروج سبب الاقامة بشرائط جاهد واقيا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك
بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصى بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا تقوى الخاص يخرجهم
جذبات لنهدينهم سبلنا من حجاب اوصافهم الى درجة تجلى صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فينتفعون
بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم بين ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الى وصال
الى قاب قوسين نهاية حجاب النفس وبداية انوار القدس وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله
لان مبداء وجودك النفخة واخر حالك الجذبة وبها اصطفى آدم وكرم بنيه ولهذا لم يقل ولقد كرمنا اولاد آدم لان اهل الكرامة منهم من
هو بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال
فى المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء فى الحقيقة وفى هذا الرجوع وعد وبشارة للاولياء ووعيد وانذار للاعداء
ثم توفى كل نفس ما كسبت فيعقد مراتبه فى العبودية والتقوى يهتدى الى مقامات القرب من المولى ويحجب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء
ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور فى البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة وضيقه ولا يظلم
الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى

يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب
كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه
ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا

او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسئموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم

القراءة ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وجبله فتذكر بالرفع ومن الاذكار ابو زيد عن المفضل حاضرة فتذكر من الاذكار وبالنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان **الوقوف** فاكتبوه للعدول بالعدل لعطف المتفقتين فليكتب شيئا بالعدل من رجالكم للشرط مع فاء التعقيب والاخرى دعوا للعدول اجله الا تكتبوها لابتداء الشرط تبايعتم لعطف المتفقتين ولا شهيد بكم واتقوا الله ويعلمكم الله عليم مقبوضة لابتداء الشرط واستيناف معنى اخر ربه للعدول الشهادة قلبه عليم **التفسير** وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الاية بكمالها الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه من التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط وان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية وواظب وعن ابن عباس ان المراد هو السلم وقال لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول اية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وعند ذلك ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل وبقي ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو اذا ما باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الاية واما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة او التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه او ليشمل اي دين كان صغيرا او كبيرا سلما او غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا

في العموم ان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل فيكون الحكم حاصلا في الكل ونقول العلة هي التداين والعلة لا ينفك عن معلولها فتكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى لما امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل من المتداينين واثقا من النسيان والتفاوت والتخالف وفي مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائرها اشترطا عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان الماخوذة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة اما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود كاتبين كثير من في الدنيا بل من له استيهال الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك ايضا على الاطلاق ولكن يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الاخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا امر للمتداينين بتخير الكاتب ولا يستكتبوا الا فقيها اديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل ان يكون ما يكتبه متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب ان يكتب وقوله ان يكتب كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب ان يكتب مثل ما علمه الله تعالى فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تاكيدا للاول اي فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها او بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني امرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثاني تاكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله واحسن كما احسن الله اليك وقيل انه على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد اشخاصا فالواجب كتب احدهم وقيل متعلق الايجاب هو ان يكتب كما علمه الله يعني بتقدير ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله يعني بتقدير ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم ان الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت لغة تميم وقيس نطق القران بهما قال فهي تملى عليه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقله او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه اي به او فرس فليملل وليه العدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي امره ويقوم من صالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عليه وهو يصدقه وفائدة تاكيد المتصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه عائد الى الذي اي الذي له الدين وليملل بعد وفيه بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهيد من التوصل الى تحصيل الحق فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته ان يشهد شهيدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون وقيل بمعنى الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون وجميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عادلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي كرم الله وجهه لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم ياذن له السيد فيعلم منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احديهما الشهادة بان تنساها لغلبة البرد والرطوبة على امزجتهن واحدى النفسين فان الانسان لا يخلو عن النسيان فتذكر احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت

ونظيره قوله نعم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ههنا غرضين احدهما
حصول الاشهاد وذلك لا يتاتى الا بتذكير المراتين احد ثانيهما بان تفضيل الرجل على المراة حتى يبين ان اقامة المراتين مقام الرجل الواحد
هو العدل في القضية وذلك لا يتاتى الا بضلال احدى المراتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرا بكسر ان على الشرط
والجزاء فلا اشكال وروى عن سفين بن عيينة انه قال فتذكر معناه فيجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا
يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة خبر قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه
مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى اثنين من الا في قوله تعالى ثم لم
ياتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان من الزمنا اما عقوبة او غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا
برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص والقذف واما غير العقوبات فما
ليس بمال ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء و
انقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين ايضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء فيقبل
فيه شهادتهن على انفرادهن لما روى عن الزهري انه قال مضت السنة ان يجوز شهادة النساء في كل شيء لا يليه غيرهن من ذلك كالولادة و
البكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المراة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شيء من ذلك باقل من اربعة نسوة تنزيلا
لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامراتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان والديون
والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض ويثبت بشهادة رجل
وامراتين ثبوتها بشهادة رجلين ونص القرآن منزل على هذا القسم والذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روى انه صلى الله
عليه وسلم قضى بالشهادة واليمين وانكره ابو حنيفة ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا فقيل اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها
وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال فانه كما امر الكاتب ان لا ياب الكتابة امر الشاهدان لا ياب تحمل الشهادة وقيل
امر بالتحمل اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين والتحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه اطلق عليهم لفظ الشهادة
والاصل في الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد
التحمل وايضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا ياب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وفي
ان الشاهدان كان متعينا وجب عليه اداء الاشهاد وان كان ثمه كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا ولا تضجروا ولا تملوا
ان تكتبوه الى الدين او الحق لتقدم ذكرهما على اي حال كان الحق صغيرا او كبيرا فيما جرت العادة بكتبته لا كالحبة والقيراط فان القليل
من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السامة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وايضا من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب
لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب فاقتضى المقام ترغيبه والظاهر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او
مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفقا على تسميته ذلكم الكتب او ذلكم الذي امرتكم به من الكتب والاشهاد اقسط اعدل
بالله واقوم للشهادة اعون على اقامة الشهادة وبناهما من اقسط واقام فيكون محمولا على قولهم افلس من ابن المذلق واما قويم وقاسط
بمعنى ذو قسط على طريقة النسب والا فالقاسط الجائر ولا يصح ذلك المعنى ههنا يقال قسط اذا جار واقسط اي اعدل وادنى الا
ترتابوا اقرب من انتفاء الريب رتب الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلث فوايد الاولى تتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين
اقرب ومن الجهل ابعد فيكون اعدل عند الله والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج واعون
للحفظ والذكر والثالثة انه يدفع الضرر عن نفسه بان لا يضل في امره ولا يتردد عن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع
في الغيبة والبهتان فما احسن هذه الفوايد مع ما دخلها في الضبط والترتيب الا ان تكون تجارة حاضرة قيل هو راجع الى قوله
اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب وقد يكون الى اجل بعيد فاستثنى عن المداينة ما يكون اجله
قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله لا تسأموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه ان كانت التجارة حاضرة
فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستانفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف بالمال لطلب الربح فسواء كانت المبايعة
بدين او بعين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ههنا ما يجري فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى
الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد ومن قرا تجارة بالرفع فعلى كان التامة او الناقصة والخبر تديرونها ومن قرا بالنصب فالتقدير
الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما و
اليوم الاشنع هو الذي اشتد شره وعلا وذو كواكب اي شديد ويقال في التهديد لاريك الكواكب نهارا وقال الزجاج تقديره

الا ان تكون المداينة تجارة حاضرة اي يكون دينا قريبا الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم
الاثم والا لزم ان يكون الكتابة المذكورة مرة اولا واجبة وقد ثبت خلاف ذلك وانما رخص تعالى في هذا النوع من التجارة لكثرة
جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة والاشهاد في كل لحظة حرج عليهم مع ان خوف التجاحد في مثله قليلة واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع كانه لا يرفع عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة تكرير الامر بالاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة اخف
مؤنة ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان البايع او كاليا لانه احوط عن الخسران شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن
الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وبه
قرا ابو عمرو وعليه اكثر المفسرين كالحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهي الكاتب ان يزيد او ينقص والشاهد ان يحرفا او يتركا الاخبار
الى ما يطلب منهما ولهذا قال فان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف بالكتابة والشهادة فسق دايم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد
ان التقدير لا يضارر بفتح الراء وبه قرا ابن عباس وانه نهي للمتداينين عن الضرر بالكاتب والشهيد كان يعجلا عن مهم ويلزما او لا يعطى الكاتب
حقه من الجعل ويحمل الشهيد من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عنه من الضرار وكل ما نهيتكم عنه من فعل معصية
او ترك طاعة ليكون فايدته عايدا اليكم فان الضرار وان كان ارتكاب المنهي عنه فسوق بكم خروج عن امر الله وطاعته ومعنى بكم اي ملتصق
بكم واتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه تعالى جعل
البياعات في هذا المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني
وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب
كيف وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه رهن درعه في غير سفر والكتبة وردت الاية على الغالب فان الغالب ان لا يوجد ذوات
الكتابة ولهذا قال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرئ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر
الاية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل الرهن من الدوام وهو الشيء اذا دام وثبت ونعمة راهنة اي دايمة ثابتة والرهن مصدر جعل
اسما ويزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما يقال رهنت ثوبا ولهذا جمع
الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف ورهان مثل كباش في كبش وقيل ان احدهما جمع للاخر وفي الكلام حذف تقديره
فرهن مقبوض بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة والذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا يتم في لزوم
في القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل
وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن او وكيله بينه وبين المرتهن او وكيله و
تمكينه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك
المرتهن وان كان المنقول مقدارا فلا بد من التقدير ايضا بوزن او كيل او ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت اخر باذنه ووضعه
الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان امن بعضكم فان امن بعض الداينين بعض
المديونين بحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره فليؤد الذي اؤتمن امانته فليكن المديون عند ظن الداين به وسمي الدين امانة
وان كانت مضمونة لاشتماله عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع الامانة الشرعية
في وصف وجود الامانة اللغوية اطلق احدهما على الاخر والايتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى لا يدور في خلده جحود واختيان
وفي الاية قول آخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول ومن الناس من قال هذه الاية
ناسخة للايات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الاية
محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال في الاية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة فيه وجوه الاول عن القفال انه تعالى لما اباح ترك الكتبة
والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجايز ان يكون الظن خطا وان يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن ان يكون بعض
الناس مطلعا على احوالهم ندب الله ذلك الانسان ان يشهد لصاحب الحق بتلك الشهادة ام لا فلا فيه بان جعله اثم القلب ان تركه وعلى هذا يمكن
ان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من شهد قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان
الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان في ذلك ابطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد وقال ومن
يكتمها فانه اثم قلبه والاثم الفاجر واثم مرتفع بان وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتدا واثم خبر مقدم عليه والجملة خبر ان ذكر القلب
واراد الشخص كله اثم لا قلبه وحده هو ان افعال الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف فاسند
الفعل الى القلب الذي هو محل الافتراق ومعدن الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم

ان في جسد ابن ادم لمضغة فاذا اصلحت صلح بها ساير جسده واذا افسدت فسد بها ساير الجسد والا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين
ان الفاعل والعارف المامور المنهي هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تحذير للكاتم وتهديد له عن ابن عباس اكبر الكباير الاشراك بالله
لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة **التأويل** انه تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم
ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به واشهد الملايكة الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما امركم ان لا تساموا
ان تكتبوه صغيرا او كبيرا والملايكة ان يكتبوا معاملاتكم الصغيرة والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في اعناقكم وكل انسان
الزمناه طايره في عنقه ثم نودي من سرادقات الجلال يا قوي الظلم ضعيف الحال اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا ثم ان الكتاب
لا يكتبون الا من املايه وانه بالقليل والكثير صابر الى يخاطب وبالنقير وبالقطمير على ما يميل عن الحق بغايب فليحاسب نفسه قبل ان يحاسب
فعليه ان يملي الحق للحق فان كان الذي عليه الحق سفيها جاهلا باملاء الحق للحق لاشتغاله بالباطل وضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات
نفسه او لا يستطيع ان يمل هو لكونه ممنوعا بالعوايق والعلايق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا نهضة ولا قوة له في اتمام ما لا يحرمه
ويشرع فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاحزان الى السرور ومن الامتحان الى القصور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز
والفتور الى القوة والحضور الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور واستشهدوا شهيدين استصحبوا من ارباب القلوب اثنين
من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال وانتم نساء فان لم يكونا رجلين من ارباب القلوب فرجل منهم وامراتان اي رجلان من اهل الصلاح ليكونا
بمثابة رجل من اهل الولاية في غاية النصيحة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في ارضه ان
تضل احديهما عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوة من شياطين الهوى فتذكر احديهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان اهل
الدين طايفتان الواقفون والسايرون والمراد بالواقف من وقف في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كالفرخ المحبوس في قشر
البيضة فيكون خبيرا من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام
يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما الساير فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل
يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل
على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي دجله جلجلة الشريعة فالاشارة في قوله وان كنتم
على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذي يخلص من سجن الجسد وقيل الحواس وزحمة التوكيل فلم يوجد الكاتب يكتب عليه كما قال
بعضهم ما كتب علي صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف لي صاحب اليمين وقال لي املي علي شيئا من معاملات
قلبك لاكتبه فاني اريد ان اتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرايض فالحبس والقيد والتوكيل لمن لم يرد حق صاحب الحق
او يكون هاربا منه فاما الذي اناء الليل واطراف النهار يغدو ويروح في طلب غريمه وما يبرح في حريمه فلا يحتاج الى التوكيل
والتقييد فالذي هو موكل على الهارب يكون وكيلا حفيظا للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله للسايرين
رهان مقبوضة عند الله رهان قلوب ليس فيها غير الله قبض واي قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذي
هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السير فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشة الشديد مستهام ضاق مذهبه
في هوى من عز مطلبه كل امر في الهوى عجب وخلاصة منه العجب وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد
في السموات والارض ولا في الدنيا والاخرة امين يؤتمن لحمل اعباء امانته الا العاشق المسكين لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة
عشقها وطار فيها وابى يحلها فلما حملها وليستحسن منه ما تعود به من اصحابه جاءت له من الحضرة الالقاب فنسب في البداية الى
الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا امر
عجيب ونقش غريب من لم يطع في حمل الامانة وان نسب الى المكانة والطاعة والامانة مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل الامانة وان
نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين الاول ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كما ان العزة و
العظمة وقعت في طريق المعشوق بل لجمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مراة ذلة العاشق الثاني ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة
المؤتمن في الظاهر لصلاح كتمان امر الامانة وقد يخص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون غيرة في الظاهر وذلته في الحقيقة بذلك
على حقيقة هذا السر خطاب اسجدوا لادم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون فان امن بعضكم بعضا كما اخترتك من بين الخليقة واصطفيتك
على البرية بحمل الامانة فليؤد الذي اؤتمن امانته ولا تكتموا الشهادة اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق لاقرار قبول الامانة فقلتم بلى
شهدنا فاليوم اطالبكم باداء حقها فادوها الى ملفوفة بلفافة التقوى الايمان عريان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهودك
مع غير شواهد ربك هذا من نتايج خيانة قلبك في امانة ربك بربك فلا تشاهد الا شواهد ربك فلا يؤدي ربك حقيقة امانته

ربك الا بربك الى ربك لربك والله اعلم واحكم

لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله
على كل شيء قدير امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من
رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف
الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين

القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وجملة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب
برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرا حمزة غير ابي عمرو والحلواني عن قالون وابن مجاهد وابو عون وابو ربيعة
عن البزي وخلف لنفسه يعذبه بالاظهار ابو عمرو وفي يعذب من يشاء كل القران وكتابه حمزة وعلي وخلف الباقون وكتبه جمعا لا يفرق
بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل قرانا **الوقوف** وما في الارض به الله لمن قرا فيغفر بالرفع على الاستيناف
اي فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء قدير والمؤمنون لمن لم يقف على من ربه المصير وسعها ما اكتسبت او اخطانا من قبلنا
لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال على السؤال لشانه واعف عنا وفيه واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك لتفصيل بين انواع
المقاصد والاعتراف بان اطماعنا غير واحد الكافرين **التفسير** انه تعالى لما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول ودلايل
التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرايع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق
والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات
وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله على كل شيء قدير وذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن ابي مسلم انه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه
دليلا عقليا فان من كان عاقلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا باجزايها و
جزئياتها وقيل لما امر بالوثايق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر بما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به وقال الشعبي
وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وابي هريرة انه لما
نزل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا
من الاعمال ما نطيق من الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية لا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه اتريدون ان تقولوا
كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما قراها القوم وذلت بها السنتهم انزل
الله في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم

واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم واعلم أن العلماء اتفقوا على أن الأمور التي تخطر
بالبال مما لا يكرهها الإنسان ولا يمكنه إزالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لأنها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق وأما الخواطر التي
يوطن الإنسان نفسه عليها ويعزم على إدخالها في الوجود فقد قيل إنه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وإنه من أفعال القلوب قال بعضهم إنما يؤاخذ بها في الدنيا روى الضحاك عن عايشة أنها
قالت ما حدثت العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه نعم يبتليه في الدنيا أو حزن أو أذى فإذا جاءت الآخرة لم يسأل عنه
ولم يعاقب وروت أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فأجابها بما هذا معناه وقيل إن كل ما كان في القلب مما
لا يدخل في العمل فإنه في محل العفو لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إن الله تجاوز
لأمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا ومعنى قوله وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه أن يدخل ذلك العمل في الوجود وأما ظاهرا
وأما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة إلى التزام النسخ وكذا لو قيل إن معنى كونه حسيبا ومحاسبا كونه عالما بالضماير والسراير
فيغفر لمن يشاء وإن كان من أصحاب الكباير لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة بالتوبة وهو تخصيص من غير دليل ويعذب
من يشاء والله على كل شيء قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والإيجاد والإعدام فعلى كل عاقل أن يكون له عبدا منقادا
خاضعا لأوامره ومراضيه ومحترزا عن مساخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون
فإن كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكما أن العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا يكلف
الله نفسا إلا وسعها إلى آخر السورة أو نقول إنه بدأ في أول السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب وبين في آخرها أن الذين مدحهم
في أول السورة هم أمة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا كما قال هناك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون وقال ههنا غفرانك ربنا وإليك المصير كما قال هناك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم إلى ربهم ربنا لا تؤاخذنا
إلى آخر السورة كما قال هناك أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون أو نقول إنه سبحانه لما ذكر في هذه السورة أنواع الشرايع والأحكام
بين أن الرسول اعترف بمعجزة دلت له على صدق الملك وحي من الله وصل إليه وأن الذي أخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من
التحريف وليس بشيطان مضل ثم ذكر عقيبه إيمان المؤمنين بذلك المعجزات أظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدل بها محمد على أنه صادق
في دعواه وهو المرتبة المتأخرة ومن تأمل في نظم هذه السورة وفي بدايع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وبلاغة
معانيه هو أيضا معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ثم ههنا احتمالان الأول أن يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى آمن الرسول
بما أنزل إليه من ربه ثم ابتداء بقوله كل آمن فيكون الضمير الذي التنوين نايب عنه في كل عايدا إلى الرسول والمؤمنين أي كل آمن بل كل واحد
ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين آمن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز أن يفرد بمعنى كل واحد ويجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه
داخرين ولهذا الاحتمال يشعر أنه صلى الله عليه وسلم ما كان مؤمنا بربه ثم آمن فيحمل عدم الإيمان على وقت الاستدلال وذلك أنه عرف بما
ظهر من المعجزات على يد جبريل أن هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرايع والأحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب إلقاء الشياطين
ولا من نوع السحر والكهانة والشعبذة الثاني أن يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال إشعار بأن
الذي حدث هو إيمانه بالشرايع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أما الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على الإجمال
فقد كان حاصلا منذ خلق من أول الأمر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما أن عيسى خلق كامل العقل حتى قال في المهد إني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فإنما خص الرسول بذلك لأن الذي أنزل إليه من ربه قد يكون متعلق بسمعه الغير ويعرفه فيمكنه أن يؤمن به
وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو صلى الله عليه مختصا بالإيمان به ولا يمكن الغير من الإيمان به واعلم أن الآية دلت على أن معرفة هذه
المراتب الأربع من ضروريات الإيمان المرتبة الأولى هي الإيمان بالله سبحانه فإن صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ والمرسل
والثانية الإيمان بالملائكة فإنهم وسايط بين الله وبين البشر ينزل الملئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى
الثالثة الكتاب فإنه الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله إلى النبي فمثال الملك في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر كما أن
القمر يستفيد من الشمس ويوصله إلينا فكذلك الملك يأخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الأنبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة
وهذا الترتيب مما يقتضيه حكمة عالم التكليف والوسايط والإفهام لجمع الذوق لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله
عليه وسلم وهذا سر يطلع منه على أسرار أخرى أنكت من أهلها ثم الإيمان بالله عبارة عن الإيمان بوجوده وبصفاته وبأفعاله وبأحكامه و
بأسمائه أما الإيمان بوجوده فهو أن تعلم أن وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالمجسم لا يكون مقرا بوجود الإله تعالى
فيكون الخلاف معهم في ذات الله وأما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لأنهم مقرون بوجود غير متحيز ولا
حال في المتحيز وأما الإيمان بصفاته فالصفات إما ثبوتية أو سلبية أو إضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالى بها وما لا يصح وكذا

في تفسير آية الكرسي وأما الإيمان بأفعاله فأن تعلم أن كل ما سواه فإنما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الأفعال التي تسمى اختيارية للحيوانات
وذلك أن مشية الإنسان محدثة منتهية إلى الله سبحانه فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على
قلوبهم وأما الإيمان بأحكامه فأن تعلم أنها غير معللة بغرض وإن كان يترتب عليها الفوايد وأن تعلم أن المقصود من شرعها منافع عايدة إلى العباد
لا إلى الله فإنه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وأن تعلم أن له الاستيلاء التام والحكم في الدنيا كيف شاء وأراد وأن تعلم أنه لا يجب على
الحق بسبب الأعمال شيء وأنه في الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله ولا يقبح منه شيء لأن الكل ملكه وملكه وأما الإيمان
بأسمائه فهي الأسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كتب أنبيائه المرسلة وقد مر في تفسير البسملة فهذا هو الإشارة إلى معاقد الإيمان
بالله وأما الإيمان بالملائكة فهو الإيمان بوجودها فأما البحث عن أنها روحانية محضة أو جسمانية محضة أو مركبة من القسمين وبتقدير
كونها جسمانية فلطيفة أو كثيفة وإن كانت لطيفة فنورانية أو هوائية فذلك مقام العلماء الراسخين في العلوم القرآنية والبرهانية
ويدخل في الإيمان بالملائكة اعتقاد أنهم معصومون وأن لذتهم بذكر الله وحبهم بمعرفته وطاعته وأنهم وسايط بين الله وبين
البشر فبهم وصلت الكتب إلى الأنبياء ولكل طايفة منهم مقام معلوم ونحن بمقسوم وأقسام هذا العالم وأما الإيمان بالكتب فأن يعلم أنها
وحي من عند الله وليس لأحد من المخلوقات أن يلقي فيها شيئا من ضلالاتهم ولا سيما في القرآن العظيم وأن من قال أن ترتيب القرآن على هذا الوجه
شيء فعله عثمان فقد أخرج القرآن من كونه حجة وطرق إليه التغيير والتحريف وأن القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه
وأما الإيمان بالرسل فأن يعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي أمر التبليغ وفي الفتيا وفي الأخلاق والأفعال كما مر في
قصة آدم وأن يعلم أن النبي أفضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وأن بعض الأنبياء أفضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وأما فضلهم على الملئكة فقد قال بعضهم أن الأنبياء أفضل من الملئكة وقال كثير من العلماء أن الملئكة السموية أفضل منهم وأنهم أفضل من الملئكة الأرضية
ومر تحقيق ذلك في قصة آدم أيضا وأن يعلم أن شرعهم وإن صار منسوخا الآن نبوتهم لم تصر منسوخة وأنهم الآن أنبياء ورسل كما كانوا وناقش
بعض المتكلمين في ذلك فهذه إشارة إلى أصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وأما من قرأ وكتابه على الوحدة فأما أن يراد به القرآن
ثم الإيمان به يتضمن الإيمان بجميع الكتب والرسل وإما أن يراد به جنس الكتب السماوية وأن اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الإحلال شايع في جميع الصيام قال العلماء قراءة الجمع أولى لشاكلة ما قبله
وما بعده وقيل قراءة الإفراد أولى لأن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب أكثر من الكتب ومن قرأ لا نفرق
بالنون فلابد من إضمار أي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء على أن الفعل لكل فلا حاجة إلى الإضمار ثم إن الجملة خبر بعد خبر أو حال وأحد في
معنى الجمع أي بين آحاد منهم فإن النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلح دخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض على أن المراد عدم التفريق في الإيمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على أيديهم حسب دعاويهم و
الغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم أن قوله آمن الرسول إلى قوله بين أحد من رسله إشارة إلى استكمال القوة النظرية بهذه
المعارف الشريفة وقالوا سمعنا وأطعنا إشارة إلى استكمال القوة العملية بالأعمال الفاضلة الكاملة أو نقول إن للإنسان أياما ثلاثة الأمس
والبحث عنه يسمى معرفة المبداء واليوم والبحث عنه يسمى الوسط والغد والبحث عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمن الرسول إلى قوله من رسله
إشارة إلى معرفة المبداء وقالوا سمعنا وأطعنا إشارة إلى الوسط وغفرانك ربنا وإليك المصير إشارة إلى علم المعاد ومثله في آخر سورة
هود ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله وهو معرفة المبداء لأن الكمالات الحقيقية ليست إلا العلم والقدرة وقوله لله
غيب السموات والأرض فيه بيان كمال العلم وقوله وإليه يرجع الأمر كله فيه كمال القدرة وأما علم الوسط وهو علم ما يجب أن يشتغل به
اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الأسباب وتفويض الأمور كلها إلى مسبب الأسباب
وهو قوله وتوكل عليه وأما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون أي ليومك عند من يصل إليك فيه نتايج أعمالك ومثله
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدا وسلام على المرسلين وفيه إشارة إلى علم الوسط والحمد لله رب العالمين إشارة
إلى علم المعاد كقوله وآخر دعويهم أن الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الأسرار إنما تكون بجذبة من ضيق عالم الأسرار إلى فسحة عالم
الأنوار أو نقول والمؤمنون كل آمن بالله إشارة إلى الأحكام العقليات وقالوا سمعنا وأطعنا إشارة إلى الأحكام السمعيات قال الواحدي
أي سمعنا قوله وأطعنا أمره وقيل حذف المفعول صونة ومعنى ههنا أولى ليفيد أنه ليس في الوجود قول يجب سمعه إلا قوله ولا أمر يجب
طاعته إلا أمره والسماع ههنا بمعنى القبول أي سمعناه بآذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا أن كل تكليف ورد على لسان الملائكة والأنبياء عليهم
السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال وأطعنا فدل هذا على أنه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما أخلوا بشيء منها فمدحهم الله تعالى
بهذين اللفظين كل ما يتعلق بأبواب التكاليف علما وعملا غفرانك مصدر منصوب بإضمار فعله أي اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك

من قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تعدموا جزاءه وفي الكشاف اي نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسالك غفرانك
فيكون مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال وللاستغناء به عن فعله نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو
ان القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فاي حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا ان يكون فرط منهم تقصير فيما يأتون وفي
يذرون او لعلهم كانوا يترقون في درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل ان حسنات الابرار سيئات المقربين
وقد حمل قوله صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولان جميع الطاعات في جنب من احب حقوق
الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى عن اهل الجنة دعويهم فيها سبحانك اللهم اي انت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا واخر دعو[اهم]
ان الحمد لله رب العالمين اي كل الحمد له وان كنا لا نقدر على هم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران
مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثاني بقوله ربنا اما القيد الاول فمعناه اطلب المغفرة منك وانت الكامل في هذه
الصفة والمطموع من الكامل في صفة ان يعطي عطية كاملة وما ذاك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها حسنات ويكون الاضافة فيه
اشارة الى ما ورد في الحديث ان الله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات فيها يتراحمون
ويتعاطفون واخر تسعة وتسعين جزءا الى يوم القيامة او لعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر اثرها في محل معين فلولا الوجود
بعد العدم لما ظهرت اثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته ونحوه الانبق لما ظهرت اثار مغفرتك ورافتك فانا اطلب الغفران الذي لا يمكن
ظهوره الا في حقي وفي حق امثالي من المذنبين واما القيد الثاني فمعناه ربيتني اذا وجدتني مع انك لو لم تربني في ذلك الوقت لم انضرر به
لاني كنت اربي في ولان لو لم تربني اتضرر به فاسالك ان لا تهملني او ربيتني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك ان لا تربيني وقد
افنيت عمري في توحيدك وربيتني في الماضي فاجعل ترغيبك الى التربية فيما يستقبل فان من اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير
حيث لا حكم الا حكمك ولا ينفع احد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له الحياة وله الممات قوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المومنين فوجه النظم انهم قالوا نسمع ونطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا وسعنا وطاقتنا
وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستانفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا المغفرة دل على انه لا يصدر عنهم ذلك الا على سبيل السهو
والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوة الخمس وصوم رمضان
والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من ذلك الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل عليكم في
الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رافته واعلم ان المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الاية استنبطوا منها اصلين الاول ان
العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كانت بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها الضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا
فتكليف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا كان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا
يطاق واما الاشاعرة فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان
لا يلزم التكليف بالنقيضين بل هو ممكن لذاته ممتنع لغيره وغير التكليف بالمستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجته قوية عنده
خصص الاية بها وورد في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من اهل النار
على انه لو جعلت من قول المومنين لم يبق فيها حجة ويحتمل ان يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب
اخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف ولهذا خص بجانب الشر لانه
على ان العبد لا يواخذ من السيات الا بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة في
الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كان بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدور افعاله منه مجرى
لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولا تثبت فايدة بالتكليف وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان
المذاهب فيه في تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالاية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين ان
لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح في ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم طرو احدهما زوال الاخر وقال الجبائي
تقدير الاية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفره بالتوبة واما اضمار هذا الشرط لان الثواب منفعة
دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية في ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب ابائهم والفقهاء تمسكوا بها في اثبات ان الاصل
في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسايل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت
والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان المقتضي لبقاء
الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع لا يسقط الضمان لوجود

المقتضى

المقتضي والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان منكري وجوب الزكوة احتجوا به
والجواب ان دلائل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المومنين اربعة انواع من الدعاء الاول ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطانا ومعنى لا تواخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا
ان الناسي قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله وصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير ان الله
ياخذ المذنب بالذنب والمذنب ياخذ ربه بالعفو والكرم اي يتمسك عند الخوف من عقابه برحمته وهذا معنى المواخذة بين العبد و
الرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو ان يترك الفعل لتاويل فاسد كما ان الخطاء هو ان يفعل لتاويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا
الله فنسيهم اي تركوا العمل لله فتركهم ان يثيبهم واما العقد الذكر ورد عليه ان النسيان والخطاء متجاوز عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه
ما لا يعذر فمن راى دما في ثوبه واخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان لزمه المبادرة الى ازالته وكذا لو تغافل
عن تعاهد القران حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك فنسي فانه يكون معذورا وروي انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد ان يذكر حاجة شد خيطا في اصبعه فثبت ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر
فاذا كان كذلك صح طلب غفرانك بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط و
الاغفال الثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين لله حق تقاته فما كان يصدر عنهم ما لا ينبغي الا على وجه
الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يواخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما يجوز المواخذة
به فلا تواخذنا به الثالث ان العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه في الدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله اما الاستدامة واما الاعتداد بتلك النعمة او غير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا واتنا ما وعدتنا
على رسلك وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مواخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المواخذة
بالاية والحديث فلما كان ذلك جايزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول
الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه جايز من الله تعالى عقلا لما ورد الله تعالى الى ترك المواخذة عليه وقد يستدل
على حصول العفو لاهل الكباير قالوا ان النسيان والخطاء لا بد ان يفسرا بما فيه التعمد والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسرا بالاعم فيه
فيه فالمواخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرا بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين ان يدعوه
بترك المواخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو صاحب الكبيرة مرجوا النوع الثاني ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم سمي به العهد والاصر لانه ثقيل والاصر والعطف لان من عطفت عليه ثقل على
تلك ما يصل اليه من المكاره يقال ما ياصرني على فلان ناصرة اي ما يعطفني عليه والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت
على من قبلنا من اليهود من المفسرين وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب ثوبه
نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فاجاب الله تعالى لهذا الدعاء كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال صلى
الله عليه وسلم رفع عن امتي النسخ والخسف والغرق وغالب اما هنا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب العقوبة
فقيل معناه ولا تحمل علينا عهدا وميثاقا يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول لكن بعض العلماء قال الغلظ
وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم في التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غالبة عليهم كانت مصالحهم في
التخفيف وترك التغليظ واما ان اليهود لخسة طبعهم وهذه الاسرار اللطافة والكرم فليس للناقل تفاصيل جميع التكاليف وما
لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من انواع الدعاء ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ومن الاصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق
اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان معنى قوله لا طاقة لنا به ما يشق فعله ان الذي قد يقال له في
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق
معناه ومعنى الاية المتقدمة ما يكون حينئذ واحدا فقد اولوا فقالوا المراد به العذاب اي لا تحملنا عذابا الذي لا نطيق احتماله
سلمنا انهم سألوا الله ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلافه وذلك كما قال قل رب احكم بالحق لا يدل
على جواز ان يحكم بباطل وكما قال ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون مع انه لا بد ان يخزي الانبياء جاز ان قيل المطالبة الشاق والحمل
والتكليف الذي لا قدرة عليه لا يحمل اوجب لان الحاصل فيهما الايطاق وهو التحمل به وقد الحمل مع المطلوبات لا يكلفه بالفعل الشاق كان
من اوله لانه الا يكلف ما لا يطاق وكان المناسب طرح هذا الدعاء لانا نقول من يكن الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر لانهم لما عنا انك
فانهم طلبوا الاعفاء من التكليفات الشاقة الذي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وانا على

الاشاعرة فمعناه سألوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا وهو تكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا ان لا يكلفهم التكليف الشاق
الذى لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم ام لا وقيل الاول طلب ترك التشديد فى مقام القيام بظاهر الشريعة
والثانى طلب ذلك فى مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وطاعته وشكر نعمه اى لا تطلب منا خدمة تليق بجلالك
ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك واما الفائدة فى حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع فى لا تواخذنا
ولا تحمل علينا فذلك لان اذا اجتمعت النفوس والهمم على شىء كان حصوله ارجى النوع الرابع واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف
النداء وهو قوله ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فتركه يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء بان مقام القرب والزلفى من
الله والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العقاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل
والفضيحة فان الخلاص من عذاب النار انما يطيب اذا حصل عليه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسمانى والثانى هو
العذاب الروحانى وبعد التخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان جسمانى وهو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا
وروحانى وهو اقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله انت مولينا ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولى لكل نعمة ينالونها وهو المعطى لكل
مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذى لا يتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذى لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح مولاه وبهذا
الاعتراف يحصل الوصول من عرف نفسه اى بالامكان والنقصان عرف ربه اى بالوجوب والتمام اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو
قوله فانصرنا على القوم الكافرين انصرنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ما سواك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها وعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما
البطلة قال السحرة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الايتين من آخر سورة البقرة ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم من اوتيت خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبى قبلى وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله انزل آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق
بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وروى الواحدى عن مقاتل بن سليمان انه لما اسرى بالنبى صلى الله عليه
وسلم الى السماء اعطى خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة ان الله عز وجل اكرمك بحسن الثناء بقوله آمن الرسول فسله وارغب اليه
فعلمه جبريل كيف يدعو فقال النبى صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال الله لا اواخذكم
فقال لا تحمل علينا اصرا فقال الله لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا فقال لا احملكم ذلك فقال فاعف عنا واغفر لنا وارحمنا
فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصرتكم على القوم الكافرين وفى بعض الروايات ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذه
الدعوات والملئكة كانوا يقولون امين يارب العالمين **التاويل** الانسان مركب من عالمى الامر والخلق له روح نورى من عالم الامر
والملكوت وله نفس ظلمانى فى عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه بغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها
وتحليتها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة فى قوله وان تبدوا ما فى انفسكم مودع من انوار
الاخلاق الروحانية فى الظاهر باعمال الشريعة وفى الباطن باحوال الحقيقة او تخفوه بانوار ظلمات الاوصاف النفسية فى الظاهر
بمخالفات الشريعة وفى الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول انوار الروح او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس
فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه ببعد
فرقة العلى الكبير والله على كل شىء قدير من اظهار اللطف والقهر على تركيبة عالمى الامر والخلق قدير لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى سدرة
المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فاجاب
بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمن الرسول عيانا بما انزل اليه من ربه فقال عن كمال رافته بامته والمؤمنون كل آمن
بالله الى قوله سمعنا واطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون منى فى جزاء السمع والطاعة فقال النبى غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الا ان
تسترهم بستر الى فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيرى اليك لا الى سواك قال الله تعالى فى جوابه لا يكلف الله نفسا الا
وسعها انك فى مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولهذا قال لجبريل لو دنوت انملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين
اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم فى سماء واقفون حيثهم رحمتى كيلا تحرقهم سبحات وجهى وسطوات قهرى فكيف اكلف امتك المذنبة
المرحومة بهذا المصير وانا بضعفهم عليم بصير وانما بلغتك هذا المقام حتى جاوزت الرسل الكرام انى اتخذتك حبيبا قبل ان اخلقك وخلقت
الكائنات لمحبتك وان امتك اكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتى اياهم ما داموا فى متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله فبقدر ما كسبت امتك من انوار متابعتك تنحى المصير الى حضرة جلالنا وشواهد جمالنا وعليه ما اكتسبت بالتوانى من ظلمات
متابعتك ينساهل المصير الى دركات السعير فانه يسكن الله هذا الخطاب واخرى الغمة سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطانا اى لا تعاقب امتى ان نسيت عهدك الذى عاهدتهم ان يحبوك ولا يحبوا غيرك او اخطات طريق طلبك ولكن ما اخطات طريق

عبوديتك فلم يعبدوا غيرك وانت قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا
اسير النفس الامارة فتعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف
عنا حجب انانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولنا وولينا فى رفع وجودنا وتامرنا فى نيل مقصودنا
فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك واعتاق الصير اليك على قمع الانانية التى تمنعنا من وجدنك

بينى وبينك انى ان ينازعنى فادفع بجودك انى من البين

حسبى الله ونعم الوكيل ٥

سورة آل عمران ايها مائتان كلمها ثلثة الاف واربعماية وثمانون حروفها اربعة عشر الف وخمسماية وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس
وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله
عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء هو الذى
يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم
هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم
يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف
الميعاد ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون والذين من
قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب

القراءة الم الله مقطوع الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمى الباقون موصولا بفتح الميم ممالة حيث كان
ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف والبخارى عن ورش والخراز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد كتاب حيث كان بغير همزة ابو عمرو وغيره

شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف **الوقوف** الم كوفي مختلف فان غير الاعشى والبرجمي
ويزيد والمفضل يصلون الا هو القيوم والانجيل الفرقان شديد انتقام في السماء كيف يشاء الحكيم متشابهات لاستيناف
تفصيل وابتغاء تاويله لان الواو يصلح استينافا والحال اليق الا الله عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون يعلمون تاويل
المتشابهات كما يعلمه الله ومن لم يحترز من هذا وجعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس والتاويل وجعل
المحكمات الاصول النصوص المجمع عليها عطف قوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له ان لا يقف على الا الله امنا به
لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب رحمة للابتداء بان والاحتمال
لام التعليل او فاء التعقيب للتسبيب الوهاب فيه الميعاد شيئا النار لتعلق كاف التشبيه فرعون للعطف من قبلهم باياتنا للعدول
مع فاء التعقيب بذنوبهم العقاب **التفسير** اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني
ان يكون على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه قولان احدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف
ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدانا به تثبت
الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف والقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها في حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة
مبتدا بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة
في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست هي المنقولة من
همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون
انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم
احدهم اميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رايهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب
مدراسهم يقال له ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وايل وكان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده
في دينهم فلما قدموا نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز اخوه
تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال
فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا بمحمد لاخذوا منا كل هذه
الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون بقولهم هو الله بانه
كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له
اب يعلم ويحتجون على ثالث ثلثة بقول الله فعلنا وجعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقد حانت وقت صلوتهم فقاموا فصلوا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا
فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتاكلون الخنزير قالوا
فمن ابوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك اول سورة ال عمران الى بضع وثمانين منها ثم اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت
وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا
لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا
صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل انتم تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام ولا يشرب ولا يحدث الحدث
وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ووضعته كما تضع المراة وغذي كما يغذى الطعام الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب
ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا ثم جحدوا ثم قالوا يا محمد الست تزعم انه كلمة
كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فنزل فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية وتمام القصة يجيء في اية المباهلة ان شاء
الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم عجيب ونسق انيق وذلك ان اولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه في شان الاله
او في امر النبوة اما الاول فالحي القيوم معه لانه تعالى حي قيوم كما مر في تفسير اية الكرسي فان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان له ياكل
ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع ذلك القتل عن نفسه فهذه الكلمة اعني قوله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة
لجميع وجوه الدلالة على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى فقوله وانزل التورية
والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتموني ان التورية والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على [illegible]

بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجزة قايمة في كون القران نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب
تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك علة لمن ينازع في دينه فلا جرم ختم بالتهديد
والوعيد فقال ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد وانما خص القران بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير
حاصلا فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فالمراد ههنا نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم
معنى قوله بالحق انه صدق بما تضمنه من الاخبار عن الامم او ان ما فيه من الوعد والوعيد ويحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقايد و
الاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم
على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا او في قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لساير الكتب المتقدمة لان من هو على
مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة وان كان مفتريا استحال ان يسلم من التحريف والخلاف وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا
الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرايع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه
فالجواب ان هذا اللفظ صار مطلقا في معنى التقدم او لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدم
من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقران وبالرسول ودالة على احكامها تثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة
عند نزول القران كانت موافقة وكان القران مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القران مصدقا لها لان المباحث
الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتورية والانجيل اسمان عجميان احدهما بالعبرية والاخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما
لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف بعض ذلك فقال التورية معناها الضياء والنور من ورى الزند اذا قدح وظهرت النار
فالتورية بفتح الراء والياء وهذا قلب الياء الفا وتورية بكسر الراء تفعلة مثل توفية الا ان الراء فتحت على لغة طي فانهم يقولون
نادية ناداة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما
الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل اي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت الشيء استخرجته اي انه تعالى
اظهر الحق بسببه ابو عمرو والشيباني الناجل النازع سمي بذلك لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل ان نزل القران
وهدى للناس اما ان يكون عايدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القران بانه حق ووصف التورية والانجيل بانه هدى وانما
لم يوصف القران بانه هدى مع انه قال هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقران فذكر انه حق
في نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم القايلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون الى الكتب
الثلثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان فان قيل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق بين الحق والباطل وقيل
اي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف اخر فيكون كما قال الى الملك القرم ابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقيل اي
الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شيء من الشرايع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية
المواعظ هي التزام الاحكام المعلومة فيؤل الى ذلك وقيل كرر ذكر القران بما مدح له ومدح ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما
لشانه واظهار الفضله وفي التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز القاهر الذي
يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام المخلوقين ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلايل
وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عن دلايله فان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بايات الله من كتبه
المنزلة وغيرها من دلايل لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب اذ لا احد لقدرته ذو انتقام له انتقام عقاب شديد لا يقدر
على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقمت اذا كافاته عقوبة بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام
اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شيء لما ذكر انه
حي قيوم والقيوم هو القايم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بجميع حاجاتهم كما وكيفا
وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا من كان عالما بجميع المعلومات اشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه
شيء والثاني لا يتاتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات واشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه لما ادعى كمال
علمه بقوله ان الله لا يخفى والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوف على العلم بكونه تعالى عالما
بجميع المعلومات بل الطريق الذي ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصوركم في الارحام ظلمات هذه البنية العجيبة والتركيب العجيب
الغريب من اعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها اعظام وبعضها اوردة وبعضها شراين وبعضها عضلات ثم بعضها الى
بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى

لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية واشرفها تعديل الروح واشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وروحانية
واشرفها العلم فلاجرم اشار الى ذلك بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب ويحتمل ان تنزل هذه الايات على سبب نزولها وذلك ان
النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا في ذلك على نوعين من الشبهة احدهما يتعلق بالعلم وهو ان عيسى ع كان يخبر عن الغيوب وذلك
قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم والثانية يتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى
شبهة غيرهاتين فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فمن المعلوم بالضرورة من احوال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات
فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض المغيبات لا يدل على كونه الها لاحتمال انه
علم ذلك بالوحي والالهام وازال شبهتهم الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في
الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة
بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لاماتا اولئك الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتته بعض الاشخاص واحياؤه
لا يدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن مقدمات الشاهدين الى مقدمات الزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقوننا على انه
ما كان له اب من البشر فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله هو الذي يصوركم لان هذا المصور لما كان منه فان شاء صوره من
نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب وايضا قالوا الرسول صلى الله عليه وسلم الست تقول ان عيسى كلمة الله
وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ يحتمل الحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث
يخالف الدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التاويل وتفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي انزل عليك
الكتاب الاية فظهر انه ليس في المسئلة حجة ولا شبهة الا وقد اشتملت هذه الايات على دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة
في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلنا الغرض تفهيم كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى
لعظمتهما في الحس والحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك اكمل وهذه فائدة ضرب الامثلة في العلوم
قال الواحدي التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة حاصلة للشئ عند ايقاع التاليف بين اجزائه واصله من صاره اذا
اماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمي رحما
لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده وكيف في موضع الحال اي على اي حال
اراد طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة
التوحيد ردا على النصارى القائلين بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال
العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب واحياء بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسائل
الاولى القران دل على كليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت اياته الر تلك ايات الكتاب الحكيم والمراد كون كله كلاما حقا
فصيح الالفاظ صحيح المعاني فانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه ودل على انه بتمامه
متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والاعجاز والبراءة عن التناقض والتناقص ثم ان
هذه الاية هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دل على ان بعض القران محكم وبعضه
متشابه فيعني ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والماول كما تقرر في المقدمة
التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس
من الاضطراب وفي حديث النخعي حكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي واما التشابه
فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدي الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم السبب على المسبب و
نظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الايات الموافقة لمذهبه محكمة وللقول لخصمه
متشابهة فالمعتزلي يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤون الا ان يشاء الله متشابه والسني يقلب الامر وكذا المعتزلي
يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد من قانون يرجع اليه فنقول صرف
اللفظ من الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا البتة لتوقفه على نقل اللغات
وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي وكل
ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ
عن معناه الراجح الى معناه المرجوح الا بالدلائل القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف
انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لان السبيل

الى التاويل انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تاويل على تاويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما
المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح احرى فالخوض في تعيين التاويل غير جائز والله اعلم المسئلة الثانية في حكاية اقوال في
المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الانعام قل تعالوا اتل الى اخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف
الشرايع لان هذه الاي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كاوائل السور واولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة
فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لا محالة
كاخبار الله عن انشاء الخلق في قوله خلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتامل كآيات البعث فان التامل يجعلها
محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل بيانها واخفائها خلافه فذلك قريب مما ذكرنا
من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والماول وان عنى بالواضح ما علم صحته بدليل العقل فكل القران متشابه فان انشاء
الخلق ايضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسبه الى الطبيعة والمنجم الى تاثير الكواكب ولعل الاصم يسمي ما هو ابعد من الغلط
لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو عرضة لذلك متشابها وقيل كل ما امكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل
خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذلك هو المتشابه
المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القران محكما وبعضه متشابها [illegible] ثم كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه
المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ
ناظرة الى ربها ناظرة ونافيها يتمسك بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى
والنافي ليس كمثله شئ فكل منهم يسمي الايات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وبما آل الامر في ترجيح بعضها
على البعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكيم مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا عن المتشابه نقيا
كان اقرب الى حصول الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة
يوجب مزيد الثواب وايضا لو كان كل محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن
النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم
معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت مفسرة للمتشابهات ويتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وايضا اذا كان فيه
محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى استعانته بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطلا
وافتقر ايضا الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان واصول الفقه واصول الكلام الى غير ذلك ولما في المتشابه
من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب قوي وهو ان القران كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام
وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار
اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل
على الحق الصريح فالاول هو الذي يخاطب في اول الامر من باب المتشابهات والثاني هو الذي يكشف لهم اخرا الكل من قبيل
المحكمات قوله هن ام الكتاب الام في اللغة الاصل الذي يكون منه الشئ فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما
تصير مفهومة باعانة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات الكتاب ليطابق المبتدا لان
مجموع المحكمات في شئ واحد هو اصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وامه اية على معنى ان مجموعهما اية واحدة
واخر اي ومنه ايات اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه
وقال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروح منه قال بلى قال
فقالوا حسبنا فقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في اوائل السور وقال قتادة والزجاج
هم منكرو البعث لانه قال في اخره وما يعلم تاويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى اخفاها عن الخلائق حتى
الملائكة والانبياء عليهم السلام والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب
لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا
يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولو ما تاتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب
استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان والا لزم انقسامه
وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة
على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا

تسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض وثبت ان الكل بقضاء الله وقدره
واذا لاحت الدلايل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمي الايات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على المشهور بين الجمهور
من ان كل اية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل اية توافق مخالفهم فهي المتشابه والانصاف ان الايات ثلثة اقسام احدها ما تاكد
ظواهرها بالدلايل العقلية فذلك هو المحكم حقا وثانيها التي قامت الدلايل القاطعة على امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم
فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلايل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه
فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الاخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي مختلف فيه ايضا بحسب ما اثبته كل فريق ويخيله صادقا
في طلبة مادة وصورة فكل فرقة تدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه وتاكيد الظاهر الذي تعلق به فلا خلاص
من البين الا بتاييد سماوي ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزايغين غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وهي
في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بابنه وشعره فكان التمسك بذلك المتشابه يقرر
البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عنه بحيلة البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عنه اي طلبا ان يفتنوا
الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى
التقاتل والهرج والمرج فذلك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تاويله اي طلب المعنى الذي يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير
ان يكون قد وجد له في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هولاء الزايغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين احدهما ان يحملوه على غير الحق
وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تاويله ثم قال عز من قايل وما يعلم
تاويله الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعايشة والحسن
ومالك بن انس والكسايي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبايي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى
يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك
وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر المتكلمين وقد روي عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان اما
فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قدروا اما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى
منه على ان ذلك الظاهر غير مراد الله علم ان مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا
بالترجيحات اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به في المسايل القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على
ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الاية ما اشعر به ظاهرها الا ان في المجازات هذا اللفظ كثرة ولا يتعين
احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جايز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن انس الاستواء معلوم
والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسوال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الاية ذم لطالب تاويل المتشابه حيث قال واما الذين
امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهولاء الراسخون لو كانوا عالمين بتاويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في
قولهم كل من عند ربنا ان كل من عرف شيا على التفصيل فانه لا بد ان يومن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلايل القطعية ان
الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القران كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا اية ودلت الدلايل القاطعة
على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى منه غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان
ذلك المعنى اي شيء كان فهو الحق والصواب فهولاء هم الراسخون في العلم بالله حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد
عن الايمان بالله والجزم بصحة القران ولم يصيروا كمن ظاهره مردود اشبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا
على اسم الله فقوله يقولون امنا به كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون امنا بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد
من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتاكيد وتفخيم لشان القران ويحتمل ان يعود الضمير في امنا به الى الكتاب اي يقولون
امنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كلامه ويحتمل ان يكون قوله يقولون حالا الا ان
فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا
الالباب ما يتعظ الا ذووا العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القران فيعلمون ان الذي يطابق ظاهره دلايل العقل
فيكون محكما وما الذي هو بالعكس فيكون هو متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه
لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عنا فهمه وقيل هو مدح الراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل حتى علموا من التاويل ما علموا
ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا التي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم وهب
لنا من لدنك رحمة سالوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مايلة الى الاباطيل والعقايد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين

جوارحهم

جوارحهم واعضائهم بزينة الطاعة ونكر رحمة ليشمل جميع انواعها فاولها ان يحصل في القلب نور الايمان والتوحيد والمعرفة
وثانيها ان يحصل في الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من
الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السوال والظلمة والوحشة في
القبر وسادسها في القيمة سهولة العتاب والخطاب وغفران السيات وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستار ورؤية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود
لا يحصل الا من عنده ويؤيده قوله انك انت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك
ونهاية جودك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل
الى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية
الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد في القران وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق
والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلب المومن بين اصبعين من اصابع
الرحمن يعني الداعيتين ومما يوكد ذلك ان الله تعالى مدح هولاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يومنون بها على سبيل
الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من اقوى المحكمات وهو ظاهر
في ان الازاغة والهداية كلتيهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلايل على ان الازاغة لا يجوز ان تصدر من الله تعالى
لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال الجبايي واختاره القاضي المراد ان لا تمنع قلوبهم الالطاف التي معها يستمر
قلبهم على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته وصار محتاجا
وقال الاصم لا تبتلنا ببلوى تزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا يا من معه الزيغ وقد يقول القايل لا تحملني على ايذائك
اي لا تفعل ما لم ير عنده موذيا لك وزيف بان التشديد في التكليف قبيح اي علم الله تعالى ان له اثرا في حمل المكلف على القبيح والا
فوجوده كعدمه فلا فايدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزايغ كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف
بان التسمية دايرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد فالتسمية ايضا بسببه وقال الجبايي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك
وهو كالاول الا ان يحمل على شيء اخر وهو انه تعالى اذا علم انه مومن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية لكفر اماته في هذه
السنة ورد عليه انه لو كان علمه بانه يكفر في هذه السنة الثانية يوجب عليه ان يميته لكان علمه بان لا يومن قط ويبقى على الكفر طول
عمره يوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته
لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن
الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السوال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض فيما
يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت او جامع الناس لجزاء يوم فحذف
المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المومنين لقيل انك لا تخلف الا ان
يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سايله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف
للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع قاله في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد
الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما انه بالاتفاق مشروط بشرط عدم
التوبة بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند
العرب وقال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده وان وعد الضراء فالعفو مانعه وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن العبيد فقال ما تقول
في اصحاب الكباير فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو انك اعجم لا اقول اعجم اللسان
ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد واني وان اوعدته او وعدته لمكذب ايعادي و
منجز موعدي وذلك لان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو
اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه
دخول الكذب في كلام الله ثم انه سبحانه لما حكى عن المومنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم فقال ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه
اني لاعلم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا يدفع
عنهم عذاب الله في الدنيا والاخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به

ويجتمع عليه جميع الاسباب المولمة اما الاول فاليه الاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الامور
التي يفزع المرء عند الخطوب واذا لم يغنيا اقرب الطرق الى دفع المضار في ذلك اليوم اعداه بالتعذيب اولى ومثله يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير واما الثاني فاشار اليه بقوله
واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس ومن في قوله من الله البدل
مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله او طاعته شيئا او في
الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد ابو علي
شعر فليت لنا من ماء زمزم شربة ٭ مبردة باتت على طهيان ٭ وطهيان من بلاد الازد قلت ويجوز ان يقال من للابتداء تقديره
من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيء او من زايدة لتاكيد النفي التقدير لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغنا اي لن تدفع
وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كداب آل فرعون يقال داب فلان في عمله اي جد وتعب دأبا
ودؤبا فهو دائب وادأبته انا والدائبان الليل والنهار والداب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنع وحالة وقد تحرك واصله من
داب الطلاع فالاسم للخاص على العام اي جد هولاء الكفار واجتهادهم او شانهم او صنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كداب آل فرعون
مع موسى ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هولاء فقوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم على انه جواب سوال مقدر كانه قيل ما فعلوا
وما فعل بهم فقيل كذبوا باياتنا المعجزات الدالة على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم اي صاروا اعتدوا بل العذاب كالماخوذ الماسود
الذي لا يجد على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كداب الله في آل فرعون اي يجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعته في آل فرعون
والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل ان يكون الاية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة
الى الكفار كانه قيل ان عادة هولاء الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة من قبلهم في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك اولئك الكفرة
وقيل الدعب والداب اللبث والدوام والتقدير دوبهم في النار كدوب آل فرعون وقيل شقتهم وتعبهم في النار كشقة آل فرعون
بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل المشبه هو ان اموالهم و
اولادهم لا تنفعهم في ازالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب الذي عنده لم ينفعهم
مال ولا ولد فكذا حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد ينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغني عنكم الاموال والاولاد ويحتمل ان يكون وجه
التشبيه انه كما نزل من تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صاروا الى دوام العذاب وهو قوله والله
شديد العقاب فسينزل بمن كذب بمحمد امران احدهما المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة بقوله فيما بعد
قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدايم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد **التاويل** الم الالف اشارة الى
الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب ومنفرد بالاولية والانقطاع عن غيره في وضع الحروف
ويشير باستقامته وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحداني ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان
من استقامته يخرج كل حرف معوج ثم في اللام والميم للتصل كل حرف منهما بالاخر اثبات ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك
قسمان قسم لم يكن وكان ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان القسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي ما زال كان ولا يزال
يكون واليه الاشارة بالالف واما اللام فاشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد فوقوعه
في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكار فيه يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم
الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك ان الميم اول حرف من اسمه المبدل وآخر حرف من اسمه القيوم
فيشير الى انه كان ابداء المبدي حين لم يكن بقيمة القيوم حين كان لا يزال وبوجه آخر الالف اشارة الى وجود حقيقي قايم بذاته واللام يشير
الى اثبات ونفي فالاثبات في لام التمليك له ما في السموات والارض والنفي في لا النافية اي لا وجود لشي بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا
الى اثبات ونفي فالاثبات ميم اسمه القيوم والنفي ما النافية اي ما في الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشريك عن وجوده واثبات وحدته في وجوده والحي القيوم اثبات جميع صفات كماله ونفي جميع
سمات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معاني هذه الاية في قوله الم فمعنى قوله الله اودع في اول حرف من حروفه وهو الالف ومعنى قوله
لا اله الا هو اودع في اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم اودع في آخر حرف من حروفه وهو الميم وانما اودع في آخر
حروفهما ليكون السر مودعا في الاية من اول حرفها الى آخر حرفها مكنونا فيما بينهما والحروف الثلاثة من قوله الم يكون الالف من اولها دالا
على المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهو الله واللام من اوسطها دالا على المعنى الذي في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من آخرها دالا
على المعنى الذي مودع في الثالثة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روى عن سعيد بن جبير وغيره وهو سر القرآن ومفهوم

كما روى عن ابي بكر الصديق وعلي رضي الله عنهما ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم
اظهر الطاف ربوبيته المكنونة في استار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه فقال نزل عليك الكتاب بالحق اي نزل حقايق القرآن
وانواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن نفسك فصرت مشاهدا لسر الله المودع في الم وهو الذي بين يدي الله لا اله الا هو
الحي القيوم فصرت مصدقا للتصديق تحقيق لا تصديق تقليد فانهم اذا لم تعلم ولا تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وانت بعد بيضة
لا من الطيارين ولا من السايرين وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظنن يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل
القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلي انواره باسراره وحقايق بيني وبينك لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل
وانما انزال الكتاب على الانبياء كلهم بالصورة مكتوبة في صحايف والواح يقراها كل قاري ويستوي في هداها الانبياء والامم
قاطبة هدى للناس وكونه مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القرآن بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من
عبادنا وانزل الفرقان الذي يفرق بين تنزيله على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء ويفرق بين تعلمك القرآن وبين تعلمهم الكتب
فانهم كانوا يتدارسون الكتب فانت تتخلق بالقرآن شتان بين نبي يجيء وهو بنفسه نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
وبين نبي يجيء من الكتاب ثم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبي تشرف بكتابة الموعظة او في الالواح
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين من تشرف امته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بايات الله
يسترون بحجب الغفلات ويتبع الشهوات قلوبهم منعا عن مشاهدة هذه الايات البينات لهم عذاب شديد من هذا العمى والحرمان
وهم في خسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام يعز اهل الغرام بنيل المرام وينتقم من اهل السلو بحجاب
العزة ثم اخبر عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن النقص والاحكام حكيم فيما يجري من الازل الى الابد وجفت به الاقلام وفي الاية اشارة الى انه اذا
سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة من رحم قلبه مريد صادق يستسلم التصرفات ولاية الشيخ ويحفظ بها بر ملك
الارحام ويضبط المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصدر منه حقيقة حركة عنيفة
او يجد رايحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف ولاية الشيخ المويد بتاييد
الحق بمرور كل اربعين عليه بشرايطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظاير القدس ورياض الانس التي منها
صدر الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله في ارضه فيستحق الان ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيا
واوليايه يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته
فيسجد له بالخلافة الملايكة كلهم اجمعون الايات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات
تاويلها شرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ البست قلوبهم غطاء الريب
وحرموا انوار الغيب وهم اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوايهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس
باهوايهم والراسخون في العلم يقولون امنا به بما شاهدوا من انوار الحق في تحقيق التاويل كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه
وتعريفه وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم من ظلمات قشور وجودهم النفساني
الذي هو لب الباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقايق الباب العلوم اللدنية
من لدن حكيم خبير وفي الاية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات
واشهدهم بشواهد الربوبية الست بربكم فبشهود تلك الشواهد ركز في جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد
كما قال وعلم آدم الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتقلب بقدم الاربعين
من حال الى حال ومن مقام الى مقام من مقامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة به الى
اسفل السافلين القالب محجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والنطق بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقراين حتى
يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذي اجاب به الرب وقال بلى
فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب ذلك الوجود المستمع
المجيب في الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذي استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي ابصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب
الذي فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبي صلى الله عليه وسلم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم
التي كان ابواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما انت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب
انما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بغلبات ظلمات طبايعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك ونور

جما للتحى بمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب ابصارنا لب التاويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك
رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغيبنا عنا بك تحال بل نكون الى الابد حلا بك كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه
لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه وان بعد هذه الدار دارا هى دار القرار يوفى فيها جزاء الابرار والفجار لحصول الادب
بقدر رعاية الادب فى الطلب ومقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا
ستروا انوار وحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغنى عنهم طاغوت اموالهم ولا ادهم من انوار الله التى حجبوا عنها واولئك
هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التى لا تحرق الا قشر الجلد ولا تخلص
الى القلوب وان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات
شعر فى فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها وكذلك داب جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات
النفس فعموا وصموا عن شاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله ضاقهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب
اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشواقه شعر بالنار خوفنى قومى فقلت لهم النار ترحم من فى قلبه نار ٥

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد
قد كان لكم اية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله و
اخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من
يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار ● زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب و
الفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع
الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب ● قل أؤنبئكم بخير
من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير
بالعباد ● الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا
وقنا عذاب النار ● الصابرين والصادقين والقانتين و
المنفقين والمستغفرين بالاسحار ● شهد الله انه لا اله الا هو
والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم ● ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين

اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن
يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب ● فان حاجوك فقل اسلمت
وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ
والله بصير بالعباد ● ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم ● اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا
والاخرة وما لهم من ناصرين ● الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم
معرضون ● ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون ● فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ●

القراءة سيغلبون ويحشرون بياء الغيبة حمزة وخلف وعلى وعباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب
ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بضم الهاء سهل ويعقوب وكذلك ما انفتح قبل الياء مثل عليهم رأى العين
بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ابو الباقون بهمزة ساكنة اؤنبئكم بهمزة غير ممدودة
بعدها واو مضمومة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس واوقية وابى شعيب ونافع غير قالون اؤنبئكم بالمد والواو المضمومة
يزيد وقالون وعباس واوقية وابو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمى
وافق يحيى وحماد الاعشى من ابتع رضوانه فى المائدة ان الدين بفتح ان على الباقون بالكسر وجهى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر
غير البخارى عن هشام وحفص وللمفضل والاعشى والبرجمى ومن اتبعنى باثبات الياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق
ابو عمرو وابو جعفر ونافع غير قالون فى الوصف ويقاتلون الذين حمزة ونصير فى رواية على بن ابى نصير الباقون ويقتلون
ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ابو جعفر الباقون بالعكس الوقوف جهنم المهاد التقتا لان التقدير منهما فئة واحدهما العين
من يشاء الابصار والحرث الدنيا للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المآب من ذلكم لتناهى الاستفهام من الله بالعباد
للاية على جعل الذين خبر مبتدا محذوف اى هم الذين او مدحا على اعنى الذين ويجوز انه نعت للعباد او للمتقين النار لان الصابرين
يصلح بدلا للذين والوقف اجوز نصبا على المدح بالاسحار الا هو للعطف ولو وقفا احترازا عن وهم دخول الملائكة واولى العلم فى
الاستثناء والمشاركة فى الالوهية كان جيدا بالقسط الحكيم لا لمن قرأ بالفتح على البدل من انه الاسلام بينهم لاطلاق حكم غير مخصوص
بما قبله الحساب ومن اتبعن للابتداء امر يشمل اهل الكتاب والعرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثانى من جملة جزاء الشرط اسلمتم
لتناهى الاستفهام اى الشرط اهتدوا للابتداء بشرط اخر مع العطف البلاغ بالعباد بغير حق لمن قرأ ويقاتلون لعدول المعنى من قوله يقتلون

اليم والآخرة للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين معرضون معدودات لان الواو للعطف والحال يفترون
لا يظلمون **التفسير** عن ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الامي الذي
بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وارادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا
الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء
فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين
راكبا الى اهل مكة ابي سفيان واصحابه فوافقوهم واجمعوا امرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم
هذه الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا
ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا
قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت
قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود
ستغلبون تهزمون وتحشرون الى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم
مشركوا مكة يعني يوم بدر ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما يجري عليهم من الغلبة والحشر اي لفظا ادوا ومن قرأ
بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي قل لهم قولي لك ستغلبون وفي الآية حجاج للقائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر
عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو امنوا واطاعوا لانقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وقوله
سيغلبون وقد وقع كما اخبر اخبار عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية في فئتين التقتا يوم بدر فئة اي
احديهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته واخرى كافرة هم كفار
قريش وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه احدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد
والعدد كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا بين كل اربعة منهم بعير ومنهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا
غير قاصدين للحرب فلم يتاهبوا ومنها ان ذلك ابتداء عادة في الحرب لانها اول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
وكان قد حصل في المشركين اضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلا فيهم ابو سفيان وابو جهل ومعهم مائة فرس و
سبعمائة بعير واهل الخيل كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان
كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى
في قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني جمع قريش او عير ابي سفيان وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان فوقع الاخبار عن الغيب معجزا وثالثها امداد الملائكة كما يجيء في هذه السورة ورابعها في قوله يرونهم مثليهم
الى كل منهما فهذه اربعة الاول ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثل عدد المشركين قريبا من الفين الثاني انها رأت المسلمين مثلي
عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين
مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين جميعا ان عود الضمير في يرون الى الاقرب وهي الفئة الكافرة اولى ولانه يجب ان يجعل هذه
الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب ان يكون الراؤن هم الكفار حتى يكون حجة عليهم ولو كانت الآية
مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها آية حجة على الكفرة فالحكمة في ذلك انه تهابهم المشركون ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا ينافي
قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في
اعينهم وكثروا بهم اخرى ابلغ في المقدرة واظهار الآية الاحتمال الثالث ان الرائين هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون
رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى وان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلثة امثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع ان الرائين هم المسلمين
ثم انهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب نصرة الكفار وايقاع الخوف
في قلوب المؤمنين والآية نازلة في ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان اول الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد
ترون ايها المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمال الاول والثاني يقتضي ان المعدوم صار مرئيا والاحتمال
الثالث يوجب ان يكون الموجود والحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى
انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وعلى هذا يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال ويحمل الرؤية على الظن

والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة لكن قوله رأي العين لا يجاوب ذلك اذ معناه رؤية
ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرايط وصحة
الحاسة يكون الادراك عندهم جائزا لا واجبا والزمان كان زمان خوارق العادات واما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول
عند اجتماع الشروط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ التامل البالغ فقد يرى البعض دون
البعض او لعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض او خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر او يحدث
في عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في عيون الحول ما يرون له الواحد اثنين وكل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء
اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والعاقبة كيوم احد ان في ذلك الذي ذكر من الآية لعبرة نوع عبور وهو التجاوز من منزل
الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار ذوي العقول التي تبصر القضايا منها كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان
المعتبر الانسان وهو انه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم الروحانيات خير وابقى فانها معدة لمن واظب
على العبودية واتصف بالخصال الحميدة واما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان ابا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لاخيه
بانه يعرف صدق محمد الا انه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام
بعد غزوة بدر اظهروا من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة فبين الله تعالى في هذه الآية ان تلك الاشياء متاع
الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين هو الله تعالى اما عند الاشاعرة فلانه خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان
فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند جمهور المعتزلة فلحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا ولانها وسايل الى منافع الآخرة وهو ان يتصدق بها او يتقوى بها على طاعة الله او يشتغل بشكرها كان
الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات
اذا تركها واقبل على اداء وظائف الخدمة كان اشق له واكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا
او مندوبا او مباحا فالتزيين فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن انه قال الشيطان
زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتج في الآية بانه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة
الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير لهذه الغاية لا يليق الا لمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده
وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل اؤنبئكم بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا
فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهيات شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
وذلك التعلق والاتصال كما يقال للمقدور قدرة وللمرجو رجاء وفيه فائدة اخرى وهي ان الشهوة صفة مسترذلة عند
الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون
في الآية دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من
افعال العباد وهي ان يجعل الانسان كل همه مصروفا الى اللذات والطيبات واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولا يحب ان
يحبه [illegible] وقد يعلم ان ذلك الحب حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة ومنه قوله تعالى
حكاية عن سليمان اني احببت حب الخير ومعناه احب الخير واحب ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك الا ان
الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام دخله التخصيص فظاهره يقتضي ان هذه المحبة عامة لجميع الناس وكذلك موجود في الاغلب وفي اكثر
الاوقات فلا يبعد التعميم نظرا الى الاغلب [illegible] في غاية
الندرة وبقاء ذلك النادر في جميع الاحيان على ذلك الحال [illegible] في بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها
ما هي الامهات وجعلها في سبع مراتب الاولى النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستئناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي النسوان الثانية الاولاد و
لا سيما البنون [illegible] بقاء النسل الثالثة
والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار مأخوذ من عقد الشيء واحكامه ومنه القنطرة والمال
الكثير قنطار لان الانسان يتوثق به [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم القنطار
اثنا عشر الف اوقية [illegible] الف دينار [illegible] ابي بن كعب [illegible] الف ومائتا اوقية ابن عباس
الف دينار واثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وعن الحسن [illegible] وقال الكلبي القنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب
او فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة

وابل موبلة قال الكلبي القناطير ثلثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما
جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء فكل الصيد يوجد في الفرى الفرى ولا النعم لقلت جلت قدرته وصفة
المالكية هي القدرة والقدرة صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه
كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيتها وسمي الخيال خيالا لانه يختال اي يجول والمسومة المعلمة من
السومة وهي العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة فعن ابي مسلم هي الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال
قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي رجل مطهم وفرس مطهم اي تام كل شيء
على حدته فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل
خاصة فانها غلبت عليها السابعة الحرث وهو الزرع عن ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية
للانسان اما ان تكون من بني نوعه او من غيره والاول اصل وهو المراة او فرع وهو الولد وانما فرض الكلام في الذكور لبشرفهم
والثاني اما ان يكون من المعدنيات واكثرها فايدة واعمها فايدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات
للركوب والكر والفر وهو الخيل او للحمل واللحم وهو الانعام واما ان يكون من النباتات وهو الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض
للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقران يخاطبهم بلا معهم والله عنده حسن الماب اي المرجع وانما لم يذكر الماب
القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعقاب ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك
المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا والمقصود ان يعلم العبد انه كما ان الدنيا اطيب وافسح من بطن الام فكذلك
الاخرة افسح واوسع من الدنيا وانه لا مناسبة بين نعم الدنيا وبين منافع الاخرة خيرا منها فقال مستفهما على سبيل التقرير انبئكم بخير اي
شيء هو خير من ذلكم الذي عدد ثم استانف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما تقول هل ادلكم على خير من فلان
عندي رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت فهو بهم
الانقطاع والزوال ينقص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم ان تتكامل طيبها الا بالنساء فبهن يحصل الانس ثم وصف
الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والمنفرات وبعد ذكر تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان
من الله ويندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى لم يتصور منصبا اجل منه واعلى وكان المولى وما يملكه
للعبد كما ان العبد وما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا
بخير والتقوى واختص المتقون لانهم هم المنتفعون بها ويؤيده رفع جنات على الخبر اي هو جنات وبعضده قراءة بعضهم جنات
بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام في قوله للذين اتقوا في هذه القراءة يتعين ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان
يتعلق بما تعلق به قوله للذين اي ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان
هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا في علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم
فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب
بحسب الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا
توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم في معرض المدح لهم والثناء عليهم فيدل ذلك على ان الايمان
هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان داخله في النار فيما عندهم لم يكن ممتنع الوقوع من الله تعالى
وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل
له اظهارا لذل العبودية وابداء للاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا يفيده ما لم يقع في حيز القبول فعلى المتقي ان لا
يتكل عليها ويبتهل الى الله في مواجب الغفران ثم عدد من اوصاف نعمة عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم في كل واحد
منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفي في استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين في اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن
والشدايد وقف رجل على الشبلي فقال اي صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله تعالى
قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف روحه والصادقين اي في الاقوال وفي الاحوال ان لا ينصرفوا عنها قبل تمامها
وفي النيات ان يمضي العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر على من تيسر بشروطه ومصارفه
وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اي فيها والسحر قبيل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر
اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار بالاسحار مزيد اثار وانوار لان التصرف النوم والغفلة

فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لم يبعد ان يفيض عليه سجال المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير
عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف واثار اللطايف اما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر ليشمل
اداء جميع التكاليف ثم الانسان قد يستلزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان
على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله
والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقي الاوصاف حاصلة التعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي
يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت وقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال
نعم قالا انا نسالك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاني قالا
اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله ووجه
النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا اننا امنا ثم بين ان دلايل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى
ومن الملايكة ومن اولي العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون كذلك اما الاول فتقريره من وجهين احدهما ان الشهادة
عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله تعالى وفي حق الملايكة وفي حق اولي العلم اما من
الله فذلك انه اخبر في القران انه اله واحد لا اله الا هو وذلك في مواضع كثيرة كالاخلاص واية الكرسي وغيرهما والتمسك
بالدلايل السمعية في هذه المسئلة جايز لان العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها واما من الملايكة واولي
العلم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلايل القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له والثاني من الوجهين ان يجعل الشهادة
عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى اظهر ذلك وبين بان ما خلق يدل على ذلك والملايكة واولو العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا
الملايكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع في الشيء الذي به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم
الاظهار والبيان فشيء واحد في حق الكل وكانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى امر قد ثبت بشهادة الله تعالى
وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المتين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان
فاثبت انت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو الاسلام واما الثاني فهو قول من يقول شهادة الله تعالى
على توحيده عبارة عن انه خلق الدلايل الدالة على توحيده وشهادة الملايكة واولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى
ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه فالصلوة من الله غير الصلوة من الملايكة فان قيل المدعي للوحدانية
هو الله فكيف يكون المدعي شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلايل على توحيده
ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلايل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال تعالى اي
شيء اكبر شهادة قل الله وفي انتصاب قايما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله قايما بالقسط ولا اله الا هو
قايما بالقسط وهذا وجه لتكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا او لا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل
ان يكون حالا من اولي العلم اي حال كون كل واحد منهم قايما بالقسط في اداء هذه الشهادة الثاني ان يكون صفة للمنفي كانه
قيل لا اله قايما بالقسط الا هو وقد راينا هم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان
كان نكرة كقوله شعر ويأوي الى نسوة عطل ٭ وشعثا مراضيع مثل السعالي ٭ ومعنى كونه قايما بالقسط قايما بالعدل كما يقال فلان
قايم بالتدبير اي يجريه على سنن الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب فيما يامر به عباده
من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام
والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات وعدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم
النقص والنقص في شيء من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا وبمركوز في العقل السليم ان من هذا شانه
لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة وقضية السوية ورعاية الاصلح عموما او خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون
العدالة او يشبه الجور او القبح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات و
المبادي والغايات فانظر في كيفية خلقة اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق
في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر
في كيفية خلق العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى

تفاوت الخلايق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك منه وفقط فان الانسان
بل كل ما سوى الله تعالى لم يخلق مستعدا لادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض في ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه
الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضايه ولا راد وان الكل بقضائه وقدره
وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شئ من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هواء فمن نسبه الى الجور في فعل من الافعال فهو
الجاير لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات
من ازل الازال الى ابد الاباد ومن زعم ان شيا من الاشياء خيرا او شرا في اعتقاده حسنا او قبيحا يجب نظره خارج عن مشيته
وارادته فقد كذب ابن اخت خالته لانه يدعى التوحيد ثم يثبت قادرا اخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر
مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله كقولك الدليل
دل على وحدانية الله تعالى ومتى كان كذلك فقد صح وحدانية الله وفيه ايقاظ لامة محمد ان يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة
واولى العلم لا اله الا هو واعلم فان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكنه **شعر** هو المسك ما كررته يتضوع ثم اكد
كونه متفردا بالالوهية وقايما بالعدل بقوله العزيز الحكيم والعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم
القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة
موكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة سمي دينا لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم
او السلام من او في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشئ اي خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في
الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد الكلي وهو المراد ههنا وفي ابدال ان الدين
هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في صفة من الصفات كما شهد هو به
واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي عنه ليكون
عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قايم بالقسط ومن قرا بفتح ان فتقديره عند البصريين ان ذلك انما يكون من قبيل بدل الكل وكانه قيل
شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شئ وقيل تقديره شهد الله
انه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله لانه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا
يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرى الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان
الفعل واقع على الثاني وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلايل وازال الشبهات والقوم ما قصروا الا لقصورهم وتقصيرهم
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما قرب وفاته سلم التورية الى سبعين رجلا من الاحبار
وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على
طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل انه المراد اليهود و
النصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب الا من بعد ما جاءهم العلم اي الدلايل التي لو نظروا فيها لحصل لهم
العلم لانا لو حملنا على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله في التفسير الكبير ومن يكفر بايات الله فان الله
سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة او المراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه اي يجازيه
على امره ثم بين للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقوله في محاجتهم فقال فان حاجوا فقل اسلمت وجهي لله قال الفراء اي اخلصت عملي
لله فعلى هذا الوجه في معنى العمل وقيل اي اسلمت وجه عملي لله فحذف المضاف والمعنى كلما يصدر مني من الاعمال فالوجه في
الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام اعلى
من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت وحسن
للفصل ومفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا اعراض عن المحاجة لانه صلى الله عليه
وسلم كان قد اظهر المعجزات كالقران ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد عرف في هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ثم بين نفي الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هولاء اليهود والنصارى انما
هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول اما انا ومن اتبعني فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق
قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في اخر كلامه وثانيهما ان قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه

مستحقا

مستحقا للعبادة وكانه قال هذا القول متفق عليه بين فانا متمسك بهذا القدر المتفق عليه وداعي الخلق اليه وانما الخلاف
في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة
الاوثان فهولاء هم المدعون وعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيا وعن ابي مسلم ان الاية في هذا الموضع كقول ابرهيم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
كانه قيل فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا
في دينه فيكون من باب التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
والاميين وهم مشركوا العرب الذين لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفايدة التعبير العناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت
له المسئلة ولم تال جهدا في سلوك طريقة الكشف والبيان هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية
تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هدى الله اليه والى الفوز والنجاة في الاخرة
وان تولوا اعرضوا عن الاسلام او الاتباع لك فانما عليك البلاغ ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير
بالعباد يوفق للصلاح من شاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولي بصفات ثلث واردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون
بايات الله اي ببعضها المعهود لان اليهود كانوا معترفين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع وقدرته وعلمه وشئ من المعاد وبكلها
كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض ايات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اي المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم ولا
اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون او يقاتلون الذين يامرون بالقسط من الناس عن الحسن ان في الاية دلالة على ان
الامر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروى ان رجلا قام الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اي الجهاد افضل فقال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جاير فان قيل اذا كان قوله ان الذين
يكفرون في حكم المستقبل لاقل من الحال لانه وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القايمين بالقسط فكيف
يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق
القاتل عليهم كما يقال السم قاتل اي ذلك من شانه ان وجد القاتل او نقول وصفوا بسيرة اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابي
عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرا
هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام ماية واثنا عشر رجلا
من عباد بني اسرايل فامروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء لتضمن اسم
ان معنى الشرط فان لا تغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الالام
والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة للتهكم الثاني زوال الاسباب النافعة عنهم بالكلية وهو قوله اولئك الذين حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان
من السبي والقتل والجزية واما في الاخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في
حقهم وهو قوله وما لهم من ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم
كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا الى التورية فهي بيننا وبينكم فابوا فنزلت وقال الكلبي نزلت في الذين زنيا في خيبر وحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف يجي القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعا النبي صلى الله عليه وسلم
اليهود والنصارى الى الايات الدالة على صحة نبوته من التورية او منها ومن الانجيل فابوا فنزلت ومعنى قوله اوتوا نصيبا اي حظا وافرا
من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القران من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل
اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التورية
كما مر في اسباب النزول ولانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي يعتقدون
صحته عن ابن عباس انه القران وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اي الكتاب بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحذف الثاني للعلم به او يراد الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في قصة الزانيين ولهذا رجعوا في ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف
والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين
المحق والمبطل ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار او الذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ان يتولى العلماء والتولي

وبهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم ومن عاداتهم والضمير في هم اما ان يرجع الى الفريق اي هم جامعون بين التولي
والاعراض لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن ساير المقامات واما ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف
العلماء والرؤساء بالتولي والباقين بالاعراض لاجل اعراض علمائهم ومتقدميهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب اي هم قوم
عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولي والاعراض وذلك العقاب والوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون في امر العقاب
ولا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هي ايام عبادة العجل
واستوجبوا الذم بوجوه احدها استقصار مدة العذاب ومن اين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق الكافر
عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودات فقط فيه دليل على انهم استحقوا واكذب محمد والقران وذلك التكذيب صريح و
غرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه او من قولهم لن تمسنا النار الا اياما او من قولهم نحن اولى
بالنبوة من قريش او من زعمهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او كيف حالهم في هذا الحذف فخامة لما فيه
من تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا اليوم الخميس معناه جمعوا الفعل
يوجد في يوم الخميس لانا اذا قلت جمعوا في يوم الخميس فلا تضمر فعلا وايضا من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق
بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب وعقاب وجزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه
في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي يروى ان اول راية ترفع لاهل الموقف على رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم
الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار التاويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلي بالشقاوة
ربنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى اسفل سافلين الطبيعة
فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه في قعر جهنم وبئس المهاد معاده مهده في معاشه قد كان لكم اية في
فئتين التقتا ان الله تعالى فئتين في الظاهر من المؤمن والكافر وفئتين في الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة
ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب وجنوده فهم الروح والسر
والاوصاف الحميدة والملكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن جنود الفئتين
واعوان الفريقين بقوله زين للناس واعلم ان الله تعالى خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم
الهوى واصحاب النفوس والخواص ويعبر عنهم بلفظ المؤمن وهم ارباب الارواح والغالب عليهم التقوى وخواص الخواص ويذكرهم
بلفظ الولي الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيه المحبة والشوق ثم ان لجهنم سبع دركات محفوفة بالشهوات
واشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المايلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثماني
للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضا بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا امنا والصبر والصدق والقنوت
والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجري من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق
الفاضلة التي تتولد منها فاذا عاش في الجنات مات وحشر كذلك ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظ
عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما احلولي لهم الدنيا يا دنيا مري على اوليائي ولا وقفوا عند جنة المأوى
ما زاغ البصر وما طغى وانما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلي عن علمه الشهودي على ذاته الاحدى
وكونه الصمدي لا اله الا هو وهي شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو منفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد
كما ان ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بخلاف قدمه على كمال عزه حين
لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل ولا خير ولا شر ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل والنهار ولا الجن ولا الانس
ولا الملكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر النبي كان ثم ما كان كما كان وهو الان لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات
كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن نبع
ماء التوحيد هو القدم فجرى بجري الانهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولي العلم ثم الملائكة وان كانوا مظهر ماء التوحيد
كما كان اولوا العلم ولكن اخص اولوا العلم منهم بمشربه والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها شعر لي سكرتان وللندمان
واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي خفيفة معنى الاية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قايم بالقسط على امور عباده حتى شهد
على شهادته الملائكة واولوا العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائدة الى اولي العلم الذين لهم شركة مع الملائكة في مظهرية

ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لماء التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذي لا يشاهد عزته
الا اعزة من بين البرية الحكيم الذي بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف في
الصورة من نتايج تناكر الارواح في عالم المعنى والارواح فما تعارف منها في الميثاق لتقاربهم في الصف او لتقاربهم في المرتبة
ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم في الصف او لتغايرهم في المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة
الحسد ولكن المحمود منه ما يختص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان خلق مستعد القبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكمال
الانسان في قبول فيض اللطف ان يقتدي بنفسه في متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه في قبول فيض القهر ان يقتل
الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا يحبط اعماله ولا يرجى توبته ويرجى توبة ابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه
اشارة الى ان من اوتي حظا من العلم فعليه اذا دعي الى حكم من احكام الله او الى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمتثل وينقاد والا
كان مغرورا بالدنيا مغترا بالدعوى وهذه حال اكثر من اوتي نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة
بالله فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله نعوذ بالله من الضلال
الله حسبي

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ●
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ● لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله
في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير ● قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم
ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير ● يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ● قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
والله غفور رحيم ● قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله
لا يحب الكافرين ● ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم وآل
عمران على العالمين ● ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ●

القراءة الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد على فيعل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وعاصم عن ابي بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقيه بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاه بضم وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة **الوقوف** ممن تشاء لتناهي الجملتين المتضادين معنى الى جملتين مثلهما وتذل من تشاء الخير قدير في الليل للفصل بين الجملتين المتضادين من الحي لعطف المتفقتين بحساب المؤمنين تقيه نفسه المصير بصف الجزء يعلمه الله وما في الارض قدير محضرا والاجوز ان يوقف على سوء تقدير وما عملت من سوء وكذلك بعيدا نفسه بالعباد ذنوبكم رحيم والرسول لابتداء الشرط مع التعقيب الكافرين العالمين لان ذرية بدلا من بعض عليم لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين اي سمع دعاها وعلم رجاؤها حين قالت او اصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال النصب اذ باضمار اذكر **التفسير** انه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر اتى على نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض من يا ولهذا اخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع الهمزة في يا الله وعند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من ام وزيف بان التقدير لو كان كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم اغفر لنا ولجاز ان يتكلم به على اصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء ووجب انه انما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون اكد وبان الاصل كثيرا ما يصير متروكا مثل ما اكرمه فانه لا يقال شيء اكرمه في التعجب ومالك الملك نداء مستانف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما لا يوصف اخواته من الاسماء المختصة بالنداء يا هناه ويا نومان ويا ملكعان وقيل واجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا الله عن ابن عباس وانس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك فنزلت الاية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها فكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كانياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانه يفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الخوف لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسال ان يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليها وامره بذلك دليل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليس الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك وانه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء اي نصيب الذي قسمت له واقتضت حكمتك فالاول عام شامل والاخر بعض من الكل وعن مجاهد الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شرعهم ولهم ان يقتلوا من اراد وامن المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المجوز من كان يعيبون محمدا بفقرهم وكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود تقول النبوة في اسلاف فانا نحن احق بها وقد روينا في تفسير قوله الم تر الى الذين ... ان اليهود ينكرون على النبي صلى الله عليه وسلم كثرة تزوجه وعدم ... فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء ... فان ذلك شرعا جائز بالاجماع او يجعل المنتقل ما يرى نسل ... من بني اسرائيل ووضعها في العرب ... لا يبطله النبوة ابتداء كقوله في الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه لم يكن في ظلمة قط ... من الانبياء ان يكونوا في ظلمتهم قطعي مقصود العود ... وقيل المراد من الملك المتسلط الظاهر وهو الاستيلاء على المال ... يكون سببا عند الناس وجيها غالبا مظفرا مطاعا ومن المعلوم ... ذلك باياته الله ... قليل المال ... جاها ... وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال للتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا احتقارا ... الله تعالى في ذلك ملوك العقل ملوك الحجج لان حصول الملك للجابر لا يقع بفاعل بعينه ... باب اثبات الصانع وان حصل يفعل المتقلب

فكل

فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلا يبقى الا ان يكون الا مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور **شعر** لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق ومن الدليل على القضاء وكونه بوس اللبيب وطيب عيش الاحمق وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه عن العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدر والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب انا الله ملك الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدين او في الدنيا والآخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده لاذلة كذلة الكفر وعز الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله وتقديره بيدك الخير اي بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يدك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان جميع افعال الله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله فكلها خير ولان القادر على ايصال الخير اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول على الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار او بالعكس ففي كل منها قوام العالم ونظامه بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمة بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الاخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا ازداد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث والحيوان من النطفة والطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحبة والنخلة من النواة وبالعكس واخراج النبات من الارض يسمى احياء يحيي الارض بعد موتها وترزق من تشاء بغير حساب تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشريطة الشفقة على خلق الله او نقول لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر الذال للساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يفرق الخبر والطلب يقام كل منهما مقام الاخر وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان حجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فابى اولئك النفر الا مباطنتهم وملازمتهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس ايضا في رواية الضحاك عنه نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال له عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في آيات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الاية لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك ممنوع منه والثالث كالمتوسط بين القسمين وهو الركون اليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فلهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله اي من دينه في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله

من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصورة وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه محب لهما فان اراد ان يعمم الحكم لا بد له ان يزيد عليه اذا كانوا في مرتبة واحدة الا ان تتقوا منهم تقة قال الجوهري اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة وفاوها واو كترات فالتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاه ههنا مثل رماة فيكون حالا موكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا متضمن معنى تحذروا او تخافوا ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة او التقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى ان يخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء او انتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار الطوية كقول عيسى كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك بين الناس وقلبك معي وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يضمر خلافه ويعرض في كل ما يقول لما امكن فان التقية تاثيرها في الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة زعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول بني قريش فتركه ودعا الاخر وقال اتشهد ان محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلاثا فقدمه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه فقال اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الاية الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالات والمعادات وقد تجوز ايضا فيما يتعلق باظهار الدين واما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جايز البتة ومنها ان الشافعي جوز التقية بين المسلمين فذلك غير جايز البتة ومنها ان الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوز بين الكفار محاماة على النفس ومنها انها جايزة لصون المال على الاصح كما انها جايزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن انه قال التقية جايزة الى يوم القيمة وهذا ارجح عند الايمة ويحذركم الله نفسه قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدايه لان شدة العقاب على حسب قدرة المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي يحذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاوليا اي ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمايركم لان القلب في الصدر فجاز اقامة الظرف مقام المظروف او تبدوه يعلمه الله تعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا اشمل فقال ويعلم ما في السموات وما في الارض ثم قال تتميما للتحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال الانباري الى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وقيل خص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تعالى تعظيما لشانه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر اي اذكروا والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها مكانا كانت او زمانا والمقصود تمني بعده كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو ان يكون ما كتب فيه العمل من الصحايف حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتداء من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية وتود جزاء له وهو قليل كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت يحملها على الشرط الا ان الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكاين في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تاكيد للوعيد والله رؤوف بالعباد قال الحسن ومن رافته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال علمه وقدرته يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤوف بهم حيث امهلهم للتوبة والتلافي او هو وعد كما ان التحذير وعيد والمراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله اي كما هو منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو رؤوف بالمطيعين والمحسنين ثم انه دعا القوم الى الايمان به ورسوله من طريق اخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله صلعم

انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الاية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها نزلت حين ادعت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل انه لكل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العلماء فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد وجب متابعته فليس في متابعته الا انه يدعو الى عموم الطاعة لله وتعظيمه وترك تعظيم غيره فمن احب الله كان واجبا فانه لان المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في تفسير قوله والذين امنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي رحيم في الاخرة يثيبه على مثقال الذرة من الحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن ابي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك ان الاية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته ثم ان المنافق شبهه في ذلك بالنصارى بين انه انما اوجب الله عليكم متابعتي لا كما يقوله النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ومبلغا لكم تكليفه فان تولوا اعرضوا او تعرضوا على ان يكون الخطاب الاول لمحمد ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم فان الله لا يحب الكافرين لا يحصل للكافر من محبة الله لانها عبارة عن الثناء عليهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهو ضد المحبة ثم ان الله تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسول بين علو درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء الذي يصطفى وينقى من الكدورة وذلك باخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل المعنى ان الله اصطفى دين ادم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء عليهم السلام يخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي مدركة ومحركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة والباطنة اما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله صلى الله عليه وسلم اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اريكم من وراء ظهوري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما حصل لابرهيم وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس بمستبعد فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من ماية فرسخ وقال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع صفيف الفلك وقد سمع سليمان كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم مع الذيب ومع البعير وقد وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ايام وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرني انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم قيل وهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب ان يحمل هذا على معنى اخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل المنافي ملايما للاعجاز او لخاصية اودعها في المنافي حتى يصير ملايما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي رضي الله عنه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب وان كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي صلى الله عليه وسلم وعروج عيسى ورفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لساير النفوس والخالقة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم يجري عليها الانوار الفايضة من المبادي العالية اتم من ساير النفوس اكمل ولهذا بعث مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين ومصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من البشر ومن سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القرآن دل على ان اول الانبياء اصطفاء ادم صفي الله وخليفته ثم انه وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد ادم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم انه الى نوح ثم الى ابرهيم ثم انشعب من ابرهيم صلوات الرحمن عليه شعبتان اسمعيل واسحق فجعل اسمعيل مبدا لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدا للشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب

ووضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلوات الله عليه وسلامه فلما ظهر محمد نقل نور النبوة ونور الملك اليه
وبقي الدين والملك في امته الى يوم القيمة فالمراد بال ابرهيم اولاده وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك
للناس اماما وال عمران قيل اولاد عمران بن يصهر والد موسى وهرون وقيل المراد بال عمران مريم وهو عمران بن ماثان بدليل
قوله عقيبه اذ قالت امرات عمران ولا شك انه عمران ماثان جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على
الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء الله تعالى اياه لا لكونه شريكا لله ولان هذا اللفظ
شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين ذرية بدل ممن سوى ادم بعضها من بعض وذلك لاشتراكهم في
النفاق وقيل معناه ان غير ادم كانوا من الذين من ادم وقيل يعني الاولين ذرية واحدة متسلسلة بعضها منشعب من بعض موسى وهرون
من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب بن اسحق وكذلك عيسى بن مريم
ومريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهودا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان ما بين ماثان وسليمان قوما
اخرين وكذلك بين ايشى ويهودا والله سميع عليم لاقوال العباد وبضمايرهم وافعالهم فيصطفي من خلقه من يعلم استقامته قولا و
فعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه تغريرا للعوام فبطل ان هذا الكلام
فيكون اول الكلام تشريفا للمرسلين واخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة
فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق ما بعده كما مر في الوقوف **التاويل** مالك الملك هو مالك الوجود فلا وجود بالحقيقة
الا له تؤتي الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها
قابلة للفناء كالنبات والحيوانات غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل الغيظ القهري بيدك الخير
انك على كل شيء قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال الجواد انك الذي تقدر على اعطاء كل خير فاتنا واعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف
كل ضير تولج ليل صفات البشرية النفسانية نهار انوار صفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي المحقق بالحيوة الحقيقية من النفس
الميتة وتخرج القلب الميت عن الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحية المجازية الحيوانية لا تتخذ القلب المومن والروح والسر صفات
الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك
من القلوب فليس من انوار الله والطافه في شيء الا ان تخافوا من هلاك النفوس فان النفس مركب الروح فتوارها كيف تعجز عن السير
في الرجوع وتهلك في الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه اي من صفات قهره قل ان تخفوا ما في
صدوركم من معادات الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم وما في ارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت
اثر الخير والشر ظاهر في ذات المرء وصفاته ويحسب ذلك يبيض وجه قلبه او يسود ولكنه في غفلة من هذا محجوب
عنه بحجاب النفس والجسم كرجل نايم لدغته حية كحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس لها ما دام نايما يوم الغفلة فاذا مات
انتبه وحس ثم اخبر عن طريق الوصول انه في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة المحب ثلث درجات والمحبة
الله والمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان
المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهؤلاء بالاعمال يطمعون الجزاء على ما يعملون وفيه
قال ابو الطيب وما انا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يرجى عليه ثواب والثاني محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين
يحبونه اعظاما واجلالا له ولانه اهل لذلك كما قالت رابعة **شعر** احبك حبين حب الهوى وحب لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا واما الذي انت اهل له فكشفك لي الحجب حتى اراكا فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا وضبط هذا الحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب مبني على الابتغاء الكمال والجلال
على السرمدية قال ساعبد الله لا ارجو مثوبة لكن اعبده اعظاما واجلالا والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال
وهي الناشية من الجذبة الالهية في مكامن كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واهل هذه المحبة هم المستعدون
لكمال المعرفة لسبق العناية عليهم بالمحبة يوم قالت له الدنيا اتينا طايعين وحقيقة هذه المحبة ان يفني المحب بسطوتها ويبقى المحبة بلا هو
كالنار تفني الحطب بسطوتها وتبقى النار بلا هو فان المحبة نار لا تبقي ولا تذر واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات
الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات حتى الوجود فانه من عم الخالق والمخلوق الا انه يجوز
واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وافعاله قرا القاري يحبهم ويحبونه عند الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير
رحمه الله تعالى فقال يحبهم ويحبونه فقال الحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنيعه والصانع
اذا مدح صنيعه فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله الخلق عايدة على حقيقة الالائه لما كان مرورها على الخلق فيحبب في الحلقت

مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد وهو محل كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله
فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم
الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي تصدر منكم على خلاف المتابعة وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم
الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يخصكم بتجلي صفات الكمال ويغفر لكم ذنوبكم بستر ظلمة صفاتكم
بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله بجذبهم
يجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوبكم وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فهم بين
روضة المحو وغدير الاثبات احياء غير اموات ويكون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائي في المراة يشاهد
ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق
وصدف درة محبته لكم ان الله اصطفى ادم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوانات
والنفوس والعقول والارواح وجمع في ادم جميع الانواع وخصه بتشريف تام من هو تشريف ونفخت فيه من روحي فهو المظهر
لجميع اياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق ادم على صورته ثم ذكر خواص اولاد ادم نوحا وال
ابرهيم وال عمران والمراد بالال كل مومن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدرسية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها
اهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وحظاظهم بهم يمطرون وبهم يرزقون الله حسبي ونعم الوكيل

اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل
مني انك انت السميع العليم ۝ فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها
انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم
واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ۝ فتقبلها ربها
بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل
عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك
هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ۝
هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
انك سميع الدعاء ۝ فنادته الملئكة وهو قائم يصلي في المحراب
ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا
ونبيا من الصالحين ۝ قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني
الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي

آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار

القراءة لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وبما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وابو بكر
وحماد الباقون وضعت على الغيبة واني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف
الباقون تخفيفا زكريا مقصورا كل القران حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقرا ابو بكر وحماد بالمد والنصب ههنا
الباقون بالمد والرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التانيث في المحراب بالامالة حيث كان
مخفوظا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر ان ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون
بالتشديد لي اية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبود عن ابن كثير **الوقوف** انثى للابتداء ولاحتمال لانك العليم
انثى لمن قرا بما وضعت بتاء التانيث الساكنة ومن قرا على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت كالانثى الانثى
تبدلا بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرا وضعت بالضم الرجيم حسنا لمن قرا وكفلها مخففا لتبدل فاعله
فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب وقد يتعدى الى مفعولين كقولها كفلنيها المحراب لان وجد جواب كلما رزقا
لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا من عند الله حساب دعا ربه ز فاطمية للابتداء ويجوز لان الدعاء في المحراب
وان كسر ان لان في ك ر حجل النداء في معنى القول الصالحين عاقر ما يشاء اية رمزا والابكار **التفسير** انه سبحانه ذكر في
هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول زوجة عمران بن ماثان بنت فاقوذا اخت ايشاع التي كانت تحت
زكريا بن اذن روي ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعقرت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها
للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمته
فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك الهام الله تعالى كما الهم ام موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا
للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق وحررت الكتاب اذا اصلحته وخلصته من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد
عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي فكان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة
الابوين وكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع عن الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم
كان مخيرا ان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ومن لم يكن الا ومن نسله محرر في بيت المقدس
وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما لبناء الامر على الفرض والتقدير
واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك ان اجعل ما في بطني محررا
فلما وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت انثى في علم الله او على تأويل النفس او النسمة او الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر
بمعنى المحمول كما سمي بالحمل ثم ادخلت عليها الهاء للاشعار بمعنى الانوثة فيه ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما سوف
يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير انه يكون انثى قالت رب اني وضعتها حال كونها انثى ثم من قرا والله اعلم بما وضعت
على الحكاية فمجموع الكلام الى اخر الاية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها
والخوف من انها لا يقع الموقع الذي يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن
بها انها قالت ذلك لاعلام الله تعالى فقالت والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكر كجنس الاناث ولا سيما
في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم والذكر يمكن الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان
ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان تكون عارفة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه
يكون خيرا وصوابا فقالت رب اني وضعتها انثى ولكنك اعرف واعلم بحال ما وضعت فلعل لك فيه سرا وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت لي لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام وفي الانثى للعهد والحاضر ذهني تقديرا لدلالة ما في
بطني عليه ضمنا وفي الانثى لحاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظة الانثى ومن قرا بما وضعت بسكون التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله
والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعته لما علق به من عظائم الامور وجعلها
وابنها اية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاد بيانا وايضا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واني سميتها
مريم وذلك ان اباها قد مات عند وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب

والطلب

والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها فتقبلها ربها الضمير
يعود الى امرأة عمران ظاهرا بدليل انها التي خاطبت ونادت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة
الى انه كان راضيا بها في بطن امها فسيرتبها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشيء وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو
مصدر شاذ حتى حكي انه لم يسمع غيره واجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول منزلة الباء في قولك كتبت
بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها
بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في النذر او بان تسلمها من امها
عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم من يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به
ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله
اي فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا قيل كان تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام
وقيل المراد نماؤها في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها
الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا
انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون
بها التورية والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلث مرات وفي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم
فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية يكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت
ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان
زكريا بنى لها محرابا وهو غرفة تصعد اليها بسلم وقيل اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان اذا خرج
غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا من اين هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت
في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام
مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها
قلت وذلك لدعاء حنة وانا اعيذها ومنها تكلمها في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة عليها السلم رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لها انى لك هذا فقالت هو من
عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل
ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت
فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان
صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي الثاني يدعي المعجزة ويقطع به والولي لا يمكن ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن
المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما
المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دالة لا على تصديق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي لان الفعل المحكم لما كان
دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا
من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه
يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما
حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه
قلت عجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاخناس بمس الشيطان والصراخ منه في وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم
الارواح وبزمان المكاشفة بعيد العهد من عالم الفعل والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت اخر ويصح على ان اثر مس
الشيطان ونخسه يظهر في هيئات النفس واحوالها وانها امور لا يحس بها الا بعد المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام فيه

يستدعي فهمه استعداد اخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي لا يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا
دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا عن تفاصيل ما ياتيها من الارزاق من عند الله شيئا بعينه في
وقت معين قال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا شاهد
من مريم رزقا معتادا الا انه كان ياتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت
هو من عند الله لا من عند غيره على انا لا نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات
فكان زكريا اذا راى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق اتاها من حيث لا ينبغي وكان يسألها من كيفية الحال قلت امثال هذه
الشبهات توجيها انما نشأ من الشك في القران وفي الحديث والعصبية المحضة على انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله
في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال وايضا كيف نفع بمجرد اخبارها في زوال التهمة وكيف مدح الله
تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على نساء العالمين وقال
وجعلناها وابنها آية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا عليه السلم وذلك قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان
الذي كان قاعدا فيه في المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا
ربه وهذا يقتضي ان يكون قد عرف في ذلك الزمان او المكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا
راى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء والعكس وان ذلك خارق للعادة فطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من
شيخ كبير ومن امراة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان حسن الادب
رعاية الوقت الانسب في الطلب واما المعتزلة فحين انكروا كرامات الاولياء وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما راى آثار الصلاح
والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان
لا تكون الاجابة مصلحة فحينئذ تصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد التمني فلا حاجة
في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالندرة
على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح يمنعه الله ويصرفه عنه ومعنى قوله
من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة كانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك يا رب ان تعزل
الاسباب في هذه الواقعة وتخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع و
الذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ الذرية في الظاهر
فالتذكير والتانيث تارة يجري على اللفظ واخرى على المعنى وهذا في اسماء الاجناس بخلاف اسماء الاعلام فانه لا يجوز ان يقال
جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء يعني سامع اجابة وذلك
لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة ظاهر اللفظ للجمع وهذا
في باب التشريف اعظم ثم ما روي ان المنادي كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل وياكل الاطعمة النفيسة اي يركب من
هذا الجنس وياكل منه او لان جبريل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث ومعه اخرون يبشرك بيحيى هو ولذلك كان بشارة له ويحتمل ان
يكون المعنى يبشرك بولد اسمه يحيى كما جاء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى وعيسى ومن جوز ان يكون
عربيا فمنع صرفه للعلمية كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى
معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحديدة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله
هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت اشعرت اني حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت امراة زكريا
فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكان
يحيى اول من امن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة
الله وهي كن من غير واسطة بذر وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية ولانه منشأ الحقائق
والاسرار كالكلمة ولهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور
ظل العدل ونور الاحسان ولانه وردت البشارة به في الكلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم اذا حدث قلت قد
جاء قولي وكلامي اي ما كنت اقول واتكلم به ومنها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه في الشرف وكان يحيى فائقا القوم
بل الناس كلهم بالخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب
ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء لضعف في الالة وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون

على انه فعول بمعنى فاعل فهو الذي لا ياتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك
النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث عليه وارد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان
ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة
الى الزهد التام وهو منع النفس عما لا يعنيه روي انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
فقوله ونبيا اشارة الى ما علا مجموع الامرين فانه ليس بعدهما الا النبوة ثم قال من الصالحين اي من ولد ادم لانه كان من
اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة من الصالحين ولان صلاحه كان اتم بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم وفيه ان الختم على الصلاح هو الغرض
الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال
يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه بما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب
انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وادركني السن العالية واثر في طول العمر واضعفني قال اهل اللغة كل شيء صادفته وبلغته
فقد صادفك وبلغك وذلك اذا امكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشيء الطالب للانسان
فهو ياتيه بحدوث سنيه والانسان ايضا ياتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغني البلد في موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب
للانسان الذاهب وامراتي عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء ويقال رمل عاقر اي لا ينبت شيئا فان قيل لما كان زكريا هو الذي
سال الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله انى يكون ومن اين يحصل لي غلام فالجواب على ما في الكشاف
ان الاستبعاد انما جاء من جهة العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينه ان دعاءه كان
قبل البشارة بستين سنة وكان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة وقت الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ
مائة وعشرون سنة او تسع وتسعون وعن السدي ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد
سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه كان من مصالح الدنيا ولما لم يتاكد بالمعجزة فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فقال ما قال
والجواب المعتمد ان زكريا لم يسأل عما سأل استبعادا وتشككا في قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان
الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقر زوجته فاجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة اي الله
يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر واما جملتان فيكون كذلك
الله مبتدأ وخبرا اي على نحو هذه الصفة الله يفعل ما يشاء بيانا له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه
عليه السلام لفرط سروره وثقته بكرم ربه وانعامه سال عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها العلوق
فان ذلك لا يظهر من اول الامر فقال تعالى آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام اي لياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلث ليال ومعنى
قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اي لا تقدر على التكلم حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة
مشتغلا بذكر الله وبالطاعة بالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشيء الواحد علامة على المقصود واداء الشكر لتلك النعمة
فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الاية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر
ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع على
وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عليه السلام عوقب بذلك حيث سال بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام
قلت واحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الاية على الاطلاق فاحتمل ان
يكون قد طلب علامة للعلوق واحتمل ان يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق
ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبة للواقعة حيث سال ما كان من حقه ان لا يسال وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير
مامورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا اشارة بيد او راس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز
اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز من جنس الكلام لان مراده مؤدى الكلام ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير تكليف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز
كرسول ورسل وقرأ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس رموزا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس
بالاشارة ويكلم واذكر ربك كثيرا قيل انه لو لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا
وسبح حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلاة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه بالعشي مصدر
على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر ابكارا اذا خرج للامر اول النهار

ومنه الباكورة لاول الثمار وقرى بفتح الهمزة جمع بكر بكسر واسحار **التاويل** ان الله تعالى في كل نفثة من نفثات الموجودات
وحركة من حركاتها اسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن اطعام طاير فرخه وماذا اظهر من الايات والمعجزات
من تلك الساعة الى يوم القيمة بواسطة مريم وعيسى فتقبل منى راجع الى المحرر لا الى التحرير وان تقبلها منى اى تتكفلها وتربيتها
تربية المحررين فتقبلها ربها اى تقبلها ربها ان ربيها بقبول حسن كقبول ذكرا وقبولا اخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا
من كمال رافته انه جعل كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد من التهمة
وجد عندها رزقا اى من فتوحات الغيب الذى يطعم الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند انفسهم ولا عند
الخلق كقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ما لم يكن في حسابها
من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه
جعل اطعام الطاير فرخه سبب تحريك قلب حنه بطلب الولد فكذلك جعل حالة مريم وما كان ياتيها من الرزق خارقا للعادة سبب
تحريك قلب زكريا قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة اى ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة
وهو المطهر من لوث الحجاب والواسطة الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الرابع الذى هو الارواح المنافقين والمشركين
فنادته الملائكة وهو قايم يصلى بسر سره في الملكوت محارب نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ
خلق ما ابتلى بالموت لا بموت القلب بالمعاصى ولا بموت الصورة لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم يرزقون
مصدقا بكلمة من الله وهى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا اى حرا من رق الكونين محصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا
من الصالحين من اهل الصف الاول رب انى يكون لى غلام لم يكن استبعاده من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه
الكرامة ايتك الا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون
مغلوبة في تلك الحالة بشواهد الحق في الغيب فلا يفرغ لاجراء عادتها في الشهادة بالكلام الا رمزا ولهذا يقوى الروح الحيوانى
ويستمد منه القوة البشرية فيحيى الله تعالى به الشهوة الميتة فيحيى ما تولد من الشهوة الميتة التى احياها الله تعالى يحيى ولا استمرار
هذه الحالة في الايام الثلثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا والهم

واذ قالت الملئكة يامريم ان الله اصطفئك وطهرك واصطفيك
على نسآء العالمين ● يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع
الراكعين ● ذلك من انبآء الغيب نوحيه اليك وما كنت
لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ
يختصمون ● اذ قالت الملئكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة
منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن
المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ● قالت
رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشآء
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ● ويعلمه الكتاب والحكمة

والتو

والتورية والانجيل ورسولا الى بنى اسرايل انى قد جئتكم باية من
ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون
طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله
وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك
لاية لكم ان كنتم مؤمنين ● ومصدقا لما بين يدى من التورية
ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم ●
فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن
انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ● ربنا امنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ● ومكروا ومكر الله والله
خير الماكرين ● اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى و
مطهرك من الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الى مرجعكم فاحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ● فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين ● واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ●
ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ● ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ●
الحق من ربك فلا تكن من الممترين ●

القراءة ويعلم بياء الغيبة ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل وبالفتح فيهما ابن كثير وابو عمرو ويزيد كهية بتشديد
الياء يزيد وحمزة في الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغنى انه خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون
بالياء والهمزة الطاير يزيد الباقون الطير فيكون بتاء التانيث المفضل والباقون بياء الغيبة طايرا ابو جعفر ونافع ويعقوب

وكذلك في المائدة الباقون طير انصاري بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقراءة قتيبة وابو عمرو بطريق ابي الزعراء وبالامالة
فيوفيهم بياء الغيبة حفص ورويس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون **الوقوف** العالمين الراكعين اليك يكفل مريم
لعطف المتفقتين يختصمون منه قد قيل التذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا
فالوجه ان لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين
الصالحين بشر يشاء فيكون والانجيل لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على ومن الصالحين او منصوبا بمحذوف
اي ويجعله رسولا والوقف اجوز لتباعد العطف من ربكم لمن قرأ اني اخلق بالكسر باذن الله والثاني كذلك التفصيل بين المعجزات
في بيوتكم مؤمنين للعطف واطيعون فاعبدوه مستقيم الى الله انصار الله لان اما في نظم الاستيناف مع امكان الحال اي وقد
امنا بالله كذلك لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون الشاهدين ومكر الله الماكرين القيمة لان ثم للترتيب
الاخبار والاخرة للابتداء بالنفي مع ان المنفي تمام المقصود ناصرين اجورهم الظالمين الحكيم آدم لان الجملة لا يتصف
بها المعروف فيكون الممترين **التفسير** القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ ههنا هو ما في قوله اذ قالت امرأة
عمران لمكان العطف والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء
لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبريل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء
واما ان يكون ارهاصا لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة او معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من
قال ان ذلك كان على سبيل النفث في الروع والالهام كما قال في حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء
ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاآن بمعنى واحد للتكرار الصرف فيحمل المعنى من الاصطفاء الاول على
ما اتفق لها من الامور في اول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها انثى ومنها قول الحسن ما غذتها امها طرفة عين بل القتها
الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها
الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة في غير حاجتها واما التطهير الثاني فتطهيرها عن الكفر والمعصية كما قال
في حق ازواج صلى الله عليه وسلم واهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض
وعن الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في اخر عمرها من ولد عيسى لغير اب
وشهادته ببرائتها عما قذفها اليهود قيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمي زمانها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كمل
من نساء العالمين اربع مريم واسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا
اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتي امر بالعبادة على العموم واسجدي امر بالصلوة تسمية للشيء
بمعظم اركانه كما في قوله وادبار السجود وفي الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان
لقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعي مع الراكعين فالاول امر بالصلوة
مطلقا والثاني امر بالصلوة في الجماعة وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما للتعبير بالعبادة وقد يجيء الشيء باحد اركانه
وتسمية للشيء بمعظم اركانه بناء على ما قبله ان الركوع افضل من السجود لان الراكع حامل ثقله في الركوع فالمشقة فيه
اكثر او للتميز عن صلوة اليهود وقيل واركعي مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتي الامر
بالصلوة لان القنوت احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدي واركعي استعمال كل منهما في وقت اللائق به والواو يفيد التشريك
لا الترتيب او المراد انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما
للتغليب واما لان الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال افضل من الاقتداء بالنساء روي ان مريم بعد ذلك قامت في
الصلوة حتى ورمت اقدامها وسال الدم والقيح منها اللهم لا تواخذنا باسم الرجولية ونحن اقل في خدمتك من احدى النساء ذلك
الذي سبق من نبأ حنة وزكريا ويحيى ومريم من اخبار الغيب نوحيه اليك فقد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها
تعريف الموحى اليه بامر خفي من اشارة او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبي بواسطة
جبريل بحيث يخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفي استماع الانباء من
حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينيا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة
الممتنعة في حقه فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ومثله في القرآن غير عزيز وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب
الطور يلقون اقلامهم ينظرون او ليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم حذف متعلق الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر

الاية

الاية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام في شيء على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض في استحقاق ذلك المطلوب
وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روي عن الخبر انهم كانوا يلقونها في الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف
جري الماء فاليد له ثم انه حصل هذا المعنى لزكرياء فصار اولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما روي عن
الربيع انهم القوا عصيهم في الماء الجاري فجرت عصا زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم وقال ابو مسلم المراد بالقاء اقلامهم
ما كانت الامم تفعله من المساهمة عند التنازع فيطرحون منها ما يكتبون عليها اسمائهم فمن خرج له السهم سلم له الامر
قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي تتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت تلك السهام اقلاما لانها
تقلم وتبرى قال القاضي ويقدح لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى اصل الاشتقاق الا ان العرف الظاهر
يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون على التكفيل قيل
هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي ولا شبهة في انهم كانوا من الخواص واهل الفضل في الدين والرغبة
في طريق الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقتراع وان يكون اختصاما اخر بعد الاقتراع وبالجملة
فالمقصود شدة رغبتهم في التكفل بشانها والقيام باصلاح مهامها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا قضاء حقوقه
واما لاجل الدين حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية ان لها ولابنها شانا القصة
الرابعة حكاية ولادة عيسى اذ كرطرفا من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني جبريل كما مر ومتعلق اذ هو متعلق واذ قال لان هذا بدل
من ذلك ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع
كما تقول لقيته سنة كذا تعني وانما لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الاول
ويجوز ان يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روي عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان ذلك
من كراماتها فجاز ان يرد عليها البشرى في حالة الصغر الى ان يوحي الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب
امر ممكن في نفسه وكيف لا وقد شاهد حدوث كثير من الحيوانات على سبيل التولد الفار عن المدر والحيات عن الشعر المتعفن
والعقارب عن الباذروج غايته الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق
اخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته ومما يزيده في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون اسبابا لحدوث
الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف لو
كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فالمانع ان يقال انها لما تخيلت صورة
جبريل كفى ذلك في انعلاق الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا لاجل العقد فاذا حصل الانعقاد لمني المرأة بوجه اخر امكن
علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليس للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه
ولكنها لابتداء الغاية اي بكلمة حاصلة من الله وذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة اب صار تاثير كلمة كن في حقه اظهر واكمل
فكان كانه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصرح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع اما احتمال
اشتقاق عيسى من العيس البياض الذي تعلوه حمرة فبعيد واما احتمال المسيح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك لانه
كان يمسح ذا عاهة الا برئ وقال احمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وعلى هذا فيجوز ان يقال له مسيح بالتشديد كشريب وقيل
لانه ممسوح من الاوزار والاثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص وكان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء
ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبريل مسحه
بجناحه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه
ممسوح احدى عينيه او لانه يمسح الارض اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومنه الدجال لدجله في الارض اي قطعها وقيل الدجال
من دجل اي موه ولبس وتقدم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو الدرجة وانما نسب الى مريم تنبيها
على انه لا اب له حتى ينسب اليه كما في سائر الانبياء فلا ينسب الا الى امه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه
لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز
والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه في
الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة عن العيوب والاخرة بشفاعته امته المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصبه على الحال
من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر في الوقوف اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين

هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر امه وقيل الالة المعروفة لاضجاع الصبي وكيف كان فالمراد يكلم الناس في الحالة
التي يحتاج الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف اي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي يجتمع قوته وكمل
شبابه من قولهم اكتهل النبات اي قوي وروي ان عمره بلغ ثلثين وثلثا ثم رفع الى السماء وروي ان لا نبيا ان اكمل احوال الانسان ما بين
الثلثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضيل المراد يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه
حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد من المعجزات ولكن تكلمه في حال الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة
في ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه في المهد وحال كونه كهلا على حد واحد وصفة واحدة ولا شك
انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبي الى الكهولة فان التغير الى
محال وقيل المراد انه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي وبالنبوة وقال الاصم المراد
انه يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب اخر وهنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور
واغربها ولا شك ان مثل هذه الواقعة بحضر جمع عظيم ويتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة
لكان اول الناس معرفتها النصارى لانهم افرطوا في محبته حتى ادعوا الالهية لكنهم اطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد اصلا
والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان كلام عيسى في المهد انما كان لله لا للدلالة على براءة مريم مما نسب اليها
من السوء وكان الحاضرون حينئذ جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء وبتقدير ان يذكروا ذلك فان
غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى
ان نطق القران بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك يحيى وفيه ان الدخول في زمرة الصالحين
والانتظام في سلكهم هو المقصد الاسنى والامر الاقصى قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا
او تشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيب بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه عبر
عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق المولود بغير اب ولهذا اكده بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء
وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل ان يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان المذكورات في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه
ثم الذي علمه امور اربعة اولها الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وثالثها
التورية لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الحقة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله
تعالى بذلك وشرفه بانزاله عليه وهذه هي الحالة القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع
على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل اي الى كلهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين
لانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول اي ناطقا باني قد جئتكم وانما وجب
هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين يدي فمعطوف باية اي مع اية والتقدير جئتكم مصاحبا
لاية من ربكم ومصدقا لما بين يدي وجئتكم لاحل اية وفي الكشاف تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد
جئتكم ومصدقا لما بين يدي او الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي
وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا باني قد جئتكم باية من ربكم والمراد بالاية الجنس لا الفرد لانه عدا انواعا من الايات ثم ابدل
عن الاية قوله اني اخلق فيمن قرأ بفتح اني ويحتمل ان يكون انه مع ما بعده مرفوعا اي هي اني اخلق ومن قرأ اني اخلق فللاستيناف او
البيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وهذا احسن لبوافق قراءة الفتح والمعنى اقدر لكم شيئا
مثل صورة الطير من هيئة الشي واصلحته فانفخ فيه او في ذلك الطير المصور او الشكل المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس
يقع على الواحد وعلى الجمع يروى انه خلق انواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك انه لما ادعى
النبوة واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض
قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين
دلت الاية على ان الروح جسم دقيق كالريح وكذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى اودع في نفس
عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شي كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشي حيا وذلك انه تولد من نفخ جبريل في مريم وجبريل
روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او يقال ليس الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة
في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق

الموت

الموت والحيوة ولقوله حكاية عن ابرهيم في المناظرة ربي الذي يحيي ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك
الاستدلال وابرئ الاكمه والابرص ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذي يولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال
لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي وهو صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمي بعد ان كان بصيرا رواه الخليل
وعن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل واما البرص فبياض يظهر في ظاهر جلد البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو
الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فيضعف القوة المغيرة عن تمام التشبيه وقد تغلب البرودة والرطوبة حتى
يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم الصائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم حادا وهو
داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والاخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر
بالدلك ويكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا اخذ جلده بالابهام والسبابة واشيل
عن اللحم وغرزت فيه الابرة خرج فيه دم او رطوبة موردة ولا شك ان ابراء هذا المرض من قبيل الاعجاز روي انه ربما
اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحيي
الموتى احياء عازر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا
الله عليه فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له قال الكلبي كان عيسى ع يحيي الاموات بيا حي ويا قيوم وكرر قوله
باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول امره
يخبر بالغيوب روى السدي انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال ابائهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان
امك خبات لك كذا فيرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشي فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم
في بيت فجاء عيسى ع يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى ع كذلك فاذا هم
خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون
وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من الذخر قلبت كل من القاف والذال والاثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب معجز دال
على ان ذلك الخبر صار معلوما بالوحي ما لم يستعن فيه باله ولا تقديم مسئلة خلاف ما يقول المنجمون والكهان فان ذلك
باستعانة من احوال الكواكب او الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين كونه رسولا من عند الله
ذكر انه لماذا ارسل فقال ومصدقا لما بين يدي من التورية وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدم من الانبياء
لان من الطريق على ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته وجعل من جملة الاغراض في
بعثه عيسى ع تقرير احكام التورية وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا اخر في بعثه فقال
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التورية اذ المعنى بالتصديق هو الاعتقاد ان كل ما فيه حكمة و
صواب واذا لم يكن التابيد مذكورا فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى بوجوده في التورية
فمجي عيسى كان تصديقا لما في التورية وعن وهب بن منبه ان عيسى عليه السلام ما غير شيئا من احكام التورية وانما وضع الاحد
بل كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم شرايع
شرايع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء
على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك
التشديدات منهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية
له وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهو قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا
فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل القول اية من ربه لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كساير
الرسل ويجوز ان يكون تقريرا لقوله اني قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير
اب فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم
اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم
القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فبماذا عاملوه فقال فلما احس
اي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس وانهم تكلموا بكلمة الكفر واحس ذلك باذنه قال السدي لما بعثه
الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان امر عيسى في قومه كامر محمد صلى الله
عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته

وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوماً حزيناً فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك ان جعل على كل
رجل منا يوماً يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي
ادع الله ليكفيه ذلك فقال يا امت اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن والزم ولا بد من اكرامه فقال عيسى ع اذا
قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخاً وما في الخوابي خمراً
فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة فقال
ان من دعا الله حتى جعل الماء خمراً اذا دعاه حتى يحيي ولدي اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى وطلب منه ذلك
فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شراً فقال لا ابالي ما كان فدعا عيسى الله فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكته قد عاش تنادوا
بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى م مشهوراً وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو المسيح
المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري الى الله قيل انه لما دعا
بني اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب
من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا
منه المعجز وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيئاً فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى
فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى
وقيل ان اليهود لما طلبوا في آخر امره للقتل وكان هو في الهرب منهم قال لاولئك الاثني عشر من الحواريين ايكم يحب ان
يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابوا الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود لما
اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبداً كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى عليه السلام حسبك ثم ادنى
اذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد من طلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه وقيل انه دعاهم
الى القتال مع القوم كما قال في موضع آخر فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا
ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف نصرته اياي الى نصرة الله عز وجل اياي وقيل من انصاري الى ان اظهر دين الله فالجار على القولين
من صلة انصاري مضمناً معنى الاضافة وقيل من انصاري حال ذهابي الى الله وحال التجائي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة
الى الله ووسيلة وفي الحديث انه صلى الله عليه كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقرباً اليك فالجار على هذين القولين يتعلق
بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى في اي في سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله
وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت
الثياب بيضتها والحواري واحد ونظيره الحوالي وهو الكثير الحيلة وعن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل
بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان نقي الجيب طاهر الذيل
للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب واما ان الحواريين من هم فقيل هم الذين
كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل ان امه دفعته الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئاً كان هو
اعلم به منه فغاب صباغ يوماً لبعض مهماته فقال له هيهنا ثياب مختلفة وقد علمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك
الالوان فطبخ عيسى ع حباً واحداً وجعل الجميع فيه فقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وسأله فاخبره بما فعل فقال
قد افسدت على الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوباً احمر وثوباً اخضر وثوباً اصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به فهم
الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان
واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من افضل منا اذا شئنا اطعمنا واذا شئنا سقيتنا
وقد آمنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان واحداً من الملوك
صنع طعاماً وجمع الناس عليه وكان عيسى م على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه
قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من انت قال عيسى بن مريم قال فاني اترك ملكي واتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك
هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وسموا جميعاً بالحواريين لانهم
كانوا انصار عيسى والمخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين
الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر
الله تعالى فيه او هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم

يوم القيمة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون
للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم
امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس وعنه ايضاً اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم
شهيداً وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله انه
لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل جعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من
المشاق والالام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك او اكتب ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين
كقوله ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي
بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله من اجتماع الامر واحكامه ومنه امرأة
ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأياً محكماً قوياً مصوناً عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكراً اما مكرهم بعيسى فهو انهم هموا
بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال الشر اليه روي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى عليه السلام
وكان جبرئيل لا يفارقه ساعة فامره جبرئيل ان يدخل بيتاً فيه روزنة فلما دخلوا البيت اخرجه جبرئيل من تلك الروزنة وكان
قد القى شبهه على غيره ممن وكل به ليقتله غيلة فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب واخرى
قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه
فالقى الله شبهه عليه وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى ع فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك
ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلاً من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم
احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من
ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المغلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا
بني اسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طيباريس وهو صار نصرانياً الا انه
ما اظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك
في حاشية بيت المقدس حجراً على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح والهم
بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءه وهم
اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكراً واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر عبارة عن الاحتيال في ايصال
الشر فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يأول بان جزاء المكر يسمى مكراً كقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها او بانه عاملهم معاملة من يمكر وهو عذاب على سبيل الاستدراج وان كان اكثر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابهاً
لانه غير ممتنع في حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين
او لمكر الله او معمول اذكر يا عيسى اني متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الان بل ارفعك الى سمائي واصونك
من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اي مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم ارفعك الي وهذا القول مروي عن ابن
عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي في ثلث ساعات ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال
الربيع بن انس توفاه نوماً ورفعه الى السماء نائماً حتى لا يلحقه خوف ودعا اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
وقيل التوفي اخذ الشيء وافياً اي آخذك بروحك وبجسدك جميعاً فارفعك الي دفعاً لوهم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده و
قيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقيل اجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره
واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك ورافع
طاعتك كأنه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام تقديم وتأخير فان الواو لا يقتضي الترتيب والمعنى اني
رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك
اما قوله تعالى ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه تعالى
منزه عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قول ابرهيم اني ذاهب
الى ربي وانما ذهب من العراق الى الشام وقد يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم او المراد الى مكان
لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الارض ملوكاً مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان

سيبا لبشارته مالم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد دفعه الى محل
كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الاية دلالة على اثبات المكان لله تعالى ثم انه كما عظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك
عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اى من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الى يوم الدين وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه
اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمرى انه كذلك فلا يرى ملك يهودى في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى
على انا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بالله عبد الله ورسوله ثم امنوا بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول
ياتى من بعدى اسمه احمد او المتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه
وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القران دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة اشكالات الاول يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فانه اذا رايت ولدى ثم رايته ثانيا
فحينئذ اجوز ان هذا الذى رايته ثانيا ليس ولدى بل هو انسان اخر القى شبهه عليه وكذا صحابة الذين راوا محمدا يامرهم وينهاهم
احتمل ان يكون محمدا انسانا اخر القى شبهه عليه وانه يفضى الى سقوط الشرايع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار
المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس وانتم جوزتم وقوع الغلط في المبصرات ففتح هذا الباب اوله سفسطة
واخره ابطال النبوات الثانى ان جبريل كان معه حيث صار ثم طرف جناح واحد منه يكفى لاهل الارض فكيف لم يكف في منع اولئك
اليهود وانه عليه السلم كان يحيى الموتى ويبرى الاكمه والابرص فكيف لا يقدر على اماتة اولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاء
الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة
في القاء شبهه على الغير فهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فايدة مع ان ذلك توجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا
ان المصلوب هو عيسى ع والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب و
افراطهم في محبة عيسى اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في نبوة جميع
الانبياء الخامس يجب عن الاول ان كل من اثبت القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك
في وجود زيد وكذا فيما ذكرتم وعن الثانى والثالث ان ذلك يفضى الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافى التكليف والتلبيس
المذكور قد اتاه الله لا من عيسى لحاضرون معه العالمون بالواقعة وعن الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك
الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والواسطة وعن الخامس ما روى ان الذى القى عليه الشبه كان من خواص
اصحابه فلهذا صبر على انا نقول قد ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر عنه فهذه الاحتمالات
يمتنع ان تصير معارضة للنص القاطع والله ولى الهداية ثم قال ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة
لعيسى بانه سيحكم بين المومنين وبين الجاحدين له وتفسيره فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبى
والذلة وانواع المصايب والرزايا التى لا ثواب عليها والاخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشىء في غير موضعه التكذيب في مقام التصديق
والعمل الشر مكان العمل الصالح وذلك ان المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه وان اراد كفر الكافر انه لا يوصل الثواب اليه
وقالت المعتزلة المحبة والارادة واحد والمعنى انه لا يريد ظلم الظالمين وذلك الذى سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتداء
خبره نتلوه عليك والتلاوة والقصص كلاهما يؤول الى معنى واحد هو ذكر الشىء بعضه على اثر بعض وجعل تلاوة الملك لما كانت
بامره كلاوة ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمراد بها ايات القران ويحتمل ان يراد انه من الايات
الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارى كتاب او من يوحى اليه وظاهر انك لا تكتب ولا تقرا فبقى
ان يكون من الوحى ويجوز ان يكون بمعنى الذى ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره
نتلوه والذكر الحكيم القران وصف بصفة من هو بسببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى
ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى المحكم احكمت اياته اى عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذى
منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبيا اخبر تعالى انه انزلت هذه القصص مما كتب هنالك قال المفسرون ان وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قال تقول انه عبد قال اجل انه عبد الله ورسوله
وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط بلا اب فان كنت صادقا فارنا مثله فانزل الله
سبحانه ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اى حاله العجيبة كحاله ووجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة

بل الوجود من غير اب وام اغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغى ان يكون اقوى حالا من المشبه في وجه الشبه ثم
فسر كيفية خلق آدم بقوله خلقه من تراب اى قدره جسدا من طين قيل اشتقاق ادم من الادمة قال ابن عباس سمى ادم لانه
خلقه من اديم الارض كلها احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل
انه اسم اعجمى كازر وعزر فاعل لا افعل والضمير عايد الى ادم الموجود كقوله هذا الكوز اصله من الطين قال له اى لذلك المقدر
كن فيكون وهذا كقوله ثم انشاناه قرنا اخرين وانما قال فكان اما لانه حكاية حال ماضية واما تصوير لتلك الحالة العجيبة
كقوله شعر فاضرب بها بلا دهش فخرت او المراد اعلم بانه انما قال له ذلك كن فانه لا محالة ثم تراخى الجار عن الخبر لا تراخى
المخبر عن المخبر كقول القايل اعطيت زيدا الفا اليوم ثم انا اعطيته امس الفين اى انا اخبركم انى اعطيته امس الفين فكذا
قوله خبره من تراب اى صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم انه انما يخبركم خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه
تعالى فقال بكيفيته ووقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله في الوجود قالت الحكماء
وانما خلق ادم من التراب لوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون اشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها
ولما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التى هى اضوا الاجرام السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق
الملائكة من الهواء التى هو ارق الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من امواج مياه البحار وابقاها
معلقة في الفضاء وخلق آدم من التراب التى هو اكثف الاجرام فاتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر
على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا امزاج وعلاج وخلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص
والغضب وخلقه من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا يتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج بين التراب والماء
لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا انى خالق بشرا من طين ثم انه سل من الطف اجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعله طينا لازبا انا خلقناه من طين لازب ثم بيسه وغير رائحته ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حماء مسنون عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه
لا ابوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان
يبرى الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتداء محذوف اى هو الحق يعنى
الذى انبائك من شان عيسى لا الذى اعتقد النصارى فيه انه اله ولا الذى يزعم اليهود عن ربهما يوسف النجار والحق
مبتدا ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من الشيطان فلا تكونن من الممترين الشاكين قال ابن الانبارى اصله
من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا وفي هذا النهى ترغيب له في زيادة الثبات والطمانينة
ولطف للامة وقد مر نظايره في سورة البقرة **التاويل** الاصطفاء ثلثة انواع اصطفاء على غير الجنس ان الله
اصطفى ادم ولم يكن له جنس حين خلقه واسجد له ملئكته واصطفاء على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه
وسلم على الكاينات لقوله لولاك لما خلقت الكونين وقال صلى الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لوائى واصطفاء على
الجنس كقوله يا موسى انى اصطفيتك على الناس ولمريم ان الله اصطفيك لاصطفايك اياه وطهرك عن الالتفات بغيره
واصطفيك على نساء العالمين لنيل درجة الكمال وان لم يكن من نساء النساء ان الله يبشرك بكلمة حال الصنف من
اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان
اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كانت صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف الكلمة المعرفة
لكنه خص من العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المزكى بتزكية الشريعة المربى بتربية ارباب
الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم اعنى الكلمة من بين ساير الانبياء عليهم السلام والاولياء لانه
خلق مستعدا لهذا الكمال في بدو امره فقد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد
عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال في المهد انى عبد الله اتانى الكتاب وروى مجاهد قال قالت مريم
بنت عمران كنت اذا خلوت انا وحبيبى حدثته وحدثنى فاذا شغلنى عنه انسان سبح في بطنى وانا اسمع وسمى المسيح لانه حين مسح
الله تعالى من ظهر ادم فاستخرج منه ذرات ذرياته لم يرد الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى رد الذرات بالرجوع الى ظهر ادم
وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى القاها الى مريم فكان بقى عليه اسم المسيح الى الممسوح وكهلا اى حال النبوة لان بلوغ
الانبياء عندكهولتهم ومن الصالحين يعنى صلاحية قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء عليهم السلام و
يعلمهم الكتاب والحكمة التورية والانجيل الروح الانسانى الذى هو خليفة الله في ارضه قابل لجميع انوار الصفات خلافة

عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الايات التي هي من نتايج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكاين من العناصر ولاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول انوار الصفات الى ان يخرجه جذبة العناية به بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي ايات المعجزات وعلى الولي امادات الكرامات ولما كان روح عيسى عم وذرة طينة المستخرجة من ظهر ادم محتجبة عند اسحق القاها الى مريم من غير شايبة في ظلمات شهوية الابوين فلهذا سمي روح كان قابل انوار الصفات في بدو امره فكلم الناس في المهد ويكتب ويقرا التورية والانجيل من غير تعلم ويحي ويبري الاكمه الى غير ذلك من الايات فلما احس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن انصار الله امنا بالله اي بوحدانيته والتبري عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضايه صابرون على بلايه ربنا امنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطايف والحقايق واتبعنا الرسول الواردات من نفحات الطافك فاكتبنا مع الشاهدين لانوار جلالك ومكروا اي النفس وصفاتها والشياطين واتباعها في هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية كما اسرى بعبده الى قاب قوسين او ادنى ومن خواص الجذبة الربوبية خمود الصفات البشرية ثم الي مرجعكم باللطف والقهر وبالاختيار على قدم السلوك او بالاضطراب عند نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله والاخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون انفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله ثم قال له كن فيكون هذه سنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه اجراها في تكوين ادم من تراب بلا اب وام وخلق حوا منه بلا ام وخلق عيسى بن مريم بلا اب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ورغما بانف من قال بالايجاب في الايجاد فلا تكون من الممترين بهي الكينونة قال في الازل مما كان من الممترين ولا يكون الى الابد ه

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ● ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم ● فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ● قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ● يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ● ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم

به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ● ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ● ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين ● ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ● يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون ● يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ●

القراءة ها انتم بالمد وغير الهمز حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد وابو عون عن قنبل ها انتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز **الوقوف** الكاذبين القصص الحق الا الله الحكيم المفسدين من دون الله لتنافي جملة واقية الى ابتداء شرط مسلمون من بعده تعقلون ليس لكم به علم لا تعلمون مسلما المشركين والذين امنوا المومنين او يضلونكم يشعرون تشهدون تعلمون **التفسير** روي انه صلى الله عليه وسلم لما اورد الدلايل على نصارى نجران ثم انهم اصروا على جهلهم قال صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولين فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قال يا ابا القسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نودي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك قال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا المسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عايشة رض انه صلى الله عليه وسلم لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي عليهم الصلوة والسلام ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحي والتنزيل فقل تعالوا هلموا والمراد المجي بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسالة وهو في الاصل تفاعل من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجي وصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويات هو بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم اعز من النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجي افتعل بمعنى تفاعل كاختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا اي لعنة الله ويقال بهله الله اي لعنه الله وابعده من الرحمة ومنه قولهم

ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على
الدفع من نفسها فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه
هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم التعانا وهو المراد في الاية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد
في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسال الله ان يلعنه وفي الاية دلالة على ان الحسن والحسين ابناء البنت
يصح ان يقال ابناء رسول الله لانه صلى الله عليه وسلم وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد يتمسك الشيعة قديما وحديثا
بها في ان عليا افضل من ساير الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في الري
رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من ساير الانبياء سوى محمد قال وذلك
انه ليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن
ابي طالب فاذن نفس علي هي نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من ساير الانبياء فكذا علي قال ويؤكده ما يروي
به المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرى ادم في علمه ونوحا في طاعته وابرهيم في خلته
وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا
فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من ساير الانبياء فكذلك انعقد الاجماع بينهم
قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الاية كما انه مخصوص
في حق محمد فكذا في حق ساير الانبياء واما فضل اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الاية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه
بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يجترئ على تعريض
اعزته وخويصته وافلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا ان القوم عرفوا من التورية والانجيل
ما يدل على نبوته لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء فليس من قبيل المباهلة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض
الاحتجاج والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي اتلى عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق وما
من اله الا الله وهو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على
النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب عن شبه النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر
عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم
يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان
تولوا عما وصفت من التوحيد وان الاله الخالق يجب ان يكون قادرا على كل المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان
اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم
واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وسلم لما اورد على نصارى نجران من الدلايل ما انقطعوا
ثم دعاهم الى المباهلة فانخذلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية امره الله تعالى بنمط اخر من الكلام مبني على الانصاف ويشهد به
كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الاية من تمام قصتهم ولان كلام منصف تخوطب بما يطيب به
قلوبهم كما لو قيل لحامل القران يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ
يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى
ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد من قوله تعالوا تعين ما دعوا اليه
والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه
لاحد على صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف وفيه التسوية بين نفسه
وبين صاحبه او المراد الى كلمة مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله
ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فمحل ان لا نعبد خفض على البدل
من كلمة او رفع على الخبر اي هي ان لا نعبد وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح
واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح
واقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين مستقلين والا لما جاز عليهما مفارقة
ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث اثبتوا ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم

اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم من غير شريعة وبناء لانهم ليسجدونهم ويطيعونهم
في المعاصي وهوى النفس ورؤية الامور من الوسايط افرايت من اتخذ الهه هويه او لان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة
يظهر فيه اثر اللاهوتية ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب
الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين
العقلاء فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه والقول بالاشراك ايضا ضايع
واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان لا يرجع في التحليل والتحريم والانقياد والايتمار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل
لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل
الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال وصراع لزمتك الحجة فاعترف باني انا الغالب
او يكون من باب التعريض ومعناه اعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون
ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل
ان يكون يهوديا او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام
انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القران اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين انه كان يهوديا او نصرانيا وظهر الفرق وايضا المسيح ما كان
موجودا في زمان ابرهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هي النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في دين اليهود والنسخ جايز في
ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى يعني
انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد او ليس المراد وصفهم بالعلم
حقيقة انما اراد هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الاخفش
ها انتم اصله اانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم
كيف كانت حال هذه الشرايع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما انه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين عن اليهود والنصارى
لاشراكهم بالله عزير والمسيح فان قيل قولكم ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا
بدين الاسلام وان اريد به الموافقة في الفروع لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله
قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى يخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث و
اشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبايح افعالهم او الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى
ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابرهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة
شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن
ابي طالب واصحابه الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من
امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد ثارا بمن قتل منكم
ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي ارائكم
فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع الهدايا الادم وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له
وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين
قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر
والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل احد منا عليهم ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر
بعثوا اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك
لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا
صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصايح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم
فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي
فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي

ما يمنعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحيى بها من اتانى من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما
كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام
تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله
قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا
احب ان اجيبه عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال
جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم
ام احرار فقال عمرو بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص
منا فقال عمرو ولا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي يا عمرو
وان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا قيراطا قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد
وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي
ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه اصدقني قال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان
وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب
مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب الناقوس فاجتمع
اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين
القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي
لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرا علينا كتاب الله ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويامر
بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي شيئا مما يقرا عليكم فقرا عليهم
سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا
عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما يقولون في عيسى وامه
فقرا عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد
المسيح على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقولون امنون من سبكم او اذاكم غرم
ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم
الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون فادعوا انهم في دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه
وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار
في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا في اخر الزمان وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في
خصومتهم في ابرهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قوله ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه على ملته
وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا في اخر الزمان والله ولي المؤمنين بالنصرة
والتاييد والتوفيق والتسديد ومعنى اولى الناس اخصهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرى وهذا النبي بالنصب
عطف على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي
منهم ابي وخليل ربي ابرهيم ثم قرا ان اولى الناس الاية ثم بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال
المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرناه في سورة البقرة وما يضلون الا
انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او وما يقدرون على اضلال المؤمنين
وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق الاستفهام
فقال لم تكفرون بايات الله قيل اي بالتورية والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد وان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان
الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتورية والانجيل اما الكفر بهما لان عليهما فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول
او الكفر بنفس التورية لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وانتم
تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التورية والانجيل على نعت محمد صلى الله
عليه وسلم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الاية اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل ايات الله
هي القران وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل ايات الله جملة المعجزات التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم

فمعنى تشهدون انكم تعرفون بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية اردفه التوبيخ بالاغواء وهو اما
بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق عن الحسن وابن زيد حرفوا
التورية فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار ثم رجعوا عنه في اخره تشكيكا للناس وقيل
ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه
في القران فلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالاخر كما يفعله كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون
ان محمدا معترف بان شرع موسى حق ثم ان التورية دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات واما كتمان الحق فهو
ان الايات الدالة في التورية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان الاستدلال بها مفتقرا الى التامل والتدبر والقوم
كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعله المبتدعة في زماننا وانتم تعلمون
انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا او تعلمون انكم من اهل المعرفة او تعلمون حقيتها او ان عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم

الله حسبي

وقالت طآئفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين
امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله
ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا
ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو

من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ● ما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة كونوا
عبادًا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون ● ولا يأمركم ان تتخذوا
الملئكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ●

القراءة ان يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤده ولا يؤده بى ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلى وخلف وحفص والمفضل وعباس وسهل ويزيد عن يعقوب وقرا ابو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو فى رواية اليزيدى طريق ابى ايوب الهاشمى بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلى وحمزة وخلف وابن عامر بحذف المفعول الاول للعلم به وهو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى والاعشى والبرجمى وابو زيد عن المفضل وقراءة ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب **الوقوف** يرجعون للعطف دينكم هدى الله لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله معترض ومن قرا ان يؤتى مستفهما وقف عليها عند ربكم بيد الله لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضمير فاعله عايد الى الله من يشاء عليم لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء العظيم اليك الاولى لتضاد الجملتين معنى مع اتفاقهما لفظا قائما سبيل لان الواو للاستيناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون المتقين يزكيهم اليم وما هو من الكتاب لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله يعلمون تدرسون لمن قرا ويأمركم بالنصب عطفا على ان يؤتيه اربابا مسلمون **التفسير** هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذى انزل يحتمل ان يراد كل ما انزل عليهم ويحتمل ان يراد بعض ما انزل اما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدى تواطأ اثنى عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اوله والوجه فى اللغة مستقبل كل شىء ومنه وجه الثوب لاول ما يبدو ومنه روى ثعلب عن ابن الاعرابى اتيته بوجه النهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد للربيع بن زياد **شعر** من كان مسرورا بمقتل مالك ❁ فليأت نسوتنا بوجه نهار ❁ تجد النساء حواسر ايندبنه ❁ قد قمن قبل تبلج الاسحار ❁ وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثأر فمعنى البيت من كان مسرورا فليأت ليخلى تشفى الغيظ ودرك الثار قبل ان يمضى على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما آمنوا به فى اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب وقد تكفروا فى امره وفى دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل التام والبحث الثانى انه كذاب فيكون فى هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال ابو مسلم معنى وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امرهم لا يخلو فى اضطراب فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل رأيهم فيرجعون الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه فى جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه فى بعض وكذبوه فى بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم ويرجعوا عن دين الاسلام والرغبة فيه واما الاحتمال الثانى فقول من قال انها نزلت فى شأن القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلوة الصبح واخره صلوة الظهر وتقريره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر قال كعب بن اشرف وغيره آمنوا بالقبلة التى صلى اليها صلوة الصبح فهى الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبى لما صرفت الى الكعبة

شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذى انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم كيلا يؤثر الحيلة فى قلوب ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا فى هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك وازعا لهم وفيه ايضا انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى آخرها كلام الله الا انهم اختلفوا فى ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج فى تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عدت الاية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا فى قراءة من قرا بهمزة واحدة من يقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا الام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى لان اى من اجل ان يؤتى احد شرايع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعدد ذنوبه عليه وقد احسن اليه امن قبل احسانى اليك امن اهانتى لك والمعنى امن هذا فعلت ما فعلت ام من ذلك ونظيره قوله ام من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الانبيا بتقرير شرايع التورية فاما من جاء بتغيير شىء من احكام التورية فلا تصدقوه وهذا هو مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال الصدق لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم فى الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الدين الذى يجب متابعته كقوله فى جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل ان يقال المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم فقيل للنبى قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال الان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشىء آخر يعنى ان ما بكم من الحسد والبغى ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعنى دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل بالايتاء عند كفركم به من محاجتهم لكن عند ربهم لان ما اوتوا مثل ما اوتيتم فحين لم يؤمنوا به ثبت لهم حجة واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقرير اما كما سبق او يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقرير قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى ويتم الكلام بمحذوف اى يحاجوكم عند ربكم فيقضى عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف وهو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له ان يؤتيه ما يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى ما اوتيتموه او يحاجوكم يعنى هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويضمر لا بعد ان مثل ان تضلوا اى لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذى هو افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعنى هؤلاء اليهود عند ربكم فى الاخرة لانه يظهر لهم فى الاخرة انكم محقون وانهم ضالون واما الاحتمال وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله جملة معترضة فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم او لا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من ان على القياس قال فى الكشاف اراد اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا كتاب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم اى سترتم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول وهو اعتراض آخر يجى بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم فى حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم كان اعظم من جدهم فى حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصى بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل

على صحة دين محمد عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا المنهى الامر بافشا هذا
التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا عند خواصكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل
ان يكون شايعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله قل ان الهدى هدى الله
فيما بين جرى كلام لله واحد وهذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه
ان يقول عند ما وصل الكلام الى هذا الحد فانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قوله باطلا لا جرم ادب رسوله صلى الله
عليه وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول
عند بلوغه الى تلك الكلمة امنت بالله او لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم
وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الهدى هدى
الله وان الفضل بيده واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا اخره ليصير ذلك
شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كمال هداية الله وقوة بيانه
لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكم والنبوة
فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر
ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزايد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له غالب عليه
بوضح قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذى
لفاعله ان يفعله وان لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم
والمصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتى
بعض عباده مثل ما اتاكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص
برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما اتاهم بل يكون اشرف و
اعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى
في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان
ونقض العهد والكذب على الله الى غير ذلك من القبايح فقال ومن اهل الكتاب الاية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل
للامانة واهل للخيانة فقيل ان اهل الامانة منهم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهود فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم
انه يحل لهم قتل كل من يخالفهم في الدين واخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل
الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تامنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومايتي اوقية
من ذهب فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال هو اهل الحقيقة
فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يحزن
بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواه غير مود حقوقها ويقال امنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة
بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل
فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه فقد عرفت في اوايل السورة وقد يستدل لما روينا عن ابن عباس ان القنطار الف ومايتا
اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يامن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة
وليس في الاية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤده اليك
ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه ايضا انها نزلت في الوديعة واما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من
حمله على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه مجتمعا معه ملازما اياه فان انظرت
واخرت انكر ومنهم من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان الطالب للشيء يقوم والتارك
له يقعد عنه ومنه قوله تعالى امة قائمة اى عاملة بامر الله غير تاركة له وقال ابو علي الفارسي القيام في اللغة الدوام والثبات
ومنه قوله دينا قيما اى ثابتا لا ينسخ فمعنى الاية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذى
دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال العرب سبيل بالخطاب والعتاب اما لانهم بالغوا في التعصب
لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باى طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل
لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم

واموالهم روي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم
دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعايهم ان ذلك في كتابهم وهم
يعلمون انهم كاذبون وهذه غاية الجراة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخاين من الاثم عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر و
الفاجر وعن ابن عباس انه ساله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال
نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم
الا بطيبة انفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا لانه لمجرد نفي ما قبله اى بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استيناف وقال
غيره انه يذكر في ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم ليس علينا جناح قايم مقام قوله نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل
الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وفيه ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء فلو انهم اوفوا
بالعهود واوفوا كل شيء بالعهد الذى اخذ الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي اخر الزمان وهو محمد عليه صلوات الرحمن ولو
انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قايم مقام الضمير العايد الى المبتدا والضمير في بعهده يجوز ان
يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الاية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم الاخلاق فالوفاء
بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى بتتميمها وتزيينها حتى ياتي بها على وجه
الكمال من غير شايبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب
الموفين او الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا يمتنع الا بالايمان
الكاذبة غالبا لا جرم اردفها بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم
قال ان الذين يشترون الاية فاختلف الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الايات السابقة فيهم وكذا اللاحقة
ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤس
اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شان محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله
كيلا تفوتهم الرشى والماكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى
كعب بن الاشرف بالمدينة فسالهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا
فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم على وانا اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم
الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه
وسايلوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو ليس بالنعت الذى نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا
للذى عندنا واخرجوا الذى كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت
رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من
حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الاية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون وعهود الله مواثيقه واليمين هو الذى يؤكد الانسان
بها خبره من وعد او وعيد او انكار او اقرار بذكر اسم الله تعالى او صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا
من المال والجاه ونحوهما ثم انه رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم
في الاخرة اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم اشارة
الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب اليم اشارة الى ما يحصل لهم هناك من صنوف الالام وضروب
الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه في الدنيا غيره
فانما ذلك لسخطه عليه وقد يامر بحجبه عنه ويقول لا اكلمك ولا ارى وجهك واذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل قال في
الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه
فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاده نظره عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد
والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه
النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من
النظر تقليب الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق

بهذه الاية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الروية والا لزم من هذه الاية ان لا يكون الله تعالى رائيا وذلك باطل
قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذى يختص الله تعالى به اولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز ان يكون النظر بمعنى الروية لانه لا يلزم من نفى الروية بهاء العباد الله
وقت نفى روية لا يرونهم حينئذ وان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا
التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله فاخذت قريظة ماكتبوه فخلطوه بالكتاب الذى عندهم يلوون السنتهم
بالكتاب قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها فى حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللى عبارة
عن عطف الشئ ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية وانما
وانما كانوا يفعلون مثل ذلك فى الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة
وفى الكشاف اى يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف اقول وذلك ان لى اللسان شبه بالتشدق والتنطع والتكلف مذموم
فعبر الله تعالى عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلى اللسان ذما لهم وتقريعا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق
بين الفاظ المدح والذم فى الشئ الواحد لتحسبوه اى المحرف الذى دل عليه يلوون ويجوز ان يعود مضاف محذوف اى
يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوه ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله نفى اولا كونه من الكتاب ثم عطف عليه النفى العام ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان
كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية
فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود فى كتب ساير الانبياء وذلك ان القوم فى نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا
متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية وان وجدوا قوما عقلاء زعموا
انه موجود فى كتب ساير الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التورية او اعراب الفاظها فالذين اقدموا
على ذلك يجب ان يكونوا طايفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الايات على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشكوك والشبهات فى وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون فى ملتنا
اذا استدل المحقون بآية من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج عليه الكعبى والجبائى
بالاية على ان فعل العبد ليس بخلق الله والا لصدق اليهود فى قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم والغلط ان القوم
ما ادعوا ان التحريف من عند الله او هو حكم من احكامه فتوجه التكذيب تكذيب الله اياهم الى هذا الذى زعموا الا الى ما لم
يزعموا فلم يبق لهما فى الاية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب انهم زعموا ان عيسى كان يدعى الالهية
ويامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قايل ما كان لبشر الاية وقيل ان ابا رافع القرظى من اليهود والسيد من
نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد
غير الله او ان نامر بغير عبادة الله تعالى فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل ان رجلا قال يا
رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض ونسجد لك قال لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان احدا لا ينال من درجات الفضل ما ناله فقال لهم الله ان كان
الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا باستعباد الناس واستخدامه وهذا الوجه يحمله لفظ الاية فان قوله ثم يقول
للناس كونوا عبادا لى من دون الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان
لبشر قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك لمنعهم الله منه نظيره ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات وقيل
معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم منه ان لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعى تبليغ
الاحكام عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق
ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتيها النظرية والعملية
لم تكن مستعدة لقبول قدر الكتاب السماوى عليه وللحكم وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو
كونه مامورا بتبليغ ما فهم الى الخلق وما احسن هذا الترتيب واذا كانت كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله
مثل هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبى وقصارى امره صرف القلوب والارواح من الخلق الى الحق فكيف يعقل
منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لى من دون الله انه يحرم عليه هذا الكلام لان

ذلك يحرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى فى ادعايهم على المسيح ذلك لان
من ادعى على رجل فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان
لله ان يتخذ من ولد على سبيل النفى لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله وما كان لنبى ان يغل
ومعناه النفى لا النهى ومعنى ثم فى قوله ثم يقول تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن كونوا ولكن يقول كونوا
ربانيين قال سيبويه الربانى منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته كما قال رجل الهى اذا كان مقبلا
على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون فى النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعرانى
ولحيانى ورقبانى للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم
واحدهم ربان وهو الذى يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام بامورهم والالف والنون كما فى
ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة والربانيون بهذا التفسير يشمل الولاة ايضا قال القفال يحتمل ان يكون الوالى
يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الاية ولكن يدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر
الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هى عبرانية او سريانية
وسواء كانت عربية او عبرية تدل على الانسان الذى علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية انه
قال حين مات ابن عباس اليوم مات ربانى هذه الامة والباء فى قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون
من التعليم او العلم على القراءتين فيعلم منه ان التعليم او العلم والدراسة وهى القراءة يوجب على صاحبها كونه ربانيا
والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضى ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم
وما ذاك الا ان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب
وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله يكون غرس شجرة مونقة بمنظرها ولا ينفعه بثمرها ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع وفى الاية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وسلم العلماء
ورثة الانبياء تامل تغنم باذن الله تعالى ولا يامركم من قرأ بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد النفى
المتقدم اى ما ينبغى لبشر ان ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله تعالى بالعبادة ثم يخالفه الى ان يامر الناس بعبادة
نفسه ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهيننى ولا يستخف بى والثانى ان يكون
حرف النفى اصليا فيرجع المعنى الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى
عن عبادة عزير والمسيح فحيث قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم
عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر فى معنى النهى ويراد بالنبيين غيره كانه اخرج نفسه بتلك الدعوى
عن زمرة الانبياء ومن قرأ بالرفع على الاستيناف وظاهره تنصره قراءة عبد الله بن مسعود ولن يامركم والضمير
فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد وقيل لعيسى وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين
وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح ايامركم اى البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ انتم
مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار اى انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسجدوا له قلت وضع الشئ ابتداء اسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل ان يكون
المراد ما صح ولا يعقل ان يامر النبى امته بعبادة نفسه اول ما استنبئ فكيف يعقل ان يامرهم بذلك بعد الفهم
بالاسلام واشتنادة باطنهم بنور الهدى والايمان

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال

فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين • فمن تولى بعد ذلك
فاولئك هم الفاسقون • افغير دين الله تبغون وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون •
قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى و
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون •
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة
من الخاسرين • كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى
القوم الظالمين • اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله و
الملئكة والناس اجمعين • خالدين فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون • الا الذين تابوا من بعد ذلك و
اصلحوا فان الله غفور رحيم • ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون •
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم
وما لهم من ناصرين •

القراءة لما بكسر اللام حمزة والخزاز الباقون بفتحها اتيناكم على صيغة جمع المتكلم ابو جعفر ونافع الباقون اتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابو عمرو وغير عباس وعراء عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقراء يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمزة الارض بغير الهمزة روى البخارى عن ورش وروى الاصفهانى عنه بغير همزة فيهما الباقون بالهمزة فيهما **الوقوف** ولتنصرنه اصرى اقررنا الشاهدين الفاسقون يرجعون من ربهم منهم مسلمون منه لعطف المختلفتين الخاسرين البينات الظالمين اجمعين فيها ينظرون للاستثناء رحيم توبتهم الضالون افتدى به ناصرين **التفسير** الغرض من هذه الآيات

تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة صلى الله عليه وسلم قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم ومن جملتها اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القران اذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب و اضافة الميثاق الى النبيين اما ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد منه او من اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فيؤيده ما يشعر به ظاهر اللفظ من ان اخذ الميثاق هو الله والماخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن علي كرم الله وجهه انه ما بعث ادم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذى يدل على صحته ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير وبيان انهم لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد والا فالميت لا يكون مكلفا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف واما النبيين فقد عهد كثيرا في القران لفظ الامر ويراد به النبي كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم وقيل النبيون ويؤكده قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واما الاحتمال الثاني فالمعنى عليه ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد عليه السلام فانه يجب عليهم ان يؤمنوا ويؤكده انه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروى عن ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرؤن واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما اتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في اتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما اتيتكم والتقدير للذى اتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به وثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط ان يقال اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وما هي المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا الايمان والنصرة والاصح في هذا المقام ان يجعل المذكور جواب القسم ظاهرا ولهذا دخل اللام والنون المؤكدة في لتؤمنن ولتنصرن وادخال اللام في الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من قبل الامر وتمهد ان المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان جواب الشرط القسم يكون مستغنى عنه لان جواب القسم يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام للتعليل ففيه ايضا وجهان احدهما ان تكون ما مصدرية اى اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة لمجيء رسول موافق لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر الانبياء والثاني ان يكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل اصله لمن ما اى لمن اجل ما اتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلث ميمات فحذفوا احديها للتخفيف فيؤول المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراءات قيل لا بد من اضمار بان واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما اتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار وكانه قيل واذ اخذت واذ اخذنا ولما في اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع اخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف فقال واذ اخذ ميثاق الله النبيين لتبلغن الناس ما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف اشرفهم او الكتاب لذوي الكتب والحكمة لغيرهم او جعل الداعي الى الكتاب والى العمل به كالذى انزل عليه الكتاب ومن للبيان او للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم معناه اى في زمانكم وان كان المراد من النبيين اولادهم او اممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرايع فاما تفاصيلها وان وقع الخلاف فيها فذلك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا شرعه وان الحق في زمان محمد ليس الا شرعه ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد اما ما ذكرنا او ان نعته وصفته واحواله مذكورة في الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم والظاهر ان المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم وقيل يحتمل ان يكون الميثاق اشارة الى ما قرر في عقولهم من الدلايل الدالة على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق انه تعالى شرح صفاته في كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت احواله مطابقة لما جاء في الكتب الالهية وجب الانقياد له

تعديد

وهذا انما يتجه لو كان المراد بالنبيين اولادهم او امهم او ميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله من النبيين على تقدير
كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم المجيء في الزمان الماضي فيكون معنى الاية ان الله تعالى اخذ ميثاق قد
من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول قد جاء قبله موافقا لما معه وينصره بان يظهر حقيته في وقته وانه
من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقايد وفي قواعد مكارم الاخلاق فيكون هذه الاية تمهيدا لما يجي بعد من قوله
قل امنا بالله الاية قال الله او كل نبي لامته سنفهما بمعنى الامر اقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار
عن ثبوت حق سابق وفي اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشيء يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم على ذلكم اصري عهدي
والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها عدل اي لا يقبل ويأخذ الصدقات اي يقبلها سمي العهد اصرا لانه مما يوصر
اي يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد وقال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار في
قوله وانا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة
بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه كقوله واشهدهم على انفسهم
وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به واصله ان الشاهد هو الذي يبين تصديق الدعوى
وقيل استيقنوا وكونوا كالمشاهد للشيء المعاين له او يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد
بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته
ووعيد الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين
الله الى غيره بادخال الهمزة يبغون ويحتمل ان يراد اتتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
واليه ترجعون من قرأ بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب في اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون
ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول وفي الثاني الى جميع المكلفين والاصل افتبغون غير دين الله لان الاستفهام
انما يكون عن الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فايدة الهمزة ههنا متوجه الى الدين الباطل
وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم فكل واحد من
الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ
بدينك فنزلت وعلى هذا تكون الاية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه
ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغي والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فانكروا
ان يقبلوا ذلك او قرأ انهم يقبلونه ثم بين ان الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل وكيف لا وقد اخلص له الانقياد
وخضع له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل
بين يدي قدرته خاضع لجلال قدسه في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او عرضا او فاعلا او
فعلا ونظير الاية ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد عن الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما
مصدران وقعا موقع الحال لانهما من جنس الفعل اي طايعين وكارهين كقولك اتاني ركضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما
لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون منقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الالام
والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضايه وقدره واما الكافرون فينقادون في الدين كرها اي خوفا من
السيف وعند الموت او نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض اقول وذلك لان السفلي
ينجذب بالطبع الى السفل فيحمله نفسه ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن شاهد
الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون الى حيث
لا مالك سواه ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء
في تصديق كل رسول كان قبله امر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه اما وجه
التوحيد في قل فظاهر بناء على ما قلنا واما وجه الجمع في امنا فللتشريف امته بانضمامهم معه في سلك الاخبار عن
الايمان او ليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن بالله وملائكته
او للاجلال فقد نبيه حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقايد
ثم ذكر الايمان بما انزل الله اليه لان كتب ساير الانبياء محرفة لا سبيل الى معرفة احوالها الا بالفرقان المنزل على
محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الايمان بما انزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل وفي ذلك تنبيه على

سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين في
شيء حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب
اليه الجمهور في تفسير قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين فههنا قد اخذ الميثاق على محمد بان يؤمن بكل رسول
كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا نبي بعده واعلم ان الوحي ينزل من
فوق وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى بعلى تارة كما في هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما في البقرة فنطق القران
بالاعتبارين جميعا وقيل عدي هناك بالى لمكان قولوا فان الوحي ياتي الامة بطريق الانتهاء وعدي ههنا بعلى لمكان قل
فان الرسول ياتيه الوحي بطريق الاستعلاء وزيف في الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القايل لم يدع ان هذه المناسبة يجب اعتبارها في كل موضع واما عند ادعى اعتبارها
في الموضعين ليصلح حجة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فايدة تقديم الجار ان يعلم ان هذا الادعاء والايمان والاستسلام
لا غرض فيه الا وجه الله دون شيء اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود والذين يشترون بايات الله ثمنا قليلا
فليسوا من الاسلام في شيء ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو في الاخرة من
الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب
الكبائر عند المعتزلة وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول
لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان اريد الانقياد
الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد به الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي
داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد من ترك الاسلام
فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان
بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاء
البينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا
ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التايب بقوله الا الذين
تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل
الله هذه الاية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملهن اليه رجل من قومه فقراهن عليه فقال الحرث والله انك
لصدوق وان رسول الله لاصدق منك وان الله اصدق الثلثه ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في
الاية ان اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلايل والا لكان الكافر معذورا
ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشيء اخر سوى نصب الدلايل
قالوا فالمراد بهذه الدلايل الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى والمعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا
الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق
المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف وفي دار العمل ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه
عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه و
قال اهل التحقيق كيف يهدي الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبايع الحيوانية عن الاخلاق الربانية
وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل اذ هو في تقدير ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن من الصالحين
ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الاية يؤول الى انه
تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل ومما يسوغ انكاره
وبعد ان جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القران وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد
من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين الشيء
في غير موضعه وذلك ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي
المبعوث في اخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل ولهذا صرح في اخر الاية
بانه لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الاية ثم اردفه بغاية الوعيد قائلا اولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم

ينظرون وقد مر مثله في البقرة وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن
شوايب المنافع دايمة غير منقطعة الا الذين تابوا من ذلك الكفر العظيم ولا يكفي التوبة وحدها حتى
يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات
واظهروا انا كنا على الباطل لو اعتبر بطريقتهم المخرفة ومعتز رجع عنها فان الله غفور في الدنيا بالستر رحيم
في الاخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد بها الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفره وهو المراد في الاية باتفاق
عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث
ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليظاتهم
وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن وهذا قول الحسن
وقتادة وعطا وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد
ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة في الكفر
ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم في هذه الاية بعدم قبولها فهذا يوهم التناقض و
ايضا ثبت بالدليل التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطا المراد
بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حصول الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقيل هو محمول على ما اذا تابوا باللسان
لا عن الاخلاص وقال القاضي والقفال وابن الانباري هي من تتمة قوله الا الذين تابوا يريد انه لو كفر بعد التوبة
الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة عن تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه اقول
ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر
ما يتوبون على الكفر لما في فعلهم من قساوة القلوب والافضاء الى الزمن والجراءة الى الموت على حالة الكفر وفايدة
هذه الكناية تصوير كونهم ايسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فقوله
انما لم يحمل الموت على الكفر لازما لازدياد الكفر لان القضية حينئذ لا تكون كلية فلكم من مرتد او يهودي ما ازداد
الكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى يرد
الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم انما ذكر اللازم واراده الملزوم وانه لا بد للعدول من فايدة فصح ان بين فايدة
العدول على وجه تصير القضية كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة
حال الايسين من الرحمة التي هي الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل الياس من الرحمة
وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم ان لا
يقبل توبتهم واولئك هم الضالون الكاملون في الضلال ضلوا في تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية
فلا يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذي يتوب الكفر توبة صحيحة مقبولة
وهو الذي سيق لاجله الاية التي دونها الاستثناء وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله تعالى
لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة فذكره في الاية الاخيرة وملء الشي قدر ما يملأه
وذهبا نصب على التمييز وتمييز يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما الا انه يكون مبهما كقولك عندي
عشرون عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء في فلن يقبل انه يعلم
ان الكلام مبني على الشرط والجزاء واذا ترك كما في الاية الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الحمل والوضع
هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فيما اذا
يجيبون ولعل عقيدتهم في هذه المواضع انها من الاسولة المنقلبة وهو وهم والسر في التخصيص هو انه لما قيد في
الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيدا للزوم وتغليظا في الوعيد والله اعلم
اما الواو في قوله ولو افتدى به فانها تشبيه عطف الشي على نفسه كالمكرر فلهذا كثرت اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج
وابن الانباري انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل
منه وقيل انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول

بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب و
نهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية
ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في مثل ضربت زيدا اي مثل ضربه وابو يوسف وابو حنيفة تريد مثله
كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر في اغلب الامور فكانا
في حكم شي واحد فان قيل من المعلوم ان الكافر لا يملك يوم القيمة شيا وبتقدير ان يملك فلا نفع في الذهب هناك
فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز
الاشياء وفرض ان في بذله نفعا للاخذ وان المبذول في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب
ربه ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق وماتوا اي مات
قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة ٥

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون • وما تنفقوا من شئ فان الله
به عليم • كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية
ان كنتم صادقين • فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك
فاولئك هم الظالمون • قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم
حنيفا وما كان من المشركين • ان اول بيت وضع للناس
للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين • فيه ايات بينات
مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا • ومن كفر فان الله غنى عن العالمين •
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ١
ما تعملون • قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما
تعملون • يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين •

وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ۝

القراءة ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها **الوقوف** الجزو الرابع تحبون عليم تنزل التورية صادقين الظالمون حنيفا المشركين للعالمين لان ما بعده يصلح حالا واستينا فامقام ابرهيم للابتداء بالشرط مع الواو ولان الامن من الايات منا سبيلا العالمين بايات الله قد قتل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون شهداء تعملون كافرين لتناهي الاستفهام الى الشرط مستقيم **التفسير** انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المومنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون به في الاخرة وهو الانفاق من حب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى سمى جوامع خصال الخير برا في قوله تعالى لكن البر من امن بالله وذكر في هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باحراز خصلة البر ولن تبلغوا حقيقتها حتى يكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتوثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله يروى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله حايط لي بالمدينة يعني بيرحي وهو احب اموالي الي صدقة فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي بن كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الاية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة فوجد زيد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت ومداين كسرى فلما اراها اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما انه ما به يصيرون ابرارا ليدخلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم فيكون المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من امن وجملتها التقوى لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون والثاني الجنة اي لن تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرمه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني وقال تعالى ان تبروا وتقسطوا ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جايز لمن يحتاج اليه والمراد مما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو الطيب المال وارفعها وعن ابن عباس اراد به الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن هو كل ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن في من شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيبا او خبيث فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه ويعلم الوجه الذي لاجله تنفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه قرر الدلايل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة القوم وتقريره ذلك من وجوه احدها انهم كانوا يعولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم على انكار النسخ فاورد عليهم ان الذي حرم اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان ذلك الحرام كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يطالبهم باحضار التورية الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد لانه كان اميا فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابرهيم فكيف تاكل لحوم الابل والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابرهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا ان يعقوب حرمه

على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية وفي الثاني المنازل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الايات الدالة على انه انما حرم عليهم كثيرا من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم فنزلت كل الطعام اي المطعومات كلها والدلالة على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم اولا والطعام اسم لكل ما يطعم ويوكل ومن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الاية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما يتخذ منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كانت تدعي اليهود في وقت نبينا انها كانت محرمة على ابرهيم صلوات الرحمن عليه وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم ولا هم بالمفرد يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله لا ياكل شيئا من العروق وجاء في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه زوايد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار تحريم يعقوب سببا للتحريم واجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المراة والجارية وايضا الاجتهاد جايز على الانبياء لعموم فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب اوفر لاسيما ومعارفهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده معهم وفي ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفتهم في ذلك الحكم كما ان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرم الله على اسرائيل فلما نسب الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفه يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعنى قوله من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى اخر الاية ثم ان القوم نازعوا رسول الله في اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فلزمت الحجة عليهم وظهر اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فلهذا قيل فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن يقتدي به من اشياعهم قل صدق الله في جواب الشبهة الثالثة وفيه تعريض بكذبهم فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي التي عليها دين محمد ومن تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجاتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات التي احلت لابرهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابرهيم صلوات الرحمن عليه في الفروع لما ثبت ان الذي حكم بحله حكم ابرهيم بحله وفي الاصول لان محمدا وابرهيم كليهما صلوات الله عليهما لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت قال مجاهد هو جواب عن اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الاية المتقدمة سبقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التي اظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة وقيل لما انجر الكلام في الاية المتقدمة فاتبعوا ملة ابرهيم وكان الحج من اعظم شعاير ملته اردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابرهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابرهيم واهل الكتاب لا يحجون

قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد
قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل
متعبدهم وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثانيا فضلا ان يشاركه في
جميع خواصه فلا يلزم من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما
من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس يحتمل ان يكون المراد انه اول في البناء والوضع ويحتمل ان يراد انه اول في الوضع
وان كان متاخرا في البناء فلاجرم حصل للمفسرين قولان الاول انه اول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي في البسيط
باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية خلق الله موضع هذا البيت قبل
ان يخلق شيئا من الارض بالفي سنة وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى ايضا عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
عليهم السلام قال ان الله تعالى بعث ملئكته فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في الارض
ان يطوفوا كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في ساير كتب التفسير عن عبد الله بن عمر وابن
مجاهد والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله تعالى قبل الارض بالفي عام وكان زبدة
بيضاء على الماء ثم دحيت الارض تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابرهيم صفوح منها كتاب في الصفح الاول انا الله
ذو بكة وصفتها يوم صنعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حفا وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني انا الله ذو بكة
خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس
فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روى انه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح
مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا
يقتضي سبقها على ساير البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا في اديان جميع الانبياء وايضا قال تعالى في سورة مريم اولئك
الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم الى قوله خروا سجدا والسجدة لابد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم تكن هي
اول بيت وضع للناس هذا محال خلف القول الثاني روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد
الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت
ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة
وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير لاولية البناء في هذا المقصود وان كان الارجح ثبوت تلك الاولية ايضا كما روينا آنفا
وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والاثار ومن فضايل البيت ان الآمر ببنايه الرب الجليل والمهندس جبرئيل والباني ابرهيم
الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات و
منها مقام ابرهيم كما يجي ومنها قلة ما يجتمع من الحصى والجمار فيه فانه منذ الاف سنة يرمى في كل سنة خمسماية الف انسان كل
واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرى هنالك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى الجمار اليه الجمرات
سيل ماء او مهب رياح شديدة وقد جاء في الاثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت جمرته الى السماء ومنها ان الطيور
تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المضادة في الطباع لا يوذي
بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها امن سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدم الكعبة او خرب مكة بالكلية واما بيت
المقدس فقد هدمه بخت نصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف يجي في موضعها انشاء الله العزيز ومنها انه تعالى وصفها
بواد غير ذي زرع لفوايد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه
مع ذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة خليله ابرهيم وانه من اعظم الايات ومنها ان لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم
يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود ارباب الهمم الدنية ومنها ان لا يقصد
الناس للتجارة بل ياتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت في اقل
المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين لاجعلهم في الاخرة اهل المقام الامين
ومنها كانه قيل كما لم اجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا
للذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم وضربة لازب ولازم مما يعتقب فيه الميم والباء
لتقارب مخرجيهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة ففي قولهم بكه اذا زحمه
ودفعه وعن سعيد بن جبير سميت بكة لانهم يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة

قال بعضهم رايت محمد بن علي الباقر يصلي فمرت امراة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر
المراة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المراة وهي تصلي ولا باس بذلك في هذا المكان ويوكد هذا قول من قال ان بكة
موضع المسجد لان المطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الاية تدل على ان البيت حاصل في بكة والشيء
لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه واما مكة فاشتقاقها
من قولك امتك ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب وقطر او لقلة مائها كان
ارضها امتص ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمتص من ماء مكة ثم انه تعالى
وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو
والعامل فيه معنى الاستقرار واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام
فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل
ولا يزال والبيت مبارك لا يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه
وسلم صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو
استحضر العاقل في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض واكنافها ولعرف
انها غير محصورة كالدائرة المحيطة بالمركز ولا شك انه يحصل فيما بين هولاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم
قدسية واسرارهم نورانية وضمايرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى الكعبة المعرفة واستقبلت
اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار اولئك الارواح ببوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في حرمه قال القفال
رحمه الله يجوز ان يكون بركته ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا
البركة بالدوام فلا شك انه لا ينفك الكعبة من الطايفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل ان يفرض
فانه صبح لقوم وظهر لاخرين وعصر لغيرهم ومغرب وعشاء فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على هذه
الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم ولانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلى الله
عليه وسلم بما فيه من الايات والاعاجيب ولانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى هاديا وذا هدى قال الزجاج ويجوز ان يكون
محله رفعا اي وهو هدى فيه ايات بينات يحتمل ان يراد بها ما عددنا من بعض فضايله ويكون قوله مقام ابرهيم غير متعلق بما قبله
كانه قيل فيه ايات بينات ومع ذلك مقام ابرهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الايات بيان
وتفسير قوله مقام ابرهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة ايات بينات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز فيه دليل ايضا على علم الصانع
وقدرته وارادته وحيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابرهيم كان
امة واما ان يجعل المقام مشتملا على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة
دون بعض اية وابقاء هذا الاثر دون اثار ساير الانبياء اية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدايه من المشركين واهل الكتاب
والملاحدة الوفا من السنين آية قال الزجاج ومن دخله كان امنا من تمة تفسير الايات وهذه الجملة وان كانت من مبتداء
وخبر او من شرط وجزاء الا انه من تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه ايات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه
آية بينة من دخله كان امنا كان معناه فيه اية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبني على ان الاثنين جمع كما قال
صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القران هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر اثنان وطوى ذكر غيرهما دلالة
على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير مما سواهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلاثة فقال مقام ابرهيم وامن من
دخله ولله على الناس حج وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع والمراد مقام ابرهيم وهي ما اقاسه من المناسك فالمراد بالايات
شعاير الحج وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة اية بينة على التوحيد قاله في الكشاف وفيه توكيد
لكون مقام ابرهيم وحده بيانا واما حديث امن من دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا
البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم
القيمة امنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله
سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت
لما ذكر فضايل البيت اردفه بايجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة حجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر
والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع
من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز ان ينوى الاستيناف بمن والخبر والجزاء محذوف للدلالة ما قبله عليه والتقدير من
استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن الانبارى يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين
عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او للحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه
واحتج اصحاب الشافعي بالاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع لان الناس يعم المومن والكافر وعدم الايمان لا يصلح
معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري يكلف بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم مع ان الايمان بالله الذي هو شرط صحة
الايمان بمحمد غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالاية
على ان الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك
باطل بالاتفاق واجاب الاشاعرة بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل
وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق او بعد حصوله وحينئذ يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في التكليف به فائدة
واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا
ينافي توجيه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روى عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال افي كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها
لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة
الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان
يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز وحينئذ يصح حجهما لما روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بامرأة
وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت الهذا حج فقال صلى الله عليه وسلم نعم ولك اجر وعن جابر قال حججنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زايد على الاسلام
وهو التميز فلا يصح مباشرة الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كساير العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي
ولا يشترط فيها الحرية كساير العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زايدان البلوغ والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم
ايما صبي حج ثم بلغ فعليه حج الاسلام وايما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا يتكرر
فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتميز فشرط هذا الحكم اذن يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو
تكلف الفقير الحج وقع حجة عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولوجوب حجة
الاسلام شرط زايد على الثلثة المذكورة آنفا وهو الاستطاعة بالاية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرة بنفسه
واستطاعة تحصيله لغيره النوع الاول يتعلق به امور احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه وبين مكة مسافة
القصر فلا يلزمه الحج اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روى انه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل
الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل ايضا
ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مونة محمل او
او شق محمل ووجد شريكا يجلس في الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة
القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج والا فلا يجب الا مع الراحلة او معها ومع المحمل كما في حق البعيد والمراد بوجود الراحلة ان
يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل او باجرة المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد واوعيته وما يحتاج اليه في
السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له اهل او عشيرة يرجع اليه او لا لحب الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب والاجرة البذرقة
كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ومدة الودايع ونفقة من يلزمه نفقتهم حينئذ الى العود وبعد مون النكاح ان خاف العنت
وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته او لمنصبه ولو كان له راس مال يتجر فيه وينفق من ربحه ولو
نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة
في الحال ولا عبرة بخوف الفقر في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع او عدو
والامن على المال من عدو او رصدي وان رضي بشيء والامن على البضع للمرأة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي البحر

يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة
فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد للاعمى من قايد وعند ابي حنيفه لا حج عليه ويروى انه
يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرايط مع امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه المسير فيه الى
الحج السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة
اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي لكنه اذا دامت الاستطاعة
وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال مالك واحمد وابو حنيفه في رواية انه على الفور
حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة واخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع
لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين
يوما واما النوع الثاني فهو استطاعة الاستنابة وانها جايزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان
المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت او لكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك
دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله فهو احق بالقضاء وعنه ان امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله
تعالى على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد تكون الاستنابة
بطريق الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفه واحمد لا يجوز ولكن يرزقه
عليه لو استاجر كان ثواب النفقة للامر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني واعطيك
نفقتك وهذا ايضا جايز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استاجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان تكون
معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك
فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد والتغليظ
منها قوله ولله على الناس اي حق واجب له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا
من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين
تقريرا له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول
فانه او فلانه وانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها من وضع المظهر مقام المضمر حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه
اذا كان غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد عام في حق كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم
من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روى عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود قالوا ان الحج الى مكة غير واجب
وعن الضحاك لما نزلت اية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان الستة للمسلمين واليهود والنصارى والصابئين
والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفر به الملل الخمس وقالوا لا نومن به
ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر ومن الاحاديث الواردة في تاكيد امر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا
تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه اي يتعذر
عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة
لا تاكل منها دابة الا نفقت اي هلكت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي عجل عقوبتهم ويستاصلوا
ثم انه سبحانه لاين اهل الكتاب في الخطاب فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد بعد ظهور
البينات ودحوض الشبهات او بعد معرفة فضيلة الكعبة ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه
وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر باياته ودلالتها على نبوة محمد ثم انه لما انكر عليهم في ضلالهم وتجهم على اضلالهم
فقال لم تصدون عن سبيل الله من امن قال المفسرون وكان صدهم القاء الشكوك والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين و
انكار ان نعت محمد في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم او بتذكير ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة
والحروب ليعودوا لمثله ومحل تبغونها عوجا اي اعوجاجا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا
يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحايط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني
وبالفتح في الاعيان وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معه اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته

الى مفعولين بزيت اللام فالتقدير يبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اى صدت لك ظبيا والضمير عايد الى السبيل وانها
تذكر وتونث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها ميلا كقولكم ان النسخ يدل على البدا وان شريعة موسى باقية
الى الابد وان محمدا ليس بذلك المنعوت فى كتابنا او المراد انكم تتعبون انفسكم فى اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج
فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا لا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم
انكم تبغون سبيل الله ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التى لا يصد عنها الا ضال مضل قاله ابن عباس او انتم تشهدون نظهور
المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى عظائم الامور يعنى
الاحبار وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم اوعدهم بقوله وما
الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد انكر طريقته لا يخفى على سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الاية الاولى
بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما اظهروه من الكفر بنبوة محمد وهذا فيما اظهروه وهو الصد
والقاء الشبه وفى تكرير الخطاب فى الايتين بقوله يا اهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والين المقال لعلهم
يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة ويروى عن زيد بن اسلم وجابر ايضا ان شاس بن قيس
اليهودى وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون
فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر
شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس
على الخزرج ففعل وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب
رجلان من الحيين اوس بن قيظى احد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه
ان شئت والله رددتها الان جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهى
حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الايات فجاء النبى صلى الله عليه وسلم
حتى قام بين الصفين فقراءها ورفع صوته فلما سمعوا صوته انصتوا له وجعلوا يستمعوا فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا
وجثوا يبكون وفى رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف
القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل الايات قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا فما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رايت يوما اقبح
ولا اوحش اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر
والحال ان ايات الله تتلى عليكم على لسان الرسول غضة فى كل واقعة وبين اظهركم رسول الله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل
علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا فى كل ما يعن لكم الى
الكتاب والنبى قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبى فان كان قد مضى الى رحمة الله فى الظاهر ولكن نور سره باق
بين المومنين فكانه باق على ان عترته وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر ايضا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم
الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتى وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك
وفى هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى يوم القيمة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك
بدينه او يلتجى اليه فى دفع شرور الكفار فقد هدى الى صراط مستقيم والاعتصام الاستمساك بالشئ فى منع نفسه من الوقوع فى آفة
اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله وهدايته بل قالوا انه بفعل العبد تاولوا الاية بان المراد بالهداية الزيادة فى
الالطاف المرتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال فى الكشاف فقد هدى اى فقد حصل له الهدى لا محالة
كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فى قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع
للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده التاويل لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم
وهو انفسكم ان الفراش لا ينال من بر الشمع وهو شعلته حتى ينفق مما احبه وهو نفسه كل الطعام حلا الخلق ثلثة اصناف
الملك النورانى العلوى وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة والحيوان الظلمانى السفلى وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان

المركب من القبيلين وغذاؤه لروحانيته الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام
منهم ظالم لنفسه وهو الذى بالغ فى غذاء جسمانيته وقصر فى غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك
كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذى تساوى طرفاه خلطوا عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخير وهو الذى
بالغ فى غذاء روحانيته وهو الذكر وفرط فى غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوى روحه اولئك هم خير البرية فكان
كل الطعام حلا لا للانسان كما للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحيوة القلب واستيلاء
الروح من قبل ان ينزل الوحى والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى
على الله الكذب بان يريد ان يهتدى الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله فى قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فاتبعوا ملة ابرهيم وكانت ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان
من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ان اول بيت وضع للناس لا لله لانه غنى عن العالمين وان انموذج بيت
الله فى الانسان وهو العالم الصغير القلب الذى وضع بمكة صدر الانسان مباركا عليه وهدى يهتدى به جميع اجزاء وجوده
الى الله بجوده فان النور الالهى اذا وقع فى القلب انفسخ له وانشرح فيه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش
وبه يمشى وبه يتحرك وبه يسكن وفيه ايات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده منها مقام ابرهيم
وهو الخلة التى يوصل الخليل الى خليله ومن دخله يعنى مقام ابرهيم ببذل المال والنفس والولد ورضا خليله كان امنا
من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان
وجد شرايط السلوك وامكانه واداب السير واركانه منها الاحرام بالخروج من الرسوم والعادات والتجرد عن الطيبات
والمالوفات والتطهير عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات
ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد ومنها الطواف بالخروج
عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية ومنها السعى بين صفاء الصفات ومروة الذات
ومنها الحلق بمحو اثار العبودية بموسى لانوار الالهية وقس ساير المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا يتعرض
لنفحات الالطاف ولا يترقب لجذبات الاعطاف التى توازى عمل الثقلين وهى الاستطاعة فى الحقيقة فان الله غنى عن
العالمين لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون هم منه قل يا اهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين
يبتغون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن اتباع الهوى الا منه والله حسبى

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم
مسلمون ● واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا
نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم
منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ● ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر واولئك هم المفلحون ● ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب

عظيم ● يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم

اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون ●

تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين

ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور ● كنتم

خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر

وتؤمنون بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم

المؤمنون واكثرهم الفاسقون ● لن يضروكم الا اذى

وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون

القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح **الوقوف** مسلمون ولا تفرقوا لعطف المتفقتين اخوانا لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها تهتدون المنكر للعدول المفلحون البينات عظيم لمتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه اسودت وجوههم لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ففى رحمة الله خالدون بالحق للعالمين ما فى الارض الامور وتؤمنون بالله خيرا لهم الفاسقون قيل لا وقف عليه وعليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى الادبار لان ثم لترتيب الاخبار اى ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا لا ينصرون **التفسير** انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم فى هذه الايات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع ولا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى او هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا ياخذ فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزل فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه وكما يحق ان يتقى وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصى ولا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لم يبق فرق بين الايتين وللناس القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يومر بالاتقاء الاعظم والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه الاية بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما هو نهى ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر فى البقرة مثله ثم انه تعالى امرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله واتفاق الاراء على اعلاء كلمته واعتصموا بحبل الله جميعا حال كونكم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامتساك المتدلى عن مكان رفيع بحبل وثيق يامن انقطاعه لان وجه الشبه وصف غير حقيقى منتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان فى الكلام تشبيهين ويجوز ان يقرن الاستعارة فى الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مامون ان تزل قدمه عن الجادة فيراد

بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين مختلفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجي الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القران كما روى عن على بن ابى طالب عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم هذا القران حبل الله وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى حبل متين ممدود من السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة وقيل لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال ويد الله مع الجماعة قال صلى الله عليه وسلم ستفترق امتى على نيف وسبعين فرقة الناجى منهم واحدة فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروى السواد الاعظم وروى ما انا عليه واصحابى وقال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتى على الضلالة وقد يتمسك بالاية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلايل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلايل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهى عنه واجيب بان الدلايل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا فى الجاهلية بينهم الحقد والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا فى الله متراحمين متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومنافسة بسبب الاغراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل اسيرا فى قبضة القضاء فلا يعادى احدا البتة لانه مستبصر بسر الله فى القدر فاذا الزم برفق ناصح لا بعنف معير وكان حبه لحزب الله ونظره فى الدين ودقايقه فى طلب اليقين اشد من حب الوالد للولد فكانوا كالاقربين والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحدة وقيل يريد الاخوان فى النسب وذلك الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكرهم الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبى ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ومنه يقال اشفى على الشئ اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اى حده وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير منها للحفرة او للنار او للشفا اما لانه فى معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله **شعر** كما شرقت صدر القناة من الدم قال بعضهم الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بى ضلالة حين قال له قومه انا لنراك فى ضلال مبين اى ليس بى صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الاية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التى فيها النار وتمثيلا لحيوتهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وان طالت كانه ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع فى الحفرة الا ما بين طرفى الشئ وبين ذلك الشئ قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبساير الطافه حتى امنوا وقال اهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذى انقذ نفسه من النار لكن الاية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى او لتكونوا على رجاء هداية فالاولى قول المعتزلة والثانى لاهل السنة وقد مر فى اوايل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين فى تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب فى فعل ما ينبغى والكف عما لا ينبغى من محرماته ومكروهاته فلا جرم اتبعه النوعين زيادة فى البيان فقال ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا فى ان كلمة من فى قوله منكم للتبيين او للتبعيض فذهب طايفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهى عن ضده اما بيده او بلسانه او بقلبه وكيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك فى قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك فلان من اولاده جند وللامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به البعض سقط عن الباقين كساير فروض الكفايات وقال اخرون انها للتبعيض اما لان فى القوم من لا يقدر مختص بالعلماء الذين

يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتهما وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى
عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وايضا فقد اجمعنا على ان ذلك واجب على
الكفاية فكان هذا بالحقيقة ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب
واعلم ان الامر بالمعروف على ثلثة اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون
الافراد كاقامة الجمعة حيث يجمع شرايطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يامرهم بما لا يجوزه
ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويامرهم بصلوة العيد والثاني ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة عن الوقت
فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الادميين وينقسم الى عام
كالبلد اذا تعطل شربه وانهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر
الناس بذلك وان لم يكن امر ذوو المكنة برعايتها والى خاص كمطل الديون الموسر بالدين فالمحتسب يامره بالخروج عنه
ان استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد
واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهايم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر
في الصلوة السرية وبالعكس او يزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من اهله
ولم يؤمن اغترار الناس به في تاويل او تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا واقفا مع امراة في
شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن مواضع
الريب وان كانت اجنبية فخف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الادميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء
صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة من ايمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في
الخصومات والسوقي المختص بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل
مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يضروا ويدعوه الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في
الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك ان هذه
الدعوة منصب النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين بعده ومن هنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين في
هذه الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الارض وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي كرم الله وجهه افضل الجهاد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون
اي الاخصاء بالفلاح مدحا له وقد يتمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل
الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد
اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق من يزني بامراة ان يامر عليها بالمعروف
في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي وانكار المنهي واجبان على الفاسق فبترك احد الواجبين
لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول
لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول لود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق
في هذه القضية ما قيل شعر وغير تقي يامر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض والقرآن ينعى عليهم لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره في البقرة
وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم ازك الم اصل الم اصم الم افعل كذا وكذا فاجيب بلى يا عبد الله ولكن انك اذا خلوت
بارزتني بالمعاصي ولم تراقبني قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر في الايات المتقدمة
انه بين في التورية والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدوا فاحتالوا لالقاء الشكوك في تلك النصوص
ثم انجر الكلام الى امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات
في النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الاية من تتمة الايات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة
بالامر بالمعروف والنهي عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبين فلا جرم

حذرا اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا يكون الاية من تتمة
الاية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا
بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التاويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان نحا كل منهم نحوا وقولا
او تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل
ولعل الانصاف انا اكثر علماء الزمان فنسال الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من
بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة واولئك الذين اقتفوا اثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم
عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفي تعليق الظرف بقوله لهم فايدتان احديهما ان ذلك العذاب في هذا
اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان تبيض بعض الوجوه وتسود بعضها ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وفي امثال هذه الالوان للمفسرين قولان احدهما واليه
ميل ابي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه
مسودا ولما سلم الحسن بن علي الامر لمعوية قال له رجل يا مسود وجوه المؤمنين وتمام الخبر سوف يجي ان شاء الله تعالى في
تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء في الشيب شعر يا بياض القرون سودت وجهي عند بيض الوجوه سود القرون
وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة فمن كان من اهل
نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة
الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته واحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف
اهل الموقف كل صنف فيعظمونهم او يصغرونهم بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور او ويل وثبور
وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الاخرة احدى الحالتين ازدادت رغبته في الطاعات وترك المحرمات
قلت والتحقيق فيه ان الهيئات والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منها لا يظهر اثارها
كما هي الا بعد المفارقة الى الاخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة بالاية على
ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون
ومسودها وهم الكافرون لقوله تعالى في اخر الاية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث
لا يدل على عدمه وايضا اللفظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وايضا المذكور في الاية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا
شبهة ان الكافر الاصلي من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لا يجوز ان يكون
المراد ان كل احد اسلم وقت استخراج الذرية من صلب ادم فيكون الخطاب لجميع الكفار وايضا انه جعل موجب العذاب في
آخر الاية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولا وعكس آخرا فالجواب
بعد تسليم افادة الواو الترتيب انه بدا بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضا تنبيها على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال
سبقت رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع وانه في البديع في الفصاحة ومن المراد بهؤلاء الذين كفروا
بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم امنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل المراد اكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلايل التوحيد والنبوة وقال عكرمة
والاصم والزجاج انهم اهل الكتاب امنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكفروا به بعد بعثته وقال قتادة انهم
المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية ولما راى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه وقال كلاب النار هؤلاء شر قتلى
تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب انك تقوله برايك ام شيء سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلثا
حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية
ثم اخذ بيدي فقال ان بارض منهم كثيرا فاعاذك الله منهم هذا مما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من
مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله اكفرتم بمعنى الانكار قال القاضي وفيه
وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على ان الكفر منهم لا من الله وقالت المرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر اما
قوله ففي رحمة الله فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها

واجب بذلك اى لا يظعنون عنها ولا يموتون فى اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته وفى اضافة الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب دون اهل النار وان كانوا مخلدين ايضا دلايل واشارات الى رجحان جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب وكيف لا وقد رفعه بقوله تلك الاحكام التى وردت فى خبر الوعيد والوعد وانقضى ذكرها آيات الله نتلوها عليك ملتبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه والمسيء باسائته او ملتبسة بالمعنى الحق لان معنى المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن مصالح الحق لا ينتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقق دفعا للكذب عمن هو اصدق القائلين قال الجبائى قوله ظلما نكرة فى سياق النفى فوجب ان لا يريد شيئا مما يكون ظلما سواء فرض منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان فاعلا لشئ من الاقسام الثلثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الاية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبايح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشئ وصح منه كونه مريدا فدلت الاية على انه قادر على الظلم وعلى ان يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال ولله ما فى السموات وما فى الارض وايضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبايح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او العجز او الحاجة وكل ذلك على الله محال لانه مالك لكل ما فى السموات وما فى الارض بل لكل ما فى الوجود ومما يقال معنى الاية اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم وانه لا يريد ان يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البرئ من الذنب اشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف فى ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف فى ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم فلا يلزم منه مدح والثانى ايضا محال على قولكم لان كل ذلك بارادة الله وبتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الاية على وجه صحيح فى مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفى صفة على امكان تصور ذلك الشئ منه بدليل قوله لا تاخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولم يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم والاكل عليه الثانى انه تعالى ان عذب من ليس يستحق الظلم لم يكن ظالما لكنه فى صورة الظلم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق فى هذا المقام ان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضرورات الكمال فوضع كل منهما فى مظهره يكون وضع الشئ فى موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما فى السموات وما فى الارض على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما فى السموات وما فى الارض اجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لا انه مفعوله وايضا الاية مسوقة فى معرض المدح ولا مدح فى معرض نسبة الفواحش والقبايح الى نفسه وايضا قوله ما فى السموات وما فى الارض يتناول ما كان مظروفا لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التى هى اعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر فى حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله تعالى دفعا للتسلسل والترجيح من غير مرجح قالت الحكما تقديم السموات على الارض دليل على ان جميع احوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك ان الاحوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه فيكون الجبر ايضا لازما من هذا الوجه والى الله اى الى حيث لا مالك سواه ترجع الامور فالاول اشارة الى انه مبداء المخلوقات كلها وهذا اشارة الى ان معاد الكل اليه قوله عز من قايل كنتم خير امة فى النظم وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بما امروا ونهاهم عما نهوا عدل الى طريق اخر يقتضى حملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوى داعيتهم فى ان لا يبطلوا على انفسهم هذه المزية وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه اولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين بمعنى انهم استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير امة اى تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها فى الاخرة لانهم كانوا فى الدنيا خير امة واقول لما انجر الكلام فى مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما فى الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى الكل اليه اتبع ذلك بمزية هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية اذ جعلهم مظهرا للالطاف وذكر بعدها رذيلة اهل الكتاب ليعرف انها لوقوعهم فى طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك فى ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله هذه الاية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير امة على الحال اى حدثتم ووجدتم خير امة والاكثرون على انها ناقصة فجاء ايهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية فى زمان الماضى

دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طارى بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم فى علم الله او فى اللوح المحفوظ خير امة او كنتم فى الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل وقال ابو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود فى الجنة كنتم فى دنياكم خير امة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف حاصلا للكل ولكنه مخصوص بقوم معينين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زايدة والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن الانبارى بان الزايد لا يقع فى اول الكلام ولا تقول العرب عبد الله كان قايم وعبد الله قايم كان ولا يقولون كان عبد الله قايم على ان كان الزايد لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون فى محل العناية وقيل انها بمعنى صار اى صرتم خير امة واصل الامة الطايفة المجتمعة على الشئ الواحد وامة محمد هى الطايفة المخصوصة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت الامة فى نحو قول العلماء اجمعت الامة فهم عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته انهم امة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا مقيدا قال الزجاج ظاهر الخطاب فى كنتم مع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام فى حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بخير اى انتم خير امة للناس ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستيناف بقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما يقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالاية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم تكن خيرا من المبطل ولان اللام فى المعروف وفى المنكر للاستغراق فيقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اى وجه يقتضى ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلثة كانت حاصلة لساير الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس فى خطر القتل واعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد فى الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع وكان من اعظم العبادات ولما كان امر الجهاد فى شرعنا اقوى منه فى ساير الشرايع انا نبى السيف امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على ساير الامم وهذا معنى ما روى عن ابن عباس فى تفسير قوله كنتم خير امة تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب انكر المنكر وفايدة القتل على الذين لا ينكره منصف فان اكثر الناس يحبون ما الفوه من الاديان الباطلة ولا يتاملون فى الدلايل التى تورد عليهم فاذا خوف بالقتل دخل فى دين الحق مكرها الى ان يالفه متدرجا واما الايمان بالله فلا شك انه فى هذه الامة اكمل لانهم امنوا بكل ما يجب الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وثواب وعقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر فى وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبساير ما عددنا والا لم يكن فى الحقيقة ايمانا ولهذا نفى عن اهل الكتاب فى قوله ولو آمن اهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله فى الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف على الايمان وتاكيد القيام به ولهذا كرر بقوله بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فكانت العناية به اشد وكان تقديمه اهم ليعلم ان التكميل افضل من الكمال لنفسه ولهذا استلزم الاول الثانى دون الاول العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان فى تاخر الايمان بالله تكريرا له مرة بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب وايضا اراد ان يبنى عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب وفى التفسير الكبير ان اصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا يتبين فيه الخيرية لكن الاية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى فى باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف فى الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبنى على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان اهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعنى ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبساير ما لا بد منه من الامور المعدودة لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم فى زمرة هذه الامة او لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعدوا من ايتاء الاجر فى الاخرة مرتين وعلى ما هم فيه ليس الا استتباع بعض الجهلة من العوام وتحصيل شئ نزر من الرشى وبعد ذلك خلود فى النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المومنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشى واصحابه فاللام للمعهود السابق واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه وتقادك الكفر

اويراد فراو المراد انهم ليسوا بعد ولـ في دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوايف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر
عن حالهم وكان كما قال وهو اية الاعجاز بجملة مستانفة وهي لن يضروكم الا اذى الا ضرارا لا يجاوز اذى بقول كطعن في الدين
او تهديدا وتخويف نقل او القاء شبهة او اظهار كلمة الكفر باشراك عزير والمسيح والاذى مصدر كالا ذى يقال اذاه يوذيه اذى
واذاة واذية والاذى نوع من الضر فصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا تبين ان
الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على ما يولوكم لئلا يصير
نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل رفع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا ويكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل
اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتف عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي
في الرتبة الان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم لان ايما كانوا اعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هب ان اليهود
كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الايات مخصوصة باليهود واسباب النزول تدل على ذلك فكان
كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد نصراني بهذه الحال وفي
الاية تشجيع للمومنين وتثبيت لمن امن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتخويفاتهم **التاويل** اتقوا الله حق
تقاته لاهل العزايم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا وانتم
مسلمون لا ينتفي وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي
وهو البقاء بالله واعتصموا اهل الاعتصام طايفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال فقيل
لهم اعتصموا بحبل الله وهو كل سبب يتوسل به الى الله من اعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب ان مشربهم الاحوال
فقيل لهم واعتصموا بالله هو موليكم مقصودكم او ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل
الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان
وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين ايانه للاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب اياته وهي الجذبات الالهية
وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف
ولا ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر على لون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضماير على
الظواهر اكفرتم بعد ايمانكم يا ارباب الطلب السايرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم
القهقرى فذوقوا العذاب لان الناس نيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففي رحمة
الله في الدنيا بالجمعية والوفاق مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة لانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه
تلك الاحوال ايات الله عليهم مع خواصه نتلوها عليك بالحق نظهرها على قلبك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان
يضع السواد والبياض في غير موضعهما كنتم خير امة اخرجت من العدم الى الوجود مستعدة لقبول كمالية الانسان من جملة
الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقب مطيعهم بشوم عصاتهم وغفر عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها
زلاتهم لعنة وزلاتنا رحمة ومنها شكا منهم الينا وشكرنا اليهم قبل وجودنا ولو امن اهل الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم
ايها المحققون الا اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق نياتكم ثم لا ينصرون
لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون

ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس و
باءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون ۝ ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات
الله اناء الليل وهم يسجدون ۝ يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون

بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من
الصالحين ۝ وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ مثل ما ينفقون
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون ۝ يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا
ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم
اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون ۝ ها انتم
اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا
لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ۝ ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا و
تتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما تعملون محيط ۝

القراءة ويسارعون وبابه كسارعوا وتسارع بامالة قتيبة وابو عمرو وطريق ابن عبدوس ما يفعلوا فلن يكفروه
بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص ابو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسوهم وبابه من كل همزة مجزومة بغير همز
الاعشى واوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع
وقراء المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم وما ثم محركا للساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع
تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الله **الوقوف** المسكنة بغير حق يعتدون قيل لا وقف وعليه وقف
لان ضمير ليسوا يعود الى ما يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا احد الفريقين سواء
يسجدون قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر اوصاف لهم
مطلقة غير مختصة بحال السجود الخيرات الصالحين تكفروه المتقين شيئا النار خالدون فاهلكته يظلمون خبالا
ما عنتم لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر تعقلون كله للعطف مع الحذف اي وهم لا يؤمنون بكتابكم امنا قد قيل والوصل اولى لان المقصود
بيان تناقض حاليهم في النفاق من الغيظ بغيظكم الصدور تسوهم للابتداء بشرط آخر والوصل اجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين
منهم يفرحوا بها كما هي وصف لهم وابتداء شرط على المومنين شيئا محيط **التفسير** هذا اخبار من مستقبل احوال اليهود

المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل والسبي والنهب اينما وجدوا الا معتصمين او
ملتبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين فهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط
الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فحينئذ يكون دمهم محقونا ومالهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل
حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد
الامام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا ينفك عنهم
وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب
وضربت عليهم المسكنة عن الحسن ان المراد بها الجزية انما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة
وقال الاخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا ولكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم
الفقر والمدقعة البتة وباقي الاية قد مر تفسيره في البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من السورة وفي النساء الانبياء بغير حق
لان جمع التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين اعني في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع
السلامة كالذين والصابئين وغيرهم ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الاخرين بغيا عليهم وتعظيما لشانهم ولمثل
هذا عرف الحق في البقرة اشارة الى الحق الذي اذن الله ان يقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ثم
نكر في المواضع الباقية اي بغير ما حق اصلا لا في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء كلام تام وما بعده كلام
مستانف للبيان قال الفراء وابن الانباري تقديره من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر ذكرها هنا
القسم على مذهب العرب من الاكتفاء باحد الضدين لخطور احدهما بالبال مع الاخر قال ابو ذويب **شعر** دعاني اليها القلب
اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها اراد ام غي فاكتفى بذكر الرشد عن ضده فتقول زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل
ذكي فيغني هذا عن ان يقال وعبد الله ليس كذلك وقيل وهو اختيار ابي عبيدة ان امة مرفوعة بليس على لغة من قال اكلوني البراغيث
او هو بدل من الضمير على نحو واسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء امة قائمة وامة مذمومة وفي تفسير اهل
الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور انهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت
احبار اليهود ما امن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين ابائهم وقالوا لهم قد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره
فنزلت وعن عطاء انها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى وصدقوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني انهم كل من اوتي الكتاب من اهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال اخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال انه ليس من اهل الاديان احد
يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشرنا فقال انه لا يصلي هذه الصلوة احد من اهل الكتاب فانزل الله هؤلاء الايات
ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال رحمه الله تعالى لا يبعد ان يقال اولئك الحاضرون كانوا نفرا من مؤمني اهل
الكتاب فقيل ليس يستوي من اهل الكتاب هؤلاء الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فاقاموا صلوة العشاء في الساعة التي نام
فيها غيرهم من اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد ايضا ان يقال المراد كل من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسماهم الله اهل الكتاب
كانه قيل اولئك الذين سموا انفسهم باهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى باهل الكتاب
حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان فيكون الغرض من هذه الاية تقرير فضيلة اهل الاسلام تاكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير امة كقوله
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل اي في الصلوة وقيل
ثابتة على التمسك بالدين الحق ملازمة له غير مضطربة وقيل اي مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة
وهي ان الاية دلت على ان المسلم قائم بحق العبودية وقوله قائما بالقسط دل على ان المولى قائم بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم الصفة الثانية يتلون اي امة قائمة تالون ايات الله اناء الليل فالتلاوة القراءة واصل الكلمة الاتباع فكان
التلاوة هي اتباع اللفظ وايات الله القران وقد يراد بها اصناف مخلوقاته الدالة على صانعها واناء الليل ساعاته واحدها اني مثل معى
واني مثل نحي وتلو الصفة الثالثة وهم يسجدون يحتمل ان يكون حالا من يتلون كانهم يقرؤن القران في السجود تخشعا الا ان
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرا راكعا وساجدا يأباه وان يكون كلاما مستقلا اي يقومون تارة ويسجدون
اخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الحسن يريح راسه بقدميه وقدميه براسه وذلك
لاحداث النشاط والراحة وان يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلوة تسمى سجدة وركعة وسبحة وان يراد وهم يخضعون
لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا مانع من كونه حالا الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الاخر

فالصفات

فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة النظرية فان حاصل المعارف
معرفة المبدأ والمعاد ولا يخفى ان غير مؤمني اهل الكتاب ليسوا من القبيلين في شيء بسبب تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة
الخامسة والسادسة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى انهم فوق التمام وذلك لسعيهم في
تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين وعن سفين الثوري اذا كان
الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات اي المذكورات كلها وهي من صفات
المدح لان المسارعة في الخيرات دليل فرط الرغبة فيه حتى لا يفوت ففي التاخير افات وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال
العجلة من الشيطان مخصوصة بهذه الاية على انها لا تفيد كلية الحكم لان القضية اهملت اهمالا كيف والامور متفاوتة
منها ما يحمد فيه التاخير لكونه مما يحصل على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعي ولكونه غير معلوم
العاقبة فيفتقر الى مزيد تدبر وتامل ومنها ما يحمد فيه التعجيل لضد ما قلنا فينتهز فيه الفرصة وتغتنم فان الفرص تمر مر السحاب
قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك
وحيوتك قبل موتك الصفة الثامنة واولئك من الصالحين وذلك ان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم
الله تعالى فاذا اخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين
ايصال الجزاء اليهم البتة تاكيدا للاخبار عنهم كقوله اولئك من الصالحين فقال وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تحرموا ثوابه
ولن يمنعوه فتضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا يتعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها
وسمي منع الجزاء كفرا كما سمي ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله عليم بالمتقين مع انه عالم بكل
الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان الملتزم لو عدهم هو
معبودهم الحي القادر والغني الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمثيب هذا شانه ثم بين احوال اهل الشقاوة بقوله
ان الذين كفروا الاية وقد سبق تفسير مثله في اول السورة ثم انه لما بين ان اموال الكفار لا تغني عنهم شيئا امكن ان يخطر ببال احد
ان الذي ينفقون منه في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الاية قال اكثر المفسرين
واهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات
والحرث وعلى هذا فمثل الاية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وجوز في الكشاف ان يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه
محذوفا بمعنى قرة فيها صر كما تقول برد بارد على المبالغة او يكون من التجريد كما يقال رايت فيك اسدا اي انت اسد وان ضيعني فلا
في الله كاف وكافل وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانباري باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال
الغرض من التشبيه حاصل وسواء كان بردا مهلكا او حرا محرقا فانه يصير مبطلا للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذي
مر ذكره في اول سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث
والمراد ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا قيده
بقوله في هذه الحيوة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذي حسه البرد فصار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعني ابا سفين واصحابه من
سفلة اليهود المنفقين على احبارهم في ايذاء رسول الله وفي جمع العساكر عليه في كونه مبطلا لما اتوا به قبل ذلك من اعمال البر
كمثل ريح فيها صر في كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير في ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك ان انفاقهم اما ان يكون لمنافع
الدنيا فلا يبقى له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر واما ان يكون لمنافع الاخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم
كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطير والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذا
قدموا الاخرة بالدار وكفرهم مبطلا لاثار تلك الخيرات وكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن
والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تخريب
ديار المسلمين ولا يبعد ايضا تفسير الاية بخيبتهم في الدنيا فانهم انفقوا اموالا كثيرة في تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين
وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم واظهر الله عليهم الاسلام واعز اهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة
وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع اعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الاخرة كقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد
جميع الانتفاعات اما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدم الاقتصار على قوله اصابت حرث قوم فهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب
بالكلية حتى لا يبقى منه اثر ولا عثير وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا اصابته جائحة في الدنيا ابدل الله خيرا منه في الدنيا
او في الاخرة فان المسلم مثاب على كل الم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا الله فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة لهم فحرثهم

هو الذي لا يتصور منه نفع ولا اهلاك فايدة اصلا ويحتمل ان يراد بالظلم ههنا وضع الزرع في غير موضعه فان من ذرع لا في موضعه وفي غير اوانه ثم اصابته الافة كان اولى بان يصير ضايعا والضمير في وما ظلمهم للمنفقين اي ما ظلمهم بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث اي ما ظلمهم باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال المومنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا ايضا فون المنافقين ويواطئون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره اي اموره اللاصقة بالقلب المهمة له الواحد شقر واصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر لان قوله بطانة نكرة في سياق النفي وقوله من دونكم يوكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اي بطانة كاينة من دونكم مجاوزة لكم والاولى اولى لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير ابناء جنسهم واهل ملتهم بطانة ولانهم يعدمون الاتم والذين هم بشانه اعني ومن للتبيين وقيل زايدة ثم ذكر علة النهي فقال لا يالونكم خبالا يقال في الامر يالوا اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قوله لا الوك نصحا او جهدا على التضمين اي لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا انتصب على التميز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم في مضرتكم وفساد حالكم ودوا ما عنتم اي عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في امر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا اصابه شيء فهاضه قد اعنته والمراد احبوا وتمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر والحاصل من الجملتين انهم لا يقصرون في افساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج تمنوا ذلك غير زايل عن قلوبهم قد بدت البغضاء هي شدة البغض كالضراء هي شدة الضرر والافواه جمع الفم واصله فوه بدليل تكسيره كسوط واسواط حذفت الهاء تخفيفا واقيمت الميم مقام الواو لانهما حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود واضح لقشرهم العصا وكشرهم عن الانياب وعدم التقية في تكذيب النبي والكتاب واما من المنافقين فذلك ان المداجي لا بد ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما تخفي صدورهم اكبر لان فلتات اللسان متناهية وكوامن الصدور تكاد تكون غير متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه النصايح فقال قد بينا لكم الايات ان كنتم من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير الايكم خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن من ذلك وابلغ ان يكون الجمل مستانفات كلها على جهة التعليل للنهي كانه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما اية وداد العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا التقدير احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف هنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السوال والجواب ولتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات التعاوي بالبراهين ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف الدين او يحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحب محبوب ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلوا مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدواير والحق ان هذه الاعتبارات وامثالها مما لا يكاد ينحصر داخلة في الاية ثم ذكر سببا اخر مما يابى ان يكون بينهما اجتماع فقال وتومنون بالكتاب كله كقوله واضمر قرينه وهو وهم لا يومنون به لان ذكر احد الضدين يغني عن الاخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتومنون للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تومنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضارة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا امنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الفعل كثيرا ما يصدر منهما فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ وهو الغضب الحار لما راوا من ايتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدور كاين فان كان هذا سببا لغيظكم فلا محالة تكونون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله عليم

بذات الصدور اي بصواحباتها وهي الخواطر القايمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة ان كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسترونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يدنفكم ان تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسترونه وهو مضمرات القلوب وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني اعلم ما اضمره الخلايق ولم يظهروه على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون ثم امر بالقول لفظا بل يراد حدث نفسك بانهم يهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا اخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والايتلاف بين الاحباء تسوءهم ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من اضداد ما عددنا يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول يشبه ان يكون المس اقل من الاصابة وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة قلما توجد ان اصاب العدو بلية عظمى كما قيل **شعر** عند الشدايد تذهب الاحقاد * الا ان يكون ثمه غاية الحقد * واذا كان حال القوم مع المسلمين في القضيتين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه ارشاد من الله تعالى الى ان يستعان على دفع مكايد الاعداء بالصبر والتقوى فمن كان لله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك وقال بعضهم **شعر** اذا ما شيت ارغام الاعادي بلا سيف تسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء من نوب الزمان ان الله بما تعملون في عداوتكم او بما تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله **التاويل** ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان يعتصموا بمحبة الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سننهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمداهنون فلن تكفروه لان من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوات اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد الانساني في ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا ومشتهياتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم او فرحوا بما قاسيتم من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم باعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد اكبر تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتومنون بالكتاب كله بجميع ما في القران من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور انموتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن والله حسبي

وَاذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع
عليم ○ اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى
الله فليتوكل المتوكلون ○ ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
فاتقوا الله لعلكم تشكرون ○ اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة منزلين ○ بلى ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة

الاف من الملئكة مسومين ● وما جعله الله الا بشرى لكم
ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ●
ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ●
ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ●
ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله غفور رحيم ●

القراءة تبوي المومنين بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد وورش والاعشى وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاء ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ورويس الباقون بالفتح **الوقوف** للقتال عليم لان اذ بدل من اذ غدوت او يتعلق بالوصفين او بقوله تبوي ان تفشلا لان الواو للحال وليهما المومنون اذلة للقاء تشكرون منزلين لتمام المقول بلى لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به الحكيم لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين دبع الجزء ظالمون وما في الارض من يشاء رحيم **التفسير** انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا وتتقوا وخلاف ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا امر الرسول انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه اخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم اية في فئتين التقتا وقد كان لكم مثل تلك الاية اذ غدا الرسول تبوي المومنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر عن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الاية نزلت في واقعة احد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابي مسلم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه وكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني رايت في منامي بقرا مذبوحة فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة قالوا من منزل عائشة وهو المراد بقوله من اهلك عن مجاهد والواقدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خالف راي عبد الله بن ابي شق عليه ذلك وقال اطاع الصبيان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوكم وقد وعد اصحابه ان اعداءه اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم الاعداء انهزموا فيتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما ذكر محمد فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا وكان جملة عسكر الاسلام الفا وقيل تسعمائة وخمسين بقي نحو

من سبعماية وكان المشركون ثلثة الاف فقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما راوا انهزام القوم وكان الله بشرهم بذلك طمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا ان ظفرهم يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الرعب من قلوب المشركين فكروا على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قتل فاشرف ابو سفيان وقال في القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال افي القوم ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه قال افي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قتلوا فلو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله ما يخزيك فقال ابو سفيان مرتجزا اعل هبل اعل هبل فقال صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ولنرجع الى التفسير بوأته منزلا وبوات له منزلا انزلته فيه ومقاعد اي مواطن وقد اتسع في قعد وقام حتى استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك اي موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما امرهم ان يثبتوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى ان يلاقيهم العدو فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان في القوم موافق ومنافق اذ همت طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر انها ما كانت عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بطن الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها الى الثبات والصبر فلا باس بها فعل وعن معوية انه قال عليكم بحفظ فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة **شعر** اقول لها اذا جشات وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي ومما يدل على ان ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما ولو كانت عزيمة لما ثبت معها الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله فليتوكل المومنون والتوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه اشارة الى ان الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من مكروه وافة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما اخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله تعالى ابهم ذكرهما وستر عليهما ولا يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وهو ما بين مكة والمدينة عن الواقدي ان اسم الماء بعينه وعن الشعبي انه سمي باسم رجل كان ذلك الماء له وانتم اذلة انما جاء بجمع القلة دون الذلال الذي هو للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم كانوا قليلي العدد ايضا كما مر في تفسير قوله قد كان لكم اية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين او لعل المراد انهم كانوا اذلة في زعم المشركين وفي اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل او لعل الصحابة كانوا قد شاهدوا الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما انعم به عليكم من نصرة او لعل الله ينعم عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمومنين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في اذ قوله نصركم او حصل يوم احد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول اكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدة يوم بدر اقل ولان الاحتياج الى المدد اكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف من الملائكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة دون ثلثة الاف وخمسة الاف واجيب بانهم امدوا بالف ثم زيد الفان فصاروا ثلثة الاف ثم زيد الفان اخران فصاروا خمسة الاف فكانه قيل لهم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بالف من الملئكة فقالوا بلى ثم قيل الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الاف وهو كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ايسركم ان تكونوا ربع اهل الجنة قالوا نعم قال ابشركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال فاني ارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة وايضا لعل اهل بدر امدوا بالف ثم بلغهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله بان الكفار

ان جاءهم مدد فانا امدكم بخمسة الاف من الملئكة ثم انه لم يات قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى
عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا والمسلمون على الثلث منهم فانزل الله الفا من
الملئكة بعدد الكفار ايضا ثم وعدهم ان يجعل الثلثة الالاف خمسة ان صبروا واتقوا واجيب بان هذا تقريب حسن ولكنه
لا يغلب على الظن ان يكون الامر كذلك قالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم ويوم احد هو الذي كان ياتيهم الاعداء اما يوم بدر
فهم ذهبوا الى الاعداء واجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قد تعرضوا للعير ثار
الغضب في قلوبهم واجمعوا وقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك تخافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان اتوكم من
فورهم يمددكم ربكم بخمسة الاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يجب ان يكون
توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة احد ثم انزل الخمسة الالاف كان
مشروطا بشرط ان تصبروا وتتقوا ثم انه لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط
واما انزال الثلثة الالاف فانه صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك بشرط ان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصل المشروط
روى الواقدي عن مجاهد انه قال حضرت الملئكة يوم احد ولكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اعطى اللواء
مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست
بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم انه ملك امد به وعن سعد بن ابي وقاص انه قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده علي رجل
ابيض حسن الوجه وما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا ايضا في عدد الملئكة فمنهم من ضم العدد
الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلثة الالاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الالاف مشروط بالصبر والتقوى
ومجي الكفار من فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الاية على قصة بدر وقد ورد فيها ذكر الالف في موضع اخر فيكون المجموع
تسعة الاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثلثة الاف ومنهم من ادخل الناقص في الزائد فقال وعدوا بالف ثم زيد الفان
فصح ان يقال وعدنا بثلثة الاف ثم زيد الفان اخران فوعدوا بخمسة الاف واجمع اهل التفسير وارباب السير انه تعالى انزل الملئكة
يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم يقاتل الملئكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون
ومنهم من قال ان نصر الملئكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم واما ابو بكر الاصم فقد انكر امداد
الملائكة وقال ان الملك الواحد يكفي في اهلاك اهل الارض كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط فاذا احضر يوم بدر فاي حاجة الى مقاتلة
الناس مع الكفار وبتقدير حضوره فاي فائدة في ارسال سائر الملئكة وايضا فان اكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة
معلوم وايضا لو قاتلوا فاما ان يكونوا بحيث يراهم الناس او لا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلثة الاف واكثر ولم يقل
احد بذلك ولانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق
ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم حز الرؤس وتمزيق البطون واسقاط الكفار من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا
يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويشتهر بين الكافر والمسلم والمخالف والموافق وايضا انهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب
ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف يثبتوا على الخيول واعلم ان هذه الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة
وبمن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها مع ان نص القران ناطق بها
وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم بما ظفروا و
يقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كانوا يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه تعالى قادر
على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك او بلا سبب وكذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه
اراد اشاعة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم اجرى الامور على ما اجرى فله
الحمد على ما اول وله الحكم في الاخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزول الباس فلا
جرم اظهر القدرة وجعل عاليها سافلها وفي حرب احد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم اظهر الحكمة ليتميز الموافق عن المنافق والثابت
من المضطرب فانه لو جرى الامر في احد كما جرى في بدر لاشبه ان يفضي الامر الى حد الالجاء ونافى التكليف وبطل الثواب والعقاب
ولمثل ذلك امد بالملائكة حين امد على عادة الامداد بالعساكر والامراء واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعلم ولنعد في تفسير
الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد بنزول الملئكة ليتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن
يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملئكة وانما جي بلن الذي هو تاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم
وكثرة عدوهم كالايسين من النصر وعلى الكفاية سد الخلة والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشي حالا بعد حال قال

بعضهم

بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل فيه امده يمده وما كان على جهة الزيادة قيل فيه مده يمده ومنه والبحر يمده وقرى منزلين بكسر الزاء
بمعنى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني
المشركين من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلت ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان
ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور والتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف فيها ولا تلبث على صاحبها فقيل خرج من
فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجي خمسة الالاف مشروطا باشياء الصبر والتقوى ومجي الكفار على الفور فلما لم يوجد هذه
الشرائط لا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان يتعلق قوله من فورهم هذا بقوله يمددكم ربكم بالملئكة في حال
اتيانهم لا يتاخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا مخالفة الرسول وقوله مسومين
من التسويم العلامة يعرف بها الفارس في اللقاء ليعلم بها فمن قرا بكسر الواو فالمعنى معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة
ومن قرا بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض
في نواصي خيولهم واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة
الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملئكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملئكة قد
تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها ارسلتها للرعي والمعنى ان الملئكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم
واسرهم وما جعله الله اي ما جعل ارسالهم على المشركين ليهلكوهم كما يهلك الماشية النبات في المرعى وما جعله الله الضمير عائد الى
الامداد الدال عليه الفعل وقال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة اي الا لتبشروا بانكم تنصرون
ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذ الكثرة والات
من عند الملئكة والسكينة وكل ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد
لا يكمل الا بعد الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال
علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اي طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر
الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت في اللغة صرع الشي على وجهه وفسر الائمة تارة بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ
والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا يكون الا بعد التوقع ونقيضه الظفر واما الياس فقد
يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون
من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك
لتخدمني لتعينني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس
بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام
اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية او يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء فحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد
المطلب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما راه وراى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين
الذين خالفوا امره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك مروي عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره
فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقعت يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية في الكل القول الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة
اخرى وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جمعا من خيار الصحابة زهاء سبعين الى بني عامر ليعلموهم القران فلما وصلوا الى موضع
يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا
على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعدما يرفع راسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن بني لحيان والعن رعلا وذكوان
اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه صلى الله عليه وسلم
كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه الاشكال بان ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منه والا فهو قادح في عصمته
ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب ان المنع من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه
ما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط ولعله شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورث حزنا شديدا وكان من الممكن

ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل او القول فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته وتاكيدا لطهارته ولئن سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل وايضا ان دعاء النبي لا يكون الا بحرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسؤله وقد وقع فهو بالحقيقة سوله ولهذا سال الله تعالى ان يحل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شئ معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شان هذه الحادثة شئ فاني اعلم بمصالح عبادي او المراد الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك من امر خلقي شئ الا ما يكون امري وحكمي وقوله او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر اي ليس لك من امرهم شئ او من التوبة عليهم او من تعذيبهم ويجوز ان يكون معطوفا على شئ والحاصل منعه صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض العبد في اسرار ملكه وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شئ كالكلام الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان يكون كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكدوا هذا الظاهر برهان عقلى وهو ان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف والعزم ارادة تتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى وتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى واما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف او بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب لسبب شركهم او عصيانهم ثم اكد ما ذكره من قوله ليس لك من الامر شئ بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هما والحقايق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان من الابالسة والفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين وكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الاية يهب لمن يشاء الذنب الكبير ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وايدوا هذا النقل بدليل عقلي شبيه مما مر آنفا وهو ان الارادات كلها تستند الى الله تعالى دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد او معصيته ينتهي الى الله تعالى ويفعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة فناقشوا في ذلك ورووا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب والعقاب الغفران والعقاب لازم ملكة العصيان وكذا الثواب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك فممنوع والله تعالى اعلم **التاويل** اخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في طلب الحق بنوع الى المبدا من اهله من صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفاتك الروحانية مقاعد للقتال النفس والشيطان والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا يعني القلب والسر وصافي الروح واخلاصه والله وليهما يخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبي يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشياطين ومجاهدة النفس ومكايدة الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا يدركها الحواس كقوله وانزل جنودا لم تروها بل ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يمددكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من الصفات النفسانية التي هي منشا الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله يعز بحكمته من يشاء على ما يشاء كيف يشاء متى شاء بما يشاء وهو حسبي

يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة و
اتقوا الله لعلكم تفلحون ● واتقوا النار التي اعدت للكافرين ●

واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ● وسارعوا الى مغفرة من
ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ● الذين
ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين ● والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله
ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ● اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر
العاملين ● قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين ● هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين ● ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها
بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله
لا يحب الظالمين ● وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين ●

القراءة سارعوا بغير واو العطف ابو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالفتح **الوقوف** مضاعفة لعطف المتقين تفلحون للعطف الكافرين ترحمون ومن قرا سارعوا بغير واو فوقفه يطلق والارض لان ما بعدها صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة معدة للمتقين لان الذين صفتهم عن الناس المحسنين لان الذين يصلح مبتدا وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف على يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله واللاحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها العاملين سنن لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالنار المكذبين للمتقين مؤمنين مثله بين الناس لان الواو مقحم او عاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء الظالمين للعطف الكافرين **التفسير** قال القفال رحمه الله تعالى يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا كي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الايات ابتداء امر ونهي وترغيب تتميما لما سلف من الارشاد الى الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا فانا نعلم انه منهي عنه مطلقا وانما هو نهي عنه مع توبيخ بما كانوا في الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ

الذين محله زادت في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى استغرق بالشئ الطفيف مال المديون واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء
الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكباير لا من الصغاير و
يؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لان اكثر
اهل النار الكفار فغلب جانبهم كما لو قلت اعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع ان تركبها لبعض حوايجك ومثله قوله في صفة
الجنة اعدت للمتقين فانه لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به اصحاب الوعيد في انه من عصى الله ورسوله
في شيء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وغيرهم يحمل الاية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو
فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشئ الواحد لانهما متلازمان وتمسك كثير الاصوليين به في ان ظاهر الامر يوجب
الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب مغفرة من ربكم ونكر المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس
ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن علي بن ابي
طالب هو اداء الفرايض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك
ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة الى الربوا لانه ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف
عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد للمكلف من تحصيل الامرين
ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات كقوله في موضع اخر
كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين
فيها مادامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث
يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة
وهذه غاية من السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان
انما يرغب فيما يصير ملكا له فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذى وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة ومنه
عارضت الثوب بكذا معناه لو عارضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض
ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول فاذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطاينها من
استبرق لان البطاين في العادة يكون ادون حالا من الظهاير فاذا كانت البطاين كذلك فكيف الظهاير وقال القفال
العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه
دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد تسليم كونها
الان مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول
هرقل سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم
سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله اعلم اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد
ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وسئل انس بن مالك عن الجنة افي الارض ام في السماء فقال واي
ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش ثم ذكر صفة المتقين حتى يمكن الاتيان الى الجنة بواسطة اكتساب
تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه من قليل او
[illegible] ربما تصدق ببصلة وعن عايشة انها تصدقت بحبة عنب فكان الفقير [illegible]
عرس او جنب والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو عن حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن
وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان كان مخالفا له فانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر
الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة ولانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء
المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها فكظم الغيظ امساك على ما في نفسه منه والصبر عليه ولا يقول ولا
يفعل كانه [illegible] غيظا [illegible] من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ايضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما في البقرة وان كان

ذو عشرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين بما مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب
الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذ لا دليل على تخصيصه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلوات الرحمن عليه ليس الاحسان
ان تحسن الى من احسن اليك [illegible] ان تحسن الى من اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول
كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء وذلك ان من انواع الاحسان ايصال النفع الى
الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس والجود بالنفس
اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو المعني بكظم الغيظ
واما في الاخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فالاية دالة على جميع جهات الاحسان
الى الغير فذكر ثواب الجميع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان
نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت
والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وكانا لا يفترقان
في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات
يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت
كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقالت سبحان الله خنت امانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك
قال وندم على صنيعته فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل
عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله
عن ذنبك لعل الله ان يجعل لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبريل عليه السلام
بتوبة فتلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص
هذا ام عام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ابنو اسرائيل
كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم وبين انهم اكرم على الله
منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف اي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا
اي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنى لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه
من القبلة واللمسة وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة
يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغاير
بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه او انه سائلهم او نهيه او جلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض
الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواقدي
ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكر بالثناء والتعظيم فان من اداب
المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم فقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار
الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان
فذلك لا اثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن
يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك العقاب
عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار
والتفضل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا
لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن
آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت
لك ولا ابالي يا ابن ادم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي كرم الله وجهه
قال حدثني ابو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله
الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا

لذنوبهم ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وشدّ الفرس
اذنيه ضمهما الى راسه فاصرّ ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصرّ من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروى
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل اصروا وحرف النهي منصب عليهما معًا
كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب واردت نفي المجي والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار و
المعنى ليسوا ممن يصرّ على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر العالم
ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن
ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد نفي الاصرار في حال العلم لا نفيه مطلقا كما لو اردت في المثال المذكور نفي المجي في حال
الركوب لا نفي المجي على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي اشارة الى ازالة العقاب وجنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وهذه اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل
قول من قال ان الثواب بفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك
الجزاء ولقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان اهل الجنة هم المتقون والتائبون
دون المصرين لقوله لم يصروا والجواب ما مرّ ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا يدخلها غيرهم
بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تامل احوال القرون الخالية
فقال قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد
عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعول من سنّ الماء يسنه اذا والى صبّه فكانه اجراه
على نهج واحد ومن سننت النصل احددته او من سنّ الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة
يعني سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذتها
ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الاخرة هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد المراد
سنن الله تعالى في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن بقي له الثناء الجميل والثواب
الجزيل والكافر بقي له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التامل في حال احد القسمين يكفي في معرفة
حال القسم الاخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتامل احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في
الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد
ان يقال يندب الى السير لان المشاهدة اثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع **شعر** ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا
الى الاثار هذا بيان المشار اليه بهذا اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين و
المصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر
في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم اما البيان والموعظة والهدى فلا بد من الفرق بينها
لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان احدهما الكلام الذي يهدي المكلف
الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة
بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصتان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط
كونها موصلة الى البغية واقول يشبه ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين وباي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد
به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات ومهد ما ذكر
المقصود وهو قوله ولا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة
لارباب الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم
وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا
لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون بالحجة والعاقبة الحميدة لقوله
والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون اي ان كنتم مصدقين
بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا تضعفوا لثقتكم
بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فبيناهم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل

المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه
البلدة غير هؤلاء النفر فانزل الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى
هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد كئيبا حزينا
جعلت المراة تجيء بزوجها وابنها وابيها مقتولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم
قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضَعف والضُعف والجَهد والجُهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح
مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم
انها جمع قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال
فانتم اولى بان لا تفتروا ولا تجبنوا ونظيره فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد
وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم
بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في اول النهار كما يجيء من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم و
تنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما يكفي المثلية في نفس القتل والجراحة وتلك الايام موصوف وصفة
مبتداء خبره نداولها او تلك مبتداء والايام خبره كقولك هي الايام تبلي كل جديد قال الضمير لا يوصف ويكون تلك اشارة
الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات من الظفر والغلبة
والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشيء من واحد الى اخر ويقال تداولته الايدي اذا تناقلته
والدنيا دول اي تنتقل من قوم الى اخرين لا يدوم مسارها ومضارها فيوم يحصل فيه السرور والغم لعدوه ويوم اخر
بالعكس فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من اثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلو لكونها تارة مملوة واخرى
فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف
لا يناله الكافرون بل المراد انه تارة يشدد المحنة على الكافرين واخرى على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار
في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان
كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في
الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله والى هذا اشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين امنوا وحذف
المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب ويعم الفوايد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم ففيه ايذان
بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها ان يعلم
الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر الاية ونحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند
وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه وتاويل الاية ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة
على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان او قدرة فلان والمراد معلومه ومقدوره فكل اية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد
تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الاية ليظهر معلومنا وهو المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل
معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات لان
المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال
العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين
عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعد معناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا
ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة كقوله لتكونوا شهداء على الناس
فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدايد او المراد
ليكرم ناسا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال
النضر بن شميل لانهم احياء حضروا دار السلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله تعالى وملائكته شهدوا له
بالجنة والله لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم قاله ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على
الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض المعللات وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين للفوايد المذكورة
لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال
المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا ترى منه شيء قال الزجاج معنى الاية انه ان حصلت الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد

تمحيص ذنوب المؤمنين اى تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظر محق اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بتدريج ومهل ليقطع طرفا ننقصها من اطرافها **التاويل** لا تاكلوا الربوا ما يؤدى الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص اى اتقوا بالله عن غير الله فى طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوى الله وتظفرون بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسايط بقوله واتقوا اى بالقناعة النار اى نار الحرص التى تورى منها نار القطيعة وجوزوا بقدمى طاعة الله وطاعة رسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان بمضارعة النفس والجنان عرضها السموات والارض اى المسافة بين العبد وبينها هذا القدر لان الوصول اليها بعد العبور عما فى السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عن عيسى انه قال لم يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هى الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية اى ينفقون اموالهم فى السراء وارواحهم فى الضراء بل ما سوى الله فى طلب الله فعلوا فاحشة هى رؤية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه وبرؤيته ومن يغفر ومن يستر بكنف الله عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية الوسايط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شىء ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة اى هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم وجنات من اصناف الطاف تجرى من تحتها الانهار العناية ونعم اجر العاملين لان نيل المقصود فى بذل المجهود قد خلت من قبلكم ام لهم فسيروا فى الارض نفوسكم الحيوانية بالعبور على اوصافها الدنية لتبلغوا اسمان قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية ولا تهنوا ايها السايرون فى السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم عن اللذات الفانية وانتم الاعلون من اهل الدنيا والآخرة لانكم من اهل الله ان يمسسكم فى اثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السايرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة ويتخذ منكم شهداء ارباب المشاهدة والمكاشفة وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل الم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه يوجز آخر البلاء لاهل الولاء تمحيص القلوب عن ظلمات الغيوب وتنويرها بانوار الغيوب ومحق صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظاير الارواح والله حسبى

ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ● ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون ● وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ● وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين ● وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى

سبيل

سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ● وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ● فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ● يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ● بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ●

القراءة رايتموه بغير همز يعنى بالتليين ونحوه راوك ورأوه روى هبة الله بن جعفر عن الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يرد ثواب وبابه مدغما ابو عمرو وشامى ابن عامر وسهل وحمزه وعلى وخلف نؤته مثل يؤده وكاين بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقراء يزيد وكاين بالمد بغير همز وقراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلى بغير نون فى الوقف وكاتى فى الحالين قتل ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل **الوقوف** الصابرين تلقوه لطول الكلام الرسول لان ما بعده يصلح صفة واستينافا الرسل اعقابكم لتناهى الاستفهام شيئا الشاكرين مؤجلا لابتداء الشرط منها للعطف منها الشاكرين قيل ليكون قيل الزاما للحجة على من اعتد فى الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل والتقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قتل قراء قاتل فله ان لا يقف كثير لابتداء النفى مع فاء التعقيب ما استكانوا الصابرين الكافرين الآخرة المحسنين خاسرين مولاكم الناصرين **التفسير** انه سبحانه لما ذكر فوايد مداولة الايام وحكمها اتبعها ما هو السبب الاصلى فى ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفى العلم بالمجاهدة ولكن المراد نفى المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الآخر تقول ما علم الله فى فلان خيرا اى ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا بعد وانما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح المنوطة بها فى الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو فى قوله ويعلم الصابرين واو الجمع فى قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان المحب هو الذى لا ينتقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير اظننتم ان يدخلوا الجنة قبل ان يعلم الله المجاهدين وان يعلم الصابرين ووجه آخر وهو ان يكون مجزوما ايضا لكن الميم لما حركت للساكنين حركت بالفتح اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الآن يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقراء الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروى عن ابى عمرو ويعلم بالرفع على الحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون وان كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى المشركين وكان رايه فى الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر ويريده او يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب النصرانى فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق لصناعته قالت الاشاعرة ههنا من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء ولن يصيروا شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد

رأيتموه وانتم تنظرون قال الزجاج وانتم بصراء كقولهم رأيته بعيني اي رأيتموه معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم و
شارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم انتم تنظرون اليهم من
غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ لهم على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة
ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولم ينتقلوا
سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي رض طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد
شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم
من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم
وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه
واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمية واحتمل طلحة بن عبيد الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودافع عنه ابو بكر وعلي رضي الله عنهما وظن ابن قمية انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وكان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طايفة من اصحابه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك
بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت وما محمد الا رسول اي مرسل قال ابو علي وقد يكون الرسول في غير
هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل فسيخلو
كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام
الحجة لا وجودهم بين اممهم ابدا افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة قبلها
والهمزة لانكار الجزاء لانه في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى فتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار
ما تقدم من التعليلين احدهما ان الحاجة الى الرسول في التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله او موته الارتداد
عما كان هو عليه من الدين وما يلزمه كالجهاد وثانيهما القياس على موت ساير الانبياء فقد علم ان موسى عم مات ولم يرجع
امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عم قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل مجوزا
عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس او سلم انه متقدم في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه
ليس بنص في العصمة عن القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الاخرة
باي طريق كان بدليل وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزئيها لصدق
قولنا ان كان الخمسة زوجا فهي تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعناه هو الترديد والتشكيك اي سواء فرض وقوع الموت
او القتل فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار او الارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه
وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تأتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد
احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكفا
عن رسول الله وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت
وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما
يقولون هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في
دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم فنزلت الآية قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين
لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجعوا
ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم بان القتل مثل الموت في انه لا يحصل الا في الوقت المقدر
كما انه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض للمؤمنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني
عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحام المعارك والغرض بان حفظه وكلاءته تعالى لنبيه فانه ما بقي
في تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظا لنبيه ولم يقدر في ذلك اجله لم يضره
ذلك وفيه تقريع لاصحابه انه قد قصروا في الذب عنه وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا
قال الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه لا يحدث

شيء الا بمشيئة الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان يأذن الله فيه وذلك
ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فاقيم القابل مقام الفاعل قال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى
ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت
والحيوة احد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا بان يخلي الله
بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي بين نبيه وبين احد ليقتله ولكنه جعل من بين يديه ومن خلفه رصدا ليتم على يديه
بلاغ ما ارسله به فلا تهنوا في غزواتكم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم اي لن تموت النفس الا في الوقت الذي
علم الله موتها فيه وفي الآية دليل على ان المقتول ميت باجله وان تغيير الآجال ممتنع ولهذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا
هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه الحوادث من الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة
وقال القاضي الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى واما الكفر والفسق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب الله تعالى
ذلك فانما يكتب ما يعلم من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من ان يكون مذموما او ممدوحا والحق ان هذا تعكيس القضية فان
الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان يأتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حينئذ فما
معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم القيمة احد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة كما اخبر الله تعالى في هذه السورة
فقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنايم وباقي الآية مدح للفريق
الآخر الاخروي وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم
الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين فابهم الجزاء واضاف الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد
شيء لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانه كما يليق بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الآية وان وردت في الجهاد ولكنها
عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر في جانب الثواب والعقاب القصود
والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهر والشمس امامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان
وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكأين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف التشبيه واي التي هي في غاية الابهام
اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكأين مثل كذا في كون المجرورين مبهمين عند
السامع الآن في ذا اشارة في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف اي فانه للعدد المبهم ومميزها منصوب مفرد على الاصل
والاكثر ادخال من في مميز كأين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا وكأين في الاصل عن الكاف لا من ذا واي كما في مثلك
رجلا لانك تبين في كذا رجلا وكأين رجلا ان مثل العدد المبهم من اي جنس هو ولم تبين العدد المبهم فاي في الاصل كان
معربا لكنه انمحى عن الجزء معناهما الافرادي فصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبني على السكون آخره
نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة لها خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل
كاين مثل كاعن وربما ظن بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان ولهذا
قرئ بهما وفيه لغات اخر غير مشهورة وتركنا ذكرها لانه لم يقرأ بها ولعلك تجدها في كتبنا الادبية ومحل كأين من نبي
رفع على الابتداء وقوله قتل او قاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كأين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى وربيون
معناه الالوف والجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة اصله من الربة الجماعة فحذفت الهاء في
النسبة ويقال تربوا اي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب
كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الآية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل
استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي ان يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود من الآية حكاية ما جرى
لساير الانبياء ليقتدي هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم
قرح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال ومما يؤيد هذه القراءة
ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان ينزل القراءة الاولى على هذه الرواية ايضا بان يقال المعنى
وكأين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون ولا استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد
عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا الآية ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي
وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو اي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند
الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا

بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل الوهن استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج
الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف
مطلق اختلال القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك الضعف والعجز واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن
لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح اى ببعيد يراد بمنتزح والاصح انه استفعل
من كان والمد قياسي كان صاحبه تغير من كون الى كون اى من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يراد اكرامهم والحكم
بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك التصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر
من الله والغرض ان يقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه وعدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله و
التجاء اليه فاز بالظفر ومن في اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم النفس واستقصار لها قال
المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء
دل ذلك ظاهرا على صدور ذنب وتقصير من المومنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم
الى ربهم عن ذكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب اولا الصغاير والكباير بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا
ثم خصصوا الذنوب الكباير بقولهم واسرافنا في امرنا لان الاسراف في كل شي هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام
ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزايدة على القوة والعدة و
الشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء واحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار
في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الاية تاديب وارشاد من الله تعالى في كيفية الطلب عند النوايب
جهادا كان او غيره فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الاخرة
وهو الجنة وما فيها من المنافع واللذات وذلك غير حاصل في الحال فالمراد انه حكم لهم بحصولها في الاخرة وحكم الله
بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم مثل اتى امر الله اى سياتي قال القاضي ولا يمتنع ان تكون الاية مختصة
بالشهداء وانهم في الجنة عند ربهم يرزقون احياء وثواب الاخرة كله حسن فما ظنك بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب
الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدورتها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان يكون الحسن هو الحسن
كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان في غاية الجود والعدل وههنا نكتة
وهي انما دخل من التبعيضية في الاية المتقدمة في قوله نوته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية لان اولئك
اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والقصور ولم يبالوا
ربهم الا بما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما
سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم
مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي
المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستامنوهم
وعن علي هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن
الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون
لو كان نبيا حقا ما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه والاقرب
انه عام في جميع الكفار فان خصوص السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شي ولا ينزلوا على حكمهم و
على مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وهو المراد بقولهم يردوكم على اعقابكم اى الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين
في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذي هو اشق الاشياء لذي العقل ومن في الاخرة الحرمان
على الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله موليكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما
تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا خطاء وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون
ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض ان لاحد سواه قدرة على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات بنصر
في الدنيا والاخرة بلا شايبة علة من العلات ونصر غيره لو فرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات
ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر في الحقيقة سواه التاويل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اى تلجوا عالم الملكوت
ولم يظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق الشريعة وقانون الطريقة

ليتجلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون موت النفوس عن صفاتها تزكية لها من قبل ان تلقوه
المجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي الاكبر باطنا فقد رايتم هذه
الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تقدرون ادراكها ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بارواحكم و لا
تجاهدون حق الجهاد باشباحكم افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه اى الايمان التقليدي لا اعتبار له فينقلب المقلد
عن ايمانه عند انعدام المقلد من الوالدين والاستاذ وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سؤال الملكين في قولهما له من ربك
فيقول هاه لا ادري فيقولان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه لا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان لا دريت
ولا تليت وسيجزي الله بالايمان الحقيقي الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الايتمار باوامر
الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس ان تموت عن اوصافها الدنية واخلاقها الردية وتخلص عنها بطبعها الا باذن الله
وجذبه واشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا ينتهي الا باشراق طلوع الشمس ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية
بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها وهذه رتبة الخواص اى من عمل شوقا الى الحق فقد ادى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في
الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه انشد شعر خليلي هل ابصرتما او سمعتما
باكرم من مولى تمشي الى عبد اتى زائرا من غير وعد وقال لي اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة منتظرة
على النعمة فثوابه في الاخرة وسنجزي الشاكرين اى كلا الفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي قاتل اعدى الاعداء العدو
الذي بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما
استكانوا باحتمال الذلالة والالتفات الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا اى النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى اسفل
سافلين بشريتكم وبهيميتكم والله اعلم بالصواب

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا وماويهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم
الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد
عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلون
على احد والرسول يدعوكم في اخريكم فاثابكم غما بغم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما
تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طايفة
منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن
الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شي قل ان الامر كله لله يخفون

في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر من شيء
ما قتلنا هٰهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في
قلوبكم والله عليم بذات الصدور ● ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد
عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ● يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا
غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ● ولئن قتلتم
في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ●
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون ● فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر
لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب
المتوكلين ● ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن
ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ●

القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين وماويهم وبابه بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل يغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وخلف وعلي الباقون بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب بما تعملون بصير بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب ابن كثير وعباس وعلي وخلف وحمزة الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف وافق حفص الا ههنا بجواز قتلتم الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب **الوقوف** سلطانا لعطف المختلفين النار الظالمين باذنه لان حتى يحتمل انتهاء الحسن ووجه الابتداء اظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب اي اذا فشلتم وفعلتم انقلب الامر ويمنعكم نصره الوقف على ما تحبون في الوجهين الاخرة لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم عفا عنكم المؤمنين اصابكم تعلمون طائفة منكم لان الواو للحال الجاهلية من شيء لله يبدون لك ههنا مضاجعهم

لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي لينفذ الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم الصدور الجمعان لان انما خبر ان كسبوا لاحتمال الواو حالا او استئنافا عنهم حليم وما قتلوا لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل في قلوبهم ويميت بصير يجمعون تحشرون لنت لهم لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك والوصل اولى ليعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا الامر لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله المتوكلين لكم لابتداء شرط اخر مع الواو من بعده المؤمنون

التفسير انه تعالى ذكر في هذه الايات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار ولا شك ان هذا من معاظم اسباب الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم احد الا انا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك ليظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى انه مختص بيوم احد لوروده في مقام تلك القصة قال السدي لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روي ان ابا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال اين ابن ابي كبشة يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب رعبا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا هو في الواقع لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال امن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الاخر ينصرني فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا الهة لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القوة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه استخرج بالقهر قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم من بالغ فيقول ما لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا استدللنا بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه اما اذا استدللنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشراك لوجود الدليل على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الاخرة فقال وماويهم اي المكان الذي ياوون اليه النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم تستأصلونهم وقال اصحاب الاشتقاق حسه اي قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه وراسه اذا اصاب راسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه صلى الله عليه وسلم راى في المنام انه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا ان هذا مشروطا بالصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء هذا ليس بشرط فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى لقد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الا ان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر وقال اخرون انه للمجازاة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه احدها قول البصريين انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي عينه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة وقيل جوابه ما دل عليه قوله منكم من يريد الدنيا

ومنكم من يريد الاخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم فريقين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما
هزموا المشركين ورأوا اماءهم يصعدون الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير
امير الرماة عهد الينا ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى
ان قتلهم المشركون وقوله في الامر اما ان يكون بمعنى الشان والقصة اي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشان او بمعنى الامر الذي يضاد
النهي اي تنازعتم فيما امركم الله والرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية
لانهم فشلوا في انفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في انا هل نذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم
اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على
المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الاخرة وفائدة قوله من بعد ما اراكم ما تحبون التنبيه على عظم شان المعصية
لانهم لما شاهدوا اكرمهم بايجاز الوعد كان من حقه ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم الله ذلك الاكرام و
اذاقهم وبال امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وكانت الريح دبورا
او كانت صباحي وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان
الخير والشر بارادة الله وبخليقته واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف
عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه عاتبهم على ذلك الانصراف
ببعض ما كسبوا وايضا انهم عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة
على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تاويل الاية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم
فارقوا المكان اولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم
العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب جاز لهم ان يتنحوا على ذلك الموضع الى موضع يتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبي
صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من اصحابه وتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا اضافه الله تعالى الى نفسه
بمعنى انه كان بامره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد والذب
عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبائهم
من اعظم انواع الابتلاء فاذن الاية مشتملة على معذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم
يرجع الى المعذورين وقوله ولقد عفا عنكم يرجع الى غير المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان
امر رسول الله وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم
وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم
وفشلهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفا عنهم قال القاضي
ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة
وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن من اهل العفو وقالت
الاشاعرة لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك
المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام لقتل جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الاية دل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير
مذكورة فصارت الاية دليلا على انه قد يعفو عن اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين متفضل عليهم بالعفو او هو
متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالاية
على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه تعالى سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر سبحانه اذ تصعدون
اما مستانف باضمار واذكروا واما ان يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون لان ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان
والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب اقترفوه والمعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب
في الارض والابعاد فيها قال ابو معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة فيقال فيه اصعد اذا اخذ
من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد لا تلتفتون اليه واصله واصله ان المعوج
على الشيء يلوي اليه عنقه او عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل انه كان
يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى محاربة العدو في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه وبقي هو في الجماعة المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخرهم كما تقول في اولهم واولاهم

مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى
اصعدتم بدليل اذ يقال ثاب اليه اي رجع والمراة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل
من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الاية على اصل اللغة استقام الامر وان حملناه
على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف وتحيتك الضرب اي جعل مكان ما ترجون من الثواب
الغم وهو في الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء في بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعارضة نحو بعت
هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيان
امره اذاقكم الله غم الانهزام وقتل الاحباب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر
للمشركين وفي الكشاف يجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته
وشج وجهه وقتل عمه وغير ذلك غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانضمام في سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما
الاحتمال الثاني ففيه وجهان احدهما ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة
او الاول غم فوات الغنائم والثاني ان ابا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما او الاول هذا
والثاني خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم في انفسهم واموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول
صلى الله عليه وسلم او الاول خوف عقاب المعصية والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعزم على ترك المعاودة واذا امر بالمعاودة بعد
القتلة والذلة فان تعمل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الاخرة وثانيهما ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها
وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط في سلكها ثم اللام في قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان تتعلق بقوله ولقد عفا
عنكم لان في عفوه تعالى ما يزيل كل غم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة
ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا
لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد في مقابلة ما جعلتم مغمومين
يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى صوابها قالت الاشاعرة معنى اثابة الغم من الله تعالى
خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شيء واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون
بالمصائب وهم لا يجدون على ذلك ولا ينفون وان سلم انه بخلق الله فالى غاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان
ذلك كفر ومعصية فان الغرض ان لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا تحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل
الاثابة مسندا الى الرسول فان ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة
العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما في قول الزجاج او المراد انكم لم تبقيا في هذا المكان او امتثلنا وقعنا في غم
فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم في غموم اخر كل واحد منها اعظم من ذلك فيصير هذا مانعا
لهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة في وقعة اخرى ثم كما زجرهم عن تلك المعصية بزاجر دنيوي زجرهم بزاجر اخروي فقال
والله خبير بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر ان الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقية هذا الدين وان هذه الواقعة لا تادي الى الاستيصال لاخبار الصادق
ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا فاراد هؤلاء بقوله يغشى
طائفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر الضادة العظمة والغلبة والنعاس فتور في اوائل النوم وانتصاب
امنة على انها حال مقدمة من نعاسا مثل رايت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه جمع امن كبار وبررة
او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه
ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل
الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود
النعاس في القتال امنة والنعاس في الصلوة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا
ولا يكون في الصلوة الا من غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها انه وقع لجميع المؤمنين كلهم لا في وقت المعتاد
معجزة ظاهرة جديدة لهم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها
ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة
ومنها ان الاعداء كانوا حراصا على قتلهم فبقاؤهم في تلك المعركة وهم في النوم من اقوى الدلائل على ان حفظ الله

وكلاءته منهم ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان
فيه ابطال الفوايد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى الامنة ويؤيده ان الامنة مقصودة
بالذات والنعاس مقصود بالعرض ولانها متبوع وانه تابع ومن قرأ بالياء فللعود الى النعاس وتنصره كونه اقرب وكون
المبدل في حكم المنحى وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب تقول غشيه النعاس وقلما يقولون
غشيه الامن ولان النعاس والامنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير اولى واما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا
في شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم
بقوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبي والمسلمين والمهم الامر الشديد يقال
اهمه ذلك الامر اي اقلقه وحزنه فالمعنى اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباكي
والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشيء واستغرق فيه غافلا عما سواه فلما كان احب الاشياء عندهم
هو النفس وكانت اسباب الخوف على النفس هناك موجودة والدافع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم
فلم يكن هناك الا هم انفسهم يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر اي غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية
بدل منه والفايدة في هذا الترتيب ان غير الحق اديان كثيرة وابداها مقالات اهل الجاهلية فذكر اولا انهم يظنون بالله
ظنا باطلا ثم بين انهم اختاروا من الاديان ارذلها كما يقال فلان دنية ليس بدين حقه دين الملاحدة او ظن الجاهلية معتقد
وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف الى
اي الظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام او اريد ظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله
فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك الظن هو انه كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل
المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول النبي ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون
لو كان محمد محقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند اهل السنة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لاحد
عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب ان يشرفه باخرى واما عند من يعتبر المصالح في افعاله واحكامه فلا يبعد ان يكون
في التخلية بين الكافر والمسلم وغيره للتمن للمصاب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر الناس
الى معرفة الحق وكان ينافي التكليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز
الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء
حكاية شبهة تمسك بها اهل النفاق فاستفهموا منها على سبيل الانكار فانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون
راي عبد الله بن ابي وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قوله حين امره ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكي
عنهم لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه
الامر اي هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والقدرة شيء وثالثها انطمع ان تكون لنا الغلبة على هؤلاء
والغرض منه تعيير المسلمين على التشدد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر كله لله والحوادث باسرها
مستندة الى قضائه وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك واذا اراد
اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين على الاديان وقع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك
وذلك المخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا اي لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه
وما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب الله عليهم
القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا فيها لان ما كتب الله في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج
منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولن تتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز من هذه المصارع لا يخلو
عن الفوايد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب
اما لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي في الصدر والتمحيص مورده الهيات والعقايد التي في القلب
واعلم ان نسق هذه الاية انيق ونظمه عجيب ما نسقه فقوله وطايفة مبتدا واهمتهم صفة ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره
محذوفا اي ومعه ومنهم طايفة واهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف على وجه البيان
للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وانما صح وقوع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان سؤالهم كان
صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدا ولله خبره

والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تاكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر اجمع لله وقوله يقولون استيناف وقوله وليبتلي
الله تقدم ذكره في الوقوف واما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطايفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون
هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا في حقية هذا الدين وفي المبدا والمعاد وفي
القضاء والقدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء
ثم لما كان سؤالهم ذلك مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين مقالهم
كيلا يغتر به المؤمنون فقال يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة فكان لسائل
ان يسال ما الذي يخفونه في انفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان
لنا راي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدايرة بين
السني والمعتزلي فذلك يقول الطاعة والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء امن
وان شاء كفر فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن هذا الاعتقاد بان ما قضى الله فهو كاين والحذر لا يرد القدر والتدبير
لا يبطل التقدير وان ثم المصالح ففايدته الابتلاء وهو ان يميز الموافق عن المنافق كما في المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد
المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيات ثم قال والله عليم بذات صاحبها وهي الاسرار و
الضماير ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شيء وانما ذلك للالهية او للاستصلاح قوله عز من قايل ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان يعني يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين
من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعده رجال ودخلوا على
نسائهم وجعل النساء يقلن اعن رسول الله تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هاك المغزل اغزل وقال بعض الرواة
ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم
من ذهب الى ساير الجوانب واما الاكثرون فمنهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر رضي الله عنه الا انه لم يكن في اوايل المنهزمين
ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم ايضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد
وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلاثة ايام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة واما
الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن
ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن منذر وابو دجانة وعاصم بن
ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية منهم كانوا بايعوه يومئذ على الموت
ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت
وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي ان ابن عيينة انه اصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلثين كلهم يجيء فيجثو
بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان تقول استزلته اذا دعوته الى الزلة
في الطين ونحوه المنطق والاسم الزلة واستزله غيره كاطلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في ببعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في
كتبت بالقلم والمعنى انه كان قصد عنهم جنايات فبواسطة تلك الجنايات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير
وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا عنادا ولا فرارا من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما اذكرهم الشيطان ذنوبا
كانت لهم فكرهوا ان يلقوا الله الا على حالة يرضونها فلا جرم اعلى الاخلاص في التوبة هذا خاطر بباله وكانوا اخطأوا فيه وقيل انهم
لما اذنبوا بسبب مفارقة المركز وعقبهم الشيطان بشوم تلك المعصية الى الهزيمة وكانت لهم ذنوب قد تقدمت فعفوا عنها الشيطان
عليهم في التولي لان الذنب يجر الذنب كما ان الطاعة تجر الطاعة ويكون لطفا فيها ما قال بعضهم ما كسبوا الا الكسب قبل يكون
جزاء كقوله لما كسبت الا جميع الذنوب الا واحدا بها الله تعالى كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال
الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في اي بسبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما
قبل هذه الغزوة واما فيها فالفشل والتنازع والتخلي عن المركز وطلب الغنيمة فامتزج ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية القلوب حتى
تولوا ولقد عفا الله عنهم لانه لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون اعمالا اخر اما في هذه الغزوة او قبلها
ولقد عفا الله عنهم فيه بيان انهم تابوا واصروا ذنوبهم لان العفو عن الكبائر لا يجوز بقولهم لتحقق في انه ذنب هو والظاهر انه التوبة
لان الترجيح يرجع اليه والاية سبقت لاجله ان الله من الصغاير لان الكباير قالت المعتزلة كلا محمول لكنه ان كان من الصغاير فلا حاجة
الى الاستغفار والتوبة وان كان من الكباير فلا يجوز اضطر توبتهم وان كان غير مذكور في الاية وقال القاضي الاقرب ان كان من الصغاير كالا يقتدى

يقال في الكباير انهاذ لة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلاجرم تحولوا لطلب الغنيمة و الخطا
في الاجتهاد ليس من الكباير وقالت الاشاعرة انه من الكباير لانهم خالفوا النص وحيث عفا عنهم من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار
غلب على الظن ان العفو عن الكباير واقع من غير شرط ثم ندب المومنين الى ما يزيد رغبتهم في الجهاد فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه وفيه دليل على ان الايمان ليس عبارة عن مجرد
الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية و اللام في المنافق كانوا وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم مثل وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يكلم و على تقدير فرض التكلم
كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين و ان كانوا
مسلمين و اتفاق الجنس ولعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها و
الغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون
اذ ضربوا وحين ضربوا ليشاكل في المضي قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض
فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فمن اخبر عنهم بعد ذلك لا بد ان تقول قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير
يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم
في تقرير هذه الشبهة قد بلغ الغاية وكان هذا المستقبل كالكائن الواقع ويمكن ان يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضي ليعلم ان
المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة قال قطرب كلمة اذ و اذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا
وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القران اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدي في الكلام
محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اما اللام في قوله ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا اي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله ذلك الكلام حسرة
فيكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف استعقب ذلك القول حصول الحسرة
فيه وجوه لان اقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر ولم يمنعوه لم يقتل
فازدادت حسرتهم وتلهفهم بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في ان الحيوة والموت لا يكون الا بتقدير الله
فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون
في الجهاد غنيمة بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيمة اذا راوا ثواب المجاهدين وقيل
المقصود خيبتهم من ترويج شبههم بعدما اعلم الله المومنين بطلانها وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يعمي
قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان متعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة
الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا امثالهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون
مما يضرهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لمقالتهم وجواب عن مقالتهم اي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت
المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال ما الله اعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق اقضيته واحكامه
ونقضه وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء ومن امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي رضي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده
لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب
اعدائه بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ومن قرا على الغيبة فالضمير للذين كفروا ويكون وعيدا
لهم ثم انه لما كذب الكافرين في قوله لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المومنين عن كونهم مثلهم لانه سبب التقاعد عن الجهاد
وتنفر الطبع عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله من مغفرة ورحمة خير مما يجمعون فاللام الاولى هي
الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل او الموت في السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط
بالقدر لا بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان ذلك خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمرا ومن قرا بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد
خيرا وورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد فيموت
صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وصاحبه الى الغد فلعل مانعا
من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالالام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير صفائها

عن الشوايب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الاخرة اصفى واضوى وابقى وانقى ولا سيما منافعها العقلية واي
نسبة لانتفاع الحمار بلذة قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق انوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع اخر فقال
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد ودام لكم الاحتراز عن الموت والقتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا مع
اللذات الخسيسة الحسية والخيالية فتتركونها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو اعرضتم عن اللذات الفانية
وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم الى اعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في
الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل او لان الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال
المجاهدين الذين يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي وجه يفارقون الدنيا ولا شك
ان الغالب على احوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطايف
منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله
بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد
ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على ان الالهية يقتضي هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء
يحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها
اضافة حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه خاطب الكل ليعلم ان القاتل والمقتول والظالم
والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر في الايتين المغفرة والرحمة والحشر
اليه فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه والثالث اشارة الى من يعبده لانه
يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما احسن هذا النسق روي ان عيسى مر باقوام نحفت ابدانهم
واصفرت وجوههم وراى عليهم سيما الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه
ثم مر باخرين فراى عليهم تلك الاثار فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث وراى
عليهم سمات العبودية اكثر فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم العبيد المخلصون والمتعبدون
المحقون قال القاضي في الاية دليل على ان المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم او قتلتم عطفا للشيء على نفسه قلت
لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الايات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان
من جملة ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم على عفوه عنهم وترك التغليظ عليهم
في انهزامهم وروي ان امراة عثمان دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان علي يغسل السلاح فقالت ابن
عثمان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي الا ان عثمان فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مه وروي انه قال لهم حينئذ [illegible] ذهبتم
فيها عريضة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الغائط فلا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم [illegible]
كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين [illegible] يكون اكثرهم حلما واحسنهم خلقا [illegible]
[illegible] الشفقة وامارات النصح وعن بعض الصحابة
انه لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله بهذا الدين جملة والقران دفعة لثقلت هذه التكاليف
علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة
بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب
فانه يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلاجرم اذا فاته مطلوب
لم يغضب واذا حصل له مطلوب لم يانس لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا
العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على احد بسبب فوت شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق
ولما كان صلى الله عليه وسلم اكمل البشر في القوتين النظرية والعملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون خلقه احسن ولذلك
من فضل الله وجوده وحكمته على الناس كان فيما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد [illegible]
[illegible]
[illegible]

بالحقيقة الا الله ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستعبد برحمته عوضا كالخوف من العقاب او الطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة المخلوق على غيره لو تمت ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد ما اتاه سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وبربطه على جاش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا غليظ القلب سيئ الخلق واصله فظظ كحذر وقد فظظت بالكسر فظاظة غليظ القلب قاسية بحيث لا يتاثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى احد حولك والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ومنهم من حمل الاية على واقعة احد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا من حولك هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم وكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة على ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع اخر ان الفضيلة في الوسط وهي استعمال كل شيء في موضعه وان طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى واحتجت الاشاعرة بالاية في المسئلة القضاء والقدر وذلك ان حسن خلقه مع خلقه انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين اشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الاية فاذن جميع افعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف و استبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذاك بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله فلا يكون برحمة من الله ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه اوجب عليه ان يعفو عنهم في الحال كانه تعالى قد عفا عنهم كانه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل ان تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله تعالى بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة ماخوذة من قولهم شرت العسل اي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوار يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار والتركيب يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الاداء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوايد منها انها توجب علو شانهم ودفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي تركه ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يبعد ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطاوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه اثر من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تصير النفوس الظاهرة متطابقة على تحصيل اصلح الوجوه فيكون اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى امر رسوله بالمشاورة في تلك الواقعة وامره بها مع صدور المعصية عنهم ليعلم انهم الان اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الراي والقياس كما قال اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر بها مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن للعهد السابق وليس ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد وقد اشار الحباب بن منذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على الماء فقبل منه واشار اليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة على الباقي وكيف لا وانه كان مامورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي لعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر

في الاسارى وكان من امور الدين وقد عد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد روي عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم البكر تستامر في نفسها ولو اكرهها على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والراي الحسن وعن جابر بن زيد انه قرا فاذا عزمت بالضم اي اذا ارشدتك الى شيء والزمته اياك فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه لدلالة الفعل عليه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم من بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله وليخص المؤمنين اياه بالتوكل لما علم ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل ان يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما يتصوره الجهال والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو ان يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده التاويل ولقد صدقكم الله ايها الطلاب وعده الا من طلبني وجدني اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا تركتم قتال النفس وخالفتم في امر الطلب وعصيتم الدليل المربي من بعد ما اريكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ لكم على الله لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الاخرة فرؤي هذه الاية عند الشبلي فصاح صيحة وقال ما كان من احد يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما التجلي لكم انوار المشاهدات وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعني ابتلاكم عفا عن التفاتكم الى الدنيا والاخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى احد من الامرين الدنيا والاخرة والرسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادي الله فجازاكم بدل غم الدنيا والاخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا لما اصابكم من نعيم الاخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والاخرة في طلب وجدانه فلا يخيب رجاءكم ويوفي جزاءكم ثم اخبر عن انزال الحقائق اصناف الطافه على عباده في صور مختلفة فانزل الامن في صورة النعاس على الصحابة واخرج جواهر الوقائع السنة لارباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فان اكثر ما يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب النفوس ومدعي الاسلام لا يهمهم الا هم انفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق لا الى الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من النصرة والظفر من شيء قل لنا ههنا بالباطل [illegible] الشيطان وليبتلي الله ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدور معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ولهذا قال الذي يوسوس في صدور الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمينان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبة الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار [illegible] من معدن الانسان [illegible] ما كسبوا [illegible] لتجعله مراة لظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ليعلم ان الله غفور حليم [illegible] ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين [illegible] وسلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا [illegible] ما ماتوا بمقاساة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة [illegible] قلوب المنكر بظلمة الانكار وغلبة صفات [illegible] الحقائق [illegible] في التفسير [illegible] هذا الموضع ان قوله فبما رحمة من الله لنت لهم [illegible] الخطاب مع الروح الانساني [illegible] لصفات النفس قواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك [illegible] لاجله [illegible] هذا اللين لا بد له من الغلظة [illegible]

وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى

كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ۝ افمن اتبع رضوان الله كمن
باء بسخط من الله ومأويه جهنم وبئس المصير ۝ هم درجات عند الله
والله بصير بما يعملون ۝ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ۝ اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير ۝
وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم
الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا
لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون ۝ الذين
قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين ۝ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون ۝ فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝
يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا
منهم واتقوا اجر عظيم ۝ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۝ فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين

القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم و
الفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون
بالتخفيف وان الله بالكسر علي الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد
واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف **الوقوف** ان يغل لابتداء الشرط يوم القيمة لانها جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون
نصف الجزء جهنم المصير عند الله بما تعملون والحكمة لمكان العطف مبين مثليها لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا انفسكم
قدير وليعلم المومنين نافقوا لاحتمال العطف والاستيناف والوصل اولى على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا لاتبعناكم للايمان
لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم يكتمون لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدا محذوف ما قتلوا صادقين
امواتا عند ربهم يرزقون لان فرحين حال هم من فضله للعطف من خلفهم لتعلق انهم يحزنون للاية واستيناف الفعل ان يحتمل ان
يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون وفضل لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة حينئذ اعتراضية المؤمنين لان الذين يحتمل
صفة للمومنين ومبتدا خبره للذين احسنوا او نصبا على المدح والاوجه لاتحاد الصفة القرح لمن لم يقف على المؤمنين عظيم
لاحتمال البدل او كونه خبر مبتدا محذوف ايمانا والوصل اولى للعطف فانظال توكل اللسان يعين القلب الوكيل للعطف رضوان الله
عظيم اولياءه لوصل النهي عن الخوف بعد ذكر التخويف مؤمنين **التفسير** هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء في خفية
يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت
الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا
جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهري غل يغل غلولا اي خان واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب
مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول في المغنم خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر عن ثوبان
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي
هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة
على رقبته بعير له رغاء فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة
فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول
لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك
شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك
ومعنى الاية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب
الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الاخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات افلا يكون
امينا في الارض هيهات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ولدا
ومن قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما يخان اي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة
على الاطلاق فوائد منها ان المجني عليه كلما كان اجل منصبا كانت الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان
فيه مع عذاب الاخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت كانت تلك الخيانة وقد وقعت فيما بينهما يحتمل ان ينسب الى
الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب اكفرت الرجل جعلته كافرا او نسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا المراد لقيل
يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي وجدته غالا او لا يوجد غالا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على
هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يخشى ان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال
بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة
كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فطعن بعضهم في هذه
القراءة مطلقا وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما كان لنا ان نتخذ ما كان
لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس في الكلام ما كان لك ان تضرب
بضم التاء والحق ان القران حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن في يده

غله رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل فعل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما اسباب
النزول اكثرها يروى انه تأخر قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال صلى الله
عليه وسلم لو كان لكم مثل احد ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس
طمعوا ان يخصهم النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم بشئ زائد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك
الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه
وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت
مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية ويحمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا لصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان
لنبي ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة منهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره
ونظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس اذ قال يمثل له ذلك الشئ في قعر جهنم ثم
يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت
عليه هذه الآية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم
ان ذلك المسك وقتئذ يكون انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة
فيه انه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة
وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرره عليه يوم القيمة ويجازيه
لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشئ وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا
ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما
اكتسب وهذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم توفى ما كسب ثم فصل ما اجمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره أفمن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه
بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر النبي حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد
كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والآخرون المنافقون وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان
والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لكون الآية محمولة على العموم وان كان
سبب النزول خاصا وقوله ومأويهم جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا يجوز في الحكمة ان
يسوى بين المحسن والمسيء والا كان اغراء بالمعاصي واباحتها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات عند الله قيل هم
ذوو درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كان قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس
الانسانية مختلفة بالماهية بدليل اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن
كمعادن الذهب والفضة فهم في نفوسهم درجات لان لهم درجات وقيل المراد بهم ذوو درجات ثم الضمير الى من اتبع وقيل
الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف
من باء بسخط من الله وهو ان مأويهم جهنم فيكون من اتبع الرضوان ويؤيده كونه عند الله وهذا وان كان معناه في
علمه وحكمه كما يقال هذه المسألة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا
وانه يليق باهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب وانهم متفاوتون في العقاب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان منها ضحضاحا وغمرا وان اقل اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب
وهل يعذب احد عذابي والاوجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب بحسب
تفاوت اعمال الخلق وقد يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم
بمقدار ما هو له عز وجل لقد من الله على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره
الا الصدق والامانة فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة ومنها انه تعالى لما نزهه عن الخيانة اكتفى في وصفه بان كانه يقول
ان وجوده فيكم من اعظم نعمتي عليكم فانكم كنتم ضالين جاهلين وانما حصل لكم الشرف بسبب هذا الرسول فالطعن فيه طعن فيكم
ومنها انه لما نزل هذا الرسول يجب على كل عاقل ان يعينه باقصى ما يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون

المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما
ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول اما الاول فلان الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يورد
عليهم وجوه الدلائل الكاملات ويزيح عللهم في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون
كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات
فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع
بنور البصر الا عند سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء الا بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي ومن الثاني
ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن
مع الرسول من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه ان كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ
ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه
ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابرهيم صلوات الرحمن عليه كان مشتركا فيه بين
اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتورية والانجيل وما كان من العرب
ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اي من جنس
الانس لا من الملك لان الجنس الى الجنس اميل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة عليها السلام انهما قرءا من انفسهم بفتح
الفاء اي اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار
بن سعد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم
واما سائر اوصافه من قوله يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث
فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة
اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثه هذا الرسول خطيب الجهل والذهاب عن الدين يكون اعم نفعا واتم وقعا
ثم لما اجاب عن نسبة النبي الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد
بقوله انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية
على ما قبلها من قصة احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول انى هذا
واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم
كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصروا علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة
واقعة احد قد اصبتم مثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون يوم بدر سبعين واسروا
سبعين وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في
الاولى يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله
قد اصبتم مثليها جواب ضمني يعني ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد
لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند انفسكم وفي تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم عصوا
الرسول في امور في الخروج عن المدينة وكان رأيه في الاقامة ثم في الفشل ثم في التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال
بطلب الغنيمة الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع
قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان يأخذوا الفداء على ان
يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا نأخذ الفداء منهم فنقوى
به على قتال العدو وترضى ان يستشهد منا بعددهم فقتل يوم احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند
انفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان للعبد اختيارا في الفعل والترك وانه من عند نفسه
وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شئ قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد
امتنع من الله ان يقدر عليه اذ لا قدرة على ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافي انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده
قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضا بالقضاء
لازم وقيل بتخليته لان الاذن يخلي بين المأذون ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرتم المصالح فذلك قد وقع ليعلم
المؤمنين اي ليتميزوا عن اهل النفاق وانما قيل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصويرانهم شرعوا في الاعمال

اللاحقة بالنفاق في ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القايل رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل هو ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم وقال
انشدكم الله في نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم
ان يعلم يكن بكم غم الاخرة وطلب مرضات الله اي كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو
بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائلا سال فماذا اجاب المنافقون عند دعاء
المومنين اياهم الى القتال فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة او المراد لو نعلم ما يصح ان
يسمى قتالا لوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان راي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب
الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في الجزاء الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف في وجوب القتال
والدفع عن النفس والمال والظن في امور الدنيا قايم مقام العلم ولا امارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد واما
الثاني فلانه تعالى لما وعد النصر والغلبة ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كان جوابا
قاله للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المنبئ عن الدغل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم
او المراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانعزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول
قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال اقرب فهو اليقين
بانهم مشركون كقوله مائة الف او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الاتي بكلمة التوحيد
لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم
خلاف صفة المومنين في مواطاة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله اعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وبسائر
مجاري احوالهم فيما بينهم وذلك ان المومنين قد علموا بعض ذلك بالقراين والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه
مثقال ذرة في الارض ولا في السموات الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم
الذين او على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا عن الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين
يوم احد اخوة في النسب او في سكنى الدار او في الجنسية في النفاق والقايلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه و
اعترض الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف وصف بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود
عن القتال وهو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا في امرنا اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل ارادوا
تثبيط غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت من يسمع ذلك فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب
في القعود ونفر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان الحذر لا يغني عن القدر
وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دافعين لاسباب الموت فادفعوا
جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بنبأ على ان القتل امر مكروه يجب على
العاقل ان يحترز منه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا والخطاب للرسول
او لكل احد ومن قرا على الغيبة فالضمير للرسول والمراد لا تحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي
لا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور كلاهما كما حذف المبتدا في قوله بل
احياء اي هم احياء للدلالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف
طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم
قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم
فانزل هذه الاية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل
ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك
قال اسالك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا رب فابلغ من ورائي فنزلت
وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بير معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة او سرور تحسروا
وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم
احياء متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فعن طايفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل
في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى روي ان عبد الملك بن مروان لما راى الزهري وعلم فقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك

ومن هذه الطائفة من قال مجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة وروي انه لما اراد معوية ان
يجري العين التي احدثها بالمدينة على قبور الشهداء امر بان ينادى من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان
فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانفطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهب طائفة من متكلمي
المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء والغرض تكذيب منكري البعث وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب
اولى وبانه نهى عن حسبانهم امواتا والذي يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا الاعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك
مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما روي عن ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا و
الاستبشار لا يمكن ان يكون في الدنيا الا بان يكون قبل يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية
وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء
البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها النمو والهزال والقوة والكلال وكل احد يجد من نفسه انه شي واحد من اول عمره
الى اخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون حال انتباهه عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه
والمعلوم مغاير للمجهول ثم ذلك الشي المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا ساريا في جوهر البدن او جوهرا مجردا
لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا واما ان الله تعالى يعيده حيا وبهذا يثبت عذاب القبر وثوابه وتزول الشبهات ومن تامل في الامر
الوارد عليه وجد احوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة احديهما مقتضية لضعف الاخرى كان البدن يضعف وقت
النوم ويقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونعوت عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام والشراب واقبلت على مطالعة
العالم العلوي ازدادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشف لها المعارف الالهية
واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال الحيوة جسدانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل
تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات
اليها ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما قلا عادة نوع من السفسطة
والحق في هذه المسئلة عندي خلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تقبل على بدن اخر وتعرض عن الاول بالكلية
وخلاف ما تقوله الفلاسفة من ان النفس تقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ او تتالم هي بما اكتسبت من المعارف الحقة و
الاخلاق الفاضلة او بالعقايد الباطلة والملكات الذميمة والذي اقوله ان النفس يبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب
الاعمال ولكن بالتلذذ والتالم والتعقل ونحوها وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب
الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر
الى التحريك بالاعضاء واعمال الجوارح والالات وبعد الموت يجعل متصرفة من جهة الجزاء والحساب كيف ينبغي ان يقاس احدهما
على الاخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتالم والادراك فقط الى ان تقوم القيمة الكبرى وهذا القدر لا ينافي
كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال يا فلان
بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف
تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع
قرع نعالهم ولعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى نافى تكليف ساير الاحياء
وافضى الامر الى الالجاء وهو السر في اخر حديث عذاب القبر فصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم
الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الاخرة كما قبلوا تعجيلا للثواب كما عجلوا في الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طايفة
ينبغي ان يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة وبها يثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم عند ربهم
انهم مقربون ذوو كرامة كقوله فالذين عند ربك او المراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم او المراد في علمه وفي حكمه كما يقال
هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق ساير الاحياء وياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي
هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما اتيهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل
على غيرهم من تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون
اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم
مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين منزل الى الابتهاج بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من
المجاهدين الذين لم يقتلوا فلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم

مطلب اكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال

اى لم يدركوا فضلهم ومصلحتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك بان الله بشرهم بان من ترك خلفهم
من المؤمنين يبعثون امنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة
كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه تالم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان اعلمهم امن
اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حالهم في انفسهم وذلك قوله فرحين بما اتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم
واعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا المعنى لمزيد التاكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي
الثواب وفضل وهو التفضل الزايد وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة
اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد يعرف اولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية
بغزوة بدر الصغرى اما الاولى فما روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا
منهم اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل ولم نتركهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب الكفار
ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا اريد الا ان يخرج معى الا من حضر يومنا
بالامس فخرج فى سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال فالقى الله الرعب فى قلوب المشركين
وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا باتيان جميع المامورات واتقوا بالانتهاء
عن المحظورات واحسنوا فى طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روى انه كان فيهم من يحمل صاحبه
على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة ومن فى
قوله للذين احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت
فى يوم احد لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فندبهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة
فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ودفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها
حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة اخيها فقالت قد بلغنى ما فعل به وذلك يسير فى جنب طاعة الله
فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة قد قتل زوجها وابوها واخوها وابنها فلما رأت الرسول
صلى الله عليه وسلم وهو حى قالت ان كل مصيبة بعدك هدر واما الثانية فروى ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف من
المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى فنقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم نعم قل بيننا وبينك
ذلك ان شاء الله تعالى فلما حضر الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب فى قلبه فبدا له ان يرجع
فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا
الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك
عندى عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأى اتوكم فى دياركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم
لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن اليهم وحدى
فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهى ماء لبنى كنانة وكانت موضع
سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات
فوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين
ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وانزل الله فى المؤمنين الذين قال لهم
الناس يعنى نعيم بن مسعود كما ذكرنا وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وما له
الا فرس واحد ولان الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله
تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن
اسحق مر ركب من عبد القيس بابى سفيان فدسهم الى المسلمين ليجبنوهم وضمن عليه حملا من زبيب وقال السدى هم منافقو المدينة
كانوا يثبطون المسلمين ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعنى ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اى جمعوا لكم الجموع والعرب
الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم نعيم او قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عند النية والعزم على الجهاد واظهروا
حمية الاسلام وكان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالاية من قال ان الطاعات داخلة فى مسمى الايمان وانه يزيد
وينقص بحسب زيادتها ونقصانها واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فتاويله ان الزيادة وقعت فى ثمرات الايمان ولكنها
جعلت فى الايمان مجازا وقد مر تحقيق الكلام لنا فى هذا المعنى فى اوائل الكتاب وكما انهم اضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل

صلوات الرحمن عليه حين القى فى النار فاظهروا باللسان وقالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله فى قوله فحسبه جهنم ونعم
الوكيل الكافى او الكافل او الموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه فقالوا فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله وهى العافية وفضل وهو
الربح بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفا بانه حصل لهم
الملايم وقد لم يحصل لهم المنافى وهذه غاية المطالب ونهاية الامانى وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى وروى
انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله ليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله
ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلى فى ثواب المطيعين هو فضله بهم ورحمته عليهم ولن ينجى احدا عمله الا ان يتغمده الله برحمته
فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان هو الشيطان لعتوه وتمرده واغوائه ثم بين
شيطنته بقوله يخوف اولياءه او الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف اى يخوفكم فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء الشيطان والاولياء هم ابو سفيان
واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن
الخروج مع رسول الله وعلى هذا فالضمير فى فلا تخافوهم للناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله
ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو على وزيفه ابن الانبارى بان التخويف قد يتعدى بنفسه
الى المفعولين فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر الله حسبى **التاويل** قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالان نقول ان
روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تعجيل اذاقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد كثير منهم وتبقى
غضة طرية وكانهم هم الشهداء فى الحقيقة وهكذا اجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف
الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرع هموم مخالفات النفس ومكابدة الشيطان حتى ماتوا
بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتالم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج بالتقوى يعلمون بما غفر لى
ربى وجعلنى من المكرمين وكما ورد فى حديث الشهداء من يبلغ اخواننا عنا انا فى الجنة والذى جاء فيه ان ارواحهم فى اجواف طير
خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والاجزاء اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن ان يخلق الله تعالى من ذلك جسما لطيفا شبه
طاير ويكون لروح الشهيد به تعلق حتى يحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما كون الطير
خضرا اما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة
الى ما سيؤول اليه اهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين اللذين يعبر عنهما بالبياض والسواد فى قوله يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فهذه المعانى مما وجدتها فى كتب التفسير والتاويل وارجو ان اكون مصيبا فيها والله تعالى ورسوله اعلم

قوله تعالى

ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله
الا يجعل لهم حظا فى الاخرة ولهم عذاب عظيم • ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم • ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا
اثما ولهم عذاب مهين • ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم
عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على
الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله

وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ● ولا يحسبن الذين يبخلون بما
اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير ●
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما
قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك
بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ● الذين قالوا
ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم
صادقين ● فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا
بالبينات والزبر والكتاب المنير ● كل نفس ذائقة الموت وانما
توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ● لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ●
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ●
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا
تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ● ولله ملك السموات
والارض والله على كل شيء قدير ●

القراءة ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين امنوا
وقرا يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلثة
بعدها بالتاء الفوقانية مع ضم الباء في تحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن
عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على الغيبة والاخريان
بالخطاب غير بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس مخير الباقون خفيفا بفتح الياء وكسر الميم يعملون
خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو ولقد سمع قيل به مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم
الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم وبالزبر
ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح عن مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار
وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير روح وابو بكر وحماد الباقون بتاء
الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف في الكفر للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام او الفاء شيئا في الاخرة لعطف
المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم شيئا لما ذكر في الاخرة اليم لانفسهم انما لما ذكر ايضا مهين من الطيب ورسله
عظيم خيرا لهم شر لهم القيمة والارض خبير اغنياء كيلا يصير ما بعده من مقولهم ومن قرا بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق لمن قرا
ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله او يقول الزبانية فلا ينعطف على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق للبعيد لاحتمال
الصفة وان يكون المراد هم الذين والوقف اولى لانه لا يظلم العبيد مطلقا لا للعبيد الموصوفين نعم لو كان بدلا من الذين قالوا
ان الله فقير صح تاكله النار صادقين المنير الموت يوم القيمة لابتداء شرط في امر معظم فقد فاز الغرور كثيرا الامور ولا يكتمونه
لان الجملتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق فلم يضف الى ظرف اذ قليلا يشترون من العذاب لما ذكر اليم والارض
قدير التفسير نزلت في كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم واتاح العاقبة له وان جمعوا الجموع وجهزوا
الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة
احد ويوئسونهم من النصرة مما يقولون ان محمدا طالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون الامر عليه ولو كان رسولا ما
غلبه احد وقيل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم
لا تؤثر في لحوق ضرر بك ونص بعضهم هذا القول بان المسارعة هي شدة الرغبة في الكفر انما يناسب من كفر بعد الايمان
لا المستمر على الكفر وبان ارادته ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة انما يليق بمن امن فاستوجب الحظ ثم احبط وبان الحزن انما يكون
على فوات امر مقصود فلهو ما قدر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من الانتفاع بايمانهم فبين الله تعالى انه لا يلحق بسبب فوات ذلك
ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليهم بقية الاية فان قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة
فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب انه نهى عن الاسراف في الحزن بحيث يأتي عليه ونظيره لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين
او المراد لا يحزنوك بخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله شيئا اي دينه من الضرر يريد الله الا ان يجعل
لهم حظا في الاخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى
قوله ولهم عذاب عظيم انه كما لا حظ لهم من منافع الاخرة فلهم حظ عظيم من مضادها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون
الاخبار عن عدم الجعل اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد اراد بهم ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم
خلص خلوصا لم يبق معه صارف البتة ثم ان الاية في اليهود خاصة وهو الاشبه او في الكفار عامة ان الذين اشتروا الاية
والغرض تاكيد تقوية قلب الرسول كانه قيل ان اكثرهم ينازعونك في الدين لا لاجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة
في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو ان يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة في الاخرة كان في غاية الحماقة
ومثله لا يقدر على الحاق الضرر بالغير ولو قيل ان الاية في المرتدين فالمعنى ان اختيار دين بعد دين ثم الارتداد على العقبين
يدل على الاضطراب وضعف الراي والانسان المضطرب الحال لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين
المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه ولا تحسبن من قرا بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان
مع ما في حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرا بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول اول وانما مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال
وان لم يمض الا احد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الا ترى انك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك
والتقدير لا يحسبن الذين كفروا ان املائي خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي لا تحسبنهم اصحاب ان الاملاء
خير لهم قال الاصمعي يقال املى عليه الزمان اي طال واملى له اي طول له وامهله قال ابو عبيدة ومنه الملا للارض الواسعة الطويلة

والملوان الليل والنهار ويقال اقمت عنده ملاوة من الدهر اى حينا وبرهة وانما نصب على التميز وفي وصف العذاب
اولا بالعظم ثم بالالم ثم بالاهانة تدرج بالاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والتسخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة
ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والاية دلت على انها ليست بخير ففيه دلالة على انه سبحانه فاعل الخير والشر
وايضا انه نص على ان الغرض من هذه الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا اخبر عنهم انه لا خير
لهم فيه وانهم لا يحصلون منه الا على ازدياد الغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انهم مجبورون على
ذلك في صورة مختارين اجابت المعتزلة بان المراد ان هذا الاملاء ليس خيرا من موت الشهداء اذ الاية من تتمة قصة احد
لا انه ليس بخير مطلقا وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه لم يذكر فعلمنا انه لنفي الخيرية لا لنفي كونه
خيرا من شيء آخر وعن الثاني ان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ومثله
وجعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك الا للاضلال ويقال لما كانت موعظتك الا للزيادة في تماديك في الغي اذا كانت
عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم مزدادون
اثما على تقدير الامهال عليه فاعلية لازدياد هم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير
وترتيبه لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح
الثانية ورد بان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر انه لا يجوز
في حكمته ان يترك المومنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين عن الاخر بالقاء الحوادث وابداء
الوقايع كما في قصة احد **شعر** لله در النايبات فانها صدأ اللئام وصيقل الاحرار فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي و
الخطاب في انتم للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه كان في حكمة الله ان يترك المخلصين على الحال التي
انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما لغتان ميز الشيء بعضه من بعض اميزه ميزا وميزته تمييزا وفي الحديث من ماذا ذي عن الطريق
فهو له صدقة وحجة ولفظ الخبيث والطيب وان كان مفردا الا انه للجنس والمراد جميع المنافقين من المومنين وانما قدم الخبيث
على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم ان المطروح من الشيئين الملغى لرذالته فان المميز يقع على الادون والاهون وبم يحصل هذا الميز
قيل بالمحن والمصايب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح فيميز ذلك يظهر الثابت
من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقل شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل بالوحي الى نبيه ولهذا اردفه
بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي اى يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبناء الكلام على ثلثة مراتب الاولى
ان هذا المنصب الذي استاثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول ايضا
لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه وبخاصية فيه ولكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه
ان هذا مومن وذاك منافق الثالثة ان هذا ايضا يختص ببعض الرسل وفي بعض الاوقات حسب مشيته وارادته فامنوا بالله و
رسله ومن جملة الايمان بالله ان تعتقدوه وحده علاما للغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم
عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمه الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التميز يحصل بان
يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مومن وفلان منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل
الى معرفة الامور الا بالامتحان والقراين المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مومن وذاك
منافق او يختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي بمثلها يتميز الفريقان ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء او
المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء
بالرسالة ثم تكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فامنوا بالله ورسله كلهم لا نطريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر بنبوة واحد منهم
لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبع الوعد بالثواب فقال وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عرضت على امتي في صورها كما عرضت على ادم واعلمت من يومن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا وقالوا زعم محمد انه
يعلم من يومن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المومنين الاية وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك
فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يومن بك وبمن لا يومن بك
فنزلت وقال ابو العالية نزلت حين سال المومنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المومن والمنافق ثم انه عز من قايل لما بالغ في التحريض
على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون ومن قرا بتاء الخطاب فلا بد مضافا
اى لا تحسبن بخل الذين يبخلون في هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول

الاول محذوف للدلالة التقدير لا يحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه
الاية نزلت في مانعي الزكوة لترتيب الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لو عد بخيلا لم يخلص الانسان
من البخل الا باخراج جميع المال وفي حكم الزكوة ساير الصدقات الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه
موتهم وعلى المضطرين وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت
في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم الذي اتاهم الله وعلى هذا
يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب ويعضده ان كثيرا من ايات بقية السورة فيهم و
على هذا فمعنى سيطوقون التفسير ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم بلجام
من نار والسر فيه انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان
يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يودي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرا مصداقه
من كتاب الله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون الاية وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي لا يودي
زكوة ماله يخيل اليه ماله شجاع اقرع له زبيبتان فيلزمه اى يطوقه يقول انا كنزك انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا
على ان ثمة اطواقا اى سيلزمون اثمه في الاخرة الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها
ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان ياتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس انه كان يقرا وعلى الذين
يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اى يومرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا
على مودى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم
يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه
يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا انفرد به بعد ان كان مشاركا
فيه ومثله وورث سليمان داود اى انفرد بذلك الامر بعد ان كان داود مشاركا له فيه او غالبا عليه والله بما تعملون خبير
من قرا على الغيبة فظاهر اى يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرا على الخطاب فلالتفات وهي ابلغ في الوعيد لان الغضب
كانه تناهى الى حد اقبل على الخطاب وشافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
انه لما نزل امر الانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا في ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن
الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضا لو كان نبيا انما يطلب المال لاجل ان يجيء نار من السماء فتحرقه كما كان في الازمنة
السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس في الاية تعيين القايلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول
الى اليهود لقولهم في موضع اخر يد الله مغلولة عندا انه بخيل وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم
والغالب بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني
ولما روي عكرمة ومحمد بن اسحق والسدي ومقاتل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو من علمايهم ان
ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطمه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد
لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع الى صاحبك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابي بكر ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال كذا وكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه
الاية تصديقا لابي بكر رضي الله عنه وايضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما طلب منهم الجهاد ببذل الاموال كانوا قد قالوا ما كان الاله غنيا فاي حاجة به الى اموال الناس ان
القايل لو كان فنحاصا وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لا تباع الرجل والمعتدين به حكمهم حكمه ثم انه
سبحانه لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد اهل السنة فبان يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يامر عبيده ببذل
الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة فبان في هذا التكليف فوايد منها ازالة حب المال من القلب
ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض للبعض فبذلك يرتبط امور التمدن وينتظم احوال اصلاح المعاش والمعاد
وانما لم يجب لكثرة ورودها في القران لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى لا يحتاج في ذاته من صفاته

ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال عنايته وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا
يستحق الجواب عند اولى الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب
ما قالوا في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب
عنهم عند الجهل في القران حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيمة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كما لم يقدروا الله
حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوا فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو
من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعل كالاليم بمعنى المولم او سميت باسم صاحبها اي ذات حرقة والمعنى ننتقم منهم فنقول لهم ذوقوا
عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل ان يقال عند الموت او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان
يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب او الوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان اكثر
الاعمال تباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان او بساير الجوارح والالات
وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي في قوله وان الله اي وبان الله
ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول المجبرة
ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظلم حاصلا
والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك
الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى
الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان
عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يوكد ما ذكرنا ان ايصال العذاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين
واقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرنا انه مالك الكل له ان يتصرف
في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم ان يصدر عنه كانه قال ان تخيل اليكم ان في الوجود شرا بناء على ما في ظنكم
من ان الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل بتبعية الخير الكثير فاعلموا اني منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا من الشر
القليل الذي في ضمنه خير كثير ونقول اراد نفي الشر القليل واصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته
الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال
الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله قد عهد الينا في
التورية الا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء
كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثرايب واطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي
في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فينزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان
لها فتاكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واهله فاصله مصدر كالكفران والرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة
لديه وللعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية مع استثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار الا المسيح ومحمد فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح
ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة واية لصحة النبوة سواء فاي فايدة في تخصيصها ولانه
اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة وان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا ان يجي بهذه الاية المعينة وحينئذ لا يكون
ساير المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة يطالب بالمعجزة اية
كانت وحينئذ يكون طلب المعجزة المعينة عبثا فلهذا نبههم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم اي بمدلوله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر مجي الرسل
بالبينات ولم يقتصر على مجي القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط النبوة لا موجب
لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث ضم
اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب والشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل
الشريعة والنبوة والتوحيد في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقران فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك والبلية

والمصيبة اذا عمت طابت جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر وهي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور
اي مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذي حكمة فيشبه ان يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق ومنه سمي زبور داود
لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح والواضح المستنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم
كانت مغايرة لكتبهم وانما لم تكن لهم معجزة والاعجاز من خواص القران وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب لوصفه بالانارة
والاستنارة اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكائيل وقيل المراد بالزبر الصحف والكتاب
المنير التورية والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الهموم
والاحزان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل
نفس كل ذات فالقضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وكذا
الجمادات لان لها ذوات ولقوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولاهل
النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى
كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الاية دليل على ان
المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد ان يكون باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجبة
الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية ثم ان الحرارة الغريزية تؤثر في
تحليل الرطوبة الغريزية والحرارة واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال يستمر هذه الحالة الى ان تفنى
الرطوبة الاصلية فينطفي الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح
المجردة لا موت لها وناقشهم المسلمون فيه وانما توفون اجوركم يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور يعطى
قبل ذلك اليوم كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزحزحة
التنحية والابعاد والزحزحة تكرير الزح فقد فاز لم يعين الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول
الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر وياتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه فالاول رعاية حقوق
الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده
ورداءته والشان لذا ما يقتضي وسعا تهاشي والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن علي بن ابي طالب ثم لين
مسها قاتل سمها ومن بعضهم الدنيا ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير ان هذا لمن آثرها
على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم وانفسكم اللام جواب القسم المقدر والنون
دخلت موكدة وضمت الواو لالتقاء الساكنين والمجانسة لما قبلها من الضم والمراد ما نالهم من الفقر والقتل والاسر والجرح او التكاليف
الشاقة البدنية والمالية من الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعون من الكفرة في الدين الحنيف و
اهله واغراء المخالفين ومحاربتهم واغواء المنافقين وتشتيتهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة
او تصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي
لا يترخص العاقل في تركها لكونه حينئذ العاقبة بين الصواب او هو من عزايم الله وعما امر الاخذ به قال الواحدي كان هذا
قبل نزول القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت عقيب قصة احد فلا يكون منسوخا بايات السيف والمراد الصبر على ما يؤذون في
الرسول صلى الله عليه وسلم على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم وكلاهما في كثير الاحوال والامر بالقتال لا ينافي ذلك
على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش
في شعره وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي صلى الله عليه
وسلم ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك ونزلت الاية
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار وارادف اسامة بن زيد وراءه وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن
الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين
واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي ايها المرء لا احسن مما تقول ان كان حقا
لا تؤذنا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا

نحو ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى
سكنوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد
عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فو الذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله
بالحق الذي نزل عليك وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك
شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى في هذه الاية ثم انه تعالى عجب من حال اليهود انه كيف
يليق بحالهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة به وايضا من جملة ايذائهم الرسول انهم كانوا يكتمون نعته وصفته فلهذا
قال واذ اخذ الله باضمار واذكر والضمير في لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور اي لتبين حاله وهذا قول سعيد بن
جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا
عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو للحال اي غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون والامر
بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشيء المطرح المتروك عن علي كرم الله وجهه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل
حكمة لا تخرج كمثل صنم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما وقيل له هذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا
به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا به الى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو ويدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من
امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبادهم او لتقية من غير ضرورة او
لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا اخر من ايذاء اليهود واوعدهم عليه وسلى رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين
يفرحون من قرا بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول
محذوف اي لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتاكيد والمعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال
تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ومعنى بمفازة من العذاب بنجاة منه اي بمكان الفوز وقال الفراء اي ببعد منه لان
الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين ان مروان قال الرافع بوابه اذهب الى ابن عباس وقل له ان كان كل امرئ منا فرح بما اتى
واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسالهم عن شيء فكتموه اياه
واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب الايتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها
ان محمدا ليس بنبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقران ففرحوا بذلك وقالوا
الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة ونحن اولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما
اتوا بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا يعني بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من
المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة
وحسن السريرة ونحن اذا انصفنا من انفسنا وجدنا اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة فنسال الله العصمة والهداية ثم ختم الكلام
بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض انه كيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب **التاويل** هو خيرا لهم
بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخير شرا وبالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب
ومنه منشا معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا كل خطيئة ولله
ميراث السموات والارض لان الانسان وارث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون والوارث اذا مات من غير وارث فميراثه لبيت
المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله فقير ونحن اغنياء
فيه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان
الهوى والشيطان فيقول تارة انا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار قالت يهود صفات النفس البهيمية
والسبعية والشيطانية لا نتقاد لرسول اي لخاطر رحماني او الهام رباني حتى ياتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها نسيكة لله
عز وجل تاكله نار الله الموقدة التي تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الطاد فين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فلا تاكله
نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلي اي واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم اي بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم
غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق اثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولا بد لها من موت فمن كان موته

بالاسباب يكون نجوته بالاسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من اهل العلم
الظاهر ومن اهل الرياء اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك
من عزم الامور اي من امور اولي العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ٥ والله الهادي الى سبيل الرشاد

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب ● الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا
باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ● ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته وما للظالمين من انصار ● ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي
للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر
عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ● ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم اني
لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض
فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا
وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها
الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ● لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس
المهاد ● لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين
لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم

ان الله سريع الحساب • يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون •

القراءة الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائي والنجاري عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء عن اغير ابن مجاهد والنقاش في جميع القران وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلي وخلف وقرا ابن كثير وابن عامر وقاتلوا وقتلوا مشددة الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد لا حيث كان بالاختلاس عباس **الوقوف** الالباب لاحتمال الذين صفة اونصبا اورفعا على المدح بتقدير اعني الذين اوهم الذين والوصل اشهر والارض لحذف المحذوف اي يقولون ربنا باطلا للابتداء بسبحانك تعظيما والا فالمقول محذوفا التعقيب متعقب النار اخزيته انصار فامنا قد قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف على امنا اي فامنا فاغفر الابرار للاية وللعطف يوم القيمة الميعاد انثى لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتدا من بعض الانهار لان ثوابا مفعول له اومصدر من عند الله للابرار لله لان ما بعده حال اخر قليلا الحساب تفلحون **التفسير** انه لما طال الكلام في تقرير القصص والاحكام عاد الى ماهو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعايشة ثم اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجبا تاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لك ان تاذني الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وعن علي ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض واعلم انه ذكر في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض الى ان عد ثمانية دلايل وههنا اقتصر منها على الثلثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لابد له من تقليل الدلايل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفت الى معقول عسر عليها الالتفات الى اخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع تحديقه نحو اخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلايل السماوية لانها اقهر وابهر والعجايب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله ايسر وانما قال في تلك السورة لايات لقوم يعقلون وفي هذه الاية لايات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير قد مر هنالك ثم بعد دلايل الالهية ذكر وظايف العبودية وهي ان يكون باللسان وبساير الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون الله اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع الحال اي معتمدين على الجنب اشارة الى عبودية ساير الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر في ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود وان عجزوا ففي حال الاعتماد وهذا موافق لمذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذاك وضع الغافلين وقال ابو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وعلم ادم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لابد من تصورهما وتصوره

سبحانه محال لان تصور الشي عبارة عن حصول صورة في النفس فيكون الصورة محيطة بها ولا يحيط بالواجب شي الا انه بكل شي محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته ولا سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يفيد بتفاصيلها الا هو فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم انه تعالى منزه عن مشابهة شي من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مولد ولا في حيز وجهة فيقول سبحانك اي انزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق في بحار العظمة والجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكاينات واقعة في حضيض عالم البشرية محاطة بالطبايع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكرت ترتيب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي ابلغت في اخزايه نظيره قوله فقد فاز وفي كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ثم توسلوا الى ما سالوا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الاية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والايات على وجه الاجمال وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق والى السموات والارض بتاويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شانه معقود بالهمم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اي بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة تنزيها له من العبث وان يخلق شيا بغير حكمة ووجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا لمرجح عام وذلك المرجح لابد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزايل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي والاضمحلال والمراد انه خلقهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما في غاية شدة التركيب وبصدد البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى اقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والاخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالاية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركاتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقتصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصها فايدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسايط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان كون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضايه وقدره ثم انهم لما سالوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف وانقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمومن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمومن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من امن وهو مع النبي مخزيا ان لا يكون غيره وهو مومن مخزيا وايضا على عمومها القوله وان منكم الا واردها

كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا
في حق الكفار الذين ادخلوا النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله يوم لا يخزي نفي الخزي على
الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهو نفي الخزي الخالد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك
واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التناقض واحتج المرجية بالاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار
لانه مومن لقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والمومن لا يخزى لقوله يوم
لا يخزي الله النبي والمدخل في النار مخزى بهذه الاية والمقدمات باسرها يدخلها المنع اما الاولى فباحتمال ان لا يبقى بعد القتل
مومنا وان كان قبله مومنا واما الاخريان فمخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما تقرر آنفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب
الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين
اى الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق ولانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب ان الظالم على
الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تاثير للشفاعة الا باذن الله فيؤول معنى الاية الى ان الامر يومئذ
لله وعلى هذا فلا يبعد تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق وايضا ادلة الشفاعة
مخصصة لعموم الاية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورض بالايات الدالة على العفو ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته
حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ادع الى سبيل ربك ادعو الى الله وداعيا الى الله وقيل
القرآن كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلايل كما قيل في جهنم تدعو
من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لدلالة تصاريفه شعر يا واضع الميت في قبره * خاطبك الدهر
فلم تسمع * ويقال ينادي الى كذا ولكذا او دعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى
الانتهاء والاختصاص معا قال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير اي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء مناديا للامير
ينادي بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة او مخففة معناه اى آمنوا او بان آمنوا
والفايدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فايدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من رفع شان المطلق
والمجمل وكونه حينئذ اوقع في النفس واحرى فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما
الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء وقيل الاول الكباير والثاني الصغاير
وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه معصية وذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اى معدودين
منهم ومن اتباعهم او مشاركين لهم في الثواب او على مثل اعمالهم ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اي مساوله
في ذلك الاعتقاد احتج الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بعد ذكر التوبة بل بدون التوبة
بلا تراخ لفاء التعقيب في فاغفر بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى اجابهم الى ذلك لقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي لاصحاب
الكباير بالطريق الاولى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول
وعقيب قوله آمنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اي ما وعدتنا
منزلا على رسلك او محمولا على رسلك فان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكروا الموعود
هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمه بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في آخر الادعية
لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء العبودية او المراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا لوعدك واعصمنا عما به نكون
اهلا لاخزائك او طلبوا تعجيل النصرة على الاعداء او المراد احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على انهم طلبوا منافع
الآخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقوله ولا تخزنا يوم القيمة
لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الايات انهم نظروا في المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا
ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا تخلو افعاله من الفوايد والغايات وان لم يكن مستكملا
بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل
ووجدوا عاقبة التكليف الجنة او النار ففزعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والخلاص من النار ولان دفع الضرر
اهم من جلب المنفعة جعلوا اول دعائهم واخره الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب
الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض

والسماء

والسماء انك وهاب العطاء وكاشف الغطاء عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه
ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم في هذه الايات انهم قالوا خمس مرات ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم اني باني لا اضيع عمل عامل
منكم من ذكر او انثى من في منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين ومن في من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة
العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او المراد بعضكم كانه من
البعض الآخر لفرط اتصالكم واتحادكم كما يقال فلان مني اي على خلقي وسيرتي قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة
الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء فنزلت ثم فضل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره مع الرجال فيما
يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا اوطانهم مع الرسول او بعده باختيارهم واخرجوا من
ديارهم الجائهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي بسبب طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وبكثرة القتل فيهم وقيل
اي قطعوا ومن قرأ قتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا يفيد الترتيب والترتيب الطبيعي قاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة
اذا ظهر امارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد اي قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو
الذي طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طالبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم
القيمة اي ثوابا يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد اي ما يختص به وبملكه وان لم
يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد اي اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وقال
الكسائي وهو منصوب على القطع اي على الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم
بقوله والله عنده حسن الثواب لان القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات الغني عن جميع الحاجات وفي تعليقه
حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكمة الله تعالى اقتضت نوط الثواب والجنة
بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهمل جانب العمل راسا عن الحسن اخبر الله انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع
الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المومنين الثواب
العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب
لكل مكلف يسمعه اي لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله او له و
المراد هو قطع السبب في عدم اغتراره هو تواتر امثال هذه الايات عليه قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض
المومنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فيصيب
الاموال فنزلت والمراد تقلبهم بتنظيم وتصرفهم في المكاسب والمزارع والمتاجر والبلاد تلك التقلب والكسب والربح متاع
قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمومنين من الثواب وهو قليل في نفسه اذ لا نسبة للمتناهي
المتناهي مدة الى الازل والابد ومع ذلك فهو سبب الوقوع في نار جهنم ابد الآبدين والنعم القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة
لم يكن في الحقيقة نعمة فلهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الاية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما يعد
للضيف ويحتمل من هنا تمسك بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلابد من شي آخر يكون اصلا
بالنسبة اليها فليس ذلك الا الرؤية ويحتمل ان يكون في قوله وما عند الله اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازن شي من نعيم
الجنة وقيل معناه وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزايل وانتصاب نزلا على الحال
من جنات لتخصصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء وانتصب على
التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المومنين وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب فقال وان
من اهل الكتاب وهذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل
نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فاسلموا وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس
وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال
لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية

واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذى يدخل على خبران او على اسمه عند الفصل كما في الاية والمراد بما انزل اليكم القران
وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان في معنى الجمع فحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون
بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى نجاحه منه شان
هذا الوعد حسب ما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم
ويعطى ما لكل احد من جزاء الحسنات والسيات والمراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر
ثم ختم السورة باية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده ثم
فيه بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر
على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدايد الدنيا وافاتها ومخاوفها والثانى ما يتعلق
بالمشاركة مع اهل المنزل والمدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب وترك الانتقام
منهم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان او بالسنان ثم انه لابد للانسان
في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة
من الربط الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لابد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة
جانب الحق حتى يكون معتدا بها فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظايف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء
الفلاح منه وظهر ان هذه الاية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لاداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها
كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهى تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج
والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب
ما اصابكم يوم احد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغى ان يكونوا اصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف
الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله تعالى في الجهاد فيها امر بالمصابرة مع الاعداء اما
المرابطة ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربطوا اولئك ايضا خيولهم بحيث يكون كل واحد
من الخصمين مستعدا للقتال الاخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط
يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد
الصلوة لما روى عن ابى سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار
الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابى هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلكم الرباط ثلث مرات والله اعلم
التاويل ان في خلق سموات القلوب واطوادها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية وصفاتها ونهار الروح
وانوارها لايات لاولى الالباب الذين عبروا بقدمى الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسمانى ووصلوا الى لب الوجود الروحانى
وشاهدوا بعيون البصاير ونواظر الضماير ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه
المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسايط والمركبات ويقولون
ما خلقت هذا باطلا اى خلقته اظهارا للحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا باعثا
منا عذاب نار قهرك والبعد عنك ففيه كل الخزى والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل
الربوبية ربنا اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقى مناديا فاغفر لنا ذنوبنا اى كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة
لا بسعى منا قبل ان تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى على قدر رغبتكم و
نجو ليتكم فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معاملات
الطبيعة وديارهم الى عالم الحقيقة بسطوات تجلى صفات الربوبية واوذوا في طلبى بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا
بسيف الصدق لاكفرن عنهم وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها انهار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى و
الصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرهبة والرغبة والوفاء
والطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجرى
من تحتها انهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن ثواب لا يكون عنده الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء
الظاهر علما متقنا يكون الماء من نتيجة نور الله الذى دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما
انزل اليهم من الخواطر النفسانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تجلى لشئ خضع له لا يشترون بما اوتوا من العلم والحكم عرض

الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية بحبل وفاتهم اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مواقف
القلب عند الابتلاآت ورابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء
بالله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ٥

سورة النساء مدنية حروفها ١٦٠٣٥ كلماتها ٣٠٧٤٥ اياتها مائة وست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله
الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ●
واتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا ● وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربع
فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى
الا تعولوا واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه
نفسا فكلوه هنيئا مريئا ● ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى
جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا
معروفا ● وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا
دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا ● للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ● واذا

حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا

القراءة تسالون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف عباس بحذف الباقون بالتشديد اي بادغام تاء التفعل في السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب بالامالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على انهما وقف واذا انفرد هنيئا همزها كل القران يزيد فيما ابن عامر ونافع الباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلي وخلف لنفسه وقتيبة على اصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها الوقوف ونساء لان الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترضت الى المعطوفات والارحام رقيبا بالطيب الى اموالكم كبيرا او رباع ايمانكم الا تعولوا لابتداء حكم اخر نحلة لان المشروط خارج عن اصل الموجب مريئا معروفا النكاح اموالهم ان يكبروا لابتداء جملتين متضادتين فليستعفف بالمعروف للعود الى اصل الموجب بعد وقوع الفصل عليهم حسيبا الاقربون الاول او كثر بتقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا خافوا عليهم سديدا نارا سعيرا التفسير لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام وايصال حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم اليهم ومن الامر بالصلوة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرايب القران ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما في النصف الاول وهي الرابعة من سوره والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سوره ثم التي في النصف الاول مصدرة بذكر المبداء والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد ثم انه بدء علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة اما القيد الاول وهو انه خلقنا فلا شك ان علمه لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شان العبد امتثال امر مولاه في كل ما يامره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة او لعلة موجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد اخر منها انه يامر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من اصل واحد وارد [?] واحدة اعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يوذيني ما يوذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر امر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا له صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابا واجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة هو ادم والتانيث في الوصف نظرا الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها كقوله وجعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فايدة في خلقها من ضلع من اضلاع ادم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ما روي عنه ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطبايعيين بالاية على ان الحادثات لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي انشاءها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي خلقكم من نفس ادم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفانية للحصر اقول انما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يلزم من خلق بني ادم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء

من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى اخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو ولان المرأ وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان الانسب ان يقال فبث بالفاء فدل العطف بالواو في الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم وكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللايق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللايق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسيهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى ان جميع اشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب ادم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما ومن اولادهما جميعا اخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تسالون به والارحام من قرأ بالنصب فالعطف على اسم الله اي واتقوا الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة لمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما العطف على محل الجار والمجرور كقوله شعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المنفصل من تتمة ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها بالقياسات النحوية الواهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بابائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالاباء وههنا حلف اولا بالله ثم قرن به الرحم فاين احدهما من الاخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنه لكن لا نسلم انهما منهي عنهما مطلقا وانما المنهي عنهما ما حلف على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انهما منهي عنهما مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتساؤل وهو سؤال البعض البعض اسالك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتداء خبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها مما يتقى ويتساءل به فان قيل لم قال اولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتاكيد كقولك عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترغيب بتذكر النعم والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب ولفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه ربك واحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب فاتق سخطه قال العلماء في الاية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سالكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الاية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ليس الواصل بالمكافي المواصل من ان قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا بنى اصحاب ابي حنيفة على هذا الاصل مسئلتين الاولى ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك لحل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم الثانية ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الاية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع اعمالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة ومن له رحم ماسة قال واتوا اليتامى اموالهم واصل اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم والمولود انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون يتيما لا يجوز دفع امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال واتوا اليتامى اموالهم فالجواب طريقان الاول ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبل السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم اموالهم

فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ انما يصح بعد البلوغ وقال صلى الله عليه وسلم يستامر الاوصى بالغة وعلى هذا
يكون في الاية اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا الى ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل
ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما رواه الكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم
فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول
نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره
يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر
فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي
الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الثاني ان المراد بهم الصغار اي الذين هم يتامى في الحال اتوهم بعد زوال
صفة اليتم اموالهم او اتوهم من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج اي لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما
ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال
والتاخر بمعنى الاستيخار او لا تستبدلوا الامر الخبيث واختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها
والتورع عنها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان ياخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردي قال صاحب الكشاف هذا
ليس بتبدل وانما هو تبديل يريد ان الباء في يبدل تدخل على الاخوة وفي تبدل على المعاني ولما كان الماخوذ الطيب كان تبديلا
ثم وجهه بانه لعله يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون الباء في موضعه وقيل معنى الاية ان ياكل
مال اليتيم سلفا مع التزام بدله بعد ذلك فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم منضمة الى اموالكم في الانفاق
تسوية بين المالين في الحل انه اي الاكل حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدل على الضعف والمراد بالاكل مطلق
التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى ههنا بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله الى اموالكم
واكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم كانوا مستغنين عنها بما لهم من الحلال ومع ذلك طمعوا
في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم وان خفتم الا تقسطوا
اقسط الرجل عدل وقسط جار قال الزجاج اصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في
قسطه من قولهم قاسطته فقسطته اي غلبته على قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل انصف اذا اتى
بالنصف فيلزم العدالة والتسوية واعلم ان قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جواب له ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف
يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روي عن عروة انه قال قلت لعائشة ما معنى قول الله وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى من
صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة ردية لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى وان
خفتم ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من العدد قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد هذه الاية فيهن فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الاية فقوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد منه
هذه الاية وهي قوله وان خفتم الا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او
يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشرة منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط
فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم الا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة و
الربيع والضحاك والسدي منقول عن ابن عباس لما نزلت الاية المتقدمة وما في اكل مال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء لحوق
الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم
ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى في العجز والضعف فقللوا عدد
المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية
اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا خائفين من الزنا ايضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روى عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون
عنده الايتام فاذا انفق مال نفسه على النسوة اخذ في انفاق اموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم ان تظلموا اليتامى باكل اموالهم عند
كثرة الزوجات فقد حظرت عليكم ان تنكحوا اكثر من اربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع
والناقص وهو الواحد ونبه بذلك على ما بينهما فكانه قال ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتان وان خفتم فواحدة فالظاهر

النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو سلم
فالوجوب مشروط بحالة الخوف والا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وايضا الاية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل
الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه اراد به الجنس تقول ما عندك فيقال رجل او امراة يريد ما ذلك الشيء الذي
عندك او ما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم ولان من وما يتعاقبان
قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها
كما سيجيء ويعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فيؤل المعنى الى قوله ابيحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدرك
سلمنا لكن الاية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل
القلب كانت الاية عامة دخلها التخصيص وانه اولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل
لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشيء ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله قل كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني
ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما احل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعدما اخرجته اية التحريم فلا اجمال اما قوله مثنى وثلاث ورباع
ولم يوجد في كلام الفصحاء الا هذه واحاد او موحد وجوزوا الى عشار او معشر قياسا على قول الكميت شعر ولم يستر
يثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على ان فيها عدلا محققا وذلك ان فائدتها تقسيم امر ذي اجزاء
على عدد معين ولفظ المقسوم عليه في غير العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرات الكتاب جزءا جزءا وجاء في القوم رجلا
رجلا وجماعة وجماعة فكان القياس في باب العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرع المتنازع فيه بالاعم الاغلب
فلما وجد ثلث غير مكرر لفظا حكم بان اصله مكرر وليس الا ثلثة ثلثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا للعدل والوصف
الاصلي فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان اصله كان
ثلثة ثلثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلثة او مثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لصاحب
الكشاف واذا اجري على النكرة فمحمول على البدل وضعف بعدم جريانه على المعارف ولو فرضنا المعنى الاية فانكحوا
الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة
فمن قرا بالنصب اراد فاختاروا او فانكحوا او الزموا واحدة ومن قرا بالرفع اراد فكفت واحدة او فحسبكم واحدة وذروا الجمع
راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم فسوى في السهولة بين الحرة
الواحدة وبين ما شاء من الاماء لانهن اقل تبعة واخف مؤنة من المهائر على اكثر منهن او اقل عدل بينهن في القسم ام لم يعدل
عزل عنهن ام لم يعزل ولمكان التسوية بينهما وبين من احتج بها الشافعي في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك
للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون افضل من النكاح لان الزايد على احد المتساويين يكون
زايدا على المساوي الاخر ولمانع ان يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح او الرمان يحتمل ان يكون للتسوية بينهما
وقد يكون للمقاربة اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة للضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم
الاستدلال على ان فضل الحر على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى اكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع
للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امراة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه
لا يتمكن من النكاح الا باذن مولاه وايضا انه قال فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار
فكذا الخطاب الاول لان هذه الخطابات وردت متتالية على نسق واحد فيبعد ان يدخل التقييد في اللاحق دون السابق
وكذا قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والعبد لا ياكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا
بظاهر الاية ومن العلماء من سلم ان ظاهر الاية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان
الرق له تاثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر
الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق في جميع الاعداد لصحة
استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت
الحكم في الباقي بل نقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة
والى البستان كان تنصيصا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها
تنبيه على حصول الاذن في جميعها وان سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف
كل منها واما السنة فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد امرنا باتباعه في قوله فاتبعوه واقل مراتب الامر

للاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران الاول الخبر كنحو ما روي
ان نوفل بن معوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال صلى الله عليه وسلم امسك اربعا وفارق واحدة وزيف بان القران دل على عدم الحصر
ونسخ القران بخبر الواحد غير جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب او الرضاع واقول ان القران لم يدل على عدم
الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وايضا قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق
واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث الثاني اجماع فقهاء الامصار
وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب ان المخالف
اذا كان شاذا فلا يعبا به والقران لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود مبين في زمان
الرسول صلى الله عليه وسلم وان سلم ان القران يدل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز
بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع والفاصلة لانا نقول لا يلزم حينئذ ان لا يجوز النكاح
الا على احد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالتثنية ولفريق ثان بالتثليث ولاخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع
بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو وذلك ادنى الا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا
وكلا اللفظين يروى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان ولا العال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه
عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه ان لا تفتقروا ورجل عائل اي فقير وذلك انه اذا قلت عياله
قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي ان معناه الا يكثر عيالكم فطعن فيه بعض القاصرين بان هذا في اللغة معنى تعيلوا لا معنى
تعولوا يقال اعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس الا تعيلوا وايضا انه لا يناسب اول الاية وان خفتم الا تقسطوا و
ايضا هب انه يقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقل عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي
لم يذهب الى تغيير اللغة وانما زعم انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة
العيال لا ينفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف على وجه اخر وهو انه جعل قوله تعالى الا تعولوا من عال الرجل عياله
يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة
على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا
انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال وعن الثاني ان حمل الكلام على ما يلزم منه تكرار اولى وبتقدير
التسليم فتفسير الشافعي ايضا يؤل الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرن فله ان يكلفهن
الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا عيال وايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهاير فان الخلاص
عنهن يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف والغرض ان التسري جائز بغير اذ من يكن مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج واتوا
النساء صدقاتهن اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب
للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت
له ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تاخذ مهرها فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما ياخذه الرجل
من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله تعالى عن ذلك وامر بدفع الحق الى اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة
قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد امروا بدفع المهر الذي قد سموها لهن ويحتمل انه اراد الالتزام كقوله
حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها ويلتزموها فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي بذلك او لم
يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقد قال ابن عباس
وقتادة وابن جريج وابن زيد اي فريضة وديانة فيكون مفعولا له او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال
الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء او على الحال من المخاطبين اي اتوهن
صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يوخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة او من الصدقات اي
منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المراة بعد النكاح
كهو قبله وانما الذي يستحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع
النكاح من قضاء الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يوتي الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله ابتداء ثم
لما امرهم بايتاء الصدقات اباح لهم جواز قبول برها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلتبس ان النفس لهن لان
انفس فلو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق او للمذكور وفي قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون ان يقول طبن

او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار
وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعثهن على تقليل الموهوب ولهذا ايضا ذكر الضمير في منه ليصرف الى الصداق
الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها او اكثر ومن هذا
التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخراجا للكلام مخرج الغالب فايدة البعث المذكور لا لانه لا يجوز هبة كل الصداق اذا
طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه
هنيئا مريئا صفتان من هنوء الطعام ومرو اذا كان سايغا لا تنغيص فيه وقيل الهني ما يستلذه الاكل والمري ما يحمد عاقبته
وقيل ما ينساغ في مجراه ومنه يقال المري لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران
فالهني شفاء من الجرب وبالجملة فهو عبارة عن التحلل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة في الدنيا والاخرة وهما صفتان للمصدر اي
اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما
قاما مقام مصدريهما اي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت
علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع
فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة
غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يواخذكم الله به في الاخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع
صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا اوان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر
العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فورد ان الانسان لو قيل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال الى
المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما
كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل انفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا ههنا المال شيء ينتفع به الانسان
ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان تضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه
بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة ادنى سبب وقيل خطاب للاباء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم
سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ المال وانه
اذا قرب اجله يجب عليه ان يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته فقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم واجمعت
الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب من اولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع
الى السفهاء اموالهم وايضا قوله وارزقوهم فيها الاية وهذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الاباء واقول لا يبعد حمل
الاية على كلا القولين لان الاضافة في اموالكم لا تفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص المالكية واختصاص التصرف
واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء ازواجا كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه
ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امراة
اطاعت قيمها وقد يجمع فعيلة على فعائل كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الاولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس
والحسن وقتادة وسعيد بن جبير اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط
واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يدي لهم باصلاحه وتثميره والتصرف
فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل الدين والعلم بمصالح الدارين ويضيع
المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على
السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قيام وهو مصدر قام واصله قوام قلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدرا
لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المومن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس
وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان ادنتني منها فقد
صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وفي نشور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر
مخذلة والغنى مجذلة والبوس مرذلة والسوال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال
ابو العتاهية اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت اليه ومال
الناس حيث يميل وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل وقد اختلف اقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم
انه ما احوج من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة

افضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب الباهة وذهب اخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغنى
ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوساطها و
الفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين ومن كلفة النفس فهو كفافها
فما يقتضي حب الممات غناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال
الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظ المال ههنا وفي اية المداينة
حيث امر بالكتاب والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فيا لها من
حسرة وندامة ثم انه تعالى امر بعد ذلك بثلثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها وانما لم يقل منها كيلا يكون امرا بجعل
بعض اموالهم رزقا لهم فياكلها الانفاق بل امر بان يجعلوها مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويتربحوا حتى يكون نفقتهم من الارباح
لا من اصول الاموال وصلبها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا
قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقول اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك
ما انت اهله وان كنت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك
بارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا
فالولي يعرفه ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما
تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلوة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل
ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فهو منكر ثم بين ان السفهاء متى
يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين الاول بلوغ النكاح الثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده
ولطلب ما هو المقصود وهو التوالد ومناط الاحكام بخروج المني ويدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين قمرية او يبلغ خمس عشرة
سنة تامة قمرية عند الشافعي وثمانية عشرة عند ابي حنيفة وهذان يشترك فيهما الغلام والجارية ولهما امارتان اخريان الحيض
او الحبل ولطفل الكفار امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد في الاية التبين
والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن ههنا
قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المامور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى
وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه
موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله بحسب ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى
بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع او الشرى منه وما فيهما من المصالح او المفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف
ذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك يتم العقد لو اراد وولد الزراع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد
المحترف بما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها ولا يكفي المرة
الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين واكثر على ما يليق بالحال ويفيد عليه الظن انه رشيد نوعا من الرشد يختص بحاله لا الرشد
من جميع الوجوه وعلى الكمال ما يكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يقدر
الغير على خديعته ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك
من الاهتداء بمصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله الرشد من فرعون في قوله وما
امر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه ثم انه
اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند اصحاب ابي حنيفة
وعند الشافعي لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الاية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة
فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس ثم
قال ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم والاسراف التبذير ضد التقتير والامساك والكبر في النفس السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم
يكبر كبرا وكبارة اي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما يشتهون قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف
فليمتنع منه وليتركه وفي زيادة مبالغة كانه طلب زيادة العفة ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان
ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان ياخذ قدر ما يحتاج اليه ويقدر اجرة عمله لان النهي في الاية عن الاسراف مشعر بان له ان ياكل بقدر

الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف
غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال اذا اضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود
وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله وربعها لعثمان الا واني قد انزلت نفسي
واياكم من مال الله منزلة ولي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وايضا قياسا على الساعي في اخذ
الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان ياخذ بقدر
ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقتراض انما جاء في
اصول الاموال من الذهب والفضة وغيرها واما التناول من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان
غير مضر بالمال وقال ابو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا ياخذ لا على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا
او فقيرا واحتج بقوله واتوا اليتامى اموالهم واجيب بانها عامة وقوله فلياكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل الوصي مال اليتيم ظلم اولا قال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا عين
النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه اظهارا
للامانة وبراءة من التهمة لكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة
واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص بالاشهاد فقال فاذا دفعتم
اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب ولانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا
كمال الشفقة كالاب لاجرم نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفير الناس
عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا كالشريب بمعنى المشارب وفيه تهديد
للولي واليتيم ان يتصادقوا ولا يتكاذبوا والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وكفى بالله حسيبا نصب على التمييز ويحتمل ان يكون
الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال لها ام كحة وثلاث
بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية
لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا نعطي الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد
عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي
بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئا فدعاهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفا حتى
انظر ما يحدث الله لي فيهن فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا
فان الله قد جعل لهن نصيبا فلم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم
وسبب الاجمال في الاية ثم التفصيل [illegible] من المألوف شديد والتدرج في الامور دأب الحكيم وهكذا قد نزل الاحكام
والتكاليف شيئا بعد شيء الى ان كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي مما قل منه او كثر [illegible] نصيبا مفروضا
نصب على الاختصاص بتقدير اعني نصيبا مقطوعا مقدرا او لابد لهم ان يحوزوه او على المصدر المؤكد كانه قيل قسمة مفروضة
احتج بعض اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد البنات لان الكل من
الاقربين [illegible] في الباب على مقدار انصبائهم غير مذكور ههنا الا ان هذا [illegible] استحقاقهم لاصل النصيب [illegible]
من سائر الدلائل واجيب بانه تعالى انما ذكر نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر [illegible] وايضا الواجب عندهم
ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا ان المراد
من الاية [illegible] وايضا ليس المراد بالاقربين [illegible] قرابة ما والا كان [illegible] جميع اولاد ادم فيه فالمراد اذن اقرب الناس
الى الوارث وما ذاك الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار [illegible]
قال المفسرون [illegible] القسمة في الايتين [illegible] من الميراث [illegible]
لا يرث وربما يحضر [illegible] القسمة فلا يحسن حرمانهم [illegible] الاية ثم [illegible] منهم من قال
باستحباب دون الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة باية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابراهيم النخعي
والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها تهاون بها الناس وعن الحسن ادركنا الناس وهم يقسمون
على القرابات واليتامى والمساكين من الورق والذهب فاذا قسم الارضون والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا

كانوا يقولون لهم ارجوا بورك فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا اى هذا الرضخ يستحب اذا
كانت الورثة كبارا اما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف كان يقول الولى انى لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء
الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما ان يعود الى ما ترك واما الى
الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الموصى
ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل اولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين
لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة
الشرطية وهى لو مع ما في حيزها صلة الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم انهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم
واما المخشى فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى
خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا فامروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون
القول السديد اى الصواب القصد هو ان لا يوذوا اليتامى وان يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم بيا بنى
ويا ولدى وهذا القول اليق بما تقدم وتاخر من الايات الواردة في باب الايتام نبههم الله تعالى على حال انفسهم وذريتهم اذا
تصوروها ليكون ذلك احد ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القايل شعر لقد زاد الحيوة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف
احاذر ان يرين البوس بعدى * وان يشربن رنقا بعد صاف * وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون
عنك من الله شيئا فقدم مالك فلا يزالون يامرونه بالوصية للاجانب الى ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم
او يخشوا على اولاد المريض خوفهم على اولاد انفسهم لو كانوا وعلى هذا يكون الاية نهيا للحاضرين من الترغيب في الوصية
والقول السديد ان يقولوا للمريض لا تسرف في الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير
وكان الصحابة يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان يتصل الاية بما قبلها
فيكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم
الحرمان وعن حبيب بن ثابت سالت مقسما عن الاية فقال هو الرجل الذى يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول
له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يحب ان يوصى له وعلى هذا يكون نهيا عن النهى عن
الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم اكد الوعيد في باب اكل مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اى ظالمين او على وجه الظلام من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون في بطونهم نارا اى ما يجر الى النار
فكانه نار في الحقيقة وقال السدى يبعث اكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه
فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسرى بى قوما
لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من النار يخرج من اسافلهم فقال جبريل هؤلاء
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأه بفتح الياء فهو من صلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالضم
فمعناه الالقاء في النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد السعير النار وسعرت النار
والحرب هيجتها والهبتها فهى سعير اى مسعورة والتنكير للتعظيم اى نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة
لا يجوز ان يدخل تحت هذا الوعيد اكل اليسير من ماله بل لا بد ان يكون مقدار خمسة دراهم لانه القدر الذى وقع عليه الوعيد
في اية الكنز في منع الزكوة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من شرط عدم التوبة ومن
جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد شرط عدم العفو وههنا نكتة وهى انه اوعد مانع الزكوة بالكى واكل مال اليتيم
بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد اشد والسبب فيه ان الفقير غير مالك بجزء من النصاب حتى يملكه المالك
واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم اشنع وايضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه اخر وعلى السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان
ضعفه اظهر وهذا من كمال عناية تعالى بالضعفاء فنرجو ان يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته التاويل ذكر الناسين بدو خلقهم
بالاشباح والارواح ليتخلقوا بالاشباح من ادم وبالارواح من روح محمد قال اول ما خلق الله روحى فهو ابو الارواح
وخلق من الروح زوجة وهو النفس خلقها من ادنى شعاع من اشعة انوار روح محمد وبث منهما رجالا كثيرا اروحا كاملين
ونساء ارواحا ناقصات واتقوا الله الذى تساءلون به اى تقودون تسالوا به غيره والارحام ولا تقطعوا ارحام رحمى بصلة
غيرى واتوا اليتامى اموالهم تزكية عن افة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة
والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن افة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدور ولا تاكلوا اموالهم

الى اموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعفو ذلك ادنى الا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم واتوا
النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والقلة وتحلية بالوفاء والكرم فكان هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع و
الشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق
ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله
الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادى الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوع واكسوهم ما يستر العورة واما الزاد
فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كخ واكلت رزق الله فادى شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه واذيبى طعامك
بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم اذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اى قلوب السائرين بادنى توسع في المعيشة
بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان انستم منهم رشدا بان يستمدوا بذلك التوسع على
السير وذا دولة في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد اشبع الزنجى وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام جايز
التصرف في مماليك سيده كالعبد الماذون ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تاكلوها اسرافا اى خافوا انتم يا اولياء الطريقة
من المريدين البالغين رشد التصرف في اصحاب الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخية ماكلة لكم غيرة
وغبطة عليهم ان يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم
ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فلياكل بالمعروف فلينتفع باعانته وليجز له بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر و
الباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخية فاشهدوا عليهم الله ورسوله وارواح المشايخ واوصوهم
برعاية حقوقها مع الله والخلق ثم اخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة والنساء وهم الضعفاء
نصيبا مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم تركهم وانوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم
واذا حضر القسمة اى محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم اولوا القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من انوارهم والمقتفون لاثارهم
فارزقوهم من مواهب بركاتكم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتقرير هوان الدنيا عند الله وعزة اهل
الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطى المريدين او المبتدئين خافوا عليهم فات المفارقة بسفر
او موت فليتقوا الله اى يوصونهم بالتقوى وان تقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ممدا ومنا الذكر خطوتان
يوصلان العبد الى الله ان الذين يأكلون يضيعون اطفال الطريقة بعدم التربية ووظايف النصيحة انما يأكلون في بطونهم
نار الحسرة والغرامة يوم لا ينفع الندامة

يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف
ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم
يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس
من بعد وصية يوصى بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما
ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن
ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع

مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن
مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث
كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان
كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها
او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن
يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
حتى يتوفيهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان ياتيانها منكم
فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما
انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا
الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما يا ايها الذين
امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج واتيتم احديهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا

اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم
الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء
الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا

القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلي
الباقون بالضم يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل ووافق الاعشى في الاولى وحفص في
الثانية الباقون مبنيا للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر الباقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن
والطلاق واللذان بتشديد النون ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتين وارنا اللذين واشباه ذلك واما قوله فذانك فابن كثير
وابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون بالتخفيف كرها بالضم عاصم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبينة
مبينات بفتح الياء ابن كثير وابو بكر وحماد وقرا ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح الباقون
كلها بالكسر **الوقوف** الانثيين ما ترك فلها النصف لانها حكم الاولاد ان كان له ولد فلامه الثلث او دين وابناؤكم
لتقديرهم ولاحتمال كون ابائكم مبتداء وخبره لا تدرون نفعا من الله حكيما لم يكن لهن ولد دين لم يكن لكم ولد دين منهما السدس
دين لان غير حال بما قبله يوصى مضار لاحتمال النصب وصية به كما يجيء من الله حليم لان تلك مبتدا حدود الله خالدين فيها لان
ما بعده اعتراض مقرر للجزاء العظيم خالدا فيها لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين اربعة منكم لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فاذوهما
عنهما رحيما عليما حكيما السيئات لان حتى اذا يصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت ويصلح انتهاء العمل السيئات وهم كفار اليما
كرها للعدول عن الاخبار الى النهي مبينة للعارض بين المتفقين بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف ومقتا سبيلا
التفسير انه سبحانه لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك الا بيانات
جملة احكام الميراث او يقول اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي
يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد اما النسب
فكانوا يورثون الكبار ولا يورثون الصغار ولا الاناث كما مر واما العهد فالحلف والتبني كما يجيء في تفسير قوله والذين
عاقدت ايمانكم وكان التوريث بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين اخرين الاول الهجرة وكان المهاجر يرث من المهاجر
وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان منا قريبا الثاني المواخاة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يواخي بين اثنين منهما فيكون سببا للتوارث والذي تقرر الامر عليه في الاسلام ان اسباب التوريث ثلثة
قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث بنت
حمزة من مولى لها وورا هذه الاسباب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون
بالعصوبة كما يحملون عليه الدية قال صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد انه
يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضائع الذي لا يرجى ظهور مالكه
وانما بدا سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده اشد التعلقات ثم للاولاد حال الانفراد وحال الاجتماع مع الوي
الميت اما حال الانفراد فثلث ذكور واناث معا او اناث فقط او ذكور فقط اما الحالة الاولى فبينها قوله للذكر مثل حظ
الانثيين اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلثة الاول خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة فله سهمان ولها واحد الثاني
خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم الثالث خلف مع الاولاد جمعا اخرين كالزوجين فهم ياخذون سهامهم والباقي
بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب اثنين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف
حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن فضل احد دخل في الادب بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون
الاناث فكانه قيل لهم كفى الذكور تضعيف النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من
المال اقل من نصيب الرجال فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون
عليهن ولكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل **شعر** ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء
اي مفسدة فكيف حال المراة وعن جعفر بن محمد الصادق وان حواء اخذت حبة من الحنطة واكلت واخذت حبة اخرى وخبأتها

ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى آدم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة
نصف نصيب الرجل واما الحالة الثانية فهي اكثر من اثنتين او اثنتان او واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان
التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما ان يعود الى النساء وجاز لعدم الالتباس بدليل واحدة واما ان يعود الى
غائب حكمي اي ان كانت البنت والمولودة وقراءة النصب اوفق لقوله فان كن نساء وقراءة الرفع ايضا حسنة للاحتياج الى
التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهمة ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان
تامة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الاية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما النصف
كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين واذا لم يوجد الشرط لا يوجد المشروط بالوحدة فاقول
لعله نظر الى ان الاثنين اقرب الى الواحد من الاعداد الغير المحصورة التي فوق الاثنين سوى الثلثة والحمل على الاقرب اولى
وقال الاكثرون من الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتان فللبنت الثلث بالاية فيلزم ان يكون
للبنتين الثلثان وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد اخر انثى هو الثلث اولى لان الذكر
اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على حكم الانثيين فذكر بعد ذلك انهن وان بلغن ما بلغن من
العدد لم يجاوزن الثلثين وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في اخر السورة فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان فالبنتان اولى وهذا قياس جلي ومما يؤكده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث
البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء او خبر بعد خبر للتاكيد او ليخرج اقل الجمع
وهو اثنان زائد كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتاخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله
قال جاءت امرأة بابنتين لها فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس وقالت سعد بن الربيع قتل معك يوم احد وقد استفاء
عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي الله في ذلك فنزلت هذه الاية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي المرأة وصاحبها
فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فلك واما الحالة الثالثة وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر
في الاية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل واذا كان للواحد
الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالتسوية وايضا قال صلى الله
عليه وسلم ما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لاتحاده
والنص ها كان من ولد الولد فقيل اسم الولد يقع على ولد الابن وايضا لقوله تعالى يا بني آدم يا بني اسرائيل وقيل ليس ولد الولد لما
انه كولد الصلب في الارث والتعصيب ولكنه لا يستحق شيئا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب
راسا او لا ياخذ ولد الصلب كل الميراث فحينئذ يسلم الباقي واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور
منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل الملتين والمرتد ماله لبيت المال او لوارثه الكتب
في الاسلام يرثه اقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روي ان فاطمة عم لما طلبت الميراث احتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب
وبقوله وورث سليمان داود والاصل في التوريث المال ووراثة العلم او الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم
ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس رضي الله عنهم وهؤلاء كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين
واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث الرسول صلى الله عليه وسلم
فكيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة
وايضا يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث
ولعل فائدة تخصيص الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق فبشيء بمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم
اجابوا بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه ابو بكر والله اعلم جميع ما ذكرنا
انما هو في حالة انفراد الاولاد اما حالة اجتماعهم بالابوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك
ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب في التثنية القمران والعمران و
الخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل
وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي او بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد

من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد توسط
البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلث احوال الاولى ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى
فههنا ثلثة اوجه الاول ان يحصل معهما ولد ذكر واحدا واكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالتسوية الثاني
ان يحصل معهما بنتان او اكثر فالحكم كما ذكر الثالث ان يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس و
للاب السدس بحكم الاية والباقي للاب بحكم التعصيب فان قيل انه حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل
نصيب الاولاد اكثر ونصيب الوالدين اقل فالجواب والله اعلم ان الوالدين يبقى من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في
زمان الصبى فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا وايضا ولد الولد لدعو ترفيه حال الولد اهم عند الوالدين من ترفيه حالهما الحالة الثانية ان لا يكون معهما احد
من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون
للاب بل فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد
فرضية الثلث للام بان يكون الوارث منحصرا في الابوين واختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف
يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه او الى الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب
الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب ليكون للذكر مثل حظ الانثيين
كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار شيء منه مستحقا بقي الباقي
بينهما على قدر الاستحقاق الاول وايضا الزوج انما ياخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية في
قسم الباقي وعن ابن سيرين انه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي
للاب الثلث ونصف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام
الثلث بقي للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين وهذا عكس قوله للذكر مثل حظ الانثيين الحالة الثالثة ان يوجد معهما
الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة او الاخوات لا يحجب
الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان ثلثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات
الحجب بهما كما في الثلث بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فما فوقها فصح ان يتناول الاخوة والاخوين
واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك للاختين والاخوات
وذكر الشيخ الكامل محيي الدين العربي في الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله عن خلاف الائمة
في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما
جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا استطيع رد
شيء كان قبلي ومضى في البلدان فاشار الى الاجماع قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن
السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى للاب الثلثان او لا يكون لهم شيء من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب فذهب
ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب
ان يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصي بها او
دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن او كان لكنه قضي وفضل بعده شيء فان اوصى الميت وصية
اخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انكم قبل الدين وان الرسول صلى
الله عليه وسلم قضى الدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقدم في الذكر لان كلمة او لا يفيد الترتيب البتة وانما استفيد
الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فكان
اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه وكان في تقديمها ترغيب لهم في ادائها ولهذا جيء
بكلمة او دلالة على التسوية بينهما في الوجوب ولان كل ما يحصل فيه الامران يجيء باو الفاصلة ليدل على انه ان كان احدهما
فالميراث بعده وكذلك ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام اهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق
الدين من جهة انه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في انصباء اصحاب الوصية كما في الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله
ثم قال اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال ابو البقاء ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في موضع نصب تدرون وهي
معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال القلوب واقول من الجائز ان لا يكون من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان ايهم مفعوله

مبنيا للحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة ايهم اشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع لكم من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرى وان كان اجلا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف ان انتفاعه في الجنة بهذا اكثر ام بذاك وقيل قد فرض الله الفرايض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كيفية تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية نفع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والذب عنه فلا يدرى ان الابن سيحتاج الى ان ينفق الاب عليه او الاب سيفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز ان يموت هذا قبل ذاك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله نصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يامر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كذلك اي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون هو النسب او الزوجية فهذه ثلثة اقسام الاول قرابة التولد الفروع و الاصول وهو اشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا اردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم الى قوله توصون بها او دين ثم بين احوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما احسن هذا النسق ولما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه في الاية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والانثى ولا بين الابن وبين ابن الابن ولا بين البنت وبين بنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسألة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم وقال ابو حنيفة لا يجوز لانها ليست زوجته ولو كانت زوجته يحل له وطيها لقوله الا على ازواجهم واجيب بانه لو لم تكن زوجته لكان قوله ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع انه لا يحل له وطيها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين في اصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطي كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلوات المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطي بالشبهة وايضا حل الوطي ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد الى اصل الحرمة اما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن ابي بكر الصديق انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر ان الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية اخرى التوقف وكان يقول ثلثة لان يكون بينهن الرسول صلى الله عليه وسلم لنا احب الي من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة والربوا وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي قال الفرزدق شعر ورثتم قناة الملك لا عن كلالة :. عن ابني مناف عبد شمس وهاشم :. والمختار الصحيح من الاقوال قول ابي بكر لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى شعر فاليت لا ارثي لها من كلالة :. ولا من وجى حتى تلاقي محمدا :. فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالراس بخلاف قرابة الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال شعر نسب تتابع كابرا عن كابر :. كالرمح انبوبا على انبوب :. وايضا فانه تعالى قال في اخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك والجواب انه تعالى حكم في تلك الاية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين

فيلزم ان لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين وايضا الله تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الايات المتقدمة ثم اتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للموروث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الاباء فبنو العم الكلالة وهو ههنا موروث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومثل قول جابر مرضت مرضا اشفيت منه على الموت فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة واراد به انه ليس له والد ولا ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث او الموروث كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي اي من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف اي احمق وقوله تعالى وان كان رجل يورث فيه احتمالان الاول وهو قول عطاء والضحاك ان يكون ماخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب كلالة على الحال وعلى انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير ان يكون مبنيا للمفعول من اورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة على الوجوه المذكورة قيل ما السبب في انه قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله اخ فكنى عن الرجل ولم يكن على المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما ايضا تقول من كان له اخ او اخت فليصله او ليصلها والتذكير للشرف معارض بالتانيث للقرب فان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التوحيد والتذكير في الاية اولى اما لان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما بتاويل احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت من الام او من ام فلكل واحد منهما اي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عايد الى الرجل والى واحد من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين ان نصيبهم كيفما كانوا لا يزداد على الثلث وقد يسند الاجماع الى هذا بانه قال في اخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة وللاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الاية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف و هناك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الاية خاصة كما بينا غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصى اذ علم ان ثمة موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه الموروث او الى الميت الدال عليه سياق الكلام اي ان كان الرجل وارثا وضرار الورثة ان يوصي بازيد من الثلث او بالثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله وقد يقر بان الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان المال قليلا وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على قانون العدالة وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وجار في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه في الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد او على انه مفعول مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه لا ما زاد على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية والله عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها من الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما اذا جاء ان الوالد يقبل على ولده ويؤديه في امر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له وكان يلزم حينئذ ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قالت المعتزلة الاية تدل على القطع بوعيد الفساق

وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فاذن المراد تعدي اي حد كان ولان الاية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود واجيب بما مر من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاي مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا اخر وهو عدم العفو وبان الاية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا اللفظ اي ومن يعص الله في كذا وفي كذا وذلك لا يتحقق الا في حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلي كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الاية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود المواريث فلعل المراد من التعدي فيها هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة ويلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله سبحانه واللاتي يأتين الفاحشة وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المامور به في الايات المتقدمة وفيه ان مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز في كل باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات اللائي بالهمزة واللواتي وكانهما جمعا الجمع وقد يحذف الياآت من الاربعة وقد تسهل همزة اللائي بين الهمزة والياء لكونها مكسورة كقراءة ورش واللاء يئسن من المحيض وقد يقال اللائي بياء ساكنة بعد الالف من غير همزة وقد يقال اللوا بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللاآت كاللاعات قال ابن الانباري العرب تقول في الجمع من غير الحيوان التي ومن الحيوان اللاتي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الاية واللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغي هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنا ههنا قال المحققون خص هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية وما اشبهها وهذه اخس الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر او من نسائكم المؤمنات او الثيبات اقوال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنا والمراد بقوله منكم اي من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده اي لا يقبل شهادة النساء في الحدود فان شهدوا مفصلا مفسرا كقولهم رايناه ادخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشاء في البئر ولا بد مع ذلك في الوصف بالتحريم لا لمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل عالم كالمتعة ولا شبهة فامسكوهن في البيوت خلدوهن محبوسات في بيوتكن حتى يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان ياتيانها منكم يعني الزانية والزاني او اللائط والملوط فآذوهما فوبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما كان في النكاح مندوحة عن هذه فان تابا واصلحا والحدثان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض على الامام واعلم ان للعلماء خلافا في الايتين فعن الحسن ان الثانية مقدمة في النزول امروا بايذاء الزانيين ولا ثم امروا بامساك النساء في البيوت الى ان يتبين احوالهن وقال السدي المراد بهذه الاية البكر من الرجال والنساء وبالاية الاولى الثيب وعن ابي مسلم ان الاية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا ان يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنا بين الرجل والمراة فذلك في سورة النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الايات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الاية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الاية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه تبين في الاصول ان استنباط تاويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكمية ذلك وليس في الاية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحد وجمهور المفسرين على ان الايتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد لذلك وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر اخرا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الاية صارت منسوخة باية الجلد وعن ابي حنيفة ان اية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد واية الجلد نسخت بدلائل الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا تكون الاية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد ان يحدوا صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الاية

ولا في الحديث وذلك ان الاية تدل على امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الاية لا ناسخا لها وصار ايضا مخصصا لعموم اية الجلد والله اعلم ثم اخبر عن المستحقين لقبول التوبة وعن المستحقين لعدم القبول فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوب يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم له وبهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد ان يكون جاهلا بكونها معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا اجمعنا على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وان النائم والساهي لا يستحق العقاب لانه اتى القبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا اما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الاية وانما يعرف حاله بطريق القياس واعلم لما كان التوبة على هذا الجاهل واجبة فلان يكون واجبة على العامد اولى لانه عالم بقبح تلك المعصية اما قوله ثم يتوبون من قريب فقد اجمعوا على ان المراد من هذا القرب حضور زمان الموت ونزول سلطانه ومعاينة اهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا لان الاجل آت وكل ما هو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت اذا قيست الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في قريب اما لابتداء الغاية اي يجعل مبتداء توبته من زمان قريب من المعصية او للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا لما قلنا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان فتبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة في قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك او المراد بالاول توفيق التوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بانه انما اتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت وهو وقوعه في الشدائد بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة حينئذ اولى بالقبول لقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من القبول معاينة سلطان الموت ومشاهدة احواله واهواله بحيث تصير معرفته بالله ضرورية كما لاهل الاخرة وحينئذ التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وافضى الامر الى حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان اهل القيامة لا يشاهدون الا انهم صاروا احياء بعد ان كانوا امواتا ويشاهدون ايضا اهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا ينفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وايضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري منافيا من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة في بعض الاوقات وبعدله اخبر من عدم قبول التوبة في وقت اخر وله ان يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا ولا يسأل عما يفعل واقول التحقيق فيه انه تعالى مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وامره حق وقد عين لعبيده حالين دنيا وعقبى وقد اخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم يعكس الامر ثم انه لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد ان لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف وعين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الاخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة او المعنى انه كما ان التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب من الموت او المراد ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الاخرة لا تقبل توبتهم اولئك اعتدنا لهم اي اعددنا في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قيل المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار والاولون فساق ولكنهما مشتركان في العذاب اليم فثبت ان حكمهما واحد واجيب بان اولئك اشارة

الى قرب المذكورين وبعضه ان الكفار اشنع فعلا من الفساق والطايفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا فى حضرة
الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود مثلا قال سبحانه يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها من ههنا شروع فى النهى عما كانوا عليه فى الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء
وذلك انواع الاول قوله لا يحل لكم ان ترثوهن قولان احدهما ان الوراثة يعود الى المال اى لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوهن
اموالهن كارهات لامساككم وثانيهما انها ترجع الى اعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امراة جاء ابنه من غيرها او بعض اقاربه
فالقى ثوبه عليها وقال ورثت امراته كما ورثت ماله فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق
الا الصداق الاول الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان اخر واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فنزلت النوع
الثانى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن قال اكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها
فيسيء العشرة معها ويضيق الامر عليها حتى تفتدى منه بمالها وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بان يترك
منعها من التزوج بمن شاءت وارادت لتبذل المراة الميراث ما اخذته من الميراث كما كان يفعله اهل الجاهلية وقيل انه
نهى للاولياء عن عضل المراة او للازواج كما مر فى سورة البقرة قال فى الكشاف اعراب تعضلوهن النصب عطفا على ان
ترثوا ولا لتاكيد النفى قلت الظاهر انه النهى لعطفه الامر وهو قوله وعاشروهن عليهن وصاحب الكشاف نظر الى ما قبله
وذهل عما بعده الا ان ياتين بفاحشة مبينة من قرا بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها فى الحقيقة وانما الله تعالى هو
الذى بينها او الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرا بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت صارت اسبابا للبيان كقوله
انهن اضللن كثيرا من الناس لما ضرب اسبابا للضلال ثم انه استثناء مما ذا قيل من اخذ الاموال اى لا يحل له ان يحبسها ضرارا
لتفتدى الا اذا زنت فحينئذ يحل لزوجها ان يسالها الخلع وكان الرجل اذا اصاب امراته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها
واخرجها وقيل استثناء من العضل نهوا عن حبسهن فى بيوت الاولياء والازواج الا بعد وجود الفاحشة ومن هؤلاء
القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ باية الجلد وقيل الفاحشة هى النشوز وشكاسة الخلق اى الا ان يكون سوء العشرة
من جهتهن فانهم معذورون حينئذ فى طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال النساء وعاشروهن
بالمعروف وهو الاجمال فى القول والانصاف فى المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير فى الاستمرار على المواصلة منه الثناء فى الدنيا
بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب فى العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول الولد النجيب وما اكثر اليمن فى صحبتها
قال صلى الله عليه وسلم الشوم فى المراة والفرس والدار وقيل المعنى ان رغبتم فى مفارقتهن فربما جعل الله تعالى فى تلك
المفارقة لهن خيرا كثيرا بان يتخلص من زوج سيء العشرة ويجد زوجا اخر اوفق منه النوع الرابع من التكاليف وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن فى مضارتهن اذا اتين بفاحشة بين تحريم الضرار فى غير حالة الفاحشة
يروى ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج بامراة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما
اعطاها ليصرفه الى تزوج المراة التى يريد فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالات فى المهر روى
ان عمر رضى الله عنه قال على المنبر الا لا تغالوا فى مهور نسائكم فقامت امراة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع وتلت هذه
الاية فقال عمر كل الناس افقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل ان يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض
لا الرخصة وهو فى موضع الحال اى وقد اتيتم ومعنى الايتاء الالزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا واعلم
ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل اخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك لو خالع كما ان البيع وقت
النداء منهى عنه ثم انه يفيد الملك اتاخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه وهو برئ
منه لانه يبهت عند ذلك انه يتحير وفى الحديث اذا واجهت اخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر فى موضع الحال اى باهتين
واثمين او على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض اى ببهتان وقيل مضمر اى تصيبون بهتانا وسبب تسمية
هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكانه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا او انه عند العقد تكفل
بتسليم ذلك المهر اليها وان لا ياخذ منها فاذا اخذ منها صار القول الاول بهتانا اى باطلا او كان من عادتهم انهم اذا
ارادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدى فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه فى الاغلب سيق الكلام
على ذلك وبالحقيقة ان اخذ هذا المال طعن فى ذاتها من حيث انه مشعر بانها قد اتت بفاحشة وقبض على مالها فهو بهتان
من وجه وظلم من وجه اخر وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما ياكلون فى بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ مستفهما فقال

وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدى واختاره الزجاج وابن قتيبة والمذهب
الشافعى ان المراد بالافضاء الجماع اذ الفضاء الساحة ويقال افضيت الى اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل فى الحقيقة
عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها وهو القول الكلبى واختاره الفراء ويوافقه مذهب ابى حنيفه ان
الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعى بان الكلام ورد فى معرض التعجب وهو انما يتم اذا كان هذا الافضاء
سببا قويا فى حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وايضا لا بد ان يكون مفسرا بفعل ينتهى منه اليها
لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذ لم يحصل فعل من افعال احدهما الى الاخر فان قيل على هذا يجب
ان يكون التلامس والاضطجاع فى لحاف واحد كافيا فى تحقق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع
اذ القايل قايلان قايل بتفسير الافضاء بالجماع وقايل بتفسيره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرير المهر بتحقق
الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة او الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر
المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قال السدى وعكرمة والفراء هو قولهم زوجتك
هذه المراة على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعلوم انه اذا الجاها الى ان بذلت المهر فقد
سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود على الصداق واليها اشار فى الحديث واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وقال اخرون اخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى البعض ميثاقا غليظا ووصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا
صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة بامور
النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك
وههنا مسئلة خلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية ابيه وقال الشافعى لا يحرم حجة ابى حنيفه ان النكاح
عبارة عن الوطى لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
النكاح اى الوطى لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزانى لا ينكح الا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد
ملعون فيدخل الاية فى الاية المزنية لانها منكوحة اى موطوءة وعورض بالايات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله
وانكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى ولا شك ان الوطى من حيث هو وطى ليس
سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من حلف من اولاد الزنا انهم ليسوا من اولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان
الوطى مسمى بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الاية على ما ذكرناه اولى مع اجماع المفسرين على ان سبب نزول الاية
هو العقد لا الوطى فالواحقيقة فى الوطى مجاز فى العقد لانه فى اللغة الضم وهذا المعنى حاصل فى الوطى لا فى العقد
وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة اولى ومشترك بينهما ويجوز استعماله
فى مفهوميه معا فيكون الاية نهيا عن القسمين الوطى وعن العقد معا او لا يجوز استعماله فى المفهومين فيكون نهيا عن القدر
المشترك بينهما وهو الضم والنهى عن المشترك يكون نهيا عن القسمين فان النهى عن التكوين يكون نهيا عن التسويد والتبيض لا محالة
واجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك فى كلا مفهوميه غير جايز وبان معنى الضم لا يتصور
فى العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطى ولكن ما فى قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة فى غير العقلاء وانما هى مصدرية
والتقدير لا تنكحوا نكاح اباءكم فان انكحتهم كانت بغير ولى وشهود وكانت موقتة وقهرية فنهوا عن مثل هذه الانكحة قال محمد
بن جرير الطبرى سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح اباؤكم ولكنا لا نسلم انه من تفيد العموم واذا لم يفد العموم لم يتناول محل
النزاع ولا غيره تنصيصا نعم يتناول لذوجات الاباء بالاجماع فينبغى غيرها فى حيز الاجمال سلمنا انه يتناول محل النزاع
لكن لم قلتم ان النهى للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهى للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهى عندكم لا يدل على الفساد كما فى البيع
الفاسد وفى صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم ان يستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية ايمانهن وهذا يقتضى جواز نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مزنية
كانت او غيرها الا ما اخرجه الدليل وهكذا ساير العمومات لقوله واحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم
من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الاكفاء وبقوله صلى الله عليه وسلم الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه
بما لو وقع قطرة من الخمر فى اناء من الماء فحرمه لا يمنع من الاستدلال به فى غيره وقد ناظر الشافعى محمد بن الحسن فى هذه المسئلة
فوقع ختم الكلام على قول الشافعى وطى حمدت به ووطى رجمت به فكيف يشتبهان اما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين وجوه
احسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهى يدل على المواخذة بارتكاب المنهى عنه فكانه قيل انتم مواخذون بنكاح

ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول الاية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غيران سيوفهم من قوله
ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله
حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن
ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى بعد موتتهم الاولى
وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم اقرهم عليهن مدة ثم امرهم بمفارقتهن وانما فعل ذلك
ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما اقر احدا على نكاح امراة ابيه وان كان في
الجاهلية وروى انه صلى الله عليه وسلم بعث ابا بردة الى رجل عرس بامراة ابيه ليقتله ويأخذ ماله انه اى ان هذا النكاح
كان قبل النهي فاحشة اعلم الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب او هذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام
ولانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب امر قبيح
ارتكبه صاحبه وهو من الله في صاحبه تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسارة قال بعضهم مراتب القبح ثلث في العقول
وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح
الشرعي وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي وساء فعل ذم وفاعله ضمير مبهم تفسيره المنصوب بعده والله تعالى اعلم

التأويل الوراثة الدينية ايضا سبب ونسب فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم والنسب
هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا او باطنا مستسلما الاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة
الثانية من صلب ولايتهم ومن قال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث
اهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد وبتوارثهم
العلوم الدينية واللدنية كقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وكقول موسى للخضر هل اتبعك على ان
تعلمن مما علمت رشدا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
اى من خواص العناصر الاربعة التي انتم مركبون فيه التراب ومن خواصها الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللينة والانوثة
والشره والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصه الكبر والغضب وحب الرياسة فان
شهدوا بان يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن في البيوت في حبس الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى
تموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان
يأتيانها اى النفس والقالب باتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالجد وباطنا
بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة اى بصفة الجهولية وهي داخلة
في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية بحسب فاعل السوء اذا كان مصدره الجهولية بحسب يكون على عقبه التوبة
كما يقال ثم يتوبون من قريب اى عقيب المعصية قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل
ان يقال من قريب اى قبل ان يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية
بالجنان ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها اباؤكم العلوية الا ما
قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الازواج لضرورة الكمالات فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله اعلم

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم
وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم
اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا

دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما
والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم
واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين
فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت
ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من
بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير
مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم
وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم
ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله
عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم
وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا
تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا

القراءة والمحصنات كل القرآن بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء على الباقون بالفتح واحل مبنيا للمفعول
يزيد وحمزه وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد الباقون مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلى وخلف
وعاصم غير حفص الباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد تجارة النصب حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباقون بالرفع
الوقوف دخلتم بهن الاولى لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم كذلك فان جملة الشرطية معترضة
اصلابكم للعطف سلف رحيما للعطف الجزء الخامس ايمانكم لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر التحريم لانه فى معنى الكتابة ويحتمل
مصدر محذوف اى كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا له اى حرمت لكتاب الله من قراء واحل بالفتح لم يحسن الوقف له
على عليكم للعطف على كتب ومن قراء واحل بالضم عطف على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين لابتداء حكم المتعة
فريضة الفريضة حكيما فتياتكم المؤمنات بايمانكم من بعض لعطف المختلفتين اخدان لذلك من العذاب العنت منكم خير لكم
رحيم ويتوب عليكم حكيم عظيما يخفف عنكم لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اى تخفف لضعفكم ضعيفا انفسكم رحيما نارا يسيرا
التفسير انه سبحانه نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبعة من جهة النسب وهن الامهات والبنات والاخوات
والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعات والاخوات من
الرضاعة وامهات النساء وبنات النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والاباء وهذه فى الاية المتقدمة والجمع
بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخى الى ان هذه الاية مجملة لانه اضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات
والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك الفعل غير مذكور فى الاية فليست اضافة هذا التحريم الى
بعض الافعال التى يمكن ايقاعها فى ذوات الامهات والبنات اولى من بعض وهذا معنى الاجمال والجواب من المعلوم بالضرورة
من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان المراد منه تحريم نكاحهن لا سيما وقد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ومثله قوله صلى الله
عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى خصال ثلث فانه لا يشتبه ان المراد لا يحل اراقة دمه ثم قوله حرمت انشاء للتحريم
كقول القايل بعت او طلقت لا اخبار عن التحريم فى الزمان الماضى ولا يشتبه ان المحرم هو الله تعالى كقوله تعالى اذا بعثر
ما فى القبور وحصل ما فى الصدور والخطاب لاولئك الحاضرين بالذات ولمن عداهم من الامة بالتبعية والاصل فى كل حكم
هو الاستمرار والتابيد ما لم ينسخه ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه تعالى حرم على كل احد امه خاصة وبنته خاصة واعلم
ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة من زمان ادم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن فى شئ من الاديان بلى ان زرادشت
نبى المجوس بزعمهم قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا فى زمان
آدم وذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى زوج بهن ابناء آدم ويرد عليه ان هذا
النسل حينئذ لا يكون محض اولاد ادم وذلك بالاجماع باطل قال العلماء السبب حينئذ تحريم الامهات والبنات ان الوطى
اذلال واهانة فلا يليق بالاصل والجزء والامهات جمع الام والهاء زائدة ووزن ام فعل او اصلية ووزنه فع وقد يجئ جمعه
امات وقد يقال الامهات للاناسى والامات لغيرها وكل امراة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك
بدرجة او درجات باناث رجعت اليها او بذكور فهى امك ولا شك ان لفظ الام حقيقة فى التى ولدتك اما فى الجدة فيحتمل
ان يكون حقيقة ايضا وحينئذ يكون اللفظ مواطيا فيهما ان كان موضوعا بازاء قدر مشترك بينهما ويكون الاية نصا فى تحريمها
ويكون مشتركا بينهما وحينئذ ان جوز استعمال اللفظ المشترك فى كلا مفهوميه والاية نص فى تحريمهما ايضا والا فطريقان
الاول ان الجدات مستفاد من الاجماع والثانى انه تعالى تكلم بهذه الاية مرتين لكل من المفهومين وكذا الكلام ان قلنا ان الام
حقيقة فى الولادة مجاز فى الجدات قال الشافعى اذا تزوج الرجل بامه ودخل بها يلزمه الحد وقال ابو حنيفة لا يلزم
حجة الشافعى ان وجود هذا النكاح وعدمه بمثابة واحدة لكونه محرما قطعا فى حكم الشرع فيكون وطيها زنا محضا الصنف الثانى
من المحرمات البنات ويراد بهن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات باناث او بذكور والكلام فى ان اطلاق
لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة او مجاز كما مر فى الامهات قال ابو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنا تحرم على الزانى
وقال الشافعى لا تحرم على الزانى لانها ليست بنتا له شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وهذا يقتضى حصر النسب فى الفراش
ولانها لو كانت بنتا له لاخذت الميراث ولثبت له ولاية الاجبار عليها ولوجب عليه نفقتها وحضانتها ويحل الخلوة بها لكن التوالى
باطلة بالاتفاق فكذا المقدم وايضا ان ابا حنيفة اما ان يثبت كونها بنتا له بناء على الحقيقة وهى كونها مخلوقة من مائه او بناء على
حكم الشرع والاول باطل على مذهبه طردا وعكسا اما الطرد فهو انه اذا اشترى جارية بكرا وافتضها وحبسها فى داره الى ان تلد فهذا
الولد معلوم مخلوق من مائه قطعا مع انه لا يثبت نسبه الا عند الاستلحاق واما العكس فهو ان المشرقى اذا تزوج بالمغربية وحصل

هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه والثانى ايضا باطل باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد
الزنى من الزانى ولو انتسب اليه وجب على القاضى منعه الصنف الثالث الاخوات ويشمل الاخوات من الاب والام
ومن الاب فقط ومن الام فقط الصنف الرابع والخامس العمات والخالات قال الواحدى كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته
عمتك وقد تكون العمة من جهة الام وهى اخت ابى امك وكل انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد تكون الخالة
من جهة الاب وهى اخت ابى امك وكل انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الاب وهى اخت
ام ابيك ولا تحرم اولاد العمات ولا اولاد الخالات الصنف السادس والسابع بنات الاخ وبنات الاخت والقول فيهما كالقول
فى بنات الصلب الصنف الثامن والتاسع قوله وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمى المرضعات امهات تفخيما لشانهن
كما سمى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم امهات لحرمتهن عليهم وليس قوله وامهاتكم اللاتى ارضعنكم كقول القايل وامهاتكم اللاتى كسونكم
او اطعمنكم والا كان تكرارا لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذى يستحق هو بسببه الامومة ويعلم من تسمية المرضعة
اما والمرضعة اختا انه اجرى الرضاع مجرى النسب لان المحرمات بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات
والباقية بطريق الاخوة وهى الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة
واحدة ونبه بها على البقية منهما فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات ثم انه صلى الله عليه وسلم اكد هذا
البيان تصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الاية وهذا بيان لطيف فامك من الرضاع
كل انثى ارضعتك او ارضعت من ارضعتك او ارضعت من ولدك من الامهات والاباء او ولدت المرضعة او الفحل الذى منه
اللبن بواسطة او بغير واسطة وبنتك من الرضاع كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدت من الابناء او البنات
واختك من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعتها بلبن ابيك او ولدتها المرضعة او الفحل الذى در لبنه على المرضعة
وعمتك من الرضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت من اخت الفحل الذى ارضعت بلبنه ومن جهة الام
كل انثى هى اخت ذكر ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هى اخت انثى
ارضعت اباك من الرضاعة او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ولدها ابن مرضعتك او بنتها او ولدها
ابن الفحل الذى منه اللبن وبنته من الرضاع او النسب او ارضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك وكذلك حكم بنات اولاد
من ارضعته اختك او ارضعت بلبن اخيك من الرضاع او النسب وكذلك بنات من ارضعته امك او ارضع بلبن ابيك وبنات
اولادهما من الرضاع او النسب والرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه وللرضاع اركان احدها
المرضع ويجب ان يكون امراة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى اللذين شربا منه وكذا لبن الرجل وان يكون حية وعند
ابى حنيفة ومالك واحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وان يكون محتملة للولادة بان بلغت تسع سنين وثانيها اللبن ويتعلق به التحريم
ولو تغير بحموضة او انعقاد او اغلاء او اتخذ منه جبن او زبد او مخيض او اقط او ثرد فيه طعام او عجن به دقيق وخبز او خلط
بمايع حلال او حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبى فلا اثر للحقنة ولا بعد الحولين الهلاليين ولا للوصول الى معدة الصبى الميت
ولا بد مع ذلك من خمس رضعات لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان ولما روت عائشة
خمس رضعات يحرمن وعند ابى حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف العاشر قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل
الاب والام الحادى عشر وربائبكم اللاتى فى حجوركم والربائب جمع ربيبة وهى بنت امراة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان
الرجل يربها والحجور جمع بالفتح والكسر وكونها فى حجره عبارة عن تربيته وهو بناء الكلام على الغالب ومثله هو فى حضانة
فلان واصله من الحضن الذى هو الابط وقال ابو عبيدة فى حجوركم اى فى بيوتكم وعن على كرم الله وجهه انه جعل كونها ربيبة له
وكونها فى حجره شرطا فى التحريم وهو اسند لا لاحسن واما ساير العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب وانه
اذا دخل بالمراة حرمت ابنتها عليه سواء كانت فى تربيته او لم تكن اما اشتراط الدخول بامها فلقوله صلى الله عليه وسلم من نسائكم
اللاتى دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما تقول بنات رسول الله من خديجة اما عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن
فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضى ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول وذهب جمع من الصحابة
ان ام المراة انما تحرم بالدخول بالبنت كما ان الربيبة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول على وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر و
اظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى ذكر حكمين وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله
من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا فى الجملتين معا واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله
وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليه اذ الظاهر تعلق الشرط بالثانية واذا تعلق باحدى الجملتين

فلا حاجة الى تعليقه باخرى وايضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما جميعا لان معنى
من مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جايز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم من بعض امكن الاتصال في النساء والربايب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن
كما ان الربايب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان هذا التفسير فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان
قوله وامهات نسائكم وكذا ربايبكم يكون حينئذ مبتداء وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفات فاصلة لان قوله وحلايل
ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم ظاهرا
ومما يدل على ان الجملة الاولى مرسلة ما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل
امراة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان
عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المراة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة فصادفهم
مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول عن تلك
المراة وعن سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امراته قبل الدخول واراد ان يتزوج امها فله ذلك وان ماتت
عنده لم يتزوج امها فله ذلك وان ماتت عنده لم يتزوج اقام الموت مقام الدخول في التحريم كما قام مقامه في باب المهر والدخول
بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة
عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنى يوجب حرمة المصاهرة قال لان
الدخول بها اسم لمطلق الوطي من نكاح كان او من سفاح ورد بان تقديم قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطي بالحلال الصنف الثاني
عشر وحلايل ابنائكم الذين من اصلابكم فيخرج المتبنى وكان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم الابن من الرضاع حكم الابن من النسب في تحريم حليلته لقوله صلى
الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان ظاهر قوله وحلايل ابنائكم وظاهر قوله واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي
يقتضي الحل فههنا قد تخصص عموم القران بخبر الواحد واتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد ولا يتوقف
الحرمة على الدخول لما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله اراد به التابيد الا ترى انه قال في السبع المحرمات
من جهة النسب انها المبهمات اي من اللواتي تثبت حرمتهن على سبيل التابيد واتفقوا ايضا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد اما جارية
الابن فقد قال ابو حنيفة يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة
او من الحلول بمعنى ان السيد يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد او يحل كل واحد منهما في قلب صاحبه لما
بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما تصدق على زوجته انها حليلة فيثبت لها
الحرمة بالاية الصنف الثالث عشر وان تجمعوا بين الاختين اي حرمت عليكم الجمع بينهما والتانيث للتغليب او للاكتفاء او
بتاويل الخصلة ويمكن ان يقال الواو نايب عن الفعل المطلق من غير اعتبار تذكيره وتانيثه والجمع اما ان يكون بالنكاح او
بالملك او بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب بطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع واما
الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احديهما ويشتري الاخرى فقد اختلف الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن
ثابت وابن عمر لا يجمع بينهما لاطلاق الاية ولانه لو جاز الجمع بينهما لجاز وطيهما معا لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو سلم ان الاية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما ساير الصحابة والفقهاء
فقد قالوا النهي وارد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطي احديهما حرم وطي الثانية عليه ولا تزول
هذه الحرمة ما لم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت
في عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان النكاح المطلق
زايل بدليل لزوم الحد بوطيها واما وجوب العدة ولزوم النفقة فنقول متى حصل النكاح حصلت القدرة على حبسها لحصول
النكاح لان استثناءه عين الثاني لا ينتج واذا اسلم الكافر وتحته اختان فقد قال الشافعي اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء
تزوج بهما معا او على الترتيب لان الكفار ليسوا بمخاطبين في فروع الشرايع في احكام الدنيا ولا يتصور تكليفه بالفروع
ما دام كافرا فانهم معاقب بترك الفروع في الاخرة كما يعاقب على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي ما روي ان فيروز الديلمي
اسلم على ثمان نسوة فقال صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعا وفارق سايرهن اطلق ولم يفحص عن الترتيب وقال ابو حنيفة
ان تزوج بهما معا تركهما وعلى الترتيب فارق الثانية لان الخطاب في قوله وان تجمعوا عام فينا في المؤمن والكافر مخالف

اصلية حيث جعل النهي دالا على الفساد والكافر مخاطبا بالفروع ومما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر
في الاحكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير ولي وشهود او على سبيل القهر والغصب فبعد الاسلام يقرر ذلك النكاح
اما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقد مر نظيره واعلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها وضبط العلماء ذلك بان كل
شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المراة
وبنت اخيها وبنات اولاد اخيها وكذلك بين المراة وبنت اختها وبنات اولاد اختها سواء كانت العمومة والخؤولة من النسب
والرضاع ولا يحرم نكاح المراة وام زوجها ولا نكاح المراة وبنت زوجها لانه لا توجد الحرمة على تقدير ذكورة كل واحدة منهما
وانما توجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط لمكان المصاهرة حينئذ بخلاف ما لو فرضت امراة ذكرا فانه لا يكون بينهما
قرابة ولا رضاع وقد يضبط الجمع بعبارتين احديهما يحرم الجمع بين كل امراتين بينهما قرابة او رضاع يقتضي المحرمية والثانية
يحرم الجمع بين كل امراتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت تلك الوصلة بينك وبين امراة لحرمت عليك الصنف الرابع عشر
والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القران لمعان احدها الحرية والذين يرمون المحصنات فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب وثانيها العفة محصنات غير مسافحات احصنت فرجها وثالثها الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره اذا
اسلمن ورابعها كون ذوات ازواج والمحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن والوجوه كلها مشتركة في اصل المعنى
اللغوي وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة مانعة صاحبها من الافات والجراحات والحرية سبب لمنع الانسان
من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع لزوجته من كثير من الامور والزوجة
مانعة للزوج من الوقوع في الزنى قرئ بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن بالتزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي
سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال للغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شراء
الامة واتهابها وارثها فان كلا منها لا توجب الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك
من شخص الى شخص والاول اقوى فظهر الفرق وقيل المعنى ان ذوات الازواج حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع
الفراق بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحراير والمعنى حرمت عليكم الحراير الا العدد الذي جعله الله ملكا لكم وهو
الاربع والا ما اثبت الله لكم ملكا عليهن لحصول الشرايط المعتبرة من حضور الولي والشهود وغير ذلك والقول هو الاول
لما روي عن سعيد الخدري قال اصبنا سبايا اوطاس لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن ثم اكد تحريم المذكورات بقوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل
ان يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء
كن مذكورات بالقول الصريح او بدلالة جلية او خفية او ببيان النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا في تحريم الجمع بين الاختين
وغيرهما وقد دخل بعد هذه العناية في الاية تخصيصات اخر منها ان المطلقة ثلثا لا تحل ولا دليل ذلك قوله فان طلقها فلا
تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ومنها الحربية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله و
المطلقات يتربصن ومنها ان من في نكاحه حرة لم يجز له ان ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يجوز له
نكاح الامة بدليل قوله ومن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل قوله مثنى وثلاث ورباع ومنها الملاعنة بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل بما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم
باموالكم في حال كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا
دنياكم ودينكم ويجوز ان يكون تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم
من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين متعففين عن الزنى وسمي الزنا سفاحا لانه لا غرض للزاني الا
سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر اقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل بالابتغاء بالاموال والدرهم و
الدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع فيقتضي توزع الفرد على الفرد فيتمكن
كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
اعطى امراة في نكاح كف دقيق او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القران لم يكن ذلك مهرا
ولها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال اسم للاعيان لا للمنافع وكذا قوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
فكلوه والايتاء والاكل صفة من الاعيان ولو تزوج امراة على خدمة سنة فان كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة

سنة وقال الشافعي الآية تدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا وايضا فلخرج الخطاب
مخرج الاغلب الاعم فلا يدل على نفي ما سواه ومما يدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تاجرني
ثماني حجج والاصل في شرع من قبلنا البقاء الى ان يظهر الناسخ وايضا التي وهبت نفسها فلم يجد الرجل الذي اراد التزوج بها
شيئا قال صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القران قال نعم سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القران ومنه يعلم
جواز عتق الامة صداقا لها لا سيما وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه
من خواصه ممنوع فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة
فآتوهن اجورهن اي عليه فاسقط الراجع للعلم به ويجوز ان يراد بما النساء ومن للتبعيض او البيان لا للابتداء الاستمتاع و
يكون رجوع الضمير اليه في به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار
والدابة اجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او اقيمت مقام ايتاء لان الايتاء مفروض ومصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة
ولا يخفى انه ان استمتع بها بدخول بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالواجب نصف المهر قال اكثر علماء الامة ان
الآية في النكاح المؤبد وقيل المراد بها حكم المتعة وهي ان يستاجر الرجل المراة بمال معلوم الى اجل معلوم ليجامعها سميت متعة
لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على انها كانت مباحة في اول الاسلام ثم السواد الاعظم من الامة على انها
صارت منسوخة وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن عباس وعمران بن الحصين قال عمارة
سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال متعة كما قال تعالى قلت هل لها عدة قال نعم
عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية اخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاستبعاد في المتعة قال قاتلهم الله اني ما
افتيت باباحتها على الاطلاق ولكني قلت انها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال
اللهم اني اتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة واما عمران بن الحصين فانه قال نزلت اية المتعة في كتاب الله ولم تنزل بعدها
اية تنسخها وامرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برايه ما شاء يريد ان عمر نهى عنها
وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي كرم الله وجهه انه قال لو ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة
المتعة ان الوطي لا يحل الا في الزوجة او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وهذه المراة ليست بمملوكة ولا
بزوجة ولا يحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة عليها بالاشهر والتوالي باطلة باسرها بالاتفاق وروي عن عمر انه
نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه احد منهم فلو سكتوا لعلمهم بحرمتها فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وحرمتها
فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن امور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة وذلك محال منهم
وما روي عن عمر انه قال لما اوتى برجل نكح بامراة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان الرجم لا يجوز في المتعة فلعله
ذكر ذلك على سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة الا ترى انه قال صلى الله عليه وسلم من منعنا الزكوة
فانا اخذوها منه وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال من مانع الزكوة غير جائز الا للسياسة وروى الواحدي في البسيط عن
مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن ابيهما عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء وعن اكل
لحوم الحمر الانسية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني عن ابيه قال غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قائم بين الركن والمقام
مسند ظهره الى الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرم عليكم الى يوم القيمة فمن كان عنده
منهن شيء فليخل سبيلها ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا القائلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول الاستمتاع بالمراة على
سبيل التوقيت بل الآية مقصورة على نكاح المتعة لما روي عن ابي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن
وبه قرأ ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان اجماعا وايضا امر بايتاء الاجور بمجرد الاستمتاع الى التلذذ وهذا في المتعة
واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد وايضا قال في اول السورة فانكحوا فناسب ان يحمل هذه الآية على نكاح المتعة لئلا يلزم
التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى ومما يدل على ثبوت المتعة مما جاء في الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر واكثر الروايات انه صلى الله عليه وسلم اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح
وذلك ان اصحابه شكوا اليه يومئذ طول العزوبة فقال استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا
ضعيف لم يقل به احد من المعتبرين الا الذين ارادوا ازالة التناقض عن هذه الروايات ونهي عمر يدل على انه كان ثابتا في عهد الرسول
وما كان ثابتا في عهده لم يكن نسخه بقول عمر ثم كما اشار اليه عمران بن الحصين واجيب بان المراد من قول عمر وانا انهى عنها انه قد
ثبت عندي نسخها في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقد علموا له ذلك فكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة

الذين حملوا الآية على بيان حكم النكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدرا بمقدار معين فلا حرج في ان تحط عنه شيئا او تبرئه
عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان تهب المراة للزوج مهرها او يهب الزوج للمراة
تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة الحاق الزيادة بالصداق جائز لان التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان
وهي ثابتة ان دخل بها او مات عنها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في العقد وقال الشافعي الزيادة
بمنزلة هبة فان قبضها ملكته بالقبض وان لم يقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة انها لو التحقت بالاصل فاما ان ترفع
العقد الاول وتحدث عقدا ثانيا وهو باطل بالاجماع واما ان يحصل عقدا مع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين
حملوا الآية على بيان حكم المتعة قالوا المراد انه ليس للرجل سبيل على المراة من بعد الفريضة ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم
يستطع منكم طولا فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح متعلق
بطولا يقال طال الامر اذا غلبه فتمكن من فعله والمحصنات ههنا الحرائر والمعنى ومن لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح الاماء التي
ملكتها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك فان الانسان لا يجوز ان يتزوج بجارية نفسه فالفتيات المملوكات تقول العرب
للامة فتاة وللعبد فتى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي ان الله تعالى
شرط في نكاح الاماء ثلث شرائط اثنان في الناكح الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما نكح به الحرة كما يقول الرجل
لا استطيع ان احج اذا كان لا يجد ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف مهورهن و
نفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن والثانية خشية العنت كما يجيء في اخر الآية والثالثة في المنكوحة وهو ان يكون
الامة لمسلم ومع ذلك تكون مؤمنة ولا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالقيد الاول مستفاد من قوله من فتياتكم اي من فتيات
المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة القيد الاول فهي ان
الولد تابع للام في الحرية والرق وحينئذ يتعلق الولد فيصل على ملك الكافر الا ان هذا القيد الغاه اكثر الائمة لان الولد اذا
رق للكافر بيع عليه في الحال واما فائدة القيد الثاني فالحذر من اجتماع النقصانين الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن
ومذهب مالك والشافعي واما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الآية
على الوطي ويقول المراد ان من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له نكاحها ولكن نكاح المؤمنة افضل
فحمل التقييد في الآية على الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر ايضا
بالمؤمنات واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك في ان
الآية دالة على الحذر من نكاح الاماء وان الاقدام عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لتبعية الولد للام في الرق ولانها
ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وربما تعودت بسبب ذلك الفجور والوقاحة ولان للمولى عليها من حق الاستخدام فلا يخلص لخدمة
الزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا تقدر على هبة مهرها لزوجها
ولا على ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم
بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم اولاد آدم فلا يتداخلكم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم مشتركون في
الايمان وهو اعظم المقاصد فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت اليه وفيه ما كانوا عليه في الجاهلية من التفخر
بالانساب والاحساب وتانيث بنكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن باذن اهلهن ولذلك
اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيتوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها
يعطل على السيد اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القران مقتصر على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه
بالحديث روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا تزوج العبد بغير اذن سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالآية على ان
المراة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة ذات موصوفة بصفة
الرق وصفة الرق صفة زائلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة سيبعد ذلك الصفات بدليل انه لو حلف
لا يتكلم مع هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث فبعد زوال الرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن
وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الآية يدل على الاكتفاء
بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمراة ان تزوج اختها واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضى المولى لا بد منه
فاما انه كاف فليس في الآية دليل عليه وايضا ان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى ان كان رجلا او ولي
المولى ان كان امراة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصصه قوله صلى الله عليه وسلم العاهرة هي التي تنكح نفسها اذ يلزمه ان لا يكون

لها عبارة في نكاح مملوكها ضرورة انه لا قايل بالفرق قلت الانصاف ان استدلال الشافعي لا يتم فللقايل ان يقول لا نسلم
ان صفة الرق للامة عرضية من حيث هي امة وان سلمنا ذلك فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الامة في الاية يبقى بعد زوال
صفة الرق وكونها مثل قول القايل لا اكلم هذا الشاب ممنوع فمن المعلوم عرفا ان المراد به ذات الشاب من حيث هو ولكنه
كقول الحالف لا اكلم شابا فحينئذ لو كلم زيدا وزيد شاب حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث واتوهن اجورهن اي مهورهن
وفيه دلالة على وجوب مهرها اذا نكحها سمى لها المهر او لم يسم وفي قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد وغالب
الظن في المعتاد المتعارف وهو مهر المثل او المراد بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان
المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كونها امة لا يقدح في وجوب نفقتها وكفايتها كما في حق
الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان
المولى اذا اجرها للخدمة كان هو المستحق للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله واتوهن اجورهن واما الجمهور فعلى ان
مهرها للمولى لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي كون المملوك مالكا لشيء اصلا ولان منافعها
كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الاية فلو حملنا لفظ الاجور على النفقة
فلا اشكال ولو حملناه على المهر فالجواب انها من ايضا عهن فلذلك اضيف الاجور اليهن وليس في قوله واتوهن ما يوجب
كون المهر ملكا لهن وهب ان المهر ملك لهن ولكنه صلى الله عليه وسلم قال العبد وما ملكه لمولاه او المراد واتوا مواليهن فحذف
المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفايف وهو حال من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين
على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال اكثر المفسرين المسافحة التي تواجر نفسها اي رجل ارادها
ومتخذة الخدن هي التي لها صديق معين وكان اهل الجاهلية يفصلون بين الحكمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها
زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلاجرم افردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا والاخدان جمع خدن
كالاتراب جمع ترب والخدن الذي يخادنك اي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن اي بالتزوج
وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي
وكانه تعالى ذكر حال ايمانهن في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند اقدامهن على الفاحشة
وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يريد بها الحراير المتزوجات او الحراير
الابكار وعلى الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنى
امة محصنة كانت او لم تكن وقد علق ذلك في الاية بمجموع الامرين الاحصان والزنى والجواب انا نختار القسم الاول ويسقط الرجم
عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف او الثاني والمراد بيان تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنى يغلظ عند التزوج فهذه
اذا زنت وقد تزوجت فحدها خمسون جلدة لا تزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا القدر اولى واعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار
الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف الرجم في حق الامة وهو
محال والجواب بما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا هذه الاية اصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة
في غير الحد وان كان من الامور ما لا يجب فيه كالصلوة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق
لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معناه الوقوع في امر شاق وللمفسرين ههنا قولان احدهما ان الشبق الشديد والغلمة
العظيمة ربما يدعوان الى الزنى فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب الاليم في الاخرة والثاني ان الشبق قد يفضي الى الامراض
الشديدة كوجع الوركين والظهر والوسواس وكاختناق الرحم للنساء والاول اليق ببيان القران وعليه اكثر العلماء وان
تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء وبعد شروطه المبيحة متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
الحراير صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تاكيد لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الا انه اباحه لاحتياج
المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم قيل اقيمت اللام مقام ان في قولك اريد ان تقوم وقيل زيدت اللام وقدر
ان وذلك لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة الاب وقيل في الاية اضمار والاصل يريد الله انزال هذه
الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم مناهج من كان قبلكم قيل المراد ان كل ما بين لنا من
التحريم والتحليل في شان النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرايع والملل وقيل بل المراد ان الشرايع والتكاليف وان كانت مختلفة
في نفسها الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المعنى سنن من كان قبلكم من اهل الحق ليقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه
كما اراد منا نفس الطاعة فلاجرم بينها وازاح الشبه عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط وفي الاية اشعار بانه تعالى

هو الذي يخلق التوبة فينا فيرد عليه انه اذا اراد التوبة منا وجب ان تحصل التوبة لكلنا وليس كذلك واجيب بان المراد التوبة
في باب نكاح الامهات والبنات وساير المنهيات المذكورة في هذه الايات وقد حصلت هذه التوبة وكذا الكلام في قوله والله
يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا
عن الحق والقصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن
الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان
تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه
ولم يثقل اما ضعف خلقته فبالنسبة الى الكثير من المخلوقات بل الحيوانات فظاهر ولهذا اشتد احتياجه الى التعاون والتمدن والاغذية
والادوية والمساكن والملابس والذخاير والمعاملات الى غير ذلك من الضروريات واما ضعف عزايمه ودواعيه فظاهر ولهذا
لا يصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات ولا سيما عن النساء عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم
من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف علي النساء عن ابن عباس
ثماني ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد
الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم لا تحرمنا مواعيدك انك لا تخلف الميعاد ثم انه تعالى لما ذكر ابتغاء النكاح بالاموال وامر بايتاء
المهر والنفقات بين عقيب ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لا يبيحه
الشرع بوجه وقد مر تفسيره في قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة صادرة عن تراض منكم وقد سبق مثله
في اخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الاموال المستفادة نحو الهبة والوصية والارث واخذ الصدقات و
المهور واروش الجنايات حلالا لان اكثر اسباب الرزق يتعلق بالتجارة ويدخل تحت هذا النهي اكل مال الغير بالباطل واكل مال نفسه
بالباطل كما ان قوله ولا تقتلوا انفسكم ليدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل على البطلان
وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول المالك فذاك غير منعقد بالاجماع فالتصرف الواقع على خلاف قول المالك
الحقيقي وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الحر واذا كان الثاني
غير منعقد بالاتفاق فكذا الاول وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في
الاية قد حصل وقال الشافعي لا شك ان هذا التراضي يقتضي الحل الا انا نثبت بعد ذلك للمتبايعين الخيار لقوله صلى الله عليه وسلم
المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة ولا يقتل
الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة حين ما يعرضه غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه اسهل عليه عن الحسن البصري قال
حدثنا جندب بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه
فحرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعي بالاسلام هذا من اهل
النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراح فقيل له يا رسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار فانه قاتل
اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل له انه
لم يمت ولكن به جراحات شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر
اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم
يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه
بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وعن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة
باردة في غزاة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله تعالى يقول
ولا تقتلوا انفسكم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وقيل معنى الاية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل
والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته نهاكم عما يضركم عاجلا واجلا وقيل من رحمته انه لم يامركم
بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ومن يفعل ذلك القتل عدوانا وظلما لا خطاء ولا اقتصاصا
هذا قول عطا وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل والاكل بالباطل وعن ابن عباس انه عايد الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة
وتنكير النار للتعظيم او للنوع وكان ذلك على الله يسيرا مثل على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له

عن حكمه ولا منازع له في ملكه **التأويل** حرمت عليكم امهاتكم الاية كلها اشارات الى نهي التعلق ومنع التصرف في الامهات
السفليات والمتولدات من اوصاف الانسان وصفات الاصل الحيوان ان الله كان غفورا بانوار غفرانه ظلمات الصفات
الانسانية التي تتولد من تصرفات الحواس في المحسوسات عند الضرورات بالامر لا بالطبع رحيما بالمومنين فيما اضطرهم
اليه من التصرفات بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء في الدنيا التي يتصرف فيها العلويات الا ما ملكت
ايمانكم باذن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا محصنين حرائر من الدنيا وما فيها غير مسافحين في الطلب مياه
وجوهكم فما استمتعتم به من الضروريات فاعطوا حقوق تلك الحظوظ بالطاعة والشكر والذكر ثم ان الله تعالى احب نزاهة
قلب المومن من دنس حب الدنيا كما احب نزاهة فراشه فقال ومن لم يستطع اى من لم يقدر ان يتزوج عجوز الدنيا الصالحة
باسرها ويجعلها منكوحة له وتحصينها بتصرف شرايع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف في قلبه بوجه ما فليتصرف في
القدر الذى ملكت يمين قلبه من الدنيا ولم تملك قلبه لانها مامورة بالخدمة كما قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى
يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك محصنات بالصدق والاخلاص غير مسافحات بالتبذير والاسراف ولا
متخذات اخدان من النفس والهوى فاذا احصن بالاخلاص في العطاء والاخذ والدفع فان اتين بفاحشة هي غلبة شهوتها
على القلب فليبذل نصف ما ملكت من الدنيا في الله جنايتها وعزا في حدها كما ان حد عجوز الدنيا اذا احصنا اذ روا الطول
من الرجال فاتت بفاحشة اهلاكها بالكلية بالبذل في الله كما كان حال سليمان عم اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد
لما اشغلته عن الصلوة واتت بفاحشة حب الخيل طفق مسحا بالسوق والاعناق ذلك التصرف في قدر من الدنيا لمن خشي ضعف
النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهي وان تصبروا عن التصرف في الدنيا بالكلية خير لكم
كما قال عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر فتركها خير والبر يريد الله ان يخفف عنكم فلكم المعونة ولغيركم المونة قال ابراهيم
انى ذاهب الى ربي واخبر عن حال موسى عم بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن نبينا صلى الله عليه وسلم سبحان الذى اسرى
بعبده ليلا وعن هذه الامة بقوله سنريهم اياتنا والمعونة هي الجذبة التي توازي الثقلين فلاجرم كان لغير نبينا الوصول
الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى قاب قوسين او ادنى ولامته التقرب لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه وللفرق بين النبي والولي ان النبي مستقل بنفسه والولي لا يمكنه السير الا في متابعة النبي وتسليكه وخلق
الانسان ضعيفا بالنسبة الى جلال الله وكماله والا فهو اقوى في حمل الامانة من ساير المخلوقات وايضا من ضعفه انه
لا يصبر عن الله لحظة فانهم يحبهم ويحبونه **شعر** الصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمد وكان ابو الحسن
الخرقاني يقول لو الولي نفسا لم ابق وغير الانسان يصبر عن الله لعدم المحبة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات
التجلي كما انه صلى الله عليه وسلم كان يغان على قلبه وكان يقول كلميني يا حميرا وكان الشبلي يقول لا معك قرار ولا منك فرار
المستغاث بك منك اليك وضعف الانسان سبب كماله وسعادته فساعة يتصف بصفة البهيمية وساعة يتسم بسمات
الملك وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء في الحديث الرباني انا ملك حي لا يموت ابدا فاطعني عبدي اجعلك ملكا حيا
لا يموت ابدا الا ان تكون تجارة تنجيكم من عذاب اليم الاية ولا تقتلوا انفسكم بصرف اموالكم في شهواتها فان ذلك سمها القاتل
انه كان بكم رحيما اذ بين لكم هذه الافات ودلكم على هذه التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى تعديا عن امر الله
وظلما على نفسه — والله تعالى اعلم

ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ● ولكل
جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم

فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا ● الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن
في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان
عليا كبيرا ● وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما
من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا ● واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى و
المساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن
السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ●
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتيهم الله من فضله و
اعتدنا للكافرين عذابا مهينا ● والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ●
وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم
عليما ● ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت
من لدنه اجرا عظيما ●

القراءة يكتمون ويدخلكم بياء الغيبة المفضل الباقون بالنون مدخلا بفتح الميم وكذلك
في الحج ابو جعفر ونافع الباقون بالضم وسلوا وبابه مما دخل عليه واو العطف او فاؤه بغير همزة
ابن كثير وعلي وخلف وسهل وحمزة في الوقف عقدت من العقد عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ
الله بالنصب يزيد الباقون بالرفع والجار بالامالة ابرهيم ابن حماد وقتيبة ونصير وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان
وابي عمرو والبخاري عن ورش والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون المفضل الباقون بضمتين بالبخل بفتحتين حيث كان حمزة وعلي وخلف
والمفضل عباس مخير الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالنصب يضعفها بالتشديد
ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعفها **الوقوف** كريما ج على بعض ط مما اكتسبن ط من فضله ط عليما والاقربون
ط بناء على ان ما بعده مبتدا نصيبهم ط شهيدا ط من اموالهم ط لان ما يتلوه مبتدا بما حفظ الله ط واضربوهن ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب
سبيلا ط كبيرا ط من اهلها ج لان ان للشرط مع اتحاد الكلام بينهما ط خبيرا ط وابن السبيل للعطف ايمانكم ط فخورا لا بناء على ان الذين بدل من فضله ط
مهينا ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والعطف باليوم الاخر ط وان جعل الذين مبتدا لان خبره محذوف اى فاولئك قرينهم الشيطان
قرينا ط رزقهم الله ط عليما ط ذرة ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى اى لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعف عظيما ط **التفسير**

هذا كالتفسير للوعيد المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصي كباير روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصى الله فيه فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او منكر القدر وضعف بان الذنوب لو كان كلها كباير لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكباير وبين الكباير و بقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها وبانه صلى الله عليه وسلم نص على ذنوب باعيانها انها كباير وبقوله تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكباير هي الفسوق و الصغاير العصيان حجة ما روي عن ابن عباس ان الذنب انما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصى فيه ولجلالته ولا شك ان نعمة الله غير متناهية وانه اجل الموجودات فيكون عصيانه كبيرا وعورض بانه ارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين وكل ذلك يوجب خفة الذنب وان سلم ان الذنوب كلها كباير من حيث انها ذنوب ولكن بعضها اكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت واذا قد عرفت ان الذنوب بعضها صغاير وبعضها كباير فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها او باعتبار فاعلها ذهب الى كل واحد طايفة فمن الاولين من قال روي عن ابن عباس كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنى واكل مال اليتيم و غيرها وزيف بانه لا ذنب الا وهو متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذلك كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود ان الكباير هي ما نهى الله تعالى في الآيات المتقدمة وضعف بانه تعالى ذكر الكباير في ساير السور ايضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبيرة ورد بالعمد انه ليس بباه مما هنا حاله فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد ابطلناه وان اراد بالعمد ان يفعل المعصية مع العلم بانها معصية فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرا وهو باطل بالاتفاق واما الذين يقولون الكباير تمتاز عن الصغاير باعتبار فاعلها فوجهه ان لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب فاذا وجد للانسان طاعة ومعصية فالتعادل بين الاستحقاقين وان كان ممكنا بحسب العقل الا انه غير ممكن بحسب السمع والا لم يكن مثل ذلك المكلف لا في الجنة ولا في النار وقد قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح احدهما ويلزم حينئذ الاحباط والتكفير والحق في هذه المسئلة وعليه الاكثرون بعدما مر من اثبات قسمة الذنب الى الكبير والصغير انه تعالى لم يميز جملة الكباير عن جملة الصغاير لما بين في هذه الآية ان الاجتناب عن الكباير يوجب تكفير الصغاير فلو عرف المكلف جميع الكباير اجتنبها فقط واجترأ على الاقدام على الصغاير اما اذا عرف انه لا ذنب الا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظيره في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في ساعات الجمعة ووقت الموت في جملة الاوقات هذا ولا مانع من ان يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعماية وعن ابن عمر انه عد منها الحاد في البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود زيادة القنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة قول الزور وعقوق الوالدين والسرقة واما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب او سنة وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ويراد بالاصرار المداومة على نوع واحد من الصغاير والاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القاسم الكعبي بالآية على القطع بوعيد اهل الكباير لانها تدل على انه اذا لم يجتنب الكباير فلا يكفر عنه والجواب ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته واداء الامانة واجب امنه او لم يامنه سلمنا ان الآية رجعت الى قوله من لم يجتنب الكباير لم يكفر عنه سيئاته فغايته انه يكون عاما في باب الوعيد والجواب عنه هو الجواب عن ساير العمومات وهو انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة ان عند اجتناب الكباير يجب غفران الصغاير وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو فضل واحسان ويدخل في الاجتناب عن الكباير الاتيان بالطاعات لان ترك الواجب ايضا كبيرة وندخلكم مدخلا من فتح الميم اراد مكان الدخول ومن ضمها اراد الادخال ووصفه بالكرم اشعار بانه على وجه التعظيم خلاف ادخال اهل النار الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم او هو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان لا يقدموا على اكل الاموال بالباطل وعلى قتل الانفس حثهم على تهذيب الاخلاق في الباطن او نقول لما نهاهم على الاكل والقتل ولن يتم ذلك الا بالرضا بالقضاء وتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القايل ليته كذا وقال اهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا قالوا انه تعالى لو اراد من الكافر ان يؤمن مع علمه بانه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف والحقايق او عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء

وكثرة العشاير والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق وحسن الذكر وطهارة الامر بهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها مما يظن انها كسبية والحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة العوايق وتحصيل الموجبات وتوفيق الاسباب فلا تبقى سبب بكون السعي والجد مثمرا كافيه والفوز بالبغية والظفر بالمطلوب غير مشترك فيه واذا كان كذلك فما الفايدة في الحسد مثير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح الجمهور فلذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ما قسم له يجزيه ولو كان نظلا عنده والاعلى كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ومن لم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليخرج من ارضي وسمائي وليطلب ربا سواي ثم ان المحققين لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي وعن الحسن لا يتمنى احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال اما سبب النزول فعن مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء في الآخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال وفي رواية فلن نحن احوج لان اضعف ولهم اقدر على طلب المعاش فنزلت وقيل اتت واحدة من النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت رب الرجال والنساء واحد وانت الرسول الينا واليهم وابونا آدم وامنا حواء وما السبب في ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الآية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال صلى الله عليه وسلم ان للحامل منكن اجر الصائم القائم واذا ضربها الطلق لم يدر احد ما لها من الاجر فاذا رضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الآخرة فينبغي ان يرضوا بما قسم لهم وكذا النساء ولكل في نتيجة جزاء مما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد المذموم وتخصيصه لا تضيع ماله بتمني العزل او للرجال نصيب بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن والقيام بمصالح البيت واسألوا الله من فضله من خزاير الانعام ما لا ينفد من مطالب الايام ومن التبعيض اي شيئا من خزاين كرمه وطوله ان الله كان بكل شيء عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك اقرب الى الادب واوفق للطلب قوله سبحانه ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يكن تفسيره بحيث يكون الوالدان والاقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا منهما والمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم انه كان قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل واما على الثاني فاما ان يكون في الكلام تقديم وتاخير اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة واما ان يكون جعلنا موالي صفة لكل بل المحذوف والعايد محذوف وكذا المبتداء والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمته في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصاله بولاية مولاه في انعامه عليه وهذا كما يسمى الطالب غريما لان له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى المطلوب غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنه المولى للناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ومنها العصبة وهو المراد في الآية اذ هو الاليق بها كقوله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالمؤمنين من انفسهم من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة ومن ترك كلا فانا وليه اما قوله والذين عاقدت ايمانكم فاما ان يكون مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع قوله فآتوهم خبره واما ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه مما توسط الفاء بين الفعل ومفعوله المقدم ايذانا بتلازمهما واما ان يكون معطوفا على الوالدان والايمان جمع اليمين اليد والحلف ومن الناس من قال الآية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك اي ما يهدر ... ثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي و اطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقوله يوصيكم الله وايضا ان الواحد منهم كان يتخذ انسانا اجنبيا ابنا له وهم الادعياء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواخي بين كل رجلين منهم فكانوا يرثون بالتبني والمواخاة فنسخ ومن المفسرين من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت ايمانكم فله وارث هو اولى به فلا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث فيكون الضمير في فآتوهم للموالي قاله ابو علي الجبائي او المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا بين ميراث الزوج والزوجة بعد ميراث الولد و الوالدين كما في قوله يوصيكم الله قاله ابو مسلم وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد باتيائهم نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى

الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوى عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق
ولم يترك الا العتيق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار لبيت
المال ثم دفعه النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلام لفقره وقال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا و
يتوارثا صح وورث بحق الموالاة وخالفه الشافعى فيه وحكى الاقطع ان هذه الموالاة لا تصح عند ابى حنيفة ايضا الا بين العرب
دون العجم لخلوه عنده فى امورهم ان الله كان على كل شىء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيامة
بكل ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا وقد مر ان النساء تكلمن فى تفضيل الله الرجال عليهن فى الميراث ونحو
مذكور فى هذه الاية ما يشتمل على اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون يقال هذا قيم المراة وقوامها بناء مبالغة للذى يقوم بامرها
ويهتم بحفظها كما يقوم الوالى على الرعية ومنه سمى الرجال قوما والضمير فى بعضهم للرجال والنساء جميعا اى انما كانوا مسيطرين
عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء قيل وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب
والاستطالة والقهر وذكروا فى فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة فى الغالب والفروسية والرمى وان منهم
الانبياء والعلماء والحكماء وفيهم الامامة الكبرى وهى الخلافة والصغرى وهى الاقتداء بهم فى الصلوة وانهم
اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة فى الحدود والقصاص والاتفاق وفى الانكحة عند الشافعى وزيادة
السهم فى الميراث والتعصيب فيه والحمالة وتحمل الدية فى القتل الخطاء والقسامة والولاية فى النكاح والطلاق والرجعة وعدد
الازواج واليهم الانتساب وكل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة وههنا سبب خارجى وذلك انهم فضلوا
عليهن بما انفقوا اى اخرجوا فى نكاحهن من اموالهم مهرا ونفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه
امراته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتى فلطمها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت قد نزلت اية القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبى صلى الله عليه
وسلم ارجعوا هذا جبريل اتانى وانزل الله هذه الاية فقال النبى صلى الله عليه اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير
ورفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا
فى الجروح والقتل واما فى اللطمة ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين فوصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله
او للزوج حافظات للغيب قائمات بحقوق الزوج فى غيبته والغيب خلاف الشهادة ومواجب حفظ غيبة الزوج ان
تحفظ نفسها عن الزنا لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة
غيره وان تحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغى شرعا وعرفا عن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء
امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وما فى قوله بما حفظ الله
موصولة والعائد محذوف اى بالذى حفظ الله لهن اى عليهن ان يحفظن حقوق الزوج فى مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن
حيث امرهم بالعدل فيهن فى قوله فامسكوهن بمعروف او تسريح باحسان فقوله بما حفظ الله يجرى مجرى قولهم هذا بذاك اى هذا فى مقابلة
ذاك او مصدرية والمعنى انهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن فانه لا يتيسر لهن حفظ الغيب الا بتوفيق الله او بما حفظهن
حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة واوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرا بما حفظ الله بالنصب فما ايضا موصولة
اى بالامر الذى يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اى بسبب حفظهن
حدود الله واوامره فان المراة لولا انها تحاول رعاية تكليف الله وتجتهد فى حفظ اوامره والا لما اطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات
منهن فقال واللاتى تخافون تعرفون بالقرائن والامارات نشوزهن عصيانهن والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشىء ارتفع ومنه
نشز للارض المرتفعة فعظوهن وهو ان يقول اتقى الله فان لى عليك حقا وارجعى عما انت عليه واعلمى ان طاعتى عليك فرض ونحو ذلك
واهجروهن فى المضاجع اى فى المراقد اى لا تداخلوهن تحت اللحف وقيل هو ان يوليها ظهره فى المضجع وقيل فى المضاجع اى فى بيوتهن
التى يبتن فيها اى لا تبايتوهن وفى ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغى ان لا يزيد فى هجرة الكلام على ثلث فاذا هجرها فى المضجع
فان كانت تحب الزوج شق ذلك عليها فتركت النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان دليلا على كمال النشوز فيباح الضرب
حينئذ وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن فى ضربهن
لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا واذا
ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها لا يوالى به فى موضع واحد ويتقى الوجه لانه مجمع المحاسن

وان يكون دون الاربعين وقيل دون عشرين لان الحد كامل فى شرب العبد ومنهم من لا يرى الضرب بالسياط ولا بالعصى و
بالجملة فالتخفيف مرعى فى هذا الباب ولهذا قال صلى الله عليه على بن ابى طالب يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت
هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال اخرون هذا الترتيب مرعى عند خوف النشوز فاما عند تحقق
النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا لا بالجهة كبيرا لا بالجثة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم
اعظم من قدرتكم على ازواجكم وارقائكم روى ان ابا مسعود الانصارى رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله فصاح به
ابا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام وفيه انه مع علو شانه وكبريائه وسلطانه تعصونه فيتوب عليكم فانتم
احق بالعفو اذا رجع الجانى عليكم او انه مع علوه وكبريائه لا يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فلعلهن لا يقدرن
على ذلك او انه مع علو شانه وكبريائه يكتفى فى العبد بالظواهر ولا يهتك السرائر فانتم احرى بان لا تفتشوا عما فى قلبها من
الحب والبغض اذا صلح حالها فى الظاهر او انهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر قاهر ينتصف
لهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا المحاكمة فقال وان خفتم شقاق قال ابن عباس خفتم اى علمتم وذلك لاصرارها على النشوز حيث
لم يتاثر فيها الوعظ والهجران والضرب واعترض عليه الزجاج بانه اذا علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى الحكمين واجيب بان الشقاق
معلوم الا الشقاق فى الاستقبال ومعنى شقاق بينهما شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء
الظرف مجرى المفعول به او على جعل البين مشاقا مثل نهاره صائم والضمير للزوجين يدل عليهما مساق الكلام او ذكر الرجال والنساء
فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا يرضى يصلح لحكومة الاصلاح بينهما ويهتدى الى المقصود من البعث ولا بد فيه من العقل والبلوغ
والحرية والاسلام ويستحب ان يكون الحكمان من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهما وتسكن اليهما نفوس الزوجين فيبرزان
لهما ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات كل من الامرين وينبغى ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المراة
بالمراة فيعرفان ما عندهما وما فيه رغبتهما واذا اجتمعا لم يخف احدهما عن الاخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او موليان
من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فيه للشافعى قولان اصحهما وبه قال ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان البضع حق الزوج والمال
حقها وهما رشيدان والخطاب فى قوله فان خفتم وفى قوله فابعثوا لصالحى الامة لانه يجرى مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وثانيهما
وبه قال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين ولما روى ان عليا كرم الله وجهه بعث حكمين من زوجين فقال اتدريان ما عليكما عليكما
ان رايتما ان تجمعا ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا ان تفرقا وعلى الاول يوكل الرجل الذى هو من اهله بالطلاق وبقبول العوض فى الخلع
والمراة الاخرى ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم يتفقا على شىء ادب القاضى الظالم واستوفى
حق المظلوم وعلى الثانى لا يشترط رضى الزوجين فى بعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه اربعة اوجه ان يرد الحكمان
خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير ان يرد الزوجان اصلاحا ابدل الله الزوجين بالشقاق وفاقا ان يرد الحكمان
اصلاحا يولف الله بين الزوجين ان يرد الزوجان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفق كلمتاهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل
الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل الا فى الخير والطاعة وفيه انه لا يتم شىء من الاغراض الا بتوفيق الله تعالى وتيسيره ان الله
كان عليما خبيرا فيوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لمقتضى علمه وارادته وفيه وعيد للزوجين والحكمين فى سلوك ما
يخالف طريق الحق ووعد على الحق فى حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشد الى مجامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا فان من عبد الله واشرك به شيئا اخر فقد ضبط عمله وضل سعيه وبالوالدين احسانا تقديره و
احسنوا بهما احسانا يقال احسن بفلان والى فلان وبذى القربى واليتامى والمساكين وقد مر تفاسيرها فى البقرة قال
ابو بكر الرازى ان اضطر الى قتل ابيه بان يخاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتل والجار ذى القربى الذى قرب جواره و
الجار الجنب الذى بعد جواره عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه الا وان الجوار اربعون دارا
وعن الزهرى انه اراد اربعين من كل جانب وقيل الجار ذى القربى الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبى والتركيب يدل
على البعد ومنه الجانبان للناحيتين والجنابة لبعد كل منهما عن الاخر ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة
والمسجد ما لم يغتسل ومن قرا والجنب فمعناه المجنوب مثل خلق بمعنى مخلوق والمراد ذى الجنب فحذف المضاف والصاحب بالجنب
وهو الذى حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا فى تعلم او حرفة واما قاعدا الى جنبك فى مجلس او فى
مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة اتفقت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان
وقيل الصاحب بالجنب المراة فانها تكون معك وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذى انقطع عن بلده او الضيف وما ملكت

ايمانكم عن علي بن ابي طالب انه كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت ايمانكم وذكر اليمين تاكيد كما في الحديث
برجلي والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يوذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق
بحالهم في كل وقت وكانوا في الجاهلية يسيئون الى المملوك فيكلفون الاماء يعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة
ما يليق بحالهم في كل وقت وكانوا في الجاهلية البغاء وهو الكسب بفروجهن ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو
مملوك والاحسان الى كل نوع مما يليق به لطاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا تياها جهولا يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه
ومماليكه وعن الالتفات الى حالهم والتفقد لهم والتحقق بهم ولان الله لا يحب ويانف عن اقاربه اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا
ضعفاء واصله من الخيلاء الكبر والفخور المتطاول الذي يعدد مناقبه وعن ابن عباس هو الذي يفخر على عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع
نعمه ولعل هذا يجوز على سبيل التحدي بالنعم فقط الذين يبخلون البخل في اللغة منع الاحسان وفي الشرع منع الواجب وفيه اربع لغات
البخل مثل الفقر والبخل مثل بضم الباء وسكون الخاء وبضمهما وبفتحهما وسبب النظم ان الاحسان الى الاصناف المذكورين انما يكون
في الاغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الاحسان بحب المال ويحتمل ان يشمل البخل بالعلم ايضا اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي
غيرهم مقتا للسخاء وهذه نهاية البخل وفي امثالهم ابخل من الضنين بنائل غيره ويكتمون ما اتاهم الله من فضله من فضل الغنى حتى
اوهموا الفقر مع الغنى والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان في الفراسة بني الله حيث قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى
على عبده اثر نعمته وبني عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال يا امير المومنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته وبني عامل للرشيد
قصرا فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله
تعالى ولا يرضى بقضائه فلذلك قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الاية في
اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتخالطونهم وينتصحون لهم يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وايضا
انهم كتموا صفة محمد ولم يبينوها للناس ثم لما ذم الذين لا ينفقون اموالهم عطف عليهم الذين ينفقون اموالكم ولكن رياء وفخارا وليقال ما
اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله ومثل هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الاخر والا انفق لله وللاخرة ومن يكن الشيطان
له قرينا في الدنيا امرا بالبخل والفحشاء فساء قرينا في الاخرة يقرن به في النار ثم استفهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم اي تبعة ووبال
عليهم او ما الذي عليهم في باب الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد التوبيخ والا فكل منفعة في ذلك كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت و
للعاق ما يرزئك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح افعال القلوب يطلع عليها علام الغيوب وردع عن دواعي الرياء و
النفاق والمعاوي والسمعة والفخار واحتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو امنوا مشعر بان الاتيان بالايمان
في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان الاستدلالي التفصيلي لا الاجمالي وكان
جمهور المعتزلة لو كانوا قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمراة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلا واجيب بعدم
التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسأل عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة قائلا ان الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل
كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ثم قال كل واحد من هذه الاشياء ذرة
وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه مفعول ثان اي لا ينقص الناس مثقال ذرة او على المصدر اي ظلما
قدر مثقال واراد نفي الظلم راسا الا انه اخرج الكلام على اصغر المتعارف وهذه الاية مما تمسك به المعتزلة في انه تعالى قادر على الظلم لكنها
العباد والا كان ظلمهم منسوبا اليه وان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان ظلمهم منسوبا منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا كان
متصرفا في ملكه كيف شاء فلا يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب هاهنا على صحة مذهبهم في عدم الاحباط بان عقاب شرب
قطرة من الخمر لو كان مزيلا للطاعات سبعين سنة كان ظلما وفي تعظيم وعيد الفساق بان عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دائما مخلدا
لزم ابطال ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم ثم قال وان تك حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين وكثرة الاستعمال
من قرا حسنة بالرفع فعلى كان التامة ومن قرا بالنصب فالتانيث في ضمير المثقال لكونه مضافا الى مونث والمراد بالمضاعفة ليس هو
المضاعفة بالمدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير المتناهي محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كما انه يستحق عشرة
اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلثين عن ابن مسعود انه قال يوتى بالعبد يوم القيامة وينادي مناد على رؤس الاولين والاخرين
هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليات الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب ومن اين وقد ذهبت الدنيا فيقول
الله للملائكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضل
رحمته ومصداق ذلك في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن الوعد بالمضاعفة احب عند العلماء مما لو قال في
الحسنة الواحدة مائة الف حسنة لان هذا يكون مقداره معلوما اما على هذه العبارة فلا يعلم كنهه الا الله تعالى وعن انس ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها
لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها اما قوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما فان لدن بمعنى عند الا ان
لدن اكثر تمكنا يقول الرجل عندي مال وان كان ببلد اخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا المضاعفة على القدر
المستحق وهذا الثاني على الفضل التابع للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى اللذات
الروحانية والله اعلم **التاويل** جملة الكبائر مندرجة تحت ثلاث احدها اتباع الهوى وينشأ منه البدع والضلالات
وطلب الشهوات وحظوظ النفس بترك الطاعات وثانيها حب الدنيا وينشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثها دوية
غير الله وهو الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم اخبر ان الدين ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال
المجتهدين في الله نصيب مما اجتهدوا في طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب على قدر همتهم في الطلب
واسئلوا الله من فضله فيه معنيان سلوه من فضله الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
او اسئلوه منه ولا تسئلوا منه غيره ولكل جعلنا موالي ولكل طالب صادق جعلنا استعدادا في الازل للوراثة مما ترك الوالدان
والاقربون طلبه لعدم الاستعداد والمشية والذين عقدت ايمانكم وبينهم عقد الاخوة في الله فاتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك
نصيبهم الذي قدر لهم الرجال قوامون على النساء بمصالح دينهن ودنياهن بتفضيل الله وهو استعداد الخلافة والوراثة وبما
انفقوا من اموالهم اي بتجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للمولى فالصالحات التي يصلحن للكمال قانتات مطيعات لله لهن قلوب حافظات
لواردات الغيب بما حفظ الله عليهن حقائق الغيب واسراره واللاتي تخافون نشوزهن اذا دارت عليهن كؤس الواردات كما قيل
شعر فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المديري فعظوهن باللسان وخوفوهن بالهجران لتاديب السكران واضربوهن بسوط
الانفصال وفراق الاخوان كما كان حال الخضر مع موسى عليهما السلام حيث قال هذا فراق بيني وبينك هذا قانون ارباب الكمال
اذا ارادوا من اهل الارادة امارات او عرض من غلبات الاحوال وان خفتم شقاق بين الشيخ الواصل والمريد المتكامل فابعثوا متوسطين
من المشايخ الكاملين ومن السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا من الدنيا والعقبى ليتخلقوا باخلاق الله وتحسنوا الى الوالدين وغيرهما احسانا بلا شرك ورياء وفخر وخيلاء والله اعلم
بالصواب واليه المرجع والمآب

فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
ولا يكتمون الله حديثا ● يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة و
انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم ان الله كان عفوا غفورا ● الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله
اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ● من الذين هادوا

يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع
وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع
وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا
يؤمنون الا قليلا ۞ يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او
نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ۞ ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد
افترى اثما عظيما ۞ الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من
يشاء ولا يظلمون فتيلا ۞ انظر كيف يفترون على الله الكذب
وكفى به اثما مبينا ۞ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين امنوا سبيلا ۞ اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد
له نصيرا ۞ ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ۞ ام
يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما ۞ فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه
وكفى بجهنم سعيرا ۞ ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان
الله كان عزيزا حكيما ۞ والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة

وندخلهم ظلا ظليلا

القراءة تسوى بادغام تاء التفعل في السين ابو جعفر ونافع وابن عامر
تسوى بالامالة وحذف التاء الاولى حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون لامستم
من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الحفض
فلم يجوز الضم كراهة الانتقال من الكسرة الى الضمة نحو متشابها انظروا وبرحمة ادخلوا وخبيثة وعذاب اركض واشباه ذلك نضجت
جلودهم وبابه مدغما حمزة وعلي وخلف وهشام وابو عمرو **الوقوف** شهيدا الارض حديثا تغتسلوا وايديكم غفورا السبيل
باعدائكم نصيرا في الدين واقوم لانصال لكن قليلا السبت مفعولا لمن يشاء عظيما يزكون انفسهم فتيلا الكذب مبينا سبيلا
ربع الجزء لعنهم الله نصيرا لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار نقيرا للعطف من فضله لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفاء عظيما
صد عنه سعيرا نارا العذاب حكيما ابدا مطهرة لاستيناف الفعل على انه من تمام المقصود ظليلا **التفسير** انه سبحانه لما
اوعد الظالمين بقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين انه ذلك يجري
بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق ليكون الالزام اتم والتبكيت اعظم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لابن مسعود اقرأ القران علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن مسعود ففتحت سورة
النساء فلما انتهيت الى هذه الاية قال حسبك الان فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لما شرفه الله تعالى بكرامة
قبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتهم وقد عرفت احوالهم من مردة الكفرة كاليهود وغيرهم
اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم
فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد وقد عصوا والظاهر ان الواو للعطف
وحينئذ يقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يخص الكفر بنوع واحد
منه وهو الكفر بالله اويقال انه عام وافرد ذكر قسم منه اظهارا لشرف الرسول وتفظيعا لشان الجحود به او يحمل عصيان
الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الاية دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع ومعنى لو تسوى
لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء او تصير البهائم ترابا
فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف
اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا او للحال والمراد ان المشركين لما رأوا
يوم القيمة ان الله يغفر لاهل الاسلام دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان
يغفر الله لهم فحينئذ ان يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فهنالك يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا
الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قصدوه او توهموه
ثم اتبع وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم المنجيات فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى وقد مر سبب نزوله في البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان احدهما ان المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس
وابن مسعود والحسن واليه ذهب الشافعي وليس فيه الا حذف المضاف اي لا تقربوا موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون
ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الاية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين احديهما حالة
السكر وذلك ان جمعا من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول فنهوا عن ذلك
لان الظاهر ان الانسان اذا اتى المسجد فانما ياتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيهما
حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او كان الماء فيه او وقع الاحتلام
فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر ايضا الا اذا علموا ما تقولون ومعنى قربان الصلوة غشيانها
والقيام اليها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة
الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون الا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري
سبيل اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافرة لما يجيء من تفصيل منها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة
ويرد عليه مع ان الجنب المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة اللهم الا ان يقال ان عذر السفر
اعم واغلب فلهذا خصص بالذكر او لا وسكارى جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا
والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب وخالف الضحاك جمهور الصحابة و
التابعين فقال ان السكر ههنا يراد به غلبة النوم ويوافقه الاشتقاق فان السكر عبارة عن سد الطريق ومنه سكر البثق سد طريقه والسكر

في الشراب هو ان ينقطع عما اليه من المضار في حال الصحو فعند النوم يمتلي مجاري الروح من الابخرة الغليظة فتنسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح السامع والباصر الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقوله تعالى وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وايضا اجمع المفسرين على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول يمنع ان لا يكون مرادا من الاية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الاية بانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان تصير بحيث يعلم ما يقول والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة مع هذا السكر يوهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في اية المائدة على الاطلاق فتكون ناسخة لبعض مدلولات هذه الاية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن الشرب المخل بالفهم عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يجوز منسوخا يكذبه ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق وكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت اية المائدة فقال انتهينا يا رب والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت ما وتوجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهمه الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث وخص ولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك الذين هم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء ليس قيدا في حكم المرضى لانهم في الرخصة وان وجدوا ماء ثم عم على كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء بخوف سبع او عدو او عدم آلة استقاء او انحصار في مكان لا ماء فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذورا كبطوء برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية لا ان يتألم ولا يخاف وروي ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسال بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك وداود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض وفي معنى المرض البرد المودي الى المرض لو استعمل الماء كما مر من حديث عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم و السفر يعم الطويل والقصير اعني مسافة القصر وما دونها للاطلاق وقوله او على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يغيب فيه عن اعين الناس فكني به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد او نادر واما اللمس او الملامسة ففيه قولان احدهما ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما المراد به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد و قتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة لما ورد في القران بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا عن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني يعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا ليشمل الاية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي قال بعض اهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لمستم والصحيح انه ينتقض وضوءهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة فطلب الماء ولم يجد فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلوة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلابد في كل مرة من سبق الطلب وقال ابو حنيفة لا يجب بدليل قوله [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] الكلام على المجاز للمبالغة لانه طلب شيئا ثم لم يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه لا يحتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد من الماء ما لا يكفيه عند الائمة انه يستعمله ويصيب ثم يتيمم ليكون عاملا بظاهر الاية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب فعيل بمعنى فاعل وقال ثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان حجرا لا تراب عليه وضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لابد من تراب يتحقق مفهوم التمسح منه وليلتصق بيده فمكه المسح بعض كما جاء في المائدة وامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت براسه من الدهن الا معنى التبعيض ولان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو الذي يخرج نباته والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه صلى الله عليه وسلم خصص التراب بهذا المعنى فقال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا واما مسح الوجه واليد فعن علي وابن عباس المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك لان المسح يكتفى فيه باقل ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الابط لان اليد حقيقة فيها الى العضو الى الابط ثم ختم الاية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المؤمنين كان اولى بالترخيص

للعاجزين عن عائشة رض قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول واضع راسه على فخذي قد نام فقال احبست رسول الله صلى الله والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء ان يقول فجعل يطعن بيده في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله حتى اصبح على غير ماء فانزل الله اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من اثار المتقدمين واحوالهم لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وحدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك ولم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التورية وهم احبار اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التورية نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد وصفهم بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها لان من اشترى شيئا فقد اثره واختاره قال الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم لاغراضهم الفاسدة من اخذ الشيء الرشي وحب الرياسة وقيل الرياسة المراد يستبدلون الضلالة وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الايات لهم على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المومنون سبيل الحق كما ضلوا والافح ممن جمع بين الامرين الضلالة والاضلال عن ابن عباس ان الاية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان دار المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطهم عن الاسلام وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا باموالهم الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه عالم بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في اموركم واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لاموركم العبد وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تاثيرا في القلب واكثر مبالغة وزيدت الباء في الفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره وكان الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل فائدة الباء وهي الالصاق انه يعلم ان هذه الكفاية صدرت من الله تعالى بغير واسطة وقوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى اخر الاية معترضات بين البيان والمبين واما بيان لاعدائكم والجملتان بينهما معترضتان واما صلة نصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستانف على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف استبدال لفظ مكان لفظ كوضعهم ادم طوال مكان اسمر ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم واخبر عن الدلالة على الامالة والازالة واما في المائدة فقيل من بعد مواضعه نظرا الى ان الكلم كانت لها من انواع مواضع له هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة كما يفعله في زماننا اهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول اصح لاستبعاد تحريف المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر بشروطه من التورية ممنوعة وقيل كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن امر فيخبرهم فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة جهالاتهم انه صلى الله عليه وسلم كانوا اذا امرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وفي الباطن عصينا او كانوا يقولون كلا اللفظين اظهارا للعناد والمردود والكفر والجحود ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم واسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين اما احتماله المدح فلقول العرب اسمع فلان فلانا اذا سبه واذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروها كان اذنا ومدحا وتوقيرا ونصحا واما احتمال الذم فبان يكون معناه اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لان من كان اصم فانه لا يسمع فلا يسمع او بان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه اي غير مسمع جوابا يوافقك او بان يراد اسمع غير مسمع كلاما ترضيه وعلى هذا يجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه ومنها قولهم صلى الله عليه وسلم راعنا وقد عرفت احتماله في البقرة وانما جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان على وجه لان المواجهة بالعصيان اهون خطبا في العرف من المواجهة بالسب ودعاء السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالاول دون الثاني ليا بالسنتهم مفعول لاجله او مصدر لمحذوف او ليقولون لانه في معنى اللي ايضا وعينه واو بدليل لويت فقلبت وادغمت والمعنى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا او لعلهم كانوا يفتلون اشداقهم والسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية وطعنا على عادة المستهزئين فبين الله تعالى انهم يقدمون على هذه الاشياء طعنا في الدين دلالة قاطعة على صحته لان الاخبار عن الغيب معجز ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل قولهم سمعنا وعصينا اذ وضح لهم الايات وثبت قولهم البينات كرات بعد مرات واسمع دون

ان يقال انه غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم اعدل واشد من قولهم رمح قويم اى مستقيم ولكن
لعنهم الله بكفرهم اى بسببه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بالله وبالتورية وببعض الانبياء دون سائر رسله او الا
قليلا منهم امنوا لان فعيلا قد يراد به الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا او اراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفر الجحود والعناد
بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب الاية والطمس المحو يقال طريق طامس ومطموس ومفازة طامسة الاعلام وطمست الكتاب محوته
وهو في الاية حقيقة او مجاز قولان والمعنى على الاول نمحو تخطيط صورها واشكالها من عين وحاجب وانف وفم والفاء في
فنردها على ادبارها اما للتسبيب اى فنجعل الوجوه بسبب هذا الطمس على هيئة اقفائها مطموسة مثلها لان الوجه انما يتميز
عن سائر الاعضاء بما فيه من الحواس والتخاطيط فاذا ازيلت ومحيت لم يبق فرق بينها وبين القفاء واما للتعقيب على ان العقوبة
شيئا احدهما عقيب الاخرى الطمس ثم نكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما يكون هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة
والمثلة والفضيحة كما قال في حق اهل النار واما من اوتي كتابه وراء ظهره على ان وجوههم مردودة الى اقفائهم فيدرك في الكتابة
ويقرء من هنالك واما المعنى على القول الثاني فعن الحسن نطمسها عن الهدى فنردها بالخذلان على ادبارها اى على ضلالاتها
وشبهاتها وذلك ان المتوجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الاقبال على ذلك يحصل الادبار عن هذا وقال عبد الرحمن
بن زيد نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام اجلاء بني قريظة والنضير والطمس على هذا الوجه اما تقبيح الوجه واما ازالة
اثارهم عن ديار العرب وقيل الطمس القلب والتغيير والمراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم
فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم والضمير في قوله او نلعنهم اما للوجوه ان اريد بها الوجهاء واما لاصحاب
الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فان قيل فاين وقوع الوعيد
فالجواب انه مشروط بعدم ايمان جميعهم ولكنه قد امن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام واصحابه حكي انه لما نزلت هذه الاية
اتى عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي في
قفائي وايضا انما الله جعل الوعيد هو الطمس بعينه بل اياه واللعن فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام
فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل
هو منتظر ولهذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوها غير المخاطبين من ابناء جنسهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم
القيمة وقيل ان قوله امنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حيوتهم فلزم ان يكون قوله من قبل ان نطمس وجوها واقعا في الاخرة
فالتقدير امنوا من قبل ان يجئ الوقت الذي نطمس وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان امر الله مفعولا لانه لا راد لحكمه ولا يتعذر
عليه شيء يريد ان يفعله وهذا كما يقال في الشيء الذي لا شك في حصوله هذا الامر مفعول وان لم يفعل بعد فاذا حكم
بانزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد بالامر الشأن والفعل الذي تعلق ارادته به لا الامر الذي هو احد اقسام
الكلام فلا يصح استدلال الجبائي بالاية على ان كلامه تعالى مفعول اى مخلوق ثم بين ان مثل هذا التهديد من خواص الشرك
والكفر فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية لا قطع على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع لاتصالها بقصتهم ولانها دلت على
ان ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالاجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك
والمشرك مباح الدم ومباح الدم هو الذي لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل في
النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله واستدلت الاشاعرة بالاية على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لان
ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني لمن تاب كما ان الاول مخصص بالاجماع لمن لم يتب قالوا ونظيره قولك ان
الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء والمعنى لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله والمشية
يكون قد اتى في الكبيرة فيستوجب الغفران وروى الواحدي في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس
بحضر عمر انى لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة
يوم احد وكانوا قد وعدوه الاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا بذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الاية
فنزل قوله الا من تاب وامن وعمل صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فقالوا
نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد
افترى اختلق وافتعل اثما عظيما لانه ادعى ما لا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوما من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي

صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار
وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فنزل
فيهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وقبول الطاعة والزلفى عند الله بل الله
يزكي من يشاء وان تزكيته هي التي يعتد بها كما اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله انى لامين في السماء
امين في الارض وكفى باظهار المعجزات على يده تزكية له وتصديقا لقوله ولا يظلمون فتيلا هو ما فتلت بين اصبعيك من
الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والضمير للذين يزكون اى يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن
يشاء اى يثابون على زكائهم من غير نقص شيء من ثوابهم ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم من فريتهم وادعاء زكائهم ومكانتهم عند الله
فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم قال المفسرون خرج كعب بن
الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فنزل كعب على ابي سفيان والاخرون في دور قريش لانهم فقال لهم اهل مكة انكم اهل
كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وامنوا بهما فذلك
قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجئ منكم ثلثون ومنا ثلثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت
لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا
اهدى طريقا واقرب الى الحق انحن ام محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف
ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا
القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني
كعبا واصحابه فلما رجعا الى قومهما قال لهما قومهما ان محمدا يزعم انه قد نزل فيكما كذا وكذا قالا صدق والله ما حملنا على ذلك
الا بغضه وحسده وقد مر معنى الطاغوت في تفسير اية الكرسي واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم
ان اصله جبس فابدلت السين تاء والجبس هو الخبيث الردي وقال الكلبي الجبت في الاية حيي بن الاخطب والطاغوت كعب بن الاشرف
كانت اليهود يرجعون اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما في اغواء الناس واضلالهم فلا جرم جزاهم الله تعالى بقوله اولئك الذين
لعنهم الله وبالخزي انهم جعلوا من هو اضل من النعام واقل من الانعام حيث رضوا بعبودية الاصنام اهدى سبيلا وافضل حالا ممن
الذين هم اشرف الانام لاختيارهم دين الاصنام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا وعيد لهم
بلزوم الابعاد والطرد ولصوق العار والصغار ووعد لنبيه وللمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم الى يوم القيمة والخطاب
في فلن تجد للنبي او لكل طالب بغرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لان البخيل
يمنع ما اوتي من النعمة والحاسد ما يتمنى ان يزول عن الغير ما اوتي من الفضيلة وام قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى
كانه لما حكى قولهم للمشركين انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال امن ذلك نتعجب ام من قولهم لهم نصيب والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام
الاول قال بل الهم نصيب من الملك ومعنى الاية انهم كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم قولهم
وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم اخر الزمان ويخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك
يعني انهم يقدرون على دفع نبوتك لو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والاثبات وقال
ابو بكر الاصم كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا في عزة ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل
فنزلت الاية فيهم وعلى هذا فانما يتوجه الانكار على انهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان
لهم نصيبا من الملك فكانه تعالى جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان الملك والبخل لا يجتمعان كما قيل بالبر يستعبد الحر والاحسان
عبيد الاحسان فالبخيل ينفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له اسباب المملكة وان اجتمعت بالندرة فسوف تضمحل وانما لم يعمل اذن
لدخول الفاء عليه وذلك ان ما بعد العاطف من تمام ما قبله بسبب ربط العاطف بعض الكلام ببعض فيخرجه تصدره فكانه معتمد
فترجح الغاؤه وارتفاع الفعل بعده وجاء في قراءة ابن مسعود فاذن لا يؤتوا بالاعمال وليس بقوي والنقير نقرة في ظهر النواة فعيل
بمعنى مفعول ومنها ينبت النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل فان قيل كيف يعقل انهم لا يبذلون نقيرا وكثيرا ما يشاهد منهم بذل الاموال
قلنا المدعى عدم ايتاء النقير على تقدير حصول الملك ويراد به الملك الظاهر كالملوك الدنيا او الباطن كالعلماء الربانيين او كلاهما
كالانبياء وحصول شيء من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضرب عليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء منها فما بذلك لعل الشح

يغلب عليهم حينئذ حتى لا يشاهد منهم بذل نقير كما اخبر عنه علام الغيوب واما على تفسير الاصم فلعل المراد انهم لا يبذلون شيئا
نسبته الى ما يملكون كنسبة النقير الى النواة او انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح عليهم والله اعلم بمراده هذا بيان بخلهم
اما بيان حسدهم فذلك قوله ام يحسدون وهي منقطعة والتقدير بل يحسدون الناس يعني النبي والمؤمنين فان كان اللام
للعهد فظاهر وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة انكار الحسد واستقباحه والمراد بالفضل
ما اتاه الله من اشرف المناصب وهو النبوة والخاتمية وما كان ينضم اليها كل يوم من النصرة والعزة والاستيلاء والاستعلاء و
الفضل محسود بكل اوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم نبه على ما يزيل التعجب من شان محمد فقال فقد اتينا ال ابرهيم الذي هم اسلاف
محمد الكتاب الذي هو بيان الشرايع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقايق والعمل بما يتضمن صلاح الدارين واتيناهم ملكا عظيما
عن ابن عباس الملك في ال ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان فليس ببدع ان يوتى انسان ما اوتي اسلافه وقيل من جملة حسدهم
انهم استكثروا نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وكان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهرية وسبعمائة
سرية فمنهم اي من اليهود من امن به اي بما ذكر من حديث ال ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من امن
برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من ال ابرهيم من امن بابرهيم ومنهم من كفر والمعنى ان اولئك الانبياء جرت عادة اممهم فيهم
ان بعضهم امن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء والغرض تثبيت النبي او تسليته وكفى بجهنم لهؤلاء
الكفار المتقدمين والمتاخرين سعيرا ثم اكد وعيد الكفار بقوله ان الذين كفروا باياتنا ويدخل فيها كل ما يدل على ذات
الله تعالى وصفاته وافعاله واسماء الملائكة والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا كونها ايات او يغفلوا عنها ولا ينظروا فيها
او يلقوا التشكيك والشبهات فيها او ينكروها مع العلم بها عنادا وحسدا وبغيا ولددا وههنا سؤال وهو انه تعالى قادر
على ابقائهم في النار احياء معذبين من غير ان يحترق جلودهم فما الحكمة في انضاج الجلود والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه
قادر على ايصال الالام اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لم عذبهم بادخالهم النار وسؤال اخر وهو انه كيف
يعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص والجواب بجعل النضيج غير نضيج فالذات واحد والمتبدل هو الصفة ويؤيده قول
اهل اللغة تبديل الشي تغييره في الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد بهذا التبديل هو
تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعله انما حمله على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة اعم
من ان يكون في الذات او في الصفات فما ادريك انها في الاية مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يعضد بنقل صحيح فيكون
الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزءا من ماهيته وانما هو سبب لوصول العذاب اليه او يقال المراد
الدوام وعدم الانقطاع ولا نضج ولا احتراق اي كلما ظنوا انهم احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا
انهم الان حدثوا ووجدوا وقال السدي يخرج من لحم الكافر جلد اخر وفي هذا التاويل بعد لان لحمه متناه فعند نفاده لا بد من
طريق اخر في تبديل الجلد فيعود السؤال الاول وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك الظاهر وان السرابيل لا توصف
بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الجلدة
الجديدة العذاب والمراد بالذوق احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق بالمذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع شي مما يريده
بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال والذين امنوا الاية قال الواحدي الظليل ليس ينبي على الفعل
حتى يقال انه بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت الظل مشتق من لفظه كقولك ليل اليل قيل اذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي بحرها
فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا تصل اليها نور الشمس الينا في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء
الجنة بذلك والجواب المنع من انه لا شمس هناك حتى لا يوجد ضوء ثان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا
لا جواب فيه اي لا فرج لالتفاف الاغصان ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه
من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا عندهم صار موعودا لهم **التاويل** لو تسوى بهم الارض
اي يتمنون ان يخلوا في عالم الطبيعة لم ينكشف لهم عالم الحقيقة كيلا يروا ما يرون من عذاب القطيعة كما ان السكران ممنوع من الصلوة
فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال فان التكاليف حينئذ زايلة ولا جنبا
بالالتفات الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة ويستثنى من الحالة الاولى حالة الشعور ومن الثانية حالة العبور كن في الدنيا كانك
غريب او كعابر سبيل فهذا القدر من الالتفات من المحظورات التي اباحها الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة
الهوى او جاء احد منكم من الغائط في قضاء شهوة من الشهوات او لمستم عجوز الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار
فتيمموا فتمعكوا في التراب اقدام الكرام فانه طهور الذنوب العظام من الذين هادوا ابعد داب علماء السوء قريب من داب الذين هادوا

يحرفون الكلم عن مواضعه يأولونها على حسب ارادتهم ويقولون سمعنا ما في القران بالمقال وينكرون على ارباب المقامات
والاحوال ويقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذي وجهين ليا بالسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا
علم الكتاب ظاهرا ولم يؤتوا علم باطن الكتاب امنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القران مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان
اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن اهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل
ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظرين الى الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى ربهم او نلعنهم
نسخ صفات الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ المعنى اصعب من مسخ الصورة لان فضوح
الدنيا اهون من فضوح الاخرة ان الله لا يغفر ان يشرك به للشرك ثلث مراتب وكذا للمغفرة فشرك جلي بالاعيان وهو للعوام وعبدة
الكواكب والاصنام ولا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي
بالاوصاف للخواص وهو شرب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهو افراد الواحد للواحد وشرك
اخفى للاخص وهو رؤية الاغيار والاثنينية فلا يغفر الا بالوحدة وهو فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية الم تر الى الذين يزكون
انفسهم من اهل العلوم الظاهر يتعلمون العلم ليباهوا به العلماء او ليماروا به السفهاء تحصل لهم صفات الذميمة مثل المباهات و
المماراة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وغلبة الاقران والابناء بل الله يزكي من يشاء بتسليم نفوسهم الى
ارباب التزكية من العلماء الراسخين والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فاذا اسلموا انفسهم اليهم وصبروا على
تصرفاتهم راوا اثر الزكاء فيهم ولن يضيع سعيهم يؤمنون بالجبت بجبت النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من
اهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء اهدى من الذين امنوا بكل ما امر الله به ورسوله ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد
اتينا ال ابرهيم يعني اهل الخلة والمحبة والكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن واتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله فمنهم من امن
به ومنهم من صد عنه لا انهم من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم الحاسدة سعيرا تحرق حسناتهم فان الحسد ياكل
الحسنات كما ياكل النار الحطب ان الذين كفروا باياتنا باوليائنا الذين هم مظاهر ايات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نارا
الحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم اي انقطعت بعض لما في نفوسهم الامارة ومقتضيات هواها ولا يخفى حسن
استعارة الجلود لاثار الشي من حيث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فان دواعي الحرص والغضب
والشهوة لا تتناهى البتة ما دامت النفس على صفة الامارية فلن يزال اسيرا في يد الشهوات ذايقة لعذاب التعلقات والذين
امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم اي نجذبهم بجذبات العناية الى جنات الوصلة تجري من تحتها الانهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة
وخمر الشهود وعسل الكشوف لهم فيها ازواج من تجلي صفات الجلال والجمال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو
ظل شمس علم الوجود يوم لا ظل الا ظله اللهم اجعلنا منهم

ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا
بصيرا ۝ يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر
منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا ۝ الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى
الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا

بَعِيدًا ۝ وَاذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين
يصدون عنك صدودًا ۝ فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ۝ اولئك الذين
يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولًا
بليغا ۝ وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
توابا رحيما ۝ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا
يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ۝ ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليلٌ
منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا ۝ و
اذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ۝ ومن
يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و
الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ۝ ذلك
الفضلُ من الله وكفى بالله عليما

القراءة ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا بكسر الواو للساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب ابن عامر وعلى احتمال الاستثناء او بمعنى الا فعلا او ابوا الا قليلا الباقون بالرفع على البدل وهو اكثر **الوقوف** الى اهلها لان التقدير يامركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل يعظكم به بصيرا منكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واليوم الاخر تاويلا ان يكفروا به بعيدا صدودا الاية مع فاء التعقيب لتبيع الشناعة يحلفون قد قيل على ان ما بعده ابتداء القسم والاولى تعليق الباء بيحلفون وتوفيقا بليغا باذن الله رحيما تسليما قليل منهم تثبيتا عظيما لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما والصالحين لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى رفيقا من الله عليما **التفسير** لما شرح بعض احوال الكفار عاد الى ذكر التكاليف وايضا لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق وقالوا للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا امر المؤمنين في هذه الاية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات او من باب الدنيا والمعاملات وايضا قد وعد في الاية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها روي ان عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه

مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك فقرا هذه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فجاء جبريل عليه السلام وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وقال خذوها يا بني ابي طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول الاية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فاولها الامانة مع الرب تعالى في كل ما امر به ونهى عنه وقال ابن مسعود الامانة في الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلوة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال هذه امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي والفحش والاكاذيب وكذا القول في ساير الاعضاء ثم الامانة مع ساير الخلق ويدخل فيه رد الودايع وترك التطفيف ونشر عيوب الناس وافشاء اسرارهم ويدخل فيه عدل الامراء على الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقايد الباطلة والاخلاق غير الفاضلة ويشمل امانة الزوجة للزوج في ماله وفي بضعها وامانة الزوج للزوجة في ايفاء حقوقها وحظوظها وامانة السيد للمملوك وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح في الدين والدنيا وان لا يوقعها بسبب اللذات الفانية في التبعات الدايمة وقد عظم الله امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء ما يجب لغيرك عليك امر باستيفاء حقوق الناس بعضهم من بعضهم اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وفي قوله واذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضاء وقد عد العلماء من شروط النيابة العامة الاسلام و البلوغ والعقل والذكورة والحرية والعدالة والكفاية واهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ ومن السنة المتواتر والاحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه وصحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا وخصوصا وعموما الى غير ذلك مما له مدخل في استنباط الاحكام الشرعية من مداركها ومظانها وكفى بما في هذا المنصب من الخطر انه منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدي لذلك ان يتادب بادابهم ويتخلق باخلاقهم والا فالويل له عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيمة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين الاثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجاير وعنه صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برا لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص بالمدح محذوف وما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيئا يعظكم به ذلك المامور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اصناف الوعيد للعاصي ثم انه سبحانه امر الرعاة بطاعة الولاة كما امر الولاة في الاية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله الاية عن علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة والطاعة موافقة الامر ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المامور به كايمان ابي لهب هل يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا يامر الا بما يريد والخلاف بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه اية شريفة مشتملة على اكثر علم اصول الفقه لان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة و اشار اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب يدل على امر الله ثم يعلم منه امر الرسول لا محالة والسنة تدل على امر الرسول ثم يعلم منه امر الله والاجماع والقياس واشير الى الاجماع واولي الامر لانه تعالى امر بطاعتهم على سبيل الجزم وجب ان يكون معصوما لانه لو احتمل اقدامه على الخطاء والخطا منهي عنه لزم اعتبار اجتماع الامر والنهي في الفعل

الواحد وانه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة او بعضها على ما يقوله الشيعة من ان المراد بهم الائمة المعصومون
او على ما زعم بعضهم انهم الخلفاء الراشدون او على ما روى عن سعيد بن جبير وابن عباس انهم امراء السرايا كعبد الله بن حذافة
السهمي او كخالد بن الوليد اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت
الاية او على ما روى عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك انهم العلماء الذين يفتون بالاحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم
لكنه لا سبيل الى الثاني اما ما زعمه الشيعة فلانا نعلم بالضرورة انا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم والاستفادة
منه فلو وجب علينا طاعته على الاطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته اذا صرنا عارفين به وبمذهبه صار
هذا الايجاب مشروطا وظاهر الاية يقتضي الاطلاق على ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة
لزم ان يكون اللفظة الواحدة مطلقة ومشروطة معا وهو باطل وايضا الامام المعصوم عندهم في كل زمان واحد ولفظ اولي الامر
جمع وايضا انه قال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وعلى هذا ينبغي ان يقال فردوه الى الامام واما سائر الاقوال فلا نزاع
في وجوب طاعتهم لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس الا الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما
منفصلا كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للاستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول اما اذا حملناه على اجماع اهل
الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم اذ الاجماع قد يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وايضا قوله فان تنازعتم في شيء
مشعر باجماع تقدم يخالف حكمه حكم هذا التنازع وايضا طاعة الامراء والخلفاء مشروطة بما اذا كانوا على الحق وظاهر الاية
يقتضي الاطلاق واذا ثبت ان حمل الاية على هذه الوجوه غير مناسب تعين ان يكون ذلك المعصوم كل الامة اي اهل الحل والعقد
واصحاب الاعتبار والاراء فالمراد بقوله واولي الامر ما اجمعت الامة عليه وهو المدعى واما القياس فذلك قوله فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول اذ ليس المراد من رده الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والاجماع والا كان تكريرا لما تقدم
ولا تفويض علمه الى الله والرسول والسكوت عنه لان الواقعة ربما كانت لا تحتمل الاهمال وتفتقر الى قطع مادة الشغب و
الخصومة فيها بنفي او اثبات ولا الاحالة على البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الى الله
والرسول فاذن المراد ردها الى الاحكام المنصوصة في الوقايع المشابهة لها وهذا معنى القياس فحاصل الاية الخطاب لجميع
المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول ثم لما سوى اهل الحل والعقد بطاعتهم ثم امر اهل استنباط الاحكام من
مداركها ان وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ما ان يستخرجوا لها وجها من نظائرها واشباهها فما احسن هذا
الترتيب ثم في اطلاق الاية دلالة على ان الكتاب والسنة مقدمان على القياس سواء كان القياس جليا او خفيا وانه
لا يجوز معارضة النص ولا تخصيصه بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب ايضا في قصة معاذ واستحسنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكيف لا والقران مقطوع في متنه والقياس مظنون والقران كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس
نتيجة عقل الانسان الذي هو عرضة الخطاء والنسيان وقد اجمع العلماء على ان ابليس خصص عموم الخطاب في قوله واذ قلنا
للملائكة اسجدوا بقياس هو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن الى يوم الدين والسر فيه ان تخصيص النص بالقياس
تقدم القياس على النص وعينه ما فيه ثم ان كان الامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل على وجوب الطاعة وان كان للندب فمنها
يدل على الوجوب ظاهر الانه ختم الاوامر بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وهو وعيد والظاهر انه قيد في جميع الاوامر
لا في قوله فردوه وحده وايضا مجرد الندبية هو او لو بنى العقل معلوم من تلك الاوامر فلا بد للاية من فائدة خاصة فيحمل على
المنع من الترك ليحصل من المجموع معنى الوجوب ثم هذا الوجوب يكون دائما ان كان الامر للدوام والتكرار وكذا ان لم يكن غيره كذلك
لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملنا على العموم كانت الاية مبينة الا كانت مجملة والمبين اولى
من المجمل وايضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على ان وجوب الطاعة انما هو لكونه الها والالهية دائمة فالوجوب دائم وانما
كرر لفظ اطيعوا للفصل بين اسم الله تعالى وبين المخلوقين ويعلم من اطلاق وجوب طاعة اولي الامر ان الاجماع الحاصل عقب
الخلاف حجة وانه لا يشترط انقراض العصر ومن اطلاق قوله فان تنازعتم في شيء فردوه ان القياس يجوز اجراؤه في الحدود
والكفارات ايضا والمراد بالتنازع قال الزجاج هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولي كان كل واحد منهما ينزع الحق الى
جانبه ذلك الرد والمامور به في الاية خير لكم واحسن تاويلا اي عاقبة من آل الشيء اذا رجع وقيل الرد الى الكتاب والسنة
خير مما تاولون انتم ثم انه سبحانه لما اوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين الذين في قلوبهم مرض لا يطيعون
ولا يرضون بحكمه فقال الم تر الى الذين يزعمون الاية قال الليث قولهم زعم فلان معناه لا يعرف انه صدق او كذب ومنه
المثل زعموا مطية الكذب وقال ابن الاعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الاية الكذب بالاتفاق قال ابو مسلم

ظاهر الاية يدل على ان الزاعم كان منافقا من اهل الكتاب مثل ان يكون يهوديا اظهر الاسلام على سبيل النفاق ولان قوله تعالى يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق اما سبب النزول ففيه وجوه والذي عليه اكثر المفسرين ما رواه
الكلبي عن ابي صالح ان رجلا من المنافقين يسمى بشرا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بيني وبينك
كعب بن الاشرف وذلك ان اليهودي كان محقا وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقضي الا بالحق لجلالة منصبه عن قبول الرشوة وكان كعب
يبطل الحقوق بالرشى فما زال اليهودي بالمنافق حتى ذهبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه
المنافق وقال ننطلق الى عمر بن الخطاب فاقبلا الى عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم
اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب
به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وهرب اليهودي فنزلت الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين
الحق والباطل فقال رسول الله انت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق
بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل
واعطى ديته ستين وسقا من تمر وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا
واختصموا في ذلك فقال بنو النضير لا قصاص علينا انما علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه وقالت الخزرج هذا
حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد ولا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال
المسلمون لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم فقال عظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق
ديتي فاني اخاف ان نفرت النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوساق وابى ان يحكم
بينهم فانزل الله هذه الاية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاهن الى الاسلام فابى وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لابنيه ادركا اباكما فان جاز عقبة كذا لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم وامر النبي صلى الله عليه وسلم
مناديا ينادي الا ان الكاهن قد اسلم وعلى هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له
على يهودي حق فدعا المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم يترجم الاباطيل عن الوثن
فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون القداح بحضرته فما خرج على عملوا به فالطاغوت هو الوثن
ثم ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله وبرسوله
فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تشككا او تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك الاية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم ثم قال
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم
يحصل التعجب فان القائل ان يقول انما ضلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم وادمته منهم بل التعجب من هذا التعجب اولى
وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان احدهما وهو قول الحسن واختاره الواحدي
انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
ثم جاؤك يحلفون انهم في اول الامر يصدون عنك اشد الصدود ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك
الصد الا الاحسان والتوفيق ووجه الاعتراض انه تعالى لما حكى عنهم التحاكم الى الطاغوت وانهم يصدون عن الرسول ابتهج بما يدل
على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والاخرة والثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت
نفرتهم من الحضور عند الرسول في اوقات السلامة هكذا فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك يحلفون
بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك الجناية الا الخير والمصلحة اما المصيبة فقيل هي قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا ديته
وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج وقال الجبائي هي ما امر الله رسوله به من انه
لا يستصحبهم في الغزوات ويخصهم بمزيد الاذلال والطرد ثم جاؤك في وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون ما اردنا بما كان منا من
مواساة الكفار الا الاصلاح للحال وقال ابو مسلم انه تعالى لما اخبر عن المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم اليه والى ان يظهروا الايمان
من عادة العرب عند التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا
احسانا الى الخصوم واستمالة لهم فانهم لا يقدمون عند الرسول يعرفوا الصواب ويبينوا حججهم او ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان
يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به او على هذا الاية ظاهرة
او ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يتوسط ويأمر كل واحد من الخصمين بالاحتمال

الى الآخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهما الموافقة ثم اخبر الله سبحانه بما في ضمايرهم من الدغل والنفاق فقال
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وذلك لان من اراد المبالغة في شئ قال هذا شئ لا يعلمه الا الله يعني لكبر شانه وعظم
حاله لا يقدر احد على معرفة الا هو ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامره بثلثة اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك
العذر ويستمر على السخط او لانه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة
والحذر من اثارة الفتنة الثاني ان يعظهم فيزجرهم من النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه
وجوه احدها ان في الاية تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف الثاني
وقل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا هو ان الله يعلم ما في قلوبهم فلن يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم
عن درن النفاق والشقاق فينزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك واغلظ الثالث قوله وقل لهم في انفسهم خاليا
بهم مسارا لهم بالنصيحة وذلك لان النصح بين الملا تقريع وفي السر انفع والجمع قولا تؤثر فيهم وقيل القول البليغ يتعلق بالوعظ وهو ان
يكون كلاما حسنا غزير المعنى يدخل الاذن بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغبنا مرة اخرى في طاعة
الرسول وامتثال امره قوله وما ارسلنا من رسول اكثر النحاة على ان من صلة تفيد تاكيد النفي والتقدير وما ارسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف
والتقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الاية من اقوى الدلائل على بطلان مذهب المجبرة لكونها صريحة في ان معصية الناس غير
مراد الله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة الله تعالى على ان قوله باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه واعانته
يدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول وقيل في الاية دلالة على انه لا رسول الا ومعه شريعة فانه
لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون عن المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع اقوالهم
وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت ثم جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ترك قضاء
رسوله واستغفر لهم الرسول انتصب شفيعا لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من ايذائه برد قضائه لوجدوا الله لعلموه توابا رحيما
ولم يقل واستغفرت لهم لما في الالتفات عن الخطاب الى ذكر الرسول تنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فالاية
على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبريل فاخبره به فقال صلى الله عليه وسلم ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا فليستغفروا
الله حتى استغفر لهم فلم يقوموا فقال الا يقومون فلم يفعلوا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثنا عشر رجلا
منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدو الامر
اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن
الزبير انها نزلت في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة والشرج
مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك وذلك ان ام الزبير صفية
بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار
الذي يحيط بالمزرعة وهو اصغر من الجدار واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في هذا انه من كان ارضه
اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما اساء
خصمه الادب ولم يعرف حق ما امر به الرسول صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امره باستيفاء حقه وحمل خصمه على
مر الحق وفي قوله فلا وربك قولان احدهما ان لا صلة لتاكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثاني انها مفيدة وعلى
هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي امر سبق والتقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استونف
القسم بقوله وربك لا يؤمنون والثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب وهذا الوجه لا يتمشى فيما اذا كان الجواب
مثبتا ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق
او الشك لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا وسلم لامر الله اي سلم نفسه له وجعلها خالصة
تحكيمه ومن التعليمية من تمسك بالاية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد النبي وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل امر
ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور فاذن الحكم غير كلي
والتقليد في جميع الاحكام غير مرضي واعلم ان الرضى بتحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون رضا في الظاهر دون القلب فلهذا
قال ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق والصدق ثم من عرف
بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فقد يتمرد من قبوله على سبيل العناد او يتوقف في ذلك القبول فعدم الحرج اشارة الى الانقياد

في الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد في الظاهر وفي الاية دليل على عصمة الانبياء عن الخطاء في الفتاوى والاحكام
وعلى انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان في النفس حرج قالت المعتزلة منها لو كانت المعاصي بقضاء الله تعالى
لزم التناقض لان الرضاء بقضائه واجب والرضاء بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضا في تركها
ويلزم الرضا بالفعل والترك معا وهو محال واجيب بان المراد من قضاء الله التكوين والايجاد والرضاء بقضائه ان يعتقد
كون الكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به ويتلقى بالبشر والقبول فاين ذلك من هذا قوله ولو انا كتبنا
عليهم روى ان حاطبا لما احفظ رسول الله فاستوعب الزبير حقه في صريح الحكم حرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال
حاطب قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن اليهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ
قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد
ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان
اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك
ونزلت فالضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد
انا لو كتبنا القتل والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف
كفرهم فاذ لم يفعل بهم ذلك بل كلفناهم بالاشياء السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمي التكليف وعظا لاقترانه بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم
اي انفع وافضل من غيره وخير الدنيا والاخرة لان خيرا يستعمل في الوجهين جميعا واشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم على الايمان و
الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زايل وايضا الانسان يطلب الخير اولا فاذا
حصل يطلب ثباته ودوامه ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا
اجرا عظيما ثوابا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا
عظيما وفي ايراد صيغة التعظيم في آتينا ولدنا وفي قوله من لدنا وفي وصف الاجر بالعظيم وفي تنكير الاجر من المبالغة
ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق او الطريق من عرصة القيمة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد استحقاق الاجر ثم
اكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الاية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سبب
نزولها وجوها الاول قال الكلبي نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات
يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع
غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني
اني اعرف انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذلك حين لا اراك
ابدا فنزلت الاية الثاني قال مقاتل نزلت في رجل من الانصار قال للنبي صلى الله عليه وسلم اذا خرجنا من عندك الى اهلنا اشتقنا اليك فما
ينفعنا شئ حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل الله هذه الاية فلما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الانصاري ولده وهو في حديقة فاخبره بموت النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا
بعده فعمي مكانه وقال السدي ان ناسا من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف
نصنع فنزلت والمعنى ليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الاية كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين
الفاضل والمفضول وانه محال ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان كان بعد المكان لان
الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق فيه ان عالم الانوار لا تمانع
فيها ولا تدافع بل يحكي بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة اخوانا على سرر متقابلين ثم انه
تعالى ذكر اصناف الاربعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا شك في تغايرها متداخلة كانت او متباينة
والمراد التداخل اذ لا يمتنع كون كل منهم موصوفا بما عداه كان يكون النبي صديقا وشهيدا وصالحا والصديق شهيدا وصالحا
وقد مر تفسير النبي في اوايل البقرة واما الصديق فمبالغة الصادق وفي [illegible] على قول الصدق وانه لخصلة مرضية في جميع
الاديان وقد مر تفسيره وتحقيقه وهو من مقدمات الاخشان [illegible] لان الايمان ليس الا التصديق
وكون نقيضه مذمة ان الكفر ليس سوى التكذيب وذكر المفسرون واكثرهم ان الصديقين في الاية كل من [illegible] الذين [illegible]

فيه شك لقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال قوم هم افاضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وخصصه بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة للناس كابي بكر وعلي وامثالهم ثم ولا واسطة بين الصديق
والنبي ولذلك قال في هذه الاية مع النبيين والصديقين وفي صفة ابرهيم انه كان صديقا نبيا يعني انك ان ترقيت من
الصديقين وصلت الى النبوة وان نزلت من النبوة وصلت اليهم واما الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسيف الكفار
من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله
فهو شهيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله ومن مات في الطاعون فهو شهيد
ومن مات في البطن فهو شهيد وفي ذ وايه ومن مات بجمع فهو شهيد وقيل هو الذي يشهد لصحة دين الله تارة بالحجة والبيان
واخرى بالسيف والسنان واقول لا يبعد ايضا ان يدخل كل هذه الامة في الشهداء لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة لا ينبغي ان تنحط عنها
مرتبة المؤمن ثم قال في معرض التعجب وحسن اولئك رفيقا كانه قيل وما احسن اولئك والرفيق كالصديق والخليط في استواء
الواحد والجمع فيه وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم
رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق في اللغة لين الجانب ولطافة الفعل فمعنى الصاحب رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ومنه
الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقا له فبين الله تعالى ان الانبياء والصديقين
والشهداء والصالحين يكون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك مبتداء والفضل صفته ومن الله خبره
او ذلك مبتداء والفضل من الله خبره قالت المعتزلة ذلك اشارة الى الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم للانبياء وهذا يعني
تفضل الله به عليهم تبعا للثواب الواجب على الله او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه
ولولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار والموانع لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب من غيره
ثوبا لينتفع به فاذا باعه واستفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب وقال اهل السنة ذلك اشارة الى جميع
ما تقدم ولا يجب على الله شيء البتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شيء وانه هو الذي خلق القدرة والداعية
وايضا الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند الترك وانه ينافي الالهية وايضا كل ما فرض من الطاعات فانه في مقابلة النعم
السالفة التي لا تعد ولا تحصى فيمتنع كونها موجبة للثواب في المستقبل فمعنى الايتان ذلك الثواب بكمال درجته كانه هو الفضل
وما عداه غير معتد به وذلك الثواب المذكور هو من الله لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب
للمكلف على اكمال الطاعة والاحتراز عن التقصير فيه **التأويل** الوجود المجازي امانة من الله تعالى كما ان وجود الظل امانة من
الشمس والجرم اذا تجلت شمس الربوبية للظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاغيار وانمحت الاثار وبقي الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واذا حكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح والقلب
والنفس ان تحكموا بين اداب الطريقة فيراقب القلب شواهد اللقاء ويلازم الروح عتبة الفناء والسر سلطان وارد البقاء يا ايها الذين
امنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم امنوا على الحقيقة وطاعة القلب لله ان يحب الله وحده وطاعة الروح انه لا يلتفت الى
غيره وطاعة السر ان يرى غيره في الوجود اما الرسول فهو الرسول الوارد من الحق في الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم لوابصة بن معبد
استفت قلبك يا وابصة ولو افتاك المفتون واولي الامر منكم يعني مشايخكم ومن بيده امر تربيتكم فان تنازعتم في شيء يعني
منازعة النفس القلب والروح والسر فردوه الى الكتاب والسنة او يريد منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة نوعا
من قصور الفهم والدراية فردوه الى الله مراقبة القلوب بشواهد الغيوب والى الرسول وارد الحق بصدق النية وصفاء الطوية
ذلك الايمان الايقاني بشهود النور الرباني خير من تعلم الكتاب والسنة بالتقليد دون التحقيق ثم اخبر عن حال اهل القال
المتحاكمين الى طاغوت الهوى والخيال من اهل البدع والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الاية اصابتهم مصيبة اي ملامة من
الخلق او سياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فيه ان الايمان الحقيقي ليس بمجرد التصديق والاقرار ولكنه سيضرب على محك
الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع والنبوة لا البنوة والمولى لا الهوى ووارد الحق لا موارد الخلق فيما اختلفت اراؤهم
وتحيرت عقولهم ثم لا يجدوا في مرآة انفسهم صورة كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والصديقين الذين
لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله المستعان وعليه التكلان ۵

يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا وان
منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ
لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم يكن
بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فليقاتل
في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم
لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من
لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين امنوا يقاتلون في
سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء
الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة
خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا
يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من
سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع
الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون

طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب
ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ●

القراءة ليبطئن ونحوه مثل فليتبين ولنبوئنهم بالياء الخالصة يزيد والشموني وحمزة في الوقف كان لم تكن بالتاء الفوقانية ابن كثير وحفص والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بياء الغيبة يغلب فسوف وبابه ان تعجب فعجب اذهب فمن تبعك مدغما ابو بكر وحمزة غير خلف وعلي وهشام ولا يظلمون بالياء التحتانية ابن كثير وعلي وحمزة وخلف وهشام ويزيد ولن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء الخطاب بيت طائفة مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ليبطئن لابتداء الشرط مع فاء التعقيب شهيدا عظيما بالاخرة عظيما اهلها وليا كذلك لتفصيل بين الدعوات نصيرا في سبيل الله للفصل بين القضيتين بالمتضادين اولياء الشيطان لاحتمال الابتداء وتقدير الفاء واللام ضعيفا الزكوة لان جواب فلما منتظر ولكن التعجب في قوله الم تر واقع على قوله اذا فريق يخشون خشية لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى القتال لان قوله لولا اي هلا استفهام اخر مع اتحاد المقول قريب قليل للفصل بين وصف الدارين فتيلا مشيدة للعدول لفظا ومعنى من عند الله للفصل بين النقيضين من عندك من عند الله حديثا فمن الله فصلا بين النقيضين فمن نفسك رسولا شهيدا اطاع الله لحق العطف مع ابتداء شرط اخر حفيظا لاستيناف الفصل بينهما طاعة لابتداء الشرط مع ان المقصود من بيان نفاقهم لا يتم بعد بقوله يبيتون لاختلاف الجملتين مع الاتصال اي اذ اكتب الله ما يبيتون فاعرض ولا تهتم على الله وكيلا التفسير انه سبحانه عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة الرسول الى ذكر الجهاد لانه اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها مناط تقوية الدين فقال يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز عن المخوف كانه جعل الحذر الته التي تقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه مما يتقي به ويحذر فان قيل فاي فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدور كائن والهم فضل قلت هذا من عالم الاسباب والوسائط المرتبطة ولا ريب ان الكل يقع على نحو ما قدر فمن امتثل وترتب عليه الاثر كان بقدر ومن اهمل حتى فاتته السلامة كان ايضا بقدر وهذا شان جميع التكاليف اذا اعتبر فانفروا الى قتال عدوكم انهضوا لذلك قال صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبي فعوضت الهاء من الياء المحذوفة والتركيب يدل على الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض الذي يجتمع عنده الماء وتثبيت الشيء جمعته او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قال الشاعر شعر طاروا اليه زرافات ووحدانا وفي الغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اي ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو ديدن المنافق عبد الله بن ابي ثبط الناس يوم احد واما لازم فقد جاء بطأ وبطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اي ليتثاقل وليتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمنادى محذوف اي يا قوم ليتني وجوز ابو علي ادخال حرف النداء في الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوبا باضمار ان ليت لي كونا معهم فالفوز والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين امنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا فلعله جعله من المومنين من حيث الجنس والنسب والاختلاط او لان كان حكمهم حكم المومنين وظاهر الايمان والمراد يا ايها المومنون في زعمكم ودعواكم كقوله يا ايها الذين نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض في البين ان المنافقين كانوا يوادون المومنين ويصادقون في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في البواطن وقال جمع من المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفاء المسلمين ومعنى فالتبطية بمعنى الابطاء البتة لان المومن لا يثبط غيره وكذا قد يتثاقل قوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون ومعناه يشترون او يبيعون على الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المومنون الذين تركوا الدنيا لاجل الاخرة والمراد ان ابطأ اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يقوله المومنون وقيل على التقدير

الاول لان الانسان اذا اراد ان يبذل هذه الحيوة الدنيا في سبيل الله تخلف بقية فاشتراها من نفسه لسعادة الاخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله ولعله ابدا اشتغل بالقتال ما ترك ترجيح الفاني على الباقي او المراد انهم كانوا يرجحون الحيوة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء فتفوزون بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وليكون المجاهد على بصيرة من حاله على اي تقدير كان فيقدم ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله والمستضعفين اما مجرور اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اي واخص من سبيل الله الذي هو عام في كل خير خلاص المستضعفين وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون او الاعسار والضعف عن الهجرة فيقولون اظهر اذ لا يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرون فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع الوليد كغزبان في خرب وقيل الرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان العبيد والاماء يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكور تغليبا كالاباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات ايضا وعن ابن عباس كنت انا وامي من النساء والظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فتبع القرية في الاعراب وبقي مذكرا لاسناده الى الاهل والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لا لتانيث الموصوف بل لجواز تانيث الاهل جاز وانما اشترك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يوذونهم انما لابائهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة في اخراجهم الى الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اي كن انت لنا وليا وناصرا ودل علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن اسيد اميرهم وكان الولي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وكان النصير عتاب بن اسيد كما اراد وقال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة ثم شجع المؤمنين تشجيعا بان اخبرهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل غير الله وهو الطاغوت والشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وان كيده اوهن شيء واضعفه والكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال وفائدة ادخال كان انه يعلم انه منذ كان موصوفا بالضعف والذلة الا ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا مدة حيوتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا اسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم فيه قولان الاول انها نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مسعود بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجر الى المدينة وامرهم بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما استشهد الله من المسلمين يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد يحتج للقول الاول بان رغبتهم في القتال او لا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون من الرغبة في الجهاد الى ان امروا بالقتال واحتج اصحاب القول الثاني بانهم كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله تعالى بقولهم لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فلهذا قيل لهم قل متاع الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعني بالخشية والاعتراض محمول على تمني تخفيف التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاقوى حمل الاية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شانهم بلا خلاف وفي الاية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على الجهاد وهو ترتيب مطابق لما في المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على الترهيب والقتل في سبيل الله واذا في اذا فريق للمفاجاة وهو مجرد عن الظرفية والعامل فيه ما في معنى المفاجاة اي فاجاء وقت خشية فريق زمان كتبت القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف عليه من قوله او اشد ثم نصب خشية على التمييز فالتقدير يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بالاضافة انسب خشية الله على المصدر لانك تقول اخشى فلانا اشد خشية بالاضافة فاشد تمييز المصدر ولا يمكن ان تقول اشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان تجعل المصدر خاشية وذات خشية مثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وهذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكلمة او ليست للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال ولكنها بمعنى الواو والمراد ان كلا الخوفين فان احدهما

بالنسبة الى الاخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد فبين في الاية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله بقي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه تعالى شاكا فيه ولكنه يوجب ابقاء الابهام في هذين القسمين على المخاطبين وهذا نظير قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الاية في المؤمنين فهم انما قالوا لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحيوة واستزادة في الكفر واستمهالا الى وقت اخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبية القتال عليهم فهم قالوا ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت باجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لا لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هنالك نيرانا واهوالا ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واما ترجيح الاخرة فلان نعم الدنيا قليلة ونعم الاخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الاخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاكدار ونعم الاخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم الاخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخاشين بانهم يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون واصلها من الظهور ومنه تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت فوقوعه على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوءة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله عنهم بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء فعند هذا قالت اليهود والمنافقون ما راينا اعظم شوما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقوله تعالى وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شوم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقال قوم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فكل ما ينتفع به فهو حسنة فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب والغنيمة وامثالها وان كان منتفعا به في الاخرة فهو الطاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم اجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الذوات والافعال والصفات لا بد من اسنادها الى الواجب بالذات ولهذا تعجب من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة بل هذه الاية حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بتخليق الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى البتة لانه تعالى ما خلقهما و الجواب انه لا يسال عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والداعي وقال المعتزلة ايضا الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الايات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون القران محدثا والجواب بعد تسليم ما ذكروا انه لا نزاع في حدوث العبارات انما النزاع في الكلام النفسي قوله عز من قائل ما اصابك من حسنة فمن الله قال ابو علي الجبائي السيئة تارة يقع على البلية والمحنة وتارة يقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الاية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الاية الى العبد بقوله وما اصابك اي ايها الانسان خطابا عاما من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق وازالة التناقض وما ذاك الا بان يجعل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى المعصية قال وانما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الاية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد عندنا لان الحسنة انما تصل الى العبد بتسهيل الله والطافه فصحت اضافتها اليه واما السيئة فلا يصح اضافتها الى الله لا بانه فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه رغب فيها وقال في الكشاف ما اصابك من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك كما روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقالت الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة باي معنى فرض فانهما من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث اليه لكنه قد يظن بعض الظاهرية ان اضافة السيئة الى الله تعالى تخرج عن قانون الادب فعين في الاية ان كل ما يصيب الانسان من سيئة حتى الكفر الذي هو اقبح القبائح فان ذلك بتخليق الله تعالى والوجه فيه ان يقدر في الكلام استفهاما على سبيل الانكار ليفيد ان شيئا من السيئات ليست مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيته ويؤيده ويوضحه مما يروى انه قرئ فمن نفسك بصريح الاستفهام وتمايدك دلالة ظاهرة على ان المراد من هذه الايات اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك وارسلناك للناس رسولا اي ليس اليك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما تحصيل الهداية فليس اليك بل الى الله قال علماء المعاني قوله رسولا حالا من الكاف اي اي التخصيص على ثبوت الحكم للمقدم ونفيه عما بقي حقيقة او عرفا لا اعتداء مطلقا وبعد تقديم هذه المقدمة فاللام في قوله للناس

اما ان يكون للعهد الخارجي او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجي متعينة من الافراد فيلزم اختصاص الرسالة ببعض الانس لوقوع بعض الناس في مقابلة كلهم عرفا فيكون منافضا لما في الايات الاخر كقوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكقوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الخلق كافة والثاني وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص الرسالة بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بواسطة التقديم ينفي الحكم عما عداه من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ضرورة فيلزم الخلف لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان بحصر حجة كلية وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه الضالة من سالبة جزئية هي انه ليس مبعوثا الى الناس كالعجم مثلا وانه رسول العرب خاصة وعلى هذا يكون الجن مسكوتا عنده بالنسبة الى هذه الاية بل له دليل اخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافية لدلالة هذه الاية لان التقديم قد استوفى حظه من الخاصية من غير التعرض للجن ثم لما بين انه لكل فرد فرد من افراد الناس رسول اوجب طاعته بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله لان طاعة الرسول لكونه رسولا فيما هو فيه رسول لا يكون الا طاعة الله قال مقاتل في هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الرجل الشرك وهو ينهى ان نعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الاية وهو من اقوى الدلائل على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله لانه لو لم يكن طاعته فيما اخطأ طاعة الله ومن تولى قيل هو المتولي بالقلب اي حملك يا محمد على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو المتولي بالظاهر ومعناه فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي فما ارسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي فان من اضله الله لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولي كقوله لا اكراه في الدين ثم نسخ باية الجهاد ثم حكى سيرة المنافقين بقوله ويقولون اي حين ما امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشاننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز بمعنى اطعناك طاعة ولكن الرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فلهذا لم يقرا فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي دبرت خلاف ما امرت به وما ضمنت من الطاعة قال الزجاج كل امر يفكر فيه كثيرا وتاملوا في مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفي اشتقاقه وجهان احدهما ان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس في بيته في الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلا جرم سمي الفكر المستقصى تبييتا والثاني قال الاخفش ان اهل العرب قرضوا الشعر بالقول في التفكر فيه فسمي الفكر البليغ تبييتا فاشتقاقه من ابيات ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا فلا جرم لم يذكروا قلت وجدنا لك وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب بالقلوب وادخل في عدم الانكار والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويحاسبهم عليه او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم و توكل على الله في شانهم فان الله ينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعزة انصاره قال بعضهم الاعراض منسوخ باية الجهاد والاكثرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة الى التزام النسخ والله تعالى اعلم التاويل خذوا حذركم فانفروا ثبات جاهدوا بالثبات والرياضات من عالم التفرقة وهو عالم الحيوانية او انفروا جميعا من عالم البهيمية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وان منكم لمن ليبطئن من المتعينين المتكاسلين في السير [illegible] مصيبة ومشقة و مجاهدة ولئن اصابكم فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية [illegible]

[illegible]

اولوا النبوة عليهم ويضعون باذانهم الواعية الى الحكم والمواعظ الوافية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك وغابوا عنك رجع اليهم رياح الهوى
عاد الطبع المشئوم الى اصله وهكذا حال الاكثر من مريدى هذا الزمان الى مشايخهم والله يكتب اى يغير عليهم ما يبيتون لان الله لا يغير ما
بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم وتوكل على الله فلعل الله يصلح بالهم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ۝ واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه
الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل
الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ۝ فقاتل فى سبيل الله
لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين
كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا ۝ من يشفع شفاعة حسنة
يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان
الله على كل شىء مقيتا ۝ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
ان الله كان على كل شىء حسيبا ۝ الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم
القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا ۝ فما لكم فى المنافقين
فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ۝ ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله
فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا ۝ الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او
جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو
شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم

والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ۝ ستجدون اخرين
يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا
فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا

القراءة ومن اصدق وكل صاد ساكنة بعدها دال باشمام الزاى على وحمزة وخلف ورويس وحمزة غير العجلى حصرت صدورهم وبابه مدغما
ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وقرا سهل ويعقوب والمفضل حصرة صدورهم بالنصب والتنوين **الوقوف**
القران لتناهى الاستفهام الى الشرط كثيرا اذاعوا به منهم قليلا فى سبيل الله لان قوله لا تكلف يحتمل الاستيناف والحال اى
قاتل غير مكلف الا نفسك ولعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المؤمنين لان عسى مستانف لفظا ومتصل معنى كفروا تنكيلا نصيب منها
لابتداء شرط اخر مع واو العطف كفل منها مقيتا نصف الحزق ردوها حسيبا الا هو لا ريب فيه حديثا بما كسبوا من اضل الله
لتناهى الاستفهام الى الشرط سبيلا فى سبيل الله وجدتموهم نصيرا او يقاتلوا قومهم فليقاتلوكم السلم لان ما بعده جواب فان
سبيلا قومهم اركسوا فيها ثقفتموهم مبينا **التفسير** لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه صلى الله عليه
وسلم غير محق فى اداء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر فى عواقب الامور وادبارها ومنه قول اكثم لا تدبروا اعجاز امور قد ولت
صدورها ويقال فى فصيح الكلام لو استقبلت من امرى ما استدبرت اى لو عرفت ما فى صدره ما عرفت من عاقبة امرى وظاهر الاية
يدل على انه احتج بالقران على صحة نبوة محمد والا انقطع النظم ودلالة القران على صدق النبى من ثلثة اوجه الفصاحة والاشتمال على الغيوب
والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الاية واختلف المفسرون فى المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان
المنافقين كانوا يتواطؤن فى السر على انواع كثيرة من المكايد والرسول كان يخبرهم منها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار
الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر انواع الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد معادن معانيه وتلازم مقاصده مع انه مشتمل
على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل عن تناقض واضطراب والذى يظن به التناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس
ولا جان مع قوله لنسئلنهم اجمعين او كقوله فاذا هى ثعبان مبين مع قوله كانها جان ليس بمعتد به عند التدبر وملاحظة شروط
التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد صحة بطنه وكونه كله بل كل جزء من اجزائه وابعاضه بالغا حد
الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعانى الكثيرة
فلا بد ان يظهر التفاوت فى كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القران كذلك علم انه معجز من عند الله
تعالى وفى الاية دلالة على وجوب النظر والاستدلال اعنى التدبر فيما اليه سبيل وقال الجبائى فيها دلالة على ان افعال
العباد غير مخلوقة لله تعالى لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلامه غير متفاوت
ولا مختلف ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن اختلافه هو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد
الانسانية فقد يكون بحسب نظرنا لا بحسب الامر نفسه ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم خبر امر
من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوه وافشوه يقال اذاع السر واذاع به لغتان ويجوز ان يكون
معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما فى ذلك الافعال من الضرر من جهة ان الارجاف لا ينفك عن الكذب الكثير
ومن جهة ان تلك الزيادات ان كانت فى جانب الامن ولم يقع اورث شبهة لضعفة المسلمين فى صدق الرسول لان المنافقين كانوا
يروونها عن الرسول وان كانت فى جانب الخوف حصل اضطراب فى الضعفة ووقعوا فى الحيرة وايضا البحث عن الارجاف موجب لظهور
الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال اذ بحثوا وضعوا فى معنى الاية اقوال الاول ولو
ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه تدبير ما اخبروا به
الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج
من البئر اول ما يحفر فاستعير لاستخراج المعانى والتدبير الثانى كانوا يقفون من رسول الله واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على
بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فتعود اذاعتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولى الامر وكانوا كان لم يسمعوا

لعلمه الذين يستنبطونه تدبره وكيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا
من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى يسمعوه من الرسول واولي الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع
او لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر ويستخرجون علمه من جهتهم قالت
العلماء في الآية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقايع الى اولي الامر من المستنبطين ورواية النص
لا يكون استنباطا فهو اذن رد واقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولوا الآراء بل
هم المذيعون كما في القول الثالث سلمنا لكن الآية نزلت في الحروب ولا يلزم من جواز الاستنباط في الوقايع المتعلقة بها
جواز الاستنباط في الوقايع الشرعية فان تعميم احد البابين على الآخر كان اثباتا للقياس الشرعي سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون
المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون
ان الاكثرون ان للمنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس الشرعي
داخل في الآية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في مثله انما النزاع في ان القياس المفيد
للظن هل هو حجة ام لا واجيب بان صرف المستنبطين الى المذيعين ليس بالقوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان
يقال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن والخوف عام في كل ما
يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب فاذا عرفت احكام الحروب بالقياس الشرعي لزم جواز التمسك به في ساير
الوقايع اذ لا قائل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث ان شيئا من
ذلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن بالقياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على
الظن ان ذلك في الاصل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك الحكم قائم بعينه في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه
في الاصل عنده هذا الظن يقع بانه مكلف بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا معنى قولنا الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به
كما انه تعالى قال مهما غلب على ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا
فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته لكن الاحتياج بالنسبة الى
كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض وفي الجواب وجوه الاول ان الاستثناء راجع الى قوله اذاعوا به كانه اخرج
بعض المنافقين عن هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه عائد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا القليل قال
الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروه نقيض ذلك
قال الزجاج هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك
فالاكثرون يعرفونه الا البالغ في البلادة والانصاف ان الاستنباط لو حمل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف وكلام
الزجاج صحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كما مر فالحق ما ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف
الى اذاعوا به والحق لان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص وفيه وجهان الاول قول جماعة من المفسرين ان المراد انزال القرآن وبعثة
محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثه
محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قيس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نوفل كانوا مؤمنين بالله بل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
والثاني قول ابي مسلم ان المراد بالفضل والرحمة ههنا نصرته تعالى ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما والتقدير
لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لتركتم الدين الا القليل منكم وهم اهل البصاير والعزائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون
انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلا تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا ولا انقطاع النصر والغلبة يدل
على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل وهذا احسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن يقاتل في سبيل
الله فيقتل كانه تعالى قال ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه منفصل بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين والمعنى ان من اخلاق المنافقين كذا وكذا
فلا تعتد بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل فانك لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا اديت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين
القتال ان الواجب على الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث والاحماء عليه فاذا اتى بالامرين
فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شيء واعلم ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فما لم يغلب على
الظن انه لا يفيد لم يجب بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل
قوله ههنا عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا وعسى من الله جزم لان الرجاء عليه محال فهو اطماع واطماع الكريم ايجاد فلزم الجهاد وان كان
وحده فلا جرم انه صلى الله عليه وسلم قال في بدر الصغرى لاخرجن وحدي وتبعه سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى

كف بأس المشركين والقى الرعب في قلوب ابي سفين واصحابه حتى ندموا وتركوا الحرب في تلك السنة وفي الآية دليل على انه صلى الله عليه وسلم
كان اشجع الخلق لانه تعالى يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقد اقتدى به ابو بكر رضي الله عنه حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة و
من عرف ان الامر كله بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضاء الله سهل عليه الفوت وكان بمعزل عن تقية الموت والله اشد باسا من قريش
واشد تنكيلا تعذيبا لان عذاب الله دائم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يتخلص الله منه وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه
منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذا طرف من الفرق والله
اعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عقابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه نظمه يعرف من تفسيره وذلك انه قيل المراد منه تحريض
النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفيعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد وايضا
التحريض وهو الحث على سبيل الرفق والتلطف لا التهديد جار مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في ان يأذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث ان يحصل له عدة الجهاد فنزلت ونقل الواحدي عن ابن عباس ان
الشفاعة الحسنة ههنا هي ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال
مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة الله للمسلم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال
له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة
والحسنة منها هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر وجلب اليه خير وابتغي بها وجه الله لم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر
جائز لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة خلاف ذلك وعلى هذا الوجه النظم ان التحريض على الجهاد بعث
على الفعل الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول وعن مسروق انه شفع شفاعة واهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها
وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل ايضا النصيب فهل لاختلاف اللفظين
فائدة فاجيب بان الكفل اسم النصيب الذي عليه يكون اعتماد الانسان ومنه يقال كفل البعير واكتفله سنامه كساء وركب والكفيل
الضامن لان الغريم اعتمد عليه والتعلق من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعتمد اليه ويكون له ذخيرة في معاشه ومعاده
والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا وحفيظا واشتقاقه من القوت لانه
يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على المقدورات حفيظ جميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق حاله ثم لما امر المؤمنين بالجهاد
امرهم ايضا بان العداة لو رضوا بالمسالمة او نطقوا في المبادرة بالسلام قابلوهم بالاكرام والسلام وايضا السلام دعاء بالسلامة
والدعاء نوع من الشفاعة والتحية للعلومة ويجيء مصدر الناقص من باب التفعيل على تفعلة مثل تسلية او تعزية لكنه ادغم ههنا لاجتماع
المثلين وكانت العرب تقول عند الملاقاة حياك الله دعاء له بالحيوة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان الحيوان
لم تكن مقرونة بالسلامة لا يعتد بها بل الشيء لعل الموت خير منها ولان السلام اسم من اسماء الله تعالى فالابتداء به اولى لان دفع
الضرر احب من جلب النفع وقد سلم على المؤمن في اثني عشر موضعا في الازل ولهذا سمى نفسه بالسلام وعلى لسان نوح قيل يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن
ربهم من كل امر سلام قال المفسرون انه صلى الله عليه وسلم خاف على امته ان يصيروا مثل امة موسى وعيسى فقال الله لا تهتم لذلك فاني زاد
صنيعك من الدنيا الا اني جعلت جبريل خليفة لك ينزل الى امتك كل ليلة قدر ويبلغ السلام مني وسلم عليك على لسان محمد قل الحمد لله
وسلام على عباده الذين اصطفى وامر محمدا بالسلام عليك واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليك وامر المؤمنين بالسلام
عليك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك على لسان ملك الموت الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قيل ان ملك
الموت يسلم في اذن المسلم السلام يقرئك السلام ويقول اجبني فاني مشتاق اليك واشتاقت الجنات والحور العين اليك فاذا سمع المؤمن
البشارة يقول لملك الموت لا بد من هدية ولا هدية اعز من روحي فاقبض روحي هدية لك وسلم عليك من الارواح الطاهرات واما ان
كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وسلم
عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان اهل الجنة تحيتهم يوم
يلقونه سلام وسلم عليك الى الابد سلام قولا من رب رحيم ولما اراد اكرام يحيى عليه السلام وعده بالسلام في مواطن ثلاث هي اشد
الاوقات حاجة الى السلامة فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ولما ذكر تعظيم محمد قال ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال لما سمعت بقدوم رسول الله دخلت في غمار الناس فاول ما سمعت
عنه يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة وكانت تحية النصارى وضع اليد
على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحيتهم للملوك انعم صباحا فشتان ما بين تحيتنا

وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته وفي هذا دليل على ان هذا الدين اشرف الاديان واكملها وبما يدل على فضيلة السلام عقلا
ان الوعد بالنفع قد يقدر الانسان على الوفاء به وقد لا يقدر واما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل عليه فهو افضل
انواع التحية قال بعض العلماء من دخل بيتا وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله تعالى واذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقال صلى الله
عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب ولان السلام بشارة بالسلامة وازالة الفزع وهو اخبار بقوله المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده ولانه من شعاير الاسلام واظهار شعار الاسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي واكثر العلماء ان السلام سنة واما
الجواب فواجب بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وظاهر
الامر للوجوب وعن ابن عباس من مر على قوم مسلمين فسلم عليهم ولم يردوا عليه نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة
قالت العلماء الاحسن ان يزيد في جواب السلام الرحمة واذا ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في الجواب البركة وان ذكر
المجموع اعادها فقط فان منتهى الامر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لان هذا القدر هو الوارد في التشهد وروي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله فقال الاخر السلام عليك ورحمة الله
فقال له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث قال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين قول الله فحيوا باحسن منها فقال عليك مثله فقوله او ردوها اي اجيبوا بمثلها ورد السلام كرد التحية وجمعهما اشارة الى
الصورتين تركهما ورد الجواب فرض على الكفاية اذا قام البعض سقط عن الباقين والاولى ان يقوم الكل اظهارا للاكرام والاحسن ان يدخل
حرف العطف فقال وعليك السلام وهو واجب على الفور بعدما يسمعه كالايجاب والقبول في العقود فان اخر ثم ذلك كان آثما
بالاجواب واذا ورد عليه سلام في كتاب فجوابه بالكتبة ايضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال اقرأ فلانا السلام وجب
عليه ان يفعل قال العلماء المبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله قال
المكي الاختتام بحاله ويجوز سلام عليكم بل قالوا انه اولى من المعرف لان المنكر في القران كثير ولان المنكرات وردت من الله على الملائكة
والمؤمنين والمعرفات وردت تسليم الانسان على نفسه قال موسى والسلام على من اتبع الهدى وقال عيسى والسلام علي يوم ولدت واليوم
المعرف يدل على اصل الماهية والمنكر على الماهية مع وصف الكمال ومن السنة ان يسلم الراكب لزيادة هيبته على الماشي وراكب
الماشي الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر احتراما للجماعة والقايم لان الواصل له القاعد ولان القايم امارة
ومن السنة الجهر بالسلام لانه اقوى في ادخال السرور في القلب ومنها اظهار الابتداء بالتواضع ومنها الافشاء والتعميم لا التخصيص
المجالس والمصافحة عند السلام عادة النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تحات ورق الشجر
والد فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم عليهم ردوا السلام عليه ومن سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم
ويكون كانه سلم من الله على نفسه او سلم على من فيه من مومني الجن او من الملائكة
ولو قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة ان يكون المبتدي بالسلام على الطهارة وكذا المجيب
سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب واذا دخل الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي ان يسلم
لاشتغال الناس بالاستماع فان سلم ورد بعضهم فلا باس ولو اقتصر على الاشارة كان احسن ومن دخل الحمام وراى الناس متزرين يسلم
عليهم فان لم يكونوا متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلام على القارئ لان يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب وكذا لو كان
مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة العلم او بالاذان او الاقامة ولا يسلم على المشغول بالاكل
اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي الحاجة قال ابو يوسف ولا على لاعب النرد
ولا منع من السلام على من هو في مساومة او معاملة واذا دخل الرجل بيته سلم على اهله
سلم الاجنبية عليه وكان يخاف في رد الجواب عليها تهمة او فتنة
عليهم الرد لانه اتى بفعل نهي عنه وكان وجوده كعدمه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبدأوا اليهود بالسلام
انه قال لا ابتداء بسلام لا في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف
ولا باس بالدعاء بما يصلحه في دنياه ورخص بعض العلماء في ابتدائهم
اكثر العلماء وينبغي ان يقول وعليك لما روي ان اليهود تقول للمسلمين السام عليكم
يقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له
رحمة الله يعيش واعلم ان مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع
فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي

انواع الاكرام فيشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد اذا لم يصر مقابلا بالاحسن لا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر محمول على الندب
بدليل انه لو اثيب بما هو اقل منه سقطت مكنة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الاية يقتضي ان يثاب بالاحسن ثم احتج الشافعي على
قوله بما روى عن ابن عباس وابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل للرجل ان يعطي عطية ويهب هبة فيرجع فيها الا الوالد
فيما يعطي ولده ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على محافظة حقوق التحية وغيرها فكونوا على حذر من مخالفته ثم اكد
الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم والاول توحيد والثاني عدل كانه تعالى يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا سلامه
واكرموه وعاملوا معه بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم
القيمة الذي يجمع فيها الاولون والاخرون للجزاء والحساب وقوله الله لا اله الا هو اما خبر للمبتداء واما اعتراض والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيمة اي ليضمنكم اليه ويجمعن بينكم وبينه نار يبعثكم فيه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم
للحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من
صفات الكمال للواجب اولى واحق واقدم واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب على الشهادة بانه ما نطق وربما كان الكذب حلى على
حكمه من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم قبيح يجب تنزيهه عنها واعلم ان المسايل الاصولية قسمان منها اما العلم بصحة النبوة
يحتاج الى العلم بصحته كعلمنا بافتقار العالم الى صانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقرآن
والخبر والا وقع الدور ومنها غير ذلك كاثبات الحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقران والحديث فاعلم ثم عاد الى حكاية احوال المنافقين
فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل معنوي مثل ما لك قايما اي ما تصنع وقيل نصب على انه خبر كان اي
ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار لا تختلفوا في كفرهم ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلايل ذلك
وانكشفت جلية الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاسلموا واصابوا وباء بالمدينة
وحماها فقالوا يا رسول الله نريد ان نخرج الى الصحراء فاذن لنا فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فتكلم المومنون فيهم فقال بعضهم نافقوا وقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم وقال مجاهد وقتادة هم قوم هاجروا
من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا بايعناك على دينك فاخرجنا الا احتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت هم الذين
تخلفوا يوم احد فقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بان نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يابا
اذ الهجرة تكون من مكة لا من المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا
على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد نزلت في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقين وان ظهروا الكفر
باعتبار حالهم التي كانوا عليها والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة خسيسة وهي
حالة النجاسة ويسمى رجيعا ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا
من الارتداد بعدما كانوا على النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى
ارادته ومشيته وهذا ظاهر في المقصود والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وفعلهم ينفي القول بان ضلالهم
حصل بخلق الله فاذن المراد من اضلال الله حكمه بضلالهم كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك او المراد
اضلالهم عن طريق الجنة او هو مفسر بمنع الالطاف ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر الى ان تمنوا ان تصيروا كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم
وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم
لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المستقيمة
وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاعراض الفانية ومثله قوله صلى الله عليه وسلم انا بريء من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين وانا بريء
من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد
ذلك لكن جهاد ونية وعن الحسن ان حكم الاية ثابت في كل من اقام في دار الحرب فراى فرض الهجرة الى دار الاسلام قايما قال المحققون
الهجرة في سبيل الله يشمل الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال من اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اقدم واتم لقوله
صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم ساير المشركين فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم في الحل او في الحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى شيا من مهماتكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم بل جانبوهم
مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هولاء الكفار استثنى عنه موضعين الاول الا الذين يصلون اي ينتهون ويتصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال وقد يدخل في الاية ان يقصد قوم حضرة
النبي صلى الله عليه وسلم فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلتجوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه والقوم هم الاسلميون

وذلك انه صلى الله عليه وسلم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على انه لا يعينه ولا يعين عليه وعلى من وصل الى هلال
ولجاء اليه فله من الجوار مثل الذى من هلال وقال ابن عباس وهم مشركون بنو بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح وقال مقاتل هم خزاعة
وخزيمة وبهما نكتة وهى انه تعالى رفع السيف عن الملتجاء الى الكفار المصالحين فليكن رفع النار عن الملتجاء الى محبة الله ومحبة رسوله
كان اولى وعن ابى عبيدة المراد بالوصلة الانتساب يقال وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت عليه واعترض عليه بان اهل
مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول صلى الله عليه وسلم من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثانى
قوله او جاؤكم فى العطف وجهان الاول ان يكون معطوفا على صفة والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم معاهدين
او الى قوم جاؤكم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم الثانى العطف على صلة الذين كانه قيل الذين يتصلون بالمعاهدين هذا انسب
لقوله فى صفتهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم الى اخر الاية انه قد بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفى التعرض لهم بالاستحقاق
لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت والحصر الضيق والانقباض وهو فى موضع الحال باضمار قد بدليل انه قراءة
من قراء حصرت وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على الحال اى جاؤكم قوما حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم
ثم هؤلاء الجائون من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هو من الكفار بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين وعلى هذا
يلزم النسخ لان الكافر وان ترك القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له عذر وهما طايفتان
الذين قصدوا الرسول صلى الله عليه وسلم للهجرة والنصرة الا انهم فى طريقهم كفار غالبون فصاروا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد
فاقاموا عندهم الى ان يمكنهم الخلاص والذين صاروا الى الرسول ولا يقاتلون الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا
لانهم اقارب اولاده واولاده بينهم يخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد
منهم الهجرة ومقاتلة وعلى هذا فمعنى ولو شاء الله لسلطهم عليكم اى لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم على
سبيل الظلم وعلى الاول فمعناه ان ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قذف الله الرعب فى قلوبهم ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم فلقاتلوكم
وهو جواب لو على التكرير او البدل قال الكعبى انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل وهذا ينبئ عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا بد ان يفعل
الظلم وارادوا النزاع فيه فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اى الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين
فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اى ردوا مقلوبين
منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع فى حفرة منكوسا تعذر خروجه فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اى ولم يلقوا ولم يكفوا ايديهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل على انهم اذا اعتزلوا
قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبنى على ان المعلق بكلمة ان على الشرط يعدم عند
عدم الشرط اما قوله سلطانا مبينا معناه حجة واضحة لانكشاف حالهم فى الكفر والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى قتلهم والله اعلم

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة
مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم
عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد
فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا

عظيما

عظيما يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك
كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا
لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى
سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على
القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما
ان الذين توفيهم الملئكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها فاولئك مأويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر
فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا

القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك فى الحجرات حمزة وعلى وخلف الباقون فتبينوا من
التبيين السلم مقصورا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف غير بالنصب ابو جعفر ونافع وابن
عامر وعلى وخلف والمفضل وسهل الباقون غير بالرفع الذين توفيهم مشددة التاء البزى وابن فليح الوقوف الا خطأ تصدقوا لابتداء
حكم اخر مؤمنة كذلك مؤمنة متتابعين لاحتمال كون توبة مصدر الفعل محذوف والاوجه كونه مفعولا له من الله حكيما عليما
مؤمنا لان ما بعده يصلح حالا واستقبالا الدنيا لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة فتبينوا مصيرا وانفسهم الاول درجة
الحسنى عظيما لان ما بعده بدل رحمة رحيما فيم كنتم فى الارض فتهاجروا فيها لتناهى الاستفهام بجوابه جهنم مصيرا لا للاستثناء

سبيلا عنهم غفورا وسعة على الله رحيما من الصلوة والاصح انه شرط تغليب في حال المسافر كفروا مبينا التفسير
لما لم يكن بد في مجاهدة الكفار من انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى
حكم هذه الواقعة واما الهاء في هذه الايات اما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان قاتل مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد واخطاء المسلمين وظنوا ان اليمان واحد من الكفار فضربوه باسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يسمع
قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك زاد وقع حذيفة
عنده ونزلت الاية وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه
بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه فذكر الواقعة للرسول صلى الله عليه وسلم فقال هلا شققت
عن قلبه وندم ابو الدرداء والذي عليه اكثر المفسرين ماذكره الكلبي ان عياش بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج
هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم اتى اطما من اطامها فتحصن فيه فجزعت امه جزعا شديدا
واقسمت لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ثابت ابي انيسة وكان ابو جهل اخا
عياش لامه فاتياه وهو في الاطم فقالا له انزل فان امك لم يؤوها سقف بيت بعد وحلفت لا تاكل طعاما ولا شرابا حتى ترجع اليها
فلم يزل يفتل منه ابو جهل في الذروة والغارب ويقول اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب
معهما فلما اخرجاه من المدينة اوثقاه بتسعة وجلده كل واحد منهما جلدة مائة ثم قدماه على امه فقالت والله ما احلك من وثاقك
حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس واعطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه الحرث بن زيد وقال يا عياش والله لئن كان الذي
كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة فقد دخلت الان فيه فغضب عياش من مقالته وقال هذا الحي يعني ابا جهل فمن
انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا لاقتلنك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة واسلم
الحارث بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قبا اذ لقي الحارث بن زيد فلما راه حمل عليه فقتله
فقال الناس اي شي صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر
باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي ما صح له وما استقام او ما كان له فيما اتاه من ربه وعهد اليه او ما كان له في شي من الازمنة
ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من اول زمان التكليف الا خطأ الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مفعولا له ولا
في الحال الخطا والا قتلا خطأ قال ابو هاشم وهو احد رؤساء المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فيبقى مؤمنا الا ان
يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير فعليه اعتاق رقبة اي نسمة مؤمنة الحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار
كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرائمها وحر الوجه اكرم موضع منه وعبر عن النسمة بالرقبة كما عبر عنها بالراس في قولهم
فلان يملك كذا راسا من الرقيق ودية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية وهي مخصوصة ببدل النفس دون
ساير المتلفات وقد يستعمل في بدل الاطراف والاعضاء والمراد باهله اهل الورثة الا ان يصدقوا ادغمت التاء في الصاد والتصدق
الاعطاء والمراد ههنا العفو ومحله النصب على الظرف او الحال او العامل مسلمة او عليه كانه قيل يجب عليه الدية او يسلمها الا زمان
التصدق والا متصدقين وههنا مسائل الاولى القتل على ثلثة اقسام عمد وخطأ وشبه عمد اما العمد فهو ان يقصد قتله بالسبب
الذي يعلم افضاؤه الى الموت سواء كان جارحا او لم يكن واما الخطأ فضربان احدهما ان يقصد رمي مشرك او طائر فاصاب مسلما
والثاني ان يظنه مشركا بان كان عليه شعار الكفار فالاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد واما شبه العمد فهو ان يضربه مثلا
بعصا خفيفة لا يقتل غالبا فيموت منه فهذا خطأ في القتل وان كان عمدا في الضرب الثانية قال ابو حنيفة القتل بالمثقل
ليس بعمد محض بل هو خطأ او شبه عمد فيكون داخلا تحت الاية فيجب فيه الدية والكفارة ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي انه
عمد محض يجب فيه القصاص حجة الشافعي انه قتل عدوان اما انه قتل فلقوله تعالى لموسى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يعني القبطي
اذ وكزه موسى فقضى عليه واما انه عمد عدوان فظاهر فلان من ضرب راس انسان بحجر الرحى او صلبه او غرقه او خنقه ثم قال ما قصدت
قتله عدا لا يعبا به واذا ثبت انه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى وان المقصود
من شروع القصاص صون الارواح عن الاهدار والاهدار في المثقلة كهو في المحدد والعلم الضروري حاصل في التفاوت في
آلة الاهدار غير معتبر حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم الا ان قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا فيه مائة من الابل وهذا
عام سواء كان السوط او العصا صغيرا او كبيرا واجيب بان العصا والسوط يجب حملهما على الخفيف فان من ضرب راس انسان بقطعة
جبل ثم قال ما كنت قصدت قتله لم يعبا بقوله الثالثة قال ابو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لانه شرط في الاية ان يكون
القتل خطأ وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجب لما روي عن واثلة بن الاسقع قال اتينا رسول الله صلى

عليه وسلم في صاحب لنا اوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار وايضا نص الله تعالى
على الكفارة في قتل الصيد عمدا في الحرم وفي الحرام على الخاطي بالاتفاق فههنا نص على الخاطي فان يوجب على العامد كان اولى
لانه اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء عمدا لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق ممنوع من
تصرف الاحرار كما ان الميت ممنوع من تصرف الاحرار وغيره مطلقا ولتحقق هذا المعنى وجب ان يكون الرقبة كاملة الرق ممنوع
وان تكون سليمة عن عيب مخل بالعمل كهرم وعمى وجنون الرابعة قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا تجزي الرقبة الا اذا صام
وصلى لانه تعالى اوجب تحرير الرقبة المؤمنة والايمان اما التخصيص التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات فالكل فائت
عن الصبي وقال الشافعي ومالك وابو حنيفة والاوزاعي يجزي الصبي اذا كان احد ابويه مسلما لان حكمه حكم المؤمن الخامسة انه
تعالى اوجب الدية في القران ولم يبين كيفيتها وانما عرفت من السنة عن عمرو بن حزم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن
ان في النفس مائة من الابل وهذه الدية اذا كان القتل خطأ اخماسا عشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن
لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في دية الخطاء
بمائة من الابل وفصلها كما ذكرنا وابدل ابو حنيفة واحمد ابنا اللبون بابناء المخاض لان هذا الاقل متفق عليه والزائد منفي بالبراءة
الاصلية وقال غيرهما ابناء المخاض غير معتبرة في باب الزكوة فيجب ان لا يعتبر في الدية التي سببها اقوى من السبب الموجب
للزكوة واتفقوا على ان الدية العمد المحض مغلظة من ذلك التثليث في الابل وهو ان يكون ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون
خلفة في بطونها اولادها ومنها الحلول على قياس بدل ساير المتلفات خلاف دية الخطاء فانها مؤجلة الثلث في السنة
الاولى والثلث الاخر في السنة الثانية والباقي في السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين ولم ينكره احد
فكان اجماعا ومنها ثبوتها في ذمة الجاني لا يتحملها العاقلة خلاف دية الخطاء فانها تكون على العاقلة لما روي ان امراتين من هذيل اقتتلتا
فرمت احديهما الاخرى بحجر ويروى بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة القاتلة وهذه
صورة شبه العمد فالتحمل في الخطأ اولى وجهات التحمل ثلث القرابة والولاء وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم
على حاشية النسب وهم الاخوة وبنوهم وقال ابو حنيفة ومالك يتحمل الاباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب في العصبات
فيقدم الاقرب فالاقرب فان كان فيهم وفاء اذا وزع عليهم لكثرتهم او لقلة المال والا شاركهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و
قال ابو بكر الاصم وجمهور الخوارج الدية في الخطاء ايضا تجب على القاتل كما ان تحرير الرقبة ايضا عليه ويؤيده عطف الدية في
الاية على التحرير وايضا الجناية صدرت عنه فلا يعقل تضمين غيره كما في ساير الاتلافات وتخصيص عموم القران بخبر الواحد غير
جائز والجواب باجماع الصحابة على ذلك السادسة مذهب اكثر الفقهاء ان دية المراة نصف دية الرجل باجماع المعتبرين من الصحابة
ولان المراة في الميراث وفي الشهادة نصف الرجل وكذلك في الدية وقال الاصم وابن علية ديتها مثل دية الرجل لعموم قوله ومن قتل
مؤمنا السابعة الواجب عند الشافعي في الجديد الرجوع الى قيمة الابل اذا بلغت وانما يقوم بغالب نقد البلد
لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الابل على اهل القرى فاذا غلت رفع قيمتها واذا هانت نقص من قيمتها وقال ابو حنيفة الواجب
حينئذ الف دينار او عشرة الاف درهم وعند مالك الف دينار او اثنا عشر الف درهم الثامنة لا فرق بين هذه الدية وبين ساير الاموال في انه يقضى
منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة على فرائض الله لما روي ان امراة جاءت تطلب نصيبها من دية الزوج
فقال عمر لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بان يورث
الزوجة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين
وحدها وهذا خلاف الجماعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية ان من قتل مؤمنا خطأ فعليه تحرير رقبة وتسليم الدية ثم قال
فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وسكت عن الدية فالسكوت عن ايجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها
فيما قبلها وفيما بعدها وهو قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب
الدية ههنا والمعنى بقوله من قوم عدو لكم ان كان المقتول من قوم كان دارهم دار الحرب او انه ذو نسب منهم وانه في دار الاسلام والثاني
باطل بالاجماع لانه لا يزاحم المسلم وروث الدية البتة فتعين الاول وانما سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار
الحرب يحوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من الحربيين ان كان مسلما وهو من المسلمين لزم ان يوجب المشقة والتقريع عن الجهاد
على انه هو الذي اهدر دمه بسبب اختياره السكنى بينهم واما الكفارة فانها حق الله تعالى لانه لما هلك انسان مؤمن لطاعته فلزم
اقامة اخر مقامه بكونه في المواظبة عليها اما قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ففيه قولان لان احدهما ان المراد منه هو ان
عن اسرتهم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن المعاهد وبيني الكفارة والتعذير لان كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق وعلى

ومذهبهم الثاني ان المراد منه المسلم انه عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير عائد الى ما تقدم وهو المؤمن فكذا
هاهنا واعترض عليه بلزوم عطف الشيء على نفسه لان المؤمن المقتول خطأ الا انه افرد المؤمن الساكن في دار الحرب لان من حكمه سقوط
الدية وههنا لا غرض في الافراد تكرارا محضا وايضا اذا كان المراد ذلك لما كان الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار يرثونه وكان
كونهم منهم مبهما مجملا لانه لا يدرى انه منهم من اي امر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه وهو
الميثاق بينهما واجيب بانه لما افرد حكم المؤمن المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكر ثم اعاد ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين
منصوصا على الفرق بينه وبين ما قبله وتنبيها على التسوية بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام واما اهله فهم المسلمون الذين
يصرف دية اليهم واما الابهام فيزول اذا جعل من بمعنى في كما في الاية المتقدمة عليه وههنا مسئلة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة قال
دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان اي المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث
دية المسلم ودية المجوسي ثلث خمسها هكذا روي من قضاء الصحابة فلا يخفى ان استدلال ابي حنيفة لا يتم على الثاني من قولي المفسرين في
الاية وعلى القول الاول ايضا لم لا يجوز ان يكون المراد بالدية الثانية مقدارا مغايرا للاول وههنا سؤال وهو انه لم قدم تحرير الرقبة
على الدية في الاية الاولى وفي الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال الفائدة فيه ان يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية وايضا ليقع
الافتتاح والاختتام بحق الله تعالى وينبه على التحذير قوله فمن لم يجد اي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين
متتابعين ومتى تعذر الاعسار يجوز له العدول الى الصوم الاصح عند الشافعي وقت الاداء وعند بعضهم وقت الوجوب واما
الشهران هلاليان البتة ثم لو ابتدأ في خلال شهر تمم المنكسر ثلاثين والمراد بالتتابع ان لا يفطر يوما منهما فلو افطر ولو بالمرض وجب
الاستئناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس وعن مسروق ان الصوم بدل عن مجموع الرقبة والدية توبة من الله اي شرع لكم ما شرع
قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطا انه لا يخلو من ترك احتياط ومن ندم واسف على ما
فرط منه ويجوز ان يكون المعنى نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم التوبة وكان الله عليما بانه لم
يتعمد حكيما بحكم القتل لا يواخذ الانسان بما لا يختار ولا يتعمد وعند المعتزلة معنى الحكيم ان افعاله واقعة على قانون الحكمة و
قضية العدل ثم لما ذكر حكم القتل الخطا اردفه ببيان حكم القتل العمد وله احكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة ومالك
والقصاص كما مر في البقرة فلا جرم اقتصر ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد ولا يخفى ما في الاية من التخويف والتهديد فلا جرم
تمسكت الوعيدية بها في القطع بخلود الفاسق في النار واجاب الواحدي بوجهين الاول اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر
قتل مؤمنا روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان مقيس بن صبابة وجد اخاه قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رسولا من بني فهر وقال له ائت بني النجار فاقرئهم السلام وقل لهم ان رسول
الله يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري
ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعا وطاعة لله وللرسول والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة من الابل
ثم انصرفا راجعين نحو المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت تقبل دية اخيك
فيكون عليك مسبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه فركب بعيرا منها وساق
بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل يقول في شعره قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع فادركت ثاري واضطجعت
موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت الاية فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة
فادركه الناس في السوق فقتلوه الوجه الثاني انه يجوز عندنا ان يخلف الله وعيد المؤمنين فان خلف الوعيد كرم وضعف الوجه
الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبان ما قبل الاية وما بعدها في نهي المؤمن عن قتل المؤمن وكذا صدر الاية وبان
ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب ان يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد قتل العمد ولان الكفر بالاستقلال موجب
لهذا الوعيد فاي فائدة في ضم القتل العمد ان لا اثر للقتل في هذه الصورة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من تنفس من جزاؤه
جهنم وزيف الوجه الثاني بان الوعيد قسم من اقسام الخبر واذا جاز الكذب فيه لغرض اظهار الكرم فلم لا يجوز في القصص والاخبار وغير ذلك
لغرض المصلحة وفتح هذا الباب يفضي الى الطعن في الشرع قال القفال الاية على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر وقد يقول الرجل لعبده جزاؤك
ان افعل بك كذا الا اني لا افعله ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لدلالة سائر الايات من يعمل سوءا يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
على انه يوصل الجزاء الى المستحقين البتة ولان قوله وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما صريحا في انه تعالى سيفعل به ذلك
لا محالة وقد اخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم انه كالواقع ولتاكد هذه المعاني نقل عن ابن عباس ان توبة من قدم على القتل العمد العدوان غير
مقبولة عن سفيان كان اهل العلم اذا سالوا قالوا لا توبة له وحمله الجمهور على التغليظ والتشديد والا فكل ذنب يمحى بالتوبة حتى الشرك

هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو الا الشرك لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل
المؤمن فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله التفعل ههنا بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته
ولا تهوكوا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم والسلام وهو السلام بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية يعني
سلام اهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل
فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله باكيا ويسلم عليهم ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة
واستاق غنما كان معه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره فقال اقتلت رجلا يقول لا اله الا الله فقال يا رسول
الله انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا خاصمك يوم القيمة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها علي اقتلت رجلا يقول لا اله
الا الله حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك قال الحسن ان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم خرجوا يتطوفون فلقوا المشركين فهزموهم فشد منهم رجل متبعا رجلا من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال
اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقتلته
بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال
وكيف اعلم ذلك يا رسول الله قال ربك انك لم تكن لتعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح
وقد وضع الى جنب قبره قال ثم عادوا فحفروا له فامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلاثا فلما راوا ان الارض لا تقبله
القوه في بعض الشعاب قال الحسن ان الارض تجن من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود
في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال
ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فنزلت قال القفال ولا منافاة بين هذه الروايات
فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت في واقعته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
شرع احدكم الرمح الى الرجل فان كان سنانه عند ثغرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه
الاية وقال ابو حنيفة اسلام الصبي يصح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب بالاية ولو لم يجب لكان ذلك اذنا في الكفر
وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلثة عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال
اليهودي والنصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام هو دينه فلو قال لا اله الا الله
محمد رسول الله فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو الرسول
الحق منتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود بين المسلمين حق تبتغون عرض
الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض حاضر ياخذ منها البر والفاجر ومنه سمي عرضا لانه عرض زايل غير باق ومنه العرض
المقابل للجوهر لقلة ثباته كما قيل العرض لا يبقى زمانين عند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام متعوذا لتا
خذوا ما له وقيل يريد ما اعد لعباده من حسن الثواب في الاخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في وجه الشبه فقال الاكثرون
يريد انكم اول ما دخلتم في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماؤكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم
السنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما
فعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا امنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت ظلال السيوف
فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه
فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان كان عاما فيهم وفي التفسير الكبير انكم في اول الامر
حدث فيكم ميل ضعيف الى الاسلام فمن الله عليكم بتقوية ذلك الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء قد حدث لهم ميل ضعيف
الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتكامل رغبتهم فيه ان قوله فمن الله عليكم منقطع عما تقدمه وذلك ان
القوم نهاهم عن قتل من تكلم بلا اله الا الله ذكر ان الله من عليكم بان قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبين مبالغة
في التحذير ثم حذر عن الاضمار بخلاف الاظهار فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه ولما عاتبهم الله تعالى على
ما صدر عنهم وبدا عنهم بخلاف الاظهار كان مظنة ان يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد فذكر فضل الجهاد وما يرغب
عليهم ويزيد رغبتهم ونعول لما نهاهم عما نهاهم اتبعه فضيلة الجهاد ليبالغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل
وقال لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون
من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر قال زيد فغشي النبي صلى الله عليه وسلم

في مجلسه الوحي فاتكا على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان في البلية كعمى وعرج ومرض او
بسبب عموم الاهبة من قرا غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قراءها بالرفع فعلى انه صفة القاعدون
ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان
يكون رفعا على جهة الاستثناء والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولي الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل انه صلى
الله عليه وسلم قال عند انصرافه من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك
اقوام حبسهم العذر وعنه صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الى ان يبرا ويعلم
منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال وذكروا في معنى قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن ابلغ من عمله
انما نية المؤمن من دوامه على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير من عمله الذي اذ ذكر في مدة حيوته قيل انه قدم ذكر النفس على
المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها
على ان الرغبة فيها اشد والبائع اخر تنبيها على ان المماكسة فيها اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر وفائدة نفي الاستواء ومعلوم
ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان هي تذكير ما بينهما من التفاوت ليستنكف القاعد للجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبة المجاهد
كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه من صفة الجهل الى شرف العلم ثم ان عدم الاستواء يحتمل الزيادة
والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة تدل
على التفضيل وقيل حال اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد
اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل لان التفضيل يدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات واجيب بان
اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولو الضرر وفي قوله ثانيا على القاعدين للاصحاء الذين اذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة جنسها الذي يشمل الكثير بالنوع وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة
والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب الجهاد الاصغر
وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدلت الشيعة ههنا بان عليا
افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقايعه وايامه وشجاعته وحماسته اجاب
اهل السنة بان جهاد ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر حين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد
علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام في ذلك قويا والحق انه لا تدل الاية لا تدل الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين اما
على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا قد ظهر من الاية ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة
الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة المثوبات لكن لا لذاته بل بجعل الشارع ذلك العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال
بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله وفضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب وهو الزائد على قدر الكفاية و
المشتغل على النكاح قاعد فالاشتغال بالجهاد المندوب افضل منه بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه وعيد القاعدين
الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفيهم وانه يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة
عن ابن عباس قال كانوا قوما من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من المشركين في قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف
احدى التائين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفيهم تقبض ارواحهم عند الموت ولا منافاة
بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس قل يتوفيكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة الا ان الرئيس
المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وساير الملائكة اعوانه وعن الحسن توفاهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار اما قوله ظالمي انفسهم
فمنصوب على الحال عن مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم تفد تعريفا فصح وقوعه حالا والظلم قد يراد به الشرك
ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فمنهم ظالم لنفسه والمراد الذين
اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبر ان وجوه الاول قالوا فيم
كنتم والعايد محذوف لدلالة اي قالوا لهم الثاني فاولئك فيكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد الثالث ان الخبر محذوف
وهو هلكوا ثم فسر الهلاك بقوله قالوا فيم كنتم اي في شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضا بالسكنى في
دار الكفر وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم ليسوا من الدين في شيء ولهذا لم يجيبوا بقولهم كذا وكذا ولم يكن في شيء بل اجابوا بقولهم

270

كانوا مستضعفين اعتذارا عما وبخوا به واعتلالا بانهم كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا في شيء ثم ان الملائكة
لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم قائلين الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى
بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة ثم استثنى من الوعيد المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان فسئل لم عد الولدان من جملة المستثنين من اهل الوعيد ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى لو لم يخرج
وليس الولدان اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف واجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او المراد المراهقون
الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط
الوعيد هو العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة
للمستضعفين وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على
حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون
من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة
فيه حتى ان المضطر من حقه ان يعفو الله عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه
انه عاجز ولا يكون في الواقع كذلك لان الفطام عن المالوف شديد والفراق عن الاوطان شاق فلعل حب الوطن يحمله على تاويل غير سديد
ومع قيام هذا الاحتمال لا يحصل الجزم بالعفو هذا من جانب العبد واما من الرب فعسى اطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو
حاصل لا محالة يرد على لفظ العفو انه لا يتقرر الا مع الذنب ولا ذنب مع العجز وجوابه ايضا تخرج مما قلنا وكان الله عفوا غفورا
قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة اجراها في حق خلقه وايضا لو قال
انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا
قالت الاشاعرة اخبر عن العفو والمغفرة مطلقا غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس وعروة
وعطا كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة بما نزل فيهم من القران فكتب اليهم ان الذين توفيهم الملائكة الاية فلما قراها المسلمون
قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الى الطريق فحمله بنوه على سريره
متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم شرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما
بايعك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم
اجرا فانزل الله فيه ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما اي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف مراغما
الرجل اذا فارقه وهو يكره مفارقته لذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون رغم انفه يريدون
[illegible]

بيما يعقوما كان منه من القعود الى ان خرج ورحمه باكمال اجر المجاهد ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة في زمان
الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة يقال قصر صلوته
واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف الا انه ليس صريحا في ان التخفيف في كمية الركعات او في كيفية ادائها والجمهور
على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة تكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين
ويبقى المغرب والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعنه
ايضا ان المراد التخفيف في كيفية الاداء كما يومي به عند شدة التحام القتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع
والسجود وقد يؤكد هذا الراي بقوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا تزول فيما يؤتى بركعتين على تمام وصفا
وانما يزول بالخوف والتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال لعمر بن الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق
الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر التخفيف في اعداد الركعات ويؤيده حديث ذي اليدين اقصرت
الصلوة ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة مجاز بعيد ذلك يحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار اولى لما نقيد القصر
بحالة الخوف فلان الاية نزلت على غالب اسفار النبي صلى الله عليه واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يكن الاستدلال بمفهومها على
عدم جواز القصر في حالة الامن ولان في حالة الخوف بسبب اخر على ان كل محنة وبلية وشدة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة
كما يرخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه وقال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر
اربعا ولم يقعد في الثنتين فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله
صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت
في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم
اذا قال الشارع لهم حديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعاضد الاية
لان تقرير الصلوة على ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهرية وداود زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر
لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري فيروى
عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال انس بن مالك المعتبر خمسة فراسخ وقال الحسن مسافة ليلتين وقال
الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير من الكوفة الى بغداد وهو ثلثة ايام وهو قول ابي حنيفة قياسا على مدة جواز المسح للمسافر واما اصحاب الشافعي
فانهم توقفوا على ما روى مجاهد وعطاء بن ابي رباح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى
من اربعة برد من مكة الى عسفان والمراد بالبرد اربع فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي
قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة الاف خطوة فان كل ثلثة قدم خطوة قالت الفقهاء فاختلاف الناس في هذه
الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير مربوط بمطلق السفر وقال اهل الظاهر لاضطراب السفر في هذه الاقاويل يدل
على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا قويا فوجب الرجوع الى ظاهر القران ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا يريد ان العداوة الحاصلة
بينكم وبينهم قديمة فكونوا على حذر منهم **التأويل** يقتل المؤمن الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون قتل خطأ وذلك
ان الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية بتجلي الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار عن مرآة القلب الى
النفس الامارة فتموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحيى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله تعالى كاطمينان القلب بعد في
بعض الاحوال انيابا بالروح بوارد روح قدسي رباني ويتجلى في تلك الحالة الروح للقلب فيخر موسى القلب صعقا ميتا بسطوة تجلي الروح
القدسي الرباني ويجعل جبل النفس دكا فكان قتله خطأ لانه مقصود من القتل في هذا التجلي وكان القصد تنويره وتصفيته وقتل النفس كما
ومن قتل مؤمنا اي قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة السر او الروح فتصير رقبة السر محررة عن رق المخلوقات ودية مسلمة
الى اهله يعني تسلم العاقلة وهو الله تعالى دية القلب الى اهل القلب وهم الاوصاف الحميدة الروحانية من جمال كمال الطاف لتصير
الاوصاف بها اخلاقا ربانية الا ان يصدقوا الاوصاف هذه الدية على ساكني اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتل
بالتجلي من قوم عدو لكم اي من صفات النفس وهو مؤمن اي بهذه الصفة قد امنت بانوار الروح القدسي ونار اخواتها من الصفات فتحرير رقبة
مؤمنة وهي رقبة القلب تصير محررة عن رق حب الدنيا لاهل القلب وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس وميثاقها قبول

احكام الشرع ظاهرا وترك المحاربة مع القلب واوصافه فدية مسلمة على عاقلة الرحمة الى اهل تلك الصفة المقبولة وهم بقية صفات
النفس كما قال تعالى الا ما رحم ربي وتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة الروح تصير محررة عن رق الكونين فمن لم يجد رقبة مؤمنة من الروح
والقلب والسر للتحرير بان يكون رقابهم قد تحررت عن رق ما سوى الله فصيام شهرين متتابعين اي فعليه الامساك عن مشارب العالمين على
التتابع والتوالي مراقبا قلبه لا يدخله شيء من الدنيا والاخرة مراعيا وقته فلو افطر بادنى شيء من المشارب كلها يستانف الصوم ولا يفطر في
دون لقاء الله تعالى قال قائلهم **شعر** لقد صام طرفي عن شهود سواكم ، وحق له لما اعتراه نواكم ، يعيد قوم حين يبدو هلالهم ، ويبدو هلالي
الصبح حين اراكم ، توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي النفس الكافرة اذا قتلت نفسا قلبا مؤمنا للعداوة الاصلية بينهما
في حيوة احدهما موت الاخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا
والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيخوخة
فتبينوا عن حال المريدين في الرد والقبول ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا صادقا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف في النفس والمال
تبتغون عرض الحيوة الدنيا اي لا تتهمون لاجل رزق فان الضيف اذا نزل نزل برزقه كذلك كنتم ضعفاء في الطلب محتاجين الى
الصحبة في بدو الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وقبولهم اياكم ان الذين توفيهم الملائكة هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتبديد
فيم كنتم اي في غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري في اي واد من اودية الهوى تهيمون وفي اي روضة
من رياض الدنيا تسرحون اكنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتعشقون الشراب الطهور والساقي مستضعفين عاجزين لاستيلاء
النفس الامارة وغلبة الهوى الم تكن ارض الله اي ارض القلب واسعة فتخرجوا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون
حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا يستطيعون سبيلا الى صاحب ولاية وهؤلاء المستضعفين هم
الخواص المقتصدون واما خواص الخواص وهم السابقون بالخيرات فهم المجاهدون الجهاد الاكبر وقد خرجوا ومن يهاجر عن بلدة
البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في ارض الانسانية مراغما متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر والسعة في تلك العوالم
من رحمة الله ورحمتي وسعت كل شيء لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما وسعني قلب عبدي المؤمن فافهم بابصر النظر كثير الفكر قرير العين

والله اعلم

واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا
اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى
لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين
كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر
او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا
تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله

علما حكيما ● انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ● واستغفر الله ان الله كان
غفورا رحيما ● ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب
من كان خوانا اثيما ● يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا
ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ● ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ● ومن يكسب اثما فانما يكسبه
على نفسه وكان الله عليما حكيما ● ومن يكسب خطيئة او اثما
ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ● ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما
يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ●

القراءة من اسلحتكم وامتعتكم عباس بالاختلاس اطمانتتم وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بريا بالتشديد يزيد وحمزة في الوقف **الوقوف** من ورائكم واسلحتهم لانقطاع النظم مع اتصال المعنى واحدة اسلحتكم حذركم مهينا وعلى جنوبكم للابتداء اذ الشرطية مع الفاء الصلوة لاحتمال فان ولان موقوتا القوم كما تالمون لاحتمال الواو والاستئناف والحال ما لا يرجون حكيما اراك الله لان ما بعده استئناف خصيما للعطف واستغفر الله رحيما للاية مع العطف انفسهم اثيما لاحتمال ما بعده الوصف من القول محيطا وكيلا رحيما على نفسه حكيما مبينا يضلوك من شيء تعلم عظيما **التفسير** قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت خاصة للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في حق النبي لفضيلة الصلوة خلفه فبقي لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان ائمة الامة نواب عنه في كل عصر الا ترى ان قوله خذ من اموالهم صدقة لم يوجب كون الرسول مخصوصا به دون ائمة امته وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه صلى الله عليه وسلم لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الاية عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فراوه يركع ويسجد وهو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا فرصة لكم لو اغرتم عليه ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى اخر الايتين فما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي باحديهما ركعة واحدة ثم اذا فرغوا من الركعة

سلموا اعينها ويذهبون الى وجه العدو وياتي الطائفة الاخرى ويصلي بهم الامام ركعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلوة الخوف ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم تذهب تلك الطائفة الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء مفترض بمتنفل فان الصلوة الثانية نافلة للامام لا محالة وفي جواز ذلك اختلاف بين العلماء وقال الشافعي وقت السجدة حرست فرقة اما صفا او فرقة من صف الى ان يفرغ الامام وغير الحارس من السجدتين فاذا فرغ الامام منهما سجدت الفرقة الحارسة ولحقته حيث امكنها واذا سجد الامام للركعة الثانية حرست فرقة اما الفرقة الحارسة في الركعة الاولى والفرقة الاخرى هذه اولى فاذا فرغ الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام باركان السجدتين والجلسة بينهما واحتمل الحاجة الخوف وظهور العدو وبمثله صلى النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان واما ان لم يكن العدو في جهة القبلة او كانوا الجيش يمنعهم شيء من انضمام المسلمين صلى الامام في الثنائية كالصبح وفي الرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك ان ينحاز الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو فيصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها سلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف بازاء الصف المقابل الى الامام وهو ينتظرهم واقتدوا به في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا بهم قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابو داود والنسائي عن صالح عن سهل بن ابي حثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو حنيفة ويروى عن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو فتاتي الطائفة الثانية فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية فيقضون بقية صلوتهم بقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم يدرك اول الصلوة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في صلوته ولا خلاف في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بهذه الصلوات وانما جعلها مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل والاشد موافقة بظاهر الاية اي هذه الاقسام فقال الواحدي ولتات طائفة اخرى لم يصلوا دليل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تاتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام قال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان طائفة الاولى لم يفرغوا من الصلوة ولانهم يصلون ركعة ويكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود ليكونوا من الوراء الذي يعلى الحراسة للطائفة الثانية او معنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال وايضا الذي اختاره الشافعي احوط لامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها ما في غيرها من زيادة الذهاب والرجوع وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن ايضا والانتظار للامام بالطائفة الثانية مرتين فان كانت الصلوة مغربا فيصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية فيصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلوة على وجه المشروع ليست عزيمة بل لو صلى الامام بطائفة بعضهم وامر غيرهم فيصلي بالاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز لكن كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة ويتنافسون في الاقتداء به فامر الله تعالى بترتيبهم هذا ليحوز احدى الطائفتين فضيلة التكبير معه والاخرى فضيلة التسليم معه فالخطاب في قوله فاذا كنت فيهم للنبي اي اذا كنت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم فاقمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون لكلا الفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر والتيقظ الة يستعملها الغازي وفيه رحمة للخائف في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة وانما امر هذه الطائفة باخذ الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبه في اول الصلوة بكون المسلمين في الصلوة بل يظنونهم قياما للمحاربة واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم وسجودهم الاولين فربما ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلا جرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير وسيلة واحدة شدة واحدة ثم رخص لهم في وضع السلاح اذا اصابهم بلل المطر فيسود ويفسد حدته وجدته او يثقل على المرء اذا كان محشوا وحين كان الرجل مريضا فيشق عليه حمل السلاح ولكن اعاد الامر باخذ الحذر لان الغفلة عن كيد العدو لا يجوز بكل حال قال بعض العلماء اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه واجب لان ظاهر الامر للوجوب ولان رفع الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة بحيث لا يتاذى به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم

ان ياتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة فيها على خلاف نص القرآن وكما
ان الاية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على
العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك
وعلى جميع وجوه الحذر لم يكن الامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها ولهذا ختم الاية بقوله
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا انه تعالى مع هذا الحذر يكون الكفار مقهورين وكان كما اخبر اما قوله فاذا قضيتم الصلوة
ففيه قولان الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب جدير بذكر الله
واظهار الخشوع والالتجاء اليه الثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا قياما حال اشتغالكم بالمسايفة والمقارعة وقعودا جاثين على
الركب حال اشتغالكم بالرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واورد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز وان المعنى يصير حينئذ
فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان المراد فاذا اردتم قضاء الصلوة في التحام القتال واعلم ان الاية مسوقة
لحكمين الاول بيان القصر في صلوة المسافر الثاني بيان صلوة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل ان يراد
به فاذا صرتم مقيمين فاتموا الصلوة تامة من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف بسكون القلب فاقيموا الصلوة التي
كنتم تعرفونها من غير تغيير شيء من هيئاتها ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقوتة محدودة باوقات لا يجوز
اخراجها عنها ولو في شدة الخوف وفيه دليل للشافعي في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والاضطراب في المعركة اذا حضر
وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن فاوقات الصلوات الخمس مشهورة وقد يستدل عليها بقوله حافظوا
على الصلوات والصلوة الوسطى فان الوسطى يجب ان يكون مغايرة للصلوة لئلا يلزم التكرار فهي زائدة على الثلاث ولو كان
الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاذا اقلها خمس وسوف يجيء ايات اخر دالة على اوقات الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار
وزلفا من الليل اقم الصلوة لدلوك الشمس وسنشرحها ان شاء الله تعالى في مواضع قال المحققون ان للانسان خمس مراتب سن النمو الى
تمام سن الشباب وسن الوقوف وهو ان يبقى ذلك الشخص على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة ويظهر فيه نقصان
خفي في الانسان وسن الشيخوخة ويظهر فيه نقصانات جلية فيه الى ان يموت ويهلك واما المرتبة الخامسة فهي اخفائه وفنائه
الى ان يندرس وينطمس ويصير كان لم يكن وكذا الشمس اذا ظهر سلطانها من المشرق لا يزال يزداد ضياءها الى طلوع جرمها ويزداد ارتفاعها
شيئا بعد شيء الى ان يبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحر الى وقت العصر حين يصير ظل
كل شيء مثله ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير في زمان لطيف ظل كل شيء مثليه ثم ازداد الى ان تغرب ثم يبقى اثارها في افق المغرب
وهو الشفق ثم تمحى حتى كان الشمس لم توجد قط فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا يقدر عليها الا خالقها وخالق جميع الاشياء وهي
موافقة لاسنان الانسان فلهذا نيطت اوقاتها للعبادة والاقبال على المعبود الحق تعالى وحده ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال
ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تظهروا الضعف في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بما نقلهم ثم الزمهم الحجة فقال ان تكونوا تألمون
والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد دونهم لانهم يكرهون المعاد فانتم اولى بالصبر
على القتال والجد فيه منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله تعالى من النصر والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم تعبدون
الاله العالم القادر السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه وانهم يعبدون الاصنام التي لا خير فيهن يرجى ولا شر منهن يخشى ويروى ان
هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما انجر
منه الكلام وهو حديث المنافقين وفيه ان الاحكام المذكورة كلها بانزال الله تعالى وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضى قوم
وفيه ان كفر الكافر لا يبيح مساهلة في النظر اليه وان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه بما انزله تعالى على رسوله قال
اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له قتادة بن النعمان وكان الدرع في
جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن
السمين فالتمس الدرع عند طعمة فلم يوجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع بلى والله لقد ادلج علينا
واخذها وطلبنا اثره حتى دخل داره فراينا اثر الدقيق فلما ان حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال
دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود على ذلك فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في
ذلك وسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الايات الى قوله ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وفي الاية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة

باليهودي ثم قال ابو علي قوله بما اراك الله ليس منقولا بالهمزة من رؤية البصر لان الحكم لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب
والا لاقتضى ثلثة مفاعيل وليس في الاية الا اثنان احدهما الكاف والاخر الضمير العائد المحذوف فهو اذن من باب الاعتقاد ومعنى
بما اعلمك الله وسمي ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر
يقول لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه وان الراي من احدنا يكون ظنا ولا يكون علما وقال بعض العلماء في الاية دلالة
على انه ما كان يحكم الا بالوحي والنص وان الاجتهاد ما كان جائزا له وحينئذ يجب ان يكون الامر كذلك لقوله فاتبعوه واجيب
بان العمل بالقياس يحصل بالنص ايضا كانه تعالى قال اذا غلب على ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها
بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ولا تكن للخائنين اي لاجلهم خصيما مخاصما
واصله من الخصم بالضم والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى قال بعض الطاعنين
في عصمة الانبياء عليهم السلام لولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه والا لما ورد النهي عنه
ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي فاعلا للمنهي عنه بل ثبت في الروايات ان قوم طعمة لما التمسوا منه
صلى الله عليه وسلم ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي ولعله امر بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة
بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين او لعل القوم شهدوا بسرقة اليهودي وبراءة طعمة ولم يظهر
للرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بان يقضي على اليهودي فاطلعه الله تعالى على كذب الشهود فكان الاولى والمراد
واستغفر لاولئك الذين يذبون عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا
عاص والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه والعاصي خائن نفسه لانه يحرم نفسه الثواب ويوصلها الى العقاب ان الله لا يحب من كان
خوانا اثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وانما ورد البناء على المبالغة والعموم ليتناول
طعمة وكل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه لان الله لا يحبه وايضا كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم وروي
انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره لا يشك في حاله وقالت
العقلاء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه
فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة وفي الاية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله يستخفون
يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء وهو معهم
بالعلم والقدرة والرؤية وكفى بهذا زاجرا للانسان عن المعاصي اذ يبيتون يدبرون ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي
بالدرع في دار زيد بسرقة ومنه ويحلف برائته وتسمية التدبير وهو معنى في النفس قولا لا ليس فيها اشكال عند القائلين بالكلام
النفسي اما عند غيرهم فمجاز ولعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر فسمى الله كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله والمراد
بالقول الحلف الكاذب الذي حلفه بعد ان بيته ها انتم هؤلاء والهاء للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وقوله جادلتم جملة
موضحة للاولى كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك والمراد انتم جادلتم والخطاب لقوم المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وقومه لانهم في
الظاهر مسلمون والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يخاصم عنهم في الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه ام من يكون عليهم
وكيلا حافظا محاميا عن عذاب الله وهذا الاستفهام على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم اردف الوعيد بذكر التوبة فقال ومن يعمل
سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وانما خص ما يتعدى الى الغير
باسم السوء لان ايصال الضرر الى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله الى فاعله فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان
لا يوصل الضرر الى نفسه وقد يستدل باطلاق الاية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال
بل على ان مجرد الاستغفار كاف وعن بعضهم ان الاستغفار لا ينفع مع الاصرار فلا بد من اقترانه بالتوبة يجد الله غفورا رحيما
اي له فحذف هذا الرابطة لدلالة الكلام عليه لانه لا معنى للترغيب في الاستغفار الا اذا كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب
دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة مع العلم او بعث لقومه لما فرط منهم من نصرته
والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك والمقصود منه
ترغيب العاصي في الاستغفار وكانه قال الذنب الذي اتيت به انما يعود وباله وضرره اليك لا الي فاني منزه عن الضرر والنفع
فلا تياس من قبول التوبة وكان الله عليما حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما علمه منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما
كبيرة وقيل الخطيئة الذنب القاصر على فاعله والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله
سواء كان بالعمد او بالخطاء والاثم ما حصل بسبب العمد ثم يرم به اي باحد المذكورين او بالاثم او بذلك الذنب لان الخطيئة

في معنى الذنب او بذلك الكسب بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا يكسب الاثم اثم ويرمى البرى باهت فهى جامع بين الامرين
فلاجرم يلحقه الذم في الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصك الله بالفضل
وهو النبوة وبالرحمة لهمت طائفة من بنى الظفر او طايفة من الناس والطايفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء الحق والحكم العدل
وما يضلون الا انفسهم بتعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من شئ
لانك انما عملت بظاهر الحال وانما امرت الانبياء الاحكام على الظواهر اذ هو وعد بادامة العصمة له مما يريدون من الاستبا
من ايقاعه في الباطل ثم اكد الوعيد بقوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى انه لما امره بتبليغ الشرع الى الخلق فكيف يليق
بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالة وعلى الاول يكون المراد اوجب في الكتاب والحكمة بناء احكام الشرع على
الظاهر فكيف يضرك بناء الامر عليه وعلمك ما لم تكن تعلم فيه معنيان احدهما ان يكون كما لو قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا
الايمان اى انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما واوقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك عالما بشئ
من خفيات الامور وضماير القلوب وثانيهما اى علمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك تعلمك من حيلة المنافقين ووجوه
مكايدهم ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع
الدنيا باسرها قليلا **التاويل** الصلوة صورة جذبة الحق ومعارج العبد فلهذا فرضت في الخوف والامن وشدة
القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوب العناية على الدوام واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اى ادمتها
لهم لان النظر اليك عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء والمنكر فلتقم طائفة منهم الخواص
منهم اى من عوامهم معك اى مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا بعض طائفة من بقية القوم اسلحتهم من الطاعات و
العبادات دفعا لعدو النفس والشيطان فاذا سجدوا يعنى معك ونزلوا مقامات القرب فليكونوا اى هؤلاء العوام من ورائكم
في المرتبة والمقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالهم بامور الدنيا لحوايج الضرورية للانسان ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك في
الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو اداب الطريقة واسلحتهم وهى اركان الشريعة ود الذين كفروا وهم عدو النفس وصفاتها ان كان
بكم اذى من مطر يعنى اشتغال الدنيا وضروريات حوايج الانسان يمطر عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعات والاركان
ساعة فساعة وخذوا حذركم من التوجه الى الحق ومراقبة الاحوال وحفظ القلب وحضور مع الله وخلو السر عن الالتفات لغير الله
ورعاية التسليم والتفويض الى الله واستمداد من اعاظم الدين والالتجاء الى ولاية النبوة ان الله اعد بهذه الاسباب للكافرين كفرة
كفار النفس والشيطان عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم ان الصلوة في الازل على المؤمنين
كتابا موقوتا الى الابد كما اشار اليه بقوله انا فتحنا لك اى بابا من العدم الى الحدوث ليغفر لك الله ما تقدم في الازل من
ذنبك ان لم تكن مصليا وما تأخر من ذنبك بان لا تكون مصليا ويتم نعمته عليك بان يبدل سيأتك وهى عدم صلوتك في الازل والابد
بالحسنات وهى الصلوة المقبولة من الازل الى الابد ويهديك صراطا مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء
القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد معها والرياضات والعبادات فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات كما تألمون
وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لانهم النفس الدنية لا يجاوز قصودها الدنية المجازية الفانية بما
اريك الذى حين اوحى اليك بلا واسطة ما اوحى واراك الكبرى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب ٥ ٥

لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا
عظيما ● ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ● ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد

ضل ضلالا بعيدا ● ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا
مريدا ● لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم
ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن
خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الا غرورا ● اولئك مأويهم جهنم ولا
يجدون عنها محيصا ● والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن
اصدق من الله قيلا ● ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من
يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ● ومن يعمل من
الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون نقيرا ● ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن
واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ● ولله ما في
السموات وما في الارض وكان الله بكل شئ محيطا ●

القراءة يوتيه بالياء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد الاخرون بالعكس ابراهام وما
بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلى عن الاخفش عن ابن ذكوان **الوقوف** من الناس عظيما جهنم مصيرا لمن يشاء
بعيدا اناثا لا لابتداء النفى مع واو العطف مريدا لان ما بعده صفة له لعنه الله لان قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروضا للعطف
خلق الله مبينا كيلا يصير يعدهم وصفا للخسران ويمنيهم غرورا محيصا ابدا حقا قيلا الكتاب يجز به للعطف نصيرا نقيرا
حنيفا خليلا وما في الارض محيطا **التفسير** ثم اشار الى ما كانوا يتناجون به حيث يبيتون ما لا يرضى من القول والنجوى
سر بين اثنين وكذا النجو يقال نجوته نجوا اى ساررته وكذلك ناجيته قال الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا والاية وان نزلت في
مناجات بعض قوم ذلك بعضا الا انها في المعنى عامة والمراد انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من امر
ويحتمل من وجوه مبنية على معنى النجوى فان كان النجوى السر جاز ان يكون في موضع النصب لانه استثناء الشئ من خلاف جنسه الاولى
ومعناه لكن من امر بصدقة ففي نجويه الخير او في موضع الرفع كقوله الا اليعافير والا العيس وابو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف
معناه الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما يقال لا خير في قيامهم الا قيام زيد اى في قيامه وعلى هذا يكون الاستثناء من جنسه
وان كان النجوى بمعنى ذوى نجوى كقوله واذ هم نجوى كان محله ايضا مجرورا من كثير ومن نجوى كما تقول لا خير في جماعة من القوم الا زيدا
ان شئت اتبعت زيدا الجماعة وان شئت اتبعته القوم وانما قال لا خير في كثير مع ان صدق الحكم كليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كلام
ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهى عن منكر او ذكر الله استجلابا للقلوب وليكون ادخل في الاعتراف به وليخرج

فالحرج عند الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه واعلم ان قول الخير اما ان يتعلق بايصال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية فهو الامر بالصدقة وان كان من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية او العملية فهو الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الاية مشتملة على جوامع الخيرات ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة في الظاهر الا انه لا يقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر كيلا يكون من زمرة اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم لم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ويمكن ان يقال ان معنى ومن يفعل الامر او المراد ومن يامر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال او المراد بقوله من امر من فعل لان الامر لما دخل الفعل في البائم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد تبين له بما اظهر الله من امره ما دل له على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول واظهر الخلاف وارتد على عقبه واتبع دين عبادة الاوثان وهو غير دين الموحدين وسبيلهم ومعنى نوله ما تولى نجعله واليا لما اختاره لنفسه ونكله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ باية السيف ولا سيما في حق المرتدين والظاهر ان المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه اياها وساءت مصيرا نصب على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود الى ما في الذهن لا الى المذكور يحكى ان الشافعي سئل عن اية في كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرا القران ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الاية ووجه الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين مشاقة الرسول ورتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين والنقيضين فعدم اتباع سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب كموالاة الرسول وفي الاية دلالة على وجوب عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء به في اقواله وافعاله والا وجب المشاقة في بعض من الامور وهي منهي عنها في الكل وفي الاية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا معنى لتبين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبين الدليل فيكون تبين الدليل معتبرا في صحة الدين واقول الموقوف على النظر هو معرفة وجود الواجب لذاته وصحة نبوة النبي والباقي يكفي في اعتقاده اخبار الصادق ايضا دليل فالحكم الاعلى دليل ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به للتاكيد وقيل لقصة طعمة واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدانيته والمطلوب كلما كان اجلى كان نقيضه ابعد ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه الا اناثا وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى ومنات تانيث الله والعزى تانيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان ويؤيده قراءة عائشة الا اوثانا وقراءة ابن عباس الا انثا جمع وثن مثل اسد واسد الا ان الواو ابدلت همزة كاجوه وقيل المراد الا امواتا لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث يقول هذه الاحجار اعجبتني كما تقول هذه المراة اعجبتني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل ان بعضهم كان يعبد الملائكة بنات الله وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا بالغا في العصيان مجردا عن الطاعة يقال شجر مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم ينبت له لحية قال المفسرون كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم وقالت المعتزلة جعلت طاعتهم للشيطان عبادة له لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا ابليس لانه وصف بقوله لعنه الله وقال لاتخذن فهو جواب قسم محذوف اي شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع وهو الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال المراد بلعنة الله ما لا يستحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم ابت الهوى الا علت ما لا تستحق به ومعنى نصيبا مفروضا حظا مقطوعا واجبا فرضه لنفسه من الفرض القطع ومنه الفرضة لانه قاطع للاعضاء وقد فرض منه فريضة جعل لهم قطعة من المال وفرض الجندي قدر المقطوع المعين قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعون وذلك المروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك ثم قال اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الحديث وههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والفساق كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع ان تناوله القسم الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل في نوع البشر اما اذا ضم الملائكة اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم وان كثروا ولاضلنهم يعني عن الحق قالت المعتزلة فيه دليل على اصلهم الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني ان الاضلال عبارة عن خلق الكفر والضلال وان الشيطان بالاتفاق لا يقدر عليه فاجيب بان ذلك كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسئلة مضطرب حيث اشار قبل الى القدر المحض وهو قوله ولاضلنهم ولاغوينهم واخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما اغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال

وانقحام الاهوال وانتظام الاحوال فلا يكاد يقدم على التوبة والاقبال على تهيئة زاد الاخرة حتى يصير قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع اذان البحاير كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمس ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ويسمونها بحيرة وقال بعضهم كانوا يقطعون اذان الانعام نسكا في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه في نفسه كفر وفسق قوله فليبتكن صيغة غائب للغائبين واللام لجواب قسم اخر فو الله ليبتكن فلما دخلت النون الثقيلة سقطت واو الجمع لالتقاء الساكنين واكتفاء بالضمة والفاء للتسبيب والايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها والجملة كالتفسير لقوله ولامرنهم ومثله في الاعراف قوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير اما المعنوي واما الحسي فمن الاول قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعي وقتادة والسدي انه تغيير دين الله بتبديل الحرام حلالا وبالعكس او بابطال الاستعداد الفطري فطرة الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن الثاني قال المفسرون المراد ما روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك ان المراة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا واما وشم اليد فهو ان تغرزها بالابرة ثم تذر عليها النيل والوشر تحديد الاسنان والتنمص نتف شعر الحاجب وغيرها وقال انس وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء وقطع الاذان وفقاء العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها وخصاء البهائم مباح عند عامة العلماء واما في بني ادم فمحظور وعند ابي حنيفة شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم جائز لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقال ابن زيد هو التخنث تشبه الذكر بالانثى وعلى هذا فالمسحق فاعله ايضا داخل في الاية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله تعالى خلق الانعام ليركبوها فحرموها على انفسهم كالبحاير والسوايب وخلق الشمس والقمر مسخرين للناس ينتفعون بهما فعبدوهما فغيروا خلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان انما يكون على ثلثة اوجه التشويش والنقصان والبطلان فادعى الشيطان القاء اكثر الخلق في ضرب الدين وهو قوله ولاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولامنينهم وهو الضرر من جنس التشويش لان صاحب الاماني يشوش فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اشارة الى الضرر بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الراي ضعيف العزم في طلب الاخرة وقوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يتزايد ميله وركونه الى الدنيا حتى يتغير قلبه بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الاخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان يفعل ما امره الشيطان به ويترك ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا اذ فاته اشرف المطالب بسبب الاشتغال باخسها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم فيقول للشخص انه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولي على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه وان طال عمره ونال مامولة على احسن الوجوه فلا بد ان يكون عند الموت في اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان الذ واشهى وكان الالف معه ادوم وابقى كانت مفارقته آلم وانكى وايضا لعل الشيطان يعدهم انه لا قيامة ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب فاجتهدوا في استيفاء اللذات العاجلة واغتنموا فرصة الحيوة الزايلة فلذلك قيل اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا وله معنيان احدهما لا بد لهم من ورودها والثاني التخليد بمعنى الدوام للكفار او طول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله ابدا يفيد التابيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه تعالى ومضمونه هو مضمون وعد الله واما حقا فمضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون وان لا يكون فمضموناهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث لبعض من جعل الاستفهام للنفي لذلك وفايدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء امانيه الفارغة والتنبيه على ان قول اصدق القائلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسمان لا مصدران عن ابي صالح قال جلس اهل الكتاب اهل التورية والانجيل واهل القران فكل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم ونبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم افلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من اهل الاديان بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن احسن دينا

الاتيان وقيل الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان وامانيهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وان اعترفوا لكنهم يصفون اصنامهم بانها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين وامانيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا الكبائر واما اماني اهل الكتاب فقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناؤا الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس مضمر فقيل اي ليس وضع الدين على امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني لكن بما وقر في القلب اي ثبت به وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل ويؤكد هذا المعنى قوله يا نا للمذكورين من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فمن هنا استدلت المعتزلة بالاية على القطع بوعيد الفساق وبنفي الشفاعة واجيب بانه مخصوص بالكفار لانهم يحاسبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر الا انه مخصوص في حق المؤمن بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاء الالام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي لما نزلت الاية قال ابو بكر الصديق كيف الفلاح بعد هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك اللاواء فهو ما تجزون به وعن عائشة ان رجلا قرا هذه الاية فقال انجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وعما يوذيه وعن ابي هريرة لما نزلت الاية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقيت هذه الاية لنا شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ابشروا فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع في قدمه سلمنا ان الجزاء انما يصل اليه في الاخرة لكنه روي عن ابن عباس انها لما نزلت الاية وشقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء فقال صلى الله عليه وسلم انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت احاده اعشاره وايضا المؤمن الذي اطاع الله سبحانه سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن قد عمل الصالحات فوجب القطع بانه يدخل الجنة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن واجيب بان قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اما حديث نفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة و الانبياء باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف في قوله من الصالحات للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال ومن في ذكر لتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او يعود الى الصالحين فقط وذكره عند احد الفريقين يغني عن ذكره عند الاخر والمنى مستغن عن هذا القيد فمن المعلوم ان ارحم الراحمين لا يزيد في عقابه واما نقصان الفضل في الثواب فكان محتملا فازيل ذلك الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن احسن دينا وبان الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والحضور والانقياد لله واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص واليه الاشارة بقوله وهو محسن وهو عائد الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق واظهار التبري من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبائع وغيرها كما نسا من كان الوجه الثاني انه صلى الله عليه وسلم انما دعى الخلق الى ما نسبه دين ابيه ابرهيم عم ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان مائلا عن الملل الباطلة بعيدا عنها ابعد المركز عن محيط اجزاء الدايرة ولهذا شرفه بقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم ان من كان علو الدرجة بهذه الحنيفية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره وقد دخل حبه في خلال قلبه لما اطلع الله ابرهيم عليه السلام على ملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته الى يوم الدين كان خليلا لله لانه خلة مجازاة من ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله فلما بلغ ابرهيم في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل فلما كان ابرهيم منقادا لكل ما امر به وفيما نهي عنه ... فاستحق اسم الخليل لا تخذه هذا من جهة الاشتقاق واما من قبل اسباب النزول فعن عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل لم اتخذ الله ابرهيم

خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى دخل ابرهيم فجاءة فراى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابرهيم عم باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه فقال له ملك الموت ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابرهيم ومن ذلك فقال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب الناس سنة جهد فحشروا الى باب ابرهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة فقال خليله لو كان ابرهيم انما يريد لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريد للاضياف وقد دخل علينا ما دخل الناس من الشدة فرجع رسل ابرهيم فمروا ببطحاء فقالوا انا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا نستحي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملأوا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابرهيم وسارة نائمة فاعلموه ذلك فاهتم ابرهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي اجود حوارى يكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابرهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله فيومئذ اتخذه الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابرهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت انجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على ذكر الله لا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس ان جبريل وميكائيل لما دخلوا على ابرهيم في صورة غلمان حسان الوجوه ظن الخليل انهم اضياف وذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابرهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي وقد ذكرت الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم فتذكر قال في التفسير الكبير اذا استنار جوهر الروح بالمعارف القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يسكن الا الى الله فهذا الشخص يستحق ان يسمى خليل الله لما انه تخللت محبة الله في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لا يجوز اطلاق الابن في امر لمثل ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعده ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا بالعلم انه لم يتخذ ابرهيم خليلا لاحتياجه انه الحدثان والاحتياج ولكن اصطفاه لمجرد الفضل وفيه انه مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا لله داخلا تحت ملكه وملكته وفيه ان من كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابرهيم اسلمت لرب العالمين وايضا انه لما ذكر الاية الوعيد والوعد لانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل بجميع الكليات والجزئيات اشار الى الاول بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل على الشيء مقال بعضهم الاحاطة ايضا ههنا بمعنى القدرة ولحن لم تقدروا عليها قد احاط الله بها ولا يلزم بكل شيء تكرار لان الاول لا يدل الا على انه مالك لكل ما في السموات والارض قادر عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء فان فرضت خارج السموات والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما تنقطع بايجاده وتكوينه وابداعه **التاويل** لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى والشيطان الا من امر بالخيرات وهو الله بالوحي والخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بان يتبع الهوى وتسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملة جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك به ولو كان مغفورا لم يشرك به ومن يشرك الان فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال بالاضلال الازلي فافهم ان يدعون من دونه الا اناثا صفات ذميمة يتولد منها الشرك وان يدعون الا شيطانا مريدا في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه والنصيب المفروض طايفة خلقهم الله اهلا للنار ولاضلنهم كذب عدو الله فانه مزين وليس له من الضلالة شيء كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت مبلغا وليس الي من الهداية شيء وعد الله حقا وهو قوله هولاء الى الجنة ولا ابالي ليس بامانيكم يعني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ولا اماني اهل الكتاب علماء الذين يغرون العوام بالرياء والطمع ويقطعون عليهم طريق الطلب والاجتهاد فليس تمني نعمة من غير ان يتعنى في خدمته كمن يتعنى في خدمته من غير ان يتمنى نعمة من يعمل سوءا يجز به في الحال باظهار الرين على مراة قلبه كما قال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب عبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب رجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر على النفس الامارة من ذكر او انثى اي من قلب ونفس ومن احسن دينا اي من يخرج حين اسلم سره وروحه وقلبه ونفسه وشيطانه كما قال اسلم شيطاني

مطلب في فضيلة الاذكار جهراً

على يدي من اسلام نفسه يقول يوم القيمة امتي امتي حين تقول الانبياء نفسي نفسي وهو محسن يعني انه من اهل المشاهدة يعبد الله
كانه يراه ولانه احسن الذين بخلق العظيم الى ان بلغ حد الكمال والختم واتبع ملة ابرهيم بان الله اتخذه خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا
قيل لابرهيم ما اسمك قال الخليل وقيل لمحمد ما اسمك قال الحبيب كان محمد صلى الله عليه وسلم حبيبا خليلا اي فقيرا من الخلة
الحاجة لانه افتقر بالكلية الى الله في كل احواله والفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب ان الخليل اتخذ الالهة عدوا في الله
وقال فانهم عدو لي الا رب العالمين والحبيب اتخذ نفسه عدوا في الله وقال لست رب محمد لم تخلق محمدا وهذا مقام الفناء
في الفناء بل البقاء بعد الفناء فلا جرم يقول بالرب عن الرب ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله عليما حكيما

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في
الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون
ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما
تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ۝ وان امراة خافت من بعلها او
اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس
الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما ۝ وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ۝ ولله ما في السموات
وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان
الله غنيا حميدا ۝ ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله
وكيلا ۝ ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله
على ذلك قديرا ۝ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا
والاخرة وكان الله سميعا بصيرا ۝ يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا

او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ يا ايها الذين امنوا امنوا بالله و
رسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من
قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
فقد ضل ضلالا بعيدا ۝ ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا
ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ۝
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما ۝ الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ۝
وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها و
يستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم
اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا
الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم
من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا ۝

القراءة يصلحا من الاصلاح عاصم وحمزة وعلي وخلف والباقون يصالحا من التصالح
وادغام التاء في الصاد ان يشا حيث كان بغير همز الاعشى واوقيه وورش من طريق الاصفهاني
وحمزة في الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة والباقون بالواوين نزل وانزل كلاهما على ما لم يسم فاعله من التنزيل والانزال
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والباقون نزل وانزل مبنيين للفاعل من التنزيل والانزال وقد نزل مشددا مبنيا للفاعل عاصم ويعقوب والباقون
مبنيا للمفعول **الوقوف** في النساء فيهن للعطف اي الله والمتلو يفتيكم الولدان للعطف ايضا اي في يتامى النساء وفي المستضعفين
في ان بالقسط عليما صلحا خير الشح خبيرا كالمعلقة رحيما سعته وما في الارض ان اتقوا الله وما في الارض وكيلا باخرين
قديرا والاخرة بصيرا والاقربين للابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا لذلك خبيرا من قبل بعيدا سبيلا اليما لان الذين
صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على الذم المؤمنين جميعا غيره لانه ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لان ما بعده صفة
المنافقين لكم لابتداء الشرط مع انه بيان التربص معكم لترجح جانب العطف وانما بان النفاق نصيب لان قالوا جواب ان المؤمنين
القيمة سبيلا **التفسير** احسن الترتيبات اللائقة بالدعوة الى الدين الحق والبعث على قبول التكاليف عموما عليه القرآن
من قران الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب وضم الايات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام والاستعمال طلب الفتوى

يقال استفتيت الرجل فافتاني افتاء وفتيا وفتوى وهما اسمان موضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب
الذي قوي وكمل كانه قوى ببيانه ما اشكل فثبت وصار فتيا قويا والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن
فلذلك اختلفوا فعن بعضهم انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في توريثهم وقيل انه
في الاوصياء وقيل في توفية الصداق لهن كانت اليتيمة تكون في حجر الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان
كانت ذميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها اما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه احدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله
اى يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر في يفتيكم وجاز بلا تاكيد للفصل
اى يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى
كما سلف في اول السورة جعل دلالة الكتاب على هذا الحكم افتاء من الكتاب وثانيها وما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره وهي
جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الاية ان المخل بها وبمقتضاها من رعاية حقوق
اليتامى ظالم متهاون بما عظمه الله ونظيره في تعظيم القران قوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انها مجرور على القسم بمعنى
التعظيم ايضا كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على انه معطوف على المجرور في فيهن قال الزجاج
انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الخافض ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتي الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء انما
يكون في المسايل وقوله في يتامى النساء قال الكوفيون انها اضافة الصفة الى الموصوف واصله في النساء اليتامى وقال
البصريون انها على تاويل حذف وتطيفه وتحقيق عامته وجوز بعضهم ان يكون المراد بالنساء امهات اليتامى كما في قصة ام كحة
ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت في ميراث اليتامى والصغار وقال
غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا يحتمل الشهوة اى ترغبون في ان تنكحوهن لجمالهن او
ترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالاية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ورد باحتمال ان
يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن اذا بلغن ولان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر ثم
خطبها المغيرة بن شعبة ورغبت امها في المال فجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قدامة انا عمها ووصيها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انها صغيرة فانها لا تزوج وفرق بينها وبين ابن عمر ولانه ليس في الاية اكثر من ذكر رغبة الاولياء
في نكاح اليتيمة وذلك لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة
في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم وقيل ويجوز ان يكون وان تقوموا منصوبا على الحال اى ويامركم ان تقوموا ومن جملة ما
اخبر الله تعالى ان يفتيهم في النساء لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امراة خافت ارتفاع امراة بفعل يفسره خافت اى علمت وقيل
ظنت والظاهر انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول
الرجل لامراته انك ذميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز ان يكون من الزوجين وهو كراهة
كل منهما صاحبه ونشوز الرجل ان يعرض عنها ويمنع وجهها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها عن عايشة رض انها نزلت في المراة
تكون عند الرجل ان يستبدل بها غيرها فتقول امسكني وتزوج بغيري وانت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة
حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عايشة من قلبه فوهبت لها يومها ومعنى صلحا وهو مصدر
من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يتصالحا على ان تطلب المراة له نفسا عن القسم او عن بعضها او عن المهر و
النفقة فان هذه الامور هي التي تقدر المراة على طلبها من الزوج شاء ام ابى اما الوطي فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطي
والصلح خير من الفرقة او النشوز والاعراض للعهد او هو خير من الخصومة في كل شيء فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة
في جواز الصلح على الانكار او الصلح خير من الخيرات كما ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا
انه اعتراض مؤكد المطلوب يحصل للمقصود والشح البخل فان من شاح لا تسيل الا من مطر كثير جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت
على ذلك ثم يحتمل ان يكون هذا تعريضا للا تنفاذ بصحبتها واعلم انه رخص اولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم
ثم بين انه كما لا جناح فيه فكذلك فيه خير كثير ثم حث على الاحسان لتقوى وحسم مادة الخصومة راسا فقال وان تحسنوا اى الاقامة
على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة المحوجة الى الصلح فان الله كان
بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا فالخطاب للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما
الى صاحبه ويحترز عن الظلم وقيل لغيرهما ان تحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران الخطان الخارجي
كان من ادم بني ادم فقالت امراته يوما نظرت اليه في وجهه ثم قالت الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة

لانك رزقت مثلي امراة ورزقت مثلك قصير ولن تستطيعوا ان تعدلوا لن تقدروا على التسوية بين النساء في ميل الطباع
ولو حرصتم واذا لم يقدروا عليها بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم يكونوا مكلفين وهذا تفسير يناسب مذهب
المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا كل الميل اى دفع عنكم تمام العدل وغايته ولكن ائتوا ما استطعتم
بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم وبوجه اخر لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم ولا التسوية الكلية في
نتايج الحب من الاقوال والافعال لان الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب
عنها كل الجور فتمنعوها قسمها ونفقتها وساير حقوقها وحظوظها من غير رضاء منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض
لا على قرار اى غير ذات بعل ولا مطلقة فالغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتايج الميل القلبي فعفوا بالكل
وبالبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان وانما هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين
نسايه ويعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة رض كانت احب اليه
وعنه صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان فمال مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم و
تتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا يرزق الله كل واحد منهما زوجا خيرا
من زوجته وعيشا اهنا من عيشه والسعة الغنى والقدرة وكان الله واسعا من الرزق والفضل والرحمة والعلم واى كمال يفرض
ولهذا اطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم ووعظ وقال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف او تسريح باحسان ثم قال ولله
ما في السموات وما في الارض وهو كالتفسير لسعة الرزق وملكه وملكه وفيه ان الذي امرهم من العدل والاحسان الى اليتامى والنسوان
ليس لعجز او افتقار وانما يعود فايدة ذلك الى المكلف لانه الاحسن له في دنياه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة لم يلحقها نسخ و
تبديل وان استغناؤه تعالى بالنسبة الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الاتية فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
اى جنسه ليشمل التورية والانجيل والزبور وغيرها من الصحف قوله من قبلكم اما انه يتعلق بوصينا او باوتوا الكتاب وقوله
واياكم عطف على الذين ومعنى ان تقولوا وصينا الجميع او بعوا تكونوا مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا عطف على
اتقوا اى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وهو خالقهم ومالكهم والمنعم
عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان
لله في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في
ذاته وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقى وتوكيدا
لاستغنائه عن طاعات المطيعين وسيئات المذنبين ثم بالغ في هذا المعنى بقوله ان يشأ يذهبكم يعدمكم ايها الناس ويات باخرين
يوجد خلقا اخرين غير الانس او جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك ولن
يزال كذلك وفي الاية من التخويف والغضب ما لا يخفى وقيل الخطاب لاعداء النبي صلى الله عليه وسلم من العرب والمراد باخرين
ناس يوالونه يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان فقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس
ثم رغب الانسان فيما عنده من الكرامة فقال من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
له ان اراده ليحصل ربط الجزاء بالشرط وكان الله سميعا لاقوال المجاهدين والطالبين بصيرا بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم
فيجازيهم على نحو ذلك ثم بين ان كمال سعادة الانسان في ان يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل مجتنبين عن ارتكاب الميل شهداء لله لوجهه ولاجل مرضاته كما امرتم
باقامتها ولو كانت تلك الشهادة وبالا على انفسكم او الوالدين والاقربين بان يتوقع ضرر من سلطان ظالم او غيره وفي كلام
الحكماء اذا كان الكذب ينجي فالصدق انجى او المراد الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وان يقول اشهد
ان لفلان علي او على والدي كذا او على اقاربي كذا وانما قدم الامر بالقيام بالقسط على الشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو و
الملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لان شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات وقيامه بالقسط عبارة عن رعايته قوانين
العدل في المخلوقات والاول مقدم على الثاني واما في حق العباد فالعدالة مقدمة على الشهادة تقدم الشرط على المشروط واعلم انه انما
ان يكون المشروط المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضاء الغني او ترحما على الفقير فالله اولى بامورهما ومصالحهما
وكان حق النسق ان لو قيل فالله اولى به اى باحدهما لان الاية تثني الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنسي الفقير والغني اى الاغنياء
والفقراء يريد بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله
عليه وسلم غني وفقير وكان ميله الى الفقير راى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير وانزل الاية وقوله

وان تعدلوا يحتمل ان يكون من العدل او العدول فكانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق والحمل الاخر وهو ان المراد اتركوا الهوى لاجل ان تعدلوا اى حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الاخر وان تلووا بواوين من لوى يلوى اذا فتل وبواو واحدة من الولاية والمعنى وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او وان توليتم اقامة الشهادة او تركتموها واعلم ان الانسان لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردف ما ذكر بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا وظاهره مشعر بالامر بتحصيل الحاصل فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا ايها الذين امنوا في الماضي امنوا في المستقبل اى دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين امنوا تقليدا امنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين امنوا استدلالا اجماليا امنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا ايها الذين امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله امنوا بان الله تعالى وعظمته وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا ينتهي اليها عقولكم الخامس قال الكلبي ان عبد الله بن سلام واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فانزل الله هذه الاية فامنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير يا ايها الذين امنوا بموسى والتورية وبعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقران وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي هو المعجز وانه حاصل في الكل فالخطاب لليهود والنصارى او يا ايها الذين امنوا باللسان امنوا بالقلب فهم المنافقون او يا ايها الذين امنوا باللات والعزى امنوا بالله فهم المشركون والمراد بالكتاب الذي انزل من قبل جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان امورا ثلثة الايمان بالله وبالرسل وبالكتب وذكر في مراتب الكفر امورا خمسة اجيب بان الايمان بالثلثة يستلزم الايمان بالملائكة وباليوم الاخر لكنه ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالثلثة ثم انه ينكر الملائكة واليوم الاخر لشبهات وبلايات فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائما نص على ان منكر الملائكة والقيمة كافر بالله فان قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتب وفي مراتب الكفر عكس الامر فالجواب ان الكتب مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق الى الخلق واما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب وبوجه اخر الرسول الاول هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرسل عام له ولغيره فلما خص ذكره اولا للتشريف جعل ذكره تاليا لذكر الله لمزيد التشريف وليان افضليته صلى الله عليه وسلم ثم لما رغب في الايمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد الايمان فقال ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا والمراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان تارات واطوارا قاله القفال وليس المراد بيان العدد بل المراد ترددهم وتمرنهم على ذلك وقيل اليهود امنوا بالتورية وبموسى ثم كفروا بعزير ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون اظهروا الاسلام ثم كفروا ابقاء قيمهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ثم ازدادوا كفرا بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكايد في حق المسلمين وقيل هم طائفة من اهل الكتاب قصدوا تشكيك المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ثم انهم بالغوا في ذلك وازدادوا واتخذوا الاستهزاء والسخرية بالاسلام وفي الاية دلالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القائلين بالموافاة وهي ان شرط صحة الاسلام ان يموت الشخص على الاسلام وهم يجيبون عن ذلك بانا نحمل الايمان على اظهار الايمان ومنها ان الكفر يقبل الزيادة والنقصان فيجب ان يكون الايمان كذلك لانهما ضدان متنافيان فاذا قبل احدهما التفاوت فكذا الاخر وكيف يزداد كفرهم فيه وجوه احدها انهم ماتوا على كفرهم وثانيها بسبب ذنوب اصابوها حال كفرهم وعلى هذا فاصابة الطاعات وقت الايمان يكون زيادة في الايمان وثالثها استهزاؤهم اما قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فقيل انه يفيد نفي التاكيد وهذا لا يليق بالموضع انما اللائق به تاكيد النفي واجيب بان النفي تاكيدا اذا ذكر على سبيل التهكم افاد تاكيد النفي ثم اورد عليه ان الكفر قبل التوبة غير مغفور فاطلاقه حينئذ تضييع للشرائط المذكورة في الاية وبعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة فكيف يصح النفي واجيب بان اللام في الذين للعهد وهم قوم علم الله منهم يموتون على الكفر لا يتوبون عنه قط فقوله لم يكن الله ليغفر لهم اخبار عن حالهم الذين يؤلون اليه او اللام للاستغراق وخرج الكلام على الغالب المعتاد وهو ان من كان مضطرب الحال كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه وقع واحترام فالظاهر من حال مثله انه يموت على الكفر لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسق ولا ليهديهم سبيلا اى الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين تهكم كقوله عتابك السيف وتحية الضرب ايبتغون عندهم كان المنافقون يوادون اليهود اعتقادا منهم ان امر محمد صلى الله عليه وسلم لا يتم وحينئذ ينتفعون بودهم ويحصل لهم بهم قوة وغلبة فخيب الله امالهم بقوله فان العزة لله جميعا وعزة الله تستتبع عزة الرسول والمؤمنين كقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وجميعا حال من العزة اى مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا بمكة يخوضون في ذكر القران في مجالسهم

ويستهزؤن به بين اظهرهم المسلمون ولا يرى لهم حينئذ بالانكار عليهم ظاهرا فنزلت اذ ذاك واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره كان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين ويجالسهم بعض المنافقين فانزل الله في هؤلاء المنافقين وقد نزل عليكم في الكتاب يعني اية الانعام ان اذا سمعتم هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى انه اذا سمعتم ايات الله حال كونها يكفر بها ويستهزئ بها وقال الكسائي المعنى اذا سمعتم الكفر بايات الله والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الايات كما يقال سمعت عبد الله يلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع على الايات يمكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم ايها المنافقون اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر واذا هنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل اى اذن يكونون مثلهم وافرد مثلهم لانها في معنى المصدر نحو نؤمن لبشرين مثلنا وقد جمع في قوله ثم لا يكونوا امثالكم وانما لم يحكم بكفر المسلمين بمكة بمجالسة المشركين الخائضين وحكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة احبار اليهود الخائضين لان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة وفي اوان ضعف الاسلام ولم يرد نهي بعد ومجالسة هؤلاء المنافقين كانت في وقت الاختيار وقوة الاسلام وبعد ورود النهي قال اهل العلم في الاية دليل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم في الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم والضمير معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلالة يكفر بها ويستهزأ بها واراد جامع بالتنوين لانه بعد ما جمعهم ولكن حذف التنوين تخفيفا في اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بايات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيمة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من نصر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظهور على اليهود قالوا الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين اى اليهود نصيب استيلاء ما في الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الحوذ السوق والتسريع والاستحواذ الغلبة وهذا جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب وفي الاية وجهان الاول نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم الثاني اولئك الكفار قد هموا بالدخول في الاسلام ومنعناكم منه وارشدناكم الى مصالحكم فادفعوا الينا نصيبا مما وجدتم وفي تسمية ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تثبيت للمؤمنين وتعظيم لما نعم عليه من الدين وتحقير لشان الكافرين وتوهين لامرهم فكان ظفر المسلمين امر عظيم يفتح له ابواب السماء حين ينزل على اولياء الله وظفر الكافرين حظ دني ينقض ولا يبقى منه الا الذم في الدنيا والعقاب في الاخرة فالله يحكم بينهم يوم القيمة اى بين المؤمن والمنافق والغرض انه تعالى وضع السيف عن المنافقين في الدنيا ولكن اخر عقابهم الى يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال علي وابن عباس يعني في الاخرة وقيل المراد في الدنيا بالحجة وحجة المسلمين غالبة على حجة الكل وقيل في الاخرة وقيل تمسك الكل والشافعي في عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه ومنها ان الحربي يملكه بدار الحرب هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي والله اعلم التاويل النفس للروح كالمراة للزوج وبينهما المناسبة صفات النفوس ما كان لحق ما اوجب الله للنفوس من الحقوق وحاصل المعنى نفسك مطيتك فارفق بها واليه الاشارة بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح فتنحى بترك حقوق الله تعالى في النفس في حظوظها فلا تميلوا كل الميل في حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوي والعالم السفلي بان تميل الى الروح والنفس والروح تجتذب بجذبة دع نفسك وتعال سعة على الله في عالم هويته فيستغني عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس تجذب عن الروح بجذبة ارجعي الى ربك سعة على الله في عالم فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايها الذين امنوا امنوا الايمان ثلثة ايمان للعوام ان يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والقضاء والقدر وهذا الايمان تقليدي وايمان للخواص وهو ايمان تعالى بالتجلي للعبد بصفة من صفاته فيخضع لجميع اجزاء وجوده من ازمة الكلية وهذا ايمان عياني وايمان الاخص وهو بعد دفع الحجب الانانية حين فنائه بصفة الكمال فلم يبق عين ولا اثر فهو في العين وهذا ايمان حقيقي ان الذين امنوا بالتقليد ثم كفروا ثم امنوا بالاستدلال العقلي ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله ليغفر لهم في الازل اغفارهم بنور هداية الرشد ولا ليهديهم سبيلا لانه الاصل لا يخطي بشر المنافقين بشرهم بان اصلهم من جوهر الكذب وهذا اتخذوا الكافرين اولياء من ابتلاهم معهم نتيجة تعارف ارواحهم وكما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والله اعلم

ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة

قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ۝
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا ۝ يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ۝
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ۝ الا
الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ۝ ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما ۝ لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ۝ ان تبدوا خيرا
او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ۝ ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ۝ اولئك
هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ۝ والذين
امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم
اُجُورَهُم وَكَانَ اللهُ غفورًا رَحِيمًا

القراءة في الدرك بسكون الراء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير الاعشى الباقون بالفتح يؤتيهم بالياء حفص وعباس الباقون بالنون **الوقوف** خادعهم لعطف المختلفين كسالى لا يراؤن الناس ج قليلا لا بناء على ان مذبذبين نصب على الذم والاوجه انه حال اي يراؤن مذبذبين بين ذلك قد يقبل على تقدير الابتداء اي لا هم الى هؤلاء والاوجه انه بيان الذبذبة اي منسوبين الى هؤلاء هؤلاء الثانية سبيلا من دون المؤمنين مبينا من النار لا لابتداء النوع مع العطف نصيرا للاستثناء مع المؤمنين عظيما وامنتم عليما الجزء السادس من ظلم عليما قديرا ببعض للعطف سبيلا لان ما بعده خبر ان وقيل ان الخبر محذوف اي هلكوا وما يليه مستانف حقا لاحتمال ما بعده العطف والاستئناف مهينا اجورهم رحيما **التفسير** قال الزجاج اي يخادعون رسول الله اي يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وهو خادعهم اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه قال ابن عباس انه يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين فاذا وصلوا الى الصراط انطفئ نورهم وبقي نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وباقي تفسير المخادعة تقدم في اول البقرة كسالى جمع كسلان كسكارى جمع سكران اي يقومون متثاقلين متباطئين متناعسين كما ترى من يفعل شيئا

على كره لا عن طيب نفس ورغبة وهو معنى الكسل والسبب في ذلك انهم يبتغون بها في الحال ولا يرجون من فعلها ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا يراؤن الناس اي لا يقومون الى الصلوة الا لاجل الرياء والسمعة ومعنى المفاعلة في الرياء ان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسان ذلك العمل او فاعل بمعنى فعل بالتشديد كقوله نعم وناعم ولا يذكرون الله اي ولا يصلون الا قليلا لانه متى لم يكن معهم احد من الاجانب لا يصلون واذا كانوا مع الناس فعند دخول الوقت للصلوة يتكلفون حتى يصيروا غائبين عن اعين الناس وان لم يجد واحد من حرجتئذ يصلون وقيل انهم في صلوتهم لا يذكرون الله الا قليلا وهو الذي يظهر مثل التكبيرات فاما الذي يخفى وهو القراءة والتسبيحات فهم لا يذكرونها قيل انهم لا يذكرون الله في جميع الاوقات الا ذكرا قليلا في الندرة كما ترى من بعض المهاونين بامور الدين ولو صحبته اياما وليالي لم تسمع منه تهليله ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته ويجوز ان يراد بالقلة العدم وقال قتادة يريد ان الله لا يقبل صلوتهم لان ما رده الله فكثيره قليل وما قبله الله فقليله كثير معنى المذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يرد ويدفع الا ان الذي ذبذبهم انكر بليغ في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بالكسر اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة والمعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة والدبة الطريقة ومعنى ذلك اي بين الكفر والايمان لان ذكر الكافرين والمؤمنين يدل على الكفر والايمان وذلك قد يشار به الى اثنين كقوله عوان بين ذلك واعلم ان السبب في التذبذب ان الفعل يتوقف على الداعي فاذا كان الداعي الى الفعل هو الاعراض المتعلقة باحوال هذا العالم فانها سيالة متغيرة فلزم وقوع التغير في الميل والرغبة فاذا مال كان الداعي واذا زال بقي الانسان في الحيرة والتردد واما من كان مطلوبه في فعله اقتناء الخيرات الباقية واكتساب السعادات الروحانية ثم ان تلك المطالب امور باقية بريئة عن التغير والزوال لا جرم كان هذا الانسان ثابتا في ايمانه راسخا في شانه مريدا ولهذا المعنى مدح اهل الايمان بالثبات يثبت الله الذين امنوا الا بذكر الله تطمئن القلوب يا ايتها النفس المطمئنة قيل انه تعالى ذمهم على ترك طريقة المؤمنين وطريقة الكفار والذم على طريقة الكفار غير جائز قلنا انما يتوجه الذم لانهم عدلوا الى ما هو اخبث من الكفر وهو طريق النفاق ولهذا اورد فيه من المبالغات ما ورد من قوله ومن يضلل الله فلن له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وطريق الحقيق بالمؤمنين ان ينهوا عن ولاية المنافقين والتخلق باخلاقهم ومباينتهم ومعنى سلطانا حجة بينة على النفاق لان ولي المنافق منافق لا محالة ومن قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فان قعر الاخر من النار درك والدرك مع ذلك بالاسفل فان دركات النار منازلها نقيض درجات الجنة فبين ان المنافق في غاية البعد غاية الطرد عن حضرت الله تعالى وانه مع فرعون لان درك الاسفل اشد العذاب وقد قال عز من قائل ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك كفرس وافراس وجمع الدرك ادرك كفلس وافلس ثم قال ولن تجد لهم نصيرا احتج ابهذا على نفي الشفاعة في اهل النفاق والفساق من اهل القبلة لانه تعالى ذكره في معرض الزجر عن النفاق فلو حصل النفي للشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زاجرا عن النفاق مع انه نفاق ثم استثنى منهم التائبين فشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما فسد وامن اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جذب المنافع ودفع المضار تغير عن التوبة واصلاح العمل سريعا واذا كان مطلوبه رضاء الله وسعادة الاخرة والاعتصام بحبل الله بقي على هذه الطريقة ولم يتغير عنها وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل مؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين بالتبعية ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما يرجع على المكلفين فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم لان تعذيب الملوك بعض الرعية انما يكون للتشفي من الغيظ او لدرك الثار او لجلب المنافع او لدفع المضار وامثال هذه الامور في حقه تعالى محال وانما المقصود حمل المكلفين على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى فمن امتثل واطاع فكيف يليق بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب وفي ان فاعل الشكر والايمان هو العبد والا لصار تقدير ما يفعل الله بعذابكم بان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب مسلم انه تعالى غير مستكمل بالتعذيب ولا بالاثابة ولكن وقوع البعض في مظاهر اللطف والبعض في مظاهر القهر ضروري كما سبق وايضا انتهاء الكل الى ارادته وخلقه وتكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة فقول المعنى انه تعالى لا يعذبكم ان كنتم مظاهر اللطف وهذا كلام في غاية الصحة قال في الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعم فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن واقول ان لم يكن الواو للترتيب فلا سؤال وان كانت للترتيب فلعله انما قدم الشكر في هذه الاية خلاف اكثر الايات التي قدم الايمان فيها على العمل الصالح وهو الاصل لان الاية

مسوقة في غرض المنافقين ولم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا وانما يقع النزاع في بواطنهم وافعالهم التي يصدر عنهم غير مطابقة للقول الانساني فكان تقديم الشكر ههنا اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه تعالى فيما خلق لاجله حتى يكون اقواله وافعاله على نهج السداد وسنن الاستقامة وكان الله شاكرا مثيبا على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا وفيه انه يجزي على العمل القليل ثوابا كثيرا عليما بالكليات والجزئيات من غير غلط ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بحالهم بل كما يليق بكرمه وسعة فضله ورحمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر منافيا للكرم والرحمة ظاهرا ذكر ما يجري مجرى القدرة من ذلك فقال لا يحب الله الجهر الاية يعني انه لا يحب اظهار الفضائح الا في حق من ظلم وهم المسلمون الذين عظم ضرر المنافقين وكيدهم فيهم وايضا ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكد يسلم من تعيير المسلمين اياه على ما صدر عنه في الماضي فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مذموم وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم بنفسه وعاد الى نفاقه وقال المعتزلة في الاية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادته وقال الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل وحينئذ يصح ان يقال انه اراده وما احبه قال اهل العلم انه لا يحب الله الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكره وجها للوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والتبيين واجب في الظعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء فيه متصل او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره الا جهر من ظلم فحذف المضاف وقال الجهر يعني الجاهر اي لا يحب الله الجاهر بالسوء الا من ظلم وعلى الثاني المعنى لكن المظلوم له ان يجهر بظلمه ما لا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يرفع صوته بالدعاء على من ظلمه وقال مجاهد له ان يجهر بظلم ظالمه وقال الاصم لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكنونة حذرا من الغيبة والريبة تكن له اظهار ظلمه بان يذكر انه سرق او غصب وقال الحسن ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد ان رجلا اضاف قوما فاساؤا قراه فاشتكاه فنزلت الاية رخصة في ان يشكوا وقرا الضحاك وزيد وسعيد بن جبير الا من ظلم على البناء للفاعل فقيل هو كلام منقطع عما قبله اي صنفا منه لكن من ظلم فذموه وخلوه وقال الفراء والزجاج لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فاتقوا الله ولا تقولوا الا الحق ولا تقذفوا مستورا فربما يعلم عليه العفو قوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهي اشارة الى ايصال النفع او تعفوا عن سوء وهذا اشارة الى دفع الضرر وعلى هذا تدور المعاشرة مع الخلق فان الله كان عفوا قديرا وفيه وجوه قال الحسن اي يعفوا عن الذنب مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل يعفو عمن عفى واصلح بايصال الثواب اليه وقال الكلبي معناه ان الله اقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك في الخبر ان ابا بكر الصديق شتمه رجل فسكت مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت فقال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلما اجلس عند مجيء الشيطان قال ثم انه سبحانه تكلم بعد ذلك باحوال المنافقين في مذهب اليهود والنصارى و اباطيلهم وذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبياء دون بعض فسلكهم في سلك من لا يقر بالوحدانية ولا بالنبوة وهم الذين يكفرون بالله ورسله وفي سلك من يقر بالوحدانية وينكر النبوات وهم الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الايمان بالله والكفر بالرسل وذلك ان اليهود امنوا بموسى والتورية وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والفرقان فامنوا ببعض الانبياء وكفروا بالبعض وارادوا ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اي واسطة اولئك اي الطوايف الثلث هم الكافرون اما الطائفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان تكذيب الانبياء وانكارهم يستلزم تكذيب الله حيث حصل المعجز والقدح في بعض من يظهر على يده المعجز هو القدح في كل نبي فقيل هب انه يلزمهم الكفر بكل الانبياء لكن ليس اذا توجه الالزامات على انسان لزم ان يكون ذلك الانسان قايلا به فالزام الكفر غير والتزام الكفر غير فالجواب ان الالزام اذا كان خفيا محتاجا فيه الى الفكر والتامل فلا كما ذكرتم اذا كان جليا واضحا لم يبق بين الالزام والالتزام فرق وانتصاب على انه مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد قائم حقا اي اخبرتك بهذا المعنى اخبارا حقا وقيل المراد هم الكافرون كفرا حقا وطعن الواحدي فيه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه واجيب ان الحق ههنا الكامل الراسخ الثابت ثم ختم هذا النوع بوعد المؤمنين ومعنى بين احد وبين اثنين منهم او جماعة لان احدا في سياق النفي يفيد التعدد ومعنى سوف توكيد الوعد لان التاخير المجرد ولهذا قال سيبويه لن افعل نفي سوف افعل فالمعنى ان ايتاء الاجور كائن لا محالة وان تاخر والله اعلم **التاويل** ان المنافقين يخادعون الله في الدنيا لان الله خادعهم في الازل حين رش نوره وشاهدوه ثم اخطاهم ان شكرتم نعم الله عليكم وامنتم انفسكم من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا من التحدث بالنفس من الخواص ولا من الخواطر من الاخص الا من ظلم اي يعفون من دواعي البشرية اختيارا او اضطرارا من اضطر به وايضا لا يحب الله الجهر بالقول من السوء بافشاء سر الربوبية واظهار الالهية او بكشف القناع من مكنونات الغيب ومصونات غيب الغيب الا من ظلم بتقلبات الاحوال وتعاقب تعلقات الجلال والجمال فاضطر الى القال عن الحال بالسان الاناني انا الحق وسبحاني ان تبدوا خيرا كما تم من

الالطاف الخفي تنبيها للخلق وافادة الحق وتخفوه صيانة لنفوسكم عن افات الشوائب وفطامها من المشارب او تعفوا عن سوء مما يدعوا اليه هواء النفس الامارة او تتركوا اعلان ما جعل الله فان الله كان عفوا فكونوا عفوا متخلقا ان الذين يكفرون فيه اشارة الى ان الايمان لا ينتقص وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كوة البيت يزيد وينقص بحسب سعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن بحيث يوخذ منه في شيء اخر غير محاذي للشمس والله اعلم بالصواب

يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا
عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت و
اخذنا منهم ميثاقا غليظا ● فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله
وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ● وبكفرهم وقولهم على مريم
بهتانا عظيما ● وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه
لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا
بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما ● وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم
شهيدا ● فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم و
بصدهم عن سبيل الله كثيرا ● واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم
عذابا اليما ● لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون

بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والموتون
الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا
عظيما ● انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى
وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا ● ورسلا
قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم
الله موسى تكليما ● رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ●
لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملئكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا ● ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد
ضلوا ضلالا بعيدا ● ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان
ذلك على الله يسيرا

القراءة لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون العين ابو جعفر ونافع غير ورش مفتوحة العين مشددة بل طبع بالادغام علي وهشام وابو عمرو وعن حمزة بل طبع مظهرا ابابه الا اظهار الحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة وخلف وقتيبة الباقون بالنون زبورا بضم الزاء حيث كان حمزة وخلف الباقون بالفتح **الوقوف** بظلمهم لان ثم لترتيب الاخبار مع انفراد الكلام متحدة عن ذلك لان التقدير و فدائهم مبينا غليظا غلف قليلا للعطف عظيما لان التقدير وفي قولهم رسول الله لان ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم منه الظن لاحتمال الاستيناف والحال يقينا لتقرير نفي القتل باثبات الرفع اليه حكيما قبل موته لان الواو للاستيناف مع اتحاد المقصود شهيدا للاية ولان قوله فبظلم راجع الى قوله فبما نقضهم وقولهم متعلق حرمنا كثيرا بالباطل اليما واليوم الاخر عظيما من بعده للعطف مع تكرار الفعل وسليمان لان التقدير وعدا اتينا للتخصيص داود باتيان الزبور زبورا لان التقدير وقصصنا عليك رسلا عليك تكليما لاحتمال البدل والنصب على المدح الرسل حكيما بعلمه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال يشهدون شهيدا بعيدا طريقا ابدا يسيرا **التفسير** هذا نوع ثان من جهالات اليهود فانهم قالوا ان كنت رسولا من عند الله فائتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالالواح وقيل اقترحوا ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانه رسول الله وقيل كتابا معاينة حين ينزل فان استكبرت ما سألوه فقد سألوا بعض سال اباؤهم ومن هؤلاء على مذهبهم موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة انما كان سؤال الرؤية اكبر من سؤال تنزيل الكتاب لان التنزيل امر ممكن في ذاته بخلاف رؤية الله عيانا فانها ممتنعة لذاتها عند المعتزلة وممتنعة في الدنيا فيما غيرهم وفي قوله من بعد ما جاءتهم البينات وجوه احدها ان البينات التي ظهرت لانها تدل على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعلى قدمه وعلى كونه مخالفا للاجسام والاعراض وعلى صدق موسى في دعوى النبوة

وثانيها ان انزال الصاعقة واحياءهم بعد اماتتهم وثالثها انها الايات التسع من اليد والعصا وفلق البحر وغيرها ومحصول الكلام ان هؤلاء يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء فاعلم انهم لا يطلبون منك الا عنادا ولجاجا كما سألوا موسى ثم قد انزل عليه هذا الكتاب وانزل عليه سائر المعجزات القاهرة ثم انهم طلبوا الرؤية على عبادة العجل وكل ذلك يدل على تسلطا ظاهرا وهو ان امرهم بقتل انفسهم والمراد قوة امره وكمال حاله وانكسار خصومه ففيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء الكفار الذين يعاندونه فانه بالاخرة يستولي عليهم ويقهرهم ثم حكى عنهم سائر جهالاتهم واصرارهم على اباطيلهم منها انه تعالى رفع الطور عليهم حتى يخافوا فلا ينقضون ومنها قصة دخولهم الباب باب بيت المقدس ومنها قصة اعتدائهم في السبت باصطياد السمك وقد مر جميع هذه القصص في سورة البقرة وقيل ان العدو ههنا ليس بمعنى الاعتداء وانما هو بمعنى الحضر والمراد به النهي عن العمل والكسب يوم السبت كانه قيل لهم اسكنوا عن العمل في هذا اليوم واقعدوا في منازلكم فانا الرزاق ثم قال واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي العهد المؤكد غاية التوكيد على ان يتمسكوا بالتورية ويعملوا بما فيها فبما نقضهم ما مزيدة للتوكيد اي فبنقضهم وتسبب كذا وكذا ثم قال بل طبع الله عليها ردا لقولهم قلوبنا اوعية للعلم ونبههم على انه تعالى ختم عليها فلهذا لا يصل اثر الدعوة والبيان اليها وتكذيبا لادعائهم ان قلوبنا في اكنة وذلك بحسب تفسير الغلف كما مر في سورة البقرة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى والتورية على زعمهم والا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الانبياء والقلة في الحقيقة بمعنى العدم وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب وكذا انكارهم نبوة عيسى كفر ورميهم مريم بهتان عظيم لانه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والله تعالى جعل الذكر الحسن مكان القبيح الذي كانوا يطلقونه عليه من الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه اي المقتول لهم لدلالة ذكر قتلنا على المقتول او يكون شبه مسندا الى الجار والمجرور وهو لهم اي وقع لهم التشبيه ولا يجوز ان يكون في شبه ضمير المسيح لانه المشبه به وليس بمشبه قال اكثر المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين عوامهم فاخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة مع الناس وقيل ان اليهود لما علموا انه في البيت الفلاني مع اصحابه امر يهوذا راس اليهود رجلا من اصحابه يقال له طيطانوس ان يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله فلما دخل عليه اخرج الله تعالى عيسى من سقف البيت والقى على ذلك الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا انه هو المسيح فصلبوه وقتلوه وقيل وكلوا بعيسى رجلا يحرسه وصعد عيسى في الجبل ورفع الى السماء والقى الله الشبه على ذلك الرقيب وهو يقول لست عيسى وقيل انه ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فلما هموا باخذه وكان معه عشرة من اصحابه قال لهم من يشتري الجنة بان يلقى عليه شبهي فقال واحد منهم انا فالقى الله تعالى شبه عيسى عليه فاخرج وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجلا يدعي انه من اصحاب عيسى وكان منافقا فذهب الى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لاخذه القى الله شبهه فقتل وصلب وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه ونظروا الى بدنه قالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقيل ان المختلفين هم النصارى وذلك انهم باسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كبار فرق النصارى ثلثة النسطورية والملكانية واليعقوبية فالنسطورية زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وهو قريب من قول الحكماء ان القتل والموت يرد على الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين ان نفسه كانت قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الارواح فلم يعظم تالمها بسبب القتل وتخريب البدن وقالت الملكانية القتل وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين والشك في الاحكام استواء طرفي نقيضه عند الذاكر وقد يطلق عليه الظن ولهذا اذم في قوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن واما العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لانه عمل بالطرف الراجح ولان العلم يوجب العمل قطعي ثم قال وما قتلوه يقينا وانه يحتمل عدم يقين القتل اي قتلا يقينا او متيقنين واليقين عقد جازم مطابق ثابت لدليل ويحتمل يقين عدم القتل على ان يقينا تاكيد لقوله وما قتلوه اي حق انتفاء قتله حقا ولهذا اولى لقوله بل رفعه الله اليه وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما اذا تبالغ فيه علمه فيكون تهكما بهم لانفي عنهم العلم اولا نفيا كليا ثم نبه بقوله وكان الله عزيزا حكيما على ان رفع عيسى الى السماء بالنسبة الى قدرته وحكمته سهل وان فيه من الحكم والفوائد ما لا يحصيها الا هو ثم قال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته فقوله الا ليؤمنن جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف وان هي النافية التقدير وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن كقوله وما منا الا له مقام معلوم والضمير في به عائد الى عيسى وفي موته الى احد عن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها

يعنى هذه الاية وقال انى لاوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره
الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبى ويقول للنصرانى اتاك عيسى
نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الى وقال
ممن قلت حدثنى محمد بن الحنفية بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها
وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل يضرب عنقه قال لا تخرج روحه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق
بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها فى الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وفائدة هذه الاخبار الوعيد والزام الحجة للبعث على معاجلة
الايمان فى الآن للانتفاع لانه اذا لم يكن له من الايمان [illegible] حال التكليف ليقع معتدا به اولى وقيل الضمير فى به وفى موته
لعيسى والمراد باهل الكتاب الذين يكونون فى زمانه روى انه ينزل من السماء فى اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن
به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ويهلك الله المسيح الدجال ويقع الامنة حتى يرتع الاسود مع الابل والنمر مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين نزوله ينبغى
ان يكون عند ارتفاع التكاليف وبحيث لا يعرف اذ لو نزل مع بقاء التكليف على تقدير ان يعرف انه عيسى فاما ان يكون نبيا ولا نبى بعد
محمد صلى الله عليه وسلم وعزل الانبياء لا يجوز واجيب بانه كان نبيا الى ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك فلما رفع الى ربه فلا يلزم عزله فلا بعد
ان يصير بعد نزوله تبعا لمحمد صلى الله عليه وسلم قال فى الكشاف ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن
به على ان الله يحييهم فى قبورهم فى ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمان وقيل الضمير فى به يرجع
الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوا وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله وكذلك كل نبى شاهد على امته قوله فبظلم التنوين للتعظيم يعنى فباى ظلم من الذين هادوا والذنوب نوعان الظلم على
الخلق وهو قوله فبظلم والاعراض عن الدين الحق وهو قوله وصدهم عن سبيل الله كثيرا اى ناسا كثيرا ومن هذا القبيل اخذ الربوا
بعد النهى عنه واكلهم اموال الناس بالباطل اى بالرشى على التحريف فهذه الذنوب هى الموجبة للتشديد عليهم فى الدنيا والاخرة اما فى
الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجئ فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية واما فى الاخرة فقوله واعتدنا
للكافرين منهم عذابا اليما واعلم ان فى المتعلق عليه قوله فبما نقضهم وما عطف عليه قولين الاول انه محذوف والتقدير فبنقضهم بكذا
فعلنا بهم كذا او لعناهم وسخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استانف قوله فبظلم ومتعلق حرمنا وكذا متعلق المعطوفات بعده الثانى ان يتعلق
بحرمنا وقوله فبظلم الذين بدل عن قوله فبما نقضهم قال الزجاج ويرجح الاول بان حذف المتعلق افخم ليذهب الوهم كل
مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظام قلت لو جعل قوله واعتدنا
معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال اما تكرار الكفر فى الاية ثلث مرات ويلزم من عطف الثالث على الاول او على الثانى
عطف الشئ على نفسه فقد اجاب عنه فى الكشاف بانه تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف
بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل
الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم
وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ثم وصف طريقة المؤمنين المحقين منهم يعنى عبد الله بن سلام واضرابه ممن ثبت فى العلم وثبت
واتقن واستبصر حتى جعل له المعارف بالاستدلال واليقين دون التقليد والتخمين لان المتحقق يكون بحيث اذا شككه المشكك
المستدل فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يعنى المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار والراسخون مبتدأ
ويؤمنون خبره واما قوله والمقيمين الصلوة ففيه اقوال روى عن عثمان وعائشة رضى الله عنهما انهما قالا ان فى المصحف لحنا
وستقيمه العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثانى قول البصريين انه نصب على المدح لبيان فضل الصلوة والمؤتون رفع على المدح لبيان
فضل الزكوة كقولهم المطعمون فى المحل والمغيثون فى الشدائد فتقدير الاية اعنى المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة و
المؤمنون بالله واليوم الاخر وطعن الكسائى فى هذا القول على ان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو
قوله اولئك الى اخره منتظر والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فما الدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ
والخبر الثالث وهو اختيار الكسائى ان المقيمين خفض للعطف على ما فى قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء ولم يخل
شرع واحد منهم من الصلوة قال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة والملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان
العلماء ثلثة اقسام العلماء باحكام الله وتكاليفه وشرائعه والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة واحوال المبداء

والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل بما يجب العمل به وهم الراسخون فى العلم وانهم اكابر العلماء وللاقسام الثلثة
اشار بقوله صلى الله عليه وسلم جالس العلماء وخالط الحكماء ووافق العقلاء اللهم اجعلنا من زمرتهم يا مستعان ثم انه
سبحانه عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب فقال انا اوحينا اليك الاية بدا بذكر نوح لانه اول نبى
شرع الله على لسانه من احكام الحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض الانبياء بالتعيين بالذكر لكونهم افضل
من غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لان المقصود من تعداد هؤلاء الانبياء عليهم السلم انهم كانوا رجالا مع ان واحدا منهم ما انزل
عليه كتابا مثل التورية دفعة واحدة ثم ختم ذكر الانبياء بقوله واتينا داود زبورا يعنى انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله
وانه ما نزل على داود جملة واحدة وهو الزام حسن قوى والزبور كتاب داود ومن قرا بضم الزاء فلعله تعالى ما ذكر كلهم
بعض الانبياء فى القران والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب
والمراد نعت كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلم بشرف التكليم ولا يلزم منه العقو والطعن فى سائر الانبياء
كما لا يلزم الطعن بانزال التورية عليه دفعة واحدة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يعنى ان المقصود
من بعثة الانبياء تبليغ احكام التكاليف بالانذار والتبشير ولان يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتاب وقد يكون انزال
الكتاب مفرقا اقرب الى المصلحة لانه اذا انزل جملة كثرت التكاليف فيثقل القبول كما ثقل على قوم موسى ثم ختم الاية بقوله وكان
الله عزيزا حكيما والمعنى ان عزته تقتضى ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه امراهذا فى القدرة وكذلك حكمته تقتضى هذا الامتناع
لانه لو جعل ذلك لاصروا على اللجاج فى كل قضية واحتج الاشاعرة بالاية على ان معرفته لا تثبت الا بالسمع لقوله لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة فى ترك الطاعات والمعارف وقالت المعتزلة بان الرسل منبهون
عن الغفلة وباعثون على النظر فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة مع افادة تفصيل امور الدنيا وبيان احوال
التكليف وتعليم الشرائع فالمعتزلة قالوا فى الاية دلالة على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح
عذرا فلان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض ايضا قالوا الاية تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فبطل
قول اهل السنة انه لا اعتراض لاحد عليه واجيب بان يشبه الحجة وليس حجة فى الحقيقة قوله لكن الله يشهد بدل عن مستدرك
لان لكن لا يبتدا به وفى ذلك المستدرك وجهان احدهما ان هذه الايات باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لنزل عليه
الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن ان هذا القران ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلاجرم قيل لكن الله يشهد عليه بانه نازل عليه
من السماء الثانى انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال
القران بحيث يعجز عن معارضته الاولون والاخرون يشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القران الذى انزل عليك ثم فسر ذلك
واوضح بقوله انزله بعلمه ملتبسا بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال فى
الرجل المشهور الكامل بكمال الفضل اذا صنف كتابا واستقصى فى تحريره انما صنف هذا بكمال علمه يعنى انه اتخذ جملة علومه الة
ووسيلة الى تصنيف ذلك الكتاب او انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بعلمه بما علم من مصالح
العباد فيه او انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لانه لا يسبقونه بالقول
فشهادته تستتبع شهادتهم ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اياه وكفى بالله
شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بجحدوا القران وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل
عليه القران دفعة كما انزلت التورية على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون
وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لان غاية الضلال ان ينضم معه الاضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان نعته او عوامهم
بالقاء الشبهات فى قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا انهم لا يسلكون الى الطريق الموصل الى الجنة او لا يهديهم يوم
القيمة الا طريقها والعامل فى خالدين معنى لا يهديهم اى يعاقبهم او يدخلهم النار خالدين فيها وكان ذلك على الله يسيرا
لانه لا صارف له عن ذلك ولا يتعذر عليه ايصال الالم اليه بعد شئ الى غير النهاية واللام فى الذين اما لقوم معهودين
علم الله منهم انهم يموتون على الكفر واما للاستغراق فيجب ان يضمر شرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا على اصحاب الكبائر
بناء على انه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة فى انه لا يغفر لهما الا بالتوبة **التأويل** ردنا الله جبرا لعله ضرب
لموسى الرؤية التى كانت بشؤم القوم وما كان فى انفسهم من سوء ادب هذا السؤال الا لا يطمعون فى مطلوب لم يعطه نبيهم فلما
اسقطوا الحد [illegible] الله بينهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره فكلما ازداد عنادهم زاد بلاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور فوقهم وغير ذلك
قال اهل الاشارة ان ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات والطيبات التى احلت لارواحهم الطيبين قبل اهل القلوب [illegible]

والاسراف في المباحات يستتبع فساد المقامات والقربات لكن الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بقدمي الصدق والعمل في العلم
الى ان بلغوا معادن العلوم فاتصلت علومهم الكسبية بالعلوم العطائية واللدنية انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده اي بكل ما اوحينا اليهم اوحينا اليك سوى فاوحى الى عبده ما اوحى ورسلا قد قصصناهم من قبل اي ليلة المعراج ورسلا
لم نقصصهم عليك لان في القران مفصلة انزله بعلمه على الصفة العالمية حتى علم بعلمه بما كان وما سيكون والملائكة يشهدون
على تلك الخلوة فان لم يكونوا معك في الخلوة فكفى بالله شهيدا على ما يجري فلكان ما كان سوى الا نوع به نطق خبرا ولا
يسال عن الخبر والله تعالى اعلم بحقيقة الامور نعوذ بالله من الغرور ٥

يا ايها النا س قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا
لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله
عليما حكيما ● يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا
على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القيها الى
مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما
في الارض وكفى بالله وكيلا ● لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته و
يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ● فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ● ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ●
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا
مبينا ● فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه
وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما ● يستفتونك قل الله يفتيكم في
الكلالة ان امرؤ هلك له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو
يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك

وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم ●

القراءة فسنحشرهم بالنون للمفضل الباقون بالياء **الوقوف** خيرا لكم والارض حكيما الا الحق وكلمته
للاستئناف مع اتحاد المقصود وروح منه لعطف المختلفتين ولكن يحمل الايمان مع بقاء البيان ورسله ثلثة خيرا لكم اله واحد
ولد لان المنفي منه مطلق الولد ولو وصل وهم المسلمون ولد موصوف بان لله ما في السموات وما في الارض وكيلا المقربون
جميعا من فضله اليما ولا نصيرا مبينا وفضله للعطف مستقيما يستفتونك في الكلالة ما ترك لان ما بعده مبتداء
ولكن الكلام متحد البيان لها والدلان جملة الشرط تعود الى قوله فلها النصف وبينهما عارض مما ترك لابتداء حكم جامع للذكر
الانثيين ان تضلوا عليم **التفسير** لما بين مفتريات النصارى واليهود واجاب عن شبههم عمم الخطاب فقال يا ايها
الناس قد جاءكم الرسول بالحق بالقران والقران معجز فيكون حقا او بالكتاب من عند الله فاعرضوا عن غيره وهذا والذي تشهد له
العقول السليمة فامنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وكفى في انتهوا خيرا لكم ولان المقصود الحث على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه
يحمله على امر في المعنى اقصدوا وانتهوا خيرا لكم مما انتم عليه من الكفر وهو التثليث وهو الايمان بالله ورسله والايمان لا شك انه احمد
عاقبة من الكفر بل العاقبة كلها به وقيل انه منصوب على خبر يكن اي يكن الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يذهب الوهم الى غيره بقرينة
وان تكفروا فان الله غني عنكم لانه مالك الملك او قادر على نزول العذاب لان الكل تحت قهره وتسخيره وله عبيد غيركم وكان
الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع اجر المحسنين ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب عن شبهة اليهود خاطب
النصارى ومنعهم عن الغلو في الدين وهو الافراط في شان المسيح في ان اعتقدوه الها للانبياء وحثهم على ان لا يقولوا على الله
الا الحق الذي يحق وهو وصفه به وهو تنزيهه عن الحلول في بدن الانسان والاتحاد به والاتخاذ للصاحبة والولد انما المسيح
بن مريم رسول الله وكلمته وهو امره من غير واسطة اب ولا نطفة القاها اي الكلمة الى مريم اي اوصلها اليه وحصلها فيها وروح
منه انه ظاهر الكثيف بمنزلة الروح كما يقال هو نعمة من الله او سمي بذلك لانه سبب الارواح او كماله كما سمي القران روحا وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح منه ولا شك ان وجود النبي رحمة للامة قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو النفخ يعني ان النفخ من جبريل عليه السلم
كان امر الله تعالى فهو منه والشكر للتعظيم اي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافة ذلك الروح
الى نفسه لاجل التشريف فامنوا بالله ورسله اي امنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلثة هي خبر
مبتدا محذوف ان الله ثلثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد وانه ثلثة بالصفات ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحيوة او الهتنا ثلثة ان كان في اعتقادهم
انها ذوات قائمة بانفسها الاب والام والابن ولعل القولين مرجعهما الى واحد لانهم اذا جوزوا على الصفات الانتقال
والحلول في عيسى ومريم فقد جعلوها مستقلة بانفسها ولهذا لزم الكفر والشرك والا فمجرد اثبات الصفات لله تعالى لا
يوجب الشرك فالاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمانية قدماء انتهوا عن التثليث واقصدوا خيرا لكم انما الله اله واحد لا
تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به عيسى اتصال
الابناء بالاباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره جسدا حيا من غير اب له ما في السموات وما في الارض
فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية و
لا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا في تدبير المخلوقات وحفظ المحدثات فلا حاجة الى القول باثبات اله آخر
مستقل او مشارك قال الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء نقول
قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله ورسوله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح انه
عبد الله والتحقيق ان الشبهة التي عليها يعولون في دعواه انه ابن الله هي انه كان يخبر عن المغيبات وياتي بخوارق العادات
كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة من عبودية الله فان الملائكة المقربين
اعلى حالا منه لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حمل العرش مع عظمه ثمانية منهم ثم انهم لم يستنكفوا عن كونهم عباد الله
فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اي يمتنع ويانف والتركيب على التنحية والازالة من ذلك نكفت الدمع انكفه اذا نحيته عن خدي

باصبعك ونكفت عن الشئ اى عدلت والقايلون بافضلية الملايكة استدلوا بهذه الاية وقد تقدم الاستدلال بها والجواب
عنها والبحث عليها فى سورة البقرة فى تفسير قوله واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم واما قوله والملايكة فانه معطوف على المسيح
وهو الاظهر وجوز بعضهم عطفه على الضمير فى يكون او فى عبدا يعنى الوصفية فيه فيكون المعنى ان المسيح لا يانف ان يكون
هو ولا الملئكة موصوفين بالعبودية او لا يانف ان يعبد الله هو والملايكة وفى المعنيين انحراف عن الغرض فالاول اولى والمراد
بالملئكة كل واحد منهم حتى يكون خبره ايضا عبدا او يكون الخبر عباد وحذف لدلالة عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه بان يجمعهم يوم القيمة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيا ثم انه تعالى لم يذكر ما فعل بهم بل ذكر اولا ثواب المومنين
المطيعين فسئل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد فاجاب فى الكشاف بان هذه
كقولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل
عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثانى كما حذف احدهما فى التفصيل فى قوله واما الذين امنوا بالله واعتصموا به اذ
تذكر ثواب المومنين توطية كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وسيعذب
مع ذلك بما يصيبهم من العذاب اقول لو جعل الضمير فى قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس كلهم لم يحتج الى هذه التكلفات ويحصل
الربط بسبب العموم ومثله غير عزيز فى القران كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد
الى تعميم الخطاب يا ايها الناس قد جاءكم برهان الاية يحتمل ان يراد بالبرهان والنور كليهما القران ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد صلى
الله عليه وسلم لانه يقيم البرهان على تحقيق الحق وابطال الباطل وبالنور المبين القران لانه سبب لوقوع نور الايمان فى القلب فاما
الذين امنوا بالله فى ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا به وتمسكوا بدينه او لجاوا اليه فى ان يثبتهم على الايمان و
يصونهم عن دفع الشيطان فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل ما يتفضل عليهم بما لا عين رات ولا اذن
سمعت ويهديهم اليه اى الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين الحنيف والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد بالرحمة والفضل
اللذات الحسية الباقية وبالهداية اللذات الروحانية الدايمة ثم انه سبحانه ختم السورة بنحو ما بدا به وهو احكام المواريث
فقال يستفتونك الاية قال اهل العلم ان الله تعالى انزل فى الكلالة ايتين احدهما فى الشتاء وهى التى فى اول هذه السورة والاخرى
فى الصيف وهو هذه ولهذا تسمى اية الصيف عن جابر قال اشتكيت فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى سبع اخوات
فنفخ فى وجهى فافقت فقلت يا رسول الله اوصى لاخواتى بالثلثين قال احسن فقلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركنى قال
ثم دخل فقال يا جابر انى لا اراك تموت فى وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذى لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين و
روى انه اخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله
فقال ان لى اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت فنزلت هذا وقد تقدم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا
الوالد والولد وعلى الموروث وهو الذى لا ولد له ولا والدين ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره هذا الظاهر
ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد اعلم ان ظاهر الاية مطلق ولا فيه من تقييدات ثلثة
الاول ان الولد مطلق والمراد به الابن لانه هو الذى يسقط الاخت واما البنت فلا تسقطها ولكنه تعصبها لما روى
عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى فى بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس
والباقى للاخت فعلى هذا لو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقى للاخت بالعصوبة الثانى ان ظاهر الاية يقتضى
انه اذا لم يكن للميت ولد فان الاخت تاخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت ولد ولا
والد لان الاخت لا ترث مع الولد بالاجماع الثالث قوله وله اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت
من الام والاخ من الام ذكر حكمهما فى اول السورة بالاجماع ثم قال وهو يرثها اى واخوها يرثها ويستغرق مالها ان قدر
الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اى ابن كما قلنا لان الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا
فى الاخ من الابوين له او من الاب اما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وايضا المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد لان
الاب ايضا مسقط للاخ لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ
ثم قال فان كانتا اثنتين يعنى من يرث بالاخوة اثنين فانث وثنى باعتبار الخبر كقولهم من كانت امك وكذا الكلام فى قوله وان كانوا
اخوة واراد بالاخوة الاخوة والاخوات لكنه غلب جانب الذكورة روى ان الصديق قال فى خطبة الا ان الاية التى انزلها
فى سورة النساء فى الفرايض اولها فى الوالد والولد وثانيها فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والتى ختم بها السورة
فى الاخوة والاخوات من الاب والام والتى ختم بها الانفال فى اولى الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون المضاف

المحذوف اى كراهة ان تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجانى صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها والله
بكل شئ عليم فيكون بيانه حقا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما انه ابتداها بكمال القدرة فبهما يتم الالهية و
يحصل الترهيب والترغيب للعاصى والمطيع والله المستعان التأويل فان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض
يعنى ان تومنوا يكن لكم ما له وان تكفروا فالكل له لا تغلوا فى دينكم لا تميلوا الى طرفى التفريط والافراط فاليهود فرطوا فى شانه
فلم يقبلوه نبيا وهموا بقتله والنصارى افرطوا فى حبه فجعلوه ابن الله وكذلك كل ولى له سبحانه يسعى بترك احترامه
وطلب اذيته وقوم بالزيادة فى اعطايه حتى يعتقد فيه ما ليس يرضى به كالخوارج والغلاة من الشيعة ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فى مريم وروح منه لانه يكون بامر كن من غير واسطة اب كما ان الروح يكون كذلك
قل الروح من امر ربى ولغلبة جانب الروحانية عليه كان يحيى الاجساد الميتة اذ ينفخ فيها وهذا الاستعداد الروحانى الذى هو
من كلمة الله مركوز فى جبلة الانسان فمن يخلص جوهره وحانيته من معدن بشريته فى انسانيته يكون عيسى وقته فيحيى الله تعالى
بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به اذانا صما وعيونا عميا فيكون فى قومه كالنبى فى امته ولا تقولوا ثلثة يعنى نفوسكم والروح
والله بل انتهوا انظر الوحدة عن رؤية الثلثة فينكشف لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يتولد من وحدانيته شئ له الوجود
الحقيقى القايم الدايم اولا واخرا وظاهرا وباطنا كل شئ هالك الا وجهه وكفى بالله وكيلا لكل هالك لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله لان العبدية وهى حقيقة الامكان الذاتى واجبة له ولهذا نطق فى المهد بقوله انى عبد الله ولا الملئكة
المقربون انما ذكرهم لان بعض الكفار كانوا يقولون الملايكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قد جاءكم برهان
جعل نفس النبى برهانا بالكلية وبرهان غيره كان فى اشياء غير انفسهم مثل ما كان برهان موسى فى عصاه فمن ذلك برهان
بصره ما زاغ البصر وما طغى ومنه برهان انفه لانى لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومنه برهان لسانه وما ينطق عن
الهوى وبرهان بصاقه بصق فى العجين وفى البرمة فاكلوا من ذلك يوم الفتح تركوه والبرمة تفور كما هى والعجين تخبز
وبرهان تفله تفل فى عين على كرم الله وجهه وهى ترمد فبرا باذن الله وذلك يوم خيبر وبرهان يده وما رميت اذ رميت
وسبح الحصى فى يده وبرهان اصبعه اشار بها الى القمر فانشق فلقتين فتفجر الماء من بين اصابعه حتى شرب ودفع
منه خلق كثير وبرهان صدره كان يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل الم نشرح لك صدرك وبرهان قلبه ينام عيناى ولا
ينام قلبى نزل به الروح الامين على قلبك وبرهان كله سبحان الذى اسرى بعبده اللهم ارزقنا الاقتباس من هذا البرهان
والاقتباس من انوار القران انك انت الرؤف المنان ٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام
الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ان الله يحكم
ما يريد • يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر الحرام
ولا الهدى ولا القلايد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا
من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنان
قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى

ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب ●
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا
ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور
رحيم ● يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن
عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب ●
اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين
ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة
من الخاسرين ● يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين
وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد
منكم من الغائط او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ● ما يريد الله ليجعل عليكم

من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم
تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم
به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور ●
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون ● وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم ● والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم ● يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله و
على الله فليتوكل المؤمنون ●

القراءة ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة روى عن رويس الباقون
مثقلة شنان في الموضعين بسكون النون ابن عامر واسمعيل وابو بكر وحماد
ويزيد عن طريق ابي ويردوا الباقون بالفتح ان صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وارجلكم بالنصب ابن عامر ونافع وعلي
والمفضل وحفص ويعقوب والاعشى في اختيار الباقون بالجر الوقوف بالعقود لاستيناف الفعل حرم ما يريد ورضوانا
لابتداء النهي ان تعتدوا للابتداء بالعطف وحذف الثاء من تعاونوا والتقوى لعطف المتفقين والعدوان كذلك واتقوا الله شديد العقاب
بالازلام فسق واخشون دينا لان الشرط من تمام التحريم لا متمايليه لاثم لان ما بعده جزاء رحيم احل لهم فصلا بين السؤال والجواب
الطيبات للعطف اي وصيد ما علمتم مما علمكم الله لفاء التعقيب مع عطف المختلفين عليه واتقوا الله الحساب الطيبات لان ما بعده
مبتدا لكم لعطف المتفقين لهم لان قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه اخدان عمله لعطف المختلفين مع ان بعده
من تمام جزاء الكفر مع الخاسرين الكعبين لابتداء حكم فاطهروا وكذلك وايديكم منه تشكرون واثقكم به لان اذ ظرف المواثقة وطعنا
لعطف المتفقين مع وقوع العارض واتقوا الله الصدور بالقسط لعطف المتفقين مع زيادة النون لتاكيد للعرض بالاستيناف ان
لا تعدلوا للاستيناف اعدلوا لطيفة لان الضمير مع شدة اتصال المعنى للتقوى واتقوا الله بما تعملون الصالحات لان ما بعده مفعول
الوعد اي ان لهم عظيم الجحيم ايديهم عنكم لاعتراض الظرف بين المتفقين واتقوا الله المؤمنون التفسير وفى بالعهد واوفى
به بمعنى والعقد وصل الشيء بالشيء على الاستيثاق والاحكام والعهد الزام والعقد التزام مع احكام والمقصود من الايفاء بالعقود
اداء تكاليفه فعلا وتركا والتحقيق ان الايمان معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه وافعاله فكانه قيل يا ايها الذين التزمتم بايمانكم
انواع العقود اوفوا بها ومعنى تسمية التكاليف عقودا انها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالحبل الموثوق قال الشافعي اذا نذر صوم يوم
العيد او نذر ذبح الولد لغا لقوله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية الله وقال ابو حنيفة يجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى اوفوا
بالعقود غايته انه لغا هذا النذر في خصوص كون الصوم واقعا في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح في الولد وقال ايضا خيار المجلس
غير ثابت لقوله اوفوا بالعقود وخصص الشافعي عموم الاية بقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا
وقال ابو حنيفة الجمع بين المطلقات حرام لان النكاح من العقود بدليل ولا تعزموا عقدة النكاح فقال اوفوا بالعقود تركنا العمل في الطلقة
الواحدة بالاجماع فيبقى سايرها على الاصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو ان حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم انه سبحانه
لما مهد القاعدة الكلية ذكر ما يندرج فيها فقال احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل حي لا عقل لهم من قولهم استبهم الامر اذا اشكل وهذا باب

والباقون بالفتح ولا تعاونوا فيه البزي بالتشديد تاء
[illegible] ابن كثير فمن اضطر
[illegible] واخشون
باليا [illegible]
منه

ابو مسعود ثم خص هذا بكل ذات اربع في البر والبحر والانعام هي المال الراعية من الابل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم
الانعام الحافر لانه ماخوذ من نعومة الوطي واضافة البهيمة الى الانعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وهذه فائدة لفظ البهيمة مع صحة
ما لو قيل احلت لكم الانعام وقال في سورة الحج هي فائدة الاجمال ثم التبيين وانما وحد البهيمة لانها اسم جمع ليشمل افرادها وجمع الانعام
لان النعم مفرد يقع في الاكثر على الابل وحدها وقيل المراد بالبهيمة شيء وبالانعام شيء آخر وفي هذا وجهان احدهما ان البهيمة الظباء وبقر
الوحش ونحوهما من الوحوش ومما يماثل الانعام ويشابهها من جنس الانعام وهو الاجترار وعدم الانياب واضيفت اليها لملابسة الشبه
الثاني انها الاجنة عن ابن عباس رضي ان بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس جنينها وقال هذه هي بهيمة الانعام وعن ابن
عمر انها اجنة الانعام وفي ذكوته ذكوة امه وقال الثنوية ذبح الحيوانات ايلام والايلام قبيح وخصوصا ايلام الحيوان فانه ذو حيرة
والحيرة حيث لا يقدر ان يدفع عن نفسها ولم يكن له لسان يحتج على من يقصد ايلامه والقبيح لا يرضى به الا الله الرؤف الرحيم فلا
يكون الذبح مباحا حلالا ولقوة هذه الشبهة تزعم البكرية من المسلمين انه تعالى يدفع الم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة ان الايلام
ما لم يكن مسبوقا بجناية وملحوقا بعوض وههنا يعوض الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات باعواض شريفة فلا يكون الايلام قبيحا
كالفصد والحجامة لطلب الصحة وقال الاشاعرة الاذن في ذبح الحيوانات تصرف من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه وقال بعضهم احلت
لكم بهيمة الانعام اجمل لاحتمال ان يكون المراد احلال الانتفاع بجلدها او عظمها او صوفها او اوبارها والجواب ان الاحلال الا نصاف الى
الذات تعين ان الانتفاع بالبهيمة فيشمل اقسام الانتفاع على ان قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون يدل
على الانتفاع من كل الوجوه الا انه الحق بالاية نوعين من الاستثناء الاول الا ما يتلى عليكم اي الا محرم ما يتلى عليكم اية تحريمه واجمع
المفسرون على ان الاية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الاية الثاني قوله غير محلي الصيد وانتم حرم داخلون
في الحرم او في الاحرام قال الجوهري رجل حرام اي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل مفرد يستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم
حسب وانتصاب غير محلي الصيد على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاية غير محلين الصيد في حالة الاحرام وفي الحرم ثم كان
لقائل ان يقول ما السبب في اباحة الانعام في جميع الاحوال واباحة الصيد في بعض الاحوال فقيل ان الله يحكم ما يريد فليس لاحد اعتراض
على حكمه ولا سوال لم وكيف ثم اكد النهي عن مخالفة التكاليف بقوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الاكثرون على انها جمع شعيرة فعيلة
بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعارة ثم المفسرون اختلفوا على قولين احدهما انها عامة في جميع التكاليف وفيه قول الحسن شعائر
الله دين الله والثاني انها شيء خاص من التكاليف ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال احرامكم من الصيد وقيل الافعال التي
هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وقال الفراء كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة
من شعائر الحج فنهوا عن ترك السعي بينهما وقال ابو عبيدة الشعائر الهدايا المشعرة بطعن في سنامها وتقلد ليعلم انها هدي
وقال ابن عباس ان الحطم واسمه شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة
ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال
حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان
ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة
فاستاقه فطلبوه فعجزوا عنه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام عمرة القضاء سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هو
الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر الله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال زيد بن اسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
بالحديبية حين صدهم المشركون وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول الله نصد
هؤلاء كما صدنا اصحابهم فانزل الله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت
الحرام قاصدين اياه والمعنى لا تعتدوا هؤلاء العمار لان صدوكم اصحابهم والشهر الحرام اعني ذا الحجة او المراد رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله
من النسائك جمع هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل وجلد او مزادة او لحاء شجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات
القلائد من الهدي وافرد للاختصاص بالفضل مثل وجبريل وميكائيل ويحتمل ان ينهى عن التعرض للقلائد لئلا يلزم النهي عن ذوات القلائد
بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها وللمفسرين خلاف في
الاية فقال كثير منهم كابن عباس ومجاهد والحسن والشعبي وقتادة انها منسوخة وذلك ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا
فنهي المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله

وهؤلاء قد قصدوا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم الى
الله فوصفهم الله بظنهم وقال الآخرون انها محكمة وانه تعالى امر ان لا نخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من الله
اي ثوابا ورضوانا وان يرضى عنهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالاية الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله
عليه وسلم فلما زال العهد بسورة البراءة زال ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا والظاهر ان الامر للوجوب الا انه يفيد ههنا الاباحة لانه لما
كان المانع من حال الاصطياد هو الاحرام كقوله غير محلي الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف
على لا تحلوا وجرم مثل كسب من حيث المعنى ومن حيث تعديته الى مفعول واحد تارة والى مفعولين اخرى يقوله جرمته ذنبا نحو كسبته
اياه وهذا هو المذكور في الاية والشنان بالتحريك والتسكين مصدر شنئته اشناه وكلاهما شنآن والتحريك شاذ في المعنى لان
فعلان من شأن الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من المصادر عليه هكذا قال الجوهري
ومعنى الاية لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء ولا يحملنكم بغضكم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرأ بالهمزة فهو شرط وجوابه ما يدل
عليه لا يجرمنكم ومن قرأ بفتحها فمعناه التعليل اي لان صدوكم قيل هذه القراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية
عن العمرة والسورة نزلت بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء او على كل ما يعد برا وتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان على الاسلام والمعنى او على كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد والحاصل ان الباطل والاثم لا يصلح لان يهتدى به ويعان عليه
وانما امروا بالاقتداء به والتعاون عليه هو الخير والبر وما فيه تقوى الله سبحانه ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله اي في الحلال
غير متجاوز الى الحرام ان الله شديد العقاب ثم شرع في تفصيل الاستثناء الموعود تلاوته في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة
ومجموع المستثنى احد عشر نوعا الاول الميتة كانوا يقولون انكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله قالت العقلاء والحكمة في تحريم
الميتة ان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن فيحصل من اكله مضار كثيرة الثاني الدم كانوا
ياكلون الفصايد وهو دم كان يجعل في معاء من فصد عرق ثم يشوى فيطعمه الضيف في الازمنة ومنه المثل لم يحرم من فصد له البعير
وربما يقال من قزد الثالث لحم الخنزير وقالت العلماء الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذي ولا بد ان يحصل للمغتذي اخلاق وصفات
من جنس ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص والشره فحرم اكله لئلا يتكيف الانسان بكيفيته واما الغنم فانها
في غاية السلامة وكانها عارية من جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلها احوال الانسان الرابع ما اهل لغير الله به والاهلال رفع الصوت
وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى وقد مر في سورة البقرة سائر ما يتعلق بهذه الانواع الاربعة فليراجع اليها الخامس
المنخنقة كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها وقد يختنق بحبل الصايد وقد يدخل راسها بين عودين في شجرة فيختنق
فتموت وبالجملة فباي وجه اختنق فهي حرام السادس الموقوذة وهي المقتولة بالخشب وقذها يقذها اذا ضربها حتى ماتت ومنها ذي
بالبندق فمات السابع المتردية التي تقع في الردى وهو الهلاك وتردى اذا وقع في بئر وسقط من موضع مرتفع ويدخل فيه ما اذا اصابه
سهم وبالجملة وهو في الجبل فسقط على الارض فانه يحرم اكله لانه لا يعلم ان زهوق روحه بالتردي او لا الثامن النطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت بسببه ولا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة دخول الخاص في العام فافردت بالذكر لمزيد البيان
والحق الهاء في المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لانها صفات الشاة بناء على اغلب ما ياكله الناس والا فالحكم عام وانما
انث النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخل الهاء كقوله كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف غير مذكور تقول
مررت بامرأة قتيل فلان فاذا حذفت الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه التاسع ما اكل السبع وهو اسم يقع على ما له ناب
ويعدو على الانسان ويفترس الحيوان كالاسد وما دونه قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي
فحرمه الله وفي الاية حذف التقدير وما اكل منه السبع لان ما اكل السبع فقد ولا حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم الذكاة في
اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم وفي السن التمام فيها والمذاكي الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان وتذكية النار
رفعها وقوة اشتعالها والتذكية كمال الذبح اما المستثنى منه فعن علي وابن عباس والحسن وقتادة انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة
الى قوله وما اكل السبع والمعنى انك ان ادركت ذكوته بان وجدت له عينا تطرف او ذنبا يتحرك او رجلا تركض فاذبح فهو حلال لان
ذلك دليل الحيوة المستقرة وقيل انه مختص بقوله وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير
هذا فهو حلال او من التحريم لا من المحرم اي حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه لكم حلال العاشر ما ذبح على النصب وهو مفرد النصب وجمعه انصاب
كطنب واطناب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله قاله الجوهري وضعف بانه حينئذ يكون كالتكرار لقوله وما اهل لغير الله به
وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام حجارة مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا
يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويشرحون اللحوم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب ويحتمل ان يكون

الذبح للاصنام واقعا عليها وقيل النصب جمع اما النصاب كحمر وحمار او النصب كسقف وسقف الحادى عشر ما ابدعه اهل الجاهلية
وان لم يكن من جملة المطاعم اى حرم عليكم ان تستقسموا بالازلام وانما ذكر مع الذبح على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منهما عند البيت كان
احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا اخر من معاظم الامور ضرب القداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها
نهانى ربى وتركوا بعضها غفلا اى خاليا عن الكتبة فان خرج الامر اقدم على الفعل وان خرج الناهى امسك وان خرج الغفل عاد العمل فمعنى الاستقسام
بالازلام طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح وقال كثير من اهل اللغة الاستقسام ههنا هو الميسر المنهى عنه والازلام اقداح الميسر
والتركيب يدور على التسوية والاجادة يقال ما احسن ما زلم سهمه اى سواه ورجل مزلم اذا كان مخفف الهيئة وامرأة مزلمة اذا لم تكن طويلة
ذلكم فسق اشارة الى جميع ما تقدم من المحرمات اى تناولها فسق ويحتمل ان يرجع الى الاستقسام بالازلام فقط وكونه فسقا بمعنى الميسر ظاهر
واما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم والنهى هو ارشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا وقال
[ليعتقدون ان ما خرج من الامر]
الواحدى انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تعالى مختص بمعرفته وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة غير منهى كالتعبير
والفال وكما يدعيه اصحاب الكرامات والفراسات ثم انه سبحانه حرص على التمسك بما شرع فقال اليوم ليس المراد يوما معينا والاية كقولك
كنت بالامس شابا واما اليوم فشيخ وقيل المراد يوم معين وذلك انها نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع
سنة عشر والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء وروى البخارى ان رجلا من اليهود جاء الى عمر رضى الله عنه وقال يا
امير المؤمنين انكم لتقرؤن اية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال واى اية قال اليهودى اليوم اكملت
لكم دينكم فقال عمر والله انى لاعلم اليوم الذى نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس انها نزلت في عيدين اتفقا
في يوم واحد يوم الجمعة يوم عرفة اى يئسوا ان تحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه حقق
وعده باظهار هذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم واخشون اخلصوا لى الخشية قيل في الاية دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه
علل اظهار الشرائع بزوال الخوف من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم سئل ههنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون النبى
صلى الله عليه وسلم مواظبا على الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كمل ملكنا وزيف بان السؤال بعد
باق لان ملك ذلك الملك لابد ان يكون قبل قهر العدو ناقصا وقيل المراد انى اكملت لكم دينكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام و
قوانين القياس واصول الاجتهاد وضعف بانه لا يحل لهم قبل ذلك اليوم مما كانوا يحتاجون اليه من الشرائع وتاخير البيان عن وقت الحاجة غير
جائز والمختار في الجواب ان الدين ابدا كان كاملا بمعنى الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة مجملة او مبينة او
غير ذلك بحسب ذلك الوقت وفي اخر زمان البعثة حكم ببقاء الاحكام على حالها من غير نسخ وزيادة ونقص الى يوم القيمة قال نفاة القياس
اكمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا عليه فلا فائدة في القياس واجيب بان كماله هو جعل المنصوص بحيث يمكن استنباط احكام
نظائرها منها قالوا تمكين كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون اكمالا للدين وانما يكون القاء للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب
بانه اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله وانما يكون القاء للناس في ورطة الظنون و
الاوهام روى انه لما نزلت الاية على النبى صلى الله عليه وسلم فرح الصحابة واظهروا السرور الا اكابرهم كابى بكر الصديق رضى الله عنه وغيره
فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال وكان كما ظنوا فانه لم يعمر بعدها صلى الله عليه وسلم الا احدا وثمانين يوما ولم يحصل في الشرع
بعدها زيادة ولا نقص ولا نسخ قال العلماء كان ذلك جاريا مجرى اخبار النبى صلى الله عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب
فيكون معجزا احتجت الاشاعرة بالاية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل لا يحصل الا بخلق الله
وايجاده فانه لا يكون اكمال الدين الا واصله منه والمعتزلة حملوا ذلك على ان اكمال بيان الدين واظهار الشرائع ثم قال واتممت عليكم نعمتى
اى بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او نعمتى بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين ورضيت اى اخترت لكم الاسلام دينا
نصب على الحال او مفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صيرت واعلم ان قوله ذلكم فسق اى ههنا اعتراض اكد به معنى التحريم لان تحريم
هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة واختيار دين الاسلام للناس من بين سائر الاديان ثم بين الرخصة بقوله فمن
اضطر في مخمصة اى في مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف منصوب باضطر او بمضمر اى فتناول غير منحرف الى اثم بان ياكل
فوق الشبع او عاصيا لسفره وتقدم القول في هذه الرخصة مستوفى في سورة البقرة يسئلونك ماذا احل لكم كانهم حين تلى عليهم
ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم والسؤال في معنى القول فلذا لم يقل ماذا احل لنا على حكاية قوله نظرا الى ضمير الغائب
في يسئلونك ومثل هذا يجوز فيه الوجهان تقول اقسم زيد ليفعلن ولافعلن اما سبب النزول فعن ابى رافع ان جبريل عليه السلام جاء الى النبى
صلى الله عليه وسلم فاستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال جبريل انا لم ندخل بيتا فيه كلب ولا
صورة فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو فقال ابو رافع فامرنى ان لا ادع في المدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالى فاذا امرأة عندها

كلب يحرسها فرحمتها فتركته فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرنى بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاء ناس فقالوا يا
رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التى تقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان نزلت هذه الاية فامر بقتل الكلب
العقور وما يضر ويؤذى واذن في اقتناء الكلاب التى ينتفع بها وقال سعيد بن جبير نزلت في عدى بن حاتم وزيد الخيل الذى
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير حين قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وانها تاخذ البقر والحمر والظبا
والضب فمنه ما ندرك ذكوته ومنه ما يقتل فلا ندركه وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فقال احل لكم الطيبات ما ليس بخبيث
منها وهو ما لم يات تحريمه في كتاب وسنة او قياس مجتهد او احل لكم كل ما يستلذ ويشتهى عند اهل المروة والاخلاق الحميدة و
اعلم ان الاصل في الاعيان الحل لانها خلقت لمنافع العباد هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا واستثنى من ذلك اصول الاول
تنصيص الكتاب على تحريمه كالميتة والدم وغيرهما الثانى تنصيص السنة كما روى عن جمع من الصحابة ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عام
خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية والبغال كالحمير ولا يحرم الخيل عند الشافعى لما روى عن جابر انه قال نهانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث ما هو في معنى المنصوص كالنبيذ فانه مسكر كالخمر فيشاركها في التحريم الرابع
كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطيور وتقدم معنى السبع عن قريب فلا يحل لموجب هذا الاصل الكلب والاسد والذئب
والفهد والدب والنمر والقرد والفيل لانها تعدو بانيابها ولا يحل من الطيور البازى والشاهين والنسر والصقر والعقاب
وجميع جوارح الطير الخامس ما امر بقتله من الحيوانات فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان
ماكولا لجاز اقتناؤه للتسمين واعداده للاكل وقت الحاجة ومنه الفواسق الخمس روى انه صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق
يقتلن في الحل والحرم الحية والفار والغراب الابقع والكلب العقور والحداة السادس ما ورد النهى عن قتله فهو حرام لانه لو كان
ماكولا لجاز ذبحه ليؤكل كما روى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الخطاطيف وكذا الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش
السابع الاستطابة وهو الاستخباث لقوله تعالى قل احل لكم الطيبات قال العلماء فيبعد الرجوع الى طبقات الناس وتنزيل كل قوم
ما يستطيبون ويستخبثون لان ذلك يوجب اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف موضع الشرع فالاولى بالائمة
بالاعتبار لان العرب هم اولا وليس لهم ترفه وتنعم وتورث تضيق المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى والبلاد
دون اجلاف البوادى الذين لا تمييز لهم وايضا المعتبر اصحاب اليسار والترفه دون اصحاب الضرورات والحاجات وايضا المعتبر
حال الخصب والرفاهية دون حال الجدب والشدة والحشرات باسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والجعلان وحمار قبان
الا الضب فانه قال صلى الله عليه وسلم لا اكله ولا احرمه ومن الاصول انه لا يجوز اكل الاعيان النجسة في حال الاختيار وكذا
كل طاهر اذا نجس بملاقاة النجاسة كالدهن والسمن الذائب والدبس والخل ومن الاصول الكسب بمخامرة النجاسة ولكن كسب الحجام حلال
عند الشافعى ومن الاصول ما يضر كالزجاج والسم والنبات المسكر والجبن وقوله سبحانه وما علمتم من الجوارح معناه احل لكم صيد
ما علمتم على حذف المضاف لدلالة فكلوا مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون ما شرطية والجزاء فكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات
والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والبازى والصقر قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اى كسبتم وجوز بعضهم
ان يكون من الجراحة وقال اخذ من الصيد فلم يسل منه دم لم يحل وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم وفائدة هذا الحال مع الاستغناء
عنها بعلمتم ان معلم الجوارح ينبغى ان يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب نقل عن ابن عمر والضحاك والسدى ان
ما صادها غير الكلاب فلم يدرك ذكوته لم يحل اكله لان قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب والجمهور على ان الجوارح
يدخل فيه كل ما يمكن الاصطياد به من السباع قالوا المكلب مؤدب الجوارح ورائضها لان تصطاد لصاحبها وانما اشتق من الكلب لكثرة
هذا المعنى في جنسه ولان سائر السبع يسمى كلبا كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذى
هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا اى اذا كان حريصا عليه وهب ان المذكور في الاية اباحة الصيد بالكلب لكن تخصيصه بالذكر
لا ينفى حل غيره لجواز الاصطياد بالرمى والشبكة ونحوهما مع سكوت الاية عنها تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من علم
التكليب لان بعضه الهام من الله او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره واعلم انه يعتبر في صيرورة الكلب
معلما امور منها ان ينزجر بزجر صاحبه في ابتداء الامر وكذا اذا انطلق واشتد عدوه وحدته يشترط ان ينزجر بزجره ايضا على
الاشبه فيه يظهر التادب ومنها ان يسترسل بارسال صاحبه اى اذا اغرى بالصيد هاج ومنها ان يمسك الصيد لقوله فكلوا مما
امسكن عليكم وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظه ولا يخليه الثانى ان لا ياكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم فان
اكل فلا تاكل فانما امسكه على نفسه وجوارح الطير يشترط فيها ان يهيج عند الاغراء وان يترك الاكل ولكن لا مطمع في انزجارها
بعد الطيران ويشترط عند الشافعى تكرر هذه الامور بحيث يغلب على الظن تادب الجارحة بها واقله ثلث مرات ولم يقدر الاكثرون عدد المرات

كانهم راوا الفرق مضطربا وطباع الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة بطبايعها وعن سلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص و
ابن عمر وابي هريرة انه يحل وان اكل فعندهم الامساك هو ان يحفظه ولا يتركه ومعنى الاية كلوا مما بقي لكم الجوارح وان كان بعضه
اكلها منه ومن في مما امسكن قيل زايدة نحو كلوا من ثمره وقيل مبعضة وذلك ان بعض الصيد لا يوكل كالعظم والدم والريش وقال
سعيد بن جبير وابو حنيفة والمزني يوكل ما بقي من جوارح الطير ولا يوكل ما بقي من الكلب والفرق ان تاديب الكلب بالضرب على
الاكل ممكن وتاديب الطير غير ممكن ولا خلاف فانه اذا كان الجارحة معلمة ثم نفسه تصيدها وجرحته وقتله وادركه الصايد ميتا فهو حلال
وجرح الجارحة كالذبح فان قتلته بالفم من غير جرح ففي حله خلاف اما قوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه فالضمير اما ان يعود
الى ما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكوته او الى ما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او الى الاكل وعلى هذا فلا كلام وعلى الاولين
فالتسمية محمولة على الندب عند الشافعي وعلى الايجاب عند ابي حنيفة ويجيء عند تمام المسئلة في سورة الانعام انشاء الله تعالى
اليوم احل لكم الطيبات فائدة الاعادة ان يعلم بقاء هذا الحكم عند كمال الدين واستقراره وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الاكثرون
على ان المراد بالطعام الذبايح لان ما قبل الاية في بيان الصيد والذبايح ولان ما سوى الصيد والذبايح محللة قبل ان كانت لاهل
الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فايدة وعن بعض ائمة الزيدية ان المراد هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه
الى الذكوة وقيل انه جميع المطعومات وطعامكم حل لهم اي يحل لكم ان تطعموهم من طعامكم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى اطعامهم من
ذبايحنا وايضا فالفايدة في ذكره ان يعلم ان اباحة الذبايح حاصلة في الجانبين وليست كاباحة المناكحة فانها غير حاصلة في الجانبين
والمحصنات الحراير والعفايف من المومنات وعلى الثاني يدخل فيه نكاح الاماء وقد يرجح الاول بانه تعالى قال اذا اتيتموهن اجورهن
ومهر الاماء لا تدفع اليهن بل الى ساداتهن وبان نكاح المحصنات ههنا مطلق ونكاح الامة مشروط بعدم طول الحرة وبخشية العنت
وبان تخصيص العفايف بالحل يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت انه غير محرم ولو حملنا المحصنات على الحراير لزم تحريم نكاح
الامة ونحن نقول به على بعض التقديرات وبان وصف التحصين في حق الحرة اكثر ثبوتا منه في حق الامة لان الامة لا تخلو من البروز
للرجال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم احتج بها كثير من الفقهاء في انه لا يحل نكاح الكتابية الا اذا دانت بالتورية والانجيل
قبل نزول الفرقان لان قوله من قبلكم بناء في ان دينهما بعد نزوله وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات اصلا متمسكا بقوله ولا تنكحوا
المشركات حتى يومن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واول الاية بان المراد التي امنت منهن ومن المحتمل ان يخطر بالبال ان
الكتابية اذا امنت هل يحل للمسلم التزوج بها ام لا وعن عطاء ان الرخصة كانت مختصة بذلك الوقت لانه كان في المسلمات قلة
ولان الاحتراز عن مخالطة الكفار واجب لا تتخذوا بطانة من دونكم اي خلطة اشد من الزوجية وقد يحدث ولد ما يل الى دين
الام وقال سعيد بن المسيب والحسن الكتابيات يشمل الذميات والحربيات فيجوز التزوج بكلهن واكثر الفقهاء على ان ذلك مخصوص
بالذمية فقط وهو مذهب ابن عباس فانه قال من اعطى الجزية حل ومن لم يعط لم يحل لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية واتفقوا على
ان المجوس قد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبايحهم ونكاح نسايهم اذا اتيتموهن اجورهن
فيه ان من تزوج امراة وعزم على ان لا يعطيها صداقها كان كالزاني والزنى ضربان سفاح وهو على سبيل الاعلان واتخاذ خدن
وهو على سبيل الاسرار فحرمهما الله تعالى في الاية واحل التمتع بهن على سبيل الاحصان وهو التزوج بالشروط والاركان ثم حث
على التزام التكاليف المذكورة المدلول بقوله ومن يكفر بالايمان اي بشرايع الله وتكاليفه التي هي من نتايج الايمان بالله ورسوله وقال
ابن عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الايمان اي بالله وقال قتادة ومن يكفر بالقران الذي انزل فيه هذه التكاليف التي لا بد
منها في الايمان فقد خاب وخسر وفيه ان اهل الكتاب وان حصلت لهم فضيلة المناكحة واباحة الذبايح في الدنيا الا ان ذلك
لا يفيدهم في الاخرة لان كل من يكفر بالله فقد حبط عمله في الدنيا ولم يصل الى شيء من السعادات في الاخرة البتة واعلم ان القايلين
بالاحباط فسروا قوله فقد حبط عمله بان عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثواب اعماله ومنكروا الاحباط قالوا ان عمله الذي اتى
به بعد ذلك الايمان قد بان انه لم يكن معتقدا به وكان مخادعا في نفسه ثم انه سبحانه لما افتتح السورة بطلب الوفاء بالعقود وكان
العبد قال عهد الربوبية منك وعهد العبودية مني فاوفوا اولى بتقديم الوفاء بعهد الربوبية فاجاب الله تعالى نعم انا اولى بهذا لكوني ربا
والكرم ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة في نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فبين الحلال والحرام من المطاعم والمناكح وقدم المطعوم
على المنكوح لانه اهم وعند تمام هذا البيان كانه قال قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل انت ايها العبد بوظايف العبودية ولا سيما بالصلوة
التي هي اعظم الطاعات وبعد ما تها ولنبين تفسير الاية على مسايل الاولى ليس المراد بقوله اذا قمتم نفس القيام والا لزم تاخير الوضوء عن
الصلوة وهو بالاجماع باطل وايضا لو غسل الاعضاء قبل الصلوة قاعدا او مضطجعا لخرج عن العهدة بالاجماع فالمراد اذا اهتممتم بالقيام
الى الصلوة واردتم ذلك ووجه هذا المجاز ان الارادة الجازمة سبب لحصول الفعل واطلاق اسم المسبب على السبب مجاز مستفيض الثاني

ذهب قوم الى ان الامر بالوضوء تبع للامر بالصلوة وليس تكليفا مستقلا لانه شرط القيام الى الصلوة والاصح انه عبادة براسها لان
قوله فاغسلوا امر ظاهره الوجوب غاية ذلك انه يقيد بوقت التهيؤ للصلوة وايضا انه طهارة وقد قال تعالى في اخر الاية ولكن يريد ليطهركم
وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة امتي غر محجلون من اثار الوضوء يوم القيامة والاخبار الواردة في كون الوضوء سببا لغفران
الذنوب كثيرة الثالث قال داود يجب الوضوء لكل صلوة فانه ليس المراد قياما واحدا في صلوة واحدة والا لزم الاجمال اذ لا دليل
على تعيين تلك المرة والاجمال خلاف الاصل فوجب حمل الاية على العموم وايضا ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب مشعر بالعلية
فيتكرر بتكرره فيجب الوضوء عند كل قيام الى الصلوة وايضا انه نظافة فلا يكون منها بد عند الاشتغال بخدمة المعبود وقال ساير الفقهاء
ان كلمة اذا لا يفيد العموم ولهذا لو قال لامراته اذا دخلت الدار فانت طالق لم تطلق مرة اخرى بالدخول ثانيا ويروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلوة الا يوم الفتح فانه صلى الصلوات كلها بوضوء واحد قال عمر فقلت له في ذلك فقال عمدا
فعلت ذلك يا عمر اجاب داود بان خبر الواحد لا ينسخ القران وايضا في الخبر معنيان احدهما وجوب التجديد لكل صلوة لا اقل من استحباب
ذلك والثاني انه ترك ذلك يوم الفتح والاول يوجب المتابعة والثاني مرجوح لان الفتح يقتضي زيادة الطاعة لا نقصانها وايضا
التجديد احوط وايضا دلالة ظاهر القران قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية اقوى ولناصر المذهب المشهور ان يقول التيمم على المتغوط
والمجامع واجب اذا لم يجد الماء لقوله او جاء احد منكم من الغايط الاية وذلك يدل على ان وجوب الوضوء قد يكون بسبب اخر سوى
القيام الى الصلوة فلم يكن هو موثرا وحده واذا لم يكن موثرا مستقلا جاز تخلف الاثر عنه ثم التجديد مستحب لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخلفاء بعده كانوا يتوضاون لكل صلوة وقال صلى الله عليه وسلم من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات وقيل كان الوضوء
لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الاصح ان في الاية دلالة على ان الوضوء شرط لصحة الصلوة لانه علق فعل الصلوة بالطهور ثم بين
انه متى عدم الماء لم يصح الصلوة الا بالتيمم فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك وايضا انه امر بالصلوة مع الوضوء فالاتي بها بدون الوضوء
تارك للمامور به فيستحق العقاب وهذا معنى البقاء في عهدة التكليف الرابع قال ابو حنيفة النية ليست شرطا في الوضوء لانها غير
مذكورة في الاية والزيادة على النص نسخ ونسخ القران بخبر الواحد وبالقياس غير جايز وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء
مامور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل مامور به يجب ان يكون منويا لقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص
النية الخالصة فاصل النية يجب ان يكون معتبرا غاية ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور فيبقى حجة في غير محل التخصيص الخامس
قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير مشروط في الوضوء لان الواو لا يفيد الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان زيادة على النص وهو نسخ
غير جايز وقال الشافعي انه واجب لان فاء التعقيب في قوله فاغسلوا يوجب تقديم غسل الوجه ثم ساير الاعضاء على الترتيب وقال
صلى الله عليه وسلم ابدؤا بما بدا الله به وايضا الترتيب المعتبر في الحس هو الابتداء من الراس الى القدم او بالعكس والقران
فقد افرد العضو المغسول عن الممسوح ثم انه تعالى ادرج الممسوح في المغسول فدل على ان الترتيب المذكور في الاية واجب لان
اهمال الترتيب يستقبح فوجب تنزيه كلام الله عنه وايضا ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع و
الغسل يجب في موضع اخر ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن لا ينجس حيا وميتا وتطهير الطاهر محال ولان
الشرع اقام التيمم مقام الوضوء وليس في التيمم نظافة واقام المسح على الخفين مقام الغسل وانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء
الكدر العفن يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيدها فاذا الاعتماد على مورد النص في الترتيب حكمة خفية لا نعرفها او هو
محض التعبد وقد اوجبنا رعاية الترتيب في الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القران مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء
مع ان القران ناطق به اولى السادس قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان ايجاب هذه الافعال
غير مشروط بايجابها على سبيل الموالاة وايجابها على سبيل التراخي وهذا القدر معلوم من الاية ومفيد للطهارة والزايد
لا دليل عليه وايضا روي انه صلى الله عليه وسلم راى رجلا توضا وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها ولم يامره بالاستيناف
ولم يبحث عن المدة الفاصلة وعند غيرهما كلا يتخلل بين اجزاء العبادة ما ليس منه وحد التفريق المخل بالموالاة ان يمضي
من الزمان ما يجف فيه المغسول مع اعتدال الهواء ومزاج الشخص السابع قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء
لان ظاهر الاية يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة كما مر ترك العمل به عند ما لم يخرج الخارج النجس من البدن فيبقى معمولا به عند خروج
الخارج النجس وخالفه الشافعي تعويلا على ما روي انه صلى الله عليه وسلم احتجم وصلى ولم يزد على غسل محاجمه الثامن قال مالك
لا وضوء في الخارج من السبيلين اذا كان غير معتاد وسلس البول ودم الاستحاضة اما التمسك بعموم الاية التاسع ابو حنيفة القهقهة
في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود تنقض الوضوء الباقون لا ينقض لابي حنيفة ان يتمسك بعموم العاشر ابو حنيفة لمس المراة
وكذا المس الفرج لا ينقض الوضوء والشافعي ينقض تمسكا بالعموم الحادي عشر لو كان على جسده نجاسة فغسلها ونوى الطهارة

من الحدث بذلك الغسل هل يصح وضوءه قال في التفسير الكبير ما رايت هذه المسألة في كتب الاصحاب قال والذي اقول انه يكفي لانه امر بالغسل في قوله فاغسلوا وقد اتى به واقول الظاهر انه لا يكفي لانه لا يرتفع بغسلة واحدة نجاستان حكمية وعينية وهذا الخلاف مانوى التبرد او التنظف فان النجاسة هناك حكمية فقط الثاني عشر لو وقف تحت ميزاب حتى سال عليه الماء ونوى رفع الحدث هل يصح وضوءه يمكن ان يقال لا لانه لم يات بفعل وان يقال نعم لانه اتى بما افضى الى المقصود وهو الانغسال الثالث عشر اذا غسل اعضاء الوضوء من غير تسال سيلان الماء عليها لم يكف لانه مامور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي الجنابة يكفي لانه امر بالتطهير ولكن يريد بالطهر كم والتطهير يحصل بالترطيب الخامس عشر لو امر الثلج على العضو فان ذاب وسال جاز والا فلا خلافا لمالك والاوزاعي لانه اغتسلوا وهذا ليس بغسل السادس عشر التثليث سنة لان ماهية الغسل يحصل بالمرة السابع عشر الوالي سنة لان الاية ساكتة وكذا القول في التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل اليدين على الوضوء خلافا لبعضهم الثامن الشافعي لا يجب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل احمد واسحق يوجبهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي يكون مواجها وحده من مبتدا سطح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا وخط الانف والانف غير مواجه التاسع عشر ابن عباس يجب ايصال الماء الى داخل العين لان العين جزء من الوجه الباقون لا يجب لقوله في اخر الاية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج العشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابو حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل نبات الشعر بالاجماع فكذا بعده ولانه من الوجه والوجه يجب غسله الحادي والعشرون ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا ترك العمل به عند كثافة اللحية دفعا للحرج فيبقى عند كثافتها على الاصل الثاني والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا والخارجة الى الاذنين عرضا لانه مواجها مالك وابو حنيفة والمزني لا يجب لانه لا يجب غسل ظاهرها بتبعيتها الثالث والعشرون لو نبت للمراة لحية وجب ايصال الماء الى الجلدة الوجه وان كان لحيتها كثيفة لانه تركنا العمل بظاهر الاية في اللحية الكثيفة في الرجل دفعا للحرج ولحية المراة نادرة وخصوصا الكثيفة فبقى حكمها على الاصل الرابع والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجب والشارب والعذار والهدب لان قوله فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جلدة ترك العمل به في اللحية الكثيفة دفعا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا فيبقى على الاصل الخامس والعشرون الشعر الذي فوق الاذن هو من الوجه فيغسل وما ادبر فمن الراس فيمسح ووتدبان الاذن غير مواجه اصلا السادس والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما مع اليدين وخالف مالك وزفر وكذا الخلاف في قوله وارجلكم الى الكعبين والتحقيق ان الى يفيد معنى الغاية والمراد بالغاية جميع المسافة او حقيقة النهاية ثم ان حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود حسا انفصال الظلمة عن النور في قوله ثم اتموا الصيام الى الليل فيكون الحد خارجا عن المحدود وقد لا يكون كذلك نحو حفظت القران من اوله الى اخره وبعت هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك ان المرفق وهو موصل الذراع في العضد يسمى بذلك لارتفاق صاحبها بها غير متميز في الحس عن محدودها فلا يكون ايجاب الغسل الى جزء اولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب غسلهما جميعا وان سلم ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما جاز طرف العظم ولا نزاع في ان ما وراء طرف العظم لا يجب غسله وهذا الجواب اختيار الزجاج وعلى هذا فمقطوع اليدين من المرفق يجب عليه امساس الماء بطرف العظم وان كان قطع مما فوق المرفقين لم يجب عليه شيء لان محل هذا التكليف لم يبق السابع والعشرون تقديم اليمنى على اليسرى مندوب وليس بواجب خلافا لاحمد لنا انه ذكر الايدي والارجل في الاية من غير تقديم الاحدى اليدين والرجلين الثامن والعشرون ذهب بعضهم الى ان مبدا الغسل يجب ان يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرافق لان المرفق جعلت في الاية نهاية الغسل وجمهور الفقهاء على ان عكس هذا الترتيب لا يخل بصحة الترتيب الوضوء لان المراد في الاية بيان جملة الغسل لا لبيان ترتيب اجزاء الغسل التاسع والعشرون لو نبت من المرفق ساعدان وكفان وجب غسل الكل لعموم قوله وايديكم الى المرافق كما لو نبت على الكف اصبع زائدة الثلاثون المراد من تجديد الغسل بالمرفقين الواجب فقط لما ورد في الاخبار ان تطويل الغرة سنة مؤكدة الحادي والثلاثون مالك يجب مسح كل الراس ابو حنيفة مقدار الربع لانه صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته وانها ربع الراس الشافعي الواجب اقل ما ينطلق عليه اسم المسح لانه اذا قيل مسحت المنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية اما لو قال مسحت يدي بالمنديل كفى في صدقه مسح اليد بجزء من اجزاء المنديل فهكذا في الاية ولا احتيج في تعيين المقدار الى دليل منفصل وتصير الاية مجملة وهو خلاف الاصل الثاني والثلاثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لانه لا يسمى ماسحا للراس وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لما روى انه صلى الله عليه وسلم مسح على العمامة واجيب بانه لعله مسح الفرض على الراس والبقية على العمامة الثالث والثلاثون اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فقال القفال

في تفسيره عن ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي الباقر ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقهاء والمفسرين على ان فرضهما الغسل وقال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراءة الجر في ارجلكم عطفا على رؤسكم ان يقال انه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لان ذلك لم يجئ في كلام الفصحاء وفي السعة وايضا انه جاء حيث لا لبس ولا عطف بخلاف الاية واما القراءة بالنصب فيكون للعطف على محل رؤسكم حجة الجمهور اخبار وردت بالغسل وان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والقوم اجابوا بان اخبار الاحاد لا تعارض القران ولا تنسخه وبالمنع في محل النزاع فزعم الجمهور ان قراءة النصب ظاهرة في العطف على معمول فاغسلوا وان كان ابعد من امسحوا وقراءة الجر منبهة على وجوب الاقتصاد في صب الماء لان الارجل تغسل بالصب فكانت مظنة للاسراف الرابع والثلاثون جمهور الفقهاء على ان الكعبين هما العظمان الناتيان من جانب الساق وقالت الامامية وكل من قال بالمسح ان الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في ارجل جميع الحيوانات والمفصل يسمى كعبا ومنه كعوب الرمح لمفاصله حجة الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعبا واحدا وكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما انه لما كان الحاصل في كل يد مرفقا واحدا لا جرم قال الى المرافق وايضا العظم المستدير الموضوع في المفصل شيء خفي لا يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان والعظمان الناتيان في طرفي الساق محسوسان لكل احد ومناط التكليف ليس الا امرا ظاهرا ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال الصقوا الكعاب بالكعاب الخامس والثلاثون الجمهور على جواز مسح الخفين خلافا للشيعة والخوارج حجة الجمهور الاحاديث وحجة الشيعة الاية وان جواز المسح على الخفين حاجة عامة فلو كانت ثابتة لبلغت مبلغ التواتر السادس والثلاثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط عنه هذان الفرضان بقي عليه غسل الوجه ومسح الراس فان لم يكن معه من يوضئه او ييممه سقط عنه ذلك ايضا لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط بالقدرة عليه فاذا فاتت القدرة سقط التكليف السابع والثلاثون قوله سبحانه وان كنتم جنبا فاطهروا والاصل تطهروا وادغم التاء في الطاء فاجتلبت همزة الوصل والجنابة سببان نزول المني لقوله صلى الله عليه وسلم الماء من الماء والتقاء الختانين خلافا لزيد بن ثابت ومعاذ وابي سعيد الخدري لما روي ان النبي صلى الله عليه قال اذا التقى الختانان وجب الغسل وختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلد القلفة واما ختان المراة فان شفريها يحيطان بثلثة اشياء ثقبة في اسفل الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الولد والحيض وثقبة اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهي مخرج البول لا غير والثالث جلدة دقيقة قائمة مثل عرف الديك فوق ثقبة البول وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها ولاطلاق قوله فاطهروا علم انه امر بتحصيل الطهارة في كل البدن والا خصت تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب تقديم الوضوء على الغسل خلافا لابي ثور وداود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاسحق فانه اوجب البداية باعلى البدن وعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك الثامن والثلاثون لا يجوز للجنب مس المصحف خلافا لداود لنا قوله فاطهروا وايد ل على ان الطهارة غير حاصلة والا لكان امرا بتطهير الطاهر وحينئذ لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون التاسع والثلاثون الشافعي المضمضة والاستنشاق لا يجبان في الغسل لقوله صلى الله عليه وسلم اما انا فاحثي على راسي ثلث حثيات فاذا انا قد طهرت ابو حنيفة هما واجبان لقوله تعالى فاطهروا والا الظهر لا يحصل الا بطهارة جميع الاعضاء ترك العمل به في الاعضاء الباطنة للتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرهما فبقي داخلا في النص ولان قوله صلى الله عليه وسلم بلوا الشعر يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا وانقوا البشرة يدخل فيه جلدة داخل الفم الاربعون لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع من وصول الماء الى منابته لان المقصود التطهير وان منع وجب خلافا للنخعي الحادي والاربعون ان كان المرض المانع من استعمال الماء حاصلا في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل ما لا ضرر عليه ثم يتيمم للاحتياط وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن صحيحا غسل الصحيح دون التيمم وان كان اكثره جريحا كفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في بعض اعضائه فهو مريض الثاني والاربعون لو الصق على موضع التيمم لصوقا منع وصول الماء الى البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق التلف قال الشافعي يلزم نزع اللصوق حتى يصل التراب اليه احتياطا للاحوط وقال الاكثرون لا يجب دفعا للحرج الثالث والاربعون قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله صلى الله عليه وسلم فليستنج بثلثة احجار وقال ابو حنيفة اوجب عند المجيء من الغائط او الوضوء او التيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث فدل على انه غير واجب الرابع والاربعون لمس المراة ينقض الوضوء عند الشافعي ولا ينقضه عند ابي حنيفة وقد مر المسألة في سورة النساء الخامس والاربعون ابو حنيفة واحمد لا يكره الوضوء بالماء المسخن لقوله تعالى فلم تجدوا ماء وههنا قد وجد ماء وخالف مجاهد السادس والاربعون ابو حنيفة واحمد لا يكره المشمس لقوله فلم تجدوا ماء وهذا قد وجد ماء الشافعي يكره للحديث السابع والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في انية المشرك لانه واجد للماء فلا يتيمم وقد توضأ

النبي صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة وتوضأ عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز الثامن والاربعون
يجوز الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء خلافا لعبد الله بن عمرو بن العاص التاسع والاربعون جوز ابو حنيفة الوضوء بنبيذ
التمر في السفر لحديث ولم يجوزه الشافعي وقال يتيمم لانه واجد للماء الخمسون ذهب الاوزاعي والاصم الى انه يجوز الوضوء و
الغسل بجميع المائعات الطاهرة والاكثرون لا يجوز لانهما فاغسلوا امر بمطلق الغسل وامرار المائع على العضو غسل قال فيا
حسنها اذ يغسل الدمع كحلها لنا انه عند عدم الماء اوجب التيمم الاحدى والخمسون الشافعي الماء المتغير بالزعفران تغيرا فاحشا لا يجوز
الوضوء به لان واجده يصدق عليه انه غير واجد للماء وخالف ابو حنيفة لان اصل الماء موجود بصفة ذاتية كما لو تغير وتعفن
بطول المكث او بتساقط الاوراق بالاتفاق الثاني والخمسون مالك وداود الماء المستعمل في الوضوء يبقى طاهرا طهورا لان واجده واجد
الماء وهو قول قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور ووافقه محمد بن الحسن وقال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه نجس لان
النجاسة الحكمية كالعينية الثالث والخمسون مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم يتغير بقي طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول
اكثر الصحابة والتابعين وقال الشافعي ان كان اقل من قلتين نجس وقال ابو حنيفة ان كان اقل من عشر في عشر نجس حجة الشافعي ومالك
انه واجد للماء ترك العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير فيبقى حجة في الباقي ويؤيده في قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه
شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا الرابع والخمسون يجوز الوضوء
بفضل ماء الجنب لان واجده واجد للماء وقال احمد واسحق لا يجوز بفضل ماء المراة اذا خلت به وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب
الخامس والخمسون اسآر السباع طاهرة مطهرة وكذا سؤر الحمار لانه واجد للماء وقال ابو حنيفة نجسة السادس والخمسون قال الشافعي
وابو حنيفة والاكثرون لا بد في التيمم من النية لانه قال فتيمموا والتيمم عبارة عن القصد وهو النية وقال زفر لا يجب السابع والخمسون
الشافعي لا يجوز التيمم الا بعد دخول الصلوة لانه طهارة ضرورية ولا ضرورة قبل الوقت ابو حنيفة يجوز قياسا على الوضوء ولظاهر قوله اذا
قمتم والقيام الى الصلوة يكون بعد دخول وقتها الثامن والخمسون لا يجوز التيمم بتراب نجس لقوله صعيدا طيبا التاسع والخمسون لا خلاف
في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدل غسل الجنابة فعن علي وابن عباس جوازه وهو قول اكثر الفقهاء وعن عمر وابن مسعود انه
لا يجوز لنا ان قوله او لمستم اما يختص بالجماع او يدخل الجماع فيه الستون الشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي فرضين لان ظاهر
قوله اذا قمتم يقتضي اعادة الوضوء لكل صلوة ترك العمل به في الوضوء برسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي في التيمم على ظاهره ابو حنيفة
يجوز اداء الفرائض به كالوضوء احمد يجمع بين الفوائت ولا يجمع بين صلوتي وقتين الاحدى والستون الشافعي اذا لم يجد الماء في
اول الوقت وتوقع في اخره جاز له التيمم لان قوله اذا قمتم يدل على انه عند دخول الوقت ان لم يجد الماء جاز له التيمم وقال
ابو حنيفة تؤخر الصلوة الى اخره الثاني والستون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء
فلا يجوز له الشروع في الصلوة بالتيمم وخالف ابو موسى الاشعري والشعبي الثالث والستون لو فرغ من الصلوة ثم وجد الماء لا
يلزمه اعادة الصلوة لانه خرج عن عهدة التكليف خلافا لطاوس الرابع والستون لو وجد الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج
منها وبه قال مالك واحمد لانه انعقدت صلوته صحيحة بحكم التيمم فما لم يبطل صلوته لا يصير قادرا على استعمال وما لم يصر قادرا
على استعمال الماء لم تبطل صلوته فيدور وقال ابو حنيفة والثوري والمزني يلزمه الخروج لانه واجد للماء الخامس والستون
لو نسي الماء في رحله وتيمم وصلى ثم علم وجود الماء لزمه الاعادة على احد قولي الشافعي وهو قول احمد وابي يوسف والثاني لا يلزمه
وهو قول مالك وابي حنيفة ومحمد لان النسيان في حكم العجز وكذا اذا اضل رحله بالطريق الاولى لان مخيم الرفقة اوسع من رحله ولو
تيقن الماء في رحله واستقصى في الطلب فلم يجد وتيمم وصلى ثم وجد فالاكثرون على انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف وقيل
لا لان حكمه حكم العاجز السادس والستون لو صلى بالتيمم ثم وجد ماء في بئر بجنبه يمكنه استعمال ذلك الماء فان كان قد علم اولا ثم نسيه
فهو كما لو نسي الماء في رحله وان لم يكن عالما فان كان عليها علامة ظاهرة فالاعادة والا فلا لانه كالعاجز السابع والستون اذا لم يكن معه
ماء ولا يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز له التيمم لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولو وهب منه الماء لزمه القبول لان
المنة فيه سهل ولو وهب منه ثمنه لم يلزمه القبول لثقل المنة ووجود الحرج ولمثل هذا يجب قبول اعارة الدلو لا هبته فهذه جملة
المسائل الفقهية المستنبطة من الاية سوى ما مرت في سورة النساء واعلم ان قوله سبحانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اصل معتبر
في علم الفقه لانه يدل على ان الاصل في المضار الحرمة وفي المنافع الاباحة وقد تمسك به نفاة القياس قالوا لان كل حادثة فحكمها
المفصل ان كان مذكورا في الكتاب والسنة فذاك والا فان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان من باب المنافع فالاصل
فيها الاباحة والقياس المعارض لهذين الاصلين يكون قياسا واقعا في مقابلة النص فيكون مردودا اما قوله ولكن يريد ليطهركم
فله تفسيران احدهما واليه ذهب اكثر اصحاب ابي حنيفة ان عند خروج الحدث تنجس الاعضاء نجاسة حكمية فالمقصود منها

التطهير ازالة تلك النجاسة الحكمية وزيف بان اعضاء المؤمن لا تنجس لقوله تعالى انما المشركون نجس ولقوله صلى الله عليه وسلم
المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا وبانه لو كان رطبا فاصابه ثوب لم ينجس ولو حمله انسان وصلى لم تفسد صلوته بالاتفاق وبان الحدث
لو كان نجاسة الاعضاء ثم كان تطهير الاعضاء الاربعة يوجب طهارة كل عضو لوجب ان لا يختلف ذلك باختلاف الشرائع وبان
خروج النجاسة من موضع كيف يوجب تنجس موضع اخر وبان التيمم زيادة في التكدير فكيف يوجب النظافة والتطهير وبان
المسح على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين بان الحدث اذا انه ليس من الاجسام والا كان محسوسا ولا من الاعراض لان
انتقال الاعراض محال التفسير الثاني ان المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة الله تعالى لان ايصال الماء او التراب الى هذه
الاعضاء المخصوصة لم يعرف فائدة تعقلها المكلف والانقياد لمثل هذا التكليف تعبد محض يزيل اثار التمرد ويؤكده الاخبار في
ان المؤمن اذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه وراسه ورجليه وليتم نعمته عليكم باباحة الطيبات الدنيوية
من المطاعم والمناكح بهذه النعم الدينية وهي كيفية فرض الوضوء او ليتم برخصة كالتيمم ونحوه انعامه عليكم بعزائمه ثم ذكر ما يوجب
عليهم قبول تكاليفه وذلك من وجهين الاول تذكر نعمته يعني التامل في هذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لان هذا النوع وهو
اعطاء نعمة الحيوة والصحة والعقل والهداية والصون عن الافات والايصال الى الخيرات في الدنيا والاخرة حيث انه ممتاز عن نعمة
غيره بانه لا يقدر عليه غيره يجب تلقيه بالشكر وهو الاذعان لاوامره والانقياد لنواهيه فان قيل اذكروا مشعر بسبق النسيان
وكيف يعقل نسيانها مع تواترها وتواليها في كل لحظة وحين والجواب انها صارت لتواليها كالامر المعتاد فصارت لغاية الظهور
كالامر المستور والمراد التوبيخ على عدم القيام بواجبها فكانها كالشيء المنسي الثاني ذكر الميثاق والعهد واثقكم به عقلا
وشرعا فميثاقه الذي واثقكم به حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه وعن ابن عباس هو الميثاق الذي
اخذ على بني اسرائيل حين قالوا امنا بالتوراة وبما فيها من البشارة بنبي اخر الزمان [illegible] قال مجاهد والكلبي ومقاتل انه
اشارة الى قوله للذرية الست بربكم قالوا بلى [illegible] في العقول من دلائل [illegible] وهو اكثر المتكلمين واعلم ان
التكاليف وان كثرت الا انها [illegible] في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله [illegible] كونوا قوامين لله والشفقة على خلق
الله [illegible] بالقسط [illegible]
[illegible]
العدل والانصاف [illegible]
ثم استانف [illegible] بالعدل تاكيدا [illegible]
عليه اعدلوا هو اقرب للتقوى [illegible]
صدوا المسلمين عن البيت [illegible]
[illegible]
الكلام بوعد المومنين ووعيد الكافرين وقوله لهم مغفرة بيان للوعد قدم لهم وعدا ثم قيل اي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة او
يكون على ارادة القول اي وعدهم وقال لهم مغفرة او يكون وعد متضمن معنى قال او يجعل وعد واقعا على هذا القول واذا وعدهم
هذا القول من هو قادر على كل المقدورات عالم بجميع المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف في وعده لان سبب الخلف
اما جهل او عجز او بخل وحاجة وهو منزه عن الكل وهذا الوعد يصل اليه قبل الموت فيفيده السرور وعند سكرات الموت فيسهل
عليه الشدائد وفي ظلمة القبر فيفيده نورا وفي عرصة القيمة فيزيده حبورا والجحيم اسم من اسماء النار وسمي كل نار عظيمة في مهواة
كقوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم واصحاب الجحيم ملازموها بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا مدها الى المبطوش به
عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون تحتها فعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه
على شجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلثا والنبي صلعم
يقول الله فاغمد الاعرابي السيف فدعا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فاخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه لم يعاقبه
وقال مجاهد والكلبي وعكرمة قتل رجلان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من بني سليم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما
موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فاتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم فدخلوا على كعب بن الاشرف
وبني النضير يستقرضهم في عقلهما فقالوا نعم يا ابا القاسم قد ان لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك
الذي تسالنا فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر على هذا البيت فيطرح
عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش بن كعب انا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده وجاء جبرائيل واخبره

نزلت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قصة عسفان حين هم الاعداء ان يواقعوهم
فنزلت صلوة الخوف وقيل انها لم تنزل في واقعة خاصة ولكن المراد ان الكفار ابدا كانوا يريدون ايقاع البلاء والنهب والقتل
بالمسلمين فاعز الله المسلمين وقلل شوكة الكفار وقوى دين الاسلام واظهره على الاديان **التاويل** سماع اسم الله وهو من
صفات الغيبة يوجب الفناء في الغيبة وسماع الرحمن الرحيم وهما من صفات اللطف يورث البقاء والقربة اوفوا ايها العشاق
بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق ليوم البلاء فمن صبر على عهوده فقد فاز بشهوده عند بذل وجوده احلت لكم ذبح بهيمة النفس التي
كالانعام في طلب المرام الا للنفس المطمئنة التي يتلى عليها ارجعي الى ربك فستفرس من الدنيا بما فيها فهي كالصيد في الحرم
وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال واحرام الشوق الى حضرة الجلال والجمال ان الله يحكم ما يريد فيامر بذبح النفس اذا كانت
مطمئنة بذكر الحق ومتنعمة بنعمات الملك ثم اخبر عن تعظيم الشعائر من صدق الضمائر فقال يا ايها الذين امنوا بشهود القلوب فتصلوا
زيادة المحبوب وخرجوا عن اوطان اوطار وسافروا عن ديار الاغيار لا تحلوا معالم الدين والشريعة ومراسم اداب الطريقة والحقيقة
وعظموا الزمان والمكان والاخوان والقاصدين كعبة الوصول الى الرحمن الذين اهدوا للقربان نفوسهم وقلدوها بحبل التسليم
الطيبة ليامنوا عن مكر الاعداء الخبيثة واذا حللتم بتمتع مناسك الوصول فاصطادوا ارباب الطلب بشبكة الدعوة الى الله
ولا يجرمنكم حسد الحساد الذين يريدون ان يصدوكم عن الحق على ان تعتدوا الطالبين فتكونوا قطاع الطريق عليهم في طلب الحق
حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة وهي الدنيا باسرها والدم ولحم الخنزير اي حلالها وحرامها قليلها وكثيرها لان ابن ادم ما هو حلال
والخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل وما اهل به اي كل طاعة هي لغير الله والمنخنقة والموقوذة يعني الذين يخنقون
انفسهم بالمجاهدات ويقذفونها بالرياضات رياء وسمعة والمتردية والنطيحة الذين يردون انفسهم الى اسفل سافلين الطبيعة
بالتناطح مع الاقران والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخوان وما اكل السبع الظلمة التهارشون في جيفة الدنيا تهارش الكلاب
الا ما ذكيتم بالكسب الحلال ووجه صالح بقدر ضرورة الحال وما ذبح على النصب ما يذبح عليه النفوس من المطالب الفانية
وان تستقسموا بالازلام اي يكونوا مترددين في طلب المرام فاذا انتهيتم عن هذه المناهي وتخلصتم عن هذه الدواعي فقد صار لكم
نهارا وظلمتكم انوارا اليوم يئس الذين كفروا من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها من دينكم فلا تخشوهم واخشوني فاركبوا
متن اليوم اي في الازل اكملت لكم دينكم ولكن ظهر الامر في حجة الوداع يوم عرفة واتممت عليكم نعمتي وهي اسباب تحصيل الكمال
ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فمن اضطر فمن ابتلى بالنفاق وشيء من الدنيا والاخرة غير متمايل اليه للاعراض عن الحق ولكن من نزره
للطالبين او دفعة للسالكين يسالونك ماذا احل لهم لارباب السلوك اذا الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الله
الطيبات كل ماكول ومشروب وملبوس يكون سببا للقيام باداء الحقوق فكلوا مما امسكن عليكم تا ولوا ما اصطادت النفوس
المطمئنة المعلمة بعلوم الشريعة المؤدبة باداب الطريقة المنورة بانوار الحقيقة واذكروا عندنا ولكل ما ورد عليكم من الاسوة
النبوية والاخروية اسم الله اي لا تنصرفوا فيه الا بالله وفي الله اليوم يعني الذي فيه ظهر كمالية الدين الازلية وهو يوم
عرفة وهذه فائدة التكرار احل لكم الطيبات التي تتعلق بسعادة الدارين بل احل لكم التخلق بالاخلاق الطيبات وهي اخلاق
الله المنزهات عن الكميات والكيفيات وطعام الذين اوتوا الكتاب وهم الانبياء عليهم السلام حل لكم اي غذيتم بلبان الولاية
كما غذوا بلبان النبوة وطعامكم حل لهم اي منبع لبن النبوة والولاية واحد وان كان الثدي اثنين قد علم كل اناس مشربهم
وللنبي صلى الله عليه وسلم وراء ذلك كله مشرب ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني والمحصنات من المؤمنات وهي ابكار حقائق القران
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ابكار حقائق الكتب المنزلة على الامم السالفة اي التي ادرجت في القران فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين اذا اتيتموهن اجورهن وهي بذل الوجود محصنين في هذا البذل ليكون على وجه الحق غير مسافحين على وجه
الطبع ولا متخذي اخدان غير ملتفتين الى شيء من الاكوان ومن يكفر بالايمان بهذه المقامات فقد حبط عمله الذي عمل من دون
المكاشفات يا ايها الذين امنوا ايمانا حقيقيا عند خطاب الست بربكم اذا قمتم من نوم الغفلة الى الصلوة وهي معراجكم للرجوع
الى مكان قربكم فاغسلوا وجوهكم التي توجهتم بها الى الدنيا ولطختموها بالنظر الى الاغيار بماء التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق
اي اغسلوا ايديكم عن التمسك بالدارين حتى الصديق الموافق والرفيق المرافق وامسحوا برؤسكم ببذل نفوسكم وارجلكم الى الكعبين
من طين طينتكم والقيام بانانيتكم ولا يجرمنكم ولا يحملنكم حسد الحساد وعداوة الانذال على ان لا تعدلوا مع انفسكم اذ هم قوم من
الشيطان والنفس والهوى ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم بالفضل والرحمة
والنعمة

والله خير موفق ومعين

قوله سبحانه وتعالى ٥

ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله
اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم
واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل
سواء السبيل ۝ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية
يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال
تطلع على خائنة منهم الا قليلا فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا
به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله
بما كانوا يصنعون ۝ يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين ۝ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم ۝ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض
جميعا ۝ ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله
على كل شيء قدير ۝ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير

يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير

القراءة قسية حمزة وعلي والفضل الباقون قاسية **الوقوف** بني اسرائيل للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة نقيبا للعدول عن الحكاية الى الاخبار معكم لان ما بعده ابتداء قسم محذوف وجوابه لاكفرن الانهار السبيل قاسية لاحتمال الاستيناف والحال اي لعناهم محرفين مواضعه لان ما يتلوه حال اي وقد نسوا ذكروا به للعدول عن الماضي الى المستقبل مع الواو واصح المحسنين ذكروا به لعطف المتفقين يوم القيامة يصنعون عن كثير مبين لان قوله يهدي وصف للكتاب الى اخر الاية مستقيم المسيح ابن مريم الاول جميعا وما بينهما ما يشاء قدير واحباؤه بذنوبكم لتناهي الاستفهام الى الاخبار ممن خلق من يشاء وما بينهما للفصل بين ذكر الحال والمال المصير ولا نذير للعطف مع وقوع العارض ونذير قدير **التفسير** انه سبحانه لما خاطب المؤمنين بذكر نعمه وميثاقه اردفه بذكر ميثاق بني اسرائيل ونقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك تحذيرا لهذه الامة من مثل ما فعلوه وفعل بهم وبوجه اخر لما ذكر غدر اليهود وانهم ارادوا ايقاع الشر بالنبي صلى الله عليه وسلم لولا دفع الله تعالى اردفه بذكر سائر فضائحهم ليعلم ان ذلك ثم من اجزائهم والنقيب العريف فعيل بمعنى فاعل لانه ينقب عن احوال القوم فيكون شاهدهم وضمينهم وقال ابو مسلم بمعنى مفعول يعني اختارهم على علم بهم واصل النقب الطريق في الجبل ونقب البيطار سرة الدابة ليخرج منها ماء اصفر والمناقب الافضل لانها لا تظهر الا بالتنقيب عنها ويقال للكلب نقيب وهو ان ينقب حنجرته لئلا يرتفع صوت نباحه وانما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله تعالى اختار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل رجلا يكون نقيبا لهم وحاكما فيهم ثم بعثهم الى المدينة الجبارين لينقبوا عن احوالهم معكم اي ناصركم ومعينكم والتقدير وقال الله لهم فحذف الرابط للعلم به والخطاب للنقباء او لكل بني والحاصل اني معكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وارى افعالكم واعلم ضمائركم واقدر على ايصال الجزاء اليكم فهذه مقدمة معتبرة جدا في الترغيب والترهيب ثم ذكر بعدها جملة شرطية مقدمها مركب من خمسة امور والجزاء هو قوله لاكفرن وهو اشارة الى ازالة العقاب وقوله ولادخلنكم وهو اشارة الى ايصال الثواب واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له ولكنه سد مسد جواب الشرط ايضا والعزر في اللغة الرد ومنه التعزير التاديب لانه يرده عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معنى عزرتموهم نصرتموهم لان نصر الانسان رد اعدائه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله وتعزروه وتوقروه تكرارا وانما اخر لهم اجر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع ان الايمان مقدم على الاعمال والجواب بعد تسليم ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر انه لابد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن لتلك الاعمال اثر اصلا ويحتمل ان يكون التقدير وصدقتم وامنتم اولا بالانبيا عن الغل بينها بطلان الايمان ابتغى معتدا به اذا اقترن به العمل كقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وهو من القلب الذي يجتمع عليه امر الناس واهل اليهود كانوا مقصرين في الصلوة والزكوة فكان ذكرهما اهم سوال اخر ما الفائدة في قوله واقرضتم بعد قوله واتيتم الزكوة واجيب بان الاول اخص ايجاب الصدقات المندوبة وقال الفراء ولو قال واقرضتم الله اقراضا حسنا لكان صوابا ايضا الا انه قد اقيم الاسم مقام المصدر مثل فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا ثم قال فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل اي من كفر ايضا قبل ذلك فقد اخطا الطريق المستقيم الذي شرعه الله لهم والجواب ان ولكن الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم اشنع فلهذا خص بالذكر فبما نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتلهم وبكتمانهم صفة محمد وباخلال جملة الشروط المذكورة لعناهم قال عطاء ابعدناهم من رحمتنا وقال الحسن مسخناهم قردة وخنازير وقال ابن عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا قلوبهم قاسية من قرا قسية فمعنى القاسية ايضا الا انها ابلغ كعليم وعالم ومنه قسي درهم قسي اي زيف مغشوش لما فيه من اليبس والصلابة بخلاف الدرهم الخالص فانه لين واقتيادا قالت المعتزلة معنى الجعل هنا الاخبار عنها بانها صارت قاسية كما يقال جعل فلانا فاسقا عدلا يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير كلامه ونسوا حظا تركوا نصيبا وافرا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يريد ان تركهم التورية واعراضهم عن العمل بها اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم فحرفوا التورية وزلت عنهم منها اشياء عن حفظهم كما روي عن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بين ان نكث اليهود والغدر دابهم لم يزل عادتهم خلفهم عن سلف فقال ولا تزال تطلع على خائنة

اي خيانة كالعاقبة والكاذبة او صفة لمحذوف مونث اي على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة او التاء للمبالغة مثل رجل راوية الشعر الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او هم الذين بقوا على الكفر من غير غدر ونقض لعهودهم فاعف عنهم بعث على حسن العشرة معهم فقيل منسوخ باية الجهاد يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم وقيل بناء على ان القليل هم الباقون على العهد منهم ان المراد لا تؤاخذهم بالصغائر ما داموا باقين على العهد وهذا قول ابي مسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس معناه فاذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فقد احبك الله وعلى قول ابي مسلم فالمراد بهؤلاء المحسنين هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله وفي هذا التفسير بعد والله تعالى اعلم ثم قال ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى لانهم انما سموا انفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة انصار الشيطان حيث اختلفوا وخالفوا الحق اخذنا ميثاقهم ان كان الضمير عائدا الى الذين قالوا فالمعنى ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في افعال الخير والايمان بالرسل فاغرينا الصقنا والزمنا ومنه الغراء الذي يلصق به وغري بالشيء لزمه ولصق به بينهم بين فرق النصارى او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يا اهل الكتاب ووحد الكتاب لانه اخرج مخرج الجنس مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكصفة الرجم ونحوها وهذا معجز لانه لم يقرا كتابا وقد اخبرهم باسرار كتابهم ويعفو عن كثير مما تخفونه فلا يبينه مما لا يمس اليه حاجة في هذا الدين وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذكم بجرمه قد جاءكم من الله نور محمد او الاسلام وكتاب مبين هو القران لابانته ما كان خافيا على الناس من الحق ولانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القران والمغايرة اللفظية كافية بين المعطوفين ولا شك ان القران نور معنوي يتقوى به البصيرة على ادراك الحقائق والمعقولات يهدي به الله اي بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا الذي الفه بحسب هواه سبل السلام طرق السلامة وطرق دار السلام او سبل دين الله ان الله هو المسيح ابن مريم بناء على جواز الحلول فمن يملك من الله شيئا من الذي يقدر على دفع شيء من افعال الله ومنع شيء من مراده وقوله ان اراد شرط جزاؤه محذوف يدل عليه ما تقدم والمعنى ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم المدعو الها وغيره فمن ذا الذي يقدر على ان يدفعه عن مراده ومقدوره والمراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم وشكلهم في الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وسائر الاعراض فلما سلمتم كونه تعالى خالقا لغيرهما وجب ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما وانما قال وما بينهما بعد ذكر السموات والارض ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين والنوعين وفي قوله يخلق ما يشاء وجهان احدهما يخلق تارة من ذكر وانثى وتارة من انثى فقط كما في حق عيسى وتارة من غير ذكر وانثى كادم الثاني ان عيسى اذا قدر صورة الطير من الطين فان الله يخلق فيهما اللحمية والحيوة معجزة لعيسى وكذا احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص نحن ابناء الله واحباؤه قيل عليه ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل هذا عنهم واما النصارى فلا يقولون ذلك في حق انفسهم واجيب بان المضاف محذوف اي نحن ابناء رسل الله او اريد ان عناية الله تعالى بحالهم اكمل واشد من اعتناء الاب بالابن واليهود زعموا ان عزيرا ابن الله والنصارى ان المسيح ابن الله وقد يقول اقارب الملوك وحشمه نحن الملوك وغرضهم كونهم مختصين بذلك الشخص الذي هو الملك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه ومما تلوا النصارى في الانجيل الذي لهم ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم ثم انه سبحانه ابطل عليهم دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فيل ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا وحينئذ يمكن المعارضة بوقعة احد وبقتل احباء الله كالحسن والحسين رضي الله عنهما او عذاب الاخرة فالقوم ينكرون ذلك ولو كان بمجرد اخبار محمد كافيا لكان مجرد اخباره بانهم كذبوا في ادعاء انهم احباء الله كافيا ويصير الاستدلال ضائعا واجيب بان محل الالزام عذاب عاجل والمعارضة بيوم احد ساقطة لانهم وان ادعوا انهم الاحباء لكنهم لم يدعوا انهم الابناء او عذاب اجل واليهود والنصارى معترفون بذلك وانهم تمسهم النار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسخهم قردة وخنازير بل هذا الجواب اولى ليكون الاحتجاج عليهم بشيء قد دخل في الوجود فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر من جملة من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق يوجب ان يغفر له ولا قدرة تمنعه من ان يعذبه وباقي الاية تاكيد لهذا المعنى يبين لكم في محل النصب على الحال وفيه وجهان ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحسن حذفه لان كل احد يعلم ان الرسل انما ارسل لبيان الشرائع وهو ما كنتم تخفون وحسن حذفه لتقدم ذكره وان لا يقدر المبين والمعنى فيبذل لكم البيان وحذف المفعول اعم فائدة وقوله على فترة متعلق بجاءكم او حال اخر قال ابن عباس اي على حين فتور من ارسال الرسل وفي زمان انقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله فترة لفتور الدواعي في العمل

بتلك الشرايع وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسماية وستون اوستماية سنة وعن الكلبي بين موسى وعيسى الف وسبعماية سنة والفنبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بني اسرايل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي واما العنسي بالنون فهو المتنبي الكاذب والمقصود ان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وتطرق التحريف والتغيير الى الشرايع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لابد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فمن الله تعالى عليهم بازاحة هذه العلة وذلك قوله ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم اى لاتعتذروا فقد جاءكم والحاصل ان الفترة توجب الاحتياج الى بعثة الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شئ فكان يجب في حكمته ورحمته ارسال الرسل في الفترة الزاما للحجج واقامة للبينات **التاويل** جعل في امة موسى اثني عشر نقيبا وجعل في هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين رجلا كما قال صلى الله عليه وسلم يكون في هذه الامة الاربعون على خلق ابرهيم وسبعة على خلق موسى وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد وقال ابو عثمان المغربي البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء ثلثة والواحد هو القطب والقطب عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو امام الاولياء وهكذا حال الثلثة مع السبعة والسبعة مع الاربعين فاذا انتقص من عددهم واذا انتقص من الاربعين واحد بدل مكانه واحد من السبعة جعل مكانه واحد من الاربعين واذا انتقص من الثلثة واحد جعل مكانه من السبعة واذا مضى القطب الذي به قوام اعداد الخلق جعل بدله من واحد من الثلثة هكذا الى ان ياذن الله تعالى في قيام الساعة لئن اقمتم الصلوة بان تجعلها معراجا الى الحق في درجات القيام والركوع والسجود والتشهد فبالقيام تتخلص عن حجب اوصاف الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار وبالركوع تتخلص عن حجب صفات الحيوانية واعظمها الشهوة وهو من خاصية الهواء وبالسجود تتخلص عن حجب طبيعة النبات واعظمها الحرص على الجذب للنشو والنماء وهو من خاصية الماء وبالسجود تتخلص عن طبع الجماد واعظمها الجمود وهو من خاصية التراب فاذا تخلصت من هذه الحجب فقد اقمت الصلوة مناجاة ربك مشاهدا له كما قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه واتيتم الزكوة بان تتصرف مازاد من روحانيتك بتعلق القالب في سبيل الله وامنتم برسلي استسلمتم بالكلية لتصرفات النبوة والرسالة واقرضتم الله بالوجود كله قرضا حسنا وهو ان ياخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما قيل لاكفرن لاسترن بالوجود الحقيقي عنكم سيئات الوجود المجازي ولادخلنكم جنات الوصلة تجري من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على خاينة منهم لان العصيان يجر الى العصيان فاغرينا بينهم العداوة حيث نسوا حظ الميثاق وابطلوا استعداد الفطرة صاروا كالسباع يتهارشون ويتجاذبون يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يجعل قوما مظهر لطفه وفضله واخرين مظهر قهره وعدله وهو اعلم بعباده بعلمه وقدرته

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَعَلَ فِيكُمْ اَنْبِيَآءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَاٰتٰيكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ اَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلٰى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسٰى اِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ۝ وَاِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتّٰى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنَّا دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَاِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَاِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسٰى اِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا اَبَدًا

مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ اَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا اِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ اِنِّي لَا اَمْلِكُ اِلَّا نَفْسِي وَاَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْاَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝

القراءة جبارين بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وحيث كان فلاتاس بغير همزة حيث وقعت ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف **الوقوف** ملوكا جبارين قد قيل لشبهة الابتداء بان ولكن كسر ان لمجيه بعد القول معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها لابتداء الشرط مع فاء التعقيب داخلون الباب لذلك غالبون مؤمنين قاعدون الفاسقين سنة لانها يصلح ظرفا للتيه بعده وللتحريم قبله الفاسقين **التفسير** وجه النظم انه سبحانه كانه قال اخذ الله ميثاق بني اسرايل وذكرهم موسى نعم الله وبركاته وامرهم بمحاربة الجبارين فخالفوا في الكل من الله تعالى عليهم بامور ثلثة الاول قوله جعل فيكم انبياء وذلك انه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرايل من الانبياء الثاني قوله وجعلكم ملوكا قال السدي اى جعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ما استعبدكم القبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكان لهم اموال كثيرة وخدم يقومون بامرهم ومن كان كذلك كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يدخل عليه احد الا باذنه وقيل الملك هو الصحة والاسلام والامن والفوز وقهر النفس وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في مصالحه الى احد فهو ملك وقيل كان في اسلافهم واخلافهم ملوك وعظماء وقد يقال لمن حصل فيهم ملوك انتم ملوك مجازا وقيل كل بني ملك لانه يملك امر امته وينفذ فيهم حكمه الثالث واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق والعظائم وقيل ادعا الى زمانهم روى ان ابرهيم صلوات الرحمن عليه لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وميراث لذريتك وقيل لما خرج قوم موسى من مصر وعدهم الله اسكان ارض الشام وكان بنو اسرايل يسمون ارض الشام المواعيد ثم بعث موسى اثنا عشر نقيبا من الامناء ليتجسسوا لهم من احوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك البلاد راوا اجساما عظيما هائلة قال المفسرون لما بعث موسى النقباء لاجل التجسس راهم واحد من اولئك الجبارين فاخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال متعجبا للملك هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم واخبروه بما شاهدتم فانصرف النقباء الى موسى واخبروه بالواقعة فامرهم ان يكتموا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الا رجلان منهما كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف فانهما قالا هي بلدة طيبة كثيرة النعم والجبابرة اجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى اظهروا الامتناع عن قصدهم والارض المقدسة هي المطهرة من الافات وقيل من الشرك وزيف بانها لم تكن وقت الجبارين كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل لانها كانت مسكن الانبياء ثم انها اما هي عن عكرمة والسدي وابن زيد هي اريحا وقال الكلبي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم وهبها لكم او خط في اللوح المحفوظ انها لكم او امركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشوم تمردهم وعصيانهم وقيل المراد خاص اى مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم وقيل ان الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وقيل حرم عليهم اربعين سنة فلما مضى الاربعون حصل ما كتب وفي قوله كتب الله لكم تقوية لقلوب القوم وان الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على ادباركم لا ترجعوا من الدين الصحيح الى الشك في نبوة موسى واخباره بهذه النصرة او لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها اى التي خرجتم عنها فقد روي ان القوم كانوا قد عزموا على الرجوع الى مصر فتنقلبوا خاسرين في الاخرة بفوت الثواب ولحوق العقاب وترجعوا الى الذل وتموتوا في التيه غير واصلين الى شئ من مطالب الدنيا ومنافع الاخرة والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وهو اختيار الفراء والزجاج قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا في حرفين جبار من اجبر ودراك من ادرك ويقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها والقوم كانوا في غاية القوة ونهاية العظم فجبن قوم موسى عنهم حتى قالوا على سبيل المبالغة في الاستبعاد انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون كقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال رجلان هما يوشع

وكالب من الذين يخافون الله وقد انعم الله عليهما اي بالهداية والثقة بقوله والاعتماد على نصره مرفوع صفة لرجلان ويحتمل
ان يكون جملة معترضة قال القفال يجوز ان يكون الضمير في يخافون لبني اسرائيل والعائد الى الموصول محذوف تقديره من الذين
يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون فعلى هذا الرجلان من الجبارين ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد بالنصر والظفر كانه قيل
متى دخلتم باب بلدهم لم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن دار فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموه ظنا او يقينا من عادة الله في نصرة
رسوله عامة ومن صنعه لموسى في قهر اعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا القاه للايمان بتلازم ما قبلها وما بعدها المعنى لما
وعدكم الله النصر فلا ينبغي ان تصيروا خائفين من عظم اجسامهم بل توكلوا على الله ان كنتم مؤمنين مقرين بوجود الاله القدير موقنين
بصحة نبوة موسى انا لن ندخلها نفوا دخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المويس وزادوا في التاكيد بقولهم ابدا ما داموا فيها
فاذهب انت وربك قال العلماء لعلهم كانوا مجسمة يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى او انهم لم يقصدوا حقيقة الذهاب
كقولك كلمته فذهب يجيبني يريد القصد والارادة وقيل المراد بالرب اخوه هرون وسموه ربا لانه اكبر من موسى وقيل التقدير اذهب
وربك معين لك بزعمك ولكن لا يجاوبه قوله فقاتلا ولا يبقى لقوله انت فائدة واضحة ولا يخفى ان هذا القول منهم كفر او فسق فلهذا
قال موسى على سبيل الشكوى والبث رب اني لا املك الا نفسي واخي وكذلك ونسقا على الضمير في املك اي لا املك انا واخي الا انفسنا
والنصب على انه نسق على الياء اي اني واخي لا نملك الا انفسنا او على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي لان اخاه اذا كان مطيعا
له فهو مالك طاعته وكانه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما والعلة قال ذلك تقليلا لمن يوافقه واراد من يواخيه في الدين
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين والمراد فافصل بيننا وبينهم
بان تحكم لكل منا بما نستحق وهو في معنى الدعاء عليهم بدليل فاء التسبيب في قوله فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة
ثم يفتحها الله لهم من غير محاربة او المراد انهم يتيهون اربعين سنة ومعنى يتيهون يسيرون متحيرين عن مقاتل ان موسى لما دعا عليهم
فاخبره الله بانهم يتيهون قالوا له لم دعوت علينا وندم على ما عمل فاوحى الله اليه فلا تاس اي لا تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين
فانهم احقاء بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم ان يكون ذلك خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن على قوم لم يزل مخالفة الرسل
هجيراهم واعلم ان المفسرين اختلفوا في ان موسى وهرون هل بقيا في التيه ام لا فقال قوم انهما ما كانا في التيه لانه دعا ان يفرق
بينه وبينهم وكل نبي مجاب ولان التيه عذاب والانبياء لا يعذبون ولان سبب ذلك العذاب التمرد وانهما لم يتمردا وقال اخرون
انهما كانا مع القوم الا ان الله تعالى سهل عليهما ذلك العذاب كما ان النار كانت على ابرهيم بردا وسلاما ثم من هولاء من قال ان هرون
مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر وكان ابن اخت موسى ووصيه بعد موته و
مات النقباء في التيه بغتة بعقوبات غليظة الا كالب ويوشع ومنهم من قال بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب
الجبارين وقهرهم واخذ الارض المقدسة والله تعالى اعلم واختلفوا ايضا في التيه وهي المفازة التي تاهوا فيها فقال الربيع مقدار ستة
فراسخ وقيل تسعة فراسخ في ثلثين فرسخا وقيل ستة في اثني عشر وقيل كانوا ستمائة الف فارس ثم الاكثرون على ان قوله فانها محرمة تحريم
منع كانوا يسيرون كل يوم على الاستدارة جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذا هم حيث ارتحلوا عنه وكان مع ذلك نعمة الله عليهم من تظليل
الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك متظاهرة كالوالد الشفيق يضرب ولده ويؤدبه ليتادب ويتثقف ولكن لا يقطع عنه معروفه ولهذا
ويشكل هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في ذلك القدر الصغير من المفازة سنين متطاولة بحيث لا يتفق لاحد منهم ان
يهتدي طريقا البتة ولو بامارات حركات النجوم والجواب ان هذا من الخوارق التي يجب التصديق بها كاكثر المعجزات التي يستبعد وقوعها
وقال بعضهم ان هذا التحريم تعبد وانه تعالى امرهم بالمكث في تلك المفازة اربعين سنة عقابا لهم على سوء صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال
التاويل اشار موسى الروح الى القوى البدنية اذ دخلوا ارض القلب المقدسة التي كتبها الله تعالى للانسان المستعد
في الفطرة فما تواتحمل اعباء المجاهدات ولزوم المخالفات والرياضات فقال لهم رجلان النفسان اللوامة والمطمئنة انكم
غالبون اذا دخلتم باب الجد والطلب فتبدل الراحة بالتعب فلم يعتدوا بقولهما فحرم الله تعالى ذلك عليهم اربعين سنة هي مدة
استيفاء حظوظ النفس الامارة وانكسار سورة قوتها في الاغلب كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وفي الاية نكتة هي ان
موسى لما ظن انه يملك نفسه ونفس اخيه ابتلاه الله في الحال بالدعاء على امته لان المرء انما يملك نفسه اذا ملكها عند الغضب
وشتان بينه وبين من قال حين شج راسه وكسر رباعيته اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون اللهم صل عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والكل
بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين

واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين
لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف
الله رب العالمين ۝ اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين ۝ فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله
فاصبح من الخاسرين ۝ فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف
يواري سوءة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين ۝ من اجل ذلك كتبنا على
بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان
يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من
الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم ۝
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ۝
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله
لعلكم تفلحون ۝ ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم
عذاب اليم ۝ يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
ولهم عذاب مقيم ۝ والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا

نكالا من الله والله عزيز حكيم ● فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ● الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير ●

القراءة لاقتلنك بالنون الخفيفة روى المعدل عن زيد يدى اليك بفتح ياء المتكلم ابوجعفر ونافع من اجل بكسر النون يزيد وقراء ورش بفتح النون بوصوله رسلنا بسكون السين حيث كان ابوعمرو **الوقوف** بالحق على ان اذ معمول اذكر محذوفا ولو وصل لاوهم انه معمول نبأ وهو محال من الآخر لاقتلنك لاحتمال اضمار اللام او الفاء العاملين النار لاختلاف الجملتين الظالمين لاجل الفاء الخاسرين سوأة اخيه اخى لطول ما اعترض بين المعطوف والمعطوف عليه النادمين من اجل ذلك كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق باصبح وبكتبنا جميعا في الموضعين بالبينات لان ثم لترتيب الاخبار لمسرفون من الارض عظيم عليهم لتنافى الاستثناء مع الجواب اى لا تعذبوا التائب فان الله غفور رحيم تفلحون منهم لتنافى الشرط مع اتحاد المقصود من الكلام اليم منها لاتحاد المقصود مع اختلاف الجملتين مقيم من الله حكيم يتوب عليه رحيم لمن يشاء قدير **التفسير** في النظم وجوه منها انه راجع الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم وكانه تعالى ذكر لاجل تسلية نبيه قصصا كثيرة كقصة النقباء وما انجر اليه الكلام من اصرار اهل الكتاب وتعنتهم بعد ظهور الدلائل القاطعة ثم ختمها بقصة ابنى آدم وان احدهما قتل الآخر حسدا وبغيا ليعلم ان الفضل كان محسودا بكل اوان ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة وكيفية ايجاب القصاص بسببها كانت من اسرار التورية ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اى لا ينفعهم كونهم من اولاد الانبياء مع كفرهم كما لم ينفع قابيل والمراد اتل على الناس او على اهل الكتاب خبر ابنى ادم من صلبه هابيل وقابيل تلاوة ملتبسة بالحق والصحة من عند الله تعالى او ملتبسة بالصدق موافقة ما في التورية والانجيل او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد والتحذير من سوء عاقبة الحاسد وانك عليهم وانت محق صادق لا مبطل هازل كالاقاصيص التى لا غناء فيها اذ قربا قال في الكشاف نصب بالنبأ اى نبأ ذلك الوقت على حذف المضاف والمقصود اذ قرب كل واحد منهما قربانا الا انه جمعهما بالفعل لكلا على قربة الحكاية اولان القربان في الاصل مصدر ثم سمى به ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة يروى ان ادم عم كان يولد له في كل سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن اخر فولد قابيل وتوأمته اقليميا وبعدهما هابيل وتوأمته ليوذا وكانت توأمة قابيل احسن واجمل فاراد ادم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل وقال انا احق بها وليس هذا من الله وانما هو راى ابيك فقال ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل قربانه زوجتها منه فقبل الله قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وقتل اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن البصرى والضحاك انهما ما كانا ابنى ادم لصلبه وانما كانا رجلين من بنى اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل وعن الحسن ان صدور الذنب من احد ابنى ادم لا يصلح ان يكون سببا لايجاب القصاص على بنى اسرائيل وزيف بان الاية تدل على ان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بنى اسرائيل لم يخف عليه قال مجاهد اكل النار علامة الرد والجمهور المفسرين على ان ذلك علامة القبول وقيل ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكانت النار تنزل من السماء فتأكله وانما صار احد القربانين مقبولا والآخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن المحق في جواب المبطل انما يتقبل الله من المتقين وذلك انه لما كان الحسد هو الذى حمله على توعده بالقتل فكانه قال له ما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على طاعة الله التى هى السبب في القبول قيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانه احسن ما كان معه وكان صاحب غنم والآخر جعله اردأ ما كان معه وكان صاحب زرع وقيل انه اضمر حين قرب انه لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل او لم يقبل وقيل لم يكن قابيل من اهل التقوى وفي الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب المتوعد لم تقتلنى قال لان قربانك صار مقبولا فقال هابيل وما ذنبى انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه عن المظلوم انه قال لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك فذكر الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتاكيد النفى دلالة على انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال مجاهد كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وهذا وجه قوله انى اخاف الله رب العالمين وقيل المعنى لا ابسط يدى اليك لغرض قتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر فالايسر وليس له

ان يقصد القتل بل يجب عليه ان يقصد الدفع ثم ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فسال انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا تزر وازرة وزر اخرى فقال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة اى بحمل اثم قتلى واثمك الذى كان منك قبل قتلى وقال الزجاج ترجع الى الله باثم قتلى واثمك الذى من اجله لم يتقبل قربانك وقال في الكشاف انه يحمل مثل الاثم المقدر كانه قال انى اريد ان تبوء بمثل اثمى لو بسطت اليك يدى سوال اخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه وكونه من اهل النار والجواب ان هذا الكلام انما دار بينهما عند ما غلب على الظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على ايقاع القتل فكانه لما وعظه ونصحه قال له وان كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان ترصد لقتلى في وقت غفلتى وحينئذ لا يمكننى ان ادفعك عن قتلى الا ان اقتلك ابتداء بمجرد الظن والحسبان وهذا منى كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان يكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان يكون انت فانا احب ان تحصل هذه الكبيرة لك لا لى ومن البين ان ارادة صدور الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عين الطاعة والمراد اريد ان تبوء بعقوبة قتلى ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عقاب الظالم وروى ان الظالم اذا لم يجد يوم القيمة ما يرضى خصمه اخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان يقال انى اريد ان تبوء باثمى الذى يحمل عليك يوم القيمة اذا لم تجد ما ترضينى وباثمك فى قتلك اياى وهذا يصلح جوابا عن السوال الاول ايضا فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعته ورخصته وسهلت من طاع له المرتع واطاع اذا اتسع وله لاجل زيادة الربط كقول القائل حفظت لزيد ماله ومنهم من قال شجعته فقتله والتحقيق ان الانسان يعلم ان القتل العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا يطاوع النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقاد لها وخضع واضافة التطوع والتمرين الى النفس لا ينافى كون الكل مضافا الى قضاء الله فقتله يحكى ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس واخذ طيرا فضرب راسه بحجر فتعلم قابيل ذلك منه ثم انه وجد هابيل يوما نائما فضرب راسه بصخرة فمات وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الكفل من دمها وذلك انه اول من سن القتل فاصبح من الخاسرين دنياه واخرته لانه اسخط والديه وبقى مذموما الى يوم القيمة ثم يلقى في النار قالوا لما قتل اخاه هرب من ارض اليمن الى عدن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فبنى بيت نار وهو اول من عبد النار وروى ان هابيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله الله عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة لم يضحك [illegible]

اجلا اذا جاء كتبنا على بني اسرائيل ان كان القاتل والمقتول من بني اسرائيل والمناسبة بين الواقعة وبين وجوب القصاص عليهم ظاهرة
وان كانا من بني ادم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما في القصة من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالندم على الامر
المذكور اى من اجل ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم وجوب
القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور في الاية وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى
قتل جميع الناس غير ثابت الا على بني اسرائيل والغرض بيان قساوة قلوبهم فانهم مع علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل
فيكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي عزموا فيها على قتله ثم القايلون بالقياس استدلوا بالاية على ان
الاحكام الله تعالى قد تكون معللة بالعلل لانه صرح بان الكتبة معللة بتلك المعاني المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا
قالوا انها دلت على ان احكام الله تعالى معللة بمصالح العباد ويعلم منه امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبايح لان ذلك ينافي مصلحة
العبيد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم الاستكمال والتحقيق ان استتباع الفعل الغاية الصحيحة لا ينافي الكمال الذاتي وقد سبق مرارا بغير
نفس اى بغير قتل نفس وهو ان يقع لا على وجه الاقتصاص او فساد قال الزجاج انه معطوف على نفس يعني وبغير فساد في الارض كالكفر
بعد الايمان وكقطع الطريق وغيره من المهددات فكانما قتل الناس جميعا وههنا نكتة وهي ان التشبيه لا يستدعي التسوية بين المشبه
والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس فان الجزء لا يعقل انه مساو للكل فالغرض استعظام امر
القتل العمد العدوان واشتراك القتلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم
ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك والتحقيق فيه انه اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية
الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى كل واحد بل بالاضافة الى الكل لان كل انسان يدلي من الكراهة والحرمة
بما يدلي به الاخر او فيه ان جميع الناس واجتهادهم في دفع قاتل شخص واحد يجب ان يكون مثل جدهم في دفعه عموا لتقصده تكلهم باسرهم
ومن احياها استنقذها من مهلكة كحرق وغرق او جوع مفرط ونحو ذلك فالكلام في تشبيه احياء البعض باحياء الكل كما عرفته في القتل
ثم ان كثيرا منهم اى من بني اسرائيل بعد ذلك وبعد مجيء الرسل لمسرفون في القتل لا يبالون بهتك حرمته ومعنى ثم تراخي الرتبة ثم انه تعالى بين ان
الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله استدل بالاية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من
لفظ واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن حملها على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال انا نحمل هذه المحاربة على مخالفة الامر
والتكليف والتقدير انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء
رسوله كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا نصب على الحال اى مفسدين او على
العلة اى للفساد او على المصدر الخاص كرجع القهقرى لان الفساد نوع من السعي عن قتادة عن انس ان الاية نزلت في العرنيين لكن
قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذانهم وامر بقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم وتركهم حتى ماتوا فكانت الاية ناسخة
لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقرآن كان الناسخ لتلك السنة سنة اخرى وعلى هذا القران مطابقا للسنة
الناسخة وقيل نزلت في قوم ابي بردة الاسلمي وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فمر بهم قوم من كنانة يريدون
الاسلام وابو بردة غايب فقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل انها في بني اسرائيل الذين حكى الله تعالى عنهم انهم مسرفون في القتل
وقيل في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول اكثر الفقهاء قالوا ولا يجوز حمل الاية على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على
المحاربة واظهار الفساد في الارض ولانه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد والنفي ولان حده يسقط بالتوبة قبل
القدرة عليه وبعدها ولان الصلب غير مشروع في حقه ولان اللفظ عام وشرطوا في هذا المحارب بعد كونه مسلما مكلفا
ان يكون معتمدا القوة في المغالبة مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والمراهقون والمعتمد على الهرب وكذا المتعرض
للقادر على الاستغاثة بغيره واتفقوا على ان هذه الحالة اذا حصلت في الصحراء كان قاطع الطريق فاما في نفس البلد
فكذلك عند الشافعي لعموم النص وخالف ابو حنيفة ومحمد لانه يلحقه الغوث في الغالب فحكمه حكم السارق وللعلماء في لفظ
او خلاف فعن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد انها للتخيير ان شاء الامام قتل
وان شاء صلب وان شاء قطع الايدي والارجل وان شاء نفى وعنه في رواية عطا ان الاحكام تختلف بحسب الجنايات فمن
اقتصر على اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم ياخذ المال نفي من الارض واليه ذهب الشافعي والاكثرون
والذي يدل على ضعف القول الاول ليس للامام الاقتصار على النفي بالاجماع ولان هذا المحارب اذا لم يقتل ولم ياخذ المال
فقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر المعاصي فتقدير الاية ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان
جمعوا بين القتل والاخذ او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على الاخذ والتشديد في هذه الافعال للتكثير

او ينفوا من الارض ان اخافوا السبيل والقياس الجلي ايضا يؤيد هذا التفسير لان القتل العمد العدوان يوجب القتل
فغلظ ذلك في قطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الطرفين من خلاف
اى يده اليمنى ورجله اليسرى فان عاد فالباقيان قيل وانما قطع هكذا لئلا يفوت جنس المنفعة قلت هذا من باب التغليظ
لان اليد اليمنى اعون في العمل والرجل اليسرى اعون في الركوب وان جمعوا بين القتل والاخذ جمع بين القتل والصلب لان
بقاءه مصلوبا في ممر الطريق اشهر وازجر وان اقتصروا على مجرد الاخافة اقتصر الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال ابو حنيفة
اذا قتل واخذ المال فالامام مخير بين ان يقتل فقط او يقطع ثم يقتل ويصلب وعند الشافعي لا بد من الصلب لاجل النص وكيفية
الصلب ان يقتل ويصلى عليه ثم يصلب مكفنا ثلاثة ايام وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده اى صليبه وهو الودك وعند
ابي حنيفة يصلب حيا ثم يبزق بطنه برمح حتى يموت او يترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم ان انزل غسل وكفن وصلي عليه
ودفن وان ترك حتى يتهرى فلا غسل ولا صلوة واما النفي فان الشافعي حمله على معنيين احدهما انهم اذا قتلوا واخذوا المال فالامام
ان ظفر بهم اقام عليهم الحد وان لم يظفر بهم طلبهم ابدا فكونهم خايفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي الثاني الذين
يحضرون الواقعة ويعينونهم بتكثير السواد واخافة المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما اخذوا المال فالامام ياخذهم ويعزرهم
ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم ههنا الحبس وقال ابو حنيفة واحمد واسحق النفي هو الحبس لان الطرد عن جميع الارض غير ممكن و
الى بلدة اخرى استضرار بالغير والى دار الكفر تعريض للمسلم بالردة فلم يبق الا ان يكون المراد الحبس لان المحبوس لا ينتفع بشيء من طيبات
الدنيا فكانه خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة الزندقة وطال لبثه شعر خرجنا من الدنيا
ونحن من اهلها ۞ فلسنا من الاموات فيها ولا الاحياء ۞ اذا جاءنا السجان يوما لحاجة ۞ عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ۞ ذلك لهم
خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم ۞ استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الفساق الاحباط
وقالت الاشاعرة بل يشترط عدم العفو الا الذين تابوا قال الشافعي ان تابوا قبل القدرة عليهم لم يسقط عنهم ما يختص بقطع
الطريق من العقوبات لانهم متهمون حينئذ بدفع العذاب عنهم وفي ساير الحدود وبعد القدرة عليهم قيل يكفي التوبة اظهارا كما يكفي
اظهار الاسلام تحت ظلال السيوف والاصح انه لا بد مع التوبة من اصلاح العمل لقوله تعالى في الزنى فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ولعل الفايدة في هذا الشرط انه ان ظهر ما يخالف التوبة اقيم عليه الحد وانما يسقط
بتوبة قاطع الطريق قبل القدرة عليه تحتم القتل فالولي يقتص او يعفو بناء على ان عقوبة قاطع الطريق لا تتمحض حدا بل يتعلق بها
القصاص وهو الاظهر اما اذا محضناه حدا فلا شيء عليه وان كان قد اخذ المال وقتل سقط الصلب وتحتم القتل وفي القصاص
وضمان المال ما ذكرنا وان كان قد اخذ المال سقط عنه قطع الرجل وفي قطع اليد وجهان الاظهر السقوط ايضا بناء على انه جزء من الحد
الواحد فاذا لم يبق الكل لم يبق شيء من اجزائه بالاتفاق ولا شك انه ليس من خواص قطع الطريق لانه يجب بالسرقة فيسقط الخلاف في
ساير الحدود ثم انه سبحانه لما بين كمال جسارة اليهود على المعاصي ونهاية بعدهم عن الوسايل الى الله وان الكلام في قطاع الطريق اراد ارشاد
المؤمنين لئلا يكونوا بالضد منهم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وايضا انهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
اى نحن ابناء الانبياء وكان افتخارهم باعمال ابائهم فقيل للمؤمنين ليكن مفاخرتكم باعمالكم لا باسلافكم فقوله اتقوا اشارة الى ترك
المنهيات وقوله وابتغوا اليه الوسيلة عبارة عن فعل المامورات وان كان ترك المناهي ايضا من جملة الوسايل الا ان هذا التقرير هنا
والفعل والترك ايضا يعتبر الوسيلة عبارة عن فعل المامورات وان كان ترك المناهي ايضا من جملة الوسايل الا ان هذا التقرير
في الاخلاق الفاضلة والذميمة وفي الافكار الصايبة والخاطئة ولاهل التحقيق يسمون الترك والفعل بالتخلية والتحلية
او بالمحو والصحو او بالنفي والاثبات او بالفناء والبقاء والاول مقدم على الثاني فلم يمكن ان يسوى الله لم يرزق البقاء بالله وللذكر
فضيلة وهي كل ما يتوسل به الى المقصود ولهذا قد يسمى المشرع فيه توسلا والواصل الراغب الى الله تعالى وله ابيه شعر
الى الله واسل ۞ التوسل والتوسيل واحد يقال وسل الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل
الى تعالى لم ابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يعلمنا معرفته واجيب بان الامر بالابتغاء موجد عن الايمان لقوله يا ايها الذين
امنوا فعلمنا ان المراد بالوسايل الطاعات والعبادات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس ثقيلا على
الطبع لان العقل يدعو الى خدمة الله والنفس تدعو الى اللذات الجسمانيات والجمع بينهما كالجمع بين الضدين ومقتضى ارادة التكليف
المذكور بقوله وجاهدوا في سبيله والمراد بالمجاهدة ما تكون العبادة لاجله لا لغرض سواه وهو مرتبة الشاكرين لعلكم
تفلحون الفلاح اسم جامع للخلاص عن المكروه والفوز بالمحبوب وهذه دون الاولى لان عرضه الرغبة في الجنة والرهبة من النار
وكان المؤمنين مرضية ثم اشار الى عزيمة الناقصين بقوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما في

الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اى بالمذكور او الواو بمعنى مع والعامل فى المفعول معه وهو المثل ما فى ان معنى الفعل
اى لو ثبت من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم والغرض التمثيل وان ملء الارض ذهبا اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت
ايسر من ذلك يريدون ان يخرجوا اى يتمنون الخروج من النار او يقصدون ذلك قيل اذا دفعهم لهب النار الى فوق فهناك يتمنون
الخروج وقيل يكادون يخرجون منها لقوتها ودفعها اياهم عمم المعتزلة هذا الوعيد فى الكفار وفى الفساق وخصصه
الاشاعرة بالكفار لدلالة الاية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى تتميم حكم اخذ المال من غير استحقاق وهو المأخوذ على سبيل
الخفية لا المحاربة فقال والسارق والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه والاخفش والتقدير
فيما فرض او فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وعند الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذى و
التى وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط كانه قيل الذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ايديهما وقرأ عيسى بن
عمر بالنصب وفضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع خبرا الا بتاويل واما اذا انتصب فانه يكون
من باب الاضمار على شريطة التفسير والفاء يكون مؤذنا بتلازم ما قبلها وما بعدها مثل وربك فكبر وضعف قول سيبويه بانه
طعن فى قراءة واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجيح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على ان الاضمار الذى ذهب
اليه هو خلاف الاصل والذى مال اليه الفراء ادل على العموم واوفق لقوله سبحانه جزاء بما كسبا فانه تصريح بان المراد
من الكلام الاول هو الشرط والجزاء اما البحث المعنوى فى الاية فان كثيرا من الاصوليين زعم انها مجملة لانه لم يبين نصاب
السرقة وذكر الايدى وبالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان اليد يقع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا بيده فلمسه
باصابعه فانه يحنث ويقع على الاصابع مع الكف وعلى الاصابع والكف والساعدين الى المرفقين وعلى كل ذلك الى المنكبين
وايضا الخطاب فى فاقطعوا اما الامام الزمان كما هو مذهب الاكثرين او لمجموع الامة او لطايفة مخصوصة فثبت بهذه
الوجوه ان الاية مجملة وقال المحققون مقتضى الاية ولا سيما فى تقدير الفراء عموم القطع فى عموم السرقة الا ان السنة
خصصته بالنصاب او نقول ان اهل اللغة لا يقولون لمن اخذ حبة بر انه سارق والمراد بالايدى الايمان مثل فقد
صغت قلوبكما وقد انعقد الاجماع على انه لا يجب قطعهما معا ولا الابتداء باليسرى واليد اسم موضوع لهذا العضو الى
المنكب ولهذا قيل فى قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهبت الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين لظاهر الاية الا ان السنة
خصصت بالكوع والحاصل ان الاية عامة لكنها خصصت بدلايل منفصلة فبقى حجة فى الباقى وهذا اولى من جعلها مجملة غير
مفيدة اصلا ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى ان القطع لا يجب الا عند شروط كالنصاب والحرز وخالف ابن عباس
وابن الزبير والحسن وداود الاصفهانى والخوارج تمسكا بعموم الاية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فالذى يستقله
الملك يستكثره الفقير وقد قال الشافعى لو قال لفلان على مال عظيم ثم فسره بالحبة يقبل لاحتمال ان يريد انه عظيم
فى الحل او عظيم عنده لشدة فقره ولما طعنت الملحدة فى الشريعة كيف ينبغى ان تقطع فى قليل مع ان قيمتها خمسماية دينار
من الذهب اجيب عنه بان ذلك عقوبة من الشارع له على دناءته واذا كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا منا فى ايجاب
القطع على القليل والكثير وايضا اختلاف المجتهدين فى قدر النصاب كما يجى يدل على ان الاخبار المخصصة عندهم معارضة
فوجب الرجوع الى ظاهر القران ودعوى الاجماع على ان القطع مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف بعض الصحابة والتابعين
كما قلنا واعلم ان الكلام فى السرقة تعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق اما المسروق فمن شروطه عند الاكثرين
ان يكون نصابا ثم قال الشافعى انه ربع دينار من الذهب الخالص وما سواه يقوم بها وهو مذهب الامامية لما روى انه
صلى الله عليه وسلم قال لا قطع الا فى ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روى انه صلى الله عليه وسلم
قال لا قطع الا فى ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم وقال مالك ربع دينار وثلثة دراهم لما روى
انه صلى الله عليه وسلم وقال ابن ابى ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وفى مواعظه احذر من قطع يدك فى درهم ومنها
ان يكون المسروق ملك غير السارق لدى الاخراج من الحرز فلو سرق مال نفسه من يد غيره كيد المرتهن والمستاجر او طرا ملكه
فى المسروق قبل اخراجه من الحرز بان ورثه السارق او اتهبه وهو فيه سقط القطع ومنها ان يكون محترما لا كخمر او خنزير ومنها
ان يكون الملك تاما قويا والمراد بالتمام ان لا يكون للسارق فيه شركة او حق كمال بيت المال وبالقوة ان لا يكون ضعيفا كا
كالمستولدة والوقف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق رب الدين من مال المديون فان اخذ لا على
قصد استيفاء الحق او على قصده والمديون غير جاحد ولا مماطل قطع وان اخذ على قصد استيفاء الحق وهو جاحد او مماطل
فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او لا من جنسه واذا سرق احد الزوجين من مال الاخر وكان المال محرزا عنه فعند ابى حنيفة

لا يجب القطع وعند الشافعى ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله صلى الله عليه وسلم لا قطع فى ثمر معلق ولا فى
حريسة جبل فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن والحرز وحرز كل شىء على حسب حاله فالاصطبل حرز للدواب
وان كانت نفيسة وليس حرزا للثياب والنقود والصفة للدار وعرصتها حرزان للاوانى وثياب البذلة دون الحلى والنقود فان
العادة فيها الاحراز فى الصناديق والمخازن وعن ابى حنيفة انما هو حرز لكل مال واما السرقة فهى اخراج المال عن ان يكون
محرزا ولا بد من شرط الخفية فلا قطع على المختلس والمنتهب بالمعتمد على القوة وعلى المودع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق فيشترط
فيه التكليف والتزام الاحكام والاختيار فيقطع الذمى والمعاهد ولا يقطع المكره وانما تثبت السرقة بثلث حجج باليمين
المردودة او بالاقرار او بشهادة رجلين ويتعلق بهما احكام الضمان والقطع وقال ابو حنيفة القطع والغرم لا يجتمعان حجة الشافعى
قوله صلى الله عليه وسلم على اليد ما اخذت حتى ترد توجب الضمان وقد اجتمع فى هذه السرقة امران وحق الله لا يمنع حق العباد ولهذا
يجتمع الجزاء والقيمة فى الصيد المملوك ولو كان المسروق باقيا وجب رده بالاتفاق حجة ابى حنيفة قوله تعالى جزاء بما كسبا والجزاء هو
الكافى فهذا القطع كان كافيا فى جناية السرقة ويدل لزوم رد المسروق عند كونه قائما اما كيفية القطع فقد روى انه صلى الله عليه
وسلم اتى بسارق فقطع يمينه قال الشافعى فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا فيده اليسرى فان سرق رابعا فرجله اليمنى
وبه قال مالك وروى ذلك عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعند ابى حنيفة واحمد لا يقطع فى الثانية وما بعدها لما روى
عن ابن مسعود انه قرأ فاقطعوا ايمانهما وضعفه الشافعى بان القراءة الشاذة لا تعارض ظاهر القران المقتضى لتكرر القطع بتكرر السرقة
واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق والقدم والسيد يملك اقامة الحد على مماليكه لعموم قوله تعالى
فاقطعوا ولم يجوزه ابو حنيفة واحتج المتكلمون بالاية على انه يجب على الامة نصب الامام لان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم
الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب وانتصاب جزاء ونكالا على انه مفعول لهما والعامل اقطعوا وان شئت فعلى
المصدر من الفعل الذى دل عليه فاقطعوا اى جازوهم ونكلوا بهم جزاء بما كسبا نكالا من الله فمن تاب من السارقين من بعد ظلمه اى سرقته
واصلح اى يتوب بنية صالحة وعزيمة صحيحة خالية عن الاغراض الفاسدة فان الله يتوب عليه وعند بعض الايمة تسقط العقوبة
ايضا وعند الجمهور لا تسقط وباقى الايات قد مر تفسيرها وانما قدم التعذيب على المغفرة طباقا لتقدم السرقة على التوبة
التاويل ان ادم الروح باذدواجه مع حواء القلب ولد قابيل النفس وتوامته اقليما الهوى ثم هابيل القلب وتوامته
البوذ العقل وكان الهوى فى غاية الحسن فى نظر النفس فيه يميل الى الدنيا ولذاتها وكان فى نظر العقل ايضا فى غاية الحسن فيه
يميل الى طلب المولى وكان العقل فى نظر النفس فى غاية القبح لانها تنزجر عن طلب الدنيا وكذا فى نظر القلب لانه يامر بالعقل بمنع عن طلب
الحق والفناء فى الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال فحكم الله تعالى بالازدواج بين التوامين لان الهوى اذا كان قرين النفس نزل بها اسفل
سافلين الطبيعة واذا كان قرين العقل كان مشغوفا بوصله الى [illegible] القرب واذا كان العقل قرين القلب صار عاقلا لله واذا
كان قرين النفس حبسها على العبودية فرضى هابيل القلب [illegible] الاخلاق [illegible] والصفات الحيوانية فقرب الصفة البهيمية
ومى احب الصفات اليه لاحتياجها الى الضرورة [illegible] والبقاء وبقاءها بالنسبة الى السلامة الصفات السبعية والشيطانية
فوضعها قربانها على جبل البشرية ثم [illegible] الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فاكلت الصفة البهيمية لانها حطب هذه
النار ولم تاكل من قربان قابيل النفس شيئا لانها ليست من حطبها بل حطب نار الحيوانية [illegible]
وجود فان الوجود حجاب بين محبى ومحبوبه [illegible] قابيل النفس هابيل القلب فاصبح من الخاسرين [illegible]
الدنيا والحرمان عن الواردات والكشوف واما فى الاخرة [illegible] عن جنات الوصول بعث الله غرابا [illegible] فى الدنيا يشتغل
[illegible] تعليم الغراب اشارة الى انه تعالى قادر على تعليم العباد باى طريق شاء [illegible] الملايكة والرسل واختصاصهم
بتعليم الخلق [illegible] فى الارض لمسرفون فى ارض البشرية انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله الذين [illegible] بسكين الخذلان ويصلبوا بحبل
الحرمان على جذوع الحجبان او تقطع ايديهم عن [illegible] الوصال وارجلهم من خلاف [illegible] او ينفوا من ارض القربة والايتلاف
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة [illegible] اشارة الى الايمان وهو اصابة رشاش النور [illegible] الخلقة وبه
يتخلص العبد من ظلمة الكفر وفى التقوى وهو [illegible] الاخلاق المرضية [illegible] الاعمال الشرعية وبه الخلاص عن ظلمة المعاصى
وفى ابتغاء الوسيلة وهو افناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية وبه يتخلص من ظلمات اوصاف الوجود وفى الجهاد فى سبيل
ومحو الاثنانية فى اثبات الهوية وبه يتخلص من ظلمة الوجود ويظفر بنور الشهود [illegible]
والمسروق [illegible] مقطوع الايدى عن [illegible]
تلك السعادة جزاء بما كسبا الان فى عالم الصورة نكالا من الله تقدير منه فى الازل والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا
امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون
للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد
مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن
يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان
يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم سماعون
للكذب اكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان
تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله
يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله
ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها
هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون
والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا
الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين
والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص
فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الظالمون وقفينا على اثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه
من التورية واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية
وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن

لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون

القراءة السحت بضمتين ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وعلي الباقون بسكون الحاء واخشوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل والعين وما بعده بالرفع علي وافق ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويزيد في والجروح بالرفع والاذن وبابه بسكون الذال نافع وليحكم بالنصب حمزة والباقون بالجزم **الوقوف** قلوبهم اي ومن الذين هادوا قوم سماعون وان شئت عطفت ومن الذين هادوا على من الذين قالوا امنا ووقفت على هادوا وابتدأت بقوله سماعون راجعا الى الفئتين والاول اجود لان التحريف محكي عنه وهو مختص باليهود اخرين لان ما بعده صفة لهم لم يأتوك مواضعه لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف فاحذروا شيئا قلوبهم عظيم للسحت لان المشروط غير مخصوص بما يليه اعرض عنهم شيئا بالقسط المقسطين ذلك لتناهي الاستفهام بالمؤمنين ونور لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف شهداء لاختلاف النظم مع فاء التعقيب قليلا الكافرون بالنفس لمن قرأ والعين وما بعده بالرفع بالسن لمن قرأ والجروح بالرفع قصاص لابتداء الشرط كفارة له الظالمون من التورية الاولى لطول الكلام ونور لان الحال بعده معطوف على محل الجملة قبله الواقعة حالا للمتقين لمن قرأ وليحكم بالنصب فيه الفاسقون **التفسير** خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي في مواضع ولم يخاطبه بقوله يا ايها الرسول الا ههنا وفي قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ولا شك ان خطاب تشريف وتعظيم شرفه به في هذه السورة التي هي آخر السور نزولا حيث تحققت رسالته في الواقع اما وجه النظم فهو انه سبحانه لما بين بعض التكاليف والشرائع وكان قد علم مسارعة بعض الناس الى الكفر فلا جرم صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحمل ذلك ووعده ان ينصره عليهم ويكفيه شرهم والمراد بمسارعتهم في الكفر تهافتهم فيه وحرصهم عليه حتى اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها امنا بافواههم فيه تقديم وتاخير اي قالوا بافواههم امنا سماعون للكذب قابلون لما يفتعله احبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من قولك الملك يسمع كلام فلان اي يقبله سماعون لقوم اخرين لم يأتوك اي قابلون من الاحبار ومن الذين لم يصلوا الى مجلسك من شدة البغضاء وافراط العداوة ويحتمل ان يراد نفس السماع واللام في للكذب لام التعليل اي يسمعون كلامك لكي يكذبوا عليك مبدلين ومغيرين سماعون لاجل قوم اخرين وجوههم عيونا وجواسيس من بعد مواضعه اي التي وضعها الله فيها من امكنة الحل والحظر والفرض والندب وغير ذلك او من وجوه الترتيب والنظم فيهملوها بغير مواضع بعد ان كانت ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا وانه الباطل عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم يهودي محمما مجلودا فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التورية على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني الله لم اخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الوضيع اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيى امرك اذا اماتوه فامر به فرجم فانزل الله الاية الى قوله ان اوتيتم هذا يقولون ائتوا محمدا فان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به وان افتاكم بالرجم فاحذروا وفي رواية اخرى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق الفرعون وانزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم قال العلماء القائلون برجم الثيب الذمي ومنهم الشافعي ان كان الامر برجم الثيب الذمي من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو المقصود وان كان مما ثبت في شريعة موسى فالاصل بقاؤه الى ان يطرأ الناسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على نسخه وبهذا الطريق اجمع العلماء على ان قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس حكمه باق في شرعنا ومن يرد الله فتنته ظاهر الاية ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها من اليهود وغيرهم والمعنى ومن يرد الله كفره وضلالته فلن يقدر احد على دفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه دليل على انه تعالى لا يريد اسلام الكافر وانه

لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل لامن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب كقوله يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة
او بالاضلال اي تسميته ضالا او المراد من يرد الله اختباره فيما يبتليه من التكاليف ثم انه يتركها ولا يقوم باداتها فلن تملك
له من الله ثوابا ولا نفعا ثم قال اولئك الذين لم يرد الله ان يمد قلوبهم بالالطاف لانه تعالى علم انه لا فائدة في تلك الالطاف لانها
لا تنجع في قلوبهم او يطهر قلوبهم من الحرج والغم والوحشة الدالة على كفره او هو استعارة عن سقوط وقعه عند الله وانه غير ملتفت
اليه بسبب قبح افعاله وسوء اعماله ثم وصف اليهود بقوله سماعون للكذب اكالون للسحت وهو الحرام وكل ما لا يحل كسبه من سحته او اسحته
اي استاصله لانه يسحت البركة ومال سحت اي مذهب قال الليث السحت الحرام يحصل منه العار وذلك انه يسحت فضيلة الانسان
ويستاصلها ورجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يلقى الا جائعا ابدا كانه يستاكل ما يصل اليه من الطعام والسحت الرشوة في الحكم
ومهر البغي وعسب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستكساب في المعصية روى ذلك عن
علي وعمر وعثمان وابن عباس وابي هريرة ومجاهد وزاد بعضهم ونقص بعضهم وكل ذلك يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه
بركة ويكون فيه عار بحيث يخفيه صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة
سمع كلامه ولا يلتفت الى خصمه فكان يسمع الكذب وياكل السحت وقيل كان فقراؤهم ياخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه
من اليهودية فكانوا يسمعون اكاذيب الاغنياء وياكلون السحت وقيل سماعون للاكاذيب التي كانوا ينسبونها الى التورية اكالون
للربوا لقوله تعالى واخذهم الربوا فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خيره الله تعالى بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا التخيير مختص
بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انه في امر خاص وهو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وقيل في قتيل قتل
من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في بني النضير شرف وكانت ديتهم كاملة وفي بني قريظة نصف دية فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل الدية سواء وعن النخعي والشعبي وقتادة وعطاء وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الاية عامة في كل من جاء من الكفار وان الحكم ثابت
في ساير الاحكام غير منسوخ وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وهو مذهب الشافعي ان هذا التخيير منسوخ في غير المعاهدين بقوله
تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله فيجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام عليهم صغارا
لهم واهل الحجاز بعضهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله
عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية ثم انهم كانوا يتحاكمون اليه الا لطلب الاسهل والاخف كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى
الحكومة بينهم شق عليهم وعادوه فامنه الله بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط
كما حكمت في الرجم وكيف يحكمونك تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تحكيمهم لوجوه منها عدولهم عن حكم كتابهم ومنها رجوعهم الى
حكم من كانوا يعتقدونه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة ونهاية العناد والواو في قوله وعندهم للحال
من التحكيم والعامل ما في الاستفهام من التعجب اما قوله فيها حكم الله فاما ان ينتصب حالا من التورية على ضعف وهي مبتدا اخبر عنه بعندهم واما
ان يرتفع خبرا عنها والتقدير وعندهم التورية ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر واما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبينة
لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كقوله عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره وانث التورية لما فيها من صورة
تاء التانيث ثم يتولون عطف على يحكمونك وثم للتراخي في الرتبة اي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما
اولئك بالمؤمنين اخبار بانهم لا يؤمنون ابدا والمراد انهم غير مؤمنين بكتابهم كما يدعون او المراد انهم غير كاملين في الايمان على سبيل
التهكم بهم ثم رغب اليهود في ان يكونوا كمتقدميهم من انبيائهم ومسلمي احبارهم فقال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور والعطف
يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان للاحكام الشرايع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد وقال الزجاج الهدى بيان الحكم الذي جاءوا
يستفتون فيه والنور بيان ان امر النبي صلى الله عليه وسلم حق وقيل فيها هدى يهدي الى الحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام فهما
عبارتان عن معبر واحد وقد يستدل بالاية على ان شرع من قبلنا يلزمنا لان الهدى والنور لا بد ان يكون احدهما متعلقا بالفروع والاخر
بالاصول والا كان تكرارا وايضا انها نزلت في الرجم ومورد الاية لا بد ان يكون داخلا فيها سواء قلنا ان غيره داخل او خارج ويمكن ان يجاب
بان التكرار بعبارتين غير محذور وبان في الكلام تقديما وتاخيرا والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا واحرمنا يحكم بها النبيون اما قوله
الذين اسلموا فاورد عليه ان كل نبي مسلم فما الفائدة في هذا الوصف واجيب بانها صفة جارية على سبيل المدح والتوضيح والكشف
وفيه تعريض باليهود انهم بعداء عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء قديما وحديثا لان غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم
من ابقاء الاحكام بالتورية اخذ الرشى من العوام فالفريقان متباينان ولهذا اردفه بقوله للذين هادوا اي يحكمون لاجلهم قال في الكشاف
قوله تعالى الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ان اليهود بمعزل عن الاسلام قلت هذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان يكون مغايرة لصفة
المحكومين ولقائل ان يقول بعد تسليم ذلك انه لا يكفي مغايرة العام الخاص وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي المراد بالنبيين محمد

كقوله ان ابرهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كان متفرقة في الانبياء وقيل اسلموا اي انقادوا لحكم التورية فهي الانبياء
من لم يكن شريعتهم شريعة موسى والربانيون قد مر تفسيره في ال عمران والاحبار عن ابن عباس هم الفقهاء الواحد حبر بالفتح من قولهم
فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة حبر بالكسر من ذلك ايضا لقولهم حسن الحبر بالكسر ايضا وفي الحديث رجل يخرج
من النار قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه وتحبير الخط والشعر تحسينه او من هذا الحبر الذي يكتب به لكونه العالم صاحب
كتب قاله الفراء والكسائي وابو عبيدة ثم ان ذكر الربانيين من بعد النبيين يدل على انهم اعلى حالا من الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون
كالمجتهدين والاحبار كاحاد العلماء وقوله بما استحفظوا اما ان يكون من صلة يحكم اي يحكم بها الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا
او يكون من صلة الاحبار اي العلماء بما استحفظوا بما سألهم انبياؤهم حفظه ومن كتاب الله للنبيين وقد اخذ الله تعالى على العلماء
ان يحفظوا كتابه من وجهين احدهما ان يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرايعه
وكانوا اي هؤلاء النبيون والربانيون والاحبار عليه على ان كل ما جاء في التورية حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل ويحتمل
ان يعود ضمير استحفظوا الى النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ من الله اي يكلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى اليهود
المعاصرين عن التحريف لرهبة فقال ولا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير لرغبة ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا هو الرشوة وابتغاء
الجاه ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون احتج الخوارج بالاية على ان كل من عصى الله فهو كافر وللمفسرين
في جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود ورد بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب ان لفظ من في معرض الشرط للعموم
فلا وجه لتقديره ومن لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لانه زيادة في النص وقال عطاء هو كفر دون كفر وقال طاوس ليس
بكفر ينقل عن الملة ولكن من يكفر بالله واليوم الاخر فلعلهما اراد كفران النعمة وضعف بان الكافر اذا اطلق اريد به الكافر في الدين وقال ابن الانباري
المراد انه يضاهي الكافر لانه ضل الكافر وزيف بانه عدول عن الظاهر وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني معناه من ابى ان يحكم حكم الله تعالى في
كل ما انزل فيخرج الفاسق لانه في الاعتقاد والاقرار موافق وان كان في العمل مخالفا واعترض ان سبب النزول لا يخرج حينئذ لانه نزل في
مخالفة اليهود في الرجم فقط ويمكن ان يقال الجزئي داخل في الكلي وقال عكرمة انما يتناول الاية من انكر بقلبه وجحد بلسانه اما العارف
والمقر اذا اخل بالعمل فهو حاكم بما انزل الله ولكنه تارك فلا يتناول الاية ثم انه سبحانه لما بين ان حكم الزاني المحصن في التورية هو الرجم
واليهود غيروه اراد ان يبين ان نص التورية هو قتل النفس بالنفس وانهم بدلوه حيث فضلوا بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين من قرا المعطوفات كلها بالنصب فظاهر ومن قرا ما سوى الاول بالرفع فللعطف على محل
النفس اذ المعنى وكتبنا عليهم في التورية النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت الحمد لله وقرات
سورة انزلناها واما على سبيل الاستيناف والمعنى على جميع التقادير وفرضنا عليهم فيها ان النفس مقتولة بالنفس اذا قتلتها بغير حق
والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع في الانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص
مقاصة وهذا تعميم للحكم بعد ذكر بعض التفاصيل والمراد منه كل ما يمكن المساواة فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والاليتين
والقدمين واليدين من الجراحات المضبوطة كالموضحة مثلا وهي التي توضح العظم وتبدي وضحه وهو الظل والبياض وكذا منافع الاعضاء
والاطراف كالسمع والبصر والبطش واما الذي لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم وكخدش او ادماء في جلد ففي ذلك الارش
او حكومة وتفاصيلها في كتب الفقه فمن تصدق به فهو كفارة له الضمير في به يعود الى القصاص وفي هو الى التصدق الدال عليه الفعل
وفي له وجهان احدهما انه يعود الى العافي المتصدق لما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
تصدق من جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به والثاني
انه يعود الى الجاني المعفو عنه اي لا يؤاخذه الله تعالى بعد ذلك العفو واما العافي فاجره على الله تعالى وقفينا على اثارهم اي على اثار
النبيين بعيسى بن مريم اي عقبناهم به فعديته الى المفعول الثاني بالباء وقوله على اثارهم يسد مسد الاول لانه اذا قفى به على اثره فقد
قفى به اياه مصدقا لما بين يديه اي مقرا بان التورية كتاب منزل من عند الله تعالى وانه كان حقا واجب العمل به قبل وروده نسخه
وهو الانجيل المصدق ايضا لكونه مبشرا بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم كالتورية اما النور فبيان الاحكام الشرعية وتفاصيل التكاليف
والهدى الاول اصول الديانات كالتوحيد والنبوات والمعاد والهدى الثاني اشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم لان ذلك
سبب اهتداء الناس الى نبوته واشتمال الانجيل على المواعظ والنصائح والزواجر ظاهر وخص الجميع بالمتقين لانهم هم المنتفعون
بذلك ومن قرا وليحكم بالجزم اما اخبار عما قيل لهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الانجيل اي وقلنا لهم ليحكموا بما فيه واما امر نبينا
للنصارى بالحكم عما في كتابهم من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او مما لم يصر منسوخا بالقرآن ومن قرا بالنصب فلانه
علة فعل محذوف يدل عليه ما تقدمه اي ولاجل حكمهم بما فيه اتيناهم كتابهم وعلى هذا يجوز ان يكون هدى وموعظة ايضا غرضين مفعولين

لحكم والله اعلم اما قوله تعالى الكافرون الظالمون الفاسقون للمفسرين فيه خلاف قال القفال هو كقولك من اطاع الله فهو مؤمن
من اطاع الله فهو المتقي لان كل ذلك اوصاف مختلفة حاصلة لموصوف واحد فهذه كلها نزلت في الكفار وقال الحسن الاول
في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك وقال الاصم الاول والثاني في اليهود والثالث في النصارى **التاويل**
سماعون للكذب الشيطان في وساوسه والنفس في هواجسها سماعون لقوم آخرين يسنون السنن السيئة لغيرهم يحرفون
يغيرونه قوانين الشريعة وحال من ولي القران والاحاديث على وفق اهوائهم سماعون للكذب اكالون للسحت لان الاخلاق الردية
اورثتهم الاعمال الدنية والاخلاق نتايج الاعمال والاعمال نتايج الاخلاق وكلها من نتايج الاستعداد الفطري فان جاؤك
فاحكم بينهم مداويا لدائهم ان رايت التداوي سببا لشفائهم او اعرض عنهم ان تعينت اعوان الشقاء لشقائهم فان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط داوهم على ما يستحقون من دائهم بما استحفظوا من كتاب الله الفرق بين بني اسرائيل وبين هذه الامة انهم استحفظوا
التورية فضيعوها وحرفوها وقال في حقنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم كما ان في اهلاك النفس هلاك نفس
المهلك ففي احياء نفس الطالب بحيوة الدين نفس يحييها وفي معالجة عين قلبه وانف قلبه واذن قلبه وسن قلبه معالجة هذه الاعضاء
بمزيد الادراك فمن تصدق بهذه الاحياء فهو كفارة له فيما فرط من احياء نفسه ومعالجة قلبه طرفة عين ومن لم يحكم على نفسه
بما انزل الله في تزكيتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق نعوذ بالله من الغفلة والشره ودعا الغرور قوله تعالى

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا
عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
ولكن ليبلوكم في ما آتيكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ● وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم
انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ●
افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ● يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن
يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ● فترى الذين في قلوبهم
مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي
بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ● ويقول
الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت

اعمالهم فاصبحوا خاسرين ● يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ●
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ● انما وليكم
الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
وهم راكعون ● ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله
هم الغالبون ● يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزؤا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ● واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
هزؤا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون ●

القراءة تبغون بتاء الخطاب ابن عامر والخراز عن هبيرة الباقون بالياء
ويقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب بالنصب عباس مخير الباقون يقول بدون الواو والعطف
من يرتدد بالاظهار ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالادغام والكفار بالجر ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون بالنصب
عطفا على محل الذين اتخذوا وقرأ ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وابن رستم الطبري عن نصير طريق ابن مهران بالامالة
الوقوف بالحق ومنهاجا الخيرات تختلفون لعطف وان احكم على ما قبله ومن وقف فلانه راس آية انزل الله اليك ذنوبهم
لفاسقون يبغون يوقنون اولياء ليلزم النهي عن اتخاذ الاولياء مطلقا اولياء بعض منهم الظالمين دائرة لتمام المقول نادمين
لمن قرأ ويقول بالنصب عطفا على ان ياتي جهد ايمانهم لان قوله ايمانهم جواب القسم لمعكم خاسرين ويحبونه لان ما بعده صفة قوم
كافرين لشبه الآية لائم من يشاء عليم راكعون الغالبون اولياء للعطف ولطول الكلام مومنين ولعبا لا يعقلون
التفسير من الله تعالى على نبينا بانزال القران مصدقا لما بين يديه من الكتاب اي جنسه وهو كل كتاب سوى القران نازل من السماء
وفي المهيمن قولان قال الخليل وابو عبيد هيمن على الشيء يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا لا ياتيه الباطل ولا يحرف لقوله وانا له لحافظون
ومن هنا قرئ ومهيمنا على الفتح بفتح الميم هو من عليه بان حوفظ من التغيير والتبديل والذي هيمن عليه الله عز وجل كما قلنا او الحفاظ في كل بلد
والقراء المشهود لهم بالاجازة فاحكم بينهم بين اليهود بالقران ولا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق او ضمن لا تتبع معنى لا تنحرف قيل لولا
جواز المعصية على الانبياء لم يجز هذا النهي والجواب ان ذلك مقدور له ولكن لا يفعله لمكان النهي او الخطاب له والمراد غيره لكل
جعلنا منكم ايها الناس او الامم امة موسى وامة عيسى وامة محمد لتقدم ذكر الثلاث شرعة ومنهاجا قال ابن السكيت الشرع مصدر
شرعت الاهاب اذا شققته وسلخته وقيل انه من الشروع في الشيء الدخول فيه والشرعة للهيئة بمعنى الشريعة فعلة
بمعنى مفعولة وهي الامور التي اوجبها الله تعالى على المكلفين ان يشرعوا فيها والمنهاج الطريق الواضح وهما عبارتان عن معنى
واحد هو الدين والتكرير للتاكيد ويحتمل ان يقال الشريعة عامة والمنهاج مكارم الشريعة فالاولى اقدم وهذا يتلوها وهي
يتلوها وقال المبرد ابتداء الطريقة والطريق المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او
ذوي امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه وفيه دليل على ان الكل بمشية الله تعالى والمعتزلة حملوه على مشية الالجاء
ولكن ليبلوكم اي جعلكم مختلفين مخالفين ليعاملكم معاملة المختبر هل تعملون بالنواميس الالهية وتذعنون للعقايد الحقة

ام تقصرون في العمل وتتبعون الشبهة ولذلك قال فاستبقوا الخيرات سارعوا اليها وتسابقوا نحوها ونعني بالخيرات
ههنا ما هو الحق من الاعتقادات والمحقق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم فيخبركم
بما لا تشكرون معه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر والمراد ان الامر سيؤول الى ما يحصل معه اليقين
من مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وان احكم قيل معطوف على الكتاب اي وانزلنا اليك ان احكم على ان المصدرية وصلت
بالامر لانه فعل كسائر الافعال او على قوله بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم والاقوى انه يحتمل ان يكون مفسرة وفعل الامر محذوف
اي وامرناك ان احكم على ان المصدرية وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال او على قوله بالحق انزلناه بالحق وبان احكم والاقوى
يحتمل ان يكون مفسرة وفعل الامر محذوف اي وامرناك ان احكم وتكرار الامر بالحكم اما للتاكيد واما لانهما حكمان لانهم احتكموا
اليه في زنا المحصن ثم احتكموا في قتل كان بينهم وزعم بعض الائمة ان هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض
عنهم وعن ابن عباس ان جماعة من اليهود منهم كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا
بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت ان احبار اليهود واشرافهم وان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا
وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله وانزل الله فيهم
واحذرهم ان يفتنوك محله نصب على انه مفعول له اي مخافة ان يفتنوك او على انه بدل اشتمال من مفعول احذر والمراد بالفتنة
رده الى اهوائهم وكل من صرف من الحق الى الباطل فقد فتن قال بعض اهل العلم في الاية دليل على ان الخطاء والنسيان جائزان على
النبي لان التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق الا الخطاء والنسيان فلو لم يكونا جائزين ايضا لم يكن للحذر فائدة فان تولوا عن الحكم
المنزل اي فان لم يقبلوا حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اما الاصابة فالمراد بها قتلهم واجلاؤهم واما ذكر
بعض الذنوب فلان مجازاتهم ببعض الذنوب كافية في اهلاكهم وتدميرهم او اراد بالبعض ذنب التولي عن حكم الله وفيه
ان لهم ذنوبا جمة وان هذا الذنب عظيم جدا كقول لبيد شعر تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها *
اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام فكانه قال نفسا كبيرة لان التنكير في معنى البعضية ايضا لفاسقون لمتمردون
في الكفر وفيه ان التولي عن حكم الله فسق مؤكد جدا ثم استفهم منكرا رايهم فقال افحكم الجاهلية يبغون وفيه تعيير لليهود بانهم
اهل كتاب وعلم ومع ذلك يطلبون حكم الله الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال مقاتل ان قريظة والنضير طلبوا
اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل من القتلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى بواء اي سواء فقال بنو النضير
نحن لا نرضى بذلك فنزلت وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية
واللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لهم لانهم الذين يعرفون انه لا احد
اعدل من الله حكما ولا احسن منه بيانا قال عطية العوفي جاء عبادة بن الصامت فقال يا رسول الله ان لي موالي من اليهود كثير عددهم
حاضر نصرهم واني ابرا الى الله والى رسوله من ولاية يهود واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر ولا ابرا من ولاية
اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد
قبلت فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء تعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله
بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم ثم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس يريد
انه كافر مثلهم وفيه من التغليظ والتشديد ما فيه ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فوضعوا الولاء في
غير موضعه عن ابي موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا
اما سمعت هذه الاية قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذا اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت لا
قوام للبصرة الا به قال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الان فترى الذين في قلوبهم
مرض يعني امثال عبد الله بن سلام ابي يسارعون فيهم في موالاة اليهود والنصارى يهود بني قينقاع ونصارى نجران لانهم كانوا
اهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهامهم ويقرضونهم يقولون معترضين يعتذرون عن الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدي
يعني الدولة ومنها صروف الزمان ونوائبه وقال الزجاج نخشى ان لا يتم الامر لمحمد فيدور الامر كما كان قبل ذلك ثم سلى رسوله والمؤمنين
بقوله فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فعسى من الله الكريم اطماع واجب والفتح اما فتح مكة او مطلق دولة الاسلام وغلبة دونه وقوله
او امر من عنده المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وغيرهم من الكفار وقيل هو ان يؤمر النبي
صلى الله عليه وسلم باسرار اظهار المنافقين وقولهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم من النفاق والشك في ان امر الرسول يتم نادمين ويقول
الذين امنوا قالوا قال الواحدي حذف الواو ههنا كاثباتها فلهذا جاء في مصاحف اهل الحجاز والشام بغير واو وفي مصاحف اهل العراق بالواو

وذلك ان في الجملة ذكرا من المعطوف عليها فان قوله اهؤلاء اشارة الى الذين يسارعون فلما حصل في كل من الجملتين ذكر من الاخرى
حسن الوجهان ووجه العطف مع النصب ظاهر ووجه ذلك مع الرفع على انه كلام مبتدا اي ويقول الذين امنوا في ذلك الوقت
ووجه الفصل هو ان يكون جواب سائل يسال فماذا يقول المؤمنون حينئذ فانهم يقولون هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا
بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص او يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم
لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اي باغلظ الايمان نصب على الحال اي يجتهدون او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قول الله تعالى
او من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء وفيه معنى التعجب اي ما احبط اعمالهم فما اخسرهم حيث بقي
عليهم التعب في الدنيا والعذاب في العقبى من يرتد منكم عن دينه اي من يتولى الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى يأتي بقوم اخرين
ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه وقال الحسن علم الله تعالى ان قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه
سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه فيكون الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا روي في الكشاف ان اهل الردة كانوا احدى عشرة
فرقة ثلث في عهد رسول الله بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج
عمال رسول الله فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله
فاخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة
تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها
لك فاجاب صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل على يد وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس
في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال الى
الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر فزاره قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة
الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وحاربهم ابو بكر وكفى الله امرهم على يده وفرقة
واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم كان يطوف بالبيت ذات يوم بعد ان كان اسلم على يد عمر فرأى رجلا جار رداءه فلطمه
فتظلم الرجل الى عمر فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء الى ان بلغ عشرة الاف فابى الرجل
الا القصاص فاستنظره فانظره عمر فهرب الى الروم وتنصر وتفسير المحبة قد مر في سورة البقرة في قوله يحبونهم كحب الله وانما قدم
محبته على محبتهم لان محبتهم اياه نتيجة محبته الاولى اياهم فتلك اصل وهذه فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن الشرط محذوف
معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اذلة جمع ذليل لا ذلول لان الذلول يعني الصعوبة لا يجمع على اذلة وانما يجمع على
ذلك وليس المراد انهم مهانون عند المؤمنين بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب فان من كان ذليلا عند انسان فانه قطعا
الكبر والترفع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدي بعلى دون اللام [illegible]
حالهم واستيلائهم على المؤمنين خاضعون لهم [illegible] فضيلة التواضع اعزة على الكافرين يظهرون الغلظة والترفع
عليهم من عزه يعزه اذا غلبه [illegible] لا يخافون فاما ان
يكون الحال بمجاهدون [illegible]
كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام [illegible]
[illegible]

لان الذين اتفقوا على امامة ابى بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة على لكان كلهم مرتدين ثم لجا الله بقوم يحاربهم
ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان فرقة الشيعة مقهورون ابدا حصل الجزم بعدم النص ولناصر
مذهب الشيعة ان يقول ما يدريك انه تعالى لا يجى بقوم يحاربهم ولعل المراد بخروج المهدى هو ذلك فان محاربة من خان
بدين الاوايل كمحاربة الاوايل وهذا انما ذكرته بطريق المنع لا لاجل العصبية والميل فان اعتقادنا بسداد الصحابة
الكرام امر قطعى والله تعالى اعلم ثم انه سبحانه لما نهى فى الاى المتقدمة عن موالاة الكفار امر بعد ذلك بموالاة من يجب موالاته
فقال انما وليكم ولم يقل اولياؤكم ليعلم ان ولاية الله اصل والباقى تبع الله ورسوله والذين امنوا وفيه قولان الاول ان المراد
عامة المؤمنين لان الاية نزلت على وفق ما جرى من قصة عبادة بن الصامت وروى ايضا ان عبد الله بن سلام قال يا رسول
الله ان قومنا قد هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل فنزلت هذه الاية فقالوا رضينا
بالله تعالى وبرسوله وبالمؤمنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة ومحله رفع على البدل او على هم الذين يقيمون او نصب
بمعنى اخص واعنى وفى الكل مدح والغرض تمييز المؤمن المخلص عمن يدعى الايمان نفاقا وهم راكعون قال ابو مسلم اى منقادون
خاضعون لاوامر الله تعالى ونواهيه وقيل المراد ومن شانهم اقامة الصلوة وخص الركوع بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة كانوا عند
نزول الاية مختلفين فى هذه الصفات منهم من قد اتم الصلوة ومنهم من دفع المال الى الفقير ومنهم من كان بعد فى الصلوة
راكعا فنزلت الاية على وفق احوالهم القول الثانى ان المراد شخص معين وجى به على لفظ الجمع ليرغب الناس فى مثل فعله
ثم ان ذلك الشخص من هو روى عكرمة انه ابو بكر وروى عطا عن ابن عباس انه على وروى ان عبد الله بن سلام قال لما نزلت هذه الاية قلت
يا رسول الله انا رايت عليا تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه وروى عن ابى ذر انه قال صليت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما صلوة الظهر فسال سائل فى المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد انى سالت فى مسجد الرسول
فما اعطانى احد شيا وعلى كان راكعا فاوما اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم فراه النبى صلى الله عليه
وسلم فقال اللهم ان اخى موسى سالك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله واشركه فى امرى فانزلت قرانا ناطقا سنشد عضدك باخيك
ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك فاشرح لى صدرى ويسر لى امرى واجعل لى وزيرا من اهلى عليا اشدد به ازرى
قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال يا محمد اقرا انما وليكم الاية فاستدلت الشيعة
بها على ان الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو على بن ابى طالب لان الولى هو الوالى المتصرف فى امور الامة وانه على بعينه
اى فهو غيره واجيب بالمنع من ان الولى ههنا هو المتصرف بل المراد به الناصر والمحب لان الولاية المنهى عنها فيما قبل هذه الاية وفيما بعدها
هو بهذا المعنى فكذا الولاية المامور بها وايضا ان عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الاية وانها تقتضى ظاهرا ان يكون الولاية
حاصلة فى الحال وايضا اطلاق لفظ الجمع على الواحد لاجل التعظيم مجاز والاصل فى الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين آمنوا
عامة المؤمنين فان بعضهم يجب ان يكون ناصر البعض كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وايضا الاية المتقدمة
نزلت فى ابى بكر كما مر من انه هو الذى حارب المرتدين فالمناسب ان يكون هذه ايضا فيه ثم ان على بن ابى طالب كان اعرف بتفسير القران
من هؤلاء الامامية فلو كانت الاية دالة على امامة على لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه انه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير
وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضائله وهب انها دالة على امامته لكنه ما كان نافذ التصرف فى حيوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يبق الا انه سيصير اماما ونحن نقول بموجبه ولكن بعد الشيوخ الثلثة ومن اين قلتم انها تدل على امامته بعد رسول الله بغير
فصل وايضا انهم كانوا قاطعين بان المتصرف فيهم هو الله ورسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله ورسوله
ان من كان الله ورسوله ناصرين له فاى حاجة به الى طلب النصرة الى غيره وان كان الولى مستعملا بمعنى النصرة فقد امتنع ان يراد به
معنى التصرف لانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك فى كلا مفهوميه معا فكانه تعالى قسم المؤمنين قسمين وجعل احدهما
انصارا للاخر وايضا الزكوة اسم للواجب لا للمندوب ومن المشهور ان عليا رضى ما كان يجب عليه الزكوة ولو سلم فاللائق بحاله
ان يكون فى الصلوة مستغرق القلب بالله فلا يتفرغ لاستماع كلام السائل ولا الى دفع الخاتم اليه لانه عمل كثير اللهم الا ان يكون
الخاتم سهل الاخذ او كان قد اومى به الى السائل فاخذه السائل والحق انه ان صحت الرواية فللاية دلالة قوية على عظم شان على رضى
والمناقشة فى امثال ذلك تطويل بلا طايل الا ان اصحاب المذاهب لما تكلموا فيها اوردنا حاصل كلامهم على سبيل الاختصار
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله من اقامة المظهر مقام المضمر تشريفا والمراد فانهم هم الغالبون وحزب الرجل
اصحابه المجتمعون لامر حزبهم وقال الحسن جند الله ابو روق اولياء الله ابو العالية شيعة الله وقيل انصار الله الاخفش
هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم صاحب الكشاف يحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين اى ومن يتولهم فقد تولى

حزب الله واعتضد بمن لا يغالب ثم عمم النهى عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عن ابن عباس
كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد اظهر الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعنى ان اتخاذهم
دينكم هزوا ولعبا ينافى اتخاذكم اياهم اولياء بل يجب ان يقابل ذلك بالشنان والبغضاء وانما عطف الكفار على اهل الكتاب
مع ان اهل الكتاب ايضا كفار والعطف يقتضى المغايرة لانه اراد بالكفار المشركين الوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق
باسم الكفر ومعنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك باللسان دون مواطاة الجنان واتقوا الله فى موالاة الكفار ان
كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحق يابى موالاة اعداء الدين قال الكلبى كان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى
الى الصلوة فقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضحك
فنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اى الصلوة او المناداة وهذا بعض ما اتخذوه من هذا الدين هزوا ولعبا فلهذا ادرج
الاية المتقدمة الكلية وقال السدى نزلت فى رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
قال حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نايم واهله نيام فطارت منها شرارة فى البيت فاحترق البيت واحترق
هو واهله وقال اخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد لقد ابدعت شيا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعى النبوة فقد خالفت
فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان فى هذا الامر خير كان اولى الناس به الانبياء والرسل قبلك فمن اين لك
صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الاية وانزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله قال
بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قيل ان اصل الاذان بالمنام والتقرير بنص
الكتاب كان اصوب ذلك الاتخاذ بانهم قوم لا يعقلون فان الصلوة من المنافع لانها التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود
او لا يميزون بين اللعب والجد من السفه والجهل قال بعض الحكماء اشرف الحركات الصلوة وانفع السكنات الصيام **التاويل**
وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى بالحقيقة لانه انزل على قلبه وانزل ساير الكتب فى الالواح والصحف فلهذا كان خلقه القران
وكان مهيمنا على جميع الكتب تصديقا عيانيا لا بيانيا بحيث يشاهد قلب المنزل عليه بنور حقائق جميع الكتب واسرارها بخلاف
ما انزل فى الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حقايق الكتب ومعانيها لكل جعلنا منكم ايها الانبياء شرعة شرع
فيها البيان ومنهاجا سلك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم ايها الانبياء فيما اتيكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان
فاسلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة فى العقبى ليهتدى الناس بوحى البيان ويهتدى القالمون
بالبرهان ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهى الهوى ويسلك المشتاقون
بنفى الحق ويجد العارفون بترك الهدى ويصل الواصلون بالسلوك عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات
الى الله مرجعكم جميعا اختيارا بقدم الصدق واضطرارا بحبال الاجال فان لم يقبلوا عن قبول الحق فاعلم بعظم العقدة انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم مصيبة الاعراض بحيث فيهم وهو الاعراض فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف ويفقدهم ويلزمهم
بغير التصرف فالتكليف فيما وجب والتصرف فيما وجد والعبرة بالايجاد لا بالايجاب لانه يستقون فاحكم من حيث العناية
الحكم الجاهلية يبغون يطلبون منك اى يحكم من الحجة التى هى مطالعة شموس الدين وسطعت براهين اليقين وانمهت
استار الريب واستنارة القلب بانوار الغيب فيسارعون فيهم لان شبيه الشى منجذب اليه بان ياتى فى المنع فيحيون القلب
امرض عنه وهو الحجبة التى توارى على الثقلين ويقول الذين امنوا بانوار الغيوب فى استار القلوب فاصبحوا خاسرين
بابطال الاستعداد الفطرى بقوم يحبهم ويحبونه ثم ارباب السلوك فاقام عنهم بسطوات تجليهم ثم ايقام بوعده بهبوب نفحات
يحبونه فان محبة الله للعبد افناء الناسوتية فى ابقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله ابقاء اللاهوتية فى فناء الناسوتية
والشيخ نجم الدين الرازى المعروف بداية ثم قد عكس القضية فقلبه ثم عز مما فهمته ثم قال يحب العبد بصفة ذاته ازلا
وهى الارادة القديمة المخصوصة بالعناية والعبد يحب الله بتلك الصفة ابدا اذلة على المؤمنين لاندفاع الانانية اعزة
على الكافرين ببقاء اللاهوتية واثبات الوحدانية يجاهدون فى سبيل الله فى طلب الحق فى البداية ببذل الوجود ولا يخافون
لومة لايم عند غلبات الوجد فى الوسط لدوام الشهود فى النهاية فى صدق الطلب فى البداية وغلبات الوجد فى الوسط
والاختصاص بالمحبة فى النهاية والله واسع عليم كرم قادر على ان يتفضل على كل احد لكنه عليم بمن كان اهلا للتفضل
الاعظم من يستاهل ويقيمون الصلوة بدوام اقامتهم والظاهر حقوق فى الباطن بمراعاة السر ويؤتون الزكوة مما كان من وجودهم
وهو الفناء فى الله وهم راكعون راجعون الى الله بالاختلاط من قيام البشرية الى قيام القيومية هم الغالبون على اهوائهم

وانفسهم والدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسلو المستهزئين باهل المحبة والقرب من الذين اوتوا
الكتاب اي العلوم الظاهرة والكفار يعني الفلاسفة ومقلديهم لانهم بمعزل عن العلوم اللدنية والكشفية واذا ناديتم
الى الصلوة دعوتهم   الى محل القرب والنجوى   لا يعقلون بالوهم   والخيل الذادة تهود ذلك الحجاب

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون ● قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم
القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن
سواء السبيل ● واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم
قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون ● وترى كثيرا منهم
يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا
يعملون ● لولا ينهيهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت لبئس ما كانوا يصنعون ● وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ● ولو ان اهل
الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات
النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم
ساء ما يعملون ● يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل

فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم
الكافرين ● قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين ●
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ●

القراءة هل تنقمون وبابه مدغما حمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت
حمزة الباقون بنصب الطاغوت على انه فعل ماض عطفا على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت مبسوطتان مثل وزاده بصطة
وقد مر في البقرة رسالته ابو عمرو وابن كثير وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون رسالاته **الوقوف** من قبل
لعطف وان اكثركم على ان امنا فاسقون عند الله لتناهي الاستفهام والتقدير وهو من لعنه الله ومن جعل محله جرا على البدل
من شر لم يقف الطاغوت السبيل خرجوا به يكتمون السحت يعملون السحت يصنعون مغلولة وقيل لا لتصل قوله غلت وهو
جزاء قولهم يد الله مغلولة بما قالوا لئلا يتوهم ان قوله بل يداه مبسوطتان مفعول قالوا مبسوطتان لان قوله ينفق من مقصود
الكلام فلا يستانف كيف يشاء وكفرا يوم القيمة اطفاها الله قال السجاوندي لان الواو للحال اي وهم يسعون وفيه نظر فسادا
المفسدين النعيم ارجلهم مقتصدة يعملون من ربك رسالته من الناس الكافرين من ربكم وكفرا لاختلاف النظم مع فاء
التعقيب الكافرين يحزنون **التفسير** لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا قال لهم ما الذي تنقمون من اهل
هذا الدين نقمت على الرجل انقم بالكسر اذا عتبت عليه ونقمت بالكسر لغة ونقمت الامر ايضا اذا كرهته وانكرته وسمي العقاب نقمة لانه
يجب على من انكر من الفعل والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وليس هذا مما يوجب عتبا وعيبا لان
الايمان بالله تعالى راس جميع الطاعات واما الايمان بمحمد وبجميع الانبياء فهو الحق الذي لا محيد عنه لان الطريق الى تصديق الانبياء
هو المعجز فانه حاصل في الكلام فلا وجه للايمان ببعض والكفر ببعض ثم عطف عليه وان اكثركم فاسقون والمراد ما تنقمون الا الجمع
بين ايماننا وبين تمردكم كانه قيل ما تنكرون منا الا مخالفتكم فامنا وما فسقنا مثلكم وفيه من حسن الازدواج والطباق ما فيه كقول
القائل هل تنقم مني الا اني عفيف وانك فاجر ويجوز ان يعطف على المجرور اي ما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم
خارجون من الدين ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي ما تنكرون منا الا الايمان مع فسقكم لان احد الخصمين اذا كان متصفا بالصفات
الحميدة مع اتصاف الاخر بالصفات الذميمة كان ذلك اشد تاثيرا في وقوع البغض والحسد في قلب الخصم ويحتمل ان يكون تعليلا
معطوفا على تعليل محذوف اي ما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم ولاجل فسقكم ومن هنا قال الحسن في تفسيره بفسقكم
نقمتم ذلك علينا ويجوز ان ينتصب بفعل محذوف يدل عليه ما قبله اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع بالابتداء
والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت محقق عندكم الا ان حب الجاه والمال يدعوكم الى عدم الانصاف وانما خص الاكثر بالفسق مع ان اليهود
كلهم فساق تعريضا باحبارهم ورؤسائهم الطالبين للرياسة والمال والتقرب الى الملوك والمراد ان اكثرهم في دينهم فساق
لا عدول فان الكافر والمبتدع قد يكون عدلا في دينه او ذكر اكثرهم لئلا يظن ان من امن منهم داخل في ذلك قال ابن عباس اتى نفر
من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم
واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة ولا دينا
شرا من دينكم فانزل الله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك يعني المنقوم وهو الايمان ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من لعنه
بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله مثوبة نصب على التمييز من شر وهي من المصادر التي جاءت على مفعول كالميسور والمجلود ومثلها
المشورة وقرئ مثوبة كما يقال مشورة والمثوبة ضد العقوبة واستعمال احد الضدين مكان الاخر مجاز رخصه ارادة التهكم

مثل فبشرهم بعذاب اليم وقد اخرج الكلام ههنا على حسب قولهم واعتقادهم والا فلا شركة بين المسلمين وبين اليهود في اصل
العقوبة حتى يقال ان عقوبة احد الفريقين شر ولكنهم حكموا بان دين الاسلام شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك ولكن لعن الله
وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك قال المفسرون يعني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى عم ويروى ان
كلا المسخين كان في اصحاب السبت لان شبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير ولهذا كان المسلمون يعيرون اليهود
بعد نزول الاية ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اما قوله وعبد الطاغوت فقد ذكر في الكشاف
فيه انواعا من القراءة لا مزيد فائدة في تعدادها لشذوذها الا قراءة حمزة والوجه فيه ان العبد بمعنى العبد الا انه
بناء مبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال الشاعر شعر ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد
ابني لبينى لستم الا يد البيت لها عضد وقيل هما لغتان مثل سبع وسبع وقيل ان العبد جمعه عباد والعباد جمعه عبد
كثمار وثمر الا انهم استثقلوا الضمتين فابدلت الاولى فتحة وقيل ارادوا اعبد الطاغوت مثل فلس وافلس الا انه حذف الالف
وضم الباء لئلا يشبه الفعل والطاغوت ههنا قيل هو العجل وقيل هو الاحبار والظاهر انه كل ما عبد من دون الله ذلك من اطاع
احدا في معصيته فقد عبده احتج الاشاعرة بالاية على ان الكفر بجعل الله تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل انه حكم عليهم
بذلك ووصفهم كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وانه اخذ لهم حتى عبدوها اولئك الملعونون الممسوخون شر
مكانا من المؤمنين قال ابن عباس لان مكانهم سقر ولا مكان شر منه وقال علماء البيان هو من باب الكناية لانه ذكر المكان واريد
اهله الذي هو ملزوم المكان واضل عن سواء السبيل قصده ووسطه كان ناس من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يؤثر فيهم شيء من النصيحة والموعظة قط
وقوله بالكفر وبه حالان اي ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي
من الحال وليفيد التوقع ايضا وذلك ان امارات النفاق كانت لائحة على صفحات احوالهم انهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين
وانما ذكر عند الخروج كلمة هم لتاكيد اضافة الكفر اليهم ونفي ان يكون من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فعل اي لم يسمعوا منك
يا محمد عند جلوسهم ما يوجب كفرا فتكون انت الذي القيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار انفسهم وههنا استدل
المعتزلي على صحة مذهبه ان الكفر من العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والداعي والله اعلم بما يكتمون فيه ان حدسهم وظنهم
لا يحيط به الا الله فما اعظم ذلك وابلغ الاثم الكذب كقوله بعد عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم
والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم وقيل الاثم كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وفي الاية فوائد منها ذكر كثير لان كلهم كان لا يفعل
ذلك اذ بعضهم يستحي فيترك ومنها ان المسارعة انما يليق بالخيرات وانهم كانوا يستعملونها في المنكرات ومنها ان الاثم يتناول
جميع المعاصي فذكر بعده العدوان واكل السحت ليدل على انها اعظم انواع الاثم والكلام في معنى السحت وفي تفسير الربانيين
والاحبار قد مر في السورة عن قريب وقال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وانما قال ههنا لبئس ما كانوا
يصنعون وفي الاول يعملون لان الصنع ارسخ من العمل فلا يسمى العامل صانعا ولا العمل صناعة الا اذا تمكن فيه وتدرب ونسب
اليه وكان ذنب العلماء اذا تركوا النهي عن المنكر اشد واعظم واثبت وارسخ وتحقيقه ان المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله
وصفاته واحكامه فاذا حصل هذا العلم ولم تزل المعصية دل على ان مرض القلب في غاية القوة والشدة كالمرض الذي شرب
صاحبه الدواء فما زال وعن ابن عباس هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله
مغلولة قيل في هذه الحكاية اشكال لان اليهود مطبقون على انا لا نقول ذلك كيف وبطلانه معلوم بالضرورة لان الله اسم لموجود
قديم قادر على خلق العالم وايجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع ان يكون يده مغلولة وقدرته قاصرة والجواب ان الله تعالى صادق
في كل ما اخبر عنه فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم فلعل المراد القوم قالوا هذا على سبيل الالزام فانهم لما سمعوا قوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا قالوا من احتاج الى القرض كان فقيرا عاجزا مغلول اليدين او لعلهم لما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غاية الفقر والضر قالوا ان اله محمد كذلك وقال الحسن كذلك ارادوا انهم لا تمسهم النار الا اياما معدودة الا انهم
عبروا عن كونه تعالى غير معذب لهم الا هذا القدر من الزمان بهذه العبارة الفاسدة فاستوجبوا اللعن لفساد العبارة وسوء
الادب وقيل لعلهم كانوا على مذهب بعض الفلاسفة انه تعالى موجب لذاته وان حدوث الحوادث عنه لا يمكن الا على نسق
واحد فعبروا عن عدم اقتداره على تغير ذلك النسق بغل اليد وقال المفسرون كان اليهود اكثر الناس مالا وثروة فلما بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوه ضيق الله المعيشة فعند ذلك قالوا يد الله مغلولة اي مقبوضة عن العطاء على جهة النعت
بالبخل والجاهل ان وقع في البلاء والشدة فقد يقول مثل هذه الالفاظ وغل اليد وبسطها مجاز مستفيض عن البخل والجود ومنه

قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد الة لاكثر الاعمال لا سيما لاخذ
المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد سبط البنان رطب الانامل
وللبخيل ابن الاصابع مقبوض الكف جعد الانامل ولا فرق عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه حتى انه يستعمل في ملك
لا يعطي ولا يمنع الا بالاشارة بل يقال للاقطع ما ابسط يده بالنوال وقد يستعمل حيث لا يصح اليد كقول لبيد شعر
قد اصبحت بيد الشمال زمامها فجازاهم الله تعالى بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله
وانكدهم وعابه عليهم تعليما لعباده كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وكما علمهم الدعاء على
المنافقين في قولهم فزادهم الله مرضا وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة
او اخبارا قال الحسن يغلون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم فيكون الطباق من حيث اللفظ وملاحظة
اصل المجاز وانما لم يلاحظ فغلت ايديهم مع ان الجزاء يناسب فاء التعقيب ليكون قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدا فيزيد قوة
ووثاقة لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام به وقوة الاعتناء بتقريره ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا
بالجزية وفي الاخرة بالنار ومما وقع في عصرنا من اعجاز القران ما حكي ان متغلبا من اليهود مسمى بسعد الدولة وهو من اشقى
الناس كان قد سمع بهذه الاية فاتفق ان وصل الى بغداد فنزل بالمدرسة المستنصرية ودعا بمصحف كان قد كتب باحسن خط فابتهج
من خطوط الكتاب الماضين وكان يعلم ان اهل هذا العصر لا يقدرون على كتابة مثله ثم قال اين هذه الاية يعني قوله غلت ايديهم ولعنوا
بما قالوا فاروها اياه فمحاها فلم يمض اسبوع الا وقد سخط السلطان عليه فبعث في طلبه وامر بغل يديه فغلوه وحملوه اليه
فامر بقتله ثم انه سبحانه رد على اليهود بقوله بل يداه مبسوطتان واليد في اللغة يطلق على الجارحة المخصوصة وهو ظاهر وعلى
النعمة لفلان عندي يد اشكرها له وعلى القوة اولي وعلى الملك هذا بيد فلان اي ملكه قال تعالى بيده عقدة النكاح وقد يراد به شدة العناية
قال لما خلقت بيدي ويقال يدي لك وهو بالوفاء اذا ضمنت له شيئا ولا شك ان اليد بمعنى الجارحة في قوله تعالى محال
للدليل الدال على انه ليس بجسم ولا ذي اجزاء خلافا للمجسمة واما سائر المعاني فلا باس بها وكان طريقة السلف الايمان
بها وانها من عند الله ثم تفويض معرفتها الى الله تعالى وقد جاء في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة
من شانها التكوين على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي والمراد تخصيص ادم بهذا التشريف ونص القران ناطق باثبات
اليد تارة يد الله فوق ايديهم وباثبات اليدين اخرى كما في الاية وباثبات الايدي اخرى مما عملت ايدينا انعاما ووجه التوحيد
والجمع ظاهر واما وجه التثنية فذلك ان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه وكان ابلغ في رد كلام القوم خذلهم الله او
المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا او نعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة النفع ونعمة الدفع او نعمته على اهل اليمين ونعمته على اهل الشمال
بل لطفه في حق اوليائه وقهره في شان هؤلاء او المراد المبالغة في وصف النعمة كقولهم لبيك وسعديك معناه اقامة على
طاعتك بعد اقامة واسعادا بعد اسعاد ثم اكد الوصف بالقدرة والسخاء فقال ينفق كيف يشاء وفيه ان لا ينفق الا على مقتضى
الحكمة وقانون العدالة وعلى حسب المشية والارادة لا مانع له ولا حاكم فمن اوجب عليه شيئا او اعترض على فعل من افعاله
فقد نازعه في ملكه وحجر تصرفه وقيده وغل وقد نسبه الى ما لا يليق به وليزيدن جواب قسم محذوف كثيرا منهم يعني علماء اليهود ما
انزل اليك من ربك من القران والحجج طغيانا وكفرا مجاوزة في الحد وغلوا في الانكار لان البدن غير النقي كلما غذوته زدته
شرا والقينا بينهم بين اليهود والنصارى قاله مجاهد والحسن او فيما بين اليهود العداوة والبغضاء الى يوم القيمة لا يأتلف
كلمهم ولا يتساعدون فبينهم فمن اليهود جبرية وقدرية وموحدة ومشبهة ومن النصارى ملكانية ونسطورية ويعقوبية وكل
ذلك الاختلاف يوجب السخط واللعن بخلاف هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولتفرق اهوائهم وتشعب ارائهم كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله فلا يهمون بامر من الامور الا ويرجعوا بخفي حنين وقيل كلما حاربوا رسول الله غلبوا وعن قتادة لا تلقى اليهود
ببلدة الا وجدتهم اذل الناس ويسعون في الارض فسادا يستخفون كيدا للاسلام وذويه والله لا يحب المفسدين فلا يبيح لهم
ولا يبيح لهم سعي قيل خالفوا حكم التورية فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس
ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى يوم القيمة ثم لما بالغ في تهجين سيرتهم ذكر انهم مع ما عدد من مساويهم لو امنوا بمحمد وما
جاء به واتقوا المنكرة التي كانوا يأتونها لكفرنا عنهم تلك السيئات سترناها عليهم ولادخلناهم مع المسلمين
جنات النعيم من التنعم خلاف البوس ان نعيم صاحبها فما اوسع رحمة الله تعالى وما اعظم عفوه وغفرانه ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى ومن الاقرار بنبوة نبي اخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم او حافظوا على احكامهما
وحدودهما او اقاموهما نصب اعينهم لئلا ينسوا ما فيهما من التكاليف وما انزل اليهم من ربهم يعني القران او سائر الكتب الالهية

كصحف ابرهيم وزبور داود وكتاب شعيا وحيقوق ودانيال فان كلها مشحونة من البشارة ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وانهم مكلفون بالايمان بجميعها لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى تنزل عليهم بركات السماء وبركات الارض او يكثر لهم الاشجار المثمرة والزروع المغلة او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من روس الشجر ويلتقطون ما تساقط على وجه الارض ويحتمل ان يراد به المبالغة فى شرح السعة والخصب لا ان هناك فوقا وتحتا اى لاكلوا اكلا كثيرا متصلا ويشبه ان يكون هذا اشارة الى ما جرى على بنى قريظة وبنى النضير من قطع نخيلهم وافساد زروعهم واجلائهم عن اوطانهم والحاصل انه سبحانه وعدهم سعادة الدارين بشرط الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقدم السعادة الاخروية بقسميها وهما دفع العقاب وايصال الثواب لشرفها ثم فصل حالهم فقال منهم امة مقتصدة طائفة متوسطة فى العلو والتقصير وذلك ان من عرف مقصوده فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب بخلاف من لا مقصد له فانه يذهب متحيرا يمينا وشمالا لا فجعل الاقتصاد عبارة عن العمل المودى الى الغرض ومنهم فيه قولان احدهما الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عدولا فى دينهم ولا يوجد فيهم عناد شديد ولا غلظة كاملة الثانى هم المومنون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعين من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل ما اسوء عملهم لكونهم اجلافا متعصبين لا ينجع فيهم القول ولا يوثر فيهم الدليل ثم قيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة المعاندين ولا يتخوف مكروههم فقال يا ايها الرسول بلغ عن ابى سعيد الخدرى ان هذه الاية نزلت فى فضل على بن ابى طالب كرم الله وجهه يوم غدير خم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر فقال هنيئا لك يا ابن ابى طالب اصبحت مولاى ومولى كل مومن ومومنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن على وروى انه صلى الله عليه وسلم نام فى بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابى وهو نائم فاخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من يمنعك منى فقال الله فرعدت يد الاعرابى وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه ونزل والله يعصمك من الناس وقيل لما نزلت اية التخيير يا ايها النبى قل لازواجك فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا نزلت يا ايها الرسول بلغ وقيل نزلت فى امر زينب بنت جحش وقيل نزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عيب الهتهم فنزلت اى بلغ معايب الهتهم ولا تخشهم وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما بين الشرايع والمناسك فى حجة الوداع قال هل بلغت قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد فنزلت وقيل نزلت فى قصة الرجم والقصاص المذكورتين وقال الحسن ان نبى الله قال لما بعثنى الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبنى واليهود والنصارى يخوفوننى فنزلت الاية فزال الخوف وقالت عايشة رض سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقلت يا رسول الله ما شانك قال الا رجل صالح يحرسنى الليلة قالت وبينما نحن فى ذلك سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الاية فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس وكان يرسل معه ابو طالب كل يوم رجالا من بنى هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الاية فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسه فقال يا عماه ان الله تعالى قد عصمنى من الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك جميع ما انزل الله اليك واى شئ انزل اليك وان لم تفعل ما امرتك به كما امرتك به فما بلغت رسالته من قرا على الوحدة فلان القران كله رسالة واحدة اولان الرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى الجمع ومن جمع فلان كل اية او حكم رسالة فان قيل معنى قوله فما بلغت رسالته ان لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته فما وجه صحته فالجواب ان هذا جاء على طريق التهديد والمراد ان لم تبلغ شيئا منها لان اداء بعضها ليس اولى من اداء الاخر كما ان من لم يومن ببعضها كان كمن لم يومن بكلها او المراد ان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحى كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت فان قيل اين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد ما جرى فالجواب ان الاية نزلت بعد يوم احد او المراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يحتمل كل ما دون النفس والناس الكفار ان الله لا يهدى القوم الكافرين اى لا يمكنهم مما يريدون ثم لما امره بتبليغ اى شئ كان طاب للسامع او ثقل عليه امره ان يقول لاهل الكتاب لستم على شئ اى على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشئ تريد تحقيره وتصغير شانه وما فى الاية مكرر للتاكيد ومعنى فلا تاس لا تاسف ولا تحزن عليهم بسبب زيادة طغيانهم فان وبال ذلك عايد عليهم او لا تاسف بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك يقال اسى على مصيبته بالكسر ياسى اسى اى حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب ليسوا على شئ ما لم يومنوا بين ان اهل الكتاب ليسوا على شئ ما لم يومنوا بين ان هذا الحكم عام فى الكل وانه لا يحصل لاحد منقبة ولا سعادة الا اذا امن

وعمل صالحا وذلك ان كمال القوة النظرية لا يحصل الا بمعرفة المبدا والمعاد اعنى الايمان بالله واليوم الاخر وكمال القوة العملية انما يحصل بتعظيم المعبود والشفقة على المخلوق اعنى العمل الصالح وغاية هذا الكمال الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن عما مضى من طيبات الدنيا لانهم وجدوا امورا اعظم واشرف وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية فى سورة البقرة الا انه بقى ههنا بحث لفظى وهو ان قوله والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون انه معطوف على الذين لان اسم ان اذا كان مبنيا جاز العطف على محله وان كان قبل ذكر الخبر فيجوز ان يكون فى ان زيدا ذاهبان وان لم يجز ان زيدا وعمرو قايمان وذهب البصريون الى عدم جواز ذلك مطلقا لانه يودى الى اعمال ان واعمال معنى الشرط الابتداء معا فى قايمان فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فيكون هذه جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها وفائدة هذا التقديم على ان التوبة مقبولة البتة وذلك ان الصابئين ابين هولاء المعدودين ضلالا لانهم صبأوا عن الاديان كلها اى خرجوا فكانه قال جل هولاء الفرق اذا اتوا بالايمان والعمل الصالح قبلت توبتهم حتى الصابئون ولو قيل الصابئين لم يكن من التقديم فى شئ لانه ثابت فى مركزه الاصلى وانما تطلب فائدة التقديم للمزال عن موضعه والراجع الى اسم ان محذوف والتقدير من امن منهم كما فى البقرة **التاويل** شر الفريقين من جعله الله مستعد القبول الفيض القهر من اللعن والغضب وجعل صفة القردة والخنزير اعنى الحيلة والحرص والشهوة من خصايصهم اولئك شر مكانا من القردة والخنازير لا استعدادهم وهولاء قد ابطلوا استعدادهم الفطرى ومثله اولئك كالانعام بل هم اضل ولهذا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الربانيون مشايخ الطريقة والاحبار علماء الشريعة غلت ايديهم كانت ايديهم من اصابة الخير مغلولة ومشامهم عن تنسم روايح الصدق مزكومة فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكل اناء يترشح بما فيه ولكن الذى ادركته العناية الازلية وسلبت عنه صفات الظلومية والجهولية صلى الله عليه وسلم قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ينفق كيف يشاء بيدى اللطف والقهر على المومنين من الهداية والاحسان وعلى الكافرين من الغواية والخذلان والقينا بينهم العداوة فلا يوجد الا وبينه وبين صاحبه الى ان يتوارثوا بطنا بعد بطن ولو ان اهل العلوم الظاهرة امنوا بالعلوم الباطنة واتقوا الانكار والاعتراض ولو انهم عملوا بمتفقات الكتب المنزلة ومستحسناتها لاكلوا من فوقهم رزقوا من الواردات الروحانية ومن تحت ارجلهم الى على مقاماتهم من العلماء الظاهرين امة مقتصدة ان لم يكن سابقا بالخيرات والمقتصد هو العالم المتقى والمريد الصادق دون السابق وهو الواصل الكامل العالم الربانى بلغ ما انزل اليك يندرج تحته الوحى والالهامات والمنامات والوقايع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار والاخلاق والمواهب والحقايق ومعانى النبوة والرسالة فالرسول ان لم يبلغ بعض هذه الحقايق الى العباد لم يمكن يمكنهم الوصول الى الله فلا يحصل مقصود ما ارسل به فلم يبلغ رسالته الا ان للتبليغ مراتب كما انزل اليه فتبليغ بالعبادة وتبليغ بالاشارة وتبليغ بالتاديب وتبليغ بالتعليم وتبليغ بالتزكية وتبليغ بالتحلية وتبليغ بالهمة وتبليغ بجذبات الولاية وتبليغ بقوة النبوة والرسالة وتبليغ بالشفاعة وللخلق ايضا مراتب بحسب قبول الدعوة وبحسب الاستعدادات المختلفة انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك باوصاف لاهوتية عن اوصاف ناسوتيك لتتصرف فى الخلق بقوة اللاهوتية فتوصلهم الى الله ولا يتصرفون فيك فيقطعوك عن الله يا ارباب العلوم الظاهرة لستم على شئ من حقيقة الدين حتى تزينوا ظواهركم وبواطنكم بالاعمال والاحوال الواردة فى الكتب الالهية ولذلك لمقدمتين واربع نتايج فالمقدمتان الجذبة الالهية ونتيجتها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تربية الشيخ ونتيجتها تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحليتها بالاخلاق الفاضلة والله حسبى ونعم الوكيل ٥

لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون •
وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا
وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون • لقد كفر الذين

قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه
النار وما للظالمين من انصار ● لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن
الذين كفروا منهم عذاب اليم ● افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
والله غفور رحيم ● ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات
ثم انظر انى يؤفكون ● قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ● قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ● لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ● ترى
كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان
سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ● ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا
منهم فاسقون ● لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود و
الذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا
نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ●

واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا
من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين ● وما لنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين ● فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ● والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ●

القراءة ان لا تكون بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف غير سهل وحفص وابي بكر وحماد الباقون بالنصب

الوقوف رسلا انفسهم لان عامل كلما ردّ فوا كذبوا يقتلون كثير منهم بما يعملون ابن مريم وربكم النار من انصار ثلثة لئلا يتوهم ان ما بعده من قول الكفار واحد اليم ويستغفرونه والوصل ايضا حسن بناء على ان الواو للحال اي هلا يستغفرون وهو غفور رحيم رسول لاحتمال ما بعده الصفة والاستيناف الرسل لان الواو للاستيناف لا للعطف صديقة لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير في كانا مثنى الطعام يوفكون ولا نفعا والوصل يحسن على ان الواو للحال اي يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال ان الله يسمع دعاء المضطرين ويعلم رجاء المعين العليم السبيل ابن مريم يعتدون فعلوه يفعلون كفروا خالدون فاسقون اشركوا لطول الكلام والفصل بين الوصفين المتضادين نصارى لا يستكبرون الجزء السابع من الحق لاحتمال ما يتلوه الحال والاستيناف الشاهدين من الحق لان الواو بعده للحال الصالحين خالدين فيها المحسنين الجحيم

التفسير افتتح الله تعالى السورة بقوله اوفوا بالعقود وانجر الكلام الى ما انجر والان عاد الى ما ابتدأ به والمقصود بيان عتو بني اسرائيل وشدة تمردهم اي اخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال وارسلنا اليهم رسلا لتعريف الشرائع والاحكام قال في الكشاف كلما جاءهم رسول الى اخره جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف اي رسول منهم واقول الاصوب جعلها جملة مستانفة جوابا لسائل يسال كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا اما جواب الشرط فاختار في الكشاف انه محذوف لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان يقال ان اكرمت اخي اخاك اكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وعادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف فعلوا واقول اما ان التركيب المذكور غير مستحسن فمن النزاع واما ان الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لان قوله كلما يدل على كثرة مجي الرسل فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى بما لا تهوى انفسهم بما يضاد شهواتهم لرغبتهم عن التكاليف وفائدة تقديم المفعول وايراد يقتلون مضارعا ذكرناها في سورة البقرة وزعم في تفسير الكبير انه ذكر التكذيب بلفظ الماضي لانه اشارة الى معاملتهم مع موسى في التيه وتمردهم عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان ادوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لانه رمز الى ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على زعمهم وان ذلك الزمان قريب فكان الحاضر وحسبوا ان لا تكون فتنة قال علماء الادب الافعال على ثلثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء كالعلم والتيقن فيقع بعده ان المشددة الدالة على ثبات الشيء ايضا التاكيد مقتضاه كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين فان خففت ودخل على الفعل لم يجز الا ان يكون مع فعله قد او سوف او السين او حرف نفي ليكون كالعوض من حذف النونين وقيل من حذف ضمير الشان مثل علم ان سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار نحو اطمع واخاف وارجو فلا يجيء معه الا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذي اطمع ان يغفر لي وفعل يحتمل المعنيين فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا ان لا يكون قرئ بالنصب على ان المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على ان المخففة اي انه لا يكون فتنة مخففا ان حذف ضمير الشان ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم وما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه سد مسد المفعولين وكان تامة والمعنى وحسب بنو اسرائيل انه لا يقع فتنة وهي محصورة في عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وعذاب الدنيا اقسام منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة

وكل ذلك قد وقع بهم وقد فترت الفتنة بكل من ذلك وحسبانهم ان لا يقع فتنة يحتمل وجهين الاول انهم كانوا يعتقدون ان لا
نسخ لشريعة موسى وان كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه والثاني انهم اعتقدوا كونهم مخطئين في التكذيب والقتل الا انهم كانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الاية يدل على ان عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل
مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا في زمان زكريا ويحيى وعيسى ثم تاب الله على بعضهم حيث وفقهم للايمان به
ثم عموا وصموا كثير منهم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته الا بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله كثير منهم
بدل عن الضمير كقولك رايت القوم اكثرهم وقيل انه على لغة اكلوني البراغيث وقيل خبر مبتداء محذوف اي اولئك كثير منهم
وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا منه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم
بالتعنت وهو طلب روية الله جهرة وقال القفال انه يجوز ان يكون اشارة الى ما في سورة بني اسرائيل فاذا جاء وعد اوليهما
فاذا جاء وعد الاخرة وقرئ عموا وصموا بالضم اي رماهم الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال ركبته اذا ضربته الركبة ثم انه سبحانه
لما استقصى الكلام مع اليهود شرع في حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم انهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول
اليعقوبية القائلين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم انه تعالى حل في ذات عيسى او اتحد به ثم حكى عن المسيح ما حكى ليكون لهم حجة
قاطعة على فساد ما اعتقدوا فيه وذلك انه لم يفرق بين نفسه وبين غيره في المربوبية وفي ظهور دلايل الحدوث عليه ثم اكد ذلك
المعنى بقوله انه من يشرك بالله اي في العبادة او في تجويز الحلول والاتحاد او في اجراء وصفه في المخلوقين او بالعكس فقد حرم الله عليه
الجنة التي هي دار الموحدين اي منعه منها وما للظالمين من انصار من كلام الله تعالى او من حكاية قول عيسى لهم وقد مر تفسيره في اخر
سورة ال عمران وفيه تقريع لهم لانهم كانوا يعتقدون ان لهم انصارا كثيرا فيما يقولون ويعتقدون في نفي الله تعالى وعيسى ذلك
ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه قال المفسرون ثالث ثلثة معناه ثالث الهة ثلثة ليلزم الكفر واما الا فما من شئ شيئين الا والله
ثالثهما يحكى ان النصارى يقولون اب وابن وروح قدس والثلثة اله واحد كما ان الشمس يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب
الذات والابن اله واحد وبالروح الحيوة قالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وزعموا ان الاب اله
واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون
ثلثة فلا جرم رد الله مقالتهم بقوله وما من اله الا اله واحد فزاده من الاستغراقية والمعنى ما اله قط في الوجود الا اله موصوف
بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك ثم زجرهم بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا قال الزجاج يعني الذين قاموا على
هذا الدين لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية فمن في قوله منهم للتبعيض ويجوز ان يكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن اقيم الظاهر مقام
المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر ورمزا الى انهم من الكفر بمكان حتى لو فسر الكفار المعذبون عنوا بذلك خاصة ومعنى عذاب اليم
نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون قال الفراء انه امر بلفظ الاستفهام وفيه تعجيب من اصرارهم على الكفر بعد الوعيد الشديد
ثم احتج على ابطال معتقدهم بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول وهذا ترتيب في غاية الحسن لانه منعهم من الكفر اولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا
ثم شرع في حل شبهتهم ثالثا ومن هنا قيل ان المرتد يستتاب بل يمهل ويناظر ان عنت له شبهة بل يسلم اولا ثم يحل شبهته ثانيا والمعنى ما هو
الا رسول من جنس الرسل الماضين لانه تخطى الرسالة الى الالهية كما لم يتخطوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق ادم من غير ذكر ولا انثى وان ابراء
الاكمه والابرص واحيى الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى الى غير ذلك من ايات ربه الكبرى وامه صديقة كبعض النساء المؤمنات
بالانبياء كانت من القانتين اي من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم المجتهدون في اقامة مراسم العبودية ففيه تكذيب
للنصارى المفرطين فيها اذ جعلوها الها وفيه تكذيب لليهود المفرطين في شانها حيث نسبوها الى الجنايات والى الكذب في ان عيسى خلق
من غير اب وفيه انه من كان له ام فقد حدث بعد ما لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم اكد حدوثهما وعجزهما بقوله كانا ياكلان الطعام فان المحتاج
الى الاغتذاء محتاج الى ما يتبعه من الهضم والنقض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما او لوهما في حيز
الامكان ثم عجب من غاية عنادهم فقال انظر كيف نبين لهم الايات الادلة الظاهرة على بطلان قولهم [illegible]
في كيف قوله [illegible] ومفعول انظر مجموع الجملة [illegible] ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق
[illegible] والسكون صرف عن الشئ ومنه الافك للكذب لانه مصروف عن الحق [illegible]
عنها النظر ومعنى التراخي في ثم انظر [illegible] اعراضهم عنها اعجب منه [illegible]
للحق [illegible] الاشاعرة والمعتزلة [illegible] ثم اقام حجة اخرى على فساد
قول النصارى فقال قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا [illegible] من البليات
والمصائب [illegible] من الصحة والخصب بواسطة [illegible] فان اليهود كانوا يقصدون

بالسوء ولم يقدر على دفعهم ومن مذهب النصارى ان اليهود صلبوه ومزقوا اضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه
وكان عليه السلام مصروف الهمة الى عبادة الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا عابدا والله هو السميع العليم يسمع اباطيلهم
ويعلم ضمايرهم فيجازيهم عليه وفيه من الوعيد ما فيه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا اهل الكتاب لا تغلوا الغلو مجاوزة
حد الاعتدال وانه شامل لطرفي الافراط والتفريط وان كان قد يخص بطرف الافراط ويجعل مقابلا للتقصير ولعل المراد
ههنا هو الاول فاليهود فرطوا فيه حتى نسبوه الى الزنى والكذب والنصارى افرطوا فيه حيث ادعوا فيه الالهية قال في الكشاف
قوله غير الحق صفة للمصدر اي غلوا غير الحق ولزمه القول بان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يبالغ في تقرير الحق وتوضيحه
واستكشاف حقايقه وباطل وهو ان يتبع الشبهات على حسب الشهوات والثاني منهي عنه دون الاول واقول لما كان الغلو
مجاوزة الحد وكل شئ وكل من جاوز حده شانه ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القايل شعر كلا طرفي قصد الامور ذميم
فالاصوب ان يقال انتصب غير الحق على انه صفة قايمة مقام المصدر اي لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين
اي افسادا وكقولهم تعالى جانبا وقم قايما ولو سلم ان المصدرية محذوف كان غير الحق صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة وامس الدابر
لا صفة مميزة فافهم ولا تتبعوا اهواء قوم هي المذاهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحجة قال الشعبي ما ذكر الله تعالى لفظ الهوى
في القران الا ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى افرايت من اتخذ الهه هويه قال ابو عبيد لم نجد الهوى يوضع الا في
الشر لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال رجل لابن عباس الحمد
لله الذي جعل هواي على هواك فقال ابن عباس كل هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني ايمتهم في النصرانية واليهودية قبل
بعثة النبي صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث او التفريط في شان مريم وابنها وضلوا عن سواء السبيل
عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فكذبوه والغرض بيان استمرارهم على الضلال قديما وحديثا وقيل الضلال الاول عن الدين
والضلال الثاني عن طريق الجنة وقيل الضلال الثاني اعتقادهم في ذلك الاضلال انه ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور
على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وفيه تعيير لهم حيث ادعوا انهم اولاد الانبياء وقد لعنوا على السنتهم وقال كثير من
المفسرين ان اصحاب الايكة كما يجيء في الاعراف لما اعتدوا في السبت وقال داود اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا قردة وان
اصحاب المايدة لما اكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل
ما فيهم امراة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكذبه وذلك اللعن بسبب عصيانهم
واعتدايهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون للتناهي معنيان احدهما وعليه الجمهور انه تفاعل من النهي اي كانوا
لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رضي عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم وذلك ان
في التناهي المامور به حسما للفساد فكان الاخلال به معصية وظلما الثاني انه بمعنى الانتهاء اي لا ينتهون ولا يمتنعون والمراد
لا ينتهون عن ابن عباس عن معاودة منكر فعلوه لان النهي بعد الفعل لا يفيد والمراد لا ينتهون عن منكر ارادوا فعله واحضروا
الاته او لا ينتهون عن الاصرار على منكر فعلوه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المصدر فقال لبئس ما كانوا يفعلون
ثم لما وصف اسلافهم بما وصف شرع في نعت الحاضرين وانهم كثير منهم يتولون المشركين والمراد كعب بن الاشرف واصحابه حين
استجاشوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر في سورة النساء عند قوله هؤلاء اهدى من الذين امنوا
سبيلا لبئس ما قدمت لهم انفسهم من العمل لمعادهم به ومحل ان سخط رفع على انه مخصوص بالذم اي بئس الزاد الى الاخرة سخط
الله يعني موجب سخط الله وسببه ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما انزل اليه في التورية كما يدعون ما اتخذوا المشركين
اولياء لان تحريم ذلك متاكد في شريعة موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم لان مرادهم تحصيل الرياسة بالجاه باي طريق قدروا
عليه لا تقرير دين موسى ويحتمل ان يراد ولو كان هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله ومحمد والقران ايمانا خالصا ما اتخذوا
المشركين اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال القفال ولو ان هؤلاء المشركين
يؤمنون بالله ومحمد ما اتخذهم اليهود اولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد وكل من له
اهلية الخطاب اشد الناس عداوة وقد تعلقت به اللام في قوله للذين امنوا كما تعلقت بالمودة فيما بعد وظاهر الاية يدل على ان
اليهود في غاية العداوة للمسلمين وكيف لا وقد نبه على قدم قدمهم في العداوة تقديمهم على الذين اشركوا وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله ولكنه روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي ان المراد به النجاشي وقومه
الذين قدموا من الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامنوا به ولم يرد به جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال
اخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم في الدين باي طريق كان بالقتل او بغصب المال او بوجوه المكايد والحيل

ولبس النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام فهذا وجه التفاوت بالعداوة والمودة وفدا كد ذلك بوصف
العداوة والمودة بالاشد والاقرب وفي الاية من الفائدة ان التمرد والمعصية عادة لهم ففرغ قلبك يا محمد ولا تبال
بمكرهم ولا تحزن على كيدهم ثم ذكر سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا القس والقسيس اسم لرئيس
النصارى في العلم والدين وكانه من القس وهو تتبع الشيء وطلبه قال قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما تدوقع فيه التوافق
بين اللغتين وفي العروة ابن الزبير ضيعت النصارى الانجيل وادخلت فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم على الحق والدين
يسمى قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وفرسان في راكب وفارس وقيل انه واحد وجمعه
رهابين كقربان وقرابين ولكن النظم يأباه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالى وانما صارت الرهبانية ممدوحة في مقابلة
قساوة اليهود وغلظهم والا فهي مذمومة في نفسها لقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ولقوله صلى الله عليه وسلم لا رهبانية
في الاسلام وههنا نكتة هي ان كفر النصارى حيث انهم منازعون في الالهيات والنبوات جميعا اغلظ في الحقيقة من كفر اليهود
لانهم لا ينازعون الا في النبوات الا بعضهم القائلين بان عزيرا ابن الله ثم ان النصارى لما لم يشتد حرصهم على طلب الدنيا وعلى
الحيوة واقبلوا على العلم والبراءة عن الكبر خصهم الله تعالى بالمدح وذم اليهود حيث قال لتجدنهم احرص الناس على حيوة غلت
ايديهم فتبين صحة قوله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف على
اصحابه من المشركين فبعث جعفر بن ابي طالب وابن مسعود في رهط من اصحابه الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم
عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه اكرمهم وقال لهم هل تعرفون شيئا مما انزل عليكم قالوا
نعم قال اقرؤا فقرؤا وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرؤا اية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق وقال اخرون قدم جعفر بن
ابي طالب من الحبشة هو واصحابه ومعهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثياب الصوف اثنان
وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام وهم بحيرا الراهب وابرهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة يس الى اخرها فبكوا وامنوا فنزلت والخطاب في ترى لكل راء وقد وضع الفيض الذي هو مسبب الامتلاء موضع الامتلاء
واصله تفيض من الدمع حتى تفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل ان يكون الدمع مصدر دمعت عينه وقصدت المبالغة
في وصفهم بالبكاء كان الاعين تفيض بانفسها ومعنى مما عرفوا من الحق اي مما نزل على محمد وهو الحق فمن الاولى لابتداء الغاية
الغاية على ان فيض الدمع تنشأ من معرفة الحق والثانية للبيان ويحتمل التبعيض يعني انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم
فكيف لو عرفوا كله واحاطوا بالسنة ربنا امنا المراد انشاء الايمان لا الاخبار عنه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد
وقد مر مثله في آل عمران وما لنا استفهام انكاري واستبعاد لانتفاء الايمان مع حصول موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم
بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين قالوا ذلك في انفسهم او فيما بينهم او في جواب قومهم حين رجعوا اليهم ولاموهم
ومحل لا نؤمن نصب على الحال نحو ما لك قائما والعامل فيه معنى الفعل اي ما نصنع غير مؤمنين وهو العامل ايضا
في ونطمع ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو حذفتها وقلت وما لنا ونطمع لاختلت ويحتمل ان يكون ونطمع حالا من لا
نؤمن كانهم انكروا ان لا يوحدوا الله وهم يطمعون في الثواب وان يكون عطفا على لا نؤمن اي ما لنا لا نجمع بين التثليث
وبين الطمع او وما لنا نجمع بين الايمان وبين الطمع فاثابهم الله بما قالوا ظاهره يدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد
القول لكن الايمان ويحتمل ان يكون ماخوذا من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده ومذهبه وروي عن عطاء عن ابن عباس
ان المراد بما سالوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين قال اهل السنة فيه دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول
الثواب وصاحب الكبيرة له المعرفة والاقرار فلا بد ان يؤول حاله الى هذا الثواب والمعتزلة سلموا ان الاقرار مع المعرفة
يوجب الثواب ولكن بشرط عدم الاحباط **التأويل** لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذرات ذريات ادم عم و
ارسلنا اليهم رسلا بالاحسان في عالم الشهادة ومن الواردات الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا يعني الالهامات
والواردات وفريقا يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا ان النصارى ارادوا ان يسلكوا طريق الحق فتاهوا في
اودية الشبهات وامة محمد صلى الله عليه وسلم سلكوا الطريق باقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية
فاسقط عنهم براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان الشبلي يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل انت ولكن الاشتغال
بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال فتحقق لهم ان عيسى بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهي وكان يخلق ما يخلق ويفعل
ما يفعل باذن الله كما ان المرايا المحرقة تحرق بما قبل من فيض الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك
به باطنا حرم عليه القربة على لسان داود وعيسى بن مريم هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل المستحق للخلافة قبوله قبول الحق

وذا دد الحق لا تيانا هو نهي عن منكر يعني العصيان منكرا لانه يوجب النكرة كما سمي الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا يعني تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم
وصفاء قلوبهم وخضوعهم ثبت لهم القربة والمودة من اهل الايمان وعرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فامنوا
وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله ويشاهدونه بلوائح المعرفة وطوالع المحبة فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه

قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين ● وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ● لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته
اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم
او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم
تشكرون ● يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم
منتهون ● واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ● ليس على الذين امنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ● يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم و
رماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك

فله عذاب اليم ۞ يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
ومن قتله منكم متعمدا فجزآء مثل ما قتل من النعم يحكم
به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين
او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف
ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ۞ احل لكم
صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون ۞ جعل الله
الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي
والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في
الارض وان الله بكل شيء عليم ۞ اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم ۞ ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما
تبدون وما تكتمون ۞ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو
اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون ۞

القراءة بما عقدتم بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرا ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد من اوعط مثل مبسوطتان فجزاء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر كفارة بالتنوين طعام بالرفع فيما بغير الف ابن عامر **الوقوف** ولا تعتدوا المعتدين طيبا للعطف المتقين مومنون الايمان لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب رقبة ثلثة ايام حلفتم للاضمار اي حلفتم وحنثتم ايمانكم تشكرون تفلحون وعن الصلوة لابتداء الاستفهام لاجل التحذير مع دخول الفاء فيه منتهون واحذروا المبين واحسنوا المحسنين بالغيب اليم وانتم حرم وبال امره سلف منه انتقام وللسيارة لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما لاطلاق الامر الابتداء تحشرون والقلائد عليم رحيم البلاغ يكتمون كثرة الخبيث لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون **التفسير** انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع اهل الكتابين عاد الى بيان الاحكام فبدا بحل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم ان مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقتهم في هذا النهي قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فاتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك

ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم من رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال القوم الذين حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما اهلك من كان قبلكم بالتشدد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديور والصوامع فانزل الله هذه الاية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فهذا وجه اتصال الايات فان قيل ما الحكمة في قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان في اللذات والطيبات يمنعه من الاستغراق في تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا اشبعت الاجسام صارت الارواح اجسادا واذا اجاعت الاجسام صارت الاجساد ارواحا فالجواب ان الرهبانية المفرطة مما توقع الافة في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التامل في الجواهر الروحانية ومبادئها على ان النفوس القوية لا يمنعها التصرف في الجسمانيات عن التامل في الروحانيات فالروحانية دليل الضعف والقصور والكمال في الوفاء بالجهتين وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الترهب مع رعاية وظائف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال في اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه كما لا يجوز تحليل المحرم لا يجوز تحريم المحلل وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله ولا تظهروا باللسان تحريمه او لا تجتنبوها اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والعمل ويحتمل انه اراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى او لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك او لا تخلطوا المملوك بالمغصوب او الطاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه يحرم الكل والطيبات اللذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهي عن تحريم الطيبات تارة اخرى فقال ولا تعتدوا ويجوز ان يراد لا تتعدوا ما احل لكم الى ما حرم عليكم او يراد النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله في ادخال من التبعيضية ارشاد الى الاقتصاد والاقتصار في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وفيه انه تعالى هو الذي يرزق عبيده ويتكفل برزقهم قال في التفسير الكبير قوله حلالا طيبا ان كان متعلقا بالاكل كان حجة المعتزلي على ان الرزق لا يكون الا حلالا لا لانه يدل على الاذن في اكل كل ما رزق الله تعالى وانما ياذن في اكل الحلال فيلزم ان يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالماكول اي كلوا من الرزق الذي يكون حلالا كان حجة لاصحابنا لان التقييد يؤذن بان الرزق قد لا يكون حلالا لا اقول وهذا فرق ضعيف ولهذا قال في الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مومنون لان الايمان به يوجب اتقاءه في اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم انفا وقد تقدم معنى يمين اللغو في سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان فمن قراء بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قراء بالتشديد فان ابا عبيدة اعترض عليه بان التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدي بان عقد بالتخفيف وعقد بالتشديد واحد في المعنى ولو سلم فالتكثير يحصل بان يعقدها بقلبه ولسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الاخر فلا كفارة ومن قراء بالالف فمثل القراءة المخففة كقولك عاقبت اللص وعافاه الله والمعنى على القراآت ولكن يؤاخذكم بعقد الايمان او بتعقيدها او بمعاقدها اذا حنثتم فحذف النظر للعلم به او المراد بنكث ما عقدتم بحذف المضاف فكفارته اي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها احد هذه الامور وسمي بالواجب المخير وحاصله انه لا يجب الاتيان بكل واحد منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باي واحد شاء منها فانه يخرج عن العهدة ومن هنا قال اكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء اخر وهو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعي نصيب كل مسكين مد اي ثلث من وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والقاسم لانه تعالى قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا في الشرع مقدارا فلا ما جاء في قصة الاعرابي المفطر ان النبي صلى الله عليه وسلم امره باطعام ستين مسكينا من غير مقدار فقال الرجل ما اجد فاتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال صلى الله عليه وسلم اطعم هذا وذلك يدل على تقدير طعام المساكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلف لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الاهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطرة وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها

قال لان الاوسط هو الاعدل وما ذكره الشافعي هو ادنى ما يكفي واما الاعدل فيكون بالادام وهكذا روي عن ابن عباس مدا بادام
والادام يبلغ قيمته مدا اخر ويزيد في الاغلب اجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على الوسط في
قدر الطعام ومقدار ما ذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال ابو حنيفة
اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الاهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون
اهليكم ولقائل ان يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لا لاجل كيفية الاطعام قال ابو حنيفة لو اطعم مسكينا واحدا
عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي الا اطعام عشرة لان مدار الباب على التعبد الذي لا يعقل معناه فيجب الوقوف على مورد النص
قال في الكشاف او كسوتهم عطف على محل من اوسط ووجه ان البدل هو المقصود وكانه قيل فكفارته من اوسط واقول الاظهر
ان يكون من اوسط مفعول اخر للاطعام سواء كان من للابتداء او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها
اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزي في الكفارة اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة ازار او رداء او قميص
او سراويل او عمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روي عن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع
وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب يجمع يداه الى رقبته فاذا اطلق حل ذلك الحبل فك رقبته
ثم اجري ذلك على العتق هكذا قيل في اصل هذا المجاز ومذهب اهل الظاهر ان جميع الرقاب مجزية وقال الشافعي لا يجزي الا كل سليمة
من عيب مخل بالعمل صغيرة كانت او كبيرة ذكرا او انثى بعد ان كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا شري
القريب وفي تقديم الاطعام على العتق فضل تنبيه على التخيير فان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام افضل لان الحر
الفقير قد لا يجد الطعام ولا يكون هناك من يعطيه فيقع في الضر اما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحتمل التاخير ولا
طعام قد لا يحتمل ذلك فمن لم يجد احد الامور الثلثة فصيام فعليه صيام ثلثة ايام قال الشافعي اذا وجد قوت نفسه وقوت عياله يومه
وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام ودلالة على
جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلث فعند وجدانها وجدانا لا يجوز الصوم تركا للعمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت
عياله يوما وليلة لان ذلك ضروري وتقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعا فبقي الاية معمولا بها في غيره وعند ابي حنيفة
يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكوة ثم صيام الايام الثلثة مشروط عند ابي حنيفة بالتتابع تمسكا بقراءة
ابي وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات فان قراءتهما لا تختلف عن روايتهما وقال الشافعي في اصح قوليه ان التفريق جائز
والقراءة الشاذة لا يعتد بها لانها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له علي
ايام من رمضان افاقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان عليك دين قضيت الدرهم فالدرهم اما كان يجزيك
قال بلى قال فالله احق ان يعفو ويصفح واذا جاز التفريق في صوم رمضان ففي غيره اولى وايضا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب مسئلة من صام ستة ايام عن يمينين اجزاه ولا حاجة الى تعيين احدى الثلثين لاحدى اليمينين لان الواجب عن كل منهما ثلثة
ايام وقد اتى بها فيخرج عن العهدة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف
وللتنبيه على ان الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعي واحمد موافقا لما
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا فكفر عن يمينك ثم ائت بالذي هو خير ولان الكفارة حق مالي
يتعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود احد السببين كتعجيل الزكوة بعد وجوب النصاب هذا اذا كان يكفر بغير الصوم اما الصوم
فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تقدم على وقتها اذ لا تمس الحاجة اليها كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما
يجوز للتكفير بعد العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب وان كان الحنث بكار محظور كان حلف لا
يشرب الخمر لجاز له التكفير قبل الشرب ايضا لوجود احد السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل الحلول عليه حرام
قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير وبعده لان التحريم ... ما ذكرنا ظاهر مذهب الشافعي قال ابو حنيفة واصحابه
لا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا واحفظوا ايمانكم فلا تحلفوا واحفظوها اذا حلفتم عن الحنث ما امكن ...
بالبر الحنث فيها معصية كمن حلف لا يشرب الخمر بخلاف ... فانه ... الحنث ... وقيل
احفظوها بان تكفروها والمراد لا تنسوها ... كذلك مثل ذلك البيان الشافي يبين الله لكم اياته احكامه واعلام شريعته لعلكم
تشكرون نعمة البيان وتسهيل المخرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر ... ما يتعلق
بهما في سورة البقرة ... في سلك التحريم والانصاب والازلام وقد ذكرناهما في اول هذه السورة واعلم ان الاية نزلت في
تحريم الخمر اشياء منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قصة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وحمزة عم رسول الله وروي في

الصحيحين انه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه اعطاني شارفا من الخمس فلما اردت
ان ابني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل معي باذخر اردت ان ابيعه من الصواغين فاستعين
به في وليمة عرسي فبينا انا اجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت
فاذا شارفي قد جبت اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عيني حين رايت ذلك المنظر وقلت من فعل هذا قالوا فعله
حمزة بن عبد المطلب وهو في البيت في شرب من الانصار غنته قينة فقالت في غنائها شعر الا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات
بالفناء ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء واطعم من شرائحها كبابا ملهوجة على وهج الصلاء فانت ابا عمارة المرجى
لكشف الضر عنا والبلاء فوثب الى السيف فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما قال علي فانطلقت حتى ادخل على النبي
صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لقيت له فقال ما لك فقلت يا رسول الله ما رايت
كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بردائه ثم انطلق يمشي واتبعته انا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه فاستاذن فاذن له فاذا هم شرب فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل واذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر الى وجهه
ثم قال وهل انتم الا عبيد لابي فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا وكانت هذه القصة
من الاسباب الموجبة لنزول تحريم الخمر قالت العلماء هذه الاية تدل على تحريمهما من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر
معناه ليست الخمر الا الرجس وعمل الشيطان ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد
الوثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال في موضع اخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان واصل الرجس العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون اي العقاب والغضب وكانه ابدال الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد يعني من الرعد ومن هدير البعير
فلهذا سمي العمل القوي الدرجة في القبح رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها
انه تعالى امر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير في فاجتنبوه عائد
الى الرجس او العمل او الى المضاف المحذوف اي تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنتجة منهما من التعادي والتباغض
والصد عن ذكر الله وعن الصلوة خصوصا وفيه ان الغرض من الاجتماع تاكد الالفة والمودة ثم انها تورث نقيض المقصود لان العقل
اذا زال استولت الشهوة والغضب ويودي الى التنازع واللجاج وكذا القمار يفضي الى افناء المال والى ان يقامر على حبه واهله
وولده وكل ذلك يورث العداوة والفتن فهذان من مكايد الشيطان ومضادان لمصالح الانسان وايضا الخمر تهيج اللذة الجسمية
والقمار يورث لذة الغلبة الخيالية وكلتاهما توجب الخيال لاشتغال عن اللذات الحقيقية الحاصلة من الاستغراق في طاعة
المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المؤمنين فقرنهما اولا بذكر الانصاب والازلام تنبيها على انهما
جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك ثم افردهما لان الكلام مسوق لتحريمهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون سوى هذين
ومنها سوق الكلام بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع فهل انتم
مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم تزجروا ولهذا قالوا انتهينا يا رب اذ فهموا التحريم المؤكد ومنها انه
قال عقيب ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم من الامر بالاجتناب والحذر
عن المخالفة في ذلك الباب ومنها تهديده من خالف هذا التكليف بقوله فان توليتم الاية والمراد ان اعرضتم فالحجة قد قامت عليكم
والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد اعذر من انذر وجزاء المخالف الى الله المقيد وعن انس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في
بيت ابي طلحة وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال ابو طلحة
اخرج فاهرقها قال فاهرقتها فقالوا قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا الطعم خلاف الشرب في الاغلب وقد يقع على المشروب كقوله ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز ان يكون المراد فيما شربوا من
الخمر ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يوكل ويشرب جميعا فقد يقول العرب اطعم اي ذق ونظير هذه الاية قوله تعالى
في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اي لا ياثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات
لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد ان اولئك كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لاحوالهم في الايمان والتقوى
والاحسان وزعم بعض الجهلة ان هذا الحكم متعلق بالمستقبل والا قيل لم يكن او ما كان جناح مثل وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح
على من طعمها اذا لم يحصل معه العداوة والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل حصل معه انواع المصالح من الطاعة والتقوى و
الاحسان الى الخلق والجواب ان صيغة طعموا للمضي تاباه وايضا ان سبب نزول الاية يكذبه روى ابو بكر الاصم انه لما نزل تحريم الخمر

قال ابو بكر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر واكلوا القمار وكيف بالغائبين عنا في البلاد لا يشعرون
بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل قد ثبت فيما يستقبل لكن في حق الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النص ثم انه سبحانه
شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفي الثالثة التقوى والاحسان فقال الاكثرون الاول عمل الاتقاء والثاني دوام
والثبات عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم وقيل الاول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول الاية والثاني اتقاء
الخمر والميسر وما في هذه الاية والثالث اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه وهذا قول الاصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم
الصغائر وقال القفال الاول الاتقاء من القدح في صحة النسخ ليثبت تحريم الخمر بعد ان كانت مباحة والثاني الاتيان بالعمل
الصالح المطابق للاية والثالث المداومة على التقوى مع الاحسان الى الخلق ثم انه تعالى استثنى بعض الصيد من الحلال فقال
على سبيل التوكيد القسمي ليبلونكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر وفي التنوين التحقير وفيه انه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها
الاقدام كالابتلاء ببذل الارواح والاموال فامتحن الله امة محمد بصيد البر كما امتحن اصحاب الايلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان
ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير تغشاهم في رحالهم فيقدرون على اخذها بالايدي وصيدها
بالرماح وانما قال وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عن ذلك قال الواحدي الذي تناله ايديكم من الصيد الفراخ والبيض وصغار
الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان او للتبعيض وهو صيد البر وصيد الاحرام والمراد به العين لا الحدث
بدليل عود الضمير في تناله اليه ليعلم الله ليظهر معلومه وهو خوف الخائف او ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم او ليعلم اولياء
الله ومحل بالغيب النصب على الحال اي يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته او عن حضور الناس فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء
فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا عن ابن عباس هو ان يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه لا تقتلوا الصيد
قال الشافعي انه البري المتوحش الماكول اللحم اما الاول فلقوله تعالى بعد ذلك احل لكم صيد البحر واما المتوحش فيدخل فيه نحو
الظبي وان صار مستانسا ويخرج الانسي وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل واما كونه ماكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما فعلم منه انه مما يحل اكله في غير الاحرام وقال ابو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يوكل لحمه ضمن وسلم انه لا يجب
الضمان في قتل الذئب وفي قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع الموذيات لا سيما وقد جاء
خمس يقتلن في الحل والحرم الغراب والحداة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية بزيادة السبع العادي واحتج لابي حنيفة
بقوله علي رضي الله عنه شعر صيد الملوك ارانب وثعالب ٭ فاذا ركبت فصيدي الابطال ٭ واجيب بان الثعلب عندنا حلال وانتم
حرم اي محرمون بالحج او بالعمرة ايضا على الاصح وقيل وقد دخلتم الحرم وقيل هما مرادان بالاية وهو قول الشافعي فقوله لا تقتلوا
يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له ان يتعرض ما دام محرما او في الحرم بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطيور سواء
كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من قرأ جزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه جزاء صفته
كذا ومن قرأ بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول اي فعليه ان يجزي مثل ما قتل قال بعض العلماء المثل مقحم للتاكيد اذ الواجب
عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم انا احب مثلك اي احبك وقيل الاضافة للبيان اي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن
جبير المحرم اذا قتل الصيد خطاء لا يلزمه شيء وهو قول داود لان النبي ورد عن التعمد وهو ان يقتل ذاكرا الاحرام او عالما ان ما يقتله مما
يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد او رمى غير صيد فعدل السهم فاصاب صيدا فهو
مخطئ لا شيء عليه لفقدان القيد المذكور ويتاكد هذا الراي بقوله ليذوق وبال امره وبقوله ومن عاد اي الى ما تقدم ذكره وهو
القتل العمد والانتقام ايضا يناسب العمد لا الخطأ وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء قتل عمدا او خطأ قياسا على ساير محظورات
الاحرام كحلق الراس وغيره وكما في ضمان مال المسلم فانه لما ثبت الحرمة لحق المالك لم يختلف ذلك بكونه عمدا او لا وانما وردت الاية بالتعمد
لان العمد اصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر وطعنه برمحه فقتله فقيل له انك
قتلت الصيد وانت محرم فنزلت الاية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطاء قال صلى الله عليه
وسلم في الضبع كبش اذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة فاطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطأ ثم العلماء اختلفوا في
المثل فقال الشافعي ومحمد بن الحسن الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه ما لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال ابو حنيفة وابو يوسف المثل
الواجب القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم انهم حكموا في
امكنة مختلفة وازمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع بكبش
وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بحمل وفي رواية بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة

ويعني كل ما عب وهدر كالقمري والدبسي والفاختة والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيعه صوته وتغريده وفيه دليل
على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلف باختلاف الاسعار والظبي الذكر من هذا
الجنس والغزال الانثى والجفرة من اولاد المعز اذا انفصلت من امها والعناق الانثى من اولاد المعز وايضا المقصود من الضمان جبر
الحلال فكلما كانت المماثلة اتم كان الجبر اكمل مسايل الاولى جماعة محرمون قتلوا صيدا فالشافعي واحمد واسحق لا يجب عليهم الا جزاء
واحد لانه مثل الواحد واحد ابو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحدا كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم جميعا وكما لو
حلف كل منهم ان لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة واجيب بان قتل الجماعة بالواحد تعدي وتعدد الكفارة لتعدد
الايمان الثاني الشافعي المحرم اذا دل على صيد فقتله لم يضمن كما لا يجب بالدلالة كفارة القتل ولا الدية وكما لو دل على مال المسلم
وذلك ان الدلالة ليست بقتل ولا اتلاف ابو حنيفة يضمن لما روي ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس اوجبوا الجزاء على الدال
الثالث الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الاسهل لانه قد لا يجد شريكا في ذبح شاة
ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة وقال داود لا ضمان الا بالقتل لظاهر الاية حيث نيط الجزاء
بالقتل فقط الرابع اذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا اخر لزمه اخر خلافا لداود وهو ينقل عن ابن عباس وشريح حجة الجمهور
ان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت واحدة مرتين فانه لا يقع الا طلاق واحد لان
تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة الخامس قال الشافعي اذا
اصاب صيدا اعور او مكسور اليد او الرجل فداه بمثله والصحيح احب وكذا الكبير لاجل الصغير والذي يفدي بالذكر او الانثى فالاولى
ان لا يغير تحقيقا للمثلية فالانثى افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه اطيب وصورته احسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل
منكم قال ابن عباس اي رجلان صالحان فقيهان من اهل دينكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به وبهذا احتج من نصر قول ابي
حنيفة فقال التقديم هو المحتاج الى النظر والاجتهاد واما الخلقة والصورة فمشاهد لا يفتقر الى الاجتهاد واجيب بان وجه المشابهة
بين النعم والصيد ايضا يتوقف على الاجتهاد وعن قبيصة بن جابر انه ضرب ظبيا في الاحرام فمات فسأل عمر وكان الى جانبه عبد
الرحمن بن عوف فقال له ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى فاذهب واهد شاة قال قبيصة فخرجت الى صاحبي وقلت ان امير المؤمنين
لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال فعلاني عمر بالدرة وقال اتقتل في الحرم وتسفه الحكم فقال الله تعالى يحكم به ذوا عدل
منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روي انه صلى الله عليه وسلم قضى في الضبع بكبش وكل
ما حكم به عدلان من الصحابة او التابعين او من اهل عصر اخر من النعم انه مثل الصيد المقتول تبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم
لان الحكم اولى [illegible] لابد من التحكيم [illegible] وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد احد الحكمين ان كان القتل
عمدا عدوانا فلا لانه يفسق [illegible] موصوف بالعدالة وان كان خطأ وكان مضطرا اليه وكان الماعند [illegible] مالك
وجوزه الشافعي لما روي ان بعض الصحابة اوطأ فرسه ظبيا فسأل عمر فقال احكم فيه فقال انت خير مني واعلم يا امير المؤمنين فقال انما
امرتك ان تحكم فيه ولم امرك ان تزكيني فقال الرجل اري فيه جديا قد جمع الماء والشجر فقال عمر [illegible] فجوز ان يكون من
عليه امينا فيه كما ان الله تعالى جعل رب المال امينا في الزكوة ولو حكم عدلان بان له مثلا وحكم عدلان بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان
بمثل واخران بمثل اخر فوجهان [illegible] يتخير والثاني ياخذ بالاغلظ [illegible]
والجواب انه لا نزاع في الصورة الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في المتلفات
واروش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات الشرع [illegible] في حق جميع المكلفين
باق على وجه الدهر [illegible] الاجتهاد في القبلة [illegible] مثل الصيد المقتول امر كلي ايضا وانتصب هديا على انه
[illegible] بالغ
الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة لا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة
ان يذبح في الحرم لان الذبح والنحر لا يعقلان في الكعبة ولا في غاية القرب [illegible] فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء
حيا لم يجز قال الشافعي يجب عليه ان يتصدق به في الحرم ايضا لان نفس الذبح ايلام [illegible] القربة في التصدق على فقراء
الحرم وقال ابو حنيفة [illegible] جاز لان المقصود [illegible] الكعبة فقد خرج عن العهدة او كفارة عطف على قوله فجزاء
وطعام مساكين [illegible] او من اضاف فللبيان ايضا كانه قال او كفارة من طعام مساكين [illegible] او عدل ذلك الطعام صياما منصب
على التمييز [illegible] والعدل [illegible]
[illegible] مذهب الشافعي انه يصوم [illegible] ومذهب ابي حنيفة انه يصوم [illegible]

يوما وذلك بحسب الاختلاف في طعام مساكين واحد كما مر في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة انه يوجب قيمة
الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي ان
الصيد ضربان ما له مثل من النعم وما ليس كذلك والاول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله فيتصدق به على مساكين
الحرم اما بان يفرق اللحم او يملك جملته اياهم مذبوحا وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق بالدراهم ولكن ان شاء اشترى
بها طعاما وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني وهو ما ليس بمثلي كالعصافير و
غيرها وبالجملة كل ما دون الحمام او فوقه فيه قيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن كل مد
يوما فان انكسر مد في القسمين صام يوما لان الصوم لا يتبعض فالجزاء في القسم الاول ثلثة اركان الحيوان والطعام والصيام
وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام ومعنى او فيهما على التخيير في ظاهر المذهب لا على الترتيب ووافقه مالك وابو حنيفة لان
او للتخيير غالبا وخالف احمد وزفر فقالا انها في الاية للترتيب لان الواجب ههنا شرع على سبيل التغليظ قوله ليذوق وبال امره
والتخيير ينافي التغليظ ثم القايلون بالتخيير اتفقوا على ان الخيار في تعيين هذه الثلثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر الاية الا محمد بن الحسن
فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالعبرة في القيمة بمحل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم
والمعتبر في الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالعبرة
في قيمته بمكة يومئذ لانها محل الذبح لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم باكل الصيد سواء ذبحه بنفسه او اصطيد له او بدلالته
لانه ليس بنماء بعد الذبح ولا يؤول الى النماء فلا يتعلق باتلافه الجزاء كما لو اتلف بيضة مذرة هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله
القديم وبه قال مالك واحمد يلزمه القيمة بعدما اكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الاكل منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك
واحمد وابو حنيفة لانه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال الاحرام الظاهر لا
لا وكذا الكلام في صيد الحرم اذا ذبح اما قوله ليذوق فانه متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق ويحتمل ان يقال يتعلق
بمحذوف اي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم والاحرام والتركيب يدور على الثقل مرعى وبيل اذا كان فيه
وخامة وطعام وبيل ثقيل على الطبع وعلى المعدة والامور الثلثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث وهو
الصوم ثقيل على البدن ايضا فكل منها نوع عقوبة عفا الله عما سلف في الجاهلية كانهم متعبدون بشرع من قبلهم او عما سلف
في المرة الاولى حيث اداء الجزاء ومن عاد فانه اعظم من ان يفي بالجزاء فينتقم الله اي فهو ينتقم الله منه والا لم يحتج الى ادخال فاء الجزاء
لارتباطه بنفسه احل لكم صيد البحر اي مصيداته ويعني بالبحر جميع هذه المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلثة اجناس الحيتان وجميع
انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام وفيما سوى هذين خلاف فقال ابو حنيفة حرام وقال ابن ابي ليلى والاكثرون حلال
اما قوله وطعامه فالعطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه يروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان الصيد ما صيد بالحيلة حال حيوته
والطعام ما يوجد مما لفظه البحر او نضب عنه الماء من غير معالجة في اخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون
للاكل وقد يكون لغيره كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها واسنانها
فالمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل الماكول منه وعن سعيد بن جبير ان الصيد هو الطري والطعام
القديد منه وفي الفرق ضعف قال الشافعي السمكة الطافية في البحر محللة لانه طعام البحر وقد قال تعالى احل لكم صيد
البحر وطعامه وقال صلى الله عليه وسلم البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعا لكم في الحضر طريا وللسيارة في السفر
مالحا وانتصب متاعا على انه مفعول له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج انه مصدر موكد لان قوله احل لكم في معنى التمتيع
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال العلماء صيد البحر هو الذي لا يعيش الا في الماء والذي لا يعيش الا في البر والذي يمكنه
ان يعيش في البر تارة وفي البحر اخرى فذلك كله صيد البر فالسلحفات والسرطان والضفدع وطير الماء كل ذلك من صيد
البر ويجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على ان المحرم يحرم عليه الصيد الذي صاده اما الذي صاده الحلال فعن ابن عباس
وعلي وابن عمر وسعيد بن جبير وطاوس والثوري واسحق ان الحكم كذلك لاطلاق الاية ولما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه
وسلم اهدي اليه حمار وحش وهو محرم فابى ان ياكله وقال مالك والشافعي واحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم بشرط ان لا يصطاده
المحرم ولا يصطاد له لما روى ابو داود في سننه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحم صيد البر حلال لكم ما لم تصيدوا
او يصاد لكم وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد انهم جازوا للمحرم ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك
ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه لما روي عن قتادة انه اصطاد حمار وحش وهو حلال في اصحاب محرمين له

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اشرتم هل اعنتم فقالوا لا فقال هل بقي من لحمه شيء قالوا معنا رجله فاخذها النبي
صلى الله عليه وسلم فاكلها وهذان القولان مفرعان على تخصيص عموم القران بخبر الواحد وقال في الكشاف اخذ ابو حنيفة
بالمفهوم فكانه قيل وحرم عليكم ايها المؤمنون ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ويرد عليه ان المفهوم ليس بحجة ثم حث
على الطاعة والاجتناب عن المعاصي بقوله واتقوا الله الذي اليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب
حرمة الصيد في الحرم وفي الاحرام فقال جعل الله اي حكم وبين بالخطاب والتعريف او صير بخلق دواعي التعظيم في القلوب
قياما للناس وهم العرب وجمع الحجاز ان اهل بلده اذا قالوا الناس فعلوا كذا ارادوا اهل بلدتهم فنطق القران على مجرى عادتهم
وبيان القيام ان قوام المعيشة اما بكثرة المنافع وقد جعله بحيث يجبى اليه ثمرات كل شيء واما بدفع المضار وقد صيره حرما
امنا واما بحصول الجاه والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك بدعاء ابرهيم صلوات الرحمن عليه فاجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكها وشعائرها اكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى وانتصب البيت
الحرام على انه عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح اذ الكعبة اوضح من ان توضح ويحتمل ان يراد بالناس عامة الناس
لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجاراتهم وانواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوا عاما واحدا لم
ينظروا ولم يؤخروا وتفسير الشهر الحرام والهدي والقلائد يتقدم في اول السورة وانما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس
وقوامهم لانه اذا دخل الشهر الحرام كان يزول خوفهم ويقدرون على الاسفار وتحصيل الاقوات قدر ما يكفيهم طول السنة
فلولا حرمة ذلك لهلكوا من الجوع وايضا هو سبب لاكتساب الثواب من قبل مناسك الحج واقامتها واما الهدي فانه نسك
للمهدي وقوام المعايش الفقراء وكذا القلائد فكان من قلد الهدي او قلد نفسه من لحا شجرة الحرم لم يتعرض له احد وكل
ذلك لان الله تعالى اودع في قلوبهم تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياما للناس او من حفظ حرمة
الاحرام والحرم مشروع لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وذلك انه علم في الازل ان مقتضى طباع العرب على
القتل والغارة وكان ذلك مما يفضي الى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كي يصير سببا للامان في
بعض الامكنة وفي بعض الازمان فيستقيم مصالح الانسان ولا ريب ان مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح الا ممن يعلم الكائنات
واسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات باسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عللها ومعلولها موجودها ومعدومها وذلك
قوله وان الله بكل شيء عليم فما احسن هذا الترتيب ثم خوفهم واطمعهم بقوله اعلموا ان الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وان الله
غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر الوصفين في جانب الرحمة دليل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي على غضبي ثم
قرر ان الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فاذا بلغ خرج من العهدة وبقي الامر من جانبكم [illegible] وفيه من الوعيد
ما فيه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل حرم عليكم عبادة الاوثان وشرب الخمر والطعن في الانساب
[illegible] الخمر [illegible] وعاصرها وساقيها وبايعها واكل ثمنها فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله اني كنت رجلا كانت هذه
تجارتي واستفدت من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته
في حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وانزل الله عز وجل تصديقا لقوله صلى [illegible] قل
لا يستوي الخبيث والطيب [illegible] حرام الاموال وحلالها وفاسد الاعمال وصالحها وسقيم المذاهب
وصحيحها ورديء النفوس وجيدها [illegible] الخبائث الروحانية الجهل والمعصية والطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى
وطاعته والبون بين الصنفين في عالم الروحاني اعظم منه بينهما في عالم الجسمي لان ما فيه في عالم الارواح ابقى وادوم
واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث بالطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث لان كثرته في التحقيق قلة ولذته في الاخرة
ذلة [illegible] التاويل لا تحرموا على انفسكم بالاستماعات النفسانية طيبات ما احل لكم
دون سائر المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا [illegible] وكلوا مما رزقكم الله [illegible]
[illegible]
النفوس وكلالة القوى واستيلاء النفوس على سلطان الهوى في [illegible] الجهادات واعوان المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عزمتم
على الحرمان [illegible] فكفارته حينئذ اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة والباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم وهو
القلب [illegible] والروح والخفي [illegible] بالشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة
والشهود والكشوف [illegible] وواسطة الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء بشغل
الحواس العشر بهذه الامور او كسوتهم لباس التقوى او تحرير رقبة النفوس من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد [illegible] اليوم

الماضي عما عزم عليه وفي اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن العود اليه ومن لغو اليمين عند ارباب اليقين
ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدات الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه شيا من اقباله ووصاله
وذلك في شريعة الرضى لغو وفي مذهب التسليم سهو ولكن يرجى له عفو فلا يواخذه بمقالة لعلمه بضعف حاله والكمال
في الثبات والاستقامة شعر اريد وصاله ويريد هجري ٭ فاترك ما اريد لما يريد ٭ ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري
على لسانهم في حال غلبات الوجد من تجديد العهد وتاكيد العقد كقول بعضهم ٭ وحقك ما نظرت الى سواكا ٭ بعين مودة حتى اراكا
فان هذا ايضا في التوحيد عاين في الدار ديار كلا بل هو الله الواحد القهار ليس على الذين آمنوا بالتقليد وعملوا الصالحات
الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذ اما اتقوا الشبهة والاسراف وامنوا بالتحقيق بعد التقليد
وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما سواه ومن تحليته بالاحوال المضادة لهواه كالصدق والاخلاص
والتوكل والتسليم وما عداه ثم اتقوا شرك الانانية وامنوا بهويته ثم اتقوا هذا الشرك وهو الفناء في الفناء واحسنوا في
البقاء فانهم جعل الله البلاء لاهل الولاء كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين امنوا ايمان المحسنين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا
وشهواتها الحلال واحرموا بحج الوصول وعمرة الوصال ليبلونكم الله في اثناء السلوك بشيء من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد
الدنيوية تناله ايديكم يعني اللذات البدنية ورماحكم يعني اللذات الخيالية فله عذاب الرد والصد لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعني من احرم
لزيارة كعبة الوصال فعليه حسم الاطماع من الحرام والحلال متعمدا اي عالما بما في الالتفات اليه من المضار مثل ما قتل من النعم يجازي نفسه
برياضة ومجاهدة يماثل لما ملك اللذة ذوا عدل منكم هما القلب والروح يحكمان على مقدار الاسلام وعلى حسب قوة السالك بتقليل الطعام
والشراب او ببذل المال او بترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا عن الخلق لاجل الحق طعام مساكين هم العقل
والقلب والسر والروح والخفي كانوا محرومين عن اغذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على
المكاره والفطام عن المالوفات ومن الشكر والرضا وغير ذلك او عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد
القهار ليذوق النفس الامارة وبال امره فان كل هذه الامور على خلاف طبعها ذو انتقام ينتقم من احبابه بنقاب التدلل وعن اعدائه
بحجاب الملام والملال احل لكم صيد المعارف والكشوف ينتفعون بالواردات وتطعمون منها السائرين الى الله من اهل الارادات
صيد البر ما سنح للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرما اي في المحو لا في حال الصحو جعل الله الكعبة كعبة الظاهر قياما للعوام
والخواص يستنجحون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قوام للخواص ولخواص الخواص يلوذون بها بدوام الذكر ونفي
الخواطر حتى تعلموا ان لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام ان يكون في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو ايام
الطلب حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع قلايد
اركان الشريعة فيذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها فاذا حصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانواره ان الله
ما في السموات وما في الارض شديد العقاب ببذل الحجاب لغير الاحباب غفور رحيم للصادقين في الطلب بفتح الابواب الا البلاغ
بالقال يتلو عليهم اياته وبالحال ويزكيهم ما تبدون بتقرير اللسان وما تكتمون من تصديق الجنان الخبيث ما يشغلك عن الله
والطيب ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وفي ذلك كثرة

يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها والله
غفور حليم ۝ قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ۝
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ۝

واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما
وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون ۝
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ يا
ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض
فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان
بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم
شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ۝ فان عثر على انهما استحقا اثما
فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ۝
ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ۝
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك
انت علام الغيوب ۝ اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي
عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في
المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية و
الانجيل ۝ واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون
طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني

واذا قيل

واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ● واذ اوحيت الى الحواريين
ان امنوا بى وبرسولى قالوا امنا واشهد باننا مسلمون ● اذ قال
الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ● قالوا نريد ان ناكل
منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من
الشاهدين ● قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا
وانت خير الرازقين ● قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد
منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ● واذ قال الله
يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون
الله قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك
انت علام الغيوب ● ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله
ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شئ شهيد ● ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ● قال
الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك

الفوز

الفوز العظيم ● لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير

القراءة ينزل من الانزال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين الله بالمد روح وزيد الباقون
بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى فى اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين على البناء للمفعول الاولين
جمع الاول نقيض الاخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى فى اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى
الاحق الغيوب بكسر العين حيث كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشمونى والبرجمى والخزاعى عن ابن فليح ساحر وكذلك فى هود والصف
حمزة وعلى وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب على والاعشى فى اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل
بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر
وابو عمرو وحفص لى ان بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع الباقون بالرفع
الوقوف تسؤكم لابتداء الشرط الاخر مع واو العطف تبد لكم عنها حليم كافرين ولا جام للاستدراك الكذب
لا يعقلون اباءنا ولا يهتدون انفسكم لاحتمال الاستيناف والحال اى احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم تعملون مصيبة الموت
قربى لان قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة لمن قراء الله بالمد الاثمين وما اعتدينا لظاهر ان والوصل وجوز التعلق اذا بقوله وما
اعتدينا الظالمين ايمانهم لابتداء الامر واسمعوا الفاسقين اجبتم لنا الغيوب والدتك لئلا يوهم انظرف لاذكر بل عامله محذوف
والتقدير واذكر اذ ايدتك وكهلا والانجيل والابرص باذنى الموتى باذنى لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق به اذ الاول و
يمكن كل واحد بمحذوف اخر لتفصيل النعم سحر مبين ربع الجزء وبرسولى لاحتمال ان قالوا مستانفا وعامل فى اذا وحيت
مسلمون من السماء الاولى مؤمنين الشاهدين واية منك لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين عليكم لابتداء
الشرط مع فاء التعقيب العالمين من دون الله ما ليس لى قد قيل وهو تعسف لان المنكر لا تقيم به والقسم لايجاب
بالشيطان بالشرط بل الوقف على بحق علمته نفسك الغيوب وربكم على ان الواو للاستيناف والحال اى وقد كنت فيهم لا
عامل لما متاخر وفاء التعقيب دخلها عليهم لان الواو لا يحتمل الحال النعيم فى كل شئ شهيد عبادك لابتداء الشرط مع
الواو الحكيم صدقهم لاختلاف الجملتين بلا عطف ابدا عنه العظيم وما فيهن قدير **التفسير** عن انس انهم سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسئلة فقام على المنبر فقال فاسئلونى فوالله لا تسالونى عن شئ ما دمت فى مقامى هذا الا
حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى وكان يطعن فى نسبه فقال يا نبى الله من ابى فقال ابوك حذيفة بن قيس وقال سراقة
بن مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا فى كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه حتى اعاد مرتين او ثلثا
فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما تركتم ولو تركتم لكفرتم
فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ
فاجتنبوه وقام اخر فقال يا رسول الله اين ابى فقال فى النار ولما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قام عمر
فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانزل الله هذه الاية فنهى عنه الى قوله ما على الرسول الا البلاغ
كانه قال ما اتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا فى غيره فلعله يجيبكم بما يشق عليكم وايضا كان المشركون يطالبونه بعد
ظهور المعجزات بمعجزات اخر كقوله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الاية وكان لبعض المسلمين
ايضا ميل الى ظهورها فمنعوا من ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم انكرت
استحق العقاب العاجل ويحتمل ان يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها
ولا تسالوا عن اشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم وللنحويين فى منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه اصلها شيئاء على
وزن حمراء فهو اسم جمع لشئ استثقلوا الهمزتين فى اخره فقلبوا الهمزة التى هى لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال
الفراء اصلها افعلاء على ان شيئا مخفف شيئ كما يقال هين فى هين وقد يجمع فيعلا فيعل على افعلاء كبين وابيناء لكنهم استثقلوا
اجتماع الياء والهمزتين فحذف اللام ففتح اشياء على افعاء وقال الكسائى وزنها افعال ومنع الصرف تشبيها له بحمراء ولا
يلزم منه صرف ابناء واسماء لان ما ثبت على خلاف الدليل لا يلزم اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان
السؤال عن الاشياء ربما تادى الى ظهور احوال مكتومة يكره ظهورها وربما ترتب عليها تكاليف شاقة صعبة
فالذى سال عن ابيه لم يامن ان يلحق بغير ابيه فيفتضح والسائل عن الحج كاد ان يوجبه وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين
فى المسلمين جرما من سال شيئا عن شئ لم يحرم فحرم من اجل مسئلته وكان عبد الله بن عمر يقول ان الله احل وحرم فما احل

فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله فاقبلوه وقال ابو ثعلبة ان
الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن اشياء من غير
نسيان فلا تبحثوا عنها ثم لما رتب المساءة على السؤال ذكر ان الابداء سيكون لان الوحى غير منقطع فقال وان تسألوا عنها
حين ينزل القران اى فى زمان الوحى لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور والتكاليف فالحاصل انهم ان سالوا عنها ابديت
لهم وان ابديت لهم ساءتهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سالوا عنها ساءتهم وقيل السؤال قسمان احدهما السؤال عن شئ لم يجر ذكره
فى الكتاب والسنة فنهى عنه بقوله لا تسألوا والثانى السؤال عن شئ نزل به القران لكن السامع لم يفهمه كما ينبغى وهذا السؤال
غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسألوا دفعا للحرج وتمييزا لهذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير فى عنها الى
الاشياء وان كانا فى الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسئول عنه فى الجملة وقيل المعنى وان تسألوا عن تلك السؤالات
هل هى جائزة ام لا تبد لكم والمراد ان يطلب الرخصة فى السؤال او لا ثم قال عفا الله عنها اى عما سلف من مسئلتكم واغضابكم
للرسول فلا تعودوا اليها او المراد بالعفو انه ما اظهر تلك المسائل مما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى
للاشياء كان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسألوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما
جاء فى الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اى خففت عنكم باسقاطها قد سألها يعنى المسئلة التى دل عليها لا تسألوا
قوم من قبلكم سأل الناقة قوم صالح فعقروها وسأل الرؤية قوم موسى فصار وبالا عليهم وسأل المائدة قوم عيسى فكفروا
[illegible]

فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منه منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه تقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا يعدونها
الى المفعول كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اى اشرف عليك وحضرك عمرو افخذه وليس المراد ان عليك انه حرف جر مع مجروره
متعلق بمحذوف بل الجار والمجرور معا منقول الى معنى الفعل نقل الاعلام ولهذا سمى اسم فعل فان قيل ظاهر الاية يوهم
ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الاية لا تدل الا على ان المطيع لربه غير مواخذ
بذنب العاصى ولهذا خطب ابو بكر رضى الله عنه فقال انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها فى غير موضعها وانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راوا المنكر فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن عبد الله بن المبارك
ان هذه اكد اية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان معنى عليكم انفسكم احفظوها والزموا اصلاحها بان
يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والسيئات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامرتم
بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك
وقيل ان الاية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه وعلى عرضه وعلى
ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم انه
لا ينفعهم الوعظ ويؤكده ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقر مجوس هجر بالجزية قال منافقوا
العرب عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه
الا قد قبل من مشركى اهل هجر ما رد على مشركى العرب فانزل الله تعالى الاية لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على
الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد ومن الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه
صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الاية قرئت عنده فقال ان هذا فى اخر الزمان
ومثله ما روى عن ابى ثعلبة الخشنى انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله عليه عنها فقال
ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذى راى برايه
فعليك نفسك ودع من العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا
يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس فى
قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس ان تميما الدارى واخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل
مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه
واخفاه بين الامتعة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى اليهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه
فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقى المتاع الى اهله لما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة
فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم اى من التنازع
والتشاجر وانما اضيف الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم عند النزاع واذا حضر ظرف للشهادة وحين
الوصية بدل منه وفى هذا دليل على ان الوصية مما لا ينبغى ان يتهاون بها المسلم عند ظهور امارات الموت فكان وقتهما
واحدا وهما متلازمان وارتفع اثنان على انه قام مقام المضاف الخبر اى شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف
والتقدير شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفى قوله منكم ومن غيركم قولان فعن الحسن والزهرى وعليه جمهور الفقهاء
ان منكم اى من اقاربكم ومن غيركم اى من الاجانب والمعنى ان وقع الموت فى السفر ولم يكن معكم من اقاربكم فاستشهدوا
على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم بحال الميت وارأف به وعن ابن عباس وابو موسى الاشعرى وسعيد بن
المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن جريج ان منكم اى من اهل ملتكم ومن غيركم من اى كافر كان
يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشافعى مرض رجل من المسلمين فى الغربة فلم يجد احدا من المسلمين
يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعرى وكان واليا عليها فاخبراه
بالواقعة فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد النبى صلى الله عليه وسلم فحلفهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا واجاز شهادتهما والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب فى
منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد بهما مشروطا
بالسفر لجواز ذلك فى الحضر ايضا بالاتفاق وبانه تعالى اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه
البتة وبان الشاهدين فى سبب النزول كانا نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورات

تبيح المحظورات كالتيمم والافطار واكل الميتة والمسلم اذا قرب اجله ولم يجد مسلما ولا يقبل شهادة الكفار ضاع
اكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون وعليه ودايع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة
النساء فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين ان يجيبوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان
ذكر السفر ليس لاجل اشتراط قبول الشهادة ولكن لاجل الغالب في السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان
التحليف مشروعا بالريبة وقد روي عن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي ان اتهمهما وبان سبب النزول
لا يلزم ان ينطبق على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قصة ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت في اول الاسلام
لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في السفر غالبا ومما يصلح ان يكون مؤكدا لهذه الآية وان لم يجز ان يكون ناسخا لها عند من
يرى ان المائدة من اخر القرآن نزولا قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب
في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد ولا كذب اعظم من الفرية على الله تعالى وعلى رسله وانما تقبل شهادة اهل
البدع والاهواء من هذه الامة احتشاما لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما استيناف كانه
قيل فكيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة قال ابن عباس من بعد صلوة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد
صلوة العصر لان هذا الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا بعدي وتميم
فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر ولان جميع الاديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون
عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن ولان جميع الاديان يعظمون هذا الوقت
ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بها الظهر وبعد
العصر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان
تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام
وبالمدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي ساير البلدان في اشرف المساجد وقد يغلظ بالتكرير والتعديد كما
في القسامة واللعان او بزيادة الاسماء والصفات وقال ابو حنيفة يحلف من غير تغليظ بزمان او مكان ولا يخفى ان قول الشافعي
اوفق للآية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى وقوله ان ارتبتم والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا
نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من نقسم له قريبا منا ارادوا ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا
كقوله شهداء لله ولو على انفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم والمداهنة بينهم اكمل ولا نكتم شهادة الله الى
امر بحفظها وتعظيمها وادائها انا اذا لمن الآثمين اي اذا كتمناها كنا من الآثمين ونقل عن الشعبي انه وقف على قول الله
عز وجل شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره
سيبويه ان منهم من يقول الله احدكان كذا والمعنى فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على امر لم يهجم عليه غيره
وقريب منه العثار لان العاثر انما يعثر بشيء كان لا يراه والمعنى فان حصل الاطلاع على انهما استحقا اثما وهو كناية عن الخيانة و
التحنث في الحلف فآخران خبر مبتدأ محذوف اي فالشاهدان او فيشهد او فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق
عليهم قال في الكشاف اي الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي التفسير الكبير اي المال وانما وصف الى
الميت بتملك لانه اخذ ما لهم وكل من اخذ ماله وغيره فقد حاول ذلك الغير ان يكون تعلقه بذلك المال مستعليا على تعلق
مالكه به فصح ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال وارتفع الاوليان على انهما خبر مبتدأ محذوف فكانه قيل ومن
الآخران فقيل هما الاوليان ويجوز ان يكون بدلا من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفع باستحق اي من الذين استحق
عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال قال في الكشاف ومعنى الاوليان الاقربان الى الميت
او الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما او الاحقان باليمين اما على تقدير ان في القصة وذلك عند الشافعي وكل من يرى
رد اليمين على المدعي واما لانقلاب القضية عند من لا يرى ذلك كابي حنيفة واصحابه فان الورثة ادعوا على الآخرين انه اشتراه
حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين اولا لانه صار مدعى عليه انه قد استوفاه وفي هذه القصة ادعى الوصيان ان الميت باع
منهما الاناء والورثة انكروا فكان اليمين حقا لهم ومن قرأ الاولين بلفظ الجمع فعلى انه نعت للذين استحق عليهم او منصوب على
المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة او التقدم في الذكر في قوله يا ايها الذين آمنوا وكذا من قرأ الاولين
ذوا عدل منكم ذكرا اولا قوله او آخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل فعليهم الاوليان فقد قال في الكشاف معناه
من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وفي

التفسير الكبير الوصيين الذين ظهرت خيانتهما هما اولى من غيرهما بسبب ان الميت عينهما للوصية ولما خانا في مال
الوصية صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان اي خان في مالهم الاوليان وروي انه لما نزلت الآية الاولى
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انه
لم يوجد منا خيانة في هذا المال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعاه فوجد بمكة وقيل
لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل هل باع صاحبنا شيئا فقالا
لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر به فكتمنا فرفعوا القصة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فان
عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر ان شهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا
في طلب المال وفي ذمتهما من الكذب والخيانة فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان
تميم الداري يقول بعد ما اسلم صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس انه بقيت
تلك الواقعة مخفية الى ان اسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وانا وصاحبي بعنا بالف وقد قسمنا الثمن ثم دفع
خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه خمسمائة اخرى ودفع الالف الى اولياء الميت ثم ذكر ان الحكم الذي شرعناه والطريق الذي هو
اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها كما هو في الواقع او يخافوا ان ترد ايمان على الورثة بعد ايمانهم
وهذا تفسير من يرى رد اليمين واما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده ان تكرر ايمان شهود آخرين لانقلاب المدعي عليه مدعيا
وعلى التقديرين تنظر بكن بهم والحاصل ان هذا الحكم يصير باعثا الشهود على اداء حق الشهادة للداعي او الصادق واتقوا
الله في الايمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرايعه واحكامه
وفيه من الوعيد ما فيه قال المفسرون هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وروى الواحدي في البسيط
عن عمر بن الخطاب ان هذه الآية اعضل ما في هذه السورة من الاحكام ولهذا ذهب اكثر الفقهاء الى ان هذه الآية منسوخ ثم انه
سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيمة وذكر بعض ما يجري هناك من الخطاب والعتاب جريا على عادته في هذا الكتاب من خلط
التكاليف بالالهيات والنبوات واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج تقديره واتقوا الله يوم كذا لا على انه
ظرف لانهم غير مامورين بالتقوى في ذلك اليوم ولكن على انه بدل الاشتمال من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا لقوله
لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ او منصوبا باضمار اذكر او ظرفا لما يجيء بعده وهو قالوا وعلى هذين الوجهين يكون
الآية مقطعة عما قبلها وماذا منصوب باجبتم ولكن انتصاب المصدر على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا
اجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائدين ظاهر قوله لا علم لنا يدل على ان الانبياء لا يشهدون
لاممهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد مشكل فقال جمع من المفسرين ان للقيمة زلازل واهوالا تزيل
العقول فالانبياء عندها ينسون اكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت اليهم عقولهم شهدوا للامم ولا يرد
عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان مواقف القيامة مختلفة ولان عدم الخوف
في العاقبة لا ينافي الحيرة والدهشة اولا وقال آخرون المراد منه المبالغة في توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود
من السؤال كما يقول الواحد لغيره ما تقول في فلان فيقول انت اعلم به مني وكانك قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة لظهوره
وفيه مع التوبيخ اظهار تشكي الانبياء ممن كذبوهم وعادوهم وقال ابن عباس نفوا العلم عن انفسهم عند علام الغيوب
لتعلم ان علمهم هناك كلا علم وقيل المراد نفي العلم بخاتمة احوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم وانما الامور بخواتيمها وقال
في التفسير الكبير ان الذي عرفوه منهم في الدنيا كان مبنيا على ظاهر احوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا والاحكام
في الآخرة مبنية على حقايق الامور وبواطنها فلهذا نفوا العلم فان الظن لا عبرة به في القيمة مع ان السكوت وتفويض الامر
الى الاعلم الاعدل اقرب الى الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انت الموصوف
بالجلال والكبرياء ثم نصب علام على الاختصاص او على النداء ثم عدد انواع نعمه على عيسى واحدة فواحدة تنبيها على انه
عبد وليس باله وتوبيخا للمتمردين من الامم واولى الامم بذلك النصارى الطاعنون في ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة
والولد وموضع اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذاك اذ قال الله ونصب باضمار اذكر او هو بدل من يوم الجمع وانما ذكر القول
بلفظ الماضي دلالة على قرب القيمة حتى كانها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب اتيانه او ورد على الحكاية
كقول الرجل لصاحبه كانك بنا وقد دخلنا البلد كذا فصنعنا كذا ومحل يا عيسى مضموم على انه مفرد معرفة او مفتوح لانه
وصف بابن مضاف الى علم وهو المختار للتخفيف وكثرة الاستعمال نعمتي عليك اراد الجمع ووحدت لانه مضاف يصلح للجنس

وانما قال وعلى والدتك لان النعمة على الولد نعمة على والديه ولان مكارم الاخلاق دليل على طيب الاعراق اذ ايدتك بدل
من نعمتي اي قويتك بروح القدس اي بجبريل والقدس هو الله كانه اضافه الى نفسه تعظيما او بالروح الطاهرة المقدسة وقد
تقدم في البقرة تكلم الناس حكاية حال ماضية في المهد وكهلا في هاتين الحالتين من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب الخط
او جنس الكتب والحكمة النظرية والعملية والتورية والانجيل يعني الاحاطة بالاسرار الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ
فيها الضمير للكاف لا للهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فيكون والكاف مونث بحسب
المعنى لدلالتها على الهيئة التي هي كهيئة الطير ومذكر في الظاهر فلهذا عاد الضمير اليه مذكرا تارة كما في آل عمران ومونثا
اخرى كما في هذه السورة وكرر باذني اي بتسهيلي ليعلم ان الكل باقدار الله وتمكينه واظهار الخوارق على يديه والا فهو عبد كغيره
عيسى واذ كففت يروى انه لما اظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى برفعه الى السماء ان هذا
الا سحر مبين من قرأ بغير الف اشار الى ما جاء به او اراد انه ذو سحر فاطلق عليه الحدث مبالغة ومن قرأ بالالف اشارة
الى الرجل واللام في البينات يحتمل ان يكون للجنس ويحتمل ان يراد بها المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار في خاتمته
ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن ان يراد بذلك تعداد النعم ايضا لان ذي كل نعم
محسود فطعن الكفار فيه يدل على علو شانه وسمو مكانه **شعر** واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني
كامل وكان تهاجر به النعم الجسام والمنن العظام كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه
لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان كانوا انبياء فظاهر والا فالوحي بمعنى
الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى وهذا ايضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول عند
الناس محبوبا في قلوبهم من اعظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام ليعلم انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم
هل يستطيع ربك من قرأ بالتاء وبالنصب فظاهر والمراد هل تستطيع سؤال ربك اي هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك
عن سؤاله ومن قرأ بالياء وبالرفع فمشكل لانه تعالى حكى عنهم انهم قالوا امنا فكيف يتصور مع الايمان شك في اقتدار
الله تعالى واجيب بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا
الله ان كنتم مؤمنين ومنها انهم طلبوا مزيد الايقان والطمانينة ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها انهم ارادوا هل هو
جائز في الحكمة ام لا وهذا على اصول المعتزلة من وجوب رعاية الاصلح او ارادوا هل قضى بذلك وعلم وقوعه ام لا فان
خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السدي ان السين زائدة وكذا التاء اي هل يطيع ربك ومنها
لعل المراد بالرب جبريل لانه كان يربيه ومنها ان المراد بالاستفهام التقرير كمن ياخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر
السلطان على اشباع زيد يريد ان ذلك امر جلي لا يجوز للعاقل ان يشك منه قال الزجاج المائدة فاعلة من ماد يميد
اذا تحرك فكانها تميد بما عليها وذلك انها لا تسمى مائدة الا اذا كان عليها طعام فاذا لم يكن عليها طعام فهي خوان وقال
ابن الانباري هي من ماده اذا اعطاه فكانها تعطي من تقدم اليه وقال ابو عبيدة هي بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية
اي مرضية كان صاحبها اعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجزة فانه كالتحكم وايضا اقتراح معجزة بعد
ظهور معجزات كثيرة تعنت اذ امرهم بالتقوى ليتوسلوا بها الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فاجاب الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزة بمجردها ولكنا نريد ان ناكل منها فان الجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما
اخر فقد يروى انهم سالوها في مفازة على غير ماء ولا طعام وان نزيد يقينا وعرفانا وطمانينة فان التي شاهدناها
منك معجزات ارضية وهذه سماوية فيكون اعجب واغرب وان نعلم صدقك في دعوى النبوة او فيما وعدتنا وذلك انه
كان قال لهم صوموا ثلثين فاذا تم صومكم فكل ما سالتموه الله فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين
للذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله تعالى بالقدرة ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة
او استيناف وقرئ بالجزم جوابا للامر كان نزولها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود اليك في وقت
معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل
ديننا ولمن ياتي بعدنا او ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم للمقدمين منا والاتباع وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الجماعة
فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق وانزل علينا انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح
بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله واية منك اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر و
الاستدلال وهو [illegible] الثالث الى الحصة النفسية والحواريون قدموا غرض النفس واخروا الاغراض الدينية وان عيسى

بدا وبالاشراق حتى انتهى الى الاخس ثم قال وانت خير الرازقين وهو عروج مرة اخرى من الخلق الى الخالق وعندها يظهر
التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من اهل الكمال والاشراق بعميم فضلك وجسيم
طولك منزلها بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد للتكثير وبالتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذبه احدا قال ابن عباس
يريد مسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون موخرا الى الاخرة وعذابا نصب على المصدر اي تعذيبا والضمير
لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به ولم يكن بد من الباء في الموضعين فقيل اعذب به عذابا لا اعذب به احدا
واراد بالعالمين عالمي زمانهم واختلف في ان عيسى سال المائدة لنفسه او سالها لقومه وان كان اضافها الى نفسه في الظاهر و
كلاهما محتمل اما نزولها فقد قال الحسن ومجاهد ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها
واكد هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا لاولهم واخرهم فلو نزلت لبقي العيد الى يوم القيمة وقال جمهور المفسرين
انها نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله اني منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم روي
ان عيسى عم لما اراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها
وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة
وعقوبة ثم قال لهم ليقم احسنكم عملا ويكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون راس الحواريين انا اولى
بذلك فقام عيسى فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل
دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله ام من طعام الدنيا ام من طعام الاخرة
قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون
يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم
طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل ان عيسى كان شرط عليهم ان لا يسرفوا في الاكل ولا يدخروا
فعصوا فمسخوا واذ قال الله معطوف على مثله والصحيح ان هذا القول ايضا يوم القيمة لقوله عقيب ذلك هذا يوم ينفع وقيل
هذا عند رفع عيسى نظرا الى ان اذ للماضي وقد مر توجيه ذلك ءانت قلت استفهام بطريق الانكار والغرض منه توبيخ النصارى
قال بعض المتكلمين ان احدا من النصارى لم يذهب الى القول بالهية عيسى وامه مع القول بنفي الهية الله تعالى واجيب بان الاله
هو الخالق وانهم يعتقدون ان خالق المعجزات والكرامات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم وليس لقدرة الله سبحانه
في ذلك مدخل فبهذا التاويل يصح ما حكى عنهم واقول يشبه ان يكون المراد بقوله من دون الله اي بعد الله فيكون التوبيخ على
التثليث او المراد انه لما دل البرهان على نفي تعدد الاله فمن قال بالهية عيسى او امه لزمه القول بنفي المعبود الحق تعالى عن
ذلك ولهذا قال عيسى سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ثم لم يجب باني قلت او ما قلت لان ذلك يجري
مجرى الطهارة والتبرية بل اجاب بقوله ما يكون اي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله اظهارا لغاية الخضوع والاستكانة
ثم فوض الامر الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم
معلومي ولا اعلم معلومك وذكر النفس ثانيا لاجل المشاكلة وانه من فصيح الكلام او تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي او تعلم ما
عندي ولا اعلم ما عندك او تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل عبارات المفسرين ثم اكد ما ذكر بقوله انك انت علام
الغيوب ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسرة اما فعل القول او فعل الامر ولا وجه لكليهما اما فعل القول
فيحكى بعده الكلام بلا ان فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا ان يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما امرتني
بقوله فيكون تفسيرا الصريح القول المقدر وصريح القول المقدر كالفعل الماول بالقول في عدم الظهور حتى يجوز توسيط ان واما
فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها مصدرية
عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بدلا مما امرتني والمبدل في حكم المنحى كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم
لان العبادة لا تقال وان جعلته بدلا من الهاء في به لم يصح ايضا لانه يؤول المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا ما امرتني
بان اعبدوا الله فيبقى الموصول بلا عائد فاذن الوجه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتني
به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم الا انه وضع القول موضع الامر رعاية للادب كيلا يجعل نفسه وربه
امرين ودل على الاصل بذكر ان المفسرة قال في الكشاف ويجوز ان يكون ان مصدرية عطف بيان للهاء لا بدلا وحينئذ في
العايد بقوله وكنت عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من التدين بما يوجب التكفير ما دمت فيهم مدة دوامي فيما بينهم

فلما توفيتنى بالرفع الى السماء كنت انت الحافظ عليهم المراقب لاحوالهم وانت على كل شئ شهيد من الشهادة
او من الشهود الحضور وان تغفر لهم فيه سؤال وهو انه كيف جاز لعيسى هذا القول والله تعالى لا يغفر الشرك والجواب ان قول
عيسى انت قلت للناس بنى عن ان قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكى لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا
فقط ولو سلم انه شرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان العقاب حق الله على المذنب وليس في
اسقاطه على الله تعالى مضرة بل كلما كان الجرم اعظم كان العفو احسن الا ان الدليل السمعى في شرعنا دل على انه لا يكون فلعل
هذا الدليل لم يكن موجودا في شرع عيسى او لعل عيسى جوز ان يكون بعضهم قد تاب عنه اما من زعم ان هذه المناظرة والمحاورة
انما كانت عند رفعه الى السماء فلا اشكال اصلا لان المراد توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك ذلك ذلك وان اخرجتهم
بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك انت العزيز القادر على ما تريد الحكيم في كل ما تفعل
لا اعتراض لاحد عليك وفي مصحف عبد الله فانك انت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم
لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمه تعالى والمقام مقام هذا الا ذاك وعن بعضهم ان ذكر الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة
للمغفرة والرحمة اما العزة والحكمة يكون ادل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلماء في الاية نوع شفاعة
من عيسى لفساق امته فلان يثبت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لفساق امته اولى هذا يوم ينفع من قرئ بالرفع فظاهر وانه
في تقدير الاضافة اى هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرأ بالنصب فاما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف
خبر اى هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع في هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت قال الفراء يوم اضيف الى ما ليس باسم فبنى
على الفتح كما في يومئذ وخطاه البصريون وقالوا انما يبنى الظرف اذا اضيف الى المبنى كالماضى فى قول النابغة **شعر**
على حين عاتبت المشيب على الصبى ومثل ما في قوله لا تملك واجمعوا على ان هذا اليوم يوم القيمة والمراد ان صدقهم في الدنيا
ينفعهم في القيمة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق وكان قبل ذلك كاذبا
فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا في الدنيا وفي الاخرة فنفعه صدقه وفي هذا الكلام تصديق من الله تعالى لعيسى في قوله
ما قلت لهم الا ما امرتنى به رضى الله عنهم ورضوا عنه بما ملأ زمان لان رضى الله عن العبد في رعاية وظايف العبودية
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان نسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار فيكون
ارادته مغمورة في ارادة ربه ذلك الفوز العظيم اشارة الى جميع المذكورات او الى الجزاء الاشرف الاقرب وهو الرضوان
وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون ادل على العموم وليتنبه على ان عقول ذوى العقول وعلوم ارباب العلوم بالنسبة الى
علمه كلا علم وانما هم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله اوفوا بالعقود وهو الشرع
والبداية وختم السورة بهذه الاية على فناء الكل في جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق واتم
في السورة بيان الشرايع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك
لجميع الممكنات والكاينات موجد لجميع الارواح والاجساد ليصح التكليف على اى وجه اراد وليكون ردا على اليهود بحكم
المالكية في نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد وليكون ردا على النصارى في ان عيسى ومريم داخلان في المخلوقات
موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية الا هذا وايضا لما اخبر عن فناء وجودهم المجازى لم يبق هناك مجيب فاجاب بنفسه
لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل في هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه
والله تعالى اعلم بحقايق اسرار كتابه **التاويل** اخبر عن كثرة السؤال انها تورث الملال وذلك ان علوم القال غير علوم
الحال والصنف الاول يحمد فيه السؤال والثانى يذم فيه اذ يحصل بالعيان لا بالبرهان كما كان حال الانبياء عليهم السلام
مع الله وكذلك نرى ابرهيم لقد رأى من ايات ربه الكبرى وقال صلى الله عليه وسلم ارنا الاشياء كما هى وقال الخضر لموسى
فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ وقال موسى في الثالثة ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى فان تعلم العلم اللدنى بالحال
في الصحبة والمتابعة والتسليم وفي السؤال الانقطاع عن الصحبة وان تسألوا عنها حين ينزل القران اى ان كان لا بد لكم من
السؤال عن حقايق فاسألوا عنها بعد نزول القران عن القران ليخبركم عن حقايقها على قدر عقولكم والله غفور رحيم لمن تاب
من طلب علوم الحقايق بالقال حليم لمن يطلب بالحال فيصد بعضهم في اثناء الطلب سؤال قد سألها قوم من قبلكم كقدماء الفلا
اعرضوا عن متابعة الانبياء واقبلوا على مجرد العقل والقال فوقعوا في اودية الشبهات والضلال ما جعل الله من بحيرة
قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الحيدرية والقلندرية يثقبون اذانهم وذكرهم ويجعلون فيها حلق الحديد
ويحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين يضربون في الارض خليعى العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون انهم اهل

ولا وصيلة هم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرفضون صحبة الاقارب لاجل العصبية
والعناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن انه بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله من الاحكام والى الرسول المتابعة قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اى مشايخنا واهل صحبتنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون
شيئا من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اى اشتغلوا اولا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغريق
الذى يتعلم السباحة اذا تشبث بمثله هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فالطالبين بجذبات العناية وللمضلين بسلاسل القهر والنكال
اذا حضر احدكم الموت اى النفس تموت عن صفاتها الذميمة بالرياضة والمجاهدة فتوصى بصفاتها لورثتها وهم القلب واوصافه والروحانيات
اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات واخران من غيركم الروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر
يشهدان الحق وان كان على ذى قرابة من الروحانيات والوهم والخيال يشهدان بهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم في الارض اى
سافرتم في السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اى فتصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم في تعدد من الروحانيات
من بعد الصلوة من بعد حضورهما مع الله وتوجههم الى الحق ومراقبة تامة فيشهد على الشاهدين بالقسم والتخويف بالله ان يرديا شهادة
الحق ويدفعان تركة النفس وهى صفاتها الى ورثتها وهم القلب وصفاتها ولا يصرفانها في شئ من السفليات فان كل
خلق اذا استعملته النفس كان صفة ذميمة فاذا استعملته القلب صار وصفا محمودا كالحرص اذا استعمله النفس في طلب
الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب في طلب العلوم والكمالات صار محمودا فان عثر على انهما استحقا
اثما بان مالا الى حظ من الحظوظ السفلية فاخران من صفات القلب هما التذكر والفكر الصائب ينظران في عواقب الامور و
يشهدان على ان الاخرة خير من الدنيا والباقى خير من الفانى لشهادتنا احق من شهادتهما لان الوهم والخيال لما مالا الى الحظوظ
بكتمان الحقوق بتركة الحظوظ ان يأتوا بالشهادة على وجهها اى العقل والسر يابيان في بدو الامر باستعمال صفات النفس للسعادة
الاخروية ويخافان عواقب الامور بان يشددوا على النفس بالاستعمال وتضييع الزمان وافناء الاستعداد ثم بالتفكر و
التذكر يرد الامر الى وجوب رعاية الحقوق فيحتاجان الى كثرة الرياضة ماذا اجبتم قالوا بسبب التعارف وهم مستغرقون
في بحر الشهود لا علم لنا اى ببواطن الامور وحقايقها الحواريين اى في عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب التعارف في عالم
الاشباح امنا ان بعض الحواريين المقلدين في الايمان قال يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك فما راعوا الادب مع نبيهم حيث لم
يقولوا يا رسول الله او يا روح الله ولا مع ربهم حيث تشككوا في كمال قدرته ثم اظهر وادناه وبختهم حيث طلبوا بواسطة مثل
عيسى من واهب المواهب مائدة جسمانية لا مائدة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء اى الاسرار والحقايق
من سماء العناية علينا اطعمة الهداية يكون لنا اى لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لاولنا لاول انفاسنا واخرها فان اهل الحق
يراقبون الانفاس لتصعد مع الله وتهوى مع الله وانت خير الرازقين لان الذى يرزق رزق منك ورزق غيرك رزق من غيره فمن يكفر
بعد منكم بان لا يقوم بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فانى ارده من المراتب الروحانية الى المهالك الحيوانية وهو المسخ الحقيقى و
يوم القيمة ايضا يحشرون على صفاتها التى ماتوا عليها كما قال صلى الله عليه وسلم يموت الناس على ما عاش فيه ويحشرون على ما مات
عليه وانت قلت للناس الخطاب مع الامة الا ان من سنته سبحانه ان يكلم الكفار بكلم عيسى بدلا منهم او المراد بالقول الاول امر
التكوين فالمعنى انت خلقت فيهم اتخاذك وامك الهين ام الله خلقت ذلك فيهم حتى لا نالهم الثبات علام الغيوب بما غاب عن
الخلق ويحتمل ان يعلم الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم ان يعلموه الا الله تعالى

سورة الانعام مكية حروفها اثنى عشر الفا واربعمائة واثنان وعشرون كلمها ثلثة الاف واثنتان وخمسون اياتها مائة وخمس وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ● هو الذى خلقكم

من طين ثم قضى اجلا واجل مسمّى عنده ثم انتم تمترون ● وهو
الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم
ما تكسبون ● وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها
معرضين ● فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انبؤا
ما كانوا به يستهزءون ● الم يروا كم اهلكنا من قبلهم
من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء
عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم
وانشانا من بعدهم قرنا اخرين ● ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ● وقالوا
لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ●
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ●
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزءون ● قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين

القراءة وانشانا بغير همزة حيث كان ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف
ولقد استهزئ وبابه بالهمز ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرا يزيد والشموني وحمزة في الوقف بغير همز
مطلقا فحاق بالا مالة حيث كان حمزة **الوقوف** والنور لان ثم لترتيب الاخبار يعدلون اجلا تمترون وفي الارض
وقيل لا وقف ليصير التقدير وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وفيه تعديل المعنى وهو المستحق للعبودية
في اهل السموات واهل الارض تكسبون معرضين لمجيئهم للابتداء بالتهديد يستهزءون مدرارا لعطف المتفقتين اخرين
عروبين عليه ملك لا ينظرون يلبسون يستهزءون المكذبين **التفسير** عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزل معه من الملائكة سبعون الف ملك قد ملاوا ما بين الاخشبين فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى ايات معدودات وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد بعث بها
الى جبريل مع خمسين ملكا وخمسين الف ملك تحفها حتى اقروها في صدري كما يقر الماء في الحوض ولقد اعزني الله تعالى واياكم
عز الابد لنا بعدها ابدا فيها دحض حجج المشركين وعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلايل التوحيد والنبوة
والمعاد ولتروها جملة ذهب علماء الكلام الى ان علم الاصول مع جلالة قدره يجب تعلمه على الفور لا على التراخي بخلاف الاحكام
فانها تنزل بحسب المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله الذي مذكور في اوايل سور خمس واختص كل منها بصفة
بعد ما صدرت فاتحة الكتاب بالحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان ساير السور تفاصيل لهذه الجملة

اثنى الله سبحانه على نفسه بقوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض والثناء على النفس قبيح في الشاهد ففيه دليل
على انه لا يمكن قياس الحق على الخلق فكما انه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد عليه والتحقيق
فيه ان استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال ولا يوجد في الممكن صفة كمال الا وهي مشوبة بالنقص وان الاختلال اذناه الا
في افق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا ينبغي ان يمدح الا هو ولا ان يثني الا
عليه ولا ان يشكر ويحمد الا الله ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف **شعر**
اساميا لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها وقد تقدم في الاسماء ان معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عايد الى
العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على حسب علمه الازلي قال بعض العلماء السماء كالدايرة والارض كالمركز وحصول
الدايرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دواير لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر
التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات
وسوف يجيء تقرير ذلك في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين فان تخصيص حجم الفلك بمقدار
معين وتخصيص كل من اجزايه بحيز معين وتخصيص كل من اجزاء الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة
الجسمية وتخصيص كل حركة بحد معين من السرعة والبطؤ وبجهة معينة دلايل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد
من ذاته وفي صفاته وفي افعاله وايضا ان الحركة كل فلك اولا لان حقيقة الحركة انتقال من حالة الى حالة
فيقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل حركة اولا
فاختصاص ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية
مع تساوي الكل في الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما ثبت في الكلام فحصول هذا العالم في حيز
الذي حصل فيه دون ساير الاحياز امر ممكن يحتاج الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا في
ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تاثير الاثيريات وهي الاباء في العنصريات وهي الامهات لتحصيل
المواليد الثلثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير رتبته
اعلى واجل من رتب الممكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشا ولهذا اقتصر على مفعول واحد
ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم يقل وخلق لانه اراد التضمين اعني انشاء شيء من شيء كقوله وجعل منها زوجها
فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحد منهما تولد من الاخر وقيل لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور
من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل ظلمة ووحد النور لان النار واحد وهو منهما والظلمة والنور
ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل في الاطلاق الحقيقة ولقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس
الى الظلمة ظلمة الشرك والنفاق والنور نور الاسلام واليقين وعلى الاول انما جمع الظلمات ووحد النور ولان
النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة او لانه قصد بالنور
الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم المحدثات سابق
على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور او شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد
في الاخبار ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله
والمعنى انه حقيق بالحمد على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه
خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون اي يسوون به ما لا يقدر على شيء من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون
من العدول وعلى الثاني هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم انتم تمترون تراخي الرتبة واستبعاد مضمون الجملتين
احدهما عن الاخرى ثم ذكر دليلا اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي من ادم
لانه مخلوق من الطين وخلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا ريب ان خلق الاغذية المتنوعة
من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم توليد النطفة المتشابهة الاجزاء المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة
واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة
لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة
الحيوة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يرد بمعنى الحكم والامر
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن

سبع سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والانسب ههنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء
المدة واصله من التاخير ومنه الاجل نقيض العاجل ثم ان صريح الاية يدل على حصول اجلين لكل انسان قال ابو مسلم الاول اجال
الماضين لانهم لما ماتوا صارت اجالهم معلومة والثاني اجال الباقين لانها غير معلومة بعد وانما هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول
اجل الموت والثاني اجل القيامة لانه لا اخر له ولا يعلم احد كيفية الحال في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى
ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد
والثاني ما بقي من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعي الذي يكون بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي مصونا عن الافات
الخارجية والثاني الاجل الاخترامي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة
ومعنى مسمى اي مذكور اسمه في اللوح المحفوظ ومعنى عنده اي في حكمه وعلمه كما تقول هذه المسئلة عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا و
ارتفع اجل بالابتداء وجاز ذلك مع تنكيره لكونه وصف فقارب المعرفة وانما لم يقل وعنده اجل مسمى تعظيما لشان هذا الاجل وكانه قيل
واي اجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى ثم تبعيد الامتراء عن مثل هذه الحجة الباهرة الموجبة للتيقن في امر المبدأ والمعاد ثم
قرر انه سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصي ولا تمييز اجزاء
بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو فقال وهو الله في السموات فزعمت المجسمة ههنا وبنحو قوله ءامنتم من في السماء انه سبحانه
مستقر في السماء قالوا ويؤكده وقف بعض القراء على السموات والابتداء بقوله وفي الارض يعلم اي يعلم سرائركم الموجودة في
الارض ولا يلزم من ترك العمل باحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الاخر من غير دليل ونوقض بانه تعالى قال في مواضع لله ما في السموات
فلو كان هو في السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شيء قدير
وبانه اما ان يراد كونه في سماء واحد وهو ترك الظاهر او في جميع السموات وهو يقتضي كونه ذا اجزاء او حصول المتحيز الواحد
في مكانين وكلاهما محال والحق انه لا يلزم من استصحاب المكان الافتقار اليه ولا التجسم والتجزية وهو دقيق يفهمه من وقوله
وبانه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بمقدار معين
مخصص فيكون محدثا ويرد عليه انه لم لا يجوز ان يكون في السموات وفوقها الى ما لا يتناهى لا سيما عند من يقول ان وراء
هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان في السموات فان لم يقدر على عالم اخر فوقها لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل لحصل تحت
ذلك العالم والقوم ينكرون كونه تحت العالم والاعتراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال غير المجسمة المراد وهو الله في تدبير
السموات والارض كما يقال فلان في المركز اي في تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون في السموات خبرا بعد خبر او يوقف على
اسم الله ثم يبتدأ بما بعد ذلك ويكون المعنى انه يعلم في السموات والارض سرائر الملائكة والانس والجن والمراد وهو المعبود
فيهما او المعروف بالالهية او المتوحد بها او هو الذي يقال له الله فيهما لا شريك له في هذا الاسم والسر من صفات القلوب
وهي الدواعي والصوارف والجهر من اعمال الجوارح ولان الاول متقدم على الثاني طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة اعني قوله
يعلم سركم وجهركم مقررة لما قبلها او هو خبر ثالث او كلام مبتدأ ويعلم ما تكسبون الكسب اخص من الاعمال السرية والجهرية لان
الفعل المفضي الى اجتلاب نفع او اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب وافراد الاخص بالذكر بعد الاعم للتقرير
والتاكيد او لكونه اهم حسن ولا يلزم منه عطف الشيء على نفسه والمراد انه عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب او عقاب
ثم لما فرغ من دلايل التوحيد والمعاد شرع في النبوات فرتب احوال الكفار مع الانبياء في ثلث مراتب الاولى كونهم معرضين
عن التامل في الدلايل وذلك قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد وما يظهر لهم
دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم الثانية كونهم مكذبين
وهذه تترتب على ما قبلها لان الاعراض قد يكون للغفلة لا للتكذيب واذا كذب فقد اعرض وزاد قال علماء المعاني ههنا حذف كانه قيل
ان كانوا معرضين من الايات فقد كذبوا بما هو اعظم اية وهو الحق قال الانس هو انشقاق القمر انفلق فلقتين فذهب فلقة وبقي
فلقة وقيل هو القران الذي تحدوا به فعجزوا عنه وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره
وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء كان نهاية في الغواية وذلك
قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وهو القران وغيره من المعجزات وليس المراد نفس الانباء بل العذاب الذي انباء الله تعالى
به كقوله ولتعلمن نباه بعد حين والحكيم اذا توعد فربما قال ستعرف نبأ هذا اذا نزل بك ما تحذره وذلك ان الغرض من الخبر حصول
العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الاية سيعلمون باي شيء استهزءوا به وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند نزول
العقاب بهم في الدنيا كيوم بدر وغيره او في الاخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد

الى الموعظة والنصيحة بذكر احوال الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك
بالموت وذلك الزمان في الاغلب ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة
ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى القرن وليس المراد ان يصدق الكفار محمدا في هذه الاخبار لانهم بصدد
التكذيب فيكذبونه فيها ايضا وانما المراد ما يختص بالمتقدمين منهم مشهود بين الناس فيبعد ان يقال انهم ما سمعوا تلك الحكايات
ومجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلثة اوصاف الاول تمكينهم في الارض جعل له مكانا ومكنه فيها اثبته
وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الاية والمعنى لم يعط اهل مكة نحو ما اتينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام
والسعة في الاموال واسباب الدنيا الثاني ارسال السماء عليهم يعني الغيث والسحاب والخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب
والمدرار الكثير الدر ودر اللبن اذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ومدرارا نعت المطر وثمالي نصبا سحاب مدرار اذا تابع
امطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث الثالث وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت امكنتهم
والمراد انهم اصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم وانما يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين
ايضا قلنا لدفع هذا الاشكال ذكر فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي والاثام لا يكون الا بالعذاب
والايلام ثم نبه بقوله وانشانا من بعدهم قرنا اخرين على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته واستعلائه كقوله ان يشأ
يذهبكم ويات بخلق جديد فالبلاد بلاده والعباد عباده بين التخريب والتعمير واليه الاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون
عن قبول دعوة الانبياء طوايف متعددة منهم من بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومناه لا على
قانون الحكمة والعدل فمنعه ذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور في الاية وفيه ان اللذات ذاهبة وعذاب الكفر باق وليس
من العقل تحمل العقاب الدايم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء وجعلها من قبيل
السحر الذي لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة
واحدة قرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن
من باب المعجزات لم يكن انكاره منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل
لم يكن عصمة الملايكة معلومة وحينئذ يجوز ان يكون ذلك من قبل بعض الشياطين او بعض الملايكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا
يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الاية ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا لمسوه بايديهم يتقوى الادراك البصري
بالادراك اللمسي ويبلغ الغاية في القوة والظهور ثم ان هؤلاء يبقون شاكين في ان ذلك الذي راوه ولمسوه هل هو موجود ام لا وذلك
يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي في الاية دليل على وجوب اللطف لانه بين انه انما لا ينزل هذا الكتاب من حيث
انه لو انزله لقالوا هذا القول [illegible] بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع
اللطف [illegible] ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاعتراضات [illegible] قالوا يا محمد لن
نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله وقالوا لولا انزل
عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام [illegible]
وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر اية باهرة وحينئذ [illegible] فيجب اهلاكهم بعذاب الاستيصال [illegible] اذا شاهدوا
الملك زهقت ارواحهم [illegible] ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل انما
الملايكة في صورة البشر كما اضاف ابراهيم ولوط وكما الذين تسوروا المحراب وان جبريل تمثل لمريم بشرا سويا وفائدة ثم [illegible]
[illegible]
[illegible] ويقولون لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا [illegible] الملايكة كانت علومهم اكثر
وقدرتهم اشد ومهابتهم اعظم وامتيازهم عن الخلق اكمل والاشباه في نبوتهم [illegible] اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم [illegible]
[illegible] فاجاب الله عن شبهتهم بقوله ولو جعلناه [illegible] ملكا لجعلناه رجلا [illegible]
انزال الملك ظاهرة جارية مجرى الالجاء [illegible] التكليف [illegible] الجنس الى الجنس اميل وكان
البشر لا يطيق رؤية الملك وكان طاعات الملك كثيرة [illegible] طاعات البشر [illegible] على المعاصي فلا يصبرون
معهم وكان انزال الملك يقوي الشبهة من جهة اخرى [illegible]
ولو حصل لنا مثل ما حصل [illegible] من القدرة والقوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلت [illegible] عليهم ما يلبسون [illegible] الامر
على القوم [illegible] لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا [illegible] لبس الثوب [illegible] للملك في صورة

البشر كان فعلنا نظير فعلهم في التلبيس وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع انه ليس بملك او يظنونه بشرا
مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على انفسهم ويقولون ان البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال ابدا ويبقى الامر
في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز ان يراد لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ
فيكون مفعولا به يعني ان القوم اذا راوا الملك في صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا
ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور
على الاحاطة ومنه الحوق بالضم ما استدار من الكرة ما كانوا اي الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق الذي جاء به محمد اسند
الحوق اليه حيث اهلكوا لاجل الاستهزاء به ويحتمل ان يراد بلفظ ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله وهم يستهزؤن بذلك ثم امر
رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا في الارض لتشاهدوا اثار الامم السالفة
والذين كذبوا رسلهم وتنزل بهم ما نزل فان الاسفار تورث الاعتبار وتفيد الاستبصار واعلم انه سبحانه قال ههنا ثم انظروا وفي
موضع اخر فانظروا فالفاء تجرد اعتبار ترتب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان السير مباح والنظر واجب
وايضا شتان بين السير الصوري بقدم الاشباح وبين السير المعنوي بقدم الارواح **التاويل** حمد نفسه القديم الازلي على
ان خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس والنور في القلوب وهو
صفتها الملكية والروحانية خص الجعل بالمعاني التي من عالم الامر والخلق بالاعيان لانها من عالم الصورة ولهذا لما ذكر صورة ادم قال
اني خالق بشرا من طين وحيثما اراد معناه قال اني جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق ما للنفوس الكفار بغلبات الظلمات
الى طاغوت الهوى يجعلون عدلا لربهم ثم قضى اجلا للروح المفارقة عن حضرة الارباب فرادى واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال
بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال كما يمتري اهل الفراق وهذا محال وهو الله في سموات القلوب
وفي ارض النفوس يعلم سركم لخلافة الذي اودع فيكم وجهركم الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد الشرعي والجبري
في المامورات والمنهيات في الخير والشر من ايات ربهم في الافاق وفي انفسهم مكناهم في طلب الحق من قهر النفس واسباب الخيرات
والطاعات وارسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا وجعلنا انهار الحكمة تجري من تحت نظرهم فاهلكناهم مع هذه
المقدمات ارواحهم بسموم ذنوب طلب الدنيا مالها وجاهها وانشانا من بعدهم قرنا اخرين من الطلاب الصادقين الثابتين
المستقيمين لجعلناه رجلا ليفهموا خطابه ويكون واقفا على الاحوال البشرية فيعالجهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال
وما ارسلنا الاية قل سيروا في ارض النفوس بقدم التقوى ومخالفة الهوى الى ان تبلغوا سواحل بحار القلوب فتشاهدوا
بانوار الله المودعة فيها عاقبة من هلكوا في بوادي القطيعة اذ ساروا بقدم الطبيعة قوله تعالى

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة
ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم
لا يؤمنون ۝ وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۝ من يصرف عنه
يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين ۝ وان يمسسك الله بضر

فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ۝ قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم
به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد
قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون ۝ الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم
فهم لا يؤمنون ۝ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
باياته انه لا يفلح الظالمون ۝ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون

اني امرت بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع اني اخاف بفتح الياء فيهما وابن كثير وابو عمرو والباقون
بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا
للمفعول ائنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة اينكم بالياء بعد الهمزة ابن كثير و
نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد ايكم بالمد والياء ابو عمرو ويزيد وزيد وقالون يرى تغير همز حيث كان يزيد
وحمزة في الوقف نحشرهم ثم نقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التانيث حمزة وعلي وحماد والمفضل
وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب
على النداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل او البيان والارض قل الله الرحمة لا
لان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف وليجمعنكم جواب معنى القسم في كتب وفيه نظر لان كتب وعد وانجاز ليجمعنكم
وعد منتظر لا ريب فيه بناء على ان الذين مبتدا وفيه معنى الشرط لا يؤمنون والنهار العليم ولا يطعم من المشركين عظيم رحمه
المبين الا هو قدير عباده الخبير شهادة ومن بلغ اخرى لانتهاء الاستخبار الى الاخبار قل لا اشهد لاتساق الكلام بلا عطف
تشركون ابناءهم لئلا يوهم ان ما بعده وصف لا يؤمنون نصف السبع باياته الظالمون تزعمون مشركين يفترون
انه سبحانه لما برهن على اثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد وانجر الكلام الى الامر باعتبار احوال
الغابرين عاد الى اثبات هذه المطالب بطريق الالزام واخذ الاعتراف وذلك ان اثار الحدوث وسمات الامكان لائحة على صفحات
السموات والارضيات حتى بلغ في ظهوره الى حيث لا يقدر منكر على انكاره فكان في السؤال تبكيت والخام وفي الجواب تقرير
والزام اي هو لله بلا مراء وشقاق ولن يتم الملك والملك الا اذا كان قادرا على الاعادة كما هو قادر على الابتداء ولن يحصل
حكمة الاعادة كما هو قادر الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين ولن يحصل ايصال الثواب والعقاب الا بعد نصب الدلايل
وارسال الرسل فلاجل ذلك قال كتب على نفسه الرحمة اي بنصب الادلة وازاحة العلة ايجاب الفضل والكرم وقيل هذه الرحمة

اى انه يمهلهم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستيصال او فرض على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب
واناب وصدقهم وقبل شريعتهم او تلك الرحمة انه يجمعهم الى يوم القيمة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج و
ارتفع الضبط وكثر الخبط كانه قيل لما علمتم ان كل ما في السموات والارض لله تعالى وانه مالك الكل فاعلموا ان المالك
الحكيم لا يهمل امور عبيده ولا يجوز في حكمته التسوية بين المطيع والعاصي والعاقل والساهي ومعنى ليجمعنكم ليضمنكم وقيل
فيه حذف اى ليجمعكم الى المحشر في يوم القيمة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان وقيل ليجمعنكم في الدنيا خلقكم قرنا بعد
قرن الى يوم القيمة قال الاخفش الذين خسروا بدل من ضمير المخاطبين في ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدا خبره فهم لا يؤمنون
وذلك لتضمنه معنى الشرط فكانه قيل لما للمشركين مع وضوح الدلايل الباهرة لا يؤمنون فاجيب الذين خسروا انفسهم اى في
علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون في طرف الابد فكان امتناعهم الان عن الايمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران و
الخذلان وقال في الكشاف الذين خسروا انفسهم نصب او رفع على الذم بمعنى اريد الذين او انتم الذين ثم لما بين ان له المكان و
المكانيات ارتقى في البيان كما هو شان الترتيب التعليمي الى ما هو اخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال وله
ما سكن في الليل والنهار عن ابن عباس ان كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا قد علمنا انه
انما يحملك على ما تدعونا اليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من اموالنا حتى تكون من اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزل
وله ما سكن الاية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير كل ما سكن وتحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما
عن الاخر للقرينة والاصوب ان يقال اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان سكن ببلد كذا اى حل فيه والمراد كل ما حل في الوقت والزمان
سواء كان متحركا او ساكنا او ثابتا وذلك ان الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث فلا بد له من محدث فيقدم عليه وعلى
نفس الزمان وهو السميع العليم الذى يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فيوصل كل ممكن الى كماله اللايق به ويستعد له ثم
لما كان لزاعم ان يزعم ان الذى يتعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا في نفسه كالمفارقات التى يثبتها الفلاسفة فلا جرم
قال قل اغير الله اتخذ منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه اهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل
توجه الانكار الا الى نفس اتخاذ الولى وانه غير منكر فاطر السموات عطف بيان من الله او بدل وقرى بالرفع على اضمار هو وبالنصب
على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وقال ابن الانبارى
اصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات والارض اى خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذى سبيله ان يحصل
فيه الشق والتاليف عند ضمة بعض الاشياء الى بعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من فطور اذا السماء
انفطرت وهو يطعم ولا يطعم اى هو الرازق لغيره ولا يرزقه احد والاطعام وان كان اسما خاصا والا لم يحسن العطف في قوله
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون الا انهما متقاربان فجعل احدهما كناية عن الاخر وقرى وهو يطعم مبنيا للمفعول
ولا يطعم مبنيا للفاعل على ان الضمير لغير الله وقرى وهو مطعم ولا يطعم كلاهما للفاعل هو يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله
والله يقبض ويبسط والثانى بمعنى لا يستطعم وحاصل الاية انه يجب شغل العبد القلب كله بالله وقطع العلايق بالكلية
عما سواه لانه الجواد المطلق الذى يهب لا لغرض ولا انتفاع ثم بين ان النبى ايضا داخل في تعريف المعرفة بل هو اسبق
قدما في ذلك فقال انى امرت ان اكون اول من اسلم وقيل لى لا تكونن من المشركين وفيه ان الواعظ يجب ان يتعظ اولا بما يقوله
فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر ان النبى مع جلالة قدره بصدد المواخذة على تقدير المخالفة فقال قل انى اخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الغرض قد يتعلق بالمستحيل كقولك ان كانت الخمسة زوجا فمنقسم
بمتساويين من قرا من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عايد الى الله والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما او مذكورا
قبله قال في الكشاف ويجوز ان ينتصب يومئذ على انه مفعول به ليصرف اى من يصرف الله عنه ذلك اليوم اى هوله ومن قراء
على بناء المفعول فهو مسند الى ضمير العذاب ولم يتم الفاعل وهو الله تعالى للعلم به فقد رحمه اى الله الرحمة العظمى كقولك ان
اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه يعنى كمال الاحسان او المراد فقد ادخله الجنة فان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا
او استيجابا قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان ايصال الثواب على الطاعة غير واجب وانما هو ابتداء فضل واحسان والا
لم يحسن ذكر الرحمة ههنا الا ترى ان الذى يجب منه ان يضرب زيدا فاذا لم يضربه لا يقال انه رحمه وذلك اى صرف العذاب وايصال
الثواب على سبيل التفضل والاستيجاب الفوز المبين لانه المطلب الاعلى والمسند الاسنى لكل مكلف ثم اكد المعنى المذكور وهو انه
لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولى غير الله بقوله وان يمسسك الله بضر من مرض وفقر او غير ذلك من البليات فلا كاشف له
الا هو وان يمسسك بخير من غنى وصحة فهو على كل شئ قدير عمم الحكم ليندرج تحته كل خير والحاصل ان اندفاع جميع المضار بقدرته

وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد
الا بايجاد الواجب لذاته ورأس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل نفرة الكفر وداعية الايمان الا
بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور انه قد نفع او ضر من الجمادات او المختارات فان ذلك ينتهى الى تخليق الله وجعله ذلك الشئ
واسطة لذلك النفع او الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده
وهو اشارة الى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وهو اشارة الى كمال العلم فالحكمة اعم من العلم لانها عمل وعلم وكونه خبيرا اخص
من العلم لانه العلم ببواطن الامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعانى حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الاية
من اثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها انه لو كان فوق العالم فان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب كالجوهر
الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها كان متجزيا والجواب انه لم لا يجوز ان يكون نورا قايما بذاته
غير متناه ولا متجزيا ولا متبعضا قاهرا لجميع الانوار غالبا على جميع الاشياء لا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده واما انه
كيف يتصور نور بلا نهاية مع انه لا ينقسم ولا يتبعض فهو استبعاد فلا يصلح حجة وادراك شئ من هذا النور يحتاج الى نور ومن
لم يجعل الله نورا فما له من نور ومنها انه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب ان هذا كلام
مخيل فلا يستعمل في البرهان ومنها انه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن حصول ذات الله تعالى فيه وان كان خلاء
فحصوله في جزء من اجزاء ذلك الخلاء دون ساير اجزائه يحتاج الى المخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف
والجواب انا ذكرنا ان نور الانوار لا يتناهى وانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها انه سبحانه
موجود قبل الخلاء والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الاشياء موجودا فيها والا لزم المتغير في ذاته والجواب
بالفرق بين المعية والافتقار ومنها ان العالم كرة فاما ان يكون الله تعالى فوق اقوام باعيانهم وحينئذ يلزم ان يكون تحت
اقدام من يقابلهم واما ان يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بساير الافلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب الالزامى بعد
تسليم كون العالم كرة انا نختار القسم الاول ولا يلزم التحتية لان التحت من جميع الجوانب هو ما يلى المركز والفوق ما يلى السماء
او القسم الثانى ولا يلزم من احاطته بجميع الاشياء كونه فلكا كساير الافلاك واما التحقيق فقد عرفت ومنها ان لفظ الفوق
في الاية مسبوق ويراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عبارة وانه مشعر بالمملوكية والمقدورية فالمناسب ان يراد
بالفوق ايضا فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لان المراد ان القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب ان حمل الوسط على الطرفين
ليس اولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهومى القاهرية والفوقية والجواب ان الفوقية بالوجه الذى
قررناه في جواب الاعتراض الاول تفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب ان يكون التعويل عليه في كل الامور اذ لا وجود ولا
ظهور لشئ من الاشياء الا بفيضه ونوره وقد يلوح للمتامل في هذه الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد
اسرار غامضة شريفة ان كان اهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبى ان رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى احدا يصدقك بما تقول
من امر الرسالة ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول
كما تزعم فنزلت قل اى شئ اكبر شهادة الاية قال العلماء انها جرت على اكبر الشهادات واعظمها شهادة الله ثم بين ان شهادة الله
حاصلة لانه انما يدل على ان [illegible] الشهادة لا نه تعالى المطالب فقيل اما لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكر من سبب
النزول والمعنى قل يا محمد اى شئ اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل
ان الله شهيد لى بالنبوة لانه اظهر على وفق دعواى معجزا هو القران الذى عجزتم مع انكم معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقيل
ان حصول هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى وذلك انا الوحدانية ليست مما يتوقف صحة النبوة على صحتها فلا يمتنع اثباتها
بالسمع والمعنى قل الله شهيد بينى وبينكم في اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه
الشئ على الله تعالى ويحتج الجهم بقوله تعالى الله خالق كل شئ اذ لا يكون دعوى التخصيص [illegible] واستدل الجمهور انه يصح اطلاق
شئ عليه لانه [illegible]
[illegible]
ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والشئ الذى سيفعل غدا معدوم في الحال فالشئ يطلق على المعدوم لقوله تعالى
فلا يطلق عليه والجواب عن الاول ان اخراج الاكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الاشياء والخروج
بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقى وعن الثانى ان اللفظ الذى اعم الالفاظ ومتى صدق الخاص صدق العام بالضرورة

قال حجم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح استدلالكم قلنا قل اي شيء سؤال ولابد له من جواب
وهو اما مذكور اي قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدى فقيل شهيد اي وهو شهيد بيني وبينكم او محذوف والمعنى قل هو الله
وهو شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذلك بعد ذلك ان الله شهيد علم جزما ان اكبر
الاشياء شهادة هو الله اما قوله ومن بلغ فمعطوف على ضمير المخاطبين والعايد الى من محذوف اي لانذركم يا اهل مكة وانذر
كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما راى
محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل ومن بلغ اي من احتلم وبلغ اوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العايد ثم استفهم مبكتا فقال
ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى وصف الجمع بصفة الواحدة كما يقال للرجل فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلث جمل اوليها
قل لا اشهد بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيها قل انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد الحصر وثالثها انني بريء مما تشركون
ومن هنا قالت العلماء والمستحب لمن اسلم ابتداء ان ياتي بالشهادتين ويضم اليهما التبري عن كل دين سوى دين الاسلام ثم
لما زعم مشركوا مكة انهم سألوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ليس له عندنا ذكر كذبهم الله تعالى
بقوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه اي يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالنعوت
والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون لغير ابنائهم الذين خسروا انفسهم اما بدل او بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد
المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستانفة شاملة لجميع الجاحدين من اهل الكتاب ومن المشركين والمراد
بخسران النفس الهلاك الدايم الذي يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من احد الا وله منزلة في الجنة الا ان من كفر صارت منزلته
الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله بان ورث منزلته غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم
وذلك انهم جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بايات الله فمن الاول ان
المشركين كانوا يقولون للاصنام انها شركاء الله والله امرهم بذلك وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود
والنصارى كانوا يزعمون ان التورية والانجيل ناطقان بعدم النسخ وانهم ابناء الله واحباؤه وان النار
لا تمسهم الا اياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثاني قدحهم في القرآن وفي صحة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشيء في غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم
يوم القيمة فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اي ويوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف
ويحتمل ان يكون مفعولا لاذكر او معطوفا على محذوف اي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر اين شركاؤكم الهتكم التي جعلتموهم
شركاء وكم الذين كنتم تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز ان يشاهدوهم
الا انهم حيث لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ويجوز ان يحال بينهم وبين الهتهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا
بهم الرجاء فيها فيزداد حسرتهم ويحتمل ان يقال اين شفاعتهم لكم واشفاعكم بهم والغرض من جميع الوجوه ان يتقرر في نفوسهم ان
الذين يظنونه مما في منه فيصير ذلك تنبيها لهم في دار الدنيا على فساد هذه الطريقة ثم لم تكن فتنتهم من قرأ بالرفع على انه اسم كان والخبر
الا ان قالوا والتقدير شيئا الا ان قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير تكن فلعكس ما قلنا والتقدير شيء الا ان قالوا واما مع تانيث
تكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقوله من كانت امك او بتاويل مقالتهم قال الواحدي الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان ان اذا وصلت بالفعل
لم يوصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر وكما ان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك كنت القايم كان جعل المضمر اسما اولى من جعله
خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج تاويل هذه الاية تاويل حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك انه
تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم متهالكين في حبه فذكر ان عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا
انه دين ابائنا لم يكن الا الجحود والتبري والحلف على عدم التدين ومثاله ان ترى انسانا يحب شخصا مذموم الطريقة فاذا وقع في
محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك لفلان الا ان تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم بمعنى شركهم في الدنيا كما فسرها
ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف يعني العاقبة ويجوز ان يراد ثم لم تكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب قال
القاضيان الجبائي وابو بكر ان اهل القيمة لا يجوز اقدامهم على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجئين
الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون ان ذلك لا يروج منه حينئذ فلا يستفيدون بذلك الا زيادة المقت والغضب من الله
تعالى عليهم ولا يجوز ان يكون يقال انهم لما عاينوا القيمة اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب او انهم نسوا كونهم مشركين
في الدنيا لانه لا يليق بحكمته تعالى ان يوبخهم ثم يحكي عنهم ما يجري مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولان تجويز نسيانهم امرا
كان عليه الشخص مدة عمره نوع من السفسطة وايضا انهم لو كذبوا في موقف القيمة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد اقدموا

على نوعين من القبيح فان عوقبوا على ذلك صارت الاخرة دار التكليف وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى في ارتكاب
الذنوب وكلاهما محال فاذن الوجه في الاية ان يقال ان القوم كانوا يعتقدون في انفسهم وظنونهم انهم موحدون
فاجابوا بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اي في اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما اخبروا عنه
لانهم كانوا غير مشركين عند انفسهم فيجب تاويل قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا
كقولهم انهم على الصواب وان ما هم عليه ليس بشرك وان الهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اي وانظر
كيف غاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترونه اي يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الاية سيقت لبيان تضاد
حالهم في الدنيا والاخرة بالكذب والصدق ويكون حيث لا ينفعهم الصدق لان الصدق في الاخرة انما يعتبر اذا كان
مقرونا بالصدق في الدنيا هذا جملة كلام القاضيين وقال جمهور المفسرين ان قول القايل المراد ما كنا مشركين في اعتقادنا
وكيف كذبوا على انفسهم في الدنيا مخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون في القيمة كقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له الى قوله الا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا ان الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه
حيرة ودهشا الا ترى انهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا
انه لا يقضى عليهم واختلال عقولهم حال ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في ساير الاوقات **التاويل**
ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسال ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل لله وله ما سكن في ليل
البشرية اي التمتعات الحيوانية وفي نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع لانين من سكن اليه العليم بحنين من
اشتاق اليه قل اغير الله اتخذ اليوم وليا وقد اتخذني الله في الازل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر
ارض النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين طعام المشاهدات ويسقيهم كؤوس المكاشفات ولا يطعم لانه
لا يحتاج الى قبول الفيض الى غيره فالانوار عنده كالذرات اول من اسلم لاني خلصت من حبس الوجود ولهذا تقول الانبياء
نفسي نفسي واقول امتي امتي ان عصيت ربي برؤية الغير عذاب يوم عظيم هو وقت الاستنزال عن مقام التوحيد من يصرف
عنه عذاب الشرك يوم قدر الشرك لا قوام والتوحيد لا قوام ان يمسسك الله بضر ان دايرة ازليته متصلة بابديته وكل
نقطة من الدايرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فلن ينتهي الاية وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب
فضلوا في ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين
بلطافات الاشواق الى يوم التلاق وقهر ارواح الصديقين بسطوات الجلال في اوقات الوصال وهو الحكيم فيما يحكم
فلا يخلو من حكمة الخبير بمن يستاهل كل صنف من قهره فوقه قل الله اكبر شهادة لانه يحيط بحقايق الاشياء ولا يحيط به شيء
من الاشياء ومن بلغ ومن بلغه القرآن وقف على حقايقه ويقول يوم حيوني المشركين ائنكم لتشهدون الذين آتيناهم
الكتاب يعني العلماء بالقرآن يعرفون الله والنبي وفيه اشارة الى ان الاباء قد يتحقق عندهم انهم مصادر للابناء كذلك
اهل المعرفة قد يتحقق عندهم ان الله مصدر جميع الاشياء الذين خسروا انفسهم بافساد الاستعداد الفطري ويوم نحشرهم
جميعا يعني اهل المعرفة والنكرة اين شركاؤكم من الهوى والدنيا كذبوا على انفسهم في القيمة لانهم كذبوا في الدنيا وكان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى

ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا
جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير
الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم
وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد

ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين ● بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم
لكاذبون ● وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ● قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما
فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون ●
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون
افلا تعقلون ● قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ● ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا ولا
مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ● وان كان
كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض
او سلما فى السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى فلا تكونن من الجاهلين ● انما يستجيب الذين يسمعون
والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون ● وقالوا لولا نزل عليه
اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون

القراءة ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة وحفص ويعقوب وافق ابن عامر فى ونكون الباقون بالرفع
ولدار الاخرة بالاضافة ابن عامر ربنا وبل الساعة الاخرة الباقون بتعريف الدار ورفع الاخرة على الوصفية تعقلون
بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك فى الاعراف يكذبونك بالتخفيف من اكذب اذا
وجده كاذبا على ونافع والاعشى فى اختياره الباقون بالتشديد من كذب اذا نسبه الى الكذب ان ينزل بالتخفيف ابن كثير
الوقوف وقرابها الاولين وينأون عنه لابتداء النفى مع واو العطف وما يشعرون من المؤمنين من قبل لكاذبون

لمبعوثين نصف الجزء ربهم بالحق وربنا تكفرون بلقاء الله لانحتى للابتداء فيها لان الواو للحال على ظهورهم يزرون
ولهو تتقون يعقلون يجحدون نصرنا لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين باية من الجاهلين
يسمعون يرجعون من ربه لا يعلمون **التفسير** لما بين احوال الكفار فى الاخرة اتبعه بعض اسباب ذلك
فقال ومنهم من يستمع اليك قال ابن عباس حضر ابن عباس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو سفين والوليد بن المغيرة
والنضر بن الحرث وعتبه وشيبه ابنا ربيعة وامية وابى ابنا خلف واستمعوا الحديث رسول الله صلى الله فقالوا للنضر ما
تقول فى محمد فقال ما ادرى ما يقول الا انى ارى تحرك شفتيه يتكلم بشى وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم
عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الاية والاكنة
جمع كنان وهو كل ما وقى شيئا وستره من الاغطية والفعل منه اكننت وكننت وان يفقهوه مفعول لاجله اى كراهة ان يفقهوه
والوقر الثقل فى الاذان والتركيب يدور على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم وفى الاية دلالة على ان الله
تعالى هو الذى يصرفهم عن الايمان ويحول بين المرء وبينه قالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة
للكفار ولا يكون تكليفا للعاجز ولم يستحق ذمهم فى قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التاويل وذلك من وجوه الاول
قال الجبائى ان القوم كانوا يستمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا باستماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاءه فكان
الله تعالى يلقى على قلوبهم النوم والغفلة وعلى اذانهم الثقل وزيف بان المراد لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه
وبان قوله وان يروا كل اية اى كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبه الثانى ان المكلف الذى علم الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت
على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة ليستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع انها فى نفسها ليست
بمعالجة بما نفع من الايمان الثالث يقال انه جبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التى
تصلح ان تفعل بالمهتدى وفوض امورهم الى انفسهم لم يبعد ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم وفى اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب وعورضت هذه الادلة بالعلم والداعى وذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف
علمه محال وانه سبحانه هو الذى خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الايمان فهو المعنى بالكنان وتحقيق المسئلة تقدم
فى اول سورة البقرة فى قوله ختم الله على قلوبهم والافراد فى يستمع والجمع فى قلوبهم اعتبار اللفظ مرة وللمعنى اخرى
حتى اذا جاؤك حتى المبتداء التى يقع بعدها الجمل كقوله **شعر** حتى ماء دجلة اشكل والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء اعنى
قوله اذا جاؤك يقول ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز ان يكون جارة اى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال يجالة
ويقول تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الايات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدال بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل
السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا فى وصف ومنه سطر الكتاب وسطر من نخل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير
وقال الزجاج واحد الاساطير اسطورة كاحاديث واحدوثة وقال ابو زيد لا واحد له كعبادية قال ابن عباس معناه
احاديث الاولين التى كانوا يسطرونها اى يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى ان الاغلب هو ان
لا يكون فيها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القدح فى كون
القران معجزا كان تلك الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب ان هذا مقرون بالتحدى وقد عجزوا عن
اخرهم دون ذلك فظهر الفرق ثم اكد طعنهم فى القران بقوله وهم ينهون عنه قال محمد بن الحنفية وابن عباس فى رواية السدى و
الضحاك اى عن القران وتدبره والاستماع له وينأون عنه والنأى البعد نايته ونايت عنه ونأى الرجل اذا بعد لغة فى ناى وحملوه
على القلب لان المصدر يجى الا على النأى وقيل الضمير للرسول والمراد النهى عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا بين قبيحين النأى و
النهى ضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس نزلت فى ابى طالب كان ينهى المشركين ان يوذوا رسول الله ويتباعد عما جاء
به وروى ان قريشا اجتمعوا الى ابى طالب يريدون سوءا بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال ابو طالب **شعر** والله لن يصلوا
اليك بجمعهم حتى اوسد بالتراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا وعرضت دينا
لا محالة انه من خير اديان البرية دينا ودعوتنى وزعمت انك ناصحى ولقد صدقت وكنت ثم امينا لولا الملامة
او حذار مسبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا وضعف هذه الرواية بان قوله وان يهلكون الا انفسهم يعنى بما تقدم ذكره ولكن
النهى عن اذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن ان يجاب بان الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهى مع النأى كقوله
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولو سلم فلم لا يجوز ان يرجع الذم الى القسم الاخير ثم بين انه كيف يعود الضرر اليهم فقال
ولو ترى اذ وقفوا على النار جواب لو محذوف اى لرايت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به ولما فى الحذف من تفخيم الشان

وهو ذهاب كل مذهب كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى انواع المكاره من الضرب
والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لاضربنك ولمثل هذا من ارادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي اي وقفوا على ان يدخلوا
النار وهم يعاينوها او وقفوا عليها وهي تحتهم او هو من قولهم وقفت على المسئلة الفلانية وقوفا اي عرفوا حقيقتها تعريفا
او المراد انهم في جوف النار غائصين فيها فيكون على بمعنى في وجاز لان النار دركات بعضها تحت بعض فلا يخلو من معنى
الاستعلاء يا ليتنا نرد هو داخل في حكم التمني اما قوله ولا نكذب ونكون فمن قرء بالنصب فيهما فباضمار ان على جواب التمني
والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكون من المومنين ومن قرء بالرفع فيهما فوجهان احدهما ان التمني تم عند قوله نرد ثم
ابتدأوا ولا نكذب ونكون من المومنين كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المومنين سواء حصل الرد او لم يحصل وشبهه
سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني وثانيهما ان يكونا معطوفين على نرد او حالين على
معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المومنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان المتمني لا يكون
كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون واجيب بان هذا تمن قد تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كقول القائل
ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا متمن في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه لكذب لانه قال ان
رزقني الله مالا احسنت اليك واما قراءة ابن عامر ان رددنا غير مكذبين نكون من المومنين ثم رد الله تعالى عليهم بانهم ما تمنوا
العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذي
شاهدوه وعاينوه فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين
في بعض مواقف القيمة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر
فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقايدهم واعمالهم وسوء عاقبتها وذلك ان كفرهم ما كان
ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيمة وقال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الرؤساء منهم من امر البعث والنشور بدليل قوله تعالى
بعد ذلك وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا قول الحسن وقيل انها في المنافقين كانوا يسرون الكفر
فيظهر نفاقهم على رؤس الاشهاد يوم القيمة وقيل هو في اهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم والاولى حمل الاية على الكل لانه يوم تبلى السرائر فلاجرم تظهر الفضايح والقبايح وتنكشف الاسرار وتهتك الاستار
اللهم عفا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قيل كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى حينئذ
بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير لا يبقى المعرفة
ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة في غيهم وتماديهم واصرارهم
على الكفر واذا فرض عودهم الى حالة التكليف زال التعجب كما هو الان فاذن لا تنحل العقدة الا بان يقال المراد توكيد جريان
القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم سالوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم يتجه ذلك فيهم
وانهم لكاذبون فيما وعدوا في ضمن التمني او في كل شيء في جميع المتكلم الى ما لنا حيوة الا هذه الحيوة التي هي اقرب
الينا وما نحن بمبعوثين بعدها وقيل ان تقدير الاية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولانكروا البعث وله قالوا ان هي
الا حيوتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيمة فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم تمسك بعض المشبهة
بهذا على انه تعالى يحضر تارة ويغيب اخرى ورد بان استعلاء شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تاويل الاية
انه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب او المضاف محذوف اي على جزاء ربهم او وعده
او اخبار بثواب المومنين وعقاب الكافرين او هو من قولك وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسائل ان يقول ماذا قال لهم
ربهم اذ وقفوا عليه فاجيب قال اليس هذا الذي عاينتم من حديث البعث والجزاء بالحق الذي جحدتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل
على ان حالهم في الانكار سيؤل الى الاقرار ثم كانه سئل ماذا قيل لهم بعد الاقرار واجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى هذا
العالم الجسماني الكثيف واعطي الالات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي تعظم منافعها بعد الموت
فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي
اجله فقد ضاع راس المال ولا ربح وذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي ببلوغ الاخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك
بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هناك الا الله بخلاف الدنيا فانه قد يظن ان للانسان تصرفا واختيارا وملكا وملكا وحمل اللقاء
على الرؤية ايضا غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ولم يزل بهم التكذيب

الى حشرهم وقت مجيء الساعة بل وقت موتهم فان امارات الساعة والشقاوة تلوح على صفحات احوال المكلف من وقت
الموت ولهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيمة الساعة لسرعة الحساب فيه
فكانه قيل ما هو الا ساعة الحساب او لانها تفجأ الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي فجاءة وانتصابها
على الحال اي باغتة من بغته اذا فاجأه او على المصدر العام اي بغتتهم الساعة بغتة او الخاص لان البغت نوع من المجيء
قالوا عامل اذا يا حسرتنا مثل يا ويلتي وقد مر في المائدة اي احضري فهذا وقتك على ما فرطنا اصله يدل على الترك والهمزة
في الافراط لازالة ذلك وقولهم فرط القوم اي سبقهم الى الماء معناه تركتهم من ورائي حتى حصل التقدم اما الضمير
في فيها قال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الاية بدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن اي
في الساعة على معنى قصرنا في شانها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى
الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران وقيل الضمير في فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم
بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم مواجب الثواب ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم هي الاثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لانه يحمل ثقل صاحبه والوزر الملجأ لانه
يلتجأ عنه ما اصابه فكانه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت
ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي وقال الزجاج الثقل قد يذكر في الحال والصفة
ثقل عن الخطاب فلان اي كرهه والمعنى انهم يقاسون عقاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك شخصك
نصب عيني اي ذكرك لازم لي وقال جمع من المفسرين ان المومن اذا خرج من قبره استقبله شيء هو احسن الاشياء صورة واطيبها
ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي
ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو اقبح الاشياء صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا
فانا اركبك اليوم قاله قتادة والسدي الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم ثم رغب في الحيوة الباقية وزهد في
الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس يريد حيوة اهل الشرك والنفاق لان حيوة المومن
يحصل فيها اعمال صالحة فلا يكون لعبا ولهوا وقال اخرون هو عام في حيوة المومن والكافر وذلك ان مدة اللهو و
اللعب وكل شيء يلهيك ويشغلك مما لا اصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الحيوة كذلك وايضا
اللعب واللهو لا بد ان يتناهيا في اكثر الامر الى شيء من المكاره ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون
والحكماء المتالهون وللدار الاخرة قال ابن عباس هي الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي وقال الاصم التمسك
بعمل الاخرة خير وقال اخرون نعيم الاخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دائمة باقية مصونة عن شوائب الافات
والمخافات امنة من نقص الانقضاء والانقراض للذين يتقون فيه ان هذه الخيرية انما تحصل لمن اتقى الكفر والمعاصي فاما الكافر
والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر افلا تعقلون قال الواحدي
من قرء بتاء الخطاب فالمعنى قل لهم افلا تعقلون ايها المخاطبون ومن قرء بالياء فمعناه افلا يعقل الذين يتقون ان الدار
الاخرة خير لهم من هذه الدار وذلك ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما
كان امر تلك الحيوانات فيها اكمل فالجمل اكثر اكلا والديك والعصفور اكثر وقاعا والذئب والنمر والحيات اقوى
غضبا وقهرا وكل من وقف عمره على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء قدر و
كل من صرف عمره في تحصيل الكمالات الدائمات والسعادات الباقيات كان له في العيون مهابة وفي القلوب
قبول وذلك دليل على شهادة الفطرة الاصلية بخساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب
ان النوعين تشاركا في الفضل والمنقبة اليس المعلوم افضل من المظنون وان خيرات الاخرة معلومة قطعا والوصول
الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكرة وصار تحت التراب عشية وكم من متمول اصبح اميرا
كبيرا ثم امسى فقيرا حقيرا وهب انه وجد بعد هذا اليوم يوما اخر فلن يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع
فقلما تخلص من شوائب المكاره والافات كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق
قيل وما هو يا رسول الله قال سرور يوم بتمامه وهب ان الدست له قد تم اليس مال كل الى الزوال والانقراض وكفى بذلك
نقصا وكدرا كما قال شعر كمال الغم عندي في سرور ÷ تيقن عنه صاحبه انتقالا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قد نعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة فيه كما مر في قوله قد نرى تقلب وجهك والهاء في انه ضمير الشان وكسرت بعد العلم

لمكان لام الابتداء في ليحزنك وماذلك المحزن قال الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل هو تصريحهم بانهم لا يؤمنون
ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي وثعلب اكذبه وكذبه بمعنى وقيل اكذبت
الرجل القيته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبته اذا اخبرت انه جاء بالكذب ورواه وكذبته
اذا اخبرت انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى كذبته ان الذي اتى به كذب في نفسه من غير
ادعاء ان ذلك القائل تكلف ذلك الكذب واتى به على سبيل الافتعال والقصد فمن قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم
كانوا يعتقدون ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل يخيل صحة ذلك فانه تمنى
الا ان تخيله باطل ثم ان ظاهر الاية يقتضي انهم لا يكذبونه ولكنهم يجحدون بايات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه
الاول ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم يكذبونه في العلانية ويجحدون القرآن ونبوته ويؤكده رواية
السدي ان الاخنس بن شريق وابا جهل بن هشام التقيا فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق
هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط ولكن
ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لساير قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا الصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت
وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل كان يكذب بالنبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته
قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا فاذن هذه الاية نظير قوله تعالى في قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا الثاني في تاويل الاية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل وما وجدوا منك
كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون بعد انك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا
ان محمدا عرض له نوع خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل انه رسول لا انه كذب في نفسه او لانهم زعموا انه امين في كل
الامور الا في هذا الواحد الثالث انه لما ظهرت المعجزة على يده ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال له ان القوم
ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومثله قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكانه قيل له لا تحزن لنفسك وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك
بجحود ايات الله والاستهانة بكتابه الرابع قيل في التفسير الكبير اي لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجزة
على الصدق مطلقا ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالظلم
في جحودهم لان من وضع التكذيب مقام التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على اذية القوم فقال ولقد كذبت رسل واي
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا فانت اولى بهذه السيرة فلانك مبعوث الى كافة الخلايق
فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده في نحو قوله لاغلبن انا ورسلي وقوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبا المرسلين قال الاخفش من زايدة والاصح انها للتبعيض لقلة
مجي زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
فالتقدير ولقد جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل وان كان كبر
اي شق عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القرآن فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية
فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن للعلم به والنفق سرب في الارض له مخلص الى مكان ومنه اشتقاق
المنافق والسلم واحد السلاليم التي يرتقى عليها فاصله من السلامة كانه يسلمك الى مصعدك والمراد بيان حرصه على اسلام
قومه وانه لو استطاع ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها وبكل ما اقترحوه رجاء ايمانهم ويجوز
ان يكون ابتغاء النفق والسلم هو الاية كانه قيل لو استطعت ذلك لفعلت لعل ذلك يكون لك اية يؤمنون عندها
ثم قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل على انه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة
المراد مشية الالجاء المنافي للتكليف والالجاء هو ان يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون
الى الايمان مثاله ان يحصل شخص بحضرة السلطان وهناك خدمه وحشمه فيعلم انه لو هم بقتل ذلك السلطان لقتلوه في
الحال فيصير هذا العلم مانعا له من القتل وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا اما قوله فلا تكونن من الجاهلين اي من الذين يرومون
خلاف مامور الله فهذا النهي لا يقتضي اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ وتاكيد الامتناع من الجزع والاضطراب
والحزن والاسف على ايمان من لم يشاء الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون

يعني ان الذين تحرص على قبول ايمانهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل
لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد انه تعالى هو الذي يقدر على احياء قلوب هولاء الكفار بحيوة الايمان
وانت لا تقدر على ذلك او المعنى ان هولاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ وامّا قبل ذلك فلا سبيل
الى الاجتماع معهم واما وجه تشبيه الكفرة بالموتى فلان حيوة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما ان حيوة الجسد بالروح ثم
ذكر نوعا اخرى للطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو انه ما جاء باية قاهرة ومعجزة باهرة فكانهم طعنوا في
كون القران معجزا على سبيل العناد او قياسا على ساير الكتب السماوية او طلبوا معجزات تقرب الى حد الالجاء كنتق الجبل
وفلق البحر او معجزات نبيّنا صلى الله عليه وسلم من تسبيح الحصاء وانشقاق القمر ليست باقل منهما او اقترحوا من الايات
بطريق التعنت واللجاج او المراد قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم الله تعالى بقوله
قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فاعله ليست لاجل العجز بل محض المشية عند اهل السنة او على وفق
المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس ومطالبهم او انه لما ظهرت المعجزة الباهرة والدلالة الكافية من القران
وغيره لم يبق لهم عذر ولا علة فلو اجابهم الله في مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم جرا وذلك يفضي
الى ان لا يستقر الدليل ولا يتم الحجة وهذا خلاف المقصود او لا يعلمون ان لو اعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستيصال
او لا يعلمون انهم لا يطلبونها الا على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد علم الله ذلك فلم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب
الحق لاعطى مطلوبهم على اكمل الوجوه **التاويل** ومنهم من يستمع اليك اختبارا وجعلنا على قلوبهم من شؤم
انكارهم حجبا من عين الانكار وفي اذانهم وقرا من فساد الاستعداد الفطري وان يروا كل اية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها
من عمى القلوب واعوان نور الايمان فيها فهم ينهون الطلاب عن الحق وان يهلكون بتنفير الخلق عن الحق الا انفسهم لان
التباعد عن اهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقي ولو ترى اذ وقفوا على النار اذ ارواح الاشقياء بعد
الخلاص عن حبس الطبيعة عرفوا الم القطيعة فقالوا يا ليتنا نرد الى عالم الصورة بلباس البشرية ولو ردوا الى عالم الصورة
لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى ويفسدون استعدادهم مرة اخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب
لا لاجل التصديق ولهذا نسوا ما شاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف وقولهم بلى في جواب خطاب الست بربكم
اذ وقفوا على ربهم عرفوا ربوبية ربهم ولو عرفوها في الدنيا لم يذوقوا عذاب البعد في العقبى حتى اذا جاءتهم الساعة
بغتة هي الساعة التي يجذب البعد فيها عن اوصاف البشرية بجذبات المحبة فجاءة وهي قيامة اخرى لان فيها تبدل ارض
البشرية غير الارض واشرقت الارض بنور ربها فينظر المحب الصادق بالنور الساطع الى ايام ضاعت عنه في طلب غير الحق
فيتاسف عليها ويقول يا حسرتا على ما فرطنا فيها احسن صيد الطيبات فاتكا الشرب وما زودت غير الخسران وهم يحملون اثقال
التعلقات الزايدة على ظهور وجودهم فان الوجود على السالك ثقل مانع عن السلوك فكيف ما زيد عليه الا لعب ولهو كلعب
الصبيان ولهو اهل العصيان وللدار الاخرة هي السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما سوى
للذين يتقون غير الله افلا تعقلون ان الانسان خلق لهذا الشان لا لغيره واصطنعتك لنفسي قد نعلم انه ليحزنك
من ضيق نطاق البشرية اثر في حبيب الله مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات الله التي قدرها ودبرها من الازل الى الابد
بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم في عالم الارواح عند رشاش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في
جعل البعض مظاهر اللطف والبعض مظاهر القهر والنهي في حقه صلى الله عليه وسلم هو نهي الامتناع عن الكينونة اي خلوتك في
الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن قل ان الله قادر على ان ينزل اية في كل لحظة و
لحظة ولكن اكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على الصانع وكاين من اية
في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ففي كل شيء له اية تدل على انه واحد ٥

وما من دآبّة في الأرض ولا طآئر يطير بجناحيه الا أمم
امثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربّهم يحشرون

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله
يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ● قل أرأيتكم إن أتيكم
عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين
بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون
ما تشركون ● ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم
بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ● فلولا إذ جاءهم بأسنا
تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون ● فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء
حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ●
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ● قل أرأيتم
إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله
غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ●
قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا
القوم الظالمون ● وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن
آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● والذين كذبوا
بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ● قل لا أقول لكم
عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن
أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ●

القراءة ارايتكم وبابه بتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف ارايتكم وبابه بغير همز علي الباقون ارايتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد يزيد وابن عامر به انظر بضم الهاء روى الاصفهاني عن ورش **الوقوف** امثالكم يحشرون في الظلمات يضلله لابتداء شرط آخر مستقيم تدعون لان جواب ان منتظر محذوف تقديره ان كنتم صادقين فاجيبوا مع اتحاد

الكلام

الكلام صادقين يشركون يتضرعون يعملون كل شيء مبلسون يتفكرون **التفسير** لما بين ان انزال سائر المعجزات لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك اكده بما يؤذن ان آثار فضله واحسانه ولطفه وامتنانه واصلة الى جميع الحيوانات فلو كانت مصلحة المكلفين في اظهار تلك المعجزات القاهرة الملجئة لم يبخل بذلك البتة وفيه ايضا مزيد تقرير لامر البعث و انه حاصل لجميع الحيوان فضلا عن الانسان فان الحيوان اما ان يكون بحيث يدب او يكون بحيث يطير وانما خص من الدواب ما في الارض بالذكر دون ما في السماء او في الماء رعاية مصالح الادون يستلزم رعاية مصالح الاشرف ويمكن ان يقال ان الماء ايضا من جملة الارض لانهما جميعا كرة واحدة قال علماء المعاني انما وصف الدابة بكونها في الارض والطير بانه يطير بجناحيه ليعلم انهما باقيان على عمومهما اذ بينهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل ان يقدر فيهما صفة نحو يرتع ونصيد فيتخصصا ولاتهم ان المراد بهما غير الجنسين المتعارفين لقوله بعد الا امم امثالكم وقد يقول الرجل لعبده طر في حاجتي والمراد الاسراع قال الحماسي **شعر** طاروا اليه زرافات ووحدانا وقيل ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذو الاجنحة فان المراد من هواد ونحالا وقيل ان الوصف للتاكيد كقولهم نعجة انثى وكما يقال مشيت اليه برجلي وانما جمع الامم مع انه افرد الدابة والطائر لان النكرة المستغرقة في معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم امة وفي الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها واما وجه المماثلة بين البشر والا الدابة والطائر فنقل الواحدي عن ابن عباس انه قال يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده كل قد علم صلوته وتسبيحه وعن ابي الدرداء ابهمت عقول البهائم الا عن معرفة الاله وطلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة كونها جماعات وكونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضا ويانس بعضها ببعض ويتوالد بعضها من بعض وضعف بان هذا امر معلوم مشاهد لا فائدة في الاخبار عنه وقيل هو انه دبرها وخلقها وتكفل رزقها واحصى احوالها وما يجري عليها يجري من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة ودليله عقيبه قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل انها تحشر يوم القيمة ويوصل اليها حقوقها وقد جاء في الحديث يقتص للجماء من القرناء ولكن قوله بعد ذلك ثم الى ربهم يحشرون يصير كالمكرر وعن سفين بن عيينة ما في الارض آدمي الا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم اقدام الاسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعال الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير لو القي اليه الطعام الطيب تركه واذا قام رجيعه لعب فيه وكذلك تجد من الادميين من يسمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة منها وان اخطأت مرة واحدة حفظه ولم يجلس مجلسا الا رواه فيه واعلم يا اخي انك تعاشر البهائم والسباع فبالغ في الحذر و الاحتراز وذهب اهل التناسخ الى ان الارواح البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موصوفة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى ابدان الملوك وربما قالوا انها تتصل الى مخالطة عالم الملكية وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت اكثر شقوة فانها تنتقل الى ابدان حيوان اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من جنسها لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهدوا بقصة النمل وحديث الهدهد ونحو ذلك وفي تعداد مذاهب ارباب التناسخ طول والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ما فرطنا في الكتاب من شيء من مزيدة للاستغراق اي ما تركنا وما اغفلنا شيئا قط وقيل التبعيض اي ما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع احوال العالم على التفصيل وقيل القرآن لانه هو الذي يسبق اليه الاذهان فيما بين اهل الايمان واورد عليه انه ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم في علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل الا فيما يجب ان يفعل والمحتاج اليه انما هو الاصول والقوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا تتناهى وما علم الا وفي القرآن اصله ومنه شرفه وفضله كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا للطب وكقوله وهو اسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين للاخلاق واما تفاصيل علم الفروع فذكر العلماء ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا وقيل ان القرآن واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من دليل منفصل وكل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة او التضمن والالتزام لم يكن ذلك تكليفا او يكون باقيا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم اما قوله ثم الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان الاول قول الاشاعرة انه تعالى يحشر الدواب لا لان ايصال العوض اليها واجب بل لمجرد المشية والارادة ومقتضى الالهية الثاني

قول المعتزلة ان يحشر الطيور والبهايم لايصال الاعواض اليها لان ايصال الالام اليها من غير سبق جناية لايحسن الا للعوض
وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الالم وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا
فانه يجب على الله تعالى حشره في الاخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لايكون كذلك فانه لايجب حشره عقلا الا ان السمع ورد
بحشر الكل فيقطع بذلك فرع اخر كل حيوان اذن الله في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي اذن في قتله لكونه موذيا او المه
بمرض او سخره للانسان لاجل حمل الاثقال واما اذا ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح
الماكول لغير ماكلة فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان لغير ماكلة والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت
في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت انه لاسبيل الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت
آخر مذهب القاضي واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك تصيرترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
وقال ابو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لايمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب الالم وذلك
الالم يوجب عوضا اخر وهلم جرا الى ما لانهاية له واجيب بالمنع بان الاماتة لايمكن تحصيلها الا بالايلام اخذ البهيمة اذا
استحقت عوضا على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانه يوصل ذلك العوض الى
المظلومة والا فانه تعالى يتكفل بذلك العوض وهذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام وهو سبحانه اعلم ولما
ذكر من خلايقه واثار قدرته ما ينادي على عظمته ويشهد لربوبيته وينبه على رحمته الكاملة وعنايته الشاملة
قال والذين كذبوا باياتنا صم لايسمعون كلام المنبه وبكم لاينطقون بالحق خابطون في الظلمات ظلمة الكفر وظلمة
الشكوك وظلمة الحيرة والضلال ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيته وارادته وتيسيره وتدبيره
فقال من يشا الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم والجبايي اول الاية بان المراد انهم كذلك في الاخرة
كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وانهم شبهوا بمن حاله كذا وهو محمول على الشتم والاهانة
واما قوله من يشا الله يضلله اي عن طريق الجنة ولايشاء الاضلال الالمن يستحق عقوبته كما انه لايشاء الهدى الا
للمؤمنين او المراد بالاضلال منع الالطاف لانهم ليسوا من اهلها وبالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية الجهالة الكفار
وانهم مع جحودهم يفزعون الى الله في البليات وقال قل ارايتكم هو منقول من رايت بمعنى ابصرت او عرفت كانه قيل
ابصرته وشاهدته بحالته العجيبة او اعرفتها اخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء فهذا من باب
ايقاع السبب على المسبب لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة او العرفان اما اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف الخطاب
فالتاء يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتانيث وتختلف هذه المعاني على الكاف نحو ارايتك ارايتكما ارايتكم ارايتكن
والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف الخطاب وليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولاجار واما مرفوعة
وليست الكاف من ضماير المرفوع والتاء في جميع ذلك مفتوحة ولارافع ايضا لان التاء فاعل ولايكون لفعل فاعلان
واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها ان هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف
مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض ارايت نفسك
بل ارايت غيرك ولذلك قلت ارايتك زيدا وزيد غير مخاطب ولا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على انه مفعول
لظهرت علامة النصب للتثنية والجمع والتانيث في التاء نحو ارايتماكما وارايتموكم وارايتموكن وقد ذهب الفراء الى انه
اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز تصريف التاء فاما مفعولا ارايت في الاية فقيل هما محذوفان تقديره
ارايتكم عبادتكم الاصنام هل تنفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله اغير الله تدعون وقيل لايحتاج ههنا الى المفعول
لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول واما جواب الشرط فما دل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تقديره ان اتتكم
الساعة دعوتم الله وحاصل الاية قل يا محمد لهولاء الكفار ارايتكم ان اتاكم العذاب في الدنيا او عند قيام الساعة المخصوص
الهكم بالدعوة ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعون الى كشفه
ان شاء لان قوارع الساعة لايكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم باقيا على اطلاقه لكن في الدنيا
ولو علقت المشية بكشف العذاب في الدنيا كان قوله ادعوني استجب لكم ايضا مقيدا بالمشية وتنسون ما تشركون قال
ابن عباس تتركون الاصنام ولاتدعونهم لعلمكم انها لاتضر ولاتنفع ويجوز ان يراد لايذكرون الاصنام في ذلك الوقت
لان اذهانهم معمورة بذكر الله وحده والمقصود من الاية تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدايد
الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون عبادتها وفيه ان مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض التقليد ثم سلى النبي

بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا و
اصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله في الشدايد ويحتمل ان يقال ان حكم الطايفتين
واحد لان التضرع والالتجاء الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفي الاية محذوف تقديره
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذناهم بالباساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والباساء و
الضراء البوس والضراء والباساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والرزايا لعلهم يتضرعون يتذللون
ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد وضرع الرجل ضراعة فهو ضارع اي ذليل ضعيف احتج الجبايي بالاية على انه تعالى
انما ارسل الرسل وسلط الباساء والضراء عليهم ارادة ان يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل واجيب
بان الترجي في حقه محال فانه محمول على الارادة ونحن نحمله على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي فما الترجيح على ان
الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يعرضونه لابد ان ينتهي الى خلق الله وتكوينه اما قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا
فمعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك
التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين انه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر بنقلهم من الباساء والضراء الى الراحة
والرخاء ففتح ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعله الاب المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاينه
تارة اخرى ومعنى كل شيء اي كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم
يزيدوا الا بطرا واشرا اخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله
تعالى يعطي العاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما اخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون اشد
لتحسرهم على ما فات من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون ايسون من كل خير قال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه ولذا
الذي انقطع رجاؤه سكت عند انقطاع حجته فقد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذا هنا للمفاجاة
وهي ظرف مكان وهم مبتدا ومبلسون خبره وهو العامل في اذا فقطع دابر القوم الدابر التابع للشيء من خلفه كالولد للوالد
دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان اخرهم ابو عبيدة دابر القوم اخرهم الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع
الله دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على ان لم يترك منهم احدا واستاصلهم لان ذلك يجري مجرى
النعمة على اولئك الرسل وعلى اولئك الهالكين كيلا يزيدوا كفرا وعنادا فيزدادوا عذابا وعقابا او حمد على ما انعم
عليهم قبل ذلك وهو ان كلفهم وازال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبياء والرسل واخذهم بالباساء والضراء ثم نقلهم الى
الالاء والنعماء الا انهم لم يزدادوا الا انهماكا في الغي والضلال فطهر وجه الارض عن شرهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله
عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة الاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله
فقال قل ارايتم ان اخذ الله وتقريره ذلك ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عددنا منافعها في اول الكتاب
ولاريب ان القادر على تحصيل قواها فيه وصونها عن الافات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع والبصر تعطيل
منافعها ومعنى الختم على القلب حتى يصير كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع او الاماتة حتى لايعقل الهدى والصلاح ياتيكم به اي
بذلك الذي اخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكر بحكم الاستعمال يلزم ان يكون
لذي عقل ولو فرضا والاحسن ان يقال انه ذكر اشياء متعددة فوجب ان يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير
مؤنثا علم انه اراد المذكور مطلقا فتعين ان يشار اليه بذلك ثم انه اقام الضمير المذكر مقامه او يعود الى ما اخذ وختم عليه
وضع من غير التكليف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نصرف الايات نوردها على الوجوه المختلفة
المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوي ما قبله في الايصال الى المطلوب ومعنى ثم التفاوت بين الحالين ويصدفون اي
يعرضون ويقال امراة صدوف التي تعرض وجهها عليك ثم تصدف اي تعرض والصدف ميل في الحافر الى الشق الوحشي وصدف
الدرة غشاؤها الميل فيه قال الكعبي لو خلق الله فيهم الاعراض والصدف لم يكن ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لو لا منع الله تعالى لنجع
فيهم الدلايل القاطعة للاعذار ثم عمم الدليل بقوله قل ارايتكم ان اتاكم والمعنى انه لادافع لنوع من انواع العذاب الا الله
سبحانه فوجب ان لايكون معبودا الا هو ثم العذاب المفروض اما ان يجيء من غير سبق امارة تدل على ذلك وهو البغتة
واكثر ما يكون ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجهرة واكثره بالنهار ولهذا قال الحسن معناه ليلا او نهارا اما قوله هل يهلك
الا القوم الظالمون اي لايهلك مع قوله واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه ان الهلاك بالحقيقة وهو
هلاك التعذيب والسخط مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستفيدون بذلك ثوابا

جزاء هو لهم بلاء في الظاهر والاء بالحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والاخرة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان امر المؤمن خير كله ان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا ارايتكم مرتين فزاد خطابا واحدا لان عذاب الاستيصال لما عليه من مزيد فناسب زيادة الخطاب لاجل التاكيد وفيما بينهما قال ارايتم حيث لم يكن كذلك في يونس ثم ذكر ان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم على اظهار الايات وانزال المعجزات التي اقترحوها في قوله وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه وان ذلك يفوض الى مشية الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين بالثواب على الطاعات ومنذرين العقاب على المعاصي فمن قبل قولهم واتى بالايمان الذي هو من افعال القلب والعمل الصالح الذي هو من افعال البدن فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال في الكشاف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الالام وفيه نظر لان المس ليس من خواص الاحياء نعم انه من خواص الاجسام فلو ادعينا المبالغة من هذا الوجه لم يكن بعيدا قال القاضي انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا واقول هذا من باب ايهام العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينفي عن نفسه امورا ثلثة فقال قل لا اقول لكم عندي خزاين الله وهي جمع خزانة المكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي ولا اعلم الغيب قال في الكشاف محله النصب عطفا على محل قوله عندي خزاين الله لانه من جملة المقول اي لا اقول لكم ذلك ولا هذا قلت ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اي قل لا اعلم الغيب فيكون نفيه دلالة على ان الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزاين الله عنده وكونه ملكا فان النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون له هذان المقامان ولكن لا يظهرهما واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود والنصارى في المسيح عليه السلام وقيل المقصود ابداء العجز والضعف وانه لا يستقل بايجاد المعجزة التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل اي لا ادعي سوى النبوة والرسالة ولا ادعي الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف سورة هود حيث قال ولا اقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائي في الاية دلالة على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالاقرب ان ذلك يدل على ان الملك افضل وان كان المراد نفي قدرة عن افعال لا يقوى عليها الا الملائكة لم يدل على افضلية الملك ان اتبع الا ما يوحى الي قيل هذا النص يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يحكم من تلقاء نفسه وبالاجتهاد في شيء من الاحكام ولا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بالوحي النازل عليه لقوله فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس واكد هذا الحكم بقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير وذلك ان العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال افلا تتفكرون تنبيها على انه يجب على العاقل ان يعرف الفرق بين البابين واجيب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلال والاعمى مثل للضال والمهتدي على ما ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين كالعميان او فتعلموا ان ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر

التاويل

وما من دابة تدب في ارض البشرية تتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا امم امثالكم في السؤال عن احوالهم وافعالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ما فرطنا ما تركنا في القران من شيء يحتاج اليه الانسان ظاهره وباطنه ذاته وصفاته في السير الى الله من الاوامر والنواهي والندب والاداب ثم الى ربهم يحشرون ههنا بالسير وجذبات العناية او هناك بالسلاسل والاغلال يسحبون في نار الطبيعة على وجوههم لان من شانهم التكذيب كما قال والذين كذبوا باياتنا بدلايلنا الموصلة الينا صم اذان قلوبهم عن استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوة الحق في ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعه الى ربه مركوز في روحانيته ولقد ارسلنا الى امم اي ارسلنا اليهم نعمة الصحة والكفاف والامن فشغلوا بها عنا فارسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة فدعوناهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالباساء والضراء التي هي موجبة للالتجاء فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وعلموا ان حقائق الطافنا مندرجة في دقائق صور قهرنا وتحققوا ان درر محبتنا مستودعة في اصداف شدايد باسنا فاستقبلوا بصدق الالتجاء وحسن التضرع في الدعاء فلما نسوا بسبب القساوة ما ذكروا به من معارضة الباساء والضراء فانها تذكر ايام الرخاء وتفرق قدر الصحة والنعماء ويؤدي الى رؤية المنعم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من البلاء في صورة النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وامثالها ولارباب الباطن بالنعمة الباطنة من فتوحات الغيب واشباهها حتى اذا فرحوا بما اوتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتصرفاته

فتزعوا في الطلب على وفق هواهم اخذناهم بغتة بفقد الاحوال والاشتغال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون في تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لاربابه والقهر لاصحابه ليعلم ان الكل بعنده كما قال ارايتم الاية الا القوم الظالمون الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد عبودية المولى في عبادة الهوى فاما من ابتلي بعذاب الله من الافات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء فتاب ورجع فهو غير هالك على الحقيقة قل لا اقول لكم لم يقل ليس عندي خزاين الله ليعلم ان خزاين الله وهي العلم بحقايق الاشياء وماهياتها عنده باراءة سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وباستجابة دعائه في قوله ارنا الاشياء كما هي ولكنه نكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اي لا اقول لكم هذا مع انه كان يخبرهم عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم في قصة ليلة المعراج فقطرت في حلقي قطرة علمت ما كان وما سيكون ولا اقول لكم اني ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبريل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت ان اتبع الا ما يوحى الي ان اخبرهم وقل معهم قل هل يستوي الاعمى والبصير فلا يستوي مع الاعمى كلام البصير فكيف اخبركم عما اعمى الله بصايركم عنه وانا بصير

وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ● ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ● وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ● واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم ● وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين ● قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ● قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ● قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين ● وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم

ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ۝ وهو الذي يتوفكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى
ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ۝

القراءة بالغدوة مضمومة العين ساكن الدال مفتوح الواو وكذلك في الكهف ابن عامر الباقون بفتح العين والدال وبالالف انه بالفتح فانه بالكسر ابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين بياء الغيبة زيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص المفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب ابو جعفر ونافع وزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وابو جعفر ونافع وعاصم الباقون يقضي الحق **الوقوف** يتقون وجهه الظالمين من بيننا الشاكرين الرحمة لمن قرا انه بالكسر رحيم المجرمين من دون الله اهواءكم لتعلق اذا بما قبله اي بوصلت اذا اتبعت المهتدين وكذبتم تستعجلون به لله الفاصلين وبينكم بالظالمين الا هو والبحر مبين مسمى لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تعملون **التفسير** لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال وانذر به قال ابن عباس والزجاج اي بالقران وهو المذكور ضمنا في قوله ان اتبع الا ما يوحى الي وقال الضحاك اي بالله قيل والاول اولى لان الانذار والتخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لان الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا كقوله وانذرهم يوم الازفة فانذرتكم نارا تلظى ولو زعم ان المراد وانذرهم النار او العذاب بواسطة القران ظنا فقدر مثله ههنا والمعنى انذرهم هذا العذاب بقول يبنى عن سخط الله وعقوبته اما الذين يخافون ان يحشروا فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا حديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار فامر ان ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون انهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس كافة لعدم الجزم بالثواب وقبول الطاعة وان كانوا مقرين بصحة الحشر والنشر فالظاهر ان الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد ان يخاف الحشر سواء كان جازما او شاكا فيه وايضا انه مامور بتبليغ فالوجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحى اليه لعلهم يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقيل هم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الى ربهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشرون اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها تكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ولا بد من هذه الحال لان الحشر مطلقا ليس مخوفا وانما الخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا ان لا ناصر ولا شفيع الا الله واذا لم يكن الله ناصرا وشفيعا لزم ان لا يكون ناصر اصلا لعلهم يتقون قال ابن عباس لكي يخافون في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيب بان الترجي راجع الى العباد ولما امر بانذار عموم المكلفين ليتقوا ارد فهم بذكر المتقين وامر بتقريبهم واكرامهم روي عن ابن مسعود ان الملا من قريش مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اتريد ان نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا فاقعدهم ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ولا تطرد الذين الاية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب نزلت فينا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني

انا اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس اي يصلون صلوة الصبح والعصر وقيل اي يذكرون ربهم في طرفي النهار والمراد بالغداة والعشي الدوام والغدو لغة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونها معرفة غير منصرفة نكرة ومحل يريدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما ارادوا بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته كما يقال هذا وجه الراي وذاك وجه الدليل وايضا المحبة تستلزم طلب رؤية الوجه فلهذا السبب حصل الوجه بالكناية عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله ما عليك من حسابهم من شيء قيل الضمير عائد الى المشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى ان تطرد المؤمنين والاولى ان يعود الى الفقراء ليناسب قولهم فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم وقالوا يا محمد لانهم قبلوا دينك ولا زموك لاجل الماكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الامر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حساب رزقهم من شيء ولا من حساب رزقك عليهم من شيء وانما الرازق لك ولهم هو الله سبحانه فدعهم يكونوا عندك اما قوله فتطردهم فهو جواب النفي في ما عليك وفي انتصاب فتكون وجهان احدهما انه جواب النهي وثانيهما انه عطف على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع للشيء في غير موضعه ومن هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي قالوا وكان يقول كلما دخل اولئك الفقراء عليه من بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما افرد لهم مجلسا تالفا لقلوب المشركين وتكثيرا لسواد الاسلام مع علمه بانه لا يفوت الفقراء بهذه المصالحة امر مهم في الدنيا ولا في الدين فغايته ذلك انه يكون من باب ترك الاولى والافضل وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين وهم الكفار يرى الاخر مقدما عليه في المناصب الدينية فيقول اهؤلاء المسترذلون من الله عليهم من بيننا كقوله االقي الذكر عليه من بيننا والفريق الاخر يرى الاول مقدما عليه في الخيرات العاجلة والخصب والسعة والراحة والدعة فيقول اهذا الذي فضله الله علينا واما المحققون فهم الذين يعلمون ان كل ما فعله الله فهو صواب ولا اعتراض عليه بحكم المالكية اذ لا يجب رعاية الاصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع في انسان واحد البتة بل هي موزعة على الخلائق وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما اتاه الله تعالى من صفة الكمال ومن عرف سر القدر رضي بنصيب نفسه وسكت عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والاخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا وقالت الاشاعرة في الاية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لان تلك الفتنة التي القاها تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى خالق الكفر وايضا منة الله عليهم ليست الا بالايمان ومتابعة الرسول ولو كان الموجد للايمان هو العبد كان العبد هو المان على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل امرهم الى ان قالوا فيكون اللام لام العاقبة وزيف بانه عدول عن الظاهر مع انا ننقل الكلام الى الخذلان ولا تزال الى الانتهاء اليه تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يصرف كل ما انعم به عليه فيما اعطاه لاجله فتظهر افعاله على حسب معلوم الله تعالى وقال في الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم وكان اذا راهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفي اتى قوم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة والاسف فما اخاله رد عليهم بشيء فلما ذهبوا وتولوا نزلت الاية وقال في التفسير الكبير الاقرب ان تحمل الاية على عمومها فكل من امن بايات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ثم ابدا اشكالا وهو ان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال في كل واحدة من اي هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني فلت لا استبعاد في ان ينزل السورة دفعة وينزل للصحابة كل اية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقايق التنزيل واعلم بدقايق

التأويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب مزاولة الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى هو ايات وجود الله تعالى فانها
لا تكاد تنحصر فيجب على المكلف ان يكون مدة حيوته كالسابح في لجج البحار والسائح في فلك القفار ليكون دائما مترقيا
في معارجها مترصدا ان تعرض عليه الانوار من مدارجها فيستعد لبشارة سلام عليكم ويتأهل لكرامة كتب ربكم على نفسه
الرحمة فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال
الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما وكلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بان يسلم من الافات في نفسه ودينه
واما ان يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي السلام عليكم اي على حفظكم ولعل هذا الوجه انما يأتي في المعرف لا في المنكر كتب
ربكم من جملة القول لهم تبشيرا بسعة رحمة الله وقبول التوبة ومعنى كتب على نفسه اوجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق تاركه
الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح واستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل كان ظلما وايجاب الرحمة ينافي
القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امره محال وكذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان واجيب بانه فاعل لما
يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرأه بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأه بالكسر فعلى الاستيناف فكان الرحمة استفسرت فقيل
انه من عمل منكم سوء بجهالة وهو في موضع الحال اي عمله وهو جاهل والمراد انه فاعل فعل الجهالة لان من عمل ما يضره في العاقبة
وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير او انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا
يعرف مآل حاله ثم تاب من بعده بان يندم على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور يزيل العقاب عنه رحيم يوصل الثواب
اليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرأ بالفتح فعلى ان الخبر والمبتدأ محذوف اي فغفرانه كائن او فامره انه غفور قيل
ان الاية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم انها مفسدة وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا
على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر نفصل الايات ونميزها لك في التقرير على ما يكره اهل الباطل ولتستبين معطوف
على محذوف كانه قيل ليظهر الحق وليستبين او متعلق بمحذوف اي وليستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل البين من رفع السبيل
قرأ ليستبين بالياء والتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان الامر
وتبين واستبنته وتبينته واستبانة سبيل المجرمين يستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم
الحر ولم يذكر البرد واما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف يشتبه امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم
من يرجى منهم قبول الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يستوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن
جملة ذلك انه نهي عن عبادة معبوديهم وذلك قوله قل اني نهيت اي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية ان اعبد الذين تدعون تعبدون
من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لان عبادة المصنوع والمخلوق محض تقليد وعين الهوى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اي ان اتبعت اهواءكم ضللت
اذ ذاك ونفى الهدى مع ان ما مثل هذا للتقرير والتاكيد وفيه تعريض بهم انهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل
اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود سواه وكذبتم انتم به حيث اشركتم به غيره فقال انا على بينة
من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عنده بدليل وقيل اني على حجة من جهة ربي وهي القران وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير
على تاويل القران او البيان ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به
استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقالت الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع
منه فعل الكفر الا بارادة الله واحتج المعتزلة بقوله يقضي الحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر
ولا المعصية من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يقال ان جميع احكامه حق وصدور ولا اعتراض لاحد عليه بحكم المالكية
وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي القضاء الحق ومفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره
ومثله من قرأ يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي يقول الحق او يتبعه من قص اثره وهو خير الفاصلين
اي القاضين وانما كتب يقض في المصاحف بغير ياء لانها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين وليوافق قراءة يقص
قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر لامر الهلاك بيني وبينكم عاجلا غضبا لربي
والله اعلم بالظالمين فيؤخر عقابهم الى وقته وانا لا اعلم من يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره فان قلت اما يناقض
هذا قوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال الهلاك ينافي الحرص اي احرص على طول حيوته طمعا في
ايمانه قلت لا بل يؤكده لاشتراك كل من الحكمين في الاستعجال اللازم للبشرية في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه
اعلميته بقوله على سبيل الاستعادة وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها اراد انه المتوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال الخازن

ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح او جمع مفتح بضم الميم وهو المخزن قال الحكيم في بيان العلم
بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه بواسطة او بوسائط فعلمه بذاته يوجب
العلم بجميع اثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت او جزئيات وعلمه بذاته لم يحصل الا لذاته فصح ان يقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب اخر كانت مفاتح الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا الحصر ولا يمكن
ان يكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لان المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح
الاول للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة
بمعنى هذه القضية نادر جدا والقران انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية
الكلية امثلة لها ليعين الحس العقل فقال ويعلم ما في البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك
المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن
والنبات والحيوان واما في البحر فاحاطة الحس باحواله اقل مع كثرة ما فيهما من العجائب والغرائب ايضا ثم افرد من هذه المحسوسات
قسما فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي لا يتغير حال ورقة الا والحق يعلمها ثم عدل عن التعجب من كثرة المدركات الى التعجب
من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على امر الحساب لانه
اذا كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية
المجردة بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة
وداخل في حكمها كانه قيل ما يسقط شيء من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا
يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد فالكتاب المبين علم الله او اللوح المحفوظ قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل ثناؤه
اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان يخلق الخلق ليقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات فانه لا يغيب عنه شيء فيكون
في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له ولانه اذا كتب
احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب والجهل فيصير كتبة جملة الاحوال في
ذلك الكتاب سببا تاما في انه يمتنع تقدم ما تاخر وتاخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذي
يتوفيكم اي يتوفى انفسكم التي بها يقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح الحساسة تغور حالة النوم من الظاهر
الى الباطن فيتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا
الموت فصح اطلاق لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه ويعلم ما جرحتم اي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء
والسباع ثم يبعثكم فيه [illegible] بالنهار ليقضى اجل مسمى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها
بالموت [illegible] لما كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث
في القيمة فقال ثم الى ربكم مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع احوالكم واقوالكم واعمالكم [illegible]
لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث في النهار مقدم على الكسب فيه [illegible]
على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم يبعثكم
في النهار الاتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمان ما بين المحيطين بالليل والنهار ولهذا قال صاحب الكشاف عدل عن
التعبير الى ان قال وهو الذي يتوفاكم اي انتم منسدحون بالليل كالجيف والانسداح الانبطاح
او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار وما كسبتم من الاثام فيه ثم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم
من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه
وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب [illegible] عندي ان يقال الخطاب عام وكلنا
[illegible] فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب والبعث هو البعث من القبور
الى اخر ما قال والله اعلم **التأويل** اي يهون الحقايق والمعاني الذي يخافون او يرجون ان يحشروا الى ربهم بجذبات العناية
ويحقق لهم ان ليس لهم في الوصول الى الله ولي من الاولياء ولا شفيع من الانبياء لان الوصول الى الله لا يمكن الا
بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون [illegible] انهم جلساء الحق بالغداة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني [illegible]
مجالستك فانهم يطلبونني في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهه وكلا [illegible]
[illegible] قال المحققون [illegible] يحصل في القلب لسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله تعالى [illegible]

الارادة لايمنا ليلاً ولانهارا ولايجد من دون الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شئ يعني
الذي لنا معك في الحساب من المواصلة والتوحيد في الخلوة فانهم ليسوا في شئ من ذلك ليكون عليك ثقلا وما من حسابك
عليهم من شئ اى الذين لنا معهم في الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم فتطردهم فتكسر
قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم لا لكسر قلوبهم كقوله واخفض جناحك
للمومنين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليشكر الفاضل وليصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب
كليهما نعم العبد مع قدرة سليمان على اسباب الطاعة وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول رؤية فضله
على المفضول او تحقيره ومنع حقه عنه في فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسد على فضله وسخطه عليه في منع
حقه من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله ومنها ان لايرى الفاضل مستحقا للفضل فيقولوا اهولاء من الله عليهم من
بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء اجلهم محل الاكابر والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه
وسلم كن مبتديا بالسلام عليهم وفي الاخرة قال لهم الملئكة ان يسلموا عليهم سلام عليكم طبتم بل يسلم بذاته عليهم سلام قولا
من رب رحيم وذلك ذلك نتيجة سلامتهم من ظلمة الخلقة باصابة رشاش النور في الدنيا الازل فلهذا قال كتب ربكم
على نفسه الرحمة اى الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله واتيناه رحمة من عندنا والرحمة العامة كما في الحديث الرباني
للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي من عمل منكم اى من المومنين سوء بجهالة اى بجهالة الجهولية التي جبل
الانسان عليها لا بجهالة الضلالة التي هي نتيجة لخطا الفوز فان هذه لاتوبة لها ثم تاب من بعده اى رجع الى الله بقدم السير
من بعد افساد استعداد الفطري واصلح الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني نهيت في الازل باصابة
رشاش النور المرشش ما عندي ما تستعجلون به من عبادة الهوى يقضي الامر يعني امر القتال والخصومات ولاستراحت من اذيتكم
لان الشي انما ينفعل عن ضده لاشبهه وعنده مفاتح الغيب يعني العلوم العقلية التي هي سبب فتح باب صور عالم الشهادة
كالنقاش ينشي الصور في ذهنه ثم يصورها في الخارج كانما وجدا لغيب وجميع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين
وهو واحد في جميع الاشيا وفي الملكوت كثرة ويعلم التكوين يعلم ما في البر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب
وبهذا العلم لايسقط من ورقة عن شجرة الوجود الايعلمها لانه مكونها ومسقطها ولاحبة هي حبة الروح في ظلمات صفات
ارض النفس او حبة المحبة في ظلمات ارض القلب ولارطب ولايابس الرطب الموجود في الحال واليابس ما سيصير موجودا
وما قد صار او الرطب الروحانيات واليابس الجمادات او الرطب المومن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل
او الرطب العارف واليابس الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب
الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس بنصيبه وهو الذي يتوفيكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر
او الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهوة في عالم الروحانية والله تعالى اعلم

وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء
احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ۝ ثم ردوا
الى الله موليهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين ۝ قل
من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ۝ قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب ثم انتم تشركون ۝ قل هو القادر على ان يبعث

عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الايات
لعلهم يفقهون ۝ وكذب به قومك وهو الحق قل لست
عليكم بوكيل ۝ لكل نبا مستقر وسوف تعلمون ۝ واذا
رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى
مع القوم الظالمين ۝ وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ
ولكن ذكرى لعلهم يتقون ۝ وذر الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما
كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل
عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ۝ قل اندعوا من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدينا
الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب
يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم
لرب العالمين ۝ وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه
تحشرون ۝ وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم
يقول كن فيكون ۝ قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور
عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير

القراءة نوفيه واستهوته بامالة حمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخيفة بالكسر حيث كان ابو بكر وحماد الباقون بالضم انجانا بامالة حمزة وعلي وخلف انجانا بدون الامالة عاصم الباقون انجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف بعض انظروا واشباه ذلك بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن اهل مكة وابن ذكوان ينسينك بالتشديد ابن عامر الوقوف حفظة لا يفرطون الحق الحاسبين وخفية لاحتمال الاضمار اي يقولون لئن انجيتنا ويتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه اصح الشاكرين تشركون باس بعض يفقهون وهو الحق بوكيل مستقر للابتداء بسوف على التهديد مع شدة الاتصال المعنى يعلمون غيره الظالمين يتقون ولا تشفيع للشرط مع العطف منها كسبوا لانقطاع النظم مع اتصال المعنى والاحتمال ان يكون الذين صفة اولئك وقوله لهم شراب خبرا الهدى ينا الهدى العالمين لان التقدير وامرنا بان اقيموا واتقوه يحشرون بالحق فيكون في الصور والشهادة الخبير التفسير من الدلائل الدالة على كمال القدرة وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال امر فلان اي انه اعلى وانفذ منه ولا ريب ان الممكنات باسرها تحت تصرف الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء علويات كن او سفليات ذوات او صفات نفوسا او ابدانا اخلاطا او اركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده لضبط اعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على اقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى افعاله لقوله يعلمون ما تفعلون واما صفات القلوب كالجهل والعلم وليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله ان يتوب عنها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء ومن فوائد هذه الكتبة ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه يكتبون اعماله في صحايف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان زجرا له عن القبائح ومنها ان توزن تلك الصحايف يوم القيمة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف ان يؤمن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان مع طبايعها المتضادة على امتزاجها وقال بعض القدماء منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات اخرى فالارواح الخيرة لها مبادي من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لان تلك الارواح في تلك الطبائع والاخلاق تامة كلها وهذه الارواح السفلية المتولدة منها اضعف منها لان المعلول في كل باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس الكثيرة المفارقة تميل الى ما يناسبها وما يساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فيحفظها ويعينها حتى اذا جاء احدكم الموت اي وقته او امارته توفته رسلنا اي باذننا وتفويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى لما قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها وهؤلاء الرسل اتباع ملك الموت في قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم ام غيرهم فيه قولان اشهرهما الثاني ليكون ملائكة الروح والريحان وهم الروحانيون غير ملائكة الكرب والاحزان وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من حيث شاء وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى به وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت اولئك الملائكة او الى البشر اي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فاذا ماتوا تخلصوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بان الانسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان الهيكل يبقى ميتا والانسان يرد الى الله تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق فيه زمانا ثم رد الى موضعه وهو عالم الارواح بجذبة ارجعي الى ربك الا له الحكم كقوله ان الحكم الا لله وهو اسرع الحاسبين حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملائكة باذن الله تعالى لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور ذلك بكون الثواب وصدق وذلك انه لا يحصل للانسان لحظة

ولا لمحة ولا حركة ولا سكون الا ويظهر منه في جوهر نفسه اثر من آثار السعادة او ضدها قل او كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائي ههنا لو كان كلامه قديما لوجب ان يكون متكلما بالمحاسبة الآن وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة تقتضي حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيوجد وبعد وجوده صار عالما بانه وجد وهو لا يلزم منه تغير العلم ثم عدد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر مجازا عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الكريه يوم مظلم وذو كواكب كانه اظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات بالحقيقة وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر بما مع ظلمة الماء تضرعا في موضع الحال تضرعا وخفية مفعول لاجلهما او تمييز او مصدر والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدايد ياتي باموره الاول الدعاء الثاني التضرع الثالث الاخلاص بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية الرابع التزام الشكر وهو قوله لئن انجيتنا من هذه الظلمة والشدة لنكونن من الشاكرين فبين الله سبحانه انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا اليه وجب ان يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال والاوقات ثم بين ان ينجيهم من تلك المخاوف ومن ساير موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على الشرك الجلي وهو عبادة الاوثان والخفي وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة اكثر الخلق بذلك اذا شاهدوا الخوف اخلصوا واذا انتقلوا الى الامن والفراغة اشركوا ثم ذكر نوعا آخر من دلائل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد او للجنس فيفيد انه هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر والحجارة مثل ما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل اكابركم وسلاطينكم او من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا جمع شيعة اي يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطكم اي يوقع القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبرئيل ان فناء امتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله او يلبسكم شيعا دلالة على ان الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم باس بعض اشارة الى ان المعاصي وانواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على انه تعالى قادر على القبيح والنزاع في انه هل يفعل ذلك ام لا واجيب بان الآية دلت على ان القدرة على هذه الامور يختص به وهذه الامور واقعة فيكون هو فاعلها بالضرورة انظر كيف نصرف الآيات نقرر الدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به اي بالعذاب المذكور في الآية السابقة قومك يعني قريشا ومن دان دينهم وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم وقيل اي بالقرآن وهو الحق لانه كتاب منزل من عند الله وقيل اي بتصريف الآيات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل اي بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما انا منذر لكل نبأ لكل خبر يخبره الله تعالى مستقر استقرارا او موضع استقرار والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد حصل والمقصود ان لعذاب الله تعالى وقتا او لاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تاخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين ان اولئك المكذبين ان ضموا الى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال واذا رايت ايها السامع الذين يخوضون في آياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللغو والعبث ومن منه قول المفسرين انه في الآية الشروع في آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان كان غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية واجبة نعم كل ما وجب على الرسول صلى الله عليه وسلم فعله وجب عليه سواء ظهر اثر الخوف او لم يظهر واذا لم يبق الاعتماد على التكاليف التي بلغها واما ينسينك الشيطان ان يشغلك بوسوسة حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هي الذكر قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشيء يوجب سقوط التكليف فعدم القدرة على الشيء اولى بان يوجب سقوط التكليف وهذا يدل على ان تكليف ما لا يطاق لا يقع ويدل على ان الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم يحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا

كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه فمنعناهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فنزلت الرخصة ان نقعد واسمعهم وتذكرهم وتفهمهم بقوله وما على الذين يتقون اى الشرك والكبائر والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التي يحاسبون عليها من شيء ولكن ذكرى اى ولكن يذكرونهم تذكيرا ولكن عليهم ان يذكروهم او ولكن الذي تأمرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقول القائل ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك فان الذكرى ليس من حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم وصفهم الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وفيه وجوه اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا او اتخذوا ما هو لعب ولهو يعني عبادة الاوثان وغيرها دينا لهم او المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر والسوائب او المراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا الا المسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرع الله تعالى قاله ابن عباس او هو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثاني وهو قوله وغرتهم الحيوة الدنيا كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حكام الدنيا وذكر به اى بالقرآن او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد اى تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء فعلها واصله المنع فالمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس في جهنم وعن ابن عباس تحبس ليس لها اى للنفس من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل ان تفد كل فداء لان الفادي يعدل المفدى بمثله لا يوخذ منها قال في الكشاف فاعل يوخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما قوله ولا يوخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الاخذ بالقبول كما في قوله ويأخذ الصدقات ارتفع الفرق اولئك المتخذون هم الذين ابسلوا بما كسبوا ثم بين ما بهم صاروا مرتهنين وعليه محبوسين بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام بقوله قل اندعوا من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا اى لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اى انرجع الى الشرك بعد اذ انقذنا الله تعالى منه وهدانا للاسلام فان الردة عود الى الحالة الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا كالذي استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اى انكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه اى سقوطه من الموضع العالي الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء وقيل استفعال من اتباع الهوى حيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد في الامر بحيث لا يهتدي الى مخرجه منه ومنه تحيرت الروضة بالماء اذا امتلأت فتردد فيها الماء له اى لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوي فيكون مصدرا او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا او الدعاء في معنى القول وهذا بناء على ما تزعم العرب وتعتقد من ان الجن والغيلان تستهوي الانسان وتستولي عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمة تابعا للجن غير ملتفت اليهم وقيل ان المراد ان للكافر اصحابا يدعونه الى ذلك الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروي ان الاية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه كان يدعو اباه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الذي يحق ان يسمى هدى وما وراءه غي وضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تاويل ليستقيم العطف فالتقدير فامرنا لنسلم ولان نقيم او امرنا ان اسلموا وان اقيموا قيل والسر في العدول عن الظاهر ان المكلف كالغائب ما لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقرير الاية ان متعلق الامر اما ان يكون من باب الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال الجوارح ورئيس اعمال القلوب الايمان بالله والاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما تظهر في يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر بقوله وهو الذي خلق السموات والارض قائما او ملتبسا بالحق بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وذلك انه اودع في هذه الاجرام قوى وخواص وآثارا تتضمن مصالح الابدان ومناجح نوع الانسان وهكذا خلق يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق والمعنى انه تعالى خلق العالم من الافلاك والطبائع والعناصر والمواليد وخلق يوم القيمة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز ان يكون قوله الحق مبتدأ وخبرا مستأنفا او قوله الحق مبتدأ ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل

يوم الجمعة القتال اى القتال واقع في يوم الجمعة والمراد ان قضاءه في ذلك اليوم حق وصدق خال عن الجور والعيب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود انه لا ملك في ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع والصور باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القرآن ونفخ في الصور فصعق ففزع فاذا نقر في الناقور وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطأه الائمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد فواحده بزيادة هاء فيه كالصوف اما اذا سبق الواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح فاحسن صوركم ومن اسكن فقد اخطأ ومما يدل على ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تعالى لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم انشأناه خلقا آخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة اى هو العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وهو الحكيم المصيب في اقواله وافعاله الخبير النافذ علمه في بواطن الحقائق من غير اشتباه والتباس فان امر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق **التاويل** وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء قهرا او بوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو اراد نفسه الخروج عن قيد مجاهداتها قهرها بسطوات العتاب فردها الى بذل الجهد وان اراد قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة الى توديع البهجة ولو اراد روحه استراحة من الحزوات قهرته بوادي التجلي فردها الى بذل البهجة حتى اذا جاء احدكم الموت يعني الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يقصرون في افناء الاوصاف ثم ردوا الى الله الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب افتراق وفتنة ثم انتم تشركون حتى يتجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما اعظم شاني على انا من فوقكم بسدل حجاب العزة والعظمة بينه وبينكم او من تحت ارجلكم حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا يجعل الخلق فيكم فرقا فمن قابل هم الصديقون ومن قابل هم الزنديقون ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف الآيات المعارف للسائرين الى الله لعلهم يفقهون بشرائط السير ولا يقفون في مقام دون مقام الفناء عن كلية الوجود بالبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لا سالك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبأ مستقر اى لكل سائر وواقف مستقر من درجات القرب او دركات البعد واذا رأيت الذين يخوضون في احوال الرجال ولا حظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره غير تلك الطامات التي هي ديدنهم وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لان همهم في الخرقة والتزيين بزي الطالبين انما هو الدنيا وقبول الخلق ان تبسل نفس اى كراهة ان يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل اندعوا من دون الله انطلب غير الله الذي هو النافع والضار والنفع الحقيقي هو الانقطاع عنه ونرد على اعقابنا الى مقام الانانية التي كنا فيها بعد اذ هدانا الله الى الوحدة بالوصول اليه والظفر الحقيقي كالذي اضلته شياطين الجن والانس في ارض البشرية باتباع الهوى حيران عن اعوانهم وامرنا لنسلم ترك الوجود كالكرة في ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وان اقيموا الصلوة لمحافظة الاسرار عن الاغيار والاتقاء عن غيره لنحشر اليه لا الى الجنة او النار كما قال الا من طلبني وجدني وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اى لاظهار صفاته فيجعل المخلوقات مرآة لجماله وجلاله واذا اراد ان يرى عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن رائيا فيكون ولن يصير رائيا بمجرد سعيه لان قوله في حق الانسان كن رائيا هو الحق وله الملك الاراءة وملك الرؤية يوم ينفخ الاراءة في صور القلب وهو الحكيم فيما اختص الانسان باراءة الآيات الخبير بمن يخصه من بين الناس بالاراءة والله تعالى اعلم ٥

وإذ قال ابرهيم لابيه آزر أتتخذ اصناما آلهة اني اريك وقومك في ضلال مبين ● وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات

والارض وليكون من الموقنين • فلما جن عليه الليل رآى
كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين •
فلما رای القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضآلين • فلما رای الشمس بازغة قال
هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما
تشركون • اني وجهت وجهي للذي فطر السموات و
الارض حنيفا وما انا من المشركين • وحاجه قومه قال
اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به
الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون •
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم
بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن
ان كنتم تعلمون • الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون • وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم
على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم •

القراءة اني اراك بفتح اليآء ابو عمرو وابن كثير وابو جعفر ونافع لابيه ازر بالضم على النداء يعقوب راى كوكبا بامالة الهمزة ابو عمرو وغير عباس والنجاري عن ورش وكذلك راه وراك وقرا حمزة وعلي وخلف ويحيى وعباس وهبيرة من طريق الخراز بكسر الراء والهمزة وافق ابن ذكوان في راى فقط وخالفهم فيما اتصلت بالكاف والهاء في سورة النجم وافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء في سورة اقرا باسم ربك راى القمر وراى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف ونصير وعباس ويحيى والخراز وراى خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة اتحاجوني بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب في نون الوقاية وقد هداني بالامالة علي وقرا سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الحالين وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل درجات من بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب **الوقوف** الموقنين ه للابتداء بان مع اتحاد القول بين راى كوكبا لان جواب لما قوله راى مع اتحاد الكلام بالاعطف ربي لان جواب لما منتظر مع فاء التعقيب فيها الافلين هذا ربي لذلك الضالين هذا اكبر لذلك تشركون المشركين لاحتمال الواو والحال اي وقد حاجه قومه هدان لان الا استثناء شيئا علما يتذكرون سلطانا لا لاستفهام بعد تمام الاستفهام بالامن لان جواب ان منتظر محذوف التقدير ان كنتم تعلمون فاجيبوا مع اتحاد

الكلام تعلمون لتنافي الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله مهتدون على قومه من نشاء عليم
التفسير انه سبحانه كثيرا ما يحتج على مشركي العرب باحوال ابرهيم صلوات الرحمن عليه لانه معروف بالفضل والتقدم عند جميع الطوايف والملل وذلك انه سلم قلبه للرحمن ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الاية يدل على ان اسم والد ابرهيم هو ازر ومنهم من قال اسمه تارخ قال الزجاج لا خلاف بين النسابين ان اسمه تارخ فمن الملحدة من طعن في هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابين لا عبرة به لان ذلك ينتهي الى قول الواحد او الاثنين مثل وهب وكعب وغيرهما سلمنا ان اسمه كان تارخ لكنه من المحتمل ان يكون احدهما لقبا والاخر اسما اصليا او يكون ازر صفة مخصوصة في لغتهم كالمخطي او المخذول وقيل ان ازر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القران على الفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان ازر اسم صنم ويجوز ان ينبز به للزومه عبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم وقال الشاعر **شعر** ادعى باسماء نبزا في قبايلها كان اسماء اضحت وهي اسمائي او اريد عابد ازر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد ابرهيم كان تارخ وكان ازر عما له والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق ومعلوم ان اسمعيل كان عما ليعقوب ومما يدل على صحة ظاهر الاية ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا حراصا اشد الحرص على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واظهار نقصه فلو كان النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا ان النسب صحيح قالت المعتزلة ومن يجري مجراهم ان احدا من اباء الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان كافرا وفسروا قوله وتقلبك في الساجدين بانه نقله من ساجد الى ساجد واكدوه بما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وان ازر كان عم ابرهيم وما كان والده لان ابرهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله اني اراك وقومك في ضلال مبين وقد قال ولا تقل لهما اف ولانه نهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرا ازر بالضم فالنداء بالاسم دليل الاستخفاف ولهذا لم يقرا بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني واجيب بان قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها اخر سوف يجي ذكرها وبان قوله لم ازل انقل محمول على انه لم يقع في نسبه ما كان سفاحا والتغليظ من ابرهيم انما كان لاجل اصرار ابيه للكفر كما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه لا لاجل السفه والجفاء لقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب ثم ان ابرهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام لقوله منكرا على ازر وقومه اتتخذ اصناما الهة اي معبودين وذلك ان الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وان كثرت احتج بعضهم بالاية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى ان وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابرهيم كان حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال واجيب بان لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين عليه وكذلك اي مثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نريه ملكوت السموات والارض والنكتة فيه ان التخلي عن غير الله يوجب دفع الحجاب وبعد ذلك يكون حصول التجلي بالله وانما لم يقل اريناه بلفظ الماضي لانه اراد الحكاية كانه قيل كيف بلغ ابرهيم هذا المبلغ في قوة الدين والتصلب عنه فاجيب انا كنا نريه الملكوت من وقت طفوليته لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه او المقصود بيان ارتفاعه في معارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقات الله تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا ان جهات دلالتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته في تلك المعلومات ايضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احيان لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل وكل تلك الاحوال التقديرية معلوم الله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمته وقدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية فاما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت والرهبوت من الرغبة والرهبة قال بعضهم انه سبحانه اراه الملكوت بالعين قالوا شق له السموات والارض حتى راى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى ما تحت الثرى فراى ما فيها من البدايع والعجايب عن ابن عباس لما اسرى بابرهيم الى السماء واري ما فيها وما في الارض من العجايب راى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى اخر بالهلاك فقال الله تعالى له كف عن عبادي فهم بين خلال ثلث اما ان اجعل منهم ذرية طيبة او يتوبون فاغفر لهم او النار من ورايهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت

صانعًا وايضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انه استدل بتغير الاجرام
وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالاخرة فتلك حجتنا والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه
وايضا الاراءة بالعين يفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا يوجب المدح والثواب كما للكفار في
الاخرة وايضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتامل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد نري ابرهيم ليستدل بها وليكون
من المؤمنين وليكون من الموقنين نريرا وفعلنا ذلك وذلك الاراءة قد تصير سببا للجحود لا للايقان كما في حق فرعون
ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى وايضا الانسان لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال
وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء وبتقدير البقاء يكون شاغلة للرائي عن الله اما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات
وعرف حدوثها وامكانها وعرف ان كل ممكن محتاج الى الصانع الحي الواجب فكانه يطالع صفحة الملكوت
بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زايلة ولا شاغلة عن الله بل هي
شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
الا ان الاطلاع على تفاصيل اثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واصنافها
واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا للاكابر الانبياء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في دعايه ارني الاشياء
كما هي ثم ان الانسان في اول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلايل وتوافقت وتطابقت
كان لكل واحد منها نوع تاثير وقوة فيكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد ويزداد النفس بكل منها نورية واشراقا و
انبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايقان ويطلع العلم والعرفان الحيث ابيح لها من الارتقاء والتصاعد وذلك قوله
فلما جن عليه الليل قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابرهيم وقوله وكذلك نري جملة اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل واجنه الليل والتركيب يدور على الستر منه الجنة والجن والمجنون والجنين وقيل
جن عليه الليل اي اظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى واما اجنه فمعناه ستره من غير تضمين معنى الظلم واعلم ان كثيرا
من المفسرين ذكروا ان ملك ذلك الزمان راى رؤيا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه في ملكه فامر بذبح كل غلام
يولد فحملت ام ابرهيم عم وما اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابرهيم وسدت
الباب بحجر فجاء جبريل ع فوضع اصبعه في فيه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبريل ع وكانت الام تاتيه
احيانا وترضعه وبقي في الغار حتى كبر وعرف ان له ربا فسال الام فقال لها من ربي فقالت انا فقال من ربك فقالت
ابوك فقال لابيه من ربك فقال ملك البلد فعرف ابرهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى ما يستدل على وجود
الرب سبحانه فراى النجم الذي كان اصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى اخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ واوان
التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها ان القول بربوبية النجم كفر
بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها ان ابرهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى اخبر
عنه انه دعا اباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الايات وفي هذا الموضع دعا
اباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها ان هذه الواقعة
كانت بعد ان اراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها انه تعالى وصفه بقوله اذ
جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل اي من اول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه
القصة وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها انه قال بعد القصة يا قوم اني بريء مما تشركون
مع انه ما كان في الغار قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في الكواكب
بعد ان خالطه قومه ودعاهم يعبدون الاصنام ودعوى الى عبادتها فقال لا احب الافلين ردا عليهم وتنبيها على
فساد قولهم ويؤكده وكيف اخاف ما اشركتم لانه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا
اعتراك بعض الهتنا بسوء ومنها ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل ولا بغروب الشمس على عدم
الهيتها ثم يبطل الهية القمر وساير الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام القوم وافحامهم و
الابتداء بافول الكوكب لانه اتفقت مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى ان طلعت الشمس ثم ههنا
احتمالان الاول ان يقال ان هذا كلام ابرهيم بعد البلوغ ولكن ذكره للقطع حتى يرجع اليه فيبطله مثاله ان نقول في مناظرة
من يزعم قدم الجسم الجسم قديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه مركبا متغيرا فقوله الجسم قديم اعادة الكلام للخصم لالزام

الحجة عليها والمراد هذا ربي في زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال تعالى
ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا اله
الهة في زعمهم او المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف الاستفهام لدلالة الكلام او اضمر القول
اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا يقولان ربنا والذين
اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء
او انه قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلايل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا قوله فمال
الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع ان ابرهيم كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر
حيث لم يجد الى الدعوة المامور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود الى شخص واحد لقوله تعالى
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فلان يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدي كان اولى قالت
العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة
انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم وان من كان في الصلوة
فراى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق وجب عليه قطع الصلوة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة الى
النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم ابرهيم على هذا الطريق
في الظاهر مع انه كان بريا عنه كان في الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح من الله تعالى اظهار
خوارق العادات على من يدعي الالهية لان صورة من يدعي هذا المدعي وشكله يدل على كذبه فلا يروج التلبيس ولكنه
لا يجوز اظهارها على من يدعي النبوة كاذبا لان التلبيس يروج حينئذ فكذا ههنا قوله هذا ربي لا يوجب الضلال لان
دلايل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج لهم لقبول الدليل فكان جايزا الاحتمال الثاني انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله
خطر بباله لشدة ذكايه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه ففكر فراى النجم فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين
ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا الفكر فقال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم ان القصة التي ذكرناها من ان
ابرهيم ع ولد في الغار وتركته امه وكان جبريل يربيه محتملة في الجملة لان الارهاص وهو تقديم المعجز على وقت
الدعوى جايز عندنا ولم يجوزه القاضي الا اذا حضر في ذلك الزمان رسول من الله تعالى فيكون تلك الخوارق معجزة لذلك
الرسول قال في الكشاف فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول
اظهر لانه انتقال مع الخفاء والاحتجاب وانا اقول الاحتجاج بالبزوغ في الاية لا يصح لانه تعالى بين انه نظر الى الكوكب وقت كونه
طالعا لا حين بزوغه ليلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس لانه لم يقل لما راى القمر بزغ بل قال بازغا
ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والاوساط والعوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان فكل ممكن محتاج و
المحتاج لا يجوز ان يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة
فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره
ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما في الباب ان يقال ان لها تاثيرات في احوال العالم
السفلي ولكن تلك التاثيرات لما لم يكن لها بذاتها لزم استنادها بالكلية الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات
والنجوم النيرات فيجب ان يكون قادرا على خلق البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق غايبا عنا فكان افلا وانه لا يصح عليه
المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة وفيه ان معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل الى
معرفة الله تعالى الا بالنظر والاستدلال اما قوله فلما راى القمر بازغا فيقال بزغ القمر والشمس اذا ابتدا بالطلوع واصل البزغ
الشق كانه بنوره يشق الظلمة شقا قاله الازهري وفي قوله لئن لم يهدني ربي اشارة الى ان الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة
حملوها على التمكين وازاحة الاعذار ونصب الدلايل وزيف بان كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك لا بد ان
تكون زايدا عليها فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي اراد هذا الطالع او هذا المرئي او ذكر بتاويل الضياء والنور او باعتبار الخبر
وهو الرب مع رعاية الادب وهو ترك التانيث عند اللفظ الدال على الربوبية كما لم يقولوا في صفة الله علامة وان كانت بناء مبالغة
هذا اكبر اي اكبر الكواكب جرما ونورا وقد برهن في الهيئة على انها مائة وستة وستون مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر
الشمس اولا لانه يلزم منه عدم ربوبية ما دونها من القمر والكوكب لانه اراد الاخذ من الادون الى الاعلى لمزيد التقرير والتصوير
يا قوم اني بريء مما تشركون قيل لا يلزم من نفي ربوبية النجوم نفي الشريك مطلقا والجواب ان القوم لم يثبتوا غيره الا في الصور المذكورة

فلما ابت انها ليست اربابا ثبت بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهي للذي وجهت عبادتي لاجله فان
من كان مطيعا لغيره منقاد الامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة واصل الفطر الشق يقال
تفطر الشجر بالورق والورد اذا اظهرهما والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال ابو العالية الذي يستقبل البيت في
صلوته ثم ان قومه حاجوه متمسكين بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا اباءنا على امة وكقولهم للرسول صلى الله عليه وسلم اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ومخوفين اياه بالاصنام اخرى فاجابهم بقوله اتحاجوني في الله وقد هدان
اي لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قوله فكيف التفت الى حجتكم الواهية ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف
انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا ان يشاء الا وقت مشية ربي شيئا اخاف فحذف المضاف اي الا ان اذنبت
فيشاء انزال العقوبة او الا ان يريد ابتلائي بمحنة او الا ان يمكن بعض تلك الاصنام من ضربي مثل ان يرجمني بكوكب
او كان قد اودع فيها طلسم فيصيبني مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شيء من
المكاره في الايام المستقبلة لم يحمله الحمقى والجهلة على قدرة الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يفعل الا الخير
والصلاح افلا تتذكرون فان نفي الانداد عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان الصحيح لا يساوي
الفاسد والعاجز لا يساوي القادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل
به سلطانا اذ لا سلطان فينزل وقيل انه لا يمتنع عقلا ان يؤمر باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء
ولكنه لم يؤمر به والمعنى ما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف
ثم قال فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه والكون
الى الحق بالامن ان كنتم تعلمون ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين امنوا الاية والمعنى ان الذين حصل لهم الامن
المطلق هم المستجمعون بكمال القوة النظرية وسنام الايمان وبكمال القوة العملية وهو وضع الاشياء في موضعها
واليها الاشارة بقوله ولم يلبسوا اي لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط في الايمان الموجب للامن عدم الظلم
ولو كان ترك الظلم داخلا في الايمان لم يكن لهذا التقييد فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط في حصول
الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له ابدا و
اجيب بان الظلم ههنا الشرك كقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه مع الاقرار بالصانع ممكن وحينئذ يصح اطلاق
اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين امنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا في المعبودية ويؤيده ان القصة وردت في
نفي الاضداد والانداد وايضا لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدي واعلم ان المحاجة في الله تارة
تكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابرهيم وتارة تكون موجبة المدح وذلك اذا كان الغرض تقرير الدين الحق
والمذهب الصدق كمحاجة ابرهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا واليها الاشارة بقوله وتلك حجتنا اتيناها ارشدناه
اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرا بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرا بالتنوين فيكون كقوله
ورفع بعضهم درجات وقد مر في البقرة واختلف في تلك الدرجات فقيل اعالي الدرجات في الاخرة وقيل تلك الحجج درجات رفيعة
لانها تقتضي ارتفاع الروح من حضيض العالم الجسماني الى اعلى العالم الروحاني وقيل نرفع من نشاء في الدنيا بالنبوة والحكمة وفي
الاخرة بالجنة والثواب او نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا بحسب
التشهي والجزاف والله اعلم **التاويل** يا اي ابرهيم ملكوت الاشياء اي بواطنها ليكون من الموقنين عند كشفها كما كان
موقنا عند كشف الضلال المودع في ازر وقومه فلما جن عليه ظلمة ليل البشرية امطر سحاب العناية غيث الهداية على قلبه فانبت
بذر الخلة المودعة في ملكوت قلبه فراى نور الرشد في صورة الكوكب الطالع من افق سماء روحانيته فقال هذا ربي اراد به
سر المكوكب لا الكوكب وان لم يشعر به نفسه كما قيل **شعر** هوى فؤادي ولم يعلم به بدني فالجسم في غربة والروح في وطني
فان كذبت النفس فيما قالت المكوكب هذا ربي ما كذب الفؤاد ما راى فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخلقية عند
رجوعه الى اوصافه ووافقه كوكب السماء بالغروب قال بسره لا احب الافلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت
بفقد القمر تجلى له نور الربوبية في مراة القمر قال هذا ربي فلما افل عند رجوعه الى اوصافه ازداد الشوق قال لئن لم يهدني ربي
برفع حجب الاوصاف ويبقيني على وجود الخلقية لاكونن من القوم الضالين عن الحق كازر وقومه فلما انخرق حجب الاوصاف و
خرجت شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت شمس الهداية تعززا وتعظيما
ليعز بابرهيم ع عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب تغرب تبرا عن الاضداد والانداد ونزعته همة

الخلة عن الجهات وخلصه تجلي صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم اني بريء مما تشركون وقد يدور في الخلد
ان ابرهيم ع جن عليه ظلمة الشبهة فنظر افلاكا في عالم الاجسام فراها افلة في افق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى
منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فراها افلة في افق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها فصعد منها الى عالم العقول
المجردة فصادفها افلة في افق الامكان فلم يبق الا الواجب الوجود ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال
والشمس على الوهم والعقل ومراده ان هذه القوى المذكورة الثلاثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم قاهر مستول عليها
وحاجه قومه ليسلكوها سفور شبههم على شموس عرفانه وقد هدان اليه بالعيان بعد تولي البرهان الا ان يشاء ربي شيئا
من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربي كل شيء من الخذلان علما فهو اعلم باهل العرفان وباصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم بشرك الالتفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبرئيل اما اليك فلا وتلك يعني اراءة الملكوت وشواهد الربوبية
في مراة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والتبري عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقي بالعيان حتى ارتقى
من الافعال الى الصفات ثم الى الذات اتيناها ابرهيم بذاتنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء
بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبي

ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل
ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى و
هرون وكذلك نجزي المحسنين ۝ وزكريا ويحيى وعيسى
والياس كل من الصالحين ۝ واسمعيل واليسع ويونس
ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ۝ ومن ابائهم وذرياتهم
واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ۝
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا
لحبط عنهم ما كانوا يعملون ۝ اولئك الذين اتيناهم الكتاب
والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها
قوما ليسوا بها بكافرين ۝ اولئك الذين هدى الله فبهديهم
اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين

واليسع بتشديد اللام حمزة وعلي وخلف الباقون بالتخفيف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلواني عن
هشام مختلسة وبحذف الهاء في الوصل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بسكون الهاء الوقف على الاصل
ويعقوب كلا هدينا لان ونوحا مفعول وما بعده ولو وصل ليس بانه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتين
وهرون المحسنين للعطف والياس من الصالحين للعطف ولوطا العالمين للعطف واخوانهم لبيان قوله واجتبيناهم
يعود الى قوله كلا هدينا كقوله وممن هدينا واجتبينا ولاحتمال الواو للحال اي وقد اجتبيناهم فذكره هديناهم بعد
مستقيم من عباده يعملون والنبوة بكافرين اقتده اجرا للعالمين لما حكى حجج ابرهيم ع في التوحيد والتبري عن الند

الحنيف عدد وجوه نعمه واحسانه عليه نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال على العظمة كما يقوله عظماء الملوك ليدل بذلك على عظم العطية وذلك انه جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو ايضا ابنه لصلبه لان المقصود بالذكر ههنا انبياء بني اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحق ويعقوب واما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه احد من الانبياء الا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذكر محمد في هذا المقام لانه امر محمدا ان يحتج على العرب بان ابرهيم لما ترك الشرك واصر على التوحيد شرفه الله بالنعم الجسام في الدين والدنيا ومن جملة ذلك ان اباه واولاده كانوا ايضا ملوكا وانبياء فاذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمدا امتنع ان يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق اما قوله ونوحا هدينا من قبل فالمقصود منه بيان كرامة ابرهيم بحسب الاباء ايضا مثل نوح وادريس وشيث واما الضمير في قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لانه اقرب ولانه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وكان ابن اخي ابرهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح ولان ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل ما كان من ذرية ابرهيم وكان من ذرية نوح ولان يونس لم يكن من ذرية ابرهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عايد الى ابرهيم لانه هو المقصود بالذكر في هذا المقام واعلم ان الله تعالى ذكر اربعة من الانبياء وهم نوح وابرهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر نبيا داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا فالمجموع ثمانية عشر وانه لم يراع الترتيب بينهم في الاية لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلك على ان الواو لا يفيد الترتيب وقال في التفسير الكبير وجه الترتيب انه تعالى خص كل طايفة من طوايف الانبياء بنوع من الكرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد اعطى داود وسليمان من ذلك نصيبا عظيما والمرتبة الثانية البلاء والمحنة وقد خص ايوب بذلك والثالثة استجماع الحالتين وذلك في حق يوسف فانه ابتلي اولا ثم اوتي الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحين السادسة الانبياء الذين ليس لهم في الخلق اتباع ولا اشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط وما المراد بقوله كلا هدينا ونوحا هدينا قيل المراد الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله وكذلك نجزي المحسنين فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد ان يقال المراد الهداية الى الدين والمعرفة لانهم اجتهدوا في طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك وهذا انما يصح عند من جوز ان يكون الرسالة جزاء على عمل واستدل بعضهم بقوله وكلا فضلنا على العالمين على ان الانبياء افضل من الملائكة وذلك ان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملئكة والاولياء وقيل فضلناهم على عالمي زمانهم فلا يتم الاستدلال قال القاضي ويمكن ان يقال المراد وكل من الانبياء يفضلون على كل من سواهم من العالمين ثم الكلام في ان اي الانبياء افضل من بعض كلام آخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم وانه معطوف على كلا اي وفضلنا بعض ابائهم فالاباء هم الاصول والذرية هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على انه تعالى خص كل من تعلق بهولاء بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب والجنة فقوله من ابائهم وكلمة من للتبعيض يدل على انه قد كان في اباء هولاء الانبياء من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون المراد رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اي اصطفيناهم من جبيت الماء في الحوض وجبوته اي جمعته ذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو اشركوا لحبط وفيه دليل على ان الهداية من الله تعالى وليس للعبد فيه اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك يعني الانبياء الثمانية عشر الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لا بد بحكم العطف من تغاير الامور الثلثة ووجه بان الحكام على الخلق ثلث طوايف الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الامرين وهم الانبياء والامور الثلثة اشارة الى هذه الاصناف الثلثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما في هذا الجنس والعلم المحيط بحقايقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الانزال بالوحي والتنزيل كصحف ابرهيم وتورية موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اي بالامور الثلثة او بالنبوة هولاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي ليسوا كافرين بها ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها وللقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظه عليه وهم اليوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم الانبياء

الذين تقدم ذكرهم فاختاره الزجاج لقوله عقيب ذلك اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء يعني الملائكة وضعف بان اسم القوم قلما يقع على غير بني ادم وفي الاية دلالة على انه تعالى سينصر نبيه ويظهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد فكان اخبارا بالغيب ففيه اعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على انه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشترك بين الكل لم يصح هذا التخصيص اجاب الكعبي بانه زاد المؤمنين من الالطاف ورد بما لا يحصيه الا الله وبتقدير ان يسوى فاذا لم ينتفع به الكافر صح بحسب الظاهر ان يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف ورد بان الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن وبان الوالد لما سوى بين الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز ان يقول احسان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهديهم اقتده من حذف الهاء في الوصل كما في الوقف اراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط واما قراءة ابن عامر فقال ابو بكر بن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليست بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهديهم اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اي لا تقتد الا بهم ولا خلاف في انه امر محمد صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدى فمن الناس من قال المراد الامر الذي اجمعوا عليه وهو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال اخرون المراد به الاقتداء بهم في شرايعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزمنا شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل قال القاضي هذا بعيد لان شرايعهم مختلفة متنازعة ولا يمكن الاتيان بالمامورات المتناقضة معا ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس العمل ودليل اثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه وانه باطل بالاجماع واجيب بان العام يجب تخصيصه في الصور المتناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبان المستدل في بالدليل اصيل في ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا لوجوب الفعل على الثاني وبانه يلزم ان يكون منصبه اجل من منصبهم لانه امر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون ولهذا قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولما امره بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم ان لا يطلبوا الاجر والجعل في ايصال الدين وابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسالكم ايها الامة عليه على البلاغ اجرا ان هو يعني القرآن الا ذكرى للعالمين يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه في المعاش والمعاد وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم

التأويل

وتمام رفعنا به درجات ابرهيم انا وهبنا له اسحق ويعقوب ولعل افراد ذكر اسمعيل لمكان محمد صلى الله عليه وسلم كيلا يقع ذكره تبعا لموهبة ابرهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد ومن ابائهم الى آدم وذرياتهم الى القيامة واجتبيناهم في الازل لهذا الشان وهديناهم الى الابد ولو اشركوا بان لاحظوا غيرنا فاثبتوا شيئا من وجودنا ونسبوا شيئا من الحوادث الى غير قدرتنا ولم يلتجؤا الينا لحبط عنهم ثم انتشر فيانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهديهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهى سير كل منهم الى ما قدر له ادم في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في السادسة وابرهيم في السابعة وجميع الملكة المقربين في سدرة المنتهى وانت تهدي الى قاب قوسين او ادنى قل لا اسالكم ايها الانبياء على الاقتداء اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ان الطريق الى الله لا تسالك الا بالاقتداء او لا اسالكم ايها الامة على دعوتكم الى الحق اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ٥

وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون

وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر
ام القرى ومن حولها والذين يومنون بالاخرة يومنون به
وهم على صلوتهم يحافظون ● ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شئ ومن قال سانزل مثل ما انزل
الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملئكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون ● ولقد
جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم
فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون
ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي
ذلكم الله فانى تؤفكون ● فالق الاصباح وجعل الليل سكنا
والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ● وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات
لقوم يعلمون ● وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع
قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ● وهو الذي انزل من السماء ماء
فاخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا
متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب و
الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر

وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يومنون ● وجعلوا لله شركاء
الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون

القراءة يجعلونه يبدونها ويخفون بياء الغيبة ابو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة ابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح النون ابو جعفر ونافع وعلي وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ الماضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون وجاعل الليل على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف وكذلك في اخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف **الوقوف** من شئ كثيرا لمن قرأ بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم اباؤكم قل الله لان قوله ثم ذرهم معطوف على قل يلعبون ومن حولها يحافظون ما انزل الله ايديهم لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف اي يقولون اخرجوا انفسكم لان المراد من اليوم يوم القيمة تستكبرون ظهوركم لاتحاد المقول والوقف وضح لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء تزعمون والنوى من الحي تؤفكون فالق الاصباح لمن قرأ وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير فالق وجعل او وقد جعل والمعنى وعامل الحال معنى الفعل في فالق حسبانا العليم والبحر يعلمون ومستودع يفقهون ماء للعدول مع اتحاد المقصود متراكبا لمن قرأ وجنات بالرفع للعطف على قنوان لفظا فلزم وقفه على دانية والا فللعطف ويفهم ان جنات من جملة النخل ومن حفص نوقفه على متراكبا جائز للعطف على قوله لخضرا مع وقوع العارض وغير متشابه وينعه يومنون بغير علم يصفون **التفسير** اعلم ان مدار القران على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فبعد ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس اي ما عظموا الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ايضا في رواية ما امنوا بان الله على كل شئ قدير وقال ابو العالية ما وصفوه حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته اي باللطف باوليائه او في القهر لاعدائه وقال الجوهري قدر الشئ مبلغه وقدرت الشئ اقدره واقدره قدرا من التقدير اي حرزه وعرف مقداره ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ وانما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما ان يدعي انه تعالى ما كلف احدا من الخلائق تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح باسرها واما ان يسلم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح باسرها واما ان يسلم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا باطل فان قيل لم لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب هب ان الامر كذلك الا انه لا يمتنع تاكيد التعريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحات على السنة الرسل لان اكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا اعين بنور خارج كنور الشمس او السراج وايضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الاراء فلا بد ان يتفقوا على واحد يصدرون عن رايه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطاء في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون التعيين من الله سبحانه لكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن انكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونقصان القدرة وقد طعن بعض الملحدين في الاية بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش او البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد فكيف ابطال قولهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان قوله تجعلونه قراطيس بتاء الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا اهل الكتاب فهم لا يقولون ما انزل الله على بشر من شئ بل يقرون بنزول التورية على موسى والانجيل على عيسى وايضا الاكثرون اتفقوا على ان السورة مكية فانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في المدينة فكيف يمكن حمل الاية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على يد موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان طريقا جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شئ ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم يبعد ان يكون الكلام

الكلام الواحد خطابا لكفار قريش اولا ولاهل الكتاب اخرا واما ان كانوا اهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فالوجه ما روي عن ابن عباس ان مالك بن الضيف من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن الضيف لما تاذى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول وانما انزل عليه من شيء البتة فامر بان يقول في جوابه من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي لما سلمتم ان الله تعالى انزل الوحي والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنكم ان تقطعوا بانه ما انزل على بشر شيئا غاية ما في الباب ان تطالبوا النبي بالمعجزة والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران على رسول الله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء في انه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا ارادت المراة ان تخرج من الدار بغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرادة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا لكلام الخصم اما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فاجيب فيه بان السورة مكية الا هذه الثلث الاية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله ومن الاحكام المستنبطة من الاية ان قوله ما قدروا الله حق قدره يفيد ان عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في موضع اخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم يكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل حجة ويعلم منه ان قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف ورحمه الله تكلف وقال حاصل الاية يرجع الى ان موسى انزل الله عليه شيئا واحد من البشر ما انزل الله عليه شيئا فينتج من الشكل الثاني ان موسى ما كان البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا انه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت ان دلالة هذه الاية على المطلوب انما تصح عند الاعتراف بصحة الشكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القران ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال ابو علي الفارسي تجعلونه قراطيس اي ذات قراطيس اي تودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم او شيء من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤون الايات المشتملة على نعت محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يفهمون معانيها الى ان بعث الله محمدا فظهر ان المراد منها البشارة بمقدمه وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون على ان ينكروا ذلك فان العقل السليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف المويد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل اي شيء اكبر شهادة قل الله والمقصود انه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف بها فسواء اقر الخصم بها او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يقال لمن كان في عمل لا يجدون عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم والمعنى انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم الذي فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ قيل انها منسوخة باية السيف وفيه نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول اية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الاية ثم لما ذكر حال التورية اعقبه بذكر القران فقال وهذا كتاب انزلناه وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله تعالى بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القران على هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبرئيل مبارك كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات زاجر عن المنكرات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز في الدنيا وسعادة في

الاخرة وقد جربت فوجد ذلك مصدق الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه بحسب الازمنة والامكنة واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ويحصل منه ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره ثم تصير منسوخة ولتنذر من قرأ بتاء الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فلانه انما اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذركم بالوحي وهو معطوف على ما دل عليه سائر الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة والتصديق لما تقدمه من الكتب والانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى لان الارضين دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس يجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد للام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد في تقدير مضاف اي اهل الشام ام القرى ومن حولها وقيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لا سيما فقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى العالمين ويحتمل ان يكون يقال ما حوالي مكة يتناول جميع البلاد والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة في تقرير قاعدة البعث والقيمة مثل محمد صلى الله عليه وسلم وفيه ان كفار مكة بعدهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر وهم على صلوتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي وبالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كاد المحافظ عليها ان ياتي باخواتها كلها ان يجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة وانزال الكتاب عليه فرية وامتراء فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كان مسيلمة يقول محمد رسول الله في بني قريش وانا رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو بريء منه اما في الذات واما في الصفات واما في الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القران وهو قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال هو عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وصل الى قوله انشأناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامن له ثم فصل ما اجمل من الوعيد فقال ولو ترى الاية وجوابه محذوف اي لرايت يا انسان امرا عظيما اذ الظالمون يعني الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس فيندرج هؤلاء فيه وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعير للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم قيل انه لا قدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفائدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت في الاخرة اذا ما دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يبكتونهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات والالام ومنها هاتوا ارواحكم واخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الي ما لي عليك ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل امض الان لترى ما يحل بك والتحقيق ان نفس المؤمن حال النزع تنبسط في الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر تكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق

لانها تصير الى اشد العذاب واليه الاشارة في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار تكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المالوف وفي الاية دلالة على ان النفس الانسان شيء غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب ان يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريد وقت الامانة او الوقت الممتد الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه ان يكون مضرة مقرونة بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدل على قلة المبالات بالشيء ومنه الهوى بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشيء اي خف واهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والمهانة والحاصل انه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون يعني ان هذا العذاب الشديد انما يحصل بمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على ايات الله وهو عدم الايمان بها قال الواحدي وكنتم عن اياته تستكبرون اي لا تصلون له لقوله صلى الله عليه وسلم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فهو بريء من الكبر ولقد جئتمونا فرادى يحتمل ان يكون معطوفا على قول الملائكة واخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم ويحتمل ان يكون القايل هو الله تعالى ان جوزنا انه يتكلم مع الكفار فرادى جمع فرد ولا فرد واحد قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران قاله ابن قتيبة وقيل كرديف وردافى وهم الحداة والاعوان لانه اذا اعيى احدهم خلفه الاخر كما خلقناكم اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد ومجيئا مثل خلقنا كم اول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا الى تحصيل امرين الاول المال والجاه والثاني انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن الة لها في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى اي منفردين عما حسب من الاعمال والعقايد ثم انها مع ذلك اكتسبت اشياء قد علق الرجاء بها لانها افنى العمر في تحصيلها وانها الميت مما يبقى معها فلا جرم استحق التقريع بقوله وتركتم ما خولناكم اي اعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني انها كالشيء الذي يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقي معوج الراس بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اي ليسوا معكم حتى تروا او ليسوا معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الاية من قرا بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقوله اي كان غدا فاتني اي اذا كان الرخاء او البلاء غدا فاتني فاضمر لدلالة الحال ومن قرا بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما تقول قوتل خلفكم وامامكم او لان المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله في معنى الوصلة مع انه ضد الافتراق والتباين لانه يستعمل في الشيئين الذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه كقولهم بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم بينكم قلت ويحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد جده فاذن العاقل من يكسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال في وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرته يوم ينقطع بين النفس والجسد وصلة ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلايل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته ليعلم ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اي بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجه بان العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق فاخراج الشيء من العدم الى الوجود شق لذلك العدم وفلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انها اذا وقعت الحبة او النواة في الارض الرطبة ثم مر بها قدر من المدة اظهر الله في اعلاها شقا ومن اسفلها شقا اما العالي فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانها يخرج منها الشجرة الهابطة في الارض وهي المسماة بعروق الشجرة وههنا عجايب منها ان طبيعة الشجران كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء وبالعكس فاتصال الشجرتين على التبادل ليس مقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص في جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة يحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار وثمار وللثمر قشر اعلى وقشر اسفل وفيه اللب وفي اللب

الدهن الذي هو المقصود الاصلي فتولد هذه الاجرام المختلفة في طبايعها وصفاتها والوانها وطعومها واشكالها مع تساوي تاثيرات النجوم والطبايع في المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها انك قد تجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة فالاترج قشره حار رطب ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها ان احوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه في الداخل وقشره في الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهة المطلوبة في الخارج والخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون لنواها حب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يكون مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المتخالفة يتضمن حكما وفوايد لا يعلمها الا مبدعها ومنها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجرة وجدت في وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في بدن الانسان ولا يزال يستدق حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق اصغر من الاول كانه سبحانه اوجد ذلك ليقوى به الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري اللطيفة فاذا وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة اكثر وعلمت ان عنايته بتخليق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله النبات والحيوان ويصير ذلك مرقاة لك الى وجود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله يخرج الحي من الميت لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس يخرج من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحي نطفة او يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المؤمن من الكافر كما في حق ابرهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه والمطيع من العاصي والعاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا سقي الافيون في الشراب ليموت فلما تناوله ظن القوم انه يموت فرفعوه وجعلوه في بيت مظلم فلدغته حية وصادف تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برد الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجاني رحمه الله ان قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج الحي وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذكر الفعل في كل وقت بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقكم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحي اشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل ليدل على الاعتناء باخراج الحي من الميت اكثر من العكس ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيي المميت فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهو الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الصبح الاصباح وهو الغبش في اخر الليل فكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد فالق الاصباح ببياض النهار واسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب او الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح في البقرة في تفسير قوله عز من قايل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بمعنى بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض في جانبه الشرقي لا ينافي كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين اراد ان يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار بنفي كونه بسبب ضوء الشمس فجاء بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار النوع الثاني من الدلايل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا حجة من قرا باسم الفاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرا بصيغة الفعل ان قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبان ولا بد من عامل وما ذاك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه القلوب من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المؤنسة لانها يستانس بها والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه كما قال لتسكنوا فيه والليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعالى وايتان على وحدته وقد ثنى النوع الثالث قوله والشمس والقمر حسبانا اي بحسبان لان حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان مصدر حسب بالكسر وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث

فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل او يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل اريد به ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فيكون الاضافة غير حقيقية فيكون لليل محل قلت وهذا مناقض لما ذكره في مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى تكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة المعرفة واما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتداين محذوفي الخبر اي والشمس والقمر مجعولان او محسوبان حسبانا وذلك الجعل تقدير العزيز الذي قهرهما العليم الذي دبرهما وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهياتها المحدودة واوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذي جعل لكم النجوم عد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير في ظلمات الليل بالبحر والبر فاضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات بر التعطيل وبحر التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بحال وصفة اخرى مع تشاركهما في الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافهما بالاعضاء والابعاض والحدود والاحياز مع انها لا تصلح للالهة بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال قد فصلنا الايات لقوم يعلمون فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب ثم عدل عن الايات الافاقية الى ايات الانفس فقال وهو الذي انشاكم اي خلقكم بطريق النشو والنماء من نفس واحدة هي ادم وحواء مخلوقة من ضلع من اضلاع ادم وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن او بالنفخ وهي من ادم فمستقر من قرا بكسر القاف فالتقدير فمنكم مستقر ومنكم مستودع الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرا بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمي مكان او مصدرا وذلك ان استقر لازم فلا يجي منه المفعول به بلا واسطة فينبغي تفسير مستودع ايضا بما يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم كقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان اللبث في الرحم اكثر فيكون لفظ القرار بذلك انسب بخلاف المستودع فانه في معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شان المني في الاصلاب فانه بصدد الاراقة في كل حين واوان وقيل المستقر صلب الاب والمستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقرت هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مومنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى ودخل في الوجود والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر من قرار الدنيا والمستودع في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وعن ابي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر في ظهر صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والا لتساوى الكل في الاخلاق والامزجة فذلك اذن بتدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا جعل قال قد فصلنا الايات ميزنا بعضها عن بعض لقوم يفقهون لان الفائدة تعود اليهم وان كان الارشاد عاما ولان ايات الانفس اقرب الى الاعتبار واهون لذي الاستبصار ختم الاية بالفقه وخص خاتمة الاية الاولى بالعلم ليعلم ان الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء اصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة ابين فيه من كونه اية فقال وهو الذي انزل من السماء ماء قيل اي من جانب السماء وقيل اي من جانب السحاب لان العرب تسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت وقال اكثر اهل الظاهر اي من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار على خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر ولا ينزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها فاخرجنا به اي بواسطة ذلك الماء وذلك يوجب الطبع والمتكلمون ينكرونه نبات كل شيء قال الفراء اي نبات كل شيء له نبات فيخصص بنبت كل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عدا ذلك وفي الاية التفاتان الاول من الحكاية الى الغيبة حيث لم يقل نحن الذي انزلنا الثاني من الغيبة الى الحكاية وقد اشتهر ان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو دين الملوك ثم لما بين ان السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسب ما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى فاخرجنا منه اي من النبات خضرا شيئا اخضر طريا وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من ذلك الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فاصل ذلك هو العود الاخضر ويكون السنبلة راكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة

اجسام دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها ان يمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب اتبعه ذكر ما ينبت من النوى فقال ومن النخل وهو خبر وقوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان او الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان وهي جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق وهو بمنزلة العنقود من العنب والطلع اول ما يبدو وامن عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية من مجتنيها وعنه ايضا انه اراد عذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان ذكر احد القسمين يغني عن الاخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يقال ترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وجنات من اعناب بالنصب عطفا على خضرا اي اخرجنا به جنات من اعناب ومن قرا بالرفع فعلى انها مبتدا محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا يجوز ان يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف اذ يصير المعنى وحاصلة او مخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من اعناب اما قوله والزيتون والرمان بالنصب فللعطف على المنصوبات قبلها او للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم انه سبحانه قدم الزرع على الاشجار لانه غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولا سيما للعرب ومن فضائلها ان الحكماء بينوا ان بينه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة ادم ثم ذكر العنب عقيب النخلة لانه اشرف الفواكه وانه ينتفع به من اول الظهور الى اخر حاله فاوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيوكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تحصى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واخس ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذي يعظم منافعه واما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة واما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات وانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه فكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه اكمل وانواع النبات اكثر من ان تفي بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه متشابهة في اللون والشكل مع انها تكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد يكون متشابهة في الصورة واللون والشكل ثم انها تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهة في الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة وبعضها غير متشابهة وذلك انك قد تاخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة فانها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف احدهما او على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله

شعر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني

انظروا الى ثمره من قرا بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر ومن قرا بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كانهم خشب مسندة او على ان ثمرة جمعت على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر اذا اثمر اذا اخرج ثمره وينعه يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا ادركت ونضجت امر بالنظر في حال كل شجر اول حدوثها وفي اخر حالها فانها مدة كونها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تصير الى السواد والحلاوة وربما كانت في اول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم تصير حارة الطبع وقد يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول ثم الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لا بد له من سبب مستقل في التاثير سوى الطبايع والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا مسبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الاية بقوله ان في ذلكم لايات لقوم يومنون قال القاضي المراد انتفاع الايمان بالله لانه اية لمن امن ولمن لم يومن ويحتمل ان يقال خص المومنين لانهم المنتفعون بذلك دون غيرهم او المراد ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا لله شركاء الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان

نا الله خالق النور والناس والدواب والانعام فابليس خالق الظلمة والحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير
هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرداشت انه
نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندى ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا
العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون
منهم على ان اهرمن محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكة نفسه واستعظمها فحصل نوعا
من العجب فتولد الشيطان من ذلك العجب وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه
قديم ازلى والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة والملئكة فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة يلهمون
الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره
يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع وان كان شريكه عندهم
بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل او بيان لشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانية ويكون لله ظرفا
لغوا وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم
اسم الله على شركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الاية نزلت في الكفار
الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن اطلاق الجن على الملئكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء انها مدبرة لاحوال
هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن وطايفة من المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام
والى القول بالشركة فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشريك والضمير فيه
اما ان يعود الى الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الاية نزلت في المجوس فتقريره ان الاكثرين منهم معترفون بان
ابليس محدث ولو لم يعترفوا بذلك فالبرهان العقلي قايم على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فهو
حينئذ كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه ثبت ان اله الخير قد فعل اعظم
الشرور وهو خلق ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها نزلت في كفار العرب القايلين الملائكة بنات الله فظاهر لانهم
يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا منه تولد الولد من الوالد وان عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم
دون الجن كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق والجملة
في موضع الحال اى وقد خلقهم وقرئ وخلقهم بسكون اللام اى اختلاقهم للافك يعني جعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله
في قولهم والله امرنا بها ثم حكى عن قوم اخرين نوعا اخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في
المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم
التكرار من غير فائدة ظاهرة يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة
في نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير
علم فكالتنبيه على ابطال قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال ان يثبت له ولد لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود
لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالاخر تعلق الفرعية وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد
الواجب فكان عبدا له لا ولدا وايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس عن الفناء لم يحتج الى
الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق
بجلاله فقال سبحانه وهذا على لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا له في نفسه سواء سبحه مسبح ام لا والمراد بالتعالى العلو في الشرف
والرفعة بدليل قوله عما يصفون **التاويل** وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب والبعثة عليهم لو اعترفوا
بذلك ايضا لم يعرفوه حق معرفته لان المحاط لا يحيط بالمحيط نعم يزداد معرفته بازدياد معرفة اوصافه تجعلونه قراطيس اى في
القراطيس وما تجعلونه في قلوبكم بالتخلق باخلاقه وعلمتم بتعليم محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سره الذي يكون تعليمه بسر المتابعة سرا بسر واضمارا باضمار والذي علم النبي هو الله في خلق ما سوى
الله ولهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بوصلهم الى ربهم و
تخلقهم باخلاقه وفي كتاب المحبوب شفاء لما في القلوب مصدق الذي بين يديه لانه يصدق حقائق جميع ما في الكتب ولتنذر ام القرى
وهي الذرة المودعة في القلب التي هي المخاطب في الميثاق وقد دحيت جميع ارض القلب من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع
والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بان يتنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا باخلاقه والذين يؤمنون بالاخرة فيستعملون

الادوات والالات في امور الدنيا والاخرة لا في الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقرآن وهم على صلواتهم
بالترقي من صفاتهم الى التخلق باخلاق القرآن يداومون فان الصلوة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار
المواجيد والحالات رياء وهو خال من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحي الى الاشارات ولم يلهم نفسه شيئا منها ومن قال
متشدقا متفيهقا سانكلم بمثل كلام الله من الحقايق والاسرار فنظر مضرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق
الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات ويكون شدة النزع والهوان
بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها او فرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم اول مرة في اول الخلقة
الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا وبالتفريد عن الدنيا والاخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما
نرى معكم الاعمال والاحوال التي ظننتم انها توصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبرئيل عند
سدرة المنتهى وحينئذ لا يصل الى الوحدة الا بجذبة ارجعي الى ربك ولو لم يدركه الجذبة المستندة الى العناية لانقطع عن السير
في الله بالله وبقي السدرة وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم ان الله فالق حبة الذرة التي اخذ منها الميثاق المودعة
في حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله في ارض القلب عن شجرة الايمان كلمة طيبة يخرج نبات المحبة
التي هي من صفات الحي القيوم من الذرة والميتة الانسانية ومخرج الافعال الطبيعية التي هي من صفات الكفار الموتى من
المؤمن الحي في الدارين وايضا يخرج نخل الايمان الحي من نوى الحروف الميتة في كلمة لا اله الا الله ويخرج ميت النفاق ومن
الكلمة الحية وهي لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الجمادية بصباح العقل والحيوة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح
الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الجسماني بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم
الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة مدبر المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل
ليل البشرية سترا من ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعني تجلي شمس
الروحانية وطلوع قمر القلب بالحساب لئلا ينسد امر القلب والقالب وايضا تجلي شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل
البشرية بالحساب لئلا يفسد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شموس المعارف والشهود انه انا
الحق وسبحاني ومن تفريطه انا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذي لا يهتدى اليه الا بالعليم بمن يستحق الاهتداء
اليه وهو الذي جعل لكم النجوم انوار الغيوب في سموات القلوب لتهتدوا بها في ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم
الربوبية وهو الذي انشا ارواحكم من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله روحي كما خلق اجسادكم من
واحد وهو جسد آدم ابي البشر فمن الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر فيها وما هو بعد مستودع في عالم الارواح وايضا من الارواح
ما هو مستقر فيه نور صبغة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات ومنها ما هو مستقر في انانيته مع علو بنيته بالبقاء
وما هو مستودع انانيته بالفناء ومنها ما هو مستقر ببقاء الحق باق وما هو مستودع في بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا الايات
الوصول والوصال لقوم يفقهون رموز ذات القلوب وهو الذي انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شيء من
انواع المعارف فاخرجنا منه خضرا من المعاني والاسرار نخرج منه من الحقايق متراكبا بعضها فوق بعض
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له
صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل

لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ● قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ● اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ● ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ● ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ● واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ● ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ●

القراءة ولم يكن بياء الغيبة قتيبه درست بتاء التانيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبه ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة **الوقوف** والارض صاحبة كل شيء لاحتمال الواو الحال والاستيناف عليم ربكم لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو لان قوله خالق بدل الضمير المستثنى او خبر ضمير محذوف فاعبدوه لاحتمال الواو الحال والاستيناف وكيل لا تدركه الابصار لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار لاحتمال الواو الحال والاستيناف اي يدرك الابصار لطيفا خبيرا الخبير من ربكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه لذلك مع الواو فعليها بحفيظ يعلمون من ربك لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة الا هو للعطف مع العارض المشركين ما اشركوا حفيظا للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل بغير علم تعملون ليؤمنن بها وما يشعركم لمن قرا انها بكسر الالف لا يؤمنون يعمهون **التفسير** لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الاية والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدا والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما ان تريدوا بكونه ولدا لله انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقديم نطفة ولا اب وحينئذ يلزمكم القول بانه والد السموات والارض لكونه مبدعا لهما وهذا باطل لا يصح الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وتنفصل منه جزء يحتبس في رحمها وهذه الاحوال انما تثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة

وايضا الولد بهذا الطريق انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فذاك في حقه مستحيل والى هذا اشار بقوله وخلق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون ازليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقي ان يكون حادثا فنقول انه تعالى عالم بكل المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة لتعلقت ارادته بايجاده في الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد ازليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فثبت ان اله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والاضداد والانداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله ربكم فاسم الاشارة مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله تعالى الى اخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات فكان دفع الشرك اهم وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظه ويرتزقه ويراقبه قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم زيف طريق من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن للعلماء في اثبات التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع واحد والزائد على الواحد لم يدل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد اخر فيلزم اثبات لا نهاية لها او القول بعدد معين بلا مرجح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات وكل فعل يفعل احدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للاخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد سببا لعجز الاخر وهو محال وان كان في احدهما عجز ونقص ولم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الها ثانيا لكان اما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال او لا وعلى الاول لا بد ان يمتاز الاول بامر والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلايل مع ان الدليل النقلي كاف في التوحيد والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق افعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكرنا هذا الكلام في معرض المدح وكيف لا يتمدح بخلق الزنى والكفر واللواطة وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج كثير من المعتزلة به على نفي الصفات وعلى ان القران مخلوق اما الثاني فلان القران شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان تكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه وبحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القران واما الفرق بين قوله وخلق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك ان الاول يدل بالزمان الماضي والثاني يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين ان شيئا من القوى المدركة لا يحيط بحقيقته وان عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال لا تدركه الابصار هذه الاية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري وما رايته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا انه ذكر الاية في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا لقوله لا تاخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجد كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيد وانما لا يكون من باب الفعل لانه تعالى تمدح بنفي الظلم من نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لانه في اصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي لملحقون وقوله حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت واذ قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس للادراك اي ادراك البصر رؤية مع الاحاطة ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي فاين ذاك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما يحمل على الاستغراق فقد يحمل على المعهود السابق ايضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد انها لا تدركه في الدنيا وانما تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الاخرة او نقول قول القائل لا تدركه جميع الابصار يفيد سلب العموم لا عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار كما يقال ان محمدا ما امن به كل الناس فانه يفيد انه امن به بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيمة كما هو مذهب ضرار بن عمرو الكوفي او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه

فلم قلتم ان المبصرين لا بد يكونه اما قولهم ان الاية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى جايز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل التمدح لو كان بحيث يصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله ونهاية جماله والتحقيق فيه ان النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا تاخذه سنة ولا نوم الا ان هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع ان يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها على الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية عليكم لا لكم لانها افادت انه تعالى جايز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيمة لان القايل قايلان قايل بجواز الرؤية مع ان المؤمنين يرونه وقايل لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال لطيف ثم ان القاضي استدل بهنا على نفي الرؤية بوجوه اخر خارجة عن التفسير لايقة بالاصول فاولها ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرايط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد وارتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية والا لجاز ان يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته وحيث لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها والجواب بان ذاته تعالى مخالفة لساير الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم الشيء ثبوت مثله فيما يخالفه وثانيها لو صحت رؤيته لاهل الجنة لرآه اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك والجواب بمنع الكلية وبانه اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة يلزم ان يروه في كل مكان وحال حتى عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك لا يليق بحال اهل الجنة والجواب بانهم لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كساير الملاذ والمنافع في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية منها هذه الاية كما بينا ومنها ان موسى عم طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجايز جايز ومنها قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد اتفق الجمهور على ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الايات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا يجوز فالزايد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد راه نزلة اخرى وسوف ياتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنين غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهي الانفس ولا شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله تعالى على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فيمن قرا بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وسلم هل راى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب فدل ذلك على انهم كانوا مجمعين على امكان الرؤية اما قوله تعالى وهو يدرك الابصار ففيه دليل على انه سبحانه مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع على ماهياتها عليم بعوارضها وذاتياتها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام بل المراد لطف صنعه في تركيب ابدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف في الانعام والرحمة لا يامرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه يثني عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية او المراد انه يلطف عن ان يدركه الابصار الخبير بكل لطيف فلا يلطف شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصاير للناس اي موجباتها والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد متمكن من الامرين الفعل والترك وعورض بالعلم والداعي وما انا عليكم

بحفيظ

بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله وكذلك اي مثل ذلك التقرير البليغ نصرف الايات ناتي بها متواترة حالا بعد حال وليقولوا عطف على محذوف اي ليلزمهم الحجة وليقولوا او متعلق بما بعده اي وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرات وتعلمت من الدرس ومن قرا دارست اي قرات على اليهود وقرأوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة واما قراءة ابن عامر درست فمن الدروس بمعنى ان هذه الايات قدمت وعفت اي هذه الاخبار التي تلوتها علينا من جملة اساطير القرون الخالية قالت العلماء التركيب يدل على التذليل والتليين لا من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق دريس لانه قد لان فكانه تعالى ذكر الوجه الذي لاجله صرف الايات وهو امران احدهما درست والثاني قوله ولنبينه اما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة في هذا التصريف ان يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للايات لانها في معنى القران او يعود الى القران وان لم يجر له ذكر للعلم به او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل نحو ضربته زيدا اي ضربت الضرب زيدا واما الاول فقد اورد عليه بان قولهم للرسول دارست كفر منهم بالقران والرسول وعلى هذا فيعود مسئلة الجبر والقدر اما الاشاعرة فاجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انا ذكرنا هذه الدلايل حالا بعد حال ليقولوا بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفر ونبينه لبعض فيزدادوا ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي والتقدير نصرف الايات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا او المراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان انزال الايات نجما نجما هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا انما اتى بالقران على سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لولا انزل عليه القران جملة واحدة والجواب الذي ذكروه انما يصح لو كان التصريف علة لان يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم انه لما حكى عن الكفار انهم نسبوه في شان القران الى الافتراء والى انه تدارس قوما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرانا وادعى انه نزل عليه من الله تعالى امره بقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه بسماع تلك الشبهة ونبه بالجملة المعترضة او الحال المؤكدة وهي قوله لا اله الا هو على انه لما كان واحدا في الالهية فانه يجب طاعته لا يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزايغين ثم ختم الاية بقوله واعرض عن المشركين وحمله بعضهم على انها منسوخة باية القتال وضعف بان المراد ترك مقابلتهم فيما ياتونه من سفه وان يعدل صلى الله عليه وسلم الى الطريق الذي يكون اقرب الى القبول وابعد عن التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشية الالجاء والقسر واجيب بعد المعارضة بالعلم والداعي بان الايمان الاختياري هب انه انفع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب في حكمته ان يخلق فيهم الايمان القهري كيلا يخلصوا من العقاب وان يحصل له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم انه لا يحصل الغرض يقول لعله لا يترك الغوص في البحر ولا يطلب اللالئ فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يامره بالغوص في البحر مع اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك فانه خارج عن الرحمة والشفقة بمنزلة من ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك انه بين له قدرة ما جعل اليه فكانه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليه وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم ما نسبوا الرسول صلى الله عليه وسلم الى انتحال القران وتطرق المدارسة وكان لا يبعد ان يغضب له المسلمون بسبب ذلك فيسبوا الهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك ان المسلمين اذا شتموا الهتهم فربما غضبوا وذكروا الله تعالى بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على خصومات اذا تأدت بجهل وسفاهة الخصم فان تقدم على شتمه فانه يجري كلامه فان ذلك يوجب فتح باب الشاتمة والمشافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب الهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب فقالوا انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال ابو

نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا واشمأزوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمنك ونشتمن من يامرك فانزل الله تعالى هذه الاية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي بهذا النوع من السفاهة او لعل مرادهم شتم الرسول فاجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان شيطانا يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم سموا ذلك الشيطان بانه اله محمد وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة يقتضي تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ و الغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى الى زيادة منكر وغلبة الظن قائم مقام اليقين في هذا الباب وفيه تاديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد في المطلوب فان وصف الاوثان بانها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما متجاوزا للقدر قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لانه المعنى فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد اي في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم جهالة بالله ومما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على انه تعالى هو الذي زين للكافر الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصي المعصية وزيفه الكعبي بقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فاذن المراد انه تعالى زين لهم ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم وامهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم وامهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناهم في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم والداعي بان قوله تعالى كذلك زينا بعد قوله فيسبوا الله مشعر بان اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا وجهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول والا لما اختار الجهل الثاني ولا ذهبت الجهالات الى غير النهاية فلا بد ان ينتهي الى جهل يخلقه الله تعالى فيه فهو سبب ذلك الظن الكفر ايمانا والجهل علما ق واقسموا بالله جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي انهم القرآن كيف ما كان من امره فليس من جنس المعجزات البتة ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة قاهرة لآمنا بك واكدوا هذا المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر الحالف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب فمعنى الاقسام ازالة القسمة جعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد بن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان كان عيسى كان يحيي الموتى وان كان صالحا كانت له ناقة فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شيء تحبون ان اتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله يدعو فجاء جبريل عم فقال ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن لم ارسل اية فلم يصدقوا بها الا انزلت العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركهم حتى يتوب تائبهم وانزل الله الآيات الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا في الايمان والمراد بقوله لئن جاءتهم اية ما روينا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الايات وقيل كان صلى الله عليه وسلم يخبرهم بان عذاب الاستيصال كان ينزل بالامم المتقدمين فالمشركون طلبوا مثلها قل انما الآيات عند الله اي هو مختص بالقدرة على امثال هذه الآيات لان المعجزات لا تحصله الا بتخليق الله تعالى والمراد بالعندية هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل تقتضي ايمانهم ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد انها وان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تحكموا في طلبها كقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وما يشعركم ما استفهام مبتدأ والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون

واما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الاية انها اذا جاءت امنوا وذلك يوجب مجيء هذه الايات ويصير هذا الكلام عذرا لهم في طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها احدها قال الخليل ان بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك ويقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان تجعل لا صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وثالثها الوجه ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءتك تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم انها المؤمنون انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق به من علمي من انهم لا يؤمنون واما من قرأ لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار قال القاضي والجبائي في الاية دلالة على انه تعالى يجب ان يفعل كل ما في مقدوره من الالطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بانه لا يؤمنون وجه وايضا لو كان الايمان بخلق الله تعالى ولم يكن لفعل الالطاف اثر في حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر واجيب بان تاثير المعجزات عندهم مبني على وجوب اللطف فلو اثبت اللطف به لزم الدور وبان الاية التي بعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم يدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة والابصار سوانهم اذا جاءتهم الايات القاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا انه تعالى اذا قلب قلوبهم وابصارهم عن ذلك الوجه الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الايات و التقليب تحريك الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك والمراد انه تعالى يقلب القلوب تارة من داعي الخير الى داعي الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان مواضع الدواعي والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر تابعان للقلب فلهذا السبب وقع الابتداء بتقليب القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم في جهنم على النار وحرها لنعذبهم وزيف بان قوله ونذرهم انما يحصل في الدنيا وهذا يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بانا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث اخرجوا انفسهم من هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانه انما تحقق الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامه على الكفر فهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى في قوله ونقلب وقال القاضي القلب باق على حالة واحدة الا انه تعالى ادخل التقليب والتبديل في الدلائل واعترض بان تقليب القلب نقل من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة فقال الواحدي فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذه الايات كما لم يؤمنوا بظهور الايات اول مرة يعني اول مرة اتتهم الايات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به عائدة الى القرآن او الى محمد او الى ما طلبوا من الايات وقيل الكاف للجزاء اي كما لم يؤمنوا اول مرة فكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول بينهم وبين اختيارهم ولا نمنعهم معاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان قاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانه يوجب تاكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة انا نقلب افئدتهم من الخير الى الباطل ونتركهم في ذلك الطغيان والضلال والعمى **التأويل** قد جاءكم بصائر ردا لآلات السعادات الباقية فمن ابصرها بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها وابطل على لسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غني عن العالمين ومن عمي لها بالعكس ولا تسبوا الذين يدعون لا تخاطبوا اهل الضلال على مواجب تنازع النفس والطبيعة فيحملهم على ذلك سب الجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والزام المعجزة وفي الشبهة واقسموا بالله جهد ايمانهم البرهان يوجب لا ايمان ولم يعلمون انه مقهور وتحت حكم السلطان ما بقي من وضوح الاداء فالزم بذلك سوابق الرحمة وتقلب افئدتهم عن الرحمة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد الموتى الى مشاهدة النفس والهوى كانهم لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت

الست بربكم قالوا بلى قوله تعالى

ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن

اكثرهم يجهلون ۝ وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًا شياطين
الانس والجنّ يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورًا ۝
ولو شآء ربّك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ۝ ولتصغى
اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا
ماهم مقترفون ۝ افغير الله ابتغى حكمًا وهو الذى
انزل اليكم الكتاب مفصّلا والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربّك بالحق فلا تكونن من الممترين ۝
وتمت كلمة ربّك صدقا وعدلا لا مبدّل لكلماته وهو
السميع العليم ۝ وان تطع اكثر من فى الارض يضلّوك
عن سبيل الله ان يتّبعون الّا الظنّ وان هم الّا يخرصون ۝
انّ ربّك هو اعلم من يضلّ عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝
فكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين ۝
وما لكم الّا تأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه وقد فصّل
لكم ما حرّم عليكم الّا ما اضطُررتم اليه وانّ كثيرًا
ليضلّون باهوائهم بغير علم انّ ربّك هو اعلم بالمعتدين ۝
وذروا ظاهر الاثم وباطنه انّ الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون ۝ ولا تأكلوا ممّا لم يُذكر
اسم الله عليه وانّه لفسق وانّ الشياطين ليُوحُون الى
اوليآئهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انّكم لمشركون ۝

القرآءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء ابوجعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصبهانى عن نصير فصّل على البناء للفاعل وحرّم على البناء للمفعول حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرأ ابوجعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعًا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالفتح **الوقوف** يجهلون غرورا يفترون يقترفون مفصّلا الممترين وعدلا لكلماته لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو والحال اى لاتبديل لكلماته وهو السميع العليم عن سبيل الله يخرصون عن سبيله بالمهتدين مومنين اليه بغير علم بالمعتدين وباطنه يقترفون لفسق ليجادلوكم المشركون **التفسير** هذا شروع فى تفصيل ما اجمله قوله انها اذا جاءت لا يومنون وكان المستهزؤن بالقران خمسة الوليد بن المغيرة المخزومى والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن عبد المطلب والحارث بن حنظلة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة يشهدون بانك رسول الله او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم احق ما تقول ام باطل او ائتنا بالله والملئكة قبيلا اى كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان اوتوا هذه المقترحات قال ابو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدى وقال ابو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روى عن ابى ذر قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم اكان ادم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا واما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش فى تفسيره اى قبيلا قبيلا او معناه الكفيل والعريف من قبل به يقبل ويقبل قبالة والمعنى ولو حشرنا عليهم كل شئ كفلوا بصحة ما يقول ما امنوا وموضع الاعجاز فيه ان الاشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها حى ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبايعها مجتمعة فى موقف واحد ثم انطقها واطبقوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله الايمان فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء اعظم ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم الايمان كما لو لم يامرهم به لم يجب ولو اراد الكفر من الكافر لكان الكافر فى كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يامر به ولجاز ان يامرنا بان نريد الكفر فالمراد من الاية انه شاء من الكل الايمان الاختيارى وما شاء الايمان القهرى والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله مشية اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون ونزيف بان الاختيار لا ينبعث عن حصول داعية يترجح بها احد طرفى الممكن ولا يحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكانه لا اختيار قال الجبائى قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشية اذ لو كانت قديمة وهى الشرط لزم من حصولها حصول المشروط واجيب بانها قديمة الا ان تعلقها باحداث المحدث فى الحال اضافة حادثة ثم ختم الاية بقوله ولكن اكثرهم يجهلون قالت الاشاعرة اى لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون انهم يبقون كفارا عنهم عند ظهور الايات التى طلبوها والمعجزات التى اقترحوها فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون فى ايمانهم الاختيارى لمجئ الايات المقترحات ثم قال وكذلك قيل انه منسوق عن قوله وكذلك زينا اى وكما زينا لكل امة عملهم جعلنا وقيل ان المشار اليه محذوف اى وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم يمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر وان جعلها شرفا لاية تدل على ان خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائى المراد بهذا الجعل انه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبى انه امر الانبياء بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم صاروا اعداء للانبياء لان العداوة تكون من الجانبين اجاب ابو بكر الاصم بانه لما ارسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات وصار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة والبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم اعداء له ونزيف بان الافعال مستندة الى الدواعى وهى من الله تعالى وبان العداوة والمحبة تتعلق بالطبع لا بالاراده والتكلف فلا يقدر عليهما الا الله تعالى وانتصاب شياطين كما مر فى قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن

الانبارى عدوا فى معنى الجمع ولقايل ان يقول لاحاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبيا
عدوا واحدا اذ ليس يجب ان يحصل لكل واحد من الانبياء اكثر من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن و
الانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان شيطان الجن اذا اعياه
المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه عليه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
لابى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين
الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا ان الذى يوسوس الانس يسمى شيطان الانس والذى يوسوس الجن يسمى
شيطان الجن وضعف بان المقصود من الاية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن
دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى
فيجرنى الى المعاصى عيانا ومعنى الايحاء الايماء او القول السريع اى يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك
بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض فكانه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتسخير
زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى والتحقيق فيه ان الانسان ما لم يعتقد فى امر
من الامور خيرا او نفعا لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق والالهام وكان
صادرا من الملك والا كان مزخرفا اى يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدى غرورا نصب على المصدر لان
ايحاء الزخرف من القول فى معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة بظاهره والمعتزلة يحملونه على
مشية الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على انه مفعول معه او مفعول به اى واترك افتراءهم او ما يفترونه قال ابن
عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب فى الايمان وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتنبيه له على ما اعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم ولتصغى اليه الصغى فى اللغة الميل يقال
فى السمع مصغى اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت واصغى الاناء اذا امالة حتى انصب بعضه فى البعض ويقال للقمر
اذا مال الى الغروب صغى واصغى وقال الجوهرى صغا يصغو ويصغى صغوا اى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى و
صغيا واللام فى ولتصغى لابد له من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير وانما جعلنا مثل ذلك لكل نبى عدوا لتميل
اليه او الى قوله المزخرف افئدة الكفار فيبعد وابذلك السبب عن قبول دعوة النبى وليرضوه ولتحمل نفسه لانفسهم
وليقترفوا وليكتسبوا من الاثام ما هم مقترفون وقال الجبائى ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر
كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وزيف بان حمل لام كى على لام الامر تحريف وقال الكعبى هى لام العاقبة
تقديره ولتميل الى ما ذكره من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار جعلنا لكل نبى عدوا وعن ابى مسلم
انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى
المذاهب الباطلة وورد عليه ان ميل القلوب الى الاراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشى على نفسه وههنا بحث
وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحيوة فالحى هو الجزء الذى قامت الحيوة به والعالم هو الجزء الذى قام العلم به
وقالت المعتزلة الحى والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة فى الاية هو
القلب لا جملة الحى وبمثله استدل من جعل المتعلق الاول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة
لهم فى اظهار الايات التى اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغى حكما الاية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزايد
على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته
من حيث انه انزل عليه الكتاب المبين على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى
هذا الوجه بقوله افغير الله ابتغى حكما يعنى قل يا محمد انكم تتحكمون فى طلب ساير المعجزات فهل يجوز فى العقل ان يطلب
غير الله حكما فان كل احد يقول ان ذلك غير جائز الوجه الثانى اشتمال التوراة والانجيل على ان محمدا رسول الله حقا وعلى
ان القران كتاب حق من عند الله واشار اليه بقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من
الممترين والخطاب لكل احد اى اذا ظهرت الدلايل فلا ينبغى ان يمترى فيه احد وقيل الخطاب للرسول فى الظاهر والمراد به الامة
وقيل الخطاب للرسول فى الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد فلا تكونن من الممترين
فى ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم قال الواحدى الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة
وقال بعض اهل التاويل الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذى لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القرآن

قال وتمت كلمة ربك اى القران وقوله صدقا وعدلا مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها انها وافية
كافية فى كونها معجزة دالة على صدق محمد او كافية فى بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى يوم القيمة علما وعملا او المراد بالتمام
انها ازلية لا تحدث بعد ذلك لشى واعلم ان كل ما حصل فى القران نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى
عن وجوده او عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته اعنى كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات
التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تاخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله تعالى وكيفية
تدبيره ملكوته فى السموات والارض وفى عالمى الارواح والاجسام ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى فى الوعد والوعيد
والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال النشر
والقيامة وصفات اهل الجنة والنار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه كل امر
ونهى توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا او بشرا او شيطانا وسواء كان ذلك فى شرعنا او فى شرايع الانبياء
المتقدمين او فى مراسم الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما وراءه مما لا يعلم احوالهم الا
الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن
وقيل ان كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لابد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل
لان افعاله منزهة عن ان يكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبه فى كون القران دالا على
صدق محمد لان تلك الشبهات لا تاثير لها فى هذه الدلالة البتة لجلاء الدلالة ووضوحها او المراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها
مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الغرض انها مبراة عن التناقض كما قال ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والمعنى ان احكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها ازلية والازلى لا يزول وهذا الوجه
احد الاصول القوية فى اثبات الجبر اذ يلزم منه ان لا ينقلب السعيد شقيا وبالضد ثم لما اجاب عن شبه الكفار بين
ان عند ظهور الحجة وبين المحجة لا ينبغى للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك
عن سبيل الله والمضل لابد ان يكون ضالا ويعنى بهم الذين يتنازعون النبى فى الدين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة
وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحاير والسوايب والوصايل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل
وعلى الباطل بانه حق فلا يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شى او يكذبون فى ان الله احل كذا
وحرم كذا واصل الخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالاية من قبل توجه الذم على متبع
الظن لان المذموم من اتباع الهوى هم الذين لا يستند الى امارة كظن الكفار المستند الى تقدير اسلافهم فقط اما اذا كان
الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمراد
انك ما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن فى قيدهم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المهتدى
من هو والضال من هو فيجازى كل احد ما يليق بعمله او المراد ان هؤلاء الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين
فهم كاذبون والله تعالى عالم باحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم فى اودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون
ان افعل التفضيل لا يعمل فى مظهر ففى الكلام محذوف اى يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوى بالباء كما فى القلم
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة لقوله
الله اعلم حيث يجعل رسالاته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان اكثر ما يستعمل افعل من يستعمل مع الماضى
نحو اعلم من دب ودرج واحسن من قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى
الله عن ذلك وجوز بعضهم ان يكون من للاستفهام كقوله لنعلم اى الحزبين احصى ثم قال فكلوا والفاء مسبب عن انكار اتباع
المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله
الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى
بتسمية الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع فى اكل الميتة فانهم كانوا
يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة فى اثبات الحكم فى المتفق عليه وترك الحكم فى المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا
يحرمون اكل المذكاة ويبيحون اكل الميتة فرد الله عليهم فى الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه او نقول المراد اجعلوا الكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وحده فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله اعلم واعترض
عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من اخر ما نزل بالمدينة والاية تقتضى ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى ان يقال

المراد قوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحى الى محرما الى اخرها فان هذا القدر من التاخر غير ضار وقوله الا ما اضطررتم
اليه اى دعتكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة فى قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل
فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحى فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل ع واتخذ
البحاير والسوايب واكل الميتة وقوله باهوائهم بغير علم يريد ان عمرو بن لحى اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال
الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون فى احلالها ويحتجون عليها بقولهم اذا احل ما تذبحون انتم فلان
يحل ما يذبحه الله تعالى اولى وكذلك كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن فى نبوة محمد وفى الاية دلالة على ان
القول فى الدين بمجرد التقليد حرام ان ربك هو اعلم بالمعتدين فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر اية
جامعة فقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فقيل ظاهر الزنى فى الحوانيت وباطنه الصديقة فى السر قال الضحاك كان
اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ما كان سرا والاصح ان النهى عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم
وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانبارى يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا
اى ما اخذتم بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهى عن الاثم مع بيان انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه
وقيل المراد النهى عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعى له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل
ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر
والظن والتمنى والندم على افعال الخيرات ومنه يعلم ان ما يوجد فى القلب قد يواخذ به وان لم يقترن به عمل ان الذين يكسبون
الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اى يكسبون من الاثام ومنه الاعتراف بجوالاقتراف كما يقال التوبة تمحو الحوبة وظاهر النص
يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب واهل السنة على انه اذا لم يتب احتمل العفو ولا
تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا
او نسيانا وهو قول ابن سيرين وطايفة من المتكلمين ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعى متروك التسمية
عمدا او سهوا حلالا اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وانه لفسق والضمير عايد الى الاكل الذى دل عليه لا تاكلوا او الى الموصول
على انه فى نفسه فسق مثل رجل عدل او على تقدير حذف المضاف اى وان اكله لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لا يفسق باكل
ذبيحة المسلم الذى ترك التسمية ولقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وهذه المناظرة كانت فى مسئلة
الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله تعالى قتلها قالوا افتزعم ان ما قتلت انت واصحابك
حلال وما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله الاية فالمراد من الشياطين هاهنا ابليس وجنوده وسوسوا
الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا واصحابه فى اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين ليوحون يعنى مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم
من مشركى قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه
يزعمون ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع فى انفس من المشركين شئ فنزلت الاية ثم قال وان اطعتموهم يعنى فى
استحلال الميتة انكم لمشركون قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله تعالى وحرم شيئا مما احل الله فهو
مشرك لانه اثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعى الفسق فى اية اخرى هو قوله قل لا اجد فيما اوحى الى محرما الى
قوله او فسقا اهل لغير الله به فسر بما اهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق فى هذه الاية ايضا مفسر بذلك نازلنا عن هذا المقام
وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم انه يوجد ذكر الله هاهنا لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ذكر الله مع المسلم سواء قال
او لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب او نقول هب ان هذا الدليل يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض
الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل فى الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة على الحل كقوله خلق لكم ما فى الارض جميعا
كلوا واشربوا ولانه مستطاب وقد قال احل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن اضاعة المال هذا تقرير
مذهب الشافعى ومع ذلك فالاولى بالمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبى فى الاية دلالة على ان الايمان
اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا واجيب بانه لم لا يجوز ان يراد بالشرك هاهنا اعتقاد ان لله شريكا فى
الحكم **التاويل** وكلمهم الموتى اى غلوبهم الميتة وحشرنا اى اريناهم جميع الايات المودعة فى المكونات الا ان يشاء الله
فان المشية تعبير الشجية والعناية الازلية كافية كفاية الابدية ولكن اكثرهم يجهلون ان الهدى ليس بالمنى وانه
بمشية الله ثم اخبر ان البلايا الشاير بن الى الله هى المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس هى النفس الامارة
التى هى اعدى الاعداء والذين انبياءهم الكتاب هم بنا هم بنوا الكتاب الحضرة الجلال فلا تكونن نهى يكونن فى الازل وتمت

كلمة ربك كلامه وقضاؤه فى الازل صدقا فيما قال وعدلا فى ما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد و
القبول والخير والشر والحسن والقبح والايمان والكفر فاحسن شئ كلفه هو الانسان لقد خلقنا الانسان فى احسن
تقويم وكذلك شر شئ هو الانسان عند فساد استعداده ثم رددناه اسفل سافلين ولاهل الكمال ترق فى كمال
الحسن الى الابد ولاهل النقصان تسفل فى القبح الى الابد ايضا اظهارا للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو السميع لحاجة
كل ذى حاجة العليم بما يليق باهله كل موجود وان تطع اكثر من فى الارض وهم اهل الاهواء واقلهم اهل الحق وان هم الا
يخرصون فى دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا يسلك بالهوى وانما يسلك بالصدق والهوى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
فمن امارات الايمان ان ياكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويذيبوه بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم اذيبوا طعامكم
بذكر الله فالاكل على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان عن الجنان وقد فصل
لكم يا اهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها والاخرة ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضرورات البشر فى الدارين
بامر المولى لا بالطبع والهوى ان ربك هو اعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى وركنوا الى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الاثم
يعنى الاعمال الطبيعية وباطنه يعنى الاخلاق الذميمة الردية يجزون بما كانوا يقترفون لان الاخلاق الظلمانية توجب
صداء مراة القلب ويزيدها دينا الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تاكلوا طعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله وفى
طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعنى ظلام الطعام يودى الى الفسق الذى هو الخروج من النور الروحانى
الى الظلمة النفسانية وان الشياطين ليوحون فان الشيطان مجالا فى الوسوسة اذا كانت النفوس فى الجادلة مع القلوب ليبعثوها الا من

اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس
كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين
ما كانوا يعملون • وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون • واذا
جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله • الله اعلم
حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون • فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون • وهذا صراط
ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون • لهم دار السلام
عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون • ويوم يحشرهم جميعا
يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا

استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم • وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون • يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين •

القراءة ميتا بالتشديد ابوجعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب والتوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر فى موضع النصب ضيقا وبابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابوجعفر ونافع وسهل وابوبكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء فى الصاد ابوبكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الاخرون بالنون **الوقوف** بخارج منها يعملون فيها وما يشعرون رسل الله رسالاته يمكرون للاسلام لابتداء شرط اخر مع العطف فى السماء لايؤمنون مستقيما يذكرون يعملون جميعا للمحذوف اى يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس الاول لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين اجلت لنا قال النار يغلط الصوت على النور اشارة الى ان النار مبتدا بعد القول وليست فاعلة شاء الله عليم يكسبون يومكم هذا كافرين **التفسير** انه سبحانه بعد ان ذكر المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدى بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدى به فى مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو فى الظلمات منغمس فيها لاخلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب واباجهل وذلك ان اباجهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يومن بعد فاخبر حمزة بما فعل ابوجهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا اباجهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله الاية وعن مقاتل نزلت فى النبى صلى الله عليه وابى جهل وذلك انه قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نومن به الا ان يوحى باتينا وحى كما ياتيه فنزلت وعن عكرمة انهما فى عمار بن ياسر وابى جهل وعن الضحاك انهما فى عمر بن الخطاب وابى جهل القول الثانى انها عامة فى كل مومن وكافر لحصول المعنى فى الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذى يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدى الى شئ وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحيوة والنور قال بعض العلماء او من كان ميتا اشارة الى اول مراتب النفس الانسانية وهى الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولانى عند الحكيم وقوله فاحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهى ان يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالثة المراتب وهى التى قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه وهذا يسمى عقلا بالفعل اى الفعل القريب وقوله يمشى به فى الناس اشارة الى رابعة المراتب وهى النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد صارت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحى والتنزيل فانه لابد فى الابصار من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجى من الشمس او السراج فكذلك البصيرة لا بد لها فى الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحى فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القران ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن فى الظلمات ليس بخارج منها وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت

كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة اى كمن صفته هذه والمراد كمن هو فى الظلمات ثم قال كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة والله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله تعالى بالحقيقة او المجاز اولى بدليل قوله كذلك جعلنا اى وكما جعلنا فى مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا او وكما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا فى كل قرية اكابر هى جمع الاكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه يحمل الناس على المبالغة فى حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام فى ليمكروا على اصله عند الاشاعرة واستدلوا به على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل فى قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال فى معرض التهديد وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول ابى جهل واضرابه زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف الى اخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لانى اكبر منك سنا واكثر منك مالا وافاذا جاءتهم اية اى معجزة قاهرة او وحى قالوا لن نومن لك حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما فى الاية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة وشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور فى الاية المتقدمة وفى المفسرين فى مقترحهم قولان الاول وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبى صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين ومخدومين لا خادمين الثانى عن ابن عباس والحسن ان المعنى فاذا جاءتهم اية من القران تامرهم باتباع محمد قالوا لن نومن حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى ابى جهل والى فلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا ايات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه فى جوابهم على سبيل الاستيناف الله اعلم حيث يجعل رسالاته على القول الاول ظاهر واما على القول الثانى فوجهه ان القوم اذا اقترحوا تلك الايات فلو اظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية فى تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله واحسان وتفضل وقال اخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة ظاهرة عن علايق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية موثرة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحى والرسالة ومراتب الرسل ايضا مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة ومنهم ذو معجزتين او اكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من امن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار امره على التغليظ والتشديد وفى الاية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لا يبغيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب اخلاقهم واحوالهم ولهذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وهوان عند الله فى الاخرة او فى الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل والمراد من عند الله حذف او قوله عند الله مستانف اى يعد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لا يبغيه من الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وسلم طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد ذلك بسبب مكرهم ونكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقال شرح فلان صدره امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اى وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان فى عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوى طلبه ورغبته فى حصوله وظهر فى القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان حصل فى القلب علم او اعتقاد او ظن بكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك للحركة وحصل فى النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لان المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال الشرح الصدر فى جانب الحق والاسلام وقد ورد فى الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه وسلم يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له هل لذلك من امارة يعرف فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان

مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لا بد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الاخرة زايد النفع والخير والتجافي عن دار الغرور
انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زايد الضرر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد في الدنيا و
الرغبة في الاخرة اما قوله حرجا فمن قرا بكسر الراء فعلى النعت ومن قرا بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج
الحرج في اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا تناله الراعية حكى الواحدي
باسناده عن ابن عباس انه قرا هذه الاية وقال هل ههنا احد من بني بكر قال رجل نعم ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الاشجار المستمسك
الذي لا طريق فيه وكذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد
عن الاستطاعة فكان الكافر في نفوره عن الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد
عن الاسلام وقبوله تباعد ما بين الارض والسماء كذلك يجعل اي كما يجعل ضيق الصدر في قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم
وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا
خير فيه وعن عطا الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة قالت الاشاعرة في الاية دلالة
على ان الهداية والضلال من الله تعالى بيانه ان العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح
الا الداعية ولا معنى للداعية الا علمه او اعتقاده او ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زايدة ومجموع القدرة مع
الداعي يوجب الفعل ولا بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه
اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر مال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقاد ان الايمان
محل سبب للمفسدة الدينية والدنيوية نبا طبعه عنه وبقي على الكفر فحاصل الاية ان من اراد الله منه الايمان قوى
دواعيه اليه ومن اراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة في الاية على قولكم لانه ليس فيها
اكثر من انه اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها انه اراد ذلك او لم يرد نظيره قوله لو اردنا ان
نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فبين انه كيف يفعل اللهو لو اراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لم قلتم انه اراد ومن يرد
ان يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه يوم القيمة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت له وتفسير
الشرح هو انه يفعل به الطافا تدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد ان يضله عن طريق الجنة فعند
ذلك يلقي في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند ظهور نصرة المؤمنين
وبقوا الذل والصغار في الكافرين وايضا لم لا يجوز ان يقال المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام
في ذلك الوقت الذي يهديه فيه الى الجنة لما راى من فوايد الايمان ونتايجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة
فيزداد رغبته فيه ومن يرد ان يضله يوم القيمة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره للحزن الشديد الذي
ناله عند الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف
الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد
ان يضله اي يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو
عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان واجيب عن قولهم في الاية انه اراد ذلك او لم يرد بان قوله في اخر الاية كذلك
يجعل الله الرجس تصريح بانه فعل به ذلك الاضلال لان الكاف في التشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج
باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر فبعيد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
خص البلاء بالانبياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالاخرة كان من ايضاح الواضحات فمن المعلومية لكل احد ان من يضله
الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف ما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان يحصل
في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى وكذلك القول في جانب الكفر فان سمى الداعيتين احد باللطف
والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي انه قال تذاكرنا القدرية عند ابن عمر فقال
لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيمة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل اين خصماء الله فتقوم القدرية قال
ولا يخفى انهم الذين ينسبون افعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فاي ذنب لنا حتى تعاقبنا انت الذي
خلقته فينا واردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا يتيسر لنا غيره فهؤلاء لا بد ان يكونوا خصماء الله اما الذين قالوا
ان الله تعالى مكن وازاح العلة فانما اتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله
لا خصماء هذا كلام القاضي وتعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه

من الوجوه فان كل ما يفعله الرب في العبد فهو حكمة وصواب وليس للعبد عليه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى العباد
حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعي عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطني ذلك لخرجت
عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وانه من واظب على الكفر سبعين سنة ثم انه في اخر زمن حيوته قال
لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين اعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة ثم انه لو ترك ذلك لحظة
واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق مجلس استاذه ابي علي الجبائي وترك مذهبه
وكثر اعتراضه على اقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق ان ابا علي عقد مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ ابو الحسن الى
ذلك المجلس مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من العجائز اني اعلمك مسئلة فاذكريها لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلثة
من البنين واحد في غاية الزهد واخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبرني ايها الشيخ عن احوالهم
فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات الجنة واما الكافر ففي دركات النار واما الصبي فمن اهل السلامة فقال قولي له ان الصبي
لو اراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل فيها اخوه الزاهد هل يمكن منه فقال الجبائي لا لان الله تعالى يقول له
انما اخوك وصل الى تلك الدرجات لانه اتعب نفسه في العلم والعمل واما انت فليس معك ذلك فقال ابو الحسن قولي له لو ان الصبي
يقول يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي ولو ابلغتني فربما زدت على اخي الزاهد في الزهد فقال الجبائي
يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال ابو الحسن قولي له لو ان
الاخ الكافر الفاسق رفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب العالمين ويا احكم الحاكمين ويا ارحم الراحمين لم راعيت حال
الاخ الصغير وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فراى ابا الحسن فعلم ان المسئلة منه لا من العجوز
ثم ان ابا الحسين البصري جاء بغداد ودار واكثر مجيبا عن الجبائي فقال بل لا نرضى بهذا الجواب وانما نقول الجواب مبني
على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العبد ام لا فقال البصريون انه غير
واجب ولكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب وعلى الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي اني طولت
عمر الاخ الزاهد وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على احد بشيء ان اتفضل على غيره بمثله وعلى قول
البغداديين فلله ان يقول اذا طال عمر اخيك وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته ولما اطلت
عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته فظهر الفرق واورد على القسم الاول
انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص
شي من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر في مرآته المنصوبة
على الجدار لعامة الناس فان كان الحكم العقلي في التحسين والتقبيح معتبرا فليكن هنا ايضا معتبرا والا فلا نقول في شي
من الصور وبطل كلية مذهبكم واورد على الشق الثاني ان قولكم ان تكليفه يتضمن مفسدة ليس معناه ان ذات التكليف يتضمن المفسدة
والا لم يتعلق تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه ان الله تعالى علم انه اذا كلف هذا الشخص فانه اختار اختيارا
من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ترك الله تعالى تكليفه وجب ان يقبح تكليف كل من علم منه انه
يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق مما اسلفنا فتذكر ثم قال وعلماؤنا طائفة
في المشار اليه وجوه منها ان المذكور في الاية المتقدمة انما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي
وحصول تلك الداعية من الله تعالى فيكون الفعل من الله تعالى ويلزم اسناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة
فالمراد هذا الذي قررنا طريقته التي اقتضتها الحكمة وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما
عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل فيها ما في اسم الاشارة من معنى الفعل وهو معرفة واحده وعن ابن
عباس يريد هذا الذي انت عليه يا محمد وعن ابن مسعود يعني القران قد فصلنا الايات ذكرناها فصلا فصلا
بحيث لا يختلط واحد منها بالاخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في ايات كثيرة من
هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الاية بقوله لقوم يذكرون وبيانه ان تقرر في عقل كل واحد
ان احد طرفي الممكن لا يترجح على الاخر الا لمرجح كانه يقول للمعتزلي تذكر ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا
لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي لزم تساوي طرفيه ووجب ان لا يحصل هذا
الاستغناء في كل الممكنات والحادثات وحينئذ يلزم نفي الصانع وابطال القول بالفعل والتأثير والمؤثر ثم ما يزيد لهم عظيم نعمته
في الصراط المستقيم بما اعد وهيئ للمتذكرين فقال لهم دار السلام اي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم

كما قيل الكعبة بيت الله او دار السلام من كل آفة وكتب والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان انواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده في ضمانه كما يقال لفلان عندي حق لا ينسى نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها وهو وليهم اي قريب منهم بالرحمة والرضوان او مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه فما كان توكلهم الا عليه فلم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل بجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا يقطع العمل ولا يتكلوا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيئة النفسانية قد تؤثر في البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم اردفه بذكر من تعلق بضده فقال ويوم نحشرهم والمراد واذكر يوم كذا او يوم نحشرهم قلنا او متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما ان يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علموا ان الله تعالى بعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القايل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا في الدنيا انتهى حالهم في الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يكلم الله بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن اي الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم تحشر معكم منهم الجم الغفير كما يقال استكثر الامير من الجنود اما قوله وقال اولياؤهم من الانس فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا كما قال الجن تبكيتا ناسب ان يقول الانس ايضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول ولما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول تمتع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففي الاستمتاع وجهان احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض منفردا وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في امان في نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانس اذا عاذ بالجني كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجني يقول قد سدت الجن لان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج ويعضده قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثاني الوجهين ان الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما انتفاع الانس بالجن فهو انهم دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي يقتنوا عن سوء عاقبتهم وهذا اختيار الزجاج القول الثاني ان البعضين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة في القيمة قال الله تعالى في جوابهم النار مثويكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا اقام به قال ابو علي الفارسي المثوى اسم للمصدر دون المكان لان قوله تعالى خالدين فيها واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان يقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم في المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة الذين يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير روي انهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب الا يتنفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عليك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم لانه اطماع محض وياس كلي وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كانهم قالوا وبلغنا اجلنا الذي سميته لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعني الآجال الاخترامية ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب وساير وجوه المجازاة عليم بما يستاهله كل طايفة فكانه تعالى يقول لهؤلاء نعذبهم بالعذاب الابدي لعلمي انهم يستحقون

ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم يتولى بعضا بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجح احد الجانبين لا يكون الا بداعية يخلقها الله قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه سبحانه ولي اهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر ان اولياء اهل النار من يشبههم في الظلم والخزي والنكال واشار اليه بقوله بما كانوا يكسبون اي بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم وهذه مناسبة في غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الآية دلالة على ان الرعية متى كانوا ظالمين فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان ارادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء في بعض الكتب السماوية ان الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليهم رحمة ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الي اعطفهم عليكم ثم بين ان كفار الثقلين لا يكون لهم الى الجحود يوم القيمة سبيل وانهم لا يعذبون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة يجمعهم امر واحد الم ياتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالآية وبقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بني آدم وزعموا ان ذلك مجمع عليه ورد بانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم على المطلوب بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم على العالمين و المراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الآية تقتضي ان رسل الجن والانس تكون بعضا من ابعاض هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا في حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يستمعون من رسول الانس وينذرون قومهم بذلك كما قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه بكت كفار الثقلين بهذه الآية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب انه ارسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدي اراد رسل من احدكم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما وهو الملح الذي بعذب وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم آياتي فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتاويل وبالتلاوة وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي يخوفونكم عذاب هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا والسبب في انهم اقروا في هذه الآية وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين مع انهم مختلفوا الاحوال في يوم القيمة يضطربون فتارة يقرون واخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم في الدنيا بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا وعن حالهم في الآخرة بقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم زجر امثالهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالآية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فايدة **التأويل** او من كان ميتا في حالة العدم فاحييناه بالحيوة الحقيقية اي بالحي الذي لا يموت وجعلنا له نورا لوجود الحقيقي الذي يمشي به في الناس وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس في ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا في كل قرية اي كل قالب اكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع مثل ما اوتي رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره اي ينظر الى قلبه بنظر العناية فينوره بنور جماله وهو نور الايمان فينشرح الصدر بنور الواقع في القلب وهذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاستداد الى ان يصير الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عينا ضيقا لتزاحم ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كانما يصعد في السماء لانه سفلي بالطبع لما يصعد الا بالتصعيد والقسر وهذا الذي بينا من الهداية والضلالة صراط ربك باللطف والقهر فيجد بان اللطف يهدي السعيد وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام اي السلام عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم نحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن اي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس اي غلبتم على الصفات الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو ان يستعين بصفات مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء آدم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بان الثوى في النار

بقضاء الله الا ان يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليم باهل الجنة باهل النار وكذلك اي كما جعلنا مردة الجن والانس بعضهم اولياء بعض فكذلك نجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري الم ياتكم رسل منكم يعني الالهامات الربانية وشهدوا على انفسهم اقروا عند الحرمان عن السعادة العظمى انهم بذروا انهم كانوا اصداء مراة قلوبهم وان ليس للانسان الا ما سعى • قوله تعالى

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون • ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون • وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم اخرين • انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون • من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون • وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون • وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون • وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون • وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم • قد خسر الذين قتلوا

اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين •

القراءة عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان ابو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء التانيث بزعمهم بضم الزاء علي وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل اولادهم بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الاخرون زين على البناء للفاعل قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التانيث ابن عامر ويزيد وابو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر وقرا يزيد ميتة بالتشديد الباقون بالتخفيف **الوقوف** غافلون مما عملوا يعملون ذو الرحمة اخرين لات لان الواو بعده للحال بمعجزين عامل لابتداء التهديد مع فاء التعقيب تعلمون لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهامية او موصولة عاقبة الدار الظالمون لشركائنا للشرط مع الفاء الى الله للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق نظما شركائهم يحكمون دينهم يفترون افتراء عليه يفترون ازواجنا للشرط مع العطف شركاء وصفهم عليم على الله مهتدين **التفسير** ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ويحتمل ان يكون مبتدا خبره ان لم يكن وهو للتعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك او ذلك الذي ذكرنا لانتفاء كون ربك مهلك القرى وان هي الناصبة للافعال او مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان محذوفا اي لان الشان والحديث كذا ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع ومعنى قوله بظلم اي بسبب ظلم اقدموا عليه وهذا اليق باصول الاشاعرة او المراد ظالما لهم فيكون من فعل الله وهذا انسب باصول المعتزلة ومعناه انه تعالى لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لم ينبهوا برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن ظالما ولكنه يكون في صورة الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لاحد في شيء من افعاله واما قوله واهلها غافلون فليس المراد من هذه الغفلة ان يتغافل المرء عما يوعظ به وانما معناه انه لا يبين كيفية الحال وان لا يرد بل عذرهم وعلمهم قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان العقل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى لا يعذب احدا على امر من الامور قبل بعثة الرسل لكن بعدها قالت المعتزلة قالوا انها تدل من وجه اخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن ان يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال ولكل درجات اي ولكل عامل في عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى مما عملوا اي من جزاء اعمالهم وقيل ان اول الاية مختصة باهل الطاعة لان لفظ الدرجة يليق بهم ولاهل المعصية يكون الدركات واليها الاشارة بقوله وما ربك بغافل عما يعملون قالت الاشاعرة في الاية دليل على مسئلة الجبر والقدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين ويجب فعل معين واثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ واشهد عليها الملائكة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال ثم بين انه ليس يحتاج الى طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال وربك الغني ذو الرحمة اما انه غني في ذاته وصفاته وفي افعاله وفي احكامه عن كل ما سواه فلوجوب وجوده وان ما سواه ممكن لذاته مفتقر في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات والجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك الا الرحمة الكاملة والرافة الشاملة والذي يتصور من الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكين الشخص من الانتفاع بها ليس الا منه تعالى ومن هذا يعلم تنزهه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله ان يشأ يذهبكم انه قادر على وضع الرحمة في هذا الخلق وقادر على ان يخلق قوما اخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل فات فقوله ما يشاء اي خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا اخرين من امثال الجن والانس يكون اطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون اقوى في دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء

بهذه الصورة المخصوصة قدر على تصويرها بصورة اخرى مخالفة لها وقال في الكشاف المعنى كما انشأكم من اولاد قوم آخرين
لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح ع ثم ذكر حال المعاد فقال انما توعدون لآت قال الحسن اي من مجيء الساعة لانهم
كانوا ينكرون القيمة ويحتمل ان يقال انما توعدون لآت اشارة الى لطفه اي كل ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله
وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا وحكمتنا اشارة الى قهره يقال اعجزه الشيء اي فاته فالجزم في جانب الوعد والتعريض
في جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان اغلب ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بتهديد منكري البعث
فقال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدي قراءة الافراد اوجه لان المصدر لا يجمع في اغلب الاحوال وقال في الكشاف
المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الاية اعملوا على
تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان اي
اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم فاني ثابت على الاسلام
وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة
والفاء لتعقيب الجزاء الايعاد اي قل اعملوا فستجزون وهكذا في سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل فصار
استئنافا ومحل من نصب ان كان بمعنى الذي او رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى اي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله
هذه الدار لها وهي مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وادب ووثوق بان المنذر محق
ولهذا قيل له فان الكافر يكون العاقبة عليه لا له ثم حكى انواعا من جهالاتهم وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم
وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى امثالهم فقال وجعلوا قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم
نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم
ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفي تفسيره وجوه قال ابن
عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان
لله اطعموه الضيفان والمساكين ولا يأكلون منه البتة ثم ان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا
ان الله غني عن هذا وان سقط شيء مما جعلوه للاوثان في نصيب الله تعالى اخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا
انه فقير وانما ذلك بحبهم الصنم وايثارهم لها وعن الحسن والسدي كان اذا هلك لاوثانهم شيء اخذوا بدله مما لله ولا يفعلون
مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقي ما جعلوه للاوثان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على
ضد ذلك تركوه وقال قتادة اذا اصابتهم شدة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم وقاله قائل ان زكا
ونما نصيب الالهة ولم يزك نصيب الله تركوه نصيبا للالهة وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه واما ان زكى نصيب الله
ولم يزك نصيب الالهة فانهم قالوا لا بد لالهتنا من نفقة واخذوا نصيب الاله تعالى فاعطوه السدنة فمعنى فلا يصل الى
الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق الى المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم
انهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرأ فيه ان الله تعالى كان اولى بان يجعل
له الزاكي لانه هو الذي ذرأه اي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء فيه وجوها الاول
انهم رجحوا جانب الاصنام في الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثاني جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره
مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك الحكم احدثوه من قبل انفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع واشار اليه بقوله
بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر ومدر الخامس لا تأثير للاصنام في حصول الحرث
والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث النوع الثاني من احكامهم الفاسدة قوله و
كذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر او من التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما
لينحرن احدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم في معصية
الله تعالى وعلى الثاني هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثاني للكلبي وتقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو
تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم
من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم بالوأد او بالنحر ثم ان وجه القراءة الكثرى ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول
وذلك لشدة الاعتناء به واما قراءة ابن عامر فخطأها الزمخشري من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان
ذلك يجوز بالظرف كقوله لله در اليوم من لامها ويضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وحملوه على

ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندي في هذا المقام ان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراءة السبعة كلها
متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القران المعجز مثل هذا التركيب انتم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى
انه هل ورد له نظير في اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكثير ام لا ومع ذلك فقد وجد بعض الفضلاء بان الفصل
المضاف اليه من الاول لعمد وفيعلى نحو قوله بين ذراعي وجبهة الاسد والمضاف مضمر مع الثاني كقراءة والله يريد الآخرة
بالجر على تقدير عرض الاخرة فتقدير الاخرة قتل شركائهم اولادهم قتل شركائهم ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال
ابن عباس ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى
حقيقة التعليل ان كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي
اتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة اراد ان يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل وليوقعوهم
في دين ملتبس ولو شاء الله ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم او لما فعل الشيطان او السدنة لو التزيين او الارداء او اللبس
او جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعتزلة حملوا هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما
يفترون على قانون قوله واعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال
في هذه الاية ولو شاء الله ما فعلوه لانه وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الايات النوع الثالث
من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم اقساما فاولها ان قالوا هذه انعام وحرث حجر وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن و
يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل الحجر المنع وسمي العقل حجرا لمنعه من القبائح
وفلان في حجر القاضي اي في منعه كانوا اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها
انعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها
وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل افتراء عليه وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك
في معنى الافتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد النوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون
هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا هذا ان ولد حيا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء
اي اشترك فيه الذكور والاناث من قرأ بالنصب ميتة فتقديره وان يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى ان كان تامة
اولان التقدير وان يكن لهم او هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتانيثه لان تانيث الميتة غير حقيقي او لان الميتة لكل ميت ذكرا
اوانثى فكانه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله [illegible] سيجزيهم وصفهم
اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم انه حكيم عليم ليكون الجزاء وافيا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل
كيف قيل خالصة وذكر محرم قلنا الاول حمل على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي
الاول وجه اخر ان يكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية اي ذو خالصة ثم انه سبحانه
جمع قبائح احكامهم واغاليطهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم والضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين قتلوا
اولادهم سفها بغير علم لان الولد نعمة عظيمة من الله فمن سعى في ابطاله [illegible] ومظنون
هو الفقر فيجوز ان لا يقع [illegible] القربة الى الاصنام التي [illegible] وعدم العلم موجب لخسران الدارين وكذا
تحريم ما احل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل بمحض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب واكبر الكبائر ولهذا حكم
عليهم اولا بالضلال ثم بعدم الاهتداء ليحصل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن والله اعلم **التأويل** مما ذرأ
اي قبل اشخاص الانسان [illegible] هو صرف الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية واهلها غافلون عن بلوغ مبلغ
التكليف [illegible] عن كل مخلوق عامة ومن الانسان خاصة [illegible] عليهم اعمالهم على
مكانتكم انا عامل عليه [illegible] قتل اولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم
بما كانوا يفترون لانهم ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعقل [illegible] وان كان [illegible] النفس [illegible] اولاد
اذا لم يكن لامتثال الشرع [illegible] فخسر الذين قتلوا اولادهم [illegible]
ظاهر ومعنى [illegible] حرموا ما رزقهم الله صورة ومعنى
وقالوا [illegible] فالتحقيق [illegible] اليقين [illegible] التوكل ٥

قوله سبحانه

وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل و
الزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير
متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين ● ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا
مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو
مبين ● ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل
آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ● ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصيكم الله بهذا فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم
الظالمين ● قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه
الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس
او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك
غفور رحيم ● وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما
او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا
لصادقون ● فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة
ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ● سيقول الذين اشركوا لو شاء الله

ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب
الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ● قل
فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين ● قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد
معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين
لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ●

القراءة حصاده بفتح الحاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضأن بغير همز ابو عمرو وغير شجاع واوقية والاعشى والاصبهاني عن ورش ويزيد وحمزة في الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وابو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي والقواس غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان يكون بتاء التانيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس طريق ابن د ومي عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر ويزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا بامالة على وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهر الحلواني عن قالون والبرجمي **الوقوف** متشابه حصاده ولا تسرفوا المسرفين لان قوله حمولة منصوب بانشا وفرشا الشيطان مبين لان ثمانية منصوب بانشاء ازواج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ارحام الانثيين لانتهاء الاستفهام صادقين لان اثنين منصوب بانشا ايضا ومن البقر اثنين ارحام الانثيين لان ام في قوله ام كنتم بمعنى الف استفهام توبيخ بهذا للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم الظالمين لغير الله رحيم ظفر لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ببغيهم للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا وللوصل وجه لان المعنى وانا الصادقون فيما اخبرنا من التحريم ببغيهم واسعة لاختلاف الجملتين المجرمين من شئ باسنا لنا تخرصون البالغة للشرط مع الفاء اجمعين حرم هذا كذلك معهم لتناسي جزاء الشرط مع العطف يعدلون **التفسير** انه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول و انتهى الكلام الى شرح احوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكري البعث والقيمة ثم اتبعه حكاية اقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تمم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدليل على اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشاء الاية نشا الشئ ينشا نشاء اذا ظهر وارتفع وانشاه الله يعني انشاء اظهره ورفعه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف له القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب يعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عروش يحمل عليها فيمسك وهو الكرم وما يجرى مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستواء وقوة ساقه من التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فبقي غير معروش والنخل والزرع فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التي يقتات مختلفا اكله والاكل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها والمراد ان لكل شئ منهما طعما غير طعم الاخر مختلفا حال مقدرة اى انشاه مقدرا اختلاف اكله لانه لم يكن وقت الانشا كذلك متشابها وغير متشابه في القدر واللون والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقال في الاية المتقدمة اعنى نظير هذه الاية وذلك قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ الاية انظروا الى ثمره اذا اثمر تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم مقدم على الامر في الاستمتاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية ابدية والحاصل من الاستمتاع الثاني سعادة جسمانية زائلة

وفايدة هذا الامر الاباحة وقدم اباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم على المالك تناوله لمكان شركة المساكين فيه وفي الاية اشارة الى ان حلو هذه النعم اما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم وان من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء النهار لا يلزم قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من العلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة والوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفايدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه هي ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع اما قوله واتوا حقه يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الاية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا فكيف يودي الزكوة يوم الحصاد والحب في السنبل فالجواب ان المراد اعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الاية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا دا[ا]ذا كدسته واذا عرفت كيله فاعزل زكوته وزيف بقوله صلى الله عليه وسلم ليس في المال حق سوى الزكوة وبان قوله واتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الاية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة فلما فرض العشر او نصف العشر فيما سقي بالسواني نسخ والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالاية على وجوب الزكوة في الثمار لانه قال واتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهو العنب والنخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج ايضا بها على ان العشر واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب انه بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف كما جاء في الخبر ابدا بنفسك ثم بمن تعول وروي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى جملة نخله فاخذها فقسمها في يوم واحد ولم يدخل الى منزله شيئا فنزلت الاية ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة فقد اسرف وبه فسر الاية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه في غير منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري لا تنفقوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو قبيس ذهبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المسرفين والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله تعالى فانه من اهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اي وانشا من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما تحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة اي مما احلها لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تسلكوا طريقه الذي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة وفي انتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد زوجا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين اي زوجين اثنين ومن المعز اثنين وفي الاية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضان خلاف الماعز وهو اسم الجمع الضان والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضان ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انه قرئ بفتح العين والضان ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل الذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضان وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس وبالانثيين الانثى من الضان وهي النعجة والانثى من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورهما واناثهما ولا مما يشتمل عليه ارحام الانثيين اي مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منهما الناقة والبقرة وما يحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت

ذكورا او اناثا او مختلطة من خلط تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم واكد ذلك بقوله نبئوني بعلم اخبروني بعلم اي بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية من الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم الا انه فصل بين بعض المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هي جملة معترضة جيء بها تاكيدا وتشديدا للتحليل فالاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد اما قوله ام كنتم شهداء فام منقطعة اي بل اكنتم شهداء ومعناه الانكار وتحواه اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فتهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى امثالهم بالظلم بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل وبحر البحاير وسيب السوايب والاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله تعالى في مسايل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوات وفي المعاد قال القاضي في الاية دلالة على ان الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوز ان ينسب الى الله تعالى واجيب بانه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا دونه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال القاضي لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التي يختص المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه انه لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه البيان الصحيح في الباب فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما اي طعاما محرما على طاعم يطعمه على اكل ياكله الا ان يكون ذلك الماكول او الموجود او الطعام او دما مسفوحا مصبوبا سايلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي احياء وما يخرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما ولا ما يختلط باللحم من الدم فانه غير سايل وسئل ابو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التي يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما النهي عن الدم المسفوح وباقي الاية ظاهر مما سلف في امثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوبات قبله واهل صفة له منصوبة المحل سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير في به يعود الى ما رجع اليه المستكن في يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين في الاية لم يجد فيما اوحي اليه قرانا وغيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذي جاء في المايدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم من اقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من اولها الى اخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي ساير النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس وبهما على تحريم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريم الاكل فكل نجس فانه يحرم اكله وما بعد اجماع الامة على تحريم الخبايث والنجاسات من جواز تخصيص عموم القران بخبر الواحد كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا اشكال وقيل المراد ان وقت نزول هذه الاية لم يكن تحريم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم ما عداها نسخ والاصل عدمه ثم بين انه سبحانه انما حرم على اليهود اشياء اخر سوى هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الاول انه حرم عليهم كل ذي ظفر وفيه لغات ضم الفاء والعين وهو الفصيح وكسرهما وقرئ بهما ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهي قراءة الحسن واختلفوا في الظفر فعن ابن عباس في رواية عطا انه الابل فقط وعنه في رواية اخرى وهو قول مجاهد انه الابل والانعام وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة وزيف بان الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحان لهم كما يجيء مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخالب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطاير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا قدم الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الحصر مبنيا للاية لا منافيا لها كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثاني قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضها وذلك شحومهما فقط وهذا ايضا ليس بالاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس الا ما علق بالظهر من الشحم فاني لم احرمه وقال قتادة الا ما

بالظهر والجنب من داخل بطونهما وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحف وهي الشحم التي على الظهر الملتزقة بالجلد
فيما بين الكتفين الى الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه يحمر عند الهزال ولهذا لو حلف لا ياكل الشحم فاكل من ذلك اللحم
السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء قوله او الحوايا قال الجوهري الحوايا الامعاء واحدها حوية وفي معناها
حاوية البطن وحاوياء البطن وقال الواحدي هي المباعر والمصارين والمحوي او ما اشتمل على الامعاء يعني ان الشحوم
الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث او ما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم الالية وقال
ابن جريج كل شحم في القوايم والجنب والراس والعينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذي
حرم الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير
حرمنا عليهم شحومهما او الحوايا او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة او كدخولها في قوله تعالى ولا
تطع منهم اثما او كفورا والمعنى كل هؤلاء اهل ان يعصى فاعص هذا واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك
الجزاء وهو تحريم الطيبات جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبياء واخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وغير ذلك
من قبايح افعالهم وانا لصادقون في هذا الاخبار او فيما توعد به العصاة قال القاضي نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة
على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان واجيب بالمنع من الامتناع يمكن ان يكون بنزيا الثوا
ويمكن ان يكون بشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في الخبار ايعاد العصاة وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جودا
وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد باسه اذا جاء وقت عذابه عن القوم المجرمين يعني المكذبين
وعلى اصولهم رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فماتوا قبل التوبة ثم حكى اعذار الكفار
الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان
اكد بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلا الزايدة لتاكيد النفي اخبر الله تعالى بما سوف يقولونه ولما قالوه قال في سورة
النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وانما قال في سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان
الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل اشياء وتحريم اشياء من دون الله
فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه فلا يدل
على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الاية لفظ من دونه مرتين حذف معه نحن ليطرد الاية في
حكم التخفيف اما تفسير الاية فزعمت المعتزلة انها تدل على قولهم في مسئلة ارادة الكاينات من سبعة اوجه الاول ان الذين
حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك هو صريح قول المجبرة فيكون هذا
المذهب مذموما الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على انهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان
الله تعالى ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشية القبايح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق
وجود القبايح من الكفر والمعاصي بمشية الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ ادلة السمع
والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب الانبياء وفي دفع دعوتهم
عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشية الله تعالى الثالث قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى
في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار اي لا علم لهؤلاء القايلين ولا حجة
الخامس ان تتبعون الا الظن السادس وان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق
لكم حجة على الله وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو اتينا بعمل على خلاف مشية الله لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا
الكلام غير لازم لان الله قادر على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف
وهذا هو المراد من قوله فلو شاء لهديكم اجمعين وبوجه اخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة الكاملة عليكم
فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيته فتوالوا جميع اهل الاديان والاعتقاد وقد اجابت
الاشاعرة بانا لما ثبتنا بالدلايل القاطعة من اول القران الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تاويل هذه الاية دفعا للتناقض فنقول ان
القوم كانوا يتمسكون بمشية الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء في ان التكليف عبث فبين الله تعالى ان ذلك من كاذيبهم
وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء الكفر من الكفر ومع ذلك بعث
الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة ممتنع ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس اول ما خلق الله القلم فقال اكتب
القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال صلى الله عليه وسلم المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة ثم ان ظاهر الاية معنا

معه قوله فلو شاء لهديكم اجمعين وحمل المشية على الالجاء والقسر تعسف والله اعلم ثم لما ابطل جميع حجج الكفار بين انه
ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم ومعناه اذا كان لازما اقبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله لم من
قولهم لم الله شعثه اي جمعه كانه قال لم نفسك الينا اي اقرب وها للتنبيه واستعطاف المامور حذفت الفها لكثرة
الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتانيث في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها هلما هلموا
هلمي هلممن والاول افصح وقد يوصل بالى كقوله تعالى والقايلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام ارادوا بهل
حرف الاستفهام ومعنى ام اقصد وقيل ان اصل استعماله ان قالوا هل لك في الطعام ام اي اقصد ثم شاع في الكل امر الله
تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانما لم يقل شهداء يشهدون
ليس الغرض احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة
مذهبهم ولهذا قال فان شهدوا اي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان
شهادتهم محض الهوى والتعصب ولاجل ذلك قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر
تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه ما في الاية فيعلم ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة

التأويل هو الذي انشا جنات في القلوب معروشات من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغير معروشات
هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والعلم والحلم والعقل و
الشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان الاخلاص متشابها
اعمالها وغير متشابه احوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوي
والقيل والقال واتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة يوم حصاده وان بلوغ السالك
مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا
تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل اوانها ومن الانعام اي ومن الصفات الحيوانية
التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكليف الشرع ومنها ما هو مستعد للاكل والشرب لصلاح
القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق
التجرد عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين
يجركم بالتفريط والافراط الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث [illegible]
صفات اخرجها محمودة اذا استعملت في محالها وبمقدار ما ينبغي من الضان اثنين ومن المعز اثنين والضان والمعز
من جنس الغريزية كما ان الابل والبقر من جنس الحمولة والذكر من الضان والمعز هو ما صفته شهوة البطن والفرج والانثى
منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفة الظلومية والجهولية
والانثى منهما الحمولية والاستسلام للاستعمال فبهذه الصفات الثانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت الكونيات
عن حملها [illegible] حملت عرش القلب [illegible] الاستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة
[illegible] لو شاء الله ما اشركنا الكلام في [illegible]
[illegible]

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم
واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم
تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده

واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها و
اذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم
وصيكم به لعلكم تذكرون ● وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم
به لعلكم تتقون ● ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي
احسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم
يؤمنون ● وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون ● ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
وان كنا عن دراستهم لغافلين ● او تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم
وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها
سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتي ربك او ياتي بعض
ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم
تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا
منتظرون ● ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ
انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ● من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم
لا يظلمون ● قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ● دينا قيما

ملة ابرهيم

ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ● قل ان صلوتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ● لا شريك له
وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب
كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون ● وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم
فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتيكم ان ربك سريع
العقاب وانه لغفور رحيم ●

القراءة تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد فحذفوا احدى التائين الباقون بالتشديد لاجل الادغام تاء التفعل في الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وأن بالفتح والتشديد صراطي بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمي تفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح ان ياتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل علي وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين امثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح ياء المتكلم ابو عمرو وابو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي بالسكون ومماتي بالفتح ابو جعفر ونافع الباقون بالعكس وانا اول بالمد نافع و ابو جعفر **الوقوف** شيئا لحذف اي واحسنوا بالوالدين احسانا لا لابتداء النهي مع احتمال العطف اي وان لا تقتلوا من املاق للعطف مع العارض وما بطن للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق لانتهاء بيان الاحكام الى توكيد الايصاء للاحكام تعقلون اشده للفصلين بين الحكمين بالقسط لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف ذا قربى لتناهي جواب اذا وتقدم مفعول اوفوا تذكرون لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله تتقون يؤمنون ترحمون لان التقدير فاتبعوه لئلا يقولوا من قبلنا لغافلين للعطف اهدى منهم للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة للاستفهام مع الفاء وصدف عنها يصدفون بعض ايات ربك خيرا منتظرون في شئ يفعلون امثالها لابتداء شرط اخر مع العطف لا يظلمون مستقيم لاحتمال ان دينا نصب على البدل من محل الى صراط او على الاغراء اي الزموا حنيفا لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين العالمين لا شريك له المسلمين كل شئ لانتهاء الاستفهام الى الاخبار الا عليها لتفصيل الامرين على التهويل مع اتفاق الجملتين اخرى لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون اتيكم العقاب للتفصيل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف اوضح رحيم **التفسير** لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم اتبعه البيان الشافي في الباب فقال قل تعالوا وهو من الخاص الذي صار عاما لان اصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة اي اتل الذي حرمه ربكم فالعايد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا باتل او بحرم واما منصوب بحرم على انها استفهامية فلا راجع والمعنى اتل اي شئ حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله في قوله ما حرم فيلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من التحريم البيان المضبوط او الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتداء فقال عليكم ان لا تشركوا او ان مفسرة اي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا ومثله في النواهي واضح ولما

الاوامر فيعلم بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في
القول ونكث عهد الله ولا يجوز ان تجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب اعني الامر على الخبر واعلم انه سبحانه بين
فرق المشركين في هذه السورة احسن بيان وذلك ان منهم من يجعل الاصنام شركاء الله تعالى فاشار اليهم بقوله واذ قال
ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة ومنهم عبدة الكواكب الذين ابطل قولهم بقوله لا احب الافلين ومنهم القائلون بيزدان
واهرمن ومنهم الذين يقولون الملئكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا
له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على احسان الوالدين وكفى به خصلة شريفة ان جعله
تاليا للتوحيد ثم وجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى من املاق اي من خوف الفقر كما صرح به
في الاية الاخرى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات احياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق
وهو السبب الغالب فلذلك ازال ذلك الوهم بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال في رزق نفسه على
الله فكذا القول في حال الولد قال شمر املق لازم ومتعد املق الرجل اذا افتقر واملق الدهر ما عنده اذا افسده وانما قال
ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقدير في الاية من املاق بكم نحن نرزقكم واياهم وهناك زيدت
الخشية التي تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر
منها وما بطن كما مر في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز
عنها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال امره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس
ثم افرد من جملة الفواحش قتل النفس التي هي المحرمة تنبيها على فظاعتها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق والذي يبيح
ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لجرم صدر عنها كما جاء في الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان
وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق ويندرج في سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل ان الاصل في قتل النفس هو
الحرمة وحله لا يثبت الا لامر منفصل ثم لما بين النواهي الخمسة اتبعه الكلام الذي يقرب الى القلوب القبول ذلكم وصيكم
لما في لفظ التوصية من الرافة والاستعطاف ومعنى لعلكم تعقلون لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين
والدنيا ثم ذكر اربعة انواع اخر من التكاليف وهو قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي اي بالخصلة او الطريقة التي هي احسن
وهي السعي في تثميره وانمائه ورعاية وجوه الغبطة لاجله كما مر في اول سورة النساء حتى يبلغ اشده اي احفظوا ماله الى هذه
الغاية الى اوان الاحتلام ولكن بشرط ان يونس منه الرشد قال الفراء واحد الاشد شد في القياس ولم يسمع وقال ابو الهيثم الواحد
شدة كانعم في نعمة والشدة القوة ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما واوفوا الكيل
والميزان بالقسط بالعدل والتسوية وايفاء الكيل اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان اي الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن
هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا امر الله المعطي بايفاء ذي الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير
طلب الزيادة ثم قال لا نكلف نفسا الا وسعها ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة والتسوية لا التحقيق المؤدي الى الحرج و
العسر وزعمت المعتزلة ههنا ان القدر من التضييق لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع انه لا قدرة له عليه او يخلق
القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وعورض بالعلم والداعي كما تقدم مرارا واذا قلتم فاعدلوا ولو كان
المقول له او عليه ذا قربى حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهي والاولى ان يحمل على الاقوال كلها فيدخل فيه قول
الرجل في الدعاء الى الدين وتقرير الدلائل عليه بان يذكر الدليل ملخصا عن الحشو ومبرأ عن النقض ومجردا عن العصبية والجدال
على مقتضى الهوى والتشهي وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوي فيه
بين القريب والبعيد ولا ينظر الا رضاء الله وختم الاوامر بقوله وبعهد الله اوفوا كما قال اوفوا بالعقود ويندرج في هذه الخاتمة
بالحقيقة جميع الانواع المذكورة وان هذا صراطي من قرا بالفتح والتخفيف فاسمها في ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم
واتل انه هذا صراطي وكذا فيمن قرا بالتشديد وبالفتح الا ان ضمير الشان لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبلها اي ذلكم
وصيكم به وبان هذا او بما بعده والتقدير ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن كسر فلان التلاوة في معنى القول او على الاستيناف
والمعنى ان هذا صراطي انه مستقيم ولا تتبعوا السبل المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات
فتفرق بكم الباء للتعدية اي فيفرقكم ذلك الاتباع عن سبيله المستقيم وهو دين الاسلام عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا
هذه الاية فهذه الاية بالحقيقة كالاجمال لما في الايتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التي هي ملاك العمل

وخير الزاد وختم الاولى بقوله لعلكم تعقلون لان هذه امور ظاهرة جلية يكفي في تعقلها ادنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم
تذكرون لان المذكورة فيها امور خفية يحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال او نقول الامور الخمسة
المذكورة في الاية الاولى كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بما في الانسان من اشرف السجايا وهو
العقل الذي امتاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة في الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها فكانت الوصية بها تجري
مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون اي تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله ثم اتينا موسى الكتاب معطوف على وصيكم فان قيل
كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل واجيب بان التكاليف التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف بحسب
اختلاف الشرائع كما روي عن ابن عباس ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل هن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة
ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الاية لاول شيء في التورية واما الشرائع التي كانت التورية
مختصة بها فهي انما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك ان اتينا
موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان في الاية حذفا والتقدير ثم قل يا محمد انا اتينا والمعنى اتل ما اوحي اليك ثم اتل عليهم
خبر ما اتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة وهو قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله تماما على الذي احسن
مفعول له اي ليتم نعمتنا على الذي احسن اي على من كان محسنا صالحا او المراد اتماما للنعمة والكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في
التبليغ وكل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه وقرئ احسن
بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه وتفصيلا لكل شيء فيدخل في ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وسلم وصحة
دينه وشرعه وهدى دلالة ورحمة لكي يؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب وهذا كتاب انزلناه لا شك انه القرآن
مبارك كثير الخير والنفع او ثابت لا يتطرق اليه النسخ كما في الكتابين فاتبعوه واتقوا لكي ترحموا لان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى
او اتقوا لترحموا اجراء على التقوى واتقوا مخالفته على رجاء الرحمة قال الفراء ان تقولوا مفعول واتقوا وقال الكسائي التقدير
انزلناه لئلا يقولوا وقال البصريون انزلناه كراهة ان تقولوا والخطاب لاهل مكة انما انزل الكتاب اي التورية والانجيل على
طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى وان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام في لغافلين هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل
وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدى منهم لحدة اذهانهم وكثرة حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها و
اشعارها وامثالها مع كونهم اميين فقطع الله عذرهم بانزال القران عليهم ثم قال فقد جاءكم اي صدقتم ان عدم انزال الكتاب
يصلح للعذر وانه لو انزل عليكم الكتاب لكنتم اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم فيما يعلم سمعا وهدى فيما يعلم سمعا وعقلا
ورحمة من الله في صلاح المعاش والمعاد فمن اظلم من بعد هذه المعجزات والبينات ممن كذب بايات الله وصدف عنها وضع
غيره منها لان الاول ضلال والثاني اضلال ثم ختم الاية باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة
العذر لا يؤمنون البتة وشرح احوالا توجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هل ينظرون اي ينتظرون ومعنى الاستفهام
النفي وتقدير الاية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجيء احد هذه الامور مجيء الملائكة او مجيء الرب ويعني به عذابه وبره كما سلف في البقرة
او مجيء المعجزات القاهرة قال في الكشاف الملائكة ملائكة الموت او ملائكة العذاب ومجيء الرب مجيء كل اية ثم قال يوم ياتي بعض
ايات ربك واجمعوا على ان المراد بهذه الايات علامات القيامة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف النبي صلى
الله عليه وسلم انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن والمراد انه اذا ابدت اشراط الساعة ذهب
اوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا لم تكن امنت من قبل ايمانها ولا نفسا ما كسبت في ايمانها خيرا ثم اوعدهم بقوله قل انتظروا
انا منتظرون ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الذين فارقوا دينهم او فرقوا ومعنى القراءتين في الحقيقة واحد لان الذي فرق
دينه والمعنى انه اقر منتظرون ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض وكفر ببعض فقد كفره فارقه اي تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين
بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
فصاروا شيعا اي فرقا واحزابا في الضلالة والشيعة كل فرقة تشيع اماما لهم وقال مجاهد وقتادة هم اليهود والنصارى
تفرقوا فرقا وكفر بعضهم بعضا او اخذوا بعضا وتركوا بعضا كقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وعن مجاهد
ايضا انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة لست منهم في شيء اي انك بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الاباطيل مقصور عليهم

لا يقدامهم اليك وقال السدي معناه لم تومر بقتالهم فلما امر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهي عن القتال في وقت لا يليق في
الامر به في وقت اخر فلا نسخ انما امرهم الى الله بالاستيصال والاهلاك ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي
الاية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان يكون واحدة ليسا هلوا الثواب الجزيل كما قال من جاء بالحسنة قيل كلا اله الا الله
والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم فله عشر امثالها اقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره حسنات
كقراءة من قرا عشر امثالها بالرفع والتنوين قيل هذا اقل الموعود وقد وعد سبعماية وبغير حساب وقيل المراد التحديد بل
اراد الاضعاف مطلقا كقول القايل لئن اسديت الي معروفا لاكافينك بعشرة امثالها وفي الوعيد لئن كلمتني واحدة
لاكلمنك عشرا روى ابو ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الله تعالى الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او اعفو
فالويل لمن غلبت احاده اعشاره وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم
بسيئة فلا تكتبوها وان عملها فسيئة وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم
ما الحكمة في الاضعاف جواب كان للامم اعمار طويلة وطاعات كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خير من الف شهر
واضعاف الاعمال لمن جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وايضا ان الخصماء يتعلقون بهم يوم القيمة فيذهبون باعمالهم الى ان يبقى الاضعاف فيقول الله اضعافه
ليس من فعلهم هو من رحمتي فلا اقبض منهم ابدا اخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش
ابدا فاستحق العقاب الابد بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم تكون عقوبته منقطعة
وايضا الذي جهله الكافر هو ذات القديم سبحانه وصفاته شيء لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه اخر اعتاق الرقبة
الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو كفارة الظهارة وتارة بدلا عن صيام ايام قلايل اخر احدث في راس انسان
موضحتين فوجب ارشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة واحدة فههنا ازداد الجناية وقل العقاب
اخر قد يجب بسبب اطراف شان ولطايف ترال ديات متعددة اذا حصل الاندمال وعند ترك الحيف وعشرين الاذنان
او ابطال حسهما العينان او البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان او النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر والانثيان الحلمتان
والشفران الاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء او الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال لذة الطعام الافضا
البطش المشي وقد تضاف اليها موضحات الجوايف والمواضح وساير الشجات فان عاد الجاني قبل الاندمال وحز الرقبة او قدة
بنصفين لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على ان رعاية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب ان الاسولة الثلثة ان هذه الامور
من تعبدات الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل لعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل
في دية النفس لعسر ضبط ذلك الجزاء الحقيقي موكول الى يوم الجزاء والله اعلم قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى
فلا اشكال وقال المعتزلة ان بين الثواب والتفضل فرقا لان الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا تكون
مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبايي العشرة تفضل والثواب غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب
دون التفضل فلا يكون للتكليف فايدة وقال اخرون لا يبعد ان يكون الواحد ثوابا الا انه يكون اعلى شانا من التسعة الباقية
ثم لما علم رسوله انواع الدلايل والرد على اصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات القضاء والقدر والرد على اهل الجاهلية
ابا طيلهم امره بان يقول انني هداني ربي ليعلم ان الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل وفيما فعل من تام كسيد من ساد ومن قرا
قيما فعل انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال بيان من ابرهيم
او الملة والمعنى هداني وعرفني ملة ابرهيم حال كونه او كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابرهيم وما كان من المشركين ردا
على من زعم عليه شيا من ذلك كما عرف الدين القويم والطريق المستقيم علمه كيف يصنع به ويؤديه فقال قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي
وتقربي اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال النسك سبايك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل المتعبد ناسك لانه خلص
نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك ههنا الذبايح جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله
فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي اخذا من مناسك الحج ومحياي ومماتي اي حيوتي وموتي مصدران ميميان وقال في الكشاف
المراد وما اتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يوتى بها كيف كانت بل لا بد ان يكون
جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته
وقال في التفسير الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وساير عباداته وحيوته ومماته كلها واقعة من الله تعالى بتقديره وقضايه
وحكمه وذلك ان المحيا والممات بخلق الله فكذلك الصلوة والنسك وبذلك من التوحيد امرت ثم لما امره به بالتوحيد المحض امره ان يذكر

ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل اغير الله ابغي ربا وتقريره ان طوايف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب ومن اليهود والنصارى
والثنوية كلهم معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد منكرا اغير الله اطلب ربا مع ان الذين اتخذوا الهة معترفون بانه
خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى ووجه اخر الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته
وقد ثبت ان الواجب واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فهو اذن رب كل شيء وصريح العقل شاهد
بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية ثم لما بين الدليل القاطع على التوحيد ذكر انه لا يرجع اليه من كفرهم
وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى
اي لا تواخذ نفس اثمة باثم نفس اخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هولاء المشركين الى موضع لا حاكم
هنالك الا الله تعالى فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان هذا المبدا والوسط والمعاد على سبيل
الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلايف الارض قيل الخطاب لبني ادم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة محمد صلى الله عليه
وسلم لانه خاتم النبيين فخلفت امته ساير الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق
لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان ولظهور الموفر من المقصر وتميز المطيع من العاصي حسب ما يقتضيه الحكمة والعدالة
والتدبير والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور
رحيم فادخل اللام في قرينة الترغيب واسقطها من قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه
بالذات والقهر والتعذيب يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب
بالسرعة لان كل ما هو ات قريب وانما لم يسقط عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة اصحاب السبت لان ذلك قد ورد
عقيب ذكر المسخ فناسب التاكيد باللام وانما اخر قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون ادل على كمال
رافته ووفور احسانه **التاويل** من ملاقيه نزل التوكل على الله وعدم الثقة بالله واوفوا الكيل كيل العمر وميزان الشرع
حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله اوفوا بان لا تعبدوا ولا
تحبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه وسلم
تماما على الذي احسن اي على من احسن من امتك اسلامه وفيه ان الكتب المنزلة كلها وشرايع الانبياء كانت تتمة للدين الحنيفي الذي
هو الاسلام ولهذا امر ان تقتدي بالانبياء ليجمع بين هداه وهداهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلى الله عليه وسلم والاحسان
ان تعبد الله كانك تراه انزلناه مبارك وبركته انه انزل على قلبه فكان خلقه القران فجاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى طريق
الله وهدى ما يهديكم الى الله انعم واكمل مما جاء في الكتاب فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة
عيانا وتسوقهم الى الله قهرا او الجاء او ياتي ربك اليهم اذلم يأتوا اليه في متابعتك قل انتظروا للمستحيل انا منتظرون للميعاد في
المعاد ان الذين فارقوا الدين الحنيفي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المبتدعة والزنادقة والمتزهدة وريا
وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شيء لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما امرهم الى الله في تدبير
الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم يوم الجزاء بما يستحق كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قبل في التحقيق يعود على الاتيان
بتلك الحسنة وهو حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة
بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيئات وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاتيان
وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في ارض النفس والنفس خبيثة لانها
امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا
نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات والمايات وبعد ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان
اربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس اي اذا صدرت عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون
بعشر امثالها وفي مرتبة الروح يكون بماية وفي مرتبة السر يكون بالف الى اضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى
وهذا سر ما جاء في القران والحديث من تفاوت الجزاء للحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل انني هداني ربي من اسفل سافلين
القالب بجذبة العناية الازلية ونسكي اي سيري على منهاج الصلوة معراج المومن ومحياي اي حيوة قلبي وروحي ومماتي اي ممات
نفسي لطلب رب العالمين والوصول اليه وانا اول المسلمين عند الايجاد لامر كن كما قال اول ما خلق الله نوري قل اغير الله كيف
الطلب غير الله وهو حسبي والمحب لا يطلب الا الحبيب واذا هو رب كل شيء فيكون ما له لي وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير علي

لالى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس امارة بالسوء والسوء عليها لا لها ولا تزر وازرة وزر اخرى فان القلب
سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يواخذ بمعاملة النفس ولا يأثم بعدائها
وانما يكون النفس فقط ماخوذة بوزرها معاقبة بما سعى اليه وان كان القلب متقلب الحال واذعنه الله تعالى باصبع القهر الى
محاذاة النفس فصدا مرآة القلب بصفات النفس واخلاقها فيتبع النفس وهواها فيرين ويزول عنه الصفات الطاهرة
والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظايف العبودية فيكون ماخوذا
بوزره لا بوزر غيره وهو الذى جعلكم اى جعل كل واحد من بنى ادم وقته وخليفة ربه فى الارض وسر الخلافة ان صوره على
صفات نفسه حيا سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى استعداد الخلافة ليبلوكم
ليظهر من المتخلق باخلاقه منكم القايم بربوبيته وامره فى العباد والبلاد ومن الذى يرجع القهقرى الى صفات البهايم وابطل
الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس فى سجين الطبيعة غفور رحيم لمن قصد لمرضاته ورفع درجاته

سورة الاعراف مكية حروفها اربعة عشر الفا وثلثمائة وعشر كلامها ثلاثة الاف وثلثمائة وخمس وعشرون اياتها مايتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم

المص ● كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به
وذكرى للمؤمنين ● اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا
تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون ● وكم من قرية
اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ● فما كان
دعويهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين ● فلنسألن
الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين ● فلنقصن عليهم بعلم
وما كنا غائبين ● والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه
فاولئك هم المفلحون ● ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ● ولقد مكناكم
فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ●

القراءة يتذكرون بياء الغيبة ثم تاء التفعل ابن عامر الباقون كما مر فى اخر الانعام **الوقوف** المص كوفى
للمؤمنين اولياء تذكرون قائلون نصف الجزء والربع الثانى من القرآن ظالمين المرسلين للعطف غائبين يومئذ الحق
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون يظلمون معايش تشكرون **التفسير** قد تقدم فى اول الكتاب مباحث هذه
الحروف المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله اعلم وافصل وقال السدى معناه انا المصور وقيل معناه الم
نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن فى صدرك حرج منه كما زاد فى الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف

بدل جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز ان يكون المص مبتدأ وكتاب ويعنى السورة خبره والجملة بعده
صفة له وجاز ان يكون المص خبر مبتدأ محذوف وكذا كتاب اى هذه المص هو كتاب انزل اليك والدليل على انه
منزل من الله تعالى هو انه ما تلمذ استاذا ولا تعلم من معلم ولا طالع كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى
على ذلك اربعين سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب المشتمل على علوم الاولين والاخرين فلن يبقى شبهة فى انه مستفاد بطريق
الوحى القائلون بخلق القرآن زعموا ان الانزال يقتضى الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجيب بان الموصوف
بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع فى كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف اعراض غير
باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالى وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول اجيب بانه تعالى
احدث هذه الرقوم فى اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال فلا يكن
فى صدرك حرج اى شك وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منفسح الصدر منشرحه ومعنى منه اى من
شان الكتاب اى لا تشك فى انه منزل من عند الله او من تبليغه اى لا يضيق صدرك من الاداء وتوجه النهى الى الحرج كقولهم
لا ارينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثله قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره امر للكافرين
وانه فى الحقيقة امر للمؤمنين بان يغلظوا على المشركين وفى متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفى الكلام
تقديم وتاخير اى انزل اليك لتنذر به فلا يكن فى صدرك حرج وفائدة التقديم والتاخير ان الاقدام على الانذار والتبليغ
لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانبارى انه متعلق بالنهى واللام بمعنى كى والتقدير فلا يكن فى صدرك
شك كى تقدر على انذار غيرك لانا اذا لم نخبرهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب
اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريدون ان يطفئوا وفى موضع اخر ليطفئوا
والتقدير لا يضيق صدرك ولا يضعف عن ان تنذر به وقيل ان فى تقدير الكلام هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه
تنزيل الله تعالى فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن فى صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا
لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق من القلب فاشتغل بالابلاغ والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا تبال باحد من
اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين به وقال الزجاج هو اسم فى موضع
المصدر وقال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر
تذكيرا والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اى للانذار وللذكرى وانما لم يعطف
على محل لتنذر لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى
بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة فى بحر الذات الجسمانية
فيحتاج الى زاجر قوى ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس لا انها غشيتها غواش من عالم الجسم
فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى انذار وتخويف واما الصنف الثانى فاذا سمعت دعوة الانبياء و
اتصل بها انوار ارواح رسل الله تعالى تذكرت معدنها وابصرت مركزها واشتاقت الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان
فلم يحتج الا الى تذكير وتنبيه فثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا فى حق طايفة وذكرى فى شان طايفة
ثم لما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوى وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتبعوا ما انزل اليكم من
ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون بذلك مكلفون به والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول
للقرآن والسنة جميعا عن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفى الاية دلالة على ان تخصيص عموم
القرآن بالقياس غير جائز لان معاملة المنزل واجبة فلو عمل بالقياس لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس لكونه مستفادا
من القرآن وهو قوله فاعتبروا يا اولى الابصار عمل بالقرآن ايضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء
اولى من العمل بالمنزل بواسطة ثم اكد الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اى لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين
الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير فى من دونه لما انزل اى لا تتبعوا من دون
دين الله اولياء احتج نفاة القياس بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير
ما انزل الله تعالى فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى
القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجمعت الامة على عدم تكفيره اجاب مثبتو القياس بان
كون القياس ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف بانكم اثبتم ان الاجماع حجة

بعموم قوله ويتبع سبيل المومنين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة و
الفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت العقلية تمسكا بالاية واجب
بان العلم بكون القران حجة موقوف على صحة التمسك بالدلايل العقلية فكيف يكره ثم ختم المخاطبة بنوع فقال قليلا ما تذكرون
اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما في ترك المتابعة من الوعيد فقال وكم من قرية فموضع كم رفع
بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اي كثير من القرى اهلكناها مثل زيد ضربته وتقدير النصب ايضا عربي جيد وفي الاية
حذف لان القرية لا اهلاك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكنه يقال التقدير وكم من اهل قرية لقوله
فجاءها باسنا والباس بالاهل انسب ولقوله او هم قايلون لان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا باهلاكهم ولان معنى
البيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها رد الكلام على اللفظ او كما يقال الرجال فعلت وههنا سوال وهو ان
قوله فجاءها باسنا يقتضي ان يكون الاهلاك مقدما على مجي الباس ولكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد
حكمنا بهلاكها واردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجي الباس واحد
كانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء
قد يجي للتفسير كقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه و
اليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجي الباس جار مجرى التفسير للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد
وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد ان يقال الباس والهلاك يقعان معا كما يقال اعطيتني
فاحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير اهلكناها
فحكم بمجي الباس كان الاهلاك وامارة الحكم بوصول مجي الباس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه امن الالباس كقولهم عرضت
الناقة على الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيت العدو اي اوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات
الرجل بياتا حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال يعني بايتين او مبيتين ثم قال او هم قايلون والجملة حال معطوفة
على بياتا كانه قيل فجاءها باسنا مبيتين او بايتين او قايلين وانما حسن ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان
الواو والحال قريب من واو العطف لا سيما استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرف العطف وبينه جمع بين المثلين وذلك مستثقل
فقولك جاءني زيد راجلا وهو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو محذوفة
مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار و
ان لم يكن نوم لقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقت البيات والقيلولة لانهما
لانهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا باسباب الفراغ والرفاهية والامن و
السكون فان عذاب الله انما يجي دفعة من غير سبق امارة شعر يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
فقوم لوط اهلكوا بالسحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجي الباس فقال فما كان دعويهم اي ما كان يدعونه من
قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس فما كان
تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على انفسهم بالشرك وقال اهل اللغة الدعوى اسم يقوم مقام الدعاء حكى
سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين اي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم
فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعويهم وعلى عكسه محل ان قالوا يجوز ان يكون نصبا او
رفعا كما سبق في اعراب قولهم فلم تكن فتنتهم الا ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا اجلا فقال فلنسالن الذين ارسل
اليهم نسال المرسل اليهم عما اجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسال المرسلين عما اجيبوا به
كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال فلنقصن عليهم اي على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم
الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفايدة في سوال المرسل اليهم بعد ما
اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم والتقصير تقريعا
وتوبيخا فان قيل ما الفايدة في سوال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلحق كل التقصير بالامة فيتضاعف اكرام الله
تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع مواجب التقصير ويتضاعف اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار فان قلت كيف الجمع
بين قوله فلنسالن وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لعلهم لا يسالون
عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها ولكنهم يسالون عن الدواعي التي دعتهم اليها وعن الصوارف التي صرفتهم عنها والمراد بنفي سوال

الاستفادة والاسترشاد واثبات سوال التوبيخ والاهانة فلا تناقض وفي الاية ابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبيا
ولا على الكفار ومنها انه سبحانه عالم بالكليات والجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ في الارض ولا في السما فالالهية لا تكمل
الا بذلك ومنها انه غير مختص بشئ من الاحيان والجهات والا كان غايبا عن غيره ثم بين ان من جملة احوال يوم القيمة وزن الاعمال
فقال والوزن هو مبتدا خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتدا اي الوزن العدل يوم يسال الله الامم والرسل وقيل لا يجوز
الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كاين لا محالة وفي
كيفية الميزان قولان الاول ما جاء في الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها
وكيف يوزن فيه وجهان احدهما ان المومن يتصور اعماله والكافر بصورة قبيحة فيوزن تلك الصورة ذكره ابن عباس وثانيهما
ان الوزن يعود الى الصحف التي يكون فيها اعمال العباد مكتوبة يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يوزن يوم
القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين تنصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان
على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض في احدهما لوسعتهن وجبريل اخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله
بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى برجل يوم القيمة الى الميزان ويوتى له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل
منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله فتوضع في الاخرى فترجح قال القاضي يجب ان يحمل هذا على انه ياتي بالشهادتين بجميع العبادات والا كان
اغراء على المعصية ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوفر من ساير الاعمال لان معرفة
الله تعالى اشرف العقايد والاعمال وروى الواحدي في البسيط انه اذا خفت حسنات المومن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حجرته بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المومن للنبي صلى الله عليه
وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك محمد وهذه صلواتك التي كنت تصلي علي قد وفيتك احوج ما تكون اليها
القول الثاني قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتاخرين ان المراد من الميزان العدل لان العدل في الاخذ والاعطاء لا يظهر
الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يوكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قد فنيت وعدمت
ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاوها واما قول الموزون صحايف الاعمال او صور مخلوقة على حسب مقادير الاعمال
فيقول المكلف يوم القيمة اما ان يكون مقرا بانه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب
في علمه بانه عدل وصواب واما ان لا يكون مقرا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيات وبالعكس حقيقة الرجحان
اجاب الاولون بان جميع المكلفين يعرفون يوم القيمة انه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفايدة في وضع الميزان ظهور
الرجحان لاهل الموقف وازديادا لفرح والسرور للمومن وبالضد للكافر واختلف العلماء ايضا في كيفية الرجحان فقال بعضهم
يظهر هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيات وقال اخرون بل يظهر الرجحان في الكفة واختلف ايضا في
الموازين فقيل انها جمع موزون واراد الاعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولين سلم انها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ
الجمع على الواحد فيقولون خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان
له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فما الموجب لترك الظاهر والمصير الى التاويل قال عز من قائل
ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وايضا لا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق
بالقول ميزان اخر ثم ان المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله تعالى حصر اهل الموقف في قسمين
منهم من يزيد حسناته على سياته ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا العكس القسم اهل الكفر لانه حكم عليهم بان الذين
خسروا انفسهم بسبب الظلم بايات الله اي التكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولين سلم ان العاصي معاقب لكنه معاقب
اياما ثم يعفى عنه ويتخلص الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله ابد الاباد من غير زوال ولا انقطاع
قيل في الاية دلالة على ان الذين يكون حسناته وسياته متعادلتين منا وبين غير موجود والله اعلم ثم لما فرغ من التخويف
بالعقاب الاجل رغب الخلايق في قبول دعوة الانبياء بطريق اخر وهو تذكير النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال
ولقد مكناكم في الارض اقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش هي جمع معيشة وهو ما يعاش به من المطاعم
والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التي تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالاثمار او بواسطة
كالاكتساب والوجه في معايش تصريح الياء لانها اصلية لا زايدة كصحايف بالهمز في صحيفة وعن ابن عامر او نافع في بعض
الروايات الهمز تشبيها بصحايف واستبعده النحويون البصريون ثم عاب المكلفين بانهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغي

تعالى قليلا ما تشكرون وفيه اشارة الى انهم قد يشكرون وقليل من عبادى الشكور **التأويل** المص هو آدم من لطفه اورد عباده للمحبة والمعرفة وانعم عليهم بالصدق والصبر لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب انزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما انزل على الكتب في الالواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق عطف والقى الالواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القران شرف امته بان امرهم باتباع ما انزل اليهم ليتخلقوا باخلاق الله وكم من قرية قلب افسدنا استعدادها فجائها باسنا اى ذاعت قلوبهم باصبع القهارية واهلها نائمون على فراش الحسبان تائهون في نهار الخذلان فما كان ادعاؤهم الآن قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الادب انا كنا ظالمين فنسبوا التقصير الى انفسهم ولم يعلموا ان الله تعالى يقلب افئدتهم وابصارهم فلنسألن الذين ارسل اليهم وهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما امرتم ام لا فيكون السؤال سؤال التعنيف وتعذيب وهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسألن المرسلين سؤال انعام والزام هل بلغتم هل وجدتم امما قابلي الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فيعلمون انا ما ارسلنا الرسل اليهم عبثا وانما ارسلناهم لامر عظيم وخطب جسيم وما كنا غائبين اى عما كنا غائبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لاهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا روى يؤتى يوم القيمة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يوزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الكاملة فاولئك هم المفلحون من شرانيتهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به اعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن به اوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن به احواله ولخفيه ميزانا يوزن به اخلاقه والخفي لطيفه وخاصيته قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما وضع في الميزان شئ اثقل من حسن الخلق وذلك انه ليس من نعوت المخلوقين وانما هو خلق لرب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق باخلاقه ومن افسد استعدادها لقد مكناكم هيأنا لكم خلافة الارض دون غيركم من الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش لكل صنف من الملك والحيوان معيشة واحدة وذلك ان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هي معيشة روحه ومعيشة الحيوان وهي معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هي معيشة نفسه الامارة بالسوء وقد جعل للانسان بهذا التركيب ابا الانسانية والهاما لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهي القلب والسر والخفي فمعيشة قلبه هي الشهود ومعيشة سره هي الكشوف ومعيشة خفيه هي الوصال

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ● قال
ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين ● قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر
فيها فاخرج انك من الصاغرين ● قال انظرني الى يوم يبعثون ●
قال انك من المنظرين ● قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ● ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين ● قال اخرج منها
مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ●

ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا
تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ● فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما وورى عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين ● وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ● فدلاهما
بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ● قالا
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ●
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين ● قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ●

القراءة لاملان بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج **الوقوف** الا ابليس لا نه معرفة فلا يصلح الجملة صفة الساجدين اذ امرتك منه لانقطاع النظم مع اتحاد القول طين الصاغرين يبعثون المنظرين المستقيم للعطف شمائلهم شاكرين مدحورا لان ما بعده ابتداء قسم محذوف اجمعين الظالمين الخالدين الناصحين بغرور جواب لما منتظر مع الفاء ورق الجنة لان الواو للاستيناف مبين انفسنا سكتة للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة الخاسرين عدو لعطف المختلفتين الحين تخرجون **التفسير** من جملة نعمة الله علينا ان خلق اباءنا آدم فجعله مسجودا للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكير النعم ونظير هذه الآيات مما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل آدم خليفة في الارض مسجودا للملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله تعالى في سبعة مواضع في البقرة وههنا وفي الحجر وفي سبحان وفي الكهف وفي طه وفي ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي ان امر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر في الواقع بالعكس واجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان آدم عم اصل البشر نظيره قوله لبني اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقال صلى الله عليه وسلم لخزاعة قد قتلتم هذا القتيل وانما قتله احدهم ومنها ان المراد خلقناكم من آدم ثم صورناكم اي صورنا ذريته آدم في ظهره في صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق في اللغة التقدير

وتقدير الله تعالى عباده من علمه بالاشياء ومشيئته فتخصيص كل شيء بمقداره المعين فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله
وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما كان
كما جاء في الخبر كتب ما هو كاين الى يوم القيمة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى ادم وامر الملائكة بالسجود له
قال الامام فخر الدين رحمه الله وهذا التاويل عندي اقرب الوجوه وتاويل هذه السجدة وان ابليس هل هو من الملائكة او لا
قد تقدم في اوايل سورة البقرة فلا وجه لاعادته اما قوله سبحانه ما منعك ان لا تسجد فظاهره يقتضي انه تعالى طلب من
ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة ص ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي فلهذا الاشكال حصل للمفسرين رحمهم الله اقوال اولها وهو الاشهر ان لا صلة زائدة كما في لئلا اقسم وكما في قوله
لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى
الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل في لئلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب وفي ما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود
وتلزمه نفسك قلت لعل المراد ان زيادة لا للاشارة الى نفي ما عدا المذكور ليلزم منه تحقق المذكور وثانيها ان اثبات الزيادة في كلام
الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار اي انه منعك من ترك السجود كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك
من ضربي اديتك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه الامور فما امتنع من ضربي وثالثها ان القاضي ذكر ان
المنع وارادة الداعي كالترادف فما عالة الى انه لا يسجد لان مخالفة امر الله تعالى حالة عظيمة منها وبيان عن الداعي اليها وقيل الممنوع
من الشيء مضطر الى خلافه فانه منع منه وقيل معناه ما الذي دعاك الى ان لا تسجد وقيل ما من قال لك ان لا تسجد واقول في الاية
قولان لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا التقدير ما منعك من السجود الا تسجد اي لان لا تسجد توجه عليه هذا
السؤال والجواب علم بجوده تناسب امره باجاب ونعاده هذا السؤال من علام الغيوب توبيخ واظهار لمعاندته ومقالته وجحوده
واستدل العلماء بالاية على ان مجرد الامر يقتضي الوجوب والا لم يترتب الذم عليه وعلى ان الامر يقتضي الفور والا لم يستوجب الذم بترك
السجود في الحال ثم استانف اللعين قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم وبالعلو منه مستبعدا ان يؤمر مثله بسجود مثله وذلك الخبر
التي منعته عن السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف
خفيف حار يابس مجاور لجواهر السماوات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها
وايضا النار قوية التاثير والفعل والارض ليس فيها الا القبول والانفعال والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة
مناسبة الحرارة وهي مادة الحيوة والنضج واما الارضية فللبرد واليبس تناسب الموت والحيوة اشرف من الموت وايضا سن
التمييز والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان بخلاف وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية
والمخلوق من الافضل افضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر
في العقول فهذه شبهة ابليس والمقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص
بفوايد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود وفي التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل
ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان اللعين مرد ودجال ولو لم يكن في
النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفي الارض الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى بهذا الكلام واما
ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج
الكافر من المؤمن ويحصل الدخان من النار والتكليف يتناول الحي بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد
قال ايتوني باعمالكم ولا تاتوني بانسابكم ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت
ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز
الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال او لتشريف المفضول والرفع من مقداره قال العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا
لادم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس اخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول في زمرة
المتكبرين على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس انه كانت الطاعة اولى بابليس
من القياس فعصى ربه وقاس واول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشيء من رايه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب
بانه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار بسجود من كان مخلوقا من
الارض لكان قبح امر من كان مخلوقا من النور المحض بسجود من هو مخلوق من الارض اولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان الشريف اذا
رضي بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وحينئذ لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك ولا باس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط

هذا الحق فقبح امره بالسجود وقياسه يوجب تخصيص النص لا دفعه بالكلية فعلم ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس
كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف او قال على لسان بعض ملائكته فاهبط يعني اذ لم تمتثل
امري فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق ادم وقال بعض المعتزلة امره بالهبوط من السماء
التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك
ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا اهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج
ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله قال
انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين
ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل قال مطلقا انك من المنظرين قيل ان هذا المطلق مقيد لقوله في موضع
اخر الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال اخرون لم يوقت الله تعالى له
اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله لانه يقدم
على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله
تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء او على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء
على المعصية لانه لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد
ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض في جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن ان تتعلق الباء بقوله لاقعدن لان
لام القسم تابى ذلك لا يقال والله بزيد لامرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام وحروف النفي التي هو ما ويجيء
تعمل من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فكانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولها لضعفها وانما تتعلق بفعل
القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي بسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم
باغوائك لاقعدن ومعنى القسم بالاغواء انه من جملة اثار القدرة اي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن
وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا للسعادة الابدية
فكان جديرا بان يقسم به وهذا يناسب اصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة و
الجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ونعني بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف
بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم
ابتدأ فقال لاقعدن ويرد على هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس
اضاف الاغواء ههنا الى الله تعالى وفي قوله فبعزتك لاغوينهم اضاف الاغواء الى نفسه فالاول يدل على الجبر و
الثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة اجاب المعتزلة عن قوله فبما اغويتني بان قول ابليس و
اعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لادم فعند ذلك ظهر منه كفره فلهذا المعنى اضاف الغي الى الله تعالى
فقد يقال لا تحملني على ضربك اي لا تفعل ما اضربك عنده او المراد بالاغواء الاهلاك واللعن وقالت الاشاعرة نحن لا
نبالغ في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيف كان يرجع الى حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انا
نقطع بان الغاوي لا بد له من مغو وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والذهول او
التسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود اما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصابه على الظرف كقوله
شعر لدن بهز الكف يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريق الثعلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن
اي على الظهر والبطن والمراد لاعترضن لهم اي لبني ادم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعرض
العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل انه يواظب على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر
القعود لانه من اراد المبالغة في تكميل امر من الامور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود واعلم ان العلماء
اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قايل بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق
ومن قايل بالثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم
بناء على زعم الخصم واعتقاده ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان
لا القلب وهو المعنى بكفر العناد ويمكن ان يجاب بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الاية دلالة
على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه فلا ملام بمهل ابليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوايل

المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الانبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى الكفر والضلال
ثم انه امات الانبياء وابقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال الجبائي في دفع هذا الاعتراض
انه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل ايضا بدليل
قوله تعالى ثم انكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم
يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة توجب الزيادة في الثواب وضعف
قول الجبائي بانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا حصل عنده جلساء السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى
فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا الشيطان المزين للقبائح في قلوب الكفار
والفساق وزيف قول ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة حجة اخرى لنا فانه تعالى لا يراعي المصلحة وتقريره انه خلق تلك
الزيادة توقع في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته ان يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة شيء لا حاجة
اليه والاهم دفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان الاله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة
التي لا ضرورة اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه الاول من بين ايديهم اي اشككهم في صحة البعث والقيمة ومن خلفهم القي
اليهم ان الدنيا قديمة ازلية والثاني من بين ايديهم نفترهم عن الرغبة في سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوي رغبتهم في لذات
الدنيا وطيبات الدنيا فالاخرة بين ايديهم لانهم يردون اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها والثالث قول
الحكم والسدي من بين ايديهم يعني الدنيا لانها بين يدي الانسان وانه يشاهدها ومن خلفهم الاخرة لانها تاتي بعد ذلك واما
قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم في الكفر والبدعة وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن ايمانهم افترهم
عن الحسنات وعن شمائلهم اقوي دواعيهم الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك
اي من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اي من المؤخرين وعن الاصمعي هو عندنا باليمين اي بمنزلة حسنة وبالضد ان العكس
وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية احدها القوة الخيالية التي يجتمع فيها
مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات
بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد التي عن
يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة ما لم تستعن بشيء من هذه
القوى الاربع لم يقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية اما في الذات او في الصفات كشبه
المجسمة واما في الافعال كشبه المعتزلة والتجوير والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين
يديه ويحضر منه فيعتقد ان الغائب مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم
الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات وعن شقيق رحمه الله ما من صباح الا ويأتيني الشيطان
من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني
من وقوع اولادي في الفقر فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما عن يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة
للمتقين واما عن شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له
تدع ديارك وتتغرب فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وينكح امرأتك فعصاه فاسلم ثم قعد
له بطريق الهجرة فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والرصد من الجهات مثل لوسوسته اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له
كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك بقي ههنا بحث وهو انه كيف قال من بين ايديهم
ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف قد تختلف حروف الظروف كما تختلف حروف التعدية
على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه ومعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي عليه ومعنى عن انه جلس متجافيا
عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول به رميت عن القوس وعلى القوس
ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه
بمعنى لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقال بعض
المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد والمباينة وعلى جنبي اليمين والشمال ملكا لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد
والشيطان لابد ان يتباعد عن الملك ولا كذلك حال القدام والخلف وقالت الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر وكنا

منهما العقائد الباطلة والكفر ومن ايمانهم وعن شمائلهم الشهوة والغضب والناشئ منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر
لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انهما في اللزوم
والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب
تفويت السعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد روي ان الشيطان لما قال
هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات فاوحى الله
تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهتا الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل التضرع والخضوع او وضع جبهته
على الارض بطريق الخشوع غفرت له ذنب تسعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه ان يدخله
في بدن ابن ادم ويخالطه لانه لو امكنه ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة احق قلت هذا مناف لما في الحديث ان
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان
قد راه في اللوح المحفوظ فقال على سبيل القطع واليقين وقال اخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة
في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدق الله تعالى في ذلك الظن حيث قال ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب و
القوى السبع النباتية والجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو النفس الى عالم
الجسم وانما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكثر من استيلاء واحدة
لا سيما وهي في اول الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوتها تعرج عليها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا
تجد اكثرهم شاكرين قال الله تعالى في جوابه اذا كان هذا عزمك فاخرج منها مذؤما مدحورا الذأم العيب والذم يهمز ولا يهمز
والدحر الطرد والابعاد وفي المثل لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد
مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام يعني لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله
انكم قوم تجهلون اي انكم وانهم وعلى هذا فقوله لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كما ان الكافر يتبعه وكذلك
الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار واجيب بشرط عدم العفو قوله ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الاية فيها
من المسائل ان قوله اسكن امر تعبد او امر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف فان زوج ادم وهي حواء وان تلك الجنة
كانت جنة الخلد او جنة من جنات السماء او جنة من جنات الارض وان قوله وكلا امر اباحة لا امر تكليف وان قوله ولا تقربا نهي تنزيه
او نهي تحريم وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانها اي شجرة كانت وان ذلك الذنب كان صغيرا او كبيرا وان الظلم
بقوله فتكونا من الظالمين باي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة ادم او بعدها وبحق قد قضينا الوطر عن جميعها في سورة
البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب
والمصدر الوسواس ايضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة
لاجله ومعنى وسوس اليه القاها اليه اي تكلم معه كلاما خفيا يكرره ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما قيل اللام لام العاقبة لان
الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما ال امرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبدو العورة كناية عن زوال الحرمة
وسقوط الجاه الذي غرضه او لعله راى في اللوح المحفوظ او سمع من الملائكة انه اذا اكل الشجرة بدت عورته وفي ذلك سقوط
حشمته وقوله ووري اي ستر والسوأة فرج الرجل والمرأة ثم بين وسوسة ابليس بانه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
اي الا كراهة ان تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين سؤال كيف يطمع ابليس ادم في ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه
شاهد الملائكة ساجدين له معترفين بفضله اجيب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة وبعد سجود الملائكة له ان هذا احد
ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لادم هم ملائكة الارض اما ملائكة السموات وملائكة العرش والكرسي والملائكة المقربون
فما سجدوا البتة لادم والا كان هذا التطميع فاسدا وربما يجاب بانه اراد ان يصير مثل الملك في البقاء والدوام وزيف بلزوم التكرار
من قوله او تكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر اللام كان الملعون اتاهما من جهة الملك كقوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بان
ادم لعله رغب في ان يصير من الملائكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يصير جسما نورانيا مقره العرش والكرسي نقل
ان عمرو بن عبيد قال للحسن ان ادم وحواء هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن
ان تصديقه في الخلود يوجب انكار البعث والقيمة وانه كفر ويمكن ان يقال لو اراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم ان الخلود

مغتر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من ادم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك
الدليل السمعي لم يصل الى ادم وقتئذ ثم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من ادم لا قطعا ولا ظنا وانما اقدم
على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان نقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان الامر
كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير سؤال
المقاسمة من الجانبين فكيف يتصور التقاسم بين ادم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقالا له اتقسم بالله
انك ناصح واقسم لهما بالنصيحة واقسما بقبوله او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدليهما
بغرور اي اوقعه فيما اراد من تقرير واصله ان الرجل العطشان يدلي رجليه في البئر ليأخذ الماء فلا يجد ماء فيها فوضعت
التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه وقيل اي جرأهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدلي على اقرانه في الحرب كالبازي
يدلي على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين وكان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من بعض عبيده
طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له
فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما تناولا اليسير قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في اية اخرى فاكلا منها لم يدل على
الاكل لان الذوق قد يكون من غير اكل بدت لهما سوآتهما ظهرت عوراتهما مثل صغت قلوبكما مكان قلبا كما وطفقا
يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق مكان كاد قال الزجاج اي يجعلان ورقة على ورقة ليستترا بها كما تخصف
النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق التين وفيه دليل ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا
الى الستر لما تقرر في عقليهما من قبح كشف العورة الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وباقي الايات مفسرة في سورة البقرة عن ثابت
البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي
اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطوه وكفنوه في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب
بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وبقي علينا من التفسير احراز المتشابهات الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها قوله قال
ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك وفي الحجر يا ابليس ما لك حذف المنادى في هذه السورة لانه مضى ذكره ها بقرب فلم يحتج
الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السورة لانه
لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر
فقال ما منعك ان تسجد وما لك ان لا تسجد وحذف ان تسجد وحذف ما لك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما منعك
ان لا تسجد قوله انا خير منه الاية وفي ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهر الا انه زاد في الحجر لفظ الكون فقال لم اكن لاسجد
لبشر ليكون مطابقا للسؤال حيث قيل ما لك الا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر فانظرني
لانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون المنادى بخلاف السورتين واما زيادة
الفاء في السورتين دون هذه السورة فلان داعية الفاء ما تضمنه النداء من ادعوا وانادي نحو قوله ربنا فاغفر اي ادعوك فاغفر
فلما حذف النداء في هذه السورة تركت الفاء وكذلك قوله قال انك من المنظرين ليطابق الجواب والسؤال قوله فبما اغويتني وفي الحجر
فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج
منها مذؤما ليس في القرآن غيره وانما اختص الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى آخره فبالغ
جل جلاله في ان الذام اشد الذم فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا وهذا
لا يستدعي زمانا ممتدا يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلا يصلح
الا بالواو وان معنى اجمعا بين الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تاخير الاكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد
في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض الافاضل في الجواب عن هذه المسائل ان اقتصاص ما مضى اذا لم يقصد
به اداء الالفاظ باعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا ادى المعنى المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت مونة السهر
التاويل ولقد خلقناكم اي ارواحكم ثم صورناكم اي خلقنا لكم لارواحكم اجسادا كما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح
قبل الاجساد بالفي الفي عام ولتصوير الاجساد بداية وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم فان لفظ الذرية يقع
على المصورين ووسط يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهاية هي حالة الكهولة في الاغلب ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وانتم في
هذا من التمكين ايضا فسجدوا لاستعدادهم الفطري للسجود ولا يتمامهم بامر الله الا ابليس لم يكن من الساجدين لما فيه من الاستكبار
قال ما منعك خطابا لامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاق اللعين فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب بعفو تقديري قضاني

ولكنه كان اعور عين اليمنى بصيرا بالعين التي راى بها انانيته فقال انا خير منه ارى معنى خيرية منه اذا تجلى له هو دوني
واستدل على خيريته بانه خلق من نار وهي علوية نورانية لطيفة وادم خلق من طين سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بان
النار من خاصيتها الاحراق والفناء والطين من خواصه النشو والنما والاستمساك الذي تقوية بصيرة الانسان مستمسكا للفيض
الالهي ونفخ في الروح فيه فاستحق سجود الملائكة لانه صار كعبة حقيقية فلما ابتلى ابليس بالصفات وطرد من الجوار اخذ في النوح وليس
من الروح وضي بالقعاد والهمان بالحيوة فقال انظرني فاجيب الى ما سال ليكون وبالا عليه وزيادة في شقوته ولكن لم يجبه بان لا
يذيقه الم الموت لقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لم يكن حوالة الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد
وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم لاقعدن لاتينهم من الجهات التي فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر
من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل الطعن في الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن ايمانهم من قبل افساد
ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف
مع عامة المسلمين والمراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل الصلف والعجز وعن ايمانهم من قبل الادعاء
واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على انفسهم ما ليس فيها من الكشوف والاحوال ومن بين ايديهم من قبل
الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل
مخالفة الشيخ والرد بعد القبول او من بين ايديهم اتود عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم اتود عليهم آباءهم و
امهاتهم وعن ايمانهم اتود عليهم احبابهم وعن شمائلهم اتود عليهم اعداءهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان
المحبة مطيعة المحنة فتكونا من الظالمين على انفسكما ان المحبة نورا ونارا فمن برد نارها يجد نورها وبرد نارها احرقت انانيته
فيبقي بلاهوتية نفسه مع هوية ربه فههنا يجد نور المحبة ويعفو ربه كقوله يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل
ادم كما خمر طينة ادم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له عليها ولهذا فان الانسان حريص على ما منع ولم يكن الشجرة
طعمة لبني ادم واولاده الا ان تكونا ملكين اي من اهل السلوة كملكين في زوايا الجنة او تكونا من الخالدين في الجنة كالحور والرضوان
فسقاهما ابليس في كاس القسم شراب ذكر الحبيب وقاسمهما فلما غرقا في لجة المحبة وذاقا شجرة المحبة بدت لهما سوآتهما نار
المحبة قبل نورها وهي فرقة الاحبة في البداية وطفقا لاشتغال نار المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما فلما التهبت الحرقة
بلظاها داحية الواصلة ونعق غراب البين بالفرقة شعر فبينما نحن في لهو ونطرب بدا سحاب فراق صوبه هطل
واني كنت مشغوفا بطلعته مضى وافقرنه الرسم والطلل فالصبر مرتحل والوجد متصل والدمع منهمل والقلب مشتغل
وناديهما ربهما نداء العز والكبرياء الم انهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب
والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين شعر واخجلتا من وقوفي باب داركم
اذ قيل لي مغضبا من انت يا رجل فانغمس بماء الخجلة منهما عوينات البشرية ولوث التعب الانانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لوبه
وعلما ان لا منجا ولا ملجا منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعناها في شبكة المحنة المحبة تعنينا ولا المحنة تغنينا
بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا
بالمولى فامر بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو النفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس
والقلب وللروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة
تستحق خطاب ارجعي من الهبوط واذ في بعد السقوط شعر ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تياسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا
قال فيها اي في المحبة تحيون بصدق الهمة وقرع باب العزيمة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها
تخرجون الى عالم الحقيقة والله اعلم

يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا
ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة

ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ● واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر
بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ● قل امر ربي بالقسط واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم
تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون ● يا بني ادم خذوا
زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين ● قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك
نفصل الايات لقوم يعلمون ● قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به عليكم سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ● ولكل امة
اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ●

القراءة ورياشا ابو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الاخرون بالنصب ربي الفواحش مرسلة الياء حمزة **الوقوف** وريشا لمن قرا ولباس مرفوعا ومن قرا النصب وقف على التقوى خير يذكرون سوآتهما لا يؤمنون امرنا بها بالفحشاء ما لا تعلمون الدين تعودون على جواز الوصل لرد الضمير الى البداية الضلالة مهتدون ولا تسرفوا لاحتمال الفاء فيها ولا يستقدمون **التفسير** لما ذكر ان الارض مستقر لبني ادم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني ادم قد انزلنا وايضا لما ذكر واقعة ادم في انكشاف العورة انه كان يخصف عليهما اتبعه ذكر اللباس من الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان التستر باب من ابواب التقوى ومعنى انزال اللباس انه قضى وكتب وانه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزل الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وعن قراءة رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقول الجوهري الريش والرياش كاللبس واللباس وهو اللباس الفاخر ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان ومنه قولهم رشت فلانا اصلحت

حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على ساير الاموال اما قوله ولباس التقوى فمن قراء بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة كالضماير في صلوح العود بسببها واما المفرد الذي هو خير لكم وذلك بدل او عطف بيان او صفة بتاويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما للتعظيم لباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس التقوى هو اللباس الواري للسوأة اي مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس اي اللباس الذي انزل الله تعالى ليواري به السوأة هو لباس التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفتك الصدق في ابواب البر والصدق خير لك من غيره فتعبد به او المراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها في الحروب او يراد الملبوسات المعدة لاجل اقامة الصلوات ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما اظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الاية ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به وقربه الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضاف اللباس الى التقوى كما اضيف الى الجوع والخوف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من ايات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفون عظم النعمة فيه ثم حذر اولاد ادم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن بعدهما فقال يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق وورق فتين اي فضة محرقة قال تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقربه عنده من فيضان ربه فهو على اولاده ان لا يدخل الجنة اقدر ومحل كما اخرج نصب على المصدر اي فتنة مثل اخراج ابويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة في اولاده ومحل ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام في ليريهما سوآتهما لام العاقبة او لام الغرض كما تقدم في قوله ليبدي لهما قال ابن عباس يرى ادم سوأة حواء وترى حواء سوأة ادم وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عائشة ما رايت منه ولا راى مني وحمله العلماء على الكراهية لا على التحريم واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقيل النور الحايل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وقيل اللباس هو الذي هو ثياب الجنة قال الكعبي في الاية دلالة على ان المعاصي والفتن كلها منسوبة الى الشيطان واجيب بانه لا بد من الانتهاء الى الخالق الكل وموجد القدر ولو الدواعي ثم علل النهي واكد التحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اي جماعته الثلاثة فصاعدا والقبيلة بنو اب واحد وقال ابن قتيبة اي اصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله اي جماعته من حيث لا ترونهم اي يكيدون ويغتالون من حيث لا يشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن الانس كثافة اجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا الا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيه ولو اراد الله تعالى في قوة ابصارنا لرايناهم كما يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف اجسامهم وبقيت ابصارنا على هذه الحالة لم يخل هذا الادراك في عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول اوقات الاستقبال وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة ولو قدر الجن على تغيير صور انفسهم باي صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن معرفة الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط الناس وازالة العقل عنهم لكان اولى الناس بذلك المشايخ والعلماء لان العداوة بينهم وبين خواص الانس اشد وعن مجاهد قال ابليس اعطينا اربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى والضمير في انه للشان وهو تاكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل ثم قال انا جعلنا الشياطين اولياء واحتج اهل السنة على انه تعالى هو الذي سلط الشيطان عليهم حتى اضلهم واغواهم ويتاكد هذا النص بقوله انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اعترض القاضي بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولي لمن لا يؤمن او المراد التخلية بينهم وبينهم كمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل واجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم ذلك فهل يمكن خلاف حكم الله وبان الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم هي في اتخاذهم البحاير والسوايب وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخلصة المتزايدة في القبح اعني الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هي في نفسها فواحش ويعتقدون انها طاعات فوبخوا على ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند كل عاقل والثاني ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا

بالفحشآء فللمعتزلة ان يحتجوا به على ان الشئ انما يقبح لوجه عايد اليه وان كونه في نفسه من الفحشآء مغاير لتعلق الامر والنهي
ولهذا اكد هذا المعنى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب ان عدم الامر بالفحشآء لا ينافي ارادة الفحشآء ومشيتها ونحن
لا ندعي الا انه تعالى مريد بجميع الكائنات وان شيئا منها لا يخرج من حكمه وارادته وتقديره مع انه لا يامر الا بالعدل والصواب
كما قال قل امر ربي بالقسط قال عطاء والسدي اي بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قوله لا اله الا الله و
يندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وافعاله واحكامه واقيموا فليس من باب عطف الطلب على الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم
اي استقبلوا القبلة او استقيموا واخلصوا عند كل مسجد في كل وقت سجود وكان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في
الصلوة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا تقولن لاحد اني لا اصلي
الا في مسجد قومي ثم لما امر بالتوجه الى القبلة امر بالدعاء والاظهر ان المراد به اعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة
هو الدعاء والذكر ويمكن ان يقال الدعاء بمعنى العبادة في الدعاء ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا
فان من خلقه الله في اول البيت الامر للشقاوة يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل
السعادة وكانت عاقبته السعادة ويويد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وانتصاب
فريقا الثاني بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل او اضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت به قال القاضي المعنى فريقا
هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة اي العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذي يحق عليهم دون
غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يامر انبياءه باضلالهم عن الدين كما امرهم باقامة الحدود
المستحقة واجيب بان قوله هدى وحق ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة والضلال عنها لا بد
ان يكون محكوما به في الازل وخلاف حكمه محال ثم بين ما لاجله حق على هذه الفرقة الضلالة لئلا يعتقد السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب
الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتاملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم عين
ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين
ثم لما امر بالقسط وكان من جملة امر اللباس والماكول والمشروب وايضا امر باقامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال
يا بني آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى كانت المراة لتطوف بالبيت وهي عريانة
فتعلق على سفليها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذباب وهي تقول شعر اليوم يبدو بعضه
اوكله ٭ فما بدا منه فلا احله ٭ وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد
وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا
ليعروا من الذنوب كما يعرون من الثياب وقال الكلبي كان اهل الجاهلية لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام
حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك فانزل الله الاية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة
لبس الثياب لقوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعني الثياب وايضا الزينة لا تحصل الا بالستر التام للعورات ولانه يناسب
ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوى اللبس غير واجب فوجب حمل الزينة على اللبس عملا
بالنص بقدر الامكان ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب فالاية تقتضي وجوب اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل به في القدر الذي لا يجب ستره من الاعضاء
اجماعا فبقي الباقي داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب في الصلوة والا فسدت صلوته قال اصحاب ابي حنيفة لبس الثوب
المغسول بماء الورد على اقصى وجوه النظافة اخذ الزينة فيكفي في صحة الصلوة واجيب بان اللام في قوله واقيموا الصلوة ينصرف
الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه صلى في الثوب المغسول بماء الورد واما قوله وكلوا اي
اللحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما امر اباحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم من ترك
الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين ايضا في الجملة ومما يشتمل جميع المطعومات
والمشروبات دينا ولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل ايضا موكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع
الحل والاباحة وفي قوله ولا تسرفوا وجهان اولهما انه ياكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا
يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثاني وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم
اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم في وقت الحج ما احلها الله تعالى لهم قال بعض العلماء ان حمل
الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي اولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان

سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من
علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه قال وما هي قال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يوثر من رسولكم شيء من الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ
يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم
ولا نبيكم لجالينوس طبا قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم
زينة الله قال ابن عباس وكثير من المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال الاخرون انما يتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمركب
والحلي وكذا كل ما يستطاب ويستلذ من الماكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب
قال ان ترهب امتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال تحدثني نفسي بالسياحة قال سياحة امتي الغزو والعمرة والحج فقال
ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الاولى ان تكفي نفسك وعيالك وان ترحم المسكين واليتيم وتعطيه ما فضل من ذلك فقال
نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال ان الهجرة في امتي هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها قال ان المسلم اذا غشي
اهله وما ملكت يمينه فان لم يصب من وقعته ذلك ولدا كان له وصيف في الجنة وان كان له ولد مات قبله او بعده كان له قرة عين
وفرح يوم القيامة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيمة قال فان نفسي تحدثني ان لا اكل اللحم قال مهلا
في اكل اللحم اذا وجدته ولو سالت الله ان يطعمنيه كل يوم فعله قال فان نفسي تحدثني ان لا امس الطيب قال مهلا فان جبريل امرني
بالطيب غبا وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فان من رغب عن سنتي ومات فليس مني ولو مات قبل ان يتوب
صرفت الملئكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة تقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضر او يتساوى ضرها ونفعها فوجب الحكم في التعيين
ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وجب لاطلاق الاية وان كان الضر خالصا وكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم
المتقدم وان كان النفع راجحا والضر مرجوحا يقابل المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر
الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا الطريق صارت هذه الاية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحل والحرمة
الا ان يجد خاصا في الواقعة فيقضي به تقديما للخاص على العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس
اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان هذا النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس مخصصا لعموم
هذا النص فيكون مردودا الا ان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فان القران واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان تلك
الزينة والطيبات خلقت في الحيوة لاجل المومنين بالاصالة والكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فامتعه قليلا واما في الاخرة فانها
خالصة لهم فقال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة ومن قرا بالرفع فلانه خبر بعد خبر قال ابو علي او على الخبر وللذين
امنوا متعلق به والتقدير هي خالصة للذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم القيمة على هذا يكون ظرفا لخالصة فيفهم من ذلك انها
في غير يوم القيامة غير خالصة لهم بل يكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون في الحيوة ظرفا لمحذوف اي هي للذين امنوا غير
خالصة في الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيمة ومن قرا بالنصب فعلى الحال وباء في التقدير كما ذكرنا نفصل الايات لقوم يعلمون
اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة وحصرها في ستة انواع
لان الجناية اما على الكفر والفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما ان يكون على العقول
وهي شرب الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل الفواحش الكباير والاثم الصغاير وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه و
تبالغ والاثم عام لكل ذنب كانه خصص ولاثم عمم واما ان يكون الجناية على النفوس والاموال او الاعراض واليهن الاشارة
بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا يقدموا على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فحينئذ يخرج عن
ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا اي لا سلطان حتى ينزل واما بالافترآء على الله وذلك قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فان قيل الفاحشة
وغيرها من التي نهى الله تعالى عنها هي غير تقدير الاية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفايدة فالجواب ان كون
الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم شدد امر التكاليف
بالاجال المحدودة والانفاس المعدودة فقال لكل امة اجل عن ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى امهل كل امة كذبت
رسولها الى وقت معين لا يعذبهم قبل ذلك ولا يوخرهم عنها والمقصود وعيد اهل مكة وقيل معناه ان اجل لهم لا يتقدم ولا
يتاخر سواء الهالك والمقتول واورد على القول الاول انه ليس لكل امة من الامم وقت معين لا يعذبهم في نزول عذاب الاستيصال

وعلى الثاني انه كان ينبغي ان يقال ولكل انسان واحد اجل ويمكن ان يقال الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الاجال لاجل السؤال وليس المراد انه تعالى لا يقدر على تبقيته ازيد من ذلك ولا انقص ولا يقدر ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه تعالى عن كونه قادرا مختارا او صيرورته كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اخبار ان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما يستعمل في تقليل الاوقات عرفا فالساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزء يوم بليلته قبل عند حضوره يمتنع عقلا وقوع ذلك الاجل في وقت المتقدم فما معنى ولا يستقدمون واجيب بان مجئ الاجل محمول على قرب حصول الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتاخر منه اخرى والله اعلم

التأويل قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوات الافعال القبيحة في الظاهر وسوات الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية باداب الطريقة في الباطن وريشا زينة وجمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى يواري به سوات الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوى هو محبة المولى فيواري به سوأة التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى يواري بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من التقى بقاؤه بهوية المولى يواري بها هويته غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالتقوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك من آيات الله اي انزال الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها ومتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سوآتهما من مخالفة الحق ومما علمنا ان في هذه الصفة ومن جملة سوآتهما كل كمال ونقصان كان مستورا فيهما فاذا ابدا بعد تناول الشجرة انه يريكم هو وقبيله يعني من الروحانيين الذين لا صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما اولي في آدم وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم اي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشأها الصفات الحيوانية وانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التي هي منشأ علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور الرباني انا جعلنا الشياطين اولياء خلقناهم مستعد بالتولية امور اهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وجمعها قالوا انا وجدنا آباءنا على محبة الدنيا وشهواتها والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما بداكم لطفا وقهرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العبدية كما قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ القوة بحيث يضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرائع وآثارها وزين النفوس بالآداب واسرارها وزين القلوب بالشواهد وانوارها وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع وآثارها فمن يتصدى لطلب هذه المقامات فهي مباحة له من غير تاخير وقصور وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة في الدنيا مشوبة بشوائب الآفات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الفواحش ما يقطع على العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن حظوتها بالبال وحضور وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع ما لانفسهم نصيب منه ولو نذرة وما بطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ما ظهر منها ترك ادب من الآداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون الى شيء في الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغي وهو حب غير الله فانه وضع في غير موضوعه وان يستغيثوا بغير الله ما لم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وان تقولوا بفتوى النفس وهواها او بنظر العقل على الله ما لا تعلمون حقيقتها او تقولوا في معرفة الله وبيان احوال السائرين ما لستم به عارفون ولكل امة من السائرين الى الله او الى الجنة مدة مضروبة في الازل وعدا للاولياء ووعيدا للاعداء وسياسة لنفوسهم واستمالة لقلوبهم

يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ه

فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ● فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ● قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ● وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ● ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ● لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ● والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ● ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ●

القراءة حتى اذا اداركوا فيها كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدي اي تداركوا بالتاء سهل مخير وكذلك قوله تعالى اثاقلتم وقالوا اطيرنا وافق الكسائي في ثنا قلتم اخريهم لاوليهم بالامالة الشديدة ابرهيم بن حماد وحمزة وعلي وخلف وقراء ابو عمرو وغير ابرهيم بن حماد اوليهم بالامالة اللطيفة اخريهم بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق البخاري والخزاز عن هبيرة

في اخريهم بالامالة الشديدة فانهم بضم الهاء دويس وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعلة الا قوله ومن يولهم لا يعلمون
بياء الغيبة ابوبكر وحماد لا نفتح لهم بتاء التانيث والتخفيف ابو عمرو وقرا حمزة وعلي وخلف بفتح بياء تحتانية وبالتخفيف الباقون
بتاء التانيث والتشديد غواشي بالياء في الوقف يعقوب وكذلك كل كلمة سقطت الياء او الواو لاجل التنوين او لاجتماع
الساكنين وهو مذهب سهل من طريق ابن دريد مما كان بغير واو العطف ابن عامر الاخرون بالواو وثمودها وابه بادغام
التاء في التاء ابو عمرو وحمزة وعلي وهشام **الوقوف** اياتي لان الفاء بعده لجواب الشرط ولا هم يحزنون النار
خالدون باياته من الكتاب يتوفونهم لان ما بعده جواب اذا من دون الله كافرين في النار اختها جميعا لما قلنا من النار
لا تعلمون تكسبون الخياط المجرمين غواش المجرمين وسعها وجعل اولئك خبر للموصول اوجه بناء على ان قوله لا نكلف
نفسا الا وسعها معترضة الجنة خالدون الانهار للعطف مع الفارق هدانا الله لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى
بالحق لابتداء النداء بانها جزاء بعد انتهاء الحمد والثناء على انما علماء تعملون **التفسير** لما بين احوال التكليف وان
لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر بين انهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرايع الحقة فلا خوف عليهم ولا حزن
وان كانوا متمردين وقعوا في اشد العذاب فقال يا بني ادم اما ياتينكم واعرابه مثل ما مر في سورة البقرة فاما ياتينكم
مني هدى والراجع محذوف اي فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون اقطع لعذرهم
واقرب الى الفهم والانس ومعنى اياتي احكامي وشرايعي الدالة على صحة المبدا والمعاد ثم فصل شان الجاحدين بقوله فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب باياته والاول الحكم بوجود ما لم يوجد كاقوال اصناف المشركين وطوايف المبتدعة والثاني
انكار حكم وجد من نبي او كتاب ثم اخبر عن عاقبة امرهم فقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل اي العذاب المعين من سواد
الوجه وزرقة العين وقال الزجاج اي انواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار
ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا في ذمتنا ان نصفهم ولا نتعدى عليهم وان نذب عنهم فذلك معنى النصيب
وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ان النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله تعالى ومشيته من الشقاوة والسعادة والختم
على الكفر والشرك او على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كانه سبحانه
بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الا ان ذلك ليس بمانع من ان ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى
لكي يصلحوا ويتوبوا ويؤكد هذا التفسير قوله عقيبه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدا بعدها
الكلام وانها هيهنا جملة شرطية فدل على ان مجي الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة
وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت واعوانه وانهم يطالبون
الكفار بهذه الاشيا عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون في الاخرة والرسل ملئكة
العذاب يتوفون عدتهم عند حشرهم الى النار اي يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم احد وفي الكشاف ما وقعت موصولة
باين خط المصحف قلت واني رايت النقل على العكس كما ذكرته في المقدمة السابعة من مقدمات الكتاب ومعنى الاية اين الالهة
التي تدعون اي تعبدونهم او تدعونهم في الشدايد قالوا على سبيل الاعتراف الى الانصاف ضلوا عنا اي غابوا وذهبوا ولم
ننتفع بهم وشهدوا على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية احوال
الكفار وذلك قوله قال اي الله وعن مقاتل هو من كلام خازن النار وهذا مبني على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان
كلام سخط ادخلوا في امم قيل اي ادخلوا في النار مع امم والاولى ان لا يلتزم الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كاينين في جملة امم
تقدم زمانهم زمانكم في النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن فيهم سابق ومسبوق
كلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك واليهودي اليهودي والنصراني النصراني وكذا المجوس
وساير اديان الضلال لا نظيرها فلان يلعن غيرها اولى حتى اذا اداركوا يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار وادرك بعضهم بعضا
واستقر معه قالت اخريهم دخولا في النار لاوليهم دخولا فيها او اتباعهم وسفلتهم لروسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان
عندي لان المضل لا بد ان يكون مقدما على الضال في دخول النار واللام بمعنى لاجل او لاجلهم وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم
ربنا هولاء اضلونا فاتهم الفاء للجزاء عذابا ضعفا اي مضاعفا وذلك عذاب الضلال وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل
وتزيينه في اعينهم والسعي في اخفاء الدلايل قال ابو عبيدة الضعف مثل الشي مرة واحدة وهو قول الشافعي في رجل وصى فقال
اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدي يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الزهري العرب تريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصور
على المثلين بدليل قوله عز من قايل فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا واقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها

وانما قال الشافعي ما قال لان ذلك المتيقن وما نحن فيه مشكوك قال اي الله او خازن النار لكل من القادة والاتباع ضعف
اما القادة فلما قلنا واما الاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم وتوجها امرهم سبيل هيهنا ان تضعيف العذاب الذي يستحقه
الشخص ظلم واجيب بان في التفسير الكبير ان عذاب الكفار مؤبد فكل ان الحاصل الم اخر الى غير النهاية [illegible]
لا يختص بضعف من الكفار وان ضعف ولا يختص [illegible] والصواب ان يقال معنى تضعيف هذا التابع
والمتبوع ان ذلك العذاب زايد على [illegible] لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه
على الغيبة ومن قرا على الخطاب [illegible] ما لكل منكم من العذاب ولا تعلمون [illegible] مقدار ذلك
وقالت اولاهم لاخريهم [illegible] فما كان لكم علينا من فضل [illegible] ان لكم مواخذون بالاتباع كما نحن
مواخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال
في التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان [illegible] عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم
عذاب الضلال فقط [illegible] حكاية قول الكفار يوم القيمة [illegible] والكذب عليهم جائز عندنا [illegible] والله ما كنا مشركين [illegible]
الكذاب [illegible] يوم القيمة [illegible] ان يكون كاذبا لانهم [illegible] الله سبحانه بان
لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم في النار فقال ان الذين كذبوا باياتنا وهي الدلائل الدالة على الذات والصفات
والنبوات والمعاد واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء [illegible] لاعمالهم ولا لارواحهم
ولا لشي مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن قوله كلا ان كتاب الابرار
لفي عليين وقال السدي وغيره لا تفتح لارواحهم ابواب السماء التي هي موضع بهجة الارواح واماكن سعاداتها كما جاء
في الحديث ان روح المومن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها ابوابا فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب و
يقال لها ذلك حتى ينتهي الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فانه لا يفتح لك ابواب السماء وقيل
بناء على ان الجنة في السماء معناه لا يوذن لهم في الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها حتى دخلوا الجنة وقيل لا ينزل عليهم
البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول وسئل
ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسايل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف والسم بالحركات الثلث وقد قرئ بها ثقب
الابرة وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال
الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع وكما كان جسم الجمل اعظم الاجسام المشهورة عند العرب كما قال
شعر لا عيب بالقوم من طول ومن عظم جسم الجمال واحلام العصافير فكان سم الابرة مثلا في ضيق المسالك حتى قيل اضيق من ثقب
الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدايه في المضايق المشبهة باخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط
المحال ليلزم ياسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا افعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض
القار وقرئ الجمل على وزن القمل وكذا الجمل على وزن الحبل ومعناه لا ان القلس وان الحبل يناسب الخيط الذي يسلك في سم الابرة
والبعير لا يناسبه واهل التناسخ اولوا الاية بان الارواح كانت في ابدان البشرية لما عصيت واذنبت فانها بعد موت الابدان
ترد من بدن الى بدن ولا تزال تبقى في التعذيب حتى تنتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فينتقل في سم الخياط وحينئذ تصير مطهرة
عن تلك الذنوب فيدخل الجنة ويصل الى السعادة وكذلك مثل ذلك الجزاء نجزي المجرمين قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون
المار ذكرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون
الجنة ذكر انهم يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهاد اي فراش ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي كل ما يغشاك اي يجللك
والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين في غواش مثلها في جوار
اعني انها للتمكين عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء او عن اسكان الياء وكذلك
نجزي الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات
الاية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره في اخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدا وخبره وليس باجنبي والا لم يحسن
وفيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها تحصل بالعمل السهل من غير حرج وصعوبة فبعدا لمن فاته وسحقا ومن جعله
خبرا فالعايد محذوف اي لا نكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا ما في صدورهم من غل نزع الشي قلعه
من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر في تفسير قوله وما كان لنبي ان يغل وللاية تفسيران
احدهما ازلنا الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعه من ان يرد على

القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التواد والتعاطف عن علي كرم الله وجهه
انى لارجوان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم الثانى ان درجات اهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى
ازال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى
من تبرى بعض اهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببديع ولا بعيد من حال اهل الجنة فان اولياء الله تعالى فى دار
الدنيا ايضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى وبنور عنايته وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيبا بها
لا يميل طبعه الى نوعه وكل هذا نتيجة ملكة الرضاء بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيموتون كذلك ويحشرون
على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة اولئك الكرام تجرى من تحتهم الانهار وهذه من جملة اسباب النزهة والترفه ان
اجرى على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان اريد بها انواع المكاشفات واصناف التجليات وقالوا الحمد لله
الذى هدانا لهذا النعيم والفوز العظيم بان يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف وبان اعطى العقل ونصب الادلة و
ازاح العلة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله من قرأ بواو العطف فظاهر ومن حذف الواو فلانها جملة يقرب معناها من معنى
الاولى فكانها تفسيرها فلا حاجة الى العطف فاذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل
ربنا بالحق فجعله واسطة لهدايتنا ولطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا
لان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم بانه تلكم الجنة والضمير للشان والحديث ويجوز كونه بمعنى اى لان النداء فى معنى القول
وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا فكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكون التبعيد للتعظيم ومعنى اورثتموها صارت
اليكم ميراثا كما يصير الميراث الى اهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورثك الشرف او العار
وقيل قيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل اهل النار لما روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا اهل الجنة
رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل
لا التفضل وقال غيرهم لو كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة على ذلك المنادى
هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك التاويل يا بنى ادم اما ياتينكم رسل الهامات من انفسكم من طريق قلوبكم واسراركم
وفيه ان بنى ادم كلهم مستعدون لارشادات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول اكرمنى الله بالكرامات والمقامات
ولم يعط او كذب بمقامات اعطا بعض اولياء او لئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسل الالهامات
الالهية والواردات الربانية بعد ان كان هاما فى تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية
قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المحرومون انهم كانوا اشتروا الحق بالباطل
فهذا مع الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لان الله خلق اولا بنى الجان
منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة وقيل نبيهم فاستاصلوهم ثم خلق آدم وذريته
منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت امة فى اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سنوها حتى اذا اداركوا
اى تدارك الكل فى الاعمال الموجبة النار عذابا ضعفا لان من سن سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها لكل ضعف
لان المتاخر ايضا يتقدم الذى يتلوه ويستن بسنته ولكن لا تعلمون انكم متقدمون لمتاخريكم فما كان لكم من فضل لانكم سننتم لمتاخريكم
كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط
احكام الشريعة واداب الطريقة وحتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله ادق من الشعر
بالقمرة فيلج فى سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين صادت انفسهم فى جمل الاولى كالجمل لهم من
جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفة النفس وقمع الهوى لحاف فنذيبهم ونحرق انانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها
فيرفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى يتيسر العبودية بحسن التوفيق والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن
بينهم ان لعنت الله على الظالمين • الذين يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون • وبينهما حجاب
وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادى اصحاب
الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون • واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين •
ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى
عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون • اهؤلاء الذين
اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا
انتم تحزنون • ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين •
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون • ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون •
هل ينظرون الا تاويله يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل
قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد
فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون •

القراءة نعم بكسر العين حيث كان على الباقون بالفتح مؤذن بغير الهمز البخارى عن ورش ويزيد والشمونى وحمزة فى
الوقف ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون
مشددة وبالنصب الوقوف حقا لانتهاء الاستفهام نعم للعطف مع الابتداء بالتاذين على التعظيم الظالمين لان
الذين صفتهم عوجا لاحتمال الواو الاستفهام او الحال كافرون لان ما بعده لم يدخل فى التاذين ولم يجز ان يكون حالا حجاب لئلا
حال القسمين لاتفاق الجملتين بسيماهم يطمعون اصحاب النار لان ما بعده جواب اذا الظالمين تستكبرون رحمة لتناهى الاستفهام

والاقسام يجزيون بذقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب كالنعل هذا انما مصدريه كما في كما نسوا
والتقدير ننساهم اشيائهم وجحودهم يجحدون يومنون الاما ويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء التعقيب كالنعل
يفترون **التفسير** ولما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال ونادى وانما
ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه موجب لتحقق وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد
الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قيل الجنة في اعلى السموات والنار في اسفل
الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقريب القريب عندنا ليس من موانع الادراك
ولو سلم المنع في الشاهد فلم نسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد
العموم لان الجمع اذا قوبل بالجمع يوزع الفرد على الفرد ولكل فرد من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وان في ان وجدنا
مخففة من الثقيلة كما مر في قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتاذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا
ما وعدنا ربنا في الدنيا من الثواب حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار
البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في قلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمومنين وترغيب كما في سائر الايات وانما حذف المفعول
في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعيد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق
الا بحال المومنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيامة
قالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق اي تستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقته والحاصل ان نعم
للتصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او اقام زيد فتقول نعم كان معناه قام زيد وان
الم يقم زيد قلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن عباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكان كفرا وهذا
من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل اليس لي عليك دين فقلت نعم الزمت الدين بناء على
العرف الطاري بعد الوضع وكانه بكسر العين من نعم وروى عن عمر رضه انه سأل قوما عن شيء فقالوا نعم فقال عمر اما النعم فالابل
قولوا نعم وانكر هذه الرواية ابو عبيدة فاذن مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور يامره الله فينادي نداء يسمع اهل الجنة
واهل النار ومعنى التاذين النداء والتصويت للاعلام بالصلوة وبوقتها والظالمون في الاية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر
انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله اي المنع عن قبول الدين الحق بالقهر او بالحيلة والقاء الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله
ويبغونها عوجا وتقدم في آل عمران والكفر في الاخرة كلاهما من اوصاف الكفرة وانما قدم بالاخرة تصحيحا للفواصل الاي ولم يرد
لفظة هم هنا على القياس واما في سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم
والقياس ذلك لئلا يلتبس انهم هم غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال وبينهما يعني بين الجنة
والنار او بين الفريقين حجاب وهو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل اي حاجة الى ضرب هذا السور والجنة
فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب بان بعد احدهما عن الاخر لا يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف جمع عرف
بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه
والاعراف في الاية يفسر بالمكان تارة وبغيره اخرى اما الذي فسره بالمكان فهم الاكثرون فقالوا ان المكان الاعراف اعالي السور
المضروب بين الجنة والنار ويروى عن ابن عباس وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف
من هم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون في الدرجة العليا من الثواب وثانيهما انهم في الدرجة النازلة وعلى الاول
فيه وجوه فقال ابو مجلز هم ملائكة يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل له يقول الله تعالى وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم
ملائكة فقال الملائكة ذكور لا اناث ويرد عليه ان الرجل يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل يطلق على الذكر من بني ادم وقيل
هم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على احوالهم ومقادير
ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله تعالى على هذه الاعراف
لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يدخلهم في اخر امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره
الفراء وخصه بعضهم فقال قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن اباءهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر
وعن عبد الله بن الحارث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذي
فسره بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة اهل الجنة والنار رجال يميزون البعض اما بالالهام
او بتعريف الملائكة الحسن والله لا ادري لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون

اهل الجنة وجوههم ضاحكة مستبشرة ومبيضة واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من
المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة ابين
وقال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشرك والكفر والفساق وهم كانوا في الدنيا شهداء الله
على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون
على كل احد بما يليق به ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر على سبيل
الاستيناف ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون كان سائلا سال عن حالهم او على انه صفة اخرى لرجال في دخولها
فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى اخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم
الى الدرجات العلى في الجنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الدرجات العلى ليرونهم من تحتهم كما ترون
الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابرهيم ع والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يوم الدين ولا يخفى ما في هذه العبارة من حسن الاداب وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال
لانهم يطمعون لفضل الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدي
التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يات من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان
تبيان وتلقاء وانه في الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا
الى الله تعالى ان لا يجعلهم من زمرتهم وفي بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدة هي ان صارفا يصرف ابصارهم
لينظروا فيستعيذوا ويتجاوزوا ثم بين ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من اكابر اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم
بما لا يليق الا بهم فنادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما
كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا في التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة
كانوا يستضعفونهم ويستقلون احوالهم وربما استهزؤا بهم وانفوا من مشاركتهم في دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اما قولهم ادخلوا الجنة الى اخر الاية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف او من
قول الملائكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يحلبوا ويحبسوا ويقولوا قال المفسرون الرجال هنا الوليد بن
المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان وعمارا وامثالهم يدخلهم الله
الجنة ويدخلنا النار كلا والله لا يفضل علينا خدمنا وعبادنا اقسموا ان لا يختصهم بفضل ونعمة فنادى اصحاب الاعراف ثم
ختم المناظرة بقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج بعد
الياس فقالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فامر الله الجنة فتزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في
الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا اخر
فنادى اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم وقالوا افيضوا علينا من الماء وانما طلبوا الماء لما بهم من الاحتراق الشديد في
الافاضة [illegible] لان اهل الجنة اعلى مكانا من اهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول [illegible]
او مع الياس لانهم عرفوا دوام عقابهم [illegible] وان علم انه لا يغنيه قوله
او مما رزقكم الله قيل سائر الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل اراد من الثمار او من الطعام والمراد وافيضوا علينا من الطعام
والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا فيكون في الاية دلالة على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كان لسائل ان يسال
فما ذا اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فيمنعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف المحرم
عليه ثم وصف نهاية الخسران والخيبة اعاذنا الله منهما بانهم وصف هؤلاء الكافرين بانهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة
وقد مر تفسير الوصفين في سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجد الاحوال الانسان
يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلذلك [illegible]
في [illegible] الدنيا [illegible] على سبيل الحكاية فقال فاليوم ننساهم اي نتركهم في عذابهم كما تركوا
العمل للقاء يومهم هذا قاله الحسن ومجاهد والسدي والاكثرون اي نعاملهم معاملة من نسي فيتركهم في النار كما
نعاملوهم في الاعراض [illegible] وجزاء سيئة سيئة مثلها والحاصل انه لا يجيب دعاءهم
ولا يرحم ضعفهم وذلهم [illegible] ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة [illegible] الشراب فيستغيثون الى الحميم

كان في هذه الآية فيقول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون للملائكة ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون في زفير وشهيق وعن ابن عباس في صفة اهل الجنة انهم يرون الله عز وجل كل جمعة ولمنزل كل واحد منهم الف باب فاذا اراد الله تعالى دخل من كل باب منهم ملك بهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها امثال القلال اشد بياضا من الفضة والين من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فاذهب لايهما شئت والله الموفق ولما شرح الله تعالى حال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم ليكون حاملا للمكلف على الحذر من موجبات النار وعلى الرغبة في مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدي الى الرشد ويؤمن من الغلط والتخليط وانما فعلنا ذلك لا كيف اتفق بل على علم بما في كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع الغزيرة حتى جاء بريا من كل خلل وقدح معجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هدى ورحمة حال لان من منصوب فصلناه كما ان على علم من هو ويحتمل ان يكون مفعولا له لقوم يؤمنون لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب به فقال هل ينظرون الا تأويله والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع كيف ينتظرون مع جحودهم وانكارهم الجواب لعل فيهم اقواما شكوا وتوقفوا فلهذا السبب انتظروه وايضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تأتيهم لا محالة قال الفراء الضمير في تأويله للكتاب اي الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد او يريد عاقبة ما وعدوا به على ألسنة الرسل من الثواب والعقاب والتأويل مرجع الشيء ومصيره من قولهم آل الشيء يؤول يوم يأتي يريد يوم القيمة وانتصابه على الظرف يقول ومعنى نسوه تركوا العمل له والايمان به او انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي ملتبسين بما هو الحق والباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر والنشر واحوال القيمة واهوالها اذا عاينوها فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل ثبت لنا شفيع بشفاعته او هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فنوحد الله تعالى بدلا عن الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الآخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار ومن تبعه والا لم يسألوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يقربون في الحال ثم حكم بان ذلك التمني لا يفيدهم شيئا وان مطلوبهم لا يكون البتة وقال قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي لا ينتفعون بالاصنام التي عبدوها في الدنيا وليس يفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا في نصرها **التأويل** نادى اهل الجنة اهل القطيعة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعني قوله الا من طلبني وجدني فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيري لم يجدني فاذن مؤذن العظمة والعزة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبونها عوجا بصرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وبينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة كذا بين اهل الجنة وبين اهل الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخليقة والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال في النساء ولا يتصرف فيهم شيء منه فالاعراف مرتبة فوق الجنان في حظائر القدس عند الرحمن يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم من آثار نور القلب وظلمته ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني هنيئا لكم ما انتم فيه من النعيم والحور والقصور ثم اخبر عن همة اهل الاعراف فقال لم يدخلوها الى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون في الوصول الى الحق سبحانه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ابتلاء ليعرفوا انه تعالى من بين دركة خلصهم وباي كرامة خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما ينبغي لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعني اهل الجنة واهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل النار من الطاعات ويا اهل النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن التبري في حقيقة لا اله الا الله اهؤلاء الذين اقسمتم يعني ان من المؤمنين والعلماء الظاهرة في بعض الاوقات من يقول حجبة لاهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعني الجنة المضافة اليه في قوله ادخلي جنتي في حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم تحزنون من ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان لله حظائر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فانهم يحكى ان ابا جعفر الابهري انه دخل على ابا طاهر الهمداني فقال اين كنت فاني حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رأيتك ثمة فقال يا ابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما رأيتني افيضوا علينا من الماء كانوا في الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا

علموا ماتوا وان اهل الجنة لما جوعوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم في الجنة بشهوات النفس والمصاحبة فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفي الحقيقة انما حرمهما عليهم في الازل فلم يوفقوا للمعاملات نورث الجنة هل ينظرون الا تأويله اي ما يؤول اليه عاقبة في شأنهم فللمؤمنين كشف الغطاء وسبوغ العطاء ولاهل الجحود الفرقة والافتقار وعذاب النار

ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين • ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون • والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون •

القراءة يغشي بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب غير روح الشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف نشرا بالنون وسكون الشين حمزة وعلي وخلف وابو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة عاصم غير ابي زيد الباقون بضم النون والشين ميت بالتشديد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الآخرون بكسرها **الوقوف** حثيثا لمن قرأ والشمس وما بعده مرفوعات بامره والامر العالمين وخفية المعتدين العطف مع الآية وطمعا المحسنين رحمته الثمرات يذكرون باذن ربه للابتداء مع العطف نكدا يشكرون **التفسير** لما بالغ سبحانه في تقرير امر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدأ وهو ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم تأكيدا للمعاد والمعنى ان الذي يربيكم ويصلح شأنكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكاره هو الذي بلغ كمال القدرة وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام الجسام فاودع فيها انواع المنافع واصناف الفوائد وكيف يليق ان يرجع الى غيره في طلب الخيرات ويعول على غيره في تحصيل السعادات قال علماء الادب اصل ست سدس بدليل سديس واسداس ثم ان العرب كانوا يخالطون اليهود فالظاهر انهم سمعوا بعض اوصاف الخالق منهم فكأنه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذي سمعتم من عقلاء الناس انه هو الذي خلق السموات والارض على غاية عظمتهما ونهاية جلالتهما في ستة ايام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادهما دفعة واحدة فما الفائدة في ذكر انه خلقهما في ستة ايام في اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع واجيب بانه اراد ان يعلم عباده الرفق والتأني في الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تأخير الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال ان الشيء اذا

احدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على سبيل الاتفاق اما اذا احدث الاشيا
على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك اقوى في الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث حكيم
عليم قادر رحيم وايضا ثبت بالدليل انه تعالى يخلق العاقل اولا ثم يخلق السموات والارض لان خلق ما لا ينتفع به في الحال يجرى الى العبث
والجزاف ثم ان ذلك العاقل ملكا كان او جنيا اذا شاهد في كل ساعة وحين حدوث شي اخر على سبيل التعاقب والتوالي كان ذلك اقوى
في افادة اليقين ولانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلايل لحظة فلحظة واما تقدير المدة بستة ايام فلا يرد عليه اشكال لان
السوال يعود على اى مقدار فرض وقيل ان العدد السبعة شرفا عظيما ولهذا اختصت ليلة القدر بالسابع والعشرين والايام الستة
لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل كيف يعقل حصول الايام قبل خلق الشمس التي نيط تقدير الازمنة بطلوعها
وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات والارض في مقدار ستة ايام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة
والعشى في الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام ايام الاخرة كل يوم الف سنة مما تعدون والاكثرون
على انها ايام الدنيا لان التعريف بها يقع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ونقول يمكن ان نحمل الايام الستة على الاطوار الستة
التي للاجسام الهيولي والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدني والنباتي والحيواني والله تعالى اعلم بمراده اما قوله ثم
استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم
تناهيه من الجانب الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث ومخصص فلا يكون
واجبا ولقايل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد غير استقراره على العرش وبلا تناهيه احاطته
من الجوانب ونفوذه في الكل لا كالاحاطة الفلك الحاوي بالمحوي ولا كنفوذ النور المحسوس بل على نحو اخر تعجز العبارة عنها ومنها انه
تعالى لو كان في مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه
بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشي الذي محل السموات اما ان يكون عين الشي الذي هو محل الارض او غيره وعلى الاول
يلزم ان يكون السماء والارض حالتين في محل واحد فهما شي واحد لا شيان وعلى الثاني يلزم التركيب والتجزية في ذاته تعالى واما
ان كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فردا لزم
ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه يكون مغايرة لمقابلتها وكذا الكلام فيه ان
كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشي المحدود من جانب او جوانب قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال
فاعل العالم هو الشمس او القمر او كوكب اخر وايضا يصح على الشي المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا
لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفرق
والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقايل ان يقول انه غير متناه ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم
ولا حالا فيه واستصحاب الشي للمحل غير كونه للمحل او مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخيل لا اصل له عند الرجل الابرار
ومنها انه لو كان الباري تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا فان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره
ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك ايضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب
بان مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله تعالى محال فسقط الاعتراض ولقايل
ان يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا في حقه محال لعدم تناهيه ولم لا يجوز ان يكون الملا من خلاء فلا يلزم من تداخل البعد
ولو لزم هناك لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك ولا امتداد ولو فرض فلم يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع
وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة في تحققها ووجودها الى غير فيكون ممكنا والجواب
ما مر من استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى لها الا الفراغ المحض ولان هذا المفهوم واحد
فالاحياز باسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعلا للفاعل
المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو من الحوادث فهو اولى بالحدوث فالجواب فالواجب محدث هذا خلف ولقايل ان يقول ما لا يتناهى
لا يعقل بحيز معين ولو فرض لا تناهي الاحياز ايضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشي الى ما تاخر وجوده عن وجود ذلك
الشي والمعية بعد ذلك لا تقتضيها لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزي والا
كان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان يقال ان اله العالم جزء من الف جزء من راس ابرة ملتصقة بذنب قملة او نملة ولقايل ان يقول
لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام
لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قايمة بالنفس مشار اليها بحسب الحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما

وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان في حيز لكان اما اعظم من العرش او مساويا
له او اصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم وكذا الزايد عليه
لان القدر الذي فضل به عليه مغاير لما ساواه ولقايل ان يقول لا نسبة بين الجسم ونور الانوار وتستحيل هذه التقادير ومنها
انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم يلزم لا تناهي الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد ولقايل ان
يقول ان براهين تناهي الابعاد لا تتم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في
الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول جسم اخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه
تعالى ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه اخر صح عليه ما صح عليها من التغيرات وانه محال وان حصل بينه وبينها مخالفة
من ساير الوجوه كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة وهو طبيعة
البعد والامتداد واما ان يكون محلا لما به المخالفة او حالا منه او لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قايما
بنفسه والامور التي بها حصلت المخالفة اعراض وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية وكل ما يصح على بعضها
يصح على البواقي فكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان
كان ما به المخالفة محلا وذاتا وما به المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له ايضا اختصاص بحيز وجهة فيجب ان يكون متحيزا لا الى
نهاية والا ان كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا محلا كان اجنبيا من ان يكون ذات الله
تعالى متساوية لتمام الاجسام في الماهية ويصح عليها هذا محال وعلى التقدير الثاني وهو ان ذاته تعالى لما تمنع من حصول جسم
اخر في حيزه لزم سريانه في ذلك الجسم وتداخل البعدين كما مر والكل محال فالمقدم هو كونه تعالى في حيز محال ولقايل ان يكون
يقول كون الباري تعالى في الحيز مغايرا لكون الجسم في الحيز فاين الاشتراك فلو سلم فالاشتراك في اللوازم لا يوجب الاشتراك
في الملزومات فمن اين يلزم التركيب قوله فان كان محلا له كان البعد جوهرا قايما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قايما بنفسه حق
ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التي حصلت المخالفة اعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطوء والسرعة
القايمين بالحركة قوله والا كان موجودا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بل من وجوبه والكلام في سريانه
في الموجودات قد مر ومنها لو انه كان في حيز فان امكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه فاعلا
مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن المحدثات اولى بان يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن
للمقعد العاجز وذلك محال وايضا لا يبعد فرض اجسام اخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات
حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون والكرامية يباعدون على انه كذلك ولقايل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام
المفتقرة الى الاحياز فاما النور المجرد فلا يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب اتصافه باحدهما فلم لا
يجوز ان لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه لا يصح وصفه بالتخلخل ونحو ذلك فيستحيل عليه الحركة لانها
موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز اخر ولان العالم النوراني الذي لا نهاية له مملوء منه فكيف يتصور خلو حيز منه ومنها انه لو كان
مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان اله العالم جبلا واقفا في الحيز العالي
وان كان نورا محضا جاز ان نفرض هذه الانوار التي تشرق على الجدران الها وايضا ان كان له طرف وحد فان كان ذا عمق وثخن
كان باطنه غير ظاهره والا كان سطحا في غاية الدقة مثل قشر الثوم بل ادق منه الف مرة قلنا امثال هذه الكلمات لا تصدر
الا عمن لا يفرق بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادي والشي القايم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب
العجاب ان هذا المستدل قد سمع من جمهور العقلاء ان الاجرام الفلكية لا يطلق عليها الصلابة واذا جاز ان يكون في انواع
الاجسام نوع لا يمكن ان يتصف بهذين المتقابلين لان ذلك الموضع اجل واشرف من ان يتصف باحدهما فلم لا يجوز ان يكون فيما هو
اشرف من ذلك النوع شي لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد متناه او غير متناه
وعلى الاول فان لم يكن له تحيز فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم التركيب وان كان مباينا ببعد متناه فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيز الى امر
يباينه ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم ان يكون غير المتناهي محصورا بين الحاصرين ولقايل ان يقول المباينة
والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصلح عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل واشباه
ذلك ومنها ان الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت اقوى كانت الفاعلية والتاثير اضعف وبالعكس ولهذا كان تاثير
الارض اقل من تاثير الماء وتاثير الماء من تاثير الهواء وتاثير الهواء من تاثير النار وتاثير النار بالاحراق والطبخ فتاثير النار من تاثير

الافلاك المؤثرة في العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة اشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريا من الحجم والجرم والكثافة والرزانة قلت في الاستقراء انه صحيح تام اولا ولكن لا نزاع في ان واجب الوجود تعالى شانه بريء عن الجسمية والكثافة وعن كل شيء يقدح في قيوميته وههنا حجج قد اوردت في اوائل سورة الانعام في تفسير قوله وهو القاهر فوق عباده وقد عرفت ما عليها فهذه حجج عقلية صال بها الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير وقد اوردنا عليها ما كانت ترد من الممنوع والاعتراضات لا اعتقادا للتشبيه والتجسيم او تقليدا لاولئك الاقوام بل تشحيذا للاذهان ورمزا الى المعارف والحقائق وجذبا للضيع المناسك في المضايق والمزالق نتيجة المنصف ما اراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا ينكشف المقال عنها غير الخيال والله اعلم بحقيقة الحال ثم قال رحمه واما الدلايل السمعية منها قوله تعالى قل هو الله احد والاحد مبالغة في كونه واحدا والذي يمتلي منه العرش ويفضل العرش يكون مركبا من اجزاء وذلك ينافي كونه واحدا واجيب بانه ذات واحدة حصلت في كل الاحياز دفعة واحدة وتبقى من هذا المعلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال جميع العرش الى ما تحت الثرى جوهر واحد او موجود واحد الا ان ذلك الجزء الذي لا يتجزى حصل في جملة الاحياز فيظن انه اشياء كثيرة قلت وهذه مغالطة فان الجزء الذي لا يتجزى لصغره غير الشيء الذي لا يقبل التجزية والانقسام لذاته وايضا المتحيز الذي مقداره ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين كل منهما ذراع في ذراع يلزم منه ان لا يشغل ذينك الحيزين متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار قيوم في ذاته حاصل في جميع الاشياء لا منفصل عنها انفصال المحيط عن المحاط فلا متصل بها اتصال العرض الساري في الاجسام و هذا لا يلزم منه باضعافها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ويلزم منه ان يكون حامل العرش حاملا للاله و الجواب انك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغني ذو الرحمة فوجب ان يكون غير مفتقر الى المكان والجهة والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها ان فرعون طلب حقيقة الاله في قوله وما رب العالمين ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف واما فرعون فقد طلب الاله في السماء في قوله فاطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون والجواب لا نزاع في ان حقيقة ذاته كما هي لا يعلمها الا هو والبسايط المحضة لا تعرف الا باللوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور ان يكون الاله شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم من اله غيري ومن هذه الاية لانها تدل على انه استقر على العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شيء فاذا خلق ما خلق من عالم الاجسام والاخلاط بقي ما وراءه نورا محضا ومنه قصة ابرهيم وتبريه من الافلين ولو كان جسما لكان افلا في افق الامكان والجواب ان نور الانوار جل عن ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الاحياز ومع جميع ما سواها ان يكون في مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها ان اول الاية اعني قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض تدل على قدرته وحكمته وكذا قوله يغشي الليل النهار الى اخر الاية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق عليه انه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته على الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب ان الاستواء بالتفسير الذي ذكرناه ادل شيء على المدح والثناء وحديث البق والبعوض جزاف وهل هو الا كقول القايل لو كان واجب الوجود بقا او بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها انه سبحانه حكم في ايات كثيرة بانه سماء لساكني العرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد يسمى السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار انه نور او جسم ان ذاته مخصوصة بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شيء هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة في الاية قولان الاول القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف على تاويل الاية وتفويض علمها الى الله والثاني الخوض في التاويل وذلك من وجوه احدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء اي استعلى على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر شعر قد استوى بشر على العراق ۞ من غير سيف ودم مهراق ۞ وثالثها ذكروا ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على سرير ملكه اذا استقام له امره واطرد وفي ضده ثل عرشه اي انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذي الفوه من ملوكهم ووقر في نفوسهم استقرت عظمة الله تعالى في قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شيء ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باستعمال حاسة واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكاينات وتكوين الممكنات ثم عرفوا انه غني في ذلك الايجاد والتكوين عن الالات والادوات وسبق المدة والمادة والفكرة والروية وكذا القول في كل من صفاته واذا اخبر ان له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه ايضا انه موضعا يقصدونه لمآربهم وحوايجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤسا لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه

وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا بعقولهم انه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه انه بعد ان خلقهما استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخي انه يظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان التاثير الفاعل لا يظهر الا في القابل وقال ابو مسلم العرش لغة هو البناء العارش البناء في قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد انه بعد ان خلقهما قصد الى تعريشهما وتسطيحهما وتشكيلهما بالاشكال الموافقة لها قال سبحانه يغشي الليل النهار قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا قال القفال لما اخبر باستوائه على العرش وان امر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيته اراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر وتقدم ذكر الليل والنهار لما في تعاقبهما من المنافع الجليلة فبهما يتم امر الحيوة ثم وصف الحركة التي يحصلان منها بالسرعة حتى انه في مقدار ما يقول واحد واحد يتحرك الفا وسبعماية وثلثين فرسخا من مقعر فلكه والله اعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلت اما الاولى فمستانفة كانه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات والارض فاجيب يغشي الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف لها يحتمل ان تكون هذه الجملة مبينة واما الثانية ففي محل النصب على الحال من الملحق كما ان حثيثا منصوب على الحال من الطالب وهو الملحق بعينه ثم قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات من قرا هاهنا مرفوعات فعلى الاسماء والخبر وكلتا القرائتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا استفهام ان يقال زيد مضروب وقوله بامره متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره قال في الكشاف سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك ومنهم من حمل هذا الامر على الامر هو كلام وعلى هذا لا يبعد ان يكون بامره متعلقا بخلق بدا بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر كالنايب وثلث بساير النجوم لانها كالخدم والشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والشمس تاثيرها بالتسخين والقمر تاثيره في الترطيب والتوليد بخاصية عجيبة وتاثير غريب لا يعلم تمامه الا مبدعه وخالقه واعلم ان الاجسام متماثلة في الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور القاهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص كل واحد من ساير الكواكب السيارات ومن الثوابت بقوة اخرى لا بد ان يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وايضا ان لكل واحد من اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المشرق الى المغرب وسيرا آخر سريعا بسبب حركة الفلك الاعظم فقوله يغشي الليل النهار تنبيه على ان حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الاعظم المسمى بالعرش اودع في جرمه قوة قاهرة قاسرة باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف ما دونه طبعها من المشرق الى المغرب وايضا ان اقسام الاجسام ثلثة متحركات الى الوسط وهما العنصريان الثقيلان ومتحركات عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط وهي الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله ولا مر الا كذا لله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة باحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية بدو الضيا بالظلام وبالعكس باحوال الشمس والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والارض [illegible] السموات والارض ولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقايق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقايقها على سبيل التفصيل والكمال ولا شك ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى فاذا ثبت هذا فنقول من اعتقد على الجملة ان هذا العالم محدث ولكل محدث فله محدث حصل بهذا الطريق اثبات الصانع اما الذي [illegible] احوال عالم العلوي والسفلي على التفصيل لكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل [illegible] ومثل هذا الفوايد والاغراض والغايات انزل هذا الكتاب الكريم [illegible] وجوه الاعراب والاشتقاقات [illegible] واما قوله عز من قائل الا له الخلق والامر فالخلق عبارة عن التقدير والتخصيص [illegible] فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بامر كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا [illegible] الا له الخلق والامر [illegible]

فالله يكون موثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر يصدر عن فلك وملك او جني او انسي فخالق ذلك الاثر في
الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله وانه لو كان الثاني مدبرا وخالقا وانه
لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة واصحاب الطلسمات
باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى وان القول بان العلم يوجب العالمية والقدرة توجب القادرية باطل كل ذلك
لئلا يلزم خالق وموثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا
التمييز اجاب الجبائي بانه لا يلزم من افراد الغربا لذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وملائكته ورسله و
جبريل وميكائيل وعارض الكعبي بقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف
للمعطوف عليه لزم ان تكون الكلمات غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله تعالى مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون
على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في
الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع اخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد
الايجاد التكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية ومعنى قوله الا له الخلق انه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله و
الامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر ويلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن الامر
بحسب مشيئته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر هذا خلف واجيب بانه لو كان الامر داخلا
تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة في الاية دلالة على انه
ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا
يوجب العوض السادسة دلت الاية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح بوجه عايد اليه والا لم يامر الا بما حصل فيه وجه القبح فلا يكون
متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد هذا خلف السابعة اطلق الخلق وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد
والامر فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة
والحق قادر على كل الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله
الامر فقه انه صفة له فكذا الخلق صفة قايم بذاته فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخالق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم
من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الخلق الى خلق اخر ويتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة
له الامر يقتضي ان لا اله الا الله وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب لامره
في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة في الاية دلالة على ان الله تعالى امرا ونهيا على عباده والخلايق والخلاف مع نفاة التكليف قالوا
ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فايدة في الامر وايضا الكافر والفاسق لا يستفيد بالتكليف الا التعب
المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العقاب وهذا لا يليق بالرحيم الحكيم
الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة فلابد ان يعود الى المكلف لانه سبحانه غني وجميع الفوائد
محصورة في تحصيل نفع او دفع ضرر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف وكان توسيط التكليف اضرارا محضا
والجواب ان اول الاية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملكه كيف شاء مستحسن
ويحسن منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا كما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صالحا او من كونه موجب عوض او ثواب
ولما بين ان له الامر والنهي والحكم والتكليف ذكر انه يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين وللبركة تفسيران احدهما
الثبات والدوام ولا ريب انه الواجب لذاته القايم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الاثار
الفاضلة ولا شك ان كل الخيرات والكمالات فايضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال
قدرته وحكمته وارشد الى التكليف الموصل الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان على تحصيل المطالب والمآرب الدينية والدنيوية
فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال في الكشاف نصب على التمييز الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب
على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع التذلل والمهاد ذل النفس والخفية بالضم والكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا
بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف الشيء على نفسه وقوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر حمله على الاصل ومن انكر الدعاء قال لا فايدة فيه
لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع او كان مرادا في الازل وكان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فايدة فيه
وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا بالقضاء وقد يطلب ما ليس بنافع له وفيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه
ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي نفي كثير من الوسايط والروابط ولو لم يكن فيه الا معرفة ذل العبو

مطلب نفع الدعا خفية

وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وسلم وما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء الا انه لابد فيه
من الاخلاص والصون عن الرياء واليهما اشار بقوله تضرعا وخفية ونحن قد اطنبنا في تحقيق الدعا وشرايطه في سورة البقرة
واذا سالك عبادي عني ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المعتدين وللمسلمين اتفاق على انه ليس معنى المحبة عند اطلاقها على الله شهوة
النفس وميل الطبع ولكنها عبارة عن ايصال الثواب او ارادة الايصال لكنها لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء
لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء نظيره ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية مخالفة لرؤية الاجسام والالوان
ونعني بالمعتدين المجاوزين ما امروا به فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء
ويؤيده انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهر الامر للوجوب وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلى الله عليه وسلم خير الذكر ما خفي وخير
الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وسلم قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما
قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار ثم قرا قوله انه لا يحب المعتدين
ومن هنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاخفاء اولى صونا لها عن الرياء وقيل
الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا على نفسه من الرياء
فالاولى الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار امنا من شوايب الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل
فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التامين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء الافضل لانه ان كان دعاء وجب اخفاؤه
لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبة ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا
في الارض فيدخل فيه خمسة اشياء المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب
بالزنى واللواطة والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله ولا تفسدوا
منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعه ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح
خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين والمراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال
الكتب وتفصيل الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج
وحدوث الفتن في الارض وفي الاية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على
بعض المضار قضينا به تقديما للخاص على العام وفيها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد
صحيح لان دفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه
بالبطلان عملا بالاخص فجميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الاية الدالة على ان الاصل في المضار والالام الحرمة
كما كانت داخلة تحت قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فانها كانت تدل على ان الاصل في
المنافع واللذات الاباحة والحل فكل واحدة من الايتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد ان يكون
مقرونا بالتضرع والاخفاء وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه الخمسة ذكر ان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين
الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت لمقتضى الالهية والعبودية
اي كونه الها وكوننا عبيدا له فانه اقتضى انه يحسن منه ان يامر عبيده بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا
وحسنا والمعتزلة يقولون انما وردت لانها في انفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها للخوف من العقاب والطمع في الثواب
لم يات بها بوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الابتداء عوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض الشرايط المعتبرة
في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في
جميع اعمالكم ولا تقطعوا انكم وان اجتهدتم انكم اديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي
ان غاية التكليف من الامر غير غايته من المامور فهب ان الغاية الاولى هي المصلحة او الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية
الثانية الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الاية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان يقال قريبة و
ذكروا في حذف علامة التانيث وجوها قيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام
بمعنى واحد او لان المراد بالرحمة هو الترحم وقيل انه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او شبه بفعيل الذي بمعنى المفعول
كما شبه ذلك به فقيل قتلاء واسراء وقيل انه بزنة المصدر كالنقيض صوت العقبان او التحاجة والضغيب صوت الارنب
وقيل المراد ذات مكان قريب وكلا بن وتامر وروى الواحدي باسناده عن ابن السكيت يقول العرب هو قريب مني وهما قريب مني

وهي قريب مني لانه في تأويل هو في مكان قريب مني قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الماضي و
قربا من المستقبل اي الآخرة التي هي مقام رحمة الله تعالى ويمكن ان يقال المراد به قرب الوصول سواء كان في الدنيا او في الآخرة
كقوله الا ان نصر الله قريب قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت خاصة بالمحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها
شيء والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل
من آمن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن والدليل عليه الاجماع على ان الصبي اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله
واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يكون مؤمنا محسنا على ان قوله ماهية الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر
ايضا في رحمة الله ونعمته في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم
العلوي اتبعه ذكر الدلائل من احوال هذا العالم وهي الآثار العلوية والمعادن والنبات والحيوان ومن جملتها احوال الرياح و
السحب والامطار لما اقام الدلالة في الآية الاولى على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة في هذه الآية
على صحة القول بالحشر والنشر بالآيتين تقرير المبدأ والمعاد فقال وهو الذي يرسل الرياح الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته
ولا للوازم ذاته والا لدام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل المختار قالت الحكماء من اسباب الريح ان يرتفع من الارض اجزاء
ارضية لطيفة تسخنت تسخينا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الملتصق
بمقعر الفلك يمنع هذه الادخنة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك فحينئذ
ترجع الادخنة وتتفرق في الجوانب وبسبب تفرقها يحصل الرياح فكلما كانت تلك الادخنة اكثر وكان صعودها اقوى كان
رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح وزيف بان صعود تلك الاجزاء الارضية انما يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت
ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطباق المتحركة بحركة الفلك سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة لكن
رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبعها الارض لكنها تتحرك يمنة ويسرة وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا تكون
قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الكثيرة ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها ونحن نرى صدم الرياح تقلع
الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا كانت اشد وجب ان يكون حصول الاجزاء الغبارية الارضية
اكثر وليس كذلك فقد توجد الرياح العاصفة في وجه البحر وليس فيها شيء من الغبار ويمكن ان يجاب بان الحكم بامتناع الصعود استبعاد
محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبني على ان الريح هي تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا اخرق الهواء
حدث فيما يجاوره من الهواء تحرك واضطراب وتموج شبه ما يحدث في الماء اذا القي فيه حجر وكذا الكلام في الوجهين الباقيين وقال
المنجمون قد تحدث بسبب وصول كوكب معين الى الموضع معين من البروج ريح عاصفة وزيف بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء
والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلاني انما يوجب تحرك الهواء لتسخين او تلطيف او تكثيف يحدث في بعض المواد المستعدة
لذلك فيطلب ذلك لذلك القابل مكانا اكثر او اقل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك الهواء المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء
لا يتدافع الى ان يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض اجزاء الهواء ثم يستقر كل في موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر و
المتأثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره وانما قال في هذه السورة يرسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا في الروم لان
ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل واما في الروم فليناسب ما قبله ومن آياته ان يرسل وقال في الفرقان
ارسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما بعده وهو الذي جعل وكذا في فاطر مبني على اول السورة فاطر السموات
والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي والله تعالى اعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال
بمعنى منتشرات واما لان ارسل ونشر متقاربان كانه قيل نشرها نشرا ومن قرأ نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد يخفف
كرسل ومن قرأ بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر جمع بشير ومعنى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي
هو من اجل النعم واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قلما لا يتقدمه رياح يبسطها الله تعالى على السحاب والعرب يستعمل اليدين بدل
قدام وامام مجازا لان اليدين من الحيوان متقدمان على الرجلين حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذي
يقدر على حمل الثقيل يزعم انما يرفعه قليل سحابا جمع سحابة ولهذا قال ثقالا على الجمع جمع ثقيلة والضمير في سقناه يعود الى السحاب
على اللفظ وضمير المتكلم في سقنا على اصله اما الذي في قوله وهو الذي فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر ان يقال نحن ارسلنا واعلم
ان السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان تحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوائد منها
ان اجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم يصير متفرقة ومنها ان تحرك الرياح يمنة ويسرة فيمتنع اجزاؤه
المائية الراسبة عن النزول فيبقى معلقا في الهواء ومنها ان ينساق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح

مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطلة لها كما في الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة
للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم او البرد الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالحقيقة تهب الرياح من كل
جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد دينا صدفيا ان شديد في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال
يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وحينئذ يعظم هبوب الرياح في وجه البحر وعن ابي عمرو الرياح ثمان اربع منها
عذاب العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبي صلى
الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر الارض
وعن السدي انه تعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه في السماء فينزل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك
برحمته وهي المطر ومعنى لبلد ميت اي لاجل البلد الميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامرا او غير عامر خاليا
او مسكونا فانزلنا به الماء قال الزجاج وابن الانباري اي بالبلد وجاز ان يراد بالسحاب او بالسوق فالباء للسببية فاخرجنا
به قال الزجاج اي بالبلد من كل الثمرات ويجوز ان يراد اي بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى اودع في الماء قوة وطبيعة توجب
حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما اجرى الله تعالى
عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك نخرج مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى والتشبيه
انما وقع في اصل الاحياء اي كما احيا هذا البلد وانبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر فكذلك نحيي الموتى بعد ان كانوا ترابا لان
من قدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحيوة في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد
انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال الماء كذلك بواسطة انزال مطره على الاجساد الرميمة روي انه يمطر على اجساد الموتى
فيما بين النفختين مطرا كالمني اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد تمطر السماء عليهم حتى تنشق عنهم الارض كما
ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا
بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته
الاجزاء المتفرقة والمتمزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الآية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت
مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة
ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر شبه
القرآن بالمطر وذلك ان الارض الحرة اذا نزل بها المطر حصل فيها انواع الازهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا
يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها انوار القرآن ظهرت
عليه انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع عن ذلك الا بخيبة خسران وقيل ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن
والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يتعب نفسه في اصلاحها طمعا
منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن طلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به في الدرجة الآخرة بالمشقة
التي لابد منها ومن تحملها اداء الطاعات كان اولى وفي الآية دلالة على ان السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على
الارواح قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان تعرف الحق بذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون
بالضد لا تقبل المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا يتولد فيها الاشجار والازهار والثمار ومما يقوي هذا
الكلام ان النفوس نراها مختلفة في سبيل الله فمنها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة ومنها مائلة الى الشهوة دون الغضب ومنها
على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين في المال من يرغب في العقار دون الاثمان والنقود
ومنهم من على العكس ومما يؤكد هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا كاملا
لوقوعه في طباقه نكدا والنكد الذي لا خير فيه وتقدير الآية ونبات البلد الخبيث او البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف
الذي هو النبات واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارزا ومن قرأ نكدا
بفتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الآيات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف
تعود عليهم وانما ختم الآية بالحث على الشكر لان الذي سبق ذكره هو ان الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذي هو سبب
الملاذ والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقدرته ومن الوجه الثاني على عظيم نعمته وقدرته فوجب من هذا
الوجه مقابلتها بالشكر **التأويل** عرف ذاته للحق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكمة والاستوائية
فقال ان ربكم الله الذي الآية وانما خص ستة ايام لان ايام المخلوقات الارواح الانسانية المكونات منها الملائكة والجن والشياطين

والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة النفوس السموية والارضية الاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار الاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر الاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدا الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحماني والاستواء كالعلم صفة من صفاته لا يشبه علم المخلوقين ومن اسرار الخلق الروح يتصرف في النطفة ايام الحمل فيجعلها عالما صغيرا فبدنه كالارض وراسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى ساير المخلوقات يغشي اي استولى ليل ظلمات النفس وصفاتها على انوار القلب وبالعكس الا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة ادعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب وتضرعا باداء حق العبودية وخفية بطلب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين يطلبون منه سواه ولا تفسدوا في ارض القلوب بعد ان اصلحها الله برفع الوسايط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع او خوفا من الاثنينية وطمعا في الوحدة او خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال من المحسنين الذين لا يرون سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فانزلنا بماء المحبة فاخرجنا ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج الموتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام حيوتكم في عالم الارواح اذ كنتم في رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحي تخلق بخلاق الحميدة كذلك نصرف الايات الى النفوس وصفاتها الى اوصاف القلب واخلاقه ٥

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ● وقال الملأ من قومه انا لنريك في ضلال مبين ● قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ● ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون ● اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ● فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين ● والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ● قال الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ● قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ● ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين ● اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ● قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ● قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين ● فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين ●

القراءة غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلي والباقون بالرفع حملا على محل من اله اني اخاف بفتح الياء ابو جعفر وابو عمرو ونافع وابن كثير ابلغكم بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بصطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابو عون عن قنبل وعاصم وعلي وسهل ونجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخير **الوقوف** غيره عظيم مبين العالمين لا تعلمون ترحمون باياتنا عمين هودا غيره تتقون الكاذبين العالمين امين لينذركم لتنابي الاستفهام بسطة تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون اباؤنا للعدول مع فاء التعقيب الصادقين وغضب من سلطان لانتهاء الاستفهام الى امر التهديد المنتظرين مومنين **التفسير** لما ذكر في تقرير المبداء والمعاد دلايل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوايد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول الدلايل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها بيان سوء المشركين عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على ان الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرا الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة فمن القصص اوليها قصة آدم وقد مرت في اول السورة ثانيها قصة نوح وهو نوح بن لملك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه يشكر فسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا فندم او حين راجع ربه في شان ابنه او حين مر بكلب مجذوم فقال اخسا يا قبيح فعوتب على ذلك قال الله تعالى له اعبتني اذ خلقته ام عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة في المسمى والصحيح انه اسم اعجمي قال ابن عباس معنى ارسلنا بعثنا وقال آخرون معناه انه تعالى حمله رسالة يوديها فالرسالة على هذا التقدير تكون متضمنة فيكون البعث كالتابع لا انه اصل في ل في التفسير الكبير وهذا البحث مبني على مسئلة اصولية هي ان الرسول ارسل الى قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم او الغرض من بعثته مجرد تاكيد ما في العقول وهذا الاختلاف بتفاريع المعتزلة الي امرهم نوح بعبادة الله تعالى ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم هو القيمة او الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى الثلث لان قول النبي بعد ظهور المعجزة حجة او لعله قد ذكر الحجة وما حكاها الله تعالى لانه قد علم من القران ذم التقليد في مواضع كثيرة فيعلم ان نبي الله لا يامر قومه بالتقليد المحض وقد مر من دلايل التوحيد والنبوة وصحة القران من اول سورة البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع ان الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام توجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله قبل العلم بانه واحد لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فتقع العبادة ضايعا والاله معناه المستحق للعبادة والا فهو في الازل غير معبود ومعنى الخوف في الاية قال بعضهم الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا واجلا وقال آخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا

التجوز كيف يحرم بالعذاب ولعل التسمم لم يرد بعد فلهذا كان متوقعا او لعله وصف العذاب بالعظم لانه في نفس العذاب وقيل المراد من الخوف التحذير وجملة قوله اني اخاف بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقاب دون الاصنام فقال الملاء من قومه اي الاشراف وصدور المجالس الذين هم بعض قومه في جواب نوح انا لنريك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والسدى نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال ليكون ابلغ لعموم السلب فانه قال ليس بي نوع من [انواع] الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسب اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها فاستدرك قائلا ولكني رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمى في علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك بيان فرط جهالتهم و عتوهم حيث وصفوا من بهذه المنزلة والهدى بالضلال الظاهر الذي لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه اذا كان في موضع الضرورة جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران الاول تبليغ الرسالة والثاني تقرير النصيحة فقال ابلغكم الاية الجملة استيناف بيانا لكونه رسول رب العالمين او صفة لرسول وانما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غائب نظرا الى المعنى كقوله انا الذي سمتني امي حيدرة رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او ما اوحي الي في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي وشرح مقاديره وان كان جائزا ولكن نقول نصحت لك قال في الكشاف وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ومعنى الاية ابلغكم تكاليف الله ثم ارشدكم الى الاصلح الاصوب وادعوكم الى ما دعاني الله تعالى واحب لكم ما احب لنفسي واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم في الاخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من صفات جلاله ما لا تعلمون ليكون المقصود حمل الكلام القوم على ان يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم اوعجبتم الهمزة للانكار والمعطوف عليه محذوف والتقدير اكذبتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به وقال اخرون جاءنا الخير على وجهك ومع وجهك كلاهما جائز وقيل اي منزل على رجل ومعنى منكم من بني نوعكم كانهم استبعدوا ان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة فيه للمعبود لتعاليه ولا للعابد لتضرره في الحال واما في المال فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وايضا ان رسول العقل كاف ومعرفة الحسن والقبيح وما لا يعلم حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر وبتقدير انه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة اولى لشدة بطشهم وقوة عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وبتقدير جواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان فقيرا خاملا لا يصلح للنبوة فانكر نوح كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق ولله بحكم الالهية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس اسكن وقد مر في اول الانعام ثم بين ما لاجله يبعث الرسول فقال لينذركم الاية وانه ترتيب انيق لان المقصود من البعثة الانذار ومن الانذار التقوى ومن التقوى الفوز برحمة الله تعالى قال الجبائي والكعبي في الاية دلالة على انه تعالى لم يرد من المبعوث اليهم الا التقوى ومن التقوى الفوز بالجنة دون الكفر والعذاب وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا فكذبوه في ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف واصروا قال بعض العلماء ما في حق العقلاء من التكذيب فبغير الباء نحو كذبوا رسلي وكذبوه وما في حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا باياتنا والتحقيق ان المراد كذبوا رسلنا برد اياتنا فانجيناه والذين استقروا معه في الفلك وانجيناهم في السفينة من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا وامراة وقيل كانوا تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن وانما قال في سورة يونس فنجيناه ومن معه في الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من ادل على العموم ولهذا تقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن المعرفة والتوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة يقال الرجل عم في البصيرة واعمى في البصر العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا والتقدير لقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم هودا واتفقوا على ان هودا ما كان اخاهم في الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة والجن وقيل اراد واحدا منهم قال الكلبي وهو من قولك يا اخا العرب للواحد وخص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله في صدقه وامانته وقيل معناه صاحبهم ونسب هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وهود اعطف بيان لاخاهم

واما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم ان الفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين اسرارها والجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة واما هود فما كان يجري الى هذا الحد فلا جرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة واقعة هود فانها كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على قوله افلا تتقون اي لعلكم تحذرون مثل ذلك العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها قال الملاء من قومه في قصة هود قال الملا الذين كفروا من قومه اما ان هذا وصف واراد للذم لا غير واما انه لم يكن في اشراف قوم نوح من يؤمن وكان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنريك في ضلال مبين وقوم هود قالوا انا لنريك في سفاهة اي متمكنا فيها تمكن المظروف من الظرف وذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة مدة طويلة فوصفوه بضعف الراي والبعد عن السداد واما هود فما ذكر شيئا الا ان يسفههم في عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوه في مثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة وقيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج انهم كانوا شاكين فيعلم منه ان الشك والتجويز في اصول الدين كفر يوجب الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم وقول هود وانا لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح العود الى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة وصيغة الفعل على التجدد المستمر ولهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى اخر الايات واما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عرف قال اعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلا جرم امسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه امينا ناصحا اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقي ان اوصف بالكذب والغش والمراد تقرير الرسالة فانها تدور على الامانة اي انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل تلك التخصيبن مع جلالة قدرهما دليل على ان الحكيم يجب ان لا يقابل السفهاء الا بالكلام الحق المبني على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر في قصة نوح ان فائدة الانذار هي حصول التقوى والتقوى الرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك شيئا اخر يختص بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا فقد استخلفكم فيها بعدهم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واملاككم ما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف اي اذكروا وقت جعلكم خلفاء وزادكم في الخلق بسطة فالخلق التقدير وعلما ينطلق الا على الشيء الذي له مقدار وجسمية والمراد حصول الزيادة في اجسامهم زيادة خارقة للعادة والالم يذكره في معرض الامتنان قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال اخرون تلك الزيادة هو مقدار ما يبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على اهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة والشدة و الجلادة متناصرين متوادين فاذكروا الاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والاء الله نعمه واحدها الى ونحوه اني واناء كعنب واعناب قال الجوهري واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالاية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر واجيب بان الايات الدالة على وجوب العمل مخصصة او مقيدة والتقدير فاذكروا الاء الله واعملوا عملا يليق بذكر الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم نبيهم نعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا بمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شيء من النعيم لانها جماد والجماد لا قدرة له اصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الهمزة للانكار اختصاص الله وحده بالعبادة وفي المجيء وجوه منها ان يكون لهود معتزل يتحنث فيه اي يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا ملكا فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك ومنها ان يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اتعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده اي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي وقعت حالا بالتاويل ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا كما يقول الموحد لا اله الا الله وحده وقال الله وحده لان الغرض انهم مشركون ثم ان قول هود فيما قبل افلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجلوا العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فاتنا بما تعدنا فاجابهم بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولا بد ان يحمل على معنيين متغايرين لمكان العطف اما الغضب في حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا واما الرجس فضد التطهير كما قال سبحانه في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير احسن اما قوله قد وقع

ولا يقع العذاب بعد ففيه وجوه وقال البعض من يقول بان ارادة الله تعالى حادث معناه انه تعالى احدث ارادة في ذلك الوقت
وقيل اراد هو ذاته اخبر بنزول العذاب وقيل جعل المتوقع الذي لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب لك حاجة قد كان ذلك
تريد انها تكون البتة وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء اباه يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير
كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر ثم اكر فيج افعالهم فقال اتجادلونني في اسماء تناظرونني
في شان الهة اشياء ما هي الا اسماء سميتموها احدثتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي لا حجة على حقيقتها فقال
والحاصل انها اسماء بلا مسميات ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا واحدا بالعزى مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالى عزا العلا
وسموا اخر منها باللات وليس فيها من الالهية اثر وانما قال في هذه السورة نزل وفي غيرها مما يجي انزل لان نزل للتكثير فيكون
للمبالغة ويجري مجرى التفصيل للجملة او انواع الجنس والله اعلم ثم انه عليه السلم ذكرهم وعيدا مجددا فقال فانجيناه والذين
امنوا معه برحمة بسبب رحمة كانوا يستحقونها منها وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم عن اخرهم وقد مر مثله
في الانعام وفايدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مومنين مع اثبات التكذيب بايات ربهم ان يكون تعريضا بمن امن منهم
كمرثد بن سعد وغيره كانه قيل وقطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا مثل من امن منهم او يعني وما كانوا مومنين في علم الله تعالى
اي لم يكونوا من المكذبين او لو بقوا لامنوا قال في الكشاف وان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم
اصنام يعبدونها صدا وصمود والهباء فبعث الله هودا نبيا وكان من اوسطهم واسمحهم اشرفهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا
عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك
عند بيت الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معوية بن بكر فجهزت الى مكة
من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عتر ومرثد بن سعد الذي يكتم اسلامه فلما نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم
انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعوية احديهما قددة والاخرى
جرادة فقلب ولما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهولاء على ما
هم عليه وكان يستحي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله
فقال معوية شعر الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما ويسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما الهينمة
اخفاء الكلام في الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا لنا وقوله ما يبينون الكلام اي لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء
حالهم فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن
سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا
مكة فانه قد اتبع دين هود ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على
عاد من واد لهم فقال لها المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه
فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا **التاويل** لقد ارسلنا نوح الروح الى قومه بلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس
وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب والنفس وصفاتهما الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب
الروح ومخالفته والاباء عن نصيحته والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها وصفاتها نوح الروح فانجيناه والذين معه في الفلك
الشريعة واغرقنا النفس وصفاتها في بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن دين الله والوصول اليه وزادكم في الخلق
بسطة كما وقع التفاوت بين الشخصين ويختص فيما يعود الى المباني وقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من
ربكم رجس وغضب اي مقالتكم تدل على حالتكم انه اصابكم سطوات العقاب فمن امارات الاعراض رد العبد الى شهود الاعيان وتفرقه
في بحار الظنون والاوهام والجلال نعوذ بالله من الجهل والغرور والضلال ٥

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية
فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب

اليم ۝ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في
الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا
الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ۝ قال الملا الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل
من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون ۝ قال الذين استكبروا
انا بالذي امنتم به كافرون ۝ فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم و
قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ۝ فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ۝ فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون
الناصحين ۝ ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها
من احد من العالمين ۝ ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء
بل انتم قوم مسرفون ۝ وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم انهم اناس يتطهرون ۝ فانجيناه واهله الا امراته
كانت من الغابرين ۝ وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين

القراءة وقال الملؤ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص ويسهل انكم بهمزتين ابن عامر
وخلف وعاصم غير حفص هشام يدخل بينهما مدة انكم بالمد وبالياء ابو عمرو وزيد انكم بالهمز والياء ابن كثير ويعقوب غير زيد
الوقوف صالحا للابتداء ان صالحا صفة لا علم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب وغيره من الاعلام العربية
غيره من ربكم اليم بيوتا الامر في قصة هود في بسطة مفسدين من ربه مومنون كافرون المرسلين جاثمين الناصحين من
العالمين من دون النساء لمكان الاضراب مسرفون من قريتكم لاحتمال التعليل استهزاء يتطهرون الامراته ولاحتمال الاستيناف
والاشبه انه حال المراة من الغابرين مطرا المجرمين **التفسير** القصة الرابعة قصة صالح مع قومه ثمود قال ابو عمرو بن العلا
سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى انه لا ينصرف تارة بتاويل
القبيلة وينصرف اخرى بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخو
جديس وطسم وقد ورد القران بالصرف وبمنعه جميعا قال تعالى الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود وقد جاءتكم بينة اية ظاهرة دلالة
على صدقه وكانه قال ما تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية وانتصابها على الحال والعامل فيها ما في اسم الاشارة او حرف التنبيه
من معنى الفعل اي اشير اليها او انبه عليها اية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص ولكن الاقوام كلها

مع انها اية لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبر وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبقت سائر المعجزات الا ان القوم التمسوا
هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى لهم فلهذا حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما
لشانها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطروقة ابرز من اياته كما تقول اية الله وبيت الله وبالحقيقة هي اية تشتمل على ايات خروجها
من الجبل اية وكونها لا من ذكر وانثى اية وكمال خلقتها من غير تدريج ومهل اية وان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم اية وكذا الكلام في
قوتها المناسبة للماء وفي غزارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط ويروى ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في
يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله على القوم فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة
ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تاكل في ارض ربها ومما انبت منها ولا تمسوها بسوء من الضرب والطرد وسائر انواع الاذى
اكراما لاية الله تعالى فياخذكم عذاب اليم يعني اخذ الاستيصال والاستئصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تفسيره كما في قصة
هود وبوأكم في الارض اي تركم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اي تبنون من سهولة الارض قصورا مما تعملون
من الاراضي السهلة لبنا واجرا ودهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا لان الجبل لا يكون بيتا
في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة ويجوز ان يكون من مفعولين اكتفاء بقوله من سهولها كما جاءت في موضع اخر ينحتون
من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في
الشتاء فاذكروا الاء الله يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا انتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهى عن عقر
الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر في اوائل سورة البقرة قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا اي
المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله لمن امن منهم بدل من قومه للذين استضعفوا بتكرار الجار لشدة الاتصال والضمير في
منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على ان المستضعفين فريقان مؤمنون وكافرون واما ان
يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان يحتقرهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم في
حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفي الاية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه
والتصديق والانقياد ينشأ من قلتهما اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل التهكم والسخرية لا للاستعلام والا استرشاد
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب وانما الكلام في وجوب الايمان فنخبركم
انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا في جوابهم انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند
العرب كشف عرقوب البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم
مع انها ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد منهم كقوله واذ قتلتم وعتوا عن
امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شانه اي دينهم المراد ما امرهم صالح من قوله فذروها
ولا تمسوها والمعنى صدر عتوهم عن امر ربهم بتركها كان هذا السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا
بما تعدنا ان كنت من المرسلين اطلقوا الوعد واراد ما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم للعذاب انما كان لاجل تكذيبهم بكل
ما اخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة
الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا ارجعتها الريح وهذا
لا ينافي ما ذكر في موضع اخر انهم اهلكوا بالطاغية وفي اخرى انهم اهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما
طغى الماء حملناكم فالزلزلة الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب ان الزلزلة لا تنفك عن الصيحة الهائلة فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في
بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار ما لكل واحد منهم من منزله الخاص اي اصبحوا
ذكر الرجفة وحدها حيث ذكر الصيحة لان الصيحة كانت من السماء فلو كانت اكثر واهلك من الزلزلة [illegible] جاثمين موتى لا يتحركون
ابو عبيدة الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا
[illegible] والظاهر انه كان بعد الهلاك [illegible]
محزونا حيث قال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين [illegible]
اشياء كانوا امروا بها [illegible] بالله [illegible] من الرسالة وادائه [illegible]
حديث الناقة فقط ونصحتكم [illegible] حكاية الحال الماضية [illegible]
خطاب الموتى واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت [illegible] كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني [illegible]
الميت نفسه الى التهلكة والفائدة في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر ولعل القائل [illegible]

القصة عن قليله ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قليب قتلى بدر فقال يا فلان ويا فلان قد
وجدنا ما وعد ربنا حقا فقيل له كيف تتكلم مع هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب وتفسير
اخر وهو ان يكون توليه عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي ان عادا
لما هلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله
اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم
فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان
استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو
واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي
شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت صدقناك واجبناك ذلك لتؤمنن ولتصدقن
قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وكانت في غاية العظم
حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا
مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر
وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك
الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكانها
كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تاتيهم وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم
فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم
على يديه فذبحوا تسعة نفر من ابنائهم ثم ولد العاشر فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام قال الغلام هل لكم في
ان اعقر هذه الناقة فشد عليها فلما بصرت به شدت عليه فهربت منها الى جانب صخرة فزحموها عليه فلما مرت به تناولها فعقرها
فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهروا حينئذ كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم
وصدوق بنت المختار لما اضرت الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة والثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما راوا العلامات طلبوه ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر
وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان العاقل مع مشاهدة هذه المعجزات والعلامات
يبقى مصرا على كفره واجيب بان مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وان لا تكون توبتهم مقبولة عن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الايات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا
من هو قال ذلك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي ان نبينا
صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن معه غصن من
ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت
وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار
وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد
منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم
يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك القصة
الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه تقديره وارسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكر لوطا اذ قال على ان اذ بدل
من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم احد السببين اتاتون الفاحشة الفعلة
الخصلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها قال في الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اي ما عملها قبلكم قلت ويحتمل
ان تكون الباء فيه مثلها في كتبت بالقلم او في قوله تنبت بالدهن اي ما سبقكم ملتبسا بها من احد من العالمين من الاولى زائدة لتاكيد النفي وافادة الاستغراق
والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استئناف لانه انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها وهو جواب لسؤال

مقلدة كانه قيل لم تاتونها فقال ما سبقكم بها احد فلا تسبقوا به ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني وههنا سوال وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق في هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها ويتنفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات او المراد ان الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم يوجد في الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال في ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض ائنكم لتاتون الرجال فجمع بين ان وان لموافقة اخر القصة انا لمنجوك انا منزلون وانتصب شهوة على انها مفعول له اى لا حامل لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة او مصدر وقع حالا افعال شهى يشهى شهوة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الزاجرة لارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شئ ختم هذه الاية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الايات التي تقدمت وهي العالمين الناصحين جاثمين المرسلين وفي النمل بل انتم قوم تجهلون اما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فليوافق ما قبلها من الايات وكلها افعال تبصرون تتقون تعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطبائع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب الا انه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان تطلب تلك اللذة وتقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشئ الذي يشتهيه الحيوان في الشبكة والغرض ابقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الحيوان وكل لذة لا تودى الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب ان الفاعل يلتذ بذلك العمل الا انه يسعى في الحاق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لتنفر طبعه من رؤيته واما حصول هذا العمل بين الرجل والمراة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها انه تعالى اودع في الرحم قوة جاذبة للمني بحيث لا يبقى شئ منه في مجاريه واوعيته اما اذا وقع الذكر فانه يبقى شئ من اجزاء المني في المجاري فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يقتضي حل وطي المملوك مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله اتاتون الذكران من العالمين لان كلا من الايتين اعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احديهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل بمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد اولى من شرع لوط واجيب بان الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا المحرم بهذا العمل حرام قال وما كان جواب قومه الا ان قالوا وكيلا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفي النمل تجهلون فما كان وفي العنكبوت وتاتون في ناديكم المنكر فما كان لصحة تعقيب الفاء الفعل الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفي النمل اخرجوا ال لوط لتكون ما في النمل تفسيرا لهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح في الاولى وكنى في الثانية قال في الكشاف يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاءوا بكلام اخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل في موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والاثام فانجيناه واهله اى انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس اراد المتصلين به في النسب بدليل قوله الا امراته يقال امراة الرجل اى زوجته ولا يقال للمراة يعني زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين وفي النمل قدرناها من الغابرين اى كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين اى كانت في علم الله من الغابرين وان قلنا بتاخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها من الغابرين وان قلنا بتاخر نزول الاعراف فصادفت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اى من الذين بقوا من ديارهم وهلكوا والتذكير لتغليب المذكر وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال امطرنا عليهم مطرا اى ارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل

خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فانظر يا محمد وكل من له اهلية الاعتبار كيف كان عاقبة المجرمين وهذه الامة وان امنت من عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي ان ينفك منه على ان عذاب الاخرة اشد وابقى وعلم بامنوه بعد مسائل فمذهب الشافعي ان اللواطة توجب الحد لانه ثبت في شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالاية دلت على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطي ويختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف كالمرتد والثاني وبه قال مالك واحمد يرجم تغليظا ويروى عن علي رضه والثالث يهدم عليه جدار ويرمى من شاهق ليموت اخذا من عذاب قوم لوط واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنى فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن ولو اتى امراة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر انه لواط لانه اتيان في غير المأتى فيجيء في الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنى لانه وطي انثى فاشبه الوطي بالقبل فعلى هذا حده حد الزنى فلا خلاف وترجم المراة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امراته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة **التأويل** هذه ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء فنعت سر السر فهو الخفى وناقة الله تحمل امانة معرفته ويعطي ساكني بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الالهية فذروها تاكل في ارض الله فوقع في رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها بمخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فياخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء في الارض مستعدين للخلافة وبوأكم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان والجنان تنحتون من جبال اطوار القلب بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فاذكروا الاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثاني يوجب تلويح السر فالترويح بوجوه المبادى والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في ارض القلب بالفساد للاستعداد الفطري الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة للذين استضعفوا من اوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل لا يبتغي الحق الى بلد القالب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا اي النفس صفتها ناقة سر القلب بسكين مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا في دار قالبهم جاثمين والله العزيز الحكيم الرحيم قوله تعالى

والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير
لكم ان كنتم مؤمنين ● ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ● وتصدون
عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ● وان كان طائفة منكم امنوا

بالذى ارسلت به وطآئفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين ● قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
ياشعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال اولو
كنا كارهين ● قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشآء الله
ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ● وقال الملاء الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون ● فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
فى دارهم جاثمين ● الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ● فتولى عنهم وقال
ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف اسى
على قوم كافرين ●

القراءة كما مر الوقوف شعيبا غيره اصلاحها مؤمنين لعطف المتفقين وقوع العارض اذ باس الاى عوجا لاتفاق الجملتين مع طول الكلام فكثركم
لعطف المتفقين المفسدين بيننا لاحتمال الواو والحال او الاستيناف الحاكمين الجزء التاسع ملتنا كارهين قيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان ان قبح ولكن الكلام معلق بشرط بعقيبه منها الله ربنا علما توكلنا للعدوان الفاتحين لخاسرون جاثمين ان يوصل وقف على كان لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا عن الضمير فى اصبحوا وكان لم يغنوا حال المعنى الفعل فى جاثمين وان جعل الذين مبتدا خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا من الذين الاول وقف على شعيب او يستانف وكانوا الاخلاون تعتبه الخاسرين ونصحت لكم لان كيف للتعجب فيصلح للابتدا مع ان فيه فاء التعقيب كافرين التفسير
القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن نويب بن مدين بن ابرهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر فى شرايع جميع الانبياء الثانى تصديق ما ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اى معجزة دالة على نبوته فى الاية دلالة مجملة ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغى لكل مدعى نبوة والا كان متنبيا غير ان معجزته لم تذكر فى القران كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيحكى انه دفع الى موسى عصاها اسود وسايرها ابيض وفد وهبتها منك وكان الامر كما اخبر عنه وكل ذلك قبل ان يستنبا موسى فقال اهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى وتسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم غير جايز الثالث قوله فاوفوا الكيل الاية واعلم ان للانبياء ابداء فى الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف وكانه يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشئ القليل وهو امر مستقبح فى العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال فى الكشاف فلم يقل المكيال والميزان كما فى سورة هود لانه اراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمى ما يكال به

بالكيل كما يقال العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل المكيال ووزن الميزان والميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا انقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفى المثل تحسبها حمقاء وهى باخس اى تحسبها خس قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة ضربا لا يعبا به وفيه دهاء وجودة حس ولا تم عم ليشمل جميع انواع الضيم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال يروى انهم كانوا مكاسين لايدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهم الجياد وقالوا انها زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بالنقصان الظاهر واعطوها زيوفا الخامس ولا تفسدوا فى الارض وهذا اعم من البخس ليتناول الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة دينوية ومعنى بعد اصلاحها بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف وهو كقوله بل مكر الليل والنهار اى بعد الاصلاح فيها يعنى اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين بشرايعهم ذلكم الذى ذكر من الامور الخمسة خير لكم فى الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس فى متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لى فى قولى ثم فصل بعض ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقة ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من امن بشعيب ويقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطرق وكانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم قعدوا على طريق الدين ومنهاج اليقين لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا اى التصق به وعلى مكان كذا اى علا ذلك المكان وفيه اذا اجل حرفا الجر تتعاقب فى مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معالم وحدود واحكام كثيرة كل منها فى نفسه سبيل وكانوا اذا راوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير فى به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال فى الكشاف او يكون تهكما بهم تطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لايعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم اى وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة العدد بعد الزيادة و كثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرين فى العدد والعدة والشدة ثم حذرهم سوء عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد بما اصاب الموتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم اولا ثم رهبهم ثانيا واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الاية وفيه وعيد للكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قوم المحجوبين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك ياشعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى احد الامرين كاين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سوال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه وجوابه ان قول الكفار ليس بحجة انما الحجة قول شعيب حيث قال ان عدنا فى ملتكم واجيب بان الكلام مبنى على التغليب وان شعيبا اراد عود قومه الا انه نظم نفسه فى جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب اجرى كلامه على وفق الابهام او انه كان فى اول امره يخفى مذهبه فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التى صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء كقوله وان تكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب فى جوابهم اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير تعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ثم صرح بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان فعلنا ذلك وذلك ان اصل الباب فى النبوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب والعود فى ملتكم بيان فى ذلك والمعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانها او المراد نجى قومه فغلب او المراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما قال فى الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر والثانى ان يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا اى ما ينبغى لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل السنة فى الاية دلالة على ان المنجى من الكفر هو الله تعالى وكذا العيد اليه قال الواحدى علم ان الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل صلوات الرحمن عليه واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف ع توفنى مسلما اجابت المعتزلة

بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء قضية شرطية اى من شاء بعد وليس فيه بيان انه شاء ام ابى الثانى ان هذا على طريق
التبعيد والاحالة كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو اكرهوا على العود
فان اظهار الكفر عند الاكراه جايز وان كان الصبر افضل وما كان جايزا صح ان يكون مراد الله تعالى كما ان المسح على الخفين
مراد الله وان غسل الرجلين افضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير فى فيها الى القرية كانه قال ان اخرجتمونا من القرية حرم علينا العود
فيها الا باذن الله الخامس المشية عند اهل السنة لا توجب جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذى
يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشية ههنا الامر فيكون التقدير الا ان يامر الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان
الشرع المنسوخ لا يبعد ان يامر الله تعالى بالعمل بها مرة اخرى السادس قال الجبائى المراد من الملة الشرعية التى لا يجوز اختلاف
التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجايز ان يكون بعض احكام الشرعية المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا ان يشاء
الله بقاء بعض تلك الاذة فيدلنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالاية على صحة قولهم من وجهين احدهما ان قوله وما يكون
لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان لنا ان نعود وذلك يقتضى ان كل ما شاء الله تعالى وجوده كان فعله جايزا ماذونا
فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مراد الله تعالى وثانيهما ان قوله لنخرجنك اولتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان
العود بخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه قلت للسنى ان يلتزم ذلك اما قوله وسع ربنا كل شئ فوجه تعلقه بما تقدمه على
قول الجبائى هو ان التكليف يجب للصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان يختلف المصلحة فى تلك العبادات
فحينئذ يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شئ علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك
اولتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شئ علما فربما كان فى علمه قسم ثالث وهو ان يحيينا فى القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين
خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا اى لا غيره وانتصاب علما على التمييز وفى قوله وسع بلفظ
الماضى دلالة على انه تعالى كان فى الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شئ عن مقتضى علمه وهو معنى جف القلم وطوى
الصحف على لزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقى ويعلم من عموم كل شئ انه علم الماضى والحال والمستقبل وعلم
المعدوم انه لو كان كيف يكون فهذه اقسام اربعة يقع منها على اربعة اوجه لانه علم الماضى كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا
بل كان حالا او مستقبلا او معدوما محضا فانه كيف يكون وكذا الكلام فى الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا
اذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس او نوع او صنف او شخص من الجواهر ومن الاعراض صار مبلغا يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف
دون اول قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء
قائلا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتاده والسدى احكم واقض وعن ابن عباس ما ادرى معناه
حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها تعال افاتحك اى احاكمك وجوز الزجاج ان يكون معنى الاية اظهر امرنا حتى يتضح ما
بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله
بقوله وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايمان فتح باب الخيرات وهو اشرف صفات المحدثات
فلو كان موجد الايمان هو العبد لكان خير الفاتحين هو العبد والمعتزلة ان يقولوا لولا الالطاف المرجحة الداعية لم يوجد
الايمان من العبد فصح ان الله هو خير الفاتحين ثم بين ان رؤساء قوم شعيب لم يقتصروا على الضلال قائلين لمن دونهم لئن اتبعتم
شعيبا انكم اذا لخاسرون اى فى الدين او فى الدنيا لانه يمنعكم من ازدياد الاموال بطريق البخس والتطفيف فاخذتهم الرجفة
قد سبق تفسيرها الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها يقال غنى القوم فى دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغانى المنازل اذا كان
فيها اهلها وقال الزجاج اى كان لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذى هو ضد الفقر وعلى التفسيرين شبه حال المكذبين بحال
من لم يكن قط فى تلك الديار كقوله شعر كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر قال فى الكشاف الذين كذبوا
مبتدا وخبره كان لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرون وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا فى ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المختصون بالخسران
العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستيناف والابتداء والتكرار مبالغة فى رد مقالة الملاء لاشياعهم وتسفيه
لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت والعرب قد تكرر للتفخيم والتعظيم فتقول اخوك الذى ظلمنا اخوك الذى
هتك اعراضنا وايضا ان القوم لما عوضوا قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون
وفى الاية فوايد اخر منها ان ذلك العذاب انما حدث بتخليق فاعل مختار لا بتاثير الكواكب والطبيعة والا حصل فى اتباع شعيب كما
حصل فى حق الكفار ومنها ان ذلك الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصى ومنها يكون معجزة لشعيب حيث وقع

ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين فى بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم ان هذا التولى جاز ان يكون بعد قال
الكلبى خرج من بينهم ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع
منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف اسى على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى
والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحتى
فكيف اسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك **التاويل** ولا تبخسوا فيه الخساسة والدناءة والحرص والظلم من الصفات
التى يجب تزكية النفس عنها فان الله تعالى يحب معالى الامور ويبغض سفاسفها ولا تفسدوا فى الارض الطبيعة التى جبل الانسان
عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريقة على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون
فى الامور بكثرة العدد نعمة تامة ان يصرف فى اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اى الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا
وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمن تبعا للنفس الكافرة فى العذاب واذا قة الم الهجران او لتعودن
فى ملتنا اشارة الى كل جنس لا يميلون الى اشكالهم والا وجدنى بابن من ابن بلغ اضرابه بعد اذ نجانا الله منها فى القسمة الازلية
افتح بيننا احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدرت من خاتمة الخير واظهار ما قدرت من خاتمة السوء فاخذتهم الرجفة فصارت
صورتهم تبعا لمعانيهم فانهم كانوا احياء الاذواح فى ديار الاشباح كان لم يغنوا فيها الا بالباطل نراهو لاحالة والله اعلم بالصواب

وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء
لعلهم يضرعون ● ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا و
قالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ●
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و
الارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون ● افامن
اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون ● او امن اهل القرى ان
ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون ● افامنوا مكر الله فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون ● اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم
لا يسمعون ● تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين ● وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا
اكثرهم لفاسقين ●

القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد او امن بسكون الواو ابو جعفر
ونافع غير ورش وابن عامر وقراء ورش بنقل حركتها الى الساكن الذى قبلها اولم نهد

بالنون حيث كان زيد من يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو **الوقوف**
يضرعون ۝ لا يشعرون ۝ يكسبون ۝ نائمون ۝ لمن قرا او امن بفتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف
لان او للعطف يلعبون ۝ مكر الله ۝ للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء للتعقيب الخاسرون ۝ بذنوبهم ۝ للفصل بين
الماضي والمستقبل والتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون ۝ من انبائها ۝ لعطف المختلفين بالبينات ۝ لان ضمير
لما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل ۝ الكافرين ۝ من عهد ۝ لعطف
الجملتين المختلفتين لفاسقين ۝ **التفسير** انه سبحانه لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما
يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وليس مقصورا عليهم وبين العلة التي لاجلها فعل بهم ما فعل
والقرية مجمع القوم فتشمل المدينة ايضا وتقدير الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبه اهلها الا اخذنا اهلها
بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة في الاموال والضراء الامراض في الابدان وقيل بالعكس لعلهم
يضرعون اي يتضرعون فادغم التاء في الضاد والمعنى ليحطوا اردية التعزز والاستكبار ويتبعوا انبيهم ثم بين ان
تدبيره في اهل القرى لا يجري على نمط واحد فقال ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء صاحبه الحسنة وهي كل ما
يستحسنه الطبع والعقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا في
انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات والشحم والوبر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا
الضراء والسراء كما هو داب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر في اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا بتدبير
الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وامن بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امن ما كانوا عليه ليكون ذلك اعظم
في الحسرة وانهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان
سبب الحرمان عن الخيرات وسد جميع انواع السعادات ولهذا قال ولو ان اهل القرى اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما
ارسلنا في قرية من نبي امنوا بما يجب الايمان في باب المبدا والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
اي لاتيناهم بالخير من كل وجه او اراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسير اسباب النجاح كقولهم فتحت على القارئ اذا
يسرت القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسول فاخذناهم بغتة والاية بينهما اعتراض والتقدير ابعد ذلك امن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو واما قوله افامنوا مكر الله فتكرير لقوله افامن
اهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامن واما من قرا
او ساكنة الواو فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا افامنوا احد هذه العقوبات واما الاضراب فكما تقول انا اخرج
ثم تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج والاثبات للاقامة اي بل اقيم ومعنى بياتا قد تقدم في اول السورة وضحى
نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة تذكر على انه المفرد كصرد
لانه ذلك كاللعب في انه يضر ولا ينفع ومكر الله تقدم في آل عمران انه عذاب بعد الاستدراج وسمي جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم
ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات يعني المذكور في الاية اللهم اجعلنا من
الخائفين الغافلين لا من الامنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا او مجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول
العبرة للباقين فقال اولم يهد من قرا بالياء ففاعله ان لو نشاء والمعنى اولم يهد للذين يخلفون اولئك المتقدمين فيرثون
ارضهم وديارهم هذا الشان وهو ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي بعقابهم كما اصبنا من قبلهم ومن قرا بالنون فمفعوله
ان لو نشاء منصوب والهداية بمعنى التبيين على القراءتين على الاولى محذوف والتقدير اولم يكشف لهم
الحال الشان المذكور واما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما
قبله قال في الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز ان يكون
معطوفا على اصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجري مجرى تحصيل الحاصل ولقائل ان يقول لا يلزم من
المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين فاقتراف الذنوب غير الطبع لانه يذنب اولا ويكفر ثم يستمر على ذلك فيصير
مطبوعا على قلبه وايضا جاز ان يراد لو شئنا لزدنا في طبعهم ولاد مناهم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام
المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهي مبتدا وخبر وقوله نقص حال والعامل معنى اسم الاشارة
او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة واما على الاولين فيرجع الفائدة الى
الحال والخبر الثاني كما يرجع الى الصفة في قولك هو الرجل الكريم فالحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها

ولها

ولها انباء غيرها لم نقصها عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم
وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا احوالهم تنبيها على الاحتراز عن مثل اعمالهم ثم عزى رسوله بقوله لقد جاءتهم رسلهم بالبينات
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اللام لتاكيد النفي فان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان اولئك
الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم اقروا باللسان ذكرها واضمروا التكذيب
وقال الزجاج فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم
بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا
على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الايات كذلك مثل ذلك الطبع الشديد
يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والقساوة والصد والمنع واحد
كما سلف وقال الجبائي هو ان يسم قلوب الكفار بسمات وعلامات تعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن فقال الكلبي انما
اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا
ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد
قوله للذرية الست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله
الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة
عملت في ضمير شان مقدر والتقدير وان الشان والحديث علمنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والاية اعتراض ويحتمل ان
يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنكونن من المؤمنين نكثوه بعد كشف الضر **التاويل**
الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء الولي يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يذهل عن الحق ولا يرجع اليه ولو ان
اهل القرى يعني صفات النفس امنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من الطاف الحق واتقوا شبهات النفس لفتحنا عليهم اسباب
العواطف من سماء الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبناهم بعذاب اليم البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وموافقات الطبع
اما في صورة القهر او ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل
القهر هم الذين خسروا الدنيا والعقبى ورجحوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدون ۝ قوله سبحانه

ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها ۚ
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۝ وقال موسى يا فرعون اني
رسول من رب العالمين ۝ حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق ۚ
قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل ۝ قال ان كنت
جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين ۝ فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين ۝ ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ۝ قال الملا من
قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ۝ يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تامرون ۝ قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ۝

يأتوك بكل ساحر عليم ● وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين ● قال نعم وانكم لمن المقربين ● قالوا
يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ● قال القوا فلما
القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ● و
اوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون ●
فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ● فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
والقى السحرة ساجدين ● قالوا امنا برب العالمين ● رب موسى و
هرون ● قال فرعون ءامنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر
مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين ● قالوا
انا الى ربنا منقلبون ● وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا
لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ●

القراءة حقيق على بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف مع بفتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان هاء الضمير حمزة وعاصم غير المفضل ارجه بكسر الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون ارجهى بالاشباع نافع غير قالون وعلى وعباس وخلف والمفضل ارجئه بالهمز ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلوانى ارجئهو بالاشباع ابن كثير والحلوانى عن هشام ارجئه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش وعن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلى وخلف وكذلك فى يونس وقرأ قتيبه ونصير و الدورى وحمزة فى رواية ابن سعدان وابى عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ائن لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة وقلب الهمزة ياء ابو عمرو ويزيد ابن بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هى تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى فى الثانية البزى وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل امنتم بزيادة همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص امنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص امنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمى وابن مجاهد وابى عون والسرندبى عن قنبل وامنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وابو عون والسرندبى عن قنبل **الوقوف** فظلموا بها للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين العالمين وقف على بالتشديد اى واجب على ومن قرأ مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق صفة الرسول وعلى معنى الباء الا الحق بنى اسرائيل الصادقين مبين للفصل بين الجملتين والوصل اجوز للجمع بين الحجتين للناظرين عليم لان ما بعده وصف لساحر من ارضكم لاحتمال ان ما بعده من تمام قول الملاء فرعون وجنده والجمع لتعظيم اوله ولعظما حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون الى ماذا تشيرون تامرون حاشرين لان ما بعده جواب الامر عليم الغالبين المقربين الملقين الحق التى للعطف

عظيم عصاك للحق المحذوف لان التقدير فالقاها اوله العظما وحضرته فاذا هى تلقف ما يافكون وكذلك يعملون صاغرين لمكان حروف العطف ساجدين لاحتمال الكون قالوا حالا الا باضمار قد العالمين للبدل وهرون لان ربكم للابتداء مع اتحاد القائل اهلها لان سوف للتهديد مع العطف تعلمون اجمعين منقلبون للاية مع اتحاد القول جاءتنا للعدول عن الخطابات الى مناجات المسلمين **التفسير** القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى ع وقد ذكر فى هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر فى غيرها لان جهل قومه اعظم وافحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته اقوى من معجزات متقدميه من الانبياء والضمير فى قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى الرسل او الامم المذكورين وفى قوله باياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبى لابد له من اية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبى فظلموا بها اى بتلك الايات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار فى موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع الشئ فى غير موضعه او ظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن بها فانظر ايها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين وكيف فعلنا بهم وهذه اجمالية ثم شرع فى تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين اى اله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على ان لا اقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى فاعل اى واجب على ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اى حق على ذلك تقول العرب انى لمحقوق على ان افعل خيرا واما قراءة العامة حقيق على ان فيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط اى على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة ابى حقيق بان لا اقول اى انا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته فكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا الحق وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب الذى يشجع عليه من الباس فيؤول المعنى الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اغراقا فى الوصف ومبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اى واجب عليه ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به وسادسها ان يكون على هذه هى التى تقرن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرت الله التى فطر الناس عليها ويقال جاءنى فلان على هيئته وعلى عادته وعرفه وتحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الاية انحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى لا له القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اى بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه بتبليغ الحكم وهو قوله فارسل معى بنى اسرائيل اى اطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف ع لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم فى الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان احدهما لفظى وهى انه هنا بشرطين فاين جوابهما والجواب ان المؤخر فى اللفظ مقدم فى المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت باية وقوله فات بها كلاهما واحد فى المعنى فكيف يفيد تعليق احدهما بالاخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاحضرها لتصحح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى ع باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا انه امر ظاهر لا شك فى انه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات او المراد انه ابان قول موسى عن قول المدعى الكاذب والثعبان فى اللغة الحية الضخم الذكر روى انه كان اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واخذه البطن يومئذ اربعمائة مرة وكان لم ير منه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس وانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح وقال يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا والنزع فى اللغة القلع والاخراج اى اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله فى موضع اخر وادخل يدك فى جيبك تخرج روى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها فى جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورا فى غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى ع ادم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضا فانها لا تكون بيضاء للناظرين للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجايب واعلم ان القول بتجويز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطربت اقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا فى الانسان وسائر انواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة و مدة وجوزوا فى الجواهر المفردة ان يكون حيا عالما قادرا قاهرا من غير حصول بنية ومزاج وجوزوا فى الاعمى الذى بالاندلس ان يبصر فى ظلمة الليل البقة التى تكون باقصى المشرق وفى سليم البصر ان لا يرى الشمس فى كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق

العادات في بعض الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والالزم فتح باب الجهالة فانه اذا جاز ان ينقلب العصا ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم زاعم ان هذه الامور يختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المختص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الموصى الدليل يقع في تيه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينقضي التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان حجة موسى كانت قوية ظاهرة من حيث ان الحجة ابطلت اقوال المخالفين كالثعبان الذي تلقف ما يافكون ومن حيث انها كانت قوية ظاهرة في نفسها وصفت بالبيضا كما يقال لفلان يد بيضاء في امر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا وغير ذلك امور امور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تاويل ودفع ثم ان السحر كان غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى عم لكونه في النهاية من علم السحر اتى بتلك الصنعة وانه كان يطلب بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ولا ينافي هذا ما حكى الله تعالى في سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في ثلاث الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء فتلقنه الملاء منه فقالوه لغيرهم او قالوه عنه لساير الناس على طريق التبليغ فان الملوك اذا راوا رايا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فماذا تامرون من كلام فرعون اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى ولانه من قولهم امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي ولهذا قال الملاء قالوا في جوابه ارجه واخاه اي اخر امره وامر اخيه ولا تعجل بقضاء في شانهما فيصير عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجأت الامر اخرته يهمز ولا يهمز وعن الكلبي وقتادة ان المعنى احبسه وزيف بانه خلاف اللغة الا ان يقال الحبس المرء نوع من التاخير في امره وبان فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا وارسل في المداين حاشرين المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا اقام به ولهذا اطبق القراء على همز مداين لانه كصحايف وقيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القايل لا يهمز مداين وقال المبرد اصلها مديونة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بنحو مبيع في مبيوع وليس المراد مداين الارض كلها ولكن المقصود مداين صعيد مصر قال ابن عباس وكان رؤساء السحرة باقصى مداين الصعيد حاشرين جامعين ياتوك بكل سحار الباء بمعنى مع او للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل سبعين الفا وقيل ثمانين الفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى قرية بقرب موصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وانما جاء بعد موسى وفي الاية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا له في الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على اهل زمن عيسى كان معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلا جرم كانت معجزته العظمى وهي القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وساير ما يتعلق به قد مر في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا بناء للكلام على سؤال مقدر كان سائلا سأل ما قالوا اذا جاؤه فاجيب ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصد الكثرة قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقونه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفي الاية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والا قلبوا الحجر ذهبا بل قلبوا املاك فرعون الى انفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل ان لا يغتر باكاذيبهم وزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا احسن الادب فخيروا موسى اولا وقدموه في الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو دأب المتناظرين والمتصارعين مع ان في قولهم واما ان نكون نحن الملقين ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله لتاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او من جهة تعريف الخبر واقحام الفصل قال الفراء قد جمع بين اما وان في هذه الاية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا في موضع امر بالاختيار اعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذا كانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الاية فان الامر لا يصلح هناك وقال موسى للسحرة القوا تعجيل لكم ما رغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم ووثوقا بان الامر الحق يغلب ولن يغلب فان قيل ان القاسم الحبال والعصي معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر بالكفر كفر فالجواب من وجوه احدها انه

انما امرهم بشرط ان يجعلوا في فعلهم ان يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القايل اسقني الماء من الجرة فانه انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى عم علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه ووقع النزاع في التقديم والتاخير الثالث انه اذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليجيب عنها ويكشف عن ضعفها فيقول له هات وقل ومراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا اعينهم فثبت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم قلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم اتوا بالحبال والعصي ولطخوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا الزيبق داخل العصي فلما اثر تسخين الشمس تحركت والتوى بعضها ببعض فتخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم اي ارهبوهم والسين زايدة كانهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتدت رهبة الناس بعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك ايها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كما زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى عم ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى فاوحى الله عز وجل اليه ان الق عصاك وفي رواية الواحدي منه ان المراد بالوحي ههنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت الشيء بالكسر القفه لقفا وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وما في ما يافكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فلعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن اي ظهر وهو امر الله ونبوة موسى عم وقال القاضي معناه قوة الظهور بحيث لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك قوله و بطل ما كانوا يعملون اي الذي عملوه او عملهم فغلبوا هنالك اي حين التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا اذل ولا اصغر اعظم في حق المبطل من دحوض حجته روي ان تلك الحبال والعصي كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انهم لاجل كمالهم في السحر ميزوا السحر عن غيره فانقلبوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان ان الكامل في علم التوحيد والشريعة والحكمة وفي قوله والقي السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد الدواعي والقدر وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانه القاهم غيرهم لانهم لما تمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم سجدوا ثم قالوا امنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك او انهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا في الحال شكرا على الفوز بذلك واظهار الخشوع والتذلل واقرارا باللسان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا امنا برب العالمين قال فرعون اياي تعنون [illegible] رب موسى وهرون [illegible] وكفروا بفرعون وقيل افردهما بالذكر من جملة العالمين [illegible] ثم ان فرعون لما علم ان اعلم الناس بالسحر اقروا بنبوة موسى عم [illegible] الشنيع ومن قرا بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار [illegible] المبطلين [illegible] ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة [illegible] من الصحابة [illegible] وتفصيل لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف [illegible] ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون [illegible]

كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم انهم قالوا عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون اي نحن لا نبالي بالموت
لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون
انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة لميتون فما نقدر ان تفعل بنا ما لا بد منه وما تنقم منا قال ابن عباس
ما اتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها
الا الله تعالى وهذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
ثم لجأوا الى الدعاء كما هو داب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا سجال الثبات على متابعة
الدين او على ما يوعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى اخبروا عن ايمانهم اولا ثم سألوا التوفي
على الاسلام ثانيا فيمكن ان تستدل بذلك على ان الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالاية على ان الايمان والاسلام
بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك على منح الالطاف واعلم ان مبنى القصة في هذه السورة
على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هناك يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره والحكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير
انا الى ربنا المنقلبون فلسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة واما قوله ههنا وارسل في المداين حاشرين وهناك وابعث فلان الا
فيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب به فرعون دون غيره وانما قال ههنا امنتم به وفي طه والشعراء امنتم
له باللام لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل امنتم به وامنتم له واحد وقال ههنا لاصلبنكم لانه
لما افاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه **التاويل** فظلموا
بها بان جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين افسدوا الاستعداد بالركون الى الدنيا ولذاتها حقيق على ان لا
اقول لاني قائم بحقائق الجمع نائب عن الحق وانا دار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي فيعلم منه ان كل
شيء اضفته الى نفسك وجعلته حاجاتك فانه ثعبان يتبعك فلهذا قيل القها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه ان الايدي قبل تعلقها بالاشياء كانت
بيضاء نقية نورانية الروحانية لموسى كانت روحانية في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله
تعالى في بعض الاوقات خرقا للعادات عليهم الجسمانية يريد ان يخرجكم لا شك ان موسى اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض
بشريتهم الى النورانية الروحانية توهموا ان التاخير وحسن التدبير يغير شيئا من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم
ان لنا لاجرا لم يعلموا ان اجرهم في المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين اجرى الله تعالى هذا على لسان فرعون حقا وصدقا فصاروا
مقربين عند الله قالوا يا موسى اما ان تلقي اكرموا موسى بالتقديم والاستيذان فاكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان بسحر عظيم اي عظيم في
الاثم كما قال سبحانه هذا النبأ عظيم وعظم اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هي تلقف ما يافكون فيه ان عصا الذكر اذا القيتها عند القاء
سحرة صفات النفس تبلع نعم لا لتلقف جميع ما عرضوا باعين الناس فوقع الحق باثبات لا اله الا الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف
الدنيا في العيون فغلبوا اي سحرة صفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت اوامر الشرع ونواهيه والقي السحرة ساجدين
اي صارت صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية موسى الروح وهرون القلب واعلم ان صفات النفس اذا تنورت بنور الذكر يتبدل
كفرها بالايمان ولكن اذا تنورت بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل اللهم الا عند غرقها في بحر
الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفي القصة دلالة على انه تعالى قد يبرز العدو في صورة الولي مثل
بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان اذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن ان الايمان لا باذن الله لمكر مكرتموه في موافقة موسى الروح في
مدينة القالب لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية لاقطعن بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لاصلبنكم في جذوع
تعلقات الدنيا وزخارفها ه

وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم
قاهرون ● قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ● قالوا اوذينا من قبل

ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ● ولقد اخذنا ال
فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ● فاذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ● وقالوا
مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ● فارسلنا
عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ● ولما وقع عليهم الرجز قالوا
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز
الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ● فانتقمنا منهم فاغرقناهم
في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ● واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي
باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ●
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام
لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم
تجهلون ● ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون
قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ● واذ انجيناكم

من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم و
يستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ●

القراءة سنقتل بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر ونافع يورثها بالتشديد الخراز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع يزيد في رواية يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وابو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وعلي وخلف الباقون بالضم انجاكم ابن عامر الآخرون انجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف نافع الوقوف والهتك نساءهم للابتداء بان العطف واتحاد القائل قاهرون واصبروا لما قلنا من عباده للمتقين ماجئتنا تعملون يذكرون لنا هذه لبيان تابع الاضافين على الناقص ومن معه لا يعلمون مؤمنين مجرمين بما عهد عندك لان لئن منتظر مع اتحاد القائل بني اسرائيل لان جواب لما منتظر مع دخول الفاء فيه ينكثون غافلين باذكاينها للعدول عن الحكاية وكذلك بما صبروا والعكس يعرشون اصنام لهم لاتحاد القائل بلا عطف الهة تجهلون يعملون العالمين سوء لاحتمال كون ما بعد مستانفا او حالا ابناءكم عظيم التفسير ان فرعون بعد وقوع الواقعة لم يتعرض لموسى ولا اخذه وحبسه لانه كان كلما رأى موسى يخاف اشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه فقالوا اتذر موسى اتتركه وقومه ليفسدوا في الارض اي يغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه فيتوسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله والهتك مفعول معه والمراد انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع الهته فقط ويحتمل ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى ايكون منك ان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك والهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بانه لعله كان اتخذ اصناما على صور الكواكب على ان الكواكب مدبرات العالم السفلي واما مخدوم الكل في هذا العالم والمربي لهم فهو نفسه فقوله انا ربكم الاعلى اي انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون اوهم قومه انه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وكأنه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون اي مستعلون عليهم ماكا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة انه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما وصل ما جرى بين فرعون وملائه اليه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب ان الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من علم انه لا مدبر في العالم الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة واعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما امرهم بشيئين بشرهم باخرين فقال ان الارض يعني ارض مصر وجنس الارض فيتناول مصر بالتبعية لله يورثها من يشاء من عباده ويعني بالتوريث جعل الشيء للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من الكلام المنصف والا فمعلوم ان القبط لا تقوى لهم والمراد ان من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغني الكريم يعينه في الدنيا والاخرة ثم انه خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم في قوله سنقتل الى غير ذلك من انواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى موعدا ومصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارض مصر ولا ريب ان في عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة بنور الحق افاد قوة اليقين وازاح ما خامره من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج اي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره بوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قديما وانما يجازيهم على ما يقع حديثا فيتعلق الرؤية الازلية عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون وكيف نصب تعملون لا بينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما تقدمه ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشؤم التكذيب والتمرد فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة غلبت على سنة الجدب كالدابة والنجم وتقديرها في غير هذا الموضع الحول والعام قال ابو زيد والفراء بعض العرب تقول هذه سنين ورأيت سنينا فتعرب النون ومنه قول الشاعر شعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا والسنون من الجموع المصححة الشاذة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي واصحاب المواشي ونقص الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط من ان يعلم ان كل الثمرات لم تنقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فينتبهوا فيرجعوا الى الانقياد والطاعة فان من الشدة ما يلين الاعطاف ويرقق القلوب قيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه

في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية وقال القاضي في الآية دلالة على انه تعالى اراد منهم ان يتذكروا ولا يقيموا على ما هم عليه من الكفر واجيب بانه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار في الحقيقة ولا اختيار ولا يرعوي عن الكفر والطغيان الا من شاء واراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اي الغيث والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون بذلك ولم نزل في الرفاهية والنعمة وهذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمه وان تصبهم سيئة اضداد ما ذكرنا يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغم الطاء في التاء لقرب مخرجيهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله واما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله قال الازهري يقال للشؤم طائر وطير وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار لفلان سهم كذا اي حصل ووقع ذلك في حظه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير لان الفال الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله وذلك لان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الآية ان كل ما يصيبهم من خير او شر فهو بقضاء الله وتقديره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل رهين بمشيته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان او بشؤمه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا منذ اتانا محمد قال في الكشاف ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم بجهلهم اسندوا حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم بجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجز والسحر وقالوا مهما تاتنا به من آية وفي مهما قولان عن البصريين ان اصلها ما الشرطية زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائي انه مه بمعنى اكفف وما للشرطية كأنه قيل كف ما تاتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى اي شيء يحضرنا تاتنا به ومن آية بيان لمهما والضمير في به وكذا في بها يعود الى مهما الا ان البيان كالزيادة فلا يعود اليه شيء ما امكن العود الى المبين الا ان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وانث اخرى حملا على المعنى وسموها آية تهكما وتهمينا اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون وان صح انه المطر واصله ما طاف وغلب من مطر او سيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس منهم غرق [illegible] والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فانبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله [illegible] فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه بالتوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا [illegible] فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان كبار القردان عن ابن عباس وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل ان تنبت اجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه ويأكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا [illegible] وحواجبهم ولزم جلودهم [illegible] فصاحوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدر وهي تغلي فشكوا الى موسى فاخذ عليهم العهود فلما كشف الله عنهم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي القبطي دما [illegible] وقيل الدم الرعاف سلطه الله تعالى عليهم [illegible] آيات مفصلات [illegible] معجزات او فصل بين بعضها وبعض بزمان [illegible] فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين [illegible]

اى الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذى كان اصابهم فمات من القبط سبعون الفا انسان فى يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اى بعهده عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة فى قولك كتبت بالقلم اى ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق المقسم به بالفعل فيكون باء الاستعطاف اى استعطفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه اخر وهو ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن فيكون متعلقا بالاقسام اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل اى نخليهم وشانهم تذهب بهم حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا فى جميع الوقائع بل الى اجل هم بالغوه لا محالة ومعذبون فيه اذا هم ينكثون جواب لما اى لما كشف عنهم فاجاوا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم فى اليم وهو البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجة البحر ومعظم مائه سمى باليم لان المستنفعين به يتيممونه اى يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اى كان اغراقهم بسبب التكذيب وبانهم كانوا عنها اى عن الايات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اى معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعل بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام فى الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض مصر والشام لانهما هى التى كانت تحت تصرف فرعون وقوله التى باركنا فيها اى بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بنى اسرائيل من ملك جملتها كداود وسليمان وتمت كلمة ربك الحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة قيل يريد بالكلمة قوله فى سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الايتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض لان الوعد بالشئ جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اى بسبب صبرهم وفيه ان الصبر عنوان الظفر وضمين بالنصر والفرج ودمرنا اى اهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعنى العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيعم المعانى والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذى انشا جنات معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى على بنى اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر يروى انه عبر بهم موسى يوم عاشورا بعد ما اهلك فرعون وقومه فصاموا شكرا لله فاتوا على قوم اى فمروا بقوم يعكفون مواظبين على اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزولا بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ما كافة عن العمل ولهذا دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد فى المعبود انهم انه اله او اعتقد انه مقرب الى الله ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشاهير بنى اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الايات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وعن على كرم الله وجهه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال على انما اختلفنا عنه لا فيه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم ان هؤلاء يعنى عبدة تلك التماثيل متبر اى مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون اى يتبر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذى هم عليه فيصير الى الزوال والاضمحلال وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وفى تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا على شئ البتة وان مصيرهم الى النار لا محالة قال اغير الله ابغيكم الها انتصب غيره على الحال المتقدمة التى لو تاخرت كانت صفة كما تقول ابغيكم الها غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدى يقال بغيت فلانا شيئا وبغيت له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع كونهم مغمورين فى نعم الله فان الاله ليس شيئا يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والاية الباقية قد مر تفسيرها فى البقرة والفائدة فى اعادتها ههنا التوبيخ والتعجب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون ليناسب قوله سنقتل ابناءهم التاويل وقال الملاء من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر بفرعون النفس اتذر موسى الروح وقومه من العقل والسر والقلب ليفسدوا فى الارض البشرية ويذرك والهتك من الدنيا

والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعنى اعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم اى الصفات التى منها يتولد الاعمال نورثها ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فيتصف بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فيتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تاتينا بالواردات الروحانية بعد البلوغ فنادى من دواعى البشرية عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة ان الواردات الروحانية لا يكفى لافناء النفس وصفاتها ولا بد فى ذلك من تجلى صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الكفود لا يرى النعم شعر وكذا الملوك اذا اراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكانا ولكن اكثرهم لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة وعيونهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا عليهم الطوفان العلم الكثير والجراد الواردات والقمل الالهامات والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات والرياضات ايات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا غب حين فاستكبروا عن قبولها والعمل وكانوا قوما مجرمين فى الازل ولهذا لم يقدمهم الوسائط والاسباب ولما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة فاغرقناهم فى يم الدنيا وشهواتها وما كانوا يعرشون اى يرفعون بالتجبر والتكبر انفسهم يقال عرش الطائر اذا ارتفع بجناحه على فرخه وجاوزنا بصفات القلب بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على اصنام من المعانى المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها وارادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الربانى عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته فعلم ان هؤلاء يعنى صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء المعانى المعقولة وباطل ما كانوا يعملون فى غير طلب الحق والوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الحيوان والجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى المعارف والحقائق الالهيات

وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ۝ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين ۝ وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين ۝ ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ۝

وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين ● والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة
حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ● واتخذ قوم موسى
من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ● ولما سقط في ايديهم
وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن
من الخاسرين ● ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما
خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه
يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ● قال رب اغفر لي
ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ● ان الذين اتخذوا
العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك
نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم ● ولما سكت عن موسى الغضب
اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون

القراءة ارني انظر بسكون الراء وفتح الياء ابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكا بالمد حمزة وعلي وخلف اني اصطفيتك بفتح ياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو برسالتي على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون برسالاتي اياتي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلي وخلف الباقون بضم الراء وسكون الشين من حليهم بفتح الحاء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسر وتشديد الياء حمزة وعلي الباقون مثله ولكن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالخطاب والتاء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدي اعجلتم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وقال ابن ام بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن ام في طه **الوقوف** اربعين ليلة للعطف مع اختلاف القايل المفسدين ربه لان ما بعده جواب لما اليك فسوف تراني صعقا المؤمنين الشاكرين لكل شيء للعدول مع فاء التعقيب باحسنها الفاسقين بغير الحق بها لابتداء شرط اخر ولبيان تناقض الاحوال مع العطف سبيلا كذلك سبيلا غافلين اعمالهم يعملون خوار سبيلا للا تصير الجملة صفة السبيل فان الهاء ضمير العجل ظالمين ضلوا لان ما بعده

جواب الخاسرين اسفا لما من بعدي للابتداء بالاستفهام مع اتحاد القايل امر ربكم لان قوله والقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه يقتلونني والوصل اولى لان الفاء للجواب اي اذا هموا بقتلي فلا تشمت بي الظالمين في رحمتك الاصلحان يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين الدنيا المفترين امنوا لظاهر ان والوجه الوصل لان ما بعده خبر ان والعايد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور رحيم الالواح لاحتمال ما بعده الحال يرهبون **التفسير**
لما اهلك الله سبحانه اعداء بني اسرائيل سال موسى ربه ان ياتيه الكتاب الذي وعده فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب عندي من رايحة المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فايدة التفصيل انه تعالى امره بصوم ثلثين وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهاني من الجايز ان يكون موسى عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات في عشرة اخرى فتم اربعون ليلة وقيل لا يمتنع ان يكون الوعد الاول لحضرة موسى والوعد الثاني لحضرة المختارين معه ليسمعوا الكلام ومن فوايد الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر فصار ثلثين والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدر ام لا وانتصب اربعين على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او اصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفة مع انه شريك في النبوة بدليل واشركه في امري والشريك اعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تاكيدا واطمينا والا فالنبي لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي حددنا له كما يقال اتيته لعشر خلون من شهر كذا وكلمه ربه للناس في كلام الله مذاهب فقيل عبارة عن هذه الحروف المولفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثاني فالاشعرية قالوا ان موسى قد سمع تلك الصفة الازلية لانه لا يبعد رؤيته عندنا مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى اصوات مقطعة وحروف مولفة قايمة بالشجرة واختلف العلماء ايضا في ان الله تعالى كلم موسى وحده وهو ظاهر الاية او مع السبعين المختارين وهو قول القاضي لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهور هذا المعجز لغيره قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك واجعلني متمكنا من رؤيتك فانظر اليك واراك عن ابن عباس ان موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون في اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له في الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارني انظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سال الرؤية وانه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سالها قال القاضي فللمحصلين من العلماء في هذا المقام اقوال احدها قول الحسن وغيره قال ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جايزة على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان يكون موقوفا على السمع ورد بانه يلزم ان يكون موسى ادون حالا من علماء المعتزلة العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى بانهم يدعون العلم الضروري بان كل ما كان مرئيا فانه يجب ان يكون مقابلا او في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابي علي وابي هاشم ان موسى سال الرؤية على لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بانه لو كان كذلك لقال موسى ارهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني وبانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبان ذكر الدليل القاطع في هذا المقام فرض مضيق فلم يكن تاخيره مع انهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السوال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم ان يقولوا لا نسلم هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وهذا وثالثها وهو اختيار ابي القاسم الكعبي ان موسى سال المعرفة الضرورية بحيث يزول عندها الخواطر والوساوس كما في معرفة اهل الاخرة ورد بانه تعالى اراه من الايات كالعصا واليد وغيرها ما لا غاية بعدها فكيف يليق به ان يقول اظهر لي اية تدل على انك موجود ولو فرض انه لا يزال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقايل ان يقول منعه في الدنيا لحكمة عرفها الله تعالى ولا يلزم منه المنع في الاخرة

ورد ايضا وهو قول ابي بكر الاصم ان موسى اراد تأكد الدليل بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل امر مطلوب للعقلاء وضعف
بانه لو كان الواجب حينئذ ان يقول اريد يا الهي ان يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي وللقائل ان
يقول هذا تعيين الطريق وفي الاية سؤال وهو انه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر الي لتناسب قوله انظر اليك والجواب
لان موسى لم يطلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذي معه الادراك بدليل ارني ومن حجج الاشاعرة انه تعالى علق الرؤية
على امر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ورد بانه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه اي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال الحركة محال ومنها قوله فلما تجلى ربه اي
ظهر وبان ومنه جلوت العروس اذا ابرزتها او ظهر للجبل اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى
مفعول والدك والدق اخوان ومن قرأ بالمد اراد ارضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء ايضا
اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة والغرض من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتأييده
وقال المعتزلة الرؤية امر محال لقوله لن تراني وكلمة لن ان لم تفد التأبيد فلا اقل من التأكيد وايضا الاستدراك في قوله
ولكن انظر معناه ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر اخر الى الجبل لتشاهد تدكك اجزائه وتفرق ابعاضه
من عظمة التجلي واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قال الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى حينئذ في الجبل
حيوة وعقلا وفهما ورؤية قوله وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا
عن غيرهم روي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية
رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك اي تنزيهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك اني تبت اليك
من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص مسموع من عندك وانا اول المؤمنين
بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الاشاعرة وانا اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا او بانه لا يجوز
السؤال منك الا باذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعه الله اياها اخذ في تعداد سائر نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال
يا موسى اني اصطفيتك الاية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل على جواز الرؤية في نفسها والا
لم يكن لهذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد سمع كلام الله من غير واسطة
كما سمعه موسى والغرض انه خصه من دون الناس بمجموع الامرين الرسالة والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان الكلام
بلا توسط سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المائة لنا شتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه
تقريبا وبين من ضرب له الحجاب والحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب والمراد بالرسالات ههنا اسفار التورية
فخذ ما اتيتك من شرف الرسالة والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بان تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة
فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطاه الله التورية يوم النحر وذكروا في عدد الالواح وفي
جوهرها وطولها انها كانت عشرة اذرع وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء
وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب انها كانت من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى فقطعها بيده وشققها
باصبعه وقيل كان طولها كان عشرة اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والا وجب السكوت اذ ليس في الاية
ما يدل على ذلك واما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل
ايضا كما قلنا من كل شيء مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو اخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل في الموعظة كل
ما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد واراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه
بنو اسرائيل من اقسام الاحكام ويجوز ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا له في الالواح موعظة
من كل شيء وتفصيلا لكل شيء قيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى
ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا
باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على ارادة القول اي وكتبنا
فقلنا له خذها او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية بقوة
بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك يأخذوا باحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما في التورية وجب كون الكل
مأمورا به وظاهر قوله يأخذوا منها باحسنها يقتضي ان فيه ما ليس باحسن وانه لا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بوجوه منها
ما هو حسن ومنها ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يأخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب فيكون

كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن
وكلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح والاحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد
يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من الشتاء ثم ختم الاية بالوعيد والتهديد وقال ساريكم دار الفاسقين
قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في اذهانكم لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن
الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما اصابهم وقال الكلبي هي
منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا وقرانهم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بان الله تعالى سيورثهم ارض اعدائهم ويؤيد
ما قررنا اورثكم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر بانه يعامل الفاسقين المتكبرين فقال ساصرف
عن اياتي الاية فاحتجت الاشاعرة على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله ساصرف للاستقبال
والمصروفون بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف
مذكور على وجه العقوبة على التكبر والاعتساف ولا تكون العقوبة عن المعاقب عليه فوجب تأويل الاية فقال الكعبي وابو مسلم
الاصفهاني ان هذا الكلام تمام لما وعد الله به موسى من النصرة والعصمة اي اصرفهم عن اياتي فلا يقدرون على منعك
من تبليغها كما قال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما انزل اليك الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل سأصرف هؤلاء
المتكبرين عن نيل ما في اياتي من العزة والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك الصرف المستلزم للاذلال والاهانة
جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الايات لا يمكن الانتفاع لها الا بعد سبق الايمان فاذا كفروا
فقد صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بها بعد ذلك فحينئذ يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه اخر ان الله تعالى
اذا علم من حال بعضهم انه اذا شاهد تلك الايات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك
صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من يبالغ في كفره وينتهي الى الحد الذي اذا وصل اليه مات قلبه ومنه بالطبع و
الخذلان فالمراد بالمصروفين هؤلاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا
تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي قوله بغير الحق اما ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر
بالحق لله وحده اذ لا كمال فوق كماله فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اي يتكبرون بما ليس بحق
وهو دينهم الذي لا اصل له ومنه يعلم ان للمحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة الرشد والرشد طريق الهدى
والحق والصواب كلاهما واحد قال الكسائي وقرأ ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان انستم منهم رشدا وبفتحتين
الاستقامة في الدين قال تعالى مما علمت رشدا وسبيل الغي ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية انما كان لاجل
كونهم مكذبين بايات الله وكونهم غافلين ومحل ذلك الرفع على الابتداء والنصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب انهم
كذبوا وكانوا ثم بين ان اولئك المتكبرين يجزون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا باياتنا ولقاء
الاخرة اي جحدوا المعاد حبطت اعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول ابي هاشم ان تارك
الواجب يستحق العقاب بمجرد ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا الاية دلت على انه لا جزاء الا على عمل وترك الواجب
ليس بعمل اجاب ابو هاشم باني لا اسمي ذلك العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزي اي يكفي في المنع عن المنهي او في الحث على المامور
به لكن العقاب على ترك الواجب كاف في الزجر عن ذلك الترك فكان جزاء قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون
من القبط الحلي فاستعاروها مرة فاغرق الله القبط فبقيت تلك الحلي في ايدي بني اسرائيل فلهذا اضيفت اليهم على ان مجرد ملابسة
الاستعارة ايضا يصحح الاضافة والحلي جمع حلي كثدي وثدي ومن كسر الحاء فللاتباع جمع السامري تلك الحلي وكان رجلا مطاعا
فيهم ذا قدرة وكانوا قد سألوا موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامري عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك فقال
قوم كان قد اخذ ترابا من حافر فرس جبريل فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري
هذا الهكم واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وجه مخصوص
ثم وضع التمثال على مهب الرياح فظهر منه صوت يشبه خوار العجل وقال اخرون انه جعل ذلك التمثال اجوف وخبأ تحته من ينفخ
فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامري وحده لان القوم رضوا بذلك و
اجتمعوا عليه فكانهم شاركوه او لان المراد باتخاذ العجل هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد مضيه الى الطور قال
الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الاية ولقول موسى في الدعاء رب اغفر لي ولاخي ولو كان غيرهما اهلا للدعاء
لاشركهم في ذلك وقال اخرون بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون

بالحق وبه يعدلون وقيل انقلب ذلك التمثال لحما ودما او بقي ذهبا كما كان قال بعضهم الى الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار والجسد اسم للجسد ذي اللحم والدم والخوار انما يكون للبقر لا للصورة واستبعده بعضهم وناقش في ان الجسد مختص بذي الروح ثم ان ذلك الصوت لما اشتبه بالخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرأ علي كرم الله وجهه جوار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على فساد كون ذلك العجل الها بقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله ان يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومناهجه بما ذكر في العقول من الادلة وبما انزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا فمن كان مضلا عن الدين لا يصلح ان يكون الها قالت الاشاعرة لو صح ان الاله يلزم ان يكون هاديا لزم ان يكون كل متكلم هاد الها والجواب ان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا ان كل اله فانه يجب ان يكون هاديا متكلما والموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الاية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل واختلفوا في وجه الاستعارة فقال الزجاج اريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال حصل في يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وقال في الكشاف ان من شان من اشتد ندمه ان يعض يده غما فصارت يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها فاصل الكلام سقط في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فيه كما يحذف الفعل ويبنى للمفعول فيه في قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فذلك لاعتقاد ان ذلك الفعل خير وصواب وانه يورثه رفعة ونباهة فاذا بان ان ذلك العمل باطل وكانه انحط وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطأه كان ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كانه يتدارك الحالة التي لاجلها حصل الندم فكانه قد سقط في يده من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي قال الواحدي انه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج فمن وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه يذوب بادنى حرارة فهذا من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف صديقه وتحمله لمن لا يهتدي الى صلاحه وقيل انه في معنى على اي سقط على ايديهم فان من عادة النادم ان يطاطئ راسه ويضع على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى وراوا انهم قد ضلوا اصلا لهم كانهم ابصروه بعقولهم قال القاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطأ والترتيب الاصلي ولما راوا انهم قد ضلوا كانهم ابصروه بعقولهم قال القاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وسقط في ايديهم ويمكن ان يقال الواو لا يفيد الترتيب او يقال الاقدام على ما يعلم كونه صوابا او خطأ فاسد موجب للندم وقد يتكامل العلم فيظهر انه خطأ جزما ثم انهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم فذكروا مثل ما ذكر ابوانا آدم وحواء لئن لم يرحمنا ربنا الاية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول ابي مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان اسفا فانه يدل على ان هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه فقد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الميقات والاسف الشديد الغضب وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن والسدي انه الحزين وقال الواحدي وهما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبان على قومه اسفا من جهة ربه بئسما خلفتموني تخاطب عبدة العجل او وجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص مخصوص والتقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الانداد ومن بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها او من حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظر الاية فخلف من بعدهم خلف من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقديم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشيء في اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لما اتى على راس من الثلثين ليلة فقد مات وروي ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع فانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطا اعجلتم سخط ربكم وفي الكشاف يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به والقى الالواح التي فيها التوراة لما لحقه من الدهش والضجر

غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يرحم الله اخي موسى ليس الخبر كالمعاينة لقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما اخبره الله تعالى به حق وانه مع ذلك يتمسك بما في يده وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في التفسير الكبير القاء الالواح ثابت في القران فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا لانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء وانا اقول الجراءة تحصل بنفس الالقاء لا بالتكسير الذي يتعلق باختياره فكل ما يحصل عذرا عن نفس الالقاء يصح ان يجعله عذرا عن التكسير واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوابته وقد استتبع غضبه امرين احدهما القاء الالواح والاخر اخذ براس اخيه جارا اليه نزعم قوم مثبتوا عصمة الانبياء انه جر راس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف فيه كيفية الواقعة لا لاجل الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن ام من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال وعلى حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى ان امهما واحدة على ما روي انه كان اخاه لابيه وامه ليكون ادعى الى العطف والرقة لانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة انصاري وكادوا يقتلونني حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء العابدين العجل فانهم يحملون هذا الذي تفعله على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد اني واحد منهم ولا يخفى ما في بعض هذا التفسير من التعسف والتكليف والحق ان هذا القدر من الحدة الناشية من عصبية الدين لا يقدح في العصمة وغايته انه يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لي ما اقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولاخي ان عساه فرط في شان الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم وذلة كلاهما في الحيوة الدنيا فالغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وفي وقت نزول الاية كان القتل واقعا واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى في الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم في الغضب والذلة قلت ويجوز ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير من التكليف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الاية محذوف والتقدير ان الذين اتخذوا اباؤهم العجل يعني الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بضرب الجزية او غضب وذلة كلاهما في الدنيا بالقتل والجلاء كما فعل في بني قريظة والنضير او التقدير ان الذين اتخذوا العجل سينالهم لا اولادهم وكذلك نجزي المفترين اي كل مفتر في دين الله جزاء الغضب والذلة قالت مالك بن انس ما من مبتدع الا ويجد فوق راسه ذلة ثم قرأ هذه الاية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ظاهر الاية يدل على ان التوبة شرط العفو فانه لا بد من التوبة من تجديد الايمان فما اصعب شان المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من اتى بجميع المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور ستور عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب وان جلت الا ان عفوه وكرمه اعظم واجل ولما بين ما كان من موسى مع الغضب بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعله و يقول له الق الالواح وجر راس اخيك وغير ذلك فترك النطق وقطع الاغراء وعن عكرمة ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقلب كما يقال ادخلت الخف في رجلي وانما ادخل الرجل في الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به اخذ الالواح التي القاها منبها على زوال غضبه لانه او كد ما تقدم من امارات الغضب وفي نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتب وفي مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تنكسر واخذها موسى باعيانها بعدما القاها او قلنا انها تكسرت واخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما القى الالواح تكسرت فصام اربعين فاعاد الله تعالى الالواح وفيها عين ما في الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام في المفعول للتقدمة فان تاخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء وسمعة وجوز بعضهم ان يكون اللام مزيدة كقوله ردف لكم **التاويل** ثلثين ليلة لئلا تستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية واتممناها بعشر لخصوصية الاربعين في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في بعثة الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع عليه

كاسات الشرب اثر فيه سماع الكلمات فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب ارنى انظر اليك فقيل هيهات
انت بعد فى وبعد الاثنينة وحجاب جبل الانانية فلن ترانى ببصر انانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان
بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض بنور ربها قد كان ما كان سرا لا ابوح به فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر فلو لم يكن جبل
انانية النفس بين موسى الروح وتجلى الرب لطاش فى الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفة عند الفناء بالتجلى لما امكن
الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استند بالتجلى فافهم فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلى
الربوبية قال موسى بلاهوتيته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلق بك وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية
وانما ترى بوصولك بربها الاتى وبكلامى دون دونى من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سالت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة
والزيادة هى الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اى بقوة الصدق والاخلاص او بنيتوة واعاتم منا ساريكم
دار الفاسقين الخارجين من طلب الله الى طلب الاخرة والدنيا ساصرف عن اياتى فحجاب التكبر يحرم المتكبر رؤية الايات واتخذ
قوم موسى ان سامرى الهوى من بعد توجه موسى الروح لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلى زينة الدنيا ودعونات البشرية التى استعارها
بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعوا الخلق به الى نفسه ولما سقط فى ايديهم عند
رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص
له قابلة ان لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الاية غضبان مما عبدت صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فات لها من عبودية
الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل وانه من غيران يامركم به ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك
لا ينبغى ان يلتفتوا الى شىء من الدنيا فى اثناء الطلب اللهم اذا قطعوا مفازة النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيامرهم
المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعنى ما لاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب الطبيعى و
اخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه فسر عنه استيلاء طبيعة الروحانية قال بن ام بينهما من اب وام واحد ابوهما الامر
وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق تواضعهما وتذللهما بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفونى يعنى الاوصاف البشرية استذلوا
بالغلبات عنه غيبتك وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلنى مع القوم الظالمين فيه
ان صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس وبعونتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه
وانما يعرض تغير صفاته كما ان النفس لا تتغير من حيث هى عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية
والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لى ولاخى اشارة الى ان الروح والقلب محل
استعداد قبول الجذبة الالهية يدخلهما فى سير فى عالم الصفات وكذلك نجزى المفترين الذين يدعون ان الله اعطاهم قوة لا يضرهم عبادة
الهوى والدنيا وشهواتها ه

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء
انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب
لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنا اليك قال عذابى
اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الذين

يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى
التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر و
يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا
~~ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى انزل معه~~
~~اولئك هم المفلحون~~ قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم
جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى و
يميت فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته
واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وبه يعدلون

القراءة عذابى اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصاروهم على الجمع ابو جعفر ونافع
وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد **الوقوف** لميقاتنا للابتداء
بكل الجزاء مع فاء التعقيب واياى منا لتقدير ان النافية مع اتحاد القائل فتنتك لان ما بعده مستانف ويهدى من يشاء
الغافرين اليك من اشاء الفصل بين الجملتين تعظيما لشانها مع الاتفاق فى اللفظ كل شىء للمتقين واختلاف الجملتين و
الفاء للاستيناف وعده على الخصوص يؤمنون لاحتمال ما بعده النصب او الرفع على المدح والجر على البدل والانجيل لان الامر
يحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اى هو يامرهم وان يكون نعتا اى مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعد مفعول اى
يجدونه امرا ويكون التقدير الامى الذى يامرهم فيكون كالبدل عن الصلة كانت عليهم انزل معه لان ما بعده خبر فالذين
المفلحون والارض لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اى مستحق ملك السموات غير مشارك ويميت لطول الكلام والا
فالفاء للجواب اى اذا كنت رسولا فامنوا اجابة تهتدون يعدلون **التفسير** الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار
الشىء اذا اخذ خيره وخياره ومن هنا سمى فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك لان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكم بكون
ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل فمن الافعال ما يتعدى
المفعول الثانى بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا
وكذا استغفر الله من ذنبى واستغفره ذنبى وجوز بعضهم فى الاية ان المراد بالقوم السبعون ومنهم اطلاق اسم الجنس
على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اولا من غير واسطة ويكون سبعين بدلا او بيانا قيل من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة
فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى انه
لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدى العشرين
ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات
ربه وللمفسرين خلاف فى ان هذا الميقات غير ميقات الكلام والرؤية ام غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امر
ربه ان ياتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة

وهي المراد من الرجفة في هذه الاية والذاهبون الى الثاني حملوا القصة على ما مر في البقرة في تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هناك ان منهم من قال هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم اتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان تكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والا انخرم التناسب وعن علي ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فاحياه الله تعالى فقال ما قتلني احد فاخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة حتى كادت تتفتت مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قال في الكشاف هذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأى كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل السفهاء قال اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اراد انك لا تفعل ذلك كما تقول اتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قيل لو كان سفيههم لقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ناسب ان يقال اتهلكنا بما قاله السفهاء فاذن السفيه لفعل صدر منهم كعبادة العجل او غيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات غير ميقات طلب الرؤية ان هي الا فتنتك الضمير يعود الى الفتنة كما تقول انه الا زيد وان هي الا هند قال الواحدي ولعله يعود الى مقدر ذهني والمعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك او حين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدي من تشاء فيثبت على الحق قالت الاشاعرة في الاية دلالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها او لعدم الايمان بانها من عندك من تشاء وتهدي الى الجنة بها لاضدادها لطفا من تشاء او المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها عمن تشاء انت ولينا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر الا انت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هي الا فتنتك جراءة عظيمة فاشرك نفسه مع قومه في طلب المغفرة والرحمة وانت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب اوجب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة نظير سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم ان كونه تعالى وليا للعبد يناسبه ان يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر اثار كرمه والهيبة وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثاني وهو قوله انا هدنا اليك قال اهل اللغة الهود التوبة اي تبنا ورجعنا اليك وقد تم بذكر السببين عهد عز الربوبية وعهد ذلة العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم طلب المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين قال الله تعالى في جواب موسى عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد علي اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وقرا الحسن اساء من الاساءة ورحمتي من شانها انها وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الاخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله فساكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول نعمته وقيل الخير مطلوب واللذة وان حصل هناك بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هناك الم فله اعواض كثيرة واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فساكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكاليف الفعلية اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم باياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يشتمل على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك اتباع النبي الامي الى اخره وصف محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الايات بصفات تسع الاولى الرسالة والثانية النبوة فان قيل النبوة منه رتبة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر قلنا لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه قد يكون رسولا ولا يكون نبيا لقوله جاعل الملائكة رسلا وقد يكون نبيا ولا يكون رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون احد الوصفين على الاطلاق مغنيا عن الاخر ولو سلم فذكر الاخر تتميم وتصريح بما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام اي انه على هيئة يوم ولدته لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزات نبينا صلى الله عليه وبيانه من وجوه الاول انه كان يقرا عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها

فانه لابد ان يزيد فيها وينقص فهذا المعنى امر معجز سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة كان متهما بانه طالع كتب الاولين ولما اتى بهذا القران العظيم المشتمل على جلايل العلوم من غير تعلم ومطالعة عرف انه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا يفتقر الا الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط مشكلا عليه ثم ان الله تعالى اتاه علوم الاولين والاخرين وما لم يصل اليه احد من العالمين فالجمع بين هاتين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الضمير في يجدون للذين يتبعونه من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا نعته في التورية اذ لا يمكن ان يتبعوه في شرايعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل فمن المحال ان يجدونه قبل انزال الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكوة وامن بالدلايل في زمن موسى واتبع نبي اخر الزمان في شرايعه وهذا دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التورية والانجيل والا كان ذكر هذا الكلام من اعظم القوادح والمنفرات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نقصان حال المدعي فلا يرتكبه عاقل فلما اصر على ذلك دل على ان الامر في نفسه كذلك الخامسة والسادسة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في ال عمران ومجامع ذلك محصورة في قوله صلى الله عليه وسلم ملاك الدين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا وبرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل ما يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعني الاشياء التي حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القايل ويحل لهم المحلل وهو تكرار ويمكن ان يجاب بان المراد بين لهم المحللات وفايدة العدول ان يعلم كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل في كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل الا بدليل منفصل وقيل يعني ما يحرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرهم الثامنة ويحرم عليهم الخبايث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما من المحرمات وقيل ما يستخبثه الطبع والاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل لما في شرايعهم من الامور الشاقة كالقصاص بتة من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم في اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة والاغلال على هذا القول غير مستعار وفي الاية دلالة على ان الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع اكد الايمان به بقوله والذين امنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه ونصروه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وعلى هذا لم يبق بينه وبين قوله ونصروه فرق كثير واتبعوا النور الذي انزل معه وهو القران اي انزل مع نبوته ظهرت مع ظهور القران او يتعلق باتبعوا اي اتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا القران كما اتبعوا النبي مصاحبين له في اتباعه اولئك هم المفلحون الفايزون بالمطلوب في الدارين اعلم انه سبحانه لما قال فساكتبها للذين يتقون بين ان من شرط نزول الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين لرسول اخر الزمان ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطايفة من اليهود يقال لها العيسوية اتباع عيسى الاصفهاني ان محمدا رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين لقوله رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن النايم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العالم لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم من الاصناف الثلثة ايضا حكم عليهم فيه هذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب وانه وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات

اليه قال بعض الاكابر ان الاية وان دلت على انه عليه السلم الى كل الخلق فليس فيها دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا
الى كلهم وقد تمسك من جمع العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي
الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبوة ورد بان مجموع هذه الامور من خواصه
لا كل واحد واحد وبان آدم عم بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان فيكون مبعوثا الى كل الناس وقد ولا يخفى ضعف هذا
الرد لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية اخرى واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه
الامور من خواصه لزم ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانه عرف التكليف لا بواسطة آدم
بدليل ولا تقربا ثم لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم اتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى
وانها لا تتم الا بتقرير اصول اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات
والارض اذ لو لم يكن للعالم موثر او كان له موثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يكن القول ببعثة الرسل ومحل الذي نصب
او رفع على المدح او جر بدلا او وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد وذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن
عبادة احدهما اولى من عبادة الاخر وثالثها انه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والحساب كما قال يحيي ويميت وانما
لم يتوسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا منها مبينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول ثبت اصل رابع وهو انه يصح من الله تعالى ارسال
الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما
اذا كان فردا منزها عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي واما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف
بنوع من طاعته ايضا لا لاله الى الجزاء والى لذة الاخر بعد كونه اجرا ممتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فامنوا بالله و
رسوله النبي الامي اقتصر من الصفات المذكورة ههنا على الامية لانها اجل الاوصاف وادلها على حقيقة وذلك انه
لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لان مكة كانت بلدة العلماء وما غاب عنها رسول الله غيبة طويلة يمكن التعلم فيها
ومع ذلك فتح الله عليه ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القران الذي يشتمل على علوم الاولين والاخرين فليس ذلك
الا بتاييد سماوي وفيض الهي ثم وصف بقوله الذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي يجب ان يكون ممن امن بالله وبكتبه وانما
لم يقل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن ان يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات
من البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا
من كان انا او غيري اظهارا للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم ان الكلمات اما نظرية واشار اليها بقوله فامنوا واما عملية واليها
اشار بقوله واتبعوه والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة من اقواله والثانية اشارة الى المستفادة من افعاله فان كل فعل
يصدر عنه ويواظب عليه فلا بد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر الوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان
ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خواصه معنى الترجي في لعلكم تهتدون وقد مر في نظائره لا سيما
في اول البقرة في قوله لعلكم تتقون لما ذكر الرسول وانه يجب على الخلق متابعته ذكر ان في قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال
ومن قوم موسى امة يهدون بالحق اي يهدون الناس بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون وفي تعيين هذه الامة
وفي اي زمان كانت اختلف المفسرون في ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام
وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شان كما اطلق على الواحد في قوله ان ابرهيم كان امة وقيل
انهم قوم ثبتوا على الدين الحق جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل في زمن تفرق بني اسرائيل واحداث
البدع ويجوز ان يكونوا اقاموا على ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا في دينه ويجوز ان يكونوا اهلكوا قبل ذلك وقال السدي و
جماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا اليه
وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم
ان المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الان بناء على ان نبينا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم من استبعد
عدم وصول الخبر اليهم مع ان خبر هذه الشريعة طار في كل افق وتغلغل في كل نفق فقال انهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وروي عن النبي عم ان جبريل ذهب به ليلة الاسرى نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي
فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا عليه مني السلام فرد محمد على موسى السلام ثم اقراهم عشر سور
من القران نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت والله اعلم **التاويل** واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان

لهم الخيرة الذي اختاره الله كان مثل موسى وانما اختيرك والذي اختارهم موسى كانوا محل مستحقين اسوء الادب للرجفة و
الصعقة وههنا نكتة هي ان قلب موسى عم لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سواله للروية شعلة
نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب ارني انظر اليك تقدم عزة الربوبية واظهر ذلة العبودية وكان
سوال القوم من القلوب الساهية اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
تقدمة الجحود والانكار وطلبوا الروية جهارا فاخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفات الربوبية
وان صعقتهم صعقة القهر عند صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عم ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة
فرعى الاشياء كلها من عند الله فراى سفاهة القوم من اثار صفة قهره واختبارا لهم فقال ان هي الا فتنتك تزيغ بها
قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الروية كما كتبت
لمحمد صلى الله عليه وسلم فسأكتبها يعني حسنة الروية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نصاب هذا المقام الزكوة
الى طلابه والذينهم بانوار شواهد الايات بالتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة
الى انه في امته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلثة ومعنى الامي انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال
صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله روحي وقال لولاك لما خلقت الكون فاما اتباعه في مقام الرسالة فبان تاخذ منه ما
اتاك وتنتهي عما نهاك وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن وللعوام
شركة مع الخواص في الانتفاع من الرسالة وللخواص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة في الظاهر يفتح
بركة ذلك احوال النبوة في الباطن فيصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف
الملكية وربما يؤول بما له الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مامورا بدعوة الخلق الى الحق
بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتباعه في مقام اميته فذلك
لاخص الخواص وذلك انه صلى الله عليه وسلم يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحي
انزل في مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى او ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير من متابعته من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة انزل في
مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد حظي من مقام اميته مكتوبا عندهم وبالحقيقة هو مكتوب
عنده في مقعد صدق يامرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ما سواه ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله
هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم اي العهد الذي بينهم بين الله وبين حبيبه ان لا يوصل الى مقام
اميته الا امته واهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابرهيم فكان هذا العهد عليهم شدة واغلالا يمنعهم من الوصول
الى هذا المقام فقد وضع النبي عم هذا الثقل الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته اشار الى هذا المقام بقوله فالذين امنوا به وعزروه
ووقروه باعتقاد اختصاص هذا المقام بدون ساير الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذي معه ملات
سموات القلوب وارض النفوس لا مدبر فيهما غيره يحيي قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكلماته
بما اوحى اليه ليلة المعراج بلا واسطة ومن قوم موسى امة يهدون بالحق يعني خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل
بالحق على موسى وبه يعدلون في الحكم بين العوام فشتان بين امة غايتهم القصوى هداية الحق وكان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية
عند سوال الروية عند سوال الروية بلن تراني وبين امة امية بلغوا بجذبات انوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى سموا الاميين
وتعالى في حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق فلهذا دعا موسى عم اللهم اجعلني من امة محمد شوقا الى الغاية فافهم جدا

وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقيه
قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتي عشرة عينا
قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن

والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون ● واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر
لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ● فبدل الذين ظلموا منهم
قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما
كانوا يظلمون ● واسالهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر
اذ يعدون فى السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ● واذ
قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا
شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ● فلما نسوا
ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ● فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا
لهم كونوا قردة خاسئين ● واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى
يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب
وانه لغفور رحيم ● وقطعناهم فى الارض امما منهم الصالحون
ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون ● فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله
ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق

ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون
والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر
المصلحين ● واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع
بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ●

القراءة تغفر بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم مجموع جمع التكسير ابو عمرو وخطيئتكم بالرفع وعلى الوحدة ابن عامر خطيئاتكم بالرفع مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذى يلحق بجمع السلامة المونث يسبتون من الاسبات ابو زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بيس مثل ريم ابو جعفر ونافع بيئس على فيعل كسيد ابن عامر بياس على فيعل بفتح العين الاعشى والبرجمى بئس على فعيل تاذن بالتليين الاصفهانى عن ورش والشمونى وحمزة فى الوقف تعقلون على الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك ابو بكر وحماد الاخرون بالتشديد **الوقوف** امما وان اتفقت الجملتان لان اوحينا عامل اذا استسقيه دون قطعنا فان تفريق الاسباط لم يكن فى زمان الاستسقاء الحجر للحذف مع اتحاد الكلام اى فضرب فانبجست عينا والسلوى ما رزقناكم الحذف جملة اى قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا يظلمون خطيئاتكم المحسنين يظلمون البحر كيلا يصير ما بعده ظرفا لقوله واسئلهم فانها لا تاتيهم لاحتمال تعلق كذلك به اى يوم لا يسبتون لا تاتيهم اتيانا كاتيانها يوم السبت والاصح ان كذلك صفة مصدر محذوف اى نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز ايضا يفسقون قوما لان الجملة بعده صفة شديدا تتقون يفسقون خاسئين العقاب رحيم نصف الجزء امما لاحتمال كون ما بعده صفته او مستانفا دون ذلك للعطف على قطعنا فان تجعل الجار صفة للامم كان عطفا مع عارض يرجعون سيغفر لنا ياخذوه ما فيه تتقون تعقلون الصلوة على تقدير حذف اى لا نضيع اجرهم انا لا نضيع او هم المصلحون ولا نضيع اجر المصلحين وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اى لا نضيع اجرهم المصلحين السبع الثالث واقع بهم لحق المحذوف تتقون **التفسير** انه سبحانه ختم قصة بنى اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا او فرقا ومينا بعضهم عن بعض كيلا يتحاسدوا ويتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط بفتحتين يعتلفه الابل فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سوال وهو ان مميز ما عدا العشرة الى تسعة وتسعين مفرد فهلا قيل اثنتى عشرة سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله **شعر** تبقلت فى اول التبقل بين رماحى مالك ونهشل انث اثنتى عشرة وقال الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتى عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسى والجوهرى اسباطا بدل من اثنتى عشرة والمميز محذوف كما قال الزجاج وقوله امما بدل من اثنتى عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقى الاية الى قوله بما كانوا يظلمون قد مر تفسيره فى البقرة وكذا بيان المتشابهات فذكر النوع الاخر من احوالهم قوله سبحانه واسئلهم عن القرية اى عن اهلها وليس المراد تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلومة للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم بما كانوا قد قدموا عليه من الاعتداء والفسق ليعلموا ان لهم سابقة فى ذلك وليس كفرهم بمحمد اول مناكيرهم وهذا كقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمهم به من لم يقرا كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحى فيكون معجزا والاكثر على ان القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون فى السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال اى واسئلهم عن وقت عدوانهم قال فى الكشاف يجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل فى غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر فى وقت العدوان لانها حاضرة فى جميع الاحيان وقوله اذ تاتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع كركع وراكع وكل شىء دان من شىء فهو شارع

ودرسوا

ودار شاد عد اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اى دنت من الغيب والحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها
عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد اليهود امروا باليوم الذى امرتم به وهو يوم الجمعة
فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقى القصة مذكورة فى البقرة وفيها دلالة على
ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احوال الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن وقالت الاشاعرة لو
وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب ان لا يكثر الحيتان فى ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد
على خلق ابليس وسائر اسباب الشرور النوع الثالث قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب امة
منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا فى موعظتهم حتى ايسوا الاخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم
مدمرهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شوم والمنهمك فى الفساد لا يكاد يفلح قالوا معذرة من رفع فبتقدير
هذه او موعظتنا او قولنا او بلاء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة او وعظناهم معذرة
الى ربكم اى اذا طولبنا باقامة النهى عن المنكر قلنا قد فعلنا فيكون بذلك معذرة ورجاء لعلهم يتقون ولانا نرجوان يتقوا بعض الاتقاء
فيتركوا الصيد فى السبت فلما نسوا يعنى اهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراآت شديد من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المتاخر فى قوله
فلما عتوا تكبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن المنهى عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
والمراد امر التكوين والايجاد لان هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن اكلوا والله
اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا فى الدنيا واطولها عذابا فى الاخرة هاه وايم الله باخوث احقر قوم فاكلوه اعظم عند الله من
قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ فى سورة البقرة الا انه قد بقى ههنا
بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا قيل فرقتان المذنبة والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون قوما فهم المذنبة بعينها قالوا
للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقال
فى الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجمع خطاب الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح انهم ثلث فرق فرقة مذنبة وفرقة
واعظة وفرقة لم تعظون اما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق واما الواعظة فقد نجوا بنص الكلام وفى الثالثة فعن ابن عباس انه توقف
فيهم وكان يقول فيهم ليت شعرى ما فعل بهؤلاء وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الاية يبكى وقال ان هؤلاء الذين
سكتوا عن النهى عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا يكرهون عليهم ويخوفون
بان الله سيهلكهم او يعذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى بحال المنهى و
النهى لا ينجع فيه سقط عنه النهى ولعل الواعظين لم يستحكم باسهم بعد كما استحكم باس هؤلاء ولعلهم كانوا احرص الطائفتين
ولعل الامة سالوا عن علة الوعظ سؤال المسترشدين لا سؤال المنكرين والله تعالى اعلم باسراره النوع الرابع واذ تاذن ربك
هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكانه يؤذن النفس بفعله واجرى
مجرى فعل القسم فى الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اى حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط
كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد واختلف فى العائد فى عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على انهم نسلوا
وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه مسخ المتقدمين والحق الذل بالتبعية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو اخذ الجزية كانوا يؤدونها الى
ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة وقيل الاستخفاف والاهانة وقيل
القتل والقتال كما وقع فى زمن بخت نصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما فى يهود خيبر وفى قريظة والنضير وان قد اخبر
الله بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروى
فى ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح معناه انهم كانوا قبل خروجه يهود ثم دانوا بالهيئة فذكر الاول وانما تكلف ذلك لانهم
يكونون فى وقت اتباع الدجال قاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم فى الارض امما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد
يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا فى زمن موسى يهدون بالحق والذين هم وراء الصين وعن ابن عباس
ومجاهد الذين ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم وامنوا به ومنهم دون ذلك اى ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه
فيجوز ان يكون فيهم بعض الصلاح وان كان دون صلاح الاولين الا ان قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد
بهم الكفرة الفسقة الباقية على ضد الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على انه صفة موصوف محذوف كما قلنا وبلوناهم

عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات بالجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين
تدعو الى الطاعة والانابة النعم بالترغيب فخلف من بعدهم خلف ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثانى مذموم فالمراد فخلف
من بعد اولئك الصلحاء خلف قال الجوهرى الخلف القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال
الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف سوء فى ابيه بالتسكين وخلف صدق من ابيه بالتحريك قال لبيد شعر ذهب الذين
يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب والخلف الردى من القول يقال سكت الفا ونطق خلفا اى سكت عن الف كلمة ثم تكلم
بخطا ورثوا الكتاب التورية بقيت فى ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهى ولا يعملون بها ياخذون
عرض هذا الادنى اى حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع بها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر وفى الاتيان
بقوله هذا الادنى تحقير وتخسيس والادنى الدنو القرب لانه عاجل او دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى
فى تحريف الاحكام والنعوت ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ
الدال عليه ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اى يرجون المغفرة جزما وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم
على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا وانهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اى التورية ومحل ان لا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان للميثاق المذكور فى التورية وهو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا
يقبلوا الرشى او لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف ذلك خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه
ما ليس بحق ويجوز ان يكون ان لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لان لا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل
الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على الم يؤخذ لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه اى انهم ذاكرون
لما اخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال من
ترك التمسك بالتورية اتبعها حال من تمسك اى اعتصم به فقال والذين يمسكون الاية والتشديد للتكثير وفى افراد اقامة
الصلوة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلوة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا
الجبل قال ابو عبيدة اصل النتق قلع الشئ عن موضعه والرمى به ومنه امراة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمى باولادها
رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من اصله وجعلنا فوقهم كانه ظلة وهى كل ما اظلك من سقف او حائط وظنوا انه واقع بهم
علموا وتيقنوا انه ساقط عليهم وقيل قوى فى نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا وروى انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية فرفع
الله الطور على راسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى
الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد
الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة [illegible] الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل
ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرا عليه التورية الا اهتز وانغض لها راسه [illegible]
خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهى ومن الترغيب
للثواب والمراد خذوا واذكروا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلائل على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه من الاباء التاويل الغريب التى
كانت حاضرة للمحجوب قرية الجسد الحيوانى فى طلعة [illegible] البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحانى كصفات
الروح وصنف قلبى كصفات القلب وصنف نفسانى كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعى البشرية
فى سبت محارم الله فلم تهتك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع
فنهج الدواعى فى المحرمات دون الحلالات [illegible] من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج عن امر الله [illegible]
امارة بالسوء واذ قالت امة منهم صفات القلب قالوا لصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات
والشهوات او معذبهم عذابا شديدا هو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانه خلقنا
هكذا امرين بالمعروف ناهين عن المنكر بمقتضى ما علمنا [illegible] من الروحانية والملكية ولعل النفس وصفاتها
يتقون [illegible] بالموعظة والاطمينان [illegible] قابلة لذلك بعذاب بئيس وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهى ليبعثن
عليهم على الابد [illegible] والقلوب الذين يسومون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيمة سوء العذاب
عذاب البعد عن الله وعذاب ذل الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح والقلوب فى ارض الاجساد منهم الصالحون
قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك [illegible] وبلوناهم بالحسنات [illegible] والسيئات [illegible] لعلهم

يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن قيل خطوتان وقد وصلت وبلوناهم
بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال
ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها كما كان حال ادم فخلف من بعدها الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد
صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب وهو ما الهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني
والاسرار وورث النفوس وجعلوها ذريعة للعروض الدنياوية وتحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر
لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة او سيغفر لنا اذا استغفروا وهم يستغفرون باللسان
لا بالقلب واذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان لو وكل الى طبعه ونفسه لا يقبل شيا من الامور الدينية وانما يعان على القبول
بامر ظاهر او باطن وفيه ان على دوس اهل الطلب جبل امر الحق وهو امر التحويل فيحق لهم بالقدرة الى ان ياخذوا ما اتاهم الله
تعالى بقوة منه لا بقوتهم وارادتهم ○

واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا
كنا عن هذا غافلين ○ او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون ○
وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون ○ واتل عليهم
نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان
من الغاوين ○ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض
واتبع هويه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون ○ ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا
وانفسهم كانوا يظلمون ○ من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون ○ ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم
اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون ○ ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين

يلحدون فى اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ○ وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون ○ والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ○ واملى لهم ان كيدى متين ○

القراءة ذريتهم على التوحيد حمزة وعلى وخلف وابن كثير وعاصم سوى المفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء
الغيبة فى الحرفين ابو عمرو يلهث ذلك بالاظهار حفص والاصفهانى عن ورش والحلوانى قالون والنقاش عن ابى
ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرانا مظهرا ابو جعفر ونافع
وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون
بالهمز **الوقوف** انفسهم لان التقدير وقال الست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم فصلا بين السوال والجواب بلى لان شهدنا
يصلح ان يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويتعلق ان بمحذوف اى فعلنا ذلك لئلا يقولوا ويصلح ان يكون شهدنا من قول
الملئكة اى قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من كلمة بلى ومتصلا بان ويقولوا غافلين للعطف من بعدهم
لابتداء الاستفهام واتحاد القايل المبطلون يرجعون الغاوين هويه لان قوله فمثله مبتدا ولدخول الفاء فيه كذلك
الكلب لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير للمثل او تتركه يلهث باياتنا يتفكرون يظلمون المهتدى للعطف ولان التفصيل
بين الجملتين ابلغ فى التنبيه الخاسرون والانس والوصل اولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها لان العطف صحيح
ولكن الوقفة لامهال فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظ لهم فى اول كل جملة لا يسمعون بها اضل الغافلون فادعوه
بها لعطف المتفقتين فى اسمائه يعملون يعدلون لا يعلمون وعطف واملى على سنستدرجهم احسن من جعله مستانفا
فيوقف على املى لهم متين **التفسير** لما شرح قصة موسى على اتم الوجوه ذكر ما يجرى مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين
وفى الاية للمفسرين قولان احدهما ما روى مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سئل عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة واذا خلق
العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله
بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد
بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبى وابن عباس اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الاية
بانه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب ابائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات
وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحدانيته
وعجايب خلقته وغرايب صنعته فكانه قررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك
وباب التمثيل باب واسع فى كلام الله ورسوله وفى كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقال الشاعر امتلاء الحوض وقال قطنى وهذا القول الثانى غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فى نفسه انما هو الكلام فى صحة
القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بنى ادم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من
ظهور بنى ادم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهورهم شيئا ويمكن ان يجاب بانه تعالى علم ان الشخص الفلانى يتولد من ادم و
من فلان اخر فعلى الترتيب الذى علم دخولهم فى الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فيثبت اخراج الذرية من ظهور بنى ادم بالقران
وثبت اخراج الذرية من ظهر ادم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء
لم يكن اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا تلك الحالة فى هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه بطل التناسخ ويحتمل
ان يجاب بالفرق وذلك انا اذا كنا ابدان اخرى وبقينا فيها سنين ودهورا امتنع فى مجرى العادة نسيانها واما اخذ هذا الميثاق
فانما حصل فى اسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه او منها ان جميع الخلق من اولاد ادم جمع عظيم وجم غفير وصلب ادم على صغره
لن يتسع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحيوة والعقل والفهم فكل واحد من اولئك الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع
يبلغ مبلغا عظيما فى الحجمية واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا فى الحيوة والعقل والفهم فكل واحدة من اولئك الذر لها بنية
فمن الجايز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم فى ذلك الوقت او فى الدنيا والاجماع منعقد

على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه على الذر واجيب بانه لا يسأل عما يفعل والمعتزلة اذا ارادوا تصحيح القول يوذن الاحمال وانطاق للجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة في تمييز السعداء من الاشقياء في وقت الميثاق لطف وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيمة ومنها انه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون اولئك الذر اناسيا ينافي كون الانسان مخلوقا من الماء والطين والجواب لم لا يجوز ان يخرج الله تعالى من صلب ادم ذرة من الماء ثم منها ذرة اخرى وهلم جرا الى اخر نسلها ثم يعدم الكل ويحييها فيحصل للانسان اربع مراتب اولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها في القبر ورابعها في القيمة ويحصل له الموت ثلث مرات بين كل حيوتين واحد لانا في هذا كلام الكفرة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم اما قوله ان يقولوا فالتقدير واشهدهم على انفسهم بكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله بني آدم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى ويقولوا يعني الكفار انما اشركنا لان اباءنا اشركوا فقلدناهم في ذلك الشرك وكان الذنب لاسلافنا فكيف يعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع عنهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة معناه اشهدنا عليهم كراهة ان يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء وقال في الكشاف المراد بني ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذريتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بابائهم لان الايات السابقة في شان اليهود كذلك قوله واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا قوله وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعون الى الحق ويعرضوا عن الباطل او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الاية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذاتها وحقايقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها فربما تذكر بالتذكير وربما لا تتذكر واتل عليهم على بني آدم واليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعوراء وذلك ان موسى عم قصد بلده الذي هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى عم وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يا رب باي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى عم ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال ايضا انه كان نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا موسى عم انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم حيث يجعل رسالته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده لمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت في امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا ان يكون فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسد ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي عم وهو الذي قال فيه النبي عم ولقد كان ان يسلم وذلك انه يوحد في شعره ويذكر دلايل توحيده من خلق السماء والارض واحوال الاخرة والجنة والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق وكان يترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار واتى قيصر واستنجد على النبي صلى الله عليه وسلم فمات هنالك طريدا وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب وكانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسن الاصم وروى عكرمة عن ابن عباس هو رجل اعطي ثلث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امراة يقال لها البسوس وكان له منها اولاد وكانت لها صحبة فقالت اجعل لي منها دعوة واحدة قال لك واحدة فما ذا تامرين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيئا اخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلث فيها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وابي مسلم ومعنى قوله اتيناه اياتنا اي علمناه حجج التوحيد وفهمناه ادلته حتى

صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انه انسلخ منه وقال ابو مسلم اتيناه اياتنا فانسلخ منها اي بيناها فلم يقبل وعري منها وتباعد كما هو شان كل كافر لم يؤمن بالادلة واقام على الكفر والقول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان شئ موجودا فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا وايضا ثبت بالاخبار ان الاية نزلت في انسان كان عارفا بدين الله ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اي ادركه ولحقه وصار قرينا له او اتبعه الشيطان خطواته او كفار الانس وغواتهم اي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى او فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار بها اي بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه لزم الميل الى الارض ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا وقال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض وسائر امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه اخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى لا جرم اقيم مقامه قال الاشاعرة لفظة لو يدل على ان الله تعالى ما كان يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائي معناه لو شئنا لرفعناه باعماله بان نحزمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى يستلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فابى ان يستمر على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره وقال صاحب الكشاف معناه ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله تعالى رفعة تابعة للزومه الايات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة لها ومسببة عنها كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الى الارض الذي هو ارذلها في هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا او لم الذلة لاهثا في الحالين ويجوز ان يكون تفسيرا للمثل كما قال الليث اللهث هو ان الكلب ونحوه اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شئ يلهث فهو يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث في جميع احواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعة خبيثة فمعنى الاية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث ايضا لاجل ان ذلك الفعل القبيح طبيعة اصلية له وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل واعلم ان التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو الكلب واخس الكلاب هو اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما يكون لاجل انه يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحال ذلك الكلب الذي اخرج لسانه ابدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيثة وايضا هذا الحريص الضال ان وعظته ضل لان ذلك الضلال والخسار عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عم بالتمثيل جميع المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم الى طاعة الله تعالى ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرأوا نعت رسول الله في التورية وذكر القران المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين او قصص بلعم الذي هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته ثم ذكر تاكيدا اخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز المخصوص بالذم فيصير التقدير به مثلا مثل القوم وساء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده وظاهر الاية يقتضي كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم بايات الله واعراضهم عنها حتى صاروا في ذلك بمنزلة الكلب اللاهث اما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلالة بتقديره فقال ومن يهدي الله فهو المهتدي وهو محمول على اللفظ من حيث انه مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم و

ان ظاهر الاية موافق لمعتقد الاشاعرة ان الهداية والضلالة بل جميع الاعمال بخلق الله والمعتزلة اولوها بان المراد من يهديه
الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلل عن طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهده الله فقبل هداه
فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلل
عن ذلك بما تقدم منه بسوء اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان يوثر فيه فهو الخاسر وزيف بالعلم
والداعي وبان الاصل عدم الاضمار وبان كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار و
بالاية بعدها وهي قوله ولقد ذرأنا الى اخره وذلك انه بين خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل وخلاف
مقدوره ومعلومه محال وايضا العاقل لا يريد الكفر والجهل لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون
الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب لا محالة لا يقال العبد انما يسعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل
لانه اشتبه الامر عليه فظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل
بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الايات الدالة على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة والعبادة
والخير كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى اخره
ولو كانوا مخلوقين للنار غير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار لان منافع الدنيا
باسرها لا اعتداد بها في جنب العذاب الدائم لكن القران مملو من انه تعالى منعم على جميع الخلايق وايضا مذهبكم يوجب انه لا يكون
للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة
في ان يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم وايضا الاية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد فيها الا اذا قدر ولقد ذرأنا لهم
لكن يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا
وجب ان يأول الاية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا ويقول انهم جعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة
شكايمهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان غريقا في بعض الامور واجيب اجمالا بانه لا يسئل عما يفعل و
تفصيلا بان النعمة وان قلت فهي في نفسها نعمة وبان الوسايط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة يجوز ولكن لا يصار اليه الا لضرورة تصحيح
المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلايل العقلية كالعلم والداعي والنقلية كايات كثيرة على ان الكل من الله فوجب المصير الى طرف
الجبر ولا سيما فان ما قبل هذه الاية وهو قوله من يهدي الله فهو المهتد وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
يدل على ما قلنا وايضا لا ريب ان اولئك الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكذا اعين مبصرة واذان سامعة فالمراد انهم ما
كانوا يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجعون الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع علم العالمين كيف ان الكفار بلغوا
في عداوة الرسول عم وفي شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يكتنه كنهه والعلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب
ليس باختيار الانسان بل هي حالة حاصلة في القلب كره الانسان واراده وحينئذ يثبت القول بالجبر وروى الشيخ احمد البيهقي في
كتاب مناقب الشافعي رحمه الله ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه خطب الناس فقال واعجب ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة واضدادها
فان سنح له الرجاء ولهه الطمع وان هاج الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان
اسعد الرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة
شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضا
والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلوب فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا
وقف الانسان على هذه الحالة علم ان لا خلاص من الاعتراف بالجبر لا بغيره اجبنا وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا
انا نقول وهل تجد من نفسك انك ان شئت ان تشاء شيئا شئت وان شئت ان لا تشاء لم تشاء ما اظنك تقول ذلك والا
لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فلا مشيتك بك وذكر الامام الغزالي في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني اجد من نفسي اني
ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي ولا حصول فعلك بعد حصول مشيتك بك وانما انت مضطر
في صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على ان الفقه هو القلب
واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة و
بالروح اما قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان يشارك سائر الحيوانات في قوى الطبيعة الغاذية والنامية
والمولدة وفي منافع الحواس الظاهرة وفي احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية
التي يهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا لم يحصل هذه العلة للانسان صار في درجة الانعام بل اضل وادون

لان الانعام عرض لاكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع كان احسن حالا لانها لا تكتسب مع العجز عنها و
قيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع وقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها
وتسعى في تحصيلها ودفعها وهولاء الكفار اكثرهم معاندون مضرون وقيل انها تفر الى اربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر
يهرب من الله الى الاصنام وقيل انها لا تضل عما سخرت له والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم قوله ولله الاسماء
الحسنى فيه ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه
ان الامر كذلك لان القلب اذا غفل عن الذكر واقبل على الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة
الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا انفتح على قلبه باب الذكر خلص من نيران الافات وحسرات الحسرات الى معرفة رب
الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلث مواضع اخر في بني اسرائيل وفي اول طه وفي اخر الحشر ومعنى حسن الاسماء
حسن معانيها ومفهوماتها انها اسماء دالة على معاني الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين عدم افتقاره الى الغير
وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت في تفسير البسملة كيف تتشعب من اسماء الله تعالى بالاعتبارات بحسب السلوب والاضافات وكل
من كان وقوفه على اسرار حكمته في مخلوقاته اكثر كان علمه باسماء الله الحسنى اكثر ومن تقسيمات اسماء الله تعالى
من صفات الله تعالى ثلثة انواع ما يجب ثبوته وما يجوز ثبوته وما يستحيل ومنها انه منها ما لا يجوز اطلاقه على غيره
كالرحيم والكريم وان كان معناه في حق العباد مغايرا لمعناه في حقه ومنها ما لا يجوز كقولنا الله والرحمن وقد يقيد القسم
الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثاني مثل ارحم الراحمين واكرم الاكرمين او يا خالق السموات والارضين و
منها ان يقال من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار
فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع ومنها ان يقال اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه
محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما
ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم دوام العالم بدوامه والثاني هو المعنى بكونه قادرا
ثم انا بعد هذا نستدل بكون افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع ان لا يكون حيا فظهر ان العلم
بصفاته تعالى وباسمائه الحسنى ليس واقعا في درجة واحدة بل العلوم بها علوم مرتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين
ان الاسماء الحسنى لا تكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلالة يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه يعقب
الامكان وكل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف في انه هل يطلق عليه
اسم الشيء ام لا وقد مر تحقيق ذلك في تفسير البسملة وفي الانعام في قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اما قوله فادعوه
بها ففيه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون مستحضرا
لامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما انه في قوله عند التحريم الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه
من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات واما هو اكبر من هذه الاشيا واكبر من ان يقال له اكبر من هذه الاشيا
وذروا الذين يلحدون في اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد في الدين
ولحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر قال
الواحدي الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى ملحد والالحاد في اسماء الله تعالى يقع على ثلثة اوجه الاول اطلاق
اسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمي نفسه
بالرحمن الثاني ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع من البدو قالوا يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي بناء على ان السخاوة مدح الثالث ان يابوا
تسميته ببعض اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورود الاذن في بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ
المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد علم ادم الاسماء وكذا انه في حق الانبياء لا يجوز ان يقال ان ادم عاص
او غاو وان ورد وعصى ادم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين في اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم لما اخبر ان كثيرا من الثقلين
مخلوقون للنار ذكر ان بعضا منهم مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الاية في قصة موسى
فعن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد بهذه الاية امة محمد وروى الربيع ان النبي عليه السلم كان يقول اذا قرا هذه لكم
وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي عم قرا هذه الاية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى
وعن الكلبي هم الذين امنوا من اهل الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم اعاد ذكر المكذبين وما عليهم

من الوعيد فقال والذين كذبوا باياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال من الدرجة
ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الاية سنقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف
عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك انهم كلما اقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب المحنة فيزدادون بطرا
وانهماكا في الغي والفساد ثم ياخذهم اغفل ما يكونون واملي لهم اطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان
مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسئلة
القضاء والقدر حتى قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا وحملها المعتزلة على ان
المراد بالاستدراج الى العقوبات اما في الدنيا او في الآخرة وضعف بان هذا الاستدراج والاهمال مما يزيد
الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادة من العقوبة بل لان
يجب في حكمته ورعايته للاصلح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه والقاه في ورطة التكليف وامهله ومكنه
من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرانا لجهنم الاية
التأويل واذا اخذ ربك لم يقل ربكم لان في الاية غموضا لا يطلع عليه غيره وغيره من انعم الله به عليه من خواص متابعيه
وانه تعالى لم يكلم احدا وهو بعد في العدم الا بني ادم كلهم وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون تجري بالجود مما
جرى لا بالوجود فهذا بدايتهم والى هذا ينتهي نهايتهم بان يكون الله تعالى سمعهم وابصارهم والسنتهم انما اشرك اباونا
بان رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين ابطلوا استعدادا الرجوع الى الوحدة
الله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها اي وقع فرخ همته العلية
عن وكر طلب الحق ومحبته فادركته هرة الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم ان المعصوم من عصمه الله وان السالك بل
الواصل يجب ان لا يامن مكر الله فلا يفتح على نفسه ابواب التنعم والترفه ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا هم مظاهر القهر فادعوه بها بان يتصفوا بصفاته بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات ثم يتخلقوا بها بالاحوال
بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بما سوى الله تعالى والذين كذبوا باياتنا بان لم يوافق اقوالهم افعالهم سنستدرجهم
فيحطون عن مراتبهم بالتدريج والله اعلم بالصواب

اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من
شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده
يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون
يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها
لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة
يسئلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر
الناس لا يعلمون قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا

الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت
حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتيهما صالحا جعلا له
شركاء فيما اتيهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا
انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون ان الذين تدعون من دون
الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون
بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى
الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون

القراءة فباي بتليين الهمزة حيث كان الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا
ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباس والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عباس وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون
مرفوعا ان انا الا بالمد ابو نشيط شركاء بكسر الشين وسكون الراء ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد الاخرون شركاء على الجمع
يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا باب حمزة وعاصم وسهل
ويعقوب وعباس الاخرون بالضم للاتباع كيدوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو
ويزيد واسمعيل والحلواني عن هشام في الوصل ينظروني بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل ان وليي
الله بياءات رويس والبرجمي الباقون بياءين اوليهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة الوقوف من جنة
مبين من شيء لان التقدير وفي ان عسى اجلهم لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون هادي له لمن قرا ويذرهم بالرفع
على الاستيناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون مرسيها عند ربي لاختلاف الجملتين

الا هو والارض بغتة عنها لا يعلمون ما شاء الله من الخير لاحتمال ان يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب واحتمال ان يفسر بالجنون الذي نسبوه اليه فيكون ابتداء نذير يؤمنون اليها لاجل الفاء قرئت به لذلك الشاكرين فيما اتاهما لابتداء التي به وقعد الوصل بتحمل التي به يشركون وهم يخلقون والوصل اولى للعطف ينصرون لا يتبعوكم صامتون صادقين يمشون بها لان ام عاطفة مع انها في معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ينظرون الكتاب والوصل اولى ليكون الواو عاطفة الصالحين يبصرون لا يسمعوا لا يبصرون

التفسير

انه تعالى لما بالغ في الملحدين المعرضين عن ايات الغافلين عن التامل في بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال اولم يتفكروا واعلم ان الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هي تقليب الحدقة الى الجهة المرئية كذلك رؤية البصيرة وهي المسماة بالعلم واليقين حالة متعينة في الوضوح والانارة ولها مقدمة تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته وفي اللفظ محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهي حالة من الجنون كالجلسة كان جهال اهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين احدهما انه صلى الله عليه وسلم كان تغشاه حالة عجيبة عند الوحي شبيهة بالغشي يتربد وجهه ويتغير لونه والثاني ان فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة والدعاء الى الله كان مخالفا لفعلهم عن الحسن وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بني فلان يحذرهم باس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون واظب على الصياح الى الصباح فامرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر في امره وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلايل القاطعة بالفاظ فصيحة عجز الاولون والاخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضي السيرة مواظبا على اعمال حسنة صار بسببها قدوة العقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على دلايل التوحيد قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض اي مدلولاتهما والملكوت الملك العظيم وفي انكار عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقد مر في هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما في سورة البقرة عند قوله ان في خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شيء اي مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس غير محصورة والغرض التنبيه على ان الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى الواجب واحد في ذاته وفي جميع اعتباراته وان عسى هي مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير للشان وفي ان يكون ضمير الشان القيم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم الموت والقيمة واذا كان احد هذين الاحتمالين قايما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما قوله فباي حديث بعده يؤمنون فمتعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ولا دلالة في اطلاق لفظ الحديث على القران على انه ليس بقديم لان المراد بالحديث ما يرادف الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله ومن يضلل الله فقد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام في المعاد فقال يسالونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الفرايض ومن السايل عن ابن عباس انهم اليهود وقالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيمة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها كما يقال للحبشي ابو البيضاء او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق ايان استفهام عن الزمان ويختص بالامور العظام نحو ايان مرسيها وايان يوم الدين ولا يقال ايان نمت وكسر همزته لغة سليم وعن ابن جني انه اشتقاقه من اي فعلان منه واي فعل من اويت اليه لان البعض ياوي الى الكل وانكر ان يكون اشتقاقه من اين لانه للزمان واين للمكان وقلة فعلى في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاول ان اصله اي اوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقي ايوان فادغم بعد القلب وقيل اصله اي ان يعني اي حين تخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون باي ورد بان الاناة لا يستعمل الا بلام التعريف والمرسي بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وارسيت السفينة ولا ثقل من الساعة على الخلق قل انما علمها اي علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند ربي قد استاثر به ولم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسها ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى وقت الموت

انه لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها اي لا يخبر عن وقتها قبل مجيها احدا الا هو والحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت في السموات والارض قال الحسن اي ثقل مجيها على اهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم على اهل الارض لان في ذلك اليوم فناءهم وهلاكهم او ثقل هذا اليوم على الخلايق لعلمهم بما فيه من الشدايد والاهوال او ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم اي اشكل واستبهم فصار ثقيلا على الافهام لا تاتيكم الا بغتة الا فجاءة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفس محمد بيده ليقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسالونك للتاكيد ولما نيط من زيادة قوله كانك حفي عنها وكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها ولهذا خص اسم الله في قوله قل انما علمها عند الله لان اعظم اسماء الله مهابة هو الله واما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفي الحفي وجوه فقيل انه البار اللطيف وعن مجاهد الباء اي كانك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدي والضمير عايد الى قريش التي ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى ان تخبرهم بالساعة والمعنى انك لا تكون حفيا بهم ماداموا على كفرهم ولو اجزت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وعلى هذا القول جاز ان يكون متعلقا بيسالونك اي يسالونك عنها كانك حفي اي عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام او لانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفي فعيل فانه بالمسالة اي استقصى في المعنى كانك بليغ في السؤال عنها لان من اكثر السؤال علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفى في المسالة اذا بالغت فيه وقيل المراد كانك حفي بالسؤال عنها اي تحبه وتوثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثره الله به ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان القيمة حق وانما يقولون ان هي الا حيوتنا او لا يعلمون السبب الذي لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم اقر بحيثية باظهار ذلة العبودية بحيث لا ينسب اليه نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك و القدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى فاحتجت الاشاعرة بالاية في مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضرر فوجب ان لا يحصلا الا بمشية الله تعالى واجاب المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا ما قدرني ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه اذ ظاهر الاية وان كان عاما الا انه مخصوصة بصورة النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري ونربح وبالارض التي تريد ان تجدب فنرتحل عنها الى ما قد اخصب فانزل الله هذه الاية فالمراد بالخير في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح و الاكتساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق يؤثر في هذا ولا يؤثر في ذلك فكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذلك وقال بعضهم لما رجع ثم من غزوة بني المصطلق فاخبر عليه السلام بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال عليه السلام ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت اما قوله وما مسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير وهو للكافرين محذوف جوابه للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالموضعين جميعا الا ان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بها خصوا بالذكر كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القران من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث ما تقدم النفع على الضر فذلك لمسابقة لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبا تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها نفس ادم وقد تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء قال مجاهد كان لا يعيش لادم وامراته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث وذلك قوله تعالى فلما اتاهما صالحا اي ولدا سويا جعلا يعني ادم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد زيفها النقاد لوجوه منها

الله تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنيه ومنها قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا الى اخر الاية وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام ولو كان المراد ابليس لكان ايشركون من لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان ادم عم كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاق عليه الاسماء ام كيف لم يعرف ان ابليس كان حارثا ام كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد ان جرى عليه ما جرى ومنها انه اذا دعا بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستلزم محذورا لان اسماء الاعلام لا تفيد في المسميات فايدة فلا يلزم الاشتراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قايل بامكان نسبته الى ادم فعند ذلك ذكر العلماء في تاويله وجوها احدها ان هذا مثل فكانه تعالى يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية ليسكن اي تلك النفس تذكر بعدما انث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويطمئن اليها وكان التذكير احسن طبقا فالمعنى فلما تغشيها اي جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او على راس الشجر وبكسر الحاء ما حمل على الظهر او على الدابة فمرت به اي استمرت ومضت على ذلك الحمل من غير انلاق وقيل فقامت وقعدت به من غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم يلق ما يلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها دعوا اي الزوج والزوجة الله ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجاء اليه فقالا لئن اتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه او للذكر لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما اتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قراء شركا فعلى حذف المضاف ذوي شرك وهم الشركاء ايضا او المراد احدثا لله اشراكا في الولد ولانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبايع وتارة الى الكواكب وتارة الى الاوثان والاصنام وثانيها ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وثالثها سلمنا ان الاية وردت في قصة آدم الا انه لا يجوز ان يكون قوله جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان آدم عم كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت في حق فلان كذا واحسنت اليه بكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة انه بري من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلني بالشر النفي والتبعيد او يقول لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركا وكذا فيما اتاهما اي اتى اولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين او نوعين ذكرا وانثى وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا ان الضمير في جعلا وفي اتاهما لادم وحوا لانهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به في مصالح الدنيا فاريد بالشرك هذا القدر وعلى هذا فانما قال تعالى الله عما يشركون لان حسنات الابرار سيات المقربين او نقول انما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما انه انما سلم من الافات ببركة دعايه وقد يسمى المنعم عليه عبدا للمنعم ومنه قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد صار معاتبين بذلك والله اعلم ثم اقام الحجة على ان الاوثان لا تصلح للالهية فقال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر اللفظ اولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم العقلاء وقد احتجت الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا انفسهم ينصرون ولا يدفعون عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل ان الاصنام لا تنصر من اطاعها ولا تنتقم ممن عصاها بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر انها كما لا تنفع ولا تضر فكذلك لا علم لها بشيء من الاشياء وانها لا يتبع منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا ينفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله بدليل قوله فيما بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قرر هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في اول سورة البقرة في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا وقعوا في مهم ومعضلة تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم ثم اكد بيان انها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فسئل انه كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد واجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها عقلاء وفيه ايضا نوع من الاستهزاء

فضلا عن امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم فلا فضل لهم عليكم فلم جعلتموها آلهة لكم وارباب ثم بين عدم التفاضل بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها آلهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها لا تصلح للمعبودية وانها والعباد سواء بل هم اخس وادون بدليل قوله الهم ارجل يمشون بها الاية وذلك ان كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء والالات فاذا كان فيها قوى محركة ومدركة كان هو افضل ممن خلا اعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف خدمة المفضول الخسيس الدني وانما قلنا كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له فعدم هذه الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فان القادر القاهر من غير افتقار الى آلة وعدة كان اشرف ممن يفتقر في افعاله الى الالات فضلا عمن لا فعل له ولا آلة فلا يرد اعتراض بعض اغمار المشبهة ان الله تعالى لو لم يكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الهيته ثم انهم كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون امر الكيد المكر فلا تنظرون فهي من الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله ان لا ابالي بغير الله كائنا من كان ثم لما امر النبي تحديه على التولي فقال ان وليي الله الاية وفيه ان الواجب على كل عاقل عبادة الذي يتولى تحصيل منافع الدارين اما الدينية الاخروية فبسبب انزال الكتاب المشتمل على العلوم الجمة واما الدنيوية فهي المراد بقوله وهو يتولى الصالحين من عادته ان ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك ياس المشركين ان يضره كيدهم يحكي ان عمر بن عبد العزيز كان لا يدخر لاولاده شيئا فقيل له في ذلك فقال اما ان يكون ولدي من الصالحين فوليه الله فلا حاجة له الى مالي واما ان يكون من المجرمين وقد قال تعالى فلن اكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح مهمانه اقول وفي التقريب الاية الثانية نظر لانها حكاية كلام موسى اللهم الا ان يقال التقريب في التقرير ثم اعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه الاية قال الواحدي انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الاله المعبود يجب ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا يكون صالحة للالهية وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لا اسماع سمع ولا سماع اجابة وتريهم تحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى شيء ينظر اليه وهم لا يبصرون لا بد كون المرئي وقيل الضمير في قوله وان تدعوهم الى اخر الاية يعود الى المشركين المذكورين في قوله قل ادعوا والمراد انهم بلغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم واظهرت انواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتريهم ينظرون الى الناس اليك [illegible] لشدة اعراضهم عن قبول الحق [illegible] الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور التاويل اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض لان باب العقول والنظر والاستدلال لتحصيل الايمان ولادراك باب القلوب ولوائح الكشف لحصول الايقان والعيان وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذي ابدع من غير شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم [illegible] فباي حديث بعده يؤمنون [illegible] الملك اليوم لله الواحد القهار [illegible] خلقكم من نفس واحدة [illegible] الروح وخلق منها زوجها وهي القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن [illegible] حملت حملا خفيفا في البداية بظهور ادنى اثر من اثار الصفات البشرية في القلب الروحاني فلما اثقلت كثرت اثار الصفات [illegible] الروح والقلب على انفسهما بتبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما [illegible] عبد البطن وعبد الفرج وعبد الدرهم والدينار [illegible] لا يستطيعون لهم نصرا [illegible] الروح والقلب والنفس [illegible] الا بالله ولا لانفسهم ينصرون للفناء والدوام والله الموفق ٥

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ۝ وإما ينزغنك

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ● ان الذين
اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ● واذا لم تأتهم باية
قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر
من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ● واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ● واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن
من الغافلين ● ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وله يسجدون ● **القرآءة** طيف بسكون الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي
الباقون طايف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد ابو جعفر ونافع الاخرون

بفتح الياء وضم الميم من المد وقرى بغير همز حيث كان يزيد والشموني وحمزة بالوقف **الوقوف** الجاهلين بالله عليم مبصرون لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المعنى يقتضي الوصل لبيان الاختلاف حال الفريقين لا يقصرون اجتبيتها من ربي للاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ترحمون من الغافلين يسجدون سجدة **التفسير** لما ذكرنا دلائل بقية عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم الى مكارم الاخلاق والعفو الفضل وكل ما اتى من غير كلفة واعلم ان الحقوق التي تستوفى من الناس اما ان يجوز ادخال المساهلة فيها فهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب ان يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال في نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المسامحة فيها وذلك قوله وامر بالمعروف والعارفة وانه كل امر عرف انه لابد من الاتيان به وكون وجوده خيرا من عدمه فلو اقتصر في هذا القسم على الاخذ بالعفو ولم يبذل في ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال واعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال اهل العلم تفسير جبريل مطابق للفظ الاية لانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا اعطيت من حرمك فقد امرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد اعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق رضي ليس في القران العزيز اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية ولبعض المفسرين في تفسير الاية طريق اخر قال خذ العفو اي ما امرك به عفوا اخذه ولا تسئل عما وراء ذلك فنسخت باية الزكوة وامر بالمعروف اي بالمهاد الدين الحق وهذا غير منسوخ واعرض عن الجاهلين اي المشركين وهذه منسوخة باية القتال والحق ان تخصيص اخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكوة بالمقادير المخصوصة لا ينافي ذلك لان اخذ الزكوة مامور بان لا ياخذ كرايم اموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وايضا لا يمتنع ان يؤمر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن يقاتلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال ابو زيد لما نزلت قوله واعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي عزروحمل النزغ نازغا كما قيل جد جده عن ابي زيد نزغت ما بين القوم اي افسدت ما بينهم واصله الازعاج بالحركة الى الشر واكثر ما يكون ذلك عند الغضب ونزغ الشيطان وسوسته في القلب بما يسول للانسان من المعاصي وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص عن حول الشيطان وقوته

الى حول الرحمن وقوته الاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على اوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي عم حتى عرف الغضب في وجه احدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لو لم يجز على النبي الاقبال على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب ان كلمة ان لا تفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن اين علم انه قبل تلك الوسوسة منه ولو سلم فمحمول على ترك الاولى ثم ختم الاية بقوله انه سميع عليم ليعرف ان قول اللسان بدون العارف الحقيقية عديم الفائدة وكانه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واحضر معنى الاستعاذة في ضميرك فاني عليم ثم ان حال المتقين قد يزيد على حال النبي في باب وسوسة ابليس فان للنبي لا يكون الا النزغ الذي هو لاسبق الوسوسة واما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف قال الفراء الطايف كالخاطر وجوز بعضهم ان يكون مصدرا كالعاقبة ولكنه بلا تاء والاصح انه اسم فاعل من طاف يطوف او من طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرا طيفا فهو اما مصدر اي لمة من الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين قال في الكشاف وهذا تقرير وتاكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم نزغ من الشيطان والمام بوسوسة ومفعول تذكروا محذوف اي تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد في نفسه كونه قادرا وفي المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات عالم الاجسام فيغتر بظواهر الامور واما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما قدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه ذلك في الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها فحينئذ يفتر غضبه كما قال عليه السلم من عرف الله في القدر هانت عليه المصايب وايضا انه كم اساء في العمل وقد تجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه وانه اذا امضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية فاذا اختار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء ومستاهلا للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا بالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طايف من الشيطان ما ذكرناه من الاعتقادات والمراد من قوله تذكروا الامور التي تضعف تلك الاعتقادات واما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت والضمير المرفوع في يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال او الى الشياطين فيكون الخبر جاريا على من هو له والمعنى واخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم اي يكونون مددا لهم في الغي ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا قال الواحدي عامة ما جاء في التنزيل مما يحمد ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين وامددناهم بفاكهة اتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجيء على مددت قال ويمدهم في طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الغي الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم اما قوله لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشيء قال ابن عباس اي لا يمسك الغاوي عن الضلال والغوي عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على العاقل اذا اقبل على غي ان يمسك عنه سريعا الا ان يتمادى فيه ويتهمك ولهذا قيل الرجوع الى الحق اولى من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا عن اغوائهم فقال واذا لم تأتهم باية وذلك انهم كانوا يطلبون ايات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ثم اذا تاخر ما كان ياتيهم بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها فقال اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه وجبى اليه فاجتباه اي اخذه والمعنى هلا افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر والمراد هلا اخذتها واقترحتها على الهك ومعبودك ان كنت صادقا في ان الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك وعند هذا امر رسوله ان يذكر في الجواب انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولست بمتقول للايات ولست بمقترح لها ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران على وفق دعواه معجزة بالغة قاهرة كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب التعنت فقال هذا يعني القران بصائر اطلاق لاسم السبب على المسبب وذلك ان فيها حججا بينة تفيد القلوب بصيرة وكشفا وهدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر لاصحاب عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجميع لقوم يؤمنون ولما عظم شان القران بتلك الاوصاف علم المكلفين اداء حسن الادب بقوله واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا والانصات السكوت للعلماء قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القران في صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن واهل الظاهر وعن ابي هريرة كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت وقال قتادة

كان الرجل يأتي وهم في الصلوة فيسألهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلوة بحوائجهم فنزلت ثم صارت سنة في
غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القران وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام كما روى
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلوة المكتوبة وقرأ اصحابه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وعن
سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بان اللفظ عام
فكيف يجوز قصره على قراءة القران في الخطبة او على الخطبة نفسها بناء على انها قد تسمى قرانا لاشتمالها عليه واجيب بان
كلمة اذ لا تفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول الدار مرة
اخرى وبدليل ان الشافعي اوجب على المأموم ان يقرأ الفاتحة ورد بان المأموم انما يقرأ الفاتحة في خلال سكتة الامام كما
قال ابو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة في ايهما شئت يعني سكتة بين التكبير الى ان يقرأ واخرى بين القراءة الى ان
يركع واعترض بان سكوت الامام واجب ام لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز ان لا يسكت وحينئذ يلزم ان يحصل
قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك الاستماع وايضا فهذا السكوت ليس له حد محدود والمأمومون يبطئوا القراءة
وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة في مقدار سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وايضا الامام في
هذا السكوت يصير كالتابع للمأموم وذلك غير جائز قالوا لو احق الانصات هو ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ في
نفسه اذا لم يسمع احدا واورد عليه ان غاية توجيهه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان حصول الاستماع مع
قراءته ممنوع فان الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على وجه الكامل ولعل الانصات ان الاستماع
على تقدير الانصات المعتبر يمكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص
عموم القران بخبر الواحد وذلك ههنا قوله عليه السلام لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وذهب الامام مالك وهو القول
القديم للشافعي انه لا يجوز للعلماء للمأموم القراءة الفاتحة في الصلوة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة
في الصلوة السرية لان الاية لا دلالة لها على هذه الحالة وفي هذه الاية تفسير اخر وهو ان الخطاب في الاية مع الكفار
وذلك ان كون القران بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ عليهم القران
عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا على مراتبه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب ساير المعجزات
ومما يؤكد هذا التفسير قوله في اخر الاية لعلكم ترحمون والترجي انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم
الرحمة جزما في قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الاجماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع
القران العمل بما فيه ثم امر نبيه وامته بتبعيته بالفكر العام قرانا كان او غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القران
كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك وفي الاية قيود الاول تخصيص اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان
سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء الثاني ذكر الرب في النفس ليكون ادخل في الاخلاص وابعد
عن الرياء وقيل ذكره في النفس هو ان يكون عارفا بمعاني الاسماء التي يذكرها بلسانه قال المتكلمون الذكر النفساني هو الكلام
النفسي الذي يثبته الاشاعرة الثالث والرابع تضرعا وخفية اي متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف
اما مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال طاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا واما
خوف الخاتمة بل خوف السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين
الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو ان يذكره على وجه يسمع نفسه وانما اخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتاثر من الذكر
القلبي فوجب قوة النفس ولا يزال تتزايد في ذلك الى ان يجري على لسانه بل يسري في جميع اعضائه وجوارحه واركانه اما
معتد لا خاليا عن التكليف بريا من التعسف السادس قوله بالغدو والاصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو
كما يقال دنا الصباح اي وقته وقيل انه جمع غدوة واما الاصال فانها جمع الاصيل وهو الوقت الذي بعد العصر الى
المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدئ في الشرع من اول الليل فمتى اخر النهار اصيلا لكونه لاصقا
لما هو الاصل في اليوم الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدوة عندها ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت
الى اليقظة التي هي كالحيوة والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية وفي الاصال
الامر بالضد وهذان النوعان من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع قديم حكيم خبير فوجب ان يكون المكلف
فيهما مشتغلا بالذكر والحضور ويمكن ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من
الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر القلبي يجب ان يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبريائه بحسب الطاقة البشرية

ليتنور جوهر النفس وتستعد لقبول الاشراقات القدسية فيضاهي سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين
عند ربك ومعنى عند دنوا لشوق والقرب من جنابه والطافه لا يستكبرون عن عبادته فيقرون على ذلك ويسبحونه ينزهونه
وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون يخصونه بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يرجع
الى اعمال الجوارح وفي هذا الترتيب دليل على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال الجوارح
والمقصود من الاية ان الملائكة مع غاية طهاراتهم ونهاية عصمتهم وبرائتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد
والحسد مواظبون على العبادة والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولى
ان يداوم على ذكر معبوده ويجذب ما امكن الى العالم العقلي ومركزه الاصلي وليصفي مرآة قلبه عن اصداء الهواجس ويتنقش
بالخلايا القدسية والمعارف الحقيقية والله ولي النعم **التاويل** وامر بالمعروف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين
واعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من الشيطان والدنيا في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا
هم ارباب القلوب فان التقوى من شان القلب كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره طايف من الشيطان نزغ من
عمل الشيطان براه القلوب بنور التقوى ويعرفه فيتذكر انه يفسده ويكدر صفائه فيجتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم
النفوس الامارة واذا لم تاتهم اي لم تات القلوب باية من الله لتعجز النفوس عن تكذيبها قالوا اي النفوس للقلب لولا اختلقتها من تلقاء
قلبيتك لتزكية النفوس قل انما اتبع الهام الحق فلا اقدر على تزكية النفوس الا بقوة الالهام الرباني فاستمعوا باذانكم الظاهرة
وانصتوا بالباطنة لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقي وذلك قوله كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع فمن سمع من القران من ربه
فقد سمع من قاريه وهذا سر الرحمن علم القران فهو المستعد لخطابه واذكر ربك في نفسك بان تبدل اخلاقها باخلاق الله
تضرعا في البداية وهو من باب التكلف وخيفة في الوسطة ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفناء فان فناء ستر
الربوبية كمن في غدو الازل واصال الابد فان الذاكر والذكر المذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني اذكركم ومن
هنا قال يوسف بن الحسين الرازي ما قال احد الله الا الله ولا تكن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور
ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا اخلاقهم في اخلاقه ويسبحونه ينزهونه
عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبدأ واليه المنتهى ٥

سورة الانفال مدنية حروفها خمسة آلاف ومائتان واربعة وتسعون كلمها ألف واحدى وثلثون آياتها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم
مؤمنون ● انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم
يتوكلون ● الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ●
اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة
ورزق كريم ● كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا

من المؤمنين لكارهون ● يجادلونك في الحقّ بعد ما تبيّن كانّما
يساقون الى الموت وهم ينظرون ● واذ يعدكم الله احدى
الطّائفتين انّها لكم وتودّون انّ غير ذات الشوكة تكون
لكم ويريد الله ان يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين
ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ● اذ تستغيثون
ربّكم فاستجاب لكم انّى ممدّكم بالف من الملٰئكة
مردفين ● وما جعله الله الّا بشرى ولتطمئنّ به قلوبكم
وما النّصر الّا من عند الله انّ الله عزيز حكيم ●

القراءة مردفين بفتح الدال ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون بالكسر
الوقوف عن الانفال والرّسول لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم مومنين يتوكّلون لاحتمال جعل الذين مبتداء والوصل اولى فيكون الوقف على ينفقون ويكون الثنا بحقيقة الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقّا كريم لما يجي في التفسير بالحقّ لطول الكلام لكارهون ينظرون الكافرين المجرمون لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر او بقوله ويحقّ مردفين قلوبكم لابتداء النفي مع احتمال عند الله حكيم **التفسير** روى عكرمة عن ابن عبّاس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت القسمة جاء الشّبان يطلبون نفلهم وقالت الشيوخ لا تستاثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردءا لكم فانزل الله تعالى يسألونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسّواء وعن عبادة بن صامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعهم طايفة يقتلونهم احدقت طايفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طايفة بالعسكر والنهب فلما نفى الله العدو رجع الذين قالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله والله ما انتم باحق به منا نحن احدقنا برسول الله لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن اخذنا واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الاية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسّواء وعن سعد بن ابى وقاص لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاعجبنى فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه في القبض اى في المقبوض من الغنايم فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتنى السيف وليس لى وانه الان قد صار لى فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الانفال وهى الامور الماخوذة من الكفار قهرا قال الازهرى هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنايم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنايم وصلوة التطوع نافلة لانها زائدة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اى زيادة على ما سال والضمير في يسألونك عايد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنايم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السّوال وان كانت مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على ان المراد انهم سالوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سالوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الاية دلت على انها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسالوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السّوال الاستعطاء اى يطلبون منك الغنايم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازى اى يعطاه زايدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه

او قال للسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء او عدبه وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن ابى وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة وعبد او متاع فهو الى النبى صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد الانفال الخمس الذى جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سالوا عن الخمس فنزلت الاية ثم امر بالشروع في الجواب فقال قل الانفال لله والرّسول اى حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرّسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راى احد قال مجاهد وعكرمة والسّدى انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الاية وضعف بان جعل اربعة اخماسها ملكا للغانمين لا ينافى كون الحكم فيها لله والرّسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة فقال فاتقوا الله اى عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اى التى هى بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور ثم ختم الاية بقوله ان كنتم مؤمنين اى كاملى الايمان تنبيها على ان كمال الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من اليم عقابه وقد يطمئن القلب بعد ذلك اذا تذكر كمال رافته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصيته فيقال له اتق الله فيفزع واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان يكون على ثلثة انحاء الاول بقوة الدليل وبكثرة فان كل دليل فهو مركب لا محالة من مقدمات ولا شك ان النفوس مختلفة في الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات اكثر وادوم كان علمه بالنتيجة اكمل واتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلا كان علمه اتم ممن لا يجد على المطلوب سوى دليل واحد ولهذا يورد العلماء دلايل متعددة على مدلول واحد ولله در القايل **شعر** ففى كل شى له اية ٭ تدل على انه واحد الثانى بتعدد التصديق وتجدده فمن المعلوم ان من صدق انسانا في شيئين كان تصديقه ابلغ من تصديق من صدقه في شى واحد فمعنى الاية انهم كلما سمعوا اية متجددة اتوا باقرار جديد الثالث قال الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبى عنه ظاهر الاية لانه لما ذكر الامور الخمسة قال اولئك هم المؤمنون فدل ذلك على ان كل الخصال داخلة في مسمى الايمان ويؤيده ما رواه ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلثة فبسبب دخول التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الايمان وان لم يكن التفاوت في الاقرار والاعتقاد متصورا اما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد الحصر اى لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهى الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها راسها واساسها وهما الصلوة والصدقة ثم عظمهم اولئك هم المؤمنون حقا وفي اولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اى ايمانا حقا وهو مصدر موكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبركم بذلك اخبارا حقا وقيل انه منوط بما بعده اى حقا لهم درجات واعلم ان الايمة اتفقوا على ان الرجل المومن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا في انه هل يجوز له ان يضيف اليه حقا او لا بل يستثنى فيقول ان شاء الله والاول مذهب ابى حنيفة لما ورد في الاية والشك في الايمان لا يجوز لان التصديق والاقرار كلاهما محقق والثانى مذهب اصحاب الشافعى واجابوا عن الاية بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا انما النزاع في ان القايل انا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات جزما ام لا واما حديث الشك فمبنى على ان الايمان عبارة عن الاركان الثلثة ولا ريب ان كون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فاذن النزاع لفظى على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب ولعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وانه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالنى عن الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والحساب والبعث فانا مؤمن وان كنت تسالنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادرى امنهم انا ام لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعنى كما لا يقطع بانه من اهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا ويحكى عن ابى حنيفة انه قال لقتادة لم تستثنى في ايمانك قال اتباعا لابرهيم في قوله

والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى وقيل كان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن
قلبي فيه ما فيه ثم اخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم اي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع
ولكن استغراق كل واحد في سعادته الخاصة به يمنعه عن التألم من حال من فوقه كما قال سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل
ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكرم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن
في بابه نقله الواحدي عن اهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقران كريم لانه يوجد
فيه بيان كل شيء وقال اني القي الي كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات
الحاصلة من الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما
اخرجك يقتضي تشبيه شيء بهذا الاخراج وذكروا فيه وجوها الاول ان المشبه مبتدا محذوف وتقديره هذه الحال كحال
اخراجك والمعنى ان حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وذلك انه صلى الله عليه وسلم
لما راى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا ترغيبا لهم في القتال فلما انهزم
المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو اعطيت هؤلاء ما سميتهم بقي خلق كثير بغير شيء فنزل قل الانفال لله والرسول يصنع فيها
ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفي انفس بعضهم شيء من الكراهية الثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر
في قوله الانفال لله والرسول اي ثبت الحكم واستقر بان الانفال لله وان كرهوا ثباتا مثل اخراج ربك اياك الى القتال
وان كرهوا ووجه تخصيص هذا المشبه به بالذكر من بين ساير احكام الله ان القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به
كونه اقوى في وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو ان الحكم بكونهم مؤمنين حق كما ان حكم الله باخراجك من بيتك
لاجل القتال حق الثالث قال الكسائي الكاف يتعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما اخرجك ربك من بيتك بالحق على
كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت يثرب بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه
فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون
في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهة بعضهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز ان يكون الجملة بدلا او خبرا بعد خبر يروى
ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغوا اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل اللعين فوق الكعبة
يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد
المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت
مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدثها العباس فقال ابو جهل ما رضي رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل
بجميع اهل مكة وهم النفير على ما قيل في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع الناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونغنم القينات والمعازف ببدر فيتسامع
جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى وعدكم احدى الطائفتين اما العير
واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير
احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان
العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي
صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر فاحسنا الى الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف
عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك
كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
ما دامت منا عين تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين
بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا و
نساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان يكون الانصار لا يرى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ
فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به

عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله
قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم ولنرجع الى التفسير قوله في الحق اي في تلقي النفير بعد ما تبين
اي بعد اعلام النبي صلى الله عليه وسلم بانهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب
وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت المتيقن لمشاهدة اسبابه من قلة العدد والعدد وروي انه ما كان فيهم الا فارسان
وانتصب باضمار اذكر قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وقوله انها لكم بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنفير وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من
واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة و
اسر الكفرة وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اي يستأصلهم والدابر الاخر يعني انكم تريدون العاجل وسفساف
الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف اي
لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متاخرا ليفيد معنى الاختصاص اي ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق
وابطال الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا
والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلايل وتارة بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فان قيل اليس في
الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثاني اعلاء الاسلام ومحو الكفر
والحاصل ان الاول جزئي اي انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثاني كلي يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا
التي حصل في ضمنه اثبات كلمة الحق ووضع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال و
العقايد كلها بخلق الله وبتكوينه ولا يمكن ان يقال المراد من اظهار الحق وضع الدلايل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة
الى المسلم والكافر وقبل هذه الواقعة وبعد هذا لا يبقى للتخصيص فايدة والمعتزلة تمسكوا بالاية على ابطال قول من يقول
انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل واجيب بان اللام في الحق
ينصرف الى المعهود السابق اي في هذه القضية فلم قلتم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون اي الكافرون والمشركون
كقوله ليظهره على الدين ولو كره الكافرون وفي موضع اخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ يعدكم
وقيل يتعلق بقوله ليحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم
انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه
على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ويروى انه لما اصطف
القوم قال ابو جهل لعنه الله اللهم اولانا بالحق فانصره ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه بالدعاء المذكور ومعنى
تستغيثون تطلبون الاغاثة كقول الواقع في بلية اغثني اي فرج عني فاستجاب لكم اني اي باني ممدكم بالف من الملائكة مردفين
بكسر الدال وفتحها من اردفته اياه اذا اتبعته متعديا الى مفعولين ومن اردفته اذا اتبعته اي جئت بعده متعديا الى مفعول
واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم او مجعولين بعضهم تابعا لبعضهم وانفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او الملائكة اخرى
ومعنى الثاني تابعين بعضهم لبعض او للمؤمنين يتقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف في قتال
الملائكة يوم بدر نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي
طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا ذوائبها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل
يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من
الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت
ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت
ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل
لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة
في تفسير ال عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الاية وقدم هنالك وفيه يقع علينا بيان المناسبة فنقول حذف لكم ههنا لان
المخاطبين معلومون في قوله فاستجاب لكم وقدم به قلوبكم واخر به في ال عمران ازدواجا بين الخطابين وعكس ههنا ازدواجا بين
الغائبين ثم ان قصة بدر سابقة على قصة احد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعله في ال عمران صفة لان

الخير فقد سبق والله اعلم **التاويل** كثرة السؤال توجب الملال وانما سالوا ليكون لهم الانفال فاجيب على خلاف ما سالوا
وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال واصلحوا ما بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية واطيعوا الله
ورسوله بالتسليم والايتمار زادتهم ايمانا بحسب تزايد الانوار كما اخرجك فيه انه اخراج المؤمن الخفي عن اوصاف البشرية الى المقام
العندية كما اخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلي صفات الجمال والجلال وان فريقا بما القلب والروح لكارهون للفناء
عند التجلي فان البقاء محبوب عند كل ذي وجود يجادلونك اي الروح والقلب في تجلي الحق بعدما تبين تجليه كانهم ينظرون الى الفناء
ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت واذ يعدكم الله ايها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهي النفوس
واما غير الواردات الروحانيات وغنايم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اي ودتم ان لا تجاهدوا اعدوا النفس ذات
المكر والحيلة والهوى واستخلص الواردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير فيما ان سير السالكين على اقدام الطاعات وتبدل
الصفات النفسانية الى الجناب الروحانية وسير المجذوبين على اجنحة عنقاء الجذبات للورقاء الانانية فكان موسى من
السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين فكان سيره على جناح جبرئيل
الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين او ادنى فكان مكانه المشاهدة فمن العناية ان لا يكل الله السائر
الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء اذ
تستغيثون ربكم يعني استغاثة الروح والقلب من النفس الى الله عند استيلائهما بالف من الملئكة مع الصفات الملكية
والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلي صفة القهارية ان الله عزيز
لا يوصل اليه الا بعد افناء الوجود حكيم في كل ما يفعل بمن يفعل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ٥

اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على
قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة اني
معكم فثبتوا الذين امنوا ساُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا
الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن
يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء
بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه

بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا
نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين

القراءة يغشاكم النعاس ابن كثير وابو عمرو ويغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم
النعاس من التفعيل وينزل من الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو والاخرون بالتشديد رمى بالامالة حمزة
وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ويعقوب موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب
وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر **الوقوف** الاقدام لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين امنوا
كل بنان ورسوله الاول العقاب النار الادبار جهنم المصير قتلهم لعطف المتفقتين رمى لاحتمال ان يكون عاطفة على ولكن
الله رمى او على محذوف اي ليستبشروا وليبلي حسنا عليم الكافرين الفتح للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير لكم لذلك
نعد كثرت لمن قرا وان بالكسر المؤمنين **التفسير** قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او
بما في عند الله من معنى الفعل بما جعله الله او باضمار اذكر وامنة مفعول لاجله ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من عند الله ولما
كان غشيان النعاس وكذا غشاوه وتغشيته متضمنا المعنى تنعسون كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شريطة انتصاب
المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنكم او يغشيكم النعاس فتنعسون امنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة
بمعنى الايمان اي يغشيكم ايمانا منه وجوز ان ينتصب الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على
ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على ان المراد انه انامكم في وقت كان من حق النعاس
في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل
وقد مر فوايد هذا النعاس في سورة ال عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوايد احدها تحصيل
الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هي الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاولى عام وهذه خاص
وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وفيه انه يكون في الاثر دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاجر وقيل المراد وسوسة
الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على
غير وضوء وعلى الجنابة قد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش
احشاءكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى
الوادي واتخذ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل
الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوايد واشار اليها بقوله ويثبت به اي بالماء الاقدام
وقيل الضمير عايد الى الربط الذي يدل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك
ان من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم اي قواها ثبت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلات من ذلك
الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما اوقع فيها
من اليقين روي ان المطر نزل على الكافرين ايضا ولما كان لكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل
وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار ويثبت به الاقدام يدل بمفهومه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة
النعم اذ يوحي ربك الى الملئكة وهو بدل ثالث من اذ يعدكم او منصوب بيثبت او باذكر اني معكم الخطاب للملائكة والمراد
اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملئكة ما كانوا
ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة فثبتوا الذين امنوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انه مفسر بقوله سالقي فاضربوا
ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصر وثانيها ان يراد
بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما يتقوى به قلوبهم وتصح عزايمهم ونياتهم في القتال فالهام من الملئكة كالوسوسة من الشياطين
وثالثها ان الملائكة كانت يتشبهون بصور رجال عن معارفهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالي الاعناق

التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها ازالة الراس من الجسد وقيل اراد ضرب الهام لان الرد من فوق الاعناق و
البنان الاصابع سميت بذلك لان بها صلاح احوال الانسان التي يريد ان يقيم بها من ابن بالمكان اى اقام به والمراد بها الاطراف من
من البدن والرجلين ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد ان يضربوهم كما شاءوا لان ما فوق العنق هو الراس وهو اشرف الاعضاء و
البنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجوه الضرب اما واقع على مقتل او غير
مقتل فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع البنان عبارة عن افناء الات المدافعة والمحاربة
ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به اى قولوا لهم قولي او
يكون في اداء على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل لهم قولوا لهم قولي سالقي والضاربون على هذا هم المومنون ذلك العقاب
العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا اى بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم
شئ يسير وقدر نزر في جنب ما اعد الله لهم ولامثالهم في الاجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
اى له والكاف في ذلك للرسول او لكل من له اهلية الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره ذلكم
العذاب المعجل من القتل والاسر او العذاب ذلكم او النصب والتقدير عليكم ذلكم اى الزموه فذوقوه وهو كقولك زيدا فاضربه
قال الكشاف وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع
الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع ضمير الخطاب قلت ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر اى وان للكافرين
عذاب النار حق او بالعكس اى والحكم والشان ان للكافرين وفي ذكر الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شئ قليل بالنسبة الى عذاب
الاخرة قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهري اصل الزحف هو ان يزحف الصبي على استه
قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين تمشي كل فئة مشيا رويدا الى الفئة الاخرى بيدنا في الضراب فانتصابه على الحال
من الفريقين اى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه
يزحف اى يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا عن حالة
المداناة والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المومنين اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا والمعنى فلا تولوهم
الادبار ولا تجعلوا ظهوركم مما يليهم او هو تقدمة نهي لهم عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا
عشر الفا وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا لقتال وهو الكر بعد
الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا اى متحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى
الفئة التي هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من اعم العام وفيه صحة مع انه ليس في الكلام نفي
ظاهر هو انه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقوم او لا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال التحرف او التحيز ويجوز ان
يكون الاستثناء قائما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن قولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل
لانه من حاز يحوز فلو كان متفعلا لقيل متحوز عن ابن عمر انه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا
الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم والعكرة الكرة وعن ابن
عباس ان الفرار من الزحف في غير هاتين الصورتين من اكبر الكبائر واحتج القاضي بالاية على القطع بوعيد الفساق من اهل
الصلوة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصرة ولانه كان اول جهاد فناسب التشديد ولهذا منع من
اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام في جميع الحروب لان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب قال اكثر المفسرين لان المومنين
لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وكان القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب الشرط
المحذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر
وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من التراب فارمهم فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء
الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت انت يا محمد اذ رميت
ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها فوق طاقة القوى البشرية قال حكيم بن حزام لما كان
يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحصاة فانهزمنا
وعن سعيد بن المسيب عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي صلى الله عليه وسلم يريده فاعترض له رجال من المومنين فامرهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي من
فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط ابي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه
اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اعجزك انما هو خدش فقال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز
لماتوا اجمعون فمات ابي في النار قبل ان يقدم فانزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقيل نزلت في
خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن ابي الحقيق وهو على فراشه
واصح الاقوال هو الاول كيلا يدخل في اثناء القصة كلام اجنبي نعم لا يبعد ان يدخل تحته ساير الوقايع لان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب وليبلي المومنين منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل ما فعله الا لذلك قال القاضي
ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان البلاء ههنا النعمة والا لكان يحتمل المحنة اى الذين فعله يوم بدر كان كالسبب في حصول
تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامهم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر
العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض اى الغرض ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله وان للكافرين عذاب النار
قال ابن عباس ينبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني قد اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم قال
السدي قال الكلبي والسدي والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه فنزلت وروي ان ابا جهل
قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه وقيل انه خطاب للمومنين الذين استغاثوا الله وطلبوا
النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اى عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا والمحاربة نعد لنصرته عليكم وجوز
بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع للمومنين اى ان يكفوا عن المنازعة في امر القتال او عن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا
الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصركم ثم ختم الاية بقوله وان الله مع المومنين وتقديره على قراءة الفتح ولان الله معين
المومنين كان ذلك **التأويل** اذ يغشيكم النعاس امنة فيه تقليب الحال الى ضده بامر التكوين كما قال كوني بردا وسلاما
على ابراهيم كذلك قال للخوف المحوكن امنا على محمد واصحابه فكان وينزل عليكم من سماء الروحانية ماء الالهام الرباني ليطهركم به
من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب وساوس الشيطان وهواجسه وليربط قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة و
التوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب اني معكم فثبتوا فيه ان التثبيت من امر الله لا من غيره وكذلك القاء الرعب
في قلوبهم وغير ذلك اذ لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا فتقعوا
عن صراط الطلب الا متحرفا الا مقبلا بحرف ليهيئوا اسباب القتال مع النفس او راجعا الى استمداد من الروح وصفاتها او الى ولاية
الشيخ او الى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها نوبة المجاهدة فلم تقتلوهم نفي القتل عن الصحابة
بالكلية واحاله الى نفسه تعالى ولكن لم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى بالقدرة كان بيده يد الله
كما كان حال عيسى لما تجلى بصفة الاحياء كان يحيي الموتى وليبلي المومنين منه فيجتهدوا في متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا
اى تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح بالتجلي فانه تعالى متجلي في
ذاته ازلا وابدا وانما التغير في احوال الخلق فهم عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح ابوابها محظوظون وان تنتهوا
عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكلكم الى انفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم شئ
من الدنيا والاخرة وما فيهما مقام شئ مما اعد لاهل الله وخاصته مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ٥

يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون

ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون ۝ يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه
تحشرون ۝ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
واعلموا ان الله شديد العقاب ۝ واذكروا اذ انتم قليل
مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاويكم
وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ۝
يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون ۝ واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان
الله عنده اجر عظيم ۝ يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل
العظيم ۝ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او
يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ۝

القراءة ولا تولوا بالادغام البزي وابن فليح **الوقوف** يسمعون للاية وللعطف لا يسمعون
لا يعقلون لاسمعهم معرضون لما يحييكم لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف يحشرون خاصة لما بين العقاب
يشكرون تعلمون فتنة للعطف عظيم ويغفر لكم العظيم او يخرجوك ويمكر الله الماكرين **التفسير** انه سبحانه
بعد ذكر خبر قصة بدر وما لغنايم ادب المومنين احسن تاديب فامرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنايم وغيرها ثم قال
ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن معونته في الجهاد او لان طاعة
الرسول وطاعة الله شيء واحد وكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وكقولك الاحسان
والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون لم يبين انهم ماذا
يسمعون الا انه يعلم من سياق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد وانتم تصدقون بدليل
قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان الانسان
ان لا يمكنه ان يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم التكاليف المذكورة بقوله ان شر
الدواب اي ان شر من يدب على الارض وان شر البهايم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا انه ذكر في معرض الذم كقولك
لمن لا يفهم الكلام هو شبح وجسد والثاني مذكور في معرض التشبيه والبهايم بل جعلهم شرها لجهلهم وحدقهم عن الانتفاع بالحوا
كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله اي في حكمه وقضايه ثم قال ولو علم الله فيهم اي في هولاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج هم
المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة
كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وروي انهم سالوا
النبي صلى الله عليه وسلم اي يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم
بقول هولاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت
وانهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله تعالى على اربعة
اقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات
لو كان موجودا فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخران علم بالمقدر ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده و
اورد على الاية انها في صورة قياس شرطي فاذا حذفنا الحد الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت
للدلالة على انتفاء الشرط لانتفاء غيره فيكون التولي منتفيا لا لاجل انتفاء علم الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء
التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد
الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهيم والزام القبول والمراد بالاسماع الثاني صورة الاسماع فحسب وايضا
كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذن
لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق
قد اخبر الله على تقدير الاسماع على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف ولو علم الله فيهم خيرا اي
انتفاعا باللطف لطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فكذلك منعهم الطافه ولو لطف بهم
فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المومنين ادبا اخر فقال استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابي هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر
فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك ولم يحتمل التاخير واذا وقع للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الاحياء لا يمكن
ان يحمل على نفس الحيوة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان لان الايمان حيوة القلب
والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت اي المومن من الكافر وقال قتادة يعني القران لان فيه العلم الذي به الحيوة الحقيقية
والاكثرون على انه الجهاد لان وهن احد العدوين سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة
الدايمة لقوله بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القران والايمان والجهاد وكل اعمال
الخيرات والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه
بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر ينقل الواحدي عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع
ومعصيته فالسعيد من اسعده الله والشقي من اضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصود والدواعي والعقايد
حسب ما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله وانه اليه تحشرون ليعلم انهم
مع كونهم مجبورين خلقوا امنا بين معاقبين اما الجنة واما النار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله بينه وبين الايمان
فهو عاجز وامر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وانه تعالى امر بالاستجابة لله وللرسول لو لم تكن الاجابة ممكنة فكيف امرها
ولو كان الامر بتغيير المعدور جايز الكان القران حجة للكفار على الرسول لا له عليهم فاذن لا يمكن حمل الاية على ما قاله اهل الجبر فتاويله
ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه اي وان الشان وانه اليه تحشرون والمقصود الحث
على الطاعة قبل نزول سلطان الموت او انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية الشيء باسم محله فكانه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة
ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل او المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من
الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى حالة القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف
امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جايز على الله تعالى واما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال
القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تامنوا زوال العقول التي عند
ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على بواطن العبد وضماير
وانه قريب من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة

قيل هو العذاب وقيل هو افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان يكون جوابا للامر وجاز دخول النون
المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهى كقولنا انزل على الدابة لا تطرحك وان ثبت لا تطرحك وعلى هذا من فى منكم
للتبعيض ومثل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم ان تصب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم
لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية او لاشتمال ذلك على نوع من اصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن البيان كانه قيل احذروا
ذنبا او عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كان الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة وهكذا ان
جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول اى واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رايت الذئب
قط عن الحسن نزلت فى على وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا قرانا ها زمانا وما ارانا من
اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدى نزلت فى اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروى ان الزبير كان يساير النبى صلى الله عليه وسلم
يوما اذ اقبل على وضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلى فقال يا رسول الله بابى انت وامى انى احبه
كحبى لولدى او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الاية بقوله واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه
الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به اى وقت انكم قليل يستوى فيه الواحد
والجمع مستضعفون فى الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونهم لكونهم اعداء لكم فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره
بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون اى لعلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء
الى النعماء والالاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة فى الانفال ثم منعهم من الخيانة فى الامانة
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان
يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على
حكم سعد فاشار الى حلقه انه اى حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله
فنزلت الاية فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على
فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذى
يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال صلى الله عليه
وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدى كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فيفشونه ويلقونه الى المشركين
فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان تخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن جابر بن عبد الله
ان ابا سفين خرج من مكة فعلم النبى صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم
فخذوا حذركم فنزلت وقال الزهرى والكلبى نزلت فى المنذر بن بلتعة حين كتب الى اهل مكة بخروج النبى صلى الله عليه وسلم اليها حكاه الامام
قال القاضى والاقرب انها فى الغنائم فالخيانة منها خيانة الله لانها عطيته وخيانة لرسوله لانه القيم بقسمتها وخيانة للمؤمنين لان الغنائم
فلكل منهم فيها حق قال ويحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الاية ايجاب اداء التكاليف باسرها فى الغنيمة
وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خان الرجل
فى شئ فقد ادخل عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب والكرب حبل قصير يوصل
بالرشا ويكون على العراقى سمى كربا لانه يكرب من الدلو اى يقرب منه والمشتار العسل اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون
جزما داخلا فى حكم النهى وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الاية على الوجه العام لا تخونوا الله بان تعطلوا
فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله او تعلمون انكم تخونون
يعنى ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الباعث الى الخيانة هو محبة الاموال
والاولاد ولعل ما فرط من ابى لبابة كان لسبب ذلك نبه الله سبحانه على انه يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتولدة من ذلك
الحب فقال انما اموالكم واولادكم فتنة اى انها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم او العذاب او هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون
على حدوده فى ذلك الباب وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتوطنوا هممكم بما يفضى الى السعادات
الروحانية الباقية ويمكن ان يتمسك بالاية فى بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله افضل من الاشتغال
بالنكاح لادائه الى الفتنة ثم رغب فى التقوى التى توجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد وعن التهالك فى شانهم فقال يا ايها
الذين امنوا ان تتقوا الله فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغائر يجعل لكم فرقانا نارا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة

بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والكبر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية
والبهيمية والاخفال فى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار على اهل الاديان كلهم وفى الاحوال الاخرة بالثواب الجزيل
والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم يستر عليكم فى الدنيا صغائركم ان فرطت منكم ويغفر لكم
فى دار الجزاء والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد بشئ وفى به احسن الايفاء ومن عظيم فضله انه يتفضل ابتداء من غير واسطة
وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان تمكن المتفضل عليه
من الانتفاع به وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمله على ذلك رقة طبع او عصبية وولاء فلا فضل فى
الحقيقة الا لله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر رسوله نعمته
عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم وفيما اتاح له من حسن العاقبة والمعنى
واذكر وقت مكرهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين ان قريشا اجتمعوا فى دار الندوة متشاورين
فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة
فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا باس به عليكم فقال ابو البخترى من
بنى عبد الدار رايى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به
ريب المنون فقال ابليس بئس الراى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايى ان تحملوه على جمل
وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى
ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فتضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم
على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راى ابى جهل
مجتمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت فى مضجعه وبيت عليا فى مضجعه وقال له
تسبح ببردى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب
الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويثخنوك لانه لا يقدر على الحركة وهو
اشارة الى راى البخترى وقوله او يقتلوك اشارة الى راى ابى جهل وقوله او يخرجوك اشارة الى راى هشام وانكر القاضى
حديث ابليس فى القصة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك التغيير ان كان بفعل الله اى من حكمة فهو اعانة للكفار على المكر وان
كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاعداء والتلبيس هذا ما
حكى عن القاضى وذهب عليه ان هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه وعلى خلق سائر اسباب الشرور والاثام وقد اجتمع
امثلة الشعراء وقد عرف تفسير المكر فى سورة ال عمران وفى المثل الحاصل انهم احتالوا فى ابطال امر محمد والله نصره وقوى امره
تعالى واظهره بعلم ونظهر صنيع الله قبل الاخرة فى مكرهم كيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد اقوى الماكرين والمراد انه لو قدر
مكرهم خيرا لكان الخير فى مكره اكثر والمراد انه فى نفسه خير والله اعلم **التأويل** ان شر من دب فى الوجه جسم الغم عن
استماع كلام الحق والكلام مع الحق والاصم الذى لا يكون لهم ذلك فلذلك خصهم بالذكر الذين لا يعقلون انهم ماذا خلقوا ولاجرم
يؤل حالهم الى ان يكونوا اخبث البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله ولرسوله فالله يطلب المحبة من العبد بالاجابة كما يطلب العبد
الحاجة منه بالاجابة فالاستجابة لله اجابة الارواح بالشهود واجابة القلوب بالشواهد واجابة الاسرار بالمشاهدة واجابة
الخفى فى الفناء فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا فتنة اى ابتلاء
النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيبن النفوس الظالمة فقط بل يصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب
الربانية فيحتجبوا بها عن حظائر القدس ورياض الانس ان لم يعتصموا بصفات الانس واعلموا ان الله شديد العقاب للواصلين
بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه واذكروا اذ انتم ايها الارواح والقلوب قليل لما بينا الصفات
والاخلاق الروحانية مستضعفون من ظلمات صفات النفوس لعدم اعوان التربية بالبيان وادب الطريقة ولانعدام جريان
احكام الشريعة عليهم فى اوان البلوغ تخافون اى تخافون ان تسلكم النفس وصفاتها والشيطان واعوانه فاواكم الى حظائر
القدس وايدكم بالواردات الربانية ورزقكم من المواهب لتحفظوها بشكرها لا تخونوا الله بالدنيا ولا تخونوا الرسول بترك
السنة والقيام بالبدعة وتخونوا اماناتكم التى هى محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة القلوب للمخلوقات وانتم تعلمون انكم
تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالاولى يا ايها الذين
امنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله بالتسليم يجعل لكم فرقانا نفيض عليكم من تجلى جماله وجلاله القديم ما تفرقون

به بين الحديث والقديم ويكفر عنكم سيّاتكم سيّات وجودكم الفانى ويغفر لكم بسترکم بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل
العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك ايها الروح فى اسفل سافلين الطبيعة او يعدموك بانعدام اثارك او يخرجوك من عالم
الارواح والله خير الماكرين ۞

وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا اِنْ
هٰذَا اِلَّا اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ ۝ وَاِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هٰذَا
هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَآءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ
اَلِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّٰهُ
مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَمَا لَهُمْ اَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ
وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا اَوْلِيَآءَهُ اِنْ اَوْلِيَآؤُهُ اِلَّا الْمُتَّقُونَ
وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ
اِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝
اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا
ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اِلٰى جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلٰى
بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِى جَهَنَّمَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ قُلْ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَاِنْ يَعُودُوا فَقَدْ
مَضَتْ سُنَّتُ الْاَوَّلِينَ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتّٰى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ فَاِنِ انْتَهَوْا فَاِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَاِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰيكُمْ نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝ ٥

القراءة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب **الوقوف** مثل هذا لان الابتداء بان هذا الا اساطير الاولين
اليم وانت فيهم يستغفرون وماكان اولياءه لا يعلمون وتصدية تكفرون عن سبيل الله يغلبون لان ما بعده مبتداء
يحشرون لتعلق اللام فى جهنم الخاسرون سلف لابتداء الشرط مع العطف الاولين كله لله بصير مولیکم النصير الجزو العاشر
التفسير لما حكى الله مكرهم فى ذات محمد صلى الله عليه وسلم حكى مكرهم فى دينه روى ان النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا

واشترى احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان مع المستهزئين والمقتسمين فيقراء عليهم ويقول هذا مثل
ما يذكره من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن امثاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا فى مشيتهم
لو ساعدتهم الاستطاعة وبرّ وى عن النضر او عن ابى جهل على ما فى الصحيحين ان احدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو
الحق الاية وهذا اسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق بالفصل وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين
هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب اى ان كان القران هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره
بالتعجيل كما فعلت باصحاب الفيل وبنوع اخر من العذاب الاليم ومراده نفى كونه حقا فلذلك علق بحقية العذاب كما لو علق بامر
محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة
قال اجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا
ان كان هذا هو الحق فاهدنا اليه ثم شرع فى الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتاكيد النفى دلالة على ان تعذيبهم
بعذاب الاستيصال والنبى بين اظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشان النبى صلى الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
قال قتادة والسدى المراد نفى الاستغفار عنهم اى لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا ان المراد
بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين المومنين فهو كقولك قتل اهل المحلة فلان وانما قتله
واحد منهم او اثنان وقيل وصفوا بصفة اولادهم والمعنى وما كان الله يعذب هؤلاء الكفار وفى علم الله انه يكون لهم اولاد
يؤمنون بالله ويستغفرونه بل وفى علم الله ان منهم من يؤل امره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير
ممن امن يوم الفتح وقبله وبعده وفى الاية دلالة على ان الاستغفار فهو باق الى يوم القيمة ثم بين انه يعذبهم اذا اخرج
الرسول من بينهم فقال وما لهم الا يعذبهم الله واى شئ لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى ولا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون
لا محالة قيل حتم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل قوله وهم يصدون اى كيف يعذبون وحالهم انهم
يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمومنين من الصد وعن ابن عباس هذا العذاب عذاب الاخرة والذى نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه
الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن اكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند
ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلوتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق ففعلة من الصدى وهو الصوت
الذى يرجع من الجبل فيكون فى الاصل معتل اللام او من صد يصد مضاعفا اى ضاح فقلبت الدال الاخيرة ياء كالتقضى فى
التقضض وانكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهرى وابو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء
والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل اصابع اليمين وبعض اصابع الشمال فى الفم ثم يصفر به وقيل
تصويت يشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون فالمكاء والتصدية على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيه ان
من كان المكاء والتصدية صلوته فلا صلوة له كقول العرب ما لفلان عيب الا السخاء اى من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال
مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف والصلوة عند المسجد الحرام يستهزؤن به ويخلطون
عليه فجعل المكاء والتصدية صلوة لهم كقولك زرت الامير فجعل جفاى صلتى اى اقام الجفاء مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل
المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر او عذاب الاخرة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وافعالكم التى لا يقدم
عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار فى الطاعات البدنية اتبعها شرح احوالهم فى الطاعات المالية فقال ان
الذين كفروا ينفقون اموالهم الاية قال مقاتل والكلبى نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا ابو جهل وهشام وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وابو البخترى ابن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابى بن خلف وزمعة بن الاسود
والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير
وابن ابزى نزلت فى ابى سفين بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحوش من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وانفق عليهم
اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا كما قاله فى الكشاف وقاله محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيب قريش يوم بدر فرجع
كلهم الى مكة ورجع ابو سفين بعيره مشى عبد الله بن ابى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل وصفوان بن امية فى رجال من قريش اصيب اباؤهم

امانان سلامة من العذاب قال ابن عباس
كان فيهم النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار
اما النبى فقد مضى واما الاستغفار ه

وابناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفين بن حرب ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم
وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك منه ثارا بمن اصيب منا فانزل الله تعالى الاية ومعنى
ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب
على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها اى سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب
حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا لقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما
التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخي في الرتبة لما بين بذل المال
وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اى الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان منهم
من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية وفيما يفعل
بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اى الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشيء يركمه اذا جمعه
والقى بعضه على بعض اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اى ليميز المال الخبيث الذي
انفقه المشركون في عداوة رسول الله والمؤمنون من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيركمه
فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وعلى
هذا فاللام في قوله ليميز يتعلق بقوله ثم يكون عليهم حسرة قال في الكشاف ولا يبعد عندي ان يتعلق بيحشرون
واولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ارشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه
من الصلاح فقال قل للذين كفروا اى قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول
في السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خاطبهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم و
قد قرأ بذلك ابن مسعود وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر وسنة الذين
تحزبوا على انبيائهم من الامم فاهلكوا او غلبوا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابي حنيفة
بالاية على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات
الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسروا ان يعودوا
بالعود الى الردة واختلفوا الى ان الزنديق هل يقبل توبته ام لا والصحيح انها مقبولة لشمول الاية جميع الكفار ولقوله صلى
الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان
اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيرها في سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله في قوله ويكون الدين كله لان
القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على
توبتهم واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه احسن
الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم ناصركم ومتولي اموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير
فثقوا بولايته ونصرته **التأويل** قالوا قد سمعنا وما سمعوا في الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوقين
لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب دعواهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر ليعلم ان من هذا حاله كيف يكون مثل القران مقاله ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا وشرفنا به وبانواره
وباسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة تنافي العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم
يعني اكثر المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولي قد لا يعرف انه ولي ان الذين كفروا ينفقون كذلك داب الكفار النفوس
ينفقون اموال الاستعداد الفطري في غير طلب الله وانما يصرفونها في استيفاء اللذات والشهوات فستندم حين لا ينفع الندم
ثم لا يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولا اجلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة للنفوس الى جهنم البعد
والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التي لا تركن الى الدنيا ولا تنخدع بانخداع النفوس فيركمه
جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فتلقي الجميع في جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب استروا
النور الروحاني بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم يستر لهم تلك الظلمات بنور العرفان والرشاد وقاتلوا
كفار النفوس حتى لا تكون افة مانعة عن الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الجود وكرامة الشهود
والله الموفق والملهم والمعين

وعليه نتوكل ٥

واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما
انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل
شيء قدير ۝ اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى
والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ۝
ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ۝ ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم ۝ اذ يريكهم الله في
منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر
ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ۝ واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا
كان مفعولا والى الله ترجع الامور ۝ يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۝ واطيعوا
الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا
ان الله مع الصابرين ۝ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما تعملون محيط ۝
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال
اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد
العقاب ۝ اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء

دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ●

القراءة بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيي بيائين ابو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزي وابن فليح ويذهب بالجزم الخزاز عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة في رواية ابن خلاد وابن سعدان وابي عمرو وهشام اني ارى اني اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ترات الفئتان بالامالة نصير **الوقوف** وابن السبيل لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان قدير اسفل منكم في الميعاد لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حيي عن بينة عليم لتعلق اذ قليلا منكم الصدور مفعولا الامور تفلحون للاية وللعطف و اصبروا الصابرين لما ذكر عن سبيل الله محيط جار لكم اخاف الله العقاب دينهم حكيم **التفسير** لما امر الله سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان اوفى واشفى فقال واعلموا انما غنمتم الذي نلتم به من اموال الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط وقوله فان لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهور آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان اقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الاية تقتضي اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على اقوال اشهرها ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين فمما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد واما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الان الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر وارزاق القضاة والائمة للامام فالامام وواحد لذوي القربى يعني اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اولاد هاشم والمطلب ابني عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في الجاهلية ولا الاسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان للذكر مثل حظ الانثيين وثلثة اخماس الخمس الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين ابي حنيفة والشافعي الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله ساقط وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ومعنى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فان لله خمسه وللرسول فان لرسول الله خمسه كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم اخر لله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وسهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم واما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى ولا يسهم يوتى من الصدقة شيئا وروي عن زيد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روي عن علي كرم الله وجهه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه يؤتى الامر بعده وعند مالك بن انس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فذاك فعلى هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وحاصل الاية ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا فاعلموا انما يتضمن العلم والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر لانه فرق بين اهل الحق والباطل والجمعان فريقاها والذي انزل عليه يومئذ الايات والملائكة والنصر والتاييد والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير اذ انتم بدل من يوم الفرقان والعدوة بالضم والكسر شط الوادي اي جانبه وحافته وقال ابو عمرو وهي المكان

المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو تقلب ياء كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة والركب يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدا اي مكانا اسفل من مكانكم والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه من عجيب صنعه وكمال رافته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا فهي خبار رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتحدوهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بظعنهم واثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل المجهود ثم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه ولو تواعدتم انتم واهل مكة على موضع تلتقون فيه لاختلفتم في الميعاد فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول و المسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضي الله اي ليظهر امرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من الايات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اي لا شك في كفره وعناده كما لم يبق شك للمسلمين في حقيقة دين الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة وان الله لسميع لدعائكم عليم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكر او بدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم تدابيركم اي يريكهم في منامك اي في رؤياك قليلا ارانيهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك اي في عينيك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو اراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخوف ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيحدث فيها من موجبات الاقدام والاحجام واذ يريكموهم ببصركم اياهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت بالاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واما تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في ذلك اي يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله كان مفعولا لا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور فيه ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منه ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين اداة اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واللقاء اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز فلعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز له ان يفتر عن ذكر ربه في اي شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق منفقا امواله لله والاخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر ما يامر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر التقدير ان في قوله ويذهب ريحكم على القراءتين والريح ههنا الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه على وفق المشية بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت الدولة ونفذ امره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله ومنه الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج نفاة القياس بالاية لان القول به يفضي غالبا الى النزاع المنهي عنه وكذا القائلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية وصفهم باوصاف ثلثة اولها البطر وهو الطغيان في النعمة ويقال ايضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فاذا كرفها الى مرضات الله فيها فذلك هو الشكر وان توصل بها الى المفاخرة على الاقران والمكابرة على العباد فذاك هو البطر وثانيها رياء الناس

وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية او هو اظهار الطاعة مع ابطال المعصية كما ان النفاق اظهار
الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون عن سبيل الله اى يمنعون عن قبول دين محمد قال الواحدى معناه وصدا
عن سبيل الله فيكون عطفا للاسم على الاسم او يكون الكل احوالا على تاويل بطرين مرائين صادين او يبطرون ويراؤن و
يصدون واعترض عليه فى التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح له كون الكلمة معطوفا
على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذى لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر
السبب فقال ان ابا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرياء فذكرا بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما واما
الصد فانما حصل فى زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على
صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التى اخترعها الامامان والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم
منه ان المعصية مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين معناه واذكر اذ زين او هو معطوف
على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكموهم وفى هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان زين بوسوسته من غير
ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفى الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التى عملوها فى معاداة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان مما يجيرهم فلما تلاقى
الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر فى صورة انسان وذلك ان
المشركين حين ارادوا المسير الى بدر ذكروا التى بينهم وبين كنانة من الحرب فلم يأمنوا ان يأتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس فى
صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من اشرافهم فى جند من الشيطان معه راية وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس اى لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالبا لا اياكم لانتصب كما يقال لا ضاربا زيدا وانى جار لكم
اى مجيركم من بنى كنانة او من كل عدو ويفرض من البشر ومعنى الجار ههنا الواقع عن صاحبه بانواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار
فلما تراءت الفئتان اى التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه والنكوص الاحجام عن الشئ اى رجع عن
الجار وقال انى برئ منكم قيل كانت يده فى يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى
ارى ما لا ترون اى من نزول الملائكة ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ
ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفى الحديث ما رأى ابليس يوما اصغر
ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رأى يوم بدر اما قوله انى اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبرئيل
خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن ان الوقت الذى انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله
انى ارى ما لا ترون وكذب فى قوله انى اخاف الله وقوله والله شديد العقاب يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز
ان يكون اعتراضا منظرها اذ يقول او لا ظرف له واذ يقول منتصب باذكر على انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد
العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين فى قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان
يراد قوم من قريش اسلموا وما قوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه قال
اولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة اقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا
مع المشركين ارتدوا يوم بدر غر هؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلثة عشر الى زهاء الف وما ذلك
الا انهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احياء بعد الموت ثم قال
جوابا لهم ومن يتوكل على الله ويكل بامره اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوى الكثير حكيم يوصل
العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه **التأويل** واعلموا يا اهل الجهاد الاكبر ان ما غنمتم عند رفع الحجاب من انوار المشاهدات
واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقون خمسها فى الله مخلصا
وللرسول متابعا ولذى القربى يعنى الاخوان فى الله مواصلا واليتامى يعنى اهل الطلب من الذين غاب عنهم شيخهم قبل
بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين تمسكوا بايدى الارادة باذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر والوارد من اهل الصدق
والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسن صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم فى متابعة الرسول الى الايمان بالله
عيانا وبما انزلنا على عبدنا فى سر فاوحى الى عبده ما اوحى يوم الفرقان الذى فيه الرحمن علم القران يعنى يوم التقى الجمعان جمع
الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلى الله عليه وسلم مع الله خلوة لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل
والله على كل شئ قدير فيقدر على ان يوصلكم فى متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ انتم

ايها الصادقون فى الطلب بالعدوة الدنيا اى الملك وهم بالعدوة القصوى اى الارواح باقية فى عالم الملكوت بارزة والركب
اسفل منكم يعنى الهياكل والقوالب فى اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايتها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم فى
الميعاد لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضى الله امرا كان مفعولا وهى ايصال كل شخص الى رتبته
التى استعد لها فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة ويحيى من حى عن بينة فالاشقياء يبقون فى سجين الطبيعة ونار القطيعة
واما السعداء فارواحهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعى الى ربك ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما
قال فادخلى فى عبادى وابدانهم فى جنات النعيم كما قال وادخلى جنتى والله سميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والاصال
عليم بمن يستحق الاذلال ويستاهل الاجلال اذ يريكهم فى منامك قليلا مع كثرتهم فى الصورة ليدل على قلتهم فى المعنى لفشلتم على
عادة طبع الانسان لكن الله سلم عن الخوف البشرى ويقللكم فى اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم
ومددكم بالملائكة اذا لقيتم فئة هى النفس وهواها والشيطان واغوائه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين و
الصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم اوصافهم وتركوا الدنيا وداروا البلاد وزادوا العباد
ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف
فى الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم فى نفى الرياء والعجب اذ هو طريق اهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح
والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وامد الله تعالى فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى
انقادت النفوس لها نكص على عقبيه زهق باطله وصار مخالفا للنفس كما قال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون لانه يرى بنظر
الروحانية تجلى الانوار الربانية من القلوب ولو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لاحترق ولهذا قال انى اخاف الله
وفيه اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله لانه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين

ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة يضربون وجوههم
وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ● ذلك بما قدمت ايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد ● كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وان الله سميع عليم ● كدأب آل فرعون والذين من
قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون وكل كانوا ظالمين ● ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون ● الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون ● فاما تثقفنهم
فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ● واما تخافن

من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين
ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون ۝ واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في
سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون ۝ وان جنحوا للسلم
فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ۝ وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين
والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين
قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ۝ يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ۝ يا ايها النبي حرض المؤمنين
على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم
قوم لا يفقهون ۝ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم
ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ۝

القراءة تتوفى بالتاء التانيث شامي الباقون بالتذكير ولا يحسبن بياء الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل الاخرون بتاء الخطاب انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين ابو بكر وحماد ترهبون بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول جبلة ضعفاء بالمد جمعا يزيد وقرا حمزة وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الاخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف **الوقوف** كفروا لان فاعل يتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفي هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون ان يتوفاهم الله بلا واسطة وادبارهم ج لان الاخبار اي يقولون ذوقوا الحريق للعبيد لتعلق الكاف فرعون للعطف من قبلهم بذنوبهم العقاب بانفسهم لعطف ان على ان عليم الكاف من قبلهم بايات ربهم لاختلاف الجملتين مع الفاء آل فرعون لان الواو يصلح للاستيناف والحال ظالمين يؤمنون لاحتمال الوصف واحتمال النصب او الرفع على الذم لا يتقون يذكرون على سواء الخائنين سبقوا المزاء انهم

بالكسر لا يعجزون من دونهم لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستيناف لا تعلمونهم لان الله يعلمهم لا تظلمون على الله العليم حسبك الله بين قلوبهم الاول بينهم حكيم من المؤمنين على القتال مائتين لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا مائتين باذن الله الصابرين **التفسير** لما شرح احوال هؤلاء الكفار في حياتهم شرح احوالهم حين وفاتهم و جواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو واذ نصب على الظرف قال في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به و المعنى لو رايت او عاينت او شاهدت وقت قبض الملائكة ارواح الكفار لرايت امرا فظيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلا جرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج الروح ومعنى عذاب الحريق مقدمة عذاب النار نفسها في الاخرة بتبشير لهم بذلك وعن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار وقوله ذلك بما قدمت ايديكم الاية قد مر تفسيرها في آل عمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما انزله باهل بدر من الكفار عاجلا واجلا ذكر ان هذه سنته في فرق الكفرة كلهم فقال كداب آل فرعون يريد ان عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة آل فرعون فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي اولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الاية ان ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمة على قوم حتى يغيروا ما بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركي مكة قد فتح الله عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبيل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع للاقوال عليم بالاحوال فيجزي كل فريق بما يستاهله ثم ذكر مرة اخرى قوله كداب آل فرعون وفي التكرير بعد التاكيد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها الاول لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت قلت ويشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت انسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب الله لم يمكن الله احدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم والثاني اخبار عن عذاب يمكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كداب آل فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كداب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بجحدا بايات ربهم كداب آل فرعون ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا لكفار قريش اي كفروا بايات الله كداب آل فرعون وكذبوا بايات ربهم كداب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلايل التربية والاحسان فكان لا الاهلاك والاغراق ثم ختم الاية بقوله وكل كانوا ظالمين اي كل واحد من غرقى القبط وقتلى قريش ومن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمي انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمي غيرهم بالايذاء والايحاش فلا جرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الاية لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم واشار الى هذا بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم كمن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف الذين منهم يوثق المعاهد ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لفائدة الاستمرار وان من شانهم نقض العهد في كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم امر رسوله بالخشونة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب اي ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه اكثر فيهم القتل حتى يخاف غيرهم والضمير في لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وفعل بهم ما فعل لن يجسر عليه احد بعدهم اتعاظا بحالهم واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد اي اخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على ان تستووا في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في الكشاف الجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل ان يكون حالا من المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على الطريق الواضح فيكون كناية عن تحير شان المهادنة وعن الكشاف حاله في النبذ قال اهل العلم انما نقض العهد اذا ظهرت فاما ظهر ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام به كما هو

في الاية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفين ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب
اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد
ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما فقال
ولا تحسبن من قرا بتاء الخطاب فمفعوله الاول الذين كفروا والثاني سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون
كل من ان المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على سبيل الاستيناف كان سائلا سال بانهم لم لا يحسبون سابقين فاجيبوا
بما اجيبوا والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف اي لانهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن
ادراكهم اعجزت فلانا وعجزته جعلته عاجزا والمراد لا تحسبنهم انهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من
العقاب عاجلا واجلا ومن قرا بالياء التحتانية فذكر فيه وجوه منها ان فاعله الذين كفروا ومفعوله سبقوا على ان الاصل
ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم
لا يعجزون على الاصل وسبقوا في موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا تحسبنهم او لا يحسبن
انفسهم الذين ومنها ان فاعله محذوف اي ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم في قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة امرهم الله تعالى ان لا يعودوا الى مثله وبان يتاهبوا لقتال الاعداء فقال
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية على
المنبر ثم قال الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله والاصح انها عامة في كل ما يتقوى به في
الحرب من آلة وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من
جملة المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصال
وفصيل والظاهر انه بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل
وميكائيل ولا ريب ان ربط الخيل من اقوى آلات الجهاد وروي عن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى
به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر شعر ولقد علمت على
تجنبي الردى ان الحصون الخيل لا مدر القرى وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها اولى بالربط لتفيد النسل والنماء وقيل
هي الفحول لانها اقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لاجله امر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به اي بما استطعتم
عدو الله وعدوكم لان الكفار اذا علموا تاهب المسلمين للقتال لم يجترؤا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد
والطاعة واخرين من دونهم يريد بالاولين اهل مكة وبالاخرين اليهود على قول ولكن لا يلائمه قوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقين
على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المتعلمين ظاهرا واجيب بان المنافق خائف فكلما اشتدت شوكة
المسلمين ازداد المنافقون في انفسهم خوفا ورعبا فربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم اهل فارس وروى ابن جريج
عن سليمان بن موسى انهم كفرة الجن وما في الحديث الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل
يرهب الجن وقيل المراد من الاخرين اعداء المرء من دينه فان المسلم قد يؤذيه مسلم اخر ثم رغبهم في الانفاق في باب الجهاد فقال
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اي ثوابه وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم رخص في المصالحة ان
مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم الاية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم يؤنث تانيث نقيضها
وهي الحرب او بتاويل الخصلة او الفعلة عن ابن عباس وغيره ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله او بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى ان يقال انها ثابتة وليس بحتم ان يقاتل المشركون ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وانما
الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام وذويه فاذا راى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند
ضعف المسلمين اما لقلة العدد او لقلة المال او بعد العدو وقد يكون مع القوة للطمع في اسلامهم او قبولهم الجزية او اذا
خالطوا المسلمين وبان يعينوه على قتال غيرهم وامثالها فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف وراى الامام الصلاح في المهادنة
فقال الشافعي هادن اربعة اشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر وذلك كان في اقوى ما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
حين صالح اهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا انهم نقضوا العهد قبل كمال المدة فان انقضت المدة والحاجة باقية استانفا
العقد ثم قال وتوكل على الله اي فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد

قبل كمال المدة فان انقضت المدة والحاجة باقية استانفا العقد ثم قال وتوكل على الله اي فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله
ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شان قريظة والنضير وعن مجاهد
نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما امكن ثم ذكر حكما من احكام المهادنة فقال وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك محسبك وكافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان
الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان اصل الايمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الاية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن
من قوم فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على امور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على امارات
قولية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم اكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذي ايدك بنصره اي من غير واسطة
اسباب معتادة وبالمؤمنين اي بواسطة الانقياد الانصار ثم اخبر كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم قال جمع
من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك اشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله ذلك بلطيف
صنعه والاولى حمله على العموم وان التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات الباهرة لان
العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغاين في الامور المستحقرة لم يكد تاتلف اهواؤهم وتشتت شملهم ثم ائتلفت
قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب
والاحوال والتحقيق في هذا الباب بان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة امرا
سريع التغير كالمال والجاه او اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال كالمعشوق يريد العاشق لماله و
العاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فمهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب
انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور لها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب والنفاق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين اخرى
فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية
الروحانية توجه بطلبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله انه عزيز حكيم اي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي
فاعل الكل مما يفعل على وجه الاحكام والاتقان او على حسب المصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي
لولا الطاف الله ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وادبه الى الله تعالى لاجل انه لم يحصل ذلك
الا بمعونة الاب وتربيته واجيب بانه عدول عن الظاهر والاية صريحة بان العقايد والارادات والكراهات كلها بخلق الله
تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لمتابعة نبيك انك قادر على ما تشاء ولا يكون
الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك منصوب لانه بمنزلة زيد في قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم ان
يقولوا حسبك واخيك بل المستعمل ان يقال حسبك وحسب اخيك باعادة الجار وهو كان قوله ومن اتبعك مجرورا فقيل
حسبك الله وحسب من اتبعك ومعنى الاية كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله
وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اسلم
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فصاروا اربعين فانزل الله تعالى الاية ثم بين سبحانه ان
كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث
على الشيء وذكروا في اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من نزل الضنا كانه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المامور
او كانه يامره ان يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف وفي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله تعالى و
بشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم بعون الله وتاييده واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان
من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال
بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن اولادهن والمطلقات يتربصن بدليل قوله الان خفف الله عنكم
والفسخ بالامر اليق منه بالخبر وبدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فمعنى الاية اذن ان يكن
منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير
جبان ولا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب للواحد ان يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في
قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كان التشبيه مرتين لان السرايا التي كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

لا ينتقص عددها من العشرين وما كانت تزيد على المائتين فورده على وفق الواقعة واما في الكرة الثانية فانما كرر النسبة للانطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيؤل من العشرات والمات الى الوف والله اعلم بمراده
ثم بين السبق في الغلبة فقال بانهم قوم لا يفقهون اى بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة والبهجة عندهم في هذه الحيوة العاجلة وايضا لانهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثون
ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتأييد ووجه اخر وهو ان اهل العلم والمعرفة يكون لهم في اعين الناس هيبة وخشية
ويكونون في انفسهم اقوياء اشداء لما تجلى عليهم من انوار المعرفة والبصيرة يعرفون ذلك اصحاب العلوم وارباب المعارف
بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا رب
نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا وعن
ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقى ابا جهل
في ثلثمائة راكب وارادوا قتالهم فمنعهم جهينة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن انيس الى خالد بن سفيان في جماعة
فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لى فقال انك اذا رايته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغنى انه جمع لى
فاخرج اليه واقتله فلما خرجت نحوه فدنوت منه وجدت القشعريرة فقال لى من الرجل قلت لم من العرب سمعت بك و
بجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف واسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت انى قتلته
فاعطانى عصاه وقال امسكها فانها اية بينى وبينك يوم القيمة وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال
ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس ايما رجل فر من رجل ثلثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر و
الحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لحكم الاية المتقدمة وانكر ذلك ابو مسلم الاصفهانى قال لان لفظ
الاية ورد على الخبر لنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير لكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون
المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة الاثنين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل في حق هولاء كقوله وعلم ان
فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضى ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد تقوله
العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الايتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل قول ابى مسلم وهو
انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله الطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله ان فيكم ضعفا ظاهر معلوم فلا يبقى لهشام
حجة في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة
في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر ان المراد الضعف الانسانى المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا التأويل
يضربون وجوههم وادبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له الم من جهة الخلف ويقبل على الاخرة ولا نور له
يبصر به امامه فيحصل له الم من قدام لم يك مغيرا لم يك مبدلا حسن تقويمهم واستعداد اعطاهم بصدده حتى يغير وابا الكفر والنكث
ما بانفسهم من نعم الاستعداد الفطرى الذين عاهدت منهم بالروح في الازل لان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها
فشرد بالروح بهم من خلفهم اى بالغ في تبديل صفات النفس وفي تزكيتها بحيث يوثر تبدلها في الصفات التى وراءها فانبذ اليهم
على سواء اى اظهر عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون اى النفوس الكافرة تحت تصرفى فلا تقنطوا من رحمتى في اصلاح
حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن رباط القلب بطريق المراقبة
لئلا تلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الشيطان وعدوكم النفس والهوى واخرين من دونهم من نفوس الشياطين
الانس لا تعلمونهم انهم عدوكم من الاحباب والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم انهم عدو لكم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
وما تنفقوا من شئ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائده من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا
والف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت ما في الارض وجودك من السعى والجد والاجتهاد لما بين
الروح النورانى والنفس الظلمانى من التضاد ولكن الله الف بين الروح وبين القلب والقالب لكن ليتخلص الانسان في ظلماتها على كنز
وجوده ثم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم

ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض
الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم ● لولا كتاب من الله

سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
واتقوا الله ان الله غفور رحيم ● يا ايها النبى قل لمن في ايديكم من
الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
ويغفر لكم والله غفور رحيم ● وان يريدوا خيانتك فقد خانوا
الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ● ان الذين امنوا و
هاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا
ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون
بصير ● والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة
في الارض وفساد كبير ● والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة و
رزق كريم ● والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم
فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله ان الله بكل شئ عليم ● القراءة ان تكون بالتاء الفوقانية ابو عمرو وسهل ويعقوب
ويزيد اسارى يزيد والمفضل الاخرون اسرى من الاسارى يزيد وابو عمرو
والمفضل الباقون من الاسرى من ولايتهم بكسر الواو حمزة الباقون بفتحها الوقوف في الارض لتقدير الاستفهام اى تريدون
الاخرة حكيم عظيم واتقوا الله رحيم ويغفر لكم رحيم منهم حكيم اولياء بعض حتى يهاجروا ميثاق بصير اولياء بعض
كبير حقا كريم منكم في كتاب الله عليم التفسير هذا حكم اخر من احكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان
كثرة القتل واشاعته من الثخانة التى هى الغلظة والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل
في الكفرة روى ان رسول الله صلى الله عليه اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابى طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال
قومك واهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان من
نسيب له فليضرب اعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر

قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق
وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهد منكم
بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين
اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وروى انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية
فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت
وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذ الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي واعلم
ان الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي صريح في النهي وقد حصل
الاسر بدليل قل لمن في ايديكم من الاسرى الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر في قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية
واجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط الاثخان فاخطاوا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق
الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم
بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطاوا في الاجتهاد
وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسير بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية
والالم يتوجه الذم في قوله تريدون عرض الدنيا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر والله يريد الاخرة اي ثوابها
او ما سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وقوى نحو الاخرة اي عرض الاخرة على التقابل والله عزيز يغلب اولياءه
على اعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم الى القتل والفداء بعد الاسر ولكنه حكيم لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد اثناء القتل في الاعداء و
الجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى وكذا الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو
انه لا يعاقب احدا يخطي في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم انما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولاد منهم مسلمين
وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام وارعب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان
يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي اسلامهم بعد ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد
واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الايتين مختلفان وليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على
الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه سيحل لكم الفدية وكان قرب العهد من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال
محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق بانه لا يعذب احدا الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى
وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث
على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب
على الذنب لا يوجب عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان التحقق
مس العذاب حاصلا روي انهم امسكوا عن الغنائم او عن اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبيب ومعنى
الاية قد ابحت لكم الغنائم فكلوا وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله فيما يستقبل فلا
تقدموا على شيء لم يؤمروا به ان الله غفور لما فرط منكم من ترك الاولى رحيم فبذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء
ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلومه ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان
والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول و
التوبة عن محاربته يؤتكم في الدنيا خيرا مما اخذ منكم من النافع العاجلة ويغفر لكم في الاخرة والمراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة
ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسراء من بعد اتاه الله في الدنيا خيرا لدلالة الاية على ذلك اجمالا وذلك ان الخيرات
دنيا فلا شك ان كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفصيل ذلك غير معلوم
الا ما روي عن بعضهم كالعباس روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة الظهر وما صلى
حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وانا ارجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الاية
في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسيرا يوم بدر ومعه عشرون اوقية من الذهب اخرجها ليطعم الناس
وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه التوبة حتى اسر فقال العباس كنت مسلما الا انهم استكرهوني فقال صلى الله
عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله ان يرد ذلك الذهب علي

فقال اما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفني الرسول فداء ابن اخي عقيل ابن ابي طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن
الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك من مكة وقلت لها اني ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس
فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه روي انه صلى الله عليه وسلم لما اطلقهم
من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة
منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن اي المؤمنين منهم يوم بدر
قتلا واسرا فذاقوا وبال امرهم فيمكن المؤمنين منهم مرة اخرى ان اعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب
اعمالهم واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة
فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر
في خاتمة هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم مع ذكر انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ان الذين امنوا
ويدخل فيه الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا
الاقارب والجيران في طلب مرضات الله وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا
الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضيعاتهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك الغزية والسفر وفي
الغزوات والمحاربات واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم اقدموا على قتال اهل من غير الة ولا عدة والاعداء
في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم ازالوا اطماعهم عن الحيوة وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول الناس
اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه المسابقة اثر عظيم في تقوية الدين لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويتقوى دواعيهم بما يرون منهم
والمحن يخف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين
اووا ونصروا اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم ماوى ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض اطبق
جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة و
النصرة دون القرابة نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازي رحمه الله
هذا التفسير لانه يستلزم النسخ والتزام النسخ محذور منه ما امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث
كقولهم السلطان ولي من لا ولي له قال سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذن المراد ان المهاجرين و
الانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة ومناصرتهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل احد لغيره جار مجرى حبه لنفسه
اما قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فوجهت قراءة حمزة بان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة
كالتجارة والقصارة كانه بتوليه صاحبه الاول امرا وبيا شرعلا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة
والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بانا لو حملنا
على التعظيم والاجلال لزال الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعض اهل الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم
بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة
من حيث انه نفي عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤون
بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب
وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه ان المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صادت هذه الجهة موجبة
لانضمام بعضهم الى البعض وقرب بعضهم من بعض وان كان كل واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من ادل الدلائل على
ان تلك الذلالة العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الولايات بمعنى الارث
استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي
يورث النصراني وبالعكوس ثم قال الا تفعلوه اي ما امرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة

الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة اصلا تكن فتنة اى يحصل مفاسد عظيمة فى الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشان المؤمنين واثناء عليهم قوله والذين امنوا وهاجروا الاية فوصفهم بانهم المؤمنون حقا ولهم مغفرة ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله فى اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن اللذات الحسيات فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال والذين امنوا من بعد نقل الواحدى عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الاية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين تشريفا للاخرين وتعظيما لشان السابقين ولولا كون القسم الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اى ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض اى احق بهم واجدر فى كتاب الله اى فى حكمه وقسمته او فى اللوح او فى القران وهو اية المواريث وهذه الاية ناسخة للتوارث بالهجرة والنصرة واما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية بسبب الميراث بين الله تعالى فى هذه الاية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم يعنى ازالة وهم من يحصل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك اصحاب ابى حنيفة بهذه الاية فى توريث ذوى الارحام وهم ذووا قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة او كل قريب يخرج عن اصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل جد وجدة ساقطين واولاد البنات وبنات الاخوة واولاد الاخوات وبنو الاخوة للام والعم من الام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف فى انه اذا لم يوجد ذو فرض وعصبة فهل يورث ذووا الارحام او يوضع المال فى بيت المال فلهم ابو حنيفه فى بيت المال للاية وعكس الشافعى قال ان الاية مجملة فى الشئ الذى حصلت فيه هذه الولاية فلما قال فى كتاب الله كان معناه فى الحكم الذى بينه الله فى كتابه فصارت هذه الولاية مقيدة باحكام اية المواريث فلا يبقى حجة فى توريث ذوى الارحام واعلم انه سبحانه قال فى اول هذه الايات وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وفى براءة بتقديم فى سبيل الله لان فى هذه السورة يقدم ذكر المال والفداء والغنيمة وفى قوله تريدون عرض الدنيا وفى قوله لمسكم فى ما اخذتم اى من الفداء وفى قوله فكلوا مما غنمتم وفى براءة تقدم ذكر الجهاد فى سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم او فى قوله كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد فى سبيل الله ثم انه حذف من الاية الثانية باموالهم وانفسهم اكتفاء بما فى الاولى وحذف من الثالثة فى سبيل الله ايضا اكتفاء بما فى الاية قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شئ عليم والمراد ان هذه الاحكام التى ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عبث وعيث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب نظيره ان الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم انى اعلم ما لا تعلمون **التاويل** ما كان لنبى الروح ان يكون له نفس ماسورة وقوى موجهه الى تدبير امور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفها بالحق حتى يثخن فى ارض البشرية بقتل القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحى يتحنث فى غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الاخرة منكم اى ليس للانسان من بجبلته وطبعه ان يميل الى الاخرة انما هو بتوفيق الله وبعناية الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون منجذبا نحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما اخذتم من فداء النفس الماسورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم النور مما غنمتم من وقعات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند دفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشتغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا بالله عما سواه ان الله غفور يستر بانوار جوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يفنيكم عنكم ويبقيكم به يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من النفس الماسورة التى اسرت فى الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذكر عليها ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد والاحكامه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من اللذات الفانية واسبابها وذلك هو البقاء الحقيقى والذوق السرمدى وان يريدوا خيانتك يعنى الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل التجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من امر جهادها وتزكيتها والذين امنوا ذكر الله ومحبته فى القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض فى المرافقة والموافقة فى الطلب والسير الى الله والذين امنوا بانا الطلب حق ولم يهاجروا

عن اوصافهم ووجودهم المجازى وان استنصروا ولم تمسكوا باذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملاتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الا على قوم اى الا على بعض احوالكم مما صالحتم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها واسرتموها وامنتم شرها فلا تدلوا الطالب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح فى اوان الجهاد فاولئك منهم يشير الى ان المتاخرين اذا دخلوا فى زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذووا رحم الوصول لانه ليس عند ربك صباح ولا مساء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امتى كالمطر لا يدرى اوله خير ام اخره والله اعلم بحقيقة الحال ٥

سورة التوبة مكية حروفها عشرة الاف وثمانمائة وسبعة وثمانون كلمها الفان واربعمائة وسبع وتسعون اياتها مائة وتسع وعشرون

برآءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا
فى الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله
مخزى الكافرين ● وآذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر
ان الله برئ من المشركين ● ورسوله فان تبتم فهو خير لكم و
ان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب
اليم ● الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم
يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب
المتقين ● فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ● وان احد
من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه
ذلك بانهم قوم لا يعلمون ● كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما
استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ● كيف وان
يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم
بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون ● اشتروا بايات الله

ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون ●
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون ●
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين
ونفصل الايات لقوم يعلمون ● وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان
لهم لعلهم ينتهون ● الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا
باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق
ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ● قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ● ويذهب
غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ● ام
حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم
يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ●

القراءة ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع ائمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر
هشام يدخل بينهما مدة الباقون بالفتح بين بين يعلمون بياء الغيبة عباس مخير **الوقوف** من المشركين معجزي الله للعطف
الكافرين من المشركين للعطف ورسوله خير لكم لابتداء الشرط مع الواو معجزي اليم للاية مدتهم المتقين مرصد سبيلهم
رحيم مامنه لا يعلمون المسجد الحرام لان ما بعده الجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم المتقين ولا ذمة قلوبهم فاسقون
لان ما بعده يصلح وصفا واستينافا يعملون ولا ذمة المعتدين في الدين يعلمون ائمة الكفر لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا
وما بينهما اعتراض ينتهون اول مرة اتخشونهم لان ما بعده مبتدا مع الفاء مؤمنين مؤمنين لا للعطف قلوبهم من يشاء
حكيم وليجة يعملون **التفسير** قد عددت في الكشاف من اسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة
على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق اي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة و
المخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم و
تدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه وعن ابن عباس
ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى حسبنا ان لا تدع وللعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من اولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان
بن عفان في ذلك فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكان براءة من اخر القران
نزولا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكان مراده بالمشابهة ما روي
عن ابي بن كعب ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احديهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول
لانا لو جوزنا في بعض السورة ان لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور وفي ايات السورة الواحدة

وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القران على ما يقوله الامامية وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في ان
الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما مائتان وست ايات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت في القتال و
المغازي فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة تنبيها على قول من يرى انهما
واحدة فعلوا عملا يدل على هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لم يسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين في ضبط
الدين وحفظ القران عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة اية من كل سورة والا جاز
كتبها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سالت علي بن ابي طالب عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة
نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفين بن عيينة هذا المعنى واكد بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا فقيل
له اليس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منهم يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم
عهدهم ولهذا قال في اخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة وهو ان ختم الانفال وقع بايجاب
ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير
له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور
كما قلنا والخبر كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد اذن الله في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد وجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون اعلموا ان الله ورسوله قد برئا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين روي انهم كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة
فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاءوا والاشهر هي الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم و
السياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة ومن الاقلال من الطعام والشراب ومنه
يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن اسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في الموقف ومعالم الحج
المشركون فنزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد امر فيها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء
ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف
فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير ام مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل
وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انزل في شيء
من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي
يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد
ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا كل نفس مؤمنة
وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا
طعن بالرماح وضرب بالسيوف استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل علي كرم الله وجهه وعلى تقديمه واجاب اهل السنة
بان امر ابا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي علي خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة
ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فذلك لان المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير بينهم لقوم حلفا او عاهد عهدا
لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوي قرابته كاخ او عم فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود
فازيلت عليتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما خص ابو بكر بتولية امر الموسم خص عليا بهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب
ولنرجع الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله
وسقيهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهري ان براءة نزلت في شوال والمراد
شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وكانت
حرما لانهم او منوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او سميت حرما على التغليب لان ذي الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي القعدة
الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيه ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة
قال المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطت الى اربعة ومن كانت مدته اقل دفعت اليها والمقصود من هذا

التاجيل ان تتفكروا في انفسهم ويحتاجوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام او قبول الجزية
او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ثم اشار الى هذا المعنى بقوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان هذا
الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد
الالات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين
من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد
ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال واذان وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ
الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتم
لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان
والاعطاء ومنه اذان الصلوة امر الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر في السنة الاتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا
يحضر للموقف غير المومنين والموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر بن سعد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين
عن علي وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خطب رسول الله عشية عرفة فقال اما بعد
فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطا هو يوم النحر ووافقه قول الشعبي والنخعي والسدي والمغيرة بن شعبة
وسعيد بن جبير وذلك ان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي كرم الله وجهه ان رجلا اخذ
بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف
يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول
سفين الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب
دام اياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن
مجاهد ايضا هذا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا والتقدير بان الله بري من المشركين قوله ورسوله بالرفع مبتداء
محذوف الخبر اي ورسوله بالرفع مبتداء محذوف الخبر اي ورسوله ايضا كذلك او هو معطوف على المنوي في بري اي بري هو
ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد المتصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار او على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله بري ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة
والمقصود من هذا الثاني اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وايضا المراد بالاول البراءة من العهد وبالثاني البراءة التي هي
نقيض الموالاة والخذلان بصفة المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا
اتبعه قوله فان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم اعرضتم
عن التوبة او بقيتم على التولي والاعراض عن الايمان فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه
واعلموا انكم غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وبشر يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وفيه من التهكم
والتهديد ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لو فات وزال خلصوا عن العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيمة اما
قوله الا الذين عاهدتم فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين
الا الذين لم ينقضوا العهد وقال في الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين
والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الى الذين عاهدتم
ومعنى لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ومعنى لم يظاهروا لم يعاونوا اي لم يقدموا على المحاربة بانفسهم
ولم يهيجوا اقواما اخرين وقرئ لم ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم ادوا اليهم تاما كاملا
قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الاية بقوله ان الله يحب المتقين يعني ان
قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قوله الانصار كرشي وعيبتي اراد انهم بطانتي وموضع سري وامانتي وظاهرهم قريش بالسلاح حتى وفد
عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده شعر لاهم اني ناشد محمدا * ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا
ذمامك المؤكدا * ثم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا * حلف ابينا وابيك الاتلدا * فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت
ان لم انصركم ومعنى ناشد محمدا ذكر له الحلف العهد لانه كان بين ابيه عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم والاتلد الاقدم ثم

بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزءا فجزءا الى
ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه وكلاهما ظرف فاقتلوا المشركين يعني
الناقضين حيث وجدتموهم من حل وحرم وفي اي وقت كان وخذوهم واسروهم والاخذ الاسر واحصروهم امنعوهم من
التصرف في البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل ممر
ومجتاز ترقبونهم هناك وانتصابه على الظرف كما مر في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة ان حصلوا على شرطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم او اطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام ومن
التصرف في مهماتهم ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والغدر وقال الشافعي انه تعالى اباح دماء الكفار بجميع
الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد احد هذه الامور لم يوجد هذا
المجموع فوجب ان يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل ولعل ابا بكر الصديق رض استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانع
الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان عدولا عن الظاهر عن
الحسن ان اسيرا نادى بحيث يسمع النبي صلى الله عليه وسلم اتوب الى الله لا اتوب الى محمد ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق
لاهله فارسلوه قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن
تطهير القوة العملية عما لا ينبغي وكل انسان كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله من اهلها ولما اوجب الله سبحانه بعد
انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع الدلايل
والبينات كفى في ازاحة عللهم فينتج ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام
او بالجزية او بالقتل فازال الله تعالى بكمال رافته هذه الشبهة فقال وان احد من المشركين استجارك الاية قال علماء العربية
ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك كرهوا الجمع بين المفسر والمفسر والغرض بناء الكلام على
الابهام ثم التفسير من حيث ان ان من مظان وقوع الفعل بعده وايضا ذكر الفاعل ههنا اهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة
دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه على الاهدار يقال استجرت فلانا اي طلبت منه ان يكون جارا لي اي محاميا
وحافظا من ان يظلمني ظالم ومنه يقال اجاره الله من العذاب اي انقذه والمعنى وان جارك احد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر
الحرم لا عهد بينك وبينه فاستامنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقران فامنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل
ثم ابلغه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه ان المقصود من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد
وان النظر في دين الله من اعلى المقامات فان الكافر الذي دمه مهدر لما اظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال اهمل ذلك
الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مبلغه مامنه اما زمان مهلة النظر فليس في الاية ما يدل على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد
الامام فمتى ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق
دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وابلغ المامن وقيل مبلغ المدة اربعة اشهر وهو الصحيح عن مذهب الشافعي والمذكور
في الاية كونه طالبا لسماع القران الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلايل والجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه
غير عالم حيث قال في اخر الاية ذلك بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه
قيل اراد جميع القران لان تمام الدلايل والبينات فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين
والاولى حمله على كل الدلايل وانما خص القران بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم الدلايل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق
باهل اقاليم او بلدة او ناحية وهو عقد المهادنة ويختص بالامام وقد مر في تفسير قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا
يتعلق بافراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين ايضا وهذا مقصود الاية وانه ثابت غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير
ان رجلا من المشركين جاء الى علي رض فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء الاجل ليسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل
قال لا واستدل بالاية وعن السدي منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد
والمراة والفاسق روي انه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم ادناهم وعن ام هاني قالت اجرت رجلين من احمائي فقال صلى الله عليه
وسلم امنا من امنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض
صريحا كقوله اجرتك او لا تخف وكناية كقولك انت على ما تحب او كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة
روي عن عمر رض انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل
الكافر بلادنا بلا سبب اما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلايل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا راى

الامام مصلحة في دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي
ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب من اهل ومال واما الذي معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا
فالاوجه ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد بقي في الاية مسئلة اصولية هي ان المعتزلة استدلوا بالاية على ان كلام
الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب
واجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي خلقها الله تعالى ولا عندكم فعلمنا ان هذا المسموع ليس كلام الله بالاتفاق
فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها كلام الله كما ان الجبائي قال ان
كلام الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين رأوا انه تعالى جعل كلامه
مسموعا ان هذه الحروف والاصوات قديمة ليلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى
ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد كيف يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف
وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد او ليكون او للجار او هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين
تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد وهم اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا
في الوفاء منهم ولا تستوثقوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة
ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم وفي ما وجهان احدهما ان تكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق اي استقيموا لهم مدة استقامتهم
لكم الثانية شرطية اي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد
والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم
ان يظهروا عليكم اي يغلبوا ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور في نفسه كمالا فانه يريد ان يظهر ذلك
لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا فيكم ولا ينتظروا بكم الا ولا ذمة قال في الصحاح الال العهد
والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجؤار والانين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه وسميت
به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح ايضا ان الال بالكسر من اسماء الله عز وجل وفي الكشاف
انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي
على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الالة الحربة واذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك
والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك وكان بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به
اي ما يجتنب فيه الذم قال في الكشاف يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد الثبات
منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل ثم قال سبحانه واكثرهم
فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر انه اراد ان
اكثرهم فساق دينهم لا يحجزهم عن الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الاديان والنحل اشتروا استبدلوا بايات الله بالقرآن
والاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم انفسهم قال مجاهد اراد الاعراب الذين جمعهم
ابو سفين واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر المختص
باليهود ولانه وصفهم بقوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولو اريد المشركين كان تكرارا واولئك هم المعتدون المجاوزون
حدود الدين في دينه ومما يوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فان كان هذا في اليهود فما ذكره
قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله فاخوانكم اي فهم اخوانكم في
الدين فلم يكن من التكرار في شيء قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة ونفصل الايات نبينها لقوم يعلمون لانهم المنتفعون
بالبيان وهذه جملة معترضة يفيد البعث على التامل في احكام المشركين وعلى المحافظة على موادها وان نكثوا يعني هؤلاء التائبين
ايمانهم من بعد عهدهم اي من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين والمراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيط من بعد
ابرامه وطعنوا في دينكم ثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر جمع امام واصلها أأممة كقتال واقتلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وادغمت
الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في
الكفر مقتدى فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم ابدى غرض القتال بقوله لعلهم
ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى الطاعة رحمة عليهم لا امر نفساني وداع شهواني وتوسط بين الامر بالقتال
والحامل عليه قوله انهم لا ايمان لهم تنبيها على العلة الفاعلية للقتال اثبت لهم الايمان اولا في الظاهر حيث قال وان نكثوا ايمانهم

ثم نفاه عنهم في الحقيقة لان ايمانهم ليست مما تعد ايمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا تمسك ابو حنيفة في ان يمين الكافر
لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين لانه تعالى وصفهم بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان
لهم بالكسر اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا
ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع في ذكر سائر الاسباب
الحرضة على القتال فقال الا تقاتلون قال اهل المعاني اذا قلت الا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك في فعل تقدر وجوده واذا قلت
الست تفعل قائما فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده والفرق ان لا ينفى بها المستقبل فاذا دخلت عليها الالف صار تحضيضا
على فعل ما يستقبل وليس يستعمل في نفي الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقق الحال قال ابن اسحق والسدي والكلبي نزلت في كفار
مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجر او من المدينة
يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا ابا سفين عليه يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان
يدخلوه مكة ثم يخرجوه قبل ان يتم حجة استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وهم بدؤكم اول
مرة بالقتال يعني يوم بدر لانهم حين اسلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه او المراد انهم قاتلوا حلفاء من
خزاعة او المراد ان الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها
الى المقاتلة فالبادي اظلم والحاصل انه من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال حقيق بان لا
تترك مقاتلته وان يوبخ من فرط فيها ثم زاد في التوبيخ فقال اتخشونهم فيه تقرير الخشية وتعويرها لداعية القتال منهم كما اذا
قلت للرجل اتخشى خصمك لانه يستنكف ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه فقال فالله احق
ان تخشوه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته اتم وعقابه اشد
بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفي الفاء نوع تعليل لان الاستفهام في معنى النهي كانه قيل لا تخشوهم لان
الله احق بالخشية واحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه قيل ان صح انكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد في تاكيد الامر
بالقتال فقال قاتلوهم ورتب عليه خمس نتائج الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم اي بالقتل والاسر واغتنام الاموال
وهذا لا ينافي قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه اراد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة في الاية
دلالة على ان الاشياء التي تدخل في الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على ايدي العباد واعترض الجبائي بانه لو كان
كذلك لجاز ان يقال كذب الله انبياءه على لسان الكفرة واجيب بان الامر كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب
كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب الزنى واللواط ويا رافع الموانع عنها الثانية
ويخزهم قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين في ايديهم وهو قريب من الاول
او هو وقيل هو عذاب الآخرة الثالثة وينصركم عليهم اورد عليكم من النصر يستتبعه اخزاء الخصم فاي حاجة الى افراده
بالذكر والجواب ان المغايرة كافية في افراد كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزي من جهة
المؤمنين الا ان المؤمنين يحصل لهم افة بسبب اخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة
ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة وعن ابن عباس بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى
شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب الخامسة ويذهب غيظ
قلوبهم قيل شفاء الصدور واذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب اخص من الصدر كقوله يا
دار مية بالعلياء فالسند او شفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة
بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى وقوع الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق
النبي واعجازه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد
اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى
كقوله فاصدق واكن اما ان التوبة كيف تقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال قد يصير سببا لتوبة بعضهم
عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا فاذا اقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة
وايضا ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد توالي النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن
جميع الذنوب وقد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهي عن الحرام وايضا الانسان حريص
على ما منع فاذا انفتحت عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عن الدنيا

وهذا هو احد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
يعني بعد حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا والله عليم بكل ما يجري في ملكه وملكوته حكيم مصيب في
افعاله واقواله واحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله الا تقاتلون الاية ترغيب في فتح مكة لا الفاتحة المذكورة
مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين انه ليس الغرض من ايجاب
القتال نفس القتال وانما المقصود ان تولى به انقيادا لامر الله ولتكاليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال ام حسبتم الاية
وقد مر وجه اعرابه في ال عمران عند قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف
على جاهدوا داخل في حيز الصلة والوليجة البطانة يعني الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون
في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجتهم وهي وليجتهم يستوي فيه الواحد والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما
انتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تمييز المجاهدين من المنافقين من المخلصين الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا
حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الاية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فيجدوا في استقامة السير ويجتهدوا في تفادي التقصير التاويل براءة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التي اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا اضدادا للروح والقلب في اوان
الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا في ارض البشرية اربعة اشهر هي مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية
والشيطانية والانسانية واذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال و
الحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشركي الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية
باقناء بها في الارض اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وركنتم الى غير الله فاعلموا انكم غير معجزي الله عن
التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة فبالبلايا القطيعة الا الذين عاهدتم ايها القلوب و
الارواح من مشركي النفوس على التوافق في العبودية ثم لم ينقصوكم شيئا من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم احدا
من الشيطان والدنيا فاتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى اوان طلوع قمر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر
الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف فاقتلوا النفس المشركة بسيف النهي عن الشهوات حيث وجدتموهم في الطاعة
بان تخلوها اياها وفي المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم في حصار الحقيقة واقعدوا
لهم كل مرصد راقبوهم في الاحوال كلها فان تابوا رجعوا الى طلب الحق واقاموا الصلوة ادوا حق العبودية واتوا الزكوة تزكوا
عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعلموا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية الرجوع
الى البداية وان احد من مشركي صفات النفس استجارك بترك ما هو المخصوص به من الصفات الذميمة فاجره حتى يسمع كلام الله حتى
تلهم بالهام ثم ابلغه مأمنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تجذب النفس بجميع صفاتها
ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركي النفوس ثبات
على العهد وقد جبلت النفوس مائلة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال
والجلال فثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا
لهم لترجعها في مسبع رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الاول لا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب مزدوجة
في عالمي الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص
اشتروا ابدلوا لالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا واعرضوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح
والقلوب فاخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فادعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون ان السير
الى الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا في مذهب السلوك ائمة الكفر هم النفوس وهموا باخراج
الرسول يعني الواردات الغيبية بانسداد روزنة القلب اول مرة في اوان الطفولية اتخشونهم في فوات حظوظها
فالله احق ان تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله
على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادي في الباطل من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس
حكيم فيما يدبر لكل منها ام حسبتم ايها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة وليجة اولياء من الشيطان والدنيا والا
والله تعالى اعلم ٥

ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم
بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة و
اتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم
الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم
خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن
يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم و
ابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا
وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب

الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ۝ ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء والله غفور رحيم ۝ يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ۝

القراءة مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع ابو بكر وحماد وجبلة وضاقت ونحوهما بالامالة حمزة رحبت ثم مظهر ابو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى **الوقوف** بالكفر اعمالهم لعطف المختلفتين خالدون المهتدين في سبيل الله عند الله والظالمين لئلا يشتبه بالوصف وانفسهم لان ما بعده خبر الذين عند الله الفائزون مقيم لان ما بعده حال ابدا عظيم على الايمان الظالمون بامره الفاسقين كثيرة لعطف الظرف على الظرف حنين لان اذ ظرف نصركم مدبرين للاية والعطف كفروا الكافرين من يشاء رحيم نصف الجزء هذا ان شاء حكيم **التفسير** انه سبحانه بدا بالسورة بذكر براءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضايحهم وقبايحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جايزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي كرم الله وجهه له فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليهم ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام ومن قرا على الجمع فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها وهذا اكد لانه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءة القران من تصريحك بذلك او يراد المسجد الحرام لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما رمه و اما كثرة اتيانه للصلوة والاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك واما رمته وتعهده فليس للمشرك هذا ايضا لانه يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون للكافر منة على اهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روي انه صلى الله عليه وسلم انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانه صلى الله عليه وسلم كانه اراد ان يكون ذلك بمحضر منه وهو في المسجد وقوله شاهدين على انفسهم حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر وفي تفسير هذه الشهادة اقوال اصحها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقران ولهذا قال السدي هي ان النصراني اذا قيل له ما انت قال نصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن يقول عابد الوثن وقيل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام الجائع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد ولهذا قال وفي النار هم فيها خالدون ولافادة هذا التركيب الحصر احتج الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له اهلية عمارة المساجد فقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر لان المرء ما لم يعرف المبدا والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقي من الله والى الله ولهذا ورد في الحديث المصطفى يا جبريل وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة ترك ذكره وقيل دل عليه بقوله واقام الصلوة واتى الزكوة لانهما معلومتان من افعاله ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة لا ريب فيها عمارة المسجد والحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوايف الفقراء والمساكين لاخذ الزكوة ولان ايتاء الزكوة واجب وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه لم يشتغل

بعمارة المساجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم انه لو اتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له بل يجب على المؤمن ان يختار في جميع الاحوال رضوان الله على غيره فان ذلك لو ضره في العاجل فسينفعه في الاجل وفي ادخال كلمة عسى في صدر الاية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد [illegible] عن العبادة [illegible] وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره ومن عمارة المسجد تعظيمه والذكر فيها [illegible] وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من اسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان امرهم [illegible] اصلاح حالهم [illegible] في الدارين دايرا بين عسى ولعل فما ظنك [illegible] المشركين ومعظمهم وفيه ان المؤمنين يجب ان لا يغتروا بالله عز وجل [illegible] ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب [illegible] العباد ثم قال اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد [illegible] الفضيلة [illegible] في مقابلة الايمان بالله والجهاد ثم قال المفسرون في الاية [illegible] مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن كقوله كمن امن وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ويروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمارة المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود بل انتم افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله اولئك اعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول ايضا درجة وقصته ما روي عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الاية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه ولو شئت بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما ادري ما تقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي للعباس ان كان اسلمت الا تهاجر الا تلحق بالنبي فقال الست في افضل من الهجرة اسقي الحاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الاية فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف اي اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كخصال من امن ثم كان لسائل ان يسال ما بال احد الفريقين لا يشبه بالاخر فلا جرم قال لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم واي ظلم اشنع من وضع اخس الموجودات وهو الاصنام مقام اشرفها وهو الله سبحانه فانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقعت في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر القهر فافهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين امنوا الاية ثم قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله اعظم درجة يوجب ان يكون المفضول ايضا درجة لكنه ليس للكافر درجة واجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم او المراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر والمراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولا شك انهما من اعمال الخير او موجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله عند الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون وكذا في قوله واولئك هم الفائزون دلالة على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات التنكير فيها يفيد انها وراء وصف الواصفين قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم فيها نعيم اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلثة الفاظ مؤكدات اولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها ابدا وقال اهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة وقد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا اعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى اعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله وجنات اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون

عند ساحات رفع الدرجات الحسنيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان الذى رباكم فى الدنيا بالنعم التى لا احد لها
يبشركم بخيرات دايمة وسعادات باقية لا حد لها ويجوز ان يكون الرحمة اشارة الى رضاء العبد بقضايه فيسهل عليه الغموم
والافات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعى الى ربك راضية مرضية ثم اكد المعانى المذكورة بقوله بقوله
ان الله عنده اجر عظيم وفى تصدير الجملة بان وفى لفظ عنده وتقديمه وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبى
لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من
يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون انشدك الله ان تدعنا الى غير شئ فنضيع فيرق فيجلس معهم
ويدع فنزل فيهم يا ايها الذين لا تتخذوا الى تمام الايتين وذكروا فى وجه النظم ان هذه الاية جواب عن شبهة اخرى قالوها وهى انه
كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الاباء
والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو فى الاصل طلب المحبة ثم ان النهى كان يحتمل ان يكون نهى تنزيه
لا تحريم فلاز الله ذلك الوهم وختم الاية بقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد ان يكون مشركا مثلهم لان
الرضا بالشرك شرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب فيه ويبغض فى الله اقرب الناس اليه وعن ابن
عباس هى فى المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا ان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا
رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا فى الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا
وبقينا ضايعين فنزلت قل ان كان اباؤكم الاية فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض قرابته فلا يلتفت
اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت فى سبعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم
قال الواحدى عشيرة الرجل اهله الادنون وهم الذين يعاشرونه من قراء على الواحد فلان العشيرة اسم جمع ومن قراء على الجمع فلان كل
واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا يكاد العرب يجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمع على عشاير والقران حجة عليه والاقتراف
الاكتساب واصل التركيب يدور على الدنو والكاسب يدنى من نفسه ويدخله تحت ملكه والتركيب المذكور فى غاية الحسن لان
اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة ثم البعيدة ثم ان يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات
المثمرة وفى اخر المراتب الرغبة فى الاوطان التى بنيت للسكنى فبين الله تعالى انه يجب تحمل هذه المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما
وذكر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية اولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله فتربصوا
انتظروا بما تحبون حتى ياتى الله بامره عن الحسن هو عقوبة عاجلة او اجلة وقيل يعنى القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة
وفيه بعد لما روى ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن طاعة الله الى معصيته
ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين اراد ان يبين ان كل من اعرض عن الدنيا لاجل مصالح
دينه فان الله تعالى يراعى مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة قال
الواحدى النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر وموطن الحرب مقاماتها
ومواقفها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولاها كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلى
الله عليه وسلم وهى على ما فى الصحاح ثلث عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير واحد وغزوة الخندق وذات الرقاع و
غزوة بنى المصطلق وغزوة انمار وغزوة ذى القرد وخيبر والحديبية والفتح ويوم حنين واستبعد صاحب يوم حنين
منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اى ونصركم يوم حنين لان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه
هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم ثم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا فى جميعها ويجوز ان يكونا منصوبا باضمار
اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد فى عطف الزمان على المكان وما حصل بدلا عن الزمان لا يلزم
ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطايف قال المفسرون لما فتح مكة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بقيت ايام من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا فى عدد
عسكر رسول الله حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر الفا عشرة الاف الذين حضروا مكة والفان من الطلقاء الاسارى
الذين اعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبى كانوا عشرة الاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن
وثقيف اربعة الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهى المراد من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لانه كان فى الاحوال كلها
متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلن تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة اى لم يعطكم الكثرة

بدفع حاجتكم ولم تفدكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور
فى موضع الحال اى ملتبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا فى الارض ذات
الطول والعرض موضعا يصلح لهربكم اليه فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اى انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت
هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا واكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والذى لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم دبره قط ولقد رايته وابو سفيان اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب
وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالى وكانت بغلته شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس
رجلا صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق واخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال حدهم مدبرا وكيدهم كليلا ولم يبق منهم احد الا وقد امتلات عيناه
من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم انزل الله سكينته رحمته التى سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين
الذين كانوا انهزموا او على الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وانزل جنودا لم تروها يعنى الملائكة ستة عشر الفا
او ثمانية الاف او خمسة الاف على اختلاف الرواية وعن سعيد بن المسيب قال حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين قال
لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه
ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا وقتلوا واختلفوا فى قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا فى هذا
اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر الحسنة فى قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا اى بالقتل والاسر واخذ الاموال
وسبى الذرارى احتج الاشاعرة بانزال السكينة وهى داعية السكون والثبات وبقوله وعذب على ان الدواعى والافعال
كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الله بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان الحنفية تمسكوا فى مسئلة الجلد مع التغريب بقوله
تعالى الزانية والزانى فاجلدوا وقال الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافى وكون الجلد كافيا يمنع ان غيره يكون مشروعا معه واجابت
الشافعية بانه تعالى قال فى هذه الاية وذلك اى الاخذ والاسر جزاء الكافرين سمى الجزاء العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب
الاجل باقية اما قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك اى يسلم ناس منهم روى ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا وقالوا يا رسول الله انت
خير الناس وابرهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبى يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال ان عندى ما ترون يعنى العساكر الفقراء ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل
بالاحساب شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا
بالاحساب شيئا فمن كان فى يده شئ وطابت نفسه ان يرده فشانه فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا
رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلكم الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا ثم
انه سبحانه اجاب عن شبهة اخرى لهم وذلك ان عليا كرم الله وجهه حين قراء عليهم براءة ينبذ عليهم عهدهم قال اناس يا اهل مكة
ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قال فى الكشاف
هو مصدر كالقذر ومعناه ذو نجس وقال الليث انه صفة يستوى فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس ورجلان نجس وامراة
نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة فى الوصف واختلفوا فى تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان اعيانهم
نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضاء وهو قول الهادى من ايمة الزيدية واما الفقهاء فقد اتفقوا
على طهارة ابدانهم واحتج القاضى على ذلك بما روى انه صلى الله عليه وسلم شرب من اناءهم وبان لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة
بسبب الاسلام واولوا الاية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث او انهم بمنزلة الشئ النجس فى
وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم وان كفرهم الذى صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشئ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا فى هذا النهى فعن ابى حنيفة واصحابه ان المراد المنع
من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك ساير المساجد على المسجد الحرام فى المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام
بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين ان يقربوه راجع
الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله
ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم فى قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا
خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر فسوف يغنيكم الله من فضله اى من تفضله بوجه اخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر

فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم بالفئ وعن مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك اعود عليهم واعلم ان هذه الاخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يغتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء وليعلم ان حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور وضابط الاسلام ولهذا ختم الاية بقوله ان الله عليم اى باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **التاويل** ما كان للمشركي النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتقيد الهوآء حبطت اعمالهم التي صدرت عنهم برياء وسمعة انما يعمر القلوب من امن بالله واليوم الاخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية والام المناجات مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحظوظ الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهواء لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدي القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين امنوا اى القلوب المؤمنة وهاجروا اى الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم ببذل الموجود والجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس الوجود بتجلي صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم اى من وصل الى مقام العندية فالله العظيم اجره لا تتخذوا اباءكم الايتان فيهما اشارة الى من اثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد ابطل استعداد الفطرى بقبول الفيض الالهي ويوم حنين اى حنين حنت قلوبكم شوقا اليه الى لقاء ربها وحسبتم انكم تبلغون بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود ثم عرضتم عن الطلب اذا حجبتم بحجب العجب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله سكينته وهي واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى قلوب المؤمنة وانزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اى علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعي انما المشركون نجس النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا تقربوا القلب بعد عامهم هذا وهي حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب عن اتباع النفوس وامرها بقتالها ومنعها عن طوفها لئلا ينجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس واوصافها وان خفتم عيلة حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحق فضله

حكيم فيما دبر من قتال النفوس ه

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون

هو الذي

هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

القرآءة عزير ابن الله بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمز عاصم غير الخزاز الاخرون يضاهون بحذف الهمزة ان يطفوا وليواطوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وهمزة في الوقف وان ساكن الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد والخزاز انما النسيّ بالتشديد ورش من طريق البخاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة غير العجلي وحفص لقصه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي واوقية ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد **الوقوف** صاغرون المسيح ابن الله بافواههم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف من قبل قاتلهم الله يؤفكون ابن مريم لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا واستينافا واحدا لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو يشركون الكافرون كله لتعلق لو بما قبله المشركون عن سبيل الله في سبيل الله لتعلق الفاء اليم اى في يوم وظهورهم تكنزون حرم يقاتلونكم كافة المتقين فيحلوا ما حرم الله اعمالهم الكافرين **التفسير** انه سبحانه لما ذكر شبهات المشركين واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب والمقصود تميزهم من المشركين في الاخذ الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب في اهل الكتاب القتال والجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب فدل ذلك على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فاورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله واجيب بان اولياءهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم ان يكون اكثر المتكلمين كذلك فالاشعري من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضي انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه والقاضي اثبت لله ادراك الطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ ابو اسحق انكره والقاضي اثبت للصفات سبعة احوال معللة بتلك الصفات وغيره

انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والاخرون انكروه
وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد
واختلفوا في ان خلاف المعلوم هل هو مقدور ام لا واما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من ان تحصى فههنا لو يجب
بان الجسم خالف في الذات لانا نقول ان الاله جسم والبرهان دل على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف
في المسائل المذكورة فراجع الى الصفة فظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية القائلين بان كلام الله تعالى يحل
في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القران كما نكفر النصارى القائلين بان اقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة الثانية انهم
لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقران دل على ان اهل الجنة ياكلون ويشربون
وبالحوراء يتمتعون اما السعادات الروحانية فمتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون
ما حرم الله في القران والرسول في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال الواقدي اي لا يعملون بما في التورية والانجيل
بل حرفوها واتوا باحكام توافق شهواتهم الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق اي لا يعتقدون في صحة دين الاسلام الذي
هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة
من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطي المعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على
اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى عن يد ان اريد بها يد المعطي اي عن يد
مواتية غير ممتنعة يقال اعطى بيده اذا انقاد واصحب والمراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على
يد احد وان اريد بها يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية اي بسببها كقوله ينهون عن اكل وعن شرب
اي يتناهون في السمن لسببها او المراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم بدلا عن ارواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود
موحدين فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به في حق الكل لعدم الامتياز ولوجود
الصفات الباقية اما مقدار الجزية فعن انس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على فقرائهم في السنة
اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين فذهب الشافعي الى ان اقل الجزية دينار ولا يزاد
على الدينار الا بالتراضي وذهب ابو حنيفة الى ما قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة
اهل الكتاب وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر وذلك ان لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك ان كتابهم من الصحف
التي نزلت على ابرهيم صلوات الله عليه قد رفعت الى السماء لاحداث قد احدثوها وليس المقصود من اخذ الجزية تقرير الكفرة على
كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون في كتابهم ليعرفوا صدق
محمد وما دعاهم اليه وايضا فيه حرمة انبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة ابائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التورية و
الانجيل واما قوله وهم صاغرون فمعناه انه لا بد مع اخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه ان طبع العاقل
ينفر عن تحمل الذل فاذا امهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلايل فالظاهر ان مجموع ذلك يحمله على الانتقال
الى الاسلام وفسروا الصغار في الاية باخذ الجزية على سبيل الاهانة بان يكون الذمي قائما والمسلم الذي ياخذ الجزية قاعدا
ويامره بان يخرج يده من جيبه ويحني ظهره ويطاطئ راسه فيصب ما معه في كفة الميزان وياخذ المستوفي بلحيته ويضرب في
لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس اخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند ابي حنيفة
دون الشافعي وانما تؤخذ عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي ولا يؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امراة ولا صبي ولا
ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه وتضرب على الزمن والعسف والشيخ الفاني والراهب والاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان
الجزية بمنزلة الكراء يستوي فيه المعذور وغيره قال الشافعي في احد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول
اخذنا ان ايسر والا فهي في ذمته الى ان يوسر وهكذا في كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام او نائبه الذي فوضه اليه لانه
من الامور الكلية وكيفية العقد ان يقول اقررتكم او اذنت لكم في الاقامة في دار الاسلام على ان يبذلوا كذا وينقادوا للاحكام
التي يراها الامام ولا يقر اهل الكتاب بالجزية في ارض الحجاز لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي
هو مكة والمدينة ومخاليفها اي قراها وما روي انه صلى الله عليه وسلم اوصى بان تخرج اليهود من جزيرة العرب فمحمول على ان المراد الحجاز
جمعا بين الحديثين وقد بقي في الاية نكتة قالها بعض العلماء في ان المسلم لا يقتل بالذمي لان قوله قاتلوا يشتمل على اباحة دمهم وعلى عدم
وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتفى عند انتفاء الجزية ولكن انتفاء المجموع يكفي فيه انتفاء احد جزئيه
واحد الجزئين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الاخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم بعدها والجزية كما كان وللقائل ان يقول

لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص [illegible] والحكمة في الاية المتقدمة انه اهل الكتاب كانوا [illegible]
بالله شرع في اثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله العلم مبتدا والابن خبره ومن اسقط التنوين من عزير فلانه
اسم اعجمي [illegible] فيمتنع من الصرف [illegible] ولكن الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم والكسائي [illegible] اسقط
التنوين لالتقاء الساكنين [illegible] الابن صفة والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر [illegible]
احتمال الذم الى الخبر دون الوصف وحينئذ يحصل تسليم كون [illegible] ومعلوم ان ذلك كفر فهذا قال ناس من اليهود بالمدينة وما هو
يقول كلهم [illegible] على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول ويجالس الملوك ولعله لم يركب
الا فرسا واحدا [illegible] جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف
فقالوا ذلك وعنه ايضا ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله التورية ونسخها من صدورهم فخرج عزير [illegible]
تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التورية في قلبه فانذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبيد بن عمير
انما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وقيل اهل هذا المذهب كانوا فانقرضوا [illegible]
اليهود والله اصدق وقال في الكشاف الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع
تهالكهم على التكذيب واما النصارى فلا شك انهم يقولون ذلك [illegible]
كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع الحرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جماعة من
اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا
النار واني احتال فاضلهم فعرقب فرسه واظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على راسه التراب وقال نوديت من
السماء ليس لك توبة الا ان تتنصر وقد تبت فادخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج منه وتعلم الانجيل فصدقوه
واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف رجلا اسمه نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم و
علمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه ابن الله وعلم رجلا اخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا
رجلا اخر يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي وادع
الناس الى نحلتك ولقد رايت عيسى في المنام فرضي عني واني غدا اذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فهذا
هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى والاقرب ان لفظ الابن قد وقع في الانجيل على سبيل التشريف كما
[illegible] كما وقع لفظ الخليل في حق ابرهيم صلوات الرحمن عليه وقال المسيح عليه السلام للحواريين احبوا اعداءكم
[illegible] واحسنوا الى مبغضيكم وصلوا من [illegible] لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء [illegible]
ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود [illegible] في الطرف الاخر [illegible] لفظ الابن
على البنوة الحقيقية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم بافواههم [illegible]
[illegible] قول لا يعضده برهان بل البرهان دال على نقيضه [illegible] عن الحاجة والشهوة
والمصاحبة واتخاذ الصاحبة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يضاهئون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الكتاب [illegible] الملائكة بنات
الله وقيل الضمير في يضاهئون للنصارى [illegible] قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود اقدم منهم
ثم قال على عادة محاورات العرب [illegible] انى يؤفكون [illegible]
يقال لهم [illegible] شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله [illegible]
[illegible] الاشراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم [illegible]

الذي نهاه اياه الرهبة من قلبه على وجهه وليابسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان
بعلماء النصارى من اصحاب الصوامع واختلفوا في معنى اتخاذهم اياهم اربابا والاتفاق على انهم لم يعتقدوا انهم الهة
العالم فقال اكثر المفسرين المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم نقل ان عدي بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يقرأ سورة براءة فلما وصل الى هذه الاية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون
ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال
انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا ياخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله
قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج لان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان
الا انه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك الاتباع المعظمين لمتبوعهم قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى قد
شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في مسايل كانت تلك الايات مخالفة لمذاهبهم
فيها ولم يقبلوا تلك الايات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الي كالمتعجب يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع ان
الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تاملت حق التامل وجدت هذا ساريا في عروق الاكثرين قلت ولعلهم توقفوا لحسن
ظنهم بالسلف لانهم وقفوا على من تلك الاي على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية
اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يبالغ عندهم الشيخ في ذلك اذا كان مزورا طالبا
وقد يرضى ليسجدونه له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا تليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف
بالامم السالفة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة والالهية والسبب في افراد المسيح بالذكر ان قولهم فيه اشنع
من قولهم في الاحبار والرهبان او لان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا احبارهم والمسيح بن مريم
اربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا وما امروا الضمير للمتخذين والذي امرهم بذلك ادلة العقل والكتب وفي
وفي القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار والرهبان اي وما امر
هؤلاء الذين هم عندهم الارباب الا بان يكونوا موحدين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال سبحانه عما يشركون ثم ذكر نوعا اخر من قبائح
افعال اهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال امر محمد وجدهم في اخفاء الدلايل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون ان يطفئوا
نور الله اي دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء بهما وذلك ان دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة
التي بمثلها ثبت نبوة موسى وعيسى ولا سيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف
النفس عن الامور الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة ارادوا
ابطال هذه الدلايل وكانوا يريدون ابطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة بسبب ان ينفخ فيه ولا شك ان ذلك
سعي باطل وكيد ذاهق ولهذا قال ويابى الله الا ان يتم نوره اي لم يرد الله الا ذلك الا ان الاباء يفيد زيادة على عدم
الارادة وهي المنع والامتناع قال وان ارادوا ظلمنا ابينا امتدح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك
يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصر والقوة واعلاء الدرجة ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي ارسل
رسوله بالهدى اي بكثرة الدلايل والمعجزات ودين الحق وهو اشتماله على امور تظهر لكل احد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا
للحكمة ومؤديا الى مصالح الدنيا والاخرة ثم بين غاية امره وتمام حاله فقال ليظهره على الدين كله اي ليجعل الرسول او دين
الحق غالبا على اهل الاديان كلهم او على كل دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان
وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى الخراج قلت
قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على
ان الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهر الاسلام على غيره في جزيرة العرب وهذا تخصيص اوجبه ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول
على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة
ولقائل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام
والتزام احكامه قوله هو الذي ارسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن
جهة انه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء واراد من غير معاند ولا منازع انه هو المعطي لمثل هذه النعمة العظيمة التي لا يوازيها
نعمة وهي نعمة الهدى والاسلام ولو كره الكافرون وفي الاية الثانية ولو كره المشركون لان منشأ ... الثلاثة نبيها على ان اليهود

والنصارى ايضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله زعم لانف مشركي قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى
بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق اراد ان يصفهم بالطمع والحرص يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان الاية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين
الرازي رحمه الله تعالى ولعمري ان من تامل في احوال اهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الايات كانها ما انزلت الا في
شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الخير ولا تعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة
مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة
على ان هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن المحق وانطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا
يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في ساير الامم وعبر عن اخذهم اموال الناس بالاكل تسمية
للشيء باسم الكل مما هو اعظم مقاصده وايضا من اكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كالواخذ ولهذا فان
من اخذ اموال الناس فاذا طولب بردها قال اكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم
كانوا ياخذون الرشى في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرايع وفي اخفاء نعت محمد وتاويل الدلايل الدالة على
نبوته ومنها انهم كانوا يدعون عند عوامهم الحمقى انه لا سبيل الى الفوز برضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل
الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا لا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان اولئك
الفقهاء اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا اما قوله ويصدون عن
سبيل الله فمعناه يبالغون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بدينه ثم قال سبحانه والذين
يكنزون الذهب الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز ومكتنزة اللحم واكتنز الشيء
اجتمع قيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد اراد ان يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات
عن اموالهم وقيل المقصود مانعوا الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك مال نفسه باطلا كذلك فما ظنك
بحال من سعى في اخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت له ما انزلك
هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت انا ومعوية في هذه الاية فقال معوية نزلت في اهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار
ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمن ان اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كانهم لم يروني من قبل وذكرت ذلك
لعثمن فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فلذلك اني والله لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رايت ابا ذر يقول
بشر الكانزين بوصف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض حتى يخرج
من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رايت هؤلاء كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بقريش
واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم يؤد زكوته عن عمر بن الخطاب ما
ادي زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل مال اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت ارضين وكل ما لم تؤد زكوته فهو كنز وان
كان فوق الارض وقال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس قوله ولا
ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكوة اموالهم قال القاضي ويندرج فيه ساير الحقوق من الكفارات
والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات واروش الجنايات وقال الاقلون كل مال كثير
فهو مذموم سواء اديت زكوته او لم تؤد حجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسألكم اموالكم وقوله صلى الله عليه وسلم
كل امرئ احق بكسبه نعم المال الصالح للرجل الصالح ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم يزك فهو كنز
وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمن بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان
يعدهم من اكابر المومنين وقد ندب الى اخراج الثلث والاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يامر المريض بصدقة الكل بل
الصحيح في حال الصحة حجة الاقلين عموم الاية وما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب
تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقوله من ترك صفراء
وبيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي اخر فوجد في مئزره
ديناران فقال كيتان وعن علي كل مال زاد على اربعة الاف فهو كنز اديت منه الزكوة او لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق
الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منها زائد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه
الاحسان الى عبده وقد رام طايفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله

اعدل واحكم واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له ويودي عنه ما اوجب عليه ثم يعاتبه وقال اهل التحقيق النهي عن جمع
المال محمول على التقوى لان تزايد المال لا حد له يقف هنالك فيحتاج الى تضييع العمر زيادة في تحصيله واخرى في حفظه ولانه
كلما ازداد المال ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى منها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله
ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا يجب عليه اذا ادى منه حقوقه
هذا ومن جمل الاية على وعيد مانعي الزكوة النقود قاس الزكوة في المواشي عليه وقد ورد ايضا في الحديث ما من صاحب ابل و
بقر او غنم وهو مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وساير الامتعة انما تحصل بهما وقد ورد عليهما
ولمن اوجب الزكوة في الحلى المباح الاستدلال بالاية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يجب الزكوة فيه خصص عموم الاية
بما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكوة في الحلى المباح ولم يصححه ابن عيسى الترمذي وبتقدير ان يصح حملوه على اللالي لقوله
تعالى وتستخرجوا حلية تلبسونها ولقايل ان يقول لو حملنا الحلى في الحديث على اللالي لم يبق لقيد المباح فايدة ثم انه تعالى
ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عايد الى المعنى وهو الكنوز او الاموال ولان كل واحد منهما جملة
فيمة وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ اي ولا ينفقوا من الفضة
وحذف الذهب اما لانه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر احدهما عن الآخر
كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا واما لان التقدير والذهب كذلك
كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك ثم قال فبشرهم بعذاب اليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم
ولو قيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح او الغم كان حقيقة يوم يحمى عليها
معناه ان النار تحمى عليها اي يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم يحمى اي الكنوز لقولك احميت
الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول دفعت القصة
الى الامير فان لم يذكر القصة قلت دفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذكر العلماء في تخصيص هذه الاعضاء
بالكي وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح في القلب يظهر اثره في الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة
يطرحونها على ظهورهم فعوضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تالمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الاعضاء
الشريفة ومنها انهم يكوون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين
ومنها ان المراد وقوع على الكل الاعضاء ولانها اما في غاية اللطافة ومثاله الجبهة واما في نهاية الصلابة ومثاله الظهر واما
متوسط ومثاله الجنبان ومنها ان الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعوض
بازايهما ومنها قول ابي بكر الوراق خصت بالذكر لان ذا المال اذا راى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه
ظهره وانا اقول ويحتمل انه اراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف حين خلف ما اعقبه الحسرات
وبالجنبين اليمين واليسار حين لم يصرف المال في مرضات الله وانفقه في معصيته وسخطه وهذا بالتاويل اليق ثم الذي جعل
كيا هو كل ماله او القدر الزكوي الظاهر انه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شايعا في كل ما له فناسب ان يعذب بكل
الاجزاء ثم قال هذا ما كنزتم لانفسكم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم وفيه توبيخ واشعار بانهم عوضوا بنقيض ما
قصدوا اكذلك بقوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ما مصدرية او موصولة والمعنى اعرفوا وبال كونكم كانزين او وبال
المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبايح اعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال ان عدة الشهور الاية وذلك انه
تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسي والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب
الهوى فكان ذلك زيادة في كفرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس
والحج والسنة القمرية عبارة عن اثني عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز
ان يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني
بدل من الاول وهو من الله والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفايدة الابدال
تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون
في كتاب الله صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وعلى هذا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب الله من الكتب لان يوم متعلق
ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول اي فيما اثبت في ذلك اليوم لله

اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ
وقيل القران منها اربعة حرم ثلثة سرد اي سرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحدة فرد وهو رجب ذلك الدين
القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابرهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها
ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا
حرامها حلالا عن عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله
لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الدايم الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله
وقيل معناه ولا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه
ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب او العقاب كالامكنة وكان الحكماء يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة
وفيه فايدة اخرى وهي ان الانسان جبل مطبوعا وفيه فايدة اخرى وهي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه
من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة لطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك
ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر مطلوب في نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد
او لاعتقاده ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك
من الشارع اقرب الى اتحاد الاراء ولطايف الكلم وقيل الضمير في قوله فيهن عايد الى الاثني عشر والمقصود منع الانسان
من الاقدام على الفساد مدة عمره او المراد المنع من النسي على ما يجيء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما
ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم ولان العرب يختار فيما بين الثلثة والعشرة ضمير الجماعة وفيما
جاوز العشرة وهو جمع الكثرة يختار ضمير الواحدة قال حسان شعر لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن
من نجدة دما ويقال لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قايل وقاتلوا المشركين وظاهر الاية
يدل على اباحة القتال في جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا
تزاحموا فكف بعضهم بعضا ونصبه على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا
يجوز ان يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا جمعا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان
فعن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تخلوهم بترك القتال كما انهم يستحلون مقاتلة جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين
في مقاتلة الاعداء ومقاتليهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا
ان الله مع المتقين حث لهم على التقوى وعلى الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم فسر الظلم المنهي عنه في الاية المتقدمة وكذا النهي
عنه بقوله انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره كالنذير والنكير وقال قطرب اصله الزيادة من قولهم نسأت المراة اذا حبلت لزيادة
الولد فيها وردبانه يقال لها ذلك لتاخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى
الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا المعنى غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في
الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وايضا اطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان
مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤل الى اعتقاد تحليل ما هو حرام
وبالعكس وفي قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او بالحقيقة
وتقدم مرارا يحلونه عاما الضمير فيه عايد الى النسيء قال الواحدي اي يحلون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا
في الشهر الحرام ويحرمون التاخير عاما وهو الذي يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات
وكان يشق عليه مكث ثلثة اشهر متوالية من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او المحرم حرب وغارة اخروا تحريم
ذلك الشهر الى شهر اخر وقال الواحدي واكثر العلماء على ان هذا التاخير كان من المحرم الى صفر ويروى انه حدث ذلك في كنانه
لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته
ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا
يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليواطئوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا
ولم يعلموا انهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله اي من القتال وترك الاختصاص قال
اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه كان كل واحد منهم يطأ حيث يطأه صاحبه والايطاء في الشعر من هذا
وهو ان ياتي في القصيدة بقافيتين معناهما واحد قال ابن عباس انهم ما احلوا شهرا من اشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا اخر من الحلال

ولم يحرموا اشهر من الحلال الا احلوا مكانه شهرا اخر من الحرام لاجل ان يكون عدة الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا
هو المراد بالمواطاة وللاية تفسير اخر وهو ان يكون المراد بالنسئ كبس السنين بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة
القمرية اعنى اثنى عشر شهرا قمريا هى ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة
الشمسية وهى عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا
قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان ينتقل
الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا فى الشتاء مرة وفى الصيف اخرى وكذا فى الربيع والخريف وكان يشق الامر
عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف مكان يختل اسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب اجتمعوا على
الكبيسة بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفى
فكبسوا تسع عشر سنة قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا فى السنة الثانية شهرا ثم فى الخامسة
ثم فى السابعة ثم فى العاشرة ثم فى الثالثة عشرة ثم فى السادسة عشرة ثم فى الثامنة عشرة وذلك ترتيب وهو بجزج
عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزائد هو الكبس وسمى بالنسئ
لانه المؤخر والزائد عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روى انه صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع وكان فى جملة ما خطب
به الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل
النسئ الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فى نفس الامر وكانت حجة ابى بكر قبلها فى ذى القعدة
التى سموه ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم فى هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله
بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم ايضا
ما لزمهم فى التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما اى
يحلون النسئ فى عام الكبس ويحرمونه عاما اى فى غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله ما روى انه كان
يقوم فى الموسم منهم خطيب ويقول انا انسئ لكم فى هذه السنة شهرا وكذا افعل فى كل سنتين او ثلث حتى يأتى حجكم وقت
الادراك فنسئ المحرم ويجعله كبسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فيكون محرم عليهم واحدا بما يرى على وفق مصلحتهم
واخر الاخر وباقى الاية قدم تفسيره مرارا والله تعالى اعلم التاويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتبعيد
ولا باليوم الاخر اى لا يعملون للاخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها راس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون
دين الحق اى لا يطلبون الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهى معاملتها على خلاف
طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود النفس ان عزير القلب ابن الله وذلك انعكس عن مرآة القلب اثار
انوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كان اليهود لما سمعت التورية والعلوم التى هى عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت
نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب فى صفة الربوبية والخلافة مقرونا بصفة ابداع الحق فى
تشريف اضافة ونفخت فيه من روحى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكفرة الذين اتخذوا احبارهم اى قلوبهم ورهبانهم
اى ارواحهم اربابا والمسيح بن مريم وهو الخفى وذلك ان الخفى هو اول مظهر للفيض الالهى الذى منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس
ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى ان يرى الكل من الحق فان رؤيته ذلك من شان القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما راى يريدون
اى النفوس ان يطفئوا نور الله الذى رش على الارواح فى بدء الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذى
ارسل رسوله وهو النور المرشد بالهداية الى الله وطلب الحق ليظهره فى طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح
لياكلون اى يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا فى الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها
فى سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمى ترك الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها فى نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب
والارواح لانها استغوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا يتجافى جنوبهم عن المضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا
حق التواضع والخشوع فيما امرهم هذا الذى اصابكم من الم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الان الم كنز نار الحرص
لانكم لم تذوقوا فى الدنيا حيث كنتم فى مقام الغفلة منها اربعة حرم فيه اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله
يجب ان يجعل اوقات عمره اثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الاخرة وثلثا من الحرم
ان يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظته فى غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين

القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان فى سلوكه اعوجاج ثم ذكر ان من شان النفوس المشركة انها ان اقبلت على طاعة اخرها
عن وقتها وهو النسئ الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت

ان ذلك التاخير ... ثم الايناس به

يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله
اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة
الدنيا فى الاخرة الا قليل ۝ الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما
ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير ۝
الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين
اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل
الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ۝ انفروا
خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون ۝ لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا
لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون ۝
عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين ۝ لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين ۝ انما يستاذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم
يترددون ۝ ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره
الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ۝ لو خرجوا فيكم

ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة
وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين • لقد ابتغوا الفتنة
من قبل وقلبوا لك الامور حتّى جاء الحقّ وظهر امر الله وهم
كارهون • ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنّى الا فى الفتنة
سقطوا • وانّ جهنّم • لمحيطة • بالكافرين •

القراءة وكلمة الله فى النصب يعقوب الباقون بالرفع الوقوف الى الارض من الاخرة قليل شيئا قدير
معنا لعطف انزل على نصره مع عوارض الظروف السفلى الا لمن قرأ وكلمة بالنصب العليا حكيم فى سبيل الله تعلمون الشقة
معكم لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال الكاذبون عنك لحق الاستفهام مع اتصال الكلام معنى الكاذبين وانفسهم بالمتقين
يترددون القاعدين الفتنة لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لهم بالظالمين كارهون ولا تفتنى سقطوا بالكافرين

التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب فى قتالهم عن ابن عباس انها نزلت فى غزوة تبوك سنة عشر و
ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رجع عن الطائف اقام بالمدينة اياما فامر بجهاد الروم فاستثقله الناس لكون الزمان زمان الضيق و
القحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود اسباب الرفاهية بالمدينة
لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج فى غزوة الا ورّى عنها
بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم الذين
يخرجون النفير واصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا فى فادارأتم ومعناه تباطأتم وانما عدى بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد الى
الارض اى مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام فى ما لكم
الانكار وقرى اثاقلتم على الاستفهام للانكار ايضا فيكون جواب اذا فعلا اخر مدلولا عليه باثاقلتم كتحوملتم وذلك
ان جواب اذا عامل فى اذا والاستفهام لا يعمل فى ما قبله ويجوز على هذا ان يكون اذا لمجرد الظرفية والعامل فيه ما فى ما لكم
من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن فى من الاخرة للبدل كقوله جعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون كانه
قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع فضايحهم التى تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا طاعة
المعبود المستلزمة لثواب الاخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة اى فى جنبها وفى مقابلتها الا قليل
ويجوز ان يراد بالقلة العدم اذ لا مناسبة للمتناهى الذى الزايل الى غير المتناهى الباقى والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من
جميع المخاطبين لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا انه لما اعطى للاكثر حكم الكل واطلق لفظ الكل
على الاغلب لما رغبهم فى الجهاد بعرض الثواب عليهم رغبهم فيه بعرض العقاب فقال الا تنفروا ورتب ثلث خصال الاولى قوله
يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر
وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذى كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الاخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق
الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما غيركم يعنى قوما اخرين خيرا منهم والموعود قيل هم اهل اليمن من ابى روق وقيل ابناء
فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل انه اراد بهم الملائكة وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء
الاية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيئا قال الحسن الضمير لله وفيه انه غنى عنهم فى نصرة دينه بل فى كل شىء وقال
اخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه ووعد الله كان لا محالة وفى قوله والله على كل شىء قدير تنبيه على انه
قادر على نصرة رسوله باى وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف امره كاينا من كان عن الحسن وعكرمة ان الاية منسوخة
بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائى
فى الاية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضى فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان
مع الرسول او لا كقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول وعن من قال ان الضمير فى قوله ولا تضروه عايد الى الرسول

نحوا ان خصوص آخر الاية لا يمنع من عموم اولها ثم رغبهم فى الجهاد بطريق آخر فقال الا تنصروه فقد نصره الله وهذا
كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه
الا رجل واحد ولا اقل من الواحد وفيه انبا انه اوجب له النصرة وقيل فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه الذين كفروا
ان الجاؤه الى ان خرج ظرف لنصره وثانى اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما وقوله
اذ هما فى الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم فى الجبل والمراد به ههنا نقب فى اعلى ثور وهو
جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا فى سورة الانفال ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم واذ يمكر بك الذين كفروا فامره الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر
عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل ابو بكر يلتمس ما فى الغار فقال له الرسول ما لك فقال بابى انت
وامى الغيران ماوى السباع والهوام فان كان فيه شىء كان لابى بكر فخرق وسد الجحر وبقى جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا
يخرج منه ما يؤذى الرسول صلعم فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكى ابو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين
فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون
حول الغار ولا يفطنون له قد اخذ الله ابصارهم عنه واستدل اهل السنة بالاية على افضلية ابى بكر وغاية اتحادهم
ونهاية صحبته وموافقة باطنه وظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه فى مثل تلك الحالة وانه كان ثانى رسول الله فى الغار
وفى العلم لقوله ما صبّ فى صدرى شيئا الا وصببته فى صدر ابى بكر وفى الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم عرض
الايمان اولا على ابى بكر فامن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمن بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة
وكان رضى الله عنه لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم فى الغزوات وفى اداء الجماعات وفى المجالس والمحافل
وقد اقامه فى مرضه مقامه فى الامامة ولما توفى دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ثانى اثنين من اول
امره الى اخره ولو اخرنا الحزم قدرنا انه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك السفر لزم ان لا يقوم بامره ولا
يكون وصيه الا ابو بكر وان لا يكون يبلغ ما حدث فى ذلك الطريق من الوحى والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهى عن
الحزن مطلقا والنهى يقتضى الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون
من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غير ابى بكر من
الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن انكر صحبة ابى بكر فانه يكون كافرا لانه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن
اجابت الشيعة بان كونه ثانى اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا لكل ثلثة فى قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا
عام فى حق كل كافر ومؤمن وكون المصاحبة موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت
بالذى خلقك وكما احتمل ان يقال انه صلى الله عليه وسلم استخلصه لنفسه فى هذا السفر لاجل الشفقة احتمل ان يكون ذلك
لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه او يوقفهم على اسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب وخطأ سلمنا دلالة
الاية على فضل ابى بكر الا ان اضطجاع على كرم الله وجهه على فراشه اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجاب من اهل السنة بان كون الله
رابعا لكل ثلثة امر مشترك وكونه ثانى اثنين تشريف زايد اختص الله ابا بكر به على ان المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا
بالصحبة والموافقة فاين احديهما من الاخرى والصحبة فى قوله قال له صاحبه مقرونة بما يقتضى الاهانة والاذلال وهو قوله
اكفرت وفى الاية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب ان الشيعة اذا خلفوا
قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل واستنكروا ان يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذى ذكروه مدفوع بما روى ان ابا بكر هو
الذى اشترى الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن ابى بكر واسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهم كانا ياتيانهما بالطعام مدة مكثهما فى الغار
وذلك ثلثة ايام وقيل بضعة عشر يوما وروى ان جبريل وهو جامع اسماء فقال اسماء قد اتيتك بجنية ففرح بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبر به ابا بكر ولو كان ابو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابنه وابنته
ونحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك انت الاعلى ويقول الملائكة لابرهيم لا تخف وبشروه
ثم انا لا ننكر ان اضطجاع على رضى الله عنه على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا ان صحبة ابى بكر رضى الله عنه اعظم لان الحاضر اعلى حالا من الغايب ولان
عليا ما تحمل المحنة الا ليلة وابو بكر مكث فى الغار ثلثا وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر منه بعد دعوة بالدليل

والحجة والاجتهاد بالسيف والسنان بخلاف ابو بكر فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال
فكان غضب الكفار على ابي بكر اشد من غضبهم على علي ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا الم لما عرفوا ان المضطجع هو ثم زعم
اهل السنة ان الضمير في قوله فانزل الله سكينته عليه الضمير عائد الى ابي بكر لا الى الرسول لانه اقرب المذكورين فان التقدير
اذ يقول محمد لصاحبه ابي بكر وان الخوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان امنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان
خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره وبقوله لا تحزن ولناسب ان يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن
واعترض بان قوله وايده عطف على فانزل فوجب ان يتحد الضمير اذ في حكم العود واجيب بان قوله وايده معطوف على قوله
فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره الله في واقعة الغار وايده في واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة
والظاهر ان الحزن لا يبعد ان يكون شاملا للنبي ايضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون في الكلام تقديم
وتاخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول او يكون فانزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة ما القى في قلبه
من الامنة التي سكن عندها وعلم انه منصور لا محالة كقوله في قصة حنين ثم انزل الله سكينته على رسوله وقوله وجعل
بعض في يوم بدر وسائر الوقائع وكلمة الذين كفروا وهي دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة الله وهي دعوته الى
الاسلام او كلمة التوحيد لا اله الا الله هي العليا في توسط كلمة الفصل اعني هي تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها مختصة
بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا احب قراءة نصب الكلمة لان الاجود حينئذ ان يقال وكلمته هي العليا الا ترى انك تقول
اعتق ابوك غلامه ولا تقول اعتق ابوك غلام ابيك قلت وفي الرفع ايضا الاستيناف وما في الجملة الاسمية من الثبات
والله عزيز حكيم قاهر غالب لا يفعل الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر
الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون اي خفافا في النفور لنشاطكم وثقالا عنه بمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم
وثقالا لكثرتهم او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبابا او شيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا
ومراضا والصحيح التعميم وان المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التي يخف عليكم الجهاد معها او على ضدها قال الاكثرون
ظاهر هذا الامر يقتضي تناوله جميع الناس حتى المرضى العاجزين ويؤيده ما روي عن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم انت الا خفيفا وثقيلا فرجع الى اهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الاعمى
حرج وقال مجاهد ان ابا ايوب شهد بدرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول قال الله انفروا
خفافا وثقالا فلا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه
من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا
الا انه من احبه ابتلاه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر
فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن انس قال قرأ ابو طلحة هذه الاية فقال
ما اسمع الله عذر احدا فخرج مجاهدا الى الشام حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان عظيما وسمينا وشكا اليه وسأله ان ياذن فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شانها على الناس فنسخها الله بقوله
ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك بالاتفاق
ولا شك انه صلى الله عليه وسلم خلف من الرجال والنساء اقواما فدل ذلك على ان الوجوب ليس على الاعيان ولكنه من فروض
الكفايات فمن امره الرسول بان يخرج لزمه ذلك ومن امره ان يبقى لزمه ان يبقى والقائل ان يبقى لا نزاع فيهما وانما النزاع
في الضعفاء والمراض ثم قال وجاهدوا باموالكم وانفسكم وفيه ايجاب للجهاد بهما ان امكن او بالنفس ان لم يكن مال فلا بد على
اسباب الجهاد او بالمال بان تستنيب من يغزو عنه ان لم يكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعني
انه خير في نفسه او انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة والنعيم العاجل وانما قال لو كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات
في الجهاد لا يدرك الا بالتامل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين عن غزوة تبوك
من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج اي لو كان المدعو اليه فحذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض للانسان من منافع
الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر والمراد بالقريب سهولة ماخذه وسفرا قاصدا اي وسطا بين القرب
والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد اي ذو قصد لان كل احد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة و
وصف البعيد بالبعد مبالغة ومحصله تحول الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لاتبعوك طمعا في الفوز
بتلك المنافع ولكنهم كانوا كالايسين من الفوز بالغنيمة ثم اخبر عنه سيحلفون اذا رجع من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق اقامة

العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلام المتخلفين
والقول مقدر في الوجهين اي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا وقوله لخرجنا ساد
مسد جوابي القسم ولو جميعا قيل في الاية دلالة على ان قوله انفروا خطابا للمستطيعين والا لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة
عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى قال من لم يخرج الى القتال لم يكن
مستطيعا للقتال عند من يجعل مع الفعل وقال الكعبي زائدا عليه فان قيل لا يجوز ان يراد انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا
يراد انهم ما كان لهم زاد ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له تعذر في ترك الخروج فمن لا قدرة له اولى وايضا الظاهر
من الاستطاعة قوة البدن واذا اريد به المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن واجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة
على الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الجالس في مكان لا يكون قادرا في اول الزمان على ان يفعل فعلا في
مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله في المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا
وعندهم فيلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الى التفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ولقائل ان
يقول انهم وان كانوا غير قادرين على القتال الا انهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال في
الكشاف يهلكون بدل من يحلفون او حال اي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب او حال من ضمير خرجنا اي لخرجنا معكم و
ان القينا انفسنا في التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم يقال حلف بالله ليفعلن او لافعلن فالغيبة على
الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء اول الكلام على التكلم واخره على الغيبة ولعل الصحيح
حينئذ ان لو قيل لخرجنا معكم نهلك انفسنا والله تعالى اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه
عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار
وبيان لما كنى عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيئان فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء
من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة
العرب في التعظيم والتوقير يقدمون امثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي
الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل ان يكون قوله لم اذنت
لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب
ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الاية دلالة على جواز الاجتهاد ولانه صلى الله عليه وسلم اذن لهم من تلقاء نفسه
من غير ان يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب او منع ولا كان عاصيا بل كافرا لقوله ولم يحكم بما انزل الله ولا
ريب انه لا يكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى
يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك
كبيرة فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد لكون الخطاء واقعا في الاجتهاد لا في النص وبدل
تحت قوله ومن اجتهد واخطا فله اجر واحد وفي الاية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار
بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله اذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم قال ابو مسلم يحتمل ان يريد بقوله لم اذنت لهم الاذن في الخروج لا في القعود فقد يكون
الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين على المسلمين واذا كان هذا محتملا فلا يحتمل تعين الاية لرخصة الاذن في
القعود قال القاضي هذا بعيد لان سياق الاية يدل على ان الكلام في القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر انه ليس
من عادة المؤمنين ان يستاذنوا لان الاستيذان من علامات النفاق فقال لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله و
اليوم الاخر ان يجاهدوا اي في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى
الله عليه وسلم في الجهاد وكانوا بحيث لو امرهم الله بالقعود شق عليهم ذلك الا ترى ان علي بن ابي طالب لما امره الرسول
صلى الله عليه وسلم بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له الرسول انت مني بمنزلة هرون من موسى و
قيل ان حرف النفي مضمر كاضمار الجار والتقدير في ان لا يجاهدوا الا ان سياق الاية يدل على ذم من يستاذن في
القعود وعلى هذا يمكن ان يقال معناه كراهة ان يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين رمز الى انهم من جملة المتقين
وان لهم ثوابهم ثم بين الذين من شانهم الاستيذان فقال انما يستاذنك الذين الاية وفيه ان الشاك في امر الدين و
في اصوله لا في بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه ان محل الريب واليقين هو القلب ليس مجرد الاداء باللسان

والالم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان الشاك متردد بين النفى والاثبات غير حاكم باحد
الطرفين وتقريره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما اولا والجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا
فاما بضرورة او نظر فهو العلم اولا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو
الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شان صاحبه كما ان
الثبات والاستقرار ديدن المستبصر قال المفسرون ان المستاذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ثم نعى على
المنافقين اسوء افعالهم فقال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان
سفرهم بعيد والزمان شديد فتركهم العدة دليل على انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير
قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن كره الله انبعاثهم اى انطلاقهم فثبطهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذى
هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو ارادوا الخروج يعطى معنى قوله نفى الخروج وكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان
الله تعالى صرفهم عن ذلك كما تقول ما احسن الى زيد ولكن اساء الى ومثل هذا يسمى في علم البديع صيغة الاستدراك
وقد يقال تاكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله
في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة لقوله عقيب ذلك لو خرجوا فيكم ما
زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحى
وكذا قول ابى مسلم ومما يوهم انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه السورة فان رجعك الله الى طائفة
منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا وقوله في سورة الفتح سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله قل
لن تتبعونا واما عندنا فانما خطى الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لان اذنه لهم قبل تمام التفحص و
اكمال التدبر ولانه لو لم ياذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان
لا يقع الحاجة الى اظهار نفاقهم بوجوه اخر دلالة على هتك استارهم وكشف اسرارهم قال معتزلة البصرة في الاية دلالة
على انه تعالى موصوف بصفة الكراهة كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله اراد عدم ذلك الشىء
ان العدم لا يصلح ان يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة يكون تحصيلا للحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة
صفة تقتضى ترجيح احد طرفى الممكن على الاخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة
العدم فكيف يكون تعلق الارادة تحصيلا للحاصل وايضا عدم الشىء المخصوص ليس عدما محضا اما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل
ان يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة وقول
بعضهم لبعض لما ارادوا الاجتماع على التخلف او هو قول الرسول كانه غضب عليهم حين استاذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا
مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا قد اذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم اذنت لهم اى لم ذكرت هذه اللفظة التى امكنهم ان
يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان الذين شانهم الجثوم في
البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب
عبد الله بن ابى عسكره على ذى جدة اسفل من ثنية الوداع ولم يكن باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
تخلف عنه عبد الله بن ابى فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى يعزى نبيه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
والتقدير ما زادوكم شيئا الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على ان التقدير
ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال في اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبى الا شرا
وقال يمان الا مكرا وقال الضحاك الا غدرا وقيل الا جبنا وقيل هو الاضطراب في الراى وذلك بتزيين امر لقوم وتقبيحه
لاخرين ليختلفوا ويتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الاية على انه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر وفيه دليل
على انه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح وللقائل ان يقول اثبات الحكم بحكمة جزئية غير معقول واعلم انه سبحانه عد من مفاسد
خروجهم ثلثة الاول قوله ما زادوكم الا خبالا الثانى ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال في الكشاف زيدت الف
الكتابة لان الفتحة كتبت الفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القران وقد بقى من ذلك الالف اثر في الطباع
فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه او لاذبحنه في النمل ولا اوتوها في الاحزاب ولا رابع لها في القران وفي
الايضاع قولان لاهل اللغة فقال اكثرهم هو متعد يقال وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله على العدو
وعلى هذا يكون في الاية حذف والتقدير ولاوضعوا ركائبهم وقال الاخفش وابو عبيدة انه جاء لازما فيقال اوضع

الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم افاض من عرفة وعليه السكينة واوضع في
وادى محسر اى اسرع وقال الواحدى الاية تشهد للاخفش وابى عبيدة وعلى القولين المراد في الاية السعى بين المسلمين
بالتضريب والنميمة والمبالغة في الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشى ومعنى خلالكم اى فيما بينكم والخلل الفرجة بين
الشيئين ويبغونكم الفتنة اى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وابغ لى اى اطلبه لاجلى ومعنى الفتنة هنا افتراق
الكلمة والتشويش في المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول تحصيل اختلاف الاراء و
من الثانى المشى بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد و
ابن زيد اى عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل
والقابل وقع الاثر على اكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المومنين مع قوة
دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام او لمن جبل على الجبن والفشل او لمن حسن ظنه ببعض
المنافقين لقرابته وهيبته وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف يخيف او اهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الاية
بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين
كيد اهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثنى عشر رجلا
من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن
ابى يوم احد حين انصرف عن النبى صلى الله عليه وسلم مع اصحابه ومعنى الفتنة السعى في تشتت المسلمين والاختلاف
الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور صرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان
حول قلب اذا كان دائرا حول المكايد حتى جاء الحق الذى هو الحق القران وظهر امر الله غلب دينه وشرعه
وهم كارهون رد الله مكرهم في نحرهم واخزاهم وارغمهم ولما كان الامر كذلك في الماضى وكذا يكون الحال في المستقبل
لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لى في القعود ولا تفتنى ولا توقعنى في الفتنة وهى الاثم بان
لا تاذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره على سبيل التخريز او على سبيل الجد بان كان يغلب على
ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتنى اى لا تلقنى في الهلكة فانى ان خرجت معك
هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء
الروم ولكنى اعينك بمالى فاتركنى فاعرض النبى صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لبنى سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه
وسلم واى داء ادوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن المعرور الا في الفتنة سقطوا اى ان الفتنة
هى التى سقطوا فيها وهى فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الاية بقوله وان
جهنم لمحيطة بالكافرين اما في الدنيا فلاحاطة اسبابها بهم من النعى عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير
المقدار واما في الاخرة فلمال حالهم الى الدرك الاسفل من النار **التأويل** ايها الارواح والقلوب المؤمنة
ما اصابكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الربانى اخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير اليه اثاقلتم الى ارض
الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية
وغلبات اوصاف السبعية والشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب
العاشقة الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الربانى فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا
اى النفوس الامارة الكافرة من ارض القبول ثانى اثنين النفس الملهمة اذ هما في غار العدم وكلمة الله هى العليا بجعل النفس
المطمئنة بجذبة ارجعى واصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا مجردين من علائق الاهل والاولاد والاموال
وثقالا متلبسين بها او خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بتقديم بذل الاموال والانفس وفوق
انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم
لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا
هو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من
من الدنيا والعقبى ويحلفون يعنى ارباب النفوس لخرجنا معكم يا اهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العقاب تخفيفا
لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهم في ريبهم يترددون بين اوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية

بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لاعدوا له عدة وفي متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم في سجن البشرية ما
زادوكم الا خبالا فيه اشارة الى ان قعود اهل الطبيعة في حبس البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك
لانهم لو خرجوا لا عن نية صادقة وعزيمة صالحة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة لاقوالهم وافعالهم واحوالهم
لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح في شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل
القابل لاوامر الشرع فظهر امر الله وهو التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لي في القعود عن الانتقاء
في مدارج المعارف والمشارع ولا تفتني بالروح بتكليف ما ليس من شاني وذلك ان الهوى مركب المحبة ليستعمله الروح
في تصاعده الى ذروة الكمال والوصال الا في الفتنة سقطوا ان فتنة الهبوط هي الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة
من لوازم النفس وصفاتها ه

ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ● قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ● قل هل
تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا
معكم متربصون ● قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل
منكم انكم كنتم قوما فاسقين ● وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون
● الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ● ويحلفون
بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ●
لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ● و
منهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا
منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا

● حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

القراءة هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزي وابن فليح وقرا حمزة وعلي وهشام مدغما حتى لا يجمع كان الباقون باظهار اللام وتخفيف التاء لن يتقبل بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب الاخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير **الوقوف** تسؤهم لابتداء شرط اخر مع واو العطف فرحون لنا للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى هو مولينا لابتداء اخبار من الله او الحكاية عنهم المؤمنون الحسنيين للاستيناف بعد تمام الاستفهام بايدينا و الاصل اصح لان الفاء جواب نتربص متربصون منكم فاسقين كارهون ولا اولادهم كافرون لمنكم يفرقون يجمحون الصدقات للشرط مع الفاء يسخطون ورسوله الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف اي لكان خيرا لهم **التفسير** هذا نوع اخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم احد والاولى حمله على العموم اذ المعلوم من حال المنافقين انهم كانوا في كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذي ذكره الله تعالى ومعنى اخذنا امرنا الذي نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الراي والتدبير من اي من قبل ما وقع و تولوا اي عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبيه بان يقولوا في جوابهم قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اقيل اي في اللوح المحفوظ من خير او شر او خوف ورجاء او شدة او رخاء وفائدته انه اذا علم الانسان ان الذي وقع امتنع ان لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال ثار لت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصايب وقيل اي في عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان احوال المسلمين وان كانت مختلفة في الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة يكون لهم والظفر يقع من جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين في الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم او الشهادة وعلى هذا القول يقع ما في الاية الثانية كالمكرر هو مولينا يتولى امورنا الا هو فيفعل بنا ما يريد من اسباب التهاني والتعازي لا اعتراض لاحد عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه تنبيه على ان المؤمن يجب ان لا يعلق الرجاء الا برب الارباب خلاف حال المنافقين فانهم يتعلقون بالوسايط والاسباب ثم امرهم بجواب ثان فقال هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين التربص التمسك بما ينتظر به مجي حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تانيث الاحسن وهي صفة الحالة او الخصلة او العاقبة يعني النصرة او الشهادة وفي الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفي الثانية ابقاء الذكر والفوز بنعيم الاخرة ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده قاد عة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل عذاب الدارين او بايدينا يعني القتل بان يظهر نفاقكم ونامر بقتلكم كالكافر الحربي فتربصوا امر للتهديد كقوله ذق انك انت العزيز الكريم ثم ذكر انهم ان اتوا بشي من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به في الاخرة والغرض ان اسباب الذل والهزل والهوان مجتمعة عليهم في الدنيا والاخرة عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا مالي اعينك به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا والحكم عاما وانفقوا لفظه امر و معناه خبر كقوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم ومعناه انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة لديك كان يقول استبصري لطف محلك عندي وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تجدين مني تفاوتا في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب احدهما مقام الاخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب طوعا او كرها على الحال ومعناه طايعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين من جهتهما وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طايعين من غير اكرام من رؤسايكم او مكرهين من جهتهم وذلك ان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق واذارا وافيه مصلحة ومعنى لن يتقبل ان الرسول لا يقبله منكم او انه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم ان تقبل منهم الاية علل منع القبول بامور ثلثة الاول الكفر بالله وبرسوله الثاني ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وفيه انه يصلي للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكفر الثالث ولا ينفقون

الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم في حكم الكارهين
وان انفقوا مختارين بعدو لا الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادوا زكوة اموالكم طيبة
بها انفسكم قيل الكفر بالله سبب مستقل في منع القبول فكيف ضم اليه الامرين والجواب انها امارات ويجوز توارد الامارات
المتعددة على شيء واحد وبوجه اخر اطلق كفرهم اولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة قال في الكشاف
وقرأت في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من
صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الاية وهو ان شيئا من
اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو ان يصرف ذلك الى تاثيره في التخفيف ولقائل ان يقول لو لم يكن مقبولا بوجه
لم يكن له في التخفيف ايضا اثر وقيل في الاية دلالة على ان الصلوة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل
ليس مانعا من التقبل بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الاخرة اراد ان يبين ما يظنونه من منافع الدنيا فهو ايضا في
الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول ولكل احد فلا تعجبك الاية ونظيره ولا تمدن
عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط اي ان يكن ما ذكرنا من الاتيان بالصلوة على وجه الكسل وغير
ذلك فهذا جزاؤهم وهذا بخلاف ما يجيء في الاية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشيء مع نوع من الافتخار و
اعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وانه من البعيد في حكم الله ان يزيل ذلك الشيء عنه ويحصله لغيره كقوله ما اظن ان تبيد
هذه ابدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله ومن جهة استبعادها زواله
في قدرة الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الاية زجر
الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك في حبها فان المسكن الاصلي هو الاخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم
اعرابه كما مر في قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدي وقتادة في الاية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة كانهم نظروا الى ان المال والولد لا يكونان عذابا بل هما
من نعم الله تعالى على عباده واورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الاخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب
العذاب في الدنيا ايضا وبوجه اخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة فاي فائدة في ذكرها واعلم
ان الاموال والاولاد قد يكون سببا للتعذيب في الدنيا والاخرة وذلك ان كل من كان حبه للشيء اشد كان خوفه عن فواته اكثر
وحزنه على فواته اعظم فصاحب المال اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة
خضرة فاذا كثرها الله انصب بكليته اليه ويفضي الى طغيانه وقساوة قلبه الى ان ينسى حب الله وذكر الاخرة ثم انه ان بقي عليه ذلك
الى اخر عمره فعند الموت عظم اسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى سجن وجحيم وعند الحشر يكون حلاله
حسابا وحرامه عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يصرف فيه بالحق للحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام
في الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا ان المنافقين لهم وجه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله
واليوم الاخر علم انه خلق للاخرة لا للدنيا فيفتر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات
العاجلة وايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون
في ذلك فائدة اخروية وكانوا في اشق تكليف وكانوا متبغضين النبي مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى خدمته
وكانوا خائفين افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض اموالهم واولادهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم اولاد اتقياء مخلصون
كحنظلة بن عامر غسيل الملائكة وكعبد الله بن عبد الله شهد بدرا وكان عبد الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يزيفون طريق ابائهم في
النفاق ويقدحون فيهم والابن اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه ولاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان التقدير يريد الله ان
يزهق في اموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق انفسهم اي تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر
واورد الجبائي عليه ان المريض اذا قال للطبيب اريد ان تدخل علي في حالة مرضي لم يلزم منه كونه مريدا لمرض نفسه والجواب
ان امثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة
من ضروريات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الاية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد
وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم
ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح
افعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم ثم قال وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم

قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجا او مغارات فيحصنون فيه امنوا على
انفسهم منكم لفروا اليه ولقاء قومكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب والمغارات جمع مغارة
وهو الموضع الذي يغور الانسان فيه اي يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجهما والمدخل مفعل
من الادخال ومعناه المسلك الذي يندس بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفقا كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا
على احد هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى غيره اذا صرفه وهم يجمحون
اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تاذيهم ونفرتهم
عن الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر تلك الاشياء والاقرب حملها على المعاني المتغايرة
فالملجا الحصون والمغارات الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالابار والله تعالى اعلم ومن جملة قبائحهم قوله
ومنهم من يلمزك الاية قال الزجاج لمزت الرجل المزه والمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وكذلك همزته وفرق الليث فقال اللمز
العيب في الحضور والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها الاول في اخذها وذلك بان يقال
انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم الثانية ان
يقال الغرض باخذ الزكوات ليس الا ان من اخذ كثيرا فوجب ان يقنع باخذ من ذلك الثالثة هب انك تاخذ هذا الكثير الا انك
تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم ارادوه
عن ابي سعيد الخدري بينا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين قال له ابن ذي الخويصرة راس الخوارج اعدل
يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فنزلت وعن الكلبي هو ابو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم
صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما
كان داود راعيا فلما ذهب قال صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين
ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب انفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدته ان
تعلم ان الشرط مغاير للجزاء ومنبه عليه ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الاية ورتب
على ذلك اربع مراتب الاولى الرضاء بما اتاهم الله ورسوله لعلمهم انه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكل ما كان حكما له و
قضاء منه كان حقا وقضاءه منه صوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر اثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا
الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحبيب الثالثة ان نزل عن هذه المرتبة العالية كان
واثقا بالله لا يهمله وسيعوضه من فضله في غنيمة اخرى الرابعة الرغبة الى الله فانه المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي
من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى ان عيسى عليه السلم مر بقوم يذكرون الله فقال لهم ما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف
من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم اخرين فقال ما الذي حملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر بقوم
ثالث مشتغلين بالذكر فقال لهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية
وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال انتم المحقون **التاويل** ان تصبك يا روح حسنة من عواطف
الحق تحزن النفس وصفاتها لانها تظفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع اخذنا نصيبنا من الموانع الحيوانية
لما خالفناه في السير الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا لانه لما كان الفترات والوقفات للتحريم لا للرد
والطرد قل هل تربصون بنا ايتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية او الوقفة والفترة
الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما او بايدينا بالمنع من المخالفات
وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا اي رياء وكرها اي نفاقا لن يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير
عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولة لقوله نية المؤمن ابلغ من عمله وباقي الايات اشارات
الى ان من امارات النفاق عدم الرضاء بقسمة الخلاق وحال المخلص بالعكس والله اعلم بحقيقة الحال قوله تعالى

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة

قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة
من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون رسول الله لهم

يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن
خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
ورحمة للذين امنوا منكم والذين صح

عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان
يرضوه ان كانوا مؤمنين الم تعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج
ما تحذرون ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل
ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم
بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم
كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا
الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين و
المنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم
الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم
قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي
خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون

القراءة اذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى والمفضل الباقون بالاضافة في رحمة بالجر حمزة الآخرون بالرفع الم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء التانيث في الثاني **الوقوف** وابن السبيل اى فرض الله فرضا من الله حكيم هو اذن امنوا منكم اليم يرضوكم لاحتمال الواو الحال والاستيناف مؤمنين خالدا فيها العظيم بما في قلوبهم استهزءوا لاحتمال الفاء في ان للتعليل تحذرون ونلعب تستهزءون بعد ايمانكم مجرمين من بعض لئلا يصير الجملة صفة

لبعض المنافقين وهي صفة لكلهم ايديهم فنسيهم الفاسقون فيها حسبهم لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في تمام الجزاء ولعنهم الله لذلك مقيم بناء على تعلق الكاف واولادا خاضوا والاخرة الخاسرون **التفسير** ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة الصدقات بين الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذا وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الاية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق في الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الراس وداء في البطن ولنتكلم في تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثاني الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون لا يفي دخلهم بخرجهم انما الكلام في انهما متساويا الدلالة او احدهما اسوأ حالا فعن ابي يوسف ومحمد والجبائي انه لو اوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائي انه تعالى ذكرهما باسمين ليؤكد امرهم في الصدقات والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقة سهمان كسائرهم وعند الشافعي الفقير اسوأ حالا لانه تعالى اثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذي وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشر والدواهي ويروى انه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقد كان سال المسكنة في قوله اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فكانه سال توسط الحال ولهذا لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك اشياء معلومة مع انه تعالى اجاب دعاءه ظاهرا فاما تسمية مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على ان المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذي لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذي يسال الناس والغالب انه يحصل له منهم شيء فيقرب منه قول من قال سمي مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم في قوله سبحانه وفي اموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان الفقر ضد الغنى ولم يقل احد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الغرض هو ضد التمسكن وقال ابو حنيفة المسكين اسوأ حالا لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة اعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله اعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء اجر امثالهم لانها اجرة العمل وعن مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى ان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقات وقال اما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلد كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في ان الامام اهل له حق لانه هو العامل في الحقيقة او لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على ان العامل ياخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن انه لا ياخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن اعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم يكن ما اعطاهم من الصدقات ويروى ان ابا بكر الصديق قد اعطى عدي بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه ايام الردة والذي استقر عليه راي الائمة ان المؤلفة ثلاثة اقسام ضعيف النية في الاسلام ويتالف باعطائه ويتوقع اسلام نظرائه والمتالف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكوة حيث يكون ذلك اهون للامام من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما راى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتالفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس والان لا يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس في الاية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغي ان يقولوا ان حكم الاية منسوخ الصنف الخامس قوله وفي الرقاب قال الزجاج تقديره وفي فك الرقاب وللائمة في تفسيره اقوال فعن ابن عباس انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعي قال اذا عجز عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شيء او لا يفي ما في ايديهم بنجومهم صرف اليهم او الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن ابي حنيفة واصحابه وهو قول سعيد بن جبير لا يعتق

من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في وقته ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل وذلك
ينافي كونه تاما فيه وقال الزهري سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم
اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى في لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه
كما شاؤا وفي الاربعة الاخير لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكوة
ففي الرقاب يوضع نصيبهم في تخليص رقابهم عن الرق والاسر ولا يدفع اليهم وفي الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفي
الغزاة يصرف المال الى اعداد ما يحتاج اليه في الغزو وفي ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال في الكشاف انما
انما عدل للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان في للوعاء فنبه به على انهم احقاء بان تجعلوا
مصبا للصدقات ومحا فيه وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن سبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين الصنف
السادس الغارمون قال الزجاج اصل الغرم لزوم ما يشق وسمي العشق غراما لكونه امرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمي الدين
غرما لانه شاق لازم فالغارمون المديونون والدين ان حصل بسبب معصية لم يدخل في الاية لان المعصية لا تستوجب
الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الاية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية او لاصلاح ذات
البين وان كان متمولا والضمان ان اعتبر هو والاصيل وكل داخل في الاية روى الاصم في تفسيره انه صلى الله عليه
وسلم لما قضى بالغرة في جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمل بن مالك اعنهم بغرة من صدقاتهم
وكان حمل على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شيء وان قدر على بعض اعطي الباقي الصنف السابع
قوله وفي سبيل الله يعني الغزاة قال الشافعي يجوز له ان ياخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد
واسحق وابو عبيد وقال ابو حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الاية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل
القفال عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان
كلها في سبيل الله الصنف الثامن قوله وابن السبيل وهو المسافر لا لاجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد او موضع ماله ان
كان له في الطريق مال قال الشافعي ويدخل في المسافر الشاخص من وطنه او من بلد كان مقيما به منشأ السفر والغريب المجتاز ببلدنا
والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكوة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في
موضع اخر خذ من اموالهم صدقة ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة
فمنهم من قال تدخل والفائدة ان نعلم ان مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف والاقرب اختصاص الاية
بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكوة ولان الاية تدل على الحصر في الاصناف
الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه اخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى ولان الصدقات تنصرف
الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الحكم الثاني في الاية دلالة على ان
الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تعالى جعل للعاملين بها سهما والعامل هو الذي نصبه الامام لاخذ الزكوات
ويتاكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكوة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل
اخر كقوله وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليهما ابتداء واذا كان الامام جائرا
فالتفريق بنفسه جائز الحكم الثالث مذهب ابي حنيفة يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة
وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابي العالية لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون
كل جزء من اجزائها كصدقة زيد مثلا [illegible] على كل واحد منهم ولان الرجل الذي لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار
لو كلفناه ان نقسمه على اربعة وعشرين لتوقع كل ثلثة منها الى ثلثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به في مهم
معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وقال الشافعي لا بد من صرفها الى
الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تعالى ذكر هذه القسمة في نص الكتاب ثم اكدها
بقوله فريضة من الله وهو في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء في معنى قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر
عن مخالفة ظاهر الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك ولا نبي مرسل حتى تولى قسمها بنفسه
ثم ختم الاية بقوله والله عليم اي بمقادير الاشياء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب الاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب
الاحتياط في صرف الزكوة ومن هاهنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلثة لانه تعالى ذكر اكثر الاصناف بلفظ الجمع واقل الجمع
ثلثة فانه دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم الثالث اقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل في افراد الصنف جائز للمالك

لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف الثمانية لانهم محصورون فيسهل
التسوية بينهم الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان في زماننا فبقي ان يصرف الزكوة الى الاصناف الستة الباقية
كما لو فقد بعض الاصناف في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا ينقل الى بلد وجد وافيه جميعا والاحوط رعاية التسوية
بينهم على ما يقوله الشافعي اما اذا لم يفعل ذلك فانه يجزيه عند سائر الائمة اما الحكمة في ايجاب الزكوة فهو ان المال محبوب
بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لان الاستغراق في حبه
يذهل النفس عن حب الله وعن التاهب للاخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس
ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ
من اموالهم صدقة تطهرهم اي عن دنس الاستغراق في حب المال وايضا ان كثرة الاموال توجب القوة والقدرة والشدة
وتزايد تلك اللذات تدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فتصير المسئلة دورية لا مقطع لها ولا اخر فاثبت الشرع
لها مقطعا وآخرا وهو صرف طائفة من المال في طلب مرضات الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذي لا اخر له
ويفضي في الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في التعظيم لامر الله وعملية و
كمالها في الشفقة على خلق الله فاوجب الله الزكوة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محبا الى الله وامدوا
له بالثناء والمحمدة وايضا المال سمي مالا لكثرة ميله الى كل احد وهو باد ورائح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار
فاذا انفقه لوجه الله بقي بقاء لا يمكن زواله وفي انفاق المال تشبه بالمجردات والمفارقات وليس الغني الا عن الشيء لانه
الاستغناء عن الشيء صفة الحق والاستغناء بالشيء صفة المخلوقين العاجزين ففي الامر بالزكوة نقل للانسان من درجة الادنى
الى درجة الاعلى وايضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في
العبودية لله والصلوة له فكيف يليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وايضا فضل المال عن قدر الحاجة وحضر انسان
اخر محتاج فهنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو سعيه في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه
به واما في حق الفقير فاحتياجه الموجب للتعلق به وقلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما
بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان حق الاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين
الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم
عبيده ولولا انه القاها في ايديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملء بطنه وكم من عاقل لا يملك ملء بطنه وكم من عاقل
تاتيه الدنيا عفوا صفوا وليس بمستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة مما في خزانتي الى المحتاجين من عبيدي
وايضا ان الاغنياء لو لم يلزموا اصلاح مهمات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على التحصيل من وجوه منكرة كالسرقة
ونحوها او على اللحاق باعداء المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تعالى
يقول للغني اعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فاخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فصرت من
الصابرين ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصرت من الصابرين ولكني اوجبت على الغني ان يصرف طائفة من المال
اليك لتشكر فتكون من الشاكرين وايضا اراد الله سبحانه ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبل
منه ليحصل الخلاص له في الدنيا من الذم والعار وفي الآخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا آخر من المنافقين وهو انهم كانوا يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم و
قال محمد لا تفعلوا ذلك فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما
نقول فانما محمد اذن سامعة فنزلت الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث
وكان رجلا ادلم احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر
الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه
نقول ما شئنا ثم ناتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين منهم جلاس بن سويد بن صامت ووديعة بن
ثابت فارادوا ان يقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا لئن كان
ما يقوله محمد حقا فنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله انما يقول محمد حقا وانكم لشر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من
كذب الكاذب فنزلت الاية قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي

هی آلة السماع کان جملته اذن سامعة ومثله قولهم للربیئة عین فسر ایذاءهم النبی بانهم یقولون هو اذن وذلک انهم
قصدوا بهذه المذمة والتقصیر لوکالته وشهامته بل هو سلیم القلب سریع الاغترار بکل ما یسمع ویجوز ان یراد بالایذاء
انواعا اخر سوی هذا القول ای یؤذونه بالغیبة والنمیمة وسایر انواع الاذیة ویقولون فی وجه الاعتذار
عن ذلک هو اذن یقبل کل ما یسمع فنحن ناتیه فنعتذر الیه فیسمع عذرنا فیرضی ثم انه سبحانه اجاب عن قولهم فقال
قل اذن خیر لکم کقولهم رجل صدق یریدون الجودة والصلاح ویجوز ان الاضافة هو الملابسة کانه قیل نعم هو اذن ولکن
نعم الاذن او ارید هو اذن فی الخیر والحق وفیما یجب سماعه وقبوله ولیس باذن فی غیر ذلک ویؤید قراءة حمزة ورحمة
بالجر عطفا علیه عطف الخاص علی العام ای هو اذن خیر ورحمة لا یسمع ولا یقبل غیرهما ثم بین کونه اذن خیر بانه یؤمن
بالله ای یقر به ویعترف بوحدانیته لما قام عنده من الادلة ویؤمن للمؤمنین یسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم
لا لکونهم من اهل العزة والذلة وهو رحمة للذین امنوا منکم باللسان دون الجنان لانه یجری امرکم علی الظاهر ولا یبالغ فی
التفتیش عن بواطنکم فان الله هو الذی یتولی السرائر ولهذا ختم الایة بقوله والذین یؤذون رسول الله لهم عذاب الیم
واما من قرا اذن خیر بالرفع فیهما فعلی ان اذن خبر مبتداء محذوف وخیر کذلک ای هو اذن هو خیر والمعنی هو موصوف
بالخیریة فی حقکم لانه یقبل معاذیرکم ویتغافل عن جهالاتکم فیحفظ بذلک دماءکم واموالکم وقیل التقدیر قل اذن
واعیة سامعة للحق خیر لکم من هذا الطعن الفاسد ثم ذکر بعد ما یدل علی فساد هذا الطعن وهو قوله یؤمن بالله الی اخره
ووجه ثالث ذکره صاحب النظم واستحسنه الواحدی وهو ان قوله اذن وان کان رفعا فی الظاهر لکنه نصب فی الحقیقة
علی الحال وتاویله قل هو اذنا خیر لکم ثم ذکر ان من قبایح المنافقین اقدامهم علی الایمان الکاذبة فقال یحلفون بالله لکم لیرضوکم
والله ورسوله احق ان یرضوه ای کان من الواجب ان یرضوا الله تعالی بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما یستسرون خلافه وانما
لم یقل یرضوهما تعظیما لله بالافراد بالذکر والمراد والله احق ان یرضوه ورسوله کذلک او وقع الاکتفاء بذکر الله لان
رضی الله ورضی رسوله شیء واحد کما یقال احسان زید وجماله نعشی ومعنی ان کنتم مؤمنین ای بزعمکم ثم وبخهم بقوله الم یعلموا و
ذلک ان یقول لمن یولع بتعلیمه مدة ثم لم یظهر علیه اثر العلم والرشد وکان النبی صلی الله علیه وسلم طال مکثه فیهم وکثر تحذیره
عن معصیة الله تعالی وترغیبه فی طاعة الله والضمیر فی قوله انه للشان وفایدته مزید التعظیم والتهویل والمحادة المخالفة
لان کلا منهما فی حد غیر حد صاحبه کالمشاقة لان کلا منهما فی شق اخر وقال ابو مسلم هی من الحدید حدید السلاح ثم ذکر فی
الجزاء قوله فان له بالفتح ای لحق ان له نار جهنم وقیل ان تکرر للتاکید والتقریر فله نار جهنم وقیل فان معطوف علی انه سوال وجواب
من محذوف وهو هالک قال الزجاج یجوز کسر ان علی الاستیناف بعد الفاء ولکن القراءة بالفتح ونقل الکعبی فی تفسیره انه قد
قری بالکسر قال السدی قال بعض المنافقین والله لوددت انی قدمت فجلدت مایة جلدة ولا ینزل فینا شیء فیفضحنا فانزل الله
یحذر المنافقون وقال مجاهد کانوا یقولون القول بینهم ثم یقولون عسی الله ان لا یفشی علینا سرنا فنزلت والضمیر فی علیهم
وفی تنبئهم للمؤمنین وفی قلوبهم للمنافقین بدلالة قرینة الحال ویجوز ان یکون کلها للمنافقین لان السورة اذا نزلت فی
معناهم فهی نازلة وکانها تخبر عما فی بطونهم وتذیع علیهم اسرارهم قیل المنافق کافر فکیف یحذر نزول الوحی لانه غیر قائل به واجیب
بانهم عرفوا ذلک بالتجربة او کفرهم کان کفر عناد وکانوا شاکین فی صحة نبوته والشاک فی امر خایف من وقوعه او هذا الخبر فی
معنی الامر ای لیحذر المنافقون عن ابی مسلم انهم اظهروا هذا الحذر علی سبیل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله قل استهزءوا
وهو امر تهدید ان الله مخرج ما تحذرون یحذر ما تحذرون من نفاقکم او یحصل انزال السورة لان الشیء اذا حصل بعد عدمه
فکان فاعله اخرجه من العدم الی الوجود قوله ولئن سالتهم الایة عن ابی عمران رجلا من المنافقین قال فی غزوة تبوک ما رایت مثل
هؤلاء القراء ارغب بطونا واوسع ولا اکذب ولا اجبن عند اللقاء یعنی رسول الله صلی الله علیه وسلم واصحابه فقال واحد
من المؤمنین کذبت وانت منافق ثم ذهب لیخبر رسول الله صلی الله علیه وسلم فوجد القران قد سبقه فجاء ذلک الرجل الی رسول
الله صلی الله علیه وسلم وقد ارتحل ورکب ناقته فقال یا رسول الله صلی الله علیه وسلم انما کنا نخوض ونلعب ونتحدث بحدیث الرکب نقطع
به عناء الطریق قال ابن عمر کانی رایت عبد الله بن ابی یشتد قدام رسول الله صلی الله علیه وسلم والحصی والحجارة تنکبه وهو
یقول انما کنا نخوض ونلعب والنبی صلی الله علیه وسلم یقول ابالله وایاته ورسوله کنتم تستهزءون ما یلتفت الیه ولا یزید علیه
وقال الحسن وقتادة بینا رسول الله یسیر فی غزوة تبوک ورکب من المنافقین یسیرون بین یدیه فقالوا انظروا الی هذا
الرجل یرید ان یفتح قصور الشام وحصونها هیهات هیهات فاطلع الله عز وجل نبیه علی ذلک فقال احبسوا علی الرکب فاتاهم
فقال قلتم کذا وکذا فقالوا یا رسول الله انما کنا نخوض ونلعب قال الواحدی اصل الخوض الدخول فی مایع مثل الماء والطین ثم کثر حتی اطلق

علی کل حال فیه تلویث وانما کنا نخوض فی الباطل ولعبنا بحدیث فتح قصور الشام وایاته یعنی القران ورسوله کنتم تستهزءون
لم یعبا باعتذارهم لجعلوا کانهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانکار علی الاستهزاء بالله بان ولی الاستفهام الذی
یفید التقریر المستهزء به ولم یقل اتستهزءون بالله ثم قال لا تعتذروا ونقل الواحدی عن اهل اللغة ان معنی الاعتذار محو اثر الذنب
او قطعه من قولهم اعتذرت المنزل اذا درس واعتذرت المیاه اذا انقطعت ومنه عذرت الجاریة لانها تعتذر ای تنقطع والعذر سبب
لقطع اللوم نهاهم عن الاعتذار بالخوض واللعب کان الشیء الذی یوجب الکفر لا یصلح للعذر ثم بین ذلک بقوله قد کفرتم ای
صرحتم بالکفر بعد ایمانکم الذی اظهرتموه وفیه ان الاستهزاء بالدین کیف کان کفر ولیس التصریح لانا لعزة الکبری فی الکبا
هو التعظیم لامر الله والشفقة علی خلقه ان نعف عن طائفة منکم ذکر المفسرون انهم کانوا ثلثة استهزأ اثنان وضحک الثالث والکان
دنیا الثالث اخف لانه لم یوافق القوم فی الکفر والاعم عفا الله عنه وفیه اشارة الی ان من خاض فی عمل باطل فلیعلمه
ان یجتهد فی التقلیل ویحذر من الاستمرار فانه یرجی له ببرکة ذلک القلیل ان یعفو الله عنه الکل عن الزجاج الطائفة
فی اللغة الجماعة لانها الذی یمکنه ان یطیف بالشیء ثم یجوز ان یسمی الواحد بالطائفة قال الله ولیشهد عذابهما طائفة
من المؤمنین واقلها الواحد وروی الفراء باسناده وعن ابن عباس انه قال الطائفة الواحد فما فوقها ووجه بانه من اخذنا ومنهما
نانه ینصر و ینبعثه من کل الجوانب فلا یبعد ان یسمی طائفة بهذا السبب والهاء للمبالغة وقال ابن الانباری العرب
قد توقع لفظ الجمع علی الواحد کقوله تعالی الذین قال لهم الناس یعنی نعیم بن مسعود وعلی کل معذبنا للطائفة الثانیة
بانهم کانوا مجرمین ای مصرین مستمرین علی الجرم ویجوز ان یکون سبب العفو عن الطائفة الاولی احداثهم التوبة واخلاصهم
الایمان بعد النفاق ویجوز ان یراد بالعذاب العاجل ومن قرا ان نعف علی البناء للمفعول والتذکیر فلانه یستند الی الظرف
کما تقول سیر بالدابة وسیرت وقری بالتانیث ذهابا الی المعنی کانه قیل ان ترحم طائفة ثم ذکر جملة احوال المنافقین
وان اناثهم فی ذلک کذکورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ای فی صفة النفاق والمراد به نفی ان یکونوا
من المؤمنین وتکذیبهم فی قولهم انهم لمنکم وتقریر قوله وما هم منکم ثم فصل ذلک المجمل ببیان مضادة حالهم لحال المؤمنین
فقال یامرون بالمنکر وهو کل قبیح عقلا او شرعا واعظم ذلک تکذیب الله ورسوله وینهون عن المعروف وهو کل حسن عقلا او شرعا
واعظم ذلک الاخلاص فی الایمان ویقبضون ایدیهم عن کل خیر او عن واجب کصدقة او زکوة او انفاق فی سبیل الله وهذا اولی
لیستوجبوا الذم بترکه وقبض الایدی کنایة عن الشح والبخل کبسطها فی الکرم والسخاوة نسوا الله اغفلوا امره وترکوا ذکره و
ذلک ان النسیان الحقیقی لا یتوجه علیه الذم فنسیهم جازاهم بان صیرهم بمنزلة المنسی من ثوابه ورحمته وهذا علی سبیل
المزاوجة والطباق وانما جعل النسیان الحقیقی لا یتوجه علیه الذم لان من نسی شیئا ولم یذکره فقد یذکر الملزوم علی اللازم
ثم قال ان المنافقین هم الفاسقون وفیه دلیل علی انهم هم الکاملون فی الفسق وان علی المسلم ان یحترز عما یکسبه هذا الاسم ثم بین
ما لحال النفاق والکفر فقال وعد الله الایة ومعنی خالدین فیها مقدرین الخلود فیها قاله فی الکشاف ویحتمل ان یراد مستاهلین
للخلود وهی حسبهم کافیهم فی الخزی والایلام ومع ذلک فقد لعنهم لیکون العذاب مقرونا بالاهانة والطرد ولهم عذاب
مقیم نوع اخر من العذاب الدایم ثم عذاب النار او عذاب الاخرة عاجل لا ینفکون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم
ثم شبه المنافقین بالکفار الذین قبلهم فی الامر بالمنکر والنهی عن المعروف وقبض الایدی عن الخیرات فقال ملتفتا من الغیبة
الی الخطاب کالذین من قبلکم ای انتم مثل الذین او فعلتم مثل فعل الذین من قبلکم فعلی الاول محل الکاف رفع وعلی الثانی نصب ثم وصف
اولئک الکفار بانهم کانوا اشد قوة ای جسامة من هؤلاء المنافقین واکثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان
ای قدر له من خیر کما قدر قسم لانه قسم ونصیب لانه نصیب ای ابیت فاستمتعتم بخلاقکم کما استمتع الذین من قبلکم بخلاقهم قیل
ما الفائدة فی ذکر الاستمتاع بالخلاق فی حق الاولین مرة ثم ذکره فی حق المنافقین ثانیا ثم تکریره فی حق الاولین ثالثا واجیب
بانه تعالی ذم الاولین بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنیا وحرمانهم عن سعادة الاخرة بسبب استغراقهم فی تلک الحظوظ
فلما قرر تعالی هذا الذم عاد فشبه حال المنافقین بحالهم فیکون ذلک نهایة فی المبالغة قال جار الله نظیره ان تقول لبعض
الظلمة انت مثل فرعون کان یقتل بغیر حق ویعذب وانت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم کالذی خاضوا فمعطوف علی
ما قبله مستند الیه باسناده الیه عن تلک التقدمة ومعنی کالذی کالخوض الذی خاضوه ای کالفوج الذی خاضوا وقیل اصله
کالذین فحذف النون ثم بین ان اولئک الکفار لم یحصل الا حبوط الاعمال اما فی الدنیا فبسبب الفقر والانتقال من العز الی الذل
ومن القوة الی الضعف واما فی الاخرة فلانهم هلکوا وبادوا وانتقلوا الی العذاب الدایم وخسران الدارین فهؤلاء المنافقون
المشارکون لهم فی هذه الاعمال والفضایل مع ضعف بانهم وقلة عددهم وعددهم هلکوا بالخزی الدارین وحاز الامرین

التأويل انما الصدقات وهي صدقات مواهب الله كما قال صلى الله عليه وسلم ما من يوم وليلة ولا ساعة الا لله
فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية اوصاف
الوجود القوا سفينه غصبا والعاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين اصحاب الاحوال والمولفة
قلوبهم الذين يتالف قلوبهم بذكر الله وفي الرقاب الذين يريدون ان يتخلصوا من رق الموجودات بجذبة عبودية موجدها
والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم والغارمين الذين استقرضوا من مراتب المكونات اوصافها وطباعها وحواسها وهم
محبوسون في سجن الوجود فيهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفي سبيل الله المجاهدون
الجهاد الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن اوصاف الطبيعة وعالم البشرية
السايرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله اوجبها على ذمة كرمه كما قال الا من طلبني وجدني
والله عليم بطالبيه حكيم في معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو اذن
يا اوا محامدين بنظر الجهدمة والعيب قل اذن خير لكم اي سامعته خير لكم لان له مقام السامعية يسمع ما يوحى اليه
يؤمن بالله عيانا ويومن للمومنين لان فوايد ايمانه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين آمنوا لانهم لا يهتدون
الا بهداه والذين يوذون رسول الله باقوالهم وافعالهم واحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغني عن القدر ان نعف
عن طائفة اظهار اللفضل والرافة نعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهارا اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون
الا بسبب انهم كانوا مجرمين بعضهم من بعض لان ارواحهم كانت في صف واحد في الازل لتعاملاتهم من نتايج خصوصيات
ارواحهم نسوا الله ولو ذكروه بعد الايمان لاستغفروا فغفر لهم نسيهم لانها نصيبهم في الازل كانوا اشد منكم
قوة بالاستعداد الفطري فضيعوها في الاستعداد الاستمتاع العاجل فخسروا راس المال ولم يربحوا قوله تعالى

الم ياتهم نبؤ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم
واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر و
يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله ه
اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز
العظيم يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وماويهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان

اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض
من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن اتينا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما اتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم
معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا
الله ما وعدوه وما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم
سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون
منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم القراءة والموتفكات وبابه
بغير همز ابو عمرو غير شجاع وورش والحلواني
عن قالون والاعشى وحمزة في الوقف الوقوف والمؤتفكات بالبينات لابتداء النفي مع فاء التعقيب
يظلمون من بعض المنكر ورسوله سيرحمهم الله حكيم عدن اكبر العظيم واغلظ عليهم جهنم المصير ما قالوا لم ينالوا من فضله
خيرا لهم والآخرة ولا نصير من الصالحين معرضون يكذبون علام الغيوب لاحتمال النصب والرفع على الذم او كونه
بدلا من الضمير في نجويهم فيسخرون منهم سخر الله منهم لاتمام الجزاء مع اختلاف النظم اليم التفسير لما شبه المنافقين
بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزايل بين ان اولئك الكفار منهم قد كربت طوايف من العرب اخبارهم
لان بلادهم وهي الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام للتقرير فاولهم
قوم نوح وقد هلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد وقد هلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود واخذوا بالصيحة ورابعهم قوم ابرهيم سلط
الله عليهم البعوض وكفى نمروذ ملكهم وهو نمروذ ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم اصحاب مدين قوم شعيب
اخذتهم الرجفة وسادسهم اصحاب المؤتفكات قوم لوط امطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل مدائنهم عاليها سافلها
والايتفاك الانقلاب نسبت مدائنهم الى ذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن ان يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب
احوالهم من الخير الى الشر ثم قال اتتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله
فما كان الله ليظلمهم قالت المعتزلة ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقد مر الكلام في امثال ذلك
ثم بين ان شان المؤمنين في الدنيا والاخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون الآية قال بعض العلماء انما قال ههنا
اولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم وبمقتضى الطبع والعادة بخلاف
الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية واقول كون بعض المنافقين من بعض
يوجب اشتراكهم في امر من الامور بالجملة كيف كان وحكم من الاحكام الشرعية او سيرة وطريقة وهو المقصود ولكنه يحتمل
ان يكون تكليفا او بطريق النفاق لان سبب انعقاده غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فلو ذكر الله تعالى اشتراكهم
في ذلك اللفظ منهم لكان الاحتمال المذكور وان تشارك المؤمنين في السيرة فلما كان سببه محض الاخلاص والعصبية
لله والاجتماع على ما يفضي الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله بذلك ثم وصفهم باضداد
صفات المنافقين فقال يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال ويقيمون
الصلوة ويوتون الزكوة وهاتان لهم في انفسهم وهما بازاء قوله في صفة المنافقين ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى

ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله اى فى كل ما يأتى
ويذرون ثم ذكر ما اعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال اولئك سيرحمهم الله والسين يفيد المبالغة فى انجاز الوعد
بالرحمة كما يؤكد الوعيد به كما اذا كان للتعبيد وقد عصاك تقول له سانتقم منك يوما يعنى انك لا تفوتنى وان تباطاء
ذلك ثم ختم الاية بقوله ان الله عزيز حكيم وفيه ترغيب للمومنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده
فى عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو الذى يدبر امر عباده على وفق ما تقتضيه العدالة والصلاح ثم فصل ما اجمل من
الرحمة بقوله وعد الله المومنين الاية وقد كثر كلام اصحاب الاثار فى معنى جنات عدن فقال الحسن سالت عمران بن
الحصين وابا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو قصر فى الجنة
من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على
كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفى كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام فى
كل بيت سبعون وصيفة يعطى المومن من القوة ما يأتى على ذلك اجمع عن ابن عباس انها دار الله والله لم يرها عين احد لا يخطر على
قلب بشر قال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اى وسطها قال الازهرى وبطنان الاودية المواضع التى يستنقع فيها السيل واحدها
بطن وقال عطاء عن ابن عباس هى قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهى المدينة التى فيها الرسل والانبياء والشهداء وايمة الهدى
وساير الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان
المسك الاذفر الابيض وقال عبد الله بن عمرو ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة الاف باب على كل باب خمسة
الاف حبرة لا يدخله الا نبى او صديق او شهيد وفى هذه الاخبار دلالة على ان عدنا علم ويؤيده قوله جنات عدن التى وعد
الرحمن عباده ولو لم يكن علما لم يوصف المعرفة ولا ريب ان اصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن
للمكان الذى يخلق فيه الجواهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم بعضها ورضوان من الله شىء يسير من رضا
اكبر من ذلك حالا واشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات
الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود او الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا فى الحديث ان
الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم نعط احدا من خلقك فيقول اعطيكم
افضل من ذلك قالوا واى شىء افضل من ذلك ادخل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ثم عاد مرة اخرى الى شرح
احوال المنافقين فقال يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك اى جاهد الكفار واغلظ على المنافقين
لان المنافق لا يجوز محاربته فى ظاهر الشرع وضعف بان الفسق يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين الذين عرفهم الله حالهم
فصاروا كاكابر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حاله بالوحى الا انه مامور بان يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون
الاسلام كيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد بذل المجهود فى حصول المقصود وهو شامل لليد واللسان فالمراد جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم فى الجهادين جميعا عن ابن عباس ان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر
فى وجهه فان لم يستطع فبقلبه بان يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم
اذا تعاطوا اسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق واعتذر واجيب
عنه بانه انما قال ذلك لان عنده ان كل فاسق منافق او لان الغالب ممن يقام عليه الحد فى زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وطعنوا فى الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا اهل النفاق ما هذا الذى بلغنى عنكم فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وعن قتادة رجلين اقتتلا رجل من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفارى على الجهنى فنادى عبد الله بن ابى يا بنى
الاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى النبى صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الاية ومعنى قوله وكفروا
بعد اسلامهم انهم اظهروا الكفر بعد ما كانوا يظهرون الاسلام اما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند مرجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة عشر رجلا منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل
وكان عمار بن ياسر اخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هم كذلك اذ سمع حذيفة وقع اخفاف الابل
بقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بمرد عامر بن قيس

لرده على الجلاس بن سويد وقد مر فى تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل اراد وا ان يتوجوا عبد الله بن ابى
وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله كقول الشاعر شعر
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنايم وجمعوا الاموال وروى انه قتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بديته اثنى عشر الفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال فان يتوبوا
يك خيرا يعنى ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس فيمن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم الله
عذابا اليما فى الدنيا القتل والسبى واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل فى
القبر واما عذاب الاخرة فمعلوم وما لهم فى الارض يحتمل ارض الدنيا وارض القيمة ثم بين ان هؤلاء كما ينافقون الرسول
والمومنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال ومنهم من عاهد الله يروى عن ابى امامة الباهلى ان ثعلبة بن
حاطب الانصارى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع ان يرزقنى مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تودى شكره خير
من كثير لا تطيقه ثم قال مرة اخرى فقال اما ترضى ان تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت
ان تسير معى الجبال فضة وذهبا لسارت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقنى مالا لاعطين كل ذى حق
حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينه
فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك
الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر واخبره
فقال ويح ثعلبة ثلاثا وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة
رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم وكتب لهما كيف ياخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان من بنى سليم فخذا
صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية الا اخت
الجزية ما ادرى ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الى انطلقا واخبر السلمى فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم
استقبلهم بها فلما راوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان ناخذها منك قال بلى خذوه فان نفسى بها طيبة فاخذوها
منه ثم رجعا فمرا على ثعلبة فقال اورونى كتابكما ثم قال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايى فانطلقا حتى اتيا
النبى صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة ثم نزلت الاية وعند رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اقارب ثعلبة فخرج اليه وقال ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم اتى الى ابى بكر حين استخلف فقال علمت منزلتى من رسول الله وموضعى
من رسول الله فاقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقبلها فقبض ابو بكر وابى ان يقبلها ثم جاء
بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وكذا فى خلافة عثمان وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفا
اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم اقول وما ذلك الا بشوم اللجاج اولا واخرا قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان تكون
باللسان او بالقلب وقال المحققون انه لا بد من التلفظ بها لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عفا عن امتى ما حدثت
به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن اتينا من فضله لنصدقن ظاهره مشعر بالقول
اللسانى والمراد بالفضل ايتاء السما المال بطريق التجارة او الاستغناء ونحوهما واصل لنصدقن لنتصدقن ادغمت التاء
فى الصاد والمتصدق المعطى لا السايل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ومعنى قوله لنكونن من الصالحين
عن ابن عباس انه اراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال
فلما اتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعى والتولى نقض العهد والاعراض اراد
به الاحجام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظ البخل عليه
وهو فى عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة فى قوله لنصدقن هو الصدقة الواجبة وان
الرجل قد عاهد به ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلزمه الانسان بالنذر بالمندوبات
اذ لا دليل فى الاية على دليل مع ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكوة لا يلزم بسبب الالتزام وانما يلزم بسبب ملك النصاب

وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الاية دلالة على
ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويوكده قوله سبحانه فاعقبهم
نفاقا عن الحسن وقتاده ان اعقب مسند الى ضمير البخل اي اورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا
عليه وكذا التولي ان جعل عايدا الى التولي والاعراض يضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك
لا يمكن ان جعله موثرا في حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو امر وجودي والعدم
لا يوثر في الوجود ولان هذا الترك قد يوجد في حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو وجب حصول
الكفر في القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا او محرما فبسبب اختلافات الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن
كونه موثرا او لان البخل او التولي او الاعراض هو بعينه اخلاف ما وعد الله به فيصير تقدير الاية ان التولي وجب النفاق بسبب
التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو الله ومن هنا
قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا في الماضي فالله تعالى يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يوكد هذا القول بان الضمير في اعقب
لله ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عايد الى الله وللمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي ولكنه امر وجودي
ولا يبعد جعل شيء عدمي من امارة عليه وايضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم انه لا يحصل معه النفاق
ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف الوعد
والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من اين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق لم لا يجوز
ان يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف
او يراد يخذلهم الله حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا عدول
عن الظاهر مع ان الدلايل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشية الله وتقديره يعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الاية
تدل على ان نقض العهد يوجب النفاق تمسكا بهذه الاية وبقوله صلى الله عليه وسلم من كن فيه فهو منافق وان صلى وان
صام وزعم انه مومن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عطاء بن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه ان يخرجوا معه في الغزو فاخلفوه ونقل عمرو بن
عبيد فسر الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكره الله تعالى فيمن
عاهد الله واذا ائتمن على دين الله خان في السر فكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطا ارسل الى الحسن
رجلا فقال له ان اولاد يعقوب حدثوه في قولهم واكله الذيب فكذبوا ووعدوه في قوله وانا له لحافظون
فاخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل نحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن في مذهبه قال اهل التفسير
قوله الى يوم يلقونه دل على ان ذلك المعاهد يموت على النفاق وكان كما اخبر فكان اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي
هذا لا شك انه ليس بمعنى الروية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القران ليس بمعنى الروية وضعف
بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الروية يكون على لقاء ورد في القران كذلك كقوله الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم ثم وبخهم على التجاهل او عدم العلم بعلم الله واحاطته بما يسرهم وتناجيهم فقال الم يعلموا الاية والسر
ما ينطوي عليه الصدور والنجوى ما يكون بين اثنين او اكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخليص كما مر في
الانجاء كان المتناجين تخلصا عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الاية كيف يجترون على النفاق الذي الاصل فيه
الاستسرار والتناجي فيما بينهم مع انه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه
العالم بجميع المعلومات على اي وجه يفرض عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على
ان يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم فقال يا رسول الله ثمانية الاف جئتك بنصفها
فاجعلها في سبيل الله وامسكت نصفها للعيالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله فيهما مائة وستين الف درهم وقيل صولحت
احديهما على ثمانين الفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر
وقال اجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى نخيله فاخذت صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالي
واقرضت الاخر لربي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن

وعاصم الا رياء وسمعة اما ابو عقيل فانه جاء بصاع ليذكر مع ساير الاكابر والله غني عن صاعه فانزل الله سبحانه الذين
يلمزون المطوعين اي المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله ما ليس بواجب والجهد بالضم وبالفتح
شيء قليل يعيش به المقل قاله الليث قال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم
الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في القوت والثاني في القوة سخر الله منهم خبر لا دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان
هذا من قبيل المشاكلة المراد منه لازم التسخير وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد انه تعالى يكلفهم انفاق المال مع
انه لا يثيبهم عليها وانما توجه الذم على المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطي الكثير كعبد الرحمن وعاصم
على بواطن الامور وذلك امر استاثر الله ورسوله وايضا لمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لم يقدر الا عليه فقد بذل
كل ما له فعلم منه غالبا انه ان قدر على اكثر من ذلك لم يكن فيه منع وسعي الانسان في ان يضم نفسه الى اهل الخير والدين خير له
من ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولو لم يكن فيه الا الثقة بالله والدخول في زمرة من يوثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة لكفى به منقبة وفضلا **التاويل** بعضهم اولياء بعض لان التعارف في عالم الارواح يوجب التالف
في عالم الاشباح يامرون بالمعروف الحقيقي اي بطلبه والمعروف هو الله لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر
وهو ما يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلوة الحقيقية ويوتون الزكوة يعني ما فضل عن كفاف الضروري ويطيعون الله
ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين
يا ايها النبي يعني القلب الذي نبا من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس
المريدين الذين يدعون الارادة في الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم في المواخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى يموت
نفوسهم والا فماويهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهي التي توجب الانكار والاعتراض على الشيخ وهموا بما لم
ينالوا اي ابتغوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة قبل اوانها وما نقموا الا ان الشيخ رباهم بلبان فضل الله عن حكمة الولاية
فلم يحملوا الضيق حوصلة الهمة ومرتد الطريقة اعظم من مرتد الشريعة فلهذا يكون عذابه اليما في الدنيا والاخرة كما قال الجنيد
لو اقبل صديق الى الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان فاته اكثر مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطري لئن اتانا
من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن كل ما اعطانا فيما اعطى لاجله يوم يلقونه اي يلقون جزاء النفاق
وان الله علام الغيوب يعلم ما يوسوس به انفسهم وهو غيب عن الخلق ويعلم ما يسكن في قلوبهم وهو غيب في نفوسهم ولهذا
قال الغيوب سخر الله منهم بلفظ الماضي ليعلم ان تسخير المنافقين نتيجة تسخير الله بهم في الازل ٥

استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي
القوم الفاسقين ۝ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله و
كرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا
لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ۝
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ۝
فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل
لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود

اول مرّة فاقعدوا مع الخالفين ● ولا تصلّ على احد منهم مات

ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم

فاسقون ● ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله

ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ●

واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك

اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ● رضوا بان

يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ●

لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم و

اولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون ● اعدّ الله لهم جنات

تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ●

القراءة معي ابدا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص والمفضل معي عدوا بالفتح حفص **الوقوف** او لا تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم ورسوله الفاسقين في الحرّ حرّا لان المعنى لو كانوا يفقهون نحر ارة النار لما قالوا لا تنفروا في الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم لا يكون نارها اشد حرا اذلم يفقهوا ذلك كثيرا لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مصدر محذوف الفعل اي يجزون جزاء يكسبون معي عدوا الخالفين على قبره فاسقون واولادهم كافرون القاعدين لا يفقهون وانفسهم الخيرات لابتداء وعد الفلاح على التعظيم بدليل تكرار اولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون خالدين فيها العظيم **التفسير** عن ابن عباس ان عند نزول الآيات الاولى في المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزلت الآية ومن المفسرين من قال انهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهي عن الشيء يدل على ان المنهي اقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل قد يدل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر في شرع ان الاستغفار للكافر غير جائز ولان الاستغفار للمنافق يجري مجرى اغرائه على مزيد النفاق ولانه يلزم ان يكون النبي غير مجاب الدعوة وان اكثر في الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روي انه لما نزلت الآية قال صلى الله عليه وسلم لازيدن على سبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بخلافه لم يقل لازيدن على ذلك واجيب بانه اراد اظهار الرحمة والرافة بامته ودعا لهم ان يرحم بعضهم لبعض الا انه فهم منه ذلك كيف وقال تعالى فلن يغفر الله لهم واردفه بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله فليس المقصود بهذا العدد تحديد المنع وانما هو كقول القائل لو سالتني حاجة لو سالت النبي سبعين مرة لم اقضها ولهذا بين العلة التي لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهي كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو ان السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم والنجوم السيارة والاعضاء والايام الاسبوع فضرب السبعة في العشرة لان الحسنة بعشر امثالها وقيل خص بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم كبر على حمزة سبعين تكبيرة فكانه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا وقد مر في تفسير قوله قل انفقوا طوعا او كرها ان هذا امر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم ام لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك لن ضربته عشرين

ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح افعالهم فقال فرح المخلفون وقيل انهم احتالوا ان تخلفوا وكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون واجيب بانهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او لانه خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان او المجاهدون لما لم يتابعوهم في القعود وكانهم خلفوهم واطلقوا عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين من الخروج في الآية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معي عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قاله مقاتل او بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس ومعنى خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفة الرسول حين سار واقاموا قال قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له اي قعدوا لاجل خلافه او على الحال مثل فارسلها العراك اي مخالفين له وقال الزجاج الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف اي بعد رسول الله وذلك ان جهة الامام التي يقصدها الانسان تخالفها جهة الخلف وكرهوا ان يجاهدوا كيف لا يكرهون وليس فيهم باعث الايمان ودواعي الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين اموالهم وارواحهم في الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالاقامة يدل على كراهية الذهاب الا انه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد انه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستئناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهلاك قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ان بعد هذه الدار دارا اخرى وبعد هذه الحيوة حيوة اخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكانه صاحب الكشاف **شعر**

مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب

وفي هذا استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا اذ هو خبر لانه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره و معناه فيضحكوا قليلا اي ضحكا قليلا وزمانا قليلا وسيبكون كثيرا يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه وجه الصلاح في سائر الغزوات فقال فان رجعك الله الى طائفة منهم اي ان ردك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال الى طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم او اعتذر بعذر صحيح ولم يكن المخلفون كلهم منافقون فاراد بالطائفة المنافقين من المخلفين فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد غزوة فقل لن تخرجوا معي ابدا عاقبهم باسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم والطرد وصلاحا لامر الجهاد لما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ومعنى اول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل اولى المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فصلت المرات مرة مرة كانت هذه اولها نظيره هو افضل رجل يعني انه اذا عد الرجال رجلا رجلا كان افضلهم فاقعدوا مع الخالفين كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من تخلف الرجل في قوله وعن الاصمعي انه الفاسد من اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا ان الخالفين امروا بالقعود وكانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن ابي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلوة فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلوة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله اعلى عدو الله عبد الله بن ابي القائل يوم كذا كذا وكذا اعدد ايامه ورسول الله يتبسم حتى اذا اكثرت عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم واعلم اني لو ازددت على السبعين غفر له لزدت ثم قام صلى الله عليه وسلم ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه فقال فعجبت من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن ابي قال وما يغني عنه قميصي وصلوتي من الله والله ان كنت لارجو ان يسلم به الف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الفاجر ويؤمن فيه الكافر فرغب ان يصلي عليه وذلك من اسباب دفع القميص ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ اسيرا ببدر ولم يجدوا له قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صنيعه و منها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى واما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرمه لمكان ابنه ومنها اظهار الرافة والرقة كما مر قوله منهم صفة لاحد وابدا ظرف لقوله لا تصل انه يحتمل تابيد النفي ونفي التابيد والا الظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من ان يصلي على احد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الموتى وقف على قبره ودعا له فمنع هاهنا منه وقال الكلبي لا تقم باصلاح

هو الفضل الحاكم الزجاج

مهمات قبره وانهم كفروا تعليل النهي ويرد عليه ان الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم واجيب
بان العلة ههنا بمعنى الامارة للحكم في الكشاف لانه قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير
الكون والوجود لانه كاين موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه
والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان اما قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم فقد سبق مثله
في هذه السورة تفاوت الفاظ يجب علينا ان نذكر سبب التفاوت ثم فايدة التكرار فنقول والله تعالى اعلم بمراده وانما ذكر
النهي ههنا بالواو ولانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موتهم على حالة الفسق خلاف ما هنالك وقد عرفوا انما قال ههنا اولادهم
بدون لا لان المراد هناك العقب من الادون الى الاعلى فضرب اعجاب اوليك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم
كقولك لا يعجبني امر النايب ولا امر المنوب وههنا اراد المعية فقط اما اكتفاء بما سبق هناك واما لان هؤلاء اقوام اخر
لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر بتعلق الارادة بما هو فيه وهو العذاب واما في الاية المتقدمة والمفعول محذوف
وقدم وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه انما ورد حرف التعليل فمعناه ان وانما حذف
الحيوة ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك وقيل تنبيها على ان الحيوة الدنيا لا تستحق ان تسمى حيوة لخستها واما فائدة التكرار
فهي المبالغة في التحذير من الاموال والاولاد لانها جذابة القلوب فتحتاج الى صادف قوي ويحتمل ان يكون الاول في قوم
والثانية في اخرين وقيل الثانية في اليهود والاول في المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين واذا انزلت سورة اي
تمامها ويجوز ان يراد بعضها كما يقع القران والكتاب على بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا
ان المفسرة لان انزال السورة في معنى القول وقال الواحدي تقديره بان امنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال
بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا وهذا قول ابن عباس والحسن وقال الاصم
الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم الزم اذ لا عذر لهم في القعود مع القاعدين مع اصحاب الاعذار
من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتي يخلفن في البيت مع الخوالف وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان
على المنافقين يصعب تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن
الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كانه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول اية الكفر المانعة من الايمان والطبع في
اللغة الختم وهو التاثير في الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التي جبل عليها الانسان فهم لا يفقهون اسرار حكمة الله في الجهاد
او ما في التخلف من السعادة وما في التخلف من الشقاوة وفي قوله لكن الرسول نكتة هي انه ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو
من هو خير منهم واخلص نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد اجمالا فقال
اوليك لهم الخيرات وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هو الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله اوليك هم المفلحون المراد منه الخلاص
من المكاره ثم فصل ما اجمل فقال اعد الله وقيل الخيرات والفلاح في الدنيا وهي في الاخرة والفوز العظيم عبارة عن كون تلك الحالة
مرتبة رفيعة ودرجة عالية **التاويل** انما لم يوثر استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم في حقهم لقصور في القابل لا لتقصير
في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح لظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون
مستورون والقلوب الحجاب حب الاموال والاولاد فهم الخيرات لما سعوا في العبودية بالواجبات الربوبية هم المفلحون المتخلصون
من حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب اعظم من حجاب النفس ع ٥

وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين
كفروا منهم عذاب اليم ● ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا
على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم ● ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت

لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا
ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان
يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ● يعتذرون
اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا
الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ● سيحلفون بالله
لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس
وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ● يحلفون لكم
لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ●
الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما
ويتربص بكم الدواير عليهم دايرة السوء والله سميع عليم ●
ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات
عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في
رحمته ان الله غفور رحيم ●

القراءة المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد دايرة السوء بضم السين وكذلك في الفتح
ابو عمرو وابن كثير الاخرون بفتحها قربات بضم الراء نافع غير قالون الاخرون باسكانها وكلاهما بمعنى **الوقوف** ورسوله
اليم لا ورسوله من سبيل رحيم لعطف ما ينفقون اغنياء لاحتمال ان يكون رضوا استئنافا او وصفا مع الخوالف لان الواو للعطف
او الحال لا يعلمون الجزء الحادي عشر وثلث القران اليكم من اخباركم يعملون لتعرضوا عنهم عنهم رجس لاختلاف الجملتين مع شدة
اتصال المعنى في تمام الوعيد جهنم لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مفعولا مطلقا لمحذوف اي يجزون مطلقا جزاء يكسبون
لترضوا عنهم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين على رسوله الدواير دايرة السوء عليم الرسول لهم في رحمته رحيم
التفسير لما شرح احوال منافقي المدينة شرع في احوال المنافقين من اهل البدو فقال وجاء المعذرون من قرا بالتخفيف
فهو من اعذر اذا اجتهد العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من انذر فقد اعذر وكانه تعالى بين اصحاب العذر وهم الكافرون فالمعذرون
هم الذين اتوا بالعذر وهم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيغني الله عنكم وعن مجاهدته

نفر من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه وجهان الاول ان يكون من التعذير وهو التقصير في الامر والتواني فيه وحقيقته
ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له الثاني وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانباري انه من الاعتذار والاصل فيه
المعتذرون ادغمت التاء في الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل شعر ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي جاء بعذر
صحيح فاذا اخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا اخذنا بقراءة التشديد وقرأناها بالمعتذرين احتمل
الامران ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ومنهم
من مال الى انهم كاذبون روى الواحدي باسناده عن ابي عمرو انه قال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم
بقوله وجاء المعذرون وتخلف اخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراة على الله تعالى وهم الذين ارادهم بقوله الذين
كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في
ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي العقبى بالنار وانما قال
منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف الجهاد ساقط عن اصحاب الاعذار الحقيقية فقال
ليس على الضعفاء وهم الذين في ابدانهم ضعف في اصل الخلقة او لهم مرض ولا على المرضى ويدخل فيه اصحاب العمى
والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الغزو
على انفسهم حرج قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا امكنه الاعانة بمقدار
القدرة بحفظ متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك منه طاعة مقبولة اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم
ثم انه شرط في جواز القعود النصح لله ولرسوله ليحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقدموا على اصلاح
مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ما له مدخل في سبيل العقاب والمؤاخذة قال بعض اهل الظاهر كذا رواه الاصبهاني وغيره
ان المحسنين هو الاتي بالاحسان وراس الاحسان وسنامه هو قوله لا اله الا الله فهذا يدل على ان المكلف اذا تكلم بهذا
الكلمة بنيت دينه نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته يكفي عليكم كذا وكذا وبعد ذلك
لا سبيل لاحد عليكم كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك لان الامر والنهي لا نهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق
وعلى هذا الوجه ورد في القران الف تكليف او اقل او اكثر كان ذلك تنصيصا على ان اكثر التكليف محصور فيها وفيما وراءها ليس
لله على الخلق تكليف وامر ونهي وبهذا الطريق تصير الشريعة مضبوطة والقران وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة
الى التمسك بالقياس لان هذا النص دل على ان الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة صار ضايعا وان كان يفيد شغل
الذمة صار مخصصا لعموم النص لانه لا يجوز ان النص اقوى من القياس ولما ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين قسما رابعا وهم
الذين لا يجدون وان قدروا على الزاد بمال ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اي على المركوب قلت قال في الكشاف وهو
حال من الكاف باضمار قد اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا وجوز ان يكون واقعا بين الشرط والجزاء كالاعتراض
قلت ويحتمل ان يكون بدلا من اتوك قال مجاهد هم ابناء مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه اتوا
رسول الله صلى الله عليه يستحملونه ووافق منه ذلك غضبا فقال ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون فدعاهم واعطاهم
ذودا عن الورى فقال ابو موسى الست حلفت يا رسول الله فقال اما اني ان شاء الله لا احلف بيمين فارى غيرها خيرا منها الا
اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني وقيل هم البكاؤون سبعة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن
كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله ان الله
عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا
وهم يبكون وقوله تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كلها فايضة ومن للبيان
والجار والمجرور في محل النصب على التمييز حزنا الا يجدوا انما السبيل اي سبيل الخطاب والعتاب في امر الغزو والجهاد على الذين
يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء ثم قال على سبيل الاستيناف رضوا كانه قيل ما لهم استاذنوا وهم قادرون على الاستعداد
فقيل رضوا بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ومن جملة اسباب الاستبداد ان طبع الله على قلوبهم قال اهل العلم لما قال
في الاية الاولى واذا انزلت سورة قال هناك وطبع فيكون المجهول مبنيا على المجهول بخلافه في هذه الاية ثم ان العلم فوق
الفقه وكان انسب بالمقام الذي جرى فيه الله اما قوله قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فانه علة للمنع من الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصير عذره مقبولا فاذا علم ان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قد نبانا الله علة لانتفاء التصديق وسيرى الله عملكم

يعني لا بد من وقوعه اي سيقع انكم هل تبقون على الحالة التي تظهرونها ام لا وفي قوله ثم تردون الى عالم الغيب تخويف شديد
وفيه انه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمايرهم المملوءة من النفاق والكذب وانما لم يقل في هذه الاية والمؤمنون
كما في الاية التي تجيء لان هذه مواقع المنافقين ولا يطلع على ما في بواطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه او بنور
نبوته كما قال قد نبانا الله من اخباركم والاية الاخرى في المؤمنين حيث وصلها بالواو وعد والله اعلم ثم ذكر ان منافقي
الاعراب سيؤكدون اعذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى عن منافقي المدينة فقال سيحلفون بالله لكم اي رجعتم اليهم
ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر ان يحلفوا على انهم ما قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا
عنهم ارادوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح ولهذا قال ابن عباس
اراد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم
وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاجتناب عنهم فقال انهم رجس وكانهم نجس العين فلا
سبيل الى تطهيرهم بالعتاب والتوبيخ وقال في امثالهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم
ظاهره الذي عليه الشعر يعني انما يعاود الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته مثلا يضرب فيما فيه مراجعة ويستعتب
واذا لم تكن المعاتبة نافعة فيهم فتركها هو الصواب وجهنم منقلبهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين انهم طلبوا اعراض الصفح
بقوله يحلفون لكم لترضوا عنهم ثم نهاهم عن الرضا بقوله فان ترضوا عنهم الاية وذلك لان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة
لارادة الله واي فائدة في رضى المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وارادهم جمعا
معينين كانوا حوالي منافقي المدينة قال اهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب ثابتا وجمعه عرب كالمجوسي
والمجوس واليهودي واليهود والاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح واذا قيل للعربي يا اعرابي غضب وذلك من استوطن القرى
العربية فهو عربي ومن نزل البادية فهو اعرابي ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال
صلى الله عليه وسلم لا تؤمن امراة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا اعرابي مهاجرا قيل انما سمي العرب عربا لان اولاد اسمعيل
عليه السلام نشاوا بالعرب وهي من تهامة فنسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم وقيل
لان السنتهم معربة عما في ضمايرهم لما في لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء انه قال حكمة الروم في ادمغتهم
وذلك لانهم يقدرون على التركيبات وحكمة الهند في اوهامهم وحكمة يونان في افئدتهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث
العقلية وحكمة العرب في السنتهم وذلك لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم انما حكم على الاعراب بانهم اشد كفرا
ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش عن بعض الحكماء ما بال اهل البرية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كالوحوش لا تحتاج الى
البياطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان كان مشرقا عليه انوار
النبوة ومشرفا باستماع المواعظ واداب كيف يكون مساويا لمن نشا كما شاء من غير سياسة سايس ولا تاديب مؤدب
وان شئت فقابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين اي
الاكارين لانهم يعدون اي يصيحون في الابل واجدر اولى واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله اي مقادير تكاليفه
واحكامه وما تقتضي الادلة العقلية والسمعية والله عليم بما في اهل البدو والحضر واصحاب المدر حكيم في كل ما قدر من
الشرايع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو مفعول ثان ليتخذ
لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم اي يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسرانا وقد عرفت ان اصل الغرم
اللزوم كانه اعتقد انه لزمه لامر خارج كتقية او رياء ليس مما ينبعث من النفس والغرم اما مصدر او موضع ويتربص
بكم الدواير نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكانها لا تستعمل الا في المكروه تشبيها بالدايرة التي يحيط فيها في ضمنها
بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام ودولته بان دعا عليهم بقوله عليهم دايرة السوء وانها جملة
معترضة كقوله غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه الدايرة للملابسة كقولك رجل صدق قال في الكشاف
وهو ذم للدايرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد انهم لا يرون في محمد ودينه الا ما
يسوءهم والله سميع لاقوالهم عليم بنياتهم قيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ثم ختم الاية بذكر الصالحين منهم فقال ومن
الاعراب الاية والمعنى انهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لصلوات الرسول عليهم لانه كان
يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على ال ابي اوفى ثم انه تعالى شهد لهم بصحة ما اعتقدوا
فقال على طريق الاستيناف مؤكدا بحرف التنبيه والتحقيق الا انها قربة لهم ثم فسر القربة بقوله سيدخلهم والسين لتحقيق

وعبارة انهم بما هي الكل وختم الله
التائبين بقبولهم مرددون لانه
معتنين تعطيلهم عن الاقوال بخلاف
اية المؤمنين

الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهط اخرت امه بجادا وكساً مخططاً فشققته نصفين فردته باحدهما وارتدى بالثاني وبعثته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لقبه **التاويل** الناس ثلثة المقصرون المعذورون المعترفون بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون في الطلب ولكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم في القعود عن الكمال بالظواهر مع الاشتغال بالبواطن في الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم يكونوا بالغيها بجناحي البشرية والروحانية قلت لا اجد ما احملكم عليه ترفعا ودلالا واستهزاء لزيادة اشواقهم كما قيل الموشى لن تراني زيادة لمشوقه وهم اغنياء لهم الاستعدادات الكاملة فلم يستعملوها في طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الاعراب اشد كفرا في عالم الانسانية بدو اهو نفسه وحضرا هو قلبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما ان الايمان للقلب لذاته بالفطرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس وقد تصير النفس مؤمنة بسراية القلب ولكن النفس تكون اشد كفرا من القلب الكافر كما ان القلب يكون اشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما انزل الله على رسوله يعني الواردات النازلة على الروح فان القلب حضر الروح كما ان المدينة حضر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن النفوس من يعتقد ان ما يصرف من اوقاته في طلب ضايع وينتظر بالقلب اشتغالا وفترة عليهم دايرة السوء باستيلاء القلب عليها وقهرها بما يخالف هواها والله سميع لهذا الدعاء عليم بمن ينبغي ان يسمع في حقه دعاءه

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعدلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ● وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم ● واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ● خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم ● الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم ● وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ● واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم

واما يتوب عليهم والله عليم حكيم ● والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ● لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين ● افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان من الله خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ● لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ●

القراءة من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون بحذفها وبالنصب على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الاخرون بالجر ان صلوتك على التوحيد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو ساكنة بعد الجيم ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى ابي بكر وحماد الباقون بالهمز مضمومة بعد الجيم والذين اتخذوا ابو جعفر ونافع وابن عامر بالواو والباقون بغير واو اسس بنيانه مجهولا في الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى وحماد الباقون بالضم هار بالامالة ابو عمرو وحمزة وفي رواية ابن سعدان وابي عمرو وعلي غير الليث وابي حمدون وحمدويه والبخاري عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى ان قرأها يعقوب الباقون بالامالة الا ان تقطع فعلا ماضيا او مضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ويعقوب وروح الباقون تقطع مضارعا مجهولا من القطع روح الباقون تقطع مضارعا مجهولا من التقطيع **الوقوف** باحسان لان قوله رضي الله عنهم خبر والسابقون ابدا العظيم منافقون لمن قدر ومن اهل المدينة قوم مردوا ومن وصل وقف على اهل المدينة تقديره هم مردوا على النفاق ومن قدر ومن اهل المدينة قوم احتمل ان يجعل لا تعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم نحن نعلمهم عظيم لاحتمال ان يكون التقدير ومنهم اخرون وان يكون معطوفا على المنافقون او على قوم المقدر سيئا عليهم رحيم وصل عليهم لهم عليم الرحيم والمؤمنون يعملون يتوب عليهم حكيم من قبل الحسنى لكاذبون ابدا ان تقوم فيه ان يتطهروا المطهرين في نار جهنم الظالمين قلوبهم حكيم **التفسير** لما ذكر الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل اعلى واجل وهي منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبي هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن والظاهر ان الاية عامة في كل من سبق الى الهجرة والنصرة قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر اسبق في الهجرة او هو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضي عنهم ولا شك ان الرضا معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء من في قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم امنوا وفي عدد المسلمين في مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوي الاسلام

ببيهم وكثرة عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله عشر اجرها واجر من عمل بها وقيل
للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة روى عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ان الله قد غفر لهم واوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت في اي موضع
اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ قوله والسابقون الاولون الى اخر الاية اوجب لجميعهم الرضوان
وشرط على التابعين شرطا لم يشرط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة
لا السيئة او باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوء ويحفظوا لسانهم عن الاغتياب والطعن في حقهم
قال العلماء معنى رضاء الله قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح احوال المنافقين فقال وممن حولكم هو خبر ومن
الاعراب بيان او حال ومنافقون مبتداء ومن اهل المدينة عطف على الخبر وهو خبر المبتداء اخر بناء على ان
التقدير ومن اهل المدينه قوم مردوا والتركيب يدل على الملاسة والبقاء على هيئات واحدة من ذلك صرح
ممرد وغلام امرد وارض مرداء لا نبات فيها وتمرد اذا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقي كما كان
على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا ويقوله على هذا فامعودين الخبث
لا تعلمهم انت نعلمهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب في الدنيا بالفضيحة
والعذاب في القبر روى السدي عن انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق
اخرج يا فلان انك منافق حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتاده بالدبيلة
وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبر وقال الحسن باخذ
الزكوة من اموالهم وعذاب القبر وقيل احد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والاخر عند البعث توكل بهم
عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبي وممن حولكم جهينة ومزينة واشجع واسلم
وغفار ومن اهل المدينة عبدالله بن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال واخرون
وهو معطوف على منافقون او مبتداء اعترفوا صفته وخلطوا خبره عسى الله جملة مستانفة وقيل خلطوا حال باضمار
قد وعسى الله خبره مستانفة وللمفسرين خلاف في انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين تخلفوا
عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس في رواية الوالبي نزلت في قوم
كانوا تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول الله واصحابه في الجهاد روى انهم كانوا ثلثة
ابولبابة مروان واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة منهم حين بلغهم ما نزل في المخلفين فايقنوا
في الهلاك اوثقوا انفسهم على سواري المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقنا و
يعذرنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فراهم
موثقين فسال عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فتعاهدوا بالله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم و
ترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت
هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال
ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم صدقة الاية والاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والمراد
انهم اقروا بذنوبهم وهذه كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضي
والعزم على تركه في الحال وفي الاستقبال خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اي خلطوا كل واحد منهما بالاخر كقولك
خلطت الماء واللبن وهذا ابلغ من قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت في الاول كلا منهما مخلوطا ومخلوطا به
كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما
اي شاة بدرهم وذلك ان الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الباء من قولك
بعت الشاة شاة ودرهما اي شاة بدرهم ويجوز ان يقال الخلط بمعنى الجمع قال اهل السنة فيه دليل على نفي القول بالمحابطة
لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفي قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على وقوع التوبة التي اخبر بحصول
مقدمتها وهي الاعتراف عنهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدته ان يكون المكلف
على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معنى ان يتوب ان يقبل التوبة
ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام هو وجوب انتهاء الكل الى مشيته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال

سبحانه خذ من اموالهم صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الاية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة
كفارة الذنب الذي صدر عنه وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكوة
ووجه النظم انهم لما اظهروا التوبة والندامة امروا باخراج الزكوات الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك
ان الامر ظاهره الوجوب وايضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من اموالهم دلالة على ان
القدر الماخوذ بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على ان
المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي الحق في ذمة
المالك وهو قول القاضي وقوله تطهرهم وتزكيهم التاء فيهما للخطاب اي تطهرهم ايها الاخذ وتزكيهم بواسطة تلك
الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان
متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير او هو بمعنى الانماء كانه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة و
البركة والمراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الزكوة مطهرة للاثام فلا تعتبر
الا حيث يمكن حصول الاثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي تجب الزكوة في
مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم فمن هنا قال الشافعي السنة
للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك الله فيما ابقيت وقال اخرون
بظاهر اللفظ لما روي عن عبدالله بن ابي اوفى قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقات قومي فقلت يا رسول
الله صل علي فقال اللهم صل على ال ابي اوفى وقال بعضهم كالغزالي وامام الحرمين بلفظ الكراهة وقالوا السلام ايضا في
معنى الصلوة واما الشيعة فانهم يذكرون الصلوة والسلام في حق ال البيت ايضا كعلي واولاده وهم على العموم
من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني امية وبني نوفل وقالوا انها كانت جائزة في حق من يودي الزكوة فكيف يمتنع ذكره
او لا يحسن في اهل بيت الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق واما السلام فلا كلام عليه لانه جائز
في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في ال الرسول ان صلوتك سكن لهم والسكن ما يسكن اليه المرء وتطمئن به نفسه وذلك
ان دعاءه يستجاب له فيستظهرون بها وكيف لا ويفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج مانعوا الزكوة
بها في زمان ابي بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن والان لا سكن ورد عليهم بتناسب الايات روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فنزلت
الم يعلموا يعني غير التائبين وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم ويقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل
الصدقة الصادرة عن خلوص النية وفائدة توبته هو ان يعلم ان الالهية هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة
المطيعين ومعصية المذنبين واذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه
ايضا ان قبول التوبة ليس الى الرسول وفي قوله عن عباده دون من اشارة الى البعد الذي يحصل للعبد عن الله بسبب العصيان
او الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة اخذ الصدقات الى الله بعد ان امر الرسول بالاخذ تشريف عظيم
لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي احدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند الله اعظم من احد وقد جاء هذا المعنى
في الحديث ثم امر نبيه بان يقول للتائبين ترغيبا لهم في التوبة اعملوا وفيه نوع تهديد وتخويف فسيرى الله عملكم وقد مر تفسير
مثله عن قريب والحاصل انه كانه قيل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا حكما بان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الاخرة
حكما وهو الجزاء وبوجه اخر كانه قيل ان كنت من المحقين فاعمل لله وان كنت من الظاهريين فاعمل لتفوز بثناء الخلق وهم الرسول
والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك ان رؤية الله تعالى شاملة لافعال القلوب
والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين فلا تشمل افعال القلوب الا بارادة الله واطلاعه وافشائه واعلم انه تعالى قسم
المخلفين الى ثلثة اقسام الاول منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق الثاني التائبون المعترفون بذنوبهم الثالث الذين
بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله واخرون واعرابه كاعراب قوله واخرون اعترفوا ومعنى مرجون اي مؤخرون من ارجيته
وارجاته اذا اخرته ومنه قوله ارجه واخاه كما مر وبه سميت المرجئة لانهم يجزمون بغفران ذنب التائب ولكن يؤخرونها الى مشية
الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل عن الايمان قال ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة
بن الربيع وهلال بن امية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد
انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم صلحت توبتهم وعلى الثلثة

الذين خلفوا كما يجيء وقال الحسن انهم قوم من المنافقين صدهم الله بهذه الاية ان لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم التشكيك راجع الى العباد اى ليكن امرهم على الخوف والرجاء وكان يقول اناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا ويقول اخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائى جعل امرهم دائرا بين التعذيب والتوبة يدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير توبة واجيب بانه لم لا يجوز ان يكون المنفصلة مانعة الجمع فقط ولما ذكر اصناف المنافقين وبين طرائقهم المختلفة قال والذين اتخذوا مسجدا ضرارا كانه قال ومنهم الذين اتخذوا وفى الكشاف ان محله الرفع على الابتداء وخبره محذوف اى ممن وصفوا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثنى عشر رجلا بنوا مسجدا يضاهون به مسجد قباء روى ان بنى عمرو بنوا مسجدا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى امرين من الباعث على ذلك ان المنافقين ارادوا تقوية اهل النفاق الاول التفريق بين المؤمنين لانهم ارادوا ان لا يحضروا مسجد قبا فتقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبى فيه فيؤدى ذلك الى اختلاف الكلمة وبطلان الالفة الثانى قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بحارب اى من قبل بناء مسجد الضرار وقال فى الكشاف انه يتعلق باتخذ والمراد من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار مع العداوة وقال الاكثرون انه الاعداد والانتظار والمراد بمن حارب ابو عامر الراهب والد ابى حنظلة الذى غسلته الملئكة سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد تنصر فى الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود فمخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلى بهم فى ذلك المسجد ثم اخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا ببنايته الا الخصلة الحسنى والارادة الحسنى وهى الصلوة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق ذلك غزوة تبوك فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ابنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان تاتينا فتصلى فيه وتدعوا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سالوه اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه ابدا الاية فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرئيل لا تقم فيه ولا ريب ان النهى عن القيام فيه يستلزم النهى عن الصلوة فيه ثم بين علة النهى فقال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اى من ايام وجوده احق ان تقوم فيه فالمعنى لو كان القيام فى غيره جائزا لكان هذا اولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة فى هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول يوم كان اولى بالصلوة فيه فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وما ذاك الا على بن ابى طالب كرم الله وجهه لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا فى هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة عن ابى سعيد الخدرى سالت رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الذى اسس على التقوى فاخذ الحصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهى يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة قال فى الكشاف وهذا اولى لان الموازنة بين مسجد قبا اوقع وقال القاضى كل مسجد بنى على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على واحد وايضا كل مسجد بنى مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا اخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا باضداد الامور من الضرار والكفر والتفريق ولان الطهارة الباطنة اشد تاثيرا من طهارة الظاهر فى القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء روى ذلك انهم كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وروى انها لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء

قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط بالاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار بالماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا باجمعهم ومحبة التطهير ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضاء عنه والاحسان اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ثم بين ان لا تشبيه بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال افمن اسس بنيانه على سبيل التقرير امن اسس بنيانه وهو المصدر كالغفران واريد به المبنى والمعنى ان من اسس بنيانه اى بناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهى تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على ضد ذلك والشفا هو الشفير والجرف هو ما اذا سال السيل وانحرف الجرف الوادى وبقى على طرف السيل طين مشرف على السقوط ساعة فساعة فذلك الموضع الذى هو بصدد السقوط جرف والهار الهائر وهو ايضا المتصدع الذى اشفى على التهدم والسقوط قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهار اذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد فى مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال فى الكشاف انه صفة قصرت عن فاعل كخلف عن خالف والفه ليست بالف فاعل انما هى عينه واصله هور على فعل ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل ولكونه على شفا جرف كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط فى قعر جهنم يروى انه حفرت بقعة فى مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منها ثم ذكر بنيانهم ذلك لازدياد ريبهم فقال لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة وفى كونه سببا للريبة فى قلوبهم وجوه منها ان هدمه صار سببا لازدياد شكهم فى نبوته ومنها تحيرهم ظنوا انه لاجل الحسد فارتفع امانهم فصاروا مرتابين فى انه هل يتركهم على ما هم فيه او يامر بقتلهم ونهب اموالهم ولا يزول تلك الريبة الا ان تقطع قلوبهم اجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فحينئذ يضمحل اثرها عنها والمقصود ان هذا الشك يبقى فى قلوبهم ابدا ويموتون على النفاق قال فى الكشاف فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحالة زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او فى القبور او فى النار وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم

التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم عناية الازلية والسابقون الاولون عند الخروج من العدم وهم اهل الصف الاول من الجنود المجندة او السابقون فى جواب الست بربكم الاولون فى استماع هذا الخطاب او السابقون فى استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم فى الازل الاولون باداء حق الربوبية فى سر يحبونه او السابقون عند تخمير طينة ادم فى مماسة ذواتهم يد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة فى كمال الاربعين صباحا السابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الرضا الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق مخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم وبامته كما قال نحن الاخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم فى طلب الحق والذين اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم فى متابعتهم بقدر الامكان رضى الله عنهم باستعدادات الكاملة ورضوا عنه بايفاء حقوقها وممن حولكم من اعراب صفات النفس منافقون ومن اهل المدينة القلب فمن صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بصفات سياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية بل تميل الى الشهوة اذا خليت وطبعها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتى النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية فى طلب الغذاء فانها باقية على طلبها ما دام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها تحتمل ان تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية او لم تكن مقلوبة باضداد صفات القلب ففيها بعض النفاق كما قال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعنى من الاحوال لا يعرفها ارباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها اصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة ومرة باداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء فى الله او بجذبات القهر الى اسباب حجب البعد والبقاء فى عالم الطبيعة واخرون يعنى القلب وصفاته اعترفوا بذنوب صفات النفس والتلوث بها خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه واخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى فى بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الى طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها عن درن حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة فان حب الدنيا راس كل خطيئة وباخذ الصدقات فيه ان المعطى عيان لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير اصلا وستردون باقدام اعمالكم الى الله الذى يعلم ما غاب عنكم من نتائج اعمالكم وما غبتم عنه من التقدير الازلى وما تشاهدون بالعيون والقلوب فى عالمى الملك والملكوت واخرون مرجون امره توبتهم بين

الخوف والرجاء فيطير بجناحي القبض والبسط الى ان يصلوا الى سرادقات الهيبة والانس والله اعلم بتربية عباده حكيم
فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا في عالمي الطبيعة والنفس مسجدا ضرارا لارباب الحقيقة وكفرا باخوانهم لمن
حارب الله هم اهل الاباحة من مدعي الفقر بارسول الروح اسس على التقوى هو مسجد القلب محل العبودية والطاعة من اول
يوم الميثاق رجال يحبون ان يتطهروا هم الاوصاف الحميدة والملكات المزكاة عن درن الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين
اهل السعادة والشقاوة فقال افمن اسس اي جبل على الخير ومرافيه رضى الله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة لانهم جبلوا
على الشقاء الا ان تقطع قلوبهم عبروا عن طباعهم وذلك محال او لا يزال السرى عن مزبلة النفس وسخ ظلمه الى قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم بسكين الرياضة فتزول عنها تلك الملكات

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في
التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون
العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين انه عدو لله تبرأ منه
ان ابرهيم لأواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم
حتى يتبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف
رحيم وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت و
ضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم

ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و
كونوا مع الصادقين

القراءة فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلي وخلف الاخرون على العكس ويقتلون بالتشديد ابو عون عن قنبل ابراهام وكذلك ما بعده هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التانيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى ابن رومي عن عباس الباقون بالتشديد مجهولا **الوقوف** الجنة ويقتلون والقران بايعتم به العظيم لحدود الله المؤمنين الجحيم اياه منه حليم ما يتقون عليم والارض ويميت نصير تاب عليهم رحيم للعطف على النبي خلفوا الا اليه ليتوبوا الرحيم الصادقين **التفسير** لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر اقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى الاية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فاغلى ثمنهم وقال جعفر الصادق والله ما لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا اعلم ان هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء هو بذلها والمراد بانفسهم النفوس المجاهدة وباموالهم التي ينفقونها في اسباب الجهاد وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي ان قيم الطفل له ان يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الاية البايع والمشتري هو الله ففيه تنبيه على ان العبد كالطفل الذي لا يهتدي الى مصالح نفسه وانه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الى انواع الخيرات واصناف السعادات وبوجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذي هو من عالم من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضرورات المعاش كالالات والوسائط لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات، فالبايع هو جوهر الروح القدسي والمشتري هو الله واحد العوضين الجسد البالي والمال الفاني والعوض الاخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زائل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم وفي قوله يقاتلون معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وهو كالتفسير لتلك المبايعة فيقتلون ويقتلون اي انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه ان طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصرف ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بجهاد السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق ان كل انواع الجهاد تدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد اكمل اثرا من القتال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه لان يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان جوهر شريف فمتى امكن ازالة الرذيلة صفاته مع بقاء ذاته الشريفة كان اولى من افناء ذاته الا ترى ان جلد الميتة لما كان منتفعا من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله وعدا عليه حقا قوله قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة كانه قيل وعدهم الجنة وعدا فهو مصدر موكد وكذا قوله حقا او هو نعت للمصدر موكد وما الذي حصل في التورية والانجيل والقران وقيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الامر بالقتال ومن اوفى استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعده من الله لانه الغني عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفي الاية انواع من التوكيدات فاولها قوله ان الله اشترى و اذا كان المشتري هو الاله الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشرى حتى يكون حقا موكدا ومنها انه قال بان لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله في التورية والانجيل والقران وانه يجري مجرى الاشهاد بجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن اوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق ومنها قوله وذلك هو الفوز ثم وصف الفوز بالعظيم واعلم ان هذه الخاتمة تقع على ثلثة اوجه احدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة مواضع في براءة موضعين وفي النساء والمائدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو والاخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع اخر في براءة

موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد وما في براءة احدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الاية وكذلك ما في المؤمن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بواو العطف واما بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين الشيئين والثلثة للدلالة على المبالغة وقد جمع في هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية التوكيد والمبالغة ولانه ذكر الكتب الثلثة فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد وكذلك في المؤمن وجمع الثلثة في مقابلة ثلثة ادعية فاغفر لهم وقهم وادخلهم قال ابو القاسم البلخي لا بد من حصول الاعواض على الالام للاطفال والبهائم قياسا على ما اثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان حكم سائر المؤمنين كذلك فقال التائبون قال الزجاج انه مبتدأ محذوف الخبر اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتدأ خبره العابدون وما بعده اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال اما تفسير هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا عن النفاق وقال آخرون الى التعميم ليشمل المعاصي ايضا اذ لا دليل على التخصيص والعابدون قال ابن عباس هم الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لا شك انها عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم والحامدون هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وذلك ان الحمد ذكر من كان قبل ادم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا لقوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والسائحون قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل اصحاب السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي من الاكل والشرب والوقاع وقال اهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب المعاني والحكمة وتجلت له انوار المعارف والحقائق فيحصل له سياحة في عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قاله عكرمة عن وهب بن منبه ولا ريب ان للسياحة اثرا عظيما في تكميل النفس لانه تلقى انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء وللاموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والاثار والراكعون والساجدون يعني المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود وقيل اولى مراتب التواضع القيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا وهو انه لم ادخل الواو في قوله والناهون والحافظون دون سائر الاوصاف واجيب بان النسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب او المراد ان الموصوفين بالصفات الستة هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر والنهي عن المنكر اصعب اقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران التعصب فادخل عليه الواو تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الاية وما في الكهف في قوله ويقولون ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر في القران ذكرها والخارها والثمانية يجري مجرى استيناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله والحافظون لحدود الله فكاجمال بعد تفصيل وذلك ان التكاليف اما ان يتعلق بمصالح الدين فهي باب العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذور ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات اما لجلب المنافع او لدفع المضار والمنافع اما ان تكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس وهي الذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب احكام الوقاع فمنها ما يفيد حله ككتاب النكاح والرضاع وما يتبعهما من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق

والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن احكام الملموسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل سماعه وما لا يحل والمشمومات وقيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب في بعض الاوقات ومنعها في بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هي الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الموات والالتقاط واخذ الفيء والغنائم والزكوات وكالبيع بيع العين بالعين او بيع الدين بالعين وهو السلم او بالعكس كما اذا اشترى شيئا في الذمة او بيع الدين بالدين وهو البيع الكالي بالكالي المنهي عنه الا عند تقاص الدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التي تمنع المالك من التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والتفليس واما دفع المضار فالمضرة اما في النفس وهو كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما في النسب وهي باب احكام الزنى والقذف واللعان واما في العقل ككتاب تحريم الخمر واما في المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب اخر وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب وهم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بحجة وهي الشهادة والايمان فحصل من ذلك كتاب ادب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا ما امكن من ضبط معاقد تكاليف الله تعالى واحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله والحافظون لحدود الله يشمل ذلك ايضا بل رعايته اهم من رعاية احوال الظواهر ثم ختم الاية بتكرير البشارة وفيه من كمال العناية ما فيه ولما بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار من المنافقين والكفرة الاحياء والاموات في وجوب البراءة من امرائهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبي ومعناه اي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل المنع بقوله بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار مجرى اخلاف ما وعد الله ووعيده وفيه حط لرتبة النبي حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بان يكونوا من الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو كانوا اولي قربى روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه لما حضر ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شيء كلمهم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قرابتنا قد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت ما كان للنبي الايتان وقيل عن ابن عباس لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا الى اخرهما موتا فقيل امك امنة فزار قبرها ثم قام باكيا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فيه ونزل علي ما كان للنبي الاية قال صاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا اصح لان من اخر القران نزولا وكانت له وفاة ابي طالب بمكة في اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه صلى الله عليه وسلم لعله بقي مستغفرا الى حين نزول الاية ثم اعتذر عن استغفار ابرهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك ان اباه كان وعد ابرهيم ان يؤمن فكان يستغفر له بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابرهيم انه عدو لله اما باصراره على الكفر او بموته على ذلك او بطريق الوحي تبرأ منه وترك الاستغفار ويجوز ان يكون الوعد من ابرهيم عليه السلام ويوافقه قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة وذلك في قوله لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد استغفار ابرهيم لابيه دعاؤه له الى الاسلام الموجب للغفران وكان يتضرع الى الله ان يرزقه الايمان وقيل المقصود النهي عن صلوة الجنازة فكان قوله ولا تصل على احد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الاية بقوله ان ابرهيم لاواه حليم قال اهل اللغة اواه فعال ماخوذ من حروف اوه كلمة يقولها المتوجع وذلك ان الروح القلبي يختنق عند الحزن في داخل القلب وتشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج ذلك النفس المختنق فخف بعض ما به وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاواه الخاشع المتضرع والحلم ضد السفه وصفه تعالى بشدة الرقة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابرهيم مع هذه العادة تبرأ من ابيه حين انقطع رجاؤه منه فانتم بهذا المعنى اولى ثم ان المسلمين خافوا ان يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين فانزل الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة او يحكم عليهم بالضلال او يخذلهم او يوقع الضلالة في قلوبهم حتى

يكون منهم الامر الذي يستحق به العقاب بعد اذ هديهم حتى يتبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل ان
الله لا يتبع قوما ضلالا لا بعد ان سماهم مهتدين ما لم يقدموا على شئ مبين خطره واما قبل العلم والبيان فلا يواخذهم
كما لم يواخذ بشرب الخمر والربوا قبل تحريمهما وفي الاية تشديد عظيم جعل المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض المحظورات
داخلا في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت والمراد ان من كان
عالما قادرا هكذا لم يحتج الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على انه يقبح من الله
الابتداء بالعقاب واجيب بان له ذلك بحكم المالكية غاية ما في الباب انه لا يفعله لا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله
ان الله له ملك السموات والارض فايدة اخرى هي انه لما امرهم بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية
نصرته لمن اراد استظهارا للمسلمين كيلا يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار وايضا كانه قال وجب
عليكم ان تنقادوا الى حكمي وتكاليفي لاني الهكم وانتم عبيدي ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبي الاية
ولنبين تفسير الايتين على اسولة مع جوابها فالسوال الاول ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه تحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان اللايق بحالهم ان يثني عليهم والجواب ما من مومن الا وهو
محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من باب الكباير او من باب الصغاير واما من باب ترك الاولى
والافضل كما اشير الى ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المومنين
نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب ولا اقل من الوساوس والهواجس فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدايد صادت مكفرة
لجميع الزلات صدرت عنهم في ذلك السفر بل في مدة عمرهم وصادت قايمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز
ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شان المهاجرين والانصار لا لانه صدر عنه ذنب السوال الثاني ما المراد بساعة العسرة
الجواب قد تستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر
جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير
المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي
عسرة من الماء الى ان حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر
وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى في
غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى كاد تزيغ وكيف اعرابه والجواب مما استعملان كاد زيد
يخرج وكاد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد خارجا اي جاز له الخروج ومعنى الثاني كاد الشان يكون كذا يعني قارب الشان هذا الخبر
وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله اي ليس الشان ذلك ولكن عندهم والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم عند تلك الشدايد
بالمفارقة ثم حبسوا انفسهم وصبروا وثبتوا وندموا وقيل ما كان الاحديث نفس بلا عزيمة ومع ذلك خافوا ان يكون معصية
الرابع ذكر التوبة في اول الاية فلم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب ان عاد الضمير في عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد
الى النبي والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هي ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك انه
بدا بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر التوبة ليدل على العفو عفوا متاكدا
كما يقول السلطان عند كمال الرضى عفوت عنك ثم عفوت عنك واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغفر
ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس في قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد عنهم رضى ثم اكد هذه المعاني بقوله انه بهم
رؤف رحيم ويشبه ان يراد بالرافة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة او الاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الثالث
الخامس الثلثة الذين خلفوا منهم الجواب هم المرجون لامر الله كانهم مخلفين كما سموا مرجين اي موخرين عن ابي لبابة واصحابه
حيث تيب عليهم بعد اوليك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة من قرا بالتخفيف اي خلفوا الغازين وقيل الخلف عن خلوف
الغزاي فسدوا وقرا جعفر الصادق ثم خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض مع سعتها وهو مثل للحيرة في الامر وضاقت عليهم انفسهم
اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور وظنوا اي علموا وتيقنوا ان لا ملجا من سخط الله الا في استغفاره كقوله صلى الله عليه وسلم
اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم قرانا وان سلم انهم
قطعوا بذلك الا انهم جوزوا ان يكون المدة قصيرة وجواب اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا ثم تاب عليهم وحسن
حذفه لتقدم ذكره عن كعب بن مالك لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه كالمغضب بعدما كان ذكرني في الطريق وقال
ليت شعري ما خلف كعبا فقيل ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى

عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن
فلما مضت اربعون تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت علي الارض بما رحبت وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول
الي فصافحني وقال ليهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر
ابشر يا كعب بن مالك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية سئل ابو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال ان
تضيق على التايب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فايدة قوله تاب عليهم ثم تاب
عليهم فما فايدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم او تاب
عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم فان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة او
تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمومنين او تاب عليهم ليستغنوا بالتوبة وثوابها لان الانتفاع بهما لا يحصل
الا بعد توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة المقصود بيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وايضا
قالوا في الاية دلالة على ان قبول التوبة غير واجب عقلا لان توبة هولاء قد حصلت في اول الامر ثم انه صلى الله عليه وسلم
لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن ان يجاب بان شرايط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من اول
الامر فلهذا تاخر القبول دليله قوله حتى اذا ضاقت الاية ثم حث سبحانه المومنين على ملازمة سيرة النفوس والانضمام في زمرة
اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين امنوا الاية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المومنين ان يكونوا مع الصادقين
لا بمعنى ان يكونوا على طريقتهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بمعنى المصاحبة والكون مع الشئ مشروط بوجود ذلك
الشئ فلا بد من وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان التكاليف المذكورة في القران متوجهة
على المكلفين الى يوم القيمة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول واصحابه في الغزوات بل اعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز
ان يكون منحصرا في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما تقوله الشيعة لان كون كل واحد من المومنين
مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد في كل حين والمراد انهم اذا
اجمعوا على شئ كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين
صدقوا في دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة نية وقولا وعملا وقيل اي كونوا مع الثلثة المذكورين في الصدق والثبات وعن
ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي وافقوا المهاجرين والانصار في الصدق وقيل الخطاب للذين تخلفوا وانفسهم على
السواري وفي الاية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصايص الصدق ما روي ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اني رجل ادا ومن بليتي الاتي احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لي
بتركها فان قنعت مني بترك واحد امنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم اسلم فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه
الخمر فقال ان شربت فان سالني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد علي فتركها ثم عرض
عليه الزنى فجاء ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب
انسد ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل ومن فضايل الصدق ان الايمان منه لا من ساير الطاعات ومن معايب الكذب ان الكفر منه لا من
ساير الذنوب ومن مثالب الكذب ان ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى في قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين ثم المقتضي لقبح الكذب كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند المعتزلة والله اعلم **التاويل** ان الله اشترى في
التقدير الاولى ولهذا تيسر لهم الان بذل النفس والمال في الجهاد الاصغر وفي الجهاد الاكبر انه كما اشترى من المومنين انفسهم و
اموالهم بان لهم الجنة اشترى من اوليائه الصديقين قلوبهم وارواحهم بان لهم الجزاء التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه
على قدم العبودية الحامدون له على وفقهم لنعم طلبه السايحون السايرون اليه بقدمي الصبر والشكر والتبري والتولي الراكعون
اي الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجوده الساجدون الساقطون على عتبة الوحدة بلا انتم الامرون بالمعروف الحقيقي
الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبي فيه ان الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وان
الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابرهيم لاواه الاواه المتبري من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون
لضيق البشرية تولاه بمولاه فيما ورد له من الحق ضاق عليه نطاق الحق فيتاوه عند تنفس القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما
اصابه من الخلق للحق رجع من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال جبريل حين سال الك حاجة فاجاب اما اليك فلا وما كان الله

ليضل قوما لبردهم بالمكر الى الاثنينية والبعد بعد اذ هديهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من آفات البشرية وعاهات الدنيا فهي راس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها ووقعوا باستدراج الى حب خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور او نقول ان الله تعالى بعد اذ هديهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات الثاني حتى يتبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال رعاية لملك الاحوال ان الله له ملك سموات القلوب وارض النفوس يحيي بنور ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات البشرية من يشاء وما لكم من دون الله من ولي فلا يشغلكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم ذكر النبي على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور عن النبي تحقيقا ولقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين في ساعة عسر الدنيا وترك الشهوات او نقول لقد تاب الله اي افاض ابواب عرفانه على نبي الروح ومهاجر صفاته الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعه الى عالم العلم بالعسرة لانهم من السفل وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما اتبعوا الروح عند رجوعه الى عالم الابناء حتى اذا ضاقت عليهم ارض البشرية شوقا الى الحضرة وضاقت عليهم انفسهم تحننا الى نيل تلك السعادات وعقولهم بنور اليقين ان لو يتوانوا في السفل لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا الطريق الحق ابدا   مع الصادقين   الذين صدقوا يوم الميثاق ٥

ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن
رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم
ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا
يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم
به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم
ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا
فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة
فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا

فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون
اولا يرون انهم يفتنون في كل مرة او مرتين ثم لا يتوبون
ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض
هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم
لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا
فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

القراءة يوطئا مخبرا بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف غلظة بفتح الغين المفضل الباقون بكسرها ولا ترون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة **الوقوف** من نفسه صالح المحسنين للعطف يعملون كافة يحذرون غلظة المتقين ايمانا يستبشرون كافرون يذكرون الى بعض لحق المحذوف اي يقولون هل يريكم ثم انصرفوا لا يفقهون عزيز على تاويل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما عنتم عليه او لا وقف في الاية الى قوله رحيم حسبي الله والاصح الوصل على جعل الجملة حالا اي يكفيني الله غير مشارك في الالوهية الا هو العظيم **التفسير** لما امر بموافقة النبي واصحابه في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة اي لا يستقيم ولا يجوز لهم والاعراب الذين كانوا حول المدينة فذكرنا عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار وكانه اراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى ولا يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اي بخلت عليه ولا اتركها له والمراد انه لا يصلح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب صلاح انفسهم وبقائها بل عليهم ان يصحبوه على البأساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه اعز نفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الانفس ان لا يضنوا على سبيل نفسه عليه وفي هذا النهي مع النهي توبيخ عظيم ولا يخفى ان الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع لان اصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل وبالنقل فيبقى ما وراء هاتين الصورتين داخلا تحت عموم الاية ثم ذكر ترغيبا يجري مجرى علة المنع من التخلف فقال ذلك بانهم اي الوجوب الدال عليه قوله ما كان لهم بسبب انهم يثابون على انواع المتاعب واصناف الشدائد بل على جميع الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب والظمأ شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي يظهر ضمور البطن والموطئ اما مصدر كالمورد او مكان وعلى التقديرين الضمير في يغيظ عائد الى الوطء الصريح او المقدر ثم الوطء يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابي غاظه وغيظه واغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم و يلحق بهم ضررا من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار تصرفا يغيظهم ويرزأهم شيئا الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيته وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في طرف المعصية وكم من الصدق فما اعظم بركة الطاعة وما اشد شوم المعصية وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكيهم وقال الشافعي لا يشاركون القادمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص الحاضرين ومن قد تعاطى الخطر

قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر
وقال ابن زيد حين كان في المسلمين قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة وقال عطية
ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء وكذلك غيره من الائمة والولاة اذا عينوا طائفة لانا لو سوغنا
للمندوب ان يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي الى تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة
قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما اربى عليها مثل ما انفق عثمان رضي في جيش العسرة ولا يقطعون
واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شايع في استعمال العرب لا اصل في وادي غيرك وهو في الاصل فاعل
من ودى اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال واكام يكون منفذا للسيل الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع او ذلك
العمل الصالح المعهود في الاية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من
اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة الفعل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عدد
اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظماء والنصب والمخمصة وباقيها من اعمالهم وهي الوطي والنيل والانفاق
وقطع الارض وقسم هذا الباب في قسمين فضم شطرا الى ما ليس من اعمالهم تنبيها على انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا قال بذلك
فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي في لغرض اخر
وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى التصريح بذلك او البقاء بما هو عدم
اولان الضمير عايد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم بمراده ثم قال وما كان المومنون وفيه قولان احدهما انه من بقية
احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون
جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الاية قال ابن عباس والمعنى انه لا يجوز للمومنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا
احديهما الملازم لخدمة الرسول والاخرى للنفير الى الغزو ثم ههنا احتمالان الاول قال الحسن فلولا نفر اي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين يذهب الاكثرون الى ان الضمير في ليتفقهوا عايد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم اذا
يقولون في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل وضبطوا ما احدث من الشرايع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة واقام طائفة ليتفقه المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند
ذلك وبهذا الطريق يتم امر الدين بهاتين الطائفتين ولا ضاع احد الشقين والاحتمال الاخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود
الى الطائفة النافرة وتفقههم هو انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح
كيف يغلبوا الجم الغفير من الكفار فيتنبهون لدقايق صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا من دلايل
الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه
النظم ان الجهاد امر يتعلق بالسفر وكذلك التفقه اما في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه
ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا ريب انه متى عجز
عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان امكنه في الحضر فلا شك ان للسفر بركة اخرى يعرفها كل من زاول الاسفار وحاول
الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا المتاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو
العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلايلها التفصيلية والظاهر ان المراد في الاية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم
الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي او
الشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار والارشاد لا ما تسبق اليه علماء السوء من
الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمفاخر اعاذنا الله تعالى بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا من الذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا القايلون بان الخبر الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلثة
يكون اثنين او واحدا ثم انه اوجب العمل باخبارهم بقوله ولينذروا واجيب بان ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان
الشاهد الواحد يلزمه اداء الشهادة وان لم يلزم القبول وعورض بان قوله لعلهم يحذرون ايجاب العمل باخبارهم ثم ارشد سبحانه
الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم مبتديا من الاقرب ومنتقلا الى الابعد والقتال
واجب مع كافة الكفرة باية القتال ولكن هذه الاية اخص لان الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب ضرورة
فلا تكون هذه منسوخة باية القتال على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر
وللاقرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة وكما في ساير المهمات مثلا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغا

وايضا المؤونة في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد
عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم عرب الشام وروي ان اعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة
من تلك المائدة فقال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك فثبت بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم
يضطر الى العدول لضرورة قوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة نظيره قوله واغلظ عليهم ومن قرا بفتح الغين فهو المصدر
ايضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجراءة والصبر على القتال ولشدة العداوة والعنف في القتل والاسر كل ذلك مما يتصل
بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف اما فيما يتصل بالبيع والشراء والمجالسة فلا وليكن بتقوى الله سبحانه
على ذكر منه في موارده ومصادره ولهذا ختم الاية بقوله واعلموا ان الله مع المتقين فان قتله فلله وان تركه
على الجزية تركه لله وان كسر عدوه ومال الامر الى اخذ الغنيمة راعى فيه حدود الله ثم حكى بقية فضايح اعمال المنافقين فقال
فاذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمومنين المعتقدين زيادة الايمان
بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به او يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول ايكم مرفوع بالابتداء
وخبره زادته هذه ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمومنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد
مر معناه في اول سورة الانفال الثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الاخرة واما بالعزة والنصرة في
الدنيا والمراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزايدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين
الذين لهم عقايد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس على الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام
كفر الى كفر ولان حصول حسد وغل ونفاق عقيب امثالها ازدياد ملكة ذميمة على اخرى وثانيهما بقاوهم على تلك العقايد
والاعمال الى ان ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الى ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي
عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا يبعد احداث السوء فيهم الرجس واسناد مجازي
عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدليل ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا
ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله والاخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا
لازدياد رغبته في الاخرة ونفرته عن الدنيا واما النفس الحريصة المنهمكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب
الاخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد زادت نفرته عنها وانكاره عليها وكلا
بعده ثم عجب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قال ابن عباس اي يمتحنون بالمرض ثم
لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك كما يتعظ المومن فانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدي ربه فيزيده ذلك
ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع قال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا في السنة الناس باللعن والخزي وان
ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فايدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن
فيخبره جبرئيل فيوبخهم بذلك ويعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا اخر من مخازيهم فقال واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
الى بعض اي سورة مشتملة على ذكرهم او اعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحي قائلين هل يريكم من
احد من المسلمين لينصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما في
الباطن من الانكار الشديد ارادوا ان كان من ورائكم احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من هذا الايذاء وسماع الباطل ثم
انصرفوا اي من مكان الوحي او حكاتهم او عن استماع القران الى الطعن ومعنى صرف الله قلوبهم قال ابن عباس منعهم عن كل رشد
وخير وقال الحسن طبع الله قلوبهم وقال الزجاج اضلهم قالت الاشاعرة هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان و
المنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وتصرف قلوبهم عن الانشراح او الاخبار او ما يصرفهم عن الالطاف
التي يختص بها من آمن بها او المراد صرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنى قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا
وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق انه لا تقولوا انصرفنا من الصلوة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم
لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصوده التفال باللفظ الوارد في الخير دون الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله في هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب
في تحملها فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من جنس البشر لا من الملك لان الجنس الى الجنس اميل وبه الف وانس والخطاب
للعرب والمقصود ترغيبهم في نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم

وتحريهم لانه من ابناء بلدتهم او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل الله وخاصته وكانوا يخدمونهم
ويقدمون باصلاح مهماتهم فكانه قيل لهم كنتم قبل محمد مقدمين فى خدمة اسلافه فلم تتكاسلون فى هدايته مع انه لا نسبة
له فى الشرف الى ابائه او المقصود من ذكر هذه الفصة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق
والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الافات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال من هذا حاله وصفته
يكون من اعظم نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة الى النبى صلى الله عليه وسلم
والوصى واهل البيت ع ثم وصفه بما تستتبعه المجانسة والمناسبة من النتايج وذلك قوله عزيز عليه ما عنتم العزة الغلبة و
الشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية اى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاءكم
المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحرص يمتنع ان يتعلق بذواتهم فالمراد
حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الافات والثانية لايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار
وقال الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمومنين اى منكم
ومن غيركم رؤف رحيم قال ابن عباس لم يجمع الله لنبى اسمين من اسمائه الا له وحاصل هذه الاية الخاتمة ان هذا الرسول منكم وكل ما
يحصل له من العز والشرف فذلك عايد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرفنا ان الطبيب حاذق والاب
مشفق فالعلاج والتاديب منهما احسان واجمال وان كان صعبا مولما فاقبلوا ما امركم به من التكاليف وان كانت شاقة
لتفوزوا بالسعادة الدارين ثم قال لرسوله فان لم تقبلوها بل اعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع امورك الى الله
الذى بالحق ارسلك فهو كافيك وهو رب العرش العظيم فلا يخرج عن قبضته قدرته وتصرفه شى لانه يحيط بالعرش بما يحويه العرش
والله اعلم **التاويل** ما كان لاهل مدينة القالب وهو النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية
ان يتخلفوا عن رسول الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجوههم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظما من ماء
الشهوات ولا نصب من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله ولا يطاؤن موطيا من مقامات
الفناء يغيظ كفار النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من اسباب
الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بعد الفناء فى الله ولا ينفقون نفقة صغيرة من بذل الصفات ولا كبيرة من بذل
الذات فى صفات الله وذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب والروح احسن ما كانوا
يعملون لان علمهم بقدر معرفتهم وجزاؤهم يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم وما كان المومنون لينفروا فى السير الى
الله وبالله وفى الله فهلا نفر من كل قوم وقبيلة وفرقة طائفة هم خواصهم واهل الاستعداد الكاملون ليتعلموا السلوك ويخبروا
منذ لك قومهم لعلهم يحذرون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى قلب حى هل يريكم من احد
فى مقام الانكار والنفاق اى هل يرى محمدا انكارنا على رسالته والقران فان كان رسولا برانا بنور رسالته ثم انصرفوا على هذا
الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان ذلك من امارات حيوة القلب من انفسكم تسكين للعوام لئلا ينتفروا
عنه واشارة للخواص الى انا البشر لهم باستعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعونى يحببكم
الله ومن قرا من انفسكم اى اشرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله تعالى اول ما خلق الله روحى ولاختصاصه بالخلاص من تعلق
الكونين وبلوغه الى قاب قوسين او ادنى وتخلية تجلية فاوحى الى عبده ما اوحى ولعلو همته ما زاغ البصر وما طغى ولرويته
سر القدر ولقد راه من ايات ربه الكبرى بالمومنين رؤف رحيم فمن رافته امر بالرفق كما قال ان هذا الدين فادخلوا فيه بالرفق
ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهى ان رافته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت بالمومنين فقط وكان
رحمته تعالى ورافته للناس عامة ان الله بالناس لرؤف رحيم ونكتة اخرى وهى ان رحمته صلى الله عليه وسلم عامة للمومنين لقوله
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واما رحمته المضمومة الى الرافة فخاصة بالمومنين وكان الرافة اشارة الى ظهور الدعوة فى حقهم
فالمومنون امة الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم امة الدعوة فقط فقل حسبى الله لان المقصود من التبليغ قد
حصل لك وهو وصولك الى الله اعرضوا عن دعوتك او قبلوا والله تعالى اعلم ٥

سورة يونس مكية الا ثلث ايات قوله تعالى فان كنت فى شك الى اخرهن حروفها خمسة الاف
وخمسمائة وسبعة وستون كلماتها الف وثمانمائة واثنان وثلثون اياتها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب الحكيم ● اكان للناس عجبا ان
اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ● ان هذا
لساحر مبين ● ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض
فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا
من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون
اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده
ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ● هو الذى
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ●
ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض
لايات لقوم يتقون ● ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة
الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون ● اولئك
ماويهم النار بما كانوا يكسبون ● ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات
النعيم ● دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
واخر دعويهم ● ان الحمد لله ● رب العالمين

القراءة الر بالامالة وكذلك ما اشبه ابو عمرو وخلف وحمزة وعلى والخزاز عن هبيرة والنجارى عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلى وخلف الاخرون لسحر حقا انه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل يفصل بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والعجلى الباقون

بالنون واطمانوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة **الوقوف** الر كوفي الحكيم عندربهم مبين بدبر الامر
اذنه فاعبدوه تذكرون جميعا حقا الا من قراء انه بالفتح يكفرون والحساب الا بالحق لمن قراء نفصل بالنون ومن
قراء بالياء امكنه ان يجعل نفصل حالا يعلمون يتقون غافلون بالقسط لان اولئك جزاؤهم باعمالهم الحذف تقديره يهديهم ربهم
بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم سلام لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة
اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على دعويهم الاول العالمين **التفسير** اتفقوا على ان قوله الر ليس باية وعلى ان
طه اية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الاي التي بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله ارى وقيل لا رب غيري وقيل الرحمن
اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والتبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او وصف
بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل ويحكم بان محمدا صادق لان القران
اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اي حكم فيه بجميع المامورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك انه
لا يمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القران او اللوح المحفوظ او التورية والانجيل
لان جميع الكتب الالهية متوافقة في الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القران واعلم
انه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي
وذلك ان حروف القران من جنس الحروف التي يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق ان محمدا رسول
حق من عند الله انكر على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال اكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمه ان اوحينا وفائدة
اللام في قوله للناس مع تقديمه بيان انهم جعلوه لهم اعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او
من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي والنبوة فقد روي انهم كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى
الناس الا يتيم ابي طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل
لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الثاني فلان الفقر واليتم لا يوجب في
النبوة قدحا لان الله غني عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء كونه متصفا
بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد في ذلك قبل بعثته اليد الطولى وكان يدعى محمدا الامين وان في قوله ان انذر الناس
هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت في ضمير الشان مقدرا معناه انه اي ان الشان قولنا انذر
الناس وبشر الذين امنوا ان لهم اي بان لهم الانذار اخبار مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين
ويحتمل ان يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس في ذلك عجب بل المنكر في العقول
تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال الرسل امر ما اخلى الله تعالى المكلفين عنه شيئا من الازمنة وبيان المالكية
والامر والنهي والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغي والتبشير
ترغيب في فعل ما ينبغي والتخلية مقدمة عن التحلية ومعنى قدم صدق سابقة وفضل ومنزلة رفيعة اي سبق لهم عند الله خير قال
احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري كاية عن العمل الذي لا يقع فيه تاخير ولا ابطاء والسبب في اطلاق
القدم على السابقة ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة
القدم الى صدق لاجل المبالغة والتنبيه على انها من السوابق العظيمة اي القدم التي بصدق وبحق ان يسمى قدما واما جار
المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هي الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم اما قوله
قال الكافرون فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قراء لساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى
النبي ومن قراء لسحر اشارة الى القران وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز
بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اي انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور
المذكورة وهي الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها باثبات المبدا وبين غايتها باثبات المعاد وذلك في ايتين متواليتين
وقد مر في الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فلا حاجة الى
الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور عن قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما من شفيع الا
من بعد اذنه وانما فقد العاطف لانهما كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الى اخره والامر الشان اراد به احوال الخلق
واحوال الملكوت والارض والعرش والمعنى انه يقضي ويقدر بمقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المصيب في افعاله الناظر في ادبار
الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي قال الزجاج ان الكفار الذين خوطبوا بهذه الاية كانوا يقولون ان

الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه في شيء الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة
والصواب فلا يجوز لهم ان يسالوه ما لا يعلمون انه صواب وصلاح ففي قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله في التصرف
في جانب المبدا وفي قوله ما من شفيع اشارة الى استقلاله في طرف المعاد ويمكن ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن
الوجوه واقربها الى الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع في تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن الى عباده مريد الخير
والرحمة بهم كامل العناية باحوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثاني من الشفع الذي يخالف الوتر اي خلق السموات والارض
وحده ولا حي معه ولا شريك معينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل في الوجود احد الا من بعد ان قال له كن حتى
كان وحصل ثم اشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذي يستاهل منكم العبادة بانشاء النعم الجسام من
خلق السموات والارض بما فيها وعليها فاعبدوه وحده افلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل
الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اي رجوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور
للاختصاص والمعنى لا ترجعون في العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا
وفيه تاكيدان كما مر ثم قال انه يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو استيناف فيه معنى التعليل كانه قال ان الذي قادر على الابداء
يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا
ثم على انشاء اجزائكم حال حيوتكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان يكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بانه
لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قراء انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل اي لانه او على انه منصوب
بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدا الخلق ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا
بدا الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمها فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الاية اضمار والتقدير
انه يبدؤ الخلق ليامرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة
لا تكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله بالقسط اي بالعدل متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او ليجزيهم
بقسطهم وبما لم يظلموا انفسهم حين امنوا وعملوا صالحا وهذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين
كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب
بعرض وقوعهم في طريق القهر والحميم الماء الذي اسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في الاية دلالة على عدم منزلة بين
المنزلتين على ما يقول به المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز
طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة من يقول
لا يجب على الله تعالى شيء اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى
خلق الخلق واعطاهم عقولا وقدرا فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا
بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هناك في المامورات وبالعكس في المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب
غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى وهي الاخرة ليحصل ذلك فيها والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي الاية فان قيل لم لا يكفي
في الترغيب والوعد ما اودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز
ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لانه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله لتخصيص اكثر عمومات
القران ثم ترعمون انه لا يكون سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من
الراحات والالام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك في
الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتب الوعيد والوعد على الاعمال وتجويز الخلف
في ذلك مناف للغرض والحذ لاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل وقد نرى ان هذا
الناس واعلمهم مبتلى في الافات والبليات واسفهم واجهلهم في اتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في
حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن عرفه واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا
كما قيل كم عالم عالم اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلا بد من دار اخرى يظهر فيها هذا التفاوت ومنها انه
كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبده بشيء فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء تكليفه
والناس جبلوا على ترك اللذات والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات فلو لم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن
وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فان قيل لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا انه لم يكن السلطان قاهرا قادرا على

الرغبة فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد فحينئذ يقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية
قائمة ولا رادع له في الدنيا ولا في الاخرة ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس فالعبث لا يليق بالحكيم الرحيم
فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان لذات هذا العالم الجسماني جسمانية لا حقيقة لها الا
ازالة الالم وازالة الالم امر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالالم
بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا اخرى فان قيل ابليس سيعذب اهل النار لا لمصلحة ولا فائدة لهم قلنا الغرض
ان ذلك الالام استحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان تعقبه خيرات عظيمة والا فينافي
كونه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات
الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوزينج في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تالمه وتاذيه في اغلب الاحوال
لانه يتفكر في الاحوال الماضية فيتاسف ويتالم في الاحوال الاتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله فنظم معاده
كان جعله سببا لشقاوته وخسته دون شرفه وعزته ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالافات او خالصا عنها
فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرافة
والحكمة فهناك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل الهموم والغموم والافات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان
دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن امه الى ان يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشدة
الوثوق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو والى ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق او عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب
بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف وابهى من اللذات العاجلة المشوبة بالالام ومنها طريقة الاحتياط فاذا امنا
بالمعاد وما عملنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غايته ذلك فوات بعض اللذات
الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان احوال الانسان من صباه الى هرمه يضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض
في الربيع الثاني الى تلك الحيوة فلم لا تعقل مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية
الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان يجتمع مرة
اخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر في تغيرات العالم ادى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والحكم العقل يحكم بان هذا الحكيم
لا يليق به ان يترك عبيده هملا يكذبون عليه ويجحدون فلا بد ان يكون لهم امر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر
ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الاخر الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون
المعاد امر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان اله العالم قادر مختار
عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تميز اجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والجماد عن اجزاء بدن
عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء عليهم السلام وعلى ان القران كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقران مشحون بايات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسماني
اما شبه المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الاخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها فعبث وان كانت خيرا
منها فاما ان يقال انه كان قادرا على خلق الاجود اولا ثم تركه وفعل الادون وذلك سفه او يقال انه كان قادرا ثم حدثت
له القدرة وذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة وهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير في
وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانساني من قبل العلم والعمل والاخرى للراحة والجزاء ومن ذلك انهم قالوا
حركات الافلاك مستديرة والمستدير لا ضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرناه في كتبنا الحكمية من ان كل جسم مركب
وكل مركب يقبل الانحلال ولئن سلم انها ازلية فحركاتها غير ازلية لان الحركة عبارة عن التغير من حال الى حال وهذه الماهية تقتضي
المسبوقية بالحالة المنتقلة عنها والازلية تنافي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم ان الحركة ازلية
فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا
الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها على تاليف مخصوص لان اجزاء البدن كانت موجودة
قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود
المعدوم محال والجواب بان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا او جسما مخصوصا
لطيفا باقيا في جميع احوال البدن من الصبي الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذي تسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن
ذلك انهم قالوا اذا قتل انسان واغتذى به انسان اخر ان يعاد تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال والجواب

بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزءا من انسان اخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول من امر المعاد والله تعالى
اعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هو الذي جعل الشمس ضياء وهو اجوف واوي مهموز اللام قلبت
واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرا بهمزتين بينهما الف فمحمول على القلب لانه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة
على الطرف فانقلبت همزة كما في كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض ومصدر ضاء يضوء مثل قام قياما
وصام صياما ولا بد من تقدير مضاف اي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان يحمل على المبالغة فجعلا نفس الضياء
والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها
واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء انه مستفاد من الشمس ولذلك يقع اختلاف احواله من الهلالية الى البدرية كما بينا
في تفسير قوله يسالونك عن الاهلة وقدره منازل قال في الكشاف انه قدر مسيره منازل او قدره ذا منازل ومنازل
القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون واساميها مشهورة الشرطين البطين الثريا
الى اخرها وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل لينزل القمر كل ليلة نازلا لا يقرب احدها وذلك انهم
قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل
بالعلامة التي وقعت وقت التسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعهما العائدة الى المكلفين لتعلموا عدد السنين والحساب حساب
الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احدهما على الاخرى في تفسير
قوله ان عدة الشهور الاية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى ما يرنا فيهما وخواصهما بقوله ما خلق الله ذلك المذكور الا ملتبسا
بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل فبحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة
وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم ويحصل معايش الخلائق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة النور و
نقصانه تختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التامل والتدبر فلهذا قال نفصل الايات لقوم يعلمون
لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل
والنهار وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الاية ومعنى قوله وما خلق الله في من شيء وقد
مر في اخر الاعراف وانما خص كونها ايات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال
القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل وان
كان كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول
بالمبدا والمعاد ثم شرع في احوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي
معناه لا يخافون البعث كقوله وهم من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقالوا انه بمعنى الطمع اي لا يطمعون
في حسن لقائه كما يامله السعداء او لا يتوقعونه اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية نازعون عن
التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا بدل ذلك بالحيوة الدنيا الحسية الخسيسة واطمانوا بها سكنوا اليها سكون العاشق الى
معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم عن اياتنا غافلون فلا يعتبرون بالايات ولا
ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدا والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين الاجتهاد اولئك ماويهم النار
فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة في حصول العذاب الجسماني
وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المالوفات والقطيعة من السعادات الباقيات فيكون مثاله
مثال من خرج من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مونس بل يكون فيها انواع المؤذيات واصناف
الموحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له واما حال الذين يؤمنون به فذلك قوله ان
الذين امنوا استكملوا من جهة القوة النظرية وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية او صدقوا بقولهم ثم حققوا التصديق
بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب من عند الله او شغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون
عيونهم مشغولة بالاعتبار واذانهم باستماع كلام الله والسنتهم بذكر الله وسائر اعضائهم بطاعة الله يهديهم ربهم بايمانهم قال
اكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح
وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن
اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له
عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الاية ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار

بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فيؤدى الى حصول المثوبات ولذلك جعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا له
وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة من الفوايد الزوايد الحاصلة في الدنيا بعد الايمان
قال القفال على هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو وجعل قوله تجرى خبرا مستانفا
منقطعا عما قبله والمحقق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش ولكن
حالهما بالضد من النقوش الجسمانية فان تزاحم النقوش الجسمانية يكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد اللوح
الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهى للعلوم والحقايق كفهم
المبتدى فالانسان اذا امن بالله فقد اشرق روحه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى
الاخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال يتزايد اشراقات هذه المعارف والملكات فيرتقى في معارجها لحظة فلحظة ولما كان
لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم
بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما يعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجرى من تحتهم انهم يكونون
في البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارايك والانهار تجرى من بين ايديهم دعويهم فيها قال بعض المفسرين اى دعاءهم و
نداءهم كما يدعوا القانت بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله وانما يكون هذه
عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة ابتهاجا بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين والمعنى ان اهل الجنة
يدعون في الدنيا والاخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار بالالهية قال القفال واصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى
الى من يحكم بينهما وقيل اى طريقتهم وسيرتهم وذلك ان المدعى للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة
وان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل اى تمنيهم كقوله ولهم ما يدعون ويقول العرب ادع ما شئت على اى
تمنّ فكان تمنيهم في الجنة الا تسبيح الله وتقديسه ولقد كانوا في الدنيا يدعون في الحروب من يسكنون اليه ويستنصرونه فيقولون
يا ال فلان فاخبر الله تعالى عنهم انهم في الجنة بذكر الله ويسكنون تحميده وتحيتهم فيها سلام اى بعضهم يحيى بعضا بالسلام
وقيل هي تحية الله والملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول واخر دعويهم ان الحمد هي ان المخففة من الثقيلة واصله انه
ان الحمد على ان الضمير للشان قال اهل الظاهر من المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله سبحانك اللهم
علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم اتوهم بما يشتهون قال ابن جريج ورد في الاخبار انه اذا مر بهم طير يشتهونه
قالوا سبحانك اللهم فياتيهم الملك بذلك المشتهى فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وقال القاضي انه وعد
المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اى نسبحك عن الخلف في
الوعد وقيل اللهم بنى ادم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملايكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال
ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الكنا
قال اللهم فاذا عجز عن ذلك المطار واحترق في اوايل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع
المحتاجين ويدفع المخافات والمكاره عنهم بكل ما امكن وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا اثر نعمة الله عليهم
بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين وعلى هذا يدور امرهم في العروج والنزول ما داموا
في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون والله اعلم
التاويل الر فيه اشارة ان احديهما من الحق للحق الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال يا لابى عليك في الازل
وانت في العدم وبلطفى عليك في الوجود وبرحمتى وراقتى لك من الازل الى الابد والثانية من الحق لنبيه اليه عليه السلم
يقول با نسك معى حين خلقت روحك ولم يكن ثالث وبلبيك الذى اجبتنى به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت
يا سيدى اى يا سيد فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بالجذبة ارجعى الى
ربك تلك اى هذه الايات المنزلة عليك ايات الكتاب الحكيم الذى وعدتك في الازل وراثة لك ولامتك والحكيم
الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرايع والكتب كلها الى رجل منهم لما راى فيه رجولية قبول الوحى دون
غيره ويحتمل ان يكون معنى الناس الناسى عهد الله قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول من خرج من العدم الى الوجود
او هو العناية الازلية سبقت رحمتى غضبى لساحر مبين صدقوا في انهم مسحورون الا انه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ان
الذى ربكم هو الذى خلق سموات ارواحكم وارض نفوسكم من ستة انواع هي الروح والقلب والعقل والنفس الحيوانى والنفس
النباتى والصورة المعدنية ثم استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا

فرجوع للمقبولين بجذبات القيمة العناية التى صورتها خطاب ارجعى الى ربك وحقيقتها انجذاب القلب الى الله واستواء الذهب
والمدد عندها ورجوع المردود بن بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن نتايجه تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس
بالقسط اى لكل بحسب كماله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة
عوارض النفس انكسف ولهذا سمى قلبا لتقلب احواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنى المقامات
وحساب الكشوف والمشاهدات ان في اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية
وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال لايات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم
عن اياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة وبعض الفلاسفة ٥

ولو يعجل الله الناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم
فنذر الذين لا يرجون لقآءنا في طغيانهم يعمهون ● واذا مسّ
الانسان الضرّ دعانا لجنبه او قاعدا او قايما فلمّا كشفنا عنه
ضرّه مرّ كان لم يدعنا الى ضرّ مسّه كذلك زيّن للمسرفين
ما كانوا يعملون ● ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لمّا
ظلموا وجآءتهم رسلهم بالبيّنات وما كانوا ليؤمنوا كذلك
نجزى القوم المجرمين ● ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم
لننظر كيف تعملون ● واذا تتلى عليهم اياتنا بيّنات قال الذين
لا يرجون لقآءنا ائت بقرآن غير هذا او بدّله قل ما يكون
لى ان ابدّله من تلقآء نفسى ان اتّبع الا ما يوحى الىّ انى اخاف ان
عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا
تعقلون ● فمن اظلم ممّن افترى على الله كذبا او كذّب باياته
انه لا يفلح المجرمون ● ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعآؤنا عند الله قل اتنبّئون

الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ۝ وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ۝ ولولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين ۝

القراءة لقضى اليهم مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الاخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم او بدله بضم اللام وسكون الهاء روى خلف عن الكسائي والاختيار عنه وعن عينه الاشمام الى ان يفتح الباء وكذلك اني اخاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ونفى ان يفتح الباء ابو عمرو وابو جعفر ونافع لادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى ابو ربيعة عن البزي وحمزة وقرا حمزة وعلي وابو جعفر عمرو وخلف وورش من طريق النجادي والخراز عن هبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق احمد ابي حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء الوقوف اجلهم لان ما بعده مستقبل مستانف اي فنحن نذر يعمهون او قايما ط يعملون ظلموا لان الواو للحال ليؤمنوا المجرمون تعملون لان ما بعده جواب اذا او بدله نفس لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القايل يتحد الى لمثل ما قلنا عظيم به والوصل اولى للفاء ولشدة اتصال المعنى من قبله تعقلون باياته المجرمون عند الله في الارض تشركون فاختلفوا يختلفون من ربه للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا لاحتمال الابتداء او التعليل المنتظرون التفسير انه سبحانه ابتدا في هذه السورة بذكر شبهات القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالدلائل الدالة على صحة المبدا والمعاد فكانه قيل انه ما جاء الا بدلايل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان محمد حقا فامطر علينا حجارة فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الاية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالنبوة فلم يزل ذلك التعجب بالمبدا والمعاد وذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتاخر عن هذه الحيوة الدنيا والان في التكليف وقال القفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة اكد ذلك بان من غاية غفلتهم ان الرسول متى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا صلاح لهم في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج من اصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدايد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الاية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لاميتوا واهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة الا ان الاستعجال اشهر واظهر ومعنى الاية لو اراد الله عجلة الشر للناس كما ارادوا عجلة الخير لهم وقيل بما مثلا زمان فكل معجل يلزمه الاستعجال الا انه تعالى وصفه نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللايق به التكوين واللايق بهم الطلب وسمي العذاب في الاية شرا لانه اذى وألم في حق المعاقب ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا لمعنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كانه قيل ولكن لا نعجل فنذرهم الزاما للحجة او لمصالح اخرى ثم بين انهم كاذبون في استعجال الشر ولو اصابهم ما طلبوه اظهروا العجز والطيش واذا مس الانسان الضر اي هذا الجنس دعانا لجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال لان الظرف والحال متاخيان فيصح عطف احدهما على الاخر وتاويل احدهما بالاخر اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قايما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد انه يدعو الله تعالى في جميع احواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود او قاعدا غير قادر على القيام او قايما لا يطيق المشي والمضطر الى ان يخف كل الخفة ويرى في القصة بكمالها او يراد ان من المضرورين من هو اسوء حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الانسان هاهنا هو الكافر ومنهم بالغ فقال كل موضع في القران ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شيء تحكم لورود مثل قوله هل اتى على الانسان الا ان يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق

ضعيفا لا يصبر على اللأواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين تظهر في جميع الاحوال على المقدار المؤجل اللامعة حسب ارادته ومشيته فلا جرم اذا اصابهم السراء شكروا واذا اصابهم الضراء صبروا وافاقوا ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الاية تقديم وتاخير والتقدير واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قايما وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان اعجب ومعنى مر مضى على طريقته التي هي له قبل مس الضراء ومر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ومعنى كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من تتبع الشهوات والمزين هو الله او النفس او الشيطان مفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لانه انفق ما له من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة في الامور الخسيسة الزايلة من الاصنام التي هي احقر من لا شيء ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال ولقد اهلكنا القرون وقد مضى تفسير القران في اول الانعام ولما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالدلايل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر فالسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثم جعلناكم خلايف اي استخلفناكم في الارض بعد تلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا او شرا استعير النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليك شك ويعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما مر في الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا من الرسول احد الامرين اما الاتيان بقران غير هذا القران مع بقاء هذا القران على حاله واما تبديل هذا القران بنسخ بعض الايات ووضع اخرى في مكانها فامره الله تعالى ان يقول في جوابهم ما يكون لي اي ما ينبغي وما يحل لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي فنفى عن نفسه احد القسمين الذي هو اسهل واقل ليلزم منه نفي الاصعب الاكثر بطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ان اتبع اي ما اتبع الا ما يوحى الي ان نسخت اية تبعت النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعها ايضا الى الوحي ونقل عن ابن عباس ان قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وضعف بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل التجربة فقد روى مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة وهم المستهزءون في قوله انا كفيناك المستهزءين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب او ارادوا ان هذا القران مشتمل على ذم الهتهم فطلبوا قرانا اخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القران من عند الله وانه غير مستبد في ايراده فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم ولا اعلمكم به على لساني ومن قرا بلام الابتداء فمعناه ما تلوته انا عليكم ولاخبركم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فراني اهلا بذلك دون غيري وقرئ ولا ادرأتكم به بالهمز ووجهه ان الهمزة مقلوبة من الالف او يكون من الدرء الدفع ومعنى ادراته جعلته داريا اي لا اجعلكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا اي بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون سنة من قبله اي من قبل نزول هذا القران افلا تعقلون فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء اذا انكر فيه انه من قبل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الاية وفيه ان هذا القران لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه اشعار بانه جماد والمعبود لا بد ان يكون اكمل من العابد واذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا تليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قد ذكرنا ذلك في اوايل سورة البقرة

فی قوله فلا تجعلوا لله اندادا ثم انكر عليهم معتقدهم بقوله اتنبئون الله بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجود الكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور تقول ما علم الله ذلك منی و المقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفی قوله فی السموات ولا فی الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما ان يكون من تمام ما امر للنبی ان يقول لهم او ابتداء كلام من الله تنزيها لنفسه عن اشراككم او عن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعنی العرب او البشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله فی البقرة فی قوله كان الناس امة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك فی اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ولولا سبقت من ربك من بناء امر الثواب والعقاب على التكليف لا الالجاء والقسر او من تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة او من قوله سبقت رحمتی غضبی لقضى بينهم عاجلا وتميز المحق من المبطل ثم ذكر نوعا اخر من اباطيلهم فقال ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر تفسيره فی الانعام فی قوله وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقران اية فاقترحوا غيره تعنتا فقال انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظروا نزول ما اقترحتموه وهذا امر فيه تهديد ووعيد ٥

واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فی اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذی يسيركم فی البر والبحر حتى اذا كنتم فی الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون فی الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام ويهدی من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك

اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون

القراءة يمكرون بياء الغيبة سهل وروح الباقون بالتاء الفوقانية ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلی وسهل ويعقوب الاخرون بفتحها تتلوا بتاءين من التلاوة حمزة وعلی وخلف وروح وعدی عن عاصم نبلوا بالنون ثم الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بتاء التانيث كل بالرفع **الوقوف** اياتنا مكرا يمكرون والبحر فی الفلك للعدول مع ان جواب اذا منتظر احيط بهم لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به وان جعلوا دعوا جوابا عن سؤال سائل فما صنعوا كان للوقف وجه الدين لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء فی معنى القول الشاكرين بغير الحق على انفسكم الا لمن جعله متعلقا ببغيكم تعملون والانعام عليها لان ما بعده جواب اذا بالامس يتفكرون السلام مستقيم وزيادة ولا ذلة الجنة خالدون بمثلها لان قوله وترهقهم معطوف على محذوف ای يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم لان الكاف لا يتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كانما مظلما اصحاب النار خالدون شركاؤكم للعدول مع فاء التعقيب تعبدون لغافلين يفترون نصف الجزء **التفسير** لما بين فی الاية المتقدمة انهم يطلبون الايات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا روی انه سبحانه سلط القحط على اهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار النافعة ثم انهم اضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم فی دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من القاء شبهة او تخليط فی المناظرة وفی تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على ان كثيرا من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه ان الانسان لغاية ضعفه الفطری لا يطيق ادنى الراحة كما انه لا يطيق ادنى الالم بعينه قال فی الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم وهذا ايضا من جملة الضعف انه نسی ما عهد من الضر الشديد واذا الثانية للمفاجأة وقع مقام الفاء فی جواب الشرط كما مر فی قوله اذا هم يقنطون وفائدته ان يعلم انهم لما فاجاوا وقوع المكر منهم فی وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يلبثوا قدر ما ينفضوا من رؤسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه قل الله اسرع مكرا يقدر على ايصال مكرهم قبل ان يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم ليتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بيانه قوله ان رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد مر تحقيق هذا فی تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم ان مضمون الاية قريب من مضمون قوله واذا مس الانسان الضر الا ان هذه زايد عليها بدقيقة هی انهم بعد الاعراض عن الدعاء يطلبون الغوائل ويقابلون الرحمة بالمكر والخديعة ولا يرضون راسا براس ثم ضرب لاجل ما وصفهم به مثلا لاجله يكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هو الذی يسيركم ومن قرا ينشركم فكقوله فانتشروا فی الارض قال بعض العلماء المسير فی البحر هو الله سبحانه واما فی البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق ان جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك ان اثار اقداره واحداثه فی البحر اظهر كما مر فی تفسير قوله والفلك التی تجری فی البحر قال القفال هو الله الهادی

لكم الى السير في البر والبحر طلبا للمعاش وهو السير لكم لاجل انه هيأ لكم اسباب ذلك السير وحتى لانتهاء الغاية في
الغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة في الشرط ثلثة اولها الكون في الفلك وثانيها جري الفلك بهم
بالريح الطيبة والضمير في جري للفلك على انها جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلثة ايضا اولها
جاءتها اي الفلك والريح الطيبة تلقتها ريح عاصف ذات عصوف كلابن لذات اللبن او لان لفظ الريح مذكر والعصوف
شدة هبوب الريح وثانيها وجاءهم الموج من كل مكان اي من جميع جوانب احياز الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر
وثالثها وظنوا انهم احيط بهم اي غلب على ظنونهم الهلاك واصله ان العدو اذا احاط بقوم او بلد فقد دنوا من البوار فجعل
احاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرء في الفلكي والياء زائدة كما في الاحمري او اريد به الماء الغمر الذي لا يجري الفلك
الا فيه قال في الكشاف اما النفت في قوله وجرين بهم الى اخره من الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم
منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح وقال الامام فخر الدين الرازي الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة في هذه الاية
دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك في قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب قلت وهذا وجه حسن اما قوله دعوا الله
مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من الهتهم شيئا واقروا الله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا
اخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري وقال ابن زيد هؤلاء
المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر والبلاء لم يدعوا الا الله وعن ابي عبيدة ان المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شرا
هيا اي يا حي يا قيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق ما الدليل على اثبات الصانع فقال اخبرني عن حرفتك فقال التجارة في
البحر فقال صف لي كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال
جعفر هل وجدت في قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت لئن انجيتنا من هذه الشدة
كما مر في الانعام يبغون في الارض البغي قصد الاستعلاء بالظلم من قولهم بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد واصله الطلب فلهذا اكد
المعنى بقوله بغير الحق قال في الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على ارض الكفرة بهدم دورهم واحراق
زروعهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قلت ويحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير
الحق من قرأ متاع بالنصب فما قبله جملة تامة اي انما بغيكم وبال على انفسكم وهو مصدر موكد كانه قيل يتمتعون متاع الحيوة الدنيا
ومن قرأه بالرفع فاما على ان التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام واما على انه خبر وقوله على انفسكم صلة اي انما بغيكم على امثالكم
والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي قال صلى الله عليه وسلم
اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي اثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين
وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم اي لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض
الا اياما قلائل وهي مدة حيوتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الينا وعدنا من المجازاة مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وهو في
هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض التهديد ساخبرك بما فعلت ثم مثلا لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا
ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة الدنيا اي صفتها العجيبة الشان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي اشتبك بسبب هذا الماء
نبات الارض فيحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الى حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان في اول بروزه و
مبدا حدوثه عن غير بهجة ولا منزعج فاذا انزل المطر عليه اهتز وربى حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف حتى اذا اخذت
الارض زخرفها قال الجوهري الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وازينت اصله تزينت فادغمت واجتلبت لذلك همزة
الوصل وهذا كلام في غاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التي تاخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تتزين بجميع
الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوهما وظن اهلها اي غلب على ظنونهم او تيقنوا انهم قادرون عليها متمكنون من تحصيل
ريعها اتيها امرنا باهلاكها واستيصالها وضرب بها ببعض العاهات ليلا ونهارا اي حين غفلتهم بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم في
طلب معاشهم فجعلناها اي زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن اي كان الشان لم يلبث
زرعها بالامس في زمان قريب يقال غني المكان بالكسر يغنى بالفتح اذا اقام به والامس مثل في الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء
البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض
في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان عاقبة هذه الحيوة التي ينفقها المرء
في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات التي حين عظم الرجاء به وقع الياس منه لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا اطمأن بها وعظمت
رغبته فيها واشتد امره بعض الاستظلام اتاه الموت وتخصيصا انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمدة فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها

لا يحصل له عاقبة محمدة ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض المزينة اذا انالت حسنها فانه يعود دونها مرة اخرى
فكذا النشور كذلك نفصل الايات نذكر واحدة منها بعد الاخرى ليكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين وموجبا لزوال الشك
لقوم يتفكرون في احوال الافاق والانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الاخرة بقوله والله
يدعوا الى دار السلام ومثله ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد بنى دارا ووضع مائدة وارسل داعيا فمن اجاب
الداعي دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام
والمائدة الجنة والداعي وعنه صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق
الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام الجنة واختلفوا في سبب
التسمية فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف وانما اطلق السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء
والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث ومن الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والافات
والمخافات وكفى بدار اضافها الله تعالى الى نفسه فضلا وشرفا وبهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم
من الافات والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا
من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومن هنا ذهب اهل
السنة الى الهداية والضلال والخير والشر كلها بمشية الله تعالى وارادته وقال المعتزلة المراد ويهدي من يشاء اجابة تلك
الدعوة يعنون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها او المراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة
الى قسمين وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا بد من تفسير هذه الالفاظ الثلثة فعن ابن عباس احسنوا
اي ذكروا كلمة لا اله الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا يليق
الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة و
الخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها واما الزيادة فحملها اهل السنة على رؤية الله لان اللام في الحسنى للمعهود
بين المسلمين من المنافع التي اعدها الله لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها فما هي الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة
يجب ان يكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد على المثوبة
من التفضل كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان للمزيد عليه مقدار معين وجب
ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اذا كان غير مقدر كما لو قال اعطيتك
الحنطة وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس الحنطة والمذكور في الاية لفظ الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة
عليها شيء مغاير لكل ما في الجنة وعن علي كرم الله وجهه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنة والزيادة عشر
امثالها الى سبعماية ضعف وعن مجاهد مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة ان غمام السحابة باهل الجنة فيقول ما تريدون
ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وهذا شان المنافع الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فافاد ذلك
بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال ثم اشار الى كون تلك المنافع الخالصة
امنة من الانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة
مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الاخر بقوله والذين اي وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان تجازى
سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الاية المتقدمة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة
على عدله فناسب ان يكون قد دل هناك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله فترهقهم ذلة فانهم حين ماتوا ناقصين خالين
عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا للذلة وهوانهم في انفسهم هذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة
كما ان العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي شعر كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السرج وجهك المامول حجتنا
يوم تاتي الناس بالحجج وفريض انت عايده قد اتاه الله بالفرج ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من عذابه وسخطه او ما لهم
من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الاخرة الا باذن الله الا ان
هذا المعنى في الاخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كانما اغشيت
اي البست وجوههم قطعا من الليل من قرأ بسكون الطاء فمعناه البعض والطائفة وقطعا صفته ومن قرأ بفتحها على انه
جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل فيه اما معنى الفعل في من الليل واغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا

نكايتها افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قال في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد
بقوله والذين كسبوا السيئات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ولقوله بعدها ويوم نحشرهم
والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات المكية
مختصة ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بتبلوا اي في
يوم كذا تبلو كل نفس وحاصل الكلام انه يحشر العابد والمعبود ليسئلوا فيتبرأ المعبود عن العابد خلاف ما كانوا يزعمون
من قولهم هؤلاء شفعاؤنا وفيه اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك
في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وعند ابي علي هو
اسم من اسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد وعند العرب وانتم لتأكيد الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا
وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل عين الكلمة واو لانه من زال يزول
وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل اي زيولنا مثل بيطر فاعل اعلال سيد وقيل هي من زلت الشئ ازيله فعينه على هذا
ياء والوزن فعل وتطوير زيلنا قوله ونادى اصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن وقال شركاؤهم في صحة هذه
الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم متشاركون في الخطاب في قوله
مكانكم ومنها انهم اثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين
وكيف تنطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم او يفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه
وقيل يخلق فيهم الكلام فقط وهذا الخطاب تهديد في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له
يقبح من الله تهديده وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل اما قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم
فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا وعبادتنا ارادتنا لقولهم فكفى بالله شهيدا الاية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا حس
لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين
وقيل انهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم وقيل المراد انهم عبدوا الشياطين حيث امروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب
في القيمة فلا اشكال هنالك اي في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس
تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل ومن قرا بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر او نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت
من الشر ومن قرا تتلو بتائين فمعناه تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت
من خير او شر وردوا الى الله مولاهم الحق الصادق ربوبيته وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله وما كانوا يختلقون
من شفاعة الالهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك **التأويل** واذا اذقنا الناس
ذوق توبة وانابة او ذوق كشف وشهود من بعد ضراء مس الفسوق والاخلاق الذميمة مجبل الاوصاف اذا لهم مكر في اياتنا
بالطبائع الى غير اهلها بشرب النفس وطلب الجاه والقبول قل الله اسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات الى الدركات البعد من حيث
لا يشعرون هو الذي يسيركم في بر البشرية وبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك جذبات العناية
وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال وجاءهم موج البلاء من كل مكان لان اعم
البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فيه اشارة الى ان ارباب الطلب لما وصلوا بجذبات الحق الى شهود
الجمال واستغرقوا في بحر الجلال استقبلتهم عواصف العزة والكبرياء فتستدرجهم الى البغي وهو الطلب في ارض ما سوى الحق غير الحق كماء
انزلناه من سماء القلب الى ارض البشرية فاختلط به الصفات المتولدة من ارض البشرية مما يأكل الناس والانعام من الصفات
الحميدة الانسانية والذميمة البهيمية اتاها حكمها الازلي ليلا اي عند استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا اي عند بقاء
ضوء الفيض الروحاني لكنه بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقائد الباطلة كما لبعض الفلاسفة
والمبتدعة والله يدعو الى دار السلام وهي مقام الفناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب او مقام العلم والمعرفة لان
صاحبه يسلم عن آفات الانانية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى الفناء بالله في الله
للذين احسنوا الحسنى في الاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى هو شواهد الحق والنظر اليه والزيادة الجنة وما فيها من النعيم
اذ هي مما ادى الى النظر من افناء الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق ٥

قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر
فسيقولون الله فقل افلا تتقون ۝ فذلكم الله ربكم الحق
فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون ۝ كذلك حقت كلمت
ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون ۝ قل هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى
تؤفكون ۝ قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق احق
ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون
وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله
عليم بما يفعلون ۝ وما كان هذا القران ان يفترى من دون
الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب
فيه من رب العالمين ۝ ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة من
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ۝
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب
الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۝ ومنهم
من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين ۝
وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون ۝ **القراءة** كلمات ربك وكذلك
في اخر السورة على الجمع ابو جعفر ونافع
وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال ابو جعفر ونافع غير ورش وعباس ابو عمرو
غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وحبلة ورويس يهدي بكسرتين والتشديد يحيى يهدي
بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس **الوقوف** يدبر الامر ط الله ط تتقون ط ربكم الحق ط

للاسلام مع القاء الا الضلال فانى تصرفون لا يؤمنون ثم يعيده الاول يوفكون الى الحق للحق ان يهدى لما مر فما لكم بحق الاستفهام الثانى تحكمون الا ظنا شيا يفعلون العالمين افتريه صادقين تاويله الظالمين لا يؤمن به بالمفسدين عملكم لان انتم مبتدا والقايل واحد تعملون التفسير لما بين فضايح عبدة الاوثان اكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق والحواس والموت والحيوة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقدم بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسئول ليكون ابلغ فى الزام الحجة واوقع فى النفوس فالحجة الاولى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية والحيوانية فى الارض بعد رعاية شرايط تربيتها واتمامها وحفظها من العاهات ام من يملك السمع والابصار خص الحاستين بالذكر لما فى خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان صلى الله عليه وسلم يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم وقد مر ساير الاقوال فى سورة الانعام ومن يدبر الامر عمم بعد ما خصص لان اقسام تدبيره العالم العلوى والعالم السفلى وعالمى الغيب و الشهادة امور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انها شفعاؤهم وانها تقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين فى هذا الاعتقاد فلهذا ختم الاية بقوله فقل افلا تتقون الله الذين اعترفتم بانه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف اشركتم بعبادته الجمادات التى لا تقدر على نفع وضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق ذا مزيدة وما نافية او استفهامية او استفهامية او مجموع ماذا كلمة واحدة معناهما اى شئ بعد الحق الا الضلال والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته باطلا دعوى الهية لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا فى ذاته وفى صفاته وفى جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى ما انقسم اليه فلا يكون واجبا هذا خلف محال ولهذا ختم الاية بقوله فانى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر وتقعون فى الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن تخطى احدهما وقع فى الاخر كذلك اى كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك وتفسير الكلمة انهم لا يؤمنون على انه بدل اى حق عليهم انتفاء الايمان وقد علم الله منهم ذلك او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله فانى تصرفون ان الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بانهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك وتعلق خبره بانهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه واثبت ذلك فى اللوح المحفوظ واشهد عليه ملايكته وانزله على انبيائه واشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته ترعيثا واشهاده باطلا الحجة الثانية قل هل من شركايكم من يبدؤا الخلق وانما قال ثم يعيده مع ان الخصم لا يعترف به لانه قد تقدم فى هذه السورة دلايل الاعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها اذا تامل وانصف فبنى الامر على ذلك وانما امر نبيه ان ينوب عنهم فى الجواب بقوله قل الله الاية تنبيها على ان هذا المعنى بلغ فى الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكانه قيل كلهم عنهم ان لم يدعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق وقوله فانى توفكون كقوله فانى تصرفون وقد مر فى المايدة الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق اولا ثم بالهداية ثانيا عادة مطردة فى القران فحكى عن الخليل صلوات الرحمن الذى خلقنى فهو يهدين وعن موسى عم ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وامر محمدا صلى الله عليه وسلم سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والسر فيه ان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح وارتسام العلوم والمعارف فيه بارشاد الحق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقى لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل فى ذلك بالاستقلال لملك او انسى او جنى فضلا عن الاصنام التى ادنى مراتب الوجود ولانها جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة قال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدى وساير القراآت اصلها يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسر لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال فى حقها الا ان يهدى واجيب بوجوه منها ان المراد بها فى الاية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذى يهدى الخلق الى الدين الحق بالدلايل النقلية وبما يمكنهم منه من الدلايل العقلية واما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها انهم لما اتخذوها الهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك الفرض والتقدير بمعنى انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهتدى فانها لا تهدى غيرها الا ان يهدى ومنها ان البنية عندنا ليست بشرط فى صحة الحيوة والعقل فيصح من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها

اى نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا انتقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال فما لكم كيف تحكمون ثم بين ما بنوا عليه امر دينهم فقال فما لكم كيف تحكمون ثم وما يتبع اكثرهم الا ظنا اى فى اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من اسلافهم او فى قولهم للاصنام انها الهة او شفعاء وعلى تقدير هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن فى معرفة الله وفيما يجب تحققه لا يغنى من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من الغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم فى شئ من الاحوال ثم اوعدهم على اتباع الظن وتقليد الاباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون وتمسك نفاة القياس بالاية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن واجيب بان التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الاية من العمومات فلم يجب ابطالها بزعمكم ومما افضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلايل التوحيد شرع فى اثبات النبوة وما كان هذا القران ان يفترى اى افتراء من دون الله او كلمة ان بمعنى اللام اى ما ينبغى له وما استقام ان يكون مفترى والحاصل ان وصفه ليس وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب المنزلة لا حياده دونها فهى عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق ايضا معجز لان اقاصيصه موافقة لما فى كتب الاولين مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان اخبارا به جاءت فى تلك الكتب على وفق ما رواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القران معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم فلجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب اى تبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع كقوله كتاب الله عليكم قوله فى الكشاف قوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل فى حيز الاستدراك كانه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كاينا من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لا شك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار ام يقولون افتريه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى فى العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اى لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتريه قال بعض العلماء هذه الاية فى سورة يونس وهى مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدى واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يكن الاتيان بمثل القران صحيح الوجود فى الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا بذلك فدل على ان القران محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدى واجيب بان القران يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القايمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدى انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القران ولما ياتهم تاويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليد الاباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدى عليهم واستيقان عجزهم عن مثله بغيا وحسدا وعنادا ولددا وانما حملهم على التكذيب اولا واخرا وجوه منها انهم وجدوا فى القران اقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفى عليهم ان الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف فى هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف ان الدنيا ليست مما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قايل لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حروف التهجى فى اوايل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقران فاجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذى انزل عليك الكتاب الى اخر متشابهات الاية ومنها انهم راوا القران يظهر شيئا فشيئا فاتهموا النبى وقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القران مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا قد الفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك ومنها ان القران فيه تكاليف كثيرة من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غنى عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعنى قبل النظر فى معجزات انبيايهم قال اهل التحقيق فى الاية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع فى الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد تتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التاويل وقيل ان المعنى ان القران كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من القران الاخبار بالغيوب ومن جملتها احوال الاخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى مسارعتهم الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما ياتهم تاويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يمتحنوا اخباره بالغيوب هل يطابق الواقع ام لا ثم ختم الاية بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الاخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الاخرة فبقوا فى خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذى نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوايف المكذبين فقال ومنهم من يؤمن به اى بالقران او بالرسول اى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد به قسمتهم فى الاستقبال اى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فتكون الاية كالعذر فى تبقيتهم وعدم استيصالهم وربك اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب عملهم فى التكذيب ويعلم طوياتهم هل يتوبون او يصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بافعاله وبنتايج اعماله من الثواب والعقاب وان كذبوك فقل لى عملى وجزاء عملى على الطاعة والايمان وتبليغ

الرسالة ولكم عملكم قال مقاتل والكلبى هى منسوخة باية القتال والتحقيق ان اية القتال لاترفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ
قل من يرزقكم اى من ينزل من سماء النفس مطر الهواجس ويخرج من ارض البدن نبات الافعال والاعمال او ينزل من
سماء القلب مطر انوار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية او ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح
ويخرج من ارض القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدرة مطر الفيض الربانى ويخرج من ارض الروح المحبة والاخلاق
الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلى الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء فى الله وثمرات البقاء بالله ام من يملك
السمع والابصار فيكون سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر يخرج الحى من الميت النفس من القالب والقلب عن النفس والروح
من القلب وبالعكوس ومن يدبر امر الانسان بالتربية من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل
لمن بلغ نظره الى هذه المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة افلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت
كلمة ربك هكذا جرى القلم فى الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب تفصيل
الجملة التى هى مكتوبة عنده فى ام الكتاب وهو علمه القايم بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين افسدوا استعداد هم الفطرى اعوذ بالله

ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون
ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا
لايبصرون ● ان الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون ● ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار
يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا
مهتدين ● واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا
مرجعهم ثم الله شهيد على مايفعلون ● ولكل امة رسول
فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون ● ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ● قل لا املك لنفسى ضرا ولا
نفعا الا ماشاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ● قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او
نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ● اثم اذا ماوقع امنتم به الآن
وقد كنتم به تستعجلون ● ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد
هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ● ويستنبئونك احق هو قل اى

وربى انه لحق وما انتم بمعجزين ● ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى
الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضى
بينهم بالقسط وهم لايظلمون ● الا ان لله ما فى السموات والارض
الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لايعلمون ● هو يحيى
ويميت واليه ترجعون ● يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ● قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن
لكم ام على الله تفترون ● وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
يوم القيمة ● ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لايشكرون

القراءة افانت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع
حمزة وعلى وخلف يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نرينك او نتوفينك بالنون الخفيفة رويس الان بوزن عالان بحذف
الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان ابو جعفر ونافع فليفرحوا بتاء الغيبة يجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد
وقرا زيد على ضده وقرا دويس كليهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما **الوقوف** اليك لايعقلون اليك لايبصرون
يظلمون بينهم مهتدين يفعلون رسول لايظلمون صادقين ماشاء الله اجل ولايستقدمون المجرمون امنتم به يستعجلون
الخلد للاستفهام مع اتحاد القايل تكسبون احق هو بمعجزين لافتدت به العذاب للعطف على اسروا دون راوا لايظلمون
والارض لايعلمون ترجعون للمؤمنين فليفرحوا يجمعون وحلالا تفترون القيمة لايشكرون نصف السبع **التفسير**
ان الانسان اذا قوى بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى طلب مقابحه فى كلامه معرضة عن محاسنه
فيه وكما ان الصمم فى الاذن معنى ينافى حصول ادراك الصوت والعمى فى العين امر ينافى حصول ادراك الصورة فكذلك حصول
هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان فى اولئك الكفار من بلغت حالة فى النفرة
والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرايع ولكنهم لايعون ولايقبلون وينظرون اليك يعاينون
ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لايتبصرون ولا يصدقون قال اهل المعانى المستمع الى القران كالمستمع الى النبى بخلاف النظر
فكان فى المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثر واكثرهم ثم قال انطمع ان تقدر على اسماع
الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم او تقدر على هداية العمى ولاسيما ان اقترن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على ذلك
حالة الكمال الخالق القدير القوى وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله افانت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه
وسلم فان الطبيب اذا راى مريضا لايقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لامن الصنيعة
والحذق ثم اكد عدم قابليتهم فى الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيمة بقوله ان الله لايظلم الاية فسرها المعتزلة
بان المراد من نفى الظلم ما الجاء احدا الى هذه القبايح والمنكرات ولكنهم باختيار انفسهم اقدموا عليها واجاب الواحدى عنه
بانه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف فى ملك نفسه فلا اعتراض عليه وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل

منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق انه نفى الظلم عنه لان وقوع فريق في طريق القهر ضرورى ونسب الظلم اليهم
مخصوص وقوعهم في الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم اى واذكر يوم نحشرهم كان لم يلبثوا في محل
النصب على الحال اى مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون اما حال اخرى او بيان لقوله كان لم يلبثوا لان
التعارف لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم في
الدنيا وقيل في القبور استقل المدد الطوال اما لانهم ضيعوا اعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم او استقصروها
للدهش والحيرة او لطول وقوفهم في الحشر او لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحقروها واما التعارف
فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطاء والكفر وقيل يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بينها وبين قوله ولا يسال
حميم حميما ان هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت اضللتني يوم كذا او انهم يتعارفون اذا بعثوا ثم تنقطع
المعرفة وانما حذف جميعا في هذه الاية اكتفاء بما في الاية السالفة ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا او لان
الاية سيقت هناك لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله اعلم قوله قد خسر الذين
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز في الكشاف ان يكون على ارادة القول اى يتعارفون
بينهم قائلين ذلك ثم اكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين اى في رعاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكثير الشريف
الباقي وقنعوا بالقليل الخسيس الفاني كالكن داى زجاجة خسيسة فظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ما له فاذا عرضها على
الناقدين خاب سعيه وفات امله ثم سلى رسوله فقال واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جواب او نتوفينك
والمعنى واما نرينك في ايامك بعض الذى نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكهم في الاخرة لان مرجع الكل
الينا ولقد صدق الله وعده فقد اراه في هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم والاستعلاء على ديارهم
واموالهم والذى سيريه في الاخرة اكثر وادوم يدل عليه لفظة ثم لتبعيد الرتبة في قوله ثم الله شهيد على ما تفعلون ولا يخفى
نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد انطاق جوارحهم يوم القيمة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما
اهمل امة من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال ولكل امة رسول وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبي المتقدم
ووقوع موجبات التخليط في شرعه فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذب قوم وصدق اخرون قضى بينهم بالقسط اى حكم وفصل بالعدل
فانجى الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الاية نظير قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يقال المراد ولكل امة
من الامم يوم القيمة رسول ينسبون اليه ويدعون فكانه تعالى يقول انا شهيد على اعمالهم ومع ذلك فاني احضر في موقف
القيمة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم او عليهم قضى بينهم والمراد منه المبالغة
في اظهار العدل والنصفة فتكون الاية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ثم ذكر شبهة اخرى من شبهات الكفرة
وذلك انه صلى الله عليه وسلم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك كانوا يقولون متى هذا الوعد استبعادا
لنزوله وقدحا في نبوته وهذا مما يؤكد القول الاول في الاية المتقدمة لانه لا يجوز ان يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم
في دار الاخرة لحصول اليقين والمعرفة حينئذ وايضا قوله ان كنتم صادقين لفظ جمع موافق لقوله ولكل امة رسول ثم امره
ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله قال العلماء
انه استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب ثم بين ان احدا لا يموت الا بالقضاء
وان لعذاب كل طائفة امدا محدودا لا يتجاوزونه فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل الاية وقد مر تفسير الاية في اوائل الاعراف
الا انه ادخل الفاء ههنا في الجزاء لانه بنى الشرط على الاستيناف او البيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله
ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفاءين ثم زيف رايهم في استعجال العذاب مرة اخرى فقال ارايتم اى اخبروني ان اتاكم عذابه بياتا
اى في حين الغفلة والاستراحة او نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش كما مر في الاعراف ماذا يستعجل منه اى من العذاب المجرمون
وانما لم يقل ماذا تستعجلون منه دلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه
وان ابطا مجيئه فضلا ان يستعجله ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله من المذاق موجب للنفار فاى شيء يستعجلون منه
وليس شيء منه يوجب الاستعجال او المراد التعجب كانه قيل اى شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله تعالى وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا الخطأ فيه وماذا الجملة مفعول ارايتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك
ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم ويجوز ان يكون اعتراضا وجواب الشرط اثم اذا ما وقع امنتم به والمعنى ان اتاكم عذابه
امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الان على ارادة القول اى قيل

لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الان آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل
المضمر قبل الان والحاصل ان الذى تطلبونه ضرر محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قال انه ضرر محض
لانه اذا وقع العذاب فاما ان يؤمنوا وايمان اليائس غير مقبول واما ان لا يؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب اخر اشد
وادوم ويقال على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلتم الهنا انت الغنى عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد و
التهديد اجيبتم هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله الحكيم او ترتب الاجر الواجب
عند المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وفي يستنبؤنك احق هو فهو استخبار على جهة الاستهزاء والانكار اى
احق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة ولا
قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد ما جئت به من
القران والشرايع وقيل اى ما تعدنا من البعث والقيمة فامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل اى وربى ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع
القسم في جوابهم ان يكون تدابر في الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر ان من اخبر عن شيء واكد بالقسم فقد
اخرجه عن حد الهزل وادخله في باب الجد وقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم الد ثم اكد مضمون المقسم عليه بقوله وما انتم بمعجزين
فائتين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدافع بنفسه عما اراد الله وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله ولو ان لكل نفس الاية
وقد مر مثله في ال عمران والمائدة وقوله ظلمت صفة لنفس اما قوله واسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب
اى اظهروا الندامة حينئذ لضعفهم وليس هناك تجلد والمشهور انه الاخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا ما سلبهم قواهم فلم
يطيقوا صراخا ولا بكاء او اخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التردد في اول ما يرون
العذاب اما عند احاطة النار بهم فلا يبقى هذا التماسك او اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء اسره وفيه
تهكم بهم وباخلاصهم لانهم اتوا بذلك في غير وقته وقضى بينهم بالقسط قيل ان بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع
وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب
بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم وان اشترك كلهم في العذاب ثم ذكر في اثبات ان له جميع ما قرر بحكم المالكية والقدرة على الاحياء
والاماتة والابداء والاعادة وقيل في وجه النظم انه لما ذكر في حديث الافتداء بين انه ليس للظالم شيء يفتدى به فان كل الاشياء ملكه
وملكه وقيل انه لما اقسم على حقية ما جاء به النبي وكان دليلا اقناعيا اراد ان يصححها بالبرهان اليقيني فذكر ان كل ما في هذا العالم
من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوى وسفلى وبسيط ومركب فهو ملكه وملكه لكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر
على ايصال الرحمة الى اوليائه والعذاب الى اعدائه وكونه منزها عن النقائص والافات يكون بريا عن الخلف والوعد والايعاد
وفي تصدير الكلام بكلمة الا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين في الاسباب الناظرة الظاهرة القائلين البستان
للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون ان كلها عوارى وودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع واعلم ان
الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بامور احدها ظهور المعجز على يده مطابقا لدعواه وقد قرره الله سبحانه في هذه السورة على احسن
الوجوه حيث قال وما كان هذا القران ان يفترى الى تمام الايتين والثانى ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من
جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبى الحق فاشار سبحانه الى هذا الطريق
بقوله يا ايها الناس الاية فوصف القران بصفات اربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى المريض اولا
عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور بحصول العقايد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد الصحة
بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه
وذلك انه اذا زالت الملكات الردية التي طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع بها نقش الملكوت
وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بان تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية
بحيث يفيض انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح
لم يتوجه الى خدمة ارواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضيء بنورها والحاصل
ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق
الردية وتحصيل اضدادها وهي الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها
بالغة في الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للناقصين وهي النبوة ولما ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية
ذكر انها هي التي يجب ان يكون الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله وبرحمته قال في الكشاف

اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا وبذلك فليفرحوا والتكرير للتقرير والتاكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة الاخر عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان
فرحوا بشیء فليخصوهما بالفرح ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وان يراد قد جاءتكم موعظة
بفضل الله وبرحمته فبذلك اى بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل اعتراضا ومن قرا بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن
ثابت فبذلك فلتفرحوا يا اصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبی صلى الله عليه وسلم وهو الاصل
والقياس لانه ادل على الامر بالفرح واشد تصريحا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر فی المخاطب والغائب واحد الا انه
خفف امر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارع لكثرة الاستعمال فاضطروا الى همزة الوصل ومن قرا يجمعون بتاء الخطاب
فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا انه غلب الخطاب كما يغلب او كانه اراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية
الروحانية على الوازع النفسانية الجدلانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام والمعنى العدمی لا يستحق الفرح به و
بتقدير ان يكون صفاتية ثبوتية الا ان التضرر بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع وهی اقوى اللذات الى الم القولنج
وسائر الالام القوية وايضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الالام كل جزء من اجزاء البدن وايضا اللذات
الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال الم الجوع زال الالتذاذ بالاكل والشرب وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله ولو لم يحصل
فی لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح فی مقدماتها لكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل
الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعری شعر ان حزنا فی ساعة الموت لاضعاف سرور فی ساعة الميلاد فتبين بهذه الوجوه
ان الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانيات الزائلات اما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته
ما وعد عليه وعن ابی بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله
ما روی عن ابی سعيد الخدری فضل الله القران ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق ثالث فی اثبات النبوة فقال قل ارايتم الاية
وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها فان كان هذا بمجرد التشهی فذلك طريق باطل مجهور بالاتفاق لاداته
الى التنازع والتشاجر واختلاف الاراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول
ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفی الاية اشارة الى فساد طريقتهم فی شرايعهم واحكامهم
من تحريم السوايب والبحاير وقولهم هذه انعام وحرث حجر وغير ذلك وما انزل الجملة فی محل الرفع بالابتداء وخبره الله
اذن لكم وقل مكرر للتاكيد والرابط محذوف ومجموع المبتداء والخبر متعلق بارايتم والمعنى اخبرونی الذی انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا الله اذن لكم فی تحريمه وتحليله ام على الله تفترون وعن الزجاج ان ما فی ما انزل بمعنى الاستفهام
منصوبا بانزل وانه مع معموله مفعول ارايتم معناه اخبرونيه وعلى هذا يكون قل الله كلاما مستانفا ومعنى انزل خلق وانشاء
كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وذلك ان كل ما فی الارض من زرع او ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء
قال فی الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة فی الله للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال وما
ظن الذين يفترون اى شیء ظنهم فی ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو فی صورة الاستعلام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتری
على الله حيث ابهم امره وكفى به زاجرا للمفتی فی الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت ان الله لذو فضل على الناس اذ انعم عليهم
بالعقل ورحمهم بارسال النبی وتعليم الشرايع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة بجحد نبيه او مخالفته التاويل
افانت تسمع الصم صم اذان القلوب افانت تهدى العمی عمی ابصار البصاير ويوم نحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور
الى المحشر وحشر الخواص خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من
قبور الانانية الروحانية الى هوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة
لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقامات كل صنف واما نرينك بعض الذی نعدهم
بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن ونتوفينك فنبلغك اقصى المراتب ومقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا
لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل امة رسول فی الظاهر من الانبياء والباطن من الهام
الحق لكل امة اجل فی استكمال السعادة والشقاوة بياتا اى فی الازل ونهارا اى يظهر الان ما قدر لكم فی الازل قل ای وربی
انه لحق ای اقسم بربك ان وقوع الامور الاخروية حتى لانك عبرت عن الجنة والنار ليلة المعراج طلبت بافادة الاستعداد
الا ان لله ما فی سموات الارواح وارض القلوب والنفوس الان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة فی الازل حق
هو يحيی قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب اخرين بالجهل او يحيی بالنور ويميت بالظلمة او يحيی بصفة الجمال ويميت بالجلال

يا ايها الناس يا اهل النسيان قد جاءتكم موعظة هی خطاب الست بربكم وهو دواء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو
توفيق اجابة بلى لما فی الصدور وهو القلب فانها دواء صدف الصدر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية
خاصة ورحمة اتصال امداد الفيض الى ان يبلغ غاية الكمال ويفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب
ورحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعه اهل الدنيا فی دنياهم ما انزل الله لكم من رزق القلوب
والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما على انفسكم وحلالا على غيركم ای
حدثت انفسكم بان تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شانها وانما هو من شان الانبياء وخواص الاولياء
قل الله اذن لكم ان ترضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام على الله تفترون
بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطری ٥

وما تكون فی شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون من
عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن
ربك من مثقال ذرة فی الارض ولا فی السماء ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا فی كتاب مبين ● الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● الذين امنوا وكانوا
يتقون لهم البشرى فی الحيوة الدنيا وفی الاخرة لا تبديل
لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ● ولا يحزنك قولهم ان
العزة لله جميعا هو السميع العليم ● الا ان لله من فی السموات
ومن فی الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ● هو الذی
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فی ذلك
لايات لقوم يسمعون ● قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنی
له ما فی السموات وما فی الارض ان عندكم من سلطان بهذا
اتقولون على الله ما لا تعلمون ● قل ان الذين يفترون على الله
الكذب لا يفلحون ● متاع فی الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم

عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم
وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور
وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية يحكى ان ابرهيم الخواص كان في
البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفوا
بالقرب منه والمريد تسلق على راس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحال ففي الليلة
الثانية وقعت بعوضة على يديه فاظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف يليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا
البارحة ما تحملناه بسبب القوة الواردة الغيبي فلما غاب ذلك الوارد فانا اضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم
البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل بشرهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وبشر
الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبتهم له وعن
ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى
المؤمن والدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل احد اذا اتصف ولم يحسده ولا
كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي اي قلب حصل كان
مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت
المبشرات قيل وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
وسبب تخصيص هذا العدد ان النبي صلى الله عليه وسلم استنبئ بعد اربعين سنة الى استكمال عمره وهو ثلث وستون سنة
وكان ياتيه الوحي اولا بطريق المنام ستة اشهر ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد
الى ستة واربعين واما الرؤيا الصادقة توجب البشارة فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى العالم القدسي والاطلاع
على بعض ما هنالك وعن عطاء البشرى في الدنيا هي البشارة عند الموت تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة والبشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف
بايمانهم وما يقرؤن منها الى احراز احوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده وقد مر مثله في الانعام
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعدا الاعتراض كلام تقول فلان ينطق بالحق والحق
ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل وكل ما قبل العدم امتنع ان يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفي شيء عن شيء
لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع المكذبين فقال ولا يحزنك او نقول انه كما ازال الحزن عنه في
الاخرة بقوله الا ان اولياء الله ازال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم لك وتهديدهم بالخدم والاموال
وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شانك من المطاعن والقوادح ثم استانف قوله
ان العزة كانه قيل ما لي لا احزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر له ولحزبه كتب الله لاغلبن انا ورسلي ومن فتح لا
على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير
لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واثقا بوعد الله تعالى في جميع الاحوال وان كان قد يقع في
بعض الحروب والوقايع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم يسمع ما تقولون ويعلم ما تدبرون
فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض تخصيص
ذوي العقول انما للتغليب واما لان الاية سبقت لبيان فساد عقيدة المشركين فذكر العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان
كلهم عبيد الله ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فاولى ان لا يصلح ما لا يسمع ولا يعقل كالاصنام اولى بان يكون ندا له ثم اكد هذا
المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف والمعنى ليس يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة
انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف احد المكررين لدلالة الاول عليه والاول مفعول يدعون والثاني
مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون شركاء وعلى هذا انتصب بيدعون شركاء
ان يكون موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم ثم زاد في
التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقد مر مثله في الانعام ثم ذكر طرفا من اثار قدرته مع اشارة الى بعض
نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اي ذا ابصار باعتبار صاحبه اي جعله مضيئا لتهتدوا به في
حوائجكم وهذا نظرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر ثم حكى نوعا اخر من

العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

القراءة شان بغير همز حيث كان
ابو عمرو وغير شجاع والاعشى ويزيد والاصفهاني
عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان علي الباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل و
يعقوب والمفضل الاخرون بالنصب **الوقوف** تفيضون فيه مبين يحزنون لان الذي يصلح صفة الاولياء ويصلح نصبا
اورفعا على المدح فيوقف على يتقون او مبتدا خبره لهم البشرى فلا يوقف على يتقون وفي الاخرة لكلمات الله العظيم لانه
لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى الاولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم لئلا يوهم ان قوله ان العزة مقول الكفار جميعا
العليم الارض شركاء يخرصون مبصرا يسمعون سبحانه الغني وما في الارض بهذا لا تعلمون لا يفلحون يكفرون
التفسير لما بين فساد طريقة الكفار في عقائدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل احد وبما في قلبه من الدواعي و
الصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شان اي امر من الامور واصله الهمز بمعنى القصد من شانت
شانه اذا قصدت قصده قال ابن عباس اي في شان من اعمال البر وقال الحسن في شان الدنيا وحوائجها وما في ما تكون وما
تتلو نافية والضمير في منه اما لله عز وجل اي تتلو من عنده واما للشان لان تلاوة القران شان من شئون رسول الله بل هو معظم
شانه ولهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل واما للقران والاضمار قبل الذكر تفخيم له كانه قيل وما تتلو من التنزيل
من قران لان كل جزء منه قران ثم عم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء والجمع للتعظيم او لان المراد الملئكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع
ومنه قوله فاذا افضتم من عرفات قيل شهادة الله عليه فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم
خاص ولا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشيء كما لو اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين
ثم زاد في التعميم فقال وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلا عازب اي بعيد والرجل العزب لبعده وانما قال ههنا
في الارض ولا في السماء خلاف ما في سورة سبا وهو المعهود في القران لان الكلام سيق لشهادته على شئون اهل
الارض فناسب ان يقدم ذكر ما في الارض هنا بعد تسليم ان الواو يفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر من قرا بالنصب على نفي الجنس او بالرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه فلا اشكال واما من جعل منصوبه معطوفا
على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف وجعل مرفوعه معطوفا على محل من مثقال لانه فاعل يعزب فاورد عليه
اشكال وهو انه يصير تقدير الاية لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب ويلزم منه ان يكون ذلك الشيء الذي في
الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجده الله ابتداء من غير واسطة كخلق
الملائكة والسموات والارض وقسم اخر اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثاني
متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الاية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شيء في الارض
ولا في السماء الا وهو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم انه غير عالم
بالجزئيات او نقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان الا بمعنى الواو
على ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر ثم وقع الابتداء بكلام اخر فقال الا في كتاب مبين اي وهو ايضا في كتاب مبين والعرب
تضع الا موضع الواو كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة
الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا ثم لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب
المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق فقال الا ان اولياء الله الاية والتركيب يدل على القرب فكانهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم
في نور معرفته وجماله وجلاله قال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان فتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة
اليه فقال المتكلمون ولي الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة
وعنوا بذلك قوله تعالى في وصفهم الذين امنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة
الى كمال حال القوة العملية وههنا مقام اخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال
اما في موقف العلم فبان يقدس ذاته عن ان يكون مقصورا على ما عرفه او يكون كما وصفه واما في مقام العمل فان يرى عبوديته
وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله فيكون ابدا في الخوف والدهشة واما نفي الخوف والحزن عنهم فقد مر تفسيره في اوايل
سورة البقرة وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني ان
مشاهدتهم تذكر امر الاخرة لما فيهم من الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله

ابا طيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه و قد مر في البقرة و لما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله هو
الغنى وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون
كالبذر بالنسبة الى النبات وايضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذى يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء
والانقراض فالازلى القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وايضا الغنى لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد
ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون هو ايضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان
المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده
فلا يكون شئ منها ولدا له لان الاب يناوى الولد في الطبيعة بخلاف المالك ثم زيف دعواهم الفاسدة فقال ان عندكم
من سلطان بهذا اى ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل
القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ما عندكم فيما تقولون سلطان اقول كانه نظر الى ان استعمال
الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون ثم اوعدهم على
افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الاية ثم بين ان ذلك المفترى ان فاز بشئ من المطالب العاجلة والمآرب الخسيسة
من رياسة ظاهرة وعرض زائل فذلك متاع قليل في الدنيا ثم لا بد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد
والعذاب الاليم اعاذنا الله منه **التاويل** وما تكون في شان من النبوة وما تتلو من شان النبوة من قران ولا تعملون
يا امة محمد من عمل من اعمال الامة من قبول القران ورده من مثقال ذرة مما اظهر من حركة في ارض البشرية بعمل من اعمال الخير
والشر ولا في السماء اى في سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحركة في القصد دون الفعل ولا اكبر
من النية وهو العمل الا ان اولياء الله الذين هم اعداء النفوس لا خوف عليهم من تمنى النظر نفوسهم ولا هم يحزنون على ما
فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالوقايع والمبشرات وفي الاخرة بكشف
القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الازلية حيث قال للولى كن وليا وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول
القلب قول مشركى النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها في نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء في الدنيا
وفي الاخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الاخرة بل ربما يعينه على الاخرة كما جاء في حديث الربانى وان
من عبادى لا يصلحه الا الغنى فان افقرته يفسده ذلك الا ان لله من في السموات والارض اى القلوب السماوية والنفوس
الارضية ان يتبعون الا الظن اى يظنون انهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذى جعل لكم
ليل البشرية لتسكنوا فيه من تعب المجاهدات وتزول عنكم الملالة والكلالة ونهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها
مصالح السلوك والترقى في المقامات لقوم يسمعون حقايق القران بسمع القلوب الواعية ثم اخبر عن الشبهات التى تقع في
اثناء السلوك قالوا اى مشركو النفوس عند تجلى الروح بالخلافة في صفة الربوبية مقترن بتجلى صفة ابداع الحق وتبدل عينه
الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى يثبت الابوة والبنوة بين الله وبين العبد اذ البنوة تخص
التعلقات بالوالد وهذا الكشف والابتلاء هو مبدا ضلالة اليهود والنصارى له ما في سموات الروحانية من الكشوف
والاحوال وما في ارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشا من الشبهات والافات ان الذين يفترون من النفوس الامارة
بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقائق ثم نذيقهم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واحسوا بالالم والله اعلم

واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
مقامى وتذكيرى بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم
وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى
ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجرى الا على الله

وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه
في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا
الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من
بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا
وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا
لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا
يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا
وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما
بمؤمنين وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال
موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل
المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون
فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم
ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين
وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان
كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين

واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا
بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين ● وقال موسى
ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة واموالا في الحيوة
الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم و
اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ●
قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعآن سبيل الذين
لا يعلمون ● وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده
بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا
الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين ● آلان وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين ● فاليوم ننجيك ببدنك لتكون
لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ●

القراءة وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان اجرى بفتح الياء حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بتاء التانيث السحر بالمد يزيد وابو عمرو ان تبوّا بالياء الخزاز وحمزة في الوقف وان شاء ابن الهمزة الاخرون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان بتخفيف التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفي كلا القراءتين خففت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلواني عن هشام تتبعان بتشديدهما في الحالين امنت انه بكسر الهمزة على الاستيناف بدلا من آمنت حمزة وعلي وخلف الاخرون بالفتح ننجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة الاخرون بالتشديد **الوقوف** نبا نوح لا لابتداء ان انظرون لقوله اثمّ بل التقدير واذكروا اذ قال ولا تنظرون من اجر على الله لان التقدير ومقارنة من المسلمين باياتنا للفاء ولان امر النظر للعبرة يقتضي التثبت للتدبر المنذرين من قبل المعتدين مجرمين مبين لما جاءكم بناء على ان التقدير اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر يستحق الابتداء ويجيء له مزيد بيان هنا للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون في الارض بمؤمنين عليم ملقون ما جئتم به لمن قرا السحر سيبطله المفسدين المجرمون ان يفتنهم في الارض لاتصال الكلام المسرفين مسلمين توكلنا للعطف مع اتحاد القائل الظالمين للعطف الكافرين واقيموا الصلوة لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وان اريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين الدنيا لتعلق قوله ليضلوا بقوله اتيت وربنا تكرار للاول لاجل التضرع عن سبيلك لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم لا يعلمون وعدوا الغرق لان قال جواب اذا المسلمين المفسدين اية لغافلون **التفسير** لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدر ودفع الملال مع ان في تكريرها تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوايد التي سبق ذكرها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها انه زيادة كقوله فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها ان يراد بالمكث اي ثقل عليكم مكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة

الاخرين عاما وانا لا شك ان من الف طريقة ويدعى الى خلافها ولا سيما اذا انكر بالدعاء كان ذلك موجبا للنفرة والثقل وخاصة اذا كانت تلك الطريقة مقتضاة النفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على ارجلهم في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى ع انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله فعلى الله توكلت اي ان شق بعضكم الى تحكمكم على الاقدام على ايذائي وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك عادتي مجيرا اي قديما وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك **شعر** ان كنت انكرت على شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد ولا يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله الفراء وقال ابو الهيثم اجمع امره اي جعله جميعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والفصيح اجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه اي مع شركائكم ومن قرا بالرفع عطفا على الضمير المتصل انما يحسن ذلك من غير تاكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما من هم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام وحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه ع قال في اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على انه واثق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كانه قال حصلوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب المودية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين الى انفسكم شركاءكم الذين تزعمون انها الهتكم تقوية بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا اخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اي مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو المغموم اي التبس وقال الليث لفي غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اي ليكن امركم الذي تجمعونه ظاهرا منكشفا اي تجاهروني بالاهلاك ويحتمل ان يراد به الامر العيش والحال اي اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا آخر فقال ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا قطعه واحكموا بصحته وامضائه وعن القفال ان فيه تضمينا والمعنى ثم امضوا الي ما استقر عليه رايكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير امهال ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ في التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوي والغرض الخسيس فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحي وتذكيري فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجري ليس اجري الا على الله اي ما نصحتكم الا لوجهه فلا ينبغي الا هو وفي الاية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فعلى الله توكلت الى اخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الاية وامرت ان اكون من المسلمين اي سواء قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام او مامور بالاستسلام لكل ما القى من قبل هذه الدعوة فكذبوه فدوا على تكذيبهم الى اخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه في الفلك قد ذكرنا في الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الاية وقد مر تفسيرها في اواسط الاعراف الا انه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله وهو كذبوا باياتنا وكذلك في الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا فعجبنا الباء ثم بعثنا من بعدهم بعد الرسل والامم باياتنا يعني الايات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي اثام فلذلك اجترؤوا على رد الايات اما قوله اسحر هذا فليس بمقول لقوله اتقولون لانهم قطعوا في قولهم ان هذا لسحر مبين بانه سحر فما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذي في قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف القالة اي مطاعن الناس فكانه قال اتعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال اسحر هذا او يقال مفعول تقولون محذوف وهو قولهم ان هذا لسحر مبين او يقال الجملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانه قال منكرين لما جاءا به اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح السحرة لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا اجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات افتعال من اللفت وهو الصرف عن الشيء وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك والعز في ارض مصر قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وايضا فالنبي اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امر امته اليه وصار اكبر القوم

وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين التمسك بالتقليد وهو
عبادة ابائهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان
ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة
في الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله قال الفراء
وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذي سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به لسحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر
فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل
ولو قال من رجل لم يقع في وهمه انه يسأله عن الرجل الذي ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فما استفهامية مبتدأ وجئتم به
خبره كانه قيل اي شيء جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح
عمل المفسدين لا يؤيده بجميل الخاتمة ويحق الله الحق يثبته بكلماته بمواعيده او بما سبق من قضائه او باوامره فما امن
لموسى اي في اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير ولا ريب
ان المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير يعني قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قومه كانه دعا الاباء
فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء عليهم
وقيل ان الذرية اقوام كان اباؤهم من قوم فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية مؤمن آل فرعون واسية امرأته
وامرأة خازنه وماشطته فالضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين ولما نقل
ان الذين امنوا به كانوا من بني اسرائيل والضمير في ملائهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب يأتمرون له او
المراد آل فرعون فحذف المضاف او للذرية يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم
وعلى انفسهم يدل على ذلك قوله ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون ثم اكد اسباب الخوف بقوله ان فرعون لعال في الارض
ارض مصر وانه لمن المسرفين في القتل والتعذيب او لمن المجاوزين الحد لانه من اخس العبيد فادعى الربوبية العليا وقال
موسى تثبيتا لقومه ان كنتم امنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا خصوه بتفويض اموركم اليه ان كنتم مسلمين قال
العلماء المؤخر في مثل هذه الصورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت
بك قوة فان ضربك زيد فاضربه فكانه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم متعاونين لتكاليف دينكم بالاخلاص مصدقين له
بالتحقيق عارفين بانه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه
وحده فقالوا ممتثلين لموسى على الله توكلنا ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة لهم والمراد
بالفتنة تعذيبهم او صرفهم عن دينهم او المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا
لسنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اي لا تجعلنا مفتونين بان تمكنهم من صرفنا عن الدين والحق ولما
قدموا التضرع الى الله بان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال نجاة انفسهم فقالوا ونجنا الاية وفي ذلك دليل على
ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوءا التبوء المكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من
ذهب الى انها المساجد واوحينا الى موسى واخيه كقوله وفي بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم
قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال
الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنها بامر الله تعالى في ايام نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ومنهم
من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اي صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة اما
السبب في اتخاذ البيوت فان يصلوا في بيوتهم خيفة من الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة
او المقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى
وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم وانما ثني الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار
المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة و
اقامة الصلوة واجب على الجمهور ثم خص موسى بالتبشير في قوله وبشر المؤمنين لان الغرض الاصلي من جميع العبادات هو هذه
البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذي هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب
قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وبشر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون

البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم امروا باتخاذ موضع يرجعون اليه
البتة للعبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى عليه السلم لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة وراى القوم مصرين على الجحود والعناد
اخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب الدعاء عليه فلهذا قال انك اتيت فرعون وملاءه زينة واموالا فالزينة
عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والاموال وما يزيد عليها من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من
فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله ليضلوا لام التعليل كان موسى قال ربنا
انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا ففيه دلالة على انه تعالى يتسبب لضلالهم واراد منهم ذلك والا لم تهيئا اسبابه ثم
شرع في الدعاء عليهم بالطمس على اموالهم والطمس المحو والمسخ كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها وبالشدة
على قلوبهم ومعناه الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر الغائب دعا عليهم بثلثة امور بالضلال وبالطمس
وبالشد كانه لما علم بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال او علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون
لغيره قائلا ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه واستمر على غيه سلمنا
ان قوله ليضلوا ليس دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال
فكانهم اوتوها ليضلوا ولم لا يجوز ان تكون لا مقدرة اي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا او يكون حرف الاستفهام
مقدرا فيه اثبت على سبيل التعجب اما قوله فلا يؤمنوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض
واما ان يكون جوابا لقوله واشدد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد قال قد اجيبت دعوتكما اضاف الدعوة اليهما
لان موسى كان يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان الا انه خص موسى بالذكر في الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى ان
دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار وزيادة في الزام الحجة
ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه الف سنة الا قليلا قال ابن جريج مكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم الى
الله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ان الاستعجال لا يفيد في اجابة الدعاء فقد يستجاب ولكن يظهر الاثر بعد حين وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر قد مرت تلك القصة في اوائل سورة البقرة في قوله واذ فرقنا بكم البحر الاية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم يقال اتبعته
حتى اتبعته والبغي الافراط في الظلم والعدو مجاوزة الحد وفي الاية سؤال وهو ان فرعون تاب ثلث مرات احدها قوله امنت وثانيها
انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم لم يقبل توبته والجواب من وجوه الاول انه ايمان اليأس وانه
لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف الثاني انها لم تكن مقرونة بالاخلاص وانما كانت لدفع البلية الحاضرة والمحنة الناجزة الثالث ان ذلك التوحيد
كان مبنيا على محض التقليد والخذلان ولكن كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول ظلمته الا بنور الحجة
القاطعة الرابع ما روي ان بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلعله اراد الايمان بذلك العجل الذي امنوا به ثم
في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر الخامس ان اكثر اليهود يميلون الى التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكانه
ما امن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما انه
لو قيل الف مرة لا اله الا الله لم يصح ايماننا الا اذا قرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع ان جبريل عم اتى فرعون بفتيا ما قول
الامير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمه فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب
جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمه ان يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبريل اليه خطه فعرفه اما قوله الان فالمشهور من
الاخبار ان جبريل عم قاله وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين الجمك الغرق وادركك وقوله وكنت من المفسدين
في مقابلة قوله وانا من المسلمين يروى ان جبريل اخذ يملأ فاه بالطين حين قال آمنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا
الخبر غير صحيح لانه ان قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز على جبريل ان يمنعه من التوبة بل يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو
منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه
على الكفر والرضاء بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون فقولا له قولا لينا ثم يامر جبريل بمنعه عن الايمان ولو قيل
ان جبريل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا بامر ربك لا يسبقونه بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال التكليف
فلم يكن لما فعل جبريل فائدة اللهم الا ان يقال انه دس حال البحر في فيه في وقت لا ينفعه ايمانه غضبا لله على الكافر قوله فاليوم ننجيك
ببدنك فيه اقوال منها ان معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد ان تغرق وقوله ببدنك في موضع
الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور والمراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص
منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا وفيه نوع تهكم كانه قيل ننجيك لكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك كما يقال العتق الحي

من الشجن ولكن بعد ان تموت وقيل ننجيك ببدنك اى نلقيك بنجوة من الارض وهى المكان المرتفع وقيل ببدنك اى بدرعك
قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء مع ذلك
الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كان معجزا لموسى عم قوله لتكون لمن خلفك اية فقيل ان قوما اعتقدوا فى الهيته وزعموا
ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى امره بان اخرجه من الماء بصورته حتى شاهدوه وزالت الشبهة عن قلوبهم وكان مطرحه
عن ممر بنى اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى اراد ان يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة بعدما سمعوا منه قوله
انا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للغابرين عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس فى نهاية الجلالة ثم امره الى ما آل فلا
يجترئوا على نحو ما اجتراء عليه وقيل المراد لتكون طرحك على الساحل وحدك دون المغرقين اية من ايات الله للامم الاتية
ثم زجر هذه الامة عن ترك النظر فى الدلايل وحثهم على التامل فقال وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون **التاويل**
واتل عليهم نبا نوح الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامى فى الاخلاق
الحميدة الروحانية ودعائى الى الله ببراهينه الواضحة فما سالتكم من اجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظى الا من
مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء الله فى ارضه وباقى التاويل كما مر فى الاعراف وهكذا فى قصة
موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازى ويحق الله الحق اى الذكر بكلماته وهى لا اله الا الله
ولو كره اهل الهوى والنفوس الامارة فما امن لموسى القلب الا اصفاته او بعض صفات فرعون النفس بتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق
الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها ان يصرفها الى حالها الطبيعة التى جبلت عليها واوحينا الى
موسى القلب وهرون السر ان هيا لصفاتكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا فى عالم النفس السفلى واجعلوا تلك المقامات
متوجهة الى طلب الحق واقيموا الصلوة اديموا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون
عاقبة امرهم ان ينقطعوا او يقطعوا ابناء الملاذ عن السير فى طلبك ربنا اطمس على اموالهم بمحقها وتحقيرها فى نظرهم واشدد
طريق النظر الى الدنيا ومتاعها على قلوبهم واجعل همتهم عليه فى طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم فان النفس و
صفاتها لا يؤمنون بالاخرة وطلب الحق حتى يذيقهم الم الفطام عن الدنيا ومشتهياتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول
الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببنى اسرائيل هم القلب والسر وصفاتها والبحر بحر الروحانية الملكوتية فاتبعهم فرعون النفس
وصفاتها بعد الفطام عن شوايب عالم الملك قهرا وقسرا حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى
القلب وصفاته فى لجج بحر الوصال وبلغت افواج امواجه الى ساحل البشرية ادرك فرعون النفس الغرق فاستمسك بعروة تلك
الغريق وقال آمنت ومن امارات اخبية فرعون النفس من عالم الروح انه لم يتمسك بحبل التوحيد والمعرفة بيد الصدق والاستقلال
ولم يقل امنت بالله الذى لا اله الا هو وانما تمسك بيد الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل فنجيك
ببدنك اى نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا على كمال قدرتنا وعنايتنا وان من تبع خواص عبادنا نجعلهم من اهل
النجاة والدرجات بعد ان كان من اهل الهلاك والدركات

ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون ۝ فان كنت فى شك مما انزلنا
اليك فاسال الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين ۝ ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ۝ ان الذين حقت عليهم

كلمة ربك لا يؤمنون ۝ ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب
الاليم ۝ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم
الى حين ۝ ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ۝ وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ۝ قل انظروا ماذا
فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ۝
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى
معكم من المنتظرين ۝ ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا
علينا ننجى المؤمنين ۝ قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا
اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى
يتوفيكم وامرت ان اكون من المؤمنين ۝ وان اقم وجهك
للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ۝ ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم ۝ قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
وما انا عليكم بوكيل ۝ واتبع ما يوحى اليك واصبر

حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

القراءة بوانا مثل انشانا ونجعل بالنون يحيى وحماد الاخرون بالياء التحتانية ثم ننجي من الانجاء نصير وروح ويزيد ننج المومنين من الانجاء ايضا علي وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالتشديد فيهما **الوقوف** الطيبات للابتداء بالنفي مع الفاء العلم يختلفون لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين للعطف الخاسرين لا يومنون لتعلق لو بما قبلها الاليم يونس حين جميعا مومنين باذن الله اي وهو يجعل لا يعقلون والارض للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يومنون من قبلهم من المنتظرين كذلك لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء الرسل او يكون الوقف على آمنوا والتقدير ننجي المومنين انجاء كذلك وحقا علينا اعتراض المومنين يتوفكم لاحتمال ان يراد وقد امرت المومنين للعطف حنيفا للعطف مع زيادة نون التاكيد المودن بالاستيناف المشركين ولا يضرك للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين الا هو للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله من عباده الرحيم من ربكم لنفسه عليها للعطف مع النفي بوكيل يحكم الله لاحتمال العطف والاستيناف الحاكمين **التفسير** لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده اراد ان يذكر ما وقع عليه الختم في واقعة بني اسرائيل فقال ولقد بوانا اي اسكناهم مسكن صدق فيكون المبوأ اسم مكان او مصدرا او العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ويوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببني اسرائيل اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى فمبوأ صدق الشام ومصر وما بينهما فانهما بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق ومع ذلك فقد اورثهم الله جميع ما كانت تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا وكانوا على طريقة واحدة حتى قرأوا التوراة فقابلوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف واحدثوا المذاهب المتعددة واما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبني قينقاع انزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم البينات بسبب العلم وهو القران النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا في نعته وصفته وآمن به قوم وبقي على الكفر اخرون وبالجملة فالله تعالى يقضي بين المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم او في شان رسوله حقق حقيته وحقية ما انزل عليه بقوله فان كنت في شك والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر في العقد وشككته بالرمح اي خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكائك البيوت المصطفة والشاك الى ما يوهمه شيئا اخر خلافه والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعيد ذلك قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ولانه لو كان شاكا في شانه لكان غيره بالشك اولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول حقيقة ولكنه ورد على سبيل الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكونان محالين كقول القايل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدليل لاجل مزيد اليقين وحصول الطمانينة وفيه استمالة لامته والحث لهم على السوال عما كان [illegible] في شك وفيه ان اهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لان يرجع اليهم [illegible] فضلا عن غيرهم فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى الرسول لا وصف الرسول بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل ان نافية اي فما كنت في شك [illegible] وقيل الخطاب لكل سامع يجوز منه الشك ومن المسؤل عنه قال المحققون هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري و كعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء [illegible] التوراة والانجيل تدل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض [illegible] من اقوى الدلائل والظاهر ان المقصود من السوال معرفة حقية القران [illegible] ما انزل اليك وقيل السوال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم [illegible] فرق المكلفين [illegible] فلا تكونن من الممترين

ولا تكونن الاية اي المراد فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا تغير ولا تبديل لحالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله ان الذين حقت عليهم الاية وقد مر مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع الياس وموتهم على الكفر مكتوب عند الله تعالى ونعت عليهم قوله في الازل بما يجري عليهم لكنها كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد وقالت الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقد مر امثال هذه الابحاث مرارا كثيرة واما الاخرون فذلك قوله فلولا كانت اي فهلا حصلت قرية والمراد اهلها آمنت تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب فنفعها ايمانها لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون اوان الياس والاضطرار الا قوم يونس هو استثناء منقطع اي ولكن قوم يونس هو استثناء منقطع اي ولكن قوم يونس لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس يروى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما يجيء في سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون ليلة اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء اجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وضده كلاهما بمشية الله وتقديره ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل ايمان اهل الارض بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واول المعتزلة المشية بمشية الالجاء والقسر واجيب بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الاية وكذا المشية على ايمان الالجاء ومشية القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال افانت تكره فاولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام في المكره من هو وما هو الا الله وحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان تفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على خلق الايمان ومعناه انه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا استبدال قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اي الكفر والفسق على الذين لا يعقلون وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه وخصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يعقلون بغير المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق في الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه اولى اجابت المعتزلة بان المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشية الله امر بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والارضية حتى لا يتوهم ان الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا في السموات والارض اي شيء فيهما من الايات والعبر ثم ذكر ان التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال وما تغني يحتمل ان تكون ما نافية اي لا تفيد هذه الايات والنذر وهي جمع نذير صفة او مصدرا في حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان تكون استفهامية للانكار بمعنى اي شيء يغني عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد ان الانبياء المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على انواع العقاب وهو وقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه قل انتظروا وفيه تهديد ووعيد بانه سينزل بهؤلاء مثل ما نزل باولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول واتباعه كما يحكي تلك الحال الماضية بقوله ثم ننجي رسلنا الاية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب والاستحقاق اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمومنين قالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيئا ثم امر رسوله باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال قل يا ايها الناس والمعنى يا اهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا اني بريء من اديانكم الباطلة ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا ولان الموت اشد

الاحوال مهابة في القلوب فكان اقوى في الزجر والردع او لانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقايع النازلة
بالامم الخالية فكانه قال اعبد الله الذي وعدني باهلاككم وانجائي وفي الاية اشارة الى انه لن ينوا فهم في دينهم
كيلا يتكلوا في امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه مامور بالايمان والمعرفة فقال
وامرت ان اكون اي بان اكون من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وان اقم ولا تدع نظرا الى المعنى كانه قيل له كن مؤمنا ثم
اقم ولا تدع والمراد وامرت بكذا واوحي الي ان اقم قال في الكشاف قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه
ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر
دلالة غيرهما من الافعال ومعنى اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا او حنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون
الوجه ههنا وجه العقل اذ المراد توجه بالكلية الى طلب الدين كمن يريد ان ينظر الى شيء نظرا تاما فانه يقيم وجهه في مقابلته لا يصرفه
عنه ثم اكد الامر بالنهي عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت اي فان
دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل للاختصار واذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا
سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع الشيء في غير موضعه
ثم صرح انه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غيره فقال وان يمسسك الاية وقد مر تفسير مثلها في اوائل سورة الانعام قال
الواحدي وان يردك بخير من القلب واصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز كل واحد منهما واقول في
تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير يصدر منه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة
بما يستدل به على قضائه وقدره وفي الهداية والضلال فقال قل يا ايها الناس الاية وقررها الاشاعرة بان من حكم له
في الازل بالاهتداء فينتفع له ذلك وان حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في دفعه كما مر في سورة الانعام قد جاءكم
بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن اساء فعليها الاية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة وازاح العلة وقطع المعذرة
فمن اختار الهدى فما نفع باختياره الا نفسه ومن اثر الضلال فلا يؤول وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الاية منسوخة
باية القتال ولا يخفى ضعفه ثم امر باتباع الوحي والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله
وهو خير الحاكمين ولبعضهم في الصبر **شعر** ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبري واصبر حتى يحكم الله في امري ساصبر
حتى يعلم الصبر انني صبرت على شيء امر من الصبر **التاويل** ولقد بوانا بني اسرائيل يعني متولدات الروح العلوي من القلب
والسر دون النفس لانها من البنات لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليها في العالم النوراني ورزقناهم من الطيبات من الفيض
الرباني الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب فكلما فاض من صفة الرحمانية على الروح يفيض الروح على
القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبي فمن قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا فهو بوجه احد
مبوأ صدق بين الاصبعين من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى ادركهم علم الله الازلي بالسعادة والشقاوة فان كنت في
شك خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن انه مخادع به الاطفال
فلا يدري هل هو من كرامة الاجتباء او من مخامة (?) الابتلاء فكان النبي صلى الله عليه وسلم من خصوصية انما انا بشر مثلكم يوحى
في صدد (?) الرياض واختصاص يوحى الي ان يسقى بكاسات المتناولات من ايادي (?) الحياض فشك عند سكره انهما من شهود التلوين
او من كشوف التمكين فادركته العناية الازلية فاكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان هذا النهي نهي التكوين
فما كان ممترا ولهذا قال والله لا اشك ولا اسال الا مثل ايام الذين خلوا من انه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا ظهور ما قدر
لكم ولكن اعبد الله الذي يتوفكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ما سواه والله الموفق والملهم

سورة هود مكية غير اية قوله واقم الصلوة طرفي النهار كلماتها الف وسبعمائة وخمس عشرة اياتها مائة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ●
ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير ● وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى و
يؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير ● الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ● الا انهم
يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ● وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين ● وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن
عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين ● ولئن اخرنا عنهم العذاب
الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا
عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ● ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ● ولئن اذقناه
نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح
فخور ● الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة
واجر كبير ● فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت
نذير والله على كل شيء وكيل ● ام يقولون افتريه قل فأتوا
بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان

كنتم صادقين ۝ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم
الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون ۝ من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون ۝ اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار ۝ و
حبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ۝ افمن كان
على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى
اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون ۝ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ۝ الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون ۝
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون
الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون ۝ اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم
ما كانوا يفترون ۝ لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون ۝ مثل الفريقين كالاعمى والاصم
والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ۝

القراءة فان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزي وابن فليح فاني اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير عني انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو **الوقوف** الركوع في خبير بناء على انه يتعلق بما قبله الا الله وبشير للعطف فضله كبير مرجعكم لاحتمال الحال والاستيناف قدير منه ثيابهم بناء على ان عامل حين قوله يعلم يعلنون الصدور الجزو الثاني عشر ومستودعها مبين عملا مبين ما يحبسه يستهزؤن منه لحذف جواب لئن اى لياس وقيل جوابها انه والاول اوجه كفور عني فخور للاستثناء الصالحات كبير ملك نذير وكيل لان ام استفهام تقريع افتريه صادقين الا هو للاستفهام مع الفاء مسلمون يبخسون الا النار بناء على ان ليس يجزم حرف النفي والوصل اوجه لان ليس فعل ماض وهو عطف عليه المجموع جزاء يعملون ورحمة يومنون به موعده لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يومنون كذبا على ربهم الثاني لان ما بعده يحتمل ان يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين عوجا من اولياء لئلا يتوهم ان ما بعده صفة العذاب يبصرون يفترون الاخسرون الى ربهم لان ما بعده خبران الجنة خالدون والسميع مثلا يتذكرون **التفسير** الر كتاب الراسم للسورة وما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد او كان معناه انا الله اى كتاب خبر مبتدا محذوف اى هذا كتاب والاشارة اما الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى احكمت نظمت نظما رصينا من غير نقص ونقص او جعلت حكيمة من حكم بالفتح اذا صار حكيما او منعت من الفساد والبطلان من قولهم احكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح اى لم تنسخ بكتاب سواه كما نسخ ساير الكتب وذلك لاشتماله على العلوم النظرية والعملية والظاهرة والباطنة وعلى اصول جميع الشرايع فلا محالة لا يتطرق اليه تغيير وتبديل ثم فصلت كما تفصل القلايد بالفرايد دلايل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعاني في فصل انفردا وجعلت فصولا سورة سورة وايه اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يليق العباد وبين ما يحتاجون اليه في اصلاح المعاد والمعاد ومعنى ثم التراخي في الحال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل واحكمت صفة كتاب ومن لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اى من عنده احكامها و تفصيلها وفي قوله حكيم خبير لف ونشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور احتج الجبائي بقوله احكمت ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر من القديم واجيب بانه لا نزاع في حدوث الاصوات والحروف وانما النزاع في الكلام النفسي وقوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اى لاجل ذلك او يكون ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبي قل لهم لا تعبدوا وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتداء منقطعا عما قبله محكيا عن لسان النبي صلى الله عليه وسلم يغري امته على اختصاص الله بالعبادة كانه قال ترك عبادة الله مثل فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل حالا من نذير وبشير اى انى لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه ويجوز ان يكون صلة لنذير اى انذركم منه ومن عذابه ويكون صلة بشير محذوفا اى ابشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اى اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشي الذي به تطلب ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان اخرا في الحصول كان اولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا اى توبوا اليه ثم قال توبوا اى اخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من انف الذنوب وقيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله في ازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي الانسان في ذلك والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم رتب على الامتثال امرين الاول التمتيع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفات كقوله فلنحيينه حيوة طيبة سوال كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة وقول النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء واجيب بان المراد بانه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال ويرزقهم كيف كان والجواب الثاني ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا في نفسه مسرورا في ذاته هينا عليه ما فاته من اللذات العاجلة وما نعابها بسببه من الخيرات الزايلة الثاني قوله ويوت اى الاخرة كل ذي فضل فضله اى موجب فضل ذلك الشخص ومقتضاه يعني الجزاء المرتب على عمله وتسمية العمل الحسن فضلا للتشريف ويجوز ان يعود الضمير في فضله الى الله وفيه تنبيه على ان الدرجات في الجنة تتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر فقال وان تولوا اى تتولوا فحذف احدى التائين والمعنى وان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة الموصوف بالعظم والثقل ايضا ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر ذلك اليوم بقوله الى الله مرجعكم اى لا حكم في ذلك اليوم الا الله ولا رجوع الا الى جزائه وهو مع ذلك كامل القدرة نافذ الحكم فما ظنكم بعقاب يكون المعذب به مثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الاية تتضمن البشارة من جهة اخرى وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحم عليه ولا يقيم لعذابه وزنا اللهم

لا تخيب رجاءنا انك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولي عن الاوامر المذكورة باطنا كالتولي عنها ظاهرا فقال الا انهم يثنون يقال
ثنى صدره عن الشيء اذا ازور عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال المفسرون وههنا اضمار اي يثنون صدورهم ويريدون
ليستخفوا منه اي من الله ثم كرر كلمة الا تنبيها على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم اي يريدون الاستخفاء في وقت
استغشاء الثياب قال الكلبي ثني صدورهم كناية عن نفاقهم لما روى ان طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا
ابوابنا وارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا فلا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة
وذلك ان بعض الكفار كان اذا مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله وما يتلو
من القرآن وليقول في نفسه ما يشتهي من الطعن ثم استأنف قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون تنبيها على انه لا فائدة لهم في الاستخفاء
لانه تعالى عالم بالسرائر كما انه عالم بالظواهر ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات كما قال لارزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهماتها فضلا
وامتنانا او كرما واحسانا فقال وما من دابة الآية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الامكنة من صلب ورحم او بيضة
وقال الفراء مستقرها حيث يأوي اليه ليلا او نهارا ومستودعها موضعها الذي تموت فيه وقد مر تمام الاقوال في سورة الانعام استدل
الاشاعرة بالاية على ان الحرام رزق لانها تدل على ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا او بحسب الاستحقاق
عند المعتزلة شبه التلذذ ثم نرى انسانا لا يأكل من الحلال طول عمره وقد يسماه الله رزقا ثم ختم الاية بقوله كل في كتاب مبين
اي كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها ثابت في علم الله او في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته في
قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يروى ان موسى عم عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه باحوال اهله فامره الله تعالى ان يضرب
بعصاه صخرة فانشقت فخرجت منها صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي
فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها فسمع الدود يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ثم اكد
دلائل قدرته بقوله وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال كعب الاحبار خلق الله ياقوتة
ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك
السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون احدهما ملتصقا بالاخرى وعلى هذا فيكون الان ايضا عرشه على الماء وقال
في الكشاف المراد انه ما كان تحت العرش خلق سوى الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض
وعلى ان الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما والا لزم ان يكون خلقهما قبل من يعتبر بهما عبثا اذ لا يعتبر بتصور عن
عود نفعهما اليه تعالى وقال ابو مسلم العرش البناء اي بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء تحركه شبه سيلان الماء
اي وكان عرشه بحركه وبالجملة مقصود الاية بيان كمال القدرة في امساك الجرم العظيم على الصغير اما قوله ليبلوكم فالمعتزلة قالوا
اللام للتعليل والمعنى انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم معاملة المختبر المبتلي لاحوالهم كيف يعملون فيجازي
كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا انه احكامه غير معللة بالمصالح ومعناه انه فعل فعلا لو كان من يفعله من يجوز عليه
رعاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر
او الاستماع في قوله انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا قال في الكشاف الذين هم احسن عملا هم الاتقياء وانما خصهم بالذكر
وطرح ذكر من وراءهم من الفساق والكفار تشريفا لهم ثلثة بحوزان يقال احسن بمعنى يشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان
الابتلاء يتضمن حديث البعث اتبع ذلك قوله ولئن قلت الاية والاشارة في قوله ان هذا الا سحر الى البعث اي هو باطل كبطلان
السحر او الى القرآن لانه الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وقال القفال معناه ان هذا القول
خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ ساحر فالاشارة
الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم بين انه متى تأخر عنهم العذاب الذي توعدهم الرسول به اخذوا في الاستهزاء وقالوا ما الذي حبسه
عنا فقال ولئن اخرنا عنهم الاية والامة اشتقاقها من ام وهو القصد واراد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هي
في الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان صلوة العصر اي في ذلك الحين فالمراد
الى حين تنقضي امة معدودة من الناس وقال في الكشاف اي جماعة من الاوقات والعذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن
ابن عباس قتل جبريل المستهزئين ومعنى ما يحبسه اي شيء يمنعه من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء والتكذيب فاجابهم الله
تعالى بقوله الا يوم يأتيهم وهو متعلق بخبر ليس اي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم واستدل به من جوز تقديم خبر ليس على ليس لانه
اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها اولى والا لزم للتابع مزية على المتبوع ثم قال وحاق اي احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن
اي ما يستعجلون ولكنه وضع يستهزؤن موضعه لان استعجالهم للعذاب كان على جهة الاستهزاء وانما قال وحاق بلفظ الماضي لانه

جعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان في حالتي السراء والضراء فقال ولئن اذقنا الانسان الاية واختلف المفسرون
فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء في قوله الا الذين صبروا ولان هذا النوع مجبول على الضعف والنقص والعجلة
وقلة الثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد وقد مر ذكر الكافر ولان وصف اليأس والكفران والفرح
المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك انه يعتقد ان السبب في حصول تلك النعمة من الامور الاتفاقية
فاذا زالت استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع في اليأس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره
واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها لذهوله عن السعادات الاخروية الروحانية
فيظن انه قد فاز بغاية الاماني ونهاية المقاصد واما المؤمن فحاله على العكوس ولذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير
اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذواق اقل ما يوجد به الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا
عليه وفيه ان جميع نعم الدنيا في قلة الاعتبار وسرعة الزوال يشبه حلم النائمين وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة
من صحة او امن او جدة ونزعها سلبها واليؤس والكفور بناءان للمبالغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة
كذلك قال الواحدي لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حمراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التي ساءته ثم سلى
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا في ذلك البعض فعن ابن عباس هو ان المشركين
قالوا ائتنا بكتاب ليس فيه شتم الهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك وقال الحسن طلبوا منه ان يترك قوله ان الساعة اتية
واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول ان يترك بعض ما اوحى الله اليه لانه يناقض المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة
فاولوا الاية بامثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم التقصير في اداء الوحي فلهذا خوطب بها او لعله كان صلى الله عليه
وسلم بين محذورين احدهما اداء شيء من الوحي الثاني انهم كانوا يلقون من الطعن والاستهزاء فيه بالاية على ان تحمل الضرر
الثاني اهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب تقول لغيره اذا اراد ان يزجره لعلك
تفعل كذا اي لا تفعل وانما قال ضائق ولم يقل ضيق به صدرك دلالة على انه ضيق حادث لانه صلى الله عليه وسلم
كان افسح الناس صدرا ومعنى ان يقولوا لان يخافوا ان يقولوا لولا انزل اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز و
الملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم بين ان حاله مقصور على النذارة لا يتخطاها الى انزال المقترحات
والذي ارسله هو القادر على ذلك حفيظ عليه وعلى كل شيء ومن كمال قدرته انزال القرآن المعجز لدهماء المصاقع
واشار الى ذلك بقوله ام يقولون افتريه الاية وقد مر مثله في سورة يونس عن ابن عباس السور العشر هي من
اول القرآن الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة مكية وبعض السور المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن ان يشار
الى ما ليس بمنزل بعد فالاولى ان يقال التحدي وقع بمطلق السورة التي تظهر فيها قوة تركيب الكلام وتاليفه تحداهم
اولا بمجموع القرآن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الاية ثم بعشر سور
في هذه الاية وذلك ان العشر اول عقد من العقود العشرات ثم بسورة في يونس وفي البقرة وهذا كما يقول الرجل
لصاحبه اكتب كما اكتب فاذا عجز قال اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا ظهر عجزه عنه قال في اخر الامر قد اقتصر
منك على سطر واحد مثله اذا اراد غاية المبالغة قال قد جوزت لك ان تستعين بكل من تريد فاذا ظهر عجزه حال الانفراد
وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال فان لم يستجيبوا الى معارضة القرآن او
الى الايمان لكم اي لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم او الجمع لتعظيم رسول الله فاعلموا انما
انزل بعلم الله اي ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الظاهرة والغائبة ومعنى الامر
راجع الى الثبات اي اثبتوا على ما انتم عليه من العلم واليقين بان القرآن ودوموا على التوحيد الذي استعدتم من
القرآن او دلكم على ذلك عجز الهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الاية بقوله فهل انتم مسلمون وفيه نوع من التهديد
كانه قيل للمسلمين اذ ابنتم صحة قول محمد وازددتم بصيرة وطمانينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص والطاعة و
تفسير اخر وهو ان يكون الضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله فاعلموا و
في انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انه منزل من عند الله وان توحيده واجب
ثم رغبهم في اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من كان همته مقصورة على
زينة الحيوة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا او عنادا فقال من كان يريد الاية عن انس انهم اليهود والنصارى وقيل
المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان نصيبهم لهم فيها وقال الاصم هم منكروا البعث وقال اخرون هي عامة

في الكافر والمسلم المرائي وقال القاضي المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور
اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وساير اللذات والمنافع عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقران فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت
فيه اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت اردت ان يقال فلان قاري وقد قيل ذلك ويوتى بصاحب المال فيقول الله
الم اوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك
ثم يوتى بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جرى قال
ابو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته وقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار يوم
القيمة روى ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معوية فبكى معوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الايتان ثم بين الفرق بين طالب الدنيا وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا
بينا فقال افمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا يقاربونهم
نظيره اذا اتاك العلماء والجهال فاستاذن الجهال للدخول قبل العلماء فيقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا نريد ان العلماء
ينبغي ان يدخلوا اولا ثم الجهال ويمكن ان يقال التقدير افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر للعلم به
ومثله امن زين له سوء عمله فراه حسنا امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة واعلم ان اول هذه الاية
يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه الله بانه على بينة هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث ما معنى
يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو الرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها اقوال اصحها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال
على صحة الدين الحق والذي هو على البينة مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير
العائد الى البينة بتاويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القران ومنه اي من القران او من الله لتقدم ذكره في قوله ام يقولون
افتريه ومن قبله كتاب موسى اي ويتلو ذلك البرهان من قبل القران كتاب موسى وهو التورية حال كونه اماما او اعني اماما كتابا
موتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية المكتسبة اما ان تكون
طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان تكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل منهما
بالاخر كان المطلوب اوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير
صحة هذا الدين هذه الامور الثلثة جميعا البينة وهي الدلايل العقلية اليقينية والشاهد هو القران المستفاد من الوحي وكتاب
موسى المشتمل على الشرايع المتقدمة عليه الصالح الاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة
هذا الدين شك وارتياب وقيل افمن كان محمد صلى الله عليه وسلم والبينة القران ويتلوه يقراه شاهد هو جبرئيل نزل بامر الله
وقرا القران على محمد او شاهد من محمد هو لسانه او شاهد هو بعض محمد يعني علي بن ابي طالب كرم الله وجهه او يتلوه اي يعقب ذلك
البرهان شاهد من النبي هو صورته ومخايله فان من نظر اليه بعقله تفرس انه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكاين على
البينة هم المومنون والبينة القران ويتلوه يعقب القران شاهد من الله هو محمد او الانجيل لانه يعقبه في التصديق و
الدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله وذلك الشاهد كون القران واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه لاشتماله
على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكاين على البينة بقوله
اولئك يومنون به اي بالقران ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن انحاز معهم كاليهود والنصارى و
المجوس فالنار موعده فلا تك في مرية في شك منه من القران او من الموعد ولما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا ودليله
قوله من كان يريد الحيوة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد وذلك قوله افمن كان على بينة اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم
من انها شفعاؤهم فقال ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يجعل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض لان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع
الى المعطوف اذ دانهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسوال
او المراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمومنين او اراد انهم يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم على الرب قال مجاهد
الاشهاد الملئكة الحفظة وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اي الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولنسئلن المرسلين والاشهاد
اما جمع شاهد كصاحب واصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف قال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القران ويكون الرسول عليكم
شهيدا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الاية
قد مر تفسير مثلها في الاعراف اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي لم يكن يمكنهم في الارض ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع

المكان

المكان ولا يتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم
ويمنعونهم من عقابه جمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب
الاخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تعالى لو شاء عقابهم في الدنيا لعاقبهم ولكنه اراد انظارهم وتاخيرهم الى
هذا اليوم ثم يضاعف لهم العذاب من قبل الكفر والصد اي الضلال والاضلال وما كانوا يستطيعون السمع بما هم
عليه في الدنيا من صمم القلوب وعمى البصاير ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك بتخليق الله تعالى حيث صيرهم عاجزين ممتنعين عن
الوقوف على دلايل العقل ويوافقه ما روى عن ابن عباس انه قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان في الدنيا وذلك قوله ما
كانوا يستطيعون الاية وفي الاخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع
الحق ونفورهم عنه كقول القايل هذا الكلام لا استطيع ان اسمعه وهذا الشخص لا استطيع ان ابصره او المراد بالاولياء الاصنام
كانه قال الذين سميتموه اولياء ليسوا في الحقيقة باولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية
وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا بوعيد واعلم انه سبحانه وصف الكفار في هذه الايات بصفات كثيرة
الاولى ومن اظلم ممن افترى الثانية اولئك يعرضون اي في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزي والفضيحة في قوله
ويقول الاشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم في القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها
عوجا السابعة كونهم كافرين بالاخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار اولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله
من اولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشر والثانية عشر ما كانوا يستطيعون الثالثة عشر اولئك الذين خسروا انفسهم
وقد مر في الانعام الرابعة عشر وضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشر لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك
لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اي قطع معناه لا قطع قاطع انهم في
الاخرة هم الاخسرون وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك لهم الفعل الخسار
الدارين قال الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللغة قوله في وعد المومنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمانوا اليه وانقطعوا
الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وفيه اشارة الى ان الاعمال لا بد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما
سوى الله وقيل المراد اطمينانهم وتصديقهم كل ما وعد الله به من الثواب وصدقه وقيل المراد كونهم خايفين من وقوع الخلل في بعض
تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهان بان شبههما الجامع بين البصير والسميع ولا شك ان الفريق الكافر هو الذي
وصفه بالصفات الخمس عشر واما الفريق المومن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكور في قوله ان الذين امنوا
ثم اكثرنا وبهما في الاحكام والمراد بقوله هل يستويان مثلا اي تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على ان علاج هذا العمى
وهذا الصمم ممكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتيسير الله وتوفيقه التاويل الر الالف اشارة الى الله تعالى واللام
الى جبرئيل والراء الى الرسول يعني هذا ما انزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب من لدن حكيم كقوله وعلمناه من لدنا
درس العلم اللدني ان تقول لامتك يا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم مما ضاع من عمركم في غير طلب
الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تحلية كما بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا وهو الترقي
في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويوت كل ذي فضل فضله اي
كل ذي جهد فيه واجتهاد في الطلب في درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع الحسن مراتب
السير الى الله وايتاء الفضل في درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الا انهم يثنون
ثياب الجسمانية على وجه الروح كان يعلم ما يسترون من جريان النور المرشش ويعلم بفضل الجرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون
من تغير الصدور وانه عليم بذات من القلوب الطاهرة وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فيه اشارة الى ان كل حيوان له مخصوص
ومزاج مخصوص وغذاء مخصوص فيجب ان يكون ملايما لمزاجه ثم من حكمة الله انه خلق اجسادا على الامزجة المختلفة وخلق
غذاء هو اوفق لمزاج كل منها ثم هداه الى ما هو وافق لها ويعلم مستقرها في العلم كيف تدرجها مستعدة للصور المختصة
بها ومستودعها الذي يحمل الله عند ظهورها فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم باقيه محل الابتلاء ومحك السعداء
والاشقياء وانما قلت للاشقياء بقواه الطبيعية باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة بحوبها الحقيقة فان الحيوة
الحقيقية تكون بعد الموت عن الحيوة الطبيعية ليقولن الذين كفروا واحسن استعداده الفطري يعني الشهوات النفسانية
ان هذا الا سحر مبين كلام محموه لا اصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى امة الى حين ظهور وقت العذاب فان الناس

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ● الا تعبدوا
الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم ● فقال الملأ الذين
كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا وما نريك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى رحمة من عنده
فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ● ويا قوم
لا اسالكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين
امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اريكم قوما تجهلون ● ويا قوم
من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون ● ولا اقول لكم
عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين
تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا
لمن الظالمين ● قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ● قال انما ياتيكم به الله ان
شاء وما انتم بمعجزين ● ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح
لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون
ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برئ مما تجرمون
واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون ● واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى
فى الذين ظلموا انهم مغرقون ● ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ

من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون ● من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم
حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه
الا قليل ● وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربى
لغفور رحيم ● وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه
وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ●
قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله
الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ● وقيل يا ارض
ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت
على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين ● ونادى نوح ربه فقال
رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ●
قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالن ما ليس
لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين ● قال رب انى اعوذ
بك ان اسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من
الخاسرين ● قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى
امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم ● تلك
من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ● القراءة انى لكم بكسر الهمزة نافع و
ابن عامر وعاصم وحمزة الاخرون
بفتحها بادى بالهمزة ابو عمرو ونصير الراى بالياء ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة

في الوقف فعميت مجهولا مشددا حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون بضدهما انلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس اجري الا بالفتح ابوجعفر ونافع وابن عامر وابوعمرو وحفص ولكني اريكم بالفتح حيث كان ابوجعفر ونافع وابوعمرو نصحي ان ابوجعفر ونافع وابوعمرو باعيننا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص والمفضل مجريها بالضم والامالة ابوعمرو والباقون بالضم مفخما يا بني بفتح الياء عاصم اركب معنا مظهرا عاصم وحمزة عمل على انه فعل غير بالنصب علي وسهل ويعقوب الاخرون عمل غير بالرفع فيهما تسالن بالنون المشددة المكسورة لادغام النون المخففة في نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون باثبات الياء في الوصل ابوجعفر ونافع غير قالون بفتح النون المشددة تسالني بغير نون التاكيد واثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغير ياء في الحالين اني اعظك اني اعوذ بفتح الياء فيهما ابوجعفر ونافع وابن عامر وابوعمرو **الوقوف** مبين الا الله اليم الراي كاذبين فعميت عليكم كارهون مالا امنوا تجهلون طردتهم تذكرون خير انفسهم الظالمين الصادقين بمعجزين ان يغويكم ترجعون افتريه مجرمون يفعلون للاية والعطف ظلموا لاحتمال التعليل مغرقون سخروا منه تسخرون تعلمون لانه ابعد مفعول مقيم التنور لان ما بعده جواب اذا ومن امن قليل ومرسيها رحيم الكافرين من الماء رحم لاتفاق الجملتين مع اختلاف القايل المغرقين الظالمين الحاكمين من اهلك علم الخاسرين معك اليم اليك لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف هنا وعلى قوله فاصبر احسن للابتداء بان المتقين **التفسير** لما اورد على الكفار انواع الدلايل اكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب في الموعظة فبدا بقصة نوح اني لكم اي ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم فلما اتصل به الجار فتح ومن كسر فعلى ارادة القول وان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم باليم لوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب والجر بالجوار ثم حكى انه طعن اشراف قومه في نبوته من ثلث جهات الاولى انه بشر مثلهم الثانية انه لم يتبعه الا الاراذل يعنون اصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة وغيرها قالوا لو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس والاشراف منهم والاراذل جمع الارذل وقيل جمع اراذل جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحاله ومعنى بادي الراي اول الراي وهو نصب على الظرف اي اتبعوك في ابتداء حدوث الراي من غير روية او معناه ظاهر الراي من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها وبروزها للناظر وهنا تفسير من قرا بغير همز وعلى هذا فالمراد انهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه او اتبعوك وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يتعلق بادي الراي بقوله اراذلنا اي كونهم كذلك امر ظاهر لكل من يراهم عيانا ويتاكد هذا التاويل بما نقل عن مجاهد انه قرا الا الذين هم اراذلنا راي العين وانما استرذلوا المومنين لاعتقادهم ان المزية عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا ان ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وان الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الاخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي متابعة النبوة الشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح ولا في قوة الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب لنوح ولمن امن به بتبعيته او خطاب للاراذل كانهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما اجاب به نوح قومه وهو ان حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك قوله ارايتم ان كنت على بينة برهان من ربي واتاني باتيان البينة والرحمة اي صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة توصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار نتيجتها كما ان دليل القوم ان كان بصيرا اهتدوا وان كان اعمى بقوا خابطين متحيرين ثم قال انلزمكموها اي انكرهكم على قبول البينة وانتم لها كارهون والمراد انا لا نقدر على ايصال حقيقة البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم ذكر انه لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب غنيا او فقيرا وما انا بطارد الذين امنوا عن ابن جريج انهم قالوا ان احببت يا نوح ان نتبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يقبل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله انهم ملاقوا ربهم فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان الصحيح او النفاق بزعمكم او المراد انهم معتقدون لقاء ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون لقاء ربكم او انهم خير منكم او قوما تسفهون حيث تسمون المؤمنين اراذل ثم اكد عدم طردهم بقوله ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من عقابه ان طردتهم لان العقل والشرع توافقا على انه لا بد من تعظيم المؤمن البر التقي ومن اهانة الكافر والفاجر فكيف يليق بنبي الله ان يقلب هذه القضية سوال ان كان طرد المومنين لطلب مرضاة الكفار معصية فكيف فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نهي عنه بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الجواب انه لم يكن ذلك طردا مطلقا وانما عين

لاجلهم اوقاتا مخصوصة ولاشراف قريش اوقاتا اخرى فعوتب على ذلك القدر احتجت المعتزلة بالاية على عدم الشفاعة للفاسق اذ لو كانت جايزة لكانت في حق نوح اولى فلم يقل من الذي يخلصني من عذابه واجيب بانه مخصوص بايات العفو ثم ذكر انه كما لا يسئلهم مالا فانه لا يدعي ان عنده خزاين الله حتى يجحدوا ان له فضلا عليهم من هذه الجهة ولا اعلم الغيب حتى اصل به الى ما اريد لنفسي ولاتباعي واطلع على الضماير ولا اقول اني ملك اتعظم بذلك عليكم بل طريق الخضوع والتواضع وعدم الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقد مر في الانعام ساير ما يتعلق بالاية ومعنى تزدري تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وفي قوله الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق اني اذا اي ان قلت شيئا من ذلك كنت من الظالمين لنفسي وان قلت لن يؤتيهم الله خيرا مع انه لا وقوف على باطنهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال قايلين يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعاني معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر لم يرد انه اعطى عطيتين اقل فاكثر بل يريد ان الوصف مقارن للموصوف وفي الاية دلالة على ان الجدال في تقرير دلايل التوحيد من داب اكابر الانبياء عليهم السلام ثم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به فاجاب نبي الله بان ذلك ليس الي وانما هو بمشية الله وارادته ولا يعجزه عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم نصحي الخ كقول القايل لامرءته انت طالق ان دخلت الدار ان اكلت الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار واكل الخبز فلهذا قال الفقهاء المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى فكانه قيل ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالاية ظاهر واجابت المعتزلة بانه لا يلزم من فرض امر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك ليبين لهم انه تعالى بنى امر التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فايدة ولتسبب الخصم بالجبر ولزم افحام النبي ومن الجايز ان يراد بالاغواء التعذيب من غوى الفصيل اذا فهلك او يراد به الخيبة كقوله فسوف يلقون غيا اي خيبة من خير الاخرة او يراد به منع الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مرارا ثم اشار الى المبدء والمعاد بقوله هو ربكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه قولهم انما ادعى نوح انه اوحي اليه مفترى فقال ام يقولون افتريه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلي اجرامي اي عقاب اثمي وهو الافتراء وانا بريء مما تجرمون اي من اجرامكم ومن اسنادكم الافتراء الي وما هنا اضمار كانه قيل لكني ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وانا بريء منه واكثر المفسرين على ان هذه الاية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة محمد وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن يؤمن اقناط من ايمانهم الذي كان يتوقعه منهم بدليل قوله الا من قد امن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له اي لا تحزن بما فعلوا من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام منهم قال المعتزلة انه لا يجوز ان ينزل الله عذاب الاستيصال على قوم ويعلم ان فيهم من يؤمن او في اولادهم من يؤمن بدليل قول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فعلل الاهلاك بمجموع الامرين وذلك على انهما لو لم يحصلا لم يجز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس لاحد حينئذ معلوم ولا واجب الوقوع ثم كل ما يقع يجب ان يكون الوجه الاصلح ومذهب الاشاعرة في هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل في ملكه ما شاء ثم عرفه وجه اهلاكهم والهمه وجه خلاص من كان واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون الروح عن الهلاك في الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر اباحة كمن اراد ان يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها ولا يخفى ان الامر ظاهره الوجوب وان قطعنا النظر عن فايدته وغايته وقوله باعيننا ووحينا في موضع الحال اي ملتبسا بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين **الاول** ان لا يمنعه اعداؤه عن ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليس العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة **والثاني** ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب ونحتها عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير وقيل المراد اعين الملائكة الذين كانوا يعرفونه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال لا تخاطبني في الذين ظلموا اي في سائرهم وعلل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اي انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فايدة للشفاعة وقيل لا تخاطبني في تعجيل عقابهم فانهم يغرقون في الوقت المعين كذلك فلا فايدة في الاستعجال فلكل اجل وقيل المراد بالذين ظلموا امرءته واعلة وكنعان ابنه ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يحتمل ان يكون

هذا جواب لما وقوله قال ان تسخروا منا استيناف على تقدير سؤال سايل كانه قال ماذا قال نوح حينئذ ويحتمل
ويحتمل ان يكون سخروا بدلا من مرّ او صفة لملاء وقال جوابا قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت
صادقا فى دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الشاق وقيل انهم ما راوا السفينة قبل ذلك فكانوا يعجبون
ويسخرون وقيل انها كانت كبيرة وكان يصنعها فى مفازة بعيدة عن الماء فكانوا يقولون هذا من باب الجنون
وقيل طالت مدته وكان ينذرهم الغرق وليس منه عين ولا اثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون منه فاجابهم
بقوله ان تسخروا منا فى الحال فانا نسخر منكم فى المستقبل اذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الاخرة
وان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله او ان
تستجهلونا فانا نستجهلكم فى استجهالكم لا تستجهلون الا عن الجهل بحقيقة الامر والبناء على ظاهر الحال
كما هو عادة الاغمار   جزاء التخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون من
ياتيه عذاب يخزيه فى الدنيا وهو عذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم لازم لزوم الدين للحال للغريم ومن موصولة
واستفهامية وقد مر فى الانعام روى ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون الاسفل للوحوش
والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والاعلى لما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وقال
الحسن وكان طولها الفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة قوله حتى اذا جاء امرنا هى لقوله ويصنع الفلك اى كان
يصنعها الى ان جاء وقت الامر بالهلاك وفار التنور اى منبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور
هو الذى يختبز فيه فقيل هو مما استوى فيه العربى والعجمى وقيل معرب لانه لا يعرف فى كلام العرب نون قبل
راء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لادم وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية
الكوفة قاله مجاهد والشعبى وعن على رضى الله عنه فى مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام
بموضع يقال له عين وردة قاله مقاتل وقيل بالهند روى ان امرءته كانت تخبز فاخبرته بخروج الماء من ذلك
التنور واشتغل فى تلك الحالة بوضع الاشياء بالسفينة فكان الله تعالى جعل هذه الحالة علامة لواقعة الطوفان
ويروى عن على رضى الله عنه ايضا ان المراد بالتنور وجه الارض كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا وعنه ايضا
ان معنى فار التنور تطلع الصبح وقيل معناه اشتد الامر كما يقال حمى الوطيس والمراد اذا رايت الامر يشتد والماء
يكثر فاركب فى السفينة وذلك قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والزوجان شيئان يكون احدهما ذكرا
والاخر انثى فمن قرأ بالاضافة فمعناه احمل من كل صنفين بهذا الوصف اثنين ومن قرء بالتنوين فالمراد احمل من
كل شيء زوجين واثنين للتاكيد ولا يبعد ان يكون النبات داخلا فيه لاحتياج الناس اليه واهلك معطوف على
مفعول احمل وكذا ومن امن وقوله الا من سبق عليه القول اراد ابنه وامرءته قدر الله لهم الكفر وعلم منهما ذلك
ثم قال وما امن معه الا قليل عن مقاتل انهم ثمانون وبهم سمى قرية الثمانين بناحية الموصل لانهم لما خرجوا
من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرءة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية
وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا ثمانية
نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم قيل فى بعض الروايات ان ابليس دخل معه السفينة وفيه بعد لانه جسم نارى
فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها الاية فيه
الجاث   ان الركوب معتد بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اى علوتها فما الفايدة فى زيادة
لفظة فى قال الواحدى فايدته ان يعلم انه امرهم بان يكونوا فى جوف الفلك لا على ظهره   قوله باسم الله
اما ان يتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو اى مسمين الله او قائلين باسم الله وبمجريها ومرسيها مصدران حذف منهما
الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج او يراد مكان الاجراء والارسال او زمانهما وانتصابهما
بما فى باسم الله من معنى الفعل او بالقول المقدر وعلى التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرسيها كلاما
واحدا واما ان يكون باسم الله مجريها ومرسيها كلاما اخر مبتدء وخبر اى باسم الله اجراؤها وارساؤها روى
انه كان اذا اراد ان تجرى قال باسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال باسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله
ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب اولا ثم اخبرهم

بان

بان اجراءها وارساءها بذكر اسم الله او بامره وقدرته وجوز فى الكشاف ان يكون هذه الجملة فى موضع الحال
عن ضمير الفلك فلا يكون جملة مستانفة ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كانه قيل اركبوا فيها مقدرين ان
اجراءها وارساءها باسم الله تعالى يقال رسى الشيء يرسو اذا ثبت وارساه غيره روى انها سارت لاول يوم من
رجب او لعشر مضين منه فسارت ستة اشهر ثم استوت على الجودى اليوم العاشر من محرم وروى انها مرت بالبيت
فطافت به سبعا فاعتقها الله من الغرق   قوله ان ربى لغفور رحيم كيف ناسب الاهلاك واظهار العزة
والجواب كان القوم اعتقدوا انهم نجوا ببركة ايمانهم وعملهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على ان الانسان فى كل حال من
احواله لا ينفك عن ظلمات الخطاء والزلل فيحتاج الى رحمة الله ومغفرته وفى الاية اشارة الى ان العاقل اذا ركب فى
سفينة الفكر ينبغى ان يكون قد برئ من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب وربط قلبه وعلو همته بفضل واهب
العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى سفينته فكره الى ساحل الايقان ويخلص عن امواج الشبه
والظنون والاوهام قال فى الكشاف وهى تجرى بهم متصل بمحذوف كانه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهى
تجرى بهم فى موج كالجبال فى التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كانها فى داخل
تلك الامواج واختلف المفسرون فى قوله ونادى نوح ابنه فالاكثرون على انه ابن له فى الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام
الى المجاز من غير ضرورة ولا استبعاد فى كون ولد النبى كافرا كعكسه واعترض على هذا القول بانه كيف ناديه مع كفره
وقد قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واجيب بانه كان منافقا فظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر
الا انه ترفع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله ولا تكن مع الكافرين او لعل شفقة الابوة حملته على
ذلك النداء وعن محمد بن على الباقر والحسن البصرى انه كان ابن امرءته ويؤيده ما روى ان عليا رضى الله عنه
قرء ونادى نوح ابنها وتاكد هذا النطق بقول ان ابنى من اهلى دون ان يقول انه منى وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة
واليه الاشارة بقوله فخانتاهما ورد هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله
الخبيثات للخبيثين وفسر ابن عباس تلك الخيانة بان امرءة نوح كانت تقول زوجى مجنون وامرءة لوط دلت الناس
على ضيفه قوله وكان فى معزل وهو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده اى كان فى مكان عزل نفسه عن ابيه وعن
السفينة وعمن فيها او كان فى معزل عن دين ابنه وقيل فى معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح انه يريد مفارقة الكفرة
ولكن قوله مع الكافرين لا يساعد هذا القول وقوله يا بنى بكسر الباء لاجل الاكتفاء عن الاضافة وبفتحها اكتفائه
عن الالف المبدلة من الياء ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار
ابنه على الكفر قال ساوى الى جبل فاجاب نوح بانه لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم واعترض عليه بان معنى من رحم
رحمه الله وهو معصوم فكيف استثناؤه من العاصم واجيب بان من فاعل فى المعنى لا مفعول والمراد نوح لانه سبب
الرحمة والنجاة كما اضيف الاحياء الى عيسى والرحيم الذى مر ذكره فى قوله ان ربى لغفور رحيم وهو عاصم لا معصوم
او هو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا لمن رحم والعاصم بمعنى ذو العصمة كلابن وتامر وذو
العصمة المعصوم او المضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله نجاهم يعنى السفينة او هو استثناء
منقطع كانه قيل ولكن رحمه الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج اى بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يخاطبه نوح فصار
من جملة الغرقى قوله سبحانه وقيل يا ارض الاية مما اختص بمزيد البلاغة حتى صارت متداولة بين علماء المعانى فتكلموا
فيها وفى وجوه محاسنها فلا علينا ان نورد ههنا بعض ما استفدنا منهم فنظر النظر فيها من اربع جهات من علم البيان
ومن جهة علم المعانى ومن جهة الفصاحتين المعنوية واللفظية اما من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز
والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيها انه عز سلطانه اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض
الى بطنها فارتد وانقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضى امر نوح وهو
انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضى وان تستوى السفينة على الجودى وهو جبل بقرب الموصل فاستوت وابقينا
الظلمة غرقى فبنى الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمامور الذى لا يتاتى منه لكمال هيبته العصيان وعلى تشبيه
تكوين المراد بالامر الجزم النافذ فى تكون المقصود تصورا لاقتداره وان السماء والارض مع جرمهما تابعان لارادته
ايجادا واعداما وتغيرا وتصريفا كانهما عقلاء مميزون قد احاطا علما بوجوب الامتثال والاذعان لخالقهما فاستعمل قيل
بدلا اريد مجازا اطلاقا للمسبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادة وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله يا ارض

ابلعی ویاسماء اقلعی والخطابان ایضا علی سبیل الاستعارة للشبه المذکورة وهو کون السماء
والارض کالمامورین المنقادین وایضا استعار لغوور الماء فی الارض البلع الذی هو اعمال القوة
الجاذبة فی المطعوف للشبه بین الغور والبلع وهو الذهاب الی مقر خفی وجعل قرینة الاستعارة
نسبة الفعل الی المفعول وفی جعل الماء مکان الغذاء ایضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء
لتقوی الارض بالماء فی الانباء للزروع والاشجار تقوی الاکل بالطعام وجعل قرینة الاستعارة
لفظة ابلعی لکونها موضوعة الاستعمال فی الغذاء دون الماء ثم امر الجماد علی سبیل الاستعارة
للشبه المقدم ذکره وخاطب فی الامر دون ان یقول المبلع ترشیحا لاستعارة النداء اذ کونه
مخاطبا من صفات الحی کما ان کونه منادی من صفاته ثم قال ماءک باضافة الماء الی الارض
علی سبیل المجاز تشبیها لاتصال الماء بالارض وباتصال الملک بالمالک واختار ضمیر الخطاب
دون ان یقال لیبلع ماءها لاجل الترشیح المذکور ثم اختار مستعیرا لاحتباس المطر الاقلاع الذی
هو قرک الفاعل تشبیه بینهما فی عدم ماکان ثم امر علی سبیل الاستعارة وخاطب فی الامر مثل
ما تقدم فی ابلعی وترشیح استعارة النداء ثم قال وغیض الماء غاض الماء قل ونضب وغاضه
الله یتعدی ولا یتعدی وقضی الامر واستوت علی الجودی وقیل بعدا فلم یصرح بالفاعل
سلوکا لسبیل الکنایة لان هذه الامور لا تتاتی الا من قهار قدیر فلا مجال لذهاب الوهم
الی غیره ومسلکه فی صدر الایة لیستدل من ذکر الفعل وهو اللازم علی الفاعل وهو الملزوم
وهذا شان الکنایة ثم ختم الکلام بالتعریض لانه ینبئ عن الظلم المطلق وعن علة قیام الطوفان
واما النظر فیها من جهة علم المعانی وهو النظر فی فائدة کلمة منها وجهة کل تقدیم وتاخیر فیما
بین جملها فذلک انه اختیر یا للنداء لانها اکثر استعمالا ولدلالتها علی تبعید المنادی الذی
یستدعیه مقام العزة والهیبة ولهذا قیل یا ارض بلا اضافة تهاونا بالمنادی ولم یقل
یا ایها الارض للاختصار مع الاحتراز عن تکلف التنبیه لمن لیس من شان التنبیه واختیر لفظ
الارض والسماء لکثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختیر ابلعی لکونه احصر ولمجیء خط
التجانس بینه وبین اقلعی اوفر وقیل ماءک بلفظ المفرد لما فی الجمع من الاستکثار المتأتی عنه
مقام العزة والاقتدار وکذا فی قرار الارض والسماء ولم یحذف مفعول ابلعی لیلا یلزم تعمیم
الابتلاع بکلما علی الارض ولما علم اختصار الفعل فیه اقتصر علیه فحذف من اقلعی حذرا من التطویل
وانما یقل ابلعی ماءک فبلعت لان عدم تخلف المامور به عن امر الامر المطاع واختیر غیض
علی غیض المشدد للاختصار ولمثل هذا غرق الماء والامر دون ان یقال ماء الطوفان
وامر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعریف العهدی ولم یقل سویت لتناسب اول القصة
وهی یجری بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت احضر لسقوط همزة الوصل قیل
بعدا للقوم دون ان یقال لیبعد القوم من بعد بالکسر بعد بالفتح اذا هلک للتاکید مع الاختصار
ودلالة لام الملک علی ان البعد حق لهم وقول القایل بعدا له من المصادر التی لا یستعمل اظهار
فعلها ثم اطلق الظلم لیتناول ظلم انفسهم وظلمهم وغیرهم واما ترتیب الجمل فقدم النداء
علی الامر لیتمکن الامر الوارد عقیب النداء کما فی نداء الحی وقدم امر الارض لابتداء الطوفان
منها بدلیل قوله وفار التنور بین نتیجة البلع والاقلاع بقوله وغیض الماء ثم ذکر
مقصود القصة وهو قوله وقضی الامر ای انجز الموعود من اهلاک الکفرة وانجاء
المومنین ثم بین استقرار السفینة بقوله استوت علی الجودی وکان جبلا منخفضا فکان
استواء السفینة علیه دلیلا علی انقطاع مادة الماء ثم ختم القصة بما ختمت من التعریض
قیل کیف یلیق بحکمة الله تغریق الاطفال بسبب جرم الکفار واجیب علی اصول الاشاعرة
بانه لا یسئل عما یفعل وعلی اصول المعتزلة بانه یعوض الاطفال والحیوانات کما فی ذبحها
واستعمالها فی الاعمال الشاقة وقد روی من المفسرین انه سبحانه اعقم ارحام نسائهم

قبل الغرق باربعین سنة فلم یغرق الا من بلغ اربعین وهذا مع تکلفه لا یتمشی واصحابه لان الغالب
من یسلم الامر الهایل بسبب اجتماع قوم من الظلمة انه یقول مثل هذا الکلام ولانه جار مجری
الدعاء علیهم یجعله من کلام البشر الیق واما النظر فی الایة من جهة الفصاحة اللفظیة
فهی انها کالعسل فی الحلاوة وکالنسیم فی الرقة عذبة علی العذبات سلسة علی السلسلات
ولعل ما ترکنا من لطایف هذه الایة بل کل ایة اکثر مما تذکر والله ثم اعلم بمراده ونادی نوح
ربه ای اراد ان یدعوه فقال رب ان ابنی من اهلی بعض اهلی سواء کان من صلبه او ربیبا له
وان وعدک ای کل ما تعد به الحق الثابت الذی لا شک فی انجازه وقد وعدتنی ان تنجی اهلی
وانت احکم الحاکمین اعلمهم واعدلهم لانه لا فضل لحاکم غیره الا بالعلم والعدل ویجوز ان یکون
الحاکم بمعنی ذی الحکمة کدارع قال یا نوح انه لیس من اهلک ای من اهل دینک او من اهلک الذین
وعدتهم الانجاء معک ثم صرح بان العبرة بقرابة الدین والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال
انه عمل غیر صالح من قرأ علی لفظ الفعل فمعناه عمل عملا غیر صالح وهو الاشتراک والتکذیب
ومن قرأ علی لفظ الاسم فللمبالغة کما یقال فلان کرم وجود اذا غلب علیه الکرم والجود
وفی قوله غیر صالح دون ان یقول فاسد تعریض بل تصریح بانه انما انجا من نجی بالصالح
ویحتمل علی هذه القراءة ان یعود الضمیر فی انه الی سؤال نوح ای ان نداءک هذا المتضمن
لسؤال انجاء ابنک عمل غیر صالح وقیل المراد ان هذا الابن ولد زنی وقد عرفت سقوطه
ثم نهاه عن مثل هذا السؤال ووبخه علیه بقوله فلا تسئلن ما لیس لک به علم انی اعظک
ان تکون من الجاهلین قال المحققون الظاهر ان ابنه کان منافقا فلذلک اشتبه امره علی نوح
وحمل شفقة الابوة الا علی دعوته الی رکوب السفینة فلما حال بینهما الموج لجا الی الله
فی خلاصه عن الغرق فعوقب علی ذلک لانه لما وعده الله انجاء اهله واستثنی منهم
من سبق علیه القول کان علیه ان یتوکل علی الله حق توکله ویعلم ان من کان من اهله مؤمنا
فانه مخلص من الغرق لا محالة ولما لم یصبر الی تبین الحال توجه العتاب علی ترک الاولی
فلذلک تنبه ورجع الی الله قائلا قال رب انی اعوذ بک ان اسئلک فیما یستقبل من الزمان
ما لیس لی به علم تادبا بادبک مثل تضرع ابیه وابینا ادم فی قوله ربنا ظلمنا انفسنا الایة
فلذلک عفی عنه وقیل یا نوح اهبط ای من السفینة بعد استوائها علی الجبل وانزل من الجبل
الی الفضاء ملتبسا بسلام منا بسلامة من التهدید والوعید بل من جمیع الافات والمخافات
لانه لما خرج من السفینة کان خایفا من عدم الماکول والملبوس وسایر جهات الحاجات
لانه لم یبق فی الارض شیء یمکن ان ینتفع به من النبات والحیوانات وقیل ای مسلما علیک
مکرما والبرکات الخیرات النامیة الثابتة وفسروها فی هذا المقام بانه وعده بان
جمیع اهل الارض من الاشخاص الانسانیة یکون من نسله اما لانه لم یکن فی السفینة
الا من هو ذریته واما لانه لما خرج من السفینة مات لم یکن من اهله وبقی النسل
والتولد فی ذریته دلیل قوله سبحانه وجعلنا ذریته هم الباقین فنوح ادم
الاصغر وقیل لما وعن السلامة من الافات وعده الله ان موجبات السلامة والراحة
تکون فی التزاید والنبات لا علیک وحدک بل وعلی امم ممن معک ان کان من للبیان
فالمراد الامم الذین کانوا معه فی السفینة لانهم کانوا جماعات وهم اصل الامم التی تشعبت
منهم وان کان لابتداء الغایة فالمعنی علی امم ناشئة ممن معک الی اخر الدهر هذه الامة
المؤمنة ثم ذکر حال الامة الکافرة المتوالدة فقال وامم وهو رفع علی الابتداء والخبر
محذوف وممن معک سنمتعهم فی الدنیا ثم یمسهم فی الاخرة منا عذاب الیم عن ابن
عباس هبطوا والله عنهم راض اخرج نسلا منهم من عذب وخصص بعضهم الامم
الممتعه بقوم هود وصالح ولوط وشعیب تلک اشارة الی قصة نوح وهو مبتدء

والجمل بعدها اخبار وقوله ولا قومك للمبالغة كقول القائل لا تعرف هذه المسئلة انت
ولا اهل بلدك والمراد تفاصيل القصة ولا فجملها اشهر من ان يخفى ومعنى من قبل هذا اى
من هذا الانجاء او العلم الذى كسبته بالوحى ومن قبل هذا الانجاء او العلم الذى كسبته
بالوحى ومن قبل هذا الوقت وكان هذه القصة اعيدت فى هذه السورة موتبتا
للنبى صلعم على ايذاء قومه ولذلك ختمت بقوله فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة الحميدة
للمتقين التأويل ما نريك الا بشرا مثلنا اى مخلوقا محتاجا مثلنا وفيه ان النفس بنظرها
السفلى ترى الروح العلوى سفليا فهذا تنظر الى النبى ولا ترى نبوته بل تراه بنظر الكذب
والسحر والجنون الا الذين هم اراذلنا والارزال من اتباع الروح البدن وجوارحه الظاهرة
فان الغالب على الخلق ان يشتغل بالاعمال الشرعية الدينيه الا لغرض فاسد ومصلحة
دنيوية كما هو المعتاد لاكثر الخلق وما انا بطارد الذين امنوا من طبع النفس ان تتأذى
من استعمال البدن وجوارحه فى التكاليف الشرعية فيقول للروح ان تردان او من يك
والتخلق باخلاق فامنع البدن وجوارحه من التكاليف من ينصرنى من الله من يمنعنى من قهره
ان منعت البدن من الطاعة فاقتصر على مجرد ايمان النفس وتخلقها باخلاق الروح كما هو
معتقد اهل الفلسفة والاباحة يقولون ان اصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن
والتحلى بالاخلاق الحميدة افلا تذكرون ان جمعية الباطن ونوره من نتايج استعمال الشرع
فى الظاهر فالنور فى الشرع والظلمة فى الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من ظلمات
الطبع الى نور الشرع لن يؤتيهم الله خيرا اى استعدادا لتحصيل الدرجات العلوية
وانهم مخلوقون من السفليات الله اعلم بما فى كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال
وانا برى مما تجرمون من التكذيب وفيه ان ذنوب النفس لا تؤثر فى صفاء الروح متبرة
من ذنوب النفس متأسفا على معاملات النفس ويتبع هواها واوحى الى نوح الروح انه
لن يؤمن من قومك وهم القلب وصفاته والسر والنفس وصفاتها والبدن وجوارحه
الا من قد امن من خواص العباد وهم القلب وصفاته والسر وصفات النفس والبدن
وجوارحه فاما النفس فانها لا تؤمن ابدا اللهم الا نفوس الانبياء وخواص الانسان فانها
تسلم احيانا دون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لان اعمال الشر لنفوس السعداء
كالجسد للاكسير ينقلب ذهبا مقبولا عند طرح الروح عليها فكذلك ينقلب اعمال
الشر خيرا عند طرح التوبة عليها اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس
على نفوس الاشقياء لان اعمالها حجة الله على شقاوتهم وتلك والسلاسل يسحبون
فى النار على وجوههم واصنع الفلك اتخذ يا نوح الروح سفينة الشريعة بنظرنا
لا بنظرك فان نظرك تبع الحواس يبصر ظاهرها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبنى
فى الذين ظلموا فان الظلم من شيم النفوس انهم مغرقون فى بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر
عليه ملاء هم النفس وهواها وصفاتها يسخرون من استعمال اركان الشريعة اذا
لم يفهموا حقايقها حتى اذا جاء امرنا وهو حد البلوغ والركوب فى سفينة الشريعة
وفار ماء الشهوة من تنور الغالب قلنا احمل فى سفينة الشريعة من كل صفة وزوجها
العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل وزوجها السخاء والغضب وزوجها العلم
وكذا الحقد مع السلامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع والتأنى مع العجلة
واهلك وهم صفات الروح لا النفس ومن امن وهم القلب والسر وفى قوله
وقال اركبوا فيها بسم الله اشارة الى من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الاباء
والمعلمين لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب ابليس بالطبع فى سفينة نوح وانما النجاة
لمن ركب بامر الله وذكره مجريها من الله ومرسيها الى الله كقوله وان الى ربك المنتهى

فى موج من الفتن كالجبال ونادى نوح الروح ابنه كنعان النفس المتولد بينه وبين القالب
وكان فى معزل من معرفة الله وطلبه ساوى الى جبل العقل يعصمنى من ماء الفتن لا عاصم اليوم
الى اذا نبع ماء الشهوة من ارض البشرية ونزل ماء ملاذ الدنيا وزينتها من سماء القضاء
يتخلص منه الا من رحم الله بالاعتصام بسفينة الشريعة ابلعى ماء شهواتك اقلعى عن انزال
مطر الافات وغيض ماء الفتن ببركة الشرع وقضى ما كان مقدرا من طوفان الفتن
للابتلاء والتربية واستوت سفينة الشريعة على الجودى وهو مقام التمكين بعد
مقامات التلوين وان وعدك الحق وهو ما وعد نوح الروح عند هبوطه الى العالم
السفلى من الرجوع الى العالم العلوى انه ليس من اهلك وكان للروح اربعة بنين ثلاثة
من المؤمنين وهم القلب والسر والعقل وواحد كافر وهو النفس فنفى عن النفس اهلية
الدين والملة لانها خلقت للامارية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد
والاخلاص من طوفان الفتن وامم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية ليمسهم
فى الاخرة عذاب البعد عن المألوفات فاصبر على تربية الروح والنفس ان العاقبة لمن اتقى
طرفا فى فتنة الدنيا والنفس والهوى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والى عاد
اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون
يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى افلا يعقلون
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا
ببينه وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول
الا اعتريك بعض الهتنا بسوء قال انى اشهد الله واشهدوا انى
برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون
انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان
ربى على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل
شئ حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم
وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا فى هذه الدنيا

لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا
اليه ان ربى قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
اتنهينا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه
مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى
منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير
ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل فى ارض الله
ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا
فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك
هو القوى العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى دارهم
جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود القراءة

فطرنى بفتح الياء ابو جعفر ونافع والبزى غير الخزاعى انى اشهد الله بالفتح ابو جعفر
ونافع فان تولوا بتشديد الياء البزى وابن فليح ويستخلف بالجزم الخزاز عن هبيرة
الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك فى المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل
وعلى والشمونى فالبرجمى وعباس الاخرون بالجر الا ان ثمود غير مصروف والوقف
بغير الف حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود
بالتنوين فى الوصل على الوقف هودا غيره مفترون اجرا فطرنى تعقلون
مجرمين بمؤمنين بسوء تشركون لا تنظرون وربكم بناصيتها مستقيم
ه البكم للاستيناف الا لمن قرء ويستخلف بالجزم غيركم لاحتمال ما بعده الاستيناف
او الحال شيا حفيظ منا لحق المحذوف اى وقد نجيناهم غليظ عنيد ويوم القيمة
ربهم هود صالحا لما مر فى الاعراف غيره اليه مجيب مريب تخسير قريب
ايام مكذوب يومئذ العزيز جاثمين لكاف التشبيه فيها ربهم لثمود التفسير
قدمر فى الاعراف تفسير قوله والى عاد الاية ومعنى قوله ان انتم الا مفترون انكم
كاذبون فى قولكم ان هذه الاصنام يحسن عبادتها مع انها لا حس لها ولا شعور ثم قال

مثل قول نوح يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع افلا
تعقلون ان نصح من لا يطلب الاجر الا من الله لا يكون من التهمة فى شئ قيل انما قال فى قصة
نوح مالا ودون اجرا لذكر الخزاين بعده فلفظ المال بها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه
اراد الاستيناف او البدل دون العطف ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر
مثله فى اول السورة وقال الاصم المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم من اسرافكم ثم اعزموا
على ان لا تعودوا الى مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم فى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة
لان القوم كانوا حراصا على جمع الاموال من وجوه العمارة والزراعة مفتخرين بها وبتوافر البطش
والقوة فقدم اليهم فى باب الدعوة الى الدين والترغيب فيه لما كانت همتهم معقودة به
ليحصل فى ضمنه الغرض الكلى المقصود الاصلى وهو الفوز بالسعادات الاخروية
وكانه انما خصص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جمع النعم
والثانى اصل فى الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة فى المال وقيل فى النكاح
وروى انه حبس عنهم القطر يوم التكذيب ثلاثة سنين واعقم نساءهم فوعدوا انهم ان امنوا
احيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد والمدرار الكثير الدر كما مر فى الانعام عن الحسن
بن على انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال انى رجل ذو مال ولا يولد لى
فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى انه ربما استغفر فى يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالت رقيم قال ذلك
فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول
نوح ويمددكم باموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين
مصرين على الاجرام والاثام فجحدوا هودا وقالوا ما جئتنا كما قالت قريش لرسول الله
لولا انزل عليه اية من ربه ولم يشتهر منه معجز ولكن العلماء قالوا اظهار الدعوة
مع اولئك الاقوام من غير مبالاة ونوان اية من الايات وقوله عن قولك حال من الضمير
كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لا يصدق
مثلنا مثلك ابدا ثم زعموا ان بعض الهتهم اعتراه بسوء اى غشاه واورثه الجنون والخبل
لانه كان يسب الهتهم ذلك قولهم ان نقول الا اعتريك والا للغواى ما نقول شيئا الا هذا
القول ومن ثمه تتكلم بكلام المجانين والمراد ان الاصنام كافته على سوء فعله بسوء الجزاء
فاظهر نجاه الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبرء منهم ومن شركهم فاشهد الله
وذلك الشهادة صحيحة واشهدهم ايضا وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول
الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد على انى لا احبك تهكما به وقد مر قوله فكيدونى
الاية فى اخر سورة الاعراف وقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير
ونهاية التذليل وكانوا اذا اسروا الاسير فارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته
فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لدلالته على انه لا مالك الا هو
وقوله ان ربى على صراط مستقيم دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه معنى ان ربك لبالمرصاد
اى لا يخفى عليه شئ ولا يفوته هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القايل ان اكرمتنى الان
فقد اكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فانا غير معاتب ولا مقصر لانى قد قضيت حق
الرسالة وفى قوله ويستخلف اشارة الى عذاب الاستيصال وانه يخلق بعدهم من هو اطوع
منهم وانه لا ينقص من ملكه شيئا ان ربى على كل شئ حفيظ يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم
عليها او يحفظنى عن شركم وكيدكم او يحفظنى من الهلاك والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة
الاف برحمة منا اى بفضل وامتنان وبسبب ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم
من عذاب غليظ اطلق النتيجة اولا ثم قيدها على معنى وكانت تلك النتيجة من عذاب غليظ

سموم يدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالقاينة
النجاة من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا واشار الى قبورهم
واثارهم بقوله وتلك عاد فانظروا واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم بجملة فقال
جحدوا بايات ربهم فلم يتسلقوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات
الى وجود الواجب الذات وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هودا وصح الجمع لان عصيان
رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لا نفرق بين احد من رسله واتبعوا امر كل جبار
عنيد اطاعوا رؤساءهم وكبراءهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم
في الدارين وفي تكرير الا والنداء على كفرهم والدعاء عليهم بالبعد بعد هلاكهم دلالة على
تفظيع شانهم وانهم كانوا مستاهلين للدعاء عليهم بالهلاك وقوله قوم هود عطف بيان
لعادا اما للتاكيد ومزيد التقرير واما لان عادا عادان القديمة التي هم قوم هود والاخرى
وهي ارم قوله في قصة ثمود هو انشاكم الضمير للحصر اي لم ينشئكم الا هو ومعنى الانشاء من الارض
ان الكل مخلوق من صلب ادم هو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من المني
وهو يحصل من الغذا والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل انه من بمعنى في واستعمركم
من العمارة اي جعلكم عماد الارض وامركم بالعمارة فمنها واجب وندب ومباح ومكروه وكان
ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم
من الظلم فسئل نبي من انبياء زمانهم عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش
فيها عبادي وقيل من العمر نحو استبقكم من البقاء وقيل من العمرى ومعناه اعمركم الله فيها دياركم
ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم او جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره
من بعده فكانه اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لوارثه ومعنى كونه تعالى قريبا قد مر في قوله
واذا سالك عبادي عني فاني قريب وذلك في البقرة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا
عن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح وكمال العقل
واصابة الراى وقيل كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فظننا انك
من الانصار والاحباب واهل الموافقة في الدين فكيف اظهرت العداوة والبغضاء ثم اضافوا
الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الاباء ثم صرحوا بالتوقف والريب في امره وريب
من ارابه اذا اوقعه في الريبة ومن اراب الرجل اذا كان اريبه وهو من الاسناد المجازي واعلم
ان قوله واننا لفي شك بنون الوقاية ههنا على الاصل واما في سورة ابراهيم وانما قال فاني
يعزلون بغير الوقاية لقوله بعده تدعوننا على الجمع فكان اجتماع النونات مستلزما فاصابهم
صالح بقوله ان كنت على بينة الاية ويخامره على الفرض والتقدير لان خطاب المخالف على هذا
الوجه اقرب الى القبول فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة فمن يعصني
من عذاب الله ان عصيته في اوامره كما تريدون مني غير تخسير اي على هذا التقدير تخسرون ذا عمالي
وتبطلونها او فما تريدونني بما تحملونني عليه الا اني انسبكم الى الخسران واقول خاسرون
والمعنى الاول اقرب لانه كالدلالة على ان متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين ويا قوم
هذه ناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف ومعنى هذا قريب عاجل لا يستاخر الا ثلثة ايام
وغير مكذوب من باب الاتساع اي غير مكذوب فيه فحذف الحرف واجرى الضمير مجرى المفعول به
او من باب المجاز كان الوعد اذا وفي به فقد صدق ولم يكذب والمكذوب مصدر كالمجلود
وصف به قوله فلما جاء امرنا بالفاء وفي قصة هود بالواو ولما كان التعقيب ههنا بدليل
قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله اليس الصبح بقريب واما في قصة هود فانه
ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في قصة شعيب سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
بحرف التشريف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعنى في ساير المواضع كما في سورة يوسف

قال

قال ولما جهزهم بالواو لان التعقيب لم يكن مرادا ثم قال فلما جهزهم لما كان التعقيب وقوله
ومن خزي يومئذ معطوف على محذوف والتقدير نجينا صالحا ومن معه من العذاب النازل
بقومه ومن الخزي الذي لزمهم او متعلق بمحذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال
ونجيناهم من عذاب غليظ والمعنيان كما قلنا هناك والقراءتان في يومئذ لان الظرف المضاف
الى اذ يجوز بناؤه على الفتح والتنوين في عوض من المضاف اليه اعني الجملة التقدير اذ كان كذا
وكثير الذال للساكنين ان ربك هو القوي العزيز القادر الغالب فمن قدرته ميز المومن
من الكافر ومن عزته وقهره اهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة
جبرائيل واما لاحداثها في سحاب مع برق شديد محرق وانما تصير الصيحة سببا للهلاك
لان التموج الشديد في الهواء يوجب تاذي صماخ الانسان وقد يتمزق غشاء الدماغ بذلك
والاعضاء النفسانية ايضا اذا قويت وجب الموت وتمام القصة مذكور في سورة
الاعراف وقوله الا ان ثمود الى اخره شبيه بما مر في قصة هود والتاويل
كما مر في سورة الاعراف

ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة
فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت
يا ويلتى ءالد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشئ عجيب
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه
حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى
يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب يا ابراهيم اعرض
عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم
عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات
قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله وتخزون في ضيفي
اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك
لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد قالوا يا لوط

انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل

ولا يلتفت منكم احد الا امرءتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم

الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها

وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين

ببعيد القرأة بسلم بكسر السين بلا الف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص الاخرون بالرفع سئ بهم وبابه كضرب مجهولا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي ورويس والاخرون شئ مثل قيل تخزونى بالياء في الوجهين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ضيفى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو فاسر بابه بهمزة الوصل ابو جعفر ونافع وابن كثير وعباس من طريق الوصلي وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الا امرءتك بالرفع ابن كثير ونافع وابو عمرو والباقون بالنصب الوقوف سلاما ط حنيذ ه خيفة ط قوم لوط ط باسحاق ط لمن قرء يعقوب بالرفع يعقوب ط شيخا ط عجيب ه اهل البيت ط مجيد ه قوم لوط ه منيب ه عن هذا ج لاحتمال التعليل امر ربك ط للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود ه عصيب ه اليه ط للعطف ولاختلاف النظم السيئات ط ضيفى ط رشيد ه من حق ج لما نريد ه شديد ه الا امرءتك ط اصابهم ط الصبح ط بقريب ه سجيل لا منضود لا لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ط ببعيد التفسير الرسل ههنا الملئكة واجمعوا على ان الاصل فيهم جبريل ثم اختلفوا فقيل معه اثنى عشر ملكا على احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابراهيم وفي الذاريات هل اتيك حديث ضيف ابراهيم والظاهر ان البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك سلاما ومعنى سلام امركم سلام او سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء ان سلام ابراهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها واما صح وقوع سلام مبتدء مع كونه نكرة لتخصيصه بالاضافة الى المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرء سلم فمعناه السلام ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام قال ابو علي الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا مكث ابراهيم خمس عشرة ليلة لا ياتيه ضيف فاهتم لذلك فجاءته الملئكة فرأى اضيافا لم ير مثلهم فما لبث ان جاء اى فما لبث في ان جاء بالعجل او فما لبث مجيئه بعجل هو ولد البقرة حنيذ مشوى في حفرة الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما كقوله بعجل سمين فقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما رأى ايديهم لا تصل اليه الى العجل والطعام نكرهم اى انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما كان يعرف انهم ملئكة وكان من عادة العرب انه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد عن الناس فلما امتنعوا من الاكل خافوا ان يريدوا به شرا وقيل انه كان يعرف انهم ملئكة الله لقولهم له لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملئكة بل ذكروا سبب الارسال وهو اهلاك

قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو ان كان لا يعرف انهم ملئكة اقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك اكلهم على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال تجازا واختصارا لدلالة الارسال على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوه على صورة الاضياف ليكونوا على صفة يحبها لانه كان مشغوفا بالضيافة ولم عرف الملئكة خوفه قيل بالتغير في وجهه او بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملئكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرءته هي سارة بنت هاران بن ناحور ابنة عم ابراهيم قايمة وراء الستر تسمع تحاورهم اوكانت قايمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء لا بد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابراهيم قال لهم الا تاكلون قالوا لا ناكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله وتحمدوه في اخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امرءته فرحا بهذا القول وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم ان ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابراهيم منهم معجزة دالة على انهم من الملئكة فدعوا ربهم باحياء العجل المشوى فطفر ذلك العجل المشوى الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون وقيل تعجبت من خوف ابراهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلاثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتاخير اى فبشرناها باسحاق فضحكت سرورا عن مجاهد وعكرمة وضحكت اى حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعني استعدادها للعلوق والولد ومن قرء يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر بعد وفاى يعقوب مولودا وموجود من بعد اسحاق ومن قرأ بالنصب فعلى العبارة المتروكة كانه قيل ووهبنا لها اسحاق ومن بعد اسحق يعقوب فول من احتمل ان يكون يعقوب مجرورا كما يقال هاشم ويراد اولاده يا ويلتى كلمة تلهف وقد مرت في المائدة في يا ويلتا اعجزت وشيخا نصب على الحال العامل فيه ما في هذا من معنى ابنه او اشير الى ان هذا معنى ان يولد الولد بين هرمين لشئ عجيب عادة فازال الملئكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمة الله وبركاته عليكم يا اهل بيت خليل الرحمن والمقصود ان رحمة الله عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخرق العادة في اهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائل لان الانبياء منهم وكلهم ولد ابراهيم ثم اكدوا ازالة التعجب بقوله انه حميد محمود في افعاله مجيد ذو الكرم الكامل فلا يليق به منع الطالب عن مطلوبه فلما ذهب عن ابراهيم الروع الخوف الذي لحقه حين نكر اضيافه وجاءته البشرى البشارة بحصول الولد يجادلنا في قوم لوط في معناهم وفي شانهم وهو جواب لما على حكاية الحال ولان ما تردد المضارع الى الماضي عكس ان ويحتمل ان يكون جواب لما محذوفا دل عليه يجادلنا اى اجترء على خطابنا او قال كذا ثم ابتدء فقال يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اى يجادلنا اى اجترء امر الله فان ذلك يكون معصية بل سعيا في تاخير العذاب عنهم ورجاء ايمانهم وتوبتهم يروى انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكوننا قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيه رجل واحد مسلم اتهلكونه قالوا لا قال ان فيها لوطا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال الاصوليون ان ابراهيم كان يقول ان امر الله ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملئكة يدعون الفور اما للقرائن ولان مطلق الامر يستدعي ذلك فهذه هي المجادلة ولعل ابراهيم كان يدعي ان الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون وبالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص ولم يوجب القدح في واحد منهم فكذلك مدحه بقوله ان ابراهيم لحليم

غير عجول في الامور اواه كثير التاوه من الذنوب منيب راجع الى الله في كل ما يسنح له وهذه
الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء ان
يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملئكة ان العذاب قد حق عليهم قالوا يا ابراهيم اعرض عن هذا
الجدال لانه قد جاء امر ربك باهلاكهم وانهم اتيهم لاحق بهم عذاب غير مردود فلا يرد لقضا
ولا ينفع فيهم جدال ولا دعاء ولما جاءت رسلنا المذكورون لوطا سيئ بهم اصله سوى
لانه من ساء يسوء نقيض سر يسر نقلت الكسرة الى الفاء وابدلت العين ياء ومن قرء سئ بابدال
العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع
يوضع موضع الطاقة واصله ان البعير يذرع بيده في سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر
من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة وربما
قالوا ضقت بالامر ذراعا وقال هذا يوم عصيب اي شديد كانه اريد اشتدادها فيه من الامور
عن ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وبين القريتين اربع فراسخ ودخلوا عليه على صورة
شباب مرد من بني ادم في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملئكة الله فساء مجيئهم واغتم
لذلك لانه خاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن
قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه ما كان يجد ما ينفق عليهم وقيل السبب ان قومه منعوه
من ادخال الضيف داره وقيل عرف انهم ملئكة جاء والاهلاك قومه فرق قلبه والصحيح
هو الاول يروى انه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم اربع شهادات فلما مشى
معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم ما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله
انها اشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك
احد فخرجت امرءته فاخبرت بهم قومها فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال
ابو عبيدة يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهري الاهراع الاسراع والهرع
الوجل ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يوعد من حمى او غضب او فزع وقيل انما لم يسم
فاعله للعلم به والمعنى اهرعه خوفه او حرصه ثم بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل
الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش فمرنوا عليها فلذلك جاءوا مجاهرين
لا يكفهم حياء وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم في ذلك العمل قبل ذلك فاراد
ان يقي اضيافه ببناته فقال هؤلاء بناتي هن قال قتادة بناته من صلبه وعن مجاهد
وسعيد بن جبير اراد نساء امته لان النبي كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات
الصلبيات على الفجار لا يليق بذوي المروات ولان اللواتي من صلبه لا يكفي للجمع العظيم ولما
روي انه لم الا ابنتان واقل الجمع ثلاثة والقائلون بالقول الاول قالوا انه ما دعى القوم
الى الزنا بهن ولكن دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان او مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار
كان جايزا كما في اول الاسلام زوج رسول الله صلعم ابنته من عتبة ابن لهب وابي العاص
بن الربيع بن عبد العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان
لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنته وقيل ان بناته كن اكثر من ثنتين ويجوز
ان يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا منهم ان يستحيوا منه ويرقوا له
واطهر بمعنى الطاهر لانه لا طهارة في نكاح الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا
ولا تخزوني لا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق
اضيافي فخزي الضيف والجار يورث المضيف العار والشنار والضيف يستوي فيه
الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا اليس منكم رجل رشيد صالح او مصلح مرشد يمنع
او يمنع عن مثل هذا العمل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من شهوة ولا حاجة
لان من احتاج الى شئ فكانه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا وانك لتعلم ما نريد

ويجوز

ويجوز ان يراد انهن لسن لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الطبع او يراد انك دعوتنا الى
نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا نؤمن البتة فلا يتصور لنا فيهن قال لو ان لي بكم قوة وجوابه
محذوف اي لفعلت بكم وصنعت وبالغت في رفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ
لان الوهم يذهب انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي ما اتقوى به عليكم فسمى
موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يراد بالقوة القدرة والطاقة او اوي انضم الى ركن شديد
حام منيع يشبه الركن من الجبل في شدة وقوله او اوي عطف على الفعل المقدر بعد لو
والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه او بمعاونة غيره قال ذلك من شدة القلق والحيرة في الامر
النازل به ولهذا قالت الملئكة وقد رقت عليه وحزنت له ان ركنك لشديد وقال
النبي صلعم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعد ذلك الا في ثروة
من قومه ويحتمل ان يراد بالركن الشديد حصنا يتحصن به فيأمن شرهم ويحتمل انه لما شاهد
سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوته على الدفع ثم استدرك
وقال بل الاولى الاوي الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله وروي انه اغلق بابه
لما جاءوا وافتسوروا الجدار فلما رأت الملئكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك وهذه جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه
ولن يقدروا على ضرره فامر الملئكة ان يفتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم
فاذن له فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه
عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت
لوط سحرة ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية
ان كانت الهمزة للوصل من السرى وزائدة ان كانت للقطع من الاسراء بقطع من الليل عن ابن
عباس في اخر الليل بسحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفين
ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر الى ما وراءه الا امرءتك اكثر القراء على النصب فاعترض
بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير الافصح
فاجاب جار الله ان الرفع بدل من احد على القياس والنصب مستثنى من قوله فاسر لا من
قوله ولا يلتفت وزيف بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسرى بها والاستثناء من لا
يلتفت احد يقتضي كونها مسرى بها لان الالتفات بعد الاسراء فيكون مسرى بها غير مسرى بها
يمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في الظاهر لانه في المعنى مقيد بعدم الالتفات
والمراد اسر باهلك اسراء لا التفات فيه الا امرءتك فانك تسرى بها اسراء مع الالتفات
وعلى هذا ان شئت من اسر وان شئت من ولا يلتفت ولا تناقض وبعضهم كابن الحاجب
جعل الا امرءتك في كلتا القراءتين مستثنى من ولا يلتفت ولم يستبعد اجتماع القراء على
غير الاقوى ويمكن ان يقال انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من اسر ولو جعل
استثناء من ولا يلتفت لزم ان يكون مامورة بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم
الا زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا
يلتفت منكم احد لكن امرءتك تلتفت فيصيبها ما اصابهم واذا كان هذا الاستثناء منقطعا
كان التفاتها معصية قال في الكشاف وروي انه امر ان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم
واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين اقول في هذا الكلام خلل لان الروايتين لا يمكن
اجتماعهما على الصحة والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كما روي
انها لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقيل
المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا
يصح الاستثناء من غير شائبة التناقض كانه امر لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المرءة

هالكة من الهالكين ثم امر ان يقطعوا العلايق واخبران امرءته تبقى متعلقة القلب بها
يرى انه قال لهم متى موعد هلاكهم فقيل له ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك
فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اى جعل رسلنا عاليها سافلها
روى ان جبرئيل ادخل جناحه الواحد تحت مداين قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء
حتى سمع اهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح الديوك لم يتبدد لهم طعام ولم تنكسر لهم
اناء ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب من سنك
كل كانه مركب من حجر وطين وهو فى غاية الصلابة وقيل سجيل اى مثل السجل وهو الدلو العظيم
او مثلها فى تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اى مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل اى مما كتب الله
ان يعذب به او كتب عليه اسماء المعذبين من السجل قد سجل لفلان وقيل من سجين اى من جهنم فابدلت
النون لاما وقيل انه اسم سماء الدنيا ومعنى منضود موضوع بعضها فوق بعض فى النزول
يأتى على سبيل المتابعة والتلاصق ونضد فى السماء معد لاهلاك الظلمة وفى السماء معاونها
فى جبال مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد مسومة معلمة للعذاب وبياض وحمرة عن الحسن
والسدى عليها امثال الخواتم وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع
مكتوب فى كل حجر اسم من يرمى به وقال ابو صالح رأيت منها عند ام هانى حجارة فيها خطوط على هيئة
الجزع ومعنى عند ربك اى فى خزاينه لا يتصرف فى شىء منها الا هو ومقرر فى علمه اهلاك
من اهلك بكل واحد منها وما هى اى تلك الحجارة من الظالمين اى من كل ظالم ببعيد وهو وعيد
لاهل مكة عن رسول الله صلعم انه سئل جبرئيل عن هذا فقال يعنى من ظالمى امتك يا من ظالم الا وهو
بصدد سقوط الحجر عليه ساعة فساعة وقيل اى تلك القرى ليست ببعيدة من ظالمى مكة
يمرون بها فى مسايرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت فى السماء الا انها اذا انهوت
منها فهى اسرع شىء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه والله تعالى اعلم

والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان انى اريكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض
مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ
قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل
فى اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى
ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله
عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل

ما اصاب

ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم
ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود قالوا
يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك
لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا
على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو
كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم
جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا
امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم
النار وبئس الورد المورود واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة بئس الرفد
المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قايم وحصيد
وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التى يدعون
من دون الله من شىء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد القراءة

انى بالفتح اريكم بالامالة ابو جعفر ونافع وابو عمرو والبزى وكذلك روى عن اهل مكة انى اخاف
شقاقى ان بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو اصلواتك كما فى التوبة ان صلوتك
سكن توفيقى بالفتح ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر ونافع ارهطى بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير
وابن عامر وبعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف ويعقوب وعاصم
غير الاعشى الوقوف شعيبا ط غيره ط محيط مفسدين مؤمنين لا للابتداء بالنفى مع الواو بحفيظ ط
ما نشاء ط الرشيد حسنا ط عنه ط ما استطعت ط الا بالله ط انيب نصف الجزء صالح ط
ببعيد ط اليه ط ودود ضعيفا ج لان لولا للابتداء مع الواو ولرجمناك ز لحق النفى

وكون الواو للحال وجه بعزيزه من الله ط الفصل بين الاستخبار والاخبار واتحاد المقصود وجه للوصل
ظهريا ط محيط ه عامل ج تعلمون ه كاذب ط الفصل بين الخبر والطلب رقيب ه جاثمين لا فيها ط ثمود ج مبين لا
لتعلق الجار وعويج للنفي مع الواو للعطف وللحال رشيد ه النار ط المورود ه القيمة ط المرفود وحصيد
امر ربك ط تتبيب ه ظالمة ط شديد التفسير نقص المكيال يشمل معنيين بان ينقص في الايفاء من القدر
الواجب ويزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كل الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهي
بقوله اني اريكم بخير اي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف ونعمة من الله حقها ان تشكر ليزداد
لا ان تكفر فتزال واني اخاف عليكم عن ابن عباس انه فسر الخوف بالعلم وقال الاخرون انه الظن الغالب
لانه كان يجوز ازدجارهم وانتهاءهم والعذاب المحيط المهلك المستاصل كان احاط بهم بحيث لا ينقلب
منهم احد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاسناد المجازي باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك
اليوم قيل هو عذاب الاستيصال في الدنيا وقيل عذاب الاخرة والاظهر العموم قوله اوفوا المكيال الى
قوله اشياءهم وقد مر تفسير مثله في الاعراف وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين مضى تفسيره في اوائل
البقرة بقي في الاية سؤال وهو انه سبحانه نهى اولا عن النقص ثم امر بالايفاء فهل فيه فايدة سوى التاكيد
والتقرير والجواب بعد التسليم ان النهي عن الشيء امر بضده هو ان النهي عن النقص في المبالغة وانكاره
يفيد تصريحه تعييرا وتوبيخا لكنه توهم النهي عن اصل المبالغة فلدفع هذا الخيال امر بايفاء الكيل ففيه
اباحة اصل المبالغة مع التصريح بالبعث المستحسن في العقول لزيادة الترغيب وفيه ايضا فايدة
اخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ليعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروة لا يقف
عند حد وانما الواجب متى من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين كما ان غسل الوجه لا يحصل
باليقين الا عند غسل شيء من الراس بقيت الله قيل ثواب الله وقيل طاعته ورضاه كقوله والباقيات
الصالحات خير وقيل ما بقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا
لان شيئا من الاعمال لا ينفع مع الكفر او ان كنتم مصدقين لي فيما انصح لكم ولان رسان الامانة يجر الرزق
لاعتماد الناس واقبالهم عليه فتنفتح ابواب المكاسب والخيانة تجر الفقر لتنفر الناس عنه وعن معاملته
وصحبته قالت المعتزلة في اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يسمى رزق الله وقرئ تقية الله
بالتاء الفوقانية اي تقواه وانصرافه عن المعاصي والقبايح وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم
لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح وقد اعذر من انذر قوله اصلواتك قيل اي دينك وايمانك ان الصلوة
عماد الدين فعبر عن الشيء باسم معظم اركانه وقيل المراد الاتباع لانه اصل الصلوة ومنه المصلي الذي
يتلو السابق والمعنى ربك اي اتباعه يامرك بذلك والاظهر ان المراد به الاعمال المخصوصة يروى ان شعيبا
كان كثير الصلوة فكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك
السخرية والهزل فكان الصلوة التي يداوم عليها ليلا ونهارا هي من باب الجنون والوسواس ومعنى تامرك
ان نترك تامرك بتكليف ان نترك على حذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله ان نفعل
معطوف على ما في ما يعبد اي تامرك صلواتك بترك ما عبد اباؤنا وبترك ان نفعل في اموالنا
ما نشاء روي انه كان ينهاهم عن قطع اطراف الدراهم كما كان يامرهم بترك التطفيف والانتفاع
بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد قيل انه مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة
والغواية فعكسوا تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا فيما بينهم بالحلم والرشد فكانهم قالوا انه
انك المعروف بهذه السيرة فكيف تنهانا عن دين عرفنا وسيرة تعودناها ثم اشار بقوله الى ما
اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس ولا تطفيف
وجواب الشرطية محذوف اكتفى عنه بما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى ارايتم ان كنت
على حجة واضحة ويقين من ربي وقد اتاني بعد هذه السعادة الروحانية والسعادات الدنيوية
من الخيرات والمنافع الجليلة فهل يسعني مع هذه الاكرامات ان اخون في وحيه ولا امركم بترك
الشرك وبفعل الطاعة والانبياء لا يبعثون الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه

يقال

يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه فالمعنى لا اجعل فعلي مخالفا لقولي فلا اسبقكم
الى شهواتكم التي نهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة والنصيحة والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطعت ما للمدة ظرفا للاصلاح اي مدة استطاعتي للاصلاح او بدل
من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه او المضاف محذوف اي الا الاصلاح اصلاح ما استطعت
او مفعول للاصلاح فقد يعمل المصدر المعرف كقوله شعر ضعيف النكاية اعداءه اي الا ان اصلح
ما استطعت صلاحه من فاسدكم ثم بين ان كل ما ياتي ويذر وقوعه بتسهيل الله وتاييده فقال وما توفيقي
الا بالله والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عليه توكلت اخصه بتفويض الامور اليه لانه
مبدء المبادي واليه انيب لان المعاد الحقيقي وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم
بقوله لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم خلافي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود
من الريح العقيم او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم لانه
مؤنث ولا ببعيدين حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف اي وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا
في عهد قريب من عهدهم والمراد وما هم بشيء بعيد او زمان او مكان بعيد وجوزوا ان يستوي في بعيد وقريب
وقليل وكثير بين المؤنث والمذكر لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما ان ربي
رحيم ودود يجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار
والتوبة تنبيه على ان سبق الكفر والمعصية لا ينبغي ان يمنعهم من الايمان والطاعة لما بالغ خطيب الانبياء
في التقرير والبيان قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اما لقلة الرغبة او قالوا تهكما واستهانة
كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول كانهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا
لا ينفعهم كثير منه وقيل لانه كان الثغ وانا لنريك فينا ضعيفا عن الحسن مهينا اي لا عز لك فيما
بيننا ولا قوة لك فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف
بالاعمى لان العمى سبب الضعف ولانه لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء
فلان لفظة فينا تاباه لان العمى فيهم وفي غيرهم اما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان العمى لا يمكنه
الاحتراز من النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى ثم ذكروا
انهم انما لم يريدوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل
الى التسعة والرجم شر القتل وهو الرمي بالحجارة او المراد الطرد ولا يعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا
المذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم من اهل
ديننا والكلام واقع في فاعل العز لا في الفعل وهو العز ولذلك في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله
ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال اعز عليكم مني ايذانا بان التهاون بنبي الله
كالتهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع واتخذتموه اي امر الله وما جئت به وراءكم
ظهريا منسوبا الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اي جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت
اليه ثم وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد فختمهم فقال ان ربي بما تعملون محيط ثم زاد في الوعيد
والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله في الانعام قال في الكشاف الاستيناف
يعني في سوف تعلمون وصف خفي تقديري وانه اقوى من الوصل بالفاء وهو باب من ابواب
علم البيان تكاثر محاسنه ثم بالغ في التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق اني معكم
رقيب راقب كالضريب بمعنى الضارب ومراقب كالعشير والنديم او مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى
المفتقر والمرتفع وباقي القصة على قياس قصة صالح واخذ الصيحة واخذت الصيحة كلتا العبارتين
فصيحة مكان الوصلة الا انه لما جاء في قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازداد
التانيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله كما بعدت ثمود لما روى الكلبي قال
لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة
من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم قوله سبحانه باياتنا وسلطان مبين قال في التفسير الكبير الايات

القطع
اسم للقدر المشترك بين العلامات المفيدة وبين الدلايل التى تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد
وان لم يتأكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذى يعضده الحس وقال فى الكشاف
يجوز ان يراد بالايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا
لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اى شانه وطريقه وامرهم اياهم بالكفر
والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اى ليس فى امره رشد انما فيه غى وضلال وفيه تعريض
بان الحق والرشد فى امر موسى ثم ان موقه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط فلاجرم كما كان
فرعون قدوة لهم فى الضلال فكذلك يقدم اى يتقدم اى يقدمهم يوم القيمة الى النار وهم على اثره ويجوز
ان يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد العاقبة ثم فسر بانه يقدم قومه
اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته ويقال قدمه وقدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه
مقدمة الجيش ومثله قدم ومنه مقدم العين وانما قال فاوردهم بلفظ الماضى تحقيق للوقوع والورد
المورود الذى ورد وشبه فرعون بمن يتقدم الوارده الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم بغى عليهم
بقوله وبئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده
وتذكير بئس لتذكير الورد وان كان هو عبارة عن قولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمة جاز نظرا الى
الدار وفى تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم واتبعوا فى هذه حذف صفته فى هذه الاية اكتفاء بما مر
فى عاد قصة وبئس الرفد المرفود اى بئس العطا المعطى ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك
ان اللعنة فى الدنيا رفدت اى اعينت وامدت باللعنة فى الاخرة قال قتاده ترادفت عليهم لعنتان
لعنة من الله والملئكة واللاعنين ولعنة فى الاخرة ذلك الذى ذكرنا وذلك النباء بعض انباء القرى
المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر ثم استانف وقال منها قايم وحصيد اى ومنها حصيد والمراد بعضها
باق كالزرع القايم ثم على ساقه وبعضها نافى الاثر كالزرع المحصود وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم فى الدنيا من النعم والرزق
ولكن نقصوا حظ حيث استخفوا بحقوق الله فما اغنت عنهم فما قدرت ان ترد عنهم الهتهم التى يدعون
يعبدون وهى حكاية حال ماضية بامر الله حين جاء وما زادوهم يعنى لهتهم غير تتبيب تخسير
خسر وتبه غيره اوقعه فى الخسران كانوا يعتقدون فى الاصنام انها تعين فى الدنيا على تحصيل المنافع
ودفع المضات وتستشفعهم عند الله فى الاخرة فلم تنفعهم فى الدنيا حين جاءهم عذاب الله وسيورثهم
ذلك الاعتقاد عذاب النار فى الاخرة فهم فى خسران الدارين ثم بين ان عذابه غير مخصوص على اولئك
الاقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال وكذلك اى مثل ذلك الاخذ اخذ ربك فالاخذ مبتدء
وكذلك خبره وقوله وهى ظالمة حال من القرى باعتبار اهلها ان اخذه اليم شديد وجيع صعب
على المأخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظالم على الغير وعلى النفس فعلى العاقل ان يبادر الى التوبة
لا يغتر التأويل ولا تنقصوا مكيال المحبة وميزان الطلب فمكيال المحبة عداوة ما سوى الله وميزان
الطلب السير على قدمى الشريعة والطريقة انى اريكم بخير هو حسن الاستعداد الفطرى وانى اخاف
عليكم عذاب فساد الاستعداد فى طلب غير الحق بالقسط فى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله
ولا تبخسوا الناس حقوق النصيحة وحسن العشرة وفى الله ولله ولا تعثوا فى الارض وجودكم
بقية الله بقاء وكم ببقائه خير لكم مما فاتكم بابقاء المكيال والميزان رزقا حسنا نورا تاما الراى به
اصلاح الامور واستعدادات ذات ساعد فى التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد
لان الكفر كله ملة واحدة وما امر فرعون برشيد لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ القرى
قرى الاجساد منها قايم قابل التدارك ما فات ومنها ما هو محصود بفوات الاستعدادات

ان فى ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك

يوم

يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا
باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير
وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها
ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم
من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد اتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى
بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك
اعمالهم انه بما تعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك
ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلوة
طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك
ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان
من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا
ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم
وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص
عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة

وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون
وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع
الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون القرأة

وما يؤخره بالياء يعقوب والمفضل الباقون بالنون يوم يأتى باثبات الياء فى الحالين ابن كثير وسهل
ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى فى الوصل الاخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد
التاء البزى وابن فليح سعد وبضم السين حمزة وعلى وخلف وحفص قيل انه على حذف الهمزة من سعده والا
ولكن قد جاء المسعود الاخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحماد والباقون
بالتشديد لما مشددا ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك فى الطارق الباقون بالتخفيف
وزلفا بضمتين يزيد الاخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهانى عن ورش وهمزة فى الوقف
يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا كذلك فى اخر النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر
ويعقوب وحفص الباقون على الغيبة الوقوف الاخرة مشهود معدود باذنه لاختلاف
الجملتين مع فاء التعقيب وسعيد وشهيق لان ما يتلوه حال والعامل فيه ما فى النار من معنى
الفعل شاء ربك يريد شاء ربك لان التقدير يعطون عطاء مجذوذ هؤلاء من قبل منقوص
فاختلف فيه بينهم مريب اعمالهم خبير ولا تطغوا بصير النار لان ما بعده من تمام جزاء
ولا تركنوا تنصرون من الليل السيئات للذاكرين المحسنين منهم لان التقدير وقد اتبع
مجرمين مصلحون مختلفين رحم ربك خلقهم اجمعين فؤادك اذ التقدير وقد جاءك
للمؤمنين مكانتكم عاملون للعطف وانتظروا اى فانا منتظرون وتوكل عليه تعملون
التفسير ان فى ذلك الذى قصصنا عليك من احوال الامم لاية لعبرة لمن خاف اى لمن هو اهل
لان يخاف عذاب الاخرة كقوله هدى للمتقين لان انتفاعه يعود اليهم قال القفال فى تقرير هذه
الاعتبار انه اذا علم ان هؤلاء عذبوا على ذنوبهم فى الدنيا وهى دار العمل فلان يعذبوا عليها فى الا
التى هى دار الجزاء اولى واعترض عليه التفسير الكبير بان ظاهر الاية يقتضى ان العلم بان القيمة حق كالشرط
فى حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستيصال فى الدنيا والقفال جعل الامر على العكس قال والاصوب
عندى ان هذا تعريض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وان هذه الاحوال التى ظهرت
فى ايام الانبياء ع م من مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان
كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء اما الذى يؤمن بالقيمة ويخاف عذابها فيقطع
بان هذه الوقايع ليست بسبب الكواكب وايضا لا يهمنا فتستفيد من يدل الخشية والاعتبار اقول
وهذا نظر عميق ولا ظهر ما ذكرته اولا ومثله فى القرءان كثير ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ان فى ذلك
لاية لقوم يذكرون ثم لما كان لعذاب الاخرة دلالة على يوم القيمة اليه بقوله ذلك يوم مجموع اى
يجمع له لما فيه من الحساب والثواب وعقاب الناس واوثر اسم المفعول على فعله لاجل افادة الثبات
وان حشر الاولين والاخرين فيه صفة الازمنة نظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب
قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وذلك يوم مشهود فيه الخلايق فاتسع
فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف وبين الاول ان هذا يدل على حضور
الناس فيه مع اطلاع البعض منهم على احوال الباقين من المحاسبة والمسئلة ليس بحيث لا يعرف
كل واحد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما فسرنا اليوم بانه مشهود فيه
لا انه مشهود فى نفسه لان ساير الايام تشاركه فى كونها مشهودات وانما يحصل التميز بانه
مشهود فيه دونها كما يميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها وما نؤخره

الا لانتهاء اجل معدود اى انقضاء مدة معلومة عند الله وقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان الاولى
ان وقت القيمة متعين لا يتقدم ولا يتاخر الثانية ان ذلك الاجل ما فانه يعنى لا محالة وكل ات قريب
ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يأتى بحذف الياء والاكتفاء عنها بالكسر كثير فى لغة هذيل
وفاعل يأتى قيل الله كقوله او يأتى ربك اى امره او حكمه دليله قراءة من قرء وما يؤخره بالياء وقوله
باذنه وقيل المراد الشئ المهيب الهائل المستعظم فحذف ذكره بتعينه ليكون اقوى فى التخويف وقيل
فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدايده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب يوم بلا تكلم
او باذكر مضمرا او بانتهاء المقدار اى ينتهى الاجل يوم يأتى وتاء التانيث محذوفة من لا تكلم والايات
الدالة على التكلم فى ذلك اليوم مع الايات الدالة على نفى التكلم كقوله يوم يأتى كل نفس تجادل عن نفسها
وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفى العذر الصحيح المقبول واثبات
العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب ولافراد العامة التى دلت عليها نفس
فقال ومنهم شقى وسعيد ومنهم سعيد ولا خلاف ان الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد
والعمل الصالح ويترتب عليها النار والجنة فى الاخرة وانما النزاع فى ان العمل سبب للشقاء مثلا
كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء مثلا كما هو مذهب اهل السنة ويختلف تفسير الشقاء بحسب
المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار لة لاساءته وعند السنة جريان القلم عليه
فى الازل بانه من اهل النار وانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق فى المسالة قدم مرارا قيل بقى ههنا
قسم اخر ليسوا من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم اصحاب الاعراف وتخصيص
القسمين بالذكر لا يدل على نفى الثالث واما قوله صفة اهل لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه
قال الليث كثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة فى القلب بسبب
انحصار الروح فى القلب وحينئذ يرتفع صدره وينتفخ جنبا والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد
من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على جهد شديد وغم عظيم والحاصل انهم جعلوا الزفير بمنزلة
ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة اخره وقال الحسن ان لهب جهنم يرفعهم بقوته حتى اذا وصلوا
الى اعلى دركات جهنم وطمعوا فى ان يخرجوا منها ضربتهم الملئكة بمقامع من حديد وردوهم
الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم فى النار هو الزفير والحطاطهم هو الشهيق وقال ابو مسلم
الزفير ما يجتمع فى الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذى
يظهر عند اشتداد الكرب والحزن وربما يتبعها الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال ابو العالية
الزفير فى الحلق والشهيق فى الصوت وقيل الزفير الضعيف وعن ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن
لا يندفع وقال اهل التحقيق قوة ميلهم الى الدنيا ولذاتها زفير وضعفهم عن الاستعداد بكمالات الروحانيات
شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث
والعقول اما القرءان فقوله سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض اى مدة بقائها الا
ما شاء ربك فيه استدلالان الاول ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات المتناهية بالاتفاق
الثانى استثناء المشية ويؤكد هذا النص قوله لابثين فيها احقابا واما الحديث فما روى
عن عبد الله بن عمرو العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد
ما يلبثون فيها احقابا واما المعقول فهو ان العقاب ضرر خال عن النفع لا فى حق الله تعالى
ولا فى حق المكلف فيكون قبيحا وايضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم بعقاب لا نهاية له ظلم
والجمهور من الامة على ان عذاب الكافر دايم واجابوا عن الاية بان المراد سموات الاخرة وارضها
المشار اليهما بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الاخرة مما يظلهم
ويقلهم فهما السماء والارض واذا علق حصول العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا
القرآن قد ورد على استعمالات العرب وانهم يعبرون عن الدوام والتأبيد بقولهم ما دامت
السموات والارض ونظيره قولهم ما اختلف الليل والنهار وما اقام ثبير وما لاح كوكب ومكين

ايضا ان يقال حاصل الاية يرجع الى الشرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا
لكن السموات والارض دايمة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب وان قلنا لكنهما لم تدوما فانه لا ينتج
مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شياء وبعبارة اخرى دلت الاية على انه كلما وجدت
السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنهما لم يوجد عقابهم او يوجد فالاية لا تدل الا على حصول
العقاب لهم دهرا طويلا ومدة مديدة واما انه هل يكون له اجرام لا فذلك انما يستفاد من دليل اخر كقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به واما الاستدلال بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الانباري والفراء ان هذا
الاستثناء لا ينافي عدم المشية كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وقد يكون عزمك على ضربه
البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك ورد بالفرق فان معنى الاية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله
فالمشية قد حصلت جزما ولقايل ان يقول ان الماضي ههنا في معنى الاستقبال كقوله ونادى اصحاب
الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل الا بمعنى سوى اي سوى ما يتجاوزون ذلك من الخلود الدايم
كانه ذكر في خلودهم ليس عند العرب اطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا اخر له وقال الاصم
وغيره المراد زمان مكثهم في الدنيا او في البرزخ او في الموقف وقيل الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها
زفير وشهيق كانهم يصيرون اخر الامر الى الخمود والجمود وقيل فايدة الاستثناء ان يعلم اخراج
اهل التوحيد من النار والمراد الا من شاء ربك وهذا التاويل انما يليق بقاعدة الاشاعرة واكدوا
بقوله ان ربك فعال لما يريد مكانه تعالى يقول اظهرت القهر والقدرة ثم اظهرت المغفرة والرحمة
لاني فعال لما اريد وليس لاحد على حكم البتة واما المعتزلة فانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء
الثاني لا يساعد لحصول الاجماع على ان احدا من اهل الجنة لا يخرج الى النار فالصواب ان يقال انه استثناء
من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار الى الزمهرير والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله
واهل الجنة ينقلون الى العرش والى ما هو اعلا حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قال انه ختم اية
الوعيد بقوله ان ربك فعال لما يريد واية الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ رعاية للمطابقة كانه قال انه
يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاء الذي لا انقطاع له والجذ القطع واما الجواب
عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم
وصفق ابوابها واقول يحتمل ان يكون الالف سبب عدم الاحساس بالعذاب بل يكون الالتذاذ بالمالوف
فيكون خلو جهنم اشارة الى هذا المعنى واما الجواب عن المعقول فهو ان السير في الله ومبدءه من عالم
التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعد عنه ايضا يجب ان يكون غير متناه او نقول لا نهاية لنوع ولا غاية
لظلمة الفاعل والمنكر اذا اونقول اوضع الاشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص ذاهلا عنه كان مسلوب
الاستعداد بالكلية فلا يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم الطبيعة والعبارات
في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد يدركه من وفق له وخلق لاجله ولما فرغ من قصاصيص عبدة
الاصنام وبيان احوال الاشقياء والسعداء سلى رسوله ص لشرح احوال الكفرة من قومه في ضمن
نهي له عن الامتراء سوء مغبتهم قايلا فلا تك حذف النون لكثرة الاستعمال في مرية في شك مما يعبد
ما مصدرية او موصولة اي من عبادة هؤلاء او من الذي يعبد هؤلاء المشركون والمراد النهي عن الشك
في سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهي مستانفا فقال ما يعبدون الا كما يعبد كالذي يعبد اباؤهم او كعبادة
اباءهم والحاصل انهم شبهوا اباءهم في لزوم الجهل والتقليد وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات
الدنيوية او من ازالة العذر وازاحة العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب او نصيبهم من العذاب
كما وفينا اباءهم ايضا وفي الكشاف ان غير منقوص حال من النصيب ليعلم انه تام كامل اذ يجوز ان يوفى
بعض الشيء كقولك وفيته شطر حقه قلت هي مغالطة لان قول القايل وفيته شطر حقه التوفية
تعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال فالصواب ان يقال انه حال موكدة
اوصفة تقوم مقام المصدر اي توفية غير منقوص ولا تعثوا في الارض اي فسادا ثم اورد نظير الانكارهم نبوة
محمد ص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه امن به قوم وكفر به اخرون كما اختلف في القران والغرض

ان انكار

ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من هي ان رحمتي سبقت غضبي او هي دار الجزاء الاخرة
لا الدنيا وان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال لقضي بينهم بين قوم موسى وبين قومك
بتمييز المحق من المبطل بسبب الانجاء والاهلاك وهذه من جملة التسلية ايضا وانهم يعني قوم موسى او
قومك لفي شك منه من كتابه او كتابك او من امرهما او القضاء او الجزاء ثم جمع الاولين والاخرين
في حكم توفية الجزاء ثوابا او عقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اي وان كلهم يعني
ان جميع المختلفين فيه ومن قرء بالتخفيف فعلى اعمال المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن
ولم يك ومن قرء لما مخففة فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان ولام جواب القسم
المقدر كما فصلوا بالالف بين النونات في قولهم اضربنان ويمكن ان يكون ما نكرة اي لخلق وجمع والله
ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود ومن قرء لما مشددة فاصلة لمن ما قلبت النون ميما
فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى تخفيفا وجاء حذف الاول وابقاء الساكنة لاتصال اللام بها
ويجوز ان يكون اصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسليمان بن ارقم فحذف فبقي لما ممدودا ومعناه
ملمومين اي مجموعين وقراءة وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا كما في الطارق ومما يخفى
ما في الاية من مؤكدات توفية الجزاء وان شيئا من الحقوق ولا يضيع عنده منها لفظة ان ومنها كل و
منها لام خبر ان ومنها ما المزيدة ومنها لام القسم ومنها نون التاكيد ومنها لفظة التوفية
ومنها ربك وان من ربك يقدر على توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الاية بقوله انه بما
تعملون خبير فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل احد
وبمقدار جزاء عمله وقادرا على ايصال ذلك اليه ثم ان كلامه حق وصدق وقد اخبر عن التوفية
مع المؤكدات المذكورة فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم ارشد نبيه لتقتدي به امته بكلمة جامعة للعقايد
والاعمال قايلا فاستقم كما امرت عن جعفر الصادق رض معناه افتقر الى الله بصحة العزم يعني الوثوق به
والتوكل عليه ومن تاب معك عطف على الضمير في فاستقم وصح للفصل او هو ابتداء اي ومن تاب
معك فليستقم او مفعول معه ثم كما امر بالاستقامة على جادة الحق نهى عن الانحراف عنها فقال ولا
تطغوا الطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس يريد تواضعوا لله ولا تتكبروا على الخلق وخص بعضهم
الطغيان بالتجاوز عن حدود القراءة بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذه الاية اصل عظيم في الشريعة
فيكون الترتيب في الوضوء واجبا كما ورد في القراءة وكذلك العقول في الحدود والكفارات وتفصيل
الركوع واعداد الركعات وجميع المأمورات والمنهيات وبحا الاحتياط في المسايل الاجتهادية والقياس
وكذا في الاخلاق والملكات وفي كل ماله طرفا افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط
وهو الطريق المستقيم المأمور بالاستقامة والثبات عليه ولا يرسان معرفته صعبة وتقدير
معرفته فالعمل والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صم في القران اشد
ولا اشق من هذه حتى ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال صم شيبتني هود وعن الامام
ثم لما كان القرين السوء مدخل عظيم في تغيير العقايد وتبديل الاخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء
في غير موضعه فقال ولا تركنوا الى الذين ظلموا اي لا تميلوا بالمحبة والهوى الى الذين ظلموا قال المحققون الركون المنهي
عنه هو الرضا باعمال الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك
الابواب فاما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون واقول هذا
من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية اليس الله بكاف عبده
قوله فتمسكم النار اشارة الى ان الظلمة اهل النار بل هم في النار وكانا راولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من تتمة الجزاء
وقال في الكشاف الواو للحال اي وانتم على هذه الحال من اولياء من انصار لا يقدر على منعكم من عذابه ثم لا تنصرون
ثم لا ينصرون هو ايضا وفيه اقتا طا كلي وفائدة ثم تبعيد النصرة من الظالم قال اهل التحقيق الركون الى القليل
اليسير وقوله الى الذين حدث منهم الظلم فلم يقل فلا تميلوا الى الظالمين ليدل ان قليلا من الميل الى من

منه شئ من الظلم يوجب هذا العقاب واذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف حال الظالم فى نفسه
عن رسول الله صم من دعى للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه وقال سفيان فى جهنم
واد لا يسكنه الا القراء الزايرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن
من قارئ على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة
ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم حض من انواع الاستقامة اقامة الصلوة فنبيها
على شرفها فقال اقم الصلوة قيل تمسك بعض الخوارج بهذه الاية على ان الواجب من الصلوات ليس
الا الفجر والعشاء لانهما طرفا النهار وهما الموصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا
يكون ليلا وغاية ما فى الباب ان هذا يقتضى عطف الصفة على الموصوف وهو كثير فى كلامهم ولئن
سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر ان اقامة الصلوة
طرفى النهار كفارة لترك ساير الصلوة وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالاية على
وجوب الصلوات الخمس لان طرفى النهار منصوب على الظرف لاضافتهما الى الوقت فيكتسا المضاف
حكم المضاف اليه كقولك اتيته نصف النهار والطرفان الغدو وهى الفجر والعشية وفيها الظهر
والعصر لان ما بعد الزوال زلفا بسكون اللام لحق بسرة ويسر والزلف فيمن قرء بضمتين نحو بسر وبسر
وقيل زلفا اى قربا فيكون معطوفا على الصلوة اى اقم الصلوة واقم زلفا اى صلوات تتقرب بها
الى الله عز وجل فى بعض الليل وبالجملة فصلوة الزلف المغرب والعشاء وقيل ان طرفى النهار لا يشمل
الا الفجر والعصر وانما استدل على مذهب ابى حنيفة ان التنوير بالفجر افضل وتاخير العصر افضل
لان الامة اجتمعت على ان نفس الطرفين وهما وقتا الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة
بكل وقت كان اقرب الى الطرفين كان اولى باقامة الصلوة فيه حملا للمجاز على ما هو اقرب
الى الحقيقة ما امكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازى فى تفسيره ولقايل ان يقول هذا لا يتمشى فى صلوة
الفجر لان الطرف الاول للنهار فى الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير بعد للصلوة لا اقرب
ولا ادرى كيف ذهب هذا المعنى مع افراط عصبية الشافعى واستدل ايضا لابى حنيفة على مذهب
فى وجوب الوتر اذ اقل الجمع ثلاثة فيجب اقامة الصلوة على النبى صم فى ثلث زلف من الليل اى ثلث
ساعات ذهب منها ساعتان للمغرب والعشاء فتعين ان تكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب
عليه وجب على امته لقوله فاتبعوه وللمانع ان يمنع ان اقل الجمع ثلاثة ثم ان كل ساعة لاجل الصلوة
ثم ان كل ما يجب على النبى يجب على امته لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله اعم ان يكون على تلك الجهة
ام لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون نزلت فى ابى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان
يبيع التمر فاتته امرءة فاعجبته فقال لها ان فى البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه
وقبلها واصاب منها كل ما يصيب الرجل من امرءته سوى الجماع ثم ندم فاتى رسول الله صم فاخبره بما فعل
فقال انتظر امر ربى فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا لخاصة
ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى انه صم قال له توضا وضوء حسنا وصل ركعتين يذهبن
السيئات قال ابن عباس اى الصلوات الخمس كفارات لساير الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر وقد يحتج بالاية على ان المعصية لا تضيع الايمان هو راس الاعمال الحسنة ذلك
المذكور من قوله فاستقم الى ههنا ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين وارشادا للمسترشدين ثم امر بالصبر
على التكاليف المذكورة امرونها ونص على الاتيان بها احسان وان جزاءه سيحصل لا محالة فقال
واصبر الاية ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب فى حلول عذاب الاستيصال بهم امران
الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اى فهلا كان من القرون من قبلكم
اولو بقية ذو خير ورشد وفضل وذلك ان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله فصارت البقية
مثلا فى الجودة يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه امثالهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا

وجوز فى الكشاف ان يكون من البقوى كالتقية فى التقوى اى فهلا كان منهم ذو ابقاء على انفسهم وصيانة
لها من سخط الله وعقابه الا قليلا استثناء متصل لان فى تخصيصهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم
فكانه قيل ما كان من القرون ناس ناهون الا ناسا قليلا ومن فى ممن انجينا للبيان لا انهم الذين انجيناهم
قال فى الكشاف لان النجاة انما هى للناهين وحدهم ولقائل ان يقول اذا كان النهى عن المنكر فرض كفاية
لم يلزم ان تختص النجاة فى الناهين فيحتمل ان يكون من للتبعيض ويجوز على ما فى الكشاف ان يكون الاستثناء
منقطعا معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد قال ولو جعلته متصلا على ما عليه
ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهى عن الفساد الا للقليل من الناجين
منهم كما يقول هلا قرء قومك القرآن الا الصلحاء منهم يريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة
القرآن واقول لا يجوز ان يكون المراد من الاستثناء الصلحاء منهم انه لا حاجة لهم الى التحضيض كانك
قلت اخصص قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون الى ذلك لانهم مواظبون عليها
على ان فى جعل الاستثناء منقطعا فيه شبه تناقض لان اول الكلام يدل على انه لم يكن فيهم ناه واخره
يدل على ان القليل منهم قد نهوا فتامل فى هذا المقام فانه من مزلة الاقدام الثانى فى نزول العذاب قوله
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما عرفوا التنعم والترفه من حب الرياسة والترفه واسباب العيش
الهنى ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين فهذه الجملة معطوفة على مدلول الجملة التحضيضية
اى ما كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون فى الكلام اضمار والواو للحال
كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمترف الذى ابطرته النعمة وصبى مترف
منعم البدن وقوله كانوا مجرمين اما معترضة واما معطوفة على اتبع اى وكانوا مجرمين بذلك وعلى
اترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام واريد بالاجرام اغفالهم
للشكر ثم بين انه ما ينبغى له سبحانه ان يهلك القرى بظلم اى بسبب مجرد الشرك والحال انهم مصلحون فى المعاملة
والعشرة فيما بينهم وذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل
الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير ان عذاب الاستيصال انما نزل بقوم لوط وشعيب
لما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد فى الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى
استحال فى الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون فى العمل تنزيها لذاته عن الظلم
وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان الكل بمشيته وارادته ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة مهتدية والمعتزلة يحملون هذه المشية على الالجاء والقسر وقد مر مرارا ولا يزالون مختلفين فى الاديان
والاخلاق فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم
استتباح العلوم والمعارف ولم يثبت لهذا العالم الجسمانى مبدءا اصلا وهم الدهرية ومنهم من اثبت موجبا
بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا القول تحقيق ليس ههنا موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات
وهم البراهمة ومنهم من اثبتها وهم المسلمون والمجوس واليهود والنصارى وفى كل واحدة من هذه الطوايف
اختلافات لا يكاد تدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاختلاف فى الاية على الاختلاف فى الالوان والا
لسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف فى الاديان وما يتعلق بها لانه يبنى عن ذلك ما قبل
الكلام وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك
قالت المعتزلة الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة الالطاف التى فعلها
فى حق المؤمن فهى مفعولة ايضا فى حق الكافر وهذه الرحمة مختصة بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه
فاذا الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال ولذلك خلقهم واختلف العلماء فى المشار اليه بذلك
فالمعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن
اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره او ولما ذكر من الرحمة خلقهم والاشاعرة قالوا ولاجل
ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح فى الحديث انه خلق الجنة وخلق لها اهلا والدلايل الدالة على ان الكل
بايجاده وان خلاف معلومه محال الى هذا اشار بقوله وتمت كلمة ربك اى علمه وارادته او قوله

الملئكه لاملان جهنم الاية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوايد القصص المذكورة
فى السورة فقال وكلا اى وكل نباء نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت بدل من كلا
او المراد وكل نوع من الاقتصاص على انه مصدر اى على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول و
نثبت به فؤادك زيادة اليقين والطمانينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم والمعنى
تثبيت تليك على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومك اسوة بساير الانبياء وجاءك فى هذه السو
او فى هذا الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدء والوسط وموعظة وهى الدلايل
المقنعة المرفعة للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص انبع والثانى للعوام انجع وذكرى للمؤمنين
وهى ارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة فى الاخرة المحصلة لما هنالك من السعادة فان حسن هذ
الذين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لابد لها من قابل
وفاعل وقابلها القلب وانه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلايل وورودها عليه
فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجموع
السورة بل الاية منها وهى قوله فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وههنا ترتيب فى غاية
الحسن ثم امر بالتهديد لمن يؤثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا
وقد مر تفسير مثله فى هذه السورة وفى الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا
الرحمان من الغفران والاحسان وعن ابن عباس بنا الدوائر فانا منتظرون بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم
ختم السورة باية مشتملة على جميع المطالب من المبدء والوسط والمعاد وقد سبق تقريره فى اخر البقرة
فى تفسير آمن الرسول فلا حاجة الى الاعادة والله اعلم التأويل ما دامت السموات والارض اى
سموات الارواح والقلوب وارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء وذلك ان اهل الشقا
ضربان شقى واشقى بالمعاصى سعيد بالتوحيد فيخلص من النار اخرا والاشقى هو الكافر يبقى فيها مخلدا ومن اهل
الجنة سعيد يبقى خالدا فيها واسعد وهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهناك مقام
الوحدة الذى لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ وانا لموفوهم نصيبهم الذى قدرتهم فى الازل من الشقاء ولو
لا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضى بينهم بالهلاك عاجلا لفى شك منه اشارة الى الضلال
وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا اى كل واحد من الضالين ومن المضلين فاستقم امر التكوين ولذلك
قال كما امرت فى الازل وفى قوله ومن تاب معك اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج الى الرجوع
من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الامن اخص بالاستقامة بسابق التكوين كالنبى ان الحسنات
يذهبن السيئات يعنى ان الاعمال الصالحة فى الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة
فى قضاء الحوائج النفسانية الضرورية وذلك ان تعلق الروح النورى العلوى بالجسد الظلمانى السفلى
موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفى خسر الا ان يتداركه انوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض
البشرية الى ذروة الروحانية الى الوحدانية الربانية فيندفع ظلمة الجسد الثقلى مثاله ابقاء الحبة فى ارض
وانه من خسران الحبة الا ان يتداركه الماء وساير الاسباب فربما الى ان تصير الحبة الواحدة الى سبعمائة وربما
زاد ذلك الذى ذكرنا من التدارك عظة للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا الله فى جميع الاحوال
فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكانهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق ضعيفا ليس بقدر
على صرف جميع الاوقات فى محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون صورته التخصيص وحقيقته
السؤال ليجاب بانه لم يكن كذلك لانك فعال لما يريد خلقت خلقا للاقرار وخلقت خلقا للانكار
ولا اعتراض لاحد عليك يؤيده قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة طالبة للحق متوجهة اليه
ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم
بقوله الا من رحم ربك ولذلك اى لطلب الله خلقهم بحسن الاستعداد ولان رحمته سبقت غضبه لكن
وقوع فريق فى طريق القهر ضرورى فى الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك جرى به القلم للضرورة وما نثبت
به فؤادك التثبيت منهم والتشكيك منه بيده مفاتيح ابواب اللطف والقهر وقل للذين لا يؤمنون لطلب الحق

ووجدانه

ووجدانه اعملوا فى طلب المقاصد من باب القهر انا عاملون فى طلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتايج اعمالكم
انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض اى ما غاب عنكم مما اودع من لطفه فى سموات
القلوب ومن قهره فى ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقاء ومظاهر اللطف والقهر
فاعبده ايها الطالب للحق فانك مظهر اللطف وتوكل عليه فى طلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل
عما تعملون سورة يوسف مكية آياتها مائة واحدى عشر كلمها الف وتسعمائة وستة وستون حروفها تسعة الاف وسبعمائة وستة وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا
عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك
هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه ياابت
انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين
قال يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان
للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل
الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك
من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم لقد كان فى يوسف
واخوته ايات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا
ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا
يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم
لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة
ان كنتم فاعلين قالوا ياابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له
لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال
انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه فى غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا

وهم لا يشعرون وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا
ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم
انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة
فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشراى هذا غلام واسروه بضاعة
والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين

القراءة

يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرء ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء غيره الباقون بالكسر في الحالين احد عشر بسكون العين يزيد وابن عياض والخزاز لي ساجدين بفتح الياء والاعشى والبرجمي يا بني بفتح الياء حيث كان حفص والمفضل الباقون بسكرها رؤياك بالامالة على غير فتيبة في ليث وقرء ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرء يزيد وابو عمرو او غير شجاع وورش من طريق الاصفهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همزة آية للسائلين على توحيد ابن كثير ايات للسائلين على الجمع يخل لكم بالادغام شجاع من طريق الى غالب وابو شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد لا تامنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلواني عن قالون الاخرون بالاشمام الذئب وما بعده بغير همز ابو عمرو او غير شجاع واوقية يزيد والاعشى وورش وخلف وعلي وحمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما والجزم عاصم وحمزة وعلي وخلف بكسر العين في اول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما وبالجزم ابن عامر وابو عمرو وابكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي واب وسعة عن قنبل فانهما يرتعي بالكسر مع الياء بعده نرتع ونلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني يعقوب غير ورش ليحزنني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع ابن كثير وقرء نافع ليحزنني ان بفتح الياء ولكن من باب الافعال بل سولت وبابه مدغما حمزة وعلي وهشام يا بشرى بالامالة عن مضافة حمزة وعلي وخلف وحماد والخزاز عن بسيرة يا بشري بغير امالة واضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون يا بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم

الوقوف

الركوع في المبين كوفي ايضا وغيره لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب القسم في الر القران والوصل اصح لان الواو للحال الغافلون ساجدين كيدا مبين واسحاق حكيم السائلين عصبة مبين والعربية توجب الوقف وان قيل ان الابتداء به لا يحسن صالحين غافلين لناصحون لحافظون غافلون لخاسرون في غيابت الجب لاحتمال ان يكون جواب لما محذوفا والواو في واوحينا للاستيناف تقديره فعلوا ما فعلوا وامضوا عليه وان يكون الواو مقحمة والجواب وحينا لا يشعرون يبكون فاكله الذئب لابتداء النفي مع واو العطف صادقين كذب امرا جميل يصفون دلوه غلام بضاعة يعملون معدودة لاحتمال الواو والحال الزاهدين

التفسير

قال في الكشاف تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم والتي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر والواضحة التي لا يشتبه على العين معانيها النزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روى ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين اسئلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف اقول مدار هذه التفاسير على ان ابان لازم ومتعد يقال ابان الشئ وابان هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرانا عربيا والقران اسم جنس يقع على كله

وعلى بعضه وقوله قرانا يسمى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائي بانزال القران وبكونه عربيا وايات على انه محدث لان هذه من اوصاف الحدثات واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على انه اراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا امر توحيده وامر دينه واجيب بان الاية تدل على انه انزل هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على انه اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة القصص اشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية ثم انه كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون احسن مثله لاضافته الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة اوحينا اليه ويكون هذا القران منفعولا اوحينا محذوفا كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اياه اليك وعلى هذا فالحسن يرجع الى النطق لا الى القصة وحسن المنطق كونه على ابداع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتصة في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شئ منها الى حد الاعجاز وان اريد القصص المقصوص كما يريد بالنبأ والخبر المنبأ والخبر فالحسن يرجع الى القصة ولا سيما فيما يرجع الى صلاح حال المكلف في الدارين ووجه حسنها اشتمالها على الغرايب والعجايب والنكت وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كاين لا محالة لا يرده كيد كايد ولا حسد حاسد يروى ان اصحاب رسول الله صم ملوا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل نزل احسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك يؤمرون بالقران وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل لام الفارقة والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة او عن الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص فاذا قص وقته فقد قص المقصوص ومنصوب باضمار اذكر ويوسف ليس عربيا على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة فهو اسم عبراني ومن ظن انه من اسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فيوجد فيها وزن الفعل ايضا فقد اخطأ لان القراءة المشهورة تاباه وان يكون الاسم عربيا تارة واعجميا اخرى وهذا الخلاف روى في يونس ايضا عن النبي صم الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم قال النحويون التاء في ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتانيث لانها قد نقلت هاء في الوقف ويجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسرة فيه لمناسبة الياء التي هي بدل منها والفتحة اما فتحة الياء فيمن يفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا ابتاه اني رايت وهو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا من الروية التي تشمل اليقظة بدليل يعقوب له لا تقصص رؤياك على اخوتك لان ذلك في اليقظة لكانت اية عظيمة ولم تخف على احد من قرء احد عشر ليكون العين فلكون توالي الحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال النبي صم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راهن يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها واقول ان اكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند اهل الهيئة وان صح الخبر فهو من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكر دليل على فضلهما كقوله وملئكته وجبريل وميكال وانما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير سؤال كانه قيل له كيف رايتها فقال رايتهم لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة اذ لا مانع منه حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لان السجود من شان العقلاء كقوله للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم احياء ناطقة فلا حاجة الى العذر عن ابوه رؤيا بان اخوته

سيجدون له وهم احد عشر وكذا ابواه وهما الشمس والقمر وقيل هما ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر
وتوفيت قبل ذلك وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا
كانت مركوزة في الارض كهيئة الدايرة التي حول القمر وهي الهالة واذا عصا صغيرة تثبت عليها حتى
اقلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة
سنة والشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوايل
وقيل كان بين رويا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون سنة قال علماء التعبير
ان الرويا الردية يظهر اثرها عن قريب كيلا يبقى المومن في الحزن والغم والرويا الجيدة يبطي تاثيرها ليكون
بهجة المومن ادوم وقوله فيكيدوا منصوب باضمار ان جوابا للنهي فيكون ابلغ في التخويف متعلق
بالمصدر الذي بعده ثم انه وصل بهذه النصيحة شيئا من تعبير روياه وكذلك اى ومثل اجتبائك لهذه
الرؤيا الشريفة يجتبيك ربك لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيته
الماء في الحوض جمعته وخصص الحسن الاجتباء بالنبوة قال في الكشاف ويعلمك كلام مبتدء داخل
في حكم التشبيه ليس بظاهر وتاويل الاحاديث وجوه منها انه تاويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم
سمى التعبير تاويلا كانه يؤول امره الى ما رايه في المنام او يؤول امر ما رايه في المنام الى ذلك والاحاديث
اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة لانها التي يتحدث بها الناس ومنها انه يتبين معاني كتب الله وسنن
الانبياء لان المفسر والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها
ان الحديث بمعنى الحادث والمراد بكيفية الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه واما اتمام النعمة
من فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية والاخروية من المال والجاه والعلوم
والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة لان التمام المطلق في حق
البشر ليس الا بالنبوة لان اتمام النعمة عليه مشتبه باتمامها على ابراهيم واسحق ومن العلوم ان
الامتياز بينهما وبين اقرانهما لم يكن الا بالنبوة وبفسر اتمام النعمة على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار
ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح فدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه
فيكون وجه التشبيه انجاءه من السجن والمحن كانجائهما من النار والذبح والمراد بال يعقوب
نسله قيل علم يعقوب ان يوسف واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب واعترض بما فرط
منهم في حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقيل تمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعيم الاخرة
وذلك انه جعلهم ملوكا وانبياء وابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك لان اب الجد في حكم
الاب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة
الا في نفس قدسية وجوهر مشرق قيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على جزمه بها
فكيف خاف على يوسف حتى قال واخاف ان ياكله الذيب والجواب لعل جزمه بذلك كان
مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف ان ياكله كيلا يتهاونوا في حفظه فان للوسايط
والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها لقد كان في يوسف اى في قصته وحديثهم
ايات للسائلين لمن يسئل عن تلك القصة وغيرها او ايات على نبوة محمد للذين سالوه من اليهود عنها
فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انه صح يجب ان يصبر على بغي قومه الى ان يظهر امره كما فعل يوسف
يروى ان اسامي اخوته يهودا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر ورنية وهولاء من ليا ابنة
خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل
فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ظرف لكان او منصوب باضمار اذكر ليوسف في اضمار لام
الابتداء تحقيق لمضمون الجملة واخوه اى لابيه وامه عنوا بنيامين احب اذ كان افعل التفصيل بمن لم
يتصرف فيه ونحن عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب في كفايتهم اى انه
يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن نكفي مهماته ونقوم بمصالحه
ان ابانا لفي ضلال مبين ارادوا ضلالا لا اخاصا وهو البعد عن طريق اصلاح المعاش وحسن العشرة مع

الاولاد

الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب وليس لله فيه تكليف ولعل يعقوب تفرس في يوسف
ما اوجب اختصاصه بمزيد البر ومن جملة اقوالهم انهم قالوا لما تشاوروا في امره اقتلوا يوسف قيل
الامر بالقتل شمعون او دان ورضي به الباقون فجعلوا جميعا امرين والظاهر انه قال ذلك بعضهم
بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم او اطرحوه ارضا وكان بعضهم اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح ومهما
صدر من بعض القوم صح اسناده اليهم واذ قتلتم نفسا منصوبا ارضا على الظرف كالظروف المبهمة
اى ارضا مجهولة بعيدة عن العمارة يخل لكم وجه ابيكم تخلص محبته سليمة عن التنازع فيها فكان ذكر الوجه
تصورا لاقباله عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه ذاته والمراد يفرغ من الشغل بيوسف وتكونوا
مجزوم لانه معطوف على جواب الامرين بعده قتله او طرحه او من بعد يوسف ان قتل او غرب قوما
صالحين تائبين الى الله او الى ابيه بعذر تمهدونه وبما جنيتم عليه او المراد صلاح دنياهم وانتظام امورهم
وتفرغهم لمهماتهم بعد يوسف بفراغ البال قال قائل منهم هو يهودا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي
قال فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل
والمقتول من الانبياء والقوه في غيابت الجب سمي البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شيئا سوى
القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب منها عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قرء على الجمع
فلان للجب اقطارا ونواحي يلتقطه بعض السيارة الرفقة السيارة قال ابن عباس المارة والالتقاط
تناول الشيء من الطريق ونحوه يستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين
ان لم يكن من فعل هذا الامر فهذا هو الراى ثم ان يعقوب كان خايفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر
امارات ذلك على صحائف افعاله واقواله فلذلك قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له
لناصحون ما وجد منا في بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق ارسله معنا غدا نرتع من قرء بالجزم
فمن الرتعة كالامنة وهي الخصب والسعة ومن قرء بالكسر على حذف الياء من رتعي مستعادا من ارتعاء
الابل والماشية واللعب ترك ما لا ينفع فمن قرء بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قرء
بالنون فكان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي لعبا لانه في صورته
او اللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر قال صلعم لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
قال اني ليحزنني اللام لام الابتداء للتاكيد ولتخصيص المضارع بالحال واخاف ان ياكله الذئب اصله
الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كان ارضهم مذأبة فلذلك
قال اخاف وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء في
امثالهم البلاء موكل بالنطق قوله انا اذا جواب القسم المقدر اذ سد مسد جواب الشرط خلق قوله بان لا يحرزوه
وخاطرهم رجالا اكفاء فهم اذ ذاك خاسرون عاجزون او مستحقون للدعاء عليهم بالخسار او الدمار
لم نقدر على حفظه بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما
ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من خطفة الذيب فلم يجيبوا عن الاول
لانه هو الذي كان يغيظهم فلم يعباؤا بذلك الكلام فخصوا الجواب بالثاني وههنا اضمار والتقدير فاذن
لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا على ان يجعلوه في غيابت الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل
بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب لما محذوفا
ففي الاية اضمار اخر كما تقدم في الوقوف قال السدي ان يوسف لما برز مع اخوته واظهروا له العداوة
واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلونه فجعل
يصيح يا ابتاه لم تعلم ما تصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهودا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما
ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها منه فتعلق بحايط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه
ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا له ادع الشمس والقمر
والاحد عشر كوكبا حتى يؤنسوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء تسقط فيه
ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه

بالحجارة ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وروي انه عم لما القي في الجب قال يا شاهد
غير غايب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وحكي ان ابراهيم عم حين
القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحق
الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجه والبسه اياه واوحينا
اليهم في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعد ما لك عن
اوهامهم ولطول العهد المنسي وللتغير الهيئات والاشكال يروى انهم حين دخلوا عليه ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون دعى بالصاع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ
من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيه
اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يراد وهم لا يشعرون انا انسناه بالوحي وازلنا الوحشة عن
قلبه فيتعلق الجملة بقوله واوحينا روي ان امرءة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تريها
تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة
المرضية عن مقاتل انهم جاؤا عشاء لئلا يظهر امارات الجهل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم
يعقوب فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا
انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو وفي الرمي وقيل ننتضل وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لشدة
محبتك ليوسف وفيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين من اهل الصدق والثقة
فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه لا على
الحال المتقدمة لان حال المجرور لا يتقدم عليه بدم كذب ذي كذب او دم هو الكذب بعينه مبالغة
يروى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها ويروى ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلا صوته
وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت
كاليوم ذئبا احلم من هذا ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات اية
ليعقوب على كذبهم واية حين القاه البشير على وجهه فارتد بصيرا واية على براءة يوسف حين قد
دبر وكما تبين ليعقوب بالايات المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال على سبيل الاضراب بل سولت قال
ابن عباس بل زينت لكم انفسكم امرا في شانه غير ما تصفون والتسويل تقرير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه
وهو تفعيل من السول الامنية قال الزهري واصله مهموز غير ان العرب استثقلوا فيه الهمزة وقال في الكشاف
سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير لدليل التعظيم فصبر جميل لا بد من تقدير مبتدأ
وخبر اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي الحديث انه لا شكوى فيه اي الى الخلق لقوله انما اشكو
بثي وحزني الى الله وقيل اي لا اعاشركم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت يحكى انه سقط حاجبا يعقوب
على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعم
اليه يا يعقوب تشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها ثم بين ان الصبر وصفوه من هلاك يوسف لا يمكن
الا بمعونة الله تعم فقال والله المستعان على ما تصفون فالقرينة ان كقوله اياك نعبد واياك نستعين
ويعلم من الاية ان الصبر كان لاجل الرضاء بقضاء الله تعم ولاستغراقه في شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال
بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بان هذا الصبر كان فيه اعانة الظالمين واهمال
تخليص للمظلوم من المحن والشدايد والرقية فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتفحص
ولو بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بانه سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة
عليه او لعله ان بالغ في البحث قدموا على قتله وعلم انه تعم يصون يوسف وسيعظم امره في الاخرة
فلم يرد هتك سترا ولاده والف بينهم في السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني فكان الا
صوب الصبر والسكون وتفويض الامر بالكلية الى الله تعم ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال
وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف

في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان
ماءه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن دعر الخزاعي ليطلب لهم الماء
ومعنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه ارسلها في البئر قال الواحدي فاذا نزعها فاخرجها
قيل دلوه لا يدلو قال يا بشرى التقدير فظهر يوسف فقال الوارد يا بشرى كانه ينادي البشرى ويقول تعالي
فهذا اوانك ومتى قال الوارد هذا الكلام قال جمع من المفسرين حين راى يوسف متعلقا بالحبل وقال
آخرون لما دنى من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به قال السدي كان للوارد صاحب يقال له بشرى فنادى
يا بشرى كما يقال يا زيد والاكثرون على انها بمعنى البشارة فقال ابو علي يحتمل ان يكون منادى مضموما مثل
يا رجل وان يكون منصوبا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا في جنس البشرى ومن قرء بالاضافة
فنصبه ظاهر والضمير في واسروه اما عايد الى الوارد واصحابه اي اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة
في الالتقاط او في الشرى ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم كتموا من الرفقة او قالوا ان اهل
الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عايد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس
انهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه
الاول اولى بدليل قوله بضاعة وهي نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واصل البضع القطع
والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله عليم بما يعملون فيه وعيد اما للوارد واصحابه اي باعوه
بثمن قليل لان الملتقط للشيء متهاون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده قال اهل اللغة
زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة والمعنى باعوه
او الى الرفقة اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فقلة رغبتهم في يوسف ظاهرة
والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك انهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن
الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلاثة ايام يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب وراوا
اثار السيارة طلبوهم فلما راوا يوسف قالوا هذا ابق منا فقالوا لهم بيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم
عرفوا انه ولد يعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك
اشتروه بالاخوة بثمن بخس اي منجوس ناقص عن القيمة او ناقص العيار وقال ابن عباس البخس ههنا الحرام لان
ثمن الحر حرام دراهم دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الا
وقية وهي الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين اخذ كل واحد
من الاخوة درهمين الا يهوذا فانه لم ياخذ شيئا ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه
لا يابق والظاهر ان الضمير في فيه عايد الى يوسف ويحتمل ان تعود الى الثمن البخس اي اخذوا في ثمنه
ما ليس يرغب فيه قال النحويون قوله ليس من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول
وزاهدين صلة وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو متعلق به فلا يقال الفلا وكانوا زيدا من الضاربين
مهوينا ان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه والله تعم اعلم **التاويل** تلك ايات الكتاب
دلالات كتاب المحبوب الى المحب الهداية الى طريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها اتم قصص
القران مناسبة ومشابهة باحوال الانسان اذ قال يوسف القلب لابيه يعقوب الروح اني رايت احد
عشر كوكبا هو الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة اي المذكرة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس
المشترك مع المفكرة ولكل من هذه اضاءة اي ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم
تولدوا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس رايتهم لي ساجدين وهذا
مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى يجتبيك ربك
على ساير المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تاويل الاحاديث العلم اللدني المختص بالقلب
ويتم نعمته عليك بان يتجلى لك ويستوي عليك اذ القلب عرش حقيقي للرب وعلى ال يعقوب اي متولدات
الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم السر واسحاق الخفي وهما يستحق القلب
لقبول فيض التجلي وهناك لله الطاف خفية لا يسع فيه الانسان فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل

ايات للسايلين عن طريق الوصل الى الله ليوسف واخوه بنيامين الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب
احب الى ابينا منا لان القلب عرش الروح ومحل استوايه عليه والمشترك بمثابة الكرسى للعرش اقتلوا يوسف
القلب بسكين الهوى وبسم الميل الى الدنيا او اطرحوه فى ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم بفتل الروح بوجهه
الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين لتنعم الحيوانى والنفسانى
قال قايل منهم هو يهوذا القوة المفكرة القوه فى غيابت الجب القالب وسفل البشرية يلتقطه بعض السيارة
الجواذب النفسانية فرتع فى مراتب البهيمة ونلعب فى ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا
وافاتها لئن اكله الذئب الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع اجزاء الانسان فى هلاك القلب
وربحها فى سلامة القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من خصوصية تعلق الروح بالقالب ان يتولد
منهما القلب العلوى والنفس السفلية وللحواس القوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعد وا
وان كانت للنفس شقى وجاؤا اباهم عشاء اى فى النصف الاخير من مدة العمر نستبق نتشاغل باللهو فى ايام الشباب
وتركنا يوسف القلب مهملا معطلا عن الاستكمال فاكله ذئب الشيطان وجاؤا على قميصه اى قالب القلب
بدم كذب هو اثار الملكات الردية زعموا انها قد سرت الى القلب وازالت نور الايمان عنه بالكلية
قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدره والله المستعان على ما تصفون
من رين القلب وموته وجاءت سيارة هى هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم من واردات
الحق فادلى دلوه جذبة من جذبات الرحمان قال يا بشرى فيه اشارة الى ان للجذبة بشارة فى تعلقها
بالقالب كما ان للقلب بشارة فى خلاصه من جب الطبيعه كما قال يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة
البشارتين وبما يعلمون من تراه بثمن بخس هو الحظوظ الفانية فى ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين
لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع العاجلة

وقال الذى اشتريه من مصر لامرءته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك
مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين
وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال
معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها
لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هى
راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين

فلما

فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا
واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة فى المدينة امرءة
العزيز تراود فتيها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنريها فى ضلال مبين فلما سمعت
بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ واتت كل واحدة منهن سكينا
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين
قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن
واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع
العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الايات ليسجننه حتى حين القراءة

هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازى
عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلوانى عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء البخارى عن هشام الباقون هيت لك
بفتحتين وسكون التاء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلى وخلف وهشام
وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم الاخرون بالضم للاتباع حاش لله وما بعده
فى الحالين بالالف ابو عمرو ارى السجن بفتح السين على انه مصدر يعقوب الباقون بالكسر الوقوف ولدا فى الارض
بناء على ان الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا وهى عطف على محذوف قبله اى ليتمكن الاحاديث لا يعلمون
وعلما المحسنين هيت لك مثواى الظالمون همت به قد قيل بناء على ان قوله وهم جواب لولا وليس بصحيح
لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو تحقيق ما هم به كذا قال السجاوندى واقول لو وقف
للفرق بين الهمين لم يبعد وهم بها برهان ربه والفحشاء المخلصين لدى الباب اليم عن نفسى لم تذكر الايمة
عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد على راودتنى وعلى جملة هى راودتنى من اهلها
على تقدير وقال ان كان الكاذبين الصادقين من كيدكن عظيم عن هذا للعدول عن مخاطب الى مخاطب
لذنبك لاحتمال التعليل الخاطئين عن نفسه لان قد لتحسن الابتداء مع اتحاد القايل حبا مبين عليهن
بشرا كريم فيه فاستعصم لاحتمال القسم الصاغرين اليه للشرط مع الواو الجاهلين كيدهن العليم حين
التفسير قد ثبت فى الاخبار ان الذين اشتراه اما من الاخوة او من الواردين ذهبوا الى مصر وباعوه فاشتراه
العزيز واسمه قطفير او اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان على الخزاين مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد
رجل من العماليق وقد امن بيوسف ومات فى حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف
روى ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام فى منزله ثلث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد
ثم اتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك
فى ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة دليله قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون

موسى من اولاد فرعون والمعنى ولقد جاء اباءكم وقيل اشتريه العزيز بعشرين دينارا وزوجى نعل
وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا
وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعنى اكرمى مثواه اجعلى مقامه ومنزله عندنا كريما اى حسنا
مرضيا وفى هذه العبارة على انه عظم شان يوسف كما يقال سلام على المجلس العالى وقال فى الكشاف المراد
تعهديه بحسن الملكة حتى يكون نفسه طيبة فى صحبتنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل
به من انسان رجلا وامرءة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام فى لامرءته يتعلق بقال
ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا بكفاية بعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له
ولد وكان حصورا وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامرءته اكرمى مثواه افترس
فى يوسف ما تفرس والمرءة التى موسى وقالت لابيها استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروى انه
سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه ثم قال وكذلك اى كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف
قلب العزيز مكناله فى ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهى ولنعلمه قدم فى الوقوف بيان متعلقه
وفى اوايل السورة معنى تأويل الاحاديث والمراد من الاية حكاية اعلاء شان يوسف فى الكمالات
الحقيقية واصولها القدرة واشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب ان ابتداء ذلك كان حين القى فى الجب
كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان يرتقى فى ذلك الى ان بلغ حد الكمال وصارت مستعد
للدعوة الى الدين الحق وللارتفاع الى الخلق والله غالب على امره اى على امر نفسه لا منازع له ولا مدافع
او على امر يوسف لم يكله الى غيره يبخ كيد اخوته فيه فلم يكن الا ما اراد الله ودبر ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال ولما بلغ اشده قيل فى الاشد ثمانى
عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون الى ثنتين وستين اتيناه حكما وعلما فالحكم الحكمة العملية
والعلم الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون الى الحكمة العملية
ثم الى العلم اللدنى بخلاف اصحاب الافكار والانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلايا
والمحن ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبى حاكم على الخلق والعلم علم الدين وقيل
الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة وقاهرة لها فحينئذ يفيض الانوار القدسية
والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس والتحقيق فى هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة
انما تتيسر بواسطة استعمال الالات الجسدانية وفى اوان الصغر تكون الرطوبات مستولية عليها فتضعف
تلك الالات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت
واعتدلت فصارت تلك الالات صالحة ان لا تستعملها النفس الانسانية فى تحصيل المعارف
واكتساب الحقايق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الالات البدنية وقوله اتيناه حكما وعلما
اشارة الى استكمال النفس الناطقة ووقوع لمعان الاضواء القدسية فيها قال فى الكشاف وكذلك
نجزى المحسنين فيه تنبيه على انه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم
جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله ورحمته ولكن
للوسايط والمعدات مدخل عظيم فى كل ما يصل الى الانسان من الفيوض والاثار والانوار السابقة
تصير سببا للاضواء اللاحقة وهلم جرا على الحسن من احسن عبادة ربه فى شبيبته اتاه الله الحكم فى اكتهاله
ثم ان يوسف كان فى غاية الحسن والجمال فلما شب طمع فيه امرءة العزيز وذلك قوله وراودته
والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى الخداع اى فعلت ما يفعل المخادع
بصاحبه حتى نزلت عن الشئ الذى يريد ان يخرج من يده وقد يخص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان
جاريته عن نفسها وراودته هى نفسه اذا حاول كل منهما الوطى والجماع وانما قال التى هو فى بيتها
ولم يقل زليخا قصدا الى زيادة التقرير مع استهجان اسم المرءة وغلقت الابواب لا ريب ان التشديد
يدل على التكثير لان غلق متعد كفقته وهو فتح والمفسرون ذكروا ان الابواب كانت سبعة وقالت
هيت لك هذه اللغة فى جميع القراءات اسم فعل بمعنى هلم الا عند من قرء هيت لك بهاء مكسورة

بعدها

بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك يقال هاء يهئ مثل جاء يجئ بمعنى تهيأ قال
النحويون هيت جاء بالحركات الثلاث فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا
بين باللام نحو هيت لك فهو صوت قايم مقام المصدر كان له اى لك اقول هذا فاذا لم يبين باللام فهو
صوت قايم مقام مصدر او قايم مقام الفعل فيكون اسم فعل ومعناه اما خبر اى تهيأت واما امر اى اقبل
وقد روى الواحدى باسناده عن ابى زيد قال هيت لك بالعبرانية هيتالخ اى تعال عربه القرآن
وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانبارى هذا وفاق بين لغة قريش
واهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم فى القسطاس ولغة العرب والفرس فى السجيل ولغة العرب
والترك فى الغساق ولغة العرب والحبشة فى ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف
بثلاثة اجوبة الاول قال معاذ الله وهو من المصادر التى لا يجوز اظهار فعلها اى اعوذ بالله معاذا وفيه
اشارة الى ان حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل الثانى انه والضمير للشان ربى اى سيدى ومالكى بزعمهم
والا ان يوسف كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع والمراد التربية اى الذى رباني احسن مثواى
حين قال اكرمى مثواه وفى هذا اشارة الى ان حق الخلق ايضا يمنع عن ذلك العمل وقيل اراد بقوله ربى الله تعالى
لانه مسبب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسئ او اراد الذين
يزنون لانهم ظلموا انفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلى فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة
قليلة يتبعها خزى فى الدنيا وعذاب الآخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها فما احسن نسق هذه الاجوبة قوله
سبحانه ولقد همت به وهم بها لا شك ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن العلماء اختلفوا فقال جم غفير
من المفسرين الظاهريين ان تلك اللغة بلغت حد المخالطة فقال ابو جعفر الباقر باسناده عن على بن ابى طالب رضى
انما طمعت فيه وان طمع فيها حتى هم ان يحل التكة وعن ابن عباس انه حل الهميان الى السربال وجلس منها
مجلس المجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعد هو بين شعبها الاربع وروى ان يوسف حين قال
ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ
نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال الآخرون ان الهمة ما كانت الا ميلة النفس ولم يخرج شئ منها من القوة
الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعيه العقل والحكمة متجاذبتين اما الاولون فقد فسروا
برهان ربه بان المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت فى زاوية من زوايا البيت فسترته بالثوب
فقال يوسف ولم ذلك فقالت استحى من الهى هذا ان يرانى على المعصية فقال يوسف تستحين من صنم لا يسمع
ولا يعقل ولا استحى من الهى الذى هو القايم على كل نفس بما كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن
عباس انه مثل له يعقوب عاضا فاه على اصابعه قايلا اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب فى زمرة الانبياء
والى هذا ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير
تمثل له يعقوب فضرب فى صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطاير كان له ريش
فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبرئيل ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة
فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل راى تمثال
العزيز واما الآخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلايل على المطلوب
الواحد غير بعيد وكذا ترادف الزواجر فهو وان كان ممتنعا عن ذلك العمل بحسب النظر فى برهان الله
على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس القدسية المطهرة بالنبوة لكنه
انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو ان اوقع الزناة
واشطرهم لقى بما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبى الى جميع هذه
الزواجر والمؤكدات حتى ينتهى على امضاء العزيمة قالوا والهم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بالمعانى
فانتم تضمرون قدهم بمخالطة ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد يستشهد

انه كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو تشغل بان يدفعها امكن ان يمزق قميصه من قبل
وكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولى هاربا عنها وفي قوله وهم بها فائدة اخرى هي ان ترك المخالطة
ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعته عن ذلك وكيف
يظن بيوسف معصية وانه قد ادعى البراءة بقوله هي راودتني عن نفسي وبقوله رب السجن احب الى
مما يدعونني اليه والمرءة اعترفت بذلك حين قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت
الان حصحص الحق وزوج المرءة صدقه فقال انه من كيدكن وشهد له شاهد من اهلها كما يجيء وشهد له الله تعم
فقال كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنى
او السوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا
والاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن زاد في التاكيد فوصفه بالمخلصين اي هو من جملة
من اتصف في طاعاته بصفة الاخلاص ومن جملة من اخلصه الله بناء على قراءتي فتح اللام وكسرها
ويحتمل ان يكون من الابتداء لا للتبعيض اي هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم فكل هذه الدلائل تدل
على عصمة يوسف عم وانه بريء من الذنب ولو كان قد وجد منه زلة لنعت عنه وذكرت توبته
واستغفاره كما في ادم وذي النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله اعلم بحقائق الامور فقوله
واستبقا الباب اي تسابقا اليه على حذف الجار وايصال الفعل مثل واختار موسى قومه او على تضمين
استبقا معنى ابتدرا وانما وحد الباب لانه اراد البراني لا جميع الابواب التي غلقتها وروى كعب لما
هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته
من خلفه فانقد اي انشق طولا والفيا سيدها صادفا بعلها وهو قطفير وانما لم يقل سيدهما لان ملك
يوسف لم يكن ملكا في الحقيقة روي انهما الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم المرءة ثم انه
كان لسائل ان يسئل فما قالت المرءة اذ ذاك فقيل قالت ما جزاء هي استفهامية او نافية معناه اي شيء جزاؤه
او ليس جزاؤه الا السجن والعذاب وربما فسر العذاب الاليم بالضرب بالسياط جمعت بين غرضين تبرية
ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خوفا اذ لم يواتها طوعا
ثم انها لحبها يوسف راعى دقائق المحبة فذكر السجن اولا ثم العذاب لان المحب لا يريد ايلام المحبوب ما امكن وايضا
لم يصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوابل قصدت العموم ليندرج يوسف فيه وفي قولها الا ان يسجن اشعار
بان ذلك السجن غير دائم بخلاف قول فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين ففيه اشعار بالتابيد وقال
يوسف هي راودتني عن نفسي وانما صرح بذلك لانها عرضته للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه
ولولا ذلك لكتم عليها ثم قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال جمع من المفسرين الشاهد ابن عم المرءة
وكان رجلا حكيما اتفق في ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق
القميص الا انا لا ندري ايكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب
وان كان من خلف فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص وراوا الشق من خلفه قال
انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ان الشاهد هو ابن خال لها وكان صبيا
في المهد وقد روي عن النبي صـ انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى بن مريم وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلفه وضعف بان القميص لا يوصف
بالشهادة ولا بكونه من الاهل واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة
يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المرءة وهي قد غضبت عليه فقدت خلفه كان تدركه وتضربه ضربا
وجيعا واجيب بان هناك امارات اخر منها ان يوسف كان عبدا لها والعبد لا يمكنه ان يتسلط على مولاه
الى هذا الحد ومنها قرينة الحال لكون المرءة فوق العباد وما شوهد من احوال يوسف في مدة اقامته في منزلهم
واعترض على القول الثاني بان شهادة الصبي من خوارق العادة فيكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال
بحال القميص ولا لكونه من اهلها فائدة وايضا لفظ الشاهد لا يقع في العرف الا على من تقدم له معرفة بالواقعة
والجواب ان تعيين الطريق في الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب للحجة عليها والزم لها

والشاهد

والشاهد ههنا مجاز ووجه حسنه انه ادى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول وبطل قولها قال في الكشاف التنكير
في قبل ودبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر اما الضمير في قوله فلما راى وفي قوله قال انه من كيدكن
فقيل انه للشاهد الذي هو ابن عمها كما ذكرنا ان قولك وهو ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان هذا الامر وهو
الذي اقتضى لهذه الرتبة من عملكن ان كيدكن عظيم قال بعض العلماء انا اخاف النساء اكثر مما اخاف الشيطان
لان الله تعم يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم واقول لا شك ان القران كلام الله
الا ان هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف
بالنسبة الى تاييد الله تعم امضائه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن يغلبنهم ويسلبن
عقولهم اذا عرضن انفسهن عليهم ولهذا قال صـ النساء حبائل الشيطان ثم قال الشاهد يوسف اي يا يوسف
فحذف حرف النداء اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري يا امرءة لذنبك والاستغفار اما
من الزوج او من الله لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الاصنام شفعاء ولهذا قال يوسف لصاحبي
في السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال
خطىء اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقيل الضمير في راى وقال في الزوج المرءة وانه كان قليل
الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار قاله ابو بكر الاصم وقال نسوة هي اسم مفرد لجمع المرءة وتانيثه غير حقيقي
ولذلك حسن حذف التاء من فعله وقد يضم نونها قال الكلبي هي اربع في مدينة مصر امرءة الساقي
وامرءة الخباز وامرءة صاحب الدواب وامرءة صاحب السجن وزاد مقاتل امرءة الحاجب والفتى الغلام الشاب
والفتاة الجارية قد شغفها اي خرق حبه شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب ويقال جلدة رقيقة يقال لها
لسان القلب وحبا نصب على التمييز وحقيقة شغفه اصاب شغافه كما يقال كبده اذا اصاب كبده وكذا قلبه
ساير الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اي احرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وقال
ابن الانباري هذا من الشعف وهو رؤس الجبال اي ارتفع حبه الى اعلى المواضع من قلبه والضلال المبين
الخطاء عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن ارسلت باغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما حسن التعبير عن الاغتياب
بالمكر لاشتراكهما في الاخفاء وقيل ارادوا بذلك ان يتوسلوا الى رؤية يوسف فلهذا سمي مكرا وقيل التمس
منهن كتمان سره فافشته فهو مكر ارسلت اليهن تدعوهن وقيل كن اربعين واعتدت اي اعدت وهيأت
لهن متكأ موضع اتكاء واصله موتكأ لانه من توكات بدلت الواو تاء ثم ادغمت والمراد هيأت لهن
نمارق متكئن عليها كعادة المترفات وقصدت بذلك تهويل يوسف من مكرها اذا خرج على اربعة
نسوة مجتمعات في ايديهن السكاكين توهمهم انهن يثبن عليه وقيل المتكأ مجلس الطعام لانهم كانوا
يتكؤن للطعام والشراب والحديث على هيئة المتنعمات ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا واتتهن
السكاكين كيف يلعبن بها ما ياكلن وقيل اراد بالمتكأ الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عنده
اتخذت له متكأ وقال مجاهد هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالة
القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو الاترج فلما رأينه اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الجمال
وكان احسن خلق الله الا ان شيئا كان الملح فكان يشبه ادم يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه
ويروى تلألؤ وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبي صـ مررت بيوسف الليلة
التي عرج بي الى السماء فقلت لجبرئيل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر
وقال الازهري اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرءة اي دخلت في الكبر بالحيض ووجه
حيضهن حينئذ بالمرءة اذا فزعت سقطت ولدها فاضت فالمراد حضن ودهشن وقيل اكبرنه لما راين
نور النبوة وسيماء الرسالة واثار الخضوع والاخبات والانقلاب والفاضلة الملكية من الالتفات الى
المطعوم والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن وقطعن ايديهن اي جرحنها بانه لم يعرفن الفا
من اليد او لم يفرقن بين الجانب الحاد من السكين وبين مقابلة فوقع الطرف الحاد في كفهن وحصل
الاعتماد على ذلك الطرف فخرج الكف وهذا القول شديد الملائمة لقولهن حاش لله اي تنزيه
عما يشينهن من خصلة ذميمة ان هذا الا ملك كريم في السيرة والعفة والطهارة اما قول ذلك في

الذي لمتنني فيه فانما ينطبق على هذا التاويل من جثا الصورة الحسنة مع العفة الكاملة توجب حصول
اليأس من الوصال وحصول الغرض المجازي وذلك تشبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين
الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كما ان قولهن حاش لله
ما علمنا عليه تعجب من قدرته على خلق عفيف مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب
الاستثناء واللام في لله لبيان من يبرأ وينزه وهي حرف من حروف الجر وضع موضع التنزيه والبراءة وقال
ابو البقاء الجمهور على انه ههنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر ومن حذف الالف من اخره فللتخفيف
وكثرة دوره على الالسن تقديره حاشى يوسف اي بعد عن المعصية بخشية الله وصار في حاشية اي ناحية
ما هذا بشرا اعمال عمل ليس لغة حجازية ان هذا الا ملك كريم استدل بعضهم بالاية على فضلية
الملك كما مر في اول سورة البقرة قالوا وانما قلن ذلك لما ذكر في العقول ان لا احسن من صورة الملك كما
ركز فيه ان لا اقبح من صورة الشيطان واعترض عليه بانه لا مشابهة بين صورة الانسان وصورة الملك
واجيب بعد التسليم بتغيير المدعى وهو ان ههنا اراد المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب
وزيف بان قول النساء لا يصلح للحجة وفي الاية دلالة على انهن باللوم احق لا نسلم من نطق واحدة
مالم يلحقها في مدة طويلة والتطارد كثيرة قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ستلهمن ههنا ان يوسف كان حاضرا
فلم اشارت بعبارة البعد واجاب ابن الانباري بانها اشارت اليه بعد انصرافه من المجلس وهذا شيء يتعلق
بالنقل واما علماء البيان فانهم بنوا الامر على ان يوسف كان حاضرا واجابوا بانها لم تقل فهذا رفعا للمنزلة في الحسن
واستحقاق ان يحب ويفتتن به واستبعاد المحكمة وهو اشارة الى المعنى بقولهن في المدينة عشقت عبدها
الكنعاني كانها قالت هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في نفسكن ثم لمتنني فيه يعني انكن لم تصورن
قبل ذلك حق التصور ولا في الافتنان به واظهرت عذرها عند النسوة صرحت بحقيقة الحال فقالت
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم قال السدي اي بعد حل السراويل والذين يثبتون عصمة الانبياء
قالوا ان استعصم بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحرز الشديد كانه في عصمة وهو مجتهد
في الاستزادة منها وفيه شهادة من البراءة على ان يوسف ما صدر عنه امر بخلاف الشرع والعقل صلا
ولئن لم يفعل ما امره قال في الكشاف معناه الذي امر به فحذف الجار كما في امرتك الخير او ما مصدرية
والضمير ليوسف اي امري اياه اي موجب امري ومقتضاه . وليكونا من الصاغرين بنون التاكيد المخففة
ولهذا تكتب بالالف لان الوقف عليها بالالف والصغار الذل والهوان ومعلوم ان التوعد بالصغار
له تاثير عظيم في حق من كان رفيع النفس جليل القدر مثل يوسف ثم انه اجتمع على يوسف في هذه الحالة انواع
من المحن والفتن منها ان زليخا كانت في غاية الحسن ومنها انها كانت ذا مال وثروة وقد عزمت ان تبذل
الكل ليوسف على تقدير ان يساعدها ومنها ان النسوة اجتمعن عليه من غبات ومخوفات ومنها انها
كانت ذا قدرة ومكنة وكان خايفا من شرها ومن قدحها على قلبه ولا ريب ان نطاق عصمة البشرية
تضيق عن بعض هذه الاسباب فضلا عن كلها ومن يزيد منها ولهذا التجأ يوسف عم الى الله سبحانه قايلا
رب السجن احب الي مما يدعونني اليه لان السجن وان كان مشقة فهي زايلة والذي يدعون اليه وان كان
لذة الا انها عاجلة مستعقبة لخزي الدنيا وعذاب الاخرة والا تصرف عني كيدهن ترجيح داعية
الخير وعزوف النفس وبمزيد الالطاف والعصمة اصب اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان
النفوس تصبوا الى روحها واكن من الجاهلين الذين لا يعلمون بما يعلمون فلا يكون في علمهم فايدة او من السفها
لان الحليم لا يفعل القبيح ولما كان في قوله والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه فاستجاب له
ربه ثم ان المرأة اخذت في الاحتيال وقالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس ويقول
لهم في المجالس اني راودته عن نفسي وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تاذن لي فاخرج واعتذر
واما ان تحبسه كما حبستني فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى تسمع الناس هذا الحد
فذلك قوله تعم ثم بدا اي ظهر لهم للعزيز ومن يليه اوله وحده والجمع على عادتهم في تعظيم الاشراف
من بعد ما راوا الايات الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي واعتراف المرأة وشهادة النسوة

بالسيرة الملكية والعفة وفاعل بدا مضمر اي ظهر لهم راي وسجنه وانما حذف لدلالة ما يفسره عليه وهو
ليسجننه والقسم محذوف حتى حين الى زمان ممتد عن ابن عباس اي الى زمان انقطاع القالة وما شاع
في المدينة وعن الحسن خمس سنين وعن غيره سبع سنين وعن مقاتل انه حبس اثنتي عشرة سنة التأويل
لما اخرجوا يوسف القلب بن جب الطبيعة ذهبوا به الى مصر الشريعة فاشتراه عزيز مصرها وهو الدليل المربي
على جادة الطريقة ليوصله الى عالم الحقيقة فقال لامرأته وهي الدنيا اكرمي مثواه اخدميه بقدر الحاجة
الضرورية عسى ان ينفعنا حين يكون صاحب الشريعة فيتصرف في الدنيا باكليل النبوة فقصر الشريعة حقيقة
في الدنيا اخرة او نتخذه ولدا لبلبان الشريعة والطريقة الى ان يرى الفطام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا
يشير الى ان تمكين يوسف القلب في ارض البشرية انما هو لتعلم العلم اللدني لان الثمرة انما تظهر على الشجرة
واثمارها في الارض والله غالب على امر القلب في توجهه الى محبة الله وطلبه او على امره الغالب بجذبات
العناية واقامته على الصراط المستقيم فيكون تصرفاته بالله ولله وفي الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم خلقوا مستعدين لهذا الكمال وكذلك نجزي المحسنين اي كما افضلنا على القلب ما هو مستحقه
من الحكمة والعلم وكذلك نجزي الاعضاء الرئيسة والجوارح اذا احسنوا الاعمال والاخلاق على قاعدة
الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ الى مقام الحقيقة وراودته فيه اشارة الى ان يوسف القلب
وان استغرق في بحر صفات الالوهية لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو في بيتها اي في الجسد
الدنياوي وغلقت ابواب اركان الشريعة وقالت هيت لك اقبل الي واعرض عن الحق قال اي الفاني عن نفسه
الباقي ببقاء ربه معاذ الله عما سواه احسن مثواي في عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون
على الدنيا ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية لولا ان راى برهان ربه وهو نور خصلة
القناعة التي هي من نتايج نظر العناية لنصرف عنه السوء الحرص على الدنيا والفحشاء تصرف حب الدنيا فيه
انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازي ووصلوا الى الوجود الحقيقي واستبقا
باب الموت الاختياري وقدت قميص بشريته من دبر بيد شهواتها قبل خروجه من الباب والفيا سيدها
وهو صاحب ولاية تربية يوسف القلب وزوج زليخا الدنيا لانه يتصرف في الدنيا كما ينبغي تصرف
الرجل في المرأة وشهد شاهد من اهلها هو حاكم العقل العزيزي دون العقل المجرد الذي ليس من الدنيا
واهلها في شيء يبين حاكم العقل ان يد تصرف زليخا الدنيا لا تصل الى يوسف القلب الا بواسطة قميص
بشريته انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وهو قطع طريق الوصول الى الله العظيم على القلب السليم يوسف اعرض عن هذا
فان ذكر الدنيا يورث محبتها وحب الدنيا راس كل خطيئة وقال نسوة هذه الصفات البشرية من البهيمية
والسبعية والشيطانية تراود فتاها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شيء يا دنيا اخدمي من خدمني
واعتدت لهن متكأ اطعمة مناسبة لكل منها واتت كل واحدة منهن سكينا هو سكين الذكر وقالت
اخرج عليهن اشارة الى غلبات احوال القلب على الصفات البشرية وقطعن ايديهن بالذكر عما سوى الله
ثم بدا لهم اي ظهر لي القلب بلبان الشريعة وهو شيخ الطريقة ومن يراعي صلاح حال القلب من بعد
ما راوا اثار عناية الله وعصمة القلب من الالتفات الى ما سواه ليسجننه في سجن الشرع الى حين
قطع تعلقه عن الجسد بالموت نظيره واعبد ربك حتى ياتيك اليقين واذا كان النبي مع نهاية كماله
مامورا بان يكون مسجونا في هذا السجن فكيف بمن دونه

ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني
اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نريك
من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله

قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباءى ابراهيم واسحاق
ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى
الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبى السجن ءارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا
الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبى السجن اما
احدكما فيسقى ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه
قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقال للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى
عند ربك فانسيه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين
وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا
تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف
ايها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع
سنين دابا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتى
من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به
فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن
ان ربى بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن

حاش

حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرءة العزيز الان حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وان الله
لا يهدى كيد الخائنين وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى
الغفور رحيم **القراءة** انى ارانى اعصر فى الحرفين ابو جعفر ونافع وابو عمرو وافق ابن كثير فى ارانى كليهما
الباقون بسكون ياء المتكلم فى الكل نبئنا بغير همز واوفيه والاعشى وحمزة فى الوقف نرم قانه مختلسة الحلوانى عن قالون
ياتيكما مثل انبئنا ربى انى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو واباءى بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن
عامر انى ارى بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو ورؤياى بالامالة على غير قتيبة ابو عمرو وبالامالة اللطيفة والقول
فى ترك الهمزة مثل ما تقدم للرؤيا بامالة على وابو عمرو وبالامالة اللطيفة لعلى ارجع بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير
غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وابو عمرو ودابا بفتح الهمزة حفص الاخرون بالسكون يعصرون بتاء الخطاب حمزة وعلى
وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ما بال النسوة بضم النون الشمونى والبرجمى نفسى رحم ربى بالفتح فيهما ابو جعفر
ونافع وابو عمرو **الوقوف** فتيان حمزه فصلا بين القصتين مع اتفاق الجملتين الطير منه للعدول عن قول الاخر
منهما الى قولهما المضمر فقالا نبئنا بتاويله لاحتمال التعليل المحسنين ان ياتيكما ربى كافرون ويعقوب من شىء لا يشكرون
القهار من سلطان الا اياه لا يعلمون خمرا فصلا بين الجوابين مع اتفاق الجملتين من رأسه لان قوله قضى جواب
قولهما كذبنا وما راينا رؤيا تستفتيان لاستيناف حكاية اخرى عند ربك سنين يابسات تعبرون احلام للنفى
مع العطف بعالمين فارسلون يابسات لتعلق لعلى يعلمون دابا للشرط مع الفاء تاكلون تحصنون يعصرون
ائتونى به ايديهن عليم عن نفسه من سوء الحق لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد القائل الصادقين الخائنين
الجزء الثالث عشر نفسى للحذف عن السوء ربى رحيم **التفسير** تقدير الكلام فحبسوه ودخل معه اى مصاحباله
فى الدخول السجن فتيان غلامان للملك الاكبر خبازه وشرابيه تقلا عن يمنه التفسير او استدلالا برؤياهما المناسبة
لحرفتهما رفع الى الملك انهما ارادا سمه فى الطعام او الشراب فامر بادخالهما السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما
انى ارانى فى المنام لقولهما نبئنا بتاويله وهو حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا تسمية للشىء باسم ما يؤل اليه
وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب والضمير فى قوله بتاويله يعود الى ما قصى عليه وقد توضع الضمير موضع اسم الاشارة
كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نريك من المحسنين عبارة الرؤيا وكان اهل السجن يعضون ويوسع عليهم ويراعى
مكارم الاخلاق معهم او من المحسنين فى طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغمة بتاويل ما رأيناه ان كانت
لك يد فى تاويل الرؤيا وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا
توجروا فقالوا ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت يا فتى فقال انا يوسف صفى الله يعقوب بن ذبيح الله
اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك فكن فى اى بيوت
السجن شئت وعن الشعبى ومجاهد انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى ارانى فى بستان فاذا باصل كرم عليه ثلاثة
عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى رانى وفوق راسى ثلاث سلال
فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير ينهشن منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الخ هذا ليس بجواب لهما
ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه **منها** ان احد التعبيرين لما كان هو الصلب وكان فى استماعه كراهة
ونفرة اراد ان يقدم قبل ذلك ما يؤثر بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة واراد ان يبين
علو مرتبته فى العلم وانه ليس من المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين ولهذا قال السدى اراد ان لا ياتيكما
طعام ترزقانه فى النوم بين بذلك ان علمه بتاويل الرؤيا ليس مقصورا على شىء دون غيره وقيل انه
محمول على اليقظة وانه ادعى معرفة الغيب كقول عيسى عم وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون اى
اخبركما قبل ان ياتيكما اى طعام هو واى لون وكيف يكون عاقبته اهو ضار ام نافع وان فيه سما ام
لا فقد روى ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فارسله اليه ثم قال ذلكما اى

هذا التاويل والاخبار بالمغيبات من قبل الوحي والالهام لا من التكهن والتنجم الذي يكثر فيهما وقوع الخطا
ثم بين سيرته وثلثه مشيرا فيه الى انه رسول من عند الله ومنها على ان الاشتغال بمصالح الدين اهم من الاشتغال
بمصالح الدنيا حتى ان الرجل سيصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال اني تركت اي رفضت بل لم اتبع
قط ويجوز ان يكون قبل ذلك غير مظهر التوحيد خوفا منهم كانه كان يحابيهم وانما كرر لفظة هم تنبيها على
انهم مخصوصون في ذلك الزمان بانكار المعاد وتعريضا بان ابداعه السجن بعد معاينة الايات الشاهدات
على براءته لا يصدر الا ممن ينكر الجزاء اشد الانكار والمراد باتباع ملة ابائه الاتباع في الاصول التي لا تتبدل بتبدل
الشرائع ومعنى التنكير في قوله من شيء الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم
ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعمة الايمان او نعمة اعطاء القدرة والالات
على الايمان فلا ينظرون في الدلايل وهذا يناسب اصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا نشكر الله على الايمان بل الله
يشكرنا عليه كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا يا صاحبي السجن ءارباب يا صاحبي في السجن كقوله يا سارق
الليلة خصهما بهذا النداء لانهما دخلا السجن معه او ارادا يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار فسبب التعيين انهما
استفتياه من بين الساكنين ثم انكر عليهم عبادة الاصنام فقال ءارباب متفرقون في العدد وفي الجثة وفيما
يتبعها من اختلاف الاعراض والاغراض خير ان فرض فيهم خير ام الله الواحد القهار لان وحدة المعبود تستدعي
توحيد المطلب وتفريد المقصد وكونه قهارا غالبا غير مغلوب من وجه يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب
وصلاح اذا تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح للمعبودية الا هو ولا يصلح حقيقة الالهية في غيره فلذلك قال
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها اي سميتم الالهية بتلك الاسماء انتم واباؤكم والخطاب لهما ولمن على
دينهما من اهل مصر فكانهم لا يعبدون الا اسماء فارغة عن المسميات ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان اي حجة
فتنزل ثم لما نفى معبودية الغير بين ان لا حكم في امر الدين والعبادة الا له ان الحكم الا لله ثم ذكر ما حكم به فقال
امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت بالبراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مبدأ المبادي
والمعاد الحقيقي فيجعلون غيره معبودا ويجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال فعلا وتاثيرا
ثم شرع في اجابة مقترحهما وهو تاويل رؤياهما فقال اما احدكما يعني الشرابي فيسقي سيده خمرا يروى انه قال له
ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي
في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال الثاني ما رايت من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتصلب
فتاكل الطير من راسك قوله قضي الامر قال في الكشاف انما وحد الامر وهما امران مختلفان لانهما استفتيا
فيهما لان المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا لاجله فكانهما استفتياه في الامر الذي نزل بهما
اعاقبته نجاة ام هلاك استدلالا برؤياهما فلما علم الخباز تاويل رؤياه شرا انكر كونه صاحب
تلك الرؤيا فقال يوسف ان الذي حكمت به لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا قالت الحكما ينبغي
ان لا يتصرف في الرؤيا ولا يعبر عن وجهها فان الفال على ما جرى وقال يوسف للذي ظن انه
ناج منهما اذكرني عند ربك اي اذكرني عند الملك اني مظلوم من جهة اخوتي اخرجوني
وباعوني ثم اني مظلوم من جهة النسوة اللاتي حبسني والضمير في ظن ان كان للرجل الناجي فلا
اشكال لانهما ما كانا مومنين بنبوة يوسف بل كانا حسني الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد في حقهما الا
الظن وان عاد الى يوسف فيرد عليه ان كان قاطعا بنجاته فما معنى قوله ذكر ذلك واجيب بانه انما ذكر
ذلك التعبير بناء على الاصول المقررة في ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية والا انه قضي بذلك على سبيل
البت والقطع لقوله لا ياتيكما طعام الى قوله ذلكما مما علمني ربي فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم اما الضمير في قوله فانساه الشيطان فمن الناس من قال انه يعود الى الرجل الناجي
اي انسيه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الى الرب للملابسة لا لاجل
انه فاعلا ومفعولا والمضاف محذوف تقديره فانساه ذكر اخبار ربه واسناد
الانساء الى الشيطان مجاز لان الانساء عبارة عن ازالة العلم
عن القلب والشيطان لا قدرة له على ذلك والازالة المعروفة الله من قلوب بني ادم

وانما فعله

وانما فعله القاء الوسوسة واخطار الهواجس التي هي من اسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب
هو الله سبحانه تعالى اي الشيطان انسى يوسف ان يذكر الله وعلى القولين عوتب باللبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين
الثلث الى العشرة لانها القطعة من العدد والبضع القطع ومثله الغضب والاكثرون على ان المراد في الاية سبع سنين عن
ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وعند اقترب خروجه فلما تضرع الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين عن النبي صلى الله عليه
وسلم يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك انه لما قال له اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف
اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء انساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة بغير
الله في دفع الظلم جايز وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن
ابي وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى من انصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق
والحرق الا ان يوسف عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها لم يقتد بالخليل جده حين وضع في المنجنيق فلقيه جبريل
في الهواء وقال هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا ومنها انه زعم انه اتبع ملة ابائه ومنها انه قال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا
يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية فقوله اذكرني كالمناقض لهذا الكلام ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله انه زعم
ان الرب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم ومنها
انه لم يقرن بكلامه انشاء الله ولما دنا فرج يوسف اراه الله في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف على القوي منذر بنوع من
انواع الشر الا انه لم يعرف تفصيله والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة ولا سيما اذا كان
صاحبه ذا قدرة وتمكين فبهذا الطريق امر الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ثم انه تعالى
اذا اراد امرا هيأ اسبابه فاعجز الله اولئك الملأ عن جواب المسئلة وعماه عليهم حتى قالوا انها اضغاث احلام ونفوا
عن انفسهم كونهم عالمين بتاويلها واعلم انه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة
اللوح المحفوظ الا ان المانع لها عن ذلك في اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وما يرد عليها من طريق الحواس وفي وقت
النوم تقل تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة فاذا وقفت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت في
الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التاويل وان نزلت اثارا مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال فهناك
يفتقر الى المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقايق الروحانيات ومنها
ما تكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها لتشويش وقع في ترتيبها وتاليفها فهي المسماة بالاضغاث وبالجملة
الاضغاث ما يكون مبدأها تشويش القوة المتخيلة لفساد وقع في القوى البدنية اذ لو ورد امر غريب عليه من خارج لكن
القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها اعيت المعبرين عن تاويلها ولتشتغل بتفسير الالفاظ واما الملك فريان بن
الوليد ملك مصر وقوله اني ارى حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة يجمع على سمان كما يقال رجال كرام ونسوة كرام
قال النحويون اذا وصف المميز فالاولى ان يقع الوصف وصفا للمميز كما في الاية دون العدد لانه ليس بمقصود بالذات فلهذا قيل سمان
بالجر ليكون وصفا للبقرات ويحصل التمييز للسبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن ولو نصب حصل تمييز السبع بجنس البقرات ولا
ثم يعلم من الوصف ان المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف الهزال الذي ليس بعده هزال والنعت اعجف وعجفاء وجمعهما اعجاف
على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله سبع عجاف حذف المعلم به كما في قوله واخر يابسات التقدير وسبعا اخر
لانصباب المعنى الى هذا المعنى العدد وانما لم يقل سبع عجاف على الاضافة لان البيان لا يقع بالوصف وحده وقولهم ثلثة فرسان
وخمسة اصحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز ان يكون قوله واخر مجرورا عطفا على سنبلات لان لفظ الاخر يا باه و
يبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملأ الاعيان من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للبيان كما قلنا في وكانوا فيه من الزاهدين
ولان عمل العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها فان تاخر معموله اولان قوله للرؤيا خبر كان كقوله
هو لهذا الامر اي متمكن منه مستقل به وتعبرون خبر اخر او حال او لتضمين تعبرون معنى تنتدبون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت
الرؤيا بالتخفيف وقد تشدد واشتقاقه من العبر بالكسر والسكون وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر
عرضه وعبرت الرؤيا اذا تاملت ناحيتيها فانتقلت من احد الطرفين الى الاخر والاضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من انواع
النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث من الاحلام والصيغة للجمع ولكن الواحد قد يوصف

كما يقال رجع اقصاد و برمة اعشاب فالمراد هي الحلم اضغاث احلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب
الخيل ويلبس العمائم وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة فقد ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلاما اخر واللام في الاحلام
اما للعهد كانهم ارادوا المنامات الباطلة او للجنس وارادوا انهم غير متبحرين في علم تاويل الرويا ولما اعضل على الملك تاويل
رويا الملك تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورويا صاحبه المصلوب وتذكر قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه
والذكر واصله اذتكر قلبت التاء والدال كلاهما دالا مهملة وادغمت بعد امة اي بعد حين كانها حصلت من اجتماع ايام كثيرة
وقرى بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعدما انعم عليه بالنجاة وقرى بعد امه بوزن عمه ومعناه انا امة انبئكم بتاويله اخبركم بعمن عنده
علمه فارسلون اليه لاسئله والخطاب للملك والجمع للتعظيم اوله وللملا حوله والمعنى مروني باستعباره وعن ابن عباس لم
يكن السجن في المدينة وههنا اضمار والمراد فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف اي يا يوسف ايها الصديق البليغ الكامل
في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه جرب احواله وعرفها من قبل وفيه انه يجب على المتعلم تقديم المدح لمعلمه وانما اعاد عبارة الملك
بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلي ارجع فيه نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه يعيش الى ان يعود اليهم
وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة وكذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك ومكانك
من العلم فيخلصوك او يعلموا قولك فيكون فيه نوع شك لانه راى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل مراعاة لفواصل الاي والا كان مقتضى
النسق لعلي ارجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون قال يوسف في جواب الفتوى
تزرعون سبع سنين وهو خبر في معنى الامر يفيد المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به كانه قد كان والدليل على كونه في معنى الامر
قوله فذروه في سنبله واقول يمكن ان يقول قوله تزرعون اخبار عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع يلزم نزول
الامطار عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت ودابا بتسكين الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا استمر
عليه وانتصابه على الحال اي تزرعون ذوي داب او على المصدر والحال عامله اي تدابون دابا وانما امرهم بان يتركوه في السنابل
الا القدر الذي ياكلونه في الحال لئلا يقع فيه السوس ثم ياتي من بعد ذلك فيه دليل على ان تزرعون اخبار لا امر سبع شداد اي
سبع سنين شداد على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الاسناد المجازي لان الاكلين اهل تلك السنين لا السنون الا قليلا مما
تحصنون تحرزون وتخباون والاحصان جعل الشي في الحصن كالاحراز جعله في الحرز ثم اخبر انه ياتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا امطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون
الضروع تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بالسنين ثم بشرهم بالبركة في
العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحي عن قتادة زاده الله علم سنة وقيل عرف استدلالا لا فليس بعد انتهاء
الجدب الا الخصب والجواب انه لا يلزم من انتهاء الجدب الخصب والخير الكثير فقد يكون توسط الحال وايضا في قوله وفيه يعصرون
نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشرابي الى الملك وعرض عليه التعبير استحسنه وقال ائتوني به فجعل الله سبحانه علمه مبدا
لخلاصه من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه الرسول وهو الشرابي فقال الجب
الملك قال يوسف ارجع الى ربك فسأله ما بال النسوة ما شانهن وما حالهن ان ربي اي الله العالم بخفيات الامور او العزيز الذي
رباه بكيدهن عليم وعلى الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كذبن واراد الوعيد
اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في موافقة سيدته وتقبيح صورته عند العزيز حتى رضي بسجنه ومن لطايف
الاية انه اراد سوال الملك ان يسال ما بالهن الا انه راعى الادب فاقتصر على سوال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يحمله
على البحث والتفتيش ومنها انه لم يذكر سيدته ترحيبا بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبهن ايضا فوصفهن بتقطيع
الايدي فقط لا بالترغيب في الخيانة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل
عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى
ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة قال
العلماء ان الذي عمله هو اللايق بالحزم والعقل لانه لو خرج في الحال فربما بقي في قلب الملك من تلك التهمة اثر ولعل الحساد يتسلقون
بذلك الى تقبيح امره عنده وفي هذا التاني والتثبت تلافي لما صدر منه في قوله للشرابي اذكرني عند ربك قال الملك بعد احضار
احضار النسوة ما خطبكن ما شانكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن او الى زليخا قيل الخطاب لزليخا والجمع للتعظيم
وقيل خاطبهن جميعا لان كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امراة العزيز قلن حاش لله تعجبا من عفته ونزاهته قالت
امرات العزيز حين عرفت ان لا بد من الاعتراف الان حصحص الحق وضح وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته

للاناخة

للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج اشتقاقه من الحصة اي ان حصة الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ليعلم
الى تمام الايتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية قول يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان
اخر اذا دلت القرينة الصادقة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة بقوله ذلك لاجل التعظيم او المراد ما ذكر من
رد الرسول والتثبت واظهار البراءة عن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر انه قال ذلك في السجن عند عود الرسول
اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اي وانا غايب عنه او من المفعول اي وهو غايب عني او على الظرف اي بمكان الغيب و
هو الاستتار وراء الابواب المغلقة قيل هذه الخيانة لو وقعت لوقعت في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان
وزيره فقد خان الملك من بعض الوجوه او اراد ليعلم الله لان المعصية خيانة او المراد ليعلم الملك اني لم اخن العزيز او ليعلم العزيز اني لم اخنه
وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامراته الخاينة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه
كانه خان حكم الله وفيه تاكيد لامانته وانه لو كان خاينا لما هدى الله كيده ولا يخفى ان هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة
والاعتراف الصريح من المراة دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال اهل التحقيق انه لما راعى حرمة سيدته في قوله ما بال النسوة دون
ان يقول ما بال زليخا ارادت ان تكافيه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازالت الغطاء واعترفت بان الذنب كله منها ونظيره ما يحكى ان
امراة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى تتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا
حاجة الى ذلك فاني مقر بصدقها في دعواها فقالت المراة لما اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني ابريت ذمته من كل حق لي عليه
ولما كان قول يوسف ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق او في هذه الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك
قوله وما ابرئ نفسي ان النفس اي هذا الجنس لامارة بالسوء مايلة الى القبايح راغبة في المعاصي وفيه انه ترك الخيانة ما كان
لحظ النفس وشرها ولكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفه الى ما رحم ربي الا البعض الذي رحم ربي بالعصمة كالملائكة او
المراد انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت رحمة ربي او الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف
الاساءة القول الثاني انه حكاية قول المراة لان يوسف ما كان حاضرا في ذلك المجلس والمعنى ان كنت احلت عليه الذنب عند
حضوره ولكني ما احلته عليه في غيبته حين كان في السجن وان الله لا يهدي فيه تعريض بانها لما اقدمت على المكر لا جرم افتضحت
وانه لما كان بريا من الذنب لا جرم طهره الله منه وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني بريء قد خنته حين قلت ما جزاء من
اراد باهلك سوءا وحين اودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كنفس يوسف
ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شي واحد فاذا مالت الى العالم العلوي
كانت مطمئنة واذا مالت الى الشهوة والغضب سميت امارة وهي اغلب احوالها لالفها الى العالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا
خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هي امارة بالسوء واذا كانت منجذبة مرة الى العالم العلوي ومرة
الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبعة في البدن تحمله على
الشهوة والغضب وساير الاخلاق الردية وتمسك الاشاعرة بقوله الا ما رحم ربي ظاهر لانه دل على ان صرف النفس عن السوء
بخلق الله وتكوينه وحمله المعتزلة على منح الالطاف والله اعلم بالحقائق **التاويل** لما دخل يوسف القلب سجن الشريعة دخل
معه فتيان من ملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا تعمل عملا في السفل الدنيوي الا من شرب النفس فهي صاحب
شرابه والبدن مهيئ من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بالغذاء روحاني كما ان الجسم لا يبقى الا بالغذاء جسماني
وانما حبسا في سجن الشريعة لانهما متهمان بجعل سم الهوى والمعصية في شراب ملك الروح وطعامه وفي رويا هما دلالة
على انهما من الدنيا واهل الدنيا علمه الله علم الحقيقة اما احدكما فيسقي ربه اي سيده باقداح المعاملات والمجاهدات شراب الكشوف
والمجاهدات وهي باقية في خدمة ملك الروح ابدا واما الاخر وهو البدن فيصلب بحبل الموت فتاكل طير اعوان ملك الموت من راسه
الخيالات الفاسدة قضي في الازل هذا الامر اذكرني عند ربك يعني ان القلب المسجون في بدو امره يلهم النفس بان يذكره المعاملات
المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح وينتبه عن نوم الغفلة الناشية من الحواس الخمس ويسعى في استخلاص القلب
عن اسر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوسوسة محا عن النفس اثر الهامات
القلب او الشيطان انسى القلب ذكر القلب الله حين استغاث النفس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله تخلصه في الله فلبث في
السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محجوب وهي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة و
الغضب والكبر اني ارى سبع بقرات سمان هي الصفات المذكورة ياكلهن سبع عجاف هن اضدادها وهي القناعة والسخاوة والغبطة
والشفقة والحلم والتواضع يا ايها الملا يعني الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتوني في رؤياي في غيب الملكوت وما نحن

بتاويل الاحلام اى ليس التصرف فى الملكوت وشواهدها من شانها فارسلون فيه ان النفس اذا ارادت ان تعلم شيئا مما يجرى
فى الملكوت يرجع بقوة التفكر الى القلب فتستخبر عنه فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان الغيب تهما
الصديق لانه ليس يصدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما يروى للخلق ما كذب الفواد ما راى حدثنى قلبى عن ربى قالوا الكتاب
ارجع الى الناس اى الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة فى
اوان الطفولية فذروه فى سنبله اى ما حصلتم من هذه الصفات فذروه فى اماكنه ولا تستعملوه الا قليلا مما تعيشون به الى اوان
البلوغ وظهور نور العقل فى مصباح الشرع عن زجاجة القلب كانه كوكب درى ثم اذا ايد نور العقل بانوار تكاليف الشرع وشرف
بالهام الحق فى اظهار فجور النفس وتقويها فزكيهما من هذه الصفات وتحليها بالصفات الروحانية السبع فكان السبع العجاف اكل السبع
السمان وانما سمى ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثرتها الا قليلا مما تحصن به الانسان حيوة قالبه
ثم ياتى من بعد ذلك عام اى بعد غلبات الصفات الروحانيات واضمحلال الصفات البشرية يظهر مقام فيه يتدارك السالك بجذبات
العناية وفيه يتبرا العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده وحجب انانيته ولما اخبر القلب بنور الله ما راه الروح فى عالم الملكوت
وتاق له استحق قربة الروح وصحبته فاستدعى حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه وقال سله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية
لما راين جمال القلب المنور بنور الله قطعن ايديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها وآثرن السعادات الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم الى
لم اخنه بالغيب اى القلب المنظور بنظر العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى
الدنيا ونعيمها وان الله لا يهدى كيد الخائنين الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه والفضل من ربه وما ابرئ نفسى
لان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها ربها بتقليبها وتعينها فاذا انفلق صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة
واذا طلعت شمس العناية صارت ملهمة فالهمها فجورها وتقويها واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها
وصارت النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعى الى ربك راضية مرضية ان ربى غفور للنفس تائب ورجعت اليه رحيم لمن احسن
طاعته وعبادته ٥

وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك
اليوم لدينا مكين امين ● قال اجعلنى على خزائن الارض انى
حفيظ عليم ● وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ
منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين
ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون ● وجاء اخوة
يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ● ولما جهزهم
بجهازهم قال ائتونى باخ لكم من ابيكم الا ترون انى اوف
الكيل وانا خير المنزلين ● فان لم تاتونى به فلا كيل لكم
عندى ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون ● وقال
لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا

الى اهلهم لعلهم يرجعون ● فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع
منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون ● قال
هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير
حافظا وهو ارحم الراحمين ● ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير
اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ● قال
لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتننى به الا ان
يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال
يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما
اغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه
فليتوكل المتوكلون ● ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم
ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضيها
وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ●

القراءة حيث نشاء بالنون ابن كثير الاخرون بياء الغيبة انى اوفى بفتح ياء المتكلم نافع غير اسمعيل لفتيانه خير
حافظا حمزة وعلى وخلف غير ابى بكر وحماد الباقون لفتيته خير حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون
تؤتونى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل **الوقوف** لنفسى
امين الارض لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عليم فى الارض لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال حيث نشاء المحسنين
يتقون منكرون من ابيكم لحق الاستفهام مع اتحاد القائل المنزلين ولا تقربون لفاعلون يرجعون لحافظون
من قبل لانتهاء الاستفهام الا الاخبار حافظا الراحمين اليهم لتمام جواب لما ما نبغى لان ما بعده جملة مستانفة موضحة
للاستفهامية او المنفية قبلها الينا لاحتمال العطف والاستيناف على ونحن نمير كيل بعير يسير بكم قال الله قيل فسكت بين
الفعل والاسم لان القائل يعقوب لا الله سبحانه والاحسن ان يفرق بينهما بقوة النغمة فقط لئلا يلزم الاتحاد بين القائل والمقول
وكيل متفرقة من شئ لله توكلت المتوكلون ابوهم لان جواب لما محذوف اى سلموا باذن الله قضيها لا يعلمون **التفسير**
الاظهر ان هذا الملك هو الريان لا العزيز لان قوله استخلصه لنفسى يدل على انه قبل ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف
قبل ذلك خالصا للعزيز وفى قول يوسف اجعلنى على خزائن الارض دلالة ايضا على ما قلنا والاخلاص طلب خلوص الشئ من شوائب الشركة
ومن عادة الملوك ان يتفردوا بالاشياء النفيسة روى ان جبرئيل دخل على يوسف فى السجن وقال قل اللهم فرج لى من عندك فرجا ومخرجا
وارزقنى من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه واظهر هذا السبب فى تخليصه لجاء الرسول وقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله

وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن
السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم
عليه فلما كلمه احتمل ان يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك وهذا اولى فان مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم
يروى ان الملك قال له ايها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن
ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم من حاله من نزاهة
ساحته وعدم مسارعته فى الخروج من السجن وقد وصف له الشرابى من جده فى الطاعة والاحسان الى سكان السجن ما وصف
فعظم اعتقاده فيه فعند ذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ويندرج فى المكانة كمال القدرة والعلم اما القدرة فظاهرة و
اما العلم فلان كونه متمكنا من افعال الخير وباضدادها وكونه امينا متفرع على كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل لداعى الشهوة وانما يفعله
لداعى الحكمة قال المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وغيرها بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ارى ان تزرع فى
هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبنى الخزائن والاهراء وتجمع الطعام فيه فياتيك الخلق من النواحى ويمتارون منك ويجتمع من الكنوز
ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لى بهذا الشغل فقال يوسف اجعلنى على خزائن الارض اللام للعهد اى ولنى خزائن ارض مصر و
الخزائن جمع الخزانة وهى اسم المكان الذى يخزن فيه اى يحفظ انى حفيظ للامانات واموال الخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجه
الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه اياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والشفقة قال الواحدى هذا الطلب خطيئة
منه فكانت عقوبته ان اخر عنه المقصود سنة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى
على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره الله عنه سنة وقال آخرون ان التصرف فى امور الخلق كان
واجبا عليه لان النبى يجب عليه رعاية الاصلح للامة بقدر الامكان وقد علم بالوحى انه يحصل القحط والضنك فاراد السعى فى ايصال
النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبى او العالم انه لا سبيل الى دفع الظلم والضرر عن الناس ووصف نفسه بالحفظ
والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لاجل التمدح ولكن للتوصل الى الغرض المذكور وكذلك مثل ذلك التقريب والانجاء من السجن مكنا
ليوسف فى الارض ارض مصر وهى اربعون فرسخا فى اربعين يتبوأ منها حيث يشاء رهوا ونشاء نحن على القرائتين والمراد بيان
استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه احد نصيب برحمتنا من نشاء فيه ان الكل من الله وبتيسيره وقالت المعتزلة
تلك المملكة لما لم يتم الا بامور فعلها الله صارت كانها من قبل الله تعالى وعلقوا المشيئة بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة نفوا
فى هذا القيد ولا نضيع اجر المحسنين لان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع فى حقه تعالى ولاجر الآخرة خير
من اجر الدنيا او خير فى نفسه وفى قوله المحسنين وقوله للذين آمنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان فى الزمان السابق
من المحسنين ومن المتقين ففيه دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة
والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق يروى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا
من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسى
ولا لباس آبائى فقال قد وضعته لك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه
امره وعزل قطفير ثم مات فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين
افرايم وميشا واقام العدل بمصر واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم
فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا
فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى فقال الراى رايك
قال فانى اشهد الله واشهدك انى قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من
حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لان طول العهد ينسى ولاعتقادهم انه قد هلك او لذهابه
عن اوهامهم حين فارقوه مبيعا بدراهم معدودة ثم راوه ملكا مهيبا جالسا على السرير فى زى الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة
فما وقفوا الا حيث يعبروا ذبهم عما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم
جهازا للسفر قال وسمعت اهل البصرة يقولون الجهاز بالكسر وقال الازهرى القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ائتونى باخ لكم من
ابيكم قال العلماء لابد من كلام يجر هذا الكلام فروى انه لما رآهم وكلمهم بالعبرانية قال لهم من انتم وما شانكم فانى انكرتكم قالوا نحن قوم
من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى

من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر
قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد قال فدعوا بعضكم عندى رهينا
وائتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا فى يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة
فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا ابا شيخا كبيرا واخا آخر بقى معه ولا بد لهما من حملين آخرين فاستدل الملك بتخلفه عند ابيه لزيادة محبته
اياه وكونه فائقا فى الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل العلم لما ذكروا اباهم قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا بل بقى
عنده واحد فقال لهم لم خصه بهذا المعنى لاجل نقص فى جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال يوسف ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انه
خصه بمزيد المحبة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو ازيد عليكم فى الكمال والجمال فائتونى به لاشاهده والاول قول المفسرين
والآخران محتملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب والترهيب فالاول قوله الا ترون انى اوفى الكيل وانا خير المنزلين
للضيفين وكان قد احسن ضيافتهم او زاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثانى فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون مجزوم
على النهى او لانه داخل فى حكم الجزاء كانه قيل فان لم تاتونى به تحرموا ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد حتى
ننتزعه من يده وانا لفاعلون كل ما فى وسعنا فى هذا الباب او لقادرون على ذلك وقال لفتيانه او لفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخ
والاخوة فى اخ فعلة للقلة ووجهه ان هذا العمل من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه انه قال اجعلوا
بضاعتهم فى رحالهم والرحال عدد كثير فناسبه الجم الغفير من الغلمان والكيالين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل
والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على انه امر بوضع بضاعتهم فى رحالهم على وجه لا يعرفون بدليل
قوله لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت
بضاعتهم النعال والادم وقيل امر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اما السبب الذى لاجله امر يوسف
بذلك فقيل ليعلموا اكرام يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع واراد
به التوسعة على ابيه لان الزمان كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لوم او اراد ان يرجعوا اليه فوا سبب الرد
لانهم اولاد الانبياء فاحترزوا ان لا يكون ذلك على سبيل السهو او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يثقل على
ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون متعمدا لظهر ردهم فلما رجعوا قالوا يا ابانا منع منا الكيل ارادوا قول يوسف فان لم تاتونى به فلا كيل لكم
لان الانذار بالمنع بمنزلة المنع يؤيده قراءة من قرا نكتل بالنون اى نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد بالمنع انهم
اذا طلبوا الطعام لابيهم وللاخ المتخلف فلعله منع من ذلك ويقوى هذا الاحتمال قراءة الغيبة اى يكتل اخونا فينضم اكياله الى
اكيالنا قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعنى انكم ذكرتم مثل هذا الكلام فى يوسف فهل يكون امانى الان الا كما
كان قبل يعنى كما لم يحصل الامان هناك فكذا الآن والظاهر ان ههنا اضمارا والتقدير فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وقال فالله خير
حافظا وحافظا نصب على التمييز واحتمل الثانى الحال نحو لله دره فارسا وهو ارحم الراحمين ارجو ان لا يجمع على مصيبتين وقيل انه تذكر
يوسف فقال فالله خير حافظا اى ليوسف لانه كان يعلم انه حى ولما فتحوا متاعهم هو عام فى كل ما يستمتع به ويجوز ان يراد به ههنا
الطعام او الاوعية اما قوله ما نبغى فالبغى بمعنى الطلب وما نافية او استفهامية المعنى ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان
او ما نريد منك بضاعة اخرى او اى شئ نطلب وراء هذا فنستظهر البضاعة المردودة الينا ونمير اهلنا فى رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا
فما يصيبه شئ مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاى شئ نبتغى وراء هذه المباغى ويجوز ان يكون
البغى بمعنى الكذب والتزيد فى القول على ان ما نافية اى ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا
على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا تلك الكرامة قال فى الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير
معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا ردت الينا تصديقهم وقوله ونمير معطوفا على ما نبغى او يكون كلاما مستانفا
اى وينبغى ان نمير كما تقول سعيت فى حاجة فلان ويجب ان اسعى ويجوز ان يراد ما نبغى وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به اليك
من ارسال اخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين فى رايهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا الى آخره يقال ماره يميره اذا اتاه
بطعام ذلك كيل يسير اى ذلك الكيل لاجلنا قليل نريد ان ينضاف اليه ما يكال لاجل اخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير اى ذلك
القدر سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقامنا بسببه واختاره الزجاج وجوز فى الكشاف ان يكون هذا من كلام يعقوب
يعنى ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا تعطونى ما اتوثق به من عند الله وهو الحلف
وجواب الحلف لتاتننى به الا ان يحاط بكم استثناء من اعم العام فى المفعول له وقد يقع مثل هذا الاستثناء فى الاثبات اذا استقام
المعنى نحو قرات الا يوم كذا وان شئت فاوله بالنفى اى تمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الا لعلة واحدة هى ان يحاط بكم اى تهلكوا جميعا

قاله مجاهد او تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قاله قتادة على ما نقول من طلب الموثق واعطايه وكيل مطلع رقيب قال جمهور
المفسرين انما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم من اصابة العين وههنا مقامان الاول ان الاصابة بالعين حق لاطباق
كثير من الامة ولما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة اى جامعة للشر من لمه اذا جمعه او المراد ملمة والتغيير للمزاوجة وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اول النهار فرايته شديد الوجع ثم عدت اليه اخر النهار فرايته معافى فقال ان جبرئيل اتانى فرقانى
وقال بسم الله ارقيك من كل شئ يوذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فافقت وروى انه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيت ام سلمة وعندها صبى يشتكى فقالوا يا رسول الله اصابته العين قال فلا تسترقون له من العين وعنه صلى الله عليه وسلم العين حق
ولو كان شئ يسبق لسبقت العين القدر وقالت عائشة رضى كان يامر العاين ان يتوضا ثم يغتسل منه المعين المقام الثانى في الكشف عن
حقيقته قال الجاحظ يمتد من العين اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فيوثر ويسرى فيه كتاثير اللسع والسم واعترض الجبائى وغيره بانه
لو كان كذلك لاثر في غير المستحسن كتاثيره في المستحسن واجيب بان المستحسن ان كان صديقا حصل للعاين عند ذلك الاستحسان خوف
شديد من زواله وان كان عدوا حصل له خوف شديد من حصوله وعلى التقديرين ينحصر الروح وينحصر في داخل القلب ويحصل
في الروح الباصرة كيفية مسخنة موثرة فلهذا السبب امر النبى صلى الله عليه وسلم العاين بالوضوء ومن اصابته العين بالاغتسال
منه وقال ابو هاشم وابو القاسم البلخى لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشئ واعجب به كانت المصلحة له في تكليفه ان يغير الله ذلك
الشخص حتى لا يبقى قلب ذلك المكلف معلقا به وقالت الحكماء ليس من شرط الموثر ان يكون تاثيره بحسب الكيفيات المحسوسة بل قد
يكون التاثير نفسانيا محضا او وهميا كالماشى على الجذع او تصوريا كما في الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص
عجيبة تتصرف في غير ابدانها فمنها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين اما الجبائى وغيره ممن انكر العين فقد
قالوا ان اولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس بكمالهم وجمالهم وهيبتهم فلم يامن يعقوب ان يخافهم الملك على ملكه فيحبسهم وقيل
انه كان عالما بان ملك مصر ولده الا ان الله تعالى لم ياذن باظهاره وكان غرضه ان يصل بنيامين اليه في غيبتهم قاله ابراهيم النخعى ولم
ان العبد يجب عليه ان يسعى باقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد السعى البليغ يجب ان يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله وقدره
وان الحذر لا يغنى عن القدر فلهذا قال يعقوب وما اغنى عنكم من الله من شئ فقوله الاول مبنى على رعاية الاسباب والوسايط و
قوله الثانى الى اخر الاية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامور بالكلية الى مسبب الاسباب وقد صدقه الله تعالى في ذلك بقوله
ما كان يغنى عنهم من الله من شئ قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء قضاه الله وقال الزجاج وابن الانبارى لو سبق في
علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم لاجتماعهم وقال اخرون ما كان يغنى عنهم راى يعقوب شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم
مع تفرقهم من اضافة السرقة واخذ الاخ وتضاعف المصيبة على الاب الا حاجة استثناء منقطع اى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها
وهى اظهار الشفقة والنصيحة او الخوف من اصابة العين او من حسد اهل مصر او من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله وانه لذو علم
يعنى علمه ان الحذر لا يدفع القدر لما علمناه ما مصدرية او موصولة اى لتعليمنا اياه او للذى علمناه وقيل العلم الحفظ والمراقبة
وقيل المضاف محذوف اى لفوايد ما علمناه وحسن اثاره اشارة الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب او
يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة في العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا يعلمون ان الله تعالى كيف ارشد اولياءه الى العلوم التى
تنفعهم في الدنيا والاخرة **التاويل** لما تبين لملك الروح تدين يوسف القلب وامانته وصدقه وحسن استعداده سيح خلاصه
من سجن البشرية ليكون خالصا له في كشف حقايق الاشياء وليعلم انه خلق لصلاح جميع رعاياه مملكته روحانيه وجسمانيه كما قال النبى
صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم مضغة ان صلحت صلح بها ساير الجسد وان فسدت فسد بها ساير الجسد الا وهى القلب وللقلب اختصاص
آخر بالله دون ساير المخلوقات قال سبحانه لا يسعنى ارضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن اجعلنى على خزاين ارض الجسد فان الله تم
في كل عضو من الاعضاء خزاين من اللطف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزانة من القهر ان استعمله في ضده انى
حفيظ للخزاين عليم باستعمالها فيما ينفعها دون ما يضرها نصيب برحمتنا فيه ان اصابة اللطف من تلك الخزاين دون القهر هو كوله الى
مشية الله تعالى وجاء اخوة يوسف وهم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم
في الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم بشير الى ان يوسف القلب لما التجاء اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها الذميمة النفسانية
بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا يحضر مع القلب الا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه يوفى
باوفى الكيل ثم لم يوفى الى الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعة كل عمل من الاعمال البدنية التى يجيء بها الاوصاف
البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها لان النفس بها تتادب وتتزكى بها

كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان تربيته القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نية
المؤمن خير من عمله وكالعزايم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والصدق والاخلاص ثم كمال تربية القلب بالتحلية والتجلى بصفات
الحق واذا انهم لعلهم يرجعون من صفات الامارية الى المامورية والاطمينان فيستحق لجذبة ارجعى الى ربك ردت الينا فوايدها
ترجع الى يوسف القلب ونمير اهلنا الاعضاء والجوارح يحصل لهم قوة زايدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة ونحفظ اخانا
من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور السر عند القلب كيل بعير من الفوايد الربانية ذلك كيل
يسير لن ييسره الله لنا ان لم ياتنى به مع الفوايد الربانية الا ان يحاط بكم الا ان يغلب الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد لا تقربوا
الى القلب بنوع واحد من المعاملات فلا اسباب مدخل في التقريب الا ان الكل موكول الى مسبب الاسباب

ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تبتئس
بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في
رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا و
اقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به
حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا
جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين فبدا
باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا
ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات
من نشاء وفوق كل ذى علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له
من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله
اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ
احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من
وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استياسوا منه خلصوا نجيا
قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل

ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي
وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل
القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال
بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم
جميعا انه هو العليم الحكيم

انى انا اخوك بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع نرفع برفع درجات من نشاء بالاضافة وبياء الغيبة في الفعل سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استيأسوا وايئسه بالالف ثم الياء ابو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة والباقون بياء ثم همزة على الاصل ابي بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو وافق ابن كثير في ابي يعملون لسارقون تفقدون زعيم سارقين كاذبين فهو جزاؤه الظالمين من وعاء اخيه ليوسف نشاء الله لان ما بعده مستانف نشاء عليم من قبل مكانا تصفون مكانه الثلاثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين عند لتعلق اذن بما قبلها الظالمون نجيا في يوسف للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب يحكم الله لي لاحتمال ما بعده الابتداء او الحال الحاكمين سرق لانقطاع النظم مع اتحاد القايل حافظين اقبلنا فيها لاختلاف الجملتين والابتداء بان لصادقون امرا جميل جميعا الحكيم
روى انه لما اتوه باخيهم بنيامين انزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له فاتركوه معي فاواه اليه اي انزله في المنزل الذي كان ياوي اليه فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح ولما راى تاسفه لاخ هلك قال له اتحب ان اكون بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال انى انا اخوك قال وهب اراد انى انا اقوم لك مقام اخيك في الايناس وعدم التوحش وقال ابن عباس وسائر المفسرين اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا تبتئس افتعال من البؤس الشدة والضر اراد نهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من دواعي الحسد والاعمال المنكرة التي اقدموا عليها يروى ان بنيامين قال ليوسف انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا بان انسبك الى ما لا يجمل قال انا راض بما رضيت قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك انك قد سرقته فذلك قوله سبحانه فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه والسقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقى بها الملك والدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب او من فضة مموهة بالذهب ومرصعا بالجواهر اقوال ثم اذن مؤذن نادى مناد ومعناه راجع الى الايذان الاعلام الا ان التشديد يفيد التكثير او التصويب بالنداء ايتها العير اراد اصحاب العير كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير كانها جمع عير واصلها فعل بالضم كسقف وسقف فابدلت الضمة كسرة لاجل الياء كما في بيض ثم كثر في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو انه كيف جاز لنبي الله ان يرضى بنسبة قوم الى السرقة وهم براء واجاب العلماء بانهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لانهم لما لم يجدوا السقاية غلب على ظنونهم انهم اخذوها او المؤذن ذكر ما ذكر على سبيل الاستفهام او المراد انهم سرقوا يوسف من ابيهم او المراد ان فيكم سارقا وهو الاخ الذي رضي بذلك البهتان فلا ذنب لان للخصم رضي بان يقال في حقه ذلك ثم ان اخوة يوسف قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك قيل الصواع اسم للصاع والسقاية وصف ولمن جاء به اي بالصواع حمل بعير من طعام جعلا لمن حصله وانا به زعيم اي كفيل هو من قول المؤذن وفيه ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم ايضا اذا كان معلوما وكان حمل بعير كان عندهم شيئا معلوما كوسق مثلا الا ان هذه كفالة مال لرد السرقة وهو كفالة ما لم يجب لانه لا يحل للسارق ان ياخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الشرفه الكفالة كانت تصح عندهم قالوا تالله التاء مبدلة من الواو فضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيما هو احق بالقسم وهو

اسم الله عز وجل حلفوا على امرين متعجبين الاول انهم علموا ان اخوة يوسف ما جاؤا لاجل الافساد في الارض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى روي انهم دخلوا افواه دوابهم مشدودة خوفا من ان يتناول ذرعا او طعاما لاحد في الطرق والاسواق وكانوا مواظبين على انواع الطاعات ورد المظالم حتى حكي انهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم الثاني انهم ما وصلوا قط بالسرقة قالوا اي اصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير للصواع والمضاف محذوف اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه ويحتمل ان يعود الى السارق وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء حتى قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاؤه الرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما يقال حق السارق القطع فهو جزاؤه لتقرير ما ذكر من استحقاقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ وباقي الكلام جملة شرطية مرفوعة المحل بالخبرية على ان الاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ليكون الضمير الثاني عائدا الى المبتدأ والاول الى من ولكنه وضع المظهر مقام المضمر للتاكيد والمبالغة وجوز في الكشاف ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه اما قوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل ان يكون من بقية كلام اخوة يوسف وان يكون كلام اصحاب يوسف والله اعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه لنفي التهمة والوعاء كل ما اذا وضع فيه شيء احاط به قال قتادة كان لا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا اخوه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله ما نترك حتى تنظر في رحله ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه فاخذوا برقبته وحكموا برقبته ثم قال سبحانه كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه والكيد مبدأه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث لا يشعر به في امر مكروه لا سبيل له الى دفعه وقد سبق فيما تقدم ان امثال هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وما هذا الكيد قيل ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير ايضا والمعنى كما فعلنا بيوسف من الاحسان اليه ابتداء فعلنا به انتهاء وقيل تفسير الكيد هو قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك في السارق ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس اخيه بناء على دين الملك وحكمه ومعنى الا ان يشاء الله هو ان الله كاد له فاجرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توسل بذلك الى اخذ اخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى بعض الدينية او الدنيوية ثم مدحه على الهداية الى هذه الحيلة كما مدح ابرهيم على ما حكي عنه من دلائل التوحيد والبراءة من الهية الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوقه رفع درجة منه في علمه ثم ان اطلق على الله تعالى انه ذو علم كان هذا العام مخصوصا لانه لا عليم فوقه وان قيل انه عالم بلا علم كما تقوله بعض المعتزلة ان كان النص باقيا على عمومه وان قلنا ان الكل بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم دونهم في العلم وهو الله تعالى والميل لهذا التفسير لان قوله ذو علم مشعر بكونه علمه زائدا على حقيقته ووصفه تعالى عين ذاته وفي هذا البحث طول وفي الزمن كفاية يروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت الصاع فقال بنو راحيل لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل عنوا به يوسف واختلف في تلك السرقة فعن سعيد بن جبير ان جده ابا امه كان يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعله يترك عبادتها وقيل سرق عناقا من ابيه او دجاجة ودفعها الى المسكين وقيل كانت لابراهيم منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف الى ان شب فاراد يعقوب ان ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت انه قد سرقها وكان في شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا فاسرها يوسف قال الزجاج وغيره الضمير يعود الى الكلمة او الجملة كانه قيل فاسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال انتم شر مكانا والمعنى انه قال هذه الجملة على سبيل الخفية وطعن الفارسي في هذا الوجه فقال ان هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق ان القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائد الى الاجابة اي اسر يوسف اجابتهم في ذلك الوقت الى وقت اخر وقيل يعود الى المقالة او السرقة اي لم يبين يوسف ان تلك السرقة كيف وقعت وانه ليس فيها ما يوجب الذم والعار عن ابن عباس انه قال عوقب يوسف مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق اخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شر مكانا شر منزلة في السرقة لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم على التحقيق وقلتم اكله الذئب والله اعلم بما تصفون

المراد انه يعلم اني لست بسارق على التحقيق ولا اخي والله اعلم بان الذي وصفتموه هل يوجب ذما ام لا قال ابن عباس لما قال
يوسف هذا القول غضب يهودا وكان ذا غضب وصاح لم يسمع صوته حامل الا اذا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن
حتى يضع بعض ال يعقوب يده عليه فقال لبعض اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه
فنه فذهب غضبه وهم ان يصيح فركض رجله على الارض واراه انه شديد وجذبه فسقط فعند ذلك فعند ذلك قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر فهو احب اليه منا فخذ احدنا مكانه استعبادا او رهنا حتى نبعث الفداء اليك
فلعل العفو او الفداء كان جائزا ايضا عندهم انا نراك من المحسنين لو فعلت ذلك او من المحسنين الينا بانواع الاكرام ورد البضاعة
الى رحالنا او زاد والاحسان الى اهل مصر حيث اعتقهم بعد ما اشترى رقابهم بالطعام قال يوسف معاذ الله من ان ناخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده انا اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني و
اوحى الي باخذ بنيامين فلو اخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حيث لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة
للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذوي نجوى او المراد انهم تناجوا
في انفسهم لاستجماعهم لذلك وانه فاعهم فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جد ورجال عدل او صفة لموصوف محذوف اي فوجا
نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى العاشر وفيهم كان يناجيهم الجواب في تدبير امرهم على اي وجه يذهبون وماذا يقولون
لابيهم في شان اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والراي
وهو يهودا وقوله ما فرطتم اما ان يكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم توفوا بعهدكم ابيكم واما ان يكون مصدرية
محله الرفع على الابتداء وخبره الظرف تقديره ومن قبل تفريطكم اي وقع من قبل تقصيركم في حقه او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا كانه
قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل واما ان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في شان يوسف من
الجناية والخيانة ومحل الموصول الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي
بالخروج منها او بالانتصاف ومن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال لغيره ارجعوا الى ابيكم
فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق قاله بناء على ما شاهد من استخراج الصواع من وعائه او اراد انه سرق في قول الملك واصحابه كقول قوم
شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي في زعمك واعتقادك او المراد ان ابنك ما يشبه السرقة والاطلاق اسم احد الشبهين على الاخر جائز
او القوم ما كانوا حينئذ امنا فلا يبعد منهم الذنب وعن ابن عباس انه قرأ سرق مشددا مبنيا للمفعول اي نسب الى السرقة وعلى هذا
فلا اشكال ومما يدل على انهم بنوا الامر على الظاهر وما شهدنا الا بما علمنا اي بقدر ما تيقناه من رؤية الصاع في وعائه وما كنا
للغيب للامر الخفي حافظين فان الغيب لا يعلمه الا الله وعن عكرمة ان الغيب الليل معناه لعل الصواع دس في رحله بالليل من حيث لا نشعر بها
وما علمنا من انه سيسرق حين اعطيناك الموثق لمجاهد والحسن وقتادة او ما علمنا انا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو استرقاق
السارق لاخذ اخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا واسال القرية التي كنا فيها قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل نوحا
الاكثرون على انها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها التفتيش اي ارسل الى اهلها فاسال عن كنه القصة واسال اصحاب العير
التي اقبلنا فيها وقوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعاء وقال ابن الانباري ان يعقوب كان من اكابر الانبياء فلا يبعد
ان يحمل سؤال القرية على الحقيقة بان ينطق الله الجمادات لاجله معجزة فالمراد سل القرية والعير والجدران والحيطان فانها تجيبك بصحة
ما ذكرنا وقيل ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس للشك فيه مجال ثم زادوا في
تاكيد نفي التهمة قائلين وانا لصادقون وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه ولكن الانسان اذا ذكر الدليل
القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده انا صادق فتامل فيما ذكرته ليزول عنك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال
لهم اخوهم فعند ذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقد مر تفسيره في اول السورة ولكن المفسرين زادوا اشياء اخر فقيل
المراد انه خيل اليكم انه سرق وما سرق وقيل اراد سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين والمصير به الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر
والحجة على ذلك في ارساله معكم ولم تعلموا ان قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل اراد فتواهم وتعليمهم والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق
يؤخذ بسرقته واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز على يعقوب النبي في اخفاء حكم الله تعالى واجيب بان ذلك الحكم لعله كان مخصوصا
بما اذا كان المسروق منه مسلما وكان الملك في ظن يعقوب كافرا ولما طال بلاؤه ومحنته علم ان الحق والرجاء انه سبحانه يجعل له فرجا ومخرجا
عما قريب او لعله علم بالوحي ان يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن ابرح الارض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله ان ياتيني بهم
اي بالثلاثة الغائبين جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء التاويل لما دخل الاوصاف البشرية
ومعهم السر على يوسف القلب اوى القلب السر اليه لانه اخوه الحقيقي بالمناسبة الروحانية فلا تبتئس اذا وصلت بي بما كانوا يعملون

مثل في مفارقتي لان السر مهما كان مفارق القلب مفارقا للاوصاف كان محروما عن كمالات هو مستعد لها فلما جهز القلب
الاوصاف بما يلائم احوالها جعل السقاية وهي مشربة كان منها شربه في رحل اخيه لانه اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون سرقتم
في الاول يوسف القلب وشريتموه بثمن بخس من متاع الدنيا وشهواتها وسرقتم في الاخرة مشربة ليست من مشاربكم وفيه ان من
ادعى الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد اخذ بالسرقة واستردت منه ولمن جاء به حمل بعير من علف الدواب ومراتع الحيوانات
لانه ليس مستحقا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم انا من المقبولين المقبلين على يوسف القلب لانه يريد فسادا في الارض اي في ارض الله
كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اي اخذنا يوسف القلب والقيناه في جب البشرية بل بعناه في ان ينال مملكة
مصر العبودية ليكون عزيزا فيها ونحن ادلاء له جزاؤه من وجد في رحله اي لكل شارب مشرب ولكل شرب فدية ففدية الشارب من مشرب
الدنيا صنعته وحرفته وكسبه وفدية الشارب من مشرب الاخرة الدنيا وشهواتها وفدية الشارب من مشرب المحبة بذل الوجود
وكذلك نجزي الظالمين الذين وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا حريف الملك وشريبه كذلك كدنا ليوسف
اي كما كاد الاوصاف البشرية في الابتداء بيوسف القلب اذ القوه في جب البشرية كدنا بهم عند قسمة الاقوات من خزانة الملك
فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات ياكلون كما تاكل الانعام وقسمة بنيامين السر من مشربة الملك وفوق كل ذي علم عليم اتيناه علم
الصعود عليم يجذبه من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق الى مصعد لا يصعد اليه الا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله
الى الله وهذا صواع لا يسعه وعية الانسانية ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فيه اشارة الى ان السر والقلب مع انهما مخصوصان
بالحظوظ الاخروية الروحانية فانهما قابلان للاسترقاق من الشهوات الدنياوية والنفسانية وللمادات الاوصاف البشرية عزة القلب
وعرفت اختصاص السر به ارادت ان تفدي نفسها وسيلة الى يعقوب الروح فقالت فخذ احدنا مكانه قال معاذ الله ان تقبل بالصحبة
والمخالطة الا من وجدنا متاعنا من الصدق والمحبة والاخلاص عنده اي لا يكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما يكون بعلة الجنسية
فلما استيأسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الذميمة للتناجي قال كبيرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباكم وهو الروح قد اخذ عليكم
موثقا من الله يوم الميثاق لا تعبدوا الا الله فلن ابرح ارض فناء القلب وهي الصدر والحاصل ان صفة العقل لما تخلصت عن الاوصاف البشرية
خرجت عن اوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستسلمة لاحكام الحق ارجعوا الى ابيكم الروح على اقدام العبودية وتبديل
الاخلاق ان ابنك سرق لانه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها يكال الحب على وفقه وما كنا للغيب عند ارتحال السر من الغيب الى الشهادة
حافظين لانه جعل السقاية في رحله في غيبتنا واسال اهل مصر الملكوت وارواح الانبياء والاولياء قال بل سولت فيه ان النفس تزينات
وللاوصاف البشرية خيالات يتاذى بها يعقوب الروح لكن عليه ان يصبر على امضاء احكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله ان ياتيني فيه
ان متولدات الروح من القلب والاوصاف وغيرها وان تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد للاستكمال فان الله يجذبات العناية يجمعهم
في مقعد صدق عند مليك مقتدر انه هو العليم بافراقهم الحكيم بما في التفريق والجمع من الفوايد ٥

وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو
كظيم ● قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون
من الهالكين ● قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون ● فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا
ان الله يجزي المتصدقين ● قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم

جاهلون ● قالوا ءانك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله
علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد
آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ● قال لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ● اذهبوا بقميصي هذا فالقوه
على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ● ولما فصلت
العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ● قالوا تالله
انك لفي ضلالك القديم ● فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد
بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ● قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور
الرحيم ● فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
امنين ● ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن و
جاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي
لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ● رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من
تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة
● توفني مسلما ● والحقني ● بالصالحين

مزجة بالامالة حمزة وعلي وخلف حزني بفتح الياء ابوجعفر ونافع وابن عامر وابوعمرو قالوا انك على الخبر
او على حذف حرف الاستفهام ابن كثير ويزيد آانك بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف هشام يدخل بينهما مدة انك بهمزة ثم ياء
نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد انك بهمزة ممدودة ثم ياء ابوعمرو وزيد وقالون من يتقي بالياء في الحالين ابن
مجاهد وابوعون عن قنبل الباقون بغير ياء اني اعلم بفتح الياء ابوجعفر ونافع وابن كثير وابوعمرو ربي انه بالفتح ايضا ابوجعفر
ونافع وابوعمرو بي اذ بالفتح ايضا عندهم اخوتي ان بفتح الياء ايضا يزيد والبخاري عن ورش وقالون غير الحلواني
كظيم الهالكين لا تعلمون ولا تياسوا من روح الله الكافرين وتصدق علينا المتصدقين جاهلون لانت يوسف
اخي لتعجيل الشكر مع اختلاف الجملتين علينا لاحتمال انه ابتداء اخبار من الله وان كان من قول يوسف جاز الوقف ايضا لاتحاد القائل

مع الابتداء بان المحسنين لخاطئين اليوم لاختلاف الجملتين نفيا واثباتا او خبرا ودعاء لكم لاحتمال الاستئناف والحال وضح
الراحمين بان بصيرا لطول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين اجمعين تفندون القديم بصيرا لاحتمال ان يكون
ما بعد جواب لما وقوله القاه حالا بالاحتمال باضمار قد ما لا تعلمون خاطئين ربي الرحيم امنين سجدا من قبل لتمام الجملتين
لفظا دون المعنى حقا لتمام بيان الجملة الاولى وابتداء جملة العظمى اخوتي لما يشاء الحكيم الاحاديث نحو حذف حرف النداء
مع اتصال الكلام والاخرة لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء الصالحين لما سمع يعقوب ما سمع من حال
ابنه ضاق قلبه جدا وتولى عنهم اي اعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والالف
فيه من ياء الاضافة ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر في المائدة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف لا يخفى حسنه وهو من الفصاحة
اللفظية وكيف تاسف على يوسف دون اخيه والاخر الذي اقام بمصر والرزء الاحدث اشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر العتيق
والاسى يجلب الاسى ولان رزء يوسف كان اصل تلك الرزايا فكان الاسف عليه اسفا على الكل ولانه كان من المحبات الاخر دون جوة
يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي كان سببه الحزن قال الحكماء اذا كثر الاستفراغ اوجب كدورة في سواد العين مايلة
الى البياض فيكون منها العمى لا يلائم الطبقات ولا سيما القرنية وانصباب الفضول الردية اليها قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى كشفه الله تعالى
بقميص يوسف وقال اخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا او المراد بالبياض غلبة البكاء كان العين ابيضت من بياض ذلك الماء
وروي انه لم تجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه يوسف ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد
وما ساء ظنه بالله ساعة قط ونقل ان جبريل دخل على يوسف حين كان في السجن فقال ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يوسف
يده على راسه وقال ليت امي لم تلدني فلم اكن حزنا على ابي قال اكثر اهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال بعضهم الحزن بالضم والسكون
البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح وقد روى يونس عن ابي عمرو قال اذا كان في موضع النصب فتحوا كقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا
كان في موضع الجر او الرفع ضموا كقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك
المبلغ واجيب بان المنهي من الجزع هو الصياح والنياحة وضرب الخد وشق الثوب لا البكاء ونفثة الصدور وقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون ومما يدل على ان يعقوب عليه السلام امسك
لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي قوله فهو كظيم فعيل بمعنى مفعول اي مملوء من الغيظ على اولاده من غير اظهار بما يسوءهم اعضاء شريفة منه
في بحر المحبة فاللسان كان مشغولا بذكر يا اسفا والعين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوءا من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار
لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العقاب يروى ان ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبضني قبل ان ارى حبيبي قال لا ولكن جئت
لاحزن لحزنك واشجو لشجوك عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى
يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا وضعف هذه الرواية فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال ان لا يعرف امة
من الامم ان الكل من الله وان الرجوع لا محالة اليه واقول هذا نوع من الكناية فان منكري المبدأ والمعاد اكثر من حصا الوادي على ان المراد من الاعطاء
الارشاد الى هذا الذكر وخصوصا عند المصيبة وقد اخبر الصادق ان هذا مما خصت هذه الامة به والله اعلم قالوا الاظهر انهم ليسوا اولادهم
الذي تولى عنهم وانما هم جماعة كانوا في الدار من حشمه او اولاد اولاده تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعدم اللبس اذ لو كان اثباتا
لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة اي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتؤ عن حبه كانه جعل الفتور والفتؤ اخوين
قال ابو زيد ما فتئت اذكره اي ما زلت لا يتكلم به الا مع الجحد حتى تكون حرضا وصف بالمصدر للمبالغة والحرض فساد في الجسم والعقل
للحزن والحب حتى لا يكون لا كالاحياء ولا كالاموات ارادوا انك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشرف على الهلاك او تهلك فاجابهم
بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قالت العلماء اذا اسر الانسان حزنه كان هما واذا كان لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان بثا فالبث اصعب
الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس فمعنى الاية اني لا اذكر الاية الحزن الشديد ولا الحزن القليل الا مع الله ملتجئا اليه وداعيا
له تخلوني وشكايتي وهذا مقام العارفين الصديقين كقول نبينا صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك ويحتمل ان يكون هذا معنى توليه عنهم
اي تولى عنهم الى الله والشكاية اليه يحكى انه دخل على يعقوب رجل وقال له ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذي
لكثرة غمومي فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى الخلق فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما
اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت اي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب
خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم ان حال
يعقوب في تلك الواقعة كانت مختلفة فتارة كان مستغرقا في بحار معرفة الله تعالى وتارة يستولي الحزن والاسف فلما كانت الحادثة

بالنسبة اليه كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همه بيوسف بغير اختيار منه وكن اناسفه عليه وما روى
انه عوتب على ذلك فلان حسنات الابرار سيئات المقربين وبالحقيقة كانت واقعة يعقوب امر خارق للعادة اراد الله تعالى
بذلك ابتلاءه وتمادى اسفه وحزنه والا فمع غاية شهرته وشدة محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف ولو
لم يبعث يوسف اليه رسولا بعد تمكنه وقدرته ولم زاد في جنون ابيه بحبس اخيه عنده اما قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه
اعلم رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجوان ياتيني الفرج من حيث لا احتسب وقيل انه راى ملك الموت في المنام فقال يا ملك الموت
هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله فاشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه طمع لملك الموت في المنام فقال
يا ملك الموت كان قد راى امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا تخطي وقال السدي اخبره بنوه بسيرة الملك
وكمال حاله في اقواله وافعاله فظن انه ابنه او علم ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك ما اذاه فغلب على ظنه ان الملك هو يوسف
وقيل اوحى الله تعالى اليه انه سيلقى او سيلقى ابنه ولكنه ما عين الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال
يا بني اذهبوا فتحسسوا وهو طلب الشي بالحاسة كالسمع والبصر ومثله التجسس بالجيم وقد قري بهما وربما يخص الجيم بطلب الخبر في صدد
الخبر ولا تيأسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقري بالضم اي من رحمته التي تحيى بها العباد قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان
من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما يهتز لوجوده ويتلذذ به فهو من روح انه لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون لان هذا اليأس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد
مطلق ولا حكيم يفعل العبث والعيث وكل واحدة من هذه العقايد كفر فضلا عن جميعها اللهم اني لا ايأس من روحك فافعل بي ما انت اهله
ولا تفعل بي ما انا اهله ثم ان ههنا اضمارا والتقدير فقبلوا وصية ابيهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اي الملك
القادر المنيع مسنا واهلنا الضر الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها من ازجيتها اذا دفعته قال سبحانه الم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من
لغة العجم وقيل هي لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر وحبة الخضراء
وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها صورة يوسف وكان دراهم مصر تنقش عليها صورته
فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين وان يسعر لهم بالردي كما يسعر بالجيد واختلف
العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة فقال سفين بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا على الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم
وقال اخرون ارادوا بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة وبايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله ان الله
يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغي وجه الله فان الله لا يضيع عنده والصدقة العطية التي يرجى بها المثوبة
عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء ان يقال الله تعالى متصدق او اللهم تصدق علي بل يجب ان يقال اللهم اعطني او تفضل علي وارحمني كان يعقوب
بالتحسس من يوسف واخيه والمتحسس يجب عليه ان يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق يتعلق بكل شي فبداوا باظهار العجز والاعتراف
بضيق اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفضت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب
من يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه
ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي
ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي من بكائي عليه
ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا
نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك لم يتمالك يوسف عند قراءة الكتاب ان صرخ فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا
الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقوله هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتم
من يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بامرهم هذا وانا فعلهم باخيه
فتعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه وامه وايذاؤهم له بالاحتقار والامتهان وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه
قال انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم في اوان الصبي وزمان الجهالة والغرة ازالة الخجالة عنهم فان مظنة لجهل الشباب وتحقيقا
لهم في الدين اي هل علمتم قبحه فتبتم لان العلم بالقبح يدعو الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يشفي المغيظ
وينفث المصدور ويدرك ثارة الماثور وقيل انما نفى العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا ائنك لانت يوسف عرفوا بالخطاب
الذي لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم او تبسم فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم او رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب ولسارة مثلها قال انا يوسف صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي

ظلموني على اشنع الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب انا ذلك الاخ الذي قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال
وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما كما كنت ثم صار منعما عليه من الله ولذلك
قوله قد من الله علينا اي بكل خير دنيوي واخروي او بالجمع بعد التفريق انه الشان من يتق عقاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعاته
فان الله لا يضيع اجر المحسنين اراد اجرهم فاكتفى من الربط بالعموم ومن قرا يتقي باثبات الياء فوجهه ان يجعل من بمعنى الذي ويجوز
على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذف الحركة للتخفيف والمشاكلة وفي الاية دليل على براءة ساحة يوسف
ونزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى والصبر
وسيرة المحسنين وصورة الاحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء وان احتج بعضهم لان الانبياء متفاوتون في الله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وان كنا وان شاننا وانا كنا لخاطئين قال ابو عبيدة خطئ واخطا بمعنى واحد وقال الاموي المخطي من اراد الصواب
فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطي ويصيب والخاطي من تعمد ما لا ينبغي قال ابو علي الجبائي انهم لم يعتذروا عن ذلك الذي فعلوا
بيوسف لانه وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم اخطؤا وبعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه
ليعلم انه حي وان الذيب لم ياكله واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان من غير ان
يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر انه وقع ذلك بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما
اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم متعمدين للاثم قال يوسف لا تثريب لا تانيب ولا توبيخ وقيل لا اذكركم ذنبكم وقيل لا مجازاة لكم عندي
على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد
والتقريد لازالة الجلد والقراد وذلك لانه اذا ذهب عنه الثرب كان في غاية الهزال والعجف فضرب مثلا للتقريع الذي يدنف المضني وقوله
اليوم اما ان يتعلق بالتثريب او بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدا فدعا لهم
بمغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب الدارين مرتفعا عنهم واصل الدعاء ان يقع على لفظ المستقبل فاذا وقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل
ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء فيكون فيه اشارة بعاجل غفران الله لتجدد توبتهم وحدوثها في ذلك اليوم روي ان اخوته لما عرفوه
ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني
من حفدة ابرهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخذ يوم الفتح بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ
كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى الشباب اسهل منها الى
الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سالهم عن ابيهم فقالوا ذهبت
عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله فارتد بصيرا او المراد يات الي ويقويه
دليل قوله واتوني باهلكم اجمعين قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة اوحى اليه ان فيه عافية كل مبتلى و
شفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله علم ان اباه ما كان اعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميصه صار منشرح الصدر
فتقوى روحه ويزول الضعف روي ان يهودا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وهو حاف
حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف مصر وهم
ثلثة وتسعون بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم نحو من ستماية الف ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر فصل من البلد فصولا
انفصل منه وجاوز حيطانه وفصل مني اليه كتاب اذا نفذ واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد
بحاسة الشم ريح يوسف قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رايحة الجنة في الدنيا فعلم يعقوب انه ليس في الدنيا من ريح الجنة
الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجي اوان الروح والفرج من مسيرة
ثمان ايام والمنع من وصول خبره اليه مع قرب البلد في مدة ثمانين سنة او اربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك
يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فانه في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جوابه محذوف اي لولا ان
تفندون لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات
راي فتفند في الكبر قالوا يعني الحاضرين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم اي فيما كنت فيه قدما من البعد عن الصواب في افراط محبة
يوسف كما قال بنوه انا ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما كابد على يوسف من الاحزان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة
لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء صلة اي فلما جاء مثل فلما ذهب عن ابرهيم الروع وقيل مع الفعل في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما
ظهر ان جاء البشير وهو يهودا القاه طرحه البشير او يعقوب على وجهه فارتد بصيرا انقلب من العمى الى البصر ومن الضعف الى القوة قال

الم اقل لكم جوز في الكشاف ان يكون مفعوله محذوفا وهو قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله ويكون
قوله اني اعلم كلاما مستانفا والظاهر ان مفعوله قوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك انه كان قال لهم انما اشكو بثي وحزني
الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يروى انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين
الاسلام قال الان تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه وعلموا الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم
في وقت السحر لانه ارجى الاوقات اجابة وعن ابن عباس في رواية اخر الى ليلة الجمعة في نيف وعشرين سنة روي انه قام الى الصلوة في وقت
السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان
الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو
فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا
وظنوا انهم هلكوا نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة واختلاف الناس في نبوتهم
مشهور ويحكى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء
واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا هذا
ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فاجابه يوسف وقال يا ابه بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة
تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك ومعنى اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه
باقية الى ذلك الوقت او ماتت الا ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها تحقيقا لرؤيا يوسف وقيل المراد بابويه ابوه
وخالته لان امه ماتت في النفاس باخيه بنيامين حتى قيل ان بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماه الله
تعالى احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب فكيف وقد اجتمع ههنا الامران قال السدي كان
دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كانه حين استقبلهم نزل لاجلهم في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلى
هذا جاز ان يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا مصر اي اقيموا بها وقوله ان شاء الله امنين تعلق بالدخول المكيف
بالامن وكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم واقامتكم ان شاء الله وجواب الشرط بالحقيقة محذوف والتقدير ادخلوا مصر امنين ان شاء الله
دخلتم امنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما سلف يخافون ملك مصر او اراد الامن من القحط و
الشدة او من تعييرهم اياهم بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه وخروا له سجدا السائل ان يقول
السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجد والد يوسف واضاف تعظيم الابوين الى تعظيم الله سبحانه فمن اين جاز سجدة ابويه له والجواب عن ابن عباس
في رواية عطاء المراد خروا لاجل وجدانه سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التأويل في قوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
اي انها سجدت لله تعالى لاجل مصلحتي وطلب اعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه او يراد
بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة واعترض على هذا
الوجه ان لفظ الخرور يأباه واجيب بان الخرور قد يعنى به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا وقيل الضمير عائد الى الاخوة
فقط ورد بان قوله هذا تأويل رؤياي من قبل ينبو عنه واجيب بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا فيحتمل ان يكون السجدة في حق
الاخوة التواضع التام وفي حق ابويه مجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام للولد وقيل انما سجد الابوان لئلا يحمل الانفة اخوته
على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغائن او لعله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها
الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف موافقة لامر الله ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما راى سجودهم له اقشعر جلده ولكن لم يقل شيئا
وكان الامر بتلك السجدة كان من تمام الشدائد والبلية والله اعلم وقد احسن بي يقال احسن به واليه بمعنى اذ اخرجني من السجن لم يذكر اخراجه
من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولانه لم يكن نعمة لانه حينئذ صار عبدا وصار مبتلى بالمراة ولان هذا الاخراج
اقرب واشمل وجاء بكم من البدو اي من البادية سمي المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل
مواش ينتقلون في المياه والصحاري قال ابن الانباري بدا موضع معروف هناك روي عن ابن عباس ان يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه
ومنه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده اهل الحضر والبدو وقصد هذا الموضع الذي يقال له بدا والمعنى جاء بكم من قصد بدا
ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى اخبر عن يوسف انه اضاف الاحسان الى الله ونسب النزغ الى الشيطان
وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على ان الخير من الله دون الشر واجيب بانه انما راعى الادب والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة
واما صرف الداعية الى الشر فلا يقدر عليه الا الله تعالى فان العاقل لا يريد ضرر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء فاذا اراد حصول امر هيأ
اسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام انه هو العليم بالوجه الذي يسهل به الصعاب الحكيم في افعاله حتى يجيء على الوجه الاصوب

والنحو

والنحو الاصلح يحكى ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي والثياب والسلاح
وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال
او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى الى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك
ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له قال رب قد اتيتني من الملك شيئا من ملك الدنيا او من ملك مصر لانه كان دون ذلك فوقه
وعلمتني من تاويل الاحاديث بعضا من ذلك لانه لا يمكن ان يحصل للانسان في العمر المتناهي والاستعداد المعين زيادة سابقة كالدخان
او من عدم محض انت وليي في الدنيا والاخرة لا يتولى اصلاح مهماتي في الدارين غيرك ولما قدم النداء والثناء كما هو شرط الادب الحسن
ذكر المسئلة فقال توفني مسلما اراد الوفات على حال الاسلام لهم والختم بالحسنى كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون والحقني
بالصالحين من ابائي او على العموم قيل الصلاح اول درجات الصالحين فالواصل الى الغاية وهي النبوة كيف يليق به ان يطلب البداية والجواب
ان اراد الالحاق بالاباء فظاهر وان اراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير والالحاق باهل الصلاح غير فان اجتماع النفوس المشرقة
بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التي تتعاكس اضواؤها وتتكامل انوارها الى حيث لا تطيقها العيون
الضعيفة هذا مع ان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو ان التوفي على الاسلام والالحاق باهل الصلاح
لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى القائل افعل يا من لا تفعل وعلى هذا الاكثر تشنيع المعتزلة علينا اذا كان الفعل من الله تعالى
فكيف يجوز ان يكلف يقول للمكلف افعل مع انه ليس بفاعل اجاب الجبائي والكعبي بان المراد اللطف بالاقامة على الاسلام الى ان اموت فالحق
بالصلحاء ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله في حق الكل سوال اخر الانبياء يعلمون انهم يموتون
على الاسلام البتة فما الفائدة في الطلب الجواب العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي والايمان في مقام الخشية والرهبة وقال في التفسير
الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر وهي الاستسلام لحكم الله والرضا بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين
انه تمنى الموت واللحوق بدار البقاء في زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبي قبله ولا بعده قال اهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله ان
يعظم رغبته في الموت لوجوه منها ان مراتب الوجود ثلث المؤثر الذي لا يتاثر وهو الله تعالى وتقدس والمتاثر الذي لا يؤثر وهو عالم الاجسام
فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض المتضادة ويتوسطهما قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر و
التصرف من العالم الالهي ثم اذا اقبلت على عالم الاجسام تصرفت فيه واثرت وللنفوس في التاثير والتاثر مراتب غير متناهية لان تاثيرها
بحسب تاثرها عما فوقها والكمال الالهي غير متناه فاذن لا ينفك النفس من نقصان ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وقد ذاق لذة
الكمال بقي في القلق والم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الا الموت فحينئذ يتمنى ومنها ان سعادات الدنيا ولذاتها سريعة
الزوال مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها مخلوطة بالمنغصات والاراذل من الخلق
يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الاراذل اكثر فلا جرم يتمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الافات ومنها ان اللذات الجسمانية
لا حقيقة لها لان حاصلها يرجع الى دفع الالام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل
ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد البلع فان المأكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم ولا شك
انه شيء منفر ثم كما يصل الى المعدة يستحيل الى ما ذكرنا منفر فكيف به ومن هنا قال العقلاء من كانت همته ما يدخل في جوفه كانت قيمته
ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وايضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة نقص وافة وكذا الكلام في لذة النكاح
وعيوبها مع ان فيه احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقي المرء في مهالك الاكتساب ومهاوي
الانجاح ولذة الرياسة ادنى عيوبها ان كل واحد يكره بالطبع ان يكون خادما مامورا ويحب ان يكون مخدوما امرا فسعي الانسان
في الرياسة سعي في مخالفة كل من سواه ولا ريب ان هذا امر صعب الحصول عسير المرام واذا ناله كان على شرف الزوال في كل حين واوان
لان كثرة الاسباب توجب قوة حصول الاثر فيكون دائما في الحزن والخوف فاذا تامل العاقل في هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح في اللذات
العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فتكون دائما في بحار الافات وغمرات الحسرات فحينئذ يتمنى زوال هذه الحيوة وقد سبق منا
في تمني الموت كلام اخر في سورة البقرة في تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال اهل السير لما توفي يوسف تخاصم اهل مصر و
تشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان
يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ثم بقي يوسف هناك الى ان
بعث الله موسى فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر ابيه والله تعالى اعلم بحقائق الامور التأويل ان يعقوب الروح لا يشتغل على
شيء من المخلوقات الا على يوسف القلب لانه مرآة جمال الحق لا يشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه في انتظاره فلانه على تلك الاوصاف

الخصوص بسعد الثلث حاز السعادات السنية
فايه الاولى الاخرة بالطرق المختصرات على الاوفق
ساد على ان انصفه النداء الاولى
اي تعيد عما على الافضل
مع

البشرية بقولهم تفتؤ تذكر يوسف واين اهل السلوة من اهل العشق اين الخلي من الشجي ولابد للمحب من ملامة الخلق فاول ملامة
ادم عليه السلم حين قالت الملئكة لاجله اتجعل فيها من يفسد فيها بل اول ملامة هو الله تعالى حين قالوا له اتجعل فيها وذلك
انه اول محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم واعلم من الله من جماله وكماله اذهبوا فتحسسوا فيه ان الواجب على كل مسلم ان يطلب
يوسف قلبه وبنيامين سره ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دارت الاوصاف البشرية اثار العزة من رب العزة على صفحات
احوال يوسف القلب حين وصلوا بتيسير احكام الشريعة وتدبير اداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها العزيز مسنا
واهلنا وهم القوى الانسانية الضر البعاد عن الحضرة الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل فاضحا
العوارف واسباغ ظلال العواطف اذ انتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلومية والجهولية لقد اثرك الله علينا بالطلب والصدق
والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا لخاطئين في الاقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية التي تضر القلب والسر والروح
لا تثريب عليكم اليوم لانه صدر منها ما صدر بحكمة من الله تعالى في تربية القلب وان كان في ضر الظاهر كما ان صنيع اخوة يوسف في البدء
صار سبب الرفعة منزلته في النهاية اذهبوا بقميصي وهو نور جمال الله ولما فصلت عير واردات القلب وهبت نفحات الطاف الحق
انك لفي ضلالك القديم يا عاذل العاشقين دع فتية اضلها الله كيف ترشدها فارتد بصيرا لان الروح كان بصيرا في
بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب وردا البشير عاود الاعيننا وشفى النفوس
بما قلن غايات المنى فالقلب في بدء الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول فيضان الحق بين الاصبعين ونال
مملكة الخلافة في مصر القوة في النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستفادته بانوار الحق وذلك ان القلب بمثابة المصباح في قبول
نار النور الالهي والروح كالزيت فيحتاج المصباح في البداية الى الزيت في قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح وتركيبه في النهاية
ليقبل بواسطته النار ادخلوا مصر ان شاء الله لانه لا يصل الى الحضرة الاحدية المشية امنين من الانقطاع والانفصال وخروا
له سجدا الماراوه وعرفوه انه عرش الحق والسجدة كانت في الحقيقة لرب العرش لا للعرش هذا تاويل رؤياي من قبل اذ كنت نايما في نوم
العدم اذ اخرجني من السجن سجن الوجود ولم يقل من الجب لانه لا يخرج من جب البشرية ما دام في الدنيا من البدو والطبيعة انت ولي في
الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وارض البشرية توفني مسلما اخرجني عن الوجود المجازي وابقني ببقائك مع الباقي

ذلك من انبآء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا
امرهم وهم يمكرون ● وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكرى للعالمين ● وكاين من اية
في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ● وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون ● افامنوا ان تاتيهم غاشية من
عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ● قل هذه سبيلي
ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين ●
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة

خير للذين اتقوا افلا تعقلون ● حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين ●
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ● ما كان حديثا يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون ● سبيلي بفتح الياء ابو جعفر ونافع نوحي بالنون وكسر الحاء حفص الاخرون
بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وابن كثير والاعشى
والبرجمي الباقون بتاء الخطاب كذبوا مخففا عاصم وحمزة وعلي وخلف ويزيد الباقون بالتشديد فنجي بنون واحدة بضم النون وكسر
الجيم المشددة وفتح الياء ابن عامر وسهل ويعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائي مثل هذا ولكن بسكون الياء
وخطاء علي بن عيسى بناء على انه فعل مستقبل من الانجاء والنون لا تدغم في الجيم ومن التنجية والنون المتحركة لا يدغم في الساكن واقول ان كان
فعلا ماضيا من التنجية كما في القراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف لم يلزم ما نسبه الاخرون فننجي بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء
فعلا مضارعا من الانجاء على حكاية الحال الماضية اليك لا لابتداء النفي مع واو العطف يمكرون بمؤمنين اجر للعالمين
معرضون مشركون لا يشعرون ومن اتبعني المشركين القرى من قبلهم اتقوا تعقلون نصرنا لمن قرا فنجي بالتخفيف ولا وقف على من
نشاء المجرمين الالباب يؤمنون ذلك الذي ذكر من نبا يوسف هو من البشر من اخبار الغيب وقد مر تفسير مثل هذا في اخر
قصة زكريا وفي سورة ال عمران ومعنى اجماع الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح اراد عزمهم على القاء يوسف في البئر
وهو المكر بعينه او ذلك مع ساير الغوائل من المجي على قميصه بدم كذب ومن شرائهم اياه بثمن بخس قال اهل النظم ان كفار قريش وجماعة من اليهود
طلبوا هذه القصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله انه اذا ذكرها فربما امنوا فلما ذكرها اصروا
على كفرهم فنزل وما اكثر الناس اي اكثر خلق الله المكلفين او اكثر اهل مكة قاله ابن عباس ولو حرصت جواب مثل ما تقدم اي ولو حرصت فلم
بمؤمنين والحرص طلب الشيء باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الاية قوله انك لا تهدي من احببت وما تسالهم عليه على ما تحدثهم من اجر
كما يسال القاصي ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكاين من اية الاكثرون على انه لفظ مركب من كاف التشبيه واي التي
في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتمييز عن الكاف كانه
اي كان في مثلث دجلا والاكثر دخال من في مميزه وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض في مواضع اخر
تفصيل بعض الايات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الايات قصص الاولين واحوال
الاقدمين ومعنى يمرون عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرى والارض بالرفع على الابتداء وخبره يمرون والمراد
ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل ان جملة العالم العلوي والعالم السفلي محتوية على الدلائل والبينات على وجود
الصانع ونعوت كماله والغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا مقرين ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا في العبودية هم الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملئكة بنات الله وعن
الحسن هم اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتجت الكرامية بالاية على ان الايمان عبارة
عن مجرد الاقرار ولو كان كافيا لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتغمرهم قل يا محمد لهم هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان سبيلي و
سيرتي وقوله ادعو الى الله تفسير لسبيله وعلى بصيرة يتعلق بادعو وانا تاكيد للمستتر في ادعوه ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على
بصيرة حالا من ادعو عاملة في انا ومن اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ معطوفا عليه ومن اتبعني وعلى بصيرة خبر مقدما فيكون ابتداء اخبار بانه
ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشهي وقل سبحان الله تنزيها لله عما اشركوا وما انا من المشركين لا شركا جليا ولا شركا خفيا قال
وما ارسلنا من قبلك وفي الانبياء قبلك بغير من لان قبلا اسم للزمان السابق على ما اضيف اليه ومن يفيد استيعاب الطرفين وفي هذه السورة
اريد استيعاب قوله الا رجالا رد على من زعم ان الرسول ينبغي ان يكون ملكا ويمكن ان يكون امراة مثل سجاح المتنبئة وقوله من اهل القرى
خصهم بالاستنباء لان اهل البادية من الغلظ والجفا فبما رحمة من الله لنت لهم قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل افلم يسيروا
في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة انما قال افلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لاتصاله بقوله وما ارسلنا من قبلك

فكان الفاء انسب من الواو ولدار الاخرة موصوفة محذوف اى ولدار الساعة او الحال الاخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال
الاخرة وبيان الخيرية قد مر فى الانعام وانما حسنت ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال فى الكشاف حتى غاية لمحذوف دل عليه الكلام و
التقدير فتراخى نصر اولئك الرجال حتى اذا استيأسوا عن النصر او من ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا فيه وجوه للقراء فى التخفيف والتشديد
ولامكان عود الضمير فى الفعلين الى الرسل والى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل والسابق ذكرهم فى اولم يسيروا اما وجوه التخفيف
فمنها وظن الرسل انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذب رجاؤهم لقولهم رجاء صادق وكاذب والمراد بالظن
التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت حتى وهموا ان لا نصر لهم فى الدنيا قال ابن عباس ظنوا
حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا الا ترى قوله وزلزلوا اى العلماء حملوا قول ابن عباس على
ما يخطر بالبال بسبب الوسوسة وحديث النفس عالم البشرية واما الظن الذى هو ترجيح احد الجائزين على الاخر فلا لان الرسل
اعرف الناس بالله وبانه ميعاده مبرا عن وصمة الاخلاف ومنها وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر ومنها
وظن المرسل اليهم قد كذبوا من جهة الرسل اى كذبتهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم ولم يصدق قولهم فيه واما قراءة التشديد فان كان
الظن بمعنى اليقين فمعناه ايقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر منهم الايمان فحينئذ دعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستيصال
او كذبوهم فيما وعدوهم من العقاب والنصرة عليهم وان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل ان الذين آمنوا بهم كذبوهم وهذا
تاويل عائشة قالت ما وعد الله محمدا شيئا الا وعلم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا من ان يكذبهم الذين كانوا
قد آمنوا بهم لقد كان فى قصصهم قصص الرسل اضافة للمصدر الى الفاعل ويحسن انتقال الضمير لاخوة يوسف وله لاختصاص عنه
السورة بهم والعبرة نوع من الاعتبار وهى العبور من الطرف المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم انه لا خير
الا فى العمل الصالح والتزود بزاد التقوى فان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا العباد لم يراعوا حق الله فى شىء من ذلك ماتوا وانقرضوا
وبقى الوزر والوبال عليهم وعلى الخصوص ان الذى قدر على اعزاز يوسف بعد القائه فى الجب واعلاء شانه بعد حبسه فى السجن واجتماعه
باهله بعد طول البعاد قادر على اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشترك فى الدلالة على صدق محمد لان هذا النوع من القصص الذى
اعجز حملة الاحاديث ورواة الاخبار عن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر على وبرهان باهر على انه بطريق الوحى والتنزيل
وانما يكون دليلا واعتبارا لاولى الالباب واصحاب العقول الذين يتاملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان الدليل
دليل فى نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه مستدل قط كما ان الرئيس الحقيقى من له اهلية الرياسة وان كان فى نهاية الخمول ما كان مدلول
القصص وهو المنصوص والقرآن حديثا يفترى لظهور اعجازه ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شىء يحتاج
اليه فى الدين لانه القانون الذى يستند اليه السنة والاجماع والقياس وقيل تفصيل كل شىء من واقعة يوسف واخوته وابيه
قال الواحدى وعلى التفسيرين فهو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤول اليها وهدى فى الدنيا ورحمة فى الاخرة لقوم
يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك من انباء الغيب لان هذا الترتيب فى السلوك لا يعلمه الا الواجدون ملكوت السموات العوان
فى بحر بطن القرآن وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما انت لهم من اجل ان اللاهوتية
غير محتاجة الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة فى ذاتها مكملة لغيرها وكاين من آية فى سموات القلوب وارض النفوس
تمر الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لاقبالها على الدنيا وشهواتها وما يؤمن اكثر الصفات الانسانية بطلب الله وبذل
صفاتها الا وهم مشركون فى طلب الدنيا وشهواتها او طلب الاخرة ونعيمها او وما يؤمن اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون
فى طلب الحاجة من غير الله غاشية جذبة تبهر ارادتهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله او تاتيهم الساعة ساعة الانجذاب الى
الله هذه سبيلى لا طريق السير والسلوك مخصوص بى وبامته الا رجالا من اهل قرى الملكوت دون ملك الاجساد والرجال من القرى ويشبه
ان يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى اقل اجزاء من المدن افلم يسيروا فى ارض البشرية على قدمى الشريعة والطريقة
ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وظنوا انهم قد كذبوا فى ابطاء النصر ابتلاء المرسل الله حسبى

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق ولكن

اكثر الناس لا يؤمنون ● الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها
ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر
الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ● وهو الذى مد
الارض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ●
وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى
الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ● وان تعجب فعجب
قولهم ءاذا كنا ترابا ءانا لفى خلق جديد ● اولئك الذين كفروا
بربهم واولئك الاغلال فى اعناقهم واولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون ● ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت
من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان
ربك لشديد العقاب ● ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية
من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد ● الله يعلم ما تحمل كل انثى
وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار ●
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ● سواء منكم من اسر
القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ●
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا

فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ٥

وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالجر فيهن عطفا على اعناب يسقى بالياء المثناة من تحت على تقدير يسقى كله او للتغليب ابن عامر وعاصم ويزيد ورويس الباقون بتاء التانيث لقوله جنات ونفضل على الغيبة حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون على ونحن نفضل اذا بهمزتين اذا بهمزة ولحق على ايد بقلب الثانية ياء والباقي كما مر نافع غير قالون فسهل ويعقوب غير زيد اننا انا بالمد والباقي مثله زيد وقالون اذا بهمزة ولحق انا بهمزتين ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة اذا بهمزة واحدة انا بهمزة ممدودة ثم يا ويزيد اننا انا بهمزة ثم يا فيهما ابن كثير مثله ولكن بالمد ابو عمرو اذا انا بهمزتين فيهما عاصم وحمزة وخلف هادي واقي ووالي باقي في الوقف يعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعه وروى ابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الوقف وعن البزي بغير ياء المتعالي في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق سهل وعباس في الوصل

الوقوف المر كوفي ايات الكتاب لا يومنون والقمر مسمى يوقنون وانهارا النهار يتفكرون بماء واحد لمن قرا ونفضل بالنون في الاكل يعقلون حديد في اعناقهم النار خالدون المثلات ظلمهم لشان الجملتين العقاب من ... ها وما تزداد بمقدار المتعال بالنهار من امر الله ما بانفسهم فلا مرد له لاختلاف الجملتين وال

تلك الايات التي في هذه السورة ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك اي القران كله هو الحق الذي لا محيد عنه والمراد انه لا تختص الحقية في هذه السورة وحدها ثم اخذ في تفصيل الحق فبدا بالدلالة على صحة المبدا والمعاد فقال الله وهو مبتدا خبره الذي او الموصول صفة المبتدا وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبر بعد خبر والعمد بفتحتين جمع عمود وهو ما يعمد به الشيء شبه الاسطوانة وقوله ترونها كلام مستانف على سبيل الاستشهاد اي وانتم ترونها مرفوعة بلا عماد وقال الحسن في الاية تقديم وتاخير تقديره رفع السموات ترونها بغير عمد وفيه تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم زعم من تمسك بالمفهوم ان للسموات عمدا لكنا لا نراها وما تلك العمد قال بعض الظاهريين هو جبل من زبرجد محيط بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى سقوط هذا القول لان كل جسم لو كان معتمدا على شيء تسلسل وقال البعض من ترقى من حضيض الصورة الى ذروة عالم المعقول ان تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه الذي وقفها في الجو العالي ونحن لا نرى ذلك التدبير ولا نعرف كيفية ذلك الاحكام اما قوله يجري لاجل مسمى فعن ابن عباس ان للشمس مائة وثمانين منزلا في مائة وثمانين يوما ثم انها تعود مرة اخرى الى واحد واحد منها في امثال تلك الايام ومجموع تلك الايام سنة تامة اقول ان صح هذا عنه فلعله اراد تصاعدها في دائرة نصف النهار وتنازلها عنها في ايام السنة او اراد نزولها في فلكها الخارج المركز من الاوج الى الحضيض ثم صعودها من الحضيض الى الخارج فان لها بحسب كل جزء من تلك الاجزاء في كل يوم من ايام السنة تعديلا خاصا زايدا او ناقصا كما برهن عليه اهل النجوم واما القمر فسيره في منازله مشهورة وقال بعض المفسرين المراد كونهما متحركين الى يوم القيمة وبعد ذلك تنقطع الحركات وتنتهي السيرات كقوله واجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما تقول كتبت لثلث خلون وانما قال في سورة لقمن الى اجل مسمى موافقة لقوله قبل ذلك ومن يسلم وجهه الى الله والقياس لله كما في قوله اسلمت وجهي لله يدبر الامر اجمال بعد تفصيل اي امر العالم العلوي والعالم السفلي من اعلى العرش الى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شان عن شان لان تدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا تختلف بالنسبة الى قدرته احوال شيء من ذلك في الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتبديل الصور والاعراض وتغيير الاشكال والاوضاع يفصل الايات الدالة على وحدانيته وقدرته ويحتمل ان يراد بتدبير الامر تدبير عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الايات انزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذي هو اثر ذلك العالم في العالم السفلي ويجوز ان يكون تدبير الامر اشارة الى القضاء وتفصيل الايات اشارة الى القدر وقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون على التفاسير اشارة الى اثبات المعاد لان المقر بتدبيره وتقديره على الانهاج المذكورة لا بد ان يعترف باقتداره على الاعادة والجزاء ولما ذكر الدلايل السماوية اتبعها بالدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض قال الاصم اي بسطها الى ما لا يدرك منتهاها وهذا الامتداد الظاهر لحس البصر لا ينافي كريتها لتباعد اطرافها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيانها وغير منتقلة عن اماكنها وكيفية تكون الجبال على بسيط الارض لا يعلم تفصيلها الا موجدها وزعمت الفلاسفة انها من تاثير السموات في الاجزاء الارضية القابلة لذلك الاثر بعد امتزاجها بالاجزاء المائية وغيرها وقد تعين على ذلك نزول الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالي وزعم بعضهم ان البحار كانت لذلك الاثر بعد امتزاجها بالاجزاء المائية وغيرها وقد تعين على ذلك في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هنالك وحين انتقل الحضيض الى الجنوب انجذب المياه الى ذلك الجانب لان الشمس تصير في الحضيض اقرب الى الارض فتوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا وحدث الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة وباعانة من السموات والاثار العلوية

وبالجملة

وبالجملة فالاسباب تنتهي لا محالة الى مسبب لا سبب له وهو الله سبحانه ومن الدلايل الدالة على وجود الصانع ووحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض كما يتبينها فيما من احساس لا يخرجه واكثر ذلك انما يكون في الجبال فلذا قرن الجبال بالانهار في القران كثيرا كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا والتحقيق فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر ومكامن الاجسام المايعة والنفط والكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قادر حكيم يحدث على الارض بتربية الانهار والمياه وغذيتها انواع النبات فلذلك قال ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين والمعنى فيما قيل ان الله تعالى اول ما خلق العالم خلق من جميع الثمرات انواعها زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فتكون كل زوجين من النسبة الى ذلك النوع كادم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني انه اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاختلاف والصنفين صنف الزوجين لا لاثنين للتاكيد مثل نفخة واحدة قوله يغشي الليل النهار تقدم تفسيره في الاعراف وانما ذكر هذا في الانعام في اشباع الدلايل الارضية لان النور والظلمة ... وليس فيها ذات ذلك الصفار ولا ظلام فيما في الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الافق ويحتمل ان يكون هذا دليلا سماويا والسبحانه عاد مرة اخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي فقال وذلك قوله وفي الارض قطع متجاورات اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها ولا بد لهذا الاختلاف ظاهرة انما يحصل بفاعل مختار موقع في كل فعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل الكاينة في هذه القطع مختلفة الطبايع مختلفة الثمار في اللون والطعم والشكل فهي تسقى بماء واحد فدل ذلك على ان هذا الاختلاف ذات لا استناد الى الطبيعة فقط وكذا تقدير العزيز العليم وانما ذكر الزرع بين الاعناب والنخيل لانها كثيرا ما يكون كذلك في الوجود كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وعن ابن الاعرابي الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه ... قاله الزجاج ... انه عام في جميع المطعومات وانما ختم الاية السابقة بقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وهذه بقوله لعلكم تعقلون لان المقام في الاية يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الاسباب الاثيرية والامهات العنصرية وكل العاقل اذا تفكر علم ان اختصاص كل منتج بحيز معين وشكل معين وطبيعة وخاصية ... الاختلافات لا استناد الى اشعة كوكب معدودة ولا الى طبايع عناصر محصورة كما اشير الى ذلك بقوله وفي الارض قطع الاية ولين سلم ان الاتصالات الفلكية واختلافات العوامل والقوابل تدبر حتى الى حد يظهر منها هذه الاثار فلا بد لكل سبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب فوقه وليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يتجاوز الا اعادم عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر في الايات يوجب دلالة عقلية ما جعلت الايات دليلا عليه فهو الاول المودي الى الثاني والله ولي التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وان تعجب قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب او ان تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلايل الدالة على التوحيد او ان تعجب يا محمد فقد عجبت في موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرايب والعجايب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم ولئن سلم ان المراد عجب عند الله كما قرئ في الصافات بل عجبت بضم التاء فتاويله انه محمول على النهاية لا على البداية اي منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف اذا كنا الى اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله انا لفي خلق جديد وهو نبعث او نحشر ثم حكم عليهم بامور ثلثة الاول اولئك الذين كفروا بربهم يعني اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك ان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة او عن انكار كمالها بان يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتاثير الطبايع والافلاك وانكار العلم بان يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي وتمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو وانكار الصدق كما اذا قيل انه اخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جايز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة وكل واحد من هذه العقايد كفر فضلا عن جميعها الثاني واولئك الاغلال في اعناقهم قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل في عنقه للعمل الرديء اذا كان لازما له وهو مصر على فعله وقال اخرون هو من جملة الوعيد ولا بعد يجوز على القولين اما على الاول فظاهر واما الثاني فلان المراد انه سيحصل هذا المعنى والظاهر انه حاصل في الحال ويؤيد القول الثاني قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل والاول قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الثالث واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وتمسك الاشاعرة به ان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكباير لا يخلدون في النار ويمكن ان يناقش في افادتها الحصر ثم انه صلى الله عليه وسلم

كان يهددهم تارة بعذاب الاخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة بعذاب الدنيا فيستعجلون به زعما منهم انه
كلام لا اصل له والى هذا اشير بقوله ويستعجلونك بالسيئة بالعذاب والعقوبة التي تسوءهم قبل الحسنة وهي العافية والاحسان
اليهم بالامهال والتاخير وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها واصل هذا الحرف من المثل
الذي هو الشبيه لان العقاب مماثل للمعاقب عليه ومنه المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين
ونحو ذلك وذلك انه ليس تغييرا كليا لا يماثل الصورة الاولى وانما ذلك تغيير يجعل تبقى الصورة معه قبيحة وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على جواز العفو على صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله على ظلمهم حال عنهم ومن المعلوم ان
الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا لكن الاية دلت على انه تعالى يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ترك العمل بها في حق الكافر
فبقي معمولا بها في حق اهل الكباير لا يقال ان المراد من هذه المغفرة تاخير العقاب الى الاخرة ليقع جوابا عن استعجالهم والمراد غفران الصغاير
لمجتنب الكباير او غفران الكباير بشرط التوبة فان تاب والا فهو شديد العقاب لانا نقول تاخير العقاب الى الاخرة لا يسمى مغفرة والا كان
غافر الكفار وايضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل لا باداء الواجب وعندكم يجب غفران الصغاير لمن اجتنب
الكباير وجواب الباقي ما مر عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
قال اهل النظم ان الكفار طعنوا في نبوته بسبب الطعن في الحشر والنشر ثم طعنوا في نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا في نبوته
بسبب عدم الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقد تقدم مثل هذا في الانعام في تفسير قوله
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الايات وبالثاني انهم لم يهتدوا الى ان القران اية فوق كل اية وانكروا سائر اياته صلعم او لعلهم ذكروا هذا
الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات فاجاب سبحانه تسلية لرسوله انما انت منذر ما عليك الا الاتيان بما يصح به دعوى انذارك ورسالتك
ولكل قوم هاد من الانبياء يدعوهم الى الله بوجه من الهداية والارشاد يليق بزمانه وامته ولم يجعل الانبياء شرعا في المعجزات فعلى هذا
التقدير منذر نبي والهادي نبي الا ان الاول محمد والثاني نبي كل زمان وقيل المنذر محمد والهادي هو الله تعالى قاله ابن عباس وسعيد بن
جبير ومجاهد والضحاك والمعنى انهم جحدوا كون القران معجزا فلا يضيق قلبك بسببه فما عليك الا الانذار واما الهداية فمن الله وقيل
المنذر النبي والهادي هو الولي روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم وضع يده الى صدره فقال انا المنذر واومى الى منكب علي فقال يا علي
بك يهتدي المهتدون بعدي قاله في التفسير الكبير ثم اكد المعاني المذكورة في الايات السابقة بقوله الله يعلم لانه اذا كان عالما بجميع
المعلومات قدر على تمييز اجزاء كل بدن مكلف من غيره فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول العذاب مفوضا الى علمه فلا يجوز استعجاله به
وكذا انزال الايات يكون موكولا الى تدبيره فان علم ان المكلفين اقترحوها لاجل الاسترشاد ومزيد البيان اظهرها الله تعالى لهم والا فلا
وفيه ان عطاء كل منذر ايات خلاف ايات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية وعلى القول الثاني فيه ان من هذه قدرته وعلمه
هو القادر وحده على هدايتهم باي طريق شاء ويحتمل ان يكون الله خبر مبتدا محذوف والجملة تفسير الهادي اي هو الله ثم ابتدا
فقيل يعلم ما تحمل كل انثى قال في الكشاف لفظ ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام
وازديادها او غيوض ما فيها وزيادة على ان الفعلين غير متعدين فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها والازدياد افتعال من زاد
فابدلت التاء دالا او انه يتعدى ولا يتعدى كلاهما او موصولة والمراد يعلم ما تحمله من الولد ذكورته وانوثته وتخاليط اعضائه
وساير احواله من السعادة وضدها ومن العلم وضده الى غير ذلك ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه كقوله وغيض الماء وما تزداد
من العدد فقد يكون واحدا او اكثر ومن الخلقة فقد يكون تاما او مخدجا ومن المدة فقد يكون اقل من تسعة اشهر او ازيد الى سنتين عند ابي حنيفة
والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك ومن دم الحيض قال ابن عباس كلما سال الدم الحيض يوما زاد في مدة الحمل يوما ليحصل الجبر
ويعتدل الامر ثم بين كمال علمه ونفاذ امره بقوله وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه في طرفي الافراط والتفريط والمراد بالعندية
العلم كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا وذلك انه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة حسب مشيته الازلية وارادته
السرمدية وقال حكماء الاسلام وضع اسبابا كلية واودع فيها قوى وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير
المخصوصة احوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها افعال العباد واحوالهم واخلاقهم وخواطرهم ولذلك ختم الاية
بقوله عالم الغيب والشهادة اي هو عالم بما غاب عن الحس وبما حضر له او بما غاب عن الخلق وبما شهدوه او بالمعدومات وبالموجودات
الكبير في ذاته لا بحسب الجثة بل بالرتبة والشرف لانه اجل الموجودات المتعال المنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته وفي صفاته وفي افعاله
ثم زاد في التاكيد فقال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اي مستو في علمه هذان لانه يعلم السر كما يعلم الجهر لا يتفاوت في علمه احد الحالين
وسواء عنده من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار على ان سارب معطوف على من لا على مستخف ليتناول معنى الاستواء تخصيص احدهما مستخف
والاخر سارب والا فلم يتناول الا واحدا هو مستخف وسارب الا ان يكون من في معنى الاثنين حتى كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف

مطلب
المنذر النبي والهادي الولي
رواية عن ابن عباس

بالليل وسارب بالنهار وفي المستخفي والسارب قولان الاول ان المستخفي هو المستتر الطالب للخفاء في ظلمة الليل والسارب من
يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد يقال سرب في الارض سروبا اي ذهب في سربه بالفتح والسكون وهو الطريق ويؤيد
قول مجاهد معناه سواء من يقدم على القبايح في ظلمات الليل ومن ياتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالي وثانيهما نقل الواحدي
عن الاخفش وقطرب المستخفي الظاهر من قولهم اختفيت الشيء اي استخرجته والسارب المتواري الداخل سربا بفتحتين ومنه انسرب الوحشي
اذا دخل في كناسه وهذا ان صح من حيث اللغة لكن قرينتي الليل والنهار انما تساعدان القول الاول ولهذا اطبق اكثر المفسرين عليه ثم ذكر
في النظم ما يجري مجرى السبب لاستواء علمه بحالي المسر والمعلن فقال له اي لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات
جماعات من الملائكة يعقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت او هو على اصله من عقبه بالتشديد اذا جاء
على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبون والتانيث للمبالغة نحو نسابة وعلامة او لانه جمع معقبة
اي ملائكة معقبة او جماعة معقبة وقوله من امر الله ليس من صلة الحفظ لانه لا قدرة للملائكة ولا لاحد من الخلق على ان يحفظوا
احدا من قضاء الله وانما هو صفة اخرى كانه قيل له معقبات من امر الله يحفظونه او له معقبات يحفظونه ثم بين سبب الحفظ
فقال من امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه فمن بمعنى الباء وقرا به علي وابن عباس وغيرهما ويجوز ان يكون صلة على معنى يحفظونه
من باس الله اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال
قعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظونه من الجن والانس
والهوام ملك يحفظونه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته وقيل المراد يحفظونه من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه
لان كلا من المستخفي والسارب اذا سعى في مهماته فانما يحذر من الجهتين واما الفائدة في تسليط هؤلاء الملائكة على بني آدم قال العلماء
ان الشياطين يدعون الى المعاصي والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات الشريفة
واذا علم ابن ادم ان معه ملائكة يحصون عليه افعاله واقواله استحى منهم وكان ذلك له رادعا قويا وقد مر في هذا الباب كلام في الانعام
في قوله ويرسل عليكم حفظة فليتذكر وللاية تفسير اخر منقولا عن ابن عباس واختاره ابو مسلم الاصفهاني قال المعقبات الحرس واعوان
الملوك والجملة وهي قوله له معقبات صفة للمستخفي والسارب او حال منه لكونه نكرة موصوفة اي يستوي في علم الله السر والجهر والمستخفي
بظلمة الليل والسارب بالنهار مستظهرا بالمعاونين والانصار والمقصود بعض الامراء والسلاطين على ان يطلبوا الخلاص عن
المكاره بعصمة الله لا بالحرس والاعوان ولذلك ختم الاية بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال
ممن يلي امرهم ويدفع عنهم قال الاشاعرة في هذا الكلام دلالة على ان العبد غير مستقل في الفعل لانه اذا كفر العبد فلا شك انه تعالى
حكم بكونه مستحقا للذم في الدنيا والعقاب في الاخرة فلو كان العبد مستقلا لحصل الايمان وكان رادا لقضاء الله تعالى وقالت المعتزلة
هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم لانه لو ابتدا بالعبد اول ما يبلغ بالخذلان
والخذلان كان ذلك من اعظم العقاب مع انه ما كان منه تغيير قالوا وفيه دليل على انه لا يعاقب اطفال المشركين بذنوب ابائهم لانهم
لا يغيروا ما بانفسهم من نعمة الله فيغير الله ما بهم من النعمة الى العقاب اجابت الاشاعرة بان هذا راجع الى قوله ويستعجلونك بين الله سبحانه
بذلك انهم لا ينزل بهم عذاب الاستيصال الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم ان فيهم من يؤمن او في عقابهم
من يؤمن فانه لا يستاصلهم ورد بان هذا خلاف الظاهر وقد صرح بذلك في سورة الانفال في قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا
الاية والحق ان ترتيب النقمة على تغيير النعمة لا ينافي استناد تغيير النعمة اليه وانه مبدا المبادي وانهاء الوسايط ومسبب الاسباب
المر الالف الله لا اله الا هو الحي القيوم اللام له مقاليد السموات والارض الميم مالك يوم الدين الراء رب العالمين
من الازل الى الابد اقسم بهذه الامور ان القران المنزل على محمد هو الحق وانه حبل الله الذي به يوصل المؤمن من هبوط عالم الطبيعة الى ذروة
عالم الحقيقة لانه الله الذي رفع السموات بغير عمد فكما انه رفع السموات بقدرته فكذلك يرفع الدرجات برحمته او كما انه رفع السموات
المحسوسة بعمد القدرة كذلك يرفع سموات القلوب بجذبة العناية وسخر شمس الروح وقمر القلب والنفس لتدبير مصالح العالم الصغير وانما
تظهر هذه الغرايب والعجايب لحصول كمال الايقان بالرجوع الى الله والفناء فيه بل البقاء به ومن حسن تدبيره انه مد ارض البشرية و
جعل فيها رواسي الاوصاف الروحانية وانهارا من منابع العناية ومن كل الثمرات وهي الملكات والاخلاق جعل فيها زوجين اثنين ملكية
روحانية واخرى نفسانية ذميمة فالاولى نورية كالنهار والاخرى ظلمانية كالليل يغلب هذه تارة وتلك اخرى وهذا معنى قوله
يغشي الليل النهار وفي الارض الانسانية قطع متجاورات هي النفس والقلب والروح والسر والخفي حيوانية وملكوتية وروحانية وجبروتية
وعظموتية وجنات هي هذه الاعيان المستعدة لقبول الفيض عند بلوغها من اعناب هي ثمرة النفس من الصفات التي هي حاصل الاشكال كالغفلة
والحمق والشهوة واللهو وزرع هو ثمرة القلب فان القلب كالارض الطيبة التي منها غذاء الروح ونخيل هو الروح ذو الاخلاق الحميدة كالكرم

والجود والشجاعة والقناعة والحياء والتواضع والشفقة صنوان هو السر الجبروتي الكاشف عن اسرار الجبروت بين الرب والعبد
فانه اذا احكى السر للعبد كان الحكى منا الا لما عليه الوجود وغير صنوان هو الخفي الواقف على اسرار العظموت التي لا مثل لها ولا امثال ولا
يحكى لعبده كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى وكما قال بين المحبين سر ليس يفشيه تسقى بماء واحد هو ماء القدرة وحكمه الله يعلم ما تحمل كل
انثى ما في استعداد كل مستعد من الفضائل وما في كل ذرة من ذرات المكونات من الخواص والطبايع او ما في كل منها من الايات
الدالة على موجدها سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وما تغيض الارحام وما تزداد اي ما نظهر من الاستعدادات في جانبي التطرح
والافراط والمراد ما ينقص من ارحام الموجودات والمعدومات فمنها اوجدت نقص من رحم العدم واحد وزاد في رحم الوجود
وبالعكس في جانب العدم ستخف بليل العدم وظاهر بنهار الوجود له اي لله معقبات من العلم والقدرة من بين يدي المعلوم ومن خلفه
اي في حالتي عدمه ووجوده من ازالته الى بدء يحفظونه من امر الله اي لاجل امره حتى لا يخرج من قبضته تدبيره ان الله لا يغير
ما بقوم من الوجود والعدم حتى يغيروا ما بانفسهم من استدعاء الوجود او العدم بلسان استحقاق الوجود والعدم كما تقتضيه حكمته

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ● ويسبح الرعد
بحمده والملئكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم
يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون
من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه
وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ● ولله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال
قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ● قل هل يستوي الاعمى والبصير
ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ● انزل من السماء
ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله
الامثال ● للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم
● ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب

وماويهم

وماويهم جهنم وبئس المهاد ● افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق
كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب ● الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون
سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم
عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم والملئكة يدخلون عليهم من كل باب ● سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم
اللعنة ولهم سوء الدار ● الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا
بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي
اليه من اناب ● الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر
الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب

كباسط مثل بسطة وقد مر في البقرة ام هل يستوي بياء تحتانية حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل
الاخرون بتاء التانيث يوقدون على الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الخطاب اما الكفرة في قوله قل
افاتخذتم واما المكلفين على العموم كما في القراءة الاخرى الضمير يعود الى الناس المعلوم من سياق الكلام الثقال
لاختلاف الفاعل مع اتفاق اللفظ من خيفته كذلك في الله لاحتمال الواو للحال والاستيناف المحال الاية وانقطاع النظم دعوة الحق
بالغه ضلال والآصال السجدة والارض قل الله ولا ضرا والبصير للعطف والنور لاحتمال ان يكون هنا الاستفهام
بدلا عن الاول عليهم القهار رابيا مثله والباطل جفاء لاتفاق الجملتين مع كون اما للتفصيل في الارض الامثال الحسنى
لافتدوا به الحساب جهنم المهاد نصف الجزء اعمى الالباب الميثاق للعطف سوء الحساب الدار قوله جنات عدن بدل من عقبى
من كل باب لحق المحذوف اي قائلين والاولى عقبى الدار في الارض سوء الدار ويقدر الدنيا متاع من ربه اناب بذكر الله
الاول القلوب مآب لما خوف الله عباده بانزال ما لا مرد له اتبعه دلائل تشبه اللطف من بعضها والقهر من
بعضها وهي اربعة البرق والسحاب والرعد والصاعقة وقد مر في اول سورة البقرة تفسير هذه الالفاظ وقول الحكماء في اسباب حدوثها
وانتصاب خوفا وطمعا اما على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع والتقدير ذا خوف وطمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين

واما على انه مفعول له على تقدير حذف المضاف اى ارادة خوف وطمع وانما وجب تقدير المضاف ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل
كما هو شرط المفعول له ومعنى الخوف والطمع الخوف من وقوع الصواعق والطمع فى نزول الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر اما
بحسب الزمان او بحسب المكان فمن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كمصر ويطمع فيه من له فيه نوع نفع وعن ابن عباس ان اليهود سالت
النبى صلى الله عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فعلى هذا الصوت المسموع هو صوت
ذلك الملك الموكل المسمى بالرعد وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق
ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا غير مستبعد من قدرة الله وخصوصا عند من لا يجعل البنية شرطا فى الحيوة
وقيل المضاف محذوف اى يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين المطر حامدين له او ملتبسين بسبحان الله والحمد لله وعن على تم
سبحان من سبحت له السحاب والبرق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اشتد الرعد اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل معنى تسبيح الرعد ان الصوت المخصوص لهوله ومهابته يدل على وجود اله قهار كقوله وان من شئ الا
يسبح بحمده قال فى الكشاف ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم اما قوله والملكة من خيفته
اى ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله فقد ذكر جمع من المفسرين انه عنى بهؤلاء الملائكة اعوان الرعد فانه سبحانه جعل له اعوانا
قال ابن عباس انهم خائفون من الله لا كخوف ابن ادم فان احدهم لا يعرف من على يمينه ومن على يساره ولم يشغله عن عبادة الله طعام
ولا شراب ولا شئ وقال الحكماء انما تتم الاثار العلوية بقوى روحانية فلكية فللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا
القول فى الرياح وفى ساير الاثار فهذا هو المراد بالملائكة فى الاية قوله ويرسل الصواعق قد عرفت انها شعلة تنزل من السحاب وتنزل
بقوة شديدة فربما غاصت فى البحر واحرقت الحيتان ووجه الاستدلال بها على الصانع ان النار حارة يابسة وطبيعة السحاب تغلب
عليها الرطوبة والبرودة للاجزاء المائية فيه وحصول الضد من الضد لا يكون بالطبع وانما يكون بتدبير القادر المختار وتيجيره
ولما بين دلائل العلم فى قوله الله يعلم ودلائل كمال القدرة فى هذه الاية قال وهم يجادلون فى الله لان انكار المدلول بعد وضوح
الدليل جدال بالباطل وعناد محض ويحتمل ان يكون الواو للحال اى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم ويؤكده ما روى عن ابن عباس فى
رواية ابى صالح وابن جريج وابن زيد ان عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل قام عليه فقال يا محمد
مالى ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل الامر بعدك لى قال لا ليس ذلك الى انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء
قال فتجعلنى على الوبر وانت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لى قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك الى اليوم وكان
اوصى الى اربد بن ابى ربيعة اذا رايتنى اكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل فى الله يقول
اخبرنى عن ربك امن نحاس هو ام من حديد فدار اربد خلف النبى صلى الله عليه وسلم ليضربه واخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر
على سله وجعله عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله فراى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة
فى يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا قال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملان عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال
رسول الله صلى الله يمنعك الله من ذلك وابناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وخرج
وهو يقول واللات لئن اصحر الى محمد وصاحبه يعنى ملك الموت لانفذنهما برمحى فارسل الله اليه ملكا فلطمه بجناحه فاذراه فى التراب
وخرجت على ركبته غدة فى الوقت عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول اغدة كغدة البعير وموت فى بيت السلولية ثم مات على ظهر
فرسه وانزل الله الاية فى هذه القصة وهو شديد المحال معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمماحلة شدة المماكرة ومنه تمحل لكذا
اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعله اى القران شافعا مشفعا
ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة امرها واما عبارات المفسرين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة
ابو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى ارادة ايصال الشر الى مستحقه مع اخفاء تلك الارادة
عنه ثم اثنى على نفسه بالحقية وشهد على الاصنام بالبطلان فقال له دعوة الحق فاضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما
يضاف الكلمة الى الحق والمراد انه سبحانه يستدعى فيستجيب الدعوة اذا اراد فهو حقيق بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع
بخلاف ما لا فائدة فى دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب ولهذا اجاب النبى صلى الله عليه وسلم
فى الكافرين حتى دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قول لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادة هى الحق والصدق وقد
سلف تحقيق الحق فى اول هذا الكتاب فى تفسير البسملة والذين يدعون من دونه اى الالهة الذين يدعونهم او يعبدونهم الكفار من دون
الله لا يستجيبون لهم بشئ الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر به والحاصل ان الكفار
وذلك الطالب كليهما مشتركان فى الخيبة لاشتراكهما فى دعاء الجماد وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء

بيديه ليشرب فيبسطهما ناشرا اصابعه فلاجرم لا يبلغ طلبته ثم اكد خيبتهم بقوله وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فى ضياع وذهاب
عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لحقارة امرهم عنده وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ثم زاد فى الثناء فقال ولله يسجد
من فى السموات والارض فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر فى المؤمنين لانهم يسجدون لله طوعا اى بسهولة ونشاط
وكرها اى على تعب واضطرار ومجاهدة واما فى حق الكافر فمشكل ووجهه ان يقال المراد حق له ان يسجد لاجله جميع المكلفين
من الملائكة والثقلين فعبر عن الوجوب بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالالهية وترك الامتناع
عن نفوذ مشيته فيهم فلا اشكال نظيره وله اسلم من فى السموات والارض وقد مر فى ال عمران اما قوله وظلالهم فقد قال
جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانبارى لا يبعد ان يخلق الله للاظلال انهاما تسجد بها لله وتخضع له كما جعل للجبال انهاما
حتى اشتغلت بتسبيحه وظل المؤمن يسجد لله طوعا وكرها طائع وظل الكافر يسجد لغير الله كرها ويسجد لله طوعا وقال اخرون
المراد من سجود الظلال تقاصها وامتدادها حسب ارتفاع الشمس وانحطاطها فهى منقادة مستسلمة لما اتاح الله لها فى الاحوال
وتخصيص الغدو والاصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها فى الوقتين ومعنى الغدو والاصال قد مر فى اخر الاعراف واعلم انه سبحانه
ذكر اية السجدة فى النحل بعبارة اخرى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة لانه تقدم ذكر ما خلق الله على
العموم ولم يكن فيه ذكر الملائكة ولا الانس الصريح فعم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال فى الحج الم تر ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض بتكرير من لانه تقدم ذكر المؤمنين وساير الاديان فقدم ذكر من فى السموات تعظيما لهم ولها وذكر من فى الارض
لانهم هم الذين تقدم ذكرهم واما فى هذه السورة فقد تقدم ذكر العلويات من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم ثم انجر الكلام الى ذكر
الاصنام والكفار فبدا فى اية السجدة بذكر من فى السموات لذلك وذكر الارض تبعا ولم يذكر من فيها استخفافا بالكفرة واصنامهم فتبين انه
ورد كل اية بما لاق بمقامها والله تعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن التسخير بسؤال التقرير ردا على عبدة الاصنام فقال قل من رب السموات والارض
قل الله وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بانه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه وهذا قولك فاذا قال هذا قولى
قال هذا قولك فيحكى اقراره استيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله قل افاتخذتم ويجوز ان يكون
تلقينا اى ليس امكنهم له والهمزة فى افاتخذتم للانكار والمعنى ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء جمادات
عجزة عن تحصيل المنافع والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار
سبب الاشراك ثم جعلوا مع ذلك اخس الاشياء مكان اشرف الذوات وهذا جهل لا مزيد عليهم فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهالاتهم
بالظلمات وانكر ان يكون شئ منهما مساويا للنقيض فقال قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور جمع الظلمات ووحد النور
لان السبل المنحرفة غير محصورة والصراط المستقيم واحد ثم اكد الانكار المذكور بقوله ام جعلوا والمراد بل جعلوا لله شركاء خالقين مثل
خلقه فتشابه الخلق اى خلق الله وخلقهم عليهم اى ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق الله حتى يشتبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق اصلا بل كل
ما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار المتوحد بالربوبية الذى لا يغالب وما عداه مربوب
ومقهور قالت المعتزلة للعبد فعل وتاثير ولكنا لا نقول انه يخلق كخلق الله لان العبد يفعل لجلب منفعة او دفع مضرة والله تعالى منزه
عن ذلك واجيب بان المخالفة من بعض الوجوه لا يقدح فى المماثلة من وجه اخر فلو كان فعل العبد كالتحريك مثلا واقعا بقدرته لكان مثلا
للتحريك الواقع بقدرة الله تعالى وهذا الاشكال وارد ايضا على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب مثلا اخر للحق ودونه والباطل ومنتحليه
فقال انزل من السماء ماء فسالت اودية اى مياهها والوادى الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذى فيه السيل وقيل الوادى اسم
للماء من ودى اذا سال والمعنى سالت مياه قال الفارسى لا نعلم فاعلا جمع على افعلة الا هذا وكانه حمل على فعيل فجمع على افعلة كجريب واجربة
كما ان فعيلا حمل على فاعل فجمع على افعال مثل يتيم وايتام وشريف واشراف كاصحاب وانصار فى صاحب وناصر وقال غيره نظيره ناد واندية
لنادى النديم ومعنى التنكير فى اودية ان المطر لا ياتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض قال فى الكشاف
معنى بقدرها بمقدارها الذى عرف الله انه نافع للممطور عليهم بدليل قوله واما ما ينفع الناس وقال الواحدى معناه سالت مياه الاودية
بقدر الاودية فان صغر الوادى قل الماء وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج
طافيا فوق الماء وقال غيره زائدا بسبب انتفاخه من ربا يربو اذا زاد قال سبحانه اظهار الكبرياء كما هو ديدن الملوك ومما توقدون
عليه من لابتداء الغاية اى ومنه ينشا زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله اراد به الاجسام المنطرقة الذائبة والايقاد
على الشئ قسمان احدهما ان لا يكون ذلك الشئ فى النار كالاجر فى قوله فاوقد لى يا هامان على الطين والثانى ان يكون فى النار كانواع الفلزات
فلهذا قال ههنا بزيادة لفظة فى النار قال فى الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع مثل فائدة قوله بقدرها لانه جمع بين الماء
والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز وهو اتخاذ الحلى من الذهب والفضة واتخاذ ساير اثاث البيت وامتعته من الحديد والنحاس والرصاص

والاسرب وما يتركب منهما والمتاع كل ما يتمتع به كذلك يضرب الله الحق والباطل اى يضرب الامثال للحق والباطل ثم مثله في اخر الاية
فاختصر الكلام بان حذف الامثال من الاول والحق والباطل من الثانى تاكيدا للمقصود مع رعاية الاختصار ثم شرع في تتميم المثل
قايلا فاما الزبد فيذهب جفاء نصب على الحال وهو اسم لما ينفيه السيل يقال جفا الوادى بالمد جفاء اذا رمى بالقذر والزبد وكذلك
القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض حاصل المثل ان الوادى اذا جرى طفا عليه زبد وذلك
الزبد يبطل ويبقى الماء النافع في العيون والابار والانهار وكذا الاجساد المنطرقة اذا ذيبت لاجل اتخاذ الحلى وساير الامتعة انفصل
عنها خبث وزبد فيبطل ويتلاشى ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به ازمنة متطاولة وتطبيق المثل على الحق والباطل انه سبحانه انزل من
سماء الوحى ماء بيان القران فسالت اودية القلوب بقدرها فان كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القران ما يليق بذلك القلب على قدر
استعداده ثم انه يختلط بذلك البيان شكوك وشبهات ولكنها بالاخرة تضمحل ويبقى العلم واليقين فزبد السيل والفلز مثل للباطل
في سرعة اضمحلاله وانسلاخه من المنفعة والماء والفلز الصافى مثل للحق في البقاء والانتفاع به ثم ذكر احوال السعداء وتبعات
الاشقياء فقال للذين استجابوا لربهم اى فيما دعاهم اليه من التوحيد والنبوة والتكاليف الحسنى اى المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين
لم يستجيبوا له مبتداء اخبره الجملة الشرطية بعده وقيل ان الكلام متصل بما قبله اى يضرب الله الامثال لهذين الفريقين وقوله
الحسنى صفة لمصدر استجابوا اى الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين ومن ذلك قوله اولئك لهم
سوء الحساب قال الزجاج لان كفرهم احبط اعمالهم وقال غيره سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعى هو ان يحاسب الرجل بذنبه كله
لا يغفر منه شى وقالت الحكماء هو ظهور اثار الملكات الرديئة والهيئات الذميمة على النفس ولم يكن قبل ذلك له شعور بها لاشتغاله
بعالم الحس ومأويهم جهنم لانهم اقبلوا على الدنيا واعرضوا عن المولى فلاجرم اذا ماتوا فارقوا معشوقهم ناوداتهم الحرمان والخسران
والاحتراق بنار الفراق ثم انكر بعد هذه البيانات ان يسوى بين الناقد البصير والجاهل الضرير فقال افمن يعلم انما اى ان الذى انزل
اليك من ربك الحق كمن هو اعمى القلب انما يتذكر اى لا ينتفع بالامثال الا اولوا الالباب الذين يعبرون من القشر الى اللباب ثم وصفهم
بقوله الذين يوفون بعهد الله ويجوز ان يكون نصبا على المدح وان يكون مبتدا وخبره اولئك اما عهد الله فعن ابن عباس هو المذكور
في قوله واذ اخذ ربك من بنى ادم وقيل هو كل ما قام عليه دليل عقلى او سمعى من الافعال والتروك ولا عهد اوكد من الحجة بدليل ان من
حلف على الشى فانما يلزمه على الوفاء به اذا ثبت بدليل جوازه ولا ينقضون الميثاق تاكيد للوفاء بالعهد بعبارة اخرى يلزم الاولى كقولك
الموجب وجوده لزم ان يمتنع عدمه وقيل الوفاء بعهد الله اشارة الى ما كلفه الله العبد به ابتداء وعدم نقض الميثاق اراد به ما التزمه العبد
بالنذر وقيل الوفاء بالعهد عهد الربوبية والعبودية والميثاق اعم لشموله كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله ومن ساير الواجبات
بينهم وبين الله وبين العباد والوفاء بالعهد امر مستحسن في العقول والشرايع كلها قال صلعم من عاهد الله فغدر كانت فيه خصلة من
النفاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل اراد ما بينهم وبين العباد بالذكر فقيل المراد صلة الرحم وقيل موازرة النبى صلى الله عليه وسلم
ومعاونته ونصرته في الجهاد وقيل رعاية جميع الحقوق الناس بالشفقة عليهم والنصيحة لهم في كل حال وكل حين ومن ذلك عيادة المرضى
وشهود الجنايز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم ومن يطيف بحضرتهم والتحلحة ويخشون ربهم بكل ما قعدوا عليه في باب التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق الله خوفا من وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب ولازم ذلك ان يحاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا
وقيل الخشية نوعان خشية الجلال كما للعبد احضر بين يدى السلطان ومنه خشية الملائكة يخافون ربهم من فوقهم ولعل هذا اشارة
بقوله ويخشون ربهم وخشية ان يقع في العبادة خلل او نقص يوجب فسادها او نقصان ثوابها ولهذا الاشارة بقوله ويخافون سوء
الحساب والذين صبروا عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى المصائب ابتغاء وجه ربهم لا لاجل ان يقال ما اصبره وما احمله وما ازهده
وغيره من الاعراض الفاسدة وانما يصبر على التكاليف لانها احكام المعبود الحق ويصبر على الرزايا لانها قسمة قسام متصرف في ملكه كيف
شاء ولانه يشتغل بالمعبود والقاصد عن العاشق بالعشوق الضرب والايلام لا يتأذى به النظر الى وجه معشوقه وكذلك
العارف يصير على البلايا والحزن لاستغراقه في بحر العرفان وفيضان انوار المعروف عليه واقاموا الصلوة ولم يمتنع دخل النوافل فيها
لقول ما زال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النفل لانه في السر افضل والفرض لانه
في الجهر افضل كما مر في سورة البقرة ويدرءون بالحسنة السيئة اى يدفعون بالعمل الصالح او الخصلة الحسنة المعصية كما قال عليه السلام
اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل لا يقابلون الشر بالشر وانما يقابلونه بالخير كما روى عن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا
ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم روى ان شقيق بن ابراهيم البلخى
دخل على عبد الله بن المبارك هكذا طريقة كلابنا وانا الكاملون الذين اذا منعوا شكروا واذا اعطوا اثروا وقيل المراد بالاية انهم اذا
ما واسكروا المرء واتبعهم اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهى الجنة المراد انه تعالى ان يكون مرجع اهلها والعقبى مصدر كالعاقبة

مطلب ويمتنع النوافل فيها لقول ماز

وعقبى الدار والعقبى يجوز ان يكون مضافا الى الفاعل والمفعول اى ان يعقب اعمالهم الدار التى هى الجنة ومعنى جنات عدن
تقدم في سورة براءة ومن صلح معطوف على فاعل يدخلونها ويجوز ان يكون مفعولا معه قال ابن عباس يريد من صدق كما صدقوا
وان لم يعمل مثل اعمالهم وقال الزجاج بين ان الانساب لا ينفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحة قال الواحدى والاول اصح لان الله تعالى
جعل من ثواب المطيع سروره بحضور اهله معه في الجنة فلو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة ويمكن ان يوجه قول الزجاج
بان المقصود بشارة المؤمن بان اهل الصلاح من اصوله وفصوله وازواجه يجتمعون به في دار الثواب فقد يمكن ان يكونوا
جميعا في الجنة ولا يجتمعون في موضع ولقايل ان يقول الدخول اعم من الاجتماع ولا دلالة للعام على الخاص فصح اعتراض الواحدى
والاباء جمع ابوى كل واحد منهم مكانه قيل من ابائهم وامهاتهم وليس في الاية ما يدل على تمييز زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات
عنها او ماتت عنه ويؤيده ما روى عن سودة انه لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعنى يا رسول الله احشر في زمرة
نسائك قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ابواب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم الملئكة من كل باب
يقولون عليهم سلام عليكم بما صبرتم على امر الله وقال ابو بكر الاصم من كل باب من ابواب البر كباب الصلوة وباب الصبر ويقولون نعم ما اعقبكم
الله بعد الدار الاولى وهذا يناسب قول حكماء الاسلام ان لكل مرتبة من مراتب الكمالات جوهرا قدسيا وروحا علويا يختص بتلك
الصفة فبعد المفارقة تفيض على النفس الكاملة من ملك الصبر كمال مخصوص ومن ملك الشكر كذلك وعلى هذا القياس وقد
يستدل بالاية على ان الملك افضل من البشر والا فلم يكن دخولهم على المؤمنين موجبا لتحيتهم واكرامهم ويمكن ان يجاب بان وجه التكريم
هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجى والباء في قوله بما صبرتم يتعلق بالسلام والمعنى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم
على الطاعات وعن المحرمات وقيل يتعلق بمحذوف وفناء هذا الثواب بسبب صبركم او بدل صبركم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان
ياتى قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقياء وقد مر تفسيرها
في اول البقرة على ان الضد قد يعلم من الضد بسهولة وقد مر انفا وقوله سوء الدار في مقابلة عقبى الدار كان العاقبة لا يطلق الا
على العاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين لان غير الحميدة لا يستاهل ان تكون عاقبة وقال في الكشاف المراد سوء عاقبة
الدنيا ولا حاجة الى هذا الاضمار بناء على ما قلنا قال ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها ذكر اهل النظم انه لما بين سوء حال
الناقضين كان لقايل ان يقول فما بالهم قد فتح الله عليهم ابواب الرزق في الدنيا فاجاب بقوله الله يبسط الرزق والمراد ان الدنيا
دار امتحان لا دار جزاء فقد يتفق ان يكون الجاهل الكافر رخى البال والعالم المؤمن ردى الحال ولا تعلق لهذا المعنى بالكفر والايمان والتركيب
الحصرى هو وحده يوسع الرزق على من يشاء كاهل مكة ويقدر اى يضيق ومعناه انه يعطيه بقدر الضرورة وسد الرمق لا يفضل منه شى
وفرحوا يعنى اهل مكة واضرابهم بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح تحدث بنعمة الله واظهار لفضله عليهم وما الحيوة الدنيا ونعيمها
في جنب نعيم الاخرة الا متاع شى نزر يتمتع به اياما قلائل ثم بعد ذلك حسرات لانها بتر لها ومثل هذا لا يوجب الفرح بل لا يجوزه ثم حكى نوعا
اخر من قبايح الكفرة فقال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر مثله في هذه السورة وذكرنا انه ليس بتكرار محض لان
قوله في جوابهم قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من اناب اقبل على الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير فيه غموض ولجيب بانه يجرى مجرى
التعجب كانه قيل ما اعظم عنادكم بعد ما انزلت من الايات الباهرة ان الاضلال والهداية من الله والمراد لا تشتغلوا بطلب الايات ولكن
تضرعوا الى الله في طلب الهدايات فان الذى يضله الله يرى الاية سحرا والذى هداه يرى معجزة وقال الجبائى المعنى ان الله يضل من يشاء عن
طريق الثواب ويهدى اليه اقواما اخرين فلولا انكم تستحقون العقاب لهداكم الى الثواب بانزال ما اقترحتموه وقيل المراد انه تعالى انزل ايات
ظاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله فلو شاء لهديكم فلا فائدة في تكثير المعجزات الذين امنوا ابدل من اناب وتطمئن قلوبهم عن ابن عباس يريد
اذا سمعوا القران خشعت قلوبهم واطمانت والاطمينان بايات الوعد لا ينافى الوجل من ايات الوعيد حيث قال اذا ذكر الله وجلت قلوبهم او المراد
ان علمهم بكون القران معجزا يوجب حصول الطمانينة لهم بانه سبحانه واحد لا شريك له صادق في وعده ووعيده وبان محمدا نبى حق الا بذكر الله
تطمئن القلوب التحقيق فيه ان الانسان متوسط الرتبة بين عالم الارواح وعالم الاجساد فاذا توجه في عالم الجسد اشتاق الى التصرف فيخلطه
له هناك امور ضرورية في التعيش ادونها اليس ما هو من خرط القتادة فيوزع فكره ويضطرب احواله اما اذا توجه الى عالم الروح فانه
يزول الاضطراب ويتوحد المطلب ويحصل الاستغراق في بحر العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالى اين وقع
انا الغريق فما خوفى من البلل وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلب ذهبا صافيا باقيا على كر الدهور فاكسير
جلال الله انه اذا وقع في القلب السليم كيف لا تقلبه جوهرا صافيا نورانيا امنا من التغير والزوال الذين امنوا مبتدا خبره طوبى لهم
وجوز في الكشاف ان يكون بدلا على حذف المضاف اى قلوب الذين امنوا طوبى مصدر من طاب يطيب كبشرى وواوه منقلبة عن ياء لضمة
ما قبلها واللام للبيان مثل سقيا لك والمعنى طيب لهم على الدعاء او الخبر عن ابن عباس فرح وقرة عين الضحاك غبطة لهم قتادة حسنى لهم الاصم

اصل وكرامة الزجاج عيش طيب والكل متقارب والعبارة الجامعة ان الطيب الاشياء في كل الامور حاصل لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكى
الاصم ان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن غصن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة غرسها
الله بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم ان طوبى هي الجنة بالحبشة والمآب
هو الذي يريكم برق انوار الجلال فيغلب عليكم خوف الانقطاع واليأس ويريكم برق اضواء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصل ورجاء الاستيناس
وينشئ سحاب النوال والافضال الثقال بمطر القبول والاقبال ويسبح الرعد وهو الملك المقبول من نور الهيبة في قلوب الخلق كلهم حتى الملئكة
فيسبحون من خيفته ويرسل صواعق القهر فيصيب بها من يشاء من اهل الخذلان فيحرق حسن استعدادهم في قبول الايمان ومن نتايج ذلك
انهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كالفلاسفة الذين لا يتابعون الانبياء والشرايع وكبعض المتكلمين من اهل الاهواء والبدع
له دعوة الحق اي دعوته حق لمن دعاه فيستجيبه كما قالتا السموات والارض اتينا طايعين وايضا له دعاة يدعون الخلق بالحق الى الحق
والذين يدعون من دونه اي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا تأثير في الخلق نفعهم كمن يبسط يده الى الماء اشارة الى الحق انه يريد شربه
وما هو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة فان استجيبوا في الظاهر لانهم استجابوا لهم على الهوى كما دعوا الى الحق بالهوى يدل عليه قوله وما
دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملئكة وارواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا ومن ارواح
الكافرين والمنافقين والشياطين كرها بالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم اي نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح وليس
من شأنها لانها امارة بالسوء الا ما رحم الرب فانها تسجد بتبعية الروح ومعنى اخر ولله يسجد من في سموات القلوب من صفات القلوب
والارواح والعقول طوعا ومن في ارض النفوس من صفات النفس والقوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي آثارها
ونتايجها اخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة وظلالهم وهي اجسادهم بالتبعية وهذا السجود بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان
آثار القدرة فيهما اكثر وان اريد الانقياد والتسخير احتمل انه اريد بالوقتين وقتا الانشاء والنوم ففي الاول يطلع شمس الروح من افق الجسد وفي
الثاني يغرب فيه انزل من سماء القلوب ماء المحبة فسالت اودية النفوس فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية
او انزل من سماء القلوب ماء مشاهدة الجمال فسالت اودية القلوب فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية او انزل من سماء الاسرار
ماء كشوف الجمال فسالت اودية الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا من انانية الروحانية او انزل من سماء الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية
فسالت اودية الاسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي ومما توقدون عليه من البقاء في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
فلا تبقي ولا تذر وهي التزكية بالفناء ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي او متاع وهو التمتع به زبد مثله مثل زبد البشرية وهو
زبد المعرفة والتوحيد فاما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء واما ما ينفع الناس من البقاء بالله فيمكث في ارض الوجود المستعد
لقبول الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العناية الازلية التي الاستجابة من نتايجها كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين
لم يستجيبوا العجز عنهم للوصول والوصال لو حصل لهم ما في ارض البشرية من انواع اللذات والحظوظ واضعافها لجعلوه فداءكم عذاب القطيعة
وانفقوا ابتغاء ذوقها اي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سرا بالانقطاع عما يشتغل بواطنهم وعلانية الانفصال عما يشتغل ظواهرهم ويدرؤن
بالاعمال والاحوال الحسنة في صدق الطلب الاحوال السيئة من الوقايع والفترات والملئكة يدخلون عليهم تبركا وتيمنا بهم تبعا لهم من كل باب
دخلوها بالاستقلال لطا اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى صدق الطلب الا بذكر الله تطمئن القلوب القلوب اربعة
قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمينانه بالدنيا وشهواتها رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسي ولم نجد له
عزما فاطمينانه بالتوبة فتاب عليه وهدى وقلب مشتاق فاطمينانه بذكر الله كما في الاية وقلب معاني هو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمينانه
بالله وصفاته كقول الخليل ولكن ليطمئن قلبي اي بتجلي صفة الاحياء واذا صار القلب مطمئنا انعكس نور الايمان من مرآة قلبه على نفسه فتصير
مطمئنة ايضا فتستحق بجذبات العناية لخطاب ارجعي ثم اشار الى ان الاطمينان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في ارض القلب فقال الذين
آمنوا الاية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم تكن الا في قلب النبي صلى الله عليه وسلم وبتبعيته في قلوب
المؤمنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة فافهم والله اعلم بمراده ٥

كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك
وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب

ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا
من دارهم حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء
قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين
للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد
لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق
مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم
وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين اتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه مآب وكذلك
انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم
ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك و
جعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله

يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم
فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار
لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

متابى وعقابى مابى بالياء في الحالين يعقوب والسرندبي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل بل نرى بن ونحوه
بالادغام على وهشام وصدوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن عاصم وحمزه وعلي وخلف ويعقوب الباقون بفتحها ويثبت مخففا من الاثبات
ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الاخرون بالتشديد من التثبيت الكافر على التوحيد ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير
الباقون الكفار على الجمع الرحمن الا هو لانقطاع النظم مع اتحاد القائل متاب الموقى لان جواب لو محذوف اى لكان
هذا القرآن جميعا في الموضعين وعد الله الميعاد اخذتهم للاستفهام مع الفاء عقاب بما كسبت لحق الخبر المحذوف التقدير كمن لا ينفع و
لا يضر ولان قوله وجعلوا يصلح للاستيناف والحال باضمار قد شركاء سموهم لحق الاستفهام من القول عن السبيل هاد اشق لاتفاق
الجملتين مع النفي في الثانية واق المتقون لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة والوصل وجه يذكر في التفسير الانهار وظلها اتقوا
فيل والوصل اجوز لان الجمع بين بيان الحالين ادل على الاشتباه النار بعضه ولا اشرك به ماب عربيا العلم لان ما بعده جواب واق
وذرية باذن الله كتاب ويثبت والوصل اجوز لتمام المقصود الكلام الكتاب الحساب اطرافها لحكمه الحساب جميعا كل نفس الدار
مرسلا وبينكم للعطف الكتاب عن ابن عباس والحسن ارسلناك كما ارسلنا قبلك في امة قد خلت من قبلها امم وقال
اخرون معنى التشبيه كما ارسلنا الى امم وآتيناهم كتبا تتلى عليهم كذلك آتيناك هذا الكتاب وانت تتلوه عليهم فلم اقترحوا غيره وقال في الكشاف
معناه مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من
قبلها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء ثم ذكر مقصود الارسال فقال لتتلو اى لتقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
وحال هولاء انهم يكفرون بالرحمن للمفسرين خلاف في تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله المراد كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت
رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن
عباس في رواية الضحاك نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقيل للرحمن للنبي صلى الله
عليه وسلم قل لهم ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه
متاب فيثيبني على مصابرتكم وقيل نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا
كان اهل الجاهلية يكتبون فانزل الله الاية فعلى هاتين الروايتين كان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على الله تعالى لا على جحود
او اشراكهم روي ان اهل مكة قعدوا في فناء الكعبة فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له رؤساؤهم
كابي جهل وعبد الله بن امية المخزومي سير لنا جبال مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا انهارا نزرع فيها واحي لنا بعض اموتنا
لنسالهم احق ما تقوله ام باطل فقد كان عيسى يحيى الموتى او سخر لنا الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان
ولست باهون على ربك منه فنزل ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وازيلت عن مراكزها او قطعت به الارض اى وقع به
السير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى بعد احيائهم لكان هذا القرآن قال الراوي
المسرع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سالتم ولو شئت لكان ولكنه خيرني
بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفرتم يعذبكم عذابا لا يعذبه احدا من العالمين
فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو ان قرانا سيرت وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى اى تنبيهم لما امنوا به
كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقال في الكشاف هذه الاية لبيان تعظيم شان القرآن ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا ونقل في الكشاف عن الفراء ان الاية متعلق بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن وبقولون
هذا الكلام وهو قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض ثم قال ردا عليهم بل لله الامر جميعا قال اهل السنة يعني ان شاء

فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه وقالت المعتزلة لما لايات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه
او له ان يلجئهم الى الايمان الا انه بنى امر التكليف على الاختيار قالوا ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله مشيئة الالجاء
لهدى الناس جميعا او لو يشاء لهديهم الى الجنة او المراد نفي العموم لا عموم النفي وذلك انه ما شاء هداية الاطفال والمجانين اجاب
اهل السنة ان كل هذا خلاف الظاهر ومعنى افلم ييأس افلم يعلم وهذا لغة قوم من النخع وقال الزجاج انه مجاز لان اليائس عن الشيء
عالم بانه لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمنها معناهما ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة
افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما قراءتهم اصل والمشهورة تصحيف وقع من جهة السنات ان الكاتب سوى السنات وهذا
القول سخيف جدا والظن بأولئك الثقات الحفظة غير ذلك ولهذا قال في الكشاف هذه والله فرية ما فيها مرية وجوز ان يتعلق
ان لو يشاء بآمنوا معناه افلم يقنط من ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم اوعد الكافرين بقوله
ولا يزال الذين كفروا يعني عامة الكفار تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم من السبي والقتل او تحل القارعة
قريبا من دارهم فيتطاير اليهم شرارها حتى ياتي وعد الله وهو اسلامهم او موتهم او القيمة وقيل خاصة في اهل مكة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فتغير عليهم وتختطف منهم وعلى هذا احتمل ان يكون قوله او تحل خطابا اى تحل انت يا محمد قريبا من
دارهم بجيشك كما في يوم الحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعده الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد وكان منجزا
ان الله لا يخلف الميعاد قد مر البحث عليه في اول سورة آل عمران ثم زاد في الوعيد فقال ولقد استهزئ الاية والاملاء الامهال في
مرجناك والاستفهام في قوله فكيف كان عقاب للتقرير والتهديد ثم اورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجب من عقولهم
فقال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ومعنى القائم الحفيظ والرقيب اى الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك
وجوز في الكشاف ان يقدر الخبر بحيث يمكن عطف وجعلوا الحال عليه او يضمر للمبتدا خبر يكون المبتدا معه جملة مقررة لانكار ما يقارنها
من الحال والتقدير افمن هو قائم على كل نفس موجود والحال انهم جعلوا له شركاء فاقيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا تقريرا للالهية وتصريحا بها
وانه هو الذي يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطي الناس ومغنيهم موجود ويحرم مثلي ثم زاد في الحاجة فقال قل سموهم اى جعلتم له
شركاء فسموهم له من هم وبنبئوه باسمائهم وانما يقال ذلك في الشيء المستحقر الذي لا يستحق ان يلتفت اليه فيقال سمه ان شئت يعني انه اخس
من ان يسمى ويذكر ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالالهة على سبيل التهديد قال في الكشاف ام في قوله ام تنبئونه
منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف واقول لعل ذلك لانه لا شيء محض اذ لو كان الشريك موجودا وهو ارضي لتعلق به علم
العالم الذات المحيط بجميع المعلومات ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم وقد مر في اول يونس ثم اكد في هذا المعنى بقوله ام بظاهر من القول
اى بل تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء وهذا الاحتجاج من اعاجيب الاساليب
التي اختص به القرآن الكريم المعجز فلله در شان التنزيل ثم بين سوء طريقتهم فقال بل زين للذين كفروا مكرهم قال الواحدي معنى بل ههنا كانه يقال
دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه انه كذب وكذا والكلام في ان المزين هو الله تعالى او غيره وقد مر في اول سورة آل عمران وكذا البحث فيمن قرأ
وصدوا بضم الصاد واما من قرا بالفتح فيحتمل ان يكون لازما اى اعرضوا عنه ويحتمل ان يكون متعديا اى صرفوا غيرهم والخلاف في قوله ومن يضلل
الله تقدم في مواضع منها آخر آل عمران ثم عاد الى الاوعاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا من القتل والقتال واللعن والذم لا المصائب والامراض
لانها قد تصيب المؤمنين ايضا ولانها مامور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك ولعذاب الآخرة اشق لانه اشد وادوم وما لهم من الله
اى من عذابه من واق من حافظ او ما لهم من جهة الله واق دافع ومانع من رحمته بل انما يمنع رحمته منهم باختياره وحكمه ثم عقب الوعيد بالوعد
فقال مثل الجنة وتقديره عند سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج انه تمثيل للغائب
بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر يرجع الى قوله اكلها دائم كانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون تجري
من تحتها الانهار كما تعلمون من حال جنانكم الا هذه فان اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم ايضا والمراد انه لا حر هناك ولا برد
ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا قيل في الاية دلالة على ان حركات اهل الجنة
لا ينتهي الى سكون دائم كما يقوله ابو الهذيل واتباعه قال القاضي وفيها دليل على ان الجنة لم تخلق بعد والا انقطع اكلها لقوله تعالى
كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال ولم ننكر ان يحصل الآن في السموات جنات يتمتع بها الملائكة ومن يحيا من الانبياء و
الشهداء وغيرهم الا ان جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة واجيب بانا نخصص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على ان الجنة مخلوقة
وهو قوله اعدت للمتقين ثم دل على تفاوت الفرق في شان القرآن المتلو فقال والذين آتيناهم الكتاب قيل اراد بالكتاب القرآن يعني ان المسلمين
يفرحون بما انزل اليك من الشرائع والعلوم ومن الاحزاب الجماعات من اليهود والنصارى وغيرهم من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الا
وبعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقائدهم وانما انكروا ما يختص به الاسلام من نعت الرسول وغيره قاله الحسن وقتادة واعترض عليه بان

اهل الاسلام فرحهم بنزول القران معلوم فلا فائدة في ذكره ويمكن ان يقال المراد زيادة الفرح والاستبشار بما فيه من العلوم والفوائد لانهم
يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهامة وقيل الكتاب التورية والانجيل والمراد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة فرحوا بالقران لانهم امنوا به وصدقوه والاحزاب بقية
اهل الكتاب والمشركون قاله ابن عباس وقال مجاهد اراد ان اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق لما معهم ومن سائر الكفرة
من ينكر بعضه واعترض بانهم كلهم لا يفرحون بكل ما انزل الى رسولنا وقوله بما انزل يفيد العموم واجيب بالمنع من ان ما تفيد العموم لصحة الاستثناء
ولصحة ادخال كل عليه ولا نكير بادخال بعض ولا نقص ثم لما بين عقائد الفرق امر نبيه بان يصرح بطريقته فقال قل انما امرت ان اعبد الله
ما امرت الا بعبادته وعدم الاشراك ويندرج فيه جميع وظايف العبدية ثم ذكر انه مع كماله مكمل اليه فقال اليه ادعوا خصه بالدعاء الى عبوديته
دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه ماب لا مرجع لي الا اليه ومن تامل في هذه الالفاظ عرف انها مع قلتها مشتملة على حاصل
علوم المبدأ والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضايل القران واوعد على الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه الضمير يعود الى ما في قوله بما انزل
اليك والى القران في قوله ولو ان قرانا ووجه التشبيه كما انزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القران وقال في الكشاف
معناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا نصب على الحال
اي حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمي حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به او لانه اشتمل على اصول الاحكام والشرايع فجعل نفس الحكم
للمبالغة روي ان الكفار يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور ليوافقهم فيها منها ان يصلي الى قبلتهم بعدما حوله الله عنها فاوعد
على ذلك عن ابن عباس الخطاب له والمراد امته وتقدم الوجوه في مثله في اوايل سورة البقرة قال الكلبي عيرت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا الاية وفيه
ان الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص من قبل الزواج والولاد فقد كان لسليمان ثلثماية امرأة منكوحة وسبعماية سرية
ولداود ماية وذراري يعقوب اكثر من ان تحصى وكانوا يقترحون الايات فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
ولا بد لكل نبي من معجز واحد والزايد على ذلك بل اصل النبوة وتعين المعجز الواحد مفوض الى مشيته سبحانه لا حكم لاحد عليه وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخوفهم بنزول العذاب وظهور نصرة الاسلام عليهم وكانوا يكذبونه ويستبطؤن موعوده فاجيبوا بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت
حكم مكتوب وحادث معين لا يتاخر ذلك الحكم او الحادث عنه ولا يتقدم عليه وقيل هذا على القلب اي لكل مكتوب وقت معين والتحقيق انه لا حاجة
الى ارتكاب القلب لان المعية تقتضي التلازم وكانوا ينكرون النسخ في الشرايع والتكاليف فنزل يمحو الله ما يشاء ويثبت اي يثبته فاستغنى
بالصريح عن الكناية والمحو ذهاب اثر الكتابة ونحوها وفي الاية قولان الاول انها عامة وانه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في
الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود وقد رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذاهبون
اليه كانوا يدعون ويتضرعون الى الله في ان يجعلهم سعداء ان كانوا اشقياء وهذا الاثبات في قوله جف القلم لان المحو والاثبات ايضا من جملة ما قضى
به الثاني انها خاصة في بعض الاشياء فقيل اراد نسخ حكم واثبات اخر مكانه واعترض الاصم عليه بانه تعالى في قوله ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصيها واجاب القاضي بان المراد صغاير الذنوب وكبايرها او بان هذا اصطلاح المتكلمين والمفهوم اللغوي اعم فيتناول المباحات
ايضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدلها الحسنة كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في اول السنة
احكام تلك السنة فاذا مضت السنة محيت واثبت كتاب اخر للمستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس او يمحو الدنيا ويثبت الاخرة اما قوله
وعنده ام الكتاب اي اصله فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ واثبت فيه احوال جميع الخلق
الى يوم القيمة فعلى هذا عند الله كتابان احدهما اللوح المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي يكتب الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات روى
ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه يبقى من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم
الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل بتغير المتغيرات وتبدلها وقد مر تحقيقه في مواضع ولما بين كيفية
انطباق الحوادث على اوقاتها قال واما نرينك يعني كيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من العذاب او توفيناك قبل ذلك
فليس في موضع وطابق كيفية انطباق الحوادث على اوقاتها قال واما نرينك يعني كيفما دارت يجب عليك الا التبليغ وما حسابهم وجزاؤهم
الا علينا والبلاغ فيه التبليغ كالسلام والكلام ثم ذكر ان اثار حصول تلك المواعيد واماراتها قد ظهرت وقربت وان تباشير الظفر قد طلعت
ولاحت فقال اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها بتيان القهر والغلبة والارض ارض الكفر كما كان المسلمين يزالون اهلها
ويدخلها البعوث والسرايا والجيوش والان صارت الاحزاب واصل الله المهلك اعلاء شان المسلمين زاد الله علوا فلا يزال ينقص شيء
من بلاد الكفر ويزيد في بلاد الاسلام وعن ابن عباس ان المراد بنقصها من اطرافها موت اشرافها وكبرايها وعلمائها
الانفع المقام هو القول الاول وقد يوجه الثاني بان المراد انهم اذا شاهدوا هذه التغيرات فالذي يوهم ان يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم

معاجزين بعدما كانوا اعزة غالبين ثم اكد هذا المعنى بقوله والله يحكم لا معقب لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله و
انه عقيبه بالرد والابطال فكانه قيل والله يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب عن ابن عباس انه سريع الانتقام فيما يحكم في الاخرة
ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وقد مكر الذين من قبلهم برسلهم كنمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى فلله المكر جميعا قال
الواحدي لان مكر جميع الماكرين بتخليقه وارادته لانه لا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره وقالت المعتزلة انه جعل مكرهم كلا مكر اضافة
الى مكره وقيل اراد فلله جزاء الماكرين قال الواحدي والقول الاول اظهر بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد ان اكسابها باسرها معلومة لله
وخلاف معلومه ممتنع الوقوع فلا يقدر العبد على خلاف معلومه وناقضت المعتزلة بانه اثبت لكل نفس كسبا فدل على انه مقدر العبد واجيب
بان المقتضي للفعل عندنا هو مجموع القدرة والداعي وهذا معنى قولهم الكسب حاصل للعبد ثم ختم الاية بوعيد اجمالي فقال وسيعلم الكفار
من قرأ على الجمع فظاهر ومن قرأ على الوحدة فالمراد الجنس وعن ابن عباس ان المراد ابو جهل وعن عطاء اراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين
وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب القاطع فقال ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا والمراد من هذه
الشهادة انه اظهر المعجزات على وفق دعواه والاشهاد اعلى من هذه لان الشهادة القولية مما لا تفيد الا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بصحة
نبوته ثم عطف على اسم الله قوله ومن عنده ام الكتاب اي الذي حصل عنده علم القران وفهم معناه واشتماله على دلايل الاعجاز من النظم الانيق
والاسلوب العجيب الفائت لقوى البشر فمن علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بانه معجز ظاهر وان الذي ظهر عليه هذا المعجز نبي حق ورسول
صدق وعن الحسن وعطاء وسعيد بن جبير والزجاج ان الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح
المحفوظ الا هو يعني الله عز وجل شهيدا ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده على من الجارة واعترض على هذا القول بان عطف الصفة على الموصوف
بعيد لا يقال شهد بهذا زيد والفقيه وانما يقال زيد الفقيه وقيل المراد شهادة اهل الكتاب من الذين امنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان
الفارسي وتميم الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض ان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على امثالهم لكونهم غير
معصومين لا يجوز وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله وعن سعيد بن جبير
ان السورة مكية وابن سلام واصحابه امنوا بالمدينة بعد الهجرة والله اعلم بمراده   وهم يكفرون بالرحمن يعني ان صفة الرحمانية
اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما ان صفة القهارية كانت مقتضية للوحدة بان لا يكون معه شيء ولا نعمة اجل من بعثة الرسل
ففيه صلاح حال الدارين لهم فاذا جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب تخصيص هذا الاسم بالمقام كقوله ان كل من في السموات والارض الا
اتي الرحمن عبدا ومحل تلك الامر ان يقول في الجواب هو ربي الذي رباني لا اله الا هو لا يحق العبادة الا هو ولا افوض اموري الا اليه
واليه مرجعي كما كان منه مبداي سيرت به جبال النفوس وقطعت به ارض البشرية او كلم به القلوب الميتة بتلاوته عليهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم
بالرحمن قارعة من الاحكام الازلية تقرعهم في انواع المعاملات التي تصدر عنهم موجبة للشقاوة او تحل قريبا من دار قالبهم بان تصدر تلك القارعة
ممن يصحبهم على الاتصال ويسل عن قربهم حتى ياتي وعد الله بدرك الشقاء الازلي ومن امارات الشقاوة الاستهزاء بالانبياء والاولياء ثم
اخذتهم اي امسكتهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالبعد والحيوة الحجاب وعبودية النفس والهوى ولعذاب
الاخرة بانواع الحسرات والشعور بالهيئات والملكات الموجبة للدركات اكلها دائم من مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها اي انهم
في ظل معاملاتهم واحوالهم التابعة لشمس وجودهم على الدوام والذين اتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا اسرار القران ومن
الاحزاب النفس والهوى والقوى من ينكر بعضه لثقل التكليف عليهم والجهل بفوائده ولئن اتبعت اهواء المخالفين بالشرك في الطلب من بعد
ما جاءك من العلم وهو طلب الوحدانية ببذل الانانية وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه ان الرسل جذبتهم العناية في البداية فترقوا من
حضيض الحيوانية الى اوج الروحانية ثم الى معارج النبوة والرسالة في النهاية فلم يبق فيهم من دواعي البشرية ما يزعجهم الى الطلب للازواج
بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصايص الحيوانية بل دعتهم الله سبحانه في ذلك على وفق الشريعة بخصوصية الخلافة بطلها بصفة الخالقية
ومثله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام يمحو الله ما يشاء لاهل السعادة من افاعيل الشقاوة ويثبته لهم من خصال اهل السعادة و
بالعكس لاهل الشقاوة وعنده ام الكتاب الذي تقدر فيه ان لا خاتمة كل من الفريقين واما نرينك بالكشف بعض مقاماتهم كما اخبر عن العشرة المبشرة
بانهم في الجنة وعن غيرهم بانهم في النار انا ناتي ارض البشرية فننقص منها بالازدياد في الاوصاف الروحانية الله حسبي ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم
الى صراط العزيز الحميد ● الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض
وويل للكافرين من عذاب شديد ● الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك فى ضلال
بعيد ● وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله
من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ● ولقد ارسلنا
موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم
بايام الله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور ● واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم
بلاء من ربكم عظيم ● واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم
ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ● وقال موسى ان تكفروا انتم
ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد ● الم ياتكم نبؤا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم وقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب ● قالت لهم
رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين ●

قالت

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ● وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدينا
سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ●
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
فى ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ● ولنسكننكم
الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ● واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد ● من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت ومن ورائه عذاب غليظ ●

الله الذى بالرفع على الابتداء فى الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل وقرا يعقوب والخزاعى عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ وبالخفض اذا وصلا الباقون بالجر مطلقا وعيدى بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل الوقوف الحميد لمن قرا الله بالرفع وما فى الارض شديد بناء على ان الذى صفة الكافرين عوجا بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب او مرفوع على الذم اى اعنى الذين او هم الذين وان جعل الذين مبتدا خبره اولئك فى ضلال فلا وقف على عوجا ولك ان تقف على شديد للاية بعيد ليبين لهم لان قوله فيضل حكم مبتدا خارج عن تعليل الارسال ويهدى من يشاء الحكيم بايام الله شكور نساءكم عظيم لشديد جميعا لان ما بعده جزاء حميد وثمود لمن لم يعطف وجعله مستانفا ومن عطف فوقفه على من بعدهم الا الله مريب والارض فصلا بين الاستخبار والاخبار مسمى مثلنا لتقدير همزة الاستفهام فى تريدون مبين من عباده باذن الله المؤمنون سبلنا اذيتمونا المتوكلون فى ملتنا من بعدهم وعيد عنيد لان ما بعده وصف صديد لذلك ميت غليظ
كون السورة مكية او مدنية انما تفيد فى الاحكام ليعرف المنسوخ من الناسخ وفى غير ذلك المكية والمدنية سيان قوله الر كتاب اى السورة المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وان كان الر مذكورا على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف اى هذا القران او هذه السورة كتاب والظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام فى لتخرج للغرض عند المعتزلة وللفائدة عند الحكيم وان شئت فقل للعاقبة واللام فى الناس للجنس المستغرق وظاهر ففيه دليل على دعوته صلى الله عليه وسلم عامة ومعنى اخراج النبى اياهم من الظلمات الى النور انه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه ودعوته اياهم به الى الحق واسطة لهدايتهم لا مطلقا ولكن باذن ربهم اى بتسهيله وتيسيره فكل ميسر لما خلق له والحاصل ان المراد من الاذن معنى يقتضى ترجيح جانب الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين ولك ان تعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالاية من قال معرفة الله تعالى لا يمكن الا بالتعليم الذى عبر عنه بالاخراج من الظلمة الى النور واجيب بان معنى الاخراج التنبيه واما المعرفة فانما تحصل من الدليل وقوله الى صراط بدل من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز فى الكشاف ان يكون على جهة الاستيناف كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وفى ذكر الوصفين تاكيد لحقية الصراط واستنارته لان العزيز هو القادر الغالب والحميد هو الكامل فى خصايص الحمد من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذى نهج لعباده ومفضيا الى الصلاح حالهم دينا ودنيا اذ لا حاجة به الى ارتكاب عبث وقبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح ان اول العلم بالله العلم بكونه قادرا غالبا وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه عالما والعلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقايص وهذا معنى الحميد

ثم اثنى على نفسه تحقيقا لحقيقة صراطه وبيانا لتنزهه عن العيث والعبث فقال الله الذي مبتدأ والخبر او المبتدأ محذوف
تقديره هو الله ومن قرأ بالجر فعلى انه عطف بيان للوصفين بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سلف هذا البحث مشبعا
في تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم ختم الاية بوعيد من لا يعترف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله وويل للكافرين
وهو دعاء عليهم بالهلاك والثبور وكل سوء قال في الكشاف وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل انهم يولولون من العذاب
ويقولون يا ويلاه الذين يستحبون اي يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون ذلك الشيء عندها
احب من الاخر وذلك ان الانسان قد يحب الشيء ولكنه يكره كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه محبا له واحب تلك المحبة
فتلك نهاية المحبة وهذا شان محبة اهل الدنيا للدنيا ولكنها اول مراتب الضلال وقوله ويصدون عن سبيل الله اشارة الى الاضلال
وقوله ويبغونها عوجا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال نهاية الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد
عن الحق لانه وقع عنه بالطرف الاخر فبينهما غاية الخلاف ويمكن ان يكون اسنادا مجازيا باعتبار ان صاحبه بعيد عن طريق الحق ثم لما من
على المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر ان من كمال تلك النعمة ان يكون ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم احتج اصحاب ابي هاشم بالاية
على ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقراين كالاطفال قالوا ولو كانت توقيفية
والتوقيف انما يكون بالوحي والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم لزم الدور واجيب بان
الاية تخص برسول له قوم ولا قوم لادم فينتهي التوقيف اليه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الاية
في ان محمدا رسول الله ولكن الى العرب لانهم قومه وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم
والجواب سلمنا ان قومه هم العرب ولكن قوم النبي اخص من اهل دعوته فقد يكون اهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما في حق نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما كان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فيرسل
الرسول ولا الى ثم ليبين لهم فيفقهوا عنه ما يدعوهم اليه ثم ينوب التراجم في كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس
والتخليط ويجب للمفسرين الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد قالت المعتزلة ان مقدمة هذه الايات وهي قوله ليخرج
الناس ووسطها وهو قوله ليبين فان فائدة التبيين انما تظهر اذا كان للمكلف قدرة واختيار وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافي خلق الكفر والقبيح
يدل على صحة مذهب الاعتزال وقالت الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز فان العزيز لا يجامع ان يكون لغيره
قدرة وتصرف ويؤيد مذهبنا واقول نحن قد حققنا مسألة الجبر مرارا فتذكر ومما يختص هذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل
اخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستيناف هو الوجه كقوله لنبين لكم ونقر بالرفع ونظيره في الاية قوله فيضل بالرفع على
الاستيناف كانه قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانا لهم تلك الشرائع بلغة الفوها واعتادوها ومع ذلك فان
المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا لما بين ان المقصود من بعثة نبينا صلى الله عليه
وسلم هو اخراج الناس من الظلمات الى النور اراد ان يبين ان الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر لذلك مثالا لا وخص موسى
بالذكر لكون امته اكثر الامم سوى امة محمد كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته القاهرة ومعنى ان اخرج اي اخرج لان الارسال فيه
معنى القول ويجوز ان يكون ان ناصبة والتقدير بان اخرج ومعنى التذكير ومعنى التذكير بايام الله الانذار بوقايعه التي وقعت على الامم
قبلهم ويقال ايام العرب لحروبها وملاحمها وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وفلق البحر واهلاك القرون
او الايام التي كانوا تحت تسخير فرعون والمراد وعظهم بالترغيب والترهيب ان في ذلك التذكير والتنبيه لدلايل لكل صبار على الضراء شكور
على السراء وذلك ان فائدة الايات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما امر الله موسى بالتذكير حكى عنه انه ذكرهم ولم يقل ههنا يا قوم
كما ذكر في المائدة اقتصارا على ما ذكر هناك وقوله عليكم ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله اذ انجاكم ظرف للانعام ايضا وان
كان مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز ان ينتصب اذ انجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز ان يكون اذ بدلا من النعمة اي اذكروا
وقت انجائكم وهو بدل الاشتمال وباقي الاية قد مر في اوائل البقرة ومن جملة النعم قوله واذ تاذن موذن اي واذكروا حين اذن
ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وينزاح معه الشبهات وقد تقدم في اواخر الاعراف ان فيه معنى القسم ولذلك دخلت اللام الموطئة
في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب ان الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به
عليه فيما اعطاه لاجله ولا شك ان المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة اقسام نعم الله وفي ملاحظة دقايق لطفه وصنعه
وفي اعمال الجوارح في اعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات الحميدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد محبة المنعم وقد يترقى العبد
من هذه الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم وتصدر منه الاعمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير التطبع طباعا
والتكلف خلقا وهذا معنى استزادة الشكر مزيد الانعام وقد يفيض عليه بحكم وعد الله الذي هو الحق والصدق وبحال مواهبه القدسية

والدنيوية لانه مهما صار مطيعا منقادا لواجب الوجود سبحانه تجلى فيه نور الوجوب فلا غرو ان ينقاد لذلك النور كثير من الممكنات ويفتح
عليه باب التصرف في الخلق بالحق وان كان حال المكلف بضد ما قلنا ظهر عليه اضداد ذلك الآثار لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم
يعني كفران النعم ان عذابي لشديد ثم بين ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود الا الى صاحبه او عليه والله تعالى غني عن ذلك كله فقال
ان تكفروا انتم الاية وذلك لان واجب الوجود في ذاته واجب الوجود في جميع صفاته ولن يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن الحاجات متصفا
بكل الكمالات اهلا للحمد وان لم يكن حامدا قوله الم ياتكم يحتمل ان يكون خطابا من موسى لقومه والغرض تخويفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون
فيكون داخلا تحت التذكير بايام الله ويحتمل ان يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم امر القرون الاولى قاله ابو مسلم والاكثرون
على انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيرا لهم عن مخالفته وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ان كان جملة من مبتدا
وخبر فالمجموع اعتراض وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم الا الله وحده اعتراض ثم ان عدم العلم اما ان
يكون راجعا الى صفاتهم بان يكون احوالهم واخلاقهم ومدد اعمارهم غير معلومة واما ان يكون عائدا الى ذواتهم بان يكون فيما بين القرون
اقواما ما بلغنا اجمالا اخبارهم كما روي عن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الاية
قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد ونظير الاية قوله وقرونا بين ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك ومنهم قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بمقدار السنين من لدن ادم عليه السلام الى هذا الوقت لانه لو امكن ذلك
لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات اتوا بامور احدها فردوا ايديهم
في افواههم وفيه قولان احدهما ان المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا ففيه احتمالات الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر او وضعوا الايدي على الافواه
ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك او وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث
قاله الكلبي او اشاروا بايديهم الى السنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق
وهذا قول قوي لعطف قوله فردوا الاحتمال الثاني ان يكون الضماير راجعة الى الرسل والمراد ان الرسل لما يئسوا عنهم سكتوا ووضعوا ايديهم
انفسهم على افواه انفسهم ارادوا انهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة او يكون الضميران الاخيران راجعين الى الرسل والمعنى ان الكفار
اخذوا ايدي الرسل ووضعوها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم او يكون الضمير الاخير فقط عائدا الى الرسل والمراد ان الكفار لما سمعوا
وعظ الانبياء ونصايحهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم ووضعوا ايديهم على افواه الانبياء منعا لهم من الكلام
فهذه جملة الاحتمالات على القول الاول القول الثاني ان ذكر اليد والفم توسع ومجاز عن ابي مسلم ان المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج
[illegible] محمد بن جرير
عن بعضهم انه يقال للرجل اذا امسك عن الجواب [illegible]
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به [illegible]
[illegible]
[illegible]
وذلك قولهم افي الله شك فاطر السموات والارض ادخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه
فان وجود الله لا يحتمل الشك قال الضعيف المفتقر الى الله الغني [illegible] الحسن بن محمد [illegible] نظام النيسابوري
[illegible] انه كان من عقيدتي ان العلم بوجود واجب الوجود في الخارج من جملة البديهيات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في هذا المقام لانها مقررة لقوله سبحانه افي الله شك فاقول وبالله التوفيق [illegible] الخارج اما
ان يكون واجب الوجود فقط او واجب العدم فقط او واجب الوجود والعدم معا او واجب الوجود وممكن الوجود والعدم معا او واجب العدم
وممكن الوجود والعدم معا او واجب الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا [illegible]
[illegible] الاول واجب الوجود لذاته فقط الثاني واجب العدم لذاته فقط [illegible]
الوجود لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته [illegible] واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته [illegible] واجب الوجود لذاته وواجب
العدم لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته [illegible]
[illegible]

من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منهما وكلاهما محال اذ المفروض خلاف ذلك فثبت كونه موجودا في الخارج بالضرورة
وهو المطلوب فهذه طريقة عذراء تيسرت لنا من غير احتياج الى دور وتسلسل يرد عليهما المنوع المشهورة وجه ثان الموجود في
الخارج اما واجبا او ممكن وهذه قضية اتفقوا على ضروريتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب والا فممكن
فنقول ان كانت القسمة قسمة تنويع حتى يكون المعنى المعنى الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في
الخارج بالضرورة والمطلوب وان كانت القسمة قسمة انفصال ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط اما كونها مانعة للخلو فلان بالجملة
العقل فهمهما معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما انها ليست بمانعة للجمع فلان الممكن موجود
بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والا لم يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب
بل يستدلون منه على نفيه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده
الى مؤثر موجود فلان يكون الواجب موجودا يكون اولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة
جلية مكشوفة لمن تامل في مفهوم وجوب الوجود اذ لا معنى لوجوب الوجود الا انه وجد يوجد البتة من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما
سواه ولهذا قال المحققون ان الموجود يقع على الواجب وعلى الممكن بالتشكيك بمعنى انه في الواجب اول واولى منه في الممكن وجه ثالث
طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما يشتركان في صحة وجودهما الخارجي بالضرورة ويفترقان في ان الواجب ذاته كافية في ايجاب
الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجود من الثاني لان
الموقوف على المقدمات اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى بكونه ضروري الوقوع وجه رابع نسبة كل محمول الى الموضوع
لا يخلو في نفس الامر من ان يكون بالوجوب او بالعكس بالامكان او بالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الى الماهيات الخارجية من حيث ذواتها
لا تخلو من احد الامور الثلثة لكن نسبته اليها بالامتناع ظاهرة الاستحالة فهي اما بالامكان او بالوجود ولا شك ان نسبة الوجود الى ذات
الموجود اولى من نسبته اليها الى غيره اذ الاصل عدم الغير فكان ما دل البرهان على وجوده من غيره لتغيره فيه او نقص يحكم عليه بانه ممكن الوجود
وما لم يدل البرهان فيه على ذلك بل يدل على وجوب وجوده بجميع صفاته الكمالية فهو واجب الوجود ومن ثمة في وجود ما وجوده من
تلقاء نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للنقايص والرذايل كان اهلا لانه يجر الحكمة وجه خامس
نفس الامكان نقص لا نقص فوقه لاستتباعه العجز والافتقار وصحة العدم عليه الذي لا ضعف مثله والوجود المتصف به متحقق بالضرورة فالوجود
الذي يحيل العقل الصريح متصفا بصفة الوجود كيف لا يكون متحققا ومن استبهم عليه مثل هذا الجلي فلا يلومن الا نفسه وجه سادس
مقتضى ذات الشيء اقرب ايجابا عند العقل من مقتضى كل ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت في الخارج مع ان ثبوته في الخارج
مقتضى الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب ثابت بالطريق الاولى وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الوجود
من تلقاء نفسه والا كان وجودا واجبا لانا لا نعني بالوجود الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب وهو المطلوب او من وجود مثله
وحينئذ ما لم يكن ثابتا في نفسه لم يتصور منه فاذن حصل لنا وجود ممكن موصوف بالثبوت في نفسه وموصوفا بكونه موصوفا مفيدا للوجود
مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للوجود الواجب الغني بل نسبتهما الى الثاني اولى من نسبتهما الى الاول بحكم الفهم
الصحيح وجه ثامن كون الشيء موجودا في نفسه اقرب واقبل عند العقل من كونه موجودا لغيره اذ ليس كل من له وجود في نفسه يكون موجدا لغيره و
كل موجد لغيره موجود في نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع صفته بابعد الامرين عن القبول واقعا فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع
قوته باقربهما من القبول واقعا وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء والحكماء وساير العقلاء من اخوان الصفاء واخلان
الوفاء وارباب البدع والاهواء الى وجود واجب حتى يلجؤا الى انفسهم ويطالعوا ملكوت السموات والارض ويتاملوا في الاحوال الواردة عليهم من
كشف كرب وهجوم نعمة اجل دليل على وجود رب جليل منزه عن صفات النقص والافول في حيز الامكان مفيض الخيرات منبع الممكنات ولهذا قال رب
السموات والارضين عن الطلبة المعاندين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اخبر انهم يعتذرون عن اصنامهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ولم يكن جحدهم وعنادهم عن تحقيق وصدق وانهم كانوا مكابرين في الظاهر ابتلاء من الله وشقاء منهم فالحاصل ان المؤمن والمشرك
والمقر والجاحد سيان في انه تشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب في ذاته وصفاته ولا ادل من ذلك على انه ضروري الوجود وجه عاشر وهو
الاستدلال بالافاق كل موجود سوى الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبر في نفسه لم يكن له ذلك من تلقاء نفسه وكان فقيرا في نفسه و
افول له في افق الامكان فاذا كان ما مقتضى ذاته الافول طالعا فما مقتضى ذاته الطلوع اولى بان يكون طالعا وجه حادي عشر وهو الاستدلال بالا
نفس من تامل في ذاته وفرض تخصيصه في هواء طلق لا يحس فيه بمتضاد واغفل الحواس عن افعالها وجد شيئا هويته هو وبه تلك يصح انيته وهو نفسه الناطقة
التي نسبتها الى بدنه نسبة الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف يشاء وربما انقطعت علاقته عن البدن مات صاحبه وانخرط في سلك الجمادات وكما
ان البدن لضعفه وخسته مفتقر في قوامه وقيامه الى مدبر يدبره ويعتني به فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها لخستها وفقرها تستند لا محالة الى ما

اثر فيها وذلك ما وجوده من تلقاء نفسه وهو الواجب الحق تعالى شانه ولولاه لتبدد نظام العالم ولم يكن من الوجود لا عين ولا اثر وجه
ثاني عشر وهو انور الوجوه واظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك انا نشاهد نورا ونعني به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره
فنقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له
ظهور في نفسه لا يفيد ظهور الغير فينقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فذاك والا احتاج الى ما يظهره
ولا بد ان ينتهي في طرف الصعود الى ما يكون ظهوره في نفسه بنفسه والا لم يثبت الامر في طرف النزول الى الظاهر المفروض اولا فنهاية ما لا نهاية
له محال من جانب فرض ولا ينتقض بالعودة اليومية نقضا علينا بناء على انها مسبوقة بعودات ما لا يتناهى فان لا تناهيها في جانب الازل
محال عندنا وكنا قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلت الكلام الى فيض الواجب وقلت الفيض الواقع في زمان الحال مسبوق
بافاضات غير متناهية لا محالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل في الواجب لان وجوده واوصافه المعتبرة كلها مقتضيات ذاته ومقتضى
ذات الشيء يدوم بدوام الشيء ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية فيضانه تابعة للا مسبوقية بغيره وكون وجوده من ذاته ولا يلزم من كون مطلق
الفيض ازليا ان يكون الفيض المخصوص ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر في نفسه بنفسه ثبت المطلوب وهو وجود
نور الانوار تعالى شانه وبهر برهانه وهو نهاية الممكنات في جانب الازل وبدايتها في جانب الابد فهو قديم ازلي ولان وجوده مقتضى ذاته وما
بالذات لا يزال فهو الباقي الدايم هذا ما سنح من المنبهات لهذا الضعيف ابتهالا في هذا الكتاب الشريف ليبقى اثارا على وجه الدهر وينظر من هو
من اهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي فتلك اللطمة تدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف وعلى ثبوت
دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة النبي اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا لشهادة فطرته على ان هذه اللطمة لما حدثت
بعد عدمها وجب ان يكون حدوثها لاجل فاعل مختار ادخلها في الوجود فاذا كان حال هذا الحادث مع حقارته هكذا فما ظنك بجميع الحوادث الكاينة
في العالم العلوي والعالم السفلي واما دلالتها على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي ويصيح ويقول لم ضربني ذلك الضارب
وفيه دلالة على ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل ما يشاء ويشتهي واما دلالتها على الجزاء فلانه يطلب الجزاء
على تلك اللطمة ولا يتركه ما امكنه واذا كان الحال في هذا العمل القليل كذلك فكيف يكون الحال في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانهم يحتاجون
الى انسان يبين لهم ان العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة النبي الا تبيين الشرايع والاحكام ومما يدعو العاقل
الى الاعتراف بالمبدا والمعاد انه لو اقر بهما ثم بان ان الامر على خلافه فلا ضرر فيه البتة اما اذا انكر الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه
الامور في الخارج ثابتة حقة ففي انكارها اعظم المضار فيلزم على العاقل ان يعترف بهذه الامور اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه
على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك ثنتان الاولى قوله يدعوكم اي الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم استدل بالاية من جوز زيادة
من في الاثبات وذلك لقوله تعالى في مواضع اخر ان الله يغفر الذنوب جميعا واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لامة محمد صلى الله
عليه وسلم غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من للتبعيض تمييزا بين الفريقين ويؤيد ما ذكرنا استقراء الايات فانها ما جاءت في خطاب
الكافرين الا مقرونة بمن كما في هذه الاية وفي سورة نوح وفي سورة الاحقاف وقال في خطاب المؤمنين في سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من
وقيل اراد انه يغفر لكم ما بينكم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل اي ليكون المغفرة بدلا من الذنوب وضعف بانه
لم يوجد له في اللغة نظير وعن الاصم انه اراد انه يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكباير فاما الصغاير فلا حاجة الى غفرانها لانها في نفسها
مغفورة وزيف القاضي بان الصغيرة انما يكون مغفورة من الموحدين حيث يزيد ثوابهم على عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا يكون شيء
من ذنوبه صغيرا ولا كبيرا مغفورا وقيل ان الكافر قد يتوب عن بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب منه وقال
الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في الاية دلالة انه قد يغفر ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد غفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط
التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك البعض
هو ما عدا الكفر من الذنوب ولقائل ان يقول لا نسلم انه لم يشترط التوبة في الاية لان قوله يدعوكم اي الى الايمان معناه امنوا ليغفر لكم فكانه
قيل ان اردتم الايمان شرط غفران بعض الذنوب فلم لا يجوز ان يكون ذلك البعض هو الكفر الغاية الثانية قوله ويؤخركم الى اجل مسمى عن ابن
عباس اي يمتعكم في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت الطبيعي ولا يعاجلكم بعذاب الاستيصال وقد مر تحقيق الاجل في اول الانعام ثم شرع
في حكاية شبهة الكفار وانها ثلث الاولى قوله ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع
ان يبلغ التفاوت بينهم الى هذا الحد مع اشتراك الكل في الضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك
بطريق التقليد وذلك قولهم تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا الثالثة انكارهم دلالة المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا انهم ما
اتوا بحجة اصلا لاعتقادهم ان معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا سلطانا مبينا اي برهانا باهرا وحجة قاهرة ثم ان الانبياء سلموا انهم بشر مثلهم
ولكنهم وصفوا انفسهم بمزيد من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله اجاب المخالف بانهم لم يذكروا فضايلهم

النفسانية والجسدانية تواضعا منهم ولانه تعلم انه لا يخصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لها ليس فيهم وما الشبهة الثانية
وانما لم يذكر الجواب عنها لان صحة النبوة تهدم قاعدة التقليد واما الشبهة الثالثة فجوابها وما كان لنا اى ما صح منا ان ناتى باية
اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر يتعلق بمشية الله والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا
فى السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبياء وعلى الله فليتوكل المومنون الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعانى
الاول لاستحداث التوكل والثانى للسعى فى ابقايه وادامته وقيل معنى الاول ان الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا فى حصولها
على الله علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثانى ابداء التوكل على الله فى دفع شر الكفار وسفاهتهم وفى قولهم وقد هدانا سبلنا
اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل اعباء الرسالة والصبر على متاعبها فان تاثير نفوسهم فى عالم الارواح كتاثير الشمس
فى عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس المشرقة اما بنور الالهية او بالوحى الصريح انه تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر
الحساد وفى قولهم ولنصبرن على ما اذيتمونا دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومنا الخيرات وثمر الاستعدادات اما قول الكفار للرسل او لتعودن فى
ملتنا فقد مر البحث عليه فى سورة الاعراف فى قصة شعيب وقال صاحب الكشاف العود ههنا بمعنى الصيرورة حلفوا ان يخرجوهم البتة الا ان
يصيروا كافرين فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اجرى الوحى مجرى القول لانه ضرب منه واضمر القول عن النبى صلعم من اذى جاره ورثه الله داره
ذلك الذى قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المومنين ديارهم حق لمن خاف مقامى بين يدى موقف الله الذى يقف عباده يوم القيمة وهو موقف
الحساب او قايما اليعند اى خاف قيامى عليه بالحفظ والمراقبة كقوله افمن هو قايم على كل نفس او قيامى بالعدل والصواب مثل قايما بالقسط
او المقام مقحم اى خافنى مثل سلام الله على المجلس العالى وخاف وعيد قال الواحدى هو اسم من الايعاد التهديد قال المحققون الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد
الله كما ان حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذه فايدة عطف احد الخوفين على الاخر قوله واستفتحوا الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على
اعدايهم او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاح وهى الحكومة واما للكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول
يكون فى الكلام اضمار التقدير فنصروا او فازوا بالمقصود وخاب كل جبار عنيد معاند واصل العنود الميل من العند الناحيه والجانب كان
كلا من المتعاندين فى جانب الاخر قيل الجبار هو المتكبر اشارة الى ان فيه خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه
مجانبا للحق منحرفا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل جواب الكفرة وعلى الثانى استفتحوا وخابوا فوضع الاسم موضع الاخص والظاهر مقام
المضمر تنصيصا على الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من وراءه اى من بين يديه يقال الموت وراء كل احد وذلك
ان قدام وخلف كلاهما متوارى عن الشخص يصح اطلاق لفظ وراء على كل واحد منهما وقال ابو عبيده هو من الاضداد لان احدهما ينقلب الى الاخر
وهذا وصف حاله فى الدنيا او فى الاخرة حين بعث ووقف قال جار الله قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى فى جهنم ما يلقى
ويسقى من ماء صديد اى من ماء بيانه او صفته هذا والصديد ماء يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن
رويته او تناوله وقيل يخلق الله فى جهنم ماء يشبه الصديد فى النتن والغلظ والقذارة يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه اى لم يقارب
الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب فى الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله
يصهر به لا يدل على الحصول لقوله قبل يصب من فوق روسهم الحميم ما فى بطونهم وانما المراد جريان المشروب فى الحلق بالاستطابة
وقبول النفس لا بالكراهية وان نوى قلت يحتمل ان يراد بالاساغة مجرد الحصول والا يرى اعنى قوله يصهر به لا يدل على الحصول لقوله قبله
يصب من فوق روسهم الحميم وياتيه الموت من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان موجبات الموت
احاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت كقوله لا يموت فيها ولا يحيى ثم اخبر والعياذ بالله ان العذاب فى كل وقت يعرض من
الاوقات المستقبلة يكون اشد وانكى مما قبله ومن ورايه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها فى الاجساد قال فى الكشاف يحتمل
ان يكون اهل مكة استفتحوا اى استمطروا والفتح المطر فى سنى القحط التى سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه
ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى فى جهنم بدل سقياه ماء اخر وهو صديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا
كلاما مستانفا منقطعا عن حديث الرسل واممهم بسم الله اى باسم الذات وهو الاسم الاعظم الاعظم ابتداء تخلق عالم الدنيا
لاظهار الصفة الرحمانية التى هى للمبالغة لاشتراك الحيوان والجماد والمومن والكافر فى الرحمة وبخلق عالم الاخرة اظهار الصفة الرحيمية
لاختصاصها بالمومنين خاصة وقوله الر اى بالاى وبلطفى انا القران انزلناه اليك لتخرج الناس بدلالته ونوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة
الى نور عالم الروح والوحدة باذن ربهم الذى رباهم هو لا انت وفى قوله الى صراط اشارة الى ان القران هو طريق الوصول اى من احتجب بحجب
العزة والمحدة واستبقوا بمظاهر القهر واللطف فى الاجسام بقوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض اشارة الى ان من ابقى فى افعاله
وبين المكونات لم يصل الى صفاته ومن بقى فى صفاته لم يصل الى صفاته ذاته ومن وصل الى ذاته بالخروج عن انانيته الى هويته انتفع بصفاته
وافعاله وويل للكافرين من عذاب الم الانقطاع عن الله ثم اخبر ان الكافر الحقيقى هو الذى قنع بالايمان التقليدى فاقبل على الدنيا واعرض عن المولى

فضل واصل الا بلسان قومه اى يتكلم معهم بلسان عقولهم ولقد ارسلنا بواسطة جبريل الى موسى القلب بايات عصا الذكر واليد البيضا
من الصدق والاخلاص ان اخرج قومك وهم الروح والسر والخفى من ظلمات الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيقى وذكرهم بايام الله التى كان
الله ولم يكن معه شئ وسويهم بلا هم ان فى ذلك التذكير لايات فى نفى الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقى
ببذل الوجود المجازى لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم فى تقربى اليكم ولئن شكرتم فى تقربى اليكم لازيدنكم فى محبتى لكم ولئن شكرتم فى محبتى لكم لازيدنكم
فى الجذبة ولئن شكرتم بالجذبة لازيدنكم فى الوصول ولئن شكرتم فى الوصول لازيدنكم فى التجلى ولئن شكرتم فى التجلى لازيدنكم فى الفناء عنكم
ولئن شكرتم فى الفناء لازيدنكم فى البقاء ولئن شكرتم فى البقاء لازيدنكم فى الوحدة ولئن كفرتم نعمتى فى المعاملات كلها ان عذابى قطيعتى
لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا انتم ايها الروح والسر والخفى بالاعراض عن الحق والاقبال على الدنيا بتبعية النفس ومن فى ارض البشرية
من النفس والهوى والطبيعة يدعوكم من المكونات الى الملكوت ليغفر لكم بصفة الغفارية من ذنوبكم التى اصابتكم من حجب عالم الخلق ويوخركم
فى التخلق باخلاقه الى اجل مسمى هو وقت الفناء فى الذات وعلى الله فليتوكل المتوكلون للمتوكل مقامات فتوكل المبتدى قطع النظر عن
الاسباب فى طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المتوسط قطع تعلق الاسباب بالمسبب وتوكل المنتهى قطع تعلق ما سوى الله والاعتصام
بباب لمن خاف مقامى وهو مقام الوصول الى فان هذا مقام الاخص واما خوف الخواص فعن مقام الجنة وخوف العوام من مقام النار
وخاف وعيد القطيعة واستنصر القلب والروح من الله على النفس والهوى من ورايه اى قدام النفس فى متابعة الهوى جهنم الصفات الذميمة
ويسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات والاخلاق من الافعال الرذيلة يسقى منه صاحب النفس الامارة يتجرعه بالتكلف ولا
يكاد يسيغه لانه ليس من شربه وياتيه اسباب الموت من كل فعل مذموم ومن ورايه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد ۵

مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم
عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد
الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويات
بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون
عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدينا الله لهديناكم سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضى الامر
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان
لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني
ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت
بما اشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم وادخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها

باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ● الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي اكلها
كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ● الم تر الى الذين
بدلوا نعمت الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها
وبئس القرار ● وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم
الى النار ● قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما
رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ●
الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره
وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم
الليل والنهار واتيكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمت الله
لا تحصوها ● ان الانسان لظلوم ● كفار ●

الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات بلفظ اسم الفاعل حمزة وخلف الباقون بلفظ الفعل سبلنا باسكان الباء حيث كان ابو عمرو ولي عليكم بفتح الياء حفص بمصرخي بكسر الياء حمزة الاخرون بالفتح اشركتموني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد وقتيبة واسمعيل في الوصل البوار بالامالة ابو عمرو ليضلوا بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بضمها لعبادي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة وعلي ويعقوب والاعشى الباقون بالفتح من كل ما بالتنوين يزيد وعباس الباقون بالاضافة ● عاصف بناء على ان ما بعده مستانف كان سائلا سال هل يقدرون مما عملوا على شيء من الثواب على شيء البعيد بالحق لان ما بعده يتم معنى الكلام بعزيز من شيء لهديناكم محيص فاخلفتكم فاستجيبوا لي لاختلاف الجملتين انفسكم لابتداء النفي بمصرخي لحق ان ومن قال ان لا ابتداء بقوله اني كفرت فيخ جوابان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل اليم باذن ربهم سلام في السماء ربها يتذكرون السبع الرابع من قرار وفي الاخرة لتكرار اسم الله تعالى في الفعلين مع ان كليهما مستقل بخلاف قوله ويفعل الله لان في المعنيين بيان قوله ويضل الله ما يشاء البوار جهنم لان ما بعده يصلح استينافا او حالا من فاعل احلوا او من مفعوله او من كليهما يصلونها

القرار عن سبيله الى النار ولا خلال رزقا لكم بامره الانهار دائبين والنهار يحسن هنا الوقف مع العطف لتفصيل النعم تنبيها على الشكر سالتموه لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا تحصوها كفار ● لما ذكر في الايات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية حسرتهم ونهاية خيبتهم فقال مثل الذين وارتفاعه عند سيبويه على الابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم مثلهم وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا وانما جاز حذفه استغناء بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالجملة المراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله غير مخزون ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا والخبر كرماد وحده والمراد باعمال الكفر المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واغاثة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير اساس التوحيد والايمان برماد طيرته الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم وهو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي عصوف او في يوم ذي عاصف الريح فحذف لتكرره مرة وقيل المراد من اعمالهم عبادتهم للاصنام ووجه حسرتهم انهم اتعبوا ابدانهم فيها دهرا طويلا ثم لم ينتفعوا بذلك بل استضروا به وقوله مما كسبوا على شيء القياس من عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة ولان مما كسبوا صفة لشيء ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب اعني العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذكر ولهذا اشار اليه بقوله ذلك هو الضلال البعيد اي عن الحق او الثواب ثم كان لسائل ان يسال كيف يليق بحكمته اضاعة افعال المكلفين فقال الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق مستتبعة للفوائد والحكم دلالة على وجود الصانع القدير فحبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكذبها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص لا من انه سبحانه يمكن ان يوجد في افعاله عبثا وخللا وسهوا ثم بين كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن عمل كل عامل فقال ان يشا يذهبكم فقد مر مثله في سورة النساء وما ذلك على الله بعزيز لانه قادر بالذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فان قيل الغرض من الاية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك انما يتم بقوله ان يشا يذهبكم فما فائدة قوله ويات بخلق جديد وهل فيه دليل على ان القياس لا يوجد بدون النقيض قلنا على تقدير تسليمه لا نخص الفائدة قيل لعل الفائدة هي تاكيد التخويف فان التالم من تصور العدم المحض ليس كالتالم من اعدامه مع اقامة غيره مقامه واشارة الاصحاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم ان يستدل بقوله ان يشا يذهبكم ان ذات الجوهر لا تعدم وانما يعدم الصور والاعراض والجواب ان الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام ههنا امتناعه في الصور وفيه ان الحقيق بان يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلا ذلك اتبعه احوال المكلفين بقوله وبرزوا لله جميعا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع مثل وسيق ونادى والتركيب يدل على الظهور بعد الخفاء ومنه امراة برزة اذا كانت تظهر ما يخفى منها وفلان برز على اقرانه اذا فاقهم ومعنى برزوا لله وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء لانهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب المعاصي ويظنون ان ذلك يخفى على الله تعالى فاذا كان القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او المضاف محذوف اي برزوا لحساب الله وحكمه قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا لله هو المراد من قوله ومن ورائه عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهرت عليه اثار الملكات والهيئات التي كان يمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز وكان من السعداء برزوا في الموقف الجلال بصفاتهم القدسية وهياتهم النورية فما اجل تلك الاحوال وبالحرى لاجل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا في الموقف الجلال باوصافهم الذميمة وهياتهم المظلمة فما اعظم تلك الفضيحة وما اشنع تلك المهانة فقال الضعفاء وقيل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علموا بني اسرائيل والضعفاء العوام والاراذل قال الذين استكبروا سادتهم واشرافهم الذين استكبروا عن عبادته تعالى فضلوا واضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على ان التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وجوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا اي ذوي اتباع اما في الكفر او في الامور الدنيوية فهل انتم مغنون هل يمكنكم دفع عذاب الله عنا ومن في الاولى من عذاب الله للتبيين وفي الثانية من شيء للتبعيض والمعنى هل تدفعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله او كلاهما للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدينا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله لارشدناكم قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم الى الاضلال لان الله تعالى اضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف لعلهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بان هذا خلاف مذهبه لانهم لا يجوزون صدور الكذب عن اهل القيمة كما مر في الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وزيف بان الكل ما في مقدوره تعالى من الالطاف فقد حصل وقيل لو هدينا الله طريق النجاة من العذاب لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة ويؤكد هذا التفسير سواء علينا اجزعنا ام صبرنا والعرب تقول سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ارادوا اقناطهم من دفع العذاب بالكلية او ارادوا ان عقاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر وجوز في الكشاف ان قوله سواء الى اخره من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظيره في وصل كلام انسان بكلام انسان اخر قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه المحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمحيص اسم مكان كالمبيت والمضيف ولما ذكر مناظرة شياطين الانس اتبعها مناظرة شيطان الجن ومعنى قضي الامر قطع وفرغ منه وذلك حين

انقضاء المحاسبة والاكثرون على انه بعد الحساب ودخول الاشقياء النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج
الفساق من النار وليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول
ان الله وعدكم وعد الحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافرون قد وجد المسلمون من يشفع
لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فياتونه ويسالونه فعند ذلك يقول هذا القول ووعد الحق من اضافة
الموصوف الى الصفة مثل مسجد الجامع [illegible] والجزاء على الاعمال وفي
الاية اضمار [illegible] فاخلفتكم الوعد [illegible]
[illegible]
الثاني ايضا مثل ذلك ثم ذكر [illegible] وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر [illegible] على الكفر والمعاصي
[illegible] الا دعوتكم [illegible]
ويمكن ان يوجه الاستثناء بالاتصال [illegible] تارة يكون بالقسر وتارة بتقوية الداعية في قلبه
بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم [illegible] الا الدعاء والتزيين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الانسانية الى مصاحبها بالالهامات الخيرية في حالتي النوم واليقظة [illegible]
والاعمال القبيحة والقدماء كانوا يسمون كلا من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض العلماء ان الحاصل لا اخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت
ابدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس اخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة من بدن مشاكل
لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس
المتعلقة بهذا البدن وتعضدها على احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى في ابواب البر والخير كان الهامات وان كان في باب الشر
كان وسوسة ثم حكى الله سبحانه عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس يريد بمغيثكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ
المستغيث والمصرخ المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اي اغثته وعاب النحويون على حمزة انه قرأ وما انتم
بمصرخي لان ياء الاضافة لا يكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في عصاي فما بالها وقبلها ياء واصل ما عابوا عليه انهم لم يجدوا له نظيرا في
استعمال العرب لكنك تعلم ان القران حجة على غيره قوله اني كفرت بما اشركتمون ان كانت ما مصدرية فالمعنى اني كفرت اي انا الجاحد وما كان
لي رضى باشراككم لي في الدعاء مع الله في الطاعة وفي ان لي تدبيرا وتصرفا في هذا العالم وان كانت موصولة على ما قاله من ان ما في معنى من
كقوله سبحان من سخركن لنا فالمراد اني كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالله الذي اشركتمونيه وعلى هذا نظم الكلام على هذا التفسيرات
ابليس كانه يقول لاني كفرت بالله من قبل ان تاثير لوسوستي في كفركم وما كان كفري بسبب وسوسة اخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا
ان سبب الوقوع في الكفر شيء اخر سوى الوسوسة وهذا التقرير يناسب اصول الاشاعرة اما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالاظهر انه
كلام الله ويحتمل ابليس ومن تابعه من الثقلين وليس ببعيد ان يكون من بقية كلام ابليس قطعا لاطماع اولئك الكفار عن اعانته ثم شرع في
احوال السعداء فقال وادخل على لفظ الماضي تحقيقا للوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملئكة الجنة باذن الله
وامره وقراءة الحسن وادخل على لفظ المتكلم قال في الكشاف على هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم
معنى قوله تحيتهم فيها سلام في اول سورة يونس ثم لما بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال الاشقياء اراد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا فقال
في الكشاف كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا او ضرب بما جعل اي جعل الله كلمة طيبة

مثلا ثم قال كشجرة طيبة اي هي كشجرة وقال صاحب حل العقد الظاهر ان الوجه هذا وجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعول ثان عن ابن
عباس الكلمة الطيبة هي قول لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة
كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك
وقيل لا حاجة الى تعيين تلك الشجرة والمراد ان الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في تحصيلها وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود
في الدنيا او لم يكن اما صفات الشجرة فالاولى ان يكون طيبة ويشمل طيب المنظر والشكل والرائحة وطيب الفواكه المستولدة منها وطيب
منافعها والثانية اصلها ثابت راسخ آمن من الانقطاع ولاشك ان الشيء الطيب ما يكمل الفرح بحصوله اذا امن انقراضه وزواله الثالثة
وفرعها في السماء اي في جهة العلو وهذا تاكيد لرسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوى وارسخ كان الفرع اعلى واشمخ ومن فوائد ارتفاع
الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاوها عن الاقذار وادناس قال في الكشاف فرعها اعلاها وراسها ويجوز ان يريد وفروعها على
الاكتفاء بلفظ الجنس الصفة الرابعة تؤتي اكلها كل حين اي يعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين ستة اشهر لان
من حملها الى صرامها ستة اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولاسيما النخلة اذا تركوا عليها النخلة
التمر يبقى من السنة الى السنة قال الزجاج الحين الوقت طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت يفرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن
ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وطاعته هي الشجرة الطيبة بل لا طيب ولا لذة
الا هي لان المدركات المحسوسة انما تصير مدركة لملاقاة شيء من المحسوس شيئا من الحاس اما نور معرفة الله واشراقها فانما يفيد ويسري
في جميع جوهر النفس حتى انه يكاد يتجوهر به ثم ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا تكاد تنتهي الحدود عروق هذه الشجرة
ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب واغصان نابتة صاعدة الى الهواء الروحاني وهواء العالم الروحاني يجمعها التعظيم لامر الله
ومنشاؤها القوة النظرية وغايتها الحكمة العلمية باقسامها واصلها وفروعها واغصان نابتة في فضاء العالم الجسماني ومنبتها القوة
العملية وغايتها الحكمة الخلقية التي يجمعها الشفقة على خلق الله عموما وخصوصا واما رسوخ شجرة المعرفة في القلب ان يكون نظره للاعتبار
فاعتبروا يا اولي الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ونطقه بالصدق والصواب وقولوا قولا سديدا وكذا
الكلام في سائر القوى والاعضاء هذه المراتب لا تكاد تنحصر بحسب مراتب الاستعدادات واذا صار جوهر النفس كاملا بحسب هذه الفضائل
فقد يكون مكملا لغيره وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين وفي قوله باذن ربها اشارة الى ان النظر في جميع هذه المراتب ان يكون على المفيض لا على الفيض
وعلى المنعم لا على النعمة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون المبدا وعرفانه والمعاد واتيانه والكمال على النقصان واثار العرفان للمعروف
لا للعرفان فيكون حينئذ جوهر النفس كلمة طيبة كما قال في حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة سهل عليك معرفة ضديهما
فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك او كل كلمة قبيحة او كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل او كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والثوم ونحو ذلك ومعنى
اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار مصدر كالثبات والنبات وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء
ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة قلت وذلك
ان الباطل لا قابل له ولا يوافقه فيه من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل زائل والحق بنقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه ولا يحصل منه برد
اليقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمانينة ولا قرار لها ابدا تسعى في الطرق المضلة والسبل المخرفة كالذي استهوته الشياطين في الارض
حيران له ولما شبه حال الفريقين بما شبه بين مآل حالهما فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان وتمكن في
قلب صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال هذا في الحيوة الدنيا فلا جرم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كاصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير
ومشطت لحومهم بامشاط الحديد ويثبتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يبهتوا عن ابن عباس من
دام على الشهادة في الحيوة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنه اياها وقد ورد في الحديث سوال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب
العقلي فيه ان المواظبة على العمل يوجب رسوخ الملكة بحيث لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسر الاخرة ههنا بالقبر لان الميت
ينقطع بالموت عن احكام الدنيا ويحكم في احكام الاخرة فمعنى الاية يثبت الله الذين امنوا بالله وبما يجب الايمان به على ما امنوا به في الدارين او يثبتهم
الله فيهما بسبب القول الثابت على القول الثابت وقيل معنى الاية يثبتهم الله على الثواب والكرامة بسبب القول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال
ما كانوا في الحيوة الدنيا وسيصدر عنهم حال ما يكونون في الاخرة ويرد عليه ان الاخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحيوة متعلقا بقوله يثبت
اي يثبتهم على الثواب في الدارين بسبب القول ويرد عليه ان الدنيا ليست دار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد في
الدارين فلا جرم اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من التثبيت والاضلال ولا اعتراض لاحد عليه او من منع الالطاف
ومنعها كما تقتضيه الحكمة ثم عجب من حال اهل مكة بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله اي شكر نعمته كفرا اي وضعوا مكان الشكر الكفر او بدلوا

نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة فلم يبق معهم الا الكفر وذلك ان الله تعالى اسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلى الله
فلم يقوموا بشكر تلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين وقتلوا يوم بدر وبقي الكفر طوقا في اعناقهم واعناق من تابعهم وذلك قوله
واحلوا قومهم دار البوار اي دار الهلاك وقوله جهنم عطف بيان وبئس القرار اي المقر مصدر سمي به قوله ليضلوا من قرا بضم الياء
فاللام للغرض او للعاقبة ومن قرا بفتحها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد ضلال نفسه ولكنه قد يريد اضلال الغير لمصلحة دنيوية
وانما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل حصولها في اخر المراتب وله مشابهة احد الامور
المصححة للمجاز قل تمتعوا امر وعيد وتهديد بحار الله فيه ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع الحاضر مامورون به فامرهم امر مطاع
هو امر الشهوة والمعنى دوموا على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار وانما سمي عيش الكفار تمتعا لان اهمالهم
في الدنيا على اي وجه يفرض يكون اسهل مما اعد لهم في الاخرة من العقاب ومن الذين نزل فيهم روي عن عمر رضه انه قال هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب قبيلة بن الايهم
واصحابه ولما امر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا تهديدا امر نبيه صلى الله عليه وسلم بحث المومنين على خلاف ذلك وهو الاقبال على ما
ينفعهم في الاخرة فقال قل لعبادي القول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة و
ينفقوا وجوز بعضهم ان يكون المذكور هو المقول بناء على انه امر غايب محذوف وانما حسن الحذف لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو
قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز والخلال المخالة اراد انفقوا اموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الانفاق
في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصادقة وانما ينتفع بالانفاق لوجه الله ونفي المخالة في هذه الاية وفي قوله في البقرة
لا بيع فيه ولا خلة لا ينافي اثباتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المنفية هي التي سببها ميل الطبيعة
ورغبة النفس والمثبتة هي التي يوجبها الاشتراك في الايمان والعمل ولما ختم احوال المعاد عاد الى المبدا فقال الله وهو مبتدا
خبره الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقد مر في اول البقرة والمراد من السماء من جهة العلو
وقيل نفس السماء وزيف بان الانسان ربما كان واقفا على قلة جبل عال ويرى الغيم اسفل منه واذا نزل منه الى ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا
عليه وسخر لكم الفلك كقوله في اواسط البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقد مر ومعنى بامره بتيسيره وتدبيره لانه خلق
موادها والهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل على وجهه جريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بانه فعل وانما يقال انه امر بكذا ومنهم من
حمل الامر على الظاهر اي بقوله كن وسخر لكم الانهار وجه المنة فيها ان البحر قلما ينتفع في العمارة والزراعة لعمقه وملوحته فسخر الله الانهار
والعيون والابار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى وسخر لكم الشمس والقمر اي صيرهما تحت تصرفه وتسخيره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم
من التسخين والترطيب والاضاءة والانارة لا انهما مذللان للانس وقوله دائبين نصب على الحال والدؤب مرور الشيء في العمل على
عادة مطردة اي يدابان في سيرهما وانارتهما وسائر منافعهما وخواصهما وهكذا معنى التسخير في قوله وسخر لكم الليل والنهار اي فذد
هذين العرضين المتعاقبين لراحة الانسان ولمعاشه ولما فصل طرفا من النعم اجمل الباقية منها بقوله واتاكم من كل ما سالتموه اي بعض جميع
ما سالتموه فما اما نافية والجملة نصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه او موصولة معناه واتاكم من كل ما سالتموه ذلك ما احتجتم
اليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين ان نعم الله على عبيده غير متناهية فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدرون على تعدادها لكثرتها
بل لعدم تناهيها قال الواحدي النعمة ههنا اسم اقيم مقام المصدر كالنفقة بمعنى الانفاق ولهذا لم يجمع ومن تامل في تشريح الابدان وفي اعضاء
الحيوان واجزائها من العروق الدقاق والاوردة والشرايين وفي كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة ووقف على منافعها عرف
بعض نعم الله تعالى على عباده واذا جاوز الانفس الى الافاق وسير فكره في عالم الاجسام السفلية والعلوية ووقف من بديع صنعتها وعظيم
منفعتها على ما يقضي منه العجب واذا عبر الملك والملكوت تاه في اودية الحيرة والدهشة وتلاشى عقله عند دق سرادقات العزة و
الهيبة قال الحكيم اذا اخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها اما الذي قبلها كالخبز والطحن والزرع وغير ذلك
من الالات المعينة والاسباب الفاعلية والقابلية حتى ينتهي الى الافلاك والعناصر واما الذي بعدها كالقوى المعينة على الجذب
والامساك والهضم والدفع وكالاعضاء الحاملة لتلك القوى وكساير الامور النافعة في ذلك الباب خارجة من البدن او داخلة
فيه فانها تكاد لا تنحصر واذا كانت نعم الله تعالى في تناول اللقمة واحدة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت في
عالم الاجساد فاذا انخطيت الى عالم الارواح وجلت طرف عقلك في مبادي القدس وحظاير الانس وصادفت بعض ما هنالك من
الكرامات واللذات فلعلك تعرف حق النعمة اذ تغرق في لجة المنة او تغترف من بحر المنحة والنعم هنا للتنعم على وفق الاستعداد وادراك النعم
بمقدار الفهم والرشاد فان كنت اهلا لها فذاك والا فلا تلم الا نفسك ان الانسان اي هذا الجنس لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها
كفار شديد الكفران وذلك انه مجبول على النسيان والملالة فلابد ان يقع في اغفال شكر النعمة ان نسيها او كفران النعمة اذا ملها وقيل ظلوم

في الشدايد بالشكاية والجزع كفار في النعمة بجمع ومنع قال علم انه ختم الاية في هذه السورة بما ختم وختمها في النحل بقوله ان الله لغفور
رحيم وكانه قال ان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم فلا اقابل تقصيرك الا بالتوفير ولا اجازي جفاك الا بالوفا ملكت
صفتك في الاخذ وصفتي في الاعطاء
وبرزوا من القشور الفانية لله جميعا من القوي والضعيف فقال
الضعفاء وهم الملكة الذين استكبروا من المبتدعين اني كفرت بما اشركتموني من قبل الظالمين حين لا ينفع نفسا ايمانها وادخل فيها اشارة
الى ان الانسان اذا خلي وطباعه لا يدخل الجنة لانه خلق ظلوما جهولا سفلي الطبع وانما يدخله بفضله وعنايته جنات القلوب تجري
من تحتها انهار الحكمة خالدين فيها باذن ربهم اي بعنايته والا لم يبق فيها ساعة كما لم يبق ادم تحيتهم اهل القلوب على اهل القلوب بسلامة
قلوبهم وتحيتهم على اهل النفوس لمرض قلوبهم ليسلموا من شر نفوسهم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الم تر اي الم تشاهد بنور النبوة
كيف ضرب الله مثلا للاستعداد الانساني القابل للفيض الالهي دون ساير المخلوقات كلمة طيبة هي كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث
مثمرة اثمار شواهد انوار القدم اصلها ثابت في الحضرة الالهية فانها صفة قائمة بذاته وفرعها في سماء القلوب توتي اكلها من انوار
المشاهدات والمكاشفات كل حين يتقرب العبد الى عبر يتقرب الرب تعالى اليه ويضرب الله الامثال للناس لمن نسي العهد الاول العلم
يتذكرون الحالة الاولى فيسعون في ادراكها ومثل كلمة تتولد من جناية النفس اجتثت من فوق ارض البشرية ما لها من قرار لانها
من الاهمال الفانيات لا من الباقيات الصالحات يثبت الله الذين امنوا يمكنهم في مقام الايمان بملازمة كلمة لا اله الا الله والسير
في حقايقها في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لان سير اصحاب الاعمال ينقطع بالموت وسير ارباب الاحوال لا ينقطع ابدا واحلوا قومهم
ارواحهم وقلوبهم ونفوسهم وابدانهم انزلوا ابدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصم والجهل وارواحهم العلوية
اسفل سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاخلاق الحميدة كفر الاوصاف الذميمة الله الذي خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من
سماء القلوب ماء الحكمة فاخرج به ثمرات الطاعات رزقا لارواحكم وسخر لكم فلك الشريعة في بحر الطريقة بامر الحق لا بالهوى والطبع وكم
لارباب الطلب من سفن انكسرت بنكباء الهوى وسخر لكم انهار العلوم الدينية وشمس الكشوف وقمر المشاهدات وليل البشرية ونهار الروحانية
ومعنى التسخير في الكل جعلها اسبابا لاستكمال النفس الانسانية واتاكم من كل ما سالتموه من ساير الاسباب المعينة على ذلك فجميع العالم
بالحقيقة تبع لوجود الانسان وسبب لكماليته وهو ثمرة شجرة المكونات فلذلك قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان مخلوقاته
غير منحصرة وكلها مخلوقة لاستكماله ان الانسان لظلوم بافساد استعداده كفار لا يعرف قدر نعمة الله في حقه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم ۝ ربنا اني اسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل
افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ۝
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق
ان ربي لسميع الدعاء ۝ رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا
وتقبل دعاء ۝ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب ۝

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ۝ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم
هواء ۝ وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا
الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل
ما لكم من زوال ۝ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ۝ وقد مكروا
مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه
الجبال ۝ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام ۝
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ۝
وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد ۝ سرابيلهم من قطران
وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع
الحساب ۝ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد
وليذكر اولوا الالباب ۝

ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان انى اسكنت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن عصاني بالامالة علي دعائي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وقرأ ابو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمي والخراز عن هبيرة ولحمد بن فرج عن عمرو عن اسمعيل بالياء في الوصل الباقون والهاشمي عن ابن فليح بغير ياء في الحالين نوخرهم بالنون عباس والمفضل في رواية ابي زيد الآخرون بالياء لتزول بفتح الاول ورفع الآخر على الباقون بكسر الاول ونصب الآخر القهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء مكسورة منونة آن على انه اسم فاعل زيد عن يعقوب والوقف على قراءتان بالياء الاصنام من الناس مني فصلا بين النقيضين مع اتحاد الكلام رحيم المحرم لان قوله ليقيموا يتعلق بقوله اسكنت وكلمة تكرار يشكرون وما نعلن وما في السماء ولجمع الدعاء ومن ذريتي فتقبل والوصل اولى للعطف وربنا تكرار دعاء الحساب الظالمون الابصار لان ما بعده حال طرفهم لاحتمال ان قوله ولن افئدتهم تكون من صفات اهل الحشر وان تكون من صفات الكفار في الدنيا هواء قريب لان قوله نجب جواب اخرنا الرسل زوال للعطف على التقيم الامثال وعند الله مكرهم الجبال رسله انتقام فان انتقامه لا يختص بوقت والتقدير اذكر يوم القهار في الاصفاد للاية ولان الجملة بعده من صفات المجرمين النار لتعلق لام كي ما كسبت الحساب الالباب ان قصة ابرهيم صلوات الله عليه يحتمل ان يكون مثالا للكلمة الطيبة وان يكون دعاء الى التوحيد وانكار العبادة الاصنام وان يكون تعديدا لبعض نعمه على عبيده فان وجود الصالحين ولاسيما الانبياء والمرسلين رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابرهيم ومن نسله صلوات الرحمن عليه وعلى نبينا حكى الله سبحانه عنه طلب امور منها قوله رب اجعل هذا البلد آمنا وقد مر في البقرة الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك ولا ريب ان في مكة مزيد امن وللوحوش هنالك استيناس ليس في غيرها

ولما قدم طلب الامن على سائر المطالب لانه لولاه لم يفرغ الانسان لشئ آخر من مهمات الدين والدنيا ومن هنا جاز التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وسئل بعض الحكماء الامن افضل ام الصحة فقال الامن والدليل ان شاة لو انكسرت رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها تقبل على الرعي والاكل ولو انها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فانها تمسك عن العلف ولا تتناول شيئا الى ان تموت فدل ذلك على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الالم الحاصل للجسد ومنها قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام قال الجحدري يقولون جنبني شره بالتشديد واهل النجد جنبني واجنبني وفائدة الطلب والاجتناب حاصل التثبيت والادامة ولا اقل من هضم النفس واظهار الفقر والحاجة والتماس العصمة من الشرك الخفي اما قوله بني فقيل اراد من بنيه من صلبه وانهم ما عبدوا صنما ببركة دعائه وقيل اولاده واولاد اولاده ممن كانوا موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عيينة لم يعبد احد من ولد ابرهيم صنما وهو التمثال المصور وانما عبدت العرب الاوثان يعني احجارا مخصوصة كانت لكل قوم زعموا ان البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار ولذلك يستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وضعف هذا الجواب بانه اذا عبد غير الله فالصنم والوثن سيان على انه سبحانه وصف الهتهم بما ينبئ عن كونهم مصورين كقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الايات الى قوله وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده بدليل قوله فمن تبعني فانه مني اي من اهلي ويفهم منه ان من لم يتبعه في دينه فانه ليس من اهله كقوله لابن نوح انه ليس من اهلك وقيل انه وان عم الدعاء الا انه اجيب في البعض كقوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قالت الاشاعرة لو لم يكن الايمان والكفر بخلق الله تعالى لم يكن الالتماس التبعيد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على منح الالطاف اما قوله رب انهن اضللن كثيرا فاتفقوا على ان نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم اي صارت سببا للفتنة والاغترار بها فمن تبعني بقي على الملة الحنيفية فانه مني اي هو بعض لفرط اختصاصه ومن عصاني فانك غفور رحيم قال السدي ومن عصاني ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك فاستدل الاشاعرة بالاية من غير اشتراط التوبة على انه شفاعة في اسقاط العقاب عن اهل الكبائر واذا ثبت هذا في حق ابرهيم صلوات الرحمن عليه ثبت في حق نبينا بالطريق الاولى ثم اراد انه يعطف الله بدعائه في قلوب الناس كلهم او جلهم على اسمعيل ومن ولد منه بمكة وان يرزقهم من الثمرات فمهد لذلك مقدمة فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي اي من بعضهم بواد غير ذي زرع اي لم يكن فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج اي لا عوج فيه اصلا ولم يوجد ذلك منه في زمن من الازمان وقد سبق في سورة البقرة قصة ابرهيم باسمعيل وامه هاجر الى هنالك وفي قوله عند بيتك المحرم على انه دعا هذه الدعوة بعد بناء البيت لا حين مجيئه بهما ومعنى كون البيت محرما ان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لاجل حرمته وانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كما سمي المحرم الذي حقه ان يجتنب وقيل سمي محرما لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ام حرم على المكلفين ان يقربوه بالدماء والاقذار ولانه امر الصابرون اليه ان يحرموا على انفسهم شيئا كانت تحل لهم من قبل ربنا ليقيموا الصلوة اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا لاقامة الصلوة عند البيت وعمارته بالذكر والطاعة فاجعل افئدة من الناس من للتبعيض اي افئدة من افئدة الناس او جمعتم عليه فارس والروم والترك والهند وعن سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه اراد افئدة المسلمين وجوز في الكشاف ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم وعلى هذا فانما يحصل التبعيض من تنكير افئدة فكانه قيل افئدة ناس ومعنى تهوي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تنحط وتنحدر الاصمعي هوى يهوي هويا بفتح الهاء اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا الدعاء فائدتان احدهما ميل الناس الى تلك البلد للنسك والطاعة والاخرى نقل الامتعة اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك يتسع معايشهم ويكثر ارزاقهم ومع ذلك صرح بها فقال وارزقهم من الثمرات فلا جرم اجاب الله دعاءه فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ وقيل اراد ان يحصل حواليها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الاية بقوله لعلهم يشكرون ليعلم ان المقصود الاصلي من المنافع دينا وسعة الرزق وهو التفرغ لاداء العبادات واقامة الوظائف الشرعية ثم اثنى على الله سبحانه تمهيدا لدعوة اخرى وتعريضا ببقية الحاجات فقال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم الذات سيان وقيل من نخفي من الوجد بسبب الفرقة بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء والدعاء او اراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قال المفسرون وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم ويحتمل ان يكون من كلام ابرهيم ومن للاستغراق اي لا يخفى على الذي يستحق العبادة لذاته شئ ما في اي مكان فرض الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبر السن وفي حال الشيخوخة اسمعيل واسحق ذكره لكونه تعالى عالما بالضمائر والسرائر ثم حمده على هذه الموهبة لان المنة بهبة الولد في حال وقوع الياس من الولادة اعظم لانها ينتهي الى حد الخوارق فكانه رمز الى انه يطلب من الله سبحانه ان يبقيهما بعده ولهذا ختم الاية بقوله ان ربي لسميع الدعاء هو من اضافة الصفة الى مفعولها اي يجيب الدعاء او الى فاعلها بان يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى ويحتمل ان يكون قوله ان ربي لسميع الدعاء رمزا الى ما كان قد دعا به وساله والولد وبقوله رب هب لي من الصالحين ودعا ان اسمعيل

ولداه وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن
جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الادعية بقوله رب اجعلني مقيم الصلوة اي مديمها ومن ذريتي اي واجعل بعض
ذريتي كذلك لم يدع للكل لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل
دعاء عن ابن عباس اي عبادتي وحمله على تقبله الادعية السابقة والاتية غير بعيد ربنا اغفر لي طلب المغفرة لا يوجب سابقة الذنب
لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء في مقام الخوف والدهشة على ان ترك الاولى لا يمتنع منهم وحسنات الابرار سيئات
المقربين واما قوله ولوالدي فاعترض عليه بانه كيف استغفر لابويه وهما كافران واجيب بانه قال ذلك بشرط الاسلام وزيف بان قوله
تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك مستثنى من الاشياء التي يؤتسى فيها بابرهيم ولو كان استغفاره مشروطا باسلام ابيه لكان استغفارا
صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل اراد بوالديه آدم وحوا والصحيح في الجواب انه استغفر له بناء على الجواز العقلي والمنع التوقيفي بعد ذلك
لابنائه فيه يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل ومثله قامت الحرب على ساقها او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا
مجازيا او المضاف محذوف واسال القرية ثم عاد الى بيان الجزاء والمعاد لان دعاء ابرهيم عم قد انجر الى ذكر الحساب فقال ولا تحسبن الله غافلا
ان كان الخطاب لكل مكلف او للنبي والمراد امته فلا اشكال وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فمعناه التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب
الله الا عالما بجميع المعلومات او المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعمل الظالمون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب
على النقير والقطمير وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم ان يكون غافلا عن
الظلم او عاجزا عن الانتقام او راضيا بالظلم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار اي ابصارهم كقوله واشتعل الراس شخص بصر الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا تطرف وذلك انما يكون عند غاية الحيرة
وسقوط القوة مهطعين مسرعين قاله ابو عبيدة والغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا فبين الله
تعالى ان حالهم بخلاف هذا المعتاد لانهم مع شخوص ابصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال احمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخضوع
وقيل هو الساكت مقنعي رؤسهم رافعيها وهو ايضا بخلاف المعتاد لان الغالب ممن يشاهد البلاء انه يطرق راسه لكيلا يراه لا يرتد اليهم
طرفهم الطرف تحريك الاجفان على الوجه الذي خلق وجبل عليه وسمي العين بالطرف تسمية بفعلها اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم والمراد
دوام الشخوص المذكور وقيل اي لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء والهواء الخلاء الذي يشغله الاجرام وصف قلب الجبان
به لانه لا قوة فيه ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء والمعنى ان قلب الكفار خالية من جميع الخواطر والافكار لعظم ما نالهم وعن كل رجاء وامل
للتحقق من العقاب والاظهر ان هذه الحالة لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هي ما بين السعداء من الاشقياء وقيل
عند اجابة الداعي والقيام من القبور وعن ابن جريج اراد ان افئدة الكفار في الدنيا صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم
وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر واليوم يوم القيامة واللام في العذاب للمعهود السابق من شخوص الابصار وغيره او المعلوم
وهو عذاب النار ومعنى اخرنا امهلنا الى امد وحد من الزمان قريب او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات
ولقاء الملئكة بلا بشرى اولم تكونوا على اضمار القول اي فيقال لهم ذلك واقسامهم اما بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا واما بلسان
الاشر او بطرا وجهلا وسفها وما لكم من زوال جواب القسم ولو قيل ما لنا من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث العربية والمعنى اقسمتم انكم
باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء او لا تنتقلون الى دار اخرى حتى دار الجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
ثم زادهم توبيخا بقوله وسكنتم استقررتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار
والمشاهدات والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات وضربنا لكم الامثال قال الجبائي اراد صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة
كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما ورد في القران من دلائل القدرة على الاعادة والابداء وعلى العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى
مكرهم فقال وقد مكروا مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد كما قال واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك وقيل اراد ما نقل ان نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه باربعة نسور وكان قد جوعها
ورفع على الجوانب الاربعة على التابوت عصيا اربعا وعلق على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك التابوت
فلما ابصرت النسور تلك اللحوم تصاعدت في جو الهوا ثلثة ايام وغابت الارض عن عين نمرود ورأى السماء بحالها فنكس تلك العصي التي عليها
اللحم فهبطت النسور الى الارض وضعف هذه الرواية لانه لا يكاد يقبلها عاقل وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل والمعنى
ومكتوب عنده مكرهم فهو يجازيهم عليه بما هو اعظم منه وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي
يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قرئ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان تكون
ان مخففة من الثقيلة والجبال مثل لعظم مكرهم وشدته اي وان الشان كان مكرهم معدا لذلك والوجه الثاني ان تكون ان نافية واللام مكسورة

لتاكيد النفي كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرايعه الثابتة
على حالها ابد الدهر ومن قرا بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما مر ثم انه سبحانه اكد كونه
مجازيا لاهل المكر على اهل مكرهم بقوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال جار الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول
ليعلم انه غير مخلف الوعد على الاطلاق ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شانه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته
والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحوهما من الايات قوله والله عزيز ذو انتقام قد مر في اول ال عمران
يوم تبدل الارض غير الارض قال الزجاج انتصاب يوم على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف للانتقام والاظهر انتصابه باذكر كما
مر في الوقوف ومعنى قوله والسموات اي وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم
دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل وتفسير ابن عباس يناسب الوجه الثاني
قال هي تلك الارض وانما تغير فتسير عليها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امتا وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف
شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها
مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات لا يتطرق اليها العدم وانما يعدم صفاتها
ولواحقها ثم جوزوا انعدام الضوء مع انها جواهر عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الاول قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة وعن علي كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقيل
لا يبعد ان تجعل الارض جهنم والسموات الجنة وبرزوا قد ذكرنا في السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع تعظيم وتهويل لانه لا استغاثة
وقتئذ الى غيره ولا حكم يومئذ لاحد الا له يتفرد في حكمه ويقهر ما سواه ومن نتايج قهره قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد
قرن بعضهم الى بعض لان الجنسية علة الضم او مع الشياطين الذين اضلوهم قالت الحكماء هي الملكات الذميمة والعقايد الفاسدة التي اكتسبوها
في تعلق الابدان وقوله في الاصفاد اي القيود اما ان يتعلق بمقرنين واما ان يكون وصفا مستقلا اي مقرنين مصفدين وقيل الاصفاد
الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما تحصل بتكرير الافعال
الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب اي يسيل من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به
الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن
الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجتمع عليهم اللذع والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على ان التفاوت
بين القطرانين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلي فيه ان البدن بمنزلة القميص للنفس وكل ما يحصل للنفس من الالام والغموم فانما يحصل بسبب
هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وساير اثار الملكات الردية فيه ومن قرا من قطر ان فالقطر
النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره قال ابن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك السربال ولا تفنيه كما لا تهلك النار اجسادهم والاغلال
التي عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز موضع في ظاهر البدن اراد نفوس الكفار لان ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل
نفس مجرمة ومطيعة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم ثم اشار الى القران او الى ما في السورة او الى ما مر من قوله
ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكير والموعظة لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة
القوة النظرية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والى استكمال القوة العملية بقوله وليذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم
المخافة الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولي التوفيق واذ قال ابرهيم الروح رب اجعل بلد القلب امنا من وسوسة
الشيطان وهواجس النفس وافات الهوى واجنبني وبني هم الفؤاد والسر والخفي ان نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله فصنم النفس الدنيا وصنم
القلب العقبى وصنم السر العرفان والقربات وصنم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور فيه
نكتتان الاولى لم يقل ومن عصاك اشارة الى ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة الثانية لم يقل فانا اغفر وارحم عليه لان عالم الطبيعة البشرية
يقتضي المكافات وانما المغفرة والرحمة من شان الغني المطلق اسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع هو
وادي النفس عند بيتك المحرم على ما سواك وهو كعبة القلب حرام ان يكون فيها لغير الله لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن
وفيه انه توسل في اجابة الدعاء بمحمد صلعم فكانه قال ان ضيعت هاجر واسمعيل فقد ضيعت محمدا وفيه قوله ليقيموا الصلوة اشارة الى انه
لولا تعلق الروح بالجسد وحلوله بارض القالب لم يمكن استكمال الروح بالاعمال البدنية وانه لولا عرض هذا الاستكمال لم يحصل ذلك فاجعل افئدة
الصفات الناسوتية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون هذه النعمة الجسيمة التي ليس فيها لها
الملك المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفي من حقايق الدعاء وما نعلن من ظاهر القصة وما يخفى على الله من شيء في
ارض المعاملات الصورية ولا في سماء القلوب من الغيوب على الكبر اي بعد تعلق الروح بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفي مقيم الصلوة دايم العروج

فان الصلوة معراج المومن ربنا اغفر لي استرني وامحني بصفة معرفتك ولوالدي من الاباء العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبوني من تولك
يوم يقوم حسابك بكمالية كل نفس لاكون في حساب الكاملين لا في حساب الناقصين ولا تحسبن اي لم يكن الله غافلا في الازل بل الكل يقضا
وقدر اعمالهم ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فانها مودعة في الاعمار وبذلك يصل كل من اهل السعادة والشقاوة الى مقامهم ماكم من
زوال فيه ابطال مذهب التناسخية زعموا ان نفوسهم لا تزال تتعلق بالابدان وسكنتم في مساكن الذين زعموا تعلقهم بابدان مثل ابدانهم منهمكين في
ظلمات الاخلاق الذميمة وعند الله مقدر مكرهم وان كان مكرهم بحيث يوثر في ازالة الجبال عن اماكنها ولكنه لا يحرك شعرة الا باذن الله
وقضايه يوم تبدل الارض البشرية بارض القلوب فيضمحل ظلمتها بانوار القلوب وتبدل سموات الاسرار بسموات الارواح فان شموس الارواح
الارواح اذا انحلت لكواكب الاسرار انحت انوار كواكبها بسطوة اشعة شموسها بل تبدل ارض الوجود المجازي عند اشراق تجلي انوار هويته
بحقايق انوار الوجود الحقيقي كما قال واشرقت الارض بنور ربها وحينئذ برزوا لله الواحد القهار فان شموس الارواح تصير مقهورة في
تجلي نور الالوهية وترى المجرمين يوم التجلي مقرنين في قيود الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران المعاصي
وظلمات النفوس فهم محجوبون بها عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرة والقطيعة هذا بلاغ للناس الذين خسروا عالم الوحدة ولينذروا به
قبل المفارقة فان الانتباه بالموت لا ينفع وليعلموا انما هو اله واحد فيعبدون ولا يتخذوا الها غيره من الدنيا والهوى والشيطان
وليذكروا اولوا الالباب عالم الشهود فيخرجوا من قشر الوجود   الله حسبي ونعم الوكيل   ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين ۝ ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين ۝ ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون ۝ وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ۝ وقالوا يا ايها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون ۝ لوما تاتينا بالملائكة ان كنت
من الصادقين ۝ ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ۝
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ۝ ولقد ارسلنا من قبلك في شيع
الاولين ۝ وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ۝ كذلك
نسلكه في قلوب المجرمين ۝ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ۝ لقالوا انما سكرت
ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ۝ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها

للناظرين ۝ وحفظناها من كل شيطان رجيم ۝ الا من استرق السمع
فاتبعه شهاب مبين ۝ والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل شيء موزون ۝ وجعلنا لكم فيها معايش
ومن لستم له برازقين ۝ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله
الا بقدر معلوم ۝ وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء
فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين ۝ وانا لنحن نحيي ونميت ونحن
الوارثون ۝ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستاخرين ۝ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ۝
ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون ۝ والجان
خلقناه من قبل من نار السموم ۝ واذ قال ربك للملائكة اني
خالق بشرا من صلصال من حما مسنون ۝ فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين ۝ فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ۝ قال يا ابليس ما لك الا
تكون مع الساجدين ۝ قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته
من صلصال من حما مسنون ۝ قال فاخرج منها فانك رجيم ۝
وان عليك اللعنة الى يوم الدين ۝ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين ۝ الى يوم الوقت المعلوم ۝ قال رب بما
اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين ۝ الا عبادك
منهم المخلصين ۝ قال هذا صراط علي مستقيم ۝ ان عبادي ليس لك

عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ● وان جهنم لموعدهم اجمعين ●
لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ● ان المتقين في جنات
وعيون ● ادخلوها بسلام امنين ● ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا على سرر متقابلين ● لا يمسهم فيها نصب وما هم منها
بمخرجين ● نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ● وان عذابي هو
العذاب الاليم ● ربما بفتح الباء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني ربما بضم البا
خفيفة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما تنزل الملائكة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير
ابي بكر وحماد ما تنزل الملئكة بضم التاء وفتح الزاء المشددة الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما ننزل بالادغام
البزي وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط على بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب
الاخرون على جارا ومجرورا وعيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادي مثل نبئنا
عبادي اني بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والاخرون بالاسكان الجزء الرابع عشر الركوع في مبين
مسلمين يعلمون معلوم وما يستاخرون لمجنون لان التخصيص لصدق الكلام الصادقين منظرين لحافظون الاولين يستهزءون
المجرمين الاولين يعرجون مسحورون للناظرين رجيم مبين موزون برازقين خزاينه لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيين الجمع في
التقدير والتفريق في التنزيل فاسقيناكموه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال بخازنين الوارثون المستاخرين يحشرهم عليم
مسنون لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول في الثانية السموم مسنون ساجدين اجمعون الا ابليس الساجدين مسنون رجيم الدين
يبعثون من المنظرين المعلوم اجمعين المخلصين مستقيم الغاوين اجمعين ابواب مقسوم وعيون لارادة القول بجلد امنين
متقابلين بمخرجين الرحيم الاليم قال جار الله تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الاي والكتاب والقران المبين السورة
وتنكير القران للتفخيم وقال اخرون الكتاب والقران المبين هو الكتاب الذي وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى تلك الايات ايات
ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرانا مفيدا للبيان اما قوله ربما يود فذكر السكاكي ان فيه سبع لغات اخرها المشهورة رب
الراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة او مضمومة او مسكنة وربت الراء مفتوحة والباء كذلك مشددة او مخففة وربت بالتاء مفتوحة
والباء كذلك التاء مفتوحة مخففة او مشددة وانما دخلت على المضارع مع انه مختص بالماضي لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به
في تحققه فكانه قيل ربما ود وما هذه كافة اي تكف رب عن العمل فتهيا بذلك للدخول على الفعل وقيل انها بمعنى شيء يوده الذين كفروا ورب
للتقليل فاورد عليه ان تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل واجيب بانه على عادة العرب اذا ارادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل
كما اذا ارادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت
ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك اراد لو كان الندم قليلا او مشكوكا فيه لحق عليك ان لا تفعل
هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من الغم القليل كما يحذرون من الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن فمعنى الاية لو كانوا يودون الاسلام
مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله لو كانوا مسلمين اخبار عن ودادتهم كقولك حلف بالله
ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن ومتى يكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما راى حالا
من احوال العذاب او راى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل في وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثرة التمني فلذلك قلل
وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهدوا امارات العقاب وقيل اذا اسودت وجوههم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة اجتمع اهل
النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة فقال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب الله
لهم فيامر بكل من كان من اهل القبلة فقال بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرا رسول الله صلعم الاية وروى مجاهد عن ابن
عباس انه قال ما يزال يرحم الله المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملئكة والانبياء حتى انه تعالى في اخر الامر يقول من كان
من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ظاهره امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخليهم وشانهم فاحتج

الاشاعرة

الاشاعرة به على انه سبحانه قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا وتجويزا وانما
هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبي عن ارعوائهم وفيه انهم من اهل الخذلان ولا يجيء منهم الا ما هم ولا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة
ما ينذرون به حتى لا ينفعهم الوعظ وفي الاية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين
ومعنى يلههم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة لهيت عن الشيء بالكسر الهى لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاني
غيره عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا وقال هذا الانسان وخط الى جنبه خطا وقال هذا اجله وخط اخر بعيدا منه فقال
هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون سوء صنيعهم مزيد تاكيد للتهديد ثم ذكر ما هو بهاية الزجر والتحذير فقال
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ قال جار الله قوله ولها كتاب معلوم جملة واقعة صفة
لقرية والواو لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح ان هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة
حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لمكان الفاصلة
بالواو وكيف وقد زادت الفاصلة في الاية بكلمة الا وذو الحال قريب من المعرفة اذ التقدير وما اهلكنا قرية من القرى من قبل
افادة من الاستغراق قال القوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستيصال الذي كان ينزله الله تعالى بالمكذبين المعاندين من الامم السالفة
وقال اخرون اراد الموت والاول اقرب لانه في الزجر ابلغ وكانه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل فان لكل امة وقتا معينا
في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتاخر وقيل اراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فمعناه جاز وخلف
كقولك سبق زيد عمرا اي جازه وخلفه وانه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام كذا
معناه مضى قبل اتيانه ولم يبلغه فمعنى الاية انه لا يحصل اجل امة قبل وقته ولا بعده كما في كل حادث وقد مر بحث الاجل في اول سورة
الانعام وانث الامة اولا ثم ذكرها اخرا في قوله وما يستاخرون حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستاخرون وهو عنه للعلم
ولما بالغ في تهديد الكفار شرع في تعديد بعض شبههم ومطاعنهم في النبوة الاولى انهم يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون منه صلى
الله عليه وسلم ما لا يوافق اراءهم ولا يطابق اهواءهم وانما نادوا بيا ايها الذي نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي
عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما او ارادوا يا ايها الذي نزل عليه في زعمه واعتقاده وعند اصحابه واتباعه الثانية لوما تاتينا بالملئكة
لوما حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمني ومن ما المزيدة فافاد المجموع الحث على الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون
ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تاتينا بالملائكة العذاب ان كنت صادقا في ان تكذيبك يقتضي التعذيب العاجل
فاجاب الله سبحانه عن شبهتهم بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قالت المعتزلة اي نزولا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة
ولا حكمة في ان ياتيكم عيانا فان امر التكليف حينئذ يؤل الى الاضطرار والالجاء لا فائدة تعود عليكم لانه تعالى يعلم اصراركم على الكفر
فيصير انزالهم عبثا ولا حكمة في انزالهم لو نزل ولو انهم لم يؤمنوا وجب عذاب الاستيصال وذلك قوله وما كانوا اذا منظرين فان التكليف
نزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يهلك هذه الامة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم او ايمان اولادهم وقالت
الاشاعرة الا بالحق اي الا بالوحي او العذاب قال صاحب النظم لفظ اذا مركبة من اذ بمعنى حين ومن ان الدال على محي فعل بعد فخففت الهمزة
بحذفها بعد نقل حركتها وكانه قيل وما كانوا منظرين اذ ان كان ما طلبوه وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا
منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد انا نحن نزلنا الذكر
ثم دل على كونه اية منزلة من عنده فقال وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر او لم يكن اية لم يبق محفوظا من التغير والاختلاف
وقيل الضمير في له لرسول الله كقوله والله يعصمك والقول الاول اوضح ووجه حفظ القران قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشرية
حتى لو زادوا فيه شيئا ظهر ذلك العقلاء ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظه بالدرس والبحث ولم يزل طائفة يحفظونه
ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض
الصبيان اخطات ومن جملة اعجاز القران وصدقه انه سبحانه اخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما اخبر بعد سبعمائة سنة
فلم يبق للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القران ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهر بخلاف الكتب المتقدمة
فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء
كذلك والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام اضمار وتقدير التقدير ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل
لدلالة الارسال عليه ومعنى في شيع الاولين في امهم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال جار الله معنى ارسلنا فيهم جعلناهم
رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي قوله وما ياتيهم حكاية
حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الفطام عن المالوف شديد وكون الانسان مسخر الامر من هو مثله او اقل

حالا منه في المال والجاه والقبول اشد على ان السبب الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه وموقعهم مظاهر القهر في الاول
قوله كذلك نسلكه السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط قالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى اقرب المذكورات
وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزءون واما الضمير في قوله لا يؤمنون به فيعود الى الذكر لانه لو عاد الى الاستهزاء وعدم الايمان
بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضماير عودها على شيء واحد وان كان الاحسن ذلك و
الحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع من اعتباره وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير
للكناية في قوله نسلكه اي نجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به فثبت دلالة الاية على ان الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال
كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضمير ان يعود الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل اخر قبله وليس الا تنزيل الذكر والمعنى مثل
ذلك الفعل نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل
انا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول نظيره ما اذا انزلت لئيم حاجته فلم يجبك اليها وقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل
هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض بان النون انما تستعمل للواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلالة ومثل هذا التعظيم انما
يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له اثر قوي كامل اما اذا فعل بحيث يكون منازعه ومدافعه غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم
والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك استماع القرآن وتحفيظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل ان يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به
فصار فعل الله كالهدر الضايع وصار الشيطان كالغالب الدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة
الاولين فقيل اي طريقتهم التي بينها الله تعالى في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وتهديد لاهل
مكة على تكذيبهم وقيل قد خلت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة
ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا اي هؤلاء الكفار فيه يعرجون يصعدون لقالوا انما
سكرت ابصارنا هو من سكر الشراب او من السكر سد الشق يقال سكرت النهر اذا سددته وحبسته من الجري والتركيب يدل على قطع الشيء عن
سننه الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو فمعنى الاية حبست ابصارنا ووقع بها من فساد
النظر ما يقع بالرجل السكران او حبست عن ابصارها بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقايقها عن ابن عباس المراد ولو ظل المشركون
يصعدون في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون
لشكوا في تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا ساير المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلى الله عليه
وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان ياتوا بمثله قال في الكشاف ذكر الظلول يعني انه قال فظلوا ولم يقل
فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس
الا تسكيرا للابصار وقيل الضمير في فظلوا للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا
وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو انه كيف جاز من جم غفير ان يصيروا شاكين فيما
يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح واجيب بانهم قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا رؤساء قليلة العدد
فجاز تواطؤهم على المكابرة والعناد ولا سيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع حجة او غلبة خصم ولما اجاب عن شبه منكري
النبوة بما اجاب وكان القول بالنبوة مفرعا على القول بالصانع اتبعه دلايل ذلك فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا
وهي اثنا عشر عند اهل النجوم وذلك انه قسم نطاق الفلك الثامن عندهم باثني عشر قسما متساوية ثم اجيز بمنتهى كل قسم وباوله
مبتدية من اول الحمل نصف دايرة عظيمة يقطعي الفلك فصار الفلك ايضا منقسما باثني عشر قطعة كل منها تشبه ضلعا من
اضلاع البطيخ يسمى برجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة الطباع كل ثلثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة فلذلك
يسمى الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية
والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت اجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون او متساوية
في تمام الماهية مختلفة في التاثير كما يقوله الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة او بتاثير معين مع تساوي الكل
في حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر قدير الدليل الاخر قوله وزيناها اي بالشمس والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار و
الاستبصار قال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهذا لا ينافي الاية على ما يمكن ان يسبق الى الوهم لانها سواء
كن في سماء الدنيا او في سموات اخر فوقها فلا بد ان يكون ظهورها في السماء الدنيا فيكون السماء الدنيا مزينة بها والاية لا تدل
الا على هذا القدر ونظير هذه الاية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله في سورة الملك الدليل الثالث قوله
وحفظناها اي البروج او السماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من استرق ويجوز ان يكون

محفوظا اي الا ممن استرق عن ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة فاتبعه اي ادركه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة
نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون
اخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما لو حفظ احدنا منزله ممن يتجسس ويخشى منه الفساد واستراق السمع في استماع الكلام مستخفيا
قالت الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنيته فيه فيحدث
منها انواع النيران من جملتها الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الا انها سلطت على الشياطين وانما
قيض كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى ثم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم سؤال كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا واكثر
من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ثم انهم مع ذلك يعودون بمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض الله لطايفة
منهم الحرق لطغيانها قدر له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار آخر
قد ورد في الاخبار ان ما بين كل سماءين مسيرة خمسماية عام فهؤلاء الجن ان صعدوا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى
من فطور وان لم يصعدوا فكيف يمكنهم استماع اسرار الملائكة من ذلك البعد البعيد ولم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض
واجيب بانا سلمنا ان بعد ما بين كل سماءين ذلك القدر الا ان تحت الفلك لعله قد يتخيل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت احد ولا لحيوته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء
سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم
ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الى هذه السماء ويتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون آخر
الشياطين مخلوقون من نار فكيف يحرق النار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان جنسه آخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يقع بعد وفاته والجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض ابطال الكهنة آخر ان الشهب قد تحدث بالقرب
من الارض واجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم اذا وقفوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة
آخر لو كان يمكنهم نقل اخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على نقل اسرار المؤمنين الى الكفار واجيب بانه تعالى اقدرهم على شيء و
اعجزهم عن شيء ولا يسأل عما يفعل واقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات اكثر آخر اذا جوز ثم في الجملة اطلاع الجن على بعض
المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى اخبر انهم عجزوا
عن ذلك بعد مولد النبي لانا نقول صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو اثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته
بدلايل اخر حتى لا يرد الدور ولا ريب ان اخباره عن بعض المغيبات مؤكد لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع والارض مددناها والقينا
فيها رواسي وقد مر تفسير مثله في اول سورة الرعد الدليل الخامس وانبتنا فيها اي في الارض او في الجبال الرواسي من كل شيء موزون
بميزان الحكمة ومقدر بمقدار الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل ان له وزن وقدر في ابواب
النعمة والمعرفة المنفعة وقيل اراد ان مقاديرها من العناصر معلومة وكذا مقدار تاثير الشمس والكواكب فيها وقيل مناسب محكوم عليه عند
العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون اي متناسب وفلان موزون الحركات وقيل اراد ما يوزن من الذهب والفضة
والنحاس وغيرها من الموزونات كما كثر الفواكه والنبات وجعلنا لكم فيها اي في الارض او في تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى المعيشة
وقد مر في اوايل الاعراف ومن عطف على معايش اي وجعلنا لكم من لستم له برازقين او عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه لا يجوز في
الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة
هو الله وحده لا الاباء والسادات والمخاديم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الانعام والدواب والوحش والطير كقوله
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يذكر غير من يعقل بصيغة من يعقل لوجه ما من الشبه كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم والدواب
تشبه ذوي العقول من جهة انها طالبة لارزاقها عند الحاجة يحكى انه قلت مياه الاودية في بعض السنين واشتد عطش الوحوش فرفعت
راسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال وان من شيء الا عندنا خزاينه قال جمع من المفسرين اراد بالشيء
ههنا المطر الذي هو السبب لارزاق بني ادم وغيرهم من الطيور والوحوش وذلك انه لما ذكر معايشهم بين ان خزاين المطر الذي هو سبب
المعايش عنده اي في امره وحكمه وتدبيره وما ننزله الا بقدر معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحكماء ما من عام باكثر مطرا من عام
آخر لكنه يمطر قوم ويحرم اخرون وربما كان في البحر واعلم ان لفظ الاية لا يدل على هذين القولين فلو ثبتا عندهما نقل صحيح امكن ان يقبلهما
العقل والا كان تشبيها تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزاين تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها
من العدم الى الوجود كيف شاء وهي وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع في اوقات غير محصورة على سبيل البدل لكنا الكلام

في الاحياز وساير الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وشكل معين وحيز ووقت معينين
الى غير ذلك من الصفات المعينة دون اضدادها لابدان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا
بقدر معلوم وقد تمسك بالاية بعض المعتزلة في ان المعلوم شيء قال المراد تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله
بمعنى انه كانت ثابتة من حيث انها حقايق وماهيات ثم انه تعالى نزل اي اخرج بعضها من العدم الى الوجود الدليل السادس قوله
وارسلنا الرياح ومن قرا الريح فاللام للجنس لواقح قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بمعنى انها تحمل الماء وتمجه في السحاب
او لانها تلقح الشجر اي تقويها وتنميها الى ان تخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء في كلام العرب فاعل بمعنى مفعل قال ومختبط
مما تطيح الطوايح يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانباري تقول العرب ابقل النبت فهو باقل اي مبقل وقال الزجاج معناه ذوات لقحة
لانها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقحة يقال رامح اي ذو رمح ولابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح في نفسها لاقح اي حاملة
للسحاب او للماء حتى اذا اقلت سحابا ثقالا او حاملة للخير والرزق كما قيل لضدها الريح العقيم فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا قال ابو علي
سقيته الماء اذا اعطاه قدر ما يروي واسقيته نهرا اي جعلته شربا له والذي يؤكد هذا اختلاف القراء في قوله نسقيكم مما في بطونه
ولم يختلفوا في قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته
لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه اي نحن الخازنون للماء ولا انتم اراد عظيم قدرته وعجز من سواه الدليل السابع قوله وانا
لنحن نحيي ونميت والغرض الاستدلال بتحصيل الاحياء والاموات فيه على انه واحد في ملكه وملكه قال اكثر المفسرين اراد وصف
النبات بما قبل هذا الاحياء مخصوص بالحيوان ومنهم من يخلط القدر المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون مجاز
عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر في اخر ال عمران في قوله ولله ميراث السموات والارض ولقد علمنا عن ابن عباس في رواية عطاء
المستقدمين يريد اهل طاعة الله والمستاخرين يريد المتخلفين عن طاعته ويروى انه صلى الله عليه وسلم رغب الناس في الصف الاول في
الجماعة فازدحم الناس عليه فانزل الله الاية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني في صف القتال وقال ابن عباس في
رواية ابي الجوزاء كانت امراة حسناء تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها واخرون
يتخلفون ويتاخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا ايديهم لينظروا من تحت اباطهم فنزلت وقيل المستقدمين هم الاموات والمستاخرين
هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الاية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستاخرون هم امة محمد صلعم
وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستاخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية
والمستقبلة فلا ينبغي ان يخص الاية بحالة دون اخرى ثم نبه على ان الحشر والنشر امر واجب ولا يقدر على ذلك احد الا هو فقال وان
ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فالحكمة تقتضي حشر العباد على التكليف والجزاء والعلم قدر على توفية مقادير الجزاء الدليل الثامن الاستدلال
بخلق الانسان خاصة وذلك انه لابد من انتهاء الناس الى انسان اول لضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا اول لها وقد اجمع المفسرون
على انه ادم عليه السلم ورايت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم او اكثر وكيف كان
فلابد من انسان هو اول الناس والاقرب انه تعالى خلقه اولا من تراب ثم من طين ثم من حما مسنون ثم من صلصال كالفخار وقد كان
قادرا على خلقه من اي جنس من الاجسام كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشية او لما فيه من دلالة الملائكة
والجن او لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه والصلصال الطين اليابس
الذي يصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الاسود المتغير من الطين وكذلك الحماة
بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه اي صورته قاله سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما
تفرغ الصور من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول معناه متغير منتن وكانه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي
يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حما صفة صلصال اي خلقه من صلصال كاين من حما وحق مسنون
بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر
اخر قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس في رواية اخرى هو ابو الجن كادم ابي للناس وهو قول الاكثرين
والتركيب يدل على السبق والتواري عن الاعين وقد مر فيما سلف ولا سيما في تفسير الاستعاذة في اول الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس
اي من قبل خلق ادم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام تكون بالنهار وقد تكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التي يبرز منها العرق بخار
الباطن ولا شك ان تلك الريح فيها نار ولها لفح على ما ورد في الخبر انها من فيح جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي
خلق الله منها الجان ولا استبعاد في خلق الحيوان من النار فانا نشاهد السمندل قد يتولد فيها وعلى قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن
ان يغلب عليه احدها وحينئذ يكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان

على كونه مختارا ذكر بدءه وواقعته والمراد بقوله بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقى والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم
والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها او سويت اجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع
لذلك اعتدالا نوعيا او شخصيا ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم آخر فمن زعم ان الروح جسم لطيف كالهواء
سار في البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد غير متحيز ولا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة
قال جار الله ليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه وتمام الكلام في الروح سوف يجيء انشاء الله في قوله ويسئلونك
عن الروح ولا خلاف في ان الاضافة في قوله للتشريف والتكريم مثل ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله فقعوا له يدل على ان
وقوعهم في السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجدوا
وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل اجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان
اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا لكان منصوبا لافاد المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف
وجه الاستثناء في اول سورة البقرة ثم استانف على تقدير سوال سائل هلا سجد فقال ابى ان يكون مع الساجدين يعني ابى استكبارا
ثم قال سبحانه خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين خاطبه
على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه
اي غرض لك في الامتناع من السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر وحاصل
شبهة اللعين انه روحاني لطيف وادم جسماني كثيف واصله نوراني شريف واصل ادم ظلماني خسيس فعارض النص بالقياس فلا
جرم اجيب بقوله فاخرج منها اي من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضرب يوم اي يوم الجزاء حدا للعنة جريا على عادة العرب
في التابيد كما مر في قوله ما دامت السموات والارض او اراد اللعن المجرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن
معه قال صاحب الكشاف واقول هذا ان اريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة اما ان اريد به الابعاد عن كل خير فيتعين الوجه الاول
الا عند من اثبت لابليس جواز العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر ادم بلفظ الجنس حيث قال اني خالق بشرا ولما خص
ادم بالاضافة الى نفسه في صورة من حيث قال لما خلقت بيدي خص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي فانهم قال
رب فانظرني قد مر مثله في اول الاعراف ومعنى الوقت المعلوم ان ابليس لما عينه واشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد منه
الوقت القريب من البعث الذي يموت فيه الخلايق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا وقيل لم يجب الى ذلك وانظر الى يوم لا يعلمه الا الله قال
رب بما اغويتني قد مر مباحثه في الاعراف ومفعول لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور
او اراد انه اذا اقدر على الاحتيال لادم وهو في السماء فهو على التزيين لاولاده وهم في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين
عندهم الارض بان ازين الارض في اعينهم واحدثهم ان الزينة هي في الارض وحدها كقوله وان يعتذر بالمحل من ذي ضروعها
من الضيف يجرح في عراقيبها نصلي اراد يجرح عراقيبها نصلي ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض
الحذاق احترز ابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فيعلم منه ان الكذب في غاية السماجة والاخلاص جعل الشيء خالصا لله من شائبة
الغير لا اقل من ان يكون حق الله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه هذا يعني الاخلاص طريق
مستقيم على ان اراعيه وعلى مروره اي على رضواني وكرامتي وقيل لما ذكر اللعين انه يغوي بني ادم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن
هذا الكلام تفويض الامور الى مشيته تعالى فاشير بقوله هذا اي تفويض الامور الى ارادتي ومشيتي صراط علي تقديره وتاكيده
ومن قرا علي بالتنوين فهو من علو الشرف اي الاخلاص او طريق التفويض الى الله والايمان بقضائه طريق رفيع مستقيم لا عوج له
وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الكلبي المذكورون في هذه الاية هم الذين استثناهم
ابليس وذلك انه لما ذكر الاعباد لشيئين به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله في الاستثناء قائلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك ولكن من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب اصول الاشاعرة وقال اخرون هذا تكذيب لابليس وذلك انه
اوهم بما ذكر ان له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا
الا الغواية لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا يناسب
اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم اجمعين قال ابن عباس يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اي سبع طبقات بعضها
فوق بعض اعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى
والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم بسبعة اقسام لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم

في قسمة الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلاجرم صارت مراتب العقاب ايضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات فزعم جمهور المعتزلة انهم الذين اتقوا المعاصي والا لم يفد المدح وقال جمهور الصحابة و التابعين هو الذي اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه انه اتقى وكذا الكلام في الضارب والكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه آتيا بجميع اصنافه الا ان الائمة اجمعوا على ان التقوى عن الشرك شرط في حصول هذا الحكم والآية ايضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر ان لا يزاد شرط آخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان اقل كان اوفق لمقتضى الاصل فثبت ان المتقين يتناول جميع القائلين بكلمة الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من اهل الطاعة او من اهل المعصية ثم ان الجنات اقلها اربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان واما العيون فاما ان يراد بها الانهار المذكورة فيها انهار من ماء غير آسن الاية واما يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين وينتفع بها كل من في جملته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل ان تجري من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يقال ان يقول لهم الله تعالى او بعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ذلك ومعنى بسلام اي مع السلامة من آفات النقص والانقطاع قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قد مر تفسيره في الاعراف اخوانا نصب على الحال وكذلك على سرر متقابلين والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العين مستقره الذي اطمأن عليه في حال سروره وفرحه والتركيب يدور على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادي لافضل موضع منه ومنه السر الذي يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الآخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون تقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتناقض والتخالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الآفات آمنة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها دليل على انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لا يمسهم فيها نصب اي تعب تلويح الى كونها سالمة من المنغصات وقوله وما هم منها بمخرجين مفيد لمعنى الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال نبئ عبادي وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها اشهاد رسوله واعلامه ومنها تشريفهم بالاطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغتي الغفور والرحيم مع نوع تكرير وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ربما يود الذين كفروا اي النفوس الكافرة لو كانوا مسلمين لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنوير صفاتهما بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وتبدلت احوالها من الامارية الى الاطمينان فتمنت حين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدو الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هذه النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت المشؤوم الى طبعها واستحلت المشاوم الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا وما اهلكنا من قرية من القرى البدنية بافناء استعدادها الا ولها كتاب مكتوب في علم الله من سوء اعماله واحواله ما تسبق من امة اجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وما يستأخرون لحظة بعد استيفاء اسباب هلاكها وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا للقلب الذاكر لوما تأتينا بصفات الملائكة المتعادين وفيه اشارة الى ان النفس الامارة لا تؤمن بما انزل الله الى القلوب من الانوار الالهية حتى تصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو انزلت قبل اوانها وكمال الاستعداد للقبول ما كانوا اذا منظرين من الهلاك والتلف لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان والمنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على من اسلكنا الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلوب لانكروا فتح الباب ولقد جعلنا في سماء القلب بروجا للاطوار كما ان البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات واقمار المكاشفات وسيارات اللوامع والطوالع وزيناها للناظرين لاهل النظر السائرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الامارة ولكن من استرق السمع من النفس والشيطان فادركه شعلة من انوار تلك الشواهد فيفصل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه ان ارض البشرية يميل كنفس الحيوانات الى النفس والشيطان فادركه شعلة ان ارساها الله بجبال العقل وصفات القلب وجعلنا لكم فيها معايش من اسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المحبة وان عن اد من مواهب الحق تجلي جماله فقط وكل شيء خزائن فلصورة الاجسام خزائن ولاسمائها خزائن ولمعناها خزائن وكذا للونها وطعمها وخواصها من المنافع والمضار وكذا لظلمتها ونورها ولملكها وملكوتها وما من شيء الا وفيه لطف الله فهم يحزنون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى باجمعها وارسلنا رياح العناية لواقح لانجاب القلوب بانها ما الكشوف باثمار الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على اسرار العارفين اعتقهم من هواجس انفسهم ورعونات طبايعهم وظهر في القلوب نتايج ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فانزلنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما انتم له بخازنين في اصل الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وانا لنحن نحيي

قلوب اوليائنا بانوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد فناء وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشر المستقدمين من الحظاير قدسه والمستاخرين الى اسفل سافلين الطبيعة خاطبا ابليس النفس بقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين الى ان تطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح وتصير ارض النفس مشرقة وتتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون اي بعث الارواح في قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذي تجلى الرب فيه لارواح العشاق فينعكس نور التجلي من الارواح الى النفوس فيجعلها مطمئنة بما اغويتني اضللتني من طريق الامارية لازينن للارواح في ارض البشرية من الاعمال الصالحات التي تورث الاخلاق الحميدة وبهارية الارواح وترقيها ولاغوينهم اجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية التي لا تبالي الا عبادك الذين خلصوا من جنس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط اي هو طريق اهل الاستقامة في السير في الله المنقطعين عن غيره ان عبادي ليس لك عليهم سلطان حجة يتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوايهم فانهم بلاهم وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية عما سواه لها سبعة ابواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر او الابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى الوهم والخيال فانهما اصل الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور والباقية اعني المفكرة والحافظة والذاكرة من عوانهما واكثرها يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها في الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلاجرم صارت ابوابا لجهنم فاذا استعملها في تحصيل السعادات الباقية بحسب تصرف العقل الغريزي صرف مع العقل ابوابا بل اسبابا لحصول الجنة ادخلوها بسلام مع السلام من الله الجذبات آمنين من موانع الخروج بعد الوصول فان السير في الله لا يمكن الا بالله وجذباته ولهذا قال جبريل ليلة المعراج لو دنوت انملة لاحترقت ونزعنا فيه ان نزع الغل من الصدور لا يكون الا بنزع الله وان الارواح القدسية مطهرات من علائق القوى الشهوانية والغضبية مبراة عن حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلهم ان النفوس مصفاة عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام فاذا وقع عليها انوار جمال الله او جلاله انعكست منها الى من في مثل درجاتها كما ينعكس المرايا الصافية المتحاذية فيزداد كل منها في نفسها بها وصفتها وفي قوله نبئ عبادي اشارة الى ان سلوك السالكين وطير الطائرين يجب ان يكون على قدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والجن والله الموفق المعين ٥

ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين

وجاء اهل المدينة يستبشرون ۝ قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ۝
واتقوا الله ولا تخزون ۝ قالوا اولم ننهك عن العالمين ۝ قال هؤلاء
بناتي ان كنتم فاعلين ۝ لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ۝
فاخذتهم الصيحة مشرقين ۝ فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل ۝ ان في ذلك لايات للمتوسمين ۝ وانها لبسبيل
مقيم ۝ ان في ذلك لاية للمؤمنين ۝ وان كان اصحاب الايكة
لظالمين ۝ فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ۝ ولقد كذب
اصحاب الحجر المرسلين ۝ واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين ۝
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين ۝ فاخذتهم الصيحة مصبحين ۝
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝ وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك
هو الخلاق العليم ۝ ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ۝
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض
جناحك للمؤمنين ۝ وقل اني انا النذير المبين ۝ كما انزلنا على المقتسمين ۝
الذين جعلوا القران عضين ۝ فوربك لنسألنهم اجمعين ۝ عما
كانوا يعملون ۝ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ۝
انا كفيناك المستهزئين ۝ الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
يعلمون ۝ ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ۝ فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين ۝ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

ادخلوا وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف غير هشام انا نبشرك بسكون الباء وضم الشين حمزة الآخرون بالتشديد تبشرون بالتشديد وكسر النون المخففة نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير الباقون بفتح النون على انها علامة رفع يقنط بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف وكذلك بابه الآخرون بالفتح آل لوط مدغما حيث كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد بناتي بفتح الياء ابو جعفر ونافع اني انا بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو

ابرهيم لئلا يصير اذ دخلوا ظرفا للنبيهم فانه محال علما وجلون عليم تبشرون القانطين الضالون المرسلون مجرمين للاستثناء آل لوط اجمعين قدرنا لان الجملة بعده مفعول والكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين المرسلون لان ما بعده جواب لما منكرون يمترون لصادقون تؤمرون مصبحين يستبشرون فلا تفضحون للعطف ولا تخزون العالمين فاعلين لابتداء القسم يعمهون مشرقين لاتصال نقلا بها بالصيحة من سجيل للمتوسمين مقيم للمؤمنين لتمام القصة لظالمين لاتصال الانتقام بظلمهم منهم لان الواو للابتداء فلو وصل لتشبه بالحال وهو محال مبين لتمام قصتهم المرسلين لان الواو بعده للحال اي وقد آتيناهم معرضين للعطف آمنين مصبحين للاتصال معنى يكسبون لتمام القصة الا بالحق الجميل العليم العظيم للمؤمنين المبين لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذا او بقوله فانتقمنا ولجواز تعلقها بمحذوف اي انزلنا عليهم العذاب كما انزلنا وتمام البحث يجيء في التفسير المقتسمين عضين اجمعين يعملون المشركين المستهزئين اخر لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون يقولون لاتصال الامر بالتسبيح تسلية الساجدين للعطف اليقين

انه سبحانه قال نبئهم عن ضيف ابرهيم وبني عبادي ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا من المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوي ما ذكر من انه غفور رحيم للمؤمنين وانه عذابه اليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم وقد مر تفسير اكثر هذه القصة في سورة هود فلا نذكر الا ما هو مختص بالمقام فقوله وجلون معناه خائفون خافهم لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن وفي غير وقت انا نبشرك استئناف في معنى التعليل النهي عن الوجل بشروه بالولد الذكر وبكونه عليما فقيل اراد وابعلمه نبوته وقيل العلم مطلقا وقوله على ان مسني في موضع الحال اي مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة في حالة الهرم لانها امر عجيب عادة لا لانه شك في قدرة الله تعالى فلذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او انكم تبشروني بشيء في الحقيقة لان ذلك امر غير متصور في العادة واحسن ما قيل فيه ان لا يكون قوله بما صلة للتبشير بل يكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فباي طريق تبشروني بالولد فلذلك قالوا في جواب بشرناك بالحق اي باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله ووعده وانه قادر على خلق الولد من غير ابوين فضلا من شيخ فان وعجوز عاقر قال ابو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب بانه لم يحذف الا الياء اكتفاء بالكسرة ونون الوقاية لم يوردها كما اوردت في قراءة التشديد وانا كسر نون الجمع لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيحة قيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن الجواب المستقيم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب مزيد الطمأنينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ما قضى الله ان يخرج من صلب ابرهيم اسحق اكثر الانبياء وقولهم فلا تكون من القانطين لا يدل على كونه قانطا فقد ينهى عن الشيء ابتداء كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك اكد ابرهيم نفيه بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق الصواب او الكافرون نظيره انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفيه انه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله بما الغتان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفاضل ان الاولى على اللغتين ثم سأل عما لاجله ارسلهم الله حيث قال فما خطبكم والخطب الشان العظيم فسئل انهم لما بشروه بالولد الذكر العليم فما وجه السؤال عن مجيئهم واجاب الاصم بان المراد ما الامر الذي وجهتم فيه سوى البشرى وقال القاضي انه علم ان المقصود لو كان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اول ما ذكروا دخلوا قبل ان يوجس ابرهيم منهم خيفة قلت لعله استصغر امر التبشير لاجل التواضع واما لانه واقعة خاصة فسألهم عن الامر الذي هو اعظم من ذلك واعم تعظيما لشأنهم قالوا انا ارسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا في معنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر او السهم الى المرمى واقول كانه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة الذاريات انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام دون آل لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر كانه قيل لكن قوم لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء من الاستثناء اي ارسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط الا امرأته كقول المقر لفلان علي عشرة الا ثلثة الا واحدا وجوز في الكشاف ان يكون قوله الا آل لوط مستثنى من معمول ارسلنا او مجرمين والا امرأته من معمول منجوهم وقد عرفت ما فيه على انه اذا جعل الارسال بمعنى الاهلاك كا فرده هو الى الامر الى ما ذكرنا فلا ادري لم استبعد مع وفور فضله قال اهل اللغة قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعل الشيء على

مقدار غيره وصنه قدر الله الاقوات اى جعلها على مقدار ما يكفى فى ابواب الخير والشر وقيل فى معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والمشدد فى هذا المعنى اكثر استعمالا وانه جواب سوال كانه قيل ما بالها استثنيت من الناجين فقيل قدرنا انها لمن الغابرين اى الباقين فى الهلاك ويقال للماضى ايضا غابر وهو من الاضداد قال فى الكشاف علق فى التقدير مع ان التعليق من خصايص افعال القلوب لانه فى معنى العلم وانما اسندوا الفعل الى انفسهم مع ان التقدير لله عزوجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما تقول خاصة الملك دبرنا وامرنا بكذا ولعل المراد المدبر والامر هو الملك وحده ثم ان الملئكة لما بشروا ابرهيم صلوات الرحمن عليه بالولد واخبروه بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله فلما جاء ال لوط المرسلون قال اى لوط انكم منكرون تنكركم نفسى وتنفر عنكم وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف ان يطرقوه بشر فلذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرحك وتشفيك عن عدوك وهو العذاب الذى كنت تخوفهم به وهم يشكون فى وقوعه واتيناك بالحق باليقين الثابت وقال الكلبى بالعذاب الذى لا شك فيه وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل اى فى اخره وتقدم فى سورة هود وزاد ههنا قوله واتبع ادبارهم لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم ففى الاية زيادة بيان لكيفية الاسراء ثم زاد فى البيان فقال ولا يلتفت منكم احد ولم يستثن امراته اكتفاء بما مر فى السورة من قوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته قال جار الله انما امر باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع انهم ليسوا من اهل الرقة عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا ويجوز ان يكون النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى لان من يلتفت لا بد ان يقع له ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قال الجوهرى مضى الشىء مضيا ذهب ومضى فى الامر مضاء انفذه وقال فى الكشاف عدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم فى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون قلت فحاصل الكلام يرجع الى قوله اذهبوا الى المكان الذى تؤمرون بالذهاب اليه او انفذوا امر الذهاب الى هنالك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبريل وكانت قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم مجملا فقال وقضينا ضمن معنى اوحينا ولذلك عدى بالى كانه قيل واوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اى يستاصلون عن اخرهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفى هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم حكى ما ابدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملئكة فقال وجاء اهل المدينة اى اهل سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فقيل اجور من قاضى سدوم يستبشرون بظهور الشرور بمجى الملئكة لانهم راوهم مردا حسان الوجوه قال لوط لما قصدوا اضيافه ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون بفضيحة ضيفى لان الضيف يجب اكرامه فاذا اسى اليه فى دار الضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون مر فى قال فى جواب لوط اولم ننهك عن العالمين اى السنا نهيناك عن ان تكلمنا فى شان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عن ذلك بقدر وسعه ونظيره لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتى من الصلب او اراد نساء امته كما مر فى هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شك فى قبولهم لقوله كانه قال وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك مبتدا محذوف الخبر لكثرة الاستعمال اى قسمى او هو مما اقسم به والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا انهم خصوا القسم بالفتح لايثار الاخف فان الحلف كثير الدور على السنتهم انهم لفى سكرتهم غوايتهم التى اذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطائهم وصوابك يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك والتى تامرهم به من ترك البنين الى البنات وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم واقسم بحيوته كرامة له وما اقسم بحيوة احد قط وذلك يدل على انه اكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة مشرقين داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب كان من اول الصبح لقوله مصبحين الى الصبح بقريب وغلبته كان عند طلوع الشمس قال المفسرون هى صيحة جبريل ثم يحتمل ان يكون صيحة قلب المداين و ارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال وامطرنا عليهم وفى سورة هود وامطرنا عليها لانه اراد ههنا من بعد من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين ان فى ذلك لايات للمتوسمين المتفرسين وحقيقة التوسم التثبت فى النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشىء فعبر به عن التامل والتفكر وانها يعنى مدائن القرى واثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام ويشاهدون اثار قهر الله وغضبه هنالك قال بعضهم انما جمع الايات فى قوله ان فى ذلك لايات للمتوسمين لانه اشار الى ما تقدم من ضيف ابرهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم وقال فى الثانية وانها اى القرية لبسبيل وهى واحدة من تلك الايات فقال ان فى ذلك لاية للمؤمنين وقيل ما جاء فى القران من الايات فلجمع الدلائل وما جاء من الاية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الاية ونظيره فى العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لاية للمؤمنين ثم اجمل قصة

قوم شعيب فقال وان كان اصحاب الايكة لظالمين ان مخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة فى خبرها كانوا اصحاب غياض و مواضع ذات شجر فنسبوا اليها والايكة الشجر الملتف والضمير فى قوله وانهما يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فدل بذكر احد الموضعين ههنا وهو الايكة على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمى الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر ياتم به حتى يصير الى الموضع الذى يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال ولقد كذب اصحاب الحجر وهو واد بين المدينة والشام وجمع المرسلين لان تكذيب نبى واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء او لان القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين واتيناهم اى اعطينا رسولهم اياتنا اراد الناقة وكانت فيها ايات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا فى الاعراف فكانوا عنها اى عن النظر فيها والاعتبار بها معرضين وفيه ان التقليد مذموم والاستدلال واجب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من ان تنهدم ويتداعى بنيانها او يقع سقفهم عليهم او امنين من عذاب الله او من حوادث الدهر فما اغنى عنهم لم يدفع عنهم شيئا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى ملتبسة بالفوايد والحكم والغايات الصحيحة ومنها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها واعرضوا عنها وجب فى الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض عنهم وهذا النظم يناسب اصول الاعتزال قال الجبائى فيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون ان اكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصى باطل واجيب بان افعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب ان يكون الله خالقها ويمكن ان يقال فى وجه النظم ان هذا ابتداء شروع فى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم وتصبيره على اذيات قومه بعد اقتصاص احوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع انبيائهم ويؤيد هذا النظم قوله وان الساعة لاتية لا ريب معناه ان الله سينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال امرك ولما صبره على اذى قومه رغبه فى الصفح فقال فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم اعراضا جميلا واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح الذى لا يشتمل على حقد وايصال مكروه وان كان للعهد فلعل المراد ما امر به فى نحو قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قيل هذا منسوخ باية السيف والاظهر ان المراد حسن المعاشرة والمخالقة مامور به ما امكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق كثير الخلق العليم يعلم ما يجرى بين الخلايق من الاحوال والاخلاق وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيمة على حسب ذلك وقيل اراد انه الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فاليوم الصفح اصلح فاصفحوا الى ان يكون السيف اصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بتذكير النعم العظام التى خصه بها فقال ولقد اتيناك سبعا من المثانى اكثر المفسرين على انها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلى وابن مسعود وابى هريرة والحسن وابى العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وذلك انها سبع ايات والمثانى جمع مثناة من التثنية او جمع مثنية وانها تثنى فى كل صلوة وقال الزجاج تثنى بما يقرا بعدها معها وايضا قسمت نصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث فى هذا المعنى قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين وقد مر فى اول الكتاب وايضا كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتحميده مقرر ومما يتفرع على هذا القول ما نقل القاضى عن ابى بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود لا يكتب فى مصحفه فاتحة الكتاب فخيل كانه راى انه تعالى عطف عليه قوله والقران العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب ان يكون السبع المثانى غير القران والجواب انه قد يعطف الجزء على الكل كقوله وملئكته وجبريل او بالعكس كما فى الاية والمقصود فى الوصفين تمييز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلت ليس لعطف الكل على البعض نظير والاستدلال بالاية استدلال بصورة النزاع من غير دليل قلت يكفى بقوله ولقد اتيناك دليلا على انه من القران وعن ابن عمر وسعيد بن جبير فى رواية ان السبع المثانى هى السبع الطول سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك او لانها تثنى على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى وانكر الربيع هذا القول لان هذه السورة مكية واكثر تلك السور مدنية واجيب بان المراد من الايتاء انزالها الى السماء الدنيا والمكية والمدنية فى ذلك سيان وضعف بان اطلاق لفظ الايتاء على ما لم يصل بعد اليه خلاف الظاهر وقال قوم السبع المثانى هى التى دون الطول والمئين وفوق المفصل واحتجوا اليه بما روى ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطانى السبع الطول مكان التورية واعطانى المئين مكان الانجيل واعطانى المثانى مكان الزبور وفضلنى ربى بالمفصل قال الواحدى والقول فى تسمية هذه السور مثانى كالقول فى تسمية الطول مثانى وروى ابن عباس واليه ذهب طاوس انها هى القران لقوله سبحانه كتابا متشابها مثانى ولانها سبعة اسباع كرر فيها دلايل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى العطف على هذا القول الجمعية كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وكانه قيل اتيناك ما هو الجامع لكونه سبع مثانى ولكونه قرانا عظيما قال الزجاج ووافقه صاحب الكشاف من فى من المثانى للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ولما عرف رسوله نعمه الدينية رغبه فيها ونفره عن اللذات العاجلة الزايلة لان كل نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القران ضئيلة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقران اى لم يستغن به فليس منا

وقول ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القران الواقف
على معانيه ان لا يشتغل سره بالالتفات الى الدنيا ونهرها ثم قال الواحدي انما يكون ماد اعينيه الى الشي اذا ادام النظر نحوه وادامة
النظر اليه يدل على استحسانه وتمنيه وقال في الكشاف معنى لا تمدن لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم
اي اصنافا من الكفار قاله ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك اي تحسدن احدا على ما اوتي من الدنيا
وضعف بان الحسد منهي عنه مطلقا فكيف يمكن تخصيص الرسول به ويمكن ان يجاب بان المراد منه نهي التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين
او المراد الغبطة فهو محظورة عليه صلعم بجلالة منصبه وان كانت جايزة لامته ويروى انه وافت من بلاد الشام سبع قوافل ليهود بني
قريظة والنضير فيها انواع البر والطيب والجوهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال
لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه
طلب بخلاف ما في سورة طه نهاه عن الالتفات الى اموالهم وامتعتهم نهاه عن الالتفات اليهم انفسهم وان يحصل لهم في قلبه قدر ووزن
فقال ولا تحزن عليهم اي على انهم لم يومنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المومنون وكما امره بالتكبر على الاغنياء والترفع عنهم اذا كانوا
كفارا امره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مومنين فقال واخفض جناحك للمومنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما
كناية عن اللين والرفق وانما قال في سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة
لكان الظاهر ان اللام للمعهود فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالاقربين من عشيرته فزيد لمن اتبعك ليعلم ان هذا التشريف شامل لجميع
من الايمة ولما بعثه على الرفق باهل الايمان امره بالانذار لكل المكلفين فقال وقل اني انا النذير المبين ويدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا
لجميع التكاليف لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عقاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل في كونه مبينا كونه شارحا لجميع
مراتب اهل التكليف من الجنة والنار فالانذار بالنار ظاهر والانذار بالجنة هو الاخبار عن موجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله كما
انزلنا وجهان بعدما مر في الوقوف احدهما ان يتعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم من قبل اهل
الكتاب الذين جعلوا القران عضين اي اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاه اذا جعلها اعضاء او فعلة من عضهته اذا بهته
فالمحذوف منها الهاء لا الواو وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة
والمستعضهة فنقصانها الهاء ايضا وجمعت العضة بالمعاني جمع العقلاء لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا عما
لحقها من الحذف كسنين ثم في الاية ان اليهود اقتسموا القران الى حق وباطل وجزاوه فقالوا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما ويحتمل ان يراد بالقران ما يقراونه من كتبهم وقد اقتسموا بتحريفهم وبالاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله افتومنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وعداوتهم ولهذا وسط بين المتعلق والمتعلق
لا تمدن الى قوله اخره لانه مدد للتسلية لما فيه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف عن كفرهم من الاقبال بالكلية على المومنين الوجه الثاني
ان يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من الالتزام اضمار او زيادة اما الاضمار فان يكون التقدير اني انا النذير عذابا كما انزلنا
كقولك رايت القمر في الحسن اي وجها كالقمر واما الزيادة فان يكون الكاف زايدة كقوله ليس كمثله شي ويمكن ان يقال الكاف بمعنى مثل
ولا حاجة الى التزام والتقدير انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون
تعجيل المتوقع بمعنى الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار عما سيكون وقد كان واما غيرهم من اهل مكة او من قوم صالح قال ابن عباس هم
الذين اقتسموا طرق مكة ومداخلها ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالله ورسوله يقول بعضهم
لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات وكانوا قريبا من اربعين منهم الوليد بن المغيرة
والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب وقال عكرمة اقتسموا القران استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة عمران
لي وقال مقاتل اقتسموا فقال بعضهم سحر وبعضهم كذب وبعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله لنبيتنه
صالحا كما سيجي في سورة النمل فرماهم الملايكة بالحجارة وقتلوهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير اي انذر المعضين
الذين يجزءون القران الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسالنهم الاية وقد مر
تفسير مثله في اول الاعراف وذلك قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عايد الى جميع المكلفين المنذرين وان السوال
يكون عن جميع الاعمال وقيل يختص الضمير بالمقتسمين والسوال بالاقتسام ثم شجع نبيه قايلا فاصدع اي اجهر بما تومر واظهر وفرق بين
الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل ومنه سمي الصبح صديعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون ايجاز
محذوف والمعنى بالذي تومر به من الشرايع مثل امرتك الخير ويجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك وشانك مصدر من المبني للمفعول
وقالوا ومازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية ثم قال واعرض عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم

اياك على اظهار الدعوة وهذا لا ينافي اية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يوكدها ثم اكد النهي عن الاكتراث بهم وقوى قلبه
فقال انا كفيناك المستهزءين وكلا بسبب انهم طبقة ذو شوكة قد دوم على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والاية لا تفيد الا هذا
القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم واسماءهم على اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من الاشراف
الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم
قبل يوم بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وايل فدخلت فيها شوكة فقال
لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث فامتخط
قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد
في تسلية نبيه فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفي القران لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني
يقتضي ذلك ثم امره لكشف ما نابه باربعة اشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي بذلك لانه
امر متيقن ولا يجب الاخلال بالعبادة ما دام المكلف حيا وهذا كما قيل في تحديد مدة طلب العلم انه من المهد الى اللحد وكيف يصير الاقبال
على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه ينكشف له اضواء عالم الربوبية فيهون في نظره المطالب الدنيوية فلا يستوحش
من فقدانها ولا يستانس بوجدانها وقال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فعليه ان يفزع الى الله بالذكر الدايم والسجود وساير
انواع العبادة فكانه يقول وجب على عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكاره وقالت المعتزلة من اعتقد تنزيه الله من القبايح
سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى عدل منزه عما لا فايدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه   في بشارة ابرهيم اشارة الى ان
الطالب الصادق وان كان مسنا ضعيف القوى كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد فانه ينبغي ان لا يقنط من رحمة الله ويتقرب اليه بالكلية
القلبية ليتقرب اليه ربه باصناف الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلب روحه ورحم قلبه غلاما عليما بالعلوم اللدنية وهو
واعظ الله الذي في قلب مومن ان في ذلك لايات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد احكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وارض
الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق اي الا لمظهرية الحق ومظهره هو الانسان المخصوص بذلك من بين ساير
المخلوقات وان الساعة يعني قيامة العشق لاتية لنفوس الطالبين الصادقين من اصحاب الرياضات لان انفسهم تموت بالرياضة ومن مات
فقد قامت قيامته فاصفح ايها الطالب الصادق عن النفس المرتاضة بان يداريها وتواسيها فان في قيامة العشق يحصل من تزكية النفس في
لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات
ولمعانيها ولحقايقها العليم لمن خلقه مستعدا للمظهرية ذاته وصفاته ومظهريتهما وليس في الملك في الارض والسموات وما بينهما الا الانسان
الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفات دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد اتيناك سبعا من المثاني اي سبع صفات ذاتية لله تعالى
السمع والبصر والكلام والحيوة والعلم والارادة والقدرة من المثاني اي من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقران
العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه القران لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والاخرة واخفض جناحك
للمومنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك اليه على المقتسمين الذين قسموا قهر الله على انفسهم فصاروا مظاهر القهر الذين جعلوا القران
عضين اي جزاوه في الاستعمال فقوم قراوه ليقال لهم القراء وبه ياكلون وقوم حفظوه ليقال لهم الحفاظ وبه يجرعون الرزق وقوم حصلوا
تفسيره وتاويله اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا معانيه وفقهه على وفق رايهم ومذاهبهم فكفروا وان فسروا القران برايهم
انا كفيناك المستهزءين الذين يستهلون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله الها اخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك
لانك لست منهم وكن من الساجدين بسجدة الشكر واعبد ربك بالاخلاص حتى ياتيك اليقين اي الى الابد لان كل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان
بعد العرفان فانه يحصل فوق مقام اخره مشكوك فيه الى ان يحصل برد اليقين فيه ايضا فهنالك مراتب لا تتناهى فاليقين يكون اشارة الى الابد والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملئكة

بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ● خلق الانسان من نطفة
فاذا هو خصيم مبين ● والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون
ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ● وتحمل اثقالكم الى
بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم ●
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ● وعلى الله
قصد السبيل ومنها جاير ولو شاء لهديكم اجمعين ● هو الذى
انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ●
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون ● وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
وما ذرا لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لاية لقوم
يذكرون ● وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ● والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وانهارا وسبلا
لعلكم تهتدون ● وعلامات وبالنجم هم يهتدون ● افمن يخلق كمن لا يخلق
افلا تذكرون ● وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور
رحيم ● والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ● والذين يدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ● اموات غير احياء وما يشعرون ايان

يبعثون ● الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون ● لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما
يعلنون ● انه لا يحب المستكبرين ●

تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف
الاخرون على الغيبة تنزل الملائكة بالرفع سهل وروح وزيد وابو زيد مثله ولكن بضم التاء الفوقانية جبلة تنزل
من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير وابو عمرو ورويس الباقون بالتشديد من التنزيل بشق الانفس بفتح الشين يزيد الباقون بكسرها
ننبت بالنون يحيى وحماد الاخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفص والمفضل في
والنجوم مسخرات الباقون بنصب الجميع على ان مسخرات حال يسرون ويعلنون بالياء التحتانية فيهما الخزاز عن هبيرة الاخرون بتاء الخطاب
يدعون على الغيبة سهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى الباقون على الخطاب فلا تستعجلوه يشركون فاتقون بالحق
يشركون مبين خلقها لاحتمال تمام الكلام واحتمال ان يكون لكم متعلق به والوقف حينئذ على لكم تاكلون للعطف تسرحون لذلك الانفس
رحيم لان الخيل مفعول خلق وزينة ما لا تعلمون جاير اجمعين تسيمون الثمرات تتفكرون والنهار لمن قرا والشمس وما بعده
بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر ومن وقف الكل وقف على بامره تعقلون لان ما بعده مفعول سخر الوانه تذكرون
تلبسون لان قوله وترى فعل مستانف مع اتصال المعنى تشكرون تهتدون لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات يهتدون
لا يخلق تذكرون لا تحصوها رحيم وما تعلنون وهم يخلقون لان التقدير هم اموات غير احياء لاختلاف الجملتين وما يشعرون لان
ما بعده مفعول يبعثون واحد لان ما بعده مبتدا مع الفا المستكبرين هذه السورة تسمى سورة النعم ايضا وحكى الاصم
عن بعض كلها مدنية وقال اخرون من اولها الى قوله كن فيكون مدنية وما سواه مكي وعن قتادة بالعكس منه قال اهل النظم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب القيمة ثم ان القوم
لما لم يشاهدوا شيئا من ذلك اقبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلوه ما وعدوا به استهزاء وروى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال
الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما يعملون حتى ننتظر ما هو كاين فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت
اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا فيه فنزلت اتى امر الله فوثب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبهتهم اجرى ما يجئ مجرى
الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع او المراد ان امر الله بذلك وحكمه قد وقع واتى فاما المحكوم به
فانه لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجئ ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور
ذلك الوقت ثم ان المشركين كانهم قالوا هب يا محمد انا سلمنا لك صحة ما تقوله من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الاخرة
الا انا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله سبحانه
وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وان يكون لاحد من الارواح والاجساد
ان يشفع عنده الا باذنه او يستعجل في حكم من احكامه واقضيته قبل اوانه ثم انهم كانهم قالوا سلمنا انه تعالى يقضي على طايفة باللطف
وعلى الاخرين بالقهر ولكن كيف صرت واقفا على اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن اين حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله
سبحانه شبهتهم بقوله ينزل الملائكة الاية والمراد ان الله بحكم المالكية ان يختص بعض عبيده بانزال الوحي عليه وبامره بان يكلف سائر
العباد بمعرفة توحيد الله وبعبادته فظهر بهذا البيان ان هذه الايات منتظمة على احسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن عباس
انه اراد بالملائكة ههنا جبرئيل وحده وتسمية الواحد باسم الجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائز وعلى هذا التفسير فالمراد بالروح كلام الله تعالى
كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القران الذي فيه بيان المبدا والوسط والمعاد فيه يحصل
اشراق العقل وبالعقل يكمل ضياء جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقي فرع عليه وبهذه المناسبة سمي جبرئيل روحا
وعيسى روحا وعن ابي عبيدة ان الروح ههنا جبرئيل والباء بمعنى مع اي ينزل الملائكة مع جبرئيل وذلك انه في اكثر الاحوال كان ينزل
ومعه اقوام من الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم
قال في الكشاف بالروح من امره اي بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من امره
معناه ان ذلك التنزيل والتنزل لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك قال الزجاج ان انذروا بدل من الروح اي ننزلهم

بان انذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر اي بان الشان
لا قول لكم انذروا اي اعلموا الناس قولي لا اله الا انا وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله فاتقون رمز الى استكمال القوة
العملية ومنه يعلم ان النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحيوة ابدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين
الرازي رحمه الله انا لا نعلم كون ابليس غير صادق ولا معصوم من الكذب والتلبيس الا بالدلايل السمعية وصحة الدلايل السمعية موقوفة على
صدق محمد صلعم وصدقه يتوقف على ان هذا القران معجز من قبل الله تعالى لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان
جبريل صادق مبرا من التلبيس وافعال الشياطين وحينئذ يلزم الدور وهذا مقام صعب اقول قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجز
والسحر هو ان صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان
يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه المعجز بالسحر وجبريل بابليس ومن اين يلزم الدور ولما بين الله سبحانه انه روح الارواح
روح الاجساد هو ان يعرفوا الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به اتبعه دلايل التوحيد مبتديا من الاشرف وهو السموات الى الادون
وهو الارضيات فقال خلق السموات والارض بالحق وقد مر تفسير مثله مرارا وفي قوله تعالى عما يشركون تنزيه عمن يشاركه في الازلية
والقدم والتاثير والصنع والابداع فالفايدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفايدة المطلوبة من مثله من اول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان اشرف
الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب المذكور بقوله خلق الانسان من نطفة قال الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة
حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان والى العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ
يصير جزءا من العضو المغتذي شبيها به ثم ان عند استيلاء الحرارة على البدن وتهيجان الشهوة ذوبان لجملة الاعضاء ويجتمع منه
النطفة في اوعيتها وعلى هذا يكون النطفة جسما مختلف الاجزاء والطبايع وان كانت تخيل في الحس انها متشابهة الاجزاء وكيف كان
فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة بجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تاثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير و
الاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم
البسايط يجب ان يكون اشكالها الطبيعية هي الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه ينحل الى بسايطه فانه يلزم ان يكون
الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق الواقع فعلمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب
الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وكيف لا والنطفة رطوبة سريعة الاستحالة فالاجزاء الموجودة
فيها لا يحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل
في الفوق فلا يكون حدوث الحيوان على هذا الترتيب الخاص دايما او اكثريا وحيث كان كذلك علمنا انه حدوثهما باحداث مدبر مختار
ثم ان نزلنا على جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وانها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد
من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير اما قوله فاذا هو خصيم فقد ذكروا فيه وجهين احدهما انه منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان
كان نطفة لا حس به ولا حراك وتقريره ذلك لان النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس ساير الحيوانات الا ترى ان
ولد الدجاجة كما يخرج من البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة ويلتجي الى الام ويميز بين الغذاء والشبهات على التمييز
والمقدمات انما يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة الوجه الثاني ان المراد فاذا
هو خصيم مبين لربه منكر على خالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم فعلى الوجه الاول يجوز ان يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل
والشريب وان يكون بمعنى مخصم وعلى الوجه الثاني تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين الاول بناء على ان هذه الايات مسوقة
لتقرير الدلايل على وجود الصانع الحكيم وقدرته لا لاجل وصف الانسان بالتمادي في الجحود والكفران وقد يرجح الثاني بما روي ان ابي
بن خلف الجمحي جاء بعظم رميم الى رسول الله صلعم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم اردف تكوين الانسان بتكوين
الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفي غير الضرورة بل من الاغراض الصحيحة كالتزين والجمال
فقال والانعام خلقها وهي الازواج الثمانية المذكورة في سورة الانعام وهي الضان والمعز والابل والبقر وان شيت قلت الابل والبقر
والغنم قال في الكشاف واكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل قلت ويمكن ان يستدل عليه بقوله بعد ذلك وتحمل اثقالكم لان هذا الوصف لا يليق
الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام قال خلقها لكم اي ما خلقها
الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان قال صاحب النظم واحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ليدل بعطف قوله ولكم فيها جمال
والدفء اسم ما يدفأ به كالملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من اللباس معمول من صوف او وبر او شعر قال الجوهري الدفء نتاج الابل و
البانها وما ينتفع به منها والدفء ايضا السخونة وقوله ومنافع قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع في الحقيقة اعم من ذلك فقد ينتفع بها
بالبيع والشراء بالنقود وبالاثواب وساير الحاجات اما قوله ومنها تاكلون بتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الاصل

الذي يعتمده الانسان في ماكله عادة واما الاكل من غيرها كالدجاج وصيد البر والبحر مما يشتهون من الاطعمة قوله حين تريحون الاراحة
رد الابل الى مراحها حيث تاوي اليه ليلا ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال
فيها اظهر حين تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظاير حاضرة لاهلها قوله بشق الانفس من قرا بفتح الشين فمعناه المشقة
فيكون مصدر وشق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع ومن قرا بالكسر فمعناه النصف كانه يذهب نصف
قوته لما يناله من الجهد قال جار الله معنى المضي في قوله لم تكونوا راجع الى الفرض والتقدير اي لم تكونوا الا كذلك وانما لم يقل لم تكونوا
حامليها الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل اثقالكم لاجل المبالغة كانه قيل قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا
ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون العايد الى الاثقال محذوفا اي لم تكونوا بالغيها الا بشق والمراد بالاثقال الاجساد عن
ابن عباس انه فسر البلد بمكة الى البلد اليمن والى الشام والى مصر قال الواحدي وهذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم
وخص ابن عباس هذه البلاد لانها اكثر متاجر اهل مكة قوله ان ربكم لرؤف رحيم والا لم يخلق هذه الحوامل لاجل تيسير هذه المصالح احتج
منكروا الكرامات بالاية على امتناع طي الارض كما ينقل عن بعض الاولياء والجواب ان الامتناع العادي لا ينافي الامكان الذاتي قوله والخيل
والبغال والحمير معطوفات على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها وانما لم يقل ولتتزينوا
بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزاين وهو الخالق والتحقيق فيه ان ركوب احد
الامور المعتبرة في المقصود بخلاف التزين بالشي فانه لا يلتفت اليه ارباب الهمم العالية لانه يورث العجب والتيه غالبا وكانه قال خلقتها
لتركبوها فتدفعوا عن انفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة واما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات
احتجت المعتزلة القايلون بان افعال الله معللة بالمصالح قوله لتركبوها يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب ان
استتباع الغاية مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج الحنفية بالاية على تحريم لحوم الخيل من وجوه احدها افراد هذه الانواع الثلثة بالذكر
فيجب اشتراك الكل في الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها ان منفعة الاكل اعظم منه من الركوب والتزين فلو كان اكل لحم الخيل
جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وثالثها ان قوله فيما قبل ومنها تاكلون يقتضي الحصر فيجب ان لا يجوز اكل ما عدا الانعام الا بدليل
منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قوله لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلثة هو الركوب والزينة فلو كان
حل اكلها مقصودا لزم ان يكون ما فرض تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم الخيل محل النزاع وتحريم الحمير بنص الكتاب
ممنوع لما روي عن جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للاية دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه
منها قبل ذلك العام لان الاية مكية عند الاكثرين ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم بهذه السنة فايدة واذا لم يكن الحمير و
الخيل محرمين لم يكن لتحريم البغال المتولدة منهما وجه وايضا كون معظم المنفعة في الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية
الفاصلة ثم ان انواع الغرايب والعجايب المخلوقة في هذا العالم لا تحد ولا تحصر فلهذا اشار الى ما بقي منها على سبيل الاجمال فقال
ويخلق ما لا تعلمون اي كنهه وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان حركات العالم السفلي وغرايب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها روى عطا
ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيها جبريل صلوات
الله عليه وكل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من راسه كذا كذا الف ملك يدخل
منهم كل يوم سبعون الفا ملك البيت المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا ملك البيت المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون
اليه الى يوم القيمة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه فهم احد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلايل التوحيد بين انه انما ذكرها ازاحة
للعذر وازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل اسم جنس والقصد
مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة
احتجت المعتزلة بالاية على مسئلتين من اصولهم احدهما انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف اي
وعلى الله بيان قصد السبيل فالمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه والثانية انه لا يضل احدا ولا يغويه والا لقيل وعلى الله
قصد السبيل وعليه جايرها وعليه الجاير فلما غير اسلوب الكلام قايلا ومنها جاير دل على انه اراد ان يبين ما يجوز اضافته اليه من
السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادة كلمة على للوجوب انه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك
وعن الثاني انه دلالة قوله ومنها جاير على ما ذكرتم ليست دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القايل من السبيل سبل منحرفة
لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبيل فاما ان فاعل ذلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه اصلا على ان قوله ولو شاء
لهديكم اجمعين يناقض ما ادعيتم وتفسير المشية بمشية الالجاء والقسر والهداية الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع
الحكيم بعجايب احوال الحيوانات اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرايب احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق

بانزل او بشراب غيره والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل ان
يكون الماء المختزن في الآبار والعيون منه كقوله فاسلكه ينابيع في الارض وبعضه يحصل منه شجر ترعاه المواشي قال الزجاج كل ما نبت
من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل
في العشب والكلاء وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد من الشجر في الآية الكلاء وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت اراد
الكلاء وقيل الشجر كل ما له ساق لقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب ان يكون الشجر
ما له ساق واجيب بان عطف الجنس على النوع جائز وبان قوله فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت واسامها صاحبها وهو
من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي ان يكون الشجر هو العشب لكن الرعي ورد بان الابل تقدر
على رعي الاشجار الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال ينبت لكم به الزرع الذي هو الغذاء الاصلي والزيتون الذي
فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن والنخيل والاعناب والتين مما اشرف الفواكه ثم اشار الى سائر الثمرات بقوله ومن كل
الثمرات كما اجمل الحيوانات التي لم يذكرها بقوله ويخلق ما لا تعلمون قال في الكشاف انما لم يقل ومن كل الثمرات وكل للتبعيض لان كلها لا تكون
الا في الجنة واعلم انه قدم الغذاء الحيواني على الغذاء النباتي لان التغذي فيه لانا اسرع تشبيها ببدن الانسان وفي ذكر الغذاء قدم غذاء
الحيوان وهو الشجر على الزرع وغيرها بناء على مكارم الاخلاق وهو ان يكون ترحي اهتمام الانسان بحال نفسه والظاهر عكس الترتيب بقوله
كلوا وارعوا انعامكم بناء على ما هو الواجب بمقتضى الامر كقوله صلعم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله وسخر لكم الليل والنهار معنى تسخيرها للناس تصييرها
نافعين لهم بحسب منافعهم ومصالحهم على سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر في الاعراف
وفي سورة ابرهيم وهذا حسم لمادة شبهة من يزعم ان حركات الافلاك هي المقتضية لتعاقب الليل والنهار وسيرات الكواكب هي المستندة
للحوادث السفليات فانه ان سلم لهم ذلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبراء
عن الحدوث والنقصان وهو الله سبحانه ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون قال جار الله جمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة
على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الآيات ليطابق قوله مسخرات ومثله في هذه السورة مسخرات
في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات واقول انما جمع آية واحدة وكذا قوله وما ذرا لكم في الارض اي خلق فيها من حيوان وشجر
وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه فان ذرء هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية وفي تأثير
الفلكيات فيها آية واحدة على وجود الصانع تعالى شانه ولما ادعى الامكان هذا الاعتبار والانفس كل شيء له آية تدل على انه واحد فعما
خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة وخص المقام الثاني بالعقل لذكره بعد اماطة الشبهة وازاحة العلة فمن لم يعترف بعدها
بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الآيات التي في الحقيقة انعامات
على الانسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع به اكلا ولبسا والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز ومصدره
طراوة يقال طري اي غض بين الطراوة وقال الخطيب طرو اللحم وطري طراوة وطراءة والمراد به في الآية السمك وما في معناه قال في الكشاف
وصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لحمه
في غاية العذوبة علم انه لم يحدث بحسب الطبع بل حدث بقدرة الله وحكمته بحيث اظهر الضد من الضد قال اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة
من حلف لا يأكل لحما واكل سمكا لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك
كان حقيقا بالانكار ورد عليهم الامام فخر الدين الرازي بانه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع انكم تقولون
انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان وللقائل ان يقول لعل
الانكار في هذه الصورة بعد تسليمه انما جاء من قبل ندرة شرى العصفور او شرى لحمه فانه انما يشترى كله ولم يجئ من اطلاق اللحم عليه ومن
منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا اراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولان تزينهن لاجلهم وللقائل
ان يقول لا مانع من تزين الرجال باللآلي ونحوها شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف استدل الامام فخر الدين بالآية في ابطال قول الشافعية انه
لا زكوة في الحلي قال لان اللام فيما روي عنه صلعم انه قال لا زكوة في الحلي ينصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الآية من الحلية
فصار معنى الحديث لا زكوة في اللآلي وهذا باطل بالاتفاق وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اللام للجنس فيشمل المصوغ من الذهب
والفضة ايضا فيكون الحديث مخصصا بالآية ان ثبت صحته ومن عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه وترى الفلك مواخر فيه قال اهل اللغة
مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت دوي الفلك بالرياح وقال ابن عباس مواخر اي جواري وانما حسن هذا التفسير
لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله ولتبتغوا من فضله اي لتتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله فاذا وجدتم فضله واحسانه
فلعلكم تقدمون على شكره واعلم ان قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مفعولي ترى وانما في

الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تأكلون ولتقدم المجاز في قوله ومن كل تأكلون حذف لفظة منه هناك والواو في
ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتأكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في السورتين يجري مجرى المثل ولهذا
وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع اي لو حضرت ايها المخاطب لرأيته بهذه الصفة ولكن لقائل ان يقال في الملائكة فيه
مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكتنف المتعلق المتعلقين واعاننا الكلام على ان قوله فيه
متعلق بمواخر لا بترى لقرب هذا الارض تحمل عن نعالنا الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقالت قد ارسيت بالجبال لم تدر
الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام
الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فكذا الارض تستقر على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بان السفينة انما تضطرب
على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل في تجاويف الخشب ومسامها اما الارض فجسم كثيف ثقيل فاما لها الرسوب في الماء على
ما هو مشاهد من حال اجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك حتى يكون طافية مائرة وقد ارساها الله تعالى بالجبال فالرسو
والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينتقل الكلام الى الماء وموقفه في حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف التقدير
لانا بنينا القول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال وان لم يكن بالطبع بل كان واقعا بتخليق الفاعل وتسكينه في حيزه المخصوص فلم لا تقول
مثله في تسكين الارض هذا الحيص هذا ذكره الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ونسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج بجلاله
وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو ان الارض جسم كري والكرة كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك بادنى سبب فلما احدث الله سبحانه على
وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعتها عن السلاسة والحركة قلت في هذا الحل خلل اما اولا فلكونه مبنيا على غير قواعد
اهل التفسير واما ثانيا فلما ثبت في الحكمة ان نسبة اعظم جبل في الارض وهو ما ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض كنسبة خمس
سبع شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان ذلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة
فكذا ينبغي ان يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على ما عند اهل الشرع ان يقال انا لا نسلم ان الارض بكليتها لها طبيعة موجبة
لحالة من الاحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان لها طبيعة الرسوب بل لعل طبعها طبيعة موجبة لحالة من الاحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم
ان لها طبيعة الرسوب بل لعل طبعها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسي واما قوله لم لا وقفها الله الماء في حيزه فلم يوقف الارض من غير ارساء فلا
يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسائط والاسباب مدخل في الامور العادية وان تقل بتأثيرها هنا وان حركة الارض هذا الزلازل
لا ينافي في حكم الله بعد اضطرابها لان اثبات الحركة بجزء الشيء لا ينافي نفيها عن كليته وشبهوا الزلزلة وهي حركة قطيعة من الارض باحتقان البخار
في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه وانهارا معطوف على رواسي اي وجعل فيها رواسي لان الالقاء
ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله والقيت عليك محبة مني وكذا قوله وسبلا اي اظهرها وبينها لاجل ان تهتدوا بها في اسفاركم ولما ذكر انه اظهر في
الارض العباد سبلا معينة ذكر انه اظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك يحكى
ان جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون كلام منفصل عن
الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقال بعض المفسرين زاد
بقوله وهم يهتدون اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل اراد اعم من ذلك فاهل البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك
وفي معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين الدال عليهم ذكر السبل وقال في الكشاف كأنه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء
بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا بتقديم النجم واقحام لفظة هم
كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ثم لما عدد الآيات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال اراد ان
يوبخ اهل الشرك والعناد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق شيئا والآلهة الا انه اجراها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ
من التي هي لاولي العقل بناء على زعمهم انها آلهة او لاجل المشاكلة بينه وبين من يخلق او اراد ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف
بما لا علم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولي العلم منهم واعلم ان اهل البيان يقولون ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في
وجه التشبيه من المشبه فالحق الاضعف بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجه كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق فكان حق
النظم في الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس ووجهه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كأنهم جعلوا غير الخالق
اقوى حالا واعرف من الخالق قال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوها بها حين جعلوا غيره مثله في التسمية والعبادة فانكر عليهم
ذلك ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له ادنى عقل بل حس قال افلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه بجلائه كالحاصل الذي يحصل
عند العقل بادنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة في الآية دلالة على ان العبد غير خالق لافعال نفسه ولان الآية سيقت
لبيان امتيازه بصفة الخالقية لجانب المعتزلة بان المراد افمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار

والجبال والنجوم او نقول معنى الاية ان من كان خالقا كان افضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا
فانه يجب ان يكون الها نظيره قولها لهم ارجل يمشون بها اراد بان الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس وكذا ههنا وقال الكعبي
في تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه
السؤال الا ان اصحاب ابي هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان ابا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز
لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ عن تعديد الايات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقد مر تفسيره في سورة ابرهيم قال العقلاء ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لنغص العمر على الانسان وتمنى ان ينفق
الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملايم له مع ان الانسان لا علم له
بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك وقس عليه ساير نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك و
قصورك عن شكر ادنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا ختم الاية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر عنكم في اداء شكر النعمة و
يرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كان نوامع اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون ضربا من الكفر
والمكايد في حق الرسول صلعم وعدهم بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وفيه ايضا تعريض وتوبيخ بسبب ان الاله يكون
عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها جمادات لا شعور لها اصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ والذين
يدعون اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيئا وقد ذكر هذا المعنى في قوله كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم
يخلقون اي يخلق الله او بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم ففي هذه الاية زيادة بيان لانه
نفى عنهم صفة الكمال واثبت صفة النقصان وكذلك قوله اموات غير احياء يستلزم ذمهم مرتين لان من الاموات ما يعقب موته
حيوة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقه الروح واما الحجارة فاموات لا تقبل الحيوة اصلا وفيه ان الحي يجب ان يكون حيا
لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد تقرر المعنى الواحد معنى الغبي الجاهل بعبارات
مختلفتين تنبيها على بلادتهم وما يشعرون الضمير فيه للالهة واما الضمير في ايان يبعثون فاما للالهة ايضا ويؤيده ما روي عن
ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين اي لا يشعر الالهة متى يبعث
عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان بعث الاحيار تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف شعور ما لا يعلمه حي الا الحي
القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم ومعنى انهم اموات اي لا بد لهم
من الموت غير احياء اي غير باقية حيوتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما زيف طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق في نفس الامر فقال الهكم
اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية او لكل كلام يخالف هواهم وهم
مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب والترهيب فينقاد للحق اسرع واما الجاحد للمعاد فلا منكار
يقبل الا ما يوافق رايه ويلايم طبعه فيبقى في ظلمة الانكار لا جرم اي حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما اسروا من الانكار
واعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين على التوحيد فيختص بالمشركين او كل مستكبر فيدخل هؤلاء دخولا اوليا لان الكلام فيهم
التاويل طبقات ثلث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب اذ كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم اصحاب النفوس و
العاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم في الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول والعاشقون والخطاب معهم
بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذي الجلال فخير قال في الازل اتى امر الله استعجل ارواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى
الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له في القسمة الازلية والله سبحا
منزه عن ان يشاركه في الحكم احد فلا مبدل لكلماته بالروح من امره اي بما يحيي القلوب من المواهب الربانية من امره الوارد على الجوارح
بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار
بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلي الصفات لافناء الذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا اعلموا
اوصاف وجودكم ببذلها في انانيتي انه لا اله الا انا فاتقوا عن انانيتكم بانانيتي خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها مظهر
الا فاعليه فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشرك الارواح والاشباح في احالة افاعيله الى غيره خلق الانسان
من نطفة لا علم لها ولا فضل فاذا هو خصيم مبين يدعي الشركة معه في الوجود والافاعيل والانعام اي الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء
لانها الموجودة في جبلتكم ومنافع ومنها تاكلون باستفادة بذل ما يتحلل ولكم فيها جمال في اوقات الفترات وازمنة الاستراحات و
تحمل اثقالكم اي اثقال ارواحكم وهي اعباء الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم اذ افنيتم انفسكم في جبروته يبقيكم ببقاء عظمته
والخيل والبغال والحمير اي صفاتها خلقت فيكم لانها مراكب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى مستقره

الذي اهبط منه ويخلق فيكم حينئذ ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل بجذبة راجعي ومنها جائر
يعني نفوسكم تحيد عن الفنا وبذل الوجود هو الذي انزل من سماء الكرم ماء الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية
ودواعيها فيه ترعون مواشي نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة واعناب الواردات
الربانية ومن كل الثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب
ونجوم القوى والحواس وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة وما ذرأ لكم في ارض جبلتكم من الاستعدادات تتلون
في كل عالم بلونه من عوالم الملائكة والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر العلوم لتاكلوا منه الفوايد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا
منه جواهر المعاني فتلبس بها ارواحكم النور والبهاء وترى فلك الشرايع والمذاهب جواري في بحر العلوم لتبتغوا الاسرار الخفية عن الملائكة
والقى في ارض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وانهارا من ماء الحكمة وسبلا الى
الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم جذبة الالهية هم يهتدون فيخرجون من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي
افمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما
يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذات والصفات والله يعلم ما تسرون من اداء
شكر نعمة القلوب وما تعلنون من اداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون شيئا من المنافع وهم
يخلقون بتعب الطلب في تحصيلها ولهذا قال اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثها دواعي البشرية والذين لا يؤمنون بالآخرة بما في
عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عن عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار والله ولي التوفيق

وإذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ۝ ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون ۝
قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ۝ ثم يوم القيمة يخزيهم
ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان
الخزي اليوم والسوء على الكافرين ۝ الذين تتوفيهم الملائكة
ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما
كنتم تعملون ۝ فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ۝ جنات عدن
يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي
الله المتقين ۝ الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم

ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ● هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي
امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم
يظلمون ● فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا
اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل
على الرسل الا البلاغ المبين ● ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ●
ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ●
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ● ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين ● انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ●
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة
ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ● الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون ●

شركاي مثل هداي معا عن ابن كثير والخزاعي عن البزي وقرا الخراز عن هبيرة شركاي الذين مرسلة الياء الباقون بفتح الياء
وكذلك في الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الاخرون بفتحها يتوفيهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال
عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع ربكم لان ما بعده جواب اذا
الاولين لتعلق اللام يوم القيمة لان قوله من اوزار مفعول ليحملوا بغير علم ما يزرون لا يشعرون فيهم الكافرين بناء على ان ما بعده صفة انفسهم لقوله
الكلام من سوء يعملون لان قوله ادخلوا مفعول يقولون يعملون امر ربك من قبلهم يظلمون يستهزءون من شيء الثاني من قبلهم للاستفهام مع الفاء المبين
الطاغوت لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة المكذبين ناصرين ايمانهم لان ما بعده جواب القسم يموت لا يعلمون لتعلق لام كي كاذبين فيكون
حسنة اكبر لان جواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الاخرة ولو وصل لصار قوله ولاجر الاخرة معلقا بشرط ان لو كانوا
يعلمون وهو محال يعلمون بناء على ان الذين صبروا بدل والذين هاجروا يتوكلون لما بان في تقريره لا بل التجيبا وان بكنه شبهات
منكري النبوة مع اجوبتها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القران وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او ما مبتدا
وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدا وعلى التقديرين فقوله اساطير الاولين بالرفع ليس بجواب الكفار والا لكان المعنى الذي انزله ربنا اساطير

الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن كلام مستانف اي ليس ما تدعون انزاله منزلا بل هو الاساطير وقال في الكشاف
معناه المنزل اساطير الاولين وذكره في دفع التناقض انه على السخرية كقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وجوز كونه منصوبا ولم يقرا به
واختلفوا في السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين كاباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقايق
والدقايق ثم انه تعالى اقتصر في جواب شبهتهم على محض الوعيد لانه قد ثبت بالتحدي كما مر ذكره مرارا ان القران معجز تحدوا بالقران جملة ثم
بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة وكان طعنهم فيه بعد ذلك بمجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد
واللام في قوله ليحملوا اوزارهم لام الغرض لانهم لم يصفوا القران بكونه اساطير لغرض حمل الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به
وكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا وفيه دليل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المومنين
لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هولاء الكفار بهذا التكميل فائدة قال الواحدي لفظ من في قوله ومن اوزار الذين ليست
للتبعيض فانه لا يخفف عن الاتباع بعض اوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص
من اثامهم شيء ولكنها للابتداء اي ليحملوا ما قد نشا من وزر الاتباع او للبيان اي ليحملوا ما هو من جنس اوزار تبعتهم ومعنى بغير علم ان
هولاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقون من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال في الكشاف بغير
علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث
وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم اوعدهم بما هو النهاية في التهديد فقال الا ساء ما يزرون وزرهم ثم حكى حال اضرابهم من
المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل طوله خمسة الاف
ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل اهلها فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا والقت راس الصرح
في البحر واحدث نمرود وتبلبلت يومئذ السن الناس من الفزع فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا ولذلك سمي بابل وكان لسان الناس قبل ذلك
بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والاصح ان الاية عامة في جميع المبطلين الذين يجادلون الحق الصرف
بالمحقين وعلى القول الاول معنى قوله فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم من القواعد وهي اساطير البناء الذي تعمده والاساس انه اسقط
السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التنصيص على ان الابنية تهدمت وهم ماتوا تحتها وعلى الثاني يكون
الكلام محض التمثيل والمراد انهم سووا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسول الله فجعل الله هلاكهم في تلك الحيل كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه
بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لاخيه وقع فيه وبعبارة اخرى من حفر
جبا وقع فيه منكبا ثم بين ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيمة بادخالهم النار انك من تدخل النار فقد اخزيته
ويقول مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ اين شركاي الاضافة لادنى ملابسة او هي حكاية لاضافتهم استهزاء وتوبيخا الذين كنتم تشاقون تخاصمون
المومنين في شانهم ومن قرا بكسر النون فعلى حذف ياء المتكلم لان مشاقة المومنين مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستيناف قال الذين اوتوا
العلم عن ابن عباس هم الملائكة وقال اخرون هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك شماتة
بهم يوم القيمة قالت المرجئة قولهم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على ان ماهية الخزي والسوء مختصة بالكافرين فينتفي عن غيرهم
اما قوله فالقوا السلم فعن ابن عباس المراد انهم اسلموا واقروا بالعبودية عند الموت وقيل انه في يوم القيمة وقولهم ما كنا نعمل من سوء ارادوا
الشرك قالوه على وجه الكذب والجحود ومن لم يجوز الكذب على اهل القيمة قال ارادوا في اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم اولو العلم او الملائكة
بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم قال في الكشاف وهذا
ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم وفي ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين
عن قبول التوحيد وساير ما اتت به الانبياء والفاء للعطف على فاء التعقيب في فادخلوا واللام للتاكيد يجري مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك
ولنعم دار المتقين ولا نظير لهما في كل القران ثم اتبع اوصاف الاشقياء احوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الاية انما ذكر الجواب ههنا بالنصب
ليكون الجواب مطابقا مكشوفا بينا غير متلعثم اي انزل خيرا اي الخير لا الشر كما قاله الكفار وقالوا قولا خيرا ولو رفعوا لاوهم انه كلام مستانف
كما في جواب الكفار وليس بمنزل روي ان احياء العرب كانوا ايام الموسم ياتيهم من ياتيهم بخبر النبي صلعم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه
بالانصراف كما مر وكان الوافد يقول كيف اراجع الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث
فهم الذين قالوا خيرا وجوز في الكشاف ان يكون للذين احسنوا وما بعده بدلا من خيرا كانه فسر الخير بهذا وجوز ان يكون كلاما مبتدا على
سبيل الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم اما قوله في هذه الدنيا فاما ان يتعلق بما قبله فالمعنى الذي جاؤا بالاحسان في هذه الدنيا
لهم في الاخرة حسنة وهي الثواب العظيم والمضاعف الى سبعمائة واكثر واما ان يتعلق بما بعده والتقدير وللذين احسنوا لهم الجنة في الدنيا باستحقاق

المدح او الثناء او بالظفر على اعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد او بفتح ابواب المكاشفات والمشاهدات والحاصل ان لهم في
الدنيا مكافاة باحسانهم ولدار الاخرة خير منهم ثم بين الخيرية بقوله ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال
جنات عدن اي هي هذه فيكون المبتدا محذوفا او الجنات مبتدا وما بعدها خبر او جنات عدن هي المخصوص بالمدح فالجنات تدل على
القصور والبساتين والعدن على الدوام والاقامة وقوله تجري من تحتها الانهار دل على انه حصل هناك ابنية مرتفعة تجري عليها والانهار
تجري من تحتهم وقوله فيها ما يشاءون ابلغ من قوله في موضع اخر فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وفي تقديم الظرف دلالة على ان الانسان
لا يحصل كل ما يريده الا في الجنة وقوله الذين تتوفاهم الملائكة اكثر المفسرين على ان هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله طيبين اي طاهرين
عن دنس الكفر والمعاصي او دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل انواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب الحالة تالم
بالموت دليله قوله يقولون سلام عليكم يروى انه اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرئ
عليك السلام ويبشره بالجنة فذلك قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن ان المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا انتقال عند
قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون قيل انه جواب شبهة
اخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم ملكا من السماء ليشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون
في تصديق نبوتك الا ان تاتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل ان يقال انهم لما طعنوا في القران بانه اساطير الاولين اوعدهم الله تعالى بما اوعد
ثم وصف القران بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر ان اولئك الكفار لا ينزجرون عن كفرهم بسبب البيانات التي ذكرناها الا اذا جاءتهم
الملائكة بالتهديد ولقبض الارواح او ياتيهم امر ربك وهو العذاب المستاصل او البلايا القيامة كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المعجل وما
ظلمهم الله بتدميرهم فانه انزل بهم ما استحقوه بكفرهم فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم او هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء
سيئة سيئة وحاق بهم اي نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكري النبوة تشبثوا بمسئلة الجبر فقالوا
لو شاء الله ما عبدنا الاية وقد مر تفسير مثلها في اخر الانعام وذكرنا ما تشبث به هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجوابا الاشاعرة
عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو
قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال اخرون انه اجاب عن شبهتهم وهي انه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله كذلك
فعل الذين من قبلهم يعني انهم اعترضوا على احكام الله وجعلوا العلة فعل من تقدمهم من الكفرة فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي ما عليهم
الا التبليغ فاما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه اكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا الى قوله ومنهم من حقت عليه
الضلالة وفيه دلالة على ان امر الله قد لا يوافق ارادته فانه يامر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو ارادها للكل لم يكفر احد
ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر وترك لقوله فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم خصص الخطاب قائلا لرسوله ان
تحرص على هديهم فان الله لا يهدي من يضل لا يرشد احدا اضله قاله ابن عباس وقال الفراء معناه لا يهتدي ومن قرا على بناء المفعول
فمعناه لا تقدرات ولا احد على هداية من اضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى ان اول الاية ظاهرها يوافق مذهب المعتزلة اما قوله
كذلك فعل الذين من قبلهم الى اخر الايات فانهم قد صاروا فيه الى التاويل فقالوا معناه ان متقدميهم اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا
على قبح فعلهم اسندوه الى الله فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله بري من الظلم وخلق القبائح والمنكرات وما من امة الا وقد بعث
فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه من اهل اللطف
ومنهم من ثبت عليه الخذلان لانه عرفه مصمما على الكفر او المراد منهم من حكم الله عليهم بالاهتداء ومنهم من صار يحكم ما عليه بالضلالة لم يلطف
ضلاله او منهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من اضله عنها فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدم الشر ولا
اشائه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله
متعال عن العبث فهذا تفسير الفريقين لاشتمال الايات مسئلة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك ودون هواك الشبهة الرابعة
قدحهم في الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم اي اغلظ الايمان كما مر في المائدة كانهم ادعوا علما ضروريا
بان الشيء اذا فني وصار عدما محضا فلا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا اخر فاكدوا ادعاءهم بالقسم العظيم فاجاب الله عن شبهتهم بقوله
بلى وهو اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وقوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله اي وعد البعث وعدا عليه حقا لا خلف
فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او ان وعد الله حق ثم ذكر كيفية حقية البعث فقال ليبين اي يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين
ليبين لهم الحق الذي اختلفوا فيه بيانا عيانا لا لبس فيه المطيع بالعاصي والمحق بالمبطل والمظلوم بالظالم والصادق بالكاذب ويجوز ان يتميز بعضهم
ان يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا اي بعثناه ليبين ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة مفترين على الله الكذب في ادعاء الشرك
له وفي قولهم يجدوها لهم هذا حلال هذا حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله انما قولنا وهو مبتدا خبره ان نقول فقد مر مثل هذه الاية

في سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام وكل
ما يتوقف آثار قدرته الا على مجرد الارادة والمشية فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو اهون من الابتداء قال في الكشاف فيكون بالنصب
عطف على نقول قلت ولا مانع من كونه منصوبا باضمار ان لوقوعه في جواب الامر بعد الفاء وقد مر في البقرة احتج بعض الاشاعرة بالاية على قدم
القران فانه لو كان حادثا لافتقر الى ان يقول له كن ثم الكلام في هذا اللفظ كالكلام في الاول فيتسلسل والجواب بعد تسليم ان هذا الشيء لا
وان تم قولا ان اذا لا يفيد التكرار فلا يلزم في كل ما يحدثه الله تعالى ان يقول له كن وكيف يتصور ان يكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على
النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القران على ان ثم كن كلمة قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه يقتضي كون القول واقعا
بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وانه علق القول بكلمة اذا ولا شك انها للاستقبال وكذا قوله ان نقول ثم ان كلمة كن مقدمة على
المكون بزمان واحد والمقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فيلخص من هذه الدلايل ان الكلام المسموع لا بد ان يكون محدثا هذا تلخيص
ما قاله الامام فخر الدين الرازي ولعل لنا فيه نظرا ولما حكى الله سبحانه من الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء لم يبعد منهم والحالة هذه
ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحينئذ يلزمهم ان يهاجروا الى تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين قائلا والذين هاجروا في الله اي
في حقه وفي سبيله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا تبوئة حسنة ومباءة حسنة هي المدينة اوتهم اهلها ونصروهم قاله الحسن و
الشعبي وقتادة وقيل لننزلنهم منزلة حسنة هي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على اهل المشرق والمغرب قال ابن
عباس نزلت الاية في جماعة منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب انا رجل كبير ان
كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه اما الضمير في قوله لو كانوا يعلمون فاما ان يرجع الى الكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا في دينهم ولما
ان يعودوا الى المهاجرين اي لو علموا ان اجر الاخرة لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون والمراد
صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله وعلى المجاهدة في سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس عن
ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو اخر الطريق قال العارفون بالصبر ساروا و
بالتوكل طاروا ثم في الله جاروا ٥

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر ان
كنتم لا تعلمون ● بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس
ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ● افامن الذين مكروا السيئات
ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ● او ياخذهم على تخوف فان ربكم
لرؤف رحيم ● اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين
والشمائل سجدا لله وهم داخرون ● ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ● يخافون
ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ● وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون ● وله ما في السموات

والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون ● وما بكم من نعمة
فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ● ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ● ليكفروا بما اتيناهم
فسوف يعلمون ● ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله
لتسألن عما كنتم تفترون ● ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ● يتوارى من القوم
من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب الا ساء
ما يحكمون ● للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل
الاعلى وهو العزيز الحكيم ●

نوحى بالنون حفص غير الخراز الباقون بالياء مجهولا الم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف تتفيؤا بتاء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون على الغيبة لا يعلمون لتعلق الباء والزبر تتفكرون لا يشعرون للعطف بمعجزين لان الله على تخوف للفصل بين الاستخبار والاخبار رحيم داخرون لا يستكبرون ما يؤمرون سجدة اثنين للابتداء بانما مع اتحاد القايل واحد للعدول مع الفاء فارهبون واصبا تتقون تجارون لان ثم لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون لتعلق لام كى اتيناهم للعدول والفاء للاستيناف يعلمون رزقناهم يفترون سبحانه لان ما بعده من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون كظيم لاحتمال ان ما بعده وصف كظيم او استيناف ما بشر به لان التقدير متفكر فى نفسه اتمسكه ام تدسه فى التراب ما يحكمون السوء لتضاد الجملتين معنى مع العطف لفظا الاعلى الحكيم الشبهة الرابعة ان قريشا كانوا يقولون الله اعلى واجل من ان يكون رسوله بشرا فاجاب سبحانه بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والمراد ان هذه عادة مستمرة من اول زمان الخلق والتكليف وزعم ابو على الجبائى انه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضى ولعله اراد الملك الذى يرسل الى الانبياء بحضرة اممهم كما روى ان جبريل كان ياتى فى صورة دحية وفى صورة سراقة وانما قيد بحضرة الامم لان الملائكة قد يكونون على صورتهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة من الله الى نبيه كما روى انه صلعم راى جبريل على صورته التى هو عليها مرتين وعلينا قولوا قوله ولقد راه نزلة اخرى ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى اصحاب العلوم والكتب فامرهم الله امنى قريشا بان يرجعوا فى هذه المسئلة اليهم ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسئلوا اهل الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على انه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد اخر فيما اشتبه عليه واحتج نفاة القياس بالاية قالوا لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس واجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع اقوى من ظاهر النص اما قوله بالبينات ففى متعلقه وجوه منها ان يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وانكر الفراء ذلك قال ان صلة ما قبل الا لا يتاخر الى ما بعد الا لان المستثنى عنه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كما لو قيل ما ارسلنا بالبينات الا رجالا فلما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها ان يتعلق برجالا صفة له اى رجالا متلبسين بالبينات ومنها ان يتعلق بارسلنا مضمرا نظيره ما مر الا اخوك ثم يقول بمن مر بزيد قاله الفراء ومنها ان يتعلق بيوحى اى يوحى اليهم بالبينات ومنها ان يتعلق بالذكر بناء على انه بمعنى العلم ومنها ان يتعلق بلا يعلمون اى ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسئلوا قال فى الكشاف والشرط ههنا فى معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى حقى قلت اراد ان من علم علم مقرر كان عمل الاجير ثابت ومسلم جار ان مثل قوله فاسئلوا جواب الشرط على هذا الوجه واما على الوجوه المتقدمة فجزم انه اعتراض بناء على ان جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما ارسلنا الى اخره وعندى ان هذا الجزم ليس بحتم ويجوز على كل الوجوه ان يكون مثل فاسئلوا

جوابا والله اعلم واهل الذكر اهل التورية كقوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر يعنى التورية وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظة جامعة لكل ما يتكامل به اداء الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعى الرسالة وهى البينات وعلى التكاليف التى تعبر فى باب التكاليف العبادة وهى الزبر ثم قال وانزلنا اليك الذكر اى القران الذى هو موعظة وتنبيه وتذكير لاهل الغفلة والنسيان وبين الغاية المترتبة على الانزال وهى تبيين الاحكام والشرايع بالنسبة الى الرسول وارادة التامل والتفكر فى المبدا والمعاد بالاضافة الى المكلفين وفى ظاهر هذا النص دلالة على ان القران كله مجمل فمن هنا ذهب بعضهم الى انه متى وقع التعارض بين القران والخبر وجب تقديم الخبر لان القران مجمل والقران مبين له والمبين يجب تقديمه على المجمل واجيب بمنع الكلية فمن القران ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات المجملات قال بعض من نفى القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما انزل الله عليه من الاحكام بل كان له ان يفوض بعضها الى راى القايس واجيب بانه لما بين ان القياس من جملة الحجج فالقياس ايضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع اجوبتها شرع فى التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال افامن الذين مكروا السيئات اى المكرات السيئات ارادوا اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبى عنى بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والاقرب ان المراد سعيهم فى ايذاء الرسول صلعم وايذاء اصحابه على سبيل الخفية ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب او يهلكهم العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط او ياخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين فاتين الله وذكر المفسرون فى هذا التقلب وجوها منها انه تعالى ياخذهم فى اسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على ان يهلكهم فى السفر كما انه قادر على ان يهلكهم فى الحضر وهم لا يعجزون الله بسبب ضربهم فى البلاد البعيدة ومنها انهم قد يأخذهم بالليل والنهار فى احوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم وجيئتهم فى تصرفهم فى الامور التى يتصرف فيها امثالهم ومنها انه اراد فى حال ما يتقلبون فى قضاء اوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الاول ماخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور او ياخذهم على تخوف وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون للبلاء بان يكون قد اهلك قوما قبلهم فكان اثر الخوف باقيا فيهم ظاهرا عليهم وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخويف التنقص والمعنى انه ياخذهم بطريق التنقص شيئا بعد شئ فى ديارهم واموالهم وانفسهم حتى ياتى الفناء على الكل عن عمر رضى الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال وهل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا اى سناما مرتفعا متراكما والسفن ما ينحت به الشئ ومنه السفينة لانها تسفن وجه الارض الماء كانها فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الاية بقوله فان ربكم لرءوف رحيم فذهب المفسرون الى ان معناه انه يمهل فى اكثر الامر لانه رءوف رحيم فلا يعجل بالعذاب واقول يحتمل ان يكون قوله فان تعليلا لقوله افامن كقوله ما غرك بربك الكريم ولما خوف الماكرين بما خوف اتبعه ذكر ما يدل على كمال قدرته فى تدبير العالم العلوى والسفلى وسكانهما فقال اولم يروا الى ما خلق الله قال جار الله ما مبهمة بيانه من شئ وقال اهل المعانى قوله يتفيؤا ظلاله اخبار عن شئ وليس بوصف له ويتفيؤ يتفعل من الفئ واصله الرجوع ومنه فئة المولى قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرف عنه الشمس والقمر والذى يكون بالغداة ظل وقال ثعلب اخبرت عن ابى عبيدة ان رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فى وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله اضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه واحدا فى اللفظ وان كان كثيرا فى المعنى وهو قوله الى ما خلق نظيره لتستووا على ظهوره اضاف الظهور وهو جمع الى الضمير مفرد لانه يعود الى واحد اريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهرى تفيأت الظلال اى تقلبت وقوله عن اليمين والشمايل قال اهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد اليمين لانه اراد واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمايل لانه اراد كلها لان قوله ما خلق لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتى جمع وعبرت عن احديهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التى هى مشرق الشمس وانها واحدة والشمايل عبارة عن الانحراف الواقع فى ميلان الاظلال بعد وقوعها على الارض وهى كثيرة التى هى اسرع الحركات واقواها ويمكن ان يقال ان الانسان اذا توجه الى المشرق الذى هو اولى الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب ان وصول الشمس الى فلك نصف النهار تختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقالها من الجنوب الى الشمال وبالعكس فى بلد واحد اذا كان عرضه اقصر من الميل الكلى ومن المعلوم ان الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت فى جنوب سمت الراس وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل ان يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها فى هاتين الجهتين والله اعلم اما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لامر الله منتقلة من جانب حسب حركة النير على نسب مخصوصة ومقادير معلومة ذكرنا بعضها فى كتبنا النجومية وقد بنى المتاخرون على الاظلال مسايل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلى مع فروعه وذكر بعضهم فى تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال اخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون لانهم اشبهوا العقلاء من حيث طاعتها الله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمال استعارة من يمين الانسان وشماله بجانبى الشئ اى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فاتحرها له

من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة
قال الاخفش اي من الدواب واخبر بالواحد كما تقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض
والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر انه ذكر من اين الظلال ان الجمادات باسرها منقادة له فبين في هذه الاية ان الحيوانات باسرها
ايضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لانها ليست مما يدب وكانها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة لقوله وما من
دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة انها ارواح مجردة ليست من شانها الحركة والدبيب قال جار الله
من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان
يكون بيانا لما في الارض وحده ويقال بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات
الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن
وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال وهم لا يستكبرون
يخافون على انه حال منهم او بيان لنفي الاستكبار لان الخوف اثر عدم الاستكبار وقوله من فوقهم اما ان يتعلق بيخافون ومعنى يخافون
ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما ان يكون حالا من الرب اي يخافونه عاليا قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو
القاهر فوق عباده زعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة انه تعالى وصفهم بالخوف وحصول الخوف نتيجة تجويز الاقدام على الذنوب وهب
انهم فعلوا كل ما امروا به فمن اين علم انهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول انهم انما يخافون من العقاب لقوله تعالى ومن يقل منهم
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يتركون الذنب وعن ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال كقوله انما يخشى الله من عباده
العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة جلال الله اتم كانت الهيبة والحيرة اعظم وعن الثاني ان النهي عن الشيء امر بتركه وفي الاية دلالة على
ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه ابى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك افضل من البشر بل من كل المخلوقات والا لما
خصصهم بالذكر من بينها ولخلو بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه
قتل الانسان ما اكفره وقال صلعم ما منا الا من قد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال صلعم الشيخ في قومه كالنبي في امته فضل الشيخ
على الشاب لتقادم عهده وطول مدته ولا شك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة ودهور متمادية وانهم سنوا الطاعة والعبودية
ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسألة مذكور في اول سورة البقرة وفي قوله ما يؤمرون دلالة
على ان الملائكة مكلفون بالامر والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين ان كل ما سواه في عالمي الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع
لجلاله وكبريائه اتبعه النهي عن الشرك قائلا وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا
يدلان على العدد الخاص فما الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد واجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتاخيرا
اي لا تتخذوا اثنين الهين ومنها انه كررت العبادة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول اهل المعاني ان فائدة الوصف
والبيان ان يعلم ان النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية
وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل واحد منهما مركبا من جزئين ما به الاشتراك
في الوجوب الذاتي وما به الامتياز ولكن التركب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل التمانع ايضا يبين على الخط
كما لو اراد احدهما تحريك جسم معين واراد الاخر تسكينه او قوي احدهما على مخالفة الاخر او لا يقوى او قدر احدهما على ان يستر ملكه عن الاخر
او لا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا فاياي فارهبون وقد مر مثله في البقرة ثم لما قرر وحدته وانه يجب
ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر ان الكل ملكه وملكه فقال وله ما في السموات والارض فقال الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها
مفعولة لاجله ولغرض طاعته لان منها المباحات والمحظورات التي يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد ان كلها بتخليقه و
تكوينه ومن جملة ذلك افعال العباد ثم قال وله الدين واصبا فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها ويقال
للمريض وصب لكون ذلك المرض لازما له وانتصابه على الحال والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له
ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حالة الحيوة او الموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة ابدا ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الملة اي وله الدين
اذا كلفه ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء سرمدا لا يزول بمعنى الثواب والعقاب وقال بعض المتكلمين المحققين قوله
وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله الدين اي الانقياد واصبا اشارة الى ان جميع
الممكنات مفتقرة الى غيره في حال وجوده لان الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم انكر ان يكون الممكن مع شدة افتقاره
اليه يخشى غيره فقال افغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ما بمعنى الذي وبكم صلته ومن نعمة حال من الضمير في الجار
او بيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف اي ما يكن وقال جار الله معناه اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله

قال الاشاعرة افضل النعم نعمة الايمان والاية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير
لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية او بدنية او خارجة كالسعادات المالية وغيرها وكل واحد من هذه جنس تحتها انواع لا حصر لها
والكل من الله فعلى العاقل ان لا يشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله قائلا ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون
ما تضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جار الله
يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال
فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قلت واظهر الوجهين الاول والمعنى ان فريقا
منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفزع الا الى الله وفريقا يتغير عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان
ولهذا قال ليكفروا كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ويجوز ان يكون لام العاقبة يعني عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا هذا
الكفران والمراد بقوله بما اتيناهم كشف الضر وازالة المكروه او القران والشرائع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي انعم الله بها على
الانسان ثم قال على سبيل التهديد وبطريق الالتفات نظرا الى اول الكلام فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما يجيء
واما في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا اخر من قبائح اعمال بني ادم فقال ويجعلون لما لا
يعلمون الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم نفي الحي حقيقة وعن
الثاني وبان جمع السلامة بالعقلاء اليق وقد رجح الثاني بان الاول يفتقر الى الاضمار كانه قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا او
في الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم نصيبا او يجعلون لما لا يعلمون
الهيتها او السبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا
وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا
وكذا من المعادن والنبات والحيوان وللمشتري كذا وكذا الى اخر الكواكب ثم اوعدهم بقوله تالله لتسألن عما كنتم تفترون على الله من ان له شريكا
وان الاصنام اهل للتقرب اليها مع انه لا شعور لها بشيء اصلا او المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي او قولهم ان للكواكب
تاثيرا في هذا العالم ومتى يكون هذا السؤال قيل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر والاقرب انه في الاخرة وهذا
في هؤلاء الاقوام خاصة كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون في الامم عامة قوله ويجعلون لله البنات نوع اخر من القبائح
وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي رحمة الله عليه اظن ان ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء
ومثله اطلاق التانيث على الشمس لاستتارها عن ان تدرك بالابصار لضوئها الباهر ونورها القاهر سبحانه تنزيه لذاته عن نسبة الولد اليه
او تعجب من قولهم ومحل ما في قوله ولهم ما يشتهون اما الرفع على الابتداء او النصب اي وجعلوا لهم ما يشتهون يعني البنين وابى الزجاج
جواز النصب قال لان العرب لا يقول جعل له كذا وهو يعني نفسه وانما يقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون
ثم ذكر فرط كراهتهم للاناث التي جعلوها لله تعالى فقال واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه اي صار مسودا ويحتمل ان يكون استعمال
ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره مسود الوجه وهو كظيم مملوء غما وحزنا وغيظا على المراة قال اهل المعاني جعل اسوداد
الوجه كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوي فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الاطراف ولا سيما الى الوجه لما بين القلب
والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه واشرق واذا قوي غمه انحصر في داخل القلب ولم يبق منه اثر قوي على الوجه فيتربد الوجه و
يصفر او يسود يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ولم يظهر لهم ما يحدث نفسه ويدبر فيها ماذا يصنع بها و
ذلك قوله ايمسكه ايحبسه على هون ذل وهوان والظاهر انه صفة المولود اي يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس انه صفة
الاب اي يمسكها مع الرضى بهوان نفسه ام يدسه في التراب اي يئدها والدس اخفاء الشيء في الشيء وانما ذكر الضمير في يمسكه ويدسه
باعتبار ما بشر به كانوا مختلفين في قتل البنات منهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى ان تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها
ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية واخرى خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة روي ان رجلا قال يا رسول
الله والذي بعثك بالحق ما اجد حلاوة الاسلام منذ اسلمت فقد كانت لي في الجاهلية ابنة وامرت امراتي ان تزينها واخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد
القعر القيتها فقالت يا ابت قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال صلعم ما في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار ولا ريب
ان الانثى هذا محلها عندهم كانت في غاية الكراهة والتنفير ومع ذلك نسبوها الى الله تعالى عن الصاحبة والولد فلذلك قال الا ساء
ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالاخرة ولهذا يقدمون على القتل والايذاء مثل السوء وهي صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور
وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق والتزام القبح البالغ ولله المثل الاعلى وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل
والجود الشامل وهو العزيز الذي لا يغالب فلا يستضر بان ينسب اليه ما لا يليق به الحكيم في خلق الذكور والاناث وفي الوعيد على

البنات قال القاضي ان هؤلاء المشركين استحقوا الذم باضافة البنات الى الله وانه اسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلها اليه وهذا شان المجبرة واجابت الاشاعرة بانه ليس كل ما قبح منا في العرف فانه يقبح من الله تعالى الا ترى ان رجلا لو زين اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل وازال الحايل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلايل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية اما افعال العباد فقد ثبت بالدلايل اليقينية ان خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احدى الصورتين بالاخرى والله اعلم ان يخسف الله بهم ارض البشرية ودركات السفل او ياتيهم العذاب بالمكر والاستدراج من حيث لا يشعرون انه من اين اتاهم من قبل الاعمال الدنيوية او من قبل الاعمال الاخروية او ياخذهم في تقلبهم من اعمال الدنيا الى اعمال الاخرة بالرياء من اعمال الاخرة بالهوى او ياخذهم على تخوف تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فان ربكم لروف بالعباد اذ اعطاهم حسن الاستعداد رحيم حين لا ياخذهم بعد فساد الاستعداد في الحال العلم يتوبون في المال فيقبل توبتهم بالفضل والنوال الى ما خلق الله من شيء وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شيء يتفيؤ ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة يميل بعل اهل السعادة الى اصحاب اليمين واخرى يميل بعل اهل الشقاء الى اصحاب الشمال سجدا لله منقادين لامره مسخرين لما خلقوا لاجله وانما وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة اصحاب الشمال وسجود كل موجود يناسب حاله كما ان تسبيح كل منهم يلايم لسانه وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اراد بالدلالة الاخر الهوى لقوله صلعم ما عبد اله ابغض على الله من الهوى ويجعلون يعني اصحاب النفوس والاهواء لما لا يعلمون لمن لا علم لهم باحوالهم نصيبا بالرياء مما رزقناهم من الطاعات تالله لتسئلن عما كنتم تفترون والسؤال عن المعاملات انما هو بتبديل الصفات وتغير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس ويجعلون لله البنات الظن ان البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبة الى الظلم والجور والتعطيل وعدم الاستقلال بالتاثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سبحانه ولهم ما يشتهون يعني ان كل احد يجب ان يوصف الله بغاية الكمال ويتغير وجهه ذاته على عيب فيه او لا يعلم ان مطلق الكمال لا يليق الا بالواجب الذات وبغير الامكان نقصان يستلزم جميع النقصانات وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل والله اعلم بالصواب

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم

الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ● و

يجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم

ان لهم النار وانهم مفرطون ● تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين

لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ● وما انزلنا

عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة

لقوم يؤمنون ● والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها

ان في ذلك لاية لقوم يسمعون ● وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم

مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين ● ومن ثمرات

النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك

لاية لقوم يعقلون ● واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا

ومن الشجر ومما يعرشون ● ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك

ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في

ذلك لاية لقوم يتفكرون ● والله خلقكم ثم يتوفيكم

ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ان

الله عليم قدير ●

لا جرم في المدنيل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد الاخرون بضمها مسمى للظرف مع الفاء ولا يستقدمون الحسنى وقيل على الاثم ببيتدجم وهو تكلف مفرطون اليم فيه للعطف على موضع لتبين بتقدير الانبياء وهدى يؤمنون موتها يسمعون لعبرة لانه لو وصل اشتبه ما بعده بالوصف للشاربين حسنا يعقلون يعرشون للعطف فلا لعدول للناس يتفكرون شيئا قدير لما حكى عن القوم عظم كفرهم وقطيع قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث انه لا يعاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الاية فزعم بعض الطاعنين في عصمة الانبياء انه اضاف الظلم الى كل الناس والانبياء من جملة الناس فوجب ان يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله ما ترك عليها من دابة فانه لو لم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه وحينئذ لم يصدق انه لم يبق على الارض واحد والجواب لا نسلم عموم الناس في الاية لقوله سبحانه في موضع اخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب او الذين تقدم ذكرهم من المشركين واما قوله من دابة فعن ابن عباس اراد من مشرك يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بها كل من يدب فلعل الهلاك في حق الظلمة يكون عذابا وفي غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح عليه السلام وايضا من المعلوم انه لا احد الا وفي اباءه من يستحق العقاب فلو اهلكوا لبطل نسلهم ولادى الى افناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في حجره بذنب ابن ادم وقيل لو يؤاخذهم بما فرضنا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك وفي قوله بظلمهم دليل على ان الظلم هو المؤثر في العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشاعرة معلوم وهو انه لا يسال عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والداعي ووجوب انتهاء الكل اليه فان بعض الاصوليين الاصل في المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز ان يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله صلعم لا ضرر ولا ضرار في الاسلام ملعون من ضر مسلما ولا ان يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الاية لان كلمة لو وضعت لانتفاء غيره فالاية تقتضي انه تعالى ما اخذ الناس بظلمهم وانه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقايل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والاية لا تنافي ذلك لانها لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم اما على انه لا يؤاخذ ببعض انواع الظلم فلا دليل قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم ان لا يكون محرما لان وجوده ضرر وانه غير مشروع فالذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس وللقايل ان يقول تواتر الادلة على المدلول الواحد غير ممتنع اما قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فعن ابن عباس في رواية عطاء انه يريد اجل القيمة لان معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل اراد منتهى اعمارهم لان المشركين يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقي الاية قد مر تفسيرها في اوايل سورة البقرة والاعراف واعلم انه سبحانه

لانقطع القطر وفي انقطاع القطر انقطاع النبت وفي انقطاع النبت هلاك الدواب ... الا ان يكون فيهم من لا يستحق ... للقاطع ... كما قال الله تعالى ... ولا يرى انهم

قال في هذه السورة ما ترك عليها من دابة وفي سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا
والعرب تجوز ذلك في كلمات لحصولها بين يدي كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلان افضل من عليها واكرم من تحتها ومنها
الغداة انها اليوم لباردة ومنها الاصابع تقول والذي شقهن خمسا من واحدة يعني الاصابع من اليد وانما لم يذكر الظهر في هذه
السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله اولم يسيروا
في الارض وفي قوله ولا في الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن ان يقال لما قال ههنا بظلمهم لم يقل على ظهرها وحين قال هنالك بما كسبوا قال
على ظهرها احترازا عن الجمع بين الظائين لانها تثقل في الكلام وليست لامة في الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما في شرطية واحدة ثم عاد
الى حكاية كلماتهم الحمقاء فقال ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ولا يبعد ان يندرج فيه ساير ما يكرهون من الشركاء
في الرياسة ومن الاستخفاف والتهاون برسلهم ورسالتهم وانهم يجعلون ارذل اموالهم لله واكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال
لرجل من ذوي اليسار كيف يكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب و
انواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والقطع والخرق وما لا يؤبه له اما تستحي من ذلك الموقف ثم قال
وتصف السنتهم الكذب قال الفراء والزجاج ابدل منه قوله ان لهم الحسنى عن مجاهد الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات
ولنا البنون وقال غيره الجنة اي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون حكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون برضوان
الله بسبب هذا القول زعما منهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف يحكمون بذلك وكانوا منكرين القيمة الجواب انه كان
فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ظنا منهم ان الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه
وبتقدير انهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صادقا في دعوى الحشر والقيمة فانه يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا
الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد عليهم
بعد ذلك بقوله لا جرم ان لهم النار قال الزجاج لا رد لقولهم اي ليس الامر كما وصفوا جرم اي كسب ذلك القول ان لهم النار
فان مع ما بعده في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى حق ان لهم النار وانهم مفرطون من قرا بكسر الراء
المخففة فهو من الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز ابو علي الفارسي ان يكون من الافراط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار
ذا جرب ومن قرا بفتحها مخففة فهو من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته فالمعنى انهم متروكون في النار منسيون ومن قرا بكسر
الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات وقرئ بفتح الراء المشددة من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء افرطته بمعنى ايضا فالمراد
انهم مقدمون الى النار معجلون اليها ثم بين سبحانه ان مثل صنيع قريش قد صدر عن ساير الامم فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي رسلا
فزين لهم الشيطان اعمالهم قالت المعتزلة لو كان خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن اي وجه توجه عليه الذم والاشكال
خالق ذلك العمل اجدر بان يكون وليا لهم من الداعي اليه واجيب بان الوسايط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله فهو وليهم
اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او المراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان
الدنيا او اليوم عبارة عن يوم الاخرة الذي يعذبون فيه في النار فهو حكاية الحال الاتية والولي الناصر اي هو ناصرهم يوم القيمة فقط و
المراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور منه النصرة اصلا واذا كان الناصر مخصصا لزم ان لا نصرة بالضرورة قال
ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي
فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما هلك من هلك الا بعد اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي
اختلفوا فيه كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسايبة وتحليل الاشياء
المحرمة كالميتة والدم وهدى ورحمة انتصابهما على انهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف لتبين فانه فعل
المخاطب لا فاعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكلبي وصف القران بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لا ينافي كونه كذلك في حق الكل لتخصيص المؤمنين
بالذكر من حيث قبلوه وانتفعوا به ولما اشتد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات فقال والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد
موتها وفي العنكبوت من بعد موتها لان هنالك سوال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق فقيد الظرف بمن للاستيعاب وايضا حذف من في هذه
السورة موافقة لقوله بعد علم شيئا وانما حذف من هنا بخلاف ما في الحج لانه اجمل الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم
ثم يتوفيكم والمبين في الحج فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة الى آخره فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب الاثبات ان في ذلك لاية لقوم يسمعون
سماع تدبر وتامل فمن لم يسمع تدبرا فكانه اصم ثم استدل بعجايب احوال الحيوانات قائلا وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي
سورة المومنين مما في بطونها فذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد ومعناها جمع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره
على اللفظ وتانيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شايع في القران قال تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي يعني هذا الشيء الطالع وقال ان هذه

تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشيء وعند سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على افعال ويجوز في الكشاف ان يكون تانيثه على انه تكسير نعم
وقيل ان الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام يلحق الاحاد بالجمع والجمع بالاحاد قلت ما ذكر الائمة حسن الا انه لا يقنع جوابا ولعل السر فيه ان
الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه واما في
المؤمنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله ولكم فيها ومنها تاكلون وعليها لم يحتمل ان يكون المراد به البعض فانث
ليكون نصا على ان المراد بها الكل روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال ان استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه
لبنا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يستوبه الدم ولا الفرث
وانكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما الحس فلان الانعام تذبح ذبحا متواليا ولا يرى في كرشها دم ولا لبن واما التجربة فلان
الدم لو كان في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء ان يقيء الدم وليس كذلك بل الحق ان الحيوان اذا تناول العلف حصل في معدته او كرشه هضم
اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني
ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فيذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة
واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة
فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع وهو لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله الدم هناك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان
الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شيء على الوجه اللايق والذكر من كل حيوان اسخن واخف والانثى ابرد وارطب لان بدن الانثى يحتاج
الى مزيد رطوبة لتولد الولد ويتسع بدنها له ثم ان تلك الرطوبة التي كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان في الرحم ينصب بعد
انفصال الجنين الى الثدي ليصير مادة لغذاء الطفل واعلم انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان
غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى ان يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثقل هناك فحينئذ
ينفتح ذلك المنفذ وينزل ذلك الثقل فهذا الانفتاح والانطباق بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتاتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وايضا
انه اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التي في ذلك الماكول والمشروب طابخة لها حتى ينقلب دما دون الاجزاء الكثيفة
من هذه الاعضاء بفعله الخاص لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي وفي وقت يحتاج الطفل
الى الغذاء وتوزعها على جميع البدن في غير ذلك الوقت ثم انه تعالى احدث في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت
المص والحلب فهو بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سايغا للشاربين اي سهل المرور في
الحلق حتى قيل انه لم يغص احد باللبن قط ومن عجايب حال اللبن اجتماعه من اجسام مختلفة الطبايع مع انها واحدة في الحس فمنها الدهن
وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهي باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى الهم الطفل
الصغير مص الثدي عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة وعلم تام وقدرة باهرة قال المحققون في تقليب العشب
في هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سايغا دليل على انه تعالى قادر على تقليب الانسان في اطواره الى ان يصير مستعدا للبقاء الابدي
واللقاء السرمدي قال جار الله من في مما في بطونه للتبعيض وفي قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقوله سقيته من الحوض
وجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كاينا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم
قالت الشافعية ليس بمستنكر ان يسلك المني مسلك البول وهو طاهر كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم طاهرا اما قوله ومن
ثمرات النخيل والاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اذا عصرت وحذف لدلالة ما تقدم
عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف
لاجل التاكيد نظيره قوله زيد في الدار فيها وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور او الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كانه
قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما
منا الا له مقام معلوم اي وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا
لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير
ففي الاية قولان الاول وهو المروي عن الشعبي والنخعي انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في الاية المائدة وهي مدنية
القول الثاني انها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافي الحرمة على ان في الاية تنبيها على الحرمة ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق
الحسن في الذكر فوجب ان السكر لا يكون رزقا حسنا لانه بحسب الشهوة لا بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير
العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر واحتج بان الاية دلت على ان السكر
حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من اثبت

هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ عن ابي علي الجبائي انه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما اخذت منه السن العالية قيل لو شربت
منه ما يتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله كتابا فقال تناولته ايدي الشطار ففتح عندهم ذوي المروات والاقدار وقيل
السكر الطعم قاله ابو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن واحد كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن اعجب احوال
الحيوان حال النحل المناسب عسلها اللبن في موافقة اللذة وفي الخروج من البطن فلذلك افردها بالذكر واوحى ربك يا محمد او الانسان
الى النحل اي الهمها وعلمها على وجه هو اعلم به ولقد حق لغريب امرها وعجيب صنعتها ان يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك انها تبني البيوت
المسدسة من الاضلاع المتساويات التي لا يمكن للعقلاء تركيب امثالها الا بالمساطر والفرجارات وقد علم من الهندسة ان تلك
البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضايعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف
الى هذه الحكمة الدقيقة من الاعاجيب ومن غرايب امرها ان لها رئيسا هو اعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويحملونه ويتبعون
نهيه وامره ومنها انها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع اخر فاذا ارادوا اعودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي
والات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى اوكارها وبالجملة فان غرايب هذا الحيوان اكثر من ان تحصى واشهر
من ان تخفى والغرض ان اشتمال هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحي بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز
ان يقال سمي نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل بواسطتها وهي مونثة في لغة اهل الحجاز ولذلك قال ان اتخذي وهي ان المفسرة لان الايحاء
فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون اي يبنون ويرفعون البعضية لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر
وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن توافقها وتليق بها وكثيرا ما يتعهدها الناس ويصلح احوالها ثم كلي من كل الثمرات اي بعضها من كل نوع تشتهيها فاذا
اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وفهمك في عمل العسل ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها لها وسهلها اطلبها
او من الضمير في فاسلكي وان ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة والمراد فاسلكي ما اكلت في سبل ربك المذللة اي في مسالكها التي
يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا وهي اجوافك ومنافذ ما كلت او اراد انك اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة
الى بيوتك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلاد البعيدة في طلب النجعة ويجوز ان يريد
بقوله ثم كلي اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله ان اتخذي ثم كلي فاسلكي امر فمن الناس من قال لا يبعد
ان يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها من الله امر ونهي ومنهم من انكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرايز وطبايع توجب هذه
الاحوال وتمام الكلام فيه يجيء في سورة النمل لما حدوث العسل من النحل فالاصح عند الاطباء ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث
في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع على اوراق الاشجار فقد يكون كثيرا يجتمع منها اجزاء محسوسة وهي الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا
على الاوراق والازهار وهو الذي الهم تعالى هذا النحل فيلتقط تلك الذرات بافواهها وتاكلها وتغتذي بها فاذا اشبعت التقطت نوبة
اخرى وذهبت بها وصنعتها في بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع في بيوتها شيء محسوس من تلك الاجزاء الطلية فذلك هو العسل ولا يبعد
ان يحصل لتلك الاجزاء في افواهها نوع هضم وتغير ونضج لخاصية فيها فلذلك قال يخرج من بطونها اي من افواهها ومن الناس من زعم ان
النحل ياكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرة ما شاءت ثم انه تعالى يقلب تلك الاجسام في داخل بدنه عسلا ثم انه يقي مرة اخرى فذلك
هو العسل قال العقلاء والقول الاول اقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك انه طل يحدث في
الهواء ويقع على اطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وايضا النحل انما يغتذي بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار ولكن
قوله تعالى يخرج من بطونها شراب اي ما يشرب يعضد القول الثاني وقوله مختلف الوانه اي منه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف
الاماكن وامزجة النحل واختلاف الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية
المشهورة النافعة ولهذا يقع في اكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء فان لكل داء كذلك وعن النبي
صلعم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا
فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما انشط من عقال قال اهل المعاني انه صلعم كان عالما بانه سيظهر نفعه فلهذا
قال كذب بطن اخيك حين لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين
القران والعسل واعلم انه سبحانه ختم الاية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه امر مشاهد محسوس
فنكر ذلك فائدة الحس وانما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القران المنبه على هذه الاية مسموع وختم الاية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر
فالمعرض عنها فقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان امر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لاميرها واتخاذها البيوت على اشكال
يعجز عنها الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا او قيا يقتضي فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجايب احوال الحيوان
اتبعه بعجيب خلق الانسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم عند انقضاء اجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى الخمسة واحد و

وعن علي رضي الله عنه هو خمس وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف دليله قوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا
اي ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفل في النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا او لا يعلم زيادة علم على علمه وقيل
ان الرد الى ارذل العمر ليس في المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب اطالة العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الاية قوله ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان في اربع اولها سن النشو وثانيها سن الوقوف وهو سن
الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء
واصحاب الطبيعي ان بدن الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا عملت في الجسم الرطب قلت
رطوبته فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل ما في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف والوتر والرباط
وساير الاعضاء فاذا تم تكوين البدن وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين من رحم الام ويكون رطوبته بعد زايدة على حرارته فتكون الاعضاء
قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النشو وغايته الى ثلثين او الى خمس وثلثين سنة ثم يصير رطوبات البدن اقل وتكون وافية بحفظ
الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا تكون زايدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين ونهايته الاربعون
ثم تقل الرطوبات بحيث لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وحينئذ يظهر النقصان قليلا الى ستين سنة وهي سن الكهولة ثم يظهر جدا
الى تمام ماية وعشرين سنة قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونه منيا ودما كانت كثيرة ولذلك كانت
الحرارة الغريزية مغمورة ثم انها مع ذلك كانت قوية على تحليل اكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى ان صارت عظما و
غضروفا وعصبا ورباطا فعند ما تولدت الاعضاء وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان تقوى الحرارة الغريزية قوة ازيد مما كانت
قبل ذلك فوجب ان يكون تلك تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد
البدن وليس الامر كذلك لانه انتقل جسم الدم والمني الى ان صار عظما وعصبا اما بعد توليد البدن فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر
عشيره فلما علمنا ان البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه وبوجه اخر الحرارة الحاصلة في بدن الانسان الكامل الغريزية
اما ان يكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل في جوهر النطفة كان
بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن تاثير اصلا واما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة تتزايد بحسب تزايد الجثة
ولا ريب ان تزايدها تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فيلزم ان لا ينهدم البدن الحيواني ابدا وليس كذلك وبوجه ثالث وهو ان الرطوبة
الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب ان تصير اقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن
النقصان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية
حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية ايضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة
الغريزية فاذا قل الغذا ضعف المغتذي فينتهي الامر الى ان لا يبقى من الرطوبة شيء لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب
ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احديهما ضعف الاخرى فينتفي الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت
في تجفيف الرطوبة وتقليلها فلم لا يجوز ان تورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين
الرازي رحمة الله عليه راد عليهم ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وانما تكون الحرارة الغريزية
ضعيفة لو كانت ان لو قلت الرطوبة الغريزية وانما يحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت ان اسناد
هذه الاحوال الى الطبايع والقوى غير ممكن فتعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الاية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح
والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واما الطبيعة فجاهلة عاجزة قلت لا شك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها
ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى والطبايع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسايط والات لموثرها من المبادي والعلل و
الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدا الكل وقد ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية
اخر الامر عن ايرادها البدل ما يحل فيحل الاجل بتقدير العليم الحكيم القدير ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب
والارواح ما ترك على ارض البشرية من صفة من صفات الحيوانية ولكن يؤخر اهل السعادة الى اجلهم وهو افناء صفات النفس بصفات
القلب والروح في حينه واوانه ويؤخر اهل الشقاء الى اوان العكس من ذلك ويجعلون لله ما يكرهون اي يعاملون الله باعمال يكرهون
ان يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة ماء بيان القران فاحيى به الارض ارض قلوب الامم
بعد موتها باخلاقهم على انبيائهم ان في ذلك لاية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم في انعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين
فرث خاطر الشيطان ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سايغا للشاربين جائز الاهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات
واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يحصل منها شرب النفس لسكر النفس تارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة

تطهرعونا تها بالافعال وبالاحوال رياء وسمعة وشهوة والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة
والصدق والطلب شربنا الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت واوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر ان
اتخذي من الجبال بيوتا ارادالاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حرا اسبوعا واسبوعين وشهرا
ولابدان يتنظف كما ان النحل يحترز عن التلوث وفيه ان نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار
ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك نظيره قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحة وثمرات النفوس الرياضات
ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله ومن
كلها اغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك السبل الى ان تصل الى المقعد الصدق عند مليكها فيكون فنا وهما مكاشفات الحق
ومشاهداته فتبنت عند بيها يطعمها ويسقيها فحينئذ يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلفا الالوان من المعاني والاسرار والدقائق
والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية عن ذكر الله والله خلقكم من العدم الى الوجود ثم يتوفكم عن الوجود المجازي ومنكم من يرد الى ارذل العمر
وهو مقام الفناء في الله لكيلا يعلم بعد فناء علمه شيئا يعلمه بل يعلم به الاشياء كما في الله حسبي ونعم الوكيل ٥

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة
الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا
هل يستون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه
اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو
على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شئ قدير والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات في جو
السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم
اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين
والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا و
جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك
البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون

يجحدون بتاء الخطاب ابوبكر وحماد الاخرون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم على امهاتكم بكسرهما حمزة
الباقون بضم الهمزة وفتح الميم الم يروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر
الباقون بفتحها في الرزق لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء يجحدون من الطيبات يكفرون للعطف ولا يستطيعون لابتداء النهي مع فاء
التعقيب الامثال لا يعلمون وجهرا هل يستون الحمد لله لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون مولاه لان الجملة بعد صفة احدهما بخير ثم لا وقف
الى مستقيم لاتحاد الكلام والارض اقرب قدير شيئا للعطف والافئدة لتعلق لعلكم تشكرون السماء للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله
يؤمنون اقامتكم لوقوع جعل على اثاثا الى حين باسكم تسلمون المبين الكافرون لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطوار مراتب العمر
اراد ان يذكر طرفا من ساير احواله لعله يتذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام والا لكن
العاقل رخي البال رديّ الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فلرب ملك يقاد الجنائب
بين يديه ولا يمكنه ركوب واحد منها وربما احضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شئ منها وبازائه انسان كامل
القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ملء بطنه طعاما وللمفسرين في الاية قولان احدهما ان المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى
والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس موالي وبعضهم مماليك وليس للمالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى هو الله فلا تحسبن
الموالي المفضلون انهم يردون على ما بايديهم من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزق لهم اجريته لهم على ايديهم وثانيهما ان المراد الرد على من اثبت
لله شريكا كالصنم او كعيسى فضرب لهم مثلا فقال انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى تتساووا في
المطعم والملبس فالفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ولك ان تقول بمعنى حتى اي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم ان تجعلوا
عبيدي لي شركاء عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلعم يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رأى
عبد بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله وهي انه جعلهم مفضلين لا عبيدا مفضولين يجحدون وجعل عدم
التسوية بينهم وبين عبيدهم من جملة جحود النعمة او جعل اعتقاد اهلية العباد لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود في معنى الكفران فلذلك عداه بالباء
قال ابو عبيد وابو حاتم قراءة الغيبة وهي الكثرى اولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا لظاهره للمسلمين وانهم لا يجحدون نعمة البتة
الحالة الاخرى من احوال الانسان قوله عز من قائل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليكون الانس به اتم ولا ريب ان تخلق الذكور والاناث مستند
الى قدرة الله وتكوينه والطبيعيون قد تكلفوا فيها وجوها قالوا ان المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم
كان الولد ذكرا تاما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن من الانثى وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد

تمامه في الانوثة وان انصب من اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى هذه
العلة ضعيفة فقد راينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقايل ان يقول الكلام في المزاج العضوي
لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض احدهما على الاخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اصل الحفد الاسراع في الخدمة و
الفاعل حافد والجمع حفدة فقيل اراد بها في الاية الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون انفسهم لانهم
الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة لان لذة المنكوح لا تتم الا
الا بعد الفراغ من لذة المطعوم او الفراغ من تحصيل اسبابها واورد من التبعيضية لان كل الطيبات لا تكون الا في الجنة ثم ختم الاية بقوله
افبالباطل يؤمنون فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما عدده في الايات السابقة وقيل
الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله هم يكفرون وفي اخر العنكبوت
وبنعمة الله يكفرون لان تلك الايات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة الضمير الغايب واما في الاية فقد سبق مخاطبات كثيرة فلم يكن بد
من ضمير الغايب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الايات الدالة على الاقرار بالتوحيد انكر صنيع اهل الشرك عليهم قايلا ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت به شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان
شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويكون تاكيدا لا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق
من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق واما الضمير في ولا يستطيعون فعايد الى ما بعد ان قيل لا يملك على اللفظ جمع
بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام الهة والفايدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة
ان يملك بطريق من الطرق فبين تعالى انها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف ان يكون الضمير للكفار اي لا يستطيع
هؤلاء مع انهم احياء متصرفون فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال اي لا تشبهوه بخلقه فان ضارب المثل مشبه حالا
بحال وقصة بقصة وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان اله العالم اجل من ان يعبده الواحد
منا فكانوا يتوسلون الى الاصنام والكواكب كما ان اصاغر الناس يخدمون اكابر حضرة الملك واولئك الاكابر يخدمون الملك فنهوا عن عبادة غير
الحنيفية والاخلاص وعلل النهي بقوله ان الله يعلم ما عليكم من العقاب وانتم لا تعلمون ما في عبادتها من العقاب وفيه ان القياس الذي
توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال ضرب
الله مثلا ثم ابدل من المثل قوله عبدا مملوكا حرا فان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كان مملوكا وقوله لا يقدر على شيء
ليخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالاية على ان العبد لا يملك شيئا وان ملكه السيد لان قوله
لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على ان العبدية اينما وجدت فهي علة للذل والمقهورية وعدم القدرة فيثبت العموم
وهو ان كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وايضا قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا يقتضي ان لا يحصل للقسم الاول هذا الوصف فلو
ملك العبد شيئا صدق عليه ان الله قد اتاه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والاكثرون على ان عدم اقتدار العبد مخصوص بما له
تعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق ايضا قال جار الله الظاهر ان من في قوله من رزقناه موصوفة كانه قيل وحرا
رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة وجمع قوله هل يستوون لانه اراد الاحرار والعبيد وللمعتبرين في ضرب
المثل اقوال فالاكثرون على انه اراد انا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وفرضنا حرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا
فصريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة فكيف يجوز العاقل ان يسوي بين الله القادر
على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله تعالى
وعبوديته والاخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والغرض انهما لا يستويان في الرتبة والشرف
والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم انهما
لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز الحكم بان الاول مساو لرب العالمين الحمد لله
قال ابن عباس اراد الحمد لله على ما فعل باوليائه وانعم عليهم بالتوحيد وقيل الحمد لله كل الحمد لله وليس شيء من الحمد للاصنام لانها لا نعمة
لها حتى يحمد عليها بل اكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد لي وقيل الادق بالخطاب اما من رزقه الله من رزق فاحسانا وبتوفيقه
بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الضعيف الذليل وقيل المقصود ان ما ذكرنا مطابق الغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله على قوة
هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم لا يعلمون ثم ضرب مثلا ثانيا في نفسه وفيما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية
والاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها اعظم المضار ... الابكم هو الذي يولد اخرس وكامة
وقيل هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه اصله

من الغلظ الذي هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الكلام
اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويقوله اينما يوجهه حيثما يرسله لا يات بخير لم ينجح
مطلبه والتوجيه ان ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق هل يستوي هو اي الموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يامر الناس
بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم غير منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الامر
بالعدل يجب ان يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتاتى منه الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين يناقض
كونه ابكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل الاله وما يدعى من دونه اما الابكم فمثل الصنم لانه لا ينطق ولا يقدر على شيء وهو كل على
عابديه لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى اينما يوجهه الصنم لا يات بخير واما الذي يامر بالعدل فهو الله سبحانه وروى
الواحدي باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الاية المتقدمة في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه
ابو الجوار الذي كان ينهاه عنه وهذه الاية نزلت في السيد بن ابي العيص وفي عثمان بن عفان مولاه والاصح ان المقصود من الاية
الاولى كل عبد موصوف بالصفات الذميمة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الاية الثانية كل رجل جاهل عاجز وكل من هو
بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله ولله غيب السموات والارض
اي يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما او اراد بغيبهما يوم القيمة لان علمه غايب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله وما
امر الساعة الا كلمح البصر اللمح النظر بسرعة ولا بعد فيه من زمان يتقلب فيه الحدقة نحو المرئي وكل زمان قابل للتجزية فلذلك قال
او هو اقرب وليس هذا من قبيل المبالغة وانما هو كلام في غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها
الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي وقيل معنى امر الساعة ان اماتة الاحياء واحياء الاموات كلهم يكون في اقرب
وقت واقله ثم اكده بقوله ان الله على كل شيء قدير ثم زاد في التاكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رافته
فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا قال جار الله هو في موضع الحال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في
البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الالات لازالة الجهل
الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فواد كالاغربة
في غراب وهو من جموع القلة التي تستعمل في مقام الكثرة ايضا لعدم ورود غيرها واعلم ان جمهور الحكماء زعموا ان الانسان في مبدا فطرته
خال عن المعارف والعلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر والفواد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم في خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات
عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها في ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق ان كان كافيا في جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض و
انتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم يكن كذلك بل يكون موقوفة على علوم سابقة عليها ولا محالة تنتهي الى البديهيات
قطعا للدور والتسلسل فهي علوم كسبية فظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس الانسانية هو انه تعالى اعطى الحواس والقوى
المدركة للصور الجزئية وعندنا ان النفوس قبل تعلقها بالبدن موجودة عالمة بعلوم جمة هي التي ينبغي ان تسمى بالبديهيات وانما لا يظهر اثارها
عليها عند انفصال الجنين من الام لضعف البدن واشتغالها بتدبيره حتى اذا قوي وتربى ظهرت اثارها شيئا فشيئا وقد برهنا على هذه
المعاني في كتبنا الحكمية فالمراد بقوله لا تعلمون شيئا انه لا يظهر اثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة تكتسب العلوم المتوقفة
على التعلق ومعنى لعلكم تشكرون ارادة ان تصرفوا كل الة فيما خلقت لاجله وليست الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على اخرج ان
يكون جعل السمع والبصر متاخرا عن الاخراج من البطن وقد مر في اول البقرة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انه لم وحد
السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا اخر على كمال القدرة فقال الم يروا الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وساير الاسباب
المواتية لذلك كرقة قوام الهواء والهامها بسط الجناح وقبضه فيه عمل السابح في الماء في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض
في سمت العلو وهو مضاعف عينه ولامه واو وما يمسكهن الا الله بقدرته وباعطاء الالات التي لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة
احوال الانسان قوله وجعل لكم من بيوتكم سكنا هو ما يسكن اليه من بيت والف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب والابنية من
الادم والانطاع تستخفونها اي تعدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم اي في وقت ترحالكم والظعن بفتح العين
وسكونها سير اهل البادية للنجعة ثم استعمل في كل شخوص لسفر ويوم اقامتكم لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من مكان الى مكان ويمكن ان يكون اليوم
على حقيقته اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها ومن اصوافها وهي للضأن واوبارها
وهي للابل واشعارها وهي للمعز اثاثا وهو متاع البيت قال الواحدي لا واحد له وقال ابو زيد الاثاث المال اجمع الابل والغنم والعبيد
والمتاع الواحدة اثاثة قال ابن عباس اراد طنافس وبسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل اصله من اث النبات والشعر يث اذا كثر قيل انه تعالى
عطف قوله ومتاعا على اثاثا فوجب ان يتغايرا فما الفرق واجيب بان الاثاث ما يكتسي به المرء ويستعمله من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش

في المنازل ويتزين به قلت لا يبعد ان يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين كونه اثاثا وكونه مما يتمتع به الى حين اى الى ان
تقضوا اوطاركم منه او الى ان يبلى ويفنى او الى الموت او الى القيمة ثم ان المسافر قد لا يكون له خيام يستظل بها لفقر او لعارض اخر فيحتاج
الى ان يستظل بشجر او جدار او غمام فلذلك قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا وقد يحتاج المسافر الى حصن ياوى اليه في نزوله و
الى ما يدفع به عن نفسه افات الحر والبرد وساير المكاره فلذلك امتن بقوله وجعل لكم من الجبال اكنانا هي جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى
بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة في الجبال وكالغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهي القمصان والثياب من الصوف
والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم لغلبة الحرارة في بلادهم على ان ذكر احد الضدين يغني في الاغلب عن ذكر
الاخر لتلازمهما في الخطور في البال غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال يعني هذا يشمل الرقيق والكثيف والساذج
والمحشو من الثياب وسرابيل تقيكم باسكم كالدروع والجواشن كذلك يتم نعمته اى مثل ما خلق هذه الاشيا لكم وانعم بها عليكم فانه
يتم نعمة الدين والدنيا عليكم لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر
على هذه الانعامات سواه وعنه انه قرا بفتح التاء واللام من السلامة اى تسلم قلوبكم من الشرك او تشكرون فتسلمون من العذاب
وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فقد تمهد عذرك فانما عليك البلاغ المبين وليس اليك الهداية ثم ذمهم بانهم يعرفون
نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وبانها من عند الله ثم ينكرونها بعبادة غير المنعم بها ويقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة
الهتنا ومعنى ثم تبعيد رتبة الانكار عن العرفان وقيل انكارهم قولهم ورثناها من ابائنا او وصل الينا بتربية فلان او انهم لا يستعملونها
في طلب رضوان الله وقيل نعمة الله نبوة محمد صلعم كانوا يعرفونه ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال واكثرهم الكافرون لانه استعمل الاكثر
مقام الكل او اراد البالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين او اراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر الجهل بصدق
الرسول او لانه لم تتم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفسرون قلت ويحتمل ان يراد بالكافرين المصرين الثابتين على كفرهم وقد علم الله ان
في مطلق الكفرة من يؤمن فلهذا الاستثناء هم والله تعالى اعلم فضل الارواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات
بعد الفناء والزلفى البقاء وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل و
التسليم والرضا وفضل النفوس على الابدان في رزق التزكية والتحلية والتخلية وفضل ابدان المومنين على ابدان الكافرين بحمل اعباء الشرع
فما الارواح برادي رزقهم على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس على الابدان افبنعمت الله التي انعم بها على اوليائه يجحدون
يا منكري هذا الحديث والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من ازواجكم بنين وهم القلوب
وحفدة وهي النفوس افبالباطل وهو الزخارف والوساوس يؤمنون وبنعمت الله التي انعم بها على ارباب القلوب يكفرون ويعبدون
من دون الله كالدنيا والهوى ما لا يملك لهم رزقا من سموات القلوب وارض النفوس شيئا من الكمالات التي اودع الله فيهن ولا يستخرج منهما
الا بعبادة الله ولا تستطيعون اخراجها بعبادة غير الله فلا تضربوا لله الامثال بان تريدوا ان تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا للهوى وللدنيا ومن رزقناه ولاية كاملة يتصرف بها في بواطن المستعدين وظواهرهم بل اكثرهم لا يعلمون اولياء الله
لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم غيره علم احدهما ابكم هو النفس الحيوانية التي لا تقدر على شيء من العقل والعلم والايمان وهو كل على مولى الروح
المسمى بالنفس الناطقة لا يات بخير لانها امارة بالسوء ولله غيب سموات الارواح وارض النفوس لا يقف على خاصيتهما غيره ولو وكل كلا منهما
الى طبعهما لم ترجع الى ربها ورجوعها يكون بالاماتة والاحياء غيبتها عن اوصافها وتحييها بصفاته وهو المراد بامر الساعة لان الاماتة بتجلي
صفة الجلال والاحياء بتجلي صفة الجمال واذا تجلى الله عبدا لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك قال او هو اقرب وحينئذ يكون فانيا عن وجوده
باقيا ببقائه والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا من امور الدنيا والاخرة ولا مما كانت ارواحكم تعلم في عالم الارواح ولا مما كانت تعلم
ذراتكم من فهم خطاب الست بربكم وجواب بلى وجعل لاجسادكم السمع والابصار والافئدة كالحيوانات ولارواحكم كالملائكة ولاسراركم سمعا
يسمع به من الله وبصرا يبصر به الله وفؤادا يعرف به الله وبوجه اخر والله اخرجكم من العدم وهو الام الحقيقي لا تعلمون شيئا قبل ان يعلمكم الله اسماء كل شيء
فتجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه اعطاكم سمعا تسمعون بخطاب الست بربكم وبنور بصره اعطاكم بصرا تبصرون بجماله وبنور علمه اعطاكم فؤادا
تعرفون به كماله وبنور كلامه اعطاكم لسانا تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا
تحبون بهذا الفؤاد الا ذاته ولا تكلمون بهذا الكلام الا معه الم يروا الى الطير الارواح مسخرات في جو سماء القلوب ما يمسكهن في سفل الاجساد
الا الله بحكمته فلذلك قال والله جعل لكم بيتها الارواح من بيوتكم وهي الاجساد سكنا وجعل لكم من جلود الانعام التي هي الاجساد اشتركت فيهما سائر
الحيوانات بيوتا تستخفونها ازواحكم ايا ها وهي النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله والوقفة للاستراحة والتربية ومن اصوافها اى الصفات
الحيوانية والحواس والقوى اثاثا الات السير ومتاعا تنتفع بها الى حين الوصول والوصال والله جعل لكم مما خلق ظلالا اى جعل عالم الخلق
ظل عالم الامر تستظل الارواح به عند طلوع شمس التجلي والا لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وجعل لكم من جبال القلوب ما يكن به الارواح

وجعل لارواحكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم من سهام الوساوس
والهواجس كذلك يتم نعمته يحفظكم من الافات ويربيكم بالكرامات حتى يتم نعمة الوصول عليكم وتسلموا من قطع الطريق يعرفون نعمة
الله بتعريفك واكثرهم الكافرون بك وبنعمت الله اظهارا للقهر الله حجبني

ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا
ولا هم يستعتبون ● واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف
عنهم ولا هم ينظرون ● واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ● والقوا الى الله يومئذ
السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ● الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ●
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا
على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة
وبشرى للمسلمين ● ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ●
واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ● ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم
دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به
وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ● ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن

عما كنتم تعملون ● ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ● ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ● ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ● من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ● فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ● انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ● انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ●

ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الاخرون بالياء قرات القران مثل انشانا يستعتبون ولاهم ينظرون من دونك لاختلاف الجملتين مع الفاء لكاذبون للعطف مع انه راس اية يفترون يفسدون على هولاء لواو الاستيناف للمسلمين والبغي لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف تذكرون كيلا يفعلون انكاثا بناء على ان التقدير لتتخذون من امة به تختلفون ويهدي من يشاء يعملون في سبيل الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم قليلا تعلمون باق تعملون طيبة للعدول عن الواحد الى الجمع مع انهما ضمير امن يعملون الرجيم يتوكلون مشركون لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبع اصناف وعيد يوم القيمة والتقدير واذكر يوم نبعث من كل امة شهيدا او يوم نبعث وقعوا فيه وشهيد كل امة نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يوذن للذين كفروا اي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر او في كثرة الكلام او في الرجوع الى دار الدنيا والى التكليف لظهور كونهم ايسين من رحمة الله او المراد ان يسكت اهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود ولاهم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب فلهذا قيل ويحتمل الوجه ما بقي العتاب وقال في الكشاف اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم ان المنع من الكلام اصعب من شهادة الانبياء عليهم واذا راى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب نفسهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ليتوبوا فان التوبة هناك غير موجودة او غير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن النفع دائما كما يقوله المتكلمون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم وهي الاصنام او الشياطين الذين حملوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم في الغي قاله الحسن قالوا ربنا هولاء شركاؤنا الذين كنا ندعو اي نعبدهم من دونك قال ابو مسلم الاصفهاني مقصود المشركين احالة هذا الذنب على هذه الاصنام ظنا منهم ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص منه ونفيه القاضي بان الكفار يعلمون في الاخرة علما ضروريا ان العذاب نزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة في هذا القول والانصاف ان الغريق يتعلق بكل شيء والمبهوت قد يقول ما لا فائدة فيه على ان العلم الضروري الذي ادعاه القاضي ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا خاطئين في عبادتها فالقوا اليهم القول اي قالت الاصنام او الشياطين للكافرين انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين اشاروا الى الاصنام ان هولاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك وقد كانوا صادقين في ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب ان المراد من قولهم هولاء شركاؤنا هولاء شركاء الله في المعبودية فكذبتهم الاصنام في اثبات هذه الشركة وقيل المراد انها تستحق العبادة قال جار الله ان اراد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبي استسلم العابد والمعبود واقروا لله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال اخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله بعد الاباء في الدنيا وضل اي غاب عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وان الهتهم ليشفع لهم حين كذبوهم

وثبوا او هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاصح العموم زدناهم عذابا لاجل الاضلال فوق العذاب الذي استحقوه للضلال وايضا عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ومن المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة انهار من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات امثال البخت وعقارب اشباه البغال انيابها كالنخل الطوال تلسع احديهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم بكونهم مفسدين امور الناس بالصد والاضلال فيعلم منه ان من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيد الله تعالى اجرا على اجر ثم اعاد الى حكاية بعث الشهداء المانيط بها من زيادة فايدتين احديهما كون الشهداء من انفسهم لان كل نبي هو من جنس امته والاخرى ان الشهيد يكون وقتئذ في الامة لا مفارقا اياهم وفسر الاصم الشهيد في هذه الاية بانه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان حتى تشهد عليه وهي الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان ولهذا ذكر لفظة في وصف الشهيد بكونه من انفسهم ثم شرف نبينا صلعم بقوله وجئنا بك شهيدا على هولاء اي على امتك ولا ريب ان في تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله نظيره قوله في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الاية انه لابد في كل عصر من اقوام تقوم الحجة بقولهم يكونون شهداء على غيرهم وهم اهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل ان يقول الامة في الاية هي الجماعة الذين بعث الله النبي اليهم والى من سيوجد منهم الى اخر زمان دينه فيكون نبي تلك الامة هو شهيدا عليهم ولا دلالة للاية الا على هذا القدر فمن اين حصل لك ان اجماع اهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين انه ازاح عللهم فيما كلفوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء اي بيانا له والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء ولم يات غيرهما وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان بيانا لجميع الاحكام لان الاحكام المستنبطة من الاحكام والاجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند الى الكتاب حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وورد فيه ومن يتبع غير سبيل المومنين وجاء فاعتبروا وقال اخرون ان علم الدين كله في القران واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القران فاذن القران واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضايع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في اول احوالهم والرحمة في وسطها وهو معظم العمر بعد الاسلام والبشرى في اوان الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله وابشروا والله اعلم بمراده ولما ذكر ان في القران تبيان كل شيء ذكر عقيبه اية جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال ان الله يامر الاية عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون الجمحي قال ما اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلعم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ رايت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد بمثل ذلك فسالته فقال بينا انا احدثك اذا جبرئيل نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل الاية فقال عثمان فمن وقته استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلعم وعن ابن مسعود اجمع اية في القران وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن الا امر الله تعالى به في هذه الاية وليس من خلق سيء الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو اداء الفرايض وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات شرعا وعرفا واقربها صلة الرحم بالمال فلذلك افردها بالذكر بقوله وايتاء ذي القربى والفحشاء هي الامور المتزايدة في القبح وهي الكبائر وقد يخص بالزناء او بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي الاستطالة قال جار الله حين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المومنين علي كرم الله وجهه اقيمت هذه الاية مقامها و اعلم ان العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وانه واجب الرعاية في جميع الاشياء ولنذكر له امثلة اما في الاعتقاد فالقول بنفي الصانع تعطيل محض واثبات اكثر من اله واحد تشريك وتجزئة والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه ارباب المذاهب ثم ان الاشعري يقول ان القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات الكمال من الحيوة والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر والكلام ونفي غيرها وبعبارة اخرى نفي الصفات تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات الصفات الازلية قديمة غير متغيرة وايضا القول بان العبد لا قدرة له اصلا جبر محض والقول بانه مستقل في التصرف قدر محض وتفويض والعدل امر بين امرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وايضا القول بان الله لا يواخذ عبده بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلد في النار عبده العارف بسبب المعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلة يقررون العدل في هذه الاصول بنوع اخر وقد مر مرارا واما رعاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا الاحتراز عن شيء من المعاصي وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان ان يجتنب كل الطيبات ويبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل اليه حتى التزوج والاولى بالمراد ان يخصي نفسه فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلعم لان التشديد غالب في دين موسى فليس في شرعه على القاتل الا القصاص وحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل ولا تحرم وطي الحائض والعدل ما حكم به شرعنا من جواز العفو واخذ الدية وحرم وطي الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلعم في العبادات قيل له طه ما انزلنا عليك القران لتشقى ولما اخذ قوم في المساهلة نزل
افحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد رعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض العقلاء الحكمة فيه ان راس ذلك
العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي راسه عاريا فيصلب بكثرة ملاقات الثياب وغيرها فيضعف حسه ويقل
شعوره فيقل لذة الوقاع فيقل الرغبة فيه فالاختصاء وقطع الالات كما ذهب اليه المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة في
تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان هذا ما قيل وعندي ان الحكمة في الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة
والافعل اللذة بعد الختان اكثر لملاقاة الحاس المحسوس بلا حايل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون
ومعناه ان مقادير العناصر لو لم تكن معادلة كافية بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وينقلب الطبايع كلها الى
طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من الارض اقل مما هو الان لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان اكثر استولى البرد والجمود
وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وابطايها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه فهذه
اشارة مختصرة الى تحقق العدل واما الاحسان فهو المبالغة في اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان ان
تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ المخلص في اداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه وبالحقيقة يدخل الاحسان انواع التعظيم لامر الله و
الشفقة على خلق الله واشرف انواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم افرد بالذكر كما مر ثم انه تعالى اودع في نفس البشرية قوى اربع الشهوية
البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لا تحتاج الى التهذيب لانها من نتايج الارواح القدسية
واما الثلث الاول فتحتاج الى التهذيب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل في اثار القوة
الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير استحقاق والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع
وحب الرياسة والتقدم ممن ليس اهلا لذلك واخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية واوسطها الغضبية واعلاها الوهمية فلهذا بدا
سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان اصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الاية لا جرم ختمها بقوله يعظكم لعلكم تذكرون لانها كافية
في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة قال الكعبي في الاية دلالة على انه تعالى لا يخلق الجور و
الفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا واعلم انه لا يلزم من ارادة الله تذكر العبد والتذكر من فعل الله تعالى
لا من فعل العبد ان يريد الله منه التذكر فان طلب اليقين في وسعه محال فمعنى لعلكم تذكرون ارادة ان تكونوا على حالة التذكر لا ارادة ان تحصلوا التذكر
ثم خص من جملة المامورات الوفاء بالعهد فقال واوفوا بعهد الله خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله صلعم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرايع وقيل هو اليمين والاصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره
بدليل قوله اذا عاهدتم وقول من قال العهد هو اليمين يلزم ان يكون عطف قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله تكرارا
واكد ووكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل وفي الاية دلالة على الفرق بين الايمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله
وبلى والله وايضا الاية من العمومات التي دخلها التخصيص لما روي انه صلعم قال من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات بالذي هو خير ثم ليكفر
وقد مر بحث الايمان في البقرة وفي المايدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الاية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا ورقيبا
لان الكفيل مراع للمكفول به ان الله يعلم ما تفعلون فيجازيكم بحسب ذلك خيرا او شرا وفيه ترغيب وترهيب ثم اكد وجوب الوفاء وتحريم
النقض بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة اي من بعد قوة الغزل بابرامها وفتلها قال الزجاج انتصب انكاثا على المصدر
لان معنى نقضت نكثت وزيف بان انكاثا ليس مصدرا وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول
ثان كما تقول كسره اقطاعا وفرقه اجزاء اي جعله اقطاعا واجزاء فكذا ههنا اي جعلت غزلها انكاثا قلت ويحتمل ان يكون حالا مؤكدة قال
ابن قتيبة هذه الاية متصلة بما قبلها والتقدير واوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امراة غزلت غزلا واحكمته
ثم جعلته انكاثا فعلى هذا المشبه به امراة غير معينة ولا حاجة في التشبيه الى ان يكون المشبه به موجودا في الخارج وقيل المراد امراة معينة
من قريش ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفي الحديد في راس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها
وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لا تتخذوا اي لا تنقضوا
ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودخلا وقال الواحدي اي غشا وخيانة وقال الجوهري اي مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما ادخل
في الشيء على فساد وقوله ان تكون امة اي لان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى واوفر عددا ومالا من امة جماعة المؤمنين قال مجاهد
كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان اعز منهم واشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم اعز وامنع انما يبلوكم الله به
اي بما امركم ونهاكم ومعنى تقدم ذكر الامر والنهي وقال جار الله الضمير لقوله لان في معنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء
مع قلة المؤمنين وفقرهم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وانذرهم بقوله وليبينن لكم يوم القيمة ما

التمويهات والكرامات للاولياء وبعض البركات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمؤمنون
على الباطل فتنقضون عهودهم ثم بين انه سبحانه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وساير ابواب الايمان ولكنه بحكم الالهية
يضل من يشاء ويهدي من يشاء والمعتزلة حملوا المشية على مشية الالجاء بدليل قوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد
بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا اجابت الاشاعرة بانه لا يسال عما يفعل روى الواحدي ان عزيرا قال يا رب خلقت الخلق فتضل
من تشاء وتهدي من تشاء فقال يا عزير اعرض عن هذا فاعادها ثانيا فقال اعرض عن هذا والا محوت اسمك عن النبوة قال المفسرون
لما نهاهم عن نقض مطلق الايمان اراد ان ينهاهم عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلعم والدليل
على هذا التخصيص قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا الوعيد لا يليق بنقض عهد قبيله وانما يليق بنقض عهد النبي صلعم قال جار الله
وحدت القدم ونكرت للاستعظام ان تزل قدم واحد عن طريق الحق بعد ان ثبت عليه فكيف باقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع
في بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض عهد الاسلام فقد زلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى دركات
الهاوية بيانه قوله وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم غير الله عن سبيل الله لان المرتد يقتدي به غيره ولكم عذاب
عظيم في الاخرة ويحتمل ان يراد ان ذلك السوء الذي تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوما اسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان
نقض البيعة لكونهم مستضعفين هناك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان يعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام
فقال ولا تشتروا الاية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير وما عندكم ينفد وما عند الله باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق
لا اصله ما لا ينقطع وقال الجهم بن صفوان انه منقطع والاية حجة عليه ولنجزين الذين صبروا على ما التزموه من شرايع الاسلام اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون اي بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب او نجزيهم بجزاء اشرف واوفر من عملهم كقوله
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ثم عمم الوعد على اي عمل كان فقال من عمل صالحا والكلام في عمومها الا انه زاد قوله من ذكر او انثى تاكيدا وازالة
توهم التخصيص والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلايل الكرم ثم جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال وهو مؤمن
فاستدل به على ان الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشيء مغاير لذلك الشيء واختلف في الحيوة الطيبة فقيل هي في الجنة عن الحسن
وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان في الدنيا لا يخلو من مشقة واذية ومكروه لقوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
فملاقيه بين ان هذا الكدح وهو التعب في العمل باق الى ان يصل الى ربه واما بعد ذلك فحيوة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض وملك
بلا زوال وسعادة بلا اشتغال وقال السدي هذه الحيوة في القبر والاكثرون على انها في الدنيا لقوله بعد ذلك ولنجزينهم اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون وعلى هذا قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع اكل الحلال وقيل القناعة وقد نقل يوم كان النبي صلعم يدعو اللهم اجعل
رزق ال محمد كفافا قال المحققون هذا هو المختار لان المؤمن الذي صلح عمله ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فمعه القنوع والعفة
والرضا بالقضاء ما يطيب عيشه واما الكافر والفاجر فان الحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه ابدا ويعظم اسفه على ما يفوته لانه عانق الدنيا
معانقة العاشق المعشوق بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما يفرغ لحب الدنيا مالها وجاهها ويستوي عنده
وجودها وعدمها وخيرها وشرها ونفعها وضرها وبركة الصلوح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من اهلها ثم ان ظاهر الاية يقتضي
ان العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الخير مطلقا يفيد اثرا مطلقا
فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال فاذا قرات القران اي اردت قراءته اطلاقا لاسم المسبب على
السبب وقد مر بحث الاستعاذة في اول هذا الكتاب انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وهذا معنى الاستعاذة
فان معناها بالحقيقة راجع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه انما سلطانه على الذين يتولونه عن ابن
عباس اي يطيعونه يقال توليته اي اطعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه الضمير للواحد في قوله والذين هم به مشركون فقيل راجع الى الرب
وقيل الى الشيطان اي بسببه ويوم نبعث فيه اشارة الى ان للارواح الانبياء اشرافا على اممهم في حال حيوتهم وبعد وفاتهم في
ان الدنيا مزرعة الاخرة فلا يقبل في القيمة اعتذار واذا راى الذين ظلموا اي وضعوا الكفر واعمال الطبيعة موضع الايمان واعمال الطبيعة
موضع الايمان واعمال الشريعة فلا يخفف عن ارواحهم اثقال الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا راى الذين
اشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون في انا دعوناكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وصدوا عن سبيل الله منعوا الارواح
والقلوب عن طلب الله زدناهم عذابا لحرمان عن الكمال فوق خسران النقصان بافساد الاستعداد الفطري وجئنا بك شهيدا لانه روحه شاهد
على جميع الارواح والقلوب والنفوس لقوله صلعم اول ما خلق الله روحي تبيانا لكل شيء يحتاج اليه السالك في اثناء سلوكه ان الله يامر بالعدل
وهو وضع الالات والاسباب لتحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى مقام الوصال والكمال والاحسان وهو ان تحسن الى الخلق بما اعطاك
الله كقوله واحسن كما احسن الله اليك وفي قوله وايتاء ذي القربى اشارة الى ان من جملة العدالة رعاية حال الاقرب فبدا بتكميل نفسه ثم

يحسن

بما هو اقرب اليه قربا معنويا لا صوريا وينهى عن الفحشاء ويوصون ما آتاه الله في غير مصرفها والمنكر وهو ضد المعروف وهو ان لا
الى غيره وهو ان لا يراعي الترتيب المذكور في باب الارشاد والتكميل واوفوا بعهد الله يوم الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
وفائكم ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد المرتد ان تكون امة هي اهل الدنيا الى الدنيا اعلى حالا من امة هم اهل الآخرة
ولا تتخذوا ايمانكم عهودكم مع المشايخ شبكة تصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل تكون لمة اقدامكم عن صراط الطلب من
ذكر او انثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحيوة الطيبة
النفس ان تصير مطمئنة مستعدة لقبول الفيض ارجعي الى ربك وللقلب ان تصير فانيا عن انانيته باقيا بشهود الحق وجماله وحينئذ
يطيب عن دنس الاثنينية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلعم ظاهرا وبالحقيقة هو لامته لانه شيطانه اسلم على يده فلم
يحتج الى الاستعاذة فلم يستعذ من شيطانه بل هو وخواص امته لقوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وفيه ان الشيطان ليس له
تسلط على اولياء الله الا بالوسوسة وفيها صلاح المومن فان ابريز اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة
لان المومن يطلع على بقايا صفات نفسه بما يكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة وملازمة الذكر حتى ينمحي تلك البقايا والله
الموفق والملهم ٥

واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم
لا يعلمون ۝ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى
وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ۝ ان الذين لا يؤمنون بايات الله
لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم ۝ انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بايات الله واولئك هم الكاذبون ۝ من كفر بالله من بعد ايمانه الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ۝ ذلك بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ۝ اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون ۝
لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ۝ ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ۝
يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم
لا يظلمون ۝ وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها

رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون ۝ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون ۝ انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فان الله غفور رحيم ۝ ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم ۝
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون ۝ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم
تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ۝ ان ابرهيم
كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ۝ شاكرا لانعمه
اجتبيه وهديه الى صراط مستقيم ۝ واتيناه في الدنيا حسنة وانه في
الاخرة لمن الصالحين ۝ ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما
كان من المشركين ۝ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان
ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ۝ ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ۝ واصبر وما صبرك الا بالله

ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ● ان الله مع الذين اتقوا ● والذين ● هم ● محسنون

ما ينزل من الانزال
ابن كثير وابو عمرو ويلحدون بفتح الياء

والحاء حمزة وعلي وخلف فتنوا مبنيا للفاعل ابن عامر والجوع والخوف بالنصب عباس ابراهام هشام ومابعده والاخفش عن ابن ذكوان
في ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك في النمل الاخرون بالفتح مكان اية لان جواب اذا وهو قالوا وقوله والله اعلم بما ينزل جملة
معترضة معتد لا يعلمون للمسلمين بشرى مبين بايات الله لان ما بعده خبر ان اليم بايات الله لاختلاف الجملتين مع العطف الكاذبون
غضب من الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم على الاخرة للعطف الكافرين وابصارهم لاختلاف جملتين الغافلون الخاسرون
وصبروا لان الثانية تكرار الاولى لطول الكلام بصلته وخبرهما واحد رحيم لايظلمون يصنعون ظالمون طيبا لعطف المتفق
تعبدون لغير الله رحيم على الله الكذب لايفلحون قليل لعطف المتفقين ولاسيما اذا اقلهم متاع اليم من قبل لابتداء
النفي مع العطف يظلمون واصلحوا المأمر رحيم حنيفا من المشركين اختلفوا فيه يختلفون احسن بالمهتدين عوقبتم به للصابرين
يمكرون محسنون هذا شروع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلعم قال ابن عباس كان اذا انزلت اية فيها شدة ثم نزلت
اية منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا وانه لايقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل واذا بدلنا
ومعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره وتبديل الاية رفعها باية اخرى غيرها وهو نسخها باية سواها والله اعلم بما ينزل شيئا فشيئا على حسب المصالح
مغلظا ثم مخففا او بالعكس بل اكثرهم لايعلمون فوايد النسخ والتبديل قالوا ابو مسلم اراد تبديل اية مكان اية في الكتب المتقدمة مثل اية تحويل
القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء اطبقوا على ان المراد بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي ان القران لاينسخ بالسنة لانه تعالى اخبر
بتبديل الاية مكان الاية وضعفه انه لايلزم من وجود التبديل بالاية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لادلالة في الاية على الحصر
وقد مر مباحث النسخ منفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله اي القران روح القدس هو جبريل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد
الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم من ربك صلة نزله اي ابتداء تنزيله من عنده وقوله بالحق حال اي ملتبسا بالحكمة والصواب ليثبت الذين
امنوا كقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فيقولوا كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا كل منهما في وقته خير وصلاح لان الذي نزله
حكيم لايفعل الا ما هو خير في اوانه وصواب بالنسبة الى المكلف وحين ما كلف به وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم
وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ثم حكى شبهة اخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص و
الاخبار من انسان اخر ويتعلمها منه واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلام لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش
وكان صاحب كتب وقيل جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل
فكان رسول الله صلعم اذا وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان الفارسي ثم اجاب عن شبهتهم فقال لسان الذي
واللسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
وقد مر في اخر الاعراف ان تركيب لحد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه مال بمذهبه عن الاديان كلها قال ابو الفتح الموصلي تركيب ع ج م يدل
على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره فيها سريرة واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته ثم ان العرب تسمي كل من لايعرف لسانهم ولا
يتكلم بلغتهم اعجميا وقالوا زيادة الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وحاصل الجواب هب ان محمدا يتعلم المعاني من ذلك الرجل الا انه لا يفلح
في المقصود لان القران بفصاحته اللفظية ايضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله ان الذين لايؤمنون بايات الله لايهديهم الله يعني ان
سبب عدم ايمانهم هو ان الله لايهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بان الله لايهديهم الى طريق الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا
التفسير يناسب اصول المعتزلة فلا ادري كيف مال اليه ثم لما بين انهم ليسوا مظاهر اللطف وكان قد بني الامر في جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم
من انه يتعلم من ذلك البشر اراد ان يبين ان الذي قالوا غير صحيح ولا صادق في نفس الامر فقال انما يفتري الكذب وفيه ايضا رد لقولهم انما انت
مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لايؤمن لانه لايترقب عقابا على الافتراء واولئك اشارة الى قريش او الى الذين لايؤمنون اي هم الذين
لايؤمنون فهم الكاذبون او هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم الكذب او هم الذين من شانهم الكذب
وذلك تحيز ابهم ومحيهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ومما يدل على كذبهم عقلا انهم اعداء له وكان الذي
من الخيانات ولا شهادة لهم وايضا ان امر التعليم والتعلم لايتم في مجلس واحد لكنه يحتاج الى ازمنة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر و
ايضا ان العلوم الموجودة في القران كثيرة والمعلم يجب ان يكون اعلى حالا من المتعلم فلو كان مثل هذا العالم الذي يتعلم منه مثل النبي موجودا في ذلك
العصر لعرف حاله وحال الناس اليه دون النبي قال بعض علماء المعاني عطف الجملة الاسمية هي قوله واولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهي فعلية

دالة على من اقدم على الكذب فانه دخل على الكفر تنبيها على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما تقول كذبت وانت كاذب زيادة في الوصف
بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء اعظم من انكار الالهية والنبوة روي ان النبي صلعم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ
هذه الاية ثم انه سبحانه من كمال عنايته اراد ان يفرق بين الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء
في اعرابه فالاكثرون على انه بدل اما من الذين لايؤمنون بايات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب صفة من كفر واستثنى
منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب واما من المبتدا الذي
هو اولئك او من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم اي اخص واعني من كفر وجوز بعضهم ان يكون من شرطية والجواب محذوف
لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر وجوز بعضهم ان يكون من شرطية والجواب
محذوف لان من جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وانما صح استثناء
المكره من الكافر مع انه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء وقال ابن عباس نزلت في
عمار بن ياسر وذلك ان المشركين بمكة اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانها ربطت
بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فانه
اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فاخبر رسول الله صلعم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه
فاتى عمار رسول الله صلعم وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فمن هنا حكم العلماء بان الاكراه يجوز التلفظ
بكلمة الكفر وحد الاكراه ان يعذب بعذاب لاطاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وسائر الايلامات القوية واجمعوا على ان
قلبه عند ذلك يجب ان يكون متبرءا عن الرضا بالكفر وان يقتصر على التعريض ما امكن مثل ان يقول ان محمدا كذاب يعني عند الكفار او
يعني به محمدا اخر ويكون على نية الاسلام بمعنى الانكار وانا مجله من اكرهه من احضار هذه النية او لانه لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه
النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى يصرح بالكفر من غير تورية وطلب منه ان يقول لا اؤمن بالله سوى ما اذكر
بلساني فههنا يتعين اما الكذب واما توطين النفس للعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب حينئذ ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره
القاضي لان الكذب انما يقبح لكونه كذبا فوجب ان يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لرعاية بعض المصالح لم يمتنع ان يفعل الله الكذب
لمصلحة ما وحينئذ لايبقى وثوق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها ان يجب الفعل المكره عليه كما لو اكره على شرب الخمر واكل الميتة لما فيه من صون
النفس مع عدم اضرار بالغير ولا اهانة لحق الله ومنها ان يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو اكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روي ان بلالا صبر على
العذاب وكان يقول احد احد ولم يقل رسول الله صلعم بئسما فعلت بل عظموه ولان في ترك التقية والصبر على القتل اعزاز
للاسلام ومنها انه لايجب ولا يباح بل يحرم كما اذا اكره على قتل انسان او على قطع عضو من اعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الاصلية
وحينئذ لو قتل فللعلماء قولان احدهما لايلزم القصاص وبه قال ابو حنيفة والشافعي في احد قوليه لانه قتله دفعا عن نفسه فاشبه
قتل الصائل ولانه كالالة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال احمد والشافعي في اصح قوليه ان عليه القصاص لانه
قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كما لو قتل المضطر انسانا فاكله ومن الافعال ما لايمكن الاكراه عليه قيل وهو الزنى لان الاكراه يوجب
الخوف الشديد وذلك يمنع من الانتشار والالة فلو دخل الزنى في الوجود علم انه وقع بالاختيار لا بالاكراه والاصح ان الاكراه فيه متصور
وان الحد يسقط حينئذ وعن ابي حنيفة انه ان اكره السلطان لم يجب الحد وان اكره بعض الرعية وجب قال بعض الاصوليين في قوله وقلبه
مطمئن بالايمان دلالة على ان محل الايمان هو القلب ثم اما القلب الاعتقاد ان كان الايمان معرفة واما كلام النفس ان كان تصديقا
وانتصاب صدرا على التمييز واصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب للمبالغة ولبناء الكلام على الابهام ثم التفسير قوله ذلك
بانهم اي ذلك الارتداد بسبب انهم رجحوا الدنيا على الاخرة ولاجل انه تعالى ما هداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك
الوعيد والغضب والعقاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في تفسيره بين الاشاعرة
والمعتزلة قد مر في اول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة الى الاعادة اولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ غفلوا عن تدبر
العواقب لاجرم انهم في الاخرة هم الخاسرون وقال في اوائل سورة هود هم الاخسرون لان اولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا
واضلوا فلا جرم ضوعف لهم العذاب فهم الاخسرون وهؤلاء لم يصدوا فهم الخاسرون ويمكن ان يقال ان ما قبل الفواصل في تلك
السورة لم يعتمد على الفعل قبلها مثل يبصرون يفترون وفي هذه السورة اعتمدت على الافعال مثل الكافرين الكاذبين فجاء في كل سورة على ما يناسبها
ولما ذكر حال من اكره اتبعه حال من هاجر من بعد ما فتنوا قال جار الله معنى ثم ان ربك تباعد حال هؤلاء من حال عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم
لهم لا عليهم فينصرهم ولا يخذلهم ويحتمل ان يكون للجار متعلقا بالخبر على نية التاخير وتكرير ان لطول الكلام من قرا من بعدما فتنوا بفتح الفاء مبنيا
للفاعل فوجهه ان فتن وافتتن بمعنى واحد او المراد اولئك الضعفاء المذكورون اكلمة الكفر على سبيل التقية وكانهم فتنوا انفسهم لان الرخصة

في اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعدها واراد ان اكابر المشركين الذين اذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى
ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرا بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد ان المستضعفين المعذبين الذين حملهم اقوياء المشركين على الردة والرجوع
من الايمان ان هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن اولاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة
فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في رسول الله ثم اسلموا وهاجروا فنزلت الاية فيهم فمعنى ثم تبعيد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد
والشك في امر الرسول الا انه سبحانه بكرمه يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح امر النبي صلعم بقتله
فاستجار له عثمان فاجاره رسول الله صلعم ثم انه اسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح لو جعلنا الاية مدنية ومثله ما روى عن قتادة
انه لما انزل الله ان اهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا وكتب بها اهل المدينة الى اصحابهم من اهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون
فردوهم فنزلت الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم على ان يخرجوا فان لحق بهم المشركون
من اهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا او يلحقوا بالله فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزلت هذه الاية والضمير في قوله
من بعدها يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة والجهاد والصبر فالحاصل ان الاية اما نازلة فيمن عذب فلم يرتد ومع ذلك هاجروا
وجاهدوا واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب وقام بما يجب القيام به فوعده الله المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم تاتي منصوب بقوله
رحيم او باضمار اذكر او ذكرهم او انذرهم ومعنى الاية ظاهر الا ان في قوله عن نفسها اشكالا من حيث اضافة النفس الى ضمير النفس و
اجيب بان المراد بالنفس الاولى جملة بدن الحي وبالنفس الثانية الذات فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره
ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وعن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا
نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول يا رب نفسي نفسي حتى ان ابرهيم الخليل يفعل ذلك ثم اوعد الكفار بافات الدنيا ايضا فقال وضرب الله
مثلا قرية يحتمل ان يكون مقدرة وان يكون معينة موجودة اما مكة او غيرها وذهب كثير من المفسرين الى انها مكة والاقرب انها غيرها لان
مثل مكة يكون غير مكة فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله
تعالى تلك القرية بالامن ثم بالاطمينان اشارة الى ان هواء ذلك البلد لاعتداله ملائم لامزجة اهليه حتى اطمانوا واستقروا ولم يحوجوا
الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال ياتيها رزقها رغدا من كل مكان دلالة على حصول الكفاف لهم بايسر وجه قال في الكشاف الانعم جمع نعمة على
ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس قلت لعله حمله على ذلك طلب الضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا
اذا اطلق الاكثر ان انعم فعله يجي على افعل وقيل انما ذكر جمع القلة تنبيها بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة يوجب العذاب
فكيف بكفران النعم الكثيرة وهذا مثل لاهل مكة كانوا في الامن والطمانينة والخصب ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلعم فكفروا
به وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز والقد وكان النبي صلعم
يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم نقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابي لا باس ايها النسناس
هب ان محمدا ما كان نبيا اما كان عربيا كانه طعن في الاية ان المناسب ان يقول فكساها الله لباس الجوع او فاذاقها الله طعم الجوع فرد
عليه ابن الاعرابي والذي اجابه علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما غشي الانسان من بعض الحوادث
كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف لان اطلاق الذوق
على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون اذاق فلان البوس والضر واذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة
ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد سلف منا تقرير هذا الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان
كان مستحسنا من جهة المبالغة الا ان للتجريد ترجيحا من حيث انه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان اصل الذوق
بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف والاختبار يقال ناظر فلانا فاذوق ما عنده قال ومن يذق الدنيا فاني طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها فمعنى فاذاقها لباس الجوع والخوف على هذا انه عرفت ما ظهر عليهم من الضمور وشحوبة اللون وتغير الحال وكسوف
البال فتجوز الاية عرفها الله اثر لباس الجوع والخوف وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون قال ابن عباس بتكذيبهم بالنبي صلعم من التكذيب والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات اجريت على
القرية الا قوله يصنعون تنبيها على ان المراد في الحقيقة اهلها ولما ذكر المثل والممثل قال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم من انفسهم
يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون قال ابن عباس يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم
بدر قيل ان قول ابن عباس اولى والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم فاتركوا الكفر فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فاكل الغنائم مسبب عن ترك
الكفر فلذلك وصل بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلعم حين جهدوا وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان
وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله صلعم فاذن في الحمل للطعام اليهم فلذلك قوله فكلوا ووجه قول ابن عباس انه تعالى قال

بعد ذلك

بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم وانه
سبحانه عاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة والانعام وفي هذه السورة قطعا للاعذار وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار في
الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان عنها كتحليل الميتة والدم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب قال الكشاف واللام
ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف السنتكم قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب وللنحاة نصب الكذب
بتصف وتجعل ما مصدرية ايضا اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم
من غير حجة ودليل ويجوز ان يكون ما موصولة اي ولا تقولوا للذي تصف السنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظة فيه لكونه معلوما وقوله
تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كان ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف
السحر واللام في قوله لتفتروا لام العاقبة لا الغرض والمقصود من ذكره بيان انه كذب على الله فان قولهم لما تصف السنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان
ثم اوعد المفترين بقوله ان الذين يفترون الاية وقوله متاع قال الزجاج اي متاعهم وعن ابن عباس اراد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم
فيما هم عليه من افعال الجاهلية وان نعيم الدنيا كلها يزول عنهم عما قريب ويبقى العقاب الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ثم قال وما ظلمناهم كقوله هناك
ذلك جزيناهم ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة في موضع الحال
اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متاملين في وخامة عاقبته لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعدها من بعد تلك
السيئة او التوبة او الجهالة ولما بالغ في ابطال مذاهب المشركين وفي الجواب عن شبهاتهم ومطاعنهم وكان ابرهيم عم رئيس الموحدين وقدوة
اكابر النبيين ذكره الله تعالى في اخر هذه السورة قال ان ابرهيم كان امة اي هو وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير وليس على الله
بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه امة وكان رسول الله صلعم يقول في زيد بن عمرو
بن نفيل يبعثه الله امة وحده وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه اربعة عشر رجلا يدفع الله بهم عن اهل الارض الا زمن ابرهيم عم فانه وحده وقيل
امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه افعال الخير او بمعنى مؤتم به كقوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق السبب على
المسبب فيه حصلت الامة الانبياء من صلبه قانتا لله قائما بما يامره الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا مائلا الى ملة الاسلام ميلا
لا يزول عنه وقال ابن عباس المراد انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى ولم يك من المشركين قط لا في الصغر ولا في الكبر شاكرا لانعمه
وان كانت قليلة فضلا عن النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة
البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي ان الله حببه الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال و
الاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين في اعلى مقاماتهم من الجنة تحقيقا لدعائه والحقني
بالصالحين قال في الكشاف في ثم في قوله ثم اوحينا اليك تبعيد هذا النعت عن سائر النعوت التي اثنى الله بها على ابرهيم ليعلم ان اجل ما
اوتي خليل الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما وغيره كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال اهل النظم كان
لسائل ان يقول لم اختار اليهود السبت مع ان ابرهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله تعالى سبحانه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه
فاختاره بعضهم للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة
ايام يوما واحدا فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت و
شدد عليهم ثم جاء عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة عن النبي صلعم
ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف
السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا
الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول الاول بان اليهود متفقون على تعيين
يوم السبت للفراغة ويمكن ان يقال لعل فيهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم وقع الاختلاف سوال النصارى يقولون ان يوم الاحد مبداء
الخلق والتكوين على ما اتفق عليه اهل الملل انه تعالى خلق العالم في ستة ايام اولها الاحد فجعله عيدا معقول واليهود قالت ان يوم السبت
هو اليوم الذي فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فما وجه جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو ان يوم الجمعة يوم التمام والكمال
وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا اولى فيه ثم اوعد اليهود بقوله وان ربك ليحكم الى اخره ولما امر محمدا باتباع ابرهيم عم بين وجه
المتابعة فقال ادع الى سبيل ربك الاية وفيه ان طريقة ابرهيم عم في الدعوة كانت هكذا وتقرير ذلك ان الداعي الى مذهب ونحلة لا بد ان
يكون قوله مبنيا على حجة وهي اما ان تكون يقينية قطعية مبراة من شائبة احتمال النقيض واما ان تكون مفيدة للظن القوي والاقناع

التام والا لم يكن ملتفتا اليها في العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج حينئذ الى الزامه واقحامه بدليل
مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او من الجدال والخصام غالبا الى مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة
الى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما يكون مع الطالبين البالغين في الاستعداد الى درجة الكمال
وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة واهل هذه المكالمة اقوام
انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى لانهم باقون على الفطرة الاصلية طاهرون عن درن الشغب وكدورات الجدال وهم عامة
الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان لكن الداعي قد يضطر مع الخصم الالد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف
على الدعوة قوله وجادلهم بالتي اى بالطريقة التي هي احسن فكان طريق الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعي اليه لاجل
كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا فان كان مبطلا واراد تغليط السامع لم يكن جداله
حسنا ويسمى حيلة ومغالطة هذا ينبغي ان يتصور تفسير هذه الاية فان كلام المفسرين الظاهرين فيه غير مضبوط وجوز في
الكشاف ان يريد القران اى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم باحسن طرق المجادلة من الرفق واللين
من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس الى النبي وانما ذلك الى الله
فقال ان ربك هو اعلم الاية اى هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدوراتها وصفائها وبمن جعل الدعوة سببا
لسعادتها او واسطة لشقائها ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المالوف والفطام منه شديد
وربما تنجر المقاولة الى المقاتلة فحينئذ امر الداعي واتباعه برعاية العدل والانصاف في حال القتال قائلا وان عاقبتم
اى ان رغبتم في استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه والاية عامة وتخصيصها رواة اسباب
النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به
الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلعم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به ان
اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده قاله ابن عباس في رواية عطا وابي بن كعب ومن
هنا ذهبوا الى ان خواتيم سورة النحل مدنية ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور
وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدؤوا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا قال مجاهد والنخعي وابن سيرين انه نهي المظلوم استيفاء
الزيادة من الظالم في قوله وان عاقبتم رمز الى ان الاولى له ان لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت تاكل الفاكهة فكل
التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح قائلا ولئن صبرتم لهو خير اى صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء
من الله عليهم او وصفا لهم بالصفة التي تحصل لهم او اخبر الصبر خير للصابرين جنسهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر
ما يفيد سهولة الصبر على النفس فقال وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا سبب كلي معين للصبر و
اما السبب الجزئي القريب فذلك قوله ولا تحزن ولا تك وذلك ان اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان
الغضب وانما يهيج الا عند فوات نفع واشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم قيل اى على قتلى احد وقيل على الكافرين كقوله فلا تاس
على القوم الكافرين ولا تحزن [illegible] في المستقبل واشار الى ذلك بقوله ولا تك في ضيق من قرأ بكسر الضاد وظاهره هو
من الكلام المقلوب الذي يشجع عليه امن الالتباس لان الضيق وصف ويكون في الانسان ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة اخرى
هو ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب [illegible] مختص حقيق و
[illegible]
حمزة [illegible] المامورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين اتقوا
المعاصي كلها والذين هم محسنون في الطاعات [illegible] والله مخلصهم عن سوء اسباب الفناء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء
الزيادة والذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فان اردت ان تكون [illegible] بالنصر والتاييد فكن من المتقين ومن المحسنين
وفيه ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين [illegible] اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم
محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق [illegible]
فقيل له اوصيه فقال انما الوصية [illegible] ختم سورة النحل
القران امراض القلوب في كل وقت بنوع اخر علاج حسب ما يعلم من المصالح [illegible]
استلي للطبيب ومعالجة حتى صار [illegible]

على معرفة الامراض وكميتها وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة الامزجة واختلاف احوالها وان القلوب
بيد الله يقلبها كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابرهيم م واذا مرضت فهو يشفين اللهم اذا علم بتعليم الله
كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي هو الذي لا يفهم من كلام الله اسراره وحقائقه والعربي
ضده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفتري الكذب لان الافتراء من شان النفس الامارة الكافرة التي لا تؤمن بايات الله واولئك هم الكاذبون
اى هم الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال الا انه يصير على بعض الاحوال في التوبة هكذا في جميع المعاصي ولهذا لا يخرج من
الايمان بالكلية ولهذا لكن ينقص ايمانه ويرجع بالتوبة الى اصله قال صلعم ما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا
من كفر بالله بعد ايمانه اشارة الى المريد الذي تنسم روائح نفحات الحق بمشام قلبه عند هبوبه واصطكاك اهوية عالم الباطن وانخراق سحب
حجب البشرية فلمع له برق اضاءت بسماء القلب واشرقت ارض النفس فقام بحقيقة الطلب واحتمال التعب فاستوقد نار الشوق الى المحبة
فلما اضاءت ما حوله وبدلت في الاجتهاد بجد وجهد هبت نكبات النكبات فصدئت مرآة قلبه وذهب الله بنوره وانخمدت نار الطلب قال
المشوم الى الطبيعة الا من اكره على مباشرة فعل او قول يخالف الطريقة من معاملات اهل الطبيعة فيوافقهم فيها في الظاهر ويخالفهم بالباطن
حتى يتخلص من شوم صحبتهم استحبوا الحياة اى محبة الدنيا فتهوا بها على محبة الله وان الله لا يهدى الى الحضرة القوم الكافرين نعمته و
اولئك هم الغافلون عما اعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاعضاء عن العبودية يورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية
ثم ان ربك للذين هاجروا نفوسهم وهواهم من بعدما فتنوا لمخالفة اوامر الحق ونواهيه ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات وصبروا
على تزكيتها وتحليها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تاتي ارباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها دفعا للمضار وجذبا
للمنافع حتى ان كل نبي يقول نفسي نفسي الا محمد صلعم فانه فان بالكلية عن نفسه باق ببقاء ربه فيقول امتي امتي لانه مغفور ذنب وجوده
المتقدم في الدنيا والمتاخر في الاخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذا وجهه بخطاب سلام عليك ايها النبي مضى عن وجوده بالسلام
وبقي بوجوده بالرحمة فكان رحمة مهداة ببركاته الى الناس كافة ولكن رفع الذلة من تلك الضيافة وجب لنا بعيقلها قال السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين الذين صلحوا لبذل الوجود في طلب المقصود قرية هي قرية شخص الانسان كانت امنة اى اهله وهو
الروح الانساني مطمئنة بذكر الله ياتيها رزقها من المواهب كل مكان روحاني وجسماني فكفرت النفس الامارة فاذاقها الله لباس
الجوع وهو انقطاع مواد التوبة فاكلوا من جيفة الدنيا وميتة المستلذات والخوف ولقد جاءهم رسول الوارد الرباني بما تخلقوا
باخلاقه فكلوا مما رزقكم الله من انوار الشريعة واسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة اهل الاباحة وعلى الذين هادوا اى
تابوا حرمنا من موانع الوصول ما قصصنا عليك من قبل نبوتك حتى كنت محترزا عن صحبة خديجة وتحنث في حراء اسبوعا واسبوعين
وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم بل انعمنا به عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين ممن لم يشرك
مع الله في الوجود اتبع ملة ابرهيم في الظاهر حتى يتبعك في الباطن ولهذا ذهب الى ربه ماشيا اني ذاهب الى ربي واسرى بمحمد راكبا سبحان
الذى اسرى بعبده فهو خليل وانت حبيب اتبعت الخليل في الدنيا فيتبعك الخليل في الاخرة الناس يحتاجون الى شفاعتي يوم القيمة حتى
ابرهيم م وان عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا اى بالغوا في عقابها بالفطام عن مالوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق
والمواهب ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عناق الحبيب على قدر عقاب العدو واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على معاقبة
النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله لان الصبر من صفات الله ولا يقدر احد ان يتصف بصفاته الا بان يتجلى بتلك الصفة ولا تحزن
على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم ومالهم فلا تك في ضيق مما يمكرون يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه الله حسبي

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع
البصير ● واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل

الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان
عبدا شكورا وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في
الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا
عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا
مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال و
بنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم
وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم
اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا
فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه
تفصيلا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة
كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر
وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا
اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها

تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان
سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك
وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

يتخذوا بياء الغيبة ابو عمرو وعباس مخير الباقون بتاء الخطاب اسأتم بالمد ابو عمرو ويزيد والاصبهاني عن ورش وعلي
وحمزة في الوقف ليسوا بياء الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد لنسوء بالنون علي الباقون ليسؤا على الجمع ويبشر مخففا
حمزة وعلي يخرج بالياء مجهولا يزيد ويخرج لازما يعقوب الاخرون بالنون متعديا يلقاه مشددا ابن عامر ويزيد وروى النقاش عن ابن
ذكوان بالامالة الباقون مخففه وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة اقرا كتابك بغير همز الاعشى واوقية وحمزة وخلف في الوقف امرنا من باب
المفاعلة يعقوب الجزو الخامس عشر اياتنا البصير وكيلا لمن قرا تتخذوا بتاء الخطاب لامكان ان يجعل ذرية منادى نوح
شكورا كبيرا الديار مفعولا نفيرا فلها لان ما بعده عائد الى قوله فاذا جاء وعد اوليهما مع اعتراض العوارض تتبيرا يرحمكم لابتداء الشرط
مع العطف عدنا حصيرا من تويم العطف حصيرا كبيرا للعطف اليما بالخير عجولا والحساب تفصيلا عنقه منشورا كتابك حسيبا لتضاد
الشرط لنفسه للشرط مع العطف عليها اخرى رسولا تدميرا نوح بصيرا جهنم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف مدحورا مشكورا
عطاء ربك محظورا بعض تفضيلا لما عزم على نبيه في خواتيم النحل جوامع مكارم الاخلاق وحكا طرفها مما خصه به من المعجزات فقال
سبحان الذي هو اسم للتسبيح وقد مر اعرابه في قوله سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل ما لا يليق بجلاله واسرى وسرى لغتان
يروى انه لما وصل النبي صلعم الى المراتب العلية في معراجه اوحى اليه يا محمد بم اشرفك فقال يا رب بتنسبني الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان الذي
اسرى بعبده وقوله ليلا نصب على الظرف وفيه تاكيد للاسرى وفي تنكيره تقليل مدة الاسراء لان التنكير فيه معنى البعضية اخبر انه اسرى به في
بعض الليل من المسجد الحرام عن النبي صلعم بينا انا في المسجد الحرام الحجر لاحاطته بالمسجد والتباسه به عن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول
ذهب الاكثرون قالوا انه اسرى به من دار ام هاني بنت ابي طالب قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة الى المسجد الاقصى هو بيت
المقدس بالاتفاق سمي بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين
والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار والجارية والاشجار المثمرة وقوله اسرى مع
قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات لنريه من اياتنا بيان لحكمة الاسراء سؤال ارى ابرهيم ملكوت السموات والارض وارى محمدا
بعض اياته فيلزم ان يكون معراج ابرهيم افضل الجواب لعل بعض الايات المضافة الى الله اشرف واجل من ملكوت السموات والارض
كلها ولهذا ختم الاية بقوله انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم ان الاكثرين
من علماء الاسلام اتفقوا على انه اسرى بجسد رسول الله صلعم والاقلون على انه ما اسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبري في
تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلعم ولكنه عرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا
وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها ان الحركة الجسمانية البالغة في السرعة الى هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده
الى السموات يوجب انخراق الافلاك ومنها انه لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا
بذلك على صدقه وما الفائدة في اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها ان الانسان عبارة عن الروح وحده لانه باق من اول
عمره الى اخره والاجزاء البدنية في التغير والانتقال والباقي مغاير للمتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا عن جميع جوارحه

واعضائه ومنها قوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما تلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت فتنة للناس لان
كثيرا ممن امن به حين سمعها ارتد وكفر به ومنها ان حديث المعراج الجسماني اشتمل على اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره بماء زمزم
وركوب البراق وايجاب خمسين صلوات فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء اجاب الاكثرون عن الاول بان حركة الرسول
صلعم من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف قطر الفلك ونصف القطر الى نصف الدور كنسبة الواحد الى ثلثة امثال وسبع ونصف حركة
الفلك في يوم بليلته واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان اولى على انه لو كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا
لكان القول من نزول جبريل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا لان الملائكة ايضا اجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول في حركات
الجن والشياطين وقد سخر الله تعالى لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
وكان عرش بلقيس في اقصى اليمن وسليمان في الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع فانما يستقل شعاع العين من البصر الى الكواكب
الثابتة في ان واحد فثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه اقصى ما في الباب الاستبعاد خرق العادة ولكنه مخصوصا بهذه الصورة وانما ذلك
امر حاصل في جميع المعجزات وعن الثاني ان انخراق الافلاك عند حكماء الاسلام جائز وعن الثالث ان فائدة الاسراء فقد عادت اليه حيث
شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيهما وما عليهما فحصل في قلبه زيادة قوة وطمانينة بها انقطعت تعلقاته عن الكونين ولم يبق في
القلب شيء من امور الدنيا والاخرة وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس ان تلك الرؤيا هي غير حكاية المعراج كما يجيء
في تفسيره ولو سلم انها هي المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية وعن السادس انه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من افعاله وانه على كل شيء قدير وما علم الشيخ
الاية دلالة على العروج من بيت المقدس الى السموات وما فوقها العرش الا انه ورد الحديث به ومنهم من استدل على ذلك باول سورة النجم او
بقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعه يروى انه صلعم كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته
وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك
قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلعم بحديث الاسراء وانه اسري من مكة الى بيت المقدس ومنه
عرج الى السماء وراى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن
مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك
لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعتوه المسجد فجلي له
بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال اخر
وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين ولما حكى طرفا من اكرام محمد ذكر
شيئا من اكرام موسى فقال واتينا موسى الكتاب اي التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل اخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم
والدين الا تتخذوا من قرأ على الغيبة فان ناصبة ولام العاقبة محذوفة اي لئلا تتخذوا ومن قرأ على الخطاب فان مفسرة معناها اي لا تتخذوا
كقولك كتبت اليه ان افعل كذا او زائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم يا ذرية من حملنا مع نوح
قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح عم لانه كان معه في السفينة ثلثة بنين سام وحام ويافث والناس كلهم من ذريته اولئك فقوله يا ذرية قائم
مقام قوله يا ايها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القراءتين يحتمل ان ينتصب على انه مفعول اخر لتتخذوا اي لا تجعلوا
اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ثم علل النهي عن الاشراك انه كان عبدا
شكورا اي انتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز ان يكون تعليلا
لاختصاص بني اسرائيل والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فلهذا استاهلوا الاختصاص ويجوز في الكشاف ان يكون
ثناء على نوح بطريق الاستطراد يروى من شكره انه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني
ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته
قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وكان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به ثم
ذكر ان كثيرا من بني اسرائيل ما اهتدوا بهدى التورية فقال وقضينا الى بني اسرائيل اوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التورية
وقوله لتفسدن جواب قسم محذوف او اجري القضاء المبتوت مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين ولتعلن ولتطغين
ولتستولن على الناس علوا كبيرا تسلطا عظيما وبغيا شديدا فاذا جاء وعد عقاب اولاهما اولى المرتين بعثنا ارسلنا وسلطنا عليكم عبادا لنا
اولي باس شديد اصحاب بطش وشدة في الحرب فجاسوا ترددوا للغارة خلال الديار اوساطها وفرجها يقصدون بيت المقدس وكان وعد العقاب
وعدا مفعولا لا بد من وقوعه ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وجعلناكم اكثر

نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتجت الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثنا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء والقدر
وان الافساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله واجابت المعتزلة بان المراد انه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم من تخريب بيت المقدس واحراق التورية
وقتل حفاظها وضعف بان تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على ان الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء الكل اليه والمحكي عنهم انهم
حين عصوا سلط عليهم اعداؤهم ثم مهد قاعدة كلية في الاحسان والاساءة قائلا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها لم يقل فعليها او فاليها للتقابل
مع ان حروف الاضافة تقوم بعضها مقام البعض قال اهل الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الا مرة ففيه دليل على ان جانب الرحمة اغلب فاذا
جاء وعد عقاب المرة الاخرة بعثناهم حذف جوابه اذ الدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلها الله والوعد والبعث او ليجعلوها بادية
اثار المساءة والكآبة فيها لان اثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب انما تظهر على الوجه وليتبروا ما علوا ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه
ويجوز ان يكون ما بمعنى المدة اي مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله تتبيرا ذكر المصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر يروى ان
بني اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك اول الافسادين فسلط الله عليهم بختنصر وسنحاريب
وجنوده او جالوت عن ابن عباس فقتلوا علماءهم واحرقوا التورية وسبوا منهم سبعين الفا وبقوا في الذل الى ان قيض الله ملكا اخر من اهل
بابل فتزوج بامراة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا
الى احسن ما كانوا عليه ثم اقدموا على قتل زكريا ويحيى عليهما السلام وقصدوا قتل عيسى بن مريم ثم وهذا ثاني الافسادين فانتقم من اليهود بسبب
هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس ارميا والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل
عيسى واعلم انه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القران هو انهم كلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم
اعداءهم وفيه تحذير للعقلاء من مخالفة اوامر الله ونواهيه ثم قال عسى ربكم ان يرحمكم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية وان عدتم للثالثة
عدنا لها قال اهل السير ثم انهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد وكتمان ما ورد من نعته في التورية والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب
على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا حشمة لهم ولا
عز فيهم في عذاب الى يوم القيمة واما بعد ذلك فهو قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا حاصرا او محصورا لهم لا يتخلصون منه ابدا الحسن
بساطا كما يبسط الحصير المنسوج ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد وموسى صلوات الله عليهما وفي حق عبيده العاصين كاكثر بني اسرائيل
وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة الله توجب كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وغرامة عظم شان القران المبين للاحكام الهادي للانام فقال
ان هذا القران يهدي للتي اي للحالة او الشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة يعرفها اهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب
الوهم كل مذهب قيل هذا الشيء اقوم من ذلك انما يصح في شيئين كان في احدهما استقامة ثم يكون للاول فضل على الاخر وكيف يتصور في غير هذا الدين
شيء من الاستقامة حتى يستقيم هذا التفضيل واجيب ان افعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلا
بني مروان ويمكن ان يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله وكحصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين السياسات
الا ان بعض الخلل ابطل الكل فالكل ينهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القران هاديا الى الاعتقاد الاصوب والعمل الاصلح له نتيجة دائرة وذلك الواجب
الثابت والالتزام بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم واستخبر ان لفظ البشارة بمعنى الانذار مستعمل للتهكم او البشارة
مطلق الخبر المغير للبشرة فكانه قيل ويخبر الذين لا يؤمنون بالاخرة ان لهم عذابا او يجوز ان يبشر المؤمنين بشارتين احديهما بثوابهم والاخرى بعقاب
اعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة واجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا حينئذ اما من اهل التقوى
واما من اهل الشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك قلت هذا الجواب منه عجيب فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك
العصر الا ان حكمه يجب ان يذكر في القران الذي فيه اصول الاحكام على ان ذكر الفساق من الامة في القران المكي والمدني موجود قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم واذا كان ذكرهم في القران واراد انه تعالى يعدد ههنا
اوصاف القران على جهة المدح فاي مقام ادعى الى ذكر هذا الوصف من ههنا والجواب الحق ان الفسقة جعلوا تابعين لاهل الايمان والله اعلم قيل هذه
الاية واردة في شرح احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالاخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فان ايمانهم بالاخرة كلا ايمان فبعضهم
انكر المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما واعلم انه سبحانه قال ههنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف اجرا حسنا رعاية للفاصلة
والا فالاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين ان القران كاف في الهداية ذكر ان الانسان قد يعدل عن التمسك باحكامه فقال ويدع
الانسان اي جنس الكافر وقد ذكر جمع من المفسرين انه النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو الحق فاضرب عنقه فاجاب الله دعاءه وضربت
رقبته صبرا وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب الله واخرون متى هذا الوعد جهلا منهم واعتقادا ان محمدا كاذب وقيل المراد انه يدعو الله عند
غضبه وضجره فيلعن نفسه واهله وولده ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك يروى انه صلعم دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا
فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلعم دعا به فاعلم بشانه فقال

اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلعم اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق
من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وكان الانسان عجولا يستعجل بالعقاب مع اذاه او يتسرع الى طلب كل
ما يقع في قلبه ويخطر بباله معتقدا ان خيره فيه وان كان ذلك عند التامل ضرا له وقيل اراد بهذا الانسان آدم وذلك انه لما انتهى الروح
الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما رأى فقطره فذهب لينهض فلم يقدر وليس هذا القول بالحقيقة مغايرا للاول لان اصل الآدمي اذا كان كذلك
كان كل فرد منه متصفا به لا محالة قال اهل النظم لما ذكر نعمة الدين وهو القرآن اردفها بنعمة الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار آيتين وفيه
ان القرآن لا يتم المقصود منه الا بنوعيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع به الا بجزئيه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه
والمتشابه كالليل في خفائه وبوجه آخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد اكدها بدليل آخر من عجائب الزمان وبوجه آخر لما وصف الانسان
بكونه عجولا اي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة بين ان كل احوال العالم كذلك فينتقل الهواء من الانارة الى الظلام وبالعكس
وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد فمحونا آية الليل هي من اضافة الشيء الى نفسه للبيان كقولك نفس الشيء وذاته اي فمحونا
الآية التي هي الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا الآية التي هي النهار
مبصرة ذات ابصار وذلك باعتبار من فيها اي تبصر فيها الاشياء وتستبان او اريد بالابصار الاضاءة لانها سببه وقيل المضاف محذوف
في التقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا
الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار او بشعاع الشمس المستلزم للنهار الى التصرف في وجوه
معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين او بزيادة ضوء القمر ونقصانه عدد السنين الشمسية والقمرية المركبة من الشهور ولتعلموا جنس الحساب
المبني على الساعات والايام والشهور والسنين والادوار وقيل اراد بمحو القمر الكلف الذي في وجهه وسببه في الشرع ما روي ان الشمس والقمر
كانا سواء في النور والضوء فارسل الله تعالى جبريل فامر جناحه على وجه القمر فاذهب عنه اثر الضياء وسببه عند الفلاسفة انه ارتكز في وجه القمر
اجسام قليلة الضوء كارتكاز الكواكب في اجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام اقل ضوءا من جرم القمر لا جرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر
كالكلف في وجه الانسان ونحن قد ذكرنا له وجها آخر في الهيئة قال اهل التجارب ان اختلاف القمر في مقادير النور له اثر عظيم في احوال هذا
العالم ومصالحه لا سيما في احوال البحار والبحارين على ما ذكر الاطباء الا ان الكلف ليس له مدخل في ابتغاء فضل الله وفي معرفة الحسابات ذلك
تفصيلا ثم قال وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس حتى انزاحت العلل وزالت الاعذار ولا
من بينا الا عن بينة فلذلك قال وكل انسان الزمناه طائره اي عمله في عنقه وبوجه آخر لما شرح احوال الشمس والقمر والنهار والليل لابتغاء
المعاش وللدعة والراحة ولمعرفة المواقيت وكان الغرض الاصلي من الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الافعال واصلاح الاقوال ذكر ان
كل انسان مؤاخذ في عرصة القيامة باقواله وافعاله وسائر احواله ليظهر انه هل اتى بما هو المقصود من خلقه ام لا قال اكثر اهل اللغة اذا ارادوا
الاقدام على عمل من الاعمال اعتبروا احوال الطائر انه يطير بنفسه او يحتاج الى زاجره واذا طار فهل يطير متيامنا او متياسرا او صاعدا في الجو
الى غير ذلك من الاحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على ما يسوقهم اليه من خير او شر فاطلق الطائر على العمل تسمية للشيء
باسم لازمه وقال ابو عبيدة الطائر عند العرب الحظ ويقال له البخت فالطائر ما وقع للشخص في الازل من خير او شر فاطلق الطائر على العمل
مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كانه طائر يطير اليه من وكر الازل وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية
له ولا غاية الى ان انتهى الى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وفي هذا دليل على انه لا يظهر في الابد الا ما حكم الله به
في الازل والكتابة الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية وانه سبحانه اكد هذا المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله في عنقه يقال
جعلت هذا الامر في عنقك اي قلدتك والزمتك الاحتفاظ به فان كان خيرا زينه كان كالطوق وان كان شرا شينه كان كالغل ومن امثال
العرب تقلدها طوق الحمامة ونخرج له من قرأ بالنون فظاهر وقوله يلقاه منشورا صفتان للكتاب ويلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول
يلقاه ومن قرأ بالياء مجهولا ولازما فالضمير للطائر وكتابا حال منه يقال لقيت الشيء ولقانيه غيري عن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة و
طويت في قبرك معك ثم اذا بعثت قلدتها في عنقك اقرأ كتابك على اضمار القول قال قتادة يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قارئا وبنفسك فاعل
كفى وحسيبا تمييز بمعنى حاسب وانه كثير من فعل بالضم كضريب وبعيد ولكنه من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه ضريب القداح بمعنى ضارب
بها وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق بحسيب من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى الكافي ثم وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد
يكفي المدعي ما اهمه وذكر حسيبا بمعنى رجلا حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والغالب ان الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة والنفس مؤول
بالشخص او حمل فعيل بمعنى فاعل على فعيل بمعنى مفعول كقتيل ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن عدل والله في حقك من جعلك حسيب نفسك
وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا وروي انه يؤتى المؤمن يوم القيمة صحيفته وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في جوف صحيفته وهو يقرأها حتى اذا ظن انها

قد اوبقته قال الله له فقد غفرتها لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره ويصير من الذين قال الله في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة قال الحكيم التكرار يوجب تقرير الآثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا فانه يحصل منه في جوهر روحه اثر مخصوص
الا ان ذلك الاثر يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت
قيامته لان النفس كانها كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء
وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل والله اعلم بما في ماورد
في النقل ثم بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى الى قوله وزر اخرى قال
الجبائي فيه دلالة على ان الاطفال لا تعذب بكفر آبائهم وان الوزر والاثم ليس من الله والا لم ياخذ العبد به كما لا يؤاخذ بوزر غيره
بل كان يجب ان لا وزر اصلا لان الصبي لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة ان الوزر مختص بافعال المكلفين من
الثقلين وقدحت عائشة بذلك في صحة ما رواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء اهله واستدل به جماعة من الفقهاء في ضرب
الدية على العاقلة ويمكن ان يجاب بانها من عام الا وقد خص اما قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فقد استدل به الاشاعرة
في ان وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا يتقرر ماهيته الا بترتب العقاب على الترك ولا عقاب قبل
الشرع بحكم هذه الآية اجاب الخصم بانه لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان النبي اذا جاء وادعى المعجزة فهل يجب على
المستمع استماع قوله والتامل في معجزته او لا يجب والثاني باطل بالاتفاق وعلى الاول ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب
بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم اثبات الشيء بنفسه وان كان غيره دار او تسلسل وبوجه آخر اذا اوجب النبي بعض
الافعال وحرم بعضها فلا معنى لذلك الا ان يترتب العقاب على الترك او الفعل ثم انه يجب على المكلف ان يحترز عن العقاب او لا
يجب لا سبيل الى الثاني بالاتفاق وعلى الاول يلزم الوجوب العقلي والا لزم الدور والتسلسل ثم ان مذهب اهل السنة جواز العفو
عن عقاب الكبيرة فيكون ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب فلم يبق الا ان ماهية الواجب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من
العقاب ولا يكون هذا الخوف الا بمحض العقل فثبت ان الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما ان تجرى الآية على ظاهرها ويقال العقل
هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقررت رسالة احد من الرسل ومجيء الانبياء كالتنبيه على النظر وكالايقاظ
من رقدة الغفلة والحجة وان كانت لازمة لهم قبل البعثة الا انها بعد البعثة الزم واما ان يخصص عموم الآية فيقال المراد
وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الا بعد مجيء الشرع ومما ارتضاه الامام فخر الدين الرازي
رحمه الله تعالى ان مجرد العقل سبب في انه يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك ما نستضر به اما مجرد العقل لا يدل على انه يجب على الله
شيء وذلك انا مجبولون على طلب النفع والاحتراز عن الضر والله تعالى منزه عن ذلك وللقائل ان يقول انه سبحانه منزه عن الانتفاع و
الاستضرار الا انه حكيم جواد فلم لا يقبح من الحكيم الجواد ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده و
الحكيم لا يترك الاحسن فصدور ذلك الاحسن منه البتة هو الذي لك ان تسميه وجوبا كما وصف به نفسه في قوله كان على ربك
حتما مقضيا وكم من آية في القرآن دالة على ان الفعل قد يصدر منه صدورا لا يحتمل النقيض من ذلك قوله واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها للمفسرين في معنى امرنا قولان احدهما ان المراد به الامر الذي هو نقيض النهي وعلى هذا اختلفوا في المامور به فالاكثرون
على انه الطاعة والخير وقال في الكشاف معناه واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم بالفسق ففسقوا
ولما كان من اصول الاعتزال انه تعالى لا يامر بالفحشاء ذكر ان الامر بالفسق ههنا مجاز ووجهه انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة
الى المعاصي واتباع الشهوات فكان ايتاء النعمة سببا لايثارهم الفسوق على الايمان فكانهم مامورون بذلك ثم انه جعل تقدير امرناهم
بالطاعة ففسقوا قبيل التكليف بعلم الغيب فلم يجوز ان يكون من قبيل امرته فعصاني فانه يفهم منه ان المامور به طاعة ولكنه حكم بانه مثل امرته
فقام وامرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا ان المامور به قيام وقراءة وللقائل ان يقول كما ان قوله امرته فعصاني يدل على ان المامور به شيء غير
المعصية من حيث ان المعصية منافية للامر ومناقضة له فكذلك قوله امرته ففسق يدل على ان المامور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن
الاتيان بضد المامور به فكونه فسقا ينافي كونه مامورا به كما ان كونه معصية ينافي كونه مامورا به وهذا ظاهر فلا ادري لم اصر جار الله على
قوله مع ضعفه ومخالفة اصله القول الثاني ان معنى امرنا مترفيها اكثرنا فساقها قال الواحدي تقول العرب امر القوم اذا كثروا وامرهم
الله اذا كثرهم وآمرهم ايضا بالمد واحتج ابو عبيدة على صحة هذه اللغة بقوله صلعم خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة فالسكة النخل
المصطفة والمهرة المامورة كثيرة النتاج وقد حمل بعضهم الحديث على الامر ضد النهي اي قال الله لها كوني كثيرة النسل فكانت وروي ان رجلا
من المشركين قال لرسول الله صلعم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلعم انه سيامر اي سيكثر ويكبر والمترف في اللغة المنعم الذي قد ابطرته
النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها خرجوا عما امرهم الله فحق عليها القول استوجبت العذاب فدمرناها تدميرا اهلكناها على سبيل الاستئصال

قالت الاشاعرة ظاهر الاية يدل على انه تعالى اراد هلاكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق ويؤيده قوله فحق عليها القول
اي بالكفر ثم التعذيب وقال الكعبي ان سائر الايات دلت على انه تعالى لا يبتدئ بالتعذيب كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم فتلك الايات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال في التفسير الكبير
احسن الناس كلاما في تاويل هذه الاية القفال فانه ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علمه منه ما لم يعمل به اي لا يجعل علمه
حجة على من علم انه عصاه بل يامره حتى يظهر عصيانه لانه حينئذ يعاقبه ومعنى الاية واذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم امرنا الثاني
ان يقول واذا اردنا اهلاك قوم بسبب ظهور العصيان منهم لم نعاجلهم بالعقاب في اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها بالرجوع عن
تلك المعاصي وخص المترفين بذلك لان نعمة الله عليه اكثر فكان الشكر عليهم اوجب فاذا لم يرجعوا واصروا صب عليهم البلاء صبا وزعم الجبائي
ان المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة
ليس المعنى ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما عنيت انه سيصير الى ذلك فمعنى الاية واذا قرب اهلاك قرية وقد نقلنا مثله
عن صاحب الكشاف ولا يخفى انه عدول عن الظاهر ثم ذكر ان هذه عادته الجارية مع القرون الخالية فقال وكم اهلكنا فكم مفعول اهلكنا
ومن القرون بيان لكم وتمييز له اراد عادا وثمودا ونحوهما ثم خاطب رسوله بما هو ردع للناس كافة قائلا وكفى بربك الاية قال الفراء انما
يجوز ادخال الباء في المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه او يذم كقولك كفاك به واكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقال قام
باخيك وانت تريد قام اخوك وفي الاية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة
الشاملة يقتضي ايصال الجزاء الى كل احد بقدر استحقاقه ثم اكد المعاني المذكورة من قوله وكل انسان الزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما
يهتدي لنفسه بقوله من كان يريد العاجلة اي المنفعة او الدار العاجلة عجلنا له فيها ثم قيد المعجل بقيدين احدهما قوله ما نشاء ولهذا ترى
كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما قوله لمن نريد وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو
للعموم ولهذا ترى كثيرا منهم يتمنون البعض الكثير من الدنيا ولا يؤتون فيجتمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الاخرة بل عذابها لقوله ثم جعلنا له
جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة بان يعتقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور وسعى لها سعيها اي حق السعي
لاجلها وذلك ان يكون العمل الذي يتوسل به الى الفوز بثواب الاخرة من جملة القرب والطاعات وعلى قوانين الشرع والعقل لا البدعة والهوى
وهو مؤمن لان شيئا من صورة الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقدم الايمان فاولئك كان سعيهم مشكورا قال العلماء الشكر عبارة
عن مجموع امور ثلثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بافعال يدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله
سبحانه يعامل المطيعين بهذه الامور الثلثة لانه يعلم كونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثني عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات الدالة على كونهم
مطيعين عند الله وفي قوله من كان يريد العاجلة دون ان يقول من اراد العاجلة كما قال ومن اراد الاخرة اشارة الى انه من يريد نفع الدنيا
لا يكون مذموما الا اذا كان غالبا في ذلك ثابت القدم فسيح الامل ومريد الاخرة يكون محمودا بادنى التفاتة بعد وجود الشروط قالت الاشاعرة
ان مجموع القدرة مع الداعي هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه اعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان للعبد واستتبع
السعادات الباقية صار العبد ايضا شكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة نحن لا نشكر الله على الايمان لان المدح على عمل نعمله المدح
قبيح قال تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما اعطانا من القدرة والعقل وانزال الكتب واوضح الدلائل واعلم انه تعالى ذكر صنفين
من الناس قاصد خيرات الدنيا وقاصد خيرات الاخرة وههنا ثلثة اقسام اخر الاول ان يكون طلب الاخرة في عمله راجحا فقيل انه غير مقبول ايضا
لما روي ان النبي صلعم قال حكاية عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل
ويبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الاخرة فينفع في حيز القبول الثاني ان يكون طلب الدنيا وطلب الاخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا
راجحا واتفقوا على ان هذين القسمين لا يفيدان الا انهما على كل حال خير من الرياء المحض ثم بين كمال رافته وشمول رحمته فقال كلا اي كل واحد من الفريقين
نمد اي نزيدهم من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله هؤلاء بدل من كل ومن عطاء ربك متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا
ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه انظر يا محمد ويا من له اهلية النظر والاعتبار الى عطائنا المباح للفريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فاوصلناه
الى مؤمن وقبضناه عن مؤمن اخر ووصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر اخر ليكون بعضهم تحت تسخير بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لان نسبة
التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار
فيظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين كنسبة الاخرة الى الدنيا وقيل عن بعضهم انها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهات بالرفع في
مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل نزه نفسه عن الاتخاذ الكلي ولكن اخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله اسرى اشارة الى الجذبة الحقية
عن الاغيار وقوله بعبده اشارة الى مقام تصحيح نسبة العبدية التي هي اخر مقامات الالتفاتات السالكين وقوله ليلا رمز الى ذلك الجذب كما يكون
خفيا عن المجذوب اذا كان ذا اصلاح عن انانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيها الالتفات الى ما سوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفنا

فلا

في الله الذي باركنا حوله بالبقاء بالله لنريه من اياتنا التي لم تسمع اذن ولا ابصر عين انه هو السميع البصير فلا يصل احد الينا الا اذا سمع
وابصر به هذا ما خطر ببال هذا الضعيف في تاويل هذه الاية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطايه والا فمني ومن الشيطان فجاسوا خلال
الديار الجبلانية بالقتل ونكر الترتيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة لتخريب بيت المقدس القلب
ثم رددنا لكم الكرة عليهم لاستيلاء داود القلب وقتل جالوت النفس وامددناكم باموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد
الاخرة حين ارتد عن الطريقة ليسوء وجوه قلوبكم بحجب سوء اعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل وان عدتم الى الندم عدنا الى الكرم وان
عدتم الى العبودية عدنا الى الربوبية وان عدتم الى التقربات عدنا الى الجذبات وجعلنا ليل البشرية ونهار الروحانية فمحونا اية الليل وهي
قمر القلب في نور العقل حين طلع شمس شهود الحق وهي اية النهار فاذا طلع الصباح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا من ربكم وهو تجلي
ذاته وصفاته وقد اختص الانسان به من بين المخلوقات ولتعلموا ايام الطلب وحساب الترقي من مقام الى مقام وكل شيء يحتاج اليه السالك بيناه
بالاشارات من كان يريد العاجلة فيه ان قلب الانسان بين اصبعي الرحمن ولطفه وبحسب ذلك يتحول وجهه الى الدنيا حتى يول مره الى دركات
البعد وبحوله الى الاخرة حتى يصل الى درجات الوصال والله اعلم بالصواب

لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا ۝ وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا ۝ ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان
للاوابين غفورا ۝ وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا ۝ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا ۝ واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
فقل لهم قولا ميسورا ۝ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا ۝ ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ۝ ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا ۝
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ۝ ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا

فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ۝ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا ۝
واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير
واحسن تاويلا ۝ ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر و
الفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ۝ ولا تمش في الارض مرحا
انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ۝ كل ذلك كان سيئه
عند ربك مكروها ۝ ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة
ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ۝ افاصفكم
ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما

يبلغان مثنى حمزة وعلي وخلف اف بالجر والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص ان بالفتح ابن كثير وابن ذكوان
غير ابن مجاهد خطا والمفضل الباقون بالكسر تبسطها كل البسط مثل بسطة خطا بفتحتين من غير مد يزيد وابن ذكوان غير ابن مجاهد
عن ابن ذكوان خطا بالكسر والمد ابن كثير الباقون بالكسر ثم السكون فلا تسرف على الخطاب حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش
عن ابن ذكوان بالقسطاس مكسور القاف حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل وقرا ابو نشيط والشموني
غير النقار بالصاد سيئه على اضافة شيء الى الضمير كل حمزة وعلي وخلف وعاصم وابن عامر وسهل سيئة على التانيث

مخذولا احسانا كريما صغيرا في نفوسكم غفورا تبذيرا الشياطين كفورا ميسورا محسورا وبقدر بصيرا املاق واياكم
كبيرا فاحشة سبيلا الا بالحق لان الشرط في امر قد يقع نادرا خارجا عن النهي في القتل منصورا اشده بالعهد على تقدير فان
مسؤلا المستقيم تاويلا به علم مسؤلا مرحا لاحتمال اضمار الفاء او اللام طولا مكروها الحكمة مدحورا اناثا عظيما

لما اجمل اعمال البر في قوله وسعى لها سعيها وهو مؤمن اخذ في تفصيله وهو عام للمكلفين ويحتمل ان يقال ان الخطاب للانسان كانه قيل يا
ايها الانسان لا تجعل والقول مضمر اي قل لكل مكلف لا تجعل ومما يؤيد ذلك قوله وقضى ربك فان ذلك الخطاب لا يليق بالنبي صلعم لان
ابويه ما بلغا الكبر عنده وانتصب قوله فتقعد على انه جواب النهي والفاء في التحقيق عاطفة والتقدير لا يكن منك جعل فقعود وفيه وجوه
منها ان المراد به المكث يقال ما يصنع فلان فيقال هو قاعد باسوا حال اي ماكث سواء كان قائما او جالسا ومنها ان من شان المذموم المخذول
ان يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه فالقعود على هذا حقيقة ومنها انه كناية عن عدم القدرة على تحصيل الخيرات فان الساعي فيه انما ياتي
بالقيام والعجز عنه يلزمه ان يبقى قاعدا من الطلب ومنها انه بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت
ولا ريب ان المشرك جامع على نفسه الذم والخذلان لانه يشرك بضيف بعض النور الحاصلة في حقه من الله الى غيره فيستوجب الذم
بالكفران ويستحق الخذلان من حيث انه فوض امره الى الشريك المعدوم او العاجز الناقص حتى بقي بلا ناصر ومعين وايضا الكمال في الوحدة
والنقصان في الكثرة فثبت الشريك واقع في جميع جانب النقصان فيوجبه الذم والنقصان ولما ذكر ما هو الركن الاعظم في الايمان اتبعه سائر
الشعائر والشرائع فقال وقضى ربك اي امر امرا جزما وحكم حكما قطعا ان لا تعبدوا واي بان لا تعبدوا فان ناصبة ويجوز ان تكون مفسرة ولا
نهي معناه اي لا تعبدوا وقد روي الضحاك وسعيد بن جبير وميمون بن مهران عن ابن عباس انه كان الاصل في هذه الاية ووصى ربك وبه قراء
علي وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله احد قط لان خلاف قضاء الله ممتنع وضعف

هذا القول بانه يوجب تجويز وقوع التحريف والتصحيف في القرآن امر بعبادة نفسه ثم اردفه بالامر بالوالدين وتقدير الكلام بان
تحسنوا بالوالدين احسانا ولا يجوز ان تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان على ما ذهب اليه الواحدي لان المصدر لا يتقدم
عليه صلته وقد مر في اوايل البقرة تفسير قوله وبالوالدين احسانا وانه لم جعل الاحسان اليهما تاليا العبادة الله تعالى يحكى ان
واحدا من المتسمين بالحكمة كان يضرب اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للفقر والعمى والزمانة وقيل لابي
العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك قال اكتبوا هذه جناية ابي علي وما جنيت على احد وقال في ترك التزوج والولد وتركت فيهم نعمة
العدم التي سبقت وصدت عن نعيم العاجل ولو انهم ولدوا لعانوا شدة ترمي بهم في موبقات الاجل وقيل للاسكندر استاذك اعظم
منة عليك ام والدك فقال الاستاذ اعظم منة لانه تحمل انواع الشدايد والمحن عند تعليمي حتى اوقعني في نور العلم فاما الوالد فانه
طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فاخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن هنا قيل الاباء من علمك وقال العقلاء هب ان الوالد
في اول الامر طلب لذة الوقاع الا ان اهتمامه بايصال الخيرات الى الولد ودفع الآفات من اول دخول الولد في الوجود الى وان كبره
بل الى آخر عمره لا ينكر ولا يكفر ولهذا نكر احسانا اي احسنوا اليهما احسانا عظيما كاملا جزاء على وفور احسانهما اليك على ان البادي بالبر
لا يكافى لانه اسبق منه ثم فصل طرفا من الاحسان المامور به فقال اما يبلغن هي ان الشرطية زيدت عليها ما الابهامية لتاكيد معنى
الشرط ثم ادخلت النون المشددة لزيادة التقرير والتاكيد كانه قيل ان هذا الشرط مما سيقع البتة عادة فليكن هذا الجزاء مرتبا
عليه والا فالتقرير والتاكيد ليس يليق بالشرط الذي مبناه على تردد الحكم وقال النحويون ان الشرط يشبه النهي من حيث الجزم وعدم الثبوت فلهذا صح
دخول النون المؤكدة فيه من قرا الفعل على التوحيد فقوله احدهما او كلاهما فاعل له لكن الاول بالاستقلال والثاني بتبعية العطف ومن قرا
على التثنية فاحدهما بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على البدل بدل مثله ولا يصح ان يكون توكيدا للضمير معطوفا على البدل
لاستلزام العطف على الشاكلة دون المباينة وكلا مفرد لفظا مثنى معنى وواوه عند الكوفيين اصله كل المفيد للاحاطة خفف بحذف احدى اللامين
وزيدت الف التثنية ليعرف ان المراد الاحاطة في المثنى لا في الجمع وضعف بانه لو كان كذلك لوجب ان يقال في الخفض والنصب مررت بكلي الرجلين
بكسر الياء كقوله طرفي النهار يا صاحبي السجن وهي من اسماء الافعال وفيه اف لغات ضم الهمزة مع الحركات في الفاء الثلث بالتنوين وبدونه
وافي بكسر الباء بلا تنوين واف وافه الاكبر وافي وافيه وافة منونة وغير منونة وقد تتبع المنونة فيقال اف وتف وهي من اسماء الافعال في
تفسيرها وجوه قال الفراء تقول العرب فلان يتافف من ريح وجدها اي يقول اف اف وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار يقال ذلك
عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتاذون به وقيل معنى اف القلة من الافيف وهو الشيء القليل وتف اتباع له نحو شيطان ليطان
وخبيث نبيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابي ان الاف الضجر وقال القتيبي اصله انه اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل
عند تلك النفخة هو قول القايل اف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل اليهم وقال الزجاج معناه النتن وبه فسر مجاهد الاية اي لا يتقذر
ولا تقل اف مستقذرا استقذار لهما حين كنت تخرى وتبول وفي رواية اخرى عن مجاهد اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما اف
اي لا تقل التضجر ولا التضجر قال بعض الاصوليين منع التافيف يدل على المنع من سائر الانواع الاذية دلالة اللفظية ومعنى الاية لا تتعرض
لهما بنوع من انواع الايذاء والايحاش كما ان قولك لا يملك فلان نقيرا ولا قطميرا يدل في العرف على انه لا يملك شيئا اصلا وقال الاكثرون
منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة اخرى فاذا اردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما ان يكون الحكم في محل
السكوت اخفى من الحكم في محل الذكر وهو اكثر القياسات واما ان يتساويا كقوله صلعم من اعتق نصيبا من عبد حرم عليه الباقي فان الحكم في
الامة والعبد يتساويان واما ان يكون الحكم في محل السكوت اظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التافيف فانه مغاير للمنع من الضرب عقلا
لان الملك الكبير اذا اخذ ملكا عظيما عدوا له فقد يقول الجلاد اياك ان تستخف به او تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبته فهذا معقول
في الجملة الا ان قرينة تعظيم الوالدين صيرته من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى فدل على المنع لان جميع انواع الايذاء ثم اكد هذا المعنى
بقوله ولا تنهرهما والنهر والنهي اخوان يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا مشتملا
على حسن الادب ورعاية دقائق المروة والحياء والاحتشام وقال عمر بن الخطاب رض ان قول الكريم ان يقول يا ابتاه يا اماه دون ان يسميهما
باسمهما وقول ابرهيم ع لابيه آزر بالضم على النداء تقديم لحق الله على حق الابوين قالوا ولا باس به في الغيبة كما قالت عايشة رض نحلني ابو بكر رض
كذا وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب للسيد الفظ واخفض لهما جناح الذل ذكر القفال في معنى خفض
الجناح وجهين احدهما ان الطاير اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحيه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكانه قال
للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك ثانيهما ان الطاير اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد
النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان احدهما انها كاضافة
حاتم الى الجود في قولك حاتم الجواد والاصل فيه الجناح الذليل والذلول ثانيهما سلوك سبيل الاستعارة كانه تخيل للذل جناحا ثم اثبت لذلك

الجناح خفضا كقول لبيد   اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت للشمال يدا ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله من الرحمة
في من معنى التعليل اي من اجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف
برحمتك التي لا دوام لها ولكن وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ليس المراد رحمة مثل رحمتهما على ان الكاف لاقتران الشيئين في
الوجود اي كما وقع تلك فلتقع هذه والتربية التنمية ربا الشيء اذا انتفخ وزاد وقال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة بقوله تعالى
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل مخصوصة لان التخصيص اولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين
اذا كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير
تكرار فيكفي في العمر مرة واحدة رب ارحمهما وسئل سفين كم يدعو الانسان لوالديه في كل يوم او في كل يوم مرة ام في كل شهر ام في
كل سنة فقال نرجو ان يجزيه اذا دعا لهما في اخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وكانوا
يرون الصلوة عليه في التشهد وكما قال الله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يكبرون في ادبار الصلوات قلت ويشبه
ان يدعو لهما ايضا كلما ذكرهما او ذكر شيئا من انعامهما وسئل ايضا عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء له انفع من
الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين وعن النبي صلعم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى سعيد بن
المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلعم ان ابواي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلعم اباه انه
يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم
انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلعم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع ذلك الا بكى ثم قال صلعم للولد انت ومالك لابيك
انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن
كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال
ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جازيتها ولو طلقة وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه ليحمله فعل ولا يناوله الخمر
ويأخذ الاناء منه اذا شربها ثم قال سبحانه ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما في ضمائركم من الاخلاص وعدمه في كل الطاعات ان تكونوا
صالحين قاصدين الصلاح والبر الى الوالدين ثم فرطت منكم بادرة في حقهما فاتيتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا اللام
للعهد كما روى عن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير والجنس فيشمل كل من فرطت منه جناية ثم تاب
منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره ثم وصى بغير الابوين من الاقارب بعد التوصية بهما فقال وات ذا القربى
حقه قيل الخطاب لرسول الله صلعم امر ان يؤتي اقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء والغنيمة واوجب عليه اخراج حق المساكين وابناء السبيل
ايضا من هذين المالين والاظهر انه خطاب لكل انسان كما في قوله وقضى ربك واما الحق المامور به للاقارب فهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد
وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعي لا ينفق الا على الولد والوالدين وان كانوا
مياسير او يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة على السراء والضراء وفي عطف المسكين وابن السبيل على
ذا القربى دليل على ان المراد بالحق الحق المالي وقد تقدم وصف المسكين وابن السبيل في البقرة وفي التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال
كما يفرق البذر وهو الاسراف المذموم كانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة كما ذكروا ذلك في اشعارهم فنهوا
عن ذلك وامروا بالانفاق فيما يقربهم في الشرارة او اصدقائهم من حيث انهم يطيعونهم في الامر بالاسراف ويسم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد
وكان الشيطان لربه كفورا [illegible] في المعاصي والافساد والاضلال وكذلك [illegible] ما لا او جاها فاقصد الى غير
مرضاة الله كان كفورا لنعمة الله [illegible] فقال واما تعرضن عنهم [illegible] وكان النبي صلعم اذا سئل
شيئا وليس عنده اعرض عن السائل [illegible] قال الكلبي [illegible] القول الميسور
وقيل القول المعروف كقوله قول معروف ومغفرة خير [illegible]
[illegible]
[illegible]
رحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

عند الناس او الجل محسورا بالاسراف اي منقطعا عن المقاصد بسبب الفقر يقال بعير محسور منقطع عن السير ولا شك ان المال مطية الحوائج والامال
وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وابقاء الاهل والولد في الضر والمحنة وعن جابر بينا رسول الله صلعم جالس اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع
قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة فنزلت الاية وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصين
فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول شعر اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع   وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت
دون امرئ منهما ومن تضع اليوم فلا يرفع   فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني واعطه مائة من الابل فنزلت ثم انه سلى نبيه صلعم بان الذي رهقه من
الاضاقة ليس لهوان منه على الله ولا لبخل به عليه ولكنه تابع لمشية الخالق الرازق فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق انه كان
بعباده وبمصالحهم خبيرا بصيرا وليس للعباد الا الاقتصاد ويحتمل ان يراد انه تعالى مع غاية قدرته وسعة جوده يراعي اوسط الحالين فلا يبلغ
بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته وتخلقوا باخلاقه وفي الاية دلالة على انه هو المتكفل بارزاق
العباد فلذلك قال بعده ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وايضا علم كيفية البر بالوالدين اراد ان يعلم كيفية البر بالاولاد فبر الاباء مكافاة
وبر الابناء اصطناع ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء نوع الانسان لان قتل الاولاد ان كان لخوف الفقر فهو لسوء الظن بالله وان
كان لاجل الغيرة لاجل البنات فهو سعي في تخريب العالم والاول ضد التعظيم لامر الله والثاني ضد الشفقة على خلق الله ومن رغب عن تحصيل الولد
فكانه رغب عن جزئه قال ولد المؤمن جزء [illegible] منه جزءا وكانوا يقتلون البنات لعجز البنات على الكسب وقدرة البنين
عليه بسبب اقدامهم على السبي والقتل والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقرها ينفر كفاءها فيحتاجون الى نكاحها من غير الاكفاء وفي ذلك عار
شديد فبين الله سبحانه ان الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولدا فلهذا قال اولادكم وبين ان الخوف من الفقر لا وجه له لان الله هو الرزاق للكل
وكثيرا ما يكون الابن اخرق من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين يشتركان في الانفاق عليهما قبل البلوغ ولما نهى عن قتل الاولاد المستدعي
لافناء النسل ذكر النهي عن الزنى والمفضي الى ذلك ولا اقل من اختلاط النسب فقال ولا تقربوا الزنى وهذا اكد من ان يقال ولا تزنوا ثم علل
النهي بقوله انه كان فاحشة اي خصلة متزايدة في القبح وساء سبيلا فاستدل القائلون بالتحسين والتقبيح المعللين بهذا التعليل في الاشياء
لا تحسن ولا تقبح بذواتها بل لوجوه عائدة اليها في انفسها وان تكاليف العباد واقعة على وفق مصالحهم في المعاش والمعاد ومن مفاسد
الزنى اختلاط الانساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص معين لم يكن احد بالتزام تربيته اولى من
الاخر وكذا المرأة التي ولدته اذا لم يوجد سبب شرعي الزانية صارت هي اولى بالرجل لم يحصل الالف والمحبة ولا يتم السكون والازدواج و
ثبوت كل رجل على كل امرأة اراد بحسب شهوته ومقتضى طبعه فيهيج الفتن والحروب بعد التشبيه بالبهائم وايضا ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء
الشهوة ولكن المقصود الكلي هو ان يكون شريكة له في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بامور الاولاد والعبيد ولن يتم هذه المقاصد الا
اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وايضا الوطء يوجب الذل والعار ولهذا لا يرتكب الا في الاماكن المستورة وفي
الاوقات المعلومة فاقتصار المرأة على الواحد من الرجال سعي في تقليل ذلك العمل وكون فتح الزنى انه يجعله من الرجال والنساء مذموم ويستقذره
كل عقل سليم ويخط بذلك عن درجة الاعتماد والاعتبار وقد زعم في التفسير الكبير انه تعالى وصف الزنى في اية اخرى بكونه مقتا لان الزانية
تصير ممقوتة مكروهة وهو وهم لان ذلك قد ورد في اول سورة النساء في نكاح منكوحات الاب ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا
ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وانما نبهنا عليه لئلا يقتدي غيره في السهو ولما فرغ من التكليف بالاحتياط في مبدا حال الانسان
شرع بالتكليف بالاحتياط في اخر عمره فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله وفي التصريح في التحريم بعد النهي تاكيد للحظر ولا ريب ان الاصل
في قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر والاصل في المضار الحرمة لان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحيوة وكمال البنية
ولكن الحل انما يثبت لاسباب عرضية فلهذا قال الا بالحق وهذا مجمل فبين ذلك الحق بقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي تسلطا
على استيفاء القصاص فظاهر الاية دل على انه لا سبب يحل القتل الا اذا قتل مظلوما وظاهر قوله صلعم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث
كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضي ضم شيئين اخرين اليه فرجعا على القول بتخصيص عموم القران بخبر الواحد ويحتمل
ان يقال قوله ومن قتل مظلوما كلام مستانف والحديث بتمامه مفسر لقوله الا بالحق فلا يلزم التفريع المذكور ثم انه دلت اية اخرى على حصول
سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واية اخرى على سبب خامس وهو الكفر الاصلي اقتلوهم حيث ثقفتموهم هنا وقد
ابدى الفقهاء اسبابا اخر منها تارك الصلوة يقتل عند الشافعي دون ابي حنيفة وكذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري وجوز
بعضهم قتل من منع الزكوة او اتى البهيمة والذين منعوا القتل في هذه الصور قالوا الاصل حرمة القتل كما بينا فلا يترك هذا الدليل الا لمعارض
اقوى لا اقل من المساوي وهو النص المتواتر ثم انه سبحانه اثبت لولي الدم سلطانا ولم يبين ان هذه السلطنة تحصل فيماذا فقيل انه لما قال
فلا يسرف في القتل عرف ان تلك السلطنة انما تحصل في استيفاء القتل وقيل معنى قوله فلا يسرف في القتل انه لما حصلت له سلطنة استيفاء

القصاص وسلطنة استيفاء الدية بقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الى قوله فمن عفي له الاية فالاولى به ان لا يقدم على استيفاء القتل و ان يكتفي بالعفو واخذ الدية فثبت ان هذه الاية لا يجوز التمسك بها في مسئلة ان موجب العمد هو القصاص وعن الشافعي ان التنوين في قوله مظلوما للتنكير فيدل ان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يدخل تحت هذا النص فيعلم منه ان المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك فان ذنبه غير مغفور كالمشرك ولان النصارى قائلون بالتثليث وقد قال تعالى اقتلوا المشركين فثبت ان الذمي غير كامل في المظلومية فلا يندرج في الاية وايضا ليس فيها دلالة على ان الحر يقتل بالعبد لانها وان كانت عامة الا ان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على العام من قرأ فلا تسرف بالتاء الفوقانية فعلى خطاب الولي او قاتل مظلوم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للولي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول اما الضمير في قوله انه كان منصورا فاما للولي اي حسبه ان الله قد نصره بايجاب القصاص فلا يستزد عليه او نصره بمعونة السلطان والمؤمنين فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم فان الله نصره في الدنيا بايجاب القصاص على قاتله وفي الاخرة باعطاء الثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولما ذكر النهي عن اتلاف النفوس في المبادي وفيها فداها اتبعه النهي عن اتلاف الاموال وكان اهمها بالحفظ والرعاية مال اليتيم فقال ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي الا بالطريقة التي هي احسن وهي تثميره وانماؤه روى مجاهد عن ابن عباس اذا احتاج الولي اكل بالمعروف فاذا ايسر قضاه وان لم يوسر فلا شيء عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور حتى يبلغ اليتيم اشده بان يكمل قواه العقلية والحسية كما مر في اخر الانعام واوفوا بالعهد ويتناول كل عقد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانونه في المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا دل دليل خاص على ضده ان العهد كان مسؤلا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او هو على حذف المضاف والمراد ان صاحب العهد مسؤلا وهو تخييل كانه يقال للعهد لم نكثت تبكيتا للناكث كقوله واذا الموؤدة سئلت ثم امر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالقرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر والاصح انه لغة العرب من القسط النصيب المعدل وقيل رومية وسر ان في ذلك الايفاء والوزن المعدل خير من التطفيف واحسن تاويلا وعاقبة من آل اذا رجع اما في الدنيا فانه اذا اشتهر بالاحتراز عن الخيانة مالت القلوب اليه وعول الناس عليه فيفتح عليه ابواب المعاملات واما في الاخرة فظاهر قال الحكيم ان نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد عليه شديد والعار فيه عظيم فيجب على العاقل ان يحترز عنه ثم امر باصلاح اللسان والقلب فقال ولا تقف اي لا تتبع من قولك قفوت فلانا اذا اتبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو كل بيت والقبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون اثار اقدام الناس و يستدلون بها على احوالهم في النسب والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة فقيل نهى المشركين عن تقليد اسلافهم في الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان يتبعون الا الظن وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك وسمعه اذناك ووعاه قلبك وقيل المراد النهي عن القذف ورمي المحصنين والمحصنات بالاكاذيب وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ورأيت وعلمت ولم تسمع ولم تر ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول يقال في قفاه ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج اي يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها عصارة اهل النار من القيح والصديد احتج نفاة القياس بالاية زعما منهم ان الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم واجيب بان العلم قد يراد به الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن فانه لا يفيد الا الظن سلمنا لكن الظن وقع في الطريق لان الشرع قد اقام الظن الغالب مقام العلم وامر بالعمل به وزيف بانه لا دليل قاطع على وجوب العمل بالظن الغالب لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه ان كان قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بان الدليل الذي عولتم عليه وهو هذه الاية تمسك بعام مخصوص للاتفاق على ان العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات واروش الجنايات وكذا الفصد والحجامة وساير المعالجات وكذا الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا لحل ذبيحته او الوارث لحصول التوارث والميت ليدفن في مقابر المسلمين وبالحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الاجال المعينة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال صلعم نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الاية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز التمسك بهذه الاية وكل ما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به واجيب بانا نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلعم ان التمسك بايات القران جائز وعند بان كون العام المخصوص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهي بقوله ان السمع والبصر والفؤاد

كل اولئك اشارة الى الاعضاء الثلاثة وان لم تكن ذوات العقول كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا قال في الكشاف عنه في موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب عليهم وفيه نظر لان المسند اليه الفعل او شبهه لا يتقدم عليه والصواب ان يقال انه فاعل مسؤلا المحذوف والثاني مفسر له وكيف يسأل عن هذه الجوارح قيل يسأل صاحبها عما استعملها فيه لانها الات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها في الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسألها عن افعالها ولا تمش في الارض مرحا نصب على الحال مع انه مصدر اي ذا مرح وهو شدة الفرح وفي وضع المصدر موضع الصفة نوع من التاكيد مثل اتاني ركضا وهو نهي عن مشية اهل الخيلاء والكبر انك لن تخرق الارض لن تثقبها بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا مصدر في موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له او مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الادمي بانه في حال انخفاضه لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به ان يتكبر وبوجه اخر كانه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل انه مثل ومعناه كما انك لن تخرق الارض في مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك وعجبك ففيه ياس للانسان من بلوغ ارادته كل ذلك كان سيئه من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكور من قوله لا تجعل مع الله الها اخر بعضها حسن وهو المامورات وبعضها سيئ وهو المنهيات فالمعنى ان ما كان من تلك الاشياء سيئا فانه مكروه عند الله ويمكن ان يراد بسيئه تلك الخصال طرفي الافراط والتفريط ومن قرأ سيئة فقوله كل ذلك اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان الكلام قد تم عند قوله واحسن تاويلا وقوله ذلك اشارة الى ما نهى عنه في قوله ولا تمش وانما قال سيئة على التانيث مع قوله مكروها على التذكير لان جعل السيئة في معنى الذنب والاثم قال المعتزلة الكراهة نقيض الارادة ففي الاية دلالة على ان المنهيات لا تكون مرادة لله تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم يكن مرادة له لم يكن مخلوقة له لان الخلق بدون الارادة محال اجاب الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها منهيا عنها وزيف بانه عدول عن الظاهر مع لزوم التكرار لان كونها سيئة يدل على كونها منهيا عنه و اجيب بانه لا باس بالتكرار لاجل التاكيد ذلك الذي ذكر من قوله ولا تجعل الى هذه الغاية وترتقي الى خمسة وعشرين تكليفا مما اوحى اليك ربك من الحكمة سمي حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه روي انها كانت في الواح موسى وباصطلاح الحكماء عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به ولا ريب ان الامر بالتوحيد راس الحكمة النظرية وسائر التكاليف مشتملة على اصول مكارم الاخلاق وهي الحكمة العملية ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه التكاليف النهي عن الشرك وكذا خاتمتها لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن فقده لم ينفعه شيء من العلوم وان بذ الاقران وحك بيافوخه السماء وقد راعى في هذا التكرار دقيقة فرتب على الاول كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة الى حال المشرك في الدنيا ورتب على الثاني انه يلقى في جهنم ملوما مدحورا وانها حالة في الاخرة وفي القعود هناك والالقاء ههنا اشارة الى ان للانسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الاخرة والله اعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو ان يذكر ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح منكر واللوم هو ان يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه اي ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم انكر على المشركين القائلين بان الملائكة بنات الله فقال افاصفيكم اي اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد واتخذ من الملائكة اولادا اناثا انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد الى من لا يصح الولد عليه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والاصفى والسادة الادون والاردى ثم تجعلكم الملائكة الذين هم اعلى خلق الله على الاطلاق او بالتقييد على المذهبين اخس الصنفين وهو الاناث خاطب نبيه صلعم ليقطع تعلقه عن الكونين من بين الثقلين فقال لا تجعل مع الله الها اخر من الدنيا والاخرة ثم شرف امته بتبعيته قائلا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وانما قال ربك لانه اصل في التربية والامة تبع له فمن حكمه في الاول انه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله وبالوالدين والد الروح ووالد البدن والاحسان بهما انه براهيما في العبودية ليعبد الله كانهما برايه اما يبلغن عندك يخاطب القلب ويوصيه بان يولي والد الروح عند كبره وهو بلوغه اعلى مراتب القرب ونحوه مندسطوات تجلي صفات الالوهية ويداري والد البدن حينئذ فلا يستعملهما عند العجز ولا تنهرهما عند الاستراحة وارفق بهما عند استعمالهما في العبودية ولا تتكبر عليهما فانك اخذت التربية منهما لان القلب طفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد وجدا التربية منهما صورة ومعنى الى ان صار قابلا للتجلي والخلافة ربكم اعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين للراجعين من انانيته الى هويته دون من كان مقيدا بنفسه غفورا ساترا بانوار جماله ثم اخبر عن اداب الخلافة قائلا وآت ذا القربى وهو النفس حقه فان لنفسك عليك حقا من غير اسراف وتقتير الذي

ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ۝ قل لو كان
معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ۝ سبحانه وتعالى
عما يقولون علوا كبيرا ۝ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما
غفورا ۝ واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة
حجابا مستورا ۝ وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا ۝ نحن اعلم
بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا ۝ انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا ۝ وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ۝
قل كونوا حجارة او حديدا ۝ او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا ۝ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون
ان لبثتم الا قليلا ۝ وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ۝ ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم
او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا ۝ وربك اعلم بمن في
السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا ۝
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته

ويخافون

ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ۝ وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا
وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة
مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا ۝ واذ قلنا لك ان ربك
احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة
الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ۝

ليذكروا من الذكر وكذلك في الفرقان حمزة وعلي وخلف الاخرون بتشديد الذال والكاف من التذكر كما تقولون على الغيبة ابن كثير وحفص عما يقولون على الخطاب حمزة وعلي وخلف تسبح بتاء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل والخراز عن هبيرة الاخرون على التذكير اذا ائنا القول فيه كما مر في الرعد وكذلك في اخر هذه السورة وفي سورة قد افلح المؤمنون وفي سورة السجدة ليذكروا نفورا سبيلا كبيرا فيهن تسبيحهم غفورا مستورا للعطف وقرا نفورا مسحورا سبيلا جديدا او حديدا صدوركم للفاصلتين والسين للاستئناف مبينا اول مرة لما قلنا متى هو قريبا قليلا احسن بينهم مبينا اعلم بكم يعذبكم وكيلا والارض زبورا تحويلا عذابه محذورا شديدا مسطورا الاولون فظلموا بها تخويفا بالناس في القران الكل لما مر ونخوفهم لتحقيق المستقبل على المستقبل كبيرا ۝ التفسير لما بين انواع الحكم ومكارم الاخلاق وذكر غاية ظلومية الانسان وجهوليته قال ولقد صرفنا اي بينا احسن بيان لان من حاول بيان شيء فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع ومن مثال الى مثال حتى ينتهي به الى ما هو الغاية من الايضاح ومفعول التصريف متروك والمعنى اوقعنا التصريف في هذا القران او محذوف للعلم به والمراد صرفنا فيه ضروبا من كل مثل او اراد بهذا القران ابطال اضافتهم البنات الى الله لانه مما كرر ذكره والمقصود ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وقيل لفظة في زائدة كقوله واصلح لي في ذريتي قال الجبائي في قوله ليذكروا دلالة على انه اراد منهم فهمها والايمان بها والمراد بالتذكر ههنا فيمن قرا مخففا هو التذكر والتامل لا الذكر الذي هو نقيض النسيان قالت الاشاعرة قوله وما يزيدهم الا نفورا دل على عكس ذلك لان الحكيم اذا اراد تحصيل امر من الامور وعلم ان الفعل الفلاني يصير سببا لعسره وتعذره والنفرة والنبوة عنه فانه يقبح منه الامر بذلك الفعل ولما اخبر ان هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا انه ما اراد الايمان منهم عن سفين الثوري انه كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا ثم دل على التوحيد الذي امر به في قوله لا تجعل مع الله الها اخر فقال قل لو كان معه الهة كما تقولون اي كما يقوله المشركون من اثبات الالهة من دونه او كما تقولون ايها المشركون وفي قوله لا تجعل اذا دلالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو قاله في الكشاف قلت ولعل اذا ههنا ظرف لما دل عليه لابتغوا اي لطلبوا في ذلك الى ذي العرش سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض ومثله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وسمي في عرف المتكلمين دليل التمانع وسيجيء تحقيقه في سورة الانبياء ان شاء الله العزيز وقيل معنى الاية لو كان هذه الاصنام كما تقولون من انها تقربكم الى الله زلفى لطلبت لانفسها القرب العالية والدرجات الرفيعة فلما لم تقدر ان تتخذ لانفسها سبيلا الى الله فكيف يعقل ان تهديكم الى الله ثم نزه نفسه عن اقوالهم فقال سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا اوضع التلاقي فهو العلو موضع المشبه وهو التعالي كقوله انبتكم من الارض نباتا حسنا ثم وصف العلو بكبر مبالغة في النزاهة وتنبيها على ان بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين الغني المطلق والفقير المطلق مباينة لا تعقل الزيادة عليها ثم بين غاية ملكه ونهاية عظمته بقوله تسبح له الاية قالت العقلاء تسبيح الحي المكلف يكون تارة باللسان بان يقول سبحان الله واخرى بدلالة احواله على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون الا من القبيل الثاني وقد تقرر في اصول الفقه ان اللفظ المشترك لا يحمل على معنييه معا في حالة واحدة فتعين حمل التسبيح ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون واورد عليه انه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ولكن لا تفقهون تسبيحهم لان التسبيح بهذا الوجه مفقود معلوم واجيب بان دلالة كل شيء على وجود الصانع معلومة على الاجمال دون التفصيل فان كل ذرة من الحدث تفاحة واحدة فلا شك انها مركبة من اجزاء لا تتجزى ولكن عدد تلك الاجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها الا الله وايضا الخطاب للمشركين وانهم وان كانوا مقرين بالخالق الا انهم لما اثبتوا شركاء وانكروا قدرته على البعث والاعادة ولم ينظروا في الحجج

الدالة على نبوة محمد صلعم فكانهم لم يفقهوا التسبيح اذ لم يتوسلوا به الى نتيجة النظر الصحيح ولهذا ختم الاية بقوله انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وزعم بعض الظاهريين ان ماسوى الحي المكلف يسبح الله تعالى باللسان ايضا الكل بلغته ولسانه الذي نعرف
نحن ولا نفقه وزعم ايضا ان الحيوان اذا ذبح لا يسبح وكذا غصن الشجر اذا كسر فاعترض عليه انه كونه جمادا لا يمنع من كونه مسبحا فكيف صار
ذبح الحيوان مانعا له عن التسبيح وكذا كسر الغصن ويمكن ان يجاب بان تسبيح كل شيء لعله مختص بتركيبه الذي خلق عليه فاذا ابطل ذلك التركيب
وفكك ذلك النظم لم يبق مسبحا مطلقا او لا على ذلك النحو واعترض عليه ايضا بانه اذا جاز في الجمادات ان تكون عالمة بذات الله سبحانه ومثنية
مسبحة له مع انها ليست باحياء انسد علينا باب العلم بكونه تعالى حيا لانا نستدل بكونه عالما قادرا على كونه حيا ويمكن ان يجاب بانا نستدل على
حيوته تعالى بالاذن الشرعي ولو سلم ان العلم يستلزم الحيوة عقلا فقد قيل ان لكل موجود حيوة يليق به ولما فرغ من الالهيات شرع في
النبوات فقال فاذا قرات القران قيل نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله اذا قرا القران عليهم يروى انه كان كلما قرا القران قام عن
يمينه وعن يساره اخوان من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وعن اسماء كان رسول الله صلعم جالسا ومعه
ابو بكر اذ اقبلت امرأة ابي لهب وهي تريد الرسول صلعم وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا فقال ابو بكر يا رسول الله ان امرأة
ابي لهب قد اقبلت ومعها فهر اخشى عليك فتلا رسول الله هذه الآيات فجاءت فما رأت رسول الله صلعم وقالت ان قريشا قد علمت
اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب هذه الكعبة ما هجاك وعن ابن عباس ان ابا سفين والنضر بن الحرث وابا جهل وغيرهم
كانوا يجالسون الرسول صلعم ويستمعون حديثه فقال النضر يوما ما ادري ما يقول محمد غير اني ارى شفتيه يتحركان وقال ابو سفين اني
ارى بعض ما يقول حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت وكان رسول الله صلعم
اذا اراد تلاوة القران تلا قبلها ثلاث آيات وهي في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وفي النحل اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وفي حم الجاثية افرايت من اتخذ الهه هويه وكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات عن عيون المشركين وذلك
قوله وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اي ذا ستر وقيل حجاب مفعول بمعنى ذا كما جاء فاعل على ذلك كثيرا
نحو لابن وتامر ومن ذلك قولهم رجل مرطوب اي ذو رطابة ومكان مهول اي ذو هول وسيل مفعم ذو افعام وجوز الاخفش مجيء فاعل بلفظ المفعول
مثل مشئوم وميمون وقيل انه حجاب يخلقه الله في عيونهم بحيث يمنعهم ذلك الحجاب عن رؤية النبي وذلك الحجاب شيء لا يراه احد فهو مستور
وعلى هذا يصح قول الاشاعرة انه يجوز ان يكون الحاسة سليمة والمرئي حاضرا والرؤية غير حاصلة لاجل انه تعالى يخلق في العيون شيئا يمنع
عن الرؤية ويحتمل ان يراد حجاب من دونه حجاب وحجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به والقول الثاني
في الاية ان المراد بالحجاب الطبع والختم فاستدل الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم الاية على صحة مذهبهم في خلق الكفر والايمان كما مر في نحو
الانعام وفي قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا واجاب الجبائي بان المراد انهم يطلبون موضعه بالليالي ليقتلوه ويستدلون عليه باستماع
قراءته فاستعاذ الله من شرهم بان جعل في قلوبهم ما شغلهم عن فهم القران وفي اذانهم ما منعهم من سماع صوته وقال الكعبي اراد به التخلية
والخذلان كالسيد اذا لم يراقب حال عبده فسدت اخلاق العبد يقول انا القيته في هذه الحالة بسبب التخلية ولم ابال وقال جار الله
هذه حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم قلوبنا غلف وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبائح اهل الشرك انهم كانوا يحبون ان
يذكر الهتهم ويفروا انهم من مواضع المجلس فلذلك قال تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده وهو مصدر سد مسد الحال والتقدير يحد
وحده مثل وارسلها العراك ولوا على ادبارهم نفورا مصدر من غير لفظ التولية او جمع نافر كقاعد وقعود فاوعدهم الله على ذلك
بقوله نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران قال جار الله به في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء اي هازئين وإذ نصب
اذ يستمعون نصب بما دل عليه اعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى اي وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى
اذ يقول الظالمون اذ بدل من اذ هم ان تتبعون اي على تقدير الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله الا رجلا مسحورا سحر فاختلط عقله
وزال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذي افسد من قولهم طعام مسحور اذا افسد عمله وارض مسحورة اصابها من المطر اكثر مما ينبغي
فافسدها وقال مجاهد مسحورا مخدوعا لان السحر حيلة وخديعة وزعموا ان محمدا يتعلم من بعض الناس واولئك الناس كانوا يخدعونه
بهذه الحكايات او زعموا ان الشيطان يخدعه فيتمثل له بصورة الملك وقال ابو عبيدة يريد بشرا ذا سحر وهو الرية قال ابن قتيبة ادري
ما حمله على هذا التفسير المكره مع ان السلف فسروه بالوجوه الواضحة انظر كيف ضربوا لك الامثال شبهوك كل منهم بشيء اخر فقالوا انه كاهن
وشاعر وساحر ومجنون وضلوا في جميع ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والبيان ضلال من تحير في التيه الذي لا منار به
وحين فرغ من شبهات القوم في النبوات حكى شبهتهم في امر المعاد وايضا لما ذكر ان القوم وصفوه بانه مسحور فاسد العقل ذكر ما كان في
زعمهم دالا على اختلاط العقل وهو دعوى الانسان ان يصير حيا بعد ان كان عظاما ورفاتا والرفات الاجزاء المفتتة من كل شيء يكسر
وهو اسم كالرضاض والفتات ويقال منه رفت عظام الجزور رفتا اذا كسرها وتقدير الشبهة ان الانسان اذا مات جفت اعضاؤه وتناثرت

وتفرقت في جوانب العالم واختلطت بسائطها باشباهها من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها باعيانها ثم عود الحيوة الى ذلك
المجموع فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بان اعادة بدن الميت الى حالة الحيوة امر ممكن ولو فرضتم ان بدنه قد صار ابعد شيء من الحيوة
ومن رطوبة الحي وغضاضته ومن جنس [illegible] كالحجارة والحديد فهو كقول القائل اتطمع فيّ وانا فلان فيقول كن ابن الخليفة
او من شئت [illegible] او خلقا مما يكبر في صدوركم [illegible] ابعد شيء من قبول الحيوة من الحجر والحديد
بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحيوة [illegible] السموات والارض [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قليلا يوم يدعوكم منصوب باذكر او المراد [illegible] يكون البعث يوم يدعوكم بالداعي
الذي يجمعكم وهو النفخة الاخيرة [illegible] الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة [illegible]
والاستجابة موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الاطاعة [illegible] قال في الكشاف الدعاء
والاستجابة كليهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في
انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بامر يشق عليه ستاتي به وانت حامد شاكر اي ستنتهي الى حالة تحمد الله وتشكره على ان اكتفي منك
بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده اي بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة هنا وقال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد
وقال اخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلا عن قتادة تحاقرت
الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة ومثله قول الحسن معناه تقريب وقت البعث وكانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال ابن عباس
يريد ما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزول عنهم العذاب في ذلك الوقت وقيل اراد استقصار لبثهم في عرصة القيمة حين عاينوا اهوال
النار ثم امر المؤمنين بالرفق والتدرج عند ايراد الحجة على المخالفين فقال وقل لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد مختص بهم في اكثر
القران فبشر عبادي الذين يستمعون القول عينا يشرب بها عباد الله فادخلي في عبادي يقولوا الكلمة او الحجة التي هي احسن على اليين وهي
ان لا يكون مخلوطا بالسب واللعن والغلظة ثم نبه على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اي بين الفريقين جميعا
فيزداد الغضب ويتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم ايها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة واذاهم
او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم وكيلا اي حافظا موكولا اليك امرهم انما انت بشير ونذير والهداية الى الله
وقال جار الله الكلمة التي هي احسن مفسرة بقوله ربكم اعلم بكم الى اخره اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم
معذبون وما اشبه ذلك مما يزيد غيظهم وقيل ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقروا
بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة التي هي احسن وهي كلمة التوحيد والبراءة من الشركاء والاضداد لان ذلك احسن بالبديهة من الاشراك ووصفه
بالقدرة على الخير احسن من وصفه بالعجز عنها والحامل على هذا العقائد هو الشيطان المعادي ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بتوفيقه
الهداية او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان تلك المشية غائبة عنكم فلا تقصروا في الجد والطلب ثم قال لرسوله وما ارسلناك عليهم
وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة وهذا قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر شتمه رجل
فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلعم فنزلت حين قال ربكم اعلم بكم عمم الحكم فقال وربك اعلم بمن في
السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك يحصل التمايز والتفاضل
كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وفيه رد على اهل مكة في انكارهم ان يكون يتيم ابي طالب مفضلا على الخلايق نبيا دون صناديد
قريش واكابرهم وانما ختم الاية بقوله واتينا داود زبورا ليعلم ان التفضيل ليس بالمال والملك وانما هو بالعلم والدين فان داود كان ملكا

عظيما ولم يذكر الله سبحانه الاية ايتاء الكتاب وفيها ايضا اشارة الى نبينا دون عظماء قريش واكابرهم وانما ختم الاية بقوله لان محمدا خاتم
الانبياء وامته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي محمد وامته وفي التنكير
في زبورا اشارة الى كونه كاملا في كونه كتابا والزبور وزبور كالعباس وعباس والحسن وحسن والمراد بعض الزبور او الزبور كما يسمى بعض القران قرانا
وقيل كفار قريش ما كانوا اهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات وكانت اليهود تقول انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب
بعد التورية فنقض الله كلامهم بانزال الزبور على داود وهو بعد موسى ثم رد على طايفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة
وعلى طايفة من اهل الكتاب كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل اراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عبدهم
ناس من العرب ثم اسلم ولم يشعروا وانما خصصت الاية باحدى هؤلاء الطوايف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات
قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب وتقرير الرد ان المعبود الحق هو الذي قدر على ازالة الضر وتحويله من
حال الى حال او من مكان الى مكان وهذه الذي زعمتم انها الهة لا يقدر على شيء من ذلك فوجب القطع بانها ليست بالهة سوال ما الدليل على ان الملك
لا قدرة لها على كشف الضر فانا نعلم لا نزاع ان اولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا تحصل الاجابة قلنا ان المسلمين ايضا يتضرعون الى الله ولا
يجابون وبتقدير الاجابة في بعض الاوقات فالكفار ايضا يحصل مطلوبهم احيانا فيقولون انه من الملكة جوابه ان الملائكة معترفون بان الاله
الاعظم خالق العالم فكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه المتيقن دون المظنون الموهوم
على ان اهل السنة قاطعون بانه لا تاثير لشيء في الوجود الا الله تعالى يقول مولف هذا التفسير اضعف عباد الله تعالى واحوجهم اليه الحسن بن محمد
المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه في بعض الكتب مرويا عن امير المومنين علي كرم الله وجهه من وقع في ملمة او طلب كفاية
مهم فليسجد في خلوة وليقل في سجدة الهي انت الذي قلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيا من يملك كشف
الضر عنا وتحويله اكشف فانا اذا قال ذلك كشف الله عنه ضره وكفى مهمه وقد جرب فوجد كذلك ثم انه تعالى اكد عدم اقتدار معبوديهم
ببيان افتقارهم الى الله تعالى في جذب المنافع ودفع المضار فقال اولئك وهو مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان اولئك
المعبودين يطلبون الى ربهم الوسيلة اي القربة في الحوائج ايهم بدل من واو يبتغون فهو موصول وصدر صلته محذوف اي يبتغي من هو اقرب
الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب والدليل على هذا الاضمار اقرار جميع الكفار بامكانهم الثاني وجوز في الكشاف ان يضمن يبتغون الوسيلة
معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بازدياد الخير والطاعة والصلاح ويرجون ويخافون كغيرهم من العباد وقيل
اولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم الله في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين اي الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون للامم
الى الله لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا اليه فانتم احق بالعبادة واحتج هذا القائل على صحة قوله بان الله تعالى جعلهم قدوة
على الكذب الذين يعبدون عليه الكفار لقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ان عذاب ربك كان محذورا اي حقيقا بان يحذره
كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم فانهم لم يحذروه بعض الجهلة فانه لا يخرج عن كونه واجب الحذر ثم بين مال الحال الدنيا واهلها
فقال وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب كالسبي والاغتنام وقيل الهلاك
للصالحة والتعذيب للطالحة كان ذلك في الكتاب وهو اللوح المحفوظ مسطورا فلا يوجد له تبديل قط ثم ذكر نوعا اخر من سفههم فقال وما
منعنا استعار المنع للترك من اجل انه خلاف الحكمة والمشية عن سعيد بن جبير ان كفار قريش اقترحوا منه ايات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن
ابن عباس انهم سالوا ان يجعل الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضي فطلب النبي صلعم من الله تعالى ذلك فقال ان شئت فعلت
[illegible]

الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فيه اقوال الاول انه تعالى اراه في المنام مصارع كفار قريش فذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا
يستعجلون بما وعد الثاني انه رؤياه التي راى ان يدخل مكة واخبر فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال
عمر لابي بكر قد اخبرنا رسول الله انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبرنا انا نفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة
اخرى فلما جاء العام القابل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الثالث قول سعيد بن المسيب عن ابن عباس في رواية
عطا ان رسول الله صلعم راى بني امية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك الرابع وهو قول اكثر المفسرين ان المراد بهذه الرؤيا حديث
الاسرا ثم اختلفوا فالاكثرون على ان الرؤيا بمعنى الرؤية يقال رايت بعيني روية ورويا وسماها رويا على قول المكذبين قالوا لعلها رؤيا
راها وخيال خيل لك والاقلون على ان الاسرا كان في المنام وقد مر هذا البحث في اول السورة قوله والشجرة فيه تقديم وتاخير والتقدير
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس قال الاكثرون انها شجرة الزقوم لعنت في القران حيث
طاعموها قال عز من قايل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم او وصف باللعن لانه الابعاد وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من
الرحمة والعرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون والفتنة فيها ان ابا جهل وغيره قالوا زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجر ثم
تقول تنبت فيها الشجر فانزل الله هذه الاية ونظيره قوله انا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السمندل والنعامة كيف يتعجب من
قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا تعمل فيها النار عن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو امية وعنه هي الكشوث تلتوي بالشجر يجعل في الشراب
وقيل هي الشيطان وقيل اليهود سوال اي تعلق لحديث الرؤيا والشجرة الى ما قبله من الكلام وجوابه كانه قيل انهم لما طلبوا هذه
المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في انك لست بصادق في دعوى النبوة الا ان وقوع هذه الشبهة لا ينبغي ان
يكون سببا في توهين امرك الا ترى ان ذكر تلك الرؤيا والشجر صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انها ما اوجبت ضعفا في امرك ولا
فتورا في اجتماع المحقين عليك ثم ذكر سببا اخر في انه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال ونخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما
يزيدهم الا طغيانا كبيرا تماديا لابتغوا الى ذي العرش سبيل ليشمل معنيين لانهم كانوا اكبر منه او امثالا له طلبوا طريقا
الى ازعاج صاحب العرش ونزع الملك منه قهرا وان كانوا دونه طلبوا اليه الوسيلة بالخدمة والعبودية على ان الناقص لا
يصلح للالهية وهذا قريب من التفسير وان من شيء الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الاخرة والاخرة حيوان لا جماد لقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق
بالتسبيح والحمد لتنزيه الصانعه وحمد له على ما اولاه من نعمه وبهذا اللسان نطق الحصى في كف النبي صلعم وبه نطق الارض يوم القيمة
يومئذ تحدث اخبارها وبه تنطق الجوارح انطقنا الله الذي انطق كل شيء وبه نطق السموات والارض قالتا اتينا طائعين انه حليما في
الازل اذا اخرج من العدم من يكفر به ويجحد غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرات القران فيه اشارة الى من قرا القران بتمامه وصل
الى اعلى معارج القدس واقصى مدارج الانس كما جاء في الحديث يقال لصاحب القران اقرا وارق قال ابو سليمان الخطابي جاء في الاثر
ان عدد آي القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميع آي القران استولى على اقصى درج الجنة قال المحققون استيفاء جميع آي القران
هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته بل باخلاق الله وبصفات الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين
الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا لم يقل ساترا لان الحجاب يستر الواصل عن المنقطع ولا يستر المنقطع عن الواصل فيكون الواصل مستورا
بالحجاب عن المنقطع ولوا على ادبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون يقبلون الغذاء الصالح فالحلاوة في مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون
من ظلمهم انهم وضعوا المسحور مكان المبعوث او خلقا مما يكبر في صدوركم اي لو كان قلوبكم التي في صدوركم اشد من الحجارة والحديد فالله
قادر على احيائه وتليينه في قيام قيامة العشق يقولوا التي هي احسن من شرف من عبيدي بتشريف الاضافة يظهر منه القول الاحسن
وهو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الاحسن وهو ان يكون متادبا باداب الشريعة والطريقة والخلق الاحسن وهو
ان يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر منهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويعيش فيهم بالنصيحة يامرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن
المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم ان لم يعيشوا بالنصيحة وآتينا داود زبورا فيه ان فضل النبي صلعم على داود كفضل القران على
الزبور وان من قرية من قرى القالب الا نحن مهلكوها بموت قلبه وروحه قبل موت قالبه فمن مات فقد قامت قيامته او معذبوها
بانواع الرياضات والمجاهدات ففي السير الى الله ذوبان الافعال وفي السير في الله ذوبان الصفات وفي السير بالله ذوبان الذات
احاط بالناس علما فيقضي كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي اريناك كان الوحي يصل الى النبي صلعم في مبدا امره بطريق المنام
فكان ذلك اختبارا للناس فمن وقته يظهر الموافق من المنافق والصديق من الزنديق وهكذا كان في شجرة وجود ابليس ابتلاء للناس
ولم يكن للمحيط باحوال الناس حاجة الى الابتلاء ولكنه يعامله معاملة المختبر ٥

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت
طينا قال ارايتك هذا الذى كرمت على لئن اخرتنى الى يوم القيمة
لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم
جزآؤكم جزآء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب
عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
وكفى بربك وكيلا ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى
البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر
فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجيكم الى البر اعرضتم وكان
الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل
عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم
فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم
ثم لا تجدوا لكم علينا تبيعا ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم
فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك
يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة
اعمى واضل سبيلا

اخرتنى بالياء فى الحالين ابن كثير غير الهاشمى عن ابن فليح وسهل ويعقوب وافق
ابو جعفر ونافع وابو عمرو فى الوصل الباقون بالحذف ورجلك بكسر الجيم حفص وابو زيد
عن المفضل الاخرون بسكونها او يخسف او يرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمرو والباقون على الغيبة الا يعقوب
ويزيد فانهما قرآ فتغرقكم بالتاء الفوقانية للريح من الرياح على الجمع يزيد عنه اعمى بالامالة اعمى بالتفخيم ابو عمرو وعلى نصير والبرجمى وعبدوس
وقرا حمزة وعلى نصير وخلف ويحيى وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم ابليس طينا لاتحاد فاعل قبله وفعل بعده
بلا حرف عطف على نحو القسم المحذوف مع اتحاد الكلام قليلا موفورا وعدهم للعدول غرورا سلطان وكيلا فضله رحيما الا اياه
اعرضتم كفورا وكيلا للعطف تبيعا تفضيلا بامامهم فتيلا سبيلا قال اهل النظم انه لما ذكر ان الرسول صلعم كان

من قومه فى بلية عظيمة ومحنة شديدة اراد ان يبين ان جميع الانبياء كانوا كذلك حتى ادم عليه السلم وايضا ان القوم كان منشأ تزاعهم
واقتراحهم الفاسدة امرين الكبر والحسد فبين الله تعالى ان هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنة الله عليه وايضا لما وصف القوم بزيادة
الطغيان عقيب التخويف اراد ان يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى
فى سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة
فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله طينا حال اما الموصول والعامل فيه اسجد له وهو طين فى الاصل واما من الراجع الى الموصول
من الصلة تقديره اسجد لمن كان فى وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار امر الاشرف على زعمه بخدمة الادون ولذلك قال ارايتك
اى اخبرنى عن هذا الذى كرمته اى فضلته على لم كرمته وانا خير منه فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن ان يقال هذا مبتدا والاستفهام
فيه مقدر معناه اخبرنى اهذا الذى كرمته على والاشارة ههنا تفيد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول ارايت لان الكاف لمجرد الخطاب
كانه قال على وجه التعجب والانكار ابصرت او علمت هذا بمعنى لو ابصرته او علمته لكان يجب ان لا يكرم على ابتداء لئن اخرتنى واللام موطئة للقسم
المحذوف وجوابه لاحتنكن ذريته لاستاصلهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر
سيبويه احنك الشاتين اى اكلهما وقال التبعية والوعيد ابو مسلم افتعال من الحنك يقال منه حنك الدابة يحنكها اذا جعل فى حنكها الاسفل
حبلا يقودها به كانه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه وانما ظن ابليس بهم ذلك لانه سمع قول الملائكة فى حقهم اتجعل فيها من يفسد
فيها او نظر اليه فتوسم انه خلق شهوانى الى غير ذلك او قاس ذرية ادم عليه السلم حين عمل وسوسته فيه وانه لا وضعفه جار الله بان الظن
انما قال ذلك قبل اكل ادم من الشجرة قال الى الله تعالى اذهب ليس المراد منه نقيض المجى وانما المراد امض لشانك الذى اخترته خذلانا وتخلية ولهذا
ثم رتب على الامهال قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اراد جزاؤهم وجزاؤك فغلب المخاطب على الغائب لانه الاصل فى المعاصى وغيره تبع له
ويجوز فى الكشاف ان يكون الخطاب للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر او المدلول
عليه بقوله فان جزاؤكم او على الحال الموطئة والموفور الموفر من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وقيل هو بمعنى الوافر ثم اكد الامهال والخذلان بقوله
واستفزز من استطعت منهم بصوتك افزه الخوف واستفزه ازعجه واستخفه وصوته دعاؤه الى الشر وقيل الغناء واللهو واللعب واجلب عليهم بخيلك
ورجلك قال الفراء وابو عبيدة اجلب من الجلبة والصياح اى صح عليهم وقال الزجاج اى اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك فالاجلاب
الجمع والباء فى بخيلك زائدة وقال ابن السكيت الاجلاب الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال صلعم يا خيل الله اركبى وعلى الافراس ايضا
والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجمعه الرجل وبضم جيمه ايضا مثل ندس وندس وحذر
وحذر وعن ابن عباس كل راكب وراجل فى معصية الله فهو من خيل ابليس وجنوده وقيل يحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب
وبعضها راجل والاقرب ان هذا كلام ورد تمثيلا فقد يقال للرجل المجد فى الامر جئتنا بخيلك ورجلك قال فى الكشاف مثلت حاله فى تسلطه
على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استاصلهم اما
المشاركة فى الاموال فهى كل تصرف فى المال على وجه غير الشرع كان اخذا من غير عوض او وضعا فى غير حق كالربى والغصب والسرقة وقيل
وقيل هى تبتيك اذان الانعام وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة فى الاولاد دعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالدعاء الى الزنى او تسميتهم
بعبد اللات وعبد العزى او تربيتهم لا كما ينبغى حتى ينشاوا غير راشدين ولا مؤدبين ولا متدينين بدين الحق وعدهم بتزيين المعاصى فى
اعينهم وترغيبهم فيها وتثقيل الطاعات والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما خصصه المفسرون فعن بعضهم ان المراد
وعدهم بانه لا جنة ولا نار وقيل تسويف التوبة وقيل بالكرامة على الله بالانساب والاحساب وقيل بشفاعة الاصنام والامانى الباطلة و
ايثار العاجل على الاجل ثم نفى ان يكون لوعد الشيطان عاقبة حميدة فقال وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه انما يدعو الى اللذات
البهيمية والسبعية او الخيالية واكثرها دفع الالام وكلها لا اصل لها ولا دوام ومن اراد الاستقصاء فى هذا الباب فعليه بمطالعة باب
ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام محمد الغزالى رحمه الله ولما قال للشيطان على سبيل الوعيد والتهديد افعل ما تقدر عليه ربط
جاش سائر المكلفين بقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الجبائى المراد كل عباده لانه استثنى متبعيه فى غير هذا الموضع قائلا الا
من تبعك وقال اهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد فى تقوية جانب المكلف فختم الاية بقوله وكفى بربك وكيلا فهو يدفع كيد
الشيطان وبعضهم من اعوانه ثم عدد على بنى ادم بعض ما انعم به عليهم ليكون تذكيرا لهم وتحذيرا فقال ربكم الذى يزجى لكم اى يسير لاجلكم
الفلك فى البحر والازجاء سوق الشى حالا بعد حال لتبتغوا من فضله الربح بالتجارة انه كان بكم رحيما فكذلك هداكم الى مصالح المعاش الموصلة
الى منافع المعاد واذا مسكم الضر واحوجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص وكان الانسان كفورا للنعمة لانه عند الشدة يتمسك برحمة الله وفى
الرخاء يعرض عنه ثم انكر عليهم سوء معاملتهم قائلا افامنتم تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف اصله دخول الشى فى الشى ومنه
عين خاسفة للتى غارت حدقتها فى الراس وخسف القمر دخل تحت الحجاب وهو دائرة الظل عند الحكماء وبكم حال وانما قال فى جانب البر لانه

ذكر البحر في الاية الاولى فهو جانب والبر جانب وخسف جانب البر بهم قلبه وبهم عليه فالخسف تغييب تحت التراب كما ان الغرق
تغييب تحت الماء فنبه انكم نجوتم من هول البحر فهل امنتم من هول البر فانه قادر على تسليط افات البر عليكم اما من جانب التحت بالخسوف
واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك قوله او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء وقال الزجاج الحاصب
التراب الذي فيه حصباء والحصباء كالاين والتامر ولا يخفى ان هذين العذابين اشد من غرق البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم
ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى بان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوب البحر فيرسل عليكم ريحا قاصفا لها قصيف اي صوت شديد او
القاصف الكاسر وقوله من الريح بيان له فيغرقكم بما كفرتم بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا لانكار ما نزل بكم
او لصرفه عنكم فهو كقوله ولا يخاف عقباها ثم اجمل ذكر النعمة بقوله ولقد كرمنا بني ادم وقد ذكر المفسرون في تكريمه وجوها منها الخطابية بقدرة
الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو وغيره الدفاتر فتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن الانطماس اقرأ وربك
الاكرم الذي علم بالقلم ومنها الصورة الحسنة فاحسن صوركم ومنها القامة المعتدلة لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ومنها ان كل شيء
ياكل بفيه الا ابن ادم يحكى عن الرشيد انه حضر له طعام فاحضرت الملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس ان
هذا التكريم هو انه جعل لهم اصابع ياكلون بها فرد الملاعق واكل باصابعه ومنها قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان يمكنه تعريف
غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات ويأكل الاخرس في هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة او الكتابة ويخرج الببغاء ونحوه لانه لا يقدر
على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها تسلطهم على ما في الارض وتسخيرهم لهم فالارض لهم كالام الحاضنة منها خلقناكم وفيها نعيدكم
وهي لهم فراش ومهاد والماء ينتفعون به في الشرب والزراعة والعمارة وماء البحر ينتفع به في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة
الحيوة ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على المعمورة والنار ينتفع بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات
المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة فهذا العالم باسره كقرية معمورة او خوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع
فاي تكريم يكون ازيد من هذا ولا شك ان الانسان لكونه مستجمعا للقوة العقلية القدسية وللقوتين الشهوانية البهيمية والغضبية السبعية
وللقوى الحس والحركة الارادية وللقوى النباتية وهي الاغتذاء والنمو والتوليد يكون اشرف عالم يستجمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال
بعضهم ان هذا التكريم هو انه تعالى خلق ادم بيده وابدع غيره بواسطة كن يروى عن زيد بن اسلم ان الملائكة قالت ربنا انك اعطيت بني
ادم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له
كن فكان ثم خص بعض انواع التكريم بالذكر فقال وحملناهم في البر والبحر قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير وفي البحر
اي على السفن ورزقناهم من الطيبات من كل غذاء نباتي او حيواني الطعم واللذة واعلم ان التكريم لا يدل على التفضيل لان تكريم زيد
لا ينافي تكريم غيره بازيد من ذلك ولذلك ختم التكريم بقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا فسر بعض الاشاعرة الكثير هاهنا بمعنى الجميع فشنع
عليه جار الله بانه تعجب في الخلق وغذيري في العين لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع ممن خلقنا والانصاف ان كون الكثير
بمعنى الجميع لا يوجب هذا التشنيع لانه لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ اخر بمعنى انه يرجع الحاصل الى ذلك بدلالة الالتزام او بحكم
العرف ان يوضع ذلك اللفظ موضعه وينطق به على ان المفسر لا يقوم مقام المفسر البتة لانه هذا معجز دون ذلك فكيف يحيي الذوق حاله
وايضا فالحاصل هو قولنا على جميع من خلقنا الا على من خلقنا فان الدعوى هي ان كثير من الشيء اقيم مقام كل ذلك الشيء لا كل من ذلك الشيء
حتى يلزم البشاعة من قبل الجمع بين لفظي الكل ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة هو اجراء الكلام على ظاهره وان الاية تدل على
انه حصل في مخلوقات الله شيء لا يكون للانسان تفضيل عليه لانه سبحانه ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل
لم يقع من الله تعالى الاقتصار على ذكر البعض وكل من اثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة فلزم القول بان كل الانسان ليس افضل من كل
الملائكة بل بعض الملائكة افضل من اكثر الانسان وان كان يوجد في خواص الانسان من هو افضل من عوام الملائكة بل من خواصهم والى هذا
ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان كل الملائكة افضل من كل البشر على ما زعم جار الله و
امثاله فانه تحكم محض ولما ذكر انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاته في الاخرة فقال يوم ندعو وهو منصوب باضمار
اذكر وبقوله فضلناهم على عادة الله في الاخبار اي ونفضلهم في هذا اليوم بما نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون الكريم في
الدنيا والتفضيل في الاخرة ولا وقف على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين والباء في
قوله بامامهم للالصاق كما تقول ادعوه باسمه عن ابي هريرة مرفوعا انه ينادي يوم القيمة يا امة ابرهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد
فيقوم اهل الحق الذين تبعوا الانبياء فياخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادي يا اتباع نمرود يا اتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال
واكابر الكفرة ويجوز ان يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو كل اناس مشتركين ملتبسين بامامهم اي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب
بجنوده وروى الضحاك وابن زيد انه ينادي في القيمة يا اهل القران يا اهل التورية يا اهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي

فيه اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وابي العالية ايضا قال صاحب الكشاف ومن بدع
التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم والحكمة في ذلك رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن
والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى ثم قال وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته وقال في التفسير الكبير كل خلق يظهر
من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى تلك الافعال خلق باطن هو كالامام له وكالمنبع و
المنشأ يوم القيمة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشية من تلك الاخلاق فمن اوتي هو في معنى الجمع ولذلك
قيل في جزائه فاولئك يقرؤن وخص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة اصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم وقته من الحياء
والخجل والتتعتع ومن كان في هذه الدنيا اعمى لا خلاف ان المراد بهذا العمى عمى القلب اما قوله فهو في الاخرة اعمى فيحتمل ان يراد به
عمى البصر كقوله ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وفي هذا زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد
عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عددها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله تفضيلا فهو في الاخرة
التي لم ير ولم يعاين اعمى بالطريق الاولى لان الضلال عن معرفة احوال الاخرة اقرب وقوعا فعلى هذا يكون العمى في الموضعين
في الدنيا ومثله ما روى ابو روق عن الضحاك من كان في الدنيا عما يرى من قدرتي في خلق السماء والارض والبحار والجبال و
الناس والدواب فهو عن امر الاخرة وتحصيل العلم به اعمى قال المفسرون لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افعل التفضيل ودليله
قراءة ابي عمرو بامالة الاول وتفخيم الثاني لان الاول الفه واقعة في الطرف فكانت عرضة للامالة ومظنة لها بخلاف الثاني فان
تمامه من فكانت الفه في حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابي علي الفارسي واقول في هذا الوجه نظر لان الامالة
ليست مختصة باخر الكلمة مثل شيبا والكافرين ونحوهما ولهذا قرئ بامالة كليهما مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ولعل من لم
يمل الثاني راعى المشاكلة بينه وبين اضل والله اعلم وقال الحسن في الاخرة اي في الدار الاخرة وذلك انه في الدنيا يقبل توبته وفي
الاخرة لا يقبل وقيل المراد بالعمى في الاخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة والى طيباتها والابتهاج بها ولا يمكن ان يراد بها الجهل بالله
لان اهل الاخرة يعرفون الله بالضرورة من استطعت منهم بصوتك اي بكلمات المبتدعة ومقالات اهل الطبيعة
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم بخصوصية العبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين وكفى بربك وكيلا في تربيتهم
وتهيئة صلاح احوالهم ربكم الذي يزجي لكم فلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلما نجاكم الى بر الوصول و
الوصال اعرضتم بحجب العجب ورؤية الاعمال حاصبا من مطر القهر قاصفا من ريح الابتلاء ببليات البدع والاهواء فيغرقكم في بحر الشبهات
ولقد كرمنا بني ادم بالكرامات البدنية العامة للمؤمن والكافر وهي تخمير طينته بيده وتصويره في الرحم بنفسه وبالكرامات الروحانية
العامة وهي انه نفخ فيه من روحه وشرفه بخطاب الست بربكم وانطقه بجواب بلى وولده على الفطرة وارسل الرسل وانزل الكتب و
بالكرامة الروحانية الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرنا بهم من بر البشرية وبحر
الروحانية الى ساحل الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب ونوال الكشوف وفضلناهم على كثير اي على الملائكة لانهم الخلق الكثير
من مخلوقات الله وبيان تفضيله حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة
ندعو كل اناس بامامهم من الدنيا والاخرة وغيرهما فيقال يا اهل الدنيا ويا اهل الاخرة ويا اهل الله فمن اوتي كتابه بيمينه فيه اشارة
الى ان اهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون حسابهم واهل الشمال يؤتون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم عمي والقراءة
تحتاج الى الابصار بالابصار والبصاير والله اعلم

وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا
لاتخذوك خليلا ● ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا ● اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد
لك علينا نصيرا ● وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك
منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا ● سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا

ولا تجد لسنتنا تحويلا ● اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل
وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ● ومن الليل فتهجد به
نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ● وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا ● وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ●
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ● واذا انعمنا على الانسان اعرض ونآى بجانبه واذا
مسه الشر كان يؤسا ● قل كل يعمل على شاكلته فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا ● ويسالونك عن الروح قل الروح من امر
ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ● ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ● الا رحمة من ربك
ان فضله كان عليك كبيرا ● قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا ● ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر
الناس الا كفورا ●

خلفك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وحماد الاخرون خلافك بكسر الخاء
بالالف وتنزل مخففا ابو عمرو ويعقوب الباقون بالتشديد وناء بجانبه مثل ناع يزيد
وابن ذكوان وناى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف والعجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب ونصير مثله ولكن بكسر النون على تغيير
وخلف والعجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين كرمى خليلا قليلا لتعلق اذ نصيرا قليلا تحويلا وقران الفجر مشهودا نافلة لك
والوصل اولى لان عسى وعد على التهجد محمودا نصيرا وزهق الباطل زهوقا للمومنين لان ما بعده من صلة ما خسارا بجانبه لعطف جملة الشرط
يوسا شاكلته سبيلا عن الروح قليلا وكيلا من ربك كبيرا ظهيرا نصف الجزء مثل لعطف المتفقتين لفظا المختلفين معنى كفورا ٥
لما عدد في الايات المتقدمة اقسام نعمه على بني ادم وشرح احوال السعداء ارد فيه بما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار
بوساوس الاشقياء عن ابن عباس نزلت في وفد ثقيف قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا لا نفتخر على
العرب لا نعشر اي لا يوخذ عشور اموالنا ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا اي لا نسجد ولا نحشر الحول وان نمتع من قصد وادينا وحج نعضده
فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني بها وابكانيهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف
لا تعشرون ولا تحشرون وقالوا ولا تجبون فسكت رسول الله ثم قال للكاتب اكتب ولا تجبون فسكت والكاتب ينظر الى رسول الله

فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال عن الكلام كراهية لما يذكرونه فانزل الله الاية وهذه القصة وقعت بعد الهجرة فلهذا قال المفسرون
انها ليست مكية وروى ان قريشا قالوا اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة فنزلت وقال الحسن ان الكفار اخذوا رسول الله
صلعم بمكة قبل الهجرة فقالوا كف يا محمد عن ذم آلهتنا وشتمها ولو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب
رسول الله صلعم ان يكف عن شتم الهتهم وعن سعيد بن جبير انه صلعم كان يستلم الحجر فمنعه قريش وقالوا لا ندعك حتى
تستلم آلهتنا فوقع في نفسه ان يفعل ذلك كراهية فنزلت قال القفال من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون في ابطال
رسول الله صلعم باقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون لو عبدت الهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون وقال عدوا ودوا لو تدهن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك ادعاء النبوة
فنزل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا ودعوه الى طرد المومنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون ربهم وكل ذلك دليل على
انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه ويزيلوه عن منهجه فلو لم يكن شيء من الروايات المذكورة موجودة لكان للاية الاجمال
صحيح والمعنى ان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنين واصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من ازال
الشيء عن حده وجهته وذلك ان في اعطائهم ما سالوه مخالفة لحكم القران وافتراء على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك
واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولا تثبيتنا و
عصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم كدت قاربت ان تميل الى مرادهم شيئا قليلا اي ركونا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم
قال قتادة لما نزلت هذه الاية قال النبي صلعم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد الوعيد فقال اذا لاذقناك
اي لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة والضعف عبارة
عن ضم الشيء الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد عذاب الممات وهو عذاب القبر وعذاب الحيوة وهو عذاب حيوة الاخرة اي عذاب
النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام عذابا ضعفا في
الحيوة وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت الصفة كاضافة الموصوف فقيل ضعف
الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام انك لو مكنت خواطر
الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والاخرة ولصار عذابك
مثل عذاب المشرك في الدنيا ومثل عذابه في الاخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء اكثر
فكان ذنوبهم وكذا عقوبتها اعظم نظيره يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات
الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه لان دليل الخطاب لا حجة فيه فلعله ترقى الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن
سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ثم لا تجد لك علينا نصيرا يعني لو اذقناك ذلك لم تجد احدا يخلصك من
عذابنا واعلم ان القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل على الاقدام عليها فلا يلزم من الاية
طعن في عصمة النبي صلعم وفيه انه لا عصمة من المعاصي الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت الالطاف
الصادفة عن ذلك وهي ما اخطر الله بباله من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده واجيب بانه لو لم يوجد المقتضي للاقدام
على ذلك الفعل المحذور لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذلك المقتضي الا القدرة مع الداعي ولا ذلك المانع الا داعية اخرى
معارضة للداعي الاول وقد اوجدها الله تعالى عقيب ذلك ثم ذكر نوعا اخر من كيدهم فقال وان كادوا ليستفزونك ان مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة كما في الاية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر في قوله واستفزز والارض اما ارض مكة
كما قال قتادة ومجاهد ويرد عليه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك ويمكن ان يقال انهم هموا باخراجه ولكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بامر ربه فاطلق الاخراج على ارادة الاخراج تجوزا
ويؤيده قوله واذا لا يلبثون وهو معطوف على يستفزونك اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا اي لو اخرجوك لاستوصلوا لكنه
لم يقع الاستيصال فعلم بذلك على عدم وقوع الاخراج ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث انهم اهلكوا ببدر بعد اخراجه
بقليل واما ارض المدينة على ما يروى عن ابن عباس ان رسول الله صلعم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا
يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا
انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلعم على اميال من المدينة او بذي
الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت الاية فرجع وعلى
هذا القول يكون هذه الاية ايضا مدنية والخلاف في معنى الخلف كما مر في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ اذا لا يلبثوا بحذف

النون على اعمال الذين فيكون الجملة برأسها معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ثم بين ان عادته تعالى جارية بان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم فقال سنة من قد ارسلنا وهو منصوب على المصدر المؤكد اى سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا لان اسباب الكلية في الازل اقتضت توزيع كل من اجزاء الزمان على حادث معين بسبب معين فتبدل احدى الحوادث وتحويلها الى وقت اخر يقتضي تغير الاسباب عن اوضاعها وهو محال عقلا وعادة قال اهل النظم لما قرر الالهيات والمعاد والجزاء اردفها بذكر الطاعات وبدا بالصلوة وايضا لما قال وان كادوا ليستفزونك امره بالاشتغال بالعبادة تفويضا للامور الى الله وتعويلا على فضله في دفع شر اعدايه نظير قوله في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وذهب كثير من المفسرين كابي قتيبة و سعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس ان دلوك الشمس هو غروبها وعلى هذا لا يشمل الاية صلوتي الظهر والعصر واكثر الصحابة والتابعين ان دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء ويؤيده ما روى انه صلعم قال اتاني جبريل عم لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر قالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه لينظر اليها وهي في كبد السماء وعلى هذا التفسير يشمل الاية جميع الصلوات الخمس وحمل كلام الله على ما هو اكثر فائدة اولى واللام بمعنى الوقت او للتعليل اى ادم الصلوة في هذا الوقت او لاجل دخول هذا الوقت الى غسق الليل اى ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا اى اظلم والاسم الغسق بفتحتين والتركيب يدل على السيلان ومنه يقال غسقت العين اذا هملت كان الظلام انهمل على الدنيا وتراكم وهذا عند غيبوبة الشفق الابيض فاستدل به بعض الشافعية على ان اول الوقت العشاء الاخرة يدخل بغروب الشفق الاحمر لان المحدود الى الغاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على ان الغاية لا تدخل في ذي الغاية وعلى ان الاية يجب ان تشمل جميع الصلوات وللخصم المنع في المقامين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالقران الفجر هو صلوة الصبح تسمية للشيء ببعض اجزائه ومثله تسمية الصلوة ركوعا وسجودا وقنوتا قال جار الله انه حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن قلت اجزاء الصلوة اعم من اركانها ولهذا قسمت الفقهاء الصلوة الى اركان وابعاض وهيآت فلا يتم هذا الاعتراض وفي الاية مسايل الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء مطلقا واجيب بان الاية مخصوصة بفعل الرسول صلعم او بقوله صلوا كما رايتموني اصلي ويستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الاصلي الثانية استدل بعض الشافعية بها على ان التغليس في صلوة الصبح افضل من التنوير لوجوه الاول انه اضاف القران الى الفجر والتقدير اقم قران الفجر وظاهر الامر الوجوب لا اقل من الندب حتى لا يكثر مخالفة الدليل والفجر انفجار ظلمة الليل فيلزم ان يكون اقامة الفجر في اول الوقت افضل ومنها انه خص الفجر باضافة القراءة اليه فدل ذلك على ان طول القراءة في هذه الصلوة مطلوب ولن يتم هذا المطلوب الا اذا شرع فيها في اول الوقت ومنها انه وصف قران الفجر بكونه مشهودا فقيل اى يشهده الكثير من المصلين في العادة ومن حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال اكثر المفسرين معناه ان ملئكة الليل وملئكة النهار يجتمعون في صلوة تنزل هولاء وتصعد هولاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار وقيل انهم يجتمعون خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة الغداة قبل ان تعرج ملئكة الليل فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملئكة الليل ومكثت ملئكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك ويقولون ملئكة النهار ربنا اتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله للملئكة اشهدوا فاني قد غفرت لهم والغرض ان المكلف اذا شرع في صلوة الصبح في اخر الظلمة الذي هو اول الفجر كانت ملئكة الليل حاضرين بعدهم اذا امتدت هذه الصلوة بسبب ترتيل القران وتكثيرها زالت الظلمة بالكلية او بالاكثر وحضرت ملائكة النهار وهذا المعنى لا يحصل اذا ابتدى بها وقت التنوير قال اهل التحقيق اذا شرع في صلوة الصبح في اول وقتها شاهد في اثنائها انقلاب العالم من الظلمة التي هي نظيرة الموت الى الضياء الذي هو نظير الحيوة فانتقل عقله من هذه الحالة الى عجيب صنع الخالق المدبر للانفس والافاق فيزداد بصيرة وايقانا ومعرفة وايمانا وينفتح عليه ابواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتقابلة المتعاكسة اضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورا وبهاء فيحتمل ان يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب انه اذا شرع في الصلوة اول انتباهه من النوم قبل ان يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية كان اولى فان الانبياء ما بعثوا الا لازالة مثل هذه الاعراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال ومن الليل فتهجد به قال ابو عبيدة وابن الاعرابي هذا من الاضداد لانه يقال هجد الرجل اذا نام وهجد ايضا اذا صلى من الليل وتوسط الازهري فقال الهجود في الاصل هو النوم بالليل ولكن التاء التفعل فيه لاجل التجنب ومنه تاثم وتحرج اذا القى الاثم والحرج عن نفسه فكان المتهجد يدفع الهجود عن نفسه وبوجه اخر لما كان غرض المصلي بالليل ان يطيب رقاده وهجوده بعد الموت سمي بذلك الاعتبار متهجدا وربما يقال سمي تهجدا لان الاصل فيه ان يرقد ثم يصلي ثم يرقد ثم يصلي فهو صلوة بعد رقاد كما كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وداود كما جاء في الحديث افضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه ثم ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره واقم الصلوة في بعض الليل فتهجد به اى بالقران ومعنى نافلة لك كما مر في اول الانفال ثم من ذهب الى ان صلوة الليل كانت واجبة على النبي صلعم زعم ان معناه كونها فريضة له زائدة على الصلوات الخمس والمراد انه فرضيتها نسخت عنك

فصارت تطوعا زائدة على الفرايض ويرد عليه ان الامر ظاهر الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض على قول من يقول ان صلوة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن ان يجاب عنه بان قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد والسدي ان كل طاعة ياتي بها النبي صلعم سوى المكتوبة فان تاثيرها لا يكون في كفارة الذنوب لانه غفر له ما تقدم منه وما تاخر وانما يكون موثرة في زيادة الدرجات وكثرة الثواب ولا كذلك حال الامة فكانه قيل للنبي ان هذه الطاعات زوائد ونوافل في حقك لا في حق غيرك لان غيرك يحتاج اليها في تكفير السيئات ومن تتمة التهجد بقوله نافلة لك يعلم ان قوله اقم الصلوة عام لكل امته وان كان ظاهره خطابا معه ثم وعده على اقامة الفرايض والنوافل عسى ان يبعثك ربك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا وضمن يبعثك معنى يقيمك او هو حال اى يبعثك ذا مقام محمود قيل انه مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات والاولى ان يخص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء الانعام ولا انعام للنبي على امته في الاخرة الا انعام الشفاعة ولا انعام اجل منها لان السعي في تخليص الغير من العقاب اهم من السعي في ايصال الثواب اليه ويؤيده رواية ابي هريرة عن النبي صلعم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي واما ما روى عن حذيفة ان المقام المحمود هو ان يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فليس بقوي لان هذا القول من محمد لا يوجب حمد الله من امته الا ان يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل اراد مقاما تحمد عاقبته وروى الواحدي عن ابن مسعود ان ذلك حين يقعد محمدا معه على العرش وهذا يشعر بلزوم التجزيه تعالى وقل مدخل صدق ومخرج صدق مصدران بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود اى ادخالا ايضا ان ير ادخالا او لا يرى فيه ما يكره قال الحسن وقتادة نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ان اليهود قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب اليه فكانه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصر الا من عنده فداوم على الصلوات وارجع الى مقرك ومسكنك وقل رب ادخلني المدينة مدخل صدق واخرجني منها الى مكة مخرج صدق اى افتحها لي فعلى هذا القولين يكون الكلام عودا الى الواقعة المذكورة في قوله وان كادوا ليستفزونك والاولى ان يقال انه عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه ثم يتركه من امر ومكان وقيل اراد ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها امنا من المشركين و قيل ادخاله الغار واخراجه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل اراد رب ادخلني الصلوة واخرجني منها مع الصدق والاخلاص والقيام بلوازم الحضور او ادخلني في بحار دلايل التوحيد واخرجني من الاشتغال بالدليل الى معرفة المدلول وقال صاحب الكشاف ادخلني القبر ادخالا مرضيا واخرجني منه عند البعث ملقى بالكرامة يدل على هذا التفسير ذكره على اثر ذكر البعث واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام وذويه ثم شرفه باستجابة دعائه بقوله وقل جاء الحق اى الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك وزهقت نفسه اذا خرجت ان الباطل كان زهوقا غير ثابت في كل وقت وان اتفقت له دولة وصولة كانت كالبرق عن ابن مسعود ان النبي صلعم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما لقبايل العرب صنم كل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلعم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله وننزل من القران من للبيان كقوله من الاوثان او للتبعيض اى ننزل ما هو شفاء وهو هذا القران او بعض هذا الجنس وقيل ان ابي المكاتب اناله المرض مقدمة على السعي في تحصيل موجبات الصحة ذكر كون القران شفاء من الامراض الروحانية كالعقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية ايضا لما في قراءته من اليمن والبركة وحصول الشفاء للمرضى كما قال صلعم لم يستشف في القران فلا شفاه الله ثم بين انه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان الى جوار الملئكة المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كانوا ابوا القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم لا يزيد القران الظالمين الذين وضعوا الكفر مقام التصديق والشك موضع الايمان والطغيان والاخبار الا ان الجدين عن النبي محمد عدو ورد به شرا فلا يزال استماع القران يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى ان يدفع الله مكرهم ونكرهم ثم ذكر قبح شيمة الانسان الذي جبل عليه فقال واذا انعمنا على الانسان اى على هذا الجنس بالصحة والغنى عن ابن عباس انه الوليد بن المغيرة وفي التخصيص نظر الا ان يكون سبب النزول اعرض ونأى بجانبه النأي البعد والباء للتعدية او للمصاحبة وهو تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء هو ان توليه عرض وجهك اى ناحيته والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان هذا الفعل من شان المستكبرين ومن قرا ناء فاما من النوء بمعنى النهوض مستقلا واما مقلوب كقولهم راء في راى واذا مسه الشر

من مرض او فقر كان يؤسا شديد الياس من روح الله فالحاصل انه ان فاز بالمطلوب الدنيوي وظفر بالمقصود الذي تمنى المنعم
وان فاته شيء من ذلك استولى عليه الاسف حتى كاد يتلف او يدنف وكلتا الخصلتين مذمومة ولا مقتضي لهما الا العجز والطيش
وكل يفيده كما قال قل كل يعمل على شاكلته اي كل واحد من الخلائق انما يتيسر له ان يعمل على سيرته وطريقته التي تشاكل حاله التي جبل عليها
من قولهم طريق ذو شواكل وهو الطرق التي تتشعب منه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ان الذي خلق كل شيء وعباه عالم بخاصية
كل نفس وبمقتضى جوهرها المشرق او المظلم سواء قلنا ان النفوس مختلفة بالماهيات او هي متساوية الحقائق واختلاف احوالها
لاختلاف امزجتها ابدانها كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ولما انجر الكلام الى ذكر الانسان وما
جبل عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال ويسالونك عن الروح ذكر المفسرون في سبب نزوله قالوا ان قريش سلوا محمدا عن ثلث
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عن الاولين وابهم الثالثة فهو نبي لان ذكر الروح مبهم في التورية وان اجاب
عن الكل او سكت فليس بنبي فبين لهم القصتين وابهم الروح انه قال الروح من امر ربي اي مما استاثر الله بعلمه فندموا على سؤالهم ومن الناس
من طعن في هذه الرواية لوجوه منها ان الروح ليس اعظم شانا من الله تعالى واذا كانت معرفة الله ممكنة بل حاصلة فما المانع من معرفة الروح
ومنها ان هذه المسئلة يعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي ان يقول اني لا اعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يصح ما
روي عن ابي بريدة لقد مضى النبي صلعم وما يعلم الروح ومنها ان جعل الحكاية دليلا على النبوة غير معقول ونحن نتفصى عن المسئلة
فنقول السؤال عن الروح اما ان يكون عن حقيقته او عن حال من احواله ككونه متحيزا او غير متحيز او قديما او حادثا او باقيا بعد
البدن او فانيا وعلى تقدير البقاء ما سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله تعالى ويسئلونك عن الروح
ليس فيه ما يدل على تعيين شيء من هذه المسائل فالاولى ان يحمل السؤال عن الحقيقة لان معرفة حقيقة الشيء اهم واقدم من معرفة حال
من احواله فيكون قوله قل الروح من امر ربي رمزا الى ان الروح جوهر بسيط مجرد حصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون فنتج ان الروح
اذا اراده فانما يقول له كن فيكون ومنه يعلم انه شيء مغاير للاجسام المتوقفة على المادة والمدة وكالاعراض الموقوفة على الاجسام
وانه بسيط محض والا لتوقف على انضمام اجزائه ولا يلزم من كون الروح كذلك كونه مشاركا للباري تعالى في الحقيقة فان الاشتراك
في اللوازم لا يقتضي الاشتراك في الملزومات وليس في الاية دلالة على حدوث الروح الا بحسب الذات بل للمستدل ان يستدل
بها على قدمه بالزمان اذ لو كان متوقفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر والمفروض خلافه ولما كان امر الروح مشتبها على الناس
كلهم او جلهم ختم الاية بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وذلك ان الانسان وان كمل علمه وكثرت معرفته بحقائق الاشياء ودقائقها فان ما علم
يكون اقل مما لم يعلم واذا نسب علومه الى معلومات الله التي اشار اليها بقوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي كان كلا شيء فانه لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي اصلا وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلعم قد اوتينا التورية وفيها
الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله وذكر الامام فخر الدين الرازي ان قوله
قل الروح من امر ربي يدل على ان الروح حادث لان الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون برشيد اي فعله وقال ولما جاء
امرنا اي فعلنا واذا حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا عين النزاع فان الخصم لا يسلم ان كل ما هو من فعل الله و
بايجاده فانه حادث ثم ذكر حجة اخرى على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما اوتيتم من العلم الا قليلا وتقريرها ان الانسان
بل روحه في مبدا الفطرة خال عن العلوم والمعارف فحمل وقت قلة العلم على اول الفطرة تخصيص من غير دليل مع ان ظاهره ثم لا يزال تحصل
له المعارف فهو دائما في التبدل والتغير والنقصان الى الكمال وكل متغير محدث ومع كثرة هذه القضية عند الخصم مشهور على ان حمل وقت
قلة العلم على اول الفطرة تخصيص من غير دليل مع ان ظاهر الاية يدل على ان الانسان وان اوتي حظا من العلم وافرا فانه قليل بالاضافة الى
عالم الذات وقيل الروح المذكور في الاية هو القران الذي سبب لحيوة الروح كان القوم استعظموا امره فسالوا انه من جنس الشعر
او من جنس الكهانة فاجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر بامر الله ووحيه وتنزيله وقيل هو ملك في
غاية العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملئكة صفا ونقل عن علي كرم الله وجهه ان له سبعين الف وجه
لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملئكة
يوم القيمة ولم يخلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلغ السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل وامثال
هذه الروايات مرجعها الى سعة الامكان ولا وجه للاعتراض عليه عقلا وقال الحسن وقتادة هذا الروح جبرئيل كانهم سالوا الرسول
كيف جبرئيل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فامره بان يقول الروح من امر ربي اي نزوله بامر الرب كقوله وما نتنزل الا بامر
ربك وقال مجاهد الروح خلق ليسوا بالناس وزيف هذه الاقوال بان صرف السؤال عن الروح الانساني الذي يتوفر دواعي العقلاء
على معرفته الى اشياء مجهولة الوجود مستنكر واعلم ان للعقلاء في حقيقة الانسان اختلافات كثيرة واذا كان حال العلم باقرب

مطلب مهم في بيان الروح

الاشياء الى الانسان وهو نفسه هكذا فما ظنك بما هو الابعد ولنذكر بعض تلك المذاهب فلعل الحق يلوح في تضاعيف ذلك
فنقول العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير اليه كل واحد بقوله انا فذلك المشار اليه اما ان يكون جوهرا مفارقا او جسما هو هذه
البنية او جسما داخلا فيها او خارجا عنها او عرضا اما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى ان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس ورد
بان البدن دائما في التغير والتبدل والمشار اليه بانا واحد من اول العمر الى اخره وبان الانسان غير غافل عن نفسه حين ما يكون غافلا
عن اجزاء بدنه وبان النصوص الواردة في القران والخبر كقوله عز من قائل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وكقوله صلعم اولياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله في خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا اهلي ويا ولدي
لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله وغير حله فالهناء لغيري والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي اوجب مغايرة النفس للبدن
وبان جميع فرق الدنيا من ارباب الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير وبان الميت قد يرى في المنام فيخبر
عن امور غائبة ويكون كما اخبر وبان الانسان قد يقطع عضو من اعضائه ويعلم يقينا انه هو الذي كان قبل ذلك وبثبوت المسخ في حق طائفة
من اهل الكتاب وليس المسخ الا تغير البنية مع بقاء الحقيقة وبان جبرئيل قد راى في صورة دحية وابليس راى في صورة الشيخ النجدي فعلم انه
لا عبرة بالبنية وبان الزاني يزني بفرجه فيضرب على ظهره فعلم ان الملتذ والمتالم في اخر سوى العضوين وبانا نعلم ضرورة ان العالم الفاهم
المخاطب انما هو في ناحية القلب ليس جملة البدن ولا شيئا من الاعضاء اما ان قيل الانسان جسم في داخل البدن فاعلم ان احدا من العقلاء
لم يقل بان الانسان عبارة عن الاعضاء الكثيفة الصلبة التي غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد
ولكن منهم من قال انه الجسم الذي غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة اعني الدم بدليل انه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذي غلب
عليه الهوائية والنارية وهو الروح الذي في القلب او جزء لا يتجزى في الدماغ ومنهم من يقول اختلطت بهذه الارواح القلبية والدماغية
اجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية وهي الانسان ومنهم من قال اذا تكون بدن الانسان وتم استعداده نفذت فيه اجرام سماوية نورانية
لطيفة الجوهر بطبيعة ضوء الشمس غير قابل للتبدل والتحلل ولا للتفرق والتمزق نفوذ الشبه نفوذ النار في الفحم والدهن في السمسم وماء
الورد في الورد هذا النفوذ هو المراد بقوله ونفخت فيه من روحي ثم اذا تولد في البدن اخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام
فيها فانفصلت لذلك عن البدن فحينئذ يعرض الموت قال الامام فخر الدين الرازي هذا مما ذهب اليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب
قوي شريف يجب التامل فيه فانه شديد المطابقة لما في الكتب الالهية من احوال الحيوة والموت قلت اما نفوذ الجوهر النوري في البدن
كنفوذ الدهن في السمسم فحق واما انه اجرام او اجسام ففيه نظر واعلم انه لم يذهب احد الى ان الانسان جسم خارج من البدن ولا الى انه
عرض حال في البدن الا ما نقل عن الاطباء وعن ابي الحسين البصري من المعتزلة ان الانسانية عبارة عن امتزاجات اجزاء العناصر بمقدار
مخصوص على نسبة معلومة يخص هذا الصنف ومن شيوخ المعتزلة من قال الانسان عبارة عن اجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة باعراض
مخصوصة هي الحيوة والعلم والقدرة ومنهم من قال انه ممتاز عن ساير الحيوانات بشكل جسده وهيئة اعضائه والصحيح من المذاهب عند
اكثر علماء الاسلام كالشيخ ابي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ ابي حامد الغزالي ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة
الشيخ المفيد ومن الكرامية جماعة ومن الفلاسفة الالهيين كلهم ان الجوهر الانساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به
ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان اله العالم لا تعلق له بالعالم الا على سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطعت
علاقته عن البدن بقي البدن معطلا ميتا واستدلوا على هذا المطلوب بحجج منها ما اختاره الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى وهي لو كان
الانسان جوهرا متحيزا لكان كونه متحيزا عين ذاته المخصوصة اذ لو كان صفة مخصوصة قائمة بها كون الشيء الواحد متحيزا مرتين ولزم اجتماع المثلين
وايضا لم يكن جعل احدهما ذاتا والاخر صفة اولى من العكس وايضا التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا
كان التحيز عين ذاته لزم انه متى عرف ذاته عرف تحيزه لكنا قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد في الجهات الثلث وذلك ظاهر عند الاختبار
والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم مثله وعورض بانه لو كان الانسان جوهرا مجردا لكان كل من عرف ذاته عرف تجرده وليس كذلك
واجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد صفة سلبية ومنها ان الشيء الذي يشير اليه كل واحد بقوله انا واحد بالبديهة ولان
الغضب مثلا حالة نفسانية تحدث عند محاولة دفع المنافي ومحاولة دفع المنافي مشروطة بالشعور بكون الشيء منافيا فالذي يغضب لا بد
ان يكون هو بعينه مدركا ولان اشتغال النفس بالغضب والانصباب اليه يمنعه من الاشتغال بالشهوة والانصباب اليها فعلمنا انهما صفتان
مختلفتان بجوهر واحد اذ لو كان لكل واحد منهما مبدا مستقل لم يكن اشتغال احدهما بفعله مانعا للاخر وايضا اذا ادركنا شيئا فقد يكون
الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا لحصول الغضب فعلمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وايضا
النفس لا يمكنها ان تحرك الا بالارادة الا عند حصول الداعي ولا معنى للداعي الا الشعور بخير يرغب في جذبه او بشر يرهب في دفعه وهذا يقتضي

ان التحرك بالارادة هو بعينه المدرك للحر والبرد واللذة والمؤذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس
والمتخيل والمتفكر والمشتهي والغاضب بوساطة الات مختلفة وقوى متغايرة واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان الكل
اثرا واحدا ولو كانت جزءا من اجزاء البدن كانت قوية سارية في جميع اجزاء البدن والوجود بخلافه فحصل اليقين ان النفس شيء مغاير لكل
البدن ولكل جزء من اجزائه ومنها ان الاستقراء يدل على ان احوال النفس بالضد من احوال الجسم لان الجسم اذا قبل شكل التثليث مثلا امتنع ان
يقبل حينئذ شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فانها تدرك كل صورة بعينها على ادراك ما عداها ولذلك يزداد الانسان فهما وذكاء
بازدياد العلوم وايضا كثرة الافكار توجب قوة النفس وتستدعي استيلاء اليبس على الدماغ ويقتضي ابدان ارباب الرياضة في غاية النحافة
والهزال وتقوى نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى السلاطين واصحاب الشوكة والقوة ومما يختص بهذه الاية التي نحن في تفسيرها ان الروح
لو كان جسما مستقلا من حالة الى حالة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من اجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلعم عن
الروح كان الانسب ان يقول انه جسم كان كذا ثم صار كذا وكذا كما ذكر في كيفية تولد البدن انه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة الى اخره و
الاحاديث الواردة في الروح مخلوقة قبل الاجساد ويؤيد ذلك الذي ادعينا من ان النفس شيء مغاير للبدن واجزائه والله اعلم بحقائق
الامور قال اهل النظم لما بين انه ما اتاهم من العلم الا القليل اراد ان يبين انه لو شاء ان ياخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه فقال ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك قلت في نسبة علم القران الى القلة خروج عن الادب فالاولى في وجه النظم ان يقال انه لما كشف لهم الغطاء
عن مسئلة الروح وبين ان ذلك من العلوم الالهية لا نهاية لها من العلوم الانسانية القليلة فكان فيه بيان كمال الكلمة تعالى ونقصان
علم الانسان اراد ان يبين غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان ايضا فبين انه قادر على ذهاب القران ومحوه عن الصدور والمصاحف
وسيكون ذلك في اخر الزمان كما جاء في الروايات ثم لا يجد النبي الذي اكمل نوع الانسان من يتوكل على الله باسترداده فضلا عن غيره
الا رحمة من ربك استثناء متصلا الى الان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او منقطع معناه ولكن
رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ان فضله بايجاد القران ثم ابقائه عليك وبهذا وبسائر الخصائص والمزايا كان عليك كبيرا وفيه
ان نعمة القران وبقائه محفوظا في الصدور ومستورا في الدفاتر من اجل النعم واشرفها فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن شكرها والقيام بحقها
جعلنا الله ممن يراعي حق القران ويعمل بمقتضاه احتج الكعبي بالاية على ان القران محدث مخلوق لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل ان يكون
قديما واجيب بان ازالة العلم عن القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه في المصحف لا يوجب حدوث الكلام النفسي الذي هو محل النزاع
ثم دل على ان الذي اوحي اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وقد مر وجه اعجاز القران في اوائل
سورة البقرة فان قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف يعرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز ان يقال ان الجن اتوا على هذا
التاليف سعيا في اضلال الخلق واخبار محمد بانه ليس من كلام الجن يوجب الدور وليس لاحد ان يقول ان الجن ليسوا بفصحاء فكيف يعقل
ان يكون القران كلامهم لانا نقول عدم التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء والجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه معجزا
ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان بمثل القران فسقط السؤال بالكلية
على انه سبحانه قد اجاب عنه في اخر سورة الشعراء بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وسوف يجي تفسيره ان شاء الله تعالى قالت
المعتزلة التحدي بالقديم محال والاتيان بمثل ما قرانه محل النزاع هو الكلام النفسي لا الالفاظ التي وقع التحدي بها وبفصاحتها ثم بين انهم مع ظهور
عجزهم بقوله مصرين على كفرهم فقال ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس في هذا القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه ودلائل
كدلائل التوحيد والنبوة والمعاد وكالقصص اللائقة وغيرها من المواعظ والنصائح فابى اكثر الناس فيه معنى النفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا
وجحودا قال اهل البرهان انما لم يذكر الناس في اوائل السورة حين قال ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا لتقدم ذكرهم في السورة وذكرهم
في السورة اذ لم يجد ذكرهم وذكر الناس هنا وان جرى ذكرهم دفعا للالتباس لان ذكر الجن ايضا قد جرى وقد تقدم للناس على قوله في هذا
القران كما قدم في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن اما في الكهف فعكس الترتيب لان اليهود لعنهم الله من قصة اصحاب الكهف وغيرهما وقد
اوحينا الله تعالى في القران فكانت العناية بالقران اكثر وكان تقديمه احد وان كادوا ليفتنونك اي من عمى قلوبهم ولولا ان
ثبتناك بالقول الثابت وهو قول لا اله الا الله الى ان تلقت حقيقة لا اله الا الله شيئا قليلا انما وصفه بالقلة لان بشريته مغلوبة […]
ضعف الحيوة وضعف الممات اي تحيي نفسك واذقناك عذاب حيوتها واستيلائها على الروح وتميت قلبك واذقناك عذاب مماته وضعف
[…] وبعده عن الحق سنة من قد ارسلنا اي جرت عادة الله تعالى بان يجعل لكل نبي عدوا يوذيه ويمكر به ثم بين طريق خلاص الانبياء والاولياء
فقال اقم الصلوة اي ادمها بالقلب الحاضر نهارا وليلا ان قران الفجر كان مشهودا يشهده الحق بل الحق مشهود له وادخلني مدخل صدق يعني السير
في الله بالله واخرجني من حجاب انانيتي واجعل لي من لدنك لانه لدن غيرك وفيه ان كل ذي مقام فانه لا يصل الى مقامه الا بسعي لانه يلزم الوصول
الى ذلك المقام كقوله وسعى لها سعيها وروي ان رجلا جاء الى النبي صلعم يعرض حاجته فقال النبي صلعم ما تريد قال مرافقتك في الجنة فقال صلعم او غير ذلك

فقال الرجل بلى هو مرافقتك في الجنة فقال النبي صلعم فاعني على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد وتجلي صفات الجمال والجلال
وزهق الباطل وهو كل ما خلا من الموجودات ومن الخواطر كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وننزل من القران ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب
القلوب […] ان الاحاديث […] قل الروح من امر ربي قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر وعالم الخلق الذي خلق من شيء ويعبر عنهما
بالاخرة والدنيا والملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن والظاهر والارواح والاجسام وما روي عنه صلعم ان
اول ما خلق الله جوهرة وفي رواية درة فنظر اليها فذابت اول ما خلق الله اللوح اول ما خلق روحي وفي رواية نوري واول ما خلق العقل
واول ما خلق الله القلم وما قيل عن بعض السلف ان اول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبي فالاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبي صلعم
فباعتبار انه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة وباعتبار نورانيته سمي نورا وباعتبار وفور عقله سمي عقلا اذ قال له اقبل
الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ادبر اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى المعراج ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا
احب الي منك بك اعرف ربك اخذ بعض طاعة من اخذ منك الدين والشريعة وبك اعطي اي بشفاعتك اعطي الدرجات العالية وبك
اعاقب الكافرين وبك اثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور على وفق متابعته والاقتداء به سمي قلما وباعتبار غلبات الصفات الملكية
عليه سمي ملكا كروبيا ولان كل الارواح خلقت من روحه كان ام الارواح روحه ولهذا قيل له امي وقد ورد في الحديث ادم ومن
دونه تحت لوائي يوم القيمة ولما كان الروح خليفة الله تعالى اتصف بالازلية دون الابدية ولما كان الجسد خليفة الروح فبالروح
قوامه وقوامه لم يكن الجسد ازليا ولا ابديا الا بتبعية الروح ثم اخبر عن عزة القران وعزة الرحمن بقوله ولئن شئنا لنذهبن الاية وفيه
انه لا يقدر على الاتيان والذهاب به الا الله تعالى لكنه اكد هذا المعنى بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن والمراد بالجن كل ما هو مستور
عن العيون فيتناول الملائكة ايضا وفيه انه لا مثل لصفاته حتى الكلام كما انه لا مثل لذاته والله العلي الكبير ه

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ● او تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملئكة قبيلا ●
او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا
رسولا ● وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا ● قل لو كان في الارض ملئكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ● قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ● ومن
يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما

مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ● ذلك جزاؤهم بانهم
كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا ● اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى
الظالمون الا كفورا ● قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا
لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ● ولقد اتينا
موسى تسع ايات بينات فاسال بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال
له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا ● قال لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا فرعون
مثبورا ● فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه
جميعا ● وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء
وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا ● وبالحق انزلناه وبالحق نزل ●
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا ● وقرانا فرقناه لتقراه على الناس
على مكث ونزلناه تنزيلا ● قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين
اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ●
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ● ويخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ● قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ● وقل الحمد لله الذى لم يتخذ

ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا

تفجر من الفجر يعقوب وعاصم وحمزة وعلى وخلف سوى المفضل وابن الغالب الاخرون من التفجير تكثير الفعل وان كان الفاعل والمفعول مفردا حتى تنزل بالتخفيف ابو عمرو ويعقوب الاخرون بالتشديد كسفا بفتح السين ابو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سبحان بلفظ الماضى ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر المهتدى باثبات الياء فى الحالين سهل ونافع وابو عمرو فى الوصل الباقون بحذف الياء ربى اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو خبت زدناهم بالادغام التاء فى الزاء ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء على التكلم على الاخرون بالفتح على الخطاب قل ادعوا الله بكسر اللام للساكنين عاصم وحمزة وسهل ويعقوب الاخرون بضمها للاتباع او ادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة وسهل الباقون بالضم ايا ما حمزة و... يقفان على ايا ثم يبتديان ما تدعوا ويسمى هذا الوقف وقف البيان الباقون على كلمة واحدة ينبوعا تفجيرا قبيلا فى السماء لابتداء النفى بعد طول القصة وقيل الاصح الوصل لان قوله ولن نؤمن من كلامهم نقراه رسولا رسولا رسولا وبينكم بصيرا المهتد لعطف جملتى الشرط مع التضاد من وقد لان الواو لا تحتمل الاستيناف ومما جهنم سعيرا جديدا لا ريب فيه للنفى الاستفهام الى الاخبار كفورا الانفاق قتورا مسحورا بصائر للابتداء بان مع اتحاد القائل مثبورا جميعا للعطف لفيفا لانقطاع النظم ومعنى نزل لابتداء النفى ونذيرا احترازا عن ايهام العطف تنزيلا ولا تؤمنوا سجدا لمفعولا خشوعا ادعوا الرحمن لتقدير الشرط الحسنى لانقطاع نظم الشرط الى النهى مع اتحاد المراد سبيلا تكبيرا ليس من شرط كون النبى صادقا تواتر المعجزات وتتالى الايات لان فتح هذا الباب يوجب نقض المقصود وهو ان لا يثبت نبوته ابدا ولكن المعجز الواحد يكفى فى صدق النبى واقتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما بين الله سبحانه اعجاز القران حكى مقترحات المعاندين بيانا لتصميمهم على الكفر قال ابن عباس ان رؤساء مكة ارسلوا الى رسول الله صلعم وهم جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسير جبالها لتتسع وفجر لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا اقدر عليهم فقال قائل منهم او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا فقال لا اقدر عليه فقيل له او يكون لك بيت من زخرف اى من ذهب فيغنيك عنا فقال لا اقدر فقيل له فاذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن امية المخزومى وامه عمة رسول الله لا والذى يحلف به لا اومن بك حتى تتخذ سلما وتصعد عليه ونحن ننظر فتاتى باربعة من الملائكة فيشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا ادرى اومن بك ام لا فانزل الله هذه الايات ولنشرع فى تفسير اللغات فقوله ينبوعا اى عينا غزيرة من شانها النبوع من غير انقطاع والياء زائدة كيعبوب من عب الماء وقوله او يكون لك جنة معناه هب انك لا تفجر الانهار لاجلنا فتفجرها من اجلك وقوله كما زعمت اشارة الى قوله سبحانه ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء او اشارة الى ما مر فى السورة من قوله ام امنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا اى اجعل السماء قطعا متفرقة كالحاصب واسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبى فاسقط السماء علينا وقيل كما زعمت ان ربك ان شاء فعل قال فى الكشاف الكسف بسكون السين وفتحها جمع كسفة بالسكون كسدر وسدرة وقال ابو على الكسف بسكون السين الشىء المقطوع كالطحن للمطحون واشتقاقه على ما قال ابو زيد من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من قطعت كسفت الشىء اذا غطيته كانه قيل او تسقطها طبقا علينا وهو نصب على الحال فى القرائتين ومعنى قبيلا كفيلا بما تدعى من صحة النبوة والمراد باتى بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا فانتصب على المراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم يعلموا انه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظيره قولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال ابن عباس اراد فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر فى تفسير قوله انه يريكم هو وقبيله قوله بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندرى ما الزخرف حتى راينا فى قراءة عبد الله او يكون لك بيت من ذهب وقال الزجاج هو الزينة ولا شىء فى تحسين البيت وتزيينه كالذهب او ترقى فى السماء اى فى معارجها فحذف المضاف يقال فى السلم وفى الدرجة والمصدر رقى واصله فعول كصعود والمعنى لن نؤمن لرقيك لن نؤمن بك لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك قال الرسول امن اقتراحاتهم او تمنيها الله من تحكماتهم او من قولهم انى اى بالله سبحان ربى هل كنت اى لست الا بشرا رسولا فان طلبتم هذه الاشياء ان اتى بها من تلقاء نفسى فالبشر لا يقدر على امثال ذلك فكيف اقدر انا عليها وان اردتم ان اطلب من الله اظهارها على يدى فالرسول اذا اتى بمعجز واحد كان الاكتفاء به ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانا عبد مامور ليس لى ان اتحكم على الله بل بعضهم ورد فى الدعوة ثم حكى عنهم شبهة اخرى فقال وما منع الناس ان يؤمنوا اى الايمان بالقران وبنبوة محمد اذ جاءهم الهدى وهو الوحى المعجز الهادى الى طريق النجاة الا ان قالوا منكرين ابعث الله بشرا رسولا ثم اجاب الله عن شبهتهم بقوله قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون على الاقدام كما يمشى الانس مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لان الرسول لا بد ان يكون من جنس المرسل اليهم فكانه اعتبر لتنزيل الرسول من جنس الملائكة امرين احدهما كونهم لا انس ملكا والثانى كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران باجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من اهلها ما يجب

معرفته وسماعه فلا يكون في بعثه الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف ان يكون قولهم بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا اي زعم ان المخبر له
اجوبة ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كانت احد الصنفين المتقابلين حالا لزم ان يكون
الاخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال قل كفى بالله الاية وذلك ان اظهار المعجزة على وفق دعوى شهادة من الله على الصدق فاذا
لم يتبع هذه الشهادة وهو عليم ببواطن الامور وخفيات الضماير فكيف بظواهرها علم الله هنا مجرد الحسد والعناد من العباد فيجزيهم على حسب
ذلك ثم بين ان الاقرار والانكار مستند الى مشيئة الله وتقديره فقال ومن يهد الله الاية وقد مر خلاف المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة في
مثله في اخر الاعراف وغيره وقوله فهو المهتد حمل على اللفظ وقوله فلن تجد لهم حمل على المعنى والخطاب في ان تجد اما للنبي او لكل من يصح الخطاب و
الاولياء الانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها لما روي انه صلعم سئل
عن ذلك فقال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس قد اخبر الله عنهم بانهم يرون وينطقون ويسمعون
حيث قال ورأى المجرمون النار دعوا هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما
فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة تقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطا انهم عمي عن النظر الى ما جعله
الله لاوليائه بكم عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صم عن ثناء الله على اوليائه وقال مقاتل هذه الاحوال بعد قوله تعالى اخسئوا
فيها ولا تكلمون او بعد ان يحاسبوا فيذهب بهم الى النار وانما جعلوا مؤوفي الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي والتصامم
عن الحق ومن عدم النطق كلما خبت زدناهم اي سكن لهبها خبت النار تخبو خبوا واخباها غيرها اي اخمدها زدناهم سعيرا قال ابن قتيبة
اي تسعرا وهو التلهب ولا ريب ان خبو النار تخفيف لاهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب والجواب انه يحصل لهم في
الحالة الاولى نوع حصول الحالة الثانية فيستمر العذاب او يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في الوقتين مغمورا ويحتمل ان
يقال المراد بعدم التخفيف انه ظل زمان تخفيف او تعقيبه بين الخبو والسعر وقال في الكشاف كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء
جعل الله جزاءهم ان يسلط النار على اجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها وفيه زيادة في تحسرهم وفي الانتقام منهم ومما يدل على هذا التفسير قوله
ذلك جزاؤهم الى اخر الاية ثم ابطل الجاحدين بحجة يستبصر بها المنصف المحق اذا تامل فقال اولم يروا الاية وذلك ان من قدر على خلق السموات
والارض كان على اعادة من هو اصغر منها اقدر وعلى هذا فالمراد بخلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل
الابتداء وقيل اراد انه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصورتهم ليوحدوه ويتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
الى بعثهم وحين بين ان البعث امر ممكن في نفسه ذكر لوقوعه وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم اي لبعثهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله
قوله وجعل معطوف على قوله اولم يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم اقول يحتمل ان يكون الجواب للاستفهام
ووجه النظم كما مر انهم طلبوا اجراء الانهار والعيون في اراضيهم لتتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي دقة وسائر نعمه
على خلقه التي لا نهاية لها لبقوا على بخلهم وشحهم فضلا ان يملكوا خزائن يسيرة وخص بصدد الغنى والنفاد قال النحويون كلمة لو حقها ان تدخل على الافعال
دون الاسماء لانها حين يكون على معناها الاصلي تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الاثار
والاحوال والمنفي هو الاثار والاحوال لا الذات وايضا انها فيها معنى الشرطية وهي مختصة بالفعل فالامر تقدير فعل بعد فاصل الكلام لو
تملكون تملكون فعرضت فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير فابدل من الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل به فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون
تفسير وقال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدلالة على الاختصاص وانهم هم المختصون بالشح المبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل
المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر من حيث انه لا يقصد الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لا يقصد اللطم بل الذي لطمه
اي لو حرة لطمتني وقوله خشية الانفاق اي خوف الفقر من انفق اذا ذهب واسكت مفردات المنقول ومعناه البخل وكان الانسان قتورا اي بخيلا
شحيحا والقتر والاقتار والتقتير والتقصير في الانفاق وهذا الخبر لا ينافي ما قد يوجد في الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس اي هذا الجنس
من شأنه الشح اذا كان باقيا على طبعه لانه خلق محتاجا الى ضرورات المسكن والملبس والمطعوم والمنكوح ولا بد له في تحصيل هذه الاشياء من المال فيه
يدفع حاجاته وتتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسكه لايام الضرورة والفاقة ومن الناس من يحب المال لمحبة ذاتية
لا غرضية فاذن الاصل في الانسان هو البخل والجود منه انما هو امر عارض لطلب الثناء او الثواب وقيل المراد بهذا الانسان المعهود السابق
ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا بها ثم قال ولقد اتينا موسى تسع ايات فكانه اراد انا اتيناه معجزات
مساوية لهذه الامور التي اقترحتموها بل اقوى منها واعظم فليس عدم الاجابة الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة او لعدم استتباع الغاية لعلمنا
باصراركم والختم على قلوبكم عن ابن عباس ان الايات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني
اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب عنهن وذكر من جملتها حل عقدة
اللسان والطمس على اموالهم فقال له عمر لا يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرجه فنفضه فاذا هو بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور

وتمر وحمص وعدس كانها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلعم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني
اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليهودي فقبل يديه ورجليه وقالوا نشهد انك
نبي ولولا انا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازي هذا اجود ما قيل في الايات التسع واقول هذه الايات احكام من الايات البينات
فيه نفعا اللهم الا ان يقال النهي عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء [illegible] وروى
ابو داود هذا الحديث ولم يذكر ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة في انه صلعم قال ولا تقذفوا محصنة او قال ولا تولوا الفرار وقيل انه كان
لموسى ايات اخر كانزال المن والسلوى عليه وعلى قومه وكالايات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا ان تخصيص العدد بالذكر لا يقدح
الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذوق يأبى ان لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب التخصيص ان مرجع
معجزاته الى تسع انواع كالسنين ونقص الثمرات مثلا نوع واحد وهو القحط وقد يعبر ايضا ما به الاشتراك ولكن لا يبعد [illegible]
من التسع لاجل خبر الصادق اما قوله فسئل بني اسرائيل فالخطاب فيه للنبي صلعم والسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة والايقان لان الادلة
اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت والمسئولون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام وقوله اذ جاءهم يتعلق بآتينا او بمنصوب باضمار
اذكر وهو للتعليل والمراد فسلهم يخبروك لانه جاءهم اي جاء اباءهم ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى بتقدير القول اي فقلنا له سل بني اسرائيل
اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل واسألهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم من يعاضدوك [illegible] والمسحور
الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري ان معناه اعطي علم السحر فمن قرأ علمت بضم
التاء فظاهر لان موسى كان عالما بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض فاراد في الاستدلال [illegible]
شك ومن قرأ بفتحها فالمراد بين ان كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله للايات هؤلاء
كقوله والعيش بعد اولئك الايام ومعنى بصائر بينات مكشوفات وانتصابها على الحال كانه قال ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض الا انها افعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى ان فاعلها انما فعلها لغرض تصديق المدعي فتم حد المعجز بجميع القيود ثم قارع موسى
ظن فرعون بظنه واني لاظنك يا فرعون مثبورا قال الفراء اي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال
مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان انكار ما علم صحته يستعقب لا محالة ويلا وثبورا وحسرة
وندامة ولهذا قال فاراد اي فرعون ان يستفزهم من الارض اي يخف موسى وقومه من بسيط الارض وعن ابن عباس بالقتل او الاستيصال
او بالنفي والاخراج والحاصل ان فرعون عومل بنقيض المقصود فاغرق هو وقومه واسكن بنو اسرائيل مكانه تحقيقا لقوله ولا يحيق
المكر السيء الا باهله ثم اخبر عن المعاد قائلا فاذا جاء وعد الاخرة وهي قيام الساعة جئنا بكم يعني معشر المكلفين كلهم لفيفا جماعات من قبائل
شتى وذوي اديان ومذاهب مختلفة وذلك لاجل الحكم والجزاء والفصل والقضاء ولما بين اعجاز القران واجاب عن شبهات القوم اراد
ان يعظم شأن القران ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص اي ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق في مركزه وتمكين الصواب
في نصابه قال جار الله اي ما انزل القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير وما انزلناه
من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وقيل الحق هو الثابت كما ان
الباطل هو الزاهق ولا ريب ان هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقرير النبوات
واثبات المعاد وعلى اصول الاديان والملل التي لا يتطرق اليها النسخ والتبديل فكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها مما يبقى ببقاء الدهور
قال ابو علي الفارسي الباء في موضعين بمعنى مع كما في قولك خرج بسلاحه اي انزل القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل ان يكون الباء الثانية
كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد لان القرآن نزل به اي عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار فليس اليك وراء
هذين شيء من اكراه على الدين والاتيان بشيء مما اقترحوه ثم ان القوم كانهم من تعنتهم طعنوا في القرآن من جهة انه لم ينزل دفعة واحدة فاجاب
عن شبهتهم بقوله وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأ بالتشديد وقال انه لم ينزل في يومين
او ثلثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق يدل على فصل متقارب وقال ابو عبيدة التخفيف احب الي لان تفسيره بيناه وليس للتشديد
معنى الا انه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام
ما قيل ان ابن عباس اعتبر الفصل بين اول نزوله وبين اخره فرأى التشديد اولى ولعل المراد الفصول المتقاربة التي فيما بين المدة بدليل قوله
لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وتؤدة وقوله ونزلناه تنزيلا اي على حسب المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه صلعم بان
يقول للمقترحين امنوا به او لا تؤمنوا وهو امر على التهديد وخذلان وتخلية قال جار الله قوله ان الذين اوتوا العلم اما ان يكون تعليلا
لقوله على سبيل التسلية كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء او يكون تعليلا لقوله امنوا او لا تؤمنوا اي انكم ان لم تؤمنوا به لقد امن به من هو خير منكم

وهم العلماء الذين قرأوا الكتب من قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا ما انزل على محمد صلعم خروا سجدا منهم زيد بن
عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وفي قوله يخرون للاذقان سجدا دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قيد
الخرور وهو السقوط بالذقن فقال الزجاج لان الذقن مجمع اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور للسجود فاول ما يحاذي به الارض من وجهه الذقن
قلت هذا تصحيح للمعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقيل عنى به المراد تعفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى
عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما انه لم يقل يخرون على الاذقان كما هو الظاهر وانما قال للاذقان فاللام للاختصاص
فكانهم خصوا اذقانهم بالخرور او خصوا الخرور باذقانهم ثم حكى عنهم في سجودهم يراعون شرائط التنزيه والتعظيم قائلين سبحان ربنا ان كان وعد
ربنا لمفعولا بانزال القرآن وبعثة محمد في كتبنا لمفعولا اي منجزا ان مخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام في خبر كان ثم ذكر انهم كما خروا لاذقانهم
في حال كونهم ساجدين فقد خروا لها حال كونهم باكين ويجوز ان يكون التكرار لاجل الدلالة على تكرر الفعل منهم بدليل قوله ويزيدهم اي القرآن
خشوعا اي لين قلب ورطوبة عين ثم اراد ان يعلمهم كيفية الخشوع والدعاء قال ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء
بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا واو للتخيير والمعنى على السبب
الاول سموه بهذا الاسم او بهذا والمعنى على السبب الثاني اذكروا اما هذا واما هذا ايا ما تدعوا يعني ان هذين الاسمين سميتم وذكرتم فالتنوين عوض من
المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير في فله لا يرجع الى احد الاسمين ولكن الى مسماهما وكان اصل الكلام ان يقال فهو اي ذلك الاسم
حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان ومعنى حسن الاسماء استقلالها بنعوت الجلال
والاكرام وقد مر في آخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء فقال ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلوتك على حذف المضاف للعلم
بان الجهر والمخافتة من نعوت الصوت لا الصلوة افعالها وهو من اطلاق الكل وارادة الجزء يقال خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه
اضعف وسكن وخفت الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان
رسول الله صلعم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك
فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع اصحابك وابتغ بين ذلك الذي ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
وروي ان النبي صلعم طاف بالليل على دور الصحابة فكان ابو بكر يخفي صوته قليلا وامر عمر ان يخفض قليلا فنزلت الاية على حسب ذلك وقيل
معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلوة النهار وعن عائشة
وابي هريرة ومجاهد ان الصلوة ههنا الدعاء وقد روي هذا مرفوعا قال الحسن لا تراء بعلانيتها ولا تسئ بسريرتها وايضا في الجهر
اسماع غير المخلوق وهو الموجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
جار الله ابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولما امر ان لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله
وقل الحمد لله الاية قال في الكشاف كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه هو
الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد واقول الولد يتولد من جزء من اجزاء الوالد فالوالد مركب وكل مركب محدث
والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد مبخلة والبخيل لا يستحق الحمد والشريك في الملك
انما يتصور لمن لا يستحق المالكية فيفتقر الى من يشاركه في امور مملكته ومصالح مدينته وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته
فلا يتم نعمه فلا يستحق الحمد على الاطلاق وهكذا حكم من كان له ولي من الذل اي اتخذ حبيبا من اجل ذلة واستفادة لا من عزة
والفاقة او الولي بمعنى الناصر اي ناصر من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وايضا فيه يعم الشركاء من اصابة الخير الى اوليائه والذي يكون
له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فينعم عليه دون من استغنى عنه اما اذا كان منزها عن الولد وعن الشريك وعن ان يكون له ولي ينصره
وبالجرم كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى التكبير انواع منها تكبيره في
ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته بان يعتقد ان كلها من صفات الجلال والاكرام وفي
غاية العظمة ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعند هذا يبوح مسئلة
الجبر والقدر قال سمعت ان الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني
فلما راه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبير الله في احكامه وهو ان يعتقد
انها كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة وقضية الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي
صلعم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية والله اعلم وقالوا لن نؤمن لك كانوا ارباب الحس فلم يبصروا انوار الهدى
ودلائل النبوة ولم يطلبوا منه ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتحلية الارواح وتفجير ينابيع الحكمة من ارض القلوب

لا بيات نزل المشاهدات واصحاب المكاشفات في جنات المواصلات ابعث الله بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا حين ظنوا ان
الملك اهل لها من البشر وغفلوا عن رتبة الانسان الكامل حيث جعله الله مسجود الملئكة المقربين واودع فيه سر الخلافة ماويهم جهنم الحرص و
الشهوات كلما خبت زدناهم شهوة باستيفاء حظها اندهم سعيرا باشتعال الطلب بشهوة اخرى تسع ايات بينات قال الشيخ المحقق نجم الحق والدين
المعروف بداية رحمه الله تعالى اراد الايات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه وتربيته في حجر العدو وتحريم
المراضع عليه ونحو ذلك وبالحق انزلناه لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي احتاجت في الرجوع الى عالمها الى حبل متين هو القرآن واعتصموا
بحبل الله جميعا وبالحق نزل التمييز بين اهل السعادة والشقاوة بالاتباع وعدمه ان الذين اوتوا العلم من قبله من قبل نزوله في الازل اذا يتلى عليهم في
الازل خطاب الست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان في عالم الصورة يبكون فالتواضع والبكاء من
شان الارواح والبكاء والخشوع من شان الاجسام ثم بين ان الارواح انما ارسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله فقال قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي كل اسم من اسمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء وسمعة
ولا تخافت بها بان تخفيها بالكلية فيحرموا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت
كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك
باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون
ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
كانوا من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا
فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم
اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق

إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم
إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه
إلها لقد قلنا إذا شططا ● هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة
لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم
مرفقا ● وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين
وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك
من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد
له وليا مرشدا ● وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم
ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ● وكذلك
بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم
بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم
برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ● إنهم إن يظهروا
عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا
أبدا ● وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن
الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا

عليهم

عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم
مسجدا ● سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم
كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم
بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا
ولا تستفت فيهم منهم أحدا ● ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك
غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن
يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ● ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين
وازدادوا تسعا ● قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض
أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا

من لدنه باشمام الدال شيئا بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الاخير من بضم الدال وسكون النون وضم الهاء ويبشر مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد يهيئ لنا ويهيئ لكم بتليين الهمزة فيهما الاوقية والاعشى وفي الوقف فاوا بابدال الهمزة الفا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الاخيرون على العكس تزاور خفيفا بحذف تاء التفاعل عاصم وحمزة وعلي وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي للادغام التاء فيه المهتدي كما مر في سبحان ولملئت مشددة للمبالغة ابو جعفر ونافع وابن كثير ويقرا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بورقكم بسكون الراء ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر والخزاز عن هبيرة وعباس بكسر الراء بادغام القاف في الكاف الاخرون بكسر الراء مظهرا ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهديني وان ترني وان يؤتيني وان تعلمني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وافقهم ... في الحالين والبزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين ووافقهم ابو جعفر ونافع وابو عمرو بالياء في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح وقتيبة الاخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف هوجا لان قيما ليس بصفة له ولكنه يحتمل الصفة لوابداء اخبار انتصب بمحذوف اي جعله قيما او هو انزل اي انزله قيما والوصل وجه وهو ان يكون حالا من الكتاب والعبد وما بينهما اعتراض حسنا ابدا ولدا لان ما بعده يحتمل الصفة او ابتداء اخبار والوقف اوضح ليكون نفيا لادعاء الولد مطلقا كما هو الظاهر لا بايهم من افواههم كذبا اسفا عملا جرزا لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجيب عجبا رشدا عددا للعطف امدا بالحق هدى والوصل اولى للعطف شططا الهة لابتداء التخصيص بين كذبا مرفقا الحجة منه ايات الله فهو المهتد مرشدا رقود والاولى الوصل على ان ما بعده حال اي رقدوا ونحن نقلبهم الشمال الوصل احسن على ان المعنى نقلبهم باسطا بالوصيد رعبا بينهم كم لبثتم بعض يوم احدا ابدا لا ريب فيها لان اذ يصلح ان يكون ظرفا للاعثار عليهم وان يكون منصوبا باضمار اذكر بنيانا بهم مسجدا رابعهم كلبهم ضلالا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين الغيب او قوع العارض كلبهم قليل ظاهرا احدا يشاء الله لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا تسعا لبثوا لاحتمال ان ما بعده مفعول قل او اخبار مستانف والارض لابتداء التعجب اسمع من ولي لمن قرا ولا تشرك على النهي ومن قرا على الغيبة اخبارا جوز او قف لاختلاف الجملتين احدا
الصوفي الحمد والتكبير المذكورين في اخر السورة المتقدمة بالحمد على اجل نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على عبده محمد صلعم قال بعض العلماء ترجم نفسه في اول سورة سبحان بما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته وحمد نفسه في اول هذه السورة وفيه اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على ان مقام التسبيح مبدا ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه

تنبيه على ان مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه ان الاسرا اول درجات كماله من حيث انه
يقتضي حصول الكمال له وانزال الكتاب عليه غاية درجات كماله لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية الى اوج الملكية
ولا شك ان المنافع المتعدية افضل من القاصرة كما ورد في الخبر من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي صلعم
نعمة عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة والانبياء وساير
النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم العلوي والشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالاخرى واما
انه نعمة علينا فلانا نستفيد منه ايضا مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفضية الى صلاح المعاش والمعاد وفي انتصاب قيما وجوه فاختار
صاحب الكشاف ان يكون منصوبا بمضمر اي جعله قيما وامر الله قيما وابى ان يكون حالا لان العطف يدل على تمام الكلام وجعله حالا يدل على
نقصانه وقال جامع الاصفهاني هما حالان متواليتان الا ان الاولى جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له وفائدة الجمع
بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التاكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخلو عن ادنى عوج في الحقيقة هذا تفسير ابن عباس ويحتمل ان يراد
انه قيم على ساير الكتب مصدق لها شاهد بصحتها وانه قيم بمصالح العباد وما لا بد لهم من الشرايع والاحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له
عوجا اشارة الى انه كامل في ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو في نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى انه
مكمل لغيره مصلح بحسن بيانه وارشاده لاحوال معاشه ومعاده فيكون الاية نظير قوله في اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد تفصيل
ما اجمله في قوله قيما فقال لينذر باسا شديدا من لدنه فحذف المنذر للعلم به لعمومه ولتطهير اللسان عن ذكره اي لينذر الذين كفروا
عذابا اليما صادرا من عنده والاجر الحسن الجنة بدليل قوله ماكثين فيه وهو حال من الضمير في لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر مخصوصا
وحذف المنذر به وهو الباس الشديد لتقدم ذكره وفيه تذكر قصة كلية ثم يعطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على كونها اعظم جزئيات
ذلك الكلي ففي عطف الانذار المخصوص على الانذار المطلق دليل على ان اقبح انواع الكفر والمعصية اثبات الولد لله تعالى على ما زعم بعض كفار
قريش من ان الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال ما لهم به اي بالولد او باتخاذ الله اياه من علم
ولا لآبائهم وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال فلا يتعلق به العلم بذلك وهو المراد في الاية اي
قولهم هذا لا يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد لابائهم الذين هم مثلهم في الجهالة قال جار الله الضمير في قوله كبرت تعود الى قولهم اتخذ الله
ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز ان يعود الى المضمر في يفسره الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعمت امراة هند قال الواحدي
انتصب كلمة على التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افتراء او ظلما فلما قلت
كلمة فقد ميزتها من محتملاتها وقرئ بالرفع على الفاعلية كما يقال عظم قولك قال اهل البيان النصب اقوى وابلغ لافادته التعجب
من جهتين من جهة الصيغة ومن جهة التمييز كانه قيل ما اكبرها كلمة وفي وصف الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من
وجهين الاول ان كثيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا تمالك العقلاء ان يتفوهوا بها حياء ويجلا فبين الله
ان هذا المتكلم لم يستحي من اظهاره والنطق به فما اشنع فعلتهم وما اعظم تجمهم الثاني ان هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم
وفكرهم البتة لكونه في غاية البطلان وكانه شيء يجري على لسانهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه ان الكلام جسم بان
الخروج حركة والحركة من خواص الاجسام والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قايمة بالهواء
فاسند الى الحال ما هو من شان المحل مجازا ثم زاد في تقبيح صورتهم بقوله ان يقولون الا كذبا وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو
الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علم قايله بانه غير مطابق وذلك ان القيد الاخير غير موجود ههنا مع ان الله تعالى سماه كذبا ثم سلى رسوله
صلعم بقوله فلعلك باخع قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصل البخع الجهد ومنه ان عائشة ذكرت عمر
فقالت بخع الارض اي جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائي بخعت الارض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة بسبب متابعة
الحراثة وبخع الوجد نفسه اذا انهكها واسفا منصوب على المصدر اي تاسف اسفا وحذف الفعل لدلالة الكلام عليه قال الزجاج
هو مصدر في موضع الحال او مفعول له اي لفرط الحزن شبهه واياهم حين لم يؤمنوا بالقرآن واعرضوا عنه برجل فارقه احبته
فهو يتساقط حسرات عليهم والحاصل انه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فاما تحصيل الايمان
فيهم فليس اليك قال القاضي اطلق الحديث على القرآن فدل ذلك على انه غير قديم واجيب بانه لا نزاع في حدوث الحروف والاصوات
وانما النزاع في كلام النفس قوله سبحانه انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال اهل النظم كانه تعالى يقول اني خلقت الارض وزينتها
ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا اقطع عنهم اصل هذه النعم فانت ايضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم
بعد ان لا تاسف عليهم وما على الارض المواليد الثلاثة اعني المعادن والنبات والحيوان واشرفها الانسان وقال القاضي الاولى ان لا يدخل
المكلف فيه لان ما على الارض ليس زينة لها بالحقيقة وانما هو زينة لاهلها الغرض الابتلاء فالذي له الزينة يكون خارجا عن الزينة ومعنى

مجازا بالصورة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيرها لكان من قبيل الابتلاء والامتحان وقد مر هذا
البحث بتمامه في سورة البقرة في تفسير قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه واللام في لنبلوهم للغرض عند المعتزلة وللعاقبة او لاستتباع الغاية
عند غيرهم حذرا من لزوم الاستكمال قال الزجاج ايهم رفع بالابتداء لان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنمتحن هذا احسن عملا ام ذاك
ثم زهد في الميل الى زينة الارض بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا اي مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء
معشبة في ازالة بهجته واماتته قال ابو عبيدة الصعيد المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه وقد مر في
اية التيمم وقال الفراء الجرز الذي لا نبات فيها من قولهم امراة جروز اذا كانت اكولا وسيف جراز اذا كان مستاصلا وجرز الجراد والشاة
والابل الارض اذا اكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسالوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال سبحانه ام حسبت
يعني بل اظننت يا انسان انهم كانوا عجبا من اياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان اياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض
ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا خاليا عن الكل كيف تستبعدون قدرته وحفظه ورحمته
بالنسبة الى طايفة مخصوصة وقال جار الله يعني ان ذلك التزيين وغيره اعظم من قصة اصحاب الكهف يعني انه ذكرا ولا عظيم قدرته ثم اضرب
عن ذلك موبخا للانسان والحاصل انك تتعجب من هذا الادنى فكيف بما فوقه والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم وعن سعيد بن
جبير ومجاهد انه لوح من حجارة او رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيلا بمعنى مفعول ومثله
ما روي ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وعن السدي انه القرية التي خرجوا منها وقيل هو الوادي او الجبل الذي فيه الكهف والعجب مصدر
وصف به او المراد ذات عجب وقوله اذ اوى الفتية الى الكهف اي صاروا اليه وجعلوه ماويهم منصوب باضمار اذكر لا بحسبت لفساد المعنى
ولا يبعد ان يتعلق بعجبا والتنوين في رحمة اما للتعظيم او للنوع وتقديم من لدنك للاختصاص اي رحمة مختصة بها من خزاين رحمتك وهي
المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من قولك هيات الامر فتهيا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا
اي امرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين غير ضالين فيكون من للابتداء ويجوز ان يكون للتجريد كما في قولك رايت منك اسدا اي اجعل امرنا
رشدا كله فضربنا على اذانهم قال المفسرون اي انمناهم والاصل فيه ان المفعول محذوف وهو الحجاب كما يقال بنى على امراته اي بنى عليها
القبة وسنين ظرف زمان وعددا اي ذوات عدد او هو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف اما القلة لان الكثير قليل عند الله
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العدد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم
اي ايقظناهم لنعلم ليظهر معلومنا وفعل العلم معلق لما في اي من معنى الاستفهام فارتفع اي الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو فعل ماض وما في
لبثوا مصدرية اي احصى امدا لبثهم فيكون للجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا منه وقيل اللام زايدة وما بمعنى الذي وامدا تمييز و
التقدير احصى ما لبثوا امدا والامد الغاية زعم بعضهم ان احصى افعل التفضيل كما في قولهم اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولم يستحسنه
في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا في تعيين الحزبين فعن عطا عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة
ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من اصحاب الكهف وذلك انهم لما انتبهوا اختلفوا فقال لبثنا يوما او بعض يوم وقال
اخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين حدثوا انفسهم قد تطاول وقال الفراء ان طايفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا
في مدة لبثهم نحن نقص عليك نباهم بالحق اي على وجه الصدق انهم فتية شباب امنوا بربهم اي في وضع الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى
بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالهام الصبر على فراق الخلان والاوطان والفرار بالدين الى الغيران اذ قاموا وفي هذا
القيام اقوال فعن مجاهد انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر القوم اني لاجد في نفسي شيئا ما اظن احدا يجده
احدا ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك
في انفسنا فقاموا جميعا وقال اكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله
هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطا ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم
والشطط الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد والمراد قولا ذا شطط اي بعيدا عن الحق هؤلاء مبتدا وقومنا عطف بيان
او بدل واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار وفي اسم الاشارة تحقيرهم لولا ياتون عليهم هلا ياتون على حقية الهتهم او على عبادتهم
بسلطان بين بحجة ظاهرة استدل بعدم الدليل على عدم الشركاء والاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن
ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم ان الاتيان بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد
ويؤكده قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه خاطب بعضهم بعضا حين صمم عزمهم على الفرار بالدين وقوله وما يعبدون
عطف على الضمير المنصوب يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا
بناء على ان المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فما نافية قال الفراء

الانقطاع
الارتفاق

فاوا الى الكهف جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه ماواكم ينشر لكم ربكم من رحمته يبسطها لكم ومرفقا على القرائتين مشتق من
وقيل فتح الميم اقيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر في حرفي البدا الا كسر الميم قالوا ذلك
ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لانه اخبرهم نبي في عصرهم منهم او من غيرهم وترى الشمس ايها الانسان اذا طلعت تزاور اصله
من الزور بفتح الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق وذات اليمين الجهة المسماة باليمين وانتصابها
على الظرف والقرض القطع وقال الكسائي قرضت المكان اى عدلت عنه والمراد ان الشمس تعدل عن سمتهم الى الجهتين فلا تقع عليهم وهم في فجوة
المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص وللمفسرين في الاية قولان احدهما انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في النهار
طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح والى هذا العجب اشار بقوله ذلك من ايات الله وثانيهما ان باب ذلك الكهف كان
مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم
ثم انهم كانوا مع ذلك في متسع من الغار ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بان عدم وصول الشمس اليهم لا يكون اية من ايات
الله على هذا التقدير واجيب بان المشار اليه حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار تعيين مكانهم ثم بين سبحانه
لطفه بهم بصون ابدانهم عن الفساد في تلك المدة المديدة كما لطف بهم في اول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الحق
وضدها كلها بمشية الله وعنايته الازلية وبلطفه وقدرته الذي سبق القلم وقال جار الله فيه تنبيه على ان من سلك طريقة المهتدين
الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده ثم حكى طرفا اخر من غرايب احوالهم فقال وتحسبهم
ايقاظا هي جمع يقظ بكسر القاف كانكاد في جمع نكد وهم رقود جمع راقد كقعود في قاعد واستبعده في التفسير الكبير وقيل عيونهم
مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم
عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على ايمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقلبهم
ظاهرة وهي ان لا تاكل لحومهم الارض قاله ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين الرازي قال وان الله قادر على حفظهم من غير تقليب واقول
لا ريب في قدرة الله تعالى ولكن الوسايط معتبرة في اغلب الاحوال وكلبهم باسط حكاية الحال الماضية ولهذا عمل في المفعول به والوصيد
الفناء وقيل العتبة او الباب قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس
هربوا ليلا من ملكهم فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ومعه كلبه وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك ثلث
مرات فقال لهم الكلب ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقال عبيد بن عمير وكان ذلك كلب صيدهم والاطلاع على الشيء
الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية وسبب الرعب هيبة البسهم الله اياها وقيل طول اظفارهم
وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم يحكى ان معاوية غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس
ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم
اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وكذلك اشارة الى المذكور قبله اي وكما انمناهم تلك النومة وفعلنا
بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الاماتة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا اي ليقع التساؤل
بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور اثار القدرة قال قايل منهم كم لبثتم قالوا بناء على الظن
لبثنا يوما او بعض يوم وقد مر مثله في قصة عزير في البقرة قالوا استدلالا او الهاما ربكم اعلم بما لبثتم قال ابن عباس هو رئيسهم
تمليخا رد علم ذلك الى الله تعالى حين راى التغير في شعورهم واظفارهم وبشرتهم والفاء في فابعثوا للتسبيب كانه قيل اذ قد حصل
الياس من تعيين مدة اللبث فخذوا في شيء اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة وفي تزودهم الورق عند فرارهم دليل على
ان امساك بعض ما يحتاج اليه الانسان في سفره وحضره لا ينافي التوكل على الله والمدينة طرسوس وقال في الكشاف ايها معناه اي
اهلها ازكى طعاما واقول يحتمل ان يعود الضمير الى الاطعمة ذهنا كقولك زيد طيب ابا على ان الاب هو زيد ويجوز ان يراد اي اطعمة المدينة
ازكى طعاما على الوجه المذكور عن ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون اديانهم وقال مجاهد
احترزوا من المغصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل ايها اطيب واكثر وقيل ارخص وليتلطف اللطف فيما باشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او الاظهر
انهم طلبوا اللطف في امر التخفي حتى لا يعرف يؤيده قوله ولا يشعرن بكم احدا اي لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور ويتسبب له انهم ان يظهروا يطلعوا
عليكم او عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانه كانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه العنيف قال في الكشاف العود
في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلي لاحتمال
ان يكون اصحاب الكهف على ملة اهل المدينة قبل ان هداهم الله وفي اذن معنى الشرط كانه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا اذن ابدا قال المحققون
لا خوف على المؤمن الفار بدينه اعظم من هذين ففي الاول هلاك الدنيا وفي الثاني هلاك الاخرة وانما نفي الفلاح على التابيد مع ان الكفر

والذين غلبوا على امرهم هم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء
عليهم حفظا للتربة وصيانة لها سيقولون يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكان كما اخبر فكان معجزا يروى
ان السيد والعاقب واصحابهما من نجران كانوا عند النبي صلعم فجرى ذكر اصحاب الكهف وقال السيد وكان يعقوبيا ثلثة رابعهم كلبهم و
قال العاقب وكان نسطوريا هم خمسة سادسهم كلبهم فرد الله قولهما بان قال رجما بالغيب اي يرمون رميا بالخبر الخفي فلان يرمي بالكلام رميا
اي يتكلم من غير تدبر وكثيرا ما يقال رجم بالظن مكان قولهم ظن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول محقق عرفه
المسلمون باخبار رسول الله صلعم من لسان جبرئيل والذي يدل عليه امور منها ما روي عن علي انه سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع
الراعي الذي رافقهم واسمه كشططيونس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير وقيل ريان عن ابن عباس ان اسماء اصحاب الكهف
تصلح للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت راسه في المهد وللحرث
تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان وللحمى المثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول على السلاطين تشد
على الفخذ اليمنى ولعسر الولادة تشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو
في قوله وثامنهم هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قوله جاءني رجل ومعه اخر كما تدخل على الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في قولك
مررت بزيد ومعه سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر لان الواو ومقتضاها
الجمعية وكانهم وصفوا بكونهم سبعة مرتين بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بما وصفوا مرة واحدة وللقائل ان يقول ان العاطف لا يتوسط
بين الوصف والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو هو الحالة المتوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو اما لعطف
الجملة على الجملة واما للحال وجاز لانهم انما لم يسوغوا وقوع ذي الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة في نحو قولك رايت رجلا راكبا وههنا
الالتباس مرتفع لمكان الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير في قوله ويقولون سبعة لله تعالى ومنها قول ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة
اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها انه خص القولين الاولين بزيادة قوله رجما
بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحالة الباقية بخلافه فمن البعيد ان يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة ولا يذكر الحق على انه سبحانه نهى
عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علم حكم هذه الواقعة وايضا انه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل ويبعد
ان لا يحصل العلم بذلك للنبي ويحصل لغير النبي كعلي وابن عباس حين قال انا من اولئك القليل وقد عرفت قولهما في هذا الباب واذا حصل فالظاهر
انه حصل بهذا الوحي لان الاصل فيما سواه العدم وقيل الضمير في سيقولون لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم لهم

الا قليل منهم وقوله سبحانه في الموضعين الآخرين ويقولون بغير السين لا دينا انهما للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل ان يكون لاجل ان الصيغة
التي تصلح له وان يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد اكرم وانعم اي يكرم وينعم اما فائدة تخصيص الواو في قوله وثامنهم فقد عرفت الفاء وقد قيل
ان العدد السبعة عند العرب عدد تام ولا عطف الا لسنة في مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة عقود
فاذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستئناف كقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وكقوله ثيبات وابكارا وزيف القفال
هذا الوجه بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في النعت
الثامن والانصاف ان هذا التزييف ليس في موضعه لان وجود الواو هو الذي يفتقر الى التوجيه واما عدمه فعلى الاصل وبين التوجيه والايجاب
بون بعيد والقائل يصدد الاول دون الآخر ثم نهى نبيه صلعم عن الجدال مع اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف ثم قال الا مراء ظاهرا فقال جادل
اي جدالا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا
تكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم في شانهم لان المفتي يجب ان
يكون اعلم من المستفتي وههنا بالعكس ولا سيما في باب واقعة اصحاب الكهف كما بينا ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما يتوقف
هي عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب فعيل بمعنى فاعل كعليم وقدير وذلك انه توالت طاعاته من غير تخلل معصية وقيل
بمعنى مفعول كقتيل وذلك ان الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقربه منه بالفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان
مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون كان يظهر على يده الخوارق وكما نقل ان الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة وخلقه
يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة فان كان صادقا وجب ان لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب
ويمكن ان يقال ان الكاذب يستحيل ان يظهر منه الفعل الخارق واليه ذهب جمهور المعتزلة وخالفهم ابو الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي
وجوز ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله وسموه بالاستدراج وقد يفرق بين النبي الصادق والساحر الخبيث بالدعاء
الى الخير او الى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين من لم يجوز للولي دعوى الولاية لانه مامور بالاخفاء وان
النبي مامور بالاظهار ثم ان المعتزلة انكروا كرامات الاولياء واثبتها اهل السنة مستدلين بالقران والاخبار والآثار والمعقول اما
القران فكقصة مريم وبنا اصحاب الكهف قال القاضي لابد ان يكون في ذلك الزمان نبي ينسب اليه تلك الكرامات واجيب في التفسير الكبير
بان انامهم على النوم امر خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لاحد واما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهو الاحيا ولا يمكن جعله
معجزة لاحد ولما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لانهم لا يعرفون كونهم صادقين في هذه الدعوى
الا اذا بعثوا طول هذه المدة وعرفوا ان هولاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع وسنين وكل هذه الشرائط
لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق الا ان تجعل كرامة لهم وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون بعثهم معجزة
النبي ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بامارات اخر كما مر من حديث الدرهم وغيره واما الاخبار فمنها ما اخرج
في الصحاح عن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى بن مريم وصبي في زمان جريج وصبي اخر اما عيسى فقد عرفتموه واما
جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام فكان يوما يصلي اذ اشتاقت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلوة خير ام رؤيتها
ثم صلى فدعته ثانيا مثل ذلك حتى كان ذلك ثلث مرات وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكان
في بني اسرائيل زانية فقالت لهم انا افتن جريجا حتى يزني فاتته فلم تقدر على شيء وكان هناك راع ياوي بالليل الى اصل صومعته فاراده
الراعي الى نفسها فاتاها فولدت غلاما وقالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فصلى ودعا ثم نخس الغلام قال
ابو هريرة كاني انظر الى النبي صلعم حين قال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه فقالوا نبني صومعتك
من ذهب وفضة فابى عليهم وبناها كما كانت واما الصبي الاخر فان امراة كان معها صبي ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شان فقالت اللهم اجعل
ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مر بها امراة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال الصبي اللهم
اجعلني مثلها فقالت له امه في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنيت ولم تزن وهي تقول
حسبي الله ومنها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فاواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة
من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران
وكنت لا اغبق قبلهما فنأى بي في طلب شجر يوما فلم ارح حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق
فقمت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا وشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا
ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر اللهم ان كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها
عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها ما لا اعطيها على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها

مطلب في اثبات كرامات الاولياء

قالت

قالت لا اذن لك ان تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلعم ثم قال الثالث اللهم اني استاجرت
اجراء فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منها الاموال فجاءني بعد حين وقال يا عبد الله
اد الي اجرتي فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من اجرتك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت لا استهزئ بك فاخذ ذلك كله
اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج فانفرجت الصخرة من الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قوله صلعم كم
من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله ومنها رواية سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
عن النبي صلعم قال بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة
تكلم فقال النبي صلعم آمنت بهذا وابو بكر وعمر ومنها رواية ابي هريرة عن النبي صلعم بينا رجل سمع رعدا وصوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان
قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك فقال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال
ولم تسال عن ذلك فقلت لاني سمعت صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان بن فلان قال اما اذا قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي
ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثا وانفق عليها ثلثا واما الآثار فمن كرامات ابي بكر الصديق رض انه لما حملت جنازته
الى باب قبر النبي صلعم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح واذا هاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب
الى الحبيب ومن كرامات عمر رض ما روي انه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية بن الحصين فبينا عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته
يا سارية الجبل الجبل قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وكتب تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المؤمنين غزونا يوم الجمعة
في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض العلماء كان ذلك
بالحقيقة معجزة للنبي صلعم لانه قال لابي بكر وعمر انتما مني بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لا جرم قدر على رؤية الجيش من ذلك البعد ومنها ما روي
ان نيل مصر كان في الجاهلية يقف كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة الى عمر
على الخزف من عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بامر الله فاجر على بركة الله وامر ان يلقى
الخزف في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض وقال اسكني باذن الله تعالى فسكنت وما حدث
الزلزلة بالمدينة بعد ذلك ووقعت النار في بعض دور المدينة فكتب على خزفة يا نار اسكني باذن الله تعالى فالقوها في النار فانطفت
في الحال ويروى ان رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره وظن ان داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك انما هو في الصحراء
يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضعا درته تحت راسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال في نفسه اهل الشرق
والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فاخرج الله تعالى اسدين من الارض فقصداه فخاف والقى السيف فانتبه عمر واسلم
الرجل قال اهل السير لم يبق لاحد من اول عهد آدم عم الى الان ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن التكلف كيف قدر على تلك السياسات
ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان رض فعن انس قال عبرت في طريق فوقعت عيني على امراة ثم دخلت على عثمان فقال ما لي اراكم تدخلون
علي وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت اوحي نزل بعد رسول الله صلعم فقال له ولكن فراسة صادقة وقيل لما طعن بالسيف فاول قطرة سقطت
من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى ان جهجاه الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها على ركبته
فوقعت الاكلة في ركبته واما علي كرم الله وجهه فيروى ان واحدا من محبيه سرق وكان عبدا اسود فاتي به الى علي فقال اسرقت قال بلى فقطع يده
فانصرف من عند علي فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المؤمنين ويعسوب الدين وختن الرسول
وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال ولم لا امدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا فدعا
الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء من اليد فرفعنا الرداء فاذا
اليد كما كانت باذن الله تعالى واما سائر الصحابة فعن محمد بن المنكدر انه قال ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحا من الواح
فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الي الاسد فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله قال فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت انه
يودعني ورجع وروى ثابت عن انس ان اسيد بن حضير ورجلا اخر من الانصار خرجا من عند رسول الله صلعم حين ذهب من الليل قطع وكانت
ليلة مظلمة وفي يد كل واحد منهما عصاة فاضاءت عصا احدهما حتى مشوا في ضوئها فلما افترقا اضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في
ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فراى رجلا على فرس ومعه زق من
خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما شرب العرب مثلها فلما فتحوا اذا هي خل فقالوا
والله ما جئتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقائع المشهورة ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم على اسم الله وما ضره ومن
ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخف

غير الله لما سلطه عليه وروى ان النبي صلعم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم فمشوا
على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولاسيما في كتاب تذكرة الاولياء ومن ارادها فليطالعها واما المعقول فهو ان
الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كل ما امره الله فاي بعد في ان
يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريد العبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعالى ليس اهلا له
وذلك قدح في قدرته واما لان المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته اشرف العطايا واجلها واذا لم يبخل
الفياض بالاشرف فلان لا يبخل بالادون اولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتيها العلمية والعملية تصرفت في اجسام
العالم السفلي كما يتصرف في جسده قلت وذلك ان النفس نور ولا يزال يتزايد نورانيته واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار
الالهية عليه حتى ينبسط ويقوى على اثارة غيره والتصرف فيه والوصول الى مثل هذا المقام هو المعني بقول علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والله
ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت
هذه الدلالة واجيب بالفرق بين المعجز والكرامة بان المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي يدعي المعجز و
يقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وايضا انه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولي
دعوى الولاية واما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبي مامور بالاظهار لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشتهار
والفخر المنهيين عنه فانه يفرق بينهما بان المعجز مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير مسبوقة بشيء من الدعاوي قالوا قال صلعم حكاية عن الله
سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله باداء الفرايض لا يحصل له شيء من الكرامات فالمتقرب اليه باداء
النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان المتقرب اليه باداء الفرايض والنوافل جميعا قالوا قال تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس فالقول بطي الارض للاولياء طعن في الاية وطعن في محمد صلعم حين لم يصل من المدينة الى مكة الا في ايام واجيب بان الاية
وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فيصير كالمستثناة من ذلك العموم وان محمدا صلعم لم يكن قاصرا عن رتبة بعض
الاولياء ولكنه لم يتفق له ذلك او لعله اتفق في غير ذلك السفر قالوا اذا ادعى الولي على انسان درهما فان لم يطالبه بالبينة كان تاركا لقوله
صلعم البينة على المدعي وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن والجواب
مثل ما مر ان النادر لا حكم به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات انقلب خرق العادة وفقا لها
واجيب بان المطيعين فيهم لقوله وقليل من عبادي الشكور والولي فيهم اعز من الكبريت الاحمر واتفاق الكرامة للولي ايضا يقع على سبيل الندرة
فكيف يصير ما يظهر عليه معتادا في الفرق بين الكرامات والاستدراج هو ان يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى
مكرا وكيدا وضلالا واملاء والفرق ان صاحب الكرامة لا يستانس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج يسكن اليها او تي
ويشتغل بها وانما كان الاستيناس بالكرامات قاطعا للطريق لانه حينئذ اعتقد انه مستحق لذلك وان له حقا على الخالق فيعظم شانه
في عينه لا بالمكرم ولا ريب ان الاعجاب مهلك ولهذا وقع ابليس فيما وقع والعبد الصالح هو الذي يزداد تذللا وتواضعا بين يدي مولاه
بازدياد اثار الكرامة والولاية عليه قرا المقرئ في مجلس الشيخ ابي علي الدقاق اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة رفع العمل
ان لا يبقى منه في نظرك شيء فان بقي فهو غير مرفوع في ان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاد ابو بكر بن فورك لا يجوز لان ذلك
يوجب الامن الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والامن ينافي اعتقادها ربه تعالى ويقتضي زوال العبودية الموجب لسخط
الله وكيف يامن الولي وقد وصف الله تعالى عباده المخلصين بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وايضا ان طاعات العباد ومعاصيهم لا تؤثر
في محبة الحق وعداوته لانها محدثة متناهية وصفاته قديمة غير متناهية والمحدث المتناهي لا يغلب القديم غير المتناهي فقد يكون العبد
في عين المعصية ونصيبه الازلي هو المحبة وقد يكون في عين الطاعة ونصيبه المبغضة ولهذا لا يحصل الجزم بكيفية الخاتمة قيل من هنا قال
سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن كانت محبته لا لعلة امتنع ان يصير عدم العلة معصية وبالعكس فمحبة
الحق وعداوته من الاسرار التي لا يطلع عليها الا الله ومن اطلعه عليها الله وقال الاستاد ابو علي الدقاق وتلميذه ابو القسم القشيري ان للولاية
ركنين احدهما الانقياد للشريعة في الظاهر والثاني كونه في الباطن مستغرقا في نور الحقيقة فاذا حصل هذان الامران وعرف الانسان
ذلك عرف لا محالة كونه وليا وعلامته ان يكون فرحه بطاعة الله واستيناسه بذكر الله قلت لا ريب ان مداخل الاغلاط في هذا الباب
كثيرة ودون الوصول الى عالم الربوبية حجب واستار من نيران وانوار فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالمحبة عسر والله تعالى اعلم قال
المفسرون ان اليهود حين قالت لقريش سلوا محمدا عن مسائل ثلثة عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين قال صلعم اجيبكم عنها غدا
ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه خمس عشرة ليلة وقيل اربعين يوما ثم نزل قوله ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك غدا
اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ليس فيه بيان انه ماذا يشاء فقال العلماء انه لا يمكن ان يكون من تمام قوله

اني فاعل اذ يصير المعنى الا ان يشاء الله ان لا افعله اي الا ان تعرض مشية الله دون فعله وهذا ليس منهيا عنه فالصواب
ان يقال انه من تمام قوله ولا تقولن ثم ان من قدر المراد الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك في ذلك الاخبار كان معنى صحيحا ولكنه
لا يكون موافقا لسبب النزول فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا في موضع الحال اي لا تقولنه الا ملتبسا بان يشاء الله يعني قائلا
ان شاء الله وهذا نهي تاديب لنبيه لان الانسان اذا قال سافعل الفعل الفلاني غدا لم يبعد ان يموت قبل مجي الغد ويعوقه عن ذلك عائق
فلو لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر وجوز في الكشاف ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا
تقولنه ابدا قال اهل السنة في صحة الاستثناء بل في وجوبه دلالة على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة ويؤكده انه اذا قال
المديون القادر على اداء الدين والله لاقضين هذا الدين غدا ثم قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا لان
الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امره باداء الدين وانما لم يقع في قول الرجل لامراته انت طالق ان شاء الله لان مشية الله غير معلومة فيلزم الدور
لتوقف العلم بالمشية على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس واستدل القائلون بان المعدوم شيء بقوله ولا تقولن لشيء وذلك ان الشيء الذي سيفعل
غدا معدوم مع انه سماه شيئا في الحال واجيب بانه مجاز كقوله اعصر واذكر ربك اي مشية ربك اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها وللعلماء
في مدة النسيان الى الذكر خلاف فعن ابن عباس يستثني ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وهو قول
ابن عباس بعينه وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا اثر له في الاحكام
ما لم يكن موصولا قالوا ان الايات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعقد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خالفنا هذا
الدليل فيما اذا كان الاستثناء متصلا بناء على ان المستثنى منه مع الاستثناء واداته كالكلام الواحد فاذا كان منفصلا لم يكن هذا التوجيه
فوجب الرجوع الى اصل الدليل وقيل اراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء وفيه بعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك
اذكره اذا اعتراك النسيان في بعض الامور ليذكرك المنسي واذكره اذا تركت بعض ما امرك به وليس لهذين القولين شديد ارتباط بما قبله
وكذا قول من حمله على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا في المشار اليه بقوله لاقرب من هذا فالظاهر عند صاحب الكشاف ان المراد
اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة
وقيل انه ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره احسن فقوله هذا اشارة الى الترك واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نباء
اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يوتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبائهم وقد فعل ذلك
حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالمغيبات ما هو اعظم وادل عن قتادة ان قوله سبحانه ولبثوا في كهفهم حكاية لكلام اهل الكتاب
وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على انه بيان لما اجمل في قوله وضربنا على اذانهم في الكهف
سنين عددا والمراد من قوله قل الله اعلم ان لا تجاوز والحق الذي اخبر الله به ولم يلتفتوا الى ما سواه من اختلافات اهل الاديان نظيره
قوله قل ربي اعلم بعدتهم بعد قوله سبعة وثامنهم كلبهم قال النحويون سنين عطف بيان لثلثماية لان مميز مائة واخواتها مجرور مفرد وقيل
فيه تقديم وتاخير اي لبثوا سنين ثلثماية ومن قرا بالاضافة فعلى وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كما مر في قوله وقطعناهم اثنتي عشرة
اسباطا امما قوله وازدادوا تسعا اي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه دون ان تقوله ولبثوا ثلثماية سنة وتسع سنين فعن الزجاج
ان المراد ثلثماية بحساب السنين الشمسية وثلثماية وتسع بسنين القمر وهذا نوع تقريبي وقيل انهم لما استكملوا ثلثماية سنة قرب امرهم من
الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله غيب السموات والارض اي ليس لغيره
ما خفي فيهما من احوال اهلها واحوال سكانهما وهو مختص به ذلك ثم زاد في المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات
والضمير في قوله ما لهم لاهل السموات والارض وفيه بيان لغاية قدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم غيره ولا
يشرك في حكمه وقضائه قيل اصحاب الكهف احدا منهم ومن قرا ولا تشرك على النهي فهو معطوف على لا تقولن والمراد انه لا يسال احدا مما
اخبره الله به من نبا اصحاب الكهف ويقتصر على بيانه وقيل الضمير في ما لهم لاصحاب الكهف اي انه هو الذي حفظهم في ذلك النوم الطويل وتولى
امرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل فيه نوع تهديد لانهم لما
ذكروا في هذا الباب اقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبين الله تعالى انه ليس لهم من دونه ولي يمنع العقاب عنهم واعلم
ان الناس اختلفوا في زمان لبث اصحاب الكهف في مكانهم فقيل كانوا قبل موسى عليه السلم وانه ذكرهم في التورية فلهذا سالت اليهود ما سالوا
وقيل دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر هو بخبرهم ثم بعثوا في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى القفال عن محمد بن اسحق انهم دخلوا
كهفهم بعد عيسى وقيل انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكر ابن علي سينا في باب الزمان من كتاب الشفا ان ارسطاطاليس الحكيم زعم انه
عرض لقوم من المتالهين حالة شبيهة بحالة اصحاب الكهف ويدل التاريخ على انهم كانوا قبل اصحاب الكهف واما المكان فحكى القفال عن محمد بن

موسى الخوارزمي المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف احوال اصحاب الكهف فوجه ملكها طايفة الى ذلك الموضع قال وان الرجل
الموكل بذلك المقام فزعني من الدخول عليهم فدخلت فرايت الشعور على صدورهم فعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد
عالجوا ملك الجثث بالادوية المجففة الحافظة لابدان الموتى عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يطلع الخوارزمي عليهم من
الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم ليسوا اصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكينا عن معوية حين غزا الروم حصل ظن غالبا بانهم هم
والله اعلم الحمد لله الذي انزل على قلب عبده الكتاب والعبد الحقيقي من يكون حرا عن الكونين وهو محمد صلعم اذ يقول امتي
امتي يوم يقول كل نبي نفسي نفسي ولانه هو الذي صح نسبة العبودية كما ينبغي اطلق عليه اسم العبد مطلقا وقيل لسائر الانبيا كما قال
عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه خلقه القران قيل ولم يجعل له اي لقلبه عوجا لا يستقيم فيه القران ومن استقامة قلبه نال ليلة المعراج
ربه فاوحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة جبريل ونال قلبه الاستقامة من التكوين بقوله فاستقم كما امرت اجرا حسنا هو التمتع من حسن
الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من عادته صلعم ان يبالغ في المامور به حتى ينهى عنه بالغ في الدعوة والشفقة على الامة حتى
قيل له لا تبخع نفسك وبالغ في الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط انا جعلنا ما على الارض
زينة اي زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء للمحب والسالي لنبلوهم ايهم احسن عملا في تركها ومخالفة هوى
نفسه طلبا لله ومرضاته ثم اخبر عن سعادة السادة الذين اعرضوا عن الدنيا واقبلوا على المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تعجب من
حالهم فان في امتك من هو اعجب حالا منهم فقيهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم اووا
الى الكهف خوفا من لقاء دقيانوس وفرارا منه فهولاء اووا الى الخلوة شوقا الى لقائه وفرارا اليه وان هم طلبوا النجاة من شره والخروج
من الغار بالسلامة بقولهم ربنا اتنا الاية فهولاء طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات غار المجازي الموصول الى نور
الوجود الحقيقي فضربنا على اذان باطنهم وحواسهم الاخر في مدة الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن الواح نفوسهم واشتغالها بالعلوم
اللدنية والانوار الالهية ليغنيهم الله عنهم ويبقيهم به فهو سر قوله ثم بعثناهم اي احييناهم بالعلم اي الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب
السلوة احصى اي اكثر فائدة واتم عائدة الامر لبثهم في الدنيا التي هي مزرعة الاخرة وزدناهم هدى فانهم كانوا يريدون الايمان الغيبي
واغنامهم ثم بعثناهم حتى صار الايمان ايقانا والغيب عيانا اتخذوا من دونه الهة من الدنيا والهوى وترى الشمس اذا طلعت قال الشيخ المحقق
نجم الدين المعروف بداية هذا اخبار عن اصناف الطائفة باصنافه وفيه اشارة الى نور ولايتهم تقلب نور الشمس وبرده عن الكهف كما تقلب
نور المومن نار جهنم لقوله صلعم ان المومن اذا ورد النار تستغيث النار وتقول جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي وهم في فجوة منه في
متسع وفراغ من ذلك النور يدفع عنهم كل ضرر ويراعيهم عن بلى اجسادهم وثيابهم قلت يحتمل ان يراد ان شمس الروح او المعرفة
والولاية اذا طلعت من افق الهداية واشرقت من سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا يتصرف في حال خلوتهم الى
امر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا غربت اي سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو لا تلتفت بهم ارواحهم الى امر يتعلق
بالدنيا وهو جانب الشمال بل تحرف عن الجهتين الى المولى وهم في حال دفاع وفراغ مما يشغلهم عن الله وتحسبهم ايقاظا متصرفين
في امور الدنيا وهم رقود عنها لانهم يتصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس او تحسبهم ايقاظا مشغولين بامور الاخرة لان للناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود متصرفون في امور الدنيا لان الناس هم يرزقون ويعطرون وفي قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال اشارة الى انهم في التسليم لمقلب القلوب في الاحوال كلها كالميت بين يدي الغسال قيل في الاية دلالة على ان المريد الذي يربيه
الله بلا واسطة المشايخ يتكامل امره في ثلثمائة وتسع سنين والذي يربيه بواسطتهم يتم امره في اربعينات معدودة ولهذا تكون
ثمرة البساتين الذي غرة الجبال وفي قوله وكلبهم باسط اشارة الى ان كلب نفوسهم نائمة معطلة من الاعمال التي بها ابنية القلوب والارواح
يعني ان هذا النوع من التربية من قبل القدرة الالهية التي اختصهم بها ويمكن ان يراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم في جميع الاحوال
وتحرسهم عما يضرهم ولمليت منهم رعبا بما شاهدت عليهم من اثار الانوار التي زدناهم وبجلا بيب الهيبة والعظمة التي البسناهم لبثنا
يوما او بعض يوم لان ايام الوصال قصيرة فلما راوا انهم في دهشة الوصال وحيرة الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا
معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم من العجب انهم ما احتاجوا الى الطعام مدة ثلثمائة وتسع بما نالوا من غذا الروح كقوله صلعم ابيت
عند ربي يطعمني ويسقيني فلما رجعوا من عند الله للحق الى عندية انفسهم احتاجوا الى الغذا الجسماني ازكى طعاما لما رجعوا الى العالم
الجسماني تعللوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى تلك الملاطفات بلطايف الاغذية الجسمانية وذكاتها ولا يشعرن بكم احدا
ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن شعور اهل الغفلة والسلوة ليعلموا ان وعد الله باحياء القلوب الميتة حق فلله الامر
بينهما اظهروا ايدا او استروا خفي سيقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلاثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية التي منشأها

القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة هو
الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعاني والخيال المدرك للصور ثامنهم كلبهم هو النفس المدرك للكليات قل ربي اعلم بعدتهم لان
القوى الباطنة والظاهرة وافاعيلها وغاياتها لا يعلمهن الا الله سبحانه ومن اطلعه الله عليه وذلك قوله وما يعلمهم الا قليل ٥

واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد
عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
واتبع هواه وكان امره فرطا ● وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن
شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ● ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ● اولئك لهم
جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون
ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب و
حسنت مرتفقا ● واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ● كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم
منه شيا وفجرنا خلالهما نهرا ● وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو
يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ● ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا ● وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا ● قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك
من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ● لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا

ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا

وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء

فتصبح صعيدا زلقا ● او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ● واحيط بثمره

فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم

اشرك بربي احدا ● ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا

هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ● واضرب لهم مثل الحيوة

الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه

الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا

والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ●

وقرأ بالتخفيف سهل ويعقوب غيرو ويس له ثمر وكذا بثمره بفتح الثاء والميم يزيد وعاصم وسهل ويعقوب ابو عامر بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها على الوحدة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الاخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير في الحالين قتيبه وقرأ ابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل بغير الف واتفقوا على الالف في الوقف يرى احدا مفتوحة الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان ترني بفتح الياء السرندبي عن قنبل عقبا بضم العين وكذلك في الثلاث البرجمي الباقون بفتحها ولم يكن له بياء الغيبة الولاية بكسر الواو حمزة وعلي وخلف الاخرون بتاء التانيث وفتح الواو لله الحق بالرفع ابو عمرو وعلي الاخرون بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على التوحيد حمزة وعلي وخلف من كتاب ربك لاختلاف الجملتين ملتحدا عنهم لان ما بعده يصلح صفة واستهما ما عتدوف الالف لله لانه حال العذاب فرطا فليكفر لان الامر للتهديد بدليل انا اعتدنا فلو فصل صار مطلقا نارا لان ما بعده صفة سرادقها الوجوه الشراب مرتفقا علي لاحتمال كون اولئك مع ما بعده خبر ان الذين وقوله انا لا نضيع جملة معترضة الارائك الثواب مرتفقا زرعا شيا للعطف نهرا ثمر للعدول عن الفاء نفرا لتنبيه لاتحاد القائل بلا عطف ابدا قائمة لان ما بعده شك من قول الكافر في البعث منقلبا رجلا لتمام الاستفهام احدا ما شاء الله لا تمام المقول الا بالله لابتداء الشرط المحذوف جوابه مع اتحاد القائل المقول له وولدا لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط زلقا طلبا احدا منتصرا وقيل يوقف على هنالك ولا وجه ان يبتدأ بهنالك اي عند ذلك يظهر كل سلطان الله ونفاذ امر الحق على القرائن عقبا الرياح مقتدرا زينة للحيوة الدنيا فصلا بين المحل الفاني والموجل الباقي مع اتفاق الجملتين املا لما اجاب سؤالهم بما اجاب امر نبيه صلعم ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين امنوا بما انزل عليه واحتمل ان يكون اتل امرا من التلو لا من التلاوة اي اتبع ما اوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي اوحي اليه ثم بين سبب اللزوم فقال لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك الا المواظبة على العلم والعمل به يؤكده قوله ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فرضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في اسمائه نهى رسوله صلعم في سورة الانعام عن طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين يدعون الاية وامره في هذه السورة بحبس النفس معهم وبمراقبة احوالهم بقوله ولا تعد عيناك قال جار الله انما لم يقل ولا تعدهم عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة

تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل ولا تقتحم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ثم نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا امنه فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه قال اهل السنة معنى الاغفال ايجاد الغفلة وخلقها فيهم او هو من اغفله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى الغفلة عن الذكر ولو كانت بايجاد العبد والقصد الى ايجاد الغفلة عن الشيء لا يتصور الا مع الشعور بذلك الشيء لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى اغفلناه وجدناه غافلا او بالخذلان والتخلية بينه وبين الاسباب المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هويه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الخلق في القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشيء في نفس الامر نتيجة لشيء ان يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان الا غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هويه بل يبقى متوقفا متحيرا او كان امره فرطا اي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره وانت اذا تاملت وجدت حال الاغنياء المتجبرين بخلاف حال الفقراء المؤمنين لان هؤلاء يدعون ربهم بالغداة والعشي ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته فاقبلوا على الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء قد اعرضوا عن المولى و اقبلوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة وبقوا في تيه الجهل والعمى وانما لم يجز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لان ايمان تارك الايمان احترازا من مجالسة الفقراء كلا ايمان فوجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن اين هو قائلا وقل الحق من ربكم اي الذي للحق حصل ووجد من عند الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وازاحت العلل فلم يبق الا اختيار الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشية العبد واختياره وحمله الاشاعرة على امر التهديد وقالوا ان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد ان يقع بالاختيار والقصد وينقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد ان ينتهي الى قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار وفي صورة هذا التخيير دلالة على انه سبحانه لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين ثم بين وعيد الظالمين الذين وضعوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال انا اعتدنا اي اعددنا وهيئنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فاثبت تعالى للنار شيئا شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا مخلص لهم منها ولا فرج وقيل هو حائط من نار يطيف بهم وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب وقيل ثيابا واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما اذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قال ابو عبيدة و الاخفش وقيل في حديث مرفوع انه دردي الزيت وقيل الصديد والقيح او ضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله تعالى من عين انية واما للنفع الحر ولاجل التبريد كقوله حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء ويروى انهم اذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص وقد يفسر بهذا قوله سرابيلهم من قطران عن النبي صلعم هو يعني كالمهل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله يشوي الوجوه بئس الشراب ذلك لان المقصود من الشراب ازاحة الاحشاء وهذا يحرقها ويشويها وساءت اي النار مرتفقا اي متكا لاهلها ومنه المرفق لانه يتكا عليه قال جار الله هذه المشاكلة قوله في اهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق والمعنى ساءت النار مجتمعا لاولئك الرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال ان الذين امنوا الاية فان جعلت انا لا نضيع اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا واولئك خبرا اخر او كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم فمعنى العموم في من احسن يقوم مقام الرابط محذوف والتقدير من احسن عملا منهم وتفسير جنات عدن قد مر في سورة التوبة والرعد ولاهل الجنة لباسان لباس التحلي ولباس الستر ولم يسم فاعل يحلون للتعظيم وهو الله جل وعلا والملائكة باذنه ومن في من اساور للابتداء ومن في من ذهب للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن واساور اهل الجنة بعضها ذهب لهذه الاية وبعضها فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وبعضها لؤلؤ كقوله في الحج ولؤلؤا وجمع في لباس الستر بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبره قيل انما لم يسم فاعل يحلون اشارة الى ان الحلي تفضل الله بها عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على انهم استوجبوه بعملهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك متكئين على اسرتهم والارائك جمع الاريكة وهي السرير المزين بالحجلة اما السرير وحده فلا يسمى اريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بجاههم وحشمهم واموالهم واصناف تنعماتهم على فقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين تنبيها على ان متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر اسمه فطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار فانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا

بالف في الجنة فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال
اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده
ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل الاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن الاشهل زوج ام سلمة قبل رسول الله صلعم
وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد اما قوله وحففناهما بنخل فقد قال صاحب الكشاف انه يتعدى الى المفعول الثاني بالباء ومعنا
جعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار لاسيما المثمرة منها وخاصة النخل
ان امكن وجعلنا بينهما زرعا فيهما جامعتان للاقوات والفواكه وفيه انهما مع سعة اطرافهما وتباعدهما كانهما لم يتوسطهما بقعة
معطلة وفيه انها تاتي كل وقت بمنفعة اخرى متواصلة متشابكة وكل منهما منعوتة بوفاء الثمار وتمام الاكل وانت محموله على
لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز والظلم اصله النقصان وهو المراد ههنا وفجرنا من قرا بالتخفيف فظاهر لان النهر واحد
ومن قرا بالتشديد فللمبالغة لان النهر يمتد في وسطهما فهو كالانهار وكان له ثمر قال الكلبي الثمرة اسم الواحد والثمر جمع وجمعه
ثمار ثم ثمر ككتاب وكتب بالحركة او بالسكون وذكر اهل اللغة ان الثمر بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر
بالفتح حمل الشجر قال قطرب كان ابو عمرو بن العلا يقول الثمر المال والولد اي كان يملك مع الجنتين اشيا من النقود وغيرها
والثمر بالفتح حمل الشجرة وقال قطرب كان ابو عمرو بن العلاء يقول الثمر المال والولد اي كان يملك مع الجنتين اشياء من النقود وغيرها
وكان متمكنا من عمارة الارض ومن ساير التمتعات كيف شا والمحاورة مراجعة الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم
الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كان اخذ بيد المسلم يطوف به في
الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه وذلك قوله سبحانه ودخل جنته قال جار الله معنى افراد الجنة بعد التثنية
انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد ان
يكون قد دخل مع اخيه جنة واحدة منهما وجعل مجموع الجنتين في حكم جنة واحدة ثم يؤيد توحيد الضمير على اكثر القراءات في قوله لاجدن
خيرا منها وانما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه اغتر بتلك النعم وجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وشكر
مقدورات الله كان واضعا النعم في غير موضعها على ان في الجنة من يستدل بها على احوال النشور كقوله عز من قائل
وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى ثم حكى الكافر الفضيلتين عدم دوام الحق
بعد الزوال ثم قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة ابدا وذلك لطول امله واستيلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى انكر الحس
وادى غلبة الظن بامتناع النشور وقيام دلائل العقلية والحسية على امكانه ووجود الدلائل الشرعية على وجوبه قال وما اظن
الساعة قائمة ثم اقسم على انه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا وكان كما يزعم صاحبه ان له في الاخرة لاجدن خيرا من جنته في الدنيا
كان قاس الغائب على الشاهد وادعى ان النعم الدنيوية لن تكون الا لاستحقاقه لها وكرامة ومنقلبا انصب على
التمييز اي مرجع تلك وعاقبتها لكونها باقية بزعمه خير من هذه لكونها فانية حسا او في اعتقاد ثم قال لبعض العلماء الرد يقتضي كراهة
المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت اي عن جنتي هذه التي اظن ان لا تبيد ابدا الى ربي ولما لم يسبق مثل هذا المعنى في حم قال هنالك
ولئن رجعت الى ربي بقوله اكفرت زعم الجمهور ان اخاه المؤمن حكم بكفره لانه انكر البعث واقول يحتمل ان يكون كافرا باشراكه ايضا بل مشركا لقوله بعد
ذلك يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولقول اخيه معرضا به لكنا هو الله ربي وليس في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة على انه كان عارفا
بربه لاحتمال ان يكون قد قال ذلك بزعم صاحبه كما اشرنا اليه وقوله خلقك من تراب اي خلق اصلك وهو اشارة الى المادة البعيدة
وقوله ثم من نطفة اشارة الى المادة القريبة ومعنى سواك رجلا عدلك وكملك حال كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال المكلفين و
يجوز ان يكون رجلا تمييزا ولعل السر في تخصيص الله سبحانه في هذا المقام بهذا الوصف هو ان يكون دليلا على وجود الصانع اولا لان الاستدلال
على هذا المطلوب بخلق الانسان اقرب الاستدلالات وفيه ايضا اشارة الى امكان البعث لان الذي قدر على الابداء كان اقدر على
الاعادة وفيه انه خلقه فقيرا لا غنيا فعلم منه انه خلقه للعبودية والافتقار لا للفخر والاستكبار ثم استدرك لقوله اكفرت كانه قال
لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد واصل لكنا لكن انا حذفت الهمزة بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى
وادغمت في الثانية وضمير الغائب للشان والجملة بعده خبر للشان والمجموع خبر انا والراجع ياء الضمير وتقدير الكلام لكن انا الشان الله ربي
قال اهل العربية اثبات الف انا في الوصل ضعيف ولكن قراءة ابن عامر قوية بناء على ان الالف كالعوض عن حذف الهمزة ولولا التخصيص
وفعله قلت واذ دخلت ظرف وقع في البين توسعا وقوله ما شاء الله خبر مبتدا محذوف او جملة شرطية محذوفة الجزاء تقدير الكلام
الامر ما شاء الله واي شيء شاء الله كان استدل اهل السنة بالاية في انه لا يدخل في الوجود شيء الا بارادته ومشيته واجاب الكعبي بان المراد
ما شاء الله مما تولى فعله لا ما هو من فعل العباد والجواب ان هذا التقدير مما يخرج الكلام عن الفائدة فانه كقول القائل السماء فوقنا واجاب

القفال بانه اراد ما شاء الله من عمارة هذا البستان ويؤيده قوله لا قوة الا بالله اي ما قويت به على عمارته وتدبير امره فهو بمعونة
الله وزيف بانه تخصيص للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان لعلها حصلت بالظلم والعدوان والتحقيق انه لا قوة لاحد
على امر من الامور الا باعانة الله وافاده عن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من يشاء وكان اذا دخله
ردد هذه الاية حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض الامر الى مشيئة الله اجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال ان ترن انا اقل منك
مالا وولدا فانها فصل وانا اقل مفعول ثان ومالا وولدا نصب على التمييز فعسى ربي ان يؤتين في الدنيا او في الاخرة جنة خيرا من
جنتك ويرسل عليها حسبانا مصدر كالغفران بمعنى الحساب اي مقدارا وقع في حساب الله وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب
حسبان وهو حساب ما كسبت وقيل هو جمع حسبانة وهي السهم القصير يعني الصواعق فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضا يزلق عليها لملاستها
وزلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر كقولهم فلان ذو صوم ثم اخبر سبحانه عن تحقيق ما انذره المؤمن فقال واحيط بثمره وهو عبارة
عن اهلاكه وافنائه بالكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا ان يحاط بكم فاصبح يقلب كفيه اي يندم على ما انفق فيها لان النادم يفعل
كذلك غالبا كما قد يعض انامله وهي خاوية على عروشها اي سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقد مر في البقرة في قصة عزير وقوله
يا ليتني لم اشرك تذكر لموعظة اخيه وفيه دلالة ظاهرة على ما قلنا من انه كان غير عارف بالله بل كان عابد صنم ومن ذهب الى انه جعل
كافرا لانكاره البعث فسر بان الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد وكانه اثبت لله شريكا في اعطاء العز والغنى او انه لما عجز الله من البعث
فقد جعله مساويا للخلق في هذا الباب فهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام تندما على الشرك ورغبة في التوحيد المحض ولكن رغبة في الايمان
رغبة في جنته وطمعا في دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر ندمه مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله ولم تكن له فئة طائفة ينصرونه من دون الله لانه
وحده قادر على نصرة العباد وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين ان النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن
على الكافر علم ان الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل هنالك اي في مثل ذلك الوقت والمقام الولاية الحق لله او الولاية لله الحق والولاية
بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمراد في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويلتجي اليه كل مضطر يعني ان قول الكافر يا ليتني انما
صدر عنه الجاء واضطرارا وجزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الاخرة كقوله لمن الملك اليوم لله وعقبا بضم
القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخسر قط ثم ضرب مثلا اخر لجبابرة قريش فقال واضرب لهم الاية وقد مر مثله في اوائل يونس
انما مثل الحيوة الدنيا كما ومعنى فاختلط به النبت بسببه وقيل معناه وروى النبات وفق لاختلاط الماء به وذلك ان الاختلاط يكون
من الجانبين والهشيم ما يهشم ويحطم والذرو النثر والاذهاب يقال ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا وكان الله
على كل شيء مقتدرا من تكوينه اولا وتنميته وسطا واذهابه اخرا ولا ريب ان احوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة
ثم تتزايد الى ان تتكامل ثم تنتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل ان يبتهج به وحين مهد القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية
فقال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات وهي اعمال الخير التي تبقى خير عند ربك ثوابا اي تعلق ثواب وخير املا لان
الجواد المطلق افضل مسؤل واكرم مامول وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ففي التسبيح تنزيه له
عن كل ما لا ينبغي وفي التحميد اقرار بكونه مبدا لافادة كل ما ينبغي وفي التهليل اعتراف بانه لا شيء في الامكان متصفا بالوصفين الا هو وفي
التكبير اذعان لغاية عظمته وانه اجل من ان يعظم وقيل الطيب من القول والاصح كل عمل اريد به وجه الله وجل قاله قتاده
واتل على نفسك ما اوحي اليك كتاب كتبته ربك في الازل لا مبدل لكلماته الى الابد مع الذين يدعون ربهم وهم القلب والسر والروح و
في غداة الازل الى عشي الابد فانهم مجبولون على طاعة الله كما ان النفس جبلت على الهوى وطلب الدنيا ولا تعد عيناك بهمتك عنهم فانك ان لم
تراقب احوالهم تصرف فيهم النفس الامارة ولا تطع من اغفلنا يعني النفس نارا اي نار القهر والغضب احاط بهم سرادقها يعني سرادق القهر بماء
كالمهل كل ما هو لاهل اللطف اسباب لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعل لاهل القهر سببا للصعوبة الامن وشدة التعلق حتى تشوي الوجوه
اي حرقت مواد الشفافية الى عالم الارواح وخبثت استعداداتهم فبقوا في اسفل سافلين الطبيعة يحلون فيها من اساور التحلية بالاساور اشارة
الى ظهور اثار الملكات عليهم وقوله من ذهب رمز الى انها ملكات مستحسنة معتدلة راسخة ويلبسون ثيابا فيه ان انوار العبادات تلوح عليهم
وتشتمل بهم وقوله خضرا اشارة الى انها انوار غير قاهرة ومن سندس اشارة الى ما الطف من الرياضات واستبرق الى ما اشق منها متكئين فيها
على الارائك لانهم فرغوا مما كلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات وبقي ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن جعلنا
لاحدهما وهو النفس جنتين بماء الهوى والدنيا من اعناب الشهوات وحففناهما بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية
وفجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس وكان له ثمر من انواع الشهوات وهو يحاوره اي يجاذب النفس القلب انا اكثر منك مالا اي
ميلا واعز نفرا من اوصاف المذمومات وهو ظالم لنفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لاجدن خيرا منها لانه غر بالله فكرمه فلا جرم
ما غرك بربك الكريم هلا قلت ما شاء الله اي اتصرف في جنة الدنيا كما شاء الله على ما اتفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كما انزلناه من الروح

العلوي انزل على ارض الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فاصبح هشيما تلاشت منه نداوة الاخلاق الروحانية تذروه الرياح
الاهوية المختلفة فيكون حاله كحال دوح ادركته العناية الازلية فبعث اليه دهقان من اهل الكمال فرباه بماء العلم والعمل حتى يصير
شجرة طيبة والباقيات الصالحات اي ما فني منك وبقي بربك اشجبي ٥

ويوم تسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ● وعرضوا
على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم
موعدا ● ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا ● واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته
اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ● ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا
ويوم يقول نادوا شركاي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا
بينهم موبقا ● وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها
مصرفا ● ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان
اكثر شيء جدلا ● وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا
ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا ● وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا
به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ● ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان
يفقهوه وفي اذانهم وقرا ● وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا ●

وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ● وتلك القرى اهلكناهم
لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ●

تسير الجبال على بناء الفعل للمفعول ورفع
الجبال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والاخرون على بناء الفعل
للفاعل ونصب الجبال ما اشهدناهم يزيد الاخرون ما اشهدتهم وما كنت على الخطاب روى ابن وهدان عن يزيد الباقون على التكلم ويوم نقول
بالنون حمزة الباقون على الغيبة لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى وحماد والمفضل الباقون بضم الميم وفتح اللام
بارزة لان التقدير وقد حشرناهم قبل ذلك احدا للاية مع العطف صفا للعدول والحذف اي يقال لهم لقد جئتمونا اول مرة لان بل زعمتم
يبتدئ به مع ان الكلام متحد موعدا احصيها لاستيناف الواو بعد تمام الاستيناف مع احتمال الحال باضمار قد حاضرا احدا
الا ابليس امر ربه عدوا بدلا انفسهم عضدا موبقا مصرفا مثل جدلا قبلا ومنذرين لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف
هزوا يداه وقرا ابدا الرحمة العذاب موئلا موعدا لما بين خساسة الدنيا ونزر الاخرة اردفه باحوال القيمة و
اهواله وفيه رد على اغنياء المشركين الذين فخروا بكثرة الاصول والاولاد على فقراء المسلمين والتقدير واذكر يوم كذا عطفا على واضرب
ويجوز ان ينتصب بالقول المضمر قبل لقد جئتمونا وفاعل التسيير هو الله تعالى الا انه بني على احد القولين ولم يسم في الاخرى وتسيرها اما
الى العدم لقوله ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا واما الى موضع لا يعلمه الا الله وترى
الارض بارزة لانه لا يبقى على وجهها شيء يسترها من العمارات ولا من الجبال والاشجار اما لانها برزت ما في باطنها من الاموات
لقوله والقت ما فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازي اي بارزا ما في جوفها وحشرناهم الضمير للخلائق المعلومة حكما فلم نغادر منهم احدا
من الاولين والاخرين يقال غادره واغدره اذا تركه والترك غير لائق ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان
اللائق بحال ان يذهب بالماء كله ولا يخفى ان اللائق بحال العزة ان لا يترك احدا من خلقه غير محشور والا كان قد خلا في علمه وحكمته
وقدرته قالت المشبهة في قوله وعرضوا على ربك على انه سبحانه في مكان يمكن ان يعرض عليه اهل القيمة وكذلك في قوله لقد جئتمونا
واجيب بانه تعالى شبه وقوفهم في الموضع الذي يسالهم فيه عن اعمالهم بالعرض عليه وبالمجيء الى الحكم كما يعرض الجند على السلطان و
انتصب صفا على الحال اي مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا والصف اما واحد واما جمع كقوله يخرجكم
طفلا اي اطفالا وقيل صفا اي قياما ويؤيده قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وقال القفال يشبه ان يكون الصف راجعا الى
الظهور والبروز ومنه الصفصف للصحراء وهذا قريب من الاول وقد مر في الانعام ان وجه التشبيه في قوله كما خلقناكم انهم يبعثون
عراة لا شيء معهم او المراد بعثناكم كما انشاناكم وزعمتم ان لن يجعل الله لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدوا على السنة الانبياء اما ان يكون
حقيقة واما لان افعالهم تشبه فعل من يزعم ذلك ووضع الكتاب اي جنسه وهو صحف الاعمال والوضع اما حسي وهو ان يوضع كتاب
كل انسان في يده اما في اليمين او في الشمال واما عقلي ومعناه النشر والاظهار فترى المجرمين مشفقين خائفين مما في الكتاب لان الخائف
الخائف خوف العقاب وخوف الافتضاح ومعنى النداء في يا ويلتنا قد مر في المائدة في قوله يا ويلتي اعجزت وقوله صغيرة او كبيرة صفتان
للهيئة او المعصية الا اعتقلة وهي عبارة عن الاحاطة وضبط كل ما صدر عنهم لان الاشياء اما صغار واما كبار فاذا احصى الصنفين
فقد حصر الكل وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك لان تلك الصغائر هي التي جرتهم على الكبائر وعن ابن عباس
الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبائر الزنى وجوز في الكشاف ان يريدوا ما كان عندهم صغائر
وكبائر وتمام البحث في المسئلة اسلفناه لك في اوائل سورة النساء في تفسير قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فنذكره ووجدوا
ما عملوا حاضرا في الصحف مثبتا فيها او وجدوا جزاء ما عملوا ظاهرا على صفحات احوالهم ولا يظلم ربك احدا استدل الجبائي على بطلان مذهب
الاشاعرة في ان الاطفال يجوز ان تعذب بذنوب ابائهم فان ذلك ظلم والجواب ان الظلم انما يتصور في حق من يتصرف في غير ملكه قالوا لو
ثبت ان الحكيم المالكية ان يفعل ما يشاء من غير اعتراض عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة واجيب بان تلك القضية بعد الدلائل العقلية علمت من
مثل هذه الاية عن رسول الله صلعم يحاسب الناس في القيمة على ثلثة يوسف وايوب وسليمان يدعو الملوك فيقول له ما شغلك عني فيقول
جعلتني عبدا لادمي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك عن عبادتي ويومر به الى النار ثم يدعو المبتلى فاذا قال
اشغلتني بالبلاء دعي بايوب فيقول قد ابتليت هذا باشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ويومر به الى النار ثم يؤتى بالملك في الدنيا مع ما
اتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما اتيتك فيقول اشغلني الملك عن ذلك فيدعى بسليمان فيقول هذا عبدي سليمان اتيته اكثر

بما اتيك فلم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك فموعرية الى النار ثم انه سبحانه بعد استثناء ابليس من الساجدين
كان قائلا قال له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق والفاء للتسبيب اي كونه من الجن سبب في فسقه ولو كان ملكا لم يفسق
لثبوت عصمة الملئكة وقال اخرون اشتقاق الجن من الاستتار عن العيون فيشمل الملئكة والنوع المسمى بالجن ثم من لم يوجب
عصمة الملك فظاهر ومن اوجب قال كان بمعنى صار اي مسخ عن حقيقة الملائكة الى حقيقة الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه
في اول سورة البقرة ومعنى فسق عن امر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه لانه لما امر فعصى كان سبب
فسقه هو ذلك الامر ولولا ذلك الامر السابق لما حصل ذلك الفسق فلهذا حسن ان يقال فسق عن امر ربه وقال قطرب هو
على حذف المضاف اي فسق عن ترك امره ثم عجب من حال من اطاع ابليس في الكفر والمعاصي وخالف امر الله فقال افتتخذونه كما
قيل اعقبت ما وجدته من الاباء والفسق تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي وقصة آدم وابليس سمعها قريش
من اهل الكتاب وعرفوا صحتها فلذلك صح الاحتجاج بها عليهم وان لم يعتقدوا كون محمد نبيا بئس للظالمين بدلا اي بئس البدل
من الله ابليس لمن استبدله به فاطاعه بدل طاعته قال الجبائي في الاية دلالة على انه لا يريد الكفر ولا يخلقه في العبد والا
لم يصح هذا الذم والتوبيخ وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق ان الداعي لكفار قريش الى ترك دين محمد صلعم هو النخوة
والعجب والترفع والتكبر وهذا شان ابليس ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم والعمل الفخر على الاقران والترفع على ابناء الزمان فانه
مقتدى بابليس وذريته وهذا مقام صعب نسال الله الخلاص منه ثم دل على فساد عقيدة اهل الشرك وبطلان طريقهم بقوله ما
اشهدتهم خلق السموات فالاكثرون على ان الضمير للشركاء والمراد انهم لو كانوا شركاء لي في خلق السموات والارض وفي خلق انفسهم
لكانوا شاهدين خلق بعض المشاركين فيه كقوله ولا تقتلوا انفسكم لا يمكن ان يكونوا شركاء لي في العبادة لكن الملزوم منتف
فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم عضدا اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير نعيا عليهم
بالاضلال وقيل الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد انهم ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم بدليل اني ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والاخرة بل هم قوم كسائر الخلق فمن اين اقترحوا عليك اقتراحات
عظيمة فانك تقول له لست سلطان البلد ولا مدبر المملكة حتى نقبل منك كل اقتراحاتك وقيل اراد ان هؤلاء الظالمين جاهلون
بما جرى به القلم في الازل من احوال السعادة وضدها لانهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم ان يحكموا بحسن حالهم
عند الله وبشرفهم ورفعتهم عند الخلق وباضداد هذه الاحوال للفقراء ومن قرأ وما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول صلعم والمعنى
وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم ثم عاد الى تهويلهم باحوال يوم القيمة واضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم
توبيخا لهم وفحوى الكلام واذكر لهم يا محمد احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا اي ادعوا من زعمتم انهم شركاء
فاعلمتوهم للعبادة قال المفسرون اراد الجن فدعوهم لم يذكر في هذه الاية انهم كيف دعوا تلك الشركاء ولعل المراد ما في الاية
الشرح هلاك كقولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة
وفي الكشاف الموبق المهلك او هو مصدر كالمورد اي جعلنا بينهم واديا من اودية جهنم مشتركا هو مكان الهلاك والعذاب
الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز ان يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى بن مريم وبالموبق البرزخ اي جعلنا بينهم امدا
بعيدا يهلكون فيه السائرون لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان قوله فظنوا قيل علموا وقيل ايقنوا والاقرب
ان الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم انهم مخالطوها واقعون فيها في تلك الساعة من غير تاخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون
من تغيظها نظيره اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا الى غيرها لان الملائكة
تسوقهم اليها اخر الامر ولما ذكر ان الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة اموالهم ومتصرفاتهم واجاب عن شبهتهم واقوالهم
الفاسدة وضرب الامثال النافعة وحكى احوال الاخرة قال ولقد صرفنا وقد مر تفسيره في السورة المتقدمة وحسن لم يترك الكفار
جدالهم وكانوا ابدا يتعللون بالاعذار الواهية ختم الاية بقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا يعني ان الاشياء التي يتاتى منها
الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد فان الانسان اكثرها خصومة فقوله فقوله اكثر شيء كقوله اكثر مرة وقد مر في الانعام
وكثرة جدل الانسان لسعة مضطربه فيما بين اوج الملائكة الى حضيض البهيمية فليس له في جانبي التصاعد والتسافل مقام معلوم
قال اهل البرهان قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وقال في هذه السورة بزيادة ويستغفروا
ربهم لان المعنى هنالك ما منعهم من الايمان بمحمد الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا هلا بعث ملكا وجهلوا ان التجانس يورث التآنس
ومعناه في هذا الموضع ما منعهم عن الايات والاستغفار الا اتيان سنة المرسلين واستظهار ذلك وعن الزجاج الا طلب سنتهم وهو
قولهم ان كان هذا هو الحق وزاد في هذه السورة ويستغفروا ربهم لان قوم نوح امروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا وكذا

قوم هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوم صالح واستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب وقوم شعيب واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود وقلما خوطبوا سنة الاولين اجرى المخاطبين مجراهم والحاصل انهم لا يقدمون على الايمان والاستغفار
الا عند نزول عذاب الاستيصال او عند تواصل اصناف البلاء عيانا ومن قرأ بضمتين اراد انواعا جمع قبيل قالت المعتزلة في الاية دلالة على
انه لا مانع من ايمان اصلا وقالت الاشاعرة العلم بانه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر مانع فالمراد فقدان الموانع المحسوسة
ثم بين انه انما ارسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين انه مع هذه الاحوال يجادل
الذين كفروا بالباطل ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا به الحق من ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا اياتي وما انذروا اي الذي انذروه من
العقاب وانذارهم هزوا موضع استهزاء قال الجار الله جدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك
قال اهل العرفان قوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بالقران بدليل قوله ان يفقهوه بتذكير الضمير فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه من
الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها ويتدبر في جزائها متمسك القدرية وانما قال في التنزيل ثم اعرض عنها لان ما في هذه السورة في الكفار
الاحياء الذين ايمانهم متوقع بعد اي فاعرضوا عقيب ذلك وما في التنزيل في الكفار الاموات بدليل قوله ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم اي ذكروا مرة بعد اخرى وزمانا بعد زمان ثم اعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء ايمانهم وقوله انا جعلنا
وقد مر تفسيره في الانعام الى قوله فلن يهتدوا اذا ابدا متمسك الجبرية وقلما تجد في القران دليلا لاحد الفريقين الا ومعه دليل
للفريق الاخر فهذا شبه ابتلاء الله ولعله اراد بذلك اظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال وربك الغفور ذو الرحمة قال
المفسرون الضمير في قوله ولو يؤاخذهم لاهل مكة الذين افرطوا في عداوة رسول الله صلعم والموعد يوم بدر وقيل لا يبعد ان يكون
الضمير للناس في قوله ولقد صرفنا للناس والموعد القيمة والموئل المنجا يقال وال اذا نجا ووال اليه قال الامام فخر الدين الرازي رحمه
انما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والرحمة ايصال النفع وقدرة الله تعالى يتعلق بالاول لان
ترك مضار لا نهاية له ممكن ولا يتعلق بالثاني لان فعل ما لا نهاية له محال اقول هذا فرق دقيق لو ساعده النقل على ان قوله ذو الرحمة ايضا
لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما يرد في القران انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق القدرة بترك غير المتناهي ايضا نظر لان
مقدورات الله متناهية لا فرق في ذلك بين المبتغى والمتروك ثم اشار الى قرى الاولين اعتبارا لغيرهم فقال وتلك القرى فاسم الاشارة
مبتدا وفيه تعظيم لشانهم او تبعيد لزمانهم او مكانهم والقرى صفة وما بعده خبر ولا يخفى حذف المضاف اي وتلك اصحاب القرى اهلكناهم
ويجوز ان يكون تلك القرى منصوبا باضمار اهلكناهم على شريطة التفسير وجعلنا لزمان اهلاكهم او لاهلاكهم او لهلاكهم موعدا وعدا او وقت
وعد لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمراد انا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع ان نضرب له وقتا يمكنهم التوبة قبل ذلك
ويوم نسير الجبال وهي الابدان الجامدة من السلوك وترى الارض بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرنا جميع القوى البشرية
وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر رتبة يليق بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا النفس وقواها ولقد جئتمونا
كما خلقناكم اول مرة على هيئة الفطرة وقيل الانبياء في صف والاولياء في صف والكافرون والمنافقون في الصف الاخير لا يغادر
صغيرة هي كل تصرف بالشهوة النفسانية وان كان من المباحات ولا كبيرة هي التصرف في الدنيا على حبها فحب الدنيا راس كل خطيئة ما اشهدتهم
لانه لا اشهد الا اوليائي كما قلت سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ورأى المجرمون اراد في الدنيا اسباب النار من الشهوات والاثام
فوقعوا فيها ولم يجدوا ما يصرفهم عنها من الديانة والايمان الحقيقي فاذا راوا النار في الاخرة ايقنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما
تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان اكثر شيء جدلا فتارة تجادل في التوحيد واخرى في النبوة ومرة في الاصول ومرة
في الفروع ولهذا كثرة المذاهب والاديان والملل والنحل وضال الصواب من ملته وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم اسباب الهداية ويستغفروا
ربهم ان كانوا مذنبين الا ان ياتيهم سنة الاولين من الانبياء والاولياء والمؤمنين وهي جذبات العناية لاهل الهداية كقوله في حضرة صلعم
والله لولا الله ما اهتدينا او ياتيهم العذاب قبلا كقوله انا نبي بالسيف امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الله حسبي

وإذ قال موسى لفتيه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا
مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا ۝ فلما جاوزا قال لفتيه
اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ۝ قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني

نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا ●
قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على اثارهما قصصا ● فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ● قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني
مما علمت رشدا ● قال انك لن تستطيع معي صبرا ● وكيف تصبر على ما لم تحط به
خبرا ● قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا ● قال فان اتبعتني فلا
تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ● فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا ● قال الم اقل انك
لن تستطيع معي صبرا ● قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا
فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد
جئت شيئا نكرا ● قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ● قال ان سالتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ● فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا ● قال هذا فراق بيني وبينك
سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا ● اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا ●
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا
ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما ● واما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد
ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته

عن امري ذلك تاويل ● ما لم تستطع عليه صبرا ●

انسانيه بضم الهاء حفص والمفضل وقرا علي بالامالة مع كسر الهاء نبغي بالياء في الحالين اتباعا للخط المصحف رشدا بفتحتين ابو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون رشدا بضم الراء والشين معي بفتح الياء حفص ستجدني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع فلا تسالني بنون التاكيد الثقيلة واثبات الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والاحسن اثباتها لانه شاذ عن اهل الشام الاخرون بنون الوقاية وحذف الياء ليغرق اهلها بياء الغيبة وفتحها مع رفع الراء ورفع الاهل حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاغراق وبنصب الاهل زاكية على فاعلة ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الاخرون زكية فعيلة نكرا بضمتين حيث كان ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد فلا تصحبني من الصحبة روح وزيد الاخرون من المصاحبة من لدني خفيفا ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد والمفضل يضيفوهما من الاضافة المفضل لتخذت من التخذ مدغما ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرا ابن كثير بالاظهار الباقون لاتخذت من الاتخاذ وقرا حفص والمفضل والاعشى والبرجمي مظهرا يبدلهما من التبديل وكذلك في سورة التحريم ون والقلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو والاخرون من الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب الباقون بسكون الحاء

حقبا سويا غداءنا لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نصبا الحوت لتمام استفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو حالا ان اذكره لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال في البحر قيل عليه ثم كلام يوشع ثم ابتداء موسى عجبا اي اعجب لذلك عجبا والوصل اجوز اي سبيلا او اتخاذا عجبا نبغ قد قيل لتمام قول احدهما وابتداء فعلهما والوجه الوصل لعطف اللفظ وسرعة الرجوع على الفور قصصا لاتصال النظم واتحاد الحال علما رشدا صبرا خبرا امرا ذكرا فانطلقا لان حتى اذا للابتداء خرقها اهلها لانقطاع النظم واتحاد القائل امرا صبرا عسرا فانطلقا لما مر فقتله لان قال جواب اذا بغير نفس للفصل بين الاستخبار والاخبار نكرا نصف السبع ونصف القران والجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا فلا تصاحبني لاختلاف الجملتين عذرا فانطلقا فاقامه اجرا وبينك صبرا غصبا وكفرا للعطف مع الاية رحما صالحا لما قلنا من ربك عن امري صبرا لانقطاع القصة

هذه قصة اوردها الله تعالى لتعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة بنفسها في الافادة اما تعلقها في قصة اصحاب الكهف فهو ان اليهود قالوا ان اخبركم محمد عنها فهو نبي والا فلا فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر تنبيها على ان النبي لا يلزم ان يكون عالما بجميع القصص والاخبار واما تعلقها في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام في حقه ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر واكثر العلماء على ان موسى المذكور في الاية هو موسى بن عمران صاحب التورية والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يعقوب وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واحتج الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيث اطلق في القران اريد به موسى بن عمران فلو كان المراد ههنا شخصا اخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور وحجة الاقلين واليه ذهب جمهور اليهود ان موسى بن عمران بعد ان خصه الله تعالى بالمعجزات القاهرة التي لم تتفق لمن قبله مثلها يبعد ان يؤمر بالتعلم والاستفادة واجيب بان العالم الكامل في اكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج الى تعلمها الى من يختص بعلمها اما فتى فالاكثرون على انه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن النبي صلعم وقيل هو اخو يوشع وكان مصاحبا لموسى عم في السفر وعن الحسن انه اراد عبده ويؤيده ما روي انه صلعم قال لا يقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي قال اهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى صلوات الله عليهما ويروى ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع الحوت في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله

مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى
اصلا ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله لا ابرح بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر ولان قوله حتى ابلغ
غاية مضروبة فلا بد لها من ذى غاية فالمعنى لا ازال اسير الى ان ابلغ وجوز ان يكون المعنى لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو
الخبر حذف المضاف وهو المسير واقيم المضاف اليه فهو ياء المتكلم مقامه فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم ويجوز ان يكون
ايضا ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول من برح المكان والمعنى لا ابرح ما انا عليه اى لا اترك المسير والطلب حتى ابلغ مجمع البحرين
يعنى ملتقى بحرى فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار فى سورة البقرة فى تفسير قوله والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس
وقيل اراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير ان البحرين موسى والخضر لانهما بحرا العلم وهذا من غرابته مستبشع جدا لان احد البحرين اذا
كان موسى فكيف يصح ان يقول حتى ابلغ مجمع البحرين او يؤول حاصل المعنى الى قولنا حتى ابلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم احدهما انا او امضى
حقبا او اسير زمانا طويلا قال الجوهرى الحقب بالضم ثمانون سنة ويقال اكثر من ذلك وقيل انه تعالى اعلم موسى مكان هذا العالم
وما اعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا ازال امضى حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا او امضى دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا
هذا اخبار من موسى انه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى ان يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وان طالب العلم يحق له ان يسافر
ويتحمل المتاعب فى الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال جمهور المفسرين الضمير للبحرين اى تحقق ما قال موسى وبلغ المكان
الذى وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقى وسطا ما امتد من البحرين طولا او الاضافة بمعنى فى اى
مجمعا فى وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى اولى منه بكلام موسى او البين
بمعنى الافتراق اى البحران المفترقان يجتمعان هناك ويحتمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر اى وصل الى الموضع الذى وعد
اجتماع شملهما هناك او البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيفيد مزيد التاكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم اجدها فى التفاسير
وان اكن صوابا فمن الله وان لا فمنى ومن الشيطان نسيا حوتهما لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر قيل اى الفتى كان يغسل
السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل
انفجرت هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحيت وطفرت الى البحر ونسيان الحوت الذهول عن الاستدلال
بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب فى هذا الذهول مع ان هذه الحال كانت امارة لهما على الطلبة التى تناهضا
من اجلها هو ان يوشع كان قد تعود مشاهدات المعجزات القاهرة فلم يبق لحيوة السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها مثل
السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى لما استعظم علم نفسه ازال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذى يشبه الضرورى تنبيها لموسى على
ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ اى اتخذ سبيله سبيلا سربا
وهو بيت فى الارض وذلك بان الله تعالى امسك اجراء الماء عن الجرى وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى او للخضر وقيل
السرب الذهاب والتقدير سربا فى البحر سربا الا انه اقيم قوله واتخذ سبيله مقام سرب فلما جاوزا اى موسى وفتاه مجمع الموعد المعين
وهو الصخرة قال موسى لفتيه اتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا ووجعا قال المفسرون قوله من سفرنا
هذا اشارة الى السير بما وراء الصخرة ولم ينصب فى الاجاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا ارايت ومفعوله محذوف لدلالة قوله فانى نسيت
الحوت اليه كانه قال ارايت ما دهانى ووقع لى اذ اوينا الى الصخرة قيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت فانى نسيت الحوت ثم ذكر ما يجرى مجرى
السبب فى وقوع ذلك النسيان فقال وما انسانيه الا الشيطان وان اذكره بدل الاشتمال عن الهاء فى انسانيه اى وما انسانى ذكره قال الكعبى
لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى اولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس له فى وجوده سعى ولا اثر وقال
القاضى المراد بانساء الشيطان ان يشغل قلب الانسان بوساوسه التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الذكر لان ذلك لا يصلح ان
يكون الا من قبل الله تعالى قال اهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله فى البحر عقيب النسيان ذكر اولا فاتخذ بالفاء ولما حيل بينهما ثانيا بجملة
معترضة هى قوله وما انسانيه اى بمعنى التعقيب وبقى العطف المجرد فقال واتخذ سبيله بالواو وانتصاب عجبا كما مر فى سربا وقال صلعم
كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغ اى ان الذى كنا نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب
فارتدا على اثارهما فرجعا على طريقهما المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اى يتبعان اثارهما اتباعا او هو مصدر فى موضع
الحال اى رجعا على الطريق الذى جاءاه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله
اتيناه رحمة من عندنا والرحمة هى الوحى والنبوة بدليل قوله اهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة
من ربك ومنع من ان كل رحمة نبوة قالوا ووصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به تعالى هو الوحى والاخبار بالغيب وايضا قال
فى اخر القصة وما فعلته عن امرى اى عرفته وفعلته بامر الله وذلك مستلزم للوحى وروى ان موسى عم لما وصل اليه قال السلام عليك

فقال وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذى بعثك الى وقال الصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات
العلوم اللدنية والتحقيق فيه انه اذا ضعف القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة قويت القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية
على جواهر العقل وتفيض عليه من عالم الارواح انوار تثبت بسببها الملاحظة اسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون
ايضا على ان ذلك العبد هو الخضر سمى بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف وقال الجبائى وروى ان الخضر انما بعث بعد
موسى عم من بنى اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه اظهر الترفع على موسى حين
قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى اظهر التواضع له حين قال ولا اعصى لك امرا مع انه كان مبعوثا الى كافة بنى اسرائيل والامة
لا يكون اعلى حالا من النبى وان لم يكن الرواية صحيحة لان لا يكون الخضر من بنى اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى لانه تعالى قال لبنى اسرائيل
وانى فضلتكم على العالمين واجيب انه يجوز ان يكون غير النبى فوق النبى فى علوم لا يتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر فى
قوله هل اتبعك الى اخره انواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه ان المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والاتيان
بمثل افعال الاستاد وا قوله على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هى الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا
لسنا متبعين لليهود فى قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوها بل لقيام الدليل على قولها ولكنا متابعون فى الصلوة
الخمس للنبى صلعم لانا ناتى بها من اجل انه اتى بها ومنها انه استاذن فى اثبات هذه التبعية ومنها انه قال على ان تعلمن مما علمت وفيه اقرار على
استاذيته العلم وفيه انه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه ان يجعله مساويا له فى العلم كما يطلب الفقير من الغنى ان يدفع اليه جزءا من اجزاء ماله
لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علمه الله تعالى ولا سمى فاعله وفيه اشعار بان انعامه عليه فى هذا التعليم شبيه بانعام الله تعالى عليه وفيه
ومن هنا قيل انا عبد من علمنى حرفا ومنها ان الخضر من عرفانه نبى صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم
يطلب منه المال والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمن فدل ذلك على انه لا كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه
ان كل من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيه من الرفعة والسعادة اكثر فكان حرصه على زيادتها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان
يكون مفعولا لتعلمن ولعلمت اى علمه ذا رشد ارشد به فى دينى وفيه تعظيم لما سيعلمه فان الارشاد هو الامر الذى لو لم يحصل لحصل الضلال ثم انه
تعالى حكى عن الخضر قال لن تستطيع معى صبرا نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد لعلمه بانه يتولى امورا هى فى الظاهر منكرة والرجل الصالح و
لا سيما النبى الذى يحكم بظواهر الامور شرعا فلما يتمالك ان يصبر عليها وخبرا تمييز اى تحط به خبرك وهو مصدر لكونه فى معنى الاحاطة استدلت
الاشاعرة بالاية على ان الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل ولو كانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر نفى الاستطاعة
كذبا وكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام فى معنى الانكار اى لا تصبر البتة اجاب الجبائى بانه اراد بنفى الاستطاعة انه يثقل عليه الصبر لانه لا يستطيع
يقال فى العرف فلان لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا
اعصى اى وستجدنى غير عاص لك امرا ويجوز ان يكون قوله ولا اعصى جملة مستانفة معطوفة على مثلها اى ستجدنى قال اهل السنة فى قوله
ان شاء الله بطريق الشك والصبر مامور به دليل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما اوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب و
اجيب بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فاى ادب فى ذكر الكلام الباطل قال الاصوليون فى قوله ولا اعصى لك امرا
دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص بهذه الاية والعاصى يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال
المحققون فى قول الخضر تغليظ وتجهيل وفى قول موسى تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم ان راى التغليظ على المتعلم فيما يفيده نفعا وارشادا الى
الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتنى فلا تسالنى شرط على موسى فى اتباعه ان لا يسال عما خفى عليه وجه
صحته حتى يكون الخضر مبتديا بتعليمه اياه وباخباره عن وجه الحكمة فيه فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها يروى ان اهلها قالوا انهما
من اللصوص وامروهما بالخروج فمنعهم صاحب السفينة وقال ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بلا اجرة فلما حصلوا فى اللجة
اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلى الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا
امرا اتيت شيئا عظيما يقال امر الامر اذا عظم ويقال فى الشئ العجيب الذى لا يعرف سببه انه امر امرا احتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بان موسى اعترض
على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب واجيب بانه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه احب ان يقف على حكمة ذلك الامر الخارج
عن العادة او انه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تواخذنى بما نسيت ولا مواخذة على الناسى وما موصولة او موصوفة او مصدرية
اى بالذى نسيت او بشئ نسيته او بنسيانى وجوز فى الكشاف ان لا يكون ناسيا فى الحقيقة ولكنه اوهم بقوله لا تواخذنى بما نسيت انه نسى ليبسط عذره و
الاحتراز على المعلم من معاريض من معاريض الكلام التى ينفى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ايضا ان يكون النسيان بمعنى الترك اى بما تركت
من وصيتك اول مرة ولا ترهقنى ولا تغشنى من امرى عسرا او ارادا بره امر المتابعة اى يسر على متابعتك بالاغضاء وترك المناقشة وانما
قال فى هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفى قصة الغلام جعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه بفاء التعقيب لان القتل

بعيب لقاء الغلام ولفظ الغلام يتناول الشباب البالغ كما يتناول الصغير ومنه قولهم راى الشيخ خير من مشهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة
الشبق وليس في القرآن انهما كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان او كان منفردا وهل كان مسلما او كان كافرا وهل كان بالغا او كان صغيرا
ونسبة الغلام بالصغير البق الا ان قوله بغير نفس بالبالغ اليق لان الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه
كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية و
الزكية لغتان ومعناهما الطاهرة طاهرة عنده قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل النكر اشد لان ذلك
كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وايضا الامر العجيب والعجب يستعمل في الخير والشر والنكر ما ينكره العقول فهو شر وظاهر الاية
تدل على ان موسى استبعد ان تقتل النفس الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل دمه بسائر الاسباب ولعله اعتبر السبب الاغلب الاقوى واختلفوا
في كيفية قتله فقيل قطع عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه ما زاد على ان
ذكره ما عاهد عليه فقال الم اقل لك واغا زاد ههنا لك لان الانكار اكثر وموجب العقاب اقوى وقيل اكد التقرير الثاني بقوله لك كما تقول
لمن توبخه لك اقول واياك اعني وقيل بين في الثاني المقول له لما لم يبين في الاول فعند هذا قال موسى ان سالتك عن شيء بعدها اي بعد هذه الكرة
او المسئلة فلا تصاحبني نهاه عن المصاحبة حينئذ مع حرصه على التعلم لظهور عذره كما قال قد بلغت من لدني عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة
اضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية
وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها وكان حق الايجاز ان يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتاكيد كقوله
ليت الغراب غداة ينعب دائما كان الغراب مقطع الاوداج وايضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة
والاستطالة فابوا ان يضيفوهما يقال اضافه وضيفه اذا انزله وجعله ضيفه والتركيب يدار على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل
الى المضيف عن النبي صلعم كانوا اهل قرية لياما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدم عليه موسى وايضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب
غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم حتى ترك عهد صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيب بان الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة او اشرف
على الهلاك لزمه الاستطعام ووجبت اجابته ولقائل ان يقول لو كان قد بلغ في الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار والجيب ان يقول
انه اقام الجدار معجزة فقد روي انه مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وروي انه كان ارتفاع
الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه
الاية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلعم بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله نشترى بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء اي فاتوا ان يضيفوهما
فامتنع رسول الله عن ذلك قوله يريد ان ينقض معناه يسرع سقوطه من انقض الطائر اذا هوى في طيرانه يقال قضضت فانقض ويحتمل ان
يكون انفعل من النقض كانحرم من الجرم فالنون تكون اصلية واحدى الضادين مكرورة زائدة عكس الاول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة
تشبيها للجماد بالاحياء ونظيره لما سكت عن موسى الغضب قالتا اتينا طائعين ولما اقام الخضر الجدار وراى موسى من الحرمان ومسيس الحاجة
قال لصاحبه لو شئت لاتخذت عليه اجرا طلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من
الاخذ على الاصح قال الخضر مشيرا الى الفراق المتصور في قوله فلا تصاحبني او مشيرا الى السوال والاعتراض هذا فراق بيني وبينك الاضافة
بمعنى في اي فراق بيني او سبب فراق في بيني وبينك وحكى القفال ان البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تقرير الحكم التي تضمنتها افعاله وكلها حكم
تشترك في اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة
خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على ان الفقير اسوء حالا من المسكين وكان وراءهم ملك
وهو مسمى بجلندا والوراء ههنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما
كان عندهم خبره ياخذ كل سفينة اي غير معيبة غصبا ولا يخفى ان الضرر الحاصل من التخريق اهون من فوات السفينة بالكلية والتخريق
وان كان تصرفا في ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا ما بالم يكن به باس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة او لعله كان من
مخصوصات النبي قال جار الله قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه يتاخر عن السبب ولكنه قدم للعناية اي تهيب
من هذا وهو مرادي وانا مامور به وايضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكنه مع كون السفينة للمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة
والغصب كتوسط الظن بين المبتداء والخبر كقولك زيد ظني مقيم في انه يتعلق بالطرفين واما الغلام فقد قيل انه بالغ قاطع الطريق يقدم
على الافعال المنكرة وكان ابواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يقعان في الفسق لذلك واحتمل ان يودي ذلك الى الكفر
والارتداد كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا يقال رهقه اي غشيه وارهقه اياه وقيل انه كان صبيا الا انه تعالى علم من حاله انه
لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد واعلم الخضر بحاله وامره بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه وقيل هذا لا يجوز الا اذا تاكد الظن بالوحي
وقيل اراد فخفنا ان يغشى الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه او خفنا ان يقرن بايمانهما طغيانا وكفره فيجتمع في بيت واحد

مؤمنان وطابع كافر ويجوز ان يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى اي كرهنا كراهة من خاف سوء عاقبة امره فغيره والزكوة الطهارة
والنقاء من الذنوب وكانه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف لاشفاق على الابوين يروى انهما ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وروي انها ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول
يحنسور وفي نسخة الحسين واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم وقوله في المدينة بعد قوله اتيا اهل قرية
فيه دلالة على ان القرية لا تنافي المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما اما الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا كنزهما
ولان المفهوم منه عند الاطلاق هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا ودفن المال لا يليق باهل الصلاح و
عورض بقول قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من
الذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح
وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي
قوله وكان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد رض كان بين الغلامين وبين الاب
الذي حفظا فيه سبعة اباء وذكر من صلاح ابيهما ان الناس كانوا يضعون الودائع عنده فيردها اليهم سالمة قالت العلماء الاشبه
ان اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به الا انه غائب وقد اشرف الجدار على السقوط رحمة من ربك مصدر منصوب
بارادة لانه في معنى رحمهما او مفعول له وما فعلته عن امري اي اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله سوال لم قال في الاول فاردت ان
اعيبها وفي الثاني فاردنا وفي الثالث فاراد ربك الجواب ان الاول افساد في الظاهر فاسنده الى نفسه وفي الثالث انعام محض
فاسنده الى الله تعالى وفي الثاني افساد من حيث القتل وانعام من حيث التبديل فجمع بين الامرين ويمكن ان يقال ان القتل كان منه وكن ازهاق
الروح كان من الله ويحتمل ان يقال الوحدة في الاول على الاصل والجمع في الثاني تنبيه على انه من العلماء المؤيدين بالعلوم اللدنية والاسناد
الى الله تعالى بالاخرة اشارة الى انه لا ارادة الا ارادة الله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وذلك الذي ذكر من اسرار تلك الوقائع
تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي مرجع المقصود من تلك الافاعيل الى ما قررنا واصل تسطع تستطيع كما في قوله سانبئك ما لم تستطع لكن
التاء حذف لاجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ في الاستعمال عن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى لو لبث
مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب واذ قال موسى لفتاه فيه ان المسافر لا بد له في الطريق من الرفيق وفيه ان من شرطهما
ان يكون احدهما اميرا والاخر مامورا وان يعرف الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان لا ييأس من متاعب السفر
حتى يبلغ مقصوده وان يكون نيته طلب شيخ يقتدى به فان طلب الشيخ في الحقيقة هو طلب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد
وعنده عين الحيوة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد حيي واتخذ سبيله في بحر الولاية سويا فلما جاوزا فيه اشارة الى ان المريد
في اثناء السلوك لو التفت الى الملالة لما اصابه تعب الكلالة وسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا ان مقصوده يحصل من غير واسطة
الشيخ هيهات فانه ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان ادركته العناية الازلية ورد اليه صدق الارادة فيكون الرفيق التوفيق اتنا غداءنا وهو
همة الشيخ وبركة صحبته لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا هذا التعب جاوزنا صحبة الشيخ فقال فتى قدرنا اذ اوينا الى الصخرة صخرة النفس وتسويلها
فاني نسيت حوت القلب في البحر كما ينسى من حوت القلب الميت الملح بملح حب الدنيا وذنبها ان يتخذ سبيله في بحر ولاية الشيخ الكامل فوجدا عبدا
من عبادنا حرا من رق غيرنا وعلمناه من لدنا علما اشارة الى انه تعالى اطلعه على بواطن الاشياء وحقائقها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما
يحصل بتصفية النفس وتجريد القلب عن العلائق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن تعلمه فبين
الخضر وبين مقصد موسى كان تباين وتناف فقال الخضر لهذا انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلث اشارة الى ما قلنا من ان العلم الكامل
بان العلم اللدني وليست من التعليم والتعلم في شيء واذا تامل العاقل السالك في قول موسى هل اتبعك الى اخره وفي قوله الخضر فان اتبعتني فلا تسألني
الى اخره وجد اصول الشرائط التي شرطها الصوفية للمريد والشيخ مرعية فيها وفي تفصيلها طول وقد اشرنا في التفسير الى طرف منها ومن اراد
الكل فعليه بمطالعة كتاب اداب المريدين للشيخ المحقق ابي النجيب السهروردي تغمده الله بغفرانه حتى اذا ركبا في السفينة الى سفينة الشريعة خرقها بهدم
الناموس في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب ومثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وحذرا من التباهي
والعجب اخرقتها لتغرق اهلها في اودية الضلال اذا اقتدوا بك حتى اذا لقيا غلاما هي النفس الامارة فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة
حتى اذا اتيا اهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما اهلها بطلب افاعيلها التي تختص بها فابوا ان يضيفوهما
باعطاء خواصها كما ينبغي لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد ان ينقض ينقطع العلاقة
فاقامه بتقوية البدن والرفق بالقوى والحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاتخذت عليه اجرا اتوا باجر بلا لو شئت لصبرت
على شدة هذه الرياضة الى افاضة الانوار وبذل الكشوف اما السفينة فكانت لمساكين هم العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم في بر

عالم الربوبية بسير وسلوك حتى يصلوا الى ملوك تحت الجدار فاردت ان اعيبها فى الظاهر لتسلطهم بالاخلاص فى الباطن وكان وراءهم ملك
هو الشيطان ياخذ كل سفينة عبادة غصبا الان كل عبادة تخلو عن الانكسار والذل والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن واما الغلام فكان
ابواه وهما القلب والروح مومنين فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة هو النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز لهما هو حصول
الكمالات النظرية والعملية وكان ابوهما وهو العقل المفارق صالحا كاملا بالفعل فلهذا ادخر لاجلهما ما ادخر فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا ما كان منا فيهما حسبنا الله ونعم الوكيل

ويسالونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض
واتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين
حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب واما ان تعذب فيهم
واما تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا
نكرا واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا
ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان ياجوج
وماجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما اتونى
زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتونى
افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة
من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكا وكان وعد ربى حقا وتركنا بعضهم يومئذ
يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا
افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا

قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتى ورسلى هزوا ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها
حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو
جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

فاتبع مقطوعة ابن عامر وعاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالتشديد موصولة حامية بالالف من غير همز ابن عامر ويزيد
وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمز من غير الف جزاء الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد
الاخرون جزاء الحسنى بالرفع والاضافة السدين بفتح السين ابن كثير وابو عمرو وحفص وابو زيد عن المفضل الاخرون بضمها يفقهون بضم الياء
وكسر القاف حمزة وعلى وخلف الباقون بفتحها ياجوج وماجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الشمونى فهل نجعل وبابه بادغام اللام فى النون على وهشام
خراجا بالالف حمزة وعلى وخلف الباقون خرجا بسكون الراء سدا بفتح السين ابن كثير وابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد وجبلة
الباقون بضمها مكنى ابن كثير الباقون بادغام النون ردما ائتونى يحيى وحماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
وسهل ويعقوب المفضل غير ابى بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الاخرون بفتح الصاد والدال قال ائتونى والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة
فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير حماد وقرا ابو نشيط والشمونى فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل ابن مهران دكاء بالمد حمزة وعلى وخلف وعاصم
غير المفضل والخزاز عن هبيرة افحسب الذين بسكون السين ورفع الباء زيد ويعقوب والاعشى فى اختياره دونى اولياء بفتح ياء المتكلم ابو جعفر
ابو جعفر ونافع وابو عمرو ان ينفد بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان القرنين ذكرا سببا
سببا قوما حسنا نكرا الحسنى لاختلاف الجملتين يسرا لان ثم لترتيب الاخبار سببا سترا كذلك اى كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس
وقيل يبتدى بكذلك اى ذلك كذلك او الامر كذلك وقيل اى احطنا بما لديه من العدد والعدد كذلك اى كعلمنا بقوم سبق ذكرهم خيرا
سببا قوما قولا سدا ردما الحديد انفخوا نارا لان قال جواب اذا قطرا لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا من ربى لعطف الجملتين المختلفتين
دكا لذلك حقا لانقطاع القصة جمعا للعطف عرضا سمعا اولياء نزلا اعمالا للفصل بين الاستخبار والاخبار لان التقدير هم الذين
ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل صنعا وزنا هزوا نزلا حولا مددا واحد لابتداء الشرط مع فاء التعقيب احدا
لما اجاب عن سوالين من اسولة اليهود شرع فى السوال الثالث والجواب عنه واصح الاقوال ان ذى القرنين هو الاسكندر بن
فيلقوس الرومى ملك الدنيا باسرها اذ لو كان غيره لاشتهر خبره ولم يخف كما هو العادة يحكى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم
قصد ملوك العرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل
وورد بيت المقدس وذبح فى مذبحه ثم عطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا
وهزمه مرات الى ان قتله فاستولى على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة و
رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله لما ثبت بالقران ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية
او ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ ان من هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه
كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه
قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله اخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب فى تسميته ذى القرنين انه بلغ قرنى الشمس اى مطلعها
وروى عن النبى صلعم انه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها وقيل كان لتاجه قرنان وقيل على راسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته

كا يسمى الشجاع قرنا فانه ينطح اقرانه وقيل راى في المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس اي بقرنيها وزعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج
بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها الى ابيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت الاسكندر وبقي عند فيلقوس واظهر
انه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال ابو ريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه ان الاذواء كانوا من اليمن كذي اليزن وغيره
ويروى انه ملك الدنيا باسرها اربعة ذو القرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبختنصر وهما كافران واختلفوا فيه فقيل كان عبدا
صالحا ملكه الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحفظه الظلمة من
ورائه وعن علي كرم الله وجهه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور واحب الله واحبه وساله ابن الكوا وكان من اصحابه
ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب في قرنه الايمن في طاعة الله في جهاده فمات ثم بعثه
الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله واتيناه من كل شيء سببا وظاهر
العموم فيكون قد نال اسباب النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب وتكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبي وقيل كان ملكا من
الملائكة عن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم اغفر لنا رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قوله
سالوا عليكم اي سافعل هذا ان وفقني الله تعالى وانزل فيه وحيا والخطاب في عليكم للسائلين وهم اليهود او قريش كابي جهل واضرابه و
اتيناه من كل شيء من اسباب كل شيء سببا طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة الحبل والمراد ههنا كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة
او آلة وذلك انه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا واصلا اليه كذلك اراد المشرق فاتبع سببا موصلا اليه واراد بلوغ السدين فاتبع
سببا ادى اليه ثم انه سبحانه شرع في نعت سيره الى المغرب قائلا فاتبع سببا اي سلك طريقا افضى به الى المغرب ومن قرا بقطع الهمزة فمعناه
اتبع نفسه سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية اي حارة ومن قرا بحذف الالف بهمز فمعناه ذات حماة اي طين
اسود ولا تنافي بين القراءتين فمن الجائز ان تكون العين جامعة للوصفين عن ابي ذر قال كنت رديف رسول الله صلعم على جمل فراى الشمس حين غابت
فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حمئة قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية
ان الارض كرية في وسط العالم وان السماء محيطة بها من جميع الجوانب وان الشمس في فلكها تدور بدور الفلك وايضا فقد وضح ان جرم
الشمس اكبر من جرم الارض مائة وست وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض فتاويل الاية ان الشمس تشاهد هناك
اعني في طرف العمارة كانها تغيب وراء البحر الغربي في الماء كما ان راكب البحر يرى الشمس تغيب في الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب
ولم يخبر انها تغرب في عين ولا شك ان البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي ايضا حمئة لكثرة ما في البحار من الطين الاسود اما قوله ووجد
عندها قوما فالضمير اما للشمس واما للعين وذلك ان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كانهم سكنوا بالقرب
من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم
بالقتل وان يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم احياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال اما من ظلم بالاصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل في
الدنيا ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا روى صاحب الكشاف عن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن
امن اعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر بعد ما يرد الى ربه لا يمكن ان يكون من فعل ذي القرنين ومن قرا بالنصب فاد فله الحسنى
جزاء ومن قرا بالرفع فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة او فله ان يجازى المثوبة الحسنى وسنقول له من امرنا اي مما نامر به الناس من الزكوة
والخراج وغير ذلك يسرا اي قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سفره الى اقصى المشرق قائلا ثم اتبع سببا اي هيا اسبابا يليق بسفر
المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي مكان طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا عن كعب ان الستر هو الابنية وذلك ان
ارضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا ابنية تمنع شعاع الشمس وتدفع حره عنهم فاذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب لهم واذا غربت
اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من احوال سائر الخلق وعن مجاهد ان الستر الثياب وانهم عراة كالزنج وحال كل من يسكن في البلاد التي
الى خط الاستواء كذلك حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم
وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت فلما طلعت الشمس
فاذا انا اماطمئة الزيت فادخلوها اسرابهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج وللمفسرين
في متعلق قوله كذلك وجوه احدها كذلك امر ذي القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ كما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية
لذلك الملك والاستقلال به الثاني لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الابنية او الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل
الذي بلغ من مغربها الرابع تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم فقضى في هؤلاء كما قضى في اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان
الى المؤمنين وقد نسق بعض هذه الوجوه في الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالي بعد تهيئة اسبابه قائلا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين

قيل السداد اذا كان بخلق الله فهو بضم السين حتى يكون بمعنى المفعول اي هو مما فعله الله واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون
حدثا قاله ابو عبيدة وابن الانباري فانتصب بين على انه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية في قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازي
رحمه الله تعالى الاظهر ان موضع السدين في ناحية الشمال فقيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل في منقطع ارض الترك وحكى محمد بن جرير الطبري
في تاريخه ان صاحب اذربيجان ايام فتحها وجه انسانا من ناحية الخزر فشاهده ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق بالله
راى في المنام كانه فتح الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه ووصفوا انه بناء من لبن
من حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع اخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند
قال ابو ريحان البيروني ان هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمورة والله اعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاكمة ما بين الجبلين اللذين
سد ما بينهما وجد من دونهما اي من ورائهما متجاوزا عنهما قريبا قوما لا يكادون يفقهون بانفسهم او يفقهون غيرهم قولا لانهم لا يعرفون
غير لغة انفسهم سوال كيف فهم منهم ذو القرنين ان ياجوج ومفسدون في الارض الى اخره واجيب بان كاد فيه اثبات ولعله فهم من ضميرهم
بالقرائن والاشارات او بوحي والهام وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من اجاج الظليم في مشيه اذا هرول وتاجج النار اذا
التهبت ومرج الطريق اذا هرول النجم سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم
ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة واثبت لهم مخالب واضراس كاضراس السباع
واما افسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل كانوا ياكلون لحومهم وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا
يابسا الا احتملوه فهل نجعل لك خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيره النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل احد من ماله والخراج
ما يجبيه السلطان من البلد كل سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض قال ذو القرنين ما مكني فيه ربي اي جعلني فيه مكينا من امكاني من
المال والبنيان خير مما تبذلون لي من الخراج نظيره قول سليمان فما اتاني الله خير مما اتاكم فاعينوني بقوة بالة ورجال وصناع وقيل بالصرف في
هذا المهم ولا اخذ الفيء والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعة وقال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة
من قرا اتوني بالمد فظاهر ومن قرا ائتوني من الاتيان فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار اي فاتوه بها فوضع بعضها فوق
بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما على القراءات جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان افرغ عليه قطرا اصب عليه النحاس المذاب و
قطرا منصوب بافرغ والتقدير اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا من جملة ما يتمسك به البصريون في ان المختار عند
تنازع الفعلين هو اعمال الثاني اذ لو عمل الاول لقال افرغه عليه يحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى
فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلعم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته
قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته قال العلماء هذا معجز من ذي القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر
الادمي على القرب منه فكانه تعالى صرف تلك الحرارة العظيمة من ابدان اولئك النافخين فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه لارتفاعه وملاسته
وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته لا تكرر لفظ الاستطاعة عدم ارادة حذف عنها التاء تخفيفا في الوصفين واعاد ذكرها بالاخرة تنبيها
على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال ذو القرنين هذا السد وهذا الاقدار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فاذا جاء اي دنا مجيء
القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرا دكاء بالمد فعلى الوصف اي جعله ارضا مستوية
وكان وعد ربي حقا وهذا تمام حكاية ذي القرنين ثم شرع سبحانه في بقية اخبارهم وتركنا بعضهم يومئذ اي يوم يخرجون مما وراء السد
مزدحمين في البلاد وفي البلاد يروى انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا
يقدرون ان ياتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فيدخل اذانهم فيموتون وقيل اراد
ان قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم في بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيمة اي وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم
وجنهم حيارى ونفخ في الصور من ايات القيمة ويجيء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها في الدنيا وفي ذلك نوع من العقاب
للكفار لما ينالهم من الغم والفزع عن ذكري اي عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم فاطلق المسبب على السبب او من القران وتامل معانيه وصفهم بالعمى
عن الدلائل والاثار فاراد ان يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو ابلغ من ان لو قال وكانوا صما لان الاصم
قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتجت الاشاعرة بالاية على ان الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم
يستطيعوا واجيب بان المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم اخذ في التوبيخ والوعيد قائلا افحسب الذين كفروا والمراد افظنوا انهم ينتفعون
بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر ايات الله وتمردهم عن قبول امره وامر رسوله وفيه اضمار تقديره افحسبوا اتخاذ عبادي اولياء نافعا والعباد
اما عيسى والملائكة واما الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام اقوال ومن قرا بسكون السين فمعناه افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الانذار

والخبر او على انه اقام الزبيان بريبان ذلك لا يكفهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج الماوى والمنزل وقيل انه الذي
يعد للضيف فيكون تهكما بهم نحو فبشرهم بعذاب اليم الذين ضل سعيهم اى ضاع وبطل وعن علي كرم الله وجهه انهم الرهبان لقوله عاملة ناصبة
ويروى عنه ان منهم اهل حروراء وعن مجاهد اهل الكتاب والتحقيق انه يندرج فيه كل من يأتي بعمل خير لا يبنى على ايمان واخلاص عن ابي سعيد الخدري
يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قال القاضي
ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما فعله من الطاعة كان لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله
حبطت اعمالهم اشارة الى ذلك او المراد فنزدري ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما توضع لاهل
الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك الذي ذكرناه من انواع الوعيد جزاؤهم وقوله جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ آيات
الله واتخاذ رسله محل هزوه وتكذيب ويجوز ان يكون كل من الامرين سببا مستقلا من التعذيب ثم اردف الوعيد بالوعد على عادته وعن قتادة
الفردوس اوسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو
البستان بالرومية وعن النبي صلعم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سألتموا الله
فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنها تفجر انهار الجنة قال اهل السنة جعل جنات الفردوس نزلا اكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية
ونظيره انه جعل جهنم باسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول يعني انه لا مزيد
على نعيم الفردوس حتى تنازعهم انفسهم الى تلك الزيادة ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود اى لا تحول فيطلب كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولما ذكر انواع
الدلايل والبينات وشرح اقاصيص سبل عنها نبه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشيء كالحبر والزيت للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات
علم الله وحكمته وفرض ان جنس البحر مدادها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا وهو تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا
والمدد والمداد واحد يروى ان حيي بن اخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرءون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني الآية
يعني ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الاشاعرة ان كلام الله تعالى واحد واعترض عليه بهذه الآية فانها صريحة في اثبات كلمات الله كثيرة
اجيب بان المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي ان قوله قبل ان تنفد كلمات ربي يدل على ان كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه
امتنع قدمه اجيب بان المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية فقلنا لا نضاف ان نفاد شيء قبل نفاد شيء اخر لا يدل على نفاد الشيء الاخر
ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله بحيث لا يضبطها عقول البشر اما انها متناهية او غير متناهية فلا دليل في الآية على احد
النقيضين ولكن الحق في نفس الامر ان كلمات الله لا يتناهى لانها تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية بالبرهان ثم امر نبيه ان يسلك سبيل التواضع وهو
ان حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية لانه امتاز عنهم بالايحاء اليه وكفى به بونا ومباينة ثم بين ان الموحى انما هو الحكم اله واحد وفي
تخصيص هذا الوحي بالذكر فائدة هي ان يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة انه يدعو الى التوحيد ثم انه يدعو الى العمل الصالح
المقترن بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجو اي يأمل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب والعقاب
عند المعتزلة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة هو ان لا يرائي بعمله ولا يبتغي به الا وجه ربه
يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلعم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران
اجر السر واجر العلانية قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به
قال في الكشاف عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء
وعنه صلعم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ من مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ

لما بين ان للانسان كمالا مكنونا وكنزا مدفونا يمكن له تحصيله بالتربية والارشاد اراد ان يبين ان الانسان الكامل انما هو يستحق
الخلافة في الارض وهو ذو القرنين الذي ملك الجانبين اعني جانب عالم الارواح وجانب عالم الاشباح لانه اوتي التمكين في الارض واوتي اسباب
كل شيء في عالم الوسائط والاسباب فبذلك يصير كاملا في نفسه مكملا لغيره فاتبع سببا من اسباب الوصول الى العالم السفلي وهو مغرب شمس الروح
وجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبايع والاجساد ووجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما ان
تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال اما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها في غير موضعها فسوف
نعذبه بقهره على خلاف ما هو مراده وهواه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع من مشتهياته او يرد الى الله تعالى
فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من امرنا يسرا هو التخفيف والاستراحة
بعد العناء والمجاهدة ثم اتبع سببا الوصول في عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلايق الجسمانية
والعوائق الساترة الجسدانية حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعيين والتمدد والجولان في حول اسباب قوام البدن وقيامه على [illegible]

الى صلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام الذين قصارى امرهم الجهل البسيط ان يأجوج ومأجوج
القوى والطبايع مفسدون في ارض البشرية باستعمال خواصها في غير ما خلقت لاجلها فهل نجعل لك خرجا وهو ترك الوجود وبذل الموجود
فاعينوني بقوة بهمة صادقة وعزيمة صادقة اتوني زبر الحديد ملكات راسخة وهيئات ثابتة او قلوبا هي كالحديد في الصفاء وكالجبال في الرزانة
في الثبات اذا ساوى بين الصدفين ما بين طرفي العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا باثر حرارة
الطاعة والذكر في حديد القلب قال اتوني افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكيميا الاخلاص النافذ في سويداء القلب بحيث لا ينفذ فيه كيد
الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن الله حسبي وهو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب ٥

قد وقع بكتابة هذا التفسير الفقير الى الله العلي الكبير الخادم بالمشهد الغروي محمد قاسم الجرجاني
في حاير امام الثقلين ابي عبد الله الحسين ع في اواسط شهر صفر ختم بالخير
والظفر من سنة تسع وعشرين والف من الهجرة النبوية
عليه الوف الصلوات والتحية حامدا لله تعالى
ومصليا على نبيه ومسلما

م

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ۝ ذكر رحمت ربك عبده زكريا ۝ اذ نادى
ربه نداء خفيا ۝ قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس
شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا ۝ واني خفت الموالي من
وراءي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ۝ يرثني
ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا ۝ يازكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ۝ قال رب انى يكون لي
غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ۝ قال
كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا ۝
قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا ۝
فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ۝
يايحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا ۝ وحنانا
من لدنا وزكوة وكان تقيا ۝ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا

عصيا ۝ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ۝

القراءة كهيعص بامالة الهاء فقط ابو عمرو وكهيعص بامالة الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرا علي غير قتيبة
ويحيى وحماد بامالتهما وقرا ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي وابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب الباقون بتفخيمهما صاد
ذكر مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويزيد وراءي بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعة والخزاعي عن البزي وقرا زمعة عن
ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراي مثل عصاي يرثني ويرث بالجزم فيهما ابو عمرو وعلي الباقون برفعهما يبشرك ثلاثيا وكذلك في اخر السورة
حمزة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلقناك حمزة وعلي الاخرون خلقتك على التوحيد لي اية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو و
ابن شنبوذ عن اهل مكة الوقوف كهيعص كوفي زكريا لجواز تعلق اذ بذكر رحمة ربك لاحتمال انتصابه باذكر محذوفا خفيا شقيا
وليا من ال يعقوب والوجه الوصل لعطف الجملتين المتفقتين يحيى لان ما بعده صفة غلام والاستيناف ليس بقوي سميا
عتيا كذلك بناء على ان التقدير الامر كذلك شيا اية سويا وعشيا بقوة صبيا للعطف اي اتيناه الحكم وحنانا منا عليه وزكوة
تقيا عصيا حيا التفسير حروف المعجم في الوقف ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وتفخيم الثلاثيات
وفي الراي عيبا للامران لانه قد يلحق بالجزء … فيصير ثنائيا ولا ريب ان التفخيم اصل والامالة فرع عليه فمن قرا بامالة الهاء والياء
معا فعلى العادة ومن قرا بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرا بامالة احدهما فلرعاية الجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن انه
قرا بضمهما قيل لانه تصور ان عين الكلمة منهما واو فنبه بالضم على اصلها والبحث عن هذه الفواتح قد سلف في اول البقرة ومما يختص
بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس انه قوله كهيعص ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والهاء هاد والعين عالم
او عزيز والصاد صادق وعنه ايضا انه حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع عن انس ان
الياء من مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا ان يستند الى الوحي والالهام وارتفع ذكر رحمة على الخبر اي هذا المتلو من القران ذكر
رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول الذكر وزكريا عطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي
انه قرا ذكر بلفظ الماضي مسندا الى … ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية ومخففا اخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقرا
ذكر على الامر وهي قراءة ابن عمر وقيل يحتمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبي رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبينا
صلى الله عليه وسلم ولامته لانه طريقه في الاخلاص والابتهال الصالح لان يقتدى به فكان ذكر رحمة لنا ولنبينا وفي اخفائه النداء
وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الرياء وادخل في الخشية وهذا قول الحسن … ومنها انه اخفاه لئلا يلام على طلب
الولد في غير وقته ومنها انه اسره من مواليه الذين خافهم ومنها انه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته
خفاة وسمعه تارات ولعله ادى اقصى ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لنهاية كبره ثم شرع في حكاية ندائه فقال
قال رب اني وهن العظم مني الى قوله واجعله رب رضيا قال علماء المعاني في الاية لطايف وذلك ان اصل الكلام يا رب
قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الراس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لتوخي مزيد التقرير فصار ضعف
بدني وشاب راسي ثم في القرينة الاولى عدل من التصريح الى الكناية التي هي ابلغ منه فصار اني وهنت عظام بدني فان وهن
عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدا لتقوي الحكم فحصل انا وهنت عظام بدني ثم ادخلت ان لاجل نفي الشك فحصل
اني وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني لانك اذا قلت اني وهنت
العظام اذا ان عظاما واهية عندك فاذا قلت من بدني … ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام به فحصل
اني وهنت العظام مني فاذا حصل الوهن في هذا الجنس الذي هو صلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لساير الاعضاء الرئيسة
كالقحف للدماغ والقص للقلب ففي الاعضاء الاخر اولى فاما القرينة الاخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل
اشتعل شيب راسي وبيان الاستعارة فيه انه شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه
واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به واداة التشبيه فصار اشتعل
شيب راسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه اخر وهو ان يكون استعمل اشتعل بدل انتشر فيكون الاستعارة تبعية تصريحية وترشيحها
ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الى ابلغ منها وهي اشتعل راسي شيبا وكونها ابلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الراس لافادة
شمول الاشتعال الراس كما لو قلت اشتعل بيتي نارا مكان اشتعل النار في بيتي ومنها الاجمال والتفصيل الواقعان في طريق التمييز
ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى وهي اشتعل الراس مني شيبا لتوخي مزيد التقرير بالابهام ثم
البيان على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لسبق ذكره في القرينة الاولى ففي ذلك احالة تادية المعنى على العقل دون اللفظ

ذكر بين الحالتين مع ان بناء الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرف الندا ويا المتكلم يناسب الاختصار في اخره وانما اطنبت في هذا المقام لان هذه الاية كالعلم فيما بين علماء المعاني ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة قائلا ولم اكن بدعائك رب شقيا كما حكي ان محتاجا قال للكريم انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اي بدعائي اياك واعلم ان زكريا عليه السلام قدم على السؤال امورا ثلثة الاول كونه ضعيفا الثاني انه تعالى لم يرد دعاه الثالث كون المطلوب بالدعا سببا للمنفعة في الدين وذلك قوله واني خفت الموالي قال ابن عباس والحسن اي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن ابي صالح الكلالة وعن عاصم بنو العم وهم الذين يلونه في النسب وعن ابي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من تقدم في ميراثه كالولد والمختار ان المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة او في المال الذي كان له او في القيام بامر الدين وكان من عاداتهم ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب كان متعينا للحبورة وقوله من ورائي اي بعد موتي لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف اي الموالي الذين يخلفون من بعدي او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت ولايتهم وسوء خلافتهم بعدي كان زكريا انضم له مع النبوة الملك فخاف بعده على احدهما او عليهما وسبب الخوف القراين والامارات التي ظهرت له من صنايع اجوالهم واخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضي لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كانه الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وقرئ خفت الموالي بتشديد الفا وعلى هذا معنى وراي خلفي وبعدي اي قلوا وعجزوا عن امر الدين والاقامة بوظايفه والظرف متعلق بالموالي او معناه قدامي والظرف متعلق بخفت اي درجوا ولم يبق منهم من يعتضد به ثم صرح بالمسئلة قائلا فهب لي واكده بقوله من لدنك اي وليا صادرا من عندك مضافا الى اختراعك بلا سبب لاني وامراتي لا تصلح للولادة ومن قرا يرثني ويرث بالجزم فيهما فهو جواب الدعاء ومن قرا برفعهما والاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستيناف كانه قيل لم تطلب الولد فقال يحيبا يرثني اي لانه لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا فاعترض بان حمله على الاستيناف يوجب الاخبار عالم يقع وكذب النبي اشنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بان عدم ترتب الغرض الوارثا وهب لي وليا الخبر عنه بانه يرثني وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة او الكذب والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة آل عمران ان النبي لا يطلب في الدعاء الا الاصلح غير ما طلبه ويصرف الله تعالى عنه كان المصروف اليه هو بالحقيقة مطلوبه ويمكن ان يقال لعل الوراثة قد تحققت من يحيى وان قتل قبل زكريا وذلك بان يكون قد بقي منه كتاب او شرع هو المقصود من وجود يحيى وبقي ذلك الكتاب والشرع معمولا به بعد زكريا ايضا الى حين وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراة شاذة لا فايدة كثيرة في تعدادها الا قوله عن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني وبه وارث ويسمى التجريد في علم البيان فقيل هو ان تجرد الكلام عن ذكر الاول حتى يقول لقاني فلان فجاءني رجل لا تريد به الا الاول ولذلك لا تذكر اسمه في الجملة الثانية وتجرد الكلام عنه والاقرب انه ان يكون معنى التجريد هو انك تجرده عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا في الاية كانه جرده عن منافيات الوراثة باسرها واختلف المفسرون في انه طلب ولدا يرثه وطلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره والاول اظهر لقوله في آل عمران رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ولقوله في سورة الانبياء رب لا تذرني فردا حجة المخالف انه لما بشر بالولد استعظم وقال اني يكون لي غلام ولو كان دعا ولاجل الولد ما استعظم ذلك والجواب ما مر في سورة آل عمران واختلفوا ايضا في الارث فمن ابن عباس والحسن والضحاك هي وراثة المال وعنهم ايضا المراد يرثني المال ويرث من آل يعقوب النبوة او بالعكس وفي رواية ابي صالح ان المراد في الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل في المال واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وفي واورثنا بني اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء حجة الاولين ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على انه اراد بالوارث المال وكذا قوله صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وايضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد ارث النبوة لم يحتج الى قوله واجعله رب رضيا لان النبي لا يكون الا مرضيا واجيب بانه اذا كان المعلوم من حال الابن انه يصير نبيا بعده فيقوم بامر الدين جاز ان يقال ورثه والمراد بكونه رضيا ان لا يوجد منه معصية ولا هم بها كما جاء في خبر يحيى وقد مر الحديث هناك ولا يلزم من هذا ان يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل لبعضهم فضايل اخر يختص به احتجت الاشاعرة بالاية في مسئلة خلق الاعمال واجابت المعتزلة بانه يفعل به ضروب الالطاف فيختار ما يصير مرضيا عنده وزيف بان ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبان فعل الالطاف اوجب على الله فطلب ذلك بالدعا والتضرع عبث واعلم ان اكثر المفسرين على ان يعقوب المذكور في الاية هو يعقوب بن

اسحق بن ابرهيم عليهم السلام لان زوجة زكريا كانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهودا بن يعقوب واما زكريا عليه السلم فقد كان من ولد هرون اخي موسى وهرون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام وزعم بعض المفسرين ان المراد هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان وهذا قول الكلبي ومقاتل وعن مقاتل ان بني ماثان كانوا رؤس بني اسرائيل وملوكهم قوله يا زكريا الاكثرون على انه نداء من الله تعالى لقرينة التخاطب من قوله رب اني وهن العظم مني الى قوله رب اني يكون لي غلام ومنهم من قال هو نداء الملك لقوله في آل عمران فنادته الملائكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا في عدم السمي فقيل اراد انه لم يسم احد بيحيى قبله وقيل اراد انه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك انه جعل سيدا وحصورا لم يعص ولم يهم بمعصية فكانه جواب لقوله واجعله رب رضيا وايضا سمي يحيى قبل دخوله في الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فلا نظير له في هذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول اظهر لما في الثاني من العدول عن الظاهر ولا يضا له الابصر وذم كما في قوله واعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا الا انا نعلم انه مجرد كونه تعالى لا يسمى له لا يقتضي عبادته فقوله المسمى هناك يراد به المثل والنظير ويمكن ان يقال ان التفرد بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة في الاية ايضا قال جار الله انما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما اسم لصاحبه قلت ويقرب من هذا اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم يسم يحيى لكنعوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعالى احيى عقر امه وعن قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة ومن كان ميتا فاحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان اول من آمن بعيسى وقيل لانه استشهد والشهداء احياء وقيل لان الدين احيى به لان زكريا سال الله تعالى الدين قوله وقد بلغت من الكبر قال جار الله اي من اجل الكبر والطعن في السن العالية فمن للتعليل ويجوز ان يكون للابتداء اي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام يقال عتا العود وعسا اذا غيره طول الزمان الى حالة اليبس سؤال انه قال في آل عمران وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر فكم عكس الترتيب في هذه السورة واجيب بان الواو لا يفيد الترتيب قلت ان ذاك ورد على الاصل وهو تقديم نقض نفسه وههنا راعى الفاصلة قال الامر كذلك تصديقا له ثم ابتدا قائلا قال ربك فمحل كذلك رفع ويحتمل ان يكون نصبا بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله هو اي خلق الغلام علي هين ويحتمل ان يكون اشارة الى قوله زكريا اني يكون لي غلام اي كيف تعطيني الغلام ابان تجعلني وزوجتي شابين او بان تتركنا على الشيخوخة فاجيب بقوله كذلك اي تهب الولد مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو فيعل من هان الشي يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كالنطفة او كالجواهر التي لم تتالف بعد وفيه نفي استبعاد زكريا لان خلق الذات ثم تغييرها في اطوار الصفات ليس اهون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة في زكريا وصاحبته بعد ان لم تكن قال رب اجعل لي آية قد مر تفسيره في آل عمران الاية قوله سويا قيل انه صفة لليالي اي تامة كاملة والاكثرون على انه صفة زكريا اي وانت سليم الحواس مستوي الخلق ما بك خرس ولا عمى فخرج على قومه من المحراب قيل كان له موضع ينفرد فيه للصلوة والعبادة ثم ينتقل الى موضع يصلي فيه وغيره الا انهم كانوا لا يدخلونه للصلوة الا باذنه فاوحى اليهم عن مجاهد اشار بدليل قوله في آل عمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض ان هي المفسرة وسبحوا اي صلوا وعلى الظاهر هو قول سبحان الله عن ابي العالية ان البكرة صلوة الفجر والعشي صلوة العصر فلعلهم كانوا يصلون معه هاتين الصلوتين في محرابه وكان يخرج اليهم فياذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته فيفهمهم المقصود بالاشارة او الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان يخاطب فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التورية لانها المعهود حينئذ ويحتمل ان يكون كتابا مختصا به وان كنا لا نعرفه الان كقول عيسى اني عبد الله اتاني الكتاب والمراد بالاخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الاخذ من حيث المعنى وهو القيام بمواجبه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة يقتضي سهولة الاقدام على المامور به والاحجام عن المنهي عنه ثم اكده بقوله بقوة اي بجد وعزيمة واتيناه الحكم اي الحكمة عن ابن عباس هو فهم التورية والفقه في الدين ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي قال ما للعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الخوارق كما في حق عيسى فلا استبعاد الا من حيث العادة والحنان اصله توقان النفس ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل ان يراد حنانا منا على زكريا او على خدامه يحيى لانباعده وجود الواو وقيل اراد اتيناه الحكم والحنان على عباده كقوله لنبينا صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واراد بقوله وزكوة انه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل باقامة ما يجب عليهم لان الرافة واللين ربما يورث ترك الواجب ولهذا قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ولا يخفى انه لا يباعده هذا القول وجود لفظه منا وعن عطا ان معنى حنانا تعظيما وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج ان معنى زكوة عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلني مباركا وقيل صدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم ثم اخبر محمدا صلى الله عليه وسلم عن حاله بقوله وكان تقيا بحيث لم يعص الله ولا هم بمعصية فقط وبرا بوالديه لان تعظيم الوالدين تلو تعظيم الله ولم يكن جبارا عصيا وذلك ان

الزاهد في الدنيا فلما تخلوا عن طلب ترفع والرغبة في احترام فذكر انه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق وبتحقيق العبودية للحق قال سفيان الجبار الذي يقتل عند الغضب ودليله قوله اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض ثم انه سبحانه سلم عليه في ثلثه مواطن هي اوحش المواطن واحوجها الى طلب السلامة ويحتمل ان يكون هذا السلام من الملائكة عليه الا انه لما كان باذن الله كان كسلام الله قيل انما قال حيا مع ان المبعوث هو المعاد الى حال الحيوة تنبيها على كونه من الشهداء وهم احياء وذلك انه ورد في الاخبار ان عيسى سيموت بعد النزول والظاهر انه اراد ويوم يحيى حيا فوضع الاحسن موضع الاعم تاكيدا قيل السلام عليه يوم ولد لا بد ان يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه واما الاخران فيجوز ان يكون لاجل الثواب قلت اكثر امور وخوارق العادة فيحتمل ان يوجد منه في بطن امه عمل يستحق الثواب كما يحكى ان امه قالت لمريم وهما حاملتان اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك **التاويل** ان زكرياء الروح نادى ربه نداء خفيا من سر البشرية قال رب اني وهن عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية واتحدت صفات النفس ان تغلب وكانت امرأتي يعني الجثة التي هي زوج الروح عاقرا لا تلد الا بموهبة من الله فهب لي من لدنك سال وليا فاعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن العلم اللدني فانه ولد الروح والنفس اعدى عدو ويرثني ويرث من آل يعقوب اي يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واجعله رب رضيا ان تعطيه من تجلي صفات ربوبيتك ما يرضى به نظيره ولسوف يعطيك ربك فترضى اسمه يحيى لان الله احياه بنوره لم نجعل له من قبل سميا لا من الحيوانات ولا من الملائكة لانه هو الذي يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن وقد بلغت من الكبر بسبب طول زمان تعلق القلب عتيا يبسا وجفافا من غلبات الصفات النفسانية الا تكلم الناس لا تخاطب الا الله ولا تلتفت الى ما سواه ثلث ليال لعلى ثلث مراتب الجمادات والحيوانات والروحانيات سويا متمكنا في هذا الحال من غير تلون فخرج زكرياء الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه وقلبه واتاه فاشار اليهم ان كونوا متوجهين الى الله معرضين عما سواه اناء الليل واطراف النهار بل بكرة الازل وعشي الابد يا يحيى القلب خذ الكتاب الفيض الالهي المكتوب لك في الازل بقوة ربانية لا بقوة جسمانية لانه خلق ضعيفا وآتيناه الحكم صبيا اذ خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وزكوة ويظهر من الالتفات الى غيرنا وبرا بوالديه الروح والقالب اما الروح فلان القلب محل قبول الفيض الالهي لا يقبل الفيض نصيب الروح او لا ولكن لا يمسكه للطافته كما ان الهواء الصافي لا يقبل الضوء وينفذ فيه واما القلب ففيه صفاء وكثافة فيقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا احد اسرار حمل الامانة وما بره بوالده القالب فهو استعماله على وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم ولد في اصل خلقته ويوم يموت عن استعمال المعاصي بالتوبة ويوم يبعث حيا بالتربية والترقي الى المقام السلامة

واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ● فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ● قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ● قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ● قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ● قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا ● فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ● فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ● فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ● وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك

رطبا جنيا ● فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ● فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ● يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا ● فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ● قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا ● وجعلني مباركا اين ما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا ● وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ● والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ● ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ● ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ● وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ● فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ● اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ● وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ● انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون ●

القراءة اني اعوذ بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ليهب لك على الغيبة ابو عمرو ويعقوب وورش والحلواني عن قالون وحمزة في الوقف الاخرون لاهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على انه جر فجر ويجر التا الثانية ابو جعفر ونافع وسهل وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها على ان من موصولة والظرف صلتها تساقط بحذف تاء التفاعل حمزة والخراز عن هبيرة تساقط من المفاعلة حفص غير الخراز تساقط بتاء الغيبة على ان الضمير للجذع بادغام التاء في السين سهل ويعقوب ونصير وحماد الباقون مثله ولكن بتاء التانيث على ان الضمير للنخلة اتاني الكتاب بامالة مفتوحة الياء وعلي وقراءة حمزة مرسلة الياء مفتوحة في الوصل ممالة في الوقف واوصاني بالامالة علي قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب وان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وروح والمعدل عن زيد **الوقوف** مريم لا لان ما بعده ظرف اذكر شرقيا لا للعطف زكيا بغيا كذلك لما مر هي لجواز كون الواو مقحمة او معلقة بمحذوف كما يجيء منا لاختلاف الجملتين مقضيا قصيا النخلة لترتيب الماضي على الماضي من غير عاطف والاولى ان يكون استينافا منسيا سريا جنيا عينا للشرط مع الفاء احدا لان ما بعده جواب الشرط انسيا للعطف مع الاية تحمله فريا بغيا اليه صبيا عبد الله لان الجملة لا تقع صفة للمعرفة ويمكن ان يجعل معنى التحقيق في ان عامله فيكون حالا والوقف بينهما كنت لطول الكلام حيا لذلك والوصل اولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتي لتبدل الكلام من الاثبات الى النفي شقيا حيا عيسى بن مريم على القرائتين لاحتمال ان يراد اقول قول الحق وان يجعل حالا اولا ما في قراءة الرفع فاما ان يكون بدلا من عيسى او نعتا

التقدير هو قول الحق يمترون من ولد استبعادا لشنيه سبحانه فيكون لمن قرأ وان بالكسر فاعبدوه مستقيم من بينهم
لان ما بعده مبتدأ مع الفاء عظيم وابصر لان ما بعده ظرف للتعجب مبين وسمعت بعض مشايخي رحمهم الله ان الوقف على قوله
قضي الامر لازم لا اقل من المطلوب لان ما بعده جملة مستانفة ولو وصل لاوهم ان يكون حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون
ترجعون التفسير هذا شروع في ابتداء خلق عيسى ولا ريب ان خلق الولد بين شخصين فانيين قريب الى مناهج العادات من تخليق الولد
من غير اب فلهذا اخرت قصة عيسى من قصة يحيى ترقيا في باب التفهيم من الادنى الى الاعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لان الا
زمان مشتملة على ما فيها وفي هذا الابدال تفخيم بشان ان الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كانها
القت نفسها الى جانب يعني لم عن الناس في مكان يلي شرقي بيت المقدس او شرقي دارها قال ابن عباس من ههنا اتخذت النصارى المشرق
قبلة فاتخذت من دونهم حجابا لابد لهذا الاحتجاب من غرض صحيح فمن المفسرين من قال انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد
لكي تنتظر فتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه السلام وقيل طلبت الخلوة لاجل العبادة وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من
الحيض محتجبة بحايط او شيء يسترها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها
بابها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف فخرجت وجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وذلك قوله
فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل لان الدين يحيى به وبوحيه او الاضافة للتشريف والتسمية مجاز كما يقول لمن تحبه انت روحي فتمثل
لها حال كونه بشرا سويا تام الخلق وحسن الصورة وانما تمثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه وتدرع الورع في
تجبريل مثلا تارة بالهيكل العظيم واخرى بالصغير غير مستبعد والذين اعتقدوا ان جبريل جسماني جوزوا ان يكون له اجزاء اصلية وفصلية
واجزاء فاضلة فبتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبيه بصورة الانسان ولنذره مثال هذه الامور لا يلزم منها قدح في
العلوم العادية المستندة الى الاحساس فلا يلزم الشك في ان زيدا الذي شاهده الان هو الذي شاهدناه بالامس قوله ان كنت تقيا
اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتحصل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك وقيل انه كان في ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقي وكان
يتبع النساء فظنت ان ذلك المتمثل هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله منه وقيل ان نافية اي ما كنت تقيا حين استحللت النظر الي
وخلوت بي وحين علم جبريل خوفها قال انما انا رسول ربك ارسلني لاهب لك انا او ليهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة
العفة وكيف زال خوفها بمجرد قول المتمثل احتمل ان يكون قد ظهر لها منه معجز من جهة زكريا او ارهاصا لعيسى والهاما من الله سبحانه وهل
تقدير الملائكة على تركيب الاجزاء وخلق الحيوة والنطق حتى صح قول جبريل لاهب لك قالوا اجمعت الامة على ان لا قدرة للاجسام على ايجاد
الجواهر ولعدامها والا فلا استبعاد في تاثير بعض الاجسام في بعض الخاصية خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة ان جبريل لما صار
سببا في الهبة بالنفخ في الدرع قالت استغرابا من حيث العادة لا استشكالا في قدرة الله انى يكون لي غلام لم تقل ههنا ادبا لما لا انها
تخاطب جبريل واما اكتفاء بما سلف في ال عمران ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا هي الفاجرة التي تبغي الرجال عن المبرد ان اصله بغوي على
فعول قلبت الواو ياء ثم ادغمت في الياء وكسرت الغين للمناسبة وعن ابن جني انه فعيل ولا لقيل بغية كهوا من المنكر خصصت بعد
ما عممت لزيادة الاعتناء بجدني لحري بتبرية ساحتها عن الفحشاء والملجي في اول القصة من تمثل جبريل لها بصورة البشر حتى ظنت انه
يريد ها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة في ال عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله يبشرك فلم يحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه في قوله من قبل ان تمسوهن
او لامستم النساء وانما يقال في الزنى فجر بها وخبث بها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والاداب قلت لو سلم هذا من حيث اللغة
فلا فائدة للزيادة قوله ولم اك بغيا في هذا المقام من فايدة وقد عرفت ما سنح لنا والله اعلم قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله
كما مر في قصة زكريا ولنجعله العلام او خلقه اية للناس يستدل بها على كمال اقتدارنا على ابداع الغرايب فعلنا ذلك ويجوز ان يكون
معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين اي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله اية وقد مر مثل هذا في قوله وكذلك مكنا ليوسف
في الارض ولنعلمه ورحمة منا على عبادنا لان كل نبي رحمة لامته فيه يهديهم الى مصالح الدارين وكان امرا مقضيا مقدرا في
اللوح او امرا حقيقيا بان يقضى به لكونه اية ورحمة وهذا مبني على ان رعاية الاصلح واجبة على الله وههنا اضمار قال ابن عباس
فاطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل في فمها
وقيل ان النافخ هو الله كقوله ونفخت فيه من روحي وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبريل كالصانع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب
لك فلما حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل عشرة قد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وكم مدة حملها عن ابن
عباس وفي رواية تسعة اشهر كما في ساير النساء لانها لو كانت مخالفة لهن في هذه العادة لناسب ان يذكرها تعالى في اثناء
مدايحها وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال اهل التنجيم انما لا يعيش لانه يعود الى تربية القمر وهو منحوس

معقرة لسرعت حركته وغلبت التبريد والترطيب عليه وعن عطا وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل
حملته في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس في رواية اخرى كما حملته نبذته لقوله
تعالى ان مثل عيسى عند الله قوله كن فيكون والفاءات للتعقيب في قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض وعلى هذا
فالمكان القصي هو اقصى الدار وراء الجبل بعيدا من اهلها ومعنى انتبذت به اعتزلت ملتبسة به اي وهو في بطنها وقصيا مبالغة
قاص وروى الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت فاول من عرف حملها هو يوسف النجار ابن عمها وكانت سميت له وكانا يخدمان المسجد
ولا يعلم اهل زمانها اكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء ولا اجد ان اكتمه عنك فقالت قل قولا جميلا
فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم الم تعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر او تقول ان الله تعالى
لا يقدر على الانبات حتى يستعين بالماء الم تعلم ان الله تعالى خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فقال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول
ان الله قادر على ما يشاء وزالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف عليها من كمال الحبل
ودنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك كيلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد
ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة قال جار الله اجاء منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى انك
لا تقول جئت المكان واجانيه زيد كما يقال بلغته وابلغنيه ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان واتانيه فلان
قلت حاصله تخصيص بالتعدية بعد تعميم والمخاض بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر تمخض مخاضا مثل
سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة يروى انه كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمر ولا خضرة
فكان الوقت شتاء والتعريف اما للعهد لكون ذلك الجذع مشهورا هناك واما للجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة لان
الله اطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء اي طعامها الموافق لها ولان النخلة اقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا باللقاح فكان
ظهور الرطب من ذلك الجذع في الشتاء من دون تلقيح وايادلائلا على حصول الولد من غير ذكر وقال في الكشاف النسي اسم ما من حقه ان
يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره الذبح وعن يونس ان العرب اذا ارتحلوا قالوا انظروا انساءكم يعنون العصا والقدح
والشظاظ ونحوها تمنيت لو كانت شيئا لا يعبأ به حقه ان ينسى في العادة ومعنى منسيا انه قد نسي وطرح فوجد فيه النسيان
الذي هو حقه وانما تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل او لانهم يبهتونها وهي عارفة ببراءة ساحتها اشق ذلك عليها او لخوفها
على الناس ان يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر ويجوز ان يكون تسمية بالمصدر كالحمل
وقرى نساء بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته فناداها من تحتها الذي هو تحتها والانسان تحتها يعني
[illegible]

ان الم النفس لشغل الم البدن فلم قدم دفع الم البدن على دفع الم القلب واجيب بان الخوف المنفي كان قليلا لتقدم بشارة جبريل
فكان التذكير كافيا فاما ترين اصله ترايين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم يا الضمير للساكنين و
ذلك بعد لحوق نون التاكيد وقد مر في قوله اما يبلغن عندك الكبر ان التاكيد في هذه الصورة يقصد به ان الشرط مما سيقع غالبا
فان مريم لا بد ان ترى احدا من البشر عادة عن انس بن مالك ان الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال ابو عبيدة كل ممسك
من طعام او كلام او سير فهو صايم وقيل اراد الصيام الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز
في شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر بتجريد الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق والتشديد وقد نسخ
في الاسلام وفي الكشاف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت وروي انه دخل ابو بكر الصديق على امرأة و
قد نذرت انها لا تتكلم فقال ابو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي وفي امرها بهذا النذر معنيان احدهما ان كلام عيسى اقوى
في ازالة التهمة وفيه ان تفويض الامر الى الافضل اولى والثاني ان السكوت عن جدال السفهاء اصون للعرض ومن اذل الناس
سفيه لم يجد مسافها كيف اخبرتهم بالنذر قيل بالاشارة والا لزم النقض وقيل خص هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله انسيا

اصلها من برك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه وقيل البركة هي الزيادة والعلو وكانه قال جعلني في جميع الاشياء
عاليا منجحا الى ان يكرمني الله تعالى بالرفع ثابتا في دين الله مستقرا فيه رأته امرأة وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى
لبطن حملك وثدي ارضعت به فقال عيسى عليه السلام مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يك جبارا شقيا واوصاني بالصلوة
والزكوة اي امرني بهما اما في وقتهما المعين وهو وقت البلوغ واما في الحال بناء على انه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى
على اداء التكاليف ويؤيده قوله ما دمت حيا وقيل الزكوة ههنا صدقة الفطر وقيل تطهير البدن من دنس الاثام وقيل واوصاني بان
امركم بهما وفي قوله وبرا بوالدتي دلالة واشارة الى تنزيه امه من الزنى والا لم يكن الرسول المعصوم مامورا ببرها قال بعض العلماء
لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ولا تجد سيء الملكة الا مختالا فخورا وقرا وما ملكت
ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عيسى الشقاوة ولم ينف عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما جاء في الخبر ما احد
من بني آدم الا اذنب او هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومن عقايد اهل السنة ان الانبياء معصومون عن الكباير دون الصغاير وقوله و
السلام علي قال العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على ان تعريف الجنس قريب
من تنكيره وقيل ان الاول من الله والقليل منه كثير شعر قليل منك يكفيني ولكن ❊ قليلك لا يقال له قليل ❊ واني لارضى منك
يا هند بالذي ❊ لو ابصره الواشي لقرت بلابله ❊ بلا وبان لا استطيع وبالمنى ❊ وبالوعد حتى يسام الوعد امله ❊ والثاني من عيسى والكثير
منه لا يبلغ معشار سلام الله عن بعضهم ان عيسى عليه السلام قال ليحيى انت خير مني سلام الله عليك وسلمت على نفسي و
اجاب الحسن بان تسليمه على نفسه وهو تسليم الله عليه وقال الجار الله في هذا التعريف تعريض باللعنة على متهميها واعدائها
من اليهود لانه اذا زعم ان جنس السلام عليه خاصة فقد عرض بان ضده عليهم نظيره في قصة موسى والسلام على من اتبع الهدى
يعني ان العذاب على من كذب وتولى يروى انه كلمهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى
انهم انكروا تكلم عيسى في المهد قايلين ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى
فيه وفي مناقبه وايضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه في المهد بالغوا في قتله ودفعه في طفوليته واجاب المسلمون
من حيث العقل بانه لولا كلامه الذي حكم على برائتها من الذي قذفوها به لاقاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضري كلامه قليلون
فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا هناك فلذلك لم يشتغلوا في شيء بدفعه والله اعلم ذلك والموصوف بالصفات
المذكورة من قوله اني عبد الله الى اخره هو عيسى بن مريم وفي كونه ابنا لله على ما زعمت النصارى واكد هذا المعنى بقوله قول الحق فان كان
الحق هو اسم الله فهو كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى قولا الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة المتقدمة كقوله هو عبد الله الحق لا قول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقد يجوز ارتفاعه على انه خبر
بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف ومعنى تمترون يشكون من المرية الشك والمراد يتمارون من المراء اللجاج وذلك ان اليهود قالوا
ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة ثم صرح ببطلان معتقدهم وقال ما كان لله ما صح له وما استقام ان يتخذ من
ولد كما لا يستقيم ان يكون له شريك وقد مر مثل هذه الاية في سورة البقرة والذي نزيده ههنا ان بعضهم قال معنى الاية ما كان لله
ان يقول لاحد انه ولدي لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمته تعالى وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير انه ليس لله ان يفعل كل
شيء لان قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد كقولنا ما كان لله ان يظلم فلا يليق شيء منها بحكمته وكمال الهيته واجيب بان الكذب على الله محال
والظلم تصرف في ملك الغير فلا يتصور في حقه فان اردتم هذا المعنى فلا نزاع وان اردتم شيئا اخر فما الدليل على استحالته احتج
بعض الاشاعرة بالاية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وان كان محدثا احتاج في حدوثه الى قول اخر و
تسلسل واستدلت المعتزلة بها على حدوث كلامه قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متاخر عن القضاء والمتاخر عن
المحدث وايضا الفاء فيكون للتعقيب والقول متقدم عليه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان قليل محدث وكلا الاستدلالين
ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما النزاع في كلام النفس وايضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيته والا فلمن
ثم قول لان الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل للحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قوله كن هو صفة التكوين فانها
زايدة على صفة القدرة لانه قادر على عوالم اخر سوى هذا وغير مكون لهما ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا
من قرأ وان الله بالفتح فمعناه ولان الله ربي وربكم فاعبدوه وفيه ان الربوبية هي سبب العبادة فمن لم يعم ربوبيته لم يستحق
ان يعبد ولا رب بالحقيقة الا الله لانه جامع الوسايط والاسباب اليه فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هي ان الله تعالى
لا يصح ان تقول ان الله ربي وربكم فاعبدوه فالتقدير قل يا محمد بعد اظهار البراهين الباهرة على ان عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم
وقال ابو مسلم الاصفهاني انه من تتمة كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعن وهب بن منبه عهد اليهم حين اخبرهم عن حاله وصفته

ان كلنا عبد الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم اى من بين اهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى اختلفوا
ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى علماء زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكا فقيل للاول ما تقول في عيسى فقال هو الله هبط الى الارض
فخلق واحيى ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثاني فقال هو ابن الله فتابعه جم غفير وهم النسطورية
وسئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم وينام فصار الخصم وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا اربعة والرابع اسمه
اسرائيل فقال هو اله وامه اله والله ثالثة اقانيم والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد يجر الكلام فيه الى مقامات
يصعب الرقي فيها فلذلك ضل فيه من ضل وزل عنه من زل والله سبحانه اعلى من جميع ذلك واجل فويل للذين كفروا من
مشهد يوم عظيم اى من شهودهم هول الجزاء والحساب في ذلك اليوم او من زمان شهودهم او من مكان شهودهم فيه وهو الموقف
ويحتمل ان يكون المشهد من الشهادة اى من ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء او جوارحهم فيه بالكفر والقبائح او من مكانها
او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه يوم ولادته ومعنى من التعليل اى الويل لهم من اجل المشهد ومن سببه اسمع
بهم وابصر صيغتان للتعجب والمراد ان هاتين الحاستين منهم جديرتان بان يتعجب منهما في ذلك اليوم بعد ما كانوا صما وعميا
في الدنيا وذلك لكشف الغطاء وكون العيان بالخبر والتعجب استعظام الشيء مع الجهل بسبب عظمه ثم جوز استعمال لفظ التعجب
عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب ومن غير سبب قال سفين قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب
من شيء انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه والمعنى
انه صدر من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وقيل معنى الاية التهديد بما سيسمعون وسيبصرون
مما يسوؤهم وقيل اراد اسمع بهؤلاء وابصرهم ليعتبر وابصر عاقبتهم والوجه هو الاول ويؤيده قوله لكن الظالمون اى لكنهم
فوضع المظهر موضع المضمر اليوم وهو التكليف في ضلال مبين حيث اغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد في
تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة يتحسر اهل النار فيه وقيل اهل الجنة اذا راى الادنى مقام الاعلى والاصح لان هذه الخواطر لا توجد
في الجنة لانها دار السرور واذ بدل من يوم الحسرة ومنصوب بالحسرة ومعنى قضي الامر فرغ عن الحساب وتصادر الفريقان الى
الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح
واهل النار غما الى غم قال ارباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن ان يصير حيوانا فالمراد انه لا موت بعد ذلك عن الحشر و
هم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله فانذرهم اعتراض ويحتمل ان يتعلق بانذرهم على هذه الحال غافلين غير
مؤمنين ويحتمل ان يكون انظر في الانذار اى انذرهم حين تقضي الامر ببيان الدلائل وشرح امر الثواب والعقاب ثم اخبر عنهم
بانهم في غفلة وهم لا يؤمنون ثم قرر بقوله انا نحن ان امور الدنيا كلها تزول وان الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك الحكم
الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه التأويل واذكر في الكتاب الازلي مريم القلب اذ انتبذت من اهلها انفردت
من اهل الدنيا متوجها الى جانب شرقي النور الالهي فاتخذت من دونهم حجابا بالخلوة والعزلة فارسلنا اليها روحنا وهو نور
الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فتمثل لها بشرا سويا كما يتمثل نور التوحيد بحروف
لا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت اني اعوذ بالرحمن منك ظن منها ان يشغلها عن الله قال انما انا رسول المولود لزمانه
لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن ارث الظلمة بالنسبة وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسني بشر خاطر من عالم
البشرية ولم اك بغيا اطلب ما غير خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح الالهي فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت
به مكانا قصيا لافتقاره الى العبور على منازل الشريعة والطريقة فاجاءها المخاض الى جذع النخلة وهي
كلمة لا اله الا الله التي كان اصلها ثابت في ارض نفسها قالت يا ليتني مت قبل هذا قال بعض اهل التحقيق هذه كلمة
تذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال علي يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت
بلالا لم تلده امه وقيل ان مريم قالت ذلك لعلمها بان الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسبب تهمتها في سبب
الغلو والتقصير في حق ابنها قلت ان مريم القلب يا ليتني مت عن اللذات الحسية قبل هذا الوقت الذي فرقت باللذات الحقيقية
وكنت نسيا منسيا فان الخمول راحة والشهرة آفة فناديها بلسان الحال من تحت تصرفها من الالات والقوى الا تحزني قد
جعل ربك تحتك اى تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود او جدول الكشوف والعلوم اللدنية وهزي اليك بجذع النخلة
بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات حالا فحالا فكلي واشربي من جواز الافضال
ونحر النوال من مائدة ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقري عينا بانوار الكمال في حرم الوصال فاما ترين من النواع البشرية
احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما كما قيل الدنيا يوم ولنا فيه صوم اى عن الالتفات بغير الله فانك به فوتها من عاده

الجهال الكبار اجر الاهل الكمال يا اخت هرون النفس المطمئنة او الامارة بناء على ان هرون كان صالحا او طالحا ما كان ابوك
وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت امك وهي القالب بغيا تشتاقين الى غير عالم الطبيعة التي خلقت لاجلها فاشارت اليه
فيه ان هذا القوم هم اهل الاشارة في المهد بهد الشرح لك المولد من نفخ الروح في مريم القلب ليس ابن الله ولا علا له ولا ابن
فاختلف الاحزاب فقوم عبدوا الله لاجله وقوم ما عبدوه طمعا في جنته وقوم عبدوا الهوى وذلك قوله فويل للذين كفروا اسمع
بهم اى ما اجل الله وابصر يوم يأتوننا لانهم بالله يسمعون وبه يبصرون

واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا ● اذ قال لابيه يا ابت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ● يا ابت اني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ● يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ● يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون
للشيطان وليا ● قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك و
اهجرني مليا ● قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ●
واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى الا اكون بدعاء
ربي شقيا ● فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا ● ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ●
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ●
وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ● ووهبنا له من رحمتنا اخاه
هرون نبيا ● واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان
رسولا نبيا ● وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه
مرضيا ● واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ● ورفعناه
مكانا عليا ● اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم
وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا

تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا ● فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ● الا من تاب وامن
وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا ● جنات عدن التي
وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا ● لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ● تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا ● وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما
خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ● رب السموات والارض
وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ●

القراءة ربي انه بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابو عمرو ومخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون
بكسرها ابرهام وما بعده هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذ يتلى بالياء التحتانيه وكذلك في سورة الحج قتيبه نورث بالتشديد
رويس الوقوف ابرهيم نبيا شيا سويا لا تعبد الشيطان عصيا وليا يا ابرهيم ج لانه يوصل ويوقف على الهي ملياج
سلام عليك الابتدا بين الاستقبال مع ان القايل واحد لك ربي حفيا فادعوا ربي لانقطاع النظم والوصل اولي
لان عسى لطي الاجابه فيوصل بالدعا شقيا من دون الله لان ما بعده جواب لما ويعقوب نبيا عليا موسى للابتدا
بانعم ان المراد بالذكر لاخلاص موسى نبيا نجيا نبيا اسمعيل لما مر نبيا للاية مع العطف والزكوة مرضيا ادريس نبيا
عليا مع نوح على تقدير ومن ذرية ابراهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية ادم وعلى اسرائيل والاصح
ان الكل عطف على قوله واجتبينا لئلا يحتاج الى الحذف وليرجع ثنا السجود والبكا الى الكل وبكيا غيا شيا بناء على ان
جنات بدل من الجنة بالغيب ماتيا سلاما وعشيا تقيا بامر ربك لاختلاف الجملتين ذلك لان قوله وما كان معطوف
على نتنزل مع وقوع العارض نسيا لان ما بعده بدلا وخبر مبتدا محذوف لعبادته سميا التفسير ان الذين اتبعوا معبودا
سوى الله منهم من اثبت معبودا احيا عاقلا كالنصارى ومنهم من اثبت معبودا جمادا كعبدة الاوثان وكلا الفريقين ضال
الا ان الفريق الثاني اضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدريجا من الاسهل الى الاصعب
وانما ابتدا بقصه ابرهيم صلوات الرحمن عليه لانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وكمال دينه فكانه قال لهم ان كنتم مقلدين
فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلايل التي ذكرها على ابيه والمراد بذكر الرسول اياه
في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله اذ قال بدل
من ابراهيم وما بينهما اعتراض ولمكان هذا الاعتراض صار الوقف على ابرهيم مطلقا وجوز في الكشاف ان يتعلق اذ بكان
او صديقا نبيا اي كان جامعا لخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات والصديق من ابنيه المبالغة
فهو اما مبالغة صادق لان ملاك امر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا ايضا
بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه فالحاصل انه كان صادقا جدا في
اقواله مصدقا لجميع من تقدمه من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله وعند الناس بحيث جعله
واسطه بينه وبين عباده قيل ان كان بمعنى صار والاصح انه بمعنى الثبوت والاستمرار اي انه لم يزل موصوفا بالصدق
وبالنبوة في الاوقات الممكن له ذلك فيها والتا في يا ابت عوض من يا الاضافة وقد مر في اول سورة يوسف اورد على
ابيه الدلايل والنصايح وصدر كلامها بالندا المتضمن بالرفق واللين واستماله لقلب ابيه وامتثالا لامر ربه على ما روى ابو هريرة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوحى الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل الابرار فان كلمتي سبقت
لمن حسن خلقه واظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري فقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر منفي المفعول
لا منويه فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصوفه اي الذي لا يسمع او معبودا لا يسمع وشيا مفعول
به من قولهم اغن عني وجهك اي ادفعه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اي شيا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين
السابقين اي لا يسمع شيا من السماع الى اخره وحاصل الدليل ان العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الا اشرف الموجودات لانه ا
وهو الجماد غاية عند لهم عن ذلك حتى انها تماثيل اشيا يتقربون بها ورفعها او صورها كالكواكب وغيرها فيقال لهم الذين من الكواكب وساير
الممكنات ينتهي في الاحتياج الى واجب الوجود فاذا جعل شي من هذه الاشيا معبودا فقد شورك الممكن والواجب في نهاية
التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسايط من البين ادخل في الاخلاص واقرب الى المخلص وقوله يا ابت اني قد جاء
تنبيه ونصيحة وفيه ان هذا العلم تجدد له حصوله فيكون اقرب الى التصديق وفي قوله من العلم ما لم ياتك فايدة انه لم يسم اباه
بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق ولكنه قال ان معي طايفة من العلم ليست معك فلا تتكلف وهب انا في مفازة وعندي معرفة
بالدلالة دونك فاتبعني اهدك صراطا سويا مرديا الى المقصود وهو صلاح المعاش والمعاد استدل ارباب التعليم بالاية
فانه لا بد من الاتباع واجيب بانه لا يلزم من اتباع النبي اتباع غيره والانصاف ان هذا الطريق اسهل ثم اكد المعنى المذكور بنصيحة اخرى
عما هو عليه قايلا يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فان عبادة الاصنام هي طاعة الشيطان ثم اسقط حصة نفسه اذ لم
يقل ان الشيطان عدو لبني ادم بل قدم حق ربه فقال ان الشيطان كان للرحمن عصيا حين ترك امره بالسجود عنادا واستكبارا الا انيانا
وخطانبه بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وان الرحمن مصدر كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع
اللغوي وهذا القدر من التنبيه كاف لمن تامل وانصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال يا ابت اني اخاف وفيه مع التخويف من
سوء العاقبة انواع من الادب اذ ذكر الخوف والمس وتنكير العذاب قال الفرا معنى اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره لان
ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن جازما بموت ابيه على الكفر والا لم يشتغل بنصيحه والخوف على الغير يعني وصول الضرر اليه ذلك
الغير مع انه لم يخل فيه من ذلك كما قال انا خايف على ولدي وذكروا في الولي وجوها منها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان
في النار واللعنة ولعنه سبب الولاية او مسببها غالبا واطلاق احدهما على الاخر مجاز وليس هناك ولايه حقيقة لقوله الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو اني كفرت بما اشركتمون من قبل ومنها ان حمل العذاب على الخذلان ومنها ان الولي بمعنى التالي والتابع
قال جار الله جعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليايه اكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان في مقابلة رضي
الرحمن وقال عز من قايل ورضوان من الله اكبر واذا كان رضوان الله اكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان اعظم من عذاب النار ثم ان
الشيخ قابل ملاطفات ابرهيم بالفظاظة والغلظ قايلا اراغب انت عن الهتي فقدم الخبر على المبتدا اشعارا بانه عنده اعنى وفي
هذا الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهيته وفي قوله يا ابرهيم دون ان يقول يا بني في مقابله يا ابت تهاون
به فكيف لا وقد صرح بالاهانه قايلا لئن لم تنته لارجمنك باللسان اي لاشتمنك وباليد اي لاقتلنك واصله الرمي بالرجام
ثم هيهنا اضمار اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او اراد مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل ان
اثخنك بالضرب فلما راى ابرهيم اصرار ابيه على التمرد والجهالة قال سلام عليك يعني سلام توديع ومتاركة كقوله واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وفيه ان متاركة المنصوح اذا ظهر منه اثار اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل ان يكون قد دعا له بالسلامة
استمالة له ورفقا به بدليل قوله ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف وقد مر في اخر الاعراف احتج
بالاية بعض من طعن في عصمة الانبياء قال لانه استغفر لابيه الكافر وهو منهي عنه لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية ولقوله في الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو لم يكن
هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التاسي به والجواب لعل ابراهيم صلوات الرحمن عليه لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بتعذيب
الكافر او لعل هذا الفعل منه من باب ترك الاولى ولعل الاستغفار بمعنى الاستبطاء كقوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا
يرجون ايام الله والمعنى ساسال ربي ان لا يخزيك بكفرك ما دمت حيا والجواب في الحقيقة ما مر في اخر سورة التوبة في قوله
عز من قايل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمنع من التاسي لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار
مع ذلك الشرط كان من خصايصه كما ان كثيرا من الامور كانت مباحه للرسول صلى الله عليه وسلم وهي محرمة علينا ثم صرح بما
تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال واعتزلكم اي هاجر الى الشام واعتزل ما تدعون اي تعبدون من دون الله فقد يعبر
بالدعا عن العبادة والدعا كما يجي في سورة الشعرا وفي قوله عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا تعريض بشقاوتهم بدعا الهتهم

وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد من لفظه عسى قال العلماء ما خسر على الله احد فان ابراهيم لما ترك اباه الكافر و
قومه فرارا بدينه عوضه الله اولادا مومنين انبيا وذلك قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم
شيا من رحمتنا عن الحسن هي النبوة وعن الكلبي المال والولد والاظهر انها عامة في كل خير وديني ولسان الصدق الثنا الحسن
عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهي العطيه وقد مر تحقيق الاضافة في اول يونس في قوله قدم صدق وبر ابرهيم
من ابيه ابتغاء مرضاة الله فسماه الله ابا المومنين مله ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم واسلم نفسه الى
العالمين فجعل النار عليه بردا وسلاما واشفق على هذه الامه فقال وابعث فيهم رسولا فاشركه الله في الصلوة على النبي في
الصلوات الخمس ووفى في حق سارة كما قال تعالى وابراهيم الذي وفى فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى و
عادى كل الخلق في الله حين قال انهم عدو لي الا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم قفى قصة ابراهيم بقصة موسى لانه
تلوه في الشرف والمخلص بكسر اللام الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء واخلص وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله وكان
رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبي عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم
قبل الاخص الا ان رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله في طه برب هرون وموسى الايمن من اليمين اى من ناحية اليمين
من موسى او هو من اليمن صفة للطور او الجانب وقربنا ه حال كونه نجيا اى مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب
بعض الملوك واحدا من ندمايه للمناجاة والمسارة وعن ابي العاليه ان التقريب حتى قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت
به التورية والاول اظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب وللملائكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا فيكون اخاه بدلا وهرون
عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وعيا خالا من هرون قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى فيصرف الهبة الى
معاضدته ومؤازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون خص اسمعيل بن ابراهيم بصدق الوعد وان
كان الانبيا كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله والناس لانه المشهور والمتواصف من خصاله من ذلك انه وعد نفسه الصبر على الذبح
فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واعد رجلا
ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعاده الى اى وقت ينتظره فقال
اذا واعده في وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى وكان يبدا باهله بالامر في بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة
لغيرهم ولان الابتداء في الاحسان الديني والدنيوي بمن هو اقرب قوا انفسكم واهليكم نارا وابدا بمن تعول ويحسن ان يقال اهله امته
كلهم اقاربا وا اباعد من حيث انه يلزمه في جميعهم ما يلزم المرء في اهله خاصة من قضاء حقوق النصيحة والشفقة ورعاية
مصالحهم الدينيه والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلوة والصلوات المفروضة والمندوب كصلوة التهجد وغيرها
واما الزكوة فالاقرب انها الصدقة المفروضه وعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص لان فاعلها يزكو بها عند الله واما
ادريس فالاصح انه اسم اعجمي بدليل منع الصرف كما مر مرارا في ادم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته لكتاب
الله ولعل معناه بالاعجميه قريب من الدراسه فظنه القايل مشتقا منها وفي رفعه اقوال منها ان المكان العلي شرف
النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثون صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب
ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه اخنوخ من اجداد نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس
ولهم تمودان في استخراج طوالع المواليد ينسبونه اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى الجنة وهو حي لم يمت وقال الخرون
رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس انه كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل له من الملائكة فساله ان يكلم
ملك الموت حتى يوخر في قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان في السماء الرابعة اذا بملك الموت يقول
ابعثت لاقبض روح ادريس في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فراه ملك الموت فقبض
روحه هناك وعن ابن عباس ايضا انه رفع الى السماء السادسه وعن الحسن المراد انه رفع الى الجنة ولا شي اعلى منها اولئك
المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم الذين انعم الله عليهم من النبيين من البيان لان جميع الانبياء منعم عليهم من ذريه
ادم من للتبعيض وكذا في قوله وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل والمراد بمن هو من ذرية ادم ادريس لقربه منه و
بذريه من حمل مع نوح ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابراهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا
ويحيى وعيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفي هذا الترتيب تنبيه على ان هولاء
الانبياء اجتمع لهم مع كمال الاحساب شرف الانساب وان جميع ذلك بواسطه هداية الله وتيسيره اجتبائه واصطفائه
ثم ان جعلت الذين خبر الاولئك كان اذا تلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت في الوقوف سائر

الوجوه من قرا يتلى بالتذكير فلان تانيث الايات غير حقيقي والفاصل حاصل والبكي جمع باك نحو كسجود في ساجد ابدلت
الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها للمناسبة ومن زعم انه مصدر فقد سها لانه قرنه سجدا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو مسلم اراد بالايات التي فيها ذكر العذاب وقال غيره اطلاق الايات والحديث
المذكور يدل على العموم لان كل اية اذا افكر فيها المفكر صح ان يسجد عنده ويبكي قلت لعل المراد بايات الله ما خصهم الله تعالى
به من كتب المنزله لان القران حينئذ لم يكن منزلا فاختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلوة وقيل
سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا به ويحتمل انهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان في حال خرورة
لا يكون ساجدا والمراد ح وانتهيهم للسجود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القران نزل بحزن فاقرؤه بحزن وعن ابن عباس
اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وقال العلماء يدعو في سجدة التلاوة
بما يليق باياتها فان قراية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من
المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قراها في هذه السورة قال اللهم
اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك ولما مدح هولاء الانبياء ترغيبا لغيرهم
في سيرتهم وصف اضدادهم تنفيرا للناس عن طريقتهم فقال فخلف من بعدهم خلف وهو عقب السوء كما مر في اخر الاعراف فاضاعوا
الصلوة في مقابلة الخروا سجدا واتباع الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا
نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم النخعي ومجاهد اضاعوا اخروها بالتاخير وعن علي كرم الله وجهه في قوله واتبعوا الشهوات من
بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة فسوف يلقون غيا قال جار الله كل شر عند العرب
غي وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف اى جزاء غي كقوله يلق اثاما اى مجازاة اثام وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه
اوديتها احتج بعضهم بقوله الا من تاب وامن على ان تارك الصلوة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب انه اذا كان المذكورون
هم الكفرة او اليهود كما روينا عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتجت الاشاعره في ان العمل ليس من الايمان لان العطف دليل
التغاير واجاب الكلبي بانه عطف الايمان على التوبه مع انها من الايمان ومنع من ان التوبة من الايمان ولكنها شرطه لانها الترك
على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف ههنا وقال في الفرقان وعمل عملا صالحا لانه اوجز في ذكر المعاصي فاوجز
في التوبة واطال هناك فاطال وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره وامن ولم يدخل بعد وقت الصلوة او كانت المراة
حائضا ثم مات فهو من اهل النجاة مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيا لا ينقصون شيا من جزاء اعمالهم بل يضاعف لهم
تنبيها على ان تقدم الكفر لا يضرهم بعد ان يتوبوا ويحتمل ان ينتصب شيا على المصدر اى شيا من الظلم ومعنى جنات عدن
قد عرف في سورة التوبه في قوله ومساكن طيبة في جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام على خلاف ما عليه جنات
الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها ويحتمل انتصابها على الاختصاص وكذا انتصاب التي قال جار الله
عدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة وهو علم الارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل
من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي ومعنى بالغيب مع الغيبة اى وعدها وهي غايبة عنهم غير حاضرة او هم غايبون
عنها لا يشاهدونها او الباء للسببية اى وعدها عباده بسبب تصديق الغيب والايمان خلاف حال المنافقين وقوله
انه كان وعده ماتيا الاول انسب وهو مفعول بمعنى فاعل وهو اصله لان ما اتاك فقد اتيته وجوز في الكشاف ان يكون
من قولك اتى اليك احسانا اى كان وعده مفعولا منجزا قوله الا سلاما استثناء متصل على التاويل لان اللغو فضول الكلام وما
طال بحثه كما تقدم في يمين اللغو في البقرة وفي المايدة اى ان كان تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون
اللغو الا ذلك كقولهم عتابك السيف واستثناء منقطع اى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصه ويجوز
ان يكون متصلا بنا وقيل اخر وهو ان معنى السلام الدعاء بالسلامة واهل دار السلام على الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من
باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فايدة الاكرام وفي الايه تنبيه ظاهر على وجوب انتفاء اللغو حيث نزه الله عنه الدار
التي لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما احبوه في الدنيا فلذلك اساور من الذهب والفضه ولبس الحرير التي
كانت للعجم والارايك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف اليمن ولا شي كان احب الى العرب من الغدا والعشا
لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك فايلا ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل
ولا نهار ولكن على التقدير اى يكون على مقدار الغداة الى العشي وقيل اراد دوام الرزق كما يقول انا عنده فلان صباحا ومساء يريد الدوام
ولا نقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التي نورث كقوله في الاعراف ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها وهي استعارة

اى يبقى عليه الجنة على الوارث مال الموروث منه قال القاضي في الاية ولا تدل على ان الجنة تختص بدخولها من كان تقيا غير
مرتكب للكبائر واجيب بمنع الاختصاص وبانه تصدق على صاحب الكبيرة انه اتقى الكفر تشبث ههنا ان قوله تلك الجنة
التي نورث كلام الله وقوله بعده وما نتنزل الا بامر ربك كلام غير الله فما وجه العطف بينهما واجيب بانه اذا كانت القرينة ظاهرة
لم يقبح قوله وما نتنزل الا بامر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول كما روي ان قريشا بعثت
خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهل يجدونه في كتابهم فسألوا النصارى فزعموا
انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده في كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رحمن اليمامة عن خصال ثلث فلم يعرف فسألوه عنهن
فان اخبركم بخصلتين منهما فاتبعوه فسألوه عن فتية اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم
الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة
وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطأت علي حتى ساء ظني
واشتقت اليك قال كنت اشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله الاية وانزل قوله ولا
تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا وسورة الضحى ومعنى التنزل ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل اى نزولنا في الاحايين
وقتا غب وقت ليس الا بامر الله عز وجل ثم اكد جبرئيل ما ذكره بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا من الجهات والاماكن او من
الازمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من المكان او الزمان الذي نحن فيه فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة او من
زمان الى زمان الا بامر ربك ومشيئته وقيل له ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وهو ما بين
النفختين اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها او ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض
التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وبين السماء والارض وعلى الاقوال والمراد انه المحيط بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا
يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل الا بامره وقال ابو مسلم في وجه النظم ان قوله وما نتنزل من قول اهل الجنة لمن
يحضرهم اى ما ننزل الجنة الا بامر ربك اما قوله وما كان ربك نسيا فعلى القول الاول معناه انه ما كان امتناع النزول
الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياك كقوله ما ودعك ربك وما قلى وعلى غير قول ابي مسلم هو تاكيد لاحاطته تعالى بجميع
الاشياء وانه لا يجوز عليه ان يسهو عن شيء ما البتة وعلى قول ابي مسلم المراد انه ليس ناسيا لاعمال العاملين فيثيب كلا منهم
بحسب عمله فيكون من تتمة حكاية قول اهل الجنة او ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله رب السموات
والارض اى هو ربهما وما بينهما فاعبده الفاء للتسبيب لانه كونه رب العالمين سبب موجب لان نعبده واصطبر لعبادة
ولم يقل على عبادته لانه جعل العبادة بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى وجد الاصطبار لاجل مشاقه
ثم اكد وجوب عبادته بقوله هل تعلم له سميا اى ليس له مثل ونظير حتى لا يخلص العبادة له وان عدم النظير لا بد ان
يصبر على مواجب ارادته وتكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل المراد انه لا شريك له في اسمه
وبانه من وجهين احدهما انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا انهم لم يطلقوا لفظ الله على من سواه وعن ابن
عباس المراد لا يسمى بالرحمن غيره قلت وهذا صحيح ولعله هو السر في انه لم يكرر لفظ الرحمن في سورة تكريره في هذه السورة
وثانيهما هل تعلم من سمي باسم على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل كلا تسمية التأويل واذكر في الكتاب
الا ان ابرهيم القلب انه كان صديقا للتصديق ثلث مراتب صادق صدق في اقواله وصدوق صدق في اخلاقه قولا وفعلا له
وصديق صدق في قيامه مع الله بالله في الله وهو الفاني عن نفسه الباقي بربه اذ قال لابيه الروح الذي يعبد صنم
الدنيا بتبعية النفس قد جاءني من العلم اللدني ما لم يأتك لما ذكرنا ان القلب للفيض الالهي اقبل من الروح كالمراة فانها
يقبل النور لصفائها وينعكس عنها لكثافتها وصفائها ووهبنا له اسحق السر ويعقوب الخفي وناديناه من جانب الطور لا
اسمعنا موسى القلب من جانب الطور الروح لا من جانب وادي النفس الذي هو على الشر وكان يامر اهله اى الجسم والنفس والقلب
والروح بالصلوة ليتوجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالزكوة اى تزكية كل واحد منهم من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا
في مقعد صدق عند مليك مقتدر خروا بقلوبهم على عتبة العبودية سجدا بالتسليم للاحكام الازلية وبكيا ببكاء الشمع
بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة عباده بالغيب اى بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم هو رؤية الله على ما جاء في الحديث واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة
وعشيا وما نتنزل الا بامر ربك المقدور في علم الله تنادي اهل العزم من سرادقات العزة ان يا اهل الطبيعة افيقوا من الملهيات
فانا ما نتنزل من عالم الغيب الا بامر ربنا وما كان ربك نسيا يحتاج الى تذكير متمن بل هو رب سموات الارواح وارض الاجساد وما

بينهما من النفوس والقلوب والاسرار فاعبده باركان الشريعة بجسدك وباداب الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا و
الاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء بروحك وبسرك هل تعلم له نظيرا في المحسوسة اليك

ويقول الانسان ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا ۝ اولا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ۝ فوربك لنحشرنهم والشياطين
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ۝ ثم لننزعن من كل شيعة ايهم
اشد على الرحمن عتيا ۝ ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ۝ وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ۝ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا ۝ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا
للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ۝ وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا ورئيا ۝ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا ۝ حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون
من هو شر مكانا واضعف جندا ۝ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ۝ افرايت الذي
كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا ۝ اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن
عهدا ۝ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ۝ ونرثه ما
يقول وياتينا فردا ۝ واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ۝
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ۝ الم تر انا
ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ۝ فلا تعجل عليهم انما
نعد لهم عدا ۝ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ۝ ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا ۝ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن

عهدا ۞ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ۞ لقد جئتم شيئا ادا ۞ تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ۞ ان دعوا للرحمن
ولدا ۞ وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ۞ ان كل من في السموات و
الارض الا اتي الرحمن عبدا ۞ لقد احصيهم وعدهم عدا ۞ وكلهم
اتيه يوم القيمة فردا ۞ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا ۞ فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به
قوما لدا ۞ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا

القراءة اذا شل انكم في الانعام يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم وسهل وروح والمعدل عن زيد الاخرون بالتشديد
الذال من التذكير معنا ما ينجي من الانجاء علي وروح والمعدل عن زيد الاخرون بالتشديد خير امقاما بضم الميم ابن كثير الباقون بفتحها
ورئيا بالتشديد ابو جعفر ونافع غير ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة ايضا بالهمزة في الوقف ليدل على
اصل اللغة الاخرون بهمزة بعد الياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلي الاخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلي
ينفطرن من الانفطار ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والخزاز عن هبيرة الباقون
يتفطرن من التفطر **الوقوف** جثيا ۞ للاية وللعطف عتيا ۞ لذلك صليا ۞ واردها ۞ لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى مقضيا ۞ لتقرير النجاة من الورود مع ان ثم لترتيب الاخبار جثيا ۞ امنوا ۞ لان ما بعدها معمول قال نديا ۞ ورئيا ۞ مدا ۞ لانحق
لانتهاء مدة الضلالة او لابتداء الروية وجواب اذا محذوف وهو امنوا الساعة ۞ لابتداء التهديد جندا ۞ هدى ۞ مردا ۞ وولدا ۞ لابتداء
الاستفهام التعجب عهدا ۞ للردع كلا ۞ مدا ۞ للعطف فردا ۞ لضعف الجر وعزا ۞ كلا ۞ ضدا ۞ ازا ۞ للتعجيل عليهم عدا ۞ وفدا ۞ وردا ۞ لئلا
يشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ۞ حذرا من ايهام العطف ولدا ادا ۞ لان ما بعده صفة هذا الاتي التقدير لان دعوا ولدا ۞ لاحتمال بعده الحال
والاستيناف ولدا عبدا ۞ فردا ۞ ودا ۞ لدا ۞ من قرن ركزا ۞ **التفسير** لما امر نبيه وامته بالتبعية ان يعبدوا الله ويصطبروا لعبادته
كان المنكر ان يعترض بان هذه العبادات لا منفعة لها في الدنيا لانها مشقة ولا في الاخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى خالقها
فلاجرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال ويقول الانسان وهو الجنس لان هذا الاستغراب مركوز في الطباع قبل النظر في الدليل
ولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى جميع نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم
وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو ابو جهل او ابي بن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة وانتصب اذا بفعل مضمر يدل عليه
اخرج المذكور ولا ينتصب به لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين
لام الابتداء المفيدة لمعنى الحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التاكيد كما خلصت الهمزة في الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف
وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا مستنكرين احقا انا سنخرج احياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج
من حال الفناء او البر وزمن قولهم خرج فلان من ماله اذا كان نادرا في العلم فكانه قال على سبيل الهزء ساخرج حيا نادرا وانما قدم الظرف
واولى حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت وهو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك للمسيء اساليء اليه محسنه احين تمت عليك
نعمة فلان اساءت اليه ولان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر ولم يذكر النشاة الاولى قال سبحانه منبها على ذلك
او لا يذكر من الاضمار تقديره ايقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله ان الواو عطفت لا يذكر على يقول في قوله ويقول الانسان ووسطت
همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو جمعت الخلايق على ايراد حجة في البعث اخرى من هذه لم يقدروا عليها
لان خلق الذات مع الصفات اصعب من تغيير الذات في اطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع شكور عنه عمل الاناة الاولى لم يستقر بعد في
خزانة خياله والشيء فما استقر وارتسم واستقر وثبت له مثال واحتذاء ذا كان الحال لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل كما لك فا

الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على مجرد تعلق الارادة الازلية به وفي قوله ولم يك شيئا بحث قد مر في اول السورة مثله وقد
نبه على النكتة الضرورية لكنها بالاقسام فانه لا فوربك لنحشرنهم الفا للاستيناف وهو يفيد الاعراض عنه قصه والشروع في
اخرى عقيبها والواو للقسم وشرفنا المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه واضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه
وسلم باجماع المفسرين تفخيم لشانه ورفع من مقداره والواو في والشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كل كافر مقرون
مع شيطانه في سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى
منكري البعث فقط فلا اشكال وكذا في قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثاة على الركب غير مشاة على اقدامهم لما ادهشهم من
شدة الاحوال التي لا يطيقون معها القيام على الارجل او هو على العادة المعهودة في مواقف مطالبات الملوك ومقاولاتهم ثم لننزعن
لنميزن من كل شيعة طائفة شاعت اي تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسير من في الانعام ايهم اشد قرئ بالنصب وهو
ظاهر والمعتبرون على الضم فذهب سيبويه الى انها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين احدهما اعراب اي مع ان من
الموصول ان يبنى والاخر حذف المبتدأ مع ان الاصل فيه ان يكون مذكورا والتقدير ايهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة
ولكنها لم تنصب على ان يكون مفعول لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية اي من كل شيعة مقول فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة
مفعول لننزعن كقولك اكلت من كل طعام اي بعضا من كل ويجوز ان يقدر لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد قال سيبويه لو جاز ضرب
ايهم افضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث اي الذي يقال له الفاسق الخبيث وهذا بابه خلما ايضا راليه في سعة الكلام ومذهب
يونس في مثله ان الفعل الذي قبل اي متعلق عن العمل ويجب التعليق في غير افعال القلوب ثم ان علقت قوله على الرحمن باشد فكونهم
هو اشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله والوجه ان يقال انه
بيان للمحذوف فكانه سئل على من عتوه على من قيل على الرحمن وكذا الكلام في قوله اولى بها صليا تعلق الجار والمجرور وربما قيل من غير تاويل
او بصليا على التاويل صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا اذا احترق الخبر ولانه تميز من كل قوم ضلالة من هو اصل ثم بين بقوله ثم
لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا انه يطرحهم اي اهل الضلال البعيد في النار على الترتيب يقدم بالعذاب فالاولى ولا ريب ان الضال
المضل يكون اولى بالتقديم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين في شدة ويجوز ان يراد بالذين
هم اولى المنتزعون كانه قال ثم لنحن اعلم بتصليه هؤلاء وايهم اولى بالصلى لكونهم دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير
التفات او للانسان المذكور فيكون التفاتا او على التقدير فان اريد الجنس كله لم يكن في قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها
جثيا اشكال ولكنه يشكل بان المؤمنين كيف يردون النار واجيب بما روي عن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه و
سلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة
وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما
كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عباس يردونها كانها اهالة
ومنهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ومعلوم انه
موسى لم يدخل الماء ولكنه قرب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه والمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود و
الحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده في الدنيا قال صلى الله عليه وسلم الحمى
من فيح جهنم وفي رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار واذا اريد بالناس او بالانسان الكفرة فلا اشكال في ورودهم النار ولكنه لا
يطابقه قوله ثم ننجي الذين اتقوا واجيب بانه اراد ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لانهم يواردونهم ثم يتخلصون
اسوله كيف يندفع عنهم ضرر النار عن من فسر الورود بالدخول زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون في خلالها
مواضع خالية عن النار اشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك المواضع والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق
بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير ولهذا لا يضر النار الملائكة الموكلين بالعذاب ما الفائدة في ايراد المؤمنين النار اذا لم يعذبوا
بها فيه وجوه منها ان يزدادوا سرورا اذا علموا الخلاص منها ومنها افتضاح الكافرين اذا اطلع المؤمنون عليهم ومنها ان المؤمنين
يوبخون الكفار ويسخرون منهم كما سخروا في الدنيا ومنها ان يزداد التذاذهم بالجنة فبضدها تتبين الاشياء هل يثبت في الاخبار كيفية
دخول النار ثم خروج المتقين منها قد ثبت ان المحاسبة تكون في الارض او في موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض
وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء فالاجتماع يكون في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل
الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على راي الفلاسفة الاسلاميين ظاهر فالمحاسبة تكون في الارض ومرور الكل يكون على كرة
النار ثم يرفع اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله كان اي الورود على ربك حتما اي محتوما مصدر بمعنى المفعول

مقتضيا فمن به وعدم على ان يكون غيره وذلك ان المعبود من جميع الجوانب على كرة النار واحتجت المعتزلة بذلك على
ان العقاب واجب على الله عقلا وقالت الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد سبق ان المتقى
عند المعتزلة من يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالاية قاعدة القائل بمنزلة بين
المنزلتين واجيب بان تنجيه المتقين اعم من ان يكون الى الجنة او الى غيرها وحيان بنجيهم الى الجنة الا ان الذي طاعته
ومعصيته سيان غير داخل في المتقين ولا في الظالمين يبقى حكمه مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك في الوعيد بقوله
ونذر الظالمين ومنع من ان الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بايات الوعيد لما ورد على منكري البعث وفي كيفية الحشر
قال اذا تتلى عليهم اياتنا الاية والمراد انهم عارضوا حجة الله بكلام اعور فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في
الدنيا اطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق ان يهين اولياءه ويعز اعداءه ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم و
يدهنون ويطيبون ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله عز وجل منهم قال جار الله معنى بينات
مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات وتبيين الرسول
قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين وعلى التقادير يكون حالا مؤكدة كقوله و
هو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون الا بهذه الاوصاف ومعنى الذين امنوا انهم يخاطبونهم بذلك ويفوهون به لاجلهم
وفي شانهم والمقام بالضم موضع الاقامة اي المنزل وبالفتح موضع القيام والندي المجلس ومجمع القوم حيث ينتدون و
قوله اي الفريقين يعني المؤمنين بالايات والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم المقصود بحث او فرحا على ما يظهر
منا في احوال قيامنا وقعودنا وحسن الحال في الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة وضده امارة على النقص والضعة فاجابهم
الله تعالى بقوله وكم اهلكنا اي كثيرا من المرات اهلكنا قبلهم اهل عصر فمن بيان للمهلك ويجوز ان يكون زائدة للتاكيد وكم
استفهامية للتقرير والتكثير او خبرية عند من يجوز زيادتها في الموجب وهو احسن في محل النصب صفة لكم او الخبر صفة قرن
والاثاث متاع البيت وقد مر في النحل قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري من همز ريا جعله من رايت وهو ما راته العين
من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمز فاما ان يكون على تخفيف الهمزة اي قلب الهمزة ياء وادغم ان يكون من رويت الوانهم وجلودهم
ريا اي امتلات وحسنت قال جار الله الزي هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمز قبله ياء على القلب كقولهم راء في راى
وقرا بالراء المنقوطة واشتقاقه من الري بالفتح وهو الجمع لان الذي محاسن مجموعة وفي الاية حذف والتقدير احسن من هولاء و
الحاصل انه تعالى اهلك من كان اكثر مالا وجمالا منهم وذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهي ان كل من وجد الدنيا كان حبيبا
لله او على فساد المقدمة الاخرى وهي ان كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل اليه غما ثم بين ان مال الضال الى الخزي والنكال وان طالت
مدة تمتعه وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر يخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال وانه مفعول لا محالة لينقطع معاذير
الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او ليزدادوا اثما كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او هو في معنى
الدعاء بان يمهله الله عز وجل وينفس مدة حياته والغاية احد الامرين المذكورين اي انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى
اذا راوا فقد قال في الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اي الفريقين الى اخره وما بينهما اعتراض اي قالوا
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى ان
يشاهدوا الموعود اي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر وتغير احوالهم من العز الى الذل ومن
الغنى الى الفقر واما يوم القيامة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالتهم وسوء مقالتهم الى ان يعاينوا
عذاب الدنيا او الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة قولهم خير مقاما واحسن
نديا لان مقامهم هو مكانهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر شر
مكان في الدنيا ومكان عذاب النار شر مكان في الاخرة ولا شك ايضا انه لو كان لهم في الموقفين ناصر قوي يخلصهم من الخزي و
النكال لحماهم وحين بين حال اهل الضلالة اراد ان يبين حال اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض
الهدى يجر الى البعض لاجل الايمان او يجر الى الاخلاص فيه كما ان بعض الغواية يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات
المرتبة على الايمان والوارد في ويزيد الاستيناف وقد تكلف جار الله فقال انه عطف على معنى فليمدد اي يزيد في ضلال الضال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر في سورة الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون بجميع الاعمال الصالحة
الموصلة الى السعادات الباقيات طرحا لبعضهم بما هي اعظم ثوابا كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير يقتضي ان يكون شيء
له في اصل الخير ويكون هذا خيرا منه فان قيل وذلك شيء قيل خير من كبعض الاعمال الدنيوية المباحة او كما بين الاعمال الصالحة
عند من خير الباقيات بمعنى احسن فظاهر انها خير ثوابا وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم هل هذا بالامر مردا
وان قد زاد لك شيئا لا ثواب فيه ولا خير ثم كما زعم جار الله ان المراد هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على
عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويكون وجه التفضيل في الخير ما قيل في قولهم الصيف
احر من الشتاء اي هو ابلغ في حره من الشتاء في برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها قائلا على سبيل التعجب افرايت كانه قال
اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وانما استعملوا ارايت بمعنى اخبر لان رؤية الشيء من اسباب صحة
الخبر عنه عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال الخباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته
وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني
اوتى بالا وولدا حينئذ من قرا ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرا بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب
والعرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اي ارتقى الى اعلاه ولاختيار هذه الكلمة شان كانه قال
او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي تفرد به علام الغيوب ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبي هل عهد الله اليه
ان يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة كلا ردع وتنبيه على
الخطا فيما تصوره لنفسه وتمناه وفي قوله سنكتب بيان التسويف مع ان الحفظة يكتبون ما قاله في الحال دليل على ان السين
جرد ههنا بمعنى الوعيد واراد سنظهر له بالكتابة التعذيب والانتصار ويؤيده قوله ونمد له اي نطول له من العذاب ما يستاهله
ولما له من المستهزئين او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد مدا وامده بمعنى ثم اكد المدد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب
اعاذنا الله منه ثم اعكس استهزاءه بقوله ونرثه ما يقول اي ننزع عنه مسمى ما زعم انه ينال في الاخرة من المال والولد لانه تالى على
في قوله لاوتين ومن تالى على الله يكذبه لان ذلك غاية الجراة ونهاية التعجب فاما انه اشتهاه اما ترثه منه في العاقبة ويأتينا
غدا فردا بلا مال ولا ولد وكلام صاحب الكشاف في الوجهين محيط فليتامل فيه وكذا في قوله فردا على الاول حال مقدرة نحو ادخلوها
خالدين لانه وغيره سواء في ايتانه فرادى حين ياتي ثم يتفاوتون بعد ذلك لان الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول ولما انفراده فمحقق
في حالة الايتان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل في الايتان منفردا لا مدخل له في المقصود فلا ادري ما حمله على هذا
التكليف قال ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضنا حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا منفردا عنه غير قائل له او اراد
ان هذا القول لا ينساه ولا يلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا
من المال والولد لم يعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه خطبان تبعة قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد على منكري البعث شرع
في الرد على عبدة الاصنام فبين اولا غرضهم وذلك ان يتعززوا بالهتهم ويشفعوا ابتغاءهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر
عن مال حالهم بقوله سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملائكة كقوله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن واما الاصنام ولا يبعد ان ينطقها الله بذلك كقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين ثم لم تكن
فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اما الضمير في يكونون فللمعبودين وقوله عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا وضد العز
الذل والهوان كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويحتمل ان يراد بالضد العون لانه يضاد العدو ووحد لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم
وتواضعهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ومعنى كون الالهة اضدادا اي اعوانا عليهم انهم وقود النار وان المشركين
عذبوا بسبب عبادتها ويحتمل ان يكون الضمير في تكونون للمشركين اي يكون المشركون كفرة بالهتهم وعدا لها بعد ان كانوا يعبدونها
وحيث بين مذاهب الفرق والضالة اراد ان يبين منشاها فقال الم تر انا ارسلنا الاية والان الهز والتهييج قالت الاشاعرة
في الاية دلالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات لان قول القائل ارسلت فلانا على فلان يفيد انه سلطه عليه ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم سم الله وارسل كلبك عليه ويؤيده قوله تؤزهم اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم عليها بالوسواس والتسويلات
وقالت المعتزلة اراد بهذا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اذا لم تمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه وحاصل كلامهم انه ارسل
الانبياء وارسل الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين الا انه خص اولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا قول
الانبياء ومنع اعداءه تلك الالطاف وهو المسمى بالخذلان لانه قبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا لهلاك الكفار عدا
يعني لا باكي قلت لا يخفى ان استثناء الكل الى الله تعالى قرار الفريقين لعطى او قريب منه فلا تعجل عليهم يقال عجلت عليه بكذا
اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح انت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة قال ابن عباس نزلت في المستهزئين وهم خمسة رهط ومعناه انه كان اذا قراها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر
العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها

مدة فما اسرع ما تنفد وقال بعضهم شعر ان الحبيب من الاحباب مختلس ۞ لا يمنع الموت بواب ولا حرس ۞ فكيف تفرح في الدنيا وزينتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس ۞ لما قرر امر الحشر واجاب عن شبه منكريه اراد ان يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال يوم نحشر وانتصابه بمضمر متقدم او متاخر اي اذكر يوم كذا او يوم كذا وكذا نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز ان ينتصب بلا يملكون نحشر المتقين ما يحج الى محل كرامة الرحمن وافدين يقال وفد فلان على الامير وفادة اي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يحشرون بالله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ونسوق المجرمين بالسوق الى جهنم وردا اي واردا وهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كانهم نعم عطاش نساق الى الماء وقال جار الله لحقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قال بعض العلماء في الاية دلالة على ان اهوال يوم القيمة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فكيف بما لهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل ان يكون الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن اي الى دار كرامته سوقهم الى الجنة كقوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهذا بعد امتياز الفريقين والامن الكلي فيما عدا الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون ان يقول الينا من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسيم للتاويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم وفاعله من اتخذ على البدلية لانه في المعنى جمع ويجوز ان الواو علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز ان ينتصب من اتخذ على الاستثناء او على تقدير حذف المضاف اي الشفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة وقيل لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك غيرهم ان يشفعوا لهم والاتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وبكلمة الشهادة وحدها والاول يناسب اصول الاشاعرة وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني الى نفسي ولا تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز ان يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة المأذون له فيها كقوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله وحين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا من اليهود والنصارى والعرب ومنهم من خص الاية بالرد على العرب القائلين لان الملائكة بنات الله لان الرد على النصارى تقدم في اول السورة وفي قوله لقد جئتم التفات من الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخطه والادا الامر العجيب المنكر والتركيب يدور على الشدة والثقل ومنه ادت الناقة تؤد اذا رجعت الحنين في جوفها وقيل الفطر بالتخفيف اذا شقه مطاوعه انفطر وبالشد للتكثير ومطاوعه تفطر وهذا البناء اكثر وانتصب هدا على المصدر اما لان الخرور في معناه واما لان التقدير تهد هدا او على الحال اي مهدودة او على العلة اي لانها تهد ومحل ان دعوا اما مجرور بدلا من الهاء في منه واما منصوب بنزع الخافض اي هدا لان دعوا على الجر وراها البدا واما مرفوع بانه فاعل هدا اي هدها الدعاء وخير الوجوه اوسطها كما مر في الوقف والدعا اما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول تركا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي ولدا له واما بمعنى النسبة اي نسبوا الى الرحمن ولدا وما ينبغي لا يصح ولا يستقيم وهو في الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا يصير مطلوبا لانه محال اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن المختص به فليس اصول النعم وفروعها الا منه كما قيل لينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه وهذه من فوائد تكرير هذا الاسم في هذا المقام سؤال كيف توثر الكلمة المذكورة في الجمادات حتى تتفطر وتنشق وتخر اجيب بانه سبحانه كانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند دعائهم الولد لي غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي وهو يصبو ولا تؤثر هذه الكلمة في الدين او المراد ان هذا الاعتقاد يوجب ان لا يكون هذه الاجرام على ما نرى من العظام كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال ابو مسلم اراد ان هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل كادت تفعل ذلك ثم بين ان العابدين والمعبودين في السموات وفي الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا والاخرة فانه محيط بحد احوالهم وتفاصيلها فقال ان كل ان نافية اي ليس فرد من افراد الخلائق الا اتي الرحمن الا

وهو ملتجي الى ربوبيته مقر بعبوديته ثم اجمل حال المؤمنين بما لا مزيد عليه في باب الكرامة قائلا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير سبب من الاسباب المعهودة كقرابة او اصطناع وذلك كما يقذف في قلوب اعدائهم الرعب والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند ظهور الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الاية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في التورية لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القران سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن ابي مسلم ان المراد سيهب لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير وانما صار الى هذا القول لان المسلم المتقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون اكثر وقد يحصل مثل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرزوقين بميل الناس الى اختلاطهم ومحبتهم فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين وايضا ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله تعالى فحمل الكلام على اعطاء المنافع به اولى واجيب بان المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين ومثل هذه لا يحصل للكافر والفاسق فانه محمول على فضل الالطاف وخلق داعية اكرامه في قلوبهم ثم عظم شان ما في هذه السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة قائلا فانما يسرناه كانه قال بلغ هذا المنزل او بشر وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الالد الشديد الخصومة بالباطل كقوله الد الخصام في البقرة وهو الد الخصام يريد اهل مكة ثم ختم السورة بما هو نهاية في الانذار ونهاية في التخويف لانبائه عن انقضاء القرون الخالية بالفناء او بالافة بحيث لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع فيعلم منه ان مال الجيل الباقين ايضا الى ذلك فيجتهد ولي تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا همتهم الى ما هو بصدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفي وركز الرمح تغييب طرفه في الارض والركاز المال المدفون **التاويل** ويقول النفس الانسانية لجهلها بالحقائق اذا ما مت عن الصفات البشرية اخرج حيا بالصفات الروحانية لنحشرنهم والشياطين فلكل شخص قرين من الشيطان ثم لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو وارد هاوية الهوى بقدم الطبيعة حتما مقضيا لان حكمته الازلية اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوي والسفلي ثم ننجي الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة للوصول الى الحقيقة ايمانا من الحقائق والاسرار قال الذين كفروا ستروا الحق للذين امنوا تحقيقا وايقانا وكم اهلكنا بحب الدنيا والاغراق في بحر الشهوات و الاحراق بنار المناصب العرضيات اما العذاب وهو الموت على الانكار والغفلة واما الساعة وهي الامانة عن الصفات البشرية عند قيام قيامة الشوق والمحبة فسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقي من الايمان الى الايقان الى العيان ان دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا ان الرحمانية امهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا فالالوهية مقتضية لاعدامهم في الحال وكلهم اتيه يوم القيمة فردا عن مشيئته وارادته بخلافهم في الدنيا فانهم يظنون ان لهم ارادة واختيارا فانما يسرناه فيه انه لولا تيسير الله وراءته على قلب النبي والا كيف يسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلامه الازلية غير المتناهية وكم اهلكنا في تيه الضلالة او نسمع لهم ركزا بالثناء الحسن عليهم

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القران لتشقى ۞ الا تذكرة لمن يخشى ۞

تنزيلًا ممن خلق الارض والسموات العلى ● الرحمن على العرش استوى

له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى

وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ● الله لا اله الا هو له الاسما

الحسنى ● وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارًا فقال لاهله امكثوا

انى انست نارًا لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى ●

فلما اتيها نودى يا موسى ● انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد

المقدس طوى ● وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ● اننى انا الله لا اله

الا انا فاعبدنى واقم الصلوة لذكرى ● ان الساعة اتية اكاد

اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ● فلا يصدنك عنها من لا يؤمن

بها واتبع هواه فتردى ● وما تلك بيمينك يا موسى ● قال هى عصاى

اتوكؤا عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مارب اخرى ● قال

القها يا موسى ● فالقاها فاذا هى حية تسعى ● قال خذها ولا تخف

سنعيدها سيرتها الاولى ● واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء

من غير سوء اية اخرى ● لنريك من اياتنا الكبرى ● اذهب الى فرعون

انه طغى ● قال رب اشرح لى صدرى ● ويسر لى امرى ● واحلل عقدة من

لسانى ● يفقهوا قولى ● واجعل لى وزيرا من اهلى ● هرون اخى ● اشدد به

ازرى ● واشركه فى امرى ● كى نسبحك كثيرا ● ونذكرك كثيرا ●

انك كنت بنا بصيرا ● قال قد اوتيت سؤلك يا موسى

القراءة طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرا ابو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وفى الكشاف ان ابا عمرو فخم الطا لاستعلائها وامال الهاء والاخرون بتفخيمها لاهله امكثوا بضم الهاء وكذلك فى القصص حمزة انى انست انى انا الله بفتح ياء المتكلم فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير لعلى اتيكم بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير

وابو عمرو وابن عامر عن ابن مجاهد على النار هدى بامالة على غير ليث وابى حمدون وحمدويه وحمزة فى رواية ابن سعدان وابى عمرو والبخارى عن ورش وابو عمرو وغير ابراهيم بن حماد انى انا ربك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو ويزيد بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة وللمفضل لذكرى ان فى امرى عينى ادبرانى انى بفتح الياء ات ابو جعفر ونافع وابو عمرو ولى فيها بالفتح حفص والمفضل والاعشى والبرجمى والاصبهانى عن ورش بخير اخى اشدد بفتح اليا موصوله ابن كثير عن الخزاعى عن ابن فليح وابو عمرو واشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها على المتكلم ابن عامر الباقون بضم الاول وفتح الثانى على الامر سؤلك بالواو ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الاخرون بالهمزة الوقوف طه كوفى ومن قال معناه يا رجل ويا طالب ويا هادى لم يعف لتشقى لا للاستثنا يخشى بناء على ان اذ ظرف للاتيان هدى يا موسى فعليك للابتدا بان مع اتحاد المفعول طوى ط الا لمن قرا وانا اخترناك يوحى فاعبدنى للعطف لذكرى تسعى فتردى يا موسى عصاى لامكان ان يجعل اتوكؤا مستانفا او حالا والعامل اضمر واسترنا على انه بمعنى هذه اخرى يا موسى تسعى ولا تخف لحق السين الاولى اية اخرى لتعلق اللام الكبرى للاية والاستيناف بالامر على ان المقول متصل طغى صدرى امرى لسانى قولى لطول الكلام اهلى اخى لا لو قف لمن قرا اشدد بفتح الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح الياء فله الوصل ومن قرا اشدد بضم الهمزة فله الجواز لانسياق الدعاء على الدعاء بلا عاطف ازرى لتعلق كى كثيرا بصيرا يا موسى التفسير للمفسرين فى طه قولان احدهما انه من حروف التهجى وقد سلفنا البحث فى امثالها والذين زادوه ههنا امور منها قول الثعلبى طا شجرة طوبى والها الهاوية وكانه اقسم بالجنة والنار ومنها ما روى عن جعفر الصادق ان الطاء طهارة اهل البيت والهاء هدايتهم وقيل اراد يا طاهرا من الذنوب ويا هاديا الى علام الغيوب ومنها قول سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادى وقيل الطا تسعة فى الحساب والهاء خمسة ومعناه يا ايها البدر القول الثانى انه كلمة مفيدة ومعناها يا رجل مروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبى بلسان عك وهو عك بن عدنان اخو معد وهو اليوم فى اليمن وعن الحسن انبطه واصله طاء امرا بالوطى فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا ويؤكده ما روى انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمعدت قدماه اى تورمتا فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى لتهلك نفسك بالعبادة وتكتك بعثت بالحنيفية السهلة وعند الاكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وتحسرك على ان يؤمنوا والشقاء يجى فى معنى التعب ومنه المثل اشقى من رايض مهر وانعب وقيل ان ابا جهل والنضر بن حارث قالا له انك شقى لانك تركت دين ابائك فرد الله عليهم بان القران هو السبب فى نيل كل سعادة قال جار الله ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فقوله ما انزلنا ابتداء كلام وان جعلته اسما للسورة فمبتدا وما بعده خبره وقد اقيم الظاهر وهو القران مقام الضمير الرابط وان جعلته قسما فما بعده جوابه وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيه مع اللام لانه ليس فعلا للفاعل الفعل المعلل والثانى جاز قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن ان يحمل على الشقاوة ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى فيه الا بمعنى لكن وفى قوله لتشقى والا تذكرة وجه اخر وهو ما انزلنا عليك القران لتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة اى ما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ان يكون تنزيلا بدلا منها واذا كانت مفعولا لاجلها لم يجز ان يكون تنزيلا بدلا منها لان الشى لا يعلل بنفسه فالاقرب الا ميل بالتنزيل فى الظاهر ويجوز ان ينتصب تنزيلا بمضمر اى نزل تنزيلا او بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة او على المدح والاختصاص ويخشى مفعولا به اى انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل اى لمن يؤل امره الى الخشية لانه المنتفع به ومعنى كون القران تذكرة انه صلى الله عليه وسلم كان يعظهم به وبيانه ممن خلق متعلق بتنزيلا فيكون الظرف لغوا او بكاينا صفة له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا امور منها الافتنان فى الكلام على عادتهم ومنها تنسيق الصفات مع لفظ الغيبة ومنها التفخيم بالاسناد اولا الى ضمير المتكلم المطاع فى انزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل انزلنا حكاية كلام جبرئيل فلا التفات والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وفى وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها ويحصل منه تعظيم شان القران بالضرورة وعلى قدر المرسل يكون حال الرسالة ومنه قول الحكماء عقول الرجال تحت لسان اقلامهم وارتفع الرحمن على المدح على تقدير هو الرحمن او هو مبتدا مشار بلامه الى من خلق والبحث فى الاستواء على العرش من جانب المشبه والموحد تقدم مشبعا فى الانعام فى قوله وهو القاهر فوق عباده وفى الاعراف فى قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم اكد كمال ملكه

بقوله له ما في السموات الاية عن محمد بن كعب ان ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدى هو الصخرة التي تحت الارض
السابعة وقيل الثور او الحوت والتحقيق ان الثرى هو التراب الندى وهو ما جاوز البحر من جرم الارض فالذى تحته هو ما بقي من
جرم الارض الى المركز فيحتمل ان يكون هنالك اشيا لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب ان الكل لله سبحانه
ثم بين كمال علمه بقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى فالسر ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك ما اخطرته ببالك
السرّ هذا واخفى منه ما ستسره وقيل اخفى فعل ماض اى يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلم هو قلت هذا المعنى صحيح لانه
تعالى محيط بجميع الاشياء فلا يعزب عنه شي قط ولا يحيط بشي من الاشيا فلا يطلع على غيوبه احدا لا ان اللفظ يحصل فيه تشويش
اذا حمل على هذا التفسير فلهذا قال صاحب الكشاف وليس بذاك وكيف طابق الجزا الجزاء اجيب بان معناه ان يجهر بذكر الله من دعا
او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك واما ان يكون تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع
الله وانما هو لغرض اخر كان تقتدى غيره به ومن فوايدها لانه زجر المكلف عن القبايح ظاهرة كانت او باطنة وترغيبه في الطاعات
ظاهرة او باطنة وقد شرحنا شمة من حقيقة علمه تعالى في تفسير قوله وعلم ادم الاسماء كلها وفي غير ذلك من المواضع المناسبة
فلنقتصر الان على ذلك ثم ذكر ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذى يستحق العبادة دون غيره
واعلم ان مراتب التوحيد اربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تاكيد ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث
مطلب واعلم ان مراتب التوحيد اربع
لا يدور في خاطره سوى الاحد الصمد والاول بدون الثاني نفاق والثاني بدون الاول غير مفيد الا اذا لم يجد مهلة كما اذا نظر وعرف
ذاك يروى ان ملك الموت مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى اذا راه المومن تذكر كلمة الشهادة فكيفية ذلك ويويده ما روى
انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان والثالث بدون الثالث ايمان المقلد وفيه خلاف
مشهور والاصح انه مقبول واما المقام الرابع فهو مقام الصديقين والخلص من عباد الله وابتداوه تفريق ونفض وترك ونهايته فض
على ما قرره المحققون ولحرف الفنا فيه قال النحويون لا اله الا الله وتقديره لا اله في الوجود الا الله وقال اهل العرفان معناه
لا اله في المكان الا الله روى ان موسى بن عمران قال يا رب علمني شيا اذكرك به قال قل لا اله الا الله قال كل عبادك يقول فقال
قل لا اله الا الله قال انما اردت شيا تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع ومن فوقهن في كفة لمالت بهن لا اله الا الله
والبحث عن اسماء الله تعالى قد سلف في تفسير البسملة وعن اسمايه الحسنى قد مر في اخر الاعراف في قوله ولله الاسماء الحسنى فاعلم
ان الموجودات على ثلاثة اقسام كامل لا يحتمل النقصان وهو الله تقدس وتعالى وناقص لا يحتمل الكمال سوى الصورة الكمالية التي جبل
عليها كسائر الانسان من المخلوقات وناقص يتقلب بين الامرين فتارة يصعد الى حيث يخبر عنه بانه في مقعد صدق عند مليك
مقتدر وتارة ينزل الى ان يقال له ثم رددناه اسفل سافلين والكمال بالحقيقة ما ليس في معرض الزوال فلا كمال في الصحة والجاه
والمال وانما الكمال في الانتساب الى الكبير المتعال وهو تحقيق نسبة العبد به المنبيه عن عزة الربوبية وكل منتسب الى بليا و
قبيلة فانه يبالغ في مدحها حتى يلزم مدحها بالعرض فيجب على المكلف ان يذكره بالاسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرف و
حسن ذكره الصاحب الاسم دليل وحسن المسما يدل على انه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الاحسان كما قيل يا حسن الوجه توق
الخنا لا تخلص الزين بالشين فيا حسن الاسماء والصفات لا يردنا عن خوان احسانك محرومين ذكر ان صيادا اصطاد سمكة وكانت
له بنت فاخذتها والقتها في البحر وقالت انها وقعت في الشبكة لانها غفلت الهنا تلك المراة رحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن
[illegible] محمد بن كعب القرظي موسى عليه السلام
قال الهى اى خلقك [illegible] قال الذى [illegible] قال ابى علمها اسد
قال الذي [illegible] على الناس [illegible] واى خلقك اعظم شانا قال الذى [illegible]
[illegible] فهو الاحسان فهو [illegible]
وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من اهل الكرم اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون
رقاب الناس ثم يقال اين الذين لا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادى مناد اين الحامدون الله على كل حال ثم يكون التبعة والحساب
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] موسى عليه السلام [illegible]

الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة جمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء
عنده وقدح فصلد زنده فراى نارا من جانب الطريق من بعيد قال السدى ظن انها من نيران الرعاة وقال اخرون انه راها في شجرة وخلقوا
ايضا في ان الذى راه كان نارا ام لا فقال لو الصحيح انه كان نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء ويمكن ان
يقال الاطلاق للفظ على ما يشبه مسماه ليس بكذب قيل النار اربعة اقسام نار تاكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تاكل وهي نار
الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تاكل وتشرب وهي نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وبعبارة اخرى نور بلا
حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الاشجار فقال لاهله امكثوا انما
جمع وهم المراة والخادم والولد ويجوز ان يخاطب المراة وحدها ولكن اخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وايضا قد يخاطب
الواحد بلفظ الجماعة تفخيما اى اقيموا في مكانكم فقد انست نارا اى ابصرت ابصارا لا شبهة فيه وايضا ريونس به والتركيب يدل على
الظهور ومن ذلك الانسان لانه يظهر به الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الانس ضد الوحشة بطريق
المطلوب وهو المانوس به فان جاء لا نسلا وجدا لايناس وكان مقطوعا متيقنا حقيقه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس
ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم فقال لعلى اتيكم قال المحققون فيه دلالة على ان ابراهيم صلوات الرحمن
عليه لم يكذب البتة لان موسى قبل نبوته احترز عن الكذب المظنون فلم يقل انى اتيكم بل لا بعدها لا يستيقن الوفا به فابراهيم وهو ابو
الانبياء اولى بالاحتراز من الكذب الصريح والقبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة ونحوهما او هدى على حذف المضاف اى ذوى
هدى واذا وجد الهداة فقد وجد الهدى والظاهر انه اراد قوما يهدونه الى الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما ينفعوننى بهداهم
في ابواب الدين وذلك ان همم الابرار معقودة في جميع احوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء في على
النار وهو مفعول ثان لاجد او حال من ذوى هدى ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او المصطلون بها تكتنفوها قياما او
قعودا فهم مشرفون عليها وان كان المكانان مستويين فلما اتيها اى النار قال ابن عباس راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها
كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسج
وقال وهب ظن موسى انها نار اوقدت فاخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتاخر عنها وهابها ثم لم
تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن اسرع من خمودها فكانها لم تكن ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرة ساطعة في السماء فاذا نور
بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما راى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودى يا موسى من قرا انى بالفتح فتقديره
نودى بانى ومن قرا بالكسر فلان النداء في معنى القول ولان التقدير نودى فقيل يا موسى وتكرير الضمير في انى انا ربك لتوكيد الدلالة
وتحقيق المعرفة ولاماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انى انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع جهاتى الست واسمعه بجميع اعضائى حتى كان كل جارحة منى صارت
اذنا وقيل لعله سمع النداء من جماد كالحصى والشجرة فيكون معجزا وايضا انه راى النار في الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت
تطفى تلك النار ولا النار تضر بالخضرة فعرف انه لا يقدر عليه احد الا الله وجوز الاشاعرة ان يكون قد خلق الله تعالى له
علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوا منه قالوا ان حصول العلم الضرورى بان ذلك المتكلم هو الله يستلزم العلم الضرورى
بوجود الصانع لاستحالة ان تكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلوما بالاستدلال وحصول العلم الضرورى بوجود
الصانع ينافي التكليف وبالاتفاق لم يخرج موسى عن التكليف قال القاضى ان كانت النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام في
حصول هذه الخوارق والا وجب ان يكون معجزات لغيره من انبياء زمانه كشعيب مثلا قال وهذا اولى لان قوله وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى يدل على انه اول وحى اوحى اليه وعند اهل السنة الارهاص جائز فلم يوجبوا احالة تلك الخوارق الى غيره وعندهم ان الله
تعالى اسمعه الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت والمعتزلة انكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى خلق ذلك الكلام وقالوا انه
تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة وهو قادر على ذلك واهل السنة مما وراء النهر اثبتوا الكلام القديم الا انهم زعموا
ان الذى سمعه موسى صوت خلقه الله تعالى في الشجرة لانه تعالى رتب النداء على انه اتى النار والمرتب على المحدث محدث ومثله
استدلال المعتزلة بقوله فاخلع نعليك على ان كلامه تعالى ليس بقديم لان الامر والمامور معدوم فلا بد ان يكون هذا الامر
عند وجود موسى فيكون محدثا اجابت الاشاعرة بان كلامه الازلى ليس بامر ولا نهى ولو سلم فامره في الازل مستمر الى ان صار
الشخص مامورا من غير تغيير في امره كالقدرة الازلية يتعلق بالمقدور الحادث وبالحكمة في الامر بخلع النعلين قال المفسرون لانهما
كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وهو قول على ومقاتل والكلبى والضحاك وقتادة والسدى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد
لتباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل اعظم البقعة عن وطيها الا حافيا ويؤيده قوله انك بالواد المقدس ومن هنا كره بعضهم

الصلوة والطواف في النعل وكان السلف يطوفون بالكعبة حفاة ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا وقع منه ذلك تصدق وعلى القول الاول لا يكره الا اذا كان غير مدبوغ وقد صلى الله عليه وسلم في نعليه خلعهما في الصلوة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبرئيل اخبرني ان فيهما قذرا ويروى ان موسى عليه الصلوة والسلام خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي وقال الجوهري طوى بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشيء المثنى اي طوى مرتين اي قدس وقال الحسن اثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل ان يراد بوادي نداين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه الطي وعن ابن عباس انه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالوادي المقدس الذي طويته طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه فانا اخترتك اصطفيتك للنبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتدا عطية من الله وفي هذا الاخبار غاية اللطف والرحمة وكرر في قوله فاستمع نهاية الجلال والهيبة ففي الاول رجاء وفي الثاني خوف كانه قال لقد جاءك امر عظيم فتاهب له واجعل جميع همتك مصروفا اليه ولما يوحى اي للذي يوحى واللوحي متعلق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا ورتب عليه فاعبدني ليعلم ان عبادته انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه امره بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وايضا قال واقم الصلوة ولم يبين هاهنا اجاب القاضي عن هذا الاخير بانه لا يمتنع ان موسى عليه السلام قد عرف الصلوة التي تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب على التاسيس اولى قالوا العله قد تبين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر ورد بان البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية وقال ان يقول سلمنا ان المبين اكثر فائدة للمخاطب ولكن لا نسلم ان حكاية المبين اولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغيره لتصير ورد بعض هيئات ذلك التكليف منسوخا وان كان اصله باقيا وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت او هي للتعليل والذكر اما باللسان او هو ضد النسيان والياء للمتكلم فاعل في الاصل او مفعول وهل يحمل الكلام تقدير مضاف ام لا فلمثل هذا الاعتبار تعددت الوجوه فمنها ان اللام للتعليل والياء مفعول اي لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي او اراد لتذكرني في الصلوة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والفرق ان اطلاق الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجاز او نقول في الاول يكون نفس الصلوة مطلوبة بالذات وفي الثاني يكون مطلوبة بغرض الذكر او اراد لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف اي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها ان الياء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثنا واجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة ومنها ان يحمل الذكر على ضد النسيان اي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطاب اللسان في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام والاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او اراد ذكر الصلوة بعد نسيانها او كان حق العبارة ان يقال لذكرها كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فلعل المضاف محذوف اي لذكر صلوتي او ذكر الصلوة وهو ذكر الله فالياء في الاصل منصوب او الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعي رحمه الله تعالى من فاتته صلوات يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلوة الوقت جاز الا اذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلوة الوقت وان تذكر الفائتة بعدما شرع في صلوة الوقت اتمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة الوقت بعدها وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يجب الترتيب في قضاء الفوائت لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر خلال صلوة الوقت بطلت الا ان يكون الوقت ضيقا فلا يبطل حجة الشافعي ما روي في حديث قتادة انهم ناموا عن صلوة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقودوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان وقت الانتباه متعينا للصلوة لما فعل كذلك فعلم انه وقت لتقرر الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة ابي حنيفة قوله تعالى اقم الصلوة لذكري وقوله صلى الله عليه وسلم فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر ان عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله ما صليت صلوة العصر حتى كادت تغيب الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها بعد فنزل في البطحا وصلى العصر بعدما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها واما القياس فهما صلاتان فريضتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلوتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون كذلك حكم الفوائت فيما دون اليوم والليلة ماذا دخل في حد الكثرة يسقط هذا الترتيب ثم لما امر موسى بالعبادة عامة وبالصلوة التي هي افضلها خاصة

علل ذلك بقوله ان الساعة اتية سؤال كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله اكاد اخفيها يكون معناه لا اخفيها وهو باطل لقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله لتجزى كل نفس انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا بوقت القيامة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية والجواب لا نسلم ان كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والبلاغة موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بانها اتية وان كان وقتها غير متعين كانه قال اكاد لا اقول هي اتية لفرط ارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وبالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال اراد اكاد اخفيها من نفسي اي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها مني واكدوا ذلك بانهم وجدوه في مصحف ابي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المخاطبة اذا بالغوا في كتمان الشيء قال كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب واراد انا اخفيها من الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو قريب قاله الحسن وعن ابي مسلم ان كاد بمعنى اريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقيل اكاد صلة والمعنى ان الساعة اتية اخفيها وقال ابو الفتح الموصلي الهمزة للازالة اي اكاد اظهرها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ما روي عن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا اظهره وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا او باتية فلولا القيامة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وذلك خلاف قضية العدالة والحكمة واحتجاج المعتزلة بالاية ظاهر لانه قال بما تسعى اي بسعيها فلو لم يكن اعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب ان اعتبار الوسط لا ينافي انتهاء الكل الى الله واسناد الجزاء الى عنايته الازلية التي لا علة لها ومعنى الفاء في فلا يصدنك انه اذا صح عندك اني اخبرتك باتيان الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذي يصدك عن التصديق بالساعة لان قوله ناشئ عن الهوى واتباعه وجوز ابو مسلم ان يكون الضمير في عنها للصلوة والعرب تذكر شيئين ثم ترجع بضميرهما الى السامع اعتمادا على انه يرد كلا منهما الى ما هو له ورد بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا واما الخطاب فالظاهر انه لموسى لان الكلام جمع معه وجوز بعضهم ان يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم والمقصود الامة والنهي عن الصد في الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهي لموسى عن التكذيب والوجه فيه ان صد الكافر عن التصديق سبب التكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب وصد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كانه قيل فكن في الدين صلبا حتى لا يطمع في اغوائك الكافر والذي دعا الى هذا النهي البالغ في معناه وهو ان في المبطلين والجاحدين كثرة منزلة قدم فعلى المرء ان يكون مع المحقين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوي عن التقليد وانذار بان الردى والهلاك مع اتباع الهوى وهاهنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه وزعم ان في نسبة الصد الى الكافر بالبعث دليل على ان القبائح انما تصدر عن العباد وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق قوله اولا لموسى اخلع نعليك اشارة الى التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغي تحصيله واصول ذلك ترجع الى علم المبدا وهو قوله انني انا الله والى علم الوسط وهو قوله فاعبدني وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكري وهو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة اتية وايضا انه افتتح الخطاب بقوله وانا اخترتك وهو غاية اللطف وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى اخره وهو القهر تنبيها على ان رحمته سبقت غضبه وان العبد لا بد ان يكون سلوكه على قدمي الرجا والخوف قوله وما تلك مبتدا وخبر وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة والاستفهام وجوز الكوفيون ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك اي ما التي بيمينك قيل لم يقل بيدك لانه يحتمل ان يكون في يساره خاتم او شيء اخر وكان عليه الجواب سؤاله ما الفائدة في هذا السؤال جوابه ان الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشيء الحقير كقطعة من حديد شيئا يلبس شريفا كاللبوس السرد عرضه على الحاضرين ويقول ما هذا حتى انه بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويقول خذوا هذا من ذاك الذي قلتم فكانه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما في يمينك وانه خشبة يابسة حتى اذا قلبه ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته البالغة وقال اهل الخطابة انه سبحانه لما اطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء واسمعه تسبيح الملائكة ثم اسمعه كلام نفسه ممزوجا باللطف والقهر والتكاليف تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك ليعرف موسى ان يمينه هي التي فيها العصا وايضا انه لما تكلم معه بالكلم الالهية وقرب موسى ان يدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة لا لان المسؤول عنه مما يقع فيه الغلط كما ان السائل لا يجوز عليه الغلط نظيره حال المؤمن في القبر يغلبه الوجل والخجل والحيا فيسال عن امر لا يشك فيه في الدنيا وهو التوحيد فما للايحاش وحليا

للاستيناس وايضا لما عرف موسى كمال الالهية اراد ان يعرف نقصان البشرية فساله عن منافع العصا فذكر ما ذكر فعرف
الله تعالى ان فيها منافع اجل مما ذكر تنبيها على ان عقول البشر قاصرة عن خفيات الامور لولا التوفيق والارشاد اخر خاطب
موسى بلا واسطة وخاطب محمد بواسطة جبرئيل عليه السلام فيلزم ان يكون موسى افضل واجابه المنع بدليل فاوحى الى عبده
ما اوحى بيان الافضلية ان كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سر لم يستاهل له سواه وايضا حصل لامته في الدنيا
شرف التكليم المصلي مناجي ربه وفي الاخرة شرف التكريم والتسليم سلام قولا من رب رحيم وايضا ان موسى كان عند
استغراقه في بحر المحبة متعلقا بالعصا ومنافعها ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يلتفت الى الكونين حين عرضا عليه ما
زاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار ولهذا لم يزد في الثنا حينئذ على قوله انت كما اثنيت على
نفسك وههنا نكت منها انه سبحانه لما اشار الى العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك حصل في منهما برهان باهر ومعجز
ظاهر فصار احدهما وهو الجماد حيوانا والاخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة
الى قلب العبد فاى عجب ان ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا ومنها ان العصا صارت بيمين موسى فكيف لا يصير
قلب المؤمنين الذي هو بين اصبعين من اصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت سحر السحرة
كلهم فقلب المؤمن اولى ان يصير بمدد نظر الرب في كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى
تم بقوله هي عصاي الا انه زاد على ذلك لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل
ذلك كالوسيلة الى ذلك الغرض وقيل جواب سوال اخر كانه سئل فما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها وقيل خاف ان ينكر ما
عليه استصحاب العصا كالنعلين ومعنى اتوكا عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة
والتركيب يدور كالوسيلة الى درك واهش بها اى اخبط الورق بها على رؤس غنمي لتاكله والتركيب يدل على الرخاوة و
اللين ومنه رجل هش المكسر اى سهل الشان فيما يطلب من الحوايج وهو مدح وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان يتكسر لرخاوته
قال المحققون ان موسى كان يتوكا على العصا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا لامته حسبنا
الله ونعم الوكيل فورد في حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اى حسبك وحسب من اتبعك وايضا انه بدا بمصالح
نفسه في قوله اتوكا عليها ثم مصالح رعيته بقوله واهش بها على غنمي ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل ابدا
الا باصلاح امر امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول موسى
يوم القيمة نفسي نفسي ومحمد يقول امتي امتي ثم قال ولي فيها مآرب جمع المأربة بضم الراء الحاجة وقد يفتح الراء وحكى
ابن الاعرابي وقطرب بكسر الراء ايضا مثله الارب بفتحتين فالارب بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال اخرى لان المآرب
في معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن اياتنا الكبرى قالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيطول مكالمته
وقالوا انقطع بالهيبة كلامه فاجمل وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا
طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها فاذا
كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكسا واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان
يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عليه السلام كانه احس بانه تعالى انما ساله عن امر العصا لمنافع عظيمة
فقال الهي ما هذه العصا الا كغيرها ولكنك لما سالت عنها وكلمتني عرفت ان لي فيها مآرب اخرى وقيل كان فيها من
المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البير وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت
عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الما
فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كان بعد نبوة موسى فلا كلام وان كانت قبلها ففي صحة
الرواية بعد والا كان الانسب تقديمها عند تعداد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص او من معجزات شعيب
على ما يروى انه كان قد اعطاها اياه وقال اهل النكت ان موسى لما قال ولي فيها مآرب اخرى لا يفطن لها فقال القها يا موسى
وبوجه اخر كان في رجله شي وهو النعل وفي يده شي وهو العصا والرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فامر بتركهما تنبيها
على ان السالك ما دام في مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه وطالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق في بحر
العرفان وفيه ان موسى عليه السلام مع جلالة منصبه وعلو شانه لم يمكن له الوصول الى الحضرة الجلالية حتى خلع النعل والقى
العصا فانت مع الف وقر من المعاصي كيف يمكنك الوصول الى جنابه قال الكعبي الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على القا
العصي اما ان توجد والعصا في يده فذاك قولنا او توجد وهي خارجة عن يده وذلك تكليف بانه يلقي من يده ما ليس في يده و يمكن

ان يجاذب بان القدرة مع القاء العصا قوله فاذا هي حية تسعى وفي موضع اخر فاذا هي ثعبان وفي اخر كانها جان عبارات
عن معبر واحد لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان
وهو الدقيق منها فبينهما تناف في الظاهر لا في التحقيق لانها حين انقلابها كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم
يتورم ويتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا اخر الامر فانها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعي
وهو المشي بسرعة وخفة حركة والعجب ان موسى قال اتوكا عليها فصدقه الله تعالى في ذلك وجعلها متكا له بان كانت اعظم
معجزاته وانما قلبها حية في ذلك الوقت ليكون معجزة لموسى يعرف بها نبوة نفسه فان النداء والنور والكلام لم يكن في ظهور
الدلالة كهذه ولان توالي المعجزات كتتابع الخلع والكرامات وايضا انه عرضها عليه ليشاهده ويوطن نفسه عليها حتى لا يخافها
عند عدوه فالولي يستر العيوب والعدو يبرز المناقب في صورة المثالب فكيف اذا وجد مجال الطعن والقدح وقد مر في الاعراف
ان الحية كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا فلما راى ذلك الامر العجيب الهايل ملكه من الفزع والنفار ما يملك
البشر عند الاهوال حتى ذهل عن الدلايل واخذ يفر ولو انه بلغ حينئذ مقام ففروا الى الله لم يفر عن شي ولعله لما حصل له مقام المكالمة
بقي في قلبه عجب فاراه الله تعالى انه بعد في النقص الامكاني ولم يفارق عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده فقد روي
انه لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها قال الشيخ ابو القاسم الانصاري
ذلك الخوف من اقوى الدلايل على صدقه في النبوة لان الساحر يعلم ان الذي اتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم انه خافها لانه
عرف ما لقي ادم منها قلت يحتمل ان يكون خوف موسى من هجره اياها من فوات المنافع المعدودة وهذا علل عدم خوفه بقوله سنعيدها
سيرتها الاولى قال جار الله السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقل الى معنى المذهب
والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اى في طريقتها الاولى اى حال ما كانت عصا او يكون اعاد منقولا من عاد بمعنى
من عادة بنزع الخافض بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او يكون المراد بالاعادة الانشا ثانيا ونصب سيرتها بفعل مضمر
في موضع الحال اى سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها ثم ذكر معجزة ثانية
فقال واضمم يدك الى جناحك يقال لكل ناحيتين جناحا العسكر وجناحا الانسان بجنبيه والاصل المستعار منه جناحا الطائر
سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران اي يميلهما فقيل المراد في الاية تحت العضد بدليل قوله تخرج وعن ابن عباس معناه الى
صدرك وضعف بانه لا يطابقه قوله تخرج قلت لا شك ان الصدر مستور بالقميص فيظهر عند ذلك معنى الخروج ويفسره
قوله في موضع اخر وادخل يدك في جيبك والسوء الرداءة والقبح في كل شي فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة والبرص ابغض
شي عند العرب بحيث تمجه اسماعهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها نيرة كشعاع الشمس قال في الكشاف من غير سوء
من صلة بيضاء كما يقول ابيضت من غير سوء قلت لعله اراد من التعليل اى ليس بسبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته
يرجع الى الابتداء وبيضاء واية حالان معا او متداخلتان واحتمل ان ينتصب اية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ ودونك وقوله
لنريك اما ان يتعلق بهذا المحذوف او بمحذوف اخر اى لنريك من اياتنا فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندي ان يتعلق بالامرين المذكورين
اى القها واضمم لنريك قال الحسن اليد في الاعجاز اعظم من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بانه ليس في اليد الا تغير
اللون واما العصا ففيه تغير اللون والزيادة في الجسم وخلق الحيوة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بها اي بالايتين
بعض اياتنا الكبرى وجوز في الكشاف ان يكون المراد لنريك بهما الكبرى من اياتنا ويرد عليه لزوم ان يكون الايات الكبرى
منحصرة فيهما وليس كذلك فان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر من الكل وكفاك بالقران شاهدا على ذلك ثم صرح بالمقصود
من المعجزات فقال اذهب الى فرعون وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة في ذلك فقال انه طغى عن وهب ان الله تعالى
قال لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من
سلطاني تستكمل بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وعبد
واني اقسم بعزتي لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي
وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا وان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي في كلام
طويل قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعنده قال رب اشرح لي صدري قال علماء المعاني
ابهم اولا بقوله رب اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين فرفع الابهام بذكر الصدر والامر وكان اوكد من جهة الاجمال
ثم التفصيل كان في صدر موسى ضيق كما جاء في موضع اخر ويضيق صدري فسال الله تعالى ان يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم
ما انزل عليه من الوحي وقيل اراد شجعني على مخاطبة فرعون وعلى تحمل اعباء الرسالة واعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه وفوايده وبدايعه

مايتعلق به قد سبق منا في البقرة واذا سالك عبادي عني فاني قريب ولنذكر ههنا نكتا شريفة الاولى انه تعالى كامل في
الازل الا انه غير مكمل في الازل لان التكميل هو جعل الشيء كاملا ولا شيء معه في الازل فلا تكميل وذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم
عدد انفاس الحركات اهل الجنة لان كل ما له عدد مفصل فهو متناه وحركات اهل الجنة غير متناه لان كل ما له عدد مفصل فهو
متناه وحركات اهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا لقصور في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول ولما كان الغرض من
التكوين تكميل الناقصين وكان الوجود اول صفة من صفات الكمال اجلس الله سبحانه على هذه المائدة بعض المقدمات لانه لو
جلس الكل عليها الدخل في الوجود ما لا نهاية له ولا تنتهي القدرة الذاتية لامتناع ايجاد الموجود وكان ان رحمته اقتضت قسم
مائدة الحيوة لبعض الموجودات دون البعض حتى صار ذلك البعض حيا مدركا للمنافي والملايم واللذة والالم والخير والشر فقال
الاحيا عند ذلك يا رب الارباب شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحيوة ولكن زادت حاجتنا لانا حال العدم وحالة الجماد
ما كنا نحتاج الى الملايم والموافق وما كنا نخاف المنافي والموذي والآن احتجنا الى طلب الملايم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة
على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد في الطريق عرضة للافات وهدفا لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض
الموجودات بالحيوة فقال القادرون عند ذلك الهنا الجواد الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا يكون الا للبهايم المسخرة في حمل
الاثقال فافض علينا من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك فاعطى بعضهم العقل فحصل في ارواحهم نور البصيرة وجوهر الهدى
ختامه مسك كما ان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كان افضل المخلوقات فنظر العقل في نفسه فراى نفسه كالحقة المملوة
من الجواهر بل كسماء مزينة بالزواهر وهي العلوم الضرورية البديهية المركوزة في بداية العقول وصراع الاذهان يهتدي
بها السايرون في ظلمات بر الشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الارقام على راقم وبتلك النقوش على النقاش
فعليه دهشة الانوار الازلية وكاد يغرق في بحر الفكر ويضيق عليه نطاق التامل والتدبر ويقع في تجاذب ايدي
الاعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فانتهى جميع
الحوادث اليه بتيسير الامور الكلية والجزئية من عنده وهو الذي يعطي القابل قابليته والفاعل فاعليته الثانية
انه تعالى خاطبه اولا بالتوحيد انني انا الله لا اله الا انا وثانيا بالعبادة فاعبدني وثالثا بمعرفة المعاد ان الساعة
اتية ورابعا بمعرفة الحكمة في الجملة افعاله وما تلك بيمينك وخامسا بعرض المعجزات الباهرة عليه لنريك من اياتنا
الكبرى وسادسا بارساله الى اعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة بسبب الضيق العطن واختلال عقدة
الصبر فلاجرم تضرع الى الله سبحانه قايلا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وههنا دقيقة هي ان شرح الصدر مقدمة
لسطوع الانوار الالهية في القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما اعطى موسى المقدمة بقوله فاستمع سمح موسى على
ذلك النوال فقال رب اشرح لي صدري ولما انتهى الامر الى محمد وكان خاتم النبيين ومقصودا من الكائنات ومخاطبا بقوله
الم نشرح لك صدرك اوتي النتيجة فقيل له وقل رب زدني علما ووصف بقوله وسراجا منيرا فشرح الصدر وهو
بصير الصدر رفادا للنور والسراج المنير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام وهو التفاوت بين
الاخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد الثالثة انه تعالى ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنور احدها وصف
ذاته بالنور الله نور السموات والارض وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا
النور الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفئوا نور الله وخامسها عدل الله واشرقت الارض بنور ربها
وسادسها ضياء القمر وجعل القمر نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فكان موسى عليه
السلام قال اولا رب اشرح لي صدري بمعرفة انوار جلال كبريائك وثانيا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال
امرك ونهيك ورابعا رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بالهيتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع
على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا رب اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى انوار جلال
عزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لي صدري من مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنها
رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع اياتك ومعاقد بيناتك في ارضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري في
ان اكون خلف صدق الانبياء المتقدمين ومتشبها بهم في الاقتداء بحكم رب العالمين وعاشرا رب اشرح لي صدري بان
تجعل سراج الايمان كالمشكوة التي فيها المصباح الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور في القلب حتى يصير القلب
كالسراج ومستوقد السراج يحتاج الى سبعة اشيا زند وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة

والذين جاهدوا فينا والحجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى ونهى النفس عن الهوى والكبريت الا
نابة وانيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن الرضا واصبر
لحكم ربك ثم اذا اصلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعا فاقلا رب اشرح
لي صدري فهنالك تسمع قد اوتيت سؤلك يا موسى الخامسة هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية
عشر خصال احدها الشمس يحجبها الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب وثانيها الشمس تغيب
ليلا ان ناشية الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي اسرى بعبده ليلا والليل العاشقين
منيرة باليسا وفانه مذموم وعند الصباح يحمد القوم السرى وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى اصلها ثابت
وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر انكسفت والشمس المعرفة هي اشهد ان لا اله الا
الله اذا لم يقترن بشمس النبوة وهي اشهد ان محمدا رسول الله لم يصل نوره الى عالم الجوارح وخامسها الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض
الوجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق فجز يا مؤمن فقد اطفئ نورك لهبي وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه
يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون ويوجد اخر الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء وتاسعها الشمس فوقك في الصور وتحتك
في المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه ان الحسنة مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها
الشمس تعرف احوال الخلق وبالمعرفة يصل القلب الى الخالق والشمس تقع على الولي والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولي ولما كان شرح
الصدر الذي هو اول لمراتب الروحانيات اشرف من اعلى مراتب الجسمانيات بدا موسى بطلبه فقال رب اشرح لي صدري السادسة
الشمس سراج اوقدها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقدها الله للبقاء يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
والذي خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق يجد له شهابا رصدا فالذي خلقه للبقا كيف يقرب منه الشيطان رب اشرح
لي صدري وايضا الشمس في السماء ثم مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك اولى ان تزيل
ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله تعالى هو الموقد لسراج
المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان افلا يمده وهو معنى قوله رب اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص
لا يقرب منه وانه سبحانه قد اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب الشيطان منه رب اشرح لي صدري وايضا المجوس
اذا اوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها وطالما اوقدت سراج المعرفة في قلبك فكيف يرضى باطفائها رب اشرح لي
صدري السابعة انه سبحانه اعطى قلب المؤمن تسع كرامات احدها انه سبحانه احياه او من كان ميتا فاحييناه وقال صلى الله عليه وسلم
من احيا ارضا ميتة فهي له [illegible] وثانيها
الشفاء وشفاء لما في الصدور قوم مؤمنين وفيه ان الله وضع الشفا في العسل ثم نفيت تلك الخاصية فيه ابدا فاذا وضع
الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى ابدا وثالثها الطهارة اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه ان الصائغ اذا امتحن
الذهب مرة لا يدخله في النار والله تعالى لما امتحن قلب المؤمن فكيف يدخله النار ابدا ورابعها الهداية ومن
يؤمن بالله يهد قلبه وفيه ان الرسول صلى الله عليه وسلم يهدي نفسك والقران يهدي روحك والمولى يهدي قلبك
فالاول [illegible] انك لا تهدي من احببت [illegible] يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما هداية القلب فلا يزول
ابدا لان الهادي لا يزول [illegible] الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة اولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه
ان القرطاس اذا كتب فيه القران [illegible] فقلب المؤمن الذي فيه القران وجميع احكام الله ذات الله وصفاته كيف يليق
بالكريم احراقه [illegible] اسم الله تعالى [illegible] سعادة الدارين [illegible] معرفة الله اولى بذلك
وايضا القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم [illegible] لا يجوز للجنب والحائض مسه فالقلب الذي فيه اكرم الموجودات
كيف يجوز للشيطان الخبيث ان يمسه وسادسها السكينة هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وفيه ان ابا بكر لما نزلت عليه السكينة
في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا بد ان يقال له عند قبض الروح لا تخافوا ولا تحزنوا
كما قال تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وفيه ان الدهقان اذا القى حبة في الارض فانه لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه لما القى حبة المحبة في ارض القلب
كيف يحرقها وثامنها والف بين قلوبهم وفيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم حين الف بين قلوب اصحابه ما تركهم غيبه ولا
حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرم الاكرمين وارحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها

الطمانينة الا بذكر الله تطمئن القلوب وفيه ان الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه لا يقابل غير المتناه فالكافي
للمهمات لا يكون الا من له كمالات غير متناهيه فلا يزيل قلق الحوايج واضطراب الامال الا الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات
وردت في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم مرض قلوبهم قاسية انا جعلنا على
قلوبهم اكنة ان يفقهوه ختم الله على قلوبهم ام على قلوب اقفالها بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل طلب تلك
الكرامات والهرب من اضدادها قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري **الثامنة** في حقيقة شرح الصدر
وذلك ان لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب بالاهل والولد وبتحصيل مصالحهم ودفع المضار
عنهم ولا رهبة بان يكون خايفا من الاعداء والمنازعين وان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا وزعت على جداول
كثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل في موضع واحد ظهر اثرها وقويت فايدتها فسال موسى ربه ان يوقفه على نقصان
الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لي صدري
او يقول انه لما كلف بضبط الوحي في قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله فاعبدني وكانه صار مكلفا
بتدبير العالمين والالتفات الى احدهما يمنع من الاشتغال بالاخر فسال موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح
لي صدري او يقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من زوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة
والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة
فايدتهم في الدارين صغروا في عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة الى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء
من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفتح القلب الى الصدر للنور رب اشرح لي صدري **التاسعة**
ليضرب مثلا لذلك فيقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والفواد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك
والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهسلار الذي يشتغل بالضرب والتاديب
والحواس كالجواسيس وساير القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك منازع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة
والهوى والحرص وساير الاخلاق الذميمة جنوده فاذا خرج الروح ووزيره وهو العقل اخرج الشيطان في مقابلته الهوى
فجعل العقل يدعوا الى الله تعالى والهوى الى الشيطان ثم ان الروح اخرج الفطنة اعانة العقل فاخرج الخصم في مقابلته الشهوة
فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحسن لذات الدنيا ثم ان الروح امد الفطنة بالفكر لتوقف على الحاضر والغايب
من المعايب على ما قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة فاخرج الشيطان في مقابلة الفكر الغفلة ثم اخرج
الروح الحكم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بازايه العجلة والسرعة فلهذا قال صلى
الله عليه وسلم ما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه وخلق السموات والارض في ستة ايام ليتعلم
منه الرفق والثبات وهذه هي الخصومة الواقعة بين الصنفين وقلبك وصدرك هو المعركة ثم ان لهذا الصدر الذي
هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا وله سور وهو الرغبة في الاخرة وفي كل ما هو لله تعالى فان كان الخندق عظيما
والسور قويا عجز عسكر الشيطان وانهزموا وان كان بالضد دخل الشيطان وجنوده من الهوى والكبر والعجب والبخل
وسوء الظن بالله من النميمة والغيبة وساير الخصال الذميمة ويحصر الملك في القصر ويضيق الامر عليه ثم اذا جاءه مدد
التوفيق واخرج هذا العسكر من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لي صدري **النكتة العاشرة** في الفرق بين الصدر
والقلب والفواد واللب الصدر مقر الاسلام افمن شرح الله صدره للاسلام والقلب مقر الايمان وزينه في قلوبكم
اولئك كتب في قلوبهم الايمان والفواد مقر المشاهدة ما كذب الفواد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا الالباب
اي الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي ثم ان القلب كاللوح المحفوظ في العالم الصغير فاذا ركب
العقل في سفينة التوفيق والقاها في بحار الامواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رياح
السعادة تارة ودبور الادبار بالحرمان تارة فحينئذ يضطر الراكب الى التماس انوار الهدايات وطلب انفتاح ابواب السعادات فيقول
رب اشرح لي صدري وانما سال موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون
العكس وايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحكمة في الاشارة فاذا علم انه طالب للمقدمة فلا يليق بكرمه
ان يمنعه النتيجة وايضا انه راعى الادب في الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم اعطي المقصود فقيل قد اوتيت
سؤلك يا موسى وحين اجترى في طلب الرؤية بقوله رب ارني انظر اليك اجيب بقوله لن تراني واعلم ان جميع الماهيات
الممكنة كالبلور الصافي الموضوع في مقابلة شمس القدس ونور العظمة ومشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها

حصلت له نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحترق القلب ومعلوم ان المحترق
كلما كان اكثر كان الاحتراق اتم فلهذا قال موسى رب اشرح لي صدري حتى اقوى على ادراك درجات الممكنات واصل الى مقام
الاحتراق بانوار الجلال كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم ارني الاشيا كما هي وههنا دقيقة وهي ان موسى لما زاد لفظة لي
في قوله رب اشرح لي دون ان يقول رب اشرح صدري علم انه اراد ان يعود منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيامة
نفسي نفسي وان نبينا صلى الله عليه وسلم لما لم يذكر منه في مقام القرب اذ قيل له سلام عليك ايها النبي فقال سلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيامة امتي امتي وشتان بين نبي يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لي صدري
وبين نبي يخاطب ولا يقوله الم نشرح لك صدرك ولا يخفى ان المراد بالشرح والتيسير عند اهل السنة هو خلقهما وعند
المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الالطاف المسهلة فانه يحتمل ان يكون هناك من الالطاف ما لا يحسن فعلها الا بعد
هذا السوال اما قوله سبحانه واحلل عقدة من لساني فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة ولهذا قال سبحانه
خلق الانسان علمه البيان بغير توسط العاطف كان انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفي لسان الشاعر وهو زهير
شعر لسان الفتى نصف ونصف فواده ؛ فلم يبق الا صورة اللحم والدم ؛ وعن علي كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان
الا صورة مصورة او بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء باصغريه المرء مخبو تحت لسانه وفي مناظرة ادم والملائكة لم يظهر الفضيلة
الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق وهذا النطق وان كان في التحقيق هو ادراك المعاني
الكلية لكن النطق اللساني لا ريب انه اظهر خواص الادمي وقد نبه به من تمدحنا والتعبير عما في ضميره فقول موسى رب اشرح لي
صدري اشارة الى طلب النور الواقع في القلب وقوله ويسر لي امري رمز الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب تسهيل الة
التكميل لان اللسان الة الافاضة والافادة وبه تيسير ذلك الخطب الجسيم والمنصب العظيم ؛ وحسبك يا فتى شرفا وفخرا ؛
سكوت الحاضرين وانت قايل ؛ ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم الصمت حكم وقليل فاعله و
قولهم مقتل الرجل بين فكيه وفي نوابغ الكلم ؛ يا بني قِ فاك لا يقرع قفاك ؛ ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذي ضره خالص او
غالب او مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذي نفعه خالص وغالب عسر المراعات فالاولى تركه ومنها
انهما من موجود او معدوم معلوم او موهوم الا واللسان يتناوله باثبات او نفي بحق او باطل بخلاف ساير الاعضاء فالعين
لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات والحروف واليد لا تصل الا الى الاجسام وكذا باقي الجوارح
اما اللسان فانه رحب الميدان واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى الالات والادوات للمعصية به فكان
الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصاف ان الصمت في نفسه ليس بفضيلة لانه امر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وانما
يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عددها ذلك القايل فيرجع الحق الى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا قال خيرا
فغنم او سكت فسلم قالوا ترك الكلام له اربعة اسماء الصمت وهو اعمها حتى انه يستعمل فيما ليس بقوة على النطق كقولهم ما له ناطق و
صامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات وهو سكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وانصتوا
والاصاخة وهو مما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد اما العقدة فقيل انها كانت في اصل خلقته وعن ابن عباس
انه في حال صباه اخذ بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده فقالت اسية انه صبي
لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل بالياقوت والجمر فاحضر بين يديه فاراد ان يمد اليد الى الياقوت فحول جبرئيل يده الى
الجمر فاخذها ووضعها في فيه فظهر به عقدة وتحبس عند بعض الحروف فان صحت هذه الرواية فالنار انما احرقته واثرت فيه
اطفاء النايرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكما في
حق موسى ايضا حين القي في التنور ويروى ان يده احترقت ايضا وان فرعون اجهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اي رب يدعو
قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء انه لم تبرا يده ليلا ينعقد بينه وبين فرعون حرمة المواكلة من قصعة
واحدة وقيل لم تحترق يده لان الصولة ظهرت باليد وانما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا ابت وما الحكمة في طلب حل العقدة
والاظهر كيلا يقع في اداء الرسالة خلل ولهذا قال يفقهوا قولي وقيل لان العقدة في اللسان قد يقتضي الاستخفاف بالقايل وعدم
الالتفات اليه وقيل لاظهار المعجز فكما ان حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه
وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله قد اوتيت سؤلك والاصح انه بقي بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون
ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يفارقنا لا يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما دلالة على
انه طلب بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة بالكلية تصيب

محمد صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فلما كان ذلك حقًا
يتيم ابو طالب لاجرم مادارجوله ومن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا قال اهل الاشتقاق هو من الوزر بالكسر لتكون
لانه يحمل عن الملك اوزاره ومونته او من الوزر بفتحتين وهو الملجاء لان الملك يعتصم برايه ويلتجى اليه امور ره او من الموازرة
والمعاونة فيكون من الازر القوة ومنه قوله تعالى اشدد به ازرى اى ظهرى لانه محل القوة قال الجوهرى ازرت فلانا اى
عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس ازيرا الجمهور على ما حكى عن الاصمعى ووجه القلب حمل فعيل
على مفاعل للاتحاد معنيهما في نحو عشير وجليس وصديق وغيرها او حمله على اخواته من نحو الموازرة ويوازروا الاستعانة بالوزير
ويحسن وايمداب الملوك والعقلاء وقد استحسنه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال اذا اراد الله بملك خيرا قيض
له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا اعانه عليه وان اراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغنى اجود السيوف
عن الصيقل ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة منقبة وفخرا وشرفا وذكر ان النبي
المويد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة بطلبه منه فيجب على من اوتى هذه الرتبه ان
يودى الى الله حقها ولا تغير بالدنيا وما فيها ويزرع في ارض الوزارة ما لا يندم عليه وقت حصاده وقيل ان موسى
عليه السلام خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والاظهر انه راى ان
التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفا الطوية ابعد عن التهمة واعون على الغرض ولهذا حكى عن
عيسى انه قال من انصارى الى الله وخوطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
من المومنين وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان لى في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء
جبرائيل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر ثم ان موسى طلب ان يكون ذلك الوزير من اهله اى من اقاربه ليكون
الثقة به اكثر وليكون الشرف في بيته اوفر وانه كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب الشريف
قضا لحقوق الاخاء فمن منع المستوجبين فقد ظلم وكان افصح منه لسانا واكبر سنا والين جانبا قال الجار الله وزيرا و
هرون مفعولا اجعل قدم ثانيهما عناية بامر الوزارة او لى وزيرا مفعولان وهرون عطف بيان الوزير واخى في الوجهين بدل
من هرون او عطف بيان اخر وقيل يجوز فيمن قرا اشدد على الامر ان يجعل اخى مرفوعا على الابتداء واشدد خبره فيوقف
على هرون وشد الازر عبارة عن تقويته به وان يجعله ناصر اله فيما عسى يرد عليه من الشدايد والخطوب بل يجعله
رسالة في امر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امرى ثم ذكر غاية الادعيه فان المقصد
الاسنى وهو الاستغراق في بحر التوحيد وغاية الاشراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل الخير فقال كى نسبحك
تسبيحا كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفى مقدم على الاثبات فيا لا تل العقايد الفاسدة و
بالثانى ترتسم النقوش الحسنة المفيدة ثم ختم الادعيه بقوله انك كنت بنا بصيرا وفيه فوايد منها انه فوض استجابه ع
الدعوات الى علمه باحوالهما بصيرا باهليه الاجابة ام لا وفيه من حسن الادب ما لا يخفى ومنها انه عرض فقره واحتياجه
على علمه فانه مفتقر الى التعاون والتعاضد فلهذا سال ما سال ومنها انه اعلم باحوال اخيه هل يليق لوزارته ام لا و
وزارته هل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين دعا عن مزيد قايق الادب وانواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلاجرم
اجاب الله تعالى مطالبه والح ماربه قائلا قد اوتيت سولك والسول بمعنى المسول كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى
الماكول وزيادة قوله يا موسى بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التميز والتعيين والله اعلم بمصالح عبيده والتاويل يا من طالب
بطها رتبا ايها النبي ما انزلنا عليك القران الا لتسعد بخلقك خلقه وتسعد بسببك الاولون والاخرون من اهل السموات و
اهل الارضين تنزيلا من خلق ارض بشريتك وسموات روحانيتك التي هي اعلى الموجودات الممكنات كما قال اول ما خلق الله
روحى استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك وما بينهما اى ما بين سما الروح وارض النفس وهو القلب بما فيه من
الايمان والايقان والصدق والاخلاص وما تحت الثرى اى ما هو مركوز في جبلة الانسانية وان تجهر بالقول ان يظهر
شى من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سيرتك واخفى وهو ما اخفى الله من خفيك والسر في اصطلاح
الصوفيه لطيفه بين القلب والروح وهو معدن الاسرار الروحانيه وجملتها المعقولات وقد يحصل لكل انسان عند
نشاته الاولى وان كان كافرا والخفى لطيفه بين الروح والحضرة الالهية ويكون عنده نشاته الاخرى ولا يحصل الا لمؤمن
موحد صادر مهبط الانوار الربانيه وجملتها المشاهدات والمكاشفات وحقايق العلوم اللدنيه ولهذا قال عقيب
الله لا اله الا هو لان مظهر الالوهية وصفاته العليا واسمائه الحسنى هو الخفى الذى لا شى اقرب الى الحضرة الا وهو

وعلم ادم الاسماء كلها وهو حقيقه قوله ان الله خلق ادم فتجلى فيه واهل اتيك حديث موسى القلب اذ راى نارا هو نور في
الحقيقة ما يونس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا في ظلمة الطبيعه الحيوانيه
انى انست نار المحبه التى لا تنطفى ولا تذر من حطب الوجود المجازى شيا لعلى اتيكم منها بقبس يخرجكم من ظلمات الطبيعة
الى انوار الشريعة او اجد على النار هدى باداب الطريقه الى الحقيقه فلما اتيها نودى من شجرة القدس بخطاب الانس
فاخلع نعليك اى اترك الالتفات الى الزوجه والولد فان النعل يعبر في الرويا بهما واترك الالتفات الى الكونين انك واصل
الى جناب القدس وهما المقدمتان في نحو قولك العالم محدث وكل محدث كان له محدث وموجد وذلك انه اذا غرق في لجة
العرفان بقيت المقدمات على ساحل الوسايل وانا اخترتك يا موسى القلب من ساير خلقى وجودك من البدن والنفس
والسر والروح فاستمع بسمع الطاعه والقبول انى لما تجليت بانانية الوهيتى لانانيه وجودك المجازى لا يبقى الا انا
فاعبدنى بافناء وجودك وادم المناجات معى لنيل ذكرى اياك بالتجلى ان قيامة العشق اتيه اكاد اخفيها لعظم
شانها الا ان مقتضى الكرم اقتضى اظهارها لاخص عبيدى لتجزى كل نفس بما تسعى في العبوديه من الروح والسر
والقلب والنفس والقالب فلما كان سعى الروح بجذب الوطن الاصلى للرجوع الى ممكن اضافة ونفخت فيه من روحى
فجزاوه من تجلى صفات الجلال باعدام الناسوتيه في اللاهوتيه وكان سعى السر بالتخلى عن الاكوان لقبول فيض المكون
فجزاوه بافاضة فيض الالهى عليه وسعى القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلى صفات الجلال والجمال
فجزاوه بدوام التجلى وان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذى يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب
لكشف حقايق الغيوب وسعى النفس بتبديل الاخلاق وانتفا الاوصاف الحيوانيه فجزاوه باشراق نور ربها لازالة ظلمة
صفاتها واطمينانها الى ذكر ربها لتصير قابلة لجذبة ارجعى الى ربك وسعى القالب باستعمال اركان الشريعة واداب الطريقة
فجزاوه رفع الدرجات ونيل الكرامات في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التى لا يومن
بها ويحتمل ان يقال اكاد اخفى الساعة واخفى احوال الجنة والنار لئلا يكون عبادتى مشوبه بطمع الجنة وخوف النار وقالوا اخطا
موسى في قوله هى عصاى وكان عليه ان يقول انت اعلم بحالها منى وفي قوله اتوكا عليها وكان عليه ان يتكى على لطف الله وكرمه
فلهذا قيل القها يا موسى وفي قوله واهش بها ادنى ان العصا لا تكون واسطه لرزق اغنامه وانما الرازق هو الله خذها
ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا رجاوك الايه واضمم يدك الى جناحك فوعك
تخرج بيضاء نقيه عن دون السوال وعار الطمع وباقى الحقايق مذكور في التفسير وفي قوله قد اوتيت سولك يا موسى
بلفظ الماضى ● اشارة الى انه ● اعطى ذلك بالتقدير ● الازلى لا بالتدبير ● العملى ●

ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه
في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لى
وعدو له والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى اذ تمشى اختك فتقول
هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كى تقر عينها ولا تحزن
وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل
مدين ثم جئت على قدر يا موسى ● واصطنعتك لنفسى اذهب انت واخوك
باياتى ولا تنيا في ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا

لعله يتذكر او يخشى ● قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان
يطغى ● قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى ● فاتياه فقولا انا
رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية
من ربك والسلام على من اتبع الهدى ● انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى ● قال فمن ربكما يا موسى ● قال ربنا
الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ● قال فما بال القرون الاولى
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ● الذي جعل
لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء
ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم
ان في ذلك لايات لاولي النهى ● منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى ● ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب
وابى ● قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى ● فلناتينك
بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا
سوى ● قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى ● فتولى
فرعون فجمع كيده ثم اتى ● قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا
على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ● فتنازعوا
امرهم بينهم واسروا النجوى ● قالوا ان هذان لساحران يريدان
ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ●
فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا ● وقد افلح اليوم من استعلى

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى ● قال بل القوا
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ● فاوجس في
نفسه خيفة قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف
ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي
السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى ● قال امنتم له قبل ان اذن
لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا
اشد عذابا وابقى ● قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي
فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى ●
انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ● ومن ياته مؤمنا
قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ●

القراءة ولتصنع بسكون اللام والعين على الامر يزيد الاخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكري اذهبا
بفتح يا المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وخلفه بفتح اللام على انه فعل نخبر الباقون بالسكون مهدا وكذلك في
الزخرف عاصم وحمزة وخلف وروح الاخرون مهادا سوى بكسر السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وعلي الاخرون
بالضم لا نخلفه بالجزم جوابا للامر يزيد يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب حيث كان بالامالة الاحرمي فيسحتكم من الاسحات
حمزة وعلي وخلف ورويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان مخففة ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشدده هذين
ابو عمرو وهاذان بالتشديد ابن كثير الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم امر من الجمع ابو عمرو والاخرون
على لفظ الامر من الاجماع وقد افلح بنقل الحركة الى الدال حيث كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخيل بالتاء الفوقانية
ابن ذكوان وروح والمعدل عن يزيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالتاء التحتانية تلقف بالتشديد والرفع على الاستئناف
ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرا البزي وابن فليح بتشديد التاء كيد سحر على المصدر حمزة وعلي وخلف
الباقون كيد ساحر على الوصف قال امنتم بالمد ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد
وابو عون عن قنبل قال امنتم على الخبر بعد مد حفص وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون ءامنتم بزيادة همزة الاستفهام
ومن ياته مختلسة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو من طريق الهاشمي عن اليزيدي ومن ياته بسكون الهاء
خلاد ورجاء والعجلي وشجاع واليزيدي غير ابي شعيب ويحيى وحماد الباقون بالاشباع الوقوف احرى لانه اذ نفسه

امره مايوحى لان مابعده تفسير مايوحى وعدوله منى لان الواو قديكون مفخمه وتعلق اللام بالقيث وقديكون عاطفه
على محذوف اى لتحث ولتصنع ومن جزم اللام وفتح على منى لامحاله على عينى اذ تمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله لانقطا
النظم وانتها الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد القصه بجرابوصل ولاتحزن لاابتداء مؤاخرى فتونا ياموسى
لنفسى لاتساق الكلام مع حق الغامضيره ذكرى لمثل ما قلنا والمضمر واطغى للايه مع الفاتحه يطغى وارى ولاتقديم
لان مذ لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على ان اتحاد المقول بجيز الوصل من ربك لذلك فان الواو للابتداء فى كتاب
لاحتمال مابعده الصفه والاستيناف ولاينسى بناء على ان الذى صفة الرب والاحسن تقديره هو الذى واعنى الذى ماء
للالتفات شتى انما مكم النهى اخرى وانى ياموسى سوى ضحى اتى عذاب لاختلاف الجملتين افترى
النجوى المثلى صفا استعلى القى القولان التقدير فالقوا ما القوا فاذا حبالهم مع فالتعقيب واذا المفاجاه المنافيا
اللوقف تسعى موسى الاعلى ماصنعوا كيدساحر انى وموسى لكم السحر للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء
التعقيب واتمام مقصود الكلام النخل لابتداء معنى القسم ولفظ استفهام يعقبه مع اتفاق الجمله واتحاد الكلام
وابقى فاقض الحيوة الدنيا من السحر وابقى جهنم ولايحيى العلى لان مابعده بدل منها تزكى التفسير من عليه
منا انعم ومن عليه اى امتن عليه كان الله سبحانه قال لموسى انى راعيت صلاحك قبل سوالك فكيف لااعطيك
مرادك بعد السوال وكنت وبيتك من غير سابقه حتى فلو منعتك الان مطلوبك لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا
بعد الاحسان وذلك ينافى الكرم الذاتى قالوا المنه تهدم الصنيعة فهى نوع من الاذى فقوله ولقد مننا عليك
يكون من المن لامن المنة قلت يحتمل ان لايكون المنة من المنعم المطلق اذية وانما يكون تنبيها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة
حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال مرة اخرى لان الجملة قصه واحدة واذ كانت مشتمله على منن كثيرة واوحى
الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبى فى عصرها كشعيب مثلا وعلى لسان ملك لاعلى طريق النبوة كالوحى الى مريم فى قوله
واذ قالت الملائكة يامريم اواراها فى المنام انه وضع ولده فى التابوت وقذف فى البحر ثم رده الله اليها والهمها بذلك
ولعل الانبياء المتقدمين كابرهيم واسحق ويعقوب اخبروا بذلك وانتهى خبره مايوحى مايجب ان يوحى لما فيه من المصلحة
الدينية ولانه امر عظيم ولانه مما لايعلم الابطريق الوحى وانه المفسرة لان الايحاء فى معنى القول والقذف يستعمل بمعنى
الوضع اى ضعه فى التابوت وقد مر معناه فى البقرة فى قصه طالوت قال جار الله الضمير ان الباقيان فى قوله فاقذ
فى اليم فليلقيه عايدان الى موسى ايضا لئلا يودى الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى فهو فى جوف
التابوت لزم ان يكون التابوت ايضا مقذوفا وملقى ويويده ان الضمير فى قوله عدو له لموسى بالضرورة التابوت غير معقول
واذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالاليق باعجاز القران ان يكون الضمير المتوسط ايضا لان المعنى صحيح واللفظ
متناسب فلا حاجة الى العدول اعتمادا على القرينه واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل شاطى البحر واصل
السحل القشر وبهذا قال ابن دريد هو مقلوب لان الماء سحله فهو مسحول قال اهل الاشارة من خصوصيه انشراح الصدر بنور
الوحى ان يقذف فى قلبه قذف الولد الذى هو اعز الاشياء فى تابوت التوكل وبحر التسليم حتى يلقيه البحر بالساحل ارادة الله و
مشيته يروى انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته اليم وكان يشرع
منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبى
اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لايتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ يدل على ان التابوت التقط
من الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فاداه النهر الى البركة اما كون فرعون عدو الله من
جهة كفره وعتوه فظاهر واما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المال ولانه لو ظهر له حاله لقتله فسبحان من ربى
حبيبه فى حجر عدوه قالوا كان بحضرة فرعون حينئذ ثمانية غلام وجارية فحين اشار باخذ التابوت وعد من
يسبق الى ذلك الاعتاق تسابقوا جميعا ولم يظفر باخذه الا واحد منهم فاعتق الكل والنكتة فيه ان عدو الله لم
يجوز من كرمه حرمان البعض انا عزم الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لايعتبر عزايم المومنين على الطاعة والخير
فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم تقصير فى العمل قوله منى اما ان يتعلق بالقيت ويكون صفة لمحبة
اى محبة حاصلة منى وعلى الوجهين فالمحبة الله ومن احبه الله احبته القلوب واما محبة ان الناس لما ذرعها
الله فى قلوبهم فقد روى انه كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحة لايكاد يصبر عنه من رآه
قال القاضى هذا الوجه اقرب لانه فى الصغر لايوصف بمحبة الله التى يرجع معناها الى ايصال الثواب وردباب

محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع هو اعم من ان يكون جزاء على عمل او لايكون ولهذا بين المحبة بقوله ولتصنع على عينى
اى لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الشى بالعينين اذا اعتنى بحفظه ولما كان العالم بالشى حارسا
له عن الافات كما ان الناظر اليه يحرسه اطلق لفظ العين على العلم لاقترانهما من هذا الوجه وايضا العين سبب الحراسه
فاطلق السبب واريد المسبب ويقال عين الله عليك اذا دعى له بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور فى موضع الحال من الضمير
المبنى للمفعول فى لتصنع وجوز فى الكشاف ان يكون اذ تمشى ظرفا لتصنع وليس بذاك وانما هو ظرف لالقيت او بدل من اذ
ذاك وربما الفيته هو فى اولها واسنى فى اخرها يروى انه لما فشا الخبر ان آل فرعون اخذوا غلاما فى اليم وانه لايرتضع من
ثدى امراة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت اخت موسى واسمها مريم متنكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله
فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله فرجعناك الى امك وقال فى القصص رددناه الى امه تصديقا لقوله انا رادوه
اليك كى تقر عينها بلقائك ولاتحزن بسبب وصول ابن غيرها الى معدتك وقتلت وانت ابن اثنى عشرة سنة نفسا هو
القبطى الذى يجى ذكره فى القصص فنجيناك من الغم وهو اقتصاص فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغه قريش واراد
بالغم خوف عقاب الله وذلك قوله فاغفر لى فغفر له فتناك فتونا مصدر على مفعول فى المتعدى كالشكور او جمع
فتن كالمظنون للظن او جمع فتنه على ترك الاعتداد بتاء التانيث كبدور فى بدره وحجوز فى حجزة والفتنه المحنة
والابتداء بخير اوشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنه ومنها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه
عن سعيد بن جبير انه سال ابن عباس عن الفتون فقال اى خلصناك من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان
والقته فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة
وكان يقول عند كل واحده هذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لايجوز اطلاق اسم الفتان على الله تعالى وان جاء وفتناك
لانه صفة ذم فى العرف وسوف يجى قصه لبثه فى اهل مدين وانه على ثمان مراحل من مصر فى سورة القصص ان شاء الله
العزيز قوله على قدر اى فى وقت سبق فى قضائى وقدرى ان اكلمك واستنبئك فيه او على مقدار من الزمان يوحى فيه الى
الانبياء وهو راس اربعين سنة او على موعد قد عرفته باخبار شعيب او غيره الصنع بالضم مصدر صنع اليه معروفا وقال
قبيحا اى فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله فى الخير اكثر واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعه واصطنعت فلانا
لنفسى اذا اصطنعته وخرجته ومعناه احسنت اليه حتى انه يضاف الى وقوله لنفسى اى لاصرفك فى حوائج همك فى اوامرى حتى
لاتشتغل بغير ما امرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك اهلا للتقريب والتكريم
لخصايص فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلايبصر الابعينه ولايسمع الاباذنه ولاياتمن على مكنون سره سواه و
قال غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه ان يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لايعلم الاسمعا فلو لم يصطنعه
للرسالة لبقى فى عهدة الواجب فلهذا امر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج عن عهدة مايجب عليه ولما عدد عليه المنن السابقة باثر
الادعية المذكورة رتب على ذكر ذلك امرا ونهيا اما الامر فقوله اذهب انت واخوك وفيه بيان ما لاجله اصطنعه وهو
الابلاغ واداء الرسالة باياتى اى مع اياتى لانهما لو ذهبا بدونها لم يلزمه الايمان وهذا من اقوى الدلايل على فساد التقليد وما
هذه الايات قيل العصا واليد لانه لم يجر الاذكرهما فاطلق الجمع على الاثنين او لان كل منهما مشتملة على ايات اجزاء ولانه يستدل
بكل منهما على وجود اله قادر على الكل عالم بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا والظلم مستنيرا وقيل
قوله فيه ايات بينات مقام ابرهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل اراد اذهبا انى امدكما باياتى واظهرها على ايديكما متى وقع الاحتياج
اليها واما النهى فقوله ولاتنيا بكسر النون مثل لاتعدا وقرى تنيا بكسر حرف المضارعة وايضا للاتباع والونى بفتحتين الضعف والفتور
والكلال والاعيا والمعنى لاتنسيانى بل اتخذا ذكرى وسيلة فى تحصيل المقاصد واعتقدا ان امرا من الامور لايتمشى لاحد الابذكرى
فان المداومة على ذكر الله توجب عدم الخوف منه غيره وان يستحقر فى نظره ماسواه لقوة نفسه واستنارة باطنه وقيل اراد
بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات فضلا عن اعظمها فايدة وانمها عايدة وقيل اذكرانى عند فرعون وقولوا له
بانى لاارضى بالكفر واعاقب عليه واثيب على الايمان وارتضيه وبالجملة كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب ما الفايدة فى تكرير قوله
اذهبا الى فرعون والجواب بعد التقرير والتاكيد ان يشتغلا باداء الرسالة معا الا ان ينفرد به موسى او الاول امر بالذهاب الى كل الناس
اسرايل والقبط والثانى مخصوص بفرعون الطاغى ثم انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لانه اصل وهو كقوله واذ قتلتم نفسا
والقاتل واحد منهم ويحتمل ان هرون قد حضر وقتيذ فقد روى ان الله عزوجل اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى و
قيل الهم بذلك وقيل سمع بخبره فتلقاه سوال لو امر بتليين القول للعدو المعاند جوابه لان من عادة الجبابرة اذا اغلظ لهم فى الكلام

ان يزدادوا عتوا وعلوا وقيل لما له من حق تربيه موسى شبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح انه نحو قوله
تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين
وقيل اراد عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى
حين موته حكى عمرو بن دينار قال بلغني ان فرعون عمر اربعمائة وستين سنه فقال له موسى ان اطعتني فلك
مثل ما عمرت فادامت فلك الجنه وقيل اراد كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مره
ويحتمل ان يكون امرا بالقول اللين لانه كان في موسى حدة وخشونه بحيث اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا
فامر حدته باللين ليكون حليما في اداء الرسالة او يخشى فقبل انكاره واصراره قالت المعتزله جدوى ارسالهما
اليه مع العلم بانه لن تؤمن قطع المعذرة والزام الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن معرفة القدرة ولا
سبيل الا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان قالوا انه لن يدفع سكينا الى من علم قطعا انه يمزق
بطن نفسه ثم يقول اني ما اردت بدفع السكين اليه الا الاحسان ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه
مكتوب في التورية فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن قالا ربنا فيه دليل على ان هرون ايضا كان حاضرا
وقتئذ كما دوينا وسئل انه انشرح صدره وتيسر امره فكيف قالا اننا نخاف فان حصول الخوف ينافي شرح الصدر
واجيب بان المراد من شرح الصدر ضبط الاوامر والنواهي وحفظ الشرايع والاحكام بحيث لا يتطرق اليه خلل
وتحريف وهذا شيء اخر مغاير لزوال الخوف قلت لعلهما خافا ان لا يتمكنا من اداء الرسالة بدليل قوله ان يفرط علينا
ان يسبق رسالتنا بادرنا بالعقوبة او ان يطغى اي يجاوز الحد بان يقول فيك ما لا ينبغي ويجاوز حد الاعتدال
في معاقبتنا ان لم يعاجلنا فلا نتمكن من قيام وظايف الاداء وايضا الدليل النقلي السمعي اذا انضاف الى الدليل العقلي
زاده ايقانا وطمانينه ولهذا قال لا تخافا انني معكما اي بالنصرة والتاييد اسمع وارى وما يجري بينكما وبينه من قول
وفعل بكما ما يوجبه عنايتي وحراستي فلا يذهب وهمكما الى ان مواد كرامتي انقطعت عنكما اذا افارقتما مقام المكالمة
فصار هذا اليوم سبب خوفكما ويجوز ان يكون الفعلان منزلين منزلة المفعول كانه قيل انا سامع مبصر واذا كان الحافظ
والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصره قال بعض الاصوليين في الاية دلالة على ان الامر لا يقتضي الفور والا كان
تعللهما بالخوف معصية وانها غير جايزة على الرسل في الاصح وقال بعض المتكلمين فيها دليل على ان السمع والبصر
صفتان زايدتان على العلم والا لزم التكرار فان معنيه هو العلم ولقايل ان يقول الخاص يغني العام ولكن لا ينافيه ثم كرر
الامر بالاتيان فقال فاتياه فقولا انا رسولا ربك فيه ايجاب انقياد
لهما واكراهه على طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبار وثانيا بقوله فارسل معنا بني اسرائيل وفيه ادخال النقص في ملكه لانه
كان يستخدمهم في الاعمال الشاقة وثالثا بقوله ولا تعذبهم وفيه منع عما يريده بهم واجيب بان هذا القدر من التغليظ
ضروري في اداء الرسالة قيل اليس الاولى ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك باية من ربك فارسل معنا بني اسرائيل
ليكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب ان قوله فارسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله باية ومعه ايتان بل ايات
لقوله اذهب انت واخوك باياتي لانه اراد بالجنس كانه قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف
قلت وفيه ايضا نوع من الادب كما لو قلت انا رجل قد حصلت شيئا من العلم ولعل عندك على ما جمعت على ان تخصيص
عدد بالذكر لا يدل على نفي الزايد عليه وايضا الاصل في معجزات موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضه كما
ان الاصل في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القران فوقع لذلك في حيز التحدي والسلام اي جنس السلامة
او سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون هذا ايضا مما امرا بان يقولا لفرعون ويحتمل ان يكون الرسالة قد تمت
عند قوله باية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن امن وصدق قالت الاشاعرة في قوله
ان العذاب اي جنسه ان كل فرد منه على من كذب وتولى دليل على انه لا يعاقب احدا من المومنين بترك العمل به في بعض
الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام على ان العقاب المتناهي لا نسبة له الى النعيم المقيم الذي لا نهاية له فكانه
لم يعاقب اصلا وايضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون من اهل السلامة قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين
ووجه النداء الى موسى لانه الاصل في ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز انه حض موسى بالنداء لما عرف من فصاحة
هرون والرته التي كانت في لسان موسى فاراد ان يعجز عن الجواب قال اهل الادب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع
ذلك لم يبدأ بالسفاهة والشغب بل شرع في المناظرة وطلب الحجة فدل على ان الشغب من غير حجة شيء ما كان يرضى به

فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعي الاسلام والعلم في اشتغال موسى باقامة الدلالة على المطلوب دليل
على فساد التقليد وفساد قول القايل بان معرفة الله تستفاد من قول الرسول وفيه سماع حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب
لئلا يبقى الشك وفيه ان المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم ان العلماء اختلفوا في كفر
فرعون فقيل كان عارفا بالله الا انه كان عارفا بالله معاندا بدليل قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله في سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس فيه الا انكار
المبدا وقوله في الشعراء وما رب العالمين الى قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية وهو يشرح
الوجود فدل على انه اعترف باصل الوجود وايضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين
قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فكيف يعتقد مثل هذا الشخص انه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة
انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وايضا انه سال ههنا بمن طالبا للكيفية وفي الشعراء بما طالبا للماهية فكان
موسى لما اقام الدلالة على الوجود ترك المنازعة معه في هذا المقام لظهوره وشرع في مقام اصعب لان العلم بماهية الله
تعالى غير حاصلة للبشر وايضا انه قال في الجواب ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وصله الذي لا بد ان يكون نحله معلومة الانتساب
ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق السموات والارض
وما فيهما فمنهم من قال انه كان دهريا نافيا للموثر اصلا ومنهم من قال انه فلسفي قايل بالعلة الموجبة او هو من عبدة الكواكب او من
الحلوليه والمجسمة واما ادعاؤه الالهية والربوبية فبمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال العلماء انما قال فمن ربكما
ولم يقل فمن الهكما تعريضا بانه رب موسى كما قال الم نربك فينا وليدا قلت يحتمل ان يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا
المعنى ولم يعلم الكافر ان الربوبية التي اثبتها موسى لله في قوله انا رسولا ربك غير هذه في الحقيقة ومشاركة بينهما الا
اللفظ وهذا كما عارض نمرود ابراهيم صلوات الرحمن عليه في قوله انا احيي واميت ولم يعلم ان احياء الله واماتته ليس
من الاحياء والاماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان
اصلا في النبوة وهرون راعى الادب فلم يشتغل بالجواب قبله لان الاصل في النبوة هو موسى ولان فرعون خص موسى
بالنداء من قد خلقه بكونه اللام فاما بمعنى الخليقة والضمير المجرور لله وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى بالخليقة
اي اعطى الخلايق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد
من الجبال واللالي من البحار ويركبون الاغذية والادوية والاسلحة والامتعة ونظير هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي
الذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابرهيم الذي خلقني فهو يهدين واما ان يكون الخلق بمعنى الصورة والشكل اي اعطى كل شيء صورته
وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فاعطى العين هيئاتها التي يطابق الابصار والاذن ما يوافق الانف للشم واليد للبطش
والرجل للمشي بل اعطى رجل الادمي شكلا يوافق سعيه ورجل الحيوانات الاخر شكلا يطابق مشيها بل اعطى ذوات القرون رجلا
يوافق حاجتهن وكذا الخف والحافر وذوات المخلب وقيل اراد اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل الحصان والحجر
زوجين وكذا البعير والناقة والرجل والمراة ومن قرا خلقه بفتح اللام صفة للمضاف اليه والمفعول الثاني متروك اي كل شيء خلقه
الله لم يخله من عطايه وانعامه واعلم ان عجايب حكم الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دون العلماء طرفا منها في كتب
التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر ههنا واحدا منها وهي ان الطبيعي يقول والثقيل هابط والخفيف صاعد
فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه جعل العظم والشعر اصلب الاعضاء على طبيعة الارض
وجعل مكانهما فوق البدن وجعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذي هو الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية
في القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار بخلاف ما يقوله الدهري والطبيعي وساير الكفار وايضا اختصاص كل جسم
بقوة وتركيب وهداية اما ان يكون واجبا او جايزا والاول محال والا لم يقع فيها تغير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك المرجح واجب
الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان جايز الوجود افتقر في انضافه بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته
ثم يستغني عن سمات النقص وسوابق الافتقار وليس الا الله الواحد القهار قال اهل النظم ان موسى لما قرر عليه امر المبدا
قال فرعون ان كان وجود الواجب في هذا الحد من الظهور فما بال القرون الاولى لم يؤمنوا وجحدوا فعارض الحجة بالتقليد وقال
الحال وانه لما هدده بالعذاب في قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فاجاب بان هذا مما استاثر الله
بعلمه وما انا الا مثلك لا اعلم منه الا ما يخبرني به علام الغيوب وانه ساله عن احوال القرون الخاليه وعن شقاء من شقي منهم وسعادة
من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من ان يميل قلوب ملئه الى الحجة الباهرة والدلالة الظاهرة

فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال علمها عند ربي ولا يتعلق غرضي باحوالهم ويجوز ان يكون الكلام قدحا ضمنا او صريحا الى الحاملة
الله سبحانه بكل شيء فما بعد الكافر فما لمما بال سوالف القرون في تمادي كثرتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط بهم وباجزائهم
وجرائمهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل ق
قوله علمها عند ربي مع قوله في كتاب لا ينافيان بل المراد انه تعالى بجميع المغيبات مطلع على الكليات والجزئيات من احوال
الموجودات والمعدومات ومع ذلك فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل ان يقول لعلها اثبتت في
في اللوح لاحتمال الخطاء والنسيان فتدارك ذلك بقوله لا يضل ربي ولا ينسى قال مجاهد هما واحد والمراد انه لا يذهب عنه
شيء ولا يخفى والاكثرون على الفرق فقال الاول اشارة الى كونه عالما بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفة
الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه يقال اضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطي
ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه قال الحسن لا يخطي وقت البعث ولا ينساه وقال ابو عمرو لا يغيب عن شيء ولا يعزب عنه
شيء وقال الجرير لا يخطي في التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال
وعن ابن عباس لا يترك من كفر حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات
السموات والارضيات من الانسان وسائر الحيوانات وانواع النبات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم
الارض مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال ابو عبيدة الذي اختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال
المفضل هما مصدران وسلك اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشيء
سلكا بالفتح اي ادخلته فيه فاخاذ به بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين المتقدمين من انكر تاثير الوسايط راسا وذكروا
اي اصنافا سميت بذلك لانها تزدوج مقترنا بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى او صفة
النبات لانه مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها مختلفة النفع والطعم واللون و
والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا او قائلين كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان بعضها ما يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم
واباحة الاكل يتضمن اباحة سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا اموالكم ومن نعم الله تعالى ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل
الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي
العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز ابو علي الفارسي ان يكون مصدرا كالهدى وخص ارباب العقول بذلك لانهم هم
المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقناكم لان ادم مخلوق من الارض اولان بني ادم خلقوا
من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المتشبهة بالعناصر الغالبة عليها الارضية ولما ورد في الخبر ان الملك
ياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه الادمي فيذرها على النطفة وفيها نعيدكم لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض
الا من رفعه الله الى السماء وهو ايضا يحتمل ان يعاد اليها بعد ذلك ومنها نخرجكم بالحشر والبعث تارة نخرجكم
ترابا وطينا ثم يحييكم بعد الاخراج او المراد الاحياء في القبر وههنا بحث وهو ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى
ههنا من تتمة كلام موسى وهو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن ان توجه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن
معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع ازواجا من نبات شتى لان قوله كلوا وارعوا الى قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه
وان قيل ان كلام موسى تم عند قوله وانزل من السماء لم يصلح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب فالصواب
ان تم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدا فقال الذي اي هو الذي جعل الى اخره وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من
من قبيل الالتفات افتنانا في الكلام وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة لامره وتخصيصا بان مثل هذا لا يدخل تحت
قدرة واحد سواه والحاصل انه تعالى عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند
الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يتنقلون بها في اسفارهم وانبت فيها اصناف النبات متاعا لهم ولانعامهم ثم
ان الارض لهم كالام التي منها جاءوا نشاء وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث خروج الاجنة
من الارحام ومن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض اي تعدوا واسجدوا عليها من غير حائل وتيمموا
بها فانها بكم برة اي ثم انها لكم كالام منها خلقتم فيها معايشكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا ولقد اريناه اياتنا
اي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف يستلزم حصول المعرفة فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم والا كان كفر جهل وضلال لان سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما اذا اكد بالكل لكنه تعالى ما اراه جميع
الايات لان من جملتها ما اظهرها على الانبياء الاقدمين ويتعذر لموسى مثلها الجواب هذا التعريف الاضافي محذوف

حذف والتعريف العهدي او قيل الايات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ولو سلم العموم
فالمراد انه اراه الايات الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة
وعلى المعاد لان شمول القدرة على الاشياء يستلزم تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى او اراد انه اراه اياته المختصة
به وعدد عليه سائر ايات الانبياء واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان او اراه بعض الايات كرؤية الكل كما ان تكذيب
بعض الايات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب اي الايات كلها وابى قبول الحق قال القاضي الاباء الامتناع وانه لا يوصف
به الا من تمكن من الفعل والترك والا لم يتوجه الذم وجواب الاشاعرة انه لا يسأل عما يفعل ثم ان فرعون خاف ان يميل قلوب
ملائه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح في نبوته لادعاء امكان معارضته قائلا اجئتنا لتخرجنا فان
الاخراج من الديار قرينة القتل بدليل قوله ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم طالب المعارضة موعدا فان جعلته
زمان الوعد بدليل قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا الى الوعد المعلوم من الوعد او الى زمان الوعد
مجازا والنصب مكانا على انه ظرف للوعد المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه فوجه عود الضمير في
لا نخلفه مثل ما قلناه ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مطابقا له معنى لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان مشتهر
عندهم وكانه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدرا لمبنى وصفه بعدم الاخلاف من غير ارتكاب
اضمار او تجوز انتصب مكانا على انه ظرف ثم من قرأ يوم الزينة بالنصب فظاهر اي وعدكم او انجاز وعدكم في يوم الزينة او
وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم حشر الناس هو ضحى اي ضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فيقدر مضاف محذوف اي
وعدكم وعد يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا او وسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد نصف المكان
بالاستواء باعتبار المسافة وقال ابن زيد اي مستويا لا يحجب شيئا بارتفاع وانخفاض ليسهل على كل الحاضرين ما يجري
بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الان قال القاضي الاظهر ان قوله موعدكم يوم الزينة
من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى انه من كلام موسى ليكون الكلام مبنيا على السؤال
والجواب ولان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا بالمبطل المزور
على ان موعدكم خطاب الجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما ان يرتكبا ان اقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح واما ان
يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيدهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد
بن جبير يوم سوقهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال وان يحشر من غير تسمية الفاعل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم
من غير حاشر لهم ومحل ان يحشر رفع او جر عطفا على اليوم او الزينة عين اليوم ثم الساعة وهي ضحى ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك
اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع امره
العجيب في الاقطار والامصار والاطراف والاكناف ففي ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه وفل شوكة المخالف وتوهين
عزائم فتولى فرعون انصرف الى مقامه تهيئة لاسباب المعارضة فان صاحب السحر يحتاج في تدبير السحر الى طول الزمان ولهذا
طلب الموعد وقال مقاتل اعرض وثبت على اعراضه عن الحق فجمع كيده اي اسباب الكيد وادوات الحيلة والتمويه من السحرة وغيرهم
ذلك ثم اتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل اربعمائة وقيل اكثر من ذلك ونصب
لفرعون فيه طولها سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله تعالى ان موسى قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير على عادة المحقين
من اهل النصح والاشفاق ولاسيما الانبياء المبعوثين رحمة للانام ويلكم نصب على المصدر الذي لا فعل له او على النداء لا تفتروا على الله
بان تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم السحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومعناه الاستيصال لحذف اثر
احدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم والاخر الخيبة والحرمان عن المقصود فان التمويه لا بقاء له فتنازعوا امرهم بينهم كقوله
في الكهف اذ يتنازعون بينهم امرهم اي وقع التنازع بينهم واسروا النجوى الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة يؤيده ما روي
عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب
لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والاكثرون على الاول وذلك انهم تفاوضوا وتشاوروا وتحسسوا على حد
وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى اخر الاية لا اشكال في قراءة ابي عمرو وكذا في قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيد
المنطلق واللام فارقة بين المخففة والنافية واما من قرأ ان بالتشديد هذان بالالف فاورد عليه ان لم تعمل في المثنى و
اجيب بانه على لغة الحرث بن كعب وخثعم وبعض بني عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جني الى بعض بني ربيعة جعلوا التثنية
كعصا وسعدى مما اخره الف فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقيل ان بمعنى نعم واعترض بان ما بعده حينئذ يصير كقوله ام

الجليس كعجوز شهبرة ولا يجوز مثله الا في ضرورة الشعر وايضا وضع لام الابتداء في السعة هو المبتداء والجواب ان القرآن
حجة على غيره وذكر الزجاج في جوابه ان التقدير لهما ساحران فاللام داخلة على صدر الجملة الصغرى قال وقد عرضت
هذا القول على محمد بن زيد وعلى واسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا انه اجود ما سمعناه في هذا الباب وضعف
ابن جني بان المبتداء انما يحذف لو كان امرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد
استغني بمعرفته عن تاكيده باللام وايضا ان الحذف من باب الاختصار والتاكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما محال ومع ان
ذكر المؤكد وحذف التاكيد احسن في العقول من العكس وايضا امتنع البصريون من حمل النفس في قولك زيد ضرب
نفسه تاكيد المستكن فدل ذلك على ان تاكيد المنوي غير جائز وايضا لو كان ما ذهب اليه الزجاج جائزا لجاز الا المبتدا
وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتداء المنوي وذكر المبتدء لا يدل على التاكيد فكان حذف المبتدا اولى وعن الثاني
بان الكلام قد يكون موجزا من وجه مطنبا من وجه آخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بانهم امتنعوا
من حمل النفس على التاكيد في المثال المذكور لانهم رأوا اسناد الفعل الى المظهر اولى من اسناده الى المضمر لان تاكيد المنوي
ممتنع على انا بينا ان المؤكد ليس بمحذوف في الآية مطلقا فان احد طرفي الكلام مذكور وعن الرابع بان دخول المتقدمين
عن هذا الوجه لا يقتضي كونه باطلا لكن ترك الاول للآخر ولنرجع الى التفسير قال الفراء الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم
الذين هم قدوة لغيرهم يقال لهم طريقة قومهم وهو طريقة قومه قبح امر موسى في اعين الحاضرين ونفرهم عنه بانه ساحر
والطباع تنفر من السحر وبانه يقصد اخراجكم من دياركم وهذا ايضا مما يبغض المقاصد اليهم وبانه يريد ان يذهب
باشراف قومكم واكابركم قالوا وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف اي
باهل طريقتكم المثلى وسموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل حزب بما لديهم فرحون والمثلى تأنيث الامثل في
الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب والرياسة وكان الامر على ما يقال من قرا فاجمعوا من الجمع فظاهر
ومن قرا من الاجماع فمعناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا يختلفوا نظيره ما مر في سورة يونس فاجمعوا امركم وشركاءكم
سماه كيدا لانه علم ان السحر لا اصل له وقال الزجاج معناه ليكون عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم امرهم بان ياتوا صفا اي مصطفين
مجتمعين ليكون اهيب في الصدور واوقع في النفوس وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى اي مصلى من المصليات او هو علم
لمصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلواتهم وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب وهو اعتراض
واعلم ان قصة السحرة اكثرها تشبه ما مر في الاعراف وقد فسرناها هنالك فنحن الآن على ان نقتصر ونذكر ما هو المختص
بهذه السورة لما ان تلقي اي اختر احد الامرين الالقاء اولا او القاؤنا فاذا حبالهم هي اذا المفاجاة واصلها الوقت
تخييل سعي حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا اعين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك وقيل اراد انه شاهد شيئا لولا علمه
بانه لا حقيقة لذلك الشيء لظن فيها انها تسعى فيكون تمثيلا فاوجس في نفسه خيفة هو مفعول اوجس وموسى
فاعله اخر للفاصلة وذلك الخوف اما من جبلة البشر حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما الضمير لانه خاف ان يخالج
الناس شك فلا يتبعوه قاله مقاتل وخاف ان يتأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت او خاف ان يتفرق بعض القوم قبل ان يشاهدوا
غلبته او خاف تمادي الامر عليه وتكرره قال الله تعالى لا تخف انك انت الاعلى وفيه من انواع التوكيد ما لا يخفى وهي
الاستيناف والتصدير بان والتوسط بالفصل وكون الخبر معرفا ولفظ العلو ومعناه الغلبة وصورة التفضيل والاصل
لهم ومفصلا بقوله والق ما في يمينك لم يقل عصاك لما علم من الاعراف لما في هذه السورة وما تلك بيمينك وقال جار الله
هو تصغير لشان العصا وتهوين لامر السحر اي لا تعبأ بالعويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقف ما صنعوا
اي زوروا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها او هو تعظيم لشانها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة كان في
يمينك شيئا اعظم شانا من كلها انما صنعوا ان الذي افتعلوه كيد ساحر فيمن قرا على الوصف ليعلم ان المقصود هو الجنس
كما قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس ولو جمع لاوهم ان المراد هو العدد وانما نكروا ولا لان المراد تنكير الكيد كانه قال هذا الذي
اتوا به قسم واحد من اقسام السحر او من افعال السحرة وجميع اقسام السحر فرادا السحرة لا فلاح فيها ومن نظايره قول عمر رضي الله عنه
الا اكون انا اي احدكم نسيا لاخذ في امر دنيا ولا في امر آخرة ومعنى نسيا انه يجيء ويذهب في غير شيء ومعنى حيث اتى
اينما كان واية سلك فالقي السحرة سجدا قال جار الله سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا
رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار ورأوا
ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة واستبعده القاضي لانه

كالالجاء الى الايمان والمنافي للتكليف قلت اذا كان الايمان مقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لعب
لعب المخذول فانكر عليهم ايمانهم والقى شبهة في البين انه كبيرهم اي اسحرهم واعلاهم درجة في الصناعة او معلمهم واستاذهم
من قول اهل مكة للمعلم امرني اي استاذي في العلم او غيره فاوعدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف قال في الكشاف من
لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه قلت الاولى ان يقال الخلاف
ههنا بمعنى الجهة المخالفة حتى يصح معنى الابتداء اي لاقطعن ايديكم وارجلكم مبتديا من الجهتين المتخالفتين يمينا
وشمالا فيكون الجار والمجرور في موضع الحال اي لاقطعنها مختلفات الجهات قيل في جذوع النخل اي عليها والاولى
صوب ان يقال انه على اصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف اينا اشد عذابا ارادوا نفسه وموسى
وفيه صلف باقتداره وقهره وما الفه من تعذيب الناس واستضعاف لموسى مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من
التعذيب في شيء قال في الكشاف قلت يحتمل ان يريد بقوله اينا الله تعالى ونفسه فقدم ذكر رب هرون وموسى وقد
سبق ذكر عذاب الله في قوله ان العذاب على من كذب وتولى وفي قوله فيسحتكم بعذاب ويؤيده قول السحرة في جوابه
والله خير وابقى لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات المعجزات الظاهرات والذي فطرنا الواو للقسم وعلى هذا يجوز
ان يكون على ما جاءنا بمعنى في ما جاءنا اي لن نميل اليك والحالة هذه وعلى الوجه الاول فحوى الكلام لن نترك طاعة خالقنا
والتصديق بمعجزات بينه لاجل هواك فاقض ما انت قاض بما شئت من العذاب انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اي
في مدة الحيوة العاجلة وقرئ تقضى مبنيا للمفعول هذه الحيوة بالرفع اجرى للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صيم يوم
الجمعة والحاصل ان قضاءك وحكمك منحصر في مدة حيوتنا الفانية والايمان وثمرته باق لا يزول والعقل يقتضي تحمل الضرر
الفاني للفوز بالسعادة الباقية والخلاص من العقاب الابدي وذلك قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن سبحان
الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم ان قالوا في ذات الله تعالى اقض ما انت قاض والله ان
احدهم ليصحب القرآن ستين عاما ثم ليبيع دينه بثمن عين ولما كان اقرب خطاياهم عهدا ما اظهروه من السحر قالوا وما
اكرهتنا عليه من السحر وفي هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس ان الفراعنة كانوا يكرهون فتيانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة
فكانوا من ذلك القبيل وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر
لان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وعن الحسن انهم حشروا من المداين مكرهين وزعم عمرو بن عبيد ان دعوة
السلطان اكراه وليس بقوي فلا اكراه الا مع الخوف فحيثما وجد حكم بالاكراه والا فلا وبلغت الآيات ابتداء اخبار من الله او هي من تتمة
كلامهم فيه قولان ولعل الاول اولى انه اي الشان من يأت ربه الا حيث جاء كرالا هو فيسقط استدلال المجسمة حال كونه الاتي
مجرما فان له جهنم لا يموت فيها موتا مريحا ولا يحيى حيوة ممتعة قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم ولكل مجرم فان له جهنم بالآية
لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع بوعيد اصحاب الكباير واجاب الاشاعرة بان المجرم كثيرا ما يجيء في
القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين ولا ريب ان التكذيب بالبعث
والجزاء كفر وكقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى آخر السورة فلم قلتم ان المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فيبطل المقدمة
الاولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كلية ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم العفو وحينئذ لا يحصل القطع بالوعيد
على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم يأته مؤمنا عندنا
قلنا يصدق عليه المؤمن لايمان صدر عنه في الزمان الماضي كالضارب على من قد ضرب بالامس وليس بين الحال والزمان الماضي
منافاة كلية ولهذا صح جاءني زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات وانه حال اخرى فكانه قيل ومن يأته قد آمن وعمل ولئن قيل
قيل ان عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس اولى لان الدفع اسهل من الرفع واقامة الحد على التائب في بعض
الصور لاجل المحنة لا لاجل التنكيل وقوله تعالى نكالا من الله في حق من لم يتب بعد السرقة سلمنا ان قوله ومن يأته مؤمنا لا يتم صاحب
الكبيرة الا ان قوله فاولئك لهم الدرجات العلى يدل على حصول العفو لاصحاب الكباير لانه تعالى جعل الدرجات العلى من الجنة لمن
اتى بالايمان والاعمال الصالحات اي الواجبات لان الزايد عليها غير محصور فبقي الدرجات التي هي غيرها اليه لا بد ان يكون لغيرهم
وما هم الا العصاة من اهل الايمان ثم عظم شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى اي قال لا اله الا الله قاله ابن عباس وفيه دليل
على ان قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة وقال الآخرون تزكى اي تطهر من دنس الذنوب وعلى هذا يقع صاحب الكبيرة خارجا

ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر
يبسا ● لا تخاف دركا ولا تخشى ● فاتبعهم فرعون بجنوده
فغشيهم من اليم ما غشيهم ● واضل فرعون قومه وما هدى ●
يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب
الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ● كلوا من طيبات
ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل
عليه غضبى فقد هوى ● وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم
اهتدى ● وما اعجلك عن قومك يا موسى ● قال هم اولاء على اثرى
وعجلت اليك رب لترضى ● قال فانا قد فتنا قومك من بعدك و
اضلهم السامرى ● فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا ● قال يا قوم
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان
يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى ● قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها
فكذلك القى السامرى ● فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا
هذا الهكم واله موسى فنسى ● افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا
يملك لهم ضرا ولا نفعا ● ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم
به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى ● قالوا لن نبرح عليه
عاكفين حتى يرجع الينا موسى ● قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا الا تتبعن افعصيت امرى ● قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى

انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى ● قال فما
خطبك يا سامرى ● قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر
الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى ● قال فاذهب فان لك
فى الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك
الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ● انما الهكم
الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما ● كذلك نقص عليك من
انباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا ● من اعرض عنه فانه
يحمل يوم القيمة وزرا ● خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا ● يوم
ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ● يتخافتون بينهم ان لبثتم الا
عشرا ● نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ●
ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا ● فيذرها قاعا صفصفا ●
لا ترى فيها عوجا ولا امتا ● يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ● يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن
له الرحمن ورضى له قولا ● يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما ● وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ● ومن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ● وكذلك انزلناه
قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ● او يحدث لهم
ذكرا ● فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان
يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما

القراءة لاتخف دركا بالجزم حمزة الباقون لاتخاف بالرفع انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم على التوحيد حمزة وعلي وخلف
ووعدناكم من الوعد ابو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما علي الاخرون بالكسر بملكنا بفتح الميم ابو جعفر
ونافع وعاصم غير المفضل لضمهما حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحا والميم مخففة ابو عمرو وسهل
ويعقوب وحمزة وعلي وخلف سوى حفص الاخرون بضم الحا وكسر الميم مشددة تتبعني بالياء الساكنة في الحالين ابن
كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ونافع غير اسمعيل في الوصل وقرى يزيد واسمعيل في الوصل وقرى بفتح الياء الباقون
بحذفها يا ابن ادم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص لم يبصروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف الباقون
على الغيبة فنبذتها مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد وهشام وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
الاخرون بفتحها لنحرقنه بفتح النون وضم الراء يزيد الاخرون من التحريق فلا تخف بالجزم على النهي ابن كثير ان نقضي بالنون
مبنيا للفاعل وحيه بالنصب يعقوب الباقون بالياء مضمومة وبفتح الضاد وحيه بالرفع **الوقوف** يبسا لان قوله
لاتخاف يصلح صفة للطريق مع حذف الضمير العايد اى لاتخاف فيه ويصلح مستانفا ومن قرا لاتخف فوقفه اجوز لعدم
العاطف ووقوع الحايل مع تعقب النهي الامر الا ان يكون جوابا للامر فلا توقف ولاتخشى ماغشيهم لان التقدير وقد
اضل من قبل على الحال الماضية دون العطف لان عند ما غشيه لم يتفرغ للاضلال وما هدى والسلوى غضبي هوى
اهتدى يا موسى لترضى السامري اسفا لانتفا في الماضي على الماضي بلا ناسو حسنا موعدي السامري فنسي قولا
العطف ولا نفعا فتنتم به للابتداء بان مع اتصال العطف امري موسى الا تتبعن امري بر لسبي للابتداء بان مع اتصال
المعنى واتحاد القايل قولي يا سامري نفسي لا مساس لن تخلفه لاختلاف الجملتين عاكفا للقسم المحذوف نسفا الا هو
علما سبق للاستيناف والحال ذكرا لان الشرطية تصلح صفة للذكر وتصلح مبتدا بها وزرا لان قوله خالدين حال
من الضمير في يحمل وهو عايد الى من ومن للجمع معنى فيه حملا لان يوم ينفخ بدل من يوم القيمة زرقا لان ما بعده يصلح للصفة
وللاستيناف عشرا يوما نسفا صفصفا امتا لاعوج له لاختلاف الجملتين همسا قولا علما القيوم ظلما هضما ذكرا
الحق وحيه لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما اضيف اليه علما **التفسير** هذا شروع في قصة انجا
بني اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى فاضرب لهم طريقا اى اجعل لهم من
قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله او اراد بين لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا حتى ينفلق فعدى الضرب الى
الطريق ثم بين ان جميع اسباب الامن كانت حاصلة في ذلك الطريق واليبس مصدر وصف به ومثله اليبس ونحوهما العدم
والعدم ويوصف به المونث لذلك قيل شاتنا يبس اذا جف لبنها والدرك والدراك اسمان من الادراك اى لا يدركك
فرعون وجنوده ولا يلحقونك وفي لاتخشى اذ قرى لاتخف الوجه هو الاستيناف اى فانت لاتخشى وجوز في الكشاف
ان يكون الالف للاطلاق ومن اجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وان يكون كقول الشاعر **شعر** كان لم ترى
قبلي اسيرا يمانيا ؛ اراد لم ترى لان ما قبله ؛ وتضحك مني شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة ولا
ضرورة في الاية فاتبعهم فرعون بجنوده او اتبعهم ومعه جنوده كما مر في يونس فغشيهم اى علاهم وغمرهم من اليم
ماغشيهم وهذا من جملة ما هو علم في باب الايجاز لدلالته على انه غشيهم ما لم يعلم كنهه الا الله وقد سلف منه في
في السورة المذكورة وما حكي في الاخبار وروي في الاثار ونسبة الاضلال الى فرعون لانه في انتهاء الكل الى
ارادة الله ومشيته وقوله وما هدى تاكيد للاضلال وفيه تهكم في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد
ما انعم به على بني اسرائيل تذكيرا وتحذيرا والتقدير قلنا لهم بعد انجائهم يا بني اسرائيل ويجوز ان يكون خطابا لليهود المعاصرين
لان النعم على الاباء نعم في حق الابناء ومثله قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن اى الواقع على يمين من انطلق من مصر الى
الشام لان منفعة المواعدة عادت اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فيكتب التورية في الالواح قوام شرعهم واستقامة
امر معاشهم ومعادهم كلوا من ثمرة القول وطغيانهم في الرزق ان يشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وبتعدي
حدود الله فيها بالاسراف والتقتير والغضب من قرا فيحل بالكسر فمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب
اداؤه ومن قرا بالضم فمعنى النزول ونزول الغضب نزول تبايعه من العقوبات والمثلات ومعنى هوى هلك و
اصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى اى وقع في الهاوية سؤال كيف اثبت المغفرة في حق من استجمع التوبة
والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما يتصور في حق من اذنب وايضا ما معنى قوله ثم اهتدى بعد الامر المذكور و
الاهتداء انما يكون قبلها لا اقل من ان يكون معها الجواب اراد واني لغفار لمن تاب من الكفر وامن وعمل صالحا وفيه دليل

لمن ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل ان الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور
ويجوز ان يراد انه اذا تاب من الكفر واقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغاير التي تصدر عنه في خلال
ذلك لقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم واما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور
المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ومعنى ثم في الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة على الخير
اصعب من الشروع فيها كما قيل **شعر** لكل الى شاو العلى حركات ؛ ولكن عزيز في الرجال ثبات ؛ ونظير هذا العطف
قوله اهلكناها فجاءها باسنا وقد مر البحث فيه ويروى ان موسى قد مضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد
المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجيزا لما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضاء الله فاستنكر
الله تعالى تقدمه قايلا وما اعجلك عن قومك اى شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم النقباء لا جميع قومه على ما توهم بعضهم
يوكده قوله هم اولاء على اثري قال جار الله قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين **احدهما** انكار العجلة في نفسها
الثاني السؤال عن سبب التقدم فكان اهم الامرين الى موسى تمهيد العذر من العجلة نفسها فاعتل بانه لم يوجد مني
الا تقدم يسير وليس بيني وبينهم الا مسافة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب
فقال وعجلت اليك رب لترضى اى طلبت دوام رضاك عني ومزيد رضاك بناء على اجتهادي ان التعجيل الى مقام المكالمة
والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل لما انكر عليه الاستعجال دهش خوفا من العقاب فتحير في الجواب
قال فانا قد فتنا قومك يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر
الف يروى انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع اياتها وقالوا قد كملنا العدة ثم كان امر العجل بعد
ذلك فسئل انه تعالى كيف قال لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك واجيب بانه على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور
المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع او اراد بدو الفتنة لان السامري افترص غيبة موسى فعزم على اضلال قومه
عقب انطلاقه ولقايل ان يمنع كون هذا الاخبار عند مقدم موسى بل لعله عند رجوعه بدليل فاء التعقيب في قوله فرجع
موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة واوتي التورية والسامري منسوب الى
قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان
بتشديد التكليف واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال
لا يجوز ان تنسب الى الله تعالى لانه يناقض قوله واضلهم السامري وانما الفتنة بمعنى الامتحان بتشديد التكليف و منه
فتنت الذهب بالنار بيان ذلك ان السامري لما اخرج لهم ذلك العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة الاجسام
على ان العجل لا يصلح للالهية وقالت الاشاعرة الشبهة في كون الشمس والقمر الها اعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد
من الذهب وحينئذ لا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه فوجب حمله على
خلق الضلال فيهم واجابوا عن اضافة الضلال الى السامري بان جميع المسببات العادية تضاف الى اسبابها في الظاهر و
ان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى وقال بعضهم الاسف المغتاظ وفرق بين الاغتياظ والغضب لان الغيظ
تغير يلحق المغتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا صح اطلاقه على الله سبحانه
ثم عاتب موسى قومه بامور منها قوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا كانهم كانوا معترفين بالرب الاكبر لكنهم عبدوا العجل على
التاويل الذي يذكره عبدة الاصنام او على تاويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التورية التي فيها هدى ونور او قيل هو الثواب على
الطاعات ومثله ما روي عن مجاهد انه العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك
فرعون ووعدهم ارضهم وديارهم وقد فعل ومنها قوله افطال عليكم العهد اى الزمان يريد مدة مفارقته لهم ووعدوه ان
يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل وقيل اراد عهدهم نعم الله تعالى من الانجاء وغيره
والاكثرون على الاول لما روي انه وعدهم ثلثين كما امره الله تعالى بقوله وواعدنا موسى ثلثين ليلة فجاء بعد الاربعين لقوله
تعالى واتممناها بعشر ولما اولما روي انهم حسبوا العشرين اربعين ومنها قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم قالوا هذا
لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهو اخلاف الموعد لما كانت توجب ذلك صح هذا
الكلام لان مريد السبب مريد للمسبب بالعرض احتج العلماء بالاية وتمام من قوله فيحل عليكم غضبي ان الغضب من صفات
الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله لا ينزل في شيء من الاجسام وموعد موسى هو ما ذكرنا من انهم وعدوه الا
قامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق به والمجيء على اثره قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بالحركات

الثلث اي بان ملكنا امرنا وحينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده والظاهر ان القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لا يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه فكانهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم يقدروا على منعه ولم نقدر ايضا على مخالفتهم حذرا من التفرقة وزيادة الفتنة ثم ان القول يتناول ذلك العذر المجمل قالوا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي اثقالا من حلي القبط كما مر في الاعراف فعل الاوزار الاثام وانها في الحقيقة اثقال مخصوصة معنوية سموا بذلك لان المغانم لم يكن تحل حينئذ ولانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي وقيل ان تلك الحلي كان القبط يزينون بها في مجامع الكفر ومجالس المعاصي فلذلك وصفت بانها اوزار كما يقال في الات المناهي فقذفناها اي في حفرة كان هرون امرهم بجمع الحلي فيها انتظار العود موسى او في موضع امرهم السامري بذلك بعد ان اوقد النار وكذلك القى السامري اي فعل السامري مثل فعلنا اراهم انه يلقي حليا في يديه مثل ما القوا وانما التربة التي اخذها من موطئ حافر فرس جبرائيل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذها فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار مر في الاعراف فقالوا اي السامري ومن تبعه هذا الهكم واله موسى فنسي ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر او نسي الاستدلال على ان العجل الذي لا يجوز ان يكون الها بقوله افلا يرون الا يرجع ان مخففة من الثقيلة ولهذا لم يعمل وقرئ بالنصب على انها الناصبة قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعي الالهية جائز لانه لا يحصل الالتباس وههنا كذلك فوجب ان لا يمتنع خلق الحيوة في صورة العجل وروى عكرمة عن ابن عباس ان هرون عليه السلام مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم اعطه ما سالك فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني اسالك ان يخور فخار وعلى هذا التقدير يكون معجزا للنبي لا للسامري ثم انه سبحانه اخبر ان هرون لم يال نصحا واشفاقا في شان نفسه وفي شان قومه قبل ان يقول لهم السامري ما قال اما شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر وانه امتثل امر اخيه حين قال له اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين واما شفقته في شان القوم فظاهر حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة فتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون فزجرهم عن الباطل اولا بان هذا من جملة الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله ان ربكم الرحمن ومن فوايد تخصيص هذا الاسم بالمقام انهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم ثم بين ان الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني واطيعوا امري وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم ان الشفقة على خلق الله عظيم في الدين وقاعدة متينة روى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس اذا نظر الى شاب على باب المسجد فقال من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فتولى وقال الهي وسيدي هذا رسولك يشهد علي باني من اهل النار وانا اعلم انه صادق فاذا كان الامر كذلك فاسألك ان تجعلني فدا امة محمد وتشعل النار بي حتى تبر يمينه ولا تشفع النار احدا فهبط جبرئيل عليه السلام وقال يا محمد بشر الشاب باني قد انقذته من النار بتصديقه لك وفدايه امتك بنفسه وشفقته على الخلق قال اهل السنة ههنا ان الشيعة تمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون ما منعه التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت امة محمد صلى الله عليه وسلم على الخطا لكان يجب على علي ان يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف وللشيعة ان يقولوا ان هرون صرح بالحق ثم خاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وهكذا علي امتنع اولا من البيع فلما آل الامر الى ما آل اعطاهم ما سالوا وانما قلت هذا على سبيل البحث لا لاجل التعصب ثم ان القوم قابلوا احسن موعظة هرون بالتقليد والجحود قائلين لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من انواع التوكيد من جهة النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الجار ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن كقوله ما منعك ان لا تسجد في ان لا هذه مزيدة ام لا وقد مر في الاعراف وفي هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس ما منعك من اتباعي بمن اطاعك والحوق بي وترك المقام بين اظهرهم وقال مقاتل اراد الاتباع في وصيته كانه قال هلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشر وقال الاصوليون في قوله افعصيت امري دلالة على ان تارك المامور به عاص لقوله ومن يعص الله ورسوله

فان له نار جهنم فيعلم منه ان الامر للوجوب واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا بان موسى هل امر هرون باتباعه ام لا والثاني فهرون اتبعه ام لا فان امره واتبعه فلا يمنعه هرون من غير جرم يكون دينا وان امره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وايضا قوله افعصيت استفهام بمعنى الانكار فاما ان يكون موسى كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما ان يكون عاصيا وايضا اخذه بلحية هرون وبراسه ان كان ذلك بعد البحث والتفتيش فهرون عاص والا فموسى واجيب بان ذلك كله مؤول واجتهاد وجارية مجرى او هو من باب ترك الاولى وقد مر في اوايل البقرة في قصة ادم ما ينفعك في هذه المسئلة قوله ولم ترقب قولي اي وصيتي لك بحفظ الدهماء وحسم الشقاق بينهم او قبله خشيت ان تقول فرقت قال الامام ابو القسم الانصاري والهداية انفع من الدلالة فان التحريم ما دام باقيا واحدة فامنوا وتحولوا في الدين ما تحولوا واما قوم موسى فقد دام في زيادة سائر الايات الشرع ومع ذلك الامر وبصوت العجل وعكفوا على عبادته فمن شان العرض لا يحصل الا بالهداية من موسى من عتاب هرون انما اقبل على السامري وعكسه ان يكون بعد ذلك حضر او ذهب اليه موسى ليخاطبه فالخطب مصدر خطب الامر اذا ما انفعل اي ما لك انفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه قال اي السامري بصرت بما لم يبصروا به عن ابن عباس ورواه ابو عبيد علمت ما لم تعلموه به من البصارة بمعنى العلم وقال الاخرون رايت ما لم يروه قال الشيخ ... العلماء ... الخطاب احترازا من ... عدم البصارة الى التي والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين ان المراد بالرسول جبرائيل واثر التراب الذي اخذه من موقع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحيوة ومتى رآه الاكثرون على انه رآه يوم فلق البحر كان جبرائيل على الرمكة وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبرائيل فتبعه فرس فرعون وعن علي كرم الله وجهه ان جبرائيل لما انزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس وكان راكب حيزوم فقال ان لهذا شان فقبض من تربة موطئه فمعنى الاية فقبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ثم من المفسرين من جوز ان السامري لم يعرف انه جبرائيل ومنهم من قال انه عرفه وعن ابن عباس في رواية الكلبي انما عرفه لانه رباه في صغره وحفظه من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت المراة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به الفرعون فيأخذ الملائكة الولدان فيربونهم حتى تدعوا و يختلطوا بالناس فكان السامري اخذه جبرائيل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال ابو مسلم اطلاق الرسول على جبرائيل في هذا المقام من غير قرينه تكليف لعلم الغيب وايضا تخصيص السامري من بين الناس برؤيه جبرائيل وبمعرفته وبمعرفة خاصيه تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شانه فلقائل ان يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى ان يراد بالرسول موسى فقد تواجه الحاضر بلفظ الغايب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون اطلاق الرسول عنه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا به مكذبا واراد باثره سنته ورسمه من قولهم فلان يقفوا اثر فلان اي عرفت ان الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئا من سنتك فطرحتها فعلى قول العامة يكون قوله وكذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما اوحى اليه وليه الشيطان ان تلك التربة اذا نبذت على الجماد صار حيوانا وعلى قول ابي مسلم يشير الى ان اتباع اثرك كان من تسويلات النفس الامارة فلذلك تركته ثم بين موسى ان له عقوبة في الدنيا وعقوبة في الاخرة يروى انه اراد ان يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه سخي وفي قوله لا مساس وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس لانه اذا اتفق ان يماسه احدهم حم الماس والممسوس فلذلك اذا راى احدا صاح لا مساس ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى الان الثاني ان المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى اخرجه من محلة بني اسرائيل وقال له اخرج انت واهلك طريدا الى البراري اعترض الواحدي عليه بان الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس وانما يقال له ذلك واجيب بان هذا على الحكاية اي اجعلك يا سامري بحيث اذا اخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس الثالث قول ابي مسلم فان المراد انقطاع نسله وان يخبر بانه لا يمكن له مماسة المراة اي مجامعتها واما حاله في الاخرة فذلك قوله وان لك موعدا لن تخلفه قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا ثم بين ما لحال الهه فقال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا لنحرقنه من جعله من الاحراق ففيه دليل على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار ونسفه في اليم قال السدي امر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم احرق ثم نسف رماده فالنسف النقض ومن جعله من الحرق اي لنبردنه بالمبرد ففيه دلالة على انه لم يستحل حيوانا الا اذا اريد برد عظامه ومن جعله من التحريق فانه يحتمل الوجهين والمراد اهدار سعي السامري وابطال كيده ومحق صنيعه والله خير الماكرين ثم ختم الكلام ببيان الدين الحق فقال انما الهكم

اى المستحق للعبادة والتعظيم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما قدم مثله فى الانعام فقال مقاتل اى يعلم من يعبده
ومن لا يعبده وحين فرغ من قصه موسى شرع فى تثبيت رسولنا صلى الله عليه وسلم فقال كذلك اى نحو ما اقصصنا
عليك قصه موسى وفرعون والسامرى نقص عليك من انباء اخبار الرسل مع اممهم تكثير المعجزات ثم عظم شان القران بقوله
وقد اتيناك من لدنا ذكرا اى ما ذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف فى دينه وفى دنياه والوزر العقوبة الثقيلة التى تنقض
ظهر صاحبها او المراد جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه اى فى ذلك الوزر او فى احتماله وساء فيه ضمير مبهم تفسيره
حملا والمخصوص محذوف للقرينة اى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ويجوز ان يكون ساء بمعنى
قبح ويكون فيه ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز ولهم حال من حملا ولا ادرى لم انكره صاحب الكشاف اللهم الا ان
يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت الحمل بالفتح ما كان فى بطن او على راس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر ولك
وفى الصور قولان اشهرهما انه القرن ويؤيده قوله فاذا نقر فى الناقور وانه تعالى يعرف امور الاخرة بامثال ما شوهد
فى الدنيا ومن عادة الناس النفخ فى البوقات عند الاسفار وفى العساكر فجعل الله تعالى النفخ فى تلك الالة علامة لخراب
الدنيا ولاعادة الاموات واقربهما من المعقول ان الصور جمع صورة ويؤكده قراءة من قرا بفتح الواو وعينا الصورة وصور
كدرة ودرر والنفخ نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه ان النفخ يتكرر لقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى والاحياء لا يتكرر
بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو مراد من النفخة الاولى بالاتفاق ونحشر المجرمين عن ابن عباس هم
الذين اتخذوا مع الله الها اخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة وفى الزرق وجوه قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة
ابغض شىء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وانهم زرق العيون ومن كلامهم فى صفة العدو اسود الكبد
اصهب السبال ازرق العين وقال الكلبى زرقا اى عميا قال الزجاج يخرجون بصراء [illegible] لقوله يوم تشخص
فيه الابصار ولقوله اقرأ كتابك ثم يؤول حالهم الى العمى وان حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل زرقا اى
عطاشا كقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فانهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حكاه ثعلب عن ابن الاعرابى
يتخافتون يتسارون بينهم لغاية خوفهم او لانه امتلأت صدورهم رعبا وهولا يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا
لانها ايام سرورهم وهى قصار واما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولا سيما بالنسبة الى الابد السرمد
كان بعضهم يقول قد لبثنا فى دنيانا بالقياس الى لبثنا فى الاخرة كعشرة ايام فقال اعقلهم بل كاليوم الواحد وانما
قال عشر ليال وقال مقاتل اراد عشر ساعات اى بعض يوم وعلى هذا فافضلهم رد عليهم استقصارهم وتقالهم وقيل
المراد لبثهم فى القبور قال اهل النظم كان سائلا سال كيف يصح التخافت بين المجرمين والجبال حائلة مانعة فلذلك قال
ويسألونك عن الجبال وقال الضحاك ان مشركى مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال يوم القيمة فنزلت
ويحتمل ان يكون هذا جواب شبهة تمسك بها منكروا البعث منهم جالينوس زعم ان الافلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأ
بالنقصان حتى ينتهى الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبين
لهم هذه المسألة الاصولية من غير تاخير ولهذا ادخل فاء التعقيب فى الجواب والنسف القلع وقال الخليل التطيير والاذهاب
كانه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها وحاصل الجواب ان كل بطلان لا يلزم ان يكون ذبوليا بل قد يكون دفعيا
والضمير فى فيذرها للمضاف المحذوف اى فيذر مقارها ومراكزها او هو للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها والقاع
المستوى من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل المستنقع الماء والصفصف الارض الملساء المستوية وقيل التى لا نبات فيها
والامت النتوء اليسير وقيل التلال الصغار قالوا العوج بالكسر فى المعانى وكانه سبحانه نفى العوج الذى يدق عن الاحساس
ولا يدرك الا بالقياس الهندسى واذا كان هذا النوع من العوج الاعتبارى منتفيا فكيف بالعوج الحسى وقد يستدل بالاية
على ان الارض يومئذ يكون كرة حقيقية اذا كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مشتركة فيعوج الامتداد القائم
عليها هناك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق فيه يتبعون الداعى قيل هو النفخ فى الصور وقوله لا عوج له اى لا يعدل
عن احد بدعائه بل يحشر الكل وقيل ان اسرافيل وملكا اخر يقوم على صخرة بيت المقدس ينادى ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة
واللحوم المتمزقة قومى الى ربك للحساب والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون صوته من غير انحراف وخشعت الاصوات للرحمن
خضعت من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع ايها السامع الا همسا وهو الصوت الخفى وذلك ان الجن والانس علموا ان لا مالك
لهم سواه وحق لمن كان الله محاسبه ان يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة
وابن زيد الهمس وطء الاقدام اى لا تسمع الا صوت نقل الاقدام الى المحشر قوله الا من اذن يصلح ان يكون منصوبا على المفعولية

وان يكون مرفوعا على البدل بتقدير حذف المضاف اى لا ينفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضى له اى لاجله
قولا قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى الاحتمال الاول اولى لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة
فلا تحصل الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملت الاية على ذلك كان من ايضاح الواضحات بخلاف
ما لو حملت على المشفوع واقول الاحتمالان متقاربان مثلا زمان المشفوع لا يقبل الشفاعة فى حقه الا اذا اذن الرحمن
لاجله فيعود الى الثانى قالت المعتزلة الفاسق غير مرضى عند الله تعالى فوجب ان لا ينتفع بشفاعة الرسول اجيب بانه
قد رضى لاجله قولا واحدا من اقواله وهو كلمة الشهادة والواهى ان الفاسق قد رضى الله قولا لاجله فلم قلتم ان الاذن
حاصل للشافع فى حقه والجواب انا ايضا نمنع من ان الاذن غير حاصل فى حقه على انه قال فى موضع اخر ولا يشفعون الا
لمن ارتضى فلم يعتبر الا احد القيدين ثم اخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم ما بين ايديهم الضمير للذين يتبعون الداعى اى يعلم
ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلومه علما وقال الكلبى ومقاتل الضمير للشافعين الملائكة والانبياء
كما فى اية الكرسى وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له اى يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان منهم بعد خلقهم من امر
الاخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيئا من ذلك فكيف يصلحون للعبودية ثم ذكر غاية قدرته بقوله وعنت الوجوه
اى ذلت رقاب الممكنات منقادين لامره كالاسارى عنى يعنو عنوا اذا صار اسيرا وقيل اراد وجوه العصاة فى القيمة
كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ولعله خص الوجوه بالذكر لان اثار الذل والانكسار فيها ابين واظهر قال جار الله وقد خاب
وما بعده اعتراض اى كل من ظلم فهو خائب خاسر ولاهل السنة ان يخصوا الظلم ههنا بالشرك او يعارضوا هذا العموم بعمومات
الوعد ومن قرا فلا يخاف بالرفع فعلى الاستيناف اى فهو لا يخاف كقوله ومن عاد فينتقم الله منه ومن قرا فلا يخف فمعناه
فليامن لان النهى عن الخوف امر بالامن من فسر الظلم بانه الاخذ فوق حقه والهضم بانه النقص من حقه كصفة المطففين
فيقدر محذوفا اى فلا يخاف جزاء الظلم ولا هضما لانه لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بانه العقاب لا على جريمة والهضم بانه
النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال ابو مسلم الظلم ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه من التعظيم
لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال جار الله قوله وكذلك عطف على قوله كذلك نقص
اى ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله عربيا لان العرب
اصل وغيرهم تبع لان النبى عربى وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه ويدخل فيه الفرائض والمحارم لان الوعيد
يتعلق بترك احدهما وبفعل الاخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا حمل الاول جار الله ارادة ترك المعاصى والثانى على
فعل الخير والطاعة والعبادة قلت لا ريب ان القران ينفر عن السيئات ويبعث على الطاعات من حيث ان فهم معانيه يؤدى
الى ذلك وانما قدم الاول على الثانى لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى عبارة عن فعل الخيرات وترك
المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان اى ان نسوا شيئا من النزول والافعال احدث القران لهم ذكرا اذا تلوا
معانيه وكلمة او على الاول للتخيير والاباحة وعلى الثانى يجوز ان يكون للتنويع وقيل اراد انزلنا القران ليتقوا فان لم
يحصل ذلك فلا اقل من ان يوجب القران لهم ذكرا اى شرفا وصيتا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقديرين يكون فى
انزل القران نفع ثم عظم شان القران من وجه اخر وهو عظم شان منزله قائلا فتعالى الله الملك الحق اى ارتفع صفاته عن
صفات المخلوقين انزل القران لتحيزه واعلم لا ينبغى وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق
قد مر فى البسملة قال جار الله فيه استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة
بين ثوابه وعقابه وغير ذلك مما يجرى عليه امر ملكوته قال ابو مسلم ان من قوله ويسألونك عن الجبال الى ههنا كلام تام و
قوله ولا تعجل خطاب مستانف وقال الاخرون انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف ان يفوته شىء فيقرا مع الملك فالله تعالى
حين شرح كيفية نفع القران للمكلفين وبين سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصى فانه موصوف بالملك
الدائم والعز الباقى وكل من كان كذلك وجب ان يصون رسوله عن السهو والنسيان فى امر الوحى وما يتعلق بصلاح العباد
فى المعاش والمعاد قال ولا تعجل بالقران لانه حصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل ان يقضى اليك وحيه اى من قبل
ان يتم قراءة جبرئيل ونحوه قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قال مقاتل والسدى وابن عباس فى رواية عطا وقال مجاهد و
قتادة اراد ولا تعجل بالقران فتقراه على اصحابك قبل ان يوحى اليك بيان معانيه اى لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان
وقال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا عن كذا وكذا وقد ضربنا لك اجلا ثلثة ايام فابطا الوحى عليه و
فشت المقالة ان اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الاية اى لا تعجل بنزول القران من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ

الى اسرافيل ومنه الى جبرائيل ومنه اليك وعن الحسن ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي لطم
وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الاية فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص وانما نشات هذه الا
قوال لان قوله ولا تعجل بالقران يحتمل التعجيل بقراءته في نفسه او في تاديته الى غيره او في اعتقاد ظاهره او في تعريف
الغير بما يقتضيه ظاهره وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز ان يحصل
عقيبه استثناء او شرط او غيرهما من المخصصات والمبينات ويؤكد هذه المعاني قوله وقل رب زدني علما لان معرفة
البيان علم زايد على معرفة الاجمال والظاهر ان هذا الاستعجال كان امرا اجتهاديا وكان الاولى تركه فلذلك نهى عنه قال
جار الله هذا الامر متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب العلم وادبا
جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم ومن فضايل العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ما امر في طلب الزيادة في شيء
الا في العلم ومنه اشارة الى ان اسرار القران غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره ونقصانه
فاسلك بما اسالك به بنبيك ان ترزقني تتبعه علما ينفعني في الدارين التاويل ولقد اوحينا الى موسى القلب ان
اسر بعبادي وهم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سر بهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا
يبسا من ماء الهوى وطين الصفات الحيوانية وباقي التاويل كما مر في يونس ونزلنا عليكم من صفاتنا وسلوى اخلاقنا
فاتصفوا بطيبات اخلاقنا ولا تطغوا فيه بافشاء سر الربوبية الى غير اهله كمن قال انا الحق وسبحاني فان الحلاج الانضح للمقالات
واني لغفار لمن رجع عن الطغيان وامن بالربوبية وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى بتحقق ان حضرة الربوبية
منزهة من دنس الوهم والخيال ومقام الوصال المباين للقيل والقال وعجلت اليك فيه ان الشوق اذا غلب انقطع العلايق
وان مطلوب السائر لا ينبغي ان يكون الا رضا الله قد فتنا قومك من بعدك فيه ان فتنة الامة والمريد مقرونة بغيبة
النبي والشيخ بملكنا اي بارادتنا ومشيتنا فكذلك القى السامري من غير اختيار منه ولكن اضطرارا من القدر بابتلائه
قبل مخاطبته بذلك ليذكره قول الملائكة يا ابن النسا الحيض ما للتراب ورب الارباب فقبضت من اثر الرسول فنبذتها
فيه ان الكرامة لاهل الكرامة كرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها في الباطل والطبيعة لا في الحق
والحقيقة لا مساس فيه معارضة بنقيض مقصوده اراد الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعدت بالتفرد والتوحش
والنفار عن الخلق وزرقا ان الوجه اشرف اعضاء الانسان والعين اشرف اعضاء الوجه وزرق العين دلالة على خروجها عن
الاعتدال واذا كان اشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا في الاخلاق التابعة للامزجة وعنت
الوجوه اي كل جهة بها يستند الممكن الى الواجب يتبعون الداعي لان كل اناس يدعى بامامهم فيتبعونه انه اليه واهل الله لا
يفرقون الا الى الله في قوله والله يدعو الى دار السلام

ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ۝ واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ۝ ان لك الا تجوع فيها ولا
تعرى ۝ وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى ۝ فوسوس اليه الشيطان قال
يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ۝ فاكلا منها فبدت
لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه
فغوى ۝ ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى ۝ قال اهبطا منها

جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع
هداى فلا يضل ولا يشقى ۝ ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ۝ قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا ۝ قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
تنسى ۝ وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب
الاخرة اشد وابقى ۝ افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولى النهى ۝
ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى ۝ فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها و
من اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ۝ ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وابقى ۝ وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ۝ وقالوا لولا ياتينا
باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ۝ ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
من قبل ان نذل ونخزى ۝ قل كل متربص فتربصوا فستعلمون
من اصحاب ۝ الصراط ۝ السوى ۝ ومن اهتدى ۝

القراءة وانك بالكسر ابو بكر وحماد والحراز ونافع الباقون بالفتح عطفا على الا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على
المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز في المعطوف عليه لبعد اعني بالامالة حمزة وعلى وخلف حشرتني بفتح الياء ابو جعفر ونافع
وابن كثير ترضى مبنيا للمفعول على وابو بكر وحماد والمفضل زهرة بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب الاخرون بسكونها وقرا حمزة وعلى
وخلف هذه السورة وكل سورة اياتها على الياء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر الوقوف عزما الا ابليس ابى فتشقى
ولا تعرى لمن قرا وانك بالكسر ولا تضحى لا يبلى الجنة لنوع عدول عن ذكر حال الاثنين الى بيان فعل ما من هو المقصود فغوى وهدى عدو

لابتداء الشرط مع الفاء ولا تشقى يوم القيمة اعمى بصيرا فنسيتها لعطف المخلفين تنسى باياته ربه وابقى مساكنهم التى مشى
عروبها لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى لنفتنهم فيه وابقى عليها دوفا تورثك للتقوى من ربه الاولى
ونجزى فمن يصوا لسين التهذيد مع الفاء اهتدى **التفسير** في نظم قصة ادم بما قبلها وجوه منها انه لما قال كذلك نقص
عليك من انباء ما قد سبق ثم عظم شان القران وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد ومنها انه لما قال وصرفنا فيه من الوعيد
اردفه بهذه القصة ليعلم ان طاعة بنى ادم للشيطان امر قديم وخلة موروثة وذلك انه عهد الى ادم من قبل هؤلاء الذين
صرف لاجلهم الوعيد فنسى وترك العهد ومنها ان قوله ولا تعجل بالقران دليل على انه صلى الله عليه وسلم زاد على
قدر الواجب في رعاية امر الدين وكان مفرطا اداء الرسالة وحفظ ما امر به فناسب ان يعطف عليه قصة ادم لانه كان
موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى واذا كان اول الانبياء وخاتمهم موصوفين بنوع تقصير
فما ظنك بغيرهما ومن ههنا عرف فضيلة الخاتم فانه سعى في طلب الكمال الى ان عوتب للخروج عن حد الاعتدال وادم
توسط في حيز النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها ان محمدا صلى الله عليه وسلم امر بان يقول رب زدنى علما ثم
ذكر عقيبه قصة ادم تنبيها على ان بنى ادم مفتقرون في جميع احوالهم الى التضرع والالتجاء الى الله تعالى حتى يفتح
عليهم ابواب التيسير في العلم والعمل ومعنى عهدنا الى ادم امرنا ووصيناه من قبل اى من قبل محمد والقران وفي النسيان
قولان **احدهما** انه نقيض الذكر عن الحسن والله ما عصى قط الا بنسيان **والثانى** ان معناه الترك وعلى هذا يحتمل ان
يقال اقدم على الاكل من غير تاويل وان يقال اقدم عليه بتاويل وقد مر في البقرة قال اهل الاشارة جهد ابليس ان لا يتعلق نوره
فانقاد الشيطان وهو النسيان والعزم ايضا فيه اقوال **احدها** عزما على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد **والثانى** عزما
في العود الى الذنب ثانيا **والثالث** رايا وصبرا اى لم يكن من اهل العزم والثبات اذ كان من حقه ان يتصلب في المامور به
تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض
العدم كانه قال وعدمنا له عزما قوله واذ قلنا للملائكة سلف في البقرة مستقصى قوله ان هذا عدو لك ذكروا في سبب
عداوته اياه انه كان شابا عالما لقوله وعلم ادم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضله بفضيلة اصله و
الشيخ الجاهل ابدا يكون عدوا للشاب العالم وايضا الماء والتراب مضادان للنار فلا يخرجنكما فلا يكون سببا لاخراجكما لان الفاعل
الحقيقى هو الله سبحانه فتشقى في طلب القوة وساير ما يعيش به الانسان اسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما في
الخروج لان الرجل اصل في باب الانفاق والكسب والمراة تابعة له ثم بين ذلك الشقاء بقوله ان لك الا تجوع الى الجوع والظما
العطش وتقول اضحيت الشمس بالكسر اضحى ضحاء ممدودا اذا برزت لها والمراد به الكن مع ان الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور
فيها الضحى فيكون هذه الامور في الجنة يثبت حصولها في غيرها ولا ريب ان اصول المتاعب في الدنيا هى الشبع والرى
والكن واما المنكوح فمشترك الا ان نون النكاح تختص بالدنيا وايضا انها ترجع الى المذكورين يروى انه كان لباسهما الظفر
فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع فوسوس اليه الشيطان انهى اليه وسوسته كما
مر في الاعراف بيان الوسوسه انه قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه
كما قيل لحيزوم فرس جبرئيل لان من باشر اثره حى وملك لا يبلى اى لا ينقطع ولا يزول قال القاضى ليس في الظاهر انه قبل ذلك منه
بل لو جرت هذه الوسوسه حال كون ادم نبيا استحال ان يقبل ذلك منه لانه لا بد ان يحصل بين حال التكليف وحال المجازاة
فصل بالموت والنبى يمتنع ان لا يعلم هذا القدر واجيب بالمنع ولو سلم فلم لا يكفى الفصل بغشى او نوم خفيف ولو سلم انه لا يكفى
فلم استحال ان يجهل النبى ذلك كما جهل عدم جواز الرؤية على زعمكم حين قال ارنى انظر اليك ومما يدل على ان ادم قبل وسوسته
قوله تعالى فاكلا بالفاء والفاء مشعرة بالعلية كقول الصحابى زنى ماعز فرجم وباقى الاية قد مر تفسيره في الاعراف الا قوله
وعصى ادم ربه فغوى قال بعض الناس ان ادم ذنبه كبيرة والا لم يوصف بالعصيان والغواية فان العاصى والغاوى اسمان
مذمومان عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليهما واجيب بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون مندوبا وزيف
المنع من ان المندوب مامور به ثم بين ان مخالفه عاص والا كان الانبياء كلهم عصاة لانهم لا ينفكون عن ترك المندوب
قالوا ايضا اشرت اليه في امر كذا فعصانى ولعرته بترب الدماء فعصانى واجيب بالمنع من ان هذا من مستعملات العرب
العادية ولو سلم ولعله انما يقال ذلك اذا عرف ان المستشير لا بد له ان يفعل ذلك وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا
وان لم يكن وجوب شرعى لان ذلك الايجاب لم يصدر عن الشارع ومنهم من زعم انه ذنب صغير وهم عامة المعتزلة وردبان
العاصى اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغير واجاب ابو مسلم الاصفهانى بانه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكليف

ولهذا قال سبحانه فغوى اى خاب من نعيم الجنة لان الرشد هو ان يتصل بشئ الى شئ فيصل الى المقصود والغى ضده وانه سعى
في طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى اى بشم من كثرة الاكل وزيفه جار الله ورد قول ابى مسلم بان مصالح
الدنيا لم تكن صباحته فلا يوصف بالعصيان قلت وفي هذا نظر والاحوط في هذا الباب ان يعتقد كون هذه الواقعة قبل
النبوة بدليل قوله ثم اجتباه ربه اى اختاره للرسالة وهدى لحفظ اسباب العصمة واصل الاجتباء هو الجمع كما مر في اخر الاعراف
روى عن ابى امامة لو وزنت احلام بنى ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء ففيه دليل
على انه لا راد لقضائه وما قدره كاين لا محالة واذا جاء القضاء عمى البصر والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يختفى
على اعقل الناس كما خفى على ادم عداوة ابليس وانه تعرض لسخط الله في شانه حين امتنع من سجوده فكيف قبل منه
وسوسته لولا كتاب من الله سبق قال المحققون الاولى ان لا يطلق لفظ العاصى والغاوى على ادم عليه السلم وان
ورد في القران فعصى ادم ربه فغوى لانه لم يصدر عنه الزلة الا مرة واحدة وصيغة اسم الفاعل تنبئ عن المزاولة
ولان المسلم اذا تاب عن الشرب او الزنى وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز ان يشتم عبده بما
شاء وليس لغيره ذلك قال اهبطا قد مر تفسير مثله في البقرة خاطبهما بالهبوط لانهما اصلا البشر ثم عمم الخطاب بهما وتدبر
في قوله فاما ياتينكم اما قوله بعضكم لبعض عدو فقد قال القاضى يكفى في توفية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين
اعداء الناس والناس اعداؤهم فاذا ينضاف الى ذلك عداوة بعض الفريقين لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام عن ابن عباس
ضمن الله لمن تبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا قوله فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى والسبب فيه
ان العقاب في الاخرة لاجل انه قد ضل عن الدين في مدة التكليف واتباع كتاب الله يستلزم عدم الضلال عن الدين المستتبع
للنجاة من العقاب في الاخرة واما الشقاء الذى قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لقصر مدته على ان الرضا بالقضاء يهون
عليه مصايب الدنيا وافاتها ثم ذكر وعيد من اعرض وظاهر الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى المذكور لان قوله ومن
اعرض عن ذكرى في مقابلة قوله فمن تبع هداى وقد مر في اول البقرة ان المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان
الذكر هو القران وساير كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر وصف به ولهذا استوى فيه المذكر و
المؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك كانه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه و
قصر مدته وكثرة شوائبه انما العيش الواسع عيش الاخرة وهذا الضيق الموعود به اما في الدنيا او في القبر او في الاخرة
مال الى كل طائفة **اما الاول** فلان المسلم الراضى بقضائه معه من التسليم والتوكل والقناعة ما يعيش به عيشا رافغا
والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض والطموح الى ما ليس بناله من الفراغ والوداع
الكلى فلا هم له الا هم الدنيا عن ابن عباس المعيشة الضنك هى ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدى لشئ منها ومن الكفرة من
ضربت عليهم الذلة والمسكنة وسئل عن قوله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اهل البلى فاسالوا الله العافية فقال اهل البلى
هم اهل الغفلة عن الله تعالى فعقوبتهم ان يردهم الله الى انفسهم واى معيشة اضيق واشد من ان يرد الانسان الى نفسه
قلت التحقيق ان بعض البليات من العقوبات فطلب العافية منها لازم وبعضها لمزيد الدرجات ولكن الانسان خلق
ضعيفا فكثيرا ما يؤول امر المبتلى الى الجزع والفزع فيحرم الثواب فيطلب العافية من هذا القسم ايضا خوفا من المآل **واما
الثانى** فعن ابن مسعود وابى سعيد الخدرى ورفعه ابو هريرة الى النبى صلى الله عليه وسلم انه عذاب القبر للكافر وعن ابن
عباس ان الاية نزلت في الاسود بن عبد الله المخزومى والمراد ضغطة القبر تختلف فيها اضلاعهم **واما الثالث** فعن
الحسن وقتاده والكلبى ان الضيق في الاخرة وفي جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم والحميم والغسلين فلا يموتون فيها
ولا يحيون اما قوله ونحشره يوم القيمة اعمى فكقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فمن فسر الزرق بالعمى ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال الجبائى اراد انه لا يهتدى يوم القيمة الى طريق ينال منه
خيرا كالاعمى وعن مجاهد والضحاك ومقاتل انه اراد اعمى عن الحجة وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
القاضى هذا القول ضعيف لانه لا بد في القيمة ان يعلمهم الله تعالى بطلان ما كانوا عليه يتميز لهم الحق من الباطل
ومن هذه حاله لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان لكن قوله وقد كنت بصيرا قال الامام فخر الدين الرازى رحمه
الله تعالى ومما يؤكد هذا الاعتراض قوله انه تعالى علل ذلك العمى بما ان المكلف نسى الدلايل في الدنيا فلو كان اعمى لجاهل
في الاخرة عين ذلك النسيان لم يكن للمكلف بسبب ذلك ضرر كما في الدنيا قال والتحقيق في الجواب عن الاعتراض هو ان
النفوس الجاهلة في الدنيا اذا فارقت ابدانها تبقى على جهالتها في الاخرة فتصير تلك الجهالة سببا لاعظم الالام الروحانية

واقول على القاضي يحتمل ان يكون مجازا باعتبار المامه فقد ينفى الشي باعتبار عدم غايته وثمرته فلا ينافي كونه اعمى
في الاخرة بهذا الاعتبار اعلام الله تعالى اياه الحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه اعمى في الاخرة بالاعتبار المذكور ولان
المعرض عن الدليل يشبه ان يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ والالزام يؤيده قوله تعالى في جوابه كذلك اتتك
مثل ذلك فعلت انت ثم فسر ذلك بقوله اتتك اياتنا اي دلايلنا واضحة مستنيرة فنسيتها اي تركت العمل بها والقيام بموجبها
وكذلك اليوم تنسى تترك بلا فائدة النظر والاعتبار وعلى الامام لا يلزم من كون المكلف غير منصور بنسيان الدلايل في الدنيا
لكونه غير منصر في الاخرة واما قوله في الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكيم ان جهل النفس يصير سببا لتعذبها وان كان
منفعا القول المعتزلة انه تعالى يعلم المكلف بطلان ما كان عليه في الدنيا فذلك لا يفتقر الى العدول وان كان تسليما للقوم
فمن اين يحل الاعتراض هذا وقد رايت في بعض الاثار ان اشد الناس عمى في الاخرة هم الذين حفظوا القران ثم نسوها
دليله قوله اتتك اياتنا فنسيتها اللهم اجعلني ممن يواظب على تلاوة كتابك حتى لا انساه يوم القاك وكذلك نجزي من
اسرف قيل عصى ربه الاظهر انه اراد اشرك وكفر بدليل قوله ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى
اشد وابقى من ضيق المعيشة في العاجل واراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا ثم وبخ المعرضين عن
الدلايل الاعتبار باحوال القرون الخاليه فقال افلم يهد لهم بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن
اعرض عن ذكري وهناك كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها وبعد ذلك اورد قصه
موسى فناسب الاستيناف بالواو واما حذف من ههنا واثباته هناك فلما مر من قصد الاستيعاب وهناك قدر
في القرون بشرح قصه بني اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وانكر البصريون
مثل هذا لان الجمل لا تقع فاعلا فلهذا قال الزجاج يهد لهم هذا المعنى او مضمون هذا الكلام قال القفال جعل كثرة ما اهلكنا من
القرون مبينا لهم وقال الزجاج اراد ولم نبين لهم ما يهدون لو تدبروا وتاملوا وقيل فيه ضمير الله او الرسول والجملة
بعده تفسير يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون اثار هلاكهم والنهى العقول
وقد مر في السورة قال بعض اهل اللغة ان للنهية مزيه على العقل فلا يقال الا لمن عقل ينتهي به عن القبايح كقوله اولي
العزم والحزم ومن هنا فسره بعضهم باهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب هذه
الامه فقال ولولا كلمه هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة كتبها في اللوح المحفوظ واخبرها ملائكته ورسله لانه فيهم
او في نسلهم من يؤمن او لمصلحه اخرى خفيه قال اهل السنة له بحكم المالكيه ان يفعل ما يشا من غير علة واللزام مصدر
لازم وصف به وقيل فعال لما يفعل به فهو بمعنى ملزم كانه الة اللزوم اي لكان الاخذ العاجل لزاما واجل مسمى وهو
عذاب الاخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان ولعله انما جوز
في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان ولعله ذلك للفصل اي لكان الاخذ العاجل والاجل مسمى لازمين
له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل وحين بين انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال
امره بالصبر على ما يقولون من التكذيب وساير الاذيات زعم الكلبي ومقاتل انها منسوخه باية القتال وليس بذاك
فان كلا منهما معمول في موضعها وسبح بحمد ربك اي ملتبسا بحمده على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والاكثرون
ههنا بمعنى الصلوة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلوة ولانه بين اوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلوة الفجر
وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار ومن اناء الليل فسبح المغرب والعتمة
وقوله واطراف النهار اي في طرفيه فجمع للمبالغة او من الالتباس ولان اقل الجمع اثنان او اراد طرفي كل نهار تكرار الصلوة في
الفجر والعصر لا كالمغرب على ما ظن اعتناء بشانهما كقوله والصلوة الوسطى والاناء جمع انى وهو الساعة وقد مر في ال
عمران وانما قدم اناء الليل وادخل الفاء في فسبح المؤذنه بتلازم ما قبلها وما قبلها تنبيها على زيادة الاهتمام بشان
صلوة الليل لان الليل وقت السكون والراحه وهدو الاصوات فالصلوة فيه اشق على النفس وادخل في الاخلاص
واقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات وبعضهم اخرج من الاية صلوة الظهر لان تخصص قبل غروب بصلوة العصر
ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلوة في الاوقات المذكوره تشملها والامر قد يكون للندب لا اقل من التغليب وقال
ابو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كانه لما امره بالصبر على اذية القوم بعثه على الاشتغال بالتقديس و
المواظبه عليه في كل الاوقات وقوله لعلك ترضى كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك
فترضى ولا ريب ان الاطماع من الكريم واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته لما حث رسوله على الامور الدينيه نهاه

عن الميل الى الزخارف الدنيوية فقال ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله استحسانا للمنظور اليه و
فيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وقال ابو مسلم المنهي عنه في الاية ليس هو التطويل وانما هو الاسف اي لا تاسف على
ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قال ابو رافع نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي يستقرضه فقال لا
اقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني الامين في السماء واني الامين في الارض احمل اليه درعي الحديد
فنزلت والازواج الاصناف وقيل اي اشكالا واشباها من الكفار لانهم اشكال في الذهاب عن الصواب وقد مر في اخر الحجر
ولقد شدد العلماء المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة ولباسهم ومراكبهم لانهم اتخذوها لعيون النظارة و
فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم على اتخاذها قال جار الله انتصب زهرة على الذم او على تضمين متعنا معنى خولنا و
اعطينا او على ابداله من محل به او على ابداله من ازواجا والتقدير ذوي زهرة وهي الزينة والبهجه ومن قرا بفتح الهاء فمعناها
ايضا او هي جمع زاهر كانهم لصفاء الوانهم وظهور اثار النعمة عليهم زاهر وهذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصلحاء من
شحوب الالوان والتقشف في الثياب وقوله لنفتنهم اي لنبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم
كقوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبي ومقاتل لنشدد عليهم في التكليف لان الاجتناب
عن المعاصي مع القدرة يكون اشق على النفس ورزق ربك وهو ثواب الاخرة او ما رزقت من الاسلام والنبوة خير وابقى وقيل
اراد به الحلال الطيب الذي يحق ان ينسب الى ربك خير من اموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وساير وجوه الخيانه وابقى
بركة ونماء وحسن عاقبه وامر اهلك كقوله في سورة مريم وكان يامر اهله بالصلوة اي اقبل انت مع اهلك على عبادة
الله من السلف من كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله ثم يتلو هذه الاية وعن عروة
عن ابن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله و
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية يذهب الى فاطمة وعلي رضي الله عنهما كل صباح ويقول
الصلوة كان يفعل ذلك شهرا وقوله واصطبر عليها اراد انك كما تامرهم بها فحافظ عليها وان الوعظ بلسان الفعل
اتم منه بلسان القول لا نسالك رزقا كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خراجا من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله
وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انا لما امرناك بالصلوة فذلك لاجل انتفاعك
بثوابها الا انا ننتفع بها وقيل لا نسالك رزقا لنفسك ولا لاهلك بل نحن نرزقك واياهم فلا تهتم بامر الرزق والمعيشه
وفرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله وقال اهل الاشارة ورزق ربك ومن الى
قوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني قال عبد الله بن سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة
امرهم بالصلوة والعاقبة اي الجميلة للتقوى ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى واحدة من شبهاتهم هي قولهم لولا ياتينا
باية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقران الذي اخرس سقاسقهم فرد الله عليهم بقوله او لم ياتهم بينه ما في الصحف الاولى
لان القران برهان وساير الكتب المنزله لانه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وانها من عند الله وقيل اراد بالبينة ما فيها
من بشارة مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن جرير انه اراد ما فيها من قصص الامم المكذبة وبيان هلاكهم بعد اقتراح الايات
وانما اتم هذا البيان في القران فلهذا وصف القران بكونه بينه ما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول القران فقال
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل البرهان المذكور الدال عليه البينة لقالوا اي في القيامة لان الهالك لا قول له في
الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيمة ثلاثة الهالك في الفترة يقول
لم ياتني رسول والا كنت اطوع خلقك وتلا قوله لولا ارسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلا انتفع به و
يقول الصبي كنت صغيرا لا اعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله تعالى انه سعيد ويتلكا من كان في
علمه شقي فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف رسلي لو اتاكم وطعن المعتزلة في هذا الخبر قالوا لا يحسن العقاب على ما لم يفعل وقال
الجبائي في الاية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان لهم ان يقولوا هلا
فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال الكعبي فيها اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لا يسال عما يفعل ان
الجور منه يكون عدلا بل تاويله انه لا يقع منه الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا
به لكان لهم فيه اعظم حجة واستدل اهل السنة بها على ان الوجوب لا يتحقق الا بالشرع والا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه
ثم ختم السورة بوعيد اجمالي فقال قل كل اي كل منا ومنكم متربص عاقبة امره وهذا الانتظار اما قبل الموت بسبب الامر بالجهاد
او ظهور الدولة والغلبه او بالموت وان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت وهو ظهور لمن

الثواب والعقاب وتمييز المحق من المبطل يومئذ قوله فستعلمون الى اخره وهذا من الكلام المنصف ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم
من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر
مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون قل ربي يعلم
القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث
احلام بل افتريه بل هو شاعر فلياتنا باية كما ارسل الاولون
ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون وما ارسلنا
قبلك الا رجالا يوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا
تعلمون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا
خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا
المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين
فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا
انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا

خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم
الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون

القراءة قال ربي بالالف حمزة وعلي وحفص الباقون قل على الامر نوحي بالنون مبنيا للفاعل حفص غير الخراز
الباقون بالياء مجهولا **الوقوف** الجزء السابع عشر معرضون للاية مع احتمال كون ما بعده صفة او استينافا يلعبون
لان لاهية حال اخرى مترادفة او متداخلة من ضمير يلعبون وهي لقلوبهم في المعنى قلوبهم مثلكم لابتداء الاستفهام مع اتحاد
المقول تبصرون والارض لاتفاق الجملتين مع استغناء الثانية عن الاولى العليم شاعر لاختلاف النظم مع اتحاد المقول
الاولون اهلكناها لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول يؤمنون لا تعلمون خالدين المسرفين ذكركم تعقلون اخرين
يركضون لتقدير القول تسالون ظالمين خامدين لاعبين من لدنا على جعل ان نافيه والاصح انها للشرط فاعلين زاهق
تصفون والارض لان ما بعده مبتدا يستحسرون لان ما بعده يصلح حالا او استينافا لا يفترون **التفسير** قال جار الله اللام
في قوله للناس لا صلة لاقترب او تاكيد الاضافة الحساب اليهم كقولك ازف رحيل الحي ازف للحي رحيلهم فيه تاكيد
اي من جهة تقديم الحي ومن جهة اظهار اللام ثم تزيد تاكيدا اخر من جهة وضع ضمير الحي مضافا اليه الرحيل موضع لام
التعريف فيه فيقول ازف للحي رحيلهم والمراد اقترب للناس وقت حسابهم وهو القيمة اقتربت الساعة واذا اقتربت الساعة
فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب وغيره كانه لما هدد في خاتمة السورة المتقدمة بقوله فستعلمون بين في اول
هذه السورة ان وقت ذلك العلم قريب فان قيل كيف وصف بالاقتراب وقد عدد دون هذا القول اكثر من ستمائة
عام والجواب ان كل ما هو ات قريب وانما البعيد هو الذي دخل في حيز كان قال القايل **شعر** فلا زال ما تهواه اقرب من غد
ولا زال ما تخشاه ابعد من امس ٭ على انه لم يمض بعد يوم من ايام الله ٭ وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ٭
ومما يدل على ان الباقي من مدة التكليف اقل من الماضي قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وقد
وعد بعث خاتم النبيين في اخر الزمان وفي ذكر هذا الاقتراب تنبيه للغافلين وزجر للمذنبين والمراد بالناس
كل من له مدخل في الحساب وهم جميع المكلفين وما روي عن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون فمن باب اطلاق اسم
الجنس على بعضه بالدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين من الغفلة والاعراض وغيرهما والذكر الطائفة
النازلة من القران وقرئ محدث بالرفع صفة على المحل احتجت المعتزلة بالاية على ان القران محدث واجاب الاشاعرة بانه
لا نزاع في حدوث المركب من الاصوات والحروف لانه متجدد في النزول وانما النزاع في كلام النفس الذي لا يصلح عليه الاتيان
والنزول وزعم الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى ان حاصل قول المعتزلة في هذا المقام يؤل الى قولنا القران ذكر وبعض
الذكر محدث لانه قوله من ذكر من ربهم محدث لا يدل الا على ان ذكرا ما محدث كما ان قول القايل لا يدخل هذا البلد رجل فاضل
الا يبغضونه لا يدل على كل رجل يجب ان يكون فاضلا واذا كان كذلك فيصير صورة القياس كقولنا الانسان حيوان وبعض
الحيوان فرس وانه لا ينتج شيئا لان كلية الكبرى شرط في انتاج الشكل الاول كما عرف في علم الميزان قلت ان المعتزلة
لا يحتاجون في اثبات دعواهم الى تركيب مثل هذا القياس لان مدعاهم تثبت بالتسليم لاحدى مقدمتي القياس الذي
ركبه وهي قوله بعض الذكر محدث لانه نقيض ما يدعيه الاشاعرة وهو لا شيء من القران بمحدث واذا صدق احد
النقيضين كذب الاخر بالضرورة فظهر ان الامام غلطهم في هذا القياس الذي ركبه ثم لقايل ان يقول تميما القول

المعتزلة اذا ثبت ان بعض القران محدث لزم ان يكون كله محدثا لان القايل قايلان احدهما ذهب الى قدم كله والثاني
ذهب الى حدوث كله ولم يذهب احد الى قدم بعضه وحدوث بعضه قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة من
ربهم محدث لموافقة قوله بعد هذا قل ربي يعلم وقال في الشعراء من ذكر من الرحمن محدث لكثرة ذكر الرحيم فيها فكان
الرحمن الرحيم انسب قوله تعالى يلعبون اللعب الاشتغال بما لا يعني قوله لاهية هي من لهى عنه بالكسر اذا ذهل وغفل
وفيه انهم كالانعام لا يحصلون من الاستماع والتذكير الا على مثل ما تحصل هي عليه اذ انهم يستمع وقلوبهم لا تعي ولا تفقه
ومعنى واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احدها ولا يعلم انهم متناجون وفي واو اسروا وجهان
احدهما انه على لغة من يجوز الحاق علامة التثنية والجمع بالفعل اذا كان مقدما على فاعله والثاني وهو الاقوى ان
الواو ضمير يرجع الى الناس المتقدم ذكرهم والذين ظلموا بدل منهم او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدا خبره اسروا
النجوى مقدما عليه وعلى التقادير اراد واسروا النجوى هولاء فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم ثم ابدل
من النجوى قوله هل هذا الا بشر الى قوله وانتم تبصرون اي اتقبلون سحره وتحضرون هناك وانتم ترون انه رجل مثلكم
وتعلمون انه سحر وانتم من اهل البصر والعقل وجوز بعضهم ان يكون قوله هل هذا الى اخره معمولا لقالوا مضمرا وانما
اسروا النجوى هذا الحديث لانه اراد شبه التشاور فيما بينهم تحريا لهدم امر النبي كما جاء في كلام الحكماء ويرفع ايضا
الى النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوايجكم بالكتمان ويجوز ان يسروا بذلك ثم يقولوا للرسول والمومنين ان
كان ما يدعون حقا فاخبرونا بما اسررنا فامر او قال ربي على حكاية الرسول صلى الله عليه وسلم كانه قال انكم وان اخفيتم
قولكم وطعنكم فان ربي عالم بذلك فانه من وراء عقابه يصف نفسه في بعض المواضع بانه يعلم السر وذلك حين
يريد تخصيصه بعلم الغيب ووصف نفسه ههنا بانه يعلم القول قال جار الله هذا اكد لانه عام يشمل السر و
الجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة واقول هذا اذا كان اللام في القول للاستغراق اما اذا كان للجنس
فلا يلزم زيادة العلم اذ لا دلالة للعام على الخاص بل نقول العلم بالسر يستلزم العلم بالجهر بالطريق الاولى فلا مزية
لاحدى العبارتين على الاخرى وهو السميع العليم خصص علمه بالمسموعات او لاتم عمود قال الامام قدم السميع
على العليم لانه لا بد من استماع الكلام اولا ثم من حصول العلم بمعناه قلت هذا قياس للغايب على الشاهد قوله بل قالوا
اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر معنى هذه الاضرابات مع ملاحظة ما قبلها انهم انكروا اولا كون الرسول صلى الله
عليه وسلم من جنس البشر ثم انهم كانهم قالوا سلمنا ذلك ولكن الذي ادعيت انه معجز ليس بمعجز غايته انه خارق للعادة و
ليس كل ما هو خارق للعادة معجزا فقد يكون سحرا هذا اذا ساعدنا على ان فصاحة القران خارجة من العادة لكنا عن تسليم
هذه المقدمة بمراحل فانا ندعي انه في غاية الركاكة وسوء النظم كاضغاث احلام وهي الاحلام المختلطة التي لا اصل
لها وقد مر في سورة يوسف سلمنا ولكنه من جنس كلام الاوساط افتريه من عنده سلمنا انه كلام فصيح ولكنه لا يتجاوز
فصاحة الشعراء واذا كان حال هذا المعجز هكذا فليأتنا باية لا يتطرق اليها شيء من هذه الاحتمالات كما ارسل الاولون
اي كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل متضمن لاتيانهم بالايات ومن تامل في هذه الاقوال المحكية عن اولئك الكفرة
علم انها كلام مبطل متحير هايم في اودية الضلال ولا يكفي في اعجاز القران انهم عدلوا حين تحدوا عن المعارضة بالحروف الى
المقارعة بالسيوف ثم بين ان الايات التي يقترحونها لا فايدة لهم فيها لانهم اعتى من الامم السالفة وانهم ما امنوا عند مجيء
الايات المقترحة فاهلكوا لاجل ذلك انهم يومنون مع شدة شكيمتهم فيه بمعنى الانكار اي لا يومنون البتة وحينئذ يجب
اهلاكهم ولكن قد سبق القول من الله ان هذه الامة امنون من عذاب الاستيصال ثم اجاب عن شبهتهم الاولى وهي
قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقد مر مثله في اخر سورة يوسف وفي النحل
وانما جاز الامر بالرجوع الى اهل الكتاب وان كانوا من الكفرة لان هذا الخبر قد تواتر عندهم وبلغ حد الضرورة على ان اهل
الكتاب كانوا لا يتابعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قولهم عندهم حجة وقيل اهل الذكر
اهل القران وضعف بانهم كانوا طاعنين في القران وفي محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يومرون بالرجوع الى قولهم
واستدل اكثر الفقهاء بالاية في ان للعامي ان يرجع الى فتيا العلماء وللمجتهد ان ياخذ بقول مجتهد اخر واجيب بانها
خطاب مشافهة وارد في الواقعة المخصوصة وفي السوال عن اهل الكتاب فلا يتعدى مورد النص وقد مر في
اخر سورة يوسف الفرق بين قوله وما ارسلنا من قبلك وما ارسلنا قبلك بغير من وليس الا ههنا وفي اوايل الفرقان
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ثم اكد كون الرسل من جنس البشر بقوله وما جعلناهم جسدا الاية كانهم قالوا انه بشر

يأكل كما نأكل ويموت كما نموت ولعلهم اعتقدوا الخلود للملائكة لا اقل من العمر الطويل ولا بد من تقدير مضاف محذوف
اي ما جعلنا الانبياء قبلك ذوي جسد غير طاعمين ولا اقل وما جعلناهم جسدا ووحد الجسد لارادة الجنس اي ذوي
ضروب من الاجساد او اراد كل واحد منهم قوله صدقناهم الوعد اصله في الوعد فنصب بنزع الخافض ثم فسر الوعد بقوله
فانجيناهم ومن نشاء وهم المومنون ثم نبههم على عظيم نعمته عليهم بقوله ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وصيتكم
او فيه بيان مكارم الاخلاق التي يبقى الذكر الجميل مع الثواب الجزيل ثم اوعدهم وحذرهم ما جرى على الامم المكذبة فقال وكم
قصمنا والقصم اقطع الكسر وهو الذي يبين تلاوم الاجزاء فان لم يبين فهو الفصم بالفاء وذلك ان القاف حرف شديد والفاء
رخو لوحظ جانب المعنى في اللفظ ومعنى من قرية بقوله وانشانا بعدها قوما اخرين وللضماير في قوله فلما احسوا الى اخر
القصة والمراد بالاحساس الادراك بحاسة اللمس او علم لا شك فيه كالمحسوس المشاهد والركض ضربة الدابة بالرجل كانهم
ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم حين ادركتهم مقدمة العذاب قال الجوهري الركض تحريك الرجل على
الدابة استحثاثا لها ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدا فعلى هذا يجوز ان القوم كانوا يعدون على ارجلهم فقيل لهم لا تركضوا
والقايل اما الملايكة او من ثمه من المومنين ويجعلون احفاء بان يقال لهم ذلك واسمع رب العزة ملايكته هذا القول ليبغتهم
في دينهم او الهم الله الكفار ذلك فحدثوا به انفسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الهني والاتراف ابطار النعمة لعلكم تسألون
غدا عما جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة او اجلسوا في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم
بما تامرون وماذا ترسمون فينفذ فيه امركم ونهيكم او يسألكم الناس مستعينين بتدابيركم واراءكم او يسألكم اولياؤكم الوافدون
وارباب الطمع مستمطرين سحاب كفكم اما لانهم كانوا اسخياء ولكن سمعة ورياء واما لانهم بخلاء وفي كل هذه الوجوه تهكم بهم
فتوبيخ لهم فما زالت تلك الدعوى وهي قولهم يا ويلنا لان المولول كانه يدعو الويل دعواهم الاول اسم ما زال والثاني خبره او بالعكس
والدعوى بمعنى الدعوة وقد مر في قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والحصيد المحصود كقوله منها قايم وحصيد شبهوا
بالزرع المستاصل والنار التي خمدت فصيرت رمادا اي جعلناهم مشبهين بالمحصود والخامد ووحد حصيدا لان المراد زرعا
حصيدا او لان فعيلا قد يستوي فيه الواحد والجمع عن ابن عباس ان الاية نزلت في حضور وسحول قريتين باليمن
ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين ويروى حضوريين بعث الله اليهم
نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم فكان القوم حصدوا بالسيوف ودكوا
انه لما اخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا ثارات الانبياء قال اهل النظم لما بين هلاك كثير من القرى لاجل ظلمهم و
تكذيبهم منها القريتان رواهما ابن عباس اتبعه ما يدل على انه فعل ذلك عدلا ومجازاة لا عبثا ومجازفة فقال وما خلقنا السماء
والارض الاية اي وما سويناها هذا السقف المرفوع والمهاد الموضوع وما بينهما من الاركان والمواليد كما تسوي الجبابرة سقوفهم
وفرشهم وساير زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للغايات صحيحة ومنافع للخلق دينية ودنيوية كما مر طرف منها في
اول البقرة ويمكن ان يقال المقصود من مساق الاية تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على منكريه لانه اظهر المعجز
عليه فان كان صادقا فهو المطلوب وان كان كاذبا فاظهار المعجز عليه من باب اللعب وهو منفي عنه سبحانه قال القاضي عبد
الجبار فيه دليل على انه لا يخلق اللعب وكل قبيح والا كان لاعبا وعورض بمسئلتي العلم والداعي ثم بين ان السبب في ترك
اتخاذ اللهو واللعب ليس هو العجز والضعف ولكن لان الحكمة تنافيه ومعنى من لدنا من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة
اليمن والمراة وقيل من لدنا اي من الملايكة لا من الانس ردا على من قال عزير ابن الله والمسيح ابن الله ويحتمل ان يقال من لدنا اي
من عندنا على سبيل الخفية فلا تعرفونه ولا تسمعون اسمه فيكون الرد شاملا لكل من ادعى لله ولدا ولو من الملايكة ثم
اضرب عن اتخاذ اللهو واللعب فوصف نفسه بما يضاد فعل العبث قايلا بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
يعني الباطل زاهق اي فاجاه الدمغ زهوق الباطل قال علماء المعاني هذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لجامع
عقلي فاصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام لان القذف الرمي بنحو الحجارة والدمغ من دمغه اذا شجه حتى بلغت
الشجة الدماغ ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل بجامع الزهوق ثم وبخهم ونعى عليهم بما
وصفوه بالولد وغير ذلك مما لا يجوز عليه وينافي وجوب الوجود وبما وصفوا رسوله من السحر والشعر وغير ذلك
من الاوصاف المضادة للرسالة فقال ولكم الويل مما تصفون به ثم بين كمال قدرته ونهاية حكمه وحكمته فقال وله من
ما في السموات والارض والمراد بمن عنده الملايكة المقربون والمقصود من عنديه الشرف والرتبة فاما عندية المكان
ففيها بحث طويل قال الزجاج لا يستحسرون اي لا يتعبون ولا يعيبهم الاعيا وقال جار الله كان الابلغ في وصفهم انه

يبق عنهم ادنى الحسور ولكنه ذكر بلفظ المبالغة وهو استفعل لبيان انها مما فيه يوجب غاية الحسور وانهم احقاء
تلك العبادات الشاقة بان يستحسروا ومع ذلك لا يعدونها تعبا عليهم ثم اكد ذلك بقوله يسبحون الليل والنهار
منصوبا على الظرفية لا يفترون لا يلحقهم الفتور والكلال وحاصل الاية ان الملائكة مع غاية شرفهم ونهاية قربهم
لا يستنكفون عن طاعة الله فكيف يليق بالبشر مع ضعفهم ونقصهم ان يتمردوا عن طاعته وقد مر في اول سورة البقرة
استدلال المفضلي الملائكة على الانبياء بهذه الاية وبغيرها فلا حاجة الى اعادته عن عبد الله بن الحرث بن نوفل
قال قلت لكعب الاحبار رايت قول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة اليس الرسالة واللعن مانعين لهم عن التسبيح اجاب كعب بان التسبيح لهم كالتنفس لنا
لا يمنعهم من الاشتغال بشئ اخر واعترض بان آلة التنفس فينا مغايرة للسان فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم فوجب
بانه لا استبعاد في ان يكون لهم السن كثيرة او يكون المراد بعدم الفتور انهم لا يتركون التسبيح في اوقاته اللائقة و
الله اعلم التاويل اقترب لاهل النسيان ان يحاسبوا انفسهم كقوله الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ما ياتيهم
من ذكر وعظ وتذكير من عالم رباني محدث الهامه والا انكروا عليه ونسبوه الى التخليط ونحو وما جعلناهم جسدا فيه
ان الله قادر على ان لا يجعل النبي والولي ذا جسد ولكن حكمته اقتضت كونهم ذوي اجساد اكلين للطعام فان الطعام
للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الانساني كالدهن للسراج وبالقوى الحيوانية يتم الكمالات النفسانية ويدرك المحسوسات
ويستفاد العلوم المستندة الى الاحساس والتجربة وتفصيله اكثر من ان يحصى وقال بعض المشايخ لولا الهوى ما سلك احد
طريقا الى الله وما كانوا خالدين والسر فيه ان يعلموا من الموت حقيقة اسم المميت كما علموا من الحياة حقيقة اسم المحيي ثم
صدقناهم الوعد الذي وعدناهم حين اهبطوا الى الارض فانجيناهم ومن نشاء من متابعيهم من هاوية الهوان وعالم الطبيعة
واهلكنا المسرفين الذين اسرفوا على انفسهم بالركون الى اسفل سافلين الطبايع وكم قصمنا من اهل قرية فلما احسوا
باسنا وهي شدة قطع التعليق عن الكونين فان الفطام عن المالوف شديد لا تركضوا منا بل فروا الينا وارجعوا الى المقامات
الروحانية ومساكنكم الاصلية لعلكم تسالون عزة وكرامة وما خلقنا الارواح وارض الاجساد وما بينهما من
النفوس والقلوب والاسرار من غير غاية وانما خلقناها ليكون مظاهر لطفنا وقهرنا بل نقذف بالحق على الباطل الحق
ثلث مراتب مرتبة افعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة ذات الحق في كل مرتبة يتجلى الحق فيها للعبد زهق باطل
تلك المرتبة عن العبد حتى اذا تجلى له بافعاله ذهب عنه باطل الافعال واذا تجلى له بصفاته ذهب باطل صفاته فاذا تجلى
له بذاته في ذاته فيقول انا الحق وسبحاني والويل لمن لم يذهب باطله باحدى هذه المراتب فيبقى متصفا بالوجود المجازي

ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ● لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ● لا
يسئل عما يفعل وهم يسئلون ● ام اتخذوا من دونه الهة قل
هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم
لا يعلمون الحق فهم معرضون ● وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ● وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ● لا يسبقونه بالقول وهم بامره

يعملون ● يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وهم من خشيته مشفقون ● ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ● اولم ير الذين كفروا
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شيء حي افلا يؤمنون ● وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم
وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ● وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون ● وهو الذي خلق الليل
والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ● وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون ● كل نفس ذائقة
الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ● واذا راك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر
الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ● خلق الانسان من
عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون ● ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين ● لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ● بل تاتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ● ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر
ربهم معرضون ● ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون

نصر انفسهم ولاهم منا يصحبون ● بل متعنا هولاء واباءهم
حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها
افهم الغالبون ● قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا
ما ينذرون ● ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين ● ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم
نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها و
كفى بنا حاسبين ● ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين ● الذين يخشون ربهم بالغيب و
هم من الساعة مشفقون ● وهذا ذكر مبارك انزلناه
افانتم له منكرون

القراءة الا نوحي اليه بالنون حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد اني اله بفتح الياء ابو جعفر ونافع
وابو عمرو وابن مجاهد عن ابن ذكوان الوبر بغير واو ابن كثير الاخرون بواو موسطه بين همزة الاستفهام و
الفعل ونظايرها كثيرة ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان ولا تسمع من الاسماع
خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم الصم بالنصب ابن عامر الاخرون على الغيبة من السماع الصم بالرفع مثقال
حبة بالرفع على كان التامة وكذلك في سورة لقمن ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب **الوقوف** ينشرون لفسدتا
للابتداء سبحان للتعظيم مع فاء التعقيب تعجيلا للتنزيه يصفون يسئلون الهة برهانكم لاتحاد المقول من غير
عطف قبلي لا يعلمون لان ما بعده مفعول معرضون فاعبدون سبحانه مكرمون لان ما بعده صفة يعملون
ولا يشفعون للاستثناء مشفقون جهنم الظالمين ففتقناهما لانها الاستفهام الى الاخبار يؤمنون
يهتدون محفوظا لاحتمال الواو والاستيناف والحال معرضون القمر يسبحون الخلد الخالدون الموت فتنة
ترجعون هزوا الهتكم لاحتمال الواو والاستيناف والحال كافرون من عجل فلا يستعجلون صادقين ينصرون
ينظرون يستهزءون من الرحمن معرضون من دوننا فصلا بين الاستفهام والاخبار يصحبون العمر من
اطرافها الغالبون بالوحي لاستيناف ولا يسمع بالياء التحتانية والوصل اجوز لتتميم المقول ومن قرا على الخطاب
وقف لانه خرج عن المقول ومن قرا على الخطاب وقف لانه خرج عن المقول ينذرون ظالمين شيئا اتينا بها
حاسبين للمتقين لاتصال الصفة ولا يخفى انه يحتمل النصب او الرفع على المدح فيجوز ان لا يوصل مشفقون
انزلناه منكرون **التفسير** انه سبحانه بنا في اول السورة بذكر المعاد ثم انجر الكلام الى النبوات وما يتصل بها سوى
الاوجوبا نختم الكلام بالالهيات لانها المقصود بالذات فقال على سبيل الاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها
بواسطة ام المنقطعة ام اتخذوا الهة من الارض نسب الى الارض كما يقال فلان من مكة لانها اصنام تعبد في الارض
لان الالهة على ضربين ارضية وسماوية او ارادانها من جنس الارض لانها تنحت من حجر او تعمل من جواهر ارضي
ويقال انشر الله الموتى ونشرها اي احياها ومن اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات كانهم بادعائهم لها الالهية

ادعوا لها الانشار وان كانوا منكرين للبعث فضلا عن قدرة الاصنام عليه لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر
على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات بالدلايل الباهرة وفيه باب من التهكم والتجهيل واشعار بان ما استبعد
من الله لا يصلح استبعاده لان الاقتدار على الابتداء والاعادة من لوازم الالهية ومعنى هم افادة الخصوصية كانه
قيل ام اتخذوا الهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وفيه رمز الى العلم المختص بالابتداء هو وحده ولما قدم الانكار
شرع في دليل التوحيد فقال لو كان فيهما اي في السموات والارض ففتقتم ذكرهما الهة الا الله اي غير الله قال النحويون
الا ههنا بمعنى غير لتعذر حمل الا على الاستثناء لانها تابعة لجمع منكور غير محصور والاستثناء لا يصح الا اذا كان
المستثنى منه لولا الاستثناء وقد يقال انا لا ني هذه المادة لا يمكن ان يكون للاستثناء لانا لو حملناها على الاستثناء
لصار المعنى لو كان فيهما الهة ليس معهم الله وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما الهة معهم الله لم يحصل الفساد
وللمفسرين في تفسير الاية طريقان **احدهما** حمل الغايب على الشاهد والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما الهة شتى غير
الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين **الاول** وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا **والثاني**
ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه لقوله غير الله وانما وجب الامران به لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما
يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف **وثانيهما** طريق التمانع بان يقال لو فرضنا الهين واراد احدهما تحريك
جسم والاخر تسكينه فان وقع مرادهما لزم اجتماع الضدين في محل واحد وان لم يقع مرادهما لزم عجزهما وان وقع مراد احدهما
دون الاخر فذلك الاخر عاجز لا يصلح للالهية والاعتراض على هذا التقدير من وجهين **الاول** ان اختلافهما في
الارادة امر ممكن والممكن لا يجب ان يقع **والثاني** ان الفساد في السموات والارض كيف يترتب على اختلافهما وفي
الجواب طريقان **احدهما** الرجوع الى التفسير الاول وهو احالة الامر على ما هو الغالب المعتاد من ان الملك عقيم ولا
يجتمع فحلان في شول والشول جماعة النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها سبعة اشهر او ثمانية
فلا بد من وقوع التنازع والاختلاف وحدوث الهرج والمرج **الطريق الثاني** العدول الى ضرب اخر من البيان
وهو ان اتفاق الالهين على مقدور واحد محال لان كلا منهما مستقل بالتاثير كامل في القدرة فاذا وقع المقدور باحدهما
استحال ان يقع بالاخر مرة اخرى على انه لو اراد كل واحد منهما ان يوجده هو فهذا ايضا اختلاف ولو قيل انه يريد كل
واحد منهما ان يكون الموجد له احدهما لا بعينه فهذه ارادة مبهمة لا تصلح للتاثير فلا بد من الاختلاف وقد عرفت حاله
ولزوم الفساد حينئذ ظاهر لان كل ما صدر عن الهين عاجزين او عن اله عاجز لم يكن على الوجه الاصلح والنمط الاصوب
بل عاجز لا يصلح للايجاد اصلا فلا يوجد على ذلك التقدير شيء من الممكنات وهو الفساد الكلي ومنهم من يقرر دليل التمانع
على وجوه اخر منها انا لو قدرنا الهين فهل يقدر كل منهما على ان يمنع صاحبه عن مراده ام لا فان قلت يقدر كان كل منهما
مقهورا للاخر وان قلت لا يقدر فقد ثبت عجز كل واحد منهما ومنها ان احدهما هل يقدر على ان يستر شيئا من افعاله
عن الاخر ام لا فان قدر فالمستور عنه جاهل عاجز والا فالاول عاجز ولا يخفى ما في امثال هذين الوجهين من الضعف لان
عدم القدرة على المحال لا تسمى عجزا ولهذا لا يمكن ان يقال انه تعالى عاجز عن خلق مثله وانه اذا اوجد شيئا نفذت قدرته
على خلق ذلك الشيء وحصل له عجز ومن الطاعنين في دلالة التمانع من فسر الاية بان المراد لو كان في السماء والارض الهة
غير الله كما تزعم عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على وجوه التدبير والتصرف لانفسها فضلا عن غيرها
ولقايل ان يقول ان الالهة لو كانت منفردة بالتدبير يلزم الفساد اما لانها لو كانت وسايط ومعاونة للاله الاعظم كما تزعم
عبدة الاوثان فمن اين يلزم الفساد واعلم انا قد بينا دلايل التوحيد في مواضع من هذا الكتاب ولا سيما في سورة البقرة في
تفسير قوله والهكم اله واحد ولنا في هذا المقام طريقة اخرى ما اظنها وطيت قبلي فاقول وبالله التوفيق ان الوحدة من صفات
الكمال وقد تقرر ذلك في العقول حتى ان كل عاقل منهما تم له امر بواحد لم يتعد فيه الى اثنين فاذا اضطر الى الشركة والتعاون
راعى فيه الابسط فالابسط لا يزيد العدد الا بقدر الافتقار وعلى هذا مدار الامور السياسية والمنزلية هذا في الموثر
اما في الاثر فلا ريب انه اذا استند الى ما هو بسيط حقيقي لم يكن فيه الا جهة واحدة افتقاريه واذا استند الى ما فوق ذلك
كانت فيه من الجهات الافتقاريه بحسب ذلك فيكون النقص تابعا لقلة جهات الافتقار وكثرتها وكل مرتبة للمكنات تفرض
من العقول والنفوس والافلاك والعناصر والمواليد فان كان مدا تلك السلسلة الطويلة واحدا كانت الجهات الاعتبارية
به الافتقاريه فيها اقل مما لو كان المبداء اثنين من واحد وهذه قضية يقينية اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه سبحانه اراد
ان يبلغ هذا النقص من الممكنات ولو هذه بمعنى ان والمراد ان هذا النقص والفساد لازم لوجود الهة غير الله سوا كان الله من

جعلتم ام لا ولن يرضى العاقل بما فيه نقصه وفساده فوجب ان لا يعتقد الها غير الله وهذه النتيجة هي المراد بقوله
فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الانداد والشركاء فتكون هذه الاية نظير قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه **شعر**
اربا واحدا ام الف رب ء ادين اذا تقسمت الامور ء تركت اللات والعزى جميعا ء كذلك يفعل الرجل البصير ء ثم اكد نفي
الالهية بقوله لا يسأل عما يفعل وفيه رد على الثنوية والمجوس الذين اثبتوا لله شريكا فاعلا للشرور والآلام وذلك انهم
طلبوا الحكمة في افعال الله تعالى فقالوا لو كان مدبر العالم واحدا لم يخص هذا بانواع الخيرات من الصحة والغنى وذاك
باصناف الشرور من المرض والفقر فذكر سبحانه ان الاعتراض على افعاله ليس في الديانة وان له ان يفعل ما يشاء كما يشاء
ولا مجال للسؤال عن افعاله فكل من الاشاعرة ومن المعتزلة سلموا انه لا يجوز ان يقال لله لم فعلت ولكنهم حملوا على عدم
جواز السؤال على ماخذ اما الاشاعرة فذهبوا الى ان افعاله لا تعلل بالمصالح والاغراض وله بحكم المالكية ان يفعل في
مخلوقاته ما شاء فان من تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت وكيف يتصور في حقه استحقاق ذم واستحقاق
المدح له قديم وما ثبت للشيء لذاته يستحيل ان يتبدل لاجل تبدل الصفات وكما ان ذاته غير معللة بشيء فكذلك صفاته
وافعاله وانه غير محتاج الى الاسباب والوسائط والاغراض والمقاصد واما المعتزلة فقد قالوا انه تعالى عالم بقبح
القبائح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرف المكلف اجمالا ان كل ما يفعله
الله فهو حكمة وصواب وجب ان يسكت عن لم واذا كان الملوك المجازيون لا يسألهم من في مملكتهم عما يوردون و
يصدرون من تدابير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل عليهم فملك الملوك ورب الارباب اولى بان
لا يسأل عن افعاله مع ما ذكر في العقول من ان كل ما يفعله فهو حسن مشتمل على الغايات الصحيحة ثم زاد الالهية تاكيدا
بقوله وهم يسألون وفيه رد على منكري التكليف الذاهبين الى ان العباد لا يسألون عما فعلوا في دار الدنيا قالوا ان التكليف
امر غير معقول لانه اما ان يتوجه على العبد حال استواء داعيته الى الفعل والترك وهو محال لان صدور الفعل عن
المكلف يستدعي الترجيح فالتكليف بالترجيح في حال عدم الترجيح تكليف بالمحال واما ان يتوجه حال الرجحان
ويكون الفعل حينئذ واجب الوقوع فيكون التكليف عبثا وايضا التكليف بما هو معلوم الوقوع لله عبث لانه
واجب الوقوع وبما هو غير معلوم الوقوع تكليف بما لا يطاق وايضا سؤال العبد ان لم يكن فيه فائدة فعبث وان كان
فيه فائدة فان عادت الى الله كان محتاجا مستكملا وان عادت الى العبد فالله تعالى قادر على ايصالها اليه من غير
واسطة التكليف على ان السؤال ان كان لاجل ايصال الضرر فذلك لا يليق بالكريم الرحيم وجوابهم ان الاسباب والوسائط
معتبرة في كل شيء وعالم الاسباب يجيء الثواب والعقاب على ان حاصل الشبهات يرجع الى المنكر كانه تعالى لم كلف عباده
ولم كلفهم ما لا يطيقون وهو يناقض القاعدة الممهدة لانه لا يسأل عما يفعل ثم كرر ام اتخذوا من دونه الهة استعظاما
لكفرهم وليترتب عليه قوله قل هاتوا برهانكم على ذلك عقلا او نقلا اما العقل فقد مر انه يقضي بعدم الشريك حذرا
من الفساد واما النقل فقوله هذا ذكر من معي هو من اضافة المصدر الى المفعول اي عظة لامتي عن ابن عباس واختاره
القفال والزجاج انه اراد هذا هو الكتاب المنزل على من معي من الامة وهذا هو الكتاب المنزل على من تقدمني من الانبياء
والامم يعني التورية والانجيل والزبور والصحف والكل وارد في معنى التوحيد ونفي الشركاء وعن سعيد بن جبير وقتادة
ومقاتل والسدي ان قوله وذكر من قبلي صفة للقران ايضا لانه اشتمل على احوال الامم الماضية كما اشتمل على احوال
هذه الامة ثم ختم الاية بقوله بل اكثرهم تنبيها على ان وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل لان
عندهم ما هو اصل الشر والفساد وهو عدم العلم وفقد التمييز بين الحق والباطل فلذلك اعرضوا عن استماع الحق وطلبه
وفي لفظ الاكثر اشارة الى ان فيهم من يعلم ولكنه يعاند واجرى لفظ الاكثر على الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام
بصدد المنع ثم قرر اي التوحيد خصوصا قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي على احد التفسيرين بقوله وما ارسلنا الا
ثم رد على خزاعة وامثالهم القائلين ان الملائكة بنات الله بقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ثم نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه
ثم اخبر عما هم عليه في الواقع وهو ان الملائكة عباد الله مكرمون مقربون لا يسبقونه بالقول اي بقولهم اي لا يتبعون
ولا يقولون شيئا حتى يقوله وهم بامره يعملون فهم التابعون لامر الله في اقوالهم وافعالهم يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قد مر
تفسيره في طه وفي اية الكرسي ولا يشفعون الا لمن ارتضى كقوله في طه لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي
له قولا وقد مر البحث فيه قال في الكشاف وهم من خشيته مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة قلت لعله اراد انهم

يتوقعون ما هو سبب الخشية وهو العقاب عن ادنى امارة بخلاف البشر فانهم لا يتوقعون ذلك الا من امارة قوية ويحتمل
ان يقال انهم يخشون الله ومع ذلك يحذرون من ان تلك الخشية يقع فيها تقصير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى
جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله عز وجل ثم نبه على غاية عظمته ونهاية جبروته بقوله
ومن يقل منهم اني اله من دونه فيحتمل ان يدعي الالهة لنفسه دون الله ويدعي انه اله مع الله اي بعد مجاوزة الهية وعلى
هذا سبيل الفرض والتقدير كقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وفي قوله ذلك دون ان يقول فهو تبعيد
للمشرك الجاحد عن ساحة عزته وفيه تقطيع لامر الشرك وتهديد عظيم لمن اشرك اوراد بالظلم ههنا الشرك والمعتزلة
عمموه والاول اظهر ثم عدل في ادلة التوحيد الى منهج اخر من البيان وهو الاستدلال بالافاق والانفس قائلا اولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض اي جماعة السموات وجماعة الارض كانتا رتقا ففتقناهما الرتق بالسكون السد نقيض
الفتق فارتتق اي التام وهو امراة رتقا ومصدرهما الرتق بالتحريك والفتق ضدها اي كانتا مرتوقتين فجعلناهما مفتوقتين
عن ابن عباس في رواية عكرمة وهو الحسن وقتادة ان المراد كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء
الى حيث هي واقر الارض ومثله قول كعب خلق الله السموات والارض وكانتا ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطهما فحصل الفتق وقال
ابو صالح ومجاهد وكانت السموات متلاصقات لا فرج بينهما ففتقهما الله بان جعلها سبعا وكذلك الارضون و
عن ابن عباس في رواية اخرى وعليه كثير من المفسرين ان السموات والارض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله
السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ويشبه ان يراد بالسموات على هذا التفسير السحاب نظيره قوله والسماء ذات الرجع
والارض ذات الصدع ويؤيده عقيبه قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل انما جمع السموات وان كان نزول المطر من
السماء الدنيا فقط باعتبار الجهة لان جهتها هي جهتين او باعتبار ان كل قطعة منها سماء فيكون كقولهم ثوب اخلاق
وبرمة اعشار وقريب من هذا قول من قال المعنى ان السموات والارض كانتا مظلمة ففتقهما الله تعالى باظهار النور
فيهما كقوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال ابو مسلم الاصفهاني الرتق حالة العدم اذ ليس فيهما ذوات متميزة فكانها
امر واحد متصل متشابه والفتق الايجاد لحصول التمييز وانفصال بعض الحقائق عن البعض فيكون كقوله فاطر السموات
والارض والفطر الشق وعن بعض علماء الاسلام ان الرتق انطباق منطقتي الحركتين الاولى والثانية الموجب لبطلان
العمارات وفصول السنة والفتق افتراقهما المقتضي لامكان العمارة والتغيير الفصول وفيه بعد وههنا سؤال وهو ان
الكفار متى راوهما رتقا حتى صح هذا الاستفهام للتقرير كيف وقد قال تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض والجواب
على الاقوال الاخيرة ظاهر فان فتق السماء بالمطر والارض بالنبات او فتقهما بانتقاد النور فيهما واظهاره عليهما امور
محسوسة وكذا اخراجهما من العدم الى الوجود مما يشهد به الحس السليم والعقل المستقيم واما على القولين الاولين
فلعلهم علموا ذلك من اهل الكتاب وكانوا يقبلون قولهم لما بينهما من التوافق في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم قال
صاحب الكشاف في الجواب انه وارد في القران الذي هو معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد او ان تلاصق
الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا
من الماء كل شيء حي قال السكاكي صاحب المفتاح اي جعلنا مبدا كل حي هذا الجنس الذي هو جنس الماء واعترض عليه بانه
كيف يصح ذلك وادم من تراب والجن من نار والمشهور ان الملائكة ليست اي جعلنا مبدا كل حي هذا الجنس الذي اجسامها ماء
واجاب بانه ياتي في الروايات انه جل وعز خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه
منه وقال صاحب الكشاف انما قال خلقنا كل شيء حي من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق
الانسان من عجل ويجوز ان لا يكون الجعل بمعنى الخلق بل يكون بمعنى التصيير متعديا الى مفعولين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من
الماء لا بد له منه وقال في التفسير الكبير اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة قائمة بان الدليل لا بد ان يكون مشاهدا محسوسا
ليكون اقرب الى المقصود فبهذا الطريق يخرج الملائكة والجن وادم لان الكفار لم يروا شيئا من ذلك قلت على هذا يكون قوله
وجعلنا داخلا في حيز الاستفهام كانه قيل او لم يروا انا فتقنا السموات والارض بعد رتقهما وجعلنا من الماء كل حيوان
ومن المفسرين من جعل الحي شاملا للنبات ايضا كقوله فاحيا به الارض بعد موتها قوله وجعلنا في الارض رواسي ان
تميد بهم قد مر تفسيره في اول النحل ويأتي في الاية كقوله في طه وسلك لكم فيها سبلا والفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع
ومن صفة سبلا قدمت عليه فصارت حالا عنه اراد انه حين خلقها على تلك الصفة فهذا كالبيان لما ابهم في قوله
لتسلكوا منها سبلا فجاجا او للاهتداء اما حسي اي تهتدون الى البلاد واما عقلي وهو الاهتداء الى وحدانية الله تعالى

ومنهم من زعم ان الضمير في قوله وجعل فيها عايدا الى الجبال وهذا قول مقاتل والضحاك ورواية عطا عن ابن عباس
وروى عن ابن عمر انه قال كانت الجبال مصمتة فلما اغرق قوم نوح خرقها فجاجا وجعل فيها طرقا قال علما الاسلام ليس
في قوله وجعلنا السماء سقفا ان السماء للارض كالسقف للبيت فوق لا ان فيها مثله ولكنه اطلق عليها اسم السقف
لانها كذلك في النظر بالنسبه الى سكان كل بقعه وفي المحفوظ وجهان اى محفوظ بقدرته من ان يقع على الارض
او محفوظا بالشهب من الشياطين وهم عن اياتها معرضون فلا يتدبرون في تركيبها وترتيبها ومسيراتها وطلوعها
وغروبها واتصالاتها وانصرافاتها وتاثيراتها في المواد ونبها باذن خالقها ومبدعها قوله كل في فلك من مغلوب الكل والفلك في
اللغه كل شى داير وجمعه افلاك فزعم الضحاك انه ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم والاكثرون على ان الفلك جسم
يدور النجوم عليه ثم اختلفوا في حقيقته فقال الكلبي ماء مكفوف اى مجموع يجرى فيه الكواكب بدليل قوله يسبحون
والسباحة لا يكون الا في الماء ورد بانه يقال فرس سابح اذا امتد في الجرى وقالت الحكما هو جسم كرى لا ثقيل ولا
خفيف غير قابل للخرق والالتيام والنمو والذبول ولذلك منعوا من كون الفلك ساكنا والكوكب متحركا فيه كالسمك في
الماء واعتذروا عن السباحه بانها في النظر كذلك قال صاحب الكشاف التنوين في كل عوض من المضاف اليه اى كلهم
وورد عليه اشكالان احدهما انه لم يسبق الا ذكر الشمس والقمر فكيف يعود ضمير الجمع اليهما واجاب باعتبار كثرة
مطالعهما كما يجمع بالشموس والاقمار لذلك ويمكن ان يقال اقل الجمع اثنان او انه جعل النجوم تبعا لذكرهما والثاني ان كلهم
ليسوا في فلك ولكن كل منهم في فلك اخر على ما يشهد به علم الهيئه واجاب بانه اراد جنس الفلك كقولك كسانا الامير حله
واراد كل واحد قلت لو صح هذا التقدير الثاني لم يرد الاشكال الاول ولكن دينا في قوله يسبحون مجموعا قال بعض الحكماء في
هذا الجمع دلاله على ان الكواكب احيا ناطقه واجيب بانه انما جمع جمع العقلا لان السباحة من فعلهم قلت قد يسبح كثير
من الحيوانات فلعل المخصص بالعقلاء هو السباحة الصناعيه الكتب وههنا بحث وهو ان الامام فخر الدين رحمه الله تعالى
استحسن قول بعض الاوايل ان الحركة السماويه صنف واحد وهي الاخذه من المشرق الى المغرب الا ان بعضها ابطا من
البعض فالحركات الغربية وكذا الاختلافات تلك الحركات بسبب تلك المختلفات قال وهذا اقرب ليكون غاية سرعة
الحركة للفلك الاعظم وغاية السكون للجرم الذي هو ابعد عن المحيط وهو الارض وليلا يلزم بسبب حركة ما دون الفلك
الاعظم بحركته وبحركاتها الخاصة تحرك الجرم الواحد في زمان واحد بحركتين مختلفتين الى جهتين فانه يستلزم
كون الجسم دفعة واحدة في مكانين قلت اما حديث كون ما هو ابعد عن المركز اسرع حركة فاقناعي واما لزوم كون الجسم
دفعة واحدة في مكانين فممنوع لان التي تظهر في المتحرك هي الحركة المركبة الحاصلة من فضل الاسرع على الابطا لا كل
من الحركتين وهذا مشاهد من حركة النمله الى خلاف جهة حركة الرحى ومن حركة راكب السفينه فيها الى خلاف جهة حركتها
واما الذي استحسنه من كلام الاوايل فباطل لانه لو كان كذلك لحصلت الاظلال اللازمة بكل جزء من اجزاء فلك البروج
في يوم بليلته وكذا الارتفاعات المناسبه لها في البلاد المتفقه العرض وليس كذلك وقد ذكرنا هذا المعنى في
كتبنا النجوميه ايضا وحين فرغ من بيان طرف من هذه الاجرام السماويه ومنافعها الدينيه نبه بقوله وما جعلنا
لبشر من قبلك على ان هذه الاثار لا تدوم ولا تخلق للبقاء وانما خلقت للابتداء والامتحان ولكن يتوصل بها المكلفون
الى السعادات المدخرة لهم في الاخرة وهي دار الخلود وبوجه اخر لما فرغ من دلايل الافاق وشرع في دلايل الانفس قال
وما جعلنا الايه عن مقاتل ان ناسا كانوا يقولون ان محمدا لا يموت فنزلت قيل لعلهم ظنوا انه لو مات لتغير شرعه وهذا
ينافي كونه خاتم الانبياء فبين الله سبحانه ان حاله كحال من تقدمه من الانبياء في المفارقة عن دار الدنيا والاكثرون
على ان سبب النزول هو انهم كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماته بهذا وفي معناه قول
القايل شعر فقل للشامتين بنا افيقوا ٭ سيلقى الشامتون كما لقينا ٭ قوله كل نفس ذايقة الموت قد تقدم في اخر
ال عمران تفسيره قوله ونبلوكم اى نعاملكم معامله المختبر بما نسوق اليكم من الشرور والخيرات فيظهر عندها صبركم
او شكركم وقدم الشر لان الموت من باب الشرور في نظر اهل الظاهر وفتنه مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وحين اثبت
الموت الذي هو الفراق عن دار التكليف بين بقوله والينا ترجعون ان الجزاء على الاعمال ثابت مرتب عليه بعد المفارقة
استدلت المجسمه بقوله والينا انه تعالى جسم يمكن الرجوع اليه حيث هو والتناسخيه بان الرجوع مسبوق بالكون في
المكان المرجوع اليه وجواب الاولين انه اراد الرجوع الى حيث لا حكم الا له وجواب الاخرين التسليم لكنه لا يفيد مطلوبهم
لان الرجوع الى المبدا وغير الرجوع الى دار الدنيا واعلم ان مثل هذه الايات سيجي في سورة العنكبوت الا انه قال هناك

ثم الينا ولم يذكر قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فكان هذه الفاصلة قامت مقام التراخي في ثم قال السدى ومقاتل مر
النبي صلى الله عليه وسلم بابي جهل وابي سفين فقال ابو جهل لابي سفين هذا نبي بني عبد مناف فقال ابو سفين وما تنكر ان
يكون نبيا في بني عبد مناف فسمع النبي صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابي جهل ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك
الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفين فانما قلت ما قلت حمية فانزل الله تعالى واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك اى
ما يتخذونك الا هزوا ثم فسر ذلك بقوله اهذا الذي يذكر الهتكم والذكر يكون بالخير او بالشر الا انه اذا كان بينهم منه الذم
لا الثنا والمعنى انه يبطل معبوديتها وينكر عبادتها ويقبح امرها ثم بين غاية جهالتهم وتعكيس قضيتهم بقوله وهم بذكر الرحمن
هم كافرون وقدم الجار والمجرور وكرر الضمير ليفيد انهم عاكفون بهمتهم على ذكر الهتهم من كونها شفعاء وشهدا ولو ذكرها ذاكر
بخلاف ذلك ساءهم واما ذكر الرحمن الذي منه جلايل النعم ودقايقها واصولها وفروعها فلا يخطر منهم ببال ولو ذكره
ذاكر استهزوا به حتى ان بعضهم يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة فهم احق بان يتخذ واهزوا ويحتمل ان يكون البا للسببيه اى
هم كافرون بسبب ذكرهم الرحمن لا على ما ينبغي فيكون الذكر في الموضعين بمعنى واحد وقيل بذكر الرحمن اى بما انزل اليك من
القران وكانوا يستعجلون بعذاب الله كما يجي عن قوله ويقولون متى هذا الوعد فقدم لذلك مقدمه هي قوله خلق الانسان
هذا الجنس من عجل اراد انه مجبول على افراط العجله كما مر في قوله وكان الانسان عجولا وعن ابن عباس انه ادم اراد ان يقوم حين
بلغ الروح صدره وعن مجاهد ان ادم لما دخل الروح راسه وعينيه راى الشمس قاربت الغروب فقال يا رب عجل خلقي
قبل ان تغيب الشمس وعن ابن عباس ايضا انه النضر بن الحرث والاول اظهر وقيل العجل الطين بلغة حمير قال الاخفش اى من
يعجل من الامر وهو قوله كن وقيل هو على القلب اى خلق العجل من الانسان سأوريكم اياتي وهي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب
في الاخرة فلا تستعجلون فانها كاينه لا محاله في وقتها وهي ادله التوحيد وصدق الرسول وقيل اثار القرون الخاليه بالشام
واليمن سوال لقوله خلق الانسان من عجل فيه ان الادمي معذور على الاستعجال لانه له كالامر الطبيعي الذي لا بد منه فلم رتب عليه
النهي بقوله فلا تستعجلون واجيب بان فيه تنبيها على ان ترك العجله حاله شريفه وخصله عزيزه وقد جعل الله هذا كما ركب
فيه الشهوة وامره ان يغلبها من احضر القوم استعجلوا الوعد على جهة التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا في الحقيقة
واجيب بان الاستعجال على هذا الوجه ادخل في الذم لانه استعجال على امر موهوم عندهم لا معلوم لو يعلم جواب لو محذوف
حين مفعول به ليعلم والمعنى لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه وهو وقت احاطه النار بهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر
والاستهزاء والاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول اى لو كانوا من اهل العلم لما كانوا مستعجلين وعلى هذا يكون
حين منصوبا بمضمر اى حين لا يكفون يعلمون انهم كانوا على الباطل وخص الوجوه والظهور بالذكر لان نكاية النار في هذين
العضوين اشنع ان الاحاطه التامه يفهم منهما ثم بين ان وقت مجي العذاب غير معلوم لهم فان مجي الساعة مخفي عن المكلفين
ليكونوا اقرب الى تلافي الذنوب فقال بل تاتيهم بغتة فتبهتهم قال جار الله اى لا يكفونها بل تفجوهم فتغلبهم قلت فايده
بل في هذه المقامات الانتقال من جمله الى اخرى اهم من الاولى ويحتمل ان يكون اول الظاهر العطف والضمير للنار وقيل في الساعة
وفي قوله ولاهم ينظرون تذكير بامهالهم في دار الدنيا اى لا يمهلون بعد طول الامهال ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم
بقوله ولقد استهزى الايه وقد عرفت في اول الانعام ولما بين ان الكفار في الاخرة لا يكفون عن وجوههم النار ذكر انهم
في الدنيا ايضا مفتقرون الى حراسه الله وكلاءته فقال قل من يكلؤكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا انقلبتم في وجوه المصالح
من الرحمن اى من باسه وعذابه كالقتل والسبي ونحوهما قيل انما خص بالذكر الرحمن تلقينا للجواب حتى يقول العاقل انت الكالي
يا الهنا لكل الخلايق برحمتك نظيره ما غرك بربك الكريم ثم اضرب عن الامر بالاستفهام فقال بل هم عن ذكر ربهم معرضون
لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه كانه امر رسوله بسوالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر
من يكلؤكم اما قولهم ام لهم الهة فذكر في الكشاف انه اضراب عن الكلام السابق بما في ام من معنى بل وقال غيره الميم زايدة
فانه استفهام مستانف والتقدير الهم الهة تمنعهم من العذاب ومعنى من دوننا ان تلك الالهة تتجاوز منعنا وحفظنا ثم
استانف فقال لا يستطيعون ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اى تلك الالهة ليست تقدر على نصر نفسها فكيف
تحفظ غيرها وتنصره وقوله ولا هم منا يصحبون قال المازني هو من اصحبت الرجل اذا منعته والاكثرون على انه من الصحبه
بمعنى النصره والمعونه ومنه قولهم صحبك الله والحاصل ان من لا يكون قادرا على دفع الافات ولا يكون مصحوبا من الله
بالاعانة والنصره كيف يتوقع منه دفع ضر وجلب نفع ولما ابطل كون الاصنام نافعه اضرب عن ذلك منتقلا الى بيان
ان ما هم فيه من الحفظ والكلاءة والتمتيع بالحيوة العاجلة هو من الله لا من مانع يمنعهم من الاهلاك ولا من ناصر يعينهم على

اسباب التمتع سوى الله وفي قوله حتى طال عليهم العمر اشاره الى انه لما امتدت ايام الروح والطمانينه حسبوا ان ذلك
لن يزول عنهم فاغتروا به ونسوا المنعم فاستأهلوا العقاب كما اشار اليه بقوله افلا يرون انا ناتى الارض وفي لفظ
الاتيان نضوع ما كان الله يجريه على ايدى المسلمين الذين هم حزب الله من نقض ديار الكفر وتخريبها وعمارة حوزة الاسلام
وتشييد مبانيه وقد مر مثله في اخر سورة الرعد والاستفهام في قوله افهم الغالبون للتقرير اى نحن الغالبون
ثم بين ان هذه الانذارات ليست من قبل الرسول ولكنه بالوحى ثم مهد عذر الرسول ان لم ينجع فيهم رسالته بان الصم
لا يسمعون دعا المنذر واللام في الصم للعهد اى ولا يسمع هؤلاء الانذار فوضع الصم موضع اسم الاشارة ايذانا بانهم
هم الموسومون بالصم عن استماع الحق ولو كان اللام للجنس لكان الانسب اطلاق الدعاء لان الصم لا يسمعون الدعاء بشيرا
وانذارا ثم ذكر انهم لا يعترفون بالتقصير والظلم الا عند معاينة العذاب فقال ولئن مستهم نفحة وفي ذكر المس و
المرة من النفح الذى هو بمعنى القلة والتراخى منه قولهم نفحة بعطيه اى رضخة ونفحته الدابة وهو رمح يسير دليل
على انهم في غاية الضعف يجزعون بما دنى اثر من عذاب ربهم قوله ونضع الموازين القسط اى العدل لصفة الموازين
وان كان موحدا كقولهم للقوم انهم عدل قاله الفراء وعن الزجاج اراد ذوات القسط واللام في ليوم القيمة بمعنى الوقت
كما يقال جئته لتاريخ كذا وقيل اراد لاهل الحساب يوم القيمة وقد مر تحقيق الوزن وما يتعلق به من الابحاث في اول سورة
الاعراف يروى انه داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما راى غشى عليه ثم افاق فقال يا الهى من الذى يقدر
ان يملا كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملاتها بتمرة وقوله فلا تظلم نفس شيئا بحث بين المعتزلة و
الاشاعرة وقد مر مرارا وان كان اى الوزن او العمل مثقال حبة من خردل اتينا بها انث ضمير المثقال باعتبار اضافته الى
الحبة فقيل الحبة اعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل واجيب بان الوجه فيه ان يفرض الخردلة كالدنانير
ثم يعتبر الحبة من ذلك الدنيا والظاهر انه اراد الحبة من حيث اللغة وقوله من خردل بيان لها لان الحبة اعم من ان يكون من
الخردل او من الحنطة او من غيرهما ولكن المبالغة في الاول اكثر وذلك ان الخردلة سدس شعيرة هى نصف سدس ثمن
الدينار عند الحساب ونصف سدس سدسه في الشرع والحبة ثمن تسع الدينار في عرف حساب فارس والعراق
فمثقال الحبة من خردل يكون على الوجه الاول ثمن تسع خردله وعلى ما قلنا يكون هو الخردل بعينه والحاصل ان شاء
من الاعمال الصغير كان او كبيرا غير ضايع من علم الله وانه يجازى عليه روى ان الشبلى رئى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
حاسبونى فدققوا ثم منوا فاعتقوا قال في التفسير الكبير زعم الجبائى ان من استحق مائة جزء من العقاب فاتى بطاعة
يستحق بها خمسين جزء من الثواب فهذا الاقل يحبط بالاكثر ويبقى الاكثر كما كان والاية تبطل قوله لان الله تعالى يمدح
بان اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الامر كما قال الجبائى لسقطت الطاعة من غير فايدة قلت للجبائى ان يقول
الاتيان بالطاعة مشروط عندكم بعدم العفو وكفى بنا حاسبين كقوله وكفى بالله حسيبا وحين فرغ من دلايل التوحيد
والنبوة والمعاد شرع في قصص الانبياء تسلية لنبيه وتثبيتا وعظة لامته وتذكيرا وقدم قصة موسى لانه اوجز
فيها ههنا والموجز يقدمه الفصحاء غالبا ولان موسى اقوى حالا ومعجزة ولان ذكر التوراة يناسب ما تقدم من قوله
قل انما انذركم بالوحى وصف التوراة بانها جامعة لكونها فرقانا يفرق به بين الحق والباطل وقد مر تفسير
الفرقان في اول سورة البقرة وضياء كقوله فيها هدى ونور وذكرا للمتقين اى شرفا او موعظة او ذكر ما يحتاجون
اليه في دينهم ودنياهم وقوله بالغيب اما حال من الرب اى حال كونه غايبا عن حسهم والله لا يغيب عنه شى فيكون
كقوله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك واما حال كونهم غايبين عن عذاب الاخرة واهوالها او غايبين
عن الناس اى يخشون ربهم في الخلوات ثم عظم شان القران بقوله وهذا ذكر مبارك اى كثير البركة انزلناه افانتم له
منكرون اى انتم دون ساير الناس مع علمكم بفصاحته واعجازه مخصوصون بالانكار ولا يخفى ما فيه من التوبيخ للعرب ومن
داناهم **التاويل** ام اتخذوا الهة من ارض البشرية هم ينشرون القلوب الميتة بل الله يحييها بنور ذكره وطاعته لو كان
في سماء الروحانية وارض البشرية الهة الا الله كالعقل وكالهوى لفسدتا كما فسد بهما ارواح الفلاسفة حين اثبت
عقولهم للواجب صفات لا يليق به وفسدت البشرية الطبايعية حين دلت فتهم عن استعمال قوانين الشريعة بمقتضى
هوى الطبيعة لا يسال عما يفعل لان افعاله صادرة عن الحكمة والقدرة وهم يسالون لان افعالهم منشاها الظلومية
والجهولية لا يسبقونه بالقول لانه ليس فيهم ما يخالف داعية العقل وهو الطبع الذى يجذب صاحبه الى السفل و
لهذا وصفهم بالاكرام ووصف بنى ادم بالتكريم في قوله ولقد كرمنا بنى ادم ففى التكريم تكثير ليس في الاكرام فالسبب انهم

بنى ادم اشكل وحالهم اصعب يعلم ما بين ايديهم من حالة قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما خلفهم من الامر بسجود آدم و
الاستغفار لمن في الارض او لم ير الذين كفروا يعنى انهم راوا وهاهنا في عالم الارواح لانها خلقت قبل الاجساد بالفى الف عام وفى
رواية باربعة الاف سنة كانتا رتقا اى كانت سموات الارواح متعلقة بارض القوالب ففتقناهما بالمفارقة وقطع
التعلق وجعلنا من ماء حيوة العلم كل شى حى بالحيوة الابدية وجعلنا في الارض ارض القالب رواسى على هموم العلايق البدنية
ان تميد بهم فلولاها لمالت كل نفس الى عالمها وبطل الغرض من التكليف ويمكن ان يكون الرواسى اشارة الى الابدال الذين هم اوتاد
الارض بهم يرزق ويمطر الناس فجاجا سبلا هى طرق الارشاد والسلوك وجعلنا سماء القلب سقفا محفوظا من وساوس
شياطين الانس والجن وهو الذى خلق ليل البشرية ونهار الروحانيه وشمس المعرفة وقمر الاسلام كل في فلك يسبحون قمر
الاسلام في فلك الشريعة واهل الايمان في الطريقة واهل الولاية في فلك اطوار الحقيقة كل نفس ذائقة الموت اما
النفس الحيوانية فلان من خواصها ان يصير الغذاء من جنسها فلا جرم اذا عجز الغذاء عن التشبيه بها لعجز القوة العادية حل اجلها
واما النفس الناطقة فلان من خواصها انها تصير من جنس غذائها وهو الكمالات العلمية التى هى فيوض ربانية يتجوهر
الروح بجوهرها فيحصل له الفناء عن وجوده والبقاء بشهود ربه ونبلوكم بالمكروهات التى يسمونها شرا وبالمحبوبات
التى يحسبونها خيرا فتنة فربما كان الامر على ما تصور ثم الينا ترجعون اختيارا وقهرا واذا راك الذين كفروا فيه ان الاغيار
لا ينظر الى الاخيار الا بعين الانكار خلق الانسان من عجل بالنسبة الى خلق السموات والارض وما بينهما فانها خلقت في ستة
ايام وخمرت طينة ادم اربعين صباحا مع انه انموذج من الكل واستعداد القبول الخلافة وقابلية تجلى الذات والصفات
ومظهرية الكنز المخفى واشار الى هذه المعانى بقوله ساريكم اياتى وفي مظاهر الافاق وفي انفسكم بالتدريج وبالتربية
في كل طور فلا تستعجلون فان حد الاستكمال من المهد الى اللحد بل من الازل الى الابد وهذا منطق الطير لا يفهمه الا سليمان
الوقت ويمكن ايضا ان يقال ان الروح الانسانى اول شى تعلقت به القدرة فهذا معنى العجلة قل من يكلؤكم فيه ان ملوك
الارض لو حرسوهم بالليل والنهار من الخصوم والاعداء منهم حتى يحفظوهم من ليل البشرية والنهار الروحانيه من سطوات قهر
الجلال الذى الروحانية من صفاته كما ان الرحمية من صفات الجمال الغلو وكلهم بالخذلان الى الظلمة البشرية بقوله في الجهل و
وكلهم بالاضلال في نور المعقولات تاهوا في اودية الحيرة والحجب النورية امنع من الحجب الظلمانية والجهل البسيط اسرع
ازالة من الجهل المركب بل متعنا هؤلاء الجهال واباءهم الذين علومهم تلك المعقولات التى صارت حجبا نورية لهم حتى اعتبروا ابطال
الجلال والكون والمعاد والشرع ثم بين ان الحق يغلب على الباطل البتة فقال او لم يروا انا ناتى الارض ارض البشرية ونضع الموازين ميزان الفضل
قد نصب في الازل نحن قسمنا تلك الرسل فضلنا وميزان العدل ينصب في الابد ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فالاول كالبذر والثانى كالثمر

ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ● اذ قال
لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون ●
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ● قال لقد كنتم انتم واباؤكم
في ضلال مبين ● قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين
قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا
على ذلكم من الشاهدين ● وتالله لاكيدن اصنامكم
بعد ان تولوا مدبرين ● فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم

اليه يرجعون ● قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم ● قالوا فاتوا به على اعين
الناس لعلهم يشهدون ● قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا
ابرهيم ● قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون
فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ● ثم نكسوا
على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ● قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ● اف لكم و
لما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ● قالوا حرقوه وانصروا
الهتكم ان كنتم فاعلين ● قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على
ابرهيم ● وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ● ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ● ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة وكلا جعلنا صالحين ● وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة و
كانوا لنا عابدين ● ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من
القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ● ونوحا اذ نادى من قبل
فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ● ونصرناه من
القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين ● وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه

غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ● ففهمناها سليمن
وكلا اتينا حكما وعلما ● وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وكنا فاعلين ● وعلمناه صنعة لبوس لكم
لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ● ولسليمن الريح
عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء
عالمين ● ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا
دون ذلك وكنا لهم حافظين ● وايوب اذ نادى ربه اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين ● فاستجبنا له فكشفنا ما
من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا و
ذكرى للعابدين ● واسمعيل وادريس وذا الكفل كل
من الصابرين ● وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين ●
وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى
في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ●
وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ● والتي
احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين ●

القراءة جذاذا بكسر الجيم على الاحزوة بضمها اف بفتح الفاء ابن كثير وابن عام وسهل ويعقوب اف بالكسر
والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص الباقون بالكسر من غير تنوين لتحصنكم بالنون ابو بكر وحماد ورويس بالتاء النوقانية و
الضمير للصنعة او للدرع لانها مونثة سماعا ابن عامر ويزيد وحفص والمفضل وروح وزيد الباقون بالياء التحتانية والضمير لله

لداود عليه السلام او للبوس والكل بتخفيف العباد الرياح الجمع بزيد طريق المفضل الاخرون على التوحيد مسني الضر و
عبادي الصالحون في اخر السوره مرسله الياء حمزة الباقون بفتحها ان لن نقدر ربالياء مجهولا يعقوب نجي بضم النون الواحدة
وتشديد الجيم وتسكين الياء ابن عامر وعياش وابوبكر وحماد الاخرون بنونين مخففا **الوقوف** عالمين لان اذ يصلح
ظرفا لاتينا او لرشده او للعلم به ومفعولا لاذكر محذوفا عاكفون عابدين مبين اللاعبين فطرهن لو او الابتداء
والحال اولى الشاهدين مدبرين يرجعون الظالمين ابرهيم يشهدون يا ابرهيم فعله وفيه بعد ويجيء في
التفسير ينطقون الظالمون للعطف على رؤسهم لاتحاد المقصود مع اتحاد القول ينطقون ولا يضركم لا شيئا
الدعاء عليهم من دون الله يعقلون فاعلين على ابرهيم بناء على ان التقدير وقد ارادوا الاخسرون للعطف وللاية
للعالمين اسحق بناء على ان المراد وهبنا له يعقوب حال كونه نافلة صالحين الزكوة لاحتمال الاستيناف والحال
عابدين وكان ينبغي ان لا يوقف للعطف ولكنهم حكموا بالوقف لتمام القصه وكذلك امثالها الخبائث فاسقين
بناء على التقدير وقد دخلناه رحمتنا لصالحين العظيم للعطف مع الاية بآياتنا اجمعين غنم القوم لاحتمال الواو
بمعنى الاستيناف والحال شاهدين للعطف بالفاء سليمان لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتحاد الكلام وعلما
لعطف المتفقين مع نوع عدول والطير فاعلين من بأسكم للاستفهام مع الفاء شاكرون فيها عالمين دون ذلك
لاحتمال الاستيناف والحال حافظين الراحمين للفاء وللاية للعابدين وذا الكفل الصابرين مغاضبا وصل العطف
وادخلناهم على نجا المقدرة في رحمتنا الصالحين سبحانك قد يوقف لاجل ان ولكنه داخل في حكم النداء الظالمين
على ما ذكر في الوجهين فاستجبنا له لاتفاق الجملتين واتصال النجاة بالاستجابة من الغم المؤمنين الوارثين فاستجبنا
لامكان الفصل بين الاستجابة المعجلة حصول الولد الموهوب على المهلة زوجه ورهبا خاشعين للعالمين ه
التفسير الرشد الاهتداء لوجه المصالح في الدين والدنيا وقد يختص ههنا بالنبوة لقوله رشده ومعنى الاضافة ان
لهذا الرشد شانا ولقوله وكنا به عالمين وفيه انه علم منه اسرارا عجيبه واحوالا بديعة حتى اتخذه خليلا واصطفاه
نبيا نظيره الله اعلم حيث يجعل رسالته وعلى هذا فمعنى قوله من قبل اي من قبل موسى وهرون قاله ابن عباس وعلى الاول
يحتمل هذا وان يراد من قبل البلوغ حين استدل بالكواكب قاله مقاتل وعن ابن عباس في رواية الضحاك حين اخذ الله
ميثاق النبيين في صلب ادم قالت الاشاعرة اراد بايتاء الرشد خلق ذلك فيه اذ لو حمل على اسباب ذلك تناول الكفار
اجاب الكعبي بان هذا انما يقال لمن قبله دون من رده نظيره ان يعطي الاب كل واحد من ولديه الفا فيقبله احدهما ويثمره ويرده الاخر
او اخذه ثم ضيعه فيقال اغنى فلان ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال مثله فيمن ضيع واعترض بان قبوله على هذا التقدير
يكون جزءا من مسمى الرشد وحينئذ لا يصح اسناد ايتاء الرشد الى الله وحده وهذا بخلاف نص القران والتمثال الاسم
للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى من مثلت الشيء بالشيء شبهته واسم ذلك الممثل تمثال اجل ابراهيم عليه
السلام هذا التجاهل والتغابي ابتداء كلامه ليطرفهم عما هم بصدده من شبهة فجعلها لهم مع ما في هذا السوال من تحقير
الهتهم وتسفيه احلامهم وفي قوله انتم لها عاكفون دون نعبدها وخالق كل شيء قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين لم يكن
لهم ان يتمسكوا بشيء اخر سوى التقليد فعرض طريقهم بالتنبيه على خطاءهم وخطاء اسلافهم فقال لقد كنتم انتم واباؤكم
في ضلال مبين كان كل مذهب لا يستند الى دليل كان صاحبه ضالا او في حكم ذلك ثم ان القوم تعجبوا من تضليلهم
مع كثرتهم ووحدته ومنعتهم عما القوة وصروا به فقالوا اجئتنا بالحق اي بما انت به جاد او هازل ودعابة ام انت من اللاعبين
فحينئذ عدل ابراهيم عن مجرد التنبيه الى اثبات الدعوى بالبينة والدليل فجاهدهم او باللسان قائلا بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن الظاهر ان الضمير للسموات والارض الا انه قيل كونه للتماثيل ادخل في تضليلهم
وانبت للاحتجاج عليهم وقوله وانا على ذلكم من الشاهدين فيه تاكيد وتحقيق لما قاله كقولك الرجل اذا بالغت في مدح احد
او ذمه اشهد انه كريم او لئيم لان الشهادة خبر قاطع وفيه انه قادر على اثبات ما ادعاه بالحجج والبينات كمن شاهد ثم اخبر
انه سيجاهدهم ويجاهد اجهاده بالفعل من غير تقية وخوف فقال وتالله لاكيدن قال جار الله في تاء القسم مع انه عوض
عن الباء زياده معنى وهو التعجب كانه تعجب من سهولة الكيد على يده لان ذلك لصعوبته كان كالمقنوط منه خصوصا
في زمن نمرود مع شدة شكيمته وقوة سلطانه قلت لا ريب ان هذا مستبعد عادة ولكنه سهل لمن ايده الله ونصره
كما قال علي كرم الله وجهه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة رحمانية سوال الكيد هو الاحتيال على
الغير في ضرر لا يشعر به فكيف يتصور ذلك في حق الاصنام وجوابه انه قال ذلك عليها او اراد لاكيدنكم في اصنامكم

لانه بذلك الفعل اهمهم واحزنهم قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم
فلما كان هذا الوقت قال ازر لابرهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي
فلما بقي هو وضعفاء الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم وروى الكلبي ان ابرهيم كان من اهل بيت ينظرون في النجوم
وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابرهيم بالذي هم به كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء فقال
لاصحابه اني اراني اشتكي غدا وذلك قوله في الصافات فنظر نظرة في النجوم اني سقيم واصبح من الغد معصوبا راسه
فخرج القوم لعيدهم لم يتخلف احد غيره فقال سرا اما والله لاكيدن اصنامكم فسمعه رجل واحد واخبر به غيره و
انتشر الخبر على الوجهين يصح قوله فيما بعد قالوا سمعنا فتى يذكرهم وروي ان ازر خرج به في يوم عيدهم فبدؤا
ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا ان نرجع بركت الالهة على طعامنا
فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب
وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه وذلك
في قوله فجعلهم جذاذا قال الجوهري جذذت الشيء جذا قطعته وكسرته والجذاذ ما كسر منه وضمه افصح من كسره قلت
فعلى هذا هو اسم جمع الا كبيرا لهم اي في الخلقة كما روينا وقيل في التعظيم ويحتمل ان يكون جامعا للامرين واما
الضمير الواحد في قوله لعلهم اليه يرجعون فيحتمل عوده الى ابرهيم اي جعلهم جذاذا واستبقى الكبير رجاء انهم
يرجعون الى دينه او الى السوال عنه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بقوله بل فعله كبيرهم هذا
فاسئلوهم ويحتمل عوده الى الكبير كما ذهب اليه الكلبي والمعنى لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات
فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك وهذا بناء على ظنهم ان الاصنام قد تتكلم ويجيب هو على
ان نفس ذلك الكبير دليل على فساد مذهبهم لان الاله يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ولانهم كانوا يعظمونها ويقولون
ان المستخف بها يلحقه ضرر عظيم فحين كسرها ابرهيم ولم ينله ضرر من تلك الجهة بطل ما اعتقدوه فلما انكشف
لهم جلية الحال قالوا من فعل هذا الكسر والحطم والاستخفاف بالهتنا انه لمن الظالمين تهديد في جملة من يضع الشيء في
غير موضعه لانه وضع الاهانة مكان التعظيم قالوا سمعنا احتمل ان يكون القايل واحدا ونسب القول الى الجماعة لانه
منهم واحتمل ان يكون جمعا على الوجهين اللذين روينا هما او لانهم سمعوا منه قوله على وجه الاستهزاء ما هذه التماثيل
والفعلان بعد فتى صفتان له الا ان الاول اخص وروي ذكره لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع و
الثاني ليس كذلك والاصح ان قال ابرهيم فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى وقيل هو خبر مبتدا محذوف ومنادى
قالوا اي فاتوا به على اعين الناس اي جاء والمجرور في محل الحال اي مرئيا منهم ومنظورا ومعاينا مشاهدا قال الكشاف
معنى الاستعلاء في على ان يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون
عليه بما سمع منه او بما فعله فيكون حجة عليه قال الحسن وقتادة والسدي وعطاء عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق
معناه لعلهم يحضرون عقوبتنا له ليكون ذلك اجرا لهم عن الاقدام على مثله وههنا اضمار اي فاتوا به ثم
قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم طلبوا منه الاعتراف ليقدموا على ايذائه فقال بل فعله
كبيرهم وقوله هذا صفة كبيرهم زعم الطاعنون في عصمة الانبياء ان هذا القول من ابرهيم كذب واكدوا بما جاء في
الحديث ان ابرهيم لم يكذب الا ثلث كذبات … وللعلماء في جوابه طريقان **احدهما** تسليم انه كذب ولكنهم قالوا ان الكذب
ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب اذا اشتمل على مصلحة كتخلص نبي ونحو ذلك وزيف هذا
الطريق بان يجوز ان يكذب النبي لمصلحة ابطال الوثوق بالشرائع لاحتمال ان الانبياء اخبروا لمصلحة المكلفين في
الماضي بانه ليس الخبر عنه وجوه في الواقع **الطريق الثاني** وعليه جمهور المحققين المنع انه كذب وبيانه من وجوه
الاول من المعاريض التي يقصد بها الحق وهو الزام الحجة وتبكيته كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط في غاية
الحسن انت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط فقلت له بل كتبته انت فقصدك بهذا الجواب تقرير الشيء الاول
بالاستهزاء عليه واثباته لا نفيه عنه **الثاني** ان ابرهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبه
وكان غيظه بكبيرها اشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه هو الذي تسبب لاستهانته بها **الثالث**
ان يكون ذلك حكاية لما يؤول اليه مذهبهم كانه قال … تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر
على امثال هذه الافعال ويؤيد هذا الوجه ما يحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار **الرابع**

ما يروى عن الكسائي انه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدي كبيرهم هذا اي فعله من فعله الخامس عن بعضهم انه
يقف عند قوله كبيرهم ثم يبتدي فيقول هذا فاسئلوهم واراه بالكبير نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم السادس
ان في الكلام تقديما وتاخيرا والتقدير بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسئلوهم فيكون اضافة الفعل
الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع ان يكونوا فاعلين السابع قراءة محمد بن السميفع فعله
كبيرهم بالتشديد اي فلعل الفاعل كبيرهم وفيه تعسف واما قول ابرهيم اني سقيم فلعله كان به سقم قليل وسوف
يجيء تمام البحث فيه واما قوله لسارة انها اختي فالمراد انها اخته في الدين فلم يكن وقتئذ على وجه الارض مسلم سواهما
فرجعوا الى انفسهم حين نبههم على قبيح طريقتهم فقالوا انكم انتم الظالمون لانكم تعبدون من لا يستحق العبادة وقال
مقاتل معناه فلاموا انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون لابرهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي
الصنم الكبير وقيل انتم الظالمون لانفسكم ان سالتم منه ذلك حتى اخذ يستهزئ بكم في الجواب وفي النكسة اي قلبته
فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب وانتكاس الانسان هو ان يكون راسه من تحت فلهذا قال ثم نكسوا على رؤسهم
والمراد انهم استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة
قائلين لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وفيه انهم رضوا بالهتهم مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق وقال
ابن جرير المعنى نكست حجتهم فاقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم وبيان انتكاس الحجة قولهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون فان هذه حجة عليهم لا لهم وقيل المراد بالانتكاس رؤسهم اطراقهم خجلا وانكسارا ثم زاد ابراهيم صلوات
الرحمن عليه في توبيخهم قائلا افتعبدون الاية وفي سورة سبحان ان اف صوت يدل على التضجر واللام لبيان
المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا التافف وذلك انه اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم قالوا
حرقوه والمشهور ان الذي اشار بتحريقه هو نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقال مجاهد
سمعت ابن عمر يقول انه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وعن ابن جريج عن وهب ان الذي قال هذا القول فخسف
الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة يروى مقاتل ان نمرود وقومه اجمعوا على احراقه فحبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة
بكوثى وهي من قرى الانباط وذلك قوله ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير اربعين يوما حتى
ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم فلما اشتعلت النار واشتد وصار الهواء بحيث لو
مر الطير في اقصى الهواء لاحترق ثم اخذوا ابراهيم ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فضجت السماء والارض ومن
فيهما من الملائكة الا الثقلين ضجة واحدة ربنا ليس في ارضك احد يعبدك غير ابرهيم وانه يحرق فيك فائذن
لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث باحد منكم فاغيثوه وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه
فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الرياح وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابرهيم لا حاجة لي اليك
ثم رفع راسه الى السماء فقال انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس في الارض احد يعبدك غيري
حسبي الله ونعم الوكيل وروي انه قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم اتاه
جبرائيل في الهواء وقال يا ابرهيم هل من حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي
فارسل الله ملائكة اخذوا بضبعيه واقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس لم تحرق النار منه
الا وثاقه واتاه جبرائيل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي قال المنهال
بن عمرو اخبرت ان ابرهيم مكث في النار اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اياما اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قلت
وذلك لاستغراقه في بحر الفيوض والاثار الربانية ولو لم يكن فيه الا القرب من لطف خليله والبعد من قهر عدوه
لكفى ثم نظر نمرود من صرح له مشرف على ابرهيم فراه جالسا في روضة ومعه جليس له من الملائكة والحطب يحترق
حواليه فناداه يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم فقام يمشي حتى خرج فقال نمرود اني مقرب الى ربك قربانا فذبح
اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم صلوات الله عليه اذ ذاك ابن ست عشرة سنة قال العلماء اختاروا
العقاب بالنار لانها اهول مما يعاقب به وافظعه ولهذا جاء في الحديث لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا و
انصروا الهتكم ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا قويا فاختاروا له اشد العقاب وهو الاحراق والا كنتم مفرطين
في نصرتها قلنا عن السدي ان القائل هو جبرائيل عليه السلام والاكثرون على انه سبحانه وذهب ابو مسلم الاصفهاني في
الى ان لا قول هناك بل اراد به الجعل لان النار جماد فلا فائدة في خطابه ويمكن ان يجاب بان الله قادر على ان يخلق فيها ما يصح

به المخاطب ولو سلم فلعل في ذلك الخطاب مصلحة للملائكة والظاهر ان قوله يا نار خطاب لتلك النار المخصوصة
فان الغرض يتعلق بردها فقط وفي النار منافع للخلائق فلا يحسن من الكريم ابطالها وقيل المذكور اسم الماهية فلا بد
من حصول البرد في تلك الماهية اينما وجدت ويناسبه رواية مجاهد عن ابن عباس انه لم يبق يومئذ في الدنيا نار
الا طفئت واختلفوا في ان النار كيف بردت فقيل انه تعالى ازال عنها ما فيها من الحر والاحراق وابقى ما فيها من الاضاءة
والاشراق والله على كل شيء قدير وقيل خلق في جسد ابراهيم كيفية مانعة من وصول اذى النار كما يفعل بخزنة جهنم وكما
في النعامة لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة والسمندل لا تؤذيه المقام في النار وقيل جعل بينه وبين النار حائلا يمنع
من وصول اثر النار اليه والمحققون على القول الاول لان النص دل ظاهره على ان نفس النار صارت باردة وليست الحرارة
جزءا من مسمى النار حتى يمتنع كونها نارا وهي باردة واما على القولين الاخرين فيلزم ان لا يحصل البرد فيها وهو خلاف النص قوله
وسلاما اي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك حتى كان ذاتها برد وسلام والمعنى ابردي حتى يسلم منك ابرهيم او ابردي بردا
غير ضار ويناسبه ما روي عن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها وقوله على ابرهيم حال من فاعل الكون او متعلق
بالبرد والسلام ولولا هذا القيد لكان النار بردا على كافة الخلق قوله فجعلناهم الاخسرين وفي الصافات فجعلناهم
الاسفلين لان في هذه السورة كادهم ابرهيم لقوله لاكيدن اصنامكم وكادوه لقوله وارادوا به كيدا فغلبهم ابرهيم لانه
كسر اصنامهم وسلم من نارهم فكانوا هم الاخسرين وفي الصافات قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فاججوا نارا وبنوا
بناء عالية ورفعوه اليه ورموه به الى اسفل فرفعه الله وجعلهم في الدنيا من السافلين وفي العقبى في اسفل
السافلين ويروى انهم بنوا لابرهيم بنيانا والقوه فيه ثم اوقدوا عليه النار سبعة ايام ثم اطبقوا عليه ثم فتحوا عنه فاذا
هو غير محترق يعرق عرقا فقال لهم هاران ابو لوط ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شيء واوقدوا تحته
فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بير واوقدوا تحته فطارت شرارة فوقعت في لحية ابي لوط فاحرقته فامن له لوط كما يجيء
في العنكبوت وهاجر الى ارض الشام فذلك قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق
او بالمنافع الدينية لان اكثر الانبياء بعثوا فيها وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت صخرة بيت المقدس يروى
انه نزل بفلسطين ولوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقيل الارض ارض مكة ووهبنا له اي لابرهيم اسحق
ويعقوب نافلة هي ولد الولد فهي حال من يعقوب فقط وقيل النافلة العطية الزائدة ومنه الصلوة النافلة ونوفل
للرجل الكثير العطاء وعلى هذا احتمل ان يكون حالا من يعقوب فقط اي سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب زيادة و
فضلا من غير سؤال واحتمل ان يكون حالا منهما كليهما اي وهبناهما له عطية منا الاول قول مجاهد وعطاء والثاني
هو ان النافلة العطية قول ابن عباس وابي بن كعب وقتادة والفراء والزجاج وكلا من ابرهيم واسحق ويعقوب جعلنا
صالحين قال الضحاك اي مرسلين وقال غيره عاملين وفي قوله جعلنا صالحين وكذا في قوله وجعلناهم ائمة
دلالة للاشاعرة على ان الصلاح بجعل الله وكذا الامامة وغيرهما من الافعال واجاب الجبائي بانه اراد تسميتهم بذلك
ومدحهم وانه حكم به لهم كما يقال ان الحاكم عدل فلانا وجرحه اذا حكم بالعدالة والجرح وضعف بانه خلاف الظاهر
وقوله يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى دين الله بامرنا وارادتنا قال اهل السنة فيه ان الدعوة الى الحق والمنع من الباطل
لا يجوز الا بامر الله تعالى وقالت المعتزلة فيه ان من صلح لان يقتدى به في الدين فالهداية واجبة عليه ليس له ان يخل بها
ويتثاقل عنها ولا خلاف في ان الهادي اذا كان مهتديا بنفسه كان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء به اميل ثم
قال واوحينا اليهم فعل الخيرات اي ان يفعلوها لان المراد هو ايحاء ان يحدثوا الخيرات من انفسهم ونفس الفعل الخير لا يمكن
ايحاؤه فرد الى مصدر الخيرات تخفيفا فان المقصود معلوم ثم اضيف المصدر الى المفعول لافادة تخفيفا اخر في اللفظ
وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة اي واوحينا اليهم ان يقيموا ويؤتوا قال الزجاج حذف الهاء من اقامة لان المضاف اليه
عوض منها وقال غيره الاقام والاقامة مصدران ولا ريب ان تخصيص هاتين الخصلتين بالذكر دليل على شرفهما لان
الاولى اصل التعظيم لامر الله والثانية اصل الشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين فيه انه سبحانه لما وفى بعهد
الربوبية فانالهم النبوة والدرجات العالية وهم ايضا وفوا بعهد العبودية فلم يغفلوا عنها طرفة عين قوله ولوطا عن
الزجاج انه معطوف على واوحينا وعن ابي مسلم انه معطوف على قوله ولقد اتينا ابرهيم والحكم والحكمة وقيل الفصل بين
الخصوم وقيل النبوة والقرية سدوم والمراد اهلها وخبائثهم مشهورة وقد عددت في الاعراف وفي هود وقوم سوء
نقيض رجل صدق وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة والثواب عن ابن عباس والضحاك وقال

مقاتل هي النبوة اي انه كان من الصالحين ايتيناه النبوة كي يقوم بحقها وقال اهل التحقيق حين اتاه الحكم والعلم وتخلص من
جلساء السوء فتحت عليه ابواب المكاشفات وتجلت له انوار الذات والصفات وانها هي الرحمة الحقيقية وقوله ونوحا وكذا
نظايره اما معطوف على قوله ولقد اتينا او المراد واذكر نوحا واذ نادى بدل اي اذكر وقت ندايه من قبل هولاء المذكورين والندا
هو دعاؤه على قومه بنحو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بدليل قوله فاستجبنا له فنجيناه واهله اي اهل دينه وهم
من معه في الفلك من الكرب العظيم وهو الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وايذائهم في لفظ الكرب وهو الغم الذي ياخذ
بالنفس ثم وصفه بالعظم اشعارا بانه عليه السلام لقي من قومه اذى شديدا لا يمكنه كهنه ثم زاده بيانا بقوله ونصرناه الا
بقوله نصر منه فانتصر اي جعلناه منتصرا منه اي منتقما وداود وسليمان اذ يحكمان في شان الحرث اذ نفشت ظرف
يحكمان وهو حكاية حال ماضية قال ابن السكيت النفش بالتحريك ان ينتشر الغنم بالليل من غير راع وعليه جمهور المفسرين
وعن الحسن انه يكون ليلا ونهارا وفي قوله وكنا لحكمهم لا دلالة على ان اقل الجمع اثنان لاحتمال انه ارادهما والمتحاكمين اليهما
والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى يروى انه دخل رجلان على داود عليه السلام احدهما صاحب حرث اي زرع
وقيل كرم والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت حرثي وما ابقت منه شيئا فقال داود عليه السلام
اذهب فان الغنم لك فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال لو كنت انا القاضي
لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك ابوه فدعاه وقال كيف كنت تقضي بينهما قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له نفعها
من الدر والنسل والوبر حتى اذا عاد الحرث من العام القابل كهيئته يوم اكل دفعت الغنم الى اهلها وقبض صاحب الحرث حرثه
قال ابو بكر الاصم الحكمان واحد لان الثاني بيان للاول والمشهور من الصحابة ومن بعدهم متغايران لقوله وكنا لحكمهم وقوله
ففهمناها والفاء للتعقيب فدل على انه فهم حكما خلاف الاول وعلى تقدير الاختلاف فهما بالوحي او بالاجتهاد فيه خلاف
من العلماء فمنهم من لم يجوز الاجتهاد على الانبياء اصلا كالجبائي كقوله وما ينطق عن الهوى ان اتبع الا ما يوحى الي ولان
النبي كان قادرا على تحصيل حكم الواقعة بالنص ولان مقتضى الاجتهاد مظنون وخلاف المظنون لا يوجب الكفر وخلاف
الرسول يوجب الكفر ولما ثبت ان النبي كان يتوقف في بعض الاحكام انتظارا للوحي ولو جاز له الاجتهاد لم يتوقف ولانه
لو جاز على النبي لجاز على جبرائيل ايضا وحينئذ يرتفع الامان عن الوحي فلعل هذه الشرايع من مجتهدات جبرائيل واجيب
بانه اذا اوحى اليه جواز الاجتهاد له صح قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وبان الحكم الحاصل عن الاجتهاد م
مقطوع لا مظنون لانه تعالى اذا قال له مهما غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فاحكم بذلك فهذا الحكم مقطوع
به والظن واقع في طريقه سلمنا جواز المخالفة لكنه مشروط بصدوره عن غير المعصوم ولهذا اجمعت الامة على
مسئلة اجتهادية امتنع خلافهم وحال الرسول اوكد وبان التوقف لعله وجد منه حين لم يظهر له وجه الاجتهاد وبان
الامة اجمعوا على عدم جواز اجتهاد جبرائيل ومما يدل على جواز الاجتهاد لنا انه اذا غلب على ظن المجتهد احد الطرفين فان عمل بهما
كان جمعا بين النقيضين وان اهملهما لزم ارتفاع النقيضين وان عمل بالمرجوح دون الراجح فذلك باطل بالاتفاق فلم يبق
الا العمل بالراجح قال الجبائي ولين سلمنا ان الاجتهاد على الانبياء جايز لكن هذه المسئلة غير اجتهادية لان الذي تلفه
صاحب الماشية مجهول المقدار فكيف يجعل الغنم في مقابلة ذلك وايضا ان اجتهاد داود عليه السلام ان كان
صوابا فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطا فكيف لم يذكر الله توبته بل مدحهما بقوله وكلا اتينا حكما وعلما
وايضا لو حكم بالاجتهاد لم يسم ذلك علما وايضا قوله ففهمناها يدل على انه من الله لا من سليمان واجيب بان الجهالة بعد
تسليمها قد يكون معفوا عنها كما في حكم المصراة ولعل الخطا في اجتهاد كان من الصغاير فلهذا ذكره والاجتهاد من باب
العلوم والظن في الطريق كما مر والذي يحصل في نظر المجتهد مستند الى الله اما الذين منعوا من الاجتهاد مطلقا او في هذه
المسئلة فذهبوا الى ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان ولا استبعاد في ان يوحي الناسخ الى غير من اوحي اليه
المنسوخ قال الفقهاء مثال الحكومة داود في شرعنا قول ابي حنيفة في العبد اذا جنى على النفس خطا يدفعه المولى بذلك
او يفديه وعن الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ومثال الحكومة سليمان
قول الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع به المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع
العبد فاذا ظهر العبد ترادا ويقال له ضمان الحيلولة هذا ولو وقعت هذه القضية في شرعنا فلا ضمان عند ابي حنيفة
واصحابه لا بالليل ولا بالنهار لان جرح العجماء جبار الا ان يكون معها راع والشافعي يوجب الضمان بالليل دون النهار لان
الليل وقت الهدو وجمع الماشية فتسريحها تقصير من صاحبها بخلاف النهار وعن البراء بن عازب انه كانت ناقة له

قد دخلت حايطا فافسدت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى ان حفظ الحوايط بالنهار على اهلها وان
على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل قال بعض الاصوليين كل مجتهد مصيب لقوله وكلا اتينا حكما وعلما وقال بعضهم
المصيب واحد لقوله ففهمناها سليمان ولو كان كلاهما مصيبا لم يكن لتخصيص سليمان بالفهم فايدة وضعف بعضهم كلا
الاستدلالين بعد تسليمهما بان ما ثبت في شرعهم لا يلزم ان يكون ثابتا في شرعنا ولما مدح داود وسليمان على سبيل
الاشتراك ذكر ما يختص بكل منهما فبدا بداود قايلا وسخرنا مع داود الجبال يسبحن اي حال كونهن مسبحات او هو
استيناف كانه قيل كيف سخرهن فقال يسبحن والطير وهو معطوف على الجبال او مفعول معه وتسبيح الجبال اما حقيقة او
مجاز وعلى الاول قال مقاتل كان اذا سبح داود سبح الجبال والطير معه قال الكلبي اذا سبح داود اجابته الجبال وقال
سليمان بن حباب كان داود عليه السلام اذا وجد فترة امر الله الجبال فسبحت فيزداد نشاطا واشتياقا وعلى الثاني
قيل كانت الجبال تسير معه حيث سار فكل من راها كان يسبح الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وهذا
القول اختيار كثير من اصحاب المعاني والمعتزلة لان الجماد غير قابل للحيوة والفهم عندهم ولان المتكلم هو الذي يفعل
الكلام لا الذي يكون محلا للكلام ولهذا يقال ان المتكلم هو الله حين كلم موسى لا الشجرة وانما قدم تسبيح الجبال على الطير
لان ذلك ادل على القدرة وادخل في الاعجاز فان الطير اقرب الى الحيوان الناطق من الجماد ولا يلزم من نطق الطير او الجبال
ان يكونا مكلفين فليس كل ناطق مكلفا كالاطفال والمجانين وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل امثال هذا
الخوارق على ايدي الانبياء ولاجلهم وان كانت عجيبة عندكم واللبوس اللباس قال الليث لكل حالة لبوسها والمراد
الدرع عن قتادة انها كانت صفايح فسردها وخلقها داود فجمعت الخفة والتحصين وتوارث الناس منه وعمت النعم
بها لكل المحاربين فلذلك قال فهل انتم شاكرون قال علماء المعاني هذا التركيب ادخل في الانباء عن طلب الشكر
من قولنا فهل انتم تشكرون اذ المختار فيه ان يقدر مفسر محذوف اي هل تشكرون ومن قولنا افانتم شاكرون لانه و
ان كان ينبي عن عدم التجدد لمكان الجملة الاسمية الا انه دون المذكور في القران فان هل ادعى للفعل من الهمزة
فترك الفعل معه يكون ادخل في الانباء عند استدعاء المقام عدم التجدد لان تخلف المعلول عن العلة القوية يدل
على وجود مانع اقوى منه اذا تخلف عن العلة الضعيفة ثم حكى ما انعم به على سليمان فقال ولسليمن اي سخرنا له الريح
حال كونها عاصفة ولا ينافي هذا قوله في ص فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اذ المراد انها مع كونها في نفسها رخية
طيبة كالنسيم كانت في عملها عاصفة تحمل كرسيه من اصطخر الى الشام او انها كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا
لهبوبها على حسب ارادته وامره وفي قوله وكنا بكل شيء عالمين اشارة الى انه فعل كل ما فعل بالانبياء المذكورين عن حكمة
بالغة وتدبير محكم واحاطة باحوالهم وعلم باسبابها ثم قوله ومن الشياطين اي سخرنا من الشياطين من يغوصون له ويجوز
ان يكون الكلام خبرا ومبتدا ومن موصولة او موصوفة كانوا يغوصون لاجله في البحار فيستخرجون الجواهر ويعملون
عملا دون ذلك اي متجاوزا ما ذكر من بناء المداين والقصور وسائر الصنايع العجيبة قالت العلماء الظاهر ان المسخر
لكفارهم دون المومنين منهم لاطلاق الشياطين ولقوله وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يوجد منهم
فساد في الجملة اذا كان من دابهم ان يفسدون بالليل ما عملوا بالنهار والحفظ اما بسبب الملائكة او مومني الجن الموكلين
بهم او بان حبب اليهم طاعته وخوفهم مخالفته قال ابن عباس في تفسيره يريد ان سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء
قال الجبائي كيف يتهيا منهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة وانما يمكنهم الوسوسة فقط فلعل الله تعالى كثف اجسامهم
خاصة وقواهم على تلك الاعمال الشاقة وزاد في عظمهم معجزة لسليمان فلما مات سليمان ردهم الى الخلقة الاولى اذ لو
بقاهم على الخلقة الثانية لكان شبهة على الناس فلعل بعض الناس يدعي النبوة ويجعله دلالة عليها واعترض عليه الامام
فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى بانك لم قلت ان الجن اجسام فلعلهم من الموجودات التي ليست متحيزة ولا حالة في
المتحيز ولا يلزم منه الاشتراك مع الباري فان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزومات فضلا
عن اللوازم السلبية سلمنا انهم اجسام لكن لم قلتم ان البنية شرط للقدرة وليس في يدكم الا الاستقراء الضعيف سلمنا
انه لا بد من تكثيف اجسامهم فمن اين يلزم ردها الى الخلقة الاولى قوله يفضي الى التلبيس قلنا اذا ثبت ان ذلك كان معجزة
النبي قبله لم يمكن المتنبي من الاستدلال ومن عجيب قدرة الله تعالى ان اصلب الاجسام في هذا العالم الحجارة والحديد وقد
سخرها الله تعالى لداود فانطق الحجر ولين الحديد وفي ذلك دلالة باهرة على انه تعالى قادر على احياء العظام الرميم ومن
الغرايب ان الشياطين مخلوقون من النار وكان يامرهم بالغوص في الماء وفيه اظهار للعنة فتبارك الله رب العالمين ومن

عجايب القصص والاخبار حكاية ايوب عليه السلام وصبره على بلايه حتى صار مثلا عن وهب بن منبه انه كان من الروم
من ولد عيص بن اسحق وكانت امه من ولد لوط اصطفاه الله وجعله نبيا ومع ذلك بسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله
وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف المواشي وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد
ونخيل وكان ابليس لا يحجب عن السموات حين اخرجه الله من الجنة حتى رفع عيسى عليه السلام فحجب عن اربع حتى
اذا ولد نبينا صلى الله عليه وسلم حجب عن جميع السموات الا من استرق السمع قال فسمع ابليس تجاوز الملائكة في
شان ايوب فادركه الحسد فقال يا رب انك انعمت على عبدك ايوب فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولا بلا
وانا زعيم ان ضربته بالبلا ليكفرن بك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس عفاريت الجن
وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت على مال ايوب فقال عفريت اعطيت من القوة ما شئت تحولت اعصارا
من نار واحرق كل شي فقال ابليس فات الابل ورعاتها فذهب ولم يشعر الناس حتى ظهر من تحت الارض اعصار لا يدنو
منها شي الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاها حتى اتى على اخرها فذهب ابليس على شكل اولئك الرعا الى ايوب فوجده قايما
يصلي فلما فرغ من الصلوة قال يا ايوب هل تدري ما الذي صنع ربك واخبره بحال الابل ورعاتها فقال ايوب انها ماله
اذا شاء نزعه فقال ابليس ان الناس منهم من يقول كان ايوب يعبد شيئا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان الهه
يقدر على شي يمنع من دوابه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به اعداوه ويفجع به اصدقاه فقال ايوب
الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني خرجت من بطن امي عريانا واصبح في التراب عريانا واحشر الى الله عريانا ولو علم الله
فيك ايها العبد خيرا لقبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجرني فيك فرجع ابليس الى اصحابه خاسيا فقال
عفريت اخر عندي من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت روحه فقال ابليس فات الغنم و
رعاها فانطلق فصاح بها فماتت ومات رعاها فخرج ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب فقال له القول الاول ورد
عليه ايوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا فقال له عفريت اخر عندي من القوة ما ان شئت تحولت ريحا عاصفة
اقلع كل شي اتيت عليه قال فاذهب الى الحرث والثيران واهلكهم واخبر ابليس به ايوب فرد عليه مثل الرد الاول فجعل
ابليس يصيب امواله شيئا فشيئا حتى اتى على جميعها فلما راى ابليس صبره على ذلك صعد الى السماء فقال يا الهي هل انت مسلطي
على ولده الفتنة الكاملة فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك فاتى اولاد ايوب في قصرهم فقلب القصر عليهم ثم جاء
الى ايوب متمثلا بالمعلم وهو جريح مشدوخ الراس يسيل دمه ودماغه فقال رايت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على
روسهم يسيل دماغهم من انوفهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويرققه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب
فحثاها على راسه فاغتنم ذلك ابليس ثم لم يلبث ايوب حتى استغفر واسترجع فصعد ابليس ووقف موقفه وقال
الهي انما هون ايوب خطب المال والولد لعلمه لانك تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي على جسده فاني لك زعيم
لو ابتليته في جسده ليكفرن بك فقال تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله وقلبه و
لسانه فاتى ايوب فنفخ في منخره حين هو ساجد فاشتعل منه جسده وخرج من فرقه الى قدمه ثاليل وقد وقعت فيه
حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره حتى كشطت اظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل
يحك حتى تقطع لحمه وتغير ونتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم
غير امراته رحمة بنت افرايم بن يوسف عليه السلام فكانت تصلح اموره ثم ان وهبا طول في الحكاية الى ان قال ان ايوب
عليه السلام اقبل على الله تعالى مستغيثا متضرعا اليه قايلا يا رب لاي شي خلقتني يا ليتني كنت حيضة القتني امي
يا ليتني كنت عرفت الذي ذنبته والعمل الذي عملت حتى صرفت وجهك الكريم عني لو كنت للغريب دارا وللمسكين
قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبد ذليل فان احسنت فالمن لك وان اسات فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء
غرضا وسلطت علي بلا لو سلطته على جبل لضعف من حمله الهي تقطعت اصابعي وسقطت لهواتي وتناثر شعري و
ذهب المال وصرت اسال اللقمة فيطعمني من يمن بها علي ويعيرني بفقري وهلاك اولادي قال الامام ابو القسم
الانصاري في جملة هذا الكلام لبيك لو كرهتني لم تخلقني ثم قال ولو كان ذلك صحيحا لاغتنمه ابليس فان قصده تحمله على
الشكوى وان يخرجه من زمرة الصابرين قلت ان غرض ابليس لا يحصل بمجرد الشكوى وانما كان غرضه ان يريد ايوب ه
لهذا قال سفين بن عيينه من شكا الى الله تعالى فانه لا يعد ذلك جزعا اذا كان في شكواه راضيا بقضا الله اذ ليس
من شرط الصبر استحلا البلا الم تسمع قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله ومما حكاه الله سبحانه

من شكوى ايوب قوله اني مسني الضر والضر بالفتح الضرر في كل شي وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال قال جار الله
الطف في السوال حين ذكر نفسه بما يوجب الرحمة عليه وذكر ربه بما يجب ان يصدر الرحمة عنه ولم يصرح بالمطلوب
بابلغ ابواب الادب يحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المومنين مشت جرذان بيتي على العصي
فقال لها الطفت في السوال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملا بيتها حبا وفي قوله وانت ارحم الراحمين رمز الى
انه جواد مطلق لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا لمضرة يدفعها عنه ولا يطلب ثناء ولا يجلب مدحا وكل رحيم سواه فانما
لغرض من الاغراض ولرفع طبع ونحو ذلك على ان تلك الرحمة ايضا تتوقف على داعية يخلقها الله فيه والافات والالام التي
يراها في هذا العالم كلها مستندة الى صفة قهره التي لا بد لكل ملك منه او مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها
ضرورية في الوجود لاشتمالها على خيرات اكثر من الشرور واختلف العلماء في السبب الذي لاجله دعا الله ايوب فعن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ايوب بقي في البلاء ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين
من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فدخلا عليه ذات يوم فوجدا فقالا لو كان لايوب عند الله خير ما بلغ الى هذه الحالة
قال فاشتق على ايوب شي مما ابتلي به مثل ما سمع منهما فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان وانا اعلم بمكان جايع فصدقني
وصدق وهما يسمعان ثم خر ايوب ساجدا وقال اللهم اني لا ارفع راسي حتى تكشف الله ما بي وقال الحسن مكث ايوب عليه السلام
بعدما القي على الكناسة سبع سنين واشهر ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امراته صبرت معه وكانت تاتيه بالطعام
وكان ايوب مواظبا على حمد الله والثنا عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جزعا من صبر ايوب فاجتمع جنوده من
اقطار الارض وقالوا له ما خبرك قال اعياني هذا العبد الذي سالت الله ان يسلطني عليه وعلى ماله وولده فانه لا يزيد
بالبلى الا صبرا وحمد الله تعالى فقالوا له اين مكرك اين عملك الذي اهلكت به من مضى من اين اتيت ادم حين اخرجته من الجنة
قال من قبل امراته قالوا فشانك وايوب من قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها لانه لا يقربها احد غيرها قال اصبتم فانطلق
حتى اتى امراته فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله فقالت هو هذا يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده
فظن ابليس انها جزعت فطمع فيها ووسوس اليها وذكرها ما كان بها من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه قال الحسن
فصرخت فعلم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح هذه باسم ايوب ويبرا فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك
ربك اين المال واين الماشية اين الولد اين الصديق اين اللون اين حسنك اين جسمك الذي قد بلي وقد صار مثل الرماد ويتردد
فيها الدواب اذبح هذه السخلة واسترح فقال ايوب اتاك عدو الله ونفخ فيك ويلك من اعطانا الذي تذكرين من المال
والولد والصحة قال الله كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلى قلت منذ سبع سنين واشهر
قال ويلك ما انصفت ربك الا صبرت في البلى ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح
لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيا من طعامك وشرابك الذي تاتيني به فطردها فلما نظر ايوب الى شانه وليس
عنده لا طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امراته خر ساجدا وقال اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقال ارفع
راسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة
الا سقطت ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه
شبابه وجماله حتى صار احسن مما كان حتى ذكر ان الما الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراد من ذهب فجعل يضمه بيده
فاوحى اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت
هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رات تلك الكناسة ولا تلك الحالة
فجعلت تطوف وتبكي فدعاها ايوب وقال لها ما تريدين يا امة الله فقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان ملقا على الكناسة
قال لها هل تعرفيه اذا رايته فقالت وهل يخفى على احد يراه فتبسم قايلا انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك امرتني ان
اذبح لابليس ولئن اطعت الله وعصيت الشيطان فعافاني الله ببركة ذلك الرواية الثالثة قال الضحاك ومقاتل بقي
في البلاء سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات فلما غلب ايوب ابليس ذهب ابليس الى امراته على هيئة
ليس كبني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس كمراكب الناس وقال لها انت صاحبة ايوب قالت نعم قال فهل تعرفيني
قالت لا قال انا اله الارض انا صنعت بايوب ما صنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة و
واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك عندي قال وهب وسمعت انه قال لو ان صاحبك اكل
طعاما ولم يسم الله تعالى لعوفي في عافية من البلى وايضا قال لها لو شئت اسجدي لي سجدة واحدة حتى رد عليك المال والولد

واعافى ذوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته فقال اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم لئن عافانى الله لاجلدنك
مائة جلدة قال عند ذلك مسنى الضر يعنى من طمع ابليس فى سجودى و ذوجتى له الرواية الرابعة قال اسمعيل السدى
ان ابليس تمثل للقوم فى صورة بشر وقال ولئن تركتم ايوب فى قريتكم اعدى اليكم ما به من العلة فاخرجوه الى باب البلد ثم قال
لهم ان امراته تدخل عليكم وتعمل وتمس ذوجها اما تخافون ان يعدى اليكم علته فحينئذ لم يستعملها احد فتحيرت وكان
لها ثلث ذوايب فعمدت الى احديها وقطعتها وباعتها فاعطوها بذلك خبزا ولحما فقال ايوب من اين هذا فقالت كل فانه
حلال فلما كان من الغد لم يجد شيا فباعت الثانية وكذلك فعلت فى اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال
لا اكل او تخبرينى فاخبرته فبلغ ذلك من ايوب ما الله به عليم فقال رب انى مسنى الضر الرواية الخامسة قيل سقطت
دودة من فخذه فرفعها وردها الى موضعها وقال قد جعلنى الله طعمة لك فعضته عضة شديدة فقال مسنى الضر
فاوحى الله تعالى اليه لولا انى جعلت فى كل شعرة منك صبرا لما صبرت واعلم ان مس الضر ههنا مطلق الا انه ورد فى
ص مقيدا وذلك قوله انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب فصح ان يكون سند هذه الروايات الا ان الجبائى طعن
فيها بان الشيطان كيف يقدر على احداث الامراض والاسقام والقادر على ذلك قادر على خلق الاجسام حينئذ
يكون الها وايضا ان هذه التاثيرات تنافى قوله سبحانه حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم والجواب
انه كان باذن من الله كما حكينا فلا محذور ولا تنافى قال ومن البعيد انه لم ينل الله الا عند امور مخصوصة والجواب ان
الامور مرهونة باوقاتها قال انها امراض الانبياء الى حد التنفير من القبول غير جائز والجواب المنع ولا سيما بشرط العاقبة
قوله سبحانه فكشفنا ما به من ضر مجمل يقتضى اعادته الى ما كان فى بدنه واحواله وقوله واتيناه اهله ومثلهم معهم
تفصيل لذلك المجمل وفيه قولان **الاول** قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والكلبى ان الله تعالى احيى له
اهله يعنى اولاده باعيانهم **الثانى** قال الليث ارسل مجاهد الى عكرمة وسال عن الاية وقال اراد ان اهلك لك فى
الاخرة واتيناك مثلهم فى الدنيا فقد روى ان ذوجته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا له ثم بين
الحكمة فى ذلك الابتلاء ثم الاستجابة بقوله رحمة من عندنا لايوب وذكرى لغيره من العابدين الرحمن او الرحمة والذكرى
كلاهما للعابدين لكى يشكروا فيصبروا كما صبر حتى يثابوا فى الدين كما اثيب وانما خص الرحمة والتذكرة بالعابدين لانهم
هم المنتفعون بذلك لان الذين يعبدون الهوى والشيطان قال اهل البرهان انما قال فى هذه السورة رحمة من عندنا
وقال فى ص رحمة منا لانه بالغ ههنا فى التضرع بزيادة قوله وانت ارحم الراحمين فبالغ فى الاستجابة لان لفظ عندنا يدل
على مزيد التخصيص فانه سبحانه تعالى يتولى ذلك من غير واسطة وحين ذكر ايوب وانقطاعه اليه ذكر غيره من الانبياء
المشهورين بالصبر منهم اسمعيل عليه السلام صبر على الانقياد للذبح وعلى الاقامة بواد لا زرع فيه ولا ضرع وصبر
على بناء البيت ورفع قواعده فلا جرم اخرج الله ببركته ذلك من صلبه خاتم النبيين ومنهم ادريس وقد مر ذكره فى سورة
مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا لهم الى الله فابوا فاهلكهم الله ورفع ادريس الى السماء ومنهم ذو الكفل قيل هو زكريا
وعلى هذا فقد تقدمت قصته ايضا وفى هذا القول نظر لان قصة زكريا بحى عن كثب فيلزم التكرار وقيل هو الياس
وكان خمسة من الانبياء ذوى اسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذو النون
ومحمد واحمد وقيل يوشع بن نون سمى بذلك لانه ذو الحظ من الله دينا ودنيا او لانه كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه
وضعف ثوابهم قال ابو موسى الاشعرى ومجاهد انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون انه
كان من الانبياء وهذا اقرب لانه معطوف عليهم معدود فيما بينهم يروى عن ابن عباس ان اليسع او نبيا اخر فى بنى
اسرائيل قرب وفاته فاراد ان يستخلف رجلا على الناس فقال من يتقبل منى بثلاث اولا بصيام الليل ويصوم بالنهار و
يقضى بين الناس ولا يغضب فقام رجل وقال انا اتكفل لك هذه الثلاث فدفع اليه ملكه ووفى بها فحسده ابليس
فاتاه وقت القيلولة فقال ان لى غريما قد مطلنى حقى وقد دعوته اليك فابى فارسل معى من ياتيك به فارسل معه وقعد
حتى فاتته القيلولة وعاد الى صلوته وصلى ليله الى الصباح ثم اتاه من الغد وقال مثل ذلك حتى شغله عن القيلولة و
هكذا فى اليوم الثالث وقيل انه فى الثالث قال للبواب قد غلب على النعاس فلا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام
فى البيت وقد دق الباب فاستيقظ الرجل وعاتب البواب فقال اما من قبلى فلم يوت فقام الى الباب فاذا هو مغلق
وابليس على صورة شيخ فى البيت فقال له اتنام والخصوم على الباب فعرفه وقال ابليس قال نعم اعييتنى فى كل شى ففعلت
هذه الافعال لاغضبك فعصمك الله منى فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلاف فى ذا النون هو يونس لان

النون هو السمكة والاسم اذا دار بين ان يكون لقبا محضا وبين ان يكون مفيدا فالحمل على المفيد اولى واختلفوا فى ان وقوعه
فى بطن الحوت كان قبل اشتغاله باداء الرسالة **اما القول الاول** فعن ابن عباس ان يونس وقومه كانوا من فلسطين فغزاهم
ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقى سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيا عليه السلام ان اذهب الى حزقيل الملك
وقل له حتى توجه نبيا قويا فانى القى فى قلوب اولئك ان يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك من ترى وكان فى مملكته
خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوى امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال له يونس هل امرك الله باخراجى قال لا قال
فههنا انبياء غيرى فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فاتى بحر الروم فوجد قوما هناك وسفينة فركب معهم فاضطربت
السفينة حتى كادوا ان يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص او عبد ابق لان السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل
عاص ومن عادتنا فى مثل هذا البلاء ان يقرع فمن خرجت له القرعة القيناه فى البحر ثم تسلم السفينة فاقرعوا ثلث مرات فوقعت
القرعة كلها على يونس فقال انا الرجل العاصى والعبد الابق والقى نفسه فى البحر فابتلعه حوت فاوحى الله تعالى الى الحوت
لا تؤذى منه شعرة فانى جعلت بطنك سجنا له ولم اجعله طعاما لك ثم نجاه الله من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ
المنتوف ليس عليه شعر ولا جلد فانبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها وياكل من ثمرها حتى اشتد فلما يبست
الشجرة حزن عليها يونس فقال له اتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب سلامتهم فتوجه
يونس نحوهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فقال لملكهم ان الله ارسلنى اليك لترسل معى بنى اسرائيل فقالوا ما
نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا ولقد اتيناكم فى دياركم وسبيناكم فلو كان كما تقول لمنعنا الله منكم فطاف
فيهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فابوا عليه فاوحى الله اليه قل لهم ان لم تؤمنوا جاءكم العذاب فابلغهم فابوا فخرج من عندهم
فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه فقالوا علماءهم اطلبوه فان كان فى المدينة فليس مما
ذكره بشىء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فلم يجدوه فلما ايسوا اغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم وغنمهم وعزلوا
الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات فلما طلع الصبح راوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل
ما فى بطونها وصاح الصبيان وتغشتهم المواشى فرفع الله عنهم فبعثوا الى يونس فامنوا به وبعثوا معه بنى اسرائيل **القول**
الثانى وعليه اكثر المفسرين ان قصة الحوت كانت بعد دعائه اهل نينوى وتبليغه رسالة الله اليهم كما مر فى سورة يونس
فاحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بهذه القصة من وجوه **الاول** انه ذهب مغاضبا لربه كما قرره ابن عباس وابن
مسعود والحسن والشعبى وسعيد بن جبير ووهب واختاره ابن قتيبة ومحمد بن جرير ومن المعلوم ان مغاضبة الله من اعظم
الذنوب ولئن سلم انه كان مغاضبا للقوم فذلك ايضا محظور لانه كان عليه ان يصبر معهم **والثانى** قوله فظن ان لن
نقدر عليه وهو شك فى قدرة الله **الثالث** اعترافه بانه من الظالمين من صفات الذم **الرابع** اخبار الله تعالى فى
موضع اخر بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم ذو الملامة **الخامس** قوله للنبى صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب
الحوت وقال فى موضع اخر فاصبر كما صبر اولوا العزم والجواب انه عليه السلام غضب لاجل ربه انفة لدينه وبغضا للكفر
واهله وغاضب قومه بمفارقته كى يخوفهم حلول العقاب عليهم عندها فغاية ما فى الباب ان تلك المغاضبة ترك
الاولى وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد ادائها الى ان ياذن الله له فى المهاجرة وعن الثانى ان معنى لن نقدر لن
نضيق كقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه فهو من القدر لا من القدرة ويجوز ان يكون
من القدر بمعنى القضاء قال الزجاج يقال قدر الله الشىء قدرا وقدره تقديرا والمعنى فظن ان لن نقدر عليه شيئا وهو
قول مجاهد وقتادة والضحاك والكلبى وابن عباس فى رواية واختاره الفراء والزجاج يقال قدر الله عليه الضراء و
قدر له السراء كما يقال الحكم القاضى على فلان او له ولئن سلمنا انه من القدرة بالفعل اى فظن ان لن نعمل فيه قدرتنا فالقدرة
غير واقعة على المعاصى وظن انتفاء الاول كهو دون الثانى او هو وارد على سبيل التمثيل والاستعارة ان كانت حاله ممثلة بحال
من يظن ان لن نقدر عليه فى مراغمة قومه من غير انتظار لامر الله او هو استفهام بمعنى التوبيخ معناه فظن ان لن نقدر
عليه عن ابن زيد سلمنا الكل لكن هذه الواقعة لعلها قبل رسالته كما حكيناه ومثل هذا الظن فى حق غير الانبياء لا يبعد
بوسوسة الشيطان ولكن المؤمن يرده بعد ذلك بالبرهان وعن البواقى ان الكل راجع الى ترك الاولى ونحن لا ننكر ذلك
وكفى بذكر يونس فى عداد الانبياء الصابرين الصالحين دليلا على انه لم يصدر عنه شىء ينافى عصمته والله اعلم اما قوله فنادى
فى الظلمات فمعنى الجمع راجع الى شدة الظلمة وتكاثفها اى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله يخرجونهم
من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين

وظلمة البحر وقيل ان الحوت اذا عظم غوصه في البحر كان ما فوقه من البحر ظلمة في ظلمة ومعنى ان لا اله الا انت اى لا اله
الا انت وبانه لا اله الا انت سبحانك تنزيها له عن كل النقايص ومنها الظلم المذكور على اى وجه فرض ومنها العجز عن
تخليصه ومنها خلو ذلك الفعل عن حكمة كاملة انى كنت من الظالمين بالفرار من غير اذن وانا الان من التائبين وفيه من
حسن الطلب ما فيه فلذلك قال فاستجبنا له ثم بين الاستجابة بقوله ونجيناه من الغم اى من غمه بسبب كونه في
بطن الحوت وبسبب خطيئته وكما انجينا يونس من كرب الحبس اذ دعانا كذلك ننجي المؤمنين من كل كرب اذا استغاثوا بنا
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروه يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه
بالظلم وقد بقي من الاية بحث لفظي وهو ان بعض اهل العربية غلطوا عاصما في قراءة نجي بالتشديد والنون لا يدغم
في الجيم واستخرج بعضهم له وجها وهو ان يكون نجي فعلا ماضيا مجهولا من التنجية لكنه ارسل الياء واسند الفعل الى
المصدر المضمر ونصب المؤمنين بذلك المصدر اى نجي النجاء المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا على اضمار المصدر
وانشد ابن قتيبة حجة لهذه القراءة ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلاب وقال ابو على الفارسي
وغيره من الايمة المحققين ان مثل هذا لا يجوز الا في ضرورة الشعر وانما الوجه الصحيح في قراءة عاصم ان يحمل ذلك على
الاخفاء فلعل الراوي التبس عليه فظنه ادغاما ثم بين انقطاع زكريا وتبتله اليه رغبة فيمن يونسه ويعينه في
امر دينه ودنياه فان انتهى الحال به وبزوجته في الكبر الى حد الياس من ذلك عادة وفي قوله وانت خير الوارثين
وجهان احدهما انه ثناء على الرب بان مال كل الامور اليه فيكون موكدا لما فوض اليه من امر الولد الثاني انه اراد ان
لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث وفي اصلاح زوجه وجوه منها انها جعلت صالحة للولادة بعد عقرها
ومنها انها جعلت حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق ولا شك ان حسن خلق الزوج نعمة عظيمة ومنها ان الاصلاح
يتعلق بامر الدين كان سائل ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والاهل جميعا ويرد على الوجه الاول ان اصلاح الزوج
مقدم على هبة الولد والجواب ان الواو لا يفيد الترتيب او اراد بالهبة اما الضمير في قوله انهم كانوا يسارعون فقد
قيل انه عايد الى زكريا وولده واهله وقال جار الله انه للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد انهم ما استحقوا الاجابة
الى طلباتهم الا لمسارعتهم في تحصيل الخيرات وهذا من اجل ما يمدح المؤمن به لانه يدل على الجد والرغبة في طاعة
ويدعوننا رغبا في ثوابنا ورهبا من عقابنا ومعنى خاشعين قال الحسن ذلك الامر لله وقيل متواضعين وعن
مجاهد الخشوع الخوف الدايم في القلب وفي تقديم الجار والمجرور على خاشعين اشارة الى انهم لا يخشون احدا الا الله
وروى الاعمش عن ابرهيم النخعي انه الذي اذا دخل بيته واعلق بابه راى الله منه خير الناس هو الذي ياكل خشنا
غليظا ويلبس خشنا ويطاطي راسه ولما فرغ من ذكر الرجال الكاملين ذكر من هي سيدة نساء العالمين ومعنى احصنت
فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا حتى انها منعت جبرايل جيب درعها قبل ان عرفته والنفخ فيها عبارة
عن احياء عيسى في بطنها اى فنفخنا الروح في عيسى فيها كقول الزامر نفخت في بيت فلان اى نفخت في المزمار في
بيته او المراد فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبرايل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها
وهذا البيان نحو المراد في سورة التحريم فلذلك قال فنفخنا فيه اراد فرج الجيب وغيره وانما قال وجعلناها وابنها
اية للعالمين لان اراد ان مجموعهما اية واحدة وهي ولادتها اياه من غير اب التاويل الاشارات المفهومة من
قصص الانبياء قد سلف اكثرها فلنذكر ما يختص بالمقام منها قوله بل فعله كبيرهم اى الله الكبير لان كسر الاصنام
ليس من طبيعة الانسانية بل من طبيعتها ان ينحتها وان صدر من احدهم كرها فانما ذلك بتوفيق الله وتاييده
فقوله هذا بدل الكل من الضمير في فعله قالوا حرقوه اذا اراد الله ان يملك عبدا من عباده المخلصين خلقا عظيما
كما لو اراد استكمال الحوت في البحر فداه كثيرا من الحيتان الصغار فلما اراد تخليص ابرهيم الخليل من غش البشرية جعل نمرود وقومه
فداء له حتى اجمعوا على تحريقه ولم يعلموا ان تلك النار له نور وذلك العذاب له روح وريحان لان نار العشق قد
احرقت انانيته حتى لم ير غير الله بل لم يبق الا هو فلم يمكن للنار ان يتصرف فيه فوقع قوله يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم تمثيلا لهذا المعنى شعر بالنار خوفني قومي فقلت لهم النار ترحم من في قلبه نار ونجينا ابرهيم الروح
ولوط القلب من ارض البشرية الى ارض الروحانية المباركة من غير راعي العقل فافسدت الحرث الافراط والاسراف المشرق
المشرق بتجلي الذات والصفات ونجيناه من قرية القالب التي كانت تعمل الخبائث بالاوصاف البهيمية والسبعية و
داود الروح وسليمان القلب اذ يحكمان في شان حرث الدنيا اذ نفشت اى دخلت فيه ظلمة ليل البشرية غنم القوم

اى الصفات البشرية من غير راعي العقل فافسدت الحرث بالافراط والاسراف فحكم الروح ما بجذابه الى عالمه بالكلية ان
يمنع من الاوصاف عن التصرف فيها مطلقا ففهمناها سليمان القلب لكونه متقلبا في طوري الروح والجسد ان يحكم
بمنع الاوصاف عن التصرف فيها الى ان يعود الحرث من حالة الاسراف فيه المودي الى الفساد الى حالة التوسط والاعتدال الذي
هو المعتبر في باب الكمال والاكمال جميعا بين المصلحتين ورعاية للجانبين وسخرنا مع داود الروح الجبال وهي الاعضاء و
الجوارح التي فيها ثقل وكثافة يسبحن بتسبيحه والطير وهي القوى الحيوانية السيارة بل الطيارة بين فضاء القلب والقالب
هذا في الباطن واما في الظاهر فاذا استولى سلطان الذكر على اجزاء البدن انعكس نوره في مراة القلب الى ما يحاذيها
من الجمادات والحيوانات فيذكر ان يذكره كالحصاة سبحت في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض الصحابة انه قال
كنا ناكل الطعام ونسمع تسبيحه وعلمناه صنعة لبوس لكم ان الله تعالى الهم داود الروح كيفية الاتيان القلب
الذي هو في القساوة بمنزلة الحديد حتى يتولد من ذلك القلب اوصاف حميدة تحصن الانسان من باس الاعداء التي هي النفس
والهوى والشيطان وسخرنا لسليمان القلب ريح الروح الحيواني فانه مركب الروح الانساني به يتهيا له السير الى مقام لدنه
له فيه ومن الشياطين وهم الاوصاف النفسية من يغوصون له في بحر الحديد فيستخرجون درر الفضايل الادبية ويعملون
عملا دون ذلك من الوسايط والوسايل الى تلك الفضايل وكنا لهم حافظين من ان يزيغوا عن سواء السبيل ويميلوا عن جادة
الشريعة وقانون الطريقة قال اهل التحقيق اذا بلغ الانسان مبلغ الرجال البالغين سخر الله له بحسب مقامه السفليات
والعلويات كما سخر لسليمان الريح والجن والشياطين والطير ومن العلويات الشمس حين ردت لاجل صلوته وسخر لداود
الجبال والطير والحديد والاحجار التي قتل بها جالوت وسخر لنبينا صلى الله عليه وسلم جميع السفليات والعلويات
حتى قال زويت لى الارض وقال اوتيت مفاتيح خزاين الارض وكان الماء ينبع من بين اصابعه وقال نصرت بالصبا وكانت
الاشجار تسلم عليه وتسجد له وتنقلع باشارته من مكانها وترجع الحيوانات تكلم معه وتشهد بنبوته وقال اسلم
شيطاني على يدي واما من العلويات فقد انشق القمر باشارته وسخر له البراق وجبرايل وعبر السموات والجنة والنار
والعرش والكرسي الى مقام قاب قوسين او ادنى وايوب القلب المبتلى بيد ان الهواجس والوساوس الذي فاذ فرا وصاف
الحميدة والاخلاق الشريفة بتدبره بامله بالعلايق البدنية وعوايق الامور الدنيوية فكشفنا ما به من ضر بان قلنا له اركض
برجلك نظيره الوتر في عينيك ينبع ماء حيوة العلم والمعرفة فتسلم من تعلقات الكونين المودية للقلب والروح وذو النون
الروح اذ ذهب من عالمه مغاضبا لغيره من المجردات فالتقى في بحر الدنيا فالتقمه حوت النفس الامارة بالسوء وابتلع جوف
القالب فنادى في ظلمات حجب النفس والقالب والدنيا وزكريا الروح وهبنا له يحيى القلب واصلحنا له زوج القالب
ويدعوننا رغبا في الفناء فينا ورهبا من البقاء بانانيتهم وكانوا لنا خاشعين اما القالب فباعمال الشرعية واما النفس فبتهذيب
الاخلاق واما القلب فالاطمينان بذكر الله واما السر فباجتهاده في كشف الاسرار واما الروح فبذل الوجود في طلب
المعبود واما الخفي فبافنائه في الله ومريم النفس احصنت قلبها من تصرفات الكونين فاحييناها بالحيوة الابدية السرمدية

ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ● و
تقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون ● وحرام على
قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ● حتى اذا فتحت ياجوج وما
جوج وهم من كل حدب ينسلون ● واقترب الوعد الحق فاذا هي
شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا

بل كنا ظالمين ● انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم انتم لها واردون ● لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
وكل فيها خالدون ● لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ●
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ● لا يسمعون
حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون ● لا يحزنهم الفزع
الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم
توعدون ● يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول
خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ● ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ● ان في هذا
لبلاغا لقوم عابدين ● وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ●
قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون
فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد
ما توعدون ● انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ●
وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ● قل رب احكم
بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

القراءة وحرم بكسر الحاء وسكون الراء حمزة وعلي وعاصم غير حفص وابي زيد عن المفضل فتحت بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب لا يحزنهم بضم الياء وكسر الزاء تطوى بضم التاء الفوقانية وفتح الواو والسماء بالرفع يزيد للكتب على الجمع حمزة وعلي وخلف وحفص بدانا مثل انشانا قال بالالف على حكاية قول الرسول رب بحذف الياء اكتفاء بالكسرة حفص غير الخراز رب بضم الباء يزيد ربي بالياء على انه مبتدا احكم على صيغة التفضيل زيد عن يعقوب الباقون رب احكم يصفون على الغيبة المفضل بن ذكوان في رواية الوقوف واحد لان المقصود من قوله وانا بكم قوله فاعبدون مكان الكلام متصل فاعبدون بينهم راجعون لسعيه لاختلاف الجملتين كاتبون لا يرجعون ينسلون كفروا لاضمار القول ظالمين جهنم واردون ماوردوها خالدون فيها لا يسمعون الحسنى لان ما بعده خبر بعد خبر حسيسها لاحتمال الواو والحال والاستيناف خالدون لاحتمال الجملة بعده ان يكون صفة واستينافا الملائكة لان التقدير قائلين هذا يومكم توعدون للكتب لان الجار يتعلق بما بعده فيده الخلق المتراخي وعدنا

وعدا علينا فاعلين الصالحون عابدين لاختلاف الجملتين للعالمين واحد للاستفهام مع الفاء مسلمون على سواء لابتداء النفي توعدون تكتمون حين بالحق لان ما بعده مبتدا خارج عن القول ومن قرأ في احكم فوقفه مجوز لنوع عدول من الواحد الى الجمع تصفون ○ التفسير لما فرغ من قصص الانبياء اراد ان يذكر ما استقر عليه امر الشرايع في اخر الزمان فقال ان هذه امتكم فالامة الدين والطريقة لانه اصل وقانون يرجع اليه والتركيب دالة على ذلك وهذا اشارة الى ملة الاسلام اي ان هذه الملة هي طريقتكم وسيرتكم التي يجب ان يكونوا عليها حال كونها طريقة واحدة غير مختلفة وانا ربكم لا غيري فاعبدون والخطاب للناس كافة وكان الظاهر ان يقال بعده وتقطعتم امركم بينكم اي جعلتم امر دينكم بينكم قطعا كما يقسم الشيء بين الجماعة فيصير لهذا نصيب ولهذا نصيب فصرتم فرقا مختلفة واحزابا وشتى الا انه عدل عن الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى امرهم الى غيرهم فيقول الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افترقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ويخلص فرقة واحدة قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال الجماعة الجماعة فهذا الحديث مفسر الاية من حيث ان هذه الامة يجب ان يكونوا على كلمة واحدة طعن بعضهم في الحديث انه اذا اراد بالاثنين والسبعين فرقة اصول الاديان فانها لا تبلغ هذا العدد وان اراد الفروع فانها اضعاف هذا العدد واجيب بانه اراد ستفترق امتي هذا العدد في حال ما وهذا لا ينافي كون العدد في بعض الاحوال انقص او ازيد قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة فاعبدون وتقطعوا بالواو وفي المؤمنين فاتقون فتقطعوا بالفاء لان الخطاب ههنا اعم والعبادة اعم من التقوى وايضا الخطاب يتناول الكفار وقد وجد منهم التقطع قبل هذا القول وفي سورة المؤمنين الخطاب للنبي والمؤمنين بدليل قوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ثم قال فتقطعوا اي ظهر منهم اي من امتهم التقطع بعد هذا القول ولان التقطع منهم اعرب هناك بقوله زبرا وفي قوله كل الينا راجعون وعيد عظيم للفرق المختلفة ثم فصل ما لهم بقوله فمن يعمل الاية والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه في قوله فاولئك كان سعيهم مشكورا وانما لم يقل فلا يكفر سعيه لان نفي الجنس ابلغ فان نفي الماهية يستلزم نفي جميع افرادها وفي قوله وانا له اي لذلك السعي كاتبون مبالغة اخرى فان المثبت في الصحيفة ابعد من النسيان والغلط كما قيل قيدوا العلم بالكتابة ولا سيما اذا كان الكاتب ممن لا يجوز عليه السهو والنسيان قال المفسرون معناه حافظون ليجازى عليه وقيل مثبتون في ام الكتاب او في صحف الاعمال هذا حال السعداء واما حال اضدادهم فبذلك قوله وحرام ومن قرأ وحرم فانه فعل مفعول والتركيب يدور على المنع الممتنع او ممنوع وهذا خبر لا بد له من مبتدا وذلك قوله انهم لا يرجعون او غير ذلك والرجوع اما الرجوع عن الشرك الى الاسلام او الرجوع الى الدنيا او الى الاخرة وعلى الاول اما ان يكون لا زايدة اقحمت للتاكيد ومعنى الاية ممتنع على اهل قرية عزمنا على اهلاكها او قدرنا على اهلاكها ان يرجعوا ويتوبوا الى ان تقوم الساعة والمراد تصميمهم على الكفر واما ان يكون مفيدة ولكن الحرام بمعنى الواجب تسمية لاحد الضدين باسم الاخر لاشتراكهما في المنع الا ان الوجوب منع عن الترك والحرمة منع عن الفعل وقد ورد في الاستعمال مثل ذلك قال سبحانه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا وترك الشرك واجب وليس بمحرم وقالت الخنساء شعر وان حراما لا ارى الدهر باكيا ٭ على شجوه الا بكيت على عمرو ٭ وعلى الثاني والاهلاك على اصله والمعنى ان رجوع الى الدنيا ممتنع او عدم رجوعهم واجب الى قيام الساعة نظيره قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون وعلى الثالث فقوله حتى غاية لقوله لا يرجعون اي ممتنع عدم رجوع المهلكين الى عذاب الاخرة حتى الساعة وذلك ان رجوعهم الى عذاب النار قبل الساعة واجب لقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال ابو مسلم اراد ان رجوعهم الى الاخرة واجب الى هذه الغاية اي انهم يكونون اولى الناس حضورا في محفل القيمة وعلى الرابع فالمعنى وحرام عليهم ذاك وهو المذكور من السعي المشكور وغير المكفور لانهم لا يرجعون عن الكفر الى ان تقوم الساعة قوله حتى اذا فتحت هي حتى التي يقع بعدها الجملة وهي ههنا مجموع الشرط والجزاء واذا المفاجات تسد مسد فاء الجزاء وقد يجمع بينهما للتعاون على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد وانما احتيج الى هذا التاكيد لان الشرط يحصل في اخر ايام الدنيا والجزاء انما يحصل يوم القيمة ولعل بينهما فاصلة بالزمان الا ان التفاوت القليل كالمعدوم والمضاف محذوف اي سد ياجوج وماجوج وتانيث الفعل لانهما قبيلتان وهما من جنس الانس كما مر في اخر الكهف يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وفي الحديث ان منكم واحدا ومن ياجوج وماجوج الف قوله وهم من كل حدب قال الاكثر الضمير لياجوج وماجوج يخرجون حين تفتح السد عن

مجاهد انه لجميع المكلفين الذين يساقون الى المحشر والحدب ما ارتفع من الارض والنسل الاسراع واقترب عطف على
فتحت وهو داخل في الشرط والوعد الحق القيمة وقوله فاذا هي شاخصة كقوله في سورة ابرهيم ليوم تشخص فيه الابصار
قال في الكشاف هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره قلت مثل هذا هي مبتدا والجملة التي هي ابصار الذين كفروا شاخصة
خبره وابصار بدل هي ولو قيل ضمير القصة مبتدا والجملة التي هي جاز وهو قول سيبويه ثم ههنا اضمار اي يقولون يا ويلنا
وهو في موضع الحال من الذين كفروا والعامل شاخصة قد كنا في غفلة من هذا الوعد والامر بل كنا ظالمين انفسنا
بتلك الغفلة وبتكذيب الرسل وعبادة الاوثان ثم بين حال معبوديهم يوم القيمة فقال انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم اي محصوبها بمعنى محصوب فيها والحصب الرمي ومنه الحصباء لانه يرمى بها الشي وقرئ حطب
واللام في قوله انتم لها واردون كاللام في قولك هو لزيد ضارب وذلك لضعف اسم الفاعل فيما تقدم عليه
والمعنى لابد لكم ان تردوها ولا معدل لكم عن دخولها ثم الزمهم الحجة بقوله لو كان هولاء المعبودون الهة في الحقيقة
ما وردوها لكنهم واردوها للخبر الصادق الذي نبينه لصدقه من تامل في المعجز فيقبح ان هولاء ليسوا بالهة
وانها لا يستحق تعظيما اصلا ثم اخبر انهم بعد ورودهم النار لا يتخلصون منها ابدا فقال وكل اي من العابدين والمعبودين
فيها خالدون لهم فيها زفير وقد سبق معانيه في اخر سورة هود وهم فيها لا يسمعون شيئا اما لانهم يجعلون في
توابيت من نار عن ابن مسعود واما لانه تعالى يصمهم كما يعميهم والصمم في بعض الاوقات لا ينافي كونهم
سامعين قول اهل الجنة في غير ذلك الوقت او المراد انهم لا يسمعون ما يسرهم والضمير للمعبودين والسماع
سماع اجابة وعلى هذا فالضمير في لهم فيها زفير للعابدين وجاز اعتمادا على فهم السامع حيث ترد كلا من الضميرين
الى ما يناسبه كانه قيل العابدون يدعوا والمعبود لا يجيب ويجوز ان يكون للمعبودين ايضا لان فيهم من يتاتى منه الزفير
كالشياطين فغلب ولان الجماد ينطقه الله وقيل ذلك والزفير بمعنى اللبيب والله اعلم يروى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثماية وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر
بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل
عبد الله بن الزبعرى فاخبره الوليد بن المغيرة بما جرى فقال مفترضا اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا
المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك وانزل الله تعالى
ان الذين سبقت الاية فخرج من الحديث والاية جواب ابن الزبعرى على اتم وجه واكمله كان قيل ولا ان الاية باقية على
عمومها لان الذين عبدوا عزيرا والمسيح والملائكة لم يعبدوهم في الحقيقة وانما عبدوا الشياطين التي دعتهم الى
ذلك ولئن سلم انهم عبدوهم في الحقيقة لكنهم مخصوصون بما سبقت لهم منها الخصلة الحسنى وهي السعادة او البشرى
بالثواب او توفيق الطاعة وكل ميسر لما خلق له ومن المفسرين من اجاب عن اعتراض ابن الزبعرى بوجوه اخر منها ان قوله
انكم خطاب لمشركي قريش وانهم لم يعبدوا سوى الاصنام وللقائل ان يقول حمل الاية على العموم اتم فايدة ومنها ان قوله
وما تعبدون لا يتناول العقلاء فيسقط الاعتراض وللقائل ان يقول ما اعم لا سيما في مثل قوله ذوي العقول وغيرهم
ولهذا جاء والسماء وما بناها سبحان من سخركن لنا ومنها انه تعالى يصور لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه و
ضعف بان القوم لم يعبدوا تلك الصورة وبان الملك لا يتعذب بالنار كخزنة جهنم واعلم ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص
السبب فقوله ان الذين لا يبعد ان يكون عاما لكل المؤمنين ويؤيده ما روي ان عليا كرم الله وجهه قرا هذه
الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وزعم ان مثبتوا العفو ان
الحسنى في الاية هي الوعد بالعفو لانه قال اولئك عنها مبعدون بازاء قوله وانتم لها واردون والورود الدخول فلا يبعد
الاخراج من النار بعدما كانوا فيها وايضا ابعاد البعيد محال وقوله لا يسمعون حسيسها اي الصوت الذي يحس
به مخصوص بما بعد الاخراج وايضا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فالاكبر عذاب الكفار والاصغر عذاب صاحب الكبيرة و
الاكثرون على ان المراد من قوله مبعدون انهم لا يدخلون النار ولا يقربونها البتة لان ما جعل بعيدا عن شي ابتداء يحسن
ان يقال انه ابعد عنه وهولاء لم يفسروا الورود في قوله وان منكم الا واردها بالدخول كما مر في سورة مريم و
في قوله لا يسمعون حسيسها ثم بين انهم مع البعد عن المنافي منتفعون بالقرب من الملايم متلذذون به على سبيل التابيد فقال وهم فيما
اشتهت انفسهم اي فيما تطلبه للالتذاذ به خالدون هذا نصيب اهل الجنة واما اهل الله فهم فيما اشتهت قلوبهم وارواحهم
واسرارهم خالدون والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض

وعن الحسن هو الانصراف الى النار فانه لا فزع اكبر مما اذا شاهد والنار وهذا امر يشترك فيه اهل النار جميعا ثم
مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين يطبق النار على اهلها فيفزعون لذلك
فزعا عظيما وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح فعند ذلك يستقر اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة
ويتلقاهم الملائكة مهنئين قائلين هذا يومكم الذي اي وقت ثوابكم الذي كنتم توعدون في ذلك قال الضحاك
هم الحفظة الذين كتبوا اعمالهم والعامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم والسجل اسم للطومار الذي
يكتب فيه وابن عباس انه ملك يطوي كتب بني ادم اذا رفعت اليه وهو مروي عن علي ايضا كرم الله وجهه وروى
ابو الجوزاء عن ابن عباس انه كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعروف وقال الزجاج هو الرجل بلغة الحبش
وعلى هذه الوجوه فالطي وهو المصدر مضاف الى الفاعل وعلى الوجه الاول هو مضاف الى المفعول والفاعل محذوف
اي كطي الطاوي للسجل وهو قول الاكثرين واشتقاقه من السجل الدلو العظيم وقد قرئ به والتركيب يدل على الامتلاء والاجتماع
ولهذا لا يسمى الدلو سجلا الا اذا كان فيه ماء ومنه اسجلت الحوض ملأته وقوله للكتاب ومعناه ليكتب فيه او لما
يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما تكتب فيه من المعاني
الكثيرة وكيفية هذا الطي لا يعلمها الا من اخبر عن ذلك اما قوله كما بدانا فمن المفسرين من قال انه ابتداء كلام ومنهم
من قال انه وصف قوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون بقوله يوم نطوي ثم عقبه بوصف اخر فقال كما بدانا اول خلق
وهو مفعول نعيد الذي يفسره نعيده وما كافة اي نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة
لهما على السوية فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم ومنهم من قال الاعادة انما يتعلق بالضم والتركيب بعد تفريق
الاجزاء الاصلية والاية لا يطابقه كل المطابقة واول خلق كقولك هو اول رجل اي اذا فصلت رجلا عن رجل فهو اولهم
وانما خص اول الخلائق بالذكر تصويرا للايجاد عن العدم ودفعا للاعتراض وجوز جار الله ان ينتصب الكاف بفعل مضمر
يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بداناه نعيده واول خلق ظرف لبداناه اي اول ما خلق الرجال عن ضمير
الموصول الساقط من اللفظ وقوله وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة وقيل اراد حتما علينا بسبب
الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه فان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم حقق ذلك بقوله انا كنا فاعلين اي سنفعل
ذلك لا محالة فانا قادرون عليه عن سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل وابن زيد ان الزبور جنس للكتب المنزلة
كلها والذكر ام الكتاب يعني اللوح فيه كتابة كل ما سيكون اعتبارا للملائكة وكتب الانبياء كلها منتسخة منه وعن قتادة
ان الزبور هو القران والذكر هو التورية وعن الشعبي ان الزبور هو كتاب داود عليه السلام والذكر التورية وجوز الامام
فخر الدين ان يراد بالذكر العلم اي كتبنا فيه بعد ان كنا عالمين غير ساهين والمراد تحقيق وقوع المكتوب فيه والارض
ارض الجنة والعباد الصالحون هم المؤمنون العاملون بما يجب عليه نظيره قوله واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث
نشاء فنعم اجر العاملين قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والسدي وابو العالية وانما ذهبوا الى هذا القول
لان الارض الدنيا يعم الصالح وغير الصالح ولان الاية وردت بعد ذكر الاعادة وعن ابن عباس ايضا في رواية الكلبي انها
ارض الدنيا يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار نظيره وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد عند نزول عيسى ابن مريم ان في هذا الذي ذكر في السورة من الاخبار والوعد والوعيد
وغير ذلك لبلاغا لكفاية لقوم عابدين عاملين بما ينبغي عمله من الخيرات بعدما علموا كيفية ادايها والبلاغ ما يبلغ به
الى مطلوب من الوسايط والوسايل ولا مطلوب اجل من سعادة الدارين فكل من كان وسيلة الى نيل هذا المطلوب على الوجه
الاتم الاكمل كان وجوده رحمة من الله للطالب المتحير وما ذاك الا خاتم النبيين فلهذا قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكونه رحمة للكل لا ينافي قتل بعض الكفرة والتعرض لاموالهم واولادهم كان كبعض اعضاء المريض بل قطعه لا ينافي حذق الطبيب
واشفاقه على المريض ومن هنا قيل اخر الدواء الكي والما قيل لا ينسب التقصير الى الفاعل لقصور في القابل قالت المعتزلة لو كان
كفر الكافر بخلق الله لم يكن ارسال الرسول رحمة له لانه لا يحصل له حينئذ الا لزوم الحجة عليهم واجيب بان كونه رحمة للعباد
هو انهم امنوا بسببه عذاب الاستيصال ولا يلزم ان يكون الرسول رحمة للمؤمنين من جهة كونه رحمة للكافرين والجواب
المحقق ان كونه رحمة عامة بالنسبة الى امة الدعوة لا ينافي كونه رحمة خاصة بالنسبة الى امة الاجابة وهو قريب مما
ذكرناه اولا والحجة وبقيتها لا دامه على الكافر وان لم يبعث النبي عامته انها بعد البعثة الزم وفي الاية والايه دلالة على ان
النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الملائكة لانه رحمة لهم فانهم من العالمين وعورض بقوله ويستغفرون لمن في الارض و

الاستغفار رحمة والجواب ان الرحمة بمعنى كونه فى نفسه كاملا مكملا فى الغاية غير الرحمة بمعنى الدعاء فلا يلزم من
كون الاول سببا للافضلية كون الثانى كذلك ثم بين ان اصل تلك الرحمة وامها هو دعاوه الى التوحيد والبراءة عن الشرك
فقال انما يوحى الى ان كانت ما موصولة فمعناه ان الذى يوحى الى هو ان وصفه تعالى مقصور على الوحدانية لا يتجاوز الى
ما ينافيها او يضادها باى قسمت فرضت وان كانت ما كافة فالمعنى ان الوحى الى مقصور على استيثار الله بالوحدة و
ذلك ان القصر يكون ابدا لما يلى انما وفى قوله فهل انتم مسلمون بعث لهم على قبول هذا الوحى الذى هو اصل التكاليف كلها
وفيه نوع من التهديد فلذلك صرح به قائلا فان تولوا فقل آذنتكم اى اعلمتكم والمراد ههنا اخص من ذلك وهو الانذار
على سواء اى حال كونكم مستوين فى ذلك ولا فرق بين القريب والاجنبى والقاصى والدانى والشريف والوضيع ولهذا قال
ابو مسلم الايذان على السواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء وقيل اذا علمتكم ما هو الواجب عليكم
من اصول التكاليف ولا سيما التوحيد على السوية من غير فرق فى الابلاغ بين مكلف ومكلف وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون
به ام بعيد والموعود قيل هو عذاب الاخرة واعترض بانه ينافى قوله واقترب الوعد الحق وقيل هو الامر بالقتال لان
السورة مكية وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وقيل هو اعلاء شان الاسلام وغلبة دعوته فانه لا بد ان يلحق الكفار
حينئذ ذلة وصغار ولما امره ان ينفى عن نفسه علم الغيب امره ان يقول لهم ان الله سبحانه هو العالم بالسر والعلن
فيعلم ما تجاهرون به من المطاعن فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحن والضغاين فيجازيكم على القبيلتين
وان ادرى لعله اى ما ادرى لعل تاخير هذا الموعد وابهام وقته او تاخير الامر بالجهاد امتحان لكم لينظر كيف تعملون
وتمتيع لكم الى حين حضور وقته وقال الحسن لعل ما انتم من الدنيا ونعيمها بلية لكم وقيل اراد لعل ما بينت واعلمت
واوعدت ابتلاء لكم لان الغرض من الايمان مع البيان حالا بعد حال يكون عذابا اشد ومعنى رب احكم بالحق اقض
بينى وبين من كذبنى بالعذاب قال قتادة امره الله ان يقتدى بالانبياء فى هذه الدعوى وكانوا يقولون ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق فاستجيب له فعذبوا ببدر وقال جار الله معنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد
وطاتك على مضر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع بنصر فى عليهم كانه سبحانه قال له قل داعيا الى
رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار ربنا الرحمن المستعان الذى يستعان به على ما تصفون من الشرك والكفر وما تعارضون
به دعوتى من الاباطيل وكانوا يطمعون ان يكون لهم الغلبة والدولة فقلب الله الامر عليهم وفى هذا الامر تسليه
للنبى صلى الله عليه وسلم ورفع من مقداره حيث امر بالانقطاع الى الرب فى دفع اذية القوم ليحصل له مع الخلاص
من اذيتهم شرف الاستجابة وهذه غاية العناية التاويل ان هذه امتكم فيه اشارة الى ان السالك اذا عبر المقامات
التى ذكرنا يصير متفرقات شمله مجتمعة فى الفناء فى الله والبقاء به فيكون امة واحدة فى ذاته كما ان ابرهيم كان امة
فيعبر الله نفسه بقول انا ربكم الذى بلغتم هذه الرتبة فاعبدون اى فاعرفون وتقطعوا امرهم فمنهم من سكن الى الدنيا
ومنهم من سكن الى الجنة ومنهم من فر الى الله كل الينا راجعون اما طالب الدنيا فيرجع الى الصورة قهرا واما طالب الاخرة
فيرجع الى الصورة لطفا وهى الجنة واما الذى يطلبنا فانه يرجع الينا بالحقيقة وانا له كاتبون فى الازل من اهل السعادة
حتى اذا فتح سد ياجوج النفس وماجوج الهوى وسد احكام الشريعة وفتحها بمخالفتها وموافقات الطبع وهم اعنى دواعى
النفس من كل معدن شهوة من الحواس الظاهرة والباطنة ينسلون فيفسدون ما يمرون عليه من القلب والسر و
الروح واقترب وعد هلاك القلوب الغافلة فاذا هى شاخصة ابصار بصايرها بالانهماك فى الاهوا ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى العناية الازلية لا يسمعون حسيسها اعنى مقالات اهل البدع والاهواء وهم فيما اشتهت انفسهم المطمئنة
المجذوبة بجذبة ارجعى فى مقامات السير فى الله خالدون الفزع الاكبر قوله فى الازل هؤلاء فى النار يوم القيمة ولا ابالى
يوم نطوى سماء وجود الانسان بتجلى صفات الجلال فى افناء مراتب الوجود من الانتهاء الى الابتداء وذلك قوله كما بدانا
اول خلق نعيده يعنى ان الرجوع يكون بالتدريج كما ان البداء بالتدريج خلق النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم خلق
المضغة عظاما ثم كسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر ففى الاعادة يجب ان يمر السالك من الانسانية على الحيوانية ثم النباتية
ثم المعدنية ثم البسايط العنصرية ثم الملكوتية ثم الروحانية ثم الى الصفة الربوبية بجذبة ارجعى الى ربك ولقد كتبنا فى الزبور
اى فى ام الكتاب من بعد الذكر اى بعد ان قلت للقلم اكتب نظيره كن فيكون ان ارض جنة الوجود الحقيقى يرثها عبادى
الصالحون وهم الذين طويت سماء وجودهم المجازى فالوجود المجازى لكونه غير ثابت ولا مستقر كالسماء والوجود الحقيقى
بكونه ثابتا ومستقرا على حاله ولحده ما الارض لقوم عابدين عارفين وما ارسلناك من كتم العدم الا رحمة للعالمين

لولاك لما خلقت الافلاك اول ما خلق الله روحى ولولا الاول لم يتبين التوبة الى الاخر والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم ● يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد ● ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل
شيطان مريد ● كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب
السعير ● يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى
ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ●
ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير ● و
ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور ● ومن الناس
من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ● ثانى عطفه
ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيمة عذاب

الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس
من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين
يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد
يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان
الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من
يريد ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله
على كل شيء شهيد الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن
في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير
من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم
ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به
ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق

القراءة سكرى في الحرفين على تاويل الجماعة سكرى حمزة وعلي وخلف ونقر ثم نخرجكم بالنصب فيهما المفضل
وربأت بالهمزة حيث كان يزيد ليضل بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب خاسر الدنيا اسم فاعل منصوبا على الحالية
روح وزيد ثم ليقطع ثم ليقضوا بكسر اللام فيهما ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وورش وافق القواس في ليقضوا وزاد

ابن عامر وليوفوا وليطوفوا وقرا الاعشى وليوفوا بالتشديد وقرئ ابو بكر وحماد وليوفوا بالتشديد وسكون اللام الباقون
بالتخفيف بالسكون هذان بتشديد النون ابن كثير الوقوف ربكم على تقدير فان عظيم شديد مريد لان ما بعده
صفة الشيطان لنبين لكم لان التقدير ونحن نقر ومن قرا بالنصب لم يقف اشدكم لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى شيا
بهيج قدير للعطف فيهما القبور منير لان ما بعده حال عن سبيل الله الحريق للعبيد حرف للشرط مع الفاء بالعطف
مع الاستقلال على وجهه الا لمن قرا خاسر الدنيا والاخرة المبين ينفعه العشير البعيد من نفعه العشير الانهار ما
يريد ما يغيظ بينات من يريد يوم القيمة شهيد من الناس وقيل يوصل ويوقف على العذاب مكرم ما يشاء سجدة
في ربهم لعطف الجملتين المتفقتين مع ان ما بعده ابتداء بيان حال الفريقين احدهما فالذين كفروا والثاني ان الله يدخل من نار
الحميم لان ما بعده يصلح استينافا وحالا او وصفا على ان اللام للجنس كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني والجلود
حديد الحريق التفسير انه لما جر الكلام في خاتمة السورة المتقدمة الى حديث الاعادة وما قبلها وبعدها كورانة
المؤمنين الارض وما معها كطي السماء فلا جرم بدا الله سبحانه في هذه السورة بذكر القيمة واهوالها حثا على التقوى التي هي خير
زاد الى المعاد ويدخل في التقوى فعل الواجبات وترك المنكرات ولا يكاد يدخل فيهما النوافل لان المكلف لا يخاف بتركها العذاب
وانما يرجو بفعلها الثواب ويمكن ان يقال ان ترك النوافل قد يفضي الى الاخلال بالواجب فلهذا لا يكاد المتقي يتركها يروى
ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع الناس حوله فقراهما عليهم فلم
ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا فلم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا
من بين حزين وباك ومفكر وهذه الزلزلة هي المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها ومعناها شدة التحريك وتضعيف الحرف
دليل على تضعيف المعنى كانه ضوعف تزليل الاشياء عن مقارها ومراكزها والاضافة اضافة المصدر الى الفاعل على المجاز الحكمي
العائد الى الاسناد في قولك نزلزل الساعة الارض او الى المفعول فيه على الاتساع فلا مجاز في هذا الحكم لان المراد حينئذ
هو ان فاعلها الله في القيمة قال الحسن وعن الشعبي هي طلوع الشمس من مغربها فيكون الاضافة بمعنى اللام كقولك اشراط
الساعة قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان المعدوم شيء لان الله تعالى سمى زلزلة الساعة شيئا مع انها معدومة واجاب
الاشاعرة بان المراد هو انها اذا وجدت كانت شيئا عظيما وانتصب يوم ترونها اي الزلزلة بقوله تذهل اي تغفل عن دهشة
كل مرضعة وهي التي ترضع بالفعل مباشرة للارضاع وانما يقال لها المرضع من غير هاء اذا اريد معنى اعم وهو انه من شانها
الارضاع بالقوة او بالفعل كحائض وطالق وفي هذا تصوير لهول الزلزلة كانه بلغ مبلغا لو القمت المرضعة الرضيع ثديها
نزعته عن فيه لما يلحقها من الخوف وما في عما ارضعت مصدرية او موصولة اي عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو
الطفل عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وانما قال كل ذات حمل دون
كل حامل ليكون نصا في وضع الجنين فان الحمل بالفتح هو ما كان في بطن او على راس شجرة والثاني خارج بدليل العقل فبقي
الاول قال القفال دخول المرضعة ووضع ذات الحمل حملها يحتمل على جهة التمثيل كقوله يوما يجعل الولدان شيبا وترى
الناس لم يرد بعدا نجمع لان الزلزلة يراها الناس جميعا واما السكر الشامل للناس فانه يراه من راه اهلية الخطاب بالرؤية
وقتئذ ولعله ليس الا النبي صلى الله عليه وسلم قوله سكارى وما هم بسكارى اثبت السكر اولا على وجه التشبيه فان
الخوف مدهش كالمسكر ونفاه ثانيا على التحقيق اذ لم يشربوا خمرا وهذه امارة كل مجاز روى ابو سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ادم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يامرك ان
تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب ما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب
الوليد وروي ان الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا
يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد
انتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض وكالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود واختلفوا في ان شدة ذلك
اليوم تحصل لكل واحد ولاهل النار خاصة فقيل ان الفزع الاكبر وغيره يختص باهل النار وان اهل الجنة يحشرون وهم
امنون وقيل بل يعم الكل ولا اعتراض لاحد على الله ثم اراد ان يحتج على منكري البعث فقدم لذلك مقدمة تشمل اهل الجدال
كلهم فقال ومن الناس من يجادل لنظيره ومن الناس من يقول وقد مر اعرابه في اول البقرة ومعنى في الله في شان الله وفيما
يجوز عليه وما لا يجوز من الصفات والافعال ويفهم من قوله بغير علم ان المعارف كلها ليست ضرورية وان المذموم من
الجدال هو هذا القسم واما الجدال الصادر عن العلم والتحقيق فمحمود مامور به في قوله وجادلهم بالتي هي احسن والشيطان المريد

العاتي يسمى بذلك لخلوه عن كل خير وقد عرف في قوله مريد واعلى النفاق والمراد ابليس وجنوده او رؤساء الكفار الذين يدعون
اشياعهم الى الكفر عن ابن عباس نزلت في النضر بن الحرث وكان مجادلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين
والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا ومعنى كتب عليه قضي على ذلك الشيطان او علم من حاله وظهر وتبين و
الاول يليق باصول الاشاعرة والثاني باصول الاعتزال وقيل راد كتب على من يتبع الشيطان ولا يخلو من تعسف انه من
تولى الشيطان اي جعله وليا له اضله عن طريق الجنة وهداه الى النار قال صاحب الكشاف ان الاول فاعل كتب والثاني
عطف عليه وفيه نظر لان من يبقى بلا جواب ان جعلت شرطيه او بلا خبر ان جعلت موصوله والصحيح ان قوله فانه مبتدأ
او خبر مبتدأ محذوف صاحبه والتقدير من تولاه فشانه ان يضله او انه يضله ثابت اللهم الا اذا جعلت من موصوفه
تقديره كتب على من يتبع الشيطان انه شخص تولى الشيطان فانه كذا اي كتب عليه ذلك فذلك وحين نبه عموما على فساد
طريقة المجادلين بغير علم خص المقصود من ذلك فالمعنى ان ارتبتم في البعث فعلكم ما يزيل ريبكم وهو ان تنظروا الى بدو
خلقكم فمن التراب والنطفه وهي الماء الصافي كماء الفحل لانه ينطف نطفانا اي يسيل سيلانا تاما مباينه وكذا من
النطفه والعلقه وهي قطعة الدم الجامد لانها اذ ذاك تعلق بالرحم وكذا بين العلقه والمضغه وهي قدر ما يمضغ من اللحم
ولا ريب ان القادر على تقليب الانسان في هذه الاطوار المتباينة ابتداء قادر على اعادته الى احد هذه الاطوار بل
هي ادخل في القدرة واهون في القياس قال الجوهري المخلقه التامة الخلق وقال قتادة والضحاك اراد انه يخلق المضغ
متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فلذلك تفاوت الناس في خلقهم وصورهم
وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصهم وقال مجاهد المخلقة الولد الذي يخرج حيا وغير المخلقة السقط لانه لم يتوارد عليها
خلق بعد خلق وقيل المخلقة المصورة وغير المخلقة ضدها وهو الذي يبقى لحما من غير تخطيط وشكل ويناسبه ما
روى علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفه في الرحم بعث الله ملكا فقال يا رب مخلقة او غير مخلقة فان قال
غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يا رب فما صفتها اذكر ام انثى ما رزقها وما اجلها اشقي ام سعيد فيقول سبحانه
انطلق الى الكتاب فاستنسخ منه هذه النطفه فينطلق الملك فينسخها فلا يزال معه حتى ياتي آخر صفتها وقوله لنبين لكم غاية
لقوله خلقناكم اي انما نقلناكم من حال الى حال ومن طور الى طور لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وفي ورود الفعل
غير معدى الى المبين اشعار بان ذلك المبين مما لا يكتنه كنهه ولا يحيط به الوصف وقيل اراد ان كنتم في ريب من البعث
فانا نخبركم انا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل ريبكم في امر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف يعجز عن
الاعادة ولما بين كيفية خلق الانسان بالتدريج الى ان يتكامل اعضاؤه اراد ان يبين ان من الابدان ما يمجه الارحام
ومنها ما تنطوي هي عليه الى كمال النضج والتربية فاسقط القسم الاول اكتفاء بالثاني فاستانف قايلا ونقر في الارحام ما
نشاء ان نقره من ذلك الى اجل مسمى هو كمال ستة اشهر الى اربع سنين غايتها عرفت بالاستقراء ثم نخرجكم طفلا اي كل واحد
منكم طفلا او الغرض الدلالة على الجنس فاكتفى بالواحد ثم نربيكم شيئا بعد شيء لتبلغوا اشدكم ومن قرأ ونقر بالنصب فمعناه
خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغايتين احدهما ان نبين قدرتنا الثانيه ان نقر في الارحام من نقر حتى يولد
وينشأ ويبلغوا حد التكليف والاشد كمال القوة والتمييز كانه شدة في غير شيء واحد فلذلك بني على لفظ الجمع
قوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر قد مر في النحل تفسيره فليرجع اليه ثم اكد امر البعث بالاستدلال من حال النبات ايضا
فقال وترى اي يا شاهد لتنبه المستحق للخطاب الارض حال كونها هامدة ميتة يابسة لا نبات بها والتركيب يدل على ذهاب
ما به قوام الشيء ودوامه من ذلك همدت النار همودا طفيت وذهبت بالكلية وهمد الثوب همودا بلي فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت تحركت ولا يكاد يستعمل الاهتزاز الا في حركة تصدر عن سرور ونشاط وربت انتفخت وزادت كما مر في قوله
زبدا رابيا وذلك في الرعد والمراد كمال نمو الارض لظهور النبات منها ومن قرأ بالهمزة فمعناه ارتفعت من قولهم ربا القوم
اذا كان لهم طليعة فوق شرف ثم اشار الى كمال حاله في الظهور بقوله وانبتت من كل زوج اي بعضا من كل صنف بهيج والبهجة
النضارة وحسن الحال ولهذا قال المبرد هو الشيء المشرق الجميل واسناد الانبات الى الارض مجاز لان المنبت بالحقيقة
هو الله تعالى ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من عجايب الصنع وغرايبه لا بد
حاصل بامور خمسة الاول ان الله هو الحق الثابت الذي لا يزول ملكه وملكه لا حق في الحقيقة الا هو فما سواه
يكون مستندا الى خلقه وتكوينه لا محالة الثاني انه من شانه احياء الموتى الثالث انه على كل شيء قدير وهذا كالبيان
لما تقدمه فان القادر على كل شيء ممكن قادر لا محالة على احياء الموتى لانه من جملة الممكنات وبيان امكانه ظاهر فان كل

ما جاز على شيء في وقت ما جاز عليه في ساير الاوقات اذ لو امتنع فاما للغير والاصل عدمه واما للذات وهذا يقتضي
ان لا يتصف به اولا فاما بالذات لا يزول الرابع والخامس قوله وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من
في القبور قال في الكشاف معناه انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد فلما
فانا خلقناكم بالتدريج واحيينا الارض بسبب انا وعدنا الساعة ووعدنا صادق وهذا كلام غير منتظم في الظاهر كما ترى
ولوضح هذا لا يستغنى عن التطويل بان يقال مثلا لا تشكوا في امر البعث فانه كاين لا محالة والذي سنح لي في تفسيره انه
ازال الشك في امر البعث بقوله وان كنتم في ريب من البعث فمزيل ريبكم هذان الاستدلالان ثم كان لسايل ان يسال لم خلق
الانسان وما يترتب عليه معاشه فاجيب بان لهذا شانا وهو خلق الانسان اسبابا فاعليه واسبابا غائية اما الاولى
فهي انه تعالى واجب الوجود والحق وانه قادر على كل مقدور ولا سيما احياء الموتى الذي استدللنا عليه لانه اهون وان قدرته
لا يظهر الا اذا تعلقت بالمقدور وكمال القدرة بالفعل هو ان يتعلق بكل مقدور يصح في القسمة العقلية وهذا النوع
من المقدور كان ثابتا في القسمة لانه واسطة بين العالم العلوي والعالم السفلي وله تعلق بالطرفين وانجذاب الى القبيلين
فوجب في الحكمة والقدرة ايجاده ثم ايجاد ما يتوقف عليه بقاؤه واستكماله واما علته الغائية فهي ان داره الاولى كانت
دار التكليف وقد هيا الله دارا اخرى لاجل الجزاء وذلك لا يحصل الا بالبعث والنشور ولعل هذا الموضع مالم يقف على هذا
الوجه غيري ارجو ان يكون صوابا والله اعلم بمراده قوله ومن الناس من يجادل عن ابن عباس انه ابو جهل وقيل هو في النضر ايضا و
كرر للتاكيد كما كرر ساير الاقاصيص وقال ابو مسلم الاول في المقلدين فانهم قد يجادلون تصويبا لتقليدهم وهذا في المقلدين
المتبوعين بدليل قوله ليضل عن سبيل الله قال العلماء اراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى النظري من العلم لانه يهدي
الى المعرفة وبالكتاب المنير العلم السمعي المتعلق بالوحي قال بعض اهل اللغة العطف المنكب وقال الجوهري عطفا الرجل
جانباه من لدن راسه الى وركه يقال فلان ثنى عطفه عني اي اعرض وقيل هو عبارة عن الكبر والخيلاء كلي الجيد قال جار الله
لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل
كالخارج من الهدى الى الضلال بالجدال وفسر الخزي ههنا بما اصابه يوم بدر ذلك الذي مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة
هو بما قدمت يداه وباقي مباحث الآية قد سلف في آل عمران ثم اخبر عن شقاق اهل النفاق بقوله ومن الناس من يعبد
الله على حرف اي على طرف من الدين لا في وسطه وهذا مثل لكونه مضطربا في امر الدين غير ثابت القدم كالذي يكون على طرف العسكر
يتهم بادنى سبب وباقي الآية تفصيل لهذا الاجمال قال الكلبي نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهرا سويا وولدت امراته غلاما وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان
الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب عن دينه [illegible] وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير
والحسن ومجاهد وقتادة وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وعن ابي سعيد الخدري
ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصايب كذهاب البصر والمال والولد فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني
فقال ان الاسلام يسبك كما يسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة والاسلام لا يقال ونزلت الآية والفتنة ههنا
مخصوصة بالابتلاء والشرور والآلام [illegible] في مقابلة الخير وهذا على الاستعمال الغالب والا فالخير ايضا قد يكون سببا
للابتلاء [illegible] الدارين بقوله خسر الدنيا والآخرة [illegible]
فقدان العز والكرامة والغنيمة واهلية الشهادة والامامة والقضاء وكون عرضه وماله ودمه [illegible] واما الآخرة فحرمان الثواب
وحصول العقاب ابد الآباد [illegible] وفي قوله يدعو من دون الله [illegible] الآية دلالة على ان المذكورين
قبلها [illegible] من المشركين لا من اليهود فانهم لم يعبدوا الاصنام [illegible]
من دون الله [illegible]
[illegible] موصولة او موصوفة [illegible]
اللام الاولى [illegible]
[illegible]
[illegible]

الاصنام الامانه اثبت الضر لها مجازا لانها سبب الضلال الذى هو سبب عذاب النار ونظيره رب انهن اضللن كثيرا من الناس وانبث لها نفعا بناء على معتقدهم انها شفعاؤهم عند الله والمراد بقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى اثر الشفاعة لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او اراد يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه بكونه شفيعا لبئس المولى ثم لما بين حال المنافقين والمشركين اتبعها حال المؤمنين الذين معبودهم قادر على ايصال كل المنافع فقال ان الله يدخل الآية قالت الاشاعرة فى قوله ان الله يفعل ما يريد دليل على انه خالق الايمان وفاعله لانه يريد الايمان من العبد بالاتفاق فاجاب الكعبى بانه يفعل ما يريده ما لا يريد ان يفعله غيره ورد بان ما يريد اعم من قولنا ما يريد من فعله وما يريد من فعل غيره قوله سبحانه من كان يظن ان لن ينصره فى هذا الضمير وجهان **الاول** وهو قول ابن عباس والكلبى ومقاتل والضحاك وقتاده وابن زيد والسدى واختيار الفراء والزجاج انه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم للعلم به ولان ذكر الايمان يدل على الايمان بالله ورسوله وعلى هذا فالظان من هو قيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون النصر فنزلت وعندى فى هذا القول بعد وعن مقاتل نزلت فى نفر من اسد وغطفان قالوا نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود والاولى العموم وكان حاسدوه واعداؤه يتوقعون ان لن ينصره الله وان الله لا يغلبه على اعدائه فمتى شاهدوا ان الله ناصره اغاظهم ذلك والسبب الحبل والسماء سماء البيت والقطع الاختناق لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه والمراد من كان يظن من حاسديه ان الله تعالى يفعل خلاف النصر والظفر وكان يغيظه نصر الله اياه فليستفرغ جهده فى ازالة ما يغيظه وليس ذلك الا بان يمد حبلا الى سماء بيته ثم يشده فى عنقه ويختنق فى عنقه وليصور فى نفسه انه ان يفعل ذلك هل يذهب كيده ما يغيظ سمى فعله كيدا حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والحاصل ليس فى يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ ومنهم من قال السماء هى المظلة لان الاختناق حينئذ ابعد عن الامكان فيكون اصعب فيضرب الحاسد عن الغيظ الى طاعة الله ورسوله ومنهم من قال مع ذلك ان القطع هو قطع المسافة اى فليصعد على الحبل الى السماء والغرض تصوير مشقة من غير فائدة او القطع قطع الوحى او النصر اى فليصعد وليقطع الوحى ان ينزل عليه او النصر ان يأتيه **الوجه الثانى** ان الضمير عائد الى من والنصر الرزق قال ابو عبيدة وقف علينا سائل من بنى بكر فقال من ينصرنى نصره الله اى من يعطينى ما اعطاه الله ووجه النظم من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فلهذا الظن يعدل عن التمسك بدين محمد وينقلب على وجهه كما مر فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق او غير ذلك مما عداه فان الله لا يغلبه مرزوقا وحين بين الاحوال وضرب الامثال اشار الى هذا المذكور بلفظ البعيد اما للتعظيم واما لان كل ما دخل فى خبر الذكر وحصل فى خبر كان فهو فى حكم البعيد فقال كذلك انزلناه اى ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات وان الله حرف التعليل وكذا اعلاله محذوف للعلم به اى ولان الله يهدى من يريد انزله وكذلك مبينا قالت الاشاعرة المراد بالهداية اما وضع الادلة او خلق المعرفة والاول غير جائز لانه تعالى فعل ذلك فى حق كل المكلفين ولان قوله يهدى من يريد يدل على ان الهداية غير واجبة عليه بل هى متعلقة بمشيئته ووضع الادلة واجب فتعين ان المراد خلق المعرفة اجاب القاضى عبد الجبار بانه اراد تكليف من يريد لان التكليف لا يخلو من وصف ما كلف به ومن بيانه او اراد يهدى الى الجنة والاثابة من يريد ممن آمن وعمل صالحا او يهدى به الذين علم منهم الايمان او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى والى هذين الوجهين اشار الحسن بقوله ان الله يهدى من قبل لا من لم يقبل واعترض بان الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الكلام بعد بيان الادلة والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف واما الوجوه الاخر فخلاف الظاهر مع ان ما ذكر واجب عندكم على الله وقوله من يريد الدنيا فى الوجوب ثم اراد ان يميز بين المهتدى من الفرق وبين الضالة منهم فقال ان الذين آمنوا الآية قال مقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام وخمسة للشيطان قلت فالمؤمنون واليهود والنصارى يشترك فى القول بالاله والنبى ويفترق بالاعتراف به والصابئون قد يحيل من جنس النصارى وقد يحيل من غيرهم والمجوس وقولهم فى البابين مضطرب لان الاله عندهم اثنان وبينهم ليس بنبى فى الحقيقة وانما هو متنبى والمشركون لا نبى لهم ولا كتاب وقال اهل البرهان قدم النصارى على الصابئين فى اوائل البقرة لانهم اهل الكتاب وعكس ههنا لان الصابئين مقدم عليهم بالزمان وفى المائدة يحتمل الامرين اى والصابئون كذلك او هم والنصارى ان الله يفصل بينهم اى يقضى بين المؤمنين وغيرهم وتكرير ان فى الخبر لزيادة التاكيد والفصل مطلق يحتمل الفصل فى الاحوال وفى المواطن ايضا ان الله على كل شئ شهيد فلا يجرى فى قضائه ظلم ولا حيف الم تر الم تعلم باخبار الله والمراد انه

الاجسام غير ممتنعة عما يريد الله احداثه فيها من انواع تصرفاته وتدابيره قال العلماء قوله وكثير من الناس ليس بمعطوف على ما قبله من المفردات لان السجود بالمعنى المذكور يشمل كل الناس ولا يختص ببعضهم لدليل العقل ولان قوله ومن فى الارض يتناول الثقلين جميعا والعطف يوهم التخصيص بالبعض ولا يمكن ان يكون السجود بالنسبة الى الكثير من الناس بمعنى وضع الجبهة وبالنسبة الى غيرهم بمعنى نفوذ مشيئة الله فيها لان اللفظ المشترك لا يصح استعماله فى مفهوميه معا فهو اذن مرفوع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اى ويسجد له كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة ايضا وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب او هو مبتدأ وخبر اى وكثير من المكلفين من الناس الذين هم الناس على الحقيقة فكانه اخرج الذين وجب عليهم العذاب من جملة الناس لانهم اشبه بالنسناس اولئك كالانعام بل هم اضل او قول ثانيا وكثير تكرار للاول لاجل المبالغة كانه قيل وكثير من الناس حق عليهم العذاب وباقى الآية دليل على ان الكل بقضائه وقدره والاكرام والاهانة من عنده وسابق علمه وسابق مشيئته فمن اهانه فى الازل لم يكرمه احد الى الابد عن ابن عباس ان قوله هذان خصمان راجع الى اهل الاديان الستة اى هما فوجان او فريقان خصمان والخصم صفة وصف بها المحذوف وانما قيل اختصموا نظرا الى المعنى وقيل لان اقل الجمع اثنان ومعنى فى ربهم اى فى دينه وصفاته فقال المؤمنون فى شانه قولا وقال الكافرون قولا وروى ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بالله وبمحمد وبنبيكم وبجميع الكتب وانتم تعرفون كتابنا ثم تتركونه حسدا فنزلت وعن قيس بن عباده عن ابى ذر الغفارى انه كان يحلف بالله انها نزلت فى ستة نفر من المسلمين على وحمزة وعبيدة بن الحرث ومن المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة فقال على انا اول من يجثو للخصومة بين يدى الله تعالى يوم القيمة وعن عكرمة هما الجنة والنار قالت النار خلقنى الله لعقوبته وقالت الجنة خلقنى الله لرحمته فيقص الله من خبرهما على محمد صلى الله عليه وسلم والاقرب هو الاول وقوله فالذين كفروا فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم وقوله قطعت لهم ثياب فيه انه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما يقطع الثياب الملبوسة والمراد ان تلك النيران متظاهرة عليهم كالثياب المتظاهرة على الملابس بعضها فوق بعض وعن سعيد بن جبير ان قوله من نار اى من نحاس اذيب بالنار كقوله سرابيلهم من قطران والحميم الماء الحار عن ابن عباس لو انقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ومعنى يصهر يذاب صهرت الشئ فانصهر اى اذبته فذاب فهو صهير اى يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان تاثير الشئ من الظاهر فى الباطن ابلغ من تاثيره من الباطن قال فى الكشاف المقامع السياط وقال الجوهرى المقمعة واحدة المقامع من حديد كالمحجن يضرب على راس الفيل وفى الحديث لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها والاعادة ولا يكون الا بعد الخروج ففى الآية اضمار اى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها او المراد بالارادة المداناة والمقاربة كقوله يريد ان ينقض وهذا اقرب لقوله لا يخفف عنهم العذاب ويؤيده ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وانما اختصت هذه السورة بقوله من غم وهو الاخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه مخلصا لانه بولغ ههنا فى اهوال النار بخلاف ما فى السجدة وانما اضمر القول ههنا قبل قوله وذوقوا بخلاف السجدة وقيل لهم ذوقوا لان الآية وقع الاختصار ههنا على عذاب الحريق وهناك اطنب فصل ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون وايضا قد تقدم ذكر القول فى تلك السورة كثيرا بخلاف ههنا والله تعالى اعلم **التاويل** ان زلزلة ساعة هلاك الاستعداد الفطرى شئ عظيم تذهل كل مرضعة هى مواد الاشياء فان لكل شئ مادة ملكوتية ترضع رضيعها من الملك وتربيه وتضع كل ذات حمل وهى الهيوليات حملها وهو الصور الكمالية التى خلقت الهيوليات لاجلها وترى الناس سكارى الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها وما هم بسكارى العشق والمحبة والمعرفة فانا خلقناكم من تراب اى كنتم ترابا ميتا فبعثنا التراب بان خلقنا منه آدم ثم امشاج النطفه ثم بعثناها بان جعلناها علقة ثم خلقنا آخر لنبين لكم امر البعث والنشور ونقر فى ارحام امهات العدم ما نشاء الى اجل مسمى هو وقت ايجاده بحسب تعلق الارادة به وفيه دليل على انه لا يبعد ان يكون الفاعل كاملا فى فاعليته ولكن لا يتعلق ارادته بالمقدور ويبقى فى حيز العدم الى حين تعلق الارادة به ومنه يظهر حدوث العالم ثم نخرجكم طفلا من اطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعد للتربية والكمال ومنكم من يتوفى عن الشهوات فيحيى بحصول الكمالات ومنكم من يرد الى اسفل سافلين الطبيعة وترى ارض القالب هامدة فاذا انزلنا عليها ماء حيوة المعرفة والعلم اهتزت ذلك بان الله هو الحق فى الالهية وانه يحيى القلوب الميتة وان ساعة قيامة العشق والجذبة للطالبين الصادقين آتية وان الله يبعث من فى القلوب المحبوسة فى قبور الصدور وعذاب الحريق بنار الشهوات لكنه لا يحس بها فى

الدنيا الاتر نايم بنوم الغفلة فاذا مات انتبه من كان يظن فيه ان العبد يجب ان يكون حسن الظن بالله ثم ليقطع مادة
تقديره في الازل ونزول احكامه في القدر فلينظر هل يقطع ام لا هذان خصمان يعني النفس الكافرة والروح المؤمن قطعت
لهم ثياب بتقطيع خياط القضا على قدهم وهي ثياب نسجه من سدى مخالفات الشرع ولحمه موافقات الطبع يصب من فوق
رؤسهم حميم الشهوات النفسانية وفي لفظ الفوق دلالة على انهم مغلوبون تحتها وفيه ان الخيالات الفاسدة ينصب
من الدماغ الى القلب يصهر به ما في بطونهم من الاخلاق الحميدة الروحانية والجلود اي يفسد لوامع الباطنة والظاهرة لفساد تخيلاتهم
ولهم مقامع ايضا لا يخلصهم منه دركات تلك الملكات لغاية رسوخها نعوذ بالله من الغفلة والضلالة والمرد قوله تعالى

ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير ● وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط
الحميد ● ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد
الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن
يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ● واذ بوانا لابرهيم مكان
البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود ● واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين
من كل فج عميق ● ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس
الفقير ● ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت
العتيق ● ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه و
احلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس
من الاوثان واجتنبوا قول الزور ● حنفاء لله غير مشركين به و
من يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى
به الريح في مكان سحيق ● ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها

من تقوى القلوب ● لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها
الى البيت العتيق ● ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا
اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله
واحد فله اسلموا وبشر المخبتين ● الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون ● والبدن جعلناها لكم من شعائر
الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف
فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر
كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ● لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك
سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم وبشر المحسنين ●
ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور ●
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ●
الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله و
لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره
ان الله لقوي عزيز ● الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة
واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور

القراءة ولؤلؤا بهمزتين منصوبا نافع وحفص مثله ولكن بتخفيف الاولى واوساكنة ابو بكر وحماد ويزيد وكذلك في
سورة فاطر وقرا سهل ويعقوب والمفضل ههنا بالهمز والنصب وفي فاطر بالجر والخفض الباقون بالهمز والخفض في السورتين
سواء بالنصب حفص وروح وزيد الاخرون بالرفع والبادي بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير وافق ابو عمرو و

وابو جعفر ونافع غير قالون في الوصل بوانا مثل انشانا بيتي بفتح اليا ابو جعفر ونافع وحفص وهشام فتخطفه بتشديد الطاء ابو جعفر ونافع الرواجي بزيد طريق المفضل والمعنى الصلوة بالنصب على تقدير النون عباس منسكا ونحوه بكسر السين حمزة وعلى وخلف لن ينال الله ينال بالتانيث يعقوب ولكن يناله بالتانيث لخاذ يدو يدفع من الدفع ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون يدافع من المدافعه اذن مبنيا للمفعول ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم يقاتلون مبنيا للمفعول ايضا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص الاخرون مبنيا للفاعل فيهما دفاع بالالف ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لهدمت مخففا ابن كثير وابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وابو عمرو وسهل وحمزة وعلى وخلف مشددا **الوقوف** ولولوا من القول للعطف مع تكرار وهدوا الحميد والباد اليم السجود عميق لتعلق اللام الانعام للابتداء باللام مع الفاء الفقير للعطف مع العدول العتيق ذلك فقيل لان المراد ذلك على ما ذكرنا لا الامر الشان ذلك ثم يبتدأ الشرط عند ربه الزور مشركين به سحيق ذلك القلوب العتيق الانعام اسلموا المخبتين لاتصال الوصف الصلوة ينفقون حنيف والوصل احسن للفاء صواف للشرط مع الفاء والمعتر تشكرون منكم هديكم المحسنين امنوا كفور ظلموا لقدير بناء على ان الذين بدل من الضمير في نصرهم ربنا الله كثيرا ينصره عزيز المنكر الامور **التفسير** لما ذكر حال احد الخصمين في الآخرة اراد ان يذكر حال الآخر وهو المؤمن ولهذا لزم التكرار الا انه ينبسط بهذه الآية فائدة اخرى هي بيان ان اهل الجنة يحلون فيها وقد مر مثله في اوايل سورة الكهف من قرا ولولوا بالنصب فعلى تقدير ويؤتون لؤلؤا لان السوار من اللؤلؤ غريب الا ان يكون شيئا منظوما منه وهدوا الى الطيب من القول عن ابن عباس هو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده يلهمهم الله وهدوا الى صراط الحميد اى الى طريق المقام المحمود وهو الجنة او الى صراط الله الحميد كقوله الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وقال السدي الطيب من القول هو القران وقيل شهادة وقال الحكماء الاسلام هو كشف الغطاء عن الحقايق الروحانيه والمعارف الربانيه ثم كرر وعيد اهل الكفر من دابهم فقال ان الذين كفروا ويصدون انما حسن عطف المستقبل على الماضي لانه اراد به الاستمرار رواية من شانهم الصد وكانه قيل كفروا واستمروا على الصد قال ابو علي الفارسي كفروا في الماضي وهم الآن يصدون وعن ابن عباس انها نزلت في ابي سفين بن حرب واصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عام الحديبيه عن ان يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدي من قرا سواء بالنصب فعلى انه مفعول ثان لجعلناه اى جعلناه مستويا العاكف فيه والباد ومن قرا بالرفع فعلى ان العاكف مبتدا وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان ويجوز ان يكون للناس مفعولا ثانيا اى جعلناه متعبدا للكل من وقع عليه اسم الناس وقوله وسواء الى اخر الجملة بيان لذلك الجعل اى لا فرق بين الحاضر المقيم به وبين الطاري من البدو واختلفوا في ان المكي والافاقي يستويان في اى شي فعن ابن عباس في بعض الروايات انهما يستويان في سكنى مكة والنزول بها فالاية بناء على ان المراد بالمسجد الحرام مكة ولما روى انه صلى الله عليه وسلم قال مكة مباحة لمن سبق اليها والى هذا ذهب ابو حنيفه وهو قول قتاده وسعيد بن جبير ايضا ولاجل ذلك زعموا ان كراء دور مكة حرام والاكثرون على انهما مستويان في العبادة في المسجد ليس للمقيم ان يمنع البادي وبالعكس ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف من ولي منكم من امور الناس شيئا فلا يمنعن احدا طاف بهذا البيت او صلى اية ساعة شاء من ليل او نهار وعلى هذا فلا منع من بيع دور مكة واجارتها وهو مذهب الشافعي وقد جرت مناظرة بينه وبين اسحق الحنظلي وكان اسحق لا يرخص في كراء دور مكة فاحتج الشافعي بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق وبان عمر رضي الله عنه اشترى دار السجن فسكت اسحق واعاد ذهب الاولون الى ان المراد بالمسجد ههنا مكة كلها لانه جعل العاكف فيه بازاء البادي اجاب الاكثرون بانه اراد بالعاكف المجاور للمسجد المتمكن في كل وقت من التعبد فيه والالحاد العدول عن القصد كما مر في قوله وذروا الذين يلحدون في اسمائه وقوله بالحاد بظلم حالان ومفعول يرد متروك لتفيد العموم اى ومن يرد فيه مرادا ما جائرا ظالما وفايدة الحال الثانية ان العدول عن القصد قد يكون بالحق وجرا سيئة بسيئة واختلفوا في الالحاد في الحرم فعن قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس في رواية عطا انه الشرك يعني من لجا الى الحرم ليشرك به عذبه الله وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن خطل حيث قتل الانصاري وهرب الى مكة كافرا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وهو العذاب الاليم وعن مجاهد انه الاحتكار وقيل المنع من عمارته وعن عطاء هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله ومثله ما روي عن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد

فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله والاولى التعميم وفيه ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في مهامه ومقاصده وهذا وان كان واجبا في كل مكان الا ان وجوبه هناك اوكد فللمكان خاصية كما للزمان ولهذا قال مجاهد يضاعف السيات فيه كما يضاعف الحسنات وعن ابن مسعود ان القصد الى الذنب يكتب هناك ذنبا وان لم يخرج الى الفعل وعنه لو ان رجلا بعدن هم بان يعمل سيئة عند البيت اذاقه الله عذابا اليما واعلم ان خبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه كانه قيل ان الذين كفروا ويصدون نذيقهم من عذاب اليم ومن يرد في الحرم بالحاد فهو كذلك وحين انجر الكلام الى ذكر المسجد الحرام اتبعه ذكر الكعبه وبعض ما يتعلق به من المناسك فقال واذ بوانا اى واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة يروى ان موضع البيت كان مطموسا فبعث الله تعالى ريحا كنست ما حوله حتى ظهر اسه القديم فبنى ابرهيم عليه وقد مرت قصه ذلك في البقرة وقيل بعث غمامة على قدر البيت الحرام في العرض والطول وفيها راس يتكلم وله لسان وعينان فقال يا ابرهيم ابن على قدري فاخذ في البناء وذهبت السحابة وان في ان لا تشرك هي المفسرة وذلك ان المقصود من التبوية هو العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك وطهر وقد مر مثله في البقرة وانما قال ههنا والقائمين لان العاكفين ذكر مر في قوله سواء العاكف والقائم اما بمعنى القيام في الصلوة بدليل قوله والركع السجود او بمعنى المقيم المتوطن والظاهر ان الخطاب في واذن لابراهيم ايضا اى ناد في الناس وهو ان يقول حجوا او عليكم بالحج يروى انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج الى يوم القيمة الا وقد سمع ذلك النداء في اصلاب الرجال وارحام النساء فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب اكثر فاكثر ولعل الفايده في قوله ياتوك هي هذه لان الاتيان الى مكه بسبب ندايه اتيان اليه وايضا هو اول من حج وغيره يقتدي به وكانه ياتيه وعن الحسن وهو اختيار اكثر علما المعتزله ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وانه معطوف على اذكر مقدرا ثم انه الله عام بجميع الناس او خاص بمن حج الوداع قولان وقيل انه ابتداء فرض الحج والرجال المشاة واحده راجل وقوله على كل ضامر حال اخر فكانه قيل رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول لطول السفر وياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع والفج الطريق الواسع وقد مر في السورة المتقدمه والعميق البعيد ومثله معيق وبه قرا ابن مسعود في تقديم المشاة تشريف لهم روى سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحاج الراكب له بكل خطوه يخطوها راحلته سبعون حسنه وللماشي سبعمائه حسنه من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف حسنة قال جار الله نكر المنافع لانه اراد منافع مختصه بهذه العبادة دينية ودنيويه لا توجد في غيرها من العبادات وقد كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله تعالى لان المسلمين لا ينفكون عن التسميه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان التسميه من الاغراض الاصليه المعتبرة خلاف ما كان يفعله المشركون من الذبح للنصب وفي قوله على ما رزقهم اشاره الى ان تفتني القربان وتيسير ذلك العمل من نعم الله تعالى ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم يكن شي من هذه الفوايد والايام المعلومات عند اكثر العلماء عشر ذي الحجة الاول اخرها يوم النحر لانها معلومة عند الناس لحرصهم على اعمال الحج فيها ثم للمنافع اوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وكذلك للذبح وقت بعينه وهو يوم النحر وهذا قول مجاهد وعطا وقتاده والحسن ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس واختيار الشافعي وابي حنيفه وعن ابن عباس في رواية اخرى انها يوم النحر وثلاثة ايام بعدها وهو اختيار ابي مسلم وقول ابي يوسف ومحمد وعلى الاول يكون قوله في ايام متعلقا بكلا الفعلين اعني ليشهدوا ويذكروا وعلى الثاني يختص تعلقه بالثاني ومعنى بهيمة الانعام من الانعام لان البهيمة تشمل كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز وقد مر في اول المايده قال مقاتل اذا ذبحت فقل بسم الله الرحمن الرحيم والله اكبر اللهم منك واليك وتستقبل القبلة وزاد الكلبي ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين قال القفال كان المتقرب بها وباراقة دمائها متصور بصورة من يفدي نفسه بما يعادلها فكانه يبذل تلك الشاة بدل مهجته طلبا لمرضات الله تعالى واعترافا بان تقصيره كان يستحق مهجته اما قوله فكلوا منها واطعموا البائس الفقير فالبائس الذي اصابه بوس اى شدة والفقير قد مر في المصدقات في التوبه وفي غيرها من الناس من قال الامران للوجوب لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون منها شيئا فامر المسلمون بمخالفتهم والاكثرون على ان الاكل ليس بواجب ثم منهم من قال يحسن ان ياكل النصف ويتصدق بالنصف رعاية للامرين ومنهم من قال ياكل الثلث ويتصدق بالثلثين لما يجي من قوله فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر فجعلها على ثلاثة اقسام ومنهم من قال ياكل الثلث ويدخر الثلث ويتصدق بالثلث لما جاء في الحديث الامر بالادخار والاول وهو مذهب الشافعي انه اذا اطعم

جميعها اخراه وان اكل جميعها لم يجزيه واذا تصدق باقل شيء من لحمها كفى هذا اذا كان تطوعا واما الواجبات كالنذور
والكفارات وجبران النقصانات مثل دم القران ودم التمتع ودم الاساءة فلا ياكل منها الا هو ولا الاغنياء الرفقة ولا الفقراء
لما روي عن هشام بن عروة عن ابيه عن ناجية الخزاعي قال قلت يا رسول الله كيف اصنع بما عطب من البدن قال انحرها ثم اغمس
نعلها في دمها ثم خل بين الناس وبينها ياكلونها وقال ايضا صلى الله عليه وسلم في مثله لا ياكل منها انت ولا احد من اهل رفقتك
قوله ثم ليقضوا تفثهم لا يبعد ان يكون معطوفا على ليشهدوا فان هذه الاعمال كلها غايات للاتيان الا ان اسكان هذه اللامات
في بعض القراءات يدل على انها لام الامر وعلى هذا يكون هذه الاوامر الغائبة معطوفة على الامر للحاضرين قبلها والله اعلم
قال ابو عبيدة لم يجئ في الشعر ما يحتج به في معنى التفث وقال الزجاج ان اهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال القفال
قال نفطويه سألت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما افسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما اتفثك وما ادرنك
ثم زعم القفال ان هذا اولى من قول الزجاج لان المثبت اولى من النافي وقال المبرد اصل التفث في كلام العرب كل قاذورة تلحق
الانسان فيجب عليه نقضها واجمع اهل التفسير على ان المراد ههنا ازالة الاوساخ والزوائد كقص الشارب والاظفار ونتف
الابط وحلق العانة فتقدير الاية ثم ليقضوا ازالة تفثهم وليوفوا نذورهم الاعمال التي اوجبها الحج بالشروع فيه او اعمال
البر التي اوجبوها على انفسهم بالنذر فان الرجل اذا حج واعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا ايجابه لم يكن
الحج يقتضيه وليطوفوا هو طواف الافاضة والزيارة الذي هو ركن وقد شرحت حاله في البقرة في قوله فاذا افضتم
من عرفات وقيل هو طواف الوداع والصدر وسمي بالبيت العتيق لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وقال قتادة لانه
اعتق من تسلط الجبابرة عليه وهو قول ابن عباس وابن الزبير ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن
عيينة فقط وعن مجاهد لانه اعتق من الغرق ايام الطوفان وقيل معناه البيت الكريم من قولهم عتاق الخيل والطير الحر
ما لا يحل هتكه وجميع التكاليف بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ويحتمل ان يراد ههنا ما يتعلق بالحج عن زيد بن اسلم
ان الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وتعظيمها العلم بوجوبها والقيام
بحقوقها وقوله فهو اي فالتعظيم خير له من التهاون بذلك وقوله عند ربه اشارة الى ان ثوابه مدخر لاجله قوله واحلت لكم
الانعام الا ما يتلى عليكم قد مر في اول المائدة مثله اي الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وهي حرمت عليكم الميتة او قوله غير محلي
الصيد وانتم حرم او قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وحين حث على تعظيم الحرمات اتبعه الامر بما هو اعظم انواعها
واقدم اصنافها قائلا فاجتنبوا الرجس فبينه بقوله من الاوثان اي الرجس الذي هو الاوثان كقولك عندي عشرون
من الدراهم والرجس العمل القبيح في الغاية وقد مر في اخر المائدة في تفسير قوله رجس من عمل الشيطان والزور من الزور
الميل والانحراف كقولهم رجل صدق وجمع بين قول الزور وبين الشرك لان عبادة الاوثان هي راس الزور وملاكه قال الاصم
نصف الاوثان بانها رجس لان عادتهم في القرابين ان يتعمدوا سقوط الدماء عليها والاقرب انها وصفت بذلك
لان عبادتها ضلة متمادية في القبح والسماجة وللمفسرين في قول الزور وجوه منها انه قولهم هذا حرام وهذا حلال ومنها انه
شهادة الزور رفعوا هذا التفسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها انه الكذب والبهتان ومنها انه قول اهل الجاهلية
في الطواف لبيك لا شريك لك الا هو شريك هو لك تملكه وما ملك وقوله حنفاء لله غير مشركين به حالان موكدتان
والمراد الاخلاص في التوحيد كقوله حنفاء ولم يك من المشركين وفايدة الحالين هي فايدة التولي والتبري وانما اخر نفي الاشتراك
وان كان متقدما في الرتبة اذ التخلية والتزكية مقدمة على التحلية والتولية ليرتب عليه قوله ومن يشرك بالله الاية
قال جار الله ان كان تشبيها مركبا فمعناه من اشرك بالله فقد اهلك نفسه غاية الاهلاك وذلك بان صور حاله بصورة
من خر من السماء فاختطفته اي استلبته الطير فتفرق قرعا اي قطعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى
هوت به في بعض المطارح السحيقة البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي تركه فاشرك بالله بالساقط
سقط منها والاهواء التي توزع افكاره بالطير المختطفة وفي المثل الاخر شبه الشيطان الذي يطرح به في وادي الضلالة بالريح
التي تهوي بالاشياء في المهاوي المتلفة وتعظيم شعائر الله وهي الهدايا كما مر اول المائدة هي ان يختارها عظام الاجرام غالية
الاثمان وقد مر وصفها الشرعي في البقرة في قوله فما استيسر من الهدي وقد اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة
بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب قال في الكشاف فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به واقول في هذا
الوجوب نظر لانه ليس بشرعي ولا عقلي على ما يزعم المعتزلة اما المضاف الاول فلا يحتمل ان يعود الضمير الى التعظيم بمعنى الخلة

واما الاحزان فلان من للعموم فلا يلزم ان يقدر لفظه منه او فاعل للتعظيم موحدين حتى لا يطابقهما لفظ القلوب بل يحتمل ان
يقدر لفظه منهم او يقدر فان تعظيمهم اياها فيرجع الكلام الى قولنا ومن يعظم شعائر الله فان ذلك التعظيم منهم من تقوى القلوب
اي ناشئة من تقوى قلوبهم فان القلوب مراكز التقوى التي منها عيارها وعليها مدارها ولا عبرة بما يظهر من اثارها على سائر
الجوارح دونها ثم كان سائلا ان سال ما بال هذه الحيوانات تذبح فيتقرب بها الى الله تعالى فلهذا قال لكم فيها منافع يعني
الدنيوية من الدر وركوب الظهر وسيشير الى الدينية بقوله لكم فيها خير ولهذا اطلق ذلك وقيد هذه بقوله الى اجل
مسمى وهو ان النحر بين ان وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها او مكان نحرها منته الى البيت او الى ما يحاذيه ويقرب منه
وهو الحرم كما في قوله هديا بالغ الكعبة ومثله قولهم بلغنا البلد اذا شارفوه واتصل مسيرهم بحدوده قال القفال هذا انما
يختص بالهدايا التي بلغت منى فاما اذا عطبت قبل بلوغ مكة فان محلها هو موضعها روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم
مر برجل يسوق بدنة وهو في جهد فقال له صلى الله عليه وسلم اركبها فقال يا رسول الله انها هدي فقال اركبها ويلك وعن جابر
انه صلى الله عليه وسلم قال اركبوا الهدي بالمعروف حتى تجدوا ظهرا وهذا هو الذي اختاره الشافعي وعن ابي حنيفة انه لا يجوز
الانتفاع بها لانه لا يجوز اجارتها ولو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الاجارة عليها وضعف بان ام الولد لا يمكنه بيعها ويمكنه
الانتفاع بها وممن ذهب الى هذا القول فسر الاجل المسمى بوقت تسميتها هدايا والمراد ان لكم ان تنتفعوا بهذه الانعام الى ان تسموها
اضحية وهديا فاذا فعلتم ذلك فليس لكم ان تنتفعوا بها وقد نسب هذا القول الى ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك
اجاب الاولون بان الضمير في قوله لكم فيها منافع عائد الى الشعائر وتسميته ما سيجعل شعيرة بالشعيرة مجاز والاصل عدمه قال في
الكشاف ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم واعظم
هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها منتهية الى البيت ومنهم من عمم الشعائر بالمناسك كلها وفسر الاجل المسمى باوان
انقطاع التكليف وزيفه جار الله بان محلها الى البيت يأباه ثم بين ان القرابين من الشرايع القديمة وان اختلفت امكنتها واوقاتها
فقال ولكل امة جعلنا منسكا موضعا او وقتا ينسك فيه النسايك الذبائح بكسر السين سماع وفتحها قياس ويجوز ان يكون مصدرا
بمعنى النسك والمراد شرعنا لكل امة من الامم السالفة من زمن ابرهيم الى من قبله وبعده ان ينسكوا لله اي يتوجهوا له على جهة
التقرب وجعل الغاية في ذلك هي ان يذكروا اسمه على نحرها ثم بين العلة في تخصيص اسمه بذلك قائلا فالهكم اله واحد لان تفرده
بالالهية يقتضي ان لا يذكر على الذبائح الا اسمه ويجوز ان يتعلق هذا الكلام باول الاية والمعنى انما اختلفت التكاليف باختلاف
الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح لا لتعدد الاله ثم ذكر ان تفرده بالالهية يقتضي اختصاصه بالطاعة فقال فله اسلموا
اي خصوه بالانقياد الكلي والامتثال للاوامر والنواهي خالصا لوجهه غير شائبة شرك ثم رغب بتبشير المخبتين وفسرهم
بقوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والتركيب يدور على التواضع والخشوع ومنه الخبت المطمئن من الارض وعن عمرو بن اوس
هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال الكلبي هم المجتهدون في العبادة ثم عطف على المخبتين قوله والصابرين على ما اصابهم
اي من المكاره [illegible] فاما الذين يصيبهم من قبل الظلمة فقد قال العلماء انه لا يجب الصبر عليه [illegible]
امكنه الدفع وجب دفعه ولو بالقتال ثم خص من انواع التكاليف التي تشق على النفس [illegible] نوعين هما اشرف العبادات
البدنية والمالية اعني الصلوة والزكوة وقوله ومما رزقناهم [illegible]
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ثم عاد الى تعظيم شأن الضحايا مرة اخرى [illegible] بقوله والبدن [illegible]
[illegible]
له نحرها في غير مكة وقال ابو يوسف لا يجوز [illegible]
[illegible]
[illegible] من شعائر الله [illegible]
فقيل له في ذلك [illegible]
الدنيا والاخرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
والمعتر [illegible]
[illegible]

صبي فيقودها الى حيث يشاء وليست باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر جرما واقل قوة لولا انه سبحانه سخرها
ان اهل الجاهلية كانوا يلطخون الاوثان وحيطان الكعبة بلحوم القرابين ودمائها فبين الله تعالى ما هو المقصود منها فقال
لن ينال الله اي لن يصيب رضاء الله اصحاب اللحوم والدماء والمهرقة بمجرد الذبح والتصدق ولكن يناله التقوى منكم بان
يكون القربان حلالا وروعي فيه جهات الاجزاء ثم تصرف فيها امر ثم كرر منته لتكبروا الله على ما هداكم لاعلام دينه او مناسك
حجه وصورة التكبير وما يتعلق بها قد سبق في البقرة في اية الصيام قالت المعتزلة لما لم ينتفع المكلف بالاجسام التي هي
اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب ان يكون التقوى فعلا له والا كان بمنزلة الاجسام وايضا انه قد شرط التقوى في
قبول العمل وصاحب الكبيرة غير متق فوجب ان لا يتقبل عمله والجواب انه لا يلزم من عدم انتفاعه ببعض ما ليس من افعاله ان
لا ينتفع بكل ما ليس من اعماله وايضا ان صاحب الكبائر اتقى الشرك فيصدق عليه انه وبشر المحسنين الى انفسهم بتوفير
الثواب عليها والاحسان بالحقيقة ان تعبد الله كانك تراه وفيه ترغيب لما شرط من رعاية الاخلاص في القرابين وغيرها
وحين فرغ من تعداد بعض مناسك الحج ومنافعها الحقيقية وكان الكلام قد انجر الى ذكر الكفار وصدهم عن المسجد الحرام
اتبعه ببيان ما يزيل ذلك الصد ويمكن من الحج وزيارة البيت فقال ان الله يدفع ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عن الذين
امنوا اهل المغالبة والمدفوع هو باس المشركين وما كانوا يخونون الله ورسوله فيه يدل عليه تعليله بقوله ان الله لا يحب
كل خوان كفور اي انه يدفع عن المومنين كيد من هذا صفته قال مقاتل اقروا بالصانع وعبدوا غيره فاي خيانة اعظم
من هذا وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقون من المشركين اذى شديدا وكانوا يأتونه من بين مضروب و
مشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فنزل اذن وفاعله الله سبحانه سمي وقرئ بسم والماذون
فيه القتال بدليل قوله للذين يقاتلون ان فتح التاء فظاهر لان المشركين كانوا يقاتلون المومنين وانهم يومرون بالصبر وان
كسرت فمعناه اذن للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل نزل حرصهم على القتال منزلة نفس القتال بانهم ظلموا اي
بسبب كونهم مظلومين وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وقيل نزلت في قوم خرجوا
مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم في مقاتلتهم وفي قوله ان الله يدفع ثم في قوله وان الله على نصرهم لقدير عدة
كاملة باعلاء هذا الدين واظهاره وفيه على اهل الاديان كلهم كما تقول لغيرك ان اطعتني فانا قادر على مجازاتك لا تريد مجردا
اثبات القدرة بل تريد انك ستفعل ذلك ثم وصف الموعودين بالنصر بقوله الذين اخرجوا من
ديارهم ومحل ان يقولوا جر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي يوجب الاقرار والتمكين لا الاخراج
والازعاج نظيره هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ولولا دفع الله الناس وقد مر في اواخر البقرة وللمفسرين فيه عبارات
قال الكلبي يدفع بالنبيين عن المومنين وبالمجاهدين عن القاعدين وعن ابن عباس يدفع بالمحسن عن المسيء وعن
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من اهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه
الاية وقال الضحاك يدفع بدين الاسلام واهله عن اهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن النفوس
بالقصاص اما الصوامع والبيع والصلوات فعن الحسن انها كلها اسماء المساجد فقد يتخذ المسلم لنفسه صومعة
لاجل العبادة قال الجوهري الاصمع الصغير الاذن ويقال اتانا بثريدة مصمعة اذا دققت وحدد راسها وصومعة
النصارى فوعلة من هذا لانها دقيقة الراس وقد يطلق البيعة على المسجد للتشبيه وكذا الصلوة وسميت كنيسة
اليهود صلوة لانه يصلى فيها ويحتمل ان يراد مكان الصلوة او يراد الصلوة الشرعية نفسها وصح ايقاع الهدم عليه نظرا
الى قرائنها كقوله متقلدا سيفا ورمحا وان كان الرمح لا يتقلد هذا كله توجيه تفسير الحسن رضي الله عنه والاكثرون
على انها متعبدات مختلفة فعن ابي العالية ان الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد للمسلمين
وفي تخصيصها بقوله يذكر فيها اسم الله كثيرا تشريف لها وتفضيل على غيرها لان الظاهر عود الضمير اليها فقط وعن قتادة
ان الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود قال الزجاج وهي بالعبرانية صلوتا وقيل الصوامع والبيع كلتاهما
للنصارى ولكن الاولى في الصحراء والاخرى في البلد وانما اخر ذكر مساجد اهل الاسلام لتاخر زمانهم ولا ضير فان اول
الفكر اخر العمل وقال صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وتفسير الاية على قول الاكثرين لولا دفع الله لهدم في
شرع كل نبي المكان المعهود لهم في العبادة فهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد
المساجد وعلى هذا الوجه انما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ ويحتمل ان يراد لولا ذلك لاستولى اهل
الشرك على اهل الاديان في زمن امة محمد من المسلمين واهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا المتعبدات باسرها وعلى هذا

الدفع عن سائر اهل الاديان لان متعبداتهم يجري فيها ذكر الله في الجملة ليست بمنزلة بيوت الاصنام ثم عزم على نفسه
نصر من ينصر دينه واولياءه واكد ذلك بقوله ان الله لقوي عزيز ومعنى القوة والعزة انه لا يمتنع شيء من نفاذ امره فيه مع انه
لا يباشر عن شيء اصلا ونصرة الله العبد تقويته على اعدائه ووضع الدلائل على ما يفيده في الدارين ونفث روح القدس بامره
داعية الخير والصلاح في روعه ثم اتبع قوله الذين اخرجوا قوله الذين ان مكناهم وقيل هو بدل من قوله من ينصره وهو اخبار
منه عز وجل عما ستكون عليه سيرة المهاجرين اذا مكنهم في الارض وبسط لهم الدنيا وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء اراد
ان الله تعالى قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا في شان الدين واعلائه ما احدثوا قيل انه مخصوص من جملة المهاجرين بالخلفاء الراشدين
لانه لم يحصل لغيرهم بسط التمكين ونفاذ الامر والسيرة العادلة غيرهم وعن الحسن انهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتمكينهم
هو بقاؤهم الى اوان التكليف وقد يشمل الاطفال ايضا اذا ماتوا قبل البلوغ كقوله الله اعلم بما كانوا عاملين ثم ختم الاية بقوله
ولله عاقبة الامور اي مرجعها ومصيرها الى حكمه وتقديره وقد اراد تمكين اهل هذا الدين في كل حين فيقع لا محالة التأويل
ويصدون عن مسجد حرام القلب سواء فيه من سبق اليه مدة طويلة والذي يصل اليه في الحال لا افضل الا بسبق مقامات
القلب ومنازله واذ بوأنا لابراهيم الروح مكان بيت القلب وطهر بيتي عن غيري وهو كل ما فيه حظ النفس دون الواردات
المطفية والاخلاق الثابتة والاحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والانس والهيبة رجالا اهل النفس
وصفاتها وعلى كل ضامر هي البدن وجوارحه فان الاعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرتاضة فاعمال البدن مركبة من
حركات الجوارح ونيات الضمير كما ان اعمال النفس بسيطة لانها نيات الضمير فقط من كل فج عميق هو مصالح الدنيا لان منافعها
بعيدة عن مصالح الاخرة ليشهدوا منافع لهم فمنافع النفس وصفاتها تبديل الاخلاق ومنافع القالب والجوارح بظهور
اثر الطاعة عليها ويذكروا اي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية
فانتفعوا بها واطعموا منها على الطالبين فهو خير له لان العبد يصل بالطاعة الى الجنة ويصل بحرمة الطاعة الى الله وترك
الحرمة يوجب الفرقة واحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة الا ما يتلى عليكم في قولنا ولا تسرفوا وفي قول النبي
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فاجتنبوا مقتضيات الهوى وكونوا صادقين في الطلب لا مزيدين ما يلين الى الحق
غير خر من سماء القلب فاستلبه طير الشيطان او تهوي به ريح الهوى والخذلان الى اسفل سافلين البعد والحرمان لكم فيها شواهد
اثار صنع الله في الارشاد منافع وهي لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الانس الى اجل مسمى هو حد الكمال ثم انتهاء
السلوك الى الحضرة القديم ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا فمنهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه
من طريق المجاهدات ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ومنهم من يطلبه به فله اسلموا اي اخلصوا والاخلاص تصفية
الاعمال من الافات ثم الاخلاق من الكدورات ثم الاحوال من الالتفاتات ثم الانفاس من الاغيار وبشر المخبتين المستقيمين
على هذه الطريقة وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب والصابرين على ما اصابهم من غير تهيج حرجه ولا دوم فرجه
والمقيمي الصلوة والحافظين مع الله اسرارهم لا يطلبون اطلاع الخلق على احوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الموجود في
طلب المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعني بدن الابدان الجسام جعلناها قربانا عند كعبة القلب بذبحها عن
شهواتها من شعائر اهل الصدق في الطلب فاذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها انتم وغيركم من الطالبين القانعين بما افضت
عليه والمعترين المتعطشين الذين لا يروون رياء من ماء حيوة المعرفة شعر شربت الحب كاسا بعد كاس ۞ فما نفد
الشراب وما رويت ۞ كذلك سخرناها لكم فيه ان ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر الا بتسخير خالقها وتيسير موجدها
يؤكده قوله ان الله يدافع خيانة النفس وهواها عن الذين امنوا اذن للذين يقاتلون فيه ان قتال النفس يجب ان يكون باذن الله
تعالى وهو ان يكون على وفق الشرع وفي اوان التكليف وعلى حسب ظلم النفس على القلب واخراجها اياه من ديار الطمانينة ولولا دفع
الله النفوس بالقلوب لضيعت صوامع اركان الشريعة وبيع اداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التي
يذكر فيها اسم الله كثيرا لانشاعها باشراق نور الله عليها ان مكناهم في الارض البشرية داموا الصلوة المواصلة واتوا الزكوة الاحوال
وهي ايثار ربع عشر الاوقات على مصالح الخلق وامروا بحفظ الحواس عن مخالفات الامر وبمراعات الانفاس مع الله ونهوا عن
مناكير الرياء والاعجاب والى الله تعالى عاقبة امور المعاملات والله اعلم بالصواب

وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود

وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت
للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير ● فكاين
من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر
معطلة وقصر مشيد ● افلم يسيروا في الارض فتكون لهم
قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور ● ويستعجلونك بالعذاب ولن
يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير ●
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين ● فالذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ● والذين سعوا في اياتنا
معاجزين اولئك اصحاب الجحيم ● وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ● ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين
لفي شقاق بعيد ● وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا
به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط
مستقيم ● ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة
بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم ● الملك يومئذ لله يحكم
بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ●

والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم
الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ● ليدخلنهم
مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ● ذلك ومن عاقب بمثل
ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع
بصير ● ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل
وان الله هو العلي الكبير ● الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير ● له ما في السموات
وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد

القراءة نكيري باثبات الياء حيث كان في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل اهلكتها على التوحيد
ابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون اهلكناها وبير بالياء ابو عمرو غير شجاع واوقيه ويزيد والاعشى وورش وربيعه
وابن فليح وحمزه في الوقف يعدون على الغيبه ابن كثير وحمزه وعلي وخلف معجزين بالتشديد حيث كان ابن كثير وابو عمرو فقلوا
بالتشديد ابن عامر وان ما يدعون بيا الغيبه وكذلك في سورة لقمان ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزه وعلي وخلف
وحفص **الوقوف** وثمود لوط مدين لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اخذتهم لابتداء التهديد بنع فاء التعقيب نكير
مشيد يسمعون بها للابتداء بان مع الفاء المشدود وعده تعدون اخذتها المصير مبين للابتداء مع الفاء كريم الجحيم
امنيته لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اياته حكيم لتعلق اللام قلوبهم بعيد قلوبهم مستقيم عقيم لله بينهم النعيم
مهين حسنا الرازقين يرضونه عليم ذلك لينصرنه الله غفور بصير الكبير ماء لنوع عدول مع العطف مخضرة
خبير وما في الارض الحميد **التفسير** انه سبحانه بعد ضمان النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم والدفع عن امته ذكر
ما فيه تسليته وهو انه ليس باوحدي في التكذيب والقصص معلومة مما سلف قال جار الله انما لم يقل وقوم موسى لان
موسى كذبه غير بني اسرائيل وهم القبط والمراد وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظيم معجزاته فما ظنك بغيره والنكير
بمعنى الانكار يعني به عن الهلاك لانه يتلازمه او لان الاهلاك رادع لغيرهم فكان انكره عليهم حتى ارتدعوا وهو بمعنى
التغيير لانه ابدلهم بالنعمة محنه وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا قوله وهي ظالمة فهي خاوية الاولى والثانية لا محل
لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذه ليس لها محل قال ابو مسلم اراد وهي كانت ظالمة فهي الان خاوية على عروشها وقد مر
تفسيرها في البقرة في قوله او كالذي مر على قرية وهي خاوية قوله وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عطلناها عن سقاتها
مع انها عامرة فيها الماء ومعها الات الاستقاء وكم قصر مشيد مجصص او مرفوع اخليناه عن ساكنيه فحذفت هذه الجملة
لدلالة معطلة عليها وقد يغلب على الظن من ظاهر القرينتين ان على في قوله على عروشها بمعنى كانه قيل هي خاوية اي ساقطة
او خالية مع بقاء عروشها قاله في الكشاف واقول اذا كانت القرى المهلكة غير البئر والقصر فهذا الظن مرجوح او مساو
لا غالب يروى انها بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت سميت بذلك

لان صالحا حين حضرها مات وثمه بلدة عند البير اسمها حاضورا بناها قوم صالح واقاموا بها دهرا ثم كفروا وعبدوا صنما
وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بيرهم وخرب قصورهم يحكى ان الامام ابا القسم الانصاري
قال هذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام ببلدة يقال لها عكة فكيف قيل انه بحضرموت قلت لا غرو ان يتفق الموت
بارض والدفن بارض اخرى ثم انكر على اهل مكة عدم اعتبارهم بهذه الاثار قايلا افلم يسيروا وحثهم على السفر ليروا مصارع
تلك الامم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا جاء الانكار على قوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين و
بالليل افلا تعقلون والمراد بالسماع سماع تدبر وانتفاع والا كان كالسماع كما ان المراد بالابصار ابصار الاعتبار ولهذا
قال فانها اي ان القصة لا تعمى الابصار اي ابصارهم ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وفي هذا التصوير زيادة التمكين
والتقرير لغرابة نسبة العمى الى القلب وجوز في الكشاف ان يكون الضمير في فانها ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي
تعمى ضمير عايد الى الضمير الاول المبهم والمعنى على الوجهين ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم
او لا يعتد بعمى الابصار وان فرض لانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وزعم بعضهم ان في الاية ابطالا لقول من جعل
محل الفكر الدماغ وليس بقوي فقد يتشاركان في ذلك او يكون سلطانه في القلب والدماغ كالالة ثم حكى من عظيم ما هم
عليه من التكذيب انهم يستهزءون باستعجال العذاب العاجل والاجل كانهم جوزوا الفوت فلهذا قال ولن يخلف الله
وعده او لعلهم طلبوا عذاب الاخرة فذكر ان استعجاله في الدنيا كالخلف لان موعده الاخرة وان يوما عند ربك كالف
سنة قال ابو مسلم اراد ان العاقل لا ينبغي ان يستعجل عذاب الاخرة لان يوما واحدا من ايام عذاب الله في الشدة كالف
سنة من سنيكم لان ايام الشدايد مستطالة او كالف سنة من سني العذاب اذ اعدها العاد وذلك لشدة العذاب ايضا
وقيل اراد ان اليوم الواحد والف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذي لا يعجزه شي فاذا لم يستبعدوا امهال
يوم فلا يستبعدوا ايضا امهال الف سنة وقد يد وفي الخلدان هذا اشارة الى لا انتاهي طرف الابد المستتبع لازدياد
امتداد الاحاد الاعتبارية لاجل سهولة الضبط والغرض ان كانت ايامه في الطول الى هذا الحد لا يفيد الاستعجال
بالنسبة اليه شانا لا اولى بل الواجب تفويض الامور الى اوقاتها المقدرة لها من غير تقدم ولا تاخر ثم كرر قوله وكاين
من قرية وليس بتكرار في الحقيقة لان الاول سيق لبيان الاهلاك مناسبا لقوله فكيف كان نكير ولهذا عطف بالفاء
بدلا عن ذلك والثاني سيق لبيان الاملاء مناسبا لقوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة فكانه
قيل وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين وقد انظرتهم احيانا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع للكل الى حكمي ثم امر رسوله بان
يتلو عليهم جملة حاله في باب التكليف ما لا وانما اقتصر على النذارة لانها تتضمن البشارة فان كلام الحكيم لا يخلو عن تبشير
وان كان مبنيا على الترهيب بدليل يا ايها الناس وهو نداء للكفرة في قول ابن عباس قال في الكشاف هم الذين قيل فيهم
ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا قالت الاشاعرة اما للصغاير او للكباير بعد التوبة او قبلها و
الاولان واجبان عند الخصم واداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقي الثالث ويلزم منه عفو صاحب الكبيرة من اهل القبلة
اما الرزق فلا شك انه الثواب واما الكريم فاما ان يكون امرا سلبيا وهو ان يكون الانسان معه بحيث يستغني عن المكاسب
وتحمل المتاعب والذل والدناءة وما يجري الماثم والمظالم واما ان يكون ثبوتيا وهو ان يكون رزقا كثيرا دايما خالصا عن شوائب
الضرر مقرونا بالتعظيم والاجلال والذين سعوا في اياتنا اي بذلوا جهدهم في تكذيبها وارادة ابطالها كمن يسعى سعيا
اي يمشي مشيا سريعا قال اهل اللغة عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل
اعجزه وعجزه والمراد معاجزين الله ورسوله اي مقدرين ذلك ظنا منهم ان كيدهم للاسلام يتم لهم وان طعنهم في القران
وتثبيطهم الناس عن التصديق يبلغ بهم غرضهم ثم بين ان له اسوة بالانبياء السالفة والرسل السابقة في كل ما ياتي ويذر
فقال وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي خصص والام عمم فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فقد لا يكون معه كتاب
بل يؤمر ان يدعو الى شريعة من قبله وقد لا ينزل عليه الملك ظاهرا وانما يرى الوحي في المنام ويجزم بذلك رسول في عصره و
لا بد للكل من المعجزة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل
منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا قال عامة المفسرين في سبب نزول الاية انه صلى الله عليه وسلم لما شق عليه اعراض
قومه عنه تمنى في نفسه ان لا ينزل عليه شي ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم وكان ذات يوم جالسا في ناد من انديتهم وقد
نزل عليه سورة والنجم اذا هوى فاخذ يقراها عليهم حتى بلغ قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكان ذلك
التمني في نفسه فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله

عليه وسلم في قراته ختم السورة فلما سجد في اخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين فتفرقت
قريش مسرورين وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر فاتاه جبرائيل وقال ما صنعت تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فانزل الله تعالى هذه الاية واعترض المحققون على هذه الرواية بالقران
والسنة وبالمعقول اما القران فكقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله وما
ينطق عن الهوى وقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن نفي القرب من الركون فكيف به واما السنة فهي ما روي عن محمد بن اسحق
بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وقد صنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين
البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم اخذ يتكلم ان رواة هذه القصة مطعون فيهم وقد روى البخاري في صحيحه
انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق واما
المعقول فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لنفي الاوثان فكيف يثبتها وايضا انه بمكة لم يكن متمكنا منهم القراءة والصلوة عند
الكعبة ولا سيما في محفل عام وايضا ان معاداتهم اياه كانت اكثر من ان يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل ان يقفوا على حقيقة
الامر وايضا منع الشيطان من اصله اولى من تمكينه من الالقاء ثم نسخه وايضا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان من الشرع ولناقض
قوله بلغ ما انزل اليك وحال الزيادة في الوحي كحال النقصان منه اذا عرفت هذا فللائمة في تاويل الاية قولان **احدهما**
ان التمني بمعنى القراءة كما سلف في البقرة في قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وما المراد بهذه القراءة فيها وجهان
الاول انه ما يجوز ان يسهو النبي فيه ويشتبه على القارئ دون ما روي من قوله تلك الغرانيق العلى **والثاني** انه قراه هذه الكلمة
وانها قد وقعت بعينها وكيف وقعت وذهب جماعة الى انه لما قرا سورة والنجم اشتبه على الكفار فتوهموا بعض الفاظه ذلك ورد
بان هذا اليوم من الجم الغفير بعيد وقيل ان شيطان الجن القاها في البين فظنها الحاضرون من قول الرسول وضعف بان هذا
يقتضي الى ارتفاع الوثوق عن كل ما يتكلم به النبي فلك الانصاف انه غير ضعيف ولا يفضي الى ارتفاع الوثوق لقوله سبحانه
فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقيل ان المتكلم به شيطان الانس وهم الكفرة كانوا يقربون منه في حال الصلوة ويسمعون قراءته
ويلغون فيها في اثنا وقفاته وقيل ان المتكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم قاله سهوا كما روي عن قتادة ومقاتل انه صلى الله
عليه وسلم كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان ولا ريب انه يكون بالقاء الشيطان وضعف باستلزامه
زوال الامان عن الشرع وقد عرفت جوابه وبان مثل هذا الكلام المطابق لفواصل السورة يستبعد وقوعه في النعاس وزعم
قوم ان الشيطان اجبره على ذلك ورد بنحو قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وذهب جماعة الى انه قال ذلك
اختيارا ثم انها باطلة ام لا فيه وجهان **واما الاول** ففيه طريقان **احدهما** قول ابن عباس وفي رواية ان الشيطان تمثل
له الابيض اتاه على صورة جبرائيل والقاها اليه فقراها فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاء جبرائيل واستعرضه فقراها
فلما بلغ الى تلك الكلمة انكر عليه جبرائيل فقال انه اتاني ات على صورتك فالقاها على لساني **وثانيهما** انه لشدة حرصه على ايمان
القوم ادخل هذه الكلمة من تلقاء نفسه ثم رجع عنها والطريقان منحرفان عند المحققين لان الاول يقتضي ان النبي لا يفرق بين
الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثاني يؤدي الى كونه خاينا في الوحي **اما الوجه الثاني** فصحيح انه اراد بالغرانيق
الملائكة وقد كان قرانا منزلا في وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد الهتهم نسخ الله تلاوته او هو في تقدير الاستفهام بمعنى
الانكار او المراد بالاثبات ههنا النفي كقوله يبين الله لكم ان تضلوا قال الجوهري الغرنوق بضم الغين وفتح النون من طير الماء طويل
العنق واذا وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بالضم وغرانيق وهو الشاب الناعم والجمع الغرانيق بالفتح والغرانيق
القول الثاني ان التمني هو تمني القلب ومعنى الاية ما من نبي الا وهو بحيث اذا تمنى امرا من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل
ويدعوه الى ما لا ينبغي ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ما هو الحق وما تلك الوسوسة قيل هي ان يتمنى ما يتقرب به
المشركين من ذكر الهتهم بالخير وقد مر فساده وقال مجاهد انه كان يتمنى انزال الوحي بسرعة دون تاخير فنسخ الله تعالى ذلك خاطر
غير رحماني وانما المصلحة هي انزال الوحي على وفق الحوادث وقيل كان يتفكر في تاويل المجمل فيلقي الشيطان في جملته ما هو غير
مراد وكان يرده الله تعالى الى المعنى المراد بانزال المحكمات وقيل معناه اذا اراد فعلا يتقرب به الى الله تعالى حال الشيطان بينه
وبين مقصوده والله تعالى يثبته على ذلك نظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله واعترض على هذا القول بان تمني الطلب كيف يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض
وهم المنافقون والقاسية قلوبهم وهم المشركون واجيب بانه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الافعال الظاهرة
بسببه فيصير ذلك فتنة لمن ضعفت عقيدته في النبي والحاصل ان الرسل لا ينفكون عن السهو وان كانوا معصومين

عن الهم ضليهم ان لا يتبعوا الا ما يقطعون به لصدوره عن علم وذلك هو المحكم وذهب ابو مسلم الى ان حاصل الاية
هو ان كل نبي من جنس البشر الذين هم بصدد الخطا والنسيان من قبل وساوس الشيطان ووجه النظم من هذه الاية والتي قبلها انه انا
امران يقول اني لكم نذير لكني من البشر لا من الملائكة ولم يرسل الله قبلي ملكا بل ارسل رجالا يوسوس لهم لعدم امكان استيلاء الشيطان
عليهم لعظم درجة من الانبياء واقوى خالا منهم وقال صاحب الكشاف المعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كان هجيراهم
كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت وهو ان لا ينزل عليه ما ينفر امته ولا يوافق هواهم مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى
في امنيتك حتى تسبق لسانك فقلت تلك الغرانيق العلى وسبب التمكين ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان
يمتحن عباده بما شاء موصوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين فهذه جملة
اقوال المفسرين في الاية اما قوله فينسخ الله فالمراد ازالة تاثير ما يلقي الشيطان وهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل
في الاحكام وقوله ثم يحكم الله اياته والمراد بالايات هي ايات القران اي يجعلها بحيث لا يختلط بها شي من كلام غيره فيكون
باقيه في مكانها ويجعلها بحيث لا يتطرق اليها تاويل فاسد معمول به عند الامة ويحتمل ان يكون المراد باحكام الايات
الارشاد الى دلالة الاحكام الشرعية وقوله ان الظالمين اراد المنافقين والمشركين المذكورين الا انه وضع الضمير قضاء
عليهم بالظلم والشقاق البعيد المعاداة الكاملة واعلم انه سبحانه ذكر التمكين الشيطان في الالقاء في الامنية اثرين
احدهما في حق غير اهل الايمان وهم اهل النفاق والشرك وذلك قوله ليجعل الاية وثانيهما في حق المومنين العارفين
بالله وصفاته وهي قوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق قال مقاتل يعني القران وعن الكلبي اي النسخ وقال جار الله اي تمكين
الشيطان من الالهام قلت اما عند الاشاعرة فلان المالك ان يتصرف في ملكه كيف يشاء واما عند المعتزلة فان افعاله
جارية على وفق الحكم والتدبير فتخبت فتخضع وتطمئن له قلوبهم بناء على اصل الفريقين والصراط المستقيم ههنا فسره
بالنا ولا الصحيحة والبيانات المطابقة للاصول قلت وتفسيره بمعنى اعم من ذلك صاير ثم بين ان الاعصار الى قيام
الساعة لا يخلو ممن يكون في شك من القران او الرسول واليوم العقيم قيل يوم بدر لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة
ولانه لا خير فيه للكفار من قولهم ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا ولان يوم الحرب يقال له العقيم من حيث ان
اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقيم لم يلدن او من حيث ان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقي اليوم بلا
ابنا وعن الضحاك انه يوم القيمة لانهم لا يرون فيه خيرا ولان كل ذات حمل تضع فيه حملها ولانه لا ليل فيه فيستمر كاستمرار
المراة على عدم الولادة ولا تكرار على هذا القول لان المراد بالساعة مقدماته والمراد حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم
عقيم مقام الضمير واستحسن بعض الايمة قول الضحاك ورجحه لان الاول يلزم منه ان الكفار ينتهي شكهم في يوم بدر وليس كذلك
فانهم في مرية بعد يوم بدر ايضا ويمكن ان يقال او للعطف على اول الاية فيكون المراد بالذين كفروا في الاول الجنس وفي الثاني
العهد سلمنا انه للعطف على تاتيهم الا ان اللام في الذين كفروا للجنس فيقع على الذين انتهى شكهم في بدر وعلى الذين لا ينتهي شكهم
الى يوم القيمة ويحتمل ان يراد بالساعة وقت موت كل احد وبعذاب يوم عقيم القيامة ثم بين انه لا مالك يوم الساعة الا
الله وانه يحكم بين الناس فيميز بين اهل الجنة واهل النار ثم افرد المهاجرين بالذكر تخصيصا لهم بمزيد التشريف يروى
ان طوايف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير
ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله عز وجل والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا
قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقال بعضهم هم الذين خرجوا من الاوطان في سرية او عسكر ولا
يبعد حمل الاية على الفريقين والرزق الحسن نعيم الجنة وعن الكلبي هو الغنيمة لانها حلال وقال الاصم العلم والفهم كقول
شعيب ورزقني منه رزقا حسنا وضعف الوجهان بانهما ممتنعان بعد القتل والموت قال العلماء وانما يظهر ضد الفضيلة
للمهاجرين في مزيد الدرجات والا فلا بد من شرط اجتناب الكباير كما في حق غيرهم وان الله لهو خير الرازقين لان رزق غيره
ينتهي اليه وغيره لا يقدر على مثل رزقه ولان رزقه لا يختلط بالمن والاذى ولا بغرض من الاغراض الفاسدة ولانه يرزق
ويعطي ما به يتم الانتفاع بالرزق من القوى والحواس وغير ذلك من الشرائط الوجودية والعدمية قالت المعتزلة في الاية
دلالة على ان غير الله يقدر على الفعل وهو الرزق ويمكن ان يجاب انه مجاز او على سبيل الفرض والتقدير وليس في الاية دليل
ظاهر على ان المهاجر المقتول والمهاجر الميت على فراشه هل يستويان في الاجر ام لا بل المعلوم منهما هو الجمع بينهما في الوعد وقد
يستدل على التسوية بما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله
بغير قتل هما في الاجر شريكان فان لفظ الشركة مشعر بالتسوية وحين بين رزقهم شرع في ذكر مسكنهم قيل في المدخل الذي

يرضونه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون الف مصراع وقال ابو القسم القشيري هو ان يدخلهم الجنة
من غير مكروه تقدم وقال ابن عباس يرون في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون
عنها حولا وان الله لعليم بدرجات العاملين ومراتب مستحقيهم حليم عن تفريط المفرط منهم فيمهله حتى يتوب فيدخل الجنة
ثم بين انه مع اكرامه لهم في الاخرة لا يدع نصرهم في الدنيا قبل ان يقتلوا او يموتوا فقال ذلك قال الزجاج اي الامر ما قصصنا
عليكم من انجاز الوعد للمهاجرين خاصة اذا قتلوا او ماتوا عن مقاتل ان قوما من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا
من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر
فابوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت لهم المسلمون فنصروا ووقع في انفس المسلمين شي من القتال في الشهر الحرام فنزله
ومن عاقب اي قاتل بمثل ما عوقب به اي كما ابتدا بقتاله سمي الابتدا باسم الجزاء للطباق والملابسة من حيث ان ذاك سبب
وهذا مسبب عنه ثم بغي عليه اي ثم كان المجازي مبغيا عليه اي مظلوما ومعنى ثم تفاوت الرتبة لان كونه مبدوا بالقتال
معه نوع ظلم كما قيل البادي اظلم وهو موجب لنصرة ظاهرا الا ان كونه في نفس الامر مظلوما هو السبب الاصلي في النصرة وعن
وعن الضحاك ان الاية مدنية وهي في القصاص والجراحات واستدل الشافعي بها في وجوب رعاية المماثلة في القصاص
فقال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وفي ختم الاية بذكر العفو والمغفرة وجوه منها ان المندوب للمجني عليه هو ان يعفو
عن الجاني كقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وكانه قال انا ضامن لنصرته وان ترك بالانتقام وطلب ايثار ما هو اولى
به فاني عفو غفور ومنها انه ضمن النصر على الباغي ولوح بذكر هاتين الصفتين بما هو اولى للمجني عليه وهو العفو والصفح
ومنها انه دل بذكرهما على انه قادر على العقوبة لان العفو عند المقدرة ثم بين ان ذلك النصر بسبب انه قادر ومن كمال
قدرته ايلاج الليل في النهار والنهار وذلك ان زيادة احدهما يستلزم نقصان الاخر واراد تحصيل احد العرضين الظلام
والضياء في مكان الاخر وقد مر في اوايل ال عمران وفيه ان خالق الليل والنهار ومصرف الادوار والاكوار لا يخفى عليه
شي من الوما نيات خيرا او شرا ايضا فا وبغيا واكد هذا المعنى بقوله ان الله سميع بصير يسمع اقوال الخلايق ويبصر افعالهم
ثم بين ان كمال القدرة والعلم هو مقتضى وجوبا لوجود فقال ذلك اي الوصف بخلوق الملوين وبالاحاطة بما يجري فيهما
بسبب ان الحقية منحصرة في ذاته وان وجود غيره ولا سيما الاوثان مرسوم بالبطلان فلا نقص كالامكان ويعلم انه بما ذكر
ذكر لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا وانما قال ههنا من دونه هو الباطل بزيادة هو وفي لقمن من دونه الباطل لان هذا
وقع بين عشر ايات كل اية موكدة مرة او مرتين ولهذا ايضا زيدت اللام في قوله وان الله لهو الغني الحميد بخلاف ما في لقمن ايضا
ويمكن ان يقال تقدم في هذه السورة ذكر الشيطان ولهذا ذكرت هذه الموكدات بخلاف لقمن فانه لم يتقدم ذكر الشيطان
هناك بنحو ما ذكر ههنا ثم ذكر انواعا اخر من دلايل قدرته ونعمته فقال الم تر قيل هي رؤية البصر لان نزول الماء من جهة السماء ورؤية
اخضرار النبات من المبصرات وقيل بمعنى العلم لان الرؤية اذا لم يقترن بها العلم لم يعتد بها في قوله فاصبحت مناسبا لانزال شا
الى بقاء اثر المطر زمانا طويلا وان كان ابتداء الاصباح عقيب النزول نظيره قول القايل انعم فلان علي عام كذا فاروح واغدو
شاكرا له ولو قال فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما لم ينصب فتصبح جوابا للاستفهام لايهام عكس ما هو المقصود لانه توهم
نفي الاخضرار كما لو قلت لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكرني ان نصبته اوهمت انك تنفي شكره شاكيا تفريطه فيه وان
وان رفعته فانت مثبت لشكره بطريق الاستمرار ولا يبعد ان يكون هذه الاية اشارة الى دليل الاعادة كما في اوايل السورة وهذا
قول ابي مسلم ان الله لطيف خبير قال الكلبي لطيف في افعاله خبير باعمال الخلق وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقها
وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقد مر مثل هذه في اواسط الانعام ثم بين ان كل ما في السموات
والارض ملكه وملكه لا يمتنع شي منها من تصرفه فيه وهو غني عن كل ذلك وانما خلقها لحاجة المكلفين اليها ومن جملتها المطر
والنبات خلقها رحمة للحيوانات وانعاما عليها واذا كان انعامه خاليا عن غرض عايد اليه كان مستحقا للحمد بل هو حميد في
ذاته وان لم يحمده الحامدون التاويل وكاين من قرية قالبا اهلكناها بضيق الصدر وسوء الخلق واستيلاء الغفلة و
بئر معطلة هي القلب الفارغ عن اعمال القوى الروحانية في طلب المعارف والحقايق وقصر مشيد هو الراس الخالي عن نتايج الفكر
الصافي والحواس السليمة افلم يسيروا في ارض البشرية عابرين على منازل السالكين الى ان يصلوا الى مقام القلب فيكون لهم قلوب
يعقلون بها الرحمن بذاته او اذان قلوب يسمعون بها اقواله او ابصار بصاير يبصرون بها افعاله واذا صح وصف القلوب بالسمع
والبصر صح وصفه بساير وجوه الادراكات فقد يدرك نسيم الاقبال بمشام السر كقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن و
كقول يعقوب اني لاجد ريح يوسف ولن يخلف وعده ليس خلفه في وعيد المومنين خلفه في الحقيقة لانه تصديق قوله

سبقت رحمتي غضبي وعن يوما عند ربك كالف سنة قيل لانه موجد الزمان وليس عنده صباح ولا مساء فوجود الزمان و
عدمه وكثرته وقلته سواء عنده والاستعجال وضده انما يتصور في المتزمنات قلت نفيه ان الكل بارادته وان ما اراد
الله فاسبابه متهيئة يحصل في يوم بارادته ما لا يحصل في الف سنة بحسب فرضنا وتقديرنا ومن هنا قيل جذبة من جذبات
الرحمن توازي عمل الثقلين اما يستبطا فيه انه تعالى يمهله ولكنه لا يهمل بهم مغفرة اي سترهم من يستر عليه اعماله الصالحة صيانة
له عن الملاحظة ومنهم من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهرة فتنة كما قيل شعر لا تنكرن جحدي هواك فانما ✦ ذاك
الجحود عليك ستر مسبل ✦ ومنهم من يستره بين اوليائه في قباب العزة كما قال اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ومنهم من
يستر انانيته بهويته فيقول انا الحق وسبحاني والرزق الكريم هو الحالي من شوائب الحدوث لانه من القديم الكريم الا اذا
تمنى فيه ان النبي بل الولي لا يليق به التمني بل ما على الرسول الا البلاغ ولا على الولي الا الرضا والتسليم فلو بقي في احدهم ادنى
ملاحظة لغير الله كالحرص على ايمان القوم فوق ما امر به ابتلاه الله بتلك فيجال الشيطان في امنيته بقوله او بعمل فيذكر
العناية الازلية ويزيل الخاطر الشيطاني ويثبته على الخاطر الرحماني ولا يكون لدخان الفتنة تاثير في نور يقينه كما لا تاثير
للضباب في شعاع الشمس بخلاف من في قلبه ظلم الشبهات فان ذلك الدخان يزيدها كدورة وريبا حتى تاتيهم الساعة سلب ✦
الاستعداد بالكلية اويأتيهم عذاب يوم عقيم هو الابد ولانه لا ليل له وهو عذاب قطيعة لا وصلة بعدها والذين هاجروا
عن وطان الطبيعة في طلب الحقيقة ثم قتلوا بسيف الصدق والرياضة حتى تزكوا نفوسهم او ماتوا عن اوصاف البشرية
ليرزقنهم الله رزقا حسنا فرزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الاسرار مشاهدات الجمال ورزق الارواح مكاشفات
الجلال وان الله لهو خير الرازقين لانه يرزق من اوصاف ربوبيته كما قال صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمني
ويسقيني ومن عاقب بالمجاهدة نفسه بمثل ما عاقبت النفس بالمخالفة قلبه ثم بغي عليه اي غلبت النفس على القلب باستيلاء
صفاتها لينصرنه باستيصال النفس ومحو صفاتها ان الله يعفو لما سلف غفور لما بقي في نفوس الطالبين من الانانية
يولج ليل الستر في النهار التجلي وبالعكس او يولج ليل القبض في نهار البسط او ليل الهيبة في نهار الانس انزل من سماء القلب
ما الحكمة فتصبح ارض البشرية مخضرة بالشريعة وارض القلوب والارواح والاسرار بالعلوم والكشوف والانوار والله الموفق للعلم

المر تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر
بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس
لرءوف رحيم ● وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان
الانسان لكفور ● لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا
ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم ● وان
جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون ● الله يحكم بينكم يوم
القيمة فيما كنتم فيه تختلفون ● الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ● ويعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ●

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم
بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس
المصير ● يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا
الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ● الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير ● يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم والى الله ترجع الامور ● يا ايها الذين امنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون ● وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو
سميكم المسلمين ● من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا
عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا
الزكوة واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير

القراءة لم ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون بالتشديد يسطون بالصاد مثل
بسطة في البقرة الذين يدعون بياء الغيبة سهل ويعقوب **الوقوف** بامره باذنه رحيم احياكم لان ثم لترتيب الاخبار
يحييكم لكفور ربك مستقيم تعملون تختلفون والارض كتاب يسير علم نصير المنكر اياتنا ذلكم النار كفروا المصير
فاستمعوا له واجتمعوا له منه المطلوب قدره عزيز ومن الناس بصير خلفهم الامور تفلحون للاية مع العطف بحد جهاده
حرج ابرهيم الناس للعطف مع الفاء بالله مولكم النصير **التفسير** انه من جملة نعم الله تعالى على عباده تسخير الارضيات و
تذليلها لهم فلا اصلب من الحديد والحجر ولا اشد نكاية من النار وقد سخرها للانسان وسخر لهم الانعام ايضا ينتفعون بها
بالاكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وسخر لهم الدواب وغيرها وسخر لهم الفلك
حال كونها جارية بامره وهو تهيئة الاسباب المعاونة ودفع الاشياء المضارة لسهولة جريها ولا ريب ان الانتفاع بالارضيات
لا يتاتى الا بعد الامن من وقوع السماء على الارض فمن الله تعالى على المكلفين بان حفظها كيلا تقع او كراهة ان تقع على الارض

وذلك يحصل الاقتدار عند اهل الظاهر او بان جبل طبعها هو الاحاطه بما في ضمنها اذ لا جهة فيها ولا ثقل ولهذا حصلت
بالحركة على المركز وفي قوله الا باذنه اشارة الى ان الافلاك ستنخرق وتنشق فتقع على الارض ويحتمل ان يقال توقيف
الوقوع على الاذن لا يوجب حصول الاذن فالانخراق والانشقاق لا يستفاد من هذه الاية ثم ذكر الانسان بيداه و
ومعاده فقال وهو الذي احياكم نظيره قوله في اول البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقد سبق هنالك و
في قوله ان الانسان لكفور زجرهم عن الكفران بطريق التوبيخ وعن ابن عباس انه الكافر وبعضهم جعله اخص فقال هو ابو جهل
واضرابه والاولى ارادة الجنس ثم عاد الى بيان ان امر التكاليف مستقر على ما في هذه الشريعه فقال لكل امة الاية قال في
الكشاف انما حذف العاطف ههنا بخلاف نظيرها في السورة لان تلك مناسبة لما تقدمها وهذه مباينة لها قلت وذلك
لان من ههنا الى اخر السورة عود بعد ذكر المعاد الى الوسط الذي هو حالة التكليف والاقرب ان المنسك في هذه الاية هو
الشريعه كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهو قول ابن عباس في رواية عطاء وقيل اراد مكانا معينا او زمانا معينا
لاداء الطاعات وقال مجاهد هو الذبايح ولا وجه للتخصيص ههنا والامة اعم من ان تكون قد بقيت اثارهم او لم يبق اثار
الضمير في قوله فلا ينازعنك فالتعبد من رجوعه الى الامم الباقيه اثارهم في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج اى لا
يلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك وهو زجر لهم عن التعريض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في امر الدين
وكانوا يقولون في الميته جاج انه نهى لهم عن منازعتهم كما يقول لا يضاربنك فلان اى لا تضاربه وذلك ان المفاعلة
تقتضي ما لكم تاكلون مما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله ومنه يعلم استقرار امر الديانة بالعكس ضمنا وقال في الكشاف هو
نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم صح على هذه الشريعه وان على كل امة من الامم التي بقيت منها بقية ان يتبعوه ويتركوا
مخالفته فلذلك قال وادع الى ربك اى لا تخص بالدعوة امة دون امة فان كلهم امتك انك لعلى هدى مستقيم اى على
دين وسط ودليل ظاهر وان ابوا الا الجدال فكل امرهم الى الله قايلا الله اعلم بما تعملون وفيه وعيد وانذار مخلوط برفق ولين
الله يحكم بينكم اى يفصل بين المومنين والكافرين منكم يحتمل ان يكون من تتمة المقول وان يكون ابتدا خطاب من الله سبحانه
للامم الم تعلم خطاب لكل عاقل او للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد تقويه قلبه والا فالرسالة لا تكون الا بعد العلم بكونه
تعالى عالما بكل المعلومات والا اشتبه عليه الصادق بالكاذب ان ذلك الذي ذكر وهو كل ما في السموات والارض في كتاب قال
ابو مسلم اراد به الحفظ والضبط كالشي المكتوب والجمهور على انه حقيقة وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه ولعل في تلك
الكتابة لطفا للملائكة لان مطابقة تلك الاشياء المكتوبة لما سيحدث الى الابد من ادل دليل على كونه تعالى عالم الذات ولذلك
قال ان ذلك على الله يسير وهذا نص على صنعه وهو صعوبة مثل ذلك على غيره والا فلا مدخل للين والصعوبة في
كمال قدرته وحين بين كمال الوهيته قطع شان اهل الشرك بقوله ويعبدون الاية والمراد انهم لم يتمسكوا في صحة عبادته
بدليل سمعي ولا علم ضروري وقوله وما للظالمين من نصير الظلم الشرك والنصر اما بالشفاعة او بالحجة ولا حجة الا للحق
وهو كقوله في اخر ال عمران وما للظالمين من انصار وقدم والمنكر لا يل الغيظ والحنق وقال جار الله هو الفظيع من التجهم
والبسور او هو الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقال الكلبي اراد انهم كرهوا القران مع وضوح دلايله وقال ابن عباس هو التجبر
والترفع وقال مقاتل انكروا ان يكون من الله تعالى السطو الوثب والبطش اى يهمون بالبطش والوثوب لعظم انكارهم لما يتلى عليهم
وفي قوله من ذلكم اشارة الى غيظهم على التالين او الى همهم بالسطو ثم انه كان سايلا قال ما ذلك الشر فقيل النار اى هو النار
قلت وذلك ان حرارة الغيظ والسطو يشبه حرارة النار ولكن هذه اقوى ولا سيما نار جهنم ثم استانف للناس كما فقال
وعدها الاية ويحتمل ان يكون النار مبتدا وعدها خبره ثم ضرب للاصنام مثلا فقال يا ايها الناس ضرب مثل انما قال
بلفظ الماضي لانه معلوم من قبل لكل ذي عقل والمثل استعارة لجملة من الكلام مستغربه مستحسن متلقاه بالرضى والقبول
اهل التسبيح والارسال وذلك انهم جعلوا مضربها مثلا لموردها ثم استعير لهذا المستعار للقصة او الحالة او الصفة
المستغربة تمثيلها في الغرابة وهذا هو الذي قصد في الاية فاستمعوا له اى تدبروه وحق له ذلك فان السماع المجرد
لا ينفع له قال جار الله محل ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا
فكيف لو انفردوا واقول الظاهر ان لو هذه للمبالغة وجوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه وتقديره ولو اجتمعوا لخلق الذباب
لن يخلقوا ايضا وليس من شرط كل جملة ان يكون لها محل ثم زاد تعجيزهم وضعفهم تاكيدا بقوله وان يسلبهم الذباب الاية يعني
الملك الخلق والايجاد وتكليفهما هو اسهل منه وذلك ان هذا الحيوان الضعيف الذي لا قدرة لهم على خلقه لو سلب
منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه عن ابن عباس انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران

بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله وقيل سمي الذباب ذبابا لانه كلما ذب آب ثم عجب من
ضعف الاصنام والذباب بقوله ضعف الطالب والمطلوب فالطالب من حيث انه يطلب خلق الذباب او يطلب استنقاذ
ما سلبه منه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم فالصنم كالطالب من حيث انه يطلب والمطلوب السالب ثم
بين المشركين الذين عبدوا من دونه الهة بهذه المثابة ما قدروا الله حق قدره او ما عرفوه حق معرفته وقد تقدم مثله
في الانعام ان الله لقوي عزيز فلا غالب فكيف يسوى بينه وبين العاجز المغلوب في العبادة وهي نهاية التعظيم وذلك
انهم لو اعتقدوا ان تكون تلك الاصنام طلسمات موضوعة على الكواكب فاذا الوثن يشفعهم نفسها في العقاد المذكور فلا ان
اولى وان اعتقدوا انها تماثيل الملائكة او الانبياء فلا يليق بها غاية الخضوع التي استحقها خالق الكل وحين رد على اهل الشرك
معتقدهم في الالهيات اراد ان يرد عليهم عقيدتهم في النبوة وهي ان الرسول لا يكون بشرا فقال الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس فالملك رسول الى النبي والنبي رسول الى ساير البشر قال المفاتل ههنا سوالان الاول ان من للتبعيض فيفيد
الاية ان بعض الملائكة رسل فيكون مناقضا لقوله جاعل الملائكة رسلا والجواب ان الموجبة الجزئية لا تناقض الموجبة
الكلية او اراد بهذا البعض من هو رسول الى بني ادم وهم اكابر الملائكة ولا يبعد ان يكون بعض الملائكة رسلا الى
بعض اخر منهم وثانيهما انه قال في موضع اخر لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقد نص في هذه
الاية ان بعض الناس مصطفى فيلزم من مجموع الايتين انه قد اصطفى ولدا والجواب ان تلك الاية دلت على ان كل ولد مصطفى
ولكن لم يلزم من هذه الاية ان كل مصطفى ولد فمن اين يحصل ما ادعيت والحقيقة ان الموجبتين في الشكل الثاني لا ينتجان
هذا ويحتمل ان يكون هذه الاية مسوقة للرد على عبدة الملائكة كما كانت الاية المتقدمة مسوقة للرد على عبدة الاصنام اذ
يعلم من هذا ان علو درجة الملائكة ليس لكونهم الهة بل لان الله اصطفاهم للرسالة حين كانوا امناء على وحيه لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ثم بين علو شانه وكمال علمه واحاطته باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر وان مرجع
الامور كلها اليه وفي كل ذلك زجر عن الاقدام على المعصية وبعث على الجد في الطاعة فلا جرم صرح بالمقصود فقال يا ايها
الذين امنوا والظاهر انه خطاب مختص بالمومنين ويوكده قوله بعد ذلك هو اجتباكم هو سميكم المسلمين وقيل عام لكل
المكلفين لان المامورات بعده لا يختص ببعض الناس دون بعض والتخصيص بالذكر لتشريف فانهم الذين قبلوا الخطاب ودل
بالركوع والسجود على الصلوة لانهما ركنا معتبران وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا
ان تكون صلوتهم بركوع وسجود ذكره ابن عباس قال جار الله عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان
قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وهو مذهب الشافعي واما ابو حنيفة فلا
يرى هذه سجدة لانه قرن الركوع بالسجود قال فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة فقدم الصلوة لانها اشرف
العبادات ثم عمم فامر بالعبادة مطلقا ثم جعل الامر اعم وهو فعل الخيرات الشامل النوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله كانه قال كلفتكم الصلوة بل كلفتكم ما هو اعم منها وهو العبادة بل كلفتكم اعم وهو فعل الخير على الاطلاق وقيل معنى واعبدوا
ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله عز وجل وعن ابن عباس ان فعل الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق ومعنى لعلكم تفلحون
افعلوا كل ذلك راجين للفلاح وهو الظفر بنعيم الاخرة لا مستيقنين ذلك فان الانسان قلما يخلو عن اداء فريضة من تقصير
ذلك عواقبه مستوره ثم امر بخلاف النفس والهوى في جميع ما ذكر وهو الجهاد الاكبر فقال وجاهدوا في الله اى
في ذاته ومن اجله حق جهاده اى حق الجهاد فيه فاضاف الجهاد الى الله من قبيل التوسعة ولادنى ملابسة من حيث
ان الجهاد فعل لوجهه وقيل هو امر بالمعروف امروا ان يجاهدوا اخرا كما جاهدوا اولا فقد كانوا جاهدوا في الاول
اقوى وكانوا فيه اثبت نحو صنيعهم يوم بدر وعن عمر انه قال لعبد الرحمن بن عوف اما علمت انا كنا نقرا وجاهدوا في
الله حق جهاده في اخر الزمان كما جاهدتم في اوله فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا امير المومنين قال اذا كانت بنو امية الامرا
وبنو المغيرة الوزراء قال العلماء لو صحت هذه الرواية فلعل هذه الزيادة من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ليست
من نفس القران والا لتواترت واما عبارات المفسرين فعن ابن عباس حق جهاده اى لا تخافوا في الله لومة لايم وقال الضحاك
اعملوا لله حق عمله وقال اخرون استفرغوا املكم في احياء دين الله واقامة حقوقه باليد واللسان وجميع ما يمكن ورد والنفسكم
عن الهوى والميل عن مقاتل والكلبي ان الاية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم كما ان قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ
بذلك وضعف بان التكليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى التزام النسخ ثم عظم شان المكلفين بقوله هو اجتباكم اى
اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تشريف كقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا ثم كان لقايل ان يقول التكليف وان كان تشريفا

الا انه فيه مشقة على النفس فقال وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وشدة وذلك انه فتح باب التوبة
ووسع على المكلفين بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش يروى ان اباهريرة قال كيف قال سبحانه ما
جعل عليكم في الدين من حرج مع انا منعنا عن الزنى والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذي كان على بني
اسرائيل وضع عنكم قالت المعتزلة لو خلق الله الكفر ثم نهاه عنه كان ذلك من اعظم الحرج وعورض بانه نهاه عن الكفر مع
انه علم ذلك منه وكان امره بقلب علم الله جهلا وهو اعظم الحرج ثم اثنى على هذه الامة بقوله ملة ابيكم اي اعني بالدين ملة ابيكم
ويجوز ان ينتصب بمضمون ما تقدم كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم فاقام المضاف اليه مقام المضاف وانما كان
ابراهيم ابا هذه الامة لانه ابو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل نبي ابو امته والمراد ان التوحيد والحنيفية هي مما شرع ابرهيم
هو اي الله او ابراهيم سميكم المسلمين من قبل اي في سائر الكتب وفي قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وفي هذا القران
اما ان كان المسمي هو الله فظاهر واما ان كان هو ابرهيم فلعله اراد ان حكاية دعايه مذكوره في القران وقوله ليكون الرسول
متعلق بقوله هو اجتباكم اي فضلكم على الامم لهذا الغرض نظيره قوله في البقرة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا و
الاصل تقديم الامة كما في البقرة لان الخطاب معهم وليقع الختم على شهادة الرسول كما هو الواقع الا انه عكس الترتيب
في هذه السورة ليناط به قوله فاقيموا والمراد اذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه واعتصموا بدلايله العقلية والسمعية
وبالطافه وعناياته قال ابن عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات وقال الاخرون اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون فهو خير
مولى وناصر استدلت المعتزلة بالاية في قولهم انه يريد الايمان من الكل من وجوه الاول انه اراد تكونوا شهداء ولن
تكونوا كذلك الا اذا امنوا الثاني انه لا يمكن الاعتصام به الا اذا لم يوجد منه الشر البتة الثالث انه لو خلق في
عباده الكفر والمعاصي لم يكن نعم المولى واجيب بعد تسليم ارادة الايمان من الكل ان ارادة الشي ان كانت مستلزمة
لارادة لوازمه فارادة الايمان من الكفار يستلزم ان يكون الله تعالى مريدا الجهل بنفسه وان لم يستلزم فقد سقط السوال
وايضا الاعتصام به انما يكون منه كقوله اعوذ بك منك وايضا انه خلق الشهوة في قلب الفاسق وخلق المشتهى وقوى
منه ورفع الموانع وسلط عليه شياطين الانس والجن ولو لم يكن كل هذا مقتضيه لكونه بيس المولى لم يكن خلق
الكفر ايضا مقتضيا لذلك التاويل سخر لكم في ارض البشرية من الصفات الحيوانية والشيطانية وسخر فلك الواردات
الغيبية تجري في بحر القلب ويمسك سماء القلب ان تقع على ارض النفس بان يتصف بصفاتها الا باذنه بقدر ما لابد منه
الشرع من ضرورات الماكول والملبوس وغيرهما وهو الذي احياكم بازدواج الروح الى القالب ثم يميتكم عن صفات البشرية
ثم يحييكم بنور الصفات الربانية فلا ينازعنك في امرك فان لي مع الله وقتا لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي
مرسل ولكل قوم رتبة لا يتجاوزونها ان الذين تدعون من دون الله كالاصنام الظاهرة والباطنة لن يخلقوا على كثرتها خلق
ذباب وان يسلبهم ذباب هواجس النفس شيئا من صفات القلب وجمعيته الوقت ضعف الطالب وهو القلب غير
المؤيد بنور الايمان والمطلوب وهو النفس والشيطان اركعوا بالنزول عن رتبة الانسانية الى الخضوع الحيوانية ومنهم
من يمشي على اربع واسجدوا بالنزول الى مرتبة الحيوانية والنجم والشجر يسجدان فاعبدوا ربكم بجعل الطاعة خالصة له و
افعلوا الخير بمراقبة الله في جميع احوالكم لعلكم تفلحون بالوصال وجاهدوا في الله حق جهاده فجهاد النفس بتزكيتها
باداء الحقوق وترك الحظوظ وجهاد القلب بتصفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد الروح بتجليته بافناء الوجود
في وجوده هو اجتباكم لهذه الكرامات من بين ساير البريات ولولا انه اجتباكم ما اهتديتم اليه كما قيل شعر فلولاكم ما عرفنا
الهوى ÷ وما جعل عليكم في دين العشاق وهو السير الى الله من ضيق من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا والسير الى الله
من سنة ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين هو سميكم المسلمين في الازل وفي هذا الطور وانما قدم الرسول لان روحه
في فطرة الازل مقدم اول ما خلق الله روحي فهو مشرف وشهيد على ارواح امته وبعد ذلك خلقت ارواح امته مشرفين
على ارواح غيرهم وفي سورة البقرة اعتبر طرف الابد فوقع الختم على رسوله وعلى شهادته فاقيموا الصلوة بدوام السير والعروج
الى الله والتعظيم لامره واتوا الزكوة بدعوة الخلق الى الله والشفقة عليهم واعتصموا بحبل الله حتى تصلوا اليه هو متولي
افعالكم منكم فنعم المولى في افناء وجودكم ونعم النصير في ابقاء ربكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين
هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلوتهم
يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر
فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون
ثم انكم يوم القيمة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرايق وما كنا عن الخلق غافلين وانزلنا من السماء ماء بقدر
فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشانا لكم
به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها
تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها
منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد ارسلنا

نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون ● فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر
مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة
ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ● ان هو الا رجل به جنة فتربصوا
به حتى حين ● قال رب انصرني بما كذبون ● فاوحينا اليه ان
اصنع الفلك باعيننا فاذا جاء امرنا وفار التنور ● فاسلك فيها من
كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون ● فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ● وقل رب
انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ● ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين

القراءة لاماناتهم على التوحيد ابن كثير على صلواتهم موحدا حمزة وعلي وخلف عظاما العظم موحدين على ارادة الجنس
او على وضع الواحد مكان الجمع لعدم اللبس ابن عامر وابو بكر وحماد وجبله الاول موحدا والثاني مجموعا زيد عن يعقوب
وروى المطوعي عن ابي زيد بالعكس فيهما الباقون مجموعين سينا بكسر السين ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون
بفتحها تنبت من الانبات ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير روح الاخرون بفتح التاء وضم الباء من النبات نسقيكم
بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد بالتاء الفوقانية يزيد الباقون بضم النون منزلا بفتح الميم
وكسر الزاء ابو بكر وحماد الاخرون بضم الميم وفتح الزاء **الوقوف** الجزء الثامن عشر المؤمنون خاشعون معرضون
فاعلون حافظون ملومين لاعتراض الاستثناء بين الاوصاف ولاستحقاق الشرط الابتداء ولطول الكلام والاقالا
من اوصاف المؤمنين العادون راعون يحافظون والالاوهم تخصيص الارث بالمذكورين في الايتين فقط
الوارثون الفردوس خالدون طين للعدول عن المظهر الى الكناية عن غير مذكور فان المراد من الانسان ادم ومن الماء
في جعلنا جنس ولده مع عطف ظاهر مكين للعطف لحما فذلك للابتداء بانشانا نفخ الروح تعظيما اخر الخالقين لان
ثم لترتيب الاخبار فاذ بين الاحياء والافناء لمهملة الميتون لذلك لقادرون للاية مع اتصال المعنى بلفظ الفاء ولعنا
لئلا يوهم ان الجار والمجرور وصف اعناب تاكلون لان شجرة مفعول انشانا للاكلين لعبرة لان الجملة بعدها ليست
بصفة لها تاكلون تحملون غيره تتقون مثلكم لان قوله يريد صفة بشر عليكم ملائكة لانقطاع النظم مع اتحاد المقول
الاولين للاية مع اجتناب الابتداء بمقول الكفار مع اتحاد مقصود الكلام حين كذبون التنور لان ما بعده جواب
فاذا منهم لعطف المتفقين مع اعتراض الاستثناء ظلموا للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام والفاء للتعليل مغرقون
الظالمين المنزلين لمبتلين **التفسير** لما انجر الكلام في السورة المتقدمة الى الختم بالصلوة والزكوة بدا في هذه السورة
بذكر فضائلهما وفضائل ما ينخرط في سلكهما من مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وقد نقيضه لما لانها تثبت المتوقع
وما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبوت الفلاح لهم وقد مر معنى الايمان لهم
والاختلاف فيه بين الاقوام في اول البقرة واما الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله

من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والنظر الى موضع السجود والتوقي عن كف الثوب اي جمعه والعبث بجسده و
ثيابه والتمطي والتثاوب والتغمض وتغطية الفم والسدل ان يضع وسط الثوب على راسه او على عاتقه ويرسل طرفيه
والاحتراز عن الفرقعة والتشبيك وتقليب الحصى والاختصار وهو ان يمسك بيده عصا او سوطا ونحوهما قال الحسن
وابن سيرين كان المسلمون يرفعون ابصارهم الى السماء في صلوتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت
هذه الاية نطاطا وكان لا يجاوز بصره مصلاه وهذا الخشوع واجب عند المحققين نقل الامام الغزالي عن ابي طالب
المكي عن بشر الحافي من لم يخشع فسدت صلوته وعن الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن
معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلوة فلا صلوة له وروي عنه مرفوعا ان العبد ليصلي
الصلوة يكتب له سدسها وعشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وادعى عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على انه
ليس للعبد الا ما عقل من صلوته ومما يدل على صحة هذا القول قوله سبحانه افلا يتدبرون القران والتدبر لا يتصور بدون
الوقوف على المعنى وكذا قوله واقم الصلوة لذكري والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال ولا تكون من الغافلين وقوله تعلموا ما
يقولون نهي للسكران الا ان المستغرق في هموم الدنيا بمنزلته وقوله صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه ولا مناجاة
مع الغفلة اصلا بخلاف ساير اركان الاسلام فان المقصود منها يحصل مع الغفلة فان الغرض من الزكوة كسر الحرص واغناء
الفقير وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى هي عدو الله وكذا الحج فان افعاله شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل
به الابتلاء وان لم يكن القلب حاضرا والمتكلمون ايضا اتفقوا على انه لا بد من الحضور والخشوع واما الفقهاء فالاكثرون
منهم لا يوجبون ذلك فيقال لهم هب انه ليس من شرط الاجزاء الا ان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما يماثل الاخر
في ذاته ولوازمه فلا بد من مميز وما ذاك الا القصد والارادة ولا بد فيهما من الحضور وهو علم وجوب القضاء اليس
هو من شرط القبول الذي يترتب عليه الثواب فمن استعار ثوبا ثم رده على احسن الوجوه فقد خرج عن العهدة وكذا ان رده على
وجه الاهانة والاستخفاف الا انه يستحق المدح في الصورة الثانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث
بلحيته في الصلوة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى ويقول
اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت قلت لا ريب ان الاحتياط انما هو في رعاية جانب الشرع الخشوع كما حكي
عن بعض العلماء انه اختار الامامة فقيل له في ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبني الشافعي وان قراتها مع الامام
ان يعاتبني ابو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الخلاف قال علماء المعاني سبب اضافة الصلوة اليهم هو ان الصلوة
دايرة بين المصلي والمصلى لاجله فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته واما المصلى له فمتعال عن ذلك ولما
كان اللغو وهو الساقط من القول او الفعل احتمل ان يقع في الصلوة وايضا كان الاعراض عنه من باب التروك كما ان الخشوع
وهو استعمال الاداب وما لا يصح او لا يكمل الصلوة الا به كان من باب الافعال وعلى الفعل والترك بناء قاعدة التكليف فلا جرم
جعلهما قرينين فقال والذين هم عن اللغو معرضون واللغو على ما قلنا يشمل كل ما كان حراما او مكروها او مباحا لا ضرورة
اليه ولا حاجة قولا او فعلا فمن الحرام قوله تعالى حكاية عن الكفار لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه فان ذلك اللغو كفر و
الكفر حرام ومن المباح قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولو لم يكن مباحا لم يناسبه عدم المؤاخذة والاعراض عن اللغو هو
بان لا يفعله ولا يرضى به ولا يخالط من ياتيه كما قال عز من قائل واذا مروا باللغو مروا كراما ثم وصفهم بفعل الزكوة وهو مناف
للصلوة وليس المراد بالزكوة ههنا عين القدر المخرج من النصاب لان الخلق لا يقدرون على فعلها فلا يصح المعنى الا بتقدير مضاف
اي لاداء الزكوة فاعلون بل المراد فعل المزكي الذي هو التزكية فقوله للمزكي فاعل الزكوة كقولك للضارب فاعل الضرب وعن
ابي مسلم انه حمل الزكوة ههنا على كل فعل محمود مرضي كقوله قد افلح من تزكى والاول اقرب لانه مناسب لعرف الشرع **الصفة
الرابعة** قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم قال الفراء على بمعنى عن وقال غيره هو في موضع الحال اي
الا والين او قوامين على ازواجهم نظيره قولهم كان زياد على البصرة اي واليا عليها والمعنى انهم مستمرون على حفظ الفروج
في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او يتعلق الجار بمحذوف يدل عليه من غير ملومين كانه قيل يلامون على كل
من يباشرونه الا على ازواجهم فانهم غير ملومين عليهن وجوز في الكشاف ان يكون صلة لحافظين من قولهم احفظ
على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي اي تسلط على فرسي وانما لم يقل ومن ملكت لانه اجتمع في السرية وصفات الانوثة
التي هي سبب نقصان العقل وكونها بحيث تباع وتشترى كساير السلع فمن اشتغل حدا وراء ذلك الحد الذي شرع وهو اباحة
اربع من الحراير وما شاء من الاماء وكفى به حدا فسيحا فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه لا دليل فيه على

تحريم نكاح المتعة لانها من جملة الازواج لو صح النكاح ومنع من انها من الازواج ولو كانت زوجة لورث منها الزوج لقوله
ولكم نصف ما ترك ازواجكم ولورثت منه لقوله ولهن الربع ثم الاية من العمومات التي دخلها التخصيص بدليل اخر
فيخرج منها الغلام بل الوطي في الدبر على الاطلاق لانه ليس موضع حرث وكذا الزوجة والامة في احوال الحيض و
العدة والاحرام ونحوها وقال ابو حنيفه الاستثناء من النفي ليس اثبات لقوله لا صلوة الا بطهور ولا نكاح الا بولي فانه لا
يقتضي حصول الصلوة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولي فلا تخصيص عنده في الاية والمعنى انه يجب حفظ الفروج من
الكل الا في هاتين الصورتين فان في ما ذكرت حكمها لا بالنفي ولا بالاثبات هكذا نقله الامام فخر الدين الرازي في تفسيره
الصفة الخامسة رعاية الامانة والعهد والمراد بهما الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه ليمكن رعايتهما والراعي القائم على
الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن
جهة الناس كالعبادات والمعاملات والودايع والعضور والنيات والعقود والنذور والطلاق والعتاق وغيرها
وقد مر في تفسير قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ويحتمل الخصوص
فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم **الصفة السادسة** محافظة الصلوة كما مر في قوله حافظوا على الصلوات وذلك في
البقرة وصفوا اولا بالخشوع واخرا بالمداومة عليها وبمراقبة اعدادها واوقاتها فرايض كانت او سنتا او نفلا وغيرها
فالمحافظة اعم من الخشوع واشمل من هنا يعرف فضيلة الصلوة اذ وقع الافتتاح بها والاختتام عليها وان اختلفت
الاعتباران والعبارتان اولئك هم الوارثون الاحقاء بان يسمى وارثا دون من عداهم ممن يرث مالا فانيا ومتاعا قليلا
او ممن يدخل الجنة سواهم كالاطفال والمجانين والفساق بعد العفو وكالولدان والحور ثم بين الموروث بقوله الذين
يرثون الفردوس وقد سبق معنى هذه الاية الوراثة في الاعراف ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قال الفقها لا ارث
في الميراث بين مالكة الميت وبين ما بعده ملكه فيه ولذلك قالوا الدية انها ميراث المقتول وكل من في الجنة فله
مسكن معروض في النار على تقدير كفره وكل من في النار فله مسكن معروض في الجنة على تقدير ايمانه كما ورد في الحديث
فاذا تبادل المكانان كان جميع اهل الجنة وارثين ولكن كل الفردوس لا يكون ميراثا بل بعضه ميراثا وبعضه بالاستحقاق
الا انه يصدق بالجملة انه ورثوا الفردوس اي الجنة ولهذا انث الضمير في قوله هم فيها خالدون وقيل ان الجنة كانت
مسكن ابينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى اولاده كان شبيها بالميراث والفردوس بلسان الحبشة او الروم هو
البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وروي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل
خلالها المسك الاذفر وروى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها
الانهار والاشجار وعن ابي امامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانها اعلى الجنان وان اهل الفردوس يسمعون اطيط العرش
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون ويروى
انه صلى الله عليه وسلم قال اذا احسن العبد الوضوء وصلى الصلوة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت
حفظك الله كما حفظتني وتشفع لصاحبها فاذا اضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب ويضرب
بها وجه صاحبها قالت العلماء اما كلام الجنة فالمراد به اما اعتبار للمتقين كقوله قالتا اتينا طائعين وكذا الكلام في
كلام طوبى واما انه تعالى خلق الجنة بيده والمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة واما حديث الصلوة فلا ريب
انها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولهم للمنعم عليك ان احسانك ينطق بالشكر ولما حث
عباده على العبادات ووعدهم الفردوس على مواظبتها عاد الى تقرير المبدأ والمعاد ليتمكن ذلك في نفوس المكلفين وهي
ثلثة انواع **الاول** الاستدلال باطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة
ولما يسقط عن الشيء كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد ادم لانه اسل من الطين والكناية في
جعلناه راجعة الى الانسان الذي هو ولد ادم اي جعلنا جوهره نطفة وقال الاخرون الانسان ههنا هو ولد ادم والطين
اسم ادم والسلالة هي الاجزاء الطيبة المبثوثة في اعضائه التي تجتمع منها في اوعيته ويحتمل ان يقال ان كل نسل ادم خالقه
كذلك لان غذاءه ينتهي الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ان تلك السلالة تصير منيا وعلى هذا
فكلتا لفظتي من للابتداء وقال في الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط و
القرار المستقر اراد به الرحم وانما وصفت بالمكين لمكانتها في نفسها فانها مكنت حيث هي واحرزت او على الاسناد
المجازي باعتبار المستقر فيها كقولك طريق ساير وترتيب الاطوار كما مر في اول الحج ومعنى ثم في بعض هذه المعطوفات

لتراخي الرتبة ولاستبعاد في قوله ثم انشاناه خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا الى غير ذلك من
دقايق اللطف وغرايب الصنع وذلك بعد استكمال ثلثة اربعينات ومن هنا ذهب ابو حنيفه فيمن غصب بيضة فافرخت
عنده الى انه يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة وروى العوفي عن ابن عباس ان ذلك تصريف الله في
اطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه ويؤيده قوله ثم انكم بعد ذلك
لميتون ويروى هذا القول ايضا عن مجاهد وابن عمر فتبارك الله كثر خيره وبركته وهو وصف له بالدوام والبقا او بالنماء
لان البركة يرجع معناها الى الامتداد وكل ما زاد على الشيء فقد علاه ومعنى احسن الخالقين احسن المقدرين تقديرا
بحذف المميز للعلم به قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان كل ما يفعله الله فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر
والمعاصي واجيب بان الحسن ههنا بمعنى الاحكام والاتقان في التركيب والتاليف وبانه لا يقبح منه شيء لانه يتصرف في
ملكه قالوا لولا ان غيره تعالى خالق لم يحسن هذه الاضافة فعلم منه ان العبد خالق افعاله وعورض بقوله خالق كل شيء واجيب
بان المراد انه احسن الخالقين في زعمكم واعتقادكم وبعضهم اجاب بان وجه حسن الاضافة هو انه تعالى وصف عيسى بانه
يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من انه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن حيث انه يلزم اطلاق الخالق
على المصورين والحق ان الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم شيء من الاشكالات وروى ان عبد الله بن ابي سرح كان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت
فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح ويروى عن عمر ايضا انه سبق
لسانه بقوله فتبارك الله احسن الخالقين قبل ان ينزل واعلم ان هذا غير مستبعد ولا قادح في اعجاز القران لانه ليس
بمقدار سورة الكوثر التي وقع التحدي به سوال ما الحكمة في الموت وهلا وصل نعيم الدنيا بنعيم الاخرة ليكون في الانعام
ابلغ جواب لو كان كذلك لكان الاتي بالطاعة اتيا بها لمحض الجنة والثواب فلا جرم اوقع الله تعالى الاماتة والاعادة لئلا
يكون الطاعات ادخل في الاخلاص وابعد عن صورة المبايعة وليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر فيعرف ذلك
بدليل اخر ويمكن ان يقال بل الاية تتضمنها فانها ايضا من جنس الاعادة **النوع الثاني** الاستدلال بخلق السموات
قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرايق لانها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل قال علي بن عيسى لانها طرق
الملائكة ومتقلبها ثم وقيل لانها من طرايق الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق اي عن السموات وحفظها ان لا تقع على
الارض قاله سفيان بن عيينة وعن الحسن اراد بالخلق الناس اي ما كنا غافلين عن مصالحهم فخلقت الطرايق فوقهم لتنزل
منها عليهم البركات والارزاق ولينتفعوا بغير ذلك من منافعها ويحتمل ان يريد بالاول كمال قدرته وبالثاني كمال علمه باحوال
مخلوقاته وفيه نوع من الاخر ويمكن ان يراد خلقنا السموات وما كنا عن خلقها ذاهلين فلهذا لم تخرج عن التقدير الذي
اردنا كونها عليه نظيره ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت **النوع الثالث** الاستدلال بنزول الامطار واخراج النبات
وانشاء الحيوانات ونزول المطر عند الظاهريين من اهل الشرع لا يبعد ان يكون من نفس السماء وعند ارباب المعقول منهم يراد به
انزاله من جهة السماء وقالوا انه سبحانه يصعد الاجزاء المائية من البحر بواسطة التسخين فتصير في الجو صافية عذبة زايلة
عنها ملوحة البحر ثم ينزلها بواسطة السحاب وقد سلف في اول البقرة تفصيل ذلك ومعنى بقدر بتقدير يسلمون معه
من المضار ويتوصلون الى المنافع او بمقدار يوافق حاجاتهم ومعنى اسكان المطر في الارض جعله مددا للينابيع والابار
قيل اراد اثباتها في الارض على ما روى عن ابن عباس ان الانهار خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها
الله من عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال واجراها في الارض وانا على ذهاب به لقادرون اي كما قدرنا على
انزاله نقدر على ان نذهب به بوجه من الوجوه ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى اذ فيه ايذان على ان الذاهب به قادر على اي وجه اراد وفيه
تحذير من كفران نعمة الماء وتخويف من نفاده اذا لم يشكر ثم لما نبه على عظيم نعمة بخلق الماء بين المنافع الحاصلة بسببه
وخص منهما النخيل والاعناب وشجرة الزيتون لانها اكرام الشجر وعمها نفعا ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع لامرين
التفكه والتطعم وجوز في الكشاف ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة كذا كانه قال ومن هذه الجنات
وجوه ارزاقكم ومعايشكم ووصف الزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء و
طور سينين اما ان يكون الطور فيه مضافا الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون الجموع اسماء الجبل وهو جبل
فلسطين على قول او الطور الذي منه نودي موسى من قرا سيناء بفتح السين فهو كصحراء ومن قرا بكسرها فمنع صرفه للعلمية
والعجمة والتانيث بتاويل البقعة ولا يكون الفه حينئذ للتانيث كعلباء وحرباء قال في الكشاف بالدهن في موضع

الحال والباء المصاحبة دون التعدية لان نبات الدهن او انباته لا يكاد يستعمل فالمعنى تنبت الشجر وفيها الدهن او تنبت الشجر
زيتونها وفيه الزيت ويجوز ان يكون انبت بمعنى نبت ايضا والصبغ الادام لانه يصبغ به الخبز قلت لا يبعد ان يريد بالصبغ
نفس ثمر الزيتون لا الزيت وكذا يحتمل ان يكون الباء في بالدهن للتعدية الا ان يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما اضافها
الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه تشعبت في البلاد وتفرقت او لان معظمها هناك قوله وان لكم في الانعام لعبرة قد مر
في النحل ولعل القصد بالانعام ههنا الى الابل خاصة لانها هي المحمول عليها في العادة ولانه قرنها بالفلك وهي سفاين البر كما
ان الفلك سفاين البحر وانما قال في هذه السورة فواكه كثيرة بالجمع بخلاف ما في الزخرف ليناسب قوله هنا منافع كثيرة وليناسب
قوله جنات كما قال هنالك فاكهة على التوحيد ليناسب قوله وتلك الجنة وانما قال ههنا في الموضعين ومنها تاكلون بزيادة
الواو خلاف الزخرف لان تقدير الاية منها تدخرون ومنها تاكلون ومنها تبيعون وليس كذلك فاكهة الجنة فانها للاكل
فحسب فافهم واعلم انه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك اتبعه قصة نوح لانه اول من الهم صنعها وفيه ايضا تمويج القصص
بدلايل التوحيد على عادة القران لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله ما لكم من اله غيره جملة مستانفة تجري مجرى
التعليل للامر بالعبادة ومعنى افلا تتقون افلا تخافون ان تتركوا عبادة من هو لوجوب وجوده يستحق العبادة ثم
تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو في احسن مراتب الامكان وهي الجمادية ثم حكى الله سبحانه عنهم شبها
الاول قولهم ما هذا الا بشر مثلكم ومعناه انكار كون الرسول من جنس البشر وانكار كونه مثلهم في الاسباب
الدنيوية من المال والجاه والجمال كانهم ظنوا ان القرب من الله يوجب المزية في هذه الامور وثنيا بهذا الاحتمال
بالشبهة الثانية وهي قوله يريد ان يتفضل عليكم اي يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره وتكون لكما الكبرياء
في الارض وثلثا بالاحتمال الاول بالشبهة الثالثة وهي ولو شاء الله لانزل ملائكة لعلو شانهم ووفور علمهم
وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن اقوام اخرين في حم السجدة قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة وخص هذه السورة
باسم الله على الاصل ولتقدم ذكر الله وخص تلك السورة باسم الرب لتقدم ذكر الرب في قوله ذلك رب العالمين
وهم من جملة العالمين قالوه اما اعتقادا واما استهزاء الشبهة الرابعة الاعتصام بحبل التقليد ما سمعنا بهذا
اي بمثل هذا الكلام او بمثل هذا المدعي فيجوز ان يكونوا صادقين في ذلك للفترة المتطاولة ويجوز ان يكونوا تجاهلوا
وتكذبوا لانهماكهم في الغي ولتشمرهم لدفع الحق واخمال النبي باي وجه يمكنهم الشبهة الخامسة وهي نسبتهم اياه
الى الجنون مع علمهم ظاهرا بانه ارجح الناس عقلا وزنا به قال جار الله الجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه وهذا بنا
على زعم العوام ان الجنون ضربه الجن ثم رتبوا على هذه الشبهة قولهم فتربصوا به حتى حين اي اصبروا عليه الى ان
ينكشف جنونه ويفيق والى ان يموت او يقتل وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل
افعالا على خلاف عاداتهم وكان رؤساهم يقولون للعوام انه مجنون لينفروهم عنه وليلبسوا عليهم امره ويحتمل ان يكون
هذا كلاما مستانفا وهو ان يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله سينصره ويقوي امره فنحن حينئذ نتبعه
وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فحينئذ نستريح منه واعلم انه سبحانه لم يذكر جواب شبهاتهم لركاكتها ولانه قد
علم في هذا الكتاب الكريم اجوبتها غير مرة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم اولو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون واذا بطل طريقة التقليد صار حديث التربص عبثا بل يجب قبول من يدعي النبوة
بعد ظهور المعجزة من غير توقف ثم حكى ان نوحا عليه السلام لما علم اصرارهم على الكفر قال رب انصرني اي اهلكهم
بسبب تكذيبهم اياي ففي نصرتي اهلاكهم وانصرني بدل تكذيبهم كقولك هذا بذاك والمراد بدلني من غم التكذيب سلوة
النصرة او انصرني بانجاز ما كذبوني فيه وهو وعد العذاب في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وباقي القصة
الى قوله انهم مغرقون قد مر تفسير مثلها في سورة هود ومعنى فاسلك ادخل فيها وقد مر في اول الحجر في قوله كذلك
نسلكه وسبق عليه القول نقيض سبقت لهم منا الحسنى لان على يستعمل في الضار كما ان اللام يستعمل في النافع وقد جاء
زيادة منهم ههنا على الاصل وحذفت في هود ليحسن عطف ومن امن من غير التباس وبشاعر قيل في قوله باعيننا على الجمع
فساد قول المشبهة ان الله خلق ادم على صورته اما قوله فاذا استويت اي ركبت واستويت انت ومن معك على الفلك
فقل لم يقل فقولوا لان اول الكلام مبني على خطاب نوح ولان قول النبي قول للامة مع ما فيه من الاشعار بفضله ومن اظهار
الكبرياء وان كل احد لا يليق بخطاب رب العزة وفي الامر بالحمد على هلاكهم تقبيح صورة الظلمة كقوله فقطع دابر القوم الذين

ظلموا والحمد لله رب العالمين وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزما لانه كان عرف ان ذلك سبب نجاتهم
من الاشتراك مع الظلمة في حكم الاهلاك ثم امره ان يسال ما هو اهم وانفع وهو ان ينزله في السفينة بدليل عطف وقل على
جزاء فاذا استويت او ينزله في الارض عند خروجه من السفينة لانه لا يبعد ان يدعو عند ركوب السفينة بما يتعلق
بالخروج منها منزلا او انزالا او موضع انزال يبارك له فيه بزيادة اعطاء خير الدارين وقدامه ان يشفع بالدعاء الثنا المطابق
للمسالة وهو قوله وانت خير المنزلين اي انزالا وذلك انه اقدر على الحفظ واعلم بحال النازل بل كل منزل فانه لا يقدر على ايصال
الخير الى النازل الا باقداره وتمكينه والقائه الداعية في قلبه ان في ذلك الذي ذكر من القصة لايات لعبر او دلالات
لمن اعتبر وادكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والذهاب بها الى مغارها لا يقدر عليها الا القدير الخبير وان كنا هي المخففة من
الثقيلة واللام في لمبتلين هي الفارقة والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق او مختبرين
بهذه الايات من تخلفهم لننظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كفر فقد يمتحن
به من لم يكفر على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد التاويل الفلاح الظفر والفوز والبقا
اي ظفر المؤمنون بالايمان الحقيقي المقيد بجميع الشرايط بنفوسهم ببذلها في الله وفازوا بالوصول الى الله وبقوا به بعد
ان فنوا فيه الخشوع في الظاهر انتكاس الراس وغض العين واستماع الاذن وقراءة اللسان ووضع اليمين على الشمال
كالعبيد واعتدال الظهر في القيام وانحناؤه في الركوع وثبات القدمين والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر
والهواجس وحضور القلب لمعاني القراءة والاذكار ومراقبة السر بترك الالتفات الى المكونات واستغراق الروح في بحر
المحبة وذوبانه عند تجلي صفات الجمال والجلال اللغو كل ما يشغلك عن الله والزكوة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة
بل عن حب الدنيا لانه راس كل خطيئة الا على ازواجهم في كلمة على دلالة على انهم يجب ان يستولوا على الازواج لا بالعكس
والا كن عدوا لهم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج ان يبتغي بالنكاح النسل ورعاية
السنة في ادابها لا حظ النفس والا كان متجاوزا طريق الكمال لاماناتهم يعني التي حملها الانسان وعهدهم هو عهد الميثاق في
الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع ان الخشوع معتبر في نفس الصلوة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من
الشرايط وفيما بعدها وهو ان لا يفعل ما يحبطها ويضيعها الوارثون لانهم احياء القلوب وقد نالوا من المراتب ما خلفها اموات
القلوب من سلالة لانه سل من جميع اجزاء الارض فجاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين بل بحسب
اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفارة والنملة وشهوة الحمار والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمر وبخل
الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة
البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي والسلحفاة ونحوها من الاخلاق الحميدة فتبارك
الله احسن الخالقين لانه خلق احسن المخلوقين اما من حيث الصورة فلانه خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا مختلف
الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والعظام والمخ والعين والانف والفم
واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح واما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التي
ابى عن حملها السموات والارض والجبال وسيجي تحقيق ذلك في موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه
ان الانسان قابل لموت القلب ولموت النفس ولحشرهما فبموت احدهما حيوة الاخر وحشره وموت القلب عبارة
عن انغماسه وتستره في حجب الغواشي الاتية عليه من طرف الحواس الظاهرة وحاستي الوهم والخيال فلذلك قال
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد في
تلك الحجب بدليل قوله وانزلنا من السماء سماء العناية ماء الرحمة بقدر استعداد السالك فاسكناه في ارض وجوده
فانشانا لكم به جنات من نخيل المعارف واعناب الكشوف وشجرة الخفي الذي تخرج من طور سينا الروح تنبت بتباشير تجلي انوار الصفات
بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهي بلا واسطة لانه سر بين الله وبين الروح وصبغ للاكلين تقوية لهم ثم اخبر عن نعم
القالب ان فيها منافع لانها الة تحصيل الكمال وعليها وعلى تلك الشريعة في سفر السير الى الله تحملون وتاويل قصة نوح قد مر في سورة هود

ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين ۝ فارسلنا فيهم رسولا

منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة
واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل
مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم و
كنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون
ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان
هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال
رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين
فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين
ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها
وما يستاخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة
رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث
فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا
وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وامه
اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا ايها الرسل كلوا

من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه
امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم
بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم
حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون

القراءة هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد والوقف بالتاء لاغير وهو صحيح عنه وروى ابن وردان عنه
بالكسر والتنوين فيهما الباقون بفتح التاء فيهما في الحالين الا الكسائي فانه يقف بالهاء تترا بالتنوين ابن كثير وابو عمرو ويزيد
والوقف بالالف لاغير الباقون في الحالين وان هذه بفتح الهمزة وسكون النون ابن عامر وان بالكسر والتشديد عاصم وحمزة
وعلي وخلف الاخرون وان بالفتح والتشديد مدنا زبرا بفتح الباء ابن عباس الاخرون بضمها **الوقوف** اخرين للاية
مع الفاء وانفصال المعنى غيره تتقون الدنيا لان ما بعده مفعول القول مثلكم لان ما بعده صفة بشر تشربون لخاسرون
مخرجون لما توعدون بمبعوثين لان الكل مقول الكفار وباب رخصة الضرورة وجواز بيان الاية مفتوح بمؤمنين
بما كذبون نادمين للاية مع حسن الوصل تصديقا لقوله عما قليل غثاء تفخيما لكلمة التبعيد بالابتداء مع فاء التعقيب
الظالمين اخرين لان الجملة ليست بصفة لها لان الغرض سبق الاجل لا يختص بهم يستاخرون لان ثم لترتيب الاخبار تترى
منونا وغير ولا للابتداء بكلما احاديث لما ذكر في غثاء لا يؤمنون مبين لتعلق الجار عالين للاية مع الفاء عابدين لذلك
المهلكين يهتدون ومعين صالحا عليم لمن قرا وان بالكسر فاتقون زبرا فرحون حين وبنين لان نسارع مفعول ثان لحسبان
بالخيرات لا يشعرون السبع الخامس **التفسير** عن ابن عباس واكثر المفسرين ان هذا القرن هم عاد قوم هود لمجيء قصتهم
على اثر قصة نوح في غير هذا الموضع ولقوله تعالى في الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل انهم ثمود لانهم
اهلكوا بالصيحة وقد قال تعالى في هذه القصة فاخذتهم الصيحة ومعنى فارسلنا فيهم جعلناهم موضع ارسال والا
ارسل لا يتعدى الا بالى وضمن الارسال معنى القول ولهذا جيء بان المفسرة اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله قال بعضهم
قوله افلا تتقون غير موصول بما قبله وانما قاله لهم بعد ان كذبوه وردوا عليه الحجة والجمهور على انه موصول لانه دعاهم
الى الله وحذرهم عقابه ان لم يقبلوا قوله ولم يتركوا عبادة الاوثان قال جار الله انما قال في هذه السورة وقال الملأ
بالواو وفي الاعراف قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة بغير واو ومثله في سورة هود قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة لان نبي الامر في ذينك الموضعين على تقدير سؤال سائل وفي هذه السورة اراد انه اجتمع في الحصول
هذا الحق وهذا الباطل فعطف قولهم على قوله وقال السكاكي صاحب المفتاح انما قدم الجار والمجرور اعني قوله من قومه على
وصف الملأ بانهم الذين كفروا لطول الصلة بالمعطوفات ولانه لو اخر لاوهم ان قوله من قومه متعلق بالدنيا ومعنى لقاء الآخرة
لقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب ومعنى اترفناهم نعمناهم بحيث شغلوا بالدنيا عن الآخرة وقوله مما تشربون اي
من الذي تشربونه فحذف الضمير او حذف منه لدلالة ما قبله عليه ثم اكدوا شبهتهم بان الرسول لا يكون من جنس البشر بقولهم
ولئن اطعتم واذن واقع في جزاء الشرط وجواب لقومهم اي انكم اذا قبلتم مثلكم واطعتموه خسرتم عقولكم وابطلتم اراءكم اذ لا
ترجيح لبعض البشر على بعض في معنى الدعوة الى طريق مخصوص هذا بيان كفرهم ثم بين تكذيبهم بلقاء الآخرة وطعنهم في صحة
الحشر بقوله ايعدكم الاية قال جار الله ثني انكم للتوكيد وحسن للفصل بالظرف ومخرجون خبر الاول او انكم مخرجون مبتدا بمعنى
اخراجكم وخبره اذا متم والجملة خبر الاول وانكم مخرجون في تقدير وقع اخراجكم وهذه الجملة الفعلية جزاء اذا والجملة الشرطية
خبر الاول وفي حرف ابن مسعود ايعدكم اذا متم ثم اكد والاستفهام الانكاري بقولهم هيهات ومعناه بعد وهو اسم
هذا الفعل وفي التكرير تاكيد اخر وكذا في اضمار الفاعل وتنبيه بقوله لما توعدون قال جار الله اللام لبيان المستبعد ما
هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج هو في تقدير المصدر

اى البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون ثم بين انكارهم بانهم قالوا ان هى اى لا حيوة الا هذه الحيوة
لان ان النافيه دخلت على هى العايدة الى الحقيقة الذهنية فنفس ما بعدها نفى الجنس وقد مر فى الانعام و
انما بينت فى هذه السورة قوله نموت ونحيى لان هذه الزيادة لعلها وقعت فى كلام هؤلاء دون الكلام اولئك ولم يريدوا
بهذا الكلام انفس المتكلمين وحدهم بل ارادوا انه يموت بعض وينقرض قرن وياتى قرن اخر ولو انهم اعتقدوا انهم
يحيون بعد الموت لم يكن يتوجه عليهم ذم ولنا قضية قولهم وما نحن بمبعوثين ثم حكى انهم زعموا ان كل ما يدعيه هو
من الانشاء وحديث البعث وغيره افتراء على الله انهم لا يصدقونه البتة فلاجرم قال هود داعيا عليهم كما دعا
نوح على قومه رب انصرنى بما كذبون قال الله مجيبا له عما قليل اى عن زمان قصير ليصبحن حصل صيرورتهم نادمين
دليل على هلاكهم لانه علم انهم لا يندمون الا عند ظهور سلطان العذاب ووقوع اماراته وذلك وقت ايمان الياس
وزيادة ما للتوكيد وتقصر المدة والصيحة صيحة جبرائيل كما سلف فى الاعراف وفى هود ومعنى بالحق بالعدل كقولك
فلان يقضى بالحق وعلى اصول الاعتزال بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك والغثا حميل السيل مما بلى واسود من
الاوراق والعيدان وغيرها شبههم بذلك فى دمارهم او فى قلة الاعتناء بهم وفى ضمن ذلك تشبيه استيلاء
العذاب عليهم باستيلاء السيل على الغثا يقلبه كيف يشاء ثم دعا عليهم بالهلاك فى الدارين بقوله فبعدا للقوم
الظالمين كما مر فى سورة هود وفيه وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وعرف الظالمين لكونهم مذكورين
صريحا بخلاف ما يجى من قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون لانهم غير مذكورين الا بطريق الاجمال وذلك قوله ثم انشانا من
بعدهم قرونا اخرين والظاهر انهم قوم صالح ولوط وشعيب كما ورد قصصهم على هذا الترتيب فى الاعراف وفى هود
وغيرهما وعن ابن عباس انهم بنو اسرائيل والمعنى انا ما اخلينا الديار من مكلفين انشاناهم وبلغناهم حد التكليف حتى قاموا
مقام من كانوا من قبلهم ثم بين كمال علمه وقدرته فى شان المكلفين بقوله ما تسبق من امة اى كل طايفة مجتمعة فى
قرن لها اجال مكتوبة فى الحيوة وفى الموت بالهلاك او الاهلاك لا يتقدمها ولا يتاخر عنها وفيه ان المقتول ميت
باجله وقال الكعبى معنى الاية انهم لا يتقدمون وقت عذابهم ان لم يؤمنوا ولا يتاخرون عنه ولا يستاصلهم الا اذا علم
منهم انهم لا يزدادون الا عنادا وانهم لا يلدون مؤمنا وانه لا نفع فى بقائهم لغيرهم ولا ضرر على احد فى هلاكهم ثم بين
ان رسل الله كانوا بعد هذه القرون متواترين وان شانهم فى التكذيب كان واحدا وكذا سنة الله فيهم باتباع بعضهم
بعضا فى الاهلاك والتا فى تترى بدل من الواو فى الوتر وهو الفرد اى ارسلناهم واحدا بعد واحد والرسول يلابس الرسل
والمرسل اليه جميعا فلذلك جاء فى القران رسلنا ورسلهم ورسولها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث او جمعا له من غير
لفظه ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة من لفظها كالاضحوكة والاعجوبة وهو المراد من
الاية اى جعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها لانهم استوصلوا فلم يبق منهم ولا اثر سوى الحكاية ثم ذكر طرفا من قصة موسى
عن الحسن باياتنا اى بديننا كيلا يلزم منه تكرار لان السلطان المبين هو المعجز والاقرب قول ابن عباس انها الايات التسع
لان الايات عند ذكر الرسل يراد بها المعجزات فى عرف القران والسلطان هو العصا لانها كانت ام اياته واقدمها فخصت
بالذكر لشرفها وقوة دلالتها ويجوز ان يراد انها ايات فى نفسها وحجة بينة بالنسبة الى المتحدين بها او يراد به تسلط موسى
عليهم فى الاستدلال على الصانع وانه ما كان يهتم لهم ورد ثم حكى عن فرعون وقومه صفتهم وشبهتهم اما الصفة فهى
الاستكبار والعلو اى طلبوا الكبر وتكلفوه واستنكفوا عن قبول الحق وكانوا مع ذلك رفيعى الحال فى امور الدنيا
غالبين قاهرين مستظهرين بالعدد والعدد واما الشبهة فهى انكار كون الرسول من جنس البشر ولا سيما اذا كان قومهما
وهم بنو اسرائيل خدما وعبيدا لهم قال ابو عبيدة العرب تسمى كل من دان الملك عابدا له ويحتمل ان يقال انه كان يدعى الالهية
فادعى الناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة والبشر يقع على الواحد وعلى الجمع والمثل يوصف به الاثنان و
الجمع والمذكر والمؤنث ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ثم بين انه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب فاهلكوا
لذلك وكانوا فى حكم الله وعلمه كذلك ثم حكى ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب
اى التورية لعلهم يهتدون ومن الناس من ظن ان هذا الضمير راجع الى فرعون وملائه والمعنى انه خص موسى بالكتاب لا لتكذيب
ولكن ليهتدوا به فلما اصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا الاهلاك وهو وهم لان موسى لم يوت التورية الا بعد اهلاك
القبط بدليل قوله ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وقوله فى اوائل البقرة واذ نجيناكم من
آل فرعون الى قوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة والقصة مشهورة فالصحيح انه ذكر موسى واراد قومه كما يقال هاشم

وثقيف ويراد قومهم نظيره على خوف من فرعون وملائهم وقد مر اخر سورة يونس ثم اجمل قصة عيسى بقوله وجعلنا ابن
مريم وامه اية وقد مر بيانه فى اخر الانبياء فى قوله وجعلناها وابنها اية قال جار الله لو قيل ايتين لجاز لان مريم ولدت
من غير مسيس وعيسى روح من الله القى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات اخر واللفظ محتمل للتثنية على
تقدير وجعلنا ابن مريم اية وامه اية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والاقرب حمل اللفظ على الوجه الذى
لا يتم الا بمجموعهما وهو الولادة على الوجه العجيب الناقض للعادة والربوة بحركات الراء هى الارض المرتفعة عن كعب وقتادة
وابى العالية هى ايليا ارض بيت المقدس فانها كبد الارض واقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا وعن الحسن فلسطين والرملة
ومثله عن ابى هريرة قال الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التى ذكرها الله وقال الكعبى وابن زيد هى مصر و
الاكثرون على انها دمشق وغوطتها والقرار المستقر من ارض منبسطة مستوية وعن قتادة اراد ذات ثمار وماء
يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض من عانه اذا ادركه بعينه فوزنه
فى الاصل معيون على مفعول وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا من الماعون وهو ما سهل على معطيه من
اثاث البيت ومثله قولك على المعين السهل الذى ينقاد ولا يعتاص وقال جار الله وجه من جعله فعيلا انه لظهوره و
جريه من الماعون وهو المنفعة قال المفسرون سبب الايواء انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنى عشر سنة وانما كان
يمانها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ما مات ملكهم قوله سبحانه يا ايها الرسل الاية ظاهره لانهم ارسلوا فى ازمنة
مختلفة وفى تاويله وجوه **احدها** الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان امرا نودى
له جميع الرسل حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه ويؤيد هذا التاويل ما روى عن ام عبد الله اخت شداد بن اوس انها بعثت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن فى شدة الحر عند فطره وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من اين لك هذا فقالت
من شاة لى ثم رده وقال من اين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالى فاخذه ثم انها جاءته وقالت لرسول الله لم رددته فقال صلى
الله عليه وسلم بذلك امرت الرسل ان لا ياكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا **وثانيها** وهو قول محمد بن جرير ان المراد به عيسى
وقد خاطب الواحد خطاب الجمع لتشريفه وكقوله الذين قال لهم الناس المراد نعيم بن مسعود وقع هذا الاعلام عند ايواء
عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اى اوينا هما وقلنا لهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا
اقتداء بالرسل **وثالثها** وهو الاظهر عندى ان المراد نبينا صلى الله عليه وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء اخبار الرسل وفى
اتصال الكلام بما بعده ظاهر كما نقرر من اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذات وبالحقيقة المراد به الامة كقوله
يا ايها النبى اذا طلقتم والطيب ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه وهو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصى
الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام يمسك النفس ويحفظ العقل وفى تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح
دليل على ان العمل الصالح لا بد ان يكون مسبوقا باكل الحلال وفى قوله انى بما تعملون عليم تحذير من مخالفة هذا الامر
قال فى سورة سبا انى بما تعملون بصير وكلاهما من اسمائه تعالى الا انه ورد ههنا على الاصل لان العلم اعم وهناك داعى
الفاصلة او خصص لان الخطاب مخصوص بال داود من قرا وان بالكسر فعلى الاستيناف ومن قرا بالفتح مخففا او مشددا فعلى حذف
لام التعليل والمعلل فاتقون ثم من قال الخطاب لجميع الرسل فالمشار اليه بهذه هو اصول الاديان والشرايع التى لا اختلاف فيها بين
الرسل وجملتها تقوى الله كما ختم بها الاية والضمير فى فتقطعوا راجع الى امم قال الكلبى ومقاتل والضحاك يعنى مشركى مكة و
المجوس واليهود والنصارى ومن قال الخطاب لعيسى فهذه اشارة الى ملته فى وقتها وعلى القول الاظهر هى اشارة الى جميع الاقوال المشار
اليه ملة الاسلام كما مر مثله فى اواخر سورة الانبياء كانه امر هناك بالعبادة التى هى اعم ثم امر بالتقوى التى هى اخص ولهذا قال
فتقطعوا بالفاء ليتوجه الذم اتم فان المتقى بر كلما كان ابعد من المامور به كان سبب الذم اقوى فلا يكون ترتيب التقطع على التقوى
كترتيبه على العبادة ولهذا اكد التقطع بقوله زبرا اى قطعا جمع زبور اى حال كونه كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم اديانا ومذاهب
شتى ومن قرا بفتح الباء فمعناه قطعا واستعيرت من زبر الفضة والحديد ثم اكد الذم بقوله كل حزب اى كل فريق منهم معتقد بما
اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى انه المحق الرابح وغيره المبطل الخاسر ثم بلغ فى الذم والتهديد بقوله فذرهم فى غمرتهم وهذا
الامر مما يدل على ان المخاطب بقوله يا ايها الرسل هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد تعظيما وتفخيما
كقوله ان ابرهيم كان امة والغمرة الماء الذى يغمر القامة قال جار الله ضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او
شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قلت وانت اذا تاملت فيما اسلفنا لك فى المقدمة التاسعة من مقدمات
الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين قال فى الكشاف الى حين اى الى ان يقتلوا او يموتوا والتحقيق انه الحالة التى يظهر عندها الحق

والندامة وذلك اذا اعرفهم الله بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي عن الجزع من تاخير عقابهم ثم ان القوم كانوا اصحاب نعمة ورفاهية
فبين الله تعالى ان ذلك الذي يجعله مددا لهم وهو المال والبنون سبب لاستدراجهم الى زيادة الاثم نظيره في آل
عمران انما نملي لهم ليزدادوا اثما وما في انما موصولة والربط محذوف اي نسارع لهم به وفي قوله بل لا يشعرون انهم
اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتفكروا هو استدراج ام مسارعة في الخير وفيه انه سبحانه اعطاهم هذه النعم
ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق فحين اعرضوا عن الحق كان لزوم الحجة عليهم اقوى التاويل ياكلون
مما تاكلون لو يعلموا انهم ياكلون مما تاكلون ولكنهم لا ياكلون كما تاكلون المومن ياكل في امعاء واحد والكافر ياكل في سبعة
امعاء والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام واهل الله ياكلون ويشربون من مقام ابيت عند ربي يطعمني و
يسقيني وقومهما انا عابدون اي في حال الطفولية كانت صفات الروح والقلب في فرعون النفس وتربيتها وتربية
صفاتها لاستكمال القالب وقواه الى حد البلوغ والاستعداد لتحمل اعباء التكاليف الشرع واوىناهما ابن مريم الفتى ومعنى
القلب الى ربوة القالب الذي فيه قرارهما ويجري فيه ماء معين الحكم من القلب على اللسان يا ايها الرسل الى القوى الروحانية

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات
ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف
نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون
بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم
لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون
لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت اياتي تتلى
عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به
سامرا تهجرون افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم
الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت والارض ومن فيهن بل اتيناهم

بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ام تسألهم خرجا
فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط
لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي
انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي
يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون
بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا و
عظاما ءانا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل
ان هذا الا اساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان
كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله افلا
تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان
كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون
بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون

القراءة تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الاخرون بفتح التاء وضم الجيم خرجا فخراج بغير الف فيهما ابن عامر
كلاهما بالالف حمزة وعلي وخلف الباقون بحذف الالف من الاول واثباتها في الثاني فتحها بالتشديد يزيد سيقولون لله
الثانية والثالثة ابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون باللام فيهما كالاول حملا على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في

معنى ولجد الوقوف مشفقون يؤمنون لا يشركون راجعون لا لان الكل معطوفان على اسم ان الخبر اولئك الجملة سابقون
لا يظلمون عاملون يجأرون لا تجأروا لا تنصرون تنكصون لان ما بعده حال مستكبرين قد قيل على جعل الجار و
المجرور مفعول سامرا او مفعول تهجرون الاولين منكرون لصورة الاستفهام وهو العطف جنة كارهون فيهن
معرضون لان ام استفهام انكار خير فقد قيل بناء على ان الواو للابتداء والحال اوجه الرازقين مستقيم لناكبون يعمهون
يتضرعون مبلسون والافئدة تشكرون تحشرون والنهار تعقلون الاولون لمبعوثون الاولين تعلمون لله
تذكرون العظيم لله تتقون تعلمون لله تسحرون لكاذبون التفسير انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقية عن الكفرة
المتنعمين اتبعه بمن هو اهل الخيرات عاجلا واجلا فوصفهم بصفات اربع الاولى الاشفاق من خشية ربهم وظاهره ينبئ
عن تكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فمنهم من قال جمع بينهما للتاكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب اي من عذاب ربهم
مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على اثره وهو الدوام في الطاعة والمعنى الذين هم من خشية ربهم
دائمون على طاعته جادون في طلب مرضاته ومنهم من قال الاشفاق كمال الخوف اي هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه
اجلا في نهاية الخوف ويلزم ذلك ان يكونوا في غاية الاحتراز عن المعاصي وفيه انهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلان
يخافوا من عدم الخشية اولى الثانية قوله والذين هم بايات ربهم يؤمنون والظاهر انها القران وقيل هي المخلوقات الدالة على
وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها
دلائل موصلة الى العرفان ويتبعه الاقرار اللساني ظاهرا الثالثة التبري عما سوى الله ظاهرا وباطنا بان لا يشركون به
طرفة عين الرابعة قوله والذين يؤتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا وقلوبهم وجلة خائفة في شان ذلك الاعطاء ثم
علل ذلك الوجل بقوله انهم راجعون فان من اعتقد الرجوع الى الجزاء والمسائلة ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم ان المجازي
هو الذي لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل عمله من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون ابعد عن الرياء وادخل
في الاخلاص والظاهر ان هذا الايتاء مختص بالزكوة والتصدق ويحتمل ان يراد اعطاء كل فضل وخصلة اي اتيانها ويؤيده
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعن عايشة انها قالت قلت يا رسول
الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم
ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه وفي قوله يسارعون في الخيرات معنيان احدهما يرغبون في
الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا وجوه المنافع والاكرام لانهم اذا سورع
بها لهم فقد سارعوا في نيلها قال جار الله وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار
للمؤمنين وقال في قوله وهم لها سابقون اي متروك المفعول او منويه اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس
لاجلها او المراد اياها سابقون كقولك هو لزيد ضارب بمعنى هو زيدا ضارب حيث ما باللام يضعف عمل اسم الفاعل
ولا سيما فيما قبله والمعنى انهم ينالون الخيرات قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وجوز ان يكون لها سابقون
خبرين احدهما بعد الاخر كقولك هو لهذا الامر اي صالح لهم وحين انجر الكلام الى ذكر اعمال المكلفين ذكر حكمين لها
الاول قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها وفي الوسع قولان احدهما انه الطاقة والثاني انه دون الطاقة وهو قول
المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبي لانه اتسع فيه على المكلف ولم يضيق مثله ان لم يستطع ان يصلي قائما فليصل
قاعدا والا فليوم ايماء وفيه ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من وسعهم الثاني قوله ولدينا كتاب ينطق
والمراد بنطقه اثبات كل عمل فيه وهو اللوح او صحيفة الاعمال لا يقرؤون منها يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل
والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة في مثل هذا المقام معلوم اما قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا ففيه طريقان احدهما
انه راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار في غفلة غامرة لها من هذا الذي بيناه في القران او من هذا الذي ينطق
بالحق او الذي عليه هؤلاء المؤمنون ولهم اعمال متجاوزة لذلك الذي وصف به المؤمنون كمتابعة الهوى وطلب الدنيا
والاعراض عن المولى هم لها عاملون في الحال على سبيل الاعتياد لا ينفطمون عنها حتى ياخذهم العذاب او الاستقبال لانها
مثبتة في علم الله مكتوبة في اللوح عليهم ان يعملوا بها بحكم الشقاء الازلي وثانيهما وهو اختيار ابي مسلم ان هذه الايات
من صفات المشفقين كانه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهايته ما اتى به هؤلاء ولدينا
كتاب يحفظ اعمالهم بل قلوبهم في حيرة من هذا الذي وصفناهم به اهو مقبول عند الله ام مردود ولهم اعمال من دون
ذلك الذي وصفناهم به هم لها عاملون وهي النوافل التي يهم والاعمال القلبية ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله حتى اذا اخذنا

مترفيهم بالعذاب وهو عذاب الاخرة او قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب و
العظام المحترقة والقد والاولاد والجؤار الصراخ باستغاثة ثم اخبر انه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت لا تجأروا اليوم
انكم منا لا تنصرون لا تغاثون من جهتنا او لا تمنعون منا ثم عدد عليهم للتوبيخ مقابحهم ومعنى النكوص على العقبين التباعد
عن الحق والتجافي عنه كمن رجع على ورائه وقد مر في الانفال وفي مرجع الضمير في به اقوال احدها انه للبيت العتيق
او للحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت والتفاخر بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر
علينا احد لانا اهل الحرم وثانيها مستكبرين بهذا التراجع والتباعد وثالثها مستكبرين بالقران على تضمين الاستكبار
معنى التكذيب او على ان الباء للسببية لان سماع القران كان يحدث لهم استكبارا وعتوا ورابعها انه يتعلق بسامرا و
تهجرون والهجر بالضم الفحش وبالفتح الهذيان واهجر في منطقه اذا افحش والضمير للقران وبالطعن فيه او النبي وكانت عامة
سمرهم حول البيت ذكر القران وتسميته سحرا او شعرا او سب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضر في الاطلاق
على الجمع ثم بين ان سبب اقدامهم على الكفر احد امور اربعة الاول عدم التدبر في القران لانهم ان تدبروه وتأملوا مبانيه
ومعانيه ظهر لهم صدقه واعجازه فيصدقوا به وبمن جاء به الثاني قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين والمراد امر
الرسالة ثم المقصود تقرير انه لم يات اباءهم الاقدمين رسول كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فلذلك انكروه واستبعدوه
او تقرير انه اتى اباءهم الاقدمين رسل وذلك انهم عرفوا بالتواتر ان رسل الله فيهم كثيرة وكانت الامم بين مصدق ناج وبين
مكذب هالك بعذاب الاستئصال فما دعاهم ذلك الى تصديق هذا الرسول واباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان
وقيل اراد فلم يدبروا القران فيخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن
ما لم يات اباءهم حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة
فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مرة فانهم كانوا على
الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما الثالث قوله ام لم يعرفوا انه نبه بذلك على انهم عرفوه و
عرفوا صحة نسبه وامانته فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على انه امين الرابع نسبتهم اياه الى الجنون وكانوا يعلمون
انه اتمهم عقلا ولكنه جاء بما يخالف هواهم فشككوا العوام ابقاء على مناصبهم ورياساتهم ثم اضرب عن اقوالهم مبنيا على صدق
امر النبي فقال بل جاءهم ملتبسا بالحق والباء للتعدية والحق الدين القويم والصراط المستقيم واكثرهم للحق كارهون واقلهم
كانوا لا يكرهونه وان لم يظهروا الايمان به خوفا من قالة الاعداء كما يحكى عن ابي طالب ولهذا جاء الخلاف في صحة اسلامه
ثم بين ان الالهية تقتضي الاستقلال في الاوامر والنواهي وان الحق والصواب منحصر فيما دبره اله العالم وقدره فقال
ولو اتبع الحق اهواءهم نظيره ما مر في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل الحق الاسلام والمراد لو انقلب الاسلام شركا
كما يقتضيه اهواؤهم لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة الحق هو الله والمعنى لو كان الله امرا بالشرك والمعاصي
على وفق رايهم لما كان الها ولكن شيطانا فلا يقدر على امساك السموات والارض وحينئذ يختل نظام العالم ثم ذكر ان نزول
القران عليهم من جملة الحق فقال بل اتيناهم بذكرهم ان كانت الباء للتعدية فظاهر وان كانت للمصاحبة فعلى حذف مضاف
اي اتاهم رسولنا ملتبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم وفخرهم والاضافة بدل اللام العهدي اي الذكر الذي
كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ثم بين ان دعوته ليست مشوبة بالطمع الموجب
للنفرة فقال ام تسالهم خرجا اي جعلا وكذا الخراج وقد مر في اخر الكهف وقيل الخرج اقل ولهذا قرا الاكثرون خرجا فخراج يعني ام
تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين اثبت لرسوله مواجب قبول قوله ونفى عنه
اضداده صرح بمضمون امره ومكنون سره فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم هو دين الاسلام لا تدعوهم الى غيره من الطرق
المنحرفة عن جادة الصواب واشار الى هذه الطرق بقوله وان الذين لا يؤمنون بالاخرة هم المذكورون فيما تقدم او كل من لا يؤمن بالاخرة
عن الصراط المستقيم المذكور لناكبون والتركيب يدور على العدول عن القصد ومنه المنكب لمجمع عظم العضد والكتف والنكباء
للريح التي تعدل عن مهاب الرياح للقوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله ولو رحمناهم الاية يروى انه اسلم ثمامة بن اثال الحنفي
ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله ان
يكشف عنا الضر فانزل الله الاية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لاصروا على ما هم فيه من الطغيان ثم

استشهد على ذلك بقوله ولقد اخذناهم اى قبل ذلك بالعذاب يعنى ما جرى عليهم يوم بدر فما استكانوا لربهم
اى ما خضعوا له وقد مر اشتقاقه فى آل عمران وما يتضرعون عدل الى المضارع لانه اراد وما من عادة هؤلاء
ان يتضرعوا حتى فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد وهو الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل فابلسوا الساعة اى
خضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة واخشنهم عريكة يستعطفك ويحتمل ان يراد محناهم بكل محنة من القتل
والجوع فما شوهد منهم انقياد للحق وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون والابلاس السكوت مع تحير
او الياس من كل خير ثم نبه بقوله وهو الذى انشا لكم على ان اسباب التامل فى الدلائل موجودة وابواب الاعذار بالكلية
مسدودة فما كفر ولا عند الا للشقا الازلى وفى قوله قليلا ما تشكرون اى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد
على ان المقر اقل من الجاحد وعن ابى مسلم انه قال اراد بالقلة العدم وفى الاية ثلثة معان احدها اظهار النعم وثانيها
مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع ان لا يسمع الا لله وبالله ومن الله وشكر البصر ان ينظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد
تصفيته عن دين الاخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله وثالثها الشكاية ان الشاكر قليل ثم بين
دلايل اخر على الوحدانية فقال وهو الذى ذرأكم اى خلقكم وبثكم فى الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه
تحشرون بعد تفرقكم وهو الذى يحيى ويميت وفيه مع تذكير نعمة الحيوة بيان ان المقصود منها الانتقال الى دار الثواب
وله اختلاف الليل والنهار اى هو مختص بتصريفهما وانهما يشبهان الموت والحيوة وفى قوله افلا تعقلون توبيخ وتهديد
ثم نبه بقوله بل قالوا الايات على انه لا شبهة لهم فى انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعانى
قوله لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا وارد على الاصل لان التاكيد مذكور عقيب المؤكد وبعده على المعطوف وبعده
المفعول الثانى واما فى سورة النمل فسبب تقديم المفعول الثانى على الضمير وعلى المعطوف هو ان المقتضى هناك على قوله
ترابا والتراب ابعد فى باب الاعادة من العظام فقدم ليدل على مزيد الاعتناء به فى شان الاستنكار ثم رد على منكرى
الاعادة او على عبدة الاوثان بقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون اى ان كان عندكم علم فاجيبونى وفيه استهانة
بهم وتجهيل لهم بامر الديانات حتى جوز ان يشتبه عليهم مثل هذا المكشوف والجلى وفى قوله افلا تذكرون ترغيب
فى التدبر وبعث على التامل فى امر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع الارض ومن فيها كان حقيقا بانه لا يشرك
به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما افناه وفى قوله افلا تتقون مثل هذا الترغيب مع التخويف وكان اولى بالاية
الثانية لاجل التدرج ولتعظيم السموات والعرش ولان تذكر واجب الوجود مقدم على اتقاء مخالفته قال جار الله
اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا ان كنتم
تعلمون بهذه الصفة غيره فاجيبونى به ومعنى تسحرون تخدعون عن طاعته والخادع هو الشيطان والهوى ثم بين
بقوله بل اتيناهم بالحق انه قد بالغ فى الحجاج عليهم بهذه الايات حتى استبان ما هو الحق والصدق وانهم مع ذلك
لكاذبون حيث يدعون له الولد والشريك وينسبون اليه العجز عن الاعادة التاويل من خشيته هم مشفقون
اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة فى الحضور والغيبة بايات ربهم يؤمنون هى ما يكاشف لهم من شواهد الحق فى السر
والعلانية بربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة فى رد الناس وقبولهم ومدحهم وذمهم وانقطاع النظر فى المضار و
المضار عن الوسايط والاسباب يسارعون فى الخيرات يتوجهون الى الله وينقطعون عما سواه وهم لها سابقون على
قدر سبق العناية ولا نكلف نفسا الا وسعها كلفهم ان يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك وامرهم بقبول دعوة
الانبياء وما هم بعاجزين عنه وقد كتب فى اللوح انهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يظلمون فلا يكلفون ما ليس
فى وسعهم واستعدادهم حتى اذا اخذنا اكابر مجرميهم بعذاب فساد الاستعداد لفسدت سموات ارواحهم وارض
نفوسهم ومن فيهن من القلب والسر وهو خير الرازقين فيه ان العلماء بالله عليهم ان لا يدنسوا وجوه قلوبهم الناصعة بدنس
الاطماع الفارغة ولقد اخذناهم اولا بعذاب الفتن حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب الرين يحيى بنوره قلوب بعض عباده
ويميت نفوسهم عن صفاتها الذميمة او يحيى بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات
الطبيعة عليها وله اختلاف ليل البشرية ونهار الروحانية او طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا ءاذا متنا فيه
ان الياس من الوصول والوصال ليس من شيم اهل الكمال فقد تقدم قيامة العشق فيبعث القلب الميت او من كان ميتا
فاحييناه ملكوت كل شئ هى جهة روحانيته وهو يجير الاشياء بقيوميته عن الهلاك ولا مانع له من اراده ان لا يجيره هو الله
سبحانه

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان عما يصفون عالم الغيب و
والشهادة فتعالى عما يشركون ۝ قل رب اما تريني ما يوعدون
رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين ۝ وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون ۝ ادفع بالتى هى احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون ۝
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون ۝ حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ۝
لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ۝ فاذا نفخ فى الصور فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ۝ الم تكن اياتى
تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ۝ قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون ۝ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ۝ انه كان فريق من
عبادى يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الراحمين ۝ فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكرى وكنتم
منهم تضحكون ۝ انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون
قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين ۝ قالوا لبثنا يوما او

بعض يوم فسئل العادين • قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم
كنتم تعلمون • افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون • فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش
الكريم • ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه
عند ربه انه لا يفلح الكافرون • وقل رب اغفر
وارحم • وانت خير الراحمين

القراءة اعالم بالرفع ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وعاصم غير حفص الا الخراز وقرا رويس بالخفض اذا وصل
وبالرفع اذا ابتدا الاخرون بالخفض لعلي اعمل بسكون الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان
شقاوتنا حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف من غير الف سخريا بضم السين
وكذلك في صاد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف والمفضل والخراز عن هبيرة الاخرون بكسرها انهم بالكسر حمزة وعلي
والخراز عن هبيرة قل كم لبثتم قل ان لبثتم على الامر فيهما حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد وابو عون عن قنبل وافق ابن كثير
في الاول لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة وعلي وخلف الوقوف على بعض يصفون لمن قرا عالم بالرفع
اي هو عالم ومن خفض لم يقف لانه بدل او وصف يشركون ما يوعدون لان قوله فلا جواب للشرط واما والنداء
عارض اي الظالمين لقادرون السيئة يصفون الشياطين يحضرون راجعون لتعلق لعل كلا لانها للردع عما قبلها
لا يرجع وقيل يبتدا بها بمعنى حقا والاول احسن قائلها يبعثون ولا يتساءلون المفلحون خالدون كالحون يكذبون
ضالين ظالمون ولا يكلمون الراحمين للاية والوصل اجوز لشدة اتصال المعنى واللفاء يضحكون صبروا لمن قرا انهم بالكسر
الفائزون سنين العادين يعلمون الحق لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا اي يقال متوحدا غير مشارك الا هو لان قوله رب
العرش يصلح بدلا من هو وخبر مبتدا محذوف الكريم اخر لان الجملة بعده صفة لربه لان ما بعده جواب عند ربه الكافرون
الراحمين التفسير لما اثبت لنفسه الالهية بالدلائل الازلية في الايات المتقدمة نفى عن نفسه الانداد والاضداد
بقوله ما اتخذ الله من ولد فبقوله وما كان معه من اله وفيه رد على القايلين بان الملائكة بنات الله وابطال لاقوال اليهود
والنصارى والثنوية ثم ذكر شبه دليل التمانع بقوله اذا لذهب وهو جواب لمن معه المحاجة من اهل الشرك وجزاء الشرط
محذوف دل عليه الكلام السابق بتقديره ولو كان معه الهة اذا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد منهم بخلقه الذي
خلقه واستبد به لان اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور فان ذلك مقتضى عجز الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ يكون
ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الاخرين ولعلى بعضهم على بعض اي لغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا
من تمايز الممالك ومن التغالب وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلذلك ختم الاية بقوله سبحانه عما يصفون الى قوله
عما يشركون ثم امر نبيه بمكارم الاخلاق واحسن العادات قايلا قل رب اما تريني اي كان لا بد من ان تريني ما نعدهم من
العذاب في الدنيا او في الاخرة ولا تجعلني قرينا لهم وقد يجوز انه يستعبد العبد بالله مما علم انه لا يفعله اظهار للعبودية
واستكانة له ويوبده تكرار رب مرتين وكانوا ينكرون العذاب ويستهزؤون منه فاكد وقوعه وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون هل فيه دليل على ان القدرة تقع على المعدوم لانه اخبر انه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك ثم امره بالصفح
عن مساءتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كان احسن لانها
حسنة مضاعفة بازاء سيئة او يقول المكافاة حسنة ولكن العفو احسن عن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله و
السيئة الشرك وعن مجاهد ان يسلم عليه اذا لقيه قيل هي منسوخة باية السيف والاولى ان يقال هي محكمة لان المداراة
مستحبة ما لم تؤد الى محذور ونحن اعلم بما يصفون مما ليس فيك من المثالب والمراد انه اقدر على جزائهم فعليه ان يفوض امرهم

الى الله ويدفع اثامهم بالكلام الجميل والسلام وبيان الادلة على احسن الوجوه ثم اتبع هذا التعليم ما يقويه على ذلك وهو الاستعاذة
بالله من همزات الشياطين والهمزة النخس ومنه مهماز الرايض وذلك انهم يحثون الناس على المعاصي بانواع الوساوس كما يحث
الرايض الدابة على المشي بالمهماز وهي حديدة تكون في مؤخر خفه عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلاة
اللهم اني اعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر امره بالتعوذ من ان
يحضروا اصلا كما قال اعوذ بالله من خصومتك بل اعوذ بالله من لقائك وعن ابن عباس اراد الحضور عند تلاوة القران
وعن عكرمة عند النزاع والاولى العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه رجلا ارقا به اذا اردت النوم
فقل اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن همزات الشياطين وان يحضرون قوله حتى اذا جاء قيل متعلق
بقوله وانهم لكاذبون وقيل يصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتاكيد للاغضاء عنهم
مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم والمراد بمجيء الموت اماراته التي يتحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية
فحينئذ يسالون الرجعة يا ليتنا نرد والاكثرون على انهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس انها تشمل من لم يزك ولم يحج لقوله و
انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني واما وجه الجمع في قوله راجعون مع وحدة المنادى فقيل
ان الجمعية راجعة الى الفعل كانه قال ارجع مرات ونظيره القيا في جهنم اي الق وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين
للارواح اي بحق الله ارجعون فالا قرب انه الجمع للتعظيم كقول الشاعر الا فارحموني يا اله محمد وقوله فان شيت حرمت
النساء سواكم عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما
الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الجبار الله اي لعلي اتدارك بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا
كما يقول لعلي ابني على اس بزيد او سعي اسا فابني عليه وقيل اي فيما خلفت من المال والاولى العموم فيدخل فيه العبادات البدنية
والمالية والحقوق كانهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما افسدوه ويطيعوا فيما عصوا قيل كيف سالوا الرجعة وقد علموا صحة
الدين بالضرورة ومن الدين ان لا رجعة والجواب بعد تسليم انهم عرفوا كل الدين ان الانسان قد يتمنى شيئا مع علمه بتعذره
كقول القايل ليت الشباب يعود والاستغاثة بحث هذه المسالة قد يحسن وقولهم لعلي ليس المراد به الشك وانما هو كقول المقصر
مكنوني لعلي اتدارك مع كونه جازما بانه يستدرك ويحتمل انهم وان كانوا جازمين بذلك الا ان امر المستقبل مبني على الظن
والتخمين دون اليقين فلذلك ورد الكلام بصورة الترجي ثم ردعهم بقوله كلا اي ليس الامر على ما توهموه من امكان الرجعة
انها كلمة والمراد بها طايفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهي قوله ارجعون لعلي اعمل صالحا هو قايلها لا محالة لا يخليها
ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه او هو قايلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه ومن ورائهم الضمير لكل
المكلفين اي امامهم برزخ حايل بينهم وبين الجنة او النار او بين الجزاء التام الى يوم يبعثون وذلك البرزخ هو مدة ما
بين الموت الى البعث ولعل بعض المحجب من الاخلاق الذميمة يندفع في هذه المدة قال في الكشاف حال بينهم وبين الرجعة
ومعناه الاقناط الكلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة ثم وصف البعث بقوله فاذا نفخ في الصور وقد مر
معناه في اخر طه وقوله فلا انساب بينهم اليس المراد نفي النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فان المراد حكمه وما يتفرع
عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون احد القريبين في الجنة والاخر في النار ويكون لكل مكلف من اشتغال
نفسه ما يمنعه من الالتفات الى احوال نسيبه عن قتادة لا شيء ابغض الى الانسان من ان يرى من يعرفه مخافة ان
يثبت له عليه شيء واما الجمع بين قوله ولا يتساءلون وبين قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر لان هذا في صفة
اهل الموقف وذلك في صفة اهل الجنة ولو سلم ان كليهما في وصفه اهل الموقف فلن نسلم اتحاد المواطن والان منه
وغيرها من الاعتبارات التي يقع فيها التساؤل كحقوق النسب ونحوها عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مواطن يذهل
فيها كل نفس حتى يوم ترى الكل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقد مر شرح اية الموازين في اول الاعراف فليرجع
الى هناك وقوله في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل له كالمبدل فان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر
لاولئك او خبر مبتدا محذوف ومعنى خسران انفسهم امتناع انتفاعهم بها وقال ابن عباس خسروها بان صارت منازلهم
للمؤمنين ومعنى تلفح تسفع اي تضرب وتاكل لحومهم وجلودهم النار قاله ابن عباس وعن الزجاج ان اللفح والنفح واحد الا ان
اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان يتقلص الشفتان عن الاسنان كالرؤوس المشوية يروى ان عتبة الغلام مر بالسوق براس
اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يشويه النار فتقلص شفته
العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته قال الجوهري الكلوح تكشر في عبوس ثم بين سبحانه

انه تعالى لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا الم تكن اياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله
تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورضوا بالعلم والداعى وفسر المعتزلة الشقاوة بسوء العاقبة التى علم الله انهم يستحقونها
بسوء اعمالهم وبعبرها الاشاعرة بما كتب الله عليهم والمعاصى ان يعملوها حتى يولجهم الى النار ومعنى غلبت علينا الشقاوة
على هذا التفسير ظاهر واما على تفسير المعتزلة فقد قال الجار الله معناه ملكتنا واخذت منا وقال الجبائى اراد ان طلبنا
للذات المحرمة وحرصنا على عمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فاطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم
لعلمهم بان لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم في سوء صنيعهم واجيب بان طلب تلك اللذات
لا بد ان ينتهى الى داعية يخلقها الله فيه بدليل قوله وكنا قوما ضالين اى في علم الله وسابق تقديره وحمله المعتزلة على
الاعتراف بانهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بان يجعلوا ذلك عذرا لهم اولى واجيب بان نحو
الكلام يؤل الى هذا كما قررنا عن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا
فيجابون حق القول منى فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانكم اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون الفا
مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من
قبل فينادون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا ربنا اخرجنا منها فيجابون اخسؤا فيها وهو
اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ولهذا
قال ولا تكلمون اى في دفع العذاب وليس نهيا عن الكلام فانها ليست بدار تكليف ولكنه تنبيه على ان العذاب لا يرفع
ولا يخفف ومعنى اخسؤا انزجروا واصاغرين كما ينزجر الكلاب اذا طردت يقال خسأ الكلب وخسا بنفسه يتعدى
ولا يتعدى وهو المراد بالاية ثم عد عليهم بعض قبايحهم في الدنيا بقوله انه كان فريق من عبادى هم الصحابة وقيل
اهل الصفة خاصة عن الخليل وسيبويه ان السخرى بالضم والكسر مصدر سخر الا ان في ياء النسب زيادة تا
وعن الكسائى والفراء ان المكسورة من الهزء والمضموم من التسخير والاستعباد والمعنى اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم
ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على ذلك الصفة ذكرى فلم تذكرونى حتى تخافونى ثم ذكر من حال المؤمنين ما اوجب
الحسرة والندامة للساخرين فمن قرا انهم بالكسر على الاستيناف فمعناه ظاهر اى قد فازوا حيث صبروا ومن قرا بالفتح
فعلى انه مفعول جزيتهم اى جزيتهم فوزهم من قرا قال فالضمير لله او لمن امر بسوالهم من الملائكة ومن قرا قل فالخطاب للملك
او لبعض رؤساء اهل النار والغرض من هذا السوال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يعدون اللبث الا في الدنيا ويظنون
ان الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا انهم فيها خالدون سئلوا كم لبثتم تنبيها لهم على ان
ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما انكروه اذ لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى ولا سيما اذا كان الاول ايام سرور
والثانى ايام غم وحزن واختلفوا في الارض فقيل اراد وجه الارض حين ما كانوا احياء فانهم زعموا ان لا حيوة سواها فلما
احياهم الله تعالى وعذبوا في النار سئلوا عن ذلك توبيخا وقال اخرون المراد جوف الارض وهو القبر لظاهر لفظه ولقوله
ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله عدد سنين بدل من كم وقيل تمييز احتج بعض من انكر
عذاب القبر بقوله في الارض يتناول زمان كونهم احياء فوق الارض وزمان كونهم امواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين
في القبر لعلموا ان مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما او بعض يوم واجيب بان الجواب لا بد
ان يكون على حسب السوال وانما سئلوا عن موت لا حيوة بعده الا في الاخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر ويحتمل
ان يكونوا سئلوا عن قدر اللبث الذى اجتمعوا فيه ولا يدخل في الاية ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فصح ان يكون
جوابهم لبثنا يوما او بعض يوم عند انفسنا وليس هذا من قبيل الكذب اذ لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال
فقالوا لا نعرف من عدد السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا
فسئل العادين اى ليس من شاننا ان نعدها لما نحن فيه من العذاب فسئل من يقدر ان يلقى اليه فكره وسئل الملائكة
الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل اراد
بقولهم لبثنا يوما او بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم
الله في ذلك حيث قال ان لبثتم الا قليلا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها بقوله لو انكم كنتم تعلمون اى لو علمتم البعث
والحشر لما كنتم تعدونه طويلا ثم زاد في التوبيخ بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى عابثين او لاجل العبث وهو الفعل
الذى لا غاية صحيحة له وجوزوا ان يكون قوله وانكم الينا لا ترجعون معطوفا على عبثا اى للعبث ولتركم غير مرجوعين

وفيه دلالة على وجوب وقوع القيمة فلولاها فلم يتميز المطيع من العاصى والمحسن والمسئ ثم نزه ذاته من كل عيب وعبث
قايلا فتعالى الاية ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة او الخير فيه او باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان
ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم زيف طريقة المقلدة من اهل الشرك وقوله لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به
سلطانا وهى صفة جئ بها للتاكيد لان بعض الالهة قد يقوم على وجوده برهان وجوز جار الله ان يكون اعتراضا بين الشرط
والجزاء كقول القايل من احسن الى زيد لا احق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى حسابه عند ربه انه بلغ عقابه الى
حيث لا يقدر احد على حسابه الا الله وقرئ انه لا يفلح الهمزة اى حسابه عدم فلاحه ووضع الكافرون موضع الضمير جعل
فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين وحيث اثنى على المؤمنين
في اثناء الكلام فانهم يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين نبه في اخر السورة على انه قول ينبغي ان يواظب
المكلف عليه ففيه الانقطاع الى الله والاعراض عما سواه والله المستعان التاويل فاذا نفخ في الصور فيه ان نفخة
العناية الازلية اذا نفخت في الصور القلب قامت القيمة وانقطعت الاسباب فلا يلتفت الى احد من الانساب لا الى اهل
ولا الى ولد لاشتغاله في طلب الحق واستغراقه في بحر المحبة فلا يقع بينهم التسائل عما تركوا من اسباب الدنيا ولا عن احوال
اهاليهم واحداثهم واوطانهم اذا فارقوها لكل امرء منهم يومئذ في طلب الحق شان يغنيه عن طلب الغير فاولئك الذين خسروا
انفسهم لانهم اذا خفت موازينهم عن طلب الحق وانقطع عليه الطريق بنوع من التعليقات ورجوع القهقرى بطل
استعداده في الطلب فان الانسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ منها فما لم
يتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقيا فاذا تصرف الدجاجة فيها وانقطع تصرفها فيها بافساد البيضة فلا ينفعها
التصرف بعد ذلك الفساد الاستعداد ولهذا قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال في جهنم
خالدون واجيبوا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون لانه ليس من سنتها اصلاح الاستعداد بعد افساده انه كان فريق
من عبادى هم العلماء بالله الفصحاء لاجله فاتخذتموهم سخريا فضربتم انفسكم على سيوف هممهم العلية حتى انسوكم بهممهم وبيدى
الرد ذكرى وكنتم فيه تضحكون لان قلوبكم قد ماتت وكثرة الضحك يميت القلب جزيتهم اليوم بما صبروا وفيه ان اهل السعادة
كما ينتفعون بمعاملاتهم الصالحة مع الله ينتفعون بانكار منكريهم ومثله حال اهل الشقاء في الجانب الاخر وهو الاشتغال
لا برهان له به اى لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء والبهاء والصفاء وان يقرب الى ذلك الذى عنده نوع في
بانواع القربات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها فيها ايات بينات لعلكم تذكرون
الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ● الزانى
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او

مطلب قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة

مُشرك وحرّم ذلك على المؤمنين ● والذين يرمون المحصنات
ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا
لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ● الا الذين تابوا من بعد
ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ● والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين ● والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين ● ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين ● والخامسة ان غضب الله عليها ان كان
من الصادقين ● ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم

القراءة فرضناها بالتشديد ابن كثير وابو عمرو وكلاهما مصدر وكذلك روى الخزاعي عن اصحابه وروى
ابن سنبود عن البزي هاهنا وفي الحديد متحركة الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفي بالسكون وقرا ابو عمرو وعيسى
شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بغير همز اربع شهادات بالرفع حمزة وعلي وخلف وعاصم غير
ابي بكر وحماد الآخرون بالنصب على اعمال المصدر والتقدير فواجب شهادة احدهم شهادات اربعا ان مخففة لعنة الله بالرفع
نافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالتشديد والنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى ويشهد الشهادة
الخامسة ان مخففة غضب الله فعلا ماضيا الله بالرفع نافع والمفضل ان بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب
الباقون ان غضب الله بالتشديد والنصب **الوقوف** تذكرون جلدة الآخر للعدول واعتراض الشرط مع اتفاق
المؤمنين مشترك للفصل بين الحالتين مع اتفاق الجملتين مشرك لاختلاف الجملتين المؤمنين ابدا الفاسقون
واصلحوا للقاء ولان رحيم بالله في الموضعين لان ما بعده جواب لما في حكم القسم الصادقين الكاذبين الصادقين حكيم
التفسير لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم
مطلوبه لا محال بدليل هل بعطارد فربذكر ما هو اصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال سورة اي هذه السورة انزلناها او فيما
اوحينا اليك سورة انزلناها وقرى بالنصب على دونك سورة او اتل سورة او على شريطة التفسير وعلى هذا لا يكون لقوله
انزلناها محل من الاعراب لانها ليست بصفة وانما هي مفسرة للمضمر فكانت في حكمه ومعنى انزال الوحي قد سلف في اول
البقرة والغرض التعظيم والتفخيم ولا بد من تقدير مضاف لان السورة قد دخلت في الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا
احكامها التي فيها ومن شدد فللمبالغة او للتكثير ففي احكام هذه السورة كثرة ويجوز ان يرجع معنى الكثرة الى المفروض
عليهم فان كل المكلفين من السلف والخلف مفروض عليهم واما الآيات البينات فانها دلائل التوحيد التي يذكرها الله
تعالى بعد الاحكام والحدود ويؤيده قوله لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها
بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفي فيها التذكر وقال ابو مسلم هي الحدود والاحكام ايضا ولا
يبعد في تسميتها آيات كقول زكريا رب اجعل لي آية سأل ربه ان يفرض عليه عملا وقال القاضي المراد بها الاشياء
المباحة المذكورة في السورة بينها الله تعالى لاجل التذكير فمن جملة الاحكام حكم الزنى قال الخليل وسيبويه
رفعها على الابتداء والخبر محذوف ولا بد من تقدير مضاف اي فيما فرض عليكم جلد الزانية والزاني او فيما يتلى عليكم

حكم الزانية والزاني وقال الآخرون الخبر فاجلدوا والفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول تقديره
التي زنت والذي زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر
فان الطلب من مظان الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه اي ضرب رأسه وكذلك في ساير الاعضاء بعد ثبوت السماع
وفيه اشارة الى ان اقامة هذا الحد ينبغي ان يكون على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام ان ينصب
للحد رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب فالرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه ازار ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا على
الاعضاء كلها الا الوجه والفرج والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع منها ثيابها الا الحشو والفرو والصحيح ان الزنى من كبائر و
لهذا قرنها الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقد وضع عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر
وشرع فيه الرجم الذي هو اشنع انواع القتل ونهى المؤمنين عن الرأفة بهما وامر بشهود طائفة للتشهير وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اتقوا الزنى فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة واما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث
الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار واعلم ان البحث في هذه الآية
يقع عن امور **احدها** عن ماهية الزنى **وثانيها** عن احكام الزنى **وثالثها** في الشرائط المعتبرة في كون الزنى موجبا لتلك
الاحكام **ورابعها** في الطريق الذي به حصول الزنى **وخامسها** عن كيفية اقامة هذا الحد **الاول** قد حده علماء الشافعية
بانه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا قالوا فيدخل فيه اللواط لانه مثل الزنى صورة وذلك ظاهر
لحصول معنى الانفراج في الدبر ايضا ومعنى لانهما يشتركان في المعاني المتعلقة بالشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل
وذلك ولذلك لا يفرق اهل الطبايع بين المحلين والاكثرون على ان اللواط لا يدخل تحت الزنى للعرف ولهذا لو حلف لا يزني
فلاط او بالعكس لم يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم اللواط مع كونهم عالمين باللغة وما روى ابو موسى الاشعري انه
صلى الله عليه وسلم قال اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان محمول على اشتراكهما في الاثم بدليل قوله ايضا اذا اتى المرأة المرأة
فهما زانيان وقوله اليدان تزنيان والعينان والقياس المذكور بعيد لانه لا يلزم من تسمية القبل فرجا لانفراجه ان
يسمى كل منفرج كالفم والعين فرجا واعلم ان للشافعي في اللائط قولين اصحهما ان عليه حد الزنى ان كان محصنا فيرجم
وان لم يكن محصنا فيجلد ويغرب **والثاني** قتل الفاعل والمفعول والقتل اما بجز الرقبة كالمرتد او بالرجم وهو قول مالك و
احمد واسحق او بالهدم عليه ويروى عن ابي او بالرمي من شاهق ويروى عن علي وذلك ان قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه
قال عز من قائل فجعلنا عاليها سافلها فامطرنا عليها حجارة من سجيل واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد
عليه ولا مهر لان بضع الرجل لا يتقوم وان كان مكلفا طايعا فهو كالفاعل في الاقوال وان اتى امرأة في دبرها ولا ملك
ولا نكاح فالاظهر انه لواط وحكمه حكمه وقيل زنى لانه وطء انثى فاشبه الوطء في القبل واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي
على الاصح ولو اتى امرأته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاع بالجملة جميع ذلك بما ذهب
اليه الشافعي وقال ابو حنيفة ان اللائط لا يحد بل يعزر حجة الشافعي خبر المؤمنين لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث زنى
بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وليس اللواط من قبيل الثاني والثالث فهو من الاول وايضا قاس اللواط
على الزنى بجامع كون الطبع داعيا اليه فيناسب الزاجر وفرق بان الزنى اكثر وقوعا وكان الاحتياج فيه الى الزاجر اشد
وبان الزنى يقتضي فساد الانساب دون اللواط والغنى والفرق بوطء العجوز الشوهاء حجة ابي حنيفة انه وطء يتعلق به
المهر فلا يتعلق به الحد وضعف بفقد الجامع قالوا انه لا يساوي الزنى في الحاجة الى شرع الحد لان اللواط لا يرغب فيه
المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب واجيب بان الانسان حريص على ما منع فلو لم يشرع الحد شاع اللواط فادى
الى اضاعة النسب بل الى الفناء الاشخاص وانقطاع طريق التولد والتناسل وللشافعي في اتيان البهيمة اقوال **احدها**
انه كالزنى في احكامه **وثانيها** القتل مطلقا لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتى بهيمة
فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شان البهيمة قال لانه كره ان يوكل لحمها واصحها وهو قول مالك وابي حنيفة و
احمد والثوري ان عليه التعزير لانه غير مشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد وبتقدير صحته معارض بما روى انه صلى
الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لماكله ولا خلاف في ان السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير
البحث الثاني قد مر في اول سورة النساء ان حكم الزاني في الاسلام كان الحبس في البيوت في حق الثيب
والايذاء بالقول في حق البكر ثم نسخ باية الزنى وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة و
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج انكروا الرجم لانه لا يتنصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من

العذاب ولانه تعالى اطنب في احكام الزنى ما لم يطنب في غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان اولى بالذكر لانه قوله الزانية
والزاني يقتضي وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم على بعض يقتضي تخصيص عموم القران بخبر الواحد وجمهور المجتهدين
خالفوهم في ذلك فاجابوا عن الاول بان الرجم حين لم يتنصف لم يشرع في حق العبد فخص العذاب بغير الرجم للدليل
العقلي وعن الثاني ان الاحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التي اقتضت وجوب الرجم حدثت
بعد نزول هذه الاية وعن الثالث ان تخصيص عموم القران بخبر الواحد جائز عندنا لان القران وان كان قاطعا في متنه
الا ان العام غير قاطع الدلالة فانكر تخصيصه بالدليل المظنون سلمنا الا ان الرجم ثبت بالتواتر رواه ابو بكر وعمر وعلي
رضي الله عنهما وجابر والخدري وابو هريرة وبريدة الاسلمي وزيد بن خالد في اخرين من الصحابة وما نقل على انه جمع بين
الجلد والرجم وهو اختيار احمد واسحق وداود محمول على مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا زنى بامراة فامر به
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان محصنا فامر به فرجم وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة متروك
العمل بما روي في قصة العسيف انه قال يا انيس اغد على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد اذ ذاك لذكره
وان قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية وروى الزهري باسناده
عن ابن عباس ان عمر قال قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة
انزلها الله تعالى وقد قرانا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فرجم النبي صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخبر ان
الذي فرضه الله تعالى هذا الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعي يجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال
ابو حنيفة يجلد واما التغريب فمفوض الى راي الامام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وكذا
ما روي عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقال مالك يجلد
الرجل ويغرب وتجلد المراة بلا تغريب حجة الشافعي حديث عبادة البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله
في قصة العسيف حجة ابي حنيفة ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ القران بخبر الواحد بيانه ان ايجاب الجلد مرتب على الزنى
بالفاء التي هي للجزاء ومعنى الجزاء كونه كافيا في ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزي احد بعدك
وايجاب شيء اخر غير الجلد يقتضي نسخ كونه كافيا ولو كان النفي مشروعا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة
عليه عند تلاوة هذه الاية ولو فعل لاشتهر وقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الامة اذا زنت
فاجلدها فان زنت فبعها والاستدلال به انه لم يذكر النفي مع الجلد ونظيره ما روي ان شيخا وجد على
بطن جارية فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة فقالوا انه اضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه
مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال انما لم ينفه لانه كان عاجزا عن الحركة لانا نقول كان ينبغي ان يامر به اذا
ان يركبها ولا يقال لعله كان ضعيفا عن الركوب ايضا لانا نقول القادر على الجماع كيف لا يقدر على الاستمساك وايضا
الامر بالنفي لو كان مشروعا لزم في حق العبد الاضرار بسيده في مدة غيبته وفي حق المراة الاضرار بزوجها وكذا المنع
يوم ان يكون معها من محارمها او من النسوة الثقات مع انفتاح باب الزنى عليها في الغربة ولهذا روي عن علي كرم
الله وجهه انه قال في البكرين اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر ان امة زنت فجلدها
ولم ينفها وايضا النفي نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتل في حد البكر وجب
ان لا يشرع نظيره وهو التغريب فاجيب بان ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب الجلد مع ايجاب التغريب وبين
ايجابه مع نفي التغريب فلا اشعار في الاية باحد القسمين الا ان عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية فايجابه بخبر
الواحد لا يزيل الا محض البراءة فلا يلزم نسخ القران به وقوله الاجزاء ان الجزاء اسم لما يكون كافيا في الشرط لا يصلح حجة
في الاحكام ولا استبعاد في عدم اشتهار بعض الاحكام كاكثر المخصصات والاخبار الواردة في نفي التغريب
معارضة بما روى ابو علي في جامعه انه صلى الله عليه وسلم جلد وغرب ولا بعد في ان يكون القادر على الزنى
عاجزا عن الاستمساك على دابة والاضرار بالسيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل وعلى هذا يغرب نصف سنة
على الاصح لانه يقبل التنصيف وقيل سنة كاملة لان التغريب للايحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوي فيه
الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة واما المراة فلا تغرب وحدها لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامراة ان تسافر
الا ومعها ذو محرم او نسوة ثقات فذاك والا اعطي اجرتهم من مالها او من بيت المال فيه قولان ثم ينبغي ان يتهم حينئذ
مع ان اكثر الزنى انما يقع بالالفة والمؤانسة وفراغ القلب وفي التغريب الاغلب هو الوحشة والتعب واما

النفي يشبه القتل فمسلم من بعض الوجوه لا من كلها واعلم ان قولنا الزانية والزاني اما مطلق دال على الجنسين المنافيين
لمحصني والعفيف او عام يشمل كل من اتصف بهذه الفعلة المستنعة ولا على الصبي لانهما ليسا من اهل التكليف هذا في غير
الرجم واما في الرجم فلا بد من شروط اخر ويسمى الزاني حينئذ محصنا منها الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر و
والمكاتب والمستولدة ومن بعضه حر والسبب ان الحرية توسع طريق الحلال لان الرقيق يحتاج في النكاح الى اذن السيد و
لا يجوز له ان ينكح الا امراتين وجناية من ارتكب الحرام مع اتساع طريق الحلال اغلظ ومنها الاصابة في نكاح صحيح وقد
يعبر عن هذا الشرط بشرطين احدهما التزويج بنكاح صحيح والاخر الدخول وكيف ما كان فوجه الاعتبار انه قضى الشهوة
واستوفى اللذة فحقه ان يمتنع من الحرام ويكفي في الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال ولا يقدح وقوعها في حال الحيض
والاحرام وعدة الوطء بالشبهة ولا يحصل الاحصان بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل وفي الاصابة بالشبهة
وفي النكاح الفاسد قولان احدهما انه يفيد الاحصان لان الفاسد كالصحيح في العدة والنسب واصحهما المنع لان الفاسد
لا اثر له في الكمال الطريق الحلال وهل يشترط ان تكون الاصابة في النكاح بعد التكليف والحرية والاصح عند امام الحرمين
لا فانه وطء يحصل به التحليل فكذا الاحصان والارجح عند معظم الاصحاب نعم الاصابة ان يحصل باكمل الجهات وهو النكاح
الصحيح فيعتبر حصولها من كامل وعلى هذا فهل يشترط كمال الواطئين جميعا قال ابو حنيفة نعم وهو احد قولي الشافعي فلو كان
احدهما كاملا دون الاخر لم يصر الكامل محصنا ايضا وقال الشافعي في اصح قوليه لا بل لكل واحد منهما حكم نفسه ومنها الاسلام
عند ابي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن دون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا
الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولحديث مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين
زنيا فلو حكم بشرعه فظاهر ولو حكم بشرع من قبله فقد صار شرعا له ولان زنى الكافر مثل زنى المسلم في الحاجة الى الزجر
ولهذا قلنا اذا اتى الذمي بالزنى اقيم عليه الحد بخلاف الشرب فانه لا يعتقد حرمته ومما احتج لابي حنيفة ان النعمة في
حق المسلم اعظم وكانت جنايته اغلظ كقوله يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وعورض بان الاسلام من كسب العبد وزيادة الخدمة وان لم يكن سببا للعذر فلا اقل من ان يكون سببا لزيادة العقوبة
قالوا احصان القذف يعتبر فيه الاسلام بالاجماع فكذا احصان الرجم والجامع كمال النعمة واجيب بان حد القذف لدفع
العار كرامة للمقذوف والكافر لا يكون محلا للكرامة وصيانة العرض والجواب عن الحديث انا لا نسلم ان الذمي مشرك سلمنا لكن
الاحصان قد يراد به التزويج كقوله فاذا احصن والذمي الثيب محصن بهذا التفسير فوجب رجمه وزنى بعد احصان لقوله
عليهم ما على المسلمين قال بعض اهل الظاهر عموم قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد والاية الا انه ورد
النص بالتنصيف في حق الامة فلو قسنا العبد عليها لزمنا تخصيص عموم الكتاب بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت
فعليها خمسون لقوله فاذا احصن اي تزوجن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات فاذا لم تتزوج فعليها المائة
لعموم قوله الزانية واتفاق الجمهور على خلاف هذين وقال الشافعي وابو حنيفة الذمي يجلد للعموم ولانه صلى الله عليه وسلم
رجم يهوديين فالجلد اولى وقال مالك لا يجلد بناء على ان الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع **البحث الرابع في طرق معرفة**
الزنى وانه ثلاثة الاول ان يراه الامام بنفسه ففي الخلاف في ان القاضي هل له ان يقضي بعلمه ام لا ارجح كلام
من يجوز وجه القضاء انه يقضي بالظن وذلك عند شهادة شاهدين فلان يقضي بالعلم ايضا اولى ووجه عدم القضاء
ان فيه تهمة والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضي القاضي لولده ووالده وهذا الوجه في حدود الله تعالى ارجح لان
الحاكم فيه مامور بالستر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في قصة اللعان لو كنت راجما بغير بينة لرجمتها ولا فرق على القولين
ان يحصل العلم للقاضي في زمان ولايته ومكانها او في غيرهما وعن ابي حنيفة انه ان حصل له العلم فيهما قضى بعلمه والا فلا
الطريق الثاني الاقرار ويكفي عند الشافعي مرة واحدة وقال ابو حنيفة لا بد من اربع مرات في اربعة مجالس وجوز احمد ان
يكون المجلس واحدا حجة الشافعي قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار بالقتل والردة مع ان الصارف
عن الاقرار بالزنى قوي وهو العار في الحال والقتل والالم الشديد في المال فالاقدام على الاقرار مع هذا الصارف لا يكون
الا عن صدق ويقين حجة ابي حنيفة قصة ماعز واعراضه صلى الله عليه وسلم مرات حتى قال ابو بكر له بعد ما اقر ثلث مرات
لو اقررت الرابعة رجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم والقياس على الشهادة واجيب بانه لا منافاة بين القصتين فالاولى
محمولة على اقل المراتب والثانية على كمالها او بالفرق بان المقذوف لو اقر بالزنى مرة سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان
بزناه لم يسقط **الطريق الثالث** الشهادة واجمعوا على انه لا بد من شهود اربعة من الرجال لقوله فاستشهدوا عليهن اربعة

منكم ولقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء والشهادة على الاقرار بالزنى كالشهادة بالزنى في انه لا بد من شهود اربعة في قوله يكفي اثنان لان الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار امر ظاهر فيكفي فيه رجلان **البحث الخامس** اجمعت الامة على ان المخاطب بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعي السيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعايشة وقال ابو حنيفة واصحابه لا يملك حجة الشافعي انه صلى الله عليه وسلم قال اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت جارية احدكم فليجلدها وحمل الاول على دفع القضية الى الامام حتى يقيموا عليهم الحدود وحمل الثاني على التعزير خلاف الظاهر وايضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان اولى وايضا الاجماع على ان السيد يملك التعزير مع انه في محل الاجتهاد فلان يملك الحد مع التنصيص عليه اولى حجة ابي حنيفة ان الخطاب في قوله فاجلدوا للايمة بالاتفاق ولم يذكر فرق بين الاحرار المحدودين وبين العبيد وايضا لو جاز للمولى ان يسمع شهادة الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم فوجب ان يتمكن من تضمين الشهود وليس له ذلك بالاتفاق لانه ليس لاحد ان يحكم لنفسه وايضا المالك في محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفي الحد اجاب الشافعي فيه بان عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع ان الكلام في جواز اقامة السيد الحد لا في وجوبه فالامام يملك حد العبد في الجملة وذلك كاف في بقاء الآية على عمومها وعن الثاني بان للشافعي في القطع والقتل قولين **احدهما** يجوز لما روي ان ابن عمر قطع عبدا له سرق **وثانيهما** لا وهو قول مالك ان القطع للامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفي سماع المولى الشهادة ايضا وجهان فاذا فقد الامام فليس لآحاد الناس اقامة هذه الحدود بل ينبغي ان يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفي الخارجي المتغلب خلاف **البحث السادس في كيفية اقامة الحد** انه سبحانه قد اشار الى ان هذا الحد يجب ان لا يكون في غاية العنف بلفظ الجلد والى انه يجب ان يكون في غاية الرفق بقوله ولا ياخذكم بهما رافة في دين الله وذلك اما بان يترك الحد راسا او ينقص شي منه او تخفيف بحيث لا يحس الزاني بالالم وفي معناه ان يكون على الامام كان يضرب كل يوم سوطا او سوطين فان ضرب كل يوم عشرين مثلا كان محسوبا لحصول التنكيل والاولى ان لا يفرق واكد هذا المعنى بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر قال الجبائي فيه دلالة على ان الاشتغال باداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود واجيب بان الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه ان الاولى ترك اقامة الحد وحينئذ يكون منكر الدين فلهذا يخرج من الايمان في الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقول له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار وروى ابو عثمان النهدي قال اتي عمر برجل ثم جيء بسوط فيه شدة فقال اريد الين من هذا فاتي بسوط بين السوطين وروي ان ابا عبيدة بن الجراح اتي برجل في حد فذهب الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسدي هذا المذنب ان يضرب وعليه قميص فقال ابو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه وضرب عليه ولا خلاف في ان المرأة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف وعلى ذلك منها امرأة وجوز الشافعي الضرب على الراس لما روي ان ابا بكر قال اضرب على الراس فان الشيطان فيه وقال ابو حنيفة حكم الراس الوجه لان الموضحة وساير الشجاج حكمها في الراس وفي الوجه واحد واما في ساير البدن فلا يجب الا الحكومة وايضا ان ضرب الراس يوجب في الاغلب ظلمة البصر ونزول الماء واختلاط العقل كالوجه فانه ايضا عرضة الآفات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة وللشافعي ان يقول انما يحترم الوجه لما جاء في الحديث ان الله خلق آدم على صورته وهذا المعنى مفقود في الراس وليكن اقامة الحد في وقت اعتدال الهوا الا اذا كان رجما فان المقصود هو قتله لا يتفاوت بذلك ولهذا يرجم المريض ايضا في مرضه وقيل ان كان مرضا يرجى برؤه يوخر كما في الجلد لانه ربما يرجع عن اقراره في حال الرجم في بدنه فتعين شدة الجرح وشدة المرض على هلاكه وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة لانه لا يسقط وفي الجلد ان كان المريض مما لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يوخر سواء زنى في حال الصحة او في حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعي لان المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ كما روي ان مقعدا اصاب امراة فامر النبي صلى الله عليه وسلم فاخذوا مائة شمراخ فضربوها ضربة واحدة والاشكال والعثكال الغصن الذي عليه فروع خفيفة من النخل ومن غيره وعند ابي حنيفة يضرب بالسياط ثم ان ثبت الزنى باقراره فرجع ترك وتم به بعض الحد او لم يتبع وبه قال ابو حنيفة والشافعي والثوري واحمد واسحق لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن ابي ليلى وداود انه لا يقبل رجوعه ويحفر للمراة الى الصدر ثم حتى لا

تنكشف دبر محاسنها ولا يحفر للرجل كما في حق ماعز اذ لو كان في الحفرة لم يمكنه الهرب ولما روى ابو سعيد الخدري في قصته فما اوثقناه ولا حفرنا له واذا مات الزاني في الحد يغسل ويكفن ويصلى ويدفن في مقابر المسلمين ومن تغليظ حد الزنى في قوله سبحانه وليشهد ظاهر وامره الوجوب الا ان الفقهاء اجمعوا على ان حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد وفي لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا استصلاح الا ان يراد بالعذاب ما يمنع من المعاودة كالنكال وقد مر في اول البقرة في قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قد مر في التوبة فقال النخعي ومجاهد هي في الآية واحد وعن عطا وعكرمة اثنان وعن الزهري وقتادة ثلثة وقال ابن عباس والشافعي اربعة بعدد شهود الزنى وعن الحسن عشرة لانها اول عقد وجوز ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وحضور الامام والشهود ليس بلازم عند الشافعي ومالك لانه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز والغامدية وقال ابو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود ان يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شيا من خواص الزناة فقال الزاني لا ينكح وهو خبر في معنى النهي كقراءة عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية بذلك وفي الآية اسولة **الاول** كيف قدمت الزانية على الزاني في الآية المتقدمة وعكس الترتيب في هذه والجواب ان تلك الآية مسوقة لبيان عقوبتهما وجنايتهما وكانت المرأة اصلا فيها لانها هي التي اطمعت الرجل في ذلك واما **الثانية** فسوقة لذكر النكاح والرجل هو الاصل في الرغبة والخطبة واما **الثالثة** ما الفرق بين الجملتين في الآية والجواب معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزاني كذلك ان يكون حال الزانية منحصرة في ذلك فاخبر الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الانحصار **الثالث** انا نرى الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وايضا المؤمن قد يحل له التزوج بالمرأة الزانية الجواب للمفسرين فيه وجوه **احدها** وهو الاحسن قول القفال ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الاعم الاغلب وذلك ان الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والتخبيب لا يرغب غالبا في نكاح الصالح من النساء وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء في الاغلب وانما يرغب فيها اشكالها من الفسقة او المشركين نظير هذا الكلام قول القائل لا تفعل **الوجه الثاني** الخير من ليس يتقي فاما المحرم على المؤمنين فصرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات لانخراطهم في هذا الحصر في سلك الفسقة المتسمين بالزنى **الوجه الثالث** ان الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله المؤمنين للعهد روى مجاهد وعطا بن ابي رباح وقتادة انه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم اموال ولا عشاير وبها نساء يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة لكل واحدة منهن علامة على بابها لتعرف بها وكان لا يدخل عليها الا زان او مشرك فرغب فيهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى ان يغنينا الله عنهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية والمعنى اولئك الزواني لا ينكحهن الا زان او مشرك وتلك الزانيات لا ينكحها الا اولئك الزاني وحرم نكاحهن باعيانهن على المؤمنين **الوجه الرابع** ان هذا خبر في معنى النهي كما مر وهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام ثم قيل ان ذلك الحكم باق الى الآن حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هكذا مذهب ابي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعايشة ثم في هؤلاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن ان يتزوج بالزانية فكذلك اذا زنت تحته لا يحل له ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في الجملة ما يمنع من التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة وقيل انه صار منسوخا اما بالاجماع وهو قول سعيد بن المسيب وزيف بان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به واما بعموم قوله وانكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم وهو قول الجبائي وضعف بان ذلك العام مشروط بعدم الموانع السببية والنسبية فليكن هذا المانع ايضا من جملتها وسئل ابن عباس عن ذلك فاجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال **الوجه الخامس** قول ابي مسلم ان النكاح محمول على الوطي وذلك اشارة الى الزنى اي وحرم الزنى على المؤمنين قال الزجاج هذا التاويل فاسد من جهة ان النكاح في كتاب الله لم يرد الا بمعنى التزويج ومن جهة انه يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لقول القائل الزاني لا يطأ الا الزانية حين يكون وطيه زنى ولو اريد حين التزوج فالاشكال عائد الا ان الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها **الحكم الثاني من احكام السورة حد القذف والرمي وقد يكون بالزنى وبغيره كالكفر والسرقة وشرب الخمر** الا ان العلماء اجمعوا على ان المراد به في الآية هو الرمي بالزنى لقراين منها تقدم ذكر الزاني ومنها ذكر المحصنات وهو العفايف ومنها قوله لم ياتوا باربعة شهداء اي على صحة ما رموها به ومعلوم ان هذا العدد



ثم الشهود غير مشروط الا في الزنى والقذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان والفاظ القذف ينقسم الى صريح وكناية
وتعريض فالصريح ان يقول يا زانية او زنيت او زنى قبلك او دبرك والاصح ان قوله زنى بدنك صريح لان الفعل كل البدن
والفرج آلة والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا ابن الحرام او لامرأته لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا ان
يريده وكذا لو قال لعربي يا نبطي الدار واللسان وادعت ام المقول له انه اراد القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض
ليس بقذف كقوله يا ابن الحلال واما انا فليست امي بزانية وهذا قول الشافعي وابي حنيفة واصحابه وقال مالك يجب
الحد فيه وقال احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا لنا ان الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات والايذاء الحاصل بالتصريح فوق الايذاء الحاصل بالتعريض حجة المخالف
ما روي ان رجلين استبا في زمن عمر بن الخطاب رض فقال احدهما للآخر والله ما ابي بزان ولا امي بزانية فاستشار
عمر الناس في ذلك فقال قائل مدح اباه وامه وقال الآخرون قد كان لابيه وامه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين فاذا قذف
شخصا واحدا فان اراد بالكل زنية واحدة كما لو قال مرارا زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو انشأ الثاني بعدما حد
للاول عزر للثاني وان اراد زنيات مختلفة كان قال زنيت بزيد زنيت بعمرو فالاصح تداخل الحدود لانهما حدان من جنس
واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفي بلعان واحد واذا قذف جماعة بكلمات او بكلمة واحدة كان قال يا ابن الزانيين
فعليه حدان لانه قذف لكل واحد من ابويه هذا هو الجديد من قولي الشافعي وعند ابي حنيفة لا يجب الا حد واحد
لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من المحصنات فاجلدوهم ثمانين ولانه صلى الله عليه و
سلم قال لهلال بن امية او حد في ظهرك لم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه لامرأته ولشريك بن سحماء وللقياس
على من زنى مرارا او شرب او سرق مرارا والجامع دفع مزيد الضرر واجيب بان قوله والذين صيغة جمع وقوله المحصنات
كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل رمى محصنة فاجلدوه وفيه ان رمي المحصنة علة الجلد
فحيث وجدت وجد ولا شك ان هذه العلة موجودة عند رمي كل واحدة من المحصنات فترتب عليها الجلد لا محالة و
اما السنة فالانصاف ان دلالتها على المطلوب قوية واما القياس فالفرق ان هذا حق لآدمي وتلك حقوق الله تعالى
هذا كله هو البحث عن الرمي واما البحث عن الرامي فنقول لا عبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتاديب
ان كان لهما تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لانه كان غير كامل العقل والتمييز
واشارة الاخرس قذف ولعان عند الشافعي قياسا على ساير الاحكام ولانه كان في حقوق الفاء وعند ابي حنيفة لا يصح
قذفه ولعانه لضعف تاثيرهما واذا قذف العبد حرا فعليه اربعون جلدة قاله مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه
على قياس قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وعند الشيعة ويروى عن علي كرم الله وجهه انه يجلد
ثمانين اخذا بعموم الآية ولهذا اتفقوا على دخول الكافر فيه حتى لو قذف اليهودي مسلما حد ثمانين ويستثنى من
الرماة الاب والجد اذا قذف اولاده واحفاده فانه لا يجب عليه القصاص واما البحث عن الرمي والمحصنات العفائف
لانهن منعن فروجهن الا من ازواجهن وهي عامة الا ان الفقهاء اعتبروا لكونها محصنة شرايط خمسا الاسلام لقوله
صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن والعقل والبلوغ لان المجنون والصبي لا اهتمام لهما بدفع العار عن
انفسهما والحرية لمثل ما قلنا والعفة لان الحد شرع لتكذيب القاذف فاذا كان صادقا فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في
عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى في حال الصغر او جنونه ثم بلغ او افاق فقذفه
قاذف فانه يحد لان فعل الصبي والمجنون لا يكون زنى بعد القذف وقبل اقامة الحد على القاذف سقط الحد عن قاذفه
قاله ابو حنيفة والشافعي لان ظهور الزنى منه يخدش في الاحصان به وقت القذف ودل على انه كان متصفا به قبله
كما روي ان رجلا زنى في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في اول مرة وقال احمد
والمزني وابو ثور والزنى الطارئ لا يسقط الحد عن القاذف ولفظ المحصنات لا يتناول الرجال عند العلماء الا انهم اجمعوا
على انه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير الزنى كان يقول يا آكل الربوا يا شارب الخمر يا يهودي
يا مجوسي يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنى لا يوجب الا التعزير ولو كان المقذوف معروفا بما ذكره فلا تعزير
ايضا واعلم انه سبحانه حكم على القاذف اذا لم يات باربعة شهداء ثلثة احكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة والحكم بفسقه
الى ان يتوب فذهب جمع من الائمة كالشافعي والليث بن سعد الى انه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة
امور ثلثة معطوفا بعضها على بعض بالواو وهو لا يفيد الترتيب فوجب ان لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب

ان يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سوا اقيم عليه الحد ام لا وقال مالك وابو حنيفة واصحابه شهادته مقبولة
ما لم يحد فاذا استوفي لم يقبل شهادته ثم ان ما ذهب اليه هو الظاهر الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول
الشهادة ما لم يوجد المانع وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدود في قذف احتج ابو حنيفة بان الله
ما يجعلها ما الاستثنا في قوله الا الذين تابوا فانه يرجع الى الجملة الاولى انما المانع اذا عجز عن البينة وهو الاتيان بالاربعة
شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف ان يعفوا عن القاذف لانه خالص حق الله عز وجل ولهذا لا يسقط
ان صالح عنه بمال هذا قول ابي حنيفة واصحابه وقال الشافعي اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله فاجلدوهم
ان يامر بجلده وان تاب لان القذف حق الآدمي والمغلب فيه حقه ولهذا للامام ان يعفو عنه والخلاف في رجوع الاستثنا
في الجملة الاخيرة وان المراد انهم محكوم عليهم بالفسق الى ان تابوا فيعود الخلاف في رجوع الاستثنا الى الجملة المستنبطة ومنشأ
الخلاف مسئلة اصولية هي ان الاستثنا بعد جمل معطوف بعضها على بعض هل يرجع الى الجميع وهو مذهب الشافعية او الى الاخيرة
وهو مذهب الحنفية ويتفرع على الشافعي ان القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته فيكون الابد مقصورا وقال المراد
كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب ابي حنيفة انه لا يقبل شهادته وان تاب والابد عنده
مدة حياته واولئك هم الفاسقون جملة مستانفة عنده لا معطوفة لانها خبرية وما قبلها طلبية ولو سلم انها معطوفة
فالاستثنا يرجع اليها فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعي ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند
ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب ثم حقه عند الشافعي ان يكون منصوبا لان الاستثنا يعود عند الشافعي
الى الجملتين ولا يمكن ان يكون الاسم الواحد معمولا لعاملين مختلفين في حالة واحدة لكنه يجب نصبه نظرا الى الاخيرة
نصبه الى ما قبلها ايضا فان جاز الابدال في غير هذه المادة هذا وقد احتجت الشافعية ايضا في قبول شهادة القاذف بعد
التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا كانت التوبة من الكفر والزنى والقتل مع غلظها مقبولة
فلان تقبل من القذف اولى وايضا ان ابا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعده وقد تاب وحسن حاله اولى وايضا الكافر
يقذف فيتوب من الكفر فيقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب عن القذف كان اولى ان يقبل شهادته لان
القذف من الاسلام اهون حالا من القذف مع الكفر لان المسلمين لا يعباون بسب الكفار لاستهانتهم بعد الانهم
والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار بخلاف ما لو قذفه مسلم وايضا الايمان يجب ما قبله ولهذا لا يراد
الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لانا نقول ان هذا الفرق لا يكون في اهل الذمة لقوله لهم ما للمسلمين وعليهم
ما على المسلمين واحتجت الحنفية في عدم قبول شهادته بما روي عن ابن عباس في قصة هلال بن امية يجلد هلالا ويبطل
شهادته في المسلمين ولم يشترط التوبة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف
وما رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجوز شهادة محدود في الاسلام
والشافعية عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد فاذا علم المحدود وجب عليه
الشهادة والعلم يقبل كان عدلا شهادته لقوله نحن نحكم بالظاهر ومنها لما ظهرت العفة والصلاح ومنها ان عمر بن الخطاب
ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم ابو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من اكذب نفسه قبلت شهادته فاكذب نافع
ونفيع انفسهما وابا ابو بكرة فكان لا يقبل شهادته وفي الآية مسائل الاولى قال الشافعي لا فرق بين ان يجي الشهود متفرقين او مجتمعين
وقال ابو حنيفة اذا جاءوا متفرقين لم يثبت عليهم حد القذف كما لو شهد على الزنى اقل من اربعة حجة الشافعي ان الاتيان بالشهداء
متفرقين ات بمقتضى النص واجتماعهم امر زائد لا اشعار به في الآية وايضا القياس على ساير الاحكام بل يفرقهم اولى لانه ابعد
عن التهمة والتواطؤ وكذلك يفعل القاضي في كل حكم سواء عدا الريبة وايضا لا يجب ان يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا
عند القاضي ويقوم واحد بعد آخر ويشهد جاز فكذا اذا اجتمعوا على بابه ثم يدخل واحد بعد آخر حجة ابي حنيفة الشاهد الواحد
لما شهد قذفه ولم يات باربعة شهداء فوجب عليه الحد فخرج عن كونه شاهدا ولا فيه بتبيينه شاهدا اذا فقد المسمى فلا
خلاص عن هذا الاشكال الا باشتراط الاجتماع ونظيره ما روي ان المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنى عند عمر بن الخطاب اربعة
ابو بكرة ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم رايت رجليها على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلثة ولم يسال
هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف في الحد للاحتياط الثانية جوز ابو حنيفة ان يكون زوج المقذوفة
واحدا من الشهداء الاربعة واباه الشافعي الثالثة قال الشافعي في قوليه اذا اتى باربعة فساق فهم قذفة يجب عليهم الحد
كما يجب على القاذف الاول وقال ابو حنيفة لا حد عليهم ولا على القاذف لانه اتى الحد باربعة من اهل الشهادة الا ان الشرع لم

بعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك يجب اعتبارها **الرابعة** لا يكفي في الشهادة اطلاق
الزنى بل لا بد ان يذكروا التي زنى بها ويذكروا الزنى مفصلا مفسرا فيقولوا رايناه ادخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحله
او كالرشاء في البير ولا بد مع ذلك من الوصف بالتحريم ولو اقر على نفسه بالزنى فهل يشترط التفسير والبيان فيه وجهان نعم
كالشهود ولا كالقذف **الخامسة** قالوا اشد الحدود ضرب الزنى ثم شرب الخمر ثم القذف لان سبب عقوبته يحتمل الصدق
والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض **السادسة** حد القذف يورث عند مالك والشافعي بناء على انه حق الادمي وقد قال
صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والاصح انه يرثه جميع الورثه وفي قوله سوى الزوج والزوجه لان الزوجية
ترتفع بالموت لان لحوق العار بهما اقل وعلى هذا القول اعترض ابو حنيفه بانه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجه فيه نصيب
السابعة اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم او قذف امراة برجل والرجل غايب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف و
يخبر بان فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على اخر وهو لا يعلم يلزم اعلامه ولهذا المعنى بعث النبي
صلى الله عليه وسلم انيسا ليخبرها بان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها **الثامنة** قال الشافعي وليس
للامام اذا رمي رجل بالزنى ان يبعث اليه فيساله عن ذلك لان الله تعالى قال ولا تجسسوا واراد به اذا لم يكن القاذف معينا
كان قال رجل بين يدي الحاكم الناس يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيساله **التاسعة** قال الشافعي توبة القاذف
اكذابه نفسه وفسره الاصطخري بانه يقول كذبت فيما قلت فلا اعود الى مثله وقال ابو اسحق لا يقول كذبت لانه ربما يكون
صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية اخرى بل يقول القذف باطل
ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه ولا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال وهو المراد بقوله واصلحوا وقدروا
تلك المدة سنة لان مرور الفصول الاربعة كلها له تاثير في الطباع وان الشارع جعل السنة معتبرة في الزكوة وغيرها اما
اما قوله اولئك هم الفاسقون ففيه دليل على ان القذف من جملة الكبائر وان الفاسق اسم من يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا
من فعله لكانت التوبة لا يمنع من دوامه كما لا يمنع من وصفه بانه ضارب اللهم الا ان يقال انما يطلق على هذا الاسم بعد التوبة
للتعظيم كما لا يقال لاكابر الصحابة كانوا كفرة بسوقات الاشاعرة في قوله فان الله غفور رحيم دلالة على قبول التوبة لا يجب
عليه ولا الا لم يفد المدح **الحكم الثالث اللعان** وسببه قذف الزوجات خاصة القذف امر محظور في نفسه الا اذا عرض
ما يباح او يجب به وتفصيل ذلك انه ان راها الزوج بعينه تزني او اقرت هي على نفسها ووقع في قلبه صدقها او سمع من يثق
بقوله او استفاض بين الناس ان فلانا يزني بفلانة وقد راه الزوج يخرج من بيتها او راه معها في بيت ابيح له القذف لتاكيد
التهمة ويجوز ان يمسكها ويستر عليها بما روي ان رجلا قال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها قال
فامسكها اما اذا سمعه ممن لا يوثق بقوله واستفاض ولكن لم يره الزوج معها او بالعكس لم يحل له قذفها لانه ربما دخل عليها
او لسرقة او لطلب فجور وابت المراة هذا كله اذا لم يكن ثمة ولد يريد نفيه فان كان ولد فان تيقن انه ليس منه فان
لم يكن وطيها الزوج او وطيها لكنها اتت به لاقل من ستة اشهر من وقت الوطي او لاكثر من اربع ولا ان يثبت عليه
اللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفي نسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ادخلت
على قوم من ليس منهم فليست من الله في شي ولن يدخلها الله جنته وايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه يوم
القيمة وفضحه على رؤس الاولين والاخرين وان احتمل ان يكون الولد منه بان اتت به لاكثر من ستة اشهر من وقت
الوطي ولاقل من اربع سنين فان لم يكن استبراها بحيضة او استبراها واتت به لدون ستة اشهر من وقت الاستبرا
لم يحل له القذف والنفي وان اتهمها بالزنى فان استبراها واتت به لاكثر من ستة اشهر من وقت الاستبرا ابيح
له القذف والنفي والاولى ان لا يفعل لانها قد ترى الدم على الحبل وان اتت امراته بولد لا يشبهه كان كانا ابيضين
فاتت به اسود فان لم يتهمها بالزنى فليس له نفيه لما روى ابو هريرة ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امراتي
ولدت غلاما اسود فقال هل لك من ابل قال نعم قال ما الوانها قال حمر قال هل فيها اورق قال نعم قال فكيف ذاك قال
نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وان كان يتهمها بزنى او رجل فاتت بولد تشبيهه فهل يباح له نفيه فيه وجهان
اما سبب نزول الاية فقد قال ابن عباس لما نزلت الاية المتقدمة قال عاصم بن عدي الانصاري ان دخل منا رجل
بيته فوجد رجلا على بطن امراته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتل قتل
به وان قال وجدت فلانا مع تلك المراة ضرب فان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر
وله امراة يقال لها خوله بنت قيس فاتى عويمر عاصما وقال رايت شريك بن السحماء على بطن امراتي خوله فاسترجع عاصم

واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي
عويمر انه راى شريكا على بطن امراته وكان عويمر وخوله وشريك كلهم بني عم عاصم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها
منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله لا تخبري الا بما صنعت فقالت
يا رسول الله ان عويمر رجل غيور وانه راى شريكا يطيل النظر ويتحدث فحملته الغيرة على ما قال فانزل الله سبحانه هذه الاية
والذين يرمون ازواجهم الى اخرهن فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يوذن الصلوة جامعة فصلى العصر ثم
قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خوله الزانيه واني لمن الصادقين من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل اشهد
بالله انها زانيه واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة قل لعنة الله على عويمر يعني نفسه
ان كان من الكاذبين فيما قال ثم قال اقعد وقال لخوله قومي فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانيه وان زوجي عويمر لمن الكاذبين
وقالت في الثانية اشهد بالله انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وفي الخامسة غضب الله على خوله
ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس ايضا في رواية الكلبي
ان عاصما رجع الى اهله فوجد شريكا على بطن امراته فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفي رواية
عكرمه عن ابن عباس لما نزلت اية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها فاني
زياده رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم في رواية عكرمه عن ابن عباس لما انزلت ايه القذف قال
سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها الى فاتي ان جيئت باربعة شهداء يكون قد قضى حاجته
وذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه
فانه رجل غيور فقال سعد يا رسول الله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكني عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فان
الله يابى الا ذاك فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له هلال بن اميه وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول
الله اني وجدت مع امراتي رجلا رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به فقال هلال
يا رسول الله اني لارى الكراهيه في وجهك مما اخبرتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فاجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبينما هم
كذلك اذ انزل الوحي فقال يا هلال ابشر فقد جعل الله لك فرجا وامر بالملاعنة وفرق بينهما وقال انظروها فان جاءت به
اصهب حمش الساقين اثيج فهو لهلال وان جاءت به اورق جعدا خدلج الساقين فقال صلى الله عليه وسلم
لولا الايمان لكان لي ولها شان قال عكرمه لقد رايته بعد ذلك امير مصر من الامصار لا يدري من ابوه واعلم ان الفرق
بين قذف الزوج وبين قذف الزوجة هو ان المخلص من الحد في الاول اقرار المقذوف بالزنى او بينة يقوم على زناه وفي
الثانيه المخلص احد الامرين او اللعان وسبب شرع اللعان هو انه حصر على الزوج في زنى الاجنبي والاولى له ستر اما في زنى
الزوجه فيلحقه العار والشنار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمتعذر وايضا الغالب
ان الرجل لا يقصد رمي زوجته الا عن حقيقة فنفس الرمي دليل على صدقه الا ان الشرع اراد كمال شهادة الحال بقرينه
الايمان كما ان شهادة المراه حين ضعفت اكدت بزيادة العدد فمن هنا قال كثير من العلماء ان حد قاذف الزوجة كان
هو الجلد وان الله نسخه باللعان ولنذكر ههنا مسايل **الاول** قال الشافعي اذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد القذف
فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنى وقال ابو حنيفه اذا نكل الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المراة حجة الشافعي
ان الرمي بالمخلص وهو الملاعنه وجب الرجوع الى مقتضى اية القذف وهو الحد ايضا قوله ويدروا عنها العذاب
ليس اللام فيه للجنس لانه لا يجب عليها جميع انواع العذاب ولان الاية تصير اذ ذاك مجمله فهو للعهد في الاية الاخرى
القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لخوله الرجم اهون عليك من غضب الله وللمراة ان تقول ان كان الرجل صادقا فيحد
وان كان كاذبا فخلوني فما ياتي والحبس وليس حبس في كتاب ولا سنة رسوله حجة ابي حنيفه ان النكول ليس بصريح في الاقرار
فلا يجوز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنى وغيره **الثاني** الجمهور على انه اذا قال يا زانيه وجب اللعان لعموم قوله و
الذين يرمون وقال مالك لا يلاعن الا ان يقول رايتك تزنين او ينفي حملها او ولدا **الثالث** قال الشافعي من صح يمينه صح
لعانه فلا يشترط الا التكليف ويجري اللعان بين الذميين والمحدودين والرقيقين وذهب ابو حنيفه الى ان الزوج ينبغي
ان يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراه ينبغي ان تكون بهذه الصفه مع العفه فاذا كان الزوج عبدا

او محدود في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات دليل الشافعي عموم قوله الذين يرمون ازواجهم و
الاجماع على انه يصح لعان الفاسق والاعمى وان لم يكونا من اهل الشهادة فكذا القول في غيرهما والجامع هو الحاجة الى دفع
العار دليل ابي حنيفة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من النساء ليس بينهن وبين ازواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية
تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر وايضا اللعان في الزوجات قايم مقام الحد في الاجنبيات فلا يجب
اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها اجنبي وايضا اللعان شهادة لقوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات وقد
جاء مثله في احاديث اللعان واذا كان شهادة وجب ان لا يقبل من المحدود في القذف ولا من العبد والكافر اجاب
الشافعي بان اللعان يمين موكد بلفظ الشهادة او يمين فيها شائبة الشهادات فلا يشترط في الملاعن الا اهلية اليمين
ومما يدل على انه يمين قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن امية احلف بالله الذي لا اله الا هو انك صادق وقوله لولا
الايمان لكان لي ولها شان وايضا لو كانت شهادة لكان حظ المراة ثماني شهادات لانها على النصف من الرجال ولم يجز
لعان الفاسق والاعمى لانهما ليسا من اهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان لانا نقول العبد ايضا قد
يعتق بل العبد اذا اعتق تقبل شهادته في الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته الا بعد الاختبار ثم الزم الشافعي
ابا حنيفة بان اهل الذمة شهادة بعضهم على بعض مقبوله فينبغي ان يجوز اللعان بين الذمي والذمية ثم قال الشافعي بعد
ذلك ويختلف الحد ودلمن وقعت له ومعناه ان الزوج ان لم يلاعن يتنصف الحد عليه برقه وان لاعن ولم تلاعن
اختلف حدها باحصانها وحريتها ورقها **الرابعة** اختلف المجتهدون في نتايج اللعان فعن عثمان البتي انه لا يحصل
به الفرقة اصلا لكان اكثر ما فيه ان يكون الزوج صادقا في قذفه وهذا لا يوجب تحريما كما لو قامت البينة عليها وايضا
ان تلاعنهما في بينهما لا يوجب الا الافترا فكذا عند الحاكم وايضا انه قايم مقام الشهود في الاجنبيات فلا يكون له تاثير
الا في اسقاط الحد وايضا اذا اكذب الزوج نفسه ثم حد لا يوجب الفرقة فكذا اللعان واما تفريق النبي صلى الله عليه
وسلم بين المتلاعنين في قصة العجلاني فكذلك لان الزوج كان طلقها ثلثا قبل اللعان وعن ابي حنيفة واصحابه الا زفر ان
الحاكم يفرق بينهما لما روى سهل بن سعد مضت السنة في المتلاعنين ان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان ابدا ولما في نفسه
عويمر كذبت عليها ان امسكتها هي طالق ثلثا فلو وقعت الفرقة باللعان لم يمكن امساكها وقال مالك والليث وزفر اذا
فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وان لم يفرق الحاكم لانهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا فدل ذلك على وقوع الفرقة
بينهما وقال الشافعي اذا فرغ الزوج وحده من اللعان تحصل بذلك خمس نتايج درء الحد عنه ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد
ووجوب الحد عليها ولا تاثير للعان الزوجة الا في دفع العذاب عن نفسها وما روي انه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما
محمول على انه من وقوع الفرقة بينهما زعم ابو بكر الرازي ان قول الشافعي خلاف الاية لانه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج لاعنت
المراة وهي اجنبية ولكنه تعالى اوجب اللعان بين الزوجين وايضا اللعان شهادة فلا يثبت حكمها الا عند الحاكم
كساير الشهادات وايضا اللعان يستحق بها المراة نفسها كما يستحق المدعي ما ادعاه بالبينة فيتوقف على حكم الحاكم وايضا
اللعان لا اشعار فيه بالتحريم فهو كما لو قامت البينة على زناها فلا بد من احداث التفريق اما من قبل الزوج واما من قبل
الحاكم وللقايل ان يقول لم سميا زوجين باعتبار ما كان كالعبد على من عتق ولا نسلم ان اللعان شهادة محضة ومما يؤكد
قول الشافعي تخصيص الله تعالى على ذلك بقوله ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد فيه دلالة على ان كل ما يجب باللعان
من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء العذاب وايضا ان لعان الزوج مستقل بنفي الولد لان الاعتبار في الالحاق
بقوله لا بقولها الا ترى انها في لعانها يلحق الولد به ونحن ننفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب ان يكون
الفراش زايلا لقوله الولد للفراش **الخامسة** مذهب مالك والشافعي وابي يوسف والثوري واسحق ان المتلاعنين
لا يجتمعان ابدا وهو قول علي وابن مسعود ولما روى الزهري من حديث سهل بن سعد لما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة لانه اذا اكذب
نفسه وحد زال تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد لذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فان طلقها فلا
تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد يحتج لابي حنيفة لعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله واحل لكم ما وراء
ذلكم **السادسة** اتفق اهل العلم على ان الولد ينتفي من الزوج باللعان وخالف بعضهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم
الولد للفراش وزيف بان الاخبار الدالة على ان النسب ينتفي باللعان كالمتواتر فلا يعارضها هذا الواحد بل يجب تخصيصه
بها **السابعة** لو اتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق بها الحكم عند الشافعي وهو ظاهر وعن ابي حنيفة ان الاكثر كحكم الكل

اذا حكم به الحاكم **الثامنة** كيفية اللعان كالصريحة في الاية وان الحديث قد زادها بيانا كاملا وقد عد الشافعي من سننها
ان يقام الرجل حتى تشهد والمراة قاعدة وتقام المراة حتى تشهد والرجل قاعد ويامر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى
اللعنة ويقول له القاضي وصاحب المجلس اتق الله فانها موجبة وهكذا يقال للمراة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب
في اللعان ولا يجب على الاصح التغليظ بالزمان وهو ما بعد صلوة العصر ولا سيما عصر يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة
بين الركن والمقام والمدينة بين المنبر والروضة وفي ساير البلاد عند المنبر في المسجد الجامع ايضا وهو المقصود وفي بيت
المقدس في المسجد الاقصى عند الصخرة ولليهود في الكنيسه وللنصارى في البيعه وللمجوس في بيت نارهم واذا لم يكن له دين
ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام ولا بد من حضور الحاكم سوا كان مدار اللعان على اليمين او على الشهادة ولا بد من حضور جمع
من الاعيان اقلهم اربعه **التاسعة** قال جار الله انما خصت الملاعنه بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها اصل الفجور
ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد **العاشرة** في فوايد متعلقه بالاية منها ابطال الجمهور قول
الخوارج ان الزنى والقذف كفر وذلك ان الرامي ان صدق فهي زانيه وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر احدهما والردة توجب
الفرقة من غير لعان ومنها ابطال قول من زعم ان الزنى يوجب فساد النكاح لان رمي الزوج اياها اعتراف منه بزناها بل بفساد
النكاح على قول هذا القايل فيحصل الفرقة بلا لعان ومنها ان المعتزله قالوا المتلاعنان يستحقان اللعن او الغضب الموجبين
للعذاب الابدي المضاد للثواب وذلك يدل على خلود الفساق في النار اجابت الاشاعرة بان كونه معفوا عنه لفسقه
لا ينافي كونه مرضيا عنه بجهة ايمانه فلا بد ان يحصل له بعد العقاب ثواب ثم اخبر عن كمال رافته بقوله ولولا فضل الله
عليكم ورحمته اي فيما بين من هذه الاحكام او فيما امهل وابقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف اي لهلكتم او لفضحتم
او لكان ما كان من انواع المفاسد وانما حسن حذفه ليذهب الوهم عنده كل مذهب فيكون ابلغ في البيان فرب مسكوت
عنه ابلغ من منطوق به **التاويل** النفس الزانيه المتسلمه لتصرفات الشيطان والدنيا فيها والروح يتصرف فيه
في الدنيا وشهواتها المنهية عنها فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة من الجوع وترك الشهوات والمرادات ومن حملها
على المخالفات ولعل السر في تخصيص هذا العدد هو ان ساعات اليوم بليلته اربع وعشرون منها اربع ساعات لاجل
النوم ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل والباقي فيه يجب فيها مراقبة الحواس الخمس وتاديبهن باداب الشرع و
العقل فيكون المجموع ماية تاديبة ويحصل نتايجها وكمالها للنفس والروح والله تعالى اعلم وليشهد عذابهما وليكن
هذه التزكيه والتاديبات بمحضر شيخ واصل كامل يحفظه من طرفي الافراط والتفريط الزاني لا ينكح فيه ان الطبع يسري في
والجنس الى الجنس يميل فاهل الفساد لا يرغبا الا في صحبة اشكالهم من اهل الفساد كما ان ارباب السداد لا يطيع الا الى
صحبة امثالهم من ارباب السداد وحرم ذلك الذي قلنا من اختلاط الاشرار على المومنين والذين يرمون المحصنات اي الازواج
الذين ينسبون الى النقصان النفوس المستعدات للكمالات ثم لم ياتوا باربعه شهداء اي لم تكن خواص العناصر الاربعة
ظاهرة على صفايح احوالهن كما مر تقريره في اول النساء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم او لم يبلغ الملكات الذميمه منهن
مرتبتها الرابعة كالكاتب يكتب ما يفعل فاجلدوهم ثمانين جلده مروهم بالخلوة اربعين يوما واربعين ليله حتى يظهر لهم كمال
حال النفوس في الموافقه لهم ولا يقبلوا لهم بعد ذلك شهادة عليهن واولئك هم الذين يريدون ان يخرجوا عن طاعة الله
بعد نسبة النقصان الى النفوس المستعدة والذين يرمون ازواجهم وهن القوالب المزدوجة بالازواج ولم يكن لهم
شهداء الا انفسهم لانه لا يطلع على احوال القالب الا الروح فشهادة احدهم اربع شهادات هي الاسنان الاربعة التي فيها
يحصل التربية والاستكمال والخامسة وهي حالة حلول الاجل اللعنة والغضب والعذاب الابدي وما تولد منها من الصفات
الذميمة لنسبها الروح الى انه ثالث هو الشيطان ويخصها الثالث الى الروح الذي يدبره ويتصرف فيه والافتراق الذي
يحصل بينهما ليس بالصورة بل بالمعنى لان الروح تميل الى العالم العلوي والقالب الى العالم السفلي لعدم الموافقه بينهما

ان الذين جآؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم

له عذاب عظيم ● لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين ● لولا جاؤا عليه باربعة
شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ●
ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم
فيما افضتم فيه عذاب عظيم ● اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم ● ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
سبحانك هذا بهتان عظيم ● يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين ● ويبين الله لكم الايات والله عليم
حكيم ● ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا
لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا
تعلمون ● ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف
رحيم ● يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن
الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ● ولا ياتل اولوا الفضل منكم
والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل
الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله
غفور رحيم ● ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات

لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم ● يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ● يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين ●
الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق

القراءة كبره بضم الكاف يعقوب اوسمعتموه والعجلي اذ تلقونه بالاظهار وتشديد التاء للبزي وابن فليح ولا يأتل من
الائتلاء زيد ما زكى بالتشديد والامالة روح وقرأ شيبة مما لمخففه يوم تشهد على التذكير على وخلف الباقون بتاء التانيث
الوقوف عصبة منكم خيرا لكم من الاثم لتنوع عد ولمن اجال الحكم الكل الى بيان حكم البعض مع اتفاق الجملتين عظيم
خيرا للعطف مبين شهداء للشرط معنى مع الفاء الكاذبون عظيم لاحتمال ان يكون اذ ظرف قوله لمسكم او افضتم واحتمال
كونه منصوبا باذكروا بهذا قد قيل الوصل لزم لان قوله سبحانك من جملة مقول قلتم عظيم مؤمنين لاتفاق الجملتين
مع تكرار اسم الله دون الاكتفاء بالضمير وانهاية الايات حكيم اليم لتعلق الظرف والاخرة لا تعلمون رحيم نصف الجزء
خطوات الشيطان والمنكر ابدا لتعلق لكن من يشاء عليم في سبيل الله والوصل اولى للعطف وليصفحوا لكم رحيم
والاخرة عظيم لتعلق الظرف يعلمون المبين للخبيثات للعطف مع التضاد للطيبات لاتحاد المعنى مع فقدان العاطف
يقولون كريم **التفسير** انه سبحانه لما ذكر من احكام القذف ما ذكر اتبعها حديث افك عائشة الصديقة رضي الله عنها
وما قذفها به اهل النفاق وروى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن ابي وقاص كلهم رووا عن
عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج اسمها اخرج بها معه فاقرع
بيننا في غزوة قال الزهري هي غزوة المريسيع وذكره البخاري في غزوة بني المصطلق من خزاعة قال وهي غزوة المريسيع ايضا
فخرج اسمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقرب من المدينة نزل منزلا ثم اذن بالرحيل فقمت حين اذنوا
بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني قبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع اظفار قد انقطع
فرجعت والتمست عقدي وحبسني طلبه واقبل الرهط الذين كانوا يحملون هودجي فحملوا هودجي وهم يحسبون اني فيه لخفتي
فاني كنت جارية حديثة السن وذهبوا بالبعير فلما رجعت الى مكاني وليس به احد جلست وقلت يعودون في طلبي فنمت
وقد كان صفوان بن المعطل يمكث في العسكر يتبع امتعة الناس فيحمله الى المنزل الاخر لئلا يذهب منهم شيء فلما راني عرفني وقال
ما خلفك عن الناس فاخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير وافتقد في الناس حتى نزلوا وخاض الناس في ذكري
فبيناهم في ذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم في وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكثنا شهرا ابكي ولا يرقا
لي دمع اقول كما يقول العبد الصالح ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون الى ان نزل في ان الذين جاؤا بالافك
الى اخر الايات وفي الحديث طول هذا حاصل سبب النزول واما التفسير فالافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو
البهتان والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين والتركيب يدل على الاجتماع ومنه العصابة قال المفسرون هم عبد الله بن
ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ومعنى منكم انهم كانوا من
جملة من حكم لهم بالايمان ظاهرا اما الخطاب في قوله لا تحسبوه شرا لكم فالصحيح انه لمن ساءه وذلك من المؤمنين وخاصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم على قدر
عظم البلاء وانه نزلت فيه بضع عشرة اية فيها تعظيم شان الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه ام المؤمنين
وتطهير لاهل البيت وتهويل للطاعنين فيهم الى غير ذلك من الاحكام الشرعية الاداب العقلية وقيل الخطاب لعائشة
وحدها والجمع لتعظيمها وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخيرية صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن
ذلك ولعل في الذكر عقوبة معجلة لهم فيكون كالكفارة وضعف هذا القول بانه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق

قوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اى نصيب كل خايض فى حديث الافك نصيبه من عقاب ما اكتسب من اثم الخوض
والذى تولى كبره اى معظم الافك وهو فى قول الضحاك حسان ومسطح ولهذا جلدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع امراة من قريش والاشهر انه عبد الله راس النفاق يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو فى ملاء من قومه فقال من
هذه فقالوا عايشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها وروى
ان عايشة ذكرت حسانا وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذى تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره فى مدح الرسول
صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفى رواية اخرى قالت واى عذاب اشد من العمى ثم علم ادبا حسنا فى مثل هذه الواقعة
فقال لولا اذ سمعتموه ظن فصل لولا التحضيضية وبين فعلها بالظرف لانه يتسع بالظرف ما لا يتسع فى غيره تنزيلا للظرف
منزلة المظروف نفسه ولان الممكنات لا ينفك عن الظروف والفايدة فيه ان يعلم ان ظن الخير كان يجب عليهم اول ما
سمعوا بالافك فلما كانت وقتا ما وجب التقديم ومثله ولولا اذ سمعتموه قلتم ثم لا يخفى ان اصل المعنى ان يقال لولا اذ سمعتموه
ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم هذا افك ومعنى بانفسكم بالذين منكم من المومنين والمومنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن
الضمير الى الظاهر ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليتنبه بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضى ان لا يصدق
مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول غايب ولا عايب بل يقول بملاء فيه بناء على ظن الخير مصرحا ببراءة ساحته هذا
افك مبين وذلك ان المومنين هو من العقل والدين ما يهديه الى الاصلح ويزجره عن الاقبح ولم يوجد لهذا الداعى والصارف
معارض يشار بهما كما قيل كلام العدى ضرب من الهذيان فوجب ان لا يلتفت المومن الى قول الطاعن فى حق اخيه ويبقى
على حسن ظنه به وهذا ادب حسن قل العامل به وليتك لحد من يسمع فيسكت ولا يزيد فيه يروى ان ابا ايوب الانصارى
قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا
قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله فعايشة خير منى وصفوان خير منك وفى الاية دلالة على قول ابى
حنيفة ان المسلمين عدول بعضهم على بعض ما لم يظهر منهم ريبة لانا مامورون بحسن الظن وذلك يوجب قبول الشهادة
ومن هنا قال الشافعى ايضا اذا باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لانا قد امرنا بظن الخير فوجب حمله على
ما يجوز ومثله ما اذا باع سيفا محلى فيه مايه درهم بمايتى درهم يجعل المايه بالمايه والفضل بالسيف واذا وجدنا
امراة اجنبية مع رجل فاعترفا بالتزويج فصدقهما حملا لغيره او المسلمين ونضر فانهم على الجواز والصحة وزعم مالك
انهما يحدان ان لم يقيما بينة على النكاح وقيل ان الاية مختصة بعايشة لان كونها زوجة النبى صلى الله عليه وسلم
كالدليل القاطع على ان الذى قيل فيه افك صريح قال العلماء يجوز ان تكون زوجة النبى صلى الله عليه وسلم كافرة
كامراة نوح ولوط ولا يجوز ان تكون فاجرة لان الانبياء معصومون عن المنفرات الشيه فان حصول المنفر معه ينافى بعثه
لكن الكفر غير منفر للكفرة قال وانا الكشخة فمن اعظم المنفرات قيل فى تفسيره الكشخان الذى يجيب امراته الرجال الى نفسها
ويقال الكشخنة اى قال يا كشخان ثم بالغ فى زجرهم عن حديث الافك بقوله لولا جاءوا وهى ايضا تحضيضية والمراد التفضلة
بين الرمى الصادق والكاذب بثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفائها ولكن هذا العدد وكل فرد منه منتف فى حق
عايشة فهم فى حكم الله وشريعته كاذبون وهذا التقدير كان فى الزام اولئك الطاعنين والا فهم فى نفس الامر
بالنسبة الى هذه الواقعة كاذبون كما مر تقريره انفا ثم زاد فى التهديد والزجر بقوله ولولا فضل الله هى لولا الامتناعيه
قال جمهور المفسرين لولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وان ارحم
عليكم فى الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وعن مقاتل ان فى الاية
تقديما وتاخيرا والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالحكم عنكم والحكم عليكم بالتوبة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب
عظيم فى الدنيا والاخرة معا وتلقى الافك اخذه من افواه القالة وقبوله والاصل تتلقونه بتايين وقد قرئ به كان
الرجل يلقى الرجل فيقول له ما وراك فيحدثه بحديث الافك حتى طار وانتشر وفى زيادة قوله بافواهكم اشارة الى
انه قول لا وجود له الا فى العبارة ولا حقيقة لمؤداه فى الواقع والقذف كبيرة من الكباير كما سبق لا سيما قذف
زوجة النبى وخاصته نبينا صلى الله عليه وسلم فلهذا قال وهو عند الله عظيم عن بعضهم انه جزع عند
الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى النصايح الكبار لا تقولن لشى من سياتك
حقير فلعله عند الله نخله وعندك صغير وصفهم فى الاية بارتكاب ثلثة اثام تلقى الافك والتكلم بما لا
حقيقة له ولا علم لهم به واستهانة عظيمة من العظايم وفيه ان عظم المعصية لا يتعلق بظن فاعله بل جهله نعظمه

ربما بعير ابو كها العظمة وفيه ان الواجب على المكلف ان يستعظم الاقدام على كل محرم اذ لا يامن ان يكون عند الله من
الكباير ثم علمهم ادبا اخر ومعنى ما يكون لنا لا يصح لنا ومعنى سبحانك تنزيه الله من ان يكون زوجة نبيه الذى هو احب
خلقه اليه فاجرة ان تنزيهه من ان رضى بقذف هولاء المفترين ولا يعاقبهم او هو للتعجب من عظم الامر ذلك انه يسبح
الله عند رؤية كل امر عجيب من صنايعه فكثر حتى استعمل فى كل متعجب منه والفرق بين هذا الاية وبين قوله اذ سمعتموه
ظن المومنون هو ان تملك تميل الى العموم وهذا الى الخصوص فكانه بين ان هذا القذف خاصة مما لا ينبغى ان ينفق
هو اية لما فيه من ايذاء نبيهم وايذاء زوجته التى هى حبيبته يعظكم الله بهذه المواعظ التى بها تعرفون عظم هذا الذنب
بكراهة ان يعودوا وفى شان ان يعودوا لمثله ابدا اى مدة حياتكم ولا دلالة المعتزلة فى قوله ان كنتم مومنين على ان نزل
القذف من الايمان لاحتمال انه للتهييج والارشاد ويبين الله لكم اى لانتفاعكم الايات الدالة على علمه وحكمته وما ينبغى
ان يتمسك المكلف به فى ابواب صالح ومعاشه ومعاده والله عليم حكيم هما صفتان مختلفتان عند المعتزلة ثانيهما اخص
من الاول وعند الاشاعرة الثانيه للتاكيد المحض والمراد انه يجب قبول تكاليفه وبيانانه لانه عالم بما امر وبما يستحقه
كل ما معبر وليس فى تكليفه عبث ولا عبث ومن كان هذه صفته وجب طاعته يثيب ولا يعاقب استدلت المعتزلة بالاية
فى انه يريد الايمان من الكل والا لم يكن واعظا ولا مبينا بالاية لانتفاعهم ولا حكيما لا يفعل القبايح ولا جواب للاشاعرة الا انه
يفعل ما يشاء ولا اعتراض عليه ثم بين بقوله ان الذين يحبون ان اهل الافك يشاركهم فى عذاب الدارين من رضى بقولهم
وانهم كما هم مواخذون بما اظهروه فهم معاقبون على ما اضمروه من محبة اشاعة الفاحشة فى المومنين لانها تدل على الدغل
والنفاق وعدم سلامة القلب والفاحشة والفحشاء ما افرط قبحه وشيوعها واشهارها وظهورها بحيث يطلع عليها
كل احد وخصوص السبب لا يقتضى خصوص الحكم فهذا الوعيد شامل لكل من اراد بواحد من المومنين او المومنات
شيئا من المضار والاذيات وبعضهم حمل الفاحشة على الزنى وخصص من يحب شيوع الفاحشة بعبد الله بن ابى وحصص
الذين امنوا بعايشة وصفوان ولا يخفى ما فيه من ضيق العطن الا ان يساعده نقل صحيح وعذاب الدنيا الحد واللعن
والذم وما على اهل النفاق من صنوف البلاء ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى وحسانا ومسطحا
وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وعذاب الاخرة فى القبر وفى القيمة هو النار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى لاعرف قوما يضربون صدورهم ضربا يسمعه اهل النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين
ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يومن العبد حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير واما قوله والله يعلم وانتم لا تعلمون ففى نهاية حسن الموقع لان الاعمال القلبية لمحبة
الشر والخير لا يطلع عليها احد كما هى الا الله سبحانه وانما نعرف نحن شيئا بالقراين والامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجهد فى
ان يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول هذا الغل فى القلب غير العزم على الذنب فان الاول ملكه والثانى حال ولا يلزم
من ترتب العقاب على الملكات ترتبه على الحال فافهم قال ابو حنيفة المعتابة بالفجور لا تستنطق لان استنطاقها اشاعة للفاحشة
وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة فى الاية دليل على انه تعالى غير خالق للكفر ولا مريد والا كان ممن يحب ان تشيع الفاحشة
ولقايل ان يقول قياس الغايب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين من التلافى وبالغ فيها بذكر
الروف الرحيم وجواب لولا محذوف على نسق ما مر وقيل جوابه ما يدل على ذلك فى قوله ما زكى منكم وهو بعيد عن ابن عباس ان
الخطاب لحسان ومسطح وحمية والاقرب العموم ثم نهى عن اتباع اثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به فى الاصغاء
الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما ينكره العقول وتاباه وقوله فانه يامر بالفحشاء من وضع السبب مقام المسبب والمراد
فقد قالت الاشاعرة فى قوله ما زكى بالتشديد والضمير لله وكذا فى قوله ولكن الله يزكى دلالة على ان الزكاء وهو الطهارة من دنس
الاثام لا يحصل الا بالله وهو دليل على انه خالق الافعال والاثار وحمله المعتزلة على منح الالطاف او على الحكم بالطهارة وضعف
بانه خلاف الظاهر وبانه يجب انتهاء الكل اليه وبان قوله من يشاء يناقى قولكم ان خلق الالطاف واجب عليه ثم علم ادبا اخر
جميلا بقوله ولا يأتل وهو افتعل من الالية اى لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفى يحذف من جواب القسم كثيرا وفى كفراءة
ومن قرا ولا يتال وهو قيل هو من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر من الاجتهاد شيا اى لا يقصر فى الاحسان الى المستحقين
قالوا نزلت فى شان مسطح وكان ابن خالة ابى بكر الصديق فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما
فرط الى ان لا ينفق عليه فنزلت فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابى بكر فلما وصل الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم
لى مقعا عن مسطح ورجع الى الانفاق عليه وقال والله لا انزعها ابدا قال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى هذه الاية بلغظ

الجمع وانه مشعر بالتعظيم وايضا قد قيل وظلم ذوى القربى اشد مضاضة على المومن وقع الحسام المهند فهذا الظلم من
مسطح كان في غاية العظم وقد امر الله تعالى بالصفح عنه وامتثل هو فكان فيه نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب
ذلك وايضا في تسميه اولى الفضل والسعة شرف تام فكانه قيل انت افضل من ان تقابل اساة نابسوء وانت اوسع قلبا
من ان تقيم للدنيا وزنا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك ان يقطع برك عمن اسا اليك وايضا امر الله تعالى بالعفو
والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو من هذه الجهة ثاني اثنين له في الاخلاق وايضا علق المغفرة بالعفو و
قد حصل العفو فيحصل المغفرة البتة في الحال والاستقبال بقوله ان تغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ففيه دليل على خفيه خلافه والا كان عاصيا والعاصي في النار وليس
النهي في قوله ولا ياتل نهي زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الاولى والافضل وهو العفو عن النبي صلى الله عليه و
سلم افضل اخلاق المسلمين العفو وعنه صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن
ظلمه ويعطي من حرمه واعلم ان العلماء اجمعوا على ان مسطحا كان مذنبا لانه اتى بالقذف او رضي به على الروايتين عن ابن
عباس ولهذا احده رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا ايضا على انه من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح
لعل الله نظر الى اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الامرين اجابوا بانه ليس المراد من قوله اعملوا ما
شئتم انهم خارجون عن حد التكليف وانما المراد اعملوا من النوافل ما شئتم قليلا او كثيرا فقد اعطيتكم الدرجات العالية
في الجنة او اراد حسن حالهم في العاقبة انهم يوفقون الطاعة فكانه قال قد غفرت لكم بعلمي بانكم تموتون على التوبة والانابة
ثالث الاشاعرة في وصف مسطح ومدحه بكونه من المهاجرين دليل على ان ثواب كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف
فيكون القول بالمحابطة باطلا استدل جمهور الفقهاء بالاية في قول من قال الابتلاء بالحلف على ان اليمين على الامتناع
من الخير غير جائزة وانما يجوز اذا دعت الحاجة الى اضافة عنه ثم قالوا من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فينبغي له ان ياتي
بالذي هو خير ثم يكفر عن يمينه كما جاء في الحديث ولقوله تعالى ولكن يواخذكم الله بما عقدتم الايمان وهو عام في جانب
الخير وفي غيره ومثله ما ورد في قصة ايوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولو كان الحنث كفارة لم يامره بضرب
الضغث عليها وقال بعض العلماء انه ياتي بالذي هو خير وذلك كفارة لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث اخر من
حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وذلك كفارته ولانه تعالى امر ابا بكر في هذه الاية بالحنث ولم
يوجب عليه كفارة واجيب بان معنى الكفارة في الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التي هي احدى الخصال وانما
ذهبنا الى هذا ليكون مطابقا للحديث الاخر من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن
يمينه واما هذه الاية فانما لم يذكر فيها الكفارة لانها معلومة من اية المايدة قوله ان الذين يرمون المحصنات قد مر
تفسير المحصنة واما الغافلات فهن السليمات الصدور والنقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر بحسب الغرض
ولقلة التجارة وقد يعين على ذلك صغر السن وغير ذلك من الاحوال قال الاصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم وقد
في الاية قذف عايشه وخصصه بعض المفسرين فمنهم من قال المراد عايشه وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عايشه
مع ساير ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هي ام المومنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نسا الامة الموصوفات
بها في الاحصان والغفلة والايمان وذكروا في سبب التخصيص ان قذف ساير المحصنات يقبل توبته لقوله الا
الذين تابوا واما القذف المذكور في هذه الاية هو عنده مطلق من غير استثنا واجيب بانه طوى ذكر التوبة في هذه
الاية لكونها معلومة وقد يحتج للمخصص لما روى عن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الاية
فقال من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في امر عايشه ومنهم من قال نزلت الاية في مشركي مكة حين كان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت المراة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا
انما خرجت لتفجر اما شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لانهم يقولون البنية ليست شرطا في الحيوة فيجوز ان
يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وقالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح
هو في الحقيقة من الله تعالى ويجوز ان يبني الله تعالى هذه الجوارح على خلاف ما عليها ويحييها الى ان تشهد على الانسان
وتخبر عن اعماله ومعنى دينهم الحق الجزاء المستحق وقال في الكشاف معنى قوله هو الحق المبين العادل الظاهر العدل وقال
غيره سمي حقا لانه يحق عبادته او لانه الموجود بالحقيقة وما سواه فوجوده مستعار زايل والمبين ذو البيان الصحيح
او المظهر للموجودات فالحاصل انه واجب الوجود لذاته مفيد الوجود غيره ثم ختم الايات الواردة في اهل الافك بكلمة

جامعه وهي قوله الخبيثات يعني الكلمات التي يخبث مواردها ويستقذرها من يخاطب بها ويمجها سمعه لكلمات اهل
الافك ويجوز ان يراد بالخبيثات مضمون الايات الواردة في وعيد القذف لان مضمونها ذم ولعن وهو يستحق ذلك وان
كان نفس الكلمة التي هي من قبل الله سبحانه طيبا وعلى الوجهين يراد بالخبيثين الرجال والنسا جميعا الا ان الله اغلب الرجل
والحاصل من الخبيثات من القول فقالا وبعد للخبيثين من الرجل والنساء والخبيثون من الصنفين معرضون للخبيثات
من القول وكذلك الطيبات والطيبون مبرأون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلام قال جار الله هو كلام جار مجرى
المثل لعايشه وما رميت به من قول لا يطابق حالها من النزاهة والطيب وجوز بقرينه الحال ان يكون اولئك اشارة الى
اهل البيت كانهم مبرأون مما يقول اهل الافك وفي الاية قول اخر وهو ان يراد بالخبيثات النساء الخبايث وبالخبيثين
والرجال الذين هم اشكالهن فيكون اول الاية نظير قوله الزاني لا ينكح الا زانيه وكذلك الكلام في اهل الطيب ولا اطيب
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون ازواجه مثله فلذلك اخبر عن حالهن بقوله لهم مغفرة ورزق كريم في الجنة نظيره
قوله في الاحزاب واعتدنا لها رزقا كريما وفي الاية دلالة على ان عايشه رضي الله عنها من اهل الجنة وقال بعض اهل الشيعة
هذا الوعد مشروط باجتناب الكباير وقد فعلت عايشه من البغي يوم الجمل ما فعلت والصحيح عند العلماء انها رجعت عن
ذلك الاجتهاد وتابت وعن عايشه لقد اعطيت سبعا ما اعطيت امراة لقد نزل جبرائيل عليه السلام في وقت راحة
النبي فامره ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه في حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته
الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة
خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وعن
بعضهم برا الله اربعة باربعة برا يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى من قول اليهود فيه بالحجر
الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرا عايشه بهذه الايات العظام في
كتابه المتلو على وجه الدهر مثل هذه التنزيه بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تنزيه اولئك وما ذاك الا لاظهار
علو منزلة سيد الاولين والاخرين وحجة الله على العالمين التاويل اذا حصل لاهل الله مساكنة الى غيره قبض
الله ما يرده اليه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له اي النساء احب اليك قال عايشه فساكنها وقال يا عايشه حبك
في قلبي كالعقدة وقالت عايشه اني احبك واحب قربك فالله تعالى حل عقدة الحب عن قلبه بحديث الافك ورد
قلب عايشه الى الحضرة حتى قالت حين ظهرت براة ساحتها بحمد الله لا بحمدك وقيل الملامة مفتاح جنس الوجود
بها يدوب الوجود ذوبان الثلج بالشمس يوم تشهد عليهم شهادة الاعضاء في القيمة مؤجله وبالحقيقة هي في الدنيا
معجلة كقوله تعرفهم بسيماهم من كثرة صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقال الشاعر عيناك قد حكتا مبيتك كيف كنت
وكيف كانا بالاقراء وقراءة القران واليد تشهد باخذ المصحف والرجل تشهد بالمشي الى المسجد والعين تشهد بالبكاء و
الاذن تشهد باستماع كلام الله وعند الحكماء يظهر انوار الملكات الحميدة على النفس من البدن وبالعكس كما ينعكس
انوار المرايا المتقابله ويعلمون اهل الوصول والوصول ان الله هو الحق المبين لا شي في الوجود غيره لا في الدنيا ولا في الاخرة
ويمكن ان يقال الخبيثات وهي الملوثات الوجود المجازي للخبيثين وهم انشاوهن والطيبات من لوث الحدوث
للطيبين وهم اشكالهن ولا طيب الا الله وحده

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ۝
فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم و
اذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون

عليم ۝ ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ۝ قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى
لكم ان الله خبير بما يصنعون ۝ وقل للمؤمنات يغضضن من
ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها
وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت
ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما
يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم
تفلحون ۝ وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
والله واسع عليم ۝ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا
حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما
ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم
من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ۝ ولقد انزلنا

اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين

القراءة وليضربن بكسر اللام على الاصل عباس جيوبهن بضم الجيم ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب
وخلف وهشام وعاصم غير الاعشى والبزى والقواس من طريق الهاشمي وفي رواية خلف عن حمزة باشمام الجيم الضم ثم يشير
الى الكسر ويضم الباء الآخرون بالكسر الخالص غير بالنصب على الاستثناء او الحال ابن عامر ويزيد وابو بكر وحماد الباقون بالكسر
على الوصف ايه المؤمنون بضم الهاء في الحالين ابن عامر وقرا ابو عمرو وعلى وابن كثير بالالف في الوقف بفتح الهاء غير الف في الوقف
وبالالف في الوصل الوقوف اهلها تذكرون يؤذن لكم للشرط مع العطف ازكى لكم عليم متاع لكم تكتمون فروجهم لهم
يصنعون جيوبهن عورات النساء زينتهن تفلحون وامائكم فضله عليم فضله خيرا وقد قيل والوصل اوجه للعطف
اتاكم للعدول الى الحكم الدنيا رحيم للمتقين التفسير الحكم الرابع الاستيذان لما كانت الخلوة طريقا الى التهمة ولذلك
وجد اهل الافك سبيلا الى افكهم شرع ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستيذان وفي الاية اسولة الاول الاستيناس
هو الانس الحاصل بعد المجانسة قال تعالى ولا مستانسين لحديث ولا يكون ذلك في الاغلب الا بعد الدخول والسلام فلم
عكس هذا الترتيب في الاية جوابه بعد تسليم ان الواو للترتيب هو ان الاستيناس طلب الانس وانه مقدم على الاسلام و
قال جار الله هو من باب الكناية والارداف لان الانس الذي هو خلاف الوحشة يردف الاذن فوضع موضع الاذن وكانه
قيل حتى يؤذن لكم او هو استفعال من انس اذا ابصر فالمراد حتى تستكشفوا الحال ويبين هل يراد دخولكم ام لا او هو من الانس
بالكسر وهو ان يتعرف هل ثم انسان لانه لا يعني السلام ما لم يعلم ان في البيت انسانا ام لا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير
انما هو حتى تستاذنوا فاخطأ الكاتب ولا يخفى ضعف هذه الرواية لانها توجب الطعن في المتواتر ويفتح باب
القدح في القران كله نعوذ بالله الثاني ما الحكمة في شرع الاستيذان الجواب كيلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق
عينه الى ما لا يحل النظر اليه ولئلا يوقف على الاحوال التي يخفيها الناس في العادة ولانه تصرف في ملك الغير فلا بد ان يكون
برضاه والا اشبه الغصب والتغلب ولذلك قال سبحانه ذلكم يعني الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور
اي الدخول من غير اذن قال صلى الله عليه وسلم من سبقت عينه استيذانه فقد دمر والاشتقاق من الدمار وهو الهلاك كان
صاحبه دامر لعظم ما ارتكب لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان يتعظوا ويعملوا به الثالث كيف يكون
الاستيذان جوابه استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا
فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام عليكم ادخل فسمع الرجل فقالها ادخل ويؤيده قراءة عبد الله حتى تسلموا
على اهلها وتستاذنوا وكان اهل الجاهلية يقول اذا دخل الرجل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما
اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فمنع الله تعالى عن ذلك وعلم الادب الاحسن وعن مجاهد حتى تستانسوا هو التنحنح ونحو
وقال عكرمة هو التسبيح والتكبير وقرع الباب بعنف والتصحيح لصاحب الدار منهي عنه وكذا كل ما يؤدي الى الكراهية ويبنى على
الثقل الرابع كم عدد الاستيذان الجواب روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلث فالاولى يستمعون
والثانية يستصلحون والثالثة يؤذنون او يردون ومثله عن ابي موسى الاشعري وقصته مع عمر مشهورة في ذلك
وعن قتادة الاستيذان ثلثة الاول يسمع الحي الثاني ليتهيأوا والثالث ان شاؤا اذنوا وان شاؤا ردوا وينبغي ان يكون
بين المرات فاصلة والا كان الكل في حكم واحد الخامس كيف على الباب جوابه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اتى قوما
لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه يقف من ركنه الايمن او الايسر واذا كان للباب ستر كانت الكراهية اخف
السادس قوله حتى تستانسوا وتسلموا يدل على انه يجوز الدخول بعد الاستيذان والتسليم وان لم يكن له اذن او من ياذن
لان حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون خلاف ما قبلها جوابه سلمنا المخالفة لكن لا نسلم المناقضة وذلك انه قبل الاستيذان
لا يجوز الدخول مطلقا وبعده وفيه تفصيل وهو انه ان لم يجد فيها احدا من الادميين مطلقا او من يعتبر اذنه شرعا
فليس له الدخول وذلك قوله فان لم تجدوا فيها احدا اي على الاطلاق او ممن له الاذن فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم اي حتى
تجدوا من ياذن لكم او من يعتبر اذنه وان وجد فيها من له الاذن فاذا اذن دخل وان لم ياذن وقال ارجع رجع وهو قوله وان
قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة وفي قوله والله
بما تعملون عليم نوع زجر للمكلف فعليه ان يحتاط كيف يدخل ولاي غرض يدخل وكيف يخرج وهل يقوم غير الاذن مقام الاذن
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الى الرجل اذنه وفي رواية اخرى اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك

له اذن وقيل ان من قد جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستيذان والجمهور على ان اذن الصبي والعبد
والمراة معتبر وكذلك في الهدايا لاجل الضرورة وهل يعتبر الاستيذان على المحارم روى ان رجلا قال للنبي صلى
الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال
الرجل لا قال فاستاذن قال العلماء ان كان المنع من الهجوم على الغير لاجل انه لا يراه منكشف الاعضاء فيستثنى منه الزوجة
وملك اليمين وان كان لاجل انه لا يراه مشغولا بما يكره الاطلاع عليه فالمنع عام الا اذا عرض ما يبيح هتك الستر
كحريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره السابع ما حكم من اطلع على دار غيره بغير اذن الجواب قال الشافعي
لو فقأ عينه فهو هدر وتمسك بما روى سهل بن سعد انه اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي
مدرى يحك بها راسه فقال لو علمت انك تنظر الي لطعنت بها عينك انما الاستيذان من النظر وعن ابي هريرة انه
صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه قال ابو بكر الرازي هذا الخبر يرد
لوروده على خلاف الاصول فلا خلاف انه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وعليه القصاص ان كان عامدا
ومعلوم ان الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فمعنى الحديث لو صح انه من اطلع في دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم ثم منع
فلم يمتنع فذهب عينه في حال الممانعة فهي هدر واجيب بالفرق فانه اذا علم القوم دخوله عليهم احترزوا عنه و
تستروا فاما اذا نظر على حين غفلة منهم اطلع على ما لا يراد الاطلاع عليه فلا يبعد في حكم الشرع ان يبالغ ههنا في الزجر
حسما لمادة المفسدة جميع هذه الاحكام فيما اذا كانت الدار مسكونة فان لم تكن مسكونة فذلك قوله ليس عليكم جناح
الاية وللمفسرين فيه اقوال الاول قول محمد ابن الحنفية انها الخانات والربابات وحوانيت البياعين والمتاع
المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرجال والنساء والبيع والشرى يروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول
الله ان الله قد نزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات فلا ندخلها الا باذن
فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع التبرز وقيل الاسواق والاولى العموم وانما يحتاج الى الاذن دفعا للحرج
ولانها ماذون في دخولها من جهة العرف ثم ختم الاية بوعيد مثل ما تقدم الحكم الخامس غض البصر وحفظ
الفرج عما لا يحل وتخصيص المؤمنين بهذا التكليف عند من لا يجعل للتشريف او نزل فقدان مقدمة التكليف
منزلة فقدان التكليف وان كان حالهم في الحقيقة كحال المؤمنين في استحقاق العذاب على تركها قال اكثر النحويين
من للتبعيض والمراد غض شيء من البصر لان غض كله كالمتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق وجوز
الاخفش ان يكون من مزيدة وقيل صلة للغض اي ينقصوا من نظرهم يقال غضضت من فلان اذا نقصت من
قدره فالنظر اذا لم يمكن من تعمله فهو معفو موضوع عنه واعراب قوله يغضوا كما مر في سورة ابراهيم قل لعبادي
الذين امنوا يقيموا قال العلماء العورات على اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المراة مع المراة وعورة
المراة مع الرجل وبالعكس اما الرجل مع الرجل فيجوز ان ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته وعورته ما بين السرة و
الركبة ليستا بعورة وعند ابي حنيفة الركبة عورة وقال مالك الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روى انه
صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي وميت فان كان في نظره الى وجه الرجل وساير
بدنه شهوة او خوف فتنة بان كان امرد لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان واحد منهما في
جانب الفراش برواية ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد
ولا يفضي المراة الى المراة في الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيل الوجه الا الولد شفقة ويستحب المصافحة
والمراة مع المراة كالرجل مع الرجل فلها النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز عند خوف الفتنة
ولا يجوز المضاجعة ايضا لما مر في الحديث والاصح ان الذمية لا يجوز لها النظر الى بدن المسلمة لانها اجنبية
في الدين والله تعالى يقول او نسائهن اما عورة المراة مع الرجل فان كانت اجنبية حرة فجميع بدنها عورة لا يجوز
له ان ينظر الى شيء منها الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى ابراز البيع والشرى والى اخراج الكف للاخذ والاعطا
ويعني بالكف ظهرها وبطنها ههنا الى الكوعين وقيل ظهر الكف عورة وفي هذا المقام تفصيل قال العلماء لا يجوز
ان يعمد النظر الى وجه الاجنبية لغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ولقوله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الاخرة
فان كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذلك امور منها ان يريد نكاح امرأة فينظر الى وجهها وكفيها روى ابو هريرة

ان رجلا اراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار
شيئا ومنها اذا اراد شرى جارية فله ان ينظر اليها ما ليس بعورة منها ومنها انه عند المبايعة ينظر الى وجهها متاملا حتى
يعرفها عند الحاجة ومنها انه ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لان المعرفة تحصل به ومنها يجوز للطبيب
الامين ان ينظر الى بدن الاجنبية للمعالجة كما يجوز للختان ان ينظر الى فرج المختون لانه محل ضرورة وكما يجوز ان ينظر
الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة والى فرجها لتحمل شهادة الولادة اذا لم يكن نسوة والى ثدي المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع
فان كان هناك شهوة وفتنة فالنظر محظور قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وقيل مكتوب في التورية النظر
يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة اورثت حزنا طويلا ويستثنى منه ما لو وقعت في حرق او غرق فله ان ينظر الى بدنها
لتخليصها وان كانت الاجنبية امة فالاصح ان عورتها ما بين السرة والركبة لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال في الرجل
يشتري الامة لا باس ان ينظر اليها الا الى العورة وعورتها ما بين معقد ازارها الى ركبتها وقيل الا ما يبدو للمهنة فيخرج
منه ان راسها وعنقها وساعديها وساقيها ونحرها وصدرها ليس بعورة وفي ظهرها وبطنها وما فوق ساعديها الخلاف
وحكم المكاتبة والمدبرة والمستولدة ومن بعضها رقيق حكم الامة ولا يجوز لمسها ولا لمسه لان اللمس اقوى من النظر بدليل
ان الانزال باللمس يفطر الصايم وبالنظر لا يفطر وقال ابو حنيفة يجوز ان يمس من الامة ما يحل النظر اليه واما اذا كانت المراة
ذات محرم بنسب او رضاع او صهرية فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل وعند ابي حنيفة عورتها ما لا يبدو
عند المهنة فان كانت مستمتعا له كالزوجة والامة التي يحل له الاستمتاع بها جاز له ان ينظر الى جميع بدنها حتى انه يكره ان
ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لما روى انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها فان كانت الامة مجوسية او
مرتدة او وثنية او مشتركة بينه وبين غيره او مزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا زوج احدكم جاريته عبده او اجيره فلا ينظر الى ما دون السرة وفوق الركبة
واما عورة الرجل مع المراة فان كان اجنبيا منها فعورته ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه والكفين كهي معه
والاصح هو الاول لان بدن المراة في نفسه عورة بدليل انه لا يصح صلوتها مكشوفة البدن وبدن الرجل بخلافه ولا يجوز لها
قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روى عن ام سلمة انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وميمونة اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا عنه فقالت يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان
انتما الستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته معها ما بين السرة والركبة وان كان زوجها او سيدها الذي يحل له وطيها
فلها ان تنظر الى جميع بدنه غير انه يكره النظر الى الفرج كهو معها ولا يجوز للرجل ان يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته
لانه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال الله احق ان يستحيى منه ولما كان النظر بريد الزنا [illegible] امر بغض الابصار [illegible]
الفروج من الزنا ثانيا وعن ابي العالية ان كل ما في القران من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار
وان لا ينظر الى الفرج احد وعلى هذا ففائدة التخصيص بعد التعميم ان يعلم ان امر الفرج اضيق وحين حصل الخطاب في اول
الاية للمؤمنين ذكر ذلك الذي هو من غض البصر وحفظ الفرج ازكى لهم لانهم يتطهرون بذلك من دنس الاثام [illegible]
[illegible] ان الله خبير بما يصنعون [illegible] وفي ذلك اشارة الى وجوب الحذر في
كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن يعلم من التفصيل المتقدم قوله
ولا يبدين زينتهن في الاحكام التي تختص بالنساء في الاغلب وقد يحرم على الرجال ابداء زينته للنساء الاجنبيات اذا كان
هناك فتنة قال اكثر المفسرين الزينة ههنا [illegible] احدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة في حاجبيها
والغمرة في خديها والحناء في كفيها وقدميها وثانيها الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح
والقرط وثالثها الثياب وقال اخرون الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل
اللباس والحلي وغيرها وذلك ان كثيرا من النساء ينفردن بخلقهن عن سائر ما يعد زينة [illegible] قوله وليضربن بخمرهن على
جيوبهن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الوجه وكالخضاب والخواتيم في اليدين وما سوى ذلك يحرم النظر اليه ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار المقنعة قال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدم واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليستر بذلك اعناقهن ونحورهن وما حواليها من شعر وزينة وفي لفظ الضرب مبالغة في الالقاء الذي هو الالصاق وعن عايشة ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن كان على رؤسهن الغربان ثم بين ان الزينة الخفية يحل ابداؤها لاثني عشر فرقة الاولى بعولتهن اي ازواجهن والتاكيد بالجمع كصفوف الثانية اباؤهن وان علوا من جهة الاب او الام الثالثة ابا بعولتهن وان علوا الرابعة ابناؤهن وان سفلوا الخامسة ابناء بعولتهن وان سفلوا ايضا السادسة اخوانهن سواء كانوا من الاب او من الام او فيهما السابعة بنو اخوانهن الثامنة بنو اخواتهن وحكم اولاد الاولاد حكم الاولاد فيهما وهولاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال لعن الحسن البصري انهما كسائر المحارم في جواز النظر وقد يذكر البعض ببينه على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من الرضاع في هذه الاية وكذا في سورة الاحزاب قال لا جناح عليهن في اباءهن الى اخرها ولم يذكر البعولة ولا ابناءهم وقال الشعبي انما لم يذكرهما الله تعالى لئلا يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه وذلك ان العم والخال يفارق ساير المحارم في ان ابناهما ليسوا من المحارم فاذا راها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيقرب تصوره بالوصف من النظر وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط في الستر وانما ابيح ابداء الزينة الخفية لهولاء المذكورين لاحتياجهن الى مداخلتهم ومخالطتهم ولاسيما في الاسفار للنزول والركوب وايضا لقلة توقع الفتنة من جهاتهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرايب والاقارب التاسعة قوله او نسائهن فذهب اكثر السلف الى ان المراد اهل دينهن ومن هنا قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة لها وكتب عمر الى ابي عبيدة ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المومنات وقال اخرون والعمل عليه ان المراد جميع النساء وقول السلف محمول على الاولى والاوجب العاشرة قوله وما ملكت ايمانهن وظاهر الاية يشمل العبيد والاماء ويويده ما روى انس انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن عايشة انها قالت لذكوان اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعنها انها كانت تمتشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة اذ ليس ملكها العبد كملكه للامة فلا خلاف انها لا تستبيح بملك العبد شيئا من التمتع منه كما يملك الرجل من الامة ويحرم تزوج العبد لمولاته عارض غير مؤبد كمن عنده اربع نسوة لا يجوز له التزويج بغيرهن فلما لم يكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة ساير الاجانب خصيا كان العبد او فحلا واورد على هذا القول لزوم التكرار وصيرورة اذ الاماء من النساء بهن واجيب بانه اراد بالنساء الحراير كما اراد بالرجل الاحرار في قوله شهيدين من رجالكم الحادي عشر قوله والتابعين غير اولي الاربة وهي الحاجة وهم البله واهل العنة الذين لا يعرفون شيئا من امور النساء انما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم او شيوخ صلحاء لا حاجة بهم الى النساء لعفة او عناية عن زينب بنت ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخي ام سلمة وقال يا عبد الله ان فتح الله لكم الطايف ادلك على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان عنى عكن بطنها فقال صلى الله عليه وسلم لا يدخلن عليكم هذا فاباح النبي صلى الله عليه وسلم دخول المخنث عليهن حين ظن انه من غير اولي الاربة فلما علم انه يعرف احوال النساء واوصافهن علم انه من اولي الاربة فحجبه الثاني عشر قوله او الطفل وهو جنس يقع على الواحد ويجمع وهو المراد ههنا قال ابن قتيبة معنى لم يظهروا لم يطلعوا على عورات النساء العورة سوءة الانسان وكل ما يستحى منه وقال الفراء والزجاج هو من قولهم ظهر على كذا اذا قوي عليه ام لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء فعلى الاول يجب الاحتجاب من ظهر فيه داعية الحكايات وعلى الثاني انما يجب الاحتجاب من المراهق الذي ظهرت فيه مبادي الشهوة قال الحسن هولاء الفرق وان اشتركوا في جواز روية الزينة الظاهرة فهم على اقسام ثلاثة فاولهم الزوج وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شيء منها والثاني الاب والابن والاخ والجد وابو الزوج وكل ذي محرم من الرضاع او النسب يحل لهم ان ينظروا الى الشعر والصدر والساقين والذراع واشباه ذلك والثالث التابعون غير اولي الاربة وكذا المملوك لا باس ان تقوم المراة الشابة بين يدي هولاء في درع وخمار صفيق بغير ملحفة ولا يحل لهولاء

ان يروا منها شعرا ولا بشرا ولا يصلح للشابة ان تقوم بين يدي الغريب حتى يلبس الجلباب فهذا ضبط هذه المراتب ثم علمهن ادبا اخر جميلا بقوله ولا يضربن بارجلهن قال ابن عباس كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين وفي النهي عن اظهار صوت الحلي بعد نهيهن عن اظهار الحلي مبالغة فوق مبالغة ليعلم ان كل ما يجر الى الفتنة يجب الاحتراز عنه فان الرجل الذي يغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعيا له الى مشاهدتهن ومنه يعلم وجوب اخفاء صوتهن اذا لم يومن الفتنة ولهذا كرهوا اذان النساء ثم ختم الاية بالامر بالدوام على التوبة والاستغفار لان الانسان خلق ضعيفا لا يكاد يقدر على رعاية الاوامر والنواهي كما يجب قال العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه عز وجل وعن ابن عباس اراد توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة قال جار الله من قرا ايه المومنون بضم الهاء فوجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها ما قبلها الحكم السادس النكاح وذلك انه حين امر بغض الابصار وحفظ الفروج ارشد بعد ذلك الى طريق الحل فيما يدعو اليه الشهوة واصل الايامى ايايم فقلبت الواحدة بتشديد الياء ويشمل الرجل والمراة قال النضر بن شميل الايم في كلام العرب كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس في رواية الضحاك يقول زوجوا ايامى كم بعضهم من بعض وقد ايم وامت وتايما اذا لم يتزوج وجاء يكونان كاما او ثيبين قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم ايايم وظاهر الامر للوجوب الا ان الجمهور حملوه على الندب لانه لو وجب لشاع في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر ولو انتشر لنقل لعموم الحاجة اليه وقد ورد في الاخبار الصريح بكونه سنة كقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وكقوله من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وقد اجمعوا على ان الايم الثيب لو ابت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه واتفقوا على ان السيد لا يجبر على تزويج عبده وامته نعم قد يجب في بعض الصور كما اذا التمست التزويج من مولى فعليه الاجابة اذا كان الخاطب كفوا استدل الشافعي بعموم الاية على جواز تزويج البكر البالغة بدون رضاها واعترض ابو بكر الرازي بان الايامى شامل للرجال والنساء وحين لم يجز في الرجال تزويجهم بدون اذنهم فكذا في النساء ويويده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال البكر تستامر في نفسها واذنها صماتها واجيب بان تخصيص النص لا يقدح في كونه حجة في الباقي والفرق ان الايم من الرجال يتولى امر نفسه فلا يجب على الولي تعهده بخلاف المراة فان احتياجها الى من يصلح امرها اظهر على انا لا نسلم ان لفظ الايامى عند الاطلاق يتناول الرجال وفي تخصيص الاية بخبر الواحد ايضا نزاع واستدل ابو حنيفة بعموم الاية ايضا على ان العم والاخ يليان تزويج الثيب الصغيرة ونوقش فيه قال الشافعي من تاقت نفسه الى النكاح استحب له ان ينكح اذا وجد اهبة النكاح والا فليكسر شهوته بالصوم لما روى عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء والذي لا تتوق نفسه الى النكاح لكبر او مرض او عجز او كان غير قادر على النفقة يكره له ان ينكح لانه يلتزمه ما لا يمكنه القيام بحقه وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له ان ينكح لكن الافضل ان يتخلى لعبادة الله تعالى وقال ابو حنيفة النكاح افضل حجة الشافعي انه تعالى مدح يحيى بقوله وسيدا وحصورا والحصور الذي لا ياتي النساء مع القدرة عليهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم افضل اعمالكم الصلوة وقال افضل اعمال امتي قراءة القران وقال احب المباحات الى الله تعالى النكاح والمباح ما استوى طرفاه والمندوب ما يرجح فعله ولو كان النكاح عبادة لم يصح من الكافر والنكاح فيه شهوة النفس والعبادة فيها مشقة النفس والاقبال على الله تعالى فاين احدهما من الاخر ولو كان النكاح مساويا للنوافل في الثواب لم يكن النوافل مشروعة لان الطريق المودي الى المطلوب مع نفي الله وعدم التعب اولى بالسلوك وان كان الاشتغال بالنكاح اولى من النافلة لانه سبب لبقاء الاشخاص ونظم العالم والاشتغال بالزراعة ايضا اولى من النافلة للعلة المذكورة وقد وقع الاجماع على ان واجب العبادة مقدم على واجب النكاح وكذا مندوبها على مندوبه لاتحاد النسبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وعنه ياتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة حجة ابي حنيفة ان كان النكاح يتضمن صون النفس من ضرر الزنى ودفع الضرر اهم من جلب النفع وايضا النكاح يتضمن العدل وقد ورد في الحديث عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وقال في الصلوة انها خير موضوع فمن شاء فليكثر ومن شاء فليستقل ثم ان الايامى جمع مستغرق لكنهم اجمعوا على انه لا بد من شروط اخر ذكرنا بعضها في سورة النساء في قوله

واحل لكم ما وراء ذلكم ومعنى منكم اى من احراركم قاله كثير من المفسرين لان حكم العبيد والاماء يعقبه ذلك ومنهم من قال اراد من يكون يجب ولاية المامور من الولد والقريب ومنهم من قال الاضافة لانقييد والجزية والاسلام ثم امر السادة بقوله والصالحين ان تزوجوا ارقاهم واتفقوا على انه للاباحة والترغيب لان في تزويج العبد التزام مونة زوجته وتعطل خدمته واستفادة المهر وسقوط النفقة في تزويج الامة ليس قوله بلازم على السيد ايضا تخصيص الصالحين بالذكر عناية من الله بحالهم ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم وايضا الصالحون من الارقاء هم الذين يشفق عليهم مواليهم ويهتمون بشانهم حتى ينزلوهم منزلة الاولاد ويجوز ان يراد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ومن جملة ذلك ان لا يكونوا في غاية الصغر بحيث لا يحتاج الى النكاح واذن السيد لهم ان يزوجوا انفسهم بمنزلة تزويج السيد اما قوله ان يكونوا فقرا فالاصح ان هذا ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف فرب غنى يفقره النكاح ولكن المعنى لا ينظروا الى فقر من يخطب اليكم ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورايح على ان مثل هذا الوعد قد جاء مشروطا بالمشية في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فالمطلق يحمل على المقيد وقيل اراد بالمعنى نفس العفاف بتملك البضع الذى يغنيه عن الوقوع في الزنى وعن طائفة من الصحابة ان هذا وعد وعن ابى بكر قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن ابن عباس التمسوا الرزق بالنكاح وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة وقد يستدل بالاية على ان العبد والامة يملكان والا لم يتصور فقرهما وغناهما والمفسرون قالوا الضمير عائد الى الاحرار خاصة وهم الايامى وان فسر الغنى بالعفاف فلا بعد في رجوعه الى الكل والله واسع افضاله ولكنه عليم يبسط الرزق كما يريد وعلى ما ينبغي وفيه اشارة الى قيد المشية في الوعد المذكور ثم ذكر حال العاجزين عن القيام بمونة النكاح بقوله وليستعفف اى ليطلب العفة من نفسه والمضاف محذوف اى لا يجدون استطاعة نكاح ولا يقدرون عليه او النكاح يراد به ما ينكح بواسطته وهو المال ولا محذوف وفي قوله حتى يغنيهم نوع تامل للمستعفين وفيه ان فضله من اهل الصلاح والعفاف قريب الحكم السابع المكاتب ومن رغب السادة في تزويج الصالحين من العبيد والاماء ارشدهم الى الطريق الذى به ينخرط للبعيد في سلك الاحرار مع عدم الاضرار بالسادة فقال والذين يبتغون محله اما رفع الخبر فكاتبوهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط واما نصب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم والفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها كقوله وربك فكبر والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة والتركيب يدل على الضم والجمع لما فيه من ضم النجوم بعضها الى بعض وقال الازهرى هو من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت المال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق وقيل سمي بذلك لما يقع فيه من التاجيل لانها عند الشافعي وندبا عند ابى حنيفة كما يجي والاصل يستدعى الكتابة لقوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه قال قال محيى السنة الكتابة ان يقول لمملوكه كاتبتك على كذا ويسمى مالا معلوما يؤديه في نجمين واكثر ويبين عدد النجوم وما يؤدى في كل نجم ويقول اذا اديت ذلك المال فانت حر وينوى ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت وفي هذا الضبط ابحاث الاول قال الشافعي ان لم يقل بلسانه اذا اديت ذلك المال فانت حر ولم ينو بقلبه ويقول ذلك لم يعتق لان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة فان ما في يد العبد فهو ملك السيد والانسان لا يمكنه بيع ملكه فقوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ التعليق ونيته وقال ابو حنيفة ومالك وابو يوسف ومحمد وزفر ولا حاجة الى ذلك الثاني وقوله فكاتبوهم الثالث الكتابة وجب ان يعتق بالاداء بالاجماع الرابع لا يجوز الكتابة عند الشافعي الا مؤجلة لان العبد لا يتصور له ملك يؤديه في الحال وجوز ابو حنيفة الحلول لاطلاق الاية ولانه يجوز العتق على مال في الحال بالاتفاق والكتابة ايضا مثله الخامس قال الشافعي لا يجوز الكتابة على اقل من نجمين وروى ذلك عن على وعمر وعثمان وابن عمر وذلك انه عقد ارفاق ومن تمام الارفاق وجوز ابو حنيفة على نجم واحد لاطلاق الاية وللقياس على ساير العقود السادس جوز ابو حنيفة كتابة الصبي قال ويقبل عنه المولى وذهب الشافعي الى انه يجب ان يكون عاقلا بالغا لانه تعالى قال والذين يبتغون والصبى لا يتصور منه الطلب السابع جوز ابو حنيفة ان يكاتب الصبى اذن الولى وشرط الشافعي كونه مكلفا مطلقا لان قوله وكاتبوهم خطاب فلا يتناول الا العاقل غير المحجور عليه هذا وللمفسرين خلاف في ان قوله فكاتبوهم امر ايجاب او استحباب فقال قايلون ومنهم عمرو بن دينار وعطا وداود بن على ومحمد بن جرير الى وجوب الكتابة اذا طلبها المملوك بقيمته او باكثر وعلم السيد فيه خيرا ولو كان بدون قيمته لم يلزم واكده بما روى في سبب النزول انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال

له صبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت ويروى ان عمر امر انسانا ابان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى فضربه بالدرة ولم ينكر احد من الصحابة عليه وذهب اكثر العلماء منهم ابن عباس والحسن والشعبى ومالك وابو حنيفة والشافعى والثورى الى انه ندب لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من قلبه ولان طلب الكتابة كطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فلا تجب الاجابة وهذه طريقة المعارضة اجمع وقال العلماء اذا ادى مال الكتابة عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذى هو في الاصل له ومن هنا يكسب مولاه الثواب اما قوله ان علمتم فيهم خيرا فنفس عطاء الخير هو المال كقوله ان ترك خيرا قال المغنى ذلك عن ابن عباس وضعف بانه لا يقال في فلان مال وانما يقال له او عنده مال وبان العبد لا مال بل المال للسيد وعن ابن سيرين اراد اذا صلى وعن النخعى وفا وصدقا وقال الحسن صلاحا في الدين وفي الاقرب انه شئ يتعلق بالكتابة وبهذا فسره الشافعى بالامانة والقوة على الكسب ومروى مثله مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان مقصود الكتابة لا يحصل الا بالكسب ثم بالامانة كيلا تضيع ما يكسبه واختلفوا ايضا في المخاطب بقوله واتوهم فعن الحسن والنخعى و ابن عباس وفي رواية عطا وهو مذهب ابى حنيفة انهم المسلمون والمراد اعطوهم سهمهم الذى جعل لهم من بيت المال ولا بعد في كون المخاطب في احد المعطوفين غير الاخر ولا في كون احد الامرين للاستحباب والاخر للايجاب والمتهم الذى يأخذه المكاتب صدقة ولسيده عوض كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعن كثير من الصحابة وهو مذهب الشافعى ان المخاطب هو الموالى والامر ايجاب فيجب عليهم ان يبذلوا للمكاتبين شيئا من اموالهم يحطوا عنهم جزءا من مال الكتابة ثم اختلفوا في قدره وعن على انه كان يحط الربع ومثله ما روى عطا بن السايب عن ابى عبد الرحمن انه كاتب غلاما له فترك ربع مكاتبته وعن ابن عمر انه كاتب عبدا له بخمسة وثلثين الفا ووضع عنه خمسة الاف وهو السبع والاكثرون على انه غير مقدر ويحصل الامتثال بما قل متمولا عن ابن عباس توضع له من كتابته شيئا وعن ابن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفع اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا الحط عند الاولين على وجه الندب فلا يجبر المولى عليه واكدوه بما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم انه قال ايما عبد كاتب على ماية اوقيه فاداها الا عشرة اواق فهو عبد فلو كان الحط واجبا لاسقط عنه بقدره ومثله المكاتب عبد ما بقى عليه درهم وايضا لو كان الحط واجبا فان كان معلوما لزم عتقه اذا بقى ذلك القدر وليس ذلك بالاتفاق ولو كان مجهولا لكان ما بقى وهو مال الكتابة مجهولا فلا يصح الكتابة وايضا امر بالايتا من مال الله الذى اتاهم ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه بصدد التعجيز عنه فلا يستحق ذلك هذا الوصف فيجب ان هذا امر من الله تعالى للناس ولهم للسادة ان يكون المكاتب على كتابته بما يمكنهم قال صلى الله عليه وسلم من اعان مكاتبا في فك رقبة اظله الله في ظل عرشه الحكم الثامن المنع من اكراه الاماء على الزنى كان لعبد الله بن ابى راس النفاق ست معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء اى الزنى فشكت ثنتان منهن معاذة ومسيكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الاكراه قد مر في سورة النحل في قوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان والنص وان كان مختصا بالاماء الا انهم اجمعوا على ان حال الحراير ايضا كذلك والسوال المشهور في الاية هو ان المعلق بكلمة ان على الشي يعدم عند عدم ذلك الشي فيدل الاية على الزنى عند عدم ارادة التحصن والجواب بعد تسليم ان مفهوم الخطاب حجة هو ان الاكراه مع عدم ارادة التحصن التعفف مما لا يجتمعان فهذا المفهوم خرج عن كونه دليلا لامتناعه في ذاته وتحقيقا لان غالب الحال ان الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له مفهوم الخطاب كما مر في قوله ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم وقيل ان بمعنى اذ لان سبب النزول وارد على ذلك قال جار الله لو ترك كلمة ان على اذا ايذانا بان الباغيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وانما وجدت معاذة ومسيكة من قبيل الشاذ النادر وللاية مفهوم اخر وهو هوان للسادة واكراههن على النكاح وليس لها ان يمتنع على السيد اذا زوجها وعرض الحيوة الدنيا كسبهن واولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهم على الاطلاق او بشرط التوبة على اصل الاشاعرة والمعتزلة او غفور لهن لان الاكراه قد لا يكون على حد المعتبر في الشرع من التخويف الشديد فيكون اثمة حينئذ وحين فرغ من الاحكام وصف القران بصفات ثلث الاول الايات المبينات اى الموضحات او الواضحات في معانى الحدود والاحكام وغيرها ولا سيما الايات التى بينت في هذه السورة الثاني كونه مثلا من الذين خلوا اى قصة عجيبة من قصصهم فان العجب في قصة عائشة ليس باقل من العجب في قصة يوسف ومريم وما اتهما به وعن الضحاك انه اراد بالمثل شبه ما ذكر بالتورية والانجيل من اقامة الحدود وعن مقاتل اراد شبه ما حل بهم من العقاب اذا عصوا الثالث كونه موعظة ينتفع بها المتقون خاصة التاويل لا تدخلوا بيوت عالم القران التى غير

بيوتكم ذات القرار حتى تعرفوا احوالها وتسلموا على اهلها سلام توديع ومتاركة فان لم تجدوا فيها احدا فان صبرتم بحيث فطمتم
عن حظوظ الدنيا وسهولتها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بالتصرف فيها بالحق للحق وان قيل لكم ارجعوا بجذبة ارجعي الى ربك
فارجعوا ثم اشار الى ان التصرف في الدنيا الا بحل البلاغ وبحسب الضرورة جائز اذا لم يكن النفس تطمئن اليها فقال ليس
عليكم جناح الاية ثم امر بغض بصر النفس عن مشتبهات الدنيا وبصر القلب عن رؤية الاعمال ونعيم الاخرة وبصر السر عن
الدرجات والقربات وبصر الروح عن الالتفات الى ما سوى الله وبصر الهمة عن العلل بان لا يرى نفسه اهلا لشهود
الحق تنزيها واجلالا ولهذا امر بحفظ فرج الباطن عن تصرفات الكونين فيه ثم امر النساء بمثل ما امر به للرجال تنبيها على ان
النساء قد يكن رجالا في المعنى ثم نهى عن اظهار ما زين الله به سرايرهم واحوالهم الا ما ظهر على صفحات حالهم من غير تكلف منهم
ثم اباح لهم اظهار بعض الاسرار الى شيوخهن او اخواتهن في الدين والحال والمريدين الذين هم تحت تربيتهم وتصرفهم
بمنزلة النساء والمماليك او من لا خبر عندهم من عالم المعنى كالبله والاطفال فيه نفثه من غير قصد ورمز من غير ضرب
وتوبوا الى الله جميعا فان حسنات الابرار سيئات المقربين بتوبة المبتدى من الحرام وتوبة المتوسط من الحلال وتوبة
المنتهى عما سوى الله وانكحوا الايامى فيه امر بطلب شيخ كامل يودع في رحم القلب من صلب الولاية نطفة استعداد قبول
الفيض الالهي وهو الولادة الثانية المستدعية للولوج في ملكوت السماء والارض وقد اشار الى افاضة هذا الاستعداد
بقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وليستعفف ليحفظ الذين لا يجدون سبيلا في الحال ارحام قلوبهم عن تصرفات
الدنيا والهوى والشيطان حتى يدلهم الله على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر او يخصصهم بجذبة الله يجتبي والذين يبتغون
فيه ان المريد اذا طلب الخلاص عن قيد الرياضة لزم اجابته ان علم فيه الصلاح وجب ان يؤتى بعض ما اخص الله الشيخ
بمن المواهب ولا تكرهوا فيه ان النفس اذا لم يكن مايلة الى التصرف في الدنيا وان كان بالحق لم يكره عليه فان اصحاب الجلوة

الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
المصباح في زجاجة كانها كوكب درى توقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب
الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم ● في بيوت اذن
الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق
من يشاء بغير حساب ● والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد

الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب ● او كظلمات
في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور ● الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله
عليم بما يفعلون ● ولله ملك السموات والارض والى الله
المصير ● الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما
فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد
فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب
بالابصار ● يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار ● والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي
على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على
اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ● لقد انزلنا
ايات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ●
ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم
من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين ● واذا دعوا الى الله
والى الرسول ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ●
وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين ● افي قلوبهم مرض
ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون

القراءة نور السموات على الفعل يزيد من طريق ابي عيلة وابن مثا كمشكوة بمالة ابو عمرو عن الكسائي درى بكسر الدال وبالهمز ابو عمرو وعلى والمفضل مثله بضم الدال وحمزه وابو بكر وحماد والحراز الباقون بضم الدال و تشديد اليا توقد بضم التا وفتح القاف حمزه وعلى وخلف وابو بكر وحماد مثله ولكن بياء الغيبة على ان الضمير للمصباح ابن عامر ونافع وحفص وابو زيد عن المفضل الباقون وحيله توقد بالفتحات وتشديد القاف فسبح بفتح الباء ابن عامر وحماد وابو بكر سحاب ظلمات على الاضافة البزى سحاب بالتنوين ظلمات بالكسر على انه نصب على الحال القواس وابن فليح الباقون بالرفع والتنوين فيهما ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب يذهب من الاذهاب يزيد على ان الباء زائدة خالق كل على الاضافة حمزه وعلى وخلف الاخرون خلق على لفظ الفعل الماضي كل منصوبا **الوقوف** والارض مصباح زجاجة غربية لان ما بعدها صفة شجرة نار نور يشاء للناس عليم بناء على ان الظرف يتعلق بما قبله محذوف وهو كمشكوة اى مثل مشكوة في بعض بيوت الله عز وجل والاولى تعلقه بيسبح وفيها تكرار كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف وهو سبحوا اسمه لان ما بعده صفة بيوت او لان الظرف يتعلق بتسبيح والاصال لمن قرأ يسبح بفتح الباء كانه قيل من يسبح فقيل رجال اى يسبحه رجال ومن قرأ بالكسر لم يقف لانه فاعل الفعل الظاهر رجال لان ما بعده صفة الزكوة لان ما بعده ايضا صفة والابصار لتعلق اللام ابو حاتم يقف ويجعل اللام لام القسم على التقدير ليجزين فلما سقطت النون انكسرت اللام من فضله حساب ماء حسابه الحساب للعطف سحاب لمن قرأ ظلمات بالرفع ولم يجعلها بدلا فوق بعض يريها من نور صافات وتسبيحه يفعلون والارض فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين المصير من خلاله لما قلنا من يشاء بالابصار والنهار والابصار من ماء للفاء مع التفصيل بطنه رجلين لمثل ما قلنا اربع ما يشاء قدير مبينات مستقيم ذلك بالمؤمنين معرضون مذعنين ورسوله الظالمون ۵

التفسير انه سبحانه اجابين من الاحكام ما بين اردفها عادة القرآن بالالهيات وقد لذلك مثلين **احدهما** في ان دلايل الايمان في غاية الظهور **والثاني** ان اديان الكفر في نهاية الظلمة **اما الاول** فهو قوله الله نور السموات والارض واعلم ان النور في اللغة موضوع لهذه الكيفية الفايضة من الشمس والقمر والنار على ما يحاذيها من الاجرام ولا شك انه لا يمكن ان يكون الها لانه ان كان عرضا فظاهر وان كان جسما فذلك للدليل الدال على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني ولا زايل ولا منتقل الى غير ذلك من امارات الحدوث والافتقار وعند ذلك ذكر العلماء في تاويل الاية وجوها **الاول** وهو قول ابن عباس والاكثرين ان المضاف محذوف اى هو ذو نور السموات والارض لانه قال مثل نوره ويهدي الله لنوره والمضاف مغاير للمضاف اليه فظاهر الاية قولك زيد كرم وجود للمبالغة **الثاني** ان معناه منور السموات والارض كقراءة من قرأ نور بالتشديد وعلى القولين ما المراد بالنور فالاكثرون على انه الهداية والحق كما قال اخرا الاية يهدي الله لنوره من يشاء شبهه بالنور في ظهوره وبيانه واضافه الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى يضيء له السموات والارض وقيل نور السماء بالملائكة وبالاجرام النيرة والارض بالانبياء والعلماء وهو مروي عن ابي بن كعب والحسن وابي العاليه وقيل هو تدبيره اياهما بحكمة كاملة كما يوصف الرئيس المدبر بانه نور البلد اذا كان مدبرا لهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به في المضايق والمضايق وهذا القول اختيار الاصم والزجاج وقيل هو نظمه اياهما على النهج الاحسن والوجه الاصلح وقد يعبر بالنور عن النظام يقال ما ارى لهذا الامر نورا **الثالث** ما ذهب اليه الحكما الاولون الاشراقيون واليه يميل الشيخ الامام حجة الاسلام محمد الغزالي على ما قرره في رسالته المسماة بمشكوة الانوار ان الله تعالى نور في الحقيقة بل لا نور في الحقيقة الا هو وبيانه ان للانسان بصرا يدرك به النور المحسوس الواقع من الاجرام النيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة وبصيرة هي القوة العاقلة ولا شك ان البصيرة اقوى من البصر لان القوة الباصرة لا يدرك نفسها ولا يدرك ادراكها ولا يدرك آلتها وهي العين **فاما القوة العاقلة** فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها في الادراك وهي القلب والدماغ والبصر لا يدرك الكليات والبصيرة يدركها والادراك الحسي غير منتج لانه لا يصير سببا لاحساس اخر والادراك العقلي يصير سببا لادراكات اخر حتى يجمع علوم جمة والحس يضطرب بكثرة ورود المحسوسات عليه حتى انه لا يسمع الصوت الضعيف مثلا بعد سماع الصوت الشديد والعقل يزداد بها بكثرة تواردات العلوم وتعاونها والقوى الحسية تضعف بضعف البدن والقوة العقلية تقوى بعد الاربعين حتى استدل بذلك على بقائها بعد خراب البدن والقوى الحسية لا تدرك من القرب القريب ولا من البعد البعيد والعقلية لا يختلف حالها في القرب والبعد فيدرك ما فوق العرش الى تحت الثرى في لحظة واحدة بل تدرك ذات الله

وصفاته مع انه منزه عن القرب والبعد والجهة والحس لا يدرك من الاشياء الا ظاهرها والعقل يغوص في حقايق الاشياء وفي اجزائها وجزئياتها وفي ذاتياتها وعرضياتها فيوخذ الكثير تارة بانتزاع صورة كلية من الجزئيات ويكثر الواحد اخرى بالتجنيس والتنويع والتصنيف وغير ذلك من التقسيمات التي لا تكاد تتناهى وادراك العقل قد يكون مقدما على وجود الشيء ويسمى العلم العقلي وادراك الحس تابع لوجود الشيء اذا كان الروح الباصر نورا فالبصيرة التي هي اشرف منها اولى بان يكون نارا وكما ان نور البصر يحتاج في ادراكه الى معين من الخارج هو الشمس او السراج مثلا فنور البصيرة ايضا يحتاج في ادراكه الى مرشد هو النبي والقرآن فلذلك سمي القرآن نورا والنور الذي انزلناه والنبي نورا وسراجا منيرا فروح النبي في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام ثم ان النور النبوية القدسية مقتبسة من انوار اخرى لقوله علمه شديد القوى قل نزله روح القدس من ربك فكل الانوار ينتهي الى ما لا نور انور منه ولا اجل واشرف وهو الله سبحانه والكلام المجمل في هذا المقام هو الذي قد سلف تحقيقه مرارا وهو ان الكمالات انوار والملكات الذميمة ظلمات وايضا الوجود نور والعدم ظلمة فان نظرنا الى الكمال فكل كمال ينتهي الى الله سبحانه ولا كمال فوق كماله فهو نور الانوار وان نظرنا الى الوجود نفسه فلا ريب ان الممكن وجوده مستفاد من غيره الى ان ينتهي الى واجب الوجود لذاته فهو نور الانوار فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم باشراق نوره ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره وفي بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين الفا قال العلماء الحجب ثلثة اقسام حجب ظلمانية محضة وحجب ممزوجة من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة و اما المحجوبون بالاول فهم الذين بلغوا في الاشتغال بالعلايق البدنية الى حيث لا يلتفت خاطرهم الى الاستدلال بالمصنوعات على الصانع واما المحجوبون بالثاني فهم الذين اعتقدوا في الممكنات انها غنية عن المؤثر بنفس تصور الاستغناء عن الغير نور لانه من صفات الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لمن لا يليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة اما المحجوبون بالثالث فهم الذين استغرقوا في بحار صفات الله وافعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات فعرف من هذا التقرير ان الحجب لا يكاد يتناهى حسب لا نهاية للممكنات ولا انحصار للسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ما هو المتعارف في باب التكثير ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكوة الكوة في الجدار غير نافذة وهذا القول اصح عند ايمة اللغة وهي لغة العرب ومنه المشكوة للزق الصغير وقيل هي بلغة الحبشة وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري ان المشكوة هي القايم الذي في وسط القنديل الذي يدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرظي ومثله قول الزجاج هي قصبة القنديل من الزجاجة التي يوضع فيها الفتيلة وقال الضحاك هي الحلقة التي يعلق منها القنديل والمصباح السراج الضخم الثاقب واصله من الضوء ومنه الصبح والدرى بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر اى ابيض متلالئ ومن قرأ بالهمز الدال كمريق او مكسورها كسكيت فمعناه انه يدرأ الظلام بضوءه وقال ابو عبيدة ان ضممت الدال وجب ان لا تهمز لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همز من القراء فانما اراد فعولا مثل سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر وقال ذرارى من الكواكب هي المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت التي هي في العظم الاول ومعنى من شجرة مباركة ان ابتداء ثقوبه من شجرة كثيرة المنافع وهي الزيتونة وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور وقيل سمى مباركا لانها تنبت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين وبورك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم صلوات الرحمن عليه ولذلك قوله زيتونة بدل من شجرة ومعنى لا شرقية ولا غربية ان منبتها الشام وزيتونها اجود الزيتون والشام وسط المعمورة ليس على الطرف الشرقي من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن اراد شجرة الزيت في الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وضعف بان المثل انما يضرب بما شاهدوه وانهم ما شاهدوا شجر الجنة وقيل دابها الشجرة مكنوفة بالاشجار فلا تصيبها الشمس في شرق ولا غرب وزيف بان العرض هو صفاء الزيت ولا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول الشمس الى الشجرة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد انها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف فيكون زيتها اصفى لصفا الزيت ومنهم من قال لا في مضحى تصيبه الشمس ولا في مقناة وهو المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولكن الظل والشمس يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها قال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى ثم وصف الزيت بالصفاء والبريق وانه لتلالؤه يكاد يضيء من غير نار فاذا مسته النار ازداد ضوءه هذا ما يتعلق

بجل الالفاظ على ظاهر التشبيه اما ما يتعلق بالمعنى فنقول ان جمهور المتكلمين ذهبوا الى انه تعالى شبه الهداية وهي الايات
البينات في الظهور والجلاء بالمشكوة التي يكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية
في الصفاء وانما اختار هذا التشبيه دون ان يقول انها كالشمس في الظهور والوضوح لان الغالب على اوهام الخلق
ونحا لانهم اعماهم الشبهات التي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينهم كالضوء الكامل وهذا المقصود لا يحصل من
ضرب المثل بالشمس لانها اذا طلعت لم يبق ظلمة اصلا والامور التي اعتبرها الله سبحانه في هذا المثال منها كون المصباح في
المشكوة وذلك ليكون اجمع للنور واعون للكاثف الاشعة واصون له عن تعرض الرياح زعم بعضهم ان في الكلام قلبا والمراد
كمشكوة في مصباح والصحيح انه لا حاجة اليه لان هذا التشبيه مركب ولهذا قال جار الله اراد ان صفة نوره العجيبة
الشان في الاضاءة كصفة مشكوة ومنها كون المصباح في زجاجة صافية وان تعاكس الانوار من جوانب الزجاجة
يزيد المصباح نورا ومنها كون المصباح متقدا بدهن الزيت فليس في الادهان ما يدانيه في اللمعان والنطويق ومنها كون
الزيت من شجرة بازرة للشمس فان ذلك يدل على كمال نضج الثمرة ونهاية صفاء دهنها وقال الغزالي فانه يقول المشكوة والزجاجة
والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الخمس الانسانية فاولاها القوة الحاسية التي هي اصل الروح الحيواني اي
ويوجد للصبي بل لكل حيوان واوفق مثال لها من عالم الاجسام المشكوة لان تلك القوى تخرج من عدة ثقب كالعينين والاذنين
والمنخرين والفم وثانيتها القوة الخيالية التي تحفظ ما يورده الحواس مخزونا عندها لتعرضه على القوة العقلية التي فوقها عند
الحاجة اليه وانت لا تجد شيئا في عالم الاجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة فانها في الاصل جوهر كثيف ولكن صفي ودقق
حتى صار بحيث لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك الخيال من طينة
العالم السفلي الكثيف بدليل ان الشيء المتخيل ذو قدر وشكل وحد لكنه اذا صفي وهذب صار موازنا للمعاني العقلية ومؤديا
لانوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعاني كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وبمن يختم فروج
الناس وافواههم على انه مؤذن يؤذن قبل الصبح وثالثها القوة العقلية القوية على دراك الماهيات الكلية والمعارف
اليقينية ولا يخفى وجه تمثيله بالمصباح كما مر في قضية النبي سراجا وحين كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة
للعقل قيل ان المشكوة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية القوية على التقسيمات والاستنتاجات
فمثالها مثل الشجرة الثمرة فاذا كانت ثمرتها مادة لتزايد انوار المعارف فبالحري ان لا تشبه الا الشجرة الزيتون لان لب ثمرتها هو
الزيت التي هو مادة المصباح وله من بين ساير الادهان خاصية لزيادة الاشراق وقلة الدخان اذا كانت الماشية تسمى
مباركة لكثرة درها ونسلها والتي لا يتناهى ثمرته الى حد محدود اولى ان يسمى مباركا واذا كانت شعبا لافكار العقلية
المحضة مجردة عن لواحق الاجسام ناسبان يقال لها لا شرقية ولا غربية وخامسها القوة القدسية النبوية التي يكاد
زيتها يضيء يكاد زيتها ولو لم تمسسه نار ولما الشيخ الرئيس ابو علي سينا رحمه الله فانه نزل الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات
النفس الانسانية المشهورة فالمشكوة هي العقل الهيولاني وهو الاستعداد المحض والزجاجة هي العقل بالملكة وهي قوة النفس
حين حصل لها البديهيات وامكن لها بواسطتها الترقي الى النظريات والانتقال الى الكسبيات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهي
الشجرة ويسمى فكرا وان كان قويا فهو الزيت ويسمى حدسا وان كان في النهاية القصوى قدسية وهي التي يكاد زيتها يضيء
ولو لم يمسسه نار ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم المكتسبة بالعقل بحيث يقدر على ملاحظتها متى شاءت من تجشم
كسب جديد فهو المصباح ويسمى عقلا بالفعل وغايته ان يكون المعقولات حاضرة عندها متمثلة لها كانها يشاهدها
وهي نور على نور وتسمى عقلا مستفادا واما الاول فلان الملكة نور ومشاهدة تلك الملكة نور اخر واما الثاني
فلان ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل وزعم الشيخ ان المخرج من العقل الهيولاني الى الملكة ثم منها الى العقل التام
هو العقل الفعال مدبر ما تحت كرة القمر عند الحكماء وعبر عنه في الآية بالنار وعن مقاتل انه قال مثل نوره اي مثل نور الايمان
في قلب محمد بمشكوة فيها مصباح فالمشكوة نظير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد والشجرة النبوة والرسالة و
قيل المشكوة نظير ابرهيم عليه السلام والزجاجة نظير اسمعيل والمصباح نظير جسد محمد عليهم الصلوة والسلام وعن
ابي بن كعب انه قرا مثل نور من امن به ورايت في كتب الشيعة عن علي عليه السلام مرفوعا للقمر وجهان يضيء بهما اهل السموات
والارض وعلى الوجهين مكتوب اتدرون ما كتابته قالوا الله ورسوله اعلم قال على وجه السموات الله نور السموات والارض
وعلى وجه الارض محمد وعلي نورا الارضين وقيل المشكوة صدر محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما في قلبه
من الدين والشجرة ابرهيم صلوات الرحمن عليه وتوقد من شجرة كقوله واتبعوا ملة ابراهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية ان ابرهيم

لم يكن يصلي قبل المشرق ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلي قبل الكعبة وهي ما بين المشرق والمغرب ومعنى يكاد زيتها يضيء
ان نور محمد يكاد يتبين للناس قبل ان يتكلم قاله كعب وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي ومن هنا قال عبد الله بن رواحة
شعر لو لم تكن فيه ايات مبينة ۞ كانت بديهته تنبيك بالخبر ۞ وقال يحيى بن سلام قلب المؤمن يعرف الحق قبل ان يتبين
له الموافقته له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى
قبل ان ياتيه العلم به ولهذا ازداد نورا على نور قال ابي بن كعب المؤمن بين اربع خلال ان اعطى شكر وان ابتلى صبر وان قال
صدق وان حكم عدل فهو ساير الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين اموات يتقلب في خمس من النور كلامه نور وعمله نور
ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة قال الربيع سالت ابا العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره
وعلانيته قالت الاشاعرة في قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى ان هذه الدلايل مع وضوحها لا يكفي ولا
ينتفع ما لم يخلق الله الايمان فيه وقالت المعتزلة اراد يهدي الله بطريق الجنة او اراد بقوله من يشاء الذين بلغهم
هذا التكليف او الهدى محمول على زيادات الالطاف التي هي في ضد الخذلان ولهذا قال في الكشاف ومعناه يوفق لاصابة
الحق من نظر وتدبر بعين الانصاف وجانب جانب المراد والاعتساف ولم يكن كالاعمى الذي يستوي عنده جنح الليل الدامس
والضحى واكدوا ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعني النبي والمكلفين من امته قالوا انما ذكره في معرض الانعام ولو كان
الكل بخلق الله تعالى لما تمكنوا من الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد في التاكيد بقوله والله بكل شيء عليم وفيه تحذير
لمن لا يتفكر ولا يعتبر ولا يعتدل ولا ينظر قوله في بيوت اعترض ابو مسلم على قول من قال انه يتعلق بمشكوة او توقد لان كون
المشكوة في بعض بيوت الله لا يزيد المصباح انارة واضاءة وايضا الموصوف واحد فلا يكون الا في مكان واحد وقوله
في بيوت صفة مصباح او زجاجة او كوكب واجيب بان هذه صفة موضحة لا مميزة وذلك ان المشكوة قد يكون غالبا
في بيوت العبادة والمشكوة التي فيها مصباح اذا كانت في مثل هذه البيوت الرفيعة كان اعظم واكثر ضخامة فيكون
في باب التمثيل ادخل وعن الثاني انه اريد بالمشكوة النوع لا الواحد كما لو قيل الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الى علم وكفاية
وقناعة يلزم بيته فانه يراد به النوع لا الواحد وذهب ابو مسلم الى انه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا اي الانبياء و
المؤمنين الذين مضوا كانوا ملازمين لبيوت العبادة واعترض عليه بتفكك النظم اذ ذاك وبان الذين خلوا هم المكذبين
والاكثرون على ان البيوت هي المساجد والاذن الامر والرفع التعظيم او البناء وعن عكرمة هي البيوت كلها ومعنى الرفع
البنا واذكر اسم الله عام في كل ذكر وعن ابن عباس ان يتلى فيها كتابه وقيل لا يتكلم فيها لا ينبغي والتسبيح تنزيه الله تعالى عما
لا يليق به والصلوات الخمس وقيل صلوة الصبح والعصر وكانتا واجبتين في اول الاسلام وفيهما وعن ابن عباس ان صلوة الضحى
لفي كتاب الله وتلا هذه الاية والاولى العموم وقيل خص الرجال بالذكر لانهم من اهل الجماعات دون النسا ويحتمل ان يقال
لانهم اصل والنساء تبع واختلفوا في لا تلهيهم تجارة فقيل نفى لانها لا تجارة ولا بيع كقوله شعر ولا ترى الضب بها ينجحر
وقيل اثبت التجارة والبيع وبين انهم مع ذلك لا يشغلهم شيء عن ذكر الله وهذا قول الاكثرين عن الحسن اما والله ان كانوا
ليتجرون ولكن اذا جاءت فرايض الله لم يلههم عنها شيء واما الفرق بين التجارة فقد يقع فيها البيع وقد يقع فيها الشراء وخص
البيع لان الربح فيه يقين وفي الشراء مظنون فالبيع ادخل في الالهاء وقيل اراد بالتجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع وقال الفراء
التجارة لاهل الجلب يقال تجر فلان في كذا اذا جلبه في غير بلده وذكر الله دعاؤه والثناء عليه بما هو اهله وقيل هو الصلوة
ومن هنا قال ابن عباس اراد باقام الصلوة اتمامها لمواقيتها وبايتاء الزكوة طاعة الله والاخلاص له والتاء في اقامة عوض من العين
الساقطة للاعلال فلما اضيفت اقيم الاضافة مقام حرف التعويض واسقطت ثم حكى ان هؤلاء الرجال مع ما ذكر من الطاعة
والاخلاص زايد له والتاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما اضيفت اقيم الاضافة مقام حرف التعويض لانه
موصوفون بالوجل والخوف من اهوال يوم القيمة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها والمراد
تقلب احوالها فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا وتدرك الابصار بعدما كانت عميا عن النظر والاعتبار فكانهم
انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الضحاك ان القلوب تزول عن اماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير
زرقا وقال الجبائي يحتمل ان يراد تقلبها على جمر جهنم او تغيير هياتها بسبب ما ينالها من العذاب فيكون مرة بهيئة ما انضج بالنار
ومرة بهيئة ما احرق وقيل ان القلوب تتقلب في ذلك اليوم من طمع النجاة الى الخوف من الهلاك والابصار تتقلب من اي ناحية
الشمال ومن اي جهة يعطون كتابهم من قبل الايمان ام من قبل الشمايل قوله ليجزيهم متعلق بما قبله لفظا ومعنى اي يسبحون ويخافون
او يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله احسن جزاء اعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبعماية واكثر وقيل اراد بالاحسن الحسنات اجمع

وهي الطاعات فرضها ونفلها وقال الفضائل انما ذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها لهم وقال القاضي
اراد بذلك ان يكون الطاعات منهم بكفرة لمعاصيهم فيصح ان الله يجزيهم باحسن الاعمال وهذا مبني على مذهبه في الاحباط و
الموازنة والمعنى ويزيدهم من فضله كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب وقد
مر تفسيره في البقرة وحين بين حال المؤمن انه في الدنيا يكون في النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح وفي الاخرة
يكون في النعيم المقيم والثواب العظيم اتبعه ببيان ان الكافر يكون في الدنيا في انواع الظلمات وفي الاخرة في اصناف الحسرات
وضرب لكل من حالته مثلا اما المثل الدال على خيبته في الاخرة فذلك قوله والذين كفروا اعمالهم كسراب قال الازهري هو
ما يتراءى للعين وقت الضحى الاكبر شبيها بالماء الجاري كانه يسرب على وجه الارض اي يذهب واما الال فهو ما يتراءى
في اول النهار فظاهر كلام الخليل انه لم يفرق بينهما والقيعة بمعنى القاع وهو المستوي من الارض وقال الفراء هي جمع قاع
كجيرة في جار والظمآن الشديد العطش ووجه التشبيه ان الكافر يأتي ببعض اعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فاذا وافى عرصة
القيمة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحيرته فشبه حاله حال الظمآن الذي حاجته
الى الماء يحييه ويبقيه فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للحيوة فاذا جاءه ولم يجده شيئا عظم غمه وقال مجاهد السراب
عمل الكافر واتيانه اياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو انه كيف قال جاءه فاثبت انه شيء لان العدم لا يتصور المجيء اليه ثم
قال ولم يجده شيئا فنفى كونه شيئا والجواب اراد شيئا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيئا وان كان قد اجتهد او المراد جاء موضع
السراب فلم يجد هناك شيئا او اراد انه يخيل الاضياء ماء وهبا يشبه الماء وذلك باعانة من شعاع الشمس فاذا قرب
منه دق وانتشر وصار هوا وهذا قول الحكماء وقوله ووجد الله عنده اي وجد عقاب الله او زبانية الله يأخذونه فيتلونه
الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق خلاف ما تصور من الراحة والنعيم قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان
تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام واما المثل الاخر فهو قوله او كظلمات وقد يقال المعنى
او انه شبه اعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب كذا الكافر له ظلمة
الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل قاله الحسن وعن ابن عباس قلبه وبصره وسمعه وقيل قلب مظلم في صدر مظلم
والظاهر ان الجمع للتكثير وان انواع الضلالات والاباطيل اجتمعت فيه والضمير في اخرج للواقع في الظلمات يدل عليه
قرينة الحال ومعنى لم يكد يراها لم يقرب ان يراها ونفي القرب من الرؤية ابلغ من نفي الرؤية نفسها وقد مر هذا البحث في
البقرة في قوله وما كادوا يفعلون قالت الاشاعرة في قوله ومن لم يجعل الله له نورا دلالة على ان الهداية بتخليق
الله وبجعله وحمله المعتزلة على منع الالطاف وقد مر امثال ذلك مرارا ولما وصف انوار المؤمنين وظلمات الكافرين
صرح بدلائل التوحيد وقال مستفهما على سبيل التقرير الم تر ان الله يسبح له وقد مر مثله في سورة سبحان والخطاب
لكل من له اهلية النظر او للرسول صلى الله عليه وسلم وعلمه من جهة الاستدلال ومعنى صافات انهن يصففن
اجنحتهن في الهواء والضمير في علمه لكل او لله عز وجل وعلى الاول فالضمير في صلوته وتسبيحه اما لكل او لله والمعنى كل
مسبح قد علم صلوته التي تليق بحاله او صلوة الله التي كلفه اياها وعلى الثاني فالضمير فيهما لكل والصلوة بمعنى الدعاء ولا يبعد
ان يلهم الله تعالى الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها ساير العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء
في حكايتهن مذكور في خواص الحيوانات ولا سيما في كتاب عجايب المخلوقات ثم بين ان المبدأ منه والمعاد اليه فقال ولله
ملك السموات والارض الاية ثم ذكر دليلا اخر من الاثار العلوية قائلا الم تر ان الله يزجي سحابا اي يسوقه بالرياح ثم يؤلف
بينه اي بين اجزائه اي يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا متراكما ساد للافق فترى الودق المطر او القطر يخرج من خلاله
من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل قوله من السماء من جبال فيها من برد **الاولى** لابتداء الغاية **الثانية** للتبعيض على ان
قوله من جبال مفعول ينزل **الثالثة** للتبعيض ومعناه انه ينزل بعض البرد من السماء من جبال فيها وقد مر في اول البقرة
في قوله او كصيب من السماء معنى البرد وانه بخار يجمد بعدما استحال قطرات ماء قال عامة المفسرين ان في السماء جبالا من برد
خلقها الله فيها كما خلق في الارض جبال الحجر وقال اهل المعاني السماء ههنا هو الغيم المرتفع على رؤس الناس والمراد بالجبال
الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب ثم بين بقوله فيصيب به الى اخر الاية انه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها
كيف يشاء او يهلك بالبرد من يشاء ان يعذبه به ويعصم منه من يشاء ان يعصمه ويريهم ضياء البرق في السحاب بحيث
يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما في الطول والقصر وفي كل ذلك معتبر لذوي الابصار
الذين يترقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالمحسوس على الغايب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر

دليلا ثالثا من عجايب خلق الحيوان فقال والله خلق كل دابة من ماء قال علماء المعاني والتنكير في ماء للتنويع اي خلق كل دابة من
نوع من الماء مختص بتلك الدابة وخلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة كل شيء لانه قصد هناك معنى اخر وهو ان اجناس
الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وعن القفال ان قوله من ماء صفة دابة لا صلة خلق والمعنى ان كل دابة متولدة
من ماء فهي مخلوقة لله تعالى واحترز بهذا عن الاعتراض الذي ذكرنا في سورة الانبياء وهو ان بعض الاحياء لم يخلقهم الله من الماء
وقيل نزل الغالب منزلة الكل واراد بالدابة من يدب على وجه الارض ومسكنهم هناك فكل منها اما متولد من النطفة واما بحيث
لا يعيش الا بالماء ثم بين ان اصلهم وان كان واحدا الا ان خلقتهم مختلفة فمنهم من يمشي على بطنه وقدم هذا القسم لغرابته ومنهم
كذا ومنهم كذا في ضمير العقلاء واطلاق لفظه من تغليب للعقلاء وسمي الزحف على البطن مشيا على سبيل المشاكلة او الاستعارة
نظيره قوله فلان لا يتمشى له امر وقد يوجد من الدواب ذوات ارجل زايد من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلاوات بل مثل
الحيوان الذي له اربع واربعون رجلا المسمى دخال الاذن وانما لم يذكرها الله سبحانه لانها نادرة بالنسبة الى سايرهن و
من العقلاء من زعم ان امثال هذه الدواب انما يعتمد وقت المشي على اربع فقط وقيل ان في قوله تعالى يخلق الله ما يشاء
تنبيها على ساير الاقسام ولا ريب ان اختلاف الحيوانات لا يكاد ينحصر الا انا نذكر طرفا من ذلك تذكيرا لعجايب قدرة
الله في خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات اما في جوهر العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كان اخر الذنب
من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر حاصلة له في غير هذا العضو وكالسلحفاة فله صدف يحيط به ليس للانسان
وكذا السمك له فلوس والقنفد له شوك واما في كيفية العضو كاختلاف الالوان والاشكال والصلابة واللين واما في
الوضع كان يدي الفيل اقرب الى الصدر من يدي الفرس واما في الانفعال كان عين الخطاف لا يتحير في الضوء وعين الخفاش
يتحير واما في ساير الاحوال وذلك ان من الحيوانات بري وبحري او بري فقط ومن البحري ما يعتمد في السباحة على جناحه
كالسمك ومنها ما يعتمد فيها على ارجله كالضفادع وكل من البري والبحري له اماكن مختلفة من البر والبحر فمنها ما له ماوى
معلوم كالروابي والجحرا والشقوق والحجر في البر وكالقعر او الشط او الصخر او الطين في البحر ومنها ما لا ماوى له كيف ما اتفق الا ان
يلد فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طائر فمنها ما يسبح في الهوا فقط ومنها ما يسبح على وجه الماء ايضا وكل طاير فانه يمشي
على رجلين وقد يصعب عليه المشي كالخطاف الكبير الاسود وكالخفاش ومنها ما جناحه جلد او غشا وقد يكون عديم
الرجل كضرب من الحيات بالحبشه يطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكي ومنها ما يؤثر التفرد كالعقاب وكثير من الجوارح
التي تنازع على العظم ومنها ما يتعاش زوجا كالقطا والانسان من الحيوان الذي لا يمكنه ان يعيش وحده ويضاهيه
النحل والنمل الا ان النمل لا رئيس بها ومنها اكل لحم ومنها لاقط حب ومنها اكل عشب وزهر ومنه النحل ومن الحيوان ما هو
انسي بالولد كالهرة والعرانيق او بالقهر كالفهد ومنه بالايناس كالنمر او يبطئ استيناسه كالاسد ومن الحيوان ما لا
صوت له وكل مصوت فانه يصير عند الاغتلام وحركة شهوة الجماع اشد تصويتا حتى الانسان ومنه ما له سبق سفد
كل وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين ومنه ولود ومنه بيوض وكل اذون ولود وكل صموخ بيوض سوى الخفاش
ومنه هادي الطبع قليل الغضب كالبقر ومنه شديد الجهل حاد الغضب كالخنزير البري ومنه حليم حمول كالابل ومنه
محتال مكار كالثعلب ومنه غضوب سفيه الا انه ملق متودد كالكلب ومنه شديد الكيس مستانس كالقرد والفيل
ومنه حسود تياه كالطاوس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذي راه وفي قوله ان الله على كل شيء قدير
اشارة الى ان اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وبامثالها لا يكون الا عن فاعل مختار قدير فهاد وحين فرغ من اثبات هذه
الدلايل اراد ان يبين احوال المكلفين وان منهم منافقين فقدم لذلك مقدمة هي قوله ولقد انزلنا ايات مبينات وانما
حذف العاطف ههنا بخلاف قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا لان المقصود هناك هو ما سبق من التكاليف
والمواعظ والغرض ههنا توطية مقدمة لما يجيء عقيبه من حال اهل النفاق والوفاق قوله وما اولئك اشارة الى
الفريق المتولي وانما قال بالمؤمنين معرفا لانه اراد انهم ليسوا بالذين عرفت صحة ايمانهم لثباتهم واستقامتهم ويحتمل
ان يكون اولئك اشارة الى جميع القائلين امنا واطعنا وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض ضد الالزام
والنقض فان الحكم الكلي قلما يخلو عن منع ولمثل هذا قال في الاية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل انه حكم اولا
على بعضهم بالتولي ثم صرح اخرا بان الايمان منتف عن جميعهم ويجوز ان يراد بالفريق المتولي منهم رؤساء النفاق وقيل اراد بتولي
هذا الفريق رجوعهم الى الباقين قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه اما سبب نزول الاية
فعن مقاتل انها في بشر المنافق كما سبق في سورة النساء في قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت في المغيرة

بن وايل كان بينه وبين علي بن ابي طالب عليه السلام ارض فتقاسما فوقع الى علي منها ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال
المغيرة يعني ارضك فباعها منه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي عليه السلام اقبض
ارضك فابى ودعا المغيرة في محاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه
يبغضني واني اخاف ان يحيف علي قوله ياتوا اليه الجار صلة اتى فانه تعدى بالى قال جار الله والاحسن ان يتصل بمذعنين
ليفيد الاختصاص اي لا يتحاكمون اذا عرفوا ان الحق لهم الا الى الرسول مسرعين في طاعته ثم قسم الامر في صدودهم
عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكون مرض القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه
وهذه الامور وان كانت متلازمة الا انها متغايرة في الاعتبار فصحت القسمة ثم بين بقوله بل اولئك هم الظالمين
انهم يخافون حيفه لانهم عارفون امانته ولكن الظلم مركوز في جبلتهم وانهم لا يستطيعون الظلم في مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلذلك يابون المحاكمة اليه اذا كان الحق عليهم **التاويل** للاية تاويلان احدهما من عالم الافاق والاخر من عالم
الانفس **اما الاول** فالمشكوة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الكرسي والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن
عالم الاجسام وهي غير منسوبة الى شرق الازل والقدم ولا الى غرب الفنا والعدم بل هي مخلوقة للابد لا يفنى بها الفنا يكاد
زيتها وهو عالم الارواح يضيء اي يظهر من العدم في عالم الصورة المتولدة بازدواج عالمي الغيب والشهادة ولو
لم تمسسه نار نور القدرة الالهية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود نور على نور فالاول نور الصفة الرحمانية و
الثاني نور العرش فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى فيض نور
الرحمانية ينقسم على كل من يريد الله ايجاده من العرش الى ما تحت الثرى **واما التاويل الثاني** فالمشكوة
الجسد والزجاجة القلب والمصباح السر والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن العالم كما مر والزيت الروح الانساني القابل
لنور العرفان قبولا في غاية القرب والنار نار التجلي والهداية في الازل فاذا انضم الى نور العقل صار نورا على نور واذا
نور مصباح سر من يشاء بنور القدم نور زجاجة القلب له ومشكوة الجسد ويخرج اشعتها من روزنة الحواس
فيستغني ارض البشرية كما قال واشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا وبصرا الحديث في بيوت
هي القلوب اذن الله امر واراد ان يرفع درجاتها من بين ساير الارواح والنفوس الى ان يسع الله كما قال وانما
يسعني قلب عبدي المؤمن وروي انه اوحى الى داود عليه السلام فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال رب انت منزه
عن البيوت فقال فرغ لي قلبك ولم يتات هذا الرفع الا بواسطة ذكر الله فلهذا قال ويذكر فيها اسمه لا تلهيهم تجارة هي
الفوز بدرجات الجنان كما قال هل ادلكم على تجارة تنجيكم ولا بيع هو بيع الدنيا بالجنة كقوله ان اشترى الى قوله فاستبشروا
ببيعكم وفيه ان الرجولية لا تتحقق الا اذا لم يلتفت الى الدنيا والاخرة فيكون بحيث لا ينصرف فيه ما سوى الله و
حينئذ يصلي صلوة الوصال ويفيض على المستعدين زكوة حصول نصاب الكمال يخافون يوما هو يوم الفراق يتقلب فيه
القلوب والابصار البصاير لانها بيد الله يقلبها كيف شاء او كظلمات في بحر لجي هو حب الدنيا يغشاه موج الرياء من فوقه
موج الرياء من فوقه موج هو حب الجاه وطلب الرياسة من فوقه سحاب الشرك الخفي اذا اخرج يده سعيه واجتهاده لم
يكد يرا طريق خلاصه ومن لم يجعل الله له نورا اي لم يصبه رشاش النور الالهي في الازل يزجي سحاب المعاصي المتفرقة
الى ان يتراكم فترى الودق وهو مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم مطر ثم اجتباه ربه وينزل من
القلب من جبال قساوة فيها من برد وهو برد النهي يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس لاولي
الابصار اصحاب البصاير الذين يشاهدون آثار لطفه وقهره في مرآة التقليب والله خلق كل ذي روح من ماء وهو
روح محمد صلى الله عليه وسلم كما قال اول ما خلق الله روحي فمنهم من يمشي اي يكون سيرته تحصيل مشتهيات بطنه ومنهم
من يمشي على رجلين اي يضيع عمره في مشتهيات الفرج لان الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد على رجليه وان كان من ذوات
الاربع ومنهم من يمشي على اربع هم اصحاب المناصب يركبون الدواب البتة افي قلوبهم مرض انحراف في الفطرة ام ارتابوا بتشكيك
اهل البدع والاهواء ام يخافون الحيف حين امروا بترك اللذات العاجلة للخيرات الباقية والله اعلم بالصواب

انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم

بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا
طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله و
اطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما
حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني
لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون
ولا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماويهم
النار ولبئس المصير يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث
مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة و
من بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا
عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض
كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين

من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم ●
والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن
جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن
خير لهن والله سميع عليم ● ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من
بيوتكم او بيوت اباىكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت
عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما
ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان
تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على
انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين
الله لكم الايات لعلكم تعقلون ● انما المؤمنون
الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم
يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد
يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ● الا ان لله

ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون
اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ●

القراءة ويتقه بكسر القاف واختلاس الها يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو وطريق الهاشمي بكسر القاف وسكون الها على انها للسكت ابو عمرو غير عباس وخلاد ودجا ويحيى وحماد وجبيرة من طريق الخراز وابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان القاف وكسر الها حفص عن الخراز وجهه انه شبيه بقه بكتف فخفف وعلى هذا فالها ضمير فان تحريك ها السكت ضعيف الباقون ويتقهي بالاشباع فان تولوا باظهار النون وتشديد التا البزي وابن فليح كما استخلف مجهولا ابو بكر وحماد وليبدلنهم خفيفا ابن كثير وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد لا تحسبن على الغيبة ابن عامر وحمزة ثلث عورات بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الاخرون بالرفع لبعض شانهم باسكان الضاد وتشديد الشين شجاع وابو شعيب وحمله على الاخفا اولى منه على الادغام يرجعون مبنيا للفاعل عباس ويعقوب **الوقوف** واطعنا المفلحون الفائزون ليخرجن لا تقسموا لحق المحذوف مع اتحاد المقول معروفة تعلمون لرسول للشرط مع الفاء ما حملتم وتهتدوا المبين من قبلهم امنا بناء على ان ما بعده مستانف شيا الفاسقون ترحمون في الارض لانقطاع النظم مع اتحاد المقول النار المصير مرات اي هي كذا وكذا العشا عند من قرا ثلث عورات بالرفع اي هؤلاء لكم بعضهم اي هم طوافون على بعض الايات حكيم بزينة لهن عليم صديقكم اشتاتا بناء على ان ما بعده استيناف حكم طيبة يعقلون يستاذنوه ورسوله للشرط مع الفاء لهم الله رحيم بعضا لواذا لانقطاع النظم مع فاء التعقيب اليم والارض عليه فصلا بين حال وحال مع العدول عن المخاطبة الى الغيبة بما عملوا عليم **التفسير** لما حكى سيرة المنافقين وما قالوه وفعلوه اتبعه ذكر ما كان يجب ان يسلكه المؤمنون من طريق الاخلاص وعن الحسن انه قرا قول المؤمنين بالرفع والقراءة المشهورة وهي النصب قوي قال جار الله لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين قلت ذلك لاحتمال كون الاضافة فيه لفظية ان يقولوا يشبه المضمر كما بينا في الانعام في قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فلا سبيل الى تنكيره ومعنى كان نصح واستقام اي لا ينبغي ان يكون قولهم الا السمع والطاعة عن ابن عباس من يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل في عمره فاولئك هم الفائزون وهذه اية جامعة لاسباب الفوز وفقنا الله تعالى بها ثم حكى عن المنافقين انهم يريدون ان يوكدوا اساس الايمان بالايمان الكاذبة قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد باليمين وكانوا يقولون والله ان امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فنهوا عن هذا الاقسام لما علم من نفاقهم وشقاقهم واضمارهم الغدر والخديعة والاقسام حلف على فعل البر لا يجوز ان ينهى عنه وقوله طاعة معروفة مبتدا محذوف الخبر اي طاعة معلومة لا شك فيها ولا نفاق امثل واولى بكم من هذا الايمان الكاذبة او خبر محذوف المبتدا اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة المخلص من المؤمنين او كطاعتكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة المخلص من المؤمنين بانها بالقول دون الفعل ثم صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب ومعنى فان تولوا فحذف احدى التائين وما حمل الرسول هو اداء الرسالة وما حمل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالايات والمعجزات وكونه واقعا على سبيل مجاهرة لا المداهنة وههنا شبه اضمار والتقدير بلغ ايها الرسول واطيعوه ايها المؤمنون فقد وعد الله الذين امنوا منكم اي جمعوا بين الايمان والعمل الصالح وفي الوعد معنى القسم الان وعد الله يحقق الوقوع ولذلك قال في جوابه ليستخلفنهم واللام محذوف اي قسم ليجعلنكم خلفاء في الارض كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة وليمكنن لاجلهم الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكين الدين تثبيته واشاده قواعده كانوا اهل المدينة يصبحون في السلاح ويمسون به فسئموا وشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تغبرون يسيرا حتى يجلس الرجل في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الاكاسرة وخزائنهم وهذا اخبار بالغيب فيكون معجزا ومحل يعبدونني نصب على الحال اي وعدهم ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم او هو استيناف

كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويومنون فقال يعبدوننى وعلى الوجهين فقوله لا يشركون بدل من يعبدوننى او بيان
لها وفيه دليل على ان المقصود من الكل هو عبادة الله والاخلاص له ومن كفر بهذا النعم الجسام وهى الاستخلاف والتمكين
والامن بعد الخوف بعد حصول ذلك وبعد ما ذكر فاولئك هم الكاملون في الفسق قال اهل السنة في الاية دلالة
على امامة الخلفاء الراشدين لان قوله منكم للتبعيض وذلك البعض يجب ان يكون من الحاضرين في وقت الخطاب
ومعلوم ان الائمة الاربعة كانوا من اهل الايمان والعمل الصالح وكانوا حاضرين وفيهم وقد حصل لهم من الاستخلاف و
والفتوح فوجب ان يكونوا مرادا من الاية اعترض فان قوله منكم لم لا يجوز ان يراد بالاستخلاف في الارض هو امكان التصرف
والتوطن فيها كما في حق بنى اسرائيل سلمنا لكن لم لا يجوز ان يراد به خلافة على والجمع للتعظيم او يراد هو واولاده الاحد
العشر بعده وقيل ان في قوله ومن كفر بعد ذلك اشارة الى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين يؤيده قوله صلى الله عليه
وسلم الخلافة من بعدى ثلثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا وليس يبعد ان يقع
بين المعطوفين فاصلة وان طالت وكررت طاعة الرسول للتاكيد من قرا لا يحسبن على الغيبة فمفعولاه معجزين في
الارض اى لا تحسبن الكفرة احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوهم في مثل ذلك او فاعله ضمير النبى والمفعول الاول
محذوف لانه هو الفاعل بعينه اى لا تحسبن الكفار انفسهم معجزين والمراد بهم الذين اقسموا وعام قوله ومأويهم النار
قال جار الله هو معطوف على ما تقدم معنى كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله عز وجل ومأويهم النار وحين ذكر من
دلايل التوحيد واحوال المتكلمين ما ذكر تنشيطا للاذهان وترغيبا فيما هو الغرض الاصل من التكاليف وهو العرفان
عاد الى ما انجر منه الكلام وهو الحكم العام في باب الاستيذان فذكره ههنا على وجه اخص فقال ليستاذنكم قال
القاضى هذا الخطاب للرجال والظاهر او لكنه من باب التغليب فيدخل فيه النساء وقال الامام فخر الدين رحمه الله
تعالى يثبت للنساء بقياس جلى لانهن في حفظ العورة اشد حالا من الرجال وظاهر قوله الذين ملكت ايمانكم يشمل
البالغين والصغار فالامر للبالغين على الحقيقة وللصغار على وجه البيان والتاديب كما يؤمرون بالصلوة لسبع وهو
تكليف لنا بما فيه من المصلحة لنا ولهم بعد البلوغ كقولك للرجل ليخفك ولدك فظاهره الامر لهم وحقيقته الامر
له بفعل ما يخافون عنده وعن ابن عباس ان المراد الصغار وليس للكبار ان ينظروا الى مالكهم الا الى ما يجوز للحرار ان ينظر
اليه ثم انه هل يشمل الاماء فعن ابن عمر ومجاهد لا وعن غيرهما نعم لان الانسان كما يكره اطلاع الذكور على احواله فقد يكره
اطلاع الذكور على احواله فقد يكره اطلاع الاناث عليها عن ابن عباس اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن وانى لامر جاريتى
ان تستاذن الى اراد امراته وكان ابن عباس ينام بين جاريتين ومن العلماء من قال هذا الامر للاستحباب ومنهم من قال
للوجوب ومن هؤلاء من قال انه ناسخ لقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا لان ذلك يدل على ان الاستيذان
واجب في كل حال وهذا يدل على وجوبه في الاوقات الثلثة فقط ومنع لدوم النسخ بان الاول في المكلفين وهذا
في غير المكلفين قالوا الذين ملكت ايمانكم يشمل البالغين قلنا لو سلم فلا نسخ ايضا لان قوله غير بيوتكم لا يشمل العبيد
لان الاضافة يوجب الاختصاص والملكية والعبد لا يملك شيئا فلا يملك البيت امر الله اياك والاطفال
الذين لم يحتلموا من الاحرار وهذا معنى قوله منكم ان يستاذنوا ثلث مرات في اليوم والليلة احدها قبل صلوة الفجر لانه
وقت القيام من المضاجع ووقت استبدال ثياب اليقظة بثياب اليوم وثانيها عند الظهيرة وهو نصف النهار
عند اشتداد الحر وظهوره فحينئذ يضع الناس ثيابهم غالبا وثالثها بعد صلوة العشاء يعنى الاخرة لانه
وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثم بين حكمة الاستيذان في هذه الاوقات فقال ثلث
عورات فمن قرا ثلث بالرفع فظاهر كما مر في الوقوف ومن قرا بالنصب فقد قال في الكشاف انه بدل من ثلث مرات
اى اوقات ثلث عورات قلت هذا بناء على ان قوله ثلث مرات ظرف ويجوز ان يكون ثلث مرات مصدرا بمعنى ثلثة
استيذانات ويكون ثلث عورات تفسيرا وبيانا للاوقات الثلثة لانها منصوبة تقديرا واصل العورة الخلل
ومنه الاعور المختل العين واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب واعور المكان اذا خيف فيه القطع
قال جار الله اذا رفعت ثلث عورات فمحل هذه الجملة الرفع على الوصف اى هو ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان
واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة ثم بين وجه العذر بقوله
طوافون عليكم وهم الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المداخلة والمخالطة للاستخدام
ونحوه وارتفع بعضكم بالابتداء وخبره على بعض او بالفاعلية اى بعضكم على بعض يدل على المحذوف طوافون وفي

الاية دلالة على وجوب اعتبار العلل في الاحكام ما امكن يروى ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشفت عنه ثوبه فقال عمر لوددت
ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا ازلت عليه هذه الاية ثم بين حكم الاطفال الاحرار بعد البلوغ وهو ان
لا يكون لهم الدخول الا باذن في جميع الاوقات ومعنى الذين من قبلهم الذين يبلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال والذين
ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا الاية ومتى يحكم ببلوغ الطفل اتفقوا على انه اذا احتلم كان
بالغا واما اذا لم يحتلم فعند عامة العلماء وعليه الشافعى انه اذا بلغ خمسة عشر سنة فهو بالغ حكما لما روى ان ابن عمر
عرض على النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد فلم يجزه وكان له اقل من خمس عشر سنة وعرض عليه يوم الخندق وكان ابن
خمس عشرة سنة فاجازه وعن بعض السلف ويروى عن على ايضا انه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة اشبار وعليه
يحمل قول الفرزدق وما زال مذ عقدت يداه ازاره فسما وادرك خمسة الاشبار ونبات العانة غير معتبر الا في حق اطفال الكفار
وقد مر في اول سورة النساء وانما ختم هذه الاية بقوله كذلك يبين الله لكم اياته قبلها وبعدها الكم الايات لانهما تشتملان
على علامات يمكن الوقوف عليها وهى في الاولى الاوقات الثلثة وفي الاخرى من بيوتكم او بيوت ابائكم الى اخرها و
مثلها في قوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات يعنى حد الزانيين وحد القاذف
واما بلوغ الاطفال فلم يذكرها علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالاضافة الى نفسه
والله عليم بمصالح العباد حكيم في اوامره ونواهيه ثم بين حكم النساء اللواتى خرجن عن محل الفتنة والتهمة فقال والقواعد
وهى جمع قاعد بغير هاء كحايض وطالق وقد زعم الكشاف انها جمع قاعدة بالهاء وفيه نظر لانه من اوصاف النساء الخاصة
بهن سميت بذلك لقعودها عن الحيض والولد لكبرها ولذلك اكد بقوله اللاتى لا يرجون نكاحا اى لا يطمعون فيه
لعدم من يرغب فيهن وليست من القعود بمعنى الجلوس حتى يحتاج الى الفرق بين المذكر والمونث لا شبهة انه لا يحل
لهن وضع كل ثيابهن لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون المراد بالثياب ههنا الجلباب والرداء والقناع
الذى فوق الخمار وعن ابن عباس انه قرا ان يضعن جلابيبهن وعن السدى عن شيوخه يضعن خمرهن عن رؤسهن
خصهن الله تعالى بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف لم يحل لهن وضع
شئ من الثياب الظاهرة وانما ابيح لهن وضع الثياب حال كونهن غير متبرجات بزينة الى غير مظهرات شيئا من الزينة
الخفية المذكورة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه
وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها
محيطة بسوادها لا يغيب منه شئ واختص التبرج في الاستعمال بتكشف المراة للرجال وحين ذكر الجائز عقبه بالمستحب
تنبيها على اختيار الافضل في كل باب فقال وان يستعففن خير لهن وذلك انهن في الجملة مظنة شهوة وفتنة وان عرض
عارض الكبر والعجوزة والنحول ولكل ساقطة لاقطة وسئل بعض ظرفاء المذكرين عن حكم تستر النساء فقال لانهن محل
فتنة وشهوة فقيل فعلى هذا كان ينبغي ان لا يحسن تكليف الجوار بالتستر فاجاب بانه كان يلزم اذ ذاك مصيبتان
الاولى عدم رؤية الحسان الثانية لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة ببيان الفتور التى يعتبر فيها الاذن
فقال ليس على الاعمى حرج نفى الحرج عن الاصناف الثلثة ذوى العاهات ثم قال ولا على انفسكم ان تاكلوا فذهب ابن
زيد الى ان المراد نفى الحرج عنهم في قعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك انه لا حرج عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة وزيف
صحة العطف الا ان الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفى عنها الحرج قال جار الله مثال هذا ان يستفتيك مسافر
عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج
ان تقدم الحلق على النحر وقال اخرون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء ذوى الافات الى بيوت ازواجهم واولادهم
والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب الكل ريبة خوفا من ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على انفسكم يعنى عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين
حرج في ذلك قال قتادة كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا والقزازة التحرز
من العزة وهى مدح والكراهة ذم وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب وغيره ان المسلمين كانوا يخرجون الى الغزو و
يخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث
بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندى

شئ ولم يحل لي ان اكل من مالك فقيل ليس على هولاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت
قال الاكثرون هولاء الضعفاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم فيقول الاعمى اني لا ارى شيئا وربما اخذ الاجود
واترك الردى والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رايحة او غيرها
من اسباب الكراهة وايضا كان المومنون يقولون الاعمى لا يبصر الطعام الجيد ولا ياكله والاعرج لا يتمكن من الجلوس
فلا يقدر على الاكل كما ينبغي والمريض لا يتاتى له ان ياكل كما ياكل الاصحاء فقيل ليس على هولاء ولا عليكم في المواكلة حرج ثم انه
تعالى عد من مواضع الاكل احد عشر موضعا الاول قوله من بيوتكم وفيه سوال وهو انه اي فايدة في اباحة اكل الانسان
طعامه من بيته والجواب اراد من بيوت ازواجكم وعيالكم لان بيت المراة كبيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة اراد بيوت
اولادهم ولهذا لم يذكر الاولاد في جملة الاقارب ان الولد اقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان
اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الى البيت العاشر وهو قوله او ما ملكتم مفاتحه
وفيه وجوه احدها قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب
من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وثانيها قال الضحاك يريد الوصي الذين يخلفون الغزاة وثالثها
قيل اراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله او صديقكم ومعناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون
واحدا وجمعا كالعدو وعن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص
واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة
وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط بمنزلة
النفس والاب والاخ والابن وقال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضاء المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج
الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه احتج ابو يوسف بالاية انه لا قطع على من سرق
من ذوي رحم محرم وذلك انه تعالى اباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم واورد عليه ان لا
يقطع اذا سرق من صديقه واجاب فان السارق لا يكون صديقا للمسروق منه واعلم ان ظاهر الاية دل على ان اباحة الاكل
من هذه المواضع لا يتوقف على الاستيذان نعم قتادة ان الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء انكروا ذلك فقيل
كان ذلك في صدر الاسلام ثم نسخ بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرء مسلم الا عن طيب نفس منه ومما يدل
على هذا النسخ قوله ولا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه قال ابو مسلم هذا في الاقارب الكفرة
ابلج في هذه الاية فاخطر في قوله ولا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وقيل ان هولاء
القوم كان تطيب انفسهم باكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن في ذلك فلا جرم خصهم الله في الذكر لان هذه العادة
في الاغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا ان الاباحة انما حصلت في هذه الصورة لاجل حصول
الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ وحين نفى الحرج عنهم في نفس الاكل اراد ان ينفي الحرج عنهم في كيفية الاكل فقال
ليس عليكم جناح ان تاكلوا وانتصب قوله جميعا او اشتاتا على الحال اي مجتمعين او متفرقين والاشتات جمع شت
وهو نعت وقيل مصدر وصف به ثم اجمع اكثر المفسرين ومنهم ابن عباس على انها نزلت في بني ليث ابن عمرو من كنانة
كانوا يتحرجون عن الانفراد في الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ومروة وقال
عكرمه وابو صالح نزلت في قوم من الانصار لا ياكلون الا مع ضيفهم وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لياكلوا طعاما
عزلوا للاعمى طعاما على حده وكذلك للزمن والمريض فبين الله لهم ان ذلك غير واجب وقال اخرون كانوا ياكلون
فرادى خوفا من ان يحصل عند الجمعية ما ينفر او يوذي فرفع الله الحرج ثم علمهم ادبا جميلا قائلا فاذا دخلتم بيوتا
من البيوت المذكورة لتاكلوا فسلموا على انفسكم بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وانتصب تحية بسلموا
نحو قعدت جلوسا ومعنى من عند الله انها ثابتة من عنده مشروعة من لدنه او اراد ان التحية طلب حيوة للمخاطب من
عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مومن لمومن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وتضعيف الثواب
عن انس قال كنت واقفا على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك
ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين قال العلماء ان لم يكن في البيت احد
فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن صور الاذن قوله سبحانه انما المومنون

الاية المعنى ان يبين عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا
معه على امر جامع وهو الذي جمع له الناس فلما كان الامر سببا للجمع وصف به مجازا قال مجاهد هو امر الحرب ونحوه من الامور
التي يعم ضرره ونفعه وقال الضحاك هو الجمعة والاعياد وكل شئ يكون فيه الخطبة وذلك انه لا بد في الخطوب الجليلة
من ذوي راي وقوة يستعان بارايهم ومجاربهم في كفايتها فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول
صلى الله عليه وسلم ويشيب عليه رايه قال الجبائي في الاية دلالة على استيذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز
ان يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستيذان واجيب بان ترك الاستيذان من اهل النفاق لا نزاع انه كفر لانهم تركوه استخفافا
قال جار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية انه جعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان
برسوله ومع ذلك صدر الجملة بانما واوقع المومنون مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه
بمزيد توكيد وتشديد بحيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله
فجعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفي قوله فاذن
لمن شئت منهم دلالة على انه تعالى فوض بعض امر الدين الى اجتهاد الرسول ورايه وزعم قتادة انها منسوخة بقوله لم اذنت
لهم وفي قوله واستغفر لهم الله وجهان ان هذا الاستغفار لاجل انهم تركوا الاولى والافضل وهو ان لا يحدثوا انفسهم
بالذهاب ولا يستاذنوا فيه والاخر انه جزاء لهم على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستيذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله
لا تجعلوا دعاء الرسول اي لا تقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعي
وذلك ان امره فرض لازم وغيره ليس بفرض وانما هو ادب مستحسن رعايته مع الايمة والمتقدمين هذا ما عليه الاكثرون
منهم المبرد والقفال وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولون يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير و
التعظيم والصوت المنخفض وقيل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره
والتسلل الانسلال والذهاب على سبيل التدريج اللواذ والملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بذاك وانتصابه على الحال
والحاصل انهم يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يوذن
له بالذي اذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزل في حفر الخندق
وكان قوم يتسللون بغير اذن ومعنى قد يعلم تكثير العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك
يقال خالفه عن القتال اي جبنت عنه واقدم هو وخالفه الى القتال اي اقدمت وجبن هو والفتنة المحنة في الدنيا
كالقتل والزلازل وساير الاهوال والعذاب الاليم هو عذاب النار وعن جعفر بن محمد عليهما السلام ان يسلط عليهم
سلطان جاير قال الاصوليون في الاية دلالة على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك المامور به مخالف لذلك الامر لان موافقة
الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة فاذا دخل بمقتضاه كان مخالفا والمخالف مستحق العقاب بالاية
ولا نعني بالوجوب الا هذا واعترض عليه بان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه الامر فان
الامر لو اقتضاه على سبيل الندب وانت تاتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الامر ومنع من ان المندوب مامور
به فان هذا اول المسئلة والظاهر ان الضمير في امره للرسول ولو كان لله لا يضر لانه لا فرق بين امر الله وامر الرسول متناول
عند بعضهم للقول والفعل والطريقة كما يقال امر فلان مستقيم وعلى هذا فكل ما فعله الرسول فانه يكون واجبا علينا
ثم بين كمال قدرته وعلمه بقوله الا ان لله الخ تاكيدا لوجوب الحذر وقال جار الله الخطاب والغيبة في قوله وما انتم
عليه ويوم يرجعون كلاهما للمنافقين على طريقة الالتفات او الاول عام والثاني لاهل النفاق واقول يحتمل ان يكون
كلاهما عاما للمنافقين والموافقين وقوله فينبئهم لتلائم ما قبلها وما بعدها كقولك وربك فكبر التاويل ومن
يطع الله ورسوله فيما يدعونه الى الحضرة بترك ما سوى الله ويخش الانقطاع عن الله ويتق به عما سواه فاولئك
هم الفائزون بالوصول وصالا بلا انفصال ودوام ابن امرهم بالخروج عن غير الله طاعة معروفة بالفعل دون
القول ليستخلفنهم ليخرجن ما في استعدادهم من خلافة الله في ارض البشرية من القوة الى الفعل وليمكنن كل صنف
حمل الامانة المودعة فيه على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم فمنهم حفاظ لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم وللقران
ومنهم علماء الفروع ومنهم اهل المعرفة واصحاب الحقايق وارباب السلوك الكاملون المكملون ومنهم خلفاء الله على الحقيقة
واقطاب العالم واوتاد الارض وليبدلنهم من بعد خوفهم من الشرك الخفي امنا يعبدونني بالاخلاص لا يشركون بي شيئا
من مطالب الدنيا والاخرة ليستاذنكم المريدون الذين هم تحت تصرفكم والذين لم يبلغوا وان الشيوخة ثلث مراتب

فی المبادی وفی اوساط السلوك وفی نهایة امرهم فاذا احوالهم فی هذه الاوقات صلح سایرها فی الاغلب والله المستعان
والقواعد فیه اشاره الی ان المرید اذا راد صار بحیث امن منه افشاء الاسرار وما استودع فیه من متولدات الاحوال فلا
حرج علیه ولا باس فی الستر والاخفاء من الاغیار والکتمان خیر له لیس علی الاعمی حرج قال الشیخ المحقق نجم الدین المعروف
بدایه رحمه الله فیه اشاره الی ان من لایبصر الا بالله ولا یمشی الا بالله ولا یعلم الا بالله فانهم مخصوصون بالتکوین یکفیه الله
کما قال کنت له سمعا الحدیث فانهم مستعدون لقبول الفیض الالهی وهم السابقون المقربون فلا حرج فی الشرع علی
من یکون مستعدا لهذا الکمال فان الله لایکلف نفسا الا وسعها وفی قوله ولا علی انفسکم اشارة الی انه لاحرج علی ارباب
النفوس ان یکون ماکلهم من بیوتهم او بیوت ابناء جنسهم وهی الجنات ومراتبها کما قال فیها ما تشتهی الانفس وفی
قوله او ما ملکتم مفاتحه اشاره الی ان درجات الجنة مساکن اهل المکاسب کما ان مقامات اهل القرب عند
عند ملیك مقتدر منقولا لاهل المواهب قوله او صدیقکم فیه ان درج الجنان ینالها المریدین کذ جلیسه الصالح
وقد ینعکس نور ولایة الشیخ علی مراة قلب المرید الصادق فینال به مرتبة لم یکن یصل الیها بمجرد اعماله لیس علیکم
جناح فیه لانه لاحرج علی اهل الجنة ان یکون ماکلهم من درجة واحدة او من درجات شتی فاذا دخلتم بیوتا ای
بلغتم منازل من المنازل العلیا ای سلموا الاحکام الربوبیة بمزید العبودیة حتی ترتقوا منها الی منازل اعلی واطیب
انما المومنون فیه ان المرید الصادق ان لا یتنفس الا باذن شیخه فان الشیخ فی قومه کالنبی فی امته ان یضیعهم فتنه
من المال والجاه او قبول الخلق والتزویج او السفر بلا اذن الشیخ او التردد علی ابواب الملوك ونحو ذلك وبالعصمة الالهیة

بسم الله الرحمن الرحیم

تبارك الذی نزل الفرقان علی عبده لیکون للعالمین
نذیرا ● الذی له ملك السموات والارض ولم یتخذ ولدا ولم
یکن له شریك فی الملك وخلق کل شیء فقدره تقدیرا
واتخذوا من دونه الهة لا یخلقون شیئا وهم یخلقون ●
ولا یملکون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا یملکون موتا ولا
حیوة ولا نشورا ● وقال الذین کفروا ان هذا الا افك افتریه
واعانه علیه قوم اخرون ● فقد جاءو ظلما وزورا ● وقالوا
اساطیر الاولین ● اکتتبها فهی تملی علیه بکرة واصیلا
قل انزله الذی یعلم السر فی السموات والارض انه کان غفورا

رحیما ● وقالوا مال هذا الرسول یاکل الطعام ویمشی فی
الاسواق لولا انزل الیه ملك فیکون معه نذیرا ● او یلقی الیه
کنز او یکون له جنة یاکل منها وقال الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا ● انظر کیف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا
یستطیعون سبیلا ● تبارك الذی ان شاء جعل لك خیرا
من ذلك جنات تجری من تحتها الانهار ویجعل لك قصورا ●
بل کذبوا بالساعة واعتدنا لمن کذب بالساعة سعیرا
اذا راتهم من مکان بعید سمعوا لها تغیظا وزفیرا ●
واذا القوا منها مکانا ضیقا مقرنین ● دعوا هنالك ثبورا
لا تدعوا الیوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا کثیرا ● قل اذلك
خیر ام جنة الخلد التی وعد المتقون ● کانت لهم جزاء ومصیرا
لهم فیها ما یشاءون خالدین کان علی ربك وعدا مسئولا ●
ویوم یحشرهم وما یعبدون من دون الله فیقول ءانتم اضللتم
عبادی هولاء ام هم ضلوا السبیل ● قالوا سبحانك ما
کان ینبغی لنا ان نتخذ من دونك من اولیاء ولکن متعتهم
واباءهم حتی نسوا الذکر وکانوا قوما بورا ● فقد کذبوکم
بما تقولون فما تستطیعون صرفا ولا نصرا ومن یظلم منکم
نذقه عذابا کبیرا ● وما ارسلنا قبلك من المرسلین الا انهم
لیاکلون الطعام ویمشون فی الاسواق وجعلنا بعضکم

لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا

القراءة جنة نأكل بالنون حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء التحتانية ويجعل لك بالرفع ابن عامر وابو بكر و حماد والمفضل وابن كثير الباقون بالجزم وذلك ان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم نحشرهم فيقول كلاهما بالياء ابن كثير وسهل ويعقوب وابن عباس وحفص وقرا ابن عامر بالنون فيهما الباقون بالنون في الاول والياء في الثاني ان نتخذ على البناء للمفعول زيد ويزيد بما تقولون بتاء الخطاب السرندني عن قنبل تستطيعون على الخطاب حفص غير الخراز **الوقوف** نذيرا بناء على ان ما بعده بدل من الذي نزل والتعليل من تمام الصلة ولو قدر رفعه او نصبه على المدح جاز الوقف تقديرا ولا نشورا اخرون لاجل الفاصلة اختلاف القائل ولاحتمال ان يكون فقد جاءو امقول الكفار اي جاء محمد ومن عانه بظلم وزور زورا للاحتمال المذكور والعطف للتفقين مع عوارض وطول الكلام واصيلا ط الارض رحيما الاسواق نذيرا منها مسحورا سبيلا الانهار لمن جعله رفع يجعل على الاستئناف قصورا سعيرا لاحتمال كون ما بعده صفة او استينافا وزفيرا ثبورا الاول كثيرا المتقون لانتهاء الاستفهام ومصيرا خالدين مسؤلا السبيل الذكر لجواز ان يكون المراد وقد كانوا ولجواز ان يراد فصاروا وانفصل بقوله بورا بما تقولون الا لمن قرا تستطيعون بتاء الخطاب نصرا للشرط مع العطف كبيرا في الاسواق فتنة تصبرون لاحتمال كون الواو للحال بصيرا **التفسير** انه سبحانه تكلم في هذه السورة اولا في التوحيد لانه اقدم واهم ثم في النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد وسيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما اشرف هذه المطالب وما احسن هذا الترتيب ومعنى تبارك كثر خيره وزاد او تعالى عن اوصاف الممكنات وقد مر في قوله فتبارك الله احسن الخالقين قال العلماء هذه لفظة لا يستعمل الا لله ولا يستعمل الا بلفظ الماضي وجاءت في هذه السورة في ثلاثة مواضع لان ما بعدها عظائم الامور وفي وصف نفسه بتنزيل القرآن بين الحق والباطل الفرقان في الانزال بعد قوله تبارك دليل على ان البركة والخير انما هو في القرآن وكان هذه الصفة تتعلق بدلائل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في ليكون لعبده او للفرقان كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والعالمون يشمل الخلائق كلهم الا ان الاجماع دل على خروج الملائكة وما عدا الثقلين فبقي ان يكون مبعوثا الى الجن والانس الى اخر مدة التكليف والنذير والمنذر والانذار كالنكير قالت المعتزلة لو لم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل عورض بنحو قوله ولقد ذرأنا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي وصفه تعالى بالبركة والخير لان النظر على السعادات الاخروية والذي يحصل بالانذار على فوات بعض اللذات العاجلة ثم وصف ذاته بصفات اربع **اولاها** الذي له ملك السموات والارض وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغيره **الثانية** ولم يتخذ ولدا وفيه رد على النصارى واليهود **الثالثة** ولم يكن له شريك في الملك وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية وارباب الشرك الخفي ايضا ولكنه صرح بهذا الاخير في الصفة **الرابعة** وهي قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا قال جار الله المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما يصلح له او المراد بالخلق الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهو ما فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكانه قيل اوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجد متفاوتا او احدثه فقدره للبقاء الى امد معلوم وعندي ان الكلام محمول على القلب الذي يشجع عليه من الالتباس اي قدره في الازل تقديرا فخلقه في وقته موافقا لذلك التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كما مر في قوله الله خالق كل شيء ثم صرح بزيف مذاهب عبدة الاوثان قائلا واتخذوا الاية وحاصله ان آله العالم يجب ان يكون قادرا على الاشياء واشرفها لا اعجزها واخسها وهو الجماد بل الملائكة والمسيح لانه لا قدرة لهم على الايجاد والتصرف في شيء الا باذن الله فيكون الاية ردا على الكل وانما قال في هذه السورة من دونه لتقدم الذكر منفردا وفي غيرها من دون الله لان ما قبلهما بلفظ الجمع للتعظيم فلم يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفي الانداد شرع في شبهات منكري النبوة والاجوبة عنها **فالشبهة الاولى** قولهم ان هذا الا افك افتراه اراد وانه كذب في اضافته الى الله تعالى وقوله واعانه عليه قوم اخرون نظير قوله تعالى انما يعلمه بشر وقد مر ما قيل في سبب نزوله في النحل فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا اي اتوهما فانتصب بوقوع المجيء عليه وعن الزجاج انه انتصب بنزع الخافض اي اتوا بالظلم والزور فالظلم هو انهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء الى من هو عندهم في غاية الامانة والصدق والزور هو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو انصفوا من انفسهم لعلموا ان العربي لا يتلقن من العجمي كلاما عربيا اعجز بفصاحته دهاتهم ولو استعان محمد في ذلك بغيره لامكنهم ايضا ان يستعينوا بغيرهم قال ابو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه **الشبهة الثانية** قولهم انه اساطير الاولين اي احاديث سطرها المتقدمون كالحار الاعاجم اكتتبها لنفسه كقولك استكب الماء اي سكبه لنفسه واخذه وقد يظن ان في الكلام قلبا لانه يقال امليت عليه فهو يكتبها واجيب بان المعنى اراد اكتتابها فهي تقرأ عليه اذا اكتتب له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى من كتابه يحفظها لان صورة الالقاء على الكاتب قال الضحاك ما تملى عليه بكرة ويقرأ عليكم عشية وما يملى عليه عشية يقرأ عليكم بكرة وقال جار الله بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم فاجاب عن هذه الشبهة بقوله قل انزله الذي يعلم السر الاية والمعنى ان العالم بكل سر هو الذي يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب بفصاحته وبيانه وبلاغة معانيه وبراءته من التناقض والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد في المعاش والمعاد وقال ابو مسلم انه يعلم كل سر خفي ومن جملته ما تسرون انتم من الكيد والنفاق فهو يجازيكم عليه ولاجل هذا الوعيد ختم الاية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة وقيل هو تنبيه على انهم استحقوا بمكابرتهم العذاب العاجل ولكنه صرفه عنهم برحمته وغفرانه **الشبهة الثالثة** قولهم على سبيل الاستهانة وتصغير الشان ما لهذا الزاعم انه رسول اي ما باله ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد وزعموا انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن هذا المقام فطلبوا ان يكون انسانا معه ملك يعضده ويساعده في باب الانذار ثم نزلوا فاقترحوا ان يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فقالوا الا اقل من ان يكون كواحد من الدهاقين له بستان ينتفع هو وننتفع نحن بذلك على اختلاف القرائتين والنصب فيكون لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام ومحل انزل الرفع كما يقول لولا ينزل ولهذا عطف عليه ويلقى ويكون مرفوعين وقال الظالمون من وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحرث وامثاله والمسحور المغلوب على عقله والامثال الاقوال النادرة والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين ولا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق ولا يجدون طريقا اليه وقد مر مثل هذه الاية في اواسط سورة بني اسرائيل وحين حكى شبههم ومطاعنهم مدح نفسه بما يلجمهم ويفحمهم وهو قوله تبارك اي تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا ثم فسر ذلك الخير بقوله جنات عن ابن عباس خيرا من ذلك اي مما عيروك بفقد الجنة الواحدة وعنه في رواية عكرمة خيرا من التي اقتصروا على اقتراحها المعاش وفي قوله ان شاء دليل على انه لا حق لاحد من العباد عليه لا في الدنيا ولا في الاخرة وان حصول الجزاء معلل بمحض مشيئته وعنايته وقوله في الاخرة يعني ذلك اي ذا ان شاء جعلنا لك في الاخرة جنات ويجعل لك قصورا والقصر المسكن الرفيع فيحتمل ان يكون لكل جنة قصر وان يكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك في الاخرة جنات وفي الدنيا قصورا وعن طاوس عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبرائيل عنده قال جبرائيل هذا ملك قد نزل من السماء استاذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله يخيرك بين ان يعطيك مفاتيح كل شيء ولم يعطها احدا قبلك ولا يعطيها احدا بعدك من غير ان ينقصك مما ادخر لك شيئا فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعهما لي في الاخرة فنزلت هذه الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم عرض علي جبرائيل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل اشبع ثلثا واجوع ثلثا واشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك ثم اضرب عن ذلك بقوله بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من هذا كله وكذبوا بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدليل ولا يتاملون فيه لانهم لا يرجون ثوابا ولا عقابا ولا يخافون ثم ليس ما انفقوا الا شبهة قوية في نفس المسئلة بل انما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وقد مر ان النار مخلوقة ويحتمل ان يقال هو كقوله ونادى اصحاب الاشاعرة والابنية ليست شرطا في الحياة وتوابعها فاجروا قوله اذا رأتهم على ظاهره وقالوا لا امتناع في كون النار رائية مغتاظة عند اهل الكفاية والمعتزلة اولوا فقالوا معنى اذا رأتهم ظهرت لهم ويقولون دورهم تتراءى وتتناظر كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزفير وقال الجبائي ان المراد خزنتها والمراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم قيل التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا فكيف قال الله سبحانه سمعوا لها تغيظا واجيب بان المراد سماع ما يدل على التغيظ وهو الصوت اي سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قال الزجاج وقال قطرب علموا لها

تغيظا واسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر شعر مقبلا سيقا ودعا * يروى ان جهنم تزفر زفرة لا يبقى احد الا ترعد فرايصه
حتى ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه يجثوا على ركبتيه ويقول نفسي نفسي وحين وصف حال الكفار اذا كانوا بالبعد من
من جهنم وصف حالهم حين ما يلقون فيها عن ابن عباس انه يضيق عليهم المكان كما يضيق الزج في الرمح وسئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي
الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة وقال جار الله الكرب
مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل
مومن من القصور والجنان كذا وكذا وقالت الصوفية المكان الضيق قلب الكافر في صدره كقوله يجعل صدره ضيقا
حرجا ثم ان اهل جهنم مع ما هم فيه من الضيق يكونون مقرنين في السلاسل والاصفاد وقد مر في اخر سورة ابراهيم والثبور
الهلاك ودعاؤهم النداء بالثبور اي يقال يا ثبوراه هذا اوانك وههنا اضمار اي يقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
وهم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو
ثبور كثير اما لان العذاب انواع اي الوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها
فلا غاية لهلاكهم او لانهم يجدون بسبب ذلك القول خفة فان العذاب اذا صاح ولكن وجد بسببه راحة قال
الكلبي نزل هذا كله في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات ثم وبخهم بقوله قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد
المتقون اي وعدها فحذف الراجع للعلم به وليس هذا الاستفهام كقول القائل السكر احلى ام الصبر ولكن الغرض منه التوبيخ
كما اذا اعطى السيد عبده ما لا مزيد وابى واستكبر فضربه ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ هذا اطيب ام ذلك والاضافة
في جنة الخلد للتوضيح والتاكيد لا للتمييز فان الجنة معلوم ان نعيمها لا ينقطع قالت الاشاعرة في قوله وعد دلالة على
ان الجنة انما تستحق بحسب الوعد والفضل لا لاجل العمل وقالت المعتزلة في قوله المتقون اشارة الى ان الجنة لا تنال الا بالتقوى
ولذلك اكد بقوله على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار كانت لهم جزاء ومصيرا واجابت الاشاعرة بان كونه جزاء ثبت في الازل
ولا يحمل هنالك قالت المعتزلة لا عفو لصاحب الكبيرة لان الجنة جزاء المتقين خاصة ولا يعطى جنتهم غيرهم واجابت الاشاعرة بانه
لم لا يجوز ان يرضى المتقون بادخال الله اهل العفو قال جار الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء مدحا للثواب ومكانه كقوله نعم الثواب وحسنت
مرتفقا وفي قوله لهم فيها ما يشاؤن دلالة على ان حصول المرادات باسرها لا يكون الا في الجنة واما الدنيا فالراحات فيها
مخلوطة بالجراحات والضمير في كان لما يشاؤن فاستدلت المعتزلة بقوله على ربك ان ذلك واجب على الله حتى انه لو لم
يفعل استحق الذم واجيب بانه واجب بحكم الوعد لقوله وعدا مسؤلا كان المكلفين سالوه بلسان الحال من حيث تحملوا
المشقة الشديدة في طاعته وسالوه حقيقة بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك او سال الملائكة في قولهم ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم او من حقه ان يسال ويطلب لانه حق واجب بحكم الاستحقاق او بحسب الوعد على
المذهبين قوله ويوم يحشرهم يرجع الى قوله واتخذوا من دونه آلهة وظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام
وظاهر قوله انتم اضللتم انه من عند من العقلاء كالملائكة والمسيح فلاجل هذا اختلفوا فحمله قوم ومنهم الكلبي على الاوثان
ثم قالوا لا يبعد ان يخلق الله تعالى فيها الحيوة والنطق واراد انهم تكلموا بلسان الحال وقيل انه عام للاصنام والمعبودين العقلاء
نظيره قوله ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظه ما قد تستعمل في العقلاء او
اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم كما اذا اردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد تريد اطويل ام قصير و
السؤال اما لله وحده او والملائكة باذنه وانما قال انتم وهو ولم يقل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل لان السؤال وقع
عن تولي فعل الاضلال لا عن نفس الاضلال وفايدة هذا السؤال من علام الغيوب ان يجيب المعبودون بما اجابوا
به حتى يحصل لعبدتهم الالزام والتوبيخ كما قال لعيسى أانت قلت للناس ان يقال اضلوا السبيل لانهم تركوا الجادة كما تركوا في
هذا الطريق والاصل هداه الى الطريق او للطريق قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم
عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه ونطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك
فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا او قصدوا
تنزيهه من ان يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم او ايذاء من كان بريا من الجرم بل انما سالهم تعريضا للكفار وتوبيخا
لهم من قرا ان نتخذ بفتح النون فهو متعد الى واحد والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي ومن
قرا بضم النون فهو متعد الى اثنين الاول ضمير نحن والثاني من اولياء ولا يكون من زايدة لانها لا تزاد في المفعول

الثاني يقول ما اتخذت من احد وليا ولا يقول ما اتخذت احدا من ولي من التبعيض اي لا يتخذ بعضا وليا وتنكير اوليا
من حيث انهم مخصوصون وهم الجن والاصنام والمعنى انه لا يصلح لنا ذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا وفي تفسير الاية
على القراءة الاولى وجوه الاول ان المعنى اذا كنا لا نرى ان نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك الثاني
ما كان يصح لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار فقال فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة [illegible]
الثالث نعبد من مضاف محذوف اي ما كان لنا ان نتخذ من دونك من اولياء اي ما علمنا انك لا ترضى بهذا [illegible]
او قالت الملائكة انا وهم عبيد ولا ينبغي لعبيدك ان يعبدوا من دون اذنك وليا الرابع قالت الاصنام لا يصح منا ان
يكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء [illegible] المعبودين في الاية دلالة على انه لا يجوز الولاية والعداوة الا باذن الله
والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع مذمومة شرعا والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع او ما فيه
حسن ذكرهم في الدنيا والاخرة قال المعتزلة في قوله ولكن متعتهم الى اخره دليل بين على ان الله عز وجل لا يضل احدا
على الحقيقة ولهذا كان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم [illegible] هؤلاء
وعلى هؤلاء وعلى آبائهم بفضلك وجودك وكرمك فجعلوا النعم التي [illegible] سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر فالحاصل
انهم ضلوا بانفسهم لا باضلالنا وقالت الاشاعرة بل فيه دلالة على ان الله هو المضل في الحقيقة كانهم قالوا الهنا
انت الذي اعطيتهم جميع مطالبهم حتى استغرقوا في الشهوات واعرضوا عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك
[illegible] وكانوا قوما بورا اي هلكى [illegible]
وحكى الاخفش [illegible]
المعتزلة صاروا الى الهلاك بسبب اختيارهم الضلالة وقالت الاشاعرة اراد انهم كانوا في اللوح المحفوظ من جملة الهالكين
ولو قيل انه [illegible] بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح القول [illegible] قوله فقد كذبوكم الالتفات
لاجل الالزام والتوبيخ [illegible]
ما كان ينبغي لنا [illegible] والخطاب والغيبة قال جار الله [illegible]
[illegible]
آلهتكم على القرائن صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة لانها تصرف العذاب عن فاعلها وقيل الحيلة من قولهم انه
لينصرف اي يحتال ثم ذكر وعيد كل ظالم بقوله ومن يظلم الاية فاستدلت المعتزلة به وعيد الفاسق وخلوده وذلك
ان الفسق ظلم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون والانصاف انه لا دلالة في الاية على مطلوبهم لان من ليس من
صيغ العموم عند بعضهم فان سلم فلعل المراد الاكثر والالزام باعيانهم لقوله منكم ولئن سلم فلعله مشروط بعدم العفو
كما انه مشروط عند المعتزلة بعدم التوبة ولو سلم الجميع فاذاقة العذاب لا يدل على الخلود ثم بين لقوله وما ارسلنا الاية
انه لا وجه لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام لان هذه عادة مستمرة من الله في كل رسله قال الزجاج الجملة بعد
الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لان في قوله
من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير
الا من انهم وقال ابن الانباري المحذوف هو الواو وبعدما لا فيكون الجملة حالا كقوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة قال الكلبي والفراء والزجاج ان هذا في رؤساء المشركين كابي جهل وغيره وفي فقراء الصحابة
كانه اذا راى الشريف الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم فاقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه و
دليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن انه في اصحاب البلاء والعافية بقول احدهم لم لم اجعل
مثله في الخلق والخلق وفي العقل والعلم والرزق والاجل وغير ذلك ويؤيده ما روي عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله
عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وللجاهل من العالم وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد من الضعيف
وللضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرا هذه الاية وقال اخرون انه احتجاج عليهم في اختصاص محمد صلى الله
عليه وسلم بالرسالة مع مساواته اياهم في البشرية وصفاتها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم العداوة وانواع الاذى
وابتلى المرسل اليهم بالتكليف وبذل النفس والمال وصيرهم تابعين خادمين بعد ان كانوا متبوعين مخدومين قالت
الاشاعرة في هذا الجعل اشارة الى مذهبنا في القدر وقال الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال جعلت ان فلانا
لص انه جعله لصا قال في الكشاف موقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا

قلت اراد ان كلا من الابتلاء والفتنه يستدعى التمييز فحسن الاستفهام بعده اى يفتنكم ليظهر انكم تصبرون على
البلاء ام ولعل الاظهر ان الاستفهام غير معلق بالفتنه وانما هو مستانف للوعيد كقوله فهل انتم منتهون ويؤيده قوله و
كان ربك بصيرا عالما بمن يصبر ومن لم يصبر فيجازى كلا منهم بحسب ذلك وقيل في الاية تسليه للنبى صلى الله عليه وسلم
عما عيروه به من الفقر فقد جعل الاغنياء فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة لهم حين بعثناك فقيرا ليكون
طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله ولو كنت غنيا صاحب كنز كما اقترحوا لم يظهر الطامع من المخلص وقالت
الصوفيه اتصبرون يا معشر الانبياء على ما يقولون ويا معشر الامم على ما يقولون والله اعلم بالصواب

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ۝ يوم
يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ۝ ويقولون حجرا
محجورا ۝ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ۝
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ۝ ويوم تشقق
السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ۝ الملك يومئذ
الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ۝ ويوم
يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا
يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ۝ لقد اضلنى عن الذكر
بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول
يا رب ان قومى اتخذوا هذا القران مهجورا ۝ وكذلك جعلنا
لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ۝
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة
كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل
الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ۝ الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا ۝ ولقد اتينا

موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا ۝ فقلنا
اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا ۝ وقوم
نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا
للظالمين عذابا اليما ۝ وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا
بين ذلك كثيرا ۝ وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا
تتبيرا ۝ ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء افلم
يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ۝ واذا راوك
ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى بعث الله رسولا ۝ ان كاد
ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من اضل سبيلا ۝ ارايت من اتخذ الهه هوىه
افانت تكون عليه وكيلا ۝ ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون ۝ ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ۝ الم
تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا ۝ ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ۝ وهو الذى
جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا
وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من
السماء ماء طهورا ۝ لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما
واناسى كثيرا ۝ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا
فابى اكثر الناس ۝ الا كفورا

القراءة تشقق بتخفيف الشين على حذف تاء التفعيل وكذا في سورة ق عاصم وحمزة وعلي وخلف وابو عمرو
الآخرون بالتشديد والادغام وننزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير الباقون ونزل ماضيا مجهولا من التنزيل
الملائكة بالرفع ياليتني اتخذت بفتح ياء المتكلم ابو عمرو وفوقها اتخذ وابفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل
ويعقوب وثمود بغير تنوين في الحالين حمزة وسهل ويعقوب وحفص الآخرون بالتنوين للمشاكلة او تاويل الحي
لا القبيلة ولانه اسم الاب الاكبر الريح على التوحيد ابن كثير حسبتم امذكو وفي الاعراب ميتا بالتشديد يزيد وتشقيه
بفتح النون المفصل والبرجمي الباقون بضمها الوقوف الجزء التاسع عشر ربنا كبيرا محجورا منثورا مقيلا
تنزيلا الرحمن عسرا سبيلا خليلا اذ جاءني لان ما بعده من اخبار الله تعالى ظاهرا ويحتمل ان يكون من تتمة حكاية
كلام الظالم خذولا مهجورا المجرمين ونصيرا واحدة على تقدير فرقنا انزاله كذلك اي كما ترى لنثبت وان وصلت وقف
على كذلك والتقدير جملة واحدة كذلك الكتاب المنزل وهو التورية ثم اضمرت فعلا اي فرقناه لنثبت ترتيلا تفسيرا
لان ما بعده مبتدأ جهنم لان ما بعده خبر سبيلا وزيرا للاية ولفاء العطف باياتنا للفاء الفصيحة اي فذهبا
وبلغا فعصوهما فدمرناهم تدميرا لان قوم نوح منصوب بمحذوف اي واغرقنا قوم نوح اغرقناهم اية لان ما بعده
مستانف اليما للاية ولاحتمال العطف عادا على الضمير في جعلناهم واحتمال انتصابه بمحذوف اي واهلكنا عادا كثيرا
الامثال ضلالا تبيرا الامرين المعطين مع عطف الجملتين المتفقتين تتبيرا السوء يرونها للعطف مع الاضراب
نشورا هزوا لحق المحذوف اي يقولون هذا القول الذي سولا عليها لانها مقولهم سبيلا هواه وكيلا للعطف
مع لا يعقلون لابتداء النفي بسبيلا الظل لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع اتحاد المقصود ساكنا العدول مع العطف دليلا
يسيرا نشورا رحمته للعدول ظهورا لتعلق اللام كثيرا ليذكروا والوصل اولى للفاء كفورا التفسير هذه شبهة
رابعة لمنكري النبوة وانهم في قول الكلبي ابو جهل والوليد واضرابهما وتقريرها ان الحكيم ان يختار في مقصده
طريقا يكون اسهل افضاء اليه ولا شك ان انزال الملائكة يشهدوا على صدق محمد عون المطلوب فلو كان محمد صادقا
لكان مويدا بانزال الملائكة الشاهدين بصدقه قال الفراء معنى لا يرجون لا يخافون والرجاء في لغة تهامة الخوف وقال
غيره الرجاء على اصله وهو الامل الا ان الخوف يلزمه في هذه الصورة فانه من لا يرجو الجزاء والمعاد لا يخاف العقاب
ايضا واللقاء الوصول لا بمعنى المكان والجهة فانه تعالى منزه عن ذلك بل بمعنى الرؤية عند الاشاعرة او على ارادة
الجزاء والحساب عند المعتزلة وقد مر في اوايل البقرة في قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ولعل تفسيره بلقاء الجزاء انسب في
هذا المقام ليلا ينا قض قوله او نرى ربنا اي جهرة وعيانا فيامرنا بتصديقه واتباعه اللهم الا ان يراد ان الذين
لا يرجون رويتنا في الآخرة اقترحوا رويتنا في الدنيا قال جار الله لا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بان الله عز وجل
لا يرسل الملائكة الا الى الانبياء وانه تعالى لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان يكونوا عالمين بذلك
وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم انه سبحانه اجابهم عن شبهتهم بقوله لقد استكبروا في انفسهم اي اضمروا الا
ستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه ثم نسبهم الى الافراط في الظلم وعتوا ثم بوصف العتوا
بالكبير قال جار الله اللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفيها معنى التعجب كانه قال ما اشد
استكبارهم وما اكبر عتوهم وقال في التفسير الكبير تقرير هذا الجواب من وجوه احدها ان القرآن لما ظهر كونه معجزا
فقد تمت دلالة نبوة محمد فبعد ذلك لا يكون اقتراح امثال هذه الآيات الا محض الاستكبار وثانيها ان نزول
الملائكة لو حصل لكان ايضا من جملة المعجزات ولا يدل على الصدق في خصوص كونه نزول الملك بل العموم كونه معجزا
فيكون قبول ذلك ورد الآخر ترجيحا لاحد المثلين من غير المرجح وثالثها انهم بتقدير رؤية الرب وتصديقه
لرسوله لا يستفيدون علما ازيد من تصديق المعجز اذ لا فرق بين ان يقول النبي اللهم ان كنت صادقا فاحي هذا
الميت فيحييه وبين ان يقول ان كنت صادقا فصدقني فيصدقه فتعيين احد الطريقين محض العناد ورابعها ان العبد
ليس له ان يعترض على فعل مولاه اما بحكم المالكية عند الاشعري او بحكم المصلحة عند المعتزلة وخامسها ان السائل
الملح المعاند الذي لا يرضى بما ينعم عليه مذموم واظهار المعجز من جملة الايادي الجسيمة فرد احديها واقتراح الاخرى
ليس من الادب في شي وسادسها لعل المراد اني لو علمت انهم ليسوا مستكبرين عامين لاعطيتهم مطلوبهم لكني علمت انهم
انما سالوا لاجل المكابرة والعناد فلا جرم لا اعطيهم وسابعها لعلهم عرفوا من اهل الكتاب ان الله تعالى لا يرى

في الدنيا وانه لا ينزل الملائكة على عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك فهم مستكبرين ساخرون استدلت الاشاعرة
بقوله لا يرجون لقاءنا على ان روية الله موجودة واستدلت المعتزلة بقوله لقد استكبروا وعتوا ان اقتراح الروية
مستنكرة ولا يخفى ضعف الاستدلالين وانتصب يوم يرون باضمار اذكر فيكون لا بشرى مستانفا او بما دل عليه
لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى بالجنة وروية الحق ويومئذ التكرر وقوله للمجرمين ظاهر في موضع الضمير
او عام فيتناول هولاء بعموم ولاجل هذا العموم استدلت المعتزلة به على القطع بوعيد كل مجرم وان كان من اهل القبلة و
حمل الاشاعرة المجرم على الكفر اما قوله حجرا محجورا فانها كلمة يتلفظ بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة يضعونها موضع
الاستعاذة يقول الرجل تفعل كذا فيقول حجرا وقد ذكر سيبويه في باب المصادر التي ترك اظهار فعلها نحو معاذ الله
وعمرك الله ومعناه منعنا اي اسال الله ان يمنع ذلك منعا كان المستعيذ طالب من الله عز وجل ان يمنع المكروه ووصفه
بالمحجور للتاكيد كما يقال شعر شاعر وجد جده والاكثرون على ان القائلين هم الكفار اذ راوا الملائكة عند الموت او يوم
القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فيقولون ما كانوا يقولون عند نزول كل شدة وقيل هم
الملائكة ومعناه حراما محرما اي جعل الله الجنة والغفران او البشرى حراما عليكم يودي الى ان الكفار اذا اخرجوا من قبورهم
قال الحفظة حجرا محجورا وقال الكلبي الملائكة على ابواب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا و
قال عطية اذا كان يوم القيمة ياتي الملائكة المؤمنين بالبشرى فاذا راى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقولون حجرا محجورا ثم
اخبر عن وعيد اخر لهم وذلك انهم كانوا يعملون اعمالا صورة الخير من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف وامثالها
من غير بناء لها على اساس الايمان فمثلت حالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى شانهم وقصد الى
ما تحت ايديهم فافسدها بحيث لم يترك منها اثرا والا فلا قدوم ولا ما يشبه القدوم لتنزهه سبحانه عن الجسمية وصفاتها
قال اهل المعاني القادم الى الشي قاصد له فالقصد هو الموثر في القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا وقيل اراد قدوم
الملائكة بامره الى موضع الحساب في الآخرة والهبا ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس يشبه بالغبار وقال مقاتل انه الغبار
الذي يسطع من حوافر الدواب وفي امثالهم اقل من الهبا شبه عملهم بالهباء بالتناثر في قلته وحقارته واكد المعنى بوصف
الهباء لانك تراه منتظما مع الضوء حتى اذا حركته الريح تناثر وذهب كل مذهب والمراد جعلناه جامعا لحقارة الهباء و
التناثر ولام الهباء واو بدليل الهبوة بمعناه ثم بين حال الابرار من حال الفجار بقوله اصحاب الجنة خير ووجه صحة التفضيل
ما بين في قوله قل اذلك خير ام جنة الخلد والتفاوت بين المنزلين انما يرجع الى الموضع والموضع من حيث انه موضع لا
شرفية او هو على سبيل الفرض اي لو كان لهم مستقر فيه خير لكان مستقر اهل الجنة خيرا منه والمستقر مكان الاستقرار
والمقيل المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والاستمتاع بمغازلتهن وملامستهن كحال المترفين في
الدنيا ولا نوم في الجنة فانما سمي مكان دعوتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي اختيار لفظ
الاحسن دون ان يقول خيرا مقيلا رمز الى التحسينات الحاصلة في مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور وغير
ذلك قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في جنة واهل النار في النار وعن سعيد بن جبير
ان الله تعالى اذا اخذ في فصل القضاء قضى ما بينهم كقدر ما بين صلوة الغداة الى نصف الليل فيقيل اهل الجنة في
الجنة واهل النار في النار وقال مقاتل يخفف الحساب على اهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من ايام الدنيا
ثم يقيلون من يومهم ذلك في الجنة وحاصل الآية ان اصحاب الجنة من المكان في اطيب مكان ومن الزمان في احسن
زمان ثم اراد يصف اهوال يوم القيمة فقال ويوم تشقق اي واذكر يوم ينشق السماء بسبب غمام يخرج منها في الغمام الملائكة
ينزلون في ايديهم صحايف اعمال العباد قال الفراء الباء بمعنى عن لان السماء لا يتشقق بالغمام كما يقال انشقت الارض عن
النبات اي ارتفع التراب عنه عند طلوعه وقال القاضي لا يمتنع ان يجعل الله تعالى الغمام بحيث تشقق السماء باعتماده عليها
عن مقاتل تشقق سماء الدنيا فينزل اصلها وكذلك تشقق سماء سماء ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش ثم تنزل الرب تعالى
قال العلماء هذا نزول الحكم والقضاء لا نزول الذات ولما نزول الملائكة مع كثرتهم وصغر حجم الارض بالقياس الى السماء فقالوا
لا يبعد ان يوسع الله الارض عرضا وطولا بحيث يسع كل هولاء ومن المفسرين من قال الملائكة يكونون في الغمام وهو سترة بين
السماء والارض والله تعالى فوق اهل القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس قال تشقق كل سماء وينزل سكانها فيحيطون بالعالم
ويصيرون سبع صفوف حول العالم والظاهر ان اللام في الغمام للجنس ومنهم من قال هي للعهد والمعهود قوله هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة كما كان لبني اسرائيل في التيه ومعنى تنزيلا توكيد النزول

ودلالة على استراعهم فيه قال الزجاج الحق صفة الملك اى الملك الثابت الذى لا يزول للرحمن يومئذ ونظيره مالك
يوم الدين ويجوز ان يكون يومئذ تكريرا لقوله ويوم تشقق واعرابهما واحد والفايده فى تخصيص ذلك اليوم ان ثم
فيه لا مالك سواه لا بالصورة ولا فى الحقيقة فتخضع له الملوك وتعنو الوجوه وتذل له رقاب الجبابرة قال الاشاعرة
ههنا لو وجب على الله يومئذ الثواب لاستحق الذم بتركه وكان خايفا ان لا يفعل فلم تكن له الملك على الاطلاق وايضا لو كان
العبد مالكا للثواب لم يكن الله تعالى ملكا مطلقا بل يكون عبدا ضعيفا لا يقدره على ان لا يودى ما عليه من العوض او
فقيرا محتاجا الى ان يدفع الذم عن نفسه باداء ما عليه وكان ذلك اليوم يوما عسيرا على الكافرين لا على المؤمنين واللام
فى الظالم ظاهره الاستغراق والشمول او الجنس وعن ابن عباس للعهد وذلك ان الاية نزلت فى عقبة بن ابى معيط
وكان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة ودعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل
من طعامه حتى ياتى بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان
ياكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك ان لقيت محمدا فلم
تطا قفاه ولم تبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر وامر عليا بقتله وفى روايات الشيعة ان الظالم هو رجل بعينه
وان المسلمين غيروا اسمه وكتموه وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من الصحابة وجيه بعيد لان تغيير القران
كفر والعض على اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من لوازم الغيظ والضجر غالبا ونظيره سقط فى يده واكل بنانه
وامثال ذلك وقال الضحاك ياكل يديه الى المرفق ثم ينبت فلا يزال كذلك كلما اكلها نبتت قال جار الله تمنى ان لو صحب
الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد انى كنت ضالا لم يكن
الى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا وفلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
فان اراد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا
كان لخليله اسم علم فجعله كناية عنه قلت زعم بعض ائمة اللغة انه لم يثبت فلان فى الفصيح الا حكاية لا يقال جاء فى فلان
لانه اسم اللفظ الذى هو علم الاسم مدلول العلم ولذلك جاء فى كلام الله بقوله يا ليتنى الخ والذكر ذكر الله والقران او
موعظة الرسول ونطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى الخليل الذى اضله كما يضل الشيطان
ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة واشارة الى ابليس وانه هو الذى حمله على ان صار خليلا لذلك المضل وخالف الرسول
ثم خذله او اراد الجنس فيدخل فيه كل من تشيطن من الجن والانس ثم ان الكفار لما اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه
التعنت ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وشكاهم الى الله عز وجل وقال يا رب ان قومى يعنى قريشا اتخذوا
هذا القران مهجورا اى تركوه وصدوا عنه عن الايمان به وعن ابى مسلم ان المراد يوم القيمة روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم من تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك
هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى والجار محذوف اى جعلوه مهجورا فيه وعلى هذا
فله معنيان احدهما انهم زعموا انه كلام لا فايدة فيه وثانيهما انهم كانوا اذا سمعوه لغوا فيه وجوز فى الكشاف
ان يكون المهجور مصدرا بمعنى الهجر كالمعسور والمجلود اى اتخذوه هجرا سؤال هذا النداء بمنزلة قول نوح رب انى دعوت
قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فكيف صارت شكاية نوح سببا لخلود العذاب بامته ولم تصر شكاية
نبينا صلى الله عليه وسلم سببا لذلك الجواب ان الكلام بالتمام وكان من تمام كلام نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ولم يكن كلام رسولنا الا مجرد الشكاية ولم يفض الى الدعاء عليهم وذلك من غاية شفقته على الامة وان ابلغ ايراد ثم
اياه الغاية ما اوذى نبى مثل ما اوذيت هذا مع ان الله سبحانه سلاه وعزاه وامره بالصبر على اذاهم حين قال وكذلك جعلنا
بين ذلك ان له اسوة بساير الانبياء فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبروا وتمام البحث فيه قد سلف فى الانعام
فى قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وكفى بربك هاديا الى مصالح الدين والدنيا او الى طريق
قهرهم والانتصار منهم ونصيرا لك على اعدائك ثم حكى عنهم شبهة خامسة وهى قولهم لولا نزل عليه القران حال كونه
جملة واحدة اى مجتمعا ومعنى التنزيل ههنا التعدية فقط لقرينة قوله جملة خلاف ما تقرر فى اكثر المواضع من ارادة
التكثير المفيد للتدريج كما مر فى قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل والقائلون
قريش او اليهود فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله لنثبت الى اخره وتقريره من وجوه احدها ان محمدا لم يكن قاريا كاتبا

بخلاف موسى وداود وعيسى فلم يكن بد من التلقن والحفظ فانزل عليه منجما فى عشرين سنة وعن ابن جريج فى ثلث وعشرين
ليكون اقرب الى الضبط وابعد عن النسيان والسهو وثانيها ان الاعتماد على الحفظ اقرب الى التحصيل من الاعتماد على الكتابة
والحفظ لا بد فيه من التدارج وثالثها ان نزول الشرايع منجمة اسهل على المكلف منها دفعة ورابعها ان نزول جبرائيل
ساعة فساعة مما يقوى قلبه ويعينه على تحمل اعباء النبوة والرسالة وخامسها ان نزوله مفرقا يوجب وقوع التحدى على
ابعاض القران واجزائه ونزوله جملة يقتضى وقوع التحدى على مجموعه ولا ريب ان الاول ادخل فى الاعجاز وسادسها
ان نزوله بحسب الوقايع فى الحوادث او فى باب التكليف والاستبصار او على الاخبار عن الحوادث فى اوقاتها
وسابعها ان فى تجديد منصب السفارة فى كل حين مزيد شرف لجبرائيل وللترتيل معان منها انه قدر اية وقفه عقيب
وقفه ومنها التانى فى القراءة ومعنى رتلناه امرنا بترتيل قراءته ومنه حديث عايشة فى قراءته لا كسردكم هذا [illegible]
ان يبحرونها بعضها وهو ماخوذ من ترتيل الاسنان ان تفليجها يقال ثغر رتل وشبه بنور الاقحوان فى تفتحه ومنها
انه نزله فى مدة متباعدة الاطراف جملتها عشرون سنة ولم يفرقه فى مدة متقاربة ثم ذكر انهم محجوجون فى كل اوان
بقوله ولا ياتونك بمثل اى بسؤال عجيب من اسؤلتهم الباطلة كانه مثل فى البطلان الا ونحن ناتى بالجواب الحق الذى لا محيد
عنه وهو احسن معنى ومودى من سؤالهم قال جار الله لما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع
معناه قالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا وجه اخر وهو ان يراد ولا ياتونك بحال وصفة
عجيبة يقولون هلا كانت صفته وحاله ان ينزل معه ملك او يلقى اليه كنز او ينزل عليه القران جملة الا اعطيناك
نحن ما يحق لك فى حكمتنا ومشيتنا وما هو احسن بيانا لما بعثت به ومن جملة ذلك تنزيل القران مفرقا منجما فان ذلك
ادخل فى الاعجاز كما مر ثم اوعد هؤلاء الجهلة بانهم شر مكانا من اهل الجنة والبحث عنه نظير ما مر فى صفة اهل الجنة
خير مستقرا قال جار الله كانه قيل لهم ان الذى يحملكم على هذه الاسولة هو انكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته
ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوهكم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل عن
عن سبيله عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على
وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا ثم ذكر طرفا من قصص الاولين على عادات افتنانه فى الكلام ينشط للاذهان
وتسلية لنبيه كانه قال لست يا محمد باول من ارسلناه فكذب واتيناه الايات فرد بل اتينا موسى التورية وقربناه نجيا
ومع ذلك كذب ورد ومعنى الوزير تقدم فى طه والوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد انبياء ويؤمرون
بان يوازر بعضهم بعضا لاشتراكهما فى النبوة قيل لهما اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا ان حملناه على تكذيب ايات
النبوة فاللفظ ماض والمعنى على الاستقبال على عادة اخبار الله تعالى ويجوز ان يراد الى القوم الذين ال حالهم الى ان كذبوا فدمرناهم
وعلى هذا فلا حذف والتدمير الاهلاك وقوم نوح لما كذبوا الرسل بان كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل صريحا كانهم لم يروا
بعثة الرسل اصلا كالبراهمة ولان تكذيب واحد من الرسل كتكذيبهم اغرقناهم وجعلناهم اى اغراقهم او قصتهم للناس اية محل
اعتبار واعتدنا للظالمين وهم قوم نوح او كل من سلك سبيلهم فى التكذيب وقصة عاد وثمود مذكورة مرارا واما
الرس فعن ابى عبيدة انه البير غير المطوية والقوم كانوا من عبدة الاصنام اصحاب ابار ومواشى بعث الله عز وجل اليهم
شعيبا فدعاهم الى الاسلام فابوا فبيناهم حول الرس انهارت بهم فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة
قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم اصحاب النبى حنظلة بن صفوان ابتلاهم الله بالعنقاء وهى اعظم ما يكون
من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم وتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا
عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس عند العرب الدفن يقال
رس الميت اذا دفن وغيب فى الحفرة وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها النجار وسيجى القصة فى سورة يس وعن على كرم الله
وجهه انهم قوم يعبدون شجرة الصنوبر رسوا نبيهم فى الارض وقيل هم قوم كانت لهم قرى على شاطى نهر يقال له الرس
من بلاد المشرق فبعث الله تعالى اليهم نبيا من ولد يهودا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا ثم حفروا بيرا فارسلوه فيها
وقالوا نرجو ان يرضى عنا الهنا وكانوا عامة يومهم يسمعون انين نبيهم يقول الهى وسيدى ترى ضيق مكانى وشدة كربى
وضعف قلبى فعجل قبض روحى حتى مات فارسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة وصارت الارض من تحتهم حجر
كبريت متوقدا واظلتهم سحابة سوداء فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص وروى ابن جرير باسناده الى النبى صلى الله عليه
وسلم ان الله بعث نبيا الى قرية فلم يؤمن به من اهلها الا عبد اسود ثم عدوا على الرسول فحفروا له بيرا فالقوه فيها ثم اطبقوا

عليه حجرا ضخما فكان ذلك العبد يحتطب ويشترى له طعاما وشرابا ويرفع الصخرة ويدليه اليه فكان كذلك ما شاء الله
فاحتطب يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله على اذانه سبع سنين ثم انتبه وتمطى وتحول بشقه الاخر
فنام سبع سنين ثم انتبه فاحتمل حزمته وظن انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته فاشترى طعاما وشرابا
وذهب الى الحفرة فلم يجد احدا وكان قومه استخرجوه فامنوا به وصدقوه وذلك النبي يسألهم عن الاسود فيقولون
لا ندرى حاله حتى قبض ذلك الاسود فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود اول من يدخل الجنة قلت هذه الرواية
ان صحت فلا مدخل لها في المقصود فان المقام يقتضي ان يكونوا قوما كذبوا نبيهم فاهلكوا لاجل ذلك اما قوله وقرونا بين
ذلك فالمشار اليه ما ذكر من الامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ومثله قول الحاسب فذلك كذا اى
ما ذكر من الاعداد مجموعها كذا وكلا من الامم والقرون ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة ليعتبروا ويتعظوا
وكلا تبرنا اهلكنا اشنع الاهلاك حين لم ينجع فيهم ضرب المثل والتنبيه والتبكيت والتكبير وكلا الاول منصوب
بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا وكلا الثاني منصوب بتبرنا لانه ليس يشتغل عنه بضميره والضمير في لقد اتوا
لقريش والقرية سدوم من قرى لوط وكانت خمسا ومطر السوء الحجارة افلم يكونوا في مرات مرورهم على تلك القرية في متاجرهم
الى الشام يرونها بل كانوا قوما كفروا بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فمن ثم لم ينظروا الى اثارهم عذاب الله نظر عبرة واذكار
ومن جملة كفرهم وعنادهم انهم اذا راوك ان يتخذونك الا محل هزؤ ثم فسر ذلك الاستهزاء بانهم يقولون مشيرين اليه
على سبيل الاستحقار اهذا الذي بعثه الله حال كونه رسولا بزعمه ويجوز ان يكون تسميته رسولا استهزاء اخر من حيث انه
تسليم واقرار في معرض الجحود والانكار وفي هذا جهل عظيم لانهم ان استحقروا صورته فانه احسنهم خلقا واعدلهم
مزاجا مع انه لم يكن يدعى التميز بالصورة وان استهزؤا بالمعنى فيه فقد وقع التحدى عليه وقامت الحجة عليهم فهم احق
بالاستهزاء منهم حين اصروا على الباطل بعد وضوح البرهان على الحق ولقد شهد عليهم بمضمون هذا التقرير ان بلحت
حالتهم اذ قالوا ان كاد هي مخففة من الثقيلة واللام في ليضلنا هي الفارقة كانهم سلموا انه لقوة العقل وسطوع
الحجة شارف ان يقلبهم عن دينهم ويقلبهم عن طريقتهم لولا فرط لجاجهم وصبرهم على عبادة الهتهم اطلقوا المقاربة
اولا ثم قيدوها بلولا الامتناعية ثانيا وفيه انه صلى الله عليه وسلم بذل قصارى مجهوده في دعوتهم ثم شارفوا
على الايمان بزعمهم وحين وصفوه بالاضلال والمضل لا بد ان يكون ضالا في نفسه فكانهم وصفوه بالضلال فلا
جرم اوعدهم الله على ذلك بقوله وسوف يعلمون الى اخر الاية وانما يرون العذاب عند كشف الغطاء عن بصر البصيرة
ثم بين انه لا متمسك لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال معجبا لرسوله ارايت من اتخذ الهه
هواه قدم المفعول الثاني للعناية كما يقول علمت منطلقا زيدا ثم نفى ان يكون حفيظا عليهم كقوله وما انت عليهم
بوكيل لست عليهم بمسيطر قال الكلبي نسختها اية القتال عن سعيد بن جبير كان الرجل يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى
به واخذ الاخر ثم اضرب عن نعيهم باتخاذ الهوى الها الى نوع اخر اشنع في الظاهر والا ام تحسب هي منقطعة ومعناه بل
وخص اكثرهم بالذكر لما سبق في الكلام عن المنع على عادة الفصحاء العقلاء واما لان منهم من كان يعرف الحق الا ان حب
الرياسة تحمله على الخلاف وانما نفى عنهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما واثرهما وباقي الاية تفسير مذكور في اخر
الاعراف في قوله اولئك كالانعام بل هم اضل قال جار الله جعلوا اضل من الانعام لانها تنقاد لاربابها التي تعلفها و
تعرف المحسن من المسيء وتجتنب المضار وتهتدي للمراعى والمشارب وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
من اساءة الشيطان ولا يطلبون اعظم المنافع وهو الثواب ولا يتقون اشد المضار وهو العقاب ولا يهتدون للحق
الذي هو المرتع الهني والمشرع الروي قلت ويحسن ايضا ان يذكر في وجه التفضيل ان جهل الانعام بسيط غير مضر وجهل
هؤلاء مركب مضر ومنهم من قال ان الانعام تسبح الله تعالى بخلاف الكفار ثم ذكر طرفا من دلائل التوحيد مع ما فيها من
عظم الانعام فاولها الاستدلال من احوال الظل والرؤية اما بمعنى البصر والمراد الم تر الى صنع ربك ولم تر الى الظل كيف
مده ربك واما بمعنى العلم وهو ظاهر وذلك ان الظل متغير وكل متغير موجد صانع والخطاب لكل من له اهلية النظر
والاستدلال والكلام في تفسير الاية محال الا ان ملخص الاقوال فيه اثنان الاول ان الظل امر متوسط بين
الضوء الخالص والظلمة الخالصة كالكيفيات الحاصلة داخل السقوف وافنية الجدران وهو اعدل الاحوال لان
الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبهر الحس البصرى الجسم الملون كانه لا يشاهد شيئا
سوى الجسم واللون فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زالت الظلمة فيظهر للعقول انه كيفية زائدة على ما شاهده

اولا لمعنى الاية الم تر الى عجيب صنع ربك كيف مد الظل اى جعله ممتدا منبسطا على الاجسام ولو شاء لجعله ساكنا
لاصقا بكل مظل ثم جعلنا الشمس على وجوده دليلا فلولا الشمس ووقوع ضوءها على الاجرام لما عرف ان للظل وجودا لان
الاشياء انما تعرف باضدادها ثم قبضناه اى ازلنا الظل لا دفعة بل يسيرا فيسيرا فانه كلما ازداد نقصان الاظلال في
جانب المغرب شيئا فشيئا وفي القبض على هذا الوجه منافع جمة الثاني انه سبحانه لما خلق السماء والارض القت
السماء ظلها على الارض ممدودا منبسطا ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها دليلا على
ذلك الظل لان الظل يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق من حيث انه يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم لقبض الظل
معنيان احدهما انتهاء الاظلال الى غاية ما من النقصان بالتدريج وثانيهما قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه
وهي الاجرام النيرة قوله الينا يؤكد هذا الثاني فيكون قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير الاستدلال الثاني
من احوال الليل والنهار شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الراحة قاله ابو مسلم وذلك ان القوم سبت
الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه عند طائفة وعلى هذا فالنشور بمعنى الانتشار والحركة
وقال جار الله السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وعلى هذا فالنشور بمعنى البعث ويكون الاية نظير
قوله وهو الذي يتوفكم بالليل عن لقمن لانه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر الاستدلال الثالث قوله
وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته اى قدام المطر وقد مر تفسيره في الاعراف وانه لم قال ههنا ارسل بلفظ
الماضي وهناك يرسل اما قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا فهو علم بين الفقهاء في الاستدلال به على طهارة الماء في نفسه
وعلى مطهريته لغيره حتى فسر الطهور بعضهم ومنهم احمد بن يحيى بانه الذي يكون طاهرا في نفسه مطهرا لغيره واعترض عليهم
صاحب الكشاف بان الذي قالوه ان كان شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا والا فليس فعول من التفعيل في شيء و
اقول ان الزمخشري سلم ان الطهور في العربية على وجهين صفة كقولك ماء طهورا اى طاهر واسم غير صفة ومعناه ما
يتطهر به كالوضوء والوقود بفتح الواو فيهما لما يتوضأ به ويوقد به النار وعلى هذا فالنزاع مدفوع لان كون الماء مما يتطهر به
هو كونه مطهرا لغيره فكانه سبحانه قال وانزلنا من السماء ماء هو آلة للطهارة ويلزمه ان يكون طاهرا في نفسه ومما يؤكد
هذا التفسير انه تعالى ذكره في معرض الانعام فوجب حمله على الوصف الاكمل ولا يخفى ان المطهر اكمل من الطاهر نظيره وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ولا ضير ان نذكر بعض احكام المياه المستنبطة من الاية فنقول ههنا نظران الاول ان غير الماء
هل هو طهور ام لا مذهب الاصم والاوزاعي انه يجوز الوضوء بجميع المايعات وقال ابو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر في
السفر ويجوز ازالة النجاسة بجميع المايعات المزيلة لاعيان النجاسات وقال الشافعي وغيره من الائمة ان الطهورية مخصصة
بالماء لما مر في اول المائدة من ايجاب التيمم عند عدم الماء ولو شارك الماء مايع اخر لما امر بالتيمم الا بعد اعوازه ايضا و
دليله في الخبث قوله صلى الله عليه وسلم اغسليه بالماء النظر الثاني في الماء وفيه بحثان الاول في الماء
المستعمل وانه طاهر عند الشافعي وليس المطهر في قوله الجديد اما الاول فلاطلاق الاية وانزلنا من السماء ماء
طهورا والاصل بقاؤه والحديث خلق الماء طهورا ولان السلف كانوا يحترزون عن تقاطر ماء الوضوء على ثيابهم وابدانهم
ولانه ماء طاهر لقي جسما طاهرا فاشبه ما اذا لاقى حجارة واما الثاني فلقوله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل احدكم
في الماء الدايم وهو جنب ولو بقي الماء كما كان طاهرا مطهرا لما كان للمنع عنه معنى وكانت الصحابة لا يعتنون بحفظه ليستعملوه
ثانيا ولو كان طهورا لحفظوا ما يغنيهم عن التيمم وقال مالك والسدى انه طاهر مطهر لاطلاق الاية والحديث و
الاصل بقاء صفته على ما كان عليه وروى انه صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح راسه بفضل ما في يده وعن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم اغتسل فرأى لمعة في جسده لم يصبها الماء فاخذ شعرة عليها بلل فامرها على تلك اللمعة و
لقياس ماء المنفصل من العضو على ما لا ينفصل منه وقال ابو حنيفة انه نجس قياسا للنجاسة الحكمية على النجاسة والمراد
باستعمال الماء في المسئلة تادى عبادة الطهارة به وانتقال المنع اليه وفيه وجهان لاصحاب الشافعي ويتفرع عليه ان
المستعمل في الكرة الثانية والثالثة وفي تجديد الوضوء والاغسال المسنونة ليس بطهور على الاول طهور على الثاني و
الماء المستعمل في الحدث لا يجوز استعماله في الخبث على الاصح لانه مانع ولا يرفع الحدث ولا يزيل الخبث كساير المايعات
البحث الثاني الماء المتغير ان تغير بنفسه لطول المكث جاز الوضوء به لانه صلى الله عليه وسلم كان يتوضا من بئر
بضاعة وكان ماؤها كانه نقاعة الحناء وان تغير بغيره ولم يتصل به كما لو وقع بقرب الماء جيفة فانتن الماء فهو ايضا مطهر
وان اتصل به وكان طاهرا ولم يخالطه كما تغير بدهن او عود او كافور صلب فهو ايضا مطهر وان خالطه وان لم يمكن صونه

المانعة كالمتغير بالتراب والحمأة والورق المتناثر والطحلب فلا بأس بذلك دفعا للحرج وكذا لو جرى الماء في طريقه
على معدن زرنيخ او نورة او كحل وان امكن بان يكون الماء مستغنيا عن جنس ذلك الخليط فان كان المتغير قليلا بحيث
لا يضاف الماء اليه او لا يستحدث اسما جديدا جاز التوضي به والا فلا خلافا لابي حنيفة حجة الشافعي انه صلى الله
عليه وسلم توضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به فذلك الوضوء ان كان بالماء المتغير وجب ان لا يجوز الا به وليس
كذلك بالاتفاق فهو بماء غير متغير وهو المطلوب وللقائل ان يقول ان هذا اشارة الى كيفية الوضوء لا الى كيفية الماء وسلم
فلم لا يجوز ان ذلك الماء كان متغيرا والمراد انه تعالى لا يقبل الصلوة بما دون ذلك واما الكمال فلا كلام فيه قال وايضا اذا
اختلط ماء الورد بالماء فتوضأ الانسان به احتمل ان يغسل بعض الاعضاء بماء الورد لا بالماء فيكون الحدث يقينا والطهر
مشكوكا فيه والشك لا يرفع اليقين وهذا الخلاف ما اذا كان قليلا لا يظهر اثره فانه كالمعدوم وايضا الوضوء تعبد لا يعقل
معناه ولهذا لو توضأ بماء الورد لم يصح وضوءه ولو توضأ بالماء الكدر المتعفن صح وضوءه وما لا يعقل بمعناه وجب الاقتصار
فيه على مورد النص حجة ابي حنيفة اطلاق الاية وقوله فان لم تجدوا ماء وهذا الشخص عنده وجد الماء ولانه صلى الله
عليه وسلم اباح الوضوء بسؤر الهرة وسؤر الحائض وان خالطهما شيء من لعابهما ولانه لا خلاف في جواز الوضوء بماء السيول
وان تغير لونهما الى الوان ما يمر عليها في الصحارى من الحشائش وغيرها هذا كله اذا كان الخليط طاهرا فان كان نجسا فمذهب
الحسن البصري والنخعي ومالك وداود واليه ميل الغزالي في الاحياء ان الماء لا ينجس ما لم يتغير بالنجاسة سواء كان الماء قليلا
او كثيرا ومذهب ابي حنيفة ان الماء ينجس باستعماله في البدن لاداء عبادة بتيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن
سواء تغير احد اوصافه الثلثة او لم يتغير قال ابو بكر الرازي ولا يختلف على هذا الحد ماء البحر وماء البئر وماء الغدير و
الراكد والجاري لان ماء البحر لو وقعت فيه نجاسة لم يجز استعمال الماء الذي فيه النجاسة وكذلك الماء الجاري قال و
اما اعتبار اصحابنا للغدير الذي اذا حرك احد طرفيه لم يتحرك الطرف الاخر فانما هو كلام في وجه يغلب على الظن عدم بلوغ
النجاسة الواقعة في احد طرفيه الى الطرف الاخر وليس كلاما في ان بعض المياه الذي فيه النجاسة قد يجوز استعماله و
من الناس من فرق بين القليل والكثير ثم اختلفوا في حد الكثير فعن عبد الله بن عمر اذا كان الماء اربعين قلة لم ينجسه شيء وقال
سعيد بن جبير الماء الراكد لا ينجسه شيء اذا كان قدر ثلث قلال وقال الشافعي ان كان الماء قلتين بقلال هجر لم ينجسه
الا ما غير طعمه او ريحه او لونه وقد ينصر من المذاهب قول مالك لوجوه منها قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا ترك
العمل به في الماء الذي تغير لونه او طعمه او ريحه فبقي ما عداه على الاصل ومنها قوله تعالى فاغسلوا والمتوضي بهذا
الماء قد غسل اعضاءه ولا سيما اذا كانت النجاسة مستهلكة فيه لا يظهر عليه آثارها وخواصها من الطعم او اللون او
الريح ومنها ان عمر توضأ من جرة نصرانية مع ان نجاستها او نهم غالبة على الظن فدل ذلك على انه لم يعول الا على عدم
التغير ومنها ان تقدير الماء بمقدار معلوم لو كان معتبرا كالقلتين عند الشافعي وعشر في عشر عند ابي حنيفة لكان اولى المواضع
بذلك مكة والمدينة لانه لا يكثر المياه هنالك لا الجارية ولا الراكدة ولم ينقل انهم خاضوا في تقدير المياه ولا انهم
بالغوا في كيفية حفظها وكانت اوانيهم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وكانوا لا يمنعون
الهرة من شرب الماء وقد اصغى لها الاناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا يرون انها تاكل الفارة ولم يكن
في بلادهم حياض يكرع السنانير فيها ومنها ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة اذا لم يتغير نجسه اذا انفصلت واي
فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة
مع ان قوة الورود لم تمنع المخالطة ومنها انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة وقال الشافعي اذا وقع
بول في ماء جار ولم يتغير جاز الوضوء به واي فرق بين الجاري والراكد والتعويل على قوة الماء بسبب الجريان ليس اولى
من التعويل على عدم التغير ومنها انه لو وقعت نجاسة في قلتين وكل كوز توخذ منه فهو طاهر عنده ومعلوم ان
البول ينتشر فيه وهو قليل فاي فرق بينه اذا وقع ذلك البول القدير من الماء ابتداء فيه اذا وصل اليه عند انفصاله
عنه به ومنها ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ منها المتقشفون مع علمهم بان الايدي والاواني الطاهرة
والنجسة كانت تتوارد عليها ولو كان التقدير بالقلتين وغير ذلك معتبرا لاشتهر وتواتر ومنها ان النصوص في التقدير متعارضة
اما التقدير لابي حنيفة بالعشر في العشر فمجرد الحكم واما تقدير الشافعي بالقلتين بناء على قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ
الماء قلتين لم يحمل خبثا ضعيف لان رواية مجهولة فان الشافعي لما روى هذا الخبر قال اخبرني رجل فيكون الحديث مرسلا
عنده ليس بحجة سلمناه لكن القلة مجهولة فانها تطلق للكوز والجرة ولكل ما يقل باليد وهي ايضا اسم لهامة الرجل ولقلة الجبل ايضا

ولكن في الخبر اضطراب فقد روي اذا بلغ الماء قلتين وروي اذا بلغ قلة وروي اربعين اذا بلغ كرين سلمنا صحة المتن لكنه
متروك الظاهر لان قوله لم يحمل خبثا لا يمكن اجراؤه على ظاهره فان الخبث اذا ورد عليه فقد حمله سلمنا اجراؤه على الظاهر لكن
الخبث لغوي وشرعي وحمله على اللغوي لكونه حقيقة اولى فمعنى الحديث انه لا يصير مستقذرا طبعا ونحن نقول
بموجبه لكن لم قلتم انه لا ينجس شرعا سلمنا ان المراد هو الخبث الشرعي لكن لم لا يجوز ان يكون معنى قوله لم يحمل خبثا انه
يضعف عن حمله ينافي به اجاب بعض الشافعية عن هذا المنع بان كثيرا من المحدثين عينوا اسم الراوي في حديث القلتين
فان يحيى بن معين قال انه جيد الاسناد فقيل له ان ابن علية وقفه على ابن عمر فقال ان كان ابن علية وقفه فحماد بن
سلمة رفعه وقوله القلة مجهولة غير مسلم لان ابن جريج قال في روايته بقلال هجر ثم قال شاهدت قلال هجر وكانت
القلة تسع قربتين وشيئا واذا كانت هذه الرواية معتبرة فقط لم يكن في متن الحديث اضطراب وحمل الخبث على الشرعي اولى
لان المسئلة شرعية وتفسير عدم حمل الخبث بالتانيث تعسف لانه صح في بعض الروايات ولو كان الماء قلتين لم ينجس ولانه
لا يبقى لذكر القلتين حينئذ فائدة لان ما دون القلتين ايضا بتلك المثابة بعد التصحيح يوجب تخصيص عموم الكتاب و
السنة الظاهرة البعيدة عن الاحتمال بمثل هذا الخبر المحتمل حجة من حكم بنجاسة الماء الذي خالطه نجاسة كيف كانت
قوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث وقوله انما حرم عليكم الميتة والدم وقال في الخمر رجس من عمل الشيطان حرم هذه الاشياء
مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها وحال اختلاطها بالماء فوجب تحريم استعمال كل ما تيقنا فيه جزءا من النجاسة وايضا الدلائل
التي ذكرتموها مبيحة ودلائلنا حاظرة والحاظر غالب على المبيح بدليل ان الجارية المشتركة لا يحل لواحد منهما وطؤها وايضا
قال صلى الله عليه وسلم لا يبولن احدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه من جنابة اطلق من غير فرق بين القليل والكثير
اجاب مالك بانه لا نزاع في تحريم استعمال النجاسات ولكن الكلام في انه متى لم يتغير فليس بنجاسة اثرا لانها انقلبت
عن صفتها فكانت معدومة والنهي عن البول في الماء لتنفر الطبع او للتنزيه لا للتحريم واعلم انه سبحانه بين في سورة
الانفال ان من غاية انزال الماء من السماء تطهير المكلفين به حين قال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فنفى وصفه
ههنا بكونه طهورا اشارة الى ذلك ثم رتب على الانزال غايتين اخريين اوليهما يتعلق بالنبات والثانية بالحيوان
الاعجم فالناطق وفي هذا الترتيب تنبيه على ان الكاينات تبتدي في الرجوع والعروج من الاخس الى الاشرف وفيه
ان الغرض من الكل هو نوع الانسان مع ان حيوة الاناسي بحيوة ارضهم وانعامهم وبما قال بلدة مع تول بلدة بالتانيث لان
[illegible] بالتذكير [illegible] اسم جامد وصف به [illegible] البلد والمكان [illegible] جمع انسي [illegible] اناسي على ان اصله
اناسين فقلبت النون ياء وقيل [illegible] يستوي فيه الواحد والجمع [illegible]
اسولة فيه اوردها جار الله مع اجوبتها الاول ان انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن
بان الطهارة شرط في صحة الاحياء والسقي [illegible] فالجواب لما كان سقي الاناسي من
جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم [illegible] استعمال الماء [illegible] والظاهر
ان يكون طاهرا [illegible] الطاهر من القاذورات [illegible] فايدة هذا الوصف [illegible] السؤال الثاني لم خص الانعام
من بين ما خلق من الحيوان المنتفع بالماء الجواب لان الطير والوحش [illegible] في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام
ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فانعامها عليهم [illegible] الثالث ما معنى تنكير الانعام والاناسي
ووصفها بالكثرة الجواب لان بعض الانعام والاناسي الذين [illegible] الاودية والانهار والعظام لا يحتاجون الى ماء
السماء احتياجا بينا [illegible] قوله بلدة ميتا قوله سبحانه ولقد صرفناه الاكثرون على ان الضمير عائد الى ما ذكر
من الدلائل [illegible] في القرآن وفي سائر الكتب السماوية ليتفكروا [illegible]
ويعرفوا حق النعمة ويشكروا [illegible] فابى اكثرهم الا كفورا [illegible] الضمير الى اقرب المذكورات وهو
المطر صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتباينة من وابل وطل وغير ذلك
فابوا الا الكفور [illegible] مطرنا بنوء كذا [illegible] جعلوا الانواء كالوسائط والامارات فلا بأس والنوء سقوط
نجم من المنازل الثمانية والعشرين في المغرب مع طلوع رقيبه [illegible] في المشرق [illegible]
في كل ليلة الى ثلثة عشر يوما [illegible] والعرب [illegible] الى الساقط منها
او الى الطالع فاذا مضت مدة النوء [illegible] عن ابن عباس

ما من عام اقل مطرا من عام ولكن بالله عز وجل قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية ويويد هذا القسم تنكير البلدة
والانعام والاناسي قال الجبائي في قوله ليذكروا دليل على انه تعالى اراد من الكل التذكر والايمان وفي قوله فابى اكثر الناس
دال على ان المكلف له قدرة على الفعل والترك اذ لا يقال لكن من شلا انه ابى ان يسعى وقال الكعبي الضمير في بينهم لكل الناس
فيكون الاكثر داخلا في ذلك العام اذ لا يجوز ان يقال انزلناه على قريش ليومنوا فابى اكثر بني تميم الا كفورا وعند هذا يظهر
انه اراد من جميع المكلفين ان يومنوا ويعتبروا ومعارضة الاشاعرة معلومة **التأويل** ويوم تشقق سماء القلب
عن غمام البشرية وهو يوم سعادة الطالبين الصادقين ونزل ملائكة الصفات الروحانية الملك الحقيقي يومئذ للرحمن
اذ لم يبق غيره ورجع الكل اليه وذلك مقام الوحدة والفناء بالله والبقاء به وكان يوما على الكافرين عسيرا اذ لم يبق من
صفات النفوس الكافرة وحظوظها اثر ولا عين ويوم يعض الظالم على نفسه وهو المشرك شركا ظاهرا او خفيا على يديه
والاية على حكمها عام في كل متحابين اجتمعا على معصية الله تعالى وعن مالك بن دينار دانك ان تنقل الحجارة مع الابرار خير
من ان تاكل الخبيص مع الفجار لنثبت به فوادك بان نتخلق قلبك بخلق القران وكان بذر التوحيد وقع في قلب النبي صلى
الله عليه وسلم في سر الم نشرح لك صدرك وكان يترى بما انزل عليه بل على قلبه منجما فلما ادرك كان ورتلنا القران
علم القران فلما ازهر كان زهره فاوحى الى عبده ما اوحى فلما اثمر كانت ثمرته فاعلم انه لا اله الا الله يحشرون على وجوههم
لان وجوههم الى اسفل سافلين فيحشرون منكوسين الى جهنم البعد عن الحضرة الم تر الى ربك فيه ان نبينا صلى الله عليه
وسلم وقد قال لموسى لن تراني وذلك لبقاء انانيته كيف مد الظل عالم الاجسام ولو شاء الله لجعله ساكنا في كتم العدم
ثم جعلنا شمس عالم الارواح على وجود ذلك الظل دليلا بان كانت محركة لها الى غاياتها المخلوقة هي لاجلها فعرف من ذلك
انه لولا الارواح لم تخلق الاجساد ولم يكونوا بالاجسام وفي قوله ثم قبضناه الينا اشارة الى ان كل مركب فانه سينحل الى
بسائطه اذا حصل على كماله الاخير ويوجه اخر الظل ما سوى نور الانوار يستدل به على صانعه الذي هو شمس عالم الوجود
وهذا شان الذاهبين من غيره اليه وفي قوله ثم جعلناه اشارة الى مرتبة اعلى من ذلك وهي الاستدلال به على غيره كقوله اولم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد وهذه مرتبة الصديقين وقوله ثم قبضناه كقوله كل شيء هالك الا وجهه الا الى الله
تصير الامور ويوجه اخر الظل هو حجاب الذهول والغفلة والشمس شمس تجلي المعرفة من افق العناية عند صباح الهداية
ولو شاء لجعله دائما لا يزول وانما يستدل على الذهول بالعرفان وفي قوله ثم قبضناه اشارة الى ان الكشف التام يحصل
بالتدريج عند انقضاء مدة التكليف ثم بين حكم الاظلال بقوله وهو الذي جعل لكم ليل البشرية لباسا كيلا تحترق بدوام شمس
تجلي الربوبية وجعل نوم الغفلة راحة بعد سطوع التجلي وجعل نهار العرفان نشورا الى حقوق نور الربوبية وهو الذي
ارسل رياح الاشواق في قلوب الاحباب فتزعجها عن المساكنات عند السير فلا تستقر الا بالكشف والتجلي وانزلنا من سماء
الكرم ماء حيوة العرفان الذي يطهر قلوب المشتاقين عن الجنوح الى المساكنات وما يداخلها في بعض الاوقات من
المغلطات لنحيي به بلدة القلوب الميتة عن نور الله ونسقيه من جملة مخلوقاتنا من هو على طبع الانعام لغلبة الصفات
الحيوانية عليه فينتفي بدرع ايمانه بما الرحمن والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ينبت الايمان في القلب
كما تنبت البقلة ونسقيه من الاناسي من سكن الى رياض الانس فيطهر به غير من اصبح الانسانية الى شارب الروحانية
ويطهر عن وصم الملاحظات ونذيقه طعم المكاشفات ولقد صرفنا القران الذي هو ماء حيوة القلب بينهم ليذكروا ايام
جواد الحق واوطانهم الحقيقة فابى اكثر الناس تلك المقاصد والشاهد الا كفورا بنعمة القران وما عرفوا قدرها والله اعلم

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ● فلا تطع الكافرين و
جاهدهم به جهادا كبيرا ● وهو الذي مرج البحرين هذا
عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا

محجورا ● وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا و
كان ربك قديرا ● ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
وكان الكافر على ربه ظهيرا ● وما ارسلناك الا
مبشرا ونذيرا ● قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا ● وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح
بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ● الذي خلق السموات و
الارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن
فسئل به خبيرا ● واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا ● تبارك الذي جعل في
السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ● وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما ● والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما ● انها ساءت مستقرا ومقاما ● والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ● والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا
بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ● يضاعف له العذاب
يوم القيمة ويخلد فيه مهانا ● الا من تاب وامن وعمل

عمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ● ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ● والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما ● والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ● والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما ● اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ● خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ● قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ●

القراءة ملح بفتح الميم وكسر اللام لحدنا ولانه مقصور مالح وكذلك فاطرفته بامرنا على الغيبة حمزة وعلى سراجا بضمتين حمزة وعلى وخلف تقتروا بضم التاء على وخلف وعاصم سوى المفضل بضم الياء وكسر التاء من الاقتار ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل الباقون بفتح الياء وكسر التاء يضاعف ويخلد بالرفع فيهما من الضاعفه ومن الخلود ابو بكر وحماد مثله ولكن يخلد مجهولا من الاخلاد المضعف يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع ابن عامر مثله ولكن بالجزم فيهما ابن كثير ويعقوب ويزيد الاخرون كالاول ولكن بالجزم فيهما فيهي باشباع الكسر ابن كثير وحفص يبدل من الابدال البرجمي ذريتنا على التوحيد ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل ويلقون بفتح الياء وسكون القاف من اللقاء حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف من باب التفعيل

الوقوف نذيرا والوصل اولى لتاكيدا اجاج لعطف الجملتين المتفقتين مع العارض محجورا وصهرا قديرا ولا يضرهم ظهيرا ونذيرا سبيلا لحمده خبيرا لان الذى يصلح صفة للحى والوقف على العرش على تقدير هو الرحمن اولا وقف عليه ايضا على ان الرحمن بدل من المستقر في استوى ويصلح ان يكون الذى مبتدا والرحمن خبره خبيرا وما الرحمن فقد قيل ولا وجه له لان الكل مقول قالوا نفورا سجدة منيرا شكورا سلاما وقياما جهنم فقد قيل والوصل اولى لاتحاد القائل غراما كذلك ومقاما قواما ولا يزنون للشرط مع واو العطف اثاما المزقرا يضاعف بالرفع على الاستيناف دون الجزم على ابدال الجملة من الجملة لتقارب معنيهما مهانا وقد يوقف على حمل الاسمعي لكن يقتضى الوصل ولى لكن يقتضى الوصل ايضا حسنات رحيما متابا الزور كراما وعميانا اماما وسلاما لاتصال الحال فيها ومقاما دعاوكم لاختلاف الجملتين لزاما **التفسير** انه سبحانه لما قرر سيرة القوم من كفران النعم وايذاء النبى اراد تهييج بنيه على استمرار الدعوة وفي الاية لطف ممزوج بنوع تاديب وارشاد وتحواه ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى وبعثنا في كل قرية نذيرا ولكن خصصناك برسالة الثقلين اجلالا وتعظيما فقابل هذا التفضيل بالتشدد في الدين ففى اول الاية بيان كمال الاقتدار وانه لا حاجة به الى بنى محمدا كان او غيره ولكن في مفهوم لو دلالة على انه لم يفعل ذلك بل خصه بهذا المنصب الشريف لكمال العناية به وبامته فعليه ان يترك طاعة الكافرين فيما يريدون عليه مما يوافق هواهم وهذا النهى كقولك للمتحرك لا يسكن لا كقولك للساكن لا تسكن فانه صلى الله عليه وسلم لم يترك طاعة الله طرفة عين ثم بالغ في النهى بان امره بضده قايلا وجاهدهم به اى بالقران او بترك طاعتهم او بتبيين كونه

نذير القرى كلها الا انها لو بعث في كل قرية نذيرا لم يكن على كل نذير الا مجاهدة قرية وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلاجرم اجتمع عليه تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده فقال وهو الذى مرج البحرين اى خلاهما وارسلهما متجاورين متلاصقين يقال مرجت الدابة اى خليتها ترعى وسمى الماء الكثير بحرين والفرات البليغ العذوبة والتركيب يدل على الكسر لانه يكسر العطش بخلاف الاجاج وهو الملح فانه يدل على الشدة والتوهج وقوله هذا فهذا اشارة الى ما ارتسم في الذهن بعد ذكر البحرين والبرزخ الحايل الذى جعل الله بينهما من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وحجرا محجورا كلمه يقولها المتعوذ كما قلنا في السورة كان كل واحد من البحرين متعوذ من صاحبه ويقول له هذا القول ونظيره في سورة الرحمن بينهما برزخ لا يبغيان فانتفى البغى ثمه كالتعوذ ههنا وكل منهما مجاز في غاية الحسن سوال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكر الله تعالى والجواب من وجهين **اولهما** ان في البحار مواضع فيها مياه عذبة يعرفها الملاحون يحملون منها الماء الى حين الوصول الى الموضع الاخر **وثانيهما** لعل المراد من البحر العذب الاودية العظام كالنيل والفرات وجيحون ومن البحر الاجاج البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحايل من الارض ووجه الاستدلال على هذا الوجه ان يقال العذوبة والملوحة ان كانتا بسبب طبيعة الارض والماء فلا بد من الاستواء والا فلا بد من قادر مختار يخص كل واحد من الماءين بصفة مخصوصة **الاستدلال الخامس** من احوال خلقة الانسان والسماء اما العنصر كقوله وجعلنا من الماء كل شىء حى والنطفة والمعنى فجعله نسبا وصهرا انه قسم البشر قسمين ذوى نسب وذوات صهر **والاول** الذكور الذين ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان ومنه اخذ الشاعر **شعر** بنونا بنو ابنائنا وبناتنا ❊ بنوهن ابناء الرجال الاباعد **والثانى** الاناث التى يصاهر بهن ونحوه قوله عز من قايل فجعل منه الزوجين الذكر والانثى والاصهار اهل بيت المراة عن الخليل ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان يقال صهرت اليهم اذا تزوجت فيهم وكان ربك قديرا حين خلق من ماء واحد صنفين مختلفين بل اشخاصا متباينة لا تكاد تحصر ثم دعا الى تهجين سيرة عبدة الاوثان فقال ويعبدون الاية يروى انها نزلت في ابى جهل وهو المراد بالكافر والاولى حمله على العموم والظهير المظاهر الى المعاون اى هذا الجنس يظاهر الشيطان على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هى المظاهرة على رسوله او على دينه ويجوز ان يكون الظهير جمعا كقوله والملائكة بعد ذلك ظهيرا والمعنى ان بعض الكفرة يظاهرون البعض على اطفاء نور دين الله جل وعلا وقال ابو مسلم هو من قولهم ظهر فلان لحاجتى اذا استخفها وراء ظهره والمراد ان الكافر كفره وهين على ربه غير ملتفت اليه قوله وما ارسلناك الى قوله سبيلا وجه تعلقه بما قبله ان الكفار يطلبون العون على الله وعلى رسوله ولا اجهل ممن استفرغ جهده في ايذاء من يبذل وسعه في اصلاح مهمات دينه ودنياه حين يبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية ولا يسالهم على ذلك اجرا الا ان يشاء والتقرب بالانفاق في الجهاد وغيره فيتخذوا به سبيلا الى رحمة ربهم ونيل ثوابه ومعنى الاستثناء من الاجر والتقدير لا افعل من سنا معنى قولك لمن سعيت له في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان يحفظ هذا المال ولا تضيعه فيكون في تتميه حفظ المال ثوابا فايدتان قطع شبهة الطمع في شىء من الثواب والثانية اظهار الشفقة وانه ان حفظ ماله رضى الساعى به كما يرضى المثاب بالثواب هذا ما قاله جار الله قال القاضى معناه لا اسلكم اجر النفسى واسلكم ان تطلبوا الاجر لانفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم بالايمان والطاعة ولما بين ان الكفار متظاهرون على ايذايه وامره ان لا يطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع ويتمسك بقاعدة التنزيه والتحميد وفي وصفه ذاته بالحى الذى لا يموت اشارة الى ان الذى يوثق به في المصالح يجب ان يكون موصوفا بهذه الصفة وليس الا الله وحده وعن بعض السلف انه قرا هذه الاية فقال لا ينبغى لذى عقل ان يثق بعدها بالمخلوق والاصار ضايعا اذ امات ذلك المخلوق ثم ختم الاية بما لا مزيد عليه في الوعيد اى لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مجازاتهم ومعنى كفى به اى حسبك وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا ثم زاد لعلمه وقدرته مبالغة وبيانا فقال الذى خلق الى اخره وقد سبق تفسيره في الاعراف واما قوله فيسئل به خبيرا ففيه وجوه قال الكلبى الضمير يعود الى ما ذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش والباء في صلة الخبير قدمت لرعاية الفاصلة وذلك الخبير هو الله عز وجل لان كيفية ذلك الخلق والاستواء لا يعلمها الا الله سبحانه وعن ابن عباس ان ذلك الخبير هو جبرئيل وقال الاخفش والزجاج الباء بمعنى عن فسال به وسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه قال الله تعالى سال سايل بعذاب واقع وقال ابن جرير الباء زايدة والمعنى فسله حال كونه عالما بكل شىء وجوز جار الله ان يكون الباء التجريدية كقولك رايت به اسدا اى برؤيته والمراد فسل بسواله

خبيرا اى ان سالته وجدته عالما وقيل ايها للقسم ولعل الوجه الاول اقرب الى المراد نظيره ولا ينبئك مثل خبير ثم
اخبر عن قوم انهم قالوا وما الرحمن والواو عاطفة وقعت فى كلامهم فحكى كما هو فاحتمل انهم جهلوا الله سبحانه واحتمل
انهم عرفوه ولكن جحدوه واحتمل انهم عرفوه بغير هذا الاسم فلهذا سالوا عنه ومن هنا ذهب بعضهم الى تفسير
اخر لقوله فسئل به خبيرا وهو ان الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل
فسئل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره وكانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا باليمامة يعنون
مسيلمة قال القاضى والاقرب ان المراد انكار الاسم لله لا للمسمى لان هذه اللفظة عربية وهم يعلمون انها تفيد المبالغة
فى الانعام ثم ان قلنا انهم كانوا منكرين لله فالسؤال عن الحقيقة كقوله فرعون وما رب العالمين وان قلنا انهم كانوا
مقرين لكنهم جهلوا انه يقال يسمى بهذا الاسم فالسؤال عن الاسم ومعنى لما تامرنا للذى تامرنا به بمعنى تامرنا بسجوده على
امرتك الخير فاتبع او لامر حذف ثانيا ويجوز ان يكون ما مصدرية اى لامرك لنا ومن قرا على الغيبة فالضمير لمحمد او للمسمى
الرحمن كانهم قالوا هذا القول فيما بينهم والضمير فى زادهم للمقول وهو اسجدوا للرحمن اى وزادهم نفورا ومن حقه ان يكون
باعثا على الفعل والقبول قال الضحاك لما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا ناحية للسجد مستهزئين فهو معنى الاية وزادهم
سجودهم نفورا ومن السنة ان يقول الساجد والقارى اذا بلغ هذا الموضع زادنا الله خضوعا ما زاد للاعداء نفورا ثم ذكر
ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن فقال تبارك الى اخره والبروج هى الاقسام الاثنا عشر للفلك واساميها
مشهورة الحمل والثور والجوزاء الى اخرها سميت بالقصور العالية واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس
ومن جمع اراد الشمس والكواكب والكبار والخلفة الهيئة من الخلف غير يريد الحالة التى يخلف عنها الليل والنهار كل
واحد منهما الاخر اى جعلهما ذوى خلفة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ومثله قوله واختلاف الليل والنهار فى
احد تفاسيره وعن ابن عباس جعل كل واحد منهما الخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فانه شى من وظايف العبادة
فى احدهما قضاه فى الاخر وعن مجاهد وقتادة والكسائى يقال للمختلفين هما خلفتان فالمعنى ان احدهما اسود و
الاخر ابيض او هذا طويل وهذا قصير ثم بين ان هذه النعم سبب للتذكر لمن اراد ذلك او للشكر لمن اراده اما التذكر فلدلالة
الانتقال والتغيير على الناقل والمغير واما الشكر فلان الليل سبب الراحة والسكون والنهار سبب لسهولة التصرف
فى المعايش قال بعضهم معنى او الفاصلة انه ان كان كافرا يذكر وان كان مومنا يشكر وقيل اراد ليكونا وقتين
للمتذكرين والشاكرين من فاته فى احدهما ورده من العبادة قام به فى الاخر والشكور مصدر كالكفور ثم اراد ان يختم
السورة بوصف عباده المخلصين فقال وعباد الرحمن وهو مبتدا خبره فى اخر السورة اولئك يجزون الغرفة وخبره
الذين يمشون والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتشريف وقرئ وعباد جمع عابد ووصف سيرتهم مع الخلق بالنهار و
اولا ثم وصف معاملتهم مع الحق بالليل ثم ثانيا ثم قسم الاوصف الاول الى نوعين **الاول** ترك الايذاء و
هو المراد بقوله الذين يمشون على الارض هونا مصدر وضع للمبالغة موضع الحال والصفة المشى بمعنى هينين او
مشيا هينا والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا
وبطرا وكذلك كره بعضهم الركوب فى الاسواق والمشى فى الاسواق دون الركوب سيرة المرسلين قال عز من قايل
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق **الثانى** تحمل الايذاء واليه
الاشارة بقوله واذا خاطبهم الجاهلون يعنى السفهاء وقليل الادب قالوا سلاما يعنى سلام توديع ومتاركة
كسلام ابرهيم على نبينا عليه السلام حين قال لابيه سلام عليك ولا نسخ فى الاية على ما زعم الكلبى وابو العالية من
ان هذا نسخت باية القتال فان الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم بسوء الادب مستحسن عقلا وشرعا
والبيتوتة هى ان يدركك الليل نمت او لم تنم وصفهم باحياء الليل او اكثره وقوله لربهم اما ان يتعلق بما قبله او بما بعده
اى يبيتون لله على اقدامهم ويفرشون خدودهم ويعفرون جباههم وقيل من قرا شيئا من القرآن فى صلوة وان
قل فقد بات ساجدا او قايما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء قال ابن عباس ثم وصفهم بانهم
يقولون فى سجودهم وقيامهم ربنا اصرف عنا الاية وقال الحسن خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل فرقا من عذاب جهنم
قوله غراما اى هلاكا وخسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالحاحه وخسرانه وفلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسال
ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الموجع وعن محمد بن كعب فى غراما انه سال الكفار ثمن نعمه فما ادوها اليه
فاغرمهم فادخلهم النار وساءت اما بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حالا وتمييز واما بمعنى بئست وفيها

ضمير اسم ان ومستقرا حالا وتمييز واما بمعنى بئست وفيها ضمير مبهم مستقرا والمخصوص بالذم وهو الرابط ايضا محذوف
اى ساءت مستقرا ومقاما والظاهر ان الجملتين من قول الداعى وجوز جار الله ان يكون من كلام الله والتعليلان يصح ان
يكونا متداخلين بان يكون قوله انها ساءت تعليلا لقوله ان عذابها كان غراما وان يكونا مترادفين كل منهما تعليلا
لقوله ربنا اصرف قال المتكلمون التعليل الاول اشارة الى ان عقاب اهل النار مضرة خالصة والتعليل الثانى اشارة
الى كونها دايمة وقد يفرق بين المستقر والمقام بان المستقر للعصاة من اهل الايمان والمقام للكفار الذين لا خلاص
لهم منها ثم وصفهم بالتوسط فى الانفاق والقتر والاقتار التضييق نقيض الاسراف وكان اصحاب محمد لا ياكلون
طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن ما يسد جوعتهم ويستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر عن
عمر كفى سرفا ان لا يشتهى رجل شيئا الا اشتراه فاكله ثم بالغ فى نسبة انفاقهم الى الاعتدال بقوله وكان اى الانفاق
بين ذلك قواما والمنصوبان يجوز ان يكونا خبرين وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدا وقال فى الكشاف يجوز ان
يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا ولعل معناه انه يقوم مقام لفظ المستقر اذا كان متعلقا به فى قولك الانفاق بين
ذلك وقد ذكر مثله فى اول الشعراء فى قوله انا معكم مستمعون والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما
ونظيره القوم من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ بكسر القاف وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص واجاز الفراء
ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبنى لاضافته الى غير متمكن كما يقال كان دون هذا كافيا يريد اقل من ذلك فيكون المعنى
وكان الوسطى بين ذلك قواما وضعف فى الكشاف ان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد
الفايدة فايدة اللهم الا اذا اريد بالقوام حاق الوسط بقوله بين ذلك اعم منه لم يلزم التكرار عن ابن مسعود قلت يا رسول
الله اى الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اى
قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله عز وجل تصديقه والذين لا يدعون الى قوله ولا يزنون قال جار الله نفى هذه الامور
تشنيعه عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين تعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه
قيل والذين براهم وطهرهم بما انتم عليه وقيل ان الموصوف بالصفات المذكورة قد يرتكب هذه الامور تدينا فبين تعالى ان
المكلف لا يصير بتلك الخلال وحدها من عباد الرحمن حتى ينضاف الى ذلك كونه مجانبا لهذه الكبائر والقتل بغير حق يشمل الواد
وغيره كما مر فى سبب النزول ومن يفعل ذلك اى المذكور من ترك المامورات وارتكاب المنهيات والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال و
النكال ومعناهما وقيل هو الاثم والمضاف محذوف اى يلق جزاء اثام وقرا ابن مسعود اياما بتشديد الياء التحتانية يعنى
ايام الشدة ومعنى مضاعفة العذاب لمن ارتكب مخالفة المذكورات ان يعذب على الشرك وعلى المعاصى الاخر جميعا هذا
عند من يرى تعذيب الكفار بفروع الشرايع والمخالف يدعى ان المشار اليه بقوله ذلك هو قوله والذين لا يدعون
قال القاضى قوله ويخلد فيه اى فى ذلك التضعيف ففيه دليل على الحاق الزيادة بحال الاصل فى الدوام فيكون عقاب
المعصية دايما واذا كان كذلك فى حق الكافر لزم ان يكون كذلك فى حق المؤمن واجيب بان الشيئين قد يكون كل واحد
منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما اقبح ولا يلزم ان يكون للانفراد حكم الاجتماع وفى قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى ان العقاب
هو المضرة الخالصة الدايمة المقرونة بالاذلال والاهانة كما ان الثواب منفعة خالصة دايمة مقرونة بالاجلال و
التعظيم وقوله الا من تاب لا يفهم منه الا ان التائب لا يضاعف العذاب ولا يلزم منه ان يكون مثابا فلذلك قال
فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ان هذا التبديل انما يكون فى الدنيا
فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا فيبشرهم الله تعالى بانه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة
ان تابوا وامنوا وعملوا سائر الاعمال الصالحة وانما اورد التوبة والايمان بالذكر لعلو شانهما وقال الزجاج السيئة
نفسها بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله ويكتب عليه السيئات
وذهب سعيد بن المسيب ومكحول الى ظاهر الاية وهو انه تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة واكدوا
هذا الظاهر بما روى عن ابى هريرة مرفوعا ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم
حسنات وقال القاضى والقفال انه تعالى يبدل بالعقاب الثواب فذكر السبب واراد المسبب ثم عمم الحكم فذكر ان جميع الذنوب
بمنزلة الخصال المذكورة اى من يترك المعاصى كلها او يندم عليها واتى بالعمل الصالح فانه بذلك تايب الى الله عز وجل متابا
مرضيا مكفرا للخطايا ويجوز ان يرجع الفايدة الى تخصيص اسم الله تعالى فانه تاب متابا الى الله الذى هو المفيض لكل خير او
يعرف حق التايبين ويفعل بهم ما يليق بكرمه ويحتمل ان يرجع الفايدة الى تنكير متابا والمتاب المرجع اى يرجع الى الله مرجعا

حسنا الى مرجع وقيل هو وعد للتايبين المخلصين فيما مضى بانه سيوفقهم للتوبة في المستقبل ثم وصفهم بانهم لا يشهدون
الزور فان كان من الشهادة فالمضاف محذوف اي لا يشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود الحضور فللمفسرين اقوال
عن قتادة هي مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين وعن ابن عباس هي المجالس
التي يقال فيها الزور والكذب على الله تعالى وعلى رسوله والتحقيق انه يدخل فيه حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي
كمحاضر الكذابين ومجالس الخطائين وكالنظارة الى ما لا يسوغه الشرعية لان الحضور والنظر الى تلك المجالس رضا به وبعث
لفاعله عليه لا زجر له عنه وفي مواعظ عيسى بن مريم اياكم ومجالسة الخطائين واذا مروا باللغو مروا كراما مكرمين انفسهم
عن الخوض فيه مع المشتغلين به واصل الكلمة من قولهم ناقة كريم اذا كانت لا تبالي بما يحلب منه للغزارة فاستعير للصفح
عن الذنب ويقال الكريم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عن ذلك وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا
وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه قال جار الله قوم لم يخروا عليها ليس نفيا للخرور ولكنه اثبات له ونفي للصمم والعمى
كما يقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمراد انهم اذا ذكروا بايات الله اي وعظوا بها وثبتوا عليها حرصا
على استماعها باذان واعية وعيون كالية لا كالمنافقين الذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان
لا يعونها ولا يبصرون ما فيها فهم يتساقطون عليها غير منتفعين بها قوله من ازواجنا قرة من البيان تجريد تم كانه
قيل هب لنا قرة عين ثم فسرت القرة بالازواج والذرية كقولهم رايت منك اسدا اي انت اسد ويجوز ان يكون ابتداء على
معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا لا في الامور الدنيوية من الجاه والمال وكمال بل في الامور الاخروية من الطاعة
والصلاح عن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المومن من ان يرى زوجه واولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس هو الولد
اذا راه يكتب الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله عز وجل بهم اولادهم وازواجهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ونكر
عين ما لانه اعينا مخصوصة هي اعين المتقين ولهذا اختير جمع القلة لان اعين المتقين قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم و
وقليل من عبادي الشكور ولما الاجل تنكير القرة فان المضاف لا سبيل الى تنكيره ولا تنكير المضاف اليه اي هب لنا منهم
سرورا وفرحا قال الزجاج يقال اقر الله عينك اي صادف فوادك ما يحبه وقال المفضل في قرة العين ثلثة اقوال
احدها برد دمعها لانه دليل السرور والضحك كما ان حره دليل الحزن والغم والثاني نومها لانه يكون مع فراغ الخاطر
وذهاب الحزن والثالث حصول الرضا وقوله اماما في معنى الجمع اكتفى به لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كما قال يخرجكم طفلا
او اريد كل واحد منا واجعلنا اماما واحدا لاتحاد كلمتنا او هو جمع ام كصايم وصيام او صاحب وصحاب وقيل في
الاية دلالة على الرياسة يجب ان يطلب ويرغب فيها والاقرب انهم سالوا الله ان يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشاد
اليهم ويقتدى بهم ومن هنا قرر القفال بان المراد اجعلنا حجة قالت الاشاعرة الامامة في الدين لا يكون الا بالعلم والعمل
فدل على ان العلم والعمل بل جميع افعال العباد مخلوقة لله تعالى وقالت المعتزلة انهم سالوا من الله الالطاف ما لها يختارون
افعال الخير الى ان يصيروا واجيب بان تلك الالطاف موجودة لا محالة فيكون سوالها عبثا ثم بين جزاء عباد العباد
بقوله اولئك يجزون الغرفة اي الغرفات وهي العلالي في الجنة فقد اكتفى بالجنس وقيل الغرفة اسم للجنة وقوله بما صبروا
اي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار وضر الفقر ولهذا اطلق اطلاقا ليشمل كل مصبور عليه ثم
بين لقوله ويلقون تلك المنافع مقرونة بالتعظيم والتحية الدعاء بالتعمير والسلامة من الافات وهما من الملائكة او من
الله او من بعضهم لبعض ثم ذكر انه غني عن طاعة الكل فانه انما كلفهم لينتفعوا بذلك قال الخليل ما اعبا بفلان اي ما
اصنع به كانه ما يستقله ويستخفه ويدعي ان وجوده وعدمه سواء وقال الزجاج ما يعبؤا بكم ربي اي اي وزن
يكون لكم عنده والعبء الثقل وما استفهامية او نافية والدعاء اما مضاف الى المفعول اي لولا دعاؤه اياكم الى الدين
والطاعة واما الى الفاعل اي لولا ايمانكم او لولا عبادتكم اياه في الشدايد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله ولولا شكركم
له على احسانه كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الها او ما خلقتكم ولي اليكم حاجة
الا ان تسالوني فاعطيكم او تستغفروني فاغفر لكم قوله فقد كذبتم اي اذا علمتكم اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم
فقد خالفتم بتكذيبكم قولي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم وهو عقاب الاخرة نظيره قول الملك ان استعصى عليه احد
من عادتي ان احسن الى من يطيعني فقد عصيت فسوف ترى عقوبتي والخطاب لجنس الانس اذا وجد في جنسهم
التكذيب فقد صح الخطاب والاوجه ان يترك اسم كان غير منطوق به ليذهب الوهم كل مذهب من انواع الابعاد
وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وقد لوزم اذ ذاك بين القتلى لزاما **التأويل**

ولو شئنا لبعثنا فيه كمال القدرة وان امر النبوة ليس يتعلق بالقرابات والمزاجات بل بمحض المشيئة الازلية يروى ان
موسى عليه السلام شتم الرسالة وتبرم في بعض الايام فاوحى الله تعالى في ليلة واحدة الى الف من بني اسرائيل فاصبحوا
انبياء فضاق قلب موسى وهارون وقال يا رب اني لا اطيق ذلك فقبض الله ارواحهم في ذلك اليوم وفيه كمال الحكمة فان
العزة في القلة ومنه يظهر فائدة الخاتمية وعموم رسالته وفيه تاديب الخواص وعصمتهم عن رؤية الاعمال فلا
يطع كفار النفس وساير القوى البدنية وجاهدهم بهذا الخلاف جهادا كبيرا لا تراسيهم بالرخص ولكن يحملهم على العزايم
وهو الذي مرج بحر الروح وبحر النفس هذا عذب فرات من الاخلاق الحميدة والربانية وهذا ملح اجاج من الصفات
الذميمة الحيوانية والبرزخ هو القلب وفايدة مرج الاجاج هو احتياج الانسان الى الاخلاق الذميمة لدفع المضرات
الدنيوية والاخروية في مقامها وحرام على الروح ان يكون منشأ الاخلاق الذميمة وعلى النفس ان يكون معدن الاخلاق
الحميدة فجعله نسبا وصهرا اهل النسب الذين صحت نسبتهم الى عالم الامر وهو قوله ونفخت فيه من روحي واهل الصهر
الذين تعلقوا في عالم الخلق واختلطوا بالصفات البشرية من الحرص والشهوة والغضب واشار الى هذا الصنف بقوله ويعبدون
الله الاية وكان الكافر النفس على ربه ظهيرا في اظهار صفة قهره لانها مظهرها وما ارسلناك الا مبشرا لاهل النسب
ونذيرا لاهل الصهر الا من شاء الا اجر من شاء ان يتوسل الى الرب بطاعته اياي وبخدمته لي ومن هذا قال المشايخ يصل المريد
بالطاعة الى الجنة وبتعظيم الشيخ واجلاله الى الله وتوكل اصل التوكل ان يعلم العبد ان الحادثات ليس بامرها مستندة
الى تكوين الله وتخليقه وهذا القدر من اصول الايمان وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وما زاد على هذا القدر من سلوك
القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فانه مقام ارباب الاحوال واصحاب الكمال وسبح بحمده اي بما حمد به نفسه كقوله
انت كما اثنيت على نفسك والقديم لا يليق به الا الحمد القديم وزادهم نفورا الان الرحمن اقبل عليهم بقهره ولو كان اقبل عليهم
بلطفه لخضعوا واستكانوا تبارك الذي جعل في سماء القلوب بروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر التوبة والزهد و
الخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والاخلاص والتسليم والتفويض والرضى وهي منازل الاحوال السيارة
شمس التجلي وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشتري المحبة وعطارد الكشوف ومريخ الفناء وزحل البقاء وهو الذي جعل الليل
الستر والنهار التجلي خلفة رعاية لحقوق القلب وحظوظ النفس لمن اراد ان يتعظ عند الستر واراد شكورا عند التجلي
وعباد الرحمن دون الشيطان والهوى والنفس يمشون في ارض الوجود عند السير الى الله هونا لئلا ينادي باثار وغبار
صفات بشريتهم احد واذا خاطبهم الجاهلون وهم كل ما سوى الله من الدنيا والاخرة وما فيهما من اللذة والنعيم قالوا سلاما
سلام مودع والذين يبيتون لربهم لا يحظ انفسهم في الرواح ساجدون في الصباح واجدون في احسن الاشياء ظاهرهم بالجود
محسن وباطن بالوجود ومزين ومع هذه الاحوال والمقامات يقفون في مواقف الاعتذار والتذلل قائلين ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم القطيعة والبعد اذا انفقوا وجودهم في ذات الله وصفاته لم يسرفوا في الرياضة الى حد تلف البدن
ولم يقتروا في تربية الوجود بالركون الى الشهوات لا يدعون مع الله الها اخر لا يرفعون حوائجهم الى الاغيار ولا يشوبون
اعمالهم بالرياء والسمعة ولا يحبون مع الله غيره ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها بكثرة المجاهدة الا ينبسطوا بتجلي
صفات الحق وفي مثل هذا القتل حياة ابدية ولا يزنون بالتصرف في عجوز الدنيا بغير اذن الله تبارك وتعالى يضاعف له
العذاب وهو عذاب النيران وعذاب الحرمان عن نعيم الجنان ومن قرب الرحمن الا من تاب من عبادة الدنيا وهوى النفس
وامن بكرامات الاولياء ومقامات الاصفياء وعمل عملا صالحا وهو الاعراض عن غير الله وهو الاكسير الاعظم الذي
لو طرح ذرة منه على ملء الارض سيئة يبدلها ابريز الحسنات ومن تاب اي رجع عن انانيته الى هوية الحق وعمل صالحا بالله
على هذه الحالة فانه يتوب مرجع الى الله متابا لا مزيد عليه وهو احدية ادجى وحينئذ لا يشهد الزور ولا يبكي عن هذه
الحق واذا مروا باللغو وهو ما سوى الحق لا يلتفت اليه واذا ذكر بايات ربه تامل فيها حق التامل بان يهب له من ازواج الروح
والجسد ومتولدا تهما من القلب والنفس وملكات الاعمال الصالحة ما يقر بها عين القلب وعين الروح اي يتنور بنورها
وتصيبا ذلك مقتدى المتقين للمتقي الجسد عن مخالفات الشرعية وللمتقي النفس عن الاوصاف الذميمة وللمتقي الروح
عما سوى الله فيجزى في مقام العبدية بما صبر في البداية على التكاليف الشرعية وفي الوسط على تبدل الاخلاق الذميمة وفي
النهاية فناء الوجود ثم اخبر عن استغنائه عن وجود الخلق وعدمهم لولا دعاؤكم اياه بلسان الحاجة في حسن العدم او لولا
دعاؤه اياكم في الازل بلسان القدرة فقد كذبتم حين ادعيتم الغنى عن الصانع فسوف يكون خسران السعادة الابدية
لازما لكم والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓمٓ تلك ايات الكتاب المبين ● لعلك باخع نفسك
الا يكونوا مؤمنين ● ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت
اعناقهم لها خاضعين ● وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين ● فقد كذبوا فسيأتيهم انباء
ما كانوا به يستهزءون ● اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها
من كل زوج كريم ● ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ● واذ نادى ربك
موسى ان ائت القوم الظالمين ● قوم فرعون الا يتقون
قال رب اني اخاف ان يكذبون ● ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فارسل الى هرون وهلم علي ذنب فاخاف ان
يقتلون ● قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون
فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ● ان ارسل معنا
بني اسرائيل قال الم نربك فينا وليدا ● ولبثت فينا من عمرك
سنين ● وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين
قال فعلتها اذا وانا من الضالين ● ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك

نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل قال فرعون وما رب
العالمين ● قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم
موقنين ● قال لمن حوله الا تستمعون ● قال ربكم ورب
اباءكم الاولين ● قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون ● قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
تعقلون ● قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جئتك بشيء مبين ● قال فأت به ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ● ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين ● قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم ● يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه
واخاه وابعث في المدائن حاشرين ● يأتوك بكل سحار
عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ● وقيل للناس هل
انتم مجتمعون ● لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن
الغالبين ● قال نعم وانكم لمن المقربين ● قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون ● فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ● فالقى موسى عصاه فاذا
هي تلقف ما يأفكون ● فالقي السحرة ساجدين ● قالوا
امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال امنتم له

قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم اجمعين • قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين •
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل
فرعون في المداين حاشرين • ان هؤلاء لشرذمة قليلون •
وانهم لنا لغائظون • وانا لجميع حاذرون • فاخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك
واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين • فلما تراء الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي
سيهدين • فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم • وازلفنا ثم الاخرين
وانجينا موسى ومن معه اجمعين • ثم اغرقنا الاخرين
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين • وان
ربك لهو العزيز الرحيم

القراءة طسم وما بعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وقرا ابو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وقرا حمزة ويزيد مظهرة النون عند الميم انى اخاف بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما يعقوب ارجه مثل ما في الاعراف ان لنا بالمد والياء يزيد وابو عمرو و زيد وقالون وقرا ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد بهمزة ثم ياء وعن قنبل ان الناعلى الخبر الباقون بهمزتين هشام يدخل مدة امنتم بالمد ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب امنتم على الخبر حفص غير الخراز الاخرون اامنتم بهمزتين لعبادى انكم بفتح الياء نافع وابو جعفر حاذرون بالالف عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون بغير الف فاتبعوهم بالتشديد زيد عن يعقوب الباقون بقطع الهمزة وسكون التاء تراء الجمعان بكسر الراء في الوصل حمزة ونصير وهبيرة من طريق الخراز واختلفوا في الوقف فعن الكسائى بكسر الراء والهمزة على وزن تريعى وفي رواية اخرى عنه ترى تراعى والمشهور عنه تراء بكسر الراء وفتح الهمزة واما حمزة فانه

يقف تراء بكسر الراء ويشير الى فتحة الهمزة الباقون يقفون ترای على وزن تراعى معى ربي بفتح الياء حفص الوقوف طسم كوفي مبين مومنين خاضعين معرضين يستهزءون كريم لاية مومنين الرحيم الظالمين للابدال والبيانات تجهيلا عليم بالظالم فرعون العدو ولعنا لامر الى الاستفهام تتقون تكذبون لمن قرا ويضيق بالرفع على الاستيناف هرون يقتلون قال كلا للعطف معنى لا نقطاع مستمعون العالمين لتعلق ان بني اسرائيل الكافرين الضالين المرسلين اسرائيل العالمين وما بينهما الا ان جواب الشرط محذوف اى ان كنتم موقنين فلا تكذبون موقنين يستمعون الاولين لمجنون وما بينهما يعقلون المسجونين مبين الصادقين مبين للاية مع العطف للناظرين عليم لان ما بعده صفة بسحره فقيل بناء على ان ما بعده قول الملاء لفرعون والجمع للتعظيم والاصح لانه من تتمة قول فرعون تامرون حاشرين لان ياتوكم جواب عليم معلوم للعطف مجتمعون لاتصال المعنى الغالبين لمن المقربين ملقون الغالبون ما يافكون للاية والدلالة على اسراعهم في السجود الساجدين العالمين وهرون لكم للابتداء بان مع اتحاد القول السحر للفالاً الابتدا وسوف تعلمون لتقدير القسم اجمعين لاضير توقيه لحق ان والا فالاصل هو الوصل لان ما بعده هو المقول في الحقيقة كما في الاعراف ينقلبون للاية مع اتحاد المقول المؤمنين متبعون حاشرين للاية مع ان التقدير بان هؤلاء قليلون لغائظون حاذرون لابتداء اخبار من الله وعيون كريم لتعلق الكاف كذلك اى كما وعدنا بني اسرائيل ايرادها ثم اخبر عن وقوع الموعود اسرائيل مشرقين لمدركون ووجه الوصل الاسراع في تداركهم عن خوف الادراك كلا لاحتمال ان يكون للردع وان يكون المعنى حقا سيهدين البحر لاجل الفاء الفصيحة اى فضرب فانفلق العظيم الاخرين لاية مومنين الرحيم التفسير قال جار الله معنى طسم ان ايات هذا المولف من الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب المبين وقد مر مثله في اول يوسف والنحل لاهلاك وقد مر في اول الكهف عزاه وعرفه ان غمه وحزنه لا ينفع كما ان وجود الكتاب على بيانه ووضوحه لا ينفع ثم بين انه قادر على تنزيل اية ملجئة الى الايمان ولكن المشية والحكمة يقتضيان بناء الامر على صورة الاختيار قال صاحب الكشاف وجه عطف فظلت على ننزل كما قيل في قوله انزلنا فظلت واقول الظاهر ان الفاء في فظلت للسببية بدليل عدم المستتر فيه كما في ننزل ووجه العدول الى الماضي كما قيل في ونادى وسيق وجيء مجيء خبرا على الاعناق ان يكون الاعناق مقحما لبيان موضع الخضوع واصل الكلام وظلوا لها خاضعين او حين وصفت الاعناق بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقيل اعناقهم رؤساؤهم كما يقال هم الرؤس والصدور وقيل اراد جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم عن ابن عباس نزل هذه الاية فينا وفي بني امية قال فستكون لنا عليهم الدولة فتذل اعناقهم بعد صعوبة وتلحقهم هوان بعد عزة ومعنى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث قد مر في سورة الانبياء بينه سبحانه بذلك على انه تعالى مع اقتداره على ان يجعلهم ملجائين الى الايمان حكيم ياتيهم بالقران حالا بعد حال رعاية لقاعدة التكليف ثم ذكر انه تعالى لا يجدد لهم توجيه موعظة وتذكيرا لاجدد ما هو نقيض المقصود منهم وذلك النقيض هو الاعراض والتكذيب والاستهزاء وهذا ترتيب في غاية الحسن كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره حتى صار عرضة للاستهزاء وهذه درجات من اخذ في الشقاق انه يعرض اولا ثم يصرح بالتكذيب ثانيا ثم يبلغ في التكذيب والانكار الى حيث يستهزئ به وفي قوله فسياتيهم وعيد لهم بعذاب بدر او يوم القيمة وقد مر مثله في اول الانعام ثم بين انه مع حكمته في انزال القران حالا بعد حال رحيم يظهر من الدلايل لخشيته ما يكفي للتامل في باب النظر والاستدلال والزوج الصنف والكريم نعت لكل ما يرضى ويحمد في بابه منه وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوايده ونبات كريم مرضي فيما يتعلق به من المنافع فما من نبت الا وفيه نفع وفايدة من جهة وان كانت فيه مضرة من جهة اخرى ويحتمل ان يراد بالكريم النافع منه ويكون المضار مسكوتا عنه قال جار الله معنى الجمع بين كم وكل دون ان يقول كم انبتنا فيها من زوج كريم هو ان كلا قد دل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم دل على ان هذا المحيط مفرط الكثرة قلت فالحاصل ان خلق النوع يصدق بخلق فرد واحد منه كما يصدق بخلق افراد كثيرة فقوله كل زوج اشارة الى خلق كل نوع من انواع النبات وقوله كم انبتنا اشارة الى كثرة افراد كل نوع منه وفيه تنبيه على كمال القدرة ونهاية الجود والرحمة وهذا ختم الكلام بقوله ان في ذلك الانبات او في كل واحد من تلك الازواج لاية على الابداع والايات وما كان اكثرهم مومنين لان الله تعالى طبع على قلوبهم وان ربك لهو العزيز الرحيم فمن عزته قدر على عقوبتهم ومن رحمته بين لهم الدلايل ليتفكروا ويعتبروا والرحمة اذا صدرت من القدرة كانت اعظم موقعا واعلم انه سبحانه كرر

بعض الايات في هذه السورة لاجل التاكيد والتقرير فمن ذلك انه كرر قوله ان في ذلك لاية الى قوله الرحيم في ثمانية مواضع اولها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والثانية في قصة موسى ثم ابراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب ومن ذلك قوله الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وهو مذكور في خمسة مواضع في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك انه كرر فاتقوا الله واطيعون في قصة نوح وهود وصالح وليس في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين لذكره في مواضع من غير هذه السورة وليس في قصة موسى لانه رباه فرعون حيث قال الم نربك فينا وليدا ولا في قصة ابراهيم لان اباه في المخاطبين حيث يقول اذ قال لابيه وقومه وهو قد رباه فاستحى موسى وابراهيم ان يقولا ما اسالكم عليه من اجر وان كانا منزهين عن طلب الاجر ثم انه تعالى اعاد في هذه السورة قصص الانبياء المشهورين مع اممهم اعتبارا لهذه الامة وابتدا بقصة موسى لما فيه من غرائب الاحوال وعجائب الامور والنداء المسموع عند الاشعري هو الكلام القديم الذي لا يشبه الحروف والاصوات وعند المعتزلة واليه ابو منصور الماتريدي انه من جنس الحروف والاصوات وانه وقع على وجه علم به موسى انه من قبل الله تعالى وقدم قرابة سيظهر عليه المعجزات اذا طولب بذلك قال جار الله قوله الا تتقون كلام مستانف فيه تعجب لموسى من حالهم الشنعاء في قلة خوفهم وكثرة ظلمهم او هو حال دخلت عليه همزة الانكار ثم ان موسى خاف ان يكذب عند اداء الرسالة فاستظهر بهرون في اداء النصب خاف التكذيب المستتبع لضيق الصدر المستلزم لاحتباس اللسان عن الجريان في الكلام ولعله اراد بهذه الحبسة عقدة في لسانه قبل اجابة دعوته او بقية يروى بها بقيت بعد الاجابة كما مر في طه ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبرائيل واجعله نبيا يعضدني في امري فاختصر الكلام اختصارا ثم ذكر انهم على ذنبا اسمى جزاء الذنب او المضاف محذوف اي تبعة ذنب وهي قود قتل القبطي كما سيجيء تفصيله في سورة [القصص] فيمكن ان يقتل قبل اداء الرساله فلا يتمكن من المقصود وهذا قد جوزه الكعبي وغيره من البغداديين وقال الاكثرون الاقرب من حال الانبياء انهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى الرسالة انه يمكنهم من ادائها فلا معنى للخوف من القتل قبل الاداء نعم او خاف بعد الاداء جاز ذلك لما جبل عليه طبع الانسان من التنفر عن القتل فسال الله الامان من ذلك وقد جمع الله له بقوله كلا الكلاءة وبقوله فاذهبا استنباء اخيه كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون ومعكم مستمعون خبران لان او الخبر مستمعون ومعكم متعلق به ولا يخفى ما في المعية من المجاز لان المصاحبة من صفات الاجسام فالمراد معية النصرة والمعونة واما الاستماع فمجاز ايضا فان كان اطلاق السمع على الله حقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء لا بد فيه من الجارحة فحاصل الاية انا لكما وعدوكما ناصر ظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه واما وحد الرسول في قوله انا رسول رب العالمين لانه اراد كل واحد واراد الرسول بمعنى المصدر اي ذوا رسالة رب العالمين يقال ارسلهم برسول اي برسالة او جعلا لاتفاقهما واتحاد مطلبهما كرسول واحد وههنا اضمار دل عليه سياق الكلام اي فاتيا فرعون فقالا له ذلك روي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف انه موسى فعند ذلك قال الم نربك فينا وليدا اي صبيا وذلك لقرب عهده من الولادة قيل مكث ثلثين سنة من اول عمره وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة ففر منهم والفعلة الوكزة عدد عليه نعمه ثم وبخه بقتل نفس منهم وسماه كافر النعم بسبب ذلك وجوز جار الله ان يراد وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة فيكون قد افترى على موسى وجهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية وانما قلنا انه افترى او جهل لان الكفر غير جائز على الانبياء ولو قبل النبوة ويجوز ان يراد انه من الكافرين بفرعون والهيته او بالهة كانوا يعبدونها قال تعالى ويذرك والهتك ثم ان موسى ما انكر تربيته ولكن انكر الكفر فلم ينسب نفسه الا الى الضلال واراد به الذهاب عن الصواب او اراد النسيان او الخطاء وعدم التدبر في ادبار الامور ثم ذكر موهبة ربه في حقه حين فر من فرعون وملائه المؤتمرين بقتله والحكم العلم بالتوحيد وكمال العقل والراي ولا يدخل فيه النبوة ظاهرا لئلا يلزم شبه التكرار بقوله وجعلني من المرسلين قال جار الله وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا ببيانها فسرت بقوله ان عبدت نظيره وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي كانه ابى ان تسمى نعمته الا نقمة لان تعبيدهم اي

تذليلهم واتخاذهم عبيدا وقصدهم الى ذبح ابنائهم وهو السبب في حصوله عنده وفي تربيته ولهذا قال الزجاج ان في ما بعده في موضع نصب اي انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اذ لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم ومن هنا قال جار الله ان قول موسى جملتها جواب لقول فرعون وفعلت فعلتك وجزاء لكان فرعون قال جازيت نعمتي بما فعلت قال موسى نعم فعلتها مجازيا لك وان نعمتك جديرة بان تجازى بمثل ذلك الجزاء وقال الحسن اراد انك استعبدتهم واخذت اموالهم ومنها انفقت علي فلا نعمة لك بالتربية كانت من قبل امي وعشيرتي ولم يكن منك الا انك لم تقتلني وقيل اراد انك كنت تدعي ان بني اسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد في الاطعام والكسوة واعلم ان للعلماء خلافا في نعمة الكافر فقيل انها لا يستحق الشكر لان الكافر يستحق الاهانة لكفره فلو استحق الشكر لانعامه لزم بين الاهانة والتعظيم في حق شخص واحد في وقت واحد وقيل لا يبطل بالكفر الا الثواب والمدح الذي يختص على الايمان وفي الاية نوع دلالة على كل من القولين ثم ان موسى حين ادى الرسالة من قوله انا رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين وقد سبق مرارا ان كفره عناد وان يكون جهالة والذي يخص بالمقام هو ان ما انما يطلب به حقيقة الشيء وماهيته وهذا هو الذي قصده فرعون بسؤاله ولم يعرف ان الماهية لا يطلق على ذاته تعالى اذ لا اجزاء لها حدية ولا مقدارية وباي وجه فرض ضرورة انتهاء الكل اليه واستغناءه عن الكل من كل الوجوه فلا يصح ان ينال عنه بما هو ولا بكيف هو ولا باي شيء هو ولا بهل هو غاية ذلك ان ينبه على وجوده الذي هو اظهر الاشياء بلوازمه واثاره على وجه يعم الكل كما يقال انه رب السموات والارض وما بينهما او باخص من ذلك بان يقال مثلا ربكم ورب ابائكم الاولين وهو الاستدلال بالانفس او يقال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الجهات المفروضة على السماء من لدن طلوع الكواكب الى غروبه وبالعكس وهو الاستدلال بالافاق وقد راعى في الجواب الاول طريقة اللطف فختم بقوله ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وجلائه وخاشنهم في الاخير بقوله ان كنتم تعقلون حين نسبوه الى الجنون بعد ان تهكموا به بقوله ان رسولكم ويمكن ان يراد بقوله وما بينهما ثانيا ما بين المشرق والمغرب من المخلوقات فيكون الفرق بين هذا الاستدلال وبين الاول ان الاول هو الاستدلال بالحدوث على طريقة المتكلمين والاول اقرب الى اليقين فلهذا قال ان كنتم موقنين والثاني اقرب الى الحس فلهذا قال ان كنتم تعقلون ولما انجر الكلام الجحد العناد والمخاشنة هدده فرعون بقوله لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين وهذا ابلغ من ان لو قال لاسجننك والمعنى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة هاوية في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وحينئذ عدل موسى الى الحجة الاصلية في الباب وهو ادعاء المعجز المنبئ عن صدقه فقال اولو جئتك اي تفعل في ذلك ولو جئتك بشيء اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه سلم انه قاله جدا لا هزلا وجدا لا دلالة على ما ذكر في العقول من ان دعوى الرسالة اذا اقترنت بظهور المعجز على يده تحقق صدقها وقد شنع في الكشاف ههنا ان في اهل القبلة من خفي عليهم ما لم يخف على فرعون حتى جوزوا القبيح عليه سبحانه ولزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وفي التخطئة سهو من وجهين احدهما انه لا قبيح عند الاشاعرة عقلا والثاني انه على تقدير التسليم لا يلزم تجويز كل قبيح وهذا من ذلك اللزوم الاستثناء وباقي القصة سبق نظيرها في الاعراف فليقتصر بالتفسير على ما يختص بالسورة قوله قال في الكشاف الظرف في محل النصب على الحال وقول الاصوب ان يجعل نعتا للملا اي الاشراف حوله على طريقة قوله ولقد امر على اللئيم يسبني قوله لميقات يوم معلوم اليوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى كما مر في طه قوله هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع وحث عليه كقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحثه على الانطلاق قوله لعلنا نتبع السحرة لم يكن غرضهم اتباع السحرة في دينهم وانما غرضهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق المجاز لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى قوله بعزة فرعون هي من ايمان الجاهلية ولا يصح الحلف في الاسلام الا بالله تعالى او بصفاته كما مر في البقرة والمائدة قوله فالقي السحرة لم يسم فاعله وهو الله تعالى في الحقيقة حين القى داعية الايمان في قلوبهم ويجوز ان ينسب الى ما عاينوا من المعجزة الباهرة ذلك ان لا يقدر فاعلا اي خروا قوله لا ضير اي لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل قوله انا نطمع الطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي ويحتمل الظن بناء على ان المرء لا يعلم ما سيختم له او يؤول اليه حاله عند الوفاة ومعنى ان لنا لان كنا وكانوا اول طائفة مؤمنين من اهل زمانهم او من اهل المشهد قوله انكم متبعون تعليل للاسراء اي بيت تدبير امركم على ان يتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده الى ان نغشاهم قوله شرذمة هي الطائفة

القليلة ثم وصفهم بالقلة واختار جمع السلامة ليدل على ان كل حزب منهم في غاية القلة وذلك بالنسبة الى عسكره
والا فانهم كثير في انفسهم يروى ان فرعون ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسوم مع كل ملك الف وخرج
فرعون في جمع عظيم وكانت على مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وكان قوم موسى اذ ذاك
ستمائة الف وسبعين الفا ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والحقارة لا قلة العدد قوله وانهم لغائظون معناه انهم
لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم فعلوا فعلا لا غيظنا كاخذ الحلى وادعاء الاستقلال والاستخلاص
عن ذل الاستخدام ونحن قوم مجموعون كلمة وابدا لنا ومن عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور كاخذ
التيقظ وهو يفيد الثبات والحاذر الذى يجدد حذره وقيل هو تام السلاح لانه فعل ذلك حذرا واحتياطا
لنفسه وكل هذه المعاذير لاجل ان لا يظن به العجز خلاف ما ادعاه من العلو والتسلط وقرئ حادرون بالذال المعجمة و
الحادر السمين القوى اراد انهم اقويا اشداء فاخرجناهم من جنات اى بساتينهم التى فيها عيون الماء من كنوز الذهب
والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى والمقام الكريم المنازل الحسنة المجالس
البهية وقال الضحاك المنابر قبل السور في الحال كذلك يحتمل النصب اى اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا
والجر على الوصف اى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك و
على هذا فيوقف على كريم فاتبعوهم اى فلحقوهم ومن قرا بالتشديد فظاهر والاشراق الدخول في وقت الشروق فلما
تراءى الجمعان اى قوم موسى وقوم فرعون وحصل كل من الفريقين بمراى للآخر قال اصحاب موسى فرقا وفزعا انا لمدركون
الملحقون قال موسى تثبيتا لهم وردعا لهم عما هم عليه من الجزع والفزع كلا ان معى ربى بالنصرة والمعونة سيهدين
سبيل النجاة والخلاص كما وعدنى ثم بين انه كيف هداه بقوله فاوحينا الاية ومعنى فانفلق فضرب فانفلق
فكان كل فرق اى كل جزء متفرق منفلق كالطود وهو الجبل العظيم ومع ذلك وصفه بالعظيم وازلفنا ثم اى قربنا
حيث انفلق البحر الاخرين وهم قوم فرعون والقرب منه بنو اسرائيل وقوم فرعون ايضا اى ادنينا بعضهم من بعض
وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد ويجوز ان يراد قدمناهم الى البحر وقرى وازلقنا بالقاف اى ازللنا اقدامهم حسابا ان
لم يكن لهم البحر يبسا كما كان لبنى اسرائيل وعقلا اى اذهبنا عزهم والبحر بحر القلزم وبحر من وراء مصر يقال له اساف قالت
الاشاعرة انه تعالى اضاف الازلاف الى نفسه مع ان اجتماعهم في طلب موسى كفر اجاب الجبائى بان قوم فرعون
تبعوا بنى اسرائيل وبنوا اسرائيل انما فعلوا ذلك بامر الله تعالى فلما كان مسيرهم بتدبير الله وهؤلاء يتبعونهم اضافه الى
نفسه توسعا وهذا كما يبعث احدنا في طلب غلام له فيجوز ان يقول بعثنى الغلام لما حدث ذلك عند فعله او
المراد ان لقاهم الى الموت والاجل وقال الكلبى اراد انه جمع تفرقهم كيلا يصلوا الى موسى وقومه او اراد انه حلم عنهم
وترك لهم البحر يبسا حتى طمعوا في دخوله واعترض بان كل ذلك لا بد ان يكون له اثر في استخلاف داعية قوم
فرعون الى الذهاب حلفهم فيعود المحذور ان في ذلك الذى حدث في البحر من احياء البعض واغراق البعض و
في ذلك الذى ذكر من القصة بطولها الاية عجيبة للمتدبر المتفكر في الامور الالهية وما كان اكثرهم مؤمنين حين
سالوا بعد النجاة ان يجعل لهم موسى الها غير الله واتخذوا العجل واقترحوا اقتراحات خارجة عن قانون الادب و
يحتمل ان يعود الضمير الى هذه الاية بدليل واتل عليهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يغتم
بتكذيب قومه بعد ظهور المعجزات ونزول الايات التاويل الطاء طوله في كمال عظمته والسين سلامته عن
كل نقص وعيب والميم مجده الذى لا نهاية له او الطاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين والسين سيادته
على الانبياء والمرسلين والميم مشاهدته جمال رب العالمين او الطاء طرب الطائرين بالله والسين سير السائرين
الى الله والميم مشى الماشين لله الذين يمشون على الارض هونا ان نشا ننزل من السماء قلوبهم اية من واردات الحق
فظلت اعناق نفوسهم لها خاضعين فينسيهم بعد مفارقة الارواح والاجساد انباء ما كانوا به يستهزؤن بطول
نايج معاملاتهم الخبيثة على ذواتهم اولم يروا الى ارض قلوب العارفين كم انبتنا من ثمار اصناف الايمان
والتوكل واليقين والاخلاص وساير الاخلاق الكريمة وما كان اكثرهم مؤمنين لان جناب الحق لعزته يجل عن
ان يكون شريعة لكل وارد وان ربك هو العزيز الذى لا يوجد بالسعى الرحيم ادرك اولياءه بجذبات العناية كما ادرك
موسى حين ناداه من الشجرة وذلك لانه جعله مظهر لطفه كما انه جعل فرعون مظهر قهره فصار من العتو والاستكبار
في غاية الكمال ويعلم منه ان للانسان استعدادا في مظهرية صفة القهر ليس لابليس ولذلك عاند ابليس آدم وقال

انا خير منه وعاند فرعون الرب وقال انا ربكم الاعلى وان له استعدادا في مظهرية صفة اللطف ليس للملك ولهذا صار
الانسان مسجود الملائكة ان ارسل معنا بنى اسرائيل فيه ان موسى القلب مرسل الى فرعون النفس لئلا يستعبد الصفات الروحانية
فان لفرعون النفس في البداية استيلاء على موسى القلب والصفات الروحانية فاستعملهم في قضاء حوائجه وتحصيل
مقاصده فعند ذلك قال فرعون النفس وقال الم نربك فينا وليدا فان موسى القلب كان في حجر موسى النفس الى ان بلغ اوان الحلم وهى
خمسة عشر سنة فقتل قبطى الشهوة حين كفر بالله الهوى وكان قبل القتل ضالا عن حضرة الربوبية ففررت منكم الى الله لما خفت
ان تقطعوا على الطريق الى الله رب سموات القلوب وارض البشرية وما بينهما من المنازل قال لمن حوله من صفات النفس الا تستمعون
قال موسى القلب لمعارف ربوبيته ربكم ورب ابائكم الاولين يعنى الاباء الروحانية وفي قوله ان رسولكم لمجنون اشارة الى كمال ضدية
القلب والنفس بحيث يعد القلب بعد النفس من المجنون وبالعكس رب مشرق الروح من افق البدن ورب مغربه فيها وما بينهما
من التعلق ومن نظيره في محاجة ابراهيم في البقرة لاجعلنك من المسجونين في سجن حب الدنيا فان القلب اذا توجه الى الله فلا
استيلاء للنفس عليه الا بالنكر حب الجاه والرياسة فانها اخر ما يخرج من رؤس الصديقين قال موسى القلب ولا يقدر على ان
تسجننى في حب الدنيا فانى متوجه الى الله وباقى التاويل قد سبق قوله فاخرجناهم اى من جنات الاوصاف الروحانية
وعيون الحكمة وكنوز المعارف ومقام كريم في حضرة اكرم الاكرمين واورثناها بنى اسرائيل فيه ان النفس اذا افنيت ورث
القلب منها صفاتها وبقوتها تصير الى مقامات لم يمكنه الوصول اليها بقوة صفاته ولو مات القلب ورثت النفس منه
صفاته وبقوتها تنزل الى دركات لم يمكنها الوصول اليها بمجرد صفاتها فاتبعوهم اى لحق اوصاف النفس اوصاف القلب عند
اشراق شمس الروح فكان فرق فيه ان كل صفة من اوصاف الروح كجبل عظيم في العبور عنه وازلفنا ثم الاخرين اى قربنا
صفات النفس بتبعيته صفات القلب الى بحر الروح وانجينا الروحانية فان الوصول الى الحضرة من خواص القلب وغاية
سير النفس هو الاستغراق في بحر الروحانية ان في ذلك لاية لارباب العرفان وما كان اكثرهم مؤمنين بهذه المنازل فانه
لا يصير اليها الا الشاذ من المجذوبين بجذبة ارجعى الى ربك جعلنا الله من المستعدين لها والله اعلم بالصواب

واتل عليهم نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين ۞ قال هل يسمعونكم اذ تدعون
او ينفعونكم او يضرون ۞ قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون ۞ قال افرايتم ما كنتم تعبدون ۞ انتم واباؤكم
الاقدمون ۞ فانهم عدو لى الا رب العالمين ۞ الذى خلقنى فهو
يهدين ۞ والذى هو يطعمنى ويسقين ۞ واذا مرضت فهو يشفين
والذى يميتنى ثم يحيين ۞ والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم
الدين ۞ رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين ۞ واجعل لى لسان
صدق فى الاخرين ۞ واجعلنى من ورثة جنة النعيم ۞ واغفر
لابى انه كان من الضالين ۞ ولا تخزنى يوم يبعثون ۞ يوم لا ينفع

مال ولا بنون • الا من اتى الله بقلب سليم • وازلفت الجنة للمتقين
وبرزت الجحيم للغاوين • وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من
دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون • فكبكبوا فيها هم
والغاون وجنود ابليس اجمعين • قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين • اذ نسويكم برب العالمين
وما اضلنا الا المجرمون • فما لنا من شافعين • ولا صديق
حميم • فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين • ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين • وان ربك لهو العزيز
الرحيم • كذبت قوم نوح المرسلين • اذ قال لهم اخوهم
نوح الا تتقون • اني لكم رسول امين • فاتقوا الله • و
اطيعون • وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين • فاتقوا الله واطيعون • قالوا انومن لك واتبعك
الارذلون • قال وما علمي بما كانوا يعملون • ان حسابهم
الا على ربي لو تشعرون • وما انا بطارد المومنين •
ان انا الا نذير مبين • قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن
من المرجومين • قال رب ان قومي كذبون • فافتح بيني وبينهم
فتحا ونجني ومن معي من المومنين • فانجيناه ومن معه في
الفلك المشحون • ثم اغرقنا بعد الباقين • ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مومنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم

القراءة لي الا رتي انه بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو واجري الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص واتباعك على انه جمع تابع او تبع يعقوب انا الا بالمد ابو نشيط عن قالون معي من المومنين بفتح الياء المتكلم حفص وورش **الوقوف** ابراهيم لا يوم انا اذ ظرف قال وانما هو منصوب باذكر ما تعبدون عاكفين تدعون يضرون يفعلون تعبدون لا لان الضمير بعده توكيد الاقدمون والوصل اولى للفاء العالمين لان الذي صفة الرب يهدين ويسقين ويشفين يحيين الدين بالصالحين الاخرين النعيم الضالين يبعثون ولا بنون سليم بناء على ان ما بعده الى آخر احوال الجنة والنار هو من كلام الله تعالى وهو الظاهر وقيل هو من تتمة كلام ابراهيم العالمين المجرمون شافعين حميم المومنين لاية مومنين الرحيم المرسلين لان اذ يصلح ظرفا للتكذيب ومفعولا لاذكر تتقون امين للفاء واطيعون من اجر العالمين واطيعون الارذلون يعملون لان ما بعده من تمام القول تشعرون لذلك المومنين مبين لضعف الجزاء المرجومين كذبون المومنين المشحون الباقين لاية مومنين الرحيم **التفسير القصة الثانية قصة ابراهيم** وكان يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم للالزام والتبكيت ومثله اهل المعاني بان يقول احد للتاجر ما مالك وهو يعلم ان ماله الرقيق ثم يقول له الرقيق جمال وليس بمال وانما قال في سورة الصافات ماذا تعبدون بزيادة ذا لانه اراد هناك وهنا مزيد التوبيخ ولذلك بنى الكلام على الزيادة ثم اردفه بقوله ائفكا الهة دون الله تريدون وحين صرح هناك بالتوبيخ لم يجيبوه وهنا ظنوا انه يريد الاستفهام حقيقة فاجابوه ولكنهم بسطوا الكلام بسطا ولم يقتصروا على اصنام بل ارادوا نصبه وعقبوه بقولهم فنظل لها عاكفين اظهارا للابتهاج والافتخار قال في الكشاف وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قلت وهذا مبني على النقل الصحيح والظن به حسن قال لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف بالمضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وكذلك ويحتمل ان يكون المحذوف مفعولا ثانيا اي هل يسمعونكم تدعون اذ هو حكاية حال ماضية لان اذ للمضي ومعناه استحضار الاحوال الماضية التي كانوا يدعونها فيها وحين تمسكوا في الجواب بطريقة التقليد قائلين على سبيل الاضراب بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون نبههم ابراهيم بقوله افرايتم على ان الباطل لا يعبد بان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون في تركيبه كثرة او قلة وصرح بان معبوديهم اعداء له لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان الذي يغري على عبادتها هو الشيطان وهو اعدى عدو للانسان وانما لم يقل عدو لكم لانه اراد تصوير المسألة في نفسه ليكون ادل على النصح واقرب الى القبول كانه قال اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو ويحكى عن الشافعي ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وقوله الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين حبيب لي ثم وصف الرب بانه الذي خلقني فهو يهدين اي خلق بدني على كماله الممكن له ثم يهديني الى مصالح الدين والدنيا كامتصاص الثدي في البطن والثدي بعد الولادة نظيره ما مر في طه الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ثم ثنى بقوله والذي هو يطعمني ويسقين ان الذي يتعلق به قوام البدن من الاغتذاء بالطعام والاساغة بالشراب هو من جملة انعام الله تعالى لانه خلق هناك قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها ولولاها لما تم امر الانتفاع بالغذاء الذي هو من جملة نعمه الشاملة ثم قال واذا مرضت فهو يشفين وذلك ان البدن ليس دائما على النهج الطبيعي بحيث يبعد منه الا فعال الموضوع لها سليمة فاسترداد الصحة بعد زوالها ليس الا باذن الله وبما خلق لكل داء دواء وانما لم يقل امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث باسراف الانسان في المطعم والمشروب وايضا الصحة يحتاج الى سبب قاهر في تعديل الاخلاط والقوى على النسبة المطلوبة اما المرض فهو وانه بسبب تنافر الاخلاط وطلب كل منها مركزه الاصلي وايضا فيه رعاية الادب في مقام المدح وتعداد النعم وانما لم يراع هذه النكتة في قوله والذي يميتني لان الاماتة ليست بعيب كالمرض اما لعدم الاحساس وحينئذ واما لانها مقدمة الوصول الى عالم الخير والراحة وانما ادخل لفظة هو في الاطعام والشفاء لانهما قد ينسبان الى الانسان فيقال زيد يطعم وعمرو يداوي فاكدا اعلاما بان ذلك في الحقيقة من الله واما الاماتة والاحياء فلا يدعيهما مدع فاطلق ثم اشار الى ما بعد الاحياء من المجازاة بقوله والذي اطمع فحمل الاشاعرة الطمع على مجرد الظن والرجاء تنبيها على انه لا يجب لاحد على الله شيء وحمله المعتزلة على اليقين تارة وعلى هضم النفس والتواضع وتعليم الامة اخرى كما انه اضاف الخطيئة الى نفسه لمثل ذلك وقد يحمل الخطيئة على المعاريض المنسوبة اليه من قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله انها اختي وانما علق المغفرة بيوم الدين لان اثرها يتبين يومئذ وهو في الدنيا خفي لا يعلم فايدة زيادة لي هو ان يعلم ان المغفرة فايدتها تعود اليه والله سبحانه لا يستفيد بذلك كما لا يمكن له او المراد اطمع ان

يعنفر لي بمجرد عبوديتي له واحتياجي اليه لا بواسطة شفيع كما قال لجبرائيل اما اليك فلا وحنن قدم الثناء ثم شرع في
الدعاء تعليما لامته اذا اراد واسئله فقال رب هب لي حكما وهو اشارة الى كمال القوة النظرية والحقني بالصالحين
الى كمال القوة العملية ولقد اجاب حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين وقيل الحكم النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم
بين عباد الله تعالى وزيف بانه كان حاصلا له كيف يطلبه والظاهر انه اراد بالحكم النسب الذهنية المطابقة للخارج
اعني العلوم النظرية كما بينا قالت الاشاعرة في الاية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لانه طلب العلم من الله فلولا
ان العلم بخلقه والا كان السؤال عبثا وحمله المعتزلة على صحة الالطاف قيل الحكم المطلوب بالدعاء ان كان هو العلم
بغير الله لزم ان يكون سائلا لما يشغله عن الله وهو باطل وان كان العلم بالله بقدر ما هو شرط صحة الايمان لزم
طلب ما هو حاصل لادنى المومنين فضلا عن ابرهيم فاذن هو العلم الزايد على ما هو ضروري في الايمان و
وهو الوقوف على حقيقة الذات والصفات بما لا يكشف المقال عنها عن الخيال وبه يصير المرء من الواصلين
الى العين دون السامعين الى الاثر ثم طلب الذكر الجميل بقوله واجعل لي لسان صدق والاضافة فيه كقوله قدم
صدق قال ابن عباس وقد اعطاه الله ذلك بقوله وتركنا عليه في الاخرين ولهذا اتفق اهل الاديان قاطبة
على حبه وادعات متابعته ومدح الكافر ليس مقصودا لذاته من حيث هو كافر وانما المقصود ان يكون ممدوح
كل لسان ومحمودا بكل لسان وفايدة الثناء على الشخص بعد موته هو انصراف الهمم الى ما به يحصل له عند الله زلفى
وقد يصير ذلك المدح داعيا للمادح او لمن يسمعه الى اكتساب مثل تلك الفضايل وقيل سال ربه ان يجعل من ذريته
في اخر الزمان من ان يكون داعيا الى ملته وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم سال ما هو غاية كل سعادة فقال واجعلني
من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى هذه الوراثة في قوله وتلك الجنة التي اورثتموها وكذلك في سورة مريم
تلك الجنة التي نورث من عبادنا ثم طلب السعادة الحقيقية لاشد الناس التصاقا به وهو ابوه قائلا واغفر لابي
وقد سبق في اخر التوبة وفي مريم ما يتعلق به من المباحث وههنا سؤال وهو انه متى حصلت الجنة بدعائه
امتنع حصول الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني وايضا قال تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وما كان
نصيب الكافر كيف يستجير منه المعصوم اجاب عنه في التفسير الكبير كما ان حسنات الابرار سيات المقربين
فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل واحد يليق بحاله فكان من اله الشركة اولا ثم الخصوصية
ثانيا واقول يحتمل ان يكون هذا الدعاء من تتمة دعايه لابيه اي لا يخزني ولا تفضحني بسبب تعذيب ابي يوم يبعث
الضالون او العباد كلهم ومثل هذا الضمير مما يعلم عوده بالقرينة ويجوز ان يكون سال الجنة بشرط التعظيم
والاجلال ويجوز ان يكون اخر هذا الدعاء لما تعينه من حيث يوم القيمة واهوالها واحوالها فاراد ان لا ينقطع
نظم الكلام في قوله الا من اتى الله بقلب سليم اشارة الى ما وصفه الله به في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء
ربه بقلب سليم وفي هذا الاستثناء وجوه منها انه منقطع والمضاف محذوف اي الا حال من اتى الله بقلب سليم
والمراد بالحال سلامة القلب والمعنى ان المال والبنين لا ينفعان والما ينفع سلامة القلب عن الامراض الروحانية
كالجهل وساير الاخلاق الذميمة ويندرج في سلامة القلب سلامة ساير الجوارح لانه رئيسها ولا شك ان
المال والبنين ليسا من جنس سلامة القلب فيكون الاستثناء منقطعا ومنها انه متصل وذلك على وجهين
احدهما غناه في دنياه بماله وبنيه **وثانيهما** ان يجعل من باب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع والمضاف
المحذوف الحال والسلامة نظيره ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد
نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك ومنها ان يكون الموصول مفعولا لا ينفع و
الاستثناء مفرغ اي لا ينفع مال ولا بنون احدا الا رجل سلم قلبه مع ماله وبنيه حيث انفقه في طاعة الله
وما قصر في باب تاديبهم وارشادهم او سلم قلبه من فتنة المال والبنين فلم يكفر ولم يعص وقد يفسر السليم با
نجا من خشية الله تعالى وحين انجر الكلام الى ذكر يوم القيمة وصف الله تعالى او ابرهيم احواله واهواله فقال
وازلفت الجنة للمتقين قال المفسرون الجنة تقرب من موقف السعداء ليكون لهم فرحا معجلا ويجعل النار بارزة
مكشوفة للاشقياء ليزدادوا غما وحسرة وبالله هذا توبيخهم بقوله اينما كنتم تعبدون يعني اين الالهة التي
كنتم تعبدونها من دون الله هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم فانتصارهم لانهم والهتهم و
قود النار وذلك قوله فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون الذين عبدوهم حالا جار الله الكبكبة تكرير

الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في
قعرها اعاذنا الله منها والمراد بجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن قالوا ايضا الكافرين وجنود
ابليس وهم يعني والحال ان الاصنام وعبدتهم فيها يختصمون قال اكثر المفسرين يجوز ان ينطق الله الاصنام بحيث
يصح منه التخاصم وقيل ان هذا التخاطب بين العصاة والشياطين وسودهم برب العالمين والمراد بالمجرمين على
التفسيرين الرؤساء والكبراء وعن السدي الاولون الذين سنوا الشرك عن ابن جريج ابليس وقابيل لانه سن
القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم خالص يهمه ما يهمنا وفيه نفي الشفعاء والصديق لما
ونفي الذين كانوا يعدونهم شفعاء واصدقاء من الاصنام والرؤساء ونفي الانتفاع بهم قصدا وانتفيهم نفي
ما يتعلق بهم من الفايدة فكل عديم النفع حكمه حكم المعدوم قال جار الله انما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة
الشفعاء لاجل الحبسة عادة ولكن الصديق الصادق اعز من الكبريت الاحمر حتى زعم بعض الحكماء انه اسم لا معنى له و
جوز ان يكون الصديق في معنى الجمع والكرة راجعة الى الدنيا ولو في معنى التمني وقوله فنكون جواب التمني او عطف في
المعنى على كرة اي ليت لنا كرة فان نكون وعلى هذا جاز ان يكون كرة على اصل الشرط والجواب محذوف وهو لفعلنا كيت
وكيت لم يبين ان فيما ذكره من قصة ابراهيم لاية لمن يريد ان يستدل بذلك وما كان اكثر قوم ابراهيم بمومنين **القصة
الثالثة قصة نوح ع** ولا ريب انه نبا عظيم فقد كان يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك لم يزد قومه الا
التكذيب والقوم مونث بدليل تصغيره وكان امينا منهم مشهورا كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش وكرر قوله فاتقوا
الله واطيعون تاكيدا وتقريرا في النفوس مع انه على كل واحد بسبب وهو الامانة في الاول وقطع الطمع في الثاني
نظيره قول الرجل لعبده الا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا الا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كثيرا وقدم
الامر بطاعته ان تقوى الله علة لطاعته بقوله وما علمي بما كانوا يعملون اي علمي ومعناه انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله عز وجل
والاطلاع على باطنهم ومكنون ضميرهم كانهم طعنوا في ايمانهم ايضا فقد كان حسابهم على الله وانه لم يبعث الا للنذارة
ويجوز ان يكون تعالى فسر الرذالة بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقايد فبنى جوابه على ذلك وقال
ما على الا اعتبار الظاهر والله يتولى السراير وفي قوله لو تشعرون اشارة الى انهم لا يصدقون الحساب والجزاء وما فيه
انكار ان يسمى المومن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى رب ان قومي كذبون
ليس اخبارا لاجل علام الغيوب وانما هو تمهيد مقدمة لطلب الفتح والحكمة والفلك المشحون المملوء من كل زوجين اثنين
مع نوح واهله **التاويل** واتل عليهم نبا ابراهيم القلب اذ قال لابيه وقومه وهو الروح وما يتولد منه نعبد اصناما
وهو ما سوى الله فنظل لها عاكفين الان اذ كشفنا العناية فنعرض عنها بل وجدنا اباءنا وهم الارواح والاباء العلوية
كذلك يتعلق بعضهم ببعض فانهم عدو لي اذا تعلقت بهم فصرت محجوبا بهم عن الله خلقني فهو يهدين الى حضرته
ويطعمني من طعام العبودية الذي يعيش القلوب ويسقين من شراب طهور التجلي واذا مرضت بتعلقات الكونين
فهو يشفين بالجذبة الالهية والذي يميتني عن اوصاف البشرية ثم يحيين باوصاف الروحانية ويميتني عن اوصاف
الروحانية ثم يحيين بالاوصاف الربانية ويميتني عن انانيتي ثم يحيين بهويته والذي اطمع ان يستر ظلمة خطيئة
وجودي بطلوع شمس نهار الدين رب هب لي من ربوبيتك حكما على بذل وجودي في هويتك والحقني بالذين صلحوا لقبول
الفيض الالهي بلا واسطة واجعل لي لسان صدق في الاخرين من النفس وصفاتها لئلا يعرضوا عما سوى الله واغفر لابي
الروح انه كان من الضالين حين رد من العالم العلوي الى السفلي من قولهم ضل الماء في اللبن ولا تخزني بتعلقات الكونين
فالروح القلب وما علمي بما كانوا يعملون يعني اراذل الجسد والاعضاء لانهم عملة عالم الشهادة وانا من عملة عالم الغيب ان
حسابهم الا على ربي فيما يعملون من الاعمال الحيوانية لحاجة ضرورية يعفو عنها او الشهوة حيوانية يواخذهم بها لو تشعرون
الفرق بينهما قالوا اي النفس وصفاتها لئن لم تنته يا نوح القلب عما تدعونا اليه على خلاف ارادتنا لنكونن من المرجومين باحجار
الوساوس والهواجس في الفلك المشحون اي في فلك الشريعة المملو بالاوامر والنواهي والحكم والمواعظ والاسرار والحقايق
ثم اغرقنا بعد الباقين بطوفان استيلاء الاخلاق الذميمة وافات الدنيا الدنية وبالقصص اشارات الى رسول
القلب السليم من الله وقومه النفس وصفاتها كما قررناه والله اعلم بالصواب

كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني

لكم رسول امين • فاتقوا الله واطيعون • وما اسالكم عليه
من اجر ان اجرى الا على رب العالمين • اتبنون بكل ريع
اية تعبثون • وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون • واذا
بطشتم بطشتم جبارين • فاتقوا الله واطيعون • واتقوا الذي
امدكم بما تعلمون • امدكم بانعام وبنين • وجنات
وعيون • اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم • قالوا سواء
علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين • ان هذا الا خلق الاولين
وما نحن بمعذبين • فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت ثمود المرسلين • اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون
اني لكم رسول امين • فاتقوا الله واطيعون • وما اسالكم
عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين • اتتركون
في ما ههنا امنين • في جنات وعيون • وزروع ونخل طلعها
هضيم • وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين • فاتقوا الله
واطيعون • ولا تطيعوا امر المسرفين • الذين يفسدون في
الارض ولا يصلحون • قالوا انما انت من المسحرين • ما انت
الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين • قال هذه
ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم • ولا تمسوها بسوء
فياخذكم عذاب يوم عظيم • فعقروها فاصبحوا نادمين

فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم • كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون • اني لكم رسول
امين • فاتقوا الله واطيعون • وما اسالكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين • اتاتون الذكران من العالمين
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم
عادون • قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين • قال
اني لعملكم من القالين • رب نجني واهلي مما يعملون • فنجيناه
واهله اجمعين • الا عجوزا في الغابرين • ثم دمرنا الاخرين
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين • ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم •

القراءة اوعظت مدغما عباس ونصير خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام ابن كثير وابو عمرو وسهل و
يعقوب ويزيد وعلي كذبت ثمود مثل بعدت ثمود فارهين بالالف ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف **الوقوف**
المرسلين تتقون امين واطيعون اجر العالمين تعبثون تخلدون جبارين واطيعون تعلمون وبنين وعيون عظيم
الواعظين للاحتراز عن الابتداء خلق الاولين لذلك بمعذبين واهلكناهم لاية مومنين الرحيم المرسلين تتقون
امين واطيعون اجر العالمين امنين لتعلق الظرف وعيون هضيم فارهين مثلنا من الصدقين معلوم عظيم نادمين
العذاب لاية مومنين الرحيم المرسلين الا تتقون امين واطيعون اجر العالمين للعطف من ازواجكم عادون المخرجين
القالين يعملون اجمعين الغابرين الاخرين مطرا المنذرين لاية مومنين الرحيم **التفسير القصة الرابعة**
قصة هود ولنذكر من تفسيرها ما هو غير مكرر فالريع بالكسر وقرئ بالفتح المكان المرتفع ومنه ريع الغلة لارتفاعها
والاية العلم وفي هذا البناء وجوه فعن ابن عباس انهم كانوا يبنون بكل موضع مرتفع علما يعبثون فيه بمن يمر بالطريق الى هود
وقيل كانوا يبنون ذلك ليعرف به فخرهم وغناهم فنهوا عنه ونسبوا الى العبث وقيل كانوا يهتدون به الحمام قاله مجاهد
والمصانع ماخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون ومعنى لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا اوظلما وعلوا
فوصفوا بكونهم اذ ذاك جبارين وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن المراد انهم يبادرون العذاب
من غير تفكر في العواقب والحاصل ان اتخاذ الابنية الرفيعة يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء
والبطش الشديد يدل على حب التفرد بالعلو فكانهم احبوا العلو وبقاء العلو والتفرد وكل هذه من الصفات الالهية
لا العبدية ثم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها بقوله واتقوا الله الذي امدكم بما تعلمون ايقاظا لهم عن سنة الغفلة
مستشهدا بعلمهم ثم فصلها بقوله امدكم بانعام عليها يدور معايشكم وبنين بهم يتم امر حفظها والقيام بها جاه
يحصل بها التفكه والتنزه وعيون بمائها يكمل النماء ثم ختم الكلام بتخويفهم تنبيها على انه كما قدر ان يتفضل عليهم بهذه

النعم الجسام فهو قادر على العذاب العظيم فيكون فيه مزيد حث على التقوى وكمال تنفير عن العصيان ثم شرع
في حكاية جواب القوم فانهم قالوا ان وعظه بالنسبة اليهم سيان وانما لم يقل اوعظت ام لم تعظ مع كونه احصر لان
سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ او لم يكن من مباشريه ودونه راسا وهذا ابلغ في قلة اعتدادهم
بوعظه من لم احلق الاولين بفتح الخاء فمعناه ان هذا الا اختلاق الاولين واكاذيبهم وما خلقنا هذا الا خلق الاقدمين
نحيا ونموت ولا بعث ولا جزاء والقراءة الاخرى معناها ما نحن الا على دين الاولين من ابائنا وليس ما نحن عليه من الحيوة و
الموت والاعادة جارية لا حرق لها وما هذا الذي جئت به من تلفيق الاكاذيب الاعادة مستمرة من المتنبين ثم اكدوا
انكارهم المعاد بقوله وما نحن بمعذبين فاظهروا بذلك جلادتهم وقوة نفوسهم فاخبر الله تعالى عن اهلاكهم وقد سبق
كيفيته ذلك مرارا **القصة الخامسة قصة صالح ع** قال جار الله الهمزة في اتتركون يجوز ان يكون للانكار اي
لا تتركون مخلدين في الامن والراحة ولكل نعمة زوال وعن ان يكون للتقرير اي نعم قد تركتم في اسباب الامن والفراغ
اجمل ولا يقول فيما ههنا اي في الذين استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وذكر النخل بعد
ذكر الجنات اما لتخصيص الجنات بغير النخل واما تخصيص للنخل بالذكر تنبيها على فضله ومزيته وطلع النخل ما يبدو
منها كنصل السيف وقد مر في الانعام والهضيم اللطيف في الضامر من قولهم كشح هضيم اراد انه وهب لهم اجود النخل
واللطفة كالبرني مثلا وقيل وصف نخيلهم بالحمل الكثير فانه اكثر الحمل هضيم اي لطف وقيل الهضيم اللين النضيج كانه
قال ونخل قد ارطب ثمره والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة وفارهين حال من الناحتين قال علماء المعاني جعل
الامر مطاعا مجاز حكمي وانما المطاع بالحقيقة هو الامر وفي قوله لا يصلحون اشارة الى ان فسادهم في الارض غير مقترن
بالاصلاح راسا والمسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة اراد وانه بشر ذو سحر وهو ضعيف
لانه يلزم التكرار بقوله ما انت الا بشر مثلنا الا ان يقال انه بيان والشرب النصيب من الماء كالسقي للحظ من السقي و
قرئ بالضم عن قتادة واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء سؤال لم اخذهم
العذاب وقد ندموا والندم توبة جوابه كان ندامة ندم خوف من العقاب العاجل او ندموا ندامة توبة ولكن في
غير اوانها وذلك عند عيان العذاب وقيل ندموا على ترك عقر ولدها وفيه بعد واللام في العذاب اشارة
الى عذاب يوم عظيم **القصة السادسة قصة لوط ع** انكر على قومه اتيانهم الذكور من الناس لا الاناث
على كثرتهن او انكر عليهم كونهم مختصين من العالمين بهذه الفاحشة فقوله من العالمين يعود على الاول الى المأتي وعلى
الثاني الى الآتي والعالمون على هذا كل ما ينكح من الحيوان ولا شيء من الحيوان يرتكب هذه الفعلة الا الانسان قوله من
ازواجكم اما بيان لما خلق واما للتبعيض فيراد بما خلق العضو المباح منهن فلعلهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم
والعادي المتجاوز الحد في ظلم اي بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي وهذه واحدة منها او بل انتم قوم احقاء بان
ينسبوا الى العدوان حيث فعلتم هذه الجريمة العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن نهينا لتكونن من جملة من اخرجناه
من بلدنا ولعلهم كانوا يطردون من خالفهم اراد انه كامل في قلاهم عصبية للدين وانه معدود في زمرة مبغضيهم
كما يقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك هو عالم ثم طلب النجاة من عقوبة عملهم او سأل العصمة من مثل
عملهم ولقد عصمه الله الا عجوزا رضيت بفعلهم واعانت على ذلك وكانت من اهل الجحود وان لم تشاركهم
في الايمان ومعنى في الغابرين الا عجوزا مقدرا غبورها اي بقاؤها في الهلاك واللام في المنذرين للجنس
ليصلح الفاعليه مثل الذم والمخصوص محذوف اي ساء مطرا وتلك المعهودين والله اعلم بالصواب

كذب اصحاب الأيكة المرسلين ● اذ قال لهم شعيب الا
تتقون ● اني لكم رسول امين ● فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب

العالمين ● اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
وزنوا بالقسطاس المستقيم ● ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين ● واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
قالوا انما انت من المسحرين ● وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن
الكاذبين ● فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من
الصادقين ● قال ربي اعلم بما تعملون ● فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ● ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين ● وان ربك لهو العزيز الرحيم
وانه لتنزيل رب العالمين ● نزل به الروح الامين ● على قلبك
لتكون من المنذرين ● بلسان عربي مبين ● وانه لفي زبر
الاولين ● اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ● ولو
نزلناه على بعض الاعجمين ● فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ● لا يؤمنون به حتى يروا
العذاب الاليم ● فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ● فيقولوا هل
نحن منظرون ● افبعذابنا يستعجلون ● افرأيت ان متعناهم
سنين ● ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ● ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون ● وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ● ذكرى وما
كنا ظالمين ● وما تنزلت به الشياطين ● وما ينبغي لهم وما
يستطيعون ● انهم عن السمع لمعزولون ● فلا تدع مع الله الها

اخر فتكون من المعذبين ● وانذر عشيرتك الاقربين
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ● فان عصوك
فقل انى برئ مما تعملون ● وتوكل على العزيز الرحيم
الذى يراك حين تقوم ● وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع
العليم ● هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل
افاك اثيم ● يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء
يتبعهم الغاوون ● الم تر انهم فى كل واد يهيمون
وانهم يقولون ما لا يفعلون ● الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ● ٥

القراءة ليكه بلام مفتوحة بعدها ياء ساكنة وبفتح التاء على انها ممتنعة من الصرف للعلمية والتانيث
وكذلك فى صاد ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الاخرون الايكة معرفا مجرورا كسفا بفتح السين حفص على الجزاء الاخر
بكو نهار ربى اعلم بفتح الياء نافع وابو جعفر وابن كثير وابو عمرو نزل به مخففا الروح الامين مرفوعين ابو جعفر
وابن كثير وابو عمرو وحفص وابو زيد عن المفضل وزيد عن يعقوب الباقون نزل مشددا الروح الامين منصوبين
اولم تكن لهم بالتانيث ايه بالرفع ابن عامر الباقون بالياء التحتانية ايه بالنصب فتوكل بالفاء ابو جعفر ونافع وابن
عامر الباقون بالواو من نزل الشياطين بتشديد التاء وكذلك تنزل البزى وابن فليح يتبعهم بالتخفيف نافع واربى
بالياء فى الوقف والسهر بنى عن قبل وقرائنيه **الوقوف** المرسلين يتقون امين واطيعون اجرالعالمين
المخسرين المستقيم مفسدين الاولين المسحرين الكاذبين نصف اى القران الصاد قين تعملون الظلة عظيم
لا مومنين الرحيم العالمين الامين المنذرين مبين الاولين اسرائيل الاعجمين مومنين المجرمين بناء على ان لا يومنو
مستانف للبيان ولو جعل حالا لا فلا وقف الاليم لا تشعرون منظرون تستعجلون سنين للعطف بوعدون
لان قوله ما اغنى جملة نفى او استفهام قامت جواب الشرط يمتعون منذرون وقد يوقف عليها بناء على ان ذكرى
ليس بمفعول له والمراد ذكرناهم ذكرى والوقف على ذكرى جائز ظالمين يستطيعون لمعزولون المعذبين الاقربين للعطف
المومنين تعملون الرحيم تقوم الساجدين العليم الشياطين لانتهاء الاستفهام الى الاخبار اثيم بناء على ان يلقون حال
من ضمير الشياطين اى تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك وان جعل مستانفا كان قائلا قال لم تنزل فقيل يفعلون كيت
وكيت فلك الوقف كاذبون الغاوون يهيمون لا يفعلون ظلموا ينقلبون **التفسير القصة السابعة قصة
شعيب ع** وانه كان اخا مدين دون اصحاب الايكة ولهذا لم يقل اخوهم شعيب يروى ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب
شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهى التى حملها المقل قال فى الكشاف قرئ اصحاب ايكة بتخفيف الهمزة وبالجر على الاضافة
وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكه بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاده اليه خط المصحف فى هذه السورة وفى سورة
ص ثم اعترض عليه بان ليكة اسم لا يعرف قلت انه لا يلزم من عدم العلم بالشئ عدم ذلك الشئ والظن بالمتواتر يجب ان يكون

احسن من ذلك امرهم شعيب بايفاء الكيل ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف وان يجعل التخمين خاسا مكانه امر بالايفاء
مرتين توكيدا ثم زاد فى البيان بقوله وزنوا بالقسطاس المستقيم وقدم فى سورة سبحان قال فى الكشاف ان كان من القسط
وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى قلت ان كان مكررا فوزنه فعلال ايضا وقوله ولا تبخسوا
تاكيد اخر وقد سبق فى هود والجبلة الخليقة حذرهم الله الذى يفصل عليهم بخلقهم وخلق من تقدمهم ممن لولا خلقهم
لما كانوا مخلوقين قال فى الكشاف الفرق بين ادخال الواو وههنا فى قوله وما انت الا بشر وبين تركها فى قصة ثمود
هو انه قصد ههنا معنيان منافيان عندهم للرسالة كونه مسحرا وكونه بشرا وهناك جعل المعنى الثانى مقررا للاول قلت
الفرق بين والاشكال فى تخصيص كل من القضيتين بما خصت ولعل السبب فيه هو ان صالحا قلل فى الخطاب فقللوا
فى الجواب واكثر شعيب فى الخطاب ولهذا قيل له خطيب الانبياء واكثروا فى الجواب وان فى قولهم وان نظنك هى المخففة
من الثقيلة عملت فى ضمير شان مقدر اللام فى قولهم لمن الكاذبين هى الفارقة والكسف بالسكون والحركة جمع كسفة و
هى القلوب وقد مر فى سبحان اقتراحات قريش والمراد ان كنت صادقا فى دعوى النبوة فادع الله ان يسقط علينا قطع
السماء وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فارادوا بذلك اظهار كذبه فحلم عنهم شعيب ولم يدع عليهم بل فوض الامر
الى الله بقوله ربى اعلم بما تعملون يروى ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة
جبرائيل واهلكت الايكة بعذاب يوم الظلة وذلك انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل
ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى الصحراء فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا فاحترقوا وجبريل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بهذه القصص المؤكدة بالمكررات المختتمة بالمقررات عاد الى مخاطبته قائلا وانه اى وان الذى نزل عليك
من الاخبار لتنزيل رب العالمين اى منزله او التاء فى نزل به على القرائتين للتعدية ولكنها فى قراءة التشديد يقتضى مفعو
لا اخر هو الروح اى جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك محفوظا مفهوما ليكون من المنذرين من الذين انذروا
بهذا اللسان وهو خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم السلام ويجوز ان يكون قوله بلسان متعلقا بنزل
اى نزله بلسان عربى لتنذر به فانه لو نزله بالاعجمى لقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ومن هذا الوجه ينشا بفايدة اخرى لقوله
على قلبك اى انزلناه بحيث يفهم ويفهمه ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك والظاهر من نقل ائمة اللغة
ان القلب والفؤاد مترادفان ونقل الامام فخر الدين الرازى بعضهم القلب هو العقلة السوداء فى جوف الفؤاد وذكر كلاما
طويلا فى ان محل العقل هو القلب دون الدماغ وهو المخاطب فى الحقيقة فلهذا قال نزله على قلبك ونحن قد تركناه لقلة تعلقه
بالمقام ولضعف دلايله مع مخالفته لما عليه معظم ارباب المعقول قوله وانه لفى زبر الاولين يعنى ان ذكر القران
مثبت فى الكتب السماوية للامم المتقدمة وان معانى القران فى تلك الزبر وقد يحتج به لابى
حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلوة وقيل الضمير فيه فى ان ويعلمه للنبى صلى الله عليه وسلم وانه حجة
ثالثة على نبوته قد شهد بها علماء بنى اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره من الذين اسلموا منهم واعترفوا ان نعته
وصفته فى كتبهم مذكور وكان مشركوا قريش يذهبون الى اليهود ويتعرفون منهم هذا الخبر من قرا يكن بالتذكير
ايه بالنصب على الخبر والاسم ان يعلمه فظاهر ومن قرا تكن بالتانيث وايه بالرفع على الاسم والخبر ان يعلمه فقيل ليست
بقوية لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا ويمكن ان يجاب بان الفعل المضارع مع ان ليس من المعارف الصريحة وقد توجه
هذه القراءة بتقدير ضمير القصة فى تكن والجملة ايه ان يعلمه ولهم لغوا وهو ايه وان يعلمه بدل من ايه قال جار الله انما
كتب علمؤا بالواو على لغة من يميل الالف الى الواو ولذلك كتبت بالصلوة والزكوة بالواو ثم اكد بقوله ولو نزلناه بامر
من انه لو نزله بالاعجمى فقراه عليهم بعض الاعجمين لم يومنوا به لانهم لم يكونوا يفهمونه وقال جار الله معناه ولو نزلناه
على بعض الاعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحديا به فكمن
واب كما كفروا ولتحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك اى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها على
اى وجه دبر امرهم فلا سبيل الى تغيرهم عما هم عليه من الانكار والاصرار وقد سبق مثل هذه الاية فى اول الحجر والحاصل
انهم لا يزالون على التكذيب حتى يعاينوا الوعيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الياس احد الراحتين
قال فى الكشاف ليس الفاء فى قوله فياتيهم بغتة فيقولوا لاجل ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظر
وانما المعنى ترتبها فى الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقران حتى يكون رؤيتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم
مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ونظيره قولك ان اساءت مقتك الصالحون فمقتك الله لا يريد الى

فى الوجود ولكن فى الشدة قلب هذا معنى صحيح ولكن لا مانع من ارادة الترتيب والتعذيب فى الوجود بطريق التامل ان شا
الله العزيز ثم نكوهم بقوله افبعذابنا يستعجلون وفيه انكار وتهكم اى كيف يستعجل العذاب من لا طاقة له به حتى
استمهل بعد ان كان من العمر فى مهلة وجوز فى الكشاف ان يكون استعجلون حكاية حال ماضية يوبخون بها عند
استنظارهم او يكون متصلا بما بعده وذلك انهم اعتقدوا العذاب غير كائن فلذلك استعجلوه وظنوا انهم
يمتعون باعمار طوال فى سلامة وامن فانكر الله عليهم استعجالهم الصادر عن الاشر والبطر والاستهزاء والاتكال
على طول الامل ثم بالغ ان الامر كما ظنوه من التمتع والتعمير فاذا لحقهم الوعيد والاجل والقيمة فهل ينفعهم ذلك عن
ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاه فقال له عظنى فقرا عليه هذه الاية فقال له ميمون
لقد وعظت وبلغت ثم بين انه ما اهلك قرية الا بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة
وعبرة لغيرهم وعلى هذا يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا لانذر بمعنى التذكرة
فان انذر وذكر متقاربان او حالا من الضمير فى منذرون او مفعولا له متعلقا به اى ينذرونهم ذوى تذكرة او لاجل
الموعظة والتذكير او التقدير هذه ذكرى فالجملة اعتراض ويجوز ان يكون صفة لمنذرون على حذف المضاف اى
ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لبلوغهم فى التذكير اقصى غاياتها والبحث عن وجود الواو وعدمه فى مثل هذا التركيب
قد مر فى اول الحجر فى قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم الا انا نذكر ههنا سبب تخصيص تلك الاية
بالواو وهذه بعدم الواو فنقول لا ريب ان الواو تقتضى مزيد الربط والاجتماع فى الحال وفى الوصف ان يجوزنا فسوا
فذرنا الجملتين اعنى قوله ولها كتاب معلوم وقوله لها منذرون حالا او وصفا لكن المقام يقتضى ورود النسق
على ما ورد ذلك ان قوله ولها كتاب صفة لازمة للقرية فان الكتب فى اللوح وصف ازلى فناسب ان يكون
فى اللفظ ما يدل على اللزوم واللصوق وهو الواو ثم زيد فى التاكيد بقوله معلوم وبقوله ما تسبق وهذا بخلاف
قوله لها منذرون فانها صفة حادثة فاطلقت وجوه صدر الجملة عن الواو ولذلك والله اعلم ثم انه لما احتج على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم بكون القران معجزا منزلا من رب العالمين مشتملا على معانى كتب الاولين وكان
الكفار يقولون انه من القا الجن كحال الكهنة اراد ان يزيل شبهتهم بقوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم التنزل
بالوحى وما يستطيعون ثم بين عدم اقتدارهم بقوله انهم عن السمع اى عن سماع كلام اهل السماء لمعزولون وذلك
بواسطة رجم الشهب كما اخبر عنه الصادق والمعجزات يتساند بعضها ببعض ولو فرض انهم غير مرجومين بالشهب فالعقل
يدل على ان الاهتمام بشان الصديق اقوى منه بشان العدو وكان محمد صلى الله عليه وسلم يلعن الشياطين ويامر
الناس بلعنهم فلو كان الغيب بالقاء الشياطين لكان الكفار اولى بان يحصل لهم ذلك وحين اثبت حقية القران
امر نبيه بجوامع مكارم الاخلاق ومحاسن العبادات والعادات قائلا فلا تدع والمراد امته كما مر فى نظائره من قوله
وان اتبعت اهواءهم وغير ذلك وانذر عشيرتك الاقربين فيه ان الاهتمام بشان من هو اقرب الى المرء اولى وفيه
انه يجب ان لا ياخذه فى باب التبليغ ما ياخذ القريب للقريب من المساهلة ولين الجانب يروى انه صلى الله عليه و
سلم لما نزلت الاية صعد الصفا فنادى الاقرب فخذا فخذا وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس
عم النبى يا صفية عمة رسول الله انى لا املك لكم من الله شيئا سلونى من المال ما شئتم وروى انه جمع بنى عبد المطلب
وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى شبعوا
ثم انذرهم ثم قال يا بنى عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين
يدى عذاب شديد قوله واخفض جناحك قد مر تفسيره فى اخر الحجر وفى سبحان وزاد ههنا لمن اتبعك كيلا يتوهم
الوهم الى ان خفض الجناح وهو التواضع ولين الجانب مخصوص بالمؤمنين من عشيرته وانما لم يقتصر على قوله لمن اتبعك
لان كثيرا منهم كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين وقال فى الكشاف سيا الجمع بين اللفظين هو انه سماهم قبل الدخول
الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك او اراد بالمؤمنين المصدقين بالالسنة فزاد قوله لمن اتبعك ليخرج من
صدق باللسان دون الجنان وصدق بهما ولم يتبعه فى العمل وحين امره بالتواضع لاهل الاخلاص فى الايمان
امره بالتبرية من ارباب العصيان فاستدل الجبائى به على ان الله تعالى ايضا برىء من عملهم فكيف يكون فاعلا له
واجيب بانه ان اراد براءة الله انه ما امر بها فمسلم وان اراد به لا يريدها فممنوع لاستناد جميع الحوادث الى ارادته
ضرورة قوله وتوكل معطوف على قوله فلا تدع او على قوله فقل امرهم بتفويض الامر فى دفع اعاديه الى العزيز فيقهرهم

نادى اولياءه الرحيم الذى لا يخذل من ينصر دينه قال بعض العلماء المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن
نفسه بما فيه معصية الله عز وجل ولو دفع فى محنة واستعان فى دفعها ببعض المخلوقين لم يخرج من حد المتوكلين
ثم عدد موجبات الرحمة وهى رويته وقيامه وتقلبه فى الساجدين اى فى المصلين وللمفسرين فيه وجوه منها
ما روى انه حين نسخ فرض التهجد طاف تلك الليلة بيوت اصحابه حرصا عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات
فوجدها كبيوت الزنابير ذكرا وتلاوة فالمراد بتقلبه فى الساجدين تصفح احوال المتهجدين من الصحابة ليطلع عليهم
كيف يعملون لاخرتهم ومنها ان المراد تصرفه فيما بين المصلين به بالقيام والركوع والسجود والقعود وروى عن
مقاتل انه استدل به على وجوب فضل صلوة الجماعة فى القران ومنها انه اشارة الى ما جاء فى الحديث اتموا الركوع والسجود
فوالله انى لاراكم من خلف ظهرى فالتقلب بصره فيمن يصلى خلفه وقيل اسمى ارانه لا يخفى علينا حالك كلما قمت و
تقلبت مع الساجدين فى كفاية امور الدين وقد احتج بالاية علماء الشيعة فى مذهبهم ان اباء النبى لا يكون كافرا قالوا
اراد به تقلب روحه من ساجد الى ساجد كما فى الحديث المعتمد عليه عندهم لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الى
ارحام المطهرات وناقشهم اهل السنة فى التاويل المذكور وفى صحة الحديث والاصوب عندى ولا يشتغل
بمنع امثال هذه الدعوى ويسرح الى بقعة الامكان على انه لا يلزم من عدم الدليل على عدم المدلول ثم اكد قوله وما
تنزلت به الشياطين بقوله هل انبئكم على من تنزل قال فى الكشاف تقديره اعلى من تنزل ليكون الاستفهام فى صدر
الكلام كقولك اعلى زيد مررت قلت هذا تكلف بارد لان الاستفهام فى ضمنى لا تصريح به قط والافاك كثير الافك و
الاثم مبالغة اثم وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح ومسيلمة وامثالهما والضمير فى يلقون عائد الى الشياطين كانوا قبل الرجم بالشهب
يختطفون بعض الغيوب من الملأ الاعلى بالقاء السمع اى بالاصغاء ثم يوحون به الى اوليائهم واكثرهم كاذبون لانهم يخلطون الحق
المسموع بكلامهم الباطل كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه ويزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب
وقيل السمع بمعنى المسموع اى يلقى الشياطين الى اوليائهم ما يسمعونه من الملائكة ويحتمل ان يكون الضمير فى يلقون للافاك والسمع
الاذن او المسموع اى يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وانما لم يقل و
كلهم كاذبون لان الكذوب قد يصدق فيصدق عليه انه صادق فى الجملة لان هذه عبارة الفصحاء لا يحكمون حكما كليا ما لم
يدع اليه ضرورة والحاصل انهم كانوا يقيسون حال النبى صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فقيل لهم ان الاغلب على الكهنة
الكذب ولم يظهر من احوال محمد الا الصدق فكيف يكون كاحدهم ثم مما يعرف منه ان النبى صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر
كما انه ليس بكاهن فقال والشعراء يتبعهم الغاوون قيل الشياطين والاظهر انهم الذين يروون اشعارهم وكان شعراء
قريش مثل عبد الله الزبعرى وامية بن ابى الصلت يهجون النبى صلى الله عليه وسلم ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون
اهاجيهم فنزلت الم تر انهم فى كل واد يهيمون وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول يمدحون الشيء
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
عليك الحد [illegible] الا الذين امنوا [illegible]
الذكر والفكر [illegible] بالمواعظ والنصائح ومدح الحق [illegible]
بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك
الحاصل ان النظر فى الشعر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ثم ختم السورة باية جامعة للوعيد [illegible] وسيعلم الذين ظلموا [illegible]
[illegible]
اى منقلب ينقلبون صفة مصدر محذوف [illegible]

الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وعن ابن عباس انه قرأ بالفاء والتاء والمراد سيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب وهو النجاة والتأويل ولو نزلنا على بعض الاعجمين فيه اظهار القدرة من وجهين الاول جعل الاعجمي بحيث يقرا العربي عليهم كقول القائل سيشكرنا واصبحت عربيا والثاني ان اهل الانكار لا يصبرون ان اهل الاقرار ولو تاهم مثل هذا الاعجاز البين وذلك لان الله كذلك سلكه في قلوبهم فاتيهم عذاب البعد والطرد في الدنيا بغتة وهم لا يشعرون لانهم نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيقولون هل نحن منظرون وما ينبغي لهم وما يستطيعون لانهم خلقوا من النار والقران نور قديم فلا يكون للنار المخلوق قدرة حمل النور القديم ولهذا يستغيث النار من نور المومن ويقول جز يا مومن فقد اطفأ نورك لهبي فيكون من المعذبين لان كل من طلب مع الله شيا اخرجني الجنة فله عذاب البعد والحرمان من الله وانذر عشيرتك فيه ان تنبه بنسب النفوس فان اكل المرء يشبعه ولا يشبع ولده الا اذا اكل الطعام كما اكل والده وهذا معنى المتابعة اي بريء مما تعملون لم يقل اني بريء منكم لان المراد لا تبرأ منهم وقل لهم قولا جميلا بالنصح والموعظة الحسنة حتى يرجعوا بتكرر دعوتك الى مقول الحق وينالوا الجنة بواسطة شفاعتك وتقلبك في الساجدين يا بن خلقها دوح كل ساجد من دوحك انتهى التمييز في الازل مقالتك انا سيد ولد ادم ولا فخر لان ادم ومن خلفته من دونك ابيتم باختيار لهذه الكلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك ايات القران وكتاب مبين ● هدى وبشرى للمؤمنين ● الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون ● ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون ● اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون ● وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم ● اذ قال موسى لاهله اني انست نارا ساتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ● فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ● يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم ● والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون

الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ● وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ● فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ● وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ●

القراءة اني انست بفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو بشهاب منونا على ان قبسا وهو بمعنى مقبوس بدلا وصفة عاصم وحمزة وعلي وخلف ورويس الباقون بالاضافة من في النار بامالة علي غيرليث وابي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية سعدان والبخاري عن ورش وابو عمرو وغير ابرهيم بن حماد كذلك في القصص الوقوف اول بيع الجزء طس كوفي مبين بناء على ان هدى حال والعامل معنى الاشارة وفي تلك او هو مرفوع بدل من الايات وخبر بعد خبر وان كان التقدير هي هدى فلك الوقف للمؤمنين لان الذين صفتهم يوقنون يعمهون تخصيصا على ان اولئك مبتدأ مستانف والاخسرون عليم نارا تصطلون حولها العالمين الحكيم لعطف الجملتين الداخلتين تحت النداء وعصاك للعدول عن بيان حال الخطاب الى ذكر حال المخاطب مع حذف اي فالقاها فخيف ولم يعقب لابتداء النداء المرسلون لان الا ان كان بمعنى لكن فالاستثناء ذلك يوجب الوصل ايضا رحيم وقومه فاسقين مبين للاية والعطف وعلوا لاختلاف الجملتين وتعظيم الامر بالاعتبار بعد حذف اي فاعرف تمام المفسدين التفسير تلك الايات التي تضمنت هذه السورة ايات القران الذي علم انه منزل مبارك مصدق لما بين يديه وكتاب مبين اي كتاب فان اريد به اللوح فابانته انه اثبت فيه كل كائن وان اريد به السورة او القران والغرض تفخيم شانهما من قبل التنكير فابانتهما ان اعجازهما ظاهر مكشوف وفيهما من العلوم والحكم بالاجمال ولان الواو لا يفيد الترتيب فلا حكمة ظاهرة في عكس الترتيب بين ما هنا وما بين ما في الحجر معنى كون الايات هدى وبشرى انها تزيد في ايمانهم ويبشرهم في الثواب قال جار الله يحتمل ان يكون قوله هم يوقنون من تتمة الموصول الا ان الاوجه ان يكون جملة مستقلة ابتدائية شبيهة بالمعترضة بدليل تكرير المبتدأ الذي هو هم فكانه قيل وما يؤمن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة هو الذي يسهل عليه متاعب التكاليف واقول ايه وصفهم بالايمان ليكون اشارة الى معرفتهم المبدا ثم وصفهم باقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهما الطاعة بالنفس والمال وهذا اشارة الى الوسط ثم وصفهم بمعرفة المعاد فلا احسن من هذا النسق وفيه ان المهتدي بالقران حقيقة هو الذي يكون موقنا باحوال المعاد لا شاكا فيها اتيا بالطاعات للاحتياط فانه ان كنت مصيبا فيها فقد نلت السعادة وان كنت مخطيا فلا يفوتني الا لذائذ زائلة ثم اورد وعيد المنكرين للمعاد واسناد تزيين الاعمال الى الله ظاهر على قول الاشاعرة واما المعتزلة فاولوه بوجوه منها انه استعارة وما يه لما منعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا ذلك التمتع ذريعة وهو الذي يصححه بعض الملابسات ولا ريب ان امهال الشياطين وتخليته حتى زين لهم اعمالهم كما قال وزين لهم الشيطان اعمالهم ملابسة ظاهرة للتزيين ومنها انه اراد زينا لهم امر الدين وما يلزم ان يتمسكوا به وذلك بان بينا لهم حسنه وما لهم فيه من الثواب فهم يعمهون يعدلون ويتحيرون عما زيناه لهم قاله الحسن لهم سوء العذاب اي القتل والاسر يوم بدر ثم مهد مقدمة لما يسوق في السورة من الاخبار العجيبة فقال وانك لتلقى القران ليوتاه ويلقنه من عند اي حكيم واي عليم واد قال منصوب بعليم او باذكر كانه قيل خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى العجيبة الشان والجمع خبر الطريق لانه كان قد ضله وفي قوله ساتيكم مع قوله في طه والقصص لعلي اتيكم دليل على انه قوي الرجاء الا انه كان يجوز التخلف وعدا هله فانه باتيهم باحد الامرين وان ابطا العدا السافر اوعنهم فالوا في اودليل على انه جزم بوجدان احد الامرين مستظهرا بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده والاصطلاء بالنار الاستدفاء بها والاجتماع عليها وانما حضت هذه السورة بقوله

فلما جاءها وقد قال في طه والقصص فلما اتيها نودى لانه كور لفظ اتيكم ههنا بخلاف السورتين فاحترز من تكرار
ما يقال ربه في الاستنقاق في مره اخرى وان مفسره لان الندا فيه معنى القول لا مخففه من الثقيله بدليل فقدان قد في
فعلها قال جار الله معنى بورك من في النار ومن حولها بورك في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التى
حصلت النار فيها كما قال في القصص نودى من شاطى الوادى الايمن في البقعة المباركة وسبب البركة حدوث امر
دينى فيها وهو تكليم الله اياه واظهار المعجزات عليه وقيل معنى بورك من في النار وهو الله سبحانه مروى عن ابن
عباس وعن قتاده والزجاج ان من في النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وقال الجبائى ناداه بكلام سمعه من الشجره
في البقعة المباركة وهى الشام فكانت الشجره محلا للكلام والمتكلم هو الله بان خلقه فيها ثم ان الشجره كانت في النار
ومن حولها الملائكة وقيل من في النار هو موسى لقربه منها ومن حولها الملائكة وفي الابتداء بهذا الخطاب عند مجى
موسى بشاره له بانه قد قضى امر عظيم ينتشر منه البركة في ارض الشام وفي قوله وسبحان الله رب العالمين تنزيه
عما لا يليق بذاته من الاحدوث والحلول ونحوهما مما هو من خواص المحدثات وتنبيه على ان الكاين من جلايل الامور
التى لا يقدر عليها الا رب العالمين والهاء في انه اما للشان واما راجع الى ما دل عليه سياق الكلام اى ان المتكلم انا او
على هذا فالله مع صفته بيان لانا وفيه تلويح الى ما اراد اظهاره عليه يريد انا القادر القوى على اظهار الخوارق
الحكيم الذى لا يفعل جزافا ولا عبثا وقوله والق عصاك معطوف على بورك وكلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك
والق ومعنى لم يعقب يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما اقتصر ههنا على قوله لا تخف ولم يضف اليه اقبل كما في القصص
لانه اراد ان يبنى عليه قوله انى لا يخاف لدى المرسلون وسبب نفى الخوف عن الرسل مشاهده مزيد فضل الله وعنايته في
حقه ثم استثنى من ظلم منهم بترك ما هو اولى به وقد مر بحث عصمة الانبياء في اول البقرة وفي الايه لطايف واشارات
منها انه اشار بقوله انى لا يخاف لدى المرسلون الى ان موسى قد جعل رسولا ومنها انه اشار بقوله الا من ظلم الى ما وجد
من موسى في حق القبطى وبقوله ثم بدل حسنا بعد سوء اى توبه بعد ذنب الى قول موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى
وقد الاعتراف التنبيه ومنها انه اشاره بقوله ثم بدل معطوفا على ظلم الى ان النبى المرسل بدل البته ولم يصر على فعله ولا
كان هذا العطف معطوفا على الكلام ضايعا فانه اذا ظلم ولم يبدل كان خائفا ايضا ومنها انه اشار بقوله فانى غفور
رحيم الى ان الحق المستثنى الا انه منقطعه ايضا بسبب غفرانه ورحمته فنفى الخوف ثابت على كل حال فهذا الاستثناء
قريب من تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله هو البدر الا انه البحر زاخرا وكقوله شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتايب وهذه اللطايف مما سمح بها الخاطر وان الكتاب ارجو ان يكون صوابا ان شاء الله العزيز قوله
وادخل يدك وفي القصص اسلك يدك موافقه لا ضمم ولان المبالغة في ادخل اكثر منها في اسلك لان سلك لازم
ومتعد وهناك قال فذانك برهانان وههنا قال في تسع ايات وكان ابلغ في العدد فناسب الابلغ في اللفظ قال النحويون
متعلق الجار محذوف مستانفا اى اذهب في تسع ايات او المراد وادخل يدك في تسع اى في جملتهن وعدادهن اذهب الى
فرعون وتفسير التسع قد مر في اخر سبحان وانما قال ههنا الى فرعون دون ان يقول وملائه كما في القصص لان الملا
اشرف القوم وقد وصفهم ههنا بقوله فلما جاءتهم الى قوله ظلما وعلوا فلم يناسب ان يطلق عليهم لفظ ينبئ عن المدح د
معنى مبصره ظاهره بينه كانها تبصر فتهدى ويجوز ان يكون الابصار مجازا اما باعتبار ابصار صاحبها وهو كل ذى عقل
او فرعون وقومه والواو في واستيقنتها للحال وقد مضمره وفي زيادة انفسهم اشاره الى انهم اظهروا خلاف ما ابطنوا و
الاستيقان ابلغ من الايقان والمبصره طباق المبين وقوله ظلما وعلوا اى كبرا وترفعا مفعول لاجلهما وقرى مبصره بفتح
الميم نحو مجبنه قرا بها على بن الحسين وقتاده والله اعلم التاويل لطالب الطالبين والسين سلامه قلوبهم من تعلقات غير
الله تلك دلالات القران وشواهد انواره وكتاب مبين فيه بيان كيفيه قال هدى وبشرى للمؤمنين بالوصول الى الله
الذين يستقيمون في المعارج بحقايق الصلوات ويؤتون زكوه لنوالهم واحوالهم بالافاضة على المستحقين زينا لهم اعمالهم
الدنيويه النفسانيه فهم يعمهون لعمى قلوبهم عن رؤيه الاخرة ونعيمها ولا يكون في عالم الاخرة اعمى الا كان اصم وابكم ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم حبك الشى يعمى فحب الدنيا عميت عين القلب وصمت اذنه وصار ابكم عن العلم اللدنى والنطق
به وهو سوء العذاب وهو الموجب لخسران الدارين مع خسران المولى وانما يكون خسران الدارين ممدوحا اذا ربح المولى
وجد ابو يزيد في البادية قحفا مكتوب عليه خسر الدنيا والاخرة فبكى وقبله وقال هذا راس صوفى وحين اخبر عن مقامات
المؤمنين ودركات الكافرين اخبر عن مقام النبى صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لتلقى القران لا من عند غير انسل من لدن

حكيم تجلى لقلبك بحكمه القران عليم يعلم حيث يجعل رسالاته ثم ضرب مثالا لذلك وهو ان موسى القلب لما كشف له انوار
شواهد الحق في ليله الهوى وظلمه الطبيعه قال لاهله وهم النفس وصفاتها انى انست نارا بوادى الخ انى لعلكم تصطلون
تلك النار من جمود الطبيعه فلما جاءها على قدمى الشوق وصدق الطلب نودى من الشجره الروحانيه ان بورك من في نار المحبة
نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ومن حولها كالفراش يريدان يقع فيها والق من يدهمتك كل ما يعتمد عليه سوى فضل الله
فانه جار في الحقيقه ولى مدبرا هاربا الى الله ولم يعقب لم يرجع الى غيره فلذلك نودى بلا تخف فان القلوب
الملهمه المرسله اليها الهدايا والتحف والالطاف لا تخاف سوى الله الا من ظلم نفسه بالرجوع الى غيره وادخل يد
همتك في جيب قناعتك تخرج بيضاء نقيه من لوث الدارين في تسع ايات من اسباب هلاك النفس و
صفاتها فانظر كيف كان عاقبه الذين افسدوا الاستعداد الفطرى والله اعلم بالصواب ٥

ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين ● وورث سليمن داود
قال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ
ان هذا لهو الفضل المبين ● وحشر لسليمن جنوده من
الجن والانس والطير فهم يوزعون ● حتى اذا اتوا على واد
النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون ● فتبسم ضاحكا
من قولها وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت
على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضىه وادخلنى برحمتك
في عبادك الصالحين ● وتفقد الطير فقال مالى لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا
او لاذبحنه او لياتينى بسلطان مبين ● فمكث غير بعيد
فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين ●
انى وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شئ ولها
عرش عظيم ● وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون

الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل
فهم لايهتدون ● الايسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى
السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون ● الله
لا اله الا هو رب العرش العظيم ● قال سننظر اصدقت
ام كنت من الكاذبين ● اذهب بكتابى هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ● قالت يا ايها
الملؤا انى القى الى كتاب كريم ● انه من سليمن وانه بسم الله
الرحمن الرحيم ● الا تعلوا على واتونى مسلمين ● قالت
يا ايها الملؤا افتونى فى امرى ما كنت قاطعة امرا حتى
تشهدون ● قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد و
الامر اليك فانظرى ماذا تامرين ● قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة
وكذلك يفعلون ● وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمن قال اتمدونن بمال فما
اتانى الله خير مما اتيكم بل انتم بهديتكم تفرحون ●
ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم
منها اذلة وهم صاغرون ● قال يا ايها الملؤا ايكم ياتينى
بعرشها قبل ان ياتونى مسلمين ● قال عفريت من الجن انا
اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين

قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى
ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن
كفر فان ربى غنى كريم ● قال نكروا لها عرشها ننظر
اتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون ● فلما جاءت قيل
اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا
مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت
من قوم كافرين ● قيل لها ادخلى الصرح فلما راته حسبته لجة
وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب
انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمن لله رب العالمين ●

القراءة واد النمل بمالة غياس وقتيبه وقرا يعقوب وعلى والسرنديبى عن قنبل ما بالياء فى الوقف لا يحطمنكم
بالنون الخفيفة عباس ودويس او دعنى بفتح اليا ابن كثير وكذلك فى الاحقاف مالى لا ابفتح يا المتكلم ابن كثير
وعلى وعاصم ليا تينى بنون الوقاية بعد الثقيله ابن كثير فمكث بفتح الكاف عاصم وسهل ويعقوب غير رويس الاخرى
بعينها من سبا بفتح الهمزة لامتناع الصرف والبزى وابو عمرو وقنبل عن بهمزة ساكنة وفى رواية اخرى عنه وعن ابن
فليح وزمعة بغير همز الباقون بهمزة منونة مكسورة وكذلك فى سورة سبا الا يسجدوا مخففا يزيد وعلى ورويس
الاخرون بالتشديد وقال ابن مجاهد اذا وقفوا على الا يا والابتدا اسجدوا يخفون ويعلنون بياء الخطاب فيهما على وحفص
الباقون على الغيبة فالقه بسكون الهاء حمزة وعاصم غير المفضل وابو عمرو غير عباس وقرا باختلاس حركة الهاء يزيد وقالون
ويعقوب غير زيد وابو عمرو ومن طريق الهاشمى عن اليزيدى الباقون بالاشباع انى القى بفتح يا المتكلم ابو جعفر ونافع اتمدونن
بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل واتى ابو جعفر ونافع وابو عمرو وفى الوصل اتمدونى بتشديد النون وبالياء فى الحالين
حمزة ويعقوب الاخرون باظهار النونين وحذف الياء اتانى الله بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن فليح وحفص
فمن فتح الياء فالوقف بالياء لا غير ومن حذف الياء فانه يقف بغير يا الا سهلا ويعقوب فانهما يقفان بالياء وقرا
على اتانى الله بالامالة انا اتيك بالامالة وكذلك ما بعده حمزة وفى رواية خلف وابن سعدان والعجلى وابى عمرو وخلف
لنفسه فلما راه بكسر الراء ليصير ليبلونى بفتح الياء ابو جعفر ونافع ساقيها وما به بالهمز ابن مجاهد وابو عون عن قنبل والا
تركها قال فى الكشاف من همز فوجهه انه سمع سوقا فاجرى عليه الواحد الوقوف علما لتعدد العدول عن بيان اسان الفضل
ابتدا الى ذكر قول المنعم عليهما اشكرا وفا المومنين شى المبين يوزعون النمل لان ما بعده جواب انا مساكنكم لانقطاع النظم
لنهى الغايب مع اتحاد القايل وجوده لان ما بعده الواو للحال لا يشعرون الصالحين الهدهد على معنى بل كان من الغايبين على
التهديد والاصح ان ام متصل بمعنى الاستفهام فى مالى اى انا لا اراه وهو غايب الغايبين مبين يقين عظيم لا يهتدون
ومن خفف الا وقف مطلقا يعلنون العظيم سجدة الكاذبين يرجعون كريم الرحيم ليعلق ان مسلمين امرى لانقطاع النظم
مع اتحاد القايل تشهدون ذله لان قوله وكذلك يحتمل ان يكون من تتمة قولها او هو تصديق من الله لما قالت يفعلون

المرسلون بما لا انتها الاستفهام مع فاء التعقيب وبيان الاستغناء على التعجيل اتاكم لاختلاف الجملتين على
ان بل برجح جانب الوقف تفرحون صاغرون مسلمين مقامك لابتداء بان مع اتحاد القايل امين طرفك للعدول
مع حق المحذوف اى فدعا حصره الله ام اكفر لنفسه كريم لا يهتدون عرشك هو لاحتمال ان يكون ما بعده من كلامها
اومن كلام سليمان مسلمين من دون الله كافرين الصرح ساقيها قوارير العالمين **التفسير** لما فرغ من قصة موسى
سرع في قصة داود وابنه سليمان والتنوين في علما اما للنوع اى طايفة من العلم او للتعظيم اى علما غزيرا قال علماء
المعاني الواو في وقالا للعطف على محذوف لان هذا مقام الفاء كقولك اعطيته فشكر فالتقدير لقد اتيناهما علما فعملا
به وعلماه وعرفا حق النعم والفضيلة فيه وقالا الحمد لله وبيانه ان الشكر باللسان وانما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب
وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية وعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فكانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به
قلبا وقالبا وقالا باللسان الحمد لله قلت لقايل ان يقول الاصل عدم الاضمار وقوله هذا مقام الفاء ممنوع وانما يكون
كذلك اذا اريد التعقيب والتسبيب فاما ان كان المراد مجرد الاخبار عما فعل بهما وعما فعلا فالواو وكذلك اعطيته و
شكر وقوله على كثير من عباده فيجوز ان يكون ذلك على سبيل التواضع وان كانا مفضلين على جميع اهل زمانهما ويجوز ان
يكون واردا على الحقيقة بالنسبة الى الجن بانهما وبالنسبة الى ساير الازمنة وهذا اظهر وانما وصف العباد بالمؤمنين
لئلا يظن ان سبب الفضيلة هو مجرد الايمان ولكن ما يزيد عليه من الاستغراق في بحر العبودية والعرفان وفي الاية
دليل على شرف العلم وان العالم يجب ان يتلقى علمه بشكر الله تعالى قلبا وقالبا ولما التوفيق الا منه قوله وورث سليمان
داود عن الحسن انه المال لان النبوة عطية مبتداه وزيف بان المال ايضا عطيه مبتداه ولذلك يرث الولد اذا كان
كافرا وقاتلا وما المانع من ان يوصف بانه ورث النبوة لما قام بها عند موته كما يرث الولد المال ان قام به عند موته
والظاهر انه اراد وراثة النبوة والملك معا دليله قوله تشهيرا لنعمة الله ودعاء للناس الى التصديق بالمعجز يا ايها الناس
علمنا منطق الطير والمنطق تمثيل كلما صوت به من المفرد والمولف مفيدا وغير مفيد ومنه قولهم نطقت الحمامة
قال المفسرون انه تعالى جعل الطير في ايامه مما له عقل وليس كذلك حال الطيور في ايامنا وان كان فيها ما الهمه الله
تعالى الدقايق التي خصت بالحاجة اليها يحكى انه مر على بلبل في شجرة فقال لاصحابه انه يقول اكلت نصف تمرة وعلى
الدنيا والعفا الى التراب وصاحت فاختة فاخبر انها يقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال كما تدين
تدان واخبر ان الهدهد يقول استغفروا الله يا مذنبون والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والرخمة يقول
سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه والقمري يقول سبحان ربي الاعلى والقطاة يقول من سكت سلم والببغاء
يقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت والعقاب
يقول في البعد من الناس ومعنى من كل شيء وقال في الكشاف اراد كثرة ما اوتي كما يقول فلان يقصده كل احد يريد
كثرة قاصديه وانما قال علمنا واوتينا لانه اراد نفسه واباه ويجوز ان يريد نفسه فقط على طريق التكبر بل على عادة الملوك
يعظمون انفسهم لمصلحة التهيب وقوله ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والتحدث بالنعم كما
قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اى اقول هذا شكرا لا فخرا يروى ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة
خمسة وعشرون للجن وخمسة للانس وللطير وخمسة للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو
من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب
والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس من الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع
ريح الصبا البساط فيسير به مسيرة شهر وكان يقول مع ذلك لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي ال داود و
يوزعون يحبسون قيل كانوا يمنعون من يتقدم من عسكره ليكون مسيره مع جنوده على ترتيب ومنه يعلم انه كان
في كل قبيل منها وازع يكون له تسلط على الباقين يكفهم ويبصرهم ومعنى اتوا على وادي النمل قطعوه وبلغوا اخره من قولهم
اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي ويجوز ان يقصد اتيانهم من فوق لان الريح
كانت تحملهم في الهواء فلذلك عدي بعلى عن قتادة انه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو
حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت
انثى بقوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكرا لوجب ترك التاء لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فلا بد من

التمييز بالعلامة وحين عبر عن تفاهم النمل بلفظ القول وجعل خطابهم خطاب اولي العقل حكى انها قالت يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم اما جواب للامر واما نهي بدل من الامر اى لا تكونوا بحيث يحطمنكم اى يكسركم سليمان وجنوده على
طريقة لا ارينك ههنا وفي قوله سليمان وجنوده ان يقول لجنوده سليمان مبالغة اخرى كما يقال اعجبني زيد وكرمه وفي
الاية دلالة على ان من يسير في الطريق لا يلزمه التحرز وانما يلزم من في الطريق التحرز وفي قوله وهم لا يشعرون تنبيه على وجوب
الجزم بعصمة الانبياء كانها عرفت ان النبي لعصمته لا يتعمد قتل هذه الحيوانات الا على سبيل السهو عن بعضهم انها خافت على
قومها ان يقعوا في كفران نعمة الله تعالى اذا راوا جلالة سليمان وهذا معنى الحطم فلذلك امرتهم بدخول المساكن وفيه تنبيه على ان
مجالسة ارباب الدنيا محذورة قيل سمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال فتبسم ضاحكا اى شارعا في الضحك واخذا فيه ولكن
لم يبلغ حد القهقهة وكمال الضحك وما روي انه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فعلى وجه المبالغة في الضحك و
اخذ النبوي وانما اضحكه من قولها اشفاقها على قومها وسروره بما اتاه الله من ادراك الهمس واشتهاره بالجود والتقوى ولذلك
مال الى الدعاء فقال رب اوزعني قال الزجاج الله حقيقته اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واربطه لا ينفلت عني فلا ازال شاكرا
لك وانما ادرج ذكر الوالدين لان النعمة على الولد نعمة عليهما وبالعكس ثم طلب ان تضيف لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية
فقال وان اعمل صالحا ترضاه ثم دعا ان يجعله في الاخرة من زمرة الصالحين لان ذلك غاية كل مقصود يروى ان نملة احست بصوت
الجنود ولم تعلم انهم في الهواء فامر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة **القصة الثالثة**
قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمان وذلك بدلالة الهدهد يروى ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج مع حشره
فاتى الحرم ومكث به اياما يقرب كل يوم خمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن
فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا عجيبة تعجبها الا انهم لم يجدوا الماء فطلب
الهدهد لانه يرى الماء من تحت الارض وعن وهب انه اخل بالنوبة التي كانت نوبتها فلذلك تفقده وقيل انه وقعت نفحة
من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال
لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فاقسم عليها بالله لتتركه فتركته وقال ان نبي الله
قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او لياتيني بسلطان مبين اى بعذر واضح فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه و
جناحه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا اخذ سليمان براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل
فارتعد سليمان وعفا عنه ثم ساله عما لقي في غيبته وفي تفقد الهدهد اشارة الى ان الملوك يجب عليهم التيقظ و
عدم الغفلة عن اصغر رعيتهم وارجع الى التفسير قوله مالي لا ارى استبعاد منه انه لا يراه وهو حاضر في الجند كانه سايل
سيره ثم لاح له انه غايب فقال ام كان من الغائبين وقد مر في الوقوف قوله ولا عذبنه لا شك ان تعذيبه انما يمكن
بما يحتمله حاله فقيل اراد ينتف ريشه وبتشمسه وكان عذابه للطير وقيل كان يطلي بالقطران ويشمس وقيل هو ان يلقيه للنمل تاكله
وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل اراد لالزمنه صحبة الاضداد كما قيل اضيق السجون مجالسة
الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه ولعل تعذيب الهدهد وذبحه في شرع جاير لمصلحة السياسة كما اباح لنا ذبح
كل ما كول لحمه لمصلحة التغذي وحاصل القسم يرجع الى قوله ليكون احد هذه الامور الثلثة التعذيب والذبح والاتيان بعذر
وجيه وحجة ويحتمل ان يكون قد عرف اتيانه ما لعذر بطريق الوحي فلذلك ادرجه في سلك ما هو قادر على فعله فاقسم عليه
ثم اخبر الله سبحانه انه اتى بسلطان مبين وذلك قوله فمكث غير بعيد اى غير زمان بعيد فقال مخاطبا لسليمان احطت بما لم
تحط به قالوا فيه ابطال قول من زعم ان امام الزمان لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وفيه دليل على شرف العلم
فان صاحبه له ان يكلم به من هو اعلى حالا منه والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه من جميع جهاته وقوله من سبا بنبا من جملة
صنايع البديع على ان النبا خبر له شان فذكره في هذا الموضع دون ان يقول من سبا بخبر حسن وسبا اسم للقبيلة فلا ينصرف
او اسم للحي او الاب الاكبر فينصرف وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء
مسيرة ثلث ويحتمل ان يراد بسبا المدينة او القوم ثم شرع في النبا وهو قوله اني وجدت امراة واسمها بلقيس بنت شراحيل
ملك اليمن كابرا عن كابر الى تبع الاول ولم يكن له ولد غيرها فورثت الملك وكانت هي وقومها مجوسا عبدة الشمس والضمير في
تملكهم يعود الى سبا ان اريد به القوم والى الاهل المحذوف ان اريد به المدينة واوتيت من كل شيء اى بعض كل ما يتعلق بالدنيا
من الاسباب ولها عرش عظيم لانه استعظم لها ذلك مع صغر حالها الى حال سليمان او استعظم في نفسه لانه لم يكن لسليمان
مثله مع علو شانه وقد يتفق لبعض الامراء شيء لا يكون مثله لمن فوقه في الملك وقد يطلع بعض الاصاغر على مسالة لم يطلع عليها

احد كما اطلع الهدهد على حال بلقيس دون سليمان ووصف كل شيء بالعظم انما هو بالاضافة الى ما يليه مما خلق من السموات
والارض يحكى من عظم شانها انه كان مكعبا ثلثين في ثلثين او ثمانين في ثمانين وكان من ذهب وفضه مكللا بانواع
الجواهر وكانت قوائمه وعليه سبعة ابيات كل بيت باب مغلق قال بعض المعتزلة وزين لهم الشيطان اعمالهم دليل على ان
المزين للكفر والمعاصي هو الشيطان واجيب بان قول الهدهد لا يصلح للحجة والتحقيق فيه قد مر لا يبعد ان يلهم الله الهدهد
وجوب معرفته والانكار على من يعبد غيره خصوصا في زمن سليمان عليه السلام قوله الا يسجدوا ولمن قرا بالتشديد على ان
الجار محذوف فان كان متعلقا بالصد فالتقدير صدهم لان لا يسجدوا وان كان متعلقا بلا يهتدون فلا مزيدة اي لا يهتدون
الى ان يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فقوله الا حرف تنبيه ويا حرف النداء والمنادى محذوف والتقدير الا يا قوم اسجدوا
كقوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر قال الزجاج السجدة في الاية على قراءة التخفيف دون التشديد
والحق عدم الفرق لان الذم على الترك كالامر بالسجود في الاقتضاء والخبء مصدر بمعنى المخبوء وهو النبات والمطر وغيرهما
مما خباه الله عز وجل من عيونهم ومن جملة ذلك اطلاع الكواكب من افق الشرق بعد اختفائها في افق الغرب ومنها الاقضية و
الاحكام والوحي والالهام ومنها انزال الملك وكل اثر علوي وفي تخصيص وصف الله تعالى في هذا المقام باخراج الخبء اشارة
الى ما عهده الهدهد من قدرة الله تعالى في اخراج الماء من الارض الهمه هذا التخصيص كما الهمه تلك المعرفة ولما انجر كلام الهدهد
الى هذه الغاية قال سليمان سننظر اي سنتامل في صحيحات حالك اصدقت ام كنت من الكاذبين وهذا ابلغ من ان لو قال ام كذبت لانه
اذا كان معروفا بالكذب كان متهما في كل ما اخبر به ثم ذكر كيفية النظر في امره فقال اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم لم يقل اليها لانه
كان قد قال وجدتها وقومها فكان سليمان قال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما به بامر الدين ومثل هذا في الكتاب
الا تعلوا علي واتوني ومعنى ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه تسمع ما يقولون ويرجعون من رجع القول كقوله
يرجع بعضهم الى بعض القول يروى انها كانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح
الكتاب على نحرها وهي مستلقية نائمة وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والجنود حواليها من وقوف الساعة وانتا
ينتظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وقيل كان في البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت
فجاء الهدهد فسد تلك الكوة بجناحه فلما رات ذلك قامت اليه فالقى الكتاب اليها وههنا اضمار اي فذهب فالقى ثم تولى
ثم كان سائلا سال فماذا قالت بلقيس فقيل قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم مقصود بالتسمية او حسن مضمونه
او هو من عند ملك كريم او هو مختوم يروى انه طبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب
ختمه وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه ولم يختمه فقد استخف به ثم ان سائلا كانه قال لها فما في الكتاب وما هو فقالت انه من سليمان
وانه [illegible] لم يقدم سليمان اسم الله والجواب انها ما وجدت الكتاب [illegible] ولم يكن لاحد اليها طريق ورات
الهدهد علمت انه من سليمان وحين فتحت الكتاب رات التسمية وذلك قالت ما قالت ولعل سليمان كتب على عنوان الكتاب انه
من سليمان فقرات عنوانه اولا ثم [illegible] ما في الكتاب ولعل سليمان قصد بذلك [illegible]
تعالى وان في الا تعلوا مفسرة لالقي اي لا تتكبروا كما يفعل [illegible] يروى ان نسخة الكتاب من عند سليمان بن داود الى بلقيس
ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكان [illegible] مشتمل على
تمام المقصود لان قوله بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] على اثبات الصانع وصفاته [illegible] نهي عن الترفع والتكبر وامر بالانقياد [illegible]
[illegible] قالت يا ايها الملأ استئناف اخر وهكذا الى [illegible] ومعنى افتوني اشيروا
علي بما يحدث لكم من الراي والفتوى الجواب في الحادثة [illegible]
بذلك استعطافهم وتطييب نفوسهم واستطلاع رايهم فاجابوا بانهم اصحاب القوة [illegible] وهم النجدة و
البلاء [illegible] فوضعوا الامر اليها فاحسن هذا الادب ويحتمل ان [illegible] من ارباب الحرب لا من ارباب الراي و
المشورة فانت ذو الراي [illegible] الى المحاربة وارادت ان
[illegible] على الامر والاصوب وهو الميل الى الصلح فلذلك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية [illegible]
[illegible] سبيل العدل والانصاف [illegible]
[illegible] الهدية [illegible]
الهدية سبب استمالة القلوب قال صلى الله عليه وسلم تهادوا [illegible]
[illegible] بالجواري [illegible] الاساور والاطواق والقرط [illegible] بالجواهر [illegible]

جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وخرزة
معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان و
الجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان
بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها
عن يمين الميدان وعن يساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين وعن اليسار ثم قعد على سريره و
الكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس كذلك والوحش والطير كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا
ورأوا الدواب على اللبنات فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال وما وراءكم
وقال اين الحق واخبرهم بما فيه ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء
الخيط بفيها ونفذت في الخرزة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله على سبيل الانكار وتعليل الانكار فما اتاني الله من الكمالات
والقربات والدرجات خير مما اتاكم ثم اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون الفرح الا في ان
يهدى اليهم حظ من الدنيا فعلى هذا يكون الهدية مضافا الى المهدى اليه ويجوز ان يكون مضافا الى المهدي والمعنى انتم بهديتكم
هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك ويحتمل ان يكون الكلام عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا
هديتكم وتفرحوا بها ثم قال للرسول او للهدهد معه كتاب اخر ارجع اليهم ومعنى لا قبل لا طاقة ولا مقابلة والذل ان يذهب عنهم ما
كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا مع ذلك في اسر واستقبال يروى انه لما رجعت اليها الرسول عرفت ان سليمان
نبي ولا قبل لهم به طاقة فتجهزت اليه في اثني عشر الف قيل مع كل قيل الوف وامرت عند خروجها ان يجعل عرشها في اخر سبعة ابيات
في اخر قصر من سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا فلعل سليمان اوحي اليه ذلك فاراد ان يريها بعض ما خصه الله به
من المعجزات فلذلك قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ
مالها وقيل اراد بذلك اختبار عقلها كما يجيء وقيل اراد ان يعرف محلها ومقدار ملكها وقيل وصولها اليه والعفريت من الرجال
الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد ووزنه فعليت قالوا كان اسمه ذكوان وانا اتيك به في الموضعين يجوز
ان يكون فعلا مضارعا وان يكون اسم فاعل ومعنى ان تقوم من مقامك اما على ظاهره وهو ان يقوم فيقعد واما ان يكون المقام هو
المجلس ولا بد فيه من عادة معلومة حتى يصح ان وقت به وعلى هذا قيل المراد مجلس الحكم وقيل مقدار فراغه من الخطبة وقيل الى
انتصاف النهار واني عليه اي على حمله لقوي امين اتي به على حاله لا اتصرف فيه بشيء واختلفوا في الذي عنده علم من الكتاب فقيل
هو الخضر عليه السلام وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل اصف بن برخيا وزيره او كاتبه وقيل هو سليمان نفسه استبطاء
العفريت فقال له انا اتيك بما هو اسرع مما تقول وقد يرجح هذا القول بوجوه منها ان الشخص المشار اليه بالذي يجب ان يكون
معلوما للمخاطب وليس سوى سليمان ولو سلم ان اصف ايضا كان كذلك فسليمان اولى به وكذا باحضار العرش في ملك المجلس
والا لزم تفضيل اصف عليه من هذا الوجه ومنها قول سليمان هذا من فضل ربي ويمكن ان يقال الضمير راجع الى استقرار العرش
عنده ولو سلم رجوعه الى الاتيان بالعرش فلا يخفى ان كمال التابع والخادم من جملة كمالات المتبوع والمخدوم ولا يلزم من ان يامر
الاتيان غيره بشيء ان يكون الامر عاجزا عن الاتيان بذلك الشيء واختلفوا ايضا في الكتاب فقيل هو اللوح وقيل الكتاب المنزل
الذي فيه الوحي والشرائع وقيل كتاب سليمان او كتاب بعض الانبياء وما ذلك العلم قيل فرع من العلم لا يعرف الان والاكثرون
على انه العلم باسم الله الاعظم وقد مر في تفسير البسملة كثير مما قيل فيه ومما وقفت عليه بعد ذلك ان علي بن قطان مكث
عشرين سنة يسال الله الاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى فاري في منامه ثلث ليال متواليات قل يا
طالب يا فارج الهم يا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجز الوعد يا حي لا اله الا انت صل اللهم على محمد وال محمد
وسلم والطرف تحريك الاجفان عند النظر فوضع النظر فاذا فتحت العين توهمت ان نور العين يمتد الى المرئي واذا غمضت
توهمت ان ذلك النور قد ارتد فمعنى الاية انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك يروى
ان اصف قال له مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا اصف فغار العرش في مكانه ثم ظهر عند مجلس
سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرتد طرفه ومن استبعد هذا في قدرة الله فليتامل في الحركات السماوية على ما يشهد به
علم الهيئة حتى يزول استبعاده وقال مجاهد هو مثل لاستقصار مدة الاتيان به كما يقول لصاحبك افعل هذا في لحظة او لمحة

وحين عرف سليمان نعم الله في شانه وان ذلك صرره الا ابتلاء بين ان شكر الشاكر انما يعود الى نفس الشاكر لانه يرتبط
به العتيد ويجرى المزيد كما قيل الشكر قيد للنعم الموجودة وصيد للنعم المفقودة وروى في الكشاف عن بعضهم ان كفران
النعم بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار قوله اقشعت
نافرة اى ذهبت في حال انفارها وراهنها اى ثابتها ومن كفر فان ربى غنى عن عباده كل عايد فضلا عن شكر شاكر كريم لا يقطع
امداد نعمه عنه لعله يتوب ويصلح حاله زعم المفسرون ان الجن كرهوا ان يتزوجها سليمان فيفضى اليه باسرارهم لانها كانت
بنت جنية او خافوا ان يولد له ولد منها وله يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد فقالوا
له ان في عقلها شيا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وذلك قوله نكروا لها عرشها
اى اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئاته وشكله كما يتنكر الرجل لغيره لئلا يعرفه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه
اسفله وقوله ننظر بالجزم جواب للامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدى لمعرفة العرش او للجواب الصائب اذا سئلت
عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رأت تلك الخوارق وقوله ام تكون من الذين لا يهتدون ابلغ من ان لو قال
ام لا تهتدى كما مر في قوله ام كنت من الكاذبين فلما جاءت قيل اهكذا اى مثل ذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه
هو ولم تقل هو مع انها عرفته ليكون دليلا على وفور عقلها حيث لم تقطع في المحتمل وتوقفت في مقام التوقف اما قوله
واوتينا العلم فمعطوف على مقدر كانهم قالوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهى عاقلة لبيبة
وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان بهذه الخوارق واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته قبل علمها
ولم نزل على دين الاسلام وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس وكونها بين ظهرانى الكفرة والغرض التحدث بنعمة الله بالشكر
على سابقة الاسلام وقيل هو موصول بكلام بلقيس والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه
المعجزة او الحالة وذلك عند وفد المنذر ثم قال سبحانه وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه وما كانت تعبد من دون الله
وقيل الجار محذوف اى وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد واختبر ساقيها بان امر ان يبنى على طريقها قصر من زجاج
ابيض فاجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه
الطير والجن والانس ثم قيل لها ادخلى الصرح اى القصر وصحن الدار فلما رأته حسبته لجة اى ماء غامرا وكشفت عن ساقيها
لتخوض في الماء فاذا هى احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف سليمان بصره وناداها انه صرح ممرد اى مملس
من قوارير هذا عند من يقول تزوجها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا له غمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها
ثلثة ايام وولدت له قالوا كون ساقيها شعراء هو السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها وقال الاخرون المقصود
من الصرح تهويل المجلس وحصل كشف الساق على سبيل التبع عن ابن عباس لما اسلمت قال لها اختارى من ازوجكه فقالت
مثلى لا ينكح الرجال مع سلطانى فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم
ردها الى اليمن ولم يزل بها ملكا قالت رب انى ظلمت نفسى اى بالكفر في الزمن السالف او بسوء ظنى بسليمان اذ حسبت انه يغرقنى
في الماء وهذا التفسير انسب بما قبله ولعل في قوله مع سليمان اشارة الى ان اسلامها تبع لاسلام سليمان وانها تريد ان
يكون معه في الدارين جميعا والله اعلم التاويل ولقد اتينا داود الروح وسليمان القلب علما الدنيا على كثير من عباده
وهم الاعضاء والجوارح المستعملة في العبودية وورث سليمان داود لان كل الهام وفيض يصدر من الحضرة الالهية يكون
عبوره على داود الروح الا انه للطافته لا يحفظها القلب لكثافته ولذلك كان سليمان افتقر من داود وقوله منطق الطير
يعنى رموز والاشارات التى يحفظها بلسان الحال ارباب الاحوال الطايرين في سماء سيناء الغنا وقيل اراد الخواطر الملكية الروحانية
قوله من الجن والانس والطير اى من صفات الشيطنة والانسانية والملكية فهم يوزعون على طبيعتهم بالشريعة وادى النمل
هوى النفس الحريصة على الدنيا وشهواتها قالت نملة هى النفس اللوامة يا ايها النمل هى الصفات النفسانية ادخلوا مساكنكم
بجالكم المختلفة وهى الحواس الخمس وهم لا يشعرون انهم على الحق وانتم على الباطل لان الشمس لا تجبر عندها من نورها ولا تنمت
الظلمة التى تزيلها فتبسمت التى انعمت على بتسخير جنودى لى وعلى والدى وهما الروح والجسد انعم على الروح بافاضة الفيوض
وعلى الجسد باستعماله في اركان الشريعة وفي قوله بنبأ يقين اشارة الى تجرد الواحد وان نعم اليقين لا يعول عليه
الا بامارات اخر كتاب كريم كما عرفت انها بكرامته تهتدى الى حضرة الكريم ان ملوك الصفات الربانية اذا دخلوا قرية
الشخص الانسانى افسدوها بافناء الطبيعة الحيوانية وجعلوا اعزة اهلها وهم النفس الامارة وصفاتها اذلة بسطوة
التجلى وكذلك يفعلون مع الانبياء والاولياء وفي قوله ايكم ياتينى بعرشها اشارة الى ان سليمان كان واقفا على ان في قومه

من هو اهل الكرامة وكرامات الاولياء من قبيل معجزات الانبياء قيل لها ادخلى الصرح فيه دليل على ان سليمان اراد ان ينكحها
والا لم يجز النظر الى ساقيها واسلمت نفسى للنكاح مع سليمان لله وفي الله التاويل الاخر وتفقد الطير هم اهل العشق الطيارون
في فضاء سماء القدس وجود عالم الانس والهدهد الرجل العلوى الذى عول على فكره واعمال رويته في استنباط خبايا
الاسرار وكوامن الاستاد عذابا شديدا بالرياضة والمجاهدة او لاذبحنه بسكين مخالفات الارادة سبأ مدينة الاخلاق
والانس بالانس والمراة الدنيا وبلقيسها وعرشها العظيم حب الجاه والمناصب يسجدون للشمس عالم الطبيعة وهو الهوى و
الهدية عن الدنيا وزينتها والاتيان بالعرش قبل اتيانهم هو اخراج حب الجاه من الباطن حتى ينقاد الاعضاء والجوارح بالكلية
لاشتغال العبودية به اخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الجاه والعفريت الرياضة الشديدة والذى عنده علم من الكتاب
هو الجذبة التى توازى عمل الثقلين وتنكير العرش تغيير حب الجاه بالهوى تحته للحق والعشر قصر التصرف في الدنيا للحق بالحق وكشف الساق
كناية عن استيلاء الامر عليه والقوارير عبارة عن رؤية بواطن الامور مع الاشتغال بظاهرها وهذه من جملة منطق الطير تعلمهم والله اعلم

ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم
فريقان يختصمون ● قال يا قوم لم تستعجلون بالسية قبل
الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ● قالوا اطيرنا
بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون ●
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض و
لا يصلحون ● قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن
لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ● ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ● فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين ● فتلك
بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون ●
وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ● ولوطا اذ قال
لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ● ائنكم لتاتون
الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون ● فما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم

انهم اناس يتطهرون ● فانجيناه واهله الا امرأته
قدرناها من الغابرين ● وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
الله خير اما يشركون ● امن خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان
لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون ●
امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي
وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون ● امن
يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون ●
امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض
ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ●
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون
ايان يبعثون ● بل ادارك علمهم في الاخرة بل هم
في شك منها بل هم منها عمون ●

القراءة لتبيتنه على الجمع المخاطب وهكذا لتقولن حمزة وعلي وخلف الباقون فيهما على التكلم مهلك بفتح
الميم واللام ابو بكر غير البرجمي وحماد والمفضل وقرا حفص بفتح الميم وكسر اللام الباقون بضم الميم وفتح اللام والكل يحتمل المصدر
والمكان والزمان انا دمرناهم وان الناس بالفتح فيهما عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ورويس ائنكم مذكور في الانعام
يشركون بياء الغيبة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم ءاله مثل ائنكم الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف
يذكرون بياء الغيبة ابو عمرو وهشام الاخرون بتاء الخطاب بل ادارك بقطع الهمزة وسكون الدال ابن كثير وابو عمرو وسهل

ويعقوب ويزيد المفضل بل ادرك بهمزة موصولة ودال مشددة الشموني الباقون مثله ولكن بالف بعد الدال
الوقوف يختصمون للحسنة لابتداء استفهام اخر مع اتحاد القايل ترحمون معك تفتنون ولا يصلحون لصادقون
لا يشعرون مكرهم لمن قرا انا بكسر الالف على الاستيناف اجمعين ظلموا يعلمون يتقون تبصرون النساء تجهلون
الجزء العشرون قريتكم لاحتمال تقدير لام التعليل يتطهرون الا امرأته لاحتمال ان ما بعده مستانف والاظهر انه حال
لتقديره استثناء امرأته مقدرة في الغابرين مطرا المنذرين اصطفى يشركون لان ما بعده استفهام مستانف وام
منقطعة تقديره بل امن خلق السموات خير مما تشركون وكذلك نظايره ماء للعدول مع اتحاد القول بهجة لاحتمال كون
ما بعده صفة واستينافا شجرها مع الله يعدلون حاجزا مع الله لا يعلمون خلفاء الارض مع الله ما تذكرون رحمته
مع الله تشركون والارض مع الله صادقين الا الله يبعثون عمون **التفسير القصة الرابعة قصة ثمود**
والفريقان المومن والكافر وقيل صالح وقومه قبل ان يومن منهم احد والاختصام قول كل فريق الحق معي وفيه دليل
على ان الجدال في باب الدين حق ومعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة انه تعالى قد مكنهم من التوصل الى رحمة الله
وثوابه فعدلوا الى استعجال عذابه وقال جار الله خاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وذلك انهم قد روا في انفسهم
ان التوبة مقبولة بعد رؤية العذاب فقالوا متى وقعت العقوبة تبنا حينئذ فالسيئة العقوبة والحسنة التوبة
ولولا للتخصيص اي هلا تستغفرون الله قبل عيان عذابه لعلكم ترحمون بان يكشف العذاب عنكم والحاصل ان
التوبة يجب ان يقدم على رؤية العذاب ولا يجوز ان يؤخر وفيه تنبيه على خطابهم وتجهيلهم قالوا اطيرنا اي تشاءمنا
بك وبمن معك وكانوا قد قحطوا قال طائركم اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره
او ان عملكم مكتوبة عنده ومنه ينزل بكم العقاب ومعنى التطير والطاير وقد مر في الاعراف وفي سبحان ثم جزم بنزول
العذاب بقوله بل انتم قوم تفتنون اي تعذبون او تختبرون او يفتنكم الشيطان بوسوسة الطيرة ثم حكى سوء معاملتهم
مع نبيهم بقوله وكان في المدينة يعني منزلهم المسمى بالحجر وكان بين المدينة والشام تسعة رهط لم يجمع المميز لان
الرهط في معنى الجمع وهو من الثلثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة وقد عد في الكشاف اسماءهم منهم قدار بن سالف
عاقر الناقة وكانوا مفسدين لا يخلطون الافساد بشيء من الاصلاح ومن جملة الافساد همهم بقتل نبيك والتقاسم
التحالف فان كان امرا فظاهر وان كان خبرا فمحله نصب باضمار قد اي قالوا متقاسمين والتبييت العزم على اهلاك العدو
ليلا واشير على الاسكندر بالبيات فقال ليس من ايين الملوك استراق الظفر قال في الكشاف كانهم اعتقدوا انهم
اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا لوليه ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما صادقين لانهم
فعلوا البياتين جميعا لا احدهما قلت انما ارتكب هذا التكليف لانه استقبح ان ياتي العاقل بالخبر على خلاف المخبر عنه روي
انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل
فخرجوا الى الشعب مبادرين وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فهذا مكرهم فبعث الله صخرة فطبقت
عليهم فم الشعب فلم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا في مكانه ونجى صالحا ومن معه وهذا مكر الله وقيل جاؤا بالليل
شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا من قرا انا دمرناهم بالفتح فمرفوع
المحل بدلا من العاقبة او خبر المحذوف اي هي تدميرهم او منصوب على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار او مجرور
تقديره لانا وجوز في الكشاف على هذا التقدير ان يكون منصوبا بنزع الخافض وانتصب خاوية على الحال والعامل معنى
الاشارة في تلك وانما قال في هذه السورة وانجينا الذين امنوا موافقة لما بعده فانجيناه واهله وامطرنا وكله على
افعل وقال في حم السجدة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون موافقة لما قبله وما بعده وزينا وقيضنا والله اعلم **القصة
الخامسة قصة لوط** وانتصب لوطا باضمار اذكر او بما دل عليه ولقد ارسلنا واذ بدل على الاول بمعنى مجرد الوقت ظرف
على الثاني وتبصرون اما من بصر الحاسة فكانهم كانوا معلنين وذلك المعصية في ناديهم او اراد يرون اثار العصاة قبلكم
ومن بصر القلب والمراد يعلمون انها فاحشة لم يسبقوا بمثلها وعلى هذا المعنى قوله بل انتم قوم تجهلون انكم تفعلون فعل
الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك واراد جهلهم بالعاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها
والخطاب في قوله تجهلون للتغليب ولو قرئ بالغيبة نظرا الى الموصوف وهو قوم لجاز من حيث العربية وباقي القصة مذكور
في الاعراف قل الحمد لله قيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة
من الذنوب وبالنجاة من العذاب وقيل امر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالتحميد على الهالكين من كفار الامم وبالتسليم على

الاينا واسباعهم الناجين والاكثرون على انه خطاب مستانف لانه صلى الله عليه وسلم كان كالمخالف لمن
تقدمه من الانبياء من حيث ان عذاب الاستيصال مرتفع عن قومه فامره الله سبحانه بان يشكر ربه على هذه
النعم ويسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرساله ثم شرع في الدلالة على الوحدانيه والرد على عبدة الاوثان
وفيه توقيف على ادب حسن وبعث على التيمن بالحمد والصلوة قبل الشروع في كل كلام معتد به ولقد توارثه العلما
خلفا عن سلف فافتتحوا بهما امام كل كتاب وخطبه وعند التكلم بكل امر له شان قال جار الله معنى الاستفهام
وام المتصله في قوله الله خير اما يشركون الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وتنبيه على الخطاب المفرط والجهل المفرط
فمن المعلوم انه لاخير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه قلت يحتمل ان يكون هذا
من قبيل الكلام المنصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم ثم عدل
عن الاستفهام بذكر الذات الى الاستفهام بذكر الصفات مبتدى فيما هو اس المحسوسات فقال امن خلق السموات
وانما قال ههنا وانزل لكم واهمل في ابراهيم على قوله وانزل لان لفظه لكم وردت هناك بالاخره وليس قوله ما كان
لكم معينا عن ذكره لانه يبقى لا يفيد معنى الاول ومعنى الالتفات من الغيبه الى التكلم في قوله فانبتنا تاكيد معنى
اختصاص الانبات بذاته لان الانسان قد يتوهم ان له مدخلا في ذلك من حيث الغرس والسقي والحدايق
جمع الحديقه البستان عليه حايط من الاحداق الاحاطه البهجه الحسن والنضاره لان الناظر يبتهج به وانما قيل
ذوات بهجه على الجمع لان المعنى جماعه حدايق كما يقال النساء ذهبت ومعنى اله مع الله اغيره تقرن به ويجعل شريكا
له قال في الكشاف قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطيه رايهم قلت انما حسن الغيبه ههنا لان الخطاب في قوله
ما كان لكم انما هو لجميع الناس اي ما صح وما ينبغي للانسان ان يتاتى منه الانبات ولو قال بعد ذلك بل انتم لزم ان
يكون كل الناس مشركين وليس كذلك وقوله يعدلون من العدل او من العدول اي يعدلون به غيره او يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد ثم شرع في الاستدلال باحوال الارض قدما علما او لانها المستقر اي دساها وسواها بحيث
يمكن الاستقرار عليها والحاجز البرزخ كما في الفرقان ثم استدل لحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر الذي عراه
ضر من فقر ومرض فالجاه الى التضرع الى الله سبحانه وانه افتعال من الضر وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي
لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب ودعاوه استغفاره والمضطر اسم الجنس يصلح للكل وللبعض فلا يلزم من الاية اجابه
جميع المضطرين نعم يلزم الاجابه بشرايط الدعا كما مر في البقره في قوله ادعوني استجب لكم وقوله ويكشف السوء كالبيان
لقوله يجيب المضطر والخلافه في الارض اما توارث السكنى واما بالملك والتسلط وقد مر في اخر الانعام وقوله
قليلا ما تذكرون معناه تذكرون تذكرا قليلا ويجوز ان يراد بالقله العدم ثم استدل بحاجة الناس خصوصا في
الهدايه في البر والبحر بالعلامات وبالنجوم ثم استدل باحوال المبداء والمعاد وما بينهما وذلك انهم كانوا معترفين
بالابداء ودلالة الابداء على الاعاده دلالة ظاهره فكانهم كانوا مقرين بالاعاده فاحتج عليهم بذلك لذلك والرزق
من السماء المطر ومن الارض النبات واعلم ان الله سبحانه ذكر قوله االه مع الله في خمس ايات على التوالي وختم الاولى
بقوله بل هم قوم يعدلون ثم بقوله بل اكثرهم لا يعلمون ثم بقوله قليلا ما تذكرون ثم بقوله تعالى الله عما يشركون ثم هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين والسر فيه ان اول الذنوب العدول عن الحق ثم لم يتاملوا ولو علموا ما عدلوا ثم لم يتذكروا ولو فعلوا
بالنظر والاستدلال فاشركوا من غير حجه وبرهان قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ان مع الله الها وحين
بين اختصاصه بكمال القدره واراد ان يبين اختصاصه بعلم الغيب فقال في الكشاف هذا على لغة بني تميم يرفعون
المستثنى المنقطع على البدل اذا كان المبدل منه غير موجب يقولون في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان
كان احدا لم يذكر كقوله وبلده ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس والمعنى ان كان الله ممن في السموات والارض
فهم يعلمون الغيب كما ان معنى البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس قلت للقايل
ان يقول ان استثناء نقيض المقدم غير منتج فلا يلزم من استحاله كون الله سبحانه فيمن في السموات والارض وانهم
لا يعلمون الغيب ولا من امتناع كون اليعافير انيسا القطع بخلو البلده عن الانيس وقال غيره ان الاستثناء متصل لان
الله سبحانه في كل مكان بالعلم فيصح الرفع عند الحجازيين ايضا وزيفه في الكشاف بان كونه في السموات والارض
بالعلم مجاز وكون الخلق فيهن حقيقه من حيث حصول ذواتهم في تلك الاحيان ولا يصح ان يريد المتكلم بلفظ واحد حقيقه
ومجازا معا واجيب بانا نحمل الكون فيهن على المعنى المجازي ايضا لانهم ايضا عالمون بذلك لا كما لا اقل من العلم الاجمالي

وضعفه في الكشاف بان فيه ابهام تسويه بين الله وبين العبد في العلم وهو خروج عن الادب ومن هنا قال صلى
الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت لمن قال ومن يعصهما فقد غوى والحق ان وقوع اللفظ على الواجب وعلى
الممكن بمعنى واحد لابد ان يكون بالتشكيك اذ هو في الواجب اذل واولى لا محاله فهذا الوهم مدفوع عند العاقل ولا يلزم
منه سوء الادب ولهذا جاز اطلاق العالم والرحيم والكريم ونحوها على الواجب على الممكن معا من غير محذور شرعي ولا
عقلي وليس هذا كالجمع بين الضمير اذ كان يمكن للقايل ان يفرق بينهما فيزداد الكلام جزاله وعن عايشه من زعم
انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفريه والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن
بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من الخلق مكره قال المفسرون سال المشركون رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن وقت الساعه فنزل وايان بمعنى متى الا انه لا يسال الا عن امر ذي بال وهو فقال ان يبين للوصي به لا للصرف
وحين ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكاين ووقته بين ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم
يشكون في الامر الكاين مع ان عندهم اسباب معرفته فقال بل ادرك اي تدارك ومن قرا بغير الف فهو افتعل من الدرك
اي تتابع واستحكم ومعنى ادرك تقطع الهمزه انتهى وتكامل علمهم في الاخره اي في شانها ومعناها ويمكن ان يكون
وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما يقول لاجهل الناس ما اعلمك واذا لم يعرفوا نفس البعث يقينا فلان لا يعرفوا
وقته اولى ويحتمل ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولهم ادركت الثمره لان تلك غايتها التي عندها يعدم وقد فسره
الحسن فاضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث
ثم اضرب عن ذلك قايلا انهم لا يعلمون القيمه فضلا عن وقتها ثم ان عدم العلم قد يكون مع الغفله الكليه فاضرب عن
ذلك قايلا انهم ليسوا غافلين بالكليه ولكنهم في شك ومريه ثم ان الشك قد يكون بسبب عدم الدليل فاضرب عن ذلك
قايلا انهم عمون عن ادراك الدليل مع وضوحه وقد جعل الاخره مبداء عماهم ومنشاه فلهذا عداه بمن دون عن والعمى
يعود الى من في السموات والارض وذلك ان المشركين كانوا في جملتهم فنسب فعلهم الى الجميع كما يقول بنو فلان فعلوا
وانما فعله ناس منهم قاله في الكشاف قلت قد تقدم ذكر المشركين في قوله بل هم قوم يعدلون وغيره فلا حاجة الى هذا
التكليف ولو لم يتقدم جاز للقرينه التاويل ولقد ارسلنا صالح القلب بالالهام الرباني الى صفات القلب وهو
الفريق المومن والى النفس وصفاتها وهو الفريق الكافر والسيه طلب الشهوات واللذات الفانيه والحسنه طلب
السعادات الباقيه وكان في المدينه القالبيه الانسانيه تسعه رهط هم خواص العناصر الاربعة والحواس الخمس يفسدون
في ارض القلب بافساد الاستعداد الفطري تقاسموا بالموافقه على السعي في اهلاك القلب وصفاته وان
يقولون لوليه وهو الحق سبحانه ما اهلكنا وما حضرنا مع النفس الاماره حين قصدت هلاكهم ومكروا مكرا
في هلاك القلب بالهواجس النفسانيه والوساوس الشيطانيه ومكرنا مكرا بتواردات الواردات الربانيه وتجلي صفات
الجمال والجلال وهم لا يشعرون ان صلاحهم في هلاكهم فمن قبله نادانيه فانظر كيف كان عاقبه مكرهم بالافتنه
الخلاص الشمه وافاتها وانقيا امرتهم اجمعين وهم النفس وصفاتها فتلك بيوتهم وهي القالب والاعضاء التي
هي مساكن الحواس خاليه عن الحواس المهلكه والافات العاليه بما ظلموا اي وضعوا من نتايج خواص العناصر وافات
الحواس في غير موضعها وهو القلب وكان موضعها المعونه بامر الشرع لا بالطبع لصلاح القالب وبقايه وانجينا الذين
امنوا وهم القلب وصفاته من شر النفس وصفاتها ولوطا الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والعقل عند تبدل
اوصافهم بمجاورة النفس اتاتون الفاحشه وهي كل ما زلت به اقدامهم عن الصراط المستقيم واماراتها في الظاهر
اتيان المناهي على وفق الطبع وفي الباطن حب الدنيا وشهواتها وانتم تبصرون تميزون الخير من الشر واتيان الرجال
دون النساء عباره عن صرف الاستعداد فيما يبعد عن الحق لا فيما يقرب منه فما كان جواب قومه وهم القلب المريض
بتعلق حب الدنيا والسر المكدر بكدورات الريا والنفاق والعقل المشوب بافه الوهم بالخيال الا خرجوا الصفات الروحانيه
من قرية الشخص الانساني انهم اناس يتطهرون من لوث الدنيا وشهواتها فانجيناه واهله وهم السر والعقل وصفاتهما
من عذاب تعلق الدنيا الا امراته وهي النفس الاماره بالسوء وامطرنا على النفس وصفاتها مطر ترك الشهوات فساء مطر
المنذرين اي صعب فان الفطام عن المالوفات شديد وهذه حاله مستدعيه للحمد والشكر فلهذا قال قل الحمد لله وسلام
من تعلقات الكونين وافات الوجود المجازي على عباده امن خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء الغيب ماء
نظر الرحمه وانبتنا به حدايق من العلوم والمعاني والاسرار اله مع الله من الهوى من الهوى من جعل ارض النفس قرارا الى الحد

وجعل خلالها انهاراً من دواعي البشرية وجعل لها رواسي من القوى والحواس وجعل بين بحر الروح وبحر النفس
حاجزاً القلب فان في اختلاطهما فسادهما اله مع الله كما زعمت الطبايعية امن يجيب المضطر اذا دعاه
في العدم بلسان الحال ويجعلكم مستورين بخلافته في الارض ء اله مع الله كما زعم ارباب الحلول والاتحاد امن
يهديكم في ظلمات بر البشر وبحر الروحانية نورانية بالنسبة الى ظلمة البشرية والمراد يهديكم باخراجكم من ظلمات
البشرية الى نور الروحانية ومن ظلمات الروحانية الى نور الربوبية وذلك حين يرسل رياح العناية بين يدي
سحاب الهداية اله مع الله كما يقوله المجوس مطرنا بنوء كذا كما يقوله قاصر والنظر هذا انا الشيخ والمعلم الى كذا امن
يبدؤ الخلق بالوجود المجازي ثم يعيده بالوجود الحقيقي الى عالم الوجود ومن يرزقكم من سماء الربوبية البر الا الواح و
من ارض البشرية لتقوية الاشباح اله مع الله كاينا ما كان دليله الله لا يعلم الغيب الا هو ومن جملته علم قيام الساعة

● وقال الذين كفروا اذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون
لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين ● قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المجرمين ● ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق
مما يمكرون ● ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين ● قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي
تستعجلون ● وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم
لا يشكرون ● وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون ● وما من غائبة في السماء والارض الا في
كتاب مبين ● ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون ● وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين ● ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز
العليم ● فتوكل على الله انك على الحق المبين ● انك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ● وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم

مسلمون ● واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من
الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ●
ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم
يوزعون ● حتى اذا جاءوا قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها
علما اماذا كنتم تعملون ● ووقع القول عليهم بما ظلموا
فهم لا ينطقون ● الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ● ويوم ينفخ في
الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله وكل اتوه داخرين ● وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير
بما تفعلون ● من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
آمنون ● ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار
هل تجزون الا ما كنتم تعملون ● انما امرت ان اعبد رب
هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من
المسلمين ● وان اتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين ● وقل الحمد لله سيريكم
آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ●

القراءة ايذا ايتا بتاء مكسورة بعد همزة مفتوحة ابن كثير ويعقوب عن زيد مثله ولكن بالمد ابو
عمرو وزيد ايذا بهمزة مفتوحة ثم ياء مكسورة بعد همزة وبعدها نون مشددة سهل اذا من غير همزة الاستفهام
انا بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة يزيد وقالون مثله ولكن من غير مد نافع غير قالون اذا بهمزتين مفتوحة ثم
مكسورة فيهما حمزة وخلف وعاصم ولا يبع بفتح الياء الثانية الصم بالرفع ابن كثير وعباس وكذلك في الروم الاخر
بضم التاء الفوقانية وكسر الميم ونصب وما انت تهدي على انه فعل العمي بالنصب وكذلك في الروم حمزة الباقون

بهادي على انه اسم فاعل العمى بالجر اتوه مقصورا على انه فعل ماض حمزة وخلف والمفضل الاخرون بالمد على انه
اسم فاعل بما يفعلون على الغيبة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحماد والاعشى والبرجمي والحلواني عن هشام فزع
بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف يومئذ بفتح الميم هم وابو جعفر ونافع الباقون بكسرها تعملون بتاء الخطاب
ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الوقوف المخرجون من قبل تجردا عن الابتداء بمقول الكفار لئن
المجرمين يكونون صادقين يستعجلون لا يشكرون وما يعلنون مبين يختلفون للمؤمنين بحكمه تعظيما
للابتداء بالصفتين مع اتفاق الجملتين العليم للاية واختلاف الجملتين وللفاء واتصال المعنى اي اذا كان الحكم
لله فاسرع التوكل على الله المبين مدبرين ضلالتهم مسلمون يكلمهم لمن قرا ان بكسر الالف فانه يحتمل ان يكون
الكسر للابتداء ولكونها بعد التكليم لانه في معنى القول ومن فتح فلا وقف اذ التقدير يكلمهم بان لا يوقنون
يوزعون تعملون لا ينطقون مبصرا يؤمنون من شاء الله داخرين السحاب كل شيء يفعلون جزمنها الان
ماهية من ثمه الجزاء ينون لعطف جملتي الشرط في النار تعملون شيء للعارض وطول الكلام مع العطف المسلمين
للعطف القران لنفسه المنذرين فتعرفونها تعملون التفسير لما ذكر ان المشركين في شك من امر البعث
عمون عن النظر في دلايله اراد ان يبين ما شبهتهم وهي مجرد استبعاد احياء الموات بعد صيرورتهم ترابا
عند الحشر قال النحويون العامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج والمراد الاخراج من الارض ومن حال الفناء
الى حال الحيوة وانما ذهبوا الى هذا التكليف بناء على ان ما بعد همزة الاستفهام وكذا ما بعد ان واللام لا يعمل فيما
قبلها لان هذه الاشياء تقتضي صدر الكلام وتكرير حرف الاستفهام في اذا وائنا جميعا انكار على انكار والتقييد
في ائنا لم ولا اباءنا جميعا وقد مر في سورة المؤمنين تفسير قوله لقد وعدنا وبيان المتشابه فليتذكر ثم اوعدهم
على عدم قبول قول الانبياء بالنظر في حال الامم السالفة المكذبة ولم يؤنث كان لان تانيث العاقبة غير حقيقي
او لان المراد كيف كان اخرامهم والمراد بالمجرمين الكافرون لان الكفر جرم مخصوص على قبح موقع الجرم اذا كان فعلى
المؤمن ان يتحرق عاقبتها ويترك الجرايم كلها كيلا يشارك الكفرة في هذا الاسم الشنيع ومعنى قوله ولا تحزن عليهم
الاية وقد مر في اخر النحل وفي هذه الاية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان يناله من قومه ثم
انهم استعجلوا العذاب الموعود على سبيل السخرية فامر ان يقول لهم عسى ان يكون وعسى على عادة وعد الملوك
ووعيدهم يعنون بذلك القطع بوقوع ذلك الامر مع اظهار الوقار والوثوق بما يتكلمون وان كان على سبيل الرجاء
والطمع ولمثل هذا قال ردف لكم بعض الذي تستعجلون ان يقول ردف لكم الذي واللام زائدة للتاكيد كالباء في ولا تلقوا
بايديكم او اريد ارف لكم ودنا لكم فيتضمن فعل يتعدى باللام ومعناه تبعكم ولحقكم وقال البعض المقتضي للعذاب
والموت فيه حاصل في الدنيا الا ان الشعور به غير حاصل كالسكران والنايم فتمام العذاب بما يحصل بعد الموت
وان كان طرف منه حاصلا في الدنيا فلهذا ذكر البعض ثم ذكر انه متفضل عليهم بتاخير العقوبة في الدنيا ولكنهم
لا يشكرون هذه النعمة فيستعجلون وقوع العقاب بجهلهم وفيه دليل على ان نعم الله تعم الكافر والمؤمن
ثم بين انه مطلع على ما في صدورهم يخفون كالعقود والدواعي وعلى ما يظهرون من افعال الجوارح وغيرها و
لعل الغرض انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم
على ذلك ثم اكد ذلك بان المغيبات كلها ثابتة في اللوح المحفوظ والغائبة اما مصدر كالعاقبة واما اسم
غير صفة كالذبيحة والرمية واما صفة والتاء للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه
قيل وما من شيء شديد الغيبوبة الا وهو مثبت في الكتاب الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ثم بين للدفع
شبه القوم اعجاز القران الموافق قصصه لما في التورية والانجيل مع كونه صلى الله عليه وسلم اميا والمطابق غرضه
لما هو الحق في نفس الامر وقد لحق بنو اسرائيل عن وجهه كاختلافهم في شان المسيح وفي كثير من الشرايع والاحكام
وذكر انه هدى ورحمة لمن امن منهم والصفا ومنهم ومن غيرهم ثم ذكر ان من لم ينصف منهم فالله يقضي بينهم اي بما
يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما وهو العزيز الذي لا يغالب فيما يريد العليم بما يحكم
لهم او عليهم ثم امر بالتوكل وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل ذلك بامرين احدهما انه على الحق الابلج وفيه ان صاحب
الحق حقيق بالوثوق بنصر الله وثانيهما قوله انك لا تسمع الموتى لانه اذا علم ان حالهم لا ينفع احد ودوي السماع كحال الموتى او
كحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون والعمي الذين لا يبصرون ولا يهتدون وصار ذلك سببا قويا في اظهار مخالفتهم

وعدم الاعتداد بهم وقوله اذا ولوا مدبرين تاكيد لان الاصم اذا توجه الى الداعي ثم لم يرج منه سماع فكيف اذا ولى
مدبرا وهداه من الضلالة كقولك سقاه من العيمة ثم بين ان اسماعه لا يجدي الا على الذين علم الله انهم يصدقون باياته
فهم مسلمون اي مخلصون منقادون لامر الله بالكلية ثم هدد المكلفين بذكر طرف من اشراط الساعة وما بعدها فقال
واذا وقع القول اي دنا وشارف ان يحصل مؤداه ومفهومه عليهم وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب اخرجنا
لهم دابة من الارض وهي الجساسة وقد تكلم علماء الحديث فيها من وجوه احدها في مقدار جسمها فقيل ان طولها
ستون ذراعا وقيل ان راسها يبلغ السحاب وعن ابي هريرة ما بين قرنيها فرسخ للراكب وثانيها في كيفية خلقتها
فروي لها اربع قوايم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل
وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا و
ثالثها في كيفية خروجها عن علي كرم الله وجهه انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن
الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام ورابعها مكان خروجها سئل النبي صلى الله عليه وسلم من اين تخرج الدابة
فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية وخامسها
في عدد خروجها روي انها تخرج ثلث مرات باقصى اليمن ثم تتمكن ثم تخرج بالبادية ثم تتمكن دهرا طويلا فبينا
الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج
من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وسادسها فيما يصدر عنها من الاثار والعجايب فظاهر الاية انها تكلم
الناس ومحوى الكلام ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قال جار الله معناه ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون بخروجي
لان خروجها من الايات ومن قرا ان مكسورة فقولها حكاية قول الله فلذلك قالت باياتنا او المعنى بايات ربنا فحذف
المضاف وسببا الاضافة اختصاصها بالله كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه و
بلاده وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر وتستقبل المغرب فتصرخ
صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه
المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها
عصا موسى وخاتم سليمان بن داود فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة
بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر
بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه ويكتب بين عينيه كافر وروي انها تقول لهم يا فلان
انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقيل تكلمهم من الكلم على معنى التكثير والمراد به الجرح وهو الوسم
بالعصا والخاتم ثم ذكر طرفا مجملا من اهوال يوم القيمة قائلا ويوم اي واذكر يوم نحشر من كل امة فوجا اي جماعة كثيرة
ممن يكذب هذه للتبيين والاولى للتبعيض وقوله باياتنا يحتمل معجزات جميع الرسل والقران خاصة وقد مر
معنى قوله فهم يوزعون في وصف جنود سليمان اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار عن
ابن عباس الفوج ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر
قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار والواو في قوله ولم تحيطوا للحال كانه قيل اكذبتم باياتي بادي الرأي
من غير الوقوف على حقيقتها فانها جديرة بالتصديق او بالتكذيب ويجوز ان يكون الواو للعطف والمعنى
اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتفهمها فيجد المكتوب اليه كون الكتاب من عند كتبه ومع
ذلك لا يدع تفهم مضمونه وان يحيط بمعانيه قال جار الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك كانكم لم تخلقوا الا
لاجله وقال غيره اراد لما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم وهو التصديق فاي شيء تعملون بعد ذلك لان كل عمل سواه
فكانه ليس بعمل قال المفسرون يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكونون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم
اي العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فتشغلهم عن النطق والاعتذار ثم بعد
ان خوفهم باهوال القيمة واهوالها ذكر ما يصلح دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد
الى الايمان والمنع من الكفر فقال الم يروا الاية ووجه دلالته على التوحيد ان التقليب من النور الى الظلمة
وبالعكس لا يتم الا بقدرة قاهرة ودلالته على الحشر ان النوم يشبه الموت والانتباه يشبه الحيوة ودلالته
على النبوة ان كل هذه المنافع للمكلفين وفي بعثه الرسل الى الخلق ايضا منافع جمة فما المانع لفيض الخيرات

من اتصال بعض المنافع دون البعض او من لرعاية بعض المصالح هذا البعض ووصف النهار بالابصار
وانما هو باعتبار صاحبه وقد مر في يونس والتقال مرعي في الاية من حيث المعنى كانه قيل ليسكنوا فيه
وليبصروا فيه طرف التغليب في المكاسب ثم عاد الى ذكر علامة اخرى للقيمة فقال ويوم ينفخ في الصور و
قد تقدم تفسيره في طه والمومنين وقوله ففزع كقوله ونادى سبق والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين
يصعقون الا من شاء الله قال اهل التفسير الا من ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل و
اسرافيل وعزرائيل وقيل هم الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر انه منهم موسى
لانه صعق مرة قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة ففزع موافقة لقوله وهم من فزع يومئذ امنون وقال
في الزمر فصعق لان معناه فمات وقد سبق انك ميت وانهم ميتون ومعنى داخرين صاغرين اذلاء وقيل معنى الاتيان
حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية وجوز ان يراد رجوعهم الى امرهم وانقيادهم له قال اهل المناظر ان
الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن الناظر انها واقفة مع انها تمر
حثيثا فاخبر الله سبحانه ان حال الجبال يوم القيمة كذلك يجمع فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر الناظر
حسبها جامدة اي واقفة في مكان واحد وهي تمر مر السحاب قال جار الله صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله
وعد الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت اثاب
الله المحسنين وعاقب المجرمين صنع الله فجعل الاثابة والمعاقبة من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على
الحكمة والصواب قلت لا يبعد ان يكون الناصب ليوم ينفخ هو اذكر مقدرا ويكون صنع الله مصدرا مؤكدا لنفسه
اي صنع تسيير الجبال وامرها صنع الله قال القاضي عبد الجبار في قوله اتقن كل شيء دلالة على ان القبائح ليست
من خلقه والا وجب وصفها بانها متقنة ولكن الاجماع مانع منه واجيب بان الاية مخصوصة بغير الاعراض
وان الاعراض لا يمكن وصفها بالايقان ان الاتقان وهو الاحكام من اوصاف المركبات قلت ولو سلم وصف
الاعراض بالاتقان فوصف كل الاعراض به ممنوع فان من عام الا وقد خص ولو سلم فالاجماع المذكور لعله ممنوع
يؤيده قوله انه خبير بما يفعلون واذا كان خبيرا بكل افعال العباد على كل نحو يصدر عنهم وخلاف معلومه ممتنع
ان يقع فقد صحت معارضة الاشعري وعلى مذهب الحكيم وقاعدة شر صدور الشر القليل من الحكيم لاجل
الخير الكثير لا ينافي الاتقان والله اعلم ثم فصل اعمال العباد وجزاها بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها الى اخر
الايتين وبيان الخيرية بالاستعاف وبان العمل منقض والثواب دايم وبان فعل العبد يدبنه وبين فعل
العبد بون بعيد على ان الاكل والشرب انما هو جزاء الاعمال البدنية واما الاعمال القلبية من المعرفة والاخلاص
فلا جزاء لها سوى الالتذاذ بلقاء الله والاستغراق في بحار الجمال والجلال جعلنا الله اهلا لذلك وقيل المراد
فله خير حاصل منها وعن ابن عباس ان الحسنة كلمة الشهادة التي هي اعلى درجات الايمان واعترض عليه بانه يلزم
منه ان لا يثاب مسلم واجيب بانه يكفي في الخيرية ان لا يكون عقابه مخلدا ثم وعد المحسنين امرا اخر وهو قوله
وهم من فزع يومئذ امنون وامن يعدى بالجار وبنفسه والتنوين في فزع اسم في احدى القراتين اما للنوع وهو
نوع العقاب فان فزع الهيبة والجلال يلحق كل مكلف وهو الذي اثبته في قوله ففزع من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله واما للتعظيم اي من فزع شديد لا يكتنهه الواصف وهو خوف النار امنون واما حال
العصاة فانه يكب في النار وعبر عن الجملة بالوجه لانه اشرفها ولانهم يلقون في الجحيم منكوسين وقوله هل تجزون
الخطاب فيه اما على طريقة الالتفات واما على سبيل الحكاية باضمار القول اي يقال لهم عند الكب هذا القول ثم
ختم السورة بخلاصة ما امر به رسوله وذلك اشياء منها عبادة الرب سبحانه ثم وصف الرب بامرين احترازا
من ارباب اهل الشرك اولها كونه ربا لما هو اقرب في نظر قريش وهو بلدة مكة حرمها الله وفيه نوع منة عليهم كقوله
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وثانيهما عام وهو قوله وله كل شيء ومنها امره بالاسلام وهو الاذعان الكلي
لاوامر الله بجميع اعضايه وجوارحه امره بتلاوة القران ويتلو اي اتباع وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكل ما امر به اتم قيام حتى خوطب بقوله ما انزلنا عليك القران لتشقى ثم لما بين سبيل ذكر ان نفع الاهتداء ووبال
الضلال لا يعود الا الى المكلف او عليه وليس على الرسول الا البلاغ والانذار ثم جعل الخاتمة الخاتمة الاخرى الحمد كما هو
صفة اهل الجنة وبعد امره بالحمد على نعمة النبوة والرسالة هدد اعداءه بما سيريهم في الاخرة من الايات المجيبة

الى الاقرار وذلك حين لا ينفعهم الايمان قال الحسن وعن الكلبي هي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من العقوبات
في الدنيا وما ربك بغافل عما يعملون ولكنه من وراء جزاء العاملين **التاويل** تل سيروا في ارض البشرية فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين لان من خواص نفوسهم انموذج من جهنم كما ان خواص اهل القلوب انموذج من الجنة وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم لانه خمر طينة ادم بيديه اربعين صباحا ونفخ فيه من روحه فهو مطلع على قالبه وعلى قلبه
ولهذا قال وما من غايبة من الخواص في سماء القلب وارض القالب الا في كتاب مبين وهو علم الله تعالى ان هذا القران
يقص لانه كل كتاب كان مشتملا على شرح مقام ذلك النبي ولم يكن لنبي مقام في القرب مثل مقام نبينا فلا جرم لم يكن في
كتبهم من الحقايق مثل ما في القران ولهذا قال ان ربك يقضي بينهم اي بين هذه الامة وبين امة كل نبي بحكمه اي بحكمته
بان يبلغ متابعي كل نبي الى مقام نبيهم ويبلغ متابعي نبينا الى مقام المحبة فاتبعوني يحببكم الله وهو العزيز الذي لعزته
لا يهدي كل متمن الى مقام حبيبه العليم بمن يستحق هذا المقام فتوكل على الله انك على الحق المبين في دعوة الخلق الى الله
واذا وقع القول عليهم وذلك بعد البلوغ ومضي زمان الرعي في مراتع البهيمة اخرجنا لهم من تحت ارض البشرية
دابة تكلمهم وهي النفس الناطقة فانها الى الان كانت موصوفة بصفة الصم والبكم بتبعية النفس الامارة التي لا توقن
لها بصفاتها بالدلايل ويوم نحشر من كل امة وهي صفات الروح والقلب فوجا وذلك بعد التصفية والمداومة على الذكر
والفكر حتى اذا رجعوا الى الحضرة قال اكذبتم باياتي يعني ان كنتم مصدقها عند خطاب الست بربكم وهذا خطاب فيه استبطاء
وعتاب ووقع القول عليهم بما ظلموا انهم لا ينطقون كقوله من عرف الله كل لسانه اولم يروا انا جعلنا ليل البشرية
سببا لاستجمام القلب ونهار الروحانية بتجلي شمس الربوبية مبصرا ابصر به الحق من الباطل ويوم ينفخ اسرافيل المحبة في
صور القلب ففزع من في سموات الروح ومن في ارض البشرية من الصفات النفسانية وهي النفخة الاولى في بداية تاثير
العناية للهداية والغالب المحبة التي يظهر القيمة في شخص المحب وفزع الصفات هيجانها للطلب بتهييج نار المحبة الا من شاء
الله وهو الخفي وهي لطيفة حقيقية في الروح بالقوة وانما تصير بالفعل عند طلوع شموس الشواهد واثار التجلي فلا يصيبه
الفزع بالنفخة الاولى ولا يدركه الصعقة بالنفخة الثانية وترى جبال الاشخاص جامدة على حالها وهي تمر بالسير في الصفات
وتبديل الاخلاق مر السحاب رب هذه البلدة وهي القلب والرب هو الله كما ان رب بلدة القالب هو النفس الامارة والشيطان
حرم بلدة القلب على الشيطان كما قال يوسوس في صدور الناس دون ان يقال في قلوب الناس سيريكم اياته
فتعرفونها فيه انه اذا لم ير الايات لم يكن عرفانها بالله حسبي وعليه توكلت واليه انيب

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين ● نتلوا عليك من
نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ● ان فرعون علا
في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين
● ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم

ايمة ونجعلهم الوارثين • ونمكن لهم في الارض ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه
في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين • فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
وقالت امرات فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان
ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون • واصبح فؤاد ام
موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ربطنا على قلبها لتكون
من المؤمنين • وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب
وهم لا يشعرون • وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون •
فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله
حق ولكن اكثرهم لا يعلمون • ولما بلغ اشده واستوى
اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين • ودخل المدينة
على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا
من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على
الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل
الشيطان انه عدو مضل مبين • قال رب اني ظلمت نفسي

فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم • قال رب بما انعمت
علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين • فاصبح في المدينة خائفا
يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى
انك لغوي مبين • فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما
قال موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد
الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من
المصلحين • وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى • قال يا موسى
ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين
فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين

القراءة ويري بفتح الياء واماله الراء وفرعون وهامان وجنودهما مرفوعات حمزة وعلي وخلف
وهكذا قرا وافقوا له وحزنا بضم الحاء وسكون الزاء الباقون بفتحها **الوقوف** طسم كوفي المبين يؤمنون شيعا ج
المفسدين الوارثين للعطف يحذرون ارضعيه للفاء مع احتمال الابتداء باذا الشرطية ولا تحزني للابتداء بان
مع ان فانا المرسلين وحزنا خاطئين ولك لا تقتلوه والوجه الوصل الرجاء بعده تعليل للنهي لا يشعرون فارغا
المؤمنين قصيه بناء على ان التقدير فتتبعه فبصرت لا يشعرون بناء على ان الواو للحال اي وقد حرمنا وقوله فقالت
عطف على قوله فبصرت والحال معترض ناصحون لا يعلمون وعلما المحسنين يقتتلان لان ما بعده صفة رجلين
ظاهرا ولكن مع اضمار اي يقال لهما من شيعته وهذا من عدوه وليس ببعيد ان يكون مستانفا من عدوه الاول
لان ما يتلوه معطوف على قوله فوجد مع اعتراض عارض من عدوه الثاني للعطف عليه لعدم العطف مع اتحاد القائل
الشيطان مبين فغفر له الرحيم للمجرمين يستصرخه مبين لهما لان ما بعده جواب لما بالامس للابتداء بالنفي و
بالنفي والوصل وجه لاتحاد القائل المصلحين يسعى لعدم العاطف مع اتحاد القائل من الناصحين يترقب لما قلنا في
يسعى الظالمين نصف السبع **التفسير** فاتحة هذه السورة كفاتحة سورة الشعراء نتلوا عليك على لسان جبرئيل
من نبا موسى وفرعون اي طرفا من خبرهما ملتبسا بالحق او محقين لقوم يؤمنون لان التلاوة انما ينفع هؤلاء
ثم شرع في تفصيل هذا المجمل في تفسيره كان سايلا سال فكيف كان نباهما فقال مستانفا ان فرعون علا
في الارض اي طغى وتكبر في ارض مملكته وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه جعلهم
اصنافا في استخدامه فصنف بان وصنف حارث وغير ذلك او فرقا مختلفة بينهم عداوة ليكونوا له اطوع وهم بنو
اسرائيل والقبط وقوله يستضعف حال من الضمير في جعل او صفة لشيعا او مستانفا ويذبح بدل منه وقوله
انه كان من المفسدين بيان ان القتل من فعل اهل الفساد لا عن علم لان الكهنة ان صدقوا فلا فايدة في القتل وان كذبوا
فلا وجه للقتل اللهم الا ان يقال ان النجوم دلت على انه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وضعفه ظاهر
لان المقدور كاين البتة ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على قوله ان فرعون علا فهذه ايضا تفسير للنبا
ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يستضعف اي يستضعفهم ونحن نريد ان نمن عليهم في المال فجعلت ارادة
الوقوع كالوقوع ونجعلهم ايمة مقدمين في امور الدين والدنيا وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن

مجاهد دعاه الى الخير وعن قتادة ولاة اى ملوكا ومعنى الوارثة والتمكين في ارض مصر والشام هو ان يرثوا ملك
فرعون وينفذ فيه امرهم والذي كانوا يحذرون منه ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود ومنهم يروى انه ذبح
في طلب موسى تسعين الف وليد قال ابن عباس ان ام موسى لما قرب ولادتها ارسلت الى قابلة من القوابل التي
وكل هن فرعون بالحبالى وكانت مصاحبة لام موسى وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني اليوم حبك فعالجتها
فلما وقع على الارض هالها نور من عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت [illegible]
فرعون ولكني وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظيه فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون
فجاء الى بابها ليدخل على ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور و
لم يعقل ما تصنع لما طاش من عقلها فدخلوا فاذا التنور مسجور واذا ام موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن
فقالوا لم دخلت القابلة عليك قالت حبيبة دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت يا اخت
موسى اين الصبي فقالت لا ادري فسمعت بكاءه في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما
الح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها ان يذبح فالهمها الله تعالى ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في
النيل فجاءت الى النجار وامرت بنجر تابوت طوله خمسة اشبار في عرضه خمسة فعلم النجار بذلك فجاء الى الموكل
بذبح الابناء فاعتقل لسانه فرجع ثم عاد مرات فعلم انه من الله فامتثل الى البحر وقيل لما فرغ من صنعة التابوت ثم اتى
فرعون يخبره فبعث معه من ياخذه فطمس الله عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق فايقن انه من الله وانه هو المولود
الذي يخافه فرعون فآمن في الوقت وهو مؤمن آل فرعون وانطلقت ام موسى والقته في النيل

الى امها وكان بها برص شديد وكان فرعون قد
شاور الاطباء والسحرة في امرها فقالوا يا ايها الملك لا تبرا هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبيه الانسي فيوخذ
من ريقه فتلطخ به برصها فتبرا من ذلك يوم كذا حين جلست على الشاطي اذا اقبل النيل بتابوت تضربه الارياح و
تسحره فقال فرعون ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوه فتح الباب فلم يقدروا
عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرات نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته
فاذا هو صبي صغير في مهده يمص ابهامه لبنا واذا نور بين عينيه فالقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون
الى ريقه فلطخت به برصها فبرات وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون ما نظن ان هذا هو الذي
يحذر منه فهم فرعون بقتله فاستوهبته امراة فرعون وابنته فترك قتله قال علماء البيان اللام في قوله ليكون
لهم عدوا لام العاقبة واصلها التعليل الا انه وارد ههنا على المجاز استعيرت لما يشبه التعليل من حيث ان العداوة
والحزن كان نتيجة التقاطهم كما ان الاكرام مثلا نتيجة المجي في قولك جئتك لتكرمني وبعبارة اخرى ان مقصود ذا
الشي والغرض منه هو الذي يؤول اليه امره واستعملوا هذه اللام فيما يؤول اليه الامر على سبيل التشبيه وان لم تكن
غرضا ومعنى كونهم خاطئين هو انهم اخطاوا في التقدير حيث ربوا عدوهم في حجرهم وانهم اذا ابنوا وحرموا فكان
عاقبة ذلك ان يجعل الله في تربيتهم من على يديه هلاكهم قال النحويون قرة عين خبر مبتدا محذوف اي هو قرة عين ولا
يقوى ان يجعل مبتدا ولا تقتلوه خبرا لان الطلب لا يقع خبرا الا بتاويل ولو نصب لكان اقوى لان الطلب من مظان النصب
روي في حديث ان آسية حين قالت قرة عين لي ولك قال فرعون لك لا لي ولو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه
الله كما هداها ثم انها رات فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وتوهمت فيه امارات النجابة فقالت عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا لانه اهل للتبني وذلك لما رات من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء قال في الكشاف وهم لا يشعرون حال
من آل فرعون والآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم والتقدير فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع لهم
منه وتبنيه قلت لا يبعد ان يكون الجملة حالا من فاعل قالت اي قالت كذا وكذا في حال عدم شعورها بالمال وهو ان هلاكهم
على يده ونسبه قال الكلبي اي لا يشعر بنو اسرائيل وهلا انا التقطناه قوله سبحانه واصبح فؤاد ام موسى قال الحسن اي فارغا
من كل هم الا من هم موسى وقال ابو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والحزن والاشتقاق كقوله وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول
فيها وذلك انها حين سمعت بوقوعه عند فرعون طار عقلها جزعا ودهشا وقال محمد بن اسحق والحسن في رواية اي فارغا
من الوحي الذي اوحينا اليها وذلك قولنا فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني الغرق وساير المخاوف فالخوف ثم بالحق

الانسان لتوهم والحزن يلحقه لواقع نهيت عنهما جميعا فجاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يصل فرعون ولدك
فيكون ذلك اجر فتوليت اهلاكه ولما انتهى خبر موسى ان وقع الى فرعون انساها عظيم البلا ما كان من عهد الله اليها و
قال ابو عبيدة فارغا من الخوف فان الله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الفارغ المحزون اما
من فسر الفراغ بحصول الخوف فعنده معنى قوله ان كادت لتبدي به هو انها كانت تحدث بان الذي وجدتموه ابني قال
ابن عباس وفي رواية عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة وجدها به وذلك حين رات الموج يرفع ويضع قال الكلبي
ذلك حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون ثم قال لولا ان ربطنا على قلبها بالالهام والصبر كما يربط على الشي المنقلب
مستقر ويطمئن ليكون من المومنين المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ولما فسره بعدم الخوف
فالمعنى عنده انها صارت مبتهجة مسرورة حين سمعت ان فرعون تبناه وعطف عليه وفي الكشاف انها كادت ان
يظهر انه ولدها لولا ان الهمناها الصبر ليكون من المومنين والواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون والقول الاول اظهر بدليل
قوله وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وانظري اين وقع والى من صار وكانت اخته لابيه وامه واسمها مريم فبصرت
به اما بصرت به عن جانب عن بعد اي نظرت اليه تروه بمخايفة وهم لا يشعرون بحالها وغرضها والتحريم
ههنا لا يمكن وحمله على النهي والتعبد ظاهر استعار للمنع لان من حرم عليه الشي فقد منعه وكان لا يقبل ثدي مرضع لما لا
تقاسع حاجته الى اللبن احدث فيه نفار الطبع عن لبن ساير النساء واما لانه احدث في البانهن من الطعم ما ينفر عنها
طبعه وعن الضحاك ان الله ارضعته ثلثة اشهر بغير ريحها والمراضع جمع مرضعة وهي المراة تصلح للارضاع او جمع
مرضع وهو الثدي او الرضاع فالاول مكان والثاني مصدر ومن قبل اي ومن قبلها اثره او من قبل ان رددناه الى امه
او من قبل ولادته في حكمنا وقضائنا روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت
انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد والمراد انهم يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه
ولا يمنعون ما ينفعه في تربيته وغذائه فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي يعلله فرعون شفقة عليه
وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك قالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني قال في الكشاف
ما الاستطابة على وجه الاستباحة قلت ولعل ذلك لدفع التهمة فان مال الاجرا
قد لم يكن مستنبطا حينئذ بدليل قوله واحلت الى الغنايم قالوا كانت عالمة بان الله تعالى سينجز وعده ولكن
ليس الخبر كالعيان فلهذا قال سبحانه ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم اي اكثر الناس لا يعلمون حقيقته و
عده في ذلك العهد وبعده لاعراضهم عن النظر في ايات الله وقال الضحاك ومقاتل يعني اهل مصر لا يعلمون ان الله
وعد رده اليها قلت ويؤيد هذا القول انه اقتصر هذا على الضمير دون ان يقول ولكن اكثر الناس كما قال في سورة
يوسف والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقيل هذا تعريض بافراط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت و
اصبح فؤادها فارغا وعلى هذا يحتمل ان يكون قوله من جملتها ما يعلمها اي ولتعلم حقيه وعد الله وهذا الاستدراك و
جوز في الكشاف ان يتعلق الاستدراك بقوله ولتعلم والمقصود ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو العلم بصدق
وعد الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ثم بين
سبحانه كمال عنايته في حقه كما بين في قصة يوسف قائلا ولما بلغ اشده وزاد ههنا قوله استوى فقيل بلوغ الاشد
والاستواء بمعنى واحد والاصح انهما متغايران والاشد عبارة عن البلوغ والاستواء اشارة الى كمال الخليقة وعن
ابن عباس الاشد ما بين الثمانية عشر الى ثلثين والاستوى من الثلثين الى الاربعين وهو عند الاطباء وهو سن
الوقوف فلعل يوسف اعطي النبوة في سن النمو واعطي موسى اياها في سن الوقوف والعلم التورية والحكم السنة وحكمة
الانبياء السنة قيل ليس في الاية دلالة على هذه النبوة كانت قبل قتل القبطي وبعده لان الواو لا يدل على ان النبوة
كانت بعد قتل القبطي بانها كانت بعده زوجه بنت شعيب والتزوج كان بعد فراره منهم الى مدين كما قرره تعالى في هذه
السورة وقد احال ذلك في الشعراء حيث قال حكاية عنه في قوله دخل المدينة لا يفيد الترتيب قلت يشبه موسى
فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وعلى هذا يمكن ان يراد بالواو القرب ويكون المعنى
آتيناه سير الحكماء العلماء قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه اما المدينة فالجمهور على انها القرية التي يسكنها
فرعون على فرسخين من مصر وقال الضحاك هي عين الشمس وقيل هي مصر وحين غفلتهم بين العشائين او وقت القيلولة

اويوم عيد اشتغلوا فيه باللهو وقيل اراد غفلتهم عن ذكر موسى وامره ذلك انه حين ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته في الصغر امر فرعون بقتله فجئ بجمر فاخذه في فمه فقال فرعون لا اقتله ولكن اخرجوه الى الدار والبلد فاخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره قال السدى وقيل ان الغفلة لموسى من اهلها وذلك انه لما بلغ اشده اتاه الله الرشد علم ان فرعون وقومه على الباطل وكان يتكلم بالحق ويعيب دينهم وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قريه الا على تغفل وتستر قال الزجاج قوله هذا وهذا وهما غائبان على جهة الحكاية اى وجد فيها رجلين يقتتلان اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وعن مقاتل ان الرجلين كانا كافرين الا ان احدهما من بنى اسرائيل والاخر من القبط واحتج عليه بان موسى قال في الكشاف له انك لغوى مبين والمشهور ان الذى من شيعته كان مسلما كانه قال من شايعه على دينه وانما وصفه بالغى لانه كان سبب قتل رجل وهو مقاتل اخر على ان بنى اسرائيل فيهم غلظ وجفا ولكن ان ينسبوا الى الغواية بذلك الاعتبار لانهم قالوا بعد مشاهدة الايات اجعل لنا الها وروى ان القبطى اراد ان يسخر الاسرائيلى لحمل الحطب الى مطبخ فرعون وقيل ان الاسرائيلى هو السامرى فاستغاثه فسأله ان يخلصه منه فوكزه اى دفعه باطراف الاصابع اى بجمع الكف فقضى عليه اى اماته وقيل الطاعنون في عصمة الانبياء قالوا ان كان القبطى مستحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان وقال رب انى ظلمت نفسى وان لم يكن مستحق كان قتله معصية وذنبا وايضا قوله هذا من عدوه يدل على انه كان كافرا وكان دمه مباحا والاستغفار من ترك الاولى سنة المرسلين او اراد انى ظلمت نفسى حيث قتلت هذا الكافر ولو عرف ذلك فرعون لقتلنى به فاغفر لى واستره على هذا كله اذا كان تنبأ ذلك الوقت وفيه ما فيه قالت المعتزلة في قوله هذا من عمل الشيطان دليل على ان المعاصى ليست بخلق الله ولقايل ان يقول معناه اقدامى على ترك المندوب من عمل الشيطان او هذا من خلق الله فضلا عن الشيطان على ان المشار اليه بهذا يحتمل ان يكون شيئا اخر كما قررنا قوله بما انعمت على قيل اراد به القوة وانه لم يستعملها الا في مظاهرة اولياء الله وعلى هذا يكون ما اقدم عليه من اعانة الاسرائيلى على القبطى طاعة اذ لو كانت معصية لصار حاصل الكلام بما انعمت على بقبول توبتى فانى اكون مواظبا على مثل تلك المعصية وقال القفال الباء للقسم كانه اقسم بما انعم الله عليه من المغفرة ان الظاهر مجرما واراد بمعاونة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملة حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من يودى مظاهرته الى ترك الاولى وقال الكسائى والفراء انه خبر ومعناه الدعاء كانه قال فلا تجعلنى ظهيرا فالفاء للدلالة على تلازم ما قبلها وما بعدها وفي الاية دلالة على جواز اعانة الظلمة والعنة حتى نرى العلم وليعلم ادوا عن ابن عباس انه لم يستثن اى لم يقل فلن اكون ان شاء الله فابتلى به مرة اخرى في هذه الرواية نوع ضعف فانه ترك الاعانة في المرة الثانية ولئن صحت فلعله اراد انه جرت صورة تلك القصة عليه الا ان الله عصمه في تعمد موت القبطى من ترك اصبح موسى من غد ذلك اليوم خايفا يترقب الاخبار وما يقال فيه فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يطلب نصرته بصياح وصراخ فنسبه موسى لذلك الى الغواية فان كثرة المخاصمة على وجه يودى الى الاستنصار خلاف طريق الرشد فغوى بمعنى غاو وجوز بعض اهل اللغة ان يكون بمعنى مفعول لانه اوقع موكله فيما اوقع ثم طلب منه مثل ذلك وهو نوع من الاغوا قال بعضهم لما خاطب موسى الاسرائيلى بانه غوى وراى فيه الغضب ظن لما هم بالبطش انه يريده فقال اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وزعموا انه لم يعرف قتله بالامس الا وهو صار ذلك سببا لظهور القتل ومزيد الخوف وقال الاخرون بل هو قول القبطى وقد كان عرف القصة من الاسرائيلى وهذا القول اظهر لان قوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بان يكون قول الكافر قال الجبار الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتى هى احسن وقيل هو المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله عز وجل وحين وقعت هذه الواقعة انتشر الحديث في المدينة وهموا بقتل موسى فاخبره بذلك رجل فهو قوله وجاء رجل من اقصى المدينة اى من ابعد مسافتها اليه وقوله يسعى صفة الرجل وحال منه لانه قد تخصص بالوصف وان يجعل الظرف صلة بجاء حتى يكون المجئ من هنالك تعين ان يكون وصفا قال العلماء الا ظهر في هذه السورة ان يكون الظرف وصفا ليس ان يكون صلة ولذلك خصت بالتقديم ويويده ما جاء في التفسير انه كان لعبد الله في حيل فلما سمع خبر الرجل سعى مستعجلا او الايثار المشا ولان كل واحد من المنشا ورين يأمر صاحبه بشئ او يشير عليه بامر ومعنى يأتمرون بك يتشاورون بسببك وقوله لك من الناصحين كقوله

فيه من الزاهدين وفيه ان الحال في مثل هذه الصورة بيان لا صلة فخرج منها خائفا يترقب المكروه من جهتهم وان يلحق ملتجئا الى الله ورب نجنى من القوم الظالمين وفيه دليل على ان قتله القبطى لم يكن ذنبا والا لم يكونوا ظالمين لطلب القصاص التأويل ان فرعون النفس الامارة واستولى على من في الارض الانسانية وجعل اهلها وهم الروح والسر والعقل اصنافا في الاستخدام لاستيفاء الشهوات يستضعف طايفة منهم وهم صفات القلب لابنا وصفات الحميدة المتولدة من ازدواج الروح والقلب والنساء الصفات الذميمة المتولدة من ازدواج النفس والبدن انه كان من المفسدين للاستعداد الفطرى ونرى فرعون النفس وهامان الهوى وجنودهما من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ام موسى السر لان القلب تولد من ازدواج الروح والسر رضيعه عن لبن الروحانيات فقدم حرم عليه مواضع الحيوانية والدنيوية فالقيه في يم الدنيا في تابوت القالب وجاعلوه من المرسلين اى من القلوب المحدثين كما قال بعضهم حدثنى قلبى عن ربى فالتقطه آل فرعون وهم صفات النفس والقوى البشرية من الجاذبة والماسكة والهاضمة وغيرها فانها اسباب تربية الطفل ليكون لهم في العاقبة عدوا لجاريهم بطريق الرياضات والمخالفات وحزنا بترك الشهوات واللذات وبالدعوة الى ما لا يلايم هواهم من طاعة الله وقالت امرأة فرعون النفس وهى الحب ولا تقتلوا القلب بسيف الشهوات والانهماك في اسباب اللذات الحيات عسى ان ينفعنا بان ينجينا من النار قال اهل التحقيق لما كان اعتقاد الحب في تربية موسى القلب ان يكون قرة عين ولدها فلا جرم نفعها الله بالنجاة ورفع الدرجات وحين لم يكن لفرعون النفس في حبه هذا الاعتقاد بل كان يتوقع الهلاك منه كان هلاكه على يده بسيف الصدق وسم الذكر وهم لا يشعرون انه لو لم يوقف هلاكهم على يديهم فما دام موسى هو سر استراحت موسى القلب هو العقل ودخل مدينة القالب على حين غفلة من اهلها وهم الصفات النفسانية فوجد فيها رجلين صفتين احدهما من صفات النفس في قوله هذا من عمل الشيطان اشارة الى قتل كافر صفات النفس بالجهاد معها ان لم يكن بامر الحق وعلى سبيل المتابعة لم يفد به فلن اكون ظهيرا للمجرمين الذين اجرموا بانحاهدوا كفار صفات النفس بالطبع والهوى لا بالشرع كالفلاسفة والبراهمة انك لغوى مبين لا بتابع وسلطان قوى قتل اوانه وهو فرعون النفس وجاء رجل من العقل من اقصى المدينة الانسانية اى من اعلى مراتب الروحانية يسعى في طلب نجاته موسى القلب فاخرج من مدينة البشرية الى صحراء الروحانية خائفا من سطوات فرعون النفس يترقب مكايدهم

ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ۝ ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون و وجد من دونهم امرأتين تذودان ۝ قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير ۝ فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير ۝ فجاءته احديهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ۝ قالت احديهما

يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين ۝
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني
حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك
ستجدني ان شاء الله من الصالحين ۝ قال ذلك بيني وبينك
ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل
فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا
قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر
او جذوة من النار لعلكم تصطلون ۝ فلما اتيها نودي
من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان
يا موسى اني انا الله رب العالمين ۝ وان الق عصاك فلما راها
تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا
تخف انك من الامنين ۝ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان
من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين ۝
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون ۝ واخي
هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني
اخاف ان يكذبون ۝ قال سنشد عضدك باخيك ونجعل
لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما
الغالبون ۝ فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا

سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ۝ وقال موسى
ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة
الدار انه لا يفلح الظالمون ۝ وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت
لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا
لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين ۝ و
استكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم
الينا لا يرجعون ۝ فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۝ وجعلناهم ائمة يدعون
الى النار ويوم القيمة لا ينصرون ۝ واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين ۝

القراءة ربي ان بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويصدر بفتح الياء وضم الدال ابن عامر ويزيد وابو عمرو وايوب الاخرون بضم الياء وكسر الدال اني اريد ستجدني ان بفتح يا المتكلم فيهما ابو جعفر ونافع اني انست اني انا الله واني اخاف بفتح الياء المتكلم في الكل ابو جعفر ونافع وابو [illegible] ولعلي اتيكم مم وابن عامر جذوة بفتح الجيم عاصم وبضمها حمزة وخلف الباقون بكسرها من الرهب بفتح الراء وسكون الهاء حفص وبفتحهما ابو عمرو وسهل ويعقوب وابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون بضم الراء وسكون الهاء فذانك بتشديد النون ابن كثير ويعقوب وابو عمرو ومعي بالفتح حفص ردا بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف يصدقني بالرفع حمزة وعاصم يكذبوني بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وغياس وسهل في الوصل قال موسى بغير واو ابن كثير ربي اعلم بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو من يكون على التذكير حمزة وعلي وخلف والمفضل لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم نافع ويعقوب وعلي وخلف **الوقوف** السبيل يسقون لانه راس اية عند الاكثر مع المتفقين تذودان لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد الفاصل خطبكما الرعا لان ما بعده منقطع لفظا ومعنى كانه قال لم خرجتما وقالت اهتدينا بالاستعانة وابونا شيخ كبير فقير استحيا لعدم العاطف مع اتحاد القايل ومن وقف على تمشي وجعل على استحياء حالا مقدما اي قالت مستحيية فلا وجه له بالوقف لنا لا تخف جواب لما ينتظر وقلبه حذفا اي فذهب معها فلما جاءه فكان الفاء لاستيناف المعتبر لان قال الجواب لا تخف لان قوله نجوت غير متصل به لفظا وليفصل بين البشارتين اي لا تخف ضمنا وقد نجوت من ظلم فرعون الظالمين استاجره للابتداء بان مع اتحاد المقول واحتمال التعليل الامين حجج للشرط مع الفاء عندك لابتداء النفي من الواو عليك الصالحين وبينك لابتداء الشرط على وكيل نارا لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد القايل يصطلون العالمين عصاك لحق الحذف اي فالقاها فلما راها ولم يعقب لا تخف لمثل ما مر اي لا تخف باس العصا انك انت لها باس فرعون الامنين سوء لعطف الجملتين المتفقين مع طول الكلام وملائه فاسقين يقتلون يصدقني للابتداء بان مع اتحاد المقول واحتمال التعليل يكذبون باياتنا اي لا يصلون اليكما بسبب اياتنا وعلى اليكما وجه اي انتم الغالبون باياتنا الغالبون الاولين الدار الظالمون غيري التوبيخ الكلام الى اله موسى لان ما بعده مقوله ايضا الكاذبين لا يرجعون في اليم للابتداء بامر الاعتبار واختلاف الجملتين المختلفتين لا ينصرون لعنة

لمثل ذلك المقبوحين **التفسير** ذهب بعض المفسرين الى ان موسى خرج وما قصد مدين ولكن سلم امره الى الله
تعالى واخذ يمشي من غير معرفة فاوصله الله الى مدين وقد يؤيد هذا التفسير ما روى عن ابن عباس انه خرج وليس له علم
بالطريق الا حسن ظنه بربه ويحتمل ان يكون معنى قول ابن عباس انه لما خرج قصد مدين لانه وقع في نفسه ان بينه
وبينهم قرابة لانهم من ولد مدين بن ابرهيم وهو كان من بني اسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى اما
انه قصد مدين فلقوله سبحانه ولما توجه تلقاء مدين اى قصد نحو هذه القرية ولم يكن في سلطان فرعون وبينها وبين
مصر مسيرة ثمان واما انه اعتمد على فضل الله فلقوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اى وسطه وجادته ونظيره قول
جده ابرهيم صلوات الرحمن عليه انى ذاهب الى ربي سيهدين وهكذا الخلف الصديق يقتدى بالسلف الصالح فيهتدى
قال السدى لما اخذ في المسير جاء ملك على فرس فسجد له موسى من الفرح قال لا تفعل واتبعنى فاتبعه نحو مدين عن ابن
جريج انه خرج بغير زاد ولا ظهر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ولما ورد ماء مدين وكان بئرا فيما روى ورود الماء
مجيئه والوصول اليه ضد الصدر وجد عليه اى على شفيره ومستقاه امة من الناس جماعة كثيفة العدد واصنافا
يسقون مواشيهم ووجد في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تدفعان وتطردان اغنامهما لان على الماء من هو
اقوى منهما فلم تتمكنا من السقى او كانتا تكرهان المزاحمة على الماء واختلاط اغنامهما باغنامهم واختلاطهما بالرجال وقيل
تذودان عن وجوههم نظر الناظر وبالجملة حذف مفعول تذودان لان الغرض تقرير الذود ولا الذود وكذا في يسقون
ولا نسقى ويسقى والمقصود هو ذكر السقى لا المسقى وكذا في قراءة من قرأ حتى يصدر الرعاء مواشيهم لغرض بيان الاصدار
قال ما خطبكما هو مصدر بمعنى المفعول اى ما مخطوبكما ومطلوبكما من الزيادة قالتا لا نسقى الآية سالهما الذود فذكرتا
ان ضعفنا سنوداننا لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى ان يفرغوا وما لنا رجل
يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به وهذه الضرورة هي التي سوغت لنبي الله شعيب ان رضى
لابنتيه بسقى الماشية على ان الامر في نفسه ليس بمحظور ولعل العرب وخصوصا اهل البدو منهم لا يعدونه للمروءة
وزعم بعضهم ان اباهما هو يثرون اخو شعيب مات بعد ما عمى وهو اختيار ابي عبيد ويمنه الى ابن عباس وعن الحسن انه
رجل مسلم قبل الدين من شعيب ما فسقى لهما ومعناه فسقى لهما لاجلهما ففيه قولان **احدهما** انه سأل القوم
فسمحوا ولو كانهم ولو يجتمع عليها اربعين رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى موسى بها وحده وصب الماء في الحوض
ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت **والثاني** انه عمد الى بئر وعليها صخرة لا يقلها الا سبعة رجال او عشرة او اربعون
او مائة فاقتلعها وحده وسقى اغنامهما كل ذلك في شمس وحر ثم تولى الى الظل ظل سمرة فقال رب انى لما انزلت
الي من خير فقير ذهب اكثر المفسرين الظاهرين ومنهم ابن عباس الى انه طلب من الله طعاما كله وعدى فقير باللام
لانه ضمن معنى سائل وطالب وعن الضحاك انه مكث سبعة ايام لم يذق فيها طعاما الا بقل الارض وان خضرته
تتبين في بطنه من الهزال وفيه دليل على انه نزع الدلو واقل الصخرة بقوة الربانية وقال بعض اهل التحقيق اراد
فقير من الدنيا لاجل ما انزلت من خير الدين وذلك انه كان عند فرعون في ملك وثروة فاظهر الرضا بهذا البدل
شكرا لله يروى انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحدهما اذهبي فادعيه لي وذلك قوله سبحانه فجاءته احديهما تمشي على استحياء
وقيل من جملة حيائها انها قد استترت بكم درعها ثم قالت ان ابي يدعوك عن عطاء بن السائب انه حين قال رب
انى لما انزلت الي من خير فقير رفع صوته بدعائه لتسمعهما فلذلك قيل لتحريك كره ذلك ولما قدم عليه الطعام
امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع دينا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا سوا
كيف ساغ لموسى ان يعمل لامرأة يمشي معها وهي اجنبية الجواب العمل بقول الواحد حرا او عبدا ذكرا او انثى سائغ في
الاخبار ومع الاجنبية لا بأس به في حالة الاضطرار مع التورع ويؤيده ما روى ان موسى تبعها فالزقت الريح ثوبها بجسدها
فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي الطريق قال الضحاك لما دخل عليه قال له من انت يا عبد الله قال انا موسى
بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وقص عليه القصص اى المقصوص من لدن ولادته الى قتل القبطي
وفراره خوفا من فرعون وملائه فقال له شعيب لا تخف فرعون او نجوت من القوم الظالمين فلا سلطان لفرعون
بارضنا قالت احديهما وهي كبراهما اسمها صفورا وكانت الصغرى صغيرا يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي
الامين قال النحويون جعل القوي الامين اسما لكونه معرفة صريحا اولى من جعل افعل التفضيل المضاف لكونه قريبا من المعرفة

ولكن كمال العناية صار سببا للتقديم وورود الفعل وهو استأجرت بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف
قال المحققون ان قولها هذا كلام حكيم جامع لا مزيد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعنى الكفاية والامانة
اللتين هما ثمرة الكياسة والديانة والذي يقوم بامرك فقد حصل مرادك وكل فراغك ان ابن عباس ان شعيبا اغضبه
الغيرة فقال وما علمت بقوته وامانته فذكرت نقل الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه اى خفضه حتى بلغته
رسالته وامرها بالمشي خلفه فلذلك قال اريد ان انكحك احدى ابنتي وليس هذا عقدا حتى يلزمه الجهالة في معقود عليها
ولكنه حكاية عزم وتقرير وعد ولو كان عقدا لقال قد انكحتك احدى ابنتي فلانة وفي قوله هاتين دليل على انه كانت له
غيرهما قال اهل اللغة تأجرني من اجرته اذا كانت له اجيرا فيكون ثماني حجج فمن عندك اى فاتمامه من عندك لا من عندي اذ
يتفضل منك وتبرع وما اريد ان اشق عليك بالزام الاجلين او بالتكاليف الشاقة في مدة الرعي وانما اعامل معك معاملة
الانبياء يأخذون بالاسمح بالانجاء لا بالجيم قال اهل الاشتقاق حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر ان الامر اذا اصعب
الامر فكانه شق عليه ظنه باثنين يقول تارة اطيعه وتارة لا اطيعه ثم اكد وعد المسامحة بقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين
اى على الذبح وفيه ان الاعتماد في جميع الامور على معونة الله وان الامر هو كون الى الله استدل الفقهاء
بالآية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان الحاق الزيادة بالثمن والثمن جائز وعلى ان عقد النكاح لا يفسد الشروط التي لا يوجبها
العقد ويمكن ان يقال انه شرع من قبلنا فلا يلزمنا وجوز في الكشاف ان يكون استأجره لرعيه ثماني سنين لمبلغ معلوم
وفاه اياه ثم انكحه ابنته وجعل قوله على ان تأجرني عبارة عما جرى بينهما قال موسى ذلك الذي ساورتني عليه قائم بيني و
بينك لا يخرج كلانا عنه ايما الاجلين قضيت وما موكدة لابهام اى زائدة في شيوعها فلا عدوان على اى لا تعتدى
على في طلب الزيادة فان قضيت الثاني فقد طلب بالزيادة وان قضيت العشر اختيارى فلم اطالب بالزيادة ايضا وقيل اراد
بهما قضيت فلا اكون متعديا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تزوج كبريهما وقيل صغريهما ولا خلاف في انه قضى
اوفى الاجلين قال القاضي في قوله فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس دليل على انه لم يزد على عشر وفيه نظر لانه لا يفهم
من هذا التركيب الا ان الايناس حاصل عقيب مجموع الامرين ولا يدل على ذلك حصل عقيب احدهما وهو قضاء الاجل
ويؤيده ما روى عن مجاهد انه بعد العشر المشروط مكث عشر سنين اخرى قال اهل اللغة الجذوة بحركات الجيم العود الغليظ
كانت في رأسه نار او لم يكن وشاطئ الوادي جانبه ومن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية اى اتاه النداء من شاطئ الوادي
من قبل الاولى الشجرة فالثانية بدل الاشتمال لان الشجرة كانت ثابتة على الوادي الشاطئ وصفت البقعة بالمباركة لان فيها ابتدأ
الرسالة والتكليم احتجت المعتزلة على مذهبهم ان الله تعالى يتكلم بكلام خلقه في الجسم بقوله من الشجرة والصوت والحرف
دل على كلام الله وذهب الاشعري الى ان الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن ان يكون مسموعا كما ان الذات الذي ليس بجسم
ولا عرض يمكن ان يكون مرئيا روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل البيت فخذ من تلك عصا
فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها فكان مكفوفا فضن بها فقال
غيرها فما وقع في يده الا هو سبع مرات فعلم ان له شأنا ومن الكلبى الشجرة التي منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما
اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك وان كان هناك اكثر لان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى
الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على منعها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت الى موسى دامية فارتاح لذلك وحين رجع الى شعيب من الغنم فوجدها ملأى اى البطون غزيرة
اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا فقيل كن لما لا ترجوا ارجى منك لما ترجوا فان موسى ذهب ليقتبس النار
فكلمه الملك الجبار وقد مرت في النمل تفسير قوله فلما رآها تهتز الى قوله من غير سوء اما قوله واضمم اليك جناحك
من الرهب فذكر جار الله له معنيين **احدهما** حقيقة وهو انه لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده
كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه نقصان عند الاعداء فالقها فكما تنقلب حية فادخل
يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء لتحصيل الامرين اجتناب واظهار معجزة اخرى **وثانيهما** مجاز
وهو ان يراد بضم الجناح التجلد وضبط النفس حتى لا يضطرب فيكون استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه
واضمها ومعنى من الرهب من اجل الخوف والفرق بين هذه العبارة وبين قوله اسلك يدك في جيبك ان الغرض هناك
خروج اليد بيضاء وههنا الغرض اخفاء الخوف واراد بالجناح المضموم منها اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه في قوله
واضمم يدك الى جناحك اليد اليسرى وقيل ان الرهب هو الكم بلغة حمير وزيف النقاد ومن قرأ فهذانك بالتخفيف فمثنى

وان ومن قرا بالتشديد فمثنى ذلك واصله ذلك فقلبا الكلام اللام نونا وادغمت وسميت الحجة برهانا لبيانها وانارتها
من قولهم امراة برهوهة اى بيضاء العين واللام مكررتان والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان
ونظيره السلطان من السليط الزيت لانارتها فظاهر الكلام يقتضى انه تعالى امره بذلك قبل لقاء فرعون والترقيه
ان يكون على بصيرة من امره عند لقاء العاند اللجوج وزعم ان القاضى انه فى حال اداء الرسالة لان المعجز انما يظهر لمستدل
المرسل اليه على الرسالة لا يخفى ضعف هذا الكلام لان الحكمة فى الاظهار لا ينحصر فى الاستدلال بل هناك
انواع اخر من الحكم والفاسد وقد ذكرنا واحدا منها وهما يوكدان هذا الكلام وقد جرى ولم يكن هناك احد غير موسى
قوله مفتدرا رب انى قتلت منهم نفسا الاية والردا اسم ما يعان به من رده اى اعنته فعل بمعنى مفعول به ويصدقنى
بالرفع صفه وبالجزم جواب كامر فى قوله يرثنى والمراد يتصدق بواحيه اريدت ويجادل عنه لا ان يقول صدقت
فان هذا القدر لا يفتقر الى البيان والفصاحة لا سحبان ولا باقلا يستويان فيه ويجوز ان يكون فى يصدقنى لفرعون
وجوز جار الله ان يكون من الاسناد المجازى بناء على ان التصديق مسند الى هرون وهو سببه وبلاغته سبب تصديق
فرعون يويده قوله انى اخاف ان يكذبون قال الجبائى انما سال موسى ان يرسل هرون بامر الله تعالى ولم يكن نبيا لما لا يامن
ان لا يجاب ولا حكم ولقايل ان يقول لعله سبيله مشروطا على معنى ان اقتضت الحكمة ذلك كما يقول الداعى فى دعائه
وقال السدى علم ان اثنين اقوى من واحد فلهذا سال اعتراض القاضى بان هذا من حيث العادة واما من حيث الدلالة
فلا فرق بين معجز ومعجزين لان المبعوث فى انهما نظر فلم وان لم ينظر قال واحد هذا اذا كانت طريقة الدلالة بين
المعجزين واحدة فاما اذا اختلف وامكن فى احدهما من الشبهه ما لا يمكن فى الاخرى فغير ممتنع ان يكون المجموع بهما اقوى
اقوى من واحد كما قال السدى لكن ذلك لا يتاتى فى موسى وهرون لان معجزتهما كانت واحدة قال جار الله سنشد عضدك
سنقويك باخيك اما لان اليد تشتد بشدة العضد وجملة البدن تقوى على مزاولة الامور بشدة العضد وجملة البدن
تقوى على مزاولة الامر بشدة اليد واما لان الرجل واشتدادها لاخ شبه باليد فى اشتدادها باشتداد العضو السلطان
التسلط والغلبة والحجة الواضحة وقوله باياتنا اى متعلق بعقد اى اذهبا باياتنا او يتعلق بظاهر وهو يصلون و لا
يصلون ويجوز ان يكون بيانا للغالبين كانه قيل بما اذا يغلب فقيل باياتنا وامتنع ان يكون صلة للغالبون لتقدمه و
يجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه ويجوز ان يكون من لغو القسم الذى لا جواب له كقولك زيد وابيك
منطلق والمراد الغلبة بالحجة والبرهان فى الحال وبالدول والملكة فى المال وصيت الشجرة بعد تسليم ثبوته لا يقدح
فى قوله ومن اتبعكما الغالبون لان الدولة الباقية على شانا وسحرهم انه ثم يفتريه الى الله فهذا الكذب من هذا الوجه
او سحر ظاهر افتراؤه او لا سحر يحقى افتراؤه او سحر موصوفا بالافتراء كسائر انواع السحر فان كل سحر فيما علمه يوهم خلاف ما هو الحقيقة
ومعنى ما سمعنا بهذا فى اباءنا الاولين قدمر فى سورة المومنين قال جار الله فى اباءنا حال عن هذا اى كائنا فى
زمانهم وايامهم قلت لا مانع من ان يكون الظرف لغوا ولا يخلوا من ان يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا بنحوه لو بوبره
وانما لم يسمعوا بمثله فى فظاعته وارادوا ان الكهان لم تجئ بمثل ما جاء به موسى وكلمة هذه المقالات لا يعتد بها
الامن المحجوج اللجوج الذى صار امره لحيل التقليد من قراه قال موسى لعبره او خالط طريقه السوال والجواب وقوله
قراه الاكثر بانهم قالوا ذلك وقال موسى هذا البواد ن العاقل من الناظر من القولين فيتبين له الفرق بين السمين والغث وقوله
ربى اعلم من جاء بالهدى من عنده افحام للخصم المعاند لا سبيل اذا دافع بالجد اى يعلم انى محق وانهم مبطلون وقوله من
تكون له عاقبة الدار يعنى العاقبة الحميدة كان المذمومة غير معتد بها ضم طريقة الوعيد الى الافحام المذكور و
قيل معنى ربى اعلم بالانبياء السالفة فهو جواب لقولهم ما سمعنا بهذا وقال جار الله ربى اعلم بحال من اهل للفلاح
حيث جعله نبيا وبعث حسن المعنى ولو كان كاذبا كما يزعمون لم يرحله ذلك لانه لا يفلح عند الظالمون واهل الملا
فرعون كانه لما عاد عنه ظهور محجة موسى ان يتعلق فى دفع تلك الحجة بشبهة يوهم بها على اتباعه فذكر ههنا
امرين الاول قوله ما علمت لكم من اله غيرى وكانه استدل بعدم الدليل على عدم المدلول وهو حجة ثم توجهه الى ان الدليل
على وجود الصانع اكثر من ان يحصى فان عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول واما قوله غيرى فقد كلفت معهم
انه لم يرد انه خالق السموات والارض وما فيها فان امتناع ذلك بديهى وانما اراد به نفى الصانع ونفى الاله على الاطلاق
وانه لا تكليف على الناس الا ان يطيعوه مليكهم ومبادئ الامم الثانى قوله فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى
له اينما ههنا يقيل به بعيد من القايل يوم صعود السماء ما له وكانه اراد انه لا سبيل الى اثبات الصانع من

حيث العقل كما مر ولا من حيث الحس فان الاحساس به يتوقف على الصعود وهو متعذر والا فاين يا هامان فعل هذا البنا
وانما قال ذلك تهكما فبمجموع هذه الاشياء قرر انه لا دليل على الصانع ثم رتب النتيجة عليه وهو قوله وانى لاظنه من الكاذبين
والاكثرون من المفسرين على انه بنى مثل هذا البنا جهلا منه او ملبسا على ملائه حيث صادقهم اعنى الناس والخلائق
من الظن يروى ان هامان جمع العمال منهم خمسون الف بناء سوى الاجراء وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير
فشدوه حتى بلغ مبلغا لا يقدر البانى ان يقوم عليه فبعث الله جبرائيل عند غروب الشمس فضربه بجناحيه فقطعه
ثلث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت الى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق واحد
من عماله الا وقد هلك وروى فى القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى نشابه نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت
اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله جبرائيل لهدمه قال اهل البيان ان صح حديث رد النشابة
ملطوخة فقد تهكم بالفعل كما يثبت التهكم بالقول فى غير موضع وانما قال فاوقد لى يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ
لى الاجر لان هذه العبارة احسن ولان فيه تعظيم المصنفة وقد كان اول من عمل الاجر عن عمر انه حين سافر الى الشام
وراى القصور المشيدة بالاجر قال ما علمت ان احدا بنى بالاجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود فقال طلع الجبل و
اطلع وفى قوله فاستكبر هو وجنوده فى الارض يعنى ارض مصر بغير الحق اشارة الى ان الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى
كما فى الحديث القدسى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فهو كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق وفى قوله وظنوا انهم الينا
لا يرجعون دليل على انهم كانوا منكرى البعث كالطبايعيين وفى قوله فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم دلالة على علو
شانه وعظم سلطانه واشارة الى استخفاف فرعون وعدده وان كانوا اكثر من رمال الدهناء كانه شبههم بحصيات اخذهن
فى كفه فطرحهن فى البحر واستدلت الاشاعرة بقوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ان خالق الشر وجاعل الكفر هو الله
سبحانه وقالت المعتزلة معنى الجعل التسمية والحكم بذلك كما يقال جعله بخيلا فاسقا اذا حكم بالبخل والفسق عليه وسماه
بالبخيل والفاسق واراد حد لنا منهم وسماهم الالطاف حتى كانوا ائمة الكفر وداعين الى النار اى الى موجباتها من الكفر والمعاصى
وقال ابو مسلم معنى الامامة التقدم وذلك انه تعالى عجل لهم العذاب فصاروا متقدمين لمن وراءهم من الكفرة الى النار وقال
بعضهم اراد بالامامة انهم بلغوا فى ذلك الباب اقصى النهايات حتى استحقوا ان يقتدى بهم ثم بين قوله يوم القيمة هم مخذولون
كما قال فاتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة اى طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اى من المطرودين المتقذرين
وقال الليث قبحه الله بالتخفيف قبحا بالفتح وقبحا بالضم وقبحا ايضا اى نحاه من كل خير وقال ابن عباس من المشوهين بسواد
الوجه وزرقة العين وعن بعضهم انه تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم فيجمع لهم من الفضيحتين التاويل وحين توجه
تلقاء مدين من عالم الروحانية وجعل عليه امة من اوصاف الروح يسقون مواشى اخلاقهم من ماء الفيض الالهى قال الشيخ
الامام الربانى نجم الدين المعروف بداية وذلك لان المعانى انوار الفيض يرد على الروح فى البداية بالتدريج فينشأ منه
الخفى وهو لطيفة ربانية مودعة فى الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل الا بعد تجليات الواردات الربانية ليكون واسطة
بين الحضرة والروح فى قبول تجلى صفات الربوبية والفيوض الالهية فيكون فى هذه المدة بمنزلة عن استماع الفيض
الروح عند استعمال القلب بمعالجات النفس واصلاح القالب الى حين توجه موسى القلب الى عالم مدين الروحانية وذلك
قولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء وهم صفات الروح ويصرفوا مواشيهم وهى الصفات الانسانية عند ماء الفيض الالهى
فاذا صدروا واستقينا مواشينا من الاوصاف والاخلاق ما حصلت مواشيهم فى حوض القوى وابونا شعيب الروح
لا يقدر على سقيه من الاوصاف الانسانية الا بالاجر والوسائط واما لا يطيق ان يسقى الضعف حاله فسقى موسى القلب
مواشيهما بقوة استمدادها من الجسد وقوة استمدادها من الروح لانه متوسط بين العالمين ولهما سمى قلبا ثم تولى الى
الظل العناية وطلب الفيض الالهى بلا واسطة وهكذا ينبغى ان يكون السالك لا يقنع بما وجد من المعارف ابدا فجاءته احداهما
فيه ان القلب يحتاج فى الوصول الى حضرة شعيب الروح ان يشمه من الخفى والسر لا يخفى نجوة فيه ان القلب اذا وصل
الى مقام الروح نجا من ظلمات النفس وصفاتها انجز من استاجرت من النفس والجسد القوى الامين لان القلب استفاد
القوة من الجسد بالامانة من الروح ثمانى حجج فيه ان الروح فى تبليغ القلب الى مقام الخفى يحتاج الى السير فى مقامات صفاته
الثمانية المخصوص به فى خلافة الحق وهى الحياة والارادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقا وتمام ذلك
الى عشر يتم الخصوصية وهما المحبة والانس مع الله فلا عدوان على اى ليس لك ان تمنعنى العبود عن مقامك لانك
من خصوصيتك بالخلافة مجبول على تلك الصفات الثمانى واما المحبة والانس مع الله فصفتان مخصوصتان بالجنة

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولهذا قال فان كل انسان من المومنين والكافرين فانه مجبول على تلك الاوصاف وليس
من دعوه من يحبهم ويحبونه الا من موجد بالقلب فلما اتصف موسى القلب بالاوصاف الثمانيه وغلبه عليه
محبه الله وتشابه به وصار بجميع صفاته متوجها الى حضرة القدس انس من طور الحضرة نور الالهية وفي قوله
لاهله امكثوا اشاره الى السالك لابد له من تجريد الظاهر عن الاهل والمال وتفريد الباطن عن تعلقات الكونين
نور شد واذا بدا استمكن شمس طلعت ومن وراها آمن وفي قوله لعلكم تصطلون اشارة الى ان الاوصاف الانسانيه
جامدا من برودة الطبيعة لا ينبسط الا بجذوة نار المحبه بل بنار الجذبة الالهيه من شاطئ الوادى الايمن وهو السر
في بقعه البدن من شجرة وجود الانسان من الرهب اى رهبه من فراق وصال الحضرة ولحم رون هو العقل فيه تحقق
تصديق الناطق بالحق قالوا ما هذا الا سحر مفترى لان النفس خلقت من اسفل عالم الملكوت منكسه والقلب خلق من
توسط العالم الملكوت موجها الى الحضرة فلهذا ما كذب الفواد ما راى وما صدقت النفس ما رات في اباءنا الاولين
لهي في طبايع الكواكب فانها اباء النفس وامهاتها العناصر والطبايع منكوسه الى عالم الاسفل لا يعرفون مقام الوحدة
فلا يعرفون بالتوحيد فاوقد لي يا هامان الشيطان على الطين البشريه بنفخ الوساوس والقرين فاجعل لي صرحا من المقدمات
الخياليه والوهميه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اغرقوا في شهوات الدنيا ثم هم بها فادخلوا نار الحسرة والندم

ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون
وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت
من الشاهدين ۝ ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر
وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا
كنا مرسلين ۝ وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن
رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم
يتذكرون ۝ ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون
من المؤمنين ۝ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي
مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ۝ قل فاتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم

صادقين ۝ فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم
ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي
القوم الظالمين ۝ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ۝ واذا يتلى
عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة
السيئة ومما رزقناهم ينفقون ۝ واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام
عليكم لا نبتغي الجاهلين ۝ انك لا تهدي من احببت و
لكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين ۝ وقالوا
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم
حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم
لا يعلمون ۝ وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن
الوارثين ۝ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ۝
وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير
وابقى افلا تعقلون ۝ افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن
متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين ۝ ويوم

يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ۝ قال
الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم
كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ۝ وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب
لو انهم كانوا يهتدون ۝ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين ۝ فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ۝
فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين ۝
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و
تعالى عما يشركون ۝ وربك يعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون ۝ وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى
والاخرة وله الحكم واليه ترجعون ۝

القراءة سحران عاصم وحمزة وعلي وخلف الاخرون لساحران تظاهرا بالتخفيف اتفاق يجبى اليه بتاء التأنيث ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون على التذكير يعقلون بتاء الغيبة شجاع والترمذي الباقون بتاء الخطاب الا ابا عمرو فانه مخير بسكون الهاء على والحلواني عن قالون ثم انا مثل انشانا **الوقوف** يتذكرون الشاهدين لا لاستدراك العمر لاختلاف الجملتين مع العطف اياتنا لا مرسلين يتذكرون المؤمنين ما اوتي موسى من قبل للفصل من الخبر والطلب مع اتحاد القائل تظاهرا للتعجب عن عنادهم كافرون صادقين اهواءهم من الله الظالمين تذكرون لان الذين مبتدأ يؤمنون مسلمين ينفقون اعمالكم لاتحاد الكلام مع اتحاد المقول عليكم لذلك الجاهلين من يشاء لعطف الجملتين المتفقتين بالمهتدين ارضنا لا يعلمون معيشتها للفصل من الاستفهام والاخبار مع فاء التعقيب قليلا الوارثين اياتنا للعدول مع اتفاق الجملتين ظالمون وزينتها فصلا بين المعنيين المتضادين وابقى يعقلون المحضرين يزعمون اغوينا غوينا لعدم العاطف مع اتحاد القائل اليك لما قلنا مع زيادة النفي المقتضي للفصل يعبدون العذاب لجواز تعلق لو بمحذوف اي لو اهتدوا لما اتبعوا او يقرأ بجواز تعلقها بيهتدون و الوقف على ان اي لو كانوا يهتدون لراوا العذاب يعلمون ثم يهتدون المرسلين لا يتساءلون المفلحين ويختار وقد يوصل على معنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة وفيه بعد الخيرة يشركون يعلنون الا هو والاخرة لعطف الجمل ترجعون **التفسير** انه سبحانه وتعالى بعد تتميم قصة موسى اراد ان يبين اعجاز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فذكر اولا ان اعطى موسى الكتاب بعد اهلاك فرعون وقومه حال كون الكتاب انوار القلب وارشادا لاهل الضلال وسببا لنيل الرحمة اراد ان يتذكروا ويجوز ان يعود ترجي التذكر الى موسى ثم احمل عظائم احوال موسى وبين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن هنالك فقال وما كنت بجانب الغربي اي بجانب المكان الواقع في شق المغرب وهي ناحية الشام التي فيها قضى الى موسى امر الوحي والاستنباء وما كنت من الشاهدين على ذلك فقد يكون الشخص حاضرا ولا يكون شاهدا قال ابن عباس

التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت فيما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهدون لا يرى ثم قال ولكنا انشانا بعد عهد موسى الى عهدك قرونا فتطاول عليهم العمر فاندرست العلوم والشرائع ووجب ارسالك الى اخرهم قرنا وهو القرن الذي انت فيه فارسلناك واعرفناك احوال الانبياء وحاصل الاية انه ذكر سببا للوحي الذي هو اطلاع على المسبب والغرض بيان اعجازه كانه قال ان في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك ثم فصل ما احمل فذكر اولا امر موسى وبين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك وهو قوله وما كنت ثاويا في مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم اياتنا فقال مقاتل اي لم تشهد اهل مدين تقرأ على اهل مكة خبرهم ولكنا ارسلناك الى اهل مكة فانزلنا عليك هذه الاخبار و لولا ذلك ما علمتها وقال الضحاك يا محمد انك لم تكن رسولا الى اهل مدين تتلوا عليهم الكتاب وانما الرسول غيرك و لكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا الى مدين شعيبا وارسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبياء ثم ذكر اوسط امر موسى واشرف احواله بين انه لم يكن هنالك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا الاظهر انه يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه عن بعض المفسرين انه اراد قوله ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها الى قوله المفلحون وقال ابن عباس اذ نادينا امتك في اصلاب ابائهم يا امة محمد اجبتكم ان تدعوني فاعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال الله تعالى وذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم قال يا رب ارنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت اسمعتك اصواتهم قال بلى يا رب قال يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم فقال سبحانه اجبتكم قبل ان تدعوني الحديث كما ذكرنا عن ابن عباس وروى سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال كتب الله كتابا قبل ان يخلق الخلق بالفي عام ثم وضعه على العرش ثم نادى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي اعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني من لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ادخلته الجنة قوله و ولكن رحمة ولكنا علمناك رحمة من ربك ثم فسر الرحمة بقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة وقيل كانت حجة الانبياء قائمة عليهم ولكنه ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم فبعث الله تعالى نفرا لتلك التكاليف وازالة لتلك الفترة قوله ولولا ان تصيبهم هي امتناعية وجوابها محذوف فالفاء في فيقولوا للعطف على ان تصيبهم ولولا ارسلت هي تحضيضية والفاء في فنتبع لكونه جوابا للولا وذلك ان التحضيض في كل حكم الامر لان كلا منهما بعث على الفعل والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك لما ارسلنا اليهم والحاصل ان ارسال الرسول لاجل ازالة هذا العذر وقال اصحاب البيان القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول دخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بفاء السببية تنبيها على انهم لو لم يعاقبوا على كفرهم ولو عاينوا العذاب لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فالسبب في قولهم هذا من العقاب لا غيره لا التاسف على ما فاتهم من الايمان وفي هذا بيان استحكام كفرهم وتصميمهم قال الجبائي في الاية دلالة على ان وجوب اللطف والا لم يكن لهم ان يقولوا لولا ارسلت وقال الكعبي فيه دليل على انه تعالى تقبل حجة العباد فلا يكون فعل العبد بخلق الله والا لكان للكافر اعظم حجة على الله وقال القاضي فيه ابطال الجبر لان اتباع الايات ولو كان موقوفا على خلق الله فاي فائدة في قولهم هذا ومعارضة الاشاعرة بالعلم والداعي معلومة ثم بين انهم قبل البعثة يتمسكون بشبهة بعد البعثة يتعللون باخرى فلا مقصود لهم الا العناد فقال فلما جاءهم الحق اي الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة ومن سائر المعجزات كقلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله اولم يكفروا وفيه وجوه **احدها** ان اليهود امروا قريشا ان يسالوا محمدا مثل ما اوتي موسى قال تعالى اولم يكفروا واولاء اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال بموسى مع تلك الايات الباهرة فالذين اوردوا هذا الاقتراح يهودكم والذين كفروا بموسى من قبل وبما اوتي من قبلهم الذين كانوا في زمن موسى الا انه تعالى جعلهم كالشيء الواحد لتجانسهم في الكفر والتعنت وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى المدينة يسألهم عن محمد وشانه فقالوا انا نجده في التوراة نعته وصفته فلما رجع الرهط اليهم فاخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وقال الحسن قد كان العرب اصل في ايام موسى فالتقدير اولم يكفروا اباؤهم فان قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقالوا

قتاده او لم يكفروا اليهود في عصر محمد بما اوتي موسى من قبل في البشارة لعيسى ومحمد عليهم السلام فقالوا ساحران
وقيل الاظهر ان كفار مكة وقريشا كانوا متمسكين بجميع النبوات ثم انهم طلبوا من محمد معجزات موسى فقال تعالى اولم يكفروا بما
اوتي موسى بل بما اوتي جميع الانبياء من قبل فعلم ان لا غرض لهم في هذا الاقتراح الا التعنت من قرا ساحران فالالف فظاهر
ومن قرا سحران فاما بمعنى ذوي سحر او على جعلهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او على اراده نوعين من السحر او على ان
المراد هو القران والتورية وضعفه ابو عبيد بان التظاهر بالناس وافعالهم اشبه منها بالكتب واجيب بان الكتابين لما
كان كل واحد منهما تقوى على الاخر لم يبعد ان يقال على سبيل المجازاة تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وفي تكوار قالوا وجهان
احدهما قالوا ساحران مرة وقالوا انا بكل اي بكل من موسى ومحمد او بكل من الكتابين كافرون مره الوجه الثاني
ان يكون قوله وقالوا معطوفا على اولم يكفروا ثم عجزهم بقوله قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اي مما
انزل على موسى ومما انزل على محمد قال ابن عباس فان لم يستجيبوا لك معناه فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال
مقاتل فان لم يمكنهم ان ياتوا بكتاب افضل منهما وهذا اشبه بالاية وهذا الشرط شرط يدل على الامر المتحقق بصحته و
الا فالظاهر ان لو قيل فاذ لم يستجيبوا ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم وانما لم يقل فان لم ياتوا لان قوله فاتوا
امر والامر دعا الى الفعل فناسب الاستجابة فالتقدير فان لم يستجيبوا دعاءك الى الايتان بالكتاب الاهدى فاعلم
انهم صادوا محجوجين ولم يبق لهم شيء الا اتباع الهوى وفي قوله ومن اضل ممن اتبع هوية حال كونه بغير هدى من الله
اشارة الى فساد طريقه التقليد استدلت الاشاعرة بقوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين وضعوا
الهوى مكان الهدى على ان هدايه الله خاصة بالمؤمن وقالت المعتزلة الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا
ومنها ما لا يحسن الا بعد الايمان الاشارة بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والاية محمولة على القسم الثاني دون
الاول و الا كان عدم الهدايه عذرا لهم ثم اجاب عن قولهم هلا اوتي محمد كتابه دفعه واحده بقوله ولقد وصلنا اي
انزلنا عليهم القران انزالا متصلا بعضه في اثر بعض ليكون ذلك اقرب الى التذكر والتنبيه فانهم يتزلون في كل يوم
على فايده زايده وحكمه حديده ويجوز ان يراد بقوله القول جعلنا بيانا على اثر بيان والمعنى ان القران اتاهم متتابعا
متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا الى غير ذلك من معاني القران اراده ان يتعظوا فيفلحوا ويحتمل ان يكون
المراد تتابع الدلاله على كون هذا القران معجزا مره بعد اخرى وحين اقام الدلاله على النبوة اكد ذلك بقوله الذين
اتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل القران هم به يومنون قال قتاده انها نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة
حقه يتمسكون بها فلما بعث الله محمدا امنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن سلام وقال مقاتل نزلت في ربعين
من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلثون جاءوا مع جعفر من ارض الحبشه في السفينه وثمانيه جاءوا من الشام وعن
رفاعه بن قرظه نزلت في عشرة انا احدهم والتحقيق ان كل من حصل في حقه هذه الصفة يكون داخلا في الاية
لان العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم حكى عنهم ما يدل على تاكد ايمانهم وقوله انه الحق من ربنا تعليل للايمان
به لان كونه حقا لله يوجب الايمان به لان كونه حقا من الله يوجب الايمان به قوله انا كنا من قبله مسلمين بيان
لقولهم امنا به لان ايمانهم احتمل ان يكون قريب العهد وان يكون بعيده واخبروا لان ايمانهم به متقادم وذلك
لما وجد في كتب الانبياء من البشارة بمقدمه فادعنوا له وتلقوه بالقبول كما هو شان كل مسلم ومعنى من قبل وجوده
ونزوله وفي قوله يوتون اجرهم مرتين اقوال بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقران وبصبرهم على اذى
اهل الكتاب وبصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وعلى الايمان بعد نزوله وهذا اقرب الطاعة السيئة و
المعاصي المتقدمه او يدفعون بالحكم الاذى يروى انهم لما اسلموا لعنهم ابو جهل فسكتوا عنه وقال السدي عاب
اليهود عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم مدحهم بالايمان ثم بالطاعات البدنيه ومكارم
الاخلاق ثم بالطاعات الماليه وهو الانفاق مما رزقهم ثم بالتحمل والتواضع وبما وجب ان يقول الحكيم في معاد
السفيه وهو قوله واذا سمعوا اللغو وهو كل ما ينبغي ان يلغى ويترك اعرضوا عنه وقالوا لاهل ذلك اللغو لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع وشاركم لا ينبغي الجاهلين لا نطلب مخالطتهم وعشرتهم ولا نجازيهم بالباطل
على باطلهم وهذا خلق مندوب اليه ولو بعد الامر بالقتال فلا نسخ ثم ذكر ان الهدايه يتعلق بمشيه الله تعالى الزجاج
اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا و
ترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال

اريد منك كلمه واحده ان تقول لا اله الا الله اشهد لك عند الله قال وقد علمت انك صادق ولكن اكره ان
يقال جزع عند الموت وقد مر مثل هذا النقل في سورة الانعام في تفسير قوله وهم ينهون عنه وينادون عنه
واعلم انه لا منافاة بين هذه الاية وبين قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي نفاه هدايه التوفيق وشرح
الصدر والتي اثبتها هدايه الدعوة والبيان وبحث الاشاعرة والمعتزلة هاهنا معلوم وحيث بين ان وضوح
الدلايل لا يكفي ما لا ينضم اليه هدايه الله سبحانه حكى عنهم شبهة اخرى متعلقه بالدنيا وذلك انهم قالوا ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا روي ان الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا
لنعلم ان الذي تقوله حق ولكن يمنعنا من ذلك ان تسلبنا العرب بسرعة اي يجتمعون على محاربتنا ويخرجونا فاجاب الله
سبحانه عن شبهتهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا يروى ان العرب كانوا يشتغلون بالنهب والغارة خارج الحرم وكانوا
يحترمون البته لسكان الحرم وقد زاد الله حرمته بقوله ومن دخله كان امنا وبين مرتبه بقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء
قالوا الكل هاهنا بمعنى الاكثر قلت يحتمل ان يكون على اصله واحتمل رزقا على انه مصدر لان يجبى بمعنى يرزق او على انه مفعول
لاجله وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافه وحاصل الجواب انه لما جعل الحرم امنا واكثر
فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عباده الله تعالى مقبلين على عباده الاوثان فبقا هذه الحاله مع الايمان اولى ولا
يخفى ان التخطف على تقدير وقوعه لا يصلح عذرا لعدم الايمان فان درجه الشهادة اعلى واجل ومضرة التخطف اهون
من العقاب الدايم الا انه تعالى اعلمهم بما معلوم عن عادة العرب وهو انهم كانوا لا يتعرضون للقطان الحرم والاولى في
المحسن اولى بان يفحم به الخصم فلذلك قدمه الله تعالى وفي الاية دلاله على صحه الحاجه لان الله شبه المبطلين قالت
الاشاعرة الارزاق انما تصل اليهم على ايدي الناس وقد اضاف الرزق الى نفسه فدل على افعال العباد تستند الى الله
ومن تامل في الاية علم ان العبد يجب ان لا يخاف ولا يرجو الا من الله ثم اجاب عن شبهتهم بحديث اخر مخلوط بالوعيد
وانتصب معيشتها بنزع الخافض كقوله واختار موسى قومه او على انه ظرف مكان مجازا كان السفل استقر في العيش
او على حذف المضاف اي بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم او بتضمن بطرت معنى كفرت وعظمت والبطر سوء احتمال
الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه ومعنى الا قليلا قال ابن عباس اي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او
ساعه ويجوز ان يكون شوم معاصيهم بقي في ديارهم فكل من سكنها من عقابهم الا قليلا من الساكنين وكنا نحن الوارثين
كقوله ولله ميراث السموات والارض لانه الباقي بعد فناء خلقه ثم كان سايلا ان يقول ما بال الكفار قبل مبعث محمد
صلى الله عليه وسلم لم يهلكوا مع تماديهم في الغي وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها اي في القريه التي
هي قصبتها واصلها وغيرها من توابعها واعمالها رسولا يتلوا عليهم اياتنا بوحي وتبليغ وذلك لتاكيد الحجة وقطع
المعذرة قال في الكشاف يحتمل ان يراد وما كان في حكم الله وسابق قضايه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث
في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وكان يعاملها بالكفار بعد مبعث محمد
لم يهلكهم الله لتكذيبهم وجحودهم فقال وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فمنهم
من قد امن منهم من سيؤمن ومنهم من يخرج من نسله من يؤمن ثم اجاب عن شبهتهم بجواب ثالث وذلك ان حاصل
شبهتهم بجواب ثالث قالوا تركت الدين لاجل الدنيا فبين الله تعالى بقوله افلا تعقلون ويرفع الله الشافعي حيث
قال اذا اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس اعطى
القليل واخذ الكثير بظاهر الايه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت قال اهل البرهان
انما قال في هذه السورة وما اوتيتم بالواو وفي الشورى فما اوتيتم بالفا لانه لم يتعلق بما قبلها هاهنا كثير تعلق وفي
الشورى بما قبلها اشد تعلق مذهب لانه عقب ما لهم من النجابة ما اتوه من الامه والفاخرف والتعقيب والواو لمجرد
العطف وانما زاد وزينتها في هذه السورة لان المراد هاهنا جمع اعراض الدنيا من الضرورات ومن الدين فالمتاع
ما لا غنى عنه من الماكول والمشروب والملبوس والمسكن والمنكوح والزينه غيرها كالثياب الفاخرة والمراكب الرايقه
والدور المشيده واما في الشورى فلم يقصد الاستيعاب بل ما هو مطلوبهم في تلك الحالة من النجاة والامن في الحيوة
فلم يحتج الى ذكر الزينه ثم زاد للبيان المذكور تاكيدا بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه لان وعد الله بترتب
اليه الايجاز البته وصاحبه تلقى الموعود لا محاله وتقدير الكلام ابعد التفاوت المذكور بين فاعبد الله وبين ضاع
الحيوة الدنيا سوى بين اهل الجنة ومن ابناء الدنيا ومعنى ثم في قوله ثم هو يوم القيمة تراخي حال الاحضار عن حال

الاحضار عن حال التمتع لا تراخي وقته عن وقته وتخصيص لفظ المحضرين الذين احضروا للعذاب امر عرف من
القرآن قال تعالى لكنت من المحضرين ويمكن ان يقال ان في اللفظ اشعارا به لان الاحضار مشعر بالتكليف و
الالزام وذلك لا يليق بمواضع الاكرام والوحشة قيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة
وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ثم ذكر من وصف القيمة قوله ويوم يناديهم اي واذكر ذلك اليوم
ومعنى الاستفهام في اين التوبيخ والتهكم ومفعولا يزعمون محذوفا تقديره يزعمونهم شركائي قال الذين حق عليهم
القول اي وجب وثبت وهو مفهوم لاملأن جهنم وهم الشياطين ورؤسا الكفر وهؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته
والعائد الى الموصول محذوف والتقدير هؤلاء الذين اغويناهم فعودا اغوا مثل ما اغوينا قال اهل السنة ارادوا كما ان
غوينا مغوين اغرونا بنفس الحيا فنحن ايضا اغويناهم بالوسوسة والتسويل وبكل ما امكن حتى غووا وقالت المعتزلة
لعنون انا ما اغوينا الا باختيارنا فكذلك هم ما غووا الا باختيارهم واغوانا فالجاهم الى الغواية بل كانوا مختارين في
الاقدام على تلك العقايد والاعمال فيكون كما حكى عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي ثم قالوا تبرانا اليك منهم ومن عقايدهم واعمالهم ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون هواهم الفاسدة و
اخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين بمعنى الجملة الاولى وحين حكى التوبيخ المذكور ثم ما تقوله الشياطين اوئمة
الكفر اعتذارا ذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم الهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم وهو قوله وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم زعم جمع من المفسرين ان جواب لو محذوف قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع
والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون في الدنيا ما ابصروه في الآخرة وعلموا ان العذاب حق اذ لو كانوا يهتدون و
توجيه من وجوه ليدفعوا به العذاب وقيل ارادوا وراوا العذاب لو كانوا يبصرون شيئا ولكنهم صاروا ابهوتين بحيث
لا يبصرون شيئا فلا جرم ما راوه وقيل الضمير للاصنام اي لو كانوا احيا مهتدين يشاهدوا العذاب وقيل لو للتمني اي
تمنوا لو كانوا مهتدين ثم تمكنوا بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ومعنى عميت عليهم الانباء ان اخبار المرسلين
والمرسل اليهم صارت كالعمي اليهم جميعا لا يهتدي اليهم فهم لا يتساءلون كما يسال بعض الناس بعضا في المشكلات لانهم
متساوون الاقدام في العجز عن الجواب واذا كانت الانباء بهول ذلك السؤال يتلعثمون في الجواب عن مثل هذا السؤال
كما قال سبحانه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فما ظنك بضلال اممهم قال القاضي الاية يدل على
بطلان قول المجبرة لان فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى ويجب وقوعه بالقدرة والارادة لما عميت عليهم الانباء ولقالوا
انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فما تكذيبهم ومن جهة القدرة الموجبة لذلك وكذا القول فيما تقدم لان الشياطين
كان له ان يقول انما اغويت لخلقك في الغواية وانما قبل من دعوته لمثل ذلك فيكون الحجة لهم على الله قوته والعذر
ظاهر او عارضه الاشاعرة بالعلم والداعي والذي اعتمد عليه القاضي في دفع هذا المشكل للفضل في كتبه الكلامية في
خطاء قول من يقول انه لا يمكن فالواجب السكوت وزيفه الاشعري بان الكافر لو اورد هذا السؤال على ربه لما كان
لربه عنه جواب الا السكوت فيكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهر وللقائل ان يقول السكوت عن جواب كما قيل جواب
الاحمق السكوت وحين فرغ من توبيخ الكفار وتهديدهم اتبعه ذكر التائبين وانهم من المفلحين وعسى من الكريم تحقيق
والترجي عائد الى التائب ثم ان القوم كانوا يذكرون شبهة اخرى وهو قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم فاجاب الله منها بقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ولانه المالك المطلق المنزه عن النفع والضر فله ان يخص
من شاء بما شاء وعلى مذهب المعتزلة هو حكيم فلا يفعل الا الحكمة والخير وقوله ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار دوا
الخيرة من التخير كالطيرة من التطير في انه اسم مستعمل بمعنى المصدر كقولهم محمد خيرة الله من خلقه وقد مر في الوقف
ان بعضهم يعيض على نشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم فيه الخيرة وقال ابو القاسم الانصاري هذا متعلق المعتزلة في ايجاب
الصلاح في تكليف من علم انه لا يؤمن ولو لم يكلفه لا يستحق الجنة والنعيم من فضل الله فان قيل لما انما كلفه ليستوجب
على الله ما هو الافضل لان المستحق بالافضل من التفضيل قلنا اذا علم ان ذلك الافضل لا يحصل هو ربطه للعقاب
الابدي لا يكون رعاية للصلح ثم قولهم المستحق خير من التفضيل به ممنوع لان ذلك التفاوت انما يحصل في حق من
يستنكف من تفضله اما الذين حصل ذاته وصفاته باحسانه فكيف يستنكف من تفضله قلت للقائل ان يقول لمجرد
الاستبعاد لا يحصل المنع على ان لذة الاجر يستحيل ان يحصل بدوم الاجر ثم نزه نفسه بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون و
الغرض ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال والاهانة والاجلال كلها مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة

ثم اكد ذلك بقوله وربك يعلم ما تكن صدورهم من عداوة نبيه وما يعلنون من مطاعنهم فيه ويحتمل ان يكون عاما
يشمل السراير والظواهر كلها وهو المستاثر بالالهية ولا اله الا هو تقريرا فله الحمد في الدار الاولى على نعمه الفايضة على
البر والفاجر وفي الدار الآخرة كقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والتحميد
هناك على وجه اللذة لا التكليف قال اهل السنة الثواب مستحق عند المعتزلة القاضي انه يستحق الحمد من اهل النار ايضا
بما فعل بهم في الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف وساير النعم وانهم بما انهم لا يخرج ما انعم الله به عليهم من ان يوجب
الشكر وقال في التفسير الكبير فيه نظر لان اهل الآخرة مضطرون الى معرفة الحق فاذا علموا ان النبوة واجبة القبول وان
الشرك ما يوجب الثواب فلا بد ان يتوبوا ويشتغلوا بالشكر يستحقوا الثواب ويتخلصوا من العقاب وللقايل ان يقول
وله الحكم ان القضا بين العباد يختص به فلا احكم لما بعد على العبد حكم سيده وعلى الزوجة حكم زوجها ولا على الابن
حكم ابيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الامة رسولهم والى محل حكمه وقضائه يرجع الكل عبيده وامائه

التاويل ولقد اتينا موسى القلب مقام القرب والوحي والمكالمة وكشف العلوم بعد هلاك فرعون النفس وصفاتها
لعلهم يتذكرون اذ كانوا في عالم الارواح اذ قضينا الى موسى امر اتحاد العهد منه ان يؤمن بك كقوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين وما كنت في عالم الشهادة ولكنا انشانا قرونا في عالم الشهادة فتطاول عليهم العمر فاحتجبوا بالنفس
بصفاتها ونسوا تلك العهود والمواثيق وما كنت مقيما في اهل مدين كشعيب وموسى اذ اخذت منهما الميثاق ان نؤمنا
بك ولكن كنا مرسلين للرجل الذين اخذنا الميثاق منهم ولولا ان تصيبهم التقدير ولولا ان مقتضى العناية الازلية في حق
هذه الامة وقع حجتهم علينا فاتانا داعيناهم وهم في العدم ما اسمعناهم نداءنا ولم نوفقهم للاجابة فلما جاءهم الحق يعني
محمدا وفيه ان له رتبة ان يقول ان الحق لفنائه عن نفسه بالكلية وبقائه بربه وبكل من سواه فليس له ان يقول ذلك
الا بطريق المتابعة لولا اوتي مثل ما اوتي لم يكونوا محتجين بكفرهم عن رؤيته كما له قالوا لولا اوتي موسى مثل ما اوتي
محمد من مقام المحبة ومقام لي مع الله وقت بكتاب من عند الله هو اهدى منهما يعني الكتاب المشتمل على العلم اللدني فانه
اهدى الى الحضرة من الكتب الموقوفة على السماع والمطالعة ومن لم يكن هذه الرتبة فانه محجوب عن الحضرة بهوى نفسه
كما قال فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم الذين اتيناهم حقيقة الكتاب في عالم الارواح من قبل نزوله في
عالم الاشباح هم به يؤمنون في عالم الصورة ولهذا قالوا انا كنا من قبله مسلمين ولذلك قال يؤتون اجرهم مرتين اي
في العالمين بما صبروا على مخالفات الهوى وموافقات الشرع ويدرؤن بالاعمال الصالحات ظلمة المعاصي اذ الحسنة
الذكر ضد حب الدنيا عن مراة القلوب والحسنة نفي ما سوى الله شرك الوجود المجازي ومما رزقناهم من الوجود المجازي
ينفقون في طلب الوجود الحقيقي واذا سمعوا اللغو وهو طلب ما سوى الله اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا في طلب الوجود
الحقيقي ولكم اعمالكم في طلب الفاني انك لا تهدي من احببت وذلك ان للقلب بابين احدهما الى النفس والجسد وهو
مفتوح ابدا والآخر الى الروح والحضرة وهو مغلوق لا يفتحه الا الفتاح الذي بيده كل مفتاح كما قال ام على قلوب اقفالها
وقال انا فتحنا لك فتحا مبينا وهو اعلم بالمهتدين الذين اصابهم رشاش النور وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
بجذبات الالوهية من ارض الانانية او لم نمكن لهم حرما امنا في مقام الهوية يجبى اليه ثمرات حقايق كل شيء رزقا من
العلوم الدينية ولكن اكثرهم لا يعلمون ذوق العلم اللدني لم تسكن من بعدهم الا قليلا لم يسكن في قرى القلوب الفاسد
استعدادها الا قليلا من نور الاسلام بعبور الخواطر الرحمانية في الاحايين وكنا نحن الوارثين بان رجع نور الاسلام
الى الحضرة بعد فساد الاستعداد حتى نبعث في امها اي روحها لان القلب من متولدات الروح رسولا من وارد نفحات
الحق الوعد الحسن للعوام الجنة وللخواص الرؤية وللاخص الوصول والوصال كما اوحي الى عيسى تجوع ترني تجرد تصل
الى اغويناهم كما غوينا اي اغوا طريقة الادب ولم يقولوا كما اغوينا مثل كما قال ابليس فبما اغويتني اي اغويناهم بتقديرك
كما غوينا بقضائك وهذا من خصوصية تكريم بني آدم يحفظ السعداء طريقة الادب كما يحفظها اهل القرب على بساط
الكرامة وراوا العذاب يعني لو كانوا يهتدون لو او عذاب الفطام عن المالوفات والشهوات والله اعلم بالصواب

قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة

من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون ● قل ارايتم ان
جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله
غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ● ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون ● ويوم يناديهم فيقول
اين شركاءى الذين كنتم تزعمون ● ونزعنا من كل
امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل
عنهم ما كانوا يفترون ● ان قارون كان من قوم موسى
فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
اولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض
ان الله لا يحب المفسدين ● قال انما اوتيته على علم عندى اولم
يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد
منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون
فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم ● وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل
صالحا ولا يلقيها الا الصابرون ● فخسفنا به وبداره الارض

فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من
المنتصرين ● واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله
علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون ● تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا
فسادا والعاقبة للمتقين ● من جاء بالحسنة فله خير منها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيات الا ما كانوا
يعملون ● ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد قل
ربى اعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين ● وما كنت
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ● ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت
اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ● ولا تدع
مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شىء هالك الا وجهه
له الحكم واليه ترجعون

القراءة عندى اولم بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن فليح وابو عمرو والخزاعى عن اصحابه وابن مجاهد وابو عون
والسرندى عن قنبل اليا قون بالاسكان وى كان وى كانه الوقف على اليا ابو عمرو ويعقوب ويك الوقف على الكاف و
يكانه موصوله روى السوسى عن اليزيدى وهو مذهب حمزة البا قون كليهما موصولا لخسف على البناء للفاعل سهل ويعقوب
وحفص ربى اعلم بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عمرو الوقوف بضياء يسمعون فيه تبصرون تشكرون
تزعمون تفترون عليهم لان الواو للحال اى وقد اتيناه مع طوله الكلام العوة بناء على ان التقدير واذكر اذ قال و قال فى الكشاف
لانه يتعلق بنبوة فلا وقف الفرحين فى الارض المفسدين عندى جمعا المجرمون فى زينته لعدم العاطف واختلاف
القايل قارون لان ما بعده تعليل التمنى ولو ابتداء نا لحكمنا بانه ذو حظ عظيم صالحا لان ما بعده احتمل ان يكون ابتداء
اخبار من الله واحتمل ان يكون من قول اهل العلم الصابرون من دون الله قد مر التفصيل الاعتبار المنتصرين ويقدر
للابتداء بلولا مع اتحاد القول لخسف بنا الكافرون ولا فسادا للمتقين منها للعطف حملى الشرط يعملون معاد مبين
للكافرين مع العطف المشركين للايد دخلت المعطوف عن نون التاكيد التى دخلت المعطوف عليه مع اتفاق الجملتين
اخر احترازا من ايهام كون ما بعده صفة لا اله الا هو وجهه ترجعون التفسير لما بين سبحانه حقيقة

الهيئة واستحقاقه للحمد المطلق وان مرجع الكل الى حكمه وقضائه اتباعه بعض ما يجب ان محمدا عليه احد سواه
وهو التبدل من ظلام الليل بضياء النهار وبالعكس المعنى اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد
الميم زائدة وانتصابه على انه مفعول ثان لجعل او على الحال والى متعلق بجعل او بسرمد ومنافع الليل والنهار والاستدلال
بها على كمال قدرة الله تعالى قد تقدمت مرارا قال جار الله وانما لم يقل بنهار تبصرون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه
لان الضياء وهو ضوء الشمس به المنافع المتكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن
قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون
لان غيرك من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه وقال الكلبي فلا تسمعون معناه افلا تطيعون من يفعل
ذلك وقوله افلا تبصرون ما انتم عليه من الظلام والضلال وقال اهل برهان قدم الليل على النهار لان ذهاب الليل
بطلوع الشمس اكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل وانما ختم الاية الاولى بقوله افلا تسمعون ما على الليل وختم الاخرى
بقوله افلا تبصرون بناء على النهار والنهار مبصر او اية النهار مبصرة ثم بين ان من رحمته راحة بين الليل والنهار
ليسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار والارادة الشكر على النعمتين جميعا في اللف تقرير يفهم
السامع وذلك لان السكون بالنهار وان كان ممكنا وكذا الابتغاء من فضل الله بالليل الا ان الاوكل واحد منهما ما
ذكر فلهذا خصه به وفي توبيخ التكرير باتخاذ الشركاء دليل على انه لا شيء اسخط عند الله من الاشراك به ويعلم منه انه
لا شيء اجلب لرضاه من الشهادة بوحدانيته ونحوى الخطاب اين الذين ادعيتم الهتهم لتخلصكم او اين الذين قلتم انها
تقربكم الى الله زلفى وقد علموا ان لا اله الا الله فيكون ذلك زيادة في غمهم ومعنى نزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا
قال بعضهم هو نبيهم لان الانبياء يشهدون انهم بلغوا منهم الدلائل وبلغوا في ايضاحها كل غاية ليعلم ان التقصير منهم
فيكون ذلك زيادة في غمهم ومعنى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا قال بعضهم وهو نبيهم لان الانبياء يشهدون
انهم بلغوا منهم الدلائل ايضا وقال الاخرون بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس في كل زمان ويدخل في جملتهم الانبيا
وهذا اقرب لانه تعالى عمم كل جماعة بان ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه ازمنة الفترات والازمنة التي بعد محمد صلى الله
عليه وسلم فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك وخلاف الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسوله وضل
عنهم ما كانوا يفترون من الباطل والزور ثم عقب حديث اهل الضلال بقصة قارون وهو اسم عجمي ولهذا لم ينصرف
بعد العلمية ولو كان فاعولا من قرن لانصرف والظاهر انه كان ممن امن بموسى هذا ظاهر نص القران ولا يبعد ايضا حمله على
القرابة قال الكلبي انه كان ابن عم موسى وقيل كان موسى ابن اخته وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل
للتورية الا انه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والذبح والقربان لهرون فما لي وفي قوله فبغى عليهم
وجوه احدها ان بغيه استخفافه بالفقراء وثانيها انه ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقال القفال معناه
طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده الضحاك واستطال عليهم بوافرهم في امر ابن عباس بتجبره وتكبره عليهم ومثله عن شهر
بن حوشب قال بغيه انه زاد عليهم في الثياب شبرا فهذا يعود الى التكبر الكلبي بغيه حسده وذلك انه لما جاوز بهم موسى
البحر وصارت الرسالة له وحبوته لهرون وكان القربان الى موسى فجعله الى هرون فوجد قارون في نفسه وحسدهما
فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى صبر قال موسى هكذا حكم الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية فامر رؤساء بني
اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصا فالقى مجموع العصا في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها فاصبحوا فاذا بعصاها
دون تهتز ولها ورق اخضر وكان من شجر اللوز فقال قارون ما هو اعجب مما وصنع من السحر واعتزل قارون باتباعه
وكان كثير المال كما اخبر الله تعالى عن ذلك بقوله واتيناه من الكنوز سئل عن الكعبي الستم تقولون ان الله لا يعطي الحرام
فكيف ايضا انما مال قارون الى بغيه فاجاب بانه لا حجة في ان ماله حرام يجوز ان يظفر بكنز لبعض الملوك الخالية و
كان الظفر عندهم طريق التملك ولعله وصل اليه بالارث من جهات او بالكسب من جهة المضاربات وغيرها والمفاتح
جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به الباب او جمع مفتح بالفتح وهو الخزانة فمن الناس من طعن في القول الاول لان مال
الرجل الواحد لا يبلغ ولو انا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب لكفاها اعداد قليلة من المفاتيح ولهذا قال ابو رزين بن كعب
للكنوز مفتاح واحد وايضا الكنوز هي الاموال المدفونة في الارض ولا تصور لها مفتاح اجاب الناصرون للقول
الاول وهو اختيار ابن عباس والحسن ان المال اذا كان من جنس النقد جاز ان يبلغ في الكثرة الى هذا الحد وايضا ما روي
ان مفاتحه كانت من جلود الابل وكل مفتاح اصبع وكان لكل خزانة مصباح وكان اذا ركب حملت المفاتيح ستون بغلا

مذكور في القران والصواب ان يفسر قوله لتنوء اي تثقل مثلا بان تلك الخزائن لعسر ضبطها ومعرفتها على اهل القوة
في الحساب وقريب منه قول ابو مسلم ان المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد
ان حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة اولي القوة والمتانة في الراي وظاهر الكنوز وان كان من جهة
العرف هو المال المدفون الا انه قد يقع على المال المجموع المواضع التي عليها اغلاق وايضا لا استبعاد في ان يكون
موضع المال المدفون الا انه قد يقع على المال المجموع هنا تحت الارض له غلق ومفتاح ولا تفرح كقوله ولا تفرحوا
بما اتاكم وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من اطمان ورضي بها قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف
معه عقوبة الله وابتغ فيما اتاك الله من المال والثروة الدار الاخرة يعني اسباب حصول سعادتها من اصناف الخيرات
والمبرات الموجبة والمندوبة فان ذلك هو نصيب المؤمن من الدنيا دون الذي ياكل ويشرب والى هذا اشار بقوله
ولا تنس نصيبك من الدنيا ويحتمل ان يراد به اللذات المباحة وحين امره بالاحسان المالي امره بالاحسان مطلقا
ودخل فيه الاحسان بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن الغيبة والحضور وفي قوله كما احسن الله اليك اشارة
الى قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والى ما قال الحكماء المكافاة في الطبيعة واجبة والفساد في الارض النهي
عنه وهو ما كان عليه من الظلم والبغي وهذا التاويل موسى عليه السلام او هو اقربه وهو ظاهر اللفظ وكيف
كان فقد جمع في هذه الالفاظ من الوعظ ما لو قبل لم يكن عليه مزيد لكنه الى ان يقبل بل يلقى النصح بكفران النعمة
قائلا انما اوتيته على علم عندي وفيه وجوه قال قتادة ومقاتل والكلبي كان قارون اقرا بني اسرائيل للتورية فقال انما
اوتيته لفضل علمي واستحقاقي لذلك وقال سعيد بن المسيب والضحاك ان موسى انزل عليه الكيمياء من السماء فعلم
قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه وطالوت ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ياخذ الرصاص والنحاس
فيجعلهما ذهبا وقيل اراد ان الله اعطاني ذلك على علم له بحالي وباستيهالي لذلك وقوله عندي اي الامر كذلك في اعتقادي
وفي ظني فاجابه الله تعالى بقوله او لم يعلم قال علماء المعاني يجوز ان يكون المعنى بالاستفهام اثبات العلم لانه قد مر قول
في التورية اخبار الامم السالفة والقرون الخالية وحفظها من موسى وغيره فكانه قيل انه قد علم ذلك فلم اغتر بكثرة
ماله واعوانه ويجوز ان يراد به نفي العلم لانه لما انصلف بكونه من اهل العلم حيث قال على علم عندي وبخه الله تعالى انه لم
يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهلكى ووجه اتصال قوله ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون بما قبل انه اذا
عاقب المجرمين فلا حاجة الى ان يسالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه عالم بكل المعلومات وقال ابو مسلم اراد انهم لا يسالون
سوال استعلام وانما يسالون سوال تقريع ومحاسبة فخرج على قومه في زينته عن الحسن في الحمرة والصفرة وقيل
خرج على بغلة شهباء عليه ثوب احمر [illegible] من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وعليهم وعلى
خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه [illegible] جارية بيض عليهن الحلي والثياب الفاخرة
وقيل في تسعين الفا عليهم الثياب الصفرة قال الراغبون في الحلوة العاجلة ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه
لذو حظ عظيم والحظ الجد والبخت عن قتادة كانوا مسلمين [illegible] في الانفاق في سبيل الخير وقال
اخرون كانوا كفارا [illegible] الغبطة والحسد في قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض وقال الذين اوتوا العلم باحوال الدنيا وما فيها وعند الاخرة كلاما ويلكم واصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل
بالردع والزجر [illegible] والضمير في قوله ولا يلقاها عائد الى الكلمة المذكورة وهي قوله ثواب الله خير
لمن امن وعمل صالحا [illegible]
على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله وحكم به من الغنى وضده فظاهر حال قارون [illegible]
وبطر واستخفافا بحقوق الله والاستهانة بنبيه [illegible] فلا جرم خسف الله به وبداره الارض [illegible]
ضلوا لو ابودي نبي الله موسى صورا به للفرائض التي كانت بينها حتى نزلت الزكوة فصالحه على كل الف دينار دينار
عن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثر فخبثت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان ياخذ
اموالكم فقالوا انت كبيرنا فامرنا بما شئت قال نبعث الى فلانة البغي حتى ترميه بنفسه ورفضه بنو اسرائيل فجعل
لها الف دينار وطستا مملوا من ذهب فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى
جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرها موسى فناشدها بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت

كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان قذفتك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى
الله ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه
فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم
فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله
والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا
بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا قلت لعل استغاثته كانت مقرونة بالتوبة و
الا فالعقاب بعيد ثم ان بني اسرائيل اصبحوا يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا
الله حتى خسف بداره وامواله ومعنى من المنتصرين من المنتقمين من موسى ومن الممتنعين من عذاب الله واصبح
الذين تمنوا مكانه اي منزلته من الدنيا واسبابها بالامس اي بالزمان المتقدم يقولون راغبين في طاعة الله و
الرضاء بقضائه وقسمته ويكان الله من فرا مفصوله عن كان وهو مذهب الخليل وسيبويه فهي كلمة تنبه على
الخطاب وتندم كانهم تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا ثم قالوا ويكانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان
الكافرين لا ينالون الفلاح بطر هذا الاشتغال قال الشاعر شعر ويكان من يكن له نشب يحبب ۝ ومن يفتقر يعش
عيش ضر ۝ وعند الكوفيين ويك بمعنى ويلك اي الم تعلم انه لا يفلح الكافرون حكى هذا القول قطرب عن يونس
وجوز جار الله ان يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي واللام مقدر قبل ان لبيان القول لاجله هذا القول
والتعليل اي لانه لا يفلح الكفار كان ذلك الخسف قال في الكشاف قوله تلك تعظيم للدار الاخرة وتفخيم لشانها
بمعنى تلك سمعت ذكرها وبلغك وصفها قلت يحتمل ان يكون للبعيد حقيقة وفي قوله لا يريدون دون
ان يقول لا يتركون زجر عظيم ووعظ بليغ كقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا حيث علق الوعيد بالركون عن علي كرم
الله وجهه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك صاحبه فيدخل تحته ومن الناس من رد العلو
الى فرعون والفساد الى قارون لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقال في الكشاف قصة قارون ولا تبغ
الفساد في الارض وضعف هذا التخصيص بين لقوله تعالى في خاتمة الاية والعاقبة للمتقين لقوله من جاء بالحسنة
الاية قدم تفسير مثله في اخر الانعام وفي اخر النمل وقوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات من وضع الظاهر موضع
المضمر اذ كان يكفي ان يقال فلا يجزون الا انه اراد وصل تهجين تجالهم باسناد عمل السيئة اليهم مكررا وفي ذلك
لطف للسامعين في زيادة تبغيض السيئة الى قلوبهم ثم اراد ان يسلي رسوله في خاتمة فقال ان الذي فرض عليك
القران اي اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه فرض عليك لرادك الى معاد واي معاد فنكر المعاد للتعظيم
وانه ليس لغيره من البشر مثله يعني ان الذي حملك صعوبة تكليف التبليغ وما يتصل به لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط
الوصف وقيل اراد عوده الى مكة يوم الفتح ووجه التنكير ظاهر لان مكة يومئذ كانت معاداله لغلبة المسلمين
وظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك واهله والسورة مكية فقيل وعده وهو بمكة في اذى من اهلها انه ها
جر منها ويعيده اليها ظافرا ودولة وقيل نزلت عليه هذه الاية حين بلغ الجحفة في مهاجرة وقد اشتاق
الى وطنه وفي الاية اخبار عن الغيب وقد وقع كما اخبر فيكون فيه اعجاز دال على نبوة وحين وعد رسوله الرد
الى المعاد المعتبر قال قل لاهل الشرك ربي اعلم الاية يعني نفسه واياهم وما يستحقه كل من الفريقين في معاده ولا
يخفى ان هذا الكلام مضعف وافق بصدقه وحقيقته ثم ذكر رسوله ما انعم به عليه فقال وما كنت ترجوا ان يلقى
اليك الكتاب الا رحمة قال اهل العربية هذا الاستثناء محمول على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا لاجل
الرحمة والا بمعنى لكن اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك ثم نهاه عن اتباع اهواء اهل الشرك وقد مر ان مثل هذا
النهي من باب التهييج له ولامته ثم بين ان مرجع الكل اليه فقال كل شيء هالك الا وجهه فمن الناس من فسر الهلاك
بالعدم اي يعدم كل شيء سواه والوجه يعبر به عن الذات ومنهم من فسر الهلاك بالعدم عن كونه منتفعا به من منفعة
الخاصة به اما بالاماتة او بتفريق الاجزاء كما يقال هلك الثوب وهلك المتاع وقال اهل التحقيق معنى الهلاك كونه
في حيز الامكان لا يستحق الوجود ولا العدم من حد ذاته وان سميت المعدوم شيئا فممتنع الوجود احق من كل شيء بان
يسمى هالكا استدلت المعتزلة بالاية على ان الجنة والنار غير مخلوقتين لانهما لو كانتا مخلوقتين لعرض لهما الفناء
بحكم الاية وهذا يناقض قوله اكلها دائم وعورض بقوله اعدت للمتقين ويحتمل ان يقال الكل بمعنى الاكثر ومن هنا قال

الضحاك كل شيء هالك الا الله والعرش والجنة والنار وقيل الا العلماء فانه علمهم ويمكن ان يقال ان زمان
فناء الجنة لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقائها فلا اطلق لفظ الدوام عليه ومن فسر الهلاك بالامكان فلا اشكال
التاويل ارايتم ان جعل الله عليكم ليل الفراق عند استيلاء ظلمة البشرية سرمدا قل ارايتم ان جعل الله نهار الوصال
بطلوع شمس التجلي سرمدا من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون عن وعثاء سطوة التجلي ومن رحمته جعل لكم ليل الستر و نهار
نهار التجلي فان العاشق لو دام في التجلي كاد يستهلك وجوده وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي و
وقال لعايشة رض كلميني يا حميراء وذلك لتخرجه من سطوات شمس التجلي الى ستر ظل البشرية من التعب والنصب وليس
هذا الستر من قبيل الحجاب وانما هو من جملة الرحمة واللطف ونظيره الشمس في عالم الصورة فانها في خط الاستواء
تحرق وفي الافاق الوجوبية لا تؤثر وفي الافاق الحمائلية يلحقه الحر والبرد فتكثر العمارة ويسهل تعيش الحيوان
ونزعنا من كل امة من ارباب النفوس شهيدا هو القلب الحاضر فقلنا هاتوا برهانكم وهو حقيقة التوحيد لا يحصل
بالبعد لا يجذبه خطاب الحق فعلموا بتلك البراهين القاطعة ان الحق لله ان قارون النفس كان من قوم موسى القلب لان
الله تعالى جعل النفس تبعا للقلب وجعل سعادتها في متابعة واتيناه من الكنوز المودعة دعوده في صفاتها قد اهلك
من قبله من القرون كابليس فانه اكثر علما وطاعة في زينته هي التي زين بها الناس من النساء والبنين وغير ذلك قال الذين
يريدون الحيوة وهم صفات النفس فقال الذين اوتوا العلم وهم صفات الروح فخسفنا به بارض دركات السفل و جنة
بدا وهي قالبه ارض جهنم يتجلله بها الى يوم القيمة بل الى الابد نجعلها للذين يريدون كما قال في بعض الكتب المنزلة
عبدي انا الملك الحي لا اموت ابدا اطعني اجعلك ملكا حيا لا تموت ابدا عبدي انا ملك اذا قلت لشيء كن فيكون وعن النبي صلى
الله عليه وسلم عنوان كتاب الله الى عباده المومنين من الملك الحي الذي لا يموت ان الذي فرض اي وجب عليك التخلق
بخلق القران لرادك الى معاد هو مقام الفناء في الله والبقاء به قل ربي اعلم من جاء بالهدى وهو بذل الوجود المجازي في
الوجود الحقيقي الا رحمة من ربك اي الا ان القينا اليك الكتاب الفناء الاكسير على النحاس وتخلقت بخلق القران والله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۝ احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم
لا يفتنون ۝ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين ۝ ام حسب الذين يعملون
السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ۝ من كان يرجوا لقاء
الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم ۝ ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ۝ والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي

كانوا يعملون ۝ ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم
فانبئكم بما كنتم تعملون ۝ والذين امنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول امنا بالله
فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن
جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في
صدور العالمين ۝ وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون ۝ و
ليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما
كانوا يفترون ۝ ولقد ارسلنا نوحا الي قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون
فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين ۝

الوقوف الركوع في لا يفتنون الكاذبين يسبقونا يحكمون لآت العليم لنفسه العالمين حسنا فلا تطعهما تعملون الصالحين كعذاب الله معكم العالمين المنافقين خطاياكم الكاذبين مع اثقالهم فصلا بين الامرين المتعظمين بين اثقال الحاملين يفترون عاما الحق لحذف اي فلم تؤمنون فاخذهم ظالمون العالمين **التفسير** لما قال في خواتم السورة المتقدمة ان الذي فرض عليك القران لرادك الي معاد الي مكة ظاهرا ظافرا وكان في ذلك الوعد احتمال مشاق الحوادث ما كان قال بعده الم حسب الناس الي قوله وهم يفتنون بالجهاد ويقول لما امر بالدعاء الى القوم في له وادع الى ربك وكان دونه من المتاعب واعباء الرسالة لا يخفى بدأ السورة بما يهون على النفس بعض ذلك وايضا لما بين كل هالك اليه رجوع اليه رد على منكري الحشر بان الامر ليس على ما حسبوه ولكنهم يكلفون في دار الدنيا ثم يرجعون الى مقام الجزاء والحساب فالا اهل البرهان وقوع الاستفهام بعد الم يدل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها في هذه السورة وفي غيرها من السور وفي تصدير السورة بامثال هذه الحروف تنبيه للمخاطب وايقاظ له من سنة الغفلة كما تقدم لذلك كلام له معنى مفهوم كقول القايل اسمع وكن لي ولا تقدم الا اذا كان في الحديث شان والخطاب اهتمام ولهذا ورد بعد هذه الحروف ذكر الكتاب والتنزيل والقران الذي لا يخفى عبارة والاهتمام بشانه كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل الر تلك يس والقران الحكيم ص والقران الم تنزيل الكتاب الا ثلث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم ولا يخفى ان ما بعد حروف التهجي فيها من الامور العظام التي يحق ان يهتم

عليها بيانه في هذه السورة ان القران ثقله وغيره بما فيه من التكليف وبيانه في سورة مريم ظاهر لان خلق الولد منها بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر معجز وكذا الاخبار عن غلبة الروم قبل وقوعها ومعنى الاية راجع الى ان الناس لا يتركون بمجرد التلفظ بكلمة الايمان بل يؤمرون بانواع التكاليف واختلفوا في سبب نزولها فقيل نزلت في عمار بن ياسر والوليد بن الوليد وسلمة من هاشم وكانوا يعذبون بمكة وقيل نزلت في اقوام هاجروا وتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم ونجا الباقون وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو اول قتيل من المسلمين رماه عامر بن الحضرمي يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة قال جار الله مفعول الحسبان ان يتركوا وعليه والتقدير احسبوا تركهم غير مفتونين لان قالوا امنا وقولنا ان من خواص ان مع خبره سد مسد مفعولي القلب والحكم بان الترك ههنا بمعنى التفصير غير لازم يؤيده ما ذكرنا من المعنيين قوله سبحانه في موضع اخر ام حسبتم ان تتركوا والفتنة الامتحان شدايد التكليف من مفارقة الاوطان وكل ما يجب ويتلذذ من ملاقات الاعداء والمصابرة على اذاهم وساير ما يكرهه النفس والتحقيق ان المقصود من خلق البشر هو العبادة الخالصة لله فاذا قال باللسان امنت فقد ادعى طاعة الله بالجنان فلا بد له من شهود وهو الاتيان بالاركان واذا حصل الشهود فلا بد له من مزكي وهو بذل النفس والمال في سبيل الرحمن بمعنى الاية احسبوا ان يقبل منهم دعوتهم بلا شهود وشهودهم بلا مزكي اذ المراد احسبوا ان يتركوا في اول المقامات لا بل ينقلون الى اعلى الدرجات وهو مقام الاخلاص والقربات من مثل حال هو الابدال السلف منهم قايلا ولقد فتنا الذين من قبلهم ارادكذلك فعل الله بمن قبلكم لم يتركهم بمجرد قولهم امنا بل امرهم للطاعات وزجرهم من المنهيات وقوله فليعلمن الله كقوله وليعلم الله وقد مر تحقيقه في ال عمران والحاصل ان تجدده مرجع الى المعلوم لا الى العالم ولا الى العلم وذلك لان الاول زماني دون الاخرين واما عبارات المفسرين فال مقاتل فليرين الله وقيل فليظهرن الله وقيل فليميزن وجوز جار الله ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين قال الامام فخر الدين الرازي ان في وقت نزول الاية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد في الاسلام في اوايل ايجاب التكاليف وعن قوم مستديمي الكفر مستمرين فقال في حق الاولين الذين صدقوا بصيغة الفعل عن التجدد وقال في حق الاخرين وليعلمن الكاذبين قال الامام فخر الدين بصيغة المنبيه عن الثبات وانما قال يوم ينفع الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل لان صدق يومئذ قد رسخ في القلوب المومنين بخلاف اوايل الاسلام ثم بين بقوله ام حسب الذين الى اخره ان من كلف بشيء ولم يمتثل عذب في المال وان لم يعذب في الاستعمال نظيره قوله ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا والحاصل ان الاهمال لا يوجب الاهمال والتعجيل في جزاء الاعمال انما يوجد ممن يخاف الموت لولا الاستعجال ومعنى الاضراب ان هذا الحسبان اشنع من الحسبان الاول لان ذلك تقدير انه لا يمتحن لايمانه وهذا نظر انه لا يجازي بمساويه وهكذا ختم الاية بقوله ساء ما يحكمون والمخصوص محذوف وما يحتمل موصوله او مبهمة والتقدير بئس الذي يحكمون حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا وفي الاية ابطال قول من ذهب ان التكاليف ارشادات فلا ابعاد عليه ترغيب وترهيب ولا يوجد منا لله تهذيب اعلم ان اصول الدين ثلثة معرفة المبدا واشار اليه بقوله لنا ومعرفة الوسط وهو ارسال الرسل وايضاح السبل واليه اشار بقوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا ومن معرفة المعاد اما الاشقياء وهو قوله ام حسب الاية واما السعداء وهو قوله من كان يرجو الخ فان السلطان واصل فانه لا يفهم منه الا ايصال الخبر بوصوله ومثله من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ويحتمل ان يراد بالاجل الوقت المضروب للحشر وقيل يرجو بمعنى يخافه وهو السميع لاقوال العباد صدقوا ام كذبوا العليم بنياتهم وطوياتهم وبيان اعمالهم فيجازيهم بالمصنوع بالاذن سمع بالبري بالاعين رات وبالنيات بالاخطار على قلب بشر ثم بين بقوله من جاهد الاية ان فايدة التكاليف والمجاهدات انما يرجع للمكلف والله غني عن ذلك قال المتكلمون من الاشاعرة في الاية دلالة على ان رعاية الله عليه وسلم وانه ليس في مكان والا لزم افتقاره وانه ليست قادرية بقدر وعالمية بعلم لان القدرة والعلم غيره يلزم افتقاره ويمكن ان يجاب عن الاول لان وجوب صدور الاصلح عنه بمقتضى الحكمة لا يوجب الاستكمال وعن الثاني بان استتباع الغاية افتقار المفيد وعن الثالث ان استغناء المكان غير الاستغناء اليه وعن الرابع ان العالم هو ما يغاير ذات الله مع صفاته وفي الاية بشارة من وجه وانذار من وجه اخر وذلك لان الاستغناء عن الكل يوجب غناه عن تعذيب كل عاجز كما انه يمكن ان يهلك كل صالح ولا شيء عليه الا انه رجح جانب البشارة بقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقد مر مرارا ان الايمان في الشرع عبارة

عن التصديق بجميع ما قال الله تعالى و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفصيلا ثم اعلم وايضا الايمان علم والعمل
الصالح هو الذي ندب الله و رسوله والفاسد ما نهى الله و رسوله عنه وعند المعتزلة الامر والنهي يتبعان
الحسن والقبح ثم العمل الصالح باق لانه في مقابلة الفاسد والفاسد هو الهالك الثالث يقال فسد الزرع
اذا خرج عن حد الانتفاع ولكن العمل عرض لا يبقى بنفسه ولا بالعامل لان كل شيء هالك الا وجهه فبقاؤه انما يتصور
اذا كان لوجه الله ومنه يعلم ان النية شرط في الاعمال الصالحة وهو كونها لله تعالى وخالف زفر في نية الصوم
وابو حنيفة في نية الوضوء وقد مر ثم انه تعالى ذكر في مقابلة الايمان والعمل الصالح امرين تكفير السيئات والجزاء
بالاحسان فتكفير السيئات في مقابلة الايمان والجزاء بالاحسان في مقابلة العمل الصالح ومنه يعلم ان الايمان يقتضي
عدم الخلود في النار لان الذي كفر سيئاته يدخل الجنة لا محالة والجزاء بالاحسان يكون غير الجنة وهو ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يكون هو رؤيته عند من يقول بها وههنا بحث وهو ان قوله لنكفرن
يستدعي وجود السيئات حتى يكفر فالمراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات اما قوم مسلمين مذنبين واما قوم كفرة
امنوا فيجب الايمان ما قبله او يقال لان وعد الجميع باشياء لا يستدعي وعد كل واحد لكل واحد من تلك الاشياء نظيره
قول الملك لقوم اذا اطعتموني اكرم اباءكم فههنا لا يقتضي ان يكرم ابا من توفي ابوه ويحترم ابن من لم يولد له و
لكن مفهومه انه لكرم ابا من له اب ويحترم ابن من له ابن او يقال العاصي مكلف الاولى سيئة حتى الانبياء فان ترك الاولى
بالنسبة اليهم سيئة بل حسنات الابرار سيئات المقربين ولما بين حسن التكاليف و وقوعها ذكر ثوابا من حقوق
التكاليف اصولها و فروعها اشعارا بقوله و وصينا الانسان الآية دليل على انه لا دافع لهذه السنة ولا مانع لهذه الطريقة
فان الانسان ينقاد لاحد ينبغي ان ينقاد لاحد ابويه ومع هذا لو امراه بالمعصية لا يجوز اتباعهما فكيف غيرهم ومنه
يعلم انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومعنى ووصينا امرنا كما مر في قوله ووصى بها ابراهيم وقوله بوالديه اي
بتعهدهما ورعاية حقوقهما وعلى هذا ينتصب حسنا بمضمر يدل عليه ما قبله اي اولهما حسنا اذ قيل بما كانه قال قلنا له
ذلك وقلنا له وان جاهداك الى اخره فلو وقف على قوله بوالديه حسن ويجوز ان يراد ووصيناه بايتاء والديه حسنا
وقلنا له وان جاهداك وقوله ما ليس لك به علم كقوله ما لم ينزل به سلطانا اي لا معلوم ليتعلق العلم به واذا كان
التقليد في الايمان قبيحا فكيف يكون حال التقليد في الكفر على وجوب ترك طاعة الوالدين اذا اراد ولدهما على
الاشراك دليل عقلي وذلك ان طاعتهما وجبت بامر الله فاذا امنعا طاعة الله في نفي الاشراك فقد ابطلا طاعة الله
مطلقا يلزم منه عدم لزوم طاعة الوالدين امر الله وكل ما يفضي وجوده الى عدمه فهو باطل فطاعة الوالدين في اتخاذ الشريك
باحد من الممتنعات وقوله الي مرجعكم ترغيب في رعاية حقوق الوالدين وترهيب عن عقوقهما وان كانا قرين
لاجل الدعاء الى الشرك وفيه ان المجازي للمؤمن والمشرك اذا كان هو الله وحده فلا ينبغي ان يقتل الوالدان لاجل
كفرهما وفي قوله فانبئكم دليل على انه سبحانه عالم الخفيات لا يفوت عنه شيء يروى ان سعد بن ابي وقاص الزهري
حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت وان الطعام
والشراب علي حرام حتى يكفر بمحمد وكان احب ولدها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فنزلت هذه الآية فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم سعدا ان يداريها ويترضاها بالاحسان ثم اكد جزاء من عمل صالحا بتكرير قوله فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرتهم وحسن اولئك رفيقا قال الحكماء في المجردين الذين
لا كون لهم ولا فساد فيدخل العلويات عندهم ثم بين حال اهل النفاق بعد تقدير حال اهل الكفر والنفاق فقال
ومن الناس من يقول امنا بالله يعني انا والمؤمنون حقا امنا ادعى ان ايمانه كايمانهم فاخبر الله تعالى ان ايمانه لا تحقق
له بدليل قوله فاذا اوذي في الله اي في سبيله ودينه جعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل فتنة الناس صادة
عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وهذا على التوهم او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا و
هذا في الواقع وقيل جزعوا من الناس كما جزعوا من عذاب الله وبالجملة معنى فانهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها
وانقطاعها كعذاب الله الاليم الدائم فتحيروا وترددوا في الامر وقالوا ان امنا يتعرض لنا الاذى من الناس وذلك
انهم كانوا بينهم ادنى من الكفار وان تركنا الايمان يتعرض لما توعدنا به محمد فاختاروا الاحتراز عن التعرض العاجل
ونافقوا وانما قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله ليس في الآية منع من اظهار كلمة
الكفر اكراها وان المنع من اظهارها مع مواطاة القلب التي كانوا عليها وانما يؤكد بذنوبهم قوله ولئن جاء نصر من

ربك ولا يلومه الغنيمة غالبا ليقولن انا معكم حكى دأب المنافق اذا راى اليد للكافر اظهر ما اضمر من الكفر وان
كان النظر للمؤمن اظهر ما اضمر من الكفر وان كان النصر للمؤمن اظهر ما اضمر واظهر المعية وادعى التبعية في تخصيص
اسم الرب بالمقام اشارة الى ان التربية والرحمة هي التي اوجبت النصر ثم اخبر انه تعالى اعلم بما في صدور العالمين منهم
بما في صدورهم لانه خبير بانفسهم كما هي وهم لا يعرفون نفوسهم كما هي فالتلبيس لا يفيد المنافق بالنسبة الى الله شيئا لانه لا يجوز
عليه الالتباس دليله قوله وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للمنافقين والعلم
من القلب ههنا وهو في المؤمن التصديق وفي المنافق النفاق واعتبر في السورة امر اللسان وهو في الكافر
الكاذب لانه يقول الله غير موجود والله اكثر من واحد وفي المؤمن الصدق لانه يقول الله واحد وحين بين احوال
الفرق الثلاثة وذلك ان الكافر يدعوا من يقول امنت الى الكفر بالفتنة ويبين ان عذاب الله فوقها وكان للكافر ان يقول
للمؤمن لم تصبر في الذل على الاعداء ولم يدفع الذل والعذاب عن نفسك بموافقتنا وكان جواب المؤمن ان يقول خوفا من
عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا اشار الى جميع ذلك بقوله وقال
الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اراد ان يجمع هذان الامران في الحصول ان يتبعوا طريقنا وان نحمل
خطاياكم مع اعطيكم لكن منك العطا ولكن مني التماس وليس هو في الحقيقة امر طلب وايجاب ولكنه حكاية يقول صناديد
قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فانه عسى كان جزاء ومعاد فانا نتحمل عنكم الاثم وترى نظيره في
الاسلام يشجع احدهم فاذا اجتبأ على ارتكاب بعض العظائم فيقول افعل هذا واثمه علي وكم من مغرور يتمثل هذا الضمان
ثم اخبر الله عنهم بانهم لا يحملون شيئا من خطاياهم ولا ريب ان هذا مخالف لما زعموا من انهم يحملون اوزارهم فلهذا حكم
الله عليهم بانهم كاذبين ويجوز ان يكونوا كاذبين بانهم وعدوا وفي قلوبهم نية الخلف وللجاجة في توجيه تسميتهم
كاذبين الى التشبيه الذي ذكره في الكشاف لا يجمع بين قوله وما هم بحاملين وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
فان النفي راجع الى الحمل الذي يخف صاحبه والاثبات يرجع الى انهم يحملون وزر الاضلال مع ان اتباعهم حاملون
وزر الاضلال كما قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره
شيء ثم قال وليسألن سؤال التقريع يوم القيامة عما كانوا يفترون من انه لا حشر وعلى تقدير وجوده يحملون خطايا التابعين
ثم اجمل قصة نوح ومن بعده تصديقا لقوله في اول السورة ولقد فتنا الذين من قبلهم وفيه تثبيت للنبي صلى
الله عليه وسلم كانه قيل له ان نوحا لبث الف سنة يقرنيا بدعوى قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فانت اولى بالصبر
لقلة لبثك وكثرة عدد امتك وفيه تحذير الكفار قريش فان اولئك الكفار ما نجوا من العذاب مع تلك الاعمار الا
طوال فهؤلاء كيف يسلمون او كيف يعتبرون سؤال ما الفائدة في قوله الف سنة الا خمسين دون ان يقول تسعمائة
وخمسين الجواب لان العبارة الثانية تحتمل التجوز والتقريب فان من يقال عاش الف سنة يمكن ان يتوهم انه يدعي
ذلك تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا او الا سنة زال ذلك الوهم وايضا المقصود في تثبيت النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر الالف الذي هو عقد معتبر وصل الى هذا الغرض وانما جاء بالمميز في المستثنى منه تجنبا من التكرار الخالي
عن الفائدة وتوسعة في الكلام قال بعض الاطباء العمر الطبيعي للانسان مائة وعشرين سنة فاعترضوا عليهم بعمر
نوح عليه السلام وذلك ان المفسرين قالوا عمر نوح الفا وخمسين سنة فيمكن ان يقال انهم ارادوا بالطبيعي
ما كان اكثريا في اعصارهم ولا ينافي كون بعض الاعمار زائدا على هذا القدر بطريق خرق على راس اربعين ولبث
في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة مع ان العادة قد
يختلف باختلاف الاعصار والادوار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين و
الطوفان ماء كثير كل المكان بكثرة وغلبة من سيل وظلام ليل وفي قوله وهم ظالمون دليل على ان العذاب قد اخذهم
وهم مصرون على الظلم ولو كانوا قد تركوه لما اهلكهم والضمير في قوله وجعلناها اما الحادثة او للعقوبة او للسفينة
واعاجيب هذه القصة واحوال السفينة واهوالها قد مرت مرارا ولا ريب انها آيات تدل على توحيدها **التأويل**
اقسم بفردانيته وبالآية ونهايته انه مهما يكون من العبد التقرب اليه باصناف العبودية يكون منه التقرب الى
العبد بالالطاف الربوبية يؤكده قوله احسب الناس اي الناسون من اهل البطالة ان يتركوا بمجرد الدعوى لا يطالبون
بالبلوى والمحنة والمحبة توأمان وبالامتحان يكرم الرجل او يهان فمن زاد قدره معناه الا مدموع بالبلاء للنفوس
لاخراجها عن اوطان الكسل وتصفيتها في حسن العمل والبلاء على القلوب ليصفيها من شين الدين لقبول نفوس الغيوب

والبلاء على الارواح لتجردها بالسوابق عن العلايق والبلاء على الاسرار في اعتكافها في مشاهد الكشف بالصبر
على اثار التجلي الى ان يصير مستهلكا فيه بافنائه وان اشد الفتن حفظ وجود التوحيد لبلا تجري عليه فكر في
اوقات غلبات شواهد الحق فيظن انه هو الحق ولا يدري انه من الحق ولا يفاد انه الحق وعزيز من يهتدي الى ذلك
ام حسب الذين فيه انمى موجبات عمل السيات سواد مراة القلوب بصدا الحسبان وذين الكفران لنوهموا ان
يسبقونا بالعدواه عن طريق شقا في الانتقام عن اهل الاجرام ساء ما يحكمون بالنجاه عن الدركات باتباع الشهوات
هيهات هيهات من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات من رجى عمره في رجاء لقاءنا فهو الذي يبيح له النظر الى جمالنا
وهو السميع لانين المشتاقين العليم بطوبات الصادقين ومن جاهد بالسعي في طلبنا فانما يجاهد لنفسه لانها بالتخلية
عن الاخلاق الذميمه وبالتحلية وبالصفات الحميده تخلص من الامارات ويتاهل للطينه فيستحق لجذبة ارجعي
الى ربك والذين امنوا قلوبهم بمحبتنا وعملوا الصالحات ببذل الوجود في طلب جودنا لنكفرن عنهم سيات وجودهم
المجازي ولنجزينهم وجودا حقيقيا احسن منه وان جاهداك لتشرك بي فيه اشارة الى المريد اذا تمسك بذيل شيخ كامل
وتوجه الى الحضرة لعزيمة من عزايم الرجال فان منعه الوالدان عن ذلك فعليه ان لا يطيعهما لانه سبب في ولادته في عالم
الارواح وهما سبب ولادته في عالم الاشباح كما قال عيسى عليه السلام ان يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين
فهو احق برعاية الحقوق منهما جعل فتنة الناس كعذاب الله فيه ان للمؤمن من كف الاذى هو الولي من يحمل من الخلق
الاذى ولا ترشح فيه الشكوى من البلوى كالارض يلقى عليها كل قبيح فينبت منها كل مليح والمنافق اذا لم يكن في حماية خشية
الله بقي منه خوف الخلق اذا اوذي في الله وقال الذين كفروا فيه ان كافر النفس وصفاته يقولون بلسان الطبيعة
الانسانية لموسى القلب والسر والروح وصفاتهم اتبعوا سبيلنا في طلب الشهوات الحيوانيه ولنحمل خطاياكم اي
يدفع عنكم ضرر ما يرجع اليكم في متابعة شهوات الدنيا وطيباتها وما هم بحاملين شيا من خطاياهم وهو العمى والصمم و
البكم وساير الصفات النفسانيه ولكن يحملون اثقال هذه الافات مع الافات التي تختص بها والله اعلم واحكم

وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون ۝ انما تعبدون من دون الله اوثانا و
تخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه
ترجعون ۝ وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما
على الرسول الا البلاغ المبين ۝ اولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ۝ قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله
على كل شئ قدير ۝ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه
تقلبون ۝ وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم

من دون الله من ولي ولا نصير ۝ والذين كفروا بايات الله
ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم ۝
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجيه
الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ۝ وقال انما اتخذتم
من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم
القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماويكم
النار وما لكم من ناصرين ۝ فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي
انه هو العزيز الحكيم ۝ ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا
في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في
الاخرة لمن الصالحين ۝ ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون
الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ۝ ائنكم
لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر
فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين ۝ قال رب انصرني على القوم المفسدين ۝ ولما جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
ان اهلها كانوا ظالمين ۝ قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين ۝ ولما ان
جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف
ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين

انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا
يفسقون ولقد تركنا اية بينة لقوم يعقلون ● والى مدين
اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر
ولا تعثوا في الارض مفسدين ● فكذبوه فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين ● وعادا وثمودا وقد تبين لكم
من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل وكانوا مستبصرين ● وقارون وفرعون
وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في
الارض وما كانوا سابقين ● فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم
من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ● مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ●

القراءة اولم يروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل النشاءة بفتح الشين بعدها
الف ممدودة حيث كان ابن كثير وابو عمرو مودة بالرفع بينكم بالجر على الاضافة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب و
علي وابو زيد عن المفضل مودة بالرفع بينكم بالفتح الشموني والبرجمي مودة بالنصب بينكم بالاضافة حمزة وحفص بالتنوين
مودة بالنصب بينكم بالفتح ربي انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وانكم بهمزة بعدها ياء ابن كثير ونافع غير قالون
وسهل ويعقوب غير زيد مثله بزيادة مدة في الثانية يزيد وزيد وقالون كلاهما مثل هذه بالثانية ابو عمرو والاولى
بهمزة واحدة الثانية بهمزتين ابن عامر وحفص وهشام يدخل بينهما مدة الباقون بهمزتين فيهما ابراهيم كنظايره
لننجينه لسكون النون من الانجاء يعقوب وحمزة وعلي وخلف سيء بهم كما ذكر في هود منجوك من الانجاء ابن كثير و
يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل منزلون بالتشديد ابن عامر وثمود غير المصروف في الحالين
حمزة وحفص وسهل ويعقوب **الوقوف** والتقوى يعلمون افكا واشكروا له ترجعون من قبلكم للعطف مع
الاختلاف بالاثبات والنفي المبين يعيده يسير الاخرة قدير لان ما بعده يصلح وصفا واستينافا من يشاء لانقطاع
النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين وتقلبون السماء فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين بتضمين الحم

النار يؤمنون اوثانا لمن قرأ مودة بالرفع الدنيا لاختلاف الجملتين والفصل بين الدارين بعضا لاختلاف الجملتين
مع اتحاد المقصود ناصرين قبل الاوقف لتعلق القاف لوط لان قوله وقال فاعله ابرهيم ولو وصل لاوهم اتحاد الفاعل ربي
الحكيم الدنيا للابتداء مع واو العطف الصالحين الفاحشة لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ووصفا العالمين المنكر
لانتهاء الخطاب الى ابتداء الجواب الصادقين المفسدين البشرى لان قالوا جواب لما القرية للابتداء بان مع احتمال التعليل
ظالمين وقد يوصل دلالة على تدارك ابرهيم لوطا بمن فيها لان لام التوكيد يقتضي قسما اي والله لننجينه مع تمام المقصود
في التنجية الا امراته لان ما بعده يصلح مستانفا في النظم ولكنه حال المراة لان المستثنى مشبه بالمفعول اي مستثنى
امراته كاينة من الغابرين ولا تحزن فصلا بين البشارتين وتوقفا للفرح الغابرين يفسقون يعقلون شعيبا لتعلق
الفا المفسدين جاثمين لان عادا يحتمل ان يكون منصوبا باخذتهم او بمحذوف اي واذكر ولهذا الوجه لان قوله وقد تبين
حال ولا يحسن ان يكون عامله فاخذتهم ما مساكنهم لان التقدير وقد زين وعامله فاخذتهم مستبصرين للعطف وما ن
يحتمل عندي الوقف وقيل لا بناء على ان قوله ولقد جاءهم حال عامله فاخذتهم سابقين لانقطاع النظم بتقديم المفعول
مع اتفاق الجملتين بذنبه وكذلك على حاصبا واخذته الصيحة وخسفنا به الارض واغرقنا العطف لحمل الوقف اوجه
تفصيلا لانواع النقم وانها لا لفرصة الاعتبار يظلمون العنكبوت لان ما بعده يصلح وصفا واستينافا بيتا العنكبوت
مطلقا لا لتعلق يعلمون **التفسير** وابرهيم منصوب لمضمر وهو اذكر وقوله اذ قال بدل عنه بدل الاشتمال لان ما
الاحيان يشتمل على ما فيها اي اذكر وقت طويه لقومه وجوز ان يكون معطوفا على نوحا فاورد عليه الارسال قبل الدعوة
فكيف يكون وقت الدعوة ظرفا للارسال واجيب بان الارسال امر ممتد الى وان الدعوة او المراد ارسلناه حين كان
صالحا لان يقول لقومه اعبدوا الله خصه بالعبادة واتقوا مخالفته ذلكم الاخلاص والتقوى خير لكم ان كنتم تعلمون اما
العبادة فلانها غاية الخضوع فلا يصلح الا لمن هو غاية الكمال فضلا عن الجماد واما التقوى فلان من قدر على اهلاك
الماضين فهو قادر على اهلاك الباقين وتعذيبهم اذا عصوه والعاقل من يحذر مخالفة القادر ثم بين بقوله انما تعبدون
من دون الله اوثانا اي الذي تعبدونه في غاية الخسة لانه صنم لا روح له ولا ظلم اشنع من وضع الاشرف
وبين بقوله تخلقون افكا ان الذي تزعمون من انها شفعاؤكم عند الله كذب وزور ثم ذكر انهم لا يقدرون على
نفع ولا على ايصال رزق اي رزق كان ثم اشار بقوله وابتغوا عند الله الرزق الى ان هذه الماهية او الرزق الموعود
في قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها يجب ان يطلب من الله فقط واذا كان الرزق منه فالشكر يجب
ان يكون بقوله اليه ترجعون ان المعاقب والمثيب هو وحده فلا رهبة الا منه ولا رغبة الا فيه ثم ان قوله وان تكذبوا
فقد كذب امم من قبلكم الى قوله فما كان جواب قومه ان كان اعتراضا خطابا للكفار قريش فظاهر وان كان ثمة قول
ابرهيم فالامم المتقدمة عليه اما قوم نوح وقوم ادريس وقوم شيث وقوم ادم عليهم السلام واما قوم غير امته
لان عاش الف سنة واكثر فمضت عليه القرون وكان كل قرن يؤمنون من بعدهم من الابناء ان يكذبوا نوحا والبلاغ ذكر
السائل والابانة اقامة البرهان عليه وفيه دليل على ان تاخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز والا لم يكن البلاغ مبينا
وحين بين التوحيد والرسالة شرع في بيان المعاد فان هذه الاصول الثلاثة لا يكاد تنفصل في الذكر الالهي فقال اولم يعلموا
بالبرهان النير القايم مقام الرؤية كيف يبدا الله الخلق ثم يعيده اما ابداء الخلق المطلق فلان المخلوق لا بد له من خالق
اولا ينتهي اليه سلسلة المخلوقات واما خلق الانسان بل كيفيته فانه كالشاهد المحسوس ببارئ النطفة وقعه
في الرحم تدارت عليه الاطوار حتى حصلت خلقا اخر واما الاعادة فلانها اهون في القياس العقلي ولهذا ختم
الاية بقوله ان ذلك على الله يسير وحين اشار الى العلم الهدى الحاصل من غير طلب امر نبينا صلى الله عليه وسلم او حكى
ابرهيم قوله به قل سيروا في الارض اي لم يحصل لكم الحدس المذكور فسيروا في اقطار الارض وتفكروا في كيفيته تكون
المواليد الثلاث المعادن والنبات والحيوان حتى يقضي بكم النظر الى العيان فالاية الاولى اشارة الى ما هو كالمركوز
في الاذهان ولهذا قال بطريق الاستفهام اولم يروا والاية الثانية امر بالنظر المودي الى العلم والاثبات على التقدير عدم
حصول ذلك البيان والعيان وانما قال اولا كيف يبدي بلفظ المستقبل وثانيا كيف بدأ بلفظ الماضي لان العلم الحدسي
حاصل في كل حال واما العلم الاستقراري فلا يفيد اليقين الا فيما شاهد وبلغ فكانه قيل انه لم يحصل لكم العلم بان
الله في كل حال الموصوف بالانشاء والاعادة فانظروا في صفات المخلوقات حتى تعرفوا انه كيف بداها ثم يستدلوا
من ذلك على انه ينشاها النشاة الثانية فهذا عطف على المعنى كانه قال فانظروا هذا وقد تكلف جار الله فقال هو

معطوف على جمله اولم يروا كما قال قوله ثم يعيده اخبار على حاله وليس بمعطوف على يبدي ثم في اقامه اسم الله مقام
الضمير في قوله ثم ينشي اشارة الى انه لا يقدر على هذا النشاء الا المعبود الكامل الذات المتصف بالعلم والحيوة وبال
نعوت الجلال وحين ذكر دلايل الانفس والافاق صرح بالنتيجه الكلية اذا ارد دنه وفي الاية لطايف منها انه
قدم التعذيب على الرحمة مع قوله سبقت رحمتي غضبي لان الاية مسوقة لتهديد المكذبين ومع ذلك لم يخل الكلام
عن ذكر الرحمة وانه يوكد قوله سبقت رحمتي غضبي ومنها انه لم يقل يعذب الكافر ويرحم المومن اظهار اللهيبه
الالهيه ومنها انه قال ولا اليه ترجعون ثم اعاد هيهنا لان التعذيب قد يكون ان عاجلين وكانه قال وان تاخر
عنكم ذلك فلا تطمعوا فوائه فان الينا ايابكم وعلينا حسابكم وعندنا يدخر ثوابكم وعقابكم ويويده قوله وما انتم
بمعجزين الايه وفيه ان الانقلاب اليه لا منه وذلك لان الاعجاز اما بالهرب واما مع الثبات وقد نفى الاول بقوله
وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اي لو هبطتم الى موضع السمك في الماء او صعدتم الى محل السماك في
السماء لم تخرجوا من قبضه قدره الله وقدم الارض على السماء لان السماء ابعد وافسح اي ان هربتم من حكمه وقضائه
في الارض الفسيحه او في السماء التي هي افسح منها وابعد فانكم لا تفوتون الله او المراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في اعماق
الارض وعلوتم في البروج المشيدة الذاهبه في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيده او اراد لا يعجزون ملاء الظاهر
في الارض والنازل من السماء وجوز بعضهم ان يراد وما انتم بمعجزين من في الارض ولا بالسماء بحذف الموصوف
واقتصر في الشورى على قوله وما انتم بمعجزين في الارض لانه خطاب للمومنين ونفى الثاني بقوله وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير لان الركن السند الذي يستند اليه اما ولي يشفع او ناصر يدفع والاول اسهل الطريقين
فلذلك قدم الولي على النصير ثم خص الوعيد بالكافرين بايات اي بدلايل الوحدانيه وبالكتب والمعجزات وفي زياده
قوله اولئك اشارة الى ان الياس من الرحمة منحصر فيهم بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
هو نسبه الياس اليهم اما على سبيل الاخبار عن حالهم يوم القيمة او على سبيل وصفهم الحال فان وصف المومن ان يكون
راجيا خائفا ونعت الكافر ان لا يخطر بباله خوف ولا رجاء بل يكون خائفا كما قيل الخائن خايف وجوز في الكشاف
ان يكون على طريق التشبه كانهم شبيه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من ييئس من رحمة الله ولعله ذهب الى هذا
هذا التشبيه لان الياس من رحمة الله متوقف على الاعتراف بالله وبرحمته والكافر معترف بواحد من الامرين ثم
بين بتكريرهم اولئك لهم عذاب اليم ان كل واحد من الوعيد لا يوحد الا فيهم وان كان الوعيدان شتى زمان في الحقيقه
ثم حكى ان جواب قوم ابراهيم لم يكن الا ان قالوا فيما بينهم او قال واحد ورضي به الباقون اقتلوه بالسيف ونحوه او حرقوه
بالنار وهذا ليس جوابا في الحقيقه ولكنه كقولهم عتابك السيف وفيه بيان جهالتهم انهم وضعوا الوعيد موضع
الايثار للنصيحه والاذعان للحق ثم بين انهم على تحريقه فانجاه من النار والقصه مذكوره في سورة الانبيا ان
في ذلك الانجاء لايات جمع الايات لعظم تلك الحاله كقوله ان ابراهيم كان امه او لانها مشتمله على احوال عجيبه كالرمي
من المنجنيق من غير ان الحق به ضرر وكما يروى ان النار صارت عليه روحا وريحان الى غير ذلك وانما قال في قصة
نوح وجعلناها اية ولم يذكر الجعل ههنا لان الخلاص من تلك النار اية في نفسه واما السفينه فقد جعلها الله اية
بان احد في الطوفان وصانها عن الغرق ويمكن ان يقال ان الصون عن الماء فلذلك ختم الايه هناك جميعا ههنا و
انما قال هناك ايه للعالمين وههنا لايات لقوم يومنون لان تلك السفينه بقيت اعواما حتى مر عليها الناس و
مر وعليها فحصل العلم به لكل احد او يقول جنس السفينه حصلت بعد ذلك فيما بين الناس وكانت ايه للعالمين
واما تبريد النار فلم يبق من ذلك اثر فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان وههنا لطيفه وهي ان الله تعالى جعل النار
بردا وسلاما على ابرهيم بسبب اهتدايه في نفسه وهدايته لغيره وقال قد كان لكم اسوة حسنة في ابرهيم فحصل
للمومنين بشارة بان الله سيجعل النار على المومنين المهتدين بردا وسلاما كما حكى انه بعد ان خرج من النار رعاهم الى
النصيحة والدعاء لقومه الى التوحيد والاخلاص وذلك قوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة قال جار الله
من قرا بالنصب بغير اضافه او باضافه فعلى وجهين احدهما التعليل لتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم واتساقكم
على عبادتها كما سيتفق الناس على مذهب فيكون بينهم تنسبه عن ذلك الوجه الثاني ان يكون مفعولا ثانيا على
حذف المضاف وعلى ان المصدر بمعنى المفعول اي اتخذتم الاوثان سبب المودة او اتخذتموها مودة بينكم ومن قرا بالرفع
باضافه او بغير اضافه فعلى وجهين ايضا ان يكون خبرا لان على انها موصوله والتقدير ان التي اتخذتموها اوثانا هي

سبب مودة بينكم او مودة بينكم وان يكون خبر مبتدا محذوف اي هي مودة او سبب مودة على هذا قال وقف
على اوثانا حسن كما مر ثم يقوم يوم القيمة بين العبادة وكذا بينهم وبين اوثانهم التباغض والتلاعن نظيره كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا والتحقيق فيه انهم غلبة عليهم الجسميه ولذاتها فلهذا الفوا الاصنام ولم
تقبل عقولهم موجودا منزها عن الاجسام وخواصها فلا جرم اذا ارتفعت الحجب وانكشف الغطاء عن عالم الارواح زالت
نسبه الجسميه وظهرت الالام الروحانيه وعذبوا بنار الخسران والحرمان من غير شفعاء ولا اعوان فلذلك قال
وماواكم النار وما لكم من ناصرين وانما لم يقل ههنا وما لكم من دون الله لان الله لا يبعض الكفار من اهل النار وانما
جمع الناصرين ههنا لانه اراد في الاول نفي جنس النصير وههنا اراد نفي الناصرين الذين كان اهل الشرك يزعمون انهم
شفعاؤهم عند الله فامن له لوط وكان ابن اخيه ابرهيم صدقه حين راى النار لم تحرقه قال العلماء ان لوطا امن
برسالة ابرهيم حين راى المعجزة واما بالوحدانيه فامن حين سمع مقالته اولو توقف في الايمان بالله الى وقت ظهور
المعجزة كان نقصا في مرتبته وقد جاء في نور باطنه الا يرى ان ابا بكر وعليا رضي الله عنهما اسلما كما عرض النبي صلى
الله عليه وسلم الاسلام عليهما وقال ابرهيم اني مهاجر من كوثي وهي من سواد الكوفة الى حران ثم ههنا الى فلسطين
ولهذا قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرة امراته ساره وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنه وهاجر
معه لوط ايضا ومعنى الى ربي الى حيث امرني ربي بالهجرة اليه ومثله قوله اني ذاهب الى ربي وعبارة القران ادخل
في الاخلاص لان المهاجر حيث امرة الملك قد يهاجر اليه مرة اخرى اعرض بنفسه فيصدق انه يهاجر الى حيث امره الملك
ولا يصدق انه مهاجر لاجل الملك ولرضاه وفي قوله انه هو العزيز الحكيم نوع تهديد لقومه وتصويب لما بدا له من الهجرة
بامر الله قال في الكشاف وانه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي ثم ذكر ما انعم عليه
من الاولاد والاخلاص لاضداد ومن جعل النبوة وجنس الكتاب الالهي فيهم وهي التورية والانجيل والزبور والفرقان
ولهذا اندرج ذكر اسمعيل في الاية ولعل السر في عدم التصريح بذكره ان الله تعالى جعل الزمان بعد ابراهيم قسمين احدهما
زمن اسحق ويعقوب وذراريهما الى زمان الفترة والاخر زمن محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة وهو من ولد
اسمعيل عليه السلام وطي ذكر اسمعيل اشارة الى تاخر زمان دولته والله اعلم ثم كرر ذكر النعم بقوله واتيناه اجره في
الدنيا قال اهل التحقيق ان الله تعالى بدل جميع احوال ابراهيم باضداد اراد القوم تعذيبه بالنار فجعلها الله عليه بردا
وسلاما وهاجر فريدا وحيدا فوهب الله له ذرية طيبة مباركا كما وصفنا وكان ولا مال له فكثر ماله حتى حصل له من
المواشي ما علم الله عدده فقط روي انه كان اثنا عشر الف كلب حارسا في اغنامهم احراب من ذهب وكان خاملا
حتى قال قائلهم ههنا فتى يذكرهم فجعل له لسان صدق في الاخرين اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم و
ال ابراهيم ثم بين بقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين اي تلك النعم الدنيويه ولذاتها مقرونة بفلاح الاخرة و
صلاحها جعلنا الله تعالى بركته اهلا لبعض ذلك وهو المستعان قوله عم طوله اذ قال اعرابه كما عرابه قوله وابراهيم
اذ قال وقد مر والظاهر ان لوطا يكون قد امر قومه بالتوحيد والعبادة اولا ثم نهاهم عن الفاحشة ثانيا الا ان الله تعالى
قد حكى عنه ما اختص به وبقومه وهو قوله انكم لتاتون الفاحشه ويحتمل ان يكونوا موحدين الا انهم بسبيل الاصرار
على الفعل الشنعاء وتحليلها مع وجود النبي عليه السلام الناهي عنها صاروا في حكم الكفرة وانما كان الزنا فاحشة
كما قال ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشه مع ان الزنى لا يفضي الى قطع النسل واللواطة اولى بكونها فاحشه لتماديها في
القبح ولافضائها الى انقطاع النسل ويعلم منه احتياجها الى الزاجر كالزنا بل اولى ويعلم منه انتفارها الى الرجم بدليل
استطارة الحجارة على اهلها ومعنى ما سبقكم انه لم يات بمثل هذا الفعل احد قبلهم او لم يشتهر به ولم يبالغ فيه احد
وان ارتكبه بعضهم في الندرة كما يقال ان فلانا سبق البخلاء في البخل اللئام في اللوم اذا زاد عليهم ومعنى تقطعون السبيل
بصنوف الشهوة الرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء ويجوز ان يكونوا قطاع الطريق والظاهر شهره وتاتون في
ناديكم المنكر اي يعلمون الى قبح فعلكم فتح الاظهار والنادي هو المجلس ما دام فيه الناس وعن عايشه رضي الله عنها كانوا
يتجامعون وعن ابن عباس هو الحذف ومضغ العلك وعلى الازرار والفحش في المزاح والسخرية بمن يمر بهم فما كان جواب
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ولم يهددوه بنحو القتل والتحريق كما في قصه ابراهيم لان ابراهيم كان يقدح في الهتهم
ولبيتهم يتعديد نقائصهم يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فجعلوا جزاءه شر الجزاء واما لوط وكان
ينكر عليهم فعلهم فهددوه بالاخراج اولا اخرجوا ال لوط من قريتكم وافترحوا منه عذاب الله ثانيا ويجوز ان يكون

على سبيل الاستهزاء فلا جرم قال رب انصرني على القوم المفسدين كانه آيس من توبتهم وانابتهم ومن ان يلدوا مسلما
مطيعا كما قال نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولعلهم كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش
طوعا وكرها وبابتداع الفاحشة واقتداء من بعدهم والبشرى هي البشارة بالولد والنافلة اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا
اضافة تخفيف لا تعريف لانه بمعنى الاستقبال او الحال القريب منه لا الماضي ولان المقصود يصح بذلك لا يوصف
الملائكة مطلق الاهلاك والقرية سدوم ثم عللوا الاهلاك بان الظلم قد استمر فيهم بناء على ان كان للثبوت والاستمرار
ويحتمل ان يكون للزمان الماضي وان هذا القدر يكفي للتعليل والزائد عليه لا يحتاج الملائكة الى تقريره بخلاف ما في قصة
نوح فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فان ذلك اخبار من الله ولا يحسن من الكريم ان ينبه على الجرم السابق الا بعد تحقق
الاصرار والاستمرار وقال بعضهم ان تعلق البشرى بهذا الانذار هو انه كان في اهلاك قوم لوط خلا الارض من العباد
فخدمت البشارة المذكورة المتضمنة لوجود عباد الصالحين حتى لا يتاسف على اهلاك قوم من ابناء جنسه ثم ان ابراهيم
صلوات الله عليه لما سمع انذار الملائكة اظهر الاشفاق على لوط وتحزن له قائلا ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها فاخبر
بحاله وحال الحرمة ومعنى من الغابرين من الماضين اذكرهم او ممن يمضي زمانه ومعنى او من الباقين في المهلكين
وسيء بهم وضاق بهم ذرعا قد مر في هود وقال بعضهم يحتمل ان يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض الروح فعند
ذلك يجتمع اعضاء الانسان وتقل مساحتها فقالت الملائكة لا تخف علينا ولا تحزن بسبب التفكر في امرنا قال اهل البرهان
وانما قيل ههنا ولما ان جاءت بزيادة ان لما يقتضي جوابا واذا اتصل به ان دل على ان الجواب وقع في الحال من غير تراخ في
الظاهر كما في هذه السورة وهو قوله سيء بهم وفي هود اتصل به كلام بعد كلام فطال فلم يحسن دخول ان ظاهرا مع ان
القصة واحدة ثم ان الملائكة قالوا للوط انا منجوك بلفظ اسم الفاعل وقالوا لابراهيم لننجينه بلفظ الفعل لان ذلك
ابتداء الوعد وهذا اوان انجاز فاراد وان ذلك الوعد حتم واقع منا كقولك انا سبب لصدوره وجوده والرجز العذاب
الذي يوقع صاحبه في القلق والاضطراب من قولهم ارتجز اذا اضطرب والمراد الحجارة وقيل النار وقيل الخسف
وعلى هذا يراد ان الامر بالخسف والقضاء من السماء لقد تركنا منها اي من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة او بقية
الحجارة او الماء الاسود او قصصهم وخبرهم وقوله لقوم يتعلق بتركنا او ببينة ولزيادة قوله بينة قال لقوم يعقلون
بخلاف قوله في قصة نوح وجعلناها آية للعالمين لان الآية لا تتبين الا لذوي العقول وليس كل من في العالم بذي عقل
ثم اجمل سائر القصص والرجاء اما على اصله او بمعنى الخوف وعلى الاول فالمراد الله اراد فعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم
المسبب مقام السبب وامروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالصلوة مثلا على ارادة الشرط
وهو الاسلام فكذبوه انما صح اطلاق التكذيب مع ان ما ذكره شعيب امر ونهي والامر لكونه طلبا لا يحتمل التصديق او
التكذيب وكذا النهي لان قول شعيب يتضمن قول الله واحذروا الحشر كائن والفساد محرم وكل واحد من هذه خبر ومعنى الرجفة
والصيحة قد مر في الاعراف وفي هود وكذا انه قال لهم الرجفة في دارهم على التوحيد ومع الصيحة في ديارهم
على الجمع واهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم ذلك الاهلاك من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكانوا
مستبصرين اي عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال لو كانوا عارفين باخبار الرسل ان العذاب نازل بهم ولكنهم لم
ينظروا في الدليل ولجوا حتى هلكوا وما كانوا سابقين اي ادركهم امر الله فلم يفوتوه ثم فصل المذنبين باجمال لاجل
نفيد انهم عذبوا بالعناصر الاربعة فجعل ما منه تركيبهم سببا لفنائهم فالحاصب حجارة محماة يقع على كل واحد منهم
فينفذ من الجانب الاخر وهو اشارة الى التعذيب بعنصر النار وانه لقوم لوط والصيحة وهي تموج شديد في الهواء
لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم بالاهلاك ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالاشراك وقال اهل العرفان وما كان الله ليضعهم في غير موضعهم فان موضعهم الكرامة ولكنهم
وضعوا انفسهم مع شرفها في عبادة الوثن الذي هو في غاية الخسة فلذلك ضرب لهم المثل العنكبوت ونسجه
الذي هو عند الناس في غاية الوهن والضعف فان كان تشبيها مركبا فظاهر وان كان مفرقا فالمشرك كالعنكبوت
واتخاذه الصنم معبودا او ملجأ كاتخاذ العنكبوت نسجه بيتا فانه يصير سببا لهلاكه ولا يتصف البيت منه كعابد
الوثن يقع في النار بسبب عبادته وفيه ان العنكبوت كما انه يصاد بسبب نسجه الذباب ولكنه لا بقاء له ومال نسجه
بانقضى سبب كذلك الكافر يستفيد بشركه قليلا اقل من جناح بعوضة وهو بعض متاع الدنيا ولكنه كعلمه يصير آخر
الامر هباء منثورا ثم عرض على العقول صحة المثل المضروب قائلا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لانه لا يصلح

للبقاء ولا للاسكان والنسج في نفسه ان فرض له فائدة كما ان الصنم في نفسه يمكن ان ينتفع به ولكن اتخاذ النسج بيتا
لا شك انه ضرر محض بل مضر كما مر فكذلك عبادة الصنم ثم قال لو كانوا يعلمون تخفيف الجواب ليذهب الوهم كل مذهب اي لو
كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وامر دينهم لتابوا وتبرءوا او لو كانوا يعلمون صحة هذا التشبيه وقد صح ان اوهن البيوت اذا استقري
بيتا بيتا بيت العنكبوت فقد تبين دينهم اوهن الاديان اذا استقري دينا دينا وصاحب الكشاف على هذا الشرط بما قبله وليس بذاك
وقد مر في الوقوف

ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ۝ خلق
الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ۝ اتل ما
اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون ۝
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا
منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا
والهكم واحد ونحن له مسلمون ۝ وكذلك انزلنا
اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به و
من هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون ۝
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا
لارتاب المبطلون ۝ بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا
العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ۝ وقالوا لولا انزل عليه آية
من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين ۝ اولم
يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة
وذكرى لقوم يؤمنون ۝ قل كفى بالله بيني وبينكم

شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل
وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة
وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم
ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين امنوا ان
ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت
ثم الينا ترجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر
العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكاين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع
العليم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سالتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن
الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه الحيوة
الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما اتيناهم

وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا حرما امنا و
يتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه
اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

القراءة ما تدعون بالغيبة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى والبرجمي الباقون بتاء الخطاب ايه على التوحيد ابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل حمزة وعلي غير قتيبة وخلف لنفسه ويقول بالياء نافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون يا عبادي الذين بسكون الياء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بفتح الياء والوقف للجميع بالياء الا الاعراضي بفتح اليا ابن عامر يرجعون بضم الياء التحتانيه وفتح الجيم يحيى وهشام ترجعون بفتح التاء الفوقانيه وكسر الجيم الباقون بضم التاء الفوقانيه وفتح الجيم لنبوئنهم بسكون الثاء المثلثه حمزة وعلي وخلف والاخرون بفتح الياء التحتانيه للوحدة وتشديد الواو وليتمتعوا بسكون اللام ابن كثير وقالون وحمزة وعلي وخلف سبلنا بسكون الباء ابو عمرو **الوقوف** من شيء الحكيم للناس لاختلاف الجملتين والعدول عن العموم الى الخصوص العالمون بالحق للمؤمنين الصلوة المنكر اكبر ما يصنعون الجزء الحادي والعشرون والثلث الثالث من القران مسلمون اليك الكتاب يؤمنون به فصلا بين حال الفريقين مع اتفاق الجملتين يؤمن به الكافرون المبطلون العلم الظالمون من ربه عند الله مبين عليهم يؤمنون شهيدا لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا والارض بالله لان ما بعده خبر الخاسرون العذاب لا يشعرون بالعذاب بالكافرين لان يوم ظرف لمحيطة تعملون فاعبدون ترجعون خالدين فيها العاملين بناء على ان التقدير الذين اذا اعني الذين يتوكلون رزقها قد قيل والوصل اولى لكون حال الاسمين للمعنى العليم ليقولن الله للاستفهام مع الفاء يؤفكون ويقدر عليم ليقولن الله الحمد لله لتمام المقول لا يعقلون ولعب الحيوان لان الشرط غير معلق يعلمون الدين يشركون لتعلق لام كي ومن جعلها لام امر تهديد وقف عليه اتيناهم لمن قرا وليتمتعوا بالجزم على استيناف الامر ومن جعل لام ليكفروا اللام عطف هذه عليها فلم يقف وليتمتعوا بالاستيناف في التهديد يعلمون من حولهم يكفرون جاءه للكافرين سبلنا المحسنين **التفسير** هذا توكيد للمثل المذكور وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا على هذا التقدير كون ما نافيه ومن زائده ويجوز ان يكون استفهاما منصوبا بيدعون او بمعنى الذي وهو للتبيين والمراد ما يدعون من دونه من شيء فالله يعلمه والعزيز الحكيم قادر على اعدائه واهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينه والحيوة عن بينه وفيه ايضا تجهيل لهم حيث عبدوا ما هو اقل من لا شيء وتركوا عبادة القاهر القادر الحكيم ثم ان الجهلة من قريش كانوا يتجرون من ضرب المثل الذباب والعنكبوت ونحوهما فنزلت وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وذلك ان الامثال والتشبيهات وسائل الى المعاني المحتجبة في الاستار كما سبق في اول البقرة حين ضرب المثل بالبعوضة فالحكيم العليم الحدسي يعرفه العاقل واما اذا كان فكريا دقيقا فانه لا يعقله الا العالم لافتقاره الى المقدمات سابقه والمثل يفتقر في ادراك صحته وحسن موقعه الى امور سابقه ولاحقه يعرف بها تناسب مورده ومضربه وفائدة ايراده فلا يعقل صحتها الا العلماء وحين امر الخلق بالايمان واظهر الحق بالبرهان ونفى قصصا غير وانذار اهل الكفر باهلاك من غير وصف سبيل اهل الاباطيل بالتمثيل قوى قلوب اهل الايمان بان كفرهم ينبغي ان لا يورث شكا في صحة دينكم ومثلهم بحسبان لا يورث في بردتهم حكم فخلق السموات والارض بالحق بيان ظاهر وبرهان باهر وان لم يؤمن به على وجه الارض كافر وانما قال ههنا الاية للمؤمنين مع قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون لان المؤمن لا يقصر نظره من الخلق على معرفة الخالق فحسب ولكنه ما يترقى منه الى نعوت الكمال

والجلال فيعرف انه خلقهما متقنا محكما وهو المراد بقوله بالحق والخلق المتقن المحكم لا يصدر الا عن العالم بالكليات
والجزئيات والا عن الموجب الواحد الذات والصفات كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم يرتقي من مجموع
هذه المقدمات الى صحه الرساله وحقيقه المعاد ويحصل له الايمان بتمامه من تحلي ما خلقه على احسن نظامه
وانما وحد الايه ههنا لانه اشار الى التوحيد وهو سبحانه واحد لا شريك له وفي قصة ابراهيم اشاره الى النبوة
وفي النبيين صلوات الله عليهم كثرة وحيث فرغ عن طلب المومنين بالتخصيص المذكور سلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله اتل ما اوحي اليك من الكتاب لتعلم ان لوطا ونوحا وغيرهما بلغوا الرساله وبالغوا في اقامة الدلاله ولم
ينقذوا قومهم من الضلاله والجهاله ولهذا قال اتل ولم يقل اتل عليهم لان التلاوة بعد الياس منهم ما كانت الا لتسليه قلب
النبي صلى الله عليه وسلم او نقول ان الكتاب الالهي قانون كلي فيه شفاء للصدور فتجب تلاوته مرة بعد اخرى ليبلغ
الى حد التواتر وينقله قرن الى قرن ويأخذه قوم من قوم الى يوم النشور وايضا فيه من العبر والمواعظ ما يهش لها
الاسماع ويطمئن اليها القلوب كالمسك يفوح لحظة فلحظة وكالروض يستلذ النظر ساعة فساعة وفي الجمع من الامرين
التلاوة واقامة الصلوة معنيان احدهما زياده تسليه النبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل له اذا تلوت ولم يقبل
منك فاقبل على الصلوة لانك واسطه بين الطرفين فان لم يتصل الطرف الاول وهو من الخالق الى المخلوق فليتصل
الطرف الاخر وهو من المخلوق الى الخالق والثاني ان العبادات ما اعتقاديه وهي لا تتكرر بل يبقى مستمرا عليها واما
لسانيه او بدنيه خارجيه وافضلها الصلوة فامر بتكرار الذكر والصلوة حيازة للفضيلتين ثم علل الامر بايجابه
الصلوة فقال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال بعض المفسرين اراد بالصلوة القران وفيه النهي عنهما و
هو بعيد وقيل اذا اراد نفس الصلوة وانما تنهى عنهما ما دام العبد في الصلوة وضعف بانه ليس مدحا كاملا لان
غيرهما من الاعمال الفاضله والمباحه قد يكون كذلك كالنوم وغيره والذي عليه المحققون ان الصلوة لطف في
ترك المعاصي وكانها ناهيه عنها وذلك اذا كانت الشروط من الخشوع وغيره مرعيه فقد روي عن ابن عباس من
لم تامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلوته من الله الا بعدا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل له ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته ستمنعه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فالمراعي لاوقات
الصلوة لا بد ان يكون ابعد من القبايح واللفظ لا يقتضي الا هذا القدر فكيف لا ينهى ونحن نرى ان من لبس ثوبا فاخرا فانه
يتجنب مباشرة القاذورات فمن لبس لباس التقوى كيف لا يجتنب الفواحش وايضا الصلوة توجب القرب من
الله تعالى كما قال واسجد واقترب وتقرب الملك المجازي يحمل منصبه ان يتعاطى الاشغال الخسيسة فكيف يكون
مقرب الملك الحقيقي وايضا من دخل في خدمة ملك فاعطاه منصبا له مقام خاص مرتفع به فادخل وجلس في
صف النعال ثم يتركه الملك هنالك فاذا صار العبد برعايه شروط الصلوة وحقوقها من اصحاب اليمين فكيف
يتركه الله الكريم في اصحاب الشمال وتفسير الفحشاء والمنكر منكور مرارا وقال اهل التحقيق الفحشاء التعطيل وهو
انكار وجود الصانع والمنكر الاشراك وهو اثبات اله غير الله وذلك وجود الواجب الواحد اظهر من الشمس وانكاره
الظاهر واعلم ان هيئه الصلوة لها هيئه فان لها وقوف بين يدي الله كوقوف العبد بين يدي السلطان واخرها
جثو بين يدي الله كما يجثو اهل الاخلاص بين يدي السلطان واذا جثا في الدنيا هكذا لم يجث من الاخر كما قال
ونذر الظالمين فيها جثيا والمصلي اذا قال اولا نفي الاشراك لان الرحمن هو المعطي الوجود بالخلق والرحيم هو المفيض
للبقاء بالرزق وهكذا قوله الحمد لله خلاف التعطيل وقوله رب العالمين خلاف التشريك وفي قوله اياك نعبد
نفي التعطيل والاشراك من حيث اقامة التقديم والاختصاص بالعبادة وكذا قوله اياك نستعين وفي قوله اهدنا
الصراط لان المعطل لا مقصد له وفي قوله المستقيم نفي الاشراك لان المستقيم اقرب الطرق وهو واحد والمشرك يريد
في الطريق بتحصيل الوسايط وعلى هذا الى الله ولحرمة الله ثم ان الله تعالى كانه قال للعبد اثنيت اثنا وصلت الى هذه
المنزله الرفيعة بهدايه محمد صلى الله عليه وسلم فقل بعد ذكري اشهد ان محمدا رسول الله واذكر احسانه بالصلوة
عليه ثم اذا رجعت من معراجك وانتهيت الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو داب المسافرين ولذكر الله اي
الصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وفي تسميه الصلوة بالذكر اشارة الى ان اشرف الصلوة بالذكر وجوز في الكشاف ان
يراد ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر وكان اولى بان ينهى عن اللطف الذي في الصلوة
وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بالطاعة والله يعلم ما تصنعون من الاعمال فيثيبكم او يعاقبكم

على حسب ذلك وحين بين طريقه ارشاد المسلمين ونفع من انتفع واليأس ممن امتنع اراد ان يبين طريقه ارشاد اهل
الكتاب وهي مجادلتهم بالخصله التي هي احسن يعني مقابله الخشونه باللين والغضب بالحلم والعجله بالتأني قال بعض المفسرين
اراد لا تجادلوهم بالسيف وان لم يومنوا الا الذين ظلموا افسدوا الذمه او منعوا الجزيه وقيل الا الذين اشركوا منهم
باثبات ثلثه وقيل الا الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحقيق ان اكثر اهل الكتاب جاءوا بكل حسن
الا الاعتراف بمحمد صلى الله عليه وسلم فوحدوا وامنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والمبدا والمعاد فلمقابله
لحسناتهم يجادلون اولا بالاحسن ولا يستجهل ارادهم ولا ينسب الى الضلال اباءهم بل يقال لهم امنا بالذي انزل الينا
اخر النهار الى اخر الايه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله
وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ثم ذكر دليلا قياسا فقال فكذلك يعني انزلنا على من
تقدمك انزلنا عليك وقال جار الله هو تحقيق لقوله امنا بالذي انزل الينا اي ومثل ذلك الانزال انزلناه مصدقا
لساير الكتب السماوية والذين اتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام واضرابه ومن هولاء من اهل مكة او الاولون هم
الاقدمون من اهل الكتاب والاخرون هم المعاصرون منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل الاولون هم الانبياء لان كلهم
امنوا بكلهم ومن هولاء هم اهل الكتاب وما يجحد باياتنا مع وضوحها الا المقصرون على الكفر المتوغلون فيه ككعب بن الاشرف
واصحابه اعلم ان المجادل اذا ذكر مسئله خلافيه كقوله الزكوة تجب في مال الصغير فاذا قيل له لم قال كما تجب النفقه في ماله
ولا يذكر الجامع بينهما فان فهم الجامع من نفسه فذاك والا قيل له لان كليهما مال فضل عن الحاجة فالله تعالى ذكر اولا التمثيل
بقوله وما كنت تتلوا الايه وفي قوله بيمينك زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا ومعنى اذا لارتاب لو كان شي من ذلك اي
من التلاوة والخط المبطلون من اهل الكتاب وارباب الدين من شانهم الركون الى الاباطيل لان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان قاريا كاتبا امكن ان يسبق الى الوهم ان الكلام كلامه لا كلام الله فاذا كان اميا فلا مجال لهذا الوهم والمراد ان ساير
الانبياء لكونوا امنين ووجب الايمان بهم لمكان معجزاتهم فمضبوط انه قارى كاتب ليس صاحب الايات والمعجزات فاذن
هم مبطلون على كل حال ثم اكد ابطالهم بقوله بل هو يعني القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وهم الحفاظ
والقرا كساير الكتب السماويه ما كانت تقرا الا من القراطيس ولهذا جاء في صفة هذه الامه صدورهم اناجيلهم وما
يجحد باياتنا الباهرة النبوه الا المتوغلون في الظلم سماهم اولا كافرين لاجل مجرد الجحود ثم بعد بيان المعجزة سماهم ظالمين
لان الكفر اذا انضم معه الظلم كان اشنع ويجوز ان يراد بالظلم الشرك كانهم لغلوهم في الجحود الحقوا باهل الشرك حكما
او حقيقه ولما بين الدليل من جانب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شبهتهم وهي الفرق بين المقيس عليه وذلك ان موسى
اوتي تسع ايات علم بها كون الكتاب من عند الله واين ما اوتيت شيا منها فارشد الله نبيه الى الجواب وهو ان يقول
انما الايات عند الله ووجهه انه ليس من شرط الرساله اظهار المعجزة وانما المعجزة بعد التوقف في الرساله ولهذا علم وجود
رسل كشيث وادريس وشعيب ولم يعلم لهم معجزه وكان في بني اسرائيل انبيا لم يعرف نبوتهم الا بقول موسى او غيره فليس
على النبي الا الانذار واما انزال الايه فالى رحمة الله اذا شاء تخليص القوم من تصديق المتنبي وتكذيب النبي ثم قال
او لم يكفهم الايه والمعنى هو ان انزال الايه شرط اليس القران المتلو الذي اخرس شقاشق فصاحتهم كافيا في باب
الاعجاز ان في ذلك المتلو على وجه الدهر لرحمة من الله على الخلق والا اشتبه عليهم النبي بالمتنبي وذكرى ليتعظ بها الناس
باقي الزمان وانما كانت هذه الرحمه والتذكره مختصه بالمومنين لان المعجزة للكافرين سبب لمزيد الانكار المستلزم للزوم
الحجة والخلود في النار ثم ختم الدلايل بان امر نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام منصف وهو قوله كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا وقال في اخر سورة الرعد قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاقتصر على شهادة الله ثم بين
ان شهادة الله كافيه بقوله يعلم ما في السموات والارض ثم هددهم بقوله والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله وهذا
مثلا زمان لان الايمان بما سوى الله وهو الباطل الهالك الزايل الزاهق كفروا بالله جحود بحقه اولئك هم الخاسرون لا يتحقق
لهذا الاسم في الحقيقه غيرهم اذ لا غبن افحش من اشترا الباطل بالحق والكفر بالايمان واضاعة العمر في عبادة ما لا ينفعهم
ولا يضرهم قيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها
القاها فقال كفى بها حمق قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت او لم يكفهم الايه وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه
قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت قل كفى الايه ثم ان هذه الايه نازله في المشركين وعلى ما قررنا دل اهل الكتاب
فالزامهم لانه صح عندهم معجزة محمد صلى الله عليه وسلم فطعنوا بانها ليست من عند الله بل من تلقاء محمد صلى الله عليه وسلم فيلزمهم

ان يقولوا ان محمدا هو الله فيكون ايماننا بالباطل وكفرنا بالله قلت ولعل وجه التناول هو انهم امنوا بالمحرف من التورية
وعبدوا العجل والله اعلم ثم ان النضر بن الحارث وغيره من كفار قريش كانوا يستعجلون بالعذاب كما مر استهزاء منهم و
تكذيبا فنزل يستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى هو الموت او يوم بدر وما كتب في اللوح انه لا يعذب هذه الامة
عذاب الاستيصال الى يوم القيمة قوله وهم لا يشعرون تاكيد البغتة او هو كلام مستقل اي انهم لا يشعرون هذا
الامر ويظنون ان العذاب لا ياتيهم اصلا ثم كرر قوله يستعجلونك بالعذاب تعجبا منهم فان من توعد بامر يسير
لكنه يحتمل ان يظهر من نفسه الجلادة ويقول هات با عبدك واما الذين توعد باحراق ونحوه فكيف يتجلد ويستعجل
خصوصا اذا كان الوعد لا يخلف الميعاد ويقدر على كل ما اراد وقوله لمحيطة يعني الاستقبال اي ستحيط بهم يوم
كذا ويجوز ان يكون بمعنى الحال الحقيقة لان المعاصي التي توجبها محيط بهم في الدنيا او مجازا لان جهنم مالهم ومرجعهم
فكانها الساعة محيط بهم والظرف على هذين الوجهين منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كيت وكيت وانما خص
الغشيان بالفوق والتحت دون باقي الجهات لان نار جهنم بذلك تمتاز عن نار الدنيا لان نار الدنيا لا تنزل من فوق ولا يوثر
شعلتها من تحت بل تطفى والشعلة تحت القدم وانما لم يقل ومن تحتهم كما قال من فوقهم لان نزول النار من فوق عجيب
سواء كان سمت الراس او من موضع اخر اما الاشتعال من تحت فليس بعجيب الا حيث يحاذي الرجل ويجوز ان يكون زيادة
الارجل تصويرا لوقوعهم في النار او غوصهم وقوله ونقول ذوقوا ما كنتم اي جزاء بما كنتم تعملونه امرا بانه وحين ذكر حال
الكفرة من اهل الكتاب من المشركين وجمعهم في الانذار وجعلهم من اهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا
في ايذاء المومنين منعهم في عبادة الله فقال يا عبادي فان كانت الاضافة للتشريف كقوله عينا يشرب بها عباد
الله فقوله الذين امنوا صفة موضحة وان كانت للتخصيص فهي صفة مميزة ومعنى الاية ان المومن اذا لم يتسهل
له عبادة الله في بلد على وجه الاخلاص فليهاجر الى بلد يكون فيه افرغ بالا واجمع حالا واقل عوارض نفسانية واكمل
دواعي روحانية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب
الجنة وكان رفيقه ابراهيم ومحمد واعلم اني عند الوصول الى تفسير هذه السورة عزمت ان اسعى من غير احتراز كلي فاتوا
متضرعا الى الله الكريم ومستمدا من اعجاز القران العظيم اللهم تعلم ان هذا السعي مشوب بشيء من رضاك فان كل اهتمامي
ان ادعيه فاجعله سببا لنجح المقاصد وحصول المارب والاشتمال على الفوائد الدنيوية والدينية والخلاص من
شماتة الاعداء الدينية حتى افرغ لنشر العلوم الشرعية انك على ما تشاء قدير وبالاسعاف جدير وبالاجابة والفا
في قوله فاياي للدلالة على انه جواب الشرط لانه قال اذا كان لا مانع من عبادتي فاعبدوني ثم اريد معنى الاختصاص
والاخلاص فقدم المفعول على شريطة التفسير وجي بالفاء الثانية للدلالة على ترتيب المقتضي كما يقال هذا
عالم فاكرموه وكما مر في قوله واياي فارهبون فما حاصل المعنى ان تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها
والفايدة في الامر بالعبادة بعد قوله يا عبادي الدال على العبودية اما المداومة اي يا من عبدتموني في الماضي
اعبدوني في المستقبل او الاخلاص في العبادة ويجوز ان يقال العبودية غير العبادة فكم من عبد لا يطيع سيده
ثم لما امر المومنين المهاجرين وصعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان والخلان فقال كل نفس ذائقة الموت
وان التي تكرهون لا بد منه وقوعها فالاولى ان يكون في سبيل الله ثم الينا ترجعون فينبئكم على ذلك وفيه ان كل نفس
ذايقة الموت اضطرارا فمن اراد الا يموت ابدا فليمت اختيارا فان اولياء الله لا يموتون بل ينتقلون من دار
الى دار ثم بين ان للمومنين الجنان في مقابلة ما للكافرين من النيران فان في الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار
في مقابلة ما يحيط بالكافرين من النار وبين ان ذلك اجر عملهم بقوله نعم اجر العاملين بازاء ما بين جزاء العمل الكفار
بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله لنبوئنهم من الجنة علالي ومن قرا لنثوينهم فمن الثواء يقال ثوى في المنزل اذا اقام
واثوى غيره متعديا الى واحد فانتصاب غرفا اما بنزع الخافض واما التضمين لاثوى معنى لنبوئنه او لننزلن و
التشبيه الظرف المونث بالمبهم ثم مدح الذين صبروا على المكان في الحال وعلى ربهم يتوكلون فيما يحتاجون اليه
في الاستقبال وكل واحد من الصبر والتوكل يحتاج اليه المسافر والمقيم وكما ان المهاجر يصبر على فراق الاوطان
ويتوكل في سفره على الرحمن فالمتوطن يصبر على الاذيات والمحن ويتوكل في اموره على فضل ذي المنن والتوكل صفتان
لا يحصلان الا مع العلم بالله وبما سوى الله فمن علم انه بان لا يصبر عنه ولا يتوكل في الامور الا عليه ومن علم ان ما
سواه فان هان عليه الصبر عنه وعلم انه لا يصلح للاعتماد عليه ثم ذكر ما يعين الصبر والتوكل وهو النظر في حاله

الدواب وقال المفسرون فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة كان الرجل منهم
يقول كيف اقدم بلدة ليست لي بها معيشة فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها اي لضعفها عن الحمل او لا تدخره فالعجزة اي
لا يطيق حمل رزقها الله يرزقها ... وهذا ... ذلك الغذاء بالمتغذي يتوسط قوى
اوجبنا ما كذلك وباكم ... ما قلنا وزيادة الاهتداء الى وجود المكاسب والمعاش وترتيب الملبس والمسكن
وتهيئة الاقوات ... الامور ... الاشتغال بترتيب بعض الوسائط
وتدبيرها ... التوكل فقد يكون ... ليس شبحا
الا الانسان ... في حقيقة الى الجمع واذا
كان اكثر الحيوان على صورة المتوكلين فالانسان العاقل العارف بالمبدأ والمعاد والعالم بوجوه المكاسب الذي
ياتيه الرزق من جهات الارث والهدايا ونحوها كيف يظهر على الحطام الزايل اشد حرص وهو التشميع لدعاء طلبه
الرزق العليم بطويتهم ومقادير حاجاتهم ثم عجب اهل النبي من المشركين من اهل مكة وغيرهم لو بعد
الله مخلصين مع علمهم بانه خالقهم ورازقهم فكيف يصرفون عن توحيده فان من علمت عظمته وحيث حقه
ولا اعظم فوق عظمة خالق الذوات واليه الاشارة بخلق السموات والارض ومسخر الصفات واليه الاشارة بتسخير
الشمس والقمر ولا حقارة اكثر من الجماد لانه دون النبات وهو دون الحيوان وهو دون الانسان وهو دون سكان السموات
فكيف يترك عبادة اشرف الموجودات ويشتغلون بعبادة اخس المخلوقات وحين ذكر الخلق اتبعه ذكر الرزق
وحكم البسط والقبض في ذلك الباب ومعنى يقدر له ... لا يختص العين المبسوط له والمراد انه
يعاقب الامرين غلبة بمشيئة الله وامالهم غير معين فكان الضمير وضع موضع من يشاء وفي قوله ان الله بكل شيء
عليم اشارة الى انه عالم بمقادير الحاجات فاذا علم احتياج العبد الى الرزق وصله اليه من غير تاخير ان يشاء ثم احتج
على المشركين بوجه اخر وهو اعترافهم بان احياء الارض الميتة بواسطة تنزيل الماء من السماء وهو من الله ثم قال
قل الحمد وهو كلام مستقل على سبيل الاعتراض وهو متصل بما قبله كانه استحمد رسوله على ما تراه من التناقض والسفاهة
خلاف اهل الشرك المعترفين بان النعم من الله ثم يتركون عبادته الى عبادة الصنم الذي لا يملك نفعا ولا ضرا وفيه
ان العالم اذا لم يعمل بعلمه انخرط في سلك من لا عقل له ولهذا عقبه بقوله بل اكثرهم لا يعقلون وقال جار الله اراد لا
يعقلون بما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد ولا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله
ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم واعلم ان المشركين معترفون بان الخلق والرزق من الله ولكن حب الدنيا وزينتها
حملهم على موافقة اهل الشرك والمداومة على الدين الباطل فصغر الله تعالى امر الدنيا وعظم امر الاخرة ليعلم ان رعاية
صلاح الدنيا فالا اهل العلم لا اقبال على الباطل لعب والاعراض عن الحق له والمشتغل بالدنيا كذلك ويمكن المشتغل
بها لا على وجه الاستغراق بل على وجه يفرح لبعض امور الاخرة لاعب والمشغول بها بحيث ينسى عن الاخرة لاه
وحين كان الكلام في الانعام بعد ذكر الاخرة وما يجري فيها من الجزع والوحشة قدم اللعب هناك لان الاستغراق
الكلي بالنسبة الى اهل الاخرة ابعد فاخر الابعد ولما كان المذكور ههنا من قبل الدنيا ولهذا اشار بقوله وما هذه
الحيوة الدنيا وقال في الانعام وما الحيوة الدنيا وهي خداعة تدعوا النفوس الى الاقبال عليها بالكلية فلا جرم
قدم اللهو ويحتمل ان يقال انه هنا قدم اللعب على اللهو في موضعين من الانعام وكذلك في القتال ويقال
لها سورة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديد قدم اللهو على اللعب وفي الاعراف والعنكبوت فاللعب فيقدم
في الاكثر لان اللعب زمانه الشباب وزمان الصبي مقدم على زمان الشباب بينه ما ذكر في الحديد اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الشبان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاخوان وتكاثر كتكاثر
السلطان وقدم اللهو في الاعراف لان ذلك في القيمة فذكر على ترتيب ما انقضى وبدا بما به الانسان انتهى من
الجانبين واما هذه السورة فاراد فيها ذكر سرعة زمان انقضاء الدنيا وان امتد بالنسبة الى زمان الاخرة فبدا
بذكر ما هو اكثر ليكون الى المقصود اقرب ثم ان الحال في سورة الانعام لما كانت حال اظهار الحسرة لم يحتج المكلف الى
وازع قوي فاقتصر على قوله وللدار الاخرة خير ولما كان الحال ههنا الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع اقوى فقال
وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي لا حيوة الا حيوة الاخرة وليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة بلا موت فكانها في ذاتها
حيوة ولا يخفى ما في التركيب من انواع المبالغة من جهة ان ومن جهة صيغة الفصل ولام التوكيد وبناء الفعلان

بتحريك العين وهو مصدر رحى بيا تين نفقدا عينه با ولامه واو ولو كان ما فى الانعام قال ههنا لوكانوا يعلمون
وهناك فلا تعقلون لان العلوم اكثر مقدمه من المعقول وقد مر فى السورة ثم اشار بقوله فاذا ركبوا فى الفلك
الى ان المانع من التوحيد هو الحيوة لانهم اذا انقطع رجاؤهم رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد والاخلاص
فاذا هم الى البر عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا فاكثروا واشركوا لاجلها ثم بين ان نعمة الانجاء يجب ان تقابل بالشكر
لا بالكفر فقال فلم يروا الايه وقد مر مثله فى القصص ثم ذكر ان الذين سمعوا الذكر البيانات المذكورة ولم يؤمنوا فلا
اظلم منهم لان من وضع شيا فى غير موضع فهو ظالم فمن وضع شيا فى موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون
اظلم فانهم جعلوا لله شريكا مع عدم امكان الشرك له فلا اظلم منهم من كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فمن كذب
صادقا لا يجوز عليه الكذب كيف حاله وانهم كذبوا النبي والقران فى قوله لما جاءه اشارة الى انهم لم يتلفتوا الى الكذب
وقت ان سمعوه ولم يستعملوا التدبر والتفكر فيما يجب ان يستعمل فيه التانى والتثبيت وهذا ايضا نوع من الظلم
بل ظلم مضموم الى الظلم وفى قوله معنيان بعد كون الاستفهام للتقرير فاذا اريد نفى الحال فمعناه الم يصح عندهم ان فى
جهنم مثوى للكافرين حتى اجترءوا على سبيل الجزاء وان اريد على الاستقبال فالمراد لا يثوون فى جهنم وقد افتروا على الله و
كذبوا بالحق وقيل هو من الكلام المنصف كانه قدم مقدمه على انه لا اظلم من المفترى وهو المبتنى ومن الذى كذب النبى ثم ذكر
ان جهنم مقام الكافر سواء كان هو المبتنى او المكذب للنبى فهو قوله وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ثم ختم
السورة باية جامعة فيما تثبيت قلوب المومنين والمراد ان من جاهد النفس والشيطان الجنى والانسى فيما اى فى
حقنا ومن اجل وصار اخالصا لنهدينهم سبلنا سبل الجنة او سبيل الخير باعطاء مزيد الالطاف والتوفيق وقيل
الذين جاهدوا فيما علموا ولم يقتصروا فى العمل بل لنهدينهم اى ما لم يعلموا وهو قريب من قول الحكيم ان النظر فى المقدمات
يعد النفس لقبول الفيض وهو النتيجة من واهب الصور الجسمانية والعقلية وقوله ان الله لمع المحسنين اى
بالنصر والاعانة اشارة الى مرتبة اعلى من الاستدلال وهو العلم اللدنى فكانه اشار فى خاتمة السورة الى الفرق
الثلث فاشار الى الناقصين بقوله ومن اظلم وذلك بانهم يحرموا الاستعداد فى غير ما خلق لاجله والى المتوسطين
الذين يحصلون العلم بالكد بقوله والذين يحصلون العلم جاهدوا والى اصحاب الحدس وصفا الضمير بقوله وان الله لمع
المحسنين والله اعلم بمراده **التاويل** وما يعقلها الا العالمون بالله بان عقولهم مويدة بانوار العلم اللدنى ان فى
ذلك لايه للمومنين الذين ينظرون بنور الله فان النور لا يرى الا بالنور اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلوة
فيه ان التلاوه ولعل به يجب ان يتغار ناحى بحلو القران وبحصل الانتهاء عن الفحشاء وهى طلب الدنيا والمنكر وهو
الالتفات الى غير الله فان لم يكن الصلوة متصفه بذلك فهى كالصلوة ولذكر الله والا ماله مرض القلب اكبر من تلاوة
القران واقامة الصلوة لان القلب لا يطمئن الا بذكر الله وعند الاطمينان يوجد سلامة القلب فالذكر له خاصيه
الاكسير فى جعل الاكثر ذهبا خالصا والله يعلم ما يصنعون من استعمال مفتاح الشريعة وآداب الطريقة بفتح ابواب
طلسم الوجود المجازى والوصول الى الكنز الخفى ولا تجادلوا ارباب القلوب اهل العلم الظاهر الا بالتى هى احسن بالانصاف والرفق
الا الذين ظلموا بمزيد الانكار والعناد فحينئذ فلا يرجى القول الحق والاذعان له فخلوا بينهم وبين ما طلبهم وقولوا امنا
بما انزل الينا من العلوم الباطنه وانزل اليكم من العلوم الظاهرة وكذلك اى كما انزلنا الدلايل والبراهين العقليه على
على اهل الظاهر وانزلنا الكشوف والمعارف والذين اتيناهم الكتاب وهم ارباب القلوب يصدقون عليكم به ومن هولاء
العلماء الظاهرين من يومن به وما يجحد باياتنا الا الذين يشترون الحق بالباطل وما كنت تتلو فيه ان القلب ان كان
خاليا من النفوس الفاسدة كان اقبل للعلوم الدينيه كقلب النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بل هو ايات بينات
فى صدور الذين اوتوا العلم هو ان قلوب الخواص حرم من العيب سال موسى عليه السلام الهى اين اطلبك فقال انا
عند المنكسرة قلوبهم لاجلى ثم اشار بقوله وما يجحد الا ان الحرمان من الرويه من خصوصية الذين قالوا لولا انزل عليه
ايه وذلك لعمى عيون قلوبهم ثم اشار الى ظلوميه الانسان وجهوليته بانه يستعجل بالعذاب مع عدم صبره عليه و
ان جهنم بحرص وغيره من الاخلاق الذميمه لمحيطه بهم من فوقهم وهو الكبر والغضب ومن تحت ارجلهم وهو الحرص
والشره والشهوة وهم لا يشعرون لانهم نائمون فاذا ماتوا انتبهوا يا عبادى ان ارضى حضرة جلالى واسعة فهاجروا والخروج
من وجود كم الى سرادقات هويتى كل نفس ذائقة الموت بالاضطرار فارجعوا الينا بالاختيار لنبوئنكم من جنة الوصال
غرفا من المعارف تجرى من تحتها الانهار الحكمة الذين صبروا فى البداية على حبس النفس بالفطام عن المرام وفى الوسط على

تجزع القلب كاسات التقدير من غير تنفيس وفى النهاية بصبر وا على بذل الروح لنيل الفتوح وكاين من دابة
شخص كالدابة لا يحمل النظر فى رزقها لضعف نفسها عن التوكل الله يرزقها واياكم ايها الطالبون للمشاهدات
والمكاشفات ليقولن الله لان كلهم قالوا بلى لا زليل عند خطاب الست بربكم والفرق اثبات الشريك ونفيه وذلك
لعدم اصابة النور الموثوق واصابته دليله قول الله يبسط الرزق باصابة النور ويقدر باخطائه ان الله عليم
باستحقاق كل فرق من يرلمن سماه روحانيه بالايمان فاحيى به ارض القلوب فهى الحيوان لان جميع اجزائها حى
وقد وردان الجنه وما فيها من الاشجار والاثمار حتى ترابها وحصاتها كلها حى قلت ولعل ذلك لبقاء كل منها
على كماله الاخير ثم بين بقوله فى ان الاخلاص للمومن ثابت واخلاص الكافر مضطرب ثم بين ان حرم القلب امن وما
حوله من صفات النفس وسار بها مظنه تصرف الشيطان فمن افترى على الله بان لا يكون له مع الله وقت وحال ويظهر
ذلك من نفسه او كذب طريقه اهل الحق جاهدوا فينا فيخرج منه مجاهده البراهمين والفلاسفة والبراهمة ونحوهم لانهم يراءون
رياء وكسلا

بسم الله الرحمن الرحيم
الم ۝ غلبت الروم ۝ فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون ۝ فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المومنون ۝ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ۝
وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ۝
اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما
بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون ۝ اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ ثم كان

عاقبة الذين اساؤا السوٓأ ان كذبوا بايات الله وكانوا
بها يستهزؤن ۞ الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ۞ ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ۞ ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون ۞ فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في
روضة يحبرون ۞ واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا و
لقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون ۞ فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون ۞ وله الحمد في السموات والارض وعشيا و
حين تظهرون ۞ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي
الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ۞ ومن اياته ان خلقكم
من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ۞ ومن اياته ان خلق لكم من
انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة
ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ۞ ومن اياته
خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان
في ذلك لايات للعالمين ۞ ومن اياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ۞ ومن
اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به
الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ۞ ومن اياته
ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض

اذا انتم تخرجون ۞ وله ما في السموات والارض كل له
قانتون ۞ وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم
من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم
كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون
بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله
وما لهم من ناصرين ۞ فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۞ منيبين اليه واتقوه
واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين ۞ من
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون

القراءة عاقبة بالنصب ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف الاخرون بالرفع السوای بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وحماد يرجعون على الغيبة ابو عمرو غير عباس ورواية سهل ويحيى وحماد يخرجون بفتح التاء وضم الراء حمزة وعلي الباقون بضمها للعالمين بكسر اللام حفص نفصل على الغيبة عباس الاخرون بالنون **الوقوف** الم كوفي غلبت الروم سيغلبون سنين ومن بعد المؤمنون بنصر الله وكلاهما مبني على ان قوله بنصر الله يتعلق بفرح ينصر من يشاء الرحيم وعد الله لا يعلمون الدنيا لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اولى غافلون في انفسهم لحق الحذف اي فيعلمون ذلك او فيقولوا هذا القول مسمى لكافرون من قبلهم بالبينات لان ثم لترتيب الاخبار يستهزؤن ترجعون المجرمون والوصل جائز كافرين يتفرقون يحبرون محضرون تصبحون تظهرون بعد موتها تخرجون تنتشرون ورحمة يتفكرون والوانكم للعالمين من فضله يسمعون موتها يعقلون بامره لان ثم لترتيب الاخبار دعوة وقيل على من في الارض وكلاهما تعسف والحق ان قوله من الارض متعلق بدعاكم كقولك دعوت زيدا من بيته دعوته من بني تخرجون والارض قانتون اهون عليه والارض الحكيم ربع الجزء من انفسكم لانتهاء الاستفهام الى الاخبار كخيفتكم انفسكم يعقلون بغير علم لابتداء الاستفهام مع الفاء اضل الله لتمام الاستفهام فابتداء النفي ناصرين حنيفا عليها لخلق الله القيم و لا وجه للاستدراك لا يعلمون قيل ولا وقف عليه بناء على ان منيبين حال من ضمير اقم على ان الامر له ولامته مثل يا ايها النبي اذا طلقتم الوقف اوضح لبعد العامل عن المعمول التقدير قوله منيبين بدليل قوله ولا تكونوا من المشركين لان قوله من الذين كالبدل لما قبله شيعا فرحون **التفسير** وجه تعلق السورة بما قبلها هو انه صلى الله عليه وسلم كان يقول للمشركين ما امر الله به صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان يحقر الهتهم وينسبها الى العجز وعدم النفع والضر وكان اهل الكتاب

يعلمون المسلمين من لا اله و في كثير من الاحكام ولذلك قال ولا تجادلوا اهل الكتاب الى قوله والهنا والهكم واحد
فلا جرم ابغض المشركين اهل الكتاب و تركوا امراحتهم في الامور فاتفق ان بعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل
عليهم رجلا يقال له شهريران فسار الى الروم باهل فارس يظفر عليهم وقتلهم وخرب مدائنهم وكان قيصر
بعث رجلا يدعى يحنس فالتقى مع شهريران باذرعات وبصرى وسواد في الشام الى الارض العرب والتيه
الاشارة بقوله و في الارض لان الارض المعهودة عند العرب هي ارضهم اي غلبوا في اقرب ارض العرب
منهم وهي اطراف الشام وجوز جار الله ان يراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى
عدوهم وهذا تفسير مجاهد لانه قال هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن
وفلسطين ففرح المشركون بذلك وانزل الله تعالى هذه الايات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق فقد يبتلي المحبوب
ويعجل عذابه ليسلم في الاجل وفي قوله في ادنى الارض اشارة الى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طريق الحجاز وكسروهم
وهم في بلادهم ثم بين ان الروم سيغلبون غلبة عظيمة بعد ذلك لضعف العظيم وكل ذلك دليل على ان الامر
بيد الله من قبل الغلبة ومن بعدها او من قبل تلك المدة ومن بعد ذلك وقد وقع كما اخبر فغلبت الروم على فارس
حتى وصلوا الى مداين وبنوا هناك الرومية قال المفسرون لما نزلت الاية قال ابو بكر للمشركين لا اقر الله اعينكم والله
ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه
على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع
ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين فلما اراد ابو بكر ان يخرج
من مكة اتاه عبد الله فلزمه وطلب كفيلا فكفل له ابنه عبد الله ابن ابي بكر فلما اراد ان يخرج ابي الى احد اتاه عبد الله
فلزمه الحان فاعطاه كفيلا ثم خرج ابي فمات بمكة من جراحتها التي جرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر ان يتصدق
قالت العلماء انما ابهم الوقت لان الكفار كانوا معاندين والامور التي تقع في البلاد الشاسعة فلما يحصل الاتفاق
على وقتها المعين من السنة والشهر واليوم والساعة وان كان معلوما للنبي صلى الله عليه وسلم باعلام الله اياه فلعله
كان يتمكن من الارجاف بوقوع الواقعة قبل وقوعها ليحصل الخلف في الميعاد لكن المعاند لا يتمكن من انكار الواقعة
في البضع و يومئذ اي يوم يغلب الروم فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم يفرح المؤمنين بنصر الله ويغلبه
له كتاب له ويغيظ الشامتين بهم من كفار مكة وقيل بنصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبر به نبيهم من غلبة
الروم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وهو المراد بنصر الله بقوله ينصرنا على ان
المقصود بيان ان النصرة بيد الله لا بيان وقوع النصر لم يضعف ههنا وقف على المؤمنين وهو العزيز الرحيم فاذا
سلط العدو على الحبيب فلعونه واستغنائه عنه ورحمته في الاخرة واصله اليه وعد الله مصدر موكد لنفسه
لان ما سبق في معنى الوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه لا خلف في وعده لانه بله في امور الدين وفي ابداله
قوله لا يعلمون او في بيان هذا بذلك اشارة الى ان العلم بامور الدنيا كالجهل المطلق وفي تنكير ظاهرا اشارة
الى قلة علمهم الظاهر الدنيا ايضا وفي تكرير هم اشارة الى ان الغفلة منهم والاسباب التذكر حاصله وظاهر الدنيا
ملاذها وملاعبها وباطنها مضارها ومتاعبها شعر هي الدنيا تقول بملء فيها ۞ حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم طول ابتسامي ۞ فقولي مضحك والفعل يبكي ۞ ثم اشار الى وجه التفكر بقوله اولم يتفكروا وقوله في
انفسهم يتعلق بما تعلق الظرف ما يفعل كانه قال اولم يحدثوا التفكر في قلوبهم الفارغة فيكون كالوقت لاجل
زيادة التصوير اعتقده في قلبك واضمره في نفسك ان الاعتقاد لا يكون الا في القلب والاضمار لا يوجد
الا في النفس واما تعلق الجار بالنظر كقولك تفكر في الامور وذلك انه اذا تفكر في نفسه التي هي اقرب الا
شيا اليه وقف على غرايب الحكم ودقائق الصنع التي ودعها الله تعالى عنها كما يكفل بيان بعضها علم التشريح فجره
ذلك الى ان العلم بانه سبحانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا ملتبسات بالغرض الصحيح وتقدير اجل مسمى
هو وقت الجزاء والحساب ثم في الاية تقريران احدهما يناسب بقول الاشاعرة وهو ان دلايل النفس منجرة الى
دلايل الافاق الموكدة للتوحيد والعلم بالاله القادر المختار الصادق في كلامه لكنه اخبر عن تخريب السموات وعن
حشر الاجساد وانتهاء الجسمانيات الى الافناء ثم الاعادة في الوقت المعلوم فيكون الامر على ما اخبر وثانيهما
يتوقف على اصول المعتزلة وهو ان التفكر في النفس يجذب بصيغة الى معرفة ان الاله الحكيم الذي لا يفعل العبث

والجزاف وانه خلق السموات وغيرها من الاجسام لمنافع المكلفين فاذا انتهى التكليف فلا بد من تخريب السموات والارض
وانتهى الامر الى حالة الجزاء والتاكيد بحوم قاعدة الحكمة والتدبير ورعاية الصلاح والعدل ثم قال وان كثيرا من الناس وقد
قال قبل ذلك ولكن اكثر الناس لانه الان قد ذكر دليلا على ان الاصول ولا شك ان الايمان بعد الدليل يكون اكثر من الايمان
قبل الدليل فلا يبقى الا الاكثر كما مر فعبر عن الباقي بالكثير قال الكشاف والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى والاشاعرة يحملونه
على الرؤية واعلم ان النفس مقدم على الافاق لان الانسان قلما يذهل عن نفسه فان نفسه اقرب الاشياء اليه نظر
الاية قوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض اي يعرفون
الله بدلايل الانفس في ساير الاحوال ويتفكرون في خلق السموات والارض بدلايل الافاق وانما اخر الانفس في
قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم اياتنا ان الاداة انما يفتقر اليها في معرفة الابعد الاخفى كانه قال
سنريهم اياتنا الافاقية فان لم يفهموها بايات الانفس معلومة وهذا الترتيب المتفكر بل الفكر يصور دليل الانفس
ولا يرتقي الى دليل الافاق فظهر ان كل اية وردت على ما اقتضاه البلاغة وحين ذكر دليل النفس الذي لا يقع الذهول
عنه الا نادرا ثم ارتقى الى دليل السموات والارض الذي يقع الذهول عنه في كثير من الاحوال لكنه لا يحتاج الى النفاق
الذهني اتبعه دليل الافاق الذي يتوقف على السير والتجوال ليقفوا على امر امثالهم وحكاية اشكالهم ثم ذكر انهم
اولى بالهلاك لان من تقدمهم كعاد وثمود كانوا اشد منهم قوة جسمانية واثاروا الارض اي حرثوها وهو اشارة الى
القوة المالية ثم اشار الى القوة الظهرية التي يستند اليها عند الضعف والفتور وهي الحصون والعماير بقوله وعمروها
اكثر مما عمرها هؤلاء يعني اهل مكة كانوا اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها راسا ففيه نوع
تهكم بهم قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة وفي اخر فاطر وفي المؤمن اولم يسيروا بالواو وفي مؤمن
اول بالفاء لان ما قبل هل في هذه السورة اولم يتفكروا وما بعدها وكذا في فاطر ما قبله ولن تجد لسنتنا تحويلا
وما بعده وما كان وفي المؤمن ما قبله والذين يدعون واما في اخر المؤمن مما قبله فاي ايات الله وبعده فما اغنى
عنهم وكلاهما بالفاء قوله في هذه السورة من قبلهم متصل بكون اخر مضمر وقوله كانوا اشد منهم قوة وكذا معطوفا
اخبار عما كانوا عليه قبل الاهلاك وانما قال فينظروا وكانوا بزيادة الواو لان التقدير فينظروا كيف اهلكوا وكانوا
اشد وخصت السورة به لقوله وما كان الله ليعجزه وقال في المؤمن كانوا من قبلهم كانوا هم اشد فاظهر كانوا و
زاد لفظ هم لان الاية وقعت في اوايل قصة موسى هم في تبيين الاية فلان اللايق به البسط دون الوحادة و
لم يبسط هذا البسط في اخر السورة اكتفا بالاول والله اعلم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بوضع الانفس الشريفة
في موضع الخسيس والشهوة وعبادة الاصنام قال اهل السنة هذا الوضع كان بمشية الله وارادته ولكن صدر عنهم
فاضيف اليهم والسوأى تانيث الاسوء وهو الاقبح وهو خبر كان بعين فراغا فيه بالرفع واسم كان فرعا قبة بالنصب
ثم [illegible] وفي الازكيات وضع المظهر موضع المضمر والمعنى ثم كان عاقبتهم السوأى وهي
عذاب النار وان كذبوا بمعنى لان او بان كذبوا وهو تفسير السوأى ان اساءوا في معنى العقول نحو اي كيف
معناه اي كذبوا وجوز جار الله ان يكون السوأى مفعول اساءوا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف
ارادة الابهام ليذهب الوهم كل مذهب فيكون تشديدا للكلام ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التي هي السوأى
الخطيئة بان كذبوا وكانوا بها يستهزءون قال اهل التحقيق ذكر الزيادة في حق الذين احسنوا الحسنى وزيادة
ولم يذكر في حق المسيء لان جزاء سيئة سيئة مثلها وذكر في العقوبة وهو قوله ان كذبوا ولم يذكر في الايات
ليعلم ان احسانه لا يتوقف على التسبب بل فضله عام [illegible] وكان في ذلك اشارة الى الاعادة و
الحشر لم يتركوا دعوى بلا بينة فقال الله يبدؤا الخلق ثم يعيده [illegible] القدرة والارادة لا يعجز عن الرجعة والاعادة ثم
بين ما يكون وقت الرجوع فقال ويوم يقوم الساعة يبلس المجرمون معنى في ذلك تبيين [illegible] وتحقيق الابلاس
وسكون مع تحير يائس من بوس واياس لا الياس الذي هو احدى الراحتين وذلك ان اكثار الموجود [illegible] ضروري
فيتيرح الطابع من الانتظار [illegible] الاحلابين وذلك قوله ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء [illegible] كانهم
كانوا [illegible] سيكفرون بعبادتهم وكانوا في الدنيا كافرين بهم حيث [illegible] بعض المسلمين و
الكافرين يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير بتفصيله في الاثنين بعد والروضة عندهم كل ذات
في الاشال حسن من حسنه في روضة يحبرون بيبهجة الغامة للتعظيم وتنكير روضة ومعنى يحبرون يسرون

بانواع المسار والحبطة فالحطة حبرة اذا اسر سرورا تهلل له وجهه وحضبه مجاهد بالتكريم وقتادة بالتنعيم وابن كيسان
بالتحليه ووكيع بالسماع عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين
باصوات لم يسمع الخلايق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي سالت ابا الدرداء ثم يتغنين قال بالتسبيح وروي
في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة اذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك
تلك الاجراس بالصوت لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ومعنى محضرون لا يغيبون عنه وقد مر في قوله ثم هو يوم القيمة
من المحضرين وانما اهمل ذكر الفسقة من اهل الايمان اكتفاء بما ذكره في الايات الاخر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكقوله انما التوبة على الله الى قوله تبت الان قال جار الله لما ذكر الوعد والوعيد
اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد وقال الاخرون لما ذكر عظمته في المبدا بقوله ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وفي الانتهاء بقوله ويوم تقوم الساعة وكرر ذكر قيام الساعة للتاكيد والتخويف
اراد ان ينزه نفسه عن كل سوء ويثبت لذاته كل حمد ليعلم انه منزه عن طاعات المطيعين محمود عن كل ما يوصل الى
المكلفين مذكور على لسان اهل السماوات والارضين والتسبيح في الظاهر هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير
في هذه الاوقات لما في كل منهما من نعمة متجددة وخص بعضهم التسبيح بالصلوة لما روي عن ابن عباس انه قال تمسون
صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر امر بالصلوة في اول النهار ووسطه واخره
وامر بالصلوة اول الليل ووسطه وهو العشاء لقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك و
تاخير العشاء الى نصف الليل ولم يامر بالصلوة في اخر الليل لان النوم فيه غالب وانه من على عباده بالاستراحة
في الليل بالنوم في موضع قوله ومن اياته منامكم بالليل كما سيجيء وعن الحسن ان الاية مدنية بناء على انه كان يقول
لفرضية الصلوة الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم وقول الاكثر ان الخمس فرضت بمكة
قوله وعشيا معطوف على حين وحين ما بينهما وهو قوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض قال جار الله
معناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوا واقلت فيه ايضا معنى عن تسبيح المسبحين
فلو لم يحمده اشبها الا الحمد على الاطلاق ولو حمد ومعا وتعقبه اليهم وقدم الامساء لان الظلمة عدميه والاصل
في الاشياء العدم وقدم العشي على الظهر لاجل الفاصلة او للتنبيه على فضيلة صلوة العصر ولعل تقديم الاعراض
المذكور على العشاء اشارة الى ومعنى هذا يخرج الحي من الميت قد سلف مرارا ويحتمل ان يراد هنا اليقظان والنايم
لقوله وكذلك تخرجون اي من القبور فيشبه النايم بعد اليقظة يشبه الاعادة وكذا رد الارض الى حالة الحسن
والنضرة بعد خمولها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته من يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته من ليلته ثم اراد ان يذكر
الحجج الباهرة على استحقاق التسبيح والتحميد له فقال ومن اياته ان خلقكم اي اصلكم او كلا منكم كما مر في اول الحج من تراب
وذلك ان التراب ابعد الاشياء عن درجة الاحياء لكثافته وبرودته ويبسه والحيوة بالحرارة والرطوبة
والكدورة والروح بين وثقله وخفة الارواح لسكونه والحيوان يتحرك حساس ولا تنافي بين هذا و
بين قوله خلق من الماء بشرا الا اراد والاصل الذي هو النطفه ادا اراد وان اصل البشر في الظاهر هو التراب والماء
والنار فلا ايضاح والهوا فلا استيفاء كالزق المنفوخ يقوم بالهوا وثم التبعيد الرتبة واذا للمفاجاة اي ثم فاذا
جاء ثم وقت كونكم بشرا فالواو فيه اشارة الى مسئلة حكمية وهي ان الله تعالى يخلق اولا انسانا فينبغي ان يجوا
نام لانه يخلق اولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع هو المراد الاول ليكون الانواع فيها الاجناس فتلك الارادة
الاولى وقوله بشرا اشارة الى قوة المدركة التي البشر بها يشر وبها يمتاز عن غيره من الحيوانات وقوله تنتشرون
اشارة الى القوة المحركة التي بها الحيوان حيوان كانه اشار الى فصله وجنسه وكان الاولى تقديم الجنس على الفصل الا ان
العكس الترتيب لانه كان قال العجيب غير مختص بالانسان على الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب ايضا والانتشار
اما بمعنى التردد في الحوايج كقوله فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واما بمعنى البعث والتفريق كقوله
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وحين بين خلق الانسان ولم يكن ما يبقى على مر الزمان من عليهم بل جعل [illegible]
باقيا بتعاقب الاشخاص فقال ومن اياته ان خلق لكم ولا يلزم منه ان لا يكون مخلوقات للعبادة والتكليف لان
تخصيص الشي بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فقد يكون الشي مختصا بالشيء او يحمل مهيا الامرين على ان النعمة ما كانت

ثم علينا الا تكليفيه فهو فلولا خوف العقاب لما ترك الشهوات على الاولى زاجر ومن انفسكم اي من جنسكم او هو اشارة
الى ان حوا خلقت من ضلع ادم وقد ثبت في المحل [illegible] لتسكنوا اليها فان الجنس الى الجنس يسكن
وجعل بينكم مودة ورحمة عن الحسن هي الجماع والرحمة هي الولد [illegible] حاجة صاحبه اليه [illegible] المودة
المحبة والرحمة وذلك [illegible] الشهوة [illegible] عن مكان رعاية حقها [illegible] او فقر فذلك
بعضهم المودة والرحمة بعصمة الزواج [illegible] من الشيطان ان في ذلك
الخلق والجعل لايات لقوم يتفكرون [illegible] خلق الانسان من الوالدين ايه وجعل [illegible] وخروج الولد
الضعيف من الموضع الضيق ايه وجعل التوالد بين الزوجين من غير صلة رحم ايه ولما ذكر دلائل الانفس اتبعها دلائل
الافاق واعظمها خلق السموات والارض ثم خلق المركبات [illegible] الى ما له العناصر من الكيفيات
والى ما له السموات من الحركات والاتصالات واما السماء والارض [illegible] ثم عاد
الى كلام الاحوال الانفس ومن جملتها اختلاف الالسنة [illegible] بعد ان
[illegible] تقطيع الاصوات [illegible] بعض الانسان وبعض الاشخاص عن بعض واختلاف الالوان
والحلى فلذلك يقع التعارف [illegible] اختلاف الاصوات واما اللمس والشم والذوق
فالحكم ظاهر [illegible] بين الاشخاص الانسانية وحيث ذكر بعض العرضيات اللازمة اراد ان يذكر الاعراض
المفارقة وبعضها فقال ومن اياته منامكم قال جار الله هذا من باب اللف والنشر وتقدير الكلام ومن اياته منامكم
بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار [illegible] موضع اخر كقوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا وقدم المنام على الابتغاء لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا للحاجة قال
واعلم ان القرينين الاولين والقرينين الاخرين لانهما زمانا والزمان الواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد
يعني كانه لم يعطف النهار والابتغاء على المنام وجوز ان يراد منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله بالليل
والنهار فان الانسان كثيرا ما ينام بالنهار [illegible] الابتغاء اشارة الى عوارض الافاق
فقال ومن اياته يريكم البرق خوفا [illegible] المثل السائر [illegible] المعيدي
خير من تراه قبل لما كان البرق من الامور التي تتجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر معه ان وقيل ومن
اياته كلام كان كما يقول منها كذا ومنها كذا او نبئك يريد بذلك بلفظ المستقبل ولم يذكر معه ان وقيل من اياته البرق
وانتصاب خوفا وطمعا كما مر في الوعد ثم ذكر بعض لوازم الافاق قائلا ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره فقيام
السموات والارض استمساكها بغير عمد ومن نسب ذلك الى الطبيعة فلا بد ان ينسخ الطبع الى واحد لذاته واخره ان تقول
هما كونا كذلك نظيره قوله ان الله يمسك الى قوله من بعده واعلم ان الامر عند المعتزلة موافق للارادة بالاتفاق وعند
الاشاعرة ليس كذلك ولكن الغرض في الامر الذي هو للتكليف لا الذي للتكوين فان قوله موافق للارادة بالاتفاق
قال جار الله قوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات
والارض ثم خروج من القبور اذا دعاكم مرة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة الخروج من غير توقف والاملا
امرا ظاهرا واراد نداء الملك والارض مكان المدعو على التقديرين لا الداعي اذ لا مكان لله مطلقا ولا الملك في جوف
الارض نعم لو كان المراد ان الملك يدعوهم وهو على وجه الارض جاز ومعنى ثم عظم ما يكون من ذلك الامر وتهويل
لتلك الحالة وان الاولى للشرط والثانية للمفاجاة نائبة مناب الفاء واعلم بانه تعالى ذكر في باب امرين اما من
الانفس فخلق البشر ثم خلقهم زوجين اما من الافاق فخلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف كلمة اللسان
والالوان ومن عوارض المنام والابتغاء ومن عوارض الافاق البروق والامطار ومن لوازمها قيام السماء والارض
والواحد يكفي للاقرار بالحق والايات الثاني تجري الشاهد الاخر وراعي في تعدد العرضيات لطيفة نداء باللوازم
وختم باللوازم وذلك ان الانسان متغير الحال فالاحوال اللازمة اغرب والافلاك ثابتة بالنسبة الى الانسان فعوارضها
وبدا في كل باب بما هو اعجب وانما ختم الاية الاولى بقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لان التفكر يؤدي
الى الوقوف على المعاني المقتضية للانس والسكون على دقايق صنع الله في خلق الانسان وبثهم في الارض او يقول
من الاشياء ما يعلم بمجرد الفكر كدقائق حكمة الله في خلق الانسان لان اقرب الاشياء الى الانسان هو ذاته فلذلك قال
هنالك لقوم يتفكرون ومنها ما يعلم من غير تجشم فكر كالاستدلال على قدرة الله بخلق السماء والارض واختلاف الالسنة

الناس والوانهم فان الكل يظلهم السماء ويقلهم الارض وكل واحد منفرد بلطيفة في صورته يمتاز بها عن غيره وهذه يشترك في معرفتها الناس جميعا ولهذا قال لايات للعالمين ومن حمل اختلاف الالسنة على اللغات و اختلاف الالوان على البياض والسواد والصفرة والسمرة فالاشتراك في معرفتها ايضا ظاهر ومن قرا العالمين بكسر اللام فقد احسن فبالعلم يمكن الوصول الى معرفة ماسبق ذكره ومن الاشياء مايحتاج الفكر فيه الى اعانة مرشد كالمنام والابتغا فانهما لوانه مهما في بعض الاوقات قد يعطان لوازمهما فلهذا قال لقوم يسمعون ويحملون ما لهم الى كلام المرشد ومن هنا ذهب بعضهم الى ان معنى يسمعون ههنا يستجيبون لما يدعون اليه ثم ان حدوث الولد من الوالدين كالامر المطرد المعادي فكان يمكن ان يسبق الى الوهم اسناده الى الطبيعة فامر هنالك بالفكر واما البرق والمطر فليس امرا عاديا ولذلك يختلف بالشدة والضعف وبحسب الاوقات والامكنة فالعقل الصحيح يجزم بانه بالفعل الفاعل الفاعل المختار فلذلك قال لقوم يعقلون وقيل ان العقل ملاك الامر في الباب وهو المودي الى تعلم موقع الحكم عليه وحين فرغ من تعداد الايات وكان مدلولها الوحدانية التي هي الاصل الاول والعقد على الحشر الذي هو اصل الاصل الاول هو بقوله وله من في السموات والارض كل له قانتون مطيعون ومنقادون وكذا الاصل الاخر بل كل الاصلين بقوله وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده اهون عليه اي في نظركم وعند معقولكم والا فلا تفاوت في الابدا اصلا حتى يقع التفضيل على حده وانما اخرت الصلة ههنا وقد قدمت في قوله في سورة مريم وهو علي هين لانه قصد هنالك الاختصاص يعني ان خلق الولد منهم وعاقر لايهون الا علي ولا معنى للاختصاص ههنا فان الامر مبني على المعقول بين الادميين من ان المعاد اهون من البداء ولهذا قيل ولا الغزو اخرق وبيس الدخيل في امركما التي عليه ومن الدليل العقلي على هذا المطلوب ان البدا خلق الاجزاء وتاليفها والاعادة تاليف فقط ولاشك ان امرا واحدا اهون من الامرين ولايلزم منه ان يكون في الامرين صعوبة فان من قال الرجل القوي يقدر على حمل شعيره من غير صعوبة وسلم البايع لذلك فاذا قال فلان لا تعب من حمل خردلة اهون عليه كان كلاما معقولا وقد جرى الزجاج قوله وهو اهون عليه مجرى المثل فيما يصعب ويسهل به قوله وله المثل الاعلى يعني هذا مثل يضرب في السموات فيما بين الملائكة وعن ابن عباس اراد ان ضله ان شبهه بفعلكم ومثله به لكنه ليس كمثله شي فله المثل الاعلى قال جار الله المثل الوصف الذي لايعزب عن علمه شي فلا يصعب عليه جمع الاجزاء بعد تفرقهما على الوجه الذي يقتضيه التدبير ولهذا ختم الاية بقوله وهو العزيز الحكيم وعن مجاهد المثل الاعلى وصفه بالوحدانية وهو قول لا اله الا الله وقد ضرب لكم مثلا ومعنى ومن انفسكم انه اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهي انفسكم فمن للابتدا وفي قوله فمن ما ملكت ايمانكم للتبعيض والثانية مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي والمعنى هل ترضون لانفسكم ان يكون لكم شركاء من بعض عبيدكم يشاركونكم فيما رزقناكم من الاموال والاملاك فانتم يعني بسبب ذلك انتم ايها السادات والعبيد في ذلك المرزوق سواء من غير فضل وفضل للاحرار على العبيد تخافونهم ان يستبدوا بتصرف دونهم كخيفتكم انفسكم اي كالاحرار بعضكم بعضا من الاحرار والحاصل انه لن ان يكون له مملوك لا ان يكون شريكا له في ماله ولا يكون له حرمة كحرمة سيده فكيف يجوز ان يكون عباد الله شركاء له او شفعاء عنده بغير اذنه وكيف يجوز ان يكون لهم عظمة مثل عظمة الله حتى يعبدوا واعلم ان مملوككم ليس مملوكا لكم في الحقيقة بل الاختصاص المبايعة ولهذا ملكه بوجه من الوجوه وفي قوله فيما رزقناكم اشاره الى ان الذي هو لكم ليس في الحقيقة لكم وانما الله استخلفكم فيه ورزقكموه من فضله كذلك لذا اي مثل هذا الفصل والتبعيد للتعظيم او للتحويل في خير الذكر والمعنى نفصل الايات بينها لقوم يعقلون لان التمثيل انما يكشف المعاني لارباب العقول ثم سوه صورة الشرك بقوله بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا اهواءهم بغير علم فهوى العالم ربما يتبدل بالهدى واما الجاهل فانه دايم في هواه كالبهايم لايرجى ارعواوه يوكد قوله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين والا ههنا لايخفى ان الاشاعرة يحملونه على خلق الضلال في التكليف والمعتزلة يحملونه على الخذلان ومنع الالطاف وقد تقدم مرارا ثم قال لرسوله ولامته بتبعيته اذ تبين الحق وظهرت الوحدانية فاقم وجهك للدين اي سدده نحوه غير مايل الى غيره من الاديان الباطلة فطرة الله اي الزموها او عليكم بها قال جار الله انما اضمر على خطاب الجماعة لقوله منيبين وهو حال منهم ولان الامر والنهي بعده معطوفان عليه لكنك قد عرفت في الوقوف ان هذا التقدير غير لازم وعلى ذلك يحتمل ان يقدر الزم او عليك او اخص او اريد واشباه ذلك و

وفطرة الله هو التوحيد الذي يشهد به العقل والعقول السليمة والنظر الصحيح كما جاء في الحديث النبوي كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه اللذان يهودانه وينصرانه ويحتمل ان يكون الفطرة اشارة الى اخذ الميثاق من الذر وقوله لا تبديل لخلق الله نفي في معنى النهي اي لا تبدلوا خلقه والذي فطركم عليه فان الايمان الفطري غير كاف وقيل هو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤمن قومه فكانه قال انهم اشقياء ومن كتب اشقيا لم يسعد وقيل اراد ان الخلق لاخروج لهم عن عبوديته بخلاف ممالك الانسان فانهم قد يخرجون من ايديهم بالبيع والعتق وفيه فساد قول من زعم ان العبادة لتحصيل الكمال فانه اذا كمل العباد لم يبق عليه تكليف وفساد قول الصابية وبعض اهل الشرك ان الناقص لايصلح لعبادة الله وانما الانسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله وفساد قول النصارى والحلولية ان الله يحل في بعض الاشخاص كعيسى وغيره فيصير الها ومعنى فرقوا دينهم وكانوا شيعا قد مر في اخر الانعام وانهم فرق كل واحد يشايع لامامها الذي اضلها وقال اهل التحقيق بعضهم يعبد الدنيا وبعضهم يعبد الهوى وبعضهم يريد الجنة وبعضهم يطلب الخلاص عن النار ومعنى كل حزب بما لديهم فرحون وقد مر في المومنين وجوز جار الله ان يكون من الدين منقطعا مما قبله وكل حزب مبتدا وفرحون صفة كل ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب يصفه كذا والله اعلم

التأويل

الالف الفة طبع المومنين واللام لوم طبيعة الكافرين والميم مغفرة رب العالمين فمن الالفة اجوا اهل الكتاب ومن اللوم ابعضهم الكافرين ومغفرة رب العالمين شملت الفريقين حتى قال ان الله يغفر الذنوب جميعا الا ان يكون هناك مخصص ثم اشار الى حال اهل الطلب بتغير بتغير الاوقات فتغلب فارس النفس وروم القلب وتارة سيغلب روم القلب فارس النفس بتاييد الله ونصره في بضع سنين من ايام الطلب ويومئذ يفرح المومنين وهم الروح والسر والعقل ولم يتفكروا في استعداد انفسهم ما خلق الله سموات الروحانية وارض النفسانية الا ليكون مظهر الحق و لاجل مسمى بالصبر والثبات وفي تصفية مراتب القلوب عن الاوصاف الذميمة النفسانية والاجل المسمى هو اوان صفاء القلوب متوجها الى ولم يسيروا في الارض البشرية بالسكون لتبديل الاخلاق والذين من قبلهم الفلاسفة والبراهمة المعتمدون على مجرد البراهين من غير اعتبار الشرايع والسواى ان صادر الايمة الكفر والضلال الله يبدؤا الخلق بتعيين النفس متعلقة بالقالب ثم يعيده بطريق السير والسلوك والعبور عن المنازل والمقامات الى عالم الارواح ثم اليه ترجعون بجذبة ارجعي ويوم تقوم الساعة الارادة يبلس المجرمون بتضييع الاوقات في طلب ماسوى الله ويوم يقوم قيام العشق ويومئذ يتفرقون المحبون فبعضهم يطلب الجنة وبعضهم يطلب الوصلة وبعضهم يريد الوحدة فسبحان الله حين يقبلون على ليل الشهوات وحين صباح نهار تجلي شموس الوصال وله الحمد ان كنتم في سموات القربات او ارض البعد والغفلات وسبحانه في عشاء عشا العشاوة وفي حالة استواء شمس المعرفة في وسط سماء القلب فان الربح والخسران كلتا الحالتين راجع الى الطالبين والله المنزه عن العالمين يخرج القلب الحي بنور الله من النفس الميتة في ظلمات صفاتها ابراز اللطفة ويخرج القلب الميت عن الاخلاق الحميدة من النفس الخبيثة بالصفات الحيوانية اظهار القهر ويحيي الارض القلوب بعد موتها وكذلك تخرجون ابدا واعادة فمن اياته خلق سموات القلوب وارض النفوس واختلاف السنة القلوب والسنة النفوس فلسان القلب يتكلم بلغة العلويات ولسان النفس يتكلم بلغات السفليات واختلاف الوانكم وهي الطبايع المختلفة منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ومن اياته منامكم في ليل البشرية وابتغاؤكم من فضله في نهار الروحانية والمكاشفات الربانية لقوم يسمعون كلام الله من شجرة الوجود يريكم البروق شواهد الحق ثم اللوامع فتلك الانوار يرى شهوات الدنيا نيرانا فيجتاب منها ويرى مكاره التكاليف جنانا فيطمع فيها ان تقوم سماء النفس ارض القلب بامره لان الروح من امره ثم اذا دعاكم بجذبة ارجعي اذا انتم يعني النفس والقلب والروح يخرجون من انانية وجودكم وهو اهون عليه لانه في البداية كان مباشرا بنفسه وفي الاعادة يكون المباشر اسرافيل بنفخه والمباشر بنفس الغير في العمل اهون من المباشرة بنفسه عند نظر الخلق ويحتمل ان يكون اهون من الهون بالضم وهو الذلة والتحقير للخلق وذلك انهم في البداية لم يكونوا بلوث الحدوث والا مدنسين بادناس الشرك و المعاصي فلعزتهم بالبداية باشر خلقهم بنفسه وبهوانهم بالاعادة مباشرهم بغيره وله المثل الاعلى فيما اودع من الايات في سموات الارواح وارض القلوب ضرب لكم اي الروح والقلب والسر والعقل مما ملكت ايمانكم من الاعضاء والجوارح والقوى والحواس فيما رزقناكم من العلوم والكشوف تخافونهم اي لايضيعون شيا من المواهب بالتصرفات الفاسدة كخيفتكم انفسكم اي كخيفة الروح من القلب اذ لايضيع شيا منها بان تصرف فيها في غير موضعها دنيا وسمعة

وعوى وكيفيه القلب من الستر والعقل بان يبصرفها بما يفسد العقايد ويوقع الشكوك كما لا يصلح هولاء بشركائكم
نكذلك لا تفلحون انتم بشركائكم اذا تجليت عليكم فدعوى الاتحاد والحلول باطلة والكبرياء رداء لا يليق والله اعلم واحكم

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم
منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ● ليكفروا بما
اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ● ام انزلنا عليهم سلطانا فهو
يتكلم بما كانوا به يشركون ● واذا اذقنا الناس رحمة
فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون
اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون ● فات ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم
المفلحون ● وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا
عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك
هم المضعفون ● الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم
يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ● ظهر الفساد في البر
والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا
لعلهم يرجعون ● قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين ● فاقم وجهك
للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون
من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ●

ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين
ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته
ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا
من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ● الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله
كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من
عباده اذا هم يستبشرون ● وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
من قبله لمبلسين ● فانظر الى اثار رحمت الله كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ● ولئن
ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا
تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ● وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم
مسلمون ● الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد
ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء و
هو العليم القدير ● ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ● ما لبثوا
غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ● وقال الذين اوتوا
العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا
يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ● فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا

معذرتهم ولاهم يستعتبون ● ولقد ضربنا للناس
في هذا القران من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن
الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع
الله على قلوب الذين لا يعلمون ● فاصبر ان
وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ●

القراءة اتيتم من ربوا مقصورا ابن كثير لتربوا بضم التاء وسكون الواو على الجمع ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لنذيقهم بالنون ابن مجاهد وابن عون عن قنبل يرسل مجاهد وابو عون يرسل الرياح الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف كسفا بالسكون يزيد وابن ذكوان اثار على الجمع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي وحماد وضعف ما بعده الضاد حمزة وعاصم غير المفضل اليا قرون بالضم وهو اختيار خلف وحفص لا ينفع بيا الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم الاخرون بتا التانيث لا يستخفنك بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب الوقوف يشركون وقد وقف على نوحهم لام الامر ابتداء للعدول الى الخطاب وابتداء من التهديد فتمتعوا الاستيناف التهديد يعلمون يشركون بها فضلا بين الفتيشين يقنطون ويقدر يؤمنون وابن السبيل وجه الله المفلحون عند الله لعطف جملتي الشرط المضعفون يحييكم شي يشركون يرجعون من قبل بصدعون كفره لما مر يمهدون وقد توقف على جعل اللام للقسم وحذف نون التاكيد فضله الكافرين تشكرون اجرموا وقيل يوقف على حقا اي وكان الانتقام حقا ثم ابتداء علينا اي واجب علينا نصر المؤمنين خلاله للشرط مع الفا يستبشرون لمبلسين موتها الموتى لاتفاق الجملتين مع العدول عن بيان الاخبار الى بيان القدرة قدير يكفرون مدبرين ضلالتهم مسلمون وشيبة ما يشاء لاختلاف الجملتين القدير المجرمون لان ما بعده جواب القسم غير ساعة يؤفكون يوم البعث لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقول لا يعلمون يستعتبون مثل مبطلون لا يعلمون لا يوقنون التفسير لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين انه امر وجداني فيه غير فوتة في حال الضر والبلاء وان كانوا ينكرونه في حال الرحمة والرجاء وفي بعض المن والاخبار دليل على ان الانسان قليل الصبر في حالتي الضرآء وانما قال اذا فريق منهم ولم يقل اذا هم يشركون كما قال في اخر العنكبوت لان الكلام هناك مع اهل الشرك وههنا مع الناس كلهم وليس كل الناس كذلك ثم استفهم على سبيل الانكار قايلا ام انزلنا كانه قال اذا تقررت الحجج المذكورة فماذا يقولون يتبعون اهواءهم بغير علم ام لهم دليل على ما يقولون واسناد المتكلم الى الدليل مجاز كما يقول نطقت الحال بكذا وما في قوله مما كانوا مصدرية والضمير في به لله او موصوله والضمير اما الى الامر الذي بسببه يشركون ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي اذا سلطان وهو الملك وذلك المتكلم متكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون وحين ذكر الشرك الخفي وهو ان يكون عبادة الله للدنيا فاذا اتاه ما يهواه رضي واذا امتنع وتغير منحط وقحط والرحم المطر والصحة والامن وامثالها والسيئة اضداد ذلك وانما لم يذكر سبب الرحمة ليعلم انها بفضله وذكر سبب السيئة وهو شوم معاصيهم ليدل على عدله والفرح بالنعمة مذموم اذا كان مع قطع النظر عن المنعم فاذا كان مع ملاحظة فمحمود بل الفرح الكلي يجب ان يكون بالمنعم والقنوط من رحمة الله ايضا مذموم لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اشار بقوله او لم يروا ان الله يبسط الرزق ان الكل من الله فيجب ان يكون نظر المحقق في الحالين على الله ففي حالة الرحمة يشتغل بالشكر وفي حالة الضراء لا ينسبالله الى عدم القدرة او الى عدم العناية بحال العبد بل يشتغل بالتوبة والانابة الى وان الفرح والبطر وهذه مرتبة المؤمن الوحد فلذلك قال ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ولا يخفى ان بسط الرزق مما يشاهد ويرى فلذلك قال اولم يروا وقال في الزمر اولم يعلموا مناسبة لما قبله وهو اوتيته على علم وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون قال جار الله لما ذكر ان السيئة اصابتهم لما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك قايلا فات

ذا القربى حقه وقوله لما بين كيفية التعظيم لامر الله اشار الى الشفقة على خلق الله قايلا فات ايها المكلف او النبي او الامة يتبعونه لاجلاله كما مر في قوله فاقم وجهك نفيه ان الله اذا بسط الرزق فلا ينقص بالانفاق واذا ضيق لم يزد بالامساك فينبغي ان لا يتوقف الانسان في الاحسان وفي تخصيص الاصناف الثلثة بالذكر دلالة على انهم بالاشفاق عليهم من ساير الاصناف وانما قال ذا القربى ولم يقل القريب ليكون نصا في معناه ولا يشبه في القرب المكاني وفيه ان القرابة امر له دوام بخلاف المسكنة وكونه ابناء للسبيل وفي قوله فات ذا القربى حقه دون ان يكون يقول فات هذه الاصناف حقوقهم تشريفا لذوي القرابة حيث جعل الصنفين الاخرين تابعا لهم على الاطلاق فانه اذا قال القايل خل فلان يدخل خل فلانا ايضا كان ادخل في التعظيم من ان يقول خل فلانا يدخلان ذلك الايتاخير في نفسه او خير من المنع للذين يريدون وجه الله اي ثوابه او جهة قربته فان من انفق الوقار بان يسمعه لم ينل درجات من انفق ابتغاء لوجه الله واولئك هم المفلحون كقوله في اول البقرة لان قوله فاقم وجهك الى قوله واقيموا الصلوة اشارة الى الايمان بالغيب وغيره واقامة الصلوة وقوله فات ذا القربى امر بالزكوة بل بالصدقة المطلقة وفي قوله الذين يريدون وجه الله اشارة الى الاعتراف بالمعاد ثم اراد ان يعظم شان الصدقة فضم الى ذلك تقبيح امر الربا استطرادا فمن قرا ممدودا فظاهر ومن قراء مقصورا فهو من الاتيان اي وما عشيتموه واصبتموه من اعطاء ربا ليربوا ليزيد في اموال اكلة الربوا وفي القراءة الاخرى ليزيد وفي اموالهم فلا يربوا فلا يزكوا ولا ينموا عند الله لانه يمحق بركتها نظيره ما مر في اخر البقرة يمحق الله الربوا ويربي الصدقات قيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل نزلت في الهبة والاهدا لاجل عوض زايد فبين الله تعالى ان ذلك لا يوجب الثواب عند الله وان كان صحيحا في الحديث الجانب المستغرق ثياب من هبته اي الرجل الغريب اذا اهدى شيا فانه ينبغي ان يراد في عوضه قال جار الله اولئك التفات حسن كانه قال ذلك لخواصه والملائكة وهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون اي ذو والاضعاف من الحسنات نظيره المقوي والموسر لذوي القوة واليسار والرابط محذوف اي المضعفون به وجوز في الكشاف ان يراد فسوقوه اولئك هم المضعفون قالت العلماء اراد الاضعاف في الثواب لا في المقدار فليس من اعطى رغيفا فان الله تعالى يعطيه عشرة وانما المراد انما الرغيف الواحد او ما يقتضي ان يكون ثوابه قصرا في الجنة فان الله يعطيه عشرة قصورا تفضلا ثم عاد الى بيان التوحيد مرة اخرى بتذكر الخلق والرزق والامانة والاحياء بعدها نظرا الى الدلايل ثم طلب منهم الانصاف بقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شي قال جار الله من الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة لتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم فلت الاولى للتبعيض كانه اقام فضل البعض مقام الكل بتوسعه على الخصم والثالثة لتاكيد الاستفهام والمتوسطة للابتداء ولكنها تفيد انه رضي منهم بشي واحد من تلك الاشياء للتوسعة المذكورة ثم بين ان الشرك وساير المعاصي سبب لظهور الفساد في البر والبحر وذلك بقلة المنافع وكثرة المضار ومحق البركات من كل شي وعن ابن عباس اجداب البر وانقطاع مادة البحر وملوحة ماية وعن الحسن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على سواحله وقال عكرمة يسمى الامصار بحارا لنذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة اراد يرجعوا عما هم عليه وجوز جار الله ان يراد ظهور الشر والمعاصي في الارض برا وبحرا بكسب الناس وعلى هذا فاللام في قوله لنذيقهم لام العاقبة ثم امرهم بالنظر في حال استكمالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم كقوم عاد وثمود ونوح كان اكثرهم مشركين فيه اشارة الى ان بعضهم كانوا مرتكبين ما دون الشرك من المعاصي ولكنهم شاركوا المشركين في الهلاك تغليظا عليهم او هو كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة او المراد ان اهل الشرك كانوا اكثر من اهل الاديان الباطلة كالمعطلة والمجسمة ونحوهم ثم خاطب نبيه وبتبعيته امته بقوله فاقم كانه قال واذ قد ظهر فساد ساير الملل والنحل فاقم وجهك للدين البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرد ويجوز ان يتعلق قوله من الله بقوله لا مرد اي لا راد له من جهة الله ولا يقدر غيره على رده فلا دافع له اصلا يومئذ يصدعون اي يتصدعون والتصدع التفرق ثم بين وجه تفرق الناس بقوله ومن كفر فعليه كفره اي وبال كفره عليه لا على غيره ومن عمل صالحا اي امن وعمل صالحا لان العمل الصالح لا يتصور الا بعد الايمان ايضا على صالح قلبي ولساني وسيصرح به في قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات ومعنى يمهدون يوطئون كما يسوي الرائد منجعة وجوز جار الله ان يراد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وذلك ان الاشفاق يلزمه التمهيد عرفا وعادة ثم بين غاية المهد بقوله ليجزي وقوله من فضله عند اهل السنة ظاهر وحمله المعتزلة على شبه الكتابة لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له ادا الفضل يعني

العطاء والثواب وفي قوله انه لا يحب الكافرين وعيد عظيم لهم لانه اذا لم يحبهم ارحم الراحمين فلا يتصور لهم
خلاص من عذابه ولا مناص ولا رحمة من جهته وفيه تعريض بانه يحب المومنين ولا وعد اعظم من هذا و
لا شرف فوق ذلك قال جار الله تكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا
المومن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ويشبه ان يكون مراده انه ذكر الكافر
اولا ثم المومن وفي الاية الثانية قرر ولا امر المومن ثم اردفه بتقرير امر الكافر واراد ان قوله ليجزي الذين امنوا
وعملوا الصالحات دل بتصريحه على ثواب المومن وبتعريضه على حرمان الكافر وقوله انه لا يحب الكافرين دل
بصريحه على حرمان الكافر وبتعريضه على ثواب المومن فالاول طرد والثاني عكس وكل منهما مقرر للاخر ولما ذكر
ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح وبين انه من دلايل الوحدانية بقوله ومن اياته ان
يرسل الرياح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لما مر ان الكريم لا يذكر لاحسانه سببا ويذكر لاضراره سببا ومن قرا
على التوحيد فللدلالة على الجنس ومن قرا على الجمع واما لانه اراد الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة دون
الدبور التي هي للعذاب واما لان اكثر الرياح نافعة والضارة كالسموم قليلة جدا لا تهب الا صبا واما لان الرياح
اذا اجتمعت وتزاحمت وتراكمت حتى صارت ريحا واحدة اضرت بالاشجار والابنية وقلعتها واذا تفرقت و
صارت رياحا اعتدلت ونفعت وقوله مبشرات اي بالمطر كقوله بشرا بين يدي رحمته وقيل اي بتصحيح الاهوية
واصلاح الابدان وقوله ليذيقكم اما معطوف على ما قبله معنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم بعض رحمته
لان راحات الدنيا زايلة لا محالة واما معطوف على محذوف اي وليكون كذا وكذا ارسلناها وفي قوله بامره اشارة
الى ان مجرد هبوب الريح لا يكفي في جريان الفلك ولكنها تجري باذن الله وجعله الريح على اعتدال واقوام وفي قوله و
لتبتغوا من فضله دلالة على ان ركوب البحر لاجل التجارة جايز وفي قوله ولعلكم تشكرون اشارة الى ان نعم الله مما يجب
ان يقابل بالشكر وانما بني الكلام في هذه الاية على الخطاب بخلاف قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
تشريفا لاجل الرحمة رحمة الله قريب من المحسنين وكانه لحضهم ان يخاطبوا ثم اشار الى اصل النبوة مع تسلية النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله ولقد ارسلنا واختصر الكلام فدل بذكر عاقبة الفريقين المومن والمجرم عليهما فعاقبة المجرمين
الذين لم يصدقوا رسلهم الانتقام منهم وعاقبة الذين صدقوهم النصر والظفر على الاعداء وفي قوله حقا علينا
تعظيم لاهل الايمان ورفع من شانهم والا فلا يجب لاحد على الله شي ثم اراد ان يشير الى الاصل الثالث وهو المعاد
فمهد كذلك مقدمة منتزعة مما تقدم ذكره وهو بيان ارسال الرياح لاجل احداث السحاب الماطر المبسوط بعضها على
الاتصال وهو الورق وبعضها كسفا اي قطعا وقوله فترى الودق يخرج من خلاله قد مر في النور ثم ذكر في ضمن ذلك عجز
الانسان وقلة ثباته وتوكله وقوله من قبله مكرر للتاكيد ومعناه الدلالة على ان عهدهم بالمطر تطاول فاستحكم باسهم
وتحقق ابلاسهم وقيل اراد انهم من قبل نزول المطر من قبل ما ذكرنا من ارسال الريح وبسط السحاب كانوا مبلسين وذلك
ان عند روية السحاب وهبوب الرياح قد يرجى المطر فلا يتحقق الابلاس ثم صرح بالمقصود قائلا ان ذلك لمحيي
الموتى وهو على كل شي من الابداء والاعادة قدير ثم اكد تزلزل الانسان وتذبذبه وبانه بادني سبب يكفر بنعم الله فقال
ولين ارسلنا ريحا اي ضارة باردة او حارة فراوه اي ذا واثر الرحمة وهو النبات ومن قرا اثار والضمير عليها الى المعنى
لان اثار رحمة النبات يقع على القليل والكثير وانما قال مصفرا ولم يقل اصفر لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوه
السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر ثم زاد في تسلية رسوله فانك لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون وقد
مر في اخر النمل ثم اعاد من دلايل التوحيد دليلا اخر من الانفس وهو خلق الادمي وذكر احواله واطواره وتنقله من
ضعف الطفولية الى قوة الشباب والكهولة ومنها الى ضعف الهرم ففي قوله خلقكم من ضعف الهرم وفي قوله
خلقكم من ضعف اشارة الى ان اساس امر الانسان الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وقيل من ضعف اي من
نطفة وهذا الترديد في الاطوار المختلفة اظهر دليل على وجود الصانع القدير وقوله يخلق ما يشاء كقوله في دليل الافاق
فيبسطه في السماء كيف يشاء والكل اشارة الى ابطال القول بالطبيعة المستقلة ثم عاد الى ذكر المعاد واحوال
القيمة وذكر ان الكفار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وان اهل
العلم والايمان وهم الملائكة والانبياء وغيرهم حالهم بالعكس وذلك ان الموعود بوعد اذا ضرب له اجل تكثر الاجل
ويريد تعجيله والموعود بوعيد اذا ضرب له اجل يستقل المدة ويريد تاخيرها ومعنى يوفكون يصرفون عن الصدق

والتحقيق اي هكذا كان امرهم في الدنيا مبنيا على الظن الكاذب وكانوا يغترون بمثله ويحتمل ان يكونوا ناسين او
كاذبين ومعنى في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في علمه وقضائه وفيما كتب واوجب وفيه رد قول الكفار واطلاع
لهم على صدق الحال قال جار الله في الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون
سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم والفاء في قوله فهذا يوم البعث جواب شرط يدل
عليه الكلام كانه قيل ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وبه تبين بطلان قولكم ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق
ثم بين ان ذلك اليوم فيه عذر من اهل الشرك وساير انواع الظلم ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم الرضا فلا يقال
لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة وقد مر في النحل ثم بين ان القران مشحون بقصص واخبار كلها كالمثل في غرابتها وحسن مواقعها
وان الرسول مهما جاءهم بدليل انكروه لان الذي اجترا على العناد في دليل واحد فالاغلب ان يجترا على امثاله وهذه نتيجة
الطبع والخذلان فلا علاج في مثل هذه القضية الا بالصبر وتحمل اعباء الرسالة الى انجاز وعد الله بالنصر واعزاز
الدين ومعنى لا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق قوم شاكون فامثال هذه الافعال والاقوال لا يستبدع من اهل
الريب والضلال فعلى المحق لا يظهر بضجر ويشتغل بالدعاء الى الحق حتى ياتي اوان النصر والظفر والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ● تلك ايات الكتاب الحكيم ● هدى ورحمة
للمحسنين ● الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة و
هم بالاخرة هم يوقنون ● اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون ● ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن
سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا اولئك لهم عذاب مهين
واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في
اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ● ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم ● خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز
الحكيم ● خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من

السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ● هذا خلق
الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال
مبين ● ولقد اتينا لقمن الحكمة ان اشكر لله و
من يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله
غني حميد ● واذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يبني لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم ● ووصينا الانسان بوالديه
حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر
لي ولوالديك الي المصير ● وان جاهداك على ان تشرك بي
ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا
واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم
تعملون ● يبني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في
صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف
خبير ● يبني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ● ولا
تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ● ان الله
لا يحب كل مختال فخور ● واقصد في مشيك واغضض
من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير ●

القراءة ورحمة بالرفع حمزه وابو عمرو عن قتيبة ليضل بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ويتخذها بالنصب يعقوب وحمزه وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد يابني لا تشرك بسكون الياء البزي والقواس وقرا حفص والمفضل بفتح الياء وكذا في قوله يابني انها يابني اقم الباقون بكسر الياء مثقال بالرفع ابو جعفر ونافع تصاعر بالالف ابو عمرو ونافع وحمزه وعلي وخلف الاخرون بالتشديد **الوقوف** الم كوفي الحكيم ان قرا ورحمة بالرفع على تقدير هو هدى ومن قراه بالنصب على الحال والعامل معنى الاشارة في تلك فلا وقف للمحسنين يوقنون

المفلحون يعني قد توقف لمن قرا ويتخذها بالرفع والوصل احسن لانه وان لم يكن معطوفا على ليضل فهو معطوف يشتري هزوا مهين وقرا لانقطاع النظم انفصال الفاء اليم النعيم للحال والعامل معنى الفعل في لهم منها لان التقدير وعد الله وعدا حقا الحكيم دابه للعدول كريم دونه مبين نصف الجزو لله لنفسه حميد بالله وقد توقف على لا تشرك على حمل الثناء للقسم وهو تكلف عظيم لانقطاع مع تعلق ان اشكر بوصينا ولوالديك المصير معروفا للعدول عن بعض المامور الى الكل مع اتفاق الجملتين الى الان ثم لترتيب الاخبار تعملون بها الله خبيرا اصابك الامور للاية ووقوع العارض مع عطف المتفقتين مرحا فخور لما ذكرنا من صوتك الحمير **التفسير** لما قال في اخر السورة المتقدمة ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وكان فيه اشارة الى اعجاز القران ودل ما بعده الى تمام السورة على انهم مصرون على كفرهم اكد تلك المعاني في اول هذه السورة وتفسيره الى المفلحون كما في اول البقرة الا قوله تلك ايات الكتاب الحكيم فانه مذكور في اول يونس وحيث زاد ههنا ورحمة قال للمحسنين فان الاحسان مرتبة فوق التقوى لقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ولقوله سبحانه ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون للذين احسنوا الحسنى وزيادة ومما يؤيد ما قلنا انه لم يقل هنا يؤمنون بالغيب لئلا يلزم شبه التكرار فان الاحسان لا مزيد عليه في باب العقائد ثم حكى حال المعرضين عن الحق بقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاضافة بمعنى من اي الحديث الذي هو لهو ومنكر وجوز في الكشاف ان يكون من للتبعيض اي يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو وفيه نظر لانه يصح هذا التاويل في قولنا خاتم فضة وليس بمشهور قال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا ان انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه ويقول هذا خير مما يدعوك محمد اليه من الصلوة والقيام وان يقاتل بين يديه فعلى هذا معنى ليضل بضم الياء ظاهر ومن قرا بالفتح فمعناه الثبات على الضلال او الاضلال نوع من الضلال وقوله بغير علم متعلق بيشتري كقوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي بالتجارة قاله في الكشاف وغيره ولا يبعد عندي تعليقه بقوله ليضل كما قال ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم قال المحققون ترك الحكمة والاشتغال بحديث اخر قبيح واذا كان الحديث لهوا لا فائدة فيه كان اقبح وقد يسوغه بعض الناس بطريق الاحماض كما نقل عن ابن عباس انه قال احمضوا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب ساعة فساعة والعوام يفهمون منه الترويح بالمطايبة وان كان الخواص يحملونه على الاشتغال بجانب الحق كقوله يا بلال روحنا ثم انه اذا لم يقصد به الاحماض بل يقصد به الاضلال لم يكن عليه مزيد في القبح ولا سيما اذا كان مع اشتغاله بلهو الحديث مستكبرا عن ايات الله التي هي محض الحكمة كما قال واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا ومحل كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا نصب على الحال قال جار الله الاولى حال من ضمير مستكبرا والثانية من لم يسمعها قلت هذا بناء على تجويز الحال المتداخلة والاقرب الجائز ان يكون كل منهما ومن مستكبرا حالا من فاعل ولى اي مستكبرا مشابها لمن لم يسمعها مشابها لمن في اذنيه وقرا وجوز ان يكونا مستانفين وتقدير كان المخففة كانه والضمير للشان قال اهل البرهان هذه الاية التي في الجاثية نزلتا باتفاق المفسرين في النضر لان الاية بالغ ههنا في ذمه لتركه استماع القران فقال بعد قوله كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا اي صمما لا يقرع مسامعه صوت فان عدم السماع اعم من ان يكون لوقر الاذن او بنحو قوله وترك الجملة الثانية في الجاثية لانه لم يبن الكلام هنالك على المبالغة بدليل قوله واذا علم من اياتنا شيئا والعلم لا يحصل الا بالسماع او ما يقوم مقامه من خط وغيره ثم بين وعيد اعداء الدين وبين حال اولياء الله بقوله ان الذين امنوا الاية وقد مر مثله مرارا في قوله وهو العزيز الحكيم اشارة الى انه لا غالب له ولا مناوي يعطي النعيم من يشاء والبوس من شاء حسب ما يقتضيه حكمته وعدله ثم بين حكمته وغرته بقوله خلق السموات بغير عمد وقد مر في اول الرعد وقوله القى في الارض مذكور في اول النحل ومن كل زوج كريم ذكر في اول الشعراء هذا الذي ذكر من السموات بكيفياتها والارض بهياتها وبسايطها ومن كائناتها خلق الله اي مخلوقاته فاروني ماذا خلق الذين من دونه من الالهة بزعمهم وهذا امر تعجيز وتبكيت فلهذا سجل عليهم بالضلال المبين ثم بين فساد اعتقاد اهل الشرك بانه مخالف ايضا لعقيدة الحكماء الذين يقولون على المعقول الصرف منهم لقمن بن باعورا بن اخت ايوب او ابن خالته او من اولاد آزر عاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت واكثر الاقاويل

انه كان حكيما عن ابن عباس لقمن لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته
وحكاها في القران وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وروى انه دخل على
داود عليه السلام وهو يسرد وقد لين الله الحديد فاراد ان يسئله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم
لبوس الحرب انت قال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وروى ان مولاه امره
بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين
فاخرج اللسان والقلب ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا ثم فسر الحكمة
بقوله ان اشكر لله لان ابتاء الحكمة في معنى القول قال العلماء هذا امر تكوين اى جعلناه شاكرا فان امر التكليف
يستوى فيه الجاهل والحكيم وفيه تنبيه على ان شكر المعبود الحق راس العبادة وسنام الحكمة وفايدته يرجع
الى العبد لا الى المعبود فانه غنى عن شكر الشاكرين مستحق للحمد وان لم يكن على وجه الارض حامد وحين بين
كماله شرع في بيان تكميله وذلك لابنه المسمى انعم او اشكم قيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال يعظهما حتى
اسلما ووجه كون الشرك ظلما عظيما انه وضع فيه اخس الاشيا وهو الغير المطلق موضع اشرف الاشيا وهو
الغنى المطلق ثم وصى الله سبحانه الانسان بشكر انعام الوالدين وبطاعتهما وان كانا كافرين الا ان يدعواه الى الاشراك
بالله وهذه جمله معترضه ينبط باعتراضها غرضان احدهما ان طاعة الابوين تالية لعبادة الله والثاني
تاكيد كون الشرك امرا قبيحا منكرا حتى انه يلزم فيه مخالفة من يجب طاعته وقوله حملته امه وهنا اى حال كونها
تهن وهنا على وهن اى ضعفا على ضعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا اعتراض في اعتراض
تحريضا على رعاية حق الوالدة خصوصا روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه قال قلت يا رسول الله من ابر قال
امك ثم امك ثم اباك وقوله وفصاله في عامين توقيت للفطام كما مر في البقرة في قوله والوالدات يرضعن اولادهن
حولين كاملين وفيه تنبيه اخر على ما كابدت الام من المشاق ومعنى معروفا اصحابا او مصاحبا معروفا على ما
يقتضيه العرف والشرع وفي قوله واتبع سبيل من اناب الى اشارة اخرى الى انهما لو لم يكونا منيبين الى الله لم يتبع
سبيلهما في الدين وان لزم طاعتهما في باب الدنيا وفي باب حسن الصحبة والعشرة اتفق المفسرين على ان هذه
الاية ونظيرها التي في العنكبوت وفي الاحقاف نزلت في سعد بن ابي وقاص وفي امه حمنة بنت سفين وذلك
انه حين اسلم قالت يا سعد بلغني انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت وان الطعام والشراب على حرام حتى
تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشكا اليه فنزلت هذه الايات فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترضاها بالاحسان وانما لم يذكر في
هذه السورة قوله حسنا لان قوله ان اشكر قام مقامه وانما قال ههنا وان جاهداك على ان تشرك لانه اراد وان حملاك
على الاشراك وقال في العنكبوت لتشرك موافقة لما قبله فانما يجاهد لنفسه مع ان مبنى الكلام هناك على
الاختصار وحين وصف نفسه بكمال العلم في خاتمة الاية فانبئكم بما كنتم تعملون اتبعه ما يناسبه ووصايا
لقمن وهو قوله يا بنى انها اى الهنة ان تك اى الهنة من الاساءة او الاحسان في الصغر كحبة الخردل ويجوز ان
ان يقال ان الهنة ان تك كحبة الخردل ومن قرا مثقال بالرفع فيتعين ان يكون الضمير في انها للقصة وتانيث تك
لاضافة المثقال الى الحبة روى ان ابن لقمان قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اى في مغاصه يعلمها الله
فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء سوال الصخرة لا بد
ان يكون في السموات او في الارض فما الفايدة في ذكرها الجواب على قول الظاهريين من المفسرين ظاهر لانهم قالوا
الصخرة هي التي عليها الثور وهي لا في الارض ولا في السماء وقال اهل الادب فيه اضمار والمراد في صخرة او في
موضع اخر من السموات والارض ومثله قول جار الله اراد فكانت مع صغرها في اخفى موضع او حرز كجوف الصخرة
او حيث كانت في العالم العلوى والسفلى وقال اهل التحقيق ان خفاء الشي يكون اما لغاية صغره واما لاحتجابه واما
لكونه بعيدا واما لكونه في ظلمة فاشار الى الاول بقوله مثقال حبة من خردل والى الثاني بقوله فتكن في صخرة والى
الثالث بقوله في السموات والى الرابع بقوله او في الارض وقوله يات بها الله ابلغ من قول القايل يعلمه وفيه
مع العلم بمكانها اظهار القدرة على الاتيان بها ان الله لطيف نافذ القدرة خبير بواطن الامور حيث منع الله
من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته امره بمكارم الاخلاق والعادات واولها الصلوة فيها تعظيم المعبود الحق

وبعدها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيهما تتم الشفقة على خلق الله وقوله واصبر على ما اصابك اى من اذيات
الخلق في البابين او هو مطلق في كل ما يصيبه من المصايب والمكاره ان ذلك المذكور من عزم الامور اى من معزومانها
من عزم الامر بالنصب اذا قطعه قطع ايجاب والزام ومنه العزيمة خلاف الرخصه او من عزم الامور الرفع اى جد وقد
مر في اخر العمران وحين امره بان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وكان يخشى عليه ان يتكبر على الغير بسبب كونه
مكملا له او يتحير في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه قال ولا تصعر خدك للناس يقال اصعر خده وصعره وصاعره
من الصعر بفتحتين وهو داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بكل وجهك تواضعا ولا تولهم شق الوجه
كعادة المتكبرين ومعنى لا تمش في الارض مرحا مذكور في سورة سبحان والمختال والفخور مذكوران في سورة
النساء والمختال هو الماشي لاجل الفرح والنشاط كالمصلحة ودنية او دنيويه والفخور هو المصرين ان الله لا يحبهما
فيجب الاجتناب عن الاتصاف بصفتهما ثم امره عند الاحتياج الى المشي بضرورة المشي القصد اى الوسط بين
التسرع والابطاء على قياس ساير الاخلاق والاداب فخير الامور اوساطها ومثله غض الصوت حين التكلم قال اهل
البيان في تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير التي هي مثل في البلادة حتى استهجن التلفظ باسمها في اغلب الامر وفي
تمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام عن اداة التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة تنبيهات على ان الافراط في رفع
الصوت من غير ضرورة ولا فايدة مكروه عند الله جدا واشتقاق انكر من النكر يكون على القياس لا من المنكر والحمير
جمع الحمار وانما لم يقل اصوات الحمير لان المراد كل جنس من الحيوان الناطق وغير الناطق له صوت وانكر اصوات هذه
الاجناس صوت افراد هذا الجنس قال بعض العقلاء من نكر صوت هذا الحيوان انه لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قيل
لا يصيح في اوقات عدم الحاجة يصيح وينهق واما ساير الحيوانات فلا يصيح الا لحاجة قالوا ومن فوايد عطف الامر
بغض الصوت على الامر بالقصد في المشي ان الحيوان يتوصل الى مطلوبه بالمشي فان عجز عن ذلك فبالتصويت والنداء
كالغنم يطلب السخلة ومنها ان الانسان له عقيدة ولسان وجوارح يتحرك بها كساير الحيوانات فاشار الى الاول
بقوله انها ان تك مثقال حبة اى اصلح ضميرك فان الله خبير واشار الى التوسط في افعال الجوارح بقوله واقصد في
مشيك الى التوسط في الاقوال بقوله واغضض من صوتك او نقول اشار بقوله اقم الصلوة الى الاوصاف الملكية
التي يجب ان يكون في الانسان بقوله فامر الى قوله مرحا الى الاوصاف الفاضلة الانسانيه وبقوله واقصد واغضض
الى الاوصاف التي يشاركه فيها الانسان ساير الحيوان والله اعلم التاويل ويؤتون الزكوة هي للعوام مقادير معينة
من المال كربع العشر من عشرين وللخواص اخراج كل المال في سبيل الله ولاخص الخواص بذل الوجود لنيل المقصود هو الحديث
قال الجنيد السماع على اهل النفوس حرام لبقاء نفوسهم وعلى اهل القلوب مباح لوفور علومهم وصفاء قلوبهم وعلى اصحابنا
واجب لفناء حظوظهم واذ قال لقمن لابنه السر المتولد من ازدواج الروح والقلب وهو يعظه ان لا يتصف
بصفات النفس العابدة للشيطان والهوى والدنيا في عامين يريد فطامه عنها لوقات الدارين وان جاهداك فيه
ان السر لا ينبغى له ان يلتفت الى الروح والقلب اذا اشتغلا بغير الله في اوقات الفترات فان الروح قد يميل الى
مجانسه من الروحانيات والقلب يميل تارة الى الروح واخرى الى النفس ولكنه يرجى الصلاح بعد الفترة اما لسر فانا
زال عن طبيعته وهو الاخلاص في التوحيد واصلاح حاله ممكن بعيد واتبع سبيل من اناب الى وهو الحق
انها ان تك حبة العشق الازلية من السعادة وضدها كصوت الحمير قالوا هو الصوت في تيكلم قبل وانه

الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض و
اسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في
الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ۝ واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان

يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور
ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله
عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل
اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني
الحميد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون
خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
الباطل وان الله هو العلي الكبير الم تر ان الفلك تجري
في البحر بنعمت الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا
الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة

الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة وينزل
الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير

القراءة نعمه على الجمع ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل وحفص والبحر بالنصب ابو عمرو ويعقوب
عطفا على اسم ان الاخرون بالرفع حملا على محل ان ومعمولها وان ما تدعون من الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف
وحفص وسهل ويعقوب وينزل الغيث بالتشديد ابو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم **الوقوف** وباطنة امنين
اباءنا السعير الوثقى الامور كفره عملوا الصدور غليظ ليقولن الله لا يعلمون والارض الحميد كلمات الله حكيم
واحدة بصير والفصل لان قوله كل مبتدا مع عطف وان على انا لو خبير الباطل الكبير من اياته شكور الدين مقتصد كفور
عن ولده لعطف الجملتين المختلفتين لفظا مع صدق الاتصال معنى شيا الدنيا وقفه للفصل بين الوعظتين العزور
الساعة لاختلاف الجملتين الغيث وان اتفقت الجملتان للفصل بين غيث وغيث الارحام لابتداء جملة منفية فيها
استفهام غدا لابتداء نفي مع تكرار نفس دون الاكتفاء بضميرها تموت **التفسير** لما ذكر ان معرفة الصانع غير مختصة
بالنبوة ولكنها توافق الحكمة ايضا ولو كانت تعبدا محضا لم يلزم قوله كيف وانها توافق اعادة الاستدلال بالامور المشاهدة
بالافاقية والانفسية ومعنى سخر لكم لاجلكم كما مر في سورة ابراهيم من قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الاية و
معنى اسبغ اتم والنعم الظاهرة كل ما يوجد للحس الظاهر اليه سبيل ومن جملتها الحواس نفسها والباطنة ما لا يدرك الا
بالحس الباطن او بالعقل او لا يعلم اصلا ومن المفسرين من يخص نحو مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء
ظاهرا وباطنة امداد الملائكة وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة
والعلم وقيل النفس ثم ذكر ان بعض الناس يجادلون في الله بعد ظهور الدلائل على وحدانيته وقد مر في اول الحج ثم
ذكر انه لا مستند له في ذلك الا التقليد ثم وبخه على جهله وتقليده بانه يتبع سبيل الشيطان ولو دعاه الى النار وبالا
او كان ومعناه ايتبعونهم ولو كان كذا ثم اراد ان يفصل حال المومن والكافر بعض التفصيل فقال ومن يسلم وجهه الى الله و
هو نظير قوله في البقرة بلى من اسلم وجهه لله والفرق ان معناه مع الى يرجع التفويض والتسليم ومع اللام يؤول الى الاخلاص
والاذعان والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيل كما مر في اية الكرسي وقوله نمتعهم الاية كقوله في البقرة ومن كفر فامتعه
قليلا ثم اضطره وغلظ العذاب شدته ثم بين انهم معترفون بالمعبود الحق الا انهم يشركون به وقد مر في اخر العنكبوت مثله
الا انه قال هناك اكثرهم لا يعقلون وذلك انه زاد هناك قوله وسخر الشمس والقمر فبالغ فان نفي العقل ابلغ من نفي العلم اذ كل عالم
عاقل ولا ينعكس ثم ذكر ان الملك كله له وهو غني على الاطلاق حميد بالاستحقاق وحين بين غاية قدرته اراد ان يبين انه
لا نهاية لعلمه فقال ولو ان ما في الارض الاية عن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود ان التورية فيها كل الحكمة وقيل
هو جواب المشركين ان الوحي سينفد وتقدير الاية على قراءة الرفع لو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا
بسبعة ابحر ويجوز ان يكون الجملة حالا واللام في البحر للجنس وجعل جنس البحار ممدودا السبعة لا للتقدير فان
كثيرا من الاشياء عددها سبعة كالسيارات السبعة وايام الاسبوع ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المومن
ياكل في معاء واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء اراد الاكل الكثير وقال في الكشاف جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة
وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهو يصب فيها مدادها ابدا صبا لا ينقطع قلت جعله الابحر سبعة تقديرا
بناء في قوله ابدا لا ينقطع وانما لم يجعل للاقلام مددا لان نقصان المداد بالكتابة اظهر من نقصان القلم وانما
لم يقل كلم الله على جمع الكثرة للمبالغة اذ يفهم منه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه وقيل اراد بكلماته عجائب
مصنوعاته الموجودة بكلمة كن وقد مر نظير هذه الاية في اخر الكهف ثم بين انه لا يصعب على قدرته كثرة الايجاد
والاعدام فان تعلق قدرته بمقدور واحد كتعلقها بمقدورات غير محصورة لان اقتداره لا يتوقف على
الدواعي والعدة وانما ذلك له ذاتي يكفي فيه الارادة ثم اكد ذلك بان سمعه يتعلق في زمان واحد بكل المسموعات
وكذا بصره بكل المبصرات عن ان يشغله شي عن شي ثم اعاد طرفا من دلائل قدرته مع تذكير قدرته مع تذكير بعض نعمه

فايلا لم توله وقد تقدم نظيره في الحج الى قوله الكبير قوله ههنا يجري الى اجل مسمى وقوله في فاطر والزمر لاجل مسمى
تؤدي الى معنى واحد وان كان الطريق مختلفا لان الاول معناه انها دهما الى وقت معلوم وهو الشمس اخر السنه
وللقمر اخر الشهر عن الحسن هو يوم القيمة لان اجريهما لا ينقطع الا وقتئذ والثاني معناه اختصاص الجري
بادراك اجل معلوم كما وصفنا ووجه اختصاص هذا المقام بالى وغيره باللام ان هذه
وللشا راليه بذلك هو ما وصف من عجيب قدرته او اراد ان الوحي اليه بسبب بيان
ان الله هو الحق قال بعضهم العلي اشارة الى كونه تماما وهو انه حصل له ما ينبغي ان يكون له والكبير اشارة الى
كونه فوق التمام وهو ان يحصل لغيره ما يحتاج اليه ثم اكد الايه السموية بالايه الارضيه ومعنى بنعمة الله باحسانه
ورحمته او بالريح الطيبه والتي هي بامره الله ان في ذلك الاجرا لايات لقوم لكل صبار وعلى الضرا شكور
في السراء ووجه المناسبة ان كلتا الحالتين قد يقع لراكب البحر او مبادر على النواهي والتروك شكور في
الافعال والاوامر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم ذكر ان بعض
الناس لا يخلص لله الا عند الشدايد وانما يوحد الموج وجمع الظلله وهي كل ما اظلك من جبل وسحاب لان
الموج الواحد يرى له صعود ونزول كالجبال الملتصقة وانما قال ههنا فمنهم مقتصد وقد قال فيما قبل اذا هم
يشركون لانه ذكر ههنا الموج وعظمته ولا محالة يبقى لمثله اثر في الخيال فيخفض شيا من غلوا الكفر والظلم و
يتبجح بعضا لانزجار ويليه ان يكون متوسطا في الاخلاص ايضا لاغالبا فيه وقيل مومن قد ثبت على ما عاهد
عليه الله في البحر والختار اشد الغدر ومنه قولهم لا يميد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر والختار في
مقابله الصبار لان الختر لا يصدر الا من عدم الصبر وقلة الاعتماد على الله في دفع المكروه والكفور طباق الشكور
وحين بين الدلايل وعظه التقوى وخوف من هول يوم القيمة ومعنى لا يجزي لا يقضي كما مر في اول البقرة وذكر تخصيص
في عله الشفقه والمحبة والوالد والولد لا يلزم منه الانتفاع بغيرهما بالاولى وفيه اشارة الى ما جرت به العادة
من الاب يتحمل الالام عن ابنه اما امكن وكانه قال لا يجزي فيه والد عن ولده شيا من الالام ولا مولود هو جان عن والده
شيا من اسباب الاهانه قال جار الله انما وردت الجملة الثانيه اسميه لاجل التوكيد وذلك ان الخطاب للمومنين
فاراد حسم اطماعهم ان يشفعوا ابآءهم الكفرة وفي توسط هو مزيد تاكيد وفي لفظ المولود دون ان يقول ولا ولد تاكيد
اخر لان الولد يقع على ولد الولد ايضا بخلاف المولود فانه لمن ولد منك فكانه قيل ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى
الذي ولد منه لم يقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه وقيل انما وردت الثانيه اسميه لان الابن من شانه
ان يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والوالد يجزي شفقة لا وجوبا ان وعد الله بمجي ذلك اليوم حق و عدم
نعيم جزا الوالد عن الولد وبالعكس حق والغرور بناء مبالغة وهو الشيطان انه لا ينبغي ان يغرنكم الدنيا بنفسها و
بزينتها في اعينكم عارض من الشيطان او النفس الامارة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس
وتلا قوله ان الله عنده علم الساعة الى اخرها وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى مناما كان خيالا اخرج يده
من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتاولها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك
حتى قال ابو حنيفه رحمه الله تاويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه قال
في التفسير الكبير ليس مقصود الاية انه تعالى مختص الناس من يوم القيمة كان لقايل ان يقول متى الساعة فذكر
ان هذا العلم لا يحصل لغيره ولكن هو كاين لدليلين ذكرهما مرارا وهو انزال الغيث المستلزم لاحياء الارض وخلق
الاجنه في الارحام فان القادر على الابدا قادر على الاعاده بالاولى ثم انه كانه قال ايها السايل ان لك اشياء اهم
منها لا تعلمها فانك لا تعلم معاشك ومعادك فلا تعلم ماذا تكسب غدا مع انه فعلك وزمانك ولا تعلم اين تموت
مع انه شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام ساعة والسر في اخفا الساعة وفي اخفا وقت الموت بل مكانه هو انه ينافي
التكليف كما مر في اول طه ولو علم المكلف مكان الموت لامن الموت اذا كان في غيره والسر في اخفاء الكسب في
غير الوقت الحاضر هو ان يكون المكلف ابدا مشغول السر بالله معتمدا عليه في اسباب الرزق وغيره روي ان ملك
الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني وسال
سليمان ان يحمله على الريح الى بلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان
اقبض روحه بالهند وهو عندك قال جار الله جعل العلم لله والدرايه للعبد لما في الدرايه من معنى الختل والحيله

كانه قيل بها لا تغرق وان اعملت حيلها وقرى بايه ارض والافصح عدم بانثه التاويل واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة هي تسخير ما في السموات وما في الارض العلويه والسفليه البسيطه والمركبه وباطنه وهي تسخير ما في
سموات القلوب من الصدق والاخلاص والتوكل والصبر والشكر وساير المقامات القلبيه والروحانيه بان يسر
العيون عليها بالسكون المتدارك بالحديد والانتفاع لنا منها والاجتناب عن مضارها وتسخير ما في ارض النفوس في
اضداد الاخلاق المذكورة بتبديلها بالحميدة والتمتع بخواصها والتجرد عن افاتها ثم يخطرهم لقنا داسعدا دسم تجري
في البحر بنعمة الله سلامتهم في الظاهره معلومه واما في الباطن فنجاتهم بسفاين العصمه من بحار القدر داو سفينه الشريعه
بملابسه واذا اتاهم طمت عليهم امواج بحار القديم ثم نجوا ان يلفظهم نفحات الالطاف في سواحل الاعطاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ● تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ●
ام يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ● الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من
من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون ● يدبر الامر
من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون ● ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز
الرحيم ● الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ● ثم سويه و
نفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون ● وقالوا ءاذا ضللنا في الارض ءانا
لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون ● قل يتوفيكم

ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا
لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول منى لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء
يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم
تعملون انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات
الماوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماويهم
النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم
ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من
المجرمين منتقمون ولقد اتينا موسى الكتاب فلا
تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل

وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا
يوقنون ان ربك يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم
من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات افلا
يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج
به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون و
يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح
لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض
عنهم وانتظر انهم منتظرون **القراءة** خلقه

بفتح اللام عاصم وحمزة وعلى وخلف
ونافع وسهل الاخرون بالسكون على البدل من كل شئ وعلى الاول يكون وصفا له اذا اننا كما فى الرعد ما اخفى بسكون اليا على
انه فعل مضارع متكلم حمزة الباقون بفتحها على انه فعل ماض مجهول لما صبروا بكسر اللام وتخفيف الميم وعلى ورويس الباقون
بفتح اللام وتشديد الميم اولم يهد بالنون زيد عن يعقوب **الوقوف** آخر كوفى العالمين لان ام الاستفهام تقريع غير عاطفة
بل هى منقطعة افتريه لعطف الجملتين المختلفتين يهتدون العرش شفيع يتذكرون تعدون الرحيم من طين لان ثم
لترتيب الاخبار مهين لذلك والافئدة تشكرون جديد كافرون ترجعون عند ربهم لحق القول المحذوف موقنون اجمعين
هذا للابتداء بان مع تكرار وذوقوا تعملون لا يستكبرون **سجدا** وطمعا لانقطاع النظم بتقديم المفعول ينفقون اعين
لا نجزاء يعملون النار يكذبون يرجعون عنها منتقمون اسرائيل وان اتفقت الجملتان للعدول عن ضمير المفعول الاول وهو
واحد الى ضمير الجمع فى الثانيه صبروا لمن شدده لما يوقنون يختلفون **ربع الجزء** مساكنهم لايات يسمعون وانفسهم يبصرون صادقين
ينظرون منتظرون **التفسير** لما ذكر فى السورة المتقدمة دلائل الوحدانية ودلايل الحشر وهما الطرفان بدا فى هذه السورة
ببيان الامر الاوسط وهو الرسالة المصححة ببرهان القران واعرابه وتيب من قوله الم ذلك الكتاب وقال جار الله ان قوله
تنزيل الكتاب مبتدا خبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فيه راجع الى مضمون الجملة اى لا ريب فيه فى
كونه منزلا من عنده ويمكن ان يقال فى وجه النظم لما عرف فى اول السورة المتقدمة ان القران هدى ورحمة قال ههنا من رب
العالمين وذلك ان من عثر على كتاب سال انه فى اى علم فاذا قيل انه فى الفقه او التفسير سال انه تصنيف اى محقق ففى تخصيص
رب العالمين بالمقام اشارة الى ان كتاب الله رب العالمين يجب ان يكون فيه عجايب العالمين فيرغب المغبون فى مطالعته
ثم اضرب عما ذكر قايلا ام يقولون افتريه وهو تعجب عن قولهم لظهور امر القران فى تعجيز بلغائهم عن مثل سورة الكوثر ثم
اضرب عن الانكار الى الاثبات انه الحق من ربك ومعنى لتنذر قوما قد مر فى القصص ويندرج فيهم اهل الكتاب اذ
تصدق عليهم انه لم ياتهم نذير بعد ضلالهم سوى محمد ولم يند رجوا لم نص فان تخصيص قوم بالذكر لا يدل على نفى من عداهم كقوله وانذر
عشيرتك الاقربين وحين بين الرسالة بين ما على الرسول من الدعا الى التوحيد فقال الله وهو مبتدا خبره ما يليه وقد مر
نظايره وقوله ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع اثبات للولاية والشفاعة اى الفير من عنده لما من غيره وفيه تجهيل للعبدة
الاصنام الزاعمين انها شفعاؤهم بعد اعترافهم بان خالق الكل هو الله سبحانه ولما بين الخلق شرع فى الامر فقال يدبر الامر
اى المامور من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم يعرج اليه ذلك العمل فى يوم طويل وهو كناية

فلها الاخلاص لانه لايوصف بالصعود ولايقوى على العروج الا العمل الخالص يويد هذا التفسير قوله فيما بعد قليلا
ما تشكرون او يدبر الامر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة ثم يصعد اليه مكتوبا في المصحف
في كل جزء من اجزاء ذلك اليوم الى الحزه ثم يدبر الامر ليوم اخر مثله وهلم جرا او ينزل الوحي مع جبرائيل ثم يرجع اليه ما كان من قبول
الوحي ورده مع جبرائيل ايضا وتقدير الزمان بالف سنة لان ما بين السما والارض مسيرة خمسمائة عام وان الملك
يقطعهما في يوم واحد من ايامنا وقيل انه اشارة الى نفوذ الامر فان نفاذ الامر كلما كان في مدة اكثر كان حاله اعلى
اي يدبر الامر في زمان يوم منه الف سنة فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة وكم يكون دهر منه فلا فرق على هذا بين الف
كما في المعارج وقيل ان هذه عبارة عن الشدة واستطالة اهلها اياها كالعادة في استطالة ايام الشدة والحزن
واستقصار ايام الراحة والسرور وخصت السورة بقوله الف سنة موافقة لما قبله وهو قوله في ستة ايام
وتلك الايام من جنس هذا اليوم وخصت سورة المعارج بقوله خمسين الف سنة لان فيها ذكر القيمة واهوالها
فكان هو اللايق بها وعن عكرمة ان اليوم في المعارج عبارة عن اول ايام الدنيا الى انقضائها فانها خمسون الف
سنة لا يدري احدكم مضى وكم بقي الا الله عز وجل وبالجملة فالاية المتقدمة تدل على عظم عالم الخلق وسعة مكانه
والاية الثالثة تدل على عظم عالم الامر والامتداد زمانه ثم بين انه مع غاية عظم ملكه وملكوته عليم بامر العالمين
وكان ذلك عالم الغيب والشهادة وفي قوله العزيز الرحيم اشارة الى صفتي القهر واللطف اللتين ينبغي ان يكون الكل
ملك ولعل اخر الرحيم مع ان في رحمته سبقت غضبه ليوصله بقوله الذي احسن كل شيء خلقه نظيره الذي اعطى كل
شيء ثم هدى وقدمر في طه وعطف عليه تخصيصا بعد تعميم خلق الانسان وهو ادم بدليل قوله ثم جعل
نسله ذريته لانها ينسل منه اي ينفصل والسلالة الخلاصة كما ذكرنا في اول المؤمنين وقوله من ماء يدل من
سلالة والمهين الحقير ومعنى سواه قوم وادارة في الاطوار الى حيث صلح لنفخ الروح فيه ثم عدل من الغيبة
الى الخطاب في قوله وجعل لكم تنبيها على حاسة نعم هذه الخوارج وتوبيخا على قلة الشكر عليها ثم بين عدم شكرهم
بانكارهم المعاد بعد مشاهدة الفطرة الاولى وليست الثانية باصعب منها والواو للعطف على ما سبق كانهم قالوا
ان محمدا مفترى وقالوا الله ليس بواحد وقالوا اذا معنى انهم واسلافهم زعموا ان الحشر غير ممكن ومعنى ضللنا في
الارض غبنا فيها اياما بالدفن واما بتفرق الاجزاء وتلاشيها والعامل في اذا ما يدل عليه قوله انا لفي خلق جديد و
هو نبعث او نجدد خلقنا ثم صرح باثبات كفرهم على الاطلاق واللقاء لقاء الجزاء الشامل لجميع احوال الاخرة ثم رد
عليهم قولهم بالفوت بانه يتوفاهم ملك الموت الموكل بقبض الارواح ثم ترجعون الى حكم الله وحده ثم بين ما يكون
من حالهم عند الرجوع بقوله ولو ترى انت يا محمد او كل من له اهلية الخطاب اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم خجلة
وندامة قائلين ربنا ابصرنا ما كنا شاكين فيه في وقوعه وسمعنا منك الصديق رسلك وجواب لو محذوف وهو لرأيت
امرا فظيعا ويجوز ان يكون لو للتمني كانه جعل لنبيه تمنيا ان ابرهيم على تلك الصفة الفضيحة من الخجل
والهوان ليشمت بهم ثم انه سبحانه الزمهم والجمهم بقوله ولو شئنا الاية وفيه انه لو ردهم الى الدنيا لم يهتدوا والا انهم
خلقوا لجهنم القهر وقد مر نظيره في اخر هود ثم اكد اهانتهم بقوله فذوقوا وانتصب هذا على انه مفعول فذوقوا
وقوله لقاء مفعول نسيتم اي ذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم وذهبتم عنه بعد وضوح الدلائل
او تركتم الفكر فيه ويجوز ان يكون هذا صفة يومكم ومفعول ذوقوا محذوف وهو العذاب لقاء مفعول
نسيتم او هو مفعول فذوقوا على حذف المضاف اي تبعة لقاء يومكم ويكون نسيتم متروك المفعول ومحذوفه
وهو الفكر في العاقبة وقوله انا نسيناكم من باب المقابلة والمراد تركهم من الرحمة نظيره نسوا الله فنسيهم
وقوله عذاب الخلد من باب اضافة الموصوف الى الصفة في الظاهر نحو رجل صدق ثم ابرهم على سبيل الاهانة
تذوقوا عذاب الخزي والخجل تذوقوا العذاب المخلد اعاذنا الله منه بفضله العميم ثم ذكر ان الايمان بايات
الله من شان المخلصين من عباده الصالحين خروا لله شكرا وتواضعا حين وعظوا بانه منزهين له عما لا
يليق بجلاله ملتمسين بحمده غير مستكبرين عن عبادته تتجافى جنوبهم عن المضاجع ترتفع وتتنحى عن مواضع
النوم داعين ربهم او عابدين له خوفا من اليم عقابه وطمعا في عظيم ثوابه وفسره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقيام الليل وهو التهجد قال اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق
كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم في المضاجع فيقومون وهم

قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى
الجنة ثم يحاسب ساير الناس وعن علي كرم الله وجهه: جنبي تتجافى عن الوساد ؛ خوفا من النار والمعاد ؛ من خاف
من سكرة المنايا ؛ لم يدر ما لذة الرقاد ؛ قد بلغ الزرع منتهاه ؛ لابد للزرع من حصاد ؛ عن انس بن مالك كان اناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين
يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها وما في قوله ما اخفي موصولة ويجوز ان يكون استفهامية بمعنى اي شيء
والمعنى لا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك مما تقر به
عيونهم حتى تطمح اليه غيره ولا يطلب الفرج بما دونه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم عملا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت قال
المحققون انه يصدر من العبد اعمال الصالحة وقد صدر عن الرب اشياء سابقة من الخلق والتربية وغيرهما والاشياء
لاحقة من الثواب والاكرام فلله تعالى ان يقول انا احسنت اولا والعبد احسن في مقابلته فالثواب تفضيل
عن غير عوض وله ان يقول الذي فعلته اولا تفضل فاذا اتى العبد بالعمل الصالح جزيته خيرا لان جزاء الاحسان
احسان وهذا الاعتبار الثاني اليق بالكرم ليدنو العبد لذة الاجر والكسب والاعتبار الثاني اليق بالعبودية حتى
يرى الفضل لله في جانب الابد فاذن لا ينقطع المعاملة بين الله وبين العبد ابدا ويكون العبادة لهم في الاخرة
بمنزلة النفس كالملائكة ويروى انه شجر بين علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد
اسكت فانك صبي فقال له علي اسكت فانك فاسق وانزل الله تعالى فيهما خاصة وفي امثالهما من الفريقين عامة
فمن كان مؤمنا الى اخر ثلث ايات او اربع ومن في اول الاية محمول على اللفظ وفي قوله لا يستوون محمول على المعنى ثم فصل عدم
استوائهما بقوله واما الذين فسقوا وجنات المأوى نوع من الجنان مأوى الشهداء وارواح الشهداء على قول ابن عباس وقال بعضهم
عن يمين العرش وفي لام التمليك في لهم مزيد تشريف وايذان بانهم لا يخرجون منها كما لا يخرج المالك من ملكه ولهذا لو قيل
هذه الدار لزيد يفهم منه الملازمة بخلاف ما لو قيل اسكن هذه الدار فانه يحمل على الاعارة قال تعالى لابينا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة لانه كان في علمه انه يخرج منها وانما قيل ههنا عذاب النار الذي كنتم به وفي سبا عذاب النار التي
كنتم بها لان النار في هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقديم ذكرها والكنايات لا توصف فوصف العذاب وفي
سبا لم يتقدم ذكر النار وتكذيبهم العذاب هو انهم كانوا يقولون في الدنيا انه لا عذاب في الاخرة ويحتمل ان يراد
بالتكذيب انهم يقولون في الاخرة اول ما يحسهم النار انه لا عذاب اشد مما هم فيه وعلى هذا يمكن ان يراد بالخروج
منها والاعادة هو ان ابدانهم تالف النار فيقل الاحساس بها فيعيد الله عليهم احساسهم الاول فيزيد المهم
ومن هنا قالت الحكماء ان الاحساس بحرارة حمى الدق اقل من الاحساس بحرارة الحمى البلغمية مع ان نسبة الدق الى الثانية
نسبة المنام الى الماء المحمي ونظيره ان الانسان يضع يده في الماء البارد فيتالم اولا ثم اذا صبر زمانا طويلا زال ذلك
لبطلان حسه ثم ختم على نفسه انه يذيقهم عذاب الدنيا من القتل والاسر والقحط قبل ان يصلوا الى عذاب الاخرة وعن
مجاهد ان الادنى هو عذاب القبر وانما لم يقل الاصغر في مقابلة الاكبر والابعد الاقصى في مقابلة الادنى لان
الغرض هو التخويف والتهديد وذلك انما يطلب بالقرب لا بالاصغر ولا بالكبر لا بالبعد ومعنى قوله لعلهم يرجعون
والترجي على الله محال لنذيقنهم اذاقة الراجين رجوعهم عن الكفر والمعاصي كقوله انا نسيناكم اي تركناكم كما يترك الناسي حيث
لا يلتفت اليه اصلا اي نذيقهم على الوجه الذي يفعل الراجي من التدريج ونذيقهم اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون
نبه قال في التفسير الكبير ان الرجاء في اكثر الامر يستعمل فيما لا يكون عاقبته معلومة فتوهم الاكثرون انه لا يجوز اطلاقه
في حق الله تعالى وليس كذلك فان الجزم بالعاقبة انما يحصل في حقه بدليل منفصل لا من نفس الفعل فان التعذيب لا يلزم
منه الرجوع لزوما بينا قلت هذا يرجع الى التاويل الاول فان الكلام في تعذيب الله هل هو يستدعي الرجوع على سبيل
الرجاء ام لا او كون مطلق التعذيب مستدعيا لذلك لا يكفي للسائل وقالت المعتزلة لعل من الله ارادة وارادة الله على العباد
لا يقدح في اقتدار الله اذا لو يختر العباد مراد الله كانهم لو يختاروا التوبة والرجوع عن الكفر والا لم يكونوا ذائقين العذاب
الاكبر وانما يقدح في اقتداره اذا تعلقت ارادته بفعل نفسه او بفعل المضطر المقسور ثم لا يوجد ذلك الفعل وفي
الكشاف ان يراد لعلهم يريدون الرجوع الى الدنيا ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا سميت ارادة الرجوع رجوعا

كاسميت اراده القيام قياما في قوله اذا قمتم الى الصلوة ثم بين انهم اذا ذكروا بد لا له اولا والمنعم ثانيا وهو العذاب
الادنى ثم لم يومنوا فلا احد اظلم منهم ومعنى ثم انه ذكر مرات بالاخرة اعرض عنها والفا وذلك في سورة الكهف
يدل على الاعراض عقيب التذكير وقد سبق وقال اهل المعاني ثم ههنا يدل على ان الاعراض بعد التذكير مستبعد في
المعقول قال المحققون الذي لا يحتاج في معرفة الله عدل كقوله او لم يكف بربك انه على كل شي شهيد وكما قال
بعضهم ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله والذي يحتاج في ذلك الى التامل الافاق والانفس متوسط في الذي
هو عند الشدة ويجحد عند الرحمة ظالم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه والذي يبقى على الجحود والاعراض
وان عذاب فلا اظلم منه وحين جعله اظلم كل ظالم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم ليدل على اضانه الاظلم النصيب
الاوفر من الانتقام ولو قال انا منهم منتقمون لم يكن بهذه الحيثية في الافادة ثم عاد الى تاكيد اصل الرسالة مع تسلية
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب قال جار الله اللام للجنس ليشمل التورية والفرقان والضمير في
لقائه للكتاب اي اتينا موسى مثل ما اتيناك ولقينا مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله
واللقاء بمعنى التلقين والاعطا كقوله وانك لتلقى القران وقيل الضمير في لقائه لموسى اي من لقائك موسى ليلة المعراج
او يوم القيمة او من لقاء موسى الكتاب وهو تلقيه بالرضا والقبول والضمير في جعلناه للكتاب على انه منزل على موسى
واستدل به على ان الله تعالى جعل التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل ثم حكى ان منهم من
من اهتدى حتى صار من ائمة الهدى وذلك حين صبروا او لصبرهم على متاعب التكليف ومشاق الدعا الى الدين بعد
ايقانهم به وفيه ان الله تعالى سيجعل الكتاب المنزل على نبينا ايضا مبنيا للاهتداء والهداية وكان كما اخبر ومثله اخبار
النبي صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ولا يخفى ان التبعيضية في قوله وجعلنا منهم كانت تدل على ان
بعضهم ليسوا ائمة الهدى وفيه رمز الى ان بعضهم كانوا ائمة الضلال فلذلك قال ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم الاية
وفيه اشارة الى انه سبحانه سيميز الحق في كل دين من المبطل ثم اعاد اصل التوحيد مقرونا بالوعيد قايلا اولم يهد لهم
وقد مر نظيره في اخر الاية ان في ذلك لايات على الجمع ليناسب القرون والمساكن وانما قال افلا يسمعون لانه يقدم
ذكر الكتاب وهو مسموع وفيه اشارة الى انه لا حظ لهم منه الا السماع وحين ذكر الاهلاك والتخريب اتبعه ذكر
الاحياء والعمارة ومعنى سوق الماء سوق السحاب وفيه الماء الى الارض الجرز وهي التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم
الماء واما لانه رعي وازيل قال جار الله ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز بدليل قوله فنخرج به زرعا عن ابن عباس انها
ارض اليمن والضمير في به للماء وانما قدم الانعام ههنا على الانفس لان الزرع لا يصلح اوله الا للانعام وانما يحدث الحب
في اخره وقال في طه كلوا وارعوا انعامكم لان الازواج من النبات اعم من الزرع وكثير منه يصلح للانسان في اول الظهور
مع ان الخطاب لهم فناسب ان يقدموا وانما ختم الاية بقوله افلا يبصرون تاكيدا بقوله في اول الاية اولم يروا ثم حكى
نوع جهالة اخرى عنهم وهو استعجالهم العذاب قال المفسرون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين في يقضي علينا
او يفتح بيننا وبينهم اي يفصل فاستعجل المشركون ذلك ويوم الفتح يوم القيمة لانه يفتح ابواب الامور المبهمة
او يوم بدر او يوم فتح مكة قاله مجاهد والحسن فان قلت كيف ينطبق قوله قل يوم الفتح الى اخره جوابا عن سؤالهم عن
وقت الفتح قلت الجواب انهم سالوا ذلك على وجه التكذيب والاستهزاء فقيل لهم لا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك
اليوم وامنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فلم تنظروا ومن فسر يوم الفتح بيوم بدر او بيوم فتح مكة فالمراد ان المقتولين
منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل ولا ينفع الايمان الطلقاء يوم الفتح مكة وناسا يوم بدر ثم امر نبيه بالاعراض
عنهم وانتظار النصر عليهم حين علم انه لا طريق معهم الا القتال نظيره قوله قل تربصوا فاني معكم من المتربصين التأويل
الالف الف المحبون بقربتي والعارفون بتجيدي ولا يصبرون عني ولا يانسون بغيري اللام لاحبائي ميم مخلوقاتي
فلا ابالي قاموا على وفاتي ام قصروا في وفاق الميم برك اوليائي مرادهم لمرادي فلذلك امرتهم على جميع عبادي تنزيل
الكتاب اعز الاشياء على الاحباب كتاب الاحباب انزله رب العالمين لاهل الظاهر على ظاهرهم ولاهل الباطن في باطنهم
فاستمعوا واسوره وتكلموا ابا الحق من الحق للحق فلم يفهمه اهل العزة والغفلة فقالوا افتريه خلق سموات الارواح و
ارض الاشباح وما بينهما من النفس والقلب والسر في ستة احايين هي الجماد والمعدن والنبات والحيوان والشيطان و
الملك ثم استوى على عرش الخفي وهو لطيفة ربانية قابلة للفيض الرباني بلا واسطة افلا يتذكرون كيف خلقكم في اطوار
مختلفة يدبر الامر من سماء الروح الى ارض النفس والبدن ثم يعرج اليه النفس المخاطبة بخطاب ارجعي الى ربك في يوم طلعت

فيه شمس صدق الطلب واشرقت الارض بنور جذبات الحق كان مقداره في العروج بالجذبة كالف سنة مما تعدون
من ايامكم في السير من غير جذبة كما قال صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وبدا خلق الانسان من طين
وخمر بيده اربعين صباحا فاودع فيه كل صباح خاصية نوع من انواع عالم الشهادة ثم جعل نسله من سلالة نسلها من اجزاء
عالم الشهادة ثم سويه شخص انسان هو حديد المراة ونفخ فيه من روحه فصار مراة قابلة لاراءة صفات جماله وجلاله
ثم تجلى فيها بجلي صفة السمعية والبصرية والعالمية التي مراتها السمع والابصار والافئدة ضللنا في ارض البشرية يتوفكم
ملك الموت وهو المحبة الالهية يقبض الارواح من صفات الانسانية ويميتها عن محبوبها بجذبة ارجعي ناكسوا رءوسهم
بالتوجه الى حضيض عالم الطبيعة كالانعام بعد ان كانوا رافعي الرؤس يوم الميثاق تتجافى جنوبهم همتهم عن مضاجع الدارين
جنات الماوى التي هي ماوى الابرار يكون نزلا للمقربين السايرين الى الله كنتم تكذبون لانه لم يكن به شعور في الدنيا لانكم
كنتم في نوم الغفلة والاشتغال بالمحسوسات العذاب الادنى اذا وقعت للسالك فترة او وقفة بعجب يداخله او ملال له
وسامة ابتلاه الله ببلاء في نفسه او ماله او مصيبة في اهاليه واقربايه واحبابه لعله انتبه من نوم الغفلة ويتدارك
ايام العطلة قبل ان يذيقه العذاب الاكبر بالخذلان والهجران فلا تكن في مرية من لقائه اي من انه يرى الرب بكرمه بعثك
حين قال اللهم اجعلني من امة محمد وان الروية مخصوصة بك وبتبعك لامتك ويحتمل ان يكون الخطاب في فلا تكن لموسى
القلب والضمير في لقائه لله وجعلنا موسى القلب هدى لبني اسرائيل صفات القلب وجعلنا منهم ائمة هم التقي
والخفي ان ربك هو يفصل بينهم لانهم عنده اعز من ان يحيل حكمهم الى احد من المخلوقين ولانه اعلم بحالهم من غيرهم
ولئلا يطلع على احوالهم غيره ولانه حليم للمحبة والرحمة فينظر في شانهم بنظر المحبة والرضاء ولانه عفو جواد يسوق
ماء الهداية الى ارض القلوب للينة ليسقي حدايق وصلهم بعد عودها وذبول المانوس من شهودها فيخرج به زرعا
من الواردات التي يصلح لتربية النفوس وهي الانعام ومن المشاهدات التي يصلح لتغذية القلوب ويقول المنكرون
لهذه الطايفة متى هذا الفتح اي الفتوح التي يدعونها قل لا ينفعكم ذلك اذ لم يقتدوا بهم ولم يهتدوا بهداهم
فاعرض عنهم ايها الطالب ولا تبال الا بالله والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ۝ ان الله
كان عليما حكيما ۝ واتبع ما يوحى اليك من ربك ان
الله كان بما تعملون خبيرا ۝ وتوكل على الله وكفى بالله
وكيلا ۝ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل
ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل
ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول

الحق وهو يهدي السبيل ● ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند
الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم
وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ● النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا ●
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى
وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ● ليسأل الصادقين
عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما ● يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا
اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ●
هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ● واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ●
واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي
بعورة ان يريدون الا فرارا ● ولو دخلت عليهم من اقطارها

ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ● ولقد
كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان
عهد الله مسئولا ● قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من
الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا ● قل من ذا الذي
يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ● قد يعلم الله
المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون
البأس الا قليلا ● اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم
ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت
فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد اشحة على الخير
اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله
يسيرا ● يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب
يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم
ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ●

القراءة بما يعملون خبيرا على الغيبة والغير المنافقين ابو عمرو واللائي بهمزة بعدها ياء وعلى وخلف وعاصم
وابن عامر بهمزة مكسورة فقط سهل ويعقوب ونافع وغير ورش من طريق البخاري وابن مجاهد وابو عون عن قنبل
اللاي بياء مكسورة فقط ابو عمرو وورش من طريق البخاري ويزيد وسائر الروايات عن ابن كثير وكذلك في مجادلة
والطلاق تظاهرون من المظاهرة وعاصم تظاهرون بحذف احدى تاء التفاعل حمزة وعلي وخلف مثله ولكن بادغام التاء
في الظاء ابن عامر الباقون تظهرون بتشديد الظاء والهاء بما تعملون بصيرا على الغيبة ابو عمرو وغير عباس وحمزة ويعقوب
بغير الف الحالين الباقون بالالف في الوقف وبغير الف في الوصل لا مقام بضم الميم حفص الاخرون بفتحها لاتوها
مقصورا من الاتيان ابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون بالمد من الايتاء الاعطاء يسئلون بادغام التاء في السين
من التفاعل يعقوب الباقون يسألون ثلاثيا الوقوف والمنافقين حكيما ربك خبيرا على الله وكيلا في جوفه
فصلا بين بيان الحالين المختلفين مع اتفاق الجملتين امهاتكم لذلك ابنائكم بافواهكم السبيل عند الله للشرط مع العطف
ومواليكم اخطأتم به لان التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم وكذا من كان خبر مبتدأ محذوف اي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه
الجناح وذلك للاستدراك رحيما امهاتهم معروفا مسطورا وعيسى ابن مريم للعطف غليظا صدقهم لان الماضي

لا ينعطف على المستقبل ولكن التقدير وقد اعد لهما نزوها بصيرا لاحتمال ان يكون المراد واذكروا اذ جاؤكم ولا
سيما على قراءة من قرأ يعملون على الغيبة الظنونا شديدا غرورا فارجعوا الظاهر الواو وان كانت للاستيناف
بعوره بناء على ان ما بعده ابتداء اخبار من الله ومن وقف على عوره وجعل ابتداء الاخبار من هناك لم يقف
فرارا يسيرا الادبار مسئولا قليلا رحمة ولا بصيرا الينا لاحتمال كون ما بعده استينافا او حالا الا قليلا
لان ما بعده حال عليكم لعطف الجملتين المختلفتين الموت فضلا بين تناقض الحالين الخير اعمالهم يسيرا لم
يذهبوا انبائكم قليلا **التفسير** لما امره في اخر السورة المتقدمة بانتظار الفرج والنصر امره في اول هذه
السورة بان لا يتقي غير الله ولا يطيع سواه قال جار الله عن قال قال ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت
ثلثا وسبعين اية فقال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها اية
الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما الى اخره اراد ابي انها من جملة ما نسخ في القران واما ما يحكى ان تلك الزيادة
كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة ومن تشريفات الرسول صلى الله عليه وسلم
انه نودي في جميع القران بالنبي او بالرسول دون اسمه كما جاء يا ادم يا موسى يا عيسى يا داود وانما جاء في الاخبار محمد
رسول الله تعليما للناس وتلقينا لهم انه رسول وجاء ما كان محمد ابا احد من رجالكم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد لان المقام تعيين وتشخيص واتاه استنباه مع قد ان لا يكون
القران خاليا عن ذكر اسمه العلم وحيث لم يقصد هذا المعنى ذكر بنحو ما ذكروه في النداء كقوله لقد جاءكم رسول النبي اولى
بالمؤمنين لقد كان لكم في رسول الله اسوة والمراد بقوله اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى ولو اريد الازدياد
جاز لان التقوى باب لا يبلغ اخره ولا يامن احد ان يصدر عنه ما يوافق التقوى ولا يطابق الدعوى ولهذا جاء قل
انما انا بشر مثلكم يوحى الي يعني انما يرفع عني الحجاب فينكشف لي الوحي واذا ارخي لدي الستر فاني كهيئتكم يروى انه صلى
الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكانت تحت اسلام يهود قريظة والنضير وغيرهم وقد بايعه ناس منهم على النفاق
وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم فنزلت وروي ان ابا سفين بن حرب واشياعه قدموا المدينة ايام المصالحة
فقالوا يا رسول الله ارفض الهتنا وندعك وربك فشق ذلك على المؤمنين فهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في
نقض العهد ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وكانوا يقولون له اي
يعطوه شطر اموالهم ان رجع عن دينه ان الله كان عليما بالصواب حكيما فيما امرك به من عدم اتباع رايهم واهوائهم
وحين نهاه عن اتباع الغير امره باتباع ما هو ارشد وصلاح وهو القران وبان يتق الله ويفوض اليه اموره فلا
فلا يخاف غيره ولا يرجو سواه ولما امر رسوله بما امر من تقوى الله وحده وقد ابتدر منه صلى الله عليه وسلم في
حكاية زينب زوجة دعيه زيد ما ابتدر قال على سبيل المثل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه كانه قال يا ايها
النبي اتق الله حق تقاته وهو ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المراد ليس له قلبان حتى يتقي باحدهما الله
وبالاخر غيره كما جاء في قصة زيد وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ثم اراد ان يدفع عنه قالة الناس بانه تعالى
لم يجعل دعي المرء ابنه تقدم على ذلك مقدمة وهي قوله وما جعل ازواجكم الى اخرها اي انكم اذا قلتم لازواجكم انت علي
كظهر امي لا يصرن الا باجماع الكل اما في الاسلام فلانه ظهار لا يحرم الوطء كما سيجيء في سورة المجادلة واما في الجاهلية
فلانه كان طلاقا حتى كان يجوز للزوج ان يتزوج بها ثانيا فكذلك قول القائل للدعي انه ابني لا يوجب كونه ابنا فلا تصير زوجته
زوجة الابن فلم يكن لاحد ان يقول في ذلك شيئا فلم يكن تخوفك من الناس وجه ولو كان امرا مخوفا ما كان يجوز ان يتخاف غير
الله اذ ليس لك قلبان في الخوف والفائدة في ذكر هذا القيد كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور من زيادة
التصوير للتاكيد ومعنى ظاهر امرأته قال لها انت علي كظهر امي كانه قال تباعد منها بجهة الظهار عدي بمن لتضمين
معنى التباعد وانما كنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكر البطن الذي تقارب الفرج فكنوا عنه بالظهر الذي يلازمه لانه
عموده وبه قوامه وقيل ان اتيان المرأة في قبلها من جانب ظهرها كان محذورا عندهم زعما منهم ان الولد حينئذ
يجيء احول فلقصد التغليظ شبهها المطلق بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه والدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي
يدعى ولدا شبه بفعيل الذي هو بمعنى فاعل كتقي واتقياء فجمع على افعلاء واعلم ان زيد بن حارثة كان رجلا من قبيلة كلب سبي
صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه
فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله ما

كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وكان يقال له ذو القلبين وقيل هو جميل الفهري
كان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فاكذب الله قولهما وضرب به مثلا في الظهار والتبني وقيل سهى
في صلوته فقال اليهود واهل النفاق لمحمد قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت فيمن يقول نفس
يامرني ونفس تنهاني ومعنى التنكير في رجل وزيادة من الاستغراقية التاكيد كانه قيل ما جعل الله لنوع الرجال
ولا لواحد منهم قلبين البتة ذلكم النسب قولكم بافواهكم اذ لا اصل شرعا لقول القائل هذا ابني وذلك اذا كان معروف
النسب حراما ان كان مجهول النسب وان كان نحو ابنته نسبه من المتبني ظاهرا ان امكن ذلك بحسب السن وان كان عبدا
له عتق وثبت النسب وان كان العبد معروف النسب عتق ولم يثبت النسب ثم بين ما هو الحق والهدى عند الله فقال
ادعوهم لابائهم اي انسبوهم اليهم فان لم تعلموا اباءهم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم فقولوا هذا اخي ومولاي يعني
الولاية في الدين ثم رفع الجناح اذا صدر القول المذكور خطاء على سبيل سبق اللسان وكذا ما فعلوه من ذلك قبل
ورود النهي ويجوز ان يراد العفو عن الخطاء فيتناول لعموم النهي وعده وكان الله غفورا للخاطي رحيما للعايد
لا سيما اذا تاب ثم انه كان لقائل ان يقول هب ان النبي لا يسمى ابنا اما اذا كان ادعيه شيء حسن فكيف يليق بالمروة
ان تطمح عينه اليه وخاصة اذا كان زوجته فلذلك قال في جوابه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم والمعقول
فيه انه راس الناس ورئيسهم فدفع خاصة بالاعتناء بشانه اهم كما ان رعاية العضو الرئيس وحفظ صحته
وازالة مرضه اولى والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ويعلم من اطلاق الاية انه
اولى بهم من انفسهم في كل شيء من امور الدين والدنيا وقيل ان اولى بمعنى ادنى واعطف كقوله صلى الله عليه وسلم ما من
مؤمن الا انا اولى به من امور الدين والدنيا اقرءوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وايما مؤمن هلك وترك مالا
فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا اي عيالا فالي ولما رفع بذره تحليل ازواج غيره له اذا تعلق قلبه
باحدهن رفع شانه بتحريم ازواجه على امته ولو بعد وفاته فقال وازواجه امهاتهم اي في هذا الحكم فانهن فيما وراء ذلك
كالاجنبيات وهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن ومن كمال عناية الله سبحانه بالمهمات لم يقل وهو ابو لهم وان جاءت هذه الزيادة
في قراءة ابن مسعود والمحرم زوجات المؤمنين عليهم ابدا الا ان يراد الابوة والشفقة في الدين كما قال مجاهد كل نبي
فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة قال المفسرون كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين
وبالهجرة لا بالقرابة فنسخ الله ذلك بقوله واولوا الارحام الاية وجعل التوارث بحق القرابة ومعنى في كتاب الله في
اللوح او في القران وهو هذه الاية او اية المواريث وقد سبق نظيره في اخر الانفال وقوله من المؤمنين اما ان يتعلق
باولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية الدينية ومن المهاجرين بحق الهجرة ثم اشار الى الوصية
بقوله الا ان تفعلوا اي الا ان تسدوا وتوصلوا الى اوليائكم في الدين وهم المؤمنون والمهاجرون معروفا بطريق
الوصية والحاصل ان الاقارب احق من الاجانب في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية
فانه لا وصية لوارث قال اهل النظم كانه سبحانه قال بينكم هذا التوارث والنبي لا يتوارث بينه وبين اقاربه فلذلك جعلنا
له بدل هذا انه اولى في حيوته بما في ايديكم ولعله اراد دليلا على قوله النبي اولى بالمؤمنين فذكر ان اولي الارحام بعضهم
اولى ببعض ثم لو اراد احد بر امرء صديقه صار ذلك الصديق اولى من قريبه كانه بالوصية قطع الارث وقال هذا مالي
لا ينتقل مني الا الى من اريده فالله تعالى كذلك جعل لصديقه من الدنيا ما اراد ثم ما يفضل منه يكون لغيره كان ذلك
الذي ذكر في الايتين في الكتاب وهو القران او اللوح مسطورا والجملة مستانفة كالخاتمة للاحكام المذكورة ثم اكد الامر
بالاتقاء بقوله واذ اخذنا اي واذكر وقت اخذنا في الازل من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم من
غير تفريط وتوان وقد خص بالذكر خمسة لفضلهم وقدم نبينا صلى الله عليه لافضليته وانما قدم نوحا في قوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك لان مقصود هناك وصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة
وكانه قال شرع الدين الاصل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم ومحمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث
عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير وانما نسب الدين القديم الى نوح لا الى ادم لان نوحا كان اصلا ثانيا للناس
بعد الطوفان وخلق ادم كان كالعمارة ونبوته كانت ارشادا للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب كما في
من نوح والله اعلم قال اهل البيان اراد بالميثاق الغليظ ذلك الميثاق بعينه اي اخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا
غليظا وهو مستعار من وصف الاجرام وقال اخرون هو سؤالهم عما فعلوا كما قال ولنسئلن المرسلين ولهذا لان الملك

اذا ارسل رسولا وامره بشيء وقبله كان ميثاقا فاذا اعلمه انه يسأله من حاله في اضاله واقواله يكون شديدا له في
الميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة وعلى هذا الحق ان يقال قوله في سورة النساء واخذن منكم ميثاقا غليظا
هو الاخبار بانهم مسئولون عنهن كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ثم بين الغاية من ارسال
الرسل فقال ليسأل الصادقين عن صدقهم الاية وفيه ان عاقبة المكلفين اما حساب واما عذاب لان الصادق محاسب
والكاذب معاقب كما قال علي كرم الله وجهه حلالها حساب وحرامها عذاب والصادقون على هذا التفسير هم الذين صدقوا
عهدهم يوم الميثاق حين قالوا بلى في جواب الست بربكم ثم قاموا على ذلك في عالم الشهادة او هم المصدقون للانبياء فان من
قال للصادق صدقت كان صادقا وجه اخر وهو ان يراد بهم الانبياء فيكون كقوله ولنسألن المرسلين وكقوله يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم وفايده مسئل الرسل تبكيت الكافرين كما قال جار الله قوله واعد معطوف على اخذنا كانه
قال اكد الله على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين واعد وعلى ما دل عليه ليسأل كانه قيل فاثاب المومنين
واعد للكافرين وفيه وجه اخر عرفت في الوقوف ثم اكد الامر بالاتقاء من الله وحده مرة اخرى فقال يا ايها الذين امنوا
اذكروا الاية وذلك ان في وقعة الاحزاب اشتد الامر على الاصحاب لاجتماع المشركين باسرهم واليهود باجمعهم وانهم
اهله وهزم عدوهم فينبغي ان لا يخاف غير الله القدير البصير وذكروا في القصة ان قريشا كانت قد اقبلت في عشرة
الاف من احزاب بني كنانة واهل تهامة وقايدهم ابو سفيان وقد خرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقايدهم
عيينه بن حصن وعامر بن الطفيل وهوازن وضامنهم اليهود من قريظه والنضير وحين سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين فضرب
معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنسا فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المسلمون كل ظن ونجم
النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا يقدر ان يذهب الى الغائط ومضى على
الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجاره حتى انزل الله النصر وذلك بان ارسل على اولئك الاحزاب
بتحزبه ريح الصبا في ليلة بارده شاتيه فسفت التراب في وجوههم وارسل جنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا
الفا فقلعوا الاوتاد وقطعوا الاطناب واطفاوا النيران واكفاوا القدور وتفرقت الخيول وكبرت الملائكة
في جوانب عسكرهم وقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا ومعنى من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق وهم
بنو غطفان ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل
محمدا ومعنى زيغ الابصار ميلها عن سننها واستوائها حيرة وعدولها عن كل شيء الا عن العدو فزعا وردعا والحنجرة
الحلقوم وبلوغ القلوب الحناجر اما ان يكون مثلا لاضطراب القلب ووجيبها وان لم تبلغها في الحقيقة واما ان
يكون حقيقة لان القلب عند الخوف يجتمع فينقلص ويلتصق بالحنجرة وقد يفضي الى ان يسد مخرج النفس فيموت
وانما جمع الظنون مع ان الظن مصدر لان المراد انواع مختلفة فظن المومنون الابتلاء والفتنة فخافوا الزلل
وضعف الاحتمال وظن المنافقون وضعفاء اليقين الذين في قلوبهم مرض وهم على حرف ما حكى الله عنهم وهو
قوله ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا كما حكينا عن معتب ومن فوائد جمع الظن ان يعلم قطعا ان فيهم من اخطاء الظن
فان الظنون المختلفة لا يكون كلها صادقة فاما ان يكون كلها صادقة واما ان يكون كلها كاذبة او بعضها فقط
والمقام مقام تقرير شايع الخوف واذ قالت طايفة منهم كعبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة او ارض
وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم اي لا قرار لكم ولا مكان ههنا تقومون او تقيمون فيه على القرابين
فارجعوا الى المدينة واهربوا من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم او ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا
فليست لكم يثرب ميراث بمكان ثم ان السامعين عزموا على الرجوع فاستاذنوا النبي وتعللوا بان بيوتنا عورة
اي ذات خلل لا يامن اصحابها السراق على متاعهم وانها معرضة للعدو فاكذبهم الله بقوله وما هي بعورة ثم
اظهر ما كمن في صدورهم فقال ان يريدون الا فرارا ثم بين مصداق ذلك بقوله ولو دخلت اي المدينة عليهم
من اقطارها او دخلت اي المدينة عليهم من اقطارها او دخلت عليهم بيوتهم من جوانبها واكنافها ثم سئلوا
الفتنة اي الارتداد والرجوع الى الكفر وقتال المسلمين لاتوها والحاصل انهم يتعللون باعوار بيوتهم ليفروا عن
نصرة رسول الله ولو دخلت عليهم هولاء العساكر المتحزبة التي يفرون منها بيتهم وبيوتهم من نواحيها كلها لاجل
النهب والسبي ثم عرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لما دعوا اليه وما تعللوا بشيء ويمكن ان يراد

ان ذلك الفرار والرجوع ليس لاجل حفظ البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله كمن يبذل
المال لكيلا يوخذ منه بيته فاذا اخذ منه البيت لا يبذله فاكذبهم الله تعالى بان الاحزاب لو دخلت بيوتهم فاخذوها
منهم لرجعوا من نصرة المسلمين فتبين ان رجوعهم عنك ليس الا لكفرهم ومقتهم الاسلام والضمير في قوله وما
تلبثوا بها يرجع الى الفتنة اي لم يلبثوا باتيان الفتنة او باعطائها الا زمانا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب
او لم يصحبوها الا قليلا ثم يزول ويكون العاقبة للمتقين ويحتمل عود الضمير الى المدينة اي وما لبثوا بالمدينة بعد
ارتدادهم الا قليلا فان الله يهلكهم وقوله ولقد كانوا الاية عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن
وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ان نزل فيهم ما نزل ثم ذكر ان عهد الله مسئول عنه وان ما
قضى الله وقدر من الموت حتف الانف او من القتل فهو كاين فالفرار منه غير نافع ولئن فرض ان الفرار نافع فمتعتم
بالتاخير لم يكن ذلك التمتع في مراتع الدنيا الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحايط مايل فاسرع فتليت له
هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب ثم اكد التقرير المذكور بقوله قل من ذا الذي يعصمكم الاية قال جار الله لا عصمة
الا من السوء فتقدير الكلام من يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او من يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
كقوله متقلدا سيفا ورمحا اي ومعتقلا رمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع والمعوقون
الذين يمنعون الناس من نصرة الرسول وهم المنافقون واليهود وهلم الينا معناه قربوا انفسكم الينا وقد مر في
الانعام في قوله قل هلم شهداءكم وقوله ولا ياتون معطوف على القائلين لانه في معنى الذين يقولون وقوله
الا قليلا اي لا اتيانا قليلا كقوله ما قاتلوا الا قليلا لعله الرغبة وعود الحذو والاشحة جمع شحيح وقيل معناه
اصابكم اي يظهرون الاشفاق على المسلمين قبل شدة القتال فاذا جاء الناس ترتعد فرايصهم وتدور اعينهم
كدوران عين من يغشى عليه من سكرات الموت وقيل اراد انهم يبخلون باموالهم وانفسهم فلا يبذلونها في سبيل
الله فاذا ذهب الخوف وجمعت الغنايم سلقوكم اي بسطوا اليكم السنتهم قائلين وفروا قسمتنا فانا قد شاهدنا
وقاتلنا معكم بنا نصرتم وبنا غلبتم عدوكم فهم عند الناس احين قوم واجدهم للحق واما عند صادرة الغنيمة فاشح
قوم واحدهم والحداد جمع حديد وكرر اشحة لان الاول مطلق والثاني مقيد بالخير وهو المال والثواب او الدين او الكلام
الجميل اولئك المنافقون لم يومنوا حقيقة وان امنوا في الظاهر فاحبط الله اعمالهم التي لها صورة الصلاح بان
اعلم المسلمين احوال باطنهم وكان ذلك الذي ذكر من اعمال اهل النفاق يسيرا على الله لا وزن لها عنده او كان ذلك الاحباط
عليه سهلا قال في الكشاف كان اعمالهم حقيقة بالاحباط يدعون اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف ويمكن
ان يقال اعدام الجواهر هين على الله فاعدام الاعراض ولا سيما بمعنى عدم اعتبار نتايجها اولى بان يكون هينا ثم قرر
طرفا اخر من جبنهم وهو انهم يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وقد ذهبوا فانصرف المنافقون الى المدينة منهزمين من بنا
على هذا الحسبان ومن جملة جبنهم وصفا احتمالهم انه ان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا انهم بادون اي خارجون
الى البدو وحاصلون فيما بين الاعراب حذرا من عيان القتال فيكون حالهم اذ ذاك انهم يسالون عن اخباركم قانعين من العيان
بالاثر ومن الحضور بالخبر ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا قتالا قليلا الا للعذر وعلى
سبيل الرياء والضرورة **التاويل** ان الله امر التكوين وكان متقيا من الازل الى الابد وكذا الكلام فيما يتلوه من النواهي والاوامر
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه لان القلب صدف دره المحبة الله لا تجتمع مع محبة الدنيا والهوى وغيرهما والقلب واحد
كما ان المحبة واحدة والمحبوب واحد وما جعل ازواجكم امهاتكم وادعياءكم ابناءكم فيه ان الحقايق لا تنقلب لا عقلا ولا
طبعا ولا شرعا وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به من معرفة الانساب فان النسب الحقيقي ما ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانه النسب الباقي كما قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبي ونسبي فحسبه الفقر ونسبه النبوة ولكن ما تعمدت قلوبكم بقطع
الرحم عن ابوة ببركة سنته وسيرته النبي اولى بالمومنين من انفسهم لانهم لا يقدرون على توليد انفسهم في النشاة الاولى
وكان ابوهم احق بهم من انفسهم في توليدهم من صلبه وازواجه وهن قلوبهم امهاتهم لانه لا يتصرف في قلوبهم بتصرف الذكور
في الاناث بشرط كمال التسليم ليقع من صلب النبوة نطفة الولاية في ارحام القلوب وادامهوا النطفة صانوها عن الافات
لئلا يسقط بادنى رايحة من روايح حب الدنيا وشهواتها فيرتدوا على اعقابهم وبعد النبي صلى الله عليه وسلم سائر اولياء
الدين بعضهم اولى ببعض لاجل التربية من المومنين بالنشاة الاخرى والمهاجرين عن وطن البشرية الا اذا ترك بالاخلاق الحميدة

وصارت من الاولياء بعد ان كانت من الاعداء فتحمل معها معروفا برفق من الارفاق واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم في
الازل ومنك يا محمد ولا بالجيبه ومن نوح بالدعوة ومن ابراهيم بالخله ومن موسى بالمكالمه ومن عيسى بن مريم بالعبديه
واخذنا الميثاق بالتاييد والتوفيق ليسال الصادقين سوال تشريف لا سوال تعنيف والصدق ان لا يكون في اعمالك
شوب ولا في اعمالك عيب ولا في اعتقادك ريب ومن امارته وجود الاخلاص من غير ملاحظه المخلوق وتصفيه
الاحوال من غير مداخله اعجاب وسلامه القول من المعاريض والتباعد عن التلبيس فيما بين الناس وادامه التبري
من الحول والقوه بل الخروج من الوجود المجادى شوقا الى الوجود الحقيقي اذ جاءتكم جنود الشياطين وصفات النفس
والدنيا وزينتها من فوقكم وهي الافات السماويه ومن اسفل منكم وهي المتولدات البشريه او من فوقكم وهي الدواعي الفانيه
في الدماغ ومن اسفل منكم هي الدواعي الشهوانيه فارسلنا عليهم ريحا من نكبات قهرنا وجنودا لم تروها من حفظنا و
عصمتنا عاهدوا الله من قبل الشروع في الطلب انهم لا يولون ادبارهم عند الجهاد مع الشيطان والنفس لحواسهم وسم الجوارح و
الجوارح كونوا اتباعا لنا ۝

لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ۝ ولما راى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
وما زادهم الا ايمانا وتسليما ۝ من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما
بدلوا تبديلا ۝ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا
رحيما ۝ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا
وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ۝ و
انزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف
في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان
الله على كل شيء قديرا ۝ يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن

سراحا جميلا ۝ وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة
فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما ۝ يا نساء النبي من
يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وكان ذلك على الله يسيرا ۝ ومن يقنت منكن لله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما
يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن
بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ۝ وقرن
في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن
الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ۝ واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان
لطيفا خبيرا ۝ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين
والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات
والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة
واجرا عظيما ۝ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله و
رسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله و
رسوله فقد ضل ضلالا مبينا ۝ واذ تقول للذي انعم الله عليه

وأنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد
منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان
امر الله مفعولا ○ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا
مقدورا ○ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ○ ما كان محمد ابا احد من
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ○

القراءة اسوة بضم الهمزة حيث كان عاصم وعباس الاخرون بكسرها فضعف بالنون وكسر العين العذاب بالنصب ابن كثير وابن عامر وقرا ابو عمرو ويزيد ويعقوب بالياء المضمومة والعين مفتوح ويرفع العذاب الاخرون مثله ولكن بالالف من المضاعفة وتعمل صالحا نؤتها على التذكير والغيبة حمزة وعلي وخلف وافق المفضل في يعمل وبالنون في الثاني وقرن بفتح القاف ابو جعفر ونافع وعاصم غير هبيرة الباقون بكسرها ولا تبرجن ان يبدل بتشديد الياء البزي وابن فليح ان يكون على التذكير عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام و حاتم بفتح التاء بمعنى الطابع عاصم الباقون بكسرها **الوقوف** كثيرا لابتداء المقضية الاحزاب لان قالوا جواب لما ربوله الثاني لاحتمال الاستيناف والحال اوجه وتسليما عليه لابتداء التفصيل مع الفاء ينتظر لاحتمال الحال وجواب الابتداء بالنفي رجح تبديلا الاعتداد حاتم عليهم رحيما للاية ولاحتمال الحال اى وقد ردخيرا القتال عزيزا للاية والعطف قريبا لاحتمال ان يكون ما بعده استينافا او حالا لم يطؤها قديرا جميلا عظيما ضعفين يسيرا للجزاء والبشرون مرتين لان التقدير وقد اعتدنا كريما معروفا للعطف ورسوله تطهيرا لو قوع العوارض بين المعطوف والحكمة خبيرا عظيما من امرهم مبينا للناس لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال تخشاه منهن وطرا مفعولا له من قبل مقدورا بناء على ان الذين وصف او بدلا الا الله حسيبا النبيين عليما **التفسير** لما فرغ من توبيخ المنافقين حث حاشا بالصلوة والزكوة ثم عاما في جميع الطاعات ثم علل جميع ذلك بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم فاستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر وانما اكد ازالة الرجس بالتطهير لان الرجس قد يزول ولم يطهر المحل بعد اهل البيت نصب على النداء وعلى المدح وقد مر في اية المباهلة انهم اهل عبا النبي صلى الله عليه وسلم لانه اصل وفاطمة لانها عليها السلام فرع والحسن والحسين بالاتفاق والصحيح ان عليا منهم لمعاشرته بيت النبي وملازمته اياه وورود الاية في شان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يغلب على الظن دخولهن فيهم والتذكير للتغليب و ان الرجال وهم النبي وعلي وابناه غلبوا على فاطمة وحدها او مع امهات المؤمنين ثم اكد التكاليف المذكورة بان ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي ومنازل الحكم والشرايع الصادرة من منبع النبوة ومعدن الرسالة ثم ختم الاية بقوله ان الله كان لطيفا خبيرا ايذانا بان تلك الاوامر والنواهي لطف منه في شانهن وهو اعلم بالمصطفين من عبيده المخصوصين بتاييده يروى ان ام سلمة او كل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران ولم يذكر

النسا نحن نخاف ان لا يقبل منا طاعة فنزلت ان المسلمين والمسلمات ذكر لهن عشر مراتب الاولى السلم والانقياد لامر الله والثانية الايمان بكل ما يجب ان يصدق به فان المكلف يقول اولا كل ما يقول الشارع وانا اقبله فهذا اسلام فاذا قال له شيئا وقبله صدق مقالته وصح اعتقاده ثم ان اعتقاده يدعوه الى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة ثم اذا امن وعمل صالحا كمل فكمل غيره ويامر بالمعروف وينصح اخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله والصادقين والصادقات ثم ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر يصيبه اذى فيصبر عليه كما قال في لقمن واصبر على ما اصابك اى بسببه ثم اذا كمل في نفسه وكمل غيره قد يفتخر بنفسه و يتعجب بعبادته فمنعه منه بقوله والخاشعين والخاشعات وفيه اشارة الى الصلوة لان الخشوع لوازمها قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فلذلك اردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع من شهوة البطن فضم الى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التي هي ممنوع منها في الصوم مطلقا وفي غير الصوم مما وراء الازواج والسراري ثم ختم الاوصاف بقوله و الذاكرين الله كثيرا يعني انهم في جميع الاحوال يذكرون الله ويكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم وحفظهم لوجه الله وانما وصف الذكر بالكثرة في المواضع فقال في اوايل السورة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا وقال في الاية والذاكرين الله كثيرا ويجيء بعد ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا لان الاكثار من الافعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الاغلب ولكن لا مانع من ان يذكر الله وهو اكل او شرب او ماش او نايم او مشغول ببعض الصنايع والحرف على ان جميع الاعمال صحتها او كمالها بذكر الله تعالى وهي النية قال العلماء العربية في الاية عطفان احدهما عطف الاناث على الذكور والاخر عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع قبله والاول يدل على اشتراك الصنفين في الوصف المذكور وهو الاسلام في الاول والايمان في الثاني من باب عطف الصفة فيؤول معناه الى ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم وحين انجر الكلام من قصة زيد اليهنا عاد الى الحديث قال الراوي خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت امها اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده وقال اهل النظم انه تعالى لما امر نبيه ان يقول لزوجاته انهن مخيرات فهم منه ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير فعليه ان يترك حق نفسه لحظ غيره فذكر في هذه الاية انه لا ينبغي ان يظن ظان ان هوى نفسه متبع وان زمام الاختيار بيد الانسان كما في حق زوجات النبي بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة ان يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فامر الله هو المتبع و قضاء الرسول هو الحق ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا لان المقصد هو الله والهادي هو النبي فمن ترك المقصد وخالف الدليل ضل ضلالا لا يرعوي بعده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابرها لا خطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لاجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك شيء منها فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتكبر علي لشرفها فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احد اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت في مسجدها فنزل القران فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار ولنرجع الى ما يتعلق بتفسير الالفاظ قوله للذي انعم الله عليه يعني زيدا انعم الله عليه بالايمان الذي هو اجل النعم وبتوفيق الاسباب حتى تبناه رسوله وانعمت عليه اى بالاعتاق وبانواع التربية والاختصاص وقوله واتق الله اى في تطليقها فلا تفارقها نهي تنزيه ولا تحريم او اراد اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وايذاء الزوج والذي اخفى النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه هو تعلق قلبه او موده مفارقة زيد اياها او علمه بان زيدا سيطلقها وعن عايشة لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية وذلك ان فيه نوع تخالف الظاهر والباطن في الظاهر وليس كذلك في الحقيقة لان ميل النفس ليس يتعلق باختيار الادمي فلا يلام عليه ولا هو مامور بابدائه والله

ابداه كان مقتضى النصح والاشفاق والخشيه والحيا من قالة الناس ان قلت النبي قالابى دوجه دعيه فهذا القدر موجب بقوله والله احق ان تخشاه فاوجياه الابرار سيئات المقربين فلعل الاولى بالنبي ان يسكت عن امساكه حذرا من عتاب الله على ترك الاولى كما سكت عن تطليقه حيا من الناس فالجار الله الوا وات في قوله وتخفى وتخشى والله للحال ويجوزان يكون للعطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفا خلافه وخشيه الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك قوله فلما قضى زيد منها حاجته ولم يبق له فيها رغبه وطلقها وانقضيت عدتها زوجناكها نفيا للحرج عن المومنين في مثل هذه القضه فان الشرع لا يستفاد من قول النبي يستفاد من فعله ايضا بل الثاني يوكد الاول الا يرى انه ذكر ما فهم منه حد النصب ثم لما لم يا كله نفى في النفوس وحيث اكل لحم الجمل طاب اكله مع انه لا يوكل في بعض الملل وكذلك الارنب وقوله اذا قضوا منهن وطرا يفهم منه نفى الحرج عند عدم قضاء الوطر بالطريق الاولى عن الخليل قضا الوطر بلوغ كل حاجه يكون فيها همر واراد بها في الايه الشهوه وقيل التطليق فلا اضمار على هذا وكان امر الله مفعولا مكونا لا محاله ومن جملته اوامره ماجرى من قضه زينب ثم نوح جانب النبي عن قالة الناس بقوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم واوجب له وسنة الله مصدر موكد لما قبله اى سن الله نفى الحرج سنه في الانبياء الذين خلوا وكان منهم من تحته ازواج كثيره كداود وسليمان وسيجى قضيتهما في سورة ص ومعنى قدرا مقدورا قضا مقضيا هكذا قاله المفسرون ولعل قوله وكان امر الله مفعولا اشارة الى القضاء وهذا الاخير اشارة الى القدر وقد عرفت الفرق بينهما مرارا وفي قوله ولا يخشون احدا الا الله تعريض بما صرح به في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه والخشيه الكائنه للعارف او المجاذب على الصغاير والكباير فيجب ان لا يخشى الا هو ثم اكد مضمون الاى المتقدمه وهو ان زيدا لم يكن ابنا له فقال ما كان محمد ابا احد وكان لقائل ان يقول اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم فلذلك قيل من رجالكم فخرجوا بهذا القيد من جهتين احديهما انهم لم يبلغوا مبالغ الرجال وبهذا الوجه يخرج الحسن والحسين ايضا عن النفى لانهما لم يكونا بالغين حينئذ والاخرى انه اضاف الرجال اليهم وهولاء رجاله لا رجالهم وكذا الحسن والحسين واراد الاب الاقرب ومعنى الاستدراك في قوله ولكن رسول الله هو ثبات الابوه من هذه الجهة لان النبي كالاب لامته من حيث الشفقه والنصيحه ورعاية حقوق التعظيم معه واكدها المعنى بقوله وخاتم النبيين لان النبي اذا علم ان بعده نبيا اخر فقد يترك بعض البيان والارشاد اليه بخلاف ما لو علم ان ختم النبوه عليه وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته معلوماته انه لا نبي بعد محمد ومجي عيسى في اخر الزمان لا ينافي ذلك لانه ممن نبي قبله او هو يجي على شريعة نبينا مصليا الى قبلته فكانه بعض امته **التاويل** لقد كان لكم في رسول الله اى كان في الازل اخرج ارواحكم من العدم الى الوجود عقيب اخراج متابعه رسوله

روح الرسول من العدم الى الوجود ولما خلق الله روحى او نورى ويجيا القرب الى روح الرسول والبعيد عنه يكون حال الاسوه وكل ما يجرى على الانسان من بدايه عمره من الافعال والاقوال والاخلاق والاحوال فمن كان يرجوا الله يكون عمله خالصا لوجهه ومن كان يرجوا اليوم الاخر يكون عمله للفوز بنعيم الجنان وكل هذه المقامات مشروط بالذكر وهو كلمة لا اله الا الله نفيا واثباتا وهما قدمان للسايرين الى الله وجناحان للطايرين بالله ولما راى المومنون الاحزاب المجتمعين على اضلالهم واهلاكهم من النفس وصفاتها والدنيا وزينتها والشيطان واتباعه قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ان ابتلاهم كل الانبياء والاولياء والامثل من المومنين رجال يتصرفون في الوجود بشرف المذكور في الايات صدقوا ما عاهدوا الله ان لا يعبدوا شيئا من الدنيا والعقبى فمنهم من قضى نحبه ووصل الى المقصد ومنهم من ينتظر الوصول وهو في السير وهذا حال المتوسطين وكفى بالله المومنين القتال نزع القهر اذهب على النفوس فانطلب شهواتها وعلى الشيطان فزدت كيده وعلى الدنيا فازالت زينتها وانزل الذين ظاهروهم اى عاونوا النفس والشيطان والهوى على القلوب من اهل الكتاب طالبي الرخص لارباب الطلب المنكرين احوال اهل القلوب من صياصيهم هي حصون تكبرهم وتجبرهم او انزل وهم من حصون اعتقاد ارباب الطلب كيلا يقتدوا بهم ولا يقتفوا اثارهم وقذف بنور قلوبهم النفوس والشياطين الرعب فريقا تقتلون وهم النفس وصفاتها والشيطان واتباعه وتاسرون فريقا وهم الدنيا وجاهها ومالها واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم لينفقوا في سبيل الله ويجعلوها بذرا من زرعة الاخرة وارضا لم تطوها بتركها مقامات كمالات لم يبلغوها فيبلغوها باستعمال الدنيا فان ذلك بعد الوصول لا يضر لانه يتصرف بالحق للحق قل لازواجك فيه اشاره الى ان حب الدنيا يمنعهن من صحبه النبي صلى الله عليه وسلم مع انهن محال النطفة الانسانيه في عالم الصوره فكيف لا يمنع حب الدنيا لاهل القلوب الذين ارحام قلوبهم محل النطفه الروحانيه

الروحانيه والاجر العظيم هو لقاء الله العظيم فمن احب غير الله وان كان الجنة نقص من الاجر بقدر ذلك الا محبه النبي صلى الله عليه وسلم لا محبه الجنه بالحظ دون الحق فيها ما تشتهي الانفس ومحبه النبي صلى الله عليه بالحق لا الحظ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومضاعفه العذاب سقوطهن عن قرب الله وعن الجنة كما ان ايتاء الاجر مرتين عبارة عن هذين وكان من دعاء السري السقطي اللهم ان كنت تعذبني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب والرزق الكريم ذوق المشاهدات الربانيه يا نساء النبي هم الذين اسلموا ارحام قلوبهم لتصرفات ولاية الشيخ ليست احوالهم كاحوال غيرهم في الخلق ان اتقيتم بالله من غيره فلا تخضعن بالقول الشيء عن الدارين فان كثيرا من الصادقين خضعوا بالقول لارباب الدنيا الذين في قلوبهم مرض حب المال والجاه فاستجروهم ووقعوا في ورطه الهلاك والحجاب فالقول المعروف وهو المتوسط الذي لا يكون فيه الميل الكلي الى اهل الدنيا اصوب والى اهل الحق اقرب وقرن في بيوتكن من عالم الملكوت ولا تبرجن في عالم الحواس تبرج في زينة الدنيا كعادة الجهل واقمن الصلوة التي هي معراج المومن يرفع يده من الدنيا او يكبر عليها ويقبل على الله بالاعراض عما سواه ويرجع من مقام الكبرياء للانسان الى خضوع ركوع الحيوان ومنه الى خشوع سجود النبات ثم الى قعود الجماد فانه بهذا الطريق اهبط الى اسفل القالب ويكون رجوعه بهذا المتابعه من الاسفل الى مقام

في البداية الروحانيه لم يتشهد بالتحيه والثناء على الحضرة ثم يسلم على يمينه على الاخرة وما فيها ثم عن شماله على الدنيا وما فيها وايتاء الزكوة بذل الوجود والمجازي لنيل الوجود الحقيقي الرجس لوث الحدوث والبيت لاهل الوحده بيت القلب يتلى فيه ايات الواردات والكشوف ان الذين استسلموا للاحكام الازليه وامنوا بوجود المعارف الحقيقه وقنتوا اى اغرقوا الوجود في الطاعة والعبوديه وصدقوا في عهودهم وصبروا على الخصال الحميده وعن الاوصاف الذميمه وخشعوا اى اطرقوا سر بهم عند سواد ده الحقيقه تصدقوا باموالهم واعراضهم حتى لم يبق لهم مع احد خصومة وصاموا ابالا مساك عن الشهوات وعن رويه الدرجات وحفظوا فروجهم في الظاهر عن الحرام وفي الباطن عن د وابد الحلال وذكروا الله بجميع اجزاء وجودهم الجسمانيه والروحانيه وما كان لمومن ولا مومنه اذا صدر امر عن المكلف او عليه فان كان مخالفا للشرع وجب عليه الانابه والاستغفار وان كان موافقا للشرع فان كان موافقا الطبع وجب عليه الشكر وان كان مخالفا الطبع وجب ان يستقبله بالصبر والرضا وفي قوله والله احق ان تخشاه دلاله على ان المخلصين على خطر عظيم حتى انهم يواخذون بسر القلب وحديث النفس وذلك لقوة صفاء باطنهم فاللطيف اسرع تغيرا فلما قضى زيد منها وطرا قضا وطرم شهر به بين الخلق الى قيام الساعة ما كان على النبي من حرج فيه انما هو نقصان في نظر الخلق فانه كمال عند الحق لا اذا كان النظر للحق ولكن رسول الله فيه ان نسبه المتابعين الى الحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كنسبه الابن الى الاب الشفيق ولهذا قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبي ونسبي

يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا ۞ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمومنين رحيما ۞ تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما ۞ يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ۞ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ۞ وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا

ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذيهم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا ● يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ● يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما
افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك و
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت
نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون
المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت
ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا
رحيما ● ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن
ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم
وكان الله عليما حليما ● لا يحل لك النساء من بعد ولا ان
تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك
وكان الله على كل شيء رقيبا ● يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه و
لكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين
لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله

لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء
حجاب ● ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان
لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
ان ذلكم كان عند الله عظيما ● ان تبدوا شيئا او تخفوه
فان الله كان بكل شيء عليما ● لا جناح عليهن في اباءهن
ولا ابناءهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
ولا نساءهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله
كان على كل شيء شهيدا ● ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ● ان
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة و
اعد لهم عذابا مهينا ● والذين يؤذون المومنين والمومنات
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ● يا ايها
النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن
من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان
الله غفورا رحيما ● لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا
يجاورونك فيها الا قليلا ● ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا ● سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد
لسنة الله تبديلا ● يسئلك الناس عن الساعة قل انما

علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ●
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا ● خالدين فيها ابدا
لا يجدون وليا ولا نصيرا ● يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا ● وقالوا ربنا
انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ● ربنا
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ● يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله
مما قالوا وكان عند الله وجيها ● يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ● يصلح لكم اعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد
فاز فوزا عظيما ● انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا ● ليعذب الله المنافقين و
المنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ●

القراءة ترجى بغير همزة ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وحفص والاعشى والمفضل وعباس لا تحل بياء التانيث ابو عمرو ويعقوب اناه بالامالة وغيرها مثل الجواب في الانعام وافق الحراز عن هبيرة ههنا بالامالة ساداتنا بالالف وكسر التاء ابن عامر وسهل ويعقوب وجبلة الباقون على التوحيد كبيرا بالباء الموحدة عاصم وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاخرون بالثاء المثلثة **الوقوف** كثيرا اصيلا النور رحيما سلاما لاحتمال ما قبله حالا او استينافا كريما ونذيرا منيرا كثيرا على الله وكيلا تعتدونها لانقطاع النظم مع الفاء جميلا معك لاحتمال ما بعده العطف والنصب على المدح مع ان طول الكلام يرجح جانب الوقف بينكحها للعدول على تقدير جعلناها خالصة المؤمنين حرج رحيما اليك ما تشاء لان ما بعده وان استينافا دخل على الشرط عليك كلهن قلوبكم حليما يمينك رقيبا اناه للعطف مع الاستدراك لحديث منكم فضلا بين وصف الحق وحال الخلق مع اتفاق الجملتين من الحق لابتداء حكم اخر حجاب وقلوبهن ابدا عظيما عليما ايمانهن والوقف اجوز ليكون الواو للاستيناف واتقين الله

شهيدا النبي تسليما مبينا جلابيبهن يؤذين رحيما قليلا لان قوله ملعونين يحتمل ان يكون حالا او منصوبا على الشتم ملعونين لان الجملة الشرطية تصلح وصفها واستينافا فالتقتيلا قبل تبديلا الساعة عند الله قريبا سعيرا ابدا لاحتمال تعلق الظرف بلا يجدون او بيقولون او باذكر الرسولا السبيلا كبيرا قالوا وجيها سديدا ذنوبكم عظيما الامانة جهولا والمومنات رحيما **التفسير** اعلم ان مبنى هذه السورة على تاديب النبي صلى الله عليه وسلم وقدم انه سبحانه بدا بذكر ما ينبغي ان يكون عليه النبي مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي ان يكون عليه مع اهله فامر بعد ذلك عامة المؤمنين بما امر به عاده المرسلين وبداء بما يتعلق بجانب التعظيم لله وهو الذكر الكثير وفيه لطيفة وهي ان النبي لكونه من المقربين لم يكن ناسيا فلم يؤمر بالذكر بل امر بالتقوى والمحافظة عليها فانها يكاد لا ينتهي والتسبيح بكرة واصيلا عبارة عن الدوام لان مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله صلى الله عليه وسلم لو ان اولكم واخركم قال جار الله خص التسبيح بالذكر من جملة الذكر لفضله على ساير الاذكار فيه تنزيه ذاته عما يجوز عليه ولقائل ان يقول هذا لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وجوز ان يراد بالذكر الكثير الاقبال على العبادات كلها ويراد بالتسبيح الصلوة وبالوقتين العموم او صلوة الفجر والعشاء بين لان اداها اشق ومراعاتها اشد ثم حرض المؤمنين على ذكره بانه ايضا يذكرهم والصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فلعله اراد باللفظ المشترك كلا معنييه كما ذهب اليه الشافعي وفي الكلام حذف اي وملائكته يصلي والمراد بصلوة الملائكة هي قولهم اللهم صل على المومنين جعلوا الاستجابة دعوتهم كانهم فعلوا الرحمة او المراد القدر المشترك وهو العناية بحال المرحوم والمستغفر له واصل الصلوة التعطف وذلك ان المصلي ينعطف في ركوعه وسجوده فاستعير لمن ينعطف على غيره حنوا وبروفا ثم بين غاية الصلوة وهي اخراج المكلف من ظلمات الضلال الى نور الهدى وفي قوله وكان بالمومنين رحيما بشارة لجميع المومنين واشارة الى ان تلك الرحمة لا تختص بالسامعين وقت الوحي معنى تحيتهم يوم يلقونه سلام مذكور في اول يونس وفي ابراهيم واراد بيوم اللقاء يوم القيمة كان الحق يقبلون على الله بكليتهم بخلاف الدنيا والاجر الكريم هو ما ياتيه عفوا صفوا من غير شوب نقص ثم اشار الى ما ينبغي ان يكون النبي عليه مع عامة الخلق فقال انا ارسلناك شاهدا وهي حال مقدرة اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد وفيه ان الله تعالى جعل النبي شاهدا على وجوده بل على وحدانيته لان المدعي هو الذي يذكر شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس فاشهد وانه قد جاز ذلك فيها الله شهادته على نبوته كما قال والله يشهد انك لرسوله والحاصل انه شاهد في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الاخرة باحوال الدنيا من الطاعة والمعصية والصلاح والفساد وانما قال داعيا الى الله باذنه وكذلك الانذار والتبشير اذا قال من يطع الملك فقد افلح ومن عصاه فقد خسر اما اذا قال تعالوا الى سماطه واحضروا على جانبه احتاج الى رضاه ويمكن ان يكون قوله باذنه متعلقا بمجموع الاحوال بتسهيله وتيسيره ووصف النبي بالسراج لان ظلمات الضلال تنجلي به كظلام الليل بالسراج وقد امد الله بنور نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار وانما لم يشبه بالشمس لان الشمس لا يوجد منه شي ويوجد من السراج سرج كثيرة وهم الصحابة والتابعون في المثال ولهذا قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وصفهم بالنجم لان النجم لا يوجد منه شي والتابعي لا ياخذ من الصحابي حقيقته وانما ياخذ من النبي ووصف السراج بالانارة لان السراج قد يكون فاترا ومنه قولهم بلثه تغني رسول بغى وسراج لا يغني وفايدة ينتظرها من يجي ويجوز ان يكون سراجا معطوفا على الكاف ويراد به القران ويجوز ان يكون المعنى وداعيا وذا سراج وقوله دع اذيهم اي احد بظاهرهم وادفع عنهم الاسر والقتل وحسابهم على الله واضافة اذيهم يحتمل ان يكون الى الفاعل والى المفعول ثم امر المومنين بما يتعلق بجانب الشفقة على الخلق واكتفى بذكر الزوجات المطلقات قبل المسيس لانه اذا الزم الاحسان اليهن بمجرد العقد وهو المراد بالنكاح ههنا فالموطوءة اولى وقد مر حكمهن في سورة البقرة في قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وذلك لاجل تشطير الصداق وانما اراد ذكرهن ههنا لبيان عدم وجوب العدة عليهن وتخصيص المومنات بالذكر دون الكتابيات ايذان بانهن اولى بتخيرهن للنطفة وفي قوله ثم طلقتموهن تنبيه على انه لا تفاوت في هذا الحكم بين قريبة العهد من النكاح وبين بعيدة العهد عنه فاذا لم تجب العدة على البعيدة العهد فلان لا يجب على القريبة العهد اولى وقد يستدل بكلمة ثم قال ان تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان المعية تنافي التراخي وفي قوله فما لكم عليهن دليل على ان العدة حق واجب للرجال على النساء وان كان لا يسقط باسقاطهم لما فيه من حق الله تعالى ايضا ومعنى تعتدونها تستوفون عددها يقول عددت الدراهم فاعتدها فاكتاله ثم عاد الى تعليم النبي

وفايده قوله اللاتي اتيت اجورهن وقوله مما افاء الله عليك وقوله اللاتي هاجرن معك هي ان الله تعالى اختار
لرسوله الافضل الاولى وذلك ان سوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف
ومن الناس من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه اعطا المهر لان المراه لها الامتناع الى ان تاخذ مهرها
والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يستوفي ما لا يجب له كيف وانه اذا طلب شيا حرم الامتناع على المطلوب منه والظاهر
ان طالب الوطي ولاسيما في المره الاولى يكون هو الرجل لحياء المراه ولو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المراه التمكين
قبل المهر لزم ان يجب ولا كذلك احدنا ومما يوكد هذا قوله وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي يعني حينئذ لا يبقى
لها صداق فتصير كالمستوفيه لمهرها والجاريه اذا كانت سبيه مالكها ومخطوبه بسيفه ورمحه فانها احل واطيب
من المشتراه لكونها غير معلومه الحال قال جار الله السبي على ضربين سبي طيبه وهي ما سبي من اهل الحرب وسبي خبيثه
وهي التي سبي من له عهد فلا جرم قال سبحانه مما افاء الله عليك لان في الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث و
كذلك التي هاجرن مع رسول الله من قاربه غير المحارم افضل من غير المهاجرات بيعه وانما لم يجمع العم والخال اكتفاء
بجنسيهما مع ان يجمع البنات دلالة على ذلك الامتناع اجتماع اختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاقتصار في
العم والخاله لامكان سبق الوهم الى ان التاء فيهما للوحده وشرط في استحلال الواهبه نفسها اراده استنكاح رسول
الله كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها وفيه انه لا بد من قبول الهبه حتى يتم النكاح
وبه استدل ابو حنيفه على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة وحملها الشافعي على خصايص النبي وعن الحسن الكرخي ان
عقد النكاح بلفظ الاجارة جايز لقوله اللاتي اتيت اجورهن قال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت
وعقد النكاح مويد والظاهر ان خالصه حال من امراه وقال جار الله هي مصدر موكد كوعد الله اي خلص لك خلوصا
وفايده هذه الحال على مذهب الشافعي ظاهر وقال ابو حنيفه اراد انها زوجته وهي امهات المومنين فاورد عليه
ان ازواجه كلهن خالصات له فلا يبقى لتخصيص الواهبه فايده وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم جمله اعتراضيه معناها
الله قد علم ما يجب على المومنين في حق الازواج وفي الاماء وعلى اي حد وصفه ينبغي ان يكون ثم بين غايه الاحلال
بقوله لكيلا يكون عليك حرج اي لكيلا يكون عليك ضيق في دينك ولا في دنياك حيث احللنا لك اصناف المنكوحات
وكان الله غفورا للذي يقع في الحرج رحيما بالتوسعه والتيسير على عباده ثم بين انه احل له وجوه المكاسبه بهن
من غير ايجاب قسم بينهن لانه صلى الله عليه وسلم بالنسبه الى امته كالسيد المطاع فزوجاته كالمملوكات فلا قسم لهن
والارجاء التاخير والايواء الضم وهما خبران في معنى الامر ومن ابتغيت ممن عزلت يعني اذا طلبت من كنت تركتها فلا جناح
عليك في شي من ذلك وهذه قسمه جامعه للغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك واذا امسك ضاجع او ترك
فان ضاجع قسم او لم يقسم واذا طلق او عزل فاما ان يترك المعزوله او يبتغيها يروى انه ارجاء منهن سوده وجويريه
وصفيه وميمونه وام حبيبه وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عايشه وحفصه وام سلمه
وزينب وروى انه كان سوى مع ما خيره فيه الا سوده فانها وهبت ليلتها لعايشه وقالت لا تطلقني حتى احشر
في زمره نسايك وقيل اراد بتركه تزوج من شيت امتك وتتزوج من شت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا خطب امراه لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها ومن قال ان القسم كان واجبا مع انه ضعيف بالنسبة الى معنى
الايه قال المراد تؤخرهن اذا شئت اذ لا يجب القسم في الاول وللزوج ان لا ينام عند احدهن وان ابتغيت ممن عزلت
فلا جناح عليك في ذلك فابدا بمن شيت وتمم الدور لاحا فوي ثم قال ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى قره عيونهن
وقله حزنهن والى رضاهن جميعا لانهن اذا لم يجب عليه القسم ثم انه يقسم حمل ذلك على تلطفه وتحلمه وفي قوله والله
يعلم ما في قلوبكم وعيد لمن لم يرض منهن فاذن الله وكان الله عليما بذات الصدور حليما مع ذلك لا يعاجل بالعقوبه
فتحا لباب التوبه وقوله كلهن بالرفع تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تاكيد الضمير المفعول في اتيتهن ثم انه
سبحانه شكر الازواج رسول الله اختيارهن الله ورسوله فانزل لا يحل لك النساء من بعد قال الاكثرون المضمر بعد ان
بعد التسع المذكوره فالتسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن وانه تعالى زاد في اكرامهن
بقوله من ازواج وفايده الاستغراق حيث حرمات الازواج بالتحريم وذهب بعضهم الى ان الايه ليس فيها تحريم
غيرهن ولا المنع من طلاقهن والمعنى لا يحل لك النساء من بعد اللواتي نص على احلالهن من الاجناس الادميه وهن
غيرهن من الكتابيات والاماء بالنكاح ومن الاعرابيات والغرايب فلا يحل لك التزوج بهن وقوله ولا ان تبدل

بهن منع من فعل الجاهليه وهو قولهم بادلني امراتك وابادلك بامراتي وكان ينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه يحكى
ان عيينه بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عايشه من غير استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عيينه اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الجميله الى
جنبك فقال هذه عايشه ام المومنين قال عيينه افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم
ذلك فلما خرج قالت عايشه من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ولو اعجبك حسنهن في موضع
الحال اي مفروضا اعجابك بهن قاله جار الله والاظهر ان جوابه محذوف يدل عليه ما قبله وهو لا يحل وفايده هذه الشرطيه
التاكيد واستثنى من حرم عليه الاماء وكان الله على كل شي رقيبا تحذير من مجاوزة حدوده واعلم ان ظاهر هذه الايه
ناسخ لما كان قد ثبت له صلى الله عليه وسلم من تحريم مرغوبته على زوجها وفيه حكمه خفيه وذلك ان الانبياء يشتد
عليهم برحاء الوحي في اول الامر ثم يتانسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع اصحابهم وكان الحاجه الى تفريغ مال الذي
يكون في اول الامر اكثر لوهي القوه ولعدم الالفه بالوحي فاذا تكاملت قوته وحصل الفه بتضاعف الوحي لم يبق له التفات
الى غير الله فلم يحتج الى الاخلاء للتزوج بمن وقع نظره عليها وعن عايشه ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل
له النساء يعني ان الايه قد نسخت ونسخها اما بالسنه عند من يجوز نسخ القران بخبر الواحد واما بقوله انا احللنا لك
ازواجك وترتيب النزول وليس على ترتيب المصحف ثم عاد الى ارشاد الامه وحالهم مع النبي اما حال الخلوه والواجب
هنالك احترام اهله واشار اليه بقوله لا تدخلوا واما حال الملا والواجب حينئذ التعظيم بكل ما امكن وذلك قوله ان
الله وملايكته وكانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه فقيل لا تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى مختص
للطعام الا وقت الاذن اي مادون فيه والا غير ناظرين وان الطعام ادراكه اي الطعام اني يني فلانه فان وقيل اناه وقته
فقد يقال ان الاذن مشروط بكونه الى طعام فيلزم منه ان لا يجوز الدخول اذا لم يكن الاذن الى طعام كالدخول بالاذن
لاستماع كلام مثلا فاجيب بان الخطاب مع قوم كانوا موصوفين بالتحين للطعام فمنعوا من الدخول في وقته بغير اذن وجوز
بعضهم ان يكون في الكلام تقديم وتاخير اي لا تدخلوا الى طعام الا ان يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول في غير وقت
وقت الطعام بغير الاذن والاول اولى ولا يشترط في الاذن التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول وكذا قيل
قوله يؤذن على البناء للمفعول ليشتمل اذن الله واذن الرسول او العقل المويد بالدليل وقوله فاذا طعمتم فانتشروا كقوله
فاذا قضيت الصلوة فانتشروا وذلك للدليل العقلي على ان بيوت الناس
ما دعي لاجله وللدليل النقلي وذلك قوله ولا مستانسين لحديث وهو مجرور معطوف على ناظرين او منصوب على الحال
اي لا تدخلوها هاجمين ولا مستانسين يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاه
وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا الى ان قال يا رسول الله ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس
وبقي ثلثه نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجره عايشه فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا
وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلثه جلوس يتحدثون
وكان رسول الله شديد الحياء وذلك قوله ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اي من اخراجكم فلما راوه متوليا خرجوا
فنزلت الايه ناهيه للثقلاء ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه او يستانسون حديث اهل
البيت واستماعه ومعنى لا يستحيي لا يمتنع ولا يترك كما مر في اول البقرة والضمير في سالتموهن لنساء النبي بقرينه الحال قال
الراوي ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبه شديده وكان يقول يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت
امهات المومنين بالحجاب فنزلت والمتاع الماعون وما يحتاج اليه وثاني مفعولي سالتموهن محذوف وهو المتاع الدال
عليه بما قبله ذلكم الذي ذكر من السوال وراء الحجاب اطهر لاجل قلوبكم لان العين روزنه القلب ومنها يتشا الفتنه غالبا
وروي ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لان مات محمد لا تزوجن فلانه يعني عايشه فاعلم الله ان
ذلك محرم بقوله وما كان اي وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله بوجه من الوجوه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم الحب
او النكاح كان عند الله ذنبا عظيما لان حرمه الرسول ميتا كحرمته حيا ثم بين بقوله ان تبدوا شيا الايه انهم لم يؤذوه
في الحال ولكن عزموا على ايذايه او نكاح ازواجه بعده فالله عالم بكل شي فيجازيهم بحسب ذلك ثم انه لما انزل الحجاب
استثنى المحارم بقوله لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ترك الاحتجاب من هولاء قال في التفسير الكبير عند الحجاب امر الله
الرجل بالسوال من وراء حجاب فيفهم كون المراه محجوبه عن الرجل بالطريق الاولى وعند الاستثناء قال لا جناح عليهن



فرفع الحجاب عنهن والرجال اولى بذلك وقدم الآباء لان اطلاعهم على بناتهم اكثر فقد رأوهن في حالة الصغر ثم الابناء
ثم الاخوة وقدم بني الاخوة لان الاخوات ابناءهم ليس بمحارم خالات ابنائهم فقد يصف الابن خالته عند ابيه
ففي ذلك نوع مفسدة فاوجبت التاخر عن رتبة المحرمية ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين او لانهما
قد يصفان لابنائهما وهما غير محارم وقد يستدل بقوله ولا نسائهن مضافة الى مؤمنات انه لا يجوز التكشف
للكافرات في وجه واخر المماليك لان محرميتهم كالامر الضروري والا فالمفسدة في التكشف لهم ظاهرة ولهذا عقبه
بقوله واتقين الله فان التكشف لهم مشروط بسلامة العاقبة والامن كان منهم دون البلوغ قال جار الله في نقل
الكلام من الغيبة الى الخطاب في قوله واتقين فضل تشديد وبعث على سلوك طريقة التقوى فيما امرن به من الاحتجاب
كانه قيل وليكن في الحجب احسن مما كان وابين غير محجبات لفضل ستركن ثم اكد الكل بقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا
وفيه ان لا يتفاوت في علمه ظاهر الحجاب وباطنه ثم بجل بان حرمة النبي بانه محترم في الملأ الاعلى فليكن واجب الاحترام
في الملأ الادنى وقد مر معنى الصلوة في السورة وانما قال هنالك هو الذي يصلي عليكم وملائكته يصلون ليلزم منه
تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان افراد الواحد بالذكر وعطف الغير عليه يوجب تفضيل المذكور على المعطوف
كانه سبحانه شرف الملائكة بضمهم مع نفسه بواسطة صلوتهم على النبي صلى الله عليه وسلم استدل الشافعي بقوله
صلوا عليه وسلموا وظاهر الامر للوجوب ان الصلوة في التشهد واجبة وكذا التسليم لانه لا يجب في غير الصلوة بالاتفاق
فيجب فيها وذكر المصدر للتاكيد ليكمل السلام عليه وهو قول المصلي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ولم
يؤكد الصلوة هذا التاكيد لانها كانت مؤكدة بقوله ان الله وملائكته يصلون وسئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف
نصلي عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة
صلى الله عليه عشرا ومن العلماء من اوجب الصلوة كلما جرى ذكره لما روي في الحديث من ذكرت عنده فلم
يصل علي فدخل النار فابعده الله ومنهم من اوجبها في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت
العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والاحوط
هو الاول وهو الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم عند كل ذكر واما الصلوة على غيره فقد مر الخلاف فيها في سورة
التوبة في قوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم ثم رتب الوعيد على ايذاء الله ورسوله فيجوز ان يكون ذكر الله توطئة
وتشريفا وايذانا بان ايذاء رسول الله هو ايذاء الله كقوله فاتبعوني يحببكم الله ويجوز ان يراد بايذاء الله المشركين
به ونسبة ما لا يجوز عليه وعن عكرمة هو فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق كخلق الله وقيل ايذاء رسول
الله قولهم انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي والاظهر التعميم وعن
بعضهم ان اللعن في الدارين هو جزاء من يؤذي الله واعداد العذاب المهين هو جزاء من يؤذي رسول الله ولعل الفرق لاح
ثم رتب وعيدا آخر على ايذاء المؤمنين والمؤمنات ولكن قيده بقوله بغير ما اكتسبوا لانه اذا صدر عن احدهم ذنب جاز
ايذاؤه على الوجه المحدود في الشرع ولعل المراد هو الايذاء القولي لقوله فقد احتملوا بهتانا ويحتمل ان يقال احتمال
البهتان شبيه الايذاء القولي واحتمال الاثم المبين شبيه الايذاء الفعلي ويحتمل ان يكون كلاهما وعند الايذاء القولي وانما
وقع الاكتفاء به لانه اخرج للقلب ولامكان الاستدلال به على الفعلي ولان ايذاء الله لا يكون الا بالقول الا ان يجعل
السجود للصنم ايذاء قيل نزلت في ناس من المنافقين كانوا يؤذون عليا كرم الله وجهه وقيل في افك عائشة وقيل في زناة
كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ثم اراد ان يدفع عن اهل بيته بعض اسباب الثلاث التي هي مظان لحوق العار
فقال يا ايها النبي الآية ومعنى يدنين عليهن يرخين عليهن يقال للمرأة اذا زل الثوب عن وجهها ادني ثوبك على وجهك
ومعنى التبعيض في من جلابيبهن ان يكون للمرأة جلابيب فيفضي على واحد منها او يريد طرفا من الجلباب الذي لها وكانت
النساء في اول الاسلام على عادتهن في الجاهلية مبتذلات يبرزن في درع وخمار من غير فصل بين الحرة والامة وامرن
بلبس الاردية والملاحف وستر الراس والوجوه ذلك الادناء ادنى اقرب الى ان يعرفن انهن حرائر او انهن لسن بزانيات
فان التي سترت وجهها اولى بان تستر عورتها فلا يؤذين لاهلهن ولا لرجالهن واقاربهم لان اكثر الايذاء والطعن انما يتفق
من جهة نشاط العشيرة اذا كن مؤمنات وكان الله غفورا لما قد سلف رحيما حين ارشدكم الى هذا الادب الجميل ولما
اوعدهم عذاب الآخرة خوفهم بعقاب الدنيا قال لئن لم ينته المنافقون عن الايذاء والذين في قلوبهم مرض وهم الضعفة

الايمان او الزناة واهل الفجور والمرجفون في مدينة الرسول وهم الخايضون في اخبار السوء من غير حقيقة سمي بذلك
لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة وروي ان ناسا كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوقعون في الناس انهم قتلوا او هربوا وكانوا يقولون قد اتاكم العدو ونحو ذلك ومعنى لنغرينك بهم لنسلطنك
عليهم وهو مجاز من قولهم اغرى الجارحة بالصيد والمراد لنامرنك بان تفعل ما يضطرهم الى الجلاء ثم لا يساكنونك في
المدينة الا زمنا قليلا ريثما يتاهبون فيتخلونها بانفسهم وعيالهم ومعنى ثم تراخي الرتبة كانه يفعل بهم افاعيل تعوقهم
الى ان يبلغ حد الاضطرار في عجزهم ويجوز ان يكون قليلا منصوبا على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك عطفا على جواب
القسم كانه قيل ان لم ينتهوا لا يجاورونك سنة الله اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا و
قال الفتال كما قتل واسر اهل بدر ولن تجد لسنة الله تبديلا اي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فان
النسخ يكون في الاحكام لا في الافعال والاخبار ثم ان المشركين واليهود كانوا يسالون رسول الله عن وقت قيام الساعة
او يوما او زمانا ثم اوعدهم بما اعد لهم من عذاب السعير ومعنى تقلب وجوههم تصريفها في الجهات كاللحم يدار على
النار حتى يشوى او تغييرها عن احوالها او تحويلها عن هيئاتها او نكسها على رؤسها والوجه عبارة عن الجملة او خص بالذكر لانه
اشرف واكرم واذا كان الاشرف معرضا للعذاب فالاخس اولى ثم حكى انهم يعترفون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك ثم
يطلبون بعض التشفي بالدعاء على من اضلهم قوله ضعفين لضلالهم واضلالهم ومن قرا لعنا كبيرا بالباء الموحدة والمراد
اشد اللعن واقطعه ومن قرا بالثاء المثلثة اراد تكثير اعداد اللعائن وقد علموا ان العذاب حاصل فطلبوا ما ليس بحاصل
وهو زيادة العذاب وكثرة اللعن او عظمه قوله كالذين آذوا موسى قال المفسرون نزلت في شان زيد وزينب وما سمع
فيه من قال بعض الناس وايذاء موسى هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذف موسى او حديث الادرة او [illegible]
الذي قرفوه بذلك ففر بثوبه حتى راوه عريانا وقد مر في البقرة وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى
الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا حتى ابصروه فعرفوا انه غير مقتول واحياه الله عز وجل فاخبرهم
ببراءة موسى ومعنى مما قالوا من مؤدى قولهم او مضمون مقولهم وكان عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يذب
ويدفع عنه المثالب والمطاعن كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وروي عن شنبود وكان عبد الله ثم اشار الى ما ينبغي ان يكون
المؤمن عليه فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتقويمها [illegible] قولكم فيقوى
الله يصلح العمل ويصلح العمل يكفر السيئات ويرفع الدرجات امرهم اولا بالتخلية وهي ترك الايذاء وثانيا بالتحلية وهي
التقوى الموجبة لتحصيل الاخلاق الفاضلة ثم علق الفوز العظيم بالطاعة المسماة بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة
فقيل العرض حقيقة وقيل اراد المقابلة اي قابلنا الامانة بالسموات فرجحت الامانة والعرض اسهل من العرض وهذا
كفر ابليس الاباء ولم يكفر هؤلاء عن الاباء لان هناك استكبارا وههنا استصغارا بدليل قوله واشفقن وقد يقال المضاف
اي عرضناها على اهل السموات والارض والجبال وانما صير الى هذا التكليف لاستبعاد طلب الطاعة من الجمادات ولم يستبعد
اهل البيان لان المراد تصوير عظم الامانة وثقل حملها فمثلت حال التكليف وصعوبته وثقل محمله بحالة المتخيلة المفروضة
لو عرضت على هذه الاجرام العظام واعلم ان التكليف هو الامر بخلاف ما في الطبيعة فهذا النوع من التكليف ليس في السموات
والارض والجبال لان السماء لا يطلب منها الهبوط والارض لا يطلب منها الصعود ولا الحركة والجبال لا يطلب منها السير
وكذا الملائكة ملهمون بالتسبيح والتقديس وسمي التكليف امانة لان من قصر فيه فعليه الغرامة ومن اداها فله الكرامة
فعرض الامانة بهذا المعنى على هذه الاجرام وآباؤها من حملها هو عدم صلوحها لهذا الامر والمراد هو التصوير المذكور
وخص بعضهم التكليف بقوله لا اله الا الله والاظهر عندي ان الامانة هي الاستعداد الذي جبل كل نوع من المخلوقات عليه
وحمل الامانة عبارة عن عدم اداء حقها كما يقال فلان ركب عليه الدين فكل من اخرج ما في قوته الى الفعل فهو مؤد للامانة
وقاض حقها والا فهو حامل لها ولا ريب ان السموات مسخرات بامر الله كل يجري لاجل مسمى والارض ثابتة في مستقرها والجبال
راسخة في اماكنها وهكذا كل نوع مما يطول تعدادها واليه الاشارة بقوله سبحانه وما منا الا له مقام معلوم الا ان
كثيرا من الاشخاص بل اكثرها مايلة الى اسفل سافلين الطبع فلاجرم لم تقض حق الامانة وانحطت الى رتبة الانعام
فوصفت بالظلومية ولانه صرف الاستعداد في غير ما خلق لاجله بالجهولية لانه جهل وخامة عاقبة افساد الاستعداد
او علم ولم يعمل بعلمه فنفى عنه العلم لا سيما [illegible] اللام في الانسان للجنس وحمل الشيء على بعض الجنس يكفي في صدقه على الجنس
وفيه لطيفة اخرى مذكورة في تاويل آخر سورة البقرة وذكروا في سبب الاشفاق ان الامانة لا يقبل لعزتها ونفاستها

كالجواهر النفيسه او لصعوبة حفظها كالزجاج مثلاً وكلا الحذرين موجود في التكليف وايضا كان الزمان
زمان نهب وغارة اذ العرض كان بعد خروج ادم من الجنة والشيطان وجنوده كانوا في قصد المكلفين والقابل
لايقبل الوديعه في مثل ذلك الوقت وايضا قد لايقبل الامانه لعزة اعيانها ولاحتياجها الى تعهد ومؤنه
كالحيوان المحتاج الى العلف والسقي كذلك فانه يحتاج الى تربيته وتنميته بخلاف متاع يوضع في صندوق
او بيت فهذه الاشياء على ما في التكليف من التبعات وحمله الانسان بقبوله وكان جهولا وقد ظلم ادم نفسه
بالمخالفه وكان ظلوما وكذا اولاده الذين ظلموا انفسهم بالعصيان وجهلوا ما عليهم من العقاب واعتذر بعضهم عن
الانسان انه نظر الى جانب من كلفه وقال المودع عالم قادر لا يعرض الامانه الا على اهلها واذا اودع لا يتركها بل يحفظها
بعينه وعونه فقبلها فقال اياك نعبد واياك نستعين وقيل انه كان ظلوما جهولا في ظن الملائكة حيث قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها وقال الحكيم المخلوقات على قسمين مدرك وغير مدرك والمدرك منه من يدرك الجزئي فقط كالبهائم يدرك
الشعير وتاكله ولا تتفكر في عواقب الامور ولا تنظر في الدلايل ومنهم من يدرك الكلي دون الجزئي كالملك يدرك
الكليات ولايدرك لذة الجماع والاكل ولهذا قالوا سبحانك لاعلم لنا فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات ومنهم من يدرك
الامرين وهو الانسان له اللذات بامور جزئية فيمنع منها لتحصيل لذات حقيقته كلذة الملائكة بعبادته ومعرفته
فتغير الانسان ان كان مكلفا كان بمعنى كونه مخاطبا لا بمعنى الامر بما فيه كلفه ومشقه وفي قوله وحملها الانسان
دون ان يقول وقبلها اشارة الى ما في التكليف من الثقل والى ما يستحقه عليه من الاجر ولو حمله كما امر والى
حيث امروا لا عزم وحرم لطيفه الامانه عرضت على ادم فقبلها وكان امينا عليها والقول الامين فهو فايز واما الاك
فاخذوا الامانه منه والاخذ من الامين ليس بمؤمن ولهذا لا يكون وارث المودع مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد
عهد وايمان حتى يصير امينا عند الله ويصير القول قوله فيكون له ما كان لادم من العفو ولهذا ذكر عاقبة حمل الامانة
فقال ليعذب الى قوله ويتوب اشارة الى الفريقين ثم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما بازاء كون الانسان ظلوما
جهولا ولا يخفى ما في هذه الاشارة من البشارة **التأويل** اذكروا الله ذكرا كثيرا من احب شيئا اكثر ذكره واهل
المحبة هم الاحرار عن رق الكونين والحرية في الاشارة هو الذي يصلي اي لولا صلوتي عليكم لما وفقتم لذكري كما انه لولا
سابقة محبتي لما هديتم الى محبتي وكان في الازل بالمؤمنين رحيما فلهذا اخرجهم في الابد من ظلمة الوجود المجازي
الى نور الوجود الحقيقي انا ارسلناك شاهدا لله ابعث المحبوبة ومبشرا للطالبين ونذيرا للنادين ومدبرا للطالبين فليس
عن كمال حسنا وحسن كمالنا وداعيا الى الله باذنه لا بطبعك وهواك وسراجا منيرا في اوقات عدم الدعوة وذلك
ان النظر الى وجه النبي كان لمن له قلب منير فاذا انضمت الدعوة الى ذلك كان في الهداية غاية فضلا كبيرا هو القلب
المستنير انا احللنا لك ازواجك لما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى صيغة دنياه بصفات الاخرة
تحل له في الدنيا ما يحل لغيره في الاخرة ان الله وملائكته يصلون صلوة يليق بتلك الحضرة المقدسه مناسبة لحضرة
المقدسه مناسبة لحضرة النبوة بحيث لا يفهم معناها غيرها منها الرحمة ومنها النصرة ومنها البركة ومنها الوارد ومنها الشوق
ومنها الكشوف ومنها المشاهده ومنها الجذبه ومنها القربة ومنها الرؤية ومنها السكر ومنها التجلي ومنها الفناء في الله
ومنها البقاء به وهكذا الامه بحسب مراتبهم كقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم انا عرضنا الامانه هي قبول الفيض
الالهي بلا واسطة ولهذا سمي امانه لان الفيض من صفات الحق فلا يملكه احد وقد اختص الانسان باصابه رشاش النور
الالهي وكان عرض الفيض عاما على المخلوقات ولكن كان حمله خاصا بالانسان لان نسبة الانسان الى ساير المخلوقات نسبة
القلب الى الشخص فالروح يتعلق الى القلب ثم يصل فيضه بواسطة العروق والشرايين الى ساير البدن فيتحرك به وهذا
سر الخلافة انه كان ظلوما لانه ضعيفا وحمل قويا جهولا لانه ظن انه خلق للمطعم والمشرب والمنكح ولم يعلم ان هذه الصور
قشر وله لب للذات هو محبوب الله فبعزة الظلوميه والجهوليه حمل الامانه ثم بوجه المذكور برشاش الله ادى
حق الامانه فصارت الصفتان في حق حامل الامانه ومؤدي حقها مدحا في حق الجانبين فيها ذما ولما لم يكن للروح
الملائكة ولغيرهم من المخلوقات رحلة بحملها بالعزة ابين منها واشفقن والمخاطبون اذن على ثلث طبقات طبقة يظهر
فيها جمال الصفه عدله وهم الملك والاجسام العلويه والسفليه سوى الثقلين لم يحملوا الامانه وتركوا انفسها العزها وطبقة
يظهر فيها جمال القهر وهم المشركون والمنافقون حملوها لما في نفعها الربوبية واخفها بابن باعوها بالاعراض الغالبه
والطبقة الثالثة المؤمنون وهم الذين حملوها طوعا ورغبة وشوقا ومحبة وادوا حقها بقدر وسعهم ولكن

بحكم لكل سواد كبوه يقع وقدم صدقهم في حجر بلا وابتلاء منّ الله عليهم بجذبات العناية وهم مرآة جمال الفضله والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد
فى الاخرة وهو الحكيم الخبير ۝ يعلم ما يلج فى الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
الرحيم الغفور ۝ وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة
قل بلى وربى لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة
فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى
كتاب مبين ۝ ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم
مغفرة ورزق كريم ۝ والذين سعوا فى اياتنا معاجزين
اولئك لهم عذاب من رجز اليم ۝ ويرى الذين اوتوا العلم الذى
انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم
كل ممزق انكم لفى خلق جديد ۝ افترى على الله كذبا ام
به جنة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال
البعيد ۝ افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من

السماء ان في ذلك لاية لكل عبد منيب ● ولقد اتينا داود
منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل
سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ●
ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين
القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم
عن امرنا نذقه من عذاب السعير ● يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود
شكرا وقليل من عبادي الشكور ● فلما قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت
الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ●
لقد كان لسبا في مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال
كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب
غفور ● فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل
ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها
السير سيروا فيها ليالي واياما امنين ● فقالوا ربنا باعد بين
اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ● ولقد صدق

عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان
له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها
في شك وربك على كل شيء حفيظ ● **القراءة** عالم الغيب بالرفع ابو جعفر
ونافع وابن عامر ورويس علام بالجر و
ربنا المبالغة حمزة وعلي الباقون عالم بالجر وبدون المبالغة معاجزين بالالف وقد روي عن ابن كثير وابو عمرو معجزين
بالتشديد رجز اليم بالرفع صفة لعذاب وكذلك في الجاثية ابن كثير وحفص ويعقوب وجعله الاخرون بالجر ان يشا
نخسف او يسقط على الغيبة فيهما حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون نخسف بهم بادغام الفاء في الباء علي كسفا بفتح
السين حفص غير الخزاز والطير بالرفع حملا على لفظ المنادى يعقوب غير رويس الاخرون بالنصب حملا على المحل او لانه مفعول
معه او معطوف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير الريح ابو بكر وحماد المفضل سوى ولسليمان الريح مسخرة او سخرت له الرياح
الرواح بالرفع ايضا ولكن مجموعا يزيد الباقون موحدا منصوبا كالجوابي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو
وورش في الوصل عبادي الشكور بسكون الياء حمزة والوقف بالياء لا غير منساته بالالف ابو جعفر ونافع وابو عمرو
وابن فليح ويزيد عن يعقوب وقرا ابن ذكوان ساكنة الهمزة الاخرون بفتح الهمزة تبينت الجن على البناء للمفعول يعقوب
غير زيد سبا غير مصروف ابو عمرو والبزي سبا بهمزة ساكنة ابن مجاهد وابو عون عن قنبل سبا بالالف ابن فليح ومعه
القواس غير ابن مجاهد وابي عون مسكنهم بفتح الكاف حمزة وحفص بكسرها علي وخلف الباقون مساكنهم مجموعا بجنتيهم
بضم الهاء سهل ويعقوب اكل خمط بضم الكاف وبالاضافة ابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون بالسكون والتنوين
يجازي بضم النون وكسر الزاي الا الكفور بالنصب حمزة وعلي وخلف وحفص ويعقوب بضم الياء وفتح الزاي ورفع
الكفور ربنا بالرفع باعد بلفظ الماضي من المفاعلة سهل ويعقوب الاخرون ربنا بالنصب على النداء باعد على الامر
ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد امر من التبعيد صدق بالتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتخفيف اي صدق
في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك **الوقوف** في الاخرة الخبير فيها الغفور الساعة لتاتينكم لمن قرا عالم
بالرفع اي هو عالم ومن خفض جعله نعتا لربي لم يقف الغيب لان قوله لا يعزب يصلح حالا او استئنافا مبين لتعلق اللام
ابو حاتم يقف الصالحات كريم اليم الحق لان قوله ويهدي عطف على المعنى اي يحق قوله ويهدي الحميد ممزق لان
ما بعده في حكم المفعول جديد للاية ولاتخاذ القول جنة البعيد والارض السماء منيب فضلا والطير لان
ما يتلوه يصلح حالا واستئنافا الحديد لتعلق ان صالحا بصير ورواحها شهر لان قوله واسلنا عطف على معطوف محذوف
اي وسخرنا لسليمان الريح القطر ربه السعير راسيات شكرا الشكور منساته المهين اية لاحتمال ان يكون التقدير هي
جنتان او يكون بدلا من اية وشمال له اي لكم بلدة غفور قليل كفروا الكفور السير امنين ممزق شكور السبع الث
المؤمنين شك حفيظ **التفسير** قال في التفسير الكبير السور المفتتحة بالحمد خمس ثنتان في النصف الاول الانعام
والكهف وثنتان في النصف الاخر هذه والملائكة والخامسة وهي الفاتحة يقرا مع النصف الاول ومع النصف الاخير
وذلك ان المكلف له حالتان الابتداء والاعادة وفي كل حاله لله علينا نعمتان نعم الايجاد ونعم الابقاء فاشار في اول
الانعام الى نعمة الايجاد والاول بدليل قوله هو الذي خلقكم من طين واشار في اول الكهف الى انزال الكتاب الذي به يتم نظام
العالم ويحصل قوله معاش بني ادم واشار في اول هذه السورة الى نعمة الايجاد الثاني بدليل قوله وله الحمد في الاخرة واشار
باول سورة الملائكة الى نعمة الابقاء الابدي بدليل قوله جاعل الملائكة رسلا والملائكة اجمعهم لا يكونون رسلا الا يوم القيمة يرسلهم
الله مسلمين على المسلمين كقوله وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى سلام عليكم طبتم وفاتحة الكتاب حين اشتملت على نعم الدنيا
بقوله الحمد لله رب العالمين وعلى نعم الاخرة بقوله مالك يوم الدين يقرا في الافتتاح وفي الاختتام واعلم ان الله وصف
نفسه في اول هذه السورة بان له ما في السموات وما في الارض ايذانا بان كونه مالكا لكل الاشياء يوجب كونه
محمودا على كل لسان لان الكل اذا كان له وكل من ينتفع بشيء من ذلك كان منتفعا بنعمه ثم صرح بان له الحمد في الاخرة ع
تفضيلا لنعم الاخرة على نعم الدنيا وايذانا بانها هي النعم الحقيقة التي يحق ان يحمد عليها وينعم عليه من اجلها مع افادة الاختصاص
بتقديم الظرف وهو الحكيم وفي الابتداء الخبير بالانتهاء ثم اكد علمه بقوله يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من

المياه والحياة والكنوز والاموات وما يخرج منها ومن الشجر والنبات ومياه الابار والجواهر المعدنيات وما ينزل
من السماء من الامطار والارزاق وانواع البركات والوحي والملائكة وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وقد اشار
بقوله فيها دون ان يقول اليها الى ان الاعمال الصالحة مقبولة والنفوس الزكية واصلة فقد ينتهي الشئ الى الشئ ولا
ينفذ فيه ولا يتصل به وهو الرحيم حين انزل الغفور وقت عروج الاعمال المفرطين في الاقوال والافعال ثم بين
ان منهما لاخرة ما بان الساعة قد ينكرها قوم ثم رد عليهم بقوله بلى واكد ذلك بقوله وربي ثم برهن على ذلك بقوله
عالم الغيب لان العالم بجميع الاشياء عالم باجزاء الاحياء قادر على جمعها كما بداها وفي قوله لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض اشارة الى ان الانسان له جسم ارضي وروح سماوي فالعالم بما في العالمين القادر
على تاليفهما قادر على اعادتهما كما كان عليه وانما ذكر الاكبر مع ان الاصغر ظاهر هو اللائق بالمبالغة لئلا
يتوهم ان الصغار يثبت لكونها في محل النسيان واما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته على المراد ان الصغر
والاكبر مثبت في الكتاب وقد مر نظيره في يونس وقدم السموات على الارض موافقة لقوله له ما في السموات
وما في الارض بخلاف يونس فان المخاطبين في الارض فقدمت ثم ذكر غاية الاعادة بقوله ليجزي الى قوله من
رجز اليم ومعنى سعوا في اياتنا في ابطال اياتنا معاجزين مسابقين يعجز النبي في التقرير والتبليغ ويعجزون من
امن بنا وقيل اي سابقين يحسبون انهم يفوتوننا قال ابن زيد جاهدين هو قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه و
عن قتادة الرجز سوء العذاب وحين بين جزاء المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعي المعجز علم منه حال الغريمين قالوا من
الذي لم يعمل صالحا يكون له مغفرة من غير رزق كريم والكافر غير المعاند يكون له عذاب وان لم يكن من اسوء انواعه
ثم بين ان الذين اوتوا العلم لا يغترون بشبهات اهل العناد ويرون ما انزل على محمد هو الحق الذي لا يحتاج معه
الى النزاع غير لوطي حتى يمكن تصحيح قول المعاند بوجه واوتوا العلم هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون
لهم وقيل علماء اهل الكتابين الذين اسلموا ويرى من فعل القلب مفعولا الذي مع صلته والحق وهو فصل وقيل ان
يرى معطوف على ليجزي فلا وقف على اليم اي وليعلم اولوا العلم عند مجئ الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان
ويحتجوا به على المعاندين وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزداد حسرة والعزيز اشارة الى كونه منتقما
من الساعين في التكذيب والحميد اشارة الى انه يشكر سعي من يصدق ويعمل صالحا وقدم صفة الهيبة لان
الكلام مع منكري البعث ثم قص عنادا اهل قريش وخصهم بالتعجب من حالهم لانهم تجاهلوا حين قالوا على رجل مع ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان عندهم اظهر من الشمس قصدوا بذلك الطعن والسخرية فاخرجوا الكلام مخرج الحكاية ببعض
الاضاحيك والاعاجيب كانهم لم يكونوا يعرفون منه الا انه رجل ما ومعنى مزقتم كل ممزق فرقتم وصار كل تفريق وجوز
جار الله ان يكون اسم مكان اي مكان من الاموات ما حصل اجزاؤه في بطون الطير والسباع ومنها ما جرى به السيول
فذهبت به كل مذهب ونسفته الرياح فطرحته كل مطرح والعامل في اذا ما دل عليه قوله انكم لفي خلق جديد و
هو تبعثون او تخلقون ثم ترددوا في التجاهل فقالوا افترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه ام به جنة ان
كان لا يعتقد خلافه وفيه ان الكافر لا يرضى بالكذب البحت فردد كلامه وبين الامرين ولكن اخطأ ابن اخت
خالته حين ترك قسما ثالثا وهو انه عاقل صادق فلذلك رد الله عليهم بقوله الذين لا يؤمنون بالاخرة
في العذاب والضلال البعيد جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال لان العقاب من لوازم الضلال
وموجباته قابل قولهم افترى بالعذاب وقولهم به جنة بالضلال البعيد لان نسبة الجنون الى العاقل اقل في باب
الايذاء من نسبة الافتراء اليه وقد اسقطت همزة الوصل في قوله افترى استثقالا لاجتماع همزتين همزة
الاستفهام المفتوحة وهمزة الوصل المكسورة وهو على القياس وجوز بعضهم ان يكون هذا الاستفهام
من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم وحين قرر دليل الحشر من جهة كونه علام الغيوب اراد ان يذكر دليلا اخر على
ذلك من جهة كمال قدرته فقال افلم يروا ومعناه اعموا فلم ينظروا خصت بالفاء ولم يجئ غيره في القران لتعقيب
الجواب وتعقيب الحل الشبهة نظيره قوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
ثم هددهم بانه قادر على ان يجعل عين النافع ضارا بالخسف واسقاط الكسف وقال جار الله اراد افلم ينظروا
الى السماء والارض وانهما حيث كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان يخرجوا من اقطارهما
فلم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الايات وكفرهم بالرسول كما فعل بقارون واصحاب

الايكة ان في ذلك النظر والاعتبار لانه لكل عبد منيب لان الراجع الى ربه فلا يخلو من الاعتبار والاستبصار
ثم ذكر من عباده المنيبين اليه داود وسليمان كما قال في ص فاستغفر ربه وخر راكعا واناب وقال في سليمان على كرسيه
جسدا ثم اناب وفي قوله منا تشريف بالفضل وشامة ثم بين الفضل بقوله يا جبال لان هذا القول نوع من ايتاء
الفضل ويجوز ان يكون التقدير قلنا يا جبال اوبي اي رجعي معه التسبيح قيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت
الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقد مر تحقيقه في سورة الانبياء والتاويب السير كل النهار د
والنزول ليلا وكانه قال اوبي النهار كله بالتسبيح معه وفي خطاب الجماد دون ان يقول فضلا وتاديب الجبال معه اشعار
بانه ما من صامت وناطق الا وهو منقاد لمشيته وقد لان الله له الحديد كالشمع او لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة
وان في ان اعمل مفسرة لان الالانة الحديدية في معنى الامر او بمعنى ليعمل سابغات اي دروعا واسعة وهي من الصفات التي غلبت
عليها الاسمية حتى يرى ذكر موصوفها والسرد نسج الدروع ومعنى التقدير فيه ان لا يجعل المسامير دقاقا ولا غلاظا فيقصم
الحلق يروى انه كان يخرج حين ملك بني ادم متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما يقولون في داود فيثنون عليه
فقيض الله تعالى ملكا في صورة ادمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فخاف داود فساله فقال لولا انه
يطعم عياله من بيت المال فطلب عند ذلك من الله ان يغنيه عن الاكل من بيت المال فعلمه صنعة اللبوس وانما اختار له ذلك
لانه وقاية الروح ويحفظ الادمي المكرم عند الله من القتل فلم يزل داود من الغواص والسياف وقيل ان التقدير في
السرد اشارة الى انه غير مامور به من ايجاب بما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة الى القوت وباقي الايام والليالي
للعبادة بدليل قوله واعملوا صالحا اي لستم يا ال داود مخلوقين الا للعمل الصالح فاكثروا منه وما كسبتم القوت فاقتصدوا
فيه ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله اني بما تعملون بصير فان من يعلم انه بمراي من الملك اجتهد في حسن العمل وتركه
الباطل ثم ذكر المنيب الاخر وهو سليمان وحكى ما استفاده من الانابة وتسخير الريح له كالمملوك المنقاد لامره غدوها
شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك يروى ان بعض اصحاب سليمان مكث في منزل بناحية دجلة
نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه وغدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله ومن
جملة معجزاته اسالة عين القطر والقطر النحاس اساله لاجله كما الان الحديد لداود فينبع كما ينبع الماء من العين فلذلك
سماه عين القطر روي انه كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام زعم بعض المحققين ان المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع
داود انها كانت تسبح كما يسبح كل شئ بحمده وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحهم فيسبح ومن تسخير الريح انه راض الخيل
وهي كالريح وقوله غدوها شهر اي ثلثون فرسخا لان الذي يخرج للتفرج لا يسير في العادة اكثر من فرسخ ثم يرجع والمراد م
بالانة الحديد واسالة القطر انهم استخرجوا الحديد والنحاس بالنار واستعمال الالات والمراد بالشياطين ناس اقويا
ولا يخفى ضعف هذه التاويلات فان قدرة الله في باب خوارق العادات اكمل من يحتاج الى هذه التكلفات وقال في
التفسير الكبير الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر
فيها انها سبحت فجعلها كالمملوكة او نقول الجبل في السير ليس اصلا بل هو يتحرك معه تبعا والريح لا يتحرك مع نفسها لم
ينقل الريح مع سليمان بل سليمان كان مع الريح وههنا نكتة وهي ان الله تعالى ذكر ثلاثة اشياء في حق داود وثلاثة في حق
سليمان عليهما السلام فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان مع خفيف فالجبال اثقل من الادمي والادمي اثقل
من الريح وايضا تسخير الطير من جنس تسخير الجن فان الطير ينفر من الادمي ويبقى مواضع الجن والجن يطلب ابدا اصطياد
الناس والانسان يطلب اصطياد الطير والانة الحديد يشبه اسالة القطر وفي قوله باذن ربه اشارة الى ان حضور
الجن بين يديه كان مصلحة له لا مفسدة وفي قوله عن امرنا دون ان يقول عن امر ربه اشارة الى ان الجن بصدد التعذيب عند
زيغهم عن امر الله فان لفظ الرب ينبئ عن الرحمة وصيغة جمع المتكلم مقام الوحدة تنبئ عن الهيبة قال ابن عباس عذاب السعير
عذاب الاخرة وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من النار كلما استعصى عليه الجني ضربه من حيث لا يراه الجني ثم فصل
عمل الجن بقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وهي المجالس والمساجد الرفيعة الشريفة المصونة عن الابتذال وقد مر في
ال عمران والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين وكان يامرهم ان يعملها في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام
ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم عن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور في تلك الشرائع محرما ولعلها صور غير الحيوان
من الاشجار ونحوها ويروى انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما
واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وحين فرغ من تقرير مسكنه ونقوشه شرع في تقرير الات محليه تقدم ذكر الجفان

التي بها يظهر عظمة السماط الممدود فيه والجفنة والقصعة الكبيرة والجوابي الحياض الكبار لان الماء يجبى فيها اي
يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة وكان يقعد على الجفنة الف رجل وحين ذكر الجفان كان يقع في
النفس ان هذه الاطعمة كيف يكون قدورها فذكرها بانها قدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها وليعلم من
هذا ما بين قضية داود وسليمان ان اشتغال داود بآلة الحرب كان اكثر لانه قتل جالوت ثم اراد تسوية الملك والغلبة على الجبابرة
واما في زمن سليمان فالملك قد استوى ولم يكن على وجه الارض احد يناويه وكان يصرف الاموال في الاطعام والانعام
ثم بين بقوله اعملوا آل داود شكرا ان الدنيا عرض زايل وان كان مثل ملك سليمان فعلى العاقل ان يصرف همته في طلب الآخرة وانتصب
شكرا على انه مفعول له او حال اي شاكرين او مصدر لان اعملوا في معنى اشكروا او مفعول به لان الشكر عمل صالح وقال جار الله انه
على طريق المشاكلة ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا قلت وفي لفظ العمل اشارة الى ان الشكر اللساني
غير كاف وانما المعتبر الشكر الفعلي وهو مع القولي يروى ان داود عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم يكن يأتي
ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي والشكور هو المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه بالقلب واللسان
والجوارح في اكثر الاوقات والاحوال فانهم قليل فلذلك قال بعضهم اللهم اجعلني من الاقلين وهذا الشكر القليل انما هو
بقدر الطاقة البشرية واما الذي يناسب نعم الله فلن يقدر الانسان عليه الا ان يقول الله عبدي ما اديت من الشكر قبلته
منك مع قلته وكتبتك شاكرا لانك عاجز عنها وهذا القبول نعمة عظيمة لا تملك شكرها وحين بين عظم سليمان وتسخير
الريح والجن له بين انه لم يبرح من الموت وانه قضى عليه الموت ولو نجا احد منه لكان نبي الله اولى بذلك يروى ان داود
صلوات الرحمن عليه اسس بناء بيت المقدس فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه وكان من
عادته ان يعتكف فيه احيانا فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله عز وجل فيسألها لاي شيء انت
فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها لاي شيء فقالت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي فقال
اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت
من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه
وبقي كذلك وظن جنوده انه في العبادة وكانوا يواظبون على الاعمال الشاقة الى ان اكلت الارضة عصاه فخر ميتا و
ذلك بعد سنة والارض مصدر ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة والمنساة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد
ويؤخر وقد يترك همزها وقرئ من سأته اي من طرف عصاه سميت سأة القوس على الاستعارة وتبينت الجن ظهرت
وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال على نحو قولك تبين زيد جهله او هو بمعنى علمت اي علم الجن كلهم فهو التباس
الامر على عامتهم لان كبارهم لا يعلمون الغيب وكانوا ادعوا ذلك من قبل دون رآه والمراد التهكم وان الذين ادعوا منهم
علم الغيب اعترفوا لا يجبهم مع انهم كانوا من قبل عارفين عجزهم كما لو قلت لمدعي الباطل هل تبينت انك مبطل وانت تعلم
انه لم يزل مبينا لذلك وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة وبقي في ملكه الى ان مات و
ابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه ولما بين حال الشاكرين لانعمه ذكر حال من كفر النعم وسبأ يصرف بناء على انه
اسم للحي او للاب الاكبر ولا يصرف بتأويل القبيلة وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب
بسبأ بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ومن قرأ مساكنهم فظاهر ومن قرأ على التوحيد فالمراد مسكن كل واحد منهم او موضع سكناهم
وهو بلدهم وارضهم عن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام ومعنى كون الجنتين آية انه جعل
قصتهما عبرة لاهل الكفران او علامة دالة على الصانع وكمال اقتداره ووجوب شكره قال جار الله لم يرد بستانين
اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها كأن كل واحدة من الجماعتين في
تقاربها وتضامها جنة واحدة او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كقوله جعلنا لاحدهما جنتين
من اعناب وقوله كلوا من رزق ربكم حكاية بلسان الحال او لسان الانبياء المبعوثين اليهم وهم ثلاثة عشر نبيا على ما
روي وفيه اشارة الى كمال النعمة حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها حرف ولا مرض وكذا قوله واشكروا له لان الشكر لا يطلب
الا على النعمة المعتبرة وكذا قوله بلدة طيبة ورب غفور اي ربكم الذي رزقكم وطلب شكركم غفور لمن شكر بقدر
طاقته لا يؤاخذه بالتقصير في اداء حق الشكر اذا توجه على الشكر وبذل وسعه فيه او اراد غفران ساير الذنوب و
كانه وعدهم سعادة الدارين وعن ثعلب معناه اسكنوا واعبدوا وحين بين ما كان من جانبهم وهو قوله فاعرضوا
اي عن الشكر ثم ذكر جزاءهم بقوله وارسلنا عليهم سيل العرم وهو الجرذ يروى ان بلقيس الملكة عمدت الى الجبال هناك

فسدت ما بينها من الشعب بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا لها ابواب مترتبة فوق
بعض على مقدار ما يحتاجون اليه في سقي اراضيهم فلما طغوا سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم و
وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل المطر الشديد والتركيب
يدل على الشكاسة وسوء الخلق ومنه قولهم صبي عارم بين العرام اي شرس ومن ذلك عرمت العظم عرقته وعرمت الابل
الشجر نالت منه ذواتي اكل صاحبتي ثمر القياس ذواتا لان المستعمل في التثنية هو الجمع والخمط شجر الاراك ابو عبيدة
كل شجر ذي شوك الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل نوع من الطرفاء لا يكون عليه ثمر الا اذا
كالعفص في الطعم والطبع ولكن اصغر والسدر معروف وهو من احسن اشجار البادية فلذلك وصف ههنا بالقلة عن الحسن
قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا والتحقيق فيه ان البساتين اذا عمرت كل سنة وتقيت من الحشايش كانت ثمارها زكية واشجارها
عالية فاذا تركت سنين صارت كالغيضة والاجمة والتفت الاشجار بعضها ببعض فقلت الثمار وكثرت الحشايش والاشجار
ذوات الشوك على انه لا يبعد التبديل تحقيقا فيكون شبه المسخ من قرأ اكل خمط بالاضافة فظاهر ومن قرأ بالتنوين فعلى حذف
المضاف اي اكل اكل خمط او وصف الاكل بالخمط فانه قيل ذا في اكل بشع وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة او للتهكم قال في
الكشاف الاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له ذلك الارسال والتبديل جزيناهم بما كفروا النعمة ولم
يشكروها وهل يجازى مثل هذا الجزاء وهو العقاب العاجل الا الكفور قال بعضهم المجازاة يقال في النقمة والجزاء في النعمة لا يقال
كقوله سبحانه جزيناهم بما كفروا وقال جار الله الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل في المعاقبة تارة وفي الاثابة اخرى فلما استعمل
اولا في معنى المعاقبة استعمل ثانيا على نحو ذلك وقيل ان المجازاة مفاعلة وهي في الاكثر يكون بين اثنين يؤخذ من كل واحد
جزاء في حق الاجر ففي النعم لا يكون مجازاة لان الله مبتدئ بالنعم وحين ذكر حال مسكنهم وجنتيهم وحكى تبديل الخبيث
بما لا نفع فيه اراد ان يذكر حال خارج بلدهم وما تؤول اليه امره فقال وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها وهي قرى
الشام قرى ظاهرة متواصلة ترى من كل منها ما يليها لتقاربها وظاهرة للسابلة لكونها على متن الطريق وقدرنا فيها
السير يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في اخرى فمنازل ما بين تلك القرى مقدرة معلومة لا يجاوزها المسافر عرفا
بخلاف المفاوز فان السائر يسير فيها بقدر طاقته حتى يقطعها ثم بين امن تلك الطريق بقوله سيروا اي قلنا لهم سيروا
ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار وقال اهل البيان لا قول ولكنهم مكنوا من السير بتهيئة اسبابه من وجدان الزاد والراحلة
وعدم المخاوف والمصادرة فكانهم امروا بذلك والمقصود من ذكر الليالي والايام تقرير كمال الامن ولذلك قدمت الليالي
فانها مظنة المخافات ويمكن تقرير الامن بوجه آخر وهو ان يراد سيروا فيها وان تطاولت مدة سفركم فيها امتدت
اياما وليالي ويراد بالليالي والايام مدة اعمارهم اي سيروا فيها مدة عمركم فانكم لا تلقون الا الامن ثم حكى انهم بشموا العيش
الهني وملوا النعم والراحة كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا ارادوا ان
يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد قائلين لو كان جنى ثمارنا ابعد كان اشهى و
ارغب ويحتمل ان يكون ذلك لفساد اعتقادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضرب من شئت يريد ذلك الى انه لا يقدر
عليه ومن قرأ على الابتداء والخبر فالمراد استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم وظلموا انفسهم ولو
الكفر موضع الشكر فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق فلاجرم اتخذ الناس حالهم مثلا قائلين ذهبوا
ايدي سبا اي في طرق شتى والايد في كلام العرب الطريق يقال سلك بهم يد البحر وقيل الايادي الاولاد لانه يعتضد بهم
كالايدي والمعنى ذهبوا تفرق الاولاد سبأ فلحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك
الجعل والتمزيق لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور للنعم او صبار على النقم حتى لا يلحقه البطر شكور لها برعاية حق الله فيها ثم
اخبر عن صنعة عدو الانسان بقوله ولقد صدق عليهم اي على بني آدم لقرينة الحال وقيل على اهل سبأ ظن ابليس هو قوله
لاغوينهم او قوله لاحتنكن بدليل قوله فاتبعوه والمتبوع خير من التابع ولا ريب ان الكافرين خالفوا ابليس لانه خالف
امر الله في سجدة آدم والكافر يجحد الصانع او يشرك به ثم بين بقوله وما كان له من سلطان لنبين ملجى ونكته انه علامة
يتميز به ما هو السابق في علمه من المقر والشاك والحفيظ المحافظ ويدخل في مفهوم الحفظ العلم والقدرة اذ الجاهل
لا يمكنه حفظه وكذا العاجز **التأويل** يعلم ما يلج في الارض البشرية بواسطة الحواس والاغذية الحلال والحرام وما
يخرج منها من الصفات المتولدة منها وما ينزل من سماء القلب من الفيوض والالهامات وما يعرج فيها من آثار الفجور والتقوى
وظلمة الضلال ونور الهداية الى ما بين ايديهم وما خلفهم من سماء القلب وارض النفس نخسف بهم ارض البشرية بغلبات

صفاتها او يغلب عليهم صفة من صفات القلب بالميل الى الافراط فيهلكهم بها كالسخاوة فانها صفة حميدة لكنها
اذا جاوزت حد الاعتدال صارت ذميمة ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين يا جبال اوبي معه بيانه في سورة
الانبياء وقدر في السرد هو التكلم بالحكمة على قدر عقول الناس ولسليمان القلب سخرنا ريح العناية وذلك ان مركب
القلوب في السير هو الجذبة الالهية كما ان مركب النفس في السير البدن يروى ان سليمان في سره لاحظ ملكه يوما
فمال الريح ببساطه فقال سليمان للريح استو فقالت الريح استو انت فاني لا اكون مستويا حتى تستوي انت كذلك حال
الريح القلب وريح العناية اذا زاغ القلب ازاغ الله بريح الخذلان بساط السر ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم واسلنا له عين الحقايق والمعاني وسخرنا له صفات الشيطنة ليعمل بين يديه على وفق اوامر الله ونواهيه
كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم شيطاني اسلم على يدي فلا يامرني الا بالخير من محاريب وهو كل ما يتوجه الى الله بخاصية
الاباء والاستكبار وابنية السجود لغير الله ولو وكل القلب والروح الى الخاصية الروحانية التي جبل الروح عليها ما كان
يرغب في العبور عن مقام الروحانية كالملائكة وقال الجن آمل لود بوت امله لاحترقت وجفان كالجواب فيه اشارة
الى مادبة الله التي ياكل منها الانبياء والاولياء يبيتون عند ربهم اعملوا آل داود وهم متولدات الروح فشكر البدن
استعمال الشريعة بجميع الاعضاء والحواس وشكر النفس باقامة شرايط التقوى والورع وشكر القلب بمحبة الله
وحده وشكر السر المراقبة وشكر الروح بذل الوجود على نار المحبة كالفراش على شعلة الشمع وشكر الخفي قبول
الفيض بلا واسطة في مقام الوحدة مختفيا بنور الوحدة عن نفسه فالعوام شكرهم بالاقوال والخواص شكرهم
بالاعمال وخلص الخواص شكرهم بالاحوال وهو الاتصاف بصفة الشكورية التي تعطي على عمل فان عشرة ثواب
باق ولذلك وصفهم بالقلة تأكل منسأته اتكاء سليمان على عصاه فبعث الله احسن دابة لابطال متكاه وجعله
سببا لزوال ملكه وفوات روحه وكان قبل متكئا على فضل الله واتاه ما لم يوت احدا من خلقه لقد كان لسباء
السر جنتان جنة الروح عن يمين السر وجنة القلب عن شمال السر بلدة طيبة هي بلدة الانسانية القابلة لبذر
التوحيد ورب غفور يستر العيوب فاعرضوا عن الوفا واقبلوا على الجفا فارسلنا عليهم سيل سطوات قهرنا و
بدلناهم بجنتيهم الخربتين باشجار الاخلاق الحميدة جنتين من الاوصاف الذميمة وهل نجازي وهل يكون الكفار
الخبيثة الا الاثار الخبيثة وقرى ظاهرة هي منازل السالكين ومقامات العارفين من التوبة والزهد والتوكل
والتزكية والتحلية وقلنا لهم سيروا في ليالي البشرية وايام الروحانية امنين في حفارة الشريعة فطلبوا البعد
عن الله بالميل الى ما سواه فمزقناهم في اودية الهلاك ودركات البعد وما كان له عليهم من سلطان وانما يسلط
على بني ادم لاستخراج جواهر النفوس من معادنها اعاذنا الله منه هـ

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له
منهم من ظهير ● ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى
اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي
الكبير ● قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ● قل لا تسئلون
عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون ● قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا

بالحق وهو الفتاح العليم ● قل اروني الذين الحقتم به شركاء
كلا بل هو الله العزيز الحكيم ● وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ● ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ● قل لكم ميعاد يوم لا
تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ● وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ●
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن
الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ● وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان
نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا
يعملون ● وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما
ارسلتم به كافرون ● وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين ● قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ● وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء
الضعف بما عملوا وهم في الغرفات امنون ● والذين يسعون

في اياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون ● قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه وهو خير الرازقين ● ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ● قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون ●
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ● واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان
يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين ● وما اتيناهم من كتب
يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ● وكذب الذين
من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلي فكيف
كان نكير ● قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى
ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين
يدي عذاب شديد ● قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري
الا على الله وهو على كل شيء شهيد ● قل ان ربي يقذف بالحق
علام الغيوب ● قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ● قل ان
ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع
قريب ● ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب ● وقالوا

امنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد ● وقد كفروا
به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ● وحيل بينهم
وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب

القراءة اذن له على البناء للمفعول ابو عمرو وعلي وحمزة وخلف والاعشى والبرجمي فزع على البناء للفاعل ابن عامر ويعقوب جزاء الضعف بالنصب الضعف مرفوعا يعقوب في الغرفة على التوحيد حمزة نحشرهم ثم نقول على الغيبة فيهما حفص ويعقوب الباقون بالنون ثم تتفكروا بتشديد التاء رويس اجري بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص ربي انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع ابو عمرو والتناوش مهموز ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والتنوين والبرجمي حيل بضم الحاء وكسر الياء ابن عامر وعلي ورويس **الوقوف** من دون الله لا لاحتمال الجملة بعده حالا واستينافا فالظهير اذن له الحق الكبير والارض قل الله لا لاتصال القول مبين يعملون بالحق العليم كلا الحكيم لا يعلمون صادقين ولا يستقدمون نصف الجزو بين يديه عند ربهم لان ما بعده يصلح استينافا وحالا وهذا وجه القول لمثل ذلك مؤمنين مجرمين اندادا العذاب كفروا يعملون كافرون بمعذبين لا يعلمون صالحا لان اولئك مبتدأ مع الفاء امود محضرون ويقدر له يخلفه لعطف الجملتين المختلفتين الرازقين تعبدون من دونهم لتنويع الكلام مع اتحاد المقول الجن لذلك مؤمنون ضرا مكذبون اباؤكم للعطف مع طول الكلام والتكرار مفترى مبين من نذير نكير بواحدة لان ما بعده بدل او خبر اي هي ان تقوموا من جنة شديد لكم الله شهيد بالحق لاحتمال ان ما بعده بدل من الضمير في يقذف او خبر اي هو علام الغيوب بعيد على نفسي لعطف جملتي الشرط ربي قريب لان ما بعده معطوف على اخذوا وامنا به لاحتمال الجملة الاستفهامية مبتدأ بها او حالا بعيد للبيئة ولاحتمال الاستيناف والحال بعده والعامل معنى في التناوش من قبل للعطف على كفروا بناء على انه حال ماضية اولا للاستيناف اي وهم يقذفونه بعيد من قبل مريب **التفسير** لما فرغ من حكاية اهل الشكر واهل الكفران تمثيلا عاد الى مخاطبة كفار قريش وتقريعهم ومفعولا زعم محذوف اي زعمتموهم الهة وسبب حذف الاول استخفاف دعواه الى الموصول وسبب حذف الثاني اقامة الصفة وهي من دون الله مقام الموصوف ونفي الاية مبني على تفصيل هو ان مذاهب اهل الشرك اربعة **احدها** قولهم انا نعبد الملائكة والكواكب التي في السماء فهم الهتنا والله الههم فالله تعالى في ابطال قولهم انهم لا يملكون في السموات شيئا كما اعترفتم ولا في الارض على خلاف ما زعمتم ان الارضين والارضيات تحكم **وثانيها** قول بعضهم ان السموات من الله على سبيل الاستقلال وان الارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب وايضا لاتها وانصارا فانها فابطل معتقد هؤلاء بقوله وما لهم فيهما من شرك اي الارض كالسماء لله ليس لغيره فيه نصيب **وثالثها** قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله لكن فوض ذلك الى الكواكب واعانتها واشار الى ابطال معتقد هؤلاء بقوله وما له منهم من ظهير **ورابعها** مذهب من زعم انا نعبد الاصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا فبين بطلان مذهبهم بقوله ولا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين او الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وحتى غاية لمضمون الكلام الدال على انتظار الاذن كانه قيل يتربصون ويقفون مليا فزعين حتى اذا فزع اي كشف الفزع في القيامة عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة والتشديد للسلب والاسناد الى نحو فرد به وحلله التي ازلت فؤاده وسلخت جلده وقيل ان حتى على هذا التفسير متعلق بقوله زعمتم اي زعمتم الكفر الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قالوا الحق ومنهم من ذهب الى ان التفزيع غاية الوحي المستفاد من قل فانه عند الوحي يفزع من في السموات كما جاء في الحديث اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبرائيل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبرائيل ماذا قال ربكم فيقولون الحق الحق وقيل اراد بالفزع هو انه تعالى لما اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فزع من في السموات من القيامة لان ارسال محمد من اشراطها فلما زال عنهم ذلك قالوا ماذا قال الله هو الحق فينتفع بتلك المعرفة اهل الايمان ولا ينتفع بها اهل الكفر وحين بين بقوله قل ادعوا انه لا يدفع الضر الا هو اشارة بقوله قل من يرزقكم الى ان جانب النفع لا يملك الا هو وههنا نكتة هي انه قال في دفع الضر قالوا الحق وفي جلب النفع قال قل الله تنبيها على انهم في الضراء مقبولون على الله معترفون به في السراء معرضون

عنه ما تقولون لا ينتهون الا ميسه وقوله وانا او اياكم من الكلام المنصف الذي يقيمن قله شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا
وفي تخالف حرفي الجر في قوله لعلى هدى او في ضلال اشارة الى ان اهل الحق راكبو مطية الهدى مشتغلون على متنها وان
وان اهل الباطل منغمسون في ظلمة الضلال لا يدرون اين يتوجهون وانما وصف الضلال بالمبين واطلاق الهدى
لان الحق كالخط المستقيم واحد والباطل كالخطوط المنحنية لا حصر لها فبعضها ادخل في الضلال من بعض وابين وقوله
عما اجرمنا الى قوله عما تعملون ابلغ في سلوك طريقة الانصاف حيث اسند الاجرام وهو الصغاير والزلات او هي مع الكباير
الى اهل الايمان وعبر عن اجرام اهل الكفر بلفظ عام هو العمل وفيه ارشاد الى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها فاذا قال
احد المناظرين للاخر انت مخطى اغضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض
ومعنى الفتح الحكم والفصل من الفريقين بادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار ووجه حيث في الاية الاولى على وجوب النظر
من حيث ان كل احد يواخذ بجرمه ولو كان البرى يواخذ بالمجرم لم يكن كذلك اكد ذلك المعنى بالاية الثانية وان مجرد الخطا
والضلال واجب الاجتناب فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وفي قوله العليم اشارة الى ان حكمه يكون مع العلم
لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى ولما بين ان غير الله لا يعبد لدفع الضر ولا لجلب النفع اراد ان يبين ان غير الله لا ينبغي
ان يعبد لاجل استحقاق للعبادة الالهية ومعنى اروني وكان يريهم وابرام الاستخفاف بهم والتنبيه على الخطا
العظيم في الحاق الشركاء بالله او اراد اعلموني باي صفة الحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء فشركاء نصب على الحال
والعايد محذوف وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد كسره ابطال المقايسة وردا الالحاق ثم زاد في توبيخهم بقوله بل هو الله
العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات فان الاله لا يمكن انه يخلو عن القدرة الكاملة والحكمة
الشاملة وهو احتمل ان يكون ضمير الشان وحين فرغ من التوحيد شرع في الرسالة ومعنى كافة عامة لان الرسالة اذا
شملتهم فقد منعتهم ان يخرج منها والكف المنع وكانه صفة ارسالة وقال الزجاج التا للمبالغة كتاء الرواية
والعلامة وانه حال من كاف اى ارسلناك جامعا للناس في الابلاغ والتبشير والانذار ومانعا للناس من الكفر والمعاصي
وبعض النحويين جعله حالا من الناس وزيف بان حال المجرور لا يتقدم عليه ومن هولاء من جعل اللام بمعنى الى لان
ارسل يتعدى بالى فضوعف تخطئته بان استعمال اللام بمعنى الى ضعيف ولا يخفى ان ثاني مفعولي ارسلنا على غير
هذا التفسير محذوف التقدير وما ارسلناك الى الناس الا كافة لهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لا لخفائه ولكن
لغفلتهم وحين ذكر الرسالة بين الحشر وذكر انهم استعجلوه تعنتا منهم فبين على طريق التهديد انه لا استعجال فيه
كما لا امهال وهذا شان كل امر ذي بال قال جار الله ميعاد يوم كقولك سحق ثمامة في ان الاضافة للتبيين ويويده
قراءة من قرا ميعاد يوم بالنصب فيهما فايدة منه اليوم ولما بين الاصول الثلثة التوحيد والرسالة والحشر ذكر انهم
كافرون بالكل قايلين لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه من الكتب السماوية كالتورية والانجيل يروى ان كفار
مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة محمد في كتبهم فاغضبهم ذلك فقرنوا الى القران جميع الكتب
وقيل الذين كفروا عام والذي بين يديه يوم القيمة وما جاء ذكر في القران من تفاصيل الحشر وغيرها وان اهل الكتاب
لو صدقوا ايضا في ذلك فليس لاجل محبة في القران ولكن لمحبة في كتبهم وحين وقع الياس من ايمانهم بقولهم لن
نومن وعد نبيه بانه سيراهم على اذل حال موقوفين للسؤال عادين اهداب المراجعة كما يكون حال الجماعة اخطاوا
في تدبير امر وجواب لو محذوف اى لقضيت العجب وبدا بالاتباع لان المضل اولى بالتوبيخ وفي قولهم لولا انتم اشارة
الى ان كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضي فان الرسول قد جاء ولم يقصر في الابلاغ ثم ذكر جواب المستكبرين وهم الرؤس
والمتبوعون على طريقة الاستيناف وفي ايلاء الاسم وهو نحن حرف الانكار اثبات انهم هم الذين صدوا انفسهم
عن الهدى بكسب منهم واختيار وان المانع لم يكن رجحان المقتضي ولا مساويا له واكد ذلك بقوله بل كنتم مجرمين
اى انكم انتم الذين اطعتم امر الشهوة فكنتم كافرين ولم يكن منا الا التسويل والتزيين ثم عطف قول الاخر المستضعفين
على قولهم الاول والاضافة في مكر الليل والنهار من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به واصل الكلام بل مكركم
في الليل والنهار وجعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي فالاول اتساع لفظي والثاني معنوي الطلل اضر
قايلين ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا مستمرا دايما دايبا ليلا ونهارا وقدم الليل لانه اخفى للمكر د
الويل وقرى مكر الليل بالتشديد اى سبب ذلك انكم تكرون الاعفاء مكرا دايما اسما ايتم بالصارف القطعي والمانع
القوي وتكن بالضم لذلك طول المدة فصار قولكم حجة السيب وفي قوله ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اشارة الى ان

الشريك وان كان مثبتا لله في الظاهر ولكنه باق له على الحقيقة لانه جعله مساويا للصنم ويجوز ان يكون كل منها قول
طايفة اخرى فبعضهم كانوا مامورين بجحد الصانع وبعضهم بالاشراك به وتفسير قوله واسروا الندامة لما راوا العذاب
مذكور في سورة يونس والضمير يعود الى جنس الظالمين الشامل للمستضعفين والمستكبرين وقوله في اعناق الذين
كفروا اى في اعناقهم فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما استحقوا به الاغلال وهي محمولة على الظاهر وان جاز
ان يراد بها العلايق وفي قوله هل يجزون اشارة الى انهم استحقوها عدلا ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بان ايذاء
الكفار الانبياء ليس ببدع وانما ذلك مجيرا منهم قديما وانما خص المترفين بالذكر لانهم اصل في الجحود والعناد وغيرهم
اتبع ثم استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد لانهم اعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم
ثم قاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا فقالوا وما نحن بمعذبين فبين الله خطاهم بان القابض
الباسط هو الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك لمجرد المشية بالكسب والاستحقاق فكم من شقي معسر ثم زاد في البيان
بقوله وما اموالكم اي وبا جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم زلفى اي قربى اسم من القرب وقع موقع المصدر كقوله انبتكم
من الارض نباتا ثم استثنى من ضمير المفعول في تقربكم قوله الا من امن والمراد ان الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المومن
الصالح ينفق الاموال في سبيل الله ويعلم اولاده العلم والفقه في الدين ويحتمل ان يكون الاستثناء من الفاعل والمعنى
ان شيا من الاشياء لا يقرب احدا الا عمل المومن الصالح لان ما سوى ذلك شاغل عن الله والعمل الصالح اقبال على العبودية
ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيا حصل وجزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول فاولئك لهم ان يجازوا
الضعف ومعنى قراءة يعقوب اولئك لهم الضعف جزاء والتضعيف يكون الى العشر والى سبعماية واكثر كما عرف والباقي الى
قوله محضرون قد سبق وحين بين ان حصول الرزق لا يدل على الشرف ثم ذكر ان بسط الرزق لا يختص بهم ولكنه سبحانه قد
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده المومنين ثم رتب وعدا لاخلاف على الانفاق وذلك اما في العاجل بالمال او بالقنوع
واما في الاخرة بالثواب الذي لا خلف فوقه ولا مثله ومما يوكد الاية قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اعط منفقا
خلفا الحديث وقوله الفقهاء الوشاعك في البحر وعلى ضمانه وان التاجر اذا علم ان مالا امن الاموال في معرض الغنى
يشعه بنسبه وان كان من الفقراء والانسب الى الخطاء وسخام الراى ولا ريب ان مال الدنيا في معرض الزوال وان
اغنى الاغنياء قد طلب منا الاقراض ووعد الاضعاف والاخلاف فاي تجارة عند العاقل اربح من هذا وهو خير
الرازقين لان سلسلة الارزاق والرزق ينتهي اليه وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من
مشتهي لا يجد وواجد لا يشتهي ثم حكى عاقبة حال الكفار بقوله ويوم نحشرهم وفي خطاب الملايكة وتقريرهم لما يعرفوه
من الخجل والوجل عند اقتصاص ذلك كما مر في قوله لعيسى انت قلت للناس قالوا سبحانك تنزهك عن ان نعبد غيرك
انت الذي نواليك ونعادي غيرك في شان العبادة بل كانوا يعبدون الجن حيث اطاعوهم في عبادة غيرك فهم
كانوا يطيعونهم وكنا نحن كالقبلة او صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صورة الملايكة فاعبدوها
وكانوا يدخلون في اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها وانما قالوا اكثرهم بهم مومنون وما ادعوا الاحاطة لان
الذين راوهم واطلعهم الله على احوالهم كانوا كذلك ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملايكة عليه من الكفار وايضا العبادة
عمل ظاهر والايمان عمل باطن والاطلاع على عمل القلب كما هو ليس الا لله وحده فراعوا الادب بالجميل والحكم على
الظاهر الكثير ثم ذكر ان الامر في ذلك اليوم لله وحده والخطاب في قوله لا يملك بعضكم للملايكة وللكفار وان كان
الكفار غايبين كما يقول لمن حضر عندك ولمن شاركه في امر بسبه انتم فعلتم كذا على معنى انت فعلت وهم فعلوا ويحتمل ان يكون
الخطاب للكفار لان ذكر اليوم لا يدل على حضورهم اولهم وللملايكة ايضا بهذا التاويل وعلى الاول يكون قوله ونقول للذين ظلموا
افراد للكفرة بالذكر وعلى الوجه الاخر يكون تاكيدا لبيان حالهم والظلم وذكر النفع تاكيد لعدم تملكهم شيا والا فهو
مقصود في ذلك اليوم وانما قال ههنا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وفي السجدة عذاب النار الذي كنتم به لانهم
هناك قد ذكر النار بدليل قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فقيل لهم ذوقوا عذاب المويد الذي كنتم به
تكذبون في قولكم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وههنا لم يذكر النار قبل لانه مذكور عقيب الحشر والسؤال
فناسب التوبيخ على تكذيبهم بالنار ثم حكى اكاذيبهم بقوله واذا تتلى الاية ولا يخفى ما فيه من المبالغات ثم بين انه
اقوالهم هذه لا يستند الا الى محض التقليد فقال وما اتيناهم من كتب يدرسونها والايات البينات لا يعارض بالبراهين
العقلية وما لهم من دليل او بالنقليات وما عندهم من كتاب ولا رسول غيرك وكذب الذين من قبلهم كعاد وثمود وما بلغوا

معشار ما آتيناهم والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع قال الاكثرون معناه وما بلغ هؤلاء المشركون عشر ما آتينا
المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم ان الله اخذهم وما نفعهم محصولهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وقال
بعضهم اراد وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان لان محمدا افصح الرسل وكتابه
اوضح الكتب ثم ان المتقدمين انكر عليهم تكذيبهم فكيف لا ينكر على هؤلاء قال جار الله قوله فكذبوا رسلي بعد قوله وكذب
الذين من قبلهم تخصيص بعد تعميم كانه قيل وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلي نظيره قول القايل اقدم فلان
على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله ما بلغن كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو
فيفضل عليه قلت فعلى هذا يكون الفاء السببية والمعنى انه اذا لم يبلغ معشار فضله فكيف يفضل عليه وكذا في الاية
المعنى اذا لم يبلغوا معشار المتقدمين فكيف كذبوا فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله ويجوز عندي
ان يكون الثاني تكريرا للاول ولاجل ترتب النكير عليه كانه قيل فلما وقد صح انهم فعلوا ما ذكرنا فلا جرم ذاقوا وبال امرهم نظيره
قولك لمن يحضرتك فعلت كذا وكذا فان وقد فعلت ذلك فتربص وبعد تقرير الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر كررها
مجموعة بقوله قل انما اعظكم بواحدة اي بخصلة او حسنة او كلمة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان
لها والقيام اما حقيقة وهو قيامهم عن مجلس النبي متفرقين الى اوطانهم واما مجاز وهو الاهتمام بالامر والنهوض له بالعزم
والجد وقوله مثنى وفرادى اشارة الى جميع الاحوال لان الانسان اما ان يكون مع غيره او لا فكانه قال ان تقوموا لله مجتمعين
ومنفردين لا يمنعكم الجمعية عن ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله وقوله ثم تتفكروا يعني اعترفوا بما
هو الاصل وهو التوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر بعد ما بان فظهر ثم تفكروا فيما اقول بعده وهو الرسالة المشار
اليها بقوله ما بصاحبكم من جنة والحشر المشار اليه بين يدي عذاب شديد قيل وفيه اشارة الى عذاب قريب كانه قال
يديكم عذاب حاضر يمسكم قيل الشديد بمجموع الامور الثلاثة شيء واحد والمراد انه لا يامرهم في اول الامر بغير التوحيد
لانه يلتقي على الكل لانه لا يامرهم في جميع العمر الا بشيء واحد وعند جار الله الخصلة الواحدة هي فكرة في امر محمد المعنى اعظكم
بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وهو ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان ما فوق
الاثنين والواحد يوجب التشويش واختلاف الراي فيتعرض كل من الاثنين محصول فكره على صاحبه من غير عصبية
ولا اتباع هوى وكذلك الفرد تفكر في نفسه بعدل ونصفة حتى يحدث الفكر بصيغة الى ان الامر المستتبع لسعادة
الدارين لا يتصدى لادعايه الا رجلان مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان وعاقل اجتباه الله بسوابق
الفضل والامتنان لتكميل نوع الانسان لكن محمدا بالاتفاق ارجح الناس عقلا واصدقهم قولا واوفرهم حياء وامانة
فما هو الا النبي المنتظر في اخر الزمان المبعوث بين يدي عذاب شديد هو القيمة واهوالها وقوله ما بصاحبكم اما ان
يكون كلاما مستانفا فيه تنبيه على كيفية النظر في امر النبي صلى الله عليه وسلم او المراد ثم تفكروا فتعلموا ذلك ويجوز
بعضهم ان يكون ما استفهامية وحين ذكر انه ما به من جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها اخر يلزم منه صحة نبوته
وهو قوله ما سالتكم من اجر الاية وتقريره ان العاقل لا يرتكب العناء الشديد الا لغرض عاجل وهو غير موجود ههنا بل
كل احد يعاديه ويقصده بالسوء او لغرض اجل ولا يثبت الاجل الا بتقدير الصدق فمنها الكاذب معذب في الاخرة لا مثاب
هذا اذا اريد بقوله فهو لكم نفي سؤال الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه
شيئا ويحتمل ان يراد بالاجر قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ما سالتكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا لان المودة في القربى قد انتظمته واياهم وكذا اتخاذ السبيل الى الله عز وجل فيه نصيبهم ونفعهم وهو
على كل شيء شهيد يعلم اني لا اطلب الاجر على نصحكم ودعايكم الى الله فايدة النصح يعود عليكم قوله يقذف بالحق في
قلوب المحقين وفيه اشارة الى ان استبعاد الكفر تخصيص واحد منهم بانزال الذكر عليه فان الامر بيد الله والفضل له
يؤتيه من يشاء علام الغيوب يعلم عواقب الامور ومراتب الاستحقاق فيعطي على حسب ذلك كما يفعل الحاكم العادل
او اراد يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وذلك ان براهين التوحيد قد ظهرت وشبه المبطلين قد خفيت و
في قوله علام الغيوب اشارة الى ان البرهان الباهر لم يقم لاهل التوحيد والرسالة واما الحشر فالدال عليه اخبار
علام الغيوب عنه وحين ذكر انه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال اخبر ان ذلك الحق قد جاء وهو القرآن
او الاسلام وكل ما ظهر على لسان النبي وقيل السيف وقوله لا يبدي الباطل ولا يعيد مثل في الهلاك لان الحي
اما ان يبدي فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة والتحقيق فيه ان الحق هو الموجود الثابت ولما كان ما

به النبي صلى الله عليه وسلم من بيان التوحيد والرسالة ثابتا في نفسه بينا لمن نظر اليه كان جائيا وحين كان ما اتوا
به من الاشراك والتكذيب مما لا اصل له قيل انه لا يبدي ولا يعيد اي لا يفيد شيئا لا في الاول ولا في الاخر وقيل الباطل
ابليس لانه صاحب الباطل ولانه هالك والمراد انه لا ينشئ خلقا ولا يعيده وانما المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن
لا يبدي لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة وقال الزجاج ما استفهامية والمعنى اي شيء ينشئ ابليس ويعيده
ثم قرر امر الرسالة بوجه اخر وهو قوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي الاية والمعنى ان ضلالي على نفسي كضلالكم واما
اهتدائي فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين قال جار الله هذا حكم عام لكل مكلف والتقابل مرعي من
حيث المعنى والمراد ان كل ما هو وبال على النفس وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية
ربها وتوفيقه وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان
غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول ضال ومهتد وفعله لا يعزب عنه منهما شيء وفيه ان الرسول اذا دعاه على
من يكذبه اجابه ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي ثم عجب نبيه او كل راء من حال اهل الفساد بقوله ولو ترى وجوابه
محذوف اي لرايت امرا عظيما والافعال الماضية التي هي فزعوا واخذوا وقالوا وحيل كلها من قبل ونادى وسبق وقت
الفزع وقت البعث او الموت او يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف وهم ثمانون الفا اذا دخلوا يغزون الكعبة وتخريبها
خسف بهم حين دخلوا البيدا فلا فوت اي فلا يفوتون الله ولا يسبقونه واخذوا من مكان قريب هو من الموقف الى النار
او من ظهر الارض الى بطنها او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم الى الارض وجوز جار الله ان يعطف واخذوا
على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ثم بين انهم سيؤمنون بمحمد وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم او بالقرآن
او بالحق حين لا ينفع الايمان وذلك قوله وانى لهم التناوش وهو تناول سهل لشيء قريب مثلت حالهم بحال من يريد ان
يتناول الشيء من بعيد كما يتناوله الاخر من قريب تناولا سهلا لا تعب فيه او اراد ان تناولهم التوبة وايمانهم في الاخرة
لا ينفع لان الاخرة بعيد عن الدنيا فان امس الداير لا يعود وان كانت الاخرة قريبة من الدنيا ولهذا سماها الله الساعة وكل
ما هو آت قريب وعن ابي عمرو التناوش بالهمز التناول من بعيد من قولهم ناشت بالهمز اي ابطات وتاخرت والاصح
انه من التنوش كما مر همزت الواو المضمومة كما همزت في اجوه وقيل التناوش بلغة اليمن التذكر قاله ابو القسم الحسن بن
محمد بن حبيب في كتاب التنزيل في تفسير القرآن والضمير في قوله وقد كفروا به عائد الى ما يعود اليه في قوله امنا
به قوله ويقذفون بالغيب فيه وجوه **احدها** انه قولهم في رسول الله شاعر ساحر وهذا تكلم بالامر الخفي وقد
اتوا به من جهة بعيدة من حاله لانهم قد عرفوا منه الامانة والصدق الا الكذب والزور **وثانيها** احدهما
الشريك من خالهم في البحر فانهم يحتاجون في الامور العظام الى الشعاون فقاسوا الامر الالهي عليه **وثالثها** انهم
قدرة الله قدرتهم عجزوا عن احياء الموتى فقلبوا ان الله لا يقدر على البعث وقياس الخالق على المخلوق بعيد المأخذ
ورابعها قاسوا امر الاخرة على الدنيا قايلين ان كان الامر كما يصفونه من قيام الساعة وحصول الثواب والعقاب فنحن
اكرم من ان نعذب **وخامسها** قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وهو قذف بالغيب من مكان بعيد وهو
الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان في الاخرة او من الرد الى الدنيا كما فعل باشياعهم اي باشباههم
من كفرة الامم لم ينفعهم ايمانهم لما راوا من باس الله ومريب موقع في الريب منقول من الاعيان الى المعنى وذو ريبته
وذلك باعتبار صاحبه وكلاهما ايجاد توجيهين وقدم في هود **التاويل** مثال ذاته في سموات القلوب و
لا في ارض النفوس اذا نزل من سماء القلب ماء الفيض على ارض النفس وفيها بذر المعاملات الشرعية الحكم به شركا
من الدنيا والهوى والشيطان كافة الناس من اهل الاولين والاخرين في عالم الاجسام وهو ظاهر وفي عالم الارواح
بشرها بان لها كمالا عند الاتصال بالاشباح وينذرها بالحرمان ثم يتعلق الاجسام وذلك ان الارواح علوية نورية
والاشباح سفلية مظلمة لا يحصل بينهما تعلق الا بالتربية والامداد الروح بمثابة البذر والقالب كالارض
وشخص الانسان بمثابة الشجرة والتوحيد والمعرفة ثمرتها والشريعة كالماء والتربية والتذكير كالاكار واذا امعنت
النظر وجدت شجرة الموجودات ثابتة ببذر روح محمد صلى الله عليه وسلم وهو ثمرة هذه الشجرة من جميع الانبياء والمرسلين
ولكن بتبعية محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا حصلت له رتبة الشفاعة دونهم ويقولون يعني ارباب الطلب متى يحصل الوصول
متى نصل الى الكمال الذي بشرتمونا به ثم بين ان لثمرة كل شجرة وقتا معلوما لا يتجاوزه اكثرهم بهم مؤمنون اي اكثرهم ذي
الاسلام بالاجل الا هم مؤمنون ويقذفون بالغيب فيه ان معارف الاسرار ومراتب الاحرار لا يصلح لمن هو اسير في ايدي

ضفات القش وحيل بينهم لان الذين ليس بالتمنى والله اجل واتقى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا
اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان
الله على كل شىء قدير ● ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم
يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير
الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع
الامور ● يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم بالله
الغرور ● ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما
يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ● الذين كفروا
لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر كبير ● افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل
من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان
الله عليم بما يصنعون ● والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك

النشور ● من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ● اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون
السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور ●
والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا
ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير ● وما يستوى
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل
تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك
فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ●
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس و
القمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة
يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ● يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ● ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد ● وما ذلك على الله بعزيز ● ولا تزر وازرة
وزر اخرى ● وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان
ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة
ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير ● وما يستوى

الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما
انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات و
بالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير

القراءة غير الله بالجر يزيد وحمزة وعلي الا حزون بالرفع على المحل فلا تذهب من الاذهاب نفسك منصوبا يزيد الا حزون بفتح التاء والهاء من الذهاب نفسك مرفوعا الريح على التوحيد وابن كثير وحمزة وعلي وخلف ولا ينقص بفتح الياء وضم القاف روح وزيد الباقون بالعكس من جرم بالاختلاس لضمة عباس والذين يدعون على الغيبة لتنبيه الوقوف ورباع يشاء قدير لها بعده الحكيم عليكم والارض الا هو للاستفهام ولفا التعقيب باتحاد المعنى يؤفكون قبلك الامور الغرور عدوا السعير لان الذين مبتدا شديد كبير حسنا حذف الجواب حسرات يصنعون موتها النشور جميعا ترفعه شديد سود انواجا ضلمه في كتاب يسير اجاج يلبسونها لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى تشكرون مسمى الملك قطمير دعاكم للشرط مع العطف لكم شركهم خبير الى الله لاتفاق الجملتين مع الفصل بين وصفا والمخلوق الى الحميد جديد لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال بعزيز اخرى لاستيناف الشرط في الصلوة لنفسه المصير البصير ولا النور ولا الحرور للطول والتكرار الاموات يشاء للعدول من الاثبات الى النفي مع اتفاق الجملتين القبور الا نذير ونذيرا نذير من قبلهم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف المنير نكير التفسير لما بين في اخر السورة المتقدمة انقطاع رجاء الشاك وعدم قبول توبته في الاخرة ذكر في اول هذه السورة حال الموقن المؤمن وبشره ارسال الملائكة اليهم مبشرين وبين انه يفتح لهم ابواب الرحمة فاطر السموات والارض مبدعهما او شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض يريد القبر الثاني قوله جاعل الملائكة رسلا بقوله وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون اولى اجنحة اي اصحاب اجنحة اراد طائفة منهم اثنان اثنان وبعضهم اجنحة ثلاثة ثلاثة وبعضهم اجنحة كل ربعة اربعة قال جار الله الذي يجتمع ثلثه ثلثه لعل الثالث منها في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة ولعله يعين الطيران فلقد رايت في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ست اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر في امور الله عز وجل وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي ان اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله سبحانه وتعالى حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير ويجوز ان يخالف حال الملائكة حال الطيور في الطيران كالحيوان الذي يدب بارجل كثيرة ويجوز ان يكون البعض للزينة ويجوز ان يكون كل جناح ذا شعب وقال الحكيم الجناحان اشارة الى الجهتين جهة الاخذ من الله جهة الاعطاء لمن دونهم باذن الله كقوله نزل به الروح الامين على قلبك علمه شديد القوى والمدبرات امرا ومنهم من يفعل لواسطة فلهم ثلث جهات او اكثر على حسب الوسائط ثم بين كمال قدرته بقوله يزيد في الخلق ما يشاء والظاهر انه عام يتناول كل زيادة في كل امر معتبر في الصورة كحسن الوجه والخط والصوت ونحوها او في المعنى كحصافة العقل وجزالة الراي وسماحة النفس وذلاقة اللسان وغير ذلك من الاخلاق الفاضلة ثم اكد نفاذ امره وجريان الامور على وفق مشيئته بقوله ما يفتح الله للناس الاية وبها دلالة ان رحمته سبقت غضبه من جهة تقديم الرحمة ومن جهة بيان

الضمير في القرينة الاولى بقوله من رحمة والاطلاق في قوله وما يمسك فيشمل امساك الغضب وامساك الرحمة ومن جهة قوله من بعده اي من بعد امساكه فيفيد ان الرحمة اذا جاءت لم يكن لها انقطاع فان ضدها قد ينقطع وان كان لا ينقطع الا الا الله ولهذا لا يخرج اهل الجنة من الجنة وقد يخرج اهل النار من النار وهو العزيز الغالب على ارسال الرحمة وامساكها الحكيم الذي لا يمسك ولا يرسل الا عن علم كامل وصلاح شامل وحيث بين ان الحمد لله وبين بعض الوجود النعم المستدعية للحمد على التفصيل امر المكلفين بتذكر النعم على الاجمال لسانا وقلبا وعملا ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل بموجبها وعن ابن عباس ان الناس اهل مكة اسكنهم حرمه ويتخطف الناس من حولهم وعنه ايضا انه اراد بالنعمة العافية والظاهر تعميم النعم والمنعم عليه ثم اشار الى نعمة الايجاد بقوله هل من خالق غير الله والى نعمة الابقا بقوله يرزقكم وهو نعت خالق او مستانف او تفسير للمنعم والتقدير هل يرزقكم خالق يرزقكم قال جار الله ان جعلت يرزقكم كلاما مستانفا ففيه دليل ان الخالق لا يطلق الا على الله عز وجل واما على الوجهين الاخرين فلا اذ لا يلزم من نفي خالق ورازق غيره نفي خالق غيره مطلقا وقوله لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في غير وجه ولو جعلت وصفا لزم التناقض لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات الله ولو جعلت المنفية وصفا صار تقدير الكلام هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق فلزم نقض الاثبات المذكور مع ان الكلام في نفسه يكون غير مستقيم فاني تؤفكون اي كيف يصرفون من هذا الظاهر فتشركون المنحوت بمالك الملك والملكوت وحين بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله وان يكذبوك فقيل هذا المعنى ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر بقوله يا ايها الناس وقد مر مثل الاية في اخر سورة لقمن وقد يسبق الى الظن ههنا ان الغرور هو الشيطان لان عقبه بقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا لان الحازم لا يقبل قول العدو ولا يعتمد عليه ثم صرح بوجه اتخاذه عدوا بما قبله دعوته فقال انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ثم فصل ما لحال الحزبين حزب الله بقوله الذين كفروا الى قوله واجر كبير ثم عرض على العقول انه لا سوا بين الحزبين والمعنى افمن زين له سوء عمله من الفريقين كمن لم يزين له ولا ريب ان الذين لم عليهم هم اهل الاهواء والبدع الذين لا مستند لهم في مآخذهم سوى التقليد واتباع الهوى ثم صرح من ذلك قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذلك ان الناس متساوية الاقدام في الانسانية ومتفاوتة الاحوال في الاعمال فتبين انه لا استقلال وان افعال العباد مستندة الى ارادة صرف القلوب والاحوال ثم رتب على عدم الاستقلال قوله فلا تذهب اي فلا تهلك نفسك عليهم حسرة وجوز جار الله ان يكون حالا كان كل نفسه صارت حسرات لفظ التحسر وعن الزجاج ان تقدير الاية افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم فحذف لدلالة المذكور وهو فلا تذهب عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله لان قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء يدل عليه ثم بين ان حزنه ان كان لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون لو اراد منهم الايمان لامنوا وان كان لما به منهم من الايذا فالله عليم بفعلهم فيجازيهم بذلك ثم اكد كونه فاعلا مختارا فاد دلا قهارا مبدئا معيدا بقوله والله الذي ارسل وهو من الالتفات الموجب للتهويل والتعظيم وقوله فتثير بلفظ المستقبل لتصوير تلك الحالة العجيبة الثانية عرف نفسه بفعل الارسال ثم قال فسقناه كانه قال انا الذي عرفتني بمثل هذه الدلالة الباهرة و انعمت عليه بهذه النعمة الشاملة ثم شبه البعث والنشور بالصنع المذكور ووجهه ظاهر وحين بين برهان الايمان اشارة الى ما كان يمنع الكفار منه وهو العزة الظاهرة التي كانوا يتوهمونها من حيث ان معبودهم كانت تحت تسخيرهم والرسول كان يدعوهم الى الاذعان لطاعة الله وطاعة انبيائه وكانه قال ان كنتم تطلبون حقيقة فلله العزة خاصة كلها فليطلبها من عنده ومن عند اوليائه نظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار يريد فليطلبها عندهم فاعتبر في هذه الاية طرف النهاية ولما في قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فاعتبر الوسائط فالعزة للمؤمنين بواسطة الرسول وله من رب العزة ثم ان الكفار كانهم قالوا نحن لا نعبد من لا نراه ولا نحضر عنده فان البعد من الملك ذلة فقال اليه يصعد اي ان كنتم لا تصلون اليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب منها وذلك انه العزة واما هذه الاصنام فلا تتبين عندها الذليل من العزيز اذ لا حس لها ولا شعور وهكذا العمل الصالح لا يراه هذه الاصنام فلا يمكن لها مجازاة الانام وفاعل قوله يرفعه ان كان هو الله فظاهر وان كان الكلم اعني قول لا اله الا الله فمعناه لا يقبل عمل الا من موحد وان كان هو العمل فالمعنى ان الكلم وهو كل كلام فيه ذكر الله او رضاه يريد الصعود الى الله الا انه لا يستطيع الصعود ولا يقع موقع القبول الا اذا كان مقرونا بالعمل الصالح عن النبي صلى الله عليه وسلم الكلم الطيب هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن واذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه وعن ابن المقنع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب

بالمطر وقوس بلا وتر ولا يخفى ان القول هو الاصل والعمل يؤكده فلهذا قدم القول وحين بين حال العمل الصالح ذكر ان
المكرات السيئات بائرة كاسدة لا حقيقة لها ولعله اشارة الى مكرات قريش المذكورات في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك جمع الله مكروهم فضلها عليهم حين اوقعهم في قليب بدر ولما ذكر دليل الافاق اكده بدليل الا
نفس فقال والله خلقكم من تراب وفيه اشارة الى خلق ادم ثم من نطفة وفيه اشارة الى خلق اولاده ومعنى ازواجا اصنافا
او ذكرانا واناثا ثم اشار الى كمال علمه بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله وما يعمر من معمر
قال جار الله معناه من احد ولكنه سماه معمرا باعتبار ما يؤول اليه وليس المراد شيئا في التعمير وخلافه على شخص واحد
انما المراد شخصين متنوعا في اللفظ تعويلا على فهم السامع كقول القائل ما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل
فيه ثوائي وثاويل الحق وهو ان يراد ان لا يطول عمر انسان ولا ينقص من عمر ذلك الانسان بعينه الا في كتاب وصورته
ان يكتب في اللوح ان حج او وصل الرحم فعمره اربعون سنة وان جمع بين الامرين فعمره ستون فاذا جمع بينهما فعمر ستين
كان الغاية واذا افرد فعمر اربعين فقد نقص من تلك الغاية وبهذا التاويل يتبين معنى ما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الاعمار ويصح ما استفاض على الالسن اطال الله بقاءك وعن سعيد
بن جبير يكتب في الصحيفة ان عمره كذا سنة ثم يكتب تحته ذلك في اخرها ذهب يوم ذهب يومان حتى ينقضي المدة وعن
قتادة المعمر من بلغ ستين والمنقوص من عمره من يموت قبل الستين وذلك في علم الله ان ذلك الذي من خلق الانسان
من المراد المذكورة او الزيادة في الاعمار او النقصان منها على يسير ضرب مثلا للمؤمن والكافر وذكر دليلا اخر على عظيم قدرته
فقال وما يستوي البحران الاية وعلى الاول يكون قوله من كل تاكلون الى الاية تعقيبا للتمثيل على سبيل الاستطراد وهو من تمام
التشبيه كانه يشبه الجنسين بالبحرين ثم فضل البحر الاجاج على الكافر لانه شارك العذاب في استخراج السمك واللؤلؤ وجري
الفلك فيه واما الكافر فلا نفع فيه اية فيكون كقوله في البقرة ثم قست قلوبكم الى قوله وان منها لما يهبط من خشية الله
والاشبه ان الاية تقرير دليل مستانف كما مر في اول النحل يؤيده تعقيبه بدليل اخر وهو قوله يولج الليل الى قوله اجل مسمى
وتقدم في اخر لقمن مثله وفيه رد على عبدة الكواكب بالذات لا ان التسخير سبيلهما وقوله ذلكم الله اي الذي فعل الاشياء المذكورة
من فطر السموات وارسال الرياح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك هو المعبود الحق وقوله ربكم له الملك خبران اخران
ويجوز ان يكون الله ربكم خبرين وله الملك جملة مبتداة واقعة في طباق قوله والذين يدعون من دونه ما يملكون من
قطمير وذلك ان المشركين كانوا معترفين بان الاصنام ليسا خالقين وانما كانوا يقولون انه تعالى فوض امور الارضيات
الى الكواكب التي هي الاصنام صورها وطوالعها فاخبر الله تعالى انهم لا يملكون قطميرا وهو القشر الرقيقة للنواة قال صاحب الكشاف
قال جار الله يجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله تعالى صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر الولا ان المعنى يا باه
قيل لان ذلكم اشارة الى معلوم سبق ذكره وكونه صفة او عطف يقتضي ان يكون فيما سبق ضرب ابهام قلت وفيه نظر
اما اولا فلان اسم الله من قبيل الاعلام لا من قبيل اسماء الاجناس فكيف يجوز جعله صفة واما ثانيا فلا نسلم ان تقدس المحور
يكون صفة مناف فلانيا في كون المشار اليه معلوما فالوجه الصحيح في اباء المعنى هو ان الوصف اذا كان معرفة كان امرا
متحققا في الخارج مسلما عند السامع مثلا اذا قلت الرجل الكاتب جاءني يريد الرجل الذي يعرف ابها السامع انه كاتب جاءني
لكن الخطاب ههنا مع الكفار وهم يجحدون المعبود الحق ويجحدون ان العبادة لا يصلح الا له فلا يصح ايقاع اسم الله وصفا
لذلك والخطاب معهم ثم زاد في توبيخ الكفرة بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو فرض سماعهم ما استجابوا لكم
لما مر من انهم لا يملكون شيئا ويوم القيمة ايضا يكفرون بشرككم قائلين ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك اي لا يطلعك
على حقيقة الحال ايها النبي او ايها السامع مثل خبير ببواطن الامور والمعنى ان الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق
لاني خبير بما اخبرت به ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل عالم به وفيه ان الخبير بالامر وحده وفيه ان هذا الخبر مما لا يعرف
بمجرد المعقول لولا اخبار الله سبحانه ثم بين نفع العبادة انما يعود على المكلفين فقال يا ايها الناس انتم الفقراء ومعنى
تعريف الخبر القصد الى انهم هم جنس الفقراء مبالغة وذلك ان افتقار الانسان الى الله عاجلا لامور المعاش واجلا للنعيم
الاخروي اسوس من افتقار ساير المخلوقين اليه وقيل ان يكون الناس فقراء امر ظاهر لا يخفى على احد فلهذا عرف كقول القائل الله
ربنا ومحمد نبينا ثم بين ان فقرهم ليس الا الى الله فقابل الفقراء بقوله والله هو الغني وقابل قوله الى الله بقوله الحميد
لانه اذا انعم عليهم استحق الحمد منهم ثم ذكر انه غني عن وجودهم ايضا لا يفتقر في ظهور اثر قدرته اليهم فقال ان يشا يذهبكم
وقد مر في النساء وفي ابراهيم وحين بين الحق بالدلايل الباهرة اراد ان يذكر ما يدعوهم الى النظر فيه فقال ولا تزر وازرة

يعني ان النفوس الوازرات لا ترى واحدة منهن الا حاملة وزرها لا وزر غيرها ولا ينافي هذا قوله ليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم لان وزر الاضلال هو وزر النفس الوازرة ايضا وفيه ان كل نفس وازرة فهو مسيء وزرها متحيرة في امرها
ثم زاد في التهويل بقوله وان تدع مثقلة اي نفس ذات ثقل لا يحمل منه شيء فان عدم قضاء الحاجة بعد السؤال اقطع ثم زاد
التوكيد بقوله ولو كان المدعو ذا قربى فان عدم القضاء بعد السؤال عن القريب من اب او ولد او ابن على شدة الامر
فيعلم منه ان الاغياث يومئذ اصلا ثم بين ان هذه الانذارات انما تفيد اهل الخشية والطاعة حال كونهم غايبين
عن العذاب وحال كون العذاب غايبا عنهم ثم انه كما مر ان الوزر لا يتعدى الى الغير بين ان التطهر عن الذنوب لا يتعدى
الا نفس المتزكي والى الله المصير الكل فيجزيهم على حسب ذلك ثم ضرب للكافر والمؤمن مثلا فقال وما يستوي الاعمى و
البصير وقيل انه مثل للصنم وللمعبود الحق ثم ضرب للكفر والايمان مثلا فقال ولا الظلمات ولا النور واذا كان
الايمان نورا والمؤمن بصيرا فلا يخفى عليه النور واذا كان الكفر ظلمة والكافر اعمى فله صاد فوق صاد ثم بين لمالهما
ومرجعهما مثلا وهو الظل والحرور قال اهل اللغة السموم يكون بالنهار والحرور دائم وقال بعضهم الحرور يكون
بالليل فالمؤمن بايمانه كمن هو في ظل وراحة والكافر بكفره كمن هو في حر وتعب وههنا مسائل احدها ضرب اولا
مثلا للكافر والمؤمن ثم اعاد مثلهما بقوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات وهذا ابلغ لان الاعمى والبصير قد يشتركان
في ادراك ما ولا كذلك الحي والميت ولكان هذه المبالغة اعاد الفعل وثانيها كرر النافية في الامثال الاخر
دون الاول لان المنافاة بين الاعمى والبصير ليست ذاتية كما في سايرها وقد يكون شخص واحد بصيرا باحدى
العينين اعمى بالاخرى وثالثها قدم الاشرف في مثلين وهو الظل والحي واخر في الاخرين فزعم اهل الظاهر ان ذلك
لرعاية الفواصل والمحققون قالوا انهم كانوا قبل البعثة في ظلمة الضلال فصاروا الى نور الايمان في زمان محمد صلى الله
عليه وسلم فلهذا الترتيب قدم مثل الكافر وكفره على مثل المؤمن وايمانه ولما ذكر المال والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة لان
رحمته سبقت غضبه ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار اضل من الاعمى وشابه الاموات في عدم ادراك الحق فقال
وما يستوي الاحياء اي المؤمن الذي امن بما انزل الله والاموات الذين تليت عليهم الايات ولم يجع فيهم البينات فاخرهم عن
المؤمنين لوجود حياتهم قبل ممات الكافرين المعاندين ورابعها انما وحد الاعمى والبصير لان المراد ان احد الجنسين لا يساوي
الجنس الاخر من جهة العمى والبصيرة ولعل فردا من احدهما قد يساوي الفرد من الاخر من جهة اخرى وكذا الكلام في افراد الظل
والحرور وانما جمع الظلمات ووحد النور لما مر في اول الانعام من ان الحق واحد والشبهات كثيرة وانما جمع الاحياء والاموات
لان المراد ان احد الصنفين لا يساوي الاخر سواء قابلت الجنس بالجنس او قابلت الفرد بالفرد وخامسها لا يخفى ان هذه الالوان
بعضها صمت شفعاء وبعضها صمت وتوالى ونوم ثم سلى رسوله بقوله ان الله يسمع الاية وقد مر نظيره في قوله انك لا تسمع
الموتى وانما اقتصر على قوله ان انت الا نذير وكذا في قوله الا خلا فيها نذير لان الكلام في معرض الانذار مع ان ذكر البشير يدل
عليه بل ذكر النذير يدل على مقابله والمراد بالنذر اثارها الثبوت زمان الفترة ثم زاد في التسلية بقوله وان يكذبوك وقد مر نظيره في
اخر العمران وانما حذف الباس هنالك لبناء الكلام هنالك على الاختصار دليله انه قال وان يكذبوك فقد كذب واقتصر على لفظ المعنى ولم

يتم القاصل ه

الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها و
من الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ۞ و
من الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله
من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ۞ ان الذين يتلون كتاب الله
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن

تبور ● ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور
والذى اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه
ان الله بعباده لخبير بصير ● ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ● جنات عدن يدخلونها
يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ●
وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
الذى احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها
لغوب ● والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور
وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى
كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير ● فذوقوا فما للظالمين من نصير ● ان الله عالم
غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور ● هو الذى جعلكم
خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا ● قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من
دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى
السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد

الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ● ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان
حليما غفورا ● واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا
نفورا ● استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق
المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين ● فلن
تجد لسنة الله تبديلا ● ولن تجد لسنة الله تحويلا ● اولم يسيروا
فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى
السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ● ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ●

القراءة يدخلونها مجهولا ابو عمرو ويجزى مجهولا غايبا كل بالرفع وابو عمرو والباقون بالنون مبنيا للفاعل كلا بالنصب
ومكر السيئ بهمزة ساكنة حمزة استثقالا للحركات وجاء النحويون على الاختلاس واذا وقف يبدل من الهمزة ياء ساكنة الوقوف
ماء للعدول الوانها الاولى سود كذلك العلماء غفور لن تبور من فضله شكور يديه بصير عبادنا لنفسه
مقتصد تفصيلا بين المجمل مع السبق باذن الله الكبير لان ما بعده مبتدا لا بدل ولؤلؤا لاختلاف الجملتين حرير
الحزن شكور فضله لاحتمال الاستيناف والحال لغوب جهنم لمثل ما قلنا عذابها كفور لاحتمال الواو والحال فيها للقول
المحذوف كنا نعمل الذى نصير والارض الصدور فى الارض كفره مقتا وان اتفقت الجملتان ولكن للتكرار الفعل
وتفريع الفاعل والمفعول فى الثالثة خسارا دون الله السموات لاحتمال ان ام منقطعة منه غرورا تزولا لابتداء
ما فى معنى القسم ومن الواو من بعده غفورا الامم نفورا ومكر السيئ باهله الاولين لانتهاء الاستفهام وايصال الفاء م
تبديلا تحويلا قوة فى الارض قديرا مسمى بصيرا التفسير لما بين دلايل الوحدانية بطريق الاخبار ذكر لان التى
اذا كان خفيا ولا يراه من يحضر كان معذورا اما اذا كان بارزا مكشوفا فانك تقول اما تراه والمخاطب اما كل احد و
النبى دليلا اخر بطريق الاخبار مع لان السيد اذا نبه بعض العباد ولم ينفعهم الارشاد قال لغيره اسمع ولا يمكن مثل هذا
وتكرر معه ما ذكره مع الاول والالتفات فى فاخرجنا لان نزول الماء يمكن ان يقال انه بالطبع لكن الاخراج لا يمكن ان
يكون الا بارادة الله وايضا الاخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال لفائدة الاخراج واختلاف الوان الثمرات اختلاف
اصنافها وهيئاتها والجدد الخطط والطرائق جلة بمعنى مفعوله والجد القطع قال جار الله لا بد من تقدير مضاف اى
ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر مختلف الوانها فى البياض والحمرة لان الابيض قد يكون على لون الجص وقد يكون

ادنى من ذلك وكذلك الحمر والغرابيب تاكيد للسود الا انه ضمير المؤكد اولا ثم اظهر ثانيا على طريقه قوله والمؤمن
العايذات الطير وانما لم يتصور اختلاف الالوان ههنا لان السواد اذا كان في اثنا به لم يكن بعدها لون يقال السود
غربيب للذي بعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ويمكن ان يقال ان المختلف صفة الحمر فقط وحين فرغ من
دلايل النبات وما يشبه المعادن شرع في الاستدلال بالحيوان وقدم الانسان لشرفه ثم ذكر الدواب على العموم
ثم خصص الانعام او اراد بالدابة الفرس فجعله لشرفه دون الانسان وقوله مختلف اي بعض مختلف الوانه وذكر
الضمير تغليبا للانسان او نظرا الى البعض وقوله كذلك اي كاختلاف الجبال والثمرات وفيه ان هذه الاجناس
كما انها في انفسها دلايل فهي باختلافها ايضا دلايل وحين خاطب نبيه بقوله الم تر بمعنى الم تعلم اتبعه قوله انما
يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن نظر في دلايله فعرف حق معرفته او اراد
ان يعرف كنه معرفته لان الخشية على حسب العلم بنعوت كماله وصفات جلاله وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم
خشية له وفايدة تقديم المفعول ان يعلم ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم ولو اخر المفعول
كان معنى صحيحا وهو انهم لا يخشون احدا الا الله الا ان ذلك غير مراد ههنا وعن عمر بن عبد العزيز وحكي عن
ابي حنيفة انهما قراءا برفع اسم الله ونصب العلماء فيكون الخشية مستعارة للتعظيم اي لا يعظم الله ولا يجل من
الرجال الا العلماء به ثم بين السبب الباعث على الخشية بقوله ان الله عزيز غفور والعزة توجب الخوف من اليم عقابه
والمغفرة توجب الطمع في نعيمه وثوابه وفيه ان الخوف ينبغي ان يكون مخلوطا برجائه ثم مدح العالمين العاملين
بقوله ان الذين يتلون الاية قال اهل التحقيق قوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون اي
يداومون على التلاوة اشارة الى عمل اللسان وقوله واقاموا الصلوة اشارة الى عمل الجوارح والكل اقسام التعظيم
لامر الله ثم اشار الى الشفقة على خلق الله بقوله وانفقوا مما رزقناهم وقوله يرجون وهو خبر ان اشارة الى الاخلاص
في العقايد والاعمال اي ينفقون في الاحوال لا ليقال انه كريم او لغرض اخر بل التجارة لا كساد فيها ولا بوار وهي طلب
مرضاة الله وقوله ليوفيهم متعلق بلن تبور اي ينفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم ويجوز ان يكون
يجعل يرجون في موضع الحال واللام متعلق بالافعال المتقدمة اي فعلوا جميع ما ذكر من التلاوة والاقامة والانفاق
لغرض التوفية وخبر ان قوله انه غفور لهم شكور لاعمالهم وحين ذكر دلايل الوحدانية اتبعه بيان الرسالة وذكر
حقيه الكتاب المتلو والكتاب للجنس ومن للتبعيض وهو القران ومن للتبيين او هو للوح المحفوظ ومن للابتدا وقد
مر في البقرة ان قوله مصدقا حال مؤكدة وفي قوله ان الله بعباده لخبير بصير تقرير لكونه حقا لان الذي يكون
عالما بالبواطن والظواهر لم يمكن ان يكون في كلامه شوب باطل وفيه انه لم يختر محمدا للرسالة جزافا وعلى سبيل
الاتفاق ولكنه اعلم حيث يجعل رسالاته وقوله ثم اورثنا الكتاب زعم جمع من المفسرين ان الكتاب للجنس بدليل قوله
فيما قبل جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر والايراث الاعطا والمصطفون من عبيده هم الانبياء كانه قال قد علمنا البواطن
وابصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا ثم اورثناهم الكتاب وعلى هذا فالمراد بالظلم على النفس وضع الشي في غير موضعه
وان كان بترك الاولى ومنه قول ابينا ادم ربنا ظلمنا انفسنا وقول يونس اني كنت من الظالمين واذا كان الظلم بهذا المعنى
جايزا عليهم فالاقتصاد اولى ويجوز ان يعود الضمير في قوله فمنهم الى الامة كانه قيل ان الذي اوحينا اليك هو الحق
وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم كتبنا فمن قومك ظالم كفر بك وبما انزل اليك ومقتصد
به ولم يات بجميع ما امر به وسابق امن وعمل صالحا وقال الاكثرون فيه القران والايراث الحكم بالتوريث وهو عادة
اخبار الله في التعبير عن المستقبل بالماضي لتحققه اي يريد ان نورثه والمصطفون هم الصحابة والتابعون ومن
بعدهم الى يوم القيمة كقوله كنتم خير امة وكذلك جعلناكم امة وسطا وعلى هذا في تفسير المراتب الثلث اقوال احدها
الظالم راجح السيات والمقتصد متساوي الحسنات والسيات والسابق راجح الحسنات ثانيها الظالم من
ظاهره خير من باطنه والمقتصد المتساوي والسابق من باطنه خير ثالثها الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب
الصغيرة والسابق المعصوم [illegible] عن علي كرم الله وجهه الظالم انا والمقتصد انا والسابق انا فقيل له وكيف ذاك
قال انا ظالم بمعصيتي ومقتصد بتوبتي وسابق بمحبتي ورابعها الظالم التالي للقران غير العالم به ولا العامل بموجبه
والمقتصد التالي العالم غير العامل والسابق التالي العالم العامل خامسها الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق
العالم سادسها الظالم من يحاسب فيدخل النار والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة وهو من اصحاب الميمنة والسابق

من يدخل الجنة بغير حساب وسابعها الظالم من خالف اوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع للتكليف في غير موضعه
والمقتصد هو المجتهد في اداء التكاليف وان لم يوفق لذلك فانه قصد الحق واجتهد والسابق هو الذي لم يخالف تكاليف
الله بتوفيق الله ويدل عليه قوله في الاخير باذن الله وذلك انه اذا وقع الخير في نفسه سبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد
يقع في قلبه فيرده النفس والظالم تغلبه النفس وبعبارة اخرى من غلبته النفس الامارة وامرته فاطاعها ظالم
ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب اخرى فهو المقتصد صاحب النفس اللوامة ومن قهر نفسه فهو السابق وفي
تقديم الظالم ثم المقتصد ايذان بان المقتصدين اقل من السابقين والظالمون اكثر الاقسام كما قال وقليل من عبادي
الشكور ذلك الذي ذكر من التوفيق او من السبق بالخيرات او من الايراث هو الفضل الكبير قال جار الله ابدل قوله جنات عدن
من الفضل لانها مسببة عنه وكانها هو قلت ويمكن ان يقال جنات عدن مبتدأ لانها معرفة بدليل قوله جنات عدن
التي وعد الرحمن ولئن سلم انها نكرة فليكن يدخلونها صفة له وخبرها يحلون ثم ان ضمير يدخلون ان عاد الى التالين لكتاب
الله او الى السابقين فلا اشكال فالظالم يدخلون النار والمقتصد يكون امره موقوفا كقوله واخرون مرجون لامر الله او كقوله
واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وان عاد الى الفرق الثلث فبشرط العفو وبشرط التوبة وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وفي تقديم جنات عدن واسناد الكلام
عليها دون ان يقول يدخلون جنات عدن ايذان بان الاهتمام بشانها اكثر فان نظر السامع على المدخول فيه لا على نفس
الدخول وقد عرفت العبارة الاصلية في سورة الحج في قوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات الى قوله حرير
وتغيير العبارة في هذا المقام لم يرهذه الفايدة والله اعلم وفي قوله يحلون فيها اشارة الى سرعة الدخول فان في تحليتهم
خارج الجنة تاخيرا للدخول وفي تحليتهم بالسوار اشارة الى امرين احدهما التزين والتنعم والثاني انهم لا يحتاجون فيها الى
عمل باليد وتهيئة ساير الاسباب قال جار الله اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لساير الابعاض كما
سبق المسورون به غيرهم والذهب واللؤلؤ اشارة الى النوعين الذين منهما الحلي وقيل ان ذلك الذهب في صفا اللؤلؤ
والحزن للجنس فيعم كل حزن من احزان الدنيا والدين كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في محشرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقد خصه جمع من المفسرين بحزن سوء العاقبة او بحزن الافات او بحزن
الموت او بهم المعاش حتى قال بعضهم كراء الدار والنعيم اولى والمقامة بمعنى الاقامة والفضل وعند المعتزلة العطا لان
الثواب لهم مستحق واجب عندهم والنصب التعب والمشقة التي تصيب المتناول للعمل المنصب له واللغوب ما يلحقه
من الفتور والكلال بعد ذلك قاله جار الله وقال غيره ان الذي يباشر عملا من الاعمال لا يظهر عليه الاعيا الا بعد ان
يستريح فالمراد انهم لا يخرجون من الجنة الى موضع يتعبون بسبب ذلك ثم يلحقهم الاعيا بعد الرجوع ثم عطف قوله والذين
كفروا على قوله ان الذين يتلون وقوله فيموتوا جواب للنفي والتقدير لا يقضى عليهم بالموت فيستريحوا ويصطرخون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة كشان المستغيث وفايدة قوله غير الذي كنا نعمل زيادة التحسر على ما عملوا
من غير الصالح والمراد نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل نحسبه صالحا لانهم كانوا يحسبون انهم يحسنون وفيه اشارة الى انهم في الاخرة
ايضا ضالون لو لم يهدهم الله في الاخرة كما لم يهدهم في الدنيا ولو كانوا مهتدين لقالوا ربنا ادخلنا جنات بفضلك
لا بعملنا ونحن احوج الى تخفيف العذاب منهم ان يضعف الثواب فافعل بنا ما انت اهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما
نحن اهله نظرا الى عدلك وانظر الى مغفرتك الهاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وهذا بخلاف حال المؤمن هداه
في العقبى كما هداه في الدنيا حتى دعاه باقرب دعا الى الاجابة واثنى عليه باطيب ثنا عند الاثابة فقالوا الحمد لله
وقالوا ربنا لغفور عنا تقصيرهم شكور اقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم واحالوا الكل الى فضله نفيا بانه لا عمل لهم بالنسبة
الى جاري نعمه قوله اولم نعمركم استفهام فيه توبيخ والزام وهو متناول لكل عمر يمكن فيه المكلف من اصلاح شانه الا ان التوبيخ
في العمر الطويل اعظم عن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة وروي من جاوز الاربعين
ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة وقوله وجاءكم
معطوف على المعنى كانه قد عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي وقيل الشيب فبين بالجملتين ان القايل موجود مكلف على حاصل
والعذر غير مقبول فذوقوا العذاب فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم في غير موضعها واتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير
نفي الانصار والناظرين في اخر العمران والروم ووحد ههنا كانهم في النار قد ايسوا من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم

البصير الاعمى بصير واحد هو الله سبحانه ثم كان السايل ان يسأل ما بال الكافر يعذب ابدا وانه ما كفر الا اياما معدودة فلا
جرم قال ان الله عالم غيب السموات والارض وكان يعلم من الكافر ان الكفر قد تمكن في قلبه بحيث لو دام الى الابد لما اطاع
الله ولا عبد وذات الصدور صواحباتها من الظنون والعقايد ذات الصدور باعتبار انها تصحبها وحين ذكرهم بما مر
منه سوف لو يحيهم بالتعمير وانتسا العقول وارسال من يؤيد المعقول بالمنقول وعظهم باية هو الذي جعلكم وفقد الطف
هنا خلايف ما في اخر الانعام للعدول من خطاب اهل الاخرة الى خطاب اهل الدنيا وقال ههنا خلايف في الارض بزيادة
في المفيدة لتمكن المظروف في ظرفه لاجل المبالغة والترقي من الادنى الى الاعلى كانه قيل امهلهم وعمرتهم وامرتم على لسان
الرسل بما امرتم وجعلتم خلفاء الهالكين الماضين فاصبحتم بحالهم راضين فمن كفر بعد هذا كله فعليه وبال كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا فان الكافر السابق ممقوت واللاحق الذي انذره الرسول ولم ينتبه امقت لانه راى عذاب من
تقدمه ولم ينتبه ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا فان العمر كراس مال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخطه
ثم وبخ اهل الشرك بقوله قل ارايتم وابدل منه ارونى كانه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء ارونى اي جزء من اجزاء
الارض استبدوا بخلقه ام لهم مع الله شرك في خلق السموات ام معهم ام مع عابديهم كتاب من عند الله فهم على برهان
من ذلك الكتاب والاضافة في شركاءكم لملابسة العبادة او المراد كونهم شركاءهم في النار كقوله انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم ان هؤلاء شفعاؤنا وحين
بين ان الاصنام لا تدان بين كمال قدرته فقال ان الله يمسك السموات والارض اي يمنعهما من ان يزولا او كراهة زوالهما
عن مكرهما ومركزهما ولو فرض زوالهما بامر الله فلن يمسكهما احد من بعده اي من بعد الله وقيل انهما كانتا جديرتين بان
تهدا هدا العظم كلمة الشرك كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ويؤيد هذا الوجه قوله انه كان حليما غير معاجل بالعقوبة
غفورا لمن تاب من الشرك قال المفسرون بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم
فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى وزيف هذا النقل بان المشركين
كانوا منكرين للرسالة والحشر فكيف اعترفوا بان اليهود والنصارى جاءهم رسل بل انما الكلم كيف عرفوا تكذيب اليهود و
تحريفهم ولم ياتهم رسول ولا كتاب والوجه الصحيح في سبب النزول انهم كانوا يقولون لو جاءنا رسول لم ننكره واما ننكر
كون محمد رسولا لانه كاذب ولو صح كونه رسولا لامنا وقوله من احدى الامم ليس للتفضيل بل المراد اما يكون اهدى مما
نحن عليه ويكون من احدى الامم كقولك زيد من المسلمين او هو للتفضيل والامم لتعريف العهد اي امة محمد وموسى و
عيسى وللعموم اي احدى من كل امة تتربص ويقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما
جاءهم نذير وهو محمد الذي صح لهم نذارته بالمعجزات الباهرة ما زادهم هو ومجيئه الا نفورا كانه صار سببا في نفارهم عن
الحق عنادا وكبرا فانتصب استكبارا على انه مفعول لاجله وحال ويجوز ان يكون بدلا من نفورا وقوله ومكر السيء من
اضافة المصدر الى صفة معموله اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء والمكر هو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
الهم بالقتل والاخراج وفتحاقهم يوم بدر وهو عام وعاقبة الماكر وضمه يصل اليه جزاء في عاجل او اجل عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله وفي امثالهم من حفر لاخيه
جبا وقع فيه منكبا وفي قوله باهله دون ان يقولا الا بالماكر اشارة الى ان الرضا بالمكر والاعانة عليه كهو فيندرج
صاحبه في زمرة اهل المكر وقوله سنة الاولين من اضافة المصدر الى المفعول وقوله سنة الله من اضافته الى الفاعل
والمراد بها انزال العذاب على امثالهم من مكذبي الرسل حمل استقبالهم لذلك واستعجالهم اياه انتظارا له منهم والتبديل تغيير
الصورة مع بقاء المادة والتحويل نقل الشيء من مكان الى اخر هذه السورة بالجمع بين الوصفين لان كثيرا من احوال الكفرة جاءت
ههنا مثنى كقوله ولا يزيد الكافرين الى قوله الا خسارا وكقوله الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ويحتمل ان يريد
سنة الاولين استمرارهم على الانكار كانه قال انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله ياتي بسنة لا تبديل لها العذاب
المعلوم بنوع اخر ولا تحويله من مستحقه ثم امرهم بالسير كي علموا ما زادوه في مسايرهم ومتاجرهم الى الشام والعراق واليمن
من اثار الهالكين الاقدمين ومن فوقهم وكثرة شوكتهم ثم بين كمال علمه ونهاية قدرته على ايصال اصناف الا
ستحقاقات بقوله وما كان الله ليعجزه اي ليسبقه ويفوته شيء ثم ختم السورة بما يدل على غاية حلمه وهو انه لا يواخذ
الناس بكل جرم الى اجل مسمى هو يوم القيامة وهو يومئذ اعلم باجرامهم علما عيانيا فيجزي كلا منهم بحسب عمله وقد مر
مثل الاية في سورة النحل وقيل الاجل هو يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن او حين يجتمع الناس على الضلال والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم
يس ۝ والقرآن الحكيم ۝ انك لمن المرسلين ۝ على صراط
مستقيم ۝ تنزيل العزيز الرحيم ۝ لتنذر قوما ما انذر آباؤهم
فهم غافلون ۝ لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون ۝
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون ۝ وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة
واجر كريم ۝ انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم
وكل شيء احصيناه في امام مبين ۝ واضرب لهم مثلا اصحاب
القرية اذ جاءها المرسلون ۝ اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون ۝ قالوا ما انتم الا
بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون ۝ قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ۝ وما علينا الا البلاغ المبين
قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم ۝ قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل
انتم قوم مسرفون ۝ وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال

يا قوم اتبعوا المرسلين ۝ اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم
مهتدون ۝ ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ۝
ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضرّ لا تغن عنى شفاعتهم
شيئاً ولا ينقذون ۝ انى اذاً لفى ضلال مبين ۝ انى امنت بربكم
فاسمعون ۝ قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون ۝ بما غفرلى
ربى وجعلنى من المكرمين ۝ وما انزلنا على قومه من بعده
من جند من السماء وما كنا منزلين ۝ ان كانت الا صيحة
واحدة فاذا هم خامدون ۝ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزءون ۝ الم يروا كم اهلكنا قبلهم من
القرون انهم اليهم لا يرجعون ۝ وان كل لما جميع لدينا
محضرون ۝ واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا
فمنه ياكلون ۝ وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا
فيها من العيون ۝ لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون ۝
سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون ۝ واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ۝
والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ۝ والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ۝ لا الشمس ينبغى لها
ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك
يسبحون ۝ واية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ۝

وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ۝ وان نشأ نغرقهم فلا
صريخ لهم ولا هم ينقذون ۝ الا رحمة منا ومتاعا الى حين

القراءة يس باظهار النون ابو عمرو وسهل ويعقوب غير رويس عن ابن كثير غير ابن فليح وحمزة وابو جعفر ونافع غير البخارى عن ورش والحلوانى عن قالون وعاصم غير يحيى وابن غالب وقرا حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد بالامالة تنزيل بالنصب ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد والباقون بالرفع سدا بفتح السين فى الحرفين حمزة وعلى و خلف وحفص وابو زيد فعززنا بالتخفيف ابو بكر وحماد والمفضل آئن بالمد واليا ابو عمرو وقالون وزيد مثله ولكن بلا تعض ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد بهمزتين حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة وقرا المفضل آين على وزن كيف آن بسكون النون وبالمد يزيد مثل انذرتهم ذكرتم بالتخفيف يزيد ومالى بسكون الياء حمزة ويعقوب وسهل ينقذون فى الحالين بالياء يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل انى اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وانى امنت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو الا صيحة بالرفع و كذلك ما بعدها يزيد لما بالتشديد ابن عامر وحمزة وعاصم الميتة بالتشديد ابو جعفر ونافع عملت بغير ها الضمير حمزة و على وخلف وعاصم غير حفص والمفضل لمستقر بكسر القاف زيد عن يعقوب والقمر بالرفع على الابتداء ابن كثير وابو عمرو وسهل ونافع ويعقوب غير رويس الاخرون بالنصب اضمارا على شريطة التفسير ذرياتهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب الوقوف يس كوفى الحكيم بجواب القسم المرسلين لان الجار والمجرور خبر بعد خبر وهو مفعول ثان لمعنى الفعل فى المرسلين اى ارسلت على صراط مستقيم على القراءتين فمن نصب فمعناه نزل تنزيلا واعنى تنزيل ومن رفع فالتقدير هذا تنزيل الرحيم ليعلق لام كى بمعنى التنزيل والارسال غافلون لا يؤمنون مقمحون لا يبصرون بالغيب لانقطاع النظم مع دخول الفاء كريم واثارهم مبين القرية لان اذ ليس ظرفا لاضرب بل التقدير واذكر اذ جاء وها وجوز فى الكشاف ان يكون اذ بدلا من اصحاب القرية فلا وقف المرسلون لاحتمال كون اذ بدلا او معمولا لعامل اخر مضمر مرسلون مثلنا من شئ لاتحاد المقول فيهما يكذبون لمرسلون المبين للابتداء تماما فى معنى القسم مع اتحاد المقول اليم معكم ذكرتم مسرفون المرسلين لان اتبعوا بدل من الاول مهتدون الجزء الثالث والعشرون يرجعون ولا ينقذون للابتداء بان مع ان ما قبلها اى انى اذا اتخذت الهة لفى ضلال مبين فاسمعون لان التقدير فلم يسمعوا قوله فقتلوه ثم قيل له ادخل الجنة يعلمون لتعلق الباء المكرمين منزلين خامدون العباد لان ما بعده يصلح استئنافا و حالا او العامل معنى الفعل فى حسرة يستهزءون لا يرجعون محضرون ياكلون العيون ثمره لمن جعل ما نافية ومن جعلها موصولة لم يقف ايديهم يشكرون لا يعلمون مظلمون لها العليم لمن قرا والقمر بالرفع القديم النهار يسبحون المشحون يركبون ينقذون حين التفسير الكلام الكلى فى فواتح السور قد مر فى اول البقرة وغيرها والذى يختص بالمقام ما قيل ان معناه يا سيد او يا انسان فاقتصر على البعض رواه جار الله عن ابن عباس ولا يخفى ان النداء على هذا يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم يؤيده قوله انك لمن المرسلين وكثيرا ما يستعمل القسم بعد افحام الخصم الا لدليلا يقول انك قد افحمت بقوة جدالك وانت فى نفسك خبير بضعف مقالك وايضا الابتداء بصورة اليمين يدل على ان المقسم عليه امر عظيم والامر العظيم يتوفر الدواعى على الاصغاء اليه وكانت العرب يتحرزون من الايمان الفاجرة ويقولون انها تدع الديار بلاقع وكان من المعلوم ان النبى واصحابه يعظمون القران غاية التعظيم وكان اليمين به موثوقا عليه عند الكفرة وقوله على صراط كالتاكيد لان المرسلين لا يكونون الا على النهج القويم وتنكير صراط للتعظيم قيل فيه دليل على فساد قول المباحية القائلين بان المكلف اذا صار واصلا لم يبق عليه تكليف فان المرسلين لم يستغنوا عن رعاية الشريعة فكيف غيرهم وقوله ما انذر اباؤهم كقوله فى القصص لتنذر قوما ما اتيهم من نذير وقد مر انه يشمل اليهود و النصارى لان ايام الاولين تنذروا بعدما ضلوا فهم غافلون لهذا السبب وقد قيل ان ما مصدرية او موصولة اى ارسلت لتنذرهم انذار اباءهم او ما انذرت اباءهم فانهم فى غفلة تعلق هذا كونهم غافلين سبب باعث على الانذار وعلى الاول عدم الانذار سبب غفلتهم ثم بين ان السبب الحقيقى للغفلة هو انه تعالى جعلهم من جملة المطبوع على قلوبهم ومن زمرة اهل النار وهو قوله فيهم لاملان جهنم منك وممن تبعك اراد بالقول سبق علمه فيهم وفى امثالهم انهم لا يؤمنون وقيل

اراد ان القول بالدعوة يبلغ اكثرهم ولكنهم لا يؤمنون جحودا وعنادا وذلك ان من يتوقف على استماع الدليل في مهلة النظر
يرجى منه الايمان اذا بان له البرهان اما بعد البيان والوضوح فلا يكون عدم الايمان الا للمكابرة وحين بين انهم لا
يؤمنون ذكر ان ذلك من الله تعالى فقال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فيكون مثلا لتصميمهم على الكفر بالطبع والختم وقيل
انه اشارة الى امساكهم وانهم لا ينفقون في سبيل الله كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وعلى هذا يمكن ان يكون
معنى قوله فهم لا يؤمنون انهم لا يزكون كانه عبر بالايمان عن التزكية كما عبر عن الصلوة في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم
وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما
رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال المخزومي انا اقتله بهذا
الحجر فذهب فاعمى الله بصره واترك الاتيان والضمير في قوله فهي الى الاذقان راجع الى الايدي وان كانت غير مذكورة لكونها
معلومة فان المغلول يكون ايديه مجموعة الى العنق ولذلك يسمى الغل جامعة اي جامعا لليد والعنق وتانيث
الجامعة للمبالغة او بتاويل الالة وقيل واختاره في الكشاف انه يرجع الى الاغلال اي جعلنا في اعناقهم اغلالا
ثقالا غلاظا بحيث يبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان يطاطي راسه فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه
ويغض بصره ومنه اقمحت السويق اي سففته والكانونان يقال لهما شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده
فيهما وكيف يفهم من الغل في العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية عنه فالمغلول الذي بلغ الغل ذقنه وبقي مقمحا رافع
الراس لا يبصر الطريق فضرب ذلك مثلا للذي يهديه النبي الى الصراط المستقيم العقلي وهو لا يبصر بنظر بصيرته ويمكن ان
يجعل كناية عن عدم التصديق بتحريك الراس ويقال بعير قامح اذا رفع راسه فلم يشرب الماء والايمان كالماء الزلال الذي
به الحيوة ثم ضرب مثلا اخر لكونهم غير متمكنين من سبيل الرشاد وذلك قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا قال اهل التحقيق
المانع اما ان يكون في النفس وهو الغل فلا يتبين لهم ايات الانفس واما ان يكون خارجا عنها وهو السد فلا يتضح لهم دلايل
الافاق ويمكن ان يقال السد من قدام اشارة الى عدم العلوم النظرية ومن خلف اشارة الى عدم فطنتهم الغريزية والاول
اشارة الى الغفلة عن احوال المعاد والثاني اشارة الى الغفلة عن المبدا وفيه ان السالك اذا السد عليه الطريق من قدامه
ومن خلفه الموضع الذي هو فيه لا يكون موضع اقام فانه يهلك لا محالة ثم زاد في التاكيد بقوله فاغشيناهم اي جعلنا
بعد ذلك كله على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئا اصلا ويحتمل ان يكون الاغشا اشارة الى ان السد قريب منهم بحيث
يصير ذلك الغشاوة وان القرب القريب مانع من الروية فلا يرون السد ولا غيره ولذلك قال فهم لا يبصرون وعلى هذا
يكون ذكر السد من خلف تاكيدا على تاكيد فان الذي جعل من بين يديه ومن خلفه سدان ملتصقان لا يمكنه التحرك يمنة
ويسرة ولا النظر الى السد ولا الى غيره ويمكن ان يقال فايدة تتميم المنع من انتهاج المسالك المستقيمة لانهم ان قصدوا
السلوك الى جانب اليمين او الى جانب الشمال صاروا متوجهين الى شي ومولين عن شي وهكذا ان فرض رجوع قهقرى
فان الشي منها بين الجهتين عادة ثم صرح بالمقصود معطوفا على المذكورات قايلا وسواء عليهم الاية وقد مر اعرابه
وساير ما يتعلق بتفسيره في اول البقرة ولا يخفى ان الانذار وعدمه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم غير مستوي
وانما الانذار سبب لزيادة سيادته وسعادته عاجلا واجلا ثم بين بقوله انما تنذر ان عدم فايدة الانذار انما
هو بالاضافة الى المطبوع على قلوبهم الذين تقدم شرح حالهم وبيان اشاهم لا الى المنتفعين به والذكر القران
او ما فيه من المواعظ والحكم والدلايل وفي ذكر الخشية ثم تعقيبه باسم الرحمن اشارة الى انهم مغترين بلطفه
يعني مع كونه ذا هيبة لا تنقطع ارجاءكم والغيب ما غاب عنا من احوال القيمة وغيرها وقيل اي بالدليل وان لم
ينته الى العيان فعند الانتهاء الى ذلك يبقى للخشية فايدة ومعنى الفاء في فبشره انك كما انذرت ونفعت فبشره
بمغفرة واسعة واجر كريم لا يكتنه كنهه وكان المغفرة وبازاء الايمان والاجر الكريم للعمل الصالح الاول للاتباع الذكر
والثاني للخشية وحين فرغ من بيان الرسالة شرع في اصل الحشر قايلا انا نحن نحيي الموتى على ان البشارة بالمغفرة
والاجر لا يتم الا بعد ثبوت الاعادة وهكذا خشية الرحمن بالغيب يناسب ذكر احيا الاموات والظاهر ان قوله
نحن ضمير الفصل ويجوز ان يكون مبتدا والفعل خبره والجملة خبر ان ويجوز ان يكون نحن خبر ان كقول القايل هذا للافتخار
بالسيرة انا انا كان الله سبحانه قال انا نحن معروفون باوصاف الكمال واذا عرفنا انفسنا فلا تنكر قدرتنا على احياء
الموتى وفي هذا التركيب ايضا اشارة الى التوحيد اي ليس غيرنا احد يشاركنا حتى يقول انا كما قيل انا ثم اشار الى العلم
التام الذي يتوقف عليه المجازاة فقال ونكتب ما قدموا اي اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة وقيل اراد

ما قدموا وما اخروا فاكتفى باحدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر والصحيح انه لا حاجة الى هذا التقدير لان قوله واثارهم
تدل عليه والمراد بها ما هلكوا عليه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او بقعة خير عمروها او شر سيئ كبدعة و
ظلامة والاثار يداه وقيل هي اثار المشائين الى المساجد ارادوا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فقال لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليكم دياركم فانما يكتب اثاركم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه
الاثار التي تعفيها الرياح اي تمحوها وقيل اراد ونكتب ما قدموا من اسنانهم فانها قبل الاعمال واثارهم اي اعمالهم سوال كيف
قدم الكتابة على احيا الموتى ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم لاجل الجزاء الجواب لان الكتابة ليست مقصودة بالذات وانما
المقصود الاصل هو الاحياء للجزاء ولو لم يكن احياء واعادة لم يكن للكتابة اثر وايضا قوله انا نحن دال على العظمة وايضا اراد
ان يرتب على كتابة الاعمال قوله وكل شيء احصيناه ومعناه ان قبل هذه الكتابة كتابة اخرى فان الله كتب عليهم انهم سيفعلوا
كذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وفيه بيان ان الكتابة مقرونة بالحفظ والاحصاء فرب مكتوب غير محفوظ ولا محصى
وفيه تعميم بعد تخصيص كانه قال ليست الكتابة مختصة بافعالهم وانما هي لكل شيء والامام اللوح لان الملائكة يتبعون ما
كتب فيه من اجل ورزق واماتة واحيا والمبين هو المظهر للامور والفارق بين احوال الخلق وحيث بين ان الانذار لا ينفع
من اضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال لنبيه لما بان واضرب لنفسك ولقومك مثلا مثل اصحاب القرية وهي انطاكية
الروم والمرسلون رسل عيسى الى اهلها وفي قوله اذ ارسلنا دلالة على ان رسول الرسول رسول وانه تويد مسئلة فقهية و
هي ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وكانه ارسل اثنين
ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتفي بواحد في الاغلب كمعاذ وغيره
فمن ههنا يعلم ترجيح هذه الامة واما القصة فان عيسى عليه السلام ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة راءيا شيخا يرعى
غنما واسمه حبيب النجار فسالهما فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من
سنتين فمسحاه فبرا فامن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير ورفع خبرهما الى الملك فاحضرهما فلما سمع قولهما
قال النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فحبسهما حتى ينظر في امرهما فبعث عيسى شمعون وذلك قوله تعالى
فعززنا بثالث من قرا بالتشديد فمعناه فقوينا الرسولين ومن قرا بالتخفيف فمن العز اي فغلبنا وقهرنا اهل القرية
فانما ترك ذكر المفعول به لان الغرض ذكر الثالث فالعناية بذكره اهم واتم نظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض
الذي سبقت له الكلام قولك بالحق فلذلك تركت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه واما باقي القصة فان شمعون دخل
متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين
فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شي
وليس له شريك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا الغلام مطموس فدعوا الله حتى انشق
له بصر واخذ بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون يا ايها الملك ان شئت
ان تقلبهم فقل لالهتك تصنع مثل هذا فقال الملك انت لا يخفى عليك انها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تعلم وكان
شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم وقال شمعون فالحق اذا معهم فامن الملك وبعض حاشيته
وبقي اخرون على الكفر فاهلكوا بالصيحة قال اهل البيان يجب زيادة المؤكدات في الجملة الخبرية بحسب تزايد الانكار من السامع
فلهذا قال الرسل اولا انا اليكم مرسلون مقتصرين على ان وثانيا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون جمعوا بين ان واللام وما يجري
مجرى القسم ولا يخفى ان اليمين بعد ما ظهرت البينة والخصم مؤكد قوي كما مر في اول السورة وفي قولهم وما علينا
الا البلاغ المبين تسلية لانفسهم اي نحن خرجنا من عهدة ما علينا ولم يبق الا التفكر منكم والتذكر وحيث اكد الرسل
قولهم باليمين اكد الكفار قولهم بالنظر فيه عادة الجهال ان يتشاءموا بكل ما يوافق طباعهم وهواهم وتشاءموا بكل ما
كرهوه او كانهم قالوا في الاول كنتم كاذبين وفي الثاني صرتم مصرين على الكذب حالفين بالايمان الكاذبة بل تتمادى الى
بلاغ فتشاءمنا بكم ولايتكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالقول او بالحجارة وليمسنكم بعد ذلك او بسبب الرجم بالحجارة المتقي
الى الموت عذاب اليم قالوا طائركم معكم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفركم ومعاصيكم ائن ذكرتم يعني اتطيرون ان ذكرتم
ومن قرا ابن علي وقرن كيف ذكرتم بالتخفيف فالمراد شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم فضلا عن المكان الذي حللتم فيه ثم
ان الرسل كانهم قالوا لهم نحن كاذبون ام نحن مشؤمون بل انتم قوم مسرفون في عصيانكم او ضلالكم فوق تمادي كفر الشؤم
وجاء من اقصى المدينة رجل وهو حبيب النجار الذي مر ذكره نصح قومه فقتلوه وقبره في سوق انطاكية وقيل كان

في عاد بعبد الله عز وجل قبل بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال الكفرة فوثبوا عليه فقتلوه وعن النبي
الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومومن ال فرعون
ومن هنا قالوا [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وذلك انه سمع [illegible] من الكتب والعلماء وتنكير رجل للتعظيم
اي رجل كامل في الرجولية او ليفيد ظهور الحق من جانب المرسلين حيث امن بهم من الرجال الاخر رجل [illegible] كان بعيدا
من [illegible] وقوله من اقصى المدينة ايضا مفيد [illegible] التبليغ والانذار حتى بلغ [illegible] القاصي و
الداني والسعي بمعنى المشي [illegible] ثم حثهم
على اتباع الرسل [illegible] اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون [illegible]
[illegible]
المرسلين اظهار الايمان [illegible]
الاتباع [illegible]
مركوز في العقول [illegible]
الى وجوب [illegible]
في الوضع والطبع [illegible]
البيان [illegible]
لله [illegible]
بيان الخوف [illegible]
التوحيد [illegible]
على سبيل الانكار [illegible]
[illegible]
عن سخص يقوم على الشاهد [illegible] قال بعض المفسرين انما قال الحق
عليه يريدون قتله اقبل هو على المرسلين او قال اني امنت بربكم فاسمعون قول لتشهدوا لي وانما قال بربكم ولم
يقل بربي لتبيين انه امن بالرب الذي دعوه اليه وقال اكثرهم الخطاب للكفار وعلى هذا فالمراد به بيان التوحيد
اي ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وفطركم فاسمعوا قولي واطيعوني وفي قوله قيل ادخل الجنة وجهان
احدهما انه قيل لم كان قايلا سال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة الدين حتى بذل مهجته فقيل
قيل ادخل والقايل هو الله سبحانه او الملك مكة بامره قال جار الله لم يقل قيل له لانصباب الغرض الى القول وعظم
لسانه ولانه معلوم ثم كان سايلا اخر سال اي شيء تمنى في الجنة فقيل قال يا ليت قومي يعلمون وانما تمنى علم قومه
بحاله ليصير ذلك سببا لهم في التوبة والايمان ليفوزوا بما فاز به يؤيده ما روي في الحديث مرفوعا انه نصح قومه حيا
وميتا ويجوز ان يكون سبب التمني هو ان يتنبهوا على خطائهم في امره وعلى صوابه في رايه وان عادوه ثم يعقبه الا
سعادة وكرامة وثانيهما ان الرسل بشروه وهو حي بدخول الجنة فصدقهم وتمنى علم قومه بحاله فيومنوا كما امن
وما في قوله بما غفر مصدرية او موصولة اي بالذي غفر لي من الذنوب او استفهامية يعني باي شيء غفر لي
اراد ما جرى بينه وبينهم من المصابرة والدين الا ان طرح الالف اجود قول القايل علام صنعت هذا احسن
من قوله بما صنعت فقوله غفر لي ربي وجعلني من المكرمين بازاء قوله فبشره بمغفرة واجر كريم ثم اشار الى كيفية
اهلاك قومه من بعده قايلا وما انزلنا على قومه قال المفسرون يجوز ان يريد بقومه الذين بقوا من اهل القرية
بعد المومنين منهم وان يريد به اقاربه فلعل غيرهم من قوم الرسل امنوا فلم يصبهم العذاب ثم قال وما كنا منزلين
اي وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء ومن هنا يعلم فضل نبينا صلى الله عليه
وسلم على غيره فقد انزل الله لاجله الجنود من السماء يوم بدر والخندق وحنين وما انزلها لغيره من نبي فضلا عن حبيب
فشان من حبيب الجبار وبين حبيب النجار فالحاصل انه نكت بقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم ان انزال الجنود من عظائم
الامور التي لا يوهلها الا امثالك وما كنا نفعله لغيرك ومن قرا الا صيحة بالنصب الا ما كانت الاخذة او العقوبة
الا صيحة ومن قرا بالرفع على كان التامة فمعناه ما وقعت الا صيحة قال جار الله القياس والاستعمال

على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل قلت يحتمل
ان تعدد ما حديث عقوبة وقيل ان التانيث لتهويل الواقعة ولهذا جاءت اسماء الحشر كلها مونثة و وصف الصيحة
بواحدة للتاكيد وقرا ابن مسعود الا زقية وهي الصيحة ايضا ومنه المثل يقال من الرواة صياح الديك ونحوه
وذلك ان عشق صياح الديك بزوال الامن وتبديل الفراق بالوصال ثم شبه هلاكهم بخمود النار وهو صيرورتها
رمادا لانهم كانوا كالنار الموقدة في القوة العصبية حيث قتلوا من نصحهم وتجبروا على من اظهر الحجة لديهم ثم بين
بقوله يا حسرة انهم حقا بان يتحسر عليهم المتحسرون من الملائكة والثقلين او من الله عز وجل على سبيل الاستعارة ودلالة
التعظيم ما صدر من تقصير ويتذمر من تفريطهم ثم ذكر سبب التحسر بقوله ما ياتيهم الاية ثم تعجب من حالهم في عدم الاعتبار
بامثالهم من الامم الخالية وقوله انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا التقدير الم يعلموا القران الكثرة المهلكة من قبلهم
كونهم غير راجعين اليهم فالبدل بدل الاشتمال لانه حال من احوال المهلكين اي هلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم والرجوع حسي
وهو ظاهر او معنوي وهو الرجوع بالنسبة والولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم ومن قرا لما بالتشديد بمعنى الا فان
نافية ومن قرا بالتخفيف فان مخففة وما صلة تقديره وان كلهم لمحشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة
قال الكشاف وكيف اخبر عن كل المجموع بجميع واجاب بانهما ليسا بواحد بل الكل يفيد الشمول والجميع يفيد الانضمام وان
المحشر يجمعهم ويحتمل انه يقال العرض وصف الجميع بالاحضار كقولك الرجل عالم والنبي نبي مرسل ثم ذكر البرهان على الحشر
وعلى التوحيد ايضا مع تعداد النعم وتذكيرها قائلا واية لهم الارض الميتة قال المحققون انما قال لهم لان الارض ليست
اية للنبي ولغيره من اهل الاخلاص الذين هم بالله عرفوا الله قبل النظر الى الارض والسماء كقوله اولم يكف بربك انه
على كل شيء شهيد وقوله احييناها استيناف بيانا لكونها اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يكونا وصفين على قياس
قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه ياكلون بتقديم الجار للدلالة على ان الحب هو معظم قوت الانسان وبه قوام
معاشه عادة فمعنى الارض ابتر فانها مهدهم الذي فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم
وامكانهم سوا كانت ميتة او لم تكن وهي مكان لهم ثم احياها نعمة ثانية فانها احسن وانضر ثم اخراج الحب منها
نعمة ثالثة فانه قوتهم اذا كان في مكانهم كان تجمع للقوة والقراع ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة موجبة للتفكه و
سعة العيش ثم تفجير العيون فيها نعمة خامسة لان ماء السماء لا يحصل الوثوق به ولا في كل حين فذلك كالشيء المدخر
القريب التناول والضمير في قوله ثمره يعود الى الله وفائدة الالتفات ان الثمار بعد وجود الاشجار وجريان الانهار
لا يوجد الا بتخليق الملك الجبار ويحتمل ان يعود الى المذكور وهو الجنات او الى النخيل وترك ذكر الاعناب لان
حكمه حكم النخيل وقيل الى التفجير المدلول عليه لسياق الكلام اي ليأكلوا من فوائد التفجير وهي اعم من الثمار ويشمل جميع ما
ذكروه في قوله انا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة وابا قوله وما عملته من قرا بغير هاء الضمير فما موصولة او مصدرية
اي ليأكلوا من ثمر الله ومن ثمر ما عملته او من ثمر عمل ايديهم او نافية فيكون اشارة الى ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي
الناس ولا يقدرون عليه ومن قرا مع الضمير فما موصولة والضمير للتفجير او للمذكور ومعنى عمل الايدي ما يتكلفه الناس
من الحرث والسقي وغير ذلك هذا اذا جعلت ما موصولة فان كانت نافية فالمراد الايجاد والخلق وقيل عمل الايدي
التجارة وقيل الطبخ ونحوه ثم نزه نفسه بقوله سبحان الذي خلق الازواج اي الاصناف والمراد بقوله ومما لا يعلمون
ازواج لم يطلع الله الانسان عليها بطريق من طرق المعرفة وما يعلم جنود ربك الا هو فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
قالت الاشاعرة فيه دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله لانها اعراض وهي داخلة تحت الاجناس وقوله مما
تنبت لا يخرجه عن العموم لان البيان متعدد نظيره قول القائل اعطيته كل شيء من الثياب والدواب والعبيد فانهم
يفهم منه ان تعديد الاصناف لتاكيد العموم يؤيده قوله في حم الذي خلق الازواج كلها من غير تعديد وحين فرغ من
الاستدلال بالمكان شرع في الاستدلال بالزمان ومعنى نسلخ النهار من الليل نخرجه منه قال جار الله اصله من سلخ جلد
الشاة اذا ازاله عنها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وموضع الغاطلة ومعنى مظلمون داخلون في الظلام
اي لابد لهم ان يدخلوا في الظلام اذ ذاك ولا يقدرون على دفعه وفيه ان الليل كرص اصل نظرا عليه النور تارة
فيزول عنه اخرى ثم كان لجاهل ان يقول سلخ النهار انما هو بغروب الشمس فلا جرم قال والشمس تجري لمستقر لها موقت ينتهي
اليه من فلكها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره الا ان المسافر له قرار بعد ذلك وهذه لا قرار لها بعد الحصول في ذلك الحد
ولكنها تستانف الحركة منه وهو اول الحمل او احد الخافقين او احدى الغاشيين في نصف النهار ونزل [illegible]

اوغير ذلك من الاعتبارات وقيل اراد بالمستقر بينها وهو الاسند لال وقيل اراد الجري مستقرها وهو فلكها وقيل
هو الدايره التي عليها حركتها الخاصه وقال الحكيم اراد لامر لو وجده لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنه وقيل اراد
الوقت الذي ينقطع جريها وهو يوم القيمه وقيل انه اشاره الى نعم النهار بعد الليل كانه قال ان الشمس تجري فتطلع عند انقضاء
الليل فيعود النهار بمنافعه وعلى هذا فالمستقر هو افق المغرب خاصه ذلك الجري على الوجوه المذكور تقدير العزيز الغالب
بقدرته على كل مقدور العليم بمبادي الامور وغاياتها ثم ذكر سير القمر وقد مر في اول يونس في قوله وقدره منازل
والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخله وهو فعلون من الانعراج الانعطاف قاله الزجاج والقديم ما
تقادم عهده ويختلف بحسب الاعيان فلا يقال المدينه بنيت من سنه وسنتين هي قديمه وقد يقال بنت قديم وان
لم يكن له سنه واطلاق القديم على العالم لا يعتاد لانه موهم الاعند من يعتقد انه لا اول له وقال في الكشاف القديم المحول
وهو اقل ما يوصف بالقديم فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول و
اكثر واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه القمر اخر الشهر بذلك من الوجوه الثلث ثم بين ان لكل واحد من النيرين حركة
مقدره وسلطانا على حاله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر لتبطو اسيرها عن سيره ولا الليل اي ولا يسبق ايه الليل وهو
القمر اي لا تداخل القمر الشمس في سلطانها وقيل اراد ان الليل لا يدخل في وقت النهار وقيل انه اشاره الى الحركة اليوميه
التي بها يحدث الليل والنهار والمراد ان القمر لا يسبق الشمس بهذه الحركة لانها تشملهما على السواء وهكذا لجميع الكواكب
فلا يقع بينها تقدم ولا تاخر قال وهذا لو نقل يسبق على قياس يدرك اي ليس شانه ان الكواكب كانها ساكنه بهذه الحركة واولى
احتمل ان يراد لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا القمر ينبغي ان يتخلف فحذف احدى القرينتين للعلم بركته له سرابيل تقيكم
الحر وكذا الكلام في قوله ولا الليل سابق النهار اراد ولا النهار سابق الليل اي لا يدخل شي منهما في غير وقته سلمنا ان المراد
بالليل والنهار ايتهما لكنه يمكن ان يقال انه اشارة الى الحركة الدوريه لانه لما قال ان الشمس تبطو سيرها لا تدرك القمر فهم
منه ان القمر يسبق بحركته واشار الى ان هذا السبق ليس على قياس المتحركات على الاستقامه ولكنه سبق هو تعقبه موجب
للغرب وهذا معنى قول اهل الهيئه ان الكواكب هارب عن نقطه ما طالب لها بعينه واما قوله وكل في فلك يسبحون فقد
مر تفسيره في سورة الانبياء ولما بين ماهو كالضروري الوجود الانسان من المكان والزمان وما يتبعه ويتبعه شرع في
تقرير ما هو نافع لهم في احوال المعاش قال بعض المفسرين اراد بحمل الذريه حمل ابايهم وهم في اصلابهم والفلك فلك نوح و
مثله وهو ما يركبون الان عليه من السفن والزوارق قال جار الله وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وا
في التعجب من في مذريتهم في حمل اعقابهم الى يوم القيمه في سفينه نوح ولولا ذلك لما بقي للادمي نسل ومن فوايد الذريه
ان من الناس من لا يركب السفينه طول عمره ولكن في ذريته من يركبها غالبا وذهب اخرون ان المراد حمل ولادهم ومن
يهمهم حمله كالنساء فقد يقع اسم الذريه عليهن لانهن مزارع الاولاد وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء وكا
قيل انا كما حملنا كم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره وعلى هذا يكون قوله وخلقنا لهم الى اخره اعتراضا ومثل الفلك ما يركبون
من الابل لانها سفاين البر ووصف الفلك بالمشحون مزيد تقرير للقدرة والنعمه فان الفلك اذا كان خاليا كان خفيفا لا يرسب
في الماء الطبع ثم ذكر ما يؤكد كونه فاعلا مختارا قايلا وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم وهو مصدر او صفة اي لا اغاثة ولا
مغيث وقوله الا رحمة اشارة الى ان الانقاذ رحمة بالنسبة الى المومن ومتاع الى حلول الاجل بالاضافه الى الكافر والمراد
ان احدا لا يتخلص من الموت وان سلم من الافات ولله در القايل **شعر** ولم اسلم لكي ابقى ولكن ✤ سلمت من الحمام الى الحمام ✤
التاويل يس اشارة الى انه يليق في السيادة سلعا لم يبلغه احد من المرسلين تنزيل العزيز الرحيم فيه انه لعزته لا يحتاج
الى تنزيل القران ولكن رحمته اقتضت ذلك ليحيي القلوب الموتى وكتبت ما قدموا من الانفاس المنقضاه مع ندما وشوقا
واثارهم خطا اقدام صدقهم وايثار دموعهم على خدودهم اصحاب قرية القلوب اذ ارسلنا اليهم اثنين من الخواطر الرحمانيه
والملامات الربانيه بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود فكذبهما النفس وصفاتها فعززنا بثالث من الجذبة
انا تطيرنا بكم لان النفس وصفاتها لا تجوا فيها ما يدعوا الاهام بالجذبة اليه طايركم معكم لان النفس خلقت من العدم
على خاصيتها الشومه رجل يسعى هو الروح المشتاق الى لقاء الحق لا يسئلكم اجرا لانه لا تشرب لنفس شاربكم قيل ادخل الجنة
وهي عالم الارواح وهو كقوله يا ايتها النفس المطمئنه الى قوله وادخلي جنتي على قومه من بعده اي بعد رجوع الروح
الى الحضره مما انزل الى النفس وصفاتها ملكة من السماء لانهم لا يقدرون على النفس واصلاح حالها فان صلاحها في موتها
والمبت هو صيحة او احدة من وارد حق فاذا هم يعني النفس وصفاتها خامدون ميتون عن انانيته بهويته الم يروا

كم اهلكنا اشارة الى ان هذه الامه خير الامم شكا منهم من كل امه فما شكا من غيرهم شكايتهم وايه لهم القلوب الميته
حيينا ها الطاعة وتخيل الاذكار واعتاب الاشواق وعيون الحكم وثمر المكاشفات وعسل الخيرات والصدقات خلق
الازواج من الابا العلويه والامهات السفليه مما تنبت ارض البشريه بازدواج الملكات والنوق ومن انفسهم بازدواج الروح
والقلب ومما لا يعلمون من ثمار الغايه في قلوب المخلصين مما لا عين رات ولا اذن سمعت وايه لهم ليل البشريه نسلخ منه نهار الروح
فاذا هم مظلمون بطلب الخلقيه فان الله خلق الخلق في ظلمه ثم رش عليهم من نوره وشمس نور الله تجري لمستقر لها وهو قلب المستقر
فيه رشاش نور الله وقمر القلب قدرناه ثمانيه وعشرين منزلا على حسب حروف القران واسماوها الالفه والبر والتوبه والانابه
والجمعيه والخلوص والديانه والدلة والرافة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والصبر والطلب والظما والعشق والعز
والقربة والكرم واللين والمروة والنور والولاية والهداية واليقين فاذا قطع كل المنازل فقد تخلق القران كما قال النبيه واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين وهو اخر المنازل والمقامات فان السالك بالتخلق اولا ثم بثبوت ويثبت على ذلك حتى يحصل له
الجمعيه وعلى هذا يعني المقامات حتى يصير كاملا كالبدر ثم يتناقص نوره بحسب دنوه من شمس شهود الحق الى ان يتلاشى و
يخفى وهو مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله الفقر فخري ثم اشار بقوله لا الشمس ينبغي لها ان
الرب لا يصير عبدا ولا العبد ربا ثم ذكر ان العوام محمولون في سفينة الشريعه والخواص في بحر الحقيقه كلاهما بفلك العناية ثم
وملاحه ارباب الطريقه ومثل ما يركبون هو جناح همة المشايخ وان نشا نغرق العوام في بحر الدنيا والوحش والخواص في بحر الشبهات

وَاِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ اَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ۝ وَمَا تَاْتِيهِمْ مِنْ اٰيَةٍ مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِمْ اِلَّا كَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ اٰمَنُوا اَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللّٰهُ اَطْعَمَهُ
اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَيَقُولُونَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ اِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ۝ مَا يَنْظُرُونَ اِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَاْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا اِلٰى اَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ فَاِذَا هُمْ مِنَ الْاَجْدَاثِ اِلٰى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا
مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝
اِنْ كَانَتْ اِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَاِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝
فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝
اِنَّ اَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَاَزْوَاجُهُمْ

في ظلال على الارائك متكؤن ● لهم فيها فاكهة ولهم
ما يدعون ● سلام قولا من رب رحيم ● وامتازوا اليوم ايها
المجرمون ● الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين ● وان اعبدوني هذا صراط مستقيم
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون ●
هذه جهنم التي كنتم توعدون ● اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون ● اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ● ولو نشاء لطمسنا
على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ● ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ●
ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون ● وما علمناه
الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين ●
لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ● اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون
وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ● ولهم
فيها منافع ومشارب افلا يشكرون ● واتخذوا من دون
الله الهة لعلهم ينصرون ● لا يستطيعون نصرهم وهم
لهم جند محضرون ● فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون ● اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو

خصيم مبين ● وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم ● قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق
عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه
توقدون ● اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على
ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ● انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون ● فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء واليه ترجعون ●

القراءة يخصمون بفتحتين ثم كسر الصاد المشددة ابن كثير وورش وسهل ويعقوب واصله يختصمون ادغمت التاء في الصاد بعد نقل حركتها الى الخاء وقرا ابو جعفر ونافع غير ورش بسكون الخاء وقرا ابو عمرو باشمام الفتحة قليلا وقراءة حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من الخصم ثلاثيا الباقون بكسر الخاء للاتباع وتشديد الصاد دوى خلف من يحيى بكسر الياء والحا والتشديد سهل نعمره بفتحتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر ويزيد ويعقوب فكهون وبابه بغير الف ويزيد ظلل بضم الظاء وفتح اللام حمزة وعلي وخلف على انه جمع ظلة الاخرون جمع ظل جبلا بضم الجيم وسكون الباء ابن عامر وابو عمرو وقراءة ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل بكسرتين واللام مشددة وقرا يعقوب بضمتين والتشديد الباقون بضمتين والتخفيف ننكسه مشددا حمزة وعاصم غير المفضل الاخرون بالتخفيف من النكس يعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب لتنذر على الخطاب ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب يقدر على صيغة المضارع يعقوب كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الوقوف ترجعون معرضين رزقكم الله لان ما بعده جوابا اذا اطعم لاتحاد المقول وبلا يبتدا بما لا بقوله مسلم وجوز جار الله ان يكون قوله ان انتم قول الله او حكاية قول المؤمنين لهم فالوقف جائز مبين صادقين يخصمون يرجعون ينسلون مرقدنا لئلا يوهم انه هذا صفة وما بعده منقى وفيه وجوه اخر يذكرها في التفسير المرسلين محضرون يعملون فاكهون لاحتمال ان هم تاكيد الضمير وازواجهم عطف عليه في ظلال ظرف فاكهون ولاحتمال ان ما بعده مبتدا وخبر متكئون يدعون لان من المحتمل ان يكون سلام خبر محذوف اي عليهم سلام يقول قولا وان يكون سلام بدل ما يدعون اي لهم ما يتمنون وهو سلام لحق الحذف رحيم المجرمون الشيطان لان التقدير فانه مبين للعطف اعبدوني مستقيم كثيرا تعقلون توعدون تكفرون تكسبون يبصرون يرجعون في الخلق له مبين الكافرين مالكون ياكلون ومشارب يشكرون ينصرون نصرهم لان الواو للحال محضرون قولهم لئلا يوهم ان ما بعده مقول الكفار يعلنون مبين خلقه رميم مرة عليم لان الذي بدل الذي توقدون مثلهم لانتهاء الاستفهام العليم فيكون ترجعون التفسير لما بين الايات المذكور وحكى انهم في غاية الجهالة ونهاية الضلالة لا مثل العلماء الذين يتبعون البرهان ولا كالعوام الذين يسوون امورهم على الاحوط اذا انذرهم منذر انتهوا عن ارتكاب الذي خوفا من مضرته وطمعا في منفعته واليه الاشارة بقوله لعلكم ترحمون اي في ظنكم فان الذي لا يعبده الايات يقينا فلا اقل من ان يحترز العذاب ويرجو الثواب اخذا بطريقة الاحتياط ونظيرا لاية ما مر في اول سورة سبا افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد اراد ما يقدم من ذنوبكم وما تاخر وعن قتادة ما بين ايديكم من وقايع الامم وما خلفكم من امر الساعة وقيل ما بين ايديكم الاخرة فانتم مستقبلونها وما خلفكم الدنيا تاركونها او ما بين ايديكم من انواع العذاب كالخسف والغرق المدلول عليه بقوله وان نشا نغرقهم وما خلفكم الموت الطالب لكم يكون عليه قوله ومتاعا الى حين وجواب

او محذوف وهو لا ينفقون او يعرضون يدل عليه ما بعده مع زيادة فايدة هي ان دابهم الاعراض عند كل اية ويحتمل ان يكون
قوله وما تاتيهم متعلقا بما قبله وهو قوله يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون وما ياتيهم
من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعني اذا جاءتهم الرسول كذبوهم واذا اتوا بالايات اعرضوا عنها قوله اولم
يروا الى قوله لعلكم ترحمون اعتراض ثم اشار الى انهم كما يخلون بجانب التعظيم لامر الله حيث قيل لهم اتقوا يخلون بجانب
الشفقة على خلق الله فلا ينفقون اذا امروا بالانفاق على انهم حوطوا بادنى الدرجات في التعظيم والاشفاق
فان ادنى الانقياد والاتقاء من العذاب وادنى الاشفاق وهو انفاق بعض ما في التصرف من مال الله فاين هم
من معشر اقبلوا بالكلية على الله وبذلوا انفسهم واموالهم في سبيل الله وفي قوله مما رزقكم الله اشارة الى ان الله تعالى
قادر على اغناء الفقير واعطايه ولكنه جعل الغني واسطة في الانفاق على الفقير والتسعيد من عرف حق الوسيط وانتهى
فرصة الامكان وعلم ان الانفاق سبب البركة في المال ومحلية للثواب في المال وقوله قال الذين كفروا دون ان يقول
قالوا ليسجل عليهم بالكفر وقوله للذين امنوا مزيد تصور بخبثهم انهم حين قالوا هؤلاء الاشراف ما قالوا وقوله انطعم دون
انطعمها رعاية حسبهم وان الطعام دون من الانفاق ومن بخل بالادون فهو ببخل الاكثر اولى وقولهم لو يشاء الله اطعمه كلام
حق في نفسه لكنهم ذكروه في معرض الدفع ولهذا استوجبوا الذم وقد بين الله خطاهم بقوله مما رزقكم الله فان في
خزاينه مالا وله في يد الغني مال فانه مخير ان اراد اعطى زيدا مما في خزاينه وان شاء اعطاه مما في يد الغير وليس
لذلك الغير ان يقول لم احلته علي وقوله ان انتم الا في ضلال مبين بيان على ان ما اعتقدوه ان الامر بالانفاق ضايع
لانه سعي في ابطال مشية الله ولم يعلموا ان الضلال لا يتعداهم اية سلكوا وذلك انهم لم ينظروا الى الامر والطلب بل بادروا
الى الاعتراض والطاعة هو اتباع الامر لا الاستكشاف عن الغرض والغاية ومن جملة تعنتهم انهم استبطاوا الموعود
على الانفاق قايلين ان كنتم ايها المدعون للرسالة صادقين فاخبروا متى يكون هذا الموعود به من الثواب والعقاب
فاجابهم الله تعالى بقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة كانهم بالاستبطاء كانوا منتظرين شيئا شكين صيحة للتهويل
ووصفها بواحدة تعظيم للصيحة وتحقير لشانهم اي صيحة لا يحتاج معها الى ثانية وفي قوله تاخذهم اي تعمهم بالاخذ
مبالغة اخرى وكذا في قوله وهم يخصمون اي يشتغلون بمتاجرهم ومعاملاتهم وساير ما يتخاصمون فيه ومع ذلك
يصعقون وقيل تاخذهم وهم يخصمون في امر البعث قايلين انه لا يكون ثم بالغ في شدة الاخذ بقوله فلا يستطيعون
توصية ففي قوله لا يستطيعون دون ان يقول فلا يوصون مبالغة لان من لا يوصي قد يستطيعها وكذا في تنكير توصية
الدال على التقليل وفي نفس التوصية لانها بالقول يوجد اسرع من الفعل من اداء الواجبات ورد المظالم وقد يحصل التوصية
بالاشارة والعاجز عنها عاجز عن غيرها وفي قوله ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية فان الذي
ينقطع بعدم الوصول الى اهله وكان الى التوصية احوج وفيه تنبيه على ان الميت لا رجوع له الى الدنيا ولا اجتماع
له الى اهله مرة اخرى الى حين يبعثون ثم بين حال النفخة الثانية والاحداث القبور والنسلان العدو وكيف صارت
النفختان موثرتين في امرين متضادين الاماتة والاحياء بقول لا موثر الا الله والنفخ علامة على ان الصوت يوجد
التزلزل وانه قد يصير سببا لافتراق الاجزاء المجتمعة تارة ولاجتماع المتفرقة اخرى ثم ان كل اجزاء كل بدن قد يحصل في
موضع هو بمنزلة حدث او اعطى للاكثر حكم الكل وذكر الرب في هذا الموضع للتعجيل فان لو شاء واضطر الى الحضور عند
من احسن اليه كان اشد الما واكثر ندما وقوله يتساءلون لا ينافي قوله في موضع اخر فاذا هم قيام ينظرون فلعل ذلك
في اول الحال ثم يحصل لهم سهو الشيء من غير اختيارهم ويمكن ان يقال ان هيئة الانتصاب ليست بمنافية للنسلان بل
يكون له ومعينة عليه وفي هذا اشارة الى ان الاحياء والتركيب والقيام والعدو وكلها يقع في زمان
النفخ ثم بين انهم قبل النسلان قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا كانهم شكوا انهم كانوا موتى فيه فعجبوا وكانوا نيام ثم
فيهم او تعجبوا لسوال بين الاحياء البعث والمرقد من مجاهد الكفار يجدون ... فاذا اصيح باهل القبور
قالوا ذلك ثم اجابهم الملائكة وفي رواية ابن عباس والمتقون على قول الحسن هذا ما وعد الرحمن كانه قيل من البعث
الذي فرقتنا وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السوال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذي الاهوال وهو الذي
الكتب المنزلة على السنة الرسل الصادقين هذا مبتدا وما وعد خبره وما مصدرية اي هذا وعد الرحمن
وصدق المرسلين والموعود والمصدق وفيه بالمصدر ويجوز ان يكون ما موصولة اي هذا الذي وعد
الرحمن وصدق فيه المرسلون اي صدق فيه ويجوز ان يكون هذا صفة المرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف وهذا

هذا وعد الرحمن او مبتدا محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وحق عليكم وقيل ان قوله هذا ما
وعد الرحمن من كلام الكافرين كانهم تذكروا ما سمعوه من الرسل فاجابوا به انفسهم واجاب بعضهم بعضا ثم عظم
شان الصيحة بالنسبة الى المكلفين وحقر امرها بالاضافة الى الجبار وفايدة ان كانت الا صيحة الاية وتقدم
نظيره ثم بين ما يكون في ذلك اليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون ايها الكافرون الا ما كنتم تعملون وفيه اشارة
الى ان عدله عام وفضله خاص باهل الايمان وفيه انهم اذا جمعوا لم يجمعوا الا للعدل والفضل والعافية كما في
قول القايل الوالي والقاضي جالس للعدل فلا يظلم اي ذلك يقتضي هذا ويستعقبه وقوله ما كنتم تعملون اشارة
الى عدم الزيادة فان الشيء لا يزيد على عينه كقولك فلا تجازيني حرفا بحرف اي لا ينزل شيئا ويجوز ان يراد بالجنس
اي لا تجزون الا جنس العمل حسنا او سيئا ثم فصل حال المحسن بطريق الحكاية في ذلك اليوم تصويرا للموعود وترغيبا
فيه فقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل لا يكتنه كنهه وفيه وجوه اولها انهم مشغولون عن هول ذلك
اليوم بما لهم من الكرامات والدرجات وقوله فاكهون موكدا لذلك المعنى اي شغلوا عنه بالملك والسرور لا بالويل والثبور
وثانيها انه بيان لحالهم ولا يريد انهم شغلوا عن شيء بل المراد انهم في عمل ثم بين عملهم انه ليس بشاق بل يتعجبون وثالثها
انهم تصوروا في الدنيا امورا يطلبونها في الجنة فاذا رأوا فيها ما لم يخطر ببالهم استغلوا به عنها وعن ابن عباس ان الشغل
افتضاض الابكار وضرب الاوتار وقيل التزاور وقيل ضيافة الله وعن الكلبي هم شغل عن ما اليهم من اهل النار لا
يهمهم امرهم لئلا ينحل عليهم تنغيص في نعيمهم والفاكهة والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها توكل للتلذذ
لا للتغذي والتكاهة الحديث لاجل التلذذ لا الضرورة والازواج ظاهرها زوج المراة وزوجة الرجل وقيل المراد
اشكالهم في الاحباب او امثالهم في الايمان كقوله واخر من شكله ازواج قال اهل العرفان من شرايط السماع الزمان
والمكان والاخوان فقوله وازواجهم في ظلال اشارة الى عدم الوجوه الموحشة وان لم يكن ثم ظل لانه لا يتفيهم الاذى كقوله لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا وقوله على الارايك متكئون دليل على القوة والفراغ والتمكن من انواع الملاذ وقوله لهم فيها
فاكهة اشارة الى ساير انواع الملاذ الزايدة على قدر الضرورة وقوله ولهم ما يدعون اشارة مع جميع حوايجهم وما يخطر
ببالهم قال الزجاج هو افتعل من الدعاء اي يدعو به اهل الجنة يأتيهم وقال الجار الله هو للاتخاذ اي ما يدعون به او ما
يدعون لانفسهم كقولك اشتوى اي اتخذ لنفسه سواء وهو بمعنى التداعي وعلى الوجهين اما ان يراد به كل ما يدعوا
الله احدا وكل ما يطلبه من صاحبه فانه يجاب به بذلك او يراد ان كل ما يصح ان يدعى به ويطلب فهو حاصل لهم فيها
قبل الطلب وقيل معناه يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت اي تمنه علي وقيل هو من الدعوى وذلك انهم كانوا يدعون
في الدنيا ان الله هو مولاهم وان الكافرين لا مولى لهم تنبيه قوله سلام بقال لهم قولا من رب رحيم او من جهته بواسطة
الملايكة وقيل المراد ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا اي عدة وعلى هذا يكون قوله لهم للبيان وما يدعون
سلام مبتدا وخبر كقولك لمزيد الشرف سوف وقال بعضهم يحتمل ان يكون قولا نصبا على التمييز لان السلام من الملك قد يكون
قولا وقد يكون اشارة قال اهل البيان قوله وامتازوا معطوف على المعنى كانه ونعموا ايها المومنون في النعيم وامتازوا
اليوم ايها المجرمون او قلنا لاهل الجنة انكم في شغل وقلنا لاهل النار امتازوا وهو كقوله فريق في الجنة وفريق في
السعير او تميزوا في انفسكم غيظا وحنقا فلا دواء لالمكم ولا شفاء لسقمكم كقوله في صفة جهنم تكاد تميز من الغيظ
وافترقوا خلاف ما للمومن من الاجتماع بالاخوان فلا عذاب اكبر من الاحزان يؤيده ما روي عن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيها
لا يرى ولا يرى وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير يرجون وامتازوا عن شفعائكم واقربائكم والمراد تمييزهم بسواد الوجه وزرقة
العين وياخذ الكتاب بالشمال وبخفة الميزان وغير ذلك وقال صاحب المفتاح قوله ان اصحاب الجنة الى اخر الايات
خطاب لاهل المحشر بدلالة الفاء في قوله فاليوم لا يظلم بعد قوله ان كانت الا صيحة وقد جاء في التفاسير ان قوله اصحاب
الجنة انما يقال لهم حين يسار بهم الى الجنة فيقول معنى الكلام الى قول القايل ان اصحاب الجنة منكم يا اهل المحشر يؤول حالهم
الى اسعد حال فليمتاز واعنكم الى الجنة وامتازوا عنهم ايها المجرمون ثم كان لسايل ان يقول ان الانسان حلو جهول لا ظلوما
والجهل عذر فبين الله تعالى ان الاعذار زايلة الم اعهد اليكم والاية الى قوله افلم تكونوا تعقلون شبه اعتراض في توبيخ
لاهل النار وما ذلك العهد عن بعضهم انه الذي مر ذكره في قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل وقيل هو المذكور في قوله
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم وقيل هو المبين على لسان الرسل ومعنى لا تعبد والا تطيعوا ولا تنقادوا لوسوسته
وزينته وقوله هذا اشارة الى ما عهد اليهم من مخالفة الشيطان وعبادة الرحمن قال اهل المعاني التنوين في قوله صراط

للتعظيم اذ لا صراط اقوم منه او للتنويع اي هذا بعض الطرق المستقيم ففيه توبيخ لهم على العدول عنه كما يقول الرجل لولده
وقد نصحه النصح البالغ وهذا فيما اظن قول نافع غير ضار وفي ذكر الصراط ههنا اشارة الى ان الانسان في دار التكليف مسافر
والمسافر في بادية يخاف فيها على نفسه وماله لا يكون عنده شيء اهم من معرفة طريق امن ثم بين لهم عداوة الشيطان بقوله
ولقد اضل منكم جبلا وهو في نهاية كلها بمعنى الخلق من جبله الله على كذا اي طبعه عليه وعن علي رضي الله عنه جبلا
بباء المنقوطة من تحت بنقطتين ثم اشار الى محل ايثار المجرمين اليه بقوله هذه جهنم وقوله اصلوها امر اهانة وتنكيل
نحو ذق وفي قوله اليوم اشارة الى ان اللذات قد مضت وايامها قد انقضت وليس بعد ذلك الا العقاب دون اهل التقى
انهم يجحدون يوم القيمة كفرهم في الدنيا فحينئذ يختم على افواههم ويتكلم جوارحهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة
اني لا اجير على شاهدا الا مني فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فينطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قال المتكلمون انه لا يبعد من الله تعالى انطاق كل جرم من الاجرام انطاق اللسان
وهو فاعل لما يشاء وقال الحكيم انهم لا يتكلمون شيئا لانقطاع اعذارهم وانتهاك استارهم فيقفون ناكسي الرؤس وتنوقف
القنوط اليوس وتكلم الاعضاء من ظهور امارات الذنوب عليهم بحيث لا يبقى للانكار مجال كقولك القايل الحيطان
تبكي على صاحب الدار اذا ظهر امارات الحزن واسبابه ثم انه تعالى اسند الختم الى نفسه واسند التكلم فالشهادة الى
الايدي والارجل كيلا يقال الان الاقرار بالاجبار غير مقبول وايضا انه اسند التكلم الى الايدي والشهادة الى الارجل لان
الاعمال ينسد الى الايدي غالبا كقوله وما عملته ايديهم بما كسبت ايديهم فهي كالمعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان
يكون غيره وانما جعلت الشهادة عليهم منهم لان غيرهم اما صالحون وهم اعداء المجرمين فلهم ان يقولوا شهادتهم غير
مقبولة في حقنا واما فاسقون وشهادة الفسقة غير مقبولة شرعا وههنا نكتة وهي ان الختم لازم الكفار في الدارين
ختم الله على قلوبهم في الدنيا وكان قولهم بافواههم كما قال يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ثم اذا ختم افواههم
ايضا في الاخرة لزم ان يكون قولهم بايا باعضائهم هذا وقد ذكرنا مرارا انه تعالى كلما يذكر يميت القدرية وبالعكس وكان
للقدري ان يتمسك بقوله يكسبون يكفرون حيث اسند الله الكسب والكفر اليهم فلا جرم عقبه بتمسك الجبري وهو
قوله ولو نشاء لطمسنا وجه التمسك ان اعماء البصائر يشبه اعمال الابصار وسلب القوة العقلية كسلب القوة الجسمية
فكما انه لو شاء لطمس على ابصارهم حتى لا يهتدوا الى الطريق الظاهر ولو شاء لسلب قوة جسومهم بالمسخ حتى لا يقدروا
على تقدم ولا تاخر فلذلك اذا شاء اعمى البصاير وسلب قواهم العقلية حتى يقيموا ديدا ولم يتفكروا في اية الطمس يحوا
شق العين قال جار الله فاستبقوا الصراط اصله فاستبقوا الى الصراط فانتصب بنزع الخافض والمعنى ولو نشاء
لمسخ عينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الصراط الذي عهدوه واعتادوا سلوكه الى مساكنهم لم يقدروا عليه او الصراط ظرف
الاستباق او الاستباق مضمن معنى الابتدار فالمراد لو شاء لاعماهم حتى لو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق
المالوف او مبتدرين اياه كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او يجعل الصراط مسبوقا اليه فالمعنى لو طلبوا ان
يجعلوا الصراط الذي اعتادوه لعجزوا او لم يقدروا الا على سلوك الطريق المعتاد كالعميان يهتدون فيما الفوا من
المقاصد والجهات دون غيرها وعن ابن عباس اراد لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على
ارجلهم وازمناهم والمكان والمكانة واحد اراد مسخنا مسخا يجمدهم بحيث لا يقدرون ان يبرحوا مكانهم وانما قدم الطمس
على المسخ تدريجا من الاهون الى الاصعب فان الاعمى قد يهتدي الى وجوه التصرف بامارات عقلية او حسية غير
البصر واما الممسوخ على مكانه فلا يهتدي الى شيء اصلا ولمثل ما قلنا قدم المضي على الرجوع فان سلوك طريق قد رآه مرة
يكون اهون مما لم يره اصلا فنفى اولا استطاعة الاصعب ثم نفى استطاعة الاهون ايضا لاجل المبالغة وحين قطع الاعذار
يسبق الانذار وذلك في قوله الم اعهد اليكم شرع في قطع عذر اخر الكافر وهو ان يقول لبثنا في الدنيا الا يسيرا و
لو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر افلا يعقلون
انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم وقد عمرتم ما تمكنتم فيه من النظر والعمل ومن لم يات بالواجب في زمان الامكان
فكيف ياتي به في زمن الازمان وعن بعضهم شعر طوى العصر ما قد نشراه مني فها انا لي حدثني نشر وطي فها انا في كل يوم في
انتقاص ولا يبقى على النقاص شي وقال اخر شعر ارى الايام تتركني وتمضي علامة ذاك شيب قد علاني وضعف
عند ابائي ونقصتي وما كذب الذي قد قال قبلي اذا ما مر يوم مر بعضي وجمع بين اصل الوحدانية والحشر
في هذه السورة مرات اقربها قوله وان اعبدوني وقوله هذه جهنم الى اخره اما اصل الرسالة بقوله وما علمناه الشعر

ولا الكهانة مع انهم ادعوا انه ساحر كاهن لانه ما تحداهم الا بالقران وانما نسب الى السحر عند اظهار معجزات كشق القمر
وحنين الجذع اليه ونسبوه الى الكهانة اخباره عن الغيوب وهي نوع خاص من الكلام من غير اعتبار الفصاحة اللفظية
والمعنوية قال جار الله معنى قوله وما ينبغي له انه لا يتاتى له قال وما روي انه صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت كلام اتفاقي من غير قصد وتعمد والشعر كلام موزون مقفى مع تعمد
وقيل اراد نفي الشعر عن القران وما علمناه بتعليم القران الشعر وما ينبغي للقران ان يكون شعرا وانا اقول الاحسن ان يقال ما
ينبغي له معناه لا يليق بجلالة منصبه لان الشعر مادته كلام يفيد تارة دون التصديق وهو التخييل واما الوزن والتقفية
فهما كالصورة ونعتقد انه قد يجاوز ترتيبا على التخييل الذي هو قريب من المغالطة ولهذا لم يؤمر بان يدعو بهما الى سبيل
ربه وانما امر بان يدعو الى الدين بسائر اصناف الكلام حيث قيل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي احسن ونظيره قوله ههنا ان هو الا ذكر اي موعظة وقران مبين والبيان اولا بانه يشمل البرهان والجدل اما البرهان
فظاهر واما الجدل فلان النتيجة اذا كانت في نفسها حقة فالرجل العلمي المحق ليس عليه الا الزام الخصم الالد والزامه
بمقدمات مسلمة او مشهورة ومما يؤيد ما ذكرنا ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا قول طرفة شعر ستبدي لك الايام
ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود هكذا ويأتيك من لم تزود بالاخبار ولا ريب انه كان يتاتى له رواية
الشعر ان لم يتات له قرضه وما ذاك الا لتنزهه عما يشبه ما يشيره ربه ولا يوافق مرماه وروي انه صلى الله عليه
وسلم حين قال هل انت الا اصبع دميت انقطع الوحي اياما حتى قالت الكفار ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه وهذا احد اسباب
نزول تلك الاية ولمثل ما قلنا لم يرو عنه كلام منظوم وان كان حقا وصدقا كالذي قاله بعض الشعراء في التوحيد و
الحقايق وقد اشار الى نحو ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقد مر تفسير قوله سبحانه في اخر الشعراء
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذلك ان الشاعر يقصد لفظا يوافقه معنى حكمي وبالجملة لا يخلو الشعر من تكلف وتبديل عن
النظم الى تعيين المعنى لمراعاة اللفظ وابن الشارع من الشاعر مثاملا لاها فلا كالميت ويجوز ان يكون الحيوة عبارة عن
الايمان والمراد بالحي من يؤول حاله الى الايمان او المراد بالانذار الانتفاع به مثل هدى للمتقين انما تنذر من اتبع الذكر وقوله
ويحق القول كقوله في اول السورة لقد حق القول وقدم وهذا الكلام مطابق من حيث المعنى كانه قال لتنذر من كان حيا و
يحق العذاب على من كان ميتا لان الكافرين في عداد الموتى ثم عاد الى تقرير دلايل الوحدانية مع تعداد النعم فقال اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت اي جملة ما عملته ايدينا فاستعار عمل الايدي لتفرده بالاحداث والايجاد مع اشتمال المحدث والموجد
على غرايب وعجايب حتى قال فيه افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله فهم لها مالكون اشارة الى تمام الانعام وقوله
وذللناها لهم اشارة الى ما فوق التمام فقد يملك الشيء ولا يكون مسخرا ومن الذي يقدر على تذليل الابل لولا امر الله تعالى
بتسخيرها حتى قال بعضهم يجر الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير ويضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير و
الجرير حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة ومن زعم ان الملك بمعنى الضبط من قوله ولا املك راس البعير ان نفرا يلزمه
التكرار ثم فصل بعض منافعها بقوله فمنها ركوبهم والركوب والركوبة ما يركب كالحلوب والحلوبة والتاء للمبالغة وقيل
للوحدة والمنافع كالجلود والاوبار والاصواف ذكرها بالاسم العام لما في تفصيلها من الطول والمشارب جمع مشرب
وهو موضع الشرب اي الاواني المتخذة من جلودها وهو الشرب او المشروب كالالبان والاسمان وحين وبخهم على عدم
الشكر بقوله افلا يشكرون زاد في توبيخهم بقوله واتخذوا من دون الله الهة اي وضعوا الشرك مكان الشكر فلا اظلم منهم
وفي قوله لعلهم ينصرون الى قوله محضرون وجهان احدهما انهم طمعوا في ان يشفعوا لهم ويقصد وابمكانهم والامر
عكس ذلك حيث هم جند لالهتهم معدون يحدوقهم ويذبون عنهم من غير نفع في الحالتين وثانيهما اتخذوهم ليعزوا
عند الله بالشفاعة والامر على خلاف ذلك حيث الهتهم ان يوم القيمة جند محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار
ووجه ثالث وهو ان يكون قوله وهم لهم جند محضرون تاكيدا لعدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة
يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يتاهب ولم يجمع الانصار ثم عقب دليل التوحيد وبالرسالة مسليا رسوله بقوله فلا
يحزنك قولهم باتخاذ الشريك لله او بالطعن في الرسالة او بالايذاء والتهديد ثم علل عدم الحزن بقوله انا نعلم ما يسرون
من النفاق وساير العقايد الفاسدة وما يعلنون من الشرك وساير الافعال القبيحة او يسرون من المعرفة بالله ويعلنون
من العناد وجوز جار الله فتح ان على تقدير لام التعليل بل جوز ان يكون المفتوحة بدلا من قولهم والمكسورة مفعولا لقولهم
ويكون نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك من كنهيه عن الشرك في قوله ولا تكونن من المشركين ثم اورد في الرسالة ما يجري

مع ان فيه دليلا اخر على التوحيد ماخوذا من الانفس فان الاول ماكان ماخوذا من الافاق وفي قوله فاذا هو خصيم مبين
وجهان احدهما فاذا هو بعد ماكان ماء مهينا رجل مميز منطيق معرب عما في ضميره كقوله اومن ينشؤ في الحلية وهو في
الخصام غير مبين فقوله من نطفة اشارة الى ادنى ماكان عليه الانسان وقوله فاذا هو خصيم مبين اشارة الى اعلى
ماحصل عليه الان لان اعلى حال الناطق ان يقدر على المخاصمة والذب عن نفسه بالكلام الفصيح وثانيهما قول كثير
من المفسرين انها نزلت في جماعة من كفار قريش تكلموا في البعث فقال لهم ابي بن خلف الجمحي واللات والعزى لاصيرن
الى محمد ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فقال صلى
الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم قال اهل البيان سمي قولهم من يحيي العظام وهي رميم مثلا لان انكار قدرة
الله تعالى على احياء الموتى قصة عجيبة وفيه تشبيه الخالق القادر العليم بالمخلوق العاجز من خلق ادنى بعوضة الجاهل
بما يجري عليه من الاحوال والرميم اسم لما بلي من العظام كالرمة والرفات ولا يبعد ان يكون صفة ولم يؤنث لتقدير
موصوف محذوف اي شيء رميم او لانه بمعنى فاعل كقوله ان رحمة الله قريب وفي الاية دليل ظاهر على ان العظام فيه
حياة لان الموت والحياة يتعاقبان عليها وقال اصحاب ابي حنيفة انها طاهرة وان الحياة لا تحل فيها فلا يتصور موتها
وكذا الشعر والعصب وتاولوا الاية بان المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه غضة طرية في بدن حي حساس
واعلم ان المنكرين للحشر منهم من اكتفى في انكاره بمجرد الاستبعاد كقوله من يحيي العظام وهي رميم فازال استبعادهم
بتصوير الخلق الاول فان الذي قدر على جعل النطفة المتشابهة الاجزاء مختلفة الابعاض والاعضاء مودعا
فيه الفهم والعقل وسائر اسباب التدبير والفضل فهو على اعادته اقدر ومنهم من ذكر مشبهة وهي كقولهم ان
الانسان بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح اعادة المعدوم عقلا وكقولهم ان الذي تفرقت اجزاؤه في ابدان السباع
وجدران الرباع كيف يجمع او يعاد وكقولهم ان انشانا اذا انشاء معتديا لجم انسان اخر فلابد ان يبقى للاكل والماكول
اجزاء يمكن اعادته فاجاب الله سبحانه عن الاولى بقوله يحييها الذي انشاها اول مرة يعني كما خلق الانسان ولم يكن
شيئا مذكورا فانه يعيده وان لم يكن شيئا وعن الباقيين بقوله وهو بكل خلق عليم فيجمع الاجزاء المتفرقة في البقاع
والسباع وهكذا يعلم الاصلي من الفضلي فيجمع الاجزاء الاصلية للاكل والماكول ثم شبه خلق الانسان بل الحيوان من قبل
ابداع الحرارة الغريزية التي بها قوام الحياة في جرم رطب طري بانشاء الشجر الاخضر الذي يقدح منه النار قالت العرب
في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر واستعر يقطع الرجل منه غصنين مثل السواكين وهما خضراوان
يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله عز وجل وعن ابن عباس ليس من شجرة
الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك يتخذ منه كذا لتفاوت القصارين فلت وتشبيه ان يكون كل شجر في غاية
الصلابة هكذا الا ان يكون له سبب خاص به يجابرو وعن انه معجزة لموسى عليه السلام فانه قد راى النار فيها فلا ينبغي
لغيره ان يراها ثم اكد قدرته الكاملة على خلق الانسان ابدا واعاده بتذكير خلق السموات والارض الذي هو اكبر
من خلق الانسان ثم اثبت ما نفاه مستفهما للتقرير بقوله بلى وهو الخلاق الكثير الخلق الكامل فيه العليم بكل جوهر وعرض
وما ينطوي عليه اسم التشبيه ثم بين ان ايجاده ليس متوقفا الا على تعلق الارادة بالمقدور وقد مر تقريره في اوايل
البقرة وغيرها قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان المعدوم شيء واجيب بان الاية دلت على انه حين تعلق الارادة
به شيء اما انه قبل ذلك شيء فكلا ثم ختم السورة بتقرير المبدا والمعاد على الاجمال فقوله بيده ملكوت كل شيء اشارة الى المبدا
وقوله واليه ترجعون اشارة الى المعاد واذا تقرر الطرفان فما بينهما الوسط المشتمل على التكليف والرسالة فهذه الاية
كالنتيجة للمقدمات السابقة في السورة عن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضايل يس وقراءتها كيف خصت بذلك
فاذا انه هذه الاية روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء قلبا وقلب القران يس فذكر الامام الغزالي رحمه الله ان
الايمان صحته بالاعتراف بالحشر وانه مقرر في هذه السورة بابلغ وجه فلذلك سماه قلب القران وقال غيره ان الاصول
الثلثة التي يتعلق بها نصيب الجنان وهي التوحيد والرسالة والحشر مذكورة في هذه السورة وليس فيها شيء يتعلق بوظيفة
اللسان ولا العمل بالاركان فلما كان فيها اعمال القلب لاغير سماه قلبا ولهذا ورد في الاخبار انها ينبغي ان يتلى على الميت
حالة النزع وذلك ليزداد بها قوة قلبه فان الاعضاء الظاهرة حينئذ ساقطة المنة والقلب مقبل على الله معرض
عما سواه ولنا فيه هو بالتاويل اشبه فالتذكير هناك التاويل اتقوا ما بين ايديكم من الدنيا وشهواتها وما خلفكم من
نعيم الجنة ولذاتها لعلكم ترحمون بمشاهدة الجمال وانوار الكمال ونفخ في الصور اشارة الى نفخ اسرافيل المحبة في

صورة القلب فاذا السر والروح والخفي من اجداث اوصاف البشرية الى ربهم بعضها بالمشي وبعضها بالطيران اصحاب الجنة
اليوم في شغل شغلهم الله بالفاكهة عن المشاهدة كما قال بعض الصوفية والناس يخرجون من مسجد الجامع هولاء حشو الجنة
وللمجالسة اقوام اخرون وهم الفارغون من الالتفات الى الكونين كما قال تعالى فاذا فرغت اي من تعلقات الكونين فانصب
لطلب الوصال ويحكى ان الاية قريت في مجلس الشبلي فشهق شهقة فلما افاق قال مساكين لو علموا انهم عما شغلوا لهلكوا ويحتمل ان
يقال انهم اليوم اي في الدنيا في شغل بانواع الطاعات والعبادات عن طلب الحق والشوق الى لقائه كما يحكى عن يحيى بن معاذ انه
قال رايت رب العزة في منامي فقال لي يا معاذ كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني ويمكن ان يقال انهم اليوم في
الدنيا في شغل عن الطاعات والرضا بما قسم الله عن طلب اللذات وارتكاب المحرمات والزوايد ويقال انه خطاب
للعصاة فان اهل الله هم المستغرقون في بحار عظمة الله واهل الجنة مشتغلون باستيفاء اللذات وليس للعصاة الا رحمتي
وكرمي كما قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونشهد ادخلهم في بعض الاخبار المروية ان عبدا يشهد
عليه اعضاؤه بالزلة فيتطاير شعره من جفن عينه فيستاذن في الشهادة له فيقول تعالى تكلمي يا شعرة جفن عبدي واحتجي
عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة ومن لطايف نكتة ان السالك اذا عبر
صار في اخر الامر الى الفناء في الله حتى لا يبقى منه ما يسند الفعل اليه في قوله ما علمناه الشعر اشارة الى ان العلوم والصنايع
كلها من الله تعالى وتعليمه والهامه من الشجر الاخضر وهي شجرة البشرية نار المحبة يوقدون مصباح قلوبكم وانما قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان قلب القران يس لان ذكره صلى الله عليه وسلم رمز اليه في اول السورة وفي اخرها واما الاول
فقد مر في تفسير لفظ يس واما الثاني فلان قوله فسبحان الى اخره يدل على المبدا والمعاد تصريحا وعلى الرسالة ضمنا ولا ريب
ان القلب خلاصة كل ذي قلب وانه صلى الله عليه وسلم كان خلاصة المخلوقات وكان خلقه القران الذي نزل على قلبه وكان
فاتحة السورة وخاتمتها مبنية على ذكره مبنية عن شرفه كالقلب في جوف صاحبه فلاجل هذه المناسبات اطلق على يس انه قلب القران والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم
والصافات صفا ۝ فالزاجرات زجرا ۝ فالتاليات
ذكرا ۝ ان الهكم لواحد ۝ رب السموات والارض وما
بينهما ورب المشارق ۝ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ۝
وحفظا من كل شيطان مارد ۝ لا يسمعون الى الملا الاعلى
ويقذفون من كل جانب ۝ دحورا ولهم عذاب واصب ۝
الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ۝ فاستفتهم
اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب ۝ بل عجبت

ويسخرون ● واذا ذكروا لا يذكرون ● واذا راوا
اية يستسخرون ● وقالوا ان هذا الا سحر مبين ● ءاذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ● اوا باؤنا الاولون
قل نعم وانتم داخرون ● فانما هي زجرة واحدة
فاذا هم ينظرون ● وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ●
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ● احشروا الذين
ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون ● من دون الله
فاهدوهم الى صراط الجحيم ● وقفوهم انهم مسئولون
ما لكم لا تناصرون ● بل هم اليوم مستسلمون ● واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون ● قالوا انكم كنتم تاتوننا
عن اليمين ● قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ● وما كان لنا
عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ● فحق علينا قول
ربنا انا لذائقون ● فاغويناكم انا كنا غاوين ● فانهم
يومئذ في العذاب مشتركون ● انا كذلك نفعل بالمجرمين
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ●
ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ● بل جاء بالحق
وصدق المرسلين ● انكم لذائقوا العذاب الاليم
وما تجزون الا ما كنتم تعملون ● الا عباد الله المخلصين
اولئك لهم رزق معلوم ● فواكه وهم مكرمون ●

في جنات النعيم ● على سرر متقابلين ● يطاف عليهم بكاس
من معين ● بيضاء لذة للشاربين ● لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون
وعندهم قاصرات الطرف عين ● كانهن بيض مكنون
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ● قال قائل منهم اني
كان لي قرين ● يقول ائنك لمن المصدقين ● ءاذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ءانا لمدينون ● قال هل انتم مطلعون ● فاطلع
فراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ● ولولا
نعمة ربي لكنت من المحضرين ● افما نحن بميتين ● الا
موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ● ان هذا لهو الفوز العظيم ●
لمثل هذا فليعمل العاملون ● اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم ● انا جعلناها فتنة للظالمين ● انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم ● طلعها كانه رءوس الشياطين ● فانهم
لاكلون منها فمالئون منها البطون ● ثم ان لهم عليها لشوبا
من حميم ● ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ● انهم الفوا اباءهم
ضالين فهم على اثارهم يهرعون ● ولقد ضل قبلهم
اكثر الاولين ● ولقد ارسلنا فيهم منذرين ● فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين ● الا عباد الله المخلصين ●
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ● ونجيناه واهله من
الكرب العظيم ● وجعلنا ذريته هم الباقين ● وتركنا

عليه في الآخرين ● سلام على نوح في العالمين ● انا كذلك
نجزي المحسنين ● انه من عبادنا المؤمنين ● ثم اغرقنا الآخرين

القراءة والصافات صفا وما بعدها مدغما حمزة وابو عمرو وعن عباس بن نبيه مسوا حمزة وعاصم غير المفضل الكواكب
بالنصب ابو بكر وحماد الباقون بالجر لا يسمعون بتشديد السين والميم واصله يتسمعون حمزة وعلي وخلف الآخرون
بالفتح على الخطاب ابتدا بالمد وبالياء اانا بهمزة واحدة مسكون يزيد وقالون وزيد الباقون مثل الذي في الرعد وآباؤنا
مثل او من اهل العزني وكذلك في الواقعة لا تناصرون بالتشديد البزي وابن فليح اتانك اوبغكا مثل اتكم في الانعام
ينزفون بضم الياء وكسر الزاء حمزة وعلي وخلف والمفضل الآخرون بفتح الياء لتردين الياء في الحالين يعقوب وافق
ورش وسهل وعباس في الوصل الوقوف صفا زجرا ذكرا لواحد لمشارق الكواكب مارد لاحتمال ما بعده
الوصف والاستيناف قاله السجاوندي وعليه بحث يجري في التفسير واصب ثاقب خلقنا لازب ويسخرون لا يذكرون
يستسخرون مبين لمبعوثون الاولون داخرون ينظرون الدين يكذبون يعبدون الجحيم مسئولون
لان المسئول عنه قوله مالكم لا تناصرون مستسلمون يتساءلون اليمين مؤمنين سلطان للعدول مع اتفاق
الجملتين طاغين لذائقون غاوين مشتركون بالمجرمين يستكبرون مجنون المرسلين الاليم يعملون
المخلصين معلوم فواكه لاحتمال الواو الحال والاستيناف مكرمون النعيم متقابلين معين للشاربين لان ما بعده
صفة ينزفون الشياطين البطون لان ثم لترتيب الاخبار جحيم الجحيم ضالين للعطف مع اتصال المعنى يهرعون الاولين
منذرين المخلصين المجيبين العظيم الباقين الآخرين لان ما بعده مفعول وتركنا على سبيل الحكاية العالمين
المحسنين المؤمنين الآخرين التفسير انه سبحانه وتعالى ابتدا في اول هذه السورة بالتوحيد كما ختم السورة
المتقدمة بذكر المعاد واقسم على المطلوب بثلثة اشياء اما الحكمة في القسم فكما مر في اول يس واما الاقسام بغير الله
وصفاته فلا نسلم انه يجوز لله سبحانه او على عادة العرب تعظيم هذه الاشياء وتشريفها او المراد رب هذه الاشياء
فحذف المضاف قال الواحدي ادغام التاء في الصاد حسن وكذلك التاء في الزاء وفي الذال لتقارب مخارجها
الا ترى ان التاء والصاد هما من طرف اللسان واصول الثنايا ويجتمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم
في الاطباق والصفير ولادغام الانقص في الازيد حسن وايضا الواو يجوده ومنها زيادة صفر هم المعتمر بها في الايات
الا ان يكون صفات ثلث لموصوف واحد او صفات لموصوفات متباينة اما التقدير الاول ففيه وجوه الاول
انها صفة الملائكة لانهم صفوف في السماء كصفوف المصلين في الارض او لانهم يصفون اجنحتهم في الهوى
واقفين منتظرين لامر الله تعالى والصف ترتيب الشي على نسق الفاعل صادق والكاعر صامر والصافات جمع الجمع
ولولا ذلك لقيل والصافين قال الحكيم يشبه ان يكون معنى كونهم صفوفا ان لكل منهم مرتبة معينة في الشرف او بالعلية
والزجر سوق السحاب قال ابن عباس يعني الملائكة الموكلين بالسحاب وقال الآخرون انها تزجر الناس عن المعاصي بالخواطر
الالهامات او يدفع تعرض الشيطان عن بني آدم والتاليات هم الذين يتلون كتاب الله على الانبياء والحاصل ان كونهم صافين
اشارة الى استكمال جواهر الملائكة في ذواتها اعني وقوفهم مواقف العبودية والطاعة وكونهم زاجرين اشارة الى كيفيه
في تأثيرها في ازالة ما لا ينبغي من جواهر الارواح البشرية وكونهم تالين اشارة الى كيفية تاثيراتها في افاضة الجلايا
القدسية والارواح الالهية على الارواح الانسانية والوجه الثاني انها صفات النفوس الانسانية المقبلة
على عبودية الله وعبادته وهم ملائكة الارض اقسم بنفوس المصلين بالجماعات الزاجرين انفسهم عن الشهوات او عن
الفناء وساوس الشيطان في قلوبهم اثناء الصلوات بتقديم الاستعاذة او برفع الاصوات التالين للقرآن في الصلوة
وغيرها او اقسم بنفوس العلماء بالصافات لاجل الدعوة الى دين الله الزاجرات عن الشبهات والمنهيات بالمواعظ والنصايح
الدارسات سايغ كتبه بوجه الله او اقسم بنفوس المجاهدين في سبيل الله كقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
والزجر والصيحة سوا والمراد دفع العدو بزجر الخيل واما التاليات فذلك انهم يشتغلون وقت المحاربة بقراءة القرآن
وذكر الله يحكى عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان يخرج من الصف وسيفه يقطر دما فاذا رئي بيان يا في
الخيطة الغزا والوجه الثالث انها صفات الآيات القرآن وذلك انها انواع مختلفة بعضها دلايل التوحيد وبعضها

دلايل العلم والقدرة وبعضها دلايل النبوة وبعضها دلايل المعاد وبعضها بيان التكاليف والاحكام وبعضها تعليم
الاخلاق الفاضلة وكلها مترتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل وكانها اجرامه واقفة في صفوف معينة ولا ريب انها زجر
المكلفين عن المناهي والمنكرات واما نسبة التلاوة اليهن فمجاز كما يقال شعر شاعر والقائل في هذه الوجوه لترتيب في الفضل
فللصف ثم للزجر ثم للتلاوة او بالعكس ولكل وجه ويحتمل وان لم يذكره جار الله ان يكون لترتيب معانيها في الوجود كقول الصابح
والغانم فالايب كانه قال الذي صبح فغنم فاب مثاله المصلون يقفون اولا صفوفا ثم يزجرون الوساوس عنهم بالاستعاذة
ثم يشتغلون بالقراءة واما التقدير الثاني وهو ان يكون المراد بهذه الامور الثلثة موصوفات متغايرة فالصافات الطير
من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله والصافات طايفة من
الملائكة او من الاشخاص الانسانية وكل من الزاجرات والتاليات طايفة اخرى وقيل الصافات العالم الجسماني المصنوع كرة
فوق كرة من الارض الى الفلك الاعظم والزاجرات الارواح المدبرة للاجسام بالتصريف والتحريك والتاليات الارواح
المستغرقة في بحار معرفة الله تعالى والثناء عليه والفاء على هذه المعاني لترتيب الموصوفات في الفضل ثم انه سبحانه
لم يقتصر في اثبات التوحيد على الحلف ولكنه عقبه بالدليل الباهر فقال رب السموات والارض وما بينهما ورب
المشارق فلكل كوكب مشرق ومغرب للشمس ولساير السيارة والثوابت في كل يوم مشرق آخر بحسب تباعدها عن منطقة
المعدل وتقاربها منها وانما اقتصر على ذكر المشارق لشرفها ودلالتها على المغارب كقوله سرابيل تقيكم الحر ثم بين انه جعل
الكواكب بحيث يشاهدها الناس من السماء الدنيا وهي تانيث الادنى لمنفعتين احدهما تحصيل الزينة وثانيهما الحفظ
من الشيطان والزينة مصدر كالنسبة او اسم لما يزان به الشي كالليقة لما يلاق به الدواة ثم من قرا بالاضافة فلها وجوه
ان يكون مصدرا مضافا الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب او الى المفعول اي بان زان الله تعالى الكواكب وحسنها
في انفسها فان النور والضوء احسن الصفات واكملها وكذا اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات النعش والجوزاء و
ساير الصور المتوهمة من الخطوط التي تنتظم طايفة منها وقد ترتقي الى نيف واربعين منها صور البروج الاثني عشر و
بالجملة اشراق الجواهر والزواهر وتلألؤها على بسيط ازرق بنظام مخصوص مما يروق الناظر ويجوز ان يقع الكواكب
بيان الزينة وهي اسم لان الزينة مبهم في الكواكب وغيرها مما يزان به فيكون بخاتم فضة ويجوز ان يراد بالزينة ما
زينت به الكواكب كما روي عن ابن عباس انه فسر الزينة بالضوء ومن قرا بالتنوين وجر الكواكب فعلى الابدال ومن قرا بالتنوين
ونصب الكواكب فعلى انه بدل من محل زينة او من السماء وعلى ان المراد تبيينا الكواكب كما في احد وجوه الاضافة قوله
وحفظا فيه وجوه احدها انه محمول على المعنى والتقدير انا خلقنا الكواكب زينة السماء وحفظا من الشياطين وثانيها
ان يقدر مثل الفعل المتقدم للتعليل كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وثالثها قال المبرد اذا ذكرت
فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لانه قد دل على فعله بما تقدم تقول افعل ذلك وكرامة اي
واكرمك كرامة وذلك لما علم ان الاسماء لا تعطف على الافعال فالتقدير وحفظناها حفظا قال المفسرون الشياطين
كانوا يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب فاخبروا ضعفاءهم
فجعل الله الكواكب في زمن محمد صلى الله عليه وسلم بحيث تحرقهم ويحفظ اهل السماء من اصغائهم قال الحكيم المراد
بالكواكب الحافظة انفس الكواكب المذكورة في الافلاك والا يوقع نقصان ظاهر في اعدادها بل المراد ما يضاهيها
من الشهب الحادثة عند كرة النار من الابخرة المرتفعة وقد تم تحقيق ذلك في اول سورة الحجر قال الامام فخر الدين الرازي
ان الشياطين لهم حذق كامل في استخراج الصنايع الدقيقة فاذا عرفوا هذه الحالة بالتجربة فلم لا يمتنعون منه وايضا
انهم مخلوقون من النار والنار كيف تؤثر في النار وايضا مقر الملائكة السطح الظاهر من الفلك الاعلى وانهم لا يصعدون
الا الى قريب من الفلك الادنى فكيف يسمعون كلام الملائكة والجواب انا لا نسلم حذقهم في كل الامور ولهذا جاء في وجوه
تسخيرهم ما جاء ان على موضع الاستراق والاحتراق غير متعين ووقوع هذه الحالة ايضا كالنادر فلعل المسترق يكون غير
واقف عليه والنيران بعضها اقوى من البعض وليس الشيطان نارا صرفا ولكن النار غالب عليه ولا نسلم ان الملائكة
لا ينزلون الى الفلك الاخير باذن الله لمارد الخارج من الطاعة وقد قرأ لشفا قرئ في قوله على القراءتين والضمير في قوله
لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الجمع والتسمع تكلف السماع سمع او لم يسمع قال جار الله هذه الجملة لا يصح ان يكون صفة
لان الحفظ من شياطين غير سامعين او مستمعين لا معنى له ولا يصح ان يكون استينافا لان السائل لو سأل لم يحفظ من
الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ به لاقتصاص حال المسترق للسمع قلت

لو كانت صفة لهم باعتبار ما يؤل اليه حالهم جاز وكذا ان كان مستانفا كانه قيل لم تحفظ فاجيب لانهم لا يسمعون الى
كذا ومن هنا زعم بعضهم ان اصله لئلا يسمعون فحذفت اللام ثم ان واهدر عملها كما قال القايل الا ايهذا الزاجر احضر
الوغى ورد عليه في الكشاف ان حذف اللام في قولك جيتك ان تكرمني وحذف ان في قول الشاعر جايز واما اجتماعهما
فمنكر من المنكرات قلت ان القران حجة على غيره مع ان قول الشاعر ايضا لا يصح لا بتقدير اللام او من مع ان والملا
الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات وعن ابن عباس اراد اشراف الملائكة والقذف الرمي تقول قذفته
بحجر اي رميت اليه حجرا وقوله من كل جانب اي من هذا الجانب وقيل من كل الجوانب ودحورا اي طردا مصدر
من غير لفظ الفعل لان القذف والطرد متقاربان كانه قيل ويقذفون قذفا او مدحورون دحورا و
يجوز ان يكون مفعولا له لاجله الدحور او مصدرا في موضع الحال ومدحورين كقوله مذموما او لهم اي
للشياطين عذاب واصب دايم وقد مر في النحل في قوله وله الدين واصبا يعني انهم في الدنيا مرجومون
بالشهب ولهم في الاخرة نوع من العذاب غير منقطع الا من خطف الخطفة في محل الرفع بدل لامن الواو في
لا يسمعون اي لا يسمع الا الشيطان الذي اختلس الكلمة مسارقة وقيل وثب وثبة وقيل الاستثناء منقطع
خبره فاتبعه اي يتبعه ورمي في اثره شهاب ثاقب مضي او ماض فاذا قذفوا واحترقوا وقيل يضبهم افة فلا
يعودون وقيل لا يقتلون بالشهب بل يخبَّل بذلك فلا يرجع ولهذا لا يمتنع غيره عن ذلك وقيل يصيبهم مرة و
يسلمون مرة فصاروا في ذلك كراكبي السفينة للتجارة وحين بين الوحدانية ودلايلها في اول اراد ان يذكر
ما يدل على الحشر والكلام فيه من طريقين **الاول** انه يقال قدر على الاصعب فيقدر على الاسهل والاولى **الثاني**
قدر في اول الامر ويقدر في الحالة الثانية **الطريق الاول** فاشار اليه بقوله فاستفتهم اي سيل قومك
او حاجتهم والمراد بمن خلقنا ما ذكر من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب و
الشياطين وغلب على اولي العقل على غيرهم وقيل اراد عادا وثمودا ومن قبلهم من الامم الخالية والقول الاول
تقوى بدليل فاء التعقيب ولاطلاقه قوله خلقنا كذا وكذا من عجايب الخلق فاستخبرهم اهم اشد خلقا ام هذه
الخلائق ومن هان عليه كان خلق البشر بل اعادته اهون عليه **الطريق الثاني** فاليه الاشارة بقوله انا خلقناهم
من طين لازب ام لانهم والباء بدل من الميم عند اكثرهم ولهذا قال ابن عباس هو الملتصق من الطين الحر وقال مجاهد
والضحاك هو المنتن ووجه الاستدلال ان هذا الجسم لو لم يكن قابلا للحيوة لم يقبلها من اول الامر واذا قبلها اولا
فلا يبقى ريب في قبولها وحيوها ثانيا وقادرية الله تعالى باقية على حالها فالاعادة امر ممكن وقد اخبر الصادق عن وقوعها
فيجب وقوعها في هذا الطريق الثاني بقوله للطريق الاول فان خلقهم من الطين شهادة عليهم بالضعف والرخاوة ثم
بين انهم مع قيام الحجج الضرورية عليهم يصرون على الانكار فقال بل عجبت من قرا بفتح التاء فظاهر اي عجبت يا محمد من
تكذيبهم وانكارهم البعث وهم يسخرون من تعجيبك او عجبت من القران حين اعطيته وسخر اهل الكفر منه ومن قرا بالضم
فاورد عليه ان العجب على الله تعالى غير جايز لانه روعة تعتري الشخص عند استعظام الشي وقيل حالة تحصل عند
الجهل بصفة الشي واجيب بان معناه قل يا محمد بل عجبت سلمنا لكن العجب هو ان يرى الانسان ما ينكره والانكار من الله
تعالى غير منكر سلمنا لكن هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات كالمكر والاستهزاء والمعنى بلغ من عظم
اياتي وكثرة خلائقي اني استعظمتها فكيف بعبادي وهولاء بجهلهم وعنادهم يسخرون منها واستعظمت انكارهم
البعث ممن هذه اعماله وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة عليه وقيل تقديره قل بل عجبت فهم صادقون وعن
ان العجب من الله في الحديث عجب ربك من الشاب ليس له صبوة وقال ايضا عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة
اجابته اياكم والاول انفع ثم حكى عنهم انه كان دابهم السخرية عند ايراد البراهين فكذلك دابهم انهم اذا وعظوا
به واذا راوا اية بينة كانشقاق القمر وغيره من المعجزات يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض
ان يسخر منها ويقولوا ما هذا الا سحر فالحاصل انه لا يفيد معهم البراهين العقلية ولا المقدمات الوعظية ولا المعجزات
الدالة على صدق مقالتك بالبعث وقوله او اباؤنا الاولون معطوف على محل ان واسمها او على
او على الضمير في مبعوثون وحسن للفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا يعنون انهم اقدم فبعثهم
ابعد وعلى الاول هاد والكل ان يبعث واحد منهم او من ابائهم فاجابهم سبحانه بقوله قل نعم تبعثون وانتم
داخرون صاغرون اذلاء واذا كان ذلك فانما هي اي البعثة او هو منهم بنفخه زجرة واحدة يعني صيحة واحدة

يعني صيحة النفخة الثانية فاذا هم ينظرون اراد انهم احياء بصراء او انهم ينتظرون امر الله فيهم وقالوا يا ويلنا الظاهر
ان كلامهم تم عند قوله يكذبون بقوله الكفر فيما بينهم وقيل ان كلامهم تم عند قوله يا ويلنا ثم قال الله والملائكة هذا يوم الدين
والجزاء والحساب هذا يوم الفصل القضاء والفرق بين المحسن والمسي احشروا الذين ظلموا بالكفر او بالفسق يعني رؤساءهم
وهذا الحشر يعني الجمع لانه بعد البعث اي جمعوهم وازواجهم اي اشكالهم التي على دينهم وسيرتهم الزاني والسارق مع السارق
والشارب مع الشارب وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على ملتهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام
فاهدوهم ادعوهم وقدموهم والسابق الهادي او دلوهم الى صراط الجحيم وسطها او طريقها لانه قال بعد ذلك وقفوهم السؤال
كانهم اذا انتهوا الى الجحيم سئلوا تهكما وتوبيخا بالعجز عن التناصر ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وقد اسلم بعضهم
بعضا وخذلت وحقيقته طلب كل منهم سلامة نفسه قال المفسرون ان ابا جهل يوم بدر دعا بجميع منتظر فوبخ على ذلك
يوم القيمة حكى انهم في جهنم يتساءلون تساؤل التخاصم وذلك ان اتباعهم قالوا لرؤسائهم انكم كنتم تاتوننا عن اليمين وفيه
وجوه **الاول** انها استعارة من الخيرات والسعادات وذلك ان الجانب الايمن اشرف من الايسر شرعا وعرفا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شي ولهذا امرت الشريعة بمباشرة اصل الامور باليمين واراذلها بالشمال وجعلت
اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان ياتي كتابه بيمينه والمسي بالضد وما جعلت يمنى الا ليمن
بها ولذلك يتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح فقيل اتاه عن اليمين اي عن قبل الخير وناحية فصده عنه واصله قال جار الله
من المجاز ما غلب عليه الاستعمال حتى لحق بالحقيقة وهذا من ذلك لان اليمين كالحقيقة في الخير ثم صار قولك اتاه عن
اليمين مجازا في المعنى المذكور **الثاني** ان يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده بمنزلة رفيعة وكانهم قالوا انكم كنتم تخدعوننا
وتوهمون انا عندكم بمحل رفيع فوثقنا بكم وقبلنا عنكم **الثالث** اليمين الحلف كان الكفار يحلفون لهؤلاء الضعفة ان
ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وتمسكوا بعهودهم **الرابع** ان اليمين بالقوة والقهر فيها يقع البطش غالبا اي كنتم
تاتوننا عن القهر والغلبة حتى حملتمونا على الضلال وكما ان الضمير في قالوا الاول كان عايدا الى الاتباع بقرينة الخطاب و
الضمير في قالوا الثاني يعود الى الرؤساء بمثل تلك القرينة والمعنى بل انتم الايمان واعرضتم عنه كما اعرضنا وما كان لنا
عليكم من سلطان بل كنتم قوما مختارين للطغيان وهذا مثل محاجة ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فحق علينا قول ربنا انا لذائقون قال مقاتل اراد قوله لاملان جهنم والمعنى انه لما اخبر عن وقوعنا في العذاب وكان خبر
الله حقا فلا جرم وجب وقوعنا في العذاب قال جار الله لو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ
المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم وكلا الاستعمالين شايع فاغويناكم انا كنا غاوين اي قدمنا على اغوايكم لانا كنا موصوفين
في انفسنا بالغواية كانهم قالوا ان اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب غواة اخرين لزم التسلسل فلا بد
ان غوايتنا ايضا من الله كما مر في قوله فحق علينا قول ربنا هذا تفسير اهل السنة واما المعتزلة فيفسرون الايات هكذا قالوا
بل لم تكونوا مؤمنين اي كنتم مختارين للكفر على الايمان وما سلطنا تمكنكم من تسلط بل اخترتم الطغيان فحق علينا في
وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة فاغويناكم فدعوناكم الى الغي لانا كنا غاوين فاردنا
اغواكم فيكونوا امثالنا وحين حكى كلام الاتباع والمتبوعين ابع من ذلك قوله فانهم جميعا يومئذ يوم القيمة في
العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية ولعل للمتبوعين عذابا زايدا للاغواء ولكن الزيادة لا تنافي الاشتراك في
اصل الشي انا كذلك اي مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم اي كافر بدليل قوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يانفون
من قوله والجملة الشرطية خبر كان وهو مع الاسم والخبر خبر ان ولى القيت كان فالخبر يستكبرون واذا ظرف ويقولون ائنا
لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون عنوا محمدا صلى الله عليه وسلم وبين انهم منكرون للتوحيد والنبوة جميعا فرد عليهم بقوله بل جاء
بالحق وصدق المرسلين وفيه تنبيه على ان التوحيد هو دين كل الانبياء ثم صدقهم في قولهم فحق علينا قول ربنا
ونقل الكلام من الغيبة الى الحضور للمبالغة فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم ثم كان لقايل ان يقول كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي
عن النفع والضرر ان يعذب عبيده فقال وما تجزون الا ما كنتم تعملون فالحكمة اقتضت الامر بالخير والطاعة والنهي عن القبيح
والمعصية والامر والنهي لا يكمل المقصود بهما الا بالترغيب والترهيب واذا وقع الاخبار وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب
تفسير المعتزلة اشبه والسني يقول لا اعتراض عليه في شي ولا يسال عما يفعل قال جار الله الا عباد الله استثناء
منقطع اي ولكن عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق قلت يجوز ان يكون الاستثناء متصلا والمعنى وما تجزون الا ما كنتم
تعملون من غير زيادة الا المخلصين فان جزاءهم بالاضعاف ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله انكم للمكلفين جميعا فيصح الا

المثل مطلقا اى يذوقون العذاب لا اياهم قوله معلوم قبل اى معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وقيل معلوم الصفة لكونه مخصوصا بخصايص خلق عليها من طيب طعم ورايحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم القدر على
حسب استحقاقهم وقيل اراد انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذى لا يعلم متى ينقطع ثم فسر ذلك الرزق بانه
فواكه فقيل ان الفاكهة عبارة عما يوكل لا لاجل الحاجة وارزاق اهل الجنة كلها كذلك لانهم مستغنون عن حفظ الصحة
بالاقوات فانها اجسام محكم خلوقة للابد فلذلك سمى رزقهم فاكهة وقيل راد به التنبيه بالادنى على الاعلى فاذا
كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان الطعام اولا الى الحضور وحيث بين الاكل ذكر ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم
يليق بالبهايم وحين ذكر ماكولهم وصف مسكنهم وهيئة جلوسهم فقال فى جنات النعيم على سرر متقابلين وقد
مر فى الحجر ثم وصف شربهم قال اهل اللغة لا يسمى لا انا كاسا عن الاخفش كل كاس فى القران فهى الخمر وكذا فى تفسير
ابن عباس والمعين النهر الجارى على وجه الارض واصله معيون لان الظاهر للعيون او من عين الما وقد يقال عان الما
يعين اذا ظهر جاريا قاله ثعلب وقيل فعيل من المعن او الماء الشديد الجرى ومنه امعن فى السير اى بالغ واشتد
وصف الخمر بما وصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى انهار كما يجرى الماء وبيضاء صفة للكاس قال الحسن خمر الجنة
اشد بياضا من اللبن ولذة اما مصدر وصف بها للمبالغة كانها نفس اللذة وهى تانيث اللذ واللذيذ واحد كالطب والطبيب
ثم بين ان خمر الجنة لا تغتال العقول اغتيالا بقوله غولا اذا اهلكه وافسده وفيه تعريض بخمور الدنيا ولهذا قدم الظرف
وبنى الكلام على الاسم فى قوله ولا هم عنها ينزفون اى يسكرون وخص هذا الوصف بالذكر لانه اعظم المفاسد فى شرب
الخمر يقال نزف الشارب على البناء للمفعول اذا ذهب عقله والتركيب يدور على النفاد والنفاد منه بروح المزكية
حتى يرفتها اذا لم يترك فيها ماء وانزف مثله ومعناه صار ذا نزف وعن بعضهم ان معنى قوله ولا هم عنها ينزفون هو
ان الشراب لا ينقطع عنهم لئلا يلزم نوع التكرار والاولون حملوه على المبالغة ثم وصف منكوحهم بقوله وعندهم قاصرات
الطرف اى قصرن ابصارهن على ازواجهن كقوله عربا والعين جمع العيناء مونث الاعين وهو كبير العين ثم شبههن ببيض
النعام المكنون فى وكناتها وذلك لان فيها بياضا يشوبه قليل من الصفرة واذا كانت مستورة فى اماكنها كانت مصونة
عن الغبرة والتغيير فكانت فى غاية الحسن وبها يشبه العرب النساء ويسمونهن بيضات الخدور ثم عطف على قوله يطاف قوله
ما قبل هو مضارع فى المعنى الا انه عادة الله تعالى فى الاخبار ولعل هذا التذكير عقيب اطافة الكاس فلهذا جى
بالفاء بخلاف ما مر فى تخاصم اهل النار والمراد انهم يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة اهل المنادمة والعشرة قال
بعضهم شعر وما بقيت من اللذات الا ✱ احاديث الكرام على المدام ✱ وقد حكى من جملة مكالماتهم تذكرهم انه كان قد
حصل لهم فى الدنيا ما يوجب لهم الوقوع فى العذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالنعيم المقيم وهذا ابتدا الحكاية
قال قايل منهم اى من اهل الجنة انى كان فى قرين جليس وشريك فى الدنيا يقول انك لمن المصدقين اى بيوم الدين
ائنا لمدينون لمجزيون من دان يدين اذا جزى وقيل لمسوسون مقهورون من دانه اذا ساسه ومنه الحديث الكيس
من دان نفسه وعن بعضهم اراد بالمتحادثين الرجلين المذكورين فى الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين قال
يعنى ذلك القايل والله او بعض الملائكة هل انتم مطلعون الى النار اى هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم
منهم عن ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر منها اهلها الى النار فاطلع على اهل النار فراى قرينه فى سواء الجحيم وسطها
قال لقرينه تالله ان كدت لتردين ان مخففة فاللام فارقة والارداء الاهلاك ونبه على انه كان يدعوه فى الدنيا الى
انكار البعث المتضمن للكفر المودى الى الهلاك الحقيقى والخطاب مع القرين اما ان يكون بحيث يسمعه حقيقة وذلك
برفع الحجاب وتقريب المسافة او كما اراد الله بقدرته واما ان يخاطبه وان لم يمكنه السماع لبعده كما يخاطب الموتى و
من فى حكمهم نظيره ما مر فى قصة صالح فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم الى اخر الاية والله اعلم ثم شكر الله تعالى
على ان وفقه لنعمة الاسلام وارشده الى الحق وعصمه عن الباطل فقال ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين فى النار
شاك اطلق اطلاقا الاحضار استعمل الشر غالبا ولا سيما فى اصطلاح القران وحين تمم كلامه مع الرجل الذى كان قرينا
له فى الدنيا وهو الان من اهل النار عاد الى مخاطبة جلسايه من اهل الجنة قايلا فما نحن بميتين وفيه قولان
احدهما ان اهل الجنة لا يعلمون فى اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون والتقدير انحن مخلدون منعمون فما
من شاننا ان نموت ولا ان نعذب وثانيهما ان هذا مما يقوله المومن تحدثا بنعمة الله سبحانه واغتباطا بحال فان
الذى يتكامل خيره وسعادته اذا عظم تعجبه بها وقد يقول افدوم هذا لى وان كان على يقين من دوامه وايضا انه

قال كذلك يسمع من قرينه ليكون توبيخا له ولتحكيم الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ثم نفاه عذاب القبر بقوله الا موتتنا
الاولى فانه يدل على ان الانسان لا يموت الا موتة واحدة ولو حصلت الحياة فى القبر لكان الموت حاصلا مرتين واجيب
بان المراد بالموتة الاولى كل ما يقع فى الدنيا وقوله ان هذا لهو الفوز العظيم يجوز ان يكون من تمام كلامه لقرينه تقريعا
له وتوبيخا وان يكون من قول اهل الجنة فيما بينهم اى ان هذا الامر الذى نحن فيه او هو قول الله تصديقا لهم وكذا قوله لمثل هذا
فليعمل العاملون ولا خلاف ان قوله اذلك خير من كلام الله عز وجل كانه لما تمم قصة المومن رجع الى ذكر الرزق المعلوم
فسخفهم للتقرير اذلك الرزق خير نزلا ام شجرة الزقوم قال جار الله اصل النزل الفضل والريع فى الطعام يقال
طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشىء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل تلك الشجرة الالم والغم ويمكن ان
يقال النزل الضيف ومعلوم انه لا خير فى شجرة الزقوم ولكنهم ورد على ذلك وظاهر القران يدل على انها شجرة كريهة الطعم والرائحة
سولة التناول صيغة الابتلاع الا ان المفسرين اختلفوا فى ماهيتها فذكر قطرب انها شجرة مرة تكون بتهامة وقال غيره
انها ليس لها فى الدنيا وجود بدليل قوله انا جعلناها فتنة للظالمين وذلك انها خلاف المالوف والمعتاد فاذا ورد على
سمع المومن فوض علمه الى الله تعالى واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن فى القران ويزيد فى شبهته كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم وقيل انما كانت فتنة لهم لانهم اذا كلفوا اكلها وما سبق ذلك عليهم فهو كقوله يوم هم على النار يفتنون
وذكر المفسرون ان الزبعرى قال لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وان الزقوم بلسان بربر وافريقية الزبد والتمر
وذكروا ايضا ان ابا جهل ادخلهم بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا الذى يوعدكم محمد به
فانزل الله صفته الزقوم وذكر بقية اوصاف الشجرة منها انها تخرج فى اصل الجحيم اى منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى
دركاتها وفيه تكذيب للطاعنين فيه كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجرة ومنها طلعها كانه رؤس الشياطين قال
جار الله الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية وذلك بان يكون وجه الاستعارة
مجرد الطلوع اى الظهور او معنوية وذلك ان كان يشبه الطلع شكلا ولونا وفى تشبيه ثمرتها برؤس الشياطين اقوال احدها
وهو الاقوى انه تمثيل وتخييل وذلك ان الشيطان مثل فى القبح ونفرة الطباع كما ان الملك مثل فى الحسن وشل النفوس
اليه واذا كان الشيطان كله مستقبحا فراسه كذلك ويشبه الثمرة براسه اولى للاستدارة والتوسط فى الجحيم وثانيها ان الشيطان
ههنا نوع من الحيات مرف العرب حفاف لها اعراف ورؤس قباح وثالثها انه شجر معروف عند العرب قبيح الاعالى يسمى الاستن
وثمره يسمى رؤس الشياطين ورابعها قال مقاتل رؤس الشياطين حجارة سود يكون حوله سود مكة ولعل هذا بل الثانى
والثالث ايضا يعود الى الاول الا انه بعيد التسمية لانه صار اصطلاحا يشبه ثم علل حمل الشجرة فتنة للظالمين بقوله فانهم
لاكلون منها اى من طلعها فمالئون منها البطون اى بطونهم املا لان شدة الجوع تحملهم على تناول ذلك الشىء الكريه واما
لان الزبانية يقسرونهم على اكلها ليكون نارا من العذاب فاذا شبعوا عليهم العطش ولحقتهم الغصة فيسقون من حميم وهو
الماء الشديد الحرارة وقد وصفه الله سبحانه بقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه والشرب المزج كما
قال فى صفة اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وهو تسمية بالمصدر والمراد ان الطعام مزج بالحميم او يسقون صديدا ذا
شرابا حارا بما هو احر وهو الحميم ومعنى ثم للتراخى بالزمان كانهم لا يسقون الا بعد مدة مديدة تكميلا للتعذيب او التراخى
بالرتبة كان الشراب اشبع من الطعام تكثير قال مقاتل معنى ثم فى قوله ثم ان مرجعهم انهم يخرجون من الجحيم ودركاتها الى موضع
فيه الزقوم والحميم بعد الاكل والشرب يردون الى موضعهم من الجحيم فكانهم فى وقت الاكل والشرب لا يعذبون بالنار
وقيل هو كقولهم فلان يرجع الى مال ونعم اى هو فيها وقيل ثم للتراخى الاخبارى فقد صح ان مرجع الكفار الى النار وقيل ثم
مع الحمد قد يدل على التقديم اى وقيل ذلك كان مرجعهم الى الجحيم ثم بين الى سبب وقوعهم فى اصناف العذاب المذكور وهو
التقليد والاهراع الاسراع الشديد كانهم يساقون سوقا ولم يوجد فى ذم التقليد سوى هذه الاية لكفى ثم زاد تسلية
النبى صلى الله عليه وسلم اجمالا بقوله ولقد ضل قبلهم اى قبل قومك اكثر الاولين ثم استثنى من قوله ولقد ضل ومن المنذرين
المهلكين عباده المخلصين بان عاقبتهم كانت حميدة ثم سلاه بوقايع الامم الخالية تفصيلا وقدم قصة نوح لكونه ابا ثانيا
وبدا قوله رب انصرنى بما كذبون وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف
او للابتداء فى المخصوص بالمدح هو نحن محذوف والجمع تصوير العظمة والكبرياء وفيه وفى فاء التعقيب فى فلنعم دليل
على ان نداء العظيم الكبير حقيق بان يكون مقرونا بالاجابة والكرب العظيم ما كان هو فيه من تخويف الطوفان او من ايذاء
قومه مع الياس من ايمانهم وهذا اقرب وفى قوله هم الباقين بصيغة الحصر دلالة على ان كل من سواه وسوى ذريته قد بقى

روى انه مات كل من كان معه في السفينة غير ذريته وهم سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان شرقا وغربا ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح ومعنى في العالمين تثبيتها الله تعالى فيهم فيسلم الثقلان عليه الى يوم القيمة ثم بين ان هذه التشريفات هو كونه محسنا وهو جزاء كل محسن ثم بين ان احسانه كان مسوقا بايمانه فعلى كل مؤمن ان يجتهد حتى يصير محسنا وحين تم ما آل اليه امر نوح وذريته ذكر عاقبة ساير قومه فقال ثم اغرقنا الآخرين اعاذنا الله من الاغراق والاحراق وجعل فلكنا فلك نوح وسفرنا متضمنا للنصر والفتوح **التأويل** والصافات اشارة الى ما جاء ان الارواح خلقت قبل الاجساد في اربع صفوف **الاول** للانبياء **والثاني** للاولياء **والثالث** للمؤمنين **والرابع** لاهل الكفر فالزاجرات هي الالهامات الربانية للعوام عن المناهي للخواص عن رؤية الاعمال وللاخص عن الالتفات الى غير الله فالتاليات ذكرا هم الذين يذكرون الله في الخلوات بخلوص النيات رب سموات القلوب وارض النفوس وما بينهما من صفاتهما ورب المشارق والقلوب تطلع منها شموس الشواهد واقمار الطوالع ونجوم اللوامع السماء الدنيا هي الراس وكواكبها الحواس والشهب هي الخواطر الرحمانية يدفع بها الوساوس الشيطانية طين لازب لاصق بكل ما يضاده فقوم ليصغوا بالدنيا وقوم ليصغوا بالآخرة وليصقوا بنفحات الطاف فاذا بتم وجذبتهم عن انانيتهم بهويتها تذيبا الشمس الثلج وتحديه عن وقفوهم انهم مسئولون للسالك في كل مقام وقفة يناسب ذلك المقام ومسئول عن اداء حقوق ذلك فقوم سيماهم الملك والاولون الذين لهم اعمال صالحة تصلح للعرض والكشف والآخرون فيهم قوم لهم اعمال يسترها الحق عن اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والآخرة كما قال اوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري وقوم لهم ذنوب لا يطلع عليها الا الله فيسترها عليهم كما جاء في الحديث ان الله يدني المؤمن يوم القيمة حتى يضع عليه كنفه فيستره من الناس فيقول اي عبدي يعرف ذنب كذا كذا فيقول نعم اي رب ثم فيقول اي عبدي يعرف ذنب كذا كذا فيقول نعم اي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى نفسه انه قد هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته الا موتتنا الاولى وهي الموت الارادي عن الصفات النفسانية وبعد ذلك لا موت بل ينقل من دار الى دار لمثل هذا فليعمل العاملون بل لمثل هذه الامور تبذل الارواح وتفدى الاشباح كما قيل على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وان بات من ليلى على الياس والصد ثم اخبر بعد قصة الاولياء من قصة الاعداء بقوله ذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم وفي قوله كانه رؤس الشياطين دليل على ان افعالهم كانت في قبح صفات الشياطين وكانت مكافاتهم من جنس صورة الشياطين سلام على نوح في العالمين انه قال سلام على نوح الروح لانه محتاج الى سلام الله ليعبر على الصراط المستقيم الذي ادق من الشعر واحد من السيف ولهذا دعوة الرسل حينئذ رب سلم سلم وانما اختصموا بالصراط والعبور عليه ليؤدوا الامانة التي حملوها الى اهلها

وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَٰهِيمَ ● إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ● إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ● أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ● فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ● فَقَالَ إِنِّى
سَقِيمٌ ● فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ● فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ● فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ● فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ
يَزِفُّونَ ● قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ● وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ
قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ● فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ

ٱلْأَسْفَلِينَ ● وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ● رَبِّ هَبْ لِى مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ● فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ● فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ
إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ● فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ● وَ
نَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ● قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ● إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ● وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ
عَظِيمٍ ● وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ● سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ● إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ● وَبَشَّرْنَٰهُ
بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ● وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن
ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ● وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ● وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ● وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ
ٱلْمُسْتَبِينَ ● وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ● وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا
فِى ٱلْءَاخِرِينَ ● سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ● إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ● إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ● وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ● أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ● ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ● فَكَذَّبُوهُ
فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ● إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ● وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِى ٱلْءَاخِرِينَ ● سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ● إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

انه من عبادنا المؤمنين ● وان لوطا لمن المرسلين ● اذ نجيناه
واهله اجمعين ● الا عجوزا في الغابرين ● ثم دمرنا الاخرين
وانكم لتمرون عليهم مصبحين ● وبالليل افلا تعقلون
وان يونس لمن المرسلين ● اذ ابق الى الفلك المشحون ● فساهم
فكان من المدحضين ● فالتقمه الحوت وهو مليم ● فلولا انه
كان من المسبحين ● للبث في بطنه الى يوم يبعثون ● فنبذناه
بالعراء وهو سقيم ● وانبتنا عليه شجرة من يقطين ● وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون ● فامنوا فمتعناهم الى حين ●
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ● ام خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون ● الا انهم من افكهم ليقولون ● و
لد الله وانهم لكاذبون ● اصطفى البنات على البنين ● ما لكم
كيف تحكمون ● افلا تذكرون ● ام لكم سلطان مبين
فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين ● وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ● سبحان الله عما
يصفون ● الا عباد الله المخلصين ● فانكم وما تعبدون
ما انتم عليه بفاتنين ● الا من هو صال الجحيم ● وما منا الا له
مقام معلوم ● وانا لنحن الصافون ● وانا لنحن المسبحون ● وان
كانوا ليقولون ● لو ان عندنا ذكرا من الاولين ● لكنا عباد
الله المخلصين ● فكفروا به فسوف يعلمون ● ولقد سبقت كلمتنا

لعبادنا المرسلين ● انهم لهم المنصورون ● وان جندنا لهم
الغالبون ● فتول عنهم حتى حين ● وابصرهم فسوف يبصرون
افبعذابنا يستعجلون ● فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين
وتول عنهم حتى حين ● وابصر فسوف يبصرون ● سبحان ربك
رب العزة عما يصفون ● وسلام على المرسلين ● والحمد لله رب العالمين

القراءة يزفون بضم الياء وكسر الزاي حمزة الباقون بفتح الياء اني ارى اني اذبحك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ترى بضم التاء وكسر الراء علي وخلف وحمزة ستجدني بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وان الياس موصولا بهمزة الوصل ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاخرون بكسر الهمزة الله ربكم ورب بالنصب في الثلاثة سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل الباقون برفعها على الابتداء والخبر آل ياسين ابن عامر ونافع ورويس الاخرون الياسين كانه جمع الياس اكاذبون اصطفى موصولا والابتداء بكسر الهمزة يزيد واسمعيل والاصفهاني عن ورش الباقون بفتحها في الحالين **الوقوف** لابرهيم لان القديم واذكر وجوز في الكشاف ان يتعلق الظرف بما في الشيعة من معنى المشايعة فلا وقف سليم تعبدون للابتداء بالاستفهام مع اتحاد المقول تريدون لاستفهام اخر العالمين في النجوم للفاء واتحاد المعنى سقيم مدبرين ياكلون للاستفهام مع الاتحاد كما مر لا تنطقون باليمين يزفون تنحتون لان الواو للحال تعملون في الجحيم الاسفلين سيهدين الصالحين حليم ما ذا ترى ما تؤمر الصابرين مع اتحاد المقول الصابرين للجبين لاحتمال ان الواو مقحم وناديناه جواب لما والاحتمال ان الجواب محذوف اي فلما سنه وناديناه يا ابرهيم الرؤيا لاحتمال ما بعده داخل في حكم النداء او مستانفا المحسنين المبين عظيم الاخرين ابرهيم المحسنين المؤمنين الصالحين اسحق مبين وهرون للابتداء مع العطف العظيم كذلك الغالبين المستبين المستقيم الاخرين وهرون المحسنين المؤمنين المرسلين تتقون بتقدير اتطرقا المحذوف وهو اذكر ويكون ظرفا المرسلين فيه وجه صحيح وان لم يكن مقصودا ولهذا لم يكن الوقف لازما تتقون الخالقين لمن قرا الله بالنصب الاولين لمحضرون المخلصين الاخرين الياسين المحسنين المؤمنين المرسلين اجمعين الغابرين الاخرين مصبحين وبالليل تعقلون المرسلين المشحون المدحضين لحق المحذوف مع الفاء مليم من المسبحين نصف الجزء والربع الرابع من القرآن يبعثون سقيم يقطين يزيدون الى حين البنون شاهدون ليقولون ولد الله تمجيدا لتكذيبهم لكاذبون البنين للابتداء بالاستفهام تحكمون تذكرون لان ام يصلح استينافا مبين لتجهيل ام للتخيير صادقين نسبا لمحضرون لتعلق الاستثناء وسبحان الله معترض يصفون المخلصين تعبدون بفاتنين الجحيم معلوم الصافون للعطف مع الاتفاق المسبحون ليقولون من الاولين المخلصين يعلمون المرسلين لان ما بعده يصلح ابتداء ومفعولا للكلمة المنصورون لعطف الجملتين المتفقتين الغالبون حين للعطف ولشدة اتصال المعنى يبصرون يستعجلون المنذرين حين يبصرون عما يصفون لعطف جملتين مختلفتين المرسلين للابتداء بالحمد الذي به ابتداء الكلام واليه ينتهي مع اتفاق الجملتين العالمين **التفسير** الضمير في شيعته يعود الى نوح والمراد ان ابرهيم ممن شايع نوحا على اصول الدين او على التصلب في الدين وقال الكلبي واختاره الفراء انه يعود الى محمد اي هو على منهاجه ودينه وان كان ابرهيم سابقا والاول اظهر لتقدم ذكر نوح ولما روي عن ابن عباس معناه من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا اثنان هود وصالح وبين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة معنى جاء ربه اقبل بقلبه على الله واخلص العمل له والقلب السليم قد مر في الشعراء ثم ذكر من جملة اثار سلامة قلبه ان دعا اباه وقومه الى التوحيد ومعنى ما تعبدون اي شيء تعبدون كقوله في الانبياء ما تعبدون سالهم عن جنس معبوديهم ثم وبخهم على ذلك بقوله افكا هو مفعول له قدم للعناية كما قدم المفعول به على الفعل لذلك فانه كان الاهم عنده ان يكافحهم ويعنفهم على شركهم وانهم على افك وباطل ويجوز ان يكون افكا حالا او مفعولا به والهة بدل منه على انه افك في انفسهما فما ظنكم برب العالمين حتى جعلتم الجمادات اندادا له او حسبتم انه يهمل امركم ولا يعاقبكم وفيه انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته ثم ذكر في قوله اني سقيم قولان احدهما انه صدر منه كذب لمصلحة راى فيه ولما جاء في الحديث لم يكذب ابرهيم الا ثلاث

كذبات اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة انها اختي وقد سبق تقرير ذلك في سورة الانبياء ثانيها وهو الاقوى
انه كلام صادق لان الكذب قبيح وان اشتمل على مصلحة واما الحديث فنسبة الراوي الى الكذب اولى من نسبة نبي الله الى ذلك وفي التوجيه
وجوه الاول ان النظر في النجوم يريد به في علم النجوم واحكامها وكتبها وذلك ليس بحرام ولا سيما في ذلك الشرع فليس فيه
الا اعتقاد انه تعالى خص كل واحد من الكواكب بقوة وخاصية يظهر بها منه اثر مخصوص والانسان لا ينفك في اكثر
احواله عن حصول حالة مكروهة له اما في بدنه او في قلبه فلعل به سقما كالحمى الثابتة او اراد انه سيسقم لامارة نجومية
او اراد به الموت الذي يلحقه لا محالة ولا داء اعين منه الثاني ان المراد بالنجوم ما جاء في قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا
الى آخر الآيات اي نظر فيها ليعرف احوالها وانها قديمة او محدثة وقوله اني سقيم اي سقيم القلب غير عارف بربي وكان ذلك قبل
البلوغ او سقيم النفس لكفركم الثالث ان النجوم النبات اي نظر فيها متحيرا مما فيه شفاء السقم او همهم ان به ذلك او
كان به وقال الازهري عن احمد بن يحيى النجوم جمع نجم وهو كل ما يفرق ومنه نجوم الكتابة اي نظر في متفرقات كلامهم واحوالهم
حتى يستخرج منها حيلة فلم يجد عذرا احسن من قوله اني سقيم قال المفسرون كان الطاعون الاسقام عليهم فظنوا ان به ذلك
فتركوه في بيت مخافة العدوى وهربوا الى عيدهم وذلك قوله سبحانه فتولوا عنه مدبرين فراغ الى الهتهم ذهب اليها
في خفية حتى لا يرى فكانه يرجع الى ايهام او غا قومه من روغان الثعلب وقيل زاغ بقوله اني سقيم حتى خلا بها وسمى
الهة على زعمهم وقوله الا تاكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وكان عندها طعام زعموا انها تاكل منه وقيل وضع الطعام
لتبارك فيه وروي ان سدنتها كانوا ياكلون ما يوضع عندها من الطعام ينطقون عند اصعفه عن لسانها يوهمون
انها تاكل وتنطق وانما جاء في هذه السورة فقال الا تاكلون بالتاء وفي الذاريات قال الا تاكلون بغير الفاء لانه قصد
من اول الامر تقريع من زعم انها تاكل وتشرب وفي الذاريات مستانف تقديره فقربه اليهم فلم ياكلوا فلما راهم لا ياكلون قال
الا تاكلون فراغ عليهم عداه بعلى لان الميل الاول كان على سبيل الرفق استهزاء وهذا كان بطريق العنف والقهر وهذا كما يقال
في المحبوب مال اليه وفي المكروه مال عليه وقوله ضربا مصدر راغ من غير لفظه او لفعل محذوف او حال اي ضاربا
او ضاربا ومعنى باليمين اي باليد اليمنى لانها اقوى على الاعمال او بالقوة مجازا او بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا
اليه اي الى ابرهيم يزفون يمشون على سرعة وزفيف النعامة ابتداء عدوها ومن قرا بضم الياء فاما لازم من ازف اذا صار
الى حال الزفيف او متعد والمفعول محذوف اي يزفون دوابهم او بعضهم بعضا وقد مر نظيره في التوبة في قوله ولا وضعوا
خلالكم قال بعض الطاعنين قوله فاقبلوا اليه يدل على انهم عرفوا كاسر اصنامهم وقوله في الانبياء من فعل هذا بالهتنا يا ابرهيم
دل على انهم لم يعرفوا الكاسر فبينهما تناقض واجيب بان هؤلاء عرفوا ذلك والذين عرفوه ذهبوا اليه مسرعين والذين
لم يعرفوه بعد استخبروا عنه على ان قوله فاقبلوا اليه لا دلالة على انهم عرفوا ان الكاسر هو ابرهيم فلعلهم اقبلوا
اليه لاجل السؤال عن الكاسر وحين عاينوه على فعله او اراد ان يبين لهم فساد طريقهم فقال اتعبدون ما تنحتون وذلك ان الناحت
لم يحدث فيه الا صورة معينة فيكون معناه ان الشي الذي لم يكن معبودا صار بسبب تصرفي فيه معبودا الي وفساده
معلوم بالبديهة احتج جمهور الاشاعرة بقوله والله خلقكم وما تعملون على ان العبد ليس خالقا لاعماله لان المعنى خلقكم وعملكم
وزيف بان ما موصولة ليناسب قرينتها في قوله ما تنحتون ولتوجه التوبيخ ولكيلا يلزم التناقض ان انحت عليهم والتحقيق
ان الاية كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام ثم ان ابرهيم لما الزمهم الحجة بهذا القول
والزمهم عدلوا الى طريقة الايذاء فقالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله في السماء ثلثون ذراعا وعرضه
عشرون وتقدير الاية ابنوا له بنيانا واملاوه نارا والقوه فيها في الجحيم النار العظيم ومعنى الفاء في قوله فارادوا كقوله
اهلكناها فجاءها باسنا كانه قيل فبنوا البنيان وملاوه نارا فالقوه فيها فنجيناه منها فخصهم انهم ارادوا به كيدا فجعلناهم
الاسفلين الاذلين واما في الانبياء فلم يقصد هذا الترتيب فاقتصر على الواو العاطفة وانما اختصت هذه السورة
بقوله الاسفلين لانه ذكر انهم بنوا بنيانا عاليا وكان ذكر السفل في مطابقته انسب ثم ذكر بقية قصة ابرهيم وقوله اني ذاهب
الى ربي كقوله في العنكبوت اني مهاجر الى ربي وقد مر ما فيه حكم بقوله سيهدين ربي الى ما فيه صلاحي في الدارين
اعتمادا على فضل الله او عرف ذلك بالوحي وحين هاجر الى الارض المقدسة اراد الولد فقال رب هب لي من الصالحين والله
تعالى بين استجابته بقوله فبشرناه بغلام حليم ووصف الغلام بالعلم في سورة الحجر وبالحلم ههنا مذهب العلماء الى انه
اراد بغلام عليم في صغره حليم في كبره فان الصبي لا يوصف بالحلم ومن هنا انطوت البشارة على معان ثلثة احدها
ان الولد ذكر ثانيها انه يبلغ اوان الحلم ثالثها انه يكون حليما واي حلم اعظم من استسلامه حين عرض عليه ابوه الذبح

فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وفيه ان ولده قائم مقامه في الشرف والفضيلة لوصفه بالحلم كما وصف به
ابرهيم في قوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب وقيل العليم اسحق لقوله فاقبلت امراته في صرة والحليم اسمعيل ثم حكى حديث الذبح
قائلا فلما بلغ معه السعي اي قوي على ان يمشي مع ابيه في حوائجه والظرف بيان كانه قال اولا فلما بلغ السعي فقيل مع من فاجيب
مع ابيه ولا يجوز تعلقه بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه ولا بقوله بلغ لانهما لم يبلغا معا حد السعي والمعنى في
اختصاص الاب اخراج الكلام مخرج الاغلب قال جار الله السبب فيه ان الاب ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما
عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته يروى انه كان يومئذ ابن ثلث عشرة سنة وقيل اراد السعي في المنافع
وفي طاعة الله اعلم ان الناس اختلفوا في الذبيح فعن ابي بكر الصديق وابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن
المسيب وعكرمة ومجاهد والضحاك انه اسمعيل لقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل و
الاخر ابوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا فلما كملوا عشرة اتى بهم الى البيت
وضرب عليهم بالقداح فخرج عبد الله فمنعه اخواله ففداه بعشر من الابل ثم ضرب عليه وعلى الابل فخرج عليه ففداه
بعشرة اخرى وضرب مرة اخرى فخرج عليه وهكذا يزيد عشرة عشرة الى ان تمت مائة فخرج القدح على الجزر فنحرها ومن
الدية مائة وفي رواية اخرى ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان
عبد المطلب حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها لينحرن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعوه ففداه بمائة
من الابل حجة اخرى نقل عن الاصمعي انه قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة
وانما كان اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه وسن النحر بمكة حجة اخرى وصف اسمعيل بالصبر في قوله واسمعيل وادريس
وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح في قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووصفه بصدق الوعد
وذلك انه وعد اباه الصبر على قضاء الله او على الذبح فوفى به حجة اخرى ومن وراء اسحق يعقوب فمن قرا بالنصب لانه اذا بشر بالولد
من صلبه علم انه لم يؤمر بذبحه اخرى اجمعوا على ان اسمعيل مقدم في الوجود على اسحق فهو المراد بقوله رب هب لي
من الصالحين ثم ان ذكر عقيبه قصة الذبح وايضا قوله وبشرناه باسحق يجب ان يكون غير قوله فبشرناه بغلام حليم والا
لزم التكرار حجة اخرى ان قرني الكبش كانا ميراثا لولد اسمعيل عن ابيهم وكانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت في ايام
الزبير والحجاج وعن علي وابن مسعود وكعب الاحبار واليه ذهب اهل الكتابين الذبيح اسحق لما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله واحتجوا
عن قوله وبشرناه باسحق اي بشرنا بالغلام اولا ثم بنبوته ثانيا وايضا صرح بالمبشر به في قوله فبشرناها باسحق وفي قوله فبشرناه
باسحق فيحمل عليه المبهم في قوله فبشرناه بغلام وايضا لا شك ان البشارة بيعقوب كانت متصلة ببشارة اسحق اعتبارا بقراءة
من قرا يعقوب بالرفع وايضا اجمعوا على ان المراد من قوله اني ذاهب الى ربي هو مهاجره الى الشام ثم قال فبشرناه بغلام فوجب
ان يكون الغلام الحليم قد حصل له في الشام وذلك الغلام لم يكن الا اسحق لان اسمعيل قد نشا بمكة وكان الزجاج يقول
الله اعلم ايهما الذبيح ويتفرع على اختلاف المفسرين في الذبيح اختلافهم في موضع الذبح والذين قالوا ان الذبيح اسمعيل
ذهبوا الى ان الذبح كان بمنى وهذا اقوى والذين قالوا انه اسحق قالوا ان المذبح كان بالشام وخصصه بعضهم ببيت
المقدس اذا عرفت هذا الاختلاف فقوله يا بني اني ارى في المنام قال انما قال بلفظ المستقبل لانه كان يرى ذلك في منامه
ثلث ليال ولان رؤيا الانبياء وحي بان مذكور تاويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد يرى انه راكب سفينة رايت في المنام اني ناج
من هذه المحنة فكانه قال اني ارى في المنام ما يوجب اني اذبحك ويحتمل ان يكون حكاية ما راه وقال بعض المفسرين راى
ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فاصبح يروي في ذلك امن الله ام من الشيطان فسمي يوم التروية
فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فسمي عرفة ثم راى مثله في الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقال بعضهم حين بشرته
الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي مع ابيه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى ومن قرا ارى
فالمعنى ماذا تبصر من رايك وتبديه وانما شاوره في امر هو حتم من الله ليثبته ان جزع ويفرح بصبره ان ثبت ولئلا ياتيه الذبح
معافصة من غير اعلام به وتنبيه ويكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في الاكل من الشجرة لما نابه
ذلك قال يا ابت افعل ما تؤمر اي به فحذف الجار كقوله امرتك الخير وامرك على تسمية المامور به بالمصدر ثم اضافته الى
المفعول فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله قال قتادة اسلم هذا لابيه وهذا نفسه وتله اي صرعه واللام في للجبين
كما في قوله ويخرون للاذقان والجبين احد جانبي الجبهة وقيل كبه لوجهه لان الولد قال له اذبحني وانا ساجد يرى له جبين

اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية ننطلق الى الشعب ونحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال
له اشدد له رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ
شفرتك واسرع امرارها على حلقي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي واذا رأيت ان ترد قميصي
على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد
ربطه وهما يبكيان فقال له كبني على وجهي ولا تنظر الي حتى لا يدركك رقة تحول بينك وبين امر الله قال جار
الله تقديرا لكلام فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به العيان ولا يحيط
به البيان من استبشارهما وبما انعم الله عليهما من دفع البلاء بما اكتسبا في تضاعيف ذلك من الثواب والثناء وقد
اشير الى جمع ذلك بقوله انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا الامر الذي قد وقع لهو البلاء المبين الاختبار المبين
الذي يتميز فيه المخلص عن المدعي والمكروه الذي لا اصعب على النفس منه يروى انه لما وصل موضع السجود منه
الى الارض جاء الفرج وقيل انه وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر
فاذا جبرائيل معه كبش اقرن املح فكبر جبرائيل والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وذلك قوله
سبحانه وفديناه بذبح فالفداء جعل الشيء مكان غيره لدفع ضرر عنه والذبح اسم لما يذبح كالطحن لما يطحن وقوله
عظيم اي سمين صحيح الجثة بالقياس الى امثاله وهي السنة في الاضاحي قال صلى الله عليه وسلم استشرفوا ضحاياكم
فانها على الصراط مطاياكم والاستشراف جعلها شريفة كريمة وعن سعيد بن جبير قوله ان يكون عظيما وقد رعى في الجنة
اربعين خريفا يعني قول ابن عباس انه الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة الى ان فدي به اسمعيل وقيل سمي
عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد خليله وقيل وصفه بالعظم لبقاء اثره الى يوم القيمة فانه ما من سنة
الا ويذبح بسبب ذلك من الانعام ما لا يحصيه الا الله تعالى وعن الحسن وعلي الله اهبط عليه من ثبير وقال السدي نودي
ابرهيم فالتفت فاذا هو بكبش املح انحط من الجبل فقام عند ابرهيم عليه السلام فذبحه وخلى ابنه استدل بعض الاصوليين
من اهل السنة بالاية على جواز نسخ الحكم قبل حضور وقته وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية بعدم
الجواز لاستلزامه البدا او الجهل وزعموا انه تعالى امر ابرهيم في المنام بمقدمات الذبح لاضجاع ابنه ووضع السكين
على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان بذلك الفعل وان وردوا الامر سلمنا انه امر بعين الذبح لكن لم لا يجوز انه قطع الحلق
الا انه كان يلتئم مرة اخرى فلهذا قيل له قد صدقت الرؤيا والفداء فضلا من الله في حقه وتعظيم له بدلا من عدم وقوع
الذبح في ظاهره ولهذا قال وفديناه باسناد الفداء الى ذاته تعالى والحق ان نسخ الحكم قبل وقته لا يدل على البداء والعبث
كما انه بعد الوقت لا يدل على ذلك فقد يكون غرض الامر ان يعلم ان المامور على العمل ويوطن نفسه على الانقياد والطاعة
ام لا ان تصديق الرؤيا يكفي فيه الاتيان بمثل هيئة الذابح فان الرؤيا ما يكون تاويلها بالشبه كرؤيا يوسف والفداء زيادة
تشريف وتكريم ووضع سنة مؤكدة وروي انه لما ذبحه قال جبرائيل الله اكبر الله اكبر فقال الولد الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة قوله وتركنا الى قوله المؤمنين قد مر نظيره في قصة نوح الا انه
لم يقل ههنا في العالمين اكتفينا بما علم في قصة نوح ولم يقل ههنا انا كذلك بل اقتصر على كذلك لانه سبق ذكر انا
في هذه القصة مرة فلم يحتج الى اعادته على انه قد بقي من القصة شيء فناسب الاختصار في الاعتراض قوله وبشرناه
باسحق من جعل الذبيح اسمعيل قال وبشرناه باسحق بعد اسمعيل قال وبشرناه ثانيا ومن جعل الذبيح اسحق قال البشرى بنبوته
وقد كان بشر بمولده قوله نبيا من الصالحين كل منهما حال مقدرة من الفاعل اي بشرناه مقدرا وعالما او حاكما بانه نبي
صالح وقد اطنب صاحب الكشاف في هذا المقام حين بنى الكلام على انه حال مقدرة من اسحق وهو عندي تطويل
بلا طائل وليتامل وباركنا عليه قيل اي على الغلام البشرية وقيل على ابرهيم وعلى اسحق اي افضنا عليهما بركات
الدين والدنيا ومن جملة ذلك ما روي انه اخرج من صلب اسحق الف نبي اولهم يعقوب واخرهم عيسى وهم المشار
اليهم بقوله ومن ذريتهما محسن ويعلم من قوله وظالم لنفسه ان البر قد يلد الفاجر ولا عار على الاب وان الشرف بالحسب
لا بالنسب واما قصة موسى فلا تخفى والكرب العظيم تسلط فرعون وجفاؤه على قومه وقيل الغرق والضمير في نصرناهم
لهما ولقومهما والمبين البليغ في بيانه وهو التورية بآية وايمان واستيناف بمعنى لا ان الثالث ابلغ والصراط المستقيم
دين الله الذي اشترك في اصوله جميع الرسل واما الياس والجمهور على انه نبي من بني اسرائيل بعد موسى وكان من ولد
هرون وقيل هو ادريس النبي وقد مر ذكره في سورة مريم وان طرفنا المحذوف اي اذكر يا محمد لهم اذ قال لقومه الا تتقون

الله قال الكلبي اي الا تخافون عبادة غير الله وحين خوفهم مجملا ذكر سببه فقال اتدعون اي تعبدون بعلا وهو اسم
صنم من ذهب كان ببعلبك من بلاد الشام طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن
وجعلوهم انبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس قال الامام
فخر الدين الرازي رحمه الله لو جوز دخول الشيطان في جوف الصنم وتكلمه فيه لكان قادحا في كثير من المعجزات كحنين الجذع
وكلام الجمل قلت هذا الوهم زائل بعد ثبوت النبوة بمعجزات اخر والله اعلم وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى تعبدون بعض
البعول وتتركون عبادة احسن الخالقين ثم بين جزاء تكذيبهم انهم لمحضرون في العذاب عدوانا في القصة ظاهر الا قوله الياسين
فمن قرأ على الاضافة فعلى ان ادريس بن ياسين اي سلام على اهل ياسين وقيل آل ياسين آل محمد وقيل ياسين اسم القران وكانه قيل
سلام على من امن بكتاب الله والوجه الاول هو الانسب الاقوى ومن قرأ على صورة الجمع فقد قال الفراء اراد به الياس واتباعه
من المؤمنين كقولهم المهلبون والاشعرون بتخفيف ياء النسبة وقيل انه لغة في الياس قال الزجاج يقال ميكائل وميكائيل
وكذا ههنا حكى الثعلبي وغيره ان الياس نبي من سبط هرون بعثه الى بني اسرائيل وكان فيهم ملك يقال له اخب وله امرأة
يقال لها ازبل وكانت تبرز للناس كما تبرز زوجها وتجلس للحكم كما يجلس فاتاهما الياس ودعاهما الى الله فابيا عليه وهما بقتله
فاختفى منهما سبع سنين وكان اليسع خليفته والى ان اوحى اليه اخرج الى موضع كذا فما جاءك فاركبه ولا تخف فجاءه
فرس من نار فوثب عليه وناداه خليفته اليسع بن اخطوب ما تامرني فرمى الياس اليه بكسائه من الجو وكان ذلك علامة
استخلافه اياه على بني اسرائيل ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا
ملكيا ارضيا سماويا وقيل الياس موكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار وهما اخر من يموت من بني ادم وكان الحسن يقول قد
هلك الياس والخضر ولا نقول ما يقول الياس وقصة لوط مذكورة مرارا ومعنى مصبحين وبالليل ان مشركي العرب كانوا
مسافرين الى الشام فلعل اكثر مرورهم بتلك الديار كان في هذين الوقتين لامر عارض تجارة وغيره وقصة يونس ايضا مما سبق
ذكرها وفيها مزيد تسلية وتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم انه ارسله ملك زمانه الى اولئك القوم ليدعوهم
الى الله تعالى وهو هرب العبد من سيده لا يوجب العصيان والاظهر ان قوله وان يونس لمن المرسلين مذكور في معرض
التعظيم على قياس اوائل ساير القصص ولن يفيد هذه الفائدة الا اذا كان الارسال من الله تعالى وما الجواب عن اباقه فقد مر
في قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا قوله المشحون كالعلة لقوله فساهم والمساهمة والمقارعة يقال استهم القوم اذا اقترعوا
قال المبرد هي من السهام التي تجال للقرعة والمدحض المغلوب في الحجة وغيرها وحقيقته الذي ازلق عن مقام الظفر والغلبة
يروى انه حين غضب على قومه خرج من بينهم حتى اتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما وصلت الى لجة البحر
اشرفت على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقد عرف
اهل البحر ان السفينة اذا كان فيها ابق لا تجري فاقترعوا فخرج سهم يونس فقال التجار نحن اولى بالمعصية من نبي الله ثم عادوا
ثانيا وثالثا فخرج سهمه فقال يا هؤلاء انا العاصي ورمى بنفسه الى الماء فالتقمه الحوت اي ابتلعه كاللقمة وهو مليم داخل
في الملام ومنه المثل رب لائم مليم اي ملوم غيره وهو احق منه باللوم فلولا انه كان من المسبحين قيل اي من المصلين عن
قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء وقيل من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس كما قيل اذكروا الله في الخلوات يذكرك في
الفلوات والاظهر ان المراد منه ما حكى الله تعالى في اية اخرى انه كان يقول في تلك الظلمات لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين والضمير في يبعثون للخلائق بالقرينة وكيف يلبث فيه اقوال **احدها** بقي هو والحوت الى يوم البعث
وثانيها يموت الحوت ويبقى هو في بطنه **وثالثها** يموتان ثم يحشر يونس من بطنه واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت
فعن الحسن انه لم يلبث الا قليلا وقيل ثلثة ايام وعن عطا سبعة وعن الضحاك عشرون قال الكلبي عشرون وروي ان
الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه بالعراء وهو
المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت
الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت
في البحر فقالوا العبد الصالح الذي يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه في الساحل
وحكي في بعض التفاسير وان لم يطابقه راي اصحاب المسالك كل المطابقة ان الحوت اخرجه الى نيل مصر ثم الى بحر فارس
ثم البطائح ثم دجلة فلفظه بارض نصيبين لم تسلم اثر الا انه عاد كبدن الصبي حين يولد فانبت الله عليه شجرة من
يقطين وذلك كالمعجزة وقال المبرد والزجاج هو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به فيشمل كل شجر لا تقوم على ساق كالدباء

والبطيء الا ان المفسرين خصص بالدباء قالوا الان الدبان لايجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس قال الواحدي في الاية دلالة على ان اليقطين لم يكن من قبل فانبته الله لاجله و الاجرا ان اليقطين كان قايما لحب يحصل له ظل قلت الثاني مسلم الا ان الاول ممنوع ان اراد به النوع وان اراد به الشخص فسلم وقيل هي التين وقيل هي شجرة الموز يغطي بورقها واستظل باغصانها وافطر من ثمارها وروى انه كان يستظل بالشجرة وكانت وعلية تاتيه فيشرب لبنها وروى انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى اليه تبكي على شجرة ولا تبكي على مايه الف او يزيدون لبس الشك واثما المراد وصفهم بالكثرة في مراى الناظر اذا راها الراى قال هي مايه الف او اكثر ومن هذا التاويل اتضح وجه العطف من حيث المعنى كانه قيل وارسلناه الى جم غفير فقول فيهم انهم مايه الف او هم يزيدون وقيل التقدير وارسلناه الى مايه الف وارسلناه الى قوم يزيدون والابهام في حق المخاطبين كما يقرر وقيل للتخيير وكان الفرض عليه ان يدعوا مايه الف ثم احتج في دعوة الزيادة ان شا الله وقيل او بمعنى بل والزيادة ثلثون الفا عن ابن عباس وقيل بضعة وثلثون وقيل واربعون وقيل سبعون وجاء مرفوعا عشرون الفا ويحتمل ان يراد او يريدون في مرور الزمان لانفي فيهم مدة كما قال فامنوا فمتعناهم الى حين هو انقضاء اجالهم وقيل القيمة وقد مر عطف قوله فاستفتهم على مثله في اول السورة والوجه فيه انه امر رسوله باستفتاء قريش عن سبب انكار البعث ثم ساق الكلام متصلا بعضه ببعض على ما عرفت في اثناء التفسير ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حين اضافوا البنات الى الله تعالى قايلين الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشامة لهن ورغبتهم الوافرة في البنين وحين استفتاهم على سبيل التوبيخ شرع في تزييف معتقدهم ونفيهم عقليه وذلك ان مستند الدعوى اما ان يكون حسا او خبرا او نظرا اما الحس فمنقول لانهم ما شاهدوا كيفية تخليق الله الملائكة وهو المراد من قوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون واما الخبر فكذلك لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم انه صدق قطعا وهولاء كذابون افاكون واشاره اليه بقوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فمفقود ايضا وبيانه من وجهين الاول ان دليل العقل يقضي فساده لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل لايليق به اصطفا الاخس لاجل نفسه وذلك قوله اصطفى البنات على البنين كيف تحكمون من قرا اصطفى بفتح الهمزة فلانه استفهام بطريق الانكار وقد حذفت همزة الوصل للتخفيف ومن قرا بكسرها فعلى الاخبار وجعله من جملة كلام الكفرة وثانيهما عدم الدليل على صحة مذهبهم وهو قوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين نظيره ما مر في قوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا للمفسرين فيه قولان احدهما انهم الطايفة الاولى والمعنى انهم جعلوا بين الملايكة نسبة بسبب قولهم انه بناته فان الولادة تقتضي الجنسية والمناسبة وفيه توبيخ لهم على ان من صفته الاجتنان والاستتار كيف يصلح ان يكون مناسبا لمن لايجوز عليه صفات الاجرام وعلى هذا فالضمير في قوله انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون في الملائكة وقد علمت الملائكة انهم في ذلك كاذبون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون ثانيهما انهم طايفة من الزنادقة قايلون بيزدان واهرمن كما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله شركاء الجن وعلى هذا فالضمير اما للكفار كما مر واما للشياطين وروى عكرمة انهم قالوا سروات الجن بنات الرحمن وقال الكلبي زعموا ان الله سبحانه تزوج الى الجن فخرج منها الملائكة والثاء في الجنة للتانيث تحقق وحجة وقال جار الله الاستثناء في قوله الا عباد الله منقطع معناه انهم لمحضرون ولكن المخلصين ناجون وما بينهما اعتراض دال على التنزيه وجوز ان يكون الاستثناء من الضمير في يصفون اي لصفة هولاء بذلك ولكن اهل الاخلاص براون من وصفه بما لا ينبغي وحين بين المذاهب الفاسدة بعضها بين ان اهل الشرك ومعبوديهم لايريهم ان يفتنوا على الله اي يحملون غيرهم على سلوك سبيل الفتنة والاضلال الا من سبق علم الله بانه من اهل النار وقالت المعتزلة الا من سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها وجوز جار الله ان يكون الواو وما يعبدون بمعنى مع وجاز السكوت على تعبدون كما في قولهم كل رجل وضيعته ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال والوجه في نظم هذه الايات ان يكون قوله سبحان الله الى قوله المسبحون من كلام الملائكة والمعنى ولقد علمت الملائكة والمعنى ولقد علمت الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عبادة المخلصين وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لاتقدرون ان تفتنوا على الله احدا

من خلقه الا من كان مثلكم ممن علم الله عز وجل لكفرهم انهم من اهل النار وكيف يكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لايستطيع ان يتجاوزه ونحن الصافون كما مر في اول السورة ونحن المسبحون قال في التفسير الكبير هاتان الجملتان تدلان على الحصر وفيه اشارة الى ان طاعة البشر كالعدم بالنسبة الى طاعة الملك فكيف يجوز ان يقال البشر يقرب درجتهم من درجة الملك فضلا من دعوى الافضلية قلت لاشك ان هذا التركيب بعيد الحصر الا انه لم يعرف من حصر الاول وعلى الثاني كما في الاية وبين عكسه والذي يفيد مدعاه هو العكس لا الاصل فافهم وقيل هذه الايات من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه ثم حكى ان مشركي قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من جملة كتب الاولين اي نظيرها في بيان الشرايع والتكاليف لاخلصنا العبادة لله وان مخففة واللام فارقة فكفروا به الفا للربط اي فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار فكفروا به فسوف يعلمون وخامة عاقبة التكذيب وقيل اراد لو علمنا حال ابائنا وما ال اليه امرهم وكان ذلك كما يقول محمد لامنا به واخلصنا لكنا على شك من حديثه ثم بين ان رسل الله وجنده منصورون غالبون عاجلا واجلا والاول الاكثري والثاني محقق بعيني ثم امر نبيه بالصفح والاعراض الى اوان النصر والغلبة قايلا فتول عنهم اي اعرض عن اذاهم الى حين الامر بالقتال والى يوم بدر عن السدي والى الموت او القيمة وابصرهم وما يقضي عليهم من الاسر والقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة فسوف يبصرونك وما يؤول اليه امرك من النصر والثواب في الدارين وتسلية له كان الحالة الموعودة قدام عينيه قربا وتحققا وسوف في موضع الوعيد لا للتبعيد وكانهم فهموا التسويف فاستعجلوا العذاب توبيخا عليه وكان من عادة العرب ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في اخر وشبه نزول العذاب في ساحتهم بعدما انذروا بالجيش انذر بعض النصحا بهجومه دونه فلم يلتفتوا الى انذاره ولا احدوا اهبتهم حتى اباح بغتا بهم بغتة فشن الغارة عليهم قبل نزول العذاب فتح مكة وعن انس بن مالك لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين الى صباحهم مخصوص بالذم واللام في المنذرين للجنس واعاد ثم تول عنهم ليكون تسلية على تسلية او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الاخرة واطلق الفعل لدلالة الاول او ليفيد فايدة زايدة هي انه يبصر وهم يبصرون ما لايحيط به الوصف من صنوف المسرة فوق المساءة واعلم ان السورة اشتملت على قالة المشركين في الله وعلى ما عاناه المرسلون من جهتهم وعلى ما ال اليه عاقبة الرسل ووعد الله من موجبات الحمد فلا جرم ختمها بكلمات جامعة لتلك المعاني ورب العزة كقوله وقل اللهم مالك الملك او المراد ذي العزة لانها صفته لا مربوب عن ابن عباس انه سمع رجلا يقول اللهم رب القران فانكر عليه وقال القران ليس بمربوب ولكنه كلام الله والظاهر ان قوله عما يصفون متعلق بسبحان كما في قوله سبحان الله عما يصفون وقيل متعلق العزة اي تمتنع عما وصفوه به وقد مر شيء من تحقيق هذه الخاتمة في اخر سورة يونس قال بعضهم انما لم يقل في اخر قصتي لوط والياس ويونس سلام عليهما اكتفاء بقوله في الخاتمة وسلام على المرسلين عن علي كرم الله وجهه من احب ان يكون يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

ص ۝ والقرآن ذي الذكر ۝ بل الذين كفروا في عزة
وشقاق ۝ كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات
حين مناص ۝ وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب ۝ اجعل الآلهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب ۝ وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا
على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ۝ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
ان هذا الا اختلاق ۝ ءانزل عليه الذكر من بيننا بل هم
في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ۝ ام عندهم خزائن
رحمة ربك العزيز الوهاب ۝ ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما فليرتقوا في الاسباب ۝ جند ما هنالك مهزوم من
الاحزاب ۝ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
وثمود وقوم لوط واصحاب ليكة اولئك الاحزاب ۝ ان كل
الا كذب الرسل فحق عقاب ۝ وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة
ما لها من فواق ۝ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ۝ اصبر
على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب ۝ انا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ۝ والطير محشورة كل
له اواب ۝ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وهل اتاك نبؤا الخصم ۝ اذ تسوروا المحراب ۝ اذ دخلوا على داود
ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم

بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ۝ ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء
ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل
ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا و
اناب ۝ فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ۝ يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا
تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله
لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ۝ وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من
النار ۝ ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ۝ كتاب انزلناه اليك
مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ۝ ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد انه اواب ۝ اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد ۝ فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب ۝ ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق ۝ ولقد
فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ۝ قال رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب ۝ فسخرنا
له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ۝ والشياطين كل بناء

وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد * هذا عطاؤنا فامنن
او امسك بغير حساب * وان له عندنا لزلفى وحسن مآب *

القراءة اوتي بالواو ومثل بينكم في العمران عذابي وعقابي بالياء في الحالين يعقوب والسرندي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل ايكة مذكور في الشعراء من فواق بضم الفاء حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح ولي نعجه بفتح الياء حفص والاعشى والبرجمي فبا بتخفيف النون على انه مثنى والضمير للخصمين عباس لنتدبروا بالخطاب احدى الثاني على انه خطاب يزيد والاعشى ويرجى الباقون على الغيبة وادغام تا الفعل في الدال انه اجبت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن بعدي بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو والتاج مجموعة بريد الوقوف ذي الذكر وشقاق مناص منهم لتصريح ذكر الكافرين مع امكان الاكتفاء بالضمير وقد تفقت الجملتان كذاب للاستفهام واتحاد القايل واحد المثل ما عجاب الحكم لما يراد كذلك الاخرة كذلك اختلاف لما قلنا من بينا من ذكري لعطف الجملتين المختلفتين والابتداء بالتهديد عذاب لان ام بمعنى الفاء استفهام انكار الوهاب لان ام يصلح ابتداء انكارا الاسباب الاحزاب الاوتاد الايكة الاحزاب عقاب فواق الحساب الايد للابتداء بان فلا احتمال التعليل اواب والاشراق واناب الخطاب الخصم لان اذ ليس بظرف للاتيان ولناهي الاستهام الى الامراي اذكر ادتسوروا المحراب لان اذ بدل من الاولى لا تخف لحق الحذف اي نحن خصمان مع اتحاد القول الصراط الخطاب نعاجه ماهم واناب ذلك ماب عن سبيل الله الاول الحساب باطلا كفروا للابتداء بالتهديد مع فالتعقيب النار لان ام استفهام انكار كالفجار الالباب سليمان العبد اواب ولا مع الوقف والتقدير اذكر اذ فان او بمعنى مقيد بل مطلق الجياد للعطف رخ لاحتمال ان حتى للابتداء وان يكون انتهاء الحب اي اشرف حب الخير حتى توارت بالحجاب وفيه لحق الحذف تقديره قال ردوها على والاعناق اناب بعدي لاحتمال ان يكون تقديره فانك الوهاب اصاب وغواص الاصفاد حساب ماب التفسير عن ابن عباس ان صاد بحر عليه عرش الرحمن وعن سعيد بن جبير بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين وقيل صدق محمد في كل ما اخبر عن الله وقيل صد الكفار عن قبول هذا الدين وقيل صاد محمد قلوب العباد وقيل هو من الصاد والمعاني ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت في الجبال يؤيده قراءة من قرأ صاد بالكسر ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه والذكر الشرف والشهرة او الموعظة وجواب القسم محذوف كانه قيل بحق القرآن انه معجز وان الحكم لواحد ويجوز ان كان صاد اسما للسورة ان يراد هذه صاد والقرآن يعني هذه التي اعربت العرب بحق القرآن كما يقول هذا حاتم والله يريد هذا هو المشهور بالسخاء والله ثم بين ان الكفار في استكبار عن الاذعان للحق وفي مخالفة الله ورسوله ومعنى بل ترك كلام والاخذ في كلام اخر ولمن سلم انه المغايرة الكلية فالكلام الاول هو كون محمد صادقا في تبليغ الرسالة او كون القرآن او هذه السورة معجزا والحكم المذكور بعد بل هو التعزز والمشاقة في كون ذلك يحصل المطلوب ثم خوف الكفار بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا اي دعوا اموانهم بالدعاء والاستغاثة لان نداء من نزل به العذاب لا يكون الا كذلك وعن الحسن فنادوا بالتوبة كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا ولهذا قيل ولات حين مناص اي لم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب او حين نداء منجى قال سيبويه والخليل التاء في لات زيدة مثلها في ربت وثمت وهي المشبهة بليس وقد تغير حكمها بزيادة التاء حيث لا يدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا اسمها او خبرها وتقديره لا نيه الحين حين مناص ولو رفع لكان تقديره وليس حين مناص حاصلا لهم وقال الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان كانه قيل ولات حين مناص لهم وقيل اصل لات ليس قلبت اليا الفا والسين تاء وقيل التاء بل لحقت بحين قوله شعر العاطفون تحين ما من عاطف * والطعمون زمان ما من مطعم * وإلى هذا ذهب ابو عبيد وناكر هذا الراي عنده حين راى التاء في المصحف متصلا بحين وضعف بعد تسليم انه في الامام كذلك بان خط المصحف غير مقيس عليه اما الوقف على لات فعند الكوفيين بالهاء قياسا على الاسماء وعند البصريين بالتاء قياسا على الافعال والمناص مصدر ناص ينوص اذا هرب ونجا او فات ثم حكى سبحانه شبه عنادهم وقالتهم في خوف

النبي صلى الله عليه وسلم قائلا وعجبوا ان جاءهم منذر منهم اي من جنس البشر ثم سجل عليهم بالكفر ووضع الظاهر موضع المضمر قائلا وقال الكافرون هذا ساحر في اظهار خوارق العادات كذاب على الله وانما قيل في سورة ق فقال الكافرون بالفاء لان المقول هناك هذا شيء عجيب وهو نتيجة التعجب فاتصل الكلامان لفظا ومعنى واما ههنا فلم يتصل الا معنى اجعل الالهة اي صيرها وحكم اليها بالوحدة ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب يروى انه لما اسلم عمر بن الخطاب شق على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الاشراف والرؤساء مشوا الى ابي طالب فاتوه وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فدعا ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك فلا تمل كل الميل على قومك فقال وماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وارفض الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم اتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال له ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد فانزل الله هذه الآيات يعني من اول السورة الى قوله كذبت قبلهم وانطلق الملأ منهم اي امضوا من ذلك المجلس وان مفسرة اي امشوا من غير ان تلفظوا به واصبروا على عبادة الهتكم قال النحويون الانطلاق ههنا متضمن معنى القول لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم وقيل وانطلق الملأ منهم وقال الخيرهم امشوا وقيل انطلقوا بان امشوا اي بهذا القول وليس المراد بالمشي انما المراد المضي على الامر وقيل امشوا وتركوا محمدا وقيل هي من مشت الماشية اذا كثر نسلها مشاء ومنه الماشية للتفاؤل وفي تهذيب اللغة عن الازهري مشى الرجل اذا استغنى فيكون هذا دعاء لهم بالبركة ان هذا الامر وهو استعلاء محمد لشيء يراد اي حكم الله به فلا حيلة في دفعه ولا ينفع الا الصبر او انه شيء من نوائب الدهر اريد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد ان يؤخذ منكم وقيل ان عبادة الاصنام لشيء يؤيده ويحتاج اليه وقيل ان هذا الاستعلاء والترفع لشيء يريده كل واحد وكل ذي همة وقريب منه قول القفال ان هذا كما يذكر للتحذير والتخويف ومعناها انه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين ولكن غرضه ان يستولي علينا فيحكم في اموالنا واولادنا بما يريد ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد في الملة الآخرة فيكون الظرف حالا من هذا اي ما سمعنا والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه من عند نفسه ثم اظهروا الحسد وقالوا منكرين بصدور فاليس اؤنزل عليه الذكر من بيننا تطير في المثل الذي عليه الذكرون بيننا الا انه استعمل هناك الالقاء لان الذكر كان صحفا مكتوبة والواحا مسطورة وقدم الظرف ههنا لشدة العناية ولزيادة غيظهم وحنقهم فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله بل هم في شك من ذكري اي من دلائلي التي لو نظروا فيها لزال الشك عنهم فالقاطع للانبياء وكل المسلمين قيل اراد انهم لا يكذبونك ولكنهم جحدوا اياتي ثم قال بل لما يذوقوا عذاب اي لو ذاقوه ولا ابتلوا على اداء المأمورات والانتهاء عن المنهيات قيل اراد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم العذاب لو اصروا على الكفر ثم انهم اصروا ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم في صدقه فلا جرم قال تعالى انه لا بد من العذاب ثم اجاب عن شبهتهم بوجه آخر وهو قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك والمراد ان النبوة من جملة نعم الله وهو عند يعطيها من يشاء من عباده ثم خص صد النعيم قائلا ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ولا ريب ان هذه الاشياء بعض خزائن الله واذا كانوا عاجزين عن البعض فعن الكل اولى ثم تهكم بهم بقوله فليرتقوا اي فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق وقسمة الرحمة فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوسل بها الى المقصود وقيل اسباب السموات ابوابها والمعنى ان ادعوا ملك السموات وانهم يعلمون ما يجري فيها فليرتقوا اليها قال بعض حكماء الاسلام في الاسباب اشارة الى ان الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلي ثم حقرهم بقوله جند ما وهو خبر مبتدأ محذوف وما مزيدة للاستعظام جارية مجرى الصفة ادهم جند من الجنود ثم خصص الوصف بقوله من الاحزاب اي هم من الاحزاب الذين تحزبوا على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم قال قتادة هنالك اشارة الى يوم بدر وقيل يوم الخندق وقيل فتح مكة لان مكة هي الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وقال اهل البيان هي اشارة الى من قبلهم من الامم المكذبة وقصصهم مذكورة مرارا والذي يختص بالمقام هو انه وصف فرعون بذي الاوتاد فعن قتادة انه كانت له اوتاد وارسان وملاعب يلعب بها عنده وقال الزجاج ابنية طويلة محكمة صارت كالاوتاد لبقائها وقيل هي اوتاد اربعة كان يعذب الناس بها على

لا يعني او على رس احساب اربعه وقيل راد كثرة او ناد خيام معسكره وقيل بادانه وجموع كثيرة فيا لجمعيه يستند
الملك كما يستند البنا بالاوتاد وهذا قريب من قول اهل البيان ان اصل هذا البيت من بنات ابيت المطنب باوتاد
ثم استعير لثبات العز والملك والمقصود على الوجه كلها وصف فرعون بالشدة والقوة ونفاذ الامر ليعلم انه هلك
من كان هذه صفته فكيف بمن هو دونه قال انه البقا قوله اولئك الاحزاب مبتداء وخبره ويجوز ان يكون خبرا
والمبتدا من قوله وعاد او من ثمود او من قوم لوط قلت ويحتمل ان يكون الاحزاب صفة اولئك واولئك بدلا من مجموع
المعطوفات والمعطوف عليه قال جار الله قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم
منهم هم فانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على الوجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية
اعني قوله ان كل الا كذب الرسل فبين ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا
فحق اى ثبت او وجب لذلك عقابي بانهم في الدنيا ثم في الاخرة وذلك قوله وما ينظر هؤلاء المذكورون وقيل اهل
مكة الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى ما لها من فواق اى توقف مقدار فواق وهو بالفتح والضم زمان ما بين حلبتي الحالب عن النبي
صلى الله عليه وسلم العبادة قدر فواق الناقة ومعنى الاية انه اذا جاء وقتها لم يمهل هذا القدر وقيل الفواق
بالفتح الافاقة اى ما لها من رجوع وترداد لان الواحدة يكفي امرهم او ما لها رجوع الى الحالة الاولى بل يبقى مدة الى ان يهلك
كلهم واعلم ان القوم انما تعجبوا الشبهات ثلث وقعت لهم اولها في الالهيات وهو قولهم اجعل الالهة الها واحدا
والثانية في النبوات وهي قولهم انزل عليه الذكر من بيننا والثالثة يتعلق بالمعاد وهي قولهم ربنا عجل لنا قطنا وهو
القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطعه اذا قطعه والقط ايضا صحيفة الجائزة ونحوها لانها قطعة من القرطاس
استعجلوا نصيبهم من العذاب الموعود او من اللذات العاجلة او من الجنة او من صحيفة الاعمال كل ذلك استهزاء منهم
فلذلك امره بالصبر على ما يقولون قال جار الله اصبر على اذاهم وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم واذكر
اخاك داود كيف زل تلك الزلة اليسيرة فعوتب عليها ونسب الى البغي والصبر وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر
قصة داود وما اورثته ذلك من البكاء الدائم والحزن الواصب وقال غيره اصبر على اذى قومك فانك مسلي بذلك كما صبر
ودها سائر الانبياء على ما ابتلاهم به ثم عددهم وبدا بداود وذلك تمنى منزلة اباه ابراهيم واسحق الدرجات واوحي اليه انهم وجد
بالصبر على البلايا فسال الابتلاء وفيه ان الدنيا لا تنفك من الهموم والاحزان واسحق ويعقوب بقدر الصبر
على البليات ثم ان مجامع ما ذكر الله تعالى في قصة داود ثلثة انواع من الكلام الاول تفصيل ما اتاه الله تعالى من
الفضائل الثاني شرح الواقعة التي وقعت له الثالث استخلاف الله تعالى اياه بعد ذلك والاول عشرة اصناف
احدها ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم اياه لعدي به في الصبر وسائر اصول الاخلاق ثانيها تسميته بالعبد مضافا
الى صيغة جمع المتكلم التعظيم والعبودية الصحيحة جامعة لكمالات الممكنات كما سبق مرارا ويمكن ان يكون التلفظ
بذكر اسم العلم ايضا تشريفا له ثالثها قوله ذا الايد اى ذا القوة على الطاعات وعن المعاصي وكان يصوم وكان يصوم
يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل ويحتمل ان يكون ايدا محذوفا اكتفاء بالكسرة ويجمع الايد بمعنى
لان الله انعم عليه ما لم ينعم على غيره رابعها قوله انه اواب اى رجاع في الامور كلها الى طاعة الله ومرضاته من اب يوب
خامسها تسخير الجبال معه وقوله تسبحن حال والاشراق وقت اضاءة الشمس وهو بعيد شروقها عند الضحى يقال شرقت
الشمس ولما تشرق واستدل به ابن عباس على وجوب صلوة الضحى في القران لما روى عن ام هاني دخل علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء ثم توضا ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هاني هذه الصلوة الاشراق قال ابن عباس كانت
صلوة يصليها داود عليه السلام ويحتمل ان يكون معنى الاشراق الدخول في وقت الشروق فيراد وقت صلوة الفجر لا
انتهائه بالشروق قال جار الله سادسها قوله والطير محشورة اى سخرنا الطير مجموعة من كل ناحية قال ابن عباس
كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقد مر ذكر هذه المعجزة في الانبياء
وفي سبا قال اهل البيان قوله محشورة في مقابلة يسبحن ولكنه اختير الفعل في احد الوصفين والاسم في الاخر
لانه اريد في الاول الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال يعني كان السامع يتصورها
بتلك الحالة ولما الحاشر هو الله تعالى وحشر الطيور جملة واحدة ادل على القدرة سابعها قوله كل له اواب اى كل
كل واحد من الجبال والطير لله مسبح رجاع الى طاعة امره بعد امره وهذا الوصف كالتاكيد للوصف الذي تقدمه او هذا
احصن لانه ادل على الموافقة ثامنها قوله وشددنا ملكه اى قويناه بالجنود والاعوان وسائر الاسباب وكان يحرس

محرابه كل ليلة ثلثة وثلثون الف حرس وزاد بعضهم فقال اربعون الفا وقيل نصرناه بالهيبة وسببه ان غلاما ادعى
على رجل بقرة فانكر المدعى عليه ولطم الغلام لطمه فسال داود من الغلام البينة فعجز فراى داود في المنام ان الله تعالى يامره
ان يقتل المدعى عليه ويسلم البقرة الى الغلام فقال داود هذا منام فاتاه الوحي بذلك اليقظة فاخبره بذلك فبنى اسرائيل تحرزوا
وقالوا يقتل رجل بلطمة فقال داود هذا امر الله فسكتوا ثم احضر الرجل واخبره ان الله امره بقتله فقال الرجل صدقت
يا نبي الله اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فقتله داود فعظمت هيبته واستد ملكه وقالوا انه يقضي بالوحي
من السماء تاسعها قوله واتيناه الحكمة وقد تقدم معناها مرارا وانها تحصره في قسمين عاشرها العلم بالتصورات
الحقيقية والتصديقات اليقينية بمقتضى الطاقة البشرية الاول العمل بالاخلاق الفاضلة المفضية الى السعادة
الباقية وخصصها بعضهم بالعلم والفهم او بالزبور والشرائع الثاني فصل الخطاب وهو القدرة على ضبط المعاني
والتعبير عنها باقصى الغايات حتى يكون كاملا مكملا فهما مفهما قال جار الله الفصل بمعنى المفصول ومعناه البين
من الكلام الملخص الذي لا يلبس ولا يخلط بغيره قلت ومن ذلك ان لا يخطي صاحبه مضان الفصل والوصل كما مر ذكره
في الوقوف وعن علي كرم الله وجهه انه قوله البينة على المدعي واليمين على من انكر فالفصل بمعنى الفاصل كالصوم او الفتح
ويندرج فيه جميع كلامه في الاقضية والحكومات او تدابير الملك والمشورات يروى ان الله سبحانه علق لجبله
سلسلة من السماء وامره ان يقضي بها بين الناس فمن كان على الحق ياخذ السلسلة ومن كان على الباطل لا يقدر على اخذها
ثم ان رجلا غصب من اخر لؤلؤة وجعلها في جوف عصاه ثم خاصم المدعي الى داود فقال المدعي ان هذا اخذ مني لؤلؤة ولم
يرده علي واني صادق في مقالتي فجاء واخذ السلسلة ثم قال المدعى عليه خذ مني العصا فاخذ عصاه فقال اني رددت عليه
باللؤلؤة واني صادق في مقالتي فجاء واخذ السلسلة فتحير داود في ذلك فرفعت السلسلة وامره ان يقضي بالبينة واليمين
وهو فصل الخطاب وقيل هو قوله اما بعد وهو اول من تكلم وقيل انه اذا تكلم في الحكم فصل وكل هذه الاقوال تخصيصات من غير
دليل والاقوى ما قدمناه ثم انه سبحانه لما مدحه بالوجوه العشرة اردفه بذكر قصته فقال وهل اتيك يا محمد نبؤ الخصم
اى ما اتاك الان وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها ليكون ادعى الى الاصغاء وللناس
في هذه الواقعة ثلثة اقوال اولها تقريرها على وجه لا يدل على صدور ذنب عن نبي الله وثانيها التقرير على وجه يدل
على صدور الصغيرة عنه واضعفها التقرير على وجه يدل على الكبيرة ويختلف تفسير بعض الالفاظ بحسب اختلاف بعض
المذاهب فلنفسر كلا منها على حدة ولما المشترك بين الاقوال فلنفسره لا الاخرة القول الاول يروى بان جماعة من الاعداء طمعوا
ان يقتلوا نبي الله داود وكان له يوم يخلو بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك وتسوروا المحراب
اى تصعدوا واعرفته من سورة وفي قوله اذ دخلوا عليه اشارة الى انهم بعد التسور دخلوا عليه قال الفراء قد يجاء بالاذ
مرتين ويكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت علي اذا اجترات علي مع انه يكون وقت الدخول وقت الاجتراء
واحدا وحين راهما قد دخلا عليه لا من الطريق المعتاد علم انهم انما كانوا عليه الشر ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان وجمع
الضماير في قوله اذ تسوروا اذ دخلوا ففزع منهم قالوا لا تخف بناء على اقل الجمع اثنان او على ان صحب كل منهما من حملتهما و
الاول اظهر لان القائلين كانا اثنين بالاتفاق بغى بعضنا على بعض اى بغى احدهما على الاخر وتعتمد العدالة ثم قرروا
مقصودهم بثلث عبارات مترادفة احدها فاحكم بيننا بالحق اى بالعدل الذي هو حكم الله فينا وثانيها ولا تشطط
وهو نهي عن الباطل بالتزام الحق والشطط البعد شط واشط لغتان اراد ولا تجر فالجواب البعد عن الحق وثالثها واهدنا
الى سواء الصراط اى وسطه وهو مثل المحض الحق وصدقه وحين اخبروا عن وقوع الخصومة مجملا شرعوا في التفصيل
فقال احدهما مشيرا الى الاخر ان هذا وقوله اخي اى في الدين او الصداقة او الخلطة او النسب قولا وبدل والخبر له
تسع وتسعون نعجة وهي الانثى من الضان ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها اى ملكنيها فاكفلها كما يكفل ما تحت يده
وعزني في الخطاب اى غلبني في المخاطبة وكان بكلمه ابين وبطشه اشد قال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك اضاف
المصدر الى المفعول الثاني وحذف الفاعل والمفعول الاول اى بسؤاله اياك نعجتك وليس السؤال ههنا سؤال الخضوع
والتفضل وانما هو سؤال مطالبة ومعارضة والى متعلقه بفعل دل عليه السؤال تقديره بسؤال نعجتك الى نعاجه او ضمن
السؤال معنى الاضافة كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه الطلب وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا
اموالهم واطلع بسبب ذلك بعضهم على احوال البعض ليبغي بعضهم على بعض وقد يغلب الخلطة في الماشية والشافعي
يعتبرها في باب الزكوة اذا اتحد الفحل والراعي والمراح والمسقى وموضع الحلب فان كانت للخليطين اربعون شاة

فليهما شاه وعند ابي حنيفه لا شي عليهما وان كانت لاحدهما واحدة وللاخر تسع وتسعون فعلى الاول اذا اخرج من ماية
جزء من شاه واحد وعلى الاخر الباقي هذا عند الشافعي وعند ابي حنيفه لا شي على ذي النعجة ثم بين ان اكثر الخلطاء موسوم
بسمة الظلم الا المؤمنين انهم لقليل وما في قوله قليل ما هم مزيده للابهام وفيه تعجب من قليلهم وقال ابن عيسى هي
موصوله اي وقليل الذين هم كذلك وقصد نبي الله بذكر حال الخلطاء في هذا المقام الموعظة الحسنة والترغيب
في اختيار عادة الخلطاء اسوة وظن داود انما فتناه اي ابتليناه وذلك ان القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله
وانه كان سلطانا شديد القوة وقد فزع منهم ثم انه مع ذلك عفا عنهم دخل قلبه شي من العجب فحمله على الابتلاء فاستغفر
ربه من تلك الحالة واناب الى الله واعترف بان اقدامه على تلك الحالة لم يكن الا بتوفيق الله فغفر الله له ذلك الخاطر
او لعله هم بايذا القوم ثم تذكر انه لم يدل الدليل القاطع على انه هؤلاء قصدوا الشر فعفى عنهم ثم استغفر من تلك الهمة او
لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه ان يستغفر الله لهم فاستغفر لاجلهم متضرعا الى الله فغفر ذنبهم بسبب شفاعته
ودعائه ومعنى خر راكعا سقط ساجدا قال الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى لا يركع او المراد منه خر للسجود مصليا لان الركوع
قد يعبر به عن الصلوة ويذهب الشافعي انه هذا الموضع ليس فيه سجدة التلاوة لانه توبة نبي فلا توجب على غيره سجده ولا
يستحب ايضا ومذهب ابي حنيفه بخلافه وجوز مع ذلك ان يكون الركوع بدل السجود هذا تمام تقرير القول الاول ولا يرد
عليه الا ان داود كان ارفع منزلة من ان يتسور عليه بعض احاد الرعية في حال تعبده او يتجاسر عليه بقوله لا تخف ولا
تشطط وانه كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه والاول استبعاد محض واجيب عن الثاني
بانه ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه لكنه لم يذكر في القران ومما يويد هذا القول ختم ذكر الواقعة بقوله فان له عندنا
لزلفى وحسن ماب والزلفى القربة والماب الحسن الجنة قال مالك بن دينار اذا كان يوم القيمة تولى عيني قدمه وموضع في الجنة
ويقال يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا وحاصل التفسير على هذا القول ان
الخصمين كانوا من الانس وكانت الخصومة بينهما على الحقيقة وكانا خليطين في الغنم او كانت الخلطة خلطة الصداقة
والجوار وكان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والعرب تشبه المراة بالنعجة والظبية والشاة
معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله عنها وكانت الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك كما كانوا ايضا يسمون لمواهم
وما بهم وما كان ذنب داود الا خطرة او وهم **القول الاول** ان اهل زمان داود كان يسال بعضهم بعضا ان
ينزل عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته فاتفق ان نظر داود وقع على امراة رجل يقال له اوريا فاحبها فساله النزول
عنها فاستحيى ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انه اعظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن
ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول لكان الواجب عليك مغالبة هواك والصبر على ما امتحنت به و
قيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه وعلى
هذا يجوز ان يكون الخطاب في قوله وعزني في الخطاب من الخطبة اي غالبني في خطبتها حيث تزوجها دوني وعلى هذا
القول يجوز ان يكون الخصمان من الانس كما مر وحين وافق حالهما حال داود تنبه فاستغفر او ان يكونا ملكين بعثهما الله
لينبهه على خطابه فيتدارك بالاستغفار ويرد على هذا ان الملكين لو قالا خصمان بغى بعضنا على بعض لكذبا والملائكة
لا يكذبون ولا يامرهم الله بالكذب والجواب ان التقدير ما تقول لو خصمان قالا بغى بعضنا على بعض او ارايت لو كنا
خصمين بغى بعضنا على بعض اتحكم بيننا ثم صورة المسئلة وتمثيل قضية رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع و
تسعون فاراد صاحبه تتمة المائة وحاجته في ذلك كحاجة حريص على بلوغ مراده قال الحسن لم يكن لداود تسع وتسعون
امراة وانما هذا مثل **القول الثاني** وهو المشهور عند الجمهور ان داود صلوات الله عليه جزا زمانه اربعة
اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل للوعظ والتذكير فجاءه الشيطان
يوم العبادة والباب مغلق في صورة حمامة من ذهب فمد يده لياخذها لابن له صغير فطارت الى قريب منه
وهكذا مرة ثانية وثالثة الى ان وقعت في كوة فتبعها فوقع بصره على امراة جميلة تغتسل فنقضت شعرها فغطى
جسدها فوقع في نفسه منها ما شغله عن الصلوة فنزل عن محرابه ولبست المراة ثيابها وخرجت الى بيتها فخرج داود
حتى عرف بيتها وسال عنها فاخبرته فقال لها هل لك زوج فقالت نعم قال اين هو قالت في جند كذا وكذا فرجع وكتب الى
امير جيشه اذا جاءك كتابي فقدم فلانا في اوائل التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده فتحا او يستشهد
ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن على الشهداء وتزوج امراته فبعث

الله اليه ملكين في صورة انسانين وطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته ومنعهما الحرس فتسورا عليه
المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان بين يديه ففزع منهما وحين وجد قصتهما مطابقة لحاله علم انه مبتلى من الله
يروى انهما قالا حينئذ حكم على نفسه وقيل ضحكا وغابا فعلم الله ابتلاه بذنبه ولا يخفى ان ذنبه لهذا التقرير و
التفسير كبيرة لانه يدل على الافراط في العشق وعلى السعي في قتل النفس ليله بغير حق ويروى انه سجد اربعين ليلة لم
يرفع راسه الا للصلوة المكتوبة ولم يذق طعاما ولا شيئا حتى اوحى الله ان ارفع راسك فاني قد غفرت لك ويروى
ان جبرائيل قال له اذهب الى اوريا وهو زوج المراة واستحل منه فانك تسمع صوته في موضع كذا فاتاه واستحل منه
فقال انت في حل فلما رجع قال له جبرائيل هل اخبرته بجرمك فقال لا قال فانك لم تعمل شيئا فارجع واخبره بالذي
صنعت فرجع داود فاخبره بذلك فقال انا اخصمك يوم القيمة فرجع مغتما وبكى اربعين يوما فاتاه جبرئيل وقال
ان الله يقول انا استوهبك من عبدي فيهبك لي واجزيه على ذلك افضل الجزاء فرضي عنه وكان ما بقي في عمره
باكيا على خطيئته وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها والمحققون كعلي وابن عباس وابن مسعود وغيرهم
ينكرون القصة على هذا روى سعيد بن المسيب والحرث بن الاعور ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال من حدثكم
بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء قلت لا يخفى ان الاحوط
السكوت عما لا يرجع الى طائل بل يحتمل ان يعود قايله الى يوم عاجل وعقاب اجل ومن الدلايل القوية التي اعتمد عليها
فخر الدين الرازي رحمه الله في ضعف هذه الرواية قوله سبحانه ذكر الواقعة يا داود انا جعلناك خليفة في
الارض ومن البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دم اخيه المسلم بغير حق وبانتزاع زوجه وزوجه
منه ثم يقال انا فوضنا الخلافة اليه وعندي ان ذلك عليه لا له لقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
الى اخره وكانه قيل له انا جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله وفي سياسة المدن او تخلفنا
كما قال السلطان ظل الله في الارض واللائق بهذا المنصب السعي في اصلاح حال المسلمين وحفظ وجوههم ودمائهم
واموالهم لا السعي في تحصيل هوى النفس باي وجه يمكن فان صاحبه المعرض عليه ضال المعرض عن اعداد الزاد ليوم المعاد
يحكى عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة
لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الاية وحين تمم
واقعة داود وتصحيحه وما فرض عليه في شان الاستخلاف اشار الى ان الامور الدنيوية التابعة للحركات السماوية
ليست واسعة على الجزاف وبمقتضى الطبايع ولكن لها غاية صحيحة فاجمل هذا المعنى بقوله وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ذلك الذي ذكر من خلق هذه الاشياء بلا غاية ظن الذين كفروا لانهم لانكارهم البعث جحدوا الجزاء الذي هو
غاية التكليف فويل للذين كفروا من النار لانهم بهذه العقيدة وقعوا في نار البعد والقطيعة فلم يستدلوا بالافاق والانفس
على الطبايع نظرهم مامر في اخر ال عمران ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم صرح بالغاية قايلا ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وام منقطعة بمعنى بل والهمزة للانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما زعموا لاستوت
حال الطايفتين المتقي المصلح للارض بتهذيب الاخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية على وفق العقل والشرع
والفاجر المفسد في الارض بهدم النواميس وتتبع الشهوات وهتك الحرمات ومن سوى بينهم كان الى السفه اقرب منه
الى الحكمة ولما بين في هذا المكان التسوية من حيث المالكية وحين ذكر هذه المعاني اللطيفة والقواعد الشريفة من على رسوله
بقوله كتاب انزلناه مباركا كثير المنافع والفوائد ليدبروا اياته ليتاملوا مدلولاتها ويستنبطوا الاسرار والحقايق منها فمن حفظ
حروفه وضيع حدوده كان مثله كمثل معلق اللولو والجوهر على الخنازير قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في
وجه النظم ان العقلاء قالوا من ابتلي بخصم جاهل متعصب وجب عليه ان يقطع الكلام معه والخوض في كلام اخر اجنبي
حتى يشتغل خاطره بالكلام الاجنبي ادرج في اثنائه مقدمة مناسبة للمطلوب الاول فان ذلك المتعصب يسلم هذه
المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في اثبات المطلوب الاول ويصير الخصم ملزما واذا عرفت هذا فنقول ان الكفار
بالغوا في انكار الحشر حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى اصبر على ما يقولون
واقطع الكلام معهم في هذه المسئلة فاشرع في كلام اخر اجنبي في الظاهر وهو قصة داود الى قوله انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق وكل من سمع هذا قال نعم ما فعل حيث امره بالحكم الحق ثم كانه تعالى قال ايها الكفار
لا امرك مع اني رب العالمين الا بالحق فههنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض الا بالحق فعند هذا يلزمه صحة

المقول بالحشر والالزم التسويه بين من اصلح واتقى وبين من افسد وافجر وذلك ضد الحكمة وحين ذكر هذه الطريقه الدقيقه
في الزام المنكرين وافحامهم وصف القران بالبركة والافادة والاشارة لان هذه اللطايف لا يستفاد الا منه وبعد
تتميم قصة ابنه سليمن ومدحه بقوله نعم العبد اى هو نعم فالمخصوص بالمدح محذوف وفي قوله انه اواب كما مر في قصة داود
اشاره الى انه كان شبيها بالاب في الفضيلة والكمال فلذلك استويا في جهة المدح في القصة والقصتان يمكن تقرير
كل منهما كما في واقعة ابيه على وجه لا يقدح في العصمة وهو المختار عند المحققين وعلى وجه دون ذلك وهو الاشهر فلنقرر
كلا منهما بالوجهين بتوفيق الله تعالى **واما الوجه الاول** من الواقعة الاولى فقوله اذ عرض عليه بالعشى
الصافنات وهي جمع صافن وهو الذي يقوم على ثلاث قوايم وعلى طرف الرابعة وهو نعت جيد الخيل وقيل الصافن الذي
يجمع بين يديه وفي الحديث من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوا مقعده من النار اى واقفين مثل خدم الجبابره
والجياد جمع جواد وهو جيد الجري يعني اذا وقفت كانت ساكنه مطمئنه في مواقفها على احسن الاشكال واذا جرت
كانت سراعا في جريها واذا طلبت لحقت واذا طلبت لم تلحق يروى ان رباط الخيل كان مندوبا في شرعهم كما في شرعنا
ثم ان سليمان سلام الله عليه احتاج الى الغزو فجلس بعد صلوة الظهر على كرسيه وامر باحضار الخيل حين التعلق الخير
بها كما جاء في الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة اى اثرت حب الخيل ولزمته لان ربي امرني بارتباطها
ولم يصدر حب هذه المحبه الشديده الا عن ذكر الله وامره والضمير في قوله حتى توارت للخيل اى ما زال تعرض
عليه ويامر باعدايها وتسييرها الى ان غابت عن بصره ثم قال ردوها علي اى امر الرايضين بان يردوا الخيل عليه فلما عادت
عليه طفق يمسح سوقها واعناقها تشريفا لها واظهارا لعزتها من اعظم الاعوان في دفع العدو ولانه كان اعلم
باحوال الخيل وامراضه وعيوبه او اراد اظهار انه بلغ في ضبط امور المملكة الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه وقيل مسح
الغبار عن اعرافها وسوقها بيده وقيل وسم اعناقهن وارجلهن فجعلهن في سبيل الله **واما الوجه الاخر**
في هذه الواقعة فما روى ان سليمان غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه وكان
ابوه اصابها من العمالقه وقيل اخرجه الشياطين من مرج من المروج او من البحر وكانت ذوات اجنحه فقعد يوما بعد
الظهر واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وذلك قوله حتى توارت اى الشمس بدليل ذكر العشي بالحجاب حجاب
الافق وقيل حتى توارت الخيل بحجاب الليل وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي فقال اني احببت حب
الخير وهو مضمن معنى فعل يتعدى بعن اى اثرت حب الخيل عن ذكر ربي او جعلت حبها مغنيا عن ذكر ربي فاغتم لما فات
فاستردها وعقرها تقربا لله وذلك قوله فطفق مسحا قال جار الله اى يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها قال
الجوهري مسحه بالسيف قطعه قلت هل هذا يكون الا اصل مسح بالسيف سوقها باعناقها فقلت لامن الالباس كقولهم
عرضت الناقة على الحوض قال الراوي فقربها الاماثة فما في ايدي الناس الجياد من نسلها وحين عقرها ابدله الله خيرا
منها وهي الريح تجري بامره وقيل الضمير في ردها للشمس والخطاب للملائكة تضرع الى الله عليه الشمس فصلى العصر من محل
الفتح فهذه الروايه هو نسبه سليمان الى حب الدنيا حتى غفل عن الصلوة وضم بعضهم الى ذلك ان قطع اعناق الخيل
وعرقب ارجلها منهي وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبح الحيوان الا لماكله فاجيب بانه فعل ذلك
لانها منعته عن الصلوة او لانه ذبحها للفقراء والمساكين قال الزجاج لم يفعل ذلك الا وقد اباح الله فليس بمنكر قال الامام
فخر الدين الرازي رحمه الله ان الكفار لما بلغوا في الايذاء والسفاهة الى حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قال لنبيه اصبر يا محمد
على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم عقبه قصة سليمان وهذا الكلام انما يكون لائقا لو قلنا ان سليمن عليه السلم اتى في تلك
القصه بالاعمال الفاضله والاخلاق الحميده وصبر على طاعة الله واعرض عن الشهوات فاما لو كان المقصود انه اقدم على الكبيرة
ولم يكن ذكره مناسبا هذا تمام الكلام في الواقعه الاولى **واما الواقعة الثانية** واليها الاشارة بقوله ولقد
فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا فالمحققون يروونه على وجوه **احدها** ان سليمان ولد له ابن فعدا ملك عشرين
سنة فقالت الشياطين ان عاش لم ننخلص من البلاء المسخر فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك سليمان فامر السحاب ان
يحفظه ويغذوه من مضرة الشياطين فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل فيه على ربه
واستغفر ربه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان قال لاطوفن الليله على سبعين امراة
وفي روايه على مايه وفي روايه على الف كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك قوله ولقد
فتنا سليمان **وثانيها** قال ابو مسلم مرض سليمان مرضا شديدا امتحنه الله به حتى صار جسدا على كرسيه ملقى فلما

في المثل لحم على وضم وجسد بلا روح لان الجسد في الاكثر يطلق على ما لا روح له ثم اناب اى رجع الى حالة الصحة و
المشهور عند الجمهور ان الجسد الملقى على كرسيه كان شيطانا جلس على سرير ملكه اربعين يوما وذلك ان ملكه كان في خاتمه
فاخذ الشيطان وقال مجاهد قال سليمان لشيطان يقال له اصف كيف تفتنون الناس قال ارني خاتمك اخبرك فاعطاه اياه فنبذه
اصف في البحر فذهب ملكه وقعد اصف على كرسيه وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال بينما سليمان جالس على شاطى
البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط في البحر وقيل انه وطى امراة في الحيض فذلك ذنبه وفي الكشاف وغيره حكوا ان سليمان
بلغه خبر صيدون وهي مدينه في بعض الجزاير فان بها ملك عظيم الشان فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها جنوده من
الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جراده من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان
لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها
يسجدون له كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصورة وكانت له وليدة يقال لها امينه اذا دخل للطهارة
او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمن على الماس
حين امر ببنا بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينه اعطيني خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان و
عكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمن عن هيئته فاتى امينه لطلب الخاتم فانكرته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان
يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه فمكث على ذلك اربعين يوما عدد ما عبد الوثن
في بيته وكان ذلك الشيطان يقضي بين الناس ويتمكن من جميع ملكه الا النساء وقيل من جميع ملكه ومن نسايه وما يدع
امراة في دمها ولا يغتسل من جنابه فلما اراد الله ان يرد الملك اليه انكر علماء بني اسرايل قضيه قضاها الشيطان فاحضروا
التورية فلما قراوها فر الشيطان والقى الخاتم في البحر فابتلعته سمكه فصادها صايد ووهبها لسليمان واعطاها على
اجرة عمله يوما فاخرج من بطنها الخاتم في اناب اى رجع الى ملكه او تاب ووقع ساجدا ثم ان سليمان ظفر بالشيطان
فجعله في تابوت وسده بالنحاس والقاه في البحر العلماء المحققون ابوا قبول هذه الروايه وقالوا انها من اباطيل اليهود و
الشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل والا ارتفع الامان عن الشرايع والاديان وكيف يسلطهم الله على احاد
عباده فضلا عن انبيائه حتى يغيروا احكامهم ويفجروا بنسائهم واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان يختلف فيه الشرايع والسجود
للصورة اذا كان بغير اذنه فلا عتب عليه وحكى الثعلبي هذه القصه بوجه اقرب الى القبول وهو ان سليمان لما افتتن
باخذ التمثال في بيته سقط الخاتم من يده فاخذه سليمان فاعاده الى يده فسقط فلما راه لا يثبت في يده ايقن بالفتنة
فقال له اصف انك لمفتون فتب الى الله واشتغل بالعبادة وانا اقوم مقامك الى ان يتوب الله عليك فقام اصف
في ملكه اربعة عشر يوما وهو الجسد الذى القى على كرسيه فرد الله اليه ملكه وعن سعيد بن
المسيب ان سليمان احتجب عن الناس ثلثة ايام فاوحى الله اليه يا سليمان احتجبت عن عبادي [illegible] مظلوما من
ظالم ثم ذكر القصة واخذ الشيطان الخاتم ورجوعه اليه ثم حكى الله سبحانه قال رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم الاستغفار
على طلب الملك كما هو دأب الصالحين في تقديم امر الدين على امر الدنيا ولان الاستغفار مجلبة للرزق فان الانسان قلما
ينفك عن ترك الاولى فاذا [illegible] عنه شوم ذلك ببركة الاستغفار انفتح عليه ابواب الخيرات والذين جعلوا الفتنة على
صدور الذنب عنه فوجه الاستغفار عندهم واضح وحمل قوله لا ينبغي لاحد من بعدي على انه سال ملكا لا يقدر
الشيطان على ان يقوم مقامه [illegible] فقد [illegible] يكون معجزة له ومن
شرط المعجزات ان لا يقدر غيره على معارضته [illegible] امته الذين بعث اليهم
[illegible] من بعدي الى يوم القيمة [illegible] لا ينبغي [illegible]
البشر [illegible] طيبات الدنيا [illegible] الشكر فاذا كان ملكه [illegible] ثوابه على الصبر غاية ونهاية
[illegible] حصول الدنيا لا يمنع [illegible] ان ملك سليمان [illegible]
يشتغل بالعبودية ولا يلتفت الى الدنيا [illegible]
الى الغير [illegible] ملك الدين والحكمة وقال اهل البيان [illegible] ذلك
الاعظم [illegible] كما يقول فلان ما ليس لاحد من الفضل والمال [illegible] والاولى هو الاول
بدليل قوله عقيبه فسخرنا له الريح والشياطين [illegible]
اردت ان اربطه [illegible] الشيطان على سارية من سواري المسجد الا اني ذكرت دعوة اخي سليمان [illegible] سليمان

وقيل لله والرخا الرخو اللينه ولا ينافي هذا وصفها بالعصوف في الانبياء فلعلها يختلف باختلاف الاحوال و
الاوقات او هي طيبه في نفسها ولكنها عاصفه بالنسبه الى الرياح المعهوده ومعنى اصاب قصد واراد من لغات
السنتهم وقوله والشياطين معطوف على الريح وقوله كل بناء وغواص بدل الكل من الشياطين كانوا يبنون لاجله
الابنيه الرفيعه ويستخرجون اللؤلؤ من البحر وهو اول من استخرج الدر من البحر واخرين عطف على الشياطين او على كل
داخلا في حكم البدل وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في قيود والسلاسل للتاديب فالكف عن
الفساد والصفد القيد والعطا لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي كرم الله وجهه من برك فقد اسرك ومن
جفاك فقد اطلقك وقيل حقيقته التغويض على الخير والشر قال الحياى ان الشيطان كان كثيف الجسم في زمن
سليمان ويشاهده الناس ثم انه لما توفي سليمان اماتت الله ذلك الجنس وخلق نوعا اخر لطيف الجسم لا يرى
ولا يقوى على الاعمال الشاقه قلت هذا اخبار بالغيب الا ان يكون رواية صحيحه ولم لا يجوز ان يكون اجسام
لطيفه بمعنى عدم اللون ولكنها صلبه بمعنى انها لا تقبل التمزيق والتفريق هذا عطاؤنا اى قلنا لسليمان هذا الملك
عطاؤنا والاضافه للتعظيم وقوله بغير حساب متعلق بالعطاء يعني انه جم كثير لا يدخل تحت الضبط والحصر واعط
منه ما شئت او امسك مفوضا اليك زمام التصرف فيه ويجوز ان يتعلق بالامرين اى ليس عليك في ذلك حرج
ولا يحاسب على ما يعطي ويمنع يوم القيمه عن الحسن ان الله لم يعط احدا عطيه الا جعل فيها حسابا سوى سليمان
فانه اعطاه عطاء هنيا ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعه ويحتمل ان يراد هذا التسخير تسخير الشياطين عطاؤنا
فامنن على من شئت منهم بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق فانت في سعه من ذلك لا تحاسب في اطلاق
من اطلقت وحبس من حبست وحين فرغ من تعداد النعم الدنيويه اردفه بما انعم عليه في الاخرة فقال وان له
عندنا لزلفى وحسن ماب كما في قصه داود وفيه ان ثوابه كفاء ثواب ابيه كما سيجيء والله اعلم **التاويل**
بصاد صمديته في الازل وصاعديه في الوسط وصوريه في الابد اقسم بالقرآن ذي الذكر لان القرآن قانون
معالجات القلوب واعظم مرض القلب نسيان الله فاعظم علاجه ذكر الله ثم اشار الى انحراف مزاج الكفار بمرض نسيان الله
من اللين والسلامة الى الغلظ والقساوة ومن التواضع الى التكبر ومن الوفاق الى الخلاف ومن التصديق الى التكذيب
ومن التوحيد الى تكثير الالهة وفي قوله واصبروا على الهتكم اشاره الى ان الكفار اذا تواصوا فيما بينهم بالصبر و
الثبات فالمؤمنون اولى بالثبات على قدم الصدق في طلب المحبوب الحقيقي ان هذا الشيء يراد في الاذل من القبول
والمردود بل لما تذوقوا عذاب لانهم في النوم فما داموا تنبهوا واحسوا بالالم فحينئذ الحنين لا ينفع العيان ويتوق
الشك يوم لا يجدي البرهان جند ما هنالك فيه النفوس الخبيثه تميل بطبعها الى العلويات الباقيه وكل من الصنفين
جند الخاصيه الى شكله كجذب المغناطيس الحديد له تسع وتسعون نعجه هي اثار تعوض الصفات الربانيه بحسب
الاسماء التسعه والتسعين فلكل منها مظهر في عالم الملك والخلق ولي نعجه واحدة هو ذات الله وحده فقال
اكفلنيها اى صيرني اجمع بين الله وبين ما سواه ثم ههنا اسرار كثيره تفهمها ان شاء الله وظن داود انما
فتناه امتحناه بالجمع بين الدين والدنيا فاستغفر ربه واناب الى الله معرضا عما سواه وهذا التاويل مما خطر
بالى ارجو ان يكون مضاهيا للحق انا جعلناك خليفه في الارض فيه ان الخلافه وعطاء من الله وانها مخصوصة
بالانسان خلق مستعدا لها بالقوة وفيه ان الجعليه يتعلق بعالم المعنى كما ان الخليقه يتعلق بعالم الصورة
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فاطر السموات والارض جاعل الملائكه رسلا
ووجه الخلافه هو ان الروح الانساني اول فيض من بذاته وصفاته فذاته من ذات الله بلا واسطه وصفاته
من صفاته بلا واسطه فخلق الخليفه من لا اصالحا وهو قالبه واعد له عرشا هو القلب ليكون محل استوائه
ونصب له خادما وهو النفس فلو بقي الانسان على فطرة الله لكان روحه مستفيضا من الله قائما بخلافة
الخلق على عرش القلب والقلب قائم بخلافة الروح على خادم النفس والنفس قائمه بخلافة القلب على
القالب والقالب قائم بخلافة النفس على الدنيا وهي ارض الله فلا يجري شيء من الامور الا على نهج الحق وههنا لما
الروح سليمان القلب اذ عرض عليه بالعشي وهو بعد زوال الشمس التجلي الصافنات الجياد وهي مراكب الصفات
البشريه وفي قوله فطفق مسحا اشارة الى ان كل محبوب سوى الله اذا حجبك منه لحظه يلزمك ان تعالجه
سيف لا اله الا الله واليه الاشارة ثانيا بقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا

السموات الجسدانيه فافتتن به فتاب ورجع الى الحضرة فان قيل قوله لا ينبغي لاحد من بعدي هل نبينا و
نبينا صلى الله عليه وسلم قلنا نبينا وله بالصورة لا بالمعنى فان الذي كان مطلوب سليمان من تزكية النفس
عن محبه الدنيا مع القدرة عليها ومن تحليه القلب بعلو الهمه وبذل المال والجاه وافشا العدل والنصفه وغير
ذلك كان حاصلا للنبي صلى الله عليه وسلم من غير زحمه مباشرة صورة الملك والافتنان بدعوة ولذلك لهذا
قال في حديث تسلطه على الشيطان ذكرت دعوة اخي سليمان فتركته وكان يعرض عليه مفاتيح الخزائن
فيقول الفقر فخري على ان صورة الملك ايضا مما سيحصل لبعض امته كما قال وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها والله اعلم

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا اَيُّوبَ اِذْ نَادٰى رَبَّهُ اَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ اُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ
شَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ اَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ
ذِكْرٰى لِاُولِي الْاَلْبَابِ ۞ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ
وَلَا تَحْنَثْ اِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ اِنَّهُ اَوَّابٌ ۞ وَاذْكُرْ
عِبَادَنَا اِبْرٰهِيمَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ اُولِي الْاَيْدِي وَالْاَبْصَارِ
اِنَّا اَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۞ وَاِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ
الْمُصْطَفَيْنَ الْاَخْيَارِ ۞ وَاذْكُرْ اِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ
وَكُلٌّ مِنَ الْاَخْيَارِ ۞ هٰذَا ذِكْرٌ وَاِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَاٰبٍ ۞
جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْاَبْوَابُ ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا
بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۞ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اَتْرَابٌ
هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞ اِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ
هٰذَا وَاِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَاٰبٍ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞
هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۞ وَاٰخَرُ مِنْ شَكْلِهِ اَزْوَاجٌ هٰذَا
فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ اِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۞ قَالُوا بَلْ
اَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ اَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞ قَالُوا رَبَّنَا

من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار ۝ وقالوا ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الأشرار ۝ أتخذناهم سخريا أم زاغت
عنهم الأبصار ۝ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ۝ قل إنما أنا منذر
وما من إله إلا الله الواحد القهار ۝ رب السموات والأرض
وما بينهما العزيز الغفار ۝ قل هو نبأ عظيم ۝ أنتم عنه معرضون
ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون ۝ إن يوحى إلي إلا
أنما أنا نذير مبين ۝ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من
طين ۝ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم أجمعون ۝ إلا إبليس استكبر
وكان من الكافرين ۝ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما
خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ۝ قال أنا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين ۝ قال فاخرج منها فإنك
رجيم ۝ وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ۝ قال رب فأنظرني
إلى يوم يبعثون ۝ قال فإنك من المنظرين ۝ إلى يوم الوقت المعلوم
قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ۝ إلا عبادك منهم المخلصين
قال فالحق والحق أقول ۝ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم
أجمعين ۝ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين
إن هو إلا ذكر للعالمين ۝ ولتعلمن نبأه بعد حين ۝

القراءة مسني الشيطان بسكون الياء حمزة بنصب بضمتين يزيد وقرأ يعقوب بفتحتين وقرأ هبيرة بالفتح
والسكون الباقون بالضم والسكون بخالصة من ذكرى على الاضافة ابو جعفر ونافع وهشام عبدنا ابرهيم على
التوحيد ابن كثير وهذا يكون ابرهيم وحده عطف بيان ما يوعدون على الغيبة ابن كثير وابو عمرو وغساق بالتشديد حيث

كان حمزة وعلي وخلف وحفص واخر بضم الهمزة على الجمع ابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالمد على التوحيد
الاشرار بالامالة والتفخيم مثل الابرار عن ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاشرار بالامالة اتخذناهم موصولة
في الابتداء بكسر الالف ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الاخرون بفتح الهمزة على الاستفهام ما كان بفتح
الياء حفص الا انما بكسر الهمزة على الحكاية يزيد لعنتي الى بفتح الياء ابو جعفر ونافع فالحق بالرفع حمزة وخلف وعاصم غير
المفضل وهبيرة ويعقوب عنده وبين الوقوف ايوب الا اذا جعل بدلا وعذاب النفيد والعول اى فارسلنا اليه
جبرائيل فقال له اركض برجلك لان هذا مبتدأ مع انه تمام القول وشراب الالباب ولا تحنث صابرا العبد اواب
والابصار الدار للابتداء مع العطف الاخيار وذا الكفل من الاخيار ربع الجزء ذكر مآب لان جنات بدل او عطف
بيان الابواب لاحتمال ان عامل متكئين محذوف اى يتنعمون متكئين وان جعل حالا من مفتحة فهي مقدرة لان الاتكاء لا يكون
في حال فتح الابواب وشراب اتراب الحساب من نفاد هذا اى هذا بيان جزاء المتقين او الامر هذا مآب جهنم لان
ما بعده يصلح حالا او استئنافا يصلونها المهاد هذا لان خبره حميم وقوله فليذوقوه اعتراض وغساق للعطف
ازواج معكم لاتصال المعنى مع الابتداء بما في معنى الدعاء بهم النار بكم لنا لقرار النار الاشرار لمن قرأ بكسر الهمزة
لاحتمال الضمار همزة الاستفهام واحتمال كونها جنسية صفة لرجالا ومن صرح بالاستفهام فوقفه مطلق الابصار
النار القهار لان ما بعده يصلح بدلا وخبر المحذوف اى هو رب الغفار عظيم لان ما بعده وصف معرضون يختصمون
مبين طين ساجدين اجمعون ابليس الكافرين بيدي للاستفهام العالين منه لان ما بعده جواب
سؤال طين رجيم الدين يبعثون المنظرين المعلوم اجمعين المخلصين فالحق على قراءة الرفع اى فهذا الحق
مع اتحاد المقول اقول لاحتمال ما بعده قسم مستأنف او بدل من قوله والحق اجمعين المتكلفين العالمين حين ه
التفسير وجه النظم انه تعالى يقول يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا اكثر نعمة ومالا وجاها
من داود وسليمان ولم يكن اكثر بلاء ومحنة من ايوب مع ذلك لم يتغير حالهما وحاله على شيء واحد فالصبر مفتاح الفرج
وايوب عطف بيان واذ معمول اذكر وان سليمان من ايوب اى زمان بلائه وكان معاصرا ليعقوب وامرأته انثا بنت
يعقوب ونداؤه ودعاؤه والجار محذوف اى دعاه بانى مسني على الحكاية والا لقال بانه مسه والنصب والنصب
كالرشد والرشد والنصب بالفتح والسكون على اصل المصدر وضمة الصاد لاتباع النون كقفل وقفل ومعنى الكل
التعب والمشقة قيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال وللناس في بلائه قولان الاول ان الذي
نزل به كان من الشيطان وقد مر تفسيره في الانبياء وجملة ما روي ان ابليس سأل ربه فقال هل في عبيدك من لو
سلطتني عليه يمتنع مني فقال نعم عبدي ايوب فقال فسلطني على ماله وكان يجيئه ويقول هلك من مالك كذا فيقول
الله اعطى الله اخذ ثم يحمد الله فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب
وحدث اسقام عظيم والام شديدة فمكث في ذلك البلاء سبع سنين او ثماني عشرة وصار بحيث استقذره اهل
بلده فخرج الى الصحراء وكان لا يقرب منه احد فجاء الشيطان الى امرأته وقال ان اسجدتني زوجك خلصته من هذا البلاء
فاشارت على ايوب بذلك فغضب لذلك او لوجوه اخر سبق ذكرها في سورة الانبياء وحلف لئن عافاه الله ليجلدنها
مائة جلدة وعند ذلك دعا ربه شاكيا اليه لا منه كقول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله فاجاب دعاءه واوحى
اليه اركض اى اضرب برجلك الارض عن قتادة هي ارض الجابية من قرى الشام فاظهر الله من تحت رجله عينا باردة
طيبة فاغتسل منها فاذهب الله عنه كل داء ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله القول الثاني
ان الشيطان لا قدرة له على ايقاع الناس في الامراض والآفات والا لوقع في العالم مفاسده ولم يدع صالحا الا نكبه
وقد ذكر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فالمراد بمس الشيطان هو الاحزان الحاصلة في قلبه بسبب وسوسته
من تعظيم ما نزل به من البلاء واغرائه على الجزع والقنوط من روح الله في غير ذلك مما مر ذكره في سورة الانبياء ولناصر
القول الاول ان يقول سلمنا ان الشيطان ما استقل له لا يقدر على المفاسد ولكنه لا يجوز ان يقدر عليها بعد الالتماس
والتسليط ولنعد الى التفسير ما يختص بالمقام قوله مغتسل اى هذا مكان يغتسل فيه اى بماء وتشرب منه والظاهر انها
كانت عينا واحدة عذبة باردة وروى بعضهم ان نبعت عينان ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها فبرأ
ظاهره وضرب برجله اليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها فزال ما في باطنه من القروح وزعم ان تقدير الكلام هذا
مغتسل وشراب بارد قوله ووهبنا له اهله ومثلهم معهم قيل احياهم الله باعيانهم وزاده مثلهم من اولاده وقيل

كانوا قد غابوا عنه وتفرقوا فجمع الله شملهم وقيل كانوا مرضى فشفاهم الله والاول اصح وقوله رحمة منا وذكرى مفعول لهما وكانت الهبة رحمة له وتذكيرا لذوى العقول حتى لو ابتلوا بما ابتلى به صبروا كما صبر فيفوزوا كما فاز وانما لم يقل ههنا رحمة من عندنا مع انه ابلغ اكتفاء بما مر في سورة الانبياء وفي قوله وذكرى لاولى الالباب مع قوله في الانبياء وذكرى للعابدين اشارة الى ان ذا اللب هو الذى يعبد الله وتخصيص كل من السورتين بما خص لرعاية الفاصلة قوله وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او سنبلة قال مجاهد هو لايوب خاصة وعن قتادة هو عام في هذه الامة والصحيح انه باق في المريض والمعذور لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة وقد حلل الله يمين ايوب باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها ومعنى وجدناه صابرا علمناه صابرا منه الصبر وههنا نكتة ذكرها بعض ادباء الملوك وهي انه لما نزل في حق سليمان نعم العبد تارة وفي حق ايوب اخرى اغتم امة محمد وقالوا هذا التشريف عظيم وان كان سببه اتفاق مملكة سليمان فنحن لا نقدر عليه وان كان سببه تحمل بلاء مثل بلاء ايوب فنحن لا نطيقه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد انك لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى فان كان منك الفضول فمنى الفضل وان كان منك التقصير فمنى النصرة والتوفيق قلت ووصف انبياء سائر الامم بقوله نعم العبد ووصف هذه الامة بقوله كنتم خير امة فلا تشريف فوق هذا ثم اجمل ذكر طائفة من مشاهير الانبياء ومعنى اولى الايدى والابصار اولى العمل والعلم لان اليد آلة لاكثر الاعمال والبصر آلة لاقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وفيه تعريض بان الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يتفكرون افكار ذوى العرفان هم في حكم الزمنى والعميان ولولا قرينة الابصار لكان يحتمل ان الايدى جمع اليد النعمة وقوله اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار الخالصة صفة او مصدر كالعافية والدار ظرف فهى الدنيا او مفعول فهى الآخرة والمعنى جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وهى ذكر اسم الجنة بحيث لا يشوبون ذكرها بشيء من هموم الدنيا وهى تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها او بسبب خلوص ذكرى الجنة او بما خلص من ذكراها او جعلناهم مخلصين بخصلة صافية عن المنغصات وهى الثناء الحسن في الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم والمصطفين جمع مصطفى واصله مصطفيين لانه في حالة الجر بالياء فقلبت الياء المتحركة الفا ثم حذفت الالف اخترناهم من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير بالتشديد او خير بالتخفيف كاموات في ميت او ميت اسمعيل واليسع وذا الكفل قد مر ذكرهم في سورة الانبياء وحين تمم ذكر الصالحين وما لقى كل منهم من انواع الابتلاء تثبيتا للنبى وهو باب من ابواب التنزيل وهو نوع من انواع القرآن واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر جزاء المتقين والطاغين قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول المصنف اذا فرغ من فصل من كتابه هذا باب ثم شرع في باب آخر ويحتمل ان يكون من تتمة صفات الانبياء اى هذا الذى قصصنا عليك من احوال هؤلاء الانبياء شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا قوله مفتحة حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل قال الزجاج الابواب فاعل مفتحة والعائد محذوف اى الابواب منها وقال غيره في مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل الاشتمال من الضمير تقديره مفتحة هى الابواب نظيره في بدل البعض ضرب زيد اليد والرجل وكان اللام عوض من الضمير الراجع والمعنى ان الملائكة الموكلين بالجنان اذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له ابوابها وحيوه بالسلام فلا يحتاجون الى تحصيل مفاتيح ومعاناة الفتح وقيل اراد به وصف تلك المساكن بالسعة وجولان النظر فيها من غير حائل وقوله متكئين حال مقدرة متداخلة كما مر وحال بعد حال وعامله مفتحة وهو يدعون اى يتحكمون في ثمارها وشرابها فاذا قالوا لشيء منها اقبل حصل عندهم وقيل يتمنون وقيل يتقبلون قال المفسرون اراد و شراب كثير فحذف اكتفاء بالاول وحين بين امر المسكن والماكول والمشروب ذكر امر المنكوح وقاصرات الطرف قد مر في الصافات انهن اللواتى قصرن الطرف عن الالتفات الى غير ازواجهن والاتراب جمع ترب وهى اللدة واشتقاقها قيل من اللعب بالتراب وقيل لان التراب مسهن في وقت واحد والسبب في اعتبار هذا الوصف ان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن وازواجهن واحدة في الاسنان وقيل اراد انهن شواب لا عجوز ولا صبية ويروى انهن بنات ثلث وثلثين ومعنى ليوم الحساب قيل لاجل الحساب لان الحساب علة الوصول الى جزاء العمل والظاهر ان اللام للوقت اى ما وعدتم تعطونه يوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع

ونهاية ولا مزيد فوق ذلك فتمام النعم بدوامها ثم بين ان حال الطاغين مضادة لحال المتقين واكثر المفسرين حملوا الطغيان ههنا على الكفر لانه تعالى يحكى عنهم انهم قالوا اتخذناهم سخريا والفاسق لا يتخذ المؤمن هزوا ولان الطاغى اسم ذم والاسم المطلق محمول على الكامل والكامل في الطغيان هو الكافر ويؤيده قول ابن عباس والمعنى ان الذين طغوا علىّ وكذبوا رسلى لهم شر مصير وحمله الجبائى على اصحاب الكبائر من اهل الايمان وغيرهم لان كل من تجاوز عن تكاليف الله فقد طغى ومنه قوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى والمهاد الفراش وقد مر مرارا وقوله هذا قد مر اعرابه في الوقوف ويحتمل ان يراد العذاب هذا ثم ابتدأ فقال هذا حميم او منه حميم ومنه غساق او هذا فليذوقوه معناه ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله فاياى فارهبون وقيل حميم مبتدأ وهذا خبره والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وذكر الازهرى ان الغاسق البارد ولهذا قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار فالحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقال الزجاج انه المنتن لو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق ويؤيده قول ابن عمر هو القيح الذى يسيل منهم يجتمع فيسقونه وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذى سم من عقرب وحية وعن الحسن هو عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة واخر من شكله اى ومذوقات اخر او عذاب او مذوق آخر من جنس هذا المذوق وازواج اى اجناس ومفتنات صفة لاخر لانه جاز ان يكون مختلفات او صفة للثلاثة المذكورة وهى حميم وغساق وشيء آخر من شكله والمجموع خبر هذا او خبر هو وحين ذكر مسكن الطاغين وماكولهم ومشروبهم حكى احوالهم مع الذين كانوا يعدونهم احباءهم في الدنيا ثم مع الذين كانوا يعدونهم اعداءهم **واما الاول** اى يقول الطاغون بعضهم مع بعض وذلك اذا دخلت امة ثم دخل آخرون والفوج الاول الرؤساء والثانى الاتباع وقيل الاول ابليس وبنوه والثانى ابناء آدم هذا فوج اى جمع كثيف دخل النار في صحبتكم والاقتحام الدخول في الشدة اراد وان اتباعهم اقتحموا معهم العذاب كما اقتحموا معهم الضلالة وقوله لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم ومرحبا نصب على انه مفعول به اى صادفوا رحبا وسعة لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا فاذا دخل عليه صار دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم وقوله انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم اللعن قيل انما قالوا ذلك ولم يصدر من الاتباع ذنب في حقهم قبلهم لان النار تكون مملوءة منهم ولان عذابهم تضاعف بسببهم وقيل هذا اخبار او دعا اى قد وردوا موردا لا رحب فيه ولا سعة وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فيما بين اتباعهم وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اى الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم اى الدعاء الذى دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقوله انتم قدمتموه لنا والضمير لما هم فيه من العذاب او الصلى اى كنتم السبب في العمل الذى هذا جزاؤه مجازين لان الاتباع هم الذين عملوا اعمال السوء لا الرؤساء والعمل هو المقدم لا جزاؤه ومن جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة زعم ان تقدير الكلام هذا الذى دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم لما نحن فيه فبئس القرار اى المستقر النار قالوا اى الفوج الثانى وهو كالبدل لو قالوا الاول الضعف المضاعف كما مر في الاعراف **واما الثانى** فقولهم ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اى في اعتقادنا لان دينهم على خلاف ديننا او ارادوا انهم اراذل لا خير فيهم يعنون فقراء المسلمين وعن بعضهم ان القائلين صناديد قريش كابى جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وبلال وصهيب وامثالهم ومن قرأ اتخذناهم بفتح الهمزة فعلى انه انكار منهم على انفسهم وتانيب لها لاستسخارهم منهم وكذا من قرأ بكسر الهمزة ويقدر همزة الاستفهام محذوفة ومن جعلها صفة لرجالا فلا اشكال وحينئذ يتصل ام زاغت بقوله ما لنا لا نرى الرجال الموصوفين في النار كانهم ليسوا فيها بل زاغت عنهم ابصارنا وخفى علينا مكانهم فلا نراهم وهم فيها فام منقطعة وكذا ان اتصل بقوله اتخذناهم على الاستفهام لان الاول للانكار والثانى للاستخبار ويجوز ان يكون ام متصلة وكلاهما للانكار ومعنى زيغ الابصار ازدراؤهم وتحقيرهم يؤيده قول الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واللام في الابصار عوض من الضمير اى ابصارنا ان ان ذلك الذى حكينا عنهم لحق لا بد من وقوعه لانهم ماتوا الى عالم التضاد فيحشرون كذلك ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار لان التلاعن والتشاتم نوع من انواع الخصومة واعلم انه سبحانه لما بدأ في اول السورة بان محمدا يدعو الى التوحيد وان الكفار يستهزؤن منه وينسبونه الى السحر تارة والى الكذب اخرى ثم ذكر طرفا من قصص

الانبياء ليعلم ان الدنيا دار تكليف وبلاء لا دار اقامة وبقاء ثم عقبه بشرح نعيم الابرار وعقاب الاشرار
عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة وهي صحة نبوة محمد وصدق ما يدعو اليه من التوحيد والاخلاص
فقال قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد من جميع الوجوه القهار لما سواه ثم اردف القهر باللطف والتربية
قايلا رب السموات والارض وما بينهما ثم اكد صفتي القهر واللطف بقوله العزيز الغفار فمن عزته ادخل اهل
الاستكبار النار ولمغفرته اعد الجنة لاهل الاستغفار وقوله قل هو نبأ عظيم اي القول بالنبوة او اثبات
الحشر والقيمة وذلك لان هذه المطالب كانت مذكورة في اول السورة ولاجلها سيق الكلام منجرا الى ههنا و
يحتمل ان يراد كون القران معجزا كما مر في قوله كتاب انزلناه نبأ عظيم وهؤلاء الاقوام اعرضوا عن كل من هذه
الامور ثم بين انه حاصل من قبل الوحي بقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى وهم الملائكة اذ يختصمون اي يتقاولون
فيما بينهم بالوحي والظرف متعلق بمحذوف اي بكلامهم وقت اختصامهم شبه التقاول بالتخاصم من حيث
ان في كل منهما سؤالا وجوابا والمشابهة علة لجواز المجاز ثم صرح بما عليه مدار الوحي قايلا ان يوحى الي الا
انما انا نذير مبين اي انما يوحى الي الا هذا وهو اني نذير كامل في باب التبليغ ويؤيده قراءة من كسر انما وقيل الجار
محذوف اي لم يوح الي الا لاني انذر ولا اقصر روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني الليلة ات
من ربي وفي رواية انه رأى ربه في احسن صورة فقال يا محمد فقلت لبيك ربي وسعديك قال هل تدري
فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا اعلم قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات
وما في الارض قال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الدرجات والكفارات ونقل الاقدام
الى الجماعات واسباغ الوضوء في السبرات المكروهات اي في البرد الشديد وانتظار الصلوة بعد الصلوة ومن
حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته امه الحديث قال والدرجات افشاء السلام واطعام
الطعام والصلوة بالليل والناس نيام واعلم ان اشراف قريش انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد
والكبر فختم الله السورة بذكر قصة ادم وما وقع فيه ابليس من الرجم واللعن حين حسد ادم واستكبر ليصير سماع
القصة زاجرا للمكلفين عن هاتين الخصلتين فعلى هذا يكون اذ قال معمولا لمحذوف اي اذكر وقت قول ربك
للملائكة وقيل النبأ العظيم قصص ادم والانبياء من غير سماع من احد وعلى هذا فالضمير عايد الى ما يذكره عما قريب
المعنى ما احكيه حمل له شان لانه مستفاد من الوحي وقوله اذ قال بدل من اذ يختصمون والملأ الاعلى اصحاب
القصة الملائكة وادم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و
يسفك الدماء كانهم قالوا الا فيما بينهم ثم خاطبوا بها الله سبحانه فلا يلزم ان يكون الله تعالى من الملأ الاعلى و
يثبت له مكانا ويقول المراد علو المرتبة والشرف فيشمل تقاول الله وملائكته وقال الجار الله كانت مقاولة الله
سبحانه بواسطة ملك وكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط وقصة ادم مذكورة في البقرة وفي
غيرها مشروحة والتي في هذه السورة توافق اكثرها ما في الحجر فلا فايدة في اعادتها فلنذكر ما يختص بالمقام
قوله خلقت بيدي كلام المجسمة فيه ظاهر وغيرهم حملوه على وجوه منها ان اليد عبارة عن القدرة يقال ما لي
بهذا الامر يد اي قوة وطاقة ومنها انها النعم ومنها انها للتاكيد وليدل على عدم الواسطة كما مر في قوله مما عملت
ايدينا وقد يقال في حق من حتى بلسانه وان لم يكن له يد هذا بما كسبت يداك والحق فيه ان السلطان العظيم
لا يقدم على عمل شيء بيديه الا اذا كانت عنايته مصروفة الى ذلك العمل فحيث كانت العناية الشديدة من
لوازم العمل باليد امكن جعله مجازا عنها ومنها قول ارباب التاويل انه اشارة الى صفتي اللطف والقهر وهما يشملان
جميع الصفات فلا مخلوق الا وهو مظهر لاحدى الصفتين كالملك فانه مظهر اللطف والشيطان فانه مظهر
القهر الا الانسان فانه مظهر لكليهما وبذلك استحق الخلافة وسجود الملائكة ولهذا جاء في الاحاديث
القدسية لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فيكون قوله استكبرت ام كنت من العالين اي طلبت
الكبر من غير ما استحقاق ام كنت ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين بانه قال انا خير وقيل استكبرت الان
ام لم تزل منذ كنت من المتكبرين ومعنى الهمزة التقرير قوله فالحق من قرأ بالرفع فعلى انه خبر كما مر او مبتدأ محذوف الخبر مثل
لعمرك اي فالحق قسمي لاملأن والحق اقول وهو اعتراض ومن نصبهما فعلى ان الثاني تاكيد للاول وعلى ان الاول للاغراء
اي اتبعوا الحق وهو الله سبحانه او الحق الذي هو نقيض الباطل وقوله منك اي من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك

منهم اي من ذرية ادم واجمعين تاكيد للتابعين والمتبوعين ثم ختم السورة بما يدل على الاحتياط والاجتهاد في طلب
هذا الدين لان النظر اما الى الداعي والى المدعو اليه اما الداعي فلا يسال اجرا على ما يدعو اليه وهو القران او الوحي و
الانباء ومن الظاهر ان الكذاب لا ينقطع نظره عن المال ابدا واما المدعو اليه فقوله وما انا من المتكلفين الذين ينتحلون
ما ليس عندهم ولا دليل لهم على وجوده بل العقل الصريح يشهد بصحته فاني ادعوكم الى الاقرار بالله اولا ثم تنزيهه عما لا
يليق به ثانيا ثم الى وصفه بنعوت الكمال والجلال ثالثا ومن جملة ذلك التوحيد ونفي الانداد والاضداد ثم ادعو الى
تعظيم الارواح الطاهرة وهم الملائكة والانبياء رابعا ثم الى الشفقة على خلق الله خامسا ثم ادعو الى الاقرار بالبعث والقيمة
سادسا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى فهذه اصول معتبرة في دين الاسلام يشهد بحسنها
بداية العقول ويحكم ببعدها عن البطل كل من يرجع الى محصول وهو المراد بقوله ان هو الا ذكر للعالمين عن النبي صلى الله عليه
وسلم للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه اي خبر صدقه القران وما
دعوا اليه بعد حين هو الموت لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقيل هو القيمة وقيل هو حين ظهور الاسلام ولا يخفى ما فيه من التهديد

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝ انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص
والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ۝ ان الله لا
يهدي من هو كاذب كفار ۝ لو اراد الله ان يتخذ ولدا لا
صطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ۝
خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا
هو العزيز الغفار ۝ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها
زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في
بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم

الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ۝ ان تكفروا
فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ انه عليم بذات الصدور ۝ واذا
مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى
ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله
قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ۝ امن هو قانت اناء
الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ۝ انما يتذكر اولوا
الالباب ۝ قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا
فى هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب ۝ قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له
الدين وامرت لان اكون اول المسلمين ۝ قل انى اخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم ۝ قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما
شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين ۝ لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد
فاتقون ۝ والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى
الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون

احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا
الالباب ۝ افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى
النار ۝ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية
تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ۝ الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا
مختلفا الوانه ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى
لاولى الالباب ۝ افمن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد
افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا
ما كنتم تكسبون ۝ كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون ۝ فاذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا و
لعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۝ ولقد ضربنا للناس
فى هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون ۝ قرانا
عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ۝ ضرب الله مثلا رجلا فيه
شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد
لله بل اكثرهم لا يعلمون ۝ انك ميت وانهم ميتون ۝

ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون

القراءة يرضهو بالاشباع ابن كثير وعلي والمفضل وعباس واسمعيل وابن ذكوان وخلف يرضه باختلاس
ضمة الهاء يزيد وسهل ويعقوب ونافع وعاصم غير يحيى وحماد والمفضل وحمزة وهشام وابن مجاهد والنقاش عن ابن
ذكوان الباقون يرضه بسكون الهاء ليضل بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم امن هو بتخفيف الميم
نافع وابن كثير وحمزة وابو زيد يا عبادي الذين بفتح الياء الشموني والبرجمي والوقف بالياء اني امرت فبشر عبادي بفتح ياء
المتكلم فيهما شجاع وابو شعيب وعباس والشموني والبرجمي والوقف بالياء اني اخاف بالفتح ابو جعفر ونافع وابن
كثير وابو عمرو وسلما بالالف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الاخرون بفتح السين واللام من غير الف الوقوف
الحكيم الدين الخالص اولياء لتقدير القول ولو وصل لاوهم ان ما نعبدهم اخبار من الله قاله السجاوندي وعندي
ان هذا وهم بعيد والاولى ان لا يوقف لئلا يفصل بين المبتدأ وخبره زلفى لاحتمال ان خبر المبتدأ وهو ما بعده يختلفون
كفار ما يشاء لتعجيل التنزيه سبحانه القهار بالحق لاحتمال كون ما بعده حالا او الاستئناف احسن والعطف مسمى
الغفار ازواج ثلث الملك تصرفون الكفر لعطف جملتي الشرط مع وقوع العارض لكم اخرى لان ثم لترتيب الاخبار
تعملون الصدور سبيله قليلا والاولى الوصل اذ التقدير فانك النار رحمة ربه الالباب ربكم حسنة واسعة
حساب له الدين المسلمين عظيم ديني دونه يوم القيمة المبين ومن تحتهم ظلل عباده فاتقون البشرى لانقطاع
النظم مع فاء التعقيب عبادي احسنه الالباب العذاب في النار للاية مع الاستدراك مبنية لان ما بعده وصف
الانهار وعد الله الميعاد حطاما الالباب من ربه لحذف جواب الاستفهام من ذكر الله مبين ربهم لان جملة ليت
من صفة الكتاب مع العطف ذكر الله من يشاء هاد يوم القيمة لحق الحذف كما مر يكسبون لا يشعرون الدنيا للابتداء مع
العطف اكبر يعلمون يتذكرون لاحتمال كونه قرانا نصب على المدح او على الحال الموكدة كما مر يتقون متشاكسون لرجل
سلما لله للاضراب مع اتفاق الجملتين ميتون تختصمون التفسير تنزيل الكتاب مبتدأ خبره من الله وقيل اصله هذا
تنزيل الكتاب والجار صلة والاول اقوى لان الاضمار خلاف الاصل ولانه يلزم مجاز اخر وهو كون التنزيل بمعنى
المنزل فان هذا اشارة الى القران او الى جزء منه وهو هذه السورة وفيه ابطال ما يقوله المشركون من ان محمدا يقوله من
تلقاء نفسه وفي قوله من الله اشارة الى الذات المستحق للعبادة والطاعة كقولك هذا كتاب من فلان تعظم شان الكتاب
وفي قوله العزيز اشارة الى ان هذا الكتاب حق بقوله فكتاب العزيز عزيز وفيه انه غني عن ارساله الكتاب والاحكام
به وانما ينتفع به الرسل اليهم وفي قوله الحكيم اشارة الى انه مشتمل على الفوائد الدينية والدنيوية لا على العبث والباطل
وقوله انا انزلنا اليك ليس تكرارا من وجهين الاول ان التنزيل التدريج والانزال الدفعي كما مر مرارا الثاني ان الاول
كعنوان الكتاب والثاني تقرير ما في الكتاب وفي قوله بالحق يعني ان كل ما اودعنا فيه من اثبات التوحيد والنبوة
والمعاد وانواع التكليف فهو حق وصدق مويد بالبرهان العقلي وهو مطابقته للعقول الصحيحة وبالدليل الحسي
وهو ان الفصحاء عجزوا عن معارضته ثم اشتغل ببيان بعض ما فيه من الحق وهو الاقبال على عبادته بالاخلاص
والانقطاع عما سواه بالكلية اما الاول فهو قوله فاعبد الله اي انت وامتك مخلصا له الدين واما الاخلاص
ان يكون الداعي الى العبادة من مجرد الامر لا طلب مرغوب او هرب مكروه واما الثاني فذلك قوله الا لله
الدين الخالص اي وجب اختصاصه بالطاعة من غير ان يشوب ذلك رياء او شرك ظاهر او خفي وحصصه قتادة
فقال الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وحين حث على التوحيد والاخلاص ذم طريقة الشرك والتقليد فقال
والذين اتخذوا والضمير للمشركين ولكن الموصول يحتمل ان يكون عبارة عن المشركين والخبر ما اضمر من القول وقوله
ان الله يحكم بينهم والقول المضمر حالا او بدل فلا يكون له محل كالمبدل وان يكون عبارة عن الشركاء والخبر ان الله
يحكم بينهم والقول المضمر حال او بدل وتقدير الكلام على الاول والمشركون الذين اتخذوا من دون الله اولياء يقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا او المشركون الذين اتخذوا من دونه اولياء قائلين او يقولون كذا ان الله يحكم بينهم وإذا
عرفت التقادير فنقول المراد بالاولياء ههنا الملائكة وعيسى واللات والعزى قال ابن عباس كانوا يرجون
شفاعتهم وتقريبهم الى الله اما الملائكة وعيسى فظاهر واما الاصنام فلانهم اعتقدوا انها تماثيل الكواكب والارواح
السماوية والصالحين ومعنى حكم الله بينهم انه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم مع الاصنام النار واخذ لهم

ان الملائكة وعيسى موجودون وهم مشركون والاصنام يكفرون يوم القيمة لشركهم وهم يرجون نفعهم وشفاعتهم
ويجوز ان يرجع الضمير في بينهم الى الفريقين المشرك والمؤمن ولا يخفى ما في الاية من التهديد ثم سجل عليهم بالخذلان
والحرمان فقال ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم هو زعمهم بشفاعة الاصنام وكفرانهم انهم اشركوا عبادة
المنعم الحق واقبلوا على عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا من جملة كذبهم قولهم الملائكة بنات الله فلذلك عقبه بقوله
فاحتج على ابطال معتقدهم لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وهو الافضل يعني البنين لا الانقص
وهو البنات وقال جار الله لو اراد اتخاذ الولد لم يرد على ما فعل من اصطفاء اتخاذ الاولاد بل البنات واقول انه يصح
اراد ابطال قولهم بطريق برهاني وهو صورة قياس استثنائي كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى لاجل الاتخاذ مما
يخلق ما يشاء لكنه ما اصطفى ينتج انه لم يرد اما الشرطية فظاهرة بعد تسليم كمال قدرته واما الثانية فاشار اليها بقوله
سبحانه هو الله الواحد القهار فقوله سبحانه اشارة الى استحالة اصطفائه شيئا لاجل اتخاذه الولد وقوله هو الله
الواحد القهار اشارة الى البرهان على استحالة ذلك وتقريره من ثلاثة اوجه الاول انه هو الله وهو اسم للمعبود
الواجب الذات الجامع لجميع نعوت الجمال والجلال واتخاذ الولد يدل على الحاجة والفقر حتى يقوم الولد بعده مقامه
او على الاستيناس والالتذاذ بوجه او بغير ذلك من الاغراض وكل ذلك ينافي الوجوب الذاتي والاستغناء المطلق
الثاني انه الواحد الحقيقي كما مر بيانه مرارا والولد انما يحصل من جزء من اجزاء الوالد ومن شرطه ان يكون مماثلا لوالده
في تمام الماهية حتى يكون حقيقة الوالد حقيقة نوعية محمولة على شخصين ويكون تعين كل منهما معلولا لسبب منفصل
وكل ذلك ينافي التعين الذاتي والوحدة المطلقة وايضا ان حصول الولد من الزوج يتوقف على الزوج عادة وهي لا بد
ان يكون من جنس الزوج فلا يكون التزوج مما ينحصر نوعه في شخصه الثالث انه هو القهار والمحتاج الى الولد هو الذي
يموت فيقوم الولد مقامه والميت مقهور لا قاهر فثبت بهذه الدلالة انه تعالى ما اصطفى شيئا ان يتخذه ولدا فصح ان
لم يرد ذلك ونفي ارادة الاتخاذ ابلغ من نفي الاتخاذ فقد يراد ولا يتخذ لمانع كعجز ونحوه هذا ما وصل اليه فهمي في تفسير
هذه الاية والله تعالى اعلم باسرار كلامه وحين طعن في الهية الاصنام عدد الصفات التي بها يستدل على الالهية
الحقة وهي اصناف اولها قوله خلق السموات والارض بالحق اي ملتبسا بالغاية الصحيحة وقد مر مرارا الثاني يكور
الليل على النهار والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها في التشبيه اوجه منها ان الليل والنهار يتعاقبان
فاذا غشي احدهما مكان الاخر وكانما البسه ولف عليه ومنها ان شبه كل منهما اذا غيب صاحبه بشيء ظاهر لف عليه
ما غيبه عن الابصار ومنها ان كلا منهما يكر على الاخر كرورا متتابعا كتتابع اكوار العمامة وقيل اراد به يزيد في كل واحد
منهما بقدر ما ينقص من الاخر من قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من الادبار بعد الاقبال
الثالث قوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى وقد مر مثله في فاطر وغيره وحيث كان الاجل المسمى شاملا
للقيمة عقبه بقوله الا هو العزيز الغفار وفيه ترهيب مع ترغيب الرابع قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
وهما ايتان والخامس تشعب الخلائق المنحصرة من نفس ادم والسادس خلق حوا من ضلعه ومعنى ثم ترتيب الاخبار لان الاولى
عادة مستمرة دون الثانية اذ لم يخلق انثى غير حوا من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع وقيل
ثم متعلق بواحدة في المعنى كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج منها وقيل انه خلق ادم واخرج ذريته
من ظهره ثم ردهم مكانهم ثم خلق بعد ذلك حوا وقيل ثم قد ياتي مع الجملة الاعلى التقدم كقوله ثم اهتدى ثم كان من الذين
امنوا وكقوله صلى الله عليه وسلم فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذي هو خير السابع قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج اما الازواج فهي المذكورة في سورة الانعام من الضان اثنين الذكر والانثى ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن
البقر اثنين واما وصفها بالانزال فقيل انزلها من الجنة وقيل اراد انزل ما هو سبب في وجوده وهو المطر الذي به قوله النبات
الذي به يعيش الحيوان وقيل انزل بمعنى قضى وقسم لان قضاياه وقسمه مكتوب في اللوح ومن هناك ينزل وفي هذه العبارة
نوع تفخيم وتعظيم لافادتها معنى الرفعة والاعتلاء وهذا يقال رفعت القصة الى الامير وان كانت الامير يسير في خمست
هذه الازواج بالذكر لكثرة منافعها من اللبن واللحم والجلد والشعر والوبر والركوب والحمل والحرث وغير ذلك الثامن
قوله يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق والمقصود ذكر تخليق الحيوان على الاطلاق بعد ذكر تخليق الانسان
والانعام الا انه غلب اولي العقل لشرفهم ويحتمل ان يكون ذكر الانعام اعتراضا حسن موقعه ذكر الازواج بعد
قوله جعل منها زوجها ليعلم ان كل حيوان ذو زوج وترتيب التخليق مذكور مرارا كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة

من طين الى قوله احسن الخالقين والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم هو الذي
هذه افعاله ربكم له الملك ومحله اعرابه في فاطر لا اله الا هو اذ لا موصوف بهذه الصفات الا هو فانى تصرفون
اى كيف يعدل بكم عن طريق الحق بعد هذا البيان ثم بين انه غني عن طاعات المطيعين وانها لا تفيد الا انفسهم فقال ان
ان تكفروا فان الله غني عنكم قالت المعتزلة في قوله ولا يرضى لعباده الكفر دليل على ان الكفر ليس بقضايه والا لكان
راضيا به واجاب الاشاعرة بانه قد علم من اصطلاح القران ان العباد المضاف الى الله او الى ضميره هم المؤمنون قال
عباد الرحمن الذين يمشون في الارض عينا يشرب بها عباد الله فمعنى الاية ولا يرضى لعباده المخلصين الكفر وهذا
مما لا نزاع فيه او نقول سلمنا ان كفر الكافر ليس برضا الله بمعنى انه يمدحه عليه ولا يترك اللوم في الاعتراض لا انا
ندعى انه بارادته وليس في الاية دليل على ابطاله ثم بين غاية كرمه بقوله وان تشكروا يرضه لكم والسبب في كلا هذين
يحكمين ما جاء في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وباقي الاية مذكور مرارا مع وصوحه ثم حكى نهاية ضعف
الانسان وتناقض رايه بقوله واذا مس الى اخره ومر نظيره ايضا وقيل ان الانسان هو الكافر الذي تقدم ذكره وقيل
اراد اقوام معينون كعتبة بن ربيعة وغيره ومعنى خوله اعطاه لا لاستجرار العوض قال جار الله في حقيقته وجهان
جعله خايل مال من قولهم وهو خايل مال وخال اذا كان متعهدا له حسن القيام ومنه ما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخول اصحابه بالموعظة ان يتعهد ويتفقد احوالهم ان راى منهم نشاطا
في الوعظ وعظهم الثاني ان جعله خولا اي يفخر كما قال ان الغني طويل الذيل مياس ومعنى نسى ما كان يدعو اليه
اي كشفه او نسي ربه الذي يتضرع اليه فما بمعنى من والمراد انه نسي ان لا مفزع ولا اله سواه ودعا الى اتخاذ الانداد
مع الله واللام في ليضل لام العاقبة ثم هدده بقوله تمتع بكفرك كقوله اعملوا ما شئتم وفيه ان الكافر لا يتمتع بالدنيا
الا قليلا ثم يؤول الى النار ثم اردفه بشرح حال المحققين الذين لا رجوع لهم الا الى الله ولا اعتمادهم الا على فضله فقال
امن هو قانت قال ابن عباس القنوت الطاعة وقال ابن عمر لا اعلم القنوت الا قراة القران وطول القيام والمشهور
انه الدعاء في الصلوة والقيام بما يجب عليه من الطاعة وعن قتادة اناء الليل اوله ووسطه واخره وفيه تنبيه على
فضل قيام الليل ولا يخفى انه كذلك لبعده عن الرياء ولمزيد الحضور وفراغ الحواس من الشواغل الخارجية ولان الليل
وقت الراحة فالعبادة فيه اشق على النفس فيكون ثوابه اكثر والواو في قوله ساجدا وقايما للجمع بين الصفتين
وفي قوله يحذر الاخرة اي عذابها ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان العابد يتقلب بين طوري القهر واللطف
ويتردد بين حال القبض والبسط ولا يخفى ان في هذا الكلام حذفا فمن قرا امن بالتخفيف والخبر محذوف والمعنى
امن هو مطيع كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وبيان عدم الاستواء بين العالم
والجاهل بعده ومن قرا بالتشديد فالمحذوف جملة استفهامية فالمذكور معطوف على المبدا والمعنى اهذا افضل
ام من هو قانت وقيل الهمزة على قراة التخفيف للنداء كما يقول فلان لا يصلي ولا يصوم فيا من يصلي ابشر وقيل النداء
وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله قل هل يستوي الذين لا يعلمون الاية قال جار الله اراد
بالذين لا يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم القانتون وكانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين
يقتنون العلم ثم لا يقنتون ويفتنون بالدنيا ويجوز ان يرد على وجه التشبيه اي كما لا يستوي العالمون و
الجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون قيل نزلت في عمار بن ياسر وامثاله والظاهر العموم وفي
قوله انما يتذكر اولوا الالباب اشارة الى ان التفاوت العظيم بين العالم والجاهل لا يعرفه الا ارباب العقول كما قيل
انما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه قيل لبعض العلماء انكم تزعمون ان العلم افضل من المال ونحن نرى العلماء يجتمعون
على ابواب الملوك دون العكس فاجاب بان هذا ايضا من فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه
والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فتركوه وحين بين عدم الاستواء بين من يعلم وبين من لا يعلم امر نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يخاطب المؤمنين بانواع من الكلام النوع الاول قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم قال
اهل السنة امر المؤمنين ان يضموا الى الايمان التقوى وفيه دلالة على ان الايمان يبقى مع المعصية وقالت
المعتزلة امرهم بالتقوى كي لا يحبطوا ايمانهم بارتكاب الكباير بل يزيدوا في الايمان حتى يتصفوا بصفة الاتقا
ثم بين للمؤمنين فايدة الاتقا قايلا للذين احسنوا الاية وقوله في هذه الدنيا اما ان يكون صلة لما قبله او صلة
لما بعده وهو قول السدي ومعناه على الاول الذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة قال جار الله الظرف بيان

لمكان الحسنة ويحتمل ان يقال انه نصب على الحال للنكرة قدم عليها والقايلون لهذا القول فسروا الحسنة بالصحة
والعافية وضم بعضهم اليها الامن والكفاية ورجح الاول بان هذه الامور قد تحصل للكفار على الوجه الاتم فكيف يحمل
يحمل جزاء المؤمن المتقي وقيل هي الثناء والظفر والغنيمة وقيل نور القلب وبهاء الوجه وفي قوله وارض الله واسعة اشارة
الى ان اسباب التقوى وان لم يتيسر في ارض وجب الهجرة الى ارض يتيسر ذلك فيها فيكون كقوله الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها وعن ابي مسلم هي ارض الجنة لانه حين بين ان المتقي له الجنة وصفها ارض الجنة بالسعة ترغيبا
فيها كما قال يتبوأ من الجنة حيث يشاء انما يوفى الصابرون على مفارقة الاوطان وتجرع الغصص واحتمال البلايا
في طاعة الله وتكاليفه اجرهم بغير حساب اي لا يحاسبون او بغير حصر قال جابر الله عن النبي صلى الله عليه وسلم
ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين
ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا ثم تلا الاية وقال حتى يتمنى اهل العافية
في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء والفضل النوع الثاني قل اني امرت ان
اعبد الله مخلصا له الدين قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين الذي اتيتنا
به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فانزل الله الاية كانه اشارة الى الامر المذكور
في اول السورة فاعبد الله مخلصا له الدين قوله وامرت لان اكون ليس بتكرار لان اللام للعلة والمامور به محذوف
يدل عليه ما قبله والمعنى امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في
في الدارين فتؤول فايدة التكرار الى ذكر التعليل مع نوع تاكيد وقيل اللام بدل من الباء اي امرت بان اكون اول من دعا
اليه غيره ليصح الاقتداء بي في قولي وفعلي ولعل الاخلاص اشارة الى عمل القلب والاسلام الى عمل الجوارح فان النبي صلى
الله عليه وسلم فسره في خبر جبرئيل بالاعمال الظاهرة وفيه انه صلى الله عليه وسلم ليس مثل الملوك الجبابرة والذين يامرون
الناس باشياء ثم لا يفعلونها بل له سابقة في كل ما يامر به وينهى عنه وحين بين ان الله امره باخلاص القلب واعمال
الجوارح وكان الامر يحتمل الوجوب والندب بين ان ذلك الامر للوجوب فقال قل اني اخاف الاية ذلك ان خوف
العقاب لا يترتب الا على ترك الواجب واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره خايفا من العصيان
فغيره اولى قيل المراد به امته وقيل نزلت قبل ان غفر الله له قالت الاشاعرة فيه دليل على ان صاحب الكبيرة قد يعفى
عنه لانه بين ان اللازم عند حصول المعصية خوف العقاب لا نفس العقاب النوع الثالث قل الله اعبد
مخلصا له ديني وليس بتكرار لما قبله وذلك ان الاول للاخبار بانه مامور من جهة الله بالعبادة الخالصة عن
الشرك الجلي والخفي وهذا اخبار بانه اتى بما امر به فانه قد اتى به على اكمل الوجوه ولهذا اخر الفعل وضم الى مضمونه التهديد
بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه النوع الرابع قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه هم
الذين خسروا انفسهم بوقوعها في هلكة لا خلاص بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فلا
فايدة لهم منهم لانهم محجوبون عنهم ولان كلا منهما مشغول بنفسه وان كانوا من اهل الجنة فما ابعد بينهم وقيل اهلوهم
الحور العين في الجنة قالوا امنوا قال اهل البيان في قوله الا ذلك هو الخسران المبين تفظيع لشانهم حيث استانف
الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل وعرف الخسران ووصفه بالمبين قلت التحقيق فيه ان
للانسان قوتين يستكمل باحدهما علما وبالاخرى عملا والالة الواسطة في القسم الاول هي العلوم المسماة بالبديهيات
وترتيبها على الوجه المؤدي الى النتايج وهي بمنزلة راس المال والنتايج بمنزلة الربح بسببه تصرف الناس في راس المال بالبيع والشرى والالة في
القسم العملي هو القوى البدنية وغيرها من الاسباب الخارجية المعينة عليها واستعمال تلك القوى في وجوه اعمال
البر التي هي بمنزلة الربح يشبه التجارة وكل من اعطاه الله العقل والصحة والتمكين ثم انه لم يستفد منها معرفة
الحق ولا عمل الخير فاذا مات فقد فات ربحه وضاع راس ماله ووقع في عذاب الجهل والم البعد عن عالمه والقرب
بما يضاده ابد الابدين فلا خسران فوق هذا ولا حرمان ابين منه وقد اشار الى هذا بقوله لهم من فوقهم ظلل من
النار ومن تحتهم ظلل اي اطباق من النار هي ظلل الاخرين فان لجهنم دركات كما للجنة درجات قال المفسرون سمي النار
ظلة لغلظها وكثافتها فصارت محيطة بهم من جميع الجوانب حايلة من النظر الى شي اخر فلك كما سبق في كونه النار
فوجهه ظاهر ونظره في الاحوال النفسانية احاطة نار الجهل والحرص وساير الاخلاق الذميمة بالانسان وقد
مر في قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل الظلمة

يا على الانسان فسمى ما تحتهم بالظلة اقلالا لاحد الضدين على الاخر ولان التحتانيه مشابهة للفوقانيه في الحرارة
والاحراق ذلك العذاب المعد للكفار يخوف الله به عباده المومنين وفيه ان العباد في القران اذا كان مضافا
الى ضمير الله اختص باهل الايمان عند اهل السنة وعندى انه لا مانع من التعميم ههنا ثم عقب الوعيد بالوعد
قايلا الذين اجتنبوا الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله كما مر في اية الكرسي وقوله ان يعبدوها بدل اشتمال
منه وانابوا الى الله رجعوا بالكليه الى تحصيل رضاه فالاول تخليه والثاني تحليه وحقيقة الاعراض عما سوى
الله والاقبال على الله هي ان يعرف ان كل ما سواه فانه ممكن الوجود لذاته فقير في نفسه وهو سبحانه واجب
الوجود لذاته غني على الاطلاق لا حكم الا له ولا تدبير الا به اولئك لهم البشرى اى هم مخصوصون بالبشارة المطلقة
وهي الحسنى الاولى الصدق الموجب للسرور بزوال المكاره وحصول الاماني ووقتها الموت الذين يتوفاهم الملائكة
طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
وعند لقاء الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وسماع هذه البشارة في الدنيا على السنة الرسل كما يخرجها عن
كونها بشارة في هذه الاوقات لانها في الاول عامه للمكلفين مبهمه فيهم ولا يتعين الا في هذه الاحوال
وقيل هذه الاحوال وقيل هذه انواع اخر من السعادات فوق ما عرفوها وسمعوها نسال الله الفوز بها قال ابن زيد
نزلت في ثلثة نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا اله الا الله زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي
وعن ابن عباس ان ابا بكر امن بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد وسعيد
فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فانزل الله فبشر عبادي الذين يستمعون القول اى من ابي بكر فيتبعون احسنه
وهو لا اله الا الله قال اهل النظم لما بين ان الذين اجتنبوا وانابوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية
لا يصل اليها الا قليلون جعل الحكم اعم اظهارا للرحمة فقال كل من اختار الاحسن في كل باب كان في زمرة السعداء
اهل البشارة وقال جار الله اراد بعباده الذين يستمعون القول الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم اى هم الذين
ضموا هذه الخصلة الى تلك ولهذا وضع الظاهر موضع المضمر وفي الاية دلالة على وجوب النظر والاستدلال
وانه اذا اعترض امران واجب وندب فالاولى اختيار الواجب وكذا الكلام في المباح والندب كالقصاص
والعفو وكل ما هو احوط في الدين مثاله في الاصول القول بان للعالم صانعا حيا عليما قادرا متصفا بنعوت
الجلال له الاكرام وصفات الكمال والتمام اولى واحوط من انكاره وكذا الاقرار بالبعث والجزاء احوط من الانكار
وفي الفروع الصلوة المشتمله على القراءة والتشهد والتسليم وغيرها من الاركان والابعاض المختلف فيها
احوط من الصلوة الفارغه عنها او عن بعضها وقال العارفون يستمعون من النفس الدعوة الى الشهوات ومن
الشيطان قول الباطل والغرور ومن الملك الالهامات ومن الله ورسوله الدعا الى دار السلام فيقبلون كلام
الله ورسوله والخواطر الحسنه دون غيرها وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن
ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفين من يقف على قوله فبشر عبادي ويبتدي الذين
يستمعون وخبره اولئك الذين هداهم الله وهو اشارة الى الفاعل واولئك هم اولوا الالباب اشارة الى ان
جوهر نفوسهم قابله لفيض الهدايه بخلاف من لم يكن له قابليه ذلك وهو قوله افمن حق عليه كلمة العذاب
قال جار الله امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه فهي جملة شرطيه دخل عليها الهمزة للانكار وكررت في الجزا
الثانيه للجزا تاكيدا لمعنى الانكار ووضع من في النار موضع الضمير حيث الجزاء بهم والفا الاولى فللعطف
على محذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق الى اخره ويجوز ان يكون الكلام بعد المحذوف
جملتين شرطية جزاؤها محذوف والثانيه تم جملته والتقدير افمن حق عليه كلمة العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ
من في النار قلت فالكلام على هذا التقدير مشتمل على اربع جمل بيانه بعد همزتي انكار وحذف وفائين والثانية فيتنان
ظاهرتان ومن زعم ان الفا بعد الهمزة لمزيد الانكار لا للعطف فمجموع الاية كما ذكرنا او هي من جملة ثم صرح
بجزاء المتقين فقال لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف وهو كالمقابل لما مر في وعيد الكفار لهم من فوقهم ظلل ومعنى
قوله مبنيه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها وجعلت متساويه في اسباب
التنزه من الاشجار والانهار لا مثل ابنيه الدنيا فان الفوقاني منها يكون اضعف من التحتاني واخف
والتحتاني تجري من تحتها الانهار واما الفوقاني فلا يمكن فيها ذلك قال الحكماء الاسلاميون الغرف المبنيه بعضها

فوق بعض هي العلوم المكتسبة المبنية على الضروريات فانها تكون في الثبات واليقين كالعلوم الضرورية
البديهيه وحين وصف الاخرة بصفات توجب الرغبة فيها اراد ان يصف الدنيا بما يقتضي النفرة عنها فقدم
لذلك مقدمه يستدل بها على حقيه الصانع ايضا فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه اى ادخله في الارض
حال كون ذلك الماء ينابيع مثل الدم في العروق والينابيع جمع ينبوع وهو كل ماء يخرج من الارض وقيل هو الموضع
الذي يخرج منه الماء كالعيون والابار فينتصف على الظرف وقوله ثم يخرج على لفظ المستقبل تصوير لتلك الحالة
العجيبه الثاني وهي اخراج النبات المختلف الالوان والاصناف والخواص بسبب الماء المخالط للارض ثم يهيج اى
يتم جفافه قال الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا ان في
ذلك الذي ذكر من انزال الماء واخراج الزرع بسببه لذكرى لتذكيرا وتنبيها على وجود الصانع الاولى الالباب
وتنبيه ان الانسان وان طال عمره فلا بد له من الانتهاء الى حالة اصفرار اللون وتحطم الاجزاء والاعضاء بل الى
الموت والفنا وانما قال ههنا ثم يجعله حطاما وفي الحديد ثم يكون حطاما لان الفعل هناك مسند الى
النبات وهو قوله اعجب الكفار نباته وههنا مسند الى الله من قوله انزل الى اخره وحين بالغ الى تقرير البينات
الداله على وجود الاقبال على طاعة الله والاعراض عن الدنيا الفانيه بين ان ذلك البيان لا يكمل الانتفاع
به الا اذا شرح الله صدره ونور قلبه فقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ولا يخفى ما في
لفظه على فايده الاستعلاء والتمكن كما مر في قوله اولئك على هدى والخبر محذوف كما ذكرنا في قوله امن هو قانت
يعني بهذا الشخص المنشرح الصدر كمن طبع الله على قلبه يدل عليه ما بعده فويل للقاسيه قلوبهم من ذكر الله اى
من اجل سماع القران وانما عدى بمن لان قسوة القلب يدل على ما بعدها خلوه من فوايد الهداية ويجوز ان يكون
للتعليل وذلك ان جواهر النفوس تختلف فبعضها يكون مشرقا بنور الله يزيدها نور القران بهاء وضياء وبعضها
يكون مظلمه كدره لا ينعكس نور الذكر اليها ولا يظهر صور الحق فيها كالمراة الصدية ثم اكد وصف القران وكيفية
تاثيره في النفوس بقوله الله نزل احسن الحديث عن ابن مسعود ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا
فقالوا له حدثنا فنزلت الاية كلام يتضمن الخبر عن حال متقدمه ووصفه بالحدوث من حيث النزول لا ينافي قدمه
من حيث انه كلام نفسي وجه كونه احسن لفظا ومعنى مما لا يخفى على ذي طبع فضلا عن ذي ذهن وقوله كتابا بدل من
احسن او حال من موطئه ومعنى متشابها انه يشبه بعضها بعضا في الاعجاز اللفظي والمعنوي والنظم الانيق و
الاسلوب العجيب والاشتمال على الغيوب وعلى اصول العلوم كما مر في اول البقرة في تفسير قوله مثاني جمع مثنى او مثنى
بمعنى مكرر لما ثني من قصصه واحكامه ومواعظه او لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كقوله ولا يخلق على
كثرة الرد وقيل الثاني ومعنى اقشعرار الجلد تقبضه قال جار الله تركيبه من حروف الشنع وهو الاديم اليابس
مضموما اليها الله ليصير رباعيا دالا على معنى زايد وهو تمثيل لشدة الخوف او هو حقيقة بسبب الخوف قال
المفسرون ان المراد انهم عند سماع ايات العذاب يخافون فيقشعر جلودهم وعند سماع ايات الرحمة والاحسان او تذكر
لرافته وان رحمته سبقت غضبه تلين جلودهم لانا وقلوبهم ومعنى الى في قوله الى ذكر الله وهو انه ضمن لان
معنى سكن واطمان وقال العارفون اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم امر من عالم الجمال عاشوا وقال
اهل البرهان اذا اعتبر العقل موجودا لا اول له اخر ولا خير ولا جهه وقع في نادبه التحير والهيبة واذا اعتبر
الدلايل القاطعة على وجود اواجب لذاته واحد في صفاته وافعاله اطمان قلبه اليه قال جار الله انما ذكرت الجلود
اولا وحدها لان الخشية تدل على القلوب لانها محل الخشية وكانه قيل تقشعر جلودهم بعد خشية قلوبهم ثم انا
ذكروا الله مبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجا في قلوبهم بالقشعريرة لينا في جلودهم ويحتمل
ان يقال المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف ومحل المكاشفات وهو القلب فلذلك اختص
ذكر القلوب بجانب الرجا ثم اشار الى الكتاب المذكور بقوله ذلك هدى الله كقوله هدى للمتقين ثم بين
ان للقاسيه قلوبهم حالين اما في الدنيا فالضلال العام وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد واما في
الاخرة فقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اى شدته والخبر محذوف وهو كمن امن العذاب وانقا
العذاب بوجهه اما حقيقة وذلك بان يكون يده مغلولة الى عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه
واما ان يكون كناية عن عجزه عن الاتقا وذلك ان الانسان اذا وقع في نوع من العذاب فانه يجعل يديه

لوقاية لوجهه الذي هو اشرف الاعضاء وكانه قيل لا يقدرون على الاتقاء الا بالوجه والاتقاء بالوجه غير ممكن فلا
اتقاء اصلا وقيل للظالمين بالقايلون هم خزنة النار قوله كذب الذين من قبلهم تصوير بحال اشباههم من الامم الخالية
بينا هم امنون اذا اخذهم العذاب والخزي في الدنيا كالمسخ والقتل ونحوهما ثم بين بقوله ولقد ضربنا الى اخر
الاية ان هذه البيانات بلغت في الكمال الى حيث لا مزيد عليه ثم ضرب من امثال القران مثلا يفتح طريقه اهل
الشرك وهو رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء متشاكسون اي كلهم سيئ خلقهم في استخدامه وهم مختلفون
في ذلك يامره هذا بشيء وينهاه الاخر عن ذلك الشيء بعينه والشكاية سوء الخلق والاختلاف ورجلا سالما لرجل
اي خالص من الشركة ومن قرأ بغير الف حذف المضاف اي ذو سلامة وذو خلوص من الشركة قال جار الله انما جعله
رجلا ليكون افطن لما يشقى به او يسعد فان المراة والصبي قد يغفلان عن ذلك قلت لا ريب ان الرجل اصل في كل
باب فجعله مضرب المثل اولى نظيره واضرب لهم مثلا رجلين احدهما ابكم ثم استفهم على سبيل الانكار بقوله هل
يستويان مثلا وهو تمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما وافرد التمييز على الواحد لقصد الجنس والمراد
تجهيل من يجعل المعبود متعددا فليس رضى واحد كطلب رضى جماعة مختلفين وحاصله يرجع الى دليل التمانع
كما مر في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال اهل العرفان الشركاء كالمتشاكسين يجاذب شغل الدنيا
العيال وغير ذلك من الاشغال فان ذلك الرجل من ليس له في الدنيا نصيب ولا له في الخلق نسيب وهو عن
الاخرين غريب والى عن الله قريب وقوله الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون كما مر في لقمان قوله انك ميت وجه
النظم انه سبحانه كانه قال ان هؤلاء الاقوام ان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم
في الدنيا فلا تبال يا محمد بهذا فانك ستموت وهم ايضا يموتون الى الموت فلو انهم يتربصون بك الموت فان الموت
يعم الكل فلا معنى لشماتة المرء بعيدهم فان صاحبه ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون يحتج عليهم بانك قد
بلغت وهم يعتذرون بالاباطيل نحنه وقد تخاصم الكفار بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي وقد يقع
الاختصام من اهل الملة في الدنيا والعالم الى بينهم

فمن اظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق اذ جاءه
اليس في جهنم مثوى للكافرين ● والذي جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون ● لهم ما يشاءون عند
ربهم ذلك جزاء المحسنين ● ليكفر الله عنهم اسوأ الذي
عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون ● اليس
الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله
فما له من هاد ● ومن يهد الله فما له من مضل ● اليس الله بعزيز
ذي انتقام ● ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضرّ

او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله
عليه يتوكل المتوكلون ● قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اني عامل فسوف تعلمون ● من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم ● انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن
اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم
بوكيل ● الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ● ام اتخذوا من دون
الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه
ترجعون ● واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون ● قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون ● وبدا لهم سيات ما كسبوا وحاق بهم ما
كانوا به يستهزءون ● فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا
خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن

اكثرهم لا يعلمون • قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون • فاصابهم سيئات ما كسبوا
والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما
هم بمعجزين • اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون • قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم • وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون • واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب
بغتة وانتم لا تشعرون • ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت
في جنب الله وان كنت لمن الساخرين • او تقول لو ان الله
هداني لكنت من المتقين • او تقول حين ترى العذاب لو ان
لي كرة فاكون من المحسنين • بلى قد جاءتك اياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين • ويوم القيمة ترى
الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى
للمتكبرين • وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون • الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل
له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات الله
اولئك هم الخاسرون • قل افغير الله تامروني اعبد ايها

الجاهلون • ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين • بل الله فاعبد وكن
من الشاكرين • وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى
عما يشركون • ونفخ في الصور فصعق من في السموات و
من في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون • واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون • ووفيت
كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون • وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت
كلمة العذاب على الكافرين • قيل ادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين • وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا • حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين • وقالوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
فنعم اجر العاملين • وترى الملائكة حافين من حول العرش
يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

القراءة عباده على الجمع يزيد وحمزة وعلي وخلف ادعي الله بسكون الياء حمزة كاشفات بالتنوين ضره بالنصب وهكذا ممسكات رحمته ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالاضافة فيهما عليهما مكاناتكم الموت بالرفع حمزة وعلي وخلف يا عبادي الذين اسرفوا بسكون الياء حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وسهل ويعقوب الجميع بالياء والاخفى يا حسرتاي بياء بعد الالف يزيد الاخرون بالالف وحدها وينجي الله بالتخفيف روح بمفازاتهم على الجمع وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل يأمرونّي بالتشديد النون وفتح الياء ابن كثير يأمرونني بنونين وسكون الياء ابن عامر يأمروني بنون واحدة وفتح الياء ابو جعفر ونافع الباقون بالتشديد النون وسكون الياء ليحبطن بالنون من الاحباط عملك بالنصب يزيد الاخرون على الغيبة وفتح العين عملك بالرفع وسيق بالسين وكسر ابا وابن عامر وعلي ورويس فتحت بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل في الحرفين **الوقوف** الجزء الرابع والعشرون اذ جاءه للكافرين المتقون عند ربهم المحسنين لاحتمال تعلق اللام بمحذوف كانه قيل ما يفعلون عند ربهم من دونه من هاد مضل انتقام ليقولن الله رحمته حسبي الله المتوكلون عامل لابتداء التهديد مع فاء التعقيب يعلمون مقيم بالحق لاختلاف الجملتين فلنفسه عليها للابتداء بالنفي مع العطف بوكيل في منامها مسمى يتفكرون شفعاء تعقلون جميعا والارض بناء على ان ثم لترتيب الاخبار ترجعون بالاخرة فصلا بين الجملتين مع اتفاقهما لتطلما يستبشرون يختلفون القيمة يحتسبون يستهزءون دعانا فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق الجملتين مثلا لان ما بعده جواب على علم لا يعلمون يكسبون ما كسبوا الاولى الثانية لان الواو للحال بمعجزين ويقدر يؤمنون رحمة الله جميعا الرحيم لا تنصرون لا تشعرون الساخرين المتقين المحسنين الكافرين مسودة للمتكبرين بمفازتهم لاحتمال الاستيناف والحال والوجه يحزنون كل شيء للفصل بين الوصفين مقاليد انما وكيل والارض الخاسرون الجاهلون من قبلك لحق العظيم المحذوف الخاسرين الشاكرين بيمينه يشركون شاء الله بيانا للتراخي النفخة الثانية عن الاولى مع اتفاق الجملتين ينظرون لا يظلمون يفعلون زمرا هذا الكافرين فيها المتكبرين زمرا خالدين نشاء العاملين ربهم لان الماضي لا ينعطف على المستقبل ولاحتمال جعله حالا اي وقد قضي بين الحق العالمين **التفسير** لما ضرب لعبدة الاصنام مثلا اشار الى نوع اخر من قبايح افعالهم وهم انهم يضمون الى كذبهم على الله باضافة الشرك والولد اليه تكذيبهم بالصدق يعني الامر الذي هو الصدق بعينه اي القران ومعنى اذ جاءه انه لم يتاخر طريقه الانصاف والتدبر لكنه كما سمع به فاجاءه بالتكذيب واللام في قوله للكافرين هؤلاء المعهودين الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق قاله جار الله و يحتمل ان يكون للعموم فيشملهم وغيرهم من الكفرة وحين بين وعيدهم عقبه بوعد الصالحين المصدقين وهم الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل الرسول وابو بكر والعموم اولى لقوله اولئك المتقون قوله ليكفر ظاهره متعلقه بيشاؤن فيكون لام العاقبة ويحتمل بمحذوف اي جزاءهم او اكرمهم لاجل ذلك قال جار الله الاسوء ههنا ليس للتفضيل وانما هو كقولهم الاشج اعدل بني مروان وفايدة صيغة التفضيل استعظاما منهم القبيحة حتى ان الصغاير عندهم اسوء اعمالهم وقال بعض المفسرين اراد به الكفر السابق الذي يمحوه الايمان واستدل مقاتل وكان شيخ المرجئة بهذه الاية فانها تدل على ان من صدق الانبياء فانه تعالى يكفر عنه اسوء الاعمال التي بها بعد الايمان والوصف بالتقوى وفيه نظر ثم انهم كانوا يخوفون المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم ببعض الهتهم وتحقيرها روي انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا الى العزى يكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها شدة فعمد خالد اليها فهشم انفها فانزل الله اليس الله بكاف عبده اي نبيه دليل قوله ويخوفونك ومن قرأ على الجمع فهي للعموم والايات الى قوله بوكيل ظاهرة مع ما سبق ذكرها مرارا والعذاب المخزي يوم بدر والعذاب المقيم العذاب الدائم في الاخرة ومدار هذه الاي على تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ثم اكد كون الهداية والضلالة من الله تعالى بقوله يتوفى الانفس وذلك ان الحيوة واليقظة تشبه الهداية والموت والنوم يشبهان الضلال فكما ان الحيوة والموت واليقظة والنوم لا يحصل الا بخلق الله وتكوينه فكذلك الهداية والضلالة ولا يعرف بهذه الدقيقة الا عارف بسر الله في القدر ومن عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب ففيه تسلية اخرى للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل في وجه النظم انه تعالى اراد ان يذكر حجة اخرى على اثبات الاله العليم القدير ليعلم انه احق بالعبادة من كل ما سواه فضلا عن الاصنام ومعنى الاية ان الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها قال جار الله اراد بالانفس الجملة

كالحي لانها هي التي تنام وتموت ويتوفى الانفس مرتين مرة عند موتها فيكون في تعلقه بيتوفى مستعملا في الاول حقيقته وفي الثاني مجازا ولم يجوزه كثير من ائمة الاصول وقال الفراء في متعلقه بالموت تقديره ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها عند انقضاء اجلها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى وقال حكماء الاسلام النفس الانسانية جوهر مشرق نوراني اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الاعضاء ظاهرها وباطنها وهو الحيوة واليقظة واما في وقت النوم فان ضوءه لا ينقطع الا عن باطن البدن وينقطع عن ظاهره ويبقى الحيوة التي بها النفس وعلى القوى البدنية في الباطن ويبقى ما به التمييز والعقل واذا انقطع هذا الضوء بالكلية عن البدن فهو الموت ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا عن القادر الحكيم الذي لا شريك له في ملكه ولا نظير فلهذا ختم الاية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ثم كان المشركون يعبدون الاصنام لانها تماثيل اشخاص كانوا عند الله مقربين نحن نرجوا شفاعتهم فانكر الله عليهم بقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء والهمزة بمعنى بل والهمزة للانكار وتقديره ان هؤلاء الكفار اما ان يطمعوا في شفاعة تلك التماثيل واما في شفاعة من هذه التماثيل تماثيلهم والاول باطل لان هذه الاصنام جمادات لا تملك شيئا ولا تعقل واشار الى هذا المعنى بقوله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون والثاني ايضا مستحيل لان يوم القيمة لا يشفع احد الا باذنه واشار الى ذلك بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون يوم القيمة ولا يملك في ذلك اليوم الا الله ثم ذكر نوعا اخر من قبايح افعال المشركين فقال واذا ذكر الله وحده اي منفردا ذكره عن ذكر الهتهم اشمأزت اي نفرت وانقبضت منه قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه سوى ذكر الله معهم او لم يذكر اذا هم يستبشرون اي فاجاءوا وقت ذكر الهتهم وقت استبشارهم وفي الاية طباق ومقابلة لان الاستبشار ان تمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر اثره في بشرته والاشمئزاز ان تمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه وذلك لاحتباس الروح الحيواني في القلب وقيل معنى الاية انه اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لالهتهم وفي بعض التفاسير ان هذا اشارة الى ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم وسوس الشيطان اليه بقوله تلك الغرانيق العلى لشفاعتهن لترتجى فاستبشر المشركون وسجدوا كما حكى عنهم هذا الجهل الغليظ والحمق الشديد وهو الاشمئزاز عن ذكر من ذكره راس السعادات وعنوان الخيرات والاستبشار بذكر اخس الاشياء وهي الجمادات امر رسوله بهذا الدعاء اللهم فاطر السموات والارض وهو وصفه بالقدرة التامة عالم الغيب والشهادة وهو نعته بالعلم الكامل وانما قدم وصفه بالقدرة على وصفه بالعلم لان العلم بكونه قادرا متقدم على العلم بكونه عالما كما بين في اصول الدين وقد اشرنا الى ذلك فيما سلف انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يعني ان نفرتهم من التوحيد وفرحهم بالشرك امر معلوم الفساد ببديهة العقل فلا حيلة في ازالته الا بالاستعانة بالقدير العليم عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلوته بالليل فيقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى صراط مستقيم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين عليه السلام وقالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال اوقد فعلوا وقرأ هذه الاية وروي انه قال على اثره قتل من كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ثم ذكر وعيدهم على ذلك المذهب الباطل بقوله ولو ان للذين ظلموا اي بالشرك وقد مر نظير الاية مرارا اوسطها في ال عمران وقوله فيهم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون نظير قوله في اهل الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات يروى ان محمد بن المنكدر جزع عند موته فقيل له في ذلك فقال اخشى اية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم يكن في حسابي وعن سفين الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ثم صرح بما انهم قائلا وبدا لهم سيئات ما كسبوا وما موصولة او مصدرية اي ظهرت لهم سيئات اعمالهم التي اكتسبوها او سيئات كسبهم وذلك عند عرض الصحايف او غير ذلك من المواقف وجوز اهل البيان ان يراد بالسيئات جزاء افعالهم كقوله وجزاء سيئة سيئة وانما قال في الجاثية سيئات ما عملوا لمناسبة الفاظ العمل وههنا قد وقع بين الفاظ الكسب ثم حكى نوعا اخر من قبيح افعالهم قائلا فاذا مس الانسان وقد مر مثله في مواضع اقربها اول السورة الا انه ذكرها ههنا بفاء التعقيب لان هذا ما قصد لما حكى عنهم من كونهم يشمئزون عن ذكر الله وحده فكيف التجاؤا اليه وحده

عند ضرتصيبهم ومعنى اوبينه على علم عندى وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الاثم
الحاليه قايلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الاموال ومن المعاصي واشار بقوله هولاء الى اهل
اصابهم قيل في يوم بدر وغيره حبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم
اولم يعلموا ان الباسط والقابض هو الله وحده وذلك ان انتها الحوادث السلسله تجب الى اراده ومشيته ذلك انه
هذا بتوسيط عالم الاسباب وان يكون للكواكب كلها تاثيرات في عالمنا هذا باذن مبدعها وفاطرها وقول
الشاعر شعر فلا السعد يقضي به المشترى ؛ ولا النحس يقضي علينا زحل ؛ ولكنه حكم رب السماء وقاضي القضاة
تعالى وجل تلامى عن ربعن واستبصار في القدر والذى يشكل به الامام فخر الدين من انه قد يولد انسانان في
طالع واحد ثم يصير احدهما في غاية السعادة والاخر في غاية الشقاوة كلام غير معقول لانا لو سلمنا وقوع ذلك فلا خلاف
القايل وليس تاثير الفاعل السماوي في طالع ولد لهما من وكذا الاختلافات اخر لا نهاية لها ثم لو ادعى عشرا والجميع
الجزئيات فلا نزاع في ذلك الا ان المنتفع بما يستشفع به عليه ان يقنع بما يحصل اليه فهمه فلكل شئ حد و
فوق كل ذى علم عليم وحين اطنب في الوعيد اردفه ببيان كمال رحمته ومغفرته فقال يا عبادى الذين اسرفوا على
انفسهم عن ابن عباس ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له وقد
عبدنا الاوثان وقتلنا الانفس فانزل الله هذه الايه وعن ابن عمر نزلت في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر
فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت بالمدينة في الوحشي وقد سبق ثم قلنا العباد عام فالاسراف على النفس من الشرك
ولا نزاع ان عدم الياس من الرحمة يكون مشروطا بالتوبة والايمان وان قلنا العباد المضاف عرف القرآن يختص
بالمومنين فالاسراف اما بالصغاير والاختلاف في انها مكفرة اما اجتنب الكباير واما بالكباير فقد وقع النزاع بين
الفريقين فالمعتزلة شرطوا التوبة والاشاعرة العفو وقد مر مرارا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب
ان لي الدنيا وما فيها بهذه الايه فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات
رواه في الكشاف وعلى هذا يكون مخصوصا بشرايط الايمان ولا يخفى ما في الايه من موكدات الرجاء وهنا
تسمية المذنب عبدا والعبودية تشعر بالاختصاص مع الحاجة والاليق بالكريم الرحيم افاضة الجود والرحمة على
المساكين وثانيها من جهة الاضافة الموجبة للتشريف وثالثها من جهة وصفهم بقوله الذين اسرفوا على انفسهم
كانه قال يكفيهم من تلك الذنوب عود مضرتها عليهم لا على ورابعها نهيهم عن القنوط والكريم اذا امر بالرجاء فلا
يليق به الا الكرم وخامسها قوله رحمة الله مع امكان الاقتصار على الضمير ان يقول من رحمتي فايراد اشرف الاسماء
في هذا المقام تدل على اعظم انواع الكرم واللطف وسادسها تكرار اسم الله في قوله ان الله يغفر الذنوب
مع تصدير الجملة بان وقع ايراد صيغة المضارع المنبيه عن الاستمرار ومع تاكيد الذنوب بقوله جميعا والحال
كونها مجموعة وسابعها اردف الجملة بقوله انه هو الغفور الرحيم مع ما فيه من انواع الموكدات ومع جميع ذلك
لم يخل الترغيب عن الترهيب ليكون رجاء المومن مقرونا بالخوف فقال وانيبوا الى ربكم واسلموا له وذلك ان الاشاعرة
ايضا يجوزون ان يدخل صاحب الكبيرة النار ثم يخرج منها ومع احتمال هذا العذاب يجب الميل الى الانابة والاخلاص
في العمل على ان الخوف للتقصير في الطاعة تكفي من الخوف للتصريح بالمعصية والصديقون في الاول منه وجه
عن الثاني وقال بعضهم ان الكلام قديم على الاية الاولى ثم خاطب الكفار بهذه الاية من قوله وانيبوا والمراد
بالعذاب في الموضعين اما عذاب الدنيا كما للامم السالفة واما الموت لانه اول اهوال الاخرة وقوله احسن ما انزل
اليكم كقوله يستمعون القول فيتبعون احسنه وقد مر الاقوال فيه وفيه تخويف بالعذاب كانهم لا يشعرون
العذاب ماذا يقولون فذكر ثلثة انواع من الكلمات الاول ان يقول والتقدير ان تقول نفس العذاب المذكور واضمر
ان يقول اولئلا يقول قال جار الله انما نكرت نفس لان المراد بها بعض الانفس الكافرة ونوع من الانفس تميز من الجملة
في الكفر شديدا وبعذاب عظيم وجوز ان يكون التنكير لاجل التكثير كقوله رب
والتفريط اهمال ما ينبغي ان يقدم في جنب الله واعلم ان بعض اهل التجسيم يحكمون بورود هذا اللفظ على اثبات
هذا العضو لله سبحانه ولا يدرى انه بعد التسليم لا معنى للتفريط فيه ما لم يصر الى التاويل والتصحيح ما ذهب اليه
علماء البيان ان هذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الشيء في مكان الرجل وحيزه وجانبه وناحيته فقد اثبته فيه
كقوله شعر ان السماحة والمروة والندى ؛ في قبة ضربت على ابن الحشرج ؛ ويقول لمكانك فعلت هذا لاجلك

وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل ولا بد من تقدير مضاف سواء ذكر الجنب او لم يذكر وللمفسرين عبارات
قال ابن عباس اي ضيعت من ثواب الله من الجنة من قوله والصاحب بالجنب وقال ابن بحر في جانب هدى الله لان الطريق
منشعبا الى الهدى الله لان الطريق منشعب الى الهدى والضلال وكل واحد من جانب وجنب والتحقيق في المسألة
ان الشيء الذي يكون من لوازم الشيء ومن توابعه كانه حد من حدوده وجانب من جوانبه فلما حصلت المشابهة من الجنب
الذي هو العضو وبين ما يكون لازما للشيء وتابعا له لا جرم حسن اطلاق لفظ الجنب في الاية على احد هذه المضافات
قال الشاعر وهو سابق البربري شعر لا تتقين الله في جنب عاشق ؛ له كبد حرا عليك تقطع ؛ ثم زاد في التحسر بقوله
وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بالقرآن والنبي والمومنين ان مخففة واللام فارقة والواو يحتمل الحال
والعطف قال قتادة لم يكفه ما ضيع من امر الله حتى سخر من المتقين النوع الثاني من كلمات النفس المعذبة لو ان
الله هداني يجوز ان يقولوا هذا ومرة ذلك ويكون قايل كل من الكلمتين نفسا اخرى والمعنى لو ارشدني الى دينه لكنت
من المتقين النوع الثالث قوله عند روية العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين قال جار الله حكى اقوال النفس
اجاب من بينها عما اقتضى الجواب وهو الثاني وصح ان يقع بلى جوابا له مع انه غير منفي لان قوله لو ان الله هداني في معنى
ما هديت قلت هذا يصلح جوابا للقولين الثاني والثالث اي بلى قد هديت بالوحي فكذبت واستكبرت عن قبوله فلا
فايدة في الرجعة فان عدم القابلية وكونه واقعا في جانب القهر لن يزول عنه ثم صرح ببعض انواع العذاب قايلا ويوم
القيمة ترى الذين كذبوا على الله وقوله وجوههم مسودة مفعول ثان ان كانت روية القلب والا فموضعه نصب على الحال
والظاهر ان الكذب على الله هو المشار اليه في قوله فكذبت بها ويشمل الكذب على الله باتخاذ الشريك والولد ونسبته الى
العجز عن الاعادة ونسبة القرآن الى كونه مختلقا واما المسايل الاجتهادية التي يختلف فيها كل فريق اسلامي ولا سيما الفروع
فالظاهر انها لا تدخل فيها والله اعلم واما سواد الوجه فان كان في الصورة فظاهر ويكون كساير اوصاف اهل النار
من زرق العيون وغيره وان كان المراد به الخجل وشدة الحيا ونحو ذلك فالله تعالى اعلم بمراده ولا ريب ان الجهل والاجبار على
خلاف ما عليه الامر ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة كلها ظلمات كما ان العلم والصدق ونحوهما انوار كلها وفي ذلك
العالم يظهر حقيقة كل شيء من المكلف هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت ثم حكى حال المتقين يومئذ قايلا وينجي الله الذين
اتقوا الشرك والمعاصي كباير بمفازتهم هي مفعلة من الفوز فمن وحد فلانه مصدر ومن جمع فلاختلاف انواعها فلكل
شيء متق مفازة وهي الفلاح ولا شك ان الباء هي التي في نحو قولك كتبت بالقلم فقال جار الله تارة تفسير المفازة هي
قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فلا محل للجملة لانه كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي في ابدانهم ولا هم
يحزنون بنا لمون قلنا على ما فات وقال الحزي يجوز ان يراد بسبب فلاحهم او منجاتهم وهو العمل الصالح وذلك ان العمل
الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة الطاعات الشاقة وهو غريب و
حين كرر الوعد والوعيد اتبعه شيئا من دلايل المالكية قايلا الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل وقد مر في الانعام
ثم اكد بقوله له مقاليد وهو كقوله في الانعام وعنده مفاتح الغيب والمقاليد المفاتيح فقيل لا واحد لها من لفظها
وقيل مقليد او مقلاد وقليد والظاهر انه في الاصل فارسي والتعريب جعله من قبل العرب ويروى انه سأل عثمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير الاية فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسير المقاليد لا
اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فقال العلماء يعني ان هذه الكلمات مفاتيح خزاين السموات والارض
ومن يوحد الله بها ويمجد وقال اهل العرفان بيده مفاتيح خزاين اللطف والقهر فيفتح على ما يشاء ابواب خزاين لطفه
في قلبه فيخرج ينابيع الحكمة وجواهر الاخلاق الحسنة وللحزن الصدق قال في الكشاف قوله والذين كفروا متصل بقوله
وينجي وما بينهما اعتراض دل على انه خالق الاشياء كلها مهيمن عليها لا يخفى عليه اعمال المكلفين وجزاؤها فان كل في
في السموات والارض فان معناه بيده والظاهر انه لا حاجة الى هذا التقدير البعيد حتى تعطف جملة اسمية على
جملة فعلية والاقرب انه لما وصف نفسه بالصفات المالكية والقدرة ذكر بعده ان الذين كفروا بدلايل ملكه
مع كونها ظاهرة باهرة فلا احد منهم لانهم عمي في الدارين فاقدون الاشرف المطالب ولذلك وبخ اهل الشرك بقوله
قل افغير الله اي قل لهم بعد هذا البيان افغير الله وهو منصوب باعبد وتامروني اعتراض والمعنى افغير الله اعبد
بامركم وذلك ان المشركين دعوه الى دين ابايه وجوز جار الله ان ينتصب بما يدل عليه جملة قوله تامروني لانه

في معنى تعبدونني ويقولون لي اعبد والاصل تأمرونني ان اعبد فحذفت ان ورفع الفعل ويمكن ان يعترض
عليه بان صلة ان كيف يتقدم عليه ويحتمل ان يجاب بان العامل هو ما دل عليه الجملة كما قلنا لا قوله ان اعبد وقيل
التقدير افبعباده غير الله تأمرونني وقوله ايها الجاهلون لا يكون اليق بالمقام منه لانه لا جهل اجهل من نهي عن عبادة
اشرف الاشياء وامر بعبادة اخس الاشياء ثم هدد الامة على الشرك مخاطبا نبيه بقوله ولقد اوحي اليك والى
الذين من قبلك من الانبياء مثله اشركت فاقتصر على الاول ويجوز ان يراد ولقد اوحي اليك والى كل واحد من
قبلك لئن اشركت كما يقول كسانا حلة اي كل واحد منا وقد مر نظير هذه الاية كقوله ولئن اتبعت اهواءهم وبينا ان
ذلك على سبيل الفرض والشرطية لا حاجة في صدقها الى صدق جزئيها او المراد الامة كما قلنا في قوله ولتكونن
من الخاسرين اشارة الى ان منصب النبوة الذي هو اشرف المراتب الانسانية واقربها من الله اذا بدل بضده الذي
هو البعد عن الحضرة الالهية لم يكن خسران وراء ذلك ثم رده صلى الله عليه وسلم الى ما هو الحق الثابت في نفس
الامر وهو تخصيص الله بالعبادة فقال بل الله فاعبد وكن من الشاكرين له على ذلك الا توفيق العبادة منه وحده
وكذا جعله يظهر اللطف حتى صار سيد ولد آدم ثم بين انهم لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبادة
ما عرفوا الله حق معرفته وقد مر في الانعام والحج ثم زاد فيه بما يدل على كمال عظمته قائلا والارض جميعا قبضته
قال جار الله الغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب
بالقبضة واليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى عن عبد الله بن مسعود ان رجلا من اهل الكتاب
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القسم ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على
اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعجبا مما قال وانزل الله الاية تصديقا قال جار الله وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا
ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء واخره على
الزبدة والخلاصة التي هي الدالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام هينة عليه ثم
ذكر كلاما آخر طويلا واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي بان هذا الكلام الطويل لا طائل تحته لانه هل يسلم ان
الاصل في الكلام حمله على حقيقته ام لا وعلى الثاني يلزم خروج القرآن بكليته عن كونه حجة فان لكل احد حينئذ ان يؤول
الاية بما شاء وعلى الاول وهو الذي عليه الجمهور يلزم بيان انه لا يمكن حمل اللفظ الفلاني على معناه الحقيقي ليتعين
المصير الى التاويل ثم ان كان هناك مجازات وجب اقامة الدليل على تعيين احدها ففي هذه الصورة لا شك ان لفظ
القبضة واليمين مشعر بهذه الجوارح الا ان الدلائل العقلية قامت على امتناع الاعضاء والجوارح سبحانه فوجب
المصير الى التاويل صونا للنص عن التعطيل ولا تاويل الا ان يقال المراد كونها تحت تدبيره وتسخيره كما يقال فلان
في قبضة فلان وقال تعالى او ما ملكت ايمانهم ويقال هذه الدار في يد فلان وبيمينه وفلان صاحب اليد وانا
اقول هذا الذي ذكره الامام طريق اصولي والذي ذكره جار الله طريق سالف وانهم يحملون كثيرا من المسائل
الى الذوق فلا منافاة بينهما ولا يرد اعتراض الامام وتشنيعه وقد مر لنا في هذا الكتاب الاصل الذي كان يعمل
به السلف في باب المتشابهات في مواضع فيذكر ونرجع الى الاية قوله والارض قالوا المراد بها الارضون
لوجهين احدهما قوله جميعا فانه يجعله في معنى الجمع كقوله كل الطعام وكقوله والنخل باسقات والثاني
قوله والسموات ولقائل ان يقول كلما هو ذو اجزاء حسا او حكما فانه يصح تاكيده بالجميع وعطف السموات
على الارض في القرآن كثير نعم قد قيل ان الموضع موضع التعظيم والتفخيم فهو مقتض المبالغة وليس ببعيد
والقبضة بالفتح المرة من القبض يعني الارضون جميعا مع عظمهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته
تهون ذوات قبضته وعندي ان المراد منه تصرف يوم القيمة فيها بتبديلها كقوله يوم تبدل الارض غير
الارض وقوله والسموات مطويات كقوله يوم نطوي السماء كطي السجل وقيل معنى مطويات كونها مستولى عليها
استيلاءك على الشيء المطوي عندك وبيدك وقيل بيمينه اي بقسمه لانه حلف ان يطويها ويفنيها وفي الاية اشارة
الى كمال استغنائه وانه اذا حاول تخريب الارض والسموات وتبديلها وذلك في يوم القيمة سهل عليه كل السهولة
ولذلك نزه نفسه عن الشركاء بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون ثم ذكر سائر اهوال القيمة واحوالها بقوله ونفخ
في الصور فصعق الظاهر ان نفخ الصور مرتان وبعضهم يدعي انها ثلث نفخات الاول للفزع كما جاء في النمل الثاني

للموت وهو معنى الصعق والثالث للاعادة والاظهر ان الفزع مقدم الصعق فلا يلزم منه اثبات النفخات
وقد مر في النمل بعض ما في الاية قال جار الله قد تم الكلام وفي الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما
حذفت لدلالة اخرى عليها وكونها معلومة بذكرها في غير مكان ومعنى قيام ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت
اذا فاجاه خطب او ينتظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود تحيرا ثم وصف الارض القيمة
بقوله واشرقت الارض بنور ربها الظاهر ان هذا تجليه سبحانه وقد مر تحقيق هذا النور في تفسير قوله الله نور
السموات والارض وفي غير ذلك من المواضع وقال علماء البيان فتح الاية بذكر العدل واختتم الاية بنفي الظلم ويقال
للملك العادل اشرقت الافاق بنور عدلك واضاءت الدنيا بقسطك وفي ضده اظلمت الدنيا بجوره واهل
الظاهر من المفسرين يستبعدون ان يتجلى الله في ذلك اليوم للارض نورا مخصوصا وقيل اراد ارض الجنة ثم ان اهل
البيان [illegible] اشبه قوله ووضع الكتاب الحساب والجزاء وكذلك من الامور الدالة على غاية العدل والمراد بالكتاب
اما اللوح المحفوظ وقيل صحائف الاعمال والصحف نفسها ولكنه اكتفى باسم الجنس ومجيء النبيين ليسالهم عن
تبليغ الرسالة ويجيب قومهم بما يجيبون والمراد بالشهداء الذين يشهدون للام وعليهم من الحفظة والاخيار
من الجوارح والمكان والزمان ايضا وقيل هم الذين قتلوا في سبيل الله ولعله للتبيين في تخصيصهم بالذكر فائدة وحين
بين انه حضر في محفل القيمة جميع ما يحتاج اليه في فصل الخصومات ذكر انه يوصل الى كل احد حقه وهو اعلم
بما فعلوا ثم فصل حال اهل النار وختم السورة بذكر اهل الجنة فقال وسيق وهو على عادة اخبار الله
والزمر الافواج المتفرقة واحدها زمرة وكذلك صفة اهل الجنة وذلك انه يحشر اصحابه بعدها مع امامها الى الجنة
او النار وبعضهم قبل الحساب وبعضهم بعد الحساب على اختلاف المراتب والطبقات فلا ريب ان الناس متفاوتون
او مبطلون [illegible] في طرفي شيء جماعة جماعة والخزنة جمع خازن والمراد بكلمة العذاب قوله لاملان
جهنم او علم الله السابق وكان القياس [illegible] الا انه عدل الى الظاهر تسجيلا على الكافرين بعلم سببا لعذاب سوال
الشوق في الكفار له وجه الا انهم اهل الطرد والعنف فما وجهه في اهل الجنة الجواب من وجوه قال جار الله
هنا محمد وفد الى وسيق مراكب الذين اتقوا لا يذهب بهم الا راكبين كالوافدين على ملوك الدنيا وحثها اسراع
بهم الى دار الكرامة والرضوان وقيل اكثر اهل الجنة البله فيحتاجون الى السوق لانهم لا يعرفون ما فيه صلاحهم وقيل
انهم يقولون لا ندخلها حتى يدخلها احبائي فيتاخرون بهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة وقالت
اهل العرفان المتقون قد عبدوا الله لله لا للجنة فيصير شدة استغراقهم في مشاهدة مطالع الجمال والجلال مانعا
لهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم يفتقرون الى السوق وقال الحكيم كل خصلة ذميمة او شريفة في الانسان فانه
يجرّه من غير اختياره شاء ام ابى الى ما تقتضيه حاله فذلك معنى السوق سوال آخر لم قيل في صفة اهل النار
فتحت ابوابها بغير واو وفي صفة اهل الجنة وفتحت بالواو الجواب البحث عن مثل هذا الواو وقد يقال له واو الثمانية
وقد مر في قوله التائبون العابدون وفي سورة الكهف الا ان الذي اخص بالمقام وهو ان بعضهم قالوا ان ابواب
جهنم مغلقة لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها لقوله جنات عدن
مفتحة لهم الابواب ولذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وعلى هذا فجواب حتى اذا محذوف
وحق موقعه ما بعد خالدين اي كانوا من اصناف الكرامات والسعادات وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها واهل
التاويل ان يقولوا ان ابواب الجنة وهي اسباب حصول الكمالات مفتوحة بمعنى انها غير ممنوع عنها بل مندوب
اليها مرغب فيها وابواب جهنم مغلقة بمعنى ان اسبابها ممنوع عنها على لسان الشرع والعقل جميعا ومعنى تسليم
الخزنة الاكرام والتهنية بانهم سلموا من احزان الدنيا واهوال القيمة ومعنى طبتم قيل اخبار عن كونهم طيبين في الدنيا
بالافعال الصالحة والاخلاق الفاضلة او طبتم نفسا بما نلتم من الجنة ونعيمها وقيل ان اهل الجنة اذا انتهوا
الى بابها وجدوا عنده عينين تجريان من ساق شجرة فيتطهرون من احدهما فتجري عليهم نضرة النعيم قبل تغير ابشارهم
بعدها ابدا ويشربون من الاخرى فيذهب ما في بطونهم من اذى وقذى فيقول لهم الخزنة طبتم وقال جار الله اراد
طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا ولهذا عقبه بقوله فادخلوها خالدين ليعلم ان الطهارة عن المعاصي
هي السبب في دخول الجنة والخلود فيها لانها دار طهرها الله من كل دنس فلا يدخلها الا من هو موصوف بصفتها ذكرنا
الله هنا نعيم فضله وحسن توفيقه فنبه بوجه ذلك ثم حكى قول المتقين في الجنة فقال وقالوا الحمد لله الذي

صدقنا وعده اى الوعد بدخول الجنة واورثنا الارض ارض الجنة عبر عن التمليك بالايراث وقدم من ادا نتبوا منها
حيث نشاء لان كل منهم جنة لا يوصف سعته فنتبوا من جنبه كما يريد من غير منازع وقال حكماء الاسلام الجنات الجسمانية
كذلك اما الروحانية فلا مانع فيها من المشاركة وان يحصل لغيره ما يحصل لبعض الاشخاص ثم وصف ماب الملائكة
المقربين بعد بعثهم فقال وترى ايها الرائى والنبى الملائكة حافين محدقين وهو نصب على الحال قال الفراء لا واحد له لانه
لا بد فيه من الجمعة واقول لعله عنى من حيث الاستعمال وقيل الحاف مالبنى الملازم له وقوله من حول العرش من زائدة
او ابتدائية اى مبدا حفوفهم من هناك الى حيث شاء الله او متصل بالرؤية يسبحون بحمد ربهم تلذذا لا تعبدا وكان
جوانب العرش دار ثواب الملائكة وانها ملاصقة لجوانب الجنة والضمير في قوله وقضى بينهم للعباد كلهم لقرينة ذكر
الفهم فان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وقيل بين الانبياء واممهم وقيل نكوا
لقوله وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل هو حال وقد مقدر معه اى يسبحون بحمد ربهم وقد قضى بينهم
يعنى بين الملائكة على ان ثوابهم ليس على سنن واحد ويحتمل عندى ان يعود الضمير الى البشر والملائكة جميعا والقضاء
بينهم وهو انزال البشر مقامهم من الجنة او النار وانزال الملائكة حول العرش ثم ختم السورة بقوله وقيل الحمد لله والقائل المقضى
بينهم وهم جميع العباد كقوله واخر دعويهم ان الحمد لله او جميع الملائكة مع البشر اهل الجنة حمدوا الله على انزال كل منزلته والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ● تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ● غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ● ذى الطول لا اله الا هو
اليه المصير ● ما يجادل فى ايات الله الا الذين كفروا
فلا يغررك تقلبهم فى البلاد ● كذبت قبلهم قوم
نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم
ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف
كان عقاب ● وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا
انهم اصحاب النار ● الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت
كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم

عذاب الجحيم ● ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم
ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز
الحكيم ● وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته وذلك هو الفوز العظيم ● ان الذين كفروا ينادون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون ● قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا
بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ● ذلكم بانه اذا دعى الله
وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ●
هو الذى يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر
الا من ينيب ● فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ●
رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده
لينذر يوم التلاق ● يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ● اليوم تجزى كل نفس بما
كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ● وانذرهم يوم الازفة
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ● يدعون
من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير ● اولم يسيروا فى
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا
هم اشد منهم قوة واثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما
كان لهم من الله من واق ● ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم

ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين
وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق
والذين

بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب

القراءة حم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان
وقرا ابو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وذلك طبعا لا اختلافا عقليا مذكور في ص كلمات ربك
على الجمع ابو جعفر ونافع لتنذر بالتاء الفوقانية على ان الضمير للروح وقد نوبت او على خطاب الرسول يعقوب مني
رويس الباقية بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق يزيد وورش وسهل وعباس في الوصل **الوقوف**
حم كوفي العليم الطول لا الا هو المصير البلاد من بعدهم لعطف الجملتين المتفقتين فاخذتهم للابتداء بالتهديد
عقاب النار لئلا يوهم ان ما بعده صفة اصحاب النار امنوا لحق القول المحذوف الجحيم وذرياتهم الحكيم وقد
يوصل للعطف السيئات رحمته العظيم فتكفرون سبيل كفرتم للابتداء بالشرط مع العطف تؤمنوا الكبير
رزقا ينيب الكافرون ذو العرش لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال التلاق بارزون لاحتمال الاستئناف
وتعلقه بالظرف شيء ليوم فصلا بين السؤال والجواب القهار كسبت اليوم الحساب كاظمين يطاع الصدور بالحق
بشيء البصير من قبلهم واق فاخذهم الله العقاب **التفسير** قيل حم اسم الله الاعظم وقيل حم ماهو كائن
اي وقد روي ان اعرابيا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما حم فقال بدء اسماء وفواتح سور وقد تقدم القول في حواميم
في مقدمات الكتاب وفي اول البقرة ومن جملة تلك التقادير ان يقال السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم وقد مر نظيره في اول الزمر ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد فقال غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول قالت المعتزلة انه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة ان كان كبيرا او طاعة اعظم منه
ثوابا ان كان صغيرا وقال الاشعري انه قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة لئلا يلزم التكرار بقوله قابل التوب وليفيد
المدح المطلق ويؤيده ادخال الواو بين هذين الوصفين فقط كانه قيل الجامع بين المغفرة ان كانت بدون توبة
وبين القبول ان كانت بتوبة فتدرج للمذنب بين رحمتين بحسب الحالتين وقيل غافر الذنب الصغير وقابل التوب عن
الكبير او غافر الذنب باسقاط العقاب وقابل التوب بايجاب الثواب ثم ان قبول التوبة واجب على الله ام لا فيه بحث
ايضا للفريقين فالمعتزلة والاشعري يقول انه على سبيل التفضل والالهام يتمدح به والظاهر ان التوبة اي ما ذنب تاب
منه العبد الا قبل توبته وقد ذكر اهل الاعراب ههنا سؤالا وهو ان غافر الذنب وقابل التوب يمكن توجيههما بانهما
معرفتان كما سبق في مالك يوم الدين وهو انهما بمعنى الماضي وللاستمرار فيصح وقوعهما صفتين لله الا ان قوله شديد
العقاب لا يمكن فيه هذا الوجه لانه في معنى شديد عقابه فان قلنا انه صفة لزم وقوع النكرة صفة للمعرفة وان
قلنا انه صفة لزم وقوع النكرة بدل لزم هو ظاهر للزوم بدل واحد فيما بين صفات كثيرة واجيب على تقدير ان لا يكون
الكل بدلا الا ان الالف واللام من شديد محذوف لمناسبة ما قبله مع الامن من اللبس ومن جهالة الموصوف او نقول
تنكيره من بين الصفات للابهام والدلالة على فرط الشدة وجوز ان يكون هذه النكتة سبب جعله بدلا من بين سائر
اخواتها هذا ما قاله صاحب الكشاف وعندي لا مانع من جعل شديد العقاب ايضا للاستمرار والدوام حتى يصير
اضافته حقيقية قوله ذي الطول الفضل بسبب ترك العقاب وقد مر في قوله ومن لم يستطع منكم طولا وانما اورد هذا
الوصف بعد وصفه بشدة العقاب ليعلم ان خاتمة امره مبنية على التفضل كما ان فاتحته مبنية على الغفران و
قبول التوبة وقد يقع عقوبته في الوسط اعاذنا الله منها الا انه لا يبقى مؤمن في النار خالدا ثم اكد بقوله لا اله الا
هو وهو المبدا وبسبب علمه انه اليه المصير وهو المعاد وفيه ان من امن بالمبدا فان اخل في الوسط ببعض التكاليف
كان مرجوا ان يغفر الله له ويقبل توبته ثم بين احوال من لا يقبل هذه التقريرات ولا يخضع لها فقال ما يجادل في ايات
الله الا الذين كفروا والجدال في اياته نسبتها الى الشعر تارة والى السحر اخرى الى غير ذلك من المطاعن وفضول الكلام
واما البحث عنها لاستنباط حقائقها والوقوف على دقائقها وحل مشكلاتها فنوع من الجهاد في سبيل الله ولمكان
الفرق بين هذين الجدالين قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر فنكر الجدال ليشمل احد نوعيه فقط وهو
الجدال بالباطل كما يجيء من قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ثم عقب الكلام بقوله فلا يغررك ليعلم ان جدالهم
الصادر عن البطر والاشر والجاه والحشم لا اعتبار به وكذا تقلبهم في البلاد للتجارات والمكاسب فان قريشا كانت
اصحاب اموال متجرين الى الشام واليمن مترفين باموالهم مستكبرين عن قبول الحق لذلك ثم مثل حالهم بحال الامم

السالفة الذين تحزبوا على الرسل وكادوا يقتلونهم فاهلكهم الله ودمرهم ونجى الرسل ثم بين بقوله وكذلك حقت
انهم في الاخرة ايضا معذبون وقوله انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة
كونهم في الاخرة من اصحاب النار وجوز جار الله ان يكون انهم في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال
الفعل وقوله الذين كفروا قريش اي كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان العلة الجامعة
وهي انهم اصحاب النار واحدة في الفريقين ومن قرا كلمات على الجمع فالمراد بها علم الله السابق ومعلوماته التي لا نهاية
لها او الايات الواردة في وعيد الكفار ثم بين ان الكفار بالغوا في اظهار عداوة المؤمنين حتى ان اشرف طبقات
اكثر المخلوقات وفيهم حملة العرش والحافين حوله يبالغون في محبتهم ونصرتهم كانه قيل ان كان هؤلاء الاراذل يعادونهم
فلا يبالى بهم ولا نقيم لهم وزنا فان الاشراف يحالفونهم روى صاحب الكشاف ان حملة العرش ارجلهم في الارض
السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا
في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على
كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوضع
وهو طاير صغير شبه العصفور وروي ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش
تفضيلا لهم على ساير الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير
المسرع ثمانين الف عام وعدد حملة العرش يوم القيمة ثمانية لقوله عز من قائل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية اما في غير ذلك الوقت فلا يعلم به الا الله اما الذين حول العرش فقيل سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا
وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر هذه الاثار كلها منقولة من كتاب الكشاف سؤال ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى
ان حملة العرش ومن حوله مؤمنون اجاب في الكشاف بان فائدته التنبيه على شرف الايمان والترغيب فيه و
ايضا قوله تكذيب المجسمة فان الامر لو كان على زعمهم لكانت الملائكة يشاهدونه فلا يوصفون بالايمان به لانه
لا يوصف بالايمان الا الغائب فعلم ان ايمانهم كايمان اهل الارض والكل سواء في ان ايمانهم بطريق النظر والاستدلال
واستحسن هذا الكلام الامام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير حتى ترحم عليه وقال لو لم يكن في كتابه الا هذه
النكتة لكفى به فخرا وشرفا وانا اقول لا اسلم ان الايمان لا يكون الا بالغائب والا لم يمكن الايمان بالنبي وبما تحدى
بالقران وان شئت فتامل قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب فلو لم يكن ايمان بالشهادة لم يكن لقوله بالغيب فائدة على
انه يحتمل ان يشاهد الرب ويمكن كونه ربا والها ويمكن ان يكون محمول الشيء محجوبا عن ذلك الشيء فمن اين يلزم تكذيب
المجسمة وقال بعضهم في الجواب ازاء انهم يسبحون تسبيح بلفظ لا تسبيح دلالة اخرى على ابطال قول اهل التجسيم ان
الاله على العرش فانه لو كان كما زعموا وحامل الشيء حامل لكل ما على ذلك الشيء لزم ان يكون الملائكة حاملين للاله
العالم حافظين له فالحافظ اولى بالالهية من المحفوظ قلت لا شك ان هذه مغالطة فان الحمل الاجل العظيم والطاعة
الكبرياء على ما يزعم الخصم كيف يلزم منه ذلك وهل يزعم عاقل ان الحمار اشرف من الانسان الراكب عليه من جهة الركوب
عليه وانما ذكرت ما ذكرت لكونه واردا على كلام الامامين مع وفور فضلهما وبعد غورهما لا لاني مائل في المسئلة
الى غير معتقدهما قال جار الله وقد روعي التناسب في قوله يؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه انهم
بعد التعظيم لامر الله يقبلون على الشفقة على خلق الله ولا سيما المؤمنين لان الايمان جامع لا اجمع منه بحيث التمادي
الى الارضي والروحاني الى العنصري احتج كثير من العلماء بالاية على فضيلة الملك قالوا لانها تدل على انه لا معصية
للملائكة والا لزم بحكم ابدا بنفسك ان يستغفروا اولا لانفسهم قال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي قلت لا نزاع بالنسبة اليهم والى غير معصومين من البشر وانما النزاع
بينهم وبين المعصومين فلا دليل في الاية ولا يلزم من طلب الاستغفار لاحد وسلم ان قوله الذين امنوا عام
ان يكون المستغفر له عاصيا على انه قد حصل الاستغفار في قوله فاغفر للذين تابوا وهذا فيه بحث يجيء وقوله
ربنا وسعت كل شيء رحمة ولو باعطاء الوجود وتربيته بما جعل كما ذكرنا في ام الفرقان كان الداعي يقول كنت نفيا
صرفا وعدما محضا فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك لي شفيعا اليك ولا ريب ان تلك الله اول
كل شيء بمنزلة الاكسير الاعظم للنحاس من حيث انه يقوي جوهر الروح ويكسبه اشراقا وصفاء وفي تقديم الرحمة على العلم

فائدة هي ان مطلوب الملائكة في هذا المقام هو ان يرحم المؤمنين فكانهم قالوا ارحم من علمت منه التوبة واتباع
الدين قالت علماء المعتزلة الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون طلب مزيد الكرامة والثواب فهو بمنزلة
الشفاعة واذا ثبت ان شفاعة الملائكة لاهل الطاعة فكذلك شفاعة الانبياء ضرورة الا انه لا قائل بالفرق وقال
علماء السنة ان مراد الملائكة فاغفر للذين تابوا عن الكفر واتبعوا سبيل الايمان وهذا لا ينافي كون المستغفر لهم مذنبين
ومما يؤكد ما قلنا ان الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا في اسقاط العقاب اما طلب النفع الزائد فانه
لا يسمى استغفارا قال اهل التحقيق هذا الاستغفار من الملائكة يجري مجرى الاعتذار من قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها اما قوله وقهم عذاب الجحيم فتصريح بالمطلوب بعد الرمز لان دلالة المغفرة على الوقاية من العذاب كالضمنية وحين
طلبوا لاجلهم اسقاط العذاب ضمنا وصريحا طلبوا ايصال الثواب اليهم بقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
قال علماء السنة كل اهل الايمان موعودون بالجنة وان كانوا من اهل الكبائر غاية ذلك انهم يعذبون بالنار مدة
ان لم يكن عفو او شفاعة ثم يخرجون الى الجنة قال الفراء والزجاج قوله ومن صلح يجوز ان يكون معطوفا على الضمير في
وادخلهم فيكون دعاء من الملائكة بادخال هؤلاء الاصناف الجنة تكميلا لانس الاولين وتتميما لابتهاجهم واشفاقا
على هؤلاء ايضا ويجوز ان يكون عطفا على الضمير في وعدتهم لانه تعالى قال في سورة الرعد اولئك لهم عقبى الدار جنات
عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وعلى هذا لا يشمل دعاء الملائكة هؤلاء الاصناف اللهم
الا ضمنا قال اهل السنة المراد من صلح اهل الايمان منهم وان كانوا ذوي كبائر ثم ختم الاية بقوله انك انت العزيز
الحكيم لانه ان لم يكن غالبا على الكل لم يصح منه وقوع المطلوب كما يراد وان لم يكن حكيما امكن منه وضع الشيء في غير
موضعه ثم قال وقهم السيئات فقيل يعني العقوبات او عذاب السيئات على حذف المضاف واعترض بانهم قالوا اولا
وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار واجيب بان الاول دعاء للاصول وهذا لفروعهم وهم الاصناف الثلاثة او الاول
مخصوص بعذاب النار وهذا شامل بعذاب الموقف وعذاب الحساب وعذاب السؤال والمراد بالسيئات العقائد
الفاسدة والاعمال الضارة وعلى هذا يكون يومئذ في قوله ومن تق السيئات يومئذ اشارة الى الدنيا وقوله فقد رحمته
يجوز ان يكون في الدنيا وفي الاخرة قال في الكشاف السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها
التكفير وقبول التوبة ثم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفرة المجادلين في اياته وانهم سيعترفون يوم القيمة بما
كانوا ينكرونه في الدنيا من البعث وذلك اذا عاينوا النشأة الثانية وتذكروا النشأة الاولى فقال ان الذين كفروا ينادون
اي يوم القيمة وفي الاية حذف وفيها تقديم وتأخير اما الحذف فالتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم
فاستغنى بذكرها مرة واما التقديم والتأخير فهو ان قوله اذ تدعون منصوب بالمقت الاول وفي المقتين وجوه
الاول كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء عليهم السلام يدعونكم الى الايمان
فتأبون فذلك اشد من مقتكم انفسكم اليوم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواها وفيه توبيخ ولا ريب ان سخط
الله وبغضه الشديد لا نسبة له الى سخط غيره ولهذا اوردهم النار **الثاني** عن الحسن لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا
انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر **الثالث** قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم
في النار بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم فقيل المعنى لمقت
الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم البعض ومن لعنه اياه واما قول الكفرة في الجواب ربنا امتنا اثنتين اي
اماتتين اثنتين واحييتنا احياءتين اثنتين وللعلماء في تعيين كل من الاثنتين خلاف اما في الكشاف فذهب الى
ان الاماتتين احداهما خلقهم اولا امواتا نطفة ثم علقة الى اخرها كما في الاية الاخرى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
ونسب هذا القول الى ابن عباس ووجهه بانه كقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر
الى صغر وبالعكس وانما وردت الاثنتان على هذه الصفة والسبب في صحته ان كلا الفعلين جائز على المصنوع الواحد
وللصانع ان يختار احدهما قلت ومما يؤيده قوله انه بدأ بالاماتة ولو كان الاظهر ان يبداء بالاحياء قال
والاماتة الثانية هي التي في الدنيا والثانية هي التي بعد البعث واورد على هذا القول انه يلزم ان لا يكون
الاحياء في القبر والاماتة فيه مذكورتين في القران بل يكونان متعينين مع ورودهما في الحديث
اجاب بعضهم بان حيوة القبر ممنوع لانه تعالى لم يذكرها والاحاديث الواردة فيها احاد ولان الذي قتل
السبع او اعدمه حيا لزم نقصان شيء من السبع وليس بمحسوس ولان الذي مات لو تركناه ظاهرا بحيث يراه كل احد

لم يحصل منه حيوة وتجويز ذلك مع عدم الرؤية سفسطة وفتح لباب الجهالات وزيف هذا الجواب اهل الاعتبار
بان عدم ذكر الشيء لا يدل على عدمه والاحاديث في ذلك الباب صحيحة مقبولة واذا كان الانسان جوهرا نورانيا مشرقا
مدبرا للبدن في كل طور على حد معلوم كما ورد في الشريعة الحقة زالت ساير الاشكالات ولا يلزم قياس ما بعد
الموت على ما قبله وللشرع في اخفاء هذه الامور عن المكلفين حكم ظاهرة حققناها لك مرات وقال بعضهم في
الجواب هذا كلام الكفار فلا يكون حجة وضعف بانه لو لم يكن صادقا لانكر الله عليهم وقيل ان مقصودهم تعديد
اوقات البلاء والمحنة وهي اربعة الموت الاول والحيوة في القبر والموتة الثانية والحيوة في القيمة فاما الحيوة
في الدنيا فانها وقت ترفههم وتنعمهم فلهذا السبب لم يذكروها وقيل اهملوا ذكر حيوة القبر لقصر مدتها او لانهم
لم يموتوا بعد ذلك بل يبقون احياء في الشقاوة حتى يتصل بها حيوة القيمة وكانوا من جملة المستثنين في قوله فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولا يخفى ان هذه الاقوال متكلفة ولا سيما الاخير فان قوله ان الذين
كفروا عام ولو فرض انه مخصوص بكفار معهودين فتخصيصهم بالحيوة في القبر حتى يكونوا من المستثنين مستبعد جدا
وقد يذوب في الجلد ان هذا النداء يحتمل ان يكون في القبر وعلى هذا لا يبقى اشكال لان الاماتة والاحياء التي بعد
ذلك يخرج من غير تكلف ويثبت سؤال القبر كما جاء في الحديث والله اعلم بمراده فهل الى خروج من سبيل اي الى
نوع من الخروج والرد من القبر الى الدنيا خروج سريع او بطيء من سبيل فكلام الياس الكلي واقع وهذا كلام من غلب
عليه الياس والقنوط وكان الجواب الصريح ان يقال لا او نعم الا انه سبحانه دعا الى عدم الخروج بقوله ذلكم
الياس وان لا سبيل لكم الى الخروج قد تسبب بكفركم في وقت التمكن من التوحيد اوان التكليف فالحكم لله العلي الكبير
حين حكم عليكم بالعذاب السرمد وكما يناسب عظمته وكبريائه وقيل ان تحكيم الحرورية وهو قولهم لا حكم الا لله ماخوذ
من هذه الاية ثم اراد ان يذكر طرفا من دلائل وحدانيته وكماله فقال هو الذي يريكم اياته من الريح والسحاب والرعد
والبرق وينزل لكم من السماء ماء هو سبب الرزق وما يتذكر الا من ينيب اي ما يعتبر الا الذي اناب الى الله واعرض عن
الشرك لينفتح عليه ابواب الانوار المكاشفات ثم قال للمنيبين فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال
جار الله قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله هو مرتبة على الاول وهو قوله الذي يريكم
او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا او وسطها معرفة ثم ان الرفيع اما ان يكون بمعنى المرتفع وعلى الاول
فاما ان يراد رافع درجات الخلق في العلوم الاخلاق الفاضلة كما قال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات وكذا في الرزق والاجل بل جعل للملائكة مقامات معينة وللاجسام البسيطة العلوية والسفلية درجات
معينة كما يشهد به علم الهيئة وقد اشرنا الى ذلك في اثناء الكتاب او يراد رافع درجات الانبياء والاولياء في الجنة
وعلى الثاني فلا ريب انه سبحانه اشرف الموجودات واجلها رتبة من جهة استغنائه في وجوده وفي جميع
صفات وجوده عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه في الوجود وفي توابع الوجود واعلم ان كمال كبرياء الله
لا يصل اليه عقول البشر فالطريق في تعريفه ان يومي بالمعقول نحو من المحسوس فلهذا عقبه الله تعالى هذه الصفة
بصفتين اخريين وذلك ان ما سوى الله اما جسمانيات واما روحانيات اما الجسمانيات فاعظمها العرش فاشار
بقوله ذو العرش الى استيلائه على كلية عالم الاجسام واما الروحانيات فاشار الى كونها تحت تسخيره بقوله يلقي الروح
اي الوحي من امره اي من عالم امره على من يشاء من عباده وقد مر نظير الاية في اول سورة النحل وقيل من امره حال ثم بين الغرض
من الالقاء بقوله لينذر يوم التلاق ووجه التسمية ظاهر لتلاقي الارواح والاجساد فيه او لتلاقي اهل السماء
والارض كما قال عز من قائل ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا او لان كل احد تلاقي جزاء عمله وقال ميمون
بن مهران يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم فربما ظلم رجل رجلا وانفصل عنه ولم يمكن التلاقي واستضعف المظلوم
ففي يوم لا بد ان يتلاقيا وقوله يوم هم بارزون بدل من الاول ومعنى البروز مر في اخر سورة ابرهيم صلوات الرحمن
عليه في قوله وبرزوا لله الواحد القهار وقوله لا يخفى على الله منهم شيء تاكيد لذلك وهذا وان كان عاما في جميع
الاحوال وشاملا للدنيا والاخرة الا انه خصص بالاخرة لانهم في الدنيا كانوا يظنون ان بعض الاعمال يخفى على الله
عند الاستتار بالحجب كما قال ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فهو نظير قوله مالك يوم الدين ثم اكد تفرده
في ذلك اليوم بالحكم والقضاء بقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولا ريب ان الكلام مشتمل على سؤال وجواب
وليس في لفظ الاية ما يدل على تعيين السائل ولا المجيب فقال جم من المفسرين ومن ارباب القلوب اذا هلك كل من في

السموات ومن في الارض بقول الرب تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فهو سبحانه يجيب من نفسه فيقول
لله الواحد القهار واما اهل الظاهر والذين القوا صرف المعقول من اهل الاصول فقد انكروا هذا القول انكارا شديدا
لانه تعالى بين ان هذا الندا في يوم التلاقي والبروز يوم تجزى كل نفس بما كسبت وكل هذا ينافي كون الخلق هالكين
وقتيذ ولان التكلم من غير سامع ولا مجيب عبث الا ان يكون هناك ملائكة يسمعون ذلك الندا لكن المفروض
فنا كل المخلوقات فاما ان يكون حكاية لما ينال منه في ذلك اليوم ولما يجاب به وذلك ان ينادي فيقول لمن الملك
اليوم فيجيب اهل المحشر لله الواحد القهار بقوله المؤمن تلذذا والكافر هوانا وتحسرا على ان فاتهم هذه المعرفة في الدنيا
فان الملك كان له من الازل الى الابد وفايدة تخصيص هذا الندا بيوم القيمة كما عرفت في مالك يوم الدين يحكى ان
نصير بن احمد لما دخل نشابور ووضع التاج على راسه ودخل عليه الناس فخطر بباله شي فقال هل فيكم من يقرا به
فقرا رجل رواس رفيع الدرجات ذو العرش فلما بلغ قوله لمن الملك اليوم نزل الامير من سريره ودفع التاج عن راسه
وسجد لله تعالى وقال لك الملك لا لي فلما توفي الرواس راى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال انك
عظمت ملكي في عين عبدي فلان يوم قراءت تلك الاية فغفرت لك ولما تم ما يدل على تفرده سبحانه قوله لله الواحد
القهار فان كل واحد من الاسماء الثلثة ينبي عن غاية الجلال والعظمة كما مر مرارا وباقي الاية ايضا مما سلف تفسيره
مرات ثم وصف يوم القيمة بانواع اخر من الصفات الهايلة فقال وانذرهم يوم الازفة وهي فاعلة من ازف الامر اذا
دنا اذا دنا ولا ريب ان القيمة قريبة وان استبعد الناس مداها لان كل ما هو كاين فهو قريب قال جار الله يجوز
ان يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق
بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا وقال ابو مسلم يوم الازفة يوم المنية وحضور الاجل
انه تعالى ذكر يوم القيمة التلاق يوم هم بارزون فناسب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ولانه تعالى وصف يوم الموت
بنحو هذه الصفة في مواضع اخر قال فلولا اذا بلغت الحلقوم كلا اذا بلغت التراقي ولا ريب ان الرجل عند معاينة
امارات الموت تعظم خوفه فلو حملنا كون القلوب لدى الحناجر كناية عن شدة الخوف جاز ولو حملناه على ظاهره
فلا باس وقوله كاظمين اي مكروبين والكاظم الساكت حال امتلايه غما وغيظا قال عز من قائل والكاظمين الغيظ وانتصابه
على انه حال عن اصحاب القلوب كانه قيل اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها او عن القلوب وجمع جمع السلامة بناء
على ان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او عن ضمير المنقول في وانذرهم اي وانذرهم
مقدرين او مشارفين الكظم فيكون حالا مقدرة وفي قوله وما للظالمين من حميم ولا شفيع بحث من الاشاعرة
والمعتزلة من جملة الاولون على اهل الشرك والاخرون على معنى اعم حتى يشمل اصحاب الكباير وقد مر مرارا ولا سيما
في قوله وما للظالمين من انصار ومعنى قوله يطاع يجاب اي لا شافع ولا اجابة كقوله شعر ولا يرى الضب بها ينجحر
وذلك انه لا يشفع احد في ذلك اليوم الا باذن الله فان اذن له والا فلا يوجد شي من الامرين والفايدة في ذكر
هذه الصفة ان يعلم ان الغرض من الشفيع منتف في حقهم وان فرض شفيع على ما يزعم اهل الشرك من الاصنام
يشفعون لهم قوله يعلم خاينة الاعين خبر اخر لقوله هو الذي يريكم الا انه فصل بالتعليل وهو قوله لينذر ذكره
وذكر وصف القيمة استطرادا قال جار الله هي صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعاقبة والمراد استراق
النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب قال ولا يحسن ان يكون الخاينة صفة الاعين مضاف اليها نحو جرد
قطيفة اي يعلم العين الخاينة لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه قلت يعني ان عطف العرض على الجوهر
والمعنى على العين غير مناسب وقيل هي قول الانسان رايت ولم يره وما رايت وراى وهمزات الصدور اي القلوب
لانها فيها قبل هي ما يسره الانسان من امانة وخيانة وقيل الوسوسة وقال ابن عباس وما تخفي الصدور بعد النظر
اليها ايزني بها ام لا اقول والحاصل انه تعالى اراد ان يصف نفسه بكمال العلم فان المجازاة يتوقف على ذلك ففي قوله
يعلم خاينة الاعين اشارة الى انه عالم بجميع افعال الجوارح وفي قوله وما تخفي الصدور دلالة على انه عالم بجميع افعال
القلوب واذا علمت هذه الصفة وقد عرفت من الاوصاف السابقة كمال قدرته واستغنائه لم يبق شك في حقية
قضائه فلذلك قال والله يقضي بالحق ثم وبخهم على عبادة من لا قضاء له ولا سمع ولا بصر بقوله والذين يدعون
الى اخره ثم وعظهم بالنظر في احوال الامم السالفة وقد مر نظير الاية في مواضع واما قال في هذه السورة ٥ ٥
وذلك بانهم كانت وفي التغابن ذلك بانه كانت موافقة الضمير الفعل في قوله كانوا هم اشد التاويل الحا والميم

حروفاه من وسط الرحمن ومن وسط اسم محمد ففي ذلك اشارة الى سر بينه وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم لا يسعه
فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل غافر الذنب للظالم وقابل التوب للمقتصد شديد العقاب للكافر ذي الطول للسابق وفيهم
عذاب الجحيم اي عن موجباتها كالهوى واتباع الاهوا لمقت الله اياكم حين حكم بالبعد والحرمان اكبر من مقتكم انفسكم
لو كنتم تمقتونها في الدنيا فانها اعدى عدوكم ومقتها منعها من هواها ولا ريب ان عذاب البعد الابدي اشد من
ايام معدودة فلا بد في العرش القلوب استوى عليها بجميع الصفات وهم العلماء بالله المستغرقون في بحر هم والله اعلم

ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين ۝ الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب ۝ فلما جاءهم بالحق من عندنا
قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد
الكافرين الا في ضلال ۝ وقال فرعون ذروني اقتل موسى و
ليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض
الفساد ۝ وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب ۝ وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم
ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس
الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم
الا سبيل الرشاد ۝ وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب ۝ مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
وما الله يريد ظلما للعباد ۝ ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد ۝
يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له

من هادٍ ۞ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك
مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب ۞ الذين يجادلون في ايات الله بغير
سلطان اتيهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ۞ وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا لعلي ابلغ الاسباب ۞ اسباب السموات فاطلع الى اله موسى و
اني لاظنه كاذبا ۞ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد
عن السبيل ۞ وما كيد فرعون الا في تباب ۞ وقال الذي امن يا قوم
اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ۞ يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع
وان الاخرة هي دار القرار ۞ من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب ۞ ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجوة و
تدعونني الى النار ۞ تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار ۞ لا جرم انما تدعونني اليه ليس
له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين
هم اصحاب النار ۞ فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى
الله ان الله بصير بالعباد ۞ فوقيه الله سيئات ما مكروا وحاق
بال فرعون سوء العذاب ۞ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم
تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ۞ واذ يتحاجون في النار

فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم
مغنون عنا نصيبا من النار ۞ قال الذين استكبروا انا كل
فيها ان الله قد حكم بين العباد ۞ وقال الذين في النار لخزنة
جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ۞ قالوا اولم تك
تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين
الا في ضلال ۞

القراءة ذروني بفتح الياء ابن كثير اني اخاف بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وان يظهر في الارض الفساد ابو جعفر ونافع وابو عمرو او ان يظهر بضم الياء وكسر الهاء من الاظهار الفساد بالنصب ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل وحفص الاخرون بفتحها ورفع الفساد حذف مدغما ابو جعفر وحمزه وعلي وخلف ويزيد واسمعيل وهشام الهادي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق يزيد وورش وسهل وعباس في الوصل قلب متكبر بالتنوين فيهما على الوصف ابو عمرو وقتيبه وابن ذكوان الباقون على الاضافة لعلي ابلغ بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر فاطلع بالنصب حفص فاتبعوني بالياء في الحالين سهل وابن كثير ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد والاصبهاني عن ورش واسمعيل وابو نشيط عن قالون في الوصل ما لي بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير امري الى الله بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو ويقوم التاد الداري عن هشام ادخلوا من الادخال ابو جعفر ونافع ويعقوب وحمزه وعلي وخلف وحفص وعلى هذا القران الخطاب للزبانيه وانتصب ال على انه مفعول به وعلى القراءة الاخرى هو لال فرعون وانتصب ال على النداء واشد على انه مفعول به **الوقوف** مبين كذاب نساءهم ضلال ربه لاحتمال اللام مؤمن قد قيل بناء على ان الجار متعلق بالفعل بعده والوصل اصح لانه كان من القبط ولو فرض انه لم يكن منهم فالجملة وصف له من ربكم لانتهاء الاستفهام الى الابتداء بالشرط لكنه للعطف والشرط بعدكم كذاب في الارض لابتداء الاستفهام والوجه الوصل لان المقصود الوعظ برجاءنا الرشاد الاحزاب لان ما بعده بدل بعدهم للعباد التناد لاجل البدل مدبرين لان ما بعده يصلح حالا واستينافا من عاصم لاحتمال كون ما بعده ابتداء اخبار من الله سبحانه وكونه من كلام المؤمن من هاد جاءكم رسولا مرتاب لاحتمال البدل فان من معنى الجمع اما الاستيناف اي هم الذين او يعني انهم امنوا جبار الاسباب كاذبا السبيل تباب الرشاد لان النداء ابتداء به مع انه تكرار للاول متاع للفصل بين حالي الدارين مع اتفاق الجملتين القرار مثلها لعطف جملتي الشرط حساب نصف الجزء ونصف السبع السادس النار لانتهاء الاستفهام الى الاخبار ولاحتمال ابتداء استفهام اخر الغفار النار لكم الى الله بالعباد العذاب لاحتمال البدل والابتداء وعشيا لاحتمال ما بعده العطف والاستيناف الساعة لحق القول المحذوف اي يقال لهم او للزبانيه العذاب من النار العباد من العذاب بالبينات بلى فادعوا لاحتمال ان ما بعده من قول الخزنة وابتداء اخبار من الله تعالى ضلال **التفسير** لما وبخ الكفار بعدم السير في الارض للنظر والاعتبار او بعدم النظر في احوال الماضين مع السير في الاقطار وقد وصف الماضين بكثرة العدد والعدد والاثار الباقيه اراد ان يوضح بعضه واحدا من قصصهم تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم وزياده توبيخ وتذكير لهم وكان في قصه موسى وفرعون من العجايب ما فيها فلا جرم اوردها ههنا مع فوايد على ما في المواضع الاخر منها ذكر مؤمن ال فرعون وما وعظ ونصح به قومه ولان القصه قد تكررت مرارا فلنقتصر في التفسير على ما يختص بالمقام قوله بالحق اي بالمعجزات الظاهرة وقوله اقتلوا يريد عاده القتل كما مر في الاعراف في قوله سنقتل ابناءهم قوله الا في ضلال اي في ضياع واضمحلال فان كان اللام في الكافرين للجنس فظاهر وبال لان تاكيدهم يعود بالاخرة عليهم حين يهلكون ويخلدون

النار وان كان للعهد وهو فرعون وقومه فالظهر كما قص عليك من حديث اعرافهم واستيلا آل موسى وقومه
على دليلهم قوله ذروني اقتل موسى ظاهره مشعر بان قومه كانوا يمنعونه عن قتله وفيه احتمالات الاول
لعله كان فيهم من يعتقد بنبوة فياتي بوجوه الحيل في منع فرعون الثاني قال الحسن ان اصحابه قالوا لا تقتله فانما
هو ساحر ضعيف ولا يمكنه ان يغلب سحرتك وان قتلته ادخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا عجزوا
عن جوابه فقتلوه الثالث لعل مراد امرائه ان يكون فرعون مشغول القلب بامر موسى حتى يكونوا في امن وسعة
قال جار الله ان فرعون كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شي فكيف لا يقصد قتل ان احس
بانه في وجوده وهدم ملكه وتغيير ما هو عليه من عبادة اصنامه كما قال اني اخاف ان يبدل الاية ولكنه كان
قد استيقن انه نبي وكان يخاف انه لم يقتله ان يعاجل بالهلاك قال وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط
خوفه من دعوة ربه وقال عبره على سبيل الاستهزاء يعني ان اقتله فليقتل ربه الذي يدعي وجوده حتى يخلصه ومعنى
تبديل الدين تغيير عبادة الاصنام كما مر في الاعراف في قوله يذرك والهتك والفساد التهارج والتنازع و
اختلاف الاراء والاهواء اراد به حديث لا محالة من العاصية فساد الدين والدنيا جميعا واحد الامرين على القرانين
ثم حكى ما ذكره موسى في دفع شر فرعون وهو العوذ بالله وفي تصدير الجملة بان دلالة على ان الطريق المعتبر في
دفع الافات الاستعانة والاستعاذة برب الارض والسموات وفي قوله ربي اشارة الى ان الذي رباني والى درجات
الخير فاني سيعصمني من شر هذا المارد الجاني وفي قوله وربكم احتراز عن نظر طان انه يريد به فرعون لانه رباه
في صغره الم نربك فينا وليدا وفيه بعث لقوم موسى على ان يقتدوا به في الاستعاذة فان اجتماع النفوس له
تأثير قوي وفي قوله من كل متكبر عن قبول الحق على سبيل العموم فائدتان احدهما شمول الدعاء فيدخل فيه فرعون بالتبعية
والثاني ان فرعون رباه في الصغر فلعله ادعى حسن الادب في عدم تعيينه وانما وصف المتكبر بقوله لا يؤمن بيوم
الحساب لان الموجب لايذاء الناس امران احدهما قسوة الطبع والثاني عدم اعتقاده بالجزاء والحساب ولا ريب انه اذا
اجتمع امران كان الخطب اقطع الاجتماع المقتضي وانقطاع المومن ثم شرع في قصة مومن آل فرعون والاصح انه كان قبطيا
ابن عم لفرعون امن بموسى سرا واسمه سمعان او حبيب او جبريل وقيل كان اسرائيليا وزيف بان المومنين من بني اسرائيل
لم يعلوا ولم يعزوا لقوله اقتلوا ابناء الذين امنوا معه فالوجه في تخصيصه ولقائل ان يقول الوجه تخصيصه
بالوعظ والنصيحة الان قوله فمن ينصرنا من باس الله وقوله يا قوم على راس كل نصيحة فغلب على الظن انه ينتصح لقومه
ومعنى ان يقول لاجل قوله او وقت ان يقول كانه قال منكرا عليهم لم ترتكبون الفعلة الشنعاء وهي قتل النفس
المحرمة اي نفس كانت لاجل كلمة حقة هي قوله ربي الله والدليل على حقيتها اظهار الخوارق والمعجزات وفي قوله
من ربكم استدراج لهم الى الاعتراف بالله ثم احتج عليهم بالتقسيم العقلي انه لا يخلو من ان يكون صادقا او كاذبا
وعلى الاول معود وبال كذبه عليه وعلى الثاني اصابكم ما توعدكم به العقاب واعترض على الشق الاول بان الكاذب
يجب دفع شره بامانته الى الحق او بقتله ولهذا اجمع العلماء على ان الزنديق يدعو الناس الى دينه يجب قتله وعلى الشق
الثاني بانه اوعدهم باشياء والنبي الصادق في مقالته الى الخلق لا محالة فلم قال يصبكم بعض الذي يعدكم ولم يقل
كل الذي والجواب عن الاول انما ردد بين الامرين بناء على ان امره مشكوك فيما بينهم والزمان زمان الفترة والجوع فابن
هذا من زماننا الذي وضح الحق فيه وضوح الفجر الصادق وبل ظهور الشمس في صحو النهار وعن الثاني انه من كلام
المنصف فانه قال ان لم يصبكم كلها او عدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه او اراد عذاب الدنيا وكان موسى وعدهم عذاب
الدنيا والاخرة جميعا وعن ابي عبيدة ان البعض ههنا بمعنى الكل واستشهد قول لبيد شعر تراك امكنة اذا لم ارضها او
يرتبط بعض النفوس حمامها خطاه جار الله وكثير من اهل العربية وقالوا انه اراد ببعض النفوس نفسه فقط
ثم اكد حقية امر موسى بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وقد هداه الله الى المعجزات الباهرة فهو اذن
ليس بمجاوز عن حد الاعتدال ولا بكذاب وقيل انه كلام مستانف من الله عز وجل وفيه تعريض بان فرعون مسرف
في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الالهية فلا يهديه الله الى شي من خيرات الدارين ويزيل ملكه ويدمر شيه
وقد يلوح من هذه النصيحة وما يتلوها من المواعظات ان مومن آل فرعون كان يكتم ايمانه الى ان قصدوا قتل موسى
وعند ذلك اظهر الايمان وترك التقية مجاهدا في سبيل الله بلسانه ثم ذكرهم نعمة الله عليهم وخوفهم زوالها
لقوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي غالبين على ارض مصر ومن فيها من بني اسرائيل والقبط فمن ينصرنا من

باس الله من يخلصنا من عذابه ان جاءنا وذلك ان قوم تكذيب بنبيه قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اي ما استنصح عليكم
برايي الا بما ارى من قتله وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد وصلاح الدين والدنيا او ما اعلمكم الا ما اعلم من
الصواب ولا اسر خلاف ما اظهر قال جار الله وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه
كان يتجلد وحكى ابو الليث ان الرشاد اسم من اسماء اصنامه قوله مثل يوم الاحزاب اي مثل ايام الاحزاب فان
لكل حزب يوم اي واقعة فاقتصر على الواحد لان جمعة المضاف اليه يدل على ذلك وقال الزجاج اراد يوم حزب قوله
مثل داب قال جار الله صاحب الكشاف لا بد من حذف مضاف اي مثل دابهم وهو عادتهم المستمرة في الكفر والتكذيب
ثم قال انه عطف بيان للاول لان اخر ما تناوله الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد
وثمود لم يكن الا عطف بيان الاضافة قوله الى اعلام يسري ذلك الحكم الى اول المضافات قلت لا باس من حمله
بدلا كما مر وقوله وما الله يريد ظلما للعباد ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد لان النفي للارادة اكد من نفي الفعل والتنكير
الظلم في سياق النفي وفيه ان تدميرهم كان عدلا وقسطا وقيل معناه انه لا يريد لهم ان يظلموا فدمرهم لكونهم ظالمين
وحين خوفهم عذاب العاجل خوفهم عذاب الاجل وايضا فقال ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد اما اليوم فيمكن
انتصابه على الظرفية لانه اخبر عن خوفه في ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب والاظهر ان يكون مفعولا به اي احذركم
عذاب ذلك اليوم وفي تسميته يوم القيمة بيوم التناد وجوه منها ان اهل الجنة ينادون اهل النار وبالعكس
كما مر في سورة الاعراف ومنها انه من قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم ومنها ان بعض الظالمين ينادي بعضا بالويل
والثبور قائلين يا ويلنا ومنها انهم ينادون الى المحشر ومنها انه ينادي المومن هاوم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم
اوت كتابيه ومنها ان يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح وينادي في اهل القيمة لا موت فيزداد اهل الجنة
فرحا على فرح واهل النار حزنا على حزن وقال ابو علي الفارسي التناد مخفف من التناد مشددا واصله من ند اذا هرب
نظيره يوم يفر المرء من اخيه وامه الاية ويؤيده قراءة ابن عباس مشددا وتفسيره بانهم يندون كما يند الابل
وقوله بعد ذلك اليوم يولون مدبرين لانهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربين فلا ياتون قطرا من الاقطار
الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه وقال قتادة معنى تولون مدبرين انصرافهم عن
موقف الحساب الى النار ثم اكد التهديد بقوله ما لكم من الله الاية ثم ذكر ما لا يهديه الله هو من اضله الله وهو قوله و
لقد جاءكم يوسف وفيه اقوال ثلثة احدها انه يوسف بن يعقوب وفرعون موسى هو فرعون يوسف و
البينات اشارة الى ما روي انه مات لفرعون فرس قيمته الوف فدعا يوسف فاحياه الله وايضا كشف الشمس بدعاه
فكشفها الله ومعجزاته في باب تعبير الرويا مشهورة فامن به فرعون ثم دعا الى الكفر بعد موت يوسف والثاني
هو يوسف بن يعقوب اقام فيهم عشرين سنة قاله ابن عباس وقال النقاش في تفسيره ان الله بعث اليهم رسولا
من الجن اسمه يوسف واورده اقضى القضاة ايضا وفيه بعد قال المفسرون في قوله ان يبعث الله من بعده رسولا
ليس اشارة الى انهم صدقوا يوسف بقوله فما زلتم في شك وانما الغرض بيان ان تكذيبهم لموسى مضموم الى تكذيب يوسف
ولهذا ختم الاية بقوله كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب قلت هذا انما يصح اذا لم يكن فرعون قد امن به لكنه
مروي كما قلنا اللهم الا ان يقال لو لا شكه في امره لما كفر بعد موته قال جار الله فاعل كبر ضمير عائد الى من هو مسرف
لانه موحد اللفظ وان كان مجموع المعنى وجوز ان يكون الذين يجادلون مبتدا على تقدير حذف المضاف اي جدال الذين
يجادلون كبر وجوز اخرون ان يكون التقدير الذين يجادلون كبر جدالهم على حذف الفاعل للقرينة وفي قوله وعند الذين
امنوا اشارة الى شهادة المومنين عند الله كان حتى قرنها الى شهادة نفسه والمقصود التعجب والاستعظام
لجدالهم وخروجه من حد اشكاله من الكباير ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما او باعتبار صاحبه
ومن قرا بالاضافة فظاهر لا حاجة فيه قلب والاصل على قلب كل متكبر كما يقال فلان يصوم كل يوم جمعة اي كل يوم جمعة
قال بعضهم التكبر هو المحل بالتعظيم لامر الله والجبار هو الذي يحمل بالشفقة على خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عن بناء فرعون
ليطلع على السماء وقد تقدم ذكره في سورة القصص قال اهل اللغة الصرح مشتق من التصريح الاظهار واسباب السموات
طرقها كما مر في اول ص في قوله فليرتقوا في الاسباب وفائدة بناء الكلام على الابدال هي فائدة الاجمال ثم التفصيل و
الابهام ثم التوضيح من تشويق السامع وغيره ومن قرا فاطلع بالرفع فعلى العطف اي لعلي ابلغ فاطلع ومن قرا بالنصب فعلى
تشبيه الترجي بالتمني والتباب الخسران والهلاك كما مر في قوله وما زادوهم غير تتبيب استدل كثير من المشبهة

بالايه على ان الله في السماء قالوا لان بديهه فرعون قد شهدت بانه في ذلك الصوت لو انه سمع من موسى
انه نصف المد بذلك الا ما دام بنا الصرح والجواب انه بديهه فرعون لا حجة فيها وسماعه ذلك من موسى
ممنوع و قد يطعن بعض اليهود بل كلهم في الاية بان تواريخ بني اسرائيل تدل على ان هامان لم يكن موجودا
في زمان موسى وفرعون انما ولد بعدهما بزمان طويل ولو كان مثل هذا الشخص موجودا في عصرهما لتوفر
الدواعي على نقله والجواب ان الطعن بتاريخ اليهود المنقطع الوسط لكثرة زمان الفترة اولى من الطعن في القران
المعجز المتواتر اولا ووسطا واخرا ثم عاد سبحانه الى الحكاية قول المؤمن وانه اجمل النصيحة اولا بقوله اتبعون اهدكم
ثم استانف مفصلا قائلا يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع يتمتع به اياما قلائل ثم يترك عند الموت ان لم
يزل نعيمها قبل ذلك وان الاخرة هي دار القرار المنزل الذي يستقر فيه ثم بين انه كيف تحصل المجازاة في الاخرة وفيه
اشارة الى ان جانب الرحمة ارجح ومعنى الرزق بغير حساب انه لا نهاية لذلك الثواب او انه يعطى بعد الجزاء شيئا زائدا
على سبيل التفضل غير مندرج تحت الحساب ثم صرح بانهم يدعونه الى النار وهو يدعوهم الى الخلاص عنها وفسر
هذه الجملة بقوله تدعونني لاكفر بالله ليعلم ان الشرك بالله اعظم موجبات النار والتوحيد ضده وفي قوله
مالي ادعوكم دون ان يقول ما لكم مع ان الانكار توجه الى دعائهم لا الى المجموع ولا الى دعائه سلوك الطريق
الانصاف ووجه تخصيص العزيز الغفار بالمقام انه غالب على ان الشرك به غفور لمن تاب عن كفره قوله لا جرم لا رد
لكلامهم وجرم بمعنى كسب او وجب او لا بد وقد مر في هود والنحل ومعنى ليس له دعوة لانه لا يقدر في الدنيا
على ان يدعو الناس الى نفسه لانه جماد ولا في الاخرة لانه اذا انطقه الله فيها يتبرأ من عابديه ويجوز ان يكون على حذف
اي ليس له استجابة دعوة كقوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء عن قتادة ع
المسرفين هم المشركون مجاهد السفاكون للدماء بغير حقها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم وقيل الذين جاوزوا في المعصية
حد الاعتدال كما بالدوام والاصرار وكيفا بالشناعة وخلع العذار فستذكرون اي في الدنيا عند حلول العذاب
او في الاخرة عند دخول النار وافوض امري الى الله قاله لانهم توعدوه وفي قوله فوقه الله دليل واضح على
انه اظهر الايمان وفي هذه النصائح قال مقاتل لما تم هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه
فلم يقدروا عليه قوله وحاق بال فرعون معناه انه رجع وبال المكر عليهم فاغرقوا ثم ادخلوا نارا ولا يلزم
منه ان يكونوا قد هموا بايصال مثل هذا السوء اليه ولئن سلم ان الحيوة يلزم فيه المماثلة فلعل فرعون قد هم باغراقه
او باحراقه كما فعل نمرود قوله يعرضون عليها اي يحرقون بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به و
قوله غدوا وعشيا اما للدوام كما مر في صفة اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما لانه اكتفى في العذاب
بايصال العذاب اليهم في هذين الوقتين وفي ساير الاوقات اما ان يبقى اثر ذلك والمه عليهم واما ان يكون
فترة واما ان يعذبوا بنوع اخر من العذاب الله اعلم بحالهم وفي الاية دلالة ظاهرة على اثبات عذاب القبر لان
تعذيب يوم القيمة يجيء في قوله ويوم تقوم الساعة قيل لا يجوز ان يكون المراد عرضهم على النار عوض النصائح عليهم في
الدنيا لان سماع الحق مرطعم قلنا عدول عن الظاهر من غير دليل ولما انجر الكلام الى شرح احوال اهل النار عقبه بذكر
المناظرات التي تجري فيها بين الاتباع والرؤساء والمعنى واذكر يا محمد وقت تحاجهم وقد مر نظير ذلك مرارا وفي قوله
ان الله قد حكم بين العباد اي قضى لكل فريق بما يستحقه اشارة الى الاقناط الكلي ولهذا رجعوا عن محاجة المتبوعين
الى الالتماس من خزنة النار ان يدعوا الله بتخفيف العذاب عنهم زمانا قال المفسرون انما لم يقل لخزنتها لان جهنم اسم
لقعر النار وكان لخزنتها قربا من الله وهم اعظم درجة من ساير الخزنة فلذلك خصوهم بالخطاب اما قوله الخزنة لهم فادعوا
ودعاء الكافرين لا يسمع فالمراد به التوبيخ والتنبيه على الناس كانهم قالوا الشفاعة مشروطة بشيئين كون المشفوع له
مؤمنا والشافع ماذونا له فيها والامران ههنا مفقودان على ان الجنة قد لزمتهم والتنبيه الجهنم ثم اكدوا ذلك بقولهم وما
دعاء الكافرين الا في ضلال الى لا اثر له البتة

انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم

الاشهاد ● يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم
سوء الدار ● ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب
هدى وذكرى لاولي الالباب ● فاصبر ان وعد الله حق و
استغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ● ان الذين
يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم الا
كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون ●
وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء قليلا ما تتذكرون ● ان الساعة لاتية لا ريب فيها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ● وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين ● الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون ● ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله
الا هو فانى تؤفكون ● كذلك يؤفك الذين كانوا بايات
الله يجحدون ● الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء
بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ●
هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب

العالمين ● قل انّى نهيت ان اعبد الّذين تدعون من دون الله لمّا
جاۤءنى البيّنات من ربّى وامرت ان اسلم لربّ العالمين ● هو الّذى
خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ
لتبلغوا اشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفّى
من قبل ولتبلغوا اجلاً مسمّى ولعلّكم تعقلون ● هو الّذى
يحيى ويميت فاذا قضى امراً فانّما يقول له كن فيكون ● الم تر
الى الّذين كذّبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف
يعلمون ● اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم
ثمّ فى النّار يسجرون ● ثمّ قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك
يضلّ الله الكافرين ● ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض
بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون ● ادخلوا ابواب جهنّم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبّرين ● فاصبر انّ وعد الله حقّ فامّا
نرينّك بعض الّذى نعدهم او نتوفّينّك فالينا يرجعون ● ولقد
ارسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتى باية الّا باذن الله
فاذا جاۤء امر الله قضى بالحقّ وخسر هنالك المبطلون ● الله الّذى
جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ● ولكم
فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك

تحملون ● ويريكم اياته فاىّ ايات الله تنكرون ●
افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين
من قبلهم كانوا اكثر منهم واشدّ قوّة واثاراً فى الارض
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ● فلمّا جاۤءتهم رسلهم
بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون ● فلمّا راوا بأسنا قالوا امنّا بالله وحده وكفرنا
بما كنّا به مشركين ● فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا راوا
بأسنا سنّت الله الّتى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون

القراۤءة لا ينفع على التذكير نافع وحمزة وعلى وخلف تتذكرون بتاۤء الخطاب عاصم وحمزة وعلى وخلف ادعونى استجب بفتح اليا ابن كثير سيدخلون من الادخال مجهولا ابن كثير ويزيد وعباس ورويس وحماد وابو بكر غير الشمونى شيوخا بكسر الشين ابن كثير وابن عامر وحمزة وعلى وخلف وهبيرة والاعشى وحماد **الوقوف** الاشهاد لا لان يوم بدل الدار الكتاب الالباب والابكار انهم لان ما بعده خبر ان ما هم ببالغيه لاختلاف الجملتين بالله البصير لا يعلمون ولا المسئ يتذكرون لا يؤمنون استجب لكم داخرين مبصرا لا يشكرون شئ لا لان ما بعده صفة شئ وحفظه نظام الا هو لابتداۤء الاستفهام ورجحان الوصل لفا التعقيب ولتمام المقصود الكلام تؤفكون يجحدون الطيبات العالمين شيوخا الجملتين يعقلون ويميت لاجل الفاء مع الشرط فيكون فى ايات الله لانها استفهاما وابتدا اخر يصرفون لاحتمال كون الذين بدل الضمير فى يصرفون رسلنا ان لم يقف على يصرفون يعلمون لتعلق الظرف والسلاسل لان ما بعده مستانفا ان وقيل والسلاسل مبتدا والعائد محذوف اى والسلاسل يجرون بها فى الحميم يسجرون للاية مع العطف من دون الله شيئا الكافرين تمرحون خالدين فيها المتكبرين حق للشرط مع الفا يرجعون نقصص عليك باذن الله المبطلون تاكلون للاية مع العطف وشدة اتصال المعنى تحملون لا لان ما بعده مستانف ولا وجه للعطف تنكرون من قبلهم للفصل بين الاستخبار والاخبار يكسبون يستهزءون مشركين باسنا الثانى عباده لان الفعل المعطوف عليه مضمر وهو سن الكافرون **التفسير** هذا من تمام قصة موسى وعود الى ما تجر الكلام منه وذلك انه لما والعوفيه الله وكان المؤمن من امة موسى علمنه ومما سلف مرادا ان موسى وساير قومه قد نجوا وغلبوا على فرعون وقومه فلا جرم وصرح بذلك فقال انا لننصر رسلنا الاية ونصرتهم فى الدنيا باظهار كلمة الحق وحصول الذكر الجميل واقتداۤء الناس بسيرتهم الى مدة ان شاۤء الله وقد ينصرون بعد موتهم كما ان يحيى بن زكريا قيل قتل به سبعون الفا واما نصرتهم فى الاخرة فبمزيد رفع الدرجات والتعظيم على رؤس الاشهاد من الحفظة والانبياۤء والمؤمنين وقد مر نبلى فى تفسير الاشهاد فى اوايل هود ثم بين ان يوم القيمة لا اعتذار فيها لاهل الظلم والغواية وان فرض اعتذار فلا يقبل وسوۤء الدار عذاب الاخرة ثم اخبر عن اعطاۤء موسى التورية وايراثها قومه من بعده والمراد بكون الكتاب هدى انه دليل فى نفسه وبكونه ذكرى ان يكون مذكرا للنبى المتقى وحين فرغ من قصة موسى وما يتعلق بها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله فاصبر ان وعد الله بالنصر واعلاۤء كلمة الحق حق كما قص عليك من حال موسى وغيره ثم امره بالاستغفار لذنوبه وقد سبق علوم الاولين والاخرين وقوله فصلت اياته دليل على انه فى غاية الكشف والبيان وكونه قرانا عربيا ولغة العرب افصح

اللغات مما يوجب ان يتوفر عليه الرغبات ولاسيما للعرب ومزداتهم وكونه بشيرا ونذيرا على ان الاحتياج
اليه من اهم المهمات لانه سعى في معرفة ما يوصل الى الثواب الابدي ويخلص عن العقاب السرمدي فاذا اعلم
المخاطبون هذه الفوائد ثم اعرض اكثرهم عن القران ولم يسمعوه سماع قبول دل ذلك على ان المهدي من هداه الله ومن
يضلله فلا هادي له ثم اكد بيان اعراضهم بقوله وقالوا قلوبنا في اكنة ولا يخفى انه سبحانه ذكر هذا في معرض
الذم فوجه الجمع بينه وبين قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا هو ان الذم انما توجه على
اعتقادهم انهم اذا كانوا كذلك لم يجز تكليفهم ولا اخطابهم بالامر والنهي او انهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء قال
جار الله فايدة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب دون ان يقولوا ان العبارة الثانية تدل على مطلق الحجاب ولكن
العبارة الواردة في القران تعني ان المسافة التي بينهم وبين رسول الله مملوة من الحجاب لا فراغ فيها كانه قبلان
الحجاب ابتدا منا ثم حكى عنهم انهم قالوا على سبيل التهديد والتخلية فاعمل اي على دينك او في ابطال ديننا اننا
عاملون اي على ديننا او في ابطال امرك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن شبهتهم بقوله انما انا
بشر مثلكم وتوجيه النظم اني لا اقدر على ان احملكم على الايمان جبرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز لي الا اني اوحي الي التوحيد
والامر به فعلي البلاغ وحده ثم ان قبلتم فولي اثابكم الله والا عاقبكم وقال في الكشاف اراد اني سوى صحت وجب
اتباعي ومن جملة ذلك القول بالتوحيد ثم بين ان خلاصة الوحي ترجع الى امرين الاستقامة والاقامة على التوحيد
متوجهين الى الله والاستغفار من تقصير قد يقع في الطاعة ثم هدد اهل الشرك بقوله وويل للمشركين وقرن منع
الزكوة بالكفر بالله اولا وبالاخرة ثانيا لان المال شقيق الروح وبه وببذله في سبيل الله يعرف الموافق من المنافق
نفيه بعث شديد لاهل الايمان على اداء الزكوة وفيه ان الشفقة على خلق الله قرينة التعظيم لامر الله وقيل كانت
قريش يطعمون الحاج ولا يطعمون المومنين فنزلت قاله الفراء وقيل اراد بالزكوة ههنا الايمان لانه يزكي النفس من
دنس الشرك ثم ذكر حال المطيعين وهو الثابت والممنون المقطوع وقيل هو من المنة قال جمع من المفسرين نزلت في
المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون لما حكى بعض قبايح المشركين وساير
الكفرة اراد ان يورد دليلا على التوحيد فامر رسوله ان يوبخهم بقوله ائنكم لتكفرون بالذي سمعتم ممن تصدقونهم
من اهل الكتاب وغيرهم انه خلق الارض في يومين ويجعلون له اندادا عمم الكفر اولا ثم خصص بنوع الشرك وجعل
فيها رواسي من فوقها اي بالنسبة الى سكان المعمورة تذكيرا لنعمه فوق نعم فان الجبال منافعها اكثر من ان تحصى
يعرف بعضها اهلها ولعلنا وقد عددنا في اول البقرة طرفا منها وبارك فيها بوضع الخيرات الكثيرة ومنها قال
ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال والاشجار والحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر فيها اقواتها قال مجاهد
يعني المطر فانه بمنزلة الغذاء للارض به حبوبها وعن محمد بن كعب اراد اقوات اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقيل
لا حاجة الى الاضمار فان الاضافة بحسن لادنى ملابسة اي وقدر فيها اقواتها التي يختص حد وثمانها في اربعة
ايام يعني مع اليومين الاولين فيكون ايجاد نفس الارض في يومين اخرين والمجموع اربعة ايام وخلق السماء في
تمام ستة فتكون هذه الاية موافقة لساير الايات وقد سبق هذا المعنى في اول سورة البقرة من قرا سواء بالرفع
فعلى انه خبر مبتدا محذوف اي هو سواء ثم ان كان الضمير للاربعة فمعناه ان تلك الايام مستوية في الطول و
القصر كايام خط الاستواء وهي تامة غير ناقصة بشيء فقد يطلق لفظ الكل على الاكثر وهذه احدى فوايد العدول
عن العبارة الصريحة وهي ان لو قال في يومين اخرين وقال بعضهم من فوايده انه لا يجوز عطف قوله وجعل خلق
لان قوله ويجعلون معطوف على لتكفرون ولا يجوز ان يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليه باجنبي لا يقال
جاء الذي يكتب وجلس ويقرأ فلا بد من اضمار فعل مثل الاول فتقدير الكلام ذلك رب العالمين خلق الارض
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام وهو كلام لا يرد عليه سؤال اصلا ومن
قرا بالجر فعلى وصف الاربعة بالاستواء والمعنى كما مر ومن قرا بالنصب فعلى المصدر اي استوت استواء ثم
ان كان الضمير للاربعة والمعنى كما قلنا وان كان للاقوات وكذا في قراءة الرفع احتمل ان يكون للسائلين متعلقا به
اي الاقوات والارزاق سواء لمن سال ولمن لم يسال كما يروى عن ابن عباس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا رديفه يقول خلق الله الارواح قبل الاجسام باربعة الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة
الاف سنة سواء لمن سال ولمن لم يسال وانا من الذين لم يسالوا الله الرزق ومن سال فهو جهل منه ويحتمل ان يكون

وقوله فسوف تعلمون اذ الاغلال في اعناقهم ليس كقول القايل سوف اصوم امس بناء على ان سوف
للاستقبال واذ للمضي لان اذ ههنا بمعنى اذا على عادة اخبار الله تعالى بنحو سبق ونادى وقال المبرد صادف زمانا
قبل سوف لان العلم وقع منهم بعد ثبوت الاغلال والمعنى علموا من الاغلال الذي كانوا وعدوه بعد انحق
بالوجود ومعنى يسجرون قال جار الله هو من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم
وهم مسجورون بها مملوة اجوافهم منها فالحاصل انهم يعذبون مرة بالماء الشديد الحرارة ومرة بالنار وقال
مقاتل في الحميم يعني حر النار ثم قيل لهم على سبيل التوبيخ اين ما كنتم ما موصولة مبتدا واين خبرها ومعنى ضلوا
غابوا وضاعوا ولم يقبل الينا ما كنا نرجو من النفع والشفاعة واكد هذا المعنى بقوله بل لم نكن ندعوا من قبل
شيئا اي شيئا يعتد به كما يقول حسبت ان فلانا شي فاذا هو ليس بشي اي ليس عنده خير مرجو ثم جوز الكذب على الكفار
لم يحتج الى هذا التاويل ثم انكروا عبادة الاصنام ثم قال كذلك يضل الله الكافرين قالت الاشاعرة اي عن الحجة
والايمان وقالت المعتزلة عن طريق الجنة بالخذلان وقال في الكشاف اي مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن
الهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يجد احدهما الاخر واعترض عليهم بانهم مقرونون بالهتهم
في النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والجواب ان يكون الجمع في النار لا ينافي غيبة احدهما
عن الاخر واجاب في الكشاف باختلاف الزمان وبتفسير الضلال بعدم النفع ذلكم العذاب بسبب ما كان لكم من
الفرح والمرح اي النشاط بغير الحق وهو الشرك وعبادة الصنم يجوز ان يكون القول محذوفا اي يقال لهم ادخلوا
ابواب جهنم السبعة المقسومة لكل طائفة مقدرين الخلود فيها فبئس مثوى المتكبرين يعني الذين مر ذكرهم في قوله
ان في صدورهم الا كبر والمخصوص بالذم محذوف وهو مثواكم او جهنم قال جار الله وانما لم يقل فبئس مدخل المتكبرين
حتى يكون مناسبا لقوله ادخلوا كقولك زر بيت الله فنعم المزار لان الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء وحين
زيف طريقة المجادلين مرة بعد مرة امر رسوله بالصبر على ايذائهم وانجائهم الى انجاز الوعد بالنصرة ثم قال فاما
نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب الدنيا فذاك او نتوفينك فالينا يرجعون هذا التقدير ذكره جار الله وقد مر
في يونس مثله واقول لا باس بان يعطف قوله او نتوفينك على نرينك ويكون الرجوع الى الله جزاءهما جميعا ومعناه
انا نجازيهم على اعمالهم يوم القيمة سواء عذبوا في الدنيا او لم يعذبوا ثم سلاه بحال الانبياء السالفة ليقتدي بهم
في الصبر والتماسك بقوله ولقد ارسلنا الاية ذهب بعض المفسرين الى ان عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الفا وقيل ثمانية الاف نصف ذلك من بني اسرائيل والباقي من ساير الناس ولعل الاصح ان عددهم لا يعلمه الا الله
لقوله تعالى الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله لكن الايمان بالجميع واجب
وعن علي كرم الله وجهه بعث الله نبيا اسود لم يقص علينا قصته ثم ان قريشا كانوا يقترحون ايات فمنها كما مر في
اواخر سبحان واول الفرقان وغيرهما فلا جرم قال تعالى وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله
بعذاب الدنيا او بالقيمة وقال ابن بحر امر الله الاية التي اقترحوها وذلك انه يقع الاضطرار عندها وخسر هنالك
اي في ذلك الوقت استعير المكان للزمان المبطلون وهم اهل الاديان الباطلة ثم عاد الى نوع اخر من دلايل التوحيد قال
الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا قال جار الله ظاهر النظم يقتضي ادخال لام العوض في القراين الاربع ادخلوا لكل
عنها فيقال لتركبوا ولتاكلوا ولتصلوا الى منافع ولتبلغوا او يقال منها تركبون ومنها تاكلون وتصلون وتبلغون الا انه
ورد لان المركوب قد يجب كما في الحج والغزو وكذا السفر من بلد الهجرة اطلب علم لا اقل من الندب فصح ان يكونا غرضين
واما الاكل واجابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادة كثير تعلق شرعا وانما قال وعلى الفلك ولم يقل
وفي الفلك مع صحته اذ هي كالوعاء ليزاوج قوله وعليها ويحمل على الظاهر وقيل من قول العرب حملت فلانا
على الفرس اذا وهبت له فرسا ثم وبخهم بقوله ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ثم حضهم وزاد توبيخهم بقوله
افلم يسيروا والاية وقد سبق وقوله فما اغنى عنهم ما نافية واستفهامية ومحلها النصب وقوله ما كانوا مصدرية
او موصولة اي كسبهم او الذي كسبوا قوله فرحوا لا يخلو اما ان يكون الضمير عائدا الى الكفار او الى الرسل وعلى الاول
فيه وجوه منها انه تهكم بعلمهم الذي يزعمون كقولهم وما اظن الساعة قائمة ايذا كنا ترابا وعظاما انا لفي خلق
جديد ومنها انه اراد بذلك شبهات الدهرية وبعض الفلاسفة كقولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا اذا سمعوا وحي
الله دفعوا وصغروا علم الانبياء بالنسبة الى علمهم كما حكي عن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام فقيل له لو هاجرت

اليه فقالوا نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهدينا ويروى ان جالينوس قال لعيسى عليه السلام بعث
لغيرنا ومنها ان يراد علمهم بنظام المعاش كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فرحوا به و
اعرضوا عن علوم الديانات وعلى الثاني يكون معناه ان الرسل لما راوا جهل قومهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا
من العلم وشكروا الله عليه وحاق الكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ووجه اخر وهو ان يكون ضمير فرحوا
للكفار وضمير فرحوا عندهم للرسل اى فرحوا بما عندهم من العلم وشكروا الله عليه وحاق الكافرين جزاء جهلهم
واستهزائهم ووجه اخر وهو ان يكون ضمير فرحوا للكفار وضمير عندهم للرسل فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح
ضحك واستهزاء به ثم بين ان ايمان الناس وهو حالة عيان العذاب وامارات نزول السلطان الموت غير نافع وقد
مرمرارا والمعنى فلم يك ينفعهم لو صح ولم يستقم لان الالجاء ينافي التكليف وترادف الفاءات في قوله فما اغنى
فلما جاءتهم فلما راوا فلم يك لترتيب الاخبار وتعاقب المعاني من غير تراخ وقال جار الله فما اغنى نتيجة قوله كانوا
اكثر منهم وقوله فلما جاءتهم جار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف
فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك
فلم يك تابع لايمانهم بعد الياس وقال اهل البرهان وانما قال ههنا وخسر هنالك الكافرون وفيما قبل المبطلون
لانه قال هناك قضى بالحق ونقيض الحق الباطل وههنا ذكر ان ايمان الياس غير مجد ونقيضه الكفر والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۝ تنزيل من الرحمن الرحيم ۝ كتاب فصلت اياته
قرانا عربيا لقوم يعلمون ۝ بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون ۝ وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ۝
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا
اليه واستغفروه وويل للمشركين ۝ الذين لا يؤتون الزكوة
وهم بالاخرة هم كافرون ۝ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون ۝ قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ۝ وجعل فيها رواسي

من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين
ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او
كرها قالتا اتينا طائعين ۝ فقضيهن سبع سموات في يومين و
اوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم ۝ فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود ۝ اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن
خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا
بما ارسلتم به كافرون ۝ فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون ۝ فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون ۝ واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون
بما كانوا يكسبون ۝ ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ۝
ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون ۝ حتى اذا ما جاؤها
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ۝
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل
شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ۝ وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم و

ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ● وذلكم
ظنكم الذى ظننتم بربكم اردىكم فاصبحتم من الخاسرين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ●

القراءة سواء بالرفع يزيد وقرا يعقوب بالجر الباقون بالنصب نحسات بسكون الحاء ابن كثير وابو عمرو ونافع وسهل ويعقوب واما ثمود بالنصب نحشر بالنون اعداء بالنصب نافع ويعقوب الاخرون بالياء مجهولا اعداء مرفوعا الوقوف حم كرر الرحيم لان قوله كتاب يصلح ان يكون بدلا من تنزيل وان يكون خبر مبتدا محذوف اى هو كتاب ويجوز ان يكون تنزيل الجمع وصفه مبتدا وكتاب خبره يعلمون لان بشيرا صفة اخرى لقرانا ونذيرا لاختلاف الجملتين لا يسمعون عاملون واستغفروه للمشركين كافرون ممنون ربع الجزء اندادا العالمين للاية مع العطف ايام لمن نصب سواء ورفع ومن جعل لم يقف للسائلين كرها طايعين امرها العدول بمصابيح لحق المحذوف اى وحفظنا ها حفظا ولعل الوصل اولى لما يجى وحفظا العليم وثمود بنا على ان اذ يتعلق بمحذوف وهو اذكر ومعنى العمل فى الصاعقة اى يصعقون اذ ذاك ولا يجوز ان يتعلق بانذرتكم الا الله كافرون منافق منهم قوة للفصل بين الاخبار والاستخبار يجحدون الدنيا لا ينصرون يكسبون يتقون يوزعون يعملون علينا ترجعون تعملون الخاسرين مثوى لهم المعتبين التفسير قال بعضهم الحا من الحكم والميم من المنة اى من على عباده تنزيل الحكم من الرحمن فى الازل الرحيم فى الابد وهو كتاب فصلت اياته اى ميزت اياته ومواعظه واحكاما وقصصا الى غير ذلك وقد مر فى اول هود وانتصب قرانا على المدح والاختصاص وعلى الحال الموطئة لقوم يعلمون اى لقوم عرب يفهمون معانيه بمعنى بالاصالة والباقين بعدهم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم منهم فالدعوة تحصل اولا لهم والاظهر عندى انه كقوله هدى للمتقين وذلك انه لا ينتفع بالقران الا اهل العلم به فالا اهل السنة الصفات المذكورة هاهنا للقران توجب شدة الاهتمام بمعرفته والوقوف على معانيه بيانه انكونه نازلا من الرحمن الرحيم دليل على ان تنزيله رحمة للعالمين وفيه شفاء لامراض القلوب وكونه كتابا والتركيب يدور على معنى الجمع كما سبق فى اول الكتاب يدل على ان فيه علوم الاولين والاخرين وقوله فصلت اياته دليل على انه فى غاية الكشف والبيان وكونه قرانا عربيا ولغة العرب افصح اللغات مما يوجب ان يتوفر عليه الرغبات ولا سيما للعرب وكونه بشيرا ونذيرا على ان الاحتياج اليه من اهم المهمات لان السعى فى معرفة ما يوصل الى الثواب الابدى ويخلص عن العقاب السرمدى فاذا علم المخاطبون هذه الفوايد ثم اعرض اكثرهم عن القران ولم يسمعوا سماع قبول دل ذلك على ان المهدى من هداه الله ومن يضلله فلا هادى له ثم اكد بيان اعراضهم بقوله وقالوا قلوبنا فى اكنة ولا يخفى انه سبحانه ذكر هذا فى معرض الذم فوجه الجمع بينه وبين قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا هو ان الذم انما توجه على اعتقادهم انهم اذا كانوا كذلك لم تجز تكليفهم ولا خطابهم بالامر والنهى وانهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء قال جار الله فايدة من قوله ومن بيننا وبينك حجاب دون ان يقولوا ان العبارة الثانية تدل على مطلق الحجاب ولكن العبارة الواردة فى القران تفيد ان المسافة التى بينهم وبين رسول الله مملوة من الحجاب لا فراغ فيها كانه قيل ان الحجاب ابتدا منا ثم حكى عنهم انهم قالوا على سبيل التهديد او التخلية فاعمل اى على دينك او فى ابطال ديننا اننا عاملون اى على ديننا او فى ابطال امرك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن شبهتهم بقوله انما انا بشر مثلكم وتوجيه النظم انى لا اقدر على ان احملكم على الايمان جبرا فانى بشر مثلكم ولا امتياز الا انى اوحى الى التوحيد والامر منحصر على التبليغ وحده ثم ان قبلتم فزتم وان ابيتم فالله ولى عقابكم و قال فى الكشاف اراد انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت بالوحى وجب اتباعى ومن جملة ذلك القول بالتوحيد ثم بين ان خلاصة الوحى ترجع الى امرين والاستقامة والاقامة على التوحيد متوجهين الى الله والاستغفار من تقصير قد يقع فى الطاعة ثم هدد اهل الشرك بقوله وويل للمشركين وقرن منع الزكوة بالكفر بالله اولا وبالاخرة ثانيا لان المال شقيق الروح وبه وببذله فى سبيل الله يعرف الموافق من المنافق ففيه بعث شديد لاهل الايمان على اداء الزكوة وفيه

ان الشفقة على خلق الله قرينة التعظيم لامر الله وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ولا يطعمون المومنين فنزلت قاله الفراء وقيل اراد بالزكوة هاهنا الايمان لانه يزكى النفس من دنس الشرك ثم ذكر جزاء المطيعين وهو غير ممنون اى غير مقطوع وقيل هو من المنة فالجمع من المفسرين نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا من الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون لما حكى بعض قبايح المشركين وساير الكفرة اراد ان يورد دليلا على التوحيد فامر رسوله ان يوبخهم بقوله اينكم لتكفرون بالذى سمعتم ممن يصدقونهم من اهل الكتاب وغيرهم انه خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا اعم الكفر اولا ثم خصص نوع الشرك وجعل فيها رواسى من فوقها اى بالنسبة الى سكان المعمورة تذكيرا للنعم فوق نعم فان الجبال منافعها اكثر من ان تحصى يعرف بعضها اهلها ولعلنا وقد عددنا فى اول البقرة طرفا منها وبارك فيها توضع الخيرات الكثيرة فيها قال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال والاشجار والحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر فيها اقواتها قال مجاهد يعنى المطر فانه بمنزلة الغذاء للارض به حيوتها وعن محمد بن كعب اراد اقوات اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقيل لا حاجة الى الاضمار فان الاضافة تحسن لادنى ملابسة اى وقدر فيها اقواتها التى تختص حدوثها فى اربعة ايام يعنى مع اليومين الاولين فيكون ايجاد نفس الارض فى يومين اخرين والمجموع اربعة ايام وخلق السماء فى تمام ستة فتكون هذه الاية موافقة لساير الايات وقد سبق هذا المعنى فى اول سورة البقرة من قرا سواء بالرفع فعلى انه خبر مبتدا محذوف اى هو سواء ثم ان كان الضمير للاربعة فمعناه ان تلك الايام مستوية فى الطول والقصر كايام خط الاستواء وهى تامة غير ناقصة بشى منه يطلق لفظ الكل على الاكثر وهذه احدى فوايد العدول عن العبارة الصريحة وهى ان لو قال فى يومين اخرين وقال بعضهم من فوايده انه لا يجوز عطف قوله وجعل على خلق لان قوله وتجعلون معطوف على لتكفرون ولا يجوز ان يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليه باجنبى لا يقال جاء فى الذى يكتب وجلس ويقرا فلا بد من اضمار فعل مثل الاول فتقدير الكلام ذلك رب العالمين خلق الارض وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام وهو كلام لا يرد عليه سوال اصلا ومن قرا بالجر فعلى وصف الاربعة بالاستواء والمعنى كما مر ومن قرا بالنصب فعلى المصدر اى استوت استواء ثم ان كان الضمير للاربعة فالمعنى كما قلنا وان كان للاقوات وكذا فى قراءة الرفع احتمل ان يكون للسائلين متعلقا به اى الاقوات والارزاق سواء لمن سال ولمن لم يسال كما روى عن ابن عباس قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وانا رديفه يقول خلق الله الارواح قبل الاجسام باربعة الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة سواء لمن سال ولمن لم يسال وانا من الذين لم يسالوا الله الرزق ومن سال فهو جهل منه واحتمل ان يكون قوله للسائلين متعلقا بقوله وقدر اى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها وهم فى الاحتياج سواء وقيل انه متعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر والبيان لاجل من سال فى كم خلقت الارض وما فيها لان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله قوله ثم استوى الى السماء اى توجه بداعى الحكمة بعد خلق الارض لا دحوها الى خلق السماء وقد مر فى اول البقرة قوله وهى دخان ذكر اصحاب الاثر وجاء فى اول توراة اليهود ان عرش الله قبل خلق السموات والارض كان على الماء فاحدث الله فى ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان اما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق الله منه الارض واما الدخان فارتفع وعلى فخلق منه السموات وزعم المتكلمون ان الله سبحانه خلق الاجزاء التى لا تتجزى وكانت مظلمة عديمة النور ثم ركبها وجعلها السموات وكواكب وشمسا وقمرا واحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة فصحت تسمية تلك الاجزاء قبل استنارتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا انها اجزاء متفرقة متواصلة عديمة النور واعلم ان ظاهر قوله ثم استوى يدل على ان خلق السماء متاخر عن خلق الارض وقد جاء مثله فى ايات اخر وفى الاخر النازعات الا ان الواحدى نقل فى البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السماء قبل الارض فتاول الاية بانه لفظه كان مضمر اى ثم كان قد استوى كما فى قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اى ان يكن يسرق وزيف بان الجمع بين ثم الدال على التاخر وبين اضمار كان الدال على التقدم جمع بين النقيضين ويمكن ان يجاب بان ثم هاهنا لترتيب الاخبار وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله المختار عندى ان يكون السماء مقدم على تكوين الارض والخلق الوارد فى الاية بمعنى التقدير كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فان ايجاد الموجود محال فمعنى الاية انه قضى بحدوث الارض فى يومين اى حكم بانه

سيحدث كذلك في مدة كذا قلت لو لم يكن قوله تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها الى قوله اربعة ايام لكان لهذا
التاويل وجه وقال بعض الصوفيه خلق الارض البشريه في يومي الهوى والطبيعه وهما من الانداد وجعل لها رواسي
العقل من فوقها لتستقر بها وبارك فيها بالحواس الخمس قدر اقواتها من ساير القوى البشريه في تتمة اربعه
ايام يعني في يومي الروح الحيواني والروح الطبيعي ثم استوى الى سماء القلب وهي دخان نار الروحانيه ففضى سماء
القلب اطوارا سبعه كقوله خلقكم اطوارا اولها الوسوسه ثم الهواجس ثم الرويه ما كذب الفواد ما راى ثم الحكمه ظهرت
ينابيع الحكمه من قلبه ثم ظهور المغيبات ثم المحبه ثم التجلي في يومي الروح والالهام الرباني وقوله فقال لها وللارض
الايه للمفسرين فيه قولان الاول اجر الكلام على ظاهره فانه ليس بمستبعد من الله انطاقهما اى جسم فرض بل ابداع
الحيوة والفهم فيه ولهذا قال طايعين على لفظ الجمع المذكر السالم فان جمع المونثه السالم لا يختص بالعقلا ووجه
الجمع ان اقل الجمع اثنان اولان كل واحد منهما سبع ومن هولاء من قال نطق من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما
عدابها فجعل الله لها حرمه على ساير الارض وعلى هذا القول لا يبعد ان يكون هذا التخاطب بعد الوجود فقالوا امنا
ايتنا بما خلقت فيكما اما انت يا سماء فاطلعي الشمس والقمر والنجوم واما انت يا ارض فاخرجي ما خلقت فيك
من النبات فقالتا اتينا بما احدث فيها مستجيبين لامرك ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما يقال اتي عمله
مرضيا ويجوز ان يراد ليات كل منكم صاحبها الاتيان الذي يقتضيه الحكمة من كون الارض قرارا والسماء سقفا
قوله طوعا او كرها اظهارا لكمال القدرة والتقدير ايتيا او شئتما كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت
او ابيت وانتصابهما على الحال بمعنى طايعين او كارهين القول الثاني ان هذا تمثيل لنفوذ قدرته فيهما ولا قول
ثمه وعلى هذا لا يبعد ان يكون المقصود تمامها على وفق ارادته وهما في حيز العدم وان يكون المراد ما تقدم
وقال بعضهم الطوع يرجع الى السماء على نهج واحد لا يختلف فتشبه مكلفا مطيعا والكره يعود الى الارض
لانها مكان تغير الاحوال ومحل الحوادث والمكاره قلت لعل هذين الوصفين لهما باعتبار سكانهما قوله فقضيهن
قضا الشي اتمامه والفراغ منه مع الاتقان والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سموات سبع وانتصب
سبع سموات على الحال واما مبهم مميز بما بعده ويروى انه خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق ساير ما
الارض في يوم الثلثا والاربعا وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعه وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعه
فخلق فيها ادم واسكنه الجنه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمه واوحى في كل سماء امرها اى امر اهلها من العبادة
والتكليف الخاص بكل منهم فبعضهم وقوف وبعضهم ركوع وبعضهم سجود وعلى هذا احتمل ان يكون خلق الملايكه
مع سموات وقبلها وقيل الايجاد هنا التكوين والايجاد وامرها شانها وما يصلحها وزينا السماء الدنيا بمصابيح
اى بالنيران المضيئة كالمصابيح وحفظناها حفظا من الشياطين المسترقه للسمع كما مر مرارا ويجوز ان
ان يكون حفظا مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم كمال
عزته قدر على خلق ما خلق ولشمول علمه دبر ما دبر ثم قال للتنبيه فان اعرضوا عن التوحيد بعد هذا البيان
الباهر والبرهان الظاهر فقل انذرتكم صاعقة لان اصرارهم على الجهل بعد وضوح الحق عناد ولا علاج لها
سوى التاديب بما يناسب يروى ان اباجهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا
عالما بالشعر والكهانة والسحر وكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة انا اتاك فاتاه فقال انت
خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة
والنساء والاموال ان نزل لك ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم الى
قوله مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة فذلك وناشده بالرحم ورجع الى بيته [illegible]
ما رى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه فقال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا
سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود ناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل
بكم العذاب فان قيل كيف يصح هذا الانذار وقد اخبر الله سبحانه في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ان
هذه الامة امنوا من التعذيب فلنا الانذار بمدينة وهذه مكية قوله اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم
ومن خلفهم وقيل الضمير في ما يدل الى الرسل اى اتاهم رسل بعد الرسل بل من بين ايديهم حذو رهم الدنيا
ومن خلفهم الاخرة وقيل من بين ايديهم الذين هم ايديهم ومن خلفهم هم الذين وصل اليهم خبرهم وكتبهم وحيقه

بين يديه اى يستعمل للشي الحاضر ومجاز ان يستعمل الماضي زمان قريب وقال بعض المحققون معناه اتاهم
الرسل من كل جهه واعملوا في ارشادهم كل حيله ان لا تعبدوا واى بان لا تعبدوا ويجوز ان يكون ان مفسرة او مخففه
وضمير الشان مقدر والفاء في قوله فانا للجزاء كانه قيل فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نومن بكم وقولهم ربنا
وكذا بما ارسلتم اى على زعمكم اوارادوا التهكم ثم فصل حال كل فريق قايلا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير
الحق هذا اخلال بالشفقة على الخلق وقالوا من اشد منا قوة وهذا اخلال بالتعظيم لامر الله ولهذا وبخهم بقوله
اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة لان الفاعل والعله اقوى من القابل والمعلول والقوة في الانسان
نتيجه صحة البنيه والاعتدال وحقيقتها زيادة القوة ولذلك جاز ان يقال الله اقوى منهم كما صح ان يقال الله اقوى
منهم كما صح ان يقال الله اقدر الله اكبر وان كان لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي وقوله ان كانوا باياتنا يجحدون معطوف
على قوله فاستكبروا وقالوا الا ان التوبيخ المذكور وقع اعتراضا في البين ثم اخبر عن اهلاكهم والصرصر الريح البارده
الشديدة الصوت صوعف من الصر بالكسر وهو البرد الذي يصر اى يجمع ويقبض ومن جنس الباب والنزك يدور
على الضم والجمع عن ابن عباس ان الله تعالى ما ارسل على عاده من الريح الا قدر خاتمي ومع ذلك اهلكت الكل والايام
النحسات هي التي ذكرها الله سبحانه في الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام والنحس بالسكون ضد السعد
وهو ان مخفف نحس بالكسر وهو اصل في نفسه كضخم او وصف بمقدر فاستدل به بعض الاحكاميين على ان بعض
الايام نحس وصفه بالسعادة وبعضها بضدها واجاب بعض المتكلمين بان المراد بالنحوسه كونها ذات غبار و
تراب وبرد والانصاف انه تكليف خارج عن قانون اللغه والاضافة في قوله عذاب الخزي كما في قوله رجل صدق
قوله ولعذاب الاخرة اخزى من الاسناد المجازي فان الذل والهوان لصاحبه قوله واما ثمود بالرفع على الابتداء
وقوله فهديناهم خبره قال سيبويه هذا افصح لان اما من قطان وقوع المبتدا بعده وقرى بالنصب اضمارا
على شريطة التفسير اتفقوا على ان المراد بالهدايه ههنا الدلاله المجرده لقوله بعده فاستحبوا العمى على
الهدى الا ان المعتزله تاولوه بانه انما شاع استعماله في الدلاله المجرده لانه مكنهم وافتتح عليهم فكانه
حصل النعمه فيهم بتحصيل ما يوجبها وبعضها وقد مر هذا البحث في اول البقرة في قوله هدى للمتقين
وصاعقه العذاب قارعته وداهيته والهون مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب سالفه
او بدله منه وكسبهم عظم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقه ثم بين احوال الذين امنوا والعوا المعاصي بقوله
ونجينا الاية وحين بين عقوبتهم في الدنيا اخبر عن عذابهم وعذاب ماثلهم في الاخرة فقال ويوم نحشر
الاية والعامل فيه اذكر محذوفا او هو ظرف لما يدل عليه يوزعون كانه قيل يمنعون يوم نحشرهم فحبس اولهم
حتى يلحق بهم اواخرهم قال جار الله هو عبارة عن كثرة اهل النار قلت وذلك لان الايزاع لا يحتاج اليه الا عند
كثرة العدد كما مر في النحل وما الابهاميه في قوله حتى اذا ما جاوها يفيد التاكيد وهو ان عند وقت مجيهم لابد
ان يحصل هذه الشهادة وشهادة الجلود ملابسة الحرام ويندرج فيه ذوق ما هو محرم وعن ابن عباس
المراد شهادة الفروج فيكون كنايه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه وفيه
وعيد شديد في فعل الزنى لان مقدمته ويحصل بالكف ونهايته يكون بمباعدة الفخذ قوله انطق كل شي من
العمومات المخصوصة اى ممن يصح النطق منه والمراد ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة الاولى
في الدنيا ثم خلقكم وابطالكم مرة اخرى وثالثه في القبر وفي القيمة كيف يستبعد منه انطاق الجوارح و
الاعضاء وقد مر تمام البحث فيه في يس وعن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر
ثقفيان وقرشي فقال احدهم اترون الله يسمع ما يقول فقال الاخر اذا رفعنا اصواتنا سمع والا لم يسمع وقال
اخر ان كان يسمع اذا رفعنا اصواتنا يسمع اذا خفضنا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وما كنتم
تستترون الايه وذلك انهم كانوا يستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب القبايح فقيل لهم ما كان استتاركم
ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم هذه لان ذلك غير ممكن فانها متصلة بكم وهي عوراتكم ومع ذلك فلم يكن
في اعتقادكم انها تشهد عليكم ولكنكم استترتم ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم
وفيه رد على بعض الجهلة الذين يستخفون من الناس ولا يمكنهم الاستخفاء من الله وفيه تنبيه على ان المومن
يجب عليه ان يكون في اوقات خلواته اهيب لربه واوفر احتشاما وادابه ثم اخبر ان ذلك الظن هو الذي

اهلكهم واوقعهم في هاوية الهوان والخسران وظنكم واردیكم خسران لذلكم او ظنكم بدل واردا كم خبر
وحده فان يصبروا والنار مثوى لهم ولا يسع الصبر لهم فرجا وخلاصا وان يستعتبوا طلبوا من الله الرضى
عنهم فما هم من المعتبين اى من المرضيين والمراد انهم باقون في مكروههم ابدا سكتوا او نطقوا قال
الضعيف مؤلف الكتاب اذا كان هذا وعيد من ظن انه يمكن اخفاء بعض الاعمال من الله بالاستتار والحجب فما ظنكم
بوعيد من جزم انه سبحانه غير عالم بالجزئيات نعوذ بالله من هذا الاعتقاد ووفقنا الله اعتقاد اهل السنة

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن و
الانس انهم كانوا خاسرين ● وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ● فلنذيقن الذين
كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون ●
ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا
يجحدون ● وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من
الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ● ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون
نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم
فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون ● نزلا من غفور
رحيم ● ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى
من المسلمين ● ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى
احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ●
وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما

ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
ومن اياته اليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون
فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له باليل والنهار
وهم لا يسأمون ● ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحى الموتى
انه على كل شئ قدير ● ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون
علينا افمن يلقى في النار خير ام من ياتى امنا يوم القيمة اعملوا ما
شئتم انه بما تعملون بصير ● ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد ● ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ● ولو جعلناه
قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ءاعجمى وعربى قل هو للذين
امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو
عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ● ولقد اتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب ● من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد
علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من

انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم فيقول اين شركآءى
قالوا اذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون
من قبل وظنوا ما لهم من محيص ● لا يسأم الانسان من دعآء الخير
وان مسه الشر فيؤس قنوط ● ولئن اذقناه رحمة منا من بعد
ضرآء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قآئمة ولئن رجعت
الى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
ولنذيقنهم من عذاب غليظ ● واذا انعمنا على الانسان اعرض
ونأ بجانبه واذا مسه الشر فذو دعآء عريض ● قل ارءيتم ان
كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد
سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ● الا انهم فى
مرية من لقآء ربهم الا انه بكل شئ محيط ●

القرآءة ربنا ارنا بسكون الراء ابن كثير وابن عامر وابو بكر وحماد ودويس وابو عمرو بالاختلاس والاخرون بكسر الراء اللذين بتشديد النون ابن كثير يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة والباقون بضم الياء وكسر الحاء اعجمى بهمزة واحدة هشام وقرأ بتخفيف الهمزتين حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الا الحلواني الباقون بالمد بمرات على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل شركآءى مثل من ورآءى على وزن عصاى قد مر وسورة مريم الى ربى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونأ بجانبه قد مر فى سبحانه **الوقوف** والانس للابتدآء بان مع احتمال كونه جواب القسم فى حق الاسفلين خاسرين يعلمون يعملون النار لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا اى كاينا لهم فيها دار الخلد يجحدون الاسفلين توعدون والاخرة لانقطاع النظم بتقدير الجار مع اتحاد المقول تدعون لحق المحذوف اى اصبتم او وجدتم نزلا رحيم المسلمين السيئة حميم صبروا لاتفاق الجملتين مع تكرارها للتوكيدين عظيم بالله العليم والعشى يعبدون لا يسأمون سجدة وربت الموتى قدير علينا القيمة شئتم ليكون ما بعده دالا على انه امر تهديد بصير لما جاءهم لان الخبر محذوف فيقدر ههنا او بعد قوله من خلفه كما يجى عزيز لاتصال الصفة من خلفه حميد قبلك اليم اياته وعربى وشفآء عمى بعيد فيه بينهم مريب فلنفسه فعليها للعبيد الجزء الخامس والعشرون الساعة بعلمه شركآءى لان قالوا عامل يوم اذناك لانه فى معنى القول وقع على الجملة بعده من شهيد للاية مع العطف محيص الخبر لاختلاف الجملتين الا ان مقصود الكلام يتم بها قنوط هذا لى يجوز لعلا لا بعوله مسلم قآئمة كذلك الحسنى لابتدآء الامر بالتاكيد مع فاء التعقيب عملوا منها لا للتفكر فى الحالين مع اتفاق الجملتين غليظ بجانبه فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق الجملتين عريض بعيد الحق شهيد ربهم محيط **التفسير** لما ذكر وعيد الكفار اردفه بذكر السبب الذى لاجله

وقعوا فى ذلك الكفر ومعنى قيضنا سببنا لهم من حيث لا يحتسبون او قدرنا او سلطنا واصله من القيض وهو البدل والمقايضة المعاوضة كان القرينين يصلح لكل منهما لان يقوم مقام الاخر والقرنآء احدانهم من الشياطين قرين فزينوا لهم ما بين ايديهم وهو الدنيا وما فيها من الشهوات وما خلفهم وهو فى الاخرة بان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وقيل ما بين ايديهم اعمالهم التى عملوها وما خلفهم ما عزموا على عمله وزينوا لهم عمل متعدى زمانهم والذين بعدهم عمرهم والاية على مذهب الاشاعرة واضحة وقال المعتزلة معناها انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرنآء سوى الشياطين ومعنى فى امم كائنين فى جملة امم وقد مر فى اوايل الاعراف كانوا يقولون اذا سمعتم القران من محمد فادفعوا اصواتكم باللغو وهو الساقط من الكلام فنزلت وقال الذين كفروا الاية يقال لغى بكسر العين يلغى بالفتح ولغى يلغو فلهذا قرأ بالضم ايضا والمقصود انهم علموا ان القران كلام كامل لفظا ومعنى وكل من سمعه ووقف على معانيه والصف حكم بانه واجب القبول مدبره فهذا التدبير الفاسد وهو قول بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القران اذا قرئ وتشاغلوا عن قرآئته برفع الصوت بالمكاء والهذيان والزجر لعلكم تغلبون القارى على قرآئته فلا يحصل غرضه من التفهيم والارشاد وحين حكى حيلتهم ذكر وعيدهم بقوله فلنذيقن الاية المضاف فى قوله سوآء اى جزآء اسوآء الذى ولذلك اشار اليه بقوله ذلك جزآء اعدآء الله وقوله النار بدل من الجزآء وخبر مبتدأ مضمر ودار الخلد موضع المقام قال الزجاج هو كما يقول لك فى هذه الدار دار السرور وانت تعنى الدار بعينها وقد وضع قوله بما كانوا باياتنا يجحدون موضع ان يقال بما كانوا يلغوا اقامة للسبب ثم حكى عنهم ما سيقولون فى النار وهو قولهم ربنا ارنا اى بصرنا الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس وذلك ان الشيطان ضربان جنى وانسى وقد ورد فى القران كثيرا وقيل هما ابليس الذى سن الكفر وقابيل الذى سن القتل ومن قرأ بسكون الرآء فلنقل الكسرة وقد يقال معناه اذ ذاك اعطا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارنى ثوبى بالكسر فمعناه بصرنيه واذا قلته بسكون فهو بمعنى الاعطا ونظيره اشهدا لا بيا معنى لاعطا واصله الاحضار نجعلهما تحت اقدامنا اى نطأهما اذلالا واهانة ليكونا من الاسفلين الاذلين وقيل فى الدرك الاسفل وقال وله بعض الحكماء الاسلام بانهما الشهوة والغضب المشار اليهما فى قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء كانهم سالوا التوفيق ان يجعلوا القرينين تحت قدم النفس الناطقة وحين اطنب فى الوعيد اردفه بالوعد على العادة المستمرة فقوله ربنا الله اشارة الى العلوم النظرية التى هى المسئلة راسها واصلها وقوله ثم استقاموا على الوسط دون الميل الى احد شقى الافراط والتفريط كما سبق تقريره فى قوله اهدنا الصراط المستقيم ومعنى ثم تراخى الاستقامة فى الرتبة على الاقرار وفيه ان حصول العلوم النظرية بدون القسم العملى كشجرة بلا ثمرة وقال اهل العرفان قالوا ربنا الله الميثاق فى عالم الارواح ثم استقاموا على ذلك فى عالم الاشباح وعن ابى بكر صديق معناه لم يلتفتوا الى اله غيره تتنزل عليهم الملائكة عند الموت او بعده وفى القبر وفى القيمة وان مضمرة او مخففة ولقد عرفنا الخوف والحزن مرارا والابشار لازم قال الجوهرى يقال بشر بمولود فابشر ابشارا فقوله لا تخافوا ولا تحزنوا اشارة الى دفع المضار فى المال وفى الحال وقوله ابشروا اخبار عن حصول المنافع وقوله نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا مقابل قوله وقيضنا لهم قرنآء فللملائكة تاثيرات فى الارواح بالالهامات الحسنة والخواطر الشريفة كما للشياطين تاثيرات بالالقاء والوساوس والهواجس وقد تقدم فى اوايل الكتاب فى تفسير الاستعاذة واذا كانت هذه الولاية ثابتة فى الدنيا بحكم المناسبة النورانية كانت بعد الموت اقوى واظهر لزوال العلايق الجسمانية وقيل فى الحيوة الدنيا بالاستغفار وفى الاخرة بالشفاعة وقيل كنا نحفظكم فى الدنيا ولا نفارقكم فى الاخرة حتى يدخلون الجنة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم يعنى الحظوظ الجسمانية ولكم فيها ما تدعون اى تتمنون من المواهب الروحانية وقد مر فى يس ساير الوجوه والنزل ما تهيأ للضيف وقد مر فى ذكر الغفور الرحيم ههنا مناسبة لا تخفى قال اهل النظم ان القوم لما اتوا بانواع السفاهة والايذآء كقولهم قلوبنا غلف لا تسمعوا لهذا القران حرض سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على مواظبة التبليغ والدعوة واحتمال اعباء الرسالة او لزام السيرة الفاضلة اظهار المزية على الجهال وتحصيلا للغرض بالرفق واللطف ما امكن فقال احسن قولا الاية ووجه اخر فى النظم وهو انه لما مدح الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وذكر جزآءهم وهم اهل الكمال اراد ان يبين حال المشتغلين بتكميل الناقصين زعم بعض المفسرين ان المراد بهذا الدعآء الاذان والعمل الصالح الصلوة بين الاذنين والاقامة ورفعوه الى عايشة والاصح انه عام لجميع الايمة والدعاة

الى طاعة الله وتوحيده ولا ريب ان مصطفاهم ومقتداهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم و
بعده العلماء بالله وهم الحكماء المتألهون وبعدهم العلماء بصفات الله وهم الاصوليون العلماء باحكام
الله وهم الفقهاء ثم الملوك العادلون الذين يدعون الى الله بالسيف او بسبب وفي الاستفهام الانكاري
دلالة على انه لا قول احسن من الدعاء الى الله ومن زعم انه الاذان ذهب الى ان واجب الاركان الواجب احسن
منه ونوقض بانا نعلم بالدلايل اليقينية ان الدعوة الى الدين القويم بالحجة او السيف احسن من الاذان
فلا يدخل الاذان تحت الاية قال جار الله ليس معنى قوله وقال انني من المسلمين انه تكلم بهذا الكلام و
لكن المراد انه يجعل من الاسلام مذهبه ومعتقده كما يقول هذا قول ابي حنيفة وقال اخرون اراد به
التلفظ به تفاخرا بالاسلام وتمدحا وزعموا ان فيه ابطال قول من جوز انا مسلم ان شاء الله فانه لو كان
ذلك معتبرا لورد في الاية كذلك ولا يخفى ضعفه وان التجويز عين الايجاب ثم صبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على سفاهة الكفار وعلمه الادب الحميد في باب الدعاء الى الدين بل في مطلق امور التهذيب
فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة لا زايدة لتاكيد نفي الاستواء والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة فقط
ومثالهما الايمان والشرك والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والعنف ثم ان سايلا كانه قال
فكيف يصنع فاجيب فادفع بالتي هي احسن فان الحسنة احسن من السيئة كما يقال الصيف احسن من الشتا
وذهب صاحب الكشاف الى ان لا غير مزيدة والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ
الحسنة التي هي احسن اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة مثاله رجل اساء اليك فالحسنة ان تعفو
عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته قال ومن جعل لا مزيدة فالقياس على تفسيره اي يقال ادفع بالتي
هي حسنة ولكنه وضع احسن مكان الحسنة ليكون ابلغ لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها
قال العارفون الحسنة التوجه الى الله بصدق الطلب والسيئة الالتفات الى غيره فاذا الذي اي اذا فعلت
ذلك انقلب عدوك وليا مصافيا قال مقاتل نزلت في ابي سفيان وكان موذيا للرسول الله صلى الله عليه
وسلم فصار يحاب بعد ذلك لما راى من لطف رسول الله وعطفه ثم مدح هذه السيرة واهلها بقوله
وما يلقاها الا الذين صبروا اي لا يعمل بها الا كل صبار على تجرع المكاره وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من قوة
جوهر النفس الناطقة بحيث لا يتاثر من الواردات الخارجية وقد يفسر الحظ العظيم بالثواب الجزيل وعن
الحسن ما عظم حظ دون الجنة ثم ذكر طريقا اخر في دفع الغضب والانتقام قائلا واما ينزغنك وقد مر
في اخر الاعراف والمعنى ان صرفك الشيطان عما امرت به فاستعذ بالله من شره وانما قال ههنا انه هو السميع
العليم بالفصل وتعريف الخبر ليكون مناسبا لما تقدمه من قوله ويلقيها موكدا بالتكرار وبالنفي والاثبات
ولم يكن هذه المقتضى في الاعراف فجاء على الاصل الاسم معرفة والخبر نكرة وحين ذكر ان احسن الاقوال
هو الدعوة الى الله بين ان الدلايل على وجوده فقال ومن اياته الى اخره والضمير في خلقهن للايات او الليل وما عطف
عليه ولم يغلب الذكر لان ذلك قياس مع العقلاء وفي قوله ان كنتم اياه تعبدون توسيف الطريقة الفاسدة
وما يعبد الكواكب جميلا وزعما انها الواسطة بين الخلق والاله فنهوا عن هذا التوسيط لان ذلك فطنه
العباد المستقلة لرفعة شانها وارتفاع مكانها وهذا بخلاف التوجه في الصلوة الى القبلة فان الحجر لما يظن
بانه معبود بالحق والجزم حاصل بانه لتوحيد متوجهات المصلين عند صلوتهم مع ان التثبيت شرفا ظاهر في
نفسه فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر فالذين عند ربك عندية بالشرف
والرتبة وهم الملائكة المقربون يسبحون له بالليل والنهار على الدوام والاستمرار وهم لا يسامون الساعة الملالة
والحاصل انهم لم يمتثلوا ما امروا به ونهوا عنه واتوا الا الواسطة منهم وشانهم وان ربك لا يعدم عاملا مخلصا
ولما فرغ من تقرير الايات السماوية شرع في الدلايل الارضية فقال ومن اياته انك ترى الارض خاشعة
واصل الخشوع التذلل فاستعير للارض التي لا خضرة بها ولا نفع فيها كما وصفها بالهمود وقد مر في سورة الحج
وذلك انها اذا اهتزت وربت اي انتفخت حين يهم النبت بالخروج منها كانت بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك
كالعقير الكاسف البال الملتبس بثوب الحياء وبعد تقرير الدلايل الباهرة وذكر وعيد الملحدين في اياته المنحرفين
عن الجادة والوعيد قوله لا يخفون علينا وكفى به وعيدا ثم اكده باستفهام على سبيل التقرير وهو قوله افمن يلقى

الى اخره وقوله يوم القيمة ظرف الامنا اولياكي ثم هددهم بقوله اعملوا ما شئتم الى اخره ثم ابدل من قوله ان
الذين قوله ان الذين كفروا بالذكر اي القران لانهم بكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا معانيه وعلى هذا فالخبر هو ما
تقدم من قوله لا يخفون وقيل هو كلام مستانف وعلى هذا فاختلفوا في خبر ان فالاكثرون على انه اولئك ينادون
وما بينهما اعتراض من تتمة الذكر وقيل خبره ما يقال اذ التقدير ما يقولون وقيل محذوف ثم اختلفوا فقال قوم ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم وقال اخرون هلكوا او يجازون بكفرهم ويجوز ذلك وهذا يمكن تقديره بعد قوله لما جاءهم
وبعد قوله من خلفه بعد قوله حميد العزيز معناه الغالب القاهر بقوة حجته على ما سواه من الكتب والمراد انه عديم النظير
لان الاولين والاخرين عجزوا عن معارضته اكد هذا الوصف بقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال جار الله
هو تمثيل اي لا يتطرق البطلان اليه بجهة من الجهات فلا ينقص منه شيء ولا يزاد عليه شيء وقيل اراد انه لا تكذبه
الكتب المتقدمة كالتورية والانجيل ولن يجي بعده ما يخالفه وقد يحتج ابو مسلم بالاية على عدم وقوع النسخ في القران
زعما منه ان النسخ نوع من البطلان ولا يخفى ضعفه فان بيان انتهاء حكم لا يقتضي ابطاله فانه حق في نفسه وما هو
بر في وقته تنزيل اي هو منزل من اله حكيم في جميع افعاله حميد اي جميع خلقه بسبب كثرة نعمه سلى نبيه صلى الله
عليه وسلم ما يقال ولكن فيه وجهان **احدهما** ما يقول لك كفار قريش الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من المطاعن
فيهم وفي كتبهم ان ربك لذو مغفرة للمحقين وذو عقاب اليم للمبطلين ففوض الامر الى الله واشتغل بما امرت به من
من الدعاء الى دينه **وثانيهما** ما يقول لك الله الا مثل ما قالوا لغيرك من الرسل من الصبر على سفاهة الاقوام وايذائهم
ويجوز ان يكون القول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخشاه اهل عصيانه
كانوا يقولون لولا انزل القران بلغة العجم تعنتا منهم فاجابهم الله بقوله ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا ممتعضين متكبرين
لولا فصلت اياته اي بينت بلسان نفقهه اقران اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي وانما جاز هذا التقدير الثاني
مع ان المرسل اليهم كثيرون وهم امة العرب لان الغرض بيان التنافي بين القران والذين انزل اليهم القران من العجمية والعربية
لا بيان انهم جمع او واحد كما يقول وقد رايت لباسا طويلا على امرة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة
قصيرة حيث بما هو فضل ومن قرا بغير همزة الاستفهام فعلى حذفها او على الاخبار بان القران اعجمي والرسول والمرسل
اليه عربي والغرض انهم لعنادهم لا ينفكون عن المراء والاعتراض سواء كان القران عربيا او عجميا وفيه افحام لهم وجواب
عن قولهم قلوبنا في اكنة فان القران اذا كان بلغتهم وهم فصحاء بلغاء فكيف لا يفهمونه الا اذا كان هناك مانع الهي
ولذلك قال قل هو للذين امنوا هدى وشفاء لداء الجهل والذين اي والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهذا التقدير
عند من يجوز العطف على عاملين ومن لم يجوز زعم ان الرابط محذوف تقديره والذين لا يؤمنون هو في اذانهم
وقر والذين لا يؤمنون به الى اخره والحاصل انهم لعدم انتفاعهم بالقران والحاصل كانهم صم عمي ثم اكد هذا المعنى بقوله
اولئك ينادون من مكان بعيد فلهذا لا يسمعون النداء اي مثلهم كمثل الشخص الذي ينادي من بعد فلا يسمع وان سمع
لم يفهم ثم شبه حال القران بحال الكتب المتقدمة في انها اختلف فيه الا انه خص كتاب موسى بالذكر لكثرة تحكما
وعجيب قصته والكلمة السابقة هي العدة بالقيمة وتاخير العذاب والقضاء بين المصدقين والمكذبين الى وقته
ثم ذكر ان جزاء كل احد يختص به سواء كان له او عليه وان الله لا يظلم احدا ثم كان لسايل ان يسال متى القيمة التي يتعلق
بها الجزاء فقال اليه لا الى غيره يرد علم الساعة اي ان سيل عنها قل لا يعلمها الا هو ثم عمم بعد هذا التخصيص فذكر
مثالين يعرف منهما انه علم جميع الحوادث المستقبلة في اوقاتها المعينة ليس الا له سبحانه والكم بكسر الكاف وعاء
الثمرة ثم ذكر من احوال القيمة طرفا اخر فقال ويوم يناديهم اي شركائي وهذا نداء تهكم وتوبيخ كما مر مرارا قالوا اذناك
قال ابن عباس رضي الله عنه اي سمعناك من اذن بالكسر اذا بالفتح اذا استمع وقال الكلبي علمناك قال الامام فخر الدين
الرازي هو بعيد لان اهل القيمة يعلمون انه تعالى يعلم الاشياء علما واجبا فالاعلام في حقه محال قلت لو اريد اظهرنا
معلومك زال الاستبعاد والمعنى ظهر وحصل في الواقع من جهة قولنا ما كان ثابتا في علمك القديم انا نستقوله كقوله
ولما يعلم الله الذين جاهدوا اي لم يحصل بعد معلومه في الواقع وقد مر وقولهم اذناك ماض ومعنى المستقبل على عادة
القران وانشاء للايذان واخبار عما قيل لهم قبل ذلك بانه يمكن ان يعاد عليهم هذا الاستفهام مرات لمزيد التوبيخ والمعنى
ما منا من شهيد ليس منا من يشهد اليوم بانهم شركاء لانا عرفنا عيانا انه لا شريك لك او هو كلام الشركاء احياها
الله وانطقها وتبرأ مما اضيف اليها من الشركة ومعنى الضلال على هذا التفسير عدم النفع ويجوز ان يراد ما من احد

لانهم غابوا عنا ومعنى يدعون يعبدون والظن بمعنى اليقين والمحيص المهرب وحين بين ان الكفار يتبرؤن في الاخرة
من شركائهم بعدما كانوا مصرين في الدنيا على عبادتهم بين ان الكافر يتبدل له في حال الاشر كلي او كثيري ففي حالة الاقبال لا يسأم
من طلب الجاه والمال وفي حالة الادبار يصير في غاية اليأس والانكسار وان عاود النعم بعد يأسه فلا يبدأن
يقول هذا انما وجدته باستحقاقي لي وهذا لا يزول عني ويبقى علي وعلى عقبي وانكر البعث وعلى فرض وجوده زعم
بل جزم ان له عند الله حالة الحسنى فابقى امر الاخرة على امر الدنيا ونظير الاية بما سبق في سورة الكهف ولئن رددت
الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فلا جرم حسب الله وعكس ما تصوره بقوله فلننبئن الى الحق وحين حكى قول
الكافر واخبر عن افعاله بقوله واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه اى تعظم وتجبر وقد سبق في سبحان وا يستعير
العرض لكثرة الدعاء ودوامه وقد يستعار الطول للكثرة ايضا وان لم يكن الشيء ذا جرم كما استعير الغلظ لشدة العذاب فان
قيل كيف قال ولا يؤس قنوط ثم قال فذو دعاء عريض قلنا انه يؤس بالقلب دعاء باللسان وقنوط من الصنم
دعا الله او الاول في قوم والثاني في اخرين ولما ذكر مرات في السورة مبالغة الكفار في العداوة والنفرة اشاع
الرسول والقران ارشدهم الى طريق احوط مما هم فيه فقال قل ارايتم الاية وتقريره انكم كما سمعتم القران اعرضتم عنه ثم كفرتم
به حتى قلتم قلوبنا في اكنة لا تسمعوا لهذا القران ومن المعلوم ان هذا الشيء بديهي فقبل الدليل احتمال ان يكون صحيحا و
حينئذ يلزم بعدم قبوله العقاب الابدي وقوله ممن هو في شقاق بعيد من وضع الظاهر مقام المضمر وهو منكم بيانا
لبعد سقوطهم في الشقاق والخلاف قاله في الكشاف واقول جواب الشرط بالحقيقة محذوف وهو قوله مثلا فمن اضل
منكم وانما قال في الاحقاف وكفرتم بالواو لان معناه في السورة كان عاقبة امركم بعد الامهال للنظر الكفر فحسن
دخول ثم مع انها تفيد التراخي في الرتبة وهناك عطف عليه قوله وشهد شاهد فلم يحسن الا الواو ثم بين ان الاسلام
يعلو ولا يعلى وان الغلبة والنصرة يكون له وبين فقال سنريهم اياتنا في الافاق وهي الفتوح التي وجدت في عصر
النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبين لهم انه اى محمد والقران او الدين الحق وجه التبيين ان هذا اخبار عن الغيب
فاذا وقع مطابقا دل على صدق المخبر بل اعجازه وواحد الافاق افق وهو الناحية من نواحي الارض او السماء وعند
المحققين الايات الافاقية هي الخارجة عن حقيقة الانسان وبدنه كالافلاك والكواكب والظلم والانوار والعناصر
والمواليد سواه ولا ريب ان العجائب المودعة في هذه الاشياء مما لا نهاية لها وانما نوقف عليها حينا بعد حين وقد
اكمل الله سبحانه من تقرير تلك الدلائل في القران بعضها في السور المكيات وكثير منها في الدنيا والايات النفسية
هي التي ودعها في تركيب الانسان وفي ربطه روحه العلوي ببدنه السفلي كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وفي
قولهم سنريهم دلالة على ان رؤية الادلة انما يكون بارادة الله تعالى الجار الله معنى قوله او لم يكف بربك انه على كل شيء
شهيد هو ان هذه الايات الموعودة يكفيهم دلالة على ان القران منزل من عالم الغيب المطلع على كل شيء وقال حكماء الاسلام
اراد بقوله او لم يكف توبيخ من ليس له رتبة الاستدلال بنفس الوجود على واجب الوجود فان هذا هو طريقة الصديقين يعني
واما غيرهم فانه يستدلون بالممكن على الواجب فيفتقرون في الافاق والانفس وقال اهل الحروف الافاق لاجل العوام
والانفس للخواص وقوله او لم يكف للخواص وقيل او لم يكف الانسان من الزجر والرادع من المعاصي كون الله شهيدا عليه
وقيل ان دلائل لا تختلف ما وعد لا ظاهر في الاشياء كلها ثم ختم السورة بتوبيخ الشاكين في امر البعث وبالبغي عليهم واوعدهم بانه عالم بكل
شيء فيجازي كلا على حسب ما يستحقه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ● عسق ● كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله

العزيز الحكيم ● له ما في السموات وما في الارض وهو العلي
العظيم ● تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو
الغفور الرحيم ● والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ
عليهم وما انت عليهم بوكيل ● وكذلك اوحينا اليك
قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه
فريق في الجنة وفريق في السعير ● ولو شاء الله لجعلهم امة
واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم
من ولي ولا نصير ● ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ● وما اختلفتم فيه من
شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه
انيب ● فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا
ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير ● له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم ● شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى
وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ●
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة

سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ● فلذلك فادع واستقم
كما امرت ولا تتبع اهوآءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب
وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير
والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند
ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ● الله الذى انزل الكتاب
بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب ● يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق
الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ● الله لطيف
بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ● من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ● ام لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم ● ترى الظالمين مشفقين مما
كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في
روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل
الكبير ● ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى

ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ●

القراءة: يوحى على البناء للمفعول ابن كثير وعباس يكاد بالياء التحتانية نافع وعلي ينفطرن بالنون ابو عمرو وسهل
ويعقوب وابو بكر وحماد والمفضل ابراهام كنظايره يبشر الله مخففا من البشارة ابن كثير وحمزة وابو عمرو وعلي الوقوف
حم عسق كوفي فيلك لمن قرا يوحى مجهولا كانه قيل من الموحى فقال الله اى هو الله حكيم وفي الارض العظيم لمن في الارض
الرحيم عليهم والوصل وجه لان نفى ما بعده تقرير باثبات ما قبله بوكيل لا ريب فيه السعير رحمته بصير اولياء
للفصل بين الاستخبار والاخبار مع دخول الفاء الموقى فصلا بين المقدور المخصوص وبيان القدرة على العموم
مع اتفاق الجملتين قدير الى الله انيب والارض ازواجا الثاني لان ضميره فيه يحتمل ان يعود الى الازواج الذى
هو مدلول الازواج او الى الناس وان لم يسبق ذكره فيه شى لعطف الجملتين المختلفين البصير والارض لاحتمال
ما بعده الاستيناف والحال والعامل معنى الفعل في له او في الملك ويقدر عليم فيه اليه ينيب بينهم وكذلك
بعده مريب فادع كما امرت اهوائهم كتاب كل ذلك للترتيب في القراءة وان انفقت الجملتان بينكم وربكم اعمالكم
وبينكم بيننا المصير شديد والميزان قريب بها لعطف المختلفين مع العطف والحال الحق بعيد من يشاء لاحتمال
عطف وهو على جملة قوله الله لطيف وهما متفقتان العزيز حرثه لعطف جملتى الشرط نصيب به الله بينهم اليم بهم الجنات
لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال ربهم الكبير الصالحات القربى حسنا شكور التفسير الكلام في حم كما سبق واما
في عسق فقد قيل انه مع حم اسم للسورة وقيل رموز الى فتن كان على كرم الله وجهه يعرفها وقيل الحاء حكم الله والميم ملكه و
العين علمه والسين سناؤه والقاف قدرته وقيل الحاء حرب على ومعويه والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية
والسين ولاية السفيانية والقاف قدرة مهدى وهذه الاقاويل مما لا معول عليها وقال اهل التصوف بحاجته
وميم محبوبه محمد وعين عشقه على سيده وقاف قربه الى سيده اقسم انه يوحى اليه والى سائر الانبياء من قبله
الله محبوبه في الازل وبتبعيته خلق الكاينات والاولى تفويض علمها الى الله كساير الفواتح وانما فصل حم عسق
حتى عدا يتين خلاف كهيعص لتقدم حم قبله واستقلالها بنفسها ولان حم ذكر الكتاب بعدها صريحا الا هذه
فانها دلت عليه دلالة التضمن بذكر الوحى الذى يرجع الى الكتاب روى عن ابن عباس انه لا نبى صاحب كتاب الا وحى
الله اليه حم عسق والله اعلم بصحة هذه الرواية لا ظهر ان يقال مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى الله اليك والى
الانبياء قبلك والمراد المماثلة في اصول الدين كالتوحيد والعدل والنبوة والمعاد وتقبيح حوال الدنيا
والترغيب في الاخرة كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى وفي ورود لفظ يوحى مستقبلا لا
لا ماضيا اشارة الى ان الحاء مثله عادته ثم بين سعة ملكه واخبر عن غاية جلاله بقوله له ما في السموات الى
اخره ثم اخبر عن قضائه ما ارتكبه اهل الشرك فقال تكاد السموات ينفطرن وقد سبق في اخر سورة مريم ومعنى
من فوقهن ان الانفطار يبتدى من اهل السموات او ما فوقها من العرش والكرسى الى ان ينتهى الى السفلى او في
الابتداء من جهة الفوق زيادة تفظيع وتهويل قال جار الله كانه قيل ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة
التى تحتهن وقيل معناه التى حصلت هذه السموات فيها وفيه ضعف لانه كقول القايل السماء فوقنا وقيل الضمير
للارض وقد تقدم ذكرها اى من فوق الارضين وروى عكرمة عن ابن عباس ينفطرن من ثقل الرحمن فان صحت
الرواية كان في الظاهر دليلا للمجسمة ولاهل السنة ان يتاولوا الثقل بالهيبة والجلال او يقدروا مضافا محذوفا
اى من ثقل ملائكة الرحمن كقوله صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع شبر الا وفيه
ملك قايم او راكع او ساجد ثم ان تنقل من وصف الجسمانيات الى ذكر الروحانيات وان لهم بالوجه الذى الى عالم الارواح
يسبحون وبالوجه الذى هو الى عالم الاجسام يستغفرون فقال والملائكة قيل هو عام وقيل حملة العرش كما مر في
سورة المومن الا ان ذاك عم هاهنا فقال لمن في الارض اى يطلبون ان لا يعاجل الله اهل الارض بالعذاب طمعا في توبة
الكفار والفساق منهم وقيل هو مخصوص بما مر اى يستغفرون للمومنين منهم ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم
بان المشركين انما يحاسبهم الله وما عليك الا البلاغ قوله وكذلك اوحينا قال ابن بحر هو الوقف عليهم وما انت عليهم
بوكيل وقد كرر الله هذا المعنى في كتابه في مواضع قرانا عربيا حال والمعنى مثل ذلك المذكور اوحيناه اليك
وهو قران عربى بين لا لبس فيه ليفهم معناه ولا يحتاجوا فيه الى الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى الايحاء اى

كما اوحينا الى الرسل قبلك اوحينا اليك فيجوز ان يكون المماثلة بالحروف المفردة وان يكون اصول الدين
كما مر قال اهل اللغة يقال انذرته كذا وبكذا فمن الاستعمال الثاني قوله لتنذر ام القرى اى اهل مكة على حذف المضاف
والمفعول الثاني وهو بالقران محذوف ومن الاستعمال الاول قوله وتنذر يوم الجمع والمفعول الاول محذوف
اى تنذر الناس يوم يجمع فيه الخلائق او يجمع فيه الارواح والاجساد او بين كل عامل وعمله قلت من الجايز ان يكون
الكل من الاستعمال الاول ولا حذف الا ان قوله وتنذر يكون تكريرا للمبالغة والتقدير الاصلى لتنذر ام القرى
يوم الجمع وقد مر في القصص في قوله حتى يبعث في امها ان مكة لم سميت ام القرى وقوله ومن حولها يحتمل اطراف
عموم الارض لان مكة في وسطها ويحتمل ان يكون المراد به ساير جزيرة العرب ويدخل باقى الامم بالتبعية او بحى
اخر كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس وقوله لا ريب فيه اعتراض لا محل له او صفة الجمع بناء على ان التعريف
الجنسى فيه قريب من النكرة وقوله فريق مبتدا محذوف الخبر اى منهم فريق كذا ومنهم فريق كذا اى هذا مالى حالهم بعد
الحشر والاجتماع ثم بين بقوله ولو شاء الله الى اخره ان السعادة والشقاوة والهداية والضلال يتعلق بمشيته
وارادته وهذا على مذهب اهل السنة ظاهر وقالت المعتزلة الا مشية القسر والالجا وقد مر نظاير امثال ذلك و
الظاهر ان المراد بكونهم امة واحدة ان يكونوا مسلمين كلهم وقيل ان يكونوا اهل ضلالة قياسا على قوله ولولا
ان يكون الناس امة واحدة ثم انكر على اهل الشرك بام المنقطعة فقال ام اتخذوا من دونه اولياء ان ارادوا اولياء بحق
فالله هو الولى الذى يجب ان يعتقد انه المولى والسيد لا ولى سواه ومن شانه انه يحيى الموتى وهو على كل شى
قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا وحين منع الرسول من التحزن على مركمهم اراد ان يمنع المومنين من الاختلاف و
التنازع فقال وما اختلفتم والتقدير قل يا محمد كذا بدليل قوله ذلكم الله ربي الاية والمراد ان الذى اختلفتم انتم
واكدوه فيه من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه الى الله وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين وقيل ما اختلفتم فيه
من الايات المتشابهات فارجعوا الى بيانه الى المحكمات او الى الظاهر من السنة وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من
العلوم التى لا تتصل بالتكاليف فقولوا الله اعلم به لمعرفة الروح وغيره قال في الكشاف ولا يندرج فيه اختلاف
المجتهدين لان الاجتهاد لا يكون بحضرة الرسول قلت ان لم يحضره فانه جايز بعده وقوله وما اختلفتم شامل لجميع
الامة الى يوم القيمة مثل يا ايها الناس ومثل اقيموا الصلوة والاظهر ان اختلافهم يدخل فيه فان المراد فحكمه
يعرف من بيان الله سواء كان ذلك البيان بالنص او بالقياس او بالاجتهاد فان قيل المقصود من التحاكم قطع الا
ختلاف ولا قطع مع القياس ولا مع الاجتهاد قلنا اذا كان القياس مامورا به وكذا الاجتهاد بل يكون كل مجتهد
مصيبا كانت المخالفة في حكم الموافقة ولهذا قال اختلاف امتى رحمة ثم وصف نفسه باوصاف الكمال ونعوت الجلال
تاكيدا لصحة احكامه فقال فاطر السموات والارض وهو احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف ومعنى ومن الانعام
ازواجا انه خلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم فيه اى يكثركم في هذه التدبير وهو ان جعل للناس
وللانعام ازواجا حتى حصل بين الذكور والاناث التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم راجع الى المخاطبين
والى الانعام وهو من الاحكام ذوات العلتين وذلك ان فيه تغليبين تغليب المخاطبين على الغايبين وهم سوحد
الحيوم البهيمة وتغليب العقلاء على غيرهم وعلة الاول الخطاب وعلة الثاني العقل وانما قال يذرؤكم فيه ولم
يقل به لانه جعل التدبير منبعا ومعدنا للتكثير كقوله ولكم في القصاص حيوة او لان حروف الجر يقام بعضها مقام
البعض ومعنى ليس كمثله شى نفى المثلية عنه بطريق الالتزام وذلك انه ان كان له مثل والله تعالى شى لكان مثل
مثله شى وهو خلاف نص المخبر الصادق وهذا المحال انما لزم من فرض وجود المثل له فوجود المثل محال وهو المطلوب
ولعل هذا التقرير مختص بنا وقال في الكشاف انه من باب الكناية كقولك مثلك لا يبخل نعوت انت لا تبخل وكذا
ههنا يريد ليس كالله شى وجوز ان يكون تكرير حرف التشبيه للتاكيد وقد يستدل بالاية على نفي الجسمية و
لوازمها عنه تعالى لان الاجسام متماثلة في الحقيقة قوله له مقاليد السموات والارض اى مفاتيح خزاينهما وقد
مر في الزمر والباقى واضح وقد سبق ايضا وحين عظم وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى
اليك الى اخره ذكر تفصيل ذلك فقال شرع لكم اى وجب وسن لاجلكم من الدين ما وصى به نوحا وهو اقدم الاديان
بعد الطوفان والذى اوحينا اليك وهو خاتمها وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى وهى الملل المعتبرة المتوسطة
ثم فسر المشروع الذى اشترك هولاء الاكابر من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين الحنيفي ومحله نصب بدل من مفعول

شرع او رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين يعنى ادامة اصوله من التوحيد والنبوة
والمعاد ويجوز ذلك دون الفروع التى تختلف بحسب الاوقات كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وفي بناء الكلام على
الغيبة ثم الالتفات الى التكلم في اوحينا والخطاب في اليك تفخيم لشان الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حكى حسد اهل
الشرك بقوله كبر على المشركين اى شق وعظم عليهم ما يدعوهم اليه من الدين المتبرى من عبادة غير الله ثم اجاب عن شبهتهم
بان الاجتباء والاصطفاء يتعلق بمشية الله لا يختص كل احد ولا بكثرة المال والجاه يقال اجتباه اليه اى اصطفاه لنفسه
والتركيب يدل على الجمع والضم ويحتمل ان يراد يجتبى الى الدين ثم اخبر عن وقت تفرق كلمة اهل الكتاب وعن سبب ذلك فقال
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث محمد وصحة نبوته كقوله في ال عمران وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل ما تفرق الامم الذين تقدم ذكرهم الا بعد العلم لصحة ما امروا به فقال بعض اهل الكتاب
لما ذكر مبدا كفرهم وهو قوله من بعد ما جاءهم العلم حسن ذكر نهاية امهالهم وهو قوله الى اجل مسمى ليكون محدودا
من الطرفين وانما ترك ذكر النهاية في السورة المتقدمة لعدم ذكر نهاية البداية وان الذين اورثوا الكتاب هم العرب
اورثوا القران من بعد ما ورث اهل الكتابين كتابهم او هم اهل الكتاب المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل جاءهم اسباب العلم فلم ينظروا فيها لانه حكم عليهم في الاخر الاية بانهم في شك على كتابهم وهو مع العلم غير
مجتمعين فلذلك اى فلاجل تشعب الملل وتفرق الكلم فادع الى الملة الحنيفية وقيل اللام بمعنى الى والاشارة الى القران
واستقم عليها كما امرت ولا تتبع اهواءهم المختلفة وقل امنت بما انزل الله من اى كتاب كان وامرت لاعدل بينكم اى
في التبليغ او اذا تحاكمتم الى حتى لا افرق بين نفسى ونفس غيرى ثم اشار الى ما هو اصل في الدين فقال الله ربنا وربكم
لنا جزاء اعمالنا ولكم جزاء اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم وليس المراد منه تحريم المحاجة فانه لولا الادلة لما توجه التكليف
بل المراد انهم بعد ان وقفوا على الحجج الباهرة والدلايل الظاهرة على حقية دين الاسلام لم يبق معهم حجة انسانية وانما بقى السيف
وقيل انه منسوخ باية القتال وقوله والله يجمع بيننا اشارة الى المهاجرة التى اقتضت اصرارهم على الباطل وتفويض
الامر الى المجازى المنتقم ثم اخبر عن وعيد المخاصمين في امر دين الله من بعد ما استجيب له اى بعد ما استجاب له الناس
وقبلوا دينه او بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر حجتهم داحضة اى باطلة زايلة عند ربهم وذلك ان اليهود
والنصارى كانوا يقولون كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فانتم اولى باتباعنا وايضا انكم تقولون الاخذ بالمتفق عليه
اولى من الاخذ المختلف فيه ونبوة موسى وحقية التورية متفق عليها ونبوة محمد مختلف فيها والجواب ان نبوة موسى
انما صحت بالمعجز فان كانت المعجز في حقه مصححة للنبوة ففى حق محمد كذلك والا فانتم القادحون في نبوة نبيكم ايضا
ثم حث على سلوك طريقة العدل حذرا من عقاب يوم القيمة فقال الله الذى نزل الكتاب اى جنسه ملتبسا بالغرض
الصحيح والميزان اى انزل العدل والتسوية في كتبه او انهم اتخاذ الميزان وقيل العقل وقيل الميزان نفسه وذلك في
زمن نوح وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بينهم بالكتاب وما يدريك يا محمد ان يجتهد في اداء ما عليه
من التكاليف ولا يتوانى في سلوك سبيل الانصاف مع الخالق والخلق فانه لا يعلم ان القيمة متى تفاجيه ثم قبح طريقة
منكرى الساعة فقال يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقولون على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى
يظهر لنا جلية الحال ثم مدح المقربين بانهم يخافون القيمة هيبة من الله واجلالا او حذرا من تقصير وخلل وقع في العمل
الا ان خوفهم يجب ان يكون ممزوجا بالرجاء ولعدم تحقيقه مرارا ثم صدد الشاكين المجادلين في امر البعث بقوله الا ان
الذين يمارون واصله من المرية الشك لفى ضلال بعيد عن الصواب لان استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب على
فضله او في حكمته ولان في انكاره تشبيه الله سبحانه الى ضد العلم والقدرة ثم انه لا ريب ان انزال الكتاب والميزان
لطف من الله على خلقه فلذلك قال الله لطيف بعباده عمم البر ثم خصص بقوله يرزق من يشاء يعنى الزايد على مقدار
الضرورة فلكم من انسان فاق اقرانه في المال والجاه او الاولاد او في العلم او في ساير اسباب المزية الا ان احدا منهم
لا يخلو من لطف بهم فلا يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا وقد مر معناه في الانعام بوجه اخر في قوله وهو اللطيف الخبير
واما قوله وهو القوى العزيز ففيه اشارة الى ان لطفه مقرون بقهره وحين ذكر انه يرزق من يشاء الزايد على مقدار
كفايته وكان فيه كسر قلوب ارباب الضنك والضيق جبر كسرهم بقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه سماه
حرثا تشبيها للعامل الطالب لثواب اضعافا مضاعفة بالزارع الذى يلقى البذر في الارض طلبا للزيادة والنما ومن كان
يريد حرث الدنيا هذا من قبيل المطابقة والا فالحرث ههنا بالحقيقة لان الذى يضيع من طالب الدنيا هو العمر الذى

يحصل به السعادة الباقية اشرف بكثير من الذي قد يحصل له الدنيا بالتبعية ويوفى ثواب عمله اضعافا مضاعفة
وطالب الدنيا لا يحصل له المطالب باسرها ولهذا قال نؤته منها اي بعض ذلك وما له في الاخرة من نصيب
قط في زيادة لفظ الحرث فائدة اخرى وهي ان شيا من الشيين لا يحصل الا بتحمل المتاعب والمشاق وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من اصبح وهم الدنيا شتت الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب
له ومن اصبح وهم الاخرة جمع همه وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة هذا اللفظة او لفظ هذا معناه وعن
قتادة ان الله يعطي الدنيا على نية الاخرة ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا وفي ظاهر اللفظ دلالة على ان من صلى
لطلب الثواب او لدفع العقاب فانه يصح صلوته ولانه صلى لاجل ما يتعلق بالاخرة قال بعض اصحاب الشافعي
اذا توضأ بغير نية لم يصح لان هذا الانسان غفل عن الاخرة وعن ذكر الله فالخروج من عهدة الصلوة من باب منافع
الاخرة فلا يحصل بالوضوء العاري عن النية وحيث بين القانون الاعظم والقسطاس الاقوم في اعمال الدارين نبه على
احوال اهل الضلال بقوله ام لهم شركاء وهي المنقطعة عند بعضهم وقال اخرون هي المعادلة لالف الاستفهام في تقديره
افيقبلون ما شرع الله من الدين ام لهم الهة شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله اي لم يأمرهم به او لم يعلمه كقوله
اتنبئون الله بما لا يعلم والاذن بالفتح العلم بالمسموعات وتحقيقه شرعوا ما ليس بشرعية اذ لو كان شريعة لعلمها
الله ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاخير الجزاء لقضي بينهم والضمير للمؤمنين والكافرين او المشركين والشركاء
ترى الظالمين في القيمة مشفقين خائفين مما كسبوا من الجرائم وهو اي وبال ذلك واقع بهم واصل اليهم لا محالة والذين
امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات اي متنزهاتها قالت الاشاعرة فيه دليل على ان ميزها من الاماكن في الجنة
تعين المذكورين وغيرهم ليس الا الفاسق ولم يعمل صالحا وهو الفاسق وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اضافة الروضات
الى الجنات من اضافة العام الى الخاص فيكون الجنات كلها روضات ولكن الروضات قد لا يكون في الجنة كقولها
في الدنيا والفضل الكبير يقدم في فاطر ذلك المذكور او الثواب او التبشير هو الذي يبشر الله به عباده حذف الجار
ثم الراجع الى الموصول ثم امر رسوله بان يقول لا اسئلكم عليه اي على هذا التبليغ اجرا الا المودة الكائنة في قربى جعلوا مكانا
للمودة ومقرا لها ولهذا لم يقل مودة القربى او المودة للقربى وهي مصدر بمعنى القرابة اي في اهل القربى وفي حقهم
فان قيل استثناء المودة من الاجر دليل على انه طلب الاجر على تبليغ الوحي وذلك غير جائز كما جاء في قصص سائر الانبياء
ولا سيما في الشعراء وقد جاء في حق نبينا ايضا قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين قل ما سالتكم من اجر
فهو لكم والمعقول فيه ان التبليغ واجب عليه وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق بالمروة وايضا انه يوجب التهمة
ونقصان الحشمة قلنا ان من جعل الاية منسوخة بالايتين لا استثناء فيهما فلا اشكال عليه واما الاخرون فمنهم
من قال الاستثناء متصل ولكنه من قبيل تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا اطلب منكم اجرا الا هذا وهو في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين
امر واجب ولا سيما في حق الاقارب كما قال عز من قائل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ومنهم من قال الاستثناء
منقطع اي لا اسئلكم عليه اجرا البتة ولكن اذكركم المودة في القربى اربعة اقوال الاول قال الشعبي اكثر الناس علينا
في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فاجاب بان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسطة
النسب في قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد كان بينهم وبينه قرابة فقال الله قل لا اسئلكم على ما ادعوكم اليه اجرا
الا ان تودوني لقرابتي منكم يعني قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني
ولا تهيجوا علي القول الثاني روى الكلبي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت تنوبه نوائب وحقوق
وليس في يده سعة فقال الانصار ان هذا الرجل قد هداكم الله على يده وهو ابن اختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا
له طائفة من اموالكم ففعلوا ثم اتوه فرده عليهم ونزلت الاية يحثهم على المودة اقاربهم وصلة ارحامهم القول
الثالث عن الحسن الا ان تودوا الى الله وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح القول الرابع عن سعيد بن جبير
لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين وجب علينا مودتهم لقرابتك فقال علي وفاطمة وابناهما ولا
ريب ان هذا فخر عظيم وشرف تام ويؤيده ما روي ان عليا كرم الله وجهه شكا الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم حسد الناس فيه فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا
عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا ومنه صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني

في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليه غدا اذا لقيني
يوم القيمة وكان يقول فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر انه كان يحب عليا والحسن والحسين
واذا كان كذلك وجب علينا محبتهم لقوله فاتبعوه وكفى شرفا لرسول الله وفخرا ختم التشهد بذكرهم والصلوة
عليهم في كل صلوة قال بعض المذكورين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من
ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق وعنه صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فنحن نركب
سفينة حب آل محمد ونضع ابصارنا على الكواكب النيرة اعني اثار الصحابة لنتخلص في بحر التكليف ظلمة الجهالة من
موج الشبه والضلالة ثم اكد ايصال الثواب على المودة بقوله ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة قال بعض اهل اللغة
الاقتراف مستعمل في الشر فاستعارة هنا للخير عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت
في ابو بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في كل حسنة ولا شك ان هذه مواده قصدا اوليا لذكرها
عقيبها ومعنى زيادة حسنها تضعيف ثوابها ان الله غفور لمن اذنب لمن اطاع وحسنى في عباده والله اعلم

ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك
ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيات ويعلم
ما تفعلون ● ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات و
يزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ● ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر
ما يشاء انه بعباده خبير بصير ● وهو الذي ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ● ومن اياته خلق
السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء
قدير ● وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا
عن كثير ● وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون
من ولي ولا نصير ● ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ
يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل
صبار شكور ● او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير

ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص فما اوتيتم
من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا
لربهم واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة
سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين
ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل
على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك
لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن
يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب
يقولون هل الى مرد من سبيل وتريهم يعرضون عليها خاشعين من
الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين
في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون
الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل
ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من
نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا
البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم

سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك
السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب
لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان و
لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي
الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات و
ما في الارض الا الى الله تصير الامور

القراءة ما تفعلون على الخطاب حمزة وخلف وعلى وحفص ينزل الغيث بالتشديد ابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم ينزل بقدر بالتخفيف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بما كسبت بدون فاء الجزاء ولانه ضمن معنى الشرط ما الابتدائية ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون فيما كسبت بالفاء الجواري بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو في الوصل وقرا قتيبة ونصير وابو عمرو وابا الامالة الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع ويعلم الذين بالرفع ابن عامر وابو جعفر ونافع الباقون بالنصب كبائر الاثم على التوحيد حمزة وعلى وخلف ويرسل بالرفع فيوحي بالاسكان نافع وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاخرون بالنصب فيهما
الوقوف كذلك للشرط مع فاء التعقيب قبلك لان ما بعده مستانف بكمالها القدور تفعلون فضله شديد يشاء بصير رحمته الحميد دابة قدير كثير في الارض ولا نصير كالاعلام على ظهره شكور كثير لمن دفع ويعلم ومن نصب فوقفه يجوز اياتنا محيص الدنيا لعطف جملتي الشرط ويحتمل ان على كون الوقف مطلقا بناء على ان الثانية اخبار مستانف يتوكلون يغفرون الصلوة لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد المقول بينهم كذلك ينفقون ينتصرون مثلها على الله الظالمين سبيل الحق اليم الامور بعده من سبيل للآية مع العطف خفي القيمة مقيم من دون الله سبيل من الله نكير حفيظا البلاغ كفور والارض ما يشاء الذكور واناثا لاحتمال ما بعده العطف والاستيناف اي هو ويجعل عقيما قدير ما يشاء حكيم امرنا عبادنا مستقيم وما في الارض الامور **التفسير** لما ذكر في اول السورة ان هذا القران انما حصل بوحي الله واجرى الكلام الى ههنا حكى شبهة القوم وهي زعمهم انه مفترى وليس بوحي فقال ام يقولون افترى على الله ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان تنسبوا مثله الى اعظم انواع الفرية وهو الافتراء على الله ثم اجابهم بقوله فان يشاء الله يختم على قلبك اي يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم والغرض المبالغة في استبعاد الافتراء من مثله والتعريض بان من ينسبه الى الافتراء فهو مختوم على قلبه وقيل يختم على قلبك لا ينساك ما اتاك من القران ولكنه لم يشا فاثبته فيه وقيل الامالك فان قلت المسبب

كالمختوم عليه ومثله لقطعنا منه الوتين قاله قتادة وقال مجاهد ومقاتل يربط على قلبك بالصبر على اذاهم
فلا يدخل قلبك حزن مما قالوا ثم استانف فقال ويمح الله الباطل اي من عادته ذلك ولو كان محمد مبطلا لفضحه
وكشف عن باطله وحذف الواو من الخط لا للجزم كما في قوله ويدع الانسان سندع الزبانية وفي تفسير الحيا
ان الواو حذف للجزم والمعنى ان افتريت ختم على قلبك ومحا الباطل المفترى والاستيناف على هذا من قوله و
يحق الحق بكلماته اي يثبت ما هو الحق في نفسه بوحيه او بقضائه ويجوز ان وعد لرسول الله بانه يمح الباطل
الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويظهر الحق الذي انت عليه وهو القران بحكمه السابق وعليه التقديم انه عليم
بذات الصدور فيجازي المبطل والمحق على حسب حاليهما وحين وبخهم على البهت والتكذيب بيّن لهم الى التوبة وعرفهم
انه يقبلها من كل مسيء والاية واضحة مما سلف تارة ولا سيما في اول البقرة في توبة ادم وما الضمير في قوله
ويستجيب لهم فحذف الجار والمراد انه اذا دعوه استجاب لهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم تفضلا
وقيل لا ضمير فيه وانما الظاهر بعده فاعله قال سعيد بن جبير اراد ان المومنين يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم
بن ادهم رحمه الله انه قيل له ما بالنا ندعوا فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه وقرا والله يدعوا الى دار السلام
ويستجيب الذين امنوا وحيث وعد الاستجابة للمومنين وكان للسائل ان يقول انا نرى المومن في شدة وبلية وفقر
ثم انه يدعوا الله فلا يرى هذا اثر الاجابة فلا جرم قال ولو بسط الرزق لعباده لبغوا في الارض اي ظلم بعضهم
بعضا وعصوا الله وهذه ليست بقضية كلية دايمة لكنها اكثرية وان المال معين قوي على تحصيل المطالب ودفع
الالام النفس واذا كانت الالة موجودة ودواعيه الشر في طبع الانسان مجبولة فلما لا يقع مقتضاها في الخارج
وايضا ان اكثر الناس ربما عدم مثله ويتخرج طمعا في ماله او جاهه التابع للمال غالبا فلا تشاويا في المال استنكف
كل منهما من الانقياد لصاحبه فارتفعت رابطة التعاون وانقطعت سلسلة التمدن وقيل ان الاية نزلت في
العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واغار بعضهم على بعض ولبعضهم قوم اذا انبت الربيع بارضهم شبت عداوتهم
مع البقل وقال محمد بن جرير نزلت في اصحاب الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى وقوله بقدر اي على قدر المصلحة
ووفق حال الشخص كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم وحين بين ان حكمته اقتضت عدم توسيع الرزق على
كل الخلق اراد ان يبين انه لا يترك ما يحتاجون اليه وان بلغ امرهم الى حد الياس والقنوط فقال وهو الذي
ينزل الغيث الاية ونشر الرحمة عموم المطر الارض او هي عامة في كل رحمة سوى المطر وهو الولي الذي يتولى
امور عباده الحميد على كل ما يفعله ولا ريب ان هذا من جملة دلايل القدرة فلذلك عطف عليها قوله ومن اياته
خلق السموات والارض ومحل قوله وما بث اما مجرور عطفا على السموات او مرفوع عطفا على وانما قال فيهما
من دابة مع ان الدواب في الارض وحدها لان الشي قد ينسب الى الجميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال
بنو فلان فعل كذا ولعله قد فعله واحد منهم فقط ويجوز ان يكون للملائكة مع الطيران مشي فيوصفوا بالدبيب
كالانسان او يكون في السموات انواع اخر من الخلايق يدبون كما يدب الحيوان في الارض وهو على جمعهم اي
احيائهم بعد الموت اذا يشاء قدير واذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي ومعنى الاستقبال في يشاء يعود الى
تعلق المشية لا الى نفس المشية القديمة ثم بين حال المكلفين وان ما يصيبهم من المكروه وبلاء فهو عقوبة لما
الذي اكتسبوها وان الله يعفوا عن كثير من الذنوب وللناس فلا يعاجلهم بالعقوبة رحمة واستدراجا قال الحسن
اراد اقامة الحدود على المعاصي وانه لو يحصل لبعض الذنوب حدا فقيل ان هذا في القيمة فان الدنيا دار تكليف لا دار
جزاء ولقايل ان يقول كون الجزاء الاوفى والاتم مخصوصا بالقيمة لا ينافي وصول بعض الجزاء الى المكلف في الدنيا
ولهذا قال علي كرم الله وجهه هذه اية ارجى للمومنين في كتاب الله وذلك انه تعالى قسم ذنوب المومنين صنفين
صنف يكفره عنهم بالمصايب وصنف يعفوا عنهم وهو كريم لا يرجع في عفوه ثم عكست القضية وقيل ما كسبت ايديكم
فانه يصيبكم به الم وعذاب في الدنيا لكان هذا منافيا لكون الجزاء في الاخرة ولحصول العفو ايضا وروى عن
علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال ما عفى الله عنه فهو اعز واكرم من ان يعود اليه
في الاخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يعيد العذاب عليه في الاخرة قال اهل التناسخ لولا الاطفال
والبهايم لهم حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة ما كانوا ليتالموا فانهم لا ذنوب لهم الان واجيب بالتزام انهم لا يتالمون
من المصايب والالام وفيه بعد وبان الخطاب في الاية لذوي العقول البالغين وبانها في البالغين عقوبة او زيادة

درجة وفي الاطفال مثوبة لهم او لوالديهم ثم خاطب المشركين بقوله وما انتم بمعجزين الاية ثم ذكر دليلا اخر فقال
ومن اياته الجوار اي السفن الجواري في البحر كالاعلام اي كالجبال في العظم ولا شك ان جريانها بسبب هبوب الرياح
فلذلك قال ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره اي فيصرن على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على
البلى شكور على الالاء او صبار في السفينة شكور اذا خرج منها او ان يشا يوبقهن اي يهلك السفينة بما فيها
بالغرق والكسر لعصوف الريح ويعف بما كسبوا من كفران نعم الله وعصيانه ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يجازي
عليها في الدنيا ولا فيها ولا في الاخرة والحاصل انه ان يشا يسكن الريح فيبقى الجواري واقفة على متن البحر وان
يشا اهلك ناسا ونجى ناسا على طريقة العفو عنهم من رفع ويعلم على الاستيناف ومن نصب فقد يعطف
على تعليل محذوف اي لينتقم منهم ويعلم قاله في الكشاف وقال الكوفيون ومنهم الزجاج النصب
باضمار ان لان قبلها جزا والقول لا تقنع مثله واكرمك ووجهه ان هذا في تاويل المصدر معطوفا على
مصدر اصيغ مقدرا ثم استانف فقوله ما لهم من محيص ان لا مهرب للمجادلين عن عقابه ثم رغب المكلفين
عن الدنيا وفي الاخرة وقد مر نظيره في قصص الا انه ذكرهمنا ان هذه الخيرية انما تحصل للموصوفين بصفات
الاول الايمان الثاني التوكل على الرب الثالث الاجتناب عن الكباير والفواحش كقوله وان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه انما جرم في الفواحش ومن قرا كبير على التوحيد فللجنس وفسر ابن عباس بالشرك
الرابع الغفران عند الغضب وهم تاكيد الضمير او مبتدا ما بعده خبر قال بعض العلماء يحتمل ان يراد
بالكباير البدع والعقايد الفاسدة وهي فساد القوة العقلية وبالفواحش فساد القوة الشهوية وبالاخير
ما يتعلق بالقوة الغضبية قال المفسرون نزل قوله والذين استجابوا لربهم في الانصار دعاهم الله ورسوله
الى التوحيد فاطاعوا ورضوا بقضائه وطلبوا على الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام متشاورين في كل
امر وهم منفردين براي والشورى مصدر كالفتيا والمضاف محذوف اي ذو تشاور وليس بين قوله هم
ينتصرون اي ينتقمون وبين قوله يغفرون منافاة فان هذه اخص من الاولى اذ البغي هو الذي يودي الى
الفساد ولا يصير عفوه سببا لتسكين نايرة الفتنة ولرجوع الجاني عن جنايته ويجوز ان يتوجه المدح في الانتصار
الى كون المظلوم بحيث يراعي حد الشرع ولا يتجاوزه حتى لو زاد عليه لم يكن منتصرا ولا يستحق المدح فهذه خمس
صفات اخرى للراغبين في الدار الاخرة ثم بين ان شرعية الانتصار مشروط برعاية المماثلة فقال وجزاء
سيئة سيئة مثلها حتى لو قال اخزاك الله لا يزيد عليه في الجواب شيئا الثاني سيئة ازدواجا للكلام او لان
السيئة هي التي يكرهها الانسان طبعا كالقصاص والقطع وساير الحدود وقد لا يمكن رعاية المماثلة كما في
قتل الانفس بنفس واحدة او كقطع الايدي بيد واحدة اذا تمالوا على قتلها وتحديد ذلك في الفقه وانما عرف
ذلك بنص او اجماع او بقياس جلي ثم حث مع ذلك على العفو والصبر قايلا فمن عفى واصلح ما بينه وبين خصمه بالاغضا
حسن في نفسه ولا سيما اذا كان فيه مصلحة وبتته كزجر وارتداع الا ان العفو احسن لانه لا يكاد يؤمن في
التجاوز عن حد الاعتدال ولهذا حذر منه بقوله انه لا يحب الظالمين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيمة نادى مناد من كان له اجر على الله فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا
عن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ثم كرر ان الانتصار لا يواخذ به ولا سبيل للوم اليه لئلا يظن انه
وعد الاجر على العفو يقتضي قبح الانتصار في نفسه فقال ولمن انتصر الاية وقوله من بعد ظلمه من اضافة المصدر
الى المفعول والباقي واضح الى قوله الامور وانما ادخل اللام في الخبر خلاف ما في لقمن لان الصبر على المكروه
الذي هو ظلم اشد من الصبر على الذي ليس بظلم وتكرير الحث على الصبر لزيادة التاكيد ايضا ثم ذكر ان الضلال والهداية
التي هي بقضيه انما يتعلق بمشيته والمعتزلة يتاولون الاضلال بالخذلان او بالاضلال عن طريق الجنة ثم حكى ان
الكفار عند معاينة عذاب النار يتمنون الرجعة الى الدنيا ثم عقبه بذكر حالهم حين يعرضون عليها والخشوع بمعنى
الهوان وهذا على بر قوله من الذل وقد يتعلق بينظرون اي لهذا السبب يبتدي نظرهم من تحريك الاجفان منهم
ضعيف فان الناظر الى المكارة لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها وقد يفسر الطرف الخفي بعين البصيرة بناء على ان
الكفار يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم والاكثرون اجابوا عنه فقالوا لعلهم يكونون في الابتداء هكذا ثم
يجعلون عميا او لعل هذا في قوم ثم حكى قول المومنين فيهم يوم القيمة ظرف لخسروا كما في الزمر ويحتمل ان يكون قول

المومنين فيه او في الدنيا وجوز في الكشاف ان يكون ظرفا للقال والنكير الانكار اى ما لكم من مخلص ولا
من قدر على ان ينكروا شيا مما دون في صحايف اعمالكم او ما لكم من منكر علينا حتى نغير شيا من احوالكم ثم
سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فان اعرضوا ثم ذكر سبب اصرارهم على عقايدهم الفاسدة وهو الضعف
الذى جبل عليه الانسان من النظر عند الغنى والفراغ في زمن الصحة والامن وعن الكفران ونسيان نعم الله
عند البلاء وانما جمع قوله وان تصبهم لان الانسان جنس يشتمل اهل الغفلة كلهم وقوله فان الانسان من
وضع الظاهر موضع المضمر وفايدته التسجيل على ان هذا الجنس من شانه ذلك الا ادب النفس ورياضها
ثم بين كمال قدرته بقوله لله ملك السموات والارض الايه والمقصود ان لا يغتر الانسان بما يملكه من
الجاه والمال ولا يعتقد انه حصل بجده او وجده فيتعجب ويعرض عن طاعة ربه ثم ذكر من اقسام تصرفه في
ملكه انه يخص البعض من الحيوة بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بالصنفين وبالبعض يجعله
عديم الولد وقدم ذكر الاناث تطيبا لقلوب آبائهن او لانهن مكروهات عند العرب فناسب ان
تقرن اللفظ الدال عليهن باللفظ الدال على البلاء او لان سياق الكلام انه فاعل لما يشاؤه ولا لما يشاؤه الانسان
وكان ذكر الاناث التى هى من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم وفيه نقل للانسان من الغم الى الفرح ولا ريب
ان هذا اولى من العكس وفيه ان الانسان اذا رضى بالانثى فاذا اعطاه الذكر علم انه فضل من الله وفيه ان
العجز كلما كان اتم كانت عناية الله بحاله اوفر ثم اراد ان يتدارك تاخيرهم وهم احقا بالتقديم فعرف الذكور
لانه مع رعاية الفاصلة بنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام ثم قال او يزوجهم ذكرانا
واناثا فاعطى كلا الجنسين حظه ونصبهما على الحال والضمير للاولاد او على المفعولية والضمير لمن يشاء اى
يجعل لهم كلا الصنفين ذكرا وانثى في بطن واحد كما قاله ابن الحنفية وعن ابن عباس ان الايه نزلت في الانبياء
وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم صلوات الرحمن عليه ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا وهم القاسم و
الطاهر وعبد الله وابرهيم واناثا وهى فاطمه وزينب ورقيه وام كلثوم وجعل يحيى وعيسى عقيما والحق ان هذا
التقسيم وان كان مطابقا لحال هولاء الانبياء الا ان في التخصيص ضيق عطن ولين صحت الروايه عن ابن
عباس فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وحمل بعض اهل التاويل الاناث على امور الدنيا والذكور على امور
الاخرة وتزويج الصنفين على الجامع من الامرين والعقيم على من لا دين له ولا دنيا ثم اكد كمال القدرة بقوله وما كان
لبشر اى وما صح لاحد ان يكلمه الله الا على احد ثلثه انحا الاول الوحى وهو الالهام او المنام كما اوحى الى ام
موسى والى ابرهيم صلوات الرحمن عليه في ذبح ولده وعن مجاهد ان داود عليه السلام الزبور كتب حفظا
الثاني التكليم بلا واسطه ولكن من وراء حجاب والمجسمه استدلوا به على انه تعالى في جهة ومكان و
اجيب بان هذا مثل لانه اذا سمع الصوت ولا يرى الشخص كان بمنزله ما يسمع من وراء حجاب كما كلم موسى
وكلم الملائكة وقيل حجاب لموضع الكلام الثالث ان يرسل رسولا كجبرائيل فيوحى الملك باذن الله الى النبى
ما شاء به والاقسام الثلثه كلها من قبيل الوحى ولكنه سبحانه خص الوحى في الايه بالاول وتقدير
الكلام وما صح ان تكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا او الا وحيا واسماعا او ارسالا و
الا ان يوحى او يسمع او يرسل ومن قرا بالرفع فعلى الاستيناف بمعنى او هو يرسل او على الحال بمعنى مرسلا عطفا على وحيا بمعنى
موحيا وقيل الوحى هو الوحى الى الرسل بواسطة الملائكة وارسال الرسل ارسال الانبياء الى الامم فايده الصحيح
عند اهل الحق ان الشيطان لا يقدر على القاء الباطل في اثناء الوحى وقد يقال ان توجيه التكليف الى العبد لا يتم
الا بثلث مراتب من المعجزات وذلك ان التسلسل محال فلا بد من سماع الملك كلام الله بلا واسطه فالملك يحتاج
الى معجزه تدل على ان ذلك الكلام كلام الله فاذا ابلغ الملك ذلك الكلام الى النبى فلا بد للنبى من مشاهده معجزه تدل
على صدقه واذا ابلغ الرسول الى امته فالامر كذلك وهذا الثالث مشهور متفق عليه فاما الاولان فلعلهما يعرفان
بنور الباطن ولا يفتقر الى المعجزه الا في اول الامر ولا كل مره قال اهل التصديق ان الاقسام الثلثه اجتمعت لنبينا صلى
الله عليه وسلم لانه في بدو الاسلام يرى الرويا الصادقه كفلق الصبح وسمع الكلام من وراء حجاب ليله المعراج
وكان ما نسبه جبرائيل الى اخر عمره فلهذا قال عز من قايل وكذلك اوحينا اليك ويحتمل ان يراد وكما اوحينا الى سائر الانبيا
اوحينا اليك يعنى بالطريق الاكثرى وهو القسم الثالث ومعنى روحا من امرنا قرانا عندنا او وعدا لم امرنا

كقوله يلقى الروح من امره ما كنت تدرى في المهد او قبل البلوغ او قبل الوحى ما الكتاب ولا الايمان يعنى
ما يتعلق بكمال الايمان مما لا يكفي في معرفته مجرد العقل والنظر ويتوقف على النقل واذن الشرع وقيل اراد اهل
الايمان يعنى من الذى يؤمن ومن الذى لا يؤمن والضمير في جعلناه للقران او للايمان او لهما جميعا او وحد كقوله و
اذا راوا تجارة الايه وهداية الله خاصه وهدايه النبى عامه وهى الدعوه وصراط الله دينه
ومصير الكل اليه عاده عن رجوعهم الى حيث لا حكم لاحد سواه والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۞ والكتاب المبين ۞ انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم
تعقلون ۞ وانه في ام الكتاب لدينا لعلى حكيم ۞ افنضرب
عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ۞ وكم ارسلنا
من نبى في الاولين ۞ وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون
فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ۞
الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم
تهتدون ۞ والذى نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة
ميتا كذلك تخرجون ۞ والذى خلق الازواج كلها وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون ۞ لتستووا على ظهوره
ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا
سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ۞ وانا الى
ربنا لمنقلبون ۞ وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان

لكفور مبين ۝ ام اتخذ مما يخلق بنات واصفكم
بالبنين ۝ واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه
مسودا وهو كظيم ۝ اومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام
غير مبين ۝ وجعلوا الملآئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ۝ وقالوا
لو شآء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ۝ بل قالوا انا
وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون ۝ وكذلك ما
ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون ۝ قل اولو جئتكم
باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم
به كافرون ۝ فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين ۝ واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني برآء
مما تعبدون ۝ الا الذي فطرني فانه سيهدين ۝
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ۝
بل متعت هؤلآء واباءهم حتى جآءهم الحق ورسول مبين
ولما جآءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ۝

القرآءة في ام الكتاب بكسر الهمزة حمزة وعلى ان كنتم بالكسر ابو جعفر ونافع وعلى وحمزة وعطف الاخرون
بالفتح اى لان كنتم مهدا عاصم وحمزة وعلى وخلف وروح الباقون مهادا ميتا بالتشديد يزيد يخرجون من الخروج
حمزة وعلى وخلف وابن ذكوان الاخرون من الاخراج ينشؤا من باب التفعيل حمزة وعلى وخلف وحفص الباقون
بالتخفيف اليا مفتوحة والنون ساكنة عباد الرحمن جمع عبد وعابد ابو عمرو وعاصم وحمزة وخلف وقرا نافع
وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون كقوله عند ربك الاخرون عبد الرحمن اوشهدوا ابطلب حمزة الاشهاد وقتح

ودش واسمعيل وقرا يزيد وقالون مثله ولكن بالمد وقرا المفضل الهمزتين الباقون بهمزة واحدة للاستفهام
والسين مفتوحة قال اولو بالالف ابن عامر وحفص والمفضل جئناكم يزيد الوقوف حم كوفي المبين ومن لم
يقف على حم وقف على المبين لان القسم متعلق بما قبله وهو هذه حم يعقلون حكيم مسرفين الاولين يستهزءون
مع الفاميتا لانقطاع النظم مع تعلق التشبيه يخرجون تركبون مقرنين لان ما بعده من تمام المنقلبون جزءا
مبين بالبنين كظيم مبين اناثا خلقهم ويسألون ما عبدناهم يخرصون مستمسكون مهتدون مقتدون
اباءكم كافرون المكذبين يعبدون سيهدين يرجعون مبين كافرون التفسير اقسم بالقرآن الظاهر
الاعجاز او المفصح عن كل حكم يحتاج المكلف اليه انه جعل القرآن بلغة العرب لعلموا وفي تشبيه الجعل الى بعضه
اشارة الى انه ليس بمفترى كما زعم الكفرة وقيل اراد ورب الكتاب وقيل الكتاب اللوح المحفوظ وقال ابن بحر هو الخط
اقسم به تعظيما لنعمته فيه وقال ابن عيسى البيان ما يظهر به المعنى للنفس عند الادراك بالبصر والسمع وذلك على
خمسة اوجه لفظ وخط واشارة وعقد وهيئة كالاعراض وتكليح الوجه وام الكتاب بكسر الهمزة وبضمها اللوح
المحفوظ لانه اصل كل كتاب والتقدير وانه لعلي حكيم في ام الكتاب لدينا والعلو علو الشان في البلاغة والارشاد
وغير ذلك الحكيم المشتمل على الحكم ثم نكر على مشركي قريش بقوله افنضرب قال جار الله اراد انهملكم فنضرب عنكم الذكر
يقال ضرب عنه الذكر اذا امسك عنه واعرض عن ذكره من ضرب في الارض اذا ابعد صفحا مصدر من غير لفظ
الفعل والاصل فيه ان تولي الشئ صفحة عنقك وجوز جار الله ان يكون بمعنى جانبا من قولهم نظر اليه بصفح وجهه
فينتصب على الظرف ويكون الذكر بمعنى الوعظ او القرآن والمعنى افننحيه عنكم جانبا فقيل ضرب الذكر رفع
القرآن عن الارض اى فنرفع القرآن من بين اظهركم لاشراككم مع علمنا بانه سياتي من يقبله ويعمل به قال السدي
افتركم سدى لا نامركم ولا ننهاكم وهو قريب من الاول وقيل لنذكرهم ان يذكروا بالعقاب ولا يخلون مناسبة
لقوله فاهلكنا اشد منهم بطشا من قرا ان كنتم بالكسر فكقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقك ويحتمل في
ان تفريطه في الخروج عن عهدة الاجر فعل من يشك في الاستحقاق مع تحققه في الخارج ثم سلى نبيه بقوله وكم
ارسلنا الايتين قوله اشد منه من زايدة والمراد اشدهم بطشا كعاد وثمود وقيل الضمير لقوم رسول الله واصله
اشد منكم الا انه ورد على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ومضى مثل الاولين اي سلف ذكرهم
وتقسيم العجيبة في القرآن غير مرة ويحتمل ان يكون معناه كقوله وقد خلت سنة الاولين ثم بين بقوله ولئن سالتهم ان
كفرهم كفر عناد ولجاج لانهم يعرفون الله ثم ينكرون رسوله وكتابه وقدرته على البعث وهذه الاوصاف من كلام
الله لا حكاية قول الكفار بدليل قوله لكم ولو يقل لنا ولقوله فانشرنا والمراد بتشبيه خلقها الى الذي هذه اوصافه
وقد مر في طه مثله وقوله يهتدون اي في الاسفار او الى الايمان بالنظر والاعتبار وقوله بقدر اي بمقدار الحاجة
لا كثيرا مغرقا كما في بطون الطوفان وقوله ميتا تذكيره على تاويل المكان والازواج الاصناف وقد مر في قوله سبحان الذي
خلق الازواج والعايد الى ما قوله ما تركبون محذوف ذلك ان تقديره مذكرا او مؤنثا باعتبارين قال في الكشاف
يقال ركب الانعام وركب في الفلك الا انه غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بواسطة قلت يجوز ان
يكون كقوله ويوم شهدناه والضمير في ظهوره عايد الى ما والاستواء في الاية بمعنى التمكن والاستقرار وذكر
النعمة بالقلب ويحتمل كونه باللسان وهو تقديم الحمد لله يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب
قال الحمد لله على كل حال الحمد لله الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلثا وهلل ثلثا واذا ركب السفينة قال
بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم ومعنى مقرنين مطيعين او ضابطين مع صعوبة خلقه وخلقه
وما يطيق ان يقرن بعضها ببعض حتى يسيرها الى حيث يريد وانا الى ربنا لمنقلبون اي في اخر عمرنا كانه يتذكر
ركوب الجنازة او عثور الدابة او انكسار السفينة فيستعد للقاء الله عز وجل بخلاف من يركب الحيوان او النواقل
لاجل التنزه والاشتغال بالملاهي والمناهي فيكون غافلا عن المبداء والمعاد عن بعضهم انما دخل اللام في خبر ههنا
خلاف ما في الشعراء لان ركوب الدابة والسفينة والجنازة عام لكل واحد وما في الشعراء خاص بالسحرة ثم عاد الى
ما انجر الكلام منه وهو قوله ولئن سألتهم والمقصود التنبيه على سخافة عقولهم وقلة محصولهم فانهم مع الاقرار
بان خالق السموات والارض هو الله جعلوا له من عباده جزءا اثبتوا له ولدا وذلك ان ولد الرجل جزء منه قال

صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى يوذينى ما يوذيها وفى قوله من عباده اشاره الى ان ما عداه ممكن الوجود
فان الولد متاخر فى الوجود عن الاب والمتاخر عن الواجب ممكن والممكن مفتقر الى الواجب فى الوجود والبقاء والذات
والصفات وقيل هو المكان على مشى الشركاء لانهم جعلوا بعض العباده لغير الله وفيه نوع تكلف والكفور البليغ
الكفران لانه يجحد وينكر خالقه الا يجحد فى تنزيهه وتقديسه وحين وبخ على اثبات الولد زاد فى توبيخهم
وتجهيلهم والتعجيب من حالهم حيث جعلوا ذلك الولد بنات مع انها مكروهه عندهم فقال ام اتخذ مما يخلق
وقابل تنكير بنات وتعريف البنين كما مر فى اخر السورة المتقدمه فى تنكير بنات وتعريف البنين كما مر فى اخر السورة
المتقدمه فى تنكير اناث وتعريف الذكور وقوله بما ضرب للرحمن مثلا اى بالجنس الذى جعله لله شبها لله لان
الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمراد انه اذا بشر بالانثى كما سبق فى النحل اغتم ويربد وجهه ويلى غيظا وكربا ثم
زاد فى الانكار بتعديد طرف من نقصان الاناث قايلا او من ينشوء والتقدير اهو كعنده وقال جار الله تقديره
او يجعل للرحمن من ولد من له هذه الصفه الذميمه ينشوء او يربى فى الزينه والنعومه وهو اذا احتاج الى المخاصمه
لا يتبين ولا يعرب عما فى ضميره لعجزه عن البيان ولنقصان عقله قالت العقلاء قلما تكلمت امراه فارادت ان يعرب
عن حجتها الا نطقت بما هو حجة عليها وفيه ان التنشوء فى الزينه والامعان فى التنعم من خصايص ربات الحجال
لا من خواص الرجال وانما ينبغى ان يكون حليهم لباس التقوى وتزيينهم باستعدادا لزاد الدار الاخرة ثم خصص
ان البنات التى ينسبن اليه تعالى من اى جنس هن بعدما عمم فى قوله مما يخلق فقال وجعلوا اى سموا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا وفى اثبات العبوديه لهم نفى الجزيه عنهم كما مر انفا وقوله اشهدوا خلقهم كقوله ما
اشهدتهم خلق السموات والارض وفيه تهكم بهم لانه لم يدل على ذلك عقل ونقل صحيح فلم يبق الا الانكار
جادا عن المشاهدة يعنى شاهدوا خلق الله اياهم او شاهدوا صور الملائكة ثم اوعدهم بقوله ستكتب شهادتهم
على انوثة الملائكة ويسالون ثم حكى نوعا اخر من كفرهم وشبهاتهم ودعواهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى الاصنام
او الملائكة نظيره ما مر فى اخر الانعام سيقول الذين اشركوا الايه واستدلال المعتزله به ظاهر لانه ذمهم بقوله
ما لهم بذلك من علم انهم الا يخرصون اجاب الزجاج عنه بان قوله ما لهم بذلك من علم عايد الى قولهم الملائكة
بنات الله اى المراد ولو شاء الرحمن ما امرنا بعبادتهم كقوله والله امرنا بها فلهذا انكر الله عليهم قال الواحدى
فى بسطه وقيل قالوها استهزاء وزيفه جار الله بانه لا يمشى فى اقوالهم المتقدمه والاكانوا صادقين
مومنين وجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله تخرج لكتاب الله وتمام البحث مع الفريقين
مذكور فى الانعام وانما قال فى الجاثيه ان هم الا يظنون ان هذا كذب محض وهناك خلطوا الصدق بالكذب
صدقوا فى قولهم نموت ونحيى وكذبوا فى قولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا شاكين فى امر البعث ثم زاد فى الانكار
عليهم بقوله ام اتيناهم كتابا من قبله اى من قبل القران او الرسول فهم به مستمسكون ثم اضرب عن ذلك واخبر
انه لا مستند لهم فى عقايدهم واقوالهم الفاسده الا التقليد والايه الدين والطريقه التى تؤم اى تقصد ثم سلى
نبيه صلى الله عليه وسلم بان هذه داب اسلافهم وداء قديم فى جهال بنى ادم وانما قال اولا مهتدون وبعده مقتدون
لان العرب كانوا يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعمون الاهتداء واهل الامم قبلهم لم يزعموا
الا الاقتداء بالاباء دون الاهتداء ثم اخبر الله تعالى انه امر النذير محمدا ان يقول او لو جئتكم اى اتتبعون اباءكم
ولو جئتكم بدين اهدى من دين اباءكم فاصروا على التكذيب ولم يقبلوا فانتقم الله منهم ثم بين وبقصة ابراهيم
ان القول بالتقليد يوجب المنع من التقليد وذلك ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه كان اشرف اباء العرب وانه
ترك دين الاباء لاجل الدليل فلو كانوا مقتدين لابائهم وجب ان يتبعوه فى الاعتماد على الدليل لا على مجرد التقليد
والبراء بالفتح مصدر اى ذو براء وقوله الا الذى فطرنى قيل انه متصل وكان فيهم من يعبد الله مع الاصنام وقيل منقطع
بمعنى لكن ويحتمل ان يكون مجرورا بدلا من ما اى الا من الذى وجوز فى الكشاف ان لا يكون الا صفه بمعنى غير وما موصوفه
تقديره انى براء من الهه تعبدونها غير الذى فطرنى انه سيهدين اى يثبتنى على الهدايه او يرشدنى الى طريق الجنة
ولا ريب ان قوله انى براء مما تعبدون بمنزلة لا اله وقوله الا الذى فطرنى بمثابة الا الله وهى كلمة التوحيد
فلذلك انث الضمير فى قوله وجعلها اى وجعل ابراهيم او الله كلمة التوحيد باقيه فى عقبه فلا يزال فى ذريته
من يوحد الله عز وجل ويدعوا الى توحيده نظيره ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب اى لعل من شرك منهم يرجع

الى التوحيد او عن الشرك بدعاء الموحدين منهم ثم اضرب عن رجاء الرجوع منهم الى ان يمتعهم بالعمر وسعة الرزق
وصار سببا لعظم كفرهم وشدة عنادهم قال جار الله اراد بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القران ورسول
مبين الرسالة واوضحها تخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها من غفلتهم لاقتضايها التنبيه ثم ابتدا قصتهم عند مجى الحق
قايلا ولما جاءهم جاء بما هو سبب عن غفلتهم وهو انهم ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول وانكار القران

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ
بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَ
لَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝ وَلِبُيُوتِهِمْ
أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۝ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ
لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَمَن
يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ
لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ حَتَّىٰ
إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۝
وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝
أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ۝ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ
الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي
أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ
وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

منهم بكتابا لله على رجل من القريتين اى من احدهما يعنون مكه او الطايف قال المفسرون الذى بمكه هو الوليد بن
المغيره والذى بالطايف هو عروه بن مسعود الثقفى ومنهم من قال غير ذلك وارادوا بعظم الرجل رياسته و
تقدمه فى الدنيا فالزمهم الله تعالى باجوبه **اولها** على سبيل الانكار اهم يقسمون رحمة ربك اى النبوه فيضعوها
حيث شاؤا نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا اى خدما وتابعا ومملوكا واللام لام العاقبه فان الانسان خلق مدنيا بالطبع وقالت المعتزلة للغرض واذا كانت
المعايش الدنيويه مع حقارتها وخساستها مفوضة الى تدبير الله وتسخيره وتقديره دون احد من خلقه فالامور
الدينيه والمناصب الحقيقيه الاخرويه اولى بذلك وقيل الرحمة الرزق ومعنى الايه انكار الرزق منهم فكيف يكون النبوه منهم
واستدل اهل السنه بالايه ظاهرة فى ان كل الارزاق من الله حلالا كانت او حراما وقالت المعتزلة الله تعالى قاسم ولكن العادم الذى
يكون بهذه الصفه الجبر بدوننا ولهم والجواب انه كما قسم الرزق عين الجهة التى يصل الرزق وكل بقدرة **والثانى**
قوله ورحمة ربك خير مما يجمعون لان الدنيا بمقتضيه فانيه ودين الله وما يتبعه من السعادات باق لا يزول فكيف يجعل
العاقل ما هو الاخس افضل مما هو اشرف **والثالث** قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة مجتمعين على الكفر لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل الاشتمال وقيل هو كقولك وهبت له ثوبا لقميصه فى ان اللام للغرض والمعارج المصاعد و
المراقى جمع معرج عليها اى على المعارج عليها يظهرون يعلون السطوح والزخرف الزينة اى جعلنا لهم زينة عظيمة
فى كل باب وقيل الذهب اى جعلنا لهم مع ذلك ذهبا كثيرا ووجه اخر على هذا التفسير وهو ان يكون على قوله من فضة الا انه
نصب بنزع الخافض اى بعضها من فضة وبعضها من ذهب والحاصل انه سبحانه ان وسع على الكافرين كل التوسعه لطبق الناس
الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها مع حقارة الدنيا عند الله وفى معناه قول نبينا صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن
عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء وانما لم يوسع المسلمين كلهم ليكون رغبة الناس فى الاسلام
لمحض الاخلاص لا لاجل الدنيا ثم بشر المومنين بقوله وان كل ذلك الى الحق قالت المعتزلة فى الاية دلالة على ان اللطف من الله
تعالى واجب وفيه انه تعالى لما لم يفعل بالناس التوسعه لئلا يجتمعوا على الكفر فلان لا يخلوهم الكفر اولى والجواب ان
وقوع كل الناس فى طريق القهر محذور واما وقوع البعض ضرورى فشتان بين الممتنع الوجود والضرورى الوجود فكيف
يقاس احدهما على الاخر ثم بين ان مادة الافات واصل جميع البليات هو السكون الى الدنيا والركون الى اهلها فان ذلك بمنزلة
الرمد للبصر ويصير بالتدريج كالعمى ثم بالعمى فقال ومن يعش عن ذكر الرحمن اى عن القران اى يعرف انه الحق ولكنه يتجاهل
قال جار الله قرئ بفتح الشين ايضا والفرق انه اذا حصلت الافة فى بصره قيل عشى بالكسر اى عمى يعشى بالفتح وان نظر نظر
العشى ولا افة به قيل عشى اى تعامى وفيه معنى الاعراض فلهذا عدى بعن ومعنى نقيض نقدر كما مر فى حم السجدة وانهم ان
الشياطين ليصدونهم اى العشى عن دين الله ويحسبون اى الكفار ان الشياطين او الكافرون مهتدون وانما جمع الضمير
لان من عام وشيطانا تابع له ولا شك ان هذا القرين ملازم له فى الاخرة لقوله حتى اذا جاءنا واما فى الدنيا فيحتمل بلازم
لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون ويروى ان الكافر اذا بعث يوم القيمة من قبره اخذ
شيطانا بيده لم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار ولذلك حيث يقول يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين اى بعد ما بين
المشرق والمغرب فغلب بالقمرين وقيل المغرب ايضا مشرق بالنسبه الى الحركة الثانيه وهذا قول اهل الهيئه وقيل مشرق
الصيف ومشرق الشتاء وفيه ضعف لانه لا يفيد مبالغه فنفى الله تعالى ان ذلك التمنى لا ينفعهم وعلله بقوله انكم من قرا بالكسر
فظاهر ومن قرا بالفتح فعلى حذف اللام اى لن ينفعكم تمنيكم لانه حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين
فى سببه وهو الكفر ويحتمل ان يكون ان فى قراءة الفتح فاعل ينفع اى لن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب وان قيل المصيبة اذا
عمت طابت وذلك ان كل احد مشغول فى ذلك اليوم عن حال غيره بحال نفسه فاذ ابدل من اليوم ومعناه اذ صح ظلمكم وتبين
ووضح لكل احد ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يتحرق على ضد الايمان فسلاه بقوله افانت الى اخره وقوله فاما نذهبن بك
اراد به قبض روحه كقوله فى يونس وفى المومن فاما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك والانتقام اما فى الاخرة وهو
قول الجمهور او فى الدنيا عن جابر انه قال لما نزلت فانا منهم منتقمون قال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى ابن ابى طالب اورده
فى تفسير اللباب وقيل فاما نذهبن بك من مكة فانا منهم منتقمون يوم بدر والحاصل انه تعالى توعد الكفار بعذاب الدنيا
والاخرة جميعا ثم قال لنبيه سواء عجلنا لك الظفر والغلبة واخرناه الى الاخرة فكن متمسكا بما اوحينا اليك فانه الدين الذى
لا عوج له وانه لشرف لك ولقومك اى لجميع امتك او لقريش وسوف تسالون هل اديتم شكر هذه النعمة ام لا قال اهل التحقيق فى

من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ● ولقد
ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول
رب العالمين ● فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب
لعلهم يرجعون ● وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما
عهد عندك اننا لمهتدون ● فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون ● ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم اليس
لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون
ام انا خير من هذا الذى هو مهين ● ولا يكاد يبين
فلولا القى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة
مقترنين ● فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما
فاسقين ● فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم
اجمعين ● فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين

القراءة سقفا بالفتح والسكون ابن كثير وابو عمرو ويزيد الباقون بضمتين على الجمع كرهن ورهن قال
ابو عبيد ولا ثالث لهما لما بالتشديد عاصم وحمزة بمعنى الا فان نافيه الاخرون بالتخفيف فان مخففه واللام
فارقة كما مر فى اخر هود نقيض على الغيبه والضمير للرحمن يعقوب وحماد الاخرون بالنون جاءنا على الوحدة
والضمير للعاشى حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد وابو عمرو ويعقوب الباقون بالف التثنيه والضمير
للعاشى ولقرينه انكم فى العذاب بالكسر ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ايه الساحر بضم الهاء مثل ايه المومنون
وقد مر فى النور تحتى بفتح اليا ابو عمرو وابن كثير ونافع وابو جعفر اسورة كاحربه حفص وسهل ويعقوب الاخرون
اساورة كاشاعرة وهو جمع اسوار واصله اساوير الا انه عوض من الياء هاء فى اخره سلفا بضمتين حمزة وعلى
وهو جمع سليف الباقون بفتحتين جمع سالف كخادم وخدم **الوقوف** عظيم نصف الجزء رحمة ربك سخريا
يجمعون يظهرون يتكئون وزخرفا الدنيا للمتقين قرين مهتدون القرين مشتركون مبين منتقمون
مقتدرون اليك لاحتمال التعليل مستقيم ولقومك للعطف مع شبه التهديد تسألون يعبدون العالمين
يضحكون من اختها لنوع عدول يرجعون لمهتدون ينكثون تحتى للاستفهام مع اتحاد الكلام تبصرون بناء على
ان ام منقطعة يبين مقترنين فاطاعوه فاسقين اجمعين للاخرين **التفسير** هذه حكاية شبهة لكفار قريش
وذلك انهم ظنوا ان الفضيلة فى المال والجاه الدنيوى فقالوا لولا انزل هذا القران وفى الاشارة هنا نوع استخفاف

الاية دلالة على ان الذكر الجميل امر مرغوب فيه لعموم اثره وشموله كل مكان وكل زمان خلافا لجوق المستعارة فان اثرها
لايجاوز مكان الحي قلت الذكر الجميل جميل لكن الذكر الحاصل من القران اجل رزقنا الله طرفا من ذلك بعميم فضله ثم انا سبب
الانزوى في بعض الكفار وعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم كان انكاره لاصنامهم مبين تعالى انه غير مخصوص بهذه
الدعوة وهذا الانكار ولكنه دين اطبق كل الانبياء على الدعاء اليه وفي الاية اقوال احدها ان المضاف محذوف
تقديره وسل امم من ارسلنا وقال القفال المحذوف صلة بالتقدير من رسل من ارسلنا اليهم من قبلك رسولا من
رسلنا والمراد اهل الكتابين لانهم كانوا يرجعون اليهم في كثير من امورهم نظيره فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل
الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وثانيها ان حقيقة السؤال هاهنا ممتنعة ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص
عن مللهم وثالثها ان التقدير وسل جبرائيل عن رسلنا ورابعها ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء
ليلة المعراج في السماء وفي بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يسال وقال اني لا اشك في ذلك قال ابن عباس وعن
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني ملك فقال يا محمد سل من ارسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا قال قلت على ما
بعثوا قال على ولايتك وولاية علي بن ابي طالب رواه الثعلبي ولكنه لا يطابق قوله سبحانه اجعلنا الاية وجوز بعضهم
ان يكون من الابتداء والاستفهامية خبر والعائد محذوف اي على التسمية ومعنى الجعل التسمية والحكم واعلم ان كفار قريش
لما طعنوا في نبوة محمد من جهة كونه فقيرا خاملا وكان فرعون اللعين قد طعن في موسى بمثل ذلك حيث قال اليس لي ملك
مصر الى قوله مهين فلا جرم اورد قصة موسى هاهنا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله فلما جاءهم معطوف على محذوف تقديره
فقال اني رسول رب العالمين فطالبوه اقامة البينة على دعواه فلما جاءهم الى اخره قال جار الله فعل المفاجاة مع اذا مقدر وهو
عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاؤا وقت ضحكهم استهزاء وسخرية قوله وما نريهم حكاية حال ماضية
وفي قوله هي اكبر من اختها وجهان احدها ان كلا منها مثل شبهتها التي تقدمت وكل من راى واحدة منها حكم بانها اكبرها فكان
في كل منهما في الكبر فاذا كان الحكم صادقا على كل منها وكلها كبار كما قال الحماسي شعر من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري ثانيهما ان يقال ان الاية الاولى كبيرة والتي تليها اكبر من الاولى وثالثهما اكبر من
الثانية كذلك ما بعدها هذا القدر مستفاد من الاية واما تفصيل ذلك التفصيل فلعله لا يطلع عليه الا حال الفقهاء ومظهرها
واخذناهم بالعذاب السنين ونقص من الثمرات الى سائر الايات لعلهم يرجعون اي ارادة ان يرجعوا
فورد عليهم ان لو اراد رجوعهم لكان واجابوا بانه لو اراد قسرا لكان ولكنه اراد مختارا وزيف بانه لو اراد ان يقع بطريق الاختيار
لزم ان يقع ايضا مختارا واما الفرق فالصواب ان يقال لعل للترجي ولكن بالنسبة الى المكلف كما مر مرارا وقالوا يا ايه الساحر
اي العالم الماهر ولم يكن السحر عندهم ذما بل كانوا يستعظمونه ولهذا قالوا اننا لمهتدون وقيل كانوا بعد على كفرهم
فلهذا سموه ساحرا وقولهم اننا لمهتدون وعد منوي خلفه ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك من ان
دعوتك مستجابة وقد مر في الاعراف ونادى فرعون في امرائه في مجامع قومه او دفع صوته بذلك فيما بين خواصه
وانتشر منه في غيرهم والانهار انهار النيل قال المفسرون كانت بثمانمائة وستين نهرا ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جنات و
بساتيني وعن عبد الله بن المبارك الدينوري في تفسيره انه اراد بالانهار الجياد من الخيل وهو موافق لما جاء في
الحديث في فرس ابي طلحة وان وجدناه لبحرا وقال الضحاك معناه وهذه القواد والجبابرة تحت لوائي قال النحويون اما ان
يكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال والواو للحال وما بعده جملة محلها نصب وفي ام اقوال
منها قول سيبويه انها متصلة تقديره افلا تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا انت خير
فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب لان الابصار سبب لهذا القول منهم ومنها انها منقطعة لانه عدد
عليهم اسباب الفضل ثم اضرب عن ذلك قائلا ابل انا خير ومنها ان التقدير افلا تبصرون ام تبصرون ثم ابتدأ
استانف فقال انا خير والمهين من الاهانة الحقارة والضعف اراد به فقيرا لا عدد معه ولا عدد ولا يكاد يبين الكلام
لان عقدته لم تزل بالكلية كما شرطنا في طه والقاوا اسوره عليه لجاءه عن تفويض مقاليد الملك اليه كانوا
اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب عيره بانه ليس معه الاسباب الملك والة ولا ليس معه
حليه ذوي حسن كما ان الملوك يستهزؤون رسلهم بالخلع والكرامات وباشخاص تبعوهم ولذلك قالوا او
جاء معه الملائكة مقترنين به او يقترن بعضهم ببعض فاستخف قومه اي حملهم على ان يخفوا له في الطاعة او

استخف عقولهم واستجهلهم فاطاعوه وهذا من عادات اللئام كما قيل العبد لا يردعه الا العصا شعر
ان انت اكرمت اللئيم تمردا ومعنى اسفونا اغضبونا او اغضبوا رسلنا فجعلناهم سلفا اي متقدمين وعبرة للمتاخرين ليعتبروا بحالهم
فلا يقدموا على مثل فعالهم

ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءالهتنا
خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ۝ ان هو
الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم
للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم
الشيطان انه لكم عدو مبين ۝ ولما جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه فاتقوا الله واطيعون ۝ ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم ۝ فاختلف الاحزاب من بينهم فويل
للذين ظلموا من عذاب يوم اليم ۝ هل ينظرون الا الساعة
ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون ۝ الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين ۝ يا عباد لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون ۝ الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ۝ ادخلوا
الجنة انتم وازواجكم تحبرون ۝ يطاف عليهم بصحاف من
ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين و
انتم فيها خالدون ۝ وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم
تعملون ۝ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ۝ ان

المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم
فيه مبلسون ● وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ●
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون ●
لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون
ام ابرموا امرا فانا مبرمون ● ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
ونجويهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ● قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين ● سبحان رب السموات والارض رب
العرش عما يصفون ● فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون ● وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله وهو الحكيم العليم ● وتبارك الذي له ملك السموات و
الارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ● ولا
يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم
يعلمون ● ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون ● و
قيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

القراءة يا عبادي بالياء في الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وقرا حماد وابو بكر بفتح اليا الباقون
بغير ياء في الحالين تشتهيه بهاء الضمير نافع وابو جعفر وابن عامر وحفص الاخرون بحذفها واليه يرجعون بياء الغيبة
ابن كثير وحمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب وقيله بالكسر حمزة وعاصم غير المفضل الاخرون بالنصب يعلمون على الخطاب
ابو جعفر ونافع وابن عامر الوقوف يصدون ام هو جدلا خصمون اسرائيل يخلفون واتبعون مستقيم الشيطان
للابتداء بان مع اتصال المعنى مبين فيه لعطف الجملتين المختلفتين مع الفاء واطيعون فاعبدوه مستقيم من بينهم
للابتداء مع الفاء اليم لا يشعرون المتقين يحزنون لاحتمال كون ما بعده وصفا مسلمين لاحتمال ان يكون الذين الى اخر
الاية مبتدا وقوله ادخلوا الى اخر الاية مبتدا وقوله ادخلوا الى اخره خبرا والقول محذوف لا محالة تحبرون واكواب
الاعين للعدول مع العطف خالدون تعملون تاكلون خالدون لاحتمال ما بعده صفة او حالا او استينافا مبلسون لاحتمال
ان ما بعده مستانفا او حالا الظالمين ربك ماكثون كارهون مبرمون لان ام تصلح جواب الاولى وتصلح استفهاما
اخر ونجويهم يكتبون العابدين يصفون يوعدون وفي الارض اله العليم بينهما الساعة ترجعون يعلمون يؤفكون
فالوقف بناء على قراءة النصب والوصل بناء على قراءة الجر وسياتي تمام البحث عن اعرابهما لا يؤمنون ليلا يوهم ان ما بعده من

قول الرسول سلام للابتداء بالتهديد قال السجاوندي ومن قرا يعلمون على الخطاب فوقفه لازم لئلا يصير التهديد داخلا
في الامر بقوله قل فلك لا تحد ورفيه لان السلام سلام توديع لا تعظيم التفسير هذا نوع اخر من قبائح
اقوال كفرة قريش وفي تفسير المثل يرجع للمفسرين اجدها ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا
اذا جاز ان يكون عيسى ابن الله جاز ان يكون الملائكة بنات الله وانتصب مثلا على انه مفعول ثان لضرب اي جعل
مثلا فالضارب للمثل كافر وانا قومك اي المؤمنون منه اي من المثل ومن جنى به يصدون اي يحرعون ويضجون
قالوا اي الكفار الهتنا خير ام هو يعنون الملائكة خير من عيسى وثانيها فامر في اخر الانبيا ان حين نزل انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى للنبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا ان النصارى يعبدون
عيسى وامر بن يعبدون الملائكة يعبدونه فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان يكون نحن والهتنا معهم
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضحكوا فانزل الله تعالى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت
هذه الاية ايضا والمعنى لما ضرب ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا اذا قومك قريش من هذا المثل يصدون بالكسر والضم
اي يرتفع لهم جلبة وصياح وضجيج فرحا وسرورا اما داوام سكوت رسول الله فان العادة قد جرت بان احد الخصمين اذا
انقطع اظهر الخصم الاخر الفرح وقالوا الهتنا وهي الاصنام خير ام عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا اهون
فقيل من قرا بالضم من الصدود اي من اجل هذا المثل يمتنعون عن الحق وثالثها انه صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى
عبدوا المسيح وان مثله عند الله كمثل ادم قال كفار مكة ان محمدا يريد ان نتخذه الها كما اتخذ النصارى المسيح الها وضجروا
وضجوا وقالوا الهتنا خير ام هو يعنون محمدا وغرضهم ان الهتهم خير لانها مما عبدها اباوهم واطبعوا عليها فابطل الله كلامهم
بقوله ما ضربوه لك اي لم يضربوا هذا المثل لاجلك الا للجدال والغلبة دون البحث عن الحق بل هم قوم من عادتهم الخصومة واللدد
ثم قرر امر عيسى بقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه بان خلقناه من غير اب وصيرناه عبرة وحالة عجيبة ولو نشاء لجعلنا منكم
اي بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون يقومون مقامكم وقيل لولدنا منكم يا رجال الملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم
اولادكم والغرض بيان كمال القدرة وان كون الملائكة في السموات لا يوجب لهم الالهية الانتساب من الله ثم بين مال حال عيسى
بقوله وانه يعني عيسى لعلم للساعة لعلامة من علامات القيمة كما جاء في الحديث انا اولى الناس بعيسى ليس بيني وبينه نبي وانه
اول نازل يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام وقيل اذا نزل عيسى رفع التكليف وقيل ان عيسى كان يحيي الموتى
فعلم به الساعة والبعث وقيل الضمير في وانه للقران اي القران يعلم منه وفيه ثبوت الساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فيها و
اتبعون هذه حكاية قول النبي صلى الله عليه وسلم او المراد واتبعوا رسولي او شرعي والباقون واضح الى قوله هل ينظرون
وقد مر في ال عمران وفي مريم وقوله يا عبادي بدل من الساعة والاخلاء جمع خليل ويومئذ ظرف عدو وهو كقوله اذ تبرا الذين
اتبعوا ولكن الخلة المتقين ثابتة لان المحبة في الله لا تزول ومعنى تحبرون تسرون والحبور السرور والصحاف جمع صحفة و
الصحفة فيها طعام والاكواب جمع كوب وهو الابريق لا عروة له وقد يعود في الخلال العرفي للكوز لعرايد على مصلحة الشرب واما
هو لدفع حاجة كتعليق وتعلق وفيها ايضا منع الشرب من هنالك واصل الجنة براء من اشال ذلك فلهذا كانت اكوازها اكوابا
والله اعلم باسراره وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس الجمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على تفصيله لم يخرجوا عنه ثم
ثم بين الهم وانتم فيها خالدون الى اخره ثم وصف حال اهل الجرائم من الكفار ومنهم او من الفساق على اختلاف بين السني و
المعتزلي ومعنى لا يفتر لا يخفف من الفتور ومبلسون اليوم ساكتون تحيرا ودهشا ولما الياس من فتور العذاب نادوا
يا مالك وهو اسم خازن النار ليقض علينا ربك اي يميتنا كقوله فقضى عليه قال مالك بعد اربعين عاما او بعد مائة او
الف او قال الله بدليل قوله لقد جئناكم فانه ظاهر من كلام الله وان كان يحتمل ان يكون قول الملائكة قال اهل التحقيق سمي
خازن النار مالكا لان الملك علقه والتعلق من اسباب دخول النار كما سمي خازن الجنة رضوانا لان الرضا بحكم الله سبب
كل راحة وسعادة وصلاح وفلاح ثم عاد الى توبيخ قريش وتجهيلهم والتعجيب من حالهم فقال ام ابرموا امرا والابرام الاحكام
والمعنى انهم كلما احكموا امرا في المكر بمحمد صلى الله عليه وسلم فانا نحكم امرا في مجازاتهم وقال قتادة اجمعوا على التكذيب فاجمعنا
على التعذيب وذلك انهم اجتمعوا في دار الندوة واجمعوا على الاغتيال بمحمد صلى الله عليه وسلم وتناجوا في ذلك كف عنه شرهم
واوعدهم عليه انه يعلم سرهم وهو ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال ونجويهم وهو ما تكلموا به فيما بينهم
على سبيل الخفية ايضا ثم اكد علمه بان حفظة الاعمال يكتبونه ثم برهن على نفي الولد عن نفسه فقال لنبيه قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين وهذه قضية شرطية جزآها ممتنعان الا ان الملازمة صادقة نظيره قولك ان كان الخمسة زوجا فهي

منفقہ بمعنا وبین وهذا علی سبیل الفرض والتقدیر وبیان الملازمه ان الولد یجب محبته لرضی الوالد وتعظیمه
فلو کان المقدم حاصلا فی الواقع لزم وقوع الثانی عاده وانما ادعی الاولیه فی العبادة لان النبی مقدم فی کل
حکم علی امته خصوصا فیما یتعلق بالاصول کتعظیم المعبود وتنزیهه لکن الثانی غیر واقع وکذا المقدم وهکذا کلام
ظاهر الالزام واضح الانجام قریب من الافهام لاحاجه فیه الی تغریب المراد واما المتعسفون الظاهرون ممن لا ادب
لهم بالمعقول فقد ذکروا فیه وجوها متکلفه منها کان للرحمن ولد فی زعمکم فانا اول الانفین من ان یکون له ولد
یقال عبد بالکسر یعبد بالفتح اذا اشتد انفه ومنها جعل ان نافیه ای ما کان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلک وحده
نزه عما لا یلیق بذاته ثم امر نبیه ان یترکهم فی باطلهم واللعب بدنیاهم حتی یلاقوا العقاب ثم مدح ذاته بقوله وهو الذی
فی السماء اله ای معبود کما مر فی قوله وهو الله فی السموات وفی الارض وهو الذی فی السماء اله الا انه حذف الراجع
لطول الکلام ثم ابطل قول الکفرة ان الاصنام تشفعهم وقوله الا من شهد استثنا منقطع ای لکن من شهد بالتوحید
عن علم وبصیره وهو الذی یملک الشفاعة ویجوز ان یکون متصلا لان من جمله من یدعونهم الملائکة وعیسی وعزیرا ویجوز
ان یکون اللام محذوفا ای الشفاعه تقتضی شفوعا له ای لمن شهد بالحق وهم المومنون قال بعض العلماء فی قوله وهم
یعلمون دلاله علی ان ایمان المقلد وشهادته غیر معتبر ثم کرر فی اول السورة قائلا ولئن سالتهم والغرض التعجب من حالهم
انهم یعترفون بالصانع ثم یجعلون له اندادا وقیل الضمیر فی سالتهم للمعبودین من قرا وقیله بالنصب فعن الاخفش
انه معطوف علی سرهم ونجویهم او المراد وقال قیله ای قوله والضمیر للنبی صلی الله علیه وسلم لتقدم ذکره بالکنایة فی
قوله قل ان کان وعن ابی علی انه یعود علی عیسی وفیه تسلیه للنبی صلی الله علیه وسلم ویحتمل ان یکون النصب علی محل الساعة
ای وعنده علم الساعة وعلم قیله کفراه من قرا بالجر ثم امر نبیه باعمال الخلق الحسن معهم الی اوان النصر وهو ظاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

حٰمٓ والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة
انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم
امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو
السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم
موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم
الاولين بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تاتى السماء
بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف
عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم

رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا
العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة
الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله انى لكم
رسول امين وان لا تعلوا على الله انى آتيكم بسلطان
مبين وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون وان لم
تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون
فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم
جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك
واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بنى اسرائيل
من العذاب المهين من فرعون انه كان من المسرفين
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الايات
ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا
الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا
مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون

إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغني مولى عن
مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله إنه هو
العزيز الرحيم إن شجرت الزقوم طعام الأثيم كالمهل
يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم
ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز
الكريم إن هذا ما كنتم به تمترون إن المتقين
في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس
وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين
يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت
إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك
ذلك هو الفوز العظيم فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون
فارتقب إنهم مرتقبون **القراءة** رب السموات بالجر على البدل من
ربك عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالرفع

انى اتيكم بالفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ترجمون فاعتزلون بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل لي بالفتح ورش فكهين بغير الالف يزيد يغلي على التذكير والضمير للطعام ابن كثير وحفص والمفضل ورويس وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء التانيث والضمير للشجرة فاعتلوه بضم التاء ابن كثير ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب الاخرون بالكسر وانك بفتح الهمزة على حذف لام التعليل في مقام بضم الميم من الاقامة ابو جعفر ونافع وابن عامر **الوقوف** حم كوفي المبين ومن لم يقف على حم وقف على المبين منذرين حكيم بناء على ان التقدير امرنا من عندنا مرسلين لاحتمال ان رحمة مفعول له اويرا والتقدير رحمنا رحمة ربك العليم لمن حفص ربك بينهما موقنين ويميت الاولين يلعبون مبين الناس اليم مؤمنون مبين للعطف مجنون لئلا يوهم ان ما بعده من قول الكفار عائدون لئلا يظن ان ما بعده ظرف للعود الكبرى لاحتمال التعليل منتقمون كريم عباد الله امين على الله مبين ترجمون فاعتزلون مجرمون متبعون رهوا مغرقون وعيون كريم فاكهين لان المعنى تركوها مهياة كما كانت اخرين منظرين المهين من فرعون المسرفين العالمين مبين ليقولون المنتشرين صادقين تبع للعطف من قبلهم لتناهي الاستفهام الى ابتداء الاخبار اهلكناهم لان التعليل وضح مجرمين لاعبين لا يعلمون اجمعين لان ما بعده بدل ولا هم ينصرون رحم الله الرحيم الاثيم لاحتمال ان يكون كالمهل خبر مبتدا محذوف في البطون لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال متقابلين لاحتمال ان يراد كما ذكرنا من حالهم من قبل او يكون التقدير الامر كذلك عين لئلا يوهم ان ما بعده صفة للحور امنين لان ما بعده صفة فان الامر لا يتم الاية الاولى لان ما بعده يصلح حالا او استينافا باضمار وقد الجحيم لان فضلا مفعول له من ربك العظيم يتذكرون مرتقبون

التفسير اقسم بالقرآن انا انزلناه في ليلة مباركة لان من شاننا الانذار والتخويف من العقاب وانما انزل في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن اشرف الامور الحكيمة وهذه الليلة يفرق فيها كل امر ذي حكمة فالجملتان اعني قوله انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم كالتفسير لجواب القسم وقال صاحب النظم ليس من عادتهم ان يقسموا بنفس الشيء اذا اخبروا عنه فجواب القسم انا كنا منذرين وقوله انا انزلناه اعتراض والجمهور على الاول ولا باس لان المعنى انا انزلنا القرآن على محمد ولم يتقوله ويحتمل ان القسم وقع على انزاله في ليلة مباركة واكثر المفسرين انها ليلة القدر لقوله انا انزلناه في ليلة القدر والقدر عند الاكثرين من رمضان ونقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابرهيم في اول ليلة من رمضان والتورية لست ليال منه والزبور لاثني عشرة والانجيل لثمان عشرة منه والفرقان لاربع وعشرين مضت والليلة المباركة هي ليلة القدر وزعم بعضهم كعكرمة وغيره انها ليلة النصف من شعبان وما رايت لهم دليلا يعول عليه قالوا وتسمى ليلة البراءة ايضا وليلة الصك لان الله يكتب لعباده المؤمنين البراءة من النار في هذه الليلة وورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان وقال ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وقال ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنى ومما اعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر منها فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله عز وجل في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة وبعضهم اراد ان يجمع بين القولين فقال ابتدى باستنساخ القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر هو ضد النهي او كل امر له شان من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم الى العام القابل فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسوف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يعطي كل عامل ثواب اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وفي انتصاب امرا وجوه ان يكون حالا من امر حكيم لانه قرب من المعرفة بالوصف او من الهاء في انزلناه او من الفاعل اي آمرين او على المصدر كما مر او على الاختصاص لان كونه من عند الله يوجب مزيد شرف ورجاحة او يكون مصدرا من غير لفظ الفعل وهو يفرق لانه اذا حكم بالشيء وفصله وكتبه فقد اوجبه وامر به قوله انا كنا مرسلين يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين اي انزلنا القرآن لان من شاننا ارسال الرسل وانزال الكتب الى عبادنا لاجل الرحمة ويحتمل كونه تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا وقوله من ربك وضع الظاهر موضع المضمر ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة ثم حقق ربوبيته لقوله انه هو السميع الى قوله الاولين ومعنى الشرط في قوله ان كنتم موقنين نظير ما مر في اول الشعراء وذلك انهم كانوا مقرين بانه رب السموات والارض فقيل لهم ان كنتم على بصيرة وايقان من ذلك فلا تشكوا فيه وان كنتم موقنين بشيء فايقنوا بما اخبركم او ان كنتم تريدون اليقين فاعلموا ذلك وقيل ان نافية ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون في الدنيا او يستهزؤن بناء فلا جرم اوعدهم بقوله فارتقب ويوم مفعول به اي انتظروا فالاكثرون على ان الدخان من امارات القيامة وان الدنيا ستصير كبيت لا خصاص له مملوء دخانا يدخل في اجواف الكفار واذانهم فيكونون كالسكارى ويصيب المؤمن منه كالزكام فيبقى ذلك اربعين يوما وعن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر ابين بكسر الهمزة وفتحها اسم رجل بني هذه البلدة ونزل بها وقيل الدخان يكون بالقيامة اذا اخرجوا من قبورهم يحيط بالخلائق ويغشاهم وقيل الدخان الشر والفتنة وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام وذلك انه تعالى لما استعصت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم اللزام وهو القحط حتى اكلوا الجيف وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان فيسمع كلام صاحبه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم دواعدوه وان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم وذلك قوله هذا عذاب اي قائلين هذا الى آخره ثم استبعد منهم الاتعاظ بقوله انى لهم الذكرى وقد جاءهم ما هو اعظم من كشف الدخان وهو القرآن المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بانه انما يعلمه

بش وتنبوه الى الجنون ومعنى ثم تبعيد الحالتين ثم بين انهم يعودون الى الكفر عقيب كشف العذاب عنهم زمانا قليلا
واعلم ان ارتدادهم الى الكفر امر ممكن سواء حصل الدخان من امارات القيمة او قيل انه قد مضى والبطشة الكبرى القيمة
او يوم بدر على التفسيرين ويوم طرف لما دل عليه منتقمون لا له فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وقيل بدل من يوم
تاتي السماء ثم سلى رسوله بقوله صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ومعنى فتنا امتحنا وقد وصفه بالكرم لانه
كان حسيبا في قومه او كريم خلقه او المراد انه لم يخاشنهم في التبليغ كما قال فقولا له قولا لينا وان مفسرة لان مجى
الرسول يتضمن القول او مخففة من الثقيلة او مصدرية والبا محذوف وعباد الله مفعول به كقوله ارسل معنا
بني اسرائيل او منادى والمعنى ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان والطاعة والقصة مذكورة
في الشعراء وغيرها وان ترجمون ان يقتلون او تشتمون بالنسبة الى الكذب والسحر وان لم تومنوا الي اي ان لم تصدقوني
ففارقوني وكونوا بمعزل عني لا علي ولا لي فدعا ربه شاكيا ان هولاء قوم مجرمون مصرون على الكفر قاسرلي فاجيبا
دعاؤه وقلنا له من دعائه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم ويحتمل ان يكون الدعا هو ما في يونس ربنا اطمس على
اموالهم وفي رهوا وجهان اولهما ساكنا لا تضربه ثانيا واتركه على هيئته من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا
وذلك ان موسى اراد ان يضربه ثانيا حتى ينطبق ويزول الانفلاق خوفا من ان يدركهم قوم فرعون والله تعالى
اراد ان يدخل القبط البحر ثم يطبقه عليهم وثانيهما اي الرهو الفجوة الواسعة اي اتركه منفتحا منفرجا على حاله
والنعمة بفتح النون والتنعم والبا في مذكورة في الشعراء قوله فما بكت كانوا اذا مات الرجل الخطير قالوا في تعظيم
مصيبته بكت عليه السماء والارض واظلمت الدنيا وعند الحديث ما من مومن مات في غربة غابت فيها بواكيه
الا بكت عليه الارض والسماء وفيه تمثيل وتخييل وتهكم بهم انهم كانوا يستعظمون انفسهم ويعتقدون
انهم ماتوا في هذه الجليل كانوا دون ذلك وجوز كثير من المفسرين ان يكون البكا حقيقة وحملوا الكسوف والخسوف
والحمرة التي تحدث في السماء وهبوب الرياح العاصفة من ذلك قال الواحدي في البسيط روى انس بن مالك ان
النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا له في السماء بابان يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه
وبكيا عليه وتلا هذه الاية ثم ان هولاء الكفار لم يكن لهم عمل صالح يصعد الى السماء فلا جرم لم يبك عليهم وعن الحسن
اراد اهل السماء والارض اي ما بكت عليهم الملائكة والمومنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين وما كانوا اذا منظرين
اي لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى الاخرة بل عجل لهم في الدنيا قوله من فرعون بدل من العذاب جعل في نفسه
عذابا مهينا لشدة شكيمته وفرط عتوه وقيل المضاف محذوف اي من عذاب وقيل تقديره المهين الصادر من فرعون
وفي قراءة ابن عباس من فرعون على الاستفهام اي ما ظنكم بعذابه عن نفير في قراءته عال الا من عات مجاوز حد الاعتدال
ثم اثنى على بني اسرائيل بقوله ولقد اخترناهم باتيان الملك والنبوة وعلى علم منا باستحقاقهم ذلك وقيامهم بالشكر عليه على
عالمي زمانهم ولا ريب ان هذا قبل التحريف وقيل اي على علم منا بانه سيدر منهم بوادر ويفرط عنهم والبلاء والنعمة والمحنة
والايات هي الشق وغيرها ثم عاد الى ما انجر الكلام منه وهو قوله بل هم في شك يلعبون فقال ان هولاء يعني كفار قريش
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى قال المعتبر من معناه يوول الى ما حكى عنهم في موضع اخران هي الا حياتنا الدنيا
وذلك ان النزاع انما وقع في موتة يعقبها حيوة فانكروا ان يكون موتة بهذا الوصف الا الموتة الاولى وهي
حال كونهم نطفا ويحتمل ان يراد ما النهاية والحالة والعاقبة الا الموتة الاولى وليست اثباتا لموتة ثانية ولما
هو كقولك حج فلان الحجة الاولى ومات وما نحن بمنشرين انشر الله الموتى اي احياهم فاتوا ابائنا التي والذين
معه باياتنا ان كنتم صادقين يروى انهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم احياء الموتى فيبشر
كبيرهم قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوة محمد وفي صحة البعث فلم يحيهم الله تعالى ذلك ولكنه اوعدهم
بقوله اهم خير ام قوم تبع نبينا كان امام عرب رواه الثعلبي على انه كان رجلا صالحا ذم الله قومه ولم يذمه والعلم
انما خصهم بالذكر لقربهم من العرب زمانا ومكانا وعن سعيد بن جبير انه كسا البيت وقال قتادة كان من حمير سار
بالجيوش الحرم وسمر قند قال ابو عبيدة هم ملوك اليمن يسمى كل واحد منهم تبعا لكثرة تبعه او لانه يتبع صاحبه وهو
بمنزلة الخليفة للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وجمعه تبابعة وكان يكتب اذا كتب بسم الله الذي ملك
برا وبحرا ثم برهن على البعث بقوله وما خلقنا الى اخره وقد مر في الانبياء وفي ص نظيره وانما جمع السموات ههنا
لموافقته في اول السورة رب السموات سمي يوم القيمة يوم الفصل لانه يفصل بين عباده في الحكم والقضاء او يفصل

بين اهل الجنة واهل النار او يفصل المومنين بينهم وبين ما يكرهون والكافرين بينهم وبين ما يشتهون فيفصل بين
الوالد وولده والرجل وزوجته والمرء وخليله والمولى في الاية يحتمل المولى والناصر والمعتق وابن العم والمراد
ان احدا منهم اي معنى فرض لا ينتفع منه النصرة والضمير في ينصرون للمولى الثاني لانه جمع في المعنى لعمومه وشياعه
وقوله الا من رحم الله في محل الرفع على البدل او في محل النصب على الاستثناء انه هو العزيز الغالب على من عصى الرحيم
لمن اطاع ثم اراد ان يختم السورة بوعيد الفجار ووعد الابرار فقال ان شجرة الزقوم وقد مر تفسيرها في الصافات
والاثيم مبالغة الاثم ولهذا يمكن ان يقال انه مخصوص بالكافر والمهل دردي الزيت وقد مر في الكهف ولعل وجه
التشبيه وهو لسواد المظلم كما ان الوجه في قوله طلعها كانه رؤس الشياطين هو كراهة المنظر ثم وصفه بشدة الحرارة
قايلا يغلي في البطون كغلي الحميم ثم اخبر انه سبحانه يقول للزبانية خذوه اي خذوا الاثيم فاعتلوه جروه بعنف وغلظة كان يوخذ
بتلبيبه فيجر الى وسط النار والتركيب يدل على الشدة والغلظة ومنه المعتل للجافي الغليظ وقوله من عذاب الحميم
دون ان يقول من الحميم بتهويل وسلوك بطريق الاستعارة لانه اراد اصب عليه عذابه وشدته يروى ان ابا جهل
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا امنع مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا
فنزلت الاية اي يقال له ذق انك انت العزيز الكريم عند نفسك وفيه من التهكم ما فيه ان العذاب ما كنتم به
تمترون تشكون ثم شرع في وعد الابرار والمقام الامين ذو الامن او اصله من الامانة لان المكان المخيف كانما يخون
صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قوله وزوجناهم اختلفوا في ان هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزويج
لا والاكثرون على نفيه فان المراد وقرناهم بهن وقيل زوجته امراة وزوجته بامراة لغتان وهكذا اختلفوا في الحور
فعن الحسن هن عجائزكم ينشئهن الله خلقا اخر وقال ابو هريرة لسن من نساء الدنيا اي يحكمون ويامرون في الجنة بما
يشتهون من الفواكه في اي وقت ومكان امنين من التخم والتبعات ثم اخبر عن خلودهم بقوله لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى قال جار الله هو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل
فانهم يذوقونها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها قال اهل التحقيق ان الجنة حقيقتها ابتهاج
النفس وفرحها بمعرفة الله ومحبته فالانسان الكامل هو في الدنيا في الجنة وفي الاخرة ايضا في الجنة فقد
صح انه لم يذق في الجنة الا الموتة الاولى ثم ختم الكلام بعد ذلك والمعنى ذكرهم بالكتاب المبين فانما سهلناه حيث
انزلناه بلغتك ارادة تذكرهم فانتظر ما يحل بهم فانهم منتظرون بك الدوائر والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۞ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۞ ان
في السموات والارض لايات للمومنين ۞ وفي خلقكم
وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون ۞ واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض
بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون ۞ تلك

ايات الله نتلوها عليك بالحق فباى حديث بعد الله واياته
يؤمنون ● ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى
عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب
اليم ● واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك
لهم عذاب مهين ● من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم
ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم
عذاب عظيم ● هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم
لهم عذاب من رجز اليم ● الله الذى سخر لكم البحر لتجرى
الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ●
وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان
فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ● قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم
ترجعون ● ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين
واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون ● ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله

شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولى المتقين
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام
حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين
امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون
وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما
كسبت وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ الهه هواه و
اضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هى الا
حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم
بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين
قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك
السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
وترى كل امة جاثيه تدعى الى كتابها اليوم تجزون
ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين واما
الذين كفروا افلم تكن اياتى تتلى عليكم فاستكبرتم

وكنتم قومًا مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة
لاريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما
نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون وقيل اليوم ننسكم كما نسيتم لقاء يومكم
هذا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم
بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب
السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم

القراءة وفي خلقكم مدغما عباس ايات بالنصب في الموضعين حمزة وعلى ويعقوب الريح على التوحيد
حمزة وعلى وخلف يؤمنون على الغيبة ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل وحفص ايام مذكورة في سبا
لنجزي بالنون ابن عامر وحمزة وعلى وخلف ليجزي بالياء مبنيا للمفعول قوم بالرفع يزيد الباقون مبنيا للفاعل قوما
بالنصب سواء بالنصب حمزة وعلى وخلف وحفص وروح ويزيد غشوة بفتح الغين وسكون الشين من غير الف
حمزة وعلى وخلف كل امة تدعى بالنصب على الابدال من الاول يعقوب والساعة بالنصب حمزة لا يخرجون من الخروج
حمزة وعلى وخلف الوقوف حم كوفي الحكيم للمؤمنين ومن نصب ايات الله لم يقف لانه عطف بالمجرورين و
هما الجر واسم ان يوقنون للعطف على عاملين كما مر يعقلون بالحق للاستفهام مع الفاء يؤمنون اثيم يسمعها للانقطاع
النظم مع فاء التعقيب اليم هزوا مهين لانه لو وصل اشبه انها صفة عذاب جهنم لعطف المختلفين اولياء لذلك
عظيم هدى لان ما بعده مبتدا مع العاطف اليم يشكرون للاية مع العطف منه يتفكرون يكسبون فلنفسه
فعليها لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد القصة يرجعون العالمين للاية والعطف من الامر لعطف المختلفين
مع اتفاق الجملتين المتقين يوقنون الصالحات ومن نصب سواء لم يقف ومماتهم يحكمون لا يظلمون غشاوة
من بعد الله تذكرون الدهر لاحتمال الواو والحال من علم لانقطاع النظم مع اتصال المعنى يظنون صادقين لا يعلمون
والارض المبطلون جاثية لمن قرا كل بالرفع كتابها يعملون بالحق تعملون رحمته المبين مجرمين ما الساعة
بمستيقنين لان الابتداء بقول الكفار بمستيقنين يستهزءون ناصرين الدنيا للعدول عن الخطاب الى الغيبة يستعتبون
العالمين والارض لعطف الجملتين المتفقتين الحكيم التفسير اعراب اول السورة وتفسيرها كاعراب اول المؤمن
وتفسيره وقوله ان في السموات اما ان يكون على ظاهره واما يعنى الشمس والقمر والنجوم وحركاتها واوضاعها وكذا
العناصر والمواليد التي في الارض بما يعجز الحاصر من ادراك اعدادها واما ان يراد ان في خلق السموات والارض
فالايات تشمل ما عددنا مع زيادة هيئتهما وما يتعلق بتشخصهما استدل الاخفش بالاية الثالثة على جواز العطف
على عاملين مختلفين وهما في قراءة النصب ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنصب
في ايات وهما في قراءة الرفع على الابتداء وفي وخرج سيبويه في جوابه وجهان احدهما ان قوله ايات تكرار
محض للتاكيد فقط من غير حاجة اي ذكرها كما تقول ان في الدار زيدا والحجرة زيدا والمسجد زيدا وانت تريدان

في الدار زيدا وفي الحجرة والمسجد والثاني اضمار في الدلالة الاولى ويحتمل ان ينتصب ايات على الاختصاص
ويرتفع باضمار هي وتفسير هذه الايات قد مر في نظايرها مرارا ولا سيما في اوسط البقرة ومما يختص بالمقام انه
خص المؤمنين بالذكر اولا ثم قال لقوم يوقنون ثم لقوم يعقلون فما سبب هذا الترتيب قال الامام فخر الدين الرازي
رحمه الله اراد ان كنتم مؤمنين فافهموا هذه الدلايل والا فان كنتم طلاب الجزم واليقين فافهموا هذه الدلايل وان
كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا اقل من ان تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلايل
وقال الجار الله معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها لا بد لها من صانع
فامنوا به واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وفي خلق ما بث من الدواب على ظهر الارض
ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس واذا نظروا الى ساير الحوادث كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار
التي هي سبب الارزاق وحيوة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا ودبورا وقبولا عقلوا واستحكم
علمهم وخلص يقينهم واقول الدلايل المذكورة في هذه الايات قسمان نفسية وخارجية فالنفسية اولى بالايقان
لانه لا شيء اقرب الى الانسان عن نفسه والخارجية بعضها فلكية وبعضها اثار علوية فالفلكية لبعدها عن الانسان
اكتفى فيها بمجرد التصديق واما الاثار العلوية فكانت اولى بالنظر والاستدلال لقربها وللاحساس بها فلا جرم خصت
بالتعقل والتدبر واما تقديم السموات والارض فلشموليها ولتقدمها في الوجود والله اعلم تلك مبتدا والتبعيد
للتعظيم والمشار اليها الايات المتقدمة ونتلوها في محل الحال وقوله بعد الله واياته كقولك اعجبني زيد وكرمه اي اصله
بعد ايات الله والمعنى ان من لم يؤمن بكلام الله فلن يؤمن بحديث سواه وقيل معناه القران احسن كتب الله ومحمد اخر رسله
فان لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون ولا كتاب بعده ولا نبي ثم اوعد الكذابين المبالغين في الاثم وذكر
باقي الاية في سورة لقمن قوله واذا علم اي شعر واحس بانه من جملة القران المنزل خاص في الاستهزاء واذا وقف
على اية لها محمل في باب الطعن والقدح افترصه وحمله على الوجه الموجب للطعن كما فترص ان الزبعرى قوله انكم وما
تعبدون من دون الله وانما انث الضمير في قوله اتخذها لان الشيء في معنى الاية ولانه اراد انه يتخذ جميع الايات
هزوا ولا يقتصر على الاستهزاء بما بلغه قوله من ورائهم جهنم كل ما يواري عنك فهو وراء تقدم او تاخر وقد مر في
سورة ابرهيم هذا هدى اي هذا القران كامل في باب الهداية والارشاد ثم ذكر دليلا اخر على الوحدانية وهو
تسخير البحر لبني ادم وقد سبق وجه الدلالة مرارا وقوله ولتبتغوا اي بسبب التجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان
او باستخراج اللحم الطري ثم عمم بعد التخصيص وقوله منه في موضع الحال اي سخر جميع ما في السموات والارض
كاينة منه يريد انه اوجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هذه
النعم كلها منه عن ابن عباس برواية عطا ان الصحابة نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل عبد
الله بن ابي غلامه يستقي الماء فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر على راس البئر فما ترك احدا يستقي
حتى ملأ قرب النبي وقرب ابي بكر وملأ لمولاه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ قوله
عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى قل للذين امنوا يعني عمر يغفروا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون
وقايعه باعدايه او لا يأملون ثواب المؤمنين في ايام الله الموعودة لهم والمراد الصفح والاعراض عن عبد الله
بن ابي وفي رواية ميمون بن مهران عن ابن عباس لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قال اليهودي فنحاص ابن عازوراء
احتاج رب محمد فبلغ ذلك عمر فاخذ سيفه وخرج في طلبه فجاء جبرائيل وانزل الاية هذه وليس المقصود ان لا
يقتلوا ولا يقاتلوا حتى يلزم نسخها باية القتال كما ذهب كثير من المفسرين ولكن الاولى ان يحمل على ترك المبارزة في المحقرات
وفي اضاعة الموحشة المؤدية وانما نكر قوما مع انه اراد به الذين امنوا وهم معارف ليدل على مدحهم والثناء عليهم
كانه قيل ليجزي قوما كاملين في الصبر والاغضاء على اذى الاعداء بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ
واحتمال المكروه وقيل لقوم الكافرين الكاملين في النفاق ثم فصل الجزاء وعمم الحكم بقوله من عمل صالحا الاية ثم بين
ان المتاخرين من الكفار اسوة بالمتقدمين منهم والكتاب التورية والحكم بيان الشرايع والبينات من الامر اي امر
الدين وقال ابن عباس يريد انه بين لهم من امر النبي صلى الله عليه وسلم وانه مهاجر من تهامة الى يثرب وقيل من
المعجزات القاهرة على صحته فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم فيه احتمالان احدها علموا ثم عاندوا والثاني
جاءهم اسباب المعرفة التي لو تاملوا فيها لعرفوا الحق لكنهم ظهر والنزاع ثم جعلناك على شريعة اي منهاج وطريقة

من الامر امر الدين وقيل الامر الذي امرنا به من قبلك ولد سلنا قال الكلبي د وساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو بمكه دجع الى ملة ابائك فهم كانوا افضل منك واسن فوجع الله تعالى من ذلك بقوله ولا تتبع الى اخره اى لو ملت
الى اديانهم الباطنه لصرت مستحقا للعذاب وهم لا يقدرون على دفعه عنك ثم بين ولاة الظالمين وهم اشكالهم
من الظلمه وبين ولي المتقين وهو الله سبحانه ومن جملة اثار ولايته وبركة عنايته هذا القران وقيل ما تقدم
من اتباع الشريعة وترك طاعة الظالم وقيل القران مشارا اليه اولى لقوله بصائر من ربكم الى اخره وقد مر في
اخر الاعراف مثله ثم بين الفرق بين الظالمين والمتقين من وجه اخر فقال ام حسب قال جار الله ام منقطعة
والاية نظير ما سلف في ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين والاجتراح الاكتساب ومن قرا
سواء بالنصب فمعناه مستويا والظاهر بعده فاعله ويكون انتصابه على البدل من الثاني مفعولي جعل وهو الكاف
ومن قراء بالرفع فخبر ومحياهم مبتدا والجملة بدل ايضا لان الجملة تقع مفعولا ثانيا والمعنى انكار ان يستوي الفريقان
حيوة وموتا لان المحسنين عاشوا على المعصية وماتوا اولئك على البشرى والرحمة وماتوا هولاء على الضد
وقيل معناه انكار ان يستويا في الممات كما استووا في الحيوة من حيث الصحة والرزق بل قد يكون الكافر
ارجح حالا من المومن والفرق المقتضي سعادة المومن وشقاوة الكافر انما يظهر بعد الوفاة وقيل انه كلام
مستانف والمراد كل من الفريقين يموت على حسب ما عاش عليه كقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون
وحين افتى بان المومن لا يساوي الكافر في درجات السعادات استدل على صحة هذه الدعوى بقوله
وخلق الله الاية قال جار الله ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل اى للعدل او ليدل بها على قدرته
للجزاء ويجوز ان يكون المعلل محذوفا وهو فعلنا ونحوه والحاصل ان الغاية من خلق السماء والارض كان هو
الانسان الكامل فكيف يترك الله جزاءه وقد وجد من هو ضده والتمييز بينهما بموجب العداله ثم قرر اسباب
ضلال المضلين فقال افرايت من اتخذ الهه هواه اى يتبع ما يدعوا اليه نفسه الامارة وقد مر في الفرقان و
اضله الله على علم بحاله انه من اهل الخذلان والقهر او على علم بضلاله في سابق القضا او على علم بوجوه الهداية واحاطه
بالالطاف المحصله لها وقيل اراد به المعاند لان ضلاله عن علم فمن يهديه من بعد اضلال الله قال بعض العلماء قدم
القلب على السمع في هذه الاية وبالعكس في البقرة لان كفار مكة كانوا يبغضونه بقلوبهم فما كانوا يسمعون اليه
وكفار المدينة كانوا يلقون الى الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وانه يطلب الملك والرياسه
فالسامعون اذا سمعوا ذلك يبغضونه ونفرت قلوبهم عنه ففي هذه الصورة اعني هذه السورة كان الاثر يصعد من
البدن الى جوهر النفس وفي الصورة الاولى كان الاثر ينزل من جوهر النفس الى قرار البدن فورد ما في كل سورة على
على ترتيبه ثم ذكر من اسباب الضلال سببا اخر وهو انكارهم البعث معتقدين ان لا حيوة الا هذه وليس
قولهم الدنيا تسليما للثانيه وانما هو قول منهم على لسان المقرين وبزعمهم نموت ونحيى فيه تقديم وتاخير على ان
الواو لا يوجب الترتيب وقيل يموت الاباء ويحيى الابناء حيوة الاباء ويموت بعض ويحيى بعض او اراد وايكون
امواتا حال كونهم نطفا او هو على مذهب اهل التناسخ اى يموت الرجل ثم يجعل روحه في بدن اخر ثم انهم لم يثبتوا بالكلية
المعاد حتى عموا اليه انكار المبدا قائلين وما يهلكنا الا الدهر اعتقدوا ان تولد الاشخاص ولون المتزجات وفنائها
ليس الا بسبب قرانات الكواكب ولا حاجة في هذا الباب الى مبدا المبادي فاجاب الله عن شبهتهم بقوله وما
لهم بذلك من علم اى ليس لهم على ما قالوه دليل وانما ذكروا ذلك ظنا وتخمينا واستبعادا فلا ينبغي للعاقل ان يلتفت
الى قولهم على ان الحجة قامت على نقيض ذلك وهي دلايل المبدا والمعاد المذكورة مرارا واطوارا وليس قولهم
ايتوا بابائنا من الحجة في شي لانه ليس كل ما لا يحصل في الحال فانه يمتنع حصوله في الاستقبال بدليل الحادث
اليومي فالممتنع حصوله في الامس ووجه الاستثناء انه في اسلوب قوله تحية بينهم ضرب وجيع وحين نكبهم
وسكتهم صرح بما هو الحق فقال قل الله يحييكم الى اخره ثم اراد ان يختم السورة بوصف القيمة وما يجري على الكفار
فقال ويوم تقوم الساعة العامل فيه يخسر وقوله يومئذ بدل من يوم وفيه تاكيد للحصر المستفاد من تقديم الظرف
قال ابن عباس الجاثية المجتمعة للحساب المترقبه لما يعمل بها وقيل تاركه لجلسة المدعي عند الحاكم وقيل مستوفزين على
الارض الا ركبتاه واطراف انامله والجثوة للكفار خاصة وقيل عام بدليل قوله بعد ذلك فاما الذين امنوا واما
الذين كفروا يدعى الى كتابها يريد كتاب الحفظة ليقرا وقال الجاحظ الى كتابها فينظر هل عملوا برام لا ويقال يا

اهل التورية يا اهل القران اليوم تجزون بتقدير القول ومما يويد القول الاول قوله هذا كتابنا الى قوله انا كنا
نستنسخ اي نامر بالنسخ واضافة الكتاب ثانيا اليهم واخرى الى الله عز وجل صحيحة لان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسه
فاضيف اليهم لان اعمالهم مثبتة فيه واضيف الى الله سبحانه لانه امر ملائكته بكتبه قوله لم تكن القول فيه مقدر
اي فيقال لهم ذلك قوله ان نظن الا ظنا قال ابو علي والاخفش هذا الكلام جار على غير الظاهر لان كل من يظن فانه لا يظن
الا الظن فتاويله اي ينوى به التقديم اي ما نحن الا نظن ظنا وقال المازني تقديره ان نظن نحن الا ظنا منكم
اي انتم شاكون فيما تزعمون وما نحن بمستيقنين انكم لا تظنون وقال جار الله اصله نظن ظنا ومعناه اثبات
الظن فحسب فادخل اداة الحصر ليفيد اثبات الظن مع نفي ما سواه اقول الظن قد يطلق على ما يقرب من العلم
فلا ريب ان لهذا الرجحان مراتب وكانهم نفوا كل الظنون الا التي لا تشوبه علم فيه واكدوا هذا المعنى بقوله وما نحن بمستيقنين
وباقي السورة واضح مما سلف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ● تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين
كفروا عما انذروا معرضون ● قل ارايتم ما تدعون من
دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك
في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم
ان كنتم صادقين ● ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا
يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون ● واذا
حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما
جاءهم هذا سحر مبين ● ام يقولون افتريه قل ان افتريته
فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه

كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم ۝ قل ما
كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم
ان اتبع الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين ۝ قل ارايتم ان
كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل
على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ۝ ومن
قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق
لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ۝ ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون
ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها
وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ
اربعين سنة قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى
انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضيه واصلح
لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين ۝ اولئك الذين
نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سياتهم فى
اصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون
والذى قال لوالديه اف لكما اتعداننى ان اخرج وقد

خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك امن
ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين ۝
اولئك الذين حق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ۝ ولكل درجات
مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ۝ ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم فى حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ۝

القراءة لتنذر على الخطاب ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون على الغيبة والضمير للكتاب احسانا حمزة وعلى وخلف وعاصم الباقون حسنا كرها فى الموضعين بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحمله وهشام الباقون بالضم وفصله يعقوب الاخرون وفصاله اوزعنى ان بالفتح ابن كثير غير القواس والبخارى عن ورش وقالون غير الحلوانى نتقبل بالنون احسن بالنصب ونتجاوز بالنون حمزة وعلى وخلف وحفص الاخرون بياء الغيبة مبنيا للمفعول فى الفعلين احسن بالرفع اف بالجر والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص والمفضل وقرا ابن ذكوان كثير وابن عامر وسهل ويعقوب بالفتح غير تنوين الباقون بالكسر ولا تنوين اتعداننى ان بفتح الياء ابو جعفر وقرا نافع وقرا هشام مدغمة بالنون وليوفيهم بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الباقون بالنون اذهبتم بتخفيف الهمزتين ابن ذكوان بالمد ابن كثير يزيد وسهل ويعقوب وهشام الباقون بهمزة واحدة الوقوف الجزء السادس والعشرون حم ك العليم الحكيم مسمى معرضون السموات لانتهاء الاستفهام الى الخطاب صادقين غافلون كافرين مبين لان ام يتضمن استفهام انكار افتريه شيئا فيه وبينكم الرحيم بكم مبين واستكبرتم الظالمين اليه قديم ورحمة للمحسنين يحزنون فيها لان جزاء يصلح مفعولا له ومفعول فعل محذوف اى يجزون جزاء يعملون احسانا ووضعته كرها شهرا سنة لان ما بعده جواب اذا ذريتى للابتداء بان مع اتحاد الكلام المسلمين الجنة لان التقدير وعد الله وعدا صدقا وهو مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز فى معنى الوعد يوعدون الاولين والانس خاسرين عملوا لان الواو قد يكون مقحمة ويتصل اللام بما قبله وقد يكون للعطف محذوفا كانه قيل وليوفيهم اعمالهم وقد جزاهم على مقادير اعمالهم لا يظلمون النار لتقدير القول وهو العامل فى يوم بها لابتداء التهديد مع الفاء تفسقون التفسير انما كرر تنزيل الكتاب لانه بمنزلة عنوان الكتب ثم ذكر ما نزل فقال ما خلقنا الى قوله واجل مسمى وقد مر فى اول الروم انه الوقت الذى غيه لا فناء الدنيا وحين بين الدليل على وجود الاله ووقوع الحشر فرع عليه الرد على عبدة الاصنام بقوله قل ارايتم وقد مر فى فاطر والمراد انهم لا يستحقون العبادة اصلا لانهم ما خلقوا شيئا فى هذا العالم لا فى الارض ولا فى السماء ولم يدل وحى الله على عبادتهم لان هذا القران ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب قبله الا وهو ناطق بمثل ذلك قوله ايتونى من باب ارخاء العنان وتوسيع المجال على الخصم اى ان كنتم فى شك مما قلت فقد امهلتكم حتى تاتونى بعد الاستقراء بكتاب فيه شئ من ذلك او اثارة من علم قال الواحدى كلام اهل اللغة فى تفسير هذه الحروف يدور على ثلثة اوجه احدها البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب

الثاني انه من الاثر بمعنى الرواية والمراد ما بقي او روي عن اسلافهم وعيد وندر علماء وعن ابن عباس مرفوعا انه الخط قال كان نبي من الانبياء يخط فمن صادف مثل خطه علم ثم زاد في تبكيتهم وتوبيخهم بقوله ومن اضل الاية و بالجملة فالدليل الاول دل على نفي القدرة عنهم من كل الوجوه وهذا الدليل دل على نفي العلم عنهم من كل الوجوه فاذا انتفى العلم والقدرة عن الجسم لم يكن الا جمادا وعبادة الجماد محض الضلال وقوله الى يوم القيمة تاسيس على عادة العرب ويحتمل ان يكون توقيتا بدليل قوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وهذا التبري والتخاطب نوع من الاستنجاد ثم قرر غاية عنادهم بقوله واذا تتلى عليهم الاية ثم تعجب من حالهم بقوله ام يقولون افتريه اي ان كذبت على الله كما زعمتم عاجلني بالعقوبة فلا تقدرون على دفع عذابه عني فاي فائدة لي في الافتراء ثم فوض امرهم الى الله قائلا هو اعلم بما تفيضون اي تندفعون فيه من القدح في الوحي وتسميته سحرا تارة وافتراء اخرى وفي قوله وهو الغفور الرحيم اشارة الى انهم لو رجعوا الى الحق وتابوا عن الشرك قبل الله توبتهم وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوه ثم اراد ان يزيل شبهتهم بنوع اخر من البيان فقال قل ما كنت بدعا هو بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف اي لست باول رسول ارسله الله ولا جئتكم بامر بديع لم يكن لي مثله سابق فيه ان اقتراح الايات الغريبة منه غير متجه لانه لا يتبع الا الوحي وما هو الا نذير وليس اليه ان يأتي بكل ما يقترح فيه وفيه انه غير عالم بالمغيبات الا بطريق الوحي فلا وجه لاستدعاء الغيوب عنه سواء تعلق باحوال الدنيا او باحوال الاخرة من الاحكام والتكاليف امر المكلفين اليه وفيه انه لا وجه لتعييره بالفقر وباكل الطعام والمشي في الاسواق لان الرسل كلهم او جلهم كانوا كذلك قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلاء على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر فقصها على اصحابه فاستبشروا بذلك ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى نهاجر فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله الاية وعنه في رواية اخرى انه لما نزلت هذه فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به وبامته فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما فبين الله تعالى ما يفعل به وبامته و نسخ هذه الاية والاصح عند العلماء انه لا حاجة الى التزام النسخ لان الدراية المفصلة غير حاصلة وعلى تقدير حصولها فانه لم ينف الا الدراية من قبل نفسه وما نفى الدراية من جهة الوحي قوله ولا بكم في خبر النفي اي ولا ادري ما يفعل بكم وما موصولة او استفهامية ومحل الاولى النصب والثانية رفع ثم قرر انه لا اظلم منهم فقال قل ارأيتم الاية وقد مر نظيره في حم السجدة الا انه زاد ههنا حديث الشاهد وفيه اقوال **الاول** ان عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فامن به وعن سعد بن ابي وقاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي على مثل القران في المعنى وهو ما في التورية من المعاني المطابقة للقران من التوحيد والمعاد على هذا فقوله على مثله يتعلق بشاهد اي وشهد شاهد على صحة القران شاهد على القران ويجوز ان يعود الضمير في مثله الى المذكور وهو كونه من عند الله فيكون الجار متعلقا بشهد قال جار الله الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد فقد عطفت الجملة قوله وشهد الى اخره على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى اخبروني ان اجتمع كون القران من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه ثم اضل الناس واظلمهم يدل على هذا الجواب المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قلت هذا كلام حسن ويجوز ان يكون قوله واستكبرتم معطوفا على قوله فامن ويجوز ان يكون في وشهد للحال باضمار قد جعل الايمان في قوله وامن مسببا عن الشهادة لانه لما علم ان مثله انزل على موسى وانصف من نفسه اعترف بصحته وامن **القول الثاني** ما ذكر الشعبي في جماعة ان السورة مكية وقد اسلم ابن سلام بالمدينة فالشاهد هو موسى وشهادته هو ما في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وايمانه تصديقه ذلك **القول الثالث** ان الشاهد ليس شخصا معينا وتقدير الكلام لو ان رجلا منصفا عارفا بالتورية اقر بذلك واعترف به ثم امن بمحمد واستكبرتم انتم الستم لم تكونوا ظالمين ضالين والمقصود انه ثبت بالمعجزات القاهرة ان هذا الكتاب هو من عند الله وثبت بشهادة الثقات ان التورية ثم ذكر شبهة اخرى لهم وهي انهم قالوا للذين امنوا اي لاجلهم في حقهم

لو كان ما اتى به محمد خيرا ما سبقونا اليه وقيل اللام كما في قولك قلت له وضعف بانه لو كان كذلك لقيل ما سبقتمونا اليه واجيب بانه وارد على طريقة الالتفات او المراد ان الكفار لما سمعوا ان جماعة امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين بانه لو كان هذا الدين خيرا لما سبقنا اليه اولئك الغائبون قال المفسرون لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان ما دخل فيه هؤلاء من الدين خيرا ما سبقونا اليه ونحن ارفع منهم حالا واكثر مالا وهؤلاء رعاة الغنم وقيل قالت اغنياء قريش للفقراء المؤمنين كعمار وصهيب وابن مسعود وقيل هم اليهود قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه والعامل في قوله واذ لم يهتدوا به محذوف وهو ظهر عنادهم وذلك ان اذ للمضي والسين للاستقبال وبينهما تنافر والافك القديم كقولهم اساطير الاولين وقيل كذب ككذب عيسى قوله ومن قبله كتاب موسى خبر مبتدا و قوله اماما اي قدوة يؤتم به في اصول شرائع الله نصب على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقوله لسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق اي لما بين يديه وهو العامل فيه ويجوز ان يكون حالا من كتاب لانه موصوف والعامل معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق على حذف المضاف اي يصدق ذا لسان عربي هو الرسول قوله و بشرى معطوف على محل لتنذر به لانه مفعول له وحين قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبه المنكرين مع اجوبتها اراد ان يذكر طريقة المحقين فقال ان الذين قالوا الاية وقد مر في حم السجدة الا انه رفع واسطة الملائكة ههنا من البين ثم ان اعظم انواع الاستقامة كان هو الشفقة على خلق الله ولا سيما على الوالدين فلذلك قال ووصينا الاية وقد مر في الروم ولقمن والكره بالفتح والضم المشقة اي ذات كره او حملا ذا كره والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمقصود بيان مدة الرضاع الا انه كان منتهيا بالفصال عبر عن اجزاء الرضاع بالفصال والفائدة فيه الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال وقد يستدل بهذه الاية ومن قوله والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين اي مدة الحمل ستة اشهر وعن عمر ان امرأة ولدت لستة اشهر فرفعت اليه فامر برجمها فاخبر علي كرم الله وجهه بذلك فمنع عنه محتجا بالاية فصدقه عمر وقال لولا علي لهلك عمر قال جالينوس اني كنت شديد الفحص عن مقادير ازمنة الحمل فرايت امرأة ولدت في المائة والاربع والثمانين ليلة وزعم ابو علي بن سينا انه شاهد ذلك وذكر اهل التجارب قاعدة كلية قالوا ان لتكوين الجنين زمانا مقدرا فاذا انضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين ثم اذا انضاف الى المجموع مثلاه انفصل الجنين وعلى هذا لو تمت خلقة الجنين في ثلثين يوما فاذا اتى عليه مثل ذلك اي تمم علوقه ستين تحرك الجنين ثم اذا انضاف الى المجموع هذا المقدار مثلاه وهو مائة وعشرون وصار المبلغ مائة وثمانين انفصل ولو تمت خلقته في خمسة وثلثين يوما تحرك في سبعين وانفصل في مائتين وعشرة وهو سبعة اشهر ولو تمت خلقته في اربعين تحرك في ثمانين وانفصل في مائتين واربعين وهو ثمانية اشهر وقلما يعيش مثل هذا المولود الا في بلاد معينة مثل مصر واما اكثر مدة الحمل فليس يعرف له دليل من القران وذكر ابو علي بن سينا في كتاب الحيوان من الشفاء في الفصل السادس من المقالة التاسعة ان امرأة ولدت بعد الرابع من سني الحمل ولدا قد نبتت اسنانه وعاش وعن ارسطاطاليس ان زمان الولادة لكل الحيوانات مضبوطة سوى هذا وقد روى الواحدي في البسيط عن عكرمة انه قال اذا حملت تسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين وعلى هذا قوله حتى اذا بلغ اشده اكثر المفسرين كما مر في اخر الانعام واول يوسف والقصص على ان وقت الاشد هو زمان الوصول الى اخر سن النشو والنماء وهو ثلث وثلثون سنة تقريبا وان في الاربعين يتم الشباب وتاخذ القوى الطبيعية والحيوانية في الانتقاص والقوة العقلية والنطقية في الاستكمال وهذا احد ما يدل على ان النفس غير البدن ودع جملة الكمال انه يقول حينئذ رب اوزعني اي الهمني ووفقني كما مر في النمل وان علماء المعاني قالوا في قوله في ذريتي كقوله يجرح في عراقيبها نصلي فكانه سال ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له وقوله احسن ما عملوا اما بمعنى الحسن او المراد الواجب والندب دون المباح وقوله في اصحاب الجنة في موضع الحال اي معدودين فيهم عن ابن عباس وجم غفير من المفسرين ان الاية نزلت في ابي بكر الصديق وفي ابيه ابي قحافة وفي امه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم ولم يكن احد من الصحابة المهاجرين والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله عنه قالوا ومما يؤيد هذا القول انه سبحانه حكى عن ذلك الانسان انه قال بعد اربعين سنة رب اوزعني الى اخره ومعلوم انه ليس كل انسان يقول هذا القول والاظهر ان هذا عام لهذا الجنس وان الانسان في الاغلب قد يقول هذا القول ولا اقل من ان يكون واردا على طريقة الارشاد والتعليم سلمنا ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب قوله والذى قال مبتدا خبره اولئك المراد بالذى جنس القائل فلذلك اورد الخبر على مجموعا ويجوز ان يكون
الخبر عاما لما فى القايل وفى امثاله مندرج فيه القايل وقيل تقديره واذكر الذى ومن القايل عن الحسن وقتاده هو
الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وذهب السدى الى ان الاية نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر قبل اسلامه وانه
كان يقول لوالديه اف لكما وهى كلمة تضجر وتبرم كما مر فى سبحان والانبياء اتعداننى ان اخرج من القبر وقد خلت القرون
من قبلى فلم يرجع احد منهم وهما اعنى ابويه يستغيثان الله اى بالله بحذف الجار واوصل الفعل والمراد يسالانه ان يوفقه
للايمان ويقولان له ويلك امن بالله وبالبعث والمراد بدعاء عليه الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك
قال السدى فاستجاب الله دعوة ابى بكر فيه فاسلم وحسن اسلامه ولما اسلم نزل فيه ولكل درجات مما عملوا وانكر
المفسرين يكون هذا القول لانه سبحانه قال فيه اولئك الذين حق عليهم القول كائنين فى امم الى اخره وان عبد
الرحمن لم يبق كافرا بل كان من سادات المسلمين وروى عن عايشه انكاره ايضا وذلك انه حين كتب معويه الى مروان
بن الحكم بن ابى العاص بان يبايع الناس ليزيد رد عليه عبد الرحمن فقال مروان يا ايها الناس هو الذى قال والذى
قال لوالديه فسمعت عايشه فغضبت وقالت والله ما هو ولكن الله لعن اباك وانت فى صلبه ثم ميز حال المؤمن
من حال المؤمن حال الكافر بقوله فقال ولكل اى من الجنسين درجات من جزاء ما عملوا فغلبت اهل الدرجات
على اهل الدركات او الدرجات هى المراتب متصاعدة او متنازلة والباقى واضح مما مر والاستكبار من قبول الحق
دينا القلب والفسق عمل الجوارح والاول اولى بالتقديم لعظم موقعه وقد يحتج بالاية على ان الكفار مخاطبون
بالفروع قال مؤلف الكتاب الاشيا الطيبة اللذيذة غير منهى عليها لقوله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج
لعباده والطيبات من الرزق ولكن التقشف وترك التكليف داب الصالحين لئلا يشغل بغير المهم ولان ما عدا
الضرورى لا حصر له وقد يجر بعضه بعضا الى ان وقع المرء فى حد البعد عن الله وفى الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على اهل الصفه وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو
احدكم فى حلة ويروح فى اخرى ويغدى بجفنه ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما يستر الكعبة قالوا نحن يومئذ
خير قال بل انتم اليوم خير وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكنى استبقى طيباتى
لان الله وصف قوما فقال اذهبتم طيباتكم وعنه ان رجلا دعاه الى طعام فاكل ثم قدم شيا حلوا فامتنع وقال
رايت الله نعى على قوم شهواتهم فقال اذهبتم الاية فقال الرجل اقرا يا امير المؤمنين ما قبلها ويوم يعرض الذين كفروا
ولست منهم فاكل وسر بما سمع والتحقيق ان المراد هو انه ملكت للكافر حظ من الطيبات الا الذى اصابه فى دنياه
وليس فى الاية ان كل من اصاب الطيبات فى الدنيا فانه لا يكون له منها حظ فى الاخرة والله اعلم بالصواب

واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر
من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم ● قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ● قال انما العلم عند الله
وابلغكم ما ارسلت به ولكنى اريكم قوما تجهلون
فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم ● تدمر كل شى بامر

ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم
المجرمين ● ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه و
جعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شى اذ كانوا يجحدون بايات
الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ● ولقد اهلكنا
ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون ●
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم
وذلك افكهم وما كانوا يفترون ● واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما
قضى ولوا الى قومهم منذرين ● قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق
مستقيم ● يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ● ومن لا يجب داعى
الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى
ضلال مبين ● اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض
ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شى قدير
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا
بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ● فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم

يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون

القراءة اني اخاف بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ولا يرى بالياء التحتانيه مبنيا للمفعول الا مساكنهم بالرفع عاصم وحمزة وخلف وسهل ويعقوب الباقون الا ترى على الخطاب كل راء مساكنهم بالنصب بل ضلوا بادغام اللام في الضاد واذ صرفنا بادغام الذال في الصاد وكذا ما يشبهه ابو عمرو وعلي وهشام وحمزة في روايه خلف وابن سعدان وابي عمرو ونقيد بر ضلا مضارعا من القدرة سهل ويعقوب الوقوف عاد لان اذ يتعلق باذكر محذوفا وهو مفعول به هذا قول السجاوندي وعندي ان لا وقف وقوله اذ بدل الاشتمال من اخا عاد الا الله عظيم الهتنا لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفا الصادقين عند الله لاختلاف الجملتين لفظا ولكن التقدير و انا ابلغكم تجهلون ممطرنا لتقدير القول به لان التقدير هذه ريح اليم لان ما بعده صفه مساكنهم المجرمين وافئده لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اولى للفاء واتحاد الكلام يستهزءون يرجعون الهة لتمام الاستفهام عنهم لعطف الجملتين المختلفتين والوصل مفترون القران لكمال المجازاة مع الفاء انصتوا لذلك منذرين مستقيم اليم اولياء مبين الموتى قدير النار لتقدير القول بالحق وربنا تكفرون لهم يوعدون لان ما بعده جرى كان نهار لان التقدير هذا بلاغ للاستفهام مع الفاء الفاسقون التفسير انه سبحانه بعد حكايه شبه المكذبين والاجوبه عنها وبعد تمام ما انجر الكلام اليه امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يذكر قومه بقصه هود اعني اخا عاد لانه واحد منهم والاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحنا من احقوقف الشي اذا اعوج ويقال له السحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير مصدرا او صفه قالوا و في قوله وقد خلت اما ان يكون للحال والمعنى انذرهم وهم معلمون بانذار الرسل من قبله ومن بعده واما ان يكون اعتراضا والمعنى واذكر وقت انذار هود قومه ان لا تعبدوا الا الله وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك واذكرهم قوله لتافكنا لتصرفنا من عباده الهتنا قوله انما العلم عند الله اي علم اتيان الوقت الذي عينه الله لتعذيبكم فلا معنى لاستعجالكم ولهذا نسبهم الى الجهالة واي جهل اعظم من نسبة نبي الله الى الكذب ومن ترك طريقه الاحتياط ومن استعجال ما فيه هلاكهم والضمير في قوله فلما راوه عايدا الى الموعود او هو مبهم توضحه قوله عارضا اي سحابا عرض في نواحي السماء و الاضافه في قوله مستقبل اوديتهم ممطرنا لفظيه ولهذا صح وقوعها صفه للنكرة والتدمير الاهلاك والاستيصال و في قوله بامر ربها اشاره الى ابطال قول من زعم ان مثل هذه الاثار مستند الى تاثيرات الكواكب بالاستقلال ثم زاد في تخويف كفار مكه وذكر فضل عاد في القوة الجسمانية وفي الاسباب الخارجية عليهم فقال ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قال المبرد ما موصوله وان نافيه اي في الذي لم نمكنكم فيه وقال ابن قتيبه ان زائده وهذا فيه ضعف لان الاصل حمل الكلام على وجه لا يلزم منه زياده وفي اللفظ لان المقصود فضل اولئك القوم على هؤلا حتى يلزم المبالغه في التخويف وعند تساويهما يفوت هذا المقصود وقيل ان للشرط والجزاء مضمر اي في الذي ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر قوله من شي من الاغناء وهو القليل منه وقوله اذ كانوا ظرف لما اغنى وفيه معنى التعليل كقولك ضربته اذ اساء قوله من القرى يريد قريات عاد وثمود ولوط وغيرهم بالشام والحجاز واليمن وتصريف الايات اي تكريرها قبل العرب المخاطبين والاظهر انه للماضين لقوله لعلهم يرجعون عن تركهم والاقلون حملوه على الالتفات ثم وبخهم بان اصنامهم لم ينصروا على نصرتهم وشفاعتهم فقوله الهة مفعول ثان لاتخذوا و المفعول الاول محذوف وهو الى الذين و قربانا حالا ومفعول له اي متقربين الى الله ولاجل التقرب بزعمهم و القربان مصدر او اسم لما يتقرب الى الله عز وجل ويجوز ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا او بيانا قوله وذلك افكهم اي عدم نصرة الهتهم وضلالهم عنهم وقت الحاجة يحصول افكهم وافترائهم او عاقبه شركهم و ثمره كذبهم على الله وحين بين ان في الانس من امن وفيهم من كفر اراد ان يبين ان نوع الجن ايضا كذلك وفي كيفيه الوافدة قولان احدهما عن سعيد بن جبير وعليه الجمهور كانت الجن تسترق فلما رجموا قالوا انما حدث في السماء لشي حدث في الارض فذهبوا يطلبون السبب فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم ببطن نخله يصلي باصحابه او منفردا

فمنهم من قال صلوة العشاء الاخرة ومنهم من قال الصلوة الصبح فقرا فيها سورة اقرا فسمعوا القران وعرفوا ان ذلك هو السبب وعلى هذا لم يكن ذلك بعلم منه صلى الله عليه وسلم حتى اوحى الله اليه القول الثاني انه صلى الله عليه وسلم امر بذلك فقال لاصحابه اني امرت ان اقرا القران على الجن فايكم يتبعني فاتبعه ابن مسعود فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعب الحجون وخط على ابن مسعود خطا وقال لا تبرح حتى اتيك قال فسمعت لغطا شديدا حتى خفت على النبي ثم علا القران اصواتهم فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن اللغط فقال اختصموا الي في قتيل كان بينهم فقضيت فيهم وفي روايه اخرى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امعك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شي من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضا وقال تمرة طيبة وماء طهور واختلفوا في عددهم عن ابن عباس كانوا تسعة من جن نصيبين او سبعة وعن عكرمة عشرة من جزيرة الموصل وعن زر بن حبيش كانوا تسعة منهم زوبعة وقيل كانوا سبعين وقيل اثني عشر الفا ولنرجع الى التفسير قوله واذ صرفنا معطوف على قوله اذكر اخا عاد اذ انذر ومعنى صرفنا املناهم اليك والنفر ما دون العشرة ويجمع على انفار والضمير في حضروه للنبي صلى الله عليه وسلم او للقران قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا والانصات السكوت لاستماع الكلام فلما قضي اي فرغ النبي من القراءة وانما قالوا انزل من بعد موسى لانهم كانوا يهودا او لانهم لم يسمعوا امر عيسى قاله ابن عباس اجيبوا داعي الله عنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفسهم بنا على انهم رسل رسول الله الى قومهم ومنهم من يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن ايضا وهذا من جمله خصايصه وحين عموا الامر بالاجابة للداعي خصصوه بقوله فامنوا به لان الايمان اشرف اقسام التكاليف ومن في قوله من ذنوبكم للتبعيض فمن الذنوب ما لا يغفر بالايمان كالمظالم وقد مر في ابرهيم واختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب اليم وهو قول ابي حنيفه والصحيح انهم في حكم بني ادم يدخلون الجنة وياكلون ويشربون وقد جرى بين مالك وابي حنيفه مناظره في هذا الباب قوله فليس بمعجز اي لا يفوتونها رب قوله ولم يعي يقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه قوله بقادر في محل الرفع لانه خبر ان وانما دخلت الباء لاشتمال الايه على النفي كانه قيل اليس الله بقادر والمقصود تاكيد ما مر في اول السورة من دلايل البعث والنبوة ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر كما صبر اولو العزم وقوله من الرسل بيان لان جميع الرسل ارباب عزم وجد في تبليغ ما امروا باداية وهو للتبعيض فنوح صبر على اذى قومه وابرهيم على النار وذبح الولد و اسحق على الذبح ويعقوب على فراق الولد ويوسف على السجن وايوب على الضر وموسى على سفاهة قومه وجهالتهم واما يونس فلم يصبر على دعا القوم فذهب مغاضبا وقال تعالى في حق ادم ولم نجد له عزما ولا تستعجل لهم اي لا يدع الكفار قريش بتعجيل العذاب فانه نازل بهم لا محاله وان تاخر وانهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى ظنوا انها ساعة من نهار هذا الذي وعظتم به كفايه وقد مر في اخر سورة ابرهيم صلوات الرحمن عليه والله اعلم واحكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين

كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم
كذلك يضرب الله للناس امثالهم ● فاذا لقيتم الذين كفروا
فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد
واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله
فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها
لهم ● يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ● ذلك بانهم كرهوا
ما انزل الله فاحبط اعمالهم ● افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين
امثالها ● ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين
لا مولى لهم ● ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون
كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم وكاين من قرية هي
اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر
لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
من ماء غير اسن ● وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر
لذة للشاربين ● وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات

ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار ● وسقوا ماء حميما
فقطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى
واتيهم تقويهم فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة فقد جاء اشراطها ● فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم

القراءة والذين قتلوا مبنيا للمفعول ثلاثيا ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص الباقون قاتلوا ويثبت من
الاثبات المفضل الباقون بالتشديد اسن بغير الف ابن كثير انفا بدون الالف كما قلنا ابن مجاهد وابو عون عن
قنبل **الوقوف** اعمالهم بالهم من ربهم امثالهم الرقاب الوثاق فداء ولتعلق بعد ما شددتم الوثاق اوزارها
ذلك اي ذلك كذلك وقد يجن اعماله بما قبله لانقطاع عن خبره او عن المبتدا او الفعل اي الامر كذلك او فعلوا ذلك
ببعض اعمالهم بالهم للاية مع العطف واتحاد الكلام لهم اقدامكم اعمالهم قبلهم لتناهي الاستخبار الى الاخبار
عليهم للابتداء بالتهديد مع الواو امثالها لهم الانهار لهم اخرجتك لاحتمال ان ما بعده صفة قرية او ابتداء اخبار
لهم اهواءهم المتقون للحذف اي صفة الجنة فيما نقص عليكم ثم شرع في وصفها اسن طعمه للشاربين لتفصيل انواع النعم
مع العطف مصفى من ربهم لحذف المبتدا والتقدير امن هذا حاله كمن هو خالد امعاءهم اليك لاحتمال ان يكون حتى
للانتهاء وللابتداء انفا اهواءهم تقويهم بغتة لتناهي الاستفهام مع محل الفاء بعده في الاخبار اشراطها لعكس ما مر
ذكريهم **التفسير** قال اهل النظر ان اول هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة كانه قيل كيف يهلك الفاسق
ان كان له اعمال صالحة فاجاب الذين كفروا وصدوا اي امتنعوا الناس عن الايمان صدوا وامتنعوا عنه صدودا اضل
الله اعمالهم اي ابطل ثوابها وكانوا يصلون الارحام ويطعمون الطعام ويعمرون المسجد الحرام وعن ابن عباس انها
نزلت في المطعمين يوم بدر وقيل هم اهل الكتاب والاظهر العموم قال جار الله حقيقة اضلال الاعمال جعلها ضالة
ضايعة ليس لها من يتحبب عليها كالضالة من الابل لا رب لها يحفظها او اراد انه جعلها منا له في كفرهم ومعاصيهم
مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن وقيل اراد ابطال ما عملوا اعلى الكيد للاسلام فنصر بان نصر المسلمين عليهم واظهر
دينه على الدين كله وحين بين حال الكفار بين حال المؤمنين قائلا والذين امنوا وعملوا الصالحات بالهجرة والنصرة
وغير ذلك وامنوا بما نزل على محمد يعني القران وهو تخصيص بعد تعميم ولم يقتصر على هذا التخصيص لوجب التفصيل
ولكنه اكد بالجملة اعتراضية هي قوله وهو الحق من ربهم ولان الحق هو الثابت ففيه دليل على ان دين محمد لا يرد عليه
النسخ ابدا وتكفير السيئات من الكريم سترها بما هو خير منها فهو في معنى قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
والبال الحال والشان لا يثنى ولا يجمع وقيل هو بمعنى القلب اي يصلح امر دينهم والحاصل ان قوله وامنوا بما نزل على محمد بازاء
قوله وصدوا عن سبيل الله فاولئك فاضل الله حسنات اولئك وستر على سيئات هؤلاء وقد اشير الى هذا الحاصل
بقوله ذلك الاضلال والتكفير بسبب اتباع اولئك الباطل الشيطان وحزبه وهؤلاء الحق محمدا والقران كذلك اي
مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس كلهم امثال انفسهم او امثال المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم
لاجل الناس ليعتبروا بهم وضرب المثل في الاية هو ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين
ولا ريب ان اجراء على الفريقين بغير تصريح مثل لحالهما وهذا حقيقة ضرب المثل وقيل ان الاضلال مثل لخيبة
الكفار وتكفير السيئات مثل لفوز المؤمنين وقيل ان قوله كذلك لا يستدعي ان يكون هناك ان يكون مثل مضروب
ولكنه لما بين حال الكافر واضلال اعماله وحال المؤمن وتكفير سيئاته وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الايضاح

فقال كذلك اى مثل هذا البيان يضرب الله للناس امثالهم وبين احوالهم قال اصحاب النظم لما بين ان عمل الكفار
ضلال والانسان حرمته باعتبار عمله ابيح من ذلك قوله فاذا لقيتم الذين كفروا اى في دار الحرب او في القتال فضرب
الرقاب واصله فاضربوا الرقاب ضربا الا انه اختصر للتوكيد لانه يذكر المصدر المنصوب دل على الفعل وكان الحكم البرهانى
وليس ضرب الرقبه مقصودا بالذات ولكنه وقع التعبير عن القتل به لانه اغلب انواع القتل ولما ذكره من
التخويف والتغليظ وفيه رد على زعم ان القتل لكونه ايلام قبيح مطلقا لانه تخريب البنيان فبين الشرع ان اهل الكفر
والطغيان يجب قتلهم لان فيه صلاح نوع الانسان كما ان الطبيب الحاذق يامر بقطع العضو الفاسد ابقا
على ساير البدن حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشى الثخين او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى لا
يمكنهم النهوض وقد مر في اخر الانفال فشدوا الوثاق وهو بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمراد فاسروهم وشدوهم
بالحبال والسيور فاما تمنون منا واما تفدون فداء وهذا مما يلزم فيه حذف فعل المفعول المطلق لانه وقع تفصيلا
لاثر مضمون جمله تقدمته قال الشافعي للامام ان يختار احدا ربعه مود هم القتل والاسترقاق والمن والفدا باسارى
المسلمين او بمال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابى عروه الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من
المشركين وذهب اصحاب الراى الى ان الايه منسوخه وان المن والفدا انما كانا يوم بدر فقط وناسخها اقتلوا المشركين
وليس للامام الا القتل او الاسر والاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فدا انما هو الاسلام او ضرب
العنق وقوله حتى تضع يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء والمراد عند الشافعي انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى
ان يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكه واوزار الحرب الاتها واثقالها التى لا تقوم الحرب الا بها قال
الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا فاذا انقضت الحرب فكانها وضعت اسبابها
وقيل اوزارها اثامها والمضاف محذوف اى حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان
يسلموا وعلى هذا جاز ان يكون الحرب جمع حارب كالصحب جمع صاحب فلا يحتاج الى تقدير المضاف وفي بعضهم تضع
الحرب اوزارها بنزول عيسى لما روى عن ابى هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوشك من عاش منكم ان يلقى
عيسى اماما هاديا وحكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير وتضع الحرب اوزارها حتى تدخل كلمة الاخلاص
كل بيت من وبر ومدر وعند ابى حنيفه اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويأسرون حتى تضع
جنس الحرب الاوزار وذلك اذا لم يبق شوكه للمشركين واذا علق بالمن والفدا فالحرب معهوده وهي حرب بدر
ثم بين انه منزه في الانتقام من الكفار عن الاستعانه باحد فقال ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم بغير قتال
او بتسليط الملائكه او اضعف خلقه عليهم ولكن امركم بقتالهم ليبلوا بعضكم ببعض فيمحص المؤمنين بالكافرين
هل يجاهدون في سبيله حق الجهاد ام لا ويبتلى الكافرين بالمؤمنين هل يدعون الحق ام لا الزاما للحجه وقطعا للمعاذير
ومعنى الابتلا من الله سبحانه قد مر انه مجاز اى يعاملهم معاملة المختبر او ليظهر الامر لغيره من الملائكه او
الثقلين ثم وعد الشهدا او المجاهدين بقوله والذين قتلوا او قاتلوا على القرائتين فلن يضل اعمالهم خلاف الكفر
سيهديهم الى الثواب او يثبتهم على الهدايه ويصلح بالهم امر معاشهم في المعاد او في الدنيا وكرر لان الاول
سبب التعظيم والثاني نفس النعيم ويدخلهم الجنه عرفها لهم جعل كل واحد بحيث يعرف منزله في الجنه كانهم
كانوا سكانها منذ خلقوا وعن مقاتل يعرفها لهم الحفظه ابن عيسى عرفها بوصفها في القران وقيل طيبها لهم من
العرف وهو طيب الرايحه ثم حث على نصره دين الله بقوله يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اى دينه او رسوله
ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم مع مواقف الحرب او على جاده الشريعه والذين كفروا فتعسا لهم
بالصد يقال تعسا له في الدعا عليه بالعثار والتردى عن ابن عباس هو في الدنيا القتل وفي الاخره التردى في جهنم
ومن المصادر التى يجب حذف فعلها سماعا والتقدير اتعسهم الله فتعسوا تعسا ولهذا عطف عليه
قوله واضل اعمالهم ثم بين سبب تعاستهم على الكفر والضلال بقوله ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله من القران و
التكاليف لالفهم بالاهمال واطلاق اعنانهم التى لا استناد لها الى القران والسنه ثم هددهم بحال الاقدمين وهو
ظاهر ودمر عليه ابلغ من دمره فالثاني الاهلاك ما يختص به من نفسه وماله وولده وغيره وللكافرين امثالها
الضمير للعاقبه او العقوبه والاول مذكور والثاني مفهوم بدلالة التدمير فان كان المراد الدعاء عليهم فاللام للعهد
وهم كفار قريش ومن ينخرط في سلكهم وان كان المراد الاخبار جاز ان يراد الكفار الاقدمون ذلك النصر والتعس

بان الله مولى الذين امنوا اى وليهم وناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم بمعنى النصره والعنايه واما بمعنى الربوبيه
والمالكيه فهو مولى الكل كقوله وردوا الى الله مولاهم الحق ثم برهن على الحكم المذكور وهو ان ولايته مختصه بالمؤمنين
فقال ان الله يدخل الايه فشبه الكافرين بالانعام من جهه ان الكافر غرضه من الحيوه التنعم والاكل وساير الملاذ
لا التقوى والتوسل بالعباده الى الطاعه وعمل الاخره ومن جهه انه لا يستدل بالنعم على خالقها ومن جهه غفلتهم
من مال حالهم وان النار مثوى لهم ثم زاد في تهديد قريش بقوله وكاين من قريه اى اهل قريه هم اشد قوه من اهل قريتك
التى اخرجوك تسببوا في خروجك وقوله فلا ناصر لهم حكاية تلك الحال كقوله وكلبهم باسط ثم بين الفرق بين
اهل الحق وحزب الشيطان بقوله على طريق الانكار فمن كان على بينه معجز ظاهر وحجه باهره من ربه يريد محمدا
وامته قوله واتبعوا محمول على من وهو تاكيدها وحين اثبت الفرق بين الفريقين اراد ان يبين الفرق بين جزائهما
فقال مثل الجنه اى صفتها العجيبه الشان وفي اعرابه وجهان احدهما ما مر في الوقوف والثاني قول الزمخشري
في الكشاف انه على حذف حرف الاستفهام والتقدير مثل الجنه او اصحابها كمثل جزاء من هو خالد في النار او كمثل
من هو خالد وفايده التعريه عن حرف الاستفهام زياده تصوير مكابره من سوى بين الفريقين وقوله فيها انهار كالبدل
من الصله او حال والاسن المتغير اللون او الريح او الطعم ومصدره الاسون والنعت اسن مقصورا واللذه صفه او
مصدر وصف به كما مر في الصافات والباقى ظاهر قال بعض علما التاويل لا شك ان الماء اعم نفعا للخلائق من اللبن
والخمر والعسل فهو بمنزله العلوم الشرعيه لعموم نفعها للمكلفين كلهم واما اللبن فهو صفو وري الناس كلهم ولكن
في اول التربيه والنماء فهو بمنزله العزيزيه الفطريه واما الخمر والعسل فليسا من ضرورات التعيش فهما بمنزله العلوم
الحقيقيه الكسبيه الا ان الخمر يمكن ان تخص بالعلوم الذوقيه والعسل لسايرها وتقييد في الخلد انهار
الانهار الاربعه يمكن ان تحمل على المراتب الانسانيه الاربع والعقل الهيولانى بمنزله الماء لتحوله وقبوله الاثار و
العقل بالملكه بمنزله اللبن لكونه صفوا وريا في اول النشو والتربيه والعقل بالفعل بمنزله الخمر فان حصوله ليس بضرورى
لجميع الانسان الا انه اذا حصل وكان الشخص ذاهلا عنه غير ملتفت اليه كان كالخمر الموجب للغفله وعدم الحضور
والعقل المستفاد بمنزله العسل من جهه لذته ومن جهه شفايه لمرض الجهل ومن قبل بيانه في المذاق الزوجيه و
تسويته والصافه والله تعالى اعلم بمراده قوله ومغفره من ربهم ان قلت لهم مغفره من الله قبل ذلك فلا اشكال
وان قلت وهم مغفورون قبل دخول الجنه فما معنى الغفران بعد ذلك والجواب ان المراد رفع التكليف ياكلون
من غير حساب ولا تبعه وامر بخلاف الدنيا فان حلالها حساب وحرامها عذاب ثم ذكر نوعا اخر من قبيح خصال الكافرين
وقيل اراد المنافقين فقال ومنهم من يستمع اليك كانوا يحضرون مجالس النبي صلى الله عليه وسلم والجمعات ويسمعون
كلامه ولا يعونه كما يعيه المسلم حتى اذا خرجوا تفرقوا وخرج المسلمون من عندك يا محمد قال المنافقون للعلماء وهم بعض
الصحابه كابن عباس وابن مسعود وابى درداء رضى الله عنهم اى شى قال محمد انفا اى في ساعتنا هذه وانفا كل شى ما تقدم منه
ومنه قولهم استانفت الامر ابتدايه ولا يستعمل منه فعل ثلاثى بهذا المعنى وانما توجه الذم عليهم لان سوالهم
سوال استهزاء واعلام انهم لم يلتفتوا الى قوله ولو كان سوال الجب عما لم يفهموه لم يكن كذلك على ان عدم ايمانهم دليل
قله الاكتراث بقوله ثم مدح اهل الحق بقوله والذين اهتدوا بالايمان زادهم الله هدى بالتوفيق والتثبيت و
شرح الصدر واليقين واتاهم تقواهم اثابهم عليها او اعطاهم جزا تقواهم وعن السدى بين لهم ما يتقون وقيل الضمير
في زادهم للاستهزاء او لقول الرسول ثم خوف اهل الكفر والنفاق باقتراب القيمه وقوله ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعه
واشراط الساعه اماراتها انشقاق القمر وغيره ومنه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فانه نبى اخر الزمان ولهذا
قال بعثت انا والساعه كهاتين واشار بالسبابه والوسطى فانى لهم من اين لهم اذا جاءتهم الساعه ذكريهم اى لا ينفعهم
تذكرهم وايمانهم حينئذ فالذكرى مبتدا وانى لهم الخبر وقيل فاعل جاءتهم ضمير يعود الى الذكرى ويجوز ان يرتفع الذكرى
بالفعل والمبتدا مقدر اى فمن اين لهم التذكر اذا جاءتهم الذكرى والقول هو الاول والله اعلم بالصواب

فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات

والله يعلم متقلبكم ومثوىكم ويقول الذين امنوا
لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها
القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر
المغشى عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا
عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك
الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها ● ان الذين ارتدوا على ادبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم
في بعض الامر والله يعلم اسرارهم ● فكيف اذا توفتهم
الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا
ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام
حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم
ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في
لحن القول والله يعلم اعمالكم ● ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما
تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم يا ايها

الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر الله لهم ● فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون
والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسئلكم
اموالكم ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم
ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من
يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وانتم الفقراء
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم

القراءة وتقطعوا بالتخفيف من القطع سهل ويعقوب الاخرون بالتشديد من التقطيع واملى لهم مبنيا للمفعول ماضيا ابو عمرو ويعقوب واملى مضارعا مبنيا للفاعل اسرارهم بكسر الهمزة على المصدر حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ولنبلونكم حتى يعلم بالياءات ابو بكر وحماد الاخرون بالنون في الكل وقرا يعقوب ونبلوا بالنون مرفوعا السلم بكسر السين حمزة وخلف وابو بكر وحماد الوقوف والمؤمنات ط ومثويكم ه نزلت سورة ج للشرط مع الفاء القتال الموت ج للابتداء بالدعاء عليهم ط لخبر لاحتمال ان يكون الاولى بمعنى الاقرب كما يجيء معروف ج الامر لاحتمال ان التقدير فاذا عزم الامر كذبوا وخالفوا خيرا لهم ج لابتداء الاستفهام مع الفاء ارحامكم ابصارهم اقفالها الهدى لا لان الجملة بعده خبر ان تولوا لهم لان فاعل واملى ضمير اسم الله ويجوز الوصل على جعله حالا اي وقد املى او على ان فاعله ضمير الشيطان من حيث انه يمنيهم ويعدهم والوقف اجوز واعرف والحال على قراءة واملى بفتح الياء اجوز والوقف فيه جائز ومن سكن الياء فالوقف به اولى لان المستقبل لا ينعطف على الماضي ومع ذلك لو جعل حالا على تقدير وانا املى جاز الامر لان ما بعده يصلح استينافا وحالا والوقف اجوز لان الله يعلم الاسرار في الاحوال كلها اسرارهم وادبارهم اعمالهم اضغانهم بسيماهم للابتداء بما هو جواب القسم القول اعمالكم والصابرين لمن قرا ونبلوا بسكون الواو اي ونحن نبلوا اخباركم الهدى لان ما بعده خبر ان شيئا اعمالهم اعمالكم لا لهم الى السلم قد قيل على ان قوله وانتم مبتدا وجعله حالا اولى الاعلون كذلك اعمالكم ولهو اموالكم اضغانكم سبيل الله لانقطاع النظم مع الفاء من يبخل لابتداء الشرط مع العطف عن نفسه الفقراء للشرط مع الفاء غيركم للعطف امثالكم التفسير لما ذكر حال الفريقين المؤمن والكافر من السعادة والشقاوة قال لنبيه فاثبت على ما انت عليه من التوحيد ومن هضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب امتك والمراد فاعلم خيرا يقينا ما علمته نظرا واستدلالا اوازدد فاذكر لا اله الا الله والهاء في انه اولامر والشان والاول اشارة الى اصول الحكمة النظرية والثاني الى اصول الحكمة العملية عن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فتلا هذه الاية وذلك انه امر بالعمل بعد العلم والفاءات في هذه الاية وما تقدمها للعطف جملة على جملة بينهما اتصال وفي الاية نكتة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم له احوال ثلث حال مع الله وهي توحيده وحال مع نفسه وهي طلب العصمة من الذنوب وان يستر الله جنس الاثام حتى لا يقع فيها وحال مع غيره وهي طلب ستر الذنوب عليهم بعد وقوعهم ويندرج فيه الشفقة على خلق الله تعالى قال والله يعلم متقلبكم ومثويكم فقيل التقلب في الاسفار والمثوى

في الحجر وقيل بالاد ينتشر كم في النهار ومستقر كم بالليل وقيل الاول في الدنيا والثاني في الاخرة وقيل
لكل متقلب مثوى نقلهم من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات ثم الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى الجنة او النار والمقصود او
بيان كمال العلمه بحال الخلايق تعليمهم ان لا يهملوا دقايق الطاعة والخشيه ويواظبوا على طلب المغفرة خوفا من التقصير
في العبوديه ثم ذكر طرفا اخر من فضايح اهل النفاق ومن ينخرط في سلكهم من ضعفه الاسلام وذلك انهم كانوا يدعون
الحرص على الجهاد ويقولون بالسنتهم لولا نزلت سوره في باب القتال فاذا انزلت سوره محكمه مبينه غير متشابهة
لا تحتمل النسخ وذكر فيها القتال عن قتاده كل سوره ذكر فيها القتال فهي محكمه وهي اشدها على المنافقين قال اهل البرهان
نزل بالتشديد ابلغ من انزل فخصهم ليكون ادل على حرصهم فيكون ابلغ من باب التوبيخ قوله فاولى لهم كلمه تحذير اي
اولئك سرفاه حذره هو عباره كثير من المفسرين وقال المبرد يقال للانسان اذا كان يعطب ثم افلت اولى لك اي د
قاربت العطب ثم نجوت وهذا في القران على معنى التحذير وقال جار الله هو وعيد بمعناه فويل لهم والمراد الدعاء
عليهم بان يليهم المكروه وقيل اراد طاعة وقول معروف اولى لهم من الجزع عند الجهاد فلا يكون للوعيد وعلى هذا فلا
وقف على كما اشارة اليه في الوقوف واعترض عليه بان الافصح ان يستعمل حينئذ بالباء لا مع اللام كما قال
واولو الارحام بعضهم اولى ببعض والاصح ان بلوى كوب مشعر في بن لوى وهو القرب اي اولاه الله المكروه فانتقص
بكثره الاستعمال ويحتمل ان يكون فعلى من ال يول لمرك الى سر فاحذره ثم حثهم على الامتثال بقوله طاعة وقول
معروف اي طاعة لله وقول حسن وما عرف صحته خير من الجزع عند فرض الجهاد فهو مبتدا محذوف الخبر ولعل الكا
فيكون خبر مبتدا محذوف كما مر في سورة النور في قوله طاعة معروفة ويجوز ان يكون امر المنافقين اي قولوا معروف
فاذا عزم الامر اي جد وصار معزوما عليه وهو اسناد مجازي لان العزم لاصحاب امر القتال ثم التفت وخاطب كهاد
قريش بقوله فهل عسيتم هو من افضل المقادير وقد مر وجوه استعمالاته في البقرة في قوله عسى ان تكرهوا شيا وهو
خير لكم ونقل الكلام من الغيبه الى الخطاب ليكون ابلغ في الحث والتوبيخ ومعناه هل يتوقع منكم ان توليتم واعرضتم عن الدين او
توليتم امور الناس ان تفسدوا في الارض بالمعاصي والافتراق بعد الاجتماع على الاسلام وتقطعوا ارحامكم بالقتل والعقوق
ووأد البنات وساير ما كنتم عليه في الجاهليه من انواع الافساد وفي سلوك طريقه الاستخبار المسمى في علم القران
تجاهل العارف اما الهوا الى طريق الانصاف وحثهم على التدبر وترك العصبيه والجدال فقد كانوا يقولون كيف
نامر الابنى بالقتال والقتل افنا لذوي ارحامنا واقاربنا فعرض الله سبحانه بانهم ان ولوا امور الناس ولم يرضوا عن هذا الدين
لم يصدر عنهم الا القتل والنهب وساير ابواب المفاسد كعاده اهل الجاهليه ثم صرح بما فعل الله بهم واستقر عليه
حالهم فقال اولئك الذين لعنهم الله ابعدهم عن رحمته ثم بين نتيجه اللعن قايلا فاصمهم عن قبول الحق بعد استماعه هنا
في الدنيا واعمى ابصارهم اي في الاخرة او عن رويه الحق والنظر الى المصنوعات قال بعض العلماء انما لم يقل فاصم
اذانهم لان الاذن عبارة عن الشحمه المعلقه والسمع لا يتعلق بوجودها وعدمها وكذلك السمع مقطوع الاذن واما
الرويه فيتعلق بالبصر بعينها فالتاكيد هناك انما يحصل بترك ذكر الاذن وههنا بذكر الابصار والله اعلم قال جار
الله يجوز ان يريد بالذين امنوا المؤمنين الخلص الثابتين وذلك انهم كانوا يانسون بالوحي فاذا ابطا عليهم اشتهوه فاذا
نزلت سوره في معنى الجهاد رايت المنافقين يضجرون منها سوال لما ابتليهم الصمم والعمى فكيف وبخهم بقوله افلا
يتدبرون القران واجيب على مذهب السنه بانه تكليف ما لا يطاق جايز ويمكن ان يقال لما اخبر عنهم حكي انهم بين
امرين اما ان لا يتدبروا القران لان الله ابعدهم عن الخير واما ان يتدبروا لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها
مقفله قال جار الله انما نكرت القلوب لان يريد البعض وهو قلوب المنافقين او يريد على قلوب قاسيه مبهم
امرها واما اضيفت الاقفال الى ضمير القلوب لانه يريد الاقفال المختصه بها وهي اقفال الكفر والعناد التي استغلقت
فلا ينفتح ثم اخبر عن حال المنافقين واليهود الذين غيروا احوالهم بعد ما تبين لهم حقيقه الاسلام او صفة محمد في التوريه
فقال ان الذين ارتدوا الاية ذلك الاملاء والاضلال او الارتداد بسبب انهم قالوا للذين كرهوا اي قال المنافقين
او قال المنافقون لليهود والمنافقين المشركين سنطيعكم في بعض الامر الذي يهمكم
كالتظاهر على عداوة محمد والقعود عن الجهاد وفي بعض ما تامرون وهو ما يستلزم تكذيب محمد
والاتحاد الاصنام والله يعلم اسرارهم فلذلك افشى الذين قالوه فيما بينهم
ذلك يدل عليه قوله فكيف يعملون وما حيلتهم حين توفتهم ملائكة الموت يضربون وجوههم وادبارهم

يقولون ان يصيبنا الضرب في القتال او يضربون عند الموت وادبارهم عند السوق الى النار وقيل يضربون وجوههم عند الطلب
وادبارهم حين الهرب ذلك الاهانة لانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه كانهم ضربوا وجوههم لانهم اقبلوا على مواقع
السخط وضربوا ادبارهم لانهم اعرضوا عما فيه رضى الله وفيه تخصيص السخط بكتمان نعت الرسول ومعاونه اهل الشرك والرضى
بالايمان به والنصر للمؤمنين وانما قال ما اسخط ولم يقل ما سخط الله لان رحمته سبقت غضبه فالرضى الحاصل
فالاسخاط كالامر العريب عليه ثم زاد في تقبيح حال المنافقين بقوله ام حسب وهي منقطعه والضعف اضغان سو يريص
به امكان الفريضه واخراج الاضغان ابرازها للرسول وللمؤمنين كما يقال ولو نشاء لاريناكهم اي لو نشاء لعرفناك اياهم
فليعرفتهم كررت لام جواب لو في المعطوف لاجل المبالغه بسيماهم بعلامتهم عن انس انه ما خفي على رسول الله بعد هذه
الايه شي من المنافقين ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعه منهم يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبح على
جبهه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق ومعنى لحن القول نحوه واسلوبه وفحواه اي يقولون ما معناه النفاق كقولهم لئن
رجعنا الى المدينه اي بيوتنا عورة او لتعرفنهم في فحوى كلامهم الله حيث قال ما علم منه حال المنافق كقوله ومن الناس من يقول
ومنهم من عاهد الله وحقيقته اللحن ذهاب الكلام الى خلاف جهته وقيل اللحن ان تميل كلامك الى نحو من الانحاء ليفطن
لصاحبك كالتعريض والتوريه قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب ويقال للمخطي لاحن لانه يعدل بالكلام
عن الصواب وقال الكلبي لحن القول كذبه ولم يتكلم بعد نزولها منافق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عرفه وعن
ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب والله يعلم اعمالكم فيميز خيرها من
شرها ولنخلصها من نفاقها ولنبلونكم اي لنامرنكم بما لا يكون مبينا للوقوع بل يحتمل الوقوع واللاوقوع كما يفعل المختبر حتى
يظهر المجاهد والصابر من المنافق والمضطرب ونبلوا اخباركم التي تحكى عنكم كقولكم امنا بالله وباليوم الاخر وعهودكم
كقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار واسراركم وما ستعلنون او اخباركم الاراجيف كقوله والمرجفون
في المدينه عن الفضيل انه كان اذا قرا هذه الايه بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا و
عذبتنا ثم انها نزلت في اليهود من قريظه والنضير او في ذوي سماء قريش المطعمين يوم بدر ان الذين كفروا الاية واتمام طاعاتهم
في دين اليهوديه او مكايدهم التي نصبوها في عداوة الرسول واطماعهم ثم امر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله بالتوحيد
والتصديق مع الاخلاص ولا تبطلوا احسانهم بالمعاصي والرياء والمن والاذى عن ابي العاليه قال كان اصحاب النبي
عليه السلام يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت الايه وكانوا يخافون الكباير على اعمالهم
وعن قتاده رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء ثم ان ادان شين اعمال المكلف اذا بطلت فان فضل الله باق يغفر له ان
شاء ما لم يمت على الكفر فقال ان الذين كفروا وصدوا الاية قال مقاتل نزلت في رجل سال النبي صلى الله عليه وسلم عن والده
وقال انه كان محسنا في كفره وعن الكلبي نزلت في رؤساء اهل بدر فلا تهنوا ولا تضعفوا ولا تجتنبوا وتدعوا الى السلم اي ولا تدعوا
الكفار الى الصلح ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان بعد الواو في جواب النهي وانتم الاعلون الغالبون المستعلون عليهم
والله معكم بالنصرة والكلاءة ولن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم اجر اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او قريب
او سلبت ماله واصله من الوتر وهو الفرد كانك افردته من قريبه او ماله وفي الحديث من فاتته صلوة العصر فكانما
وتر اهله وماله وهو من فصيح الكلام ثم زادهم حثا على الجهاد بتحقير الدنيا في اعينهم وبانه سبحانه انما يحثهم على الايمان و
الجهاد وساير ابواب التقوى ليعود فايدتها عليهم كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم قوله ولا يسالكم اموالكم اي كل اموالكم
ولكنه يقتصر منها على ربع العشر او لا يسالكم لنفسه وقيل انهم لا يملكون شيا وانما المال مال الله وهو المنعم باعطائه والقول
هو الاول لقوله ان يسالكموها فيحفكم اي يجهدكم ويبلغ الغايه فيه من احفى شاربه استاصله لانه جعله حافيا تماما فملكه
اي عابا بخلوا ويخرج الاضغان والله تعالى على طريق التسبب اضغانكم اي يضطغنون على الرسول ويظهرون كراهه هذا الدين
ثم بين انه كيف يامركم باخراج كل المال وقد دعاكم الى انفاق البعض فمنكم من يبخل وها للتنبيه وكرر معه الا للتوكيد وانتم اولا جملة
مستقله اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله
وهي الزكوة او الغزو فمنكم ناس يبخلون به وقيل هؤلاء موصول صلته تدعون وهو مذهب الكوفيين وقد سلف في البقرة و
آل عمران ثم قبح امر البخل بقوله من يبخل عن نفسه اي وباله عن نفسه وقيل عن بخل نفسه او عن داعي نفسه لا عن داعي ربه قال
في الكشاف يقال بخلت عليه وعنه وفيه نظر لان البخل عن النفس لا يصح بهذا التفسير نعم لو قال عن ماله كان تفسيره مطابقا
ثم مدح نفسه بالغنى المطلق وبين بقوله وانتم الفقراء لانه لا يامن بالنفاق لحاجته ولكن ليفقركم الى الثواب ثم هددهم بقوله وان

تتولوا وهو معطوف على وان تؤمنوا ومعنى قوله تعالى يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم راغبين فيما يرغبون عنه من
الايمان والتقوى كقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ومعنى ثم لا يكونوا امثالكم في الرغبة اي لا
يكونون اشباهكم في حال التولي وقيل في جميع الاحوال وعن عكرمة شرط الاستبدال توليهم لكنهم لم يتولوا فلم يستبدل قوما و
هم الفرس اهل اليمن او العجم قاله الحسن وعكرمة لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك وكان سلمان رضي الله عنه
الى جنبه فضرب على فخذه قال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس والله تعالى اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا ● ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما ● وينصرك الله نصرا عزيزا ● هو الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك
عند الله فوزا عظيما ● ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء
عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم
جهنم وساءت مصيرا ● ولله جنود السموات والارض و
كان الله عزيزا حكيما ● انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا ● لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه

وتسبحوه بكرة واصيلا ● ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث
على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه
اجرا عظيما ● سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا
اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم
ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا
وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم
قوما بورا ● ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا ● ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء و
يعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ● سيقول
المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم
يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم
قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون
الا قليلا ● قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي
باس شديد تقاتلونهم او يسلمون ● فان تطيعوا يؤتكم
الله اجرا حسنا ● وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم
عذابا اليما ● ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج

ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما ● لقد
رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في
قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا
ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم
هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية
للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما ● واخرى لم تقدروا
عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا ● سنة الله التي قد خلت من قبل ولن
تجد لسنة الله تبديلا ● وهو الذي كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد
ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم
الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا
ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في
رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية

الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم
كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل
شيء عليما ● لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤسكم ومقصرين
لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو
الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا ● محمد رسول الله والذين معه اشداء على
الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا
من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك
مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه
فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة و
اجرا عظيما ●

القراءة لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بياءات الغيبة ابن كثير وابو عمرو
عليه الله بضم الهاء حفص فسنؤتيه بالنون ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الاخرون
بالياء التحتانية والضمير لله سبحانه شغلتنا بالتشديد قتيبة ضرا بالضم كلم الله على الجمع حمزة وعلي وخلف بل ظننتم
بالادغام هشام وعلي بل تحسدوننا مدغما حمزة وعلي وهشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر بما يعملون بصيرا
بتاء الغيبة ابو عمرو والرويا بالامالة ابو عمرو وعلي شطاه بفتح الطاء ابن ذكوان والبزي والقواس الباقون ساكنة الطاء
الوقوف مبينا مستقيما على احتمال الجواز ههنا لتكرار اسم الله بالتصريح عزيزا ايمانهم والارض حكيما لتعلق اللام سياتهم
عظيما للعطف ظن السوء دايرة السوء لعطف الجملتين المختلفين جهنم مصيرا والارض حكيما نصف الجزو ونذيرا
وتوقروه للفصل بين ضميري اسم الله وضمير الرسول في المعطوفين حين لم يجعل الضماير كلها لله واصيلا يبايعون الله
ايديهم للشرط مع الفاء على نفسه للعطف مع الشرط عظيما فاستغفر لنا لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال قلوبهم نفعا
خبيرا بورا سعيرا والارض من يشاء رحيما نتبعكم لان ما بعده حال عامله سيقولون او مستانف كلام الله من قبل
للتبيين مع الفاء تحسدوننا قليلا يسلمون حسنا اليما المريض حرج لان الواو للاستيناف الانهار اليما قريبا ياخذونها
حكيما عنكم لان الواو مقحم او للعطف لمحذوف والواو وداخله في الكلام المعترض وعاطفه على تقدير ليشكروا ولتكون
مستقيما للعطف بها قديرا نصيرا تبديلا عليهم بصيرا محله بغير علم لحق المحذوف اي قدر ليدخل من يشاء لاحتمال
ان جواب لولا محذوف وان يكون هذه مع جوابه للاولى اليما واهلها عليما بالحق لحق حذف القسم امنين مقصرين لانها
احوال متتابعة لا تخافون لان قوله فعلم بيان حكم الصدق كالاعتذار فلا ينعطف على قوله صدق الله قريبا كله شهيدا

رسول الله لان ما بعده مستانف ورضوانا لان سيماهم مبتدا عين ان الجمله من حمد الاولى في كون الكل خبر والذين التجويد
الانجيل لاحتمال ان التقدير هم كزرع الكفار عظيما **التفسير** الفتح في باب الجهاد هو الظفر بالبلد بصلح او حرب لانه
منغلق ما لم يظفر به والجمهور على ان المراد به ما جرى يوم الحديبيه عن انس قال لما رجعنا عن الحديبيه وقد حيل بيننا وبين
نسكنا فنحن بين الحزن والكآبه انزل الله انا فتحنا فقال صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على آيه هي احب الي من الدنيا كلها والحديبيه
بئر سمي المكان بها وكان قد غاض ماؤها فتمضمض فيها النبي صلى الله عليه وسلم فجاش بالماء حتى عمهم وعن ابن شهاب
لم يكن في الاسلام فتح اعظم من فتح الحديبيه ووضعت الحرب وامن الناس وقال الشعبي اصاب النبي صلى الله عليه
وسلم في تلك الغزوه ما لم يصب في غيرها فوقع فيها بيعه الرضوان تحت الشجره وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وظهرت
الروم على فارس وكان وعده صحح صدقه واطعم نخل خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى
المدينه احب ان يزور بيت الله الحرام بمكه فخرج قاصدا نحوها في سنه ست من الهجره وخرج معه اولوا البصيره و
تخلف من كان في قلبه مرض ظنا منه ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا واستصحب سبعين بدنه
لينحرها بمكه ولما كان بذي الحليفه قلد الهدي واشعرها واحرم بالعمره ليعلم قريش انه يات لقتال وكانوا الفا واربعمائه
او ثلثمائه او خمسمائه فبايعوه الا الجد بن قيس فانه اختبى بحايط ناقته فجاء عروه بن مسعود لايقاع صلح فلما راى
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال اي محمد ارايت ان استاصلت قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك
اني ارى وجوها واشوابا خليقا ان يفروا ويدعوك فشتمه ابو بكر فلما عاد الى قريش قال لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم
من الملوك وما رايت ملكا تعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامه الا وقعت في كف رجل منهم فدلك
بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوءه واذا تكلم خفضوا اصواتهم
وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطه رشد فاقبلوها منه فلما اتفقوا على صلح جاء سهيل بن عمرو و
وصالحوا على ان لا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكه سنته بل يعود في القابل ويقيم ثلثه ايام ثم ينصرف فلما كتب
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل ما نعرف الرحمن الرحيم اكتب في قضيتنا ما نعرف باسمك
اللهم ولما كتب هذا ما صالح محمد رسول الله قال لو علمنا انك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فنازع المسلمين
وقريش في ذلك وكادوا يتواثبون فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم بالاجابه فكتب هذا ما صالح محمد
بن عبد الله قريشا على انه من قدم مكه من اصحاب محمد حاجا او معتمرا او يبتغي من فضل الله فهو امن على دمه وماله ومن
قدم المدينه من قريش فهو اليهم رد وان من جاءهم من اصحاب محمد فهو لهم فاشتد ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه
وسلم من جاءهم منا فابعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فان علم الله صحه الاسلام جعل له مخرجا فلما فرغوا من الحديبيه
نحر النبي صلى الله عليه وسلم وحلق وفعل اصحابه ذلك فنزل عليه في طريقه في هذا الشان انا فتحنا لك فتحا مبينا يريد
ما كان من امر الحديبيه والفتح قد يكون بالصلح وقيل كان هذا الفتح عن تمام بالحجاره ولم يكن قتال شديد وقيل المراد
به فتح مكه وعده الله ذلك بلفظ الماضي على عاده اخبار الله قال ابن عيسى الفتح الفرج المزيل الهم ومنه فتح المسئله اذا انفرجت
عن بيان يودي الى العلم وقيل وهو قول قتاده الفتح القضاء والحكم والفتاح القاضي والفتاحه الحكومه اي حكمنا لك
بهذه المهادنه وارشدناك الى الاسلام ليغفر لك الله قال اهل النظم لاول هذه السوره مناسبه تامه مع اخر
السوره المتقدمه وذلك انه قال ها انتم هولاء تدعون لتنفقوا الى اخره فبين بعد ذلك انه فتح لهم مكه وغنموا ديارهم
وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عنهم هذه الفوايد وايضا لما قال وانتم الاعلون بين برهانه بصلح الحديبيه
او بفتح مكه وكان في قوله ويدعوا الى السلم الى اشاره الى ما جرى يوم الحديبيه من ان المسلمين صبروا الى طلب المشركون
الصلح سوال ما المناسبه بين الفتح والمغفره حتى جعلت غايه الجواب الغايه هي مجموع المغفره وما ينعطف عليها كانه
قيل يسرنا لك فتح مكه وغيرها من الفتوح ليجمع لك بين عز الدارين واعراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون الفتوح من حيث
انها جهاد للعدو سببا للغفران والثواب قاله جار الله وقيل تقدير الكلام انا فتحنا لك فاستغفر ليغفر لك لقوله اذا جاء
نصر الله والفتح الى قوله واستغفره وقيل ان فتح مكه كان سببا لتطهير البيت من رجس الاوثان وتطهير بيته سبب لتطهير
عبده وايضا بالفتح يحصل الحج يحصل المغفره كما ورد في الاخبار رجع كيوم ولدته امه وايضا ان الناس قد علموا عام الفيل ان
مكه لا يتسلط عليها عدو الله فلما فتحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرف انه حبيب الله المغفور له اما الذنب فقيل
المراد ذنب المومنين من امته او اريد به ترك الافضل والصغاير سهوا او عمدا ومعنى ما تاخر اي عن الفتح او ما تقدم النبوه

وما تاخر عنها وقيل ما تقدم ذنب ابويه ادم وحوا وما تاخر ذنب امته وقيل اراد جميع الذنوب تقدمها او تاخرها وهو على
وجه المبالغه كما يقول اعطى من رآه ومن لم يره وقيل ما تقدم من امر ماريه وما تاخر من امر زينب وهو قول بخفيف لعدم
انتظام الكلام ظاهرا والاولى ان يقال ما تقدم النبوه بالعفو وما تاخر عنها بالعصمه ويتم نعمته عليك باعلاء دينك و
فتح البلاد على ذلك كقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ومن اتمام النعمه تكليف الحج وتقدم يومئذ ولم يبق
للنبي صلى الله عليه وسلم عدو من قريش فان كثيرا منهم قد اهلكوا يوم بدر والباقين امنوا واستامنوا يوم الفتح وقيل اتمام
النعمه في الدنيا باستجابه الدعاء في طلب الفتح وفي الاخره بقبول الشفاعه ويهديك صراطا مستقيما اي يثبتك ويديمك
عليه فان الفتح لا يكون الا لمن هو على صراط الله ولعل المراد بهذا الخطاب هو امته والنصر والعزيز والعزه وهو الذي
لا ذل بعده او هو بمعنى المعز او الممتنع على الغير وهو العقد الذي لا يقال لكل واحد وفي الايه تفخيم شان الفتح والنصر من وجوه
احدها لفظان الدال على التعظيم وثانيها ولفظ الدال على الاختصاص وثالثها اعاده اسم الله في الموضعين اولا واخرا
ثم بين سبب النصر بقوله هو الذي انزل السكينه وهي السكون والوقار والطمانينه والثقه بوعده كما مر في البقره وفي التوبه
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا مع يقينهم وايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبي التوحيد
فلما امنوا بالله وحده انزل الصلوه ثم الزكوه ثم الجهاد ثم الحج او ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري وعلى هذا فغايه
قوله مع ايمانهم ان الفطره يشهد بالايمان فلما عرفوا صحه الايمان بالنظر والاستدلال انضم هذا الثاني الى الاولى و
جنود السموات والارض ملايكتهما ويمكن ان يراد من في الارض الثقلان والحيوان غير الانسان ويحتمل ان يراد بالجنود
معنى اعم وهو الاسباب الارضيه والسماويه ليدخل فيهما الصيحه والرجفه وظن السوء وهو ظنهم ان ينقلب الرسول
والمومنون الى اهليهم او ان الله لا ينصرهم على اعدائهم او ان لله شريكا او انه لا يقدر على احياء الموتى ومعنى دايره السوء
انتظروا ظنهم يعود اليهم ويدور عليهم وقد مر في سوره التوبه قال بعض العلماء ضم المومنات ههنا الى المومنين بخلاف
قوله قد افلح المومنون وبشر المومنين والسر فيه ان كل موضع يوهم اختصاص الرجال به مع كون النساء مشاركات لهم ذكرهن
صريحا لهذا الوهم وكل موضع لا يوهم ذلك اكتفى فيه بذكر الرجال لانهم الاصل في اكثر الاحكام والتكاليف مثلا من المعلوم ان
البشاره والنذاره عامه للناس قاطبه فلم يحتج فيها الى ذكر النساء بخلاف هذه الايه فان ادخال الجنه يوهم انه لاجل الجهاد مع
القذف والفتح على ايديهم والمراه لا جهاد عليها فكان يظن انهن لا يدخلن الجنه فنفى الله تعالى هذا الوهم وكذا الكلام في
تعذيب المنافقات والمشركات لكنه الجنود المذكوره او لا هي جنود الرحمه فكانوا سببا لادخال المومنين الجنه بالاكرام
والتعظيم ثم الباسهم خلع الكرامه لقوله ويكفر عنهم سيئاتهم ثم تشريفهم بالفوز العظيم من الله كما قال وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما واما الكافر [illegible]
والبعد [illegible] ليسلط عليهم ملائكه العذاب الذين هم جنود كما قال عليها ملائكه غلاظ شداد ولا يبعد ان يكون الكل على
قانون الحكماء [illegible]
كان كلها ثابته في علم الله [illegible]
ذكر الفتح [illegible]
ذكر السمعه [illegible] انا ارسلناك شاهدا [illegible] ومبشرا ونذيرا وقد مر في سوره الاحزاب [illegible] قوله لتومنوا بالله
ورسوله [illegible] ومن قرا بالغيبه فظاهر ومن قرا بالخطاب فلان خطاب النبي منزل
خطاب المومنين وقوله وتعزروه وتوقروه [illegible]
وذلك [illegible] قال جار الله الضماير كلها لله عز وجل [illegible] دينه
ورسوله وقوله وتسبحوه من التسبيح او من السبحه [illegible] بكره واصيلا [illegible]
[illegible] قال ابن عباس ان الذين يبايعونك هي بيعه الرضوان تحت الشجره كما يجيء في السوره وقيل ليله العقبه و
[illegible] البيعه العقد [illegible] ان الله اشترى من المومنين انفسهم [illegible]
الرسول طاعه لله في الحقيقه ثم اكد هذا المعنى بقوله يد الله فوق ايديهم [illegible]
هناك وقيل اليد النعمه [illegible] بالهدايه فوق [illegible] كما قال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا
علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم [illegible] صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من السفلى يريد اليد العليا
المعطي [illegible] وقيل القوه [illegible] رسوله وقيل يد الله [illegible]

المتوسط بين المتبايعين يصفق يده فوق يديهما فلا يتركهما ان يتفارقا ايديهما حتى يتم البيع والمراد ان الله تعالى يحفظهم
على بيعتهم ثم زجرهم عن نقض العهد وحثهم على الوفا بقوله فمن نكث الى اخره والنكث والنقض اخوان وقوله فانما ينكث على
نفسه اي لا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان
لا نفر فما نكث احد منا الا الجد بن قيس وكان منافقا اختبا تحت ابط ناقته ولم يسر مع القوم ثم حكى ما يعلم منه اعجاز
القران لانه اخبر عن الغيب وقد وقع مطابقا وله في السورة نظاير فقال سيقول لك المخلفون هم اسلم ومزينة وجهينة
وغفار وقيل سموا مخلفين لان التوفيق خلفهم ولم يسعدهم والظاهر انهم سموا بذلك لانه صلى الله عليه وسلم حين اراد
المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر الاعراب واهل البوادي حذرا من قريش ان يصدوه عن البيت فتثاقل كثير
من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة فاعتلوا فلما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا وقالوا شغلتنا اموالنا واهلونا هو جمع وهو شاذ قياسا واستعمالا
اي لم يكن لنا من يخلفنا في اموالنا واهلينا فخفنا الضياع عليها وعليهم فاستغفر لنا سل الله ان يغفر لنا تخلفنا عنك
وان كان عذرا فكذبهم الله بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم والتكذيب راجع الى طلب الاستغفار عن خلوص
الطوية والى الاعتذار لا من حقيقته ثم بين ان مقصودهم لا يدفع عنهم شيئا من الضر كقتل وهزيمة ولا يوصل اليهم نفعا
الا ما شاء الله وانما قال ههنا بزيادة لفظة لكم لانه في قوم باعيانهم بخلاف المائدة فانه عام لقوله ان يهلك المسيح
ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ثم رد قولهم الكاذب فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم رد اعتذارهم الواهي
بقوله بل ظننتم الاية والبور جمع بائر اي هالك والمبالغة واضح لمن قوله رحيما وفيه بيان كمال قدرته على تعذيب الكافرين
مع ان مغفرته ذاتية ورحمته سابقة قوله سيقول المخلفون انما لم يقل ههنا لك لان المخاطبين هم المؤمنون
كلهم لا النبي وحده وجمهور المفسرين على ان هؤلاء هم المخلفون المذكورون فيما تقدم قوله الى مغانم غنائم خيبر وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد اهل الحديبية ان غنائم اهل خيبر لهم خصوصا من غاب منهم ومن حضر بدل تعب
السفر في العمرة التي صدهم المشركون عنها وراد الزهري فقال لمن حضرها من غيرهم من الناس قالوا ولم يغب منها احد
الا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر وكان انصراف النبي صلى الله عليه وسلم من
الحديبية في ذي الحجة فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر وخرج معه من شهد الحديبية
ففتحها وغنموا الاموال الكثيرة وجعلها لهم خاصة وكان قبل ذلك وعد النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه غنائم خيبر فهم المنافقون
ذلك فقالوا للمؤمنين ذرونا نتبعكم فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم لان امره لا يخرج الى خيبر الا اهل الحديبية وذلك قوله
يريدون ان يبدلوا كلام الله فقال الله لنبيه قل لن تتبعونا اي في خيبر وقيل عام في غزواته كذلكم قال الله من قبل اي
قبل انصرافهم الى المدينة فسيقولون ردا على النبي والمؤمنين ان الله لم يامركم به تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة فرد
الله عليهم ردهم بقوله بل كانوا لا يفقهون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون الدين او هو فهمهم من قوله لن
تتبعونا مجرد النهي فحملوه على الحسد ولم يعلموا ان المراد هو ان هذا الاتباع لا يقع اصلا لان الصادق قد اخبر بنفيه وذهب
جماعة من المفسرين منهم الزجاج الى ان الكلام ههنا هو قوله في سورة براءة لن تخرجوا معي ابدا واعترض بان هذا في قصة
تبوك التي كانت بعد الحديبية بسنتين باجماع اهل المغازي واجاب بعضهم بان هذه الاية اعني سيقول المخلفون
نزلت في غزوة تبوك ايضا وعندي ان الاعتراض غير وارد ولا حاجة الى الجواب المذكور ثم ان الله سبحانه اخبر عن
مخلفي الحديبية بانهم سيدعون الى قوم اولي قوة ونجدة في الحروب فقيل هم هوازن وغطفان وقيل هم الروم غزاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك والاكثرون على ان القوم اولي باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة واهل
الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق لانه تعالى قال تقاتلونهم او يسلمون ومشركوا العرب المرتدون هم الذين لا يقبل منهم
الا الاسلام او السيف ومن عداهم ومشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية هذا عند ابي حنيفة واما
الشافعي فعنده لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وقد يستدل بهذا على امامة
ابي بكر فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته ولا سيما فيمن يزعم انه نزل
فيهم لن تخرجوا معي ابدا اللهم الا ان يقال المراد لن تخرجوا معي ما دمتم على حالكم من مرض القلوب والاضطراب في الدين
او انهم لا يتبعون الرسول الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم قاله مجاهد وقوله او يسلمون رفع الاستيناف يعني او هم
يسلمون ويجوز ان يراد الى ان يسلموا فحين حذف ان رفع الفعل وقيل الاسلام ههنا الانقياد فيشمل اعطا الجزية

ايضا فالاجر الحسن في الدنيا الغنيمة وفي الاخرة الجنة وقيل الغنيمة فقط بناء على ان الايمان في المنافقين وعلى هذا لا
استدلال على امامة الخلفاء وقوله من قبل اي في الحديبية قال ابن عباس ان اهل الزمانة قالوا يا رسول الله كيف بنا فانزل
الله تعالى على الاعمى حرج اي اثم في التخلف لانه كالطاير الذي قص جناحه لا يمتنع على من قصده وقدم الاعمى لان عذره مستمر
ولو حضر القتال والاعرج قد يمكنه الركوب والرمي وغير ذلك ثم يتعسر عليه الحرب ماشيا وكذا جوده الكر والفر اكبا وقد
يقاس الاقطع على الاعرج ويمكن ان لا يكون الاقطع معذورا لانه نادر الوجود والاعذار المانعة من الجهاد اكثر من هذا
وقد ضبطها الفقهاء بان المانع اما عجز حسي واما عجز حكمي فمن الاول الصغر والجنون والانوثة والمرض المانع من الركوب
والقتال لا كالصداع ووجع الضرس ومنه العرج البين وان قدر على ركوب الدابة فذلك وعند ابي حنيفة لا اثر للعرج في
رجل واحد ومنه فقد البصر ولا يلحق به العور والعشى ومنه عدم وجدان السلاح والات القتال ومن الثاني الرق
والدين الحال بلا اذن رب الدين ومن احد ابويه في الحيوة ليس له الجهاد الا باذنه الا اذا كانا كافرين والباقي واضح الى قوله لقد
رضي الله عن المؤمنين سميت بيعة الرضوان ويبايعونك حكاية الحال الماضية والشجرة كانت سمرة وقيل سدرة روي انها عميت عليهم
من قابل فلم يدروا وابن ذهبت وعن جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها فعلم ما في قلوبهم من خلوص النية فانزل
السكينة الطمانينة والامن عليهم واثابهم جازاهم عن الاخلاص في البيعة فتحا قريبا هو فتح خيبر عن انصرافهم عن الحديبية
كما ذكرنا وقيل هو فتح مكة ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وعدكم
الله مغانم كثيرة هي التي اصابوها مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني غنيمة خيبر وكف ايدي
الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان جاؤا لنصرتهم فقذف الله الرعب في قلوبهم وقيل ايدي
اهل مكة بالصلح وقيل ايدي اليهود حين خرجتم وخلفتم عيالكم بالمدينة وهمت اليهود بهم فمنعهم الله وقوله ولتكون
اية اي لتكون هذه الغنيمة المعجلة دلالة على ما وعدهم الله من الغنائم او دلالة على صحة النبوة من حيث انه اخبر بالفتح القريب
وقد وقع مطابقا وقيل الضمير للكف فالتانيث لاجل تانيث الخبر وتقدير الكلمة ويهديكم ويثبتكم او يزيدكم بصيرة قوله
واخرى اي وعدكم الله مغانم اخرى عن ابن عباس هي فتوح فارس والروم وقيل مغانم هوازن في غزوة حنين لم يظنوا ان
يقدروا عليها لما شاهدوا النوعة ثم الرجوع مرة بعد اخرى قد احاط الله بها علما انها ستصير لكم قال جار الله يجوز في اخرى
النصب بفعل مضمر يفسره باحاط ثم بين ان نصر الله اياهم في صلح الحديبية وفي فتح خيبر لم يكن اتفاقيا بل كان
الهيا سماويا فقال ولو قاتلكم الى اخره والسر فيه ان الله كتب واوجب على نفسه نصرة رسله كما قال سنة الله الى اخره عن
انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه فاخذهم واستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وهو الحديبية لانها
من ارض الحرم وقيل هو التنعيم وقيل اطرافه دخوله بلادهم من غير اذنهم وعن عبد الله بن مغفل المزني قال كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي ذكرها الله في القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم
السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل كنتم في عهد احد وهل جعل لكم احد امانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل
الله الاية وانما قدم كف ايدي الكفار عن المؤمنين اهم وقيل كف ايديكم بان امركم ان لا تحاربوا وكف ايديهم بالقاء الرعب
او بالصلح وقيل ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد هذا ابن عمك قد اتاك
في الخيل فقال خالد انا سيف الله وسيف رسوله ارم بي حيث شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى ادخله
حيطان مكة ثم عاد فهزمه حتى ادخله جوف مكة فانزلت الاية وسمي خالد يومئذ سيف الله وروي ان كفار مكة خرجوا
يوم الحديبية يرمون المسلمين فرماهم المسلمون بالحجارة حتى ادخلوهم بيوت مكة ثم ذم قريشا بقوله هم الذين كفروا وصدوكم
يعني يوم الحديبية عن المسجد الحرام ان تطوفوا به للعمرة وصدوا الهدي وصد وكرهم مع الهدي حال كونه معكوفا اي محبوسا
ممنوعا موقوفا عن ان يبلغ محله المعهود وهو منى وقد مر تفسير الهدي ومحله والبحث عنه في البقرة ثم بين حكمة المصالحة
بقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقوله لم تعلموهم والوطاء كالدوس عبارة عن الايقاع والاهلاك وقوله فتصيبكم
جواب للنفي وعطف على ان تطؤهم او الموت مفصلة من العاهة كالحرب ونحوه قوله بغير علم متقدم في الاية متعلق بان
تطؤهم والمعنى انه كان بمكة ناس من المسلمين مختلطون بالمشركين فقال سبحانه ولولا كراهة ان يهلكوا اناسا مسلمين
فيما بينهم وانتم غير عالمين بحالهم فيصيبكم باهلاكهم سبة في الدين كوجوب الدية والكفارة او عيب كقول اهل الشرك

انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا اوانهم اذ اجرى منكم بعض التقصير لما كف ايديكم عنهم والكلام يدل على هذا
الجواب وفي حذفه فخامه وذهاب للوهم كل مذهب ويعلم منه انه يفعل بهم اذ ذاك مما لا يدخل تحت الوصف
وجوزوا ان يكون لو تزيلوا كالتكرير لقوله ولولا رجال لمرجعهما الى معنى واحد والترسل اليمنيين والتفرق ويكون لعذبنا
هو الجواب وقوله ليدخل تعليل لما دلت عليه الايه من كف الايدى عن قريش صونا لاجل الايمان المختلطين بهم كانه قيل كان
الكف ومنع التعذيب ليدخل الله مومنيهم في خيره والطاعه وليدخل في الاسلام من رغب فيه من المشركين وحكى العقال
ان اللام متصل بالمومنين والمومنات اى امنوا لكذا قوله او بمحل يجوز ان ينتصب باضمار اذكر او يكون ظرفا لعذبنا او لصدوكم
وفاعل جعل يجوز ان يكون الله وقوله في قلوبهم بيان لمكان الجعل كما مر في قوله واشربوا في قلوبهم العجل فيجوز ان يكون الذين
كفروا ومفعوله الحميه والظرف فيكون جعلهم بالالقاء انزل الله والحميه في مقابله السكينه والحمية الانفه والاستكبار
التى كان عليه اهل الجاهليه ومن ذلك عدم اقرارهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم ما جرى في قصه الحديبيه من
ابائهم ان يكتب في كتاب العهد بسم الله الرحمن الرحيم وان يكتب محمد رسول الله يقال حميت انفى حمية كانها فعيلة بمعنى
مفعوله من الحمايه اسم اقيم مقام المصدر كالسكينه بمعنى السكون فانزل الله على رسوله السكينه والوقار حتى اعطاهم ما ارادوا
وكلمه التقوى التسميه والتوحيد والاعتراف برساله محمد اختارها الله للمومنين ومعنى الاضافه انها سبب التقوى
واساسها والمراد كلمة اهل التقوى الذين يتقون بها غضب الله وكانوا احق بها واهلها لانهم الاهم وقيل اراد وا وكانوا
يعنى اهل مكة احق بهذه الكلمة لتقدم انذارهم الا ان بعضهم سلبوا التوفيق وحكى المبرد ان الذين كانوا قبلنا لم
يكن لاحد ان يقول لا اله الا الله في اليوم والليله الا مرة واحدة لا يستطيع ان يقول اكثر من ذلك وكان قائلها
يمد بها صوته الى ان ينقطع نفسه تبركا بذكر الله وقد جعل الله لهذه الامه ان يقولوها متى شاءوا وهو قوله و
الزمهم كلمة التقوى اى يديم الذكرها ما استطاعوا ثم قص رويا نبيه صلى الله عليه وسلم بيانا للاعجاز فان الرويا
الصادقه جزء من سته واربعين جزءا من النبوه وقصته انه راى في المنام ان ملكا قال له لتدخلن الى قوله لا تخافون
فاخبر اصحابه بها ففرحوا وحزموا بانهم داخلوها في عامهم فلما صدوا عن البيت واستقر الامر على الصلح قال بعض الضعفه
اليس كان وعدنا النبى ان ياتى البيت فنطوف به فقال لهم اهل البصيره هل اخبركم انكم تاتونه العام فقال لا فقال
بالبيت وانزل الله تصديقه ومعنى صدق الله رسوله الرويا صدق في روياه ولم يكذبه وقوله بالحق اما ان يكون
متعلقا بصدق اى صدقه فيما راى صدقا ملتبسا بالحق وهو ان يكون ما راه واما ان يكون حالا من الرويا اى ملتبسه
بالحق يعنى بالغرض الصحيح وهو الابتلاء وتمييز المومن المخلص من المنافق المرتاب وجوز ان يكون بالحق قسما لانه اسم
من اسماء الله سبحانه او لان المراد الحق الذى هو نقيض الباطل فيكون اللام في لتدخلن الجواب القسم لا للابتداء كما في
الوقف على الرويا والبحث عن الحق والتقصير وسائر اركان الحج والعمرة وشرائطها استوفيناها في سورة البقره
فلتذكر وفي ورود ان شاء الله في خبر الله عز وجل اقوال احدها انه حكاية قول الملك كما في روياه والثانى ان ذلك
خارج على عادة القران من ذكر المشيه كقوله يغفر لمن يشاء ويعذب المنافقين ان شاء والمعنى ان الله يفعل بالعباد
ما هو الصالح فيكون استثناء تحقيقا لا تعليقا والثالث انه اراد ليدخلن جميعا ان شاء ولم يمت احد او لم يغب
والرابع انه تاديب وارشاد الى استعمال الاستثناء في كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم وقد دخل البقيع وانا ان شاء
الله بكم لاحقون ولا شك في وقوع الموت استثناء الخامس انه راجع الى حال الامن وعدم الخوف ثم رتب على الصدق وعلى
سوء ظن القوم قوله فعلم ما لم تعلموا من الحكمه في تاخير الفتح الى العام القابل فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهو فتح خيبر
ثم اكد صدق الرويا بل صدقه الرسول في كل شئ بقوله هو الذى ارسل الايه وذلك انه لو كذب رسوله كان مضلا
فلم يكن ارساله سببا لظهور دينه وفي ملته وقد مر نظير الايه في سورة التوبه ومن استعماله هذا الذين
انه لا يرى اهل مكة الا وللاسلام غالب عليه الا ان يشاء الله وقد يقال ان كمال العز والغلبه عند نزول عيسى فلا يبقى على الارض من
كافر وكفى بالله شهيدا على ان هذا الدين يعلو ولا يعلى ثم اكد الشهادة وارغم انف قريش الذين لم يرضوا بهذا التعريف
في الكتاب العهد فقال محمد رسول الله وهو مبتدا وخبر وجوز اهل الاعراب ان يكون المبتدا محذوفا لتقدم ذكره في
قوله ارسل رسوله اى هو محمد فيكون رسول الله صفه او عطف بيان وجوز ان يكون محمد مبتدا ورسول الله صفه او بيانا
وقوله والذين معه وهم الصحابه عطفا على محمد وخبر الجميع اشداء على الكفار جمع شديد كما قال واغلظ عليهم اعزة
على الكافرين عن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم فكيف بابدانهم وبلغ من ترحمهم

فما بينهم

فما بينهم انه كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه وعانقه والمصافحه حارة الاتفاق ولا المعانقه والتقبيل فقد كرههما
ابو حنيفه وان كان التقبيل على اليد ومن حق المومنين ان يراعوا هذه السنة ابدا فيشددوا على مخالفيهم ويرحموا اهل دينهم
تريهم باجمعهم او يا من له اهليه الخطاب ركعا سجدا لكثرة ساجدين يبتغون فضلا من الله بالعفو عن تقصيرهم ورضوانا
منه على اعمالهم الصالحه بان يتقبلها الله منهم سيماهم علامتهم في وجوههم من اثر السجود فيجوز ان يكون العلامة
امرا محسوسا والسجود بمعنى حقيقته وضع الجبهه على الارض وكان كل من على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبد الله بن عباس
الى الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقع السجود منهما اشباه ثفنات البعير والذى جاء
في الحديث لا تقلبوا صوركم اى لا تجدسوها وعن ابن عمر انه راى رجلا اثر في وجهه السجود ان صورة انفك وجهك
فلا تقلب وجهك ولا تشن صورتك محمول على التعمد رياء وسمعه وعن سعيد بن المسيب في بدى الطهور وتراب الارض و
يجوز ان يكون امرا معنويا من البها والنور وغطا استناده وجوههم من التهجد كما قيل من كثر صلوته بالليل حسن وجهه
بالنهار وان الذى بيت شاربا بمين عند راب البصير من الذى بيت مصليا وفيه قال بعضهم عينا لك قد حكتها معد
كيف كنت وكيف كانا ورب عين قد رايتك مست صاحبها عيانا وقال المحققون ان من توجه الى شمس الدنيا لا بد ان يقع
شعاعها على وجهه فالذى اقبل على شمس عالم الوجود وهو الله سبحانه كيف لا يستنير ظاهره وباطنه ولا سيما يوم تبلى السرائر
وكشف الغطاء وذلك مثلهم اى ذلك الوصف وصفهم العجيب الشان في الكتابين فيجوز ان يكون ذلك اشاره مبهمة او
صحت بقوله كزرع الى اخره كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع وقد يقال تم الكلام عند قوله وذلك مثلهم
في التوريه ثم ابتدى ومثلهم في الانجيل كزرع لما روى انه مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبت الزرع يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر فوالذى انزل بهذا الوصف ليرفعهم اذا ابصروهم والشطا والتسكين والتحريك فراخ الزرع او الشطا
اى صار من الدقه الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه اى نباهى وصار كالاصل بحيث يعجب الزراعين والسوق
جمع ساق وقد يخص الساق بالشجر فيكون ساق الزرع مجازا مستعارا ووجه التشبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج وحده
ثم اتبعه من هيهنا قليل حتى كثروا وقوى امره وقوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لوجه التشبيه او للتشبيه اى ضرب الله ذلك
المثل وقيض وحكم بذلك ليغيظ محمد واصحابه كفار مكه والعجم وقيل هذا الزرع يغيظ بكثرته الكفار اى ساير الزراع
الذين ليس لهم مثل زرعهم وفيه المعانى وان لم يكن مقصودا هيهنا وذهب بعض المفسرين الى ان قوله والذين معه ابو بكر
اشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تريهم ركعا سجدا على يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحه والزبير سيماهم في وجوههم
سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيده بن الجراح وعن عكرمه اخرج شطاه بابى بكر فازره بعمر فاستغلظ بعثمان
فاستوى على سوقه بعلى وقوله منهم بيان الجنس وجوز ان يكون قوله ليغيظ تعليلا للوعد لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم
في الاخره مع ما حصل لهم في الدنيا من الاستعلاء غاظهم ذلك ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله
ان الله سميع عليم ۝ يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان

تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ۝ ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
لهم مغفرة واجر عظيم ۝ ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات اكثرهم لا يعقلون ۝ ولو انهم صبروا حتى
تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ۝ يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ۝ واعلموا ان فيكم
رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون ۝
فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ۝ وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على
الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا
بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين ۝ انما
المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم
ترحمون ۝ يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا
خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا
انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ۝ يا ايها الذين

امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا
ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل ۝
لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ان الله عليم خبير ۝ قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا و
لكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان
تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان
الله غفور رحيم ۝ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسو
له ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اولئك هم الصادقون ۝ قل اتعلمون الله بدينكم والله
يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم
يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله
يمن عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم صادقين ۝
ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون ۝

القراءة لا تقدموا بالفتحات من التقدم يعقوب الحجرات بفتح الجيم زيد احويكم على الجمع يعقوب وابن مجاهد
والنقاش عن ابن ذكوان ولا تجسسوا ولا تنابزوا والتعارفوا بالتشديدات للادغام البزي وابن فليح مثلثة ابو جعفر ونافع
بالتكم بالهمز ابو عمرو وسهل ويعقوب وقد لا يهمز في رواية الاخرون بالحذف بما يعملون على الغيبة ابن كثير الوقوف
واتقوا الله عليم لا يشعرون التقوى عظيم لا يعقلون خيرا لهم رحيم نادمين رسول الله والعصيان الراشدين لان
فضلا مفعول له ونعمة حكيم بينهما للشرط مع الفاء امر الله لذلك واقسطوا المقسطين ترحمون ربع الجزء منهن للعدول
عن الغيبة الى الخطاب بالالقاب بعد الايمان لابتداء الشرط مع احتمال الواو ومن لم يتب عاذكرمن اللمز والنبز الظالمون من الظن للابتدا
بان الا ان للتعليل اي فان بعضا فكرهتموه واتقوا الله رحيم لتعارفوا اتقاكم خبير امنا قلوبكم شيئا رحيم في سبيل الله الصادقون
في الارض عليم اسلموا اسلامكم لان بل للاضراب عن الاول صادقين والارض تعملون تفسير لما بين محل النبي صلى الله عليه وسلم
وعلو منصبه بقوله هو الذي ارسل رسوله الى اخر السورة افتتح الاتي بقوله لا تقدموا الاية ففيه تاكيد لما ذكر هناك من وجوب اتباعه

دالاً دعاءً له والاظهر ان هذا ارشاد عام وذكر المفسرون في اسباب النزول وجهان منها ما روي عن ابن ابي مليكة ان عبد الله ابن
الزبير اخبره انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله صلى الله عليه وسلم امّر القعقاع بن معبد وقال
عمر بل امّر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فانزل
الله الاية وقال الحسن الزجاج نزلت في رجل ذبح الاضحية قبل ذبح النبي صلى الله عليه وسلم فامره باعادتها وهو مذهب
ابي حنيفة الا ان زوال الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة وعن عائشة انها نزلت في صوم
يوم الشك وروي انها في القتال اي لا تحملوا على الكفار في الحرب قبل ان يامر النبي صلى الله عليه وسلم وقدم اما متعدي
حذف المفعول للعموم حتى يتناول كل فعل وقوله او ترك مفعوله كما في قولهم فلان يعطي ويمنع لان النظر على الفعل لا على المفعول
كانه قيل يجب ان لا يصدر منكم تقدم اصلاً في اي فعل كان واما الاول نحو بين وتبين وعجل يؤيده قراءة يعقوب قال جار الله حقيقة
قولهم جلست بين يدي فلان اي يجلس بين الجهتين المسامتين يمينه وشماله حتى نظر اليك من غير بعد فحذف وذكر الله
للتعظيم وفيه ان التقديم بين يدي رسول الله كالتقديم بين يدي الله قال ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يديه كلاماً بل عليهم
ان يصغوا ولا يتكلموا وقيل معناه لا تخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وعن الحسن في رواية اخرى لما استقر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الافاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ واتقوا الله
اي في التقديم او امرهم بالتقوى ليحملهم على ترك التقديم فان المتقي حذر عن كل ما فيه تبعة ووبال ان الله سميع لاقوالكم
عليم بنياتكم وافعالكم ثم اعاد النداء عليهم مزيداً للتنبيه والتكرير وفيه نوع تفصيل بعد اجمال وتخصيص بعد تعميم عن ابن
عباس ان ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصوته اذا كلمه فحين نزلت الاية فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بانه رجل جهير الصوت يخاف
ان يكون الاية نزلت فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة و
عن الحسن نزلت في المنافقين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافاً واستهانة والتقدير
بهم ضعفاء المسلمين فنهى المؤمنون عن ذلك وعلى هذا فاما ان يكون الايمان اعم من ان يكون باللسان او بالقلب واما ان يكون
الايمان حقيقة فيكون تاديباً للمؤمنين الخلص حتى يكون حالهم مخالف حال اهل النفاق ويكون كلامهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اخفض من كلامه لمراعاة لحشمته وصيانة على نهاية قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر اي مثل جهر بعضكم لبعض قيل تكرار
للمعنى الاول لاجل التاكيد فان الجهر هو رفع الصوت والجمهور على ان بين النهيين فرقاً ثم اختلفوا فقيل الاول فيما اذا نطق
ونطقوا في اثناء كلامه فنهوا ان يكون جهرهم باسلس الجهر والثاني فيما اذا سكت ونطقوا فنهوا عن جهر مقيد بما اعتادوا فيما
بينهم وهو الخالي من مراعاة ابهة النبوة وقيل النهي الاول اعم مما اذا نطق ونطقوا او انصت ونطقوا والمراد بالنهي الثاني ان لا ينادى
وقت الخطاب باسمه او كنيته كنداء بعضهم لبعض فلا يقال يا احمد يا محمد يا ابا القاسم ولكن يا نبي الله يا رسول الله ثم علل كلا من النهيين
بقوله ان تحبط اي كراهة حبوط اعمالكم وذلك ان الرفع والجهر اذا كان عن استحقاق واهانة كان كفراً محبطاً للاعمال السابقة
والمفعول له متعلق بالفعل الاول في الظاهر عند الكوفيين وبالعكس عند البصريين وجوز في الكشاف ان يقدر الفعل
الثاني مضموماً اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم نصب الفعل عليهما جميعاً نصباً واحداً والمعنى انهم نهوا عن الفعل الذي
تفعلونه لاجل الحبوط لانه كان بصدد الاداء اليه فجعل كانه سبب في ايجاده كقوله ليكون لهم عدواً وحزناً وفي قوله وانتم
لا تشعرون اشارة الى ان ارتكاب المآثم يجر الاعمال الى الحبوط من حيث لا يشعر المرء به ومثله قول الحكيم ان كلاً من الاخلاق الفاضلة
والرذيلة يكون اولاً حالاً ثم يصير ملكة راسخة وعادة مستمرة ومنه قول افلاطون لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق وانت لا
تدري فالعاقل من يجتهد في الفضائل ان تصير ملكات وفي الرذائل ان يزول عنه وهي احوال قال ابن عباس لما نزلت الاية
قال ابو بكر رض يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله فانزل الله فيه وفي امثاله ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله هو افتعل من المحنة وهو اختبار بليغ يقال امتحن فلان لامر كذا اي جرب له في حدتي اطلق
او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره فكانه قيل عرف الله قلوبهم كائنة للتقوى فاللام متعلقة بمحذوف
كقولك انت لهذا الامر او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف لاجل التقوى وحصولها فيها سابقة او لاحقة لهم مغفرة
لذنوبهم واجر عظيم لطاعتهم وفي تنكير الوعد وفي غير ذلك من مؤكدات الجملة تعريض بتعظيم ما ارتكب بعضهم واستحقاقهم
اضداد ما استحق هؤلاء يروى انه كان اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم ابو بكر رض من يعلمهم كيف
يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار قال العلماء ان النهي لا يتناول رفع الصوت الذي ليس باختيار المكلف كما مر في حديث ثابت

بن قيس ولا الذي يخاطب به صلاح في حرب او جدال معاند او ارهاب عدو وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس
بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتاً وفيه كان يابعة بن جعدة يزجر
الى غرة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم وابو عروة كنية العباس زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق
مرارة السبع في جوفه ويروى ان غارة اتتهم يوماً فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته ثم علمهم ادباً اخص
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من كل جانب الى خارجها والخارج مناداة الاخلاق بعضهم لبعض والحجرة
لمشاركة فيه غيره من الحجر وهو المنع فعلة بمعنى مفعوله جمعت لان كلاً من امهات المؤمنين لها حجرة روي ان وفد
بني تميم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلاً منهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن فدخلوا المسجد ونادوا النبي
صلى الله عليه وسلم من خارج حجراته كانهم تفرقوا على الحجرات او اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او نادوه من وراء الحجرة التي كان
فيها ولكنها جمعت اجلالاً له صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسنداً الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم لان رضى
الباقين كالتولي له وحكى الاصم ان الذي ناداه عيينة والاقرع قالا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فنادى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا جئنا بخطيبنا
وشاعرنا نفاخرك ونشاعرك فقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام خطيبهم فخطب وقام شاعرهم فانشد فامر
النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس فخطب وامر حساناً فقام وانشد فلما فرغوا قام الاقرع وقال والله ما ادري ما هذا
تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولاً وانشد شاعرنا فكان شاعرهم اشعر ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسوله وعن زيد بن ارقم انهم قالوا انتحه فان يكن ملكاً عشنا في جناحه وان يكن نبياً كان اولى
بان يكون اسعد الناس به وقيل انهم وفدوا شافعين في اسرى بني العنبر اما اخبار الله تعالى عنهم بان اكثرهم لا يعقلون واما
لان الاكثر اقيم مقام الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع واما لان الحكم بقلة العقلاء فيهم عبارة عن العدم
فان القلة يقع موقع النفي في كلامهم واما لان فيهم من رجع وندم على صنيعه فاستثناه الله عز وجل وانما حكم عليهم بعدم العقل
لانهم لم يعقلوا ان هذا النهي من الندا خارج عن قانون الادب ومبني عن عدم الوقار والاناة ولا سيما في حق النبي صلى الله عليه
وسلم فانه لم يكن يحتجب عن الناس الا عند الخلوة والاشتغال بمهام اهل البيت فلذلك قال ولو انهم صبروا حتى تخرج وفائدة
قوله اليهم انه لو خرج لا لاجلهم لزمهم الصبر الى ان يكون خروجه لهم لكان الصبر خيراً لهم في دينهم وهو ظاهر وفي دنياهم بان ينسبوا
الى وفور العقل وكمال الادب وقيل باطلاق اسراهم جميعاً فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اطلق النصف وفادى
النصف والله غفور مع ذلك لمن تاب رحيم في قول التوبيخ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفد بني تميم فقال
هم حفاة بني تميم ولولا انهم من اشد الناس قتالاً للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم ويحكى عن ابي عبيد وهو المشهور
بالعلم والزهادة وثقة الرواية انه قال ما دققت باباً على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ثم ارشدهم الى ادب اخر وقد اجمع
المفسرون على انها نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدقاً وكان بينهما
احنة فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع وقال ان القوم هموا بقتلي ومنعوا صدقاتهم فهم النبي صلى الله عليه
وسلم وقال لينتهن او لابعثن اليكم رجلاً هو عندي كنفسي يقاتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي كرم الله
وجهه فقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات
متهجدين فسلموا اليه بالصدقات فرجع قال جار الله في تنكير الفاسق والنبأ عموم كانه قيل اي فاسق جاءكم باي نبأ فتوقفوا
فيه واطلبوا البيان لان من تحالف جنس الفسوق لا يتحاشى بعض انواعه الذي هو الكذب والفسوق الخروج عن الشيء والانسلاخ
منه فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقشت البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقاربه ايضاً فقست الشيء
بتقديم القاف اذا اخرجته من يد مالكه غصباً والنبأ الخبر الذي يعظم وقعه واختير لفظة ان التي هي للشك دون اذا
على انه صلى الله عليه وسلم ومن معه بمنزلة لا يجترئ احد ان يخبرهم بكذب الا على سبيل الفرض والندرة فعلى المؤمنين ان يكونوا
بحيث لا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ثم علل التبين بقوله ان تصيبوا اي كراهة اصابتكم قوماً حال كونكم جاهلين بحقيقة
الامر والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع ولا يخلو من دوام ولزام ومن مقلوباته ادمن الامر اذا دام
عليه ومدن بالمكان اقام به قال الاصوليون من الاشاعرة ان خبر الواحد العدل يجب العمل به لان الله تعالى امر بالتثبت في
خبر الفاسق ولو ثبت في خبر العدل لسوي بينهما وضعف بانه من باب التمسك بالمفهوم واتفقوا على ان شهادة الفاسق
لا يقبل لان باب الشهادة اضيق من باب الخبر واكثر المفسرين على ان الوليد كان ثقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار

فاسقا بكذبه وقيل ان الوليد لم يقصد الكذب ولكنه ظن حين اجتمعوا للكرامة ان يكونوا هموا بقتله ولقايل ان يقول لفظ
القران وسبب النزول يدل على خلافه نعم لو قيل انه تاب بعد ذلك لكان له وجه ثم ارشدهم الى امر اخر فقال واعلموا ان فيكم رسول
الله وليس هذا الامر مقصودا لظاهره لانه معلوم مشاهد فلا حاجة الى التنبيه عليه وانما المراد ما يستلزم كونه فيهم
كما يقال لمن يغلط في مسئلة او يقول فيها ذا به اعلم ان الشيخ حاضر ثم قيل المراد لا تقولوا الباطل والكذب فان الله يخبره ويوحي
اليه وقيل اراد ان الراي رايه فلا تعتدوا دارايه وقد صرح بهذا المعنى في قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لوقعتم في الشر
والمشقة والحرج لانه اعلم منكم بالحنفية السهلة السمحاء ومن جملة ذلك قصة الوليد فانه لو اطاعه وقيل قوله لقتل وقتلتم
ولحقه المال واخذتم شيا بهم قال جار الله الجملة المصدرة بلو ليس كلاما مستانفا لاختلال النظم حينئذ ولكنها حال من احد
الضميرين في فيكم وهو المستتر المرفوع او البارز المجرور والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب تغييرها وهي انكم تطلبون
منه اتباع ارايكم قلت قد ذكرنا في وجه النظم بيانا اخر ثم قال فايدة تقديم خبر ان هو ان يعلم ان التوبيخ منصب الى هذا العوض
وفايدة قوله يطيعكم بلفظ الاستقبال للدلالة على ما ارادوه من استمرار طاعتهم فانه لا يخالفهم في كثير مما عن لهم من الاراء والاهواء
وفي قوله كثير من الامر اعلام بجانب المؤمنين حيث لم ينسب جميع ارايهم الى الخطاء وفيه ايضا تعليم حسن وتاديب جميل في باب
المخاطب ويمكن ان يكون اشارة الى تصويب راي بعضهم لا اي تصويب بعض بداهم فقد قيل ان بعضهم زين للرسول الله
صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وبعضهم كانوا يرون الحلم عنهم ان يتبين امرهم وقد اشار
الى هذا البعض بقوله ولكن حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم والا لم يحسن الاستدراك وان من شرطه مخالفة ما بعدها لما قبلها
فلو كان المخاطبون في الطرفين واحدا لم يكن للاستدراك معنى بل يؤدي الى التناقض لانه يكون قد اثبت لهم في ثاني الحال صحة
الايمان وكراهة العصيان وذكروا لانه يوجب اجابتهم الوقوع في العيب قال اهل اللغة والطاعة موافقة الداعي غير ان المستعمل
في حق الاكابر الاجابة وفي حق الاصاغر الطاعة وقد ورد في القران على اصل اللغة استدلت الاشاعرة بهذا لم يجب ولكن على
مسئلة خلق الافعال وحملها المعتزلة على نصب الادلة او اللطف والتوفيق او الوعد والوعيد والمعنى ولكن الله حبب اليكم الايمان
فاطعتموه فوقاكم العيب والكفر واضح واما الفسوق والعصيان فقيل الاول الكباير والثاني الصغاير ويحتمل ان يكون مقابل
الاقرار باللسان لان الفسق هيهنا الكذب بدليل قوله ان جاءكم فاسق بنبا اسما فاسقا لكذبه والعصيان مقابل العمل بالاركان
اولئك البعض المسمون هم الراشدون وهذه جملة معترضة وقوله فضلا من الله ونعمة كل منهما مفعول له والعامل فيهما حبب
وكره ويجوز ان يكونا منصوبين عن الراشدون لان الرشد عبارة عن التحبيب والتكريه المسندين الى الله فكان الرشد ايضا فعله
فاتحد الفاعل في الفعل والمفعول له بهذا الاعتبار ويجوز ان يكونا مصدرين من غير لفظ الفعل وهو الرشد فكانه قيل
فاولئك الراشدون رشدا لان رشدهم فضل من الله وانعام منه قال بعض العلماء الفضل بالنظر الى جانب الله الغني والنعمة
الى جانب العبد الفقير والله عليم باحوال الخلق وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم في تدابير فضله وانعامه ثم علمهم حكما اخر
في الصحيحين عن انس انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا نبي الله لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه على حمار وانطلق
المسلمون يمشون وهي ارض سبخة فقال الحمار فقال اليك عني فوالله لقد اذاني نتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة والله ان
بول حمار اطيب منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما اصحابه فوقع بينهم حرب بالجريد والايدي
والنعال فانزل الله فيهم وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا جمع لان الطايفتين في معنى القوم او الناس ولان اقل الجمع اثنان
فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم وعن مقاتل قراها عليهم فاصطلحوا وقال ابن بحر القتال لا يكون بالنعال
والايدي وانما هذا في المتنظرين الزمان والطايفة الجماعة وهي اقل من الفرقة لقوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وارتفاعها
بمضمر دل عليه ما بعده اي ان اقتتلت طايفتان وحسن ان دون اذا مع كثرة وقوع القتال بين المؤمنين ليدل على انه مما ينبغي
ان لا يقع الا نادرا وعلى سبيل الفرض والتقدير ولهذه النكتة بعينها قال طايفتان ولم يقل فرقتان تحقيقا للتقليل كما مر وفي
تقديم الفاعل على الفعل اشارة ايضا على هذا المعنى لان كونهما طايفتين مؤمنين يقتضي ان لا يقع القتال بينهما وهذا اخبر
المعنى في الفعل ولم يقل يقتتلون لئلا ينبي عن الاستمرار وفيه ايضا من التفاؤل ما فيه وانما قدم الفعل في قوله ان جاءكم
فاسق بنبا ليعلم ان المجي بالنبا الكاذب يورث كون الجائي به فاسقا سواء كان قبل ذلك فاسقا ام لا ولو اخر الفعل لم يتناول الاية
الا المشهور بالفسق قبل المجي بالنبا قال بعض العلماء انما قال اقتتلوا على الجمع ولم يقل فاصلحوا بينهم لان عند القتال يكون لكل
منهم فعل براسه اما عند العود الى الصلح فانه يتفق كلمة كل طايفة والا لم يتحقق الصلح فكان كلا من الطايفتين كنفس واحدة
فكانت التثنية افضل والبغي الاستطالة وابا الصلح والفيء الرجوع وبه سمي الظل لانه يرجع بعد نسخ الشمس ولان الناس

يرجعون اليه والغنيمة لانها ترجع من الكفار الى المسلمين ومعنى قوله الى امر الله قيل الى طاعة الرسول ومن قام مقامه من ولاة الامر
لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وقيل الى الصلح لقوله واصلحوا ذات بينكم وقيل الى امر الله بالتقوى فان من
خاف الله خشيته لا يبقى له عداوة الا مع الشيطان وانما قال فان بغت ولم يقل فاذا بناء على ان بغي احديهما مع صلاح الاخرى كالنادر
وكذا قوله فان فاءت لان فيه الفية الباغية مع جهلها وعنادها واصرارها على حمقها كالامر النادر نظيره قول القايل العبد
ان مت مع ان الموت لا بد منه وذلك لان موته بحيث يكون العبد حيا باقيا في ملكه غير معلوم واعلم ان الباغية في اصطلاح الفقها
فرقة خالفت الامام بتاويل باطل بطلانا بحسب الظن لا القطع فيخرج المرتد لان تاويله باطل قطعا وكذا الخوارج وهم صنف من المبتدعة
يكفرون من اتى كبيرة ويسبون بعض الايمة وهذا الخروج مانع من حق الشرع لله وللعباد عنادا لانه لا تاويل له ولا بد ان يكون
لهم شوكة وعدد وعدة يحتاج الامام في دفعهم الى الكلفة ببذل مال واعداد رجال فان كانوا افرادا يسهل ضبطهم فليسوا باهل
بغي والاكثرون على ان الباغين ليسوا بفسقة ولا كفرة بقوله تعالى وان طايفتان من المؤمنين وعن علي كرم الله وجهه اخواننا بغوا
علينا ولكنهم اليه من التاويل كما وقع للخارجة على علي حيث اعتقدوا انه يعرف قتلة عثمن ويقدر عليهم
ولا يقتص منهم لمواطاته اياهم كما قال مانعوا الزكوة لابي بكر امرنا بدفع الزكوة الى من صلوته سكن لنا وصلوة غير النبي ليست سكنا لنا
واتفقوا على ان معوية ومن تابعه كانوا باغين للحديث المشهور لعمار تقتلك الفية الباغية وقد قتلته الباغية في حال
بغيها ليست بمومنة وانما سماهم المؤمنين باعتبار ما قبل البغي كقوله يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه والمرتد ليس
بمومن بالاتفاق اما الذي يبلغه العادل لانه مامور بالقتال ولا الباغي على الاصح لان في الوقايع التي جرت في عصر الصحابة و
التابعين لم يطالب بعضهم بعضا بضمان نفس ومال لانه لو وجبت الغرامة لنفرهم ذلك عن العود الى الطاعة والاموال الماخوذة
في القتال ترد بعد انقضاء الحرب الى اربابها من الجانبين والمراد من تلف القتال ما تلف بسبب القتال ويتولد منه هلاكا حتى
لو فرض اتلاف في القتال من غير ضرورة القتال كان كالاتلاف في غير القتال والذين لهم تاويل بلا شوكة لزمهم ضمان ما اتلفوا
من نفس ومال وان كان على صورة القتال وحكمهم حكم قطاع الطريق اذا قاتلوا ولو اسقطنا الضمان لاحدث كل شرذمة من
اهل الفساد تاويلا وفعلت ما شاءت وفي ذلك ابطال السياسات ولهذه النكتة قيد الاصلاح الثاني قوله بالعدل لان تضمين
الانفس والاموال يحتاج فيه الى سلوك سبيل العدل والنصفة لئلا يؤدي الى ثوران الفتنة مرة اخرى واحتج الشافعي لوجوب الضمان
اذا لم يكن قتال بان ابن ملجم قتل عليا كرم الله وجهه متاولا لانه له شبهة وتاويلا فامر بحبسه وقال ان قتلتموه فلا تمثلوا به فقتله الحسن
بن علي وما انكر عليه احد واما الذين لهم شوكة ولا تاويل فالظاهر عند بعضهم نفي الضمان وعند اخرين الوجوب واما كيفية
قتال الباغين فان امكن الاسر لم يقتلوا وان امكن الاثخان فلا يذفف عليه كدفع الصايل الا اذا التحم القتال وتفسير الضبط
قوله واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين قال اهل اللغة القسط بالفتح فالسكون الجور
من القسط بفتحتين وهو عوج في الرجلين وعود قاسط يابس والقسط بالكسر العدل والهمزة في اقسط للسلب اي ازال
القسط وهو الجور وحين بين الطايفتين اراد ان يبين حكم الخلل الواقع بين اثنين ما لم ينته الى التقاتل والسباب ونحو ذلك فقال انما المؤمنون
اخوة اي حالهم لا يعدو الحقوق الدينية الى ما يضادها فاصلحوا بين اخويكم باتصال المظلوم الى حقه وبدفع الظلم عن الظالم و
التثنية بحسب الاغلب ويحتمل ان يقال انه شامل لما دون الطايفتين وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا
يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا
قليل واتقوا الله في ساير الابواب واحين ان يحكم دينكم ثم شرع في تاديبات اخر والقوم الرجال خاصة لقيامهم على الامور قال
جمهور المفسرين ان ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسعوا له حتى يجلس
الى جنبه فيسمع ما يقوله فجاء يوما وقد اخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل اصبت
مجلسا فاجلس فجلس ثابت مغضبا ثم قال للرجل يا فلان بن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل استحياء فنزلت
وقيل نزلت في الذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات واستهزؤا بالفقراء وقيل في كعب بن مالك قال لعبد
الله يا اعرابي فقال عبد الله يا يهودي وقيل نزلت ولا نساء من نساء في عايشة وقد عابت ام سلمة بالقصر وروي انها ربطت
حقويها بثوب ابيض وسدلت طرفيها خلفها وكانت تجره فقالت عايشة لحفصة انظري ما يجر خلفها كانه لسان كلب وعن عكرمة
عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد وتنكير القوم والنساء للبعضية او لا
فادة الشياع وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة زيادة للتوبيخ تنبيها على ان التحريم فيما يصدر عن واحد ولكن ديشانكم

في ذلك الجمع من الحاضرين لان ميل الطباع الى التلهي والرعانة والازدراء بالضعفاء واهل البلادة اكثر وانما لم يقل رجل من
امراة وبالعكس لان سخرية الجنس من الجنس اكثر فاقتصر على ذلك ليعلم منه الباقي بالاولى وقوله عسى ان يكونوا كلام مستانف
معنى سبب النهي عن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا قوله سبحانه ولا تلمزوا تاديب
اخر واللمز الطعن باللسان والمعنى خصوا انفسكم بالانتهاء عن الطعن في امثالكم من اهل هذا الدين ولا عليكم ان تعيبوا غير اهل
دينكم وقيل اللمز العيب خلف الانسان والهمز العيب في وجه الانسان وقيل بل الامر بالعكس لان من تعاليت همز همز وهو يدل على
العيد ومن مقلوب اللمز لزم وهو يدل على القرب فيشمل الغيب بالاشارة ايضا وقيل معناه ولا يعيب بعضكم بعضا لانهم كنفس
واحدة فمن عاب مؤمنا فكانما عاب نفسه وقيل لا تفعلوا ما تستحقون به العيب فمن فعل ما استحق به فقد لمز نفسه ولا يخفى
ان هذا معنى صحيح لكنه لا يطابق المقام قوله ولا تنابزوا تاديب اخر والنبز بالسكون القذف بالمكروه من الالقاب واللقب
من الاعلام ما دل على مدح او ذم والنبز بالفتح اللقب القبيح فهو اخص من اللقب كما ان اللقب اخص من العلم وانما قال لا تنابزوا و
لم يقل ولا تنبزوا على منوال ولا تلمزوا لان النبز لا يعجز الانسان عن جوابه غالبا فمن نبز غيره بالحمار كان لذلك الغير ان ينبزه بالثور
مثلا ولا كذلك اللمز فان الملموز كثيرا ما يغفل عن عيب اللامز فلا يحضره في الجواب شيء فيتبع اللمز من جانب واحد فقط ثم اكد النهي
عن التنابز بقوله بئس الاسم اي الذكر الفسوق وفي قوله بعد الايمان وجوه احدها استقباح الجمع بين الامرين كما يقول بئس
الشان الصبوة بعد الشيخوخة اي معها وثانيها بئس الذكر ان يذكروا الرجل بالكفر اي اليهودية بعد ايمانه وكانوا يقولون لمن اسلم
من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وثالثها ان يجعل الفاسق غير مؤمن كما يقال للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة
الفلاحة بعد التجارة وهي بعد الايمان بدلا عن الايمان ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون لان الاصرار على المنهي
كفر اذ يجعل المنهي كالمامور فوضع الشيء في غير موضعه تاديبا اخر ومعنى اجتنبوا كونوا منه في جانب وانما قال كثيرا ولم يقل الظن مطلقا
لان منه ما هو واجب كحسن الظن بالله وبالمؤمنين كما جاء في الحديث القدسي انا عند ظن عبدي وقال صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن بالظن بالله وقال ان حسن الظن من الايمان ومنه محظور وهو سوء الظن بالله وباهل الصلاح
عن النبي صلى الله عليه وسلم الحزم سوء الظن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلمين دمه وعرضه وان يظن
به ظن السوء وهو الذي امر في الاية باجتنابه ومنه ما هو مندوب اليه وهو اذا كان المظنون به ظاهر الفسق والبينة
الشان بقوله صلى الله عليه وسلم الحزم سوء الظن وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم احترسوا من الناس بسوء
الظن ومنه المباح كالظن في المسائل الاجتهادية قال اهل المعاني انما نكر كثيرا ليفيد معنى البعضية المصرح بها في قوله ان بعض
الظن اثم ولو عرف لاوهم ان المنهي عنه هو الظن الموصوف بالكثرة والذي يتصف بالقلة يرخص فيه والهمزة في الاثم عوض
عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه تاديبا اخر ولا تجسسوا وقرئ بالحاء المهملة بمعنى تطلب الخبر والبحث عنه
كقوله فتحسسوا من يوسف واخيه وبالجيم تفعل من الجس بالحاء من الحس قال مجاهد معناه خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر
الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في خطبة يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته وهذا الادب كالسبب لما قبله فلما
نهى عن ذلك نهى عن سببه ايضا تاديبا اخر ولا يغتب يقال غابه واغتابه بمعنى والاسم الغيبة بالكسر وهي ذكر العيب بظهر الغيب
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كنت صادقا اغتبته وان كنت كاذبا فقد بهته
ثم مثل ما يناله المغتاب من عرض صاحبه على افظع وجه فقال ايحب احدكم وفيه انواع من المبالغة منها الاستفهام للتقرير ومنها
محبة المكروه ومنها اسناد الفعل الى احدكم ففيه اشعار بانه لا احد يحب ذلك ومنها تقييد المكروه باكل لحم الانسان ومنها
تقييد الانسان بالاخ ومنها جعل الاخ او اللحم ميتا وفيه مزيد تنفر الطبع وانما مثل بالاكل لان العرب يقول لمن ذكر مساوي الناس
ياكلون فلانا ويمضغونه وفلان مضغة للماضغ شبهوا ادراكه في الفم بالاكل والبيت لمزيد التنفير كما قلنا او لان الغائب كالميت
من حيث لا يشعر بما يقال فيه لما الفاء في قوله فكرهتموه فصيحة او نتيجة لانها للالزام اي بل عافته نفوسكم فكرهتموه او فتحققت
بوجوب الاقرار بحكم العقل وداعي الطبع كراهتكم للاكل واللحم والميت فتحققوا ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره وهي الغيبة قال ابن عباس
هي ادام كلاب الناس وعنه ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا اليه
قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت قلت مر
في الحديث ان في الاية مبالغة اخرى وهي ان المراد باللحم الميت المدود المنتن الحصر وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالامر الحسي عن الامر المعنوي الذي ادركه بنور النبوة منهما واعلم ان الغيبة وان كانت منهيا عنها الا انها مباحة في حق الفاسق ففي
الحديث اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وروي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له واتقوا الله فيما نهيكم وتوبوا فيما وجد منكم
وحين علم المؤمنين تلك الاداب الجميلة عمم الخطاب منعا من التسخر واللمز وغير ذلك على الاطلاق فقال يا ايها الناس الاية
قال بعض الرواة ان ثابت بن قيس حين قال فلان بن فلانة قال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال
انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واسود واحمر قال فانك لا تفضلهم
الا بالتقوى والدين فانزل الله هذه الاية وعن مقاتل لما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا حتى اذن على
ظهر الكعبة فقال عتاب بن اسيد الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا
الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله به شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر به رب السماء
فاتى جبرائيل فاخبره وانزل الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء ويروى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم راى في سوق المدينة غلاما اسود يقول من اشتراني على شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف
النبي صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلوة ففقده يوما فسال عنه
صاحبه فقال محموم فعاده ثم سال عنه بعد ايام فقيل هو في زمانه فجاءه وتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار
امر عظيم فنزلت وقوله من ذكر وانثى فيه وجهان احدهما من ادم وحوا فيدل على انه لا تفاخر للبعض على البعض لكونهم اولاد رجل
وامراة واحدة والثاني كل واحد منكم ايها الموجودون وقت النداء خلقناه من اب وام والتفاوت في الجنس دون التفاوت
بين الجنسين لان الكافر كالانعام بل اضل والمؤمن هو الناس وغيره كالنسناس الحاصل ان الشيء اما ان يترجح على غيره بامر
يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما ان يترجح عليه بامر هو قبله وهذا القسم اما ان يرجع الى القابل او الى الفاعل كما يقال كان
هذا من الفضة وهذا عمل فلان وهذا عمل فلان فذكر الله سبحانه انه لا يرجح بحسب الاصل القابل لانكم كلكم من ذكر وانثى ولا بحسب
الفاعل لان الله هو خالقكم فان كان تفاوت فبامور تلحقه واحقها بالتمييز هو التقوى لما قلنا انها تصلح للمناصب الدينية
كالقضاء والشهادة كل شريف ووضيع اذا كان دينا عالما ولا يصلح لشيء منها فاسق وان كان قرشي النسب قارون النشب ثم بين
الحكمة التي من اجلها رتبهم على شعوب وقبائل وهي ان يعرف بعضهم نسب بعض فلا يعتزي الى غير ابائه فقال وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا اي ليقع بينكم التعارف بسبب ذلك لا ان تتفاخروا بالانساب وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون
العرب وقال جار الله الشعب بالفتح الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب وهو اعم سمي بذلك
لان القبائل تتشعب منها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهي الاخص مثاله خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة لا ريب ان الخلق يستعمل في الاصول اكثر والجعل يستعمل فيما يتفرع عليه ولهذا
قال خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وقال في الاية خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا لكنه في موضع اخر
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فبين ان الاصل في الخلق والغرض الاقدم هو العبادة فيعلم منه اعتبار النسب وغيره
موخر عن اعتبار العبادة فلهذا قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وفيه معنيان احدهما ان التقوى بعد الاكرام والثاني ان الاكرام
في خلق الله تورث التقوى والاول اشهر كما يقال الذي اطعم اخلاصا الى الله بقدر الخلائق لان الخلائق بقدر الله عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس
انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس
فليتق الله وقال ابن عباس كرم الله الدنيا الغنى الناس على تقواه درج من في ايمانه ضعف قال ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدبة واظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر وافسدوا طريق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يقولون
لرسول الله اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فاعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه فانزل الله
هذه الايات اي قالوا امنا بشرائطه فاطلع الله نبيه على مكنون ضمائرهم وقال قل لم تؤمنوا ايمانا حقيقيا وهو الذي وافق القلب فيه
اللسان ولكن قولوا اسلمنا يعني لغويا وهو الخضوع والانقياد خوفا من القتل ودخولا في زمرة اهل الايمان والسلم ثم اكد النفي
المذكور بقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم وفيه فائدة زائدة هي ان يعلم ان الايمان متوقع منهم لان لما حرف فيه توقع وانتظار
ثم حثهم على الطاعة بقوله وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم اي لا ينقصكم من ثواب اعمالكم شيئا يعني الثواب المضاعف الموعود
في نحو قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الت يالت بالضم اذا نقص وهي لغة غطفان يقال الاته السلطان حقه اشد الالات
ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وقال الحطيئة ولاته يليته بمعنى صرفه عن وجهه فيكون يلتكم على وزن يعدكم وعلى الوجه المتقدم

على وزن بيعكم ان الله غفور رحيم لمن تاب واخلص نيته ثم وصف المؤمنين المحقين بقوله انما المؤمنون ومعنى
ثم في قوله ثم لم يرتابوا كما في قوله ربنا الله ثم استقاموا وارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك والتهمة اي لم يقع في قلوبهم شك
فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه وذلك بتشكيك بعض شياطين الجن والانس وقال جار الله في وجه اخر لما كان زوال الريب
ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على غرته واشعارا بانهم مستقرون على ذلك في الازمنة المتطاولة غضا
جديدا او في قوله اولئك هم الصادقون تعريضا بان المذكورين او الكاذبون ولهذا قال قل لم تؤمنوا اشار الى كذبهم في دعواهم
ودب تعريض لانقاء التصريح ثم اراد تجهيلهم بقوله قل اتعلمون الله بدينكم والباء للتبيين والاظهر انه الذي في قولهم
ما علمت بقدومك اي ما شعرت ولا احطت به وذكر في اسباب النزول انه لما نزلت الاية الاولى جاءت هؤلاء الاعراب وحلفوا
انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الاية والاستفهام للتوبيخ اي كيف تعلمونه بعقيدتكم وهو عالم بكل خافية والتعليم
افادة العلم على التدريج والمعالجة وقيل تعريض بمن لا يعلم بابهام المعنى لانه يعلم قوله يمنون عليك نزلت في المذكورين وفي
امثالهم يقال من عليه صنعه اذا اعتد عليه منه ولهذا قال اهل العربية اشتقاق المنة من المن الذي هو القطع لانه انما
يبدي النعم اليه ليقطع بها حاجته من غير ان يعد لطلب مثوبة وعوض ثم قال بل الله يمن عليكم حيث هداكم للايمان الذي تدعون
وفي اضافة الاسلام اليهم اردفه باسلامهم وفي ايراد الايمان مطلقا غير مضاف اشارة الى الايمان المعهود الذي يجب ان يكون
المكلف عليه وجواب الشرط محذوف للدلالة ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان الحقيقي فلله المنة عليكم ثم عرض بانهم
غير صادقين فقال ان الله يعلم الاية والمراد انه لا يخفى عليه ضمايرهم والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد ● بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال
الكافرون هذا شيء عجيب ● ءاذا متنا وكنا ترابا ذلك
رجع بعيد ● قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب
حفيظ ● بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج
افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها
وما لها من فروج ● والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ● تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب ● ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به
جنات وحب الحصيد ● والنخل باسقات لها طلع نضيد ●

رزقا للعباد ● واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ● كذبت
قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود ● وعاد وفرعون
واخوان لوط ● واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب
الرسل فحق وعيد ● افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من
خلق جديد ● ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ● اذ يتلقى المتلقيان
عن اليمين وعن الشمال قعيد ● ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد ● وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحيد ● ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ● وجاءت كل نفس
معها سائق وشهيد ● لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ● وقال قرينه هذا ما لدي
عتيد ● القيا في جهنم كل كفار عنيد ● مناع للخير
معتد مريب ● الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب
الشديد ● قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في
ضلال بعيد ● قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ● يوم نقول لجهنم
هل امتلأت وتقول هل من مزيد ● وازلفت الجنة للمتقين غير
بعيد ● هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ ● من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب ● ادخلوها بسلام ● ذلك يوم الخلود

لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ● وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد ●
هل من محيص ● ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او
القى السمع وهو شهيد ● ولقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ● فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ● ومن الليل
فسبحه وادبار السجود ● واستمع يوم يناد المناد من مكان
قريب ● يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ● انا نحن
نحيي ونميت والينا المصير ● يوم تشقق الارض عنهم سراعا
ذلك حشر علينا يسير ● نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم
بجبار ● فذكر بالقران من يخاف وعيد ●

القراءة ميتا بالتشديد يزيد وعيدي ونذيري وما يعيد مثل التي في ابرهيم يوم يقول بالياء نافع وابو بكر وحماد مثلات بالكسر اهن ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يوعدو بالياء ابن كثير وادبار بكسر الهمزة ابو جعفر ونافع وابن كثير وحمزة وخلف وجبلة المنادي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر وابو عمرو في الوصل **الوقوف** ق كوفي ولو جعل قسما فلا يوقف للعطف المجيد لان بل قد يجعل جواب القسم نسبتها بان في التحقيق و في التوكيد مابعده وقد يجعل جوابه محذوفا اي لتبعثن ترابا لان ذلك مبتدأ الاان المقول واحد بعيد منهم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف حفيظ مريج فروج بهيج لان تبصرة مفعول لاجله منيب الحصيد لان النخل معطوف على الحبات والحب نضيد لان تبصرة مفعول لاجله منيب والمراد انبتناها لاجل الرزق العباد للعطف ميتا الخروج ثمود لوط تبع وعيد الاول جديد نفسه وجعل ما بعده حالا اولى من الاستيناف فيوقف على الوريد واذ يتعلق بمحذوف وهو اذكر او بقوله ما يلفظ فلا يوقف على قعيد عتيد بالحق تحيد الصور الوعيد وشهيد حديد عتيد لقد بر القول عنيد مريب بناء على ان ما بعده صفة اخرى ولو جعل مبتدأ متضمنا معنى الشرط او نصبا على المدح فالوقف السديد بعيد بالوعيد للعبيد مزيد بعيد حفيظ لاحتمال ان يكون من شرطية جوابها القول المقدر قبل دخولها او موصوله بدلا من لكل منيب بسلام الخلود مزيد البلاد للاستفهام قال السجاوندي وعندي ان عدم الوقف اولى لان التنقيب وهو البحث والتفتيش واقع على جملة الاستفهام محيص شهيد لغوب الغروب لاحتمال التعلق بما قبله وبما بعده السجود قريب لان ما بعده بدل بالحق الخروج المصير لتعلق الظرف سراعا يسير وعيد **التفسير** قيل ان ق اسم جبل من زبرجدة خضر محيط بالارض وخضرة السماء منه وقيل قاف زادكم وتحو ذلك من اسماء الله بما اوله قاف وقيل معنى الامر وقيل قف يا محمد على اداء الرسالة والاقوال المشتركة من الفواتح مذكورة في البقرة وغيرها فاختر هذه السور كما ان اوله صاد وبينهما مناسبة اخرى من قبل وقوع الاضراب بعد القسم ووجهه ما مر وهي ان اكثر مباحث تلك السورة في المبدا والتوحيد وفي قلة لحق البشر واكثر ابحاث هذه السورة في الحشر والخروج ولهذا

سنت قرائتها في صلوة العيد لانه يوم الاجتماع وخروج الناس الى الفضاء والمجيد والمجد حقيقة لانه اشرف من ساير الكتب او مجاز باعتبار قاريه وعالمه والعامل به ومعنى منذر منهم اي من جنسهم او من بنيهم فتوجه العرب الى الانذار بالبعث اولا ثم كون المنذر منهم ولعل الاول ادخل عندهم في استحقاق التعجب منه فلهذا اشار اليه بقولهم هذا الرجع او البعث شيء عجيب ابهم الضمير اولا في عجبوا ثم فسره ثانيا في قوله فقال الكافرون او اقتصر على الضمير اولا للعلم بهم ثم وضع المظهر سجل عليهم بالكفر ثم زادوا في التعجب والتعجيب لقولهم ائذا متنا والتقدير انبعث وقت الموت والصيرورة ترابا ذلك الرجع اي البعث رجع بعيد مستبعد العقول وقيل انه من كلام الله عز وجل والرجع بمعنى الجواب اي هؤلاء الكفار في دعوى المنذر جواب بعيد عن حيز العقل للدلالة البراهين الساطعة على وجود الحشر والنشر منها شمول علم الله تعالى باجزاء الميت على التفصيل والى هذا اشير بقوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما حلنا الموتى ويأكل من لحومهم وعظامهم عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم تبلى الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب هو اللوح المحفوظ من التغير ومن الشياطين ثم ابتع الاضراب الاول اضرابا اخر فقال بل كذبوا والمقصود ان تكذيبهم بالحق الذي هو محمد او القرآن والاخبار بالبعث في اول وهلة من غير تدبر افظع من تعجبهم والمريج المضطرب المخلوط بالشبهات والشكوك ولهذا نسبوا القرآن تارة الى السحر واخرى الى الشعر والكهانة وقالوا في حق محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ثم استدل على صحة المبدا والمعاد بوجوه احدها بناء السماء ورفعها بلا عمد ولا فروج اي شقوق وفتوق ولكنها صحيحة الاستدارة من جميع الجوانب وليس في الاية دلالة على امتناع الخرق على السماء لان الاخبار عن عدم الوقوع ولا ينافي امكانه نعم انه مناف لوجود الابواب فيها ظاهرا اللهم الا ان يدعى المغايرة بين الفروج والابواب وفي قوله فوقهم مزيد تقريع لهم ونداء عليهم بسمات العبادة ومنها مد الارضين اي دحوها و منها خلق الجبال الرواسي ومنها خلق اصناف النبات مما يبتهج به ويروق الناظر بخضرته ونضرته كل ذلك لتبصر به وتذكر من يرجع الى ربه وتفكر في بدايع المخلوقات ويرتقي الى الصانع من المصنوعات ومنها انزال ماء المطر الكثير المنافع المنبت للحبات والحصيد صفة موصوف محذوف اي وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد كالحنطة وغيرها من الاقوات ونحوها والباسقات الطوال في السماء والطلع اول ما يبدو من ثمر النخل والنضيد الذي نضد بعضه فوق بعض والمراد كثرة الطلع وتراكمه المستتبع لكثرة الثمرة شبه باحياء الارض خروج الموتى كما قال في الروم وكذلك تخرجون ثم هددهم باحوال الامم السالفة وقد تقدم قصصهم مرارا واما حديث اصحاب الرس فلم يذكر الا في الفرقان وحديث تبع في الدخان وافرد فرعون وقومه لان المعطوف عليه اقوام فحق وعيد مثل فحق عقاب وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم دل على الحشر بضرب اخر من البيان وهو ان الذي لم يعي اي لم يعجز عن الخلق الاول بالنسبة اي مخلوق فرض كيف يعجز عن الاعادة واللبس الخلط و الشبهة وتنكير اللبس والخلق الجديد للتعظيم اي لبس عظيم وخلق له شان وحق مثله ان يهتم به ولا يغفل عنه ثم شرع في تقرير بعض الاحوال الانسان الدالة على شمول علم الله سبحانه وعظيم قدرته على بدايته واعادته والوسوسة الصوت الخفي والباء في به للتعدية وما مصدرية اي يعلم جعل نفسه اياه موسوسا والقرب مجاز عن العلم التام كقوله هو معني معقد القائلة ومقعد الازار وما في الابدال على الافراط في القرب لان الوريد جزء من بدن الانسان يريد ان علمه ينفذ في بواطن الاشياء نفوذ الدم في العرق والوريد العرق الحامل للدم سوى الشرايين سمي وريدا لان الروح او الدم يرده والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها يتصلان من الراس يتصلان بالوتين والحبل العرق تشبيها بواحد الحبال والاضافة للبيان كاضافة العام الى الخاص قال جار الله اذ منصوب باقرب والمراد انه اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ما يلفظ به وفيه ان كتبة الملكين لا حاجة اليها العلام الغيوب وانما هي لاغراض اخر كالزام العبد واستحيائه منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك اي عطفك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقى الملكين بيانا للقرب فكانه قيل لا يخفى عليه شيء لان حفظته موكلون به والتلقي التلقف بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس والتقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاختصر والمفاعلة او النسبة الى الملك الاخر واما بالاضافة الى الانسان والعتيد الحاضر قال اكثر المفسرين انهما يكتبان كل شيء انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا الحسنات او السيئات وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وحين حكى انكارهم البعث واحتج عليهم بالادلة الباهرة اخبر عن قرب القيامتين الصغرى والكبرى بان عبر عنهما بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور و سكرات الموت حالة الانزعاجية بالعقل والباء في بالحق للتعدية اي احضرت السكرة حقيقة الامر وجلية الحال من تحقيق وقوع الموت او من سعادات الموت او ضدها كما نطق بها الكتاب والسنة او المراد وجاءت ملتبسة بالغرض الصحيح الذي هو سر

الجزاء على الاعمال ذلك الحق ما كنت منه تحيد اى تميل وتهرب ايها الانسان ولا ريب ان هذا الهرب للفاجر يكون بالحقيقة
وللبر بحسب مقتضى الطبع الا انه اذا افكر في نفسه وما خلق هو لاجله علم ان الموت راحة وخلاص عن عالم الآفات والبليات قوله
ذلك يوم الوعيد اشارة الى النفخ والمضاف محذوف اى وقت النفخ الثانى زمان الوعيد والسائق والشهيد ملكان احدهما
يسوقه الى المحشر او الى الجنة والنار كما قال وسيق والآخر يشهد عليه باعماله ويجوز ان يكون ملكا واحدا جامعا بين الامرين ويجوز
ان يكون الرقيب المذكور والجملة حال من كل لانه لعموم كالمعرفة ثم يقال للانسان لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الامر فكشفنا
عنك بقطع العلائق الحسية ومفارقة النفس الناطقة غطاءك وهو الاشتغال بعالم المحسوسات فبصرك اليوم حديد
عن كليلك متيقظ غير نائم وقال ابن زيد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان
اى كنت قبل الوحى في غفلة من هذا العلم ثم بين ان الشيطان الذى هو قرين لكل فاجر كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا يقول لاهل المحشر او لسائر القرناء قد اعتدت قرينى لجهنم وهيأته لها ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها و
ان جعلتها موصولة فعتيد بدل او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف ويحتمل ان يقول الشيطان لقرينه هذا البلاء الذى لديك بما
اعددت ثم القيا خطاب من الله للملكين السائق والشهيد او للواحد على عادة العرب خليلى وقفا وذلك ان اكثر الرفقاء يكون
الثلثة وقال المبرد التثنية للتاكيد كانه قيل الق الق ثم نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لاتحادهما ويجوز ان يكون
الالف بدلا من نون التاكيد الخفيفة اجرى الوصل مجرى الوقف يؤيده قراءة الحسن القين عنيد ذى عناد ومعاندة مناع للخير
الخير ان يصل الى اهله قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بنى اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم في الاسلام
لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم مريب مشكك او شاك في دين الله قوله قال قرينه جاء على طريق الاستيناف بخلاف
ما تقدم فانه جاء على طريق العطف كان قرينه وهو الفاجر قال يا رب انه اطغانى فاجاب القرين وهو الشيطان ربنا ما اطغيته
ما اوقعته في الطغيان ولكن كان في الازل في ضلال بعيد وقالت المعتزلة ولكنه اختار الضلالة على الهدى ثم ذكر كلاما
آخر مستانفا كان سائلا سأل فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا وهذا هو الذى دل على انه ثمة مقاولة من الكافر لكنها
طويت لدلالة الاختصام عليها والمعنى لا تختصموا في موقف الحساب والحال انى قد قدمت اليكم وفيه ان اختصامهم
كان يجب ان يكون قبل ذلك في الدنيا كما قال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والباء في بالوعيد اما مزيدة او للتعدية
على ان قدم بمعنى تقدم او هو حال والمفعول جملة قوله وقد قدمت حال من ضمير لا تختصموا فاجتماعهما في زمان واحد
واجب وليس كذلك لان التقديم في الدنيا والاختصام في الآخرة قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم انى قدمت اليكم
بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة واقول لا حاجة الى هذا التكليف والسؤال ساقط بدونه لان معنى الماضى ثابت في كل
حال غير تجدد وقوله لدى اما ان يتعلق بالقول الذى هو لدى يعنى القيا في جهنم او كملان جهنم او الحكم الازلى بالسعادة و
الشقاوة واما ان يتعلق بقوله ما يبدل اى لا يقع التبديل عندى والمعانى كما مرت ويجوز ان يراد لا يكذب الذى ولا يفترى
بين يدى فانى عالم بمن طغى وبمن اطغى ويحتمل ان يراد لا تبديل الكفر بالايمان فان ايمان الياس غير مقبول فهو لكم ربنا والمعنا لا ننفذ
يوم نقول منصوب بظلام او باذكر قال اهل المعانى سؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذى يقصد به تقرير المعنى في
النفس وقوله هل من مزيد اى من زيادة او هو اسم مفعول كالمبيع لبيان استكثار الداخلين كما ان يضرب عمرو ضربا مبرحا و
شتمه شتما فاحشا فيقول المضروب هل بقى شىء آخر يدل عليه قوله سبحانه لاملأن جهنم فلا بد ان يحصل الامتلاء فكيف
يبقى في جهنم موضع خال حتى يطلب المزيد ويحتمل انها تطلب الزيادة بعد امتلائها غيظا على العصاة وتضييق المكان
عليهم او لعل هذا الكلام يقع قبل ادخال الكل وفيه لطيفة وهى ان جهنم تغيظ على الكفار فتطلبهم ثم يبقى فيها موضع
لعصاة المسلمين فيطلب الامتلاء من الكفار كيلا ينقص ايمان العاصى حرها فاذا ادخل العصاة النار سكن غيضها وسكت
غضبها وعند هذا يصح ما ورد في الاخبار ان جهنم يطلب الزيادة حتى يضع الجبار فيها قدمه والمؤمن جبار متكبر على
ما سوى الله ذليل متواضع لله خلقا فيسكنون قصور الجنة قلت لا ريب ان جهنم الحرص والشهوة والغضب لا تفنى
ولا تسكن ولا ينتهى الحد معلوم بل يقول دائما بلسان الحال هل من مزيد الا ان يفيض الله سبحانه عليها من سجال عنايته
ورحمته ليتنبه صاحبها ويشتهى المفضول ويقف على حد معين ويقنع بما تيسر وكذا الترقى في مدارج الكمالات ليس
منتهى الحد معلوم الا اذا استغرق في بحر العرفان وكان هنالك ما كان كما قال وازلفت الجنة اى قربت للمتقين يحتمل ان يكون
الواو للاستيناف وان يكون للعطف على يقول والمضى لتحقيق الوقوع المستدعى لمزيد البيان ولم يكن المتقدون مذكورين
في الاية المتقدمة فلم يحتج الى تحقيق الانذار وقوله غير بعيد نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد منهم او على الحال وتذكيره

مع تأنيث ذى الحال كما مر في قوله ان رحمة الله قريب انه على زنة المصادر كالزئير والصهيل او هو على حذف الموصوف اى
شيئا غير بعيد قال جار الله معناه التوكيد كما يقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل ازيل ذلك الوهم وهكذا في كل تأكيد
فمعنى الاية ان الجنة قريب منهم بكل الوجوه وجميع المقامات وقال آخرون انه صفة مصدر محذوف اى ازلافا غير بعيد
عن قدرتنا وذلك ان المكان لا يقرب وانما تقرب منه فذكر الله سبحانه ان ازلاف المكان ليس ببعيد عن قدرتنا لطى المسافة
او غير ذلك ويحتمل ان يقال الازلاف يعنى قرب الحصول كمن يطلب من الملك امرا خطيرا فيقول الملك بعيد عن ذلك او قريب منه
ولا ريب ان الجنة بعيد الحصول للمكلف لولا فضل الله ورحمته ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة الا
بفضل الله فقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته وقوله غير بعيد يراد به القرب المكانى كانه
تعالى ينقل الجنة من السماء الى الارض فيحصل فيها المؤمن ومما سنح لهذا الضعيف وقت كتبته تفسير هذه الاية ان
الشىء ربما يقرب من شخص ولكن لا يوهب منه ولا يملكه ولكن لا يكون قريبا منه فذكر الله سبحانه في الاية ان الجنة
تقرب لاجل المتقين غير بعيد الحصول لهم بل كما قربت دخلوها وحصلوا فيها لا كما قيل على ان قرب الدار ليس بنافع اذا كان من
اهواه ليس بذى عهد وفي المثل البعيد القريب البعيد وذلك لانهم حصلوا استعداد دخول الجنة وهو التقوى بخلاف
الفاجر فانه لا ينفعه القرب من الجنة لان ملكاته الذميمة تحول بينه وبينها ولكنه ان يشبه حالهما بحال الكبريت الحيد
والحطب الرطب اذا قربا من الجمر ولك ان تعتبر هذه الحالة في الدنيا فان اهل الضلال وارباب النفوس المطمئنة يقبلون
بل يستقبلون كل خير يعرض عليهم واهل الشقاء واصحاب النفوس الامارة يكون حالهم بالعكس يعرضون عن الخيرات والكمالات
وبالفوز السرور واللذات الزائلات وجاء آخر وهو ان الجنة قريب لهم حال كون كل واحد منهم غير بعيد عن لقاء الله و
رضائه وفيه ان المتقين هم اهل الله وخاصته ليسوا ممن شغلوا بالجنة عن الاستغراق في لجة العرفان بل لهم مع النعيم
المقيم لقاء الرب الكريم قوله هذا على اضمار قائل هذا ما توعدون قال جار الله انه جملة معترضة وقوله لكل اواب حفيظ بدل من قوله
للمتقين قلت ولو جعل خبرا ثانيا لهذا لم يبعد والمشار اليه الثواب والازلاف والاواب الرجاع الى الله بالاعراض عما سواه
والحفيظ الحافظ لحدود الله او للاوقات عمره اولما يجده من المقامات والاحوال فلا ينقص على عقبيه فيصير حينئذ
مريدا للطريقة قوله من خشى وتعتره وجوه اعرابه في الوقوف ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الى وحذف
حرف النداء للقرب والتحبب وقرن بالخشية اسمه الدال على وفور الرحمة للثناء على الخاشى من الخشية او لان جهة خشيته مع علمه
بسعة جوده ورحمته ومن جهة الخشية مع الغيب وقد مر مرارا وقد يقال انها الخشية في الخلوة حيث لا يراه احد قال اهل
الاشتقاق ان تركيب خ ش ى يلزمها الهيبة ومنه الشيخ للسيد والكبير السن وتركيب الخوف يدل على الضعف ومنه الخف
فكل موضع ذكر فيه الخشية اريد بها معنى عظمة المخشى منه وكل موضع ذكر فيه الخوف فان اريد به ضعف الخائف كقوله
يخافون ربهم من فوقهم او ضعف المخوف منه كقوله لا تخف ولا تحزن يريد انه لا عظمة لهم وقال انا نخاف من ربنا يوما فلان
عظمة اليوم بالنسبة الى عظمة الله هينة ووصف القلب بالمنيب باعتبار صاحبه او لان الانابة المعتبرة وهى الرجوع الى الله
بالقلب لا اللسان والجوارح ادخلوها بسلام اى سالمين من الآفات او مع سلام من الله وملائكته ذلك اشارة الى قوله
يوم يقولوا اى ذلك اليوم يوم تقدير الخلود في النار او في الجنة ويجوز ان يكون اشارة الى الوقت الاول اى حين يقال لهم
ادخلوها هو وقت تقدير الخلود في الجنة يؤيده قوله بعده لهم فيها ما يشاؤن ولدينا مزيد مما لا يخطر ببال احد ويجوز
ان يراد به الذى ذكر في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة يروى ان السحاب تمر باهل الجنة فيمطر عليهم الحور فيقول الحور انا
المزيد الذى قال الله تعالى ولدينا مزيد ثم عاد الى التهديد بوجه اجمل واكمل قائلا وكم اهلكنا الاية ومعنى الفاء في قوله فنقبوا الشيب
عما قبله كقولك وهو اقوى من زيد فتغلبه اى شد بطشهم اقدرتهم على التقلب واورثهم ذلك سارا في اقطار الارض وسائلوا
هل من محيص اى مهرب من الموت او من عذاب الله يعلموا ان لا مفر ان في ذلك الذى ذكر من اول السورة الى ههنا او من حديث
النار والجنة او من اهلاك الامم الخالية لذكرى لمن كان له قلب واع فان الغافل في حكم عديم القلب والقاء السمع الاصغاء
الى الكلام وفي قوله وهو شهيد اشارة الى ان مجرد الاصغاء لا يفيد ما لم يكن المصغى حاضرا بفطنته وذهنه وفي الاية
ترتيب حسن لانه كان اذا اطلت ذكى يستخرج المعانى بتدبره وفكره فذاك والا فلا بد ان يكون مستمعا مصغيا الى كلام المنذر ليحصل
التذكير قال المفسرون ان اليهود قالت ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم
السبت واستلقى على العرش فرد الله عليهم بقوله ولقد خلقنا الى قوله وما مسنا من لغوب اى اعياء ثم سلى رسوله فامره بالصبر
على اذى الكفار وفيه لطيفة وهى ان الله تعالى مع كمال قدرته واستغنائه صبر على اذى الجهلة الذين نسبوا الى اللغوب والاحتياج

الى الاستراحه فكيف لا يصبر رسوله على ايذا امته بل كيف لا يصبر احدنا على ادنى امثالنا وخاصه ان كانوا مسلطين علينا اللهم
لا تكلنا الى انفسنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا وادفع عنا بفضلك شر كل ذي شر وادعوناه فاعوناه وقد سبق نظير الاية في اخر
طاها ودلالتها على الصلوات الخمس ظاهره وادبار السجود عقاب الصلوات فان السجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة والاظهر
انه الادعيه والاذكار المشتمله على تنزيه الله وتقديسه وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن ابن عباس هو الوتر بعد العشاء ومن
قرا بكسر الهمزة اراد انقضاء الصلوة واتمامها وهو مصدر يقع موقع الظرف اى وقت انقضاء السجود كقولهم اتيتك خفوق النجم قال
اهل النظر ان النبي صلى الله عليه وسلم له شغلان احدهما عبادة الله والثاني هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل
له اصبر واقبل على شغلك الاخر وهو العباده ثم بين غاية التسبيح بقوله واستمع يعني اشتغل بتنزيه الله وانتظر المنادي كقوله
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ومفعول استمع متروك اى كن مستمعا لما اخبرك من احوال القيمه ولا تكن مثل هؤلاء المعرضين
قال جار الله وفي ترك المفعول وتقديم الامر بالاستماع تعظيم لشان المخبر والمحدث عنه كما روى ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب يوم ينادي بما دل عليه ذلك يوم
الخروج اى ينادي يخرجون من القبور والمنادي قيل الله كقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي احشروا الذين ظلموا ازواجهم
والاظهر انه اسرافيل صاحب الصيحه ينفخ في الصور فينادي ايتها العظام الباليه والاوصال المتقطعه واللحوم المتمزقه
والشعور المتفرقه ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر فيه المكان القريب صخرة
بيت المقدس يقال انها اقرب الى السماء باثني عشر ميلا وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة
ايتها العظام الباليه وهذا يويد القول بان المنادي هو الله لقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد والصيحه الثانيه كما قال
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع وقوله بالحق يتعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء اى بسبب الحق الذى هو البعث ويجوز
ان يتعلق بالسماع اى يسمعونها باليقين وقيل الباء للقسم اى بالله الحق قوله سراعا حال من المجرور اى تتكشف عنهم مسرعين ذلك
الشق والحشر علينا يسير لا على غيرنا وهو رد على قولهم ذلك رجع بعيد نحن اعلم بما يقولون اى من المطاعن والانكار وفيه تهديد
لهم وتسليه للنبي صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار اى بمسلط حتى تقسرهم على الايمان وانما انت داع ولعل في تقديم الظرف
اشارة الى تركه التسلط على المؤمنين ولهذا وقع ايمانهم وهذا مما تقوى ظرف المخبر وقيل اراد انك رؤوف رحيم بهم لست
فظا غليظا والاول اقوى بدليل قوله فذكر اى انت اخر اى اترك هؤلاء وقيل على دعوة من ينتفع بتذكيرك والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا ● فالحاملات وقرا ● فالجاريات يسرا ●
فالمقسمات امرا ● انما توعدون لصادق ● وان الدين لواقع ●
والسماء ذات الحبك ● انكم لفي قول مختلف ● يؤفك عنه
من افك ● قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسئلون
ايان يوم الدين ● يوم هم على النار يفتنون ● ذوقوا فتنتكم ●

هذا الذي كنتم به تستعجلون ● ان المتقين في جنات وعيون
اخذين ما اتيهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ●
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ● وبالاسحار هم يستغفرون
وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ● وفي الارض ايات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون ● وفي السماء رزقكم وما
توعدون ● فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين ● اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ● فراغ الى اهله فجاء
بعجل سمين ● فقربه اليهم قال الا تاكلون ● فاوجس منهم
خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ● فاقبلت امراته
في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك
قال ربك انه هو الحكيم العليم ● قال فما خطبكم ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ● لنرسل عليهم حجارة من طين
مسومة عند ربك للمسرفين ● فاخرجنا من كان فيها من
المؤمنين ● فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا
فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين ● فتولى بركنه وقال ساحر
او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم ●
وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ● ما تذر من شيء اتت عليه



الا جعلته كالرميم ● وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون
فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ● وقوم نوح من
قبل انهم كانوا قوما فاسقين ● والسماء بنيناها بايد وانا
لموسعون ● والارض فرشناها فنعم الماهدون ● ومن كل
شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ● ففروا الى الله اني
لكم منه نذير مبين ● ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم
منه نذير مبين ● كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون ● اتواصوا به بل هم قوم طاغون
فتول عنهم فما انت بملوم ● وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين ● وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ● ما اريد منهم
من رزق وما اريد ان يطعمون ● ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين
فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون

القراءة والذاريات ذروا بادغام التاء في الذال حمزة وابو عمرو ومثل ما بالضم حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص الباقون مثل بالفتح على البناء لاضافته الى غير متمكن او على انه نعت حقا مثل نطقكم سلم بكسر السين وسكون اللام حمزة وعلي و المفضل الصعقة بسكون العين بلا الف علي وقوم نوح بالجر ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف **الوقوف** ذروا وقرا يسرا امرا لصادق لواقع الحبك مختلف افك الخرصون ساهون لان سالون يتصله يوم صلة الذين بناء على ان عامل يوم مستقر اي يقال لهم ذوقوا يفتنون فتنتكم تستعجلون وعيون ربهم محسنين يهجعون يستغفرون والمحروم للموقنين للعطف افلا تبصرون توعدون ينطقون المكرمين لان عامل اذ محذوف وهو اذكر ولو وصل لاوهم انه ظرف للاتيان سلاما سلام كالخلف مع اتحاد العامل اي انتم قوم منكرون سمين للعطف تاكلون للابتداء مع العطف خيفة لاتخف عليم عقيم كذلك لا للتعلق بما بعده ربك العليم الجزء السابع والعشرون المرسلون مجرمين طين للمسرفين المؤمنين للاية مع العطف بالفاء واتصال المعنى المسلمين لذلك الاليم لتناهي القصة وحكم العربية الوصل للعطف على قوله وفي الارض ايات مبين مجنون مليم كالامر العقيم لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال اي حين ذكرنا كالرميم حين ينظرون منتصرين على القرائتين فيما بعده للعطف اي في قوم نوح او واخذنا قوم نوح فالوقف قبل فاسقين لموسعون الماهدون تذكرون الى الله مبين للاية مع العطف اخر مبين او مجنون

اتواصوا به لان بل للاضراب معنى مع العطف لفظا طاغون علوم للاية مع اتفاق الجملتين المؤمنين ليعبدون يطعمون المتين يستعجلون يوعدون **التفسير** لما بين لاجل الشؤون انهم بعد ايراد البراهين الساطعة عليهم مصرون على انكار الحشر وبهذا سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار لم يبق الا توكيد الدعوى بالايمان فكذلك افتتح بذلك الشعن علي كرم الله وجهه انه قال على المنبر سلوني قبل ان تسلوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح وقد مر في الكهف في قوله تذروه الرياح قال والحاملات وقرا قال السحاب لانها تحمل المطر وانما لم يقل اوقارا باعتبار جنس المطر وهو واحد قال والجاريات يسرا قال الفلك والمراد جريا ذا يسر قال فالمقسمات امرا قال الملائكة لانها تقسم الامور عن الامطار والارزاق وغيرها او يفعل التقسيم مامورة بذلك فيكون مصدرا في موضع الحال ومعنى الفاء فيها ظاهر لانه تعالى اقسم بالرياح فالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها كان ماء البحر اومدده من السحاب فلذلك اخرها اقسم بالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر وقيل ان الاوصاف الاربعة كلها للرياح لانها تذرو التراب وغيره اولا ثم تنشئ السحاب وتحمله ولا ريب ان السحاب يثقل ولا سيما اذا كان فيه مطر ثم يجري اعني الريح في الجو حرا سهلا في نفسها اي لا تصعب عليها الجري او بالنسبة الينا بخلاف المرصفي والعاصف نحوها فيبسط السحاب في السماء ثم يقسم الامطار في الاقطار بتصريف الرياح للسحاب وقد روعي في ذكر هذه الاوصاف لطيفة فان الحشر يستبعد مكانه بها لان اجزاء المكلف ان كان في الارض فبين الريح بينها بالذرو وان كانت في الجو فحملها بالفعل وان كانت في البحر فخرجها بان السحاب منها او الذي قدر على اجراء السفن في البحار يقدر على اخراج تلك الاجزاء منها الى البر وبعد ذلك تقسم الملائكة ارواح الخلائق على اجسادها باذن الله وقيل المقسمات الكواكب السبعة وجواب القسم انما توعدون وما مصدرية او موصولة لصادق في نفسه كما يقال عيشة راضية اي ذو صدق كعيشة راضية ثم صرح بالموعود قائلا وان الدين اي الجزاء لواقع اي حاصل وحين اقسم على صدق موعوده اقسم على صدد جهلهم وعنادهم والحبك الطرائق الرمل والماء اذا ضربته الريح ويقال ان خلقة السماء كذلك او حدها حياك وقال الحسن حبكها نجومها لانها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صوانها واحكامها يقال للثوب الصفيق ما احسن حبكه وعلى القول الاول يكون بين القسم والمقسم عليه مناسبة لان القول المختلف له ايضا طرائق قال الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا وانما هو متناقض مختلف ولهذا قالوا للرسول ساحر شاعر مجنون والقران مثل ذلك وعن قتادة اراد منكم مصدق ومكذب مقر ومنكر والضمير في يؤفك عنه للقران او للنبي اي يصرف عنه من صرف الذي لا صرف بعده لانه غاية ونهاية ويمكن ان يقال يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف بعده لانه غاية ونهاية ويمكن ان يقال يصرف في سابق علم الله ويجوز ان يكون الضمير للموعود اقسم بالذاريات وغيرها ان وقوعه حق ثم اقسم بالسماء انهم مختلفون في وقوعه يؤفك عن الاقرار به من هو عديم الاستعداد مغمور في الجهل والعناد وجوز جار الله ان يرجع الضمير الى قول مختلف ويكون عن كما في قوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب كثرة الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عن الاكل والشرب وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف ثم عاد عليهم بقوله قتل الخراصون اي الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم المعهودون واعم فيشملهم شمولا اوليا ولا يراد بهذا الدعاء وقوع القتل بعينه بل اللعن وما يوجب الهلاك باي وجه كان وقد لا يراد الا تقبيح حال المدعو كقوله قتل الانسان ما اكفره والغمرة كل ما يغمر الانسان اي انهم في جهل غمرهم غافلون عما امروا به ايان يوم الدين اي متى وقوعه ثم اجاب بقوله يوم هم اي يقع في ذلك اليوم ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون ثم وبخهم وتهكم بهم قائلا ذوقوا الى اخره وحين حكى الحال العاجز السعي اراد ان يبين حال المؤمن المتقي فقال ان المتقين في جنات وعيون اي في جنات فيها عيون حال كونهم اخذين ما اتيهم ربهم قال جار الله اي قابلين لكل ما اعطاهم راضين به لا يكن تاخذ شيئا على سخط وكراهيته وقال غيره اراد انهم يأخذون شيئا فشيئا ولا يستوفون ذلك بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية له وقيل الاخذ بمعنى التملك يقال لكم اخذت هذا كانهم اشتروها بانفسهم واموالهم واقول ان فيض الله تعالى لا ينقطع اصلا وانما يصل الى كل مكلف بقدر ما استعد له فكلما ازداد قبولا ازداد تاثرا من الفيض فالاخذ في هذا المقام لعله اشارة الى كمال التوجه للفيوض الالهية وذلك لما اسلفوا من حسن العبادة ونور الطاعة ولهذا علله بقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي في الدنيا نظيره عليهم

بعد قطع التعلق ثار الاحسان ونتيجته وقوله ما اتيهم على المضي لتحقيق الايتاء مثل ونادى وسيق وقال اهل العرفان
ما اتاهم في الازل ياخذون نتائجه في الابد ثم فسر احسانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ما صلة اي كانوا ينامون في
طائفة قليلة من الليل ويهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة وارتفع ما مع الفعل على انه فاعل
قليلا اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او الذي يهجعون فيه وفيه اصناف المبالغة من جهة لفظ الهجوع وهو النوم
اليسير ومن جهة لفظ القلة ومن جهة التقييد بالليل لانه وقت الاستراحة فقلة النوم فيه اغرب منها في النهار
ومن جهة ما الزيدة على قول ولا يجوز ان يكون ما نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وصفهم بانهم يحيون اكثر الليل
متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم باتوا في معصية الملك الجبار وهذه سيرة الكريم ياتي بما بلغ وجهه الكرم
ثم يستقله ويعتذر واللئيم بالعكس ياتي باقل شيء ثم يمن به ويستكثره ومثله المطيع ياتي بالغاية بمجهوده من الخدمة ثم
يبيت نفسه الى التقصير فيستغفر ويمكن ان يقال انهم يستغفرون من الهجوع كانهم ارادوا ان يقوموا على احيا الليل كله
ويجوز ان يكون الاستغفار بمعنى الصلوة لقوله بعده في اموالهم حق فيكون كقوله يقيمون الصلوة ويوتون
الزكوة وجرا عرب وهو ان يكون السين في استغفر مثله في استحصد الزرع اي حان ان يحصد فكان وقت السحر
هو اوان حصول المغفرة لهم قال جار الله في قوله هم يستغفرون اشار الى انهم هم المستغفرون الاحقا بالاستغفار
دون المصرين وقيل الضمير لدفع وهم من نطق ان التقدير وبالاسحار قليلا يستغفرون على قياس الفعل السابق وحيث
ذكر عدهم في التعظيم لامر الله اردفه بذكر شفقتهم على خلق الله والمشهور في الحق ان القدر الذي علم اخراجه من
المال شرعا وهو الزكوة فسئل انه على هذا لم يكن صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل كل كافر وذلك اذا قلنا انه مخاطب
بالفروع الا انه اذا اسلم سقط عنه واجيب بان السايل من له الطلب شرعا والمحروم من الحرمة وهو الذي
منع الطلب فكانه قيل في اموالهم حق في اعتقادهم وسيرتهم كانهم اوجبوا على انفسهم ان يعطوا من المال
حقا معلوما وان لم يوجبه الشرع وفي السايل والمحروم وجوه احدها ما مر الثاني السايل وهو الناطق
والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوان المحترم كما قال صلى الله عليه وسلم لكل كبد اجر الثالث وهو الاظهر
ان السايل هو الذي يتحدى والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة ويتعففه قال صلى الله عليه
وسلم ليس المسكين برده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق
عليه وتقديم السايل على ترتيب الواقع لانه يعرف حاله بمقاله فيسد خلته واما المحروم فلا يتنبه في
صاحبه الا بعد الاستكشاف والبحث وقيل المحروم الذي لا ينمى له مال وقيل هو المنقوص الحظ الذي
لا يكاد يكسب ثم اكد وقوع الدلالة على قدرته بقوله وفي الارض ايات ومن اياته انك ترى الارض خاشعة
الى قوله ان الذي احياها لمحيي الموتى ومن عجايب الارض ما هي في جرمها من الاستدارة والالوان المختلفة
وطبقاتها المتباينة ومنها ما هي عليها وفيها من الجبال والمواليد الثلثة ومنها ما هي واردة عليها
من فوقها كالمطر وغيره وخص الايات الارضية بالذكر لقربها من الحواس وخص كونها ايات بالموقنين
لانهم هم المنتفعون بذلك ومن لم يتامل في المصنوعات لم يرد بعينه بالصانع ثم استدل بالانفس فقال
وفي انفسكم ايات وذلك ان الانسان عالم صغير فيه مشابه من العالم الكبير وقد مر تقرير ذلك مرارا وقيل
هي الارواح اي وفي نفوسكم التي بها حيوتكم ايات قال اهل النظم هذه الاية موكدة لما قبلها فان من وقف
على هذه الايات الباهرة تبين له جلال الله وعظمته فيتقيه ويعبده ويستغفر من تقصيره ولا يهجع الا
قليلا وهكذا من عرف ان رزقه في السماء لم يبخل بماله ويعطيه السايل والمحروم عن الحسن انه كان اذا راى
السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم يعني المطر وبينكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون هي الجنة فوق
السماء السابعة وتحت العرش وقيل رزقكم في الدنيا وما توعدونه في العقبى كلها مقدر مكتوب في السماء
ثم اشير من الاخبار السالفة من اول السورة الى ههنا حقية القران او النبي او الموعود واقسم عليه برب
السماء والارض ترقيا من الادنى وهي المربوبات كالذاريات وغيرها الى الرب تعالى وما مر بيانه بنص الخليل حكا
جار الله يقال في الامر الظاهر غاية الظهور ان هذا الحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا قال الاصمعي اقبلت
من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من بني اصمع فقال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه
كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته ونحرها

ووزعها على الناس وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف
بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الاية صاح وقال
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان
الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاوه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت معها نفسه ثم
سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقصة ابرهيم وقد مرت في هود والحجر وفي قوله اتيك تفخيم لشان الحديث والضيف
واحد وجمع المكرمون اما باعتبار الكرامة بانهم حتى حدثهم بنفسه وامراته او لانهم اهل الاكرام عند الله كقوله
بل عباد مكرمون ويجوز ان يكون نصب اذ دخلوا بالمكرمين اذا فسر باكرام ابرهيم او بما في ضيف من معنى الفعل
قال المفسرون انكر السلام الذي هو علم الاسلام او اراد ليعرف حالهم لانهم لم يكونوا من معارفه فراغ الى اهله
فذهب اليهم في خفية من ضيوفه وهو نوع ادب للمضيف كيلا يستحيوا منه ولا يبادروا بالاعتذار والمنع
من الضيافة وفي قوله فقربه اليهم دلالة على ان نقل الطعام الى الضيف اولى من العكس لئلا تتشوش المكان عليهم
قال الا تاكلون سلوك لطريقة الاستيناف ولهذا عطف حذف الفاء خلاف ما في الصافات وقدموا الاستفهام
لانكار ترك الاكل والحث عليه فاوجس فاضمر وقد تقدم سائر الابحاث في هود وفي الصافات واعلم انه سبحانه
ذكر في هود لانه لما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وقال ههنا سلام قوم منكرون ولا تنافي بين الحديثين لانه
انكرهم اولا بالسلام الذي لم يكن من عادة تلك الشريعة ثم زاد انكاره حين راوهم لا ياكلون الطعام فذكر احد الانكارين
في تلك السورة والاخر في هذه قوله فاقبلت امراته في صرة اي في صيحة ومنه صرير القلم قال الحسن كانت في
زاوية تنظر اليهم فوجدت حرارة الدم فاقبلت الى بيتها صارت فلطمت وجهها من الحياء والتعجب كعادة النسوان
وقالت انا عجوز فاجابت الملائكة كذلك اي مثل ذلك الذي قلت واخبرنا به قال ربك فلا تستبعدي وروي ان
جبرئيل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا اجذوعه مورقة مثمرة وحين احس ابرهيم صلوات الرحمن
عليه بانهم ملائكة قال فما خطبكم شانكم وطلبكم فاجابوا بانهم ارسلوا الى قوم لوط يرسلوا عليهم السجيل كما قصصنا
في هود والضمير في قوله فيها للقرية وان لم يجر لها ذكر لانه معلوم قالت المعتزلة في الاية دلالة على
الايمان والاسلام واحد وقال غيرهم المسلم اعم من المومن واطلاق العام الى الخاص مما لا منع فيه لا يدل
على اتحادهما وهذا كقول القايل من في البيت من الناس فيقول له في البيت من الحيوان احد غير زيد فيكون
مجيبا له بخلو البيت من كل انسان غير زيد قوله وتركنا فيها اية كقوله في العنكبوت ولقد تركنا منها اية بينة
اي علامة يعتبر بها الخايفون دون القاسية قلوبهم وهي الحجارة المسومة او ماء اسود قوله وفي موسى قيل
الاقرب ان يكون معطوفا على قوله وتركنا فيها اي وجعلنا في موسى اية قال جار الله هو كقول من قال علفتها تبنا
وماء باردا ويمكن ان يقال ان قصة موسى ايضا اية متروكة باقية على وجه الدهر فلا حاجة الى هذا التكليف
قوله فتولى بركنه كقوله ونأى بجانبه وقيل الباء للمصاحبة والركن القوم اي فاز واعرض مع من كان يتقوى
به من جنوده وملكه وقيل ركنه هامان وزيره قال العلماء وصفه فرعون بالمليم مع انه وصف يونس النبي
به كما مر في الصافات لا يوجب اشتراكهما في استحقاق الملامة لان موجبات اللوم تختلف فراكب الكبيرة ملوم
على قدرها ومقترف للصغيرة ملوم بحسبها قوله العقيم ريح لا اجر فيها من انشاء مطر والقاح شجر والرميم ما رم و
تفتت قال في الكشاف تمتعوا حتى حين تفسيره في قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام قلت هذا سهو منه فان قوله
فعتوا عن امر ربهم لا يطابقه اذا العتو لم يترتب على هذا الامر لحصوله قبله وانما الصواب ان يكون التمتع المامور به
في هذه الاية هو الذي في قصة قوم يونس فامنوا فمتعناهم الى حين فكان قوم ثمود امروا ان يومنوا كي يمهلوا
الى انقضاء اجالهم الطبيعية والامر امر تكليف لا تكوين فعتوا عن امر ربهم بالاصرار على كفرهم فقيل على سبيل التكوين
تمتعوا في داركم ثلثة ايام فما استطاعوا من قيام عبارة عن جثومهم كما مر مرارا وما كانوا منتصرين ممتنعين من
العذاب وقصة نوح واضحة وقد مر اعرابه في الوقوف ثم عاد الى دلايل القدرة فقال والسماء بنيناها بايد
في لفظ البنا اشارة الى كونها محكمة البنيان وفي قوله بايد اي بقوة تاكيد لذلك وفي قوله لموسعون من الوسع الطاقة
وللوسع القوي على الانفاق ومنه قال الحسن انا لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينه وبين الارض سعة وانما
اطلق الفرش على الارض ولم يطلق البنا لانها محل التغيرات كالبساط يفرش ويطوى ومن كل شيء من الحيوان

خلقنا زوجين ذكر وانثى وعدد الحسن اشياء كالسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر
والموت والحيوة وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له ونديد ورد في الخلدان الاية اشارة الى
ان كل ما سوى الله تعالى فانه مركب نوع تركيب لا اقل من الزوج والامكان او الجنس والفصل والمادة والصورة
لذلك قال لعلكم تذكرون اى اراده ترقيكم من المركب الى البسيط ومن الممكن الى الواجب ومن المصنوع الى
الصانع واذا عرفتم الله ففروا الى الله اى التجئوا اليه ولا تعبدوا غيره امرهم بالاقبال عليه والاعراض عما سواه وكرر
قوله انى لكم نذير مبين للتاكيد وبعد توضيح البيانات وذكر القصص وتقرير الدلائل سلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله كذلك اى الامر مثل الذى تقرر من تكذيب الرسل واصرار الكفرة على الانكار والسب ثم قرر ما اجمله بقوله
ما اتى الى اخره وقوله اتواصوا به استفهام على سبيل التعجب من تطابق ارائهم على تكذيب انبيائهم ثم اضرب عن
ذلك لان تطابق المتقدم والمتاخر على امر واحد غير ممكن فنبه على حقيقة الحال قائلا بل هم قوم طاغون يعنى
ان اشتراك علة التكذيب وهو الطغيان اشتراكهم في المعلول فتول عنهم بعد التبليغ فما انت بملوم
على اعراضك عنهم لانك قد بذلت مجهودك واستفرغت وسعك وذكر مع ذلك فان الذكرى تنفع المؤمنين
اراد ان الاعراض طائفه معلومه لعدم قابليتهم لا يوجب ترك الدعوة العامه ثم بين الغايه من خلق
الثقلين وهى العباده وللمعتزله فيه دليل ظاهر على ان افعال الله معلله لغرض واول بعض اهل
السنه العبادة بالمعرفة ولا خلاص له في ذلك فان المعرفه ايضا غاية صحيحه وانما الخلاص عن
الاشكال بما سلف لنا مرارا ان استتباع الغايه لا يوجب كون الفعل معللا بها واذا لم يكن الفعل معللا بذلك
فقد يكون الفعل ويتخلف الغاية لمانع كعدم قابليته ونحوه ثم ذكر انه خلقهم ليعبدوه لا لينفعوه عليهم
والمتين الشديد القوة ثم هدد مشركى مكه واضرابهم بقوله فان للذين ظلموا ذنوبا اى نصيبا من العذاب مثل
ذنوب اصحابهم المهلكين والذنوب فى الاصل الدلو العظيمه قال اهل البيان هذا تمثيل واصله من تقسيم الماء
يكون لهذا دلو ولهذا دلو واليوم الموعود القيمة او يوم بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور ● وكتاب مسطور ● فى رق منشور ● والبيت
المعمور ● والسقف المرفوع ● والبحر المسجور ● ان عذاب
ربك لواقع ● ماله من دافع ● يوم تمور السماء مورا ● وتسير
الجبال سيرا ● فويل يومئذ للمكذبين ● الذين هم فى
خوض يلعبون ● يوم يدعون الى نار جهنم دعا ● هذه النار
التى كنتم بها تكذبون ● افسحر هذا ام انتم لا تبصرون

اصلوها فاصبروا اولا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم
تعملون ● ان المتقين فى جنات ونعيم ● فاكهين بما اتيهم
ربهم ووقيهم ربهم عذاب الجحيم ● كلوا واشربوا هنيئا
بما كنتم تعملون ● متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم
بحور عين ● والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا
بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شىء كل امرئ
بما كسب رهين ● وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ● ويطوف عليهم
غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون ● واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون ● قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين ● فمن الله
علينا ووقينا عذاب السموم ● انا كنا من قبل ندعوه انه
هو البر الرحيم ● فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن
ولا مجنون ● ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ● ام تامرهم احلامهم
بهذا ام هم قوم طاغون ● ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون
فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ● ام خلقوا من غير
شىء ام هم الخالقون ● ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون
ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ● ام لهم سلم
يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين ● ام له البنات

ولكم البنون ● ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
ام عندهم الغيب فهم يكتبون ● ام يريدون كيدا
فالذين كفروا هم المكيدون ● ام لهم اله غير الله
سبحان الله عما يشركون ● وان يروا كسفا من السماء
ساقطا يقولوا سحاب مركوم ● فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون ● يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا ولا هم ينصرون ● وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك
ولكن اكثرهم لا يعلمون ● واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ● ومن الليل
فسبحه وادبار النجوم **القراءة** فكهين مقصورا يزيد وابتعناهم من باب
الافعال ابو عمرو ذريتهم على التوحيد ومرفوعا ذرياتهم
على الجمع ابو جعفر ونافع وقرا ابو عمرو وعلي والجمع فيهما منصوبا وقرا ابن عامر وسهل ويعقوب على
الجمع ايضا ولكن برفع الاول الباقون على التوحيد فيهما الاول مرفوعا والثاني منصوبا التناهم بكسر
اللام بلا شك ابن كثير لولو بتليين الهمزة الاولى شجاع ويزيد وابو بكر وحماد وحمزة في الوقف كما مر في الحج
انه هو البر بفتح الهمزة ابو جعفر ونافع وعلي اى كنا ندعوه لانه البر المسيطرون بالسين ابن كثير وفي رواية ابن
عامر الاخرون بالصاد وقرا حمزة وفي رواية باشمام الزاي يصعقون مبنيا للمفعول ابن عامر وعاصم وادبار
النجوم بالفتح زيد عن يعقوب **الوقوف** والطور مسطور منشور المعمور المرفوع المسجور لواقع
من دافع مورا سيرا للمكذبين يلعبون دعا لان التقدير يقال لهم هذه النار تكذبون لا تبصرون
تصبروا لاختلاف الجملتين مع اتفاق المعنى عليكم يعملون ونعيم اتهم ربهم لاحتمال العطف والتضاح
وجه الحال اى وقد اتاهم الجحيم يعملون مصفوفه عين شي رهين يشتهون ولا تاثيم مكنون
يتساءلون مشفقين السموم يدعوه لمن قراانه بالكسر الرحيم مجنون لان ام ابتدا استفهام توبيخ المنون
المتربصين لما فلنا طاغون لاحتمال ابتداء الاستفهام والجواب بقوله بل لا يؤمنون للاية مع الفاء صادقين
الخالقون والارض لان بل للاضراب مع العطف لا يوقنون المسيطرون فيه لتناهي الاستفهام مع فاء التعقيب
مبين اليه البنون مثقلون يكتبون كيدا المكيدون والضابط فيما يتقدمه ان كل ما وصل ام فهو الجواب و
ما قطع فهو بمعنى الف الاستفهام غير الله يشركون مركوم يصعقون لان يوم بدل مما يتقدمه تبصرون لا
يعلمون تقوم النجوم **التفسير** لما ختم السورة المتقدمة بوقوع اليوم الموعود اقسم على ذلك بالطور و
هو الجبل الذي مر ذكره مرارا في قصة موسى والكتاب المسطور التوراة ظاهر لانه هو المناسب للطور وقيل
اللوح المحفوظ وقيل صحيفة الاعمال والرق الصحيفة او الجلد الذي يكتب عليه والمنشور خلاف المطوي كقوله
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو القران ونكره لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب والبيت
المعمور الكعبة او الضراح في السماء الرابعة سمي معمورا لكثرة زواره من الحجاج او الملائكة والسقف المرفوع السماء

والبحر المسجور المملوء او الموقد من قوله واذا البحار سجرت وقد سبق في المؤمن في قوله ثم في النار يسجرون وعن جبير بن
مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما
بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب يوم تمور تضطرب وتجي وتذهب وقد يقال المور تحرك
في تموج كحركة الرايح ونحو قلت لاهل التاويل ان يقولوا الطور القوة العقلية وكتاب مسطور هي الجلايا
القدسية والمعارف الالهية الثابتة فيها كالخطوط في الرق والبيت المعمور بيت القلب والسقف المرفوع
الراس والبحر المسجور الدماغ المملوء من الخيالات والاوهام ان عذاب ربك بالحرمان عن انوار الاكرام لازدحام
ظلم الاثام لواقع يوم القيمة الصغرى اذ تمور سماء الارواح قطع العلايق وحيلوله العوايق مورا وتسير جبال
النفوس الحيوانية الامارة التي قد اثقلت ظهر صاحبها لانتهاء سيرانها وانقضاء سلطانها سيرا والدع الدفع العنيف
قال المفسرون ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون الى النار دفعا
على وجوههم وجاء في اقفيتهم والاستفهام في قوله افسحر للتقريع والتهكم والفاء موكدة له اى كنتم تقولون للوحي انه
سحر ايضا سحر ام انتم لا تبصرون هذا المخبر عنه في الاخرة كما كنتم لا تصدقون المخبر عنه في الدنيا وقوله فاصبروا
او لا تصبروا كقوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ثم علل الاستواء بقوله انما تجزون يعني ان الجزاء لا بد من حصوله فلا
مزية للصبر على عدمه قوله ووقاهم معطوف على متعلق في قوله في جنات اى استقروا في جنات ونعيم اى و
جنات ونعيم ووقاهم العذاب ويجوز ان يعطف على اتاهم على ان ما مصدرية اى فاكهين بالايتاء والوقاية
كلوا على ارادة القول اى يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا لا تنغيص فيه وقد مر في اول النساء
وجوز جار الله ان يكون صفة في معنى المصدر القايم مقام الفعل اى هنا كم الاكل والشرب بسبب ما عملتم او
الباء مزيدة اى هنا كم جزاء ما عملتم قوله والذين امنوا ظاهره انه مبتدا خبره الحقنا وقال جار الله هو معطوف
على حور عين اى قرناهم ويجوز بالذين امنوا من رفقائهم وجلسائهم واتبعناهم ذرياتهم كي يجتمع لهم انواع السرور
بملاعبة الحور وبمؤانسة الاخوان المؤمنين باجتماع اولادهم ونسلهم بهم وقوله بايمان اى بسبب ايمان
عظيم رفيع المحل وهو الايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كما
جاء في الحديث ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه ليقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وما
التناهم اى وما نقصنا هم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء ولا بسبب غيرها ولكن وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا تفضلا
واحسانا ثم بين ان الجزاء معتد بالعمل فقال كل امرء بما كسبت رهين اى مرهون قال جار الله كان نفس العبد
رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها و
الا اوبقها وقيل هذا يعود الى الكفار والرهين المرهون الماخوذ المحبوس على امر يؤدي عنه وقيل بمعنى راهن وهو
المقيم اى كل انسان مقيم في جزاء ما تقدم وامددناهم وزدناهم وقتا بعد وقت يتنازعون يتعاطون هم وقرناؤهم
لا لغو فيها اى لا تحدث بباطل في اثناء شربها ونفي اللغو لانتفاء القول الذي هو من نتائجه ولا تاثيم اى لا يفعلون
ما ينسب صاحبه الى الاثم لو فعله في دار التكليف وانما يتكلمون بالكلام الحسن المتعقد وذلك انهم حكماء علماء و
العلماء الغلمان المختصون بهم واللؤلؤ المكنون المستور في الصدف او في الدرج وذلك انه اصفى وارطب
واثمن وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان
فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل
الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون مشفقين ارقاء
القلوب من خشية الله وعذاب السموم النار لانها يدخل المسام ومنه الريح السموم من قبل اى في الدنيا فذكر
فاثبت على ما انت عليه من التذكير والدعوة العامة فما انت بنعمة ربك اى بسبب حمد الله وانعامه عليك بكاهن
كما يزعمون ولا مجنون فلعله كان لهم في رسول الله اقوال فبعضهم ينسبونه الى الكهانة نظرا الى اخباره عن المغيبات
وبعضهم يرمونه بالجنون حيث لا يسمعون منه ما يوافق هواهم ويطابق مرامهم وبعضهم يرون ان تاثير كلامه فيهم
من باب التخييل والاعجاز كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويزعجها
من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سمي شعوب وخلاف
قالوا ننتظر به نوايب الزمان فيهلك كما هلك الشعراء قبله والاحلام العقول وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى

وكون الاحلام امرة مجاز لادايها الى تلك الاقوال الفاسدة وفيه تقريع وتوبيخ اذ لو كان لهم عقل لميزوا بين
الحق والباطل والمعجز وغيره بقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون جحودا وعنادا فقد صح عندهم اعجاز
القران والا فليأتوا بحديث مثله ثم ويحجهم على انكار الصانع بقوله ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون انفسهم و
وقيل خلقوا من اجل لا شئ من جزاء وحساب والاول اقول لقوله ام خلقوا السموات والارض احتج عليهم
بالانفس ثم بالآفاق ثم قال بل لا يوقنون وذلك انه حكى عنهم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله فبين انهم في هذا الاعتراف شاكون اذ لو عرفوه حق معرفته لم يثبتوا له نداء ولم يحيدوا ولمن اختاره للرسالة
كما فحجهم عليه بقوله ام عندهم خزاين ربك حتى يختار والنبوة من اراد وام هم المسيطرون المسلطون الغالبون
حتى يدبروا امر العالم على حسب مشيتهم ام لهم سلم يستمعون الوحي صاعدين فيه الى السماء عالمين بالحق والباطل
فلمن له العاقبة والذم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه ام عندهم الغيب المحفوظ في اللوح فهم يكتبون ما فيه من
احوال المبدا والنبوة والمعاد فيحكمون بحسبها ام يريدون كيدا وهو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار
الندوة وفي غيرها فالذين كفروا اللام لهؤلاء او للجنس فيتناولهم هم المكيدون المغلوبون الذين يعود وبال الكيد
عليهم فقتلوا ببدر واظهر الله دين الاسلام ثم صرح بالمقصود الكلي فوبخهم على اشراكهم ونزه نفسه عن ذلك ثم
اجاب عن بعض مقترحهم وهو قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا والمراد انهم لفرط عنادهم لا تفيد معهم شئ
من الدلايل فلو اسقطنا عليهم قطعة من السماء لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض ومعنى يصعقون
يموتون وذلك عند النفخة الاولى ان كان المراد جميع الكفار او حتف الموت الطبيعي ان كان المراد كل واحد منهم
فعند الموت يظهر لهم امارات العذاب ولا ريب ان الامتداد على التقديرين اقل من الامتداد الى قيام الساعة و
هو اليوم الموعود فلهذا ترك ذكر يخوضوا ويلعبوا في هذه السورة بخلاف ما في اخر الزخرف والمعارج فانه احتيج
فيهما الى زيادة المبالغة والاطناب لكثرة الامتداد وشدة الاهوال والله اعلم بمراده قوله عذابا دون ذلك اي قبل
يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر فاصبر لحكم ربك بامهالهم وتبليغ الرسالة فانك
محفوظ باعيننا وهو مجاز عن الكلاءة التامة والجمع للتعظيم والمبالغة وحين تقوم اي من اي مكان قمت ومن منامك و
ادبار النجوم بالكسر وبها من الليل وهو بالحقيقة للاشي يوذن في ضوء الصبح وبالفتح اعقابها والمعنى مثل ما قلنا
وقيل التسبيح التهجد من الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر امره بالاقبال على طاعته بعد الفراغ عن دعوى الامر فلي له
شان الاحدين

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى ● وماينطق
عن الهوى ● ان هو الا وحى يوحى ● علمه شديد القوى ● ذو مرة
فاستوى ● وهو بالافق الاعلى ● ثم دنا فتدلى ● فكان قاب
قوسين او ادنى ● فاوحى الى عبده ما اوحى ● ما كذب الفؤاد
ما راى ● افتمارونه على ما يرى ● ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة

المنتهى ● عندها جنة الماوى ● اذ يغشى السدرة ما يغشى
ما زاغ البصر وما طغى ● لقد راى من ايات ربه الكبرى ●
افرايتم اللات والعزى ● ومناة الثالثة الاخرى ● الكم
الذكر وله الانثى ● تلك اذا قسمة ضيزى ● ان هى الا اسماء
سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون
الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى
ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى ● وكم من ملك
فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن
يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان
الظن لا يغنى من الحق شيا فاعرض عن من تولى عن ذكرنا و
لم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ولله ما فى السموات وما فى الارض
ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع
المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة
فى بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى
افرايت الذى تولى ● واعطى قليلا واكدى ● اعنده علم الغيب
فهو يرى ● ام لم ينبأ بما فى صحف موسى ● وابرهيم الذى وفى

الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى و
ان سعيه سوف يرى ● ثم يجزاه الجزاء الاوفى ● وان الى
ربك المنتهى ● وانه هو اضحك وابكى ● وانه هو امات واحيى
وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ● من نطفة اذا تمنى
وان عليه النشاة الاخرى ● وانه هو اغنى واقنى ● وانه هو
رب الشعرى ● وانه اهلك عادا الاولى ● وثمود فما
ابقى ● وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى
والمؤتفكة اهوى ● فغشيها ما غشى ● فباى الاء ربك
تتمارى ● هذا نذير من النذر الاولى ● ازفت الازفة ليس
لها من دون الله كاشفة ● افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون
ولا تبكون ● وانتم سامدون ● فاسجدوا لله واعبدوا

القراءة هوى وما برايانه الاماله اللطيفه ابو جعفر وابو عمرو وقرا حمزة وعلى وخلف بالامالة المفرطه كما سبق فى طه ما كذب الفواد بالتشديد يزيد وهشام ما زاغ البصر بالامالة حمزة ونصير ومناة بالمد ابن كثير والشموني افمن ونه ثلاثيا يعقوب وحمزة وعلى وخلف ضيزى بالهمز ابن كثير وفى روايه كبير الاثم على التوحيد حمزة وعلى وخلف والمفضل ابراهام هشام دعا الولى مدغما غير مهموز ابو عمرو ويزيد ويعقوب والبخارى عن ورش وقرا اسمعيل والاصبهانى عن ورش وابو نشيط عن قالون باظهار الغنه غير مهموز وكذلك روى عن ابى عمرو وقلى مذهبهم اذا وقف القارى على عاد ابتدى لولى وان شاء الولى بتخفيف الهمز والاول احسن وقرا قالون غير ابى نشيط بالهمز واظهار الغنه واذا وقف على عاد ابتدى لولى وان شاء الولى الباقون عاد الاولى بالالف قبل اللام وبعد اللام فى الحالين وثمود فى الحالين بغير تنوين حمزة وعاصم غير ابن غالب والبرجمى والمفضل وسهل ويعقوب ربك تمارى بتشديد التاء رويس عن يعقوب **الوقوف** هوى غوى للايه مع العطف على جواب القسم الهوى يوحى لان ما بعده صفة القوى لذلك ذو مرة لتمام الصفه فاستوى لان الواو للحال الاعلى فتدلى لان ما بعده من تمام المقصود او ادنى وان اتفقت الجملتان لان ضمير فاوحى لله لا للنبى ما اوحى ما راى يرى اخرى المنتهى الماوى لان عامل اذ ما زاغ البصر فلا وقف على ما يغشى طغى الكبرى والعزى الاخرى الانثى ضيزى سلطان الانفس لاحتمال الواو الحال والاستيناف الهدى لان ام ابتدا استفهام انكار ما تمنى لتنافى الاستفهام والوصل اولى للفاء واتصال المعنى والاولى ويرضى الانثى علم الا الظن لاختلاف الجملتين شيا لذلك الدنيا من العلم اهتدى والارض الحسنى لان الذين يصلح جرمبتدا وبدلا من الذين احسنوا اللمم المغفرة امهاتكم انفسكم ابقى تولى واكدى يرى موسى وفى اخرى سعى يرى لوقوع العارض

بين المعطوف على ان الا فى المنتهى وابكى واحيا والانثى تمنى لما مر والاخرى واقنى الشعرى الاولى ابقى قبل واطغى لان المؤتفكه منصوب بما بعده اهوى ما غشى لابتداء الاستفهام مع الفاء تتمارى الاولى الازفة للاستيناف والحال كاشفه تعجبون ولا تبكون سامدون واعبدوا واسجدوا **التفسير** لما ختم السورة المتقدمه بالنجوم حض الاقسام فى اول هذه السورة بالنجم واللام فيه للعهد او للجنس والاول قول من انه الثريا وهو اسم غالب لها وصورتها فى السماء كعنقود عنب واظهر كواكبها سبعه وهى المنزل الثالث من منازل القمر قال شعر اذا طلع النجم عشا ابتغى الراعى كسا وذلك لان الشمس يكون فى اوايل العقرب حينئذ فى مقابلتها فيطلع بغروبها وعلى الثانى فيه وجوه احدها نجوم السماء وهويها غروبها وفايده هذا القيد ان النجم اذا كان فى وسط السماء لم يهتد به السارى لانه لا يعلم المغرب من المشرق والجنوب من الشمال فاذا مال الى الافق عرف به هذه الجهات والميل الى افق الغرب اولى بالذكر لان الناظر اليه حينئذ يستدل بغروبه على افوله فى حيز الامكان فيتم له اهتداء الدين مع اهتداء الدنيا وقيل هويها انتثارها يوم القيمه وثانيها النجم هو الذى يرجم به الشياطين وهويها انقضاضها وثالثها النجم النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وهو غايه لسوقه ورابعها النجم احد نجوم القران وقد نزل نجما فى عشرين سنه فيكون كقوله والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وعلى الاقوال الاخر نا لثريا اظهر النجم عند الناظرين واشهر المنازل للسايرين وانها يطلع عشا فى وقت ادراك الثماد والنبى صلى الله عليه تميز من ساير الانبياء بالمعجزات الباهرات ولاسيما القران وانه حين ظهر زال نحس الشكوك وحرارة الحميه الجاهلية وادركت ثمار الحكمة ويرجم به شياطين الانس المضلون لعباد الله فى ارضه وثبت بوجوده اصناف الاغذيه الروحانيه نامله كامله قال جار الله الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد والخطاب لقريش قلت هذا صادق من حيث الاستعمال لقوله قد تبين الرشد لقوله قد تبين الرشد من الغى من يضلل الله فلا هادى له الا انه ينبغى ان يبين الفرق بين الضلال والغوايه والظاهر ان الضلال اعم وهو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغوايه ان لا يكون الى المقصد طريق مستقيم ولهذا لا يقال للمؤمن انه ضال او غير بعيد ويقال له غوى غير رشيد قال عز من قايل فان انستم منهم رشدا فكانه سبحانه نفى الاعم اولا ونفى الاخص ليفيد انه على الجادة غير منحرف عنها اصلا ويحتمل ان يكون قوله ما ضل نفيا لقولهم هو كاهن او مجنون لان الكهانه ايضا من مسيس الجن وقوله وما غوى نفيا لقولهم هو شاعر والشعراء يتبعهم الغاوون ويحتمل ان يكون الاول عبارة عن صلاحه فى امور المعاد والثانى اشارة الى رشده فى امور المعاش ومنه يعلم ان اقواله كلها على سبق الصواب الا انه كان يمكن ان يكون مستنبطه من العقل والعرف والعادة فاسندها الله سبحانه الى طريق اشرف وهو ان يكون مسندة الى الوحى فقال بصيغه تفيد الاستمرار وما ينطق عن الهوى اى ليس كل ما ينطق به ولا بعضه بصادر عن الراى والهوى انما هو وحى يوحى اليه من الله واستدل به بعض من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام واجيب بان الله تعالى اذا سوغ له الاجتهاد كان ذلك من قبيل الوحى ايضا واما من خص النطق بالقران فلا اعتراض عليه قال اهل اللغه الهوى المحبه النفسانيه والتركيب يدل على النزول والسقوط ومنه الهاويه ومحبه النفس الامارة لا اصل لها ولا تصدر الا عن خسه ودناءه وقوله ان هو الا وحى ابلغ من قيل وهو وحى وهو ظاهر وقوله يوحى لتحقيق الحقيقة كقوله ولا طاير يطير بجناحيه فان الفرس الشديد العدو ربما يقال انه طاير فاذا قال يطير بجناحيه زال جواز ذلك المجاز فكذلك ههنا ربما يقال للكلام الصادق الفصيح هو وحى او سحر حلال فلما قيل يوحى اندفع التجوز ثم بين طريق الوحى بقوله علمه اى الوحى او محمدا شديد القوى وهو جبريل اى قواه العقليه كلها شديده مدح المعلم ليلزم منه تفضيله المتعلم ولو قال علمه جبرايل لم يفهم منه فضل المتعلم ظاهرا وفيه رد على من زعم ان تعليمه لسر ان الانسان خلق ضعيفا وما اوتى من العلم الا قليلا وفيه ان جبرايل امين موثوق به من حيث قوتيه المدركه والحافظه ولو كان مخيل الذهن او الحفظ لم يوثق بروايته وفيه تسليه للنبى صلى الله عليه وسلم كيلا يضيق صدره حين علم بواسطة الملك فكانه قيل له ليس لك فى ذلك نقص لانه شديد القوى على انه قال فى موضع اخر وعلمك ما لم تكن تعلم واخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال ادبنى ربى فاحسن تاديبى والمرة القوة الجسمانيه كقوله وزاده بسطة فى العلم والجسم ومن قوته انه قلع قريات قوم لوط وقلبها

بجناحه وصاح صيحه بثمود فاصبحوا جاثمين وكان ينزل الى الانبياء ويصعد في لمحه ويجوز ان يراد بقوله شديد
القوى قواه الجسمية وبقوله ذو مرة القوى العقليه والتنكير للتعظيم قوله فاستوى المشهور ان فاعله
جبرائيل اى فاستقام على صورته الحقيقيه دون صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الصتون فتولى قبل فيه تقديم وتاخير اى فيعلق عليه في الهوى ثم دنا منه وقيل دنا اى فقصد
القرب من محمد وتحرك من المكان الذى كان فيه فنزل الى النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير
وقد يقال الدنو والتدلى بمعنى واحد فلا تفيد الا التاكيد ثم زاد تاكيدا بقوله فكان قاب قوسين قال
اهل القرينه هو من باب حذف المضافات اى فكان مقدار مسافه قرب بجبرئيل مثل قاب قوسين والقاب
والقيب والقاد والقيد القد كلها المقدار والعرب تقدر الاشيا بالقوس والرمح والسوط والذراع
والباع وغيرها وفي الحديث لا صلوة ان يرتفع الشمس مقدار رمحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كقاب قوسين احدكم من الجنه وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط قوله او ادنى في تقدير كم
كقوله مائة الف او يزيدون وقال بعضهم الضمير في فاستوى لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان تعليم
جبرائيل اياه كان قبل كماله واستوايه فحين تكامل قواه النظريه والعمليه وصار بالافق الاعلى اى بالرتبه
العليا من المراتب الانسانيه دنا من الامة فتدلى اى لان لهم ورفق بهم حتى قال انما انا بشر مثلكم يوحى الي
فكان الفرق بينه وبين جبرائيل قليلا جدا وعلى هذا يمكن ان يكون رجحان في الكمال للنبى صلى الله عليه
وسلم كما تقوله اكثر اهل السنة او بالعكس كما يزعم طايفه منهم ومن غيرهم ويحتمل على هذا القول ان يكون
الضمير في ادنا لجبرائيل والمراد ان النبى وان زال على الصفات البشريه من الشهوة والغضب والجهل
وبلغ الافق الاعلى الانسانى لكن لو عينه لم يزل عنه وكذلك جبرائيل وان ترك المطابقه المانعه من
الرويه ونزل الى الافق الادنى من الافاق الملكية ولكن لم يخرج عن كونه ملكا فلم يبق بينهما الا خلاف
خفيفهما نظيره ولقد راه الافق الفارق بين درجة الانسان ومنزله الملك كقول القايل رايت الهلال
على السطح اى وانا على السطح وقد يجعل ذكر القوس عبارة عن معنى جز وهو ان العرب كانوا اذا عاهدوا فانما
بينهم طرحوا قوسيا او قوسين لتاكيد العهد بين اثنين فاخبر الله سبحانه انه كان بين جبرائيل ومحمد
عليهما السلام من المحبة وقرب المنزله مثل ما تعرفونه فيما بينكم عند المعاقدة وقيل الضمير لمحمد ولله والمراد
قريب المكان بينهما وهذا يشبه مذهب المجسمة الا ان يقال دنا دنو العزة دنا ودنو اكرام لا دنو اجسام ودنا
دنو انس لا دنو نفس والقوسان احدهما صفة الحدوث والاخرى صفة القدم اخبر بالغصه اكراما و
اكثر الاسرار اعظاما قوله فاوحى الى عبده ما اوحى وفيه تفخيم لشان الوحى قيل اوحى اليه الصلوة وقيل
اوحى اليه ان الجنة محرمه الاعلى الانبيا حين تدخلها وعلى الامم حتى يدخلها امتك والظاهر انها اسرار وحقايق
ومعارف لا يعلمها الا الله ورسوله ثانيها فاوحى الله الى محمد ما اوحى اليه اولا جبرائيل يعنى ان الوحى كان
ينزل عليه اولا بواسطة جبرائيل وقد ارتفعت الان تلك الواسطة وعلى هذا يحتمل ان يقال ما مصدرية
اى اوحى الى محمد الاعطاء العلم بالايحاء كى يفرق بين الملك والحق او كلمه انه وحى او خلق وفيه اشارة الى ان جبرائيل
امين لم يخن قط في شى مما اوحى الانبياء خامسها فاوحى جبرائيل الى عبد الله محمد ما اوحى الله اليه سادسها فاوحى
جبرائيل الى عبد الله ما اوحى هو وفي هذين الوجهين لا يمكن ان يراد بالعبد الا محمد قوله ما كذب الفواد
ما راى الاشهر ان اللام للعهد وهو فواد محمد صلى الله عليه وسلم اى ما قال فواده لما راه لم اعرفك ذلك كان
لكان كاذبا لانه عرفه ومن قراه بالتشديد فظاهر اى صدق فواده ما عاينه ولم يشك في ذلك وقيل اللام
الجنس والمراد ان جنس الفواد لا تنكر ذلك فان كان الوهم او الخيال ينكر والمقصود نوع الوقوع
كقوله لا يدركه الابصار وما ينطق هنا قل بخلاف قوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين لا يغير ان نخبرك به
فان نفى الوقوع والظاهر ان فاعل راى محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الفواد والبصر اى ما راه الفواد داخل
في صورته بالافق الشرقي والثاني الايات البعيدة الالهية والثالث الرب تعالى والمسئله مبنية على
جواز الروية وقد تقدم البحث عن ذلك في قوله لا تدركه الابصار وقوع الروية وقد تقدم خلاف
الصحابة فيه حديث معراج النبى صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله سبحان وهل للعقول او اصح يرى

انه ما راى جبرائيل احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض
ومرة في السماء واليه الاشارة بقوله افتمارونه من المراء اى اتجادلونه على ما يرى ومن قرا افتمرونه فمعناه
افتغلبونه في المراء يقال ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى وقيل معناه افتجحدونه
ولا بد من تضمين معنى الغلبة ولقد راه نزلة اخرى فانتصبت على الظرف لان الفعلة صيغة المرة فكانت
النزلة في حكم المرة اى نزل عليه جبرئيل في صورته نزلة اخرى في ليلة المعراج ووجه الاستفهام الانكار
انه لما راه وهو على بسيط الارض احتمل ان يقال انه كان من الجن احتمالا بعيدا فلما راه عند سدرة المنتهى
لم يحتمل ان يكون هناك جن ولا انس فلم يبق للجدال مجال واما القايل بالقول الثالث فزعم ان النبى صلى الله عليه
وسلم راى ربه بقلبه مرتين والنزلة اما بمعنى الحركة والانتقال عند من يجوز ذلك او بمعنى قرب الرحمة و
الافضال واما للنبى صلعم لانه نزل عن متن الهوى ومركب النفس وقيل اراد بالنزلة صعودها وهى العرجة
واخرجه العيان ليعلم انه هذه عرجة بينهما النزلات ليست عرجة لا نزلة لها وهى عرجة الاخرى وعلى القول
الاول ايضا يحتمل ان يكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان جبرائيل يخلف عنه في مقام لو دنوت
انملة لاحترقت ثم عاد النبى صلى الله عليه وسلم اليه معنى اخرى انه صلى الله عليه وسلم تردد في امر الصلوة
مرارا فلعله كان ينزل الى جبرائيل كل مرة لا اول من نزلتين اما السدرة فالاكثرون على انها شجرة في السماء
السابعة وقيل في السادسة منتهاها كاملاك محمود وقيها كاذان الفيلة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما
لا يقطعها وقد ورد في الحديث بذلك هذا عند ظرف مكان ثم ان كان المرى جبرائيل فلا اشكال وان كان
هو الله تعالى فلعله القايل رايت الهلال على السطح وبمعنى وقال بعضهم عند ظرف زمان كما يقال صليت
عند طلوع الفجر والمعنى راه عند الحيرة القصوى اى في وقت تحار عقول العقلاء فيه ولكنه ما حار ولم
يعرض له ستر واضافة السدرة الى المنتهى اما من اضافة الشى الى مكانه كما يقال اشجار البلدة الفلانية كذلك
واشجار الجنة لا تيبس ولا تخلو من ثمار فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك لا يعلم ما وراءه احد واليه
ينتهى ارواح الشهداء واما من اضافة المحل الى الحال كما يقال طرف الداء اى سدرة هى محل انتهاء الجنة ولما
من اضافة الملك الى المالك كما يقال دار زيد واشجار عمرو فيكون التقدير سدرة المنتهى اليه وهو الله
سبحانه كما قال وان الى ربك المنتهى فالاضافة للتشريف نحو بيت الله وناقة الله قال الحسن جنة الماوى وهى
التى يصير اليها المتقون وقيل ياوى اليها ارواح الشهداء والظاهر ان الضمير في عندها للسدرة وقيل للنزلة
من ذهب الى ان سدرة المنتهى معناها الحيرة القصوى قال اذ يغشى السدرة بالغشى معناه وورد حاله على
حاله اى طراء على محمد صلى الله عليه وسلم حين ما كان العقل ناظرا من فضل الله ورحمته والاكثرون قالوا
فيه تعظيم وتكثير لما يغشى الشجر من الخلايق الدالة على عظمة الله وجلاله مما لا يحيط بها الوصف وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت على كل ورقة من ورقها ملكا قايما يسبح الله وعنه صلى الله عليه
وسلم يغشاها رفرف من طير خضر والرفرف كل ما يبسط من على الى اسفل وعن ابن مسعود وغيره يغشيها
فراش وجراد من ذهب والمحققون على انها انوار الله تعالى تجلى للسدرة كما تجلى للجبل لكن السدرة كانت
اقوى من الجبل فمحمد صلى الله عليه وسلم كان اثبت من موسى فلم يضطرب الشجر ولم يصعق محمد قوله ما زاغ
البصر فيه وجهان اشهرهما ان بصر محمد اى لم يلتفت الى ما يغشاها فان كان الغاشى هو الفراش والجراد
من ذهب فمعناه ظاهر ويكون ذلك ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم بالامور الدنيوية وان كانت
الغاشى انوار الله فالمراد انه لم يلتفت الى غير المقصود ولم يانور عن ذى النور والمراد ما زاغ بصره بالصعق
بخلاف موسى عليه السلام وفي الاول بيان ادب محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثانى بيان مرتبته ومن
بعضهم الى ان اللام للجنس اى ما زاغ بصر اصلا في ذلك الموضع هيبة واجلالا والظاهر ان الضمير في قوله وما
طغى للبصر اى ما جاوز نحو المعين المامور برويته ويحتمل ان يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم اى ما زاغ بصره
بالميل الى غير المقصود وما طغى محمد بسبب الالتفات قال بعض العلماء فيه بان لوصول محمد الى سدرة اليقين
الذى لا يقين فوقه اذ لم يرى الشى على خلاف ما هو عليه بخلاف الناظر الى عين الشمس فانه اذا نظر الى شى
احمر او ابيض او اصفر او اخضر قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى الظاهر ان الكبرى صفة الايات اى

لقد راى بعض ايات ربه الكبرى وعلى هذا لا يكون تلك الاية رؤية جبرائيل لما ورد في الاخبار ان
الله ملائكة اعظم منه كالملك الذي يسمى روحا نعم لو قيل ان المراد رؤية الله الاعظم كان له وجه عند من
يقول بانه صلى الله عليه وسلم راى الله ليلة المعراج وفيه خلاف تقدم قوله افرايتم اللات والعزى اي
عقيب ما سمعتم من عظمة الله تعالى ونفاذ امره في الملا الاعلى وان الذي سد الافق ببعض اجنحته يخلف
عند سدرة المنتهى هل ينظرون الى هذه الاصنام مع ذلها وحقرها حتى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه وعولتم
عليه قال في الكشاف اللات اسم صنم كان لثقيف بالطايف واصله فعلة من لوى يلوي لانهم كانوا يلوون
عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون فكانه حذفت الياء تخفيفا وحركت الواو فانقلبت
الفا والوقف عليه بالتاء كيلا يشبه اسم الله وقيل اصله اللات بالتشديد وقد قرئ به زعموا انه سمي برجل
يلت عنده السمن والزيت ويطعم الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطايف وكانوا يعكفون على
قبره فجعلوه وثنا والعزى تانيث الاعز وكانت لغطفان وهي شجرة سمرة بعث اليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة مكشوفة الراس ناشرة الشعر تضرب راسها وتدعو بالويل
والثبور فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك
فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما فعل فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واما مناة فهي صخرة كانت لهذيل
وخزاعة كانها سميت بذلك لان دماء النسايك كانت تمنى عندها اي تراق ومن قرا بالمد فلعلها مفعلة عن
النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى لا يطلق الا اذا كان الاول مشاركا للثاني فلا يقال
رايت رجلا وامراة اخرى وانما يقال رايت رجلا ورجلا اخر وههنا اليست العزى ثالثة فكيف قال ومناة الثالثة
الاخرى صفة ذم لها اي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم
ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى وذلك ان الاول كان على صورة ادمي والعزى
كانت من النبات ومنوة من الجماد وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي ومناة الاخرى الثالثة وقيل ان
الاصنام فيها كثرة فاذا اخذ اللات والعزى متقدمين كانت لهما ثوالث كثيرة وهذه ثالثة اخرى وقيل فيه
حذف والتقدير افرايتم اللات والعزى المعبودتين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الاخرى ثم انه
سبحانه حين وبخهم على الشرك فكانهم قالوا نحن لا نشك في ان شيئا منها ليس مثلا لله تعالى ولكنا صورنا
هذه الاشياء على صورة الملايكة المعظمين الذين اعترف بهم الانبياء وقالوا انهم يرتقون ويقعون عند
سدرة المنتهى ويرد عليهم الامر والنهي ويصدر عنهم الينا فوبخهم على قولهم ان هولاء الاصنام التي هي اناث
انداد لله تعالى وعلى قولهم الملايكة بنات الله فاستفهم منكرا الكم الذكر ترغبون فيه وله الانثى التي تستنكفون
عنها تلك القسمة اذا اي صح ما ذكرتم قسمة ضيزى اي جايرة غير عادلة من ضازه يضيزه اذا ضامه وهي فعلى بالضم
وكان يمكن ان يقلب الياء واوا لتسلم الضمة الا انه فعل بالعكس اي قلبت الضمة كسرة لتسلم الياء فان ابقاء
الحروف اولى من ابقاء الحركة ومن قرا بالهمز فمن ضازه بالهمز والمعنى واحد ولكنها فعلى بالكسر قال بعضهم انهم
ما قسموا ولم يقولوا لنا البنون وله البنات ولكنهم نسبوا الى الله البنات وكانوا يكرهونهن فلزم النسبة قسمة
جايرة فتقدير الكلام تلك النسبة قسمة غير عادلة لان العدالة يقتضي ان يكون الشريف للشريف والوضيع
ان هي يعني ليس الاصنام او اسماء وهذه المذكورات الا اسماء سميتموها وقد مر في الاعراف وفي يوسف قال
الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى الذم تم بقوله ما انزل الله بها من سلطان فان اطلاق الاسم على المسمى
انما يجوز اذا لم يتبعه مفسدة وبنته وههنا يمكن ان يكون مرادهم من قولهم الملايكة بنات الله انهم اولاد الله
من حيث انه لا واسطة بينهم وبينه في الايجاد كما يقول الفلاسفة والعرب يستعمل البنت مكان الولد كما يقال
بنت الجبل وبنت الشفة لما يظهر منهما بغير واسطة خصوصا اذا كان في اللفظ تاء التانيث كالملايكة الا انه
لم يجز في الشرع اطلاق هذا اللفظ على الملايكة لانه توهم النقص في حقه تعالى ثم قال وهذا بحث يدق عن ادراك
اللغوي اذ لم يكن عنده من المعلوم حظ عظيم قلت هذا البحث الدقيق يوجب ان يكون الذم راجعا الى ترك الادب
فقط وليس الامر كذلك فان الذم انما توجه الى المشرك لانه ادعى الالهية لما هو ابعد شيء منها ولا امكن له على
تصحيح دعواه حجة عقلية ولا سمعية ومعنى ما انزل الله بها اي بسببها وبصحتها وقال الرازي الباء للمصاحبة

كقول القايل ارتحل فلان باهله ومتاعه اي ارتحل ومعه الاهل والمتاع من قرا ان يتبعون على الخطاب فظاهر
ومن قرا على الغيبة فاما للالتفات واما لان الضمير للاباء وصيغة الاستقبال حكاية الحال الماضية ويحتمل
ان يكون المراد عامة الكفار قوله وما تهوى الانفس يجوز ان يكون ما مصدرية وفايدة العدول عن
صريح المصدر الى العبارة الموجودة ان القايل اذا قال اعجبني صنعك لم يعلم ان الاعجاب من امر قد تحقق
او من امر هو فيه واذا قال اعجبني ما تصنع شمل الحال والاستقبال ويجوز ان يكون ما موصولة و
الفرق ان المتبع في الاول الهوى وفي الثاني مقتضى الهوى وقوله الانفس من باب مقابلة الجمع
بالجمع والمعنى اتبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه كقولك خرج الناس باهلهم اي كل واحد باهله و
لعل الظن مختص بالاعتقاد وهوى النفس بالعمل ويجوز ان يكون الظن مقصودا به كل ما له محمل مرجوح
والهوى يراد به ما لا وجه له اصلا ويحتمل ان يراد بالظن ما له محمل راجح ايضا وهو وان كان واجب
العمل في المسايل الاجتهادية الا انه مذموم عند القدرة على اليقين والى هذا اشار بقوله ولقد
جاءهم من ربهم الهدى وهو القران او الرسول او المعجز وفي هذه الحالة لا يجوز البناء على الظن بل يجب التعويل
على اليقين قوله ام للانسان ام منقطعة والهمزة فيها للانكار والمراد تمنيهم شفاعة الالهة او ان لهم عند
الله الحسنى على تقدير البعث او تمني اسرافهم ان يكونوا انبياء دون محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
فلله الاخرة والاولى رد عليهم اي هو مالكهما فهو المعطي والمانع ولا حكم لاحد عليه والمعنى الفا انه
اذا تقرر ان شيئا من الاشياء ليس بتمني الانسان فلا حكم الا لله ثم بين ان الشفاعة عند الله لا تكون
الا برضاه وفيه اصناف من المبالغة من جهة ان كم للتكثير والعرب يستعمل التكثير ويريد الكل كما
قد يستعمل الكل ويريد به الكثير كقوله تدمر كل شيء ومن جهة لفظ الملك فانهم اشرف المخلوقات سوى
الانبياء عند بعض ومن قبل انهم في السموات فان ذلك يدل على علو مرتبتهم ودنو منزلتهم ومن قبل
اجتماعهم المدلول عليه بضمير الجمع في شفاعتهم واذا كان حالهم هكذا فكيف يكون حال الجمادات وقوله
لمن يشاء اي لمن يريد الشفاعة له ويرضى اي ويراه اهلا لان يشفع له فههنا ايضا انواع اخر من المبالغة
الاول توقيف الشفاعة على الاذن والثاني تعليقها بالمشية فيفهم منه انه بعد ان يوذن في مطلق
الشفاعة يحتاج الى الاذن في كل صورة معينة والثالث من الله الشفاعة فقد يشاء ولكن لا يرضاه
كقوله ولا يرضى لعباده الكفر وهذا عند اهل السنة واضح صرح بالتوبيخ على قولهم الملايكة بنات الله
فقال ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا جعلوا ا
الكل بنات فقد جعلوا كل واحد بنتا وبالعكس وههنا سوالان احدهما ان الذين لا يومنون بالاخرة
اعم من هولاء المسمين فكان الاولى ان يقال ان الذين يسمون لا يومنون وثانيهما انه كيف يلزم من عدم
الايمان بالاخرة هذه التسمية والجواب عن الاول ان اللام للعهد ويخرج الجواب عن الثاني ايضا
لانه يخبر عن جمع معهودا انهم يسمون ولا يلزم من حمل شيء على شيء ان يكون بينهما ملازمة ولو سلم ان اللام
للعموم فالمراد بمثل هذا التركيب المبالغة والتوحيد كما يقول الانسان زيد وعلى هذا فان اريد بالحمل
مجرد الاخبار فلا اشكال وان اريد بالملازمة فمعناه المبالغة ايضا لان غاية حملهم بالاخرة وبالجزا حملهم
على ارتكاب مثل هذا الافتراء على الله والى هذا اشار بقوله وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن واعلم ان
الامام فخر الرازي رحمه الله بحث مع هولاء المشركين الذين سموا الملايكة اناثا بحثا طويلا باعلى ظنه بهم
انهم ارادوا في لفظ الملايكة فجعلوه مونثا وحاصل ذلك البحث يرجع الى ان التاء لا يلزم ان يكون للتانيث
فقد يكون للتاكيد كالجمع كحجارة وصقورة او لغير ذلك من المعاني ونحن قد اسقطنا تلك البحوث لعدم
فايدتها كما نبهناك عليه ثم بين الله سبحانه قاعدة كلية فقال وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي كل
ما يجب ان يحصل منه المكلف على العلم واليقين فلا ينفعه فيه الظن والتخمين من جملته مسايل المبدا
والمعاد التي يبنى البحث فيها على البراهين العقلية والدلايل السمعية ومن قنع في امثالها بالوهم والظن
لعدم الاستعداد او لحفظ بعض المنافع الدنيوية وجب الاعراض عنه كما قال فاعرض اي اذا وقفت على
قلة استعدادهم وعدم طلبهم للحق فاعرض يا محمد ويا طالب الحق عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا

ويجوز ان يكون هذا الاعراض متضمنا للامر بالقتال اى اعرض عن المقال فاقبل على القتال قوله ذلك الذى
ذكر من التسمية او من اعتقاد كون الاصنام شفعاء مبلغهم من العلم من جملة معترضة ثم بين على الاعراض
قايلا ان ربك هو اعلم الى اخره وفيه بيان انه تعالى يجازى كل فريق بحسب ما يستحقه وفيه تسلية
النبى صلى الله عليه وسلم كيلا تتعب نفسه فى تحصيل ما ليس يرجى حصوله وهو ايمان اهل العناد
الذين قنعوا بالظن بدل العلم ووقفوا لدى الباطل دون الحق ثم قرر انه انما سوى الملك والملكوت
لغرض الجزاء والاثابة الحسنى صفة المثوبة او الاعمال واضافة الكباير الى الاثم اضافة النوع الى الجنس
لان الاثم يشمل الكباير والصغاير واختلف فى الكباير وقد اشبعنا القول فى سورة النساء فى قوله ان
تجتنبوا كباير ما تنهون عنه والفواحش ما زايد قبحه من الكباير كانها مع كبر مقدار عقابها قبيحة فى
الصورة كالشرك بالله وحده والمراد باللمم الصغاير والتركيب يدل على القلة ومنه اللمم المس من الجنون
والم المكان قال الممت بخبث ثم قامت فودعت والاصفة كانه قيل كباير الاثم وفواحشه غير اللمم والاستثنا
منقطع لان اللمم ليس من الفواحش وعن ابى سعيد الخدرى واللمم هى النظرة والغمزة والقبلة وعن السدى
الخطر من الذنب وعن الكلبى كل ذنب لم يذكر الله عز وجل عليه حداء الاعذابا وعن عطا هى ما يعتادها النفس
حينا بعد حين قال جار الله معنى قوله ان ربك واسع المغفرة انه يكفر الصغاير باجتناب الكباير ويكفر
الكباير بالتوبة واقول فيه اشارة الى ان اللمم مما لا يمكن الاجتناب عنه لكل الناس ولاكثرهم فالعفو عن
ذلك يحتاج الى سعة وكثرة بل فيه اشارة الى ان اللمم مما لا يمكن الاجتناب عنه لكل الناس ولاكثرهم فالعفو
عن ذلك يحتاج الى سعة وكثرة بل فيه بشارة انه سبحانه يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك لان غفران اللمم لا يوجب
الوصف بسعة المغفرة وانما يوجب ذلك ان يغفر معها الكباير وقوله هو اعلم بكم الى اخره دليل على وجوب
وقوع الغفران لانه اذا كان عالما باصلهم وفرعهم كان عالما بضعفهم ونقصهم فلا يواخذهم بما يصدر عنهم
بمقتضى جبلتهم وطبعهم فكل شى يرجع الى الاصل والارض بطبعها يميل الى السفل والجنين اوله نطفة مدرة
اخر الاغتذاء بدماء قذرة واذا كان مبدا حاله هذا وهو فى اوسط امره متصف بالظلم والجهل والعاقبة
غير معلومة وجب عليه ان لا يزكى نفسه فان الله تعالى اعلم بالزكى والنقى اولا واخرا وباطنا وظاهرا
وما احسن نسق هذه الجمل وقد ابعد بعض اهل النظم فقال لما ذكر انه اعلم بمن ضل كان لكافر ان يقول كيف
يعلم الله امورا نفعلها فى البيت الخالى وفى جوف الليل المظلم فاجاب الله تعالى بانا نعلم اخفى من ذلك وهو
احوالكم وقت كونكم اجنة وقوله فى بطون امهاتكم للتاكيد فانه اذا اخرج من بطن الام يدعى سقطا او ولدا
وقيل اراد الضال والمهتدى حصلا على ما هما عليه بتقدير الله وبانه كتب عليهما فى رحم امهما انه ضال او
مهتد وقيل فيه تقرير الجزاء وتحقيق الحشر فان العالم باحوال المكلف وهو جنين القادر على انشائه من
الارض اول مرة عالم باجزائه بعد التفرق قادر على جمعه بعد التفرق والعامل فى اذ هو اذكروا وما يدل عليه اعلم
اى يعلمكم وقت الانشاء والخطاب للموجودين وقت نزول الاية والاخرين بالتبعية ويجوز ان يكون الانشاء من
الارض اشارة الى خلق ابينا ادم وقوله اذ انتم يكون خطابا لنا قوله افرايت الذى تولى قال بعض المفسرين
نزل فى الوليد بن المغيرة جلس عند النبى صلى الله عليه وسلم وسمع وعظه واثرت الحكمة فيه تاثيرا قويا فقال
له رجل لم تترك دين ابائك ثم قال لا تخف واعطنى وانا اتحمل عنك اوزارك فاعطاه ما التزمه وتولى عن الوعظ
واستماع كلام النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم نزل فى عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يعطى ماله العطا
فقال له اخوه من امه عبد الله بن سعد بن ابى سرح يوشك ان يفنى مالك فامسك فقال له عثمان ان لى
ذنوبا وخطايا وانى ارجو ان يغفرها الله بسبب العطا فقال عبد الله اعطنى ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك
ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطا ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى
خير من ذلك فقال اكدى الحافر اذا لقيه كدية وهى ارض صلبة كالصخرة ونحوه اصل الحافر واصل الشاعر اذا افحم
ويحه بانه لا يعلم الغيب فكيف يعلم ان اوزاره محمولة عنه وقيل نزلت فى اهل الكتاب وذلك انه لما بين حال
المشركين والمعاندين شرع فى قصة هولاء والمعنى افرايت الذى تولى اى صار متوليا لكتاب الله واعطى
قليلا من الزمان حق الله فيه ولما بلغ عصر محمد امسك عن العمل به قالوا ويؤيد هذا التفسير قوله ام لم ينبأ بما
فى صحف موسى عينها او جنسها وهو ما سام بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجمع الصحف واما لان موسى
له صحيفه وابرهيم له صحيفه فذكر التثنية بصيغة الجمع واما لان كل واحد منهما له صحف كقوله والقى الالواح
فكل لوح صحيفه وتقديم صحف موسى اما لانها اقرب واشهر واكثر واما لانه رتب وصف ابرهيم عليه السلام
وما لحسن رعاية الفاصله وقد راعى فى اخر سبح اسم ربك هذا المعنى مع ترتيب الوجود والتشديد فى قوله و
فى الوفاء للمبالغة فى الوفاء اولانه بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلق الفصل ليتناول كل وفا وتوفيه من
ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح الولد وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه بنفسه
روى انه كان يخرج كل يوم ويمشى فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن عطاء بن السايب
عهد ان لا يسال مخلوقا فلما رمى فى النار قال له جبرايل وميكائيل الك حاجه فقال اما اليكم فلا قالا فاسئل
الله قال حسبى من سوالى علمه بحالى وروى فى الكشاف عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بارب
ركعات فى صدر النهار وهى صلوة الضحى وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا
اصبح واذا امسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وابرهيم
عليهما صلوات الرحمن يوخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل الزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم
فلهذا قال سبحانه الا تزر وهى مخففه من الثقيله ولهذا لم ينصب الفعل وضمير الشان محذوف ومحله الجر
بدلا مما فى صحف موسى او الرفع كان قايلا قال وما فى صحف موسى وابرهيم فقيل انه لا تزر نفس من شانها
ان تزر وزر نفس اخرى واذا لم تحمل التى يتوقع منها ذلك غيرها اولى بان لا تحمل ثم عطف على قوله الا تزر قوله
وان ليس وحكمه حكم ما يتلوه من المعطوفات بامر وفيه مباحث الاول الانسان عام وقيل هو الكافر و
اورد عليه ان الله سبحانه قال ليس للانسان ولو اراد الكافر لقال ليس على الانسان وهذا بالحقيقة غير
وارد فان اللام قد يستعمل فى مثل هذا المعنى قال تعالى وان اساتم فلها واورد على الاول ان الدعاء والصدقة
والحج ينفع الميت كما ورد فى الاخبار وايضا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والاضعاف فوق
ما سعى واجاب بعضهم بان قوله ليس للانسان الا ما سعى كان فى شرع من تقدم ثم انه تعالى نسخه فى شريعتنا
وجعل للانسان ما سعى وما لم يسع وقال المحققون ان سعى غيره وكذا الاضعاف لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى
نفسه وهو ان يكون مومنا صالحا كان سعى غيره كانه سعى نفسه الثانى ما مصدرية والمضاف محذوف
اى الا ثواب او جزاء سعيه ويجوز ان يكون موصوله اى الاجزاء الذى سعى فيه الثالث فى ضيفه المعنى
اشارة الى انه لا يفيد الانسان الا الذى تحصل منه ووجد واما مجرد النية مع التوالى والتراخى فذلك
مما لا اعتماد عليه ولعل ذلك من مكايد الشيطان عينه ووعده الى ان يحل الاجل بغتة قوله وان سعيه
سوف يرى ان كان من الروية فكقوله اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وان كان من الارادة فالفايده
فى ارائه وعرضه عليه ان يفرح به هو ويحوز الكافر والله قادر على اعادة كل معدوم عرضا كان او جوهرا
او المراد ان يريد الله اياه على صورة جميلة ان كان عملا صالحا بالضد ان كان بالضد ويجوز ان يكون مجازا
عن الثواب كما يقال سترى احسانك عند الملك اى جزاءه الا ان القول الاول اقوى لقوله ثم يجزاه الجزاء الاوفى
اللهم لا يراد تراخى الرتبه والغاية يعود الى الوصف بالاوفى وهو الرؤية التى هى اوفى من كل واف اى يجزى
العبد سعيه الجزاء الاتم المسمى لا تزر وازرة وزر اخرى ولا يلزم منه ان يبقى الوزر على المذنب بل يجوز
ان يسقط عنه بالمحو والعفو ولو قال كل وازرة تزر وزر نفسها لم يكن بد من بقاء وزرها عليها وقال فى
حق المحسن ليس له الا ما سعى ولم يقل له ما لم يسع لان العبارة الثانية لا يلزمها ان له ما سعى والعبارة الاولى
يلزمها ذلك لانها فى قوة كلامين ان سعيه سوف يرى وانه قال فى حق المسى عبارة لا يقطع رجاءه
فى وحق المحسن بعبارة يوجب رجاءه كل ذلك لان رحمته سبقت غضبه قوله وان الى ربك المنتهى
المشهور ان فيه بيان المعاد كقوله عز من قايل والى الله المصير اى للناس بين يدى الله وقوف وفيه بيان
وقت الجنه او قد يقال لان لام التوحيد وهو تاويل اهل العرفان والحكما يستدلون به على وجود الصانع
فان المحكى لا بد ان ينتهى الى الواجب وقيل اراد ان البحث والادراك ان فايدة كما قيل اذا بلغ الكلام الى الله
فامسكوا وعن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا ذكر الرب فانتهوا والخطاب عام لكل سامع متكلم

دو يد للمنى ووعد المحسن وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه تسليه له ثم بين غايه قدرته
وهي انجاده الضدين الضحك والنوم والاماته والاحياء في شخص واحد وكذا الذكوره والانوثه وفي ماده
واحده هي النطفه اذا تمنى يدفق في الرحم يقال منى وامنى وقال الاخفش يخلق والتمنى التقدير وفيه
ابطال قول الطبعتيين ان مبدا الضحك قوه التعجب ومبدا البكاء رقة للقلب وان الحبوه مستند الى الطبيعه
كالفلات والموت لم يصدر وهو تداعي الاجزاء الى الانفكاك بعد اجتماعها على سبيل الاتفاق بسبب
يتمارى من اتصال او انصراف وذلك ان انتهى كل ممكن الى الواجب قوله امات واحيا اما الاجل الفاصله
اولانه اعتبر حال تكون الانسان نطفه منه قالت الاطباء الذكر اسخن واجف والانثى ابرد وارطب قالوا
في نبات شعر الرجل ان الشعور تكون من بخار دخاني ينجذب الى المسام فاذا كانت المسام في غايه الرطوبه
والتخلل كما في مزاج الصبي والمراه لا ينبت تلك الادخنه من المسام الرطبه بسهوله قبل ان تكون شعرا
واذا كانت في غاية اليبوسة والتكاثف لم ينبت لتعسر خروجه من المخرج الضيق وانما يندفع اكثر تلك الا
بخره الى الراس حتى راس المراة والصبي لانه مخلوق كقبه فوق الابخره والادخنه متصاعد اليها واما في الرجل
فيندفع الى الصدر لكثره الحراره القلب والى قرب الات التناسل لحراره الشهوه والى اللحيين لكثره الحركه بسبب
الاكل والكلام مع غزاره والبخره ومن شان الحراره جذب الرطوبه لجذب السراج الزيت هذا اقوى ما قالوا
في هذا الباب ويرد عليه انه ما البيت ليلا دم شعر اللحيه واله التناسل وانها اذا قطعت لم ينبت اللحيه
ولو سلم التلازم من حيث ان حراره الخصان تقل بسبب قطع اله الشهوه فلا بد ان يعترفوا بانتهاء جميع الممكنات
الى الواجب الذات واعلم انه سبحانه في هذه الاى وسط للفصل بين الاسم الموهمات المذكوره حتى قال نمرود
انا احيي واميت وانا اخلق الذكر والانثى فلم يتوهم احدانه لفعل المخلوقين فلم يوكد بالفصل وعلى هذا والحسن
حيث كان توهم الجهله فيه اكثر وترك الفصل حيث لم يكن كذلك ففي الدليل للضحك والبكاء والاماته والاحياء
القياس قوله وان عليه النشاة الاخرى ظاهر وجوب وقوع الحشر في الحكمة الالهية للمجازاة على الاحسان
والاساءة وقال وسط الفصل صح في التفسير الكبير هو كقوله ثم انشاناه خلقا اخر اى بعد خلقه ذكر وانثى
نفخ فيه الروح الانساني ثم اغناه بلبن الام وبنفقه الاب في صغره ثم اقناه بالكسب بعد كبره اى اعطاه
القنيه وهي المال الذي ماثله وعرفت ان لا تخرجه من يدك وبالجمله فالاغناء بكل ما يدفع به الحاجه والاقنا
بما زاد عليه وانما وسط الفصل لان كثيرا من الناس من يزعم ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده
فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وذهب بعضهم الى انه بالبخت او العلم فقال ردا عليهم وانه هو رب الشعرى
وهما شعريان شامنه ويمانيه وهذه الدرهما وخصب بالذكر لان ابا كبشه احد اجداد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قبل امه قال لا ارى شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها فليس شي امثلها فعبدها
وعبدتها خزاعه فخالفوا قريشا في عبادة الاوثان وكانت قريش يقول لرسول الله صلى الله عليه و
وسلم ابو كبشه تشبيها للمخالفته اياهم في دينهم وحين ذكر انه اغنى واقنى وذلك كان بفضل المولى لا بيعطا
الشعري ذكرهم حال الاقدمين الهلكى وعاد الاولى قوم هود والاخرى ارم ميزوا عن قوم كانوا بمكة وقيل اراد
التقديم في الدنيا وانهم كانوا اشياء فاقوله وثمود عطف على عادا اى واهلك عادا وثمود فما ابقى اى ما رحم عليهم
ومن المفسرين من قال فما ابقى اى ما ترك احدا منهم كقوله فهل ترى لهم من باقيه وبه تمسك الحجاج على من
زعم ان ثقيفا من ثمود وانما وصف قوم نوح بانهم كانوا هم اظلم واطغى فبالغ بتوسيط الفصل وبناء التفضيل
لان نوحا عليه السلام كان اول الرسل الى اهل الارض فكان قومه اول من سن التكذيب وايذا النبي والباد
اظلم ومن سن سنه سيئه فله وزرها ووزر من عمل بها ولانهم كانوا مجاوزين حد الاعتدال يضربونه بينهم
حتى لم يكن به حراك وينفرون عنه الناس ويحذرون صبيانهم وما يجيب فيهم وعظه الف سنه الا خمسين عاما
وليس قوله انهم كانوا تعليلا للاهلاك حتى يرد عليه ان غيرهم من الظالمين والطاغين لا يلزم ان يهلكوا وانما
هي جمله معترضه بيانا لشده طغيانهم وفرط ظلمهم والموتفكه يعني قريات قوم لوط لانها ائتفكت باهلها اى انقلبت
وقد مر في التوبه اهوى اى رفعها الى السماء على جناح جبرائيل فاسقطها الى الارض فغشاها ما غشى من الحجارة
المسومة وفيه تهويل وتفخيم لما صب عليهم من العذاب ويجوز ان يكون ما فاعلا كقوله والسماء وما بناها هذا

كله حكاية ما في الصحف وقيل هو ابتداء كلام والخطاب لكل سامع مكلف او لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك والمراد انه لم يبق فيها امكان الشك وقد عدهما نعما وجعل كلها الالا لان النعم ايضا
نعم لمن اراد ان يعتبر ويحتمل ان يقال لما عدد نعم على الانسان من خلقه واغنائه واقنائه ثم ذكر انه اهلك من
كفرها وبخ الانسان على جحد شي من نعم فيصيبه مثل المصاب المتمادين او يقال ان يحكي الاهلاك قال للشاك انسما
اصابك الذي اصابهم وذلك يحفظ الله اياك فباى الاء ربك تتمارى وسيجي له مزيد بيان في سورة الرحمن
هذا القران والرسول نذير اى انذار ومنذر من جنس الانذارات او المنذرين وقال الاولى على تاويل الجماعة
وحين فرغ من بيان التوحيد والرساله ختم السوره بذكر اقتراب الحشر فقال ازفت الازفه اى قربت الموصوفه
بالقرب في قوله واقترب للناس حسابهم وما يدريك لعل الساعة قريب وفيه تنبيه على ان قرب الساعة
يزداد كل يوم وانها تقوم تكاد ليس لها من دون الله نفس كاشفه تكشف عن وقتها مجيبها او تقدر على كشفها ود
دفعها اذا وقعت ولا يلزم من قدره الله على دفعها وجوب وقوع الدفع فان كل مقدر لا يلزم ان يكون واقعا و
الباقي كاشفه للتانيث كما مر او للمبالغه اى لا احد يكشف حقيقتها او هي مصدر كالعاقبه ومن زائده والتقدير
ليس لها من دون الله كاشفه ويحتمل ان يراد ليس لها في الوجود نفس يكشف عنها غير الله بل انما يكشفها من عند
الله ومن قبل علمه واخباره ثم ذمهم على التعجب من القران او من حديث القيمه وضحكهم منه استهزاء وانكار
او في قوله ولا تسكون الى اخره تنبيه على ان البكاء والخشوع وحضور القلب حق عليهم عند سماع القران كما قال
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا والسمود الغفله وقد يكون مع اللهو عن مجاهد كانوا يمرون
بالنبي غضابا مبرطمين وقال البرطمه الاعراض ثم انهم كانهم انصفوا من انفسهم وقالوا لا نعجب ولا نضحك
ولا نسمد على بل نبكي ونخشع فلا جرم قال فاسجدوا اى اذا اعترفتم لله بالعبوديه فاخضعوا له واقيموا وظائف
العبادة وقد مر في سورة الحج في قوله القى الشيطان في امنيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا هذه السوره في الصلوه ثم سجد فسجد معه المومنون والمشركون والجن والانس وذكر ناسيه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر ● وان يروا اية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر ● وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر
مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة
بالغة فما تغن النذر ● فتول عنهم يوم يدع الداع الى شي نكر خشعا
ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين
الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم

نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ● فدعا ربه انى
مغلوب فانتصر ● ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ● وفجرنا الارض
عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر ● وحملناه على ذات الواح ودسر
تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر ● ولقد تركناها اية فهل
من مدكر ● فكيف كان عذابى ونذر ● ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر ● كذبت عاد فكيف كان عذابى
ونذر ● انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ●
تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ● فكيف كان عذابى
ونذر ● ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت
ثمود بالنذر ● فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال
وسعر ● االقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر ●
سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ● انا مرسلوا الناقة فتنة
لهم فارتقبهم واصطبر ● ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب
محتضر ● فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ● فكيف كان عذابى
ونذر ● انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر
ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
بالنذر ● انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر نعمة
من عندنا كذلك نجزى من شكر ● ولقد انذرهم بطشتنا
فتماروا بالنذر ● ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا

عذابى ونذر ● ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا
عذابى ونذر ● ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر
ولقد جاء ال فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم
اخذ عزيز مقتدر ● اكفاركم خير من اولئكم ام
لكم براءة فى الزبر ● ام يقولون نحن جميع منتصر ● سيهزم
الجمع ويولون الدبر ● بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر ●
ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر ● انا كل شئ خلقناه بقدر وما امرنا الا
واحدة كلمح بالبصر ● ولقد اهلكنا اشياعكم فهل
من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر ● وكل صغير وكبير
مستطر ● ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند
مليك مقتدر

القراءة مستقر بالجر يزيد الداعى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب
وابن كثير غير ابن فليح ورضه وافق ابوعمرو وابو جعفر ونافع غير قالون
فى الوصل فيهما بالياء يدع الداع بعنى بالياء فى الحالين الى الداع فى الوصل قالون الباقون بغير ياء فى الحالين
شئ نكر بسكون الكاف ابن كثير خاشعا بالالف ابوعمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف الاخرون خشعا كركعا ففتحنا
بالتشديد ابن عامر ويزيد وسهل ويعقوب وفجرنا بالتخفيف ابو زيد عن المفضل ودسر وما بعده بالياء
فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل اولقى مثل بينكم ستعلمون على الخطاب ابن
وحمزة ستهزم بالنون الجمع بالنصب روح وزيد عن يعقوب الوقوف القمر مستمر مستقر مزدجر
بناء على ان قوله حكمة بدل ماء او من مزدجر النذر للعطف مع اتصال المعنى عنهم لانه لو وصل لاوهم ان
الظرف متصل به وليس كذلك بل هو ظرف يخرجون نكر لاتصال الحال بالظرف من قبل اتحاد عاملهما
منتشر لان مهطعين حال بعد حال الداع عسر وازدجر فانتصر منهمر للعطف مع اتحاد مقصود
الكلام قدر للعارض بين الجملتين المتفقتين وللاية مع احتمال الحال اى وقد حملناه ودسر لان تجرى
صفة لها باعيننا لان جزاء مفعول له او مصدر لفعل محذوف كفر مدكر ونذر مستمر لان ما بعده
صفة الناس لان كانهم حال منقعر ونذر مدكر بالنذر نتبعه لتعلق اذا بها وسعر اشر الاشر
واصطبر للعطف بينهم لان كل مبتدا مع ان الجملة من بيان ما تقدم محتضر فعقر ونذر المحتظر
مدكر بالنذر لوط لان الجملة لا تصلح صفة للمعرفة بسحر عندنا شكر بالنذر ونذر مستقر للفاء
اى فقيل لهم ذوقوا ونذر مدكر النذر لاتصال المعنى لا العطف مقتدر الزبر لان ما بعده يصلح استفهام
انكار مستانف ويصلح بدلا عن ام قبله منتصر الدبر وامر وسعر بناء على ان يوم ليس ظرفا لضلال وانما هو

ظرف لمحذوف اى يقال لهم ذوقوا وجوههم سقر بقدر بالبصر مدكر الزبر مستطر ونهر لان
ما بعده بدل مقتدر **التفسير** اول هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة ازفت الازفة الا انه
ذكر ههنا دليلا على الاقتراب وهو انشق القمر في الصحيحين عن انس ان الكفار سألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اية فانشق القمر مرتين وعن ابن عباس فلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود
رايت حرا بين فلقتى القمر وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان
القمر قد انشق على عهد نبيكم هذا قول اكثر المفسرين وعن بعضهم ان المراد سينشق القمر وصيغة الماضي
على عادة اخبار الله وذلك ان انشقاق القمر امر عظيم الوقع في النفوس وكان ينبغي ان يبلغ وقوعه حد
التواتر وليس كذلك واجيب بان الناقلين لعلهم اكتفوا باعجاز القران عن تشهير ساير المعجزات بحيث يبلغ
التواتر وايضا انه سبحانه عد انشقاق القمر اية من الايات لرسوله ولو كانت مجرد علامة القيمة لم
يكن خروج دابة الارض وطلوع الشمس من المغرب وغيرها من المعجزات له نعم كلها مشتركة في نوع اخر من
الاعجاز وهو اخبار عن الغيوب وزعم بعض اهل التنجيم ان ذلك كان حالة شبه الخسوف ذهب بعض جرم
القمر عن البصر وظهر في الجو شى مثل جرم نصف القمر ونحن نقول اخبار الصادق بان يتمسك به اولى
من قول الفلسفى هذا مع استدلاله على امتناع الخرق في السموات لا يتم كما بينا في الحكمة وكيف يدل انشقاق
القمر اقتربت الساعة فيقول من جهة ان ذلك يدل على جواز انخراق السموات وخرابها خلاف ما يزعمه
منكروا الحشر من الفلاسفة وغيرهم ومن ههنا ظن بعضهم واليه ميل الامام فخر الدين الرازى ان المراد اقتراب
الساعة ليس هو القرب الزمانى وانما المراد قربها في العقول وفي الاذهان كانه لم يبق بعد ظهور هذه
الاية للمنكر مجال واستعمال لفظ الاقتراب ههنا مع انه مقطوع به كاستعمال لعل في قوله لعل الساعة تكون
قريبا والامر عند الله معلوم قال وانما ذهبنا الى هذا التاويل كيلا يبقى للكافر مجال الجدال فانه قد مضى قريب
سبعمائة سنة ولم يقم الساعة ولا يصح اطلاق لفظ القرب على مثل هذا الزمان والجواب ان كل ما هو ات
قريب وزمان العالم مديد والباقى بالنسبة الى الماضى شى يسير قال اهل اللغة في افتعل مزيد تجشم ومبالغة
فمعنى اقترب دنا دنوا قريبا وكذلك اقتدر ابلغ من قدر ثم بين ان ظهور ايات الله لا يؤثر فيهم بل يزيد في
عنادهم وتمردهم حتى يسموها سحرا مستمرا اى دايما مطردا كانهم قايلوا ترادف الايات وتتابع المعجزات باستمرار
السحر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي كل اوان بمعجزة قولية او فعلية سماوية او ارضية وقيل
هو من قولهم حبل مرير الفتل من المرة وهى الشدة اى سحر قوى محكم وقيل المراد يقال استمر الشى مرارة اى سحر
مستبشع مر في مذاقنا وقيل مستمر اى مار ذاهب زايل عما قريب عللوا انفسهم بالامانى الفادعة فخيبالله
امالهم باعداء الدين وتكامل قومه كل يوم الظاهر ان قوله وان يروا الى اخر الاية جملة معترضة بيانا لما
اعتادوه عند رؤية الايات وقوله وكذبوا عطف على قوله اقترب كانهم قابلوا الاقتراب والانشقاق
بالتكذيب واتباع الاهواء والمعنى وكذبوا بالاخبار عن اقتراب الساعة واتبعوا اهواءهم في ان محمدا ساحر
او كاهن وكذبوا بانشقاق القمر واتبعوا اراءهم الفاسدة في انه خسوف عرض القمر وكذلك كل اية وكل امر
مستقر صاير الى غاية وان امر محمد سيصير الى حد يعرف منه حقيقته وكذلك امرهم يستقر على حالة البطلان
والخذلان ومن قرا بالجر فلعطف كل على الساعة اى اقتربت الساعة واقترب كل امر يستقر ويتبين حاله ثم
اشار بقوله ولقد جاءهم انما هو لعطف بالعبادة قد وجد فاخبرهم الرسول باقتراب القيمة واقام
الدليل على صدقه ووعظهم باحوال القرون الخالية وباهوال الدار الاخرة وفي ذلك من دخلهم
اى ازدجار ومظنة اذكار وهو افتعال من الزجر قلبت التاء دالا قوله حكمة يحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف
اى هذا الترتيب في ارسال الرسول وايضاح الدليل والانذار عن مضى القرون حكمة بالغة منتهى البيان
فما تغنى نفى او استفهام انكار معناه انك اتيت عليك من دعوى النبوة مقرونة بالاية الباهرة وانذرتهم
باحوال الاقدمين فلم يفدهم فاى غناء تغنى النذر اى الانذارات بعد هذا فتول عنهم لعلمك ان الانذار
لا يفيدهم ولا يظهر الحق لهم الا يوم البعث والنشور وداعى اسرافيل وجبرائيل ينادى الى شى منكر فظيع
تنكره النفوس لانها لم يعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وتخصيص المدعوين بالكافرين من حيث انهم هم الذين

يكرهون ذلك اليوم من ضيق العطن قوله خاشعا حال من الخارجين والفعل للابصار ولهذا قراءة من قرا
خشعا على الجمع من اكلونى البراغيث كما ظن في الكشاف ولكنه احسن من ذلك ولهذا تواترت قراءته لعدم مشابهته
لفعل صورة يقول في السعة قام رجل قعود غلمانه وضعف قاعدون واضعف منه يقعدون لان زيادة
الحرف ليست في قوة زيادة الاسم ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم ويقع ابصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار في
سكونها بحيث لا يلتفت عنه وشيء كقوله لا يرتد اليهم طرفهم والاجداث القبور شبههم بالجراد المنتشر
للكثرة والتموج والذهاب في كل مكان وقيل المنتشر مطاوع نشره اذا احياه فكانهم جراد يتحرك من الارض ويدب
فيكون اشارة الى كيفية خروجهم من الاجداث وضعف حالهم ومعنى مهطعين مسرعين وقد مر في ابرهيم
انه سبحانه اعاد بعض الانبياء وقدم قصة نوح على العادة وفايدة قوله فكذبوا عبدنا بعد قوله كذبت قبلهم
قوم نوح هى فايدة التخصيص بعد التعميم اى كذبوا نوحا ويجوز ان يكون المراد التكرير اى تكذيبا عقيب تكذيب بما
مضى منهم قرون متبعة قرن اخرة كذب وقوله عبدنا تشريف له وتنبيه على انه هو الذى حقق المقصود من
الخلق وقتيذ ولم يكن على وجه الارض حينئذ عابد لله سواه فكذبوه وقالوا هو مجنون وازدجر اى استقبلوه
بالضرب والشتم وغير ذلك من الزواجر عن تبليغ ما امر به ويجوز ان يكون من جملة قولهم اى قالوا ازدجرته
الجن ومسته ودخلت به فدعا ربه اى مغلوب غلبنى قومى بالايذاء والتكذيب وقيل غلبتنى نفسى بالدعاء
عليهم حين ايست من اجابتهم الى فانتصر فانتقم منهم لى او لدينك روى ان الواحد من قومه كان يلقاه
فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وابواب السماء وفتحها
حقيقة عند من يجوز بها ابوابا وفيها مباها وعند اهل البحث والتدقيق هو مجاز من كثرة انصباب الماء
من تلك الصوب كما يقال في المطر انه ابل حرت منازيب السماء وفتحنا اوله القرب والباء للالة نحو فتحت الباب
بالمفتاح ونظيره قول القايل يفتح الله لك بخير وفيه لطيفة هى جعل المقصود مقدما في الوجود والقصد
نقيض الله للتخير ياتى ويفتح لك الباب ويجوز ان يراد فتحنا ابواب السماء مقرونة بماء منهمر منصب في
كثرة وتتابع اربعين يوما قال علماء البيان قوله وفجرنا الارض عيونا ابلغ من ان لو قال وفجرنا عيون الارض
اى جعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر نظيره واشتعل الراس شيبا وقد مر فالتقى الماء اى جنسه يعنى
مياه السماء والارض يؤيده قراءة من قرا فالتقى الماءان على امر قد قدر اى على حال قدرها الله عز وجل كيف شاء او على
حال جاءت مقدرة متساوية اى قدر ماء السماء كقدر ماء الارض ولعله اشارة الى ان ماء الارض نبع
من العيون حتى اذا انتفع وعلا لقيه ماء السماء ويحتمل ان يقال اجتمع الماء على امر هلاكهم وهو مقدر في
اللوح وذات الواح ودسر هى السفينة وهى من الصفات التى تؤدى مؤدى الموصوف فتنوب منابه
وهذا الايجاز من فصيح الكلام وبديعه والدسر المسامير جمع دسار من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه
فعلنا كل ما ذكرنا من فتح ابواب السماء وغيره جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام ان وجود النبى نعمة
من الله وتكذيبه كفرانها يحكى ان رجلا للرشيد قال الحمد لله عليك فسئل عن معناه فقال انت نعمة حمدت الله
عليها والضمير في تركناها للسفينة او للفعلة كما مر في العنكبوت فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية
والمذكر المعتبر واصله مذتكر افتعال من الذكر والاستفهام فيه وفي قوله فكيف كان عذابى ونذرى انذارى
للتوبيخ والتخويف ولقد يسرنا القران سهلناه للاذكار والاتعاظ بنب المواعظ الشافية والبينات
الوافية وقيل للحفظ والاول انسب بالمقام وان روى انه لم يكن شى من كتب الله محفوظا على ظهر القلب سوى
القران سؤال ما الحكمة في تكرير ما تكرر في هذه السورة من الاى والجواب ان فايدته تجديد التنبيه على الاذكار
والاتعاظ والتوفيق على تعذيب الامم السالفة ليعتبروا بحالهم وطالما قرعت العصا لذوى الحلوم واصحاب
النهى وهذا حكم التكرير في سورة الرحمن عند عد كل نعمة وفي سورة المرسلات في كل اية ليكون موجدا للاذهان
محفوظة في كل اوان ونفس هذه القصص كم كررت في القران بعبارات مختلفة اوجز واطنب لان التكرير
يرجع الى التقرير والتذكير وتنبيه الغافل على ان كل موضع مختص بمزيد فايدة لم يعرف من غيره وانما كرر قوله فكيف
كان عذابى ونذر مرتين في قصة عاد لان الاستفهام الاول ورد للبيان كما يقول المعلم لمن لا يعرف كيف
المسئلة الفلانية ليصير المسئول سايلا فيقول كيف هى فيقول المعلم انها كذا وكذا والاستفهام الثانى للتوبيخ والتخويف

واما في قصة ثمود فاقتصر على الاول للاختصار وفي قصة نوح اقتصر على الثاني لذلك ولعله ذكر الاستفهامين معا في قصة عاد لفرط عتوهم وقولهم من اشد منا قوة وقد مر في حم السجدة تفسير الصرصر والايام النحسات و
انما وحد ههنا لانه اراد مبدا الايام ووصفه بالمستمر اي استمر عليهم ودام حتى اهلكهم وقيل استمر
عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وقيل المستمر الشديد المرارة وتنزع الناس تقلعهم
عن اماكنهم فتكبهم ويدق رقابهم اعجاز نخل منقعر منقطع عن مغارسه وفي التشبيه اشارة الى جثثهم الطوال
العظام ويجوز ان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس كاعجاز النخل اصولا بلا فروع قال
النحويون اسم الجنس الذي يميز واحده بالتاء جاز في وصفه التذكير كما في الاية والتانيث كما في قوله اعجاز
نخل خاوية هذا مع ان كلا من السورتين وردت على مقتضى فواصل قوله ابشرا من باب اضمر عامله على شريطة
التفسير وانما اولي حرف الاستفهام ليعلم ان الانكار لم يقع على مجرد الاتباع ولكنه وقع على اتباع البشر
الموصوف وانه من جهات احدها كونه بشرا وذلك لزعمهم ان الرسول لا يكون بشرا الثانية كونه منهم
وفيه بيان قوة المماثلة وفيه مزيد استكبار ان يكون الواحد منهم مختصا بالنبوة مع انهم اعرف بحاله
الثالثة كونه واحدا اي كيف يتبع الاية رجلا واحدا او ارادوا انه واحد من الاحاد دون الاشراف والسعر
النيران جمع سعير للمبالغة او لان جهنم دركات او لدوام العذاب كانه يقولان لم يتبعوني كنتم في ضلال
عن الحق وفي سعير فعكسوا عليه قائلين ان اتبعناك كنا اذا كما يقول وقيل الضلال البعيد عن الصواب
والسعر الجنون ومنه ناقة مسعورة وفي قوله القي عليه الذكر من بيننا تصريح بما ذكرنا من ان واحدا منهم
كيف اختص بالنبوة وفي الالقاء ايضا تعجب اخر منهم وذلك ان الالقاء انزال بسرعة وكانهم قالوا الملك
جسم والسماء بعيدة نزل في لحظة واحدة انكر والاصل الالقاء عليه من بينهم والاشر البطر المتكبر اي حمله بطره
وشاربه على ادعاء النبوة له ثم قال سبحانه تهديدا لهم ولامثالهم وسيعلمون غدا اي فيما يستقبل من الزمان
وهو وقت نزول العذاب او يوم القيمة من الكذاب الاشر وقرئ الاشر بالتشديد اي الابلغ في الشرارة و
حكى ابن الانباري ان العرب تقول هو اخير واشر وذلك اصل مرفوض ومن ثم استعملوه على الخطاب فاما
حكاية جواب صالح او هو على طريق الالتفات ثم انه تعالى خاطب صالحا بقوله انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها
من الصخرة كما سالوا فتنة امتحانا لهم فارتقبهم وتبصر ما هم فاعلون بها واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء
قسمة اي مقسوم بينهم حض العقلاء بالذكر تغليبا كل شرب محتضر فيه يوم لها ويوم لهم قال عز من قائل
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد مر في الشعراء وقال في الكشاف محضور لهم او للناقة وفيه ايهام وقيل
يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في شربها فنادوا صاحبهم وهو قدار تداء المستغيث وكان اشجع واجسر
على الامور وكان رئيسهم فتعاطى فاجترا على الامر العظيم فتنا ولها لعقر واخذته بها او تعاطى الناقة او السيف
او الاخر والهشيم الشجر اليابس المتهشم اي المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة ووجه التشبيه اما ان يحظره
يلبس بطول الزمان وبتوطاء البهايم فتكسر وانهم صاروا موتى جاثمين يلقي بعضهم فوق بعض كالحطب الذي
يكسر في الظرف والشوارع ويحتمل ان يكون ذلك لبيان كونهم وقودا للجحيم كقوله وكانوا لجهنم حطبا والحاصب
الريح التي ترميهم بالحجارة وقد مر في العنكبوت ولعل التذكير بتاويل العذاب والسحر القطع من الليل وهو السدس
الاخر كما مر في هود والحجر ولا صرف لانه نكرة واذا اردت سحر يومك لم يصرف والظاهر ان الاستثناء من الضمير
في عليهم لانه اقرب ولانه المقصود وجوز ان يكون استثناء من فاعل كذبت وهو بعيد نعمة مفعول له اي انعاما
وقوله كذلك نجزي من شكر اكثر المفسرين على انه اشارة الى انه تعالى يصون من عذاب الدنيا كل من شكر نعمة الله
بالطاعة والايمان وقيل انه وعد بثواب الاخرة كما نجيناهم من عذاب الدنيا تنعم عليهم يوم الحساب بالثواب وحين
اجمل قصتهم فصلها بعض التفصيل قائلا ولقد انذرهم لوط بطشتنا شدة اخذنا بالعذاب فتماروا بالنذر فتشككوا
في الانذارات ولقد راودوه عن ضيفه معناها قريب من المطالبة كما مر في يوسف والضمير للقوم باعتبار
البعض لان بعضهم راودوه وكان غيرهم راضين بذلك وكانوا جميعا على مذهب واحد فطمسنا اعينهم
مسحناها وجعلناها مع الوجه صفحة ملساء لا يرى لها شق وانما قال في يس ولو نشاء لطمسنا على اعينهم
بزيادة حرف الجر لانه اراد به اطباق الجفنين على العين وهو امر كبير الوقوع قريب من الامكان بخلاف

للمارودين من قوم لوط فانه انذروا به بعد والكل بالاضافة الى قدرة الله تعالى واحد الا انه حين علق الطمس
بالمشيئة ذكر ما هو اقرب الى الوقوع كيلا يكون للمنكر مجال كثير ونقل عن ابن عباس ان المراد بالطمس المنع عن
الادراك فما جعل على بصرهم شيئا غير انهم دخلوا ولم يروا هناك ولعل في هذا النقل خللا لانه لا يناسب
قوله عقيب ذكر الطمس فذوقوا عذابي ونذر اي فقلت لهم على السنة الملائكة فذوقوا العذاب وتبعة انذاري
ثم حكى العذاب الذي عم الكل بقوله ولقد صبحهم ولقائل ان يسال ما الفائدة في قوله بكرة مع قوله صبحهم
والجواب ان صبحهم يشمل من اول الصبح الى اخر الاسفار وانه تعالى وعدهم اول الصبح فاراد بقوله بكرة تحقيق ذلك
الوعد ويمكن ان يقال قد يذكر الوقت المبهم لبيان ان تعيين الوقت غير مقصود كما يقول خرجنا في بعض الاوقات
ولا فايدة فيه الا قطع العادة فانه ربما يقول السامع متى خرجتم فيحتاج الى ان يقول في وقت كذا او في وقت
من الاوقات فاذا قال الامر اول في وقت من الاوقات اشار الى ان غرضه بيان الخروج لا تعيين وفيه بمثله
اجيب عن قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ويحتمل ان يقال صبحهم معناه قال لهم بكرة عموا صباحا وهو نظير
التهكم كقوله فبشرهم بعذاب اليم ويجوز ان يكون التصبيح بمعنى الاعادة من قولهم باصباحاه والعذاب المستقر
الثابت الذي لا مدفع او الذي استقر عليهم ودام الاستيصال الكلي او الى القيمة وما بعدها قوله ولقد جاء
آل فرعون النذر بمعنى موسى وهرون وغيرهما لانهما عرضا عليه ما انذر به المرسلون او بمعنى الانذارات باياتنا
كلها هي الايات التسع او جميع معجزات الانبياء عليهم السلام لان يكذب البعض الكل العزيز المقتدر الغالب الذي
لا يعجزه شيء ثم خاطب اهل مكة بقوله اكفاركم خير من اولئكم المذكورين وهو استفهام انكار لان الاقدمين كانوا
اكثر عددا وعددا وقوة وبطشا ام لكم براءة في الزبر الكتب المتقدمة من كفر منكم كان امنا من سخط الله فامنتم
تلك البراءة كما ان النذر وهو من في يده القانون اصل الجراح اذا استوفى الجراح من اهل كتب لهم البراءة يقولون
نحن جميع جمع مجتمع امرنا منتصر منتقم عن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف فقال نحن ننتقم
اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار عن عكرمة لما نزلت هذه الاية قال عمر اي جمع
يهزم فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تاويلها بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى من انواع عذاب الدنيا وادهى والداهية اسم فاعل من دهاه امر كذا اذا اصابه ويختص
بامر صعب كالحادثة والنازلة وامر من المرارة وقيل من المرور اي ادوم واكثر مرارا وقيل من المرة الشدة قوله ان
المجرمين الاية روى الواحدي في تفسيره باسناده عن ابي هريرة قال جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول
الله صلى الله عليه وسلم في القدر فانزل الله تعالى هذه الاية الى قوله خلقناه بقدر وعن عائشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله في قوله ان المجرمين في
ضلال عن الحق في الدنيا وسعر نيران في الاخرة او في ضلال وجنون في الدنيا لا يهتدون ولا يعقلون
او في ضلال وسعر في الاخرة لانهم لا يجدون الى مقصودهم او الى الجنة سبيلا والنيران ظاهر انها في الاخرة
وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا الوحته والمشهور بناء على ان الحديث المذكور ان قوله انا كل
شيء متعلق بما قبله كانه قال ان مس النار جزاء من انكر هذا المعنى وهو منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر
قال النحويون النصب في مثل هذه الصورة لازم كيلا يلتبس المفسر بالصفة وذلك ان النصب نص في
المعنى المقصود واما الرفع فيحتمل معنيين احدهما كل شيء فانه مخلوق بقدر والقدر التقدير اي كل شيء
خلقناه مرتبا على وفق الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح ثابتا في سابق العلم الازلي واعلم انه قد مر في هذا
الكتاب ان الجبري يقول القدرية التي ذمها النبي صلى الله عليه وسلم هو المعتزلي الذي ينفي كون الطاعة
والمعصية بتقدير الله والمعتزلي يقول انه الجبري الذي يدعي ان الزنى والسرقة وغيرهما من القبائح
كلها بتقدير الله تعالى وكذا حال السني لانه وان كان يثبت للعبد كسبا الا انه يسند الخير والشر الى القضاء والقدر
وقال بعض العلماء ان كان واحد من الفريقين لا يدخل في اسم القدرية الا اذا كان الباقي باقيا لقدرة الله
لا ان يقول هو قادر على ان يلجي العبد الى الطاعة ولكن حكمته اقتضت بناء التكليف على الاختيار والا اذا
كان المثبت منكرا للتكليف وهم اهل الاباحة القائلين بان الكل اذا كان بتقدير الله فلا فايدة في التكليف
ولعل وجه تشبيههم بالمجوس هو انهم في امة محمد كالمجوس فيما بين الكفار المتقدمين وكما ان المجوس نوع

من الكفر اضعف شبهه واشد مخالفة للعقل فكذلك القدرية في هذه الامة وبهذا التاويل لا يلزم
الجزم بانهم من اهل النار وايضا لعل اسم القدرية لاهل الاثبات اولى منه لاهل النفي كما يقال دهري لانه يقول
بالدهر والثنوية لاثباتهم الهين اثنين او نورا وظلمة وقال بعضهم هذا الاسم باهل النفي اولى لان الاية نزلت
في منكري القدرة وهم المشركون القائلون بان الحوادث كلها مستندة الى الاتصالات الكواكب وانصرافاتها
ولا قدرة لله على شيء من ذلك قوله وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة وهي كن تاكيد لاثبات القدرة له وقد
مر مثله في النحل وقوله كلمح البصر تاكيد على تاكيد وهذا تمثيل والا فتكوينه وايجاده عين مشيته
وارادته ومعنى الخلق والامر ايضا تقدم مشبعا في الاعراف ثم هددهم مرة اخرى بقوله ولقد اهلكنا
اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم ثم ذكر نوعا اخر من التهديد مع بيان كمال القدرة والعلم فقال
وكل شيء فعلوه في الزبر اي في صحف الحفظة قال النحويون هذا مما اختير فيه الرفع لان النصب يكون نصا
في معنى غير مقصود بل فاسد اذ يلزم منه ان يكون كل شيء مفعولا في الزبر وهذا معنى غير مستقيم كما ترى
واما الرفع فيحتمل معنيين احدهما صحيح مقصود وهو ان يقدر قوله فعلوه صفة الشيء والظرف خبرا
اي كل شيء مفعول الناس فانه في الزبر والاخر ان يقدر الجملة خبرا ويبقى الظرف لغوا فيؤدي الكلام حينئذ
مؤدى النصب ولا ريب ان الوجه الذي يصح المعنى فيه على احد الاحتمالين اولى من الذي يكون نصا في المعنى
الفاسد ثم اكد المعنى المذكور بقوله وكل صغير وكبير من الاعمال بل كل ما وجد مستطر اي مسطور في اللوح
والنهر جنس اريد به الانهار اكتفي به للفاصلة وما سلف مثله مرارا كقوله ان المتقين في جنات وعيون
وقيل معناه السعة والضياء من الانهار في مقعد صدق في مكان مرضي من الجنة مقربين عند مليك
مقتدر لا يكتنه كنه عظمته واقتداره نظيره قول القائل فلان في بلد كذا في دار كذا مقربا عند الملك و
يحتمل ان يكون الظرف صفة مقعد صدق كما يقال قليل عند امين خير من كثير عند خاين قال اهل اللغة
والقعود يدل على المكث بخلاف الجلوس ولهذا يقال للمرء من مقعده دون مجلس ومنه قواعد البيت و
كذا في سائر تقاليبه من نحو دقع اذا لزق بالارض وعقد والاضافة في مقعد صدق كهي في قولك رجل
صادق في الرجولية كامل فيها ويجوز ان يكون سبب الاضافة ان الصادق وقد اخبر عنه وهو الله ورسوله او
الصادق اعتقد فيه وهو المكلف او يراد مقعد لا يوجد فيه كذب فان من وصل الى الله استحال عليه الا الصدق والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القران • خلق الانسان علمه البيان • الشمس
والقمر بحسبان • والنجم والشجر يسجدان • والسماء رفعها
ووضع الميزان • الا تطغوا في الميزان • واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان • والارض وضعها للانام •
فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام • والحب ذو العصف

والريحان • فباي الاء ربكما تكذبان • خلق الانسان
من صلصال كالفخار • وخلق الجان من مارج من نار • فباي
الاء ربكما تكذبان • رب المشرقين ورب المغربين • فباي
الاء ربكما تكذبان • مرج البحرين يلتقيان • بينهما برزخ
لا يبغيان • فباي الاء ربكما تكذبان • يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان • فباي الاء ربكما تكذبان • وله الجوار المنشآت
في البحر كالاعلام • فباي الاء ربكما تكذبان • كل من عليها
فان • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام • فباي الاء ربكما
تكذبان • يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في
شان • فباي الاء ربكما تكذبان • سنفرغ لكم ايها الثقلان •
فباي الاء ربكما تكذبان • يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون
الا بسلطان • فباي الاء ربكما تكذبان • يرسل عليكما شواظ
من نار ونحاس فلا تنتصران • فباي الاء ربكما تكذبان •
فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان • فباي الاء
ربكما تكذبان • فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان •
فباي الاء ربكما تكذبان • يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ
بالنواصي والاقدام • فباي الاء ربكما تكذبان • هذه جهنم
التي يكذب بها المجرمون • يطوفون بينها وبين حميم ان •

فباى الآء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان
فباى الآء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباى الآء ربكما
تكذبان فيهما عينان تجريان فباى الآء ربكما
تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباى الآء
ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق
وجنا الجنتين دان فباى الآء ربكما تكذبان فيهن
قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباى الآء
ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباى الآء
ربكما تكذبان هل جزآء الاحسان الا الاحسان فباى
الآء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباى الآء
ربكما تكذبان مدهآمتان فباى الآء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان فباى الآء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان فباى الآء ربكما تكذبان
فيهن خيرات حسان فباى الآء ربكما تكذبان
حور مقصورات فى الخيام فباى الآء ربكما تكذبان
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباى الآء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فباى الآء ربكما
تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام

القراءة والحب ذو العصف والريحان فيهما ابن عامر والحب ذا والعصف بالرفع فيهما والريحان بالجر حمزة وعلى وخلف الباقون برفع الريحان يخرج مجهولا من الاخراج ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب اللؤلؤ كنظائره الجوار بماله قتيبه وابو عمرو وطريق بن عبدوس المنشات بكسر الشين حمزة ويحيى طريق الصريفينى

سنفرغ بالياء حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون على طريقة الالتفات ايه الثقلان بضم الهاء مثل ايه المؤمنون شواظ بكسر الشين ابن كثير ونحاس الجر ابن كثير وابو عمرو وسهل لم يطمثهن بضم الميم فى احدهما مخير على دورى ابو الحرث عنه فى الاولى بالضم استبرق بنقل حركة الهمزة الى النون رويس والشمونى وحمزة فى الوقف ذو الجلال بالرفع ابن عامر **الوقوف** الرحمن القران الانسان البيان بحسبان لعطف الجملتين المتفقتين يسجدان الميزان ليتعلق ان المیزان المیزان للانام لان الجملة بعدها حال فاكهة الاكمام والريحان لابتداء الاستفهام مع دخول فاء التعقيب والوقف اجوز لان الابتداء بالاستفهام مبالغة فى التنبيه وكذلك فى جميع السورة تكذبون المغربين يلتقيان لان ما بعده حال ضمير فى يلتقيان ولا يبغيان حال بعد حال تكذبان والمرجان تكذبان كالاعلام تكذبان فان لعطف الجملتين المختلفتين والاولى الوصل لان الكلام يتم بالثانى والاكرام تكذبان والارض شان تكذبان الثقلان تكذبان فانفذوا سلطان تكذبان فلا تنتصران تكذبان كالدهان تكذبان ولا جان تكذبان والاقدام تكذبان المجرمون لانه لو وصل صار ما بعده حالا من المجرمين وليس كذلك ان تكذبان جنتان لان قوله ذواتا صفة افنان تكذبان تجريان تكذبان زوجان لان متكئين حال الا ان الكلام قد تطاول من استبرق دان تكذبان الطرف لم يطمثهن حال من هن جان تكذبان والمرجان تكذبان الا الاحسان تكذبان جنتان تكذبان مدهامتان تكذبان نضاختان تكذبان ورمان حسان تكذبان الخيام تكذبان جان تكذبان حسان تكذبان والاكرام **التفسير** افتتح السورة المتقدمة بذكر معجز يدل على الهيبة والعظمة وهى انشقاق القمر وافتتح هذه السورة بذكر معجز يدل على الرحمة والعناية وهى القران الكريم الذى فيه شفاء القلوب والطهارة عن الذنوب واسبق الالاء قدما واجل النعم منصبا وبين السورتين مناسبة اخرى من جهة انه ذكر هناك ما يدل على الانتقام والغضب كقوله فذوقوا عذابى ونذر وقوله فكيف كان عذابى ونذر وذكر فى هذه السورة بعد تعداد كل نعمة فباى الاء ربكما مرة بعد مرة وتكرار النعمة نعمة على نعمة لانها مما يوقظ الوسنان وينبه اهل الغفلة والنسيان قال جار الله الرحمن مبتدا والافعال بعده مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف امالان الفاعل قام مقام المصدر واما لمجيئها على نمط التعديد كما يقول زيدا اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعله احد باحد فما ينكر من احسانه قلت فعلى هذا لو لم يكن يوقف على القران جاز وقيل الرحمن مبتدا اى هو الرحمن ثم استانف قائلا علم القران وما مفعوله الاول قيل هو متعد الى واحد والمعنى جعل القران علامة واية للنبوة وقيل هو جبرائيل اى علم جبرائيل القران حتى نزل به على محمد وقيل علم محمدا والانسان القران كما يليق بفهمهم وعلى حسب استعدادهم ولعله يلزم من الوجه الاخير شبه تكرار من قوله خلق الانسان علمه البيان فالاول اشارة الى قواه البدنية والثانى اشارة الى قواه النطقية ويلزم ايضا ان يكون التعليم قبل الخلق ظاهرا الا ان يكون تفصيلا لما اجمله وقد نقل عن ابن عباس ان الانسان ادم علمه الاسماء كلها او محمد عليه السلام والبيان القران فيه بناء ما كان وما يكون الى يوم القيمة قوله الشمس والقمر بحسبان اى بحسبانه استغنى عن الوصل اللفظى بالربط المعنوى لرعاية الفاصلة يعنى انهما يجريان فى بروجهما ومنازلهما بحساب معلوم والنجم وهو النبات بغير ساق والشجر يسجدان بالانقياد له وانما وسط العاطف بين هاتين الجملتين لما بين العلوى والسفلى من تناسب التقابل ولما بين الحسبان والسجود من تناسب التجانس وذلك ان سيرهما بحساب مقدر مقرر هو من جنس الانقياد لامر الله والسماء رفعها قال فى الكشاف اى خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على انبيائه قلت انه حمل الرفع على ارتفاع المنزلة ولعل المراد به الرفع الحسى ليطابق قوله والارض وضعها اى خفضها فى مركز العالم مدحوة مختلطة بالماء ثم لو حمل وضع الارض عبارة عن ذلها وتسخيرها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا صح تفسيره وانما وسط قوله ووضع الميزان بين رفع السماء ووضع الارض لانه لا ينتفع بالميزان الا اذا كان معلقا فى الهوا بين الارض والسماء وهذا امر حسى واما العقلى فهو انه بداء اولا من النعم بذكر القران الذى بيان الشرائع والتكاليف ثم اتبعه ذكر كيفية خلق الانسان وقواه النفسانية وما يتم به معاشه من السماويات والارضيات ثم ذكر انه خلق لاجلهم آلة الوزن بها يقيمون العدالة فى معاملاتهم وامور معايشهم نظائره كما مر فى حم عسق الله الذى انزل الكتاب بالحق

في الميزان وكما يجي في الحديد وانزلنا معهم الكتاب والميزان وان في قوله الا تطغوا او توموا لسان الميزان
بالعدل ولا تخسروا الميزان اي لا تجعلوها سببا للخسران والتطفيف وفي تكرير لفظ الميزان بل في ورود
هذه الجمل المتقاربة الدلايل مكررة اشارة الى الاهتمام بامر العدل وندب اليه وتحريض عليه وقيل الاول
ميزان الدنيا والثاني ميزان الاخرة والثالث ميزان العقل وقيل نزلت متفرقة فاقتضى الاظهار بقوله للانام
اي لكل ما على ظهر الارض من دابة وقيل للانسان وخص بالذكر لشرفه ولان الباقي خلق لاجله فيها فاكهة
التنوين للتعظيم وهي كل ما يتفكه به وقد افرد النخل بالذكر للتفصيل ولانه فاكهة غذائية والاكمام جمع كم
وهو وعاء الثمر ثم ذكر اقوات البهايم والانسان قايلا والحب ذو العصف وهو ورق الزرع او التبن و
قال الفرا والسدي هو اول ما ينبت من الزرع والريحان الرزق ومن رفع معنى حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه اي الريحان وقال الحسن وابن زيد على هذه القراة هو ريحانكم الذي يشم ثم خاطب
الجن والانس بقوله فباي الاء ربكما تكذبان وعن جابر بن عبد الله قال قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي اريكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية مرة الا
قالوا ولا بشي من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال جار الله الخطاب في ربكما للثقلين بدلالة الانام عليهما فلت
وبما يصرحه في قوله يا ايها الثقلان سميا بذلك لانهما ثقلا الارض او بما سيذكر عقيبه من قوله خلق الانسان
والجان خلقناه وقيل التكذيب اما باللسان وبالقلب معا واما بالقلب دون اللسان كما للمنافقين فكانه
قال فيا ايها المكذبون باي الاء ربكما تكذبان وقيل اراد فيا ايها المكذبان بالدلايل السمعية والعقلية او
بدلايل الافاق ودلايل الانفس والاستفهام للتوبيخ والزجر قوله خلق الانسان من صلصال قد مر في سورة
الحجر الا انه شبهه ههنا بالفخار وهو الخزف بيانا لغاية يبس طينه وكوارته والتركيب يدل عليه ومنه
الفخور ولولا يبس دماغه لم يفخر ومنه الفرخ لانه ينشق البيضة منه وكل يابس عرضة للتشقق ومنه
الحرف لغاية يبوسة مزاجه والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه
من مرج اذا اضطرب ولعلها المخلوطة بسواد النار من مرج الشي اختلط قوله من نار بيان المارج كانه قيل
من صاف من نار ويجوز ان يكون نارا مخصوصة فيكون صفة رب المشرقين يعني مشرق الصيف ومشرق
الشتاء والاول مطلع اول السرطان والثاني مطلع اول الجدي هذا في بلادنا الشمالية والحال في الجنوبية بالعكس
قوله مرج البحرين وقد مر في الفرقان ان معناه ارسلهما ملحا وعذبا متلاقيين بينهما برزخ لا يبغيان
اي لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة يخرج منهما اي من كل منهما وقال في الكشاف اعاد الضمير الى البحرين لاتحادهما
فالخارج من العذب كانه خارج من الملح يقول خرجت من البلد ولم يخرج الا من محلة بل من دار وقال
ابو علي الفارسي اراد من احدهما فحذف المضاف قلت ونحن قد سمعنا ان الاصداف تخرج من البحر المالح و
من الامكنة التي فيها عيون عذبة في مواضع من البحر الملح ويؤيده قوله سبحانه في فاطر ومن كل تاكلون لحما
طريا وتستخرجون حلية تلبسونها فلا حاجة الى هذه التكلفات قال الفرا وغيره من اهل اللغة اللؤلؤ والدر
والمرجان ما صغر منه وعن مقاتل بالضد وشبيه ان يكون اللؤلؤ هذا الجنس المعروف والمرجان
البسذ يقال انه ينبت في بحر الروم والافرنج كالشجر وهو الفصل المشترك بين المعدن والنبات والجوار
السفن الجارية حذف الموصوف للعلم به من قرا المنشات بفتح الشين فمعناها المرفوعات الشرع او التي
رفع خشبها بعضها على بعض وركب حتى رفعت والقاري بالكسر اراد الرافعات الشرع او اللاتي تنشين
الشين او بتنشين الامواج بجريهن والاعلام الجبال الطوال شبههن في البحر بالجبال في البر والضمير في
عليها للارض بدلالة المقال او الحال والوجه عبارة عن الذات كما مر في تفسير البسملة وفي قوله كل شي
هالك الا وجهه وقوله ذو صفة للوجه وهو على القياس وفيه دلالة على ان الوجه والرب ذات
واحد بخلاف قوله في اخر السورة تبارك اسم ربك فان الاسم غير المسمى في الاصح فلهذا قال
ذي الجلال والاكرام ومعناه ذو العظمة والتعظيم كما سبق في البسملة والنعمة في فناء على الارض وهو
مجي وقت الجزا يسئله من في السموات من الملائكة ومن في الارض الثقلين الملائكة لمصالح الدين والثقلان
لمصالح الدارين وعن مقاتل يسال اهل الارض الرزق والمغفرة ويسال الملائكة ايضا الرزق والمغفرة للناس

كل يوم هو في شان سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الشان فقال من شانه ان يغفر
ذنبا ويفرج كربا ويضع اخرين قلت هذا التفسير يطابق ما قررنا في الحكمة وما ذكرنا في الكتاب مرارا
من ان القضاء هو الحكم الكلي الواقع في الازل والقدر هو صدور تلك الاحكام في ازمنتها المقدرة فبالاعتبار
الاول قال جف القلم بما هو كاين وبالاعتبار الثاني قال كل يوم هو في شان وهذا بالنسبة الى الممكنات و
لا يعني في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وبالجملة انها شيون يبديها لا شيون يبتديها وروى
الواحدي في البسيط عن ابن عباس ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضا دفتاه ياقوته حمرا
قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثماية وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل
ويفعل ما يشاء وحين بين ان كل زمان مقدر لاجل شان قال سنفرغ لكم قال اهل البيان هو مستعار
من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك والمراد تجرد داعية للايقاع به والنكاية فيه والمراد ان شيون
سينتهي الى شان الجزاء وقصد المحاسبة ثم هدد الثقلين بانهم لا يستطيعون الهرب من احكامه و
اقضيته فيهما نفذ الشي اذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية واقطار السموات والارض نواحيها و
احدها قطر وهو في الهندسية عبارة عن الخط المنصف للداير والسلطان القوة والغلبة اراد انه
لا مفر من حكمه الا بتسلط تام ولا سلطان فلا مفر قال الواحدي اراد انه لا خلاص من الموت ويحتمل ان يخص
هذا بيوم الجزاء المشار اليه بقوله سنفرغ لكم ويؤيده ما روي ان الملائكة تنزل الجن والانس هربوا فلا
ياتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به ويعضده قوله عقيبه يرسل عليكما الاية جاء في الخبر يحاط
على الخلق بلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس الاية وذلك قوله يرسل عليكما شواظ وهو اللهب
الذي لا دخان معه وقرا ابن كثير بكسر الشين لغة اهل مكة يقولون شوار من بعير وشواز بالضم والكسر
النحاس الدخان من قرا بالرفع فمعنى يرسل عليكما هذه مرة وهذه مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير ان
يمتزج احدهما بالاخر ومن قرا بالجر فبتقدير وشي من نحاس وعن ابي عمرو ان الشواظ يكون من الدخان
ايضا وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ
الى المحشر فلا تنتصران فلا تمتنعان فاذا انشقت السماء لنزول الملائكة وكانت وردة اي حمرا كالدهان
هو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام شبهها بدهن الزيت كقوله كالمهل وهو دردي الزيت وقيل
الدهان الاديم الاحمر ابن عباس يصير كلون الفرس الورد وقيل تحمر احمرار الورد ثم تذوب ذوبان الدهن
وقال قتادة هي اليوم خضرا ولها يوم القيمة لون اخر الى الحمرة والفاء في قوله فاذا للتعقيب وفي فكانت
للعطف والجواب محذوف كما يجي في قوله اذا السماء انشقت والمراد انهما لا ينتصران حين ارسال الشواظ
عليهما فحين ينشق السماء وصارت الارض والجو والهواء كلها نارا ويذوب السماء كما يذوب النحاس الاحمر
كيف ينتصران ويمكن ان يكون وجه تشبيه السماء يومئذ بالدهن هو الميعان والزبان لسرعة وعدم
رسوب الخبث كخبث الحديد ونحوه والغرض بيان نشاطه السماء وانه لا اختلاف الحرا فيها فيومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان وضع الجان الذي هو ابو الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والضمير في ذنبه عايد الى
الانس لان الفاعل رتبته التقديم وكانه قيل لا يسال بعض الانس عن ذنبه ولا بعض الجن والجمع بين هذه الاية
وبين قوله فوربك لنسالنهم وهو ما مر من ان المواطن مختلفة او لا يسال سوال استعلام وانما يسال
سوال توبيخ وتقريع وعندي انه بيان عدم احتياج المذنب الى السوال عن حاله لان كل ما هو اليوم فيه
كامن فذلك في يوم القيمة يظهر ويبرز من ظلمة الطبيعة والعصيان او من نور الطاعة والايمان واليه الاشارة
بقوله يعرف المجرمون بسيماهم من سواد الوجه وزرقة العين فيوخذ كل منهم او جنس المجرم بالنواصي اي
بسببها ولعل المراد ان يجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف او من قدام ويلقون في النار وروي الحسن
عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لقد خلقت ملايكة
جهنم قبل ان تخلق جهنم بالف عام فهم كل يوم يزدادون قوة الى قوتهم حتى يقبضوا من قبضوا عليه بالنواصي
والاقدام ويجوز ان يكون الفعل مسندا الى قوله بالنواصي نحو ذهب بزيد ثم ذكر انهم يوبخون بقول الملايكة
لهم هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون والاصل الخطاب والالتفات للتبعيد وللتسجيل عليهم بالاجرام

والآن الذي بلغ منتهى حره قال الزجاج انى يأني اناء اذا انتهى في النضج والحرارة والمعنى انهم لا يزالون طائفين
بين عذاب الجحيم وبين الحميم وذلك حين ما يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال جار الله نعمة الله فيما ذكره
من الاهوال وانواع المخالف هي نجاة الناجي منه وما في الانذار به من اللطف ويمكن ان يراد باى الآلاء المعدودة
في اول السورة تكذبان فتستحقان هذه الاشياء المذكورة من العذاب ثم شرع في ثواب اهل الخشية و
الطاعة قائلا ولمن خاف مقام ربه وقد مر نظيره في ابرهيم قوله ذلك لمن خاف مقامي قال المفسرون الجنتان
احدهما للخائف الانسي والثانية للخائف الجني او احديهما للفعل الطاعات والثانية لترك المنكرات او احديهما
للجزاء والاخرى للزائد عليه تفضلا او هما جنة عدن وجنة النعيم او احديهما جسمانية والاخرى روحانية
وقيل التثنية للتاكيد كقوله ألقيا وهو ضعيف والافنان جمع الفنن وهو الغصن المستقيم طولا قاله
مجاهد وعكرمة والكلبي وغيرهم وانما خصهما بالذكر لانها هي التي تورق وتثمر وتظل والساق لاجل ضرورة
القيام ولا ضرورة في الجنة ولا كلفة وعن سعيد بن جبير جمع فن والمعنى انهما صاحبتا فنون النعم وعلى
هذا يكون قوله فيهما من كل فاكهة زوجان اى صنفان لتفصيل بعد اجمال الصنفان رطب ويابس او معروف
وغريب فيهما اى في كل منهما عينان تجريان من جبل من مسك احديهما في الاعالي والاخرى في الاسافل و
قال الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل متكئين حال من الخائفين المذكورين
في قوله ولمن خاف وجوز ان يكون نصبا على المدح قال المفسرون اذا كانت بطائن الفرش وهي التي تجنب
الظهارة مما يلي الارض من استبرق فما ظنك بظهائرها ويجوز ان يكون ظهائرها من السندس والتحقيق انه
لا يعلمها الا الله كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وجنى الجنتين اى ثمرها دان قريب يناله القائم والقاعد
والنائم قال جار الله فيهن اى في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى
وقيل في الفرش اى عليها وقيل في الجنان لان ذكر الجنتين يدل عليه ولانهما يشتملان على اماكن ومجالس
ومتنزهات وهذا الوجه عندي اظهر وسيجيء بيانه بنوع آخر عن قريب قال الفراء الطمث الافتضاض
وهو النكاح بالتدمية وقبلهم اى قبل اصحاب الجنتين واللفظ تدل عليه قال مقاتل هن من حور الجنة
وقال الكلبي والشعبي هن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه
انسي ولا جني قال في الكشاف لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس والجنيات احد من الجن قلت هذا
التفصيل لعله لا حاجة اليه يعرف بادنى تامل قال الزجاج فيه دليل على ان الجن تطمث الانس ثم ذكر انهن
في صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ الصغار هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الجزاء وعن ابن عباس
قال هل جزاء من قال لا اله الا الله محمد رسول الله الا الجنة وحين فرغ من نعت جنتي المقربين شرع في وصف
جنتين لاصحاب اليمين فقال ومن دونهما اى ومن اسفل منهما في المكان او في الفضل وفيهما وهو الاظهر
روى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما
وما فيهما مدهامتان هو من الادهيمام ادهام يدهام فهو مدهام نظير اسواد يسواد فهو مسواد في اللفظ
والمعنى وذلك ان كل نبت اخضر فتمام خضرته من الري ان يضرب الى السواد نضاختان فوارتان والنضخ
بالخاء المعجمة اكثر من النضح وهو الرش قال ابن عباس تنضخ على اولياء الله المسك والعنبر والكافور وافرد
النخل والرمان بالذكر بعد اندراجهما في الفاكهة لفضلهما وشرفهما فالنخل فاكهة وطعام والرمان
فاكهة ودواء كامل ومنه قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه
ووافقهما الشافعي والخيرات مخفف خيرات لان الخير الذي هو بمعنى التفضيل لا يجمع جمع السلامة والمعنى
انهن فاضلات الاخلاق حسان الصور واعلم انه سبحانه قال في موضعين عند ذكر الحور فيهن وفي
سائر المواضع فيهما والسر فيه ان اتمام اللذة عند اجتماع النسوان للرجل الواحد هو ان يكون لكل منهن
مسكن على حدة متباعد عن مسكن الاخرى واسع بحيث يسع ما يليق بحاله وبحالها من الجواري والغلمان
وسائر الاسباب فيحصل هناك متنزهات كثيرة كل منها جنة وكان في ضمير الجمع اشارة الى ذلك واما العيون
والفواكه فلم يكن شيء منها بهذه المثابة من كمال اللذة فاكتفى فيها بعود الضمير الى الجنتين فقط والمقصورات
اللواتي قصرن اى حبسن في خدور وهن امرأة مقصورة اى مخدرة روى قتادة عن ابن عباس الخيمة درة مجوفة

طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم الآخرون قال اهل المعاني كنى عن الجماع في الدنيا
بنحو قوله من قبل ان تمسوهن وذكر الجماع في الآخرة بلفظ تقرب من التصريح وهو الطمث فما الحكمة في ذلك والجواب
ان المباشرة في الدنيا قبيحة لما فيها من قضاء الشهوة واسقاط القوة وهي في الآخرة بخلاف ذلك فانها داعية
روحانية ولذة حقيقية فلم يحتج الى الكناية لان الكنايات انما تجري في الهنات قال جار الله متكئين نصب على
الاختصاص وقلت يجوز ان يكون حالا والعامل مضمر يدل عليه قوله لم يطمثهن انس قبلهم اى يطمثونهن في حال
الاتكاء قال ابو عبيدة والضحاك ومقاتل والحسن الرفرف ضرب من البسط وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال
لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف وقال الزجاج الرفرف ههنا رياض الجنة وقيل الوسائد قال جار
الله العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وعن ابي عبيدة
كل وشي من البسط عبقري وهو جمع واحده عبقرية ومما يدل على ان صفات هاتين الجنتين تتقاصر عن الاوليين
قوله مدهامتان فانه دون قوله ذواتا افنان وذلك ان كمال الخضرة لا توجب كون البستان ذا فنن ونضاختان
دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ قال اهل العلم كرر قوله فباي آلاء ربكما تكذبان
احدى وثلثين مرة ثمانية منها ذكرها عقيب تعداد عجائب خلقه وذكر المبدأ والمعاد ثم سبعة منها عقيب ذكر النار
واهوالها على عدد ابواب جهنم وبعد هذه السبعة اورد ثمانية في وصف الجنان واهلها على عدد ابواب
الجنة وثمانية بعدها عقب وصف الجنات التي دونها فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها
استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة ثم نزه نفسه عما لا يليق بحاله وختم السورة عليه و
الاسم مفخم كما بينا وفائدة التوسيط سلوك سبيل الكناية كما يقال ساحة فلان تريد عن المثالب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة ۝ ليس لوقعتها كاذبة ۝ خافضة رافعة ۝
اذا رجت الارض رجا ۝ وبست الجبال بسا ۝ فكانت هباء
منبثا ۝ وكنتم ازواجا ثلثة ۝ فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة ۝ واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة ۝ والسابقون
السابقون ۝ اولئك المقربون ۝ في جنات النعيم ۝ ثلة من
الاولين ۝ وقليل من الآخرين ۝ على سرر موضونة ۝ متكئين
عليها متقابلين ۝ يطوف عليهم ولدان مخلدون ۝ باكواب
واباريق وكاس من معين ۝ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ۝

وفاكهة مما يتخيرون ۝ ولحم طير مما يشتهون ۝ وحور عين
كامثال اللؤلؤ المكنون ۝ جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون
فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ۝ واصحاب اليمين ما
اصحاب اليمين ۝ في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود
وماء مسكوب ۝ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة
وفرش مرفوعة ۝ انا انشانا هن انشاء فجعلنا هن ابكارا
عربا اترابا لاصحاب اليمين ۝ ثلة من الاولين ۝ وثلة من الاخرين
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال ۝ في سموم وحميم وظل من
يحموم ۝ لا بارد ولا كريم ۝ انهم كانوا قبل ذلك مترفين
وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون
اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمبعوثون ۝ اوآباؤنا
الاولون ۝ قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات
يوم معلوم ۝ ثم انكم ايها الضالون المكذبون ۝
لاكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون
عليه من الحميم ۝ فشاربون شرب الهيم ۝ هذا نزلهم يوم
الدين ۝ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ۝ افرايتم ما تمنون ۝
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ۝ نحن قدرنا بينكم الموت
وما نحن بمسبوقين ۝ على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما
لا تعلمون ۝ ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون

افرايتم ما تحرثون ۝ ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء
لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ۝ انا لمغرمون ۝ بل نحن
محرومون ۝ افرايتم الماء الذي تشربون ۝ ءانتم انزلتموه من
المزن ام نحن المنزلون ۝ لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون
افرايتم النار التي تورون ۝ ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن
المنشئون ۝ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح
باسم ربك العظيم ۝ فلا اقسم بمواقع النجوم ۝ وانه لقسم لو
تعلمون عظيم ۝ انه لقرآن كريم ۝ في كتاب مكنون
لا يمسه الا المطهرون ۝ تنزيل من رب العالمين ۝ افبهذا
الحديث انتم مدهنون ۝ وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون ۝ فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون
ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ۝ فلولا
ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين
فاما ان كان من المقربين ۝ فروح وريحان وجنة
نعيم ۝ واما ان كان من اصحاب اليمين ۝ فسلام لك من
اصحاب اليمين ۝ واما ان كان من المكذبين الضالين ۝
فنزل من حميم ۝ وتصلية جحيم ۝ ان هذا لهو حق اليقين ۝ فسبح
باسم ربك العظيم

القراءة ينزفون من باب الافعال عاصم وحمزة وعلي وخلف
الباقون بفتح الزاء وحور عين بجرهما يزيد وحمزة وعلي عربا بالسكون
حمزة وخلف ويحيى وحماد واسمعيل هذا ابتاكما في الرعد الا ابن عامر فانه تابع عاصما والا يزيد فانه تابع قالون
شرب بضم الشين ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وسهل الباقون بالفتح وكلاهما مصدر قدرنا بالتخفيف ابن
كثير انا لمغرمون بهمزتين ابو بكر وحماد الاخرون بهمزة واحدة مكنون على الجنس لوقع على الوحدة حمزة وعلي وخلف

تكذبون بالتخفيف المفضل فروح بضم الراء قتيبه ويعقوب الوقوف الواقعه بناء على ان العامل في
الطرف هوليس ولوكان منصوبا باضمار اذكر اوكان الجواب محذوفا اى اذا وقعت الواقعه كان كيت وكيت صح
الوقف كاذبه لئلا يصير مابعدها دافعه ليعلق الظرف بخافضه اولكونه بدلا من الاول رجا بسا منبثا ثلثه
مااصحاب الميمنه لتناهى استفهام التعجب مااصحاب المشامه السابقون تاكيد والجمله مبدء خبر المقربون لاحتمال
ان مابعده خبر مبتدا محذوف اى هم في جنات نعيم الاولين الاخرين موضونه متقابلين مخلدون معين
ولاينزفون يتخيرون يشتهون لمن قرا وحور عين بالرفع المكنون يعملون تاثيما سلاما مااصحاب اليمين
مخضود منضود ممدود مسكوب كثيره ممنوعه مرفوعه انشاء ابكارا اترابا اليمين الاولين الاخرين
مااصحاب الشمال وحميم يحموم ولاكريم مترفين العظيم لمبعوثون الاولون الاخرين معلوم
المكذبون دقوم البطون والوقف اجوز الجحيم الهيم الدين يصدقون تمنون الخالقون بمسبوقين
لايعلمون تذكرون تحرثون الزارعون تفكهون لمغرمون محرومون تشربون المنزلين تشكرون
يورون المنشئون للمقوين العظيم النجوم عظيم كريم مكنون المطهرون العالمين مدهنون
تكذبون الحلقوم تنظرون لاتبصرون مدينين صادقين المقربين نعيم اليمين اليمين الضالين
حميم جحيم اليقين العظيم التفسير اذا وقعت الواقعة نظير قولك حدثت الحادثة وكانت الكاينه
وهى القيمة التى يقع محاله يقال وقع ماكنت اتوقعه اى نزل ماكنت ارتقب نزوله واللام في لوقعتها للوقت اى
لايكون حين يقع نفس تكذب على الله لان الايمان حينئذ بما هو غايب الان ضرورى الا انه غيرنافع لانه ايمان
الباس ويجوز ان يراد ليس لها وقتيئذ نفس تكذبها ويقول لها لم تكونى لان انكار المحسوس عين معقول وجوز
جارالله ان يكون من قولهم كذب فلان نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على معاشرته وقالت له انك تطيقه
فيكون ان المراد ان القيمة وقعت لاانطاق شده وفضاعة وان لانفس حينئذ يحدث صاحبها بما تحدثته
به عند عظايم الامور وقيل هى مصدر كالعافيه مئول المعنى الى الاولى وقال في الكشاف هو بمعنى التكذيب
من قولهم حمل على قرنه فما كذب اى فما جبن وماتثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له
والحاصل من هذا التوحيد انها اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضه رافعه اى هى تخفض اقواما و
ترفع اخرين اما لان الواقعات العظام تكون كذلك كما قال شعر وما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة اخرينا
واما لان الاشقياء الدركات والسعداء الدرجات واما لان زلزلة الساعة تزيل الاشياء عن مقادها فينتثر
الكواكب وتسير الجبال في نحو يونه وقوله اذا رجت الارض اى حركت تحريكا عنيفا حتى ينهدم كل بناء
عليها وبست الجبال اى فتت حتى تعود كالسويق وسبقت من بس الغنم اذا ساقها فكانت اى صارت غبارا
منبثا ثم ذكر احوال الناس يومئذ قايلا وكنتم بلفظ الماضى لتحقق الوقوع ازواجا ثلثه ثم فصلها فقال
واصحاب الميمنه وهو تعجب من شانهم كقولك زيد يازيد سموا بذلك لانهم يوتون صحايفهم بايمانهم
اولانهم اهل المنزلة السنيه من قولهم فلان منى باليمين اذا وصفته بالرفعه عندك وذلك لتيمنهم
بالميامن دون الشمايل وتبركهم بالسانح دون البارح ولعل اشتقاق اليمين من اليمين والشمال من الشوم
والسعداء ميامين على انفسهم والاشقيا مشائيم عليها وروى ان اهل الجنة يوخذبهم الى جانب اليمين
واهل النار يوخذ بهم الى الشمال والسابقون الذين سبقوا الى مادعاهم الله اليه من التوحيد والاخلاص
والطاعة هم السابقون عرف الخبر للمبالغه كقوله وشعرى بريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك
وصفهم وعلى هذا يحسن الوقف على السابقون اولئك المقربون الى مقامات لايكشف المقال منها غير
خيال والعارفون يقولون لهم انهم اهل الله وفي لفظ السبق اشاره الى ذلك في جنات النعيم اخفاء
حالهم وبيان محل اجسادهم اوهى الجنة الروحانيه ثلة من الاولين اى جماعه كثيرة من لدن ادم الى اقرب
زمان نبينا صلى الله عليه وسلم قال اهل الاشتقاق اصل الثله من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو
الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منه اشتق الامام منه ان يحصل الامة المعنيه وقليل من
من الاخرين اى من هذه الامة قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بهم اكثر ممن عاين النبى
صلى الله عليه وسلم وههنا سؤال وهو انه كيف قال ههنا وقليل من الاخرين وفيما بعد قال وثلة

من الاخرين والجواب ان الثلتين في ايه اصحاب اليمين هما جميعا من امة محمد قال الزجاج وهو قول مجاهد
والضحاك يعنى جماعة ممن تبع النبى صلى الله عليه وسلم وعاينه وجماعة ممن امن به وكان بعده وروى الواحدى
في تفسيره باسناده عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الجميع الثلتين من امتى واجاب بعضهم بانه
لما نزلت الاية الاولى شق على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة
من الاولين وثلة من الاخرين وزيف هذه الرواية بظهور ورود الاية الاولى في السابقين والثانيه
في اصحاب اليمين وبان النسخ لايتضح بل لايصح في الاخبار وبان الايه الاولى لايوجب الحزن ولكنها يقتضى
الفرح من حيث انه اذا كان السابقون في هذه الايه موجوده فان كانوا قليلين وقد صح انه لانبى بعد محمد لزم
ان يكون بعض الامه مع محمد صلى الله عليه وسلم سابقين فيكونون في درجة الانبياء والرسل الماضين
ولعل في قوله علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل اشارة الى هذا واقول عندى ان الجواب الصحيح هو ان السابقين
في الامة الماضية يجب ان يكون اكثر لان فيض الله سبحانه المقدر للنوع الانسانى اذا ودع على اشخاص
اقل يكون نصيب كل منهم اوفر مما لو قسم على اشخاص اكثر ولعلنا قد كتبنا في هذا المعنى رساله وعسى ان
يكون هذا سببا لخاتمة نبينا صلى الله عليه وسلم واما اصحاب اليمين وهم اهل الجنة كما قلنا فانهم كثيرون من
هذه الامة لانهم كل من امن بالله ورسوله وعمل صالحا جواب اخر وهو ان يقال الخطاب في قوله كنتم ازواجا لامة
محمد صلى الله عليه وسلم والاولون منهم الصحابة والتابعون كقوله والسابقون الاولون والاخرون منهم هم
الذين يلونهم الى يوم الدين ولاريب ان السابقين يكونون في الاولين اكثر منهم فى الاخرين واما اصحاب اليمين
فيوجدون في كلا القبيلين كثيرا وعلى هذا يكون التزييف المذكور ساقطا ولا فسخ لامكان اجتماع مضمونى
الخبرين في الواقع هذا ما سنح في الوقف والله تعالى اعلم بمراده ثم وصف حال المقربين بقوله على سرر موضونة
قال المفسرون اى منسوجه بقضبان الذهب مشبكه بالدر والياقوت قد دخل بعضها في بعض كما يوصف
خلق الدرع استقروا على السرر متكئين قوله ولدان مخلدون اى غلمان لايهرمون ولايتغيرون قال الفراء العرب
يقول للرجل اذا كبر ولم يشمط انه لمخلد قال ويقال مخلدون مقرطون من الخلدة وهو القرط وقيل هم
اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها قال جارالله روى هذا عن
على والحسن قال وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة والاكواب الاقداح المستديره
الافواه لا اذان لها ولا عرى والاباريق ذوات الخراطيم الواحد ابريق وهو الذى يبرق لونه من صفائه
والباقى مفسر في الصافات الى قوله مما يتخيرون اى يختارون تخيرت الشى اخذت خيره قال ابن
عباس يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى من قرا وحور عين بالرفع ولهم وعندهم
حور ومن خفضها فعلى العطف المعنوى اى يكرمون او ينعمون باكواب وبكذا وكذا والكاف في قوله
كامثال للمبالغة في التشبيه قوله جزاء مفعول له اى يفعل بهم ذلك كلمة لاجل الجزاء قوله ولا تاثيما
اى لايقول بعضهم لبعض اثمت لانهم لايتكلمون بما فيه اثم وانتصب سلاما على البدل من قيلا او على انه
مفعول به اى لايسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما عقيبه سلاما ثم عجب من شان اصحاب اليمين و
السدر شجر النبق والمخضود الذى لاشوك له كانه خضد شوكه وقال مجاهد هو بن حصد الغصن
اذا ثناه وهو رطب كانه من كثرة حمله ثنى اغصانه والطلح شجرة الموز او ام غيلان كثير النوار طيب الرايحة
وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وفي الكشاف ان عليا كرم الله وجهه انكره وقال
ماشان الطلح انما هو طلع وقرا قوله لها طلع نضيد فقيل ونحوهما قال اى القران لايهاج اليوم ولا يحول قال
وعن ابن عباس نحوه قلت في هذه الروايه نظر لايخفى والمنضود الذى نضد بالحمل من اوله الى اخره فليست
له ساق بارزة وظل ممدود اى ممتد منبسط كظل الطلوع والغروب لايبالص ويحتمل ان يراد انه دايم باق
لايزول ولا ينسخه الشمس والعرب تقول لكل شئ طويل لاينقطع انه ممدود والمسكوب المصبوب يسكب
لهم اين شاؤا وكيف شاؤا اويسكبه الله في مجاريه من غير انقطاع اواراد انه يجرى على الارض في غير اخدود
لامقطوعه في بعض الاوقات ولا ممنوعه عن طالبيها بنحو خطيرة او لبدل ثمن كما هو شان البساتين والفواكه
في الدنيا مرفوعه اى نضدت حتى ارتفعت او مرفوعه على الاسرة قاله على وقيل هى النساء المرفوعة على الارايك

والمرأة يكنى عنها بالفراش يدل على هذا قوله انا انشاناهن وعلى التفسير الاول جعل ذكر الفراش وهي
المضاجع دليلا عليهن ومعنى الانشاء انه ابتداء خلقهن من غير ولادة او اعاد خلقهن انشاء وروى الضحاك
عن ابن عباس انهن نساء من بني ادم العجز الشمط يخلقهن الله بعد الكبر والهرم ابكارا عربا جمع عروب وهي المتحببة
الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلثين كازواجهن كلما اتاهن ازواجهن و
جدوهن ابكارا من غير وجع وقوله لاصحاب اليمين متعلق بانشانا وجعلنا ثم عجب من اصحاب الشمال و
المعنى في سموم في حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء الكثير الحرارة واليحموم الدخان الاسود مفعول من الاحم وهو
الاسود ثم نعت الظل بانه حار ضار لا منفعة فيه ولا روح لمن ياوي اليه قال ابن عباس لا بارد المدخل ولا
كريم المنظر قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء ينوى به المدح في الاثبات او الذم في النفي يقولون هو سمين
كريم وما هذه الدار بواسعة ولا بكريمة ثم ذكر اعمالهم الموجبة لهذا العقاب فقال انهم كانوا قبل ذلك
اي في الدنيا مترفين منعمين متكبرين على التوحيد والطاعة والاخلاص وكانوا يصرون على الحنث وهو الذنب
الكبير ووصفه بالعظم مبالغة على مبالغة يقال بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المواخذة بالمأثم وحنث
في يمينه خلاف بر فيها وحض جمع من المفسرين فقالوا عني به الشرك وعن الشعبي هو اليمين الغموس وذلك انهم
كانوا يحلفون انهم لا يبعثون يدل عليه ما بعده وقد مر مثله في الصافات واعلم انه سبحانه ذكر في تفصيل الازواج
الثلثة نسقا عجيبا واسلوبا غريبا وذلك انه لم يورد في التفصيل الا ذكر صنفين من اصحاب الميمنة واصحاب
المشئمة بعد ان عجب منهما بين حال الثلثة السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال فاقول وبالله التوفيق
هذا كلام موجز معجز فيه لطايف قلت التفاسير عنها منها انه طوى ذكر السابقين في اصحاب الميمنة لان
كلا من السابقين ومن اصحاب اليمين اصحاب اليمين والبركة كما ان اصحاب الشمال هم اهل الشوم والنكد و
كان في هذا الطي اشارة الى الحديث القدسي اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ومنها ان ذكر السابقين
وقع في الوسط باعتبار وخير الامور اوساطها وفي الاول باعتبار والاشرف بالتقديم اولى وفي الاخر
باعتبار ليكون اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون ومنها ان مفهوم السابق متعلق
بمسبوق فما لم يعرف ذات المسبوق لم يحسن ذكر السابق من حيث هو سابق وهذا ما سنح للخاطر وسمح به
والله تعالى اعلم بمراده ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يقرر لهم ما شكوا فيه فقال قل ان الاولين والاخرين
لمجموعون الى ميقات اي ينتهي ابديه جمعهم الى وقت يوم معلوم عند الله وفيه رجوع الى اول السورة
وكم كرر ذكر المعاد فيها بعبارات شتى ثم ذكر طرفا من حال المكذبين المعاصرين ومن ضاهاهم فقال ثم انكم ايها
الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لآكلون اي في التموم المذكور من شجر هو للابتداء من زقوم هو البيان
فمالؤن منها البطون انث الضمير ثم ذكر الشجرة قال جار الله عطف الشاربين على الشاربين لاختلافهما اعتبارا
وذلك ان شرب الماء المتناهي الحرارة عجيب وشربه كشرب الهيم اعجب والهيم الابل التي بها الهيام داء تشرب
فلا تروى واحدها اهيم والمونث هيماء ووزنه فعل كبيض ويجوز ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي
لا يتماسك كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم الجوع حتى يضطروا
الى اكل الزقوم ويسلط عليهم العطش الى ان يضطروا الى شرب الحميم كالابل الهيم نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالبعث
بعد الخلق فان من قدر على البدا كان على الاعادة اقدر ثم برهن على انه لا خالق الا هو فقال افرايتم ما تمنون
اي تقذفونه في الارحام يقال امنى النطفة او امناها وقد مر في قوله من نطفة اذا تمنى أانتم تخلقونه تقدرونه
تصورونه ووجه الاستدلال ان المني انما يحصل من فضلة الهضم الرابع وهو كالطل المنبث في جميع الاعضاء ولهذا
يشترك كل الاعضاء في لذة الوقاع ويجب اغتسال كلها لحصول الانحلال عنها جميعا فالذي قدر على جمع تلك الاجزاء
في بدن الانسان ثم على جمع تلك الاجزاء الطلية في اوعيتها ثم على تمكينها في الرحم الى ان يتكون انسانا كاملا بعد
جمعها بعد تفرقها بالموت المقدر بينهم بحيث لا يفوت شيء منها والى هذا اشار بقوله وما نحن بمسبوقين على
ان نبدل اي نحن قادرون على ذلك لا يغلبنا عليه احد يقال سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته والامثال
جمع المثل اي على ان نبدل مكانكم اشباهكم من الخلق وفيما لا تعلمون اي في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها
يريد بيان قدرته على انشائنا في جملة خلق يماثلنا او خلق لا يماثلنا وجوز جار الله ان يكون جمع مثل بفتحتين

والمعنى انا قادرون على تغيير صفاتكم التي انتم عليها وانشاء صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا
تذكرون فقال ولقد علمتم الاية ثم دل على كمال عنايته ورحمته بتنبيهه مع دليل اخر على قدرته قايلا افرايتم ما تحرثون
من الطعام اي تبذرون حبه أانتم تزرعونه اي تجعلونه بحيث يكون نباتا كاملا يستحق اسم الزرع وفي
الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت والحطام ما يحطم ويتكسر من
الحشيش اليابس وقوله فظلتم اصله فظللتم حذفت احدى اللامين للتخفيف وهو مما جاء مستعملا على غير
مقيس عليه ومعنى تفكهون تعجبون كانه تكلف الفكاهة وعن الحسن تندمون على الانفاق عليه و
التعب فيه او على المعاصي التي صارت سببا لذلك من قرا انا بالخبر فواضح ويجب تقدير القول ولا بد منه
ومن قرا بالاستفهام فللتعجب ولا بد من تقدير القول ايضا ومعنى لمغرمون لمهلكون من الغرام الهلاك
لهلاك الرزق او من الغرامة اي لملزمون غرامة ما انفقنا بل نحن قوم محرومون لا حظ لنا ولو كنا محدودين
لما جرى علينا ما جرى قد قضوا العجب من حالهم ثم اسندوا ذلك الى ما كتب عليهم في الازل من الادبار
وسوء القضاء نعوذ بالله منها ثم ذكر دليلا اخر مع كونه نعمة اخرى وهو انزال الماء من المزن وهو السحاب مطلقا
والابيض خاصة والاجاج الماء الملح اكتفى باللام الاولى في جواب لو عن الثانية وهي ثابتة في المعنى لان شرطية
لو غير واضحة ليس الا ان الثاني امتنع لامتناع الاول وهذا امر وهي واحتيج في الربط الى اللام التوكيدي
ويمكن ان يقال ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب والوعيد بفقده اشد واصعب فلهذا خصت اية المطعوم
باللام المفيدة للتاكيد وانما ختم الاية بقوله فلولا تشكرون لانه وصف الماء بقوله الذي تشربون ولم يصف
المطعوم بالاكل ولانه قال أانتم انزلتموه من المزن وهذا العمل للادمي فيه اصلا بخلاف الحرث او لان الشرب
تقدحونها من الشجر وقد سبق ذكرها في اخر يس واعلم انه سبحانه بدا في هذه الدلايل بذكر خلق الانسان
لان النعمة فيها سابقة على جميع النعم ثم اعقبه بذكر ما به قوام الناس وقيام معايشهم وهو الحب ثم اتبعه الماء
الذي به العجن ثم ختم بالنار التي يحصل بها الخبز وذلك عقيب كل واحد ما ياتي عليه ويفسده فقال في الاول
نحن قدرنا بينكم الموت وفي الثانية لو نشاء لجعلناه حطاما وفي الثالثة لو نشاء جعلناه اجاجا ولم يقل
في الرابعة ما يفسدها قال نحن جعلناها تذكرة يتعظون بها ولا ينسون نار جهنم كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي توقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا وسبب تمتع ومنفعة
للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفراء او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام في السفر من اقوى الرجل
اذا لم ياكل شيئا من ايام وفي نسق هذه الايات بشارة للمومنين وذلك انه سبحانه بدا بالوعيد الشديد
وهو تغيير ذات الانسان بالكلية في قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم ثم ترك ذلك المقام الى اسهل
منه وهو تغيير قوته ذاتا فقال لو نشاء لجعلناه حطاما ثم عقبه باسهل وهو تغيير شيء يرد نفعا لا ذاتا ولهذا
حذف اللام في قوله ولو نشاء جعلناه اجاجا ويحتمل عندي ان يكون سبب حذف اللام هو كون لو بمعنى
ان لو بمعنى ان ذلك ان الماء باق ههنا ويمكن ان يكون التعليق حقيقة بخلاف الزرع فانه بعد ان حصد صار
التعليق المذكور وضمنا فانهم ثم ضم تذكير النار وفيه وعد من وجه اما الاول فلانه لم يبين ما يفسدها
كما قلنا فههنا يدل على ان الختم وقع على الرافة والرحمة واما الثاني فلان عدم ذكر مفسدها يدل على بقائها
في الاخرة وفي قوله تذكرة اشارة الى ما قلنا ثم امر باحداث التسبيح تذكرة او بذكر اسمه العظيم تنزيها له عما
يقول الكافر به وبنعمته ويعتقد على البعث ثم عظم شان القران بقوله فلا اقسم اي فاقسم والعرب يزيد
لا قبل فعل اقسم كانه ينفي ما سوى المقسم عليه فيفيد التاكيد ومواقع النجوم مشارقها ومغاربها ولا ريب
ان لاواخر الليل خواص شريفة ولهذا قال سبحانه والمستغفرين بالاسحار وعن سفين الثوري ان الله
تعالى ريحا يهب وقت الاسحار يحمل الاذكار والاستغفار الى الملك الجبار وانه لقسم لو تعلمون عظيم
اعتراض فيه ومواقعها منازلها ومسايرها في ابراجها او هي اوقات نزول نجوم القران الكريم الحسن المرضي
من بين جنس الكتب وكرمه نفعه للمكلفين او كرامته على الله عز وجل في كتاب مكنون مستور لا على من اراد
الله تعالى اطلاعه على اسرار من ملائكة المقربين وهو اللوح لا يمسه ان كان الضمير للكتاب والمعنى انه لا يصل
الى ما فيه الا عبيده المطهرون من الادناس الجسمية وهم المكروبيون وان كان للقران فالمراد انه لا ينبغي

ان يمسه الامن هو على الطهارة الباطنه والظاهرة فلا يمسه كافر ولا جنب ولا محدث ومن الناس من حرم قراة القران عند الحدث الاصغر ايضا وعن ابن عباس في رواية وهو مذهب الامامية اباحه قراة في الجنابه الا في اربع سور فيها سجدة التلاوة واجبه عندهم ثم وبخ المنافقين بشان القران فقال افبهذا الحديث اى بالقران او بهذا الكلام الدال على حقية القران انتم مدهنون متهاونون مداهنون ومن الامر اذا لان جانبه ولا يتصلب فيه وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون بالبعث وبما دل عليه القران ومن اظلم ممن وضع التكذيب موضع الشكر كانه عاد الى ما انجر منه الكلام وهو ذكر تعداد النعم من قوله افرايتم ما تحرثون الى قوله للمقوين وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم الامطار اليها يعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله عز وجل وينسبونه الى النجوم ثم زاد في توبيخ الانسان على جحده افعال الله واياته وترتيب الاية بالنظر الى اصل المعنى هو ان يقال فلا يرجعون الارواح الى الابدان اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين فزاد في الكلام توكيدات منها تكرير فلولا التحضيضية لطول الفصل كما كرر قوله فلا تحسبنهم بعد قوله لا تحسبن الذين يفرحون ومنها تقديم الظرف وهو قوله اذا بلغت اى اضمرت للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها وانما قدم الظرف للعناية فانه لا وقت يكون الانسان فيه احوج الى الضعف والتدبر منه ولانه اراد ان يرتب الاعتراضات عليه ومنها زيادة الجمل المعترضة وهى قوله وانتم يا اهل الميت حينئذ تنظرون اليه ونحن اقرب اليه منكم بالقدرة والعلم اى بملائكة الموت ولكن لا تبصرون ولا بالبصر ولا بالبصيرة ومعنى مدينين مربوبين مملوكين مقهورين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ومنها قوله ان كنتم صادقين فانه شرط زائد على شرط اى ان كنتم غير مدينين فارجعوا ارواحكم الى ابدانكم ممتنعين عن الموت والحلقوم الحلق وهو مجرى النفس الواو والميم زائدتان ووزنه فعلوم ويمكن ان يقال ان فعل لولا الاولى محذوف يدل عليه ما قبله والمعنى تكذبون مدة حيوتكم عاجلين التكذيب رزقكم الموت وانتم في ذلك الوقت تعلمون الاحوال وتشاهدونها ويحتمل ان يكون معنى مدينين مقيمين من مدن اذا قام والمعنى ان كنتم على ما تزعمون من انكم لا تبقون في العذاب الا اياما معدودة فلم لا ترجعون انفسكم الى الدنيا ان لم يكن الاخرة دار الاقامة ويجوز ان يكون من الدين بمعنى الجزاء والمعنى يؤل الى الاول لان الجزا نوع من القهر والتسخير ويحتمل عندى ان يكون الضمير في ترجعونها عائدا الى ملائكة الموت بدليل قوله ونحن اقرب والمعنى فلولا يردون عن ميتكم ملائكة الموت ان كنتم غير مقهورين تحت قدرتنا وارادتنا وحين بين انه لا قدرة لهم على رجع الروح والنفس الى البدن مخزيون او دايمون في دار الاقامة فصل حال التكليف بعد الموت قايلا فاما ان كان المتوفى من المقربين اى من السابقين من الازواج الثلثة فروح اى فله استراحه وهذا امر يعم الروح والبدن وريحان اى رزق وهذا للروح يتنعم بلقاء المليك المقتدر وروى ان المؤمن لا يخرج من الدنيا الا ويؤتى اليه بريحان من الجنة يشمه واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك ايها النبى من اصحاب اليمين اى انت سالم من شفاعتهم هذا قول كثير من المفسرين وقال جار الله فسلام يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين كقوله وتحيتهم فيها سلام ان هذا القران او الذى انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اى الحق الثابت من اليقين وهو علم يحصل بثلج الصدر ويسمى العلم الحاصل بالبرهان فالاضافه بمعنى من قولك خاتم فضة وهذا في الحقيقة لا يفيد سوى التاكيد كقولك حق الحق والصواب الصواب اى غايته ونهايته التى لا وصول فوقه او المراد هذا هو اليقين حقا لا اليقين الذى يظن انه يقين لا يكون كذلك في نفس الامر هذا ما قاله اكثر المفسرين وقيل الاضافة فيه كما في جانب الغربى ومسجد الجامع اى حق الامر اليقين ويحتمل ان يكون الاضافة كما في قولنا حق النبى ان يصلى عليه وحق المال ان يودى زكوته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها اى الا بحق هذه الكلمة ومن حقها اداء الزكوة والصلوة فكذلك حق اليقين الاعتراف بما قال الله سبحانه في شان الازواج الثلثه وعلى هذا يحتمل ان يكون اليقين بمعنى الموت كقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال اهل اليقين للعلم ثلث مراتب احدها علم اليقين وهو مرتبة البرهان وثانيها عين اليقين وهو ان يرى المعلوم عيانا فليس الخبر كالمعاينه وثالثها حق اليقين وهو ان يصير العالم والمعلوم والعلم واحدا ولعله لا يعرف حق هذه الرتبة الا من وصل اليها كما ان طعم العسل لا يعرفه الا من ذاقه ولا يكون

الا ان يكون مزاجه ومذاقه فاسدين روى جمع المفسرين ان عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود رضى في مرضه الذى توفى فيه فقال له ما تشتكى قال ذنوبى فقال ما تشتهى قال رحمة ربى قال افلا يدعوا الطبيب قال الطبيب امرضنى قال افلا تامر لك بعطائك فقال لا حاجة لى به قال يكون لبناتك فقال لا حاجة لهن فيه قد امرتهن ان يقران سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم هو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذى ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوى

منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى
والله بما تعملون خبير ● من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له وله اجر كريم ● يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ● يوم
يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من
نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم
بسور له باب ● باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم
وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم
بالله الغرور ● فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين
كفروا ماويكم النار هي موليكم وبئس المصير ● الم يان
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا
يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ● اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف
لهم ولهم اجر كريم ● والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم

الصديقون

الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين
كذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ● اعلموا انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ● سابقوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ● ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على
الله يسير ● لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم
والله لا يحب كل مختال فخور ● الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ● لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس و
ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ● ولقد
ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ● ثم قفينا على اثارهم
برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في

قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين
امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون • يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم
نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم • لئلا يعلم اهل
الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • القراءة

تاخذ مجهولا ميثاقكم بالرفع ابو عمرو وابن عامر انظرونا من الانظار حمزة والاماني بسكون الياء يزيد لا تؤخذ بالتانيث ابن عامر ويزيد وسهل ويعقوب وما نزل من التشديد مجهولا عباس نزل بالتخفيف من النزول نافع وحفص الباقون بالتشديد ولا تكونوا على الخطاب رويس المصدقين والمصدقات بتشديد الدال فقط ابن كثير وابو بكر وحماد بما اتيكم مقصورا من الاتيان ابو عمرو فان الله هو الغني الحميد بغير هو ابو جعفر ونافع وابن عامر ابو هام لئلا ان الوقوف الارض لعطف الجملتين المختلفتين الحكيم لاحتمال ان يكون قوله يحيي مستانفا لا محل له او له محل بتقدير هو يحيي وان يكون حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها والارض ويميت قدير والباطن عليم العرش فيها كنتم بصير والارض والامور في الليل الصدور فيه كبير بالله مؤمنين الى النور رحيم والارض وقاتل وقاتلوا الحسنى خبير كريم لاحتمال تعلق الظرف بقوله ولهم اجر وبقوله بشريكم اي يقال لهم ذلك يومئذ او هو مفعول اذكر فيها العظيم وان وصل وقف على نوركم نورا له باب العذاب معكم والغرور كفروا النار مولكم المصير الحق الا لمن قرا ولا يكونوا على النهي قلوبهم فاسقون موتها تعقلون كريم الصديقون والوصل اولى ومن وقف على لم يقف على ربهم ونورهم الجحيم والاولاد حطاما شديد ورضوان الغرور ورسله ومن يشاء العظيم نبراها يسير لاحتمال تعلق اللام بما قبله او بمحذوف اي ذلك لكيلا اتيكم فخور لان ما بعده بدل بالبخل الحميد بالقسط للعطف ظاهرا مع ان انزال الحديد ابتداء اخبار غير بالرسل بالغيب عزيز مهتد لان الجملتين وان اتفقتا لفظا فالاولى للبعض القليل والثانية تنبئ عن الاستيناف فاسقون ورحمة لان ما بعدها منصوب بابتدعوا المقدر رعايتها لان الجملتين وان اتفقتا لفظا فالا قوله فاتينا ليس جزاء ترك الرعاية انما هو تمام بيان التفرقة بين الفريقين فيرجع الى قوله فمنهم مهتد اجرهم لما مر فاسقون ويغفر لكم رحيم وقد يجوز الوقف على ان المراد ذلك ليعلم يشاء العظيم التفسير معنى تسبيح الموجودات قد تقدم في قوله وان من شيء الا يسبح بحمده والان نقول انه بداء في سورة بني اسرائيل بلفظ المصدر وهو سبحان وفي هذه السورة وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المستقبل وفي سورة الاعلى بلفظ الامر استيعابا للاقسام وذلك دليل على ان التسبيح لله تعالى مستمر دايم في الاوقات كلها من الازل الى الابد وتفسير اسماء الله تعالى المذكورة في اول هذه السورة قد سبق في اسماء الله فلا حاجة الى اعادة كلها الا انا نذكر ما اورد الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ههنا على سبيل الايجاز مع تنقيح ما يجب تنقيحه قال هذه معان مهيب والبحث فيه من وجوه الاول ان تقدم الشيء على الشيء اما تقدم الناس كتقدم حركة الاصبع على حركة الخاتم واما التقدم بالحاجة لا بالتاثير كتقدم الامام على الماموم او معقول كما اذا جعلنا المبداء الجنس العالي واما بالزمان

كتقدم الاب على الابن وتقدم بعض اجزاء الزمان عندي ليس من هذه الاقسام الخمسة اما التاثير والحاجة فلانه لو كان كذلك لوجدا معا كما ان العلة والمعلول يوجدان معا وكذا الواحد والاثنان واما الشرف والمكان فهو ان واما بالزمان فان بعد الزمان لا يقع في الزمان والا تسلسل قلت لم لا يجوز ان يكون تقدم اجزاء الزمان بعضها على بعض بالحاجة اي بالطبع فان الزمان حين كان متصلا غير قار الذات اقتضى حقيقته ان يكون له وجود سيال يعقب اجزائه بعضها لا ينتهي النوبة الى جزء مفروض منه الا وقد انقضى منه جزء مفروض على الاتصال ثم قال اذا عرفت ذلك فنقول القران دال على انه تعالى قبل كل شيء والبرهان ايضا يدل على هذا لان انتهاء الممكنات لا بد ان يكون الى الواجب الا ان تلك القبلية ليست بالتاثير لان المؤثر من حيث هو مؤثر مضاف الى الاثر من حيث هو اثر والمضافات معا وايضا لا تكون قبل ولا بالحاجة لانهما قد يكونان معا كما قلنا ولا بمحض الشرف ان تلك القبلية ليست مرادة ههنا ولا بالمكان وهو ظاهر ولا بالزمان لان الزمان بجميع اجزائه ممكن والوجود والتقدم على جميع الازمنة لا يكون بالزمان فاذن تقدم الواجب تعالى على ما عداه خارج عن هذه الاقسام الخمسة وكيفيته لا يعلمها الا هو قلت انه سبحانه مقدم على ما سواه بجميع اقسام التقدمات الخمسة اما بالتاثير فظاهر وقوله والمضافات معا قلنا ان اردت من الجهة المذكورة فسلم ولا محذور واذا اردت مطلقا فممنوع واما بالطبع فلان ذات الواجب من حيث هو لا يفتقر الى الممكن من حيث هو وحال الممكن بالخلاف واما بالشرف فظاهر واما بالمكان فلانه وراء كل الاماكن ومعها كقوله اينما تولوا فثم وجه الله وقد جاء في الحديث لو دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن وههنا سر لعلنا قد رمزنا اليه في هذا الكتاب يفهم باذن الله ان كنت اهلا له واما بالزمان فاظهر وقوله والتقدم على الزمان لا يكون بالزمان قلنا ممنوع لان الزمان عند المحققين موهوم وهمي والزمان الذي يتكلم هو فيه انما هو مقدار حركة الفلك الاعظم ولا ريب ان قبل هذه الحركة يوجد لها مقدار الا ان قبل كل شيء يوجد امتداد وهي يحصل فيه وجود الواجب سبحانه ومن هذا التحقيق يرتفع ما اشكل على الامام من التمييز بين الازل ولا يزال فان المبادي الوهمية يتغير بتغير الاعتبارات وباختلافها يختلف حقايقها اذ ليس لها وجود سواها فقد يصير ما هو في جانب الازل في جانب لا يزال وبالعكس اذا تغيرت المبادي المفروضة قال اما البحث عن كونه تعالى اخرا بمعنى انه يبقى وكل شيء يفنى فمنهم من اوجب ذلك حتى يتقرر كونه اخرا وهو مذهب جهم فانه زعم انه سبحانه يوصل الثواب الى اهل الثواب والعقاب الى اهل العقاب ثم تفنى الجنة واهلها والنار واهلها والعرش والكرسي والملك والفلك ولا يبقى مع الله شيء اصلا في ابد الاباد كما لم يكن قبله شيء في ازل الازال قال ومن حجج جهم انه تعالى اما ان يكون عالما بعدد حركات اهل الجنة والنار او لا فان كان عالما لزم تناهيها فان الاحاطة بما لا يتناهى مستحيلة وان لم يعلم لزم نسبة الجهل اليه تعالى وذلك محال وايضا الحوادث المستقبلة قابلة للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك فهو متناه اجاب عن الاول بان امكان استمرار هذه الاشياء حاصل الى الابد والدليل عليه ان هذه الماهيات لو زالت امكاناتها لزم انقلاب الممكن الى الممتنع ولزم ان ينقلب قدرة الله من صلاحية التاثير الى امتناع التاثير قلت هذه مغالطة فانه لا يلزم من الامكان الذاتي للشيء وقوعه في الخارج ولا من عدم وقوعه في الخارج الامتناع الذاتي واجاب عن الثاني بانه يعلم اعدادها ليس بمعين وهذا لا يكون جهلا انما الجهل ان يكون له عدد معين ولا يعلمه قلت الذي علمه متناه يجب ان يكون معلومه متناهيا اما الذي لا نهاية لعلمه فلم يبعد بل يجب ان يكون معلوما ته غير متناهية واجاب عن الثالث بان الخارج منه الى الوجود ابدا يكون متناهيا قلت الزيادة والنقصان لا يوجبان التناهي كتضعيف الالف والالفين مرارا غير متناهية قال والمتكلمون حين اثبتوا امكان بقاء العالم عولوا في ابدية الجنة والنار على اجماع المسلمين واختلفوا في معنى كونه تعالى اخرا على وجوه احدها انه تعالى يفني جميع العالم ليتحقق كونه اخرا ثم انه يوجدها ويبقيها ابدا قلت هذا حقيق بان لا يسمى اخرية بل يسمى توسطا وثانيها ان صحة اخرية كل الاشياء مختصة به فلا جرم وصف بكونه اخرا وثالثها انه اول قول هذا اول المسئلة لان الكلام لم يقع في الاختصاص وعدمه وانما النزاع في معنى كونه اخرا وثالثها انه اول الوجود اخر في الاستدلال لان المقصود من جميع الاستدلالات معرفة ذات الصانع وصفاته واما سائر الاستدلالات التي لا يراد بها معرفة الصانع فهي حقيق خسيسة قلت اراد انه غاية الافكار ونهاية الانظار وهذا معنى حسن

في نفسه الا انه لا يطابق معنى الاول كل المطابقة ورابعها انه اول في ترتيب نزول الوجود واخر اذا عكس
الترتيب قلت وهذا تصور صحيح ينطبق على السلسلة المترتبة من العلل والمعلولات وعلى المرتبة من الاشرف
الى الاخس وعلى الاخرة من الوحدة الى الكثرة مما يلي الازل الى ما يلي الابد ومما يلي المحيط الى ما يقرب من المركز فهو سبحانه
اول بالترتيب الطبيعي واخر بالترتيب المعكوس فقد وضح بهذا البيان صحة اطلاق التقدمات الخمسة و
مقابلاتها عليه تعالى وهذا من غوامض الاسرار فقد وفقني الله تعالى لحلها فاشكر له على الاية اما تفسير
الظاهر والباطن فالمحققون قالوا انه الظاهر بالادلة الدالة على وجوده الباطن لانه جل عن ادراكات
الحواس والعقول اياه اما في الدنيا او فيها وفي الاخرة جميعا وقيل معنى الظاهر الغالب والباطن العالم
بما بطن اي خفي قال الليث يقال انت ابطن بهذا الامر اي اخبر به وباقي الايات قد سبق تفسيرها
في مواضع الا قوله يعلم ما يلج فانه قد مر في اول سبا فقط فلا حاجة الى حكم معيته العلم
والقدرة واستصحاب المكان عند بعض قوله تعالى له ملك السموات والارض وبعده مثله ليس تكرارا لان
الاول في الدنيا بقوله يحيي ويميت والثاني لقوله والى الله ترجع الامور قوله تعالى مستخلفين
فيه اراد ان المال مال الله تعالى والعباد عباد الله تعالى الا انه قد جعل ازمتهم متداولة بينهم بحكمته
متعلقة بالوسايط والروابط فالسعيد من وفقه الله تعالى لرعاية حق استخلافه فيتصرف فيما اتاه
الله تعالى على وفق ما امر الله تعالى من الانفاق في سبيل الله تعالى قبل ان ينتقل منه الى غيره بارث و
كما انتقل من غيره اليه باحد السببين قوله لا تؤمنون حال من معنى الفعل كقوله ما لك قائما اي ما تصنع
قالوا في قوله والرسول يدعوكم الحال من الضمير في لا تؤمنون فهما حالان متداخلتان واخذ الميثاق اشارة الى الادلة
المذكورة في تفسير قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم والمراد انه قد تعاضدت الدلايل
السمعية والبراهين العقلية على الايمان بالله تعالى فاي عذر لكم في تركه ان كنتم مؤمنين لموجب ما
بان هذا الموجب لا مزيد عليه ولا ريب ان الايمان بالله شامل للتصديق بجميع اوامره واحكامه ومن جملتها
الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران ومما فيه استدل القاضي رحمه الله بقوله وما لكم على ان
العبد قادر على الايمان وعلى ان الاستطاعة قبل الفعل والا لم يصح التوبيخ كما لا يقال ما لك لا تطول
ولا تبيض والبحث في امثاله مذكور والضمير في قوله ليخرجكم لله تعالى او لعبده والميراث مجاز عن بقايه بعد
فناء الخلق وقد مر في ال عمران قال المفسرون ان ابا بكر اول من انفق في سبيل الله تعالى فنزل فيه و
في امثاله السابقين الاولين من المهاجرين والانصار لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح اي فتح مكة
وتمامه ان يقال ومن انفق بعد الفتح فحذف لدلالة قوله اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم الذين قال
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وسبب الفضل انهم انفقوا قبل عز الاسلام وقوة اهله فكانت الحاجة
الى الانفاق حينئذ امس مع انه كان اصدق اساعة صاحبه بهذا الدين وكلا وعد الله المثوبة الحسنى
وهي الجنة مع تفاوت الدرجات ومن قرا بالرفع فبتقدير وكل وعده الله والقرض مجاز عن انفاق المال
في سبيل الله تعالى وقد مر في اواخر البقرة قال اهل السنة انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ ان كل
من صدر عنه الفعل الفلاني فله كذا من الثواب وهو الاجر الكريم فاذا ضم الى ذلك مثله فهو المضاعف
وقال الجبائي ان الاعواض تضم الى الثواب فهو المضاعفة وانما وصف الاجر بالكريم لانه حصلت ذلك
الضعف وبسببه حصلت تلك الزيادة وكان كريما من هذا الوجه ثم اكد الايمان بالله ورسوله والانفاق
في سبيله بتذكير يوم المحاسبة فقال يوم ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم او يا من له اهلية الخطاب وقد
مر اعرابه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقتادة مرفوعا ان كل انسان فانه يحصل له النور يوم القيمة على قدر
ثوابه فمنهم من يضيء له نوره كما بين عدن الى صنعا ومنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من لا يضيء له نوره
الا موضع قدميه وادناهم نورا من يكون على ابهامه ينطفي مرة ويتقد اخرى وقال مجاهد ما من عبد الا
وينادى يوم القيمة يا فلان ها نورك ويا فلان لا نور لك هذا وقد بينا لك في هذا الكتاب مرارا ان الكمالات
والخيرات كلها انوار واكمل الانوار معرفة الله سبحانه وتعالى وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان ذلك جعل امارة

للنجاة ولهذا ورد ان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء
ظهورهم ومعنى سعي النور سعيه بسعيهم جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة
بشريكم اليوم جنات قوله يوم يقول بدل من قوله يوم ترى او منصوب باذكر تقديرا قال جمع العلماء الناس
كلهم يوم القيمة في الظلمات ثم انه تعالى يعطي المؤمنين هذه الانوار والمنافقون يطلبونها منهم قائلين
انظرونا فان كانت هذه الحالة عند الموقف فالمراد انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم والنور قدامهم استضاءوا
بتلك الانوار قال الفارسي ابو علي حذف الجار واصل الفعل كما انشد ابو الحسن ظاهرات الجمال والحسن
ينظرن كما ينظر الاراك الظباء والمعنى ينظرون الى الاراك وان كانت هذه الحالة عند مسير المؤمنين الى
الجنة احتمل ان يكون النظر بمعنى الانتظار لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على الركاب وهؤلاء
مشاة في القيود والسلاسل ومن قرا انظرونا اي امهلونا جعل اتئادهم في المعنى الى ان يلحقوا بهم امهالا
لهم قال الحسن يعطى يوم القيمة كل احد نورا على قدر عمله ثم انه يؤخذ من حر جهنم وما فيه من الكلاليب
والحسك ويلقى على الطريق فتمضي زمرة من المؤمنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضي زمرة اخرى
كاضواء الكواكب في السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم ظلمة فيطفي نور المنافقين فهنالك يقول المنافقون
للمؤمنين ذرونا نقتبس من نوركم والاقتباس اخذ القبس اي الشعلة من النار قيل ارجعوا وراءكم اي الى الموقف
حيث اعطينا هذا النور فاطلبوا نورا وهو تهكم بهم او الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو
الايمان والعمل الصالح او اكتساب المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة وكانها خدعت خدع بها المنافقون
كقوله يخادعون الله وهو خادعهم وعلى هذا فالسور هو امتناع العود الى الدنيا وعلى الاول قالوا انهم يرجعون
الى المكان فتم فيه النور فلا يجدون شيا فيصرفون اليهم فيجدون السور مضروبا بينهم وبين المؤمنين
قال الاخفش الباء في قوله بسور صلة وفائدته التوكيد واراد بقوله الم نكن معكم موافقتهم في الظاهر
ومعنى فتنتم محنتم انفسكم بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدواير وارتبتم شككتم في وعيد الله
او في نبوة محمد وفي البعث او في كل ما هو من عند الله وغرتكم الاماني بكثرة الامال وطول الاجال حتى جاء
امر الله بالموت على النفاق ثم اوقعكم في النار وغركم بالله الشيطان الغرور فقط في خشيتي منكم ان الله عفو
وان باب التوبة مفتوح فاليوم لا يؤخذ منكم ايها المنافقون فدية قيل اي توبة والاولى التعميم ليشمل كل ما
يفتدى به ولا من الذين كفروا في الظاهر والحاصل انه لا فرق بين الذين اظهروا الكفر منكم وبين الذين
اخفوه فان كلا منكما ماواكم النار هي مولاكم قيل المراد انها تتولى اموركم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار
وقيل اراد هي اولى بكم قال جار الله حقيقته هي محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة
الكرم اي مكان لقول القائل لكريم وقال في التفسير الكبير هذا معنى وليس بتفسير اللفظ من حيث اللغة و
غرضه ان الشريف المرتضى انما تمسك في امامة علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه بقوله صلى الله عليه و
سلم من كنت مولاه فهذا علي مولاه احتج بقول الائمة في تفسير الاية ان المولى معناه الاولى واذا ثبت ان
اللفظ محتمل وجب حمله عليه لان ما عداه بين الثبوت ككونه ابن العم والناصر او بين الانتفاء كالمعتق والمعتق
فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى التقدير الثاني كذبا قال واذا كان قول هؤلاء معنى لا تفسيرا بحسب اللغة
سقط الاستدلال قلت في هذا الاسقاط بحث ولا يخفى وجوزوا ان يراد في الاية الناصر لانه اذا قال هي
ناصركم على سبيل التهكم وليس لها نصر لزم نفي الناصر راسا كقوله يغاثوا بماء كالمهل ويقال ناصره الخذلان و
معينه البكاء قوله سبحانه الم يان للذين امنوا من انى الامر ياني اذا جاء اناه اي وقته قال جمع من المفسرين نزلت في
المنافقين الذين اظهروا الايمان وفي قلوبهم النفاق المباين للخشوع وقال اخرون نزلت في المؤمنين المحقين
روى الاعمش ان الصحابة لما قدموا المدينة اصابوا لينا في العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ما كانوا عليه
فعوتبوا بهذه الاية وعن ابي بكر الصديق ان هذه الاية قرئت بين يديه وعنده قوم من اليمامة فبكوا
بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب عن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا
وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان عاتبهم على راس ثلث عشرة وقوله بذكر الله من
اضافة المصدر الى الفاعل اي ترق قلوبهم لمواعظ الله التي ذكرها في القران وما نزل من الحق اراد ان القران

جامع للوصفين للذكر والموعظة ولكونه حقا نازلا من السماء ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول
اى لذكرهم الله وللقران كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا ويحتمل ان يكون اللام للتعليل اى يجب ان يورثهم الذكر خشوعا ولا تكونوا كمن يذكره بالغفلة من قرأ ولا تكونوا
بالتاء الخطابية احتمل ان يكون نهيا غايبا وان يكون منصوبا عطفا على ان يخشع والامد الاجل والامل اى طالت
المدة بين اليهود والنصارى وبين انبيائهم او طالت اعمارهم في الغفلة والامل البعيد فحصلت القسوة في
قلوبهم نسيه فاختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف والبدع وقال مقاتل بن سليمان طال عليهم امد خروج
النبي صلى الله عليه وسلم او طال عهدهم بسماع التورية والانجيل فزال وقعهما في قلوبهم قاله القرطبي
وقرأ الامد بالتشديد اى الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين و
فيه اشارة الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفسق في اخر الامر قال الحسن اما والله لقد استبطأ قلوب
المؤمنين وهم يقرؤون من القران اقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق قوله
اعلموا ان الله يحيي الارض فيه وجهان الاول انه تمثيل والمعنى ان القلوب التي ماتت بسبب القساوة فالمواظبة
على الذكر سبب العود حيوة الخشوع اليها كما يحيي الله الارض بالغيث والثاني زجر لاهل القسوة وترغيب في
الخشوع لانه تذكير القيمة وبعث الاموات ثم استانف وعد المنفقين ووعيد اضدادهم بقوله ان المصدقين
واصله المتصدقين وعطف على قوله واقرضوا لان الالف واللام بمعنى الذي كانه قال ان الذين يصدقون و
اقرضوا والظاهر ان الاول هو الواجب والثاني هو التطوع لان تشبيهه بالقرض كالدلالة على ذلك وايضا ذكر
الاول بلفظ اسم الفاعل على الاستمرار المبني على الالتزام والوجوب ومن قرأ بتشديد الدال فقط فمعناه ان
الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا ويندرج تحت التصديق الايمان وجمع الاعمال الصالحات الا انه
افرد الانفاق بالذكر تحريضا عليه كما انه افرد الايمان لتفصيله وللترغيب فيه فقال والذين امنوا بالله و
رسله اولئك هم الصديقون الكاملون في الصدق اذ لا قول اصدق من التوحيد والاعتراف بالرسالة اوهم
الكثير الصدق من حيث انهم ضموا اصدقا الى صدق وهو الايمان بالله ورسله او به وبرسوله رسوله ثم حث
على الجهاد بقوله والشهداء وهو مبتدأ خبره عند ربهم وفيه بيان انهم من الله بمنزلة سيفه وقد بين ثوابهم
الجسماني بقوله لهم اجرهم ونورهم ويجوز ان يكون قوله عند ربهم حالا او صفة للشهداء كقوله على اللئيم
يسبني وما بعده حينئذ وقال الفراء والزجاج هم الانبياء كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ومن جعل
الشهداء عطفا على ما قبله قال اراد انهم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى [illegible]
واستشهدوا في سبيل الله تعالى مجاهد كل مؤمن فهو صديق وشهيد وقال [illegible] المعنى ان الله يعطي المؤمنين
اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك وقيل اراد انهم شهداء عند ربهم
على اعمال عبادهم وعن الحسن كل مؤمن فانه يشهد كرامة ربه وعن الاصم ان المؤمن قايم لله تعالى بالشهادة
فيما تعبد به من الايمان والطاعة ثم ذكر ما يدل على حقارة امور الدنيا وشبهها في سرعة تقضيها مع قلة جدواها
بنبات انبته الغيث ورباه الى ان تكامل نشؤه ومعنى اعجاب الكفار انهم جحدوا نعمة الله فيه فعدوا ان ذاك
في نظرهم فبعث الله عليه العاهة فصيره كلا شيء كما فعل باصحاب الجنتين في الكهف وفي سبا واصحاب
الجنة في ن ومن جعل الكفار بمعنى الزراع فظاهر قاله ابن مسعود وصيره حطاما هي عوده الى كمال حاله في
النضج واليبس ثم عظم امور الاخرة بتنوين التنكير في قوله وفي الاخرة عذاب شديد للكافرين ومغفرة من الله
ورضوان للمؤمنين قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب
رضوان الله تعالى ولقائه فنعم المتاع ونعم الوسيلة ثم حث على المسابقة الى المغفرة والى الجنة وقد مر
نظيره في ال عمران الا ان البشارة ههنا اعم لانه قال هناك للمتقين الذين ينفقون الى اخره وقال ههنا اعدت
للذين امنوا بالله ورسله ولان هؤلاء ادون حالا من اولئك جعل عرض الجنة ههنا اقل فقال وجنة عرضها كعرض
السماء والارض فلم يجمع السماء وادخل حرف التشبيه الدال على ان المشبه ادون حالا من المشبه به وفي لفظ سابقوا
ههنا اشارة الى ان مراتب هؤلاء مختلفة بعضها اسبق من بعض كالسابقة في الخيل وفي لفظ سارعوا هنالك
رمز الى ان كلهم مستوون في القرب او متقاربون لان المرتبة العليا واحدة وهي مرتبة السابقين المقربين

انها غاية الرتب الانسانية فافهم هذه الاسرار فان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال الزجاج لما امر بالسابقة
الى المغفرة بين ان الوصول الى الجنة والحصول في النار بالقضاء والقدر فقال ما اصاب من مصيبة اى لا توجد
مصيبة في الارض من القحط والوباء والغلاء ولا في انفسكم من الامراض والفتن الا في كتاب اى هو مكتوب عند
الله في اللوح المحفوظ وانما قيد المصايب بكونها في الارض او الانفس لان الحوادث المطلقة كلها ليست مكتوبة
في اللوح لان حركات اهل الجنة والنار غير متناهية فاثباتها في الكتاب محال ولهذا قال جف القلم بما هو
كاين الى يوم الدين ولم يقل الى الابد وفي الاية تخصيص اخر وهو انه لم يذكر احوال اهل السموات وفيه سر قال
اهل البرهان فصل في هذه السورة وجمل في التغابن فقال ما اصاب من مصيبة الا باذن الله والتفصيل
بهذه السورة اليق لانه فصل احوال الدنيا والاخرة بقوله اعلموا انما الحيوة الى اخره قوله من قبل ان نبرأها
اى من قبل ان نخلق المصايب او الانفس او الارض او المخلوقات ان ذلك الاثبات الى الحفظ على الله يسير
وان كان عسيرا على غيره ثم بين وجه الحكمة في ذلك الاثبات قايلا لكيلا تأسوا اى لكيلا تحزنوا على ما
فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم نظير ما ورد في الخبر من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب لانه لما
علم وجوب وقوعه من حيث تعلق علم الله وحكمه وقدرته به عرف ان الفايت لا يرده الجزع والمعطي لا يكاد
يثبت ويدوم انه عرضة للزوال ودون للانتقال فلا يشتد به فرحه روى عكرمة عن ابن عباس ليس احد الا
وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا للمصيبة صبرا وللخير شكرا والمراد انه لم ينف الاسى والفرح على الاطلاق ولكنه
نفى ما يبلغ حد الجزع والبطر ولا لوم على ما لا يخلوا منه البشر والباقي ظاهر وقد مر في النساء والمقصود ان المختال
يفرح فرحا مطغيا لجمع المال ويفتخر به ويتكبر على الناس ويحمل غيره على امساك المال المقتضى شحه الطبيعي
ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولا يعرف حق الله فيما اعطاه وهو الغني عن طاعة المطيعين الحميد في ذاته
وان لم يحمده الحامدون وقيل ان الاية نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان
نعته ثم اراد ان يبين الغرض من بعثة الرسل المؤيدين بالمعجزات ومن انزل الكتاب والميزان معهم يروى
ان جبرائيل نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام فقال مر قومك يزنوا به وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض وانزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن انزالها
تهيئتها كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقال قطرب هو من النزل يقال انزل الامير على فلان نزلا حسنا
ومنهم من قال هو من باب علفتها تبنا وماء باردا وللعلماء في المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد وجوه
احدها ان مدار التكليف على فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي وثانيها لا يتم الا بالحديد الذي فيه باس شديد و
الاول اما ان يكون من باب الاعتقادات ولن يتم الا بالكتاب السماوي ولا سيما اذا كان معجزا واما ان يكون من
باب المعاملات ولا ينتظم الا بالميزان فاشرف الاقسام ما يتعلق بالقوة النظرية الروحانية ثم ما يتعلق بالعملية
الجسمانية ثم ما يتعلق بالزواجر وقد روعي في الاية هذا النسق وثالثها المعاملة اما مع الخالق وطريقها الكتاب واما مع
الخلق اما الاحباب فيفتقر في نظام امورهم الى الميزان واما الاعداء فيدفعون بالسيف ورابعها السابقون [illegible]
بمقتضى الكتاب فينصفون ولا ينتصفون ويحترزون عن مواقع الشبهات والمقتصدون ينصفون وينتصفون
فلا بد لهم من الميزان والظالمون ينتصفون من غير انصاف فلا بد لهم من السيف الزاجر وخامسها الانسان في مقام
الحقيقة وهو مقام النفس المطمئنة والمقربين لا يكفي الا بكتاب الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وهو في مقام
الطريقة والنفس اللوامة واصحاب اليمين لا بد لهم من الميزان في معرفة الاخلاق المتوسطة عن المايلة الى طرفي الافراط
وهو في مقام الشريعة والنفس الامارة لا ينزجر الا بحديد المجاهدة وسيف الرياضة وسادسها السالك اما ان يكون
صاحب المكاشفة والوصول فانسه بالكتاب او صاحب الطلب والاستدلال فانسه بميزان الدليل والحجة وان
كان صاحب العناد واللجاج فلا بد له من الحديد وسابعها الاقوال يصح بالكتاب والاعمال يقوم بالميزان ميزان
العدل والاحوال يعتبر بحديد الرياضة او يقول والمعرضين عن احد الموضوعين يؤدبون بالسيف وثامنها الكتاب
للعلماء والميزان للعوام والسيف للملوك قال اهل التجارب في منافع الحديد من صناعة الا والحديد اله فيها او ما
يعمل بالحديد بيانه ان اصول الصناعات اربعة الزراعة والحياكة والبناء والامارة اما الزراعة فيحتاج الى
الحديد في كرابة الارض واصلاحها وحفرها وتنقية اثار [illegible] الحبوب لا يدرس طحنها وخبزها وكل منها يحتاج

الى شيء من حديد كاكل الفواكه واللحوم وغيرها يفتقر ايضا في الغرس والقطع الى الحديد واما الامارة فلانها لا
باسباب الحرب والالات السياسه فظهر ان اكثر مصالح العالم لا تتم الا بالحديد ولا يقوم الذهب ولا الجواهر في اكثرها
مقام الحديد فلو لم يوجد الذهب والجواهر في الدنيا لم يختل شيء من المهمات ولو لم يوجد الحديد اختل المصالح فعند
هذا يظهر اثر عناية الله تعالى بحال عبيده فان كل شيء يكون حاجاتهم اليه اكثر يكون وجوده عليهم اسهل قال بعضهم
شعر سبحان من جعل العلم عزهم ٭ والناس مستغنون عن اجناسه ٭ واذل انفاس الهواء وكل ذي نفس فمحتاج
الى انفاسه ٭ نظيره الحاجة الى الطعام ثم الى الماء ثم الى الهواء فالطعام قلما يوجد الا بالثمن والماء وقد يباع
بالثمن في بعض الامكنه والازمان والهواء لا يباع اصلا لان الحاجة الى التنفس امس قال بعض المحققين ههنا ان
العلم ابلغ ما يحتاج الانسان اليه اذ به قوام روحه وصلاح معاده ولا جرم قلما يقع في عرصة البيع وكثيرا ما يعطى
الاجر على تعلمه قوله وليعلم الله ظاهره انه معطوف على المعنى لتقدير وانزلنا الحديد لاجل المنافع الدنيوية و
هو ظهور معلوم الله وتعلق علمه بما سيقع من نصرة دينه ورسله باستعمال السيوف والرماح وغيرها ويجوز
ان يكون المعطوف محذوفا بدليل ما تقدمه اى انزلنا الحديد ليقوم الناس بالقسط خوفا من القتل وليعلم الله
ومعنى بالغيب غائبا عنهم وقال ابن عباس ينصرونه وفيه اشارة الى ان الجهاد المعتبر هو الذي يوجد عن اخلاص
القلب خاليا عن النفاق والرياء وفي قوله ان الله قوي عزيز رمزا الى الله تعالى قادر على اهلاك اعداء الدين
بكلمة بدون اوسطة الجهاد ولكنه كلفهم ذلك ليتوسلوا الى نيل درجة الصديقين والشهداء وحين حكى
قصة الرسل مجملة اعقبها بنوع من التفصيل والكتاب ظاهره الوحي وعن ابن عباس هو الخط بالقلم والضمير في
فمنهم للذرية او للمرسل اليهم بدليل الارسال والفاسقون اما العاصون بارتكاب الكبائر واما الكافرون ولعل
هذا اظهر بوقوعه في طباق المهتدين الا ان يحمل الفاسق على الذي لا يهتدي لوجه رشده قال مقاتل المراد
بالرافة والرحمة هو ما اوقع الله تعالى في قلوبهم من التواد والتعاطف كما جاء في نعت اصحاب محمد صلى الله
الله عليه وسلم رحماء بينهم قال ابو علي الفارسي الرهبانية لا يستقيم حمل نصبها على لان ما يبتدعونه لا يجوز
ان يكون مجعولا لله قال في التفسير الكبير هذا الكلام انما يتم لو ثبت امتناع مقدورين قادرين ومراتب الحق
يابى على ان نخوض في امثال هذه الاشياء قلت النطق بالعلماء ينبغي ان يكون احسن من هذا ولا حاجة الى حاله
انما الكلام على المسئله المذكورة ولكنه يرد على ابي علي انه اذا جاز ان يكون الكفر والفسوق وسائر المعاصي الصادرة
عن العبد منسوبة الى تخليق الله فلم لا يجوز ان يكون الابتداع وهو احداث امر من عند نفسه لا على السنة الرسل
مجعولا لله سبحانه قال المفسرون ان الجبابرة ظهروا على امة عيسى بعد رفعه فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى
لم يبق منهم الا القليل فذهبوا على رؤس الجبال فارين من الفتنة متحملين كلفا وميثاقا زايدا على العبادات
المكتوبة عليهم من الخلوة والاعتزال والتعبد في الغيران والكهف روى ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يا ابن مسعود اما علمت ان بني اسرائيل تفرقوا سبعين فرقة كلها في النار الا ثلث
فرق فرقة امنت بعيسى عليه السلام وقاتلوا اعداء الله في نصرته حتى قتلوا وفرقة لم يكن لها طاقة بالقتال
فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفرقة لم يكن لها طاقة بالامرين فلبسوا العباء وخرجوا الى القفار والبلاد
هو قوله وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة قال العلماء لم يرد الله تعالى بقوله ابتدعوها طريقة الذم ولكن
المراد انهم احدثوها من عند انفسهم ونذروها والرهبانية بفتح الراء مصدر وهي الفعلة المنسوبة الى الرهبان
بالفتح ايضا وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ بالضم وهي نسبة الى الرهبان جمع الراهب
وقوله الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع عند الاكثر اى ما فرضناها نحن عليهم ولكنهم
ابتدعوها طلب رضوان الله وقال اخرون انه متصل والمعنى ما تعبدناهم بها الا على وجه تحصيل مرضاة
الله فيكون ندبا ان اتى بها ارتضاها وان لم يات بها فلا حرج وفي قوله فما رعوها حق رعايتها اقوال احدها
انهم اقاموا على تلك السيرة ولكنهم ضموا اليها التثليث والاتحاد وفسقوا الا ان ناسا منهم اقاموا على دين
عيسى عليه السلام حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فامنوا به وثانيها ان اكثرهم لم يتوسلوا بها الى طلب
مرضات الله تعالى ولكنهم جعلوها سلما الى المنافع الدنيوية وثالثها ان يكون في الكلام اضمار اى لم نفرضها
اولا عليهم بل كانت على جهة الاستحباب ثم فرضناها عليهم فما رعوها الا قليلا منهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم

مطلب قال العلماء لم يرد الله تعالى بقوله ابتدعوها طريقة الذم ولكن المراد انهم

بعد ان استقاموا على الطريقه ورابعها ان الصالحين من قوم عيسى عليه الصلوة والسلام ابتدعوا الرهبانية
وانقرضوا عليها ثم جاء بعدهم من لم يرعها كما دعاها الحواريون ثم خاطب المؤمنين منهم بقوله يا ايها الذين امنوا
اى بعيسى عليه الصلوة والسلام اتقوا الله وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته
لايمانكم اولا بعيسى وثانيها بمحمد ويجعل لكم نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم او النور المذكور في
قوله اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ويجوز ان يكون الخطاب لامة محمد والمراد
اثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد مؤمني اهل الكتاب في قوله اولئك يؤتون
اجرهم مرتين وذلك ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا
الفضل عليهم فنزلت وفيه انهم مثلهم في الايمانين لانهم لا يفرقون بين احد من رسله على انه يجوز ان
يكون النصيب الواحد من الاجر زائدا من نصيبين فان المال اذا قسم نصفين كان الكفل الواحد نصفا واذا قسم عشرة
اقسام كان الكفل الواحد جزءا من عشرة ولا شك ان النصيب الواحد من القسمة الاولى ازيد من النصيب الواحد
من القسمة الثانية قوله لئلا يعلم الاية اكثر المفسرين والنحويين على ان لا زائدة والمعنى ليعلم اهل الكتاب الذين
لم يسلموا ان الشان لا ينالون ولا يقدرون على شيء من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه و
وسلم فلم ينفعهم ايمانهم من قبله او المراد اذا بالعلم في هذا الثلث الوعد لهم والوعيد ليعلم اهل الكتاب انا نالشان
هو انهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الاجر في طايفه مخصوصين والفضل بيد
الله يؤتيه من يشاء قيل غير زائدة والضمير في لا يقدرون للرسول واصحابه والعلم بمعنى الاعتقاد والمعنى لئلا
يعتقد اهل الكتاب ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله ولكن يعتقدون
ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقد خص بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ومن امن به والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع
تحاوركما ان الله سميع بصير ● الذين يظاهرون منكم
من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم
وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ● فمن
لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع

فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود
الله وللكافرين عذاب اليم ● ان الذين يحادون الله ورسوله
كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات و
للكافرين عذاب مهين ● يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا
احصيه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ● الم تر ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو
رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر
الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله
بكل شئ عليم ● الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما
نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا
جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا
يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ● يا ايها
الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون
انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا
الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ● يا ايها الذين امنوا
اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا
قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ● يا ايها الذين

امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجويكم صدقة
ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجويكم صدقات فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله
ورسوله والله خبير بما تعملون ● الم تر الى الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب
وهم يعلمون ● اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا
يعملون ● اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم
عذاب مهين ● لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ● يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ
الا انهم هم الكاذبون ● استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم
ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون ● ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين ● كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوى عزيز
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله
ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا

عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

القراءة يظاهرون من المظاهرة عاصم يظهرون بتشديد الظاء والهاء من التظهير واصله يتظاهرون
ادغمت التاء في الظاء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون يظاهرون بتشديد
الظاء وزيادة الالف من التظاهر واصله يتظاهرون ماهن امهاتهم بالرفع والمفضل الاخرون بكسر التاء
على اعمال ليس وهذا هو الفصيح ما يكون بتاء التانيث يزيد وهو ظاهر الاخرون على التذكير بناء على ان التقدير
ما يقع شيء من نجوى ولا اكثر بالرفع يعقوب اما على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة او للعطف على محل من نجوى
الباقون بالنصب على ان لا لنفي الجنس او على انهما مجروران عطفا على نجوى وكانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر
الا هو معهم او عطفا على العدد والتقدير ما يكون من نجوى ادنى من ذلك العدد ومن نجوى اكثر من ذلك وينتجون
من باب الافتعال حمزة ورويس ولا تنتجوا من الافتعال ايضا رويس المجالس على الجمع عاصم انشزوا فانشزوا
بضم الشين فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم غير يحيى وحماد والخزاز الاخرون بالكسر فيهما وهما
لغتان مثل يعرشون ويعرشون بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر عشيراتهم على الجمع المفضل كتب مجهولا الايمان
بالرفع المفضل الوقوف الجزء الثامن والعشرون تحاوركما ط بصير ه ماهن امهاتهم ط ولدنهم ط وزورا ط
غفور ه يتماسا ط به خبير ه يتماسا ط مسكينا ط ورسوله ط الله ط اليم ه بينات ط مهين ه لاحتمال تعلق الظرف بما قبله
وكونه مفعولا لاذكر عملوا ط ونسوه ط شهيد ه وما في الارض ط كانوا ج لان ثم للعطف او لترتيب الاخبار القيمة ط عليم ه
الرسول لعطف الجملتين المتفقتين بمعنى مع ان جاؤك فعل ماض لفظا به الله لا لما بعده حال وعطف على
جاؤك المستقبل معنى بقول ط جهنم لاحتمال الحال وكونه مستانفا يصلونها ج المصير ه والتقوى ط تحشرون ه
باذن الله ط المؤمنون ه يفسح الله لكم ج لابتداء شرط اخر مع العطف منكم للعطف درجات ط خبير ه صدقة ط
واطهر ط رحيم ه صدقات ط لتناهي الاستفهام الى الشروط ورسوله ط تعملون ه عليهم ط لتناهي الاستفهام الى
الاخبار منهم بناء على ما بعده حال والعامل معنى الفعل في الجار اي وهم يعلمون ه قاله السجاوندي ولا يبعد
عندي ان يكون مستانفا فيحسن الوقف يعلمون ه شديدا ط يعملون ه مهين ه شيئا ط النار ط خالدون ه على شيء ط
الكاذبون ه ذكر الله ط اولئك حزب الشيطان ط الخاسرون ه الاذلين ه ورسلي ط عزيز ه عشيرتهم ط بروح منه ط
للعدول عن الماضي الى المستقبل فيها ط عنه ط اولئك حزب الله ط المفلحون ه التفسير عن عائشة رضي
الله عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع الله لها وعن عمر رضي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخلت
عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها اي اجاب وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها
وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة فظاهر منها فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر
منه ولدي جعلني عليه كامه وفي رواية انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا فقال لها ما
عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه وهي تقول اشكو الى الله فاقتي ووحدتي فنزلت
ومعنى في زوجها في شانه ومعنى قد في قد سمع التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين
ان يسمع الله عز وجل مجادلتها وشكواها وينزل في شانها ما يفرج عنها والتحاور التراجع في الكلام وفي الاية
دلالة على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق كفاه الله مهمه يروى انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى زوجها فقال
ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرا عليه الايات الاربع وقال له هل تستطيع
العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا فقال لا والله الا ان تعينني منك بصدقة فاعانه
بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين واعلم ان الظهار كان من اشد طلاق
الجاهلية لانه في التحريم غاية فان كان شرعا متقدما فالاية ناسخة له ولا سيما فيمن روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لها حرمت عليه وان كان عادة الجاهلية فلا نسخ لان النسخ لا يدخل الا في الشرائع ثم انه سبحانه وبخ العرب اولا
بقوله الذين يظاهرون منكم ثم بين الحكم العام في الاية الثانية ولهذا يؤيد لفظة منكم ونحن نبني تفسير الاية على

ابحاث الاول في معنى الظهار وهو عبارة عن قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي فاشتقاقه من الظهر وقال
صاحب النظم ليس الظهر بالذكر اولى في هذا المطلوب من سائر الاعضاء التي هي موضع التلذذ فهو ماخوذ من
ظهر اذا علا وغلب به سمي المركوب ظهرا لان راكبه يعلوه وكذلك امراة الرجل مركبه وظهر له والدليل على صحة
هذا المعنى ان العرب يقول في الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها قال وفي لفظ الظهار اضمار والتقدير ظهرك
علي اي علوي وركوبي عليك حرام علي كعلو امي ثم لا مناقشة بين العلماء في الطلاق فلو قال لست مني او عندي
او مني او لي كظهر امي صح ظهاره وكذا لو ترك الصلوة كلها وقال انت كظهر امي كما ان قوله انت طالق صريح وان لم
يقل مني اما اذا شبهها بغير الظهر فذهب الشافعي الى ان ذلك العضو ان كان مشعرا بالاكرام كقوله انت علي
كروح امي او عين امي صح ظهاره ان اراد الظهارة الاكرام والا فلا وان لم ينو شيئا ففيه قولان وان لم يكن مشعرا
بالكرامة كقوله انت كرجل امي او كيدها او بطنها ففي الجديد ظهار وفي القديم لا وقد ترجح هذا بالبراءة الاصلية
وقال ابو حنيفة ان شبهها بعضو من الام يحل له النظر اليه كاليد او الراس وان لم يكن ظهارا وان شبهها بعضو
يحرم النظر اليه كالبطن والفخذ كان ظهارا وفي التشبيه بالمحرمات الاخر من النسب او الرضاع سوى الام الجديد
وابو حنيفة انه ظهار لعموم قوله يظاهرون ومن قصر على الام احتج بقوله بعده ماهن امهاتهم وبان
حرمة الام اشد البحث الثاني في المظاهر وفيه مسائل الاولى قال الشافعي كل من صح طلاقه صح ظهاره
وان كان خصيا او مجبوبا ويتفرع عليه ان ظهار الذمي صحيح حجة الشافعي عموم قوله تعالى والذين
يظاهرون وايضا تاثير الظهار في التحريم والذمي اهل لذلك بدليل صحة طلاقه وايضا ايجاب الكفارة
للزجر عن هذا الفعل الذي هو منكر من القول وزور وهذا المعنى قائم في حق الذمي وقال ابو حنيفة ومالك
لا يصح ظهاره واحتج ابو بكر الرازي لهما بان قوله الذين يظاهرون منكم خطاب للمؤمنين وايضا من لوازم الظهار
الصحيح وجوب الصوم على العائد العاجز عن الاعتاق وايجاب الصوم على الذمي ممتنع لانه مع الكفر باطل
وبعد الاسلام غير لازم لانه يجب ما قبله واجيب عن الاول بان قوله منكم خطاب للحاضرين فلم
قلتم انه مخصوص بالمؤمنين على ان التخصيص بالذكر عندكم لا يدل على نفي ما عداه وايضا العام عندكم اذا ورد
بعد الخاص كان ناسخا للخاص وعن الثاني ان من لوازم الظهار ايضا انه متى عجز عن الصوم اكتفى منه
بالاطعام فههنا ان تحقق العجز وجب ان يكتفى منه بالطعام وان لم يتحقق العجز زال السؤال وايضا الصوم
بدل عن الاعتاق والبدل اضعف من المبدل ثم ان العبد عاجز عن الاعتاق مع انه يصح ظهاره بالاتفاق
فاذا كان فوات اقوى اللازمين لا يوجب منع الظهار ففوات الاضعف كيف يمنع وقال القاضي الحسين
من اصحاب الشافعي في الجواب يحق يقول للذمي ان اردت الخلاص من التحريم فاسلم وصم فقوله الاسلام يجب
ما قبله قلنا انه عام والتكفير خاص والخاص مقدم على العام الثانية قال مالك وابو حنيفة والشافعي لا يصح
ظهار المراة عن زوجها وهو ظاهر وقال الاوزاعي هو يمين تكفرها وحظي بان المراة لا تملك التحريم بالطلاق
فكذا بالظهار الثالثة لو قال انت علي كظهر امي يوما او شهرا فقد قال ابو حنيفة والشافعي يبطل ظهاره بمضي المدة
وكان قبل ذلك صحيحا لما روي ان سلمة بن صخر ظاهر من امراته حتى ينسلخ من رمضان ثم وطئها في المدة فامره
النبي صلى الله عليه وسلم بتحرير رقبة واما بطلان ظهاره بعد المدة فلمقتضى اللفظ كما في الايمان فاذا مضت
المدة حل الوطء لارتفاع الظهار وبقيت الكفارة في ذمته وقال مالك وابن ابي ليلى هو مظاهر ابدا البحث
الثالث في المظاهر عنها ويصح الظهار عن الصغيرة والمجنونة والامة المتزوجة والذمية والرتقاء والحائض
والنفساء ولا يصح عن الامة وام الولد عند ابي حنيفة والشافعي لان قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم
يتناول الحرائر دون الاماء كما في قوله ونسائهن بدليل انه عطف عليه قوله او ما ملكت ايمانهن وقال مالك
والاوزاعي يصح لان قوله من نسائهم يشمل ملك اليمين لغة وفي الاية سؤال وهو ان المظاهر شبه الزوجة
بالام ولم يقل انها ام فكيف انكر الله عليه بقوله ماهن امهاتهم وحكم بانه منكر وزور والجواب ان قوله
انت علي كظهر امي ان كان اخبارا فهو كذب لان الزوجة حلال والام حرام وتشبيه المحللة بالمحرمة في وصف الحل
والحرمة كذب وان كان انشاء كان معناه ان الشرع جعله سببا في حصول الحرمة ولما لم يرد الشرع بهذا السبب
كان الحكم به كذبا وزورا ولهذا اوجب الله سبحانه الكفارة على صاحب هذا القول بعد العود سؤال اخر قوله ثم

ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم ظاهر يقتضي انه لا ام الا الوالدة لكنه قال في موضع اخر وامهاتكم من الرضاعة
وقال وازواجه امهاتهم اجاب في الكشاف بانه يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن
ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن بسبب الارضاع او لكونها زوجة النبي الذي هو ابو الامة واما الزوجات
فلسن من احد القبيلين فكان قول المظاهر منكرا لمخالفته الحقيقة وزورا لعدم موافقته الشرع قوله ثم يعودون
لما قالوا قال الفراء لا فرق في اللغة بين قولك عاد لما قال والى ما قال وفيما قال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام
يتعاقبان قال تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال اهل اللغة اذا قال قائل عاد لما
فعل جاز ان يريد انه فعله مرة اخرى وهذا ظاهر وجاز ان يريد انه نقض ما فعل لان التصرف في الشيء بالاعدام
لا يمكن الا بالعود اليه والى هذا ذهب اكثر المجتهدين الا ان الشافعي قال معنى العود لما قالوا السكوت عن
الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصل ذلك بالطلاق
فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق دل على انه ندم على ما ابتدا به
من التحريم فحينئذ يجب عليه الكفارة اعترض ابو بكر الرازي في احكام القران عليه من وجهين الاول
انه تعالى قال ثم يعودون وكلمة ثم يقتضي التراخي وعلى قول الشافعي يكون المظاهر عائدا عقيب القول بلا تراخ
وهذا خلاف مفهوم الاية والثاني اوشبهها بالام والام لا يحرم امساكها فلا يكون امساك الزوجة نقضا
لما قال واجيب عن الاول بانه يوجب ان لا يمكن المظاهر من العود اليها بهذا التفسير عقيب فراغه عن
التلفظ بلفظ الظهار حتى يحصل التراخي مع ان الامة مجمعة على ان له ذلك والتحقيق ان العبرة بالحكم ونحن لا نحكم
بالعود ما لم ينقض الزمان يمكنه ان يطلقها فيه فقد تاخر كونه عائدا عن كونه مظاهرا بهذا القدر وهذا يكفي
في العمل بمقتضى كلمة ثم وعن الثاني ان المراد امساكها على سبيل الزوجية واللفظ محتمل لهذا وامساك الام على
هذا الوجه محرم وقال ابو حنيفة معناه على استباحة الوطي والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما
شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحتها كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي وقال مالك العود
اليها عبارة عن العزم على جماعها وضعف بان العزم على الجماع لا يناقض كونها محرمة انما المنافي لكونها محرمة هو
القصد الى استحلال جماعها فيرجع الى قول ابي حنيفة ولا يرد عليه الا انه خص وجه التشبيه من غير دليل و
الذي ذكره الشافعي اعم واقل ما ينطلق عليه اسم العود فكان اولى وعن طاوس والحسن ان العود اليها عبارة
عن جماعها وخطئ لقوله فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا واذا كان التكفير قبل الجماع والتكفير لا يثبت الا بعد العود
فالعود غير الجماع واما الاحتمال الاول وهو ان العود لما فعل هو فعله مرة اخرى ففيه ايضا وجوه الاول قول الثوري
ان العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وزيف بانه يرجع حاصل المعنى الى قوله والذين كانوا يظاهرون
من نسائهم في الجاهلية ثم يعودون قالوا في الاسلام فكفارته كذا وكذا وهو اضمار من غير دليل مع انه خلاف
الاصل والثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فهو العود والا فلا وضعف بحديث اوس وحديث سلمة
بن صخر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم الزمهما الكفارة مع انهما لم يكررا الظهار الثالث قال ابو مسلم
الاصفهاني العود هو ان يحلف على ما قال ولا من لفظ الظهار فاذا لم يحلف لم يلزمه الكفارة قياسا على ما لو
قال في بعض الاطعمة انه حرام علي كلحم الادمي فانه لا يلزمه الكفارة الا اذا حلف عليه ورد بان الكفارة قد يجب
بالجماع في المناسك ولا يمين وكذا في قتل الخطاء ولا يمين وعندي ان هذا الرد مردود لانه لا يلزم من وجوب
الكفارة في الصورتين من غير يمين وجوبها في كل صورة بلا يمين نعم يرد على ابي مسلم ان تفسير العود بالحلف
اثبات اللغة بالقياس ولا يخفى ان العود لما قالوا على هذا الاحتمال ظاهر لانه اريد بالقول هو اللفظ واما
الاحتمال الاخر فيحتاج الى تاويل القول بالمقول فيه وهو ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار كما مر في قوله ونرثه
ما يقول اي المال والولد مسائل الاولى الجديد وابو حنيفة ان الظهار يحرم جميع جهات الاستمتاعات لان
قوله سبحانه من قبل ان يتماسا يعم جميع ضروب المسيس من لمس بيد وغيرها وروى عكرمة ان رجلا ظاهر من
امراته ثم واقعها قبل ان يكفر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال اعتزلها حتى يكفر الثانية اختلفوا
فيمن ظاهر مرارا فقال ابو حنيفة والشافعي لكل ظهارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد وقال
مالك من ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة حجتهما انه تعالى رتب الكفارة على

التلفظ بكلمة الظهار والمعلول يتكرر بتكرر العلة ويتفرع عليه انه لو كانت تحته اربع نسوة وقال لهن انتن علي كظهر
امي لزمته اربع كفارات ان الحكم يتكرر بتعدد المحل حجته انه رتب الكفارة على مطلق الظهار والمطلق شامل
للمتعدد ولو قيس باليمين وان الكفارة لا تلزمه في كل يمين الثالثة دلت الاية على ايجاب الكفارة قبل التماس فان
جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابو حنيفة والشافعي وسفيان واحمد
واسحق لان سلمة بن صخر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها
فقال عليه الصلوة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر وقال بعضهم ومنهم عبد الرحمن بن مهدي
اذا واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان الرابعة لا ينبغي للمراة ان تدع الزوج يقربها حتى يكفر فان تهاون حال
الامام بينهما ويجبر على التكفير وان كان بالضرب حتى يوفيها حقها من الجماع قال الفقهاء ولا شيء من الكفارات
يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لان ترك التكفير اضرار بالمراة وامتناع من ايفاء حقها الخامسة قد ذكرنا ان
الاستمتاعات محرمة عليه الى ان يكفر وذلك صريح في تحرير الرقبة وفي الصيام ولا يقولان التكفير بالاطعام
ايضا كذلك وان لم يتعرض للتماس في قوله فاطعام ستين مسكينا حملا للمطلق على المقيد عند اتحاد الواقعة
او حملا للاقل وهو صورة واحدة على الاكثر وهذه من فصاحات القران السادسة مذهب ابي حنيفة ان
هذه الرقبة تجزي وان كانت كافرة لاطلاق الاية وقال الشافعي لا بد ان يكون مومنة قياسا على كفارة
القتل والجامع ان الاعتاق انعام والمومن اولى به ولان المشركين نجس وكل نجس خبيث بالاجماع وقال تعالى
ولا تيمموا الخبيث ولا يجزي ام الولد ولا المكاتب عند الشافعي لضعف الملك فيه فلا يحصل التحرير بالخروج
عن العهدة وقال ابو حنيفة ان اعتقه قبل ان يودي شيئا جاز عن الكفارة لانه رقبة بدليل قوله وفي
الرقاب وان اعتقه بعد ان ادى شيئا لم يجز والمدبر يجزي عند الشافعي ولا يجزي عند ابي حنيفة السابعة
يعتبر في الرقبة بعد الايمان على خلاف فيه السلامة عن العيوب لا التي يثبت بها الرد في البيع ولكن
التي تخل بالعمل والاكتساب لان المقصود هنالك المالية وههنا تكميل حاله ليتفرغ للعبادات والوظائف
المخصوصة بالاحرار فلا يجزي مقطوع اليدين والرجلين او احدهما ولا المجنون ويجزي الاعور والاصم
والاخرس ومقطوع الاذنين او الانف او اصابع الرجلين لا اصابع اليد لان البطش والعمل متعلق بها
والعبد الغائب ان انقطع خبره لا يجزي ولو اعتق عبده عن كفارته بشرط ان يرد دينارا او عشرة لم يجز بل
يجب ان يكون الاعتاق خاليا عن العوض الثامنة كفارة الظهار مرتبة على ما في الاية وان كان في ملكه
عبد فاضل عن حاجته هو وان احتاج الى خدمته لمرض او كبر او لان منصبه يابى الى ان يخدم نفسه
لم يكلف صرفه الى الكفارة ولو وجد ثمن العبد فكالعبد والشرط ان يفضل عن حاجة نفقته وكسوته و
نفقة عياله وكسوتهم وعن المسكن وما لا بد له من الاثاث ولو كانت له ضيعة او راس مال يتجر فيه ويفي
ما يحصل منهما بكفايته بلا مزيد ولو باعهما لارتد الى حد المساكين لم يكلف بيعهما وان كان ماله غائبا ولم
يجد الرقبة في الحال لم يجز العدول الى الصوم بل يصبر وان كان يتضرر بامتناع الاستمتاع لانه تعالى قال
فمن لم يجد وهو واجد اما من كان مريضا في الحال ولا يقدر على الصوم فانه ينتقل الى الاطعام لانه تعالى قال
فمن لم يستطع وهو غير مستطيع والمال غير معلوم ولا هو متعلق باختياره بخلاف احضار المال وتحصيل
الرقبة فان ذلك قد يمكنه التاسعة لو اطعم مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزي عند الشافعي لظاهر الاية ولان
ادخال السرور في قلب ستين انجع واقرب من رضا الله وقال ابو حنيفة يجزي العاشرة الشبق المفرط والعلة
المانعة عذر عند الاكثرين في الانتقال الى الطعام لما في قصة الاعرابي وهل يثبت الا من قبل الصوم فيه
النبي صلى الله عليه وسلم قال اطعم وحمله اخرون على خاصة الاعرابي ولنكتف بهذا القدر عن المسائل
الفقهية في تفسير اية الظهار قال الزجاج ذلكم توعظون اي ذلكم التغليظ وعظ لكم حتى تتركوا الظهار وحين
ذكر حكم العاجز ختم الاية بقوله ذلك فيحتمل ان يعود مطلق بيان كفارة الظهار ويحتمل ان يعود الى التخفيف
والتوسيع لتصدقوا بالله ورسوله فان التخفيف مناسب للتصديق والعمل بالشريعة وللكافرين الذين
استمروا على احكام الجاهلية عذاب اليم وانما قال في الاية الثانية عذاب مهين لتناسب قوله كبتوا اي
اخزوا واهلكوا قيل ان يكبتهم يوم الخندق والحدود مع المحادة نوع من التجانس والمحادة المشاقة من الحد الطرف

كان كلاً من المتخاصمين في طرف آخر كالمشاقة من الشق وقال ابو مسلم هي من الحديد كان كلاً منهما يكاد يستعمل الحديد اي السيف وهم المنافقون او الكافرون على الاطلاق قوله احصاه الله اي احاط بما عمل كل منهم كماً وكيفاً وزماناً ومكاناً ونسوه لكثرته او لقلة اكتراثهم بالمعاصي وانما يحفظ معظمات الامور ثم قرر كمال علمه بقوله ما يكون من نجوى ثلثة نفر ويجوز ان يكون الثلثة وصفاً للنجوى على حذف المضاف اي من اهل نجوى او لانهم جعلوا نجوى مبالغة وكذلك كل مصدر وصف به قال الزجاج هي مشتقة من النجوة المكان المرتفع لان الكلام المذكور سراً يحل عن استماع الغير سؤال لم ذكر الثلثة والخمسة واهمل ذكر الاثنين والاربعة الجواب من وجوه احدها ان الاية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذا العدد فخصت صورة الواقعة بالذكر عن ابن عباس ان ربيعة وحبيباً ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوماً يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضاً ولا يعلم بعضاً وقال الثالث ان كان يعلم بعضاً فهو يعلم كله فنزلت قلت الحق مع الثالث ولعل الآخر كان فلسفياً لاعتقاد القائل بانه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات وثانيها ان العدد الفرد اشرف من الزوج لان الله وتر ولان الزوج يحتاج الى الوتر دون العكس كالواحد وثالثها ان المتشاورين الاثنين كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم وهكذا في كل زوج اجتمعوا للمشاورة فلا بد فيهم من واحد يكون حكماً فذكر سبحانه الفردين الاولين تنبيهاً على افراد الباقية ورابعها ان هذه الاشارة الى كمال الرحمة وذلك ان الثلثة اذا اخذ اثنان منهم في التناجي والمشاورة بقي الواحد ضايعاً وحيداً فيضيق قلبه فيقول الله تعالى فانا جليسك وانيسك وكذا الخمسة اذا اجتمع اثنان اثنان منهم بقي الخامس فريداً فيؤنسه الله تعالى عنه ببشارة المعية وهذا التاويل لا يتاتى في الاثنين والاربعة فاهمل ذكرهما وفيه ان من انقطع عن الخلق لم يتركه الله ضايعاً وخامسها وهو من التوابع انه سبحانه لما اراد تكميل الكلام بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر لم يكن بد من الابتداء بالثلثة مع انها عدد اكثري في التشاور ثم بالخمسة ليكون لكل من العددين طرفا قلة وكثرة وفيه ايضاً من الفصاحة انه لم يقع حروف الاربعة مكررة اذ لو قال ولا اربعة الا هو والله خامسهم على ما وقع في مصحف عبد الله لكان في ذكر الرابع والاربعة شبه تكرار ولعل في الاية اشارة الى التناجي لا ينبغي ان يكون الا بين اثنين الى ستة ليكون الزيادة على الخمسة بقدر احتمال النقصان عن الثلثة ويعضده ما روي ان عمر بن الخطاب ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع وهذه من نكت القرآن زادنا الله اطلاعاً عليها قال اكثر المفسرين كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون بذلك غيظهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فعادوا لمثله وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمخالفة الرسول فنزلت الم تر الى الذين الاية ومنهم من قال فريق من الكفار والاول اقرب بدليل قوله واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك وذلك انهم كانوا يقولون السام عليك يا محمد والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي وحديث عايشة مع اليهودي في هذا المعنى المذكور مع شهرته وكانوا يقولون ما له ان كان نبياً لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فاجاب الله تعالى عن قولهم بان جهنم يكفيهم قال ابو علي التناجي والانتجاء بمعنى نحو اصطوروا واختوروا في معنى تجاوروا وتعاوروا ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك النجوى وهو ظاهر وقال جمع من المفسرين هو خطاب للمنافقين الذين امنوا باللسان دون مواطاة القلوب واعلم ان النجاة اذا كانت على طريقة البر والتقوى فقلما يقع الداعية الى كتمانها فلا يكون نجوى ولا ينادي بها احد اذا عرفت منزع المناجي فلهذا امر الله سبحانه ان لا يقع التناجي الا على وجه البر قوله انما النجوى الالف واللام فيه لا يمكن ان يكون للاستغراق او للجنس فمن النجوى ما يكون بمد وحه لاشتمالها على مصلحة دينية او دنيوية فهي اذن للعهد وهو التناجي بالاثم والعدوان زينه الشيطان لاجلهم ليحزن الشيطان او التناجي المؤمنين وكانوا يقولون ما نراهم متناجين الا وقد بلغهم عن اقاربنا الذين خرجوا الى الغزوات انهم قتلوا وهزموا ثم بين ان الشيطان او الحزن لا يضر المؤمنين الا بمشية الله و ارادته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وفي رواية دون الثالث وحين نهى عباده المؤمنين عما يكون سبباً للتباعد والتنافر حثهم على ما يوجب مزيد المحبة والالفة والتفسح

في المجالس التوسع فيه والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتضامون فيه تنافساً في القرب منه وحرصاً على استماع كلامه ومن قرأ على الجمع جعل لكل جالس مجلساً على حدة وقيل هو المجلس من مجالس القتال اي مراكز الغزاة كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون حرصاً على الشهادة والقول الاول اصح قال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام وشق ذلك على الرسول فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه فعرف الكراهية في وجه من اقيم في مجلسه وطعن المنافقون في ذلك وقالوا والله ما عدل على هؤلاء ان قوماً اخذوا في مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطأ عنه فنزلت فاذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين فانشزوا ولا تملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارتكاز فيه يرفع الله الذين امنوا منكم ايها الممتثلون والعالمين بينهم خاصة درجات قال بعض اهل العلم المراد به الرفعة في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وهو مناسب للمقام لقوله صلى الله عليه وسلم وهو مناسب للمقام الى درجات ثواب الآخرة وقد اطنبنا في فضيلة العلم في اوايل البقرة عند قوله وعلم آدم الاسماء كلها والامر انما يقتدى بالعالم في كل شيء ولا يقتدى بالجاهل في شيء وذلك انه من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات ومحاسبة النفس ما لا يعرفه الغير ويعلم في كيفية الوضوء اوقاتها وصفاتها ما لا يخفى منه عند غيره ويحتفظ فيما يلزمه من الحقوق ما لا يحتفظ غيره ولكنه كما يعظم منزلته عند الطاعات ينبغي ان يعظم عقابه عند التقصيرات حتى كاد يكون الصغيرة بالنسبة اليه كبيرة اللهم ثبت على صراطك المستقيم ووفقنا للعمل بما فهمنا من كتابك الكريم قال ابن عباس كان المسلمون اكثروا المسايل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا واراد الله ان يخفف عن نبيه فلما نزلت اية النجوى شح كثير من الناس فكفوا عن المسئلة وقال مقاتل بن حيان ان الاغنياء غلبوا الفقراء في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم واكثروا مناجاته فامر الله بالصدقة عند المناجاة فازدادت درجة الفقراء وانحطت درجة الاغنياء وتميز محب الآخرة عن محب الدنيا قال بعضهم هذه الصدقة كانت مندوبة لقوله ذلك خير لكم لانه ازيل العمل به بكلام متصل وهو قوله ءاشفقتم والاكثرون على انها كانت واجبة بظاهر الامر والمندوب قد يوصف بكونه خيراً ولا يلزم من اتصال الايتين في القراءة اتصالهما في النزول وقد يكون الناسخ متقدماً في التلاوة على المنسوخ كما مر في اية الاعتداد بالحول في البقرة واختلفوا في مقدار تاخيرهما فعن الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من نهار وعن مقاتل بقي عشرة ايام وعن علي كرم الله وجهه لما نزلت الاية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد اي انك لقليل المال فقدرت على حسب حالك وعنه ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي هذا لا يدل على فضيلة دون اكابر الصحابة لان الوقت لعله لم يتسع للعمل بهذا الفرض وقال فخر الدين الرازي سلمنا ان الوقت قد وسع الا ان الاقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير الذي لا يجد شيئاً وينفر الرجل الغني فلم يكن في تركه مضرة لان الذي يكون سبباً للالفة اولى مما يكون سبباً للوحشة وايضاً الصدقة عند المناجاة فليست بواجبة ولا مندوبة بل الاولى ترك المناجاة كما بينا من انها كانت سبباً لسآمة النبي صلى الله عليه وسلم قلت هذا الكلام لا يخلو عن تعصب ما ومن اين يلزمنا ان نثبت مفضولية علي كرم الله وجهه في كل خصلة ولم لا يجوز ان يحصل له فضيلة لم يوجد لغيره من اكابر الصحابة فقد روي عن ابن عمر كان لعلي ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى وهل يقول منصف ان مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم نقيصة على انه لم يرد في الاية نهي عن المناجاة وانما ورد تقديم الصدقة على المناجاة فمن عمل بالاية حصلت له الفضيلة من جهتين من جهة سد خلة بعض الفقراء ومن جهة محبة نجوى الرسول صلى الله عليه وسلم ففيها القربة

منه وحل المسايل العويصة لظهار ان نجواه احب الى المناجي من المال والظاهر ان الاية منسوخة
بما بعدها وهو قوله أأشفقتم الى اخرها قاله ابن عباس وقيل نسخت باية الزكوة اما ابو مسلم الذي يدعي
ان لا نسخ في القران فانه يقول كان هذا التكليف مقدرا بغاية مخصوصة لتمييز الموافق من المنافق
والمخلص من المرائي فانتهى امد الحكم لا يكون نسخا له ومعنى الاية أأشفقتم تقديم الصدقات لما فيه من
الانفاق المنقص للمال الذي هو احب الاشيا اليكم فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم ورخص لكم
في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وساير الطاعات ومن زعم ان العمل باية النجوى لم يكن من
الطاعات قال انه لا يمتنع ان الله تعالى علم ضيق صدر كثير منهم من اعطاء الصدقة في المستقبل لو دام
الوجوب فقال اذا كنتم تايبين راجعين الى الله واقمتم الصلوة واتيتم الزكوة فقد كفاكم هذا التكليف قال
المفسرون كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجراته اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر
بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بينتني انت واصحابك
فحلف بالله ما فعل فقال النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله بالله ما
سبق فنزل الم تر الى الذين تولوا اي وادوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود ما هم على ابطال قول
الحافظ ان الخبر الكذب هو الذي يكون مخالفا للمخبر عنه مع ان المخبر يعلم تلك المخالفة وذلك انه لو كان
كما زعم لم يكن لقوله وهم يعلمون فايدة بل يكون تكرارا محضا قال بعض المحققين العذاب الشديد هو
عذاب القبر والعذاب المهين الذي يجي عقيبه هو عذاب الاخرة وقيل الكل عذاب الاخرة كقوله الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال جار الله معنى قوله انهم ساء ما كانوا
يعملون انهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول مصرين على سوء العمل او هي حكاية ما يقال لهم في الاخرة
ومعنى الفا في فصدوا انهم حين دخلوا في حماية الايمان الكاذبة وامنوا على النفس والمال واشتغلوا
بصد الناس عن دخول في الاسلام بالقاء الشبهات وتقبيح حال المسلمين ويروى ان رجلا منهم قال
لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا فنزل لن تغني عنهم الاية اخبر عن حالهم العجيبة الشان وهو
انهم يحلفون يوم الحشر لعالم الغيوب كما يحلفون لكم في الدنيا وانتم بشر يخفى عليكم السراير ويحسبون انهم
على شي من النفع والمراد انهم كما عاشوا على النفاق والحلف الكاذب يموتون ويبعثون على ذلك الوصف
قال القاضي والجبائي ان اهل الاخرة لا يكذبون ومعنى الاية انهم يحلفون في الاخرة انا ما كنا كافرين عند انفسنا
وقوله الا انهم هم الكاذبون في الدنيا ولا يخفى ما هذا التاويل من التعسف وقد مر البحث في قوله والله ما
كنا مشركين ثم بين ان الشيطان هو الذي زين لهم ذلك ومعنى استحوذ استولى وغلب ومنه قول عايشة
في حق عمر كان احوذيا اي سايسا غالبا على الامور وهذا احد ما جاء على الاصل نحو استصحب واستنوق
احتج القاضي به في خلق الاعمال بان ذلك النسيان لو حصل بخلق الله لكانت اضافتها الى الشيطان كذبا
لكانوا كالمؤمنين في كونهم حزب الله لا حزب الشيطان والجواب ظاهر مما سلف مرارا فان الكلام في الانتها
لا في الوسط قوله اولئك في الاذلين قال اهل المعنى ان اذل احد الخصمين تابع لغلبة خصم الاخر ولما كانت
عزة الله تعالى غير متناهية فذلة من حاده لا نهاية لها فهم اذل خلق الله ثم قرر سبب ذلهم بقوله كتب الله
ما في اللوح لاغلبن انا ورسلي اما بالحجة وحدها او بها وبالسيف قال مقاتل ان المسلمين قالوا انا لنرجوا
ان يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي اتظنون ان فارس والروم كبعض القرى التي غلبتموهم
عليها كلا والله انهم اكثر عددا وعدة فنزلت الاية ثم بين ان الجمع بين الايمان الخالص وموادة من حاد الله
ورسوله غير ممكن ولو كان المحادون بعض الاقربين وقال جار الله هذا من باب التخييل والغرض انه لا ينبغي ان يكون
وحقه ان يمتنع ولا يوجد قلت لو اعتبر كل من الامرين من حيث الحقيقة كان بينهما اشد التباين ولا حاجة الى
هذا التكليف الا ان يحمل احدهما على الحقيقة والاخر على الظاهر فحينئذ قد يجتمعان كما في حق اهل النفاق وكما يوجد
بعض اهل الايمان يخالط بعض الكفرة ويعاشرهم لاسباب دنيوية ضرورية عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما يروى انها نزلت في ابي بكر وذلك ان ابا قحافة

سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوفعلته
قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح
يوم احد في كثير من اكابر الصحابة اعرضوا عن عشايرهم وعادوهم لحب الله ورسوله وذهب جمع من المفسرين الى انها
نزلت في حاطب بن ابي بلتعة واخبار اهل مكة بمسير النبي صلى الله عليه وسلم اليهم عام الفتح وسيجي في الممتحنة
والاظهر عندي نزولها في المؤمنين الخلص لقوله اولئك كتب اي اثبت في قلوبهم الايمان اثبات المكتوبة في
القرطاس وقيل معناه جمع والتركيب يدور عليه اي استكملوا اجزاء الايمان بحذافيرها ليسوا ممن يقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض قوله وايدهم بروح منه قال ابن عباس اي نصرهم على عدوهم وسمي النصر روحا لان الامر
يحيى بها او لان قلوبهم بلفظه يحيى حيوة ابدية ويحتمل ان يكون الضمير للايمان على انه في نفسه روح فيه حيوة القلوب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ● هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ● ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ● ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار ● ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ● ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين ● وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شي قدير

ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون
دولة بين الاغنياء منكم وما اتيكم الرسول فخذوه وما
نهيكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ●
للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك
هم الصادقون ● والذين تبوؤ الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا و
يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون ● والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ● الم تر الى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن
اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان
قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ●
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن
نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ● لانتم اشد رهبة فى
صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون ● لا يقاتلونكم
جميعا الا فى قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ● ذلك بانهم قوم لا يعقلون
كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب
اليم ● كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر
قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين ● فكان عاقبتهما
انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ● يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان
الله خبير بما تعملون ● ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون ● لا يستوى اصحاب النار
واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ● لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ●
هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ● هو
الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما
فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ●

القراءة يخربون بالتشديد ابو عمرو والباقون بالتخفيف يريد الاخرون من الاخراب تكون بالتاء العف
تانيه دولة بالرفع على كان التامه يريد الاخرون على التذكير والضب جدار بالالف على التوحيد ابن كثير
وابو عمرو والاخرون بضمتين من غير الف انى اخاف بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو الباري الا
قتيبه ونصير وابو عمرو وطريق بن عبدوس الوقوف وما فى الارض الحكيم الحشر الابصار فى الدنيا
النار ورسوله ما على ان الشرط من جمله المذكور العقاب الفاسقين من يشاء قدير السبيل منكم فانتهوا لا ابتدا
امر بعد جزاء الشرط مع اتفاق النظم واتقوا الله العقاب لئلا يوهم ان قوله للفقراء متعلق شديد ورسوله
الصادقون بناء على ان ما بعده مستانفا او معطوف وعلى وجه كل منهما فى التفسير خصاصه قيل وتفعوا الا

الوصل لان الاعتراض مؤكد لما قبله المفلحون لمثل المنكود رجيم ابدا لان ما بعده من تمام القول نفضلكم كادون
معهم لا ينصرونهم للعطف فيهما مع الابتدا بالقسم لا يفقهون من الله لا يفقهون حدد شديد شتى
لا يعقلون لتعلق الكاف بلا يعقلون او بمحذوف اى مثلهم كمثل امرهم لاختلاف الجملتين اليم لما قلنا
اكفر العالمين فيها الظالمين لغد لاعتراض خصوص بين العموم اى ان لم يشق الله كل واحد منكم فلتنظر
لغدها نفس واحد منكم واتقوا الله تعملون انفسهم الفاسقون الجنة الاولى الفائزون من خشية الله
يتفكرون الا هو لاحتمال كون ما بعده خبر مبتدا محذوف والشهادة لاحتمال كون الضمير بدلا من عالم او
مبتدا الرحيم الا هو لما قالوا المتكبر يشركون الحسنى والارض الحكيم التفسير قال المفسرون
صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما غلب الكفار يوم بدر قالوا
هو النبي الذي نعته في التورية لا يرد له راية فلما هزم المسلمين يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن
الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فعاهدوا قريشا عند الكعبة فامر النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن
مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخا كعب من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم
بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فارسل اليهم عبد الله بن ابي المنافق واصحابه
لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها
فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا
الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاء من متاعهم فذهبوا الى اريحا واذرعات
من الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة
واللام في قوله لاول الحشر بمعنى الوقت كقولك جئت ليوم كذا وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة
العرب الى الشام فمعنى الحشر اخراج الجميع من مكان الى مكان ومعنى الاولية انهم لم يصبهم قبل ذلك مثل هذا
الذل لانهم كانوا اهل منعة هذا قول ابن عباس والاكثرين وقيل هذا اول حشرهم والآخر حيث يحشر الناس
للساعة الى ناحية الشام كما جاء في الحديث نار تخرج من المشرق وتسوق الناس الى المغرب قاله قتادة وقيل
آخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل معناه لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في الكشاف الفرق بين النظم الذي جاء عليه وبين قول القائل وظنوا ان حصونهم
تمنعهم او مانعتهم هو ان في تقديم الخبر على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها وفي تصيير ضميرهم
اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على انهم اعتقدوا في انفسهم ومنعتها بحيث لا يمكن لاحد ان يتعرض لهم
قلت حاصل كلامه رحمه الله تعالى ومعنى اتاهم امره وهو الخذلان عاد الضمير الى المؤمنين او العذاب اسناد
الى اليهود وهذا اظهر ليناسب قوله في قلوبهم والاستعمال القرآن نظيره في مواضع اخر في معرض التهديد
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او يأتي ربك ومعنى لم يحتسبوا انه لم يخطر ببالهم قتل كعب على
يد اخيه وقذف الرعب في قلوبهم وهذا من خواص نبينا صلى الله عليه وسلم كما في آل عمران سنلقي في
قلوب الذين كفروا الرعب وفي لفظ القذف زيادة تاكيد ولهذا قالوا في صفة الاسد مقذف باللحم
قذف لاكتنازه وتداخل اجزائه قال الفراء يخربون بالتشديد يهدمون وبالتخفيف يخرجون منها ويتركونها و
كان ابو عمرو يقول الاخراب ان يترك الشيء خرابا والتخريب الهدم وبنو النضير خربوا وما اخربوا وزعم سيبويه
انهما يتعاقبان في بعض الكلام نحو فرحته وافرحته وحسنه الله قال المفسرون انهم لما ايقنوا بالجلاء
حسدوا المسلمين ان يسكنوا مساكنهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج فقيل ويحتمل ان يكون
بعض التخريب لسد افواه الازقة بالخشب والحجارة او لنقل ما ارادوا حمله من جيد الخشب والساج واما
المؤمنون فداعيهم الى ذلك ازالة تحصنهم او ان يتسع لهم في الحرب مجال ومعنى تخريبهم بايدي المؤمنين انهم
كانوا السبب فيه فانهم عرضوا المؤمنين لذلك ثم امر اهل الابصار الباطنة بالاعتبار وهو العبور والمجاوزة
من شيء الى شيء ومنه العبرة لانها تنتقل من العين الى الخد والتعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول
والعبارات لانها تنقل المعاني من لسان القائل الى فهم المستمع والسعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من

حال ذلك الغير الى حال نفسه والقايس يعترض المقيس ومعنى الاعتبار في الآية انهم اعتمدوا على حصونهم
وعددهم فامر الله تعالى ارباب العقول بان ينظروا في حالهم ولا يعتمدوا على شيء غير الله او المراد ان يعرف
الانسان عاقبة الكفر والغدر والطعن في النبوة فان اولئك اليهود وقعوا بشؤم الغدر والكفر في البلاء والجلاء
واعترض بان رب شخص غدر وكفر وما عذب في الدنيا ورب ممتحن مبتلى وهو بريء وبني واجيب بان حاصل
القياس والاعتبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدهم ان يورثهم ارضهم واموالهم بغير قتال فكان
كما وقع فدل على صحة نبوته والجلاء ان لم يبق لهم بالمدينة دار ولا فيها منهم ديار وهذا عندهم اشد من الموت فلهذا
قال ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل ولهم في الآخرة بعد ما عاينوا في الدنيا
عذاب النار ذلك التخريب او الجلاء او العذاب بسبب مخالفتهم وعصيانهم الله ورسوله قالت الفقهاء فيه
دليل على ان تخصيص العلة المنصوصة لا يقدح في صحتها فليس اينما حصلت التخريب يروى انه صلى الله عليه
وسلم حين امر ان يقطع نخلهم ويحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها
فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فانزل الله تعالى ما قطعتم محله نضب ومن لينة بيانه كانه قيل اى شيء
قطعتم التي هي لينة وهي النخلة من الالوان ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخيل وما وهما واو في الاصل
كالديمة قلب النخلة الكريمة من اللين فيكون اليا اصليه فبين الله تعالى انه ذلك جائز غيظا لقلوب الكفرة
واحتج الفقهاء بها جواز هدم حصون الكفار وقلع اشجارهم وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا
للقتال وروى ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد يستدل بهذا على جواز الاجتهاد ولو بحضرة النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى انه كل مجتهد مصيب قوله وما افاء اذا رجع وذلك لرجوعه من ملك الكفار الى ملك المسلمين
والايجاف من الوجيف وهو السير السريع وقوله عليه اى على ما افاء والركاب ما يركب من الابل واحدتها
راحلة ولا واحد لها من لفظها فلما يطلق العرب الراكب الا على راكب البعير بين الله سبحانه الفرق بين
الغنيمة والفيء حين طلب الصحابة ان يقسم اموال اولئك اليهود بينهم اعترض بعضهم بان اموال بني النضير
اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب ان يكون تلك الاموال من
الغنيمة لا من الفيء واجاب المفسرون من وجهين الاول انها لم تنزل في بني النضير وانما نزلت في بني فدك
ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على نفسه وعلى عياله من غلة فدك ويجعل الباقي في السلاح
والكراع الثاني تسليم انها نزلت فيهم ولكن لم يكن للمسلمين يومئذ خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة
كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا على ارجلهم ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
راكب جمل فلما كانت المقاتلة قليلة ولم يكن خيل ولا ركاب اجراه الله مجرى ما لم يكن قال روى انه قسمها بين
المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلثة نفر كانت لهم حاجة وهو ابو دجانة وسهل بن حنيف والحارث
بن الصمة قال الواحدي الفيء مقسوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله
خاصة وكذا خمسه الباقي والاسهم الاربعة من هذا الباقي لذي القربى بني هاشم والمطلب واليتامى والمساكين
وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللشافعي فيه قولان احدهما انه للمجاهدين المترصدين
للقتال في الثغور لانهم قاموا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في رباط الثغور والثاني من سد الثغور و
حفر الانهار وبناء القناطر تقدم الاهم فالاهم هذا في الاربعة الاخماس التي كان له واما السهم الذي كان له من خمس الفيء فانه
لمصالح المسلمين بلا خلاف وقد مر سائر ما يتعلق بقسمة الغنائم في سورة الانفال ثم بين الغرض
من قسمة الفيء على الوجه المذكور فقال كيلا يكون دولة قال المبرد هي اسم للشيء الذي يتداوله الناس بينهم
يكون لهذا مرة ولهذا مرة كالغرفة اسم ما يغترف والدولة بالفتح انتقال حاله اشارة الى قوم عن قوم وقال جار الله هي
ما يدول للانسان اى يدور من الجد يقال دالت له الدولة فعلى قول المبرد معناه كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله
الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا نصيب للفقراء وعلى قول جار الله كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء
جدا بين الاغنياء يتكاثرون به او كيلا يكون الفيء دولة جاهلية كان الرؤساء منهم يستأثرون بالغنائم لانهم
اهل الرياسة والجد والغلبة وكانوا يقولون من عز بز ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد

من غلب منهم احده واستاثر به ومن قرا على كان التامه فالمعنى كيلا يقع شئ متعاور بينهم غير مخرج الى الفقرا
اوكيلا يقع دوله جاهليه وليتقطع اثرها قوله وما اتاكم الاية قيل تختص بقسم الغنايم وان على المومنين ان يرضوا
بما يعطيهم الرسول منها والاولى عند المحققين العموم قوله للفقرآء بدل من قوله ولذى القربى الى اخر الاصناف
الاربعة ولا يجوز ان يكون ابتدا البدل من قوله فلله لانه نحل بتعظيم الله على ظاهر اللفظ وان كان المعنى للرسول
صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ايضا ان يكون الابتدآء من قوله وللرسول لانه تعالى اخرجه عن الفقرآء بقوله
وينصرون الله ورسوله ولترفع منصبه عن التسميه بالفقير ولئن صح انه صلى الله عليه وسلم قال الفقر
فخرى فذاك معنى اخر وهو غنى القلب وانقطاع التعلق عما سوى الله وجعل الهموم هما واحدا وهو الاهتداء
بالكلية الى الله استدل بعض العلمآء بقوله اولئك هم الصادقون على امامه ابى بكر لان هولاء المهاجرين
كانوا يقولون له يا خليفه رسول الله فلو لم يكن خلافته حقه لزم كذبهم وهو خلاف الاية وقال في الكشاف
اراد صدقهم في ايمانهم وجهادهم قوله والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين فكذا قوله والذين جاؤا وذلك
عند من يجعل الغنايم حلا للمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان والتابعين لهم الى يوم القيمه وعلى
هذا يكون قوله يحبون يقولون حالين اى الغنايم لهم محبين قائلين ومن جعل المراد بيان غنايم بني النضير
وقف على هم الصادقون والمفلحون وجعل الفعلين خبرين وعلى هذا يكون الايثار ثناء للانصار على الايثار
وللتابعين على الدعا قال مقاتل اثنى على الانصار حين طابت نفوسهم عن الفئ اذ جعله للمهاجرين دونهم وههنا
سؤلان احدهما انه لا يقال تبوؤا الايمان الثاني تقدير التسليم ان الانصار ما تبوؤا الايمان قبل المهاجرين
والجواب عن الاول ان المراد تبوؤا الدار واخلصوا الايمان لقوله علفتها تبنا وماء باردا وهو مجاز عن تمكنهم
واستقامتهم على الايمان كانهم جعلوه مستقرا لهم كالمدينه او هو مجاز بالنقصان والمعنى تبوؤا دار الهجرة ودار
الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من الثانى او سمى المدينه بالايمان
لانها مكان ظهور الايمان وهو يؤول بالحقيقه الى الوجه الذى تقدم وعن الثانى ان المراد من قبل هجرتهم
او هو من تمام تبوء الدار ولا شك ان الانصار سبقوهم في ذلك وان لم يسبقوهم في الايمان ولا يجدون
في صدورهم حاجه حسدا وغيظا مما اوتى المهاجرون من الفئ وغيره واطلاق لفظ الحاجه على الحسد و
الغيظ والحزازه من اطلاق اسم اللازم على الملزوم لان هذه الاشيآء لا تنفك عن الحاجة وقال جار الله المحتاج
اليه يسمى حاجة يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم يطمح الى شئ منه يحتاج اليه ولو كان بهم خصاصه
اى خله وهى خصاص البيت الذى اى فرجه وكل خرق في منخل وباب او سحاب او برقع فهى خصاص الواحد خصاصه
ومفعول يؤثرون محذوف اى يؤثرونهم ويخصونهم باموالهم ومنازلهم على انفسهم وعن ابن عباس
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم واموالكم وقسمت لكم من الفئ كما
قسمت لهم وان شئتم كان لهم القسم ولكم دياركم واموالكم فقالوا لا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم
بالقسمه ولا نشاركهم فيها فنزلت والشح اللوم الذاتى الذى تقتضيه الحالة النفسانيه ولهذا اضيف الى
النفس والبخل المنع المطلق من غير صبر وشح عمرو ملكه وقال ابن يزيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله عن اخذه و
لم يمنع شيئا امره الله باعطايه فقد وقى شح نفسه وذكر المفسرين انواعا من ايثار الانصار الضيف بالطعام
وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف والظاهر انها نزلت في الفئ كما مر ويدخل فيه غيره قوله والذين جاؤا من بعدهم
اى هاجروا بعد المهاجرين الاولين وقيل هم التابعون لهم باحسان الى يوم الدين فيشمل الايات الثلث جميع المؤمنين
ثم عجب من احوال اهل النفاق من اهل المدينه كعبد الله بن ابى وعبد الله بن نبيل ورفاعه بن زيد كانوا في الظاهر
من الانصار ولكنهم يوالون اليهود في السر فصاروا اخوانهم في الكفر وقالوا لهم لا نطيع في قتالكم او خذلانكم احدا
ثم شهد الله عليهم بانهم كاذبون فعل ذلك قايلا لئن اخرجوا الى قوله ولئن نصروهم وهذا على سبيل
الفرض لانه تعالى كما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان فكيف يكون والمعنى لو فرض نصر المنافقين
اليهود ليتهزمن المنافقين لا ينصرون بعد ذلك اى لا يمنعهم من عذاب الله مانع لظهور كفرهم
وقيل ليتهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصر المنافقين وعلى هذا يكون ثم لترتيب الاخبار لقوله ثم اهتدى
ثم بين الحكمة في الغزو فقال لانتم اشد رهبة قال في الكشاف اى مرهوبيه مصدر رهب المبنى للمفعول

وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم في العلانيه خوف الله خوفا شديدا
ورهبتهم في السر منكم اشد من ذلك لانهم لا يفقهون عظمة الله فلا يخشونه حق خشيته وجوز ان يريد ان
اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله وكانوا يستحيون للمسلمين مع اضمار الخيفه في صدورهم
قلت الاظهر ان المراد لانتم فيهم اكثر مكانه من مواعظ الله او بمثل جهادكم معهم او فوق من تمرهيبهم بعقاب
الله وذلك بانهم قوم لا يفقهون سر التكاليف وتبعه الكفر والنفاق في الاخرة فلا يرتدعون الا خوفا من
العقوبة العاجله ومن هذا اخذ عمر رضى الله عنه فقال ما يدعوا الشيطان اى يمنع اكثر مما قرع القران
وقال الشاعر السيف اصدق من انبآء الكتب وقيل العبد لا يردعه الا العصا ثم بجبج المسلمين بقوله لا يقاتلونكم
اى لا يقتدرون على قتالكم مجتمعين الا في قرى محصنه غاية التحصين او من وراء جدر لا مبارزين كمشرقين
في الارض المستويه باسهم بينهم شديد لا بينكم لانكم منصورون بنصرة الله مؤيدون بتاييده او لانهم
يحسبون في انفسهم وفيما بينهم امورا يعلم الله انها لا تقع في الخارج على وفق حسبانهم وعن ابن
عباس معناه بعضهم لبعض عدو يريد قوله يحسبهم جميعا مجتمعين ذوى الالف ومحاب وقلوبهم شتى
متفرقة وهى فعل من الشت وانما قال ههنا ذلك بانهم قوم لا يعقلون وفي الاول لا يفقهون لان الفقه معرفة
ظاهر الشئ وغليظه فنفى عنهم ذلك كما قلنا واراد ههنا انهم لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا فتشتتهم
دليل على عدم عقلهم لان العقل يحكم بان الاجتماع معين على المطلوب والتفرق لوهن القوى ولا سيما اذا كانوا
مبطلين ثم شبه حالهم بحال من قتلوا قبلهم ببدر في زمان قريب قال جار الله انتصب قريبا بمحذوف
اى كوجود مثل اهل بدر قريبا قلت لا يبعد ان يتعلق بصلة الذين ثم ضرب مثلا اخر لاغترار المنافقين اليهود على
القتال وعدم اذاهم النصر والمراد اما عموم دعوة الشيطان للانسان الى الكفر واما خصوص اغواء ابليس قريشا
يوم بدر كما مر في الانفال في قوله سبحانه واذ زين لهم الشيطان الى قوله انى برئ منكم قال مقاتل فكان عاقبه
اليهود والمنافقين مثل عاقبه الشيطان والانسان حين صاروا الى النار قال جار الله كرر الامر بالتقوى تاكيد
او لان الاول في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل والثانى في ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد
ويسمى القيمة بالغد تقريبا لمجيها عن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد وقيل جعل مجموع زمان الدنيا دعوة الاخرة
وقال اهل المعانى تنكير نفس للتقليل كما مر في الوقوف وتنكير غد للتعظيم والتهويل قال مقاتل نسوا حق الله فانسيهم
حق انفسهم حتى لم يسعوا لها بما ينفعها او ارفاهم يوم القيمه من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم قلت يجوز ان يراد
نسوا ذكر الله فاورثهم القسوة وفساد الاستعداد بالكلية وحين نهى المؤمنين عن كونهم مثل الناسين الغافلين
ذكرهم بانه لا استواء بين الفريقين وفيه شبه قرع العصا كانهم غفلوا عن هذا الواضح المبين كما يقول لمن يعق
اباه هو ابوك استدل اصحاب الشافعى بالاية على ان المسلم لا يقتل بالذمى والا استويا وان الكافر لا يملك مال
المسلم بالقهر والا استويا واحتج بعض المعتزله بها على ان صاحب الكبيرة لو دخل الجنة وهو من اهل النار لزم خلاف
الاية والجواب ظاهر لانه على تقدير امكان العفو لا يحكم بانه من اهل النار ثم اعظم امر القران الذى يعلم منه
هذا البيان قال في الكشاف هو مثل وتخييل بدليل قوله وتلك الامثال يعنى هذا وغيره من امثال التنزيل
وقال غيره المعنى لو جعل في الجبل عقل كما جعل فيكم ثم انزل عليه القران لخشع واستكان وعندى لا يبعد حمله
على الحقيقه وقوله تلك الامثال اشاره الى قوله كمثل الذين كمثل الشيطان لا يستوى ولما وصف القران بما وصف
عظم شانه بوجه اخر وهو التنبيه على اوصاف منزله وقد سبق شرح اكثر هذه الاسمآء في هذا الكتاب ولا سيما
في البسمله والقدوس مبالغه القدس وهو التبليغ في الطهارة عما سين وهذا بالنسبه الى زمان الماضى و
الحال والسلام اشارة الى كونه سالما في الافات والعاهات والنقايص في زمان الاستقبال ويجوز ان يراد انه
المعطى للسلامة المؤمن الواهب الامن او مصدق لانبيائه بالمعجزات وقد مر معنى المهيمن واصل اشتقاقه في
المايده في قوله ومهيمنا عليه وان معناه الرقيب الحافظ لكل شئ ولما كان بعد هذه الاوصاف كرر قوله يسبح
له الى اخر السورة فمن عمرته كان منزها عن النقايص اهلا للتسبيح ومن حكمته امر المكلفين في السموات
والارضين بان يسبحوا له يسبحوا عليه لا ليسبح هو عليهم وهو تعالى اعلم بمراده والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون
اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول
واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى
وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما
اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ● ان يثقفوكم
يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء وودوا لو تكفرون ● لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم
يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ● قد كانت لكم
اسوة حسنة فى ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا
منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول
ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شىء ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير ● ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ● لقد كان
لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر
ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ● عسى الله ان يجعل بينكم وبين

الذين عاديتم مودة والله قدير والله غفور رحيم ● لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم
ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ● انما ينهاكم
الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم و
ظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم
الظالمون ● يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم ما
انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن
ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما
انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ●
وان فاتكم شىء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم به
مؤمنون ● يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان
لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى
معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ●
يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من
الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ●

القراءة يفصل ثلاثيا معلوما عاصم غير المفضل وسهل ويعقوب يفصل بالتشديد حمزة
وعلي وخلف مثله ولكن مجهولا ابن ذكوان الاخرون ثلاثيا مجهولا في ابراهام كنظايره ان تولوهم
بتشديد التاء البزي وابن فليح تمسكوا بالتشديد ابو عمرو وسهل ويعقوب **الوقوف** من الحق لا لان
ما بعده يحتمل الحال من ضمير كفروا والاستيناف بالله ربكم مرضاتي اعلنتم السبيل تكفرون اولادكم
لاحتمال تعلق الظرف قد يتعلق باذكر محذوفا او باسوة بل بلن ينفعكم او بيفصل يوم القيمة بناء على المذكور بينكم
بصير والذين معه لان الظرف قد يتعلق باذكر محذوفا باسوة من دون الله لان ما بعده مستانف في
النظم وان كان متصلا في المعنى من شيء المصير لنا ربنا للابتداء بان مع المقدر فانك الحكيم الاخر الحميد
مودة قدير رحيم اليهم المقسطين تولوهم للشرط مع العطف الظالمون فامتحنوهن بايمانهن الكفار
لهن وانفقوا اجورهن ما انفقوا حكم الله بينكم حكيم انفقوا مؤمنون لهن الله رحيم القبور **التفسير**
روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هشام يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو
يتجهز لفتح مكة فعرضت حاجتها فحث بني عبد المطلب على الاحسان اليها فاتاها حاطب ابن ابي بلتعة
واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة هذه نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل
مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة فنزل جبرائيل عليه السلام
بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وفرسانا اخر وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا
بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب
او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب ما حملك
عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني
كنت غريبا في قريش وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم فخشيت على اهلي
فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل
عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال
لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم ونزلت السورة وتلقون
مستانفا او حال من ضمير لا تتخذوا او صفة لاولياء ولا حاجة الى الضمير البارز وهو انتم وان جرى على
غير من هو له لان ذلك في الاسماء دون الافعال كما لو قلت سلا اوليا المقبين انتم والالقاء عبارة عن الايصال
التام والباء في بالمودة هو اما زايدة كما في قوله ولا تلقوا بايديكم او للسببية ومفعول يلقون محذوف معناه
يلقون اليهم اخبار الرسول بسبب المودة فان يؤمنوا تعليل يخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم
تاكيد متعلق بلا تتخذوا وجوابه مثله وانتصب جهادا وابتغاء على العلة اي ان كنتم خرجتم من اوطانكم
لاجل جهاد عدوي ولابتغاء رضواني فلا تتولوا اعدائي وقوله تسرون مستانف والمقصود انه لا فائدة
في الاسرار فان علام الغيوب لا يخفى عليه شيء ثم اخطاءهم بوجه اخر وهو انهم ان يظفروا بهم اخلصوا
العداوة ويقصدوهم بكل سوء بالسنان واللسان قال علماء المعاني انما عطف قوله وودوا وهو ماض على لفظ ما
تقدمه وهو مضارع تنبيها على ان ودادتهم كفرهم اسبق شيء عندهم لعلمهم ان الدين اعز على المؤمنين من
الارواح والاموال او هم شيء عند العدو ان يقصد اعز شيء عند صاحبه ثم بين خطاءهم من وجه اخر وهو
ان الموادة اذا لم تكن في الله لا تنفع في يوم القيمة لانفصال كل اتصال يومئذ كما قال يوم يفر المرء من اخيه
الاية ويجوز ان يكون الفصل بمعنى القضاء والحكم ثم ذكر ان في وجوب البغض في الله وان كان اخاه او اباه اسوة
في ابرهيم والذين امنوا معه حيث جاهروا قومهم بالعداوة مع موالاة والمناواة وصافاه والمعنى معه
استثنى الا قول ابرهيم من قوله اسوة كانه قال حق عليكم ان تاسوا باقواله الا هذا القول الذي هو الاستغفار
كقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين اما قوله وما املك لك من الله من شيء فليس
بداخل في حكم الاستثناء لانه قول حق وانما اورده اتماما لقصة ابرهيم مع ابيه قال في الكشاف هو مبني
على الاستغفار وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار ثم امر المؤمنين بان يقولوا ربنا

عليك توكلنا الاية ويجوز ان يكون من تتمة قول ابرهيم ومن معه مزيد توصية ثم اكد امر الايتساء بقوله
لقد كان فادخل لام الابتداء وابدل عن قوله لكم لمن كان يرجوا وختم الاية بنوع من الوعيد ثم اطمع المؤمنين فيما
يتمنوا من تبديل عداوة اقاربهم بالمودة والله قدير على تقليب القلوب وتصريف الاحوال والله غفور
رحيم لمن وادهم قبل النهي او لمن اسلم من المشركين فحين يسر الله فتح مكة اسلم كثير منهم وتم بينهم التحابب
والتصادق ولما نزلت هذه الايات تشدد المؤمنون في عداوة اقاربهم وعشائرهم فنزل لا ينهكم الله وقوله
ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذا قوله ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهكم عن تولي هؤلاء و
معنى تقسطوا اليهم تحسنوا اليهم ويعطوهم مما يملكون من طعام وغيره قسطا وعدى بالى لتضمنه معنى الاحسان
وقال في الكشاف تقضوا اليهم بالقسط اي العدل ولا يظلموهم قيل ارادتهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين امنوا بمكة وقيل هم النساء والصبيان
وعن قتادة ونسختها اية القتال قال المفسرون ان صلح الحديبية دار على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم و
من اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة ابنة الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى
الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي
فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الاية فكانت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك
كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد ان لا ياتيك منا امراة ليست على دينك الا رددتها
الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان يرد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلى الله عليه وسلم من
الشرط مثل ذلك فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى فامتحنوهن فحلفت فاعطى [illegible]
الامارات التي لا تفيد الا الظن واما الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما انفرد به علام الغيوب فان علمتموهن
مؤمنات العلم الذي يليق بحالكم وهو الظن الغالب فلا ترجعوهن الى ازواجهم الكفار لانه لا حل للحقيقة بين
المؤمنة والمشرك واتوا ازواجهم مثل ما انفقوا مثل ما دفعوا اليهن من المهور لم يبق عليهم الحرج في تزوج هؤلاء
المهاجرات اذا اعطوهن مهورهن قال العلماء اما يريد بهذا الاجر ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن
فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه اما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل الفرض ثم تزوجن على ذلك
لم يكن به باس واما ان يراد بيان ان ذلك لو وقع لكون حق الزوج لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق احتج
ابو حنيفة بالاية على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى
العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهي ما يعتصم به من عقد وسبب قال
ابن عباس لم اد من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعدها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها وحل عقدتها
وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وقال مجاهد هو امر بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن و
اسئلوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات امر
المؤمنين بالايتاء ثم امر الكفار بالسؤال وهذه غاية العدل ونهاية الانصاف ثم اكد ما ذكر من الاحكام بانها
حكم الله قال جار الله يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف العائد اي يحكمه الله او جعل الحكم
حاكما على المبالغة يروى ان بعض المشركين ابوا ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فانزل
الله تعالى وان فاتكم اي سبقكم فانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن قال اهل المعاني فائدة ايقاع شيء في
هذا التركيب التغليظ في الحكم والتشديد فيه اي لا ينبغي ان يترك شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض
عنه ويجوز ان يراد وان فاتكم شيء من مهور ازواجكم ومعنى فعاقبتم فجاءت عقبتكم من اداء المهر والعقبة
النوبة شبه لو اكل طايفة من المسلمين والكافرين المهر الى صاحبها بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب
وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا اي مثل مهرها المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وقال
الزجاج معنى فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر
قال بعض المفسرين جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست ام الحكم بنت ابي سفيان
كانت تحت عياض بن شداد الفهري فاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة

وبروع بنت عقبه كانت تحت شماس بن عثمان وعبده بنت عبد العزى بن فضله وزوجها عمرو بن عبد
ود وهند بنت ابی جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر اعطاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة وفى قوله واتقوا الله ندب الى حيرة التقوى ورعاية العذر
ولو مع الكفر ثم سمه نبيه صلى الله عليه وسلم على شروط المبايعه وهى المعاهدة على كل ما يقع عليه اتفاق
الاسلام والاماره والامامه والمراد ههنا المعاقدة على الاسلام والعطا العهود به بشرايطه وقتل الاولاد
واد البنات وكانت المراه تسقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك فكنى عنه بالبهتان المفترى
بين يديها ورجليها لان بطنه الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين وقيل البهتان
فى الاية الكذب والنميمه والمشى بالسعايه مختلفه من تلقاء انفسهن وقيل قذف المحصنين والمحصنات
وقيل السحر والتمويه وقيل هو ان تحبل بالولد من غير زوجها فتلحقه به وقال ابن عباس فى قوله ولا يعصينك
فى معروف انما هو شرط شرحه الله تعالى للنسا والمعروف كل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات
والقبيحات واختلف فى كيفيه مبايعته اياهن فقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وقيل
صافحهن وكان على يده ثوب وقيل كان عمر يصافحهن عنه وعن عايشه ما مست يد رسول الله صلى الله عليه و
سلم يد امراه لا يملكها انما كان كلاما وعن اميه بنت رقيقه قالت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
نسوة الانصار نبايعه على الاسلام فقلنا نبايعك على ان لا نشرك به شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل
اولادنا ولا ناتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيك فى معروف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما استطعتن واطعتن فقلنا الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا هلم نبايعك يا رسول الله
فقال انى لا اصافح النسا انما قولى لمايه امراة كقولى لامراة واحدة يروى ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون
اليهود طمعا فى ثمارهم فنزلت لا تتولوا قوما الايه ويئسوا من الاخرة عليهم بصحه نبوة الرسول صلى الله عليه
وسلم ثم عنادهم كما يئس الكفار من موتاهم ان يرجعوا احياء وقيل من اصحاب بيان الكفار لانهم ايسوا من خير الاخرة ومن معرفة
المعبود فكانهم موتى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ۝
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ۝ كبر مقتا عند
الله ان تقولوا ما لا تفعلون ۝ ان الله يحب الذين يقاتلون فى
سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ۝ واذ قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون ۝ انى رسول الله اليكم فلما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين ۝

واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرآئيل انى رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدى من التورية ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه
احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ۝ ومن اظلم ممن
افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى
القوم الظالمين ۝ يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون ۝ هو الذى ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ۝
يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم ۝ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله
باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها
الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ۝ يا ايها
الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين
من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طآئفة
من بنى اسرآئيل وكفرت طآئفة فايدنا الذين امنوا
على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ۝ القراءة داعوا بالامالة

مثل داعى البصرى بعدى بفتح اليا ونافع
وابن كثير وابو عمرو وحماد وابو بكر غير ليل غالب متم نوره بالاضافة ابن كثير وحمزة وعلى وخلف وحفص الاخرون
بالتنوين ونصب نوره تنجيكم بالتشديد ابن عامر انصارا لله بالتنوين لله جارا ومجرورا ابو جعفر ونافع وابن كثير
وابو عمرو والباقون بالاضافة انصارى الى الله بالفتح كما مر فى آل عمران الوقوف وما فى الارض الحكيم
تفعلون مرصوص اليكم قلوبهم الفاسقين نصف الجزو احمد مبين الاسلام الظالمين الكافرون
المشركون اليم وانفسكم تعلمون لان قوله يغفر لكم جواب تؤمنون على انه خبر فى معنى الامر عن العظيم للعطف

تحبونها لجواز الحذف اى هى بعض قريب لانقطاع النظم واختلاف المعنى المومنين الى الله وكثرت طائفة
لاتفاق الجملتين مع تخصيص الثانية ببيان حال احد الفريقين ظاهرين التفسير يروى ان المؤمنين قالوا
قبل ان يعمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه فدلهم الله على الجهاد فولوا يوم احد فعيرهم وروى
ان الله تعالى حين اخبر بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا
قيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن فانزل الله تعالى لم تقولون واللام الجارة اذا دخلت
ما الاستفهامية اسقطت الالف لكثرة الاستعمال وقد عرفت مرارا ان خصوص سبب النزول لا ينافى عموم
الحكم فهذا التعيير يتناول اخلاف كل وعد وقال الحسن نزلت فى الذين امنوا بلسانهم لا بقلوبهم ثم عظم امر الاخلاف
فى قلوب السامعين فقال اكبر الايه وفيه من المبالغة من جهة التعجيب والمتعجب لا يكون الا من شئ خارج
عن نظايره واشكاله ومن جهة اسناد الفعل الى ان يقولوا ونصب مقتا على تعيين ومن قبل ان المقت اشد
البغض ومن قبل وصفه بانه عند الله لان الممقوت عند الله ممقوت عند كل ذى لب ثم حث على الجهاد بنوع اخر
وذلك انه نسب اولا ترك الجهاد بعد تمنيه اى المقت ثم نسب الجهاد الى الحب وانتصب صفا على المصدر
بمعنى الحال وقوله كانهم مع الاول حالان متداخلتان الى صافين انفسهم او مصفوفين كانهم فى تراصيهم
من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض اى رصف وجوزوا ان يراد رصف معنوى وهو اتفاق
كلمتهم واستواء نياتهم فى الثبات وعلى الاول استدل بعضهم به على فضل القتال راجلا بنا على ان الفرسان
لا يصطفون من غير فرجة ثم ذكرهم قصة موسى مع قومه كيلا يفعلوا بنبيهم مثل ما فعلوا بنى اسرائيل به وتفسير
الايذا مذكور فى اخر الاحزاب وساير اصناف ايذايهم اياه من عبادة العجل وطلب الرؤية والاثما سات المنكو
مشهور وقد تعلمون فى موضع الحال وفايدة قد تاكيد العلم لا تقليله وفيه بشارة الى نهاية جهلهم اذ عكسوا
القضية ووضعوا مكان تعظيم رسول الله ايذاء والزيغ الميل عن الحق والازاغة الامالة فكانهم نسبوا
لمزيد الانحراف عن الجادة فالطاعة تجر الطاعة والمعصية تجر المعصية قال بعض العلماء انما قال عيسى يا بنى اسرائيل
ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم قلت ممنوع لقوله تعالى فى الانعام ومن ذريته داود الى قوله
وعيسى قال النحويون قوله مصدقا ومبشرا حالان والعامل فيهما معنى الارسال فى الرسول ولا يجوز ان
يكون اليكم عاملا لانه ظرف لغو عن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد
حكماء علماء ابرار اتقيا كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل
قوله وهو يدعى الى الاسلام نظير ما مر فى قوله وقد تعلمون الى رسول الله فمن كل منهما انعكس القضية اذ جعل
مكان اجابة النبى الى الاسلام الذى فيه سعادة الدارين افتراء الكذب على الله وهو قوله للمعجزات هى سحر لان
السحر كذب وتمويه ولهذا عرف الكذب بخلاف اخر العنكبوت ثم ذكر غرضهم من الافتراء الكذب بقوله يريدون
ليطفئوا ولهذا اختص هذه السورة باللام كانه قال يريدون الافتراء لاجل هذا الغرض واما فى سورة براءة فاوقع
فعل الارادة على الاطفاء فقال يريدون ان يطفئوا وقال فى الكشاف اللام تاكيد لفعل الارادة كما زيدت اللام
لا اخا لك لتاكيد معنى الاضافة وباقى الايتين سبق تفسيره فى براءة وانما قال هاهنا والله متم نوره لمكان
الفصل بالعلة كانه قال يريدون الافتراء لغرض اطفاء نور الله والحال ان الله متم نوره واما هنالك فانه عطف
قوله ويابى على قوله يريدون ثم دل اهل الايمان على التجارة الرابحة مجازا عن وجدان الثواب على العمل كما قال ان الله
اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم قال اهل المعانى فايدة ايقاع الخبر موقع الامر هى التنبيه على وجوب الامر
وتاكده وكانه امتثل فهو يخبر به قال الفراء ان قوله يغفر لكم جواب هل ادلكم بتاويل ان متعلق الدلالة هو التجارة
والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد كانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم ذلكم يعنى ما ذكر من الايمان
والجهاد خير لكم من اموالكم لان نتيجة الخير انما يحصل بعد اعتقاد كونه خيرا ثم قال ولكم الى هذه النعمة الاجلة نعمة
اخرى عاجلة تحبونها وهو فتح مكة كما قال واثابكم فتحا قريبا وعن الحسن فتح فارس والروم قال فى الكشاف فى قوله تحبونها
شئ من التوبيخ على محبة العاجل وعندى انه سبحانه رتب امرين على امرين المغفرة وادخال الجنة على الايمان
والنصرة والفتح على الجهاد ومحبة النصر من الله والفتح القريب لا يقتضى التوبيخ وانما ذلك مطلوب كل ذى لب ودين
وقال فى قوله وبشر انه معطوف على يؤمنون لانه بمعنى الامر والاظهر عند علماء المعانى انه معطوف على قل مقدر

قيل يا ايها الذين امنوا يؤيد تقدير قل قوله هل ادلكم فان نسبة هذا الاستفهام الى الرسول اولى من نسبته الى
الله سبحانه على ما لا يخفى قوله كونوا انصار الله اى اعوان دينه كما قال عيسى ابن مريم للحواريين اى اصفيايه وقد
مر ذكرهم فى ال عمران من انصارى متوجها الى دين الله فقال اهل البيان فيه تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى
وانه لا يصح على الظاهر لان الكون انما يشبه القول لا الكون فوجهه ان يحمل التشبيه على المعنى وبيانه ان كون
الحواريين انصار الله يعرف من سياق الاية لان ما بعدها وهو قال الحواريون نحن انصار الله وارد بطريق الاستيناف
كان سايلا سال فماذا قال الحواريون حينئذ فاجيب بما اجيب وقولهم لا يخالف كونهم فيقول معنى الاية الى
قول القايل كونوا انصار الله مثل كون الحواريين انصار عيسى وقت قوله من انصارى على ان ما مصدرية والمصدر
يستعمل مقام الظرف الشاعر كقولك جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم اى وقت القدوم والخفوق والسر فى العدول
عن العبارة الواضحة الى العبارة الموجودة هو ان سوق الكلام بطريق الكناية حيث جعل المشبه به لازم المشبه
به ابلغ من التصريح وان بناء الكلام على السوال والجواب اوكد ومن المجاز وهو استفادة كونهم عن قولهم ابلغ فى
الحقيقة ولعل فى الاية اسرارا اخر لم يطلع عليها ومعنى غالبين عن زيد بن على كان ظهورهم بالحجة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز
الحكيم ● هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم
اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل لفى ضلال مبين ● واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز
الحكيم ● ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ●
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ●
بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لا يهدى القوم
الظالمين ● قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ● ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين ● قل ان الموت الذى تفرون منه فانه

ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون ● يا ايها الذين امنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون ● فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من
فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ● واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من
اللهو ومن التجارة ● والله خير الرازقين ●

القراءة كمثل الحمار والتورية بالامالة قد سبق ذكرهما الوقوف وما فى الارض الحكيم مبين
للعطف اى وفى اخرى او ويعلم اخرين بهم الحكيم من يشاء العظيم اسفارا بايات الله الظالمين صادقين
ايديهم بالظالمين يعملون البيع يعلمون تفلحون قائما التجارة الرازقين التفسير فى الايتين منسوب
الى امة العرب او الى ام القرى وقد عرفت سائر الوجوه فى الاعراف فى قوله النبى الامى وباقى الاية مذكور فى البقرة
وآل عمران والمراد باخرين التابعون ومن بعدهم او من تبع التابعين الى القيمة ثم شبه اليهود الطاعنين فى نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم مع انهم حملة التورية وحفاظها العارفون بما فيها من نعت نبى اخر الزمان بالحمار الحامل
للاسفار الكتب الكبار لانه لا يدرى منها الا ما يمر بجنبيه من الكد والتعب ومعنى حملوا كلفوا العمل بما فيها ويحمل
يحمل جر صفة للحمار كانه قوله على اللئيم يسبنى وهذا مثل كل من علم علما يتعلق بعمل صالح ثم لم يعمل به ثم قبح مثلهم
بقوله بئس مثل القوم وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فقيل لهم ان كان قولكم حقا فتمنوا الموت
فى ذلك ان كليهما للنفى الا ان لن ابلغ وهى نفى الاستقبال لكانت دعويهم هناك قاطعة بالغة وهى كون الجنة
بصفة الخلوص محض الابلغ بتلك السورة ثم بين ان الموت الذى لا يحترزون على تمنيه خيفة ان يواخذ و
ابو بال كفرهم فانه ملاقيهم لا محالة قال اهل النظم قد ابطل الله تعالى قول اليهود فى ثلث زعموا انهم اولياء
الله فكذبهم بقوله فتمنوا الموت فافتخروا بانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا
وما هو ابا السبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع لنا الجمعة قال جار الله يوم الجمعة بالسكون يوم الفوج المجموع كضحكة
للمضحوك منه وضم الميم تثقيل لها كما قيل عشرة قلت ومما يدل على ان اصلها السكون جمعها على جمع كغرف وقد
فى الكشاف ان من يوم الجمعة بيان اذا وتفسير له واقول ان اليوم اعم من وقت النداء والعام لا ابهامه لا يصير بيانا
ظاهرا فالاولى ان يكون من للتبعيض والنداء الاذان فى اول وقت الظهر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر وعلى
ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس زاد مؤذنا اخر يؤذن على داره التى تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن
المؤذن الثانى فاذا نزل اقام للصلوة وعن ابن عباس ان اول جمعة فى الاسلام بعد جمعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة لجمعة جمعت بجواثا قرية من قرى البحرين من قرى عبد القيس وروى ان الانصار اجمعوا الى زرارة
وكنيته ابو امامة وقالوا هلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى فان لليهود السبت وللنصارى الاحد
فاجعلوه يوم العروبة فصلى بهم وحمد يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه وانزل الله تعالى
اية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم واما اول جمعة جمعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين و

الاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة فى بنى سالم بن عوف
فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وفضيلة الصلوة كثيرة منها ما ورد فى الصحاح عن ابى هريرة اذا كان
يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الاول فالاول ومثل المهجر كمثل الذى يهدى بدنة ثم
كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فاذا خرج الامام طووا صحفهم ويستمعون الذكر وعنه صلى الله عليه وسلم من
مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقى فتنة القبر وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر
وبعد الفجر مقتضيه الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل بدعة احدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجمعة
ولا يقام الجمعة عند ابى حنيفة الا فى مصر جامع وهو ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام وقد
يقال ما يكون فيه نهر جار وسوق قائم وملك قاهر وطبيب حاذق وعنده تنعقد بثلثة سوى الامام
وعند الشافعى لا ينعقد الا باربعين متوطنين واعذار الجمعة مشهورة فى كتب الفقه ومعنى السعى القصد
دون العدو ومنه فى الحسن ليس السعى على الاقدام ولكنه على الثبات والقلوب وعن ابن عمر انه سمع
الاقامة وهو فى البقيع فاسرع المشى قال العلماء وهذا لا باس به ما لم يجهد نفسه قوله الى ذكر الله اى
الى الخطبة والصلوة وهو تسمية للشئ باشرف اجزائه ومذهب ابى حنيفة انه لو اقتصر على كل ما يسمى ذكرا
مثل الحمد لله او سبحان الله جاز وعند صاحبيه والشافعى لا بد من كلام يسمى خطبة وعن جابر كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته الحمد لله ويثنى عليه بما هو اهله ثم يقول من يهده الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادى له ان اصدق الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها
وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان صلوته قصدا وخطبته قصدا
وعن ابى وائل قال خطبنا عمار فاوجز وابلغ فلما نزل قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
طول صلوة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فاقصروا الخطبة واطيلوا الصلوة وان من البيان سحرا قوله
وذروا البيع خاص ولكنه عام فى الحقيقة لكل ما يشغل عن ذكر الله وسبب التخصيص ان اهل القرى وقتئذ
يجتمعون من كل اوب فى السوق واغلب اجتماعهم للبيع والشرى ولا خلاف بين العلماء فى تحريم البيع وقت
النداء وهل يصح ذلك البيع ان وقع الاكثرون نعم لان المنع غير متوجه نحو خصوص البيع فانما هو متوجه نحو ترك
الجمعة حتى لو تركها بسبب اخر فقد ارتكب المنهى ولو باع فى غير تلك الحالة لم يضاده نهى قوله فانتشروا وابتغوا
اباحة بعد حظر وعن بعض السلف انه بيان كان يشتغل بنفسه بعد الجمعة بشئ من امور الدنيا امتثالا للاية وعن
ابن عباس لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن
وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل الصلوة التطوع وفى قوله واذكروا الله كثيرا اشارة الى ان المرء لا ينبغى
ان يغفل عن ذكر ربه فى كل حال كما قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن جابر قال بينما نحن
نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ اقبل عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقى مع النبى صلى الله
عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اى تفرقوا اليها وتركوك قائما
فى الصلوة او فى الخطبة وفى رواية وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد
باللهو والتقدير اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه
يروى انه صلى الله عليه وسلم قال والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادى نارا ثم
حث على تجارة الاخرة وعلى يقين ان الارزاق بالحقيقة الا هو سبحانه وقد عمهم اذا والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم
انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا
ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا
يعملون ● ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون ● واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا
تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة ● يحسبون كل صيحة
عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم
ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ● سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم
الفاسقين ● هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن
المنافقين لا يفقهون ● يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون ● يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون ● وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي
احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون

القراءة خشب بالسكون ابو عمرو وعلي والمفضل وابن مجاهد وابو عون عن قنبل لووا بالتخفيف
نافع والمفضل ويعقوب واكون بالنصب ابو عمرو ويعملون على الغيبة يحيى وحماد **الوقوف** لرسول الله
لئلا يوهم ان قوله والله يعلم من مقول المنافقين لرسوله لكاذبون لان ما بعده يصلح صفة واستينافا عن
سبيل الله يعملون لا يفقهون اجسامهم لقولهم مسندة عليهم فاحذرهم قاتلهم الله لابتداء
الاستفهام مع القتال المعنى يؤفكون مستكبرين لم يستغفر لهم لن يغفر الله لهم الفاسقين ينفضوا
لا يفقهون الاذل لا يعلمون عن ذكر الله للشرط مع الواو الخسرون قريب لتعلق الجواب الصالحين اجلها يعملون
التفسير قال علماء المعاني اراد بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطاءت فيها قلوبهم السنتهم
كما ينبغي عنه ان واللام وكون الجملة اسمية مع تصديرها بما يجري مجرى القسم وهو الشهادة فكذبهم الله تعالى
لاجل علمه بعدم المواطاة وجوز في الكشاف ان يراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا
يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه قلت هذا مذهب
الجاحظ وانه خلاف ما عليه الجمهور وهو ان مرجع كون الخبر صدقا او كذبا الى طباق الحكم للواقع والى
طباقه له ولهذا اولوا الاية بما اولوا وهو ان التكذيب توجه الى دعاويهم ان قولهم قول عن صميم القلب
ومما يدل على ان يرجع كون الخبر صدقا الى ما قلت لا الى طباقه لاعتقاد المخبر او ظنه والى لاطباقه لذلك
الاعتقاد او الظن تكذيبنا اليهود اذ قال الاسلام باطل مع انه مطابق لاعتقاده وتصديقنا له اذ قال الاسلام
حق مع انه غير مطابق لاعتقاده وفائدة اقحام قوله والله يعلم انك لرسوله التنصيص على التأويل المذكور
والا امكن ذهاب الوهم الى ان نفس قولهم يشهد لان الشهادة يجري في افادة التاكيد مجرى الحلف وابه
استدل ابي حنيفة رضي الله عنه على انه اشهد يمين ذلك الذي ذكر من وصافهم واخلاقهم او من
التسجيل عليهم بانهم مقول في حقهم ساء ما كانوا يعملون بسبب انهم امنوا باللسان ثم كفروا واظهروا
نفاقهم وانطقوا بالاسلام عند المؤمنين ثم نطقوا بكلمة الكفر اذا خلوا الى شياطينهم ويجوز ان يراد اهل
الردة منهم وكان عبد الله بن ابي رجلا جسيما فصيحا وكذا اضرابه من رؤساء النفاق يحضرون مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم والحاضرون يعجبون
بهيا ويسمعون الى كلامهم فنزلت واذا رايتهم ايها الرسول او يا من له اهلية الخطاب ثم شبهوا في استنادهم
وما هم الا اجرام فارغة عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ويجوز ان يكون الخشب اصناما
منحوتة فشبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون وجه التشبيه
مجرد عدم الانتفاع لان الخشب المنتفع بها هي التي تكون في سقف وجدار وغيرها فاما المسند الفارغ
المتروكة فلا نفع فيها قلت فعلى هذا لا تكون لتخصيص الخشب بالذكر فائدة لاشتراكها في هذا الباب مع
الحجر والمدد المتروكين وغيرهما والخشب جمع خشبة كثمرة وثمر ومحل الجملة رفع على هم كانهم خشب وهو
كلام مستانف فلا محل له قوله عليهم ثاني مفعولي يحسبون اي يحسبونها واقعة عليهم وصارة لهم لخبثهم
والفضيحة كنداء المنادي في العسكر ونحو ذلك او هي انهم كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك
استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ثم خبر عنهم بانهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة ولان اعدى
الاعداء هو العدو المداجي المكاشر منطنه جار ما كاشر صلوعة داء لا دواء ويقال ما دام الناس منهم
ابلغ من قولهم فلان لا صديق له في السر ولا عدو له في العلانية وذلك ان هذه ايات النفاق فاحذر
ولا تغتروا بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني وعليهم لغو وانما لم يقل هي العدو نظرا
الى الخبر او بناء على اهل كل صيحة قاتلهم الله دعا عليهم باللعن والاخزاء اي اجلهم الله محل ان قاتله عدو
قاهر ويجوز ان يكون تعليما للمؤمنين اي ادعوا عليهم بهذا يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لقي بني
المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم ازدحم على الماء جمع من المهاجرين والانصار واقتتلا فلطم
احد فقراء المهاجرين سنانا حليفا لعبد الله بن ابي فبلغ ذلك عبد الله فقال يا صحابه محمدا لا نلطم والله
ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى
بالاعز نفسه وبالاذل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقومه لو امسكتم عن هؤلاء الفقراء فضل

طعامكم لم يركبوا دوابكم ولا نفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل
القليل فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعنى اضرب
عنق هذا المنافق فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا فقال
فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولما انزل الله تعالى تصديق قول زيد وبان نفاق عبد الله قيل
له قد نزلت فيك اى شداد فاذهب الى رسول الله ان يستغفر لك فلوى راسه ثم قال امرتمونى ان اومن
فآمنت وامرتمونى ان ازكى مالى فزكيت فما بقى الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما قلائل
حتى اشتكى ومات وقد تقدم قصة هذا المنافق فى سورة براءة بامن هذه وقد نفى عن المنافقين الفقه اولا
وهو معرفة غوامض الاشياء ثم نفى عنهم العلم ثانيا كان الاهم ويقول ان معرفة كون
الخزائن لله مما يحتاج الى تدبير ونفقة لمكان الاسباب والوسايط والروابط المعتبرة فى نفعها من الدين
المعزز بتوحيد وكمال التطبيق واما كون الغلبة والقوة لدين الاسلام فبذلك لظهور الامارات وسطوع الدلالة
بمثل يبلغ مبلغا لم يبق فى وقوعه شك لمن به ادنى مسكة وقليل علمه فلاجرم اورد فى خاتمة كل آية ما يليق بها و
عن بعض الصالحات فكانت فى هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر
وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها فقال ليس بتيه ولكنه عزة
وتلا الاية وحين عير المنافقين بما عير حث المومنين على ذكر الله فى كل حال بحيث لا يشغلهم عنه التصرف فى
الاموال والسرور بالاولاد فكل ما سوى الله حقير فى جنب ما عند الله فان تصرف فى شىء من المال او صرف
زمانه فى طرف من امر الاولاد فلله وبالله وفى الله وقال الكلبى ذكر الله الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن الحسن جميع الفرائض وقيل القران وقيل الصلوة الخمس ومن يفعل ذلك اى ومن يشغله الدنيا عن الدين
ثم حثهم على الانفاق اما على الاطلاق واما فى طريق الجهاد واتيان الموت اتيان سلطانه واماراته حيث
لا يقبل توبة ولا ينفع عمل فيسأل الله التاخير فى الاجل لتدارك ما فات ومن له بذلك كما قال ولن يوخر
الله نفسا والمعنى هلا اخرت الموت الى زمان قليل فاصدق واكون من قرأ بالنصب فظاهر ومن قرأ
بالجزم فعلى وهم ان الاول مجزوم كانه قال ان اخرتنى اصدق واكن وقيل هذا الوعيد لمانع الزكوة ع

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد
وهو على كل شىء قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مومن والله بما تعملون بصير خلق السموات و
الارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير
يعلم ما فى السموات وما فى الارض ويعلم ما تسرون و

ما تعلنون والله عليم بذات الصدور الم يأتكم نبؤا
الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم
ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر
يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد زعم
الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما
عملتم وذلك على الله يسير فامنوا بالله ورسوله والنور الذى
انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك
يوم التغابن ومن يومن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل
شىء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا
البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور
رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر
عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا
لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا

الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكورٌ

حليمٌ عالمُ الغيبِ والشهادة العزيزُ الحكيمُ

القراءة يوم نجمعكم بالنون رويس الباقون على الغيبة ويكفر ويدخله بالنون فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل الاخرون على الغيبة الوقوف وما في الارض لاختلاف الجملتين وله الحمد لنوع اختلاف وهو تقديم الخبر على المبتدا في الاول قدير مؤمن بصير صوركم لعطف المختلفين المصير يعلمون الصدور من قبل لتناهي الاستفهام الى الاخبار مع الصدق الاتصال بالفاء اليم يهدوننا لاعراض الاستفهام من المتفقين الله حميد يبعثون علمتم يسير انزلنا خبير التغابن ابدا العظيم فيها المصير باذن الله قلبه عليم الرسول المبين الا هو المؤمنون فاحذروهم رحيم فتنة عظيم لانفسكم المفلحون ويغفر لكم حليم الحكيم التفسير قال في الكشاف قدم الظرفين في قوله له الملك وله الحمد لمكان الاختصاص وان لا ملك بالحقيقة الا له استحقاق حمد في التحقيق الا له قلت لو عكس الترتيب افاد المخصوصية بوجه اخص وهو ان هذا الجنس وهذه الطبيعة له من حيث هي كما سبق في الفاتحة هو الذي خلقكم ذا فطرة سليمة وقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن بحسب الاسباب الخارجية كقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه والكل على وفق المشيئة وقالت المعتزلة اراد هو الذي يفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخالق فكان يجب عليكم ان تقابلوه بالتوحيد والشكر مجمعين مطبقين الا ان يغلب الكفر والجحود عليكم ولمكان هذه الغلبة قدم الكافر والعجب من صاحب الكشاف انه سلم ان في خلق الكافر قد يكون وجه حسن ولكنه يخفى علينا ولا نسلم ان في خلق داعية الكفر في الكافر قد يكون وجه حسن يخفى عليه وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به وقوله فاحسن صوركم كقوله في احسن تقويم وسيجي في التين ان شاء الله العزيز وكل فرد من الانسان فهو في نوعه كامل الا ان الله تعالى خلق اكمل منه من نوعه واحسن فلهذا يحكم بدمامته وقبحه ولهذا قالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال واللسان وحين وصف نفسه بالقدرة الكاملة والعلم اعم والاتم اخص ثم هدد كفار مكة بحال الامم الماضية فقال الم ياتكم الاية ذلك الوبال الدنيوي والعذاب الاخروي بانه اي بان الشان كانت اي كانت القصة وقد مر نظيره في حم المؤمن ابشر فاعل فعل محذوف يفسره يهدوننا وجمع الضمير لان البشر اسم جمع انما ابشر قال اهل المعاني لم يذكر المستغنى عنه في قوله واستغنى الله ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم قال في الكشاف معناه فظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان مع قدرته على ذلك وانما ذهب الى هذا التاويل لئلا يوهم ان وجود التولي والاستغناء معا ويلزم منه ان لا يكون الله في الازل غنيا قلت لو جعل الواو للحال اي وقد كان الله مستغنيا قديما او والحال وجود استغنائه على الاطلاق لم يحتج الى التاويل قوله زعم من افعال القلوب وفيه تقريع الكفار مكة لان الزعم ادعاء العلم مع ظهور امارات خلافه ويؤيده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال زعموا مطية الكذب وان لم يبعثوا في تقدير مفرد قائم مقام المفعولين قال جار الله يوم يجمعكم منصوب بقوله لتنبؤن او بخبير لانه في معنى الوعد كانه قيل والله يعاقبكم يوم كذا وباضمار اذكر قلت يجوز ان يكون يوم مبنيا على الفتح ومحله ابتدا والخبر جملة قوله ذلك يوم التغابن جواب الفائدة في زيادة قوله ليوم الجمع سؤال ان كان الخطاب في يجمعكم لكفار مكة فظاهر اي اذكروا وقت جمعكم الى وقت يجمع فيه الاولون والاخرون وان كان لعموم الناس فلعل اللام في الجمع للمعهود الذي سلف في نحو قوله يوم يجمع الله الرسل وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم هذا ما سنح في الفكر الباتر والله تعالى اعلم بمراده قال جار الله التغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء قلت في تسمية القسم الاخير تغابنا نظر الا ان يفرض نزول الشقي في ذلك المنزل مزيد عذاب للشقي وزيادة العذاب بسبب تضييق المكان عليه واعتذر عنه جار الله بانه تهكم بالاشقياء لان خسران احد الفريقين مبني على ربح الاخر ولا

ربح في التحقيق فيلزم التهكم مثل فبشرهم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ويجوز ان يفسر التغابن باخذ المظلوم حسنات الظالم وحمل الظالم خطايا المظلوم وان صح مجيء التغابن بمعنى الغبن فذلك واضح في حق كل مقصر صرف شيئا من استعداده الفطري في غير ما اعطي لاجله قوله ومؤمن بالله يهد قلبه كقوله زدناهم هدى او الاول باللسان والثاني بالجنان اي هدينا قلبه الى حقيقة الايمان وقال جار الله يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير والتحقيق فيه ان نور الايمان ينبسط كل يوم بسبب الرسوخ والثبات بكامل المغيبات وتزايد المعارف والطاعة الى ان يتنور جميع اجزاء القلب وينعكس منه الى كل الاعضاء والجوارح وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر والله بكل شيء عليم يعلم درجات القلوب في الايمان ولما كان اكثر ميل الناس عن الطاعات والكمالات الحقيقيات لاجل صرف الزمان في تهيئة امور الازواج والاسباب المعيشية اليمين او المعينة عليهن ثم الاولاد الذين هم ثمرات الافئدة وجنات القلوب وقرات العيون بين الله سبحانه ان العاقل لا ينبغي ان يصرف وكده في ذلك ويكون على حذر منهم ومن تكثيرهم وبيع الدين بالدنيا لاجلهم فمن الازواج ازواج معادين بعولتهن واعدى عدوك هو الذي يضاجعك وهل يستلذ الوسنان واذا كان في مضجعه ثعبان ومن الاولاد اولاد يعقوب اباهم ويجزعونهم العقص كما صبغ زايد قطعها مؤذ وفي ابقائها عيب وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على معاداة فان الله يجازيكم وروي ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم فما هاجروا بعد ذلك وداء واوالذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما السلام قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وقال بعض اهل التفسير اراد اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد لا ينبغي ان يمنع المكلف عن طاعة الله انبح من ذلك الامر بتقوى الله بمقدار الوسع والطاعة وما اللذة او المصدر وقوله خيرا لانفسكم نصب المحذوف هو افعلوا وايتوا وقد مر نظيره في اخر النساء في قوله انتهوا خيرا لكم وفيه اشارة الى ان امتثال هذه الاوامر خير من الاهتمام في امور الازواج والاولاد واعقاب الرتب واتعاب النفس لتكثير المال المخلف ومن اشقى ممن لا يقدم لاجل نفسه شيئا يستقرضه منه وارزقه مع شدة احتياجه الى ذلك بعد مماته ويؤخر لاجل وارث امورا عظيمة مع عدم وثوقه بانه هل يكون له انتفاع بها ام لا اللهم اشغلنا بما يعنينا فلا يعنينا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة

واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين

بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم

نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن

فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى
عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ
امره وقد جعل الله لكل شئ قدرا واللائى يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائى لم يحضن
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من
امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه
سيئاته ويعظم له اجرا اسكنوهن من حيث سكنتم
من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن
اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له
اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا
وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا
شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان
عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولى
الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا
عليكم ايات مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من

الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا
الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط
بكل شئ علما القراءة بالغ امره بالاضافة حفص الاخرون بالتنوين والنصب
من وجدكم بكسر الواو روح ندخله بالنون ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل
الوقوف نصف السبع العدة تعظيما لام الاتقاربكم لاتصال المعنى مع عدم العاطف مبينة وتلك
حدود الله نفسه امر الله الامر مخرجا لا يحتسب حسبه امره قدرا انتهى للعطف اى واللائى لم يحضن
كذلك لم يحضن حملهن يسرا اليكم اجرا عليهن حملهن اجورهن بمعروف اخرى من سعته اتيه الله اتيها
يسرا نكرا خسرا الالباب والوصل هنا والوقف على امنوا اجوز من العكس ذكر الان ما بعده بدل او عين كما
يجى الى النور ابدا رزقا بينهن علما التفسير لما بين فى اخر السورة المتقدمة على معاداة بعض
الازواج والمعاداة كثيرا ما يفضى الى الفراق بالطلاق ارشد فى هذه السورة الى الطلاق السنى الذى لا يحرم ايقاعه
والى احكام اخر معتبرة كيف نادى نبيه صلى الله عليه وسلم وحده ثم قال اذا طلقتم على الجمع انه كما يقول لرئيس
القوم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه وان من سواه من قومه تبع له فى الخطاب الجمع فى التعظيم
والمراد بالخطاب النبى ايضا وقيل اراد يا ايها النبى والمومنون فحذف للدلالة وقيل يا ايها النبى قل للمومنين
ومعنى اذا طلقتم اذا اردتم تطليقهن كقوله فاذا قرات القران فاستعذ واللام فى قوله لعدتهن بمعنى الوقت
اى للوقت الذى يمكنهن الشروع فى العدة وهو الطهر الذى يجامعها فيه قال جار الله مطلقوهن مستقبلات
لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من شهر كذا اى مستقبلا لها قال الفقهاء السنى طلاق المدخول بها التى
ليست هى بحامل ولا صغيرة ولا ايسة فى غير حالة البدعة والبدعى طلاق المدخول بها فى حيض او نفاس او طهر
جامعها فيه ولم يظهر حملها ولتحريم الطلاق سببان احدهما وقوعه فى حال الحيض اذا كانت المرأة ممسوسة وكانت
ممن تعتد بالاقراء لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن وطلق ابن عمر امرأته وهى حائض فسال عمر النبى صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فقال مره ليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم يطلقها ان شاء فتلك العدة التى امر الله ان يطلق
بها النساء والمعنى فيه ان بقية الحيض لا تحتسب من العدة فيطول عليه مدة التربص وثانيهما اذا جامع امرأته
فى طهرها وهى ممن تحبل ولم يظهر حملها حرم عليه ان يطلقها فى ذلك الطهر لقوله صلى الله عليه وسلم فى قصة
ابن عمر ثم ان شاء طلقها قبل ان يمسها ولانه ربما يندم على الطلاق لو ظهر الحمل هذا تقرير السنة والبدعة من
جهة الوقت اما السنة والبدعة من جهة العدد فقال مالك لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث
مجموعة او مفرقة على الاطهار وقال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله يكره ما زاد على الواحدة فى طهر واحد
واما مفرقا فى الاطهار فلما روى فى قصة ابن عمر انما السنة ان يستقبل الطهر استقبالا ويطلقها لكل قرء
تطليقة وقال الشافعى لا باس بارسال الثلث وقال لا اعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وقد يستدل بما
روى فى حديث اللعان ان الملاعن قال هى طالق ثلثا ولم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقالت الشيعة
اذا طلقها ثلثا تقع واحدة ومنهم من قال لا تقع شئ وهو قول سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين والاصح
عند اكثر المجتهدين ان الطلاق البدعى واقع وان كان صاحبه اثما عاصيا وهذا مبنى على ان النهى لا يوجب
فساد المنهى عنه فى قصة ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلثا فقال له وان عصيت وبانت منك
امرأتك قال العلماء المحرم هو الطلاق بغير عوض فاما اذا خلع الحائض او طلقها على مال فلا لاطلاق قوله تعالى
فلا جناح عليهما فيما افتدت به ولان المنع كان رعاية لجانبها وبذل المال دليل على شدة الحاجة الى الخلاص

بالمفارقة وقال جار الله اللام في قوله النساء للجنس وقد علم بقوله فطلقوهن لعدتهن انه مطلق على البعض
وهو ذوات الاقراء المدخول بهن فلا عموم ولا خصوص قلت ما صح جعله عاما لانه اذا روعي الشرط المذكور في
هذا البعض لزم ان يكون طلاق كل النساء من الصغيرة والايسة والحامل وغير المدخول بها بحيث يمكنهن ان
يشرعن بعد الطلاق في العدة قوله واحصوا العدة اي اضبطوها واحفظوا عددا يامها ثلثة اقراء كوامل
لا ازيد ولا انقص لا تخرجوهن من بيوتهن يعني من مساكن الفراق وهي بيوت الازواج اضيفت اليهن لاختصاصها
بهن من حيث السكنى الى انقضاء العدة وكما ان البعولة لا ينبغي ان يخرجوهن غضبا عليهن او لحاجة لهم الى
كذلك لا ينبغي لهن ان يخرجن بانفسهن وقوله الا ان ياتين استثناء من الجملة الاولى الا ان يزنين فيخرجن لاقامة
الحد عليهن او الا ان يطلقن على النشوز فان النشوز يسقط حقهن في السكنى او الا ان يبذون فيحل اخراجهن
لبذائهن ويؤكده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه والمعنى
ان خرجت فقد اتت بفاحشة مبينة وعلى هذا يكون الاستثناء من الجملة الثانية قوله لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا اي احصوا العدة والزموهن مساكنكم فلعلكم تندمون وتنقلب المبغضة محبة والمقت مقتا والطلاق رجعة
والخطاب في لا تدري للنبي صلى الله عليه وسلم على نسق اول السورة ولكل مكلف فاذا بلغن اجلهن اي شارفن
انقضاء عدتهن فانتم بالخيار ان شئتم فالامساك بالرجعة لا على وجه الضرار بل على الشرع والعرف وان شئتم
فالفرقة بالمعروف كما مر في البقرة واشهدوا على الرجعة او الفرقة ذوي عدل منكم اي من جنسكم من المسلمين قاله
الحسن وعن قتادة من احراركم وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة رحمة الله وعند الشافعي واجب
في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفايدة الاشهاد ان لا يقع التجاحد وان لا يتهم في امساكها او يموت احدهما
فيدعي الاخر ثبوت الزوجية لاجل الميراث ثم حث الشهود على ان لا يشهدوا الا لوجه الله من غير شايبة غرض اخر
دنيوي ذلكم الحث على اداء الشهادة لله يوعظ به من هو من اهل الايمان بالله والمعاد لان غيره لا ينتفع به ويجوز
ان يكون الاشارة بذلكم الى امر من الامساك او الفراق بالمعروف لا على وجه الاضرار فيكون موافقا لما مر في البقرة
الا انه وحد كاف الخطاب هنالك لانه اكد الكلام بزيادة منكم وههنا جمع فلم يحتج الى لفظ منكم والله تعالى اعلم بالمراد
كلامه ثم حض على التقصير في كل باب ولا سيما فيما سبق من امر الطلاق فكانه قال ومن يتق الله فطلق للسنة ولم
يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واختلط فاشد يجعل له مخرجا ومخلصا من هموم الدنيا والاخرة ومن جملة ذلك
هم الازواج ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه بدل ما ادى وبدل من المهر والحقوق من النبي
صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم انه لو احد الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقراها ويعيدها وروي
ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركين ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني
وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل
فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الاية
قلت قد جربت الاية في محن ومهالك فوجدت مفرجة منفسة ومن اسرار القران ولطايفها انه سبحانه
حث على التقوى في هذه السورة ثلث مرات بقوله من يتق الله وذلك عدد الطلقات الثلث ووعد في
كل مرة نوعا من الجزاء الاول انه يخرجه مما دخل فيه وهو كاره ويفتح له خيرا ممن طلقها الثاني اليسر في الامور
والمواتاة في المقاصد ما دام حيا الثالث افضل الجزاء وهو ما يكون في الاخرة من النعماء ثم رغب في التوكل
بثلث جمل تقارب الجمل الاول ومن يتوكل على الله فهو حسبه لان المعبود الحقيقي القادر على كل شيء الغني
عن كل شيء الجواد بكل شيء اذا فوض عبده الضعيف امره اليه لا يهمله البتة الثانية ان الله بالغ امره اي يبلغ
كل ما يريده ولا يفوته مطلوب الثالثة قد جعل الله لكل شيء قدرا اي وقتا ومقدارا وها تان الجملتان كل منهما
بيان الوجوب التوكل عليه انه اذا علم كونه قادرا على كل شيء واعلم انه قد بين وعين لكل شيء حدا ومقدارا لم
يبق الا التسليم والتفويض قال صاحب الكشاف قال المفسرون انه ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء
عدة اللواتي لم يحضن فنزلت واللائي يئسن يعني ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف تعتدون فهذا
حكمهن قلت في صحة هذه الرواية نظر فان السورة ليس فيها بيان عدة ذوات الاقراء واحالتها على ما في البقرة
والمطلقات يتربصن لا يجوز لان هذه مكية وتلك المدنية ثم لو ثبت ان هذه متاخرة النزول كان له

وجه وكما روى عن عبد الله بن مسعود من شاء لاعنته ان السورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة
والجمهور على ان المراد ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس هو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلثة اشهر
واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى وسن الياس مقدر بالخمس وخمسين وبستين وسبتين و
ستين والمشهور عند اكثر اصحاب الشافعي النظر الى نساء عشيرتها من الابوين فاذا بلغت السن التي ينقطع فيها
حيضهن فقد بلغت سن الياس واللائي لم يحضن من الصغاير والنفدين فعدتهن ايضا ثلثة اشهر فحذف
للدلالة قوله واولات الاحمال اي النساء الحوامل اجلهن بعد الطلاق او بعد وفات الزوج اي انقضاء عدتهن
ان يضعن حملهن هذا قول اكثر الايمة والصحابة وانما ينقضي العدة بوضع الحمل بتمامه فلو كانت حاملا بتوامين
لم ينقض العدة حتى ينفصل الثاني بتمامه وانما يكون الوالدات توامين اذا ولدا على التعاقب وبينهما دون
ستة اشهر والا فالثاني حمل اخر وعن علي وابن عباس ان عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين
من بقية الحمل ومن اربعة اشهر وعشر ووضع الحمل لا يتفاوت بكونه حيا او ميتا او سقطا او مضغة لا
صورة فيها وصدقت المراة بيمينها لانهن من الامانات على ارحامهن وحين كرر شرط التقوى كان لسائل
ان يسال كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم
وقوله من وجدكم بيان اي مكان سكناكم الذي تطيقونه والوجد الوسع والطاقة قال قتادة ان لم يكن الا بيت
واحد فاسكنها في بعض جوانبه قال ابو حنيفة السكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند الشافعي ومالك
للبين للسوية الا السكنى وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لما في حديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت
طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وضعف بقول عمر رضي الله عنه
لا ندع كتاب ربنا ولا سنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى
ولا نفقة لا تضاروهن بانزال المسكن من يوافقهن او بغير ذلك من انواع المضار حتى يضطر وهن الى الخروج
وقيل هو ان يراجعها كلما قرب انقضاء عدتها لتضيق عليها امرها وقد يلجئها الى ان تعتدي منه قوله وان كن
اولات حمل تخصيص للحامل بالنفقة لاجل الحمل وان كانت باينة هذا عند الشافعي واما عند ابي حنيفة ففايدته
ان مدة الحمل ربما يطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل فينفي ذلك الوهم اما الحامل
المتوفى عنها فالاكثرون على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على انفاقه من امراة او ولد
صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة ومنهم الشافعي
انهم اوجبوا نفقتها ثم بين امر الطفل قايلا فان ارضعن اي هؤلاء المطلقات لكم اي لاجلكم ولدا منهن ومن غيرهن
بعد انقضاء عرى الزوجية وهذا الاستيجار لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه اذا كان الولد منهن ما لم يحصل
البينونة وجوب الشافعي مطلقا كالاظار ثم خاطب الاباء والامهات جميعا بقوله وايتمروا وقال اهل اللغة الايتمار
بمعنى التامر كالاشتوار بمعنى التشاور اي ليامر بعضكم بعضا بالجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر
الام لانه ولدهما معا وان تعاسرتم اي اظهرتم من انفسكم العسر والشدة من امر مونة الارضاع فسترضع اي الطفل له اي
للاب مرضعة اخرى وفيه طرف من معاتبة الام على التعاسر كما يقول لمن يطلب منه حاجة ويتوانى في قضايها
سيقضيها غيرك تريد لا يبقى غير مقضية وانت ملوم ثم بين ان ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات
هو بمقدار الوسع والطاقة كما يقول في البقرة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره الى ان يفتح الله ابواب الرزق عليهم
ثم هدد من خالف الاحكام المذكورة باحوال الامم العاتية والحساب الشديد اي بالاستقصاء والمناقشة والعذاب
النكر اي المنكر الفظيع يحتمل ان يراد بهما حساب الدنيا وعذابها وهو احصاء صغايرهم في ديوان الحفظة وما اصاب كل
قوم من الصيحة ونحوها عاجلا وحسابها ولفظ المضي لتحقق الوقوع مثل ونسيق ونادى وعلى هذا يكون قوله اعد الله
تكريرا للوعيد وبيانا لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب المنكر اي النكر الفظيع واحذروا مثله يا اولي الالباب
وجوز جار الله ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله عاملا في كاين قوله رسولا قال جار الله هو جبرئيل
عليه السلام ابدل من ذكرا للملابسة وصف بتلاوة ايات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف
كقوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند
الله او جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كانه ذكرا واريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل

الله اليكم على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعلى ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر
رسولا قلت لم يبعد على هذه الوجوه ان يكون المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر غاية الانزال والتلاوة
كقوله ليخرج والمعنى ليخرج الله او الرسول الذين عرف منهم انهم سيؤمنون من الظلمات الكفر الى نور الايمان او
ليوفقهم بعد الايمان والعمل الصالح المزيد البيان والعيان الذي يتجلى به ظلم الشكوك والجنان وقوله قد احسن
الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم ثم ختم السورة بالتوحيد الذي هو اجل المطالب وتفسيره ظاهر مما
سلف مرارا الا ان ظاهر الاية يدل على ان الارض متعدده وانها سبع كالسموات فذهب بعضهم الى ان قوله
مثلهن اي في الخلق لا في العدد وقيل هي الاقاليم السبعة والدعوة شاملة لجميعها وقيل انها سبع ارضين
متصل بعضها ببعض وقد حال بينهن بحار لا يمكن قطعها والدعوة لا تصل اليهم وقيل سبع طبقات بعضها فوق
بعض لا فرجة بينها وهذا يشبه قول الحكما منها طبقه هي ارض صرفة تجاوز المركز ومنها طينيه تخالط سطح الماء
من جانب التقعير ومنها طبقه معدنيه يتولد فيها المعادن ومنها طبقة تركبت بغيرها وقد انكشف بعضها
ومنها طبقه الادخنة والابخرة على اختلاف احوالها الى طبقه الزمهرير وقد بعد هذه الطبقات من الهوا
وقيل انها سبع ارضين بين كل واحد منها الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام كما جاء في ذكر السماء وفي كل ارض
منها خلق حتى قالوا في كل منها ادم وحوا ونوح وابراهيم وهم يشاهدون السماء من جانب ارضهم ويستمدون
الضياء منها او جعل الله لهم نورا يستضيئون به وذكروا في تعيينهم وصفاتهم في خلايق السموات والارضين و
اشكالهم واسمائهم اضربنا عن ايرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات ومعنى يتنزل الامر بينهن ان حكم الله
وامره يجري فيما بين السموات والارضين او فيها بين كل منها ولا يعلم تلك الامر ولا تلك الاحكام ولا كيفية
تنفيذها فيهن الا علام الغيوب تعالى وتقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك
والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
والله مولكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى
بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه
واعرض عن بعض فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نبانى العليم
الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا
عليه فان الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة
بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا

خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات
سائحات ثيبات وابكارا يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة
غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم
تعملون يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى
ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم
جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات
نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار
مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون
اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون و
عمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات
ربها وكتبه وكانت من القانتين

القراءة عرف بالتخفيف علي وتظاهرا بالتخفيف عاصم وحمزة وعلي وخلف ان يبدله بالتشديد ابو
جعفر ونافع وابو عمرو ونصوحا بالضم النون يحيي وحماد وكتب علي الجمع ابو عمرو وسهل ويعقوب
وحفص الوقوف لك لاحتمال ان الجملة بعدها حال او استفهامية بحذف الحرف وهذا احسن لان
التحريم الحلال لغير ابتغاء مرضاتهن لا ايضا غير جائز ازواجك رحيم ايمانكم لعطف الجملتين المختلفتين
مولكم للابتداء بذكرها لم يزل من الوصفين مع اتفاق الجملتين الحكيم حديثا عن بعض هذا الخبر
قلوبكما المؤمنين لتناهي الشرط الى الاخبار ظهير وابكارا ما يؤمرون اليوم يعملون نصوحا الانهار
بناء على ان الظرف يتعلق بقوله ويدخلكم معه لاحتمال ان يوم متعلق بقوله يسعى فاغفر لنا للابتداء بان مع
احتمال اللام او الفاقدير عليهم جهنم المصير لوط لابتداء الحكاية الداخلين فرعون لئلا يتوهم ان الظرف
يتعلق بضرب بل التقدير واذكر اذ الظالمين لان ما بعده معطوف على امرات فرعون القانتين التفسير
اختلاف في تحريم ما احل الرسول صلى الله عليه وسلم على قولين احدهما انه العسل وذلك انه صلى الله
عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة قالتا له انا نشم منك
ريح المغافير والمغفور والمغثور شيء يتحلبه العرفط والرفث مثل الشمع وهو حلو كالعسل يوكل
وله ريح كريهة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره النفل تحرم لفوحها على نفسه العسل الثاني
انه ما احل الله له من تلك اليمين وههنا روايتان الاولى انه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية جاريته القبطية
في يوم عايشة وعلمت بذلك حفصة فقال اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر و
عمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عايشة فكانتا متصادقتين الثانية انه خلا بمارية في يوم حفصة
فارضيها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نسائه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية
فقال عمر لابنته لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبرائيل عليه السلام وقال راجعها فانها
صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة قال جمع من العلماء لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحريم حلال بان يقول هو حرام علي ولكنه كان يمينا كقوله والله لا اشرب العسل ولا اقرب الجارية بعد اليوم
فقيل به لم تحرم ولم يمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك والله غفور لك
رحيم بك والدليل عليه ظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها بالكفارة وقيل قد شرع
الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك بان يقول ان شاء الله
عقيبها حتى لا يحنث والتحلة تفعلة بمعنى التحليل كالتكرمة بمعنى التكريم عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم لم
يكفر عن يمينه لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل وانه
اعتق رقبة في تحريم مارية وما حكم تحريم الحلال قال ابو حنيفة هو يمين على الامتناع المقصود فلو حرم
طعاما فهو يمين على الامتناع من اكله او امة فعلى الامتناع من وطئها او زوجة محمول على ما نوى الطهار ظهار
والطلاق فطلاق بائن وان لم ينو شيئا فعلى الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم
ينو والا فعلى ما نوى وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد ان الحرام يمين وقال الشافعي هو في النساء
من صراح الفاظ الطلاق وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلث وعن عثمان ظهار وعن مسروق
والشعبي انه ليس بشيء فما لم يحرمه الله ليس لاحد ان يحرمه والله مولكم متولي اموركم وقيل اولى بكم من انفسكم
ونصيحته انفع لكم من نصايحكم لانفسكم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم فيما يامركم به وينهاكم عنها واذكر اذ اسر
النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا وهو حديث مارية وامامة الشيخين فلما نبأت به حفصة عايشة
واظهره الله نبيه اي اطلعه على افشائه على لسان جبرائيل وقيل اظهر الله الحديث على النبي فيكون من الظهور عرف بعضه
اعلم ببعض الحديث ومن قرأ بالتخفيف من الفرقان فمعناه المجازاة من قولك للمسيء لاعرفن لك وكان جزاؤه تطليقه
او قيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وانما اعرض عن البعض تكرما قال سفيان ما زال التغافل
من فعل الكرام حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا
بالكرامة التي خص الله بها ابي وانما ترك المفعول ولم يقل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه لان ذلك ليس بمقصود
وانما الغرض ذلك جناية حفصة في وجود الانباء به وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد

منه الا الاعلام بالبعض وهو حديث الامامة ولما كان المقصود في قوله من انباءك هذا ذكر المنبأ به اتى
بالمفعولين جميعا ثم وعظ عايشة وحفصة على طريقة الالتفات قايلا ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي فقد
وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن اخلاص رسول الله من حب ما يحبه وبغض ما يكرهه والاصل
قلباكما وجه الجمع مامر في قوله فاقطعوا ايديهما وان تظاهرا اي تتعاونا على ما يوجب غيظه فلن تقدم هو من يظاهره
كيف والله مولاه اي ناصره وجبريل حاميه من بين الملائكة وصالح المؤمنين اكثر العلماء هو واحد في معنى الجمع
لانه اريد به الجنس فيشمل كل من امن وعمل صالحا وجوز ان يكون جمعا وقد اسقط الواو في الخط لسقوطه في اللفظ
عن سعيد بن جبير هو كل من بريء من النفاق وقيل الانبياء او الصحابة او الخلفاء والملائكة على كثرة جموعهم بعد
ذلك الذي عرف من نصرة المذكورين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة فاي وزن لاتفاق امراتين بعد ظهار هؤلاء
على ضد مطلوبهما ولا يخفى ان الكلام مسوق للمبالغة في النظام والا فكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ثم خوفهما بنوع
اخر وهو قوله عسى ربه ان طلقكن الاية والصائحات كما مر في اخر التوبة قال جار الله سبه الصايم في امساكه الى ان
يجي وقت افطاره بالسايح الذي لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجي وقت افطاره وقيل السايحات المهاجرات فانظر
في شؤم العصيان فان امهات المؤمنين وهن خير نساء العالمين لصنع غيرهن بعرض عدم العصيان خيرا منهن
بعرض العصيان وتطليق الرسول اياهن وقد عرفت في نظاير ان الواو في نحو قوله وابكارا يقال لها واو الثمانية الا
انه للواو في هذا المقام فايدة اخرى هي ان وصفي الثيابة والبكارة متنافيان لا يكون الا احدهما بخلاف الصفات
المتقدمة فانها ممكنة الاجتماع فالمراد ان اولئك النساء جامعات للاوصاف المتقدمة ولاحد هذين
ثم عمم التحذير فقال قوا انفسكم وهو امر من الوقاية في الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم
زكوتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وتفسير قوله وقودها الناس والحجارة قد مر في
اول البقرة وكونها معدة للكافرين ولا ينافي تعذيب المؤمنين الفسقة بها ان استحقوها وجوز ان يكون امرا بالتوقي
من الارتداد وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم عليها ملائكة اي موكل على اهلها والزبانية التسعة عشر موصوفون
بالغلظة والشدة في الاجرام او في الافعال وفيهما لانه لا يأخذهم رأفة بمن عصى الله وقوله ما امرهم نصب على البدل
اي لا يعصون امر الله ولا يخفى ان عدم العصيان يستلزم امتثال الامر فصرح بما عرف ضمنا قايلا ويفعلون ما يؤمرون
ويجوز ان يكون الاول عايدا الى الماضي والثاني الى المستقبل ثم وعظ المؤمنين بما يقال للكافرين عند دخولهم النار وهي
وهو قوله لا تعتذروا اليوم لا اعتذر لكم ولا عذر مقبولا بكم وليس هذا من قبيل الظلم ولكنه جزاء اعمالكم ثم ارشد المؤمنين
الى طريق التوبة ووصف النصوح على الاسناد المجازي لان النصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا انفسهم بالتوبة
لا يكون فيها شوب رياء ولا نفاق وقيل هو من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وقيل خالصة عسل
ناصح اذا خلص من الشمع وقيل توبة ينصح الناس اي يدعوهم الى مثلها الظهور اثرها في صاحبها عن ابن الكريم الطامع و
لئلا يتكلوا قوله لا يخزي تعريض عن اخزائهم من اهل النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته كما استحمد
المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم قوله نورهم يسعى مر في الحديد قوله يقولون اتمم لنا نورنا اي قائلين
ذلك اذا طفئ نور المنافقين خوفا من زواله على عادة البشرية او لان الاخلاص والنفاق من صفات الباطن لا يعرفه
الا الله سبحانه على انه يجوز ان يدعوا المؤمن بما هو حاصل له مثل اهدنا ويجوز ان يدعونه من هو ادنى منزلة لان
النور على قدر الاعمال فيستقلون اتمامه تفضلا لا مجازاة لانقطاع التكليف والعمل يومئذ ثم امر نبيه بمجاهدة الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة باقامة الحدود اليهم وامر باستعمال الغلظة من الخشونة على الفريقين هذا عليهم في
الدنيا ولهم في الاخرة جهنم وقد سبق نظير الاية في التوبة ثم ضرب مثلا لاهل الكفر امراة نوح واسمها قيل واعلة
وامرات لوط واسمها قيل واهلة ومثلا لاهل الايمان امراة فرعون واسمها اسية وهي عمة فرعون ومريم بنت عمران في
ضمن المثلين تعريض بما مر في اول السورة من حال عايشة وحفصة واشارة من حقهما ان يكونا في الاخلاص كهاتين
المؤمنتين لا كالكافرتين اللتين حين خانتا زوجيهما لم يغنيا عنهما من عذاب الله شيئا وقيل لهما موتهما او يوم القيمة
ادخلا النار مع ساير الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء من قوم نوح وقوم لوط او من قوم وفي قوله
عبدين من عبادنا اشارة الى ان سبب المزية والرجحان عند الله ليس الا الصلاح كائنا من كان وخيانة المرأتين ليست
هي الفجور وانما هي نفاقهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرات نوح قالت لقومه انه مجنون وامرات لوط دلت على

حنيفا نه قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط عن ابي هريرة ان اسية حين امنت بموسى وتدها فرعون باربعة اوتاد
واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها قال الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي
تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة رأت بيتها في الجنة يبني من در ومعنى عندك بيتا في الجنة
انها طلبت القرب من الله والبعد من عذابه ثم بينت مكان القرب او اراد اعلى موضع في الجنة ونجني من فرعون
وعمله كقولك اعجبني زيد وكرمه وفيه دليل على الاستعاذة بالله من الاشرار داب الصالحين والضمير في فيه
للفرج وقيل هو جيب الدرع وقد مر في الانبيا وكلمات الله صحف ادريس وغيره او جميع ما كلم الله به او كتبه في اللوح
وكتب الكتب الاربعة وحده فهو الانجيل وقري بكلمة الله اي عيسى وكانت من القانتين من باب
التغليب كما مر في قوله واركعي مع الراكعين وقيل من الابتداء اي ولدت منهم لانها من اعقاب هرون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق
الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز
الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى من خلق الرحمن
من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين
ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها
سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي
فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير
وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم

بالغيب لهم مغفرة واجر كبير واسروا قولكم او اجهروا
به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه واليه النشور ءامنتم من في السماء ان يخسف
بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل
عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين
من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير
امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان
الكافرون الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ان
امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور افمن يمشي مكبا على وجهه
اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو الذي انشاكم
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير
مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي
كنتم به تدعون قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا
فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن امنا به وعليه
توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح

ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ٥ ٥ ٥

القراءة من بعوث من التفعل حمزة وعلي هل ترى بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وهشام ولقد زينا مثل
لقد سمع تكاد تميز البزي وابن فليح فسحقا بالضم يزيد وعلي الاخرون بالسكون ءامنتم بهمزتين حمزة وعلي وخلف
وابن عامر الباقون ءامنتم بتوسيط الف بين الهمزتين نذيري ونكيري كنظايرهما شيئت مثل ضربت مجهولا
ابو جعفر ونافع وابن عامر ورويس تدعون بسكون الدال يعقوب اهلكني الله بسكون الياء حمزة معي وبالفتح
ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو وعاصم وغير يحيى وحماد فسيعلمون على الغيبة علي الوقوف
الجزء التاسع والعشرون الملك لاختلاف بين الجملتين من حيث تقديم الطرف الاولى قدير لان الذي بدل عملا
الغفور لان ما بعده صفه او بدل طباقا تفاوت البصر في الموضعين لان ما بعد الاول معمول اي فانظر هل
ترى وما بعد الثاني ظرفه مع ان الجواب منتظر فطور حسير السعير جهنم المصير تفور لان ما بعده خبر
اخر وبدل الغيظ نذير من شيء لاحتمال ان ما بعده من تمام قول الكفار وان يكون معمول قول محذوف للحركة السعير
بذنبهم لابتداء الشتم مع الفاء كبير او اجهروا به الصدور خلق لتناهي الاستفهام مع ان الواو يحسن حالا الخبير
من رزقه النشور تمور لان ام معادلة منتم حاصبا لابتداء التهديد نذير نكير ويقبضن الرحمن غرور رزقه
ونفور مستقيم والافئدة تشكرون تحشرون صادقين عند الله مبين تدعون رحمنا لان ما بعده جواب
الشرط اليم توكلنا ومن قرأ فسيعلمون بتاء الغيبه وقفه مطلق للعدول مبين معين التفسير كثرت خير
من تحت تصرفه وتخيير الملك الحقيقي وهو على ايجاد كل ممكن واعدامه قدير بيانه انه خلق الموت والحيوة وهما عرضان
ينفيا فيان كل من صح عليه ذلك فالموت نظير الاعدام والحيوة مثل الايجاد وتقديم الموت لان الاصل في الاشياء
العدم قال مقاتل يعني كونه نطفة وعلقة ومضغة ثم نفخ فيه الروح وعن ابن عباس الموت في الدنيا والحيوة في الاخرة
دار الحيوان والله خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة
فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي قال الحكماء الاسلاميون هذا على سبيل
التمثيل والا فالعرض لا يكون جوهرا واقول لعل الاملح والبلقاء اشارة الى ان هذين العرضين في عالمنا هذا
لا نظير ان الاعلى ما فيه من طبايع متضاده فيكون بسبب ذلك نار وضد اخرى وقال جار الله انما قدم الموت
لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم
زعم الكعبي انه تعالى غير قادر على مثل مقدور العبد وقال ابو علي وابو هشام انه تعالى لا يقدر على عين
مقدور العبد وقالت الاشاعرة انه قادر على القبيلين والا لم يكن على كل شيء قديرا وهو خلاف الاية فلزمه صحة
وجود مقدور بين قادرين ولهذا ابطلوا القول بالطبايع على ما تقوله الفلاسفة وبالمتولدات على ما يقوله المعتزلة
ويكون العبد موجدا لافعال نفسه ومعنى الغاية في قوله ليبلوكم انه اذا علم ان وراء الموت حيوة وحالا يستوي
فيها الغني والفقير والمولى والعبد ولا ينفعه الا ما قدم من خير صار ذلك داعيا له الى حسن العمل وزاجرا عن ضده
وكذا لو قيل ان الموت حالة كونه نطفة والحيوة نفخ الروح في الجنين فانه ان تفكر في امور نفسه علم ان وراء هذه
الحيوة موتا ينقطع به تدارك ما فات ان الدنيا مزرعة الاخرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ
قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لقوم اكثروا ذكر هادم اللذات يشغلكم عما ارى والابتلاء مجاز كما مر في قوله واذ ابتلى ابرهيم
وفي اول الكهف وقوله ايكم احسن مفعول ثان ليبلوكم على انه متضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق
لان التعليق هو ان يكون الاستفهامية سادا مسد المفعولين جميعا نحو علمت ازيد منطلق نعم انه تعليق على
قول الفراء والزجاج لانهما قالا التقدير ليبلوكم فيعلم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء
العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة وهذان الوصفان يتوقفان على كمال القدرة والعلم فلا جرم دل عليهما بقوله
الذي خلق سبع سموات طباقا اي ذات طباق او طوبقت طباقا او هو وصف بالمصدر مبالغة اي مطابقة
بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا اطارقها ثم اشار الى انها محكمة متقنة بقوله ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت او تفوت قال الفراء هما واحد ومعناه يرجع الى عدم التناسب والنظام بحيث يقول الناظر لعلم لو كان

كذا كان احسن والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل راء والاصل ما يرى فيهن فعدل الى العبارة
الموجودة تعظيما لخلقهن وتنبيها على ان سبب تناسبهن هو كونه خلق الرحمن فلو علم للمكلفين انفع من هذا الخلق لفعل
وفسر بعضهم التفاوت بالفطور لقوله هل ترى من فطور اي صدوع وشقوق وخروق وفتوق كل هذا من
عبارات المفسرين وهو كقوله في اول ق وما لها من فروج وانما امره برجع البصر لان النظرة الاولى حمقا
ثم امر بتكرير رجع البصر كرة بعد كرة وهو تثنية الكثرة مثل لبيك وسعديك الى ان يحسر ويعيى من طول المعاودة
فانه لا يعثر على شيء من الخلل والعيب ومعنى خاسئا بعيدا عن اصابة الملتمس كقوله ولقد زينا قد مر تفسيره في حم
السجدة والرجوم جمع رجم مصدر سمي به ما يرجم به وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين
الانس وهم الاحكاميون من اهل التنجيم وحين بين انه اعد لهؤلاء عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب
في الدنيا عمم الوعيد لقوله وللذين كفروا الاية ثم وصف جهنم بصفات منها ان لها شهيقا اشبه الحسيس
المنكر الفظيع بصوت الحمار ويجوز ان يكون شهيق لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم ومنها الفوران
قال ابن عباس تغلي بهم كغلي المرجل وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل ويجوز ان يكون من
فور الغضب يؤيده قوله تكاد تميز من الغيظ يقال فلان يتميز غيظا وغضب فطارت منه شقة في الارض و
شقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ولعل السبب في هذا المجاز هو ان الغضب حالة تحصل
عند غليان دم القلب والدم عند الغليان يصير اعظم حجما ومقدارا فيتمدد الاوعية حتى كادت
تنشق وتتمزق فجعل ذكر هذا اللازم كناية عن شدة الغضب وقيل الغيظ للزبانية احتجت المرجية بقوله
كلما القي فيها الاية على انه لا يدخل النار الا الكفار لانه تعالى حكى عن كل من القي فيها انه كذب النذير اجاب القاضي
بان النذير قد يطلق على ما في العقول من الادلة المحذرة من المعصية فيشمل الفاسق القايلون بان معرفة
وشكره لا يجبان الا بعد ورود الشرع احتجوا بانه تعالى حكى عن كل ما عذبهم الا بعد مجيء النذير ثم حكى عن اهل
النار انهم يقولون للخزنة لو كنا نسمع الانذار سماع من كان طالب الحق ونعقله عقل متامل متفكر ما كنا في اصحاب
السعير وانما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل احتج بالاية من فضل السمع على البصر
لانه تعالى جعل مناط الفوز السمع ولم يذكر البصر القايل بان الدين لا يتم الا بالتعليم احتج بانه قدم السمع على العقل
تنبيها على انه لا بد اولا من ارشاد المرشد وهداية الهادي واجيب بان سبب التقديم هو ان المكلف لا بد ان
يسمع قول الرسول ثم يتفكر فيه قال في الكشاف ومن بدع التفاسير المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على
مذهب اصحاب الراي ثم قال في ابطاله كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين لا ينافي توبيخ اهل النار
يوم القيمة انفسهم بانهم لم يكونوا على تلك الشيعة وكم من قصة قد اخبر الله لوقوعها من قبل ان تقع وهو احد انواع
اعجاز القران وايضا لا يلزم من كونهما ناجيين كون غيرهما من اهل الوعيد وايضا على هذا التفسير لو صح يلزم
كونهما من اهل النجاة قطعا فينضم الى المبشرين بافراد غير محصورة فضلا عن حادي عشر فيكون دعوى انحصار
المبشرين في العشرة مصادرة على المطلوب والفاء في قوله فاعترفوا للنتيجة اي فضح بعد الثبات السابقة
انهم اعترفوا بذنبهم قال مقاتل يعني تكذيبهم الرسل قال الفراء الذنب ههنا في معنى الجمع لان فيه معنى الفعل
كما يقال خرج عطاء الناس اي اعطيتهم ثم بين ان ذلك الاعتراف مما يقع فيه قايلا فسحقا اي فبعدا لهم عن
رحمة الله اعترفوا او جحدوا والتخفيف والتثقيل لغتان والمعنى اسحقهم الله سحقا قال ابو علي الفارسي
اسحاقا الا ان المصدر جاء على الحذف كقولهم عمرك الله ثم اتبع الوعيد الوعد قايلا ان الذين كفروا الاية و
قد مر مرارا ثم هدد على العموم فقال واسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فانزل الله تعالى الاية بيانا لجهلهم ثم استدل
على كمال علمه بنوع اخر قايلا الا يعلم من خلق ومحل من رفع اي الا يعلم من خلق مخلوقه وذلك ان خلق الشيء يتوقف
على معرفة تفاصيل كما به كيفياته وساير احواله لئلا يقع الترجيح من غير مرجح وهذه مقدمة جلية او نصب اي
الا يعلم الله من خلقه وجوز ان يكون من بمعنى ما ويكون اشارة الى سيرة الخلق ويجهرونه ويضمرونه في صدورهم
وهذا يقتضي ان يكون افعال العباد مخلوقة لله تعالى وقد يستدل بالوجهين الاولين ايضا على ذلك لان العبد
لو كان موجدا لافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها بناء على الاية لكنه غير عالم بتفاصيلها لانه لا يعرف مقادير
حركته وسكونه وكمية الجواهر الفردة الواقعة على مسافته بل لا يعرف الاسباب السابقة والغايات اللاحقة

بكلها ولا باكثرها في كل فعل من افعاله والكرني في الكشاف فان يكون قوله الا يعلم متروك المفعول على تقدير كون من
مرفوع المحل نحو فلان يعطي قال لان قوله وهو اللطيف الخبير حال لا يوقف بنفسه فلا فعال الا يعلم وهو ما لم ولكن لا يعلم
بكذا وهو عالم بكل شي قلت اما ان قوله وهو اللطيف الخبير واحدا حتى يلزم توقيت الشي بنفسه بل المعنى الا ينصف
الخالق بالعلم والحال ان علمه وصل الى بواطن الاشيا وخبايا الامور وذلك ان التعلق انه سبحانه يقول ايها
الكافرون اني عالم بسركم وجهركم فكونوا خايفين مني محترزين من عقابي فهذه الارض التي تمشون في مناكبها ويعتقدون
انها ابعد الاشياء عن الاضرار بكم انا الذي ذللتها لكم وان شئتم خسفت بكم اياها والذلول من كل شي النقاد
الذي يذل لك ومن ذلها انه ما جعلها خسفة يمتنع المشي عليها ولا صلبة بحيث لا يمكن حفرها والبنا عليها و
لا متحركة على الاستقامة او الاستدارة بل جعلها ساكنة في جو الهواء عند المركز قال جار الله المشي في مناكبها
مثل لفرط التذليل لان ملتقى المنكبين من الغارب ينبو عن ان يطاها الراكب بقدمه ويعتمد عليه واذا كان هذا
الموضع ذلولا فما ظنك بغيره وعن ابن عباس والضحاك وقتاده ان مناكب الارض جبالها واكامها واذا
كانت هذه الاماكن مع خشونتها وارتفاعها مذللة فغيرها اولى وقال الحسن ومجاهد والكلبي ومقاتل
وهو رواية عطاء عن ابن عباس واختيار الفراء وابن قتيبة مناكبها جوانبها وطرقها ومنكبا الرجل جانباه
فيكون كقوله والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وكلوا من رزقه الذي خلق لكم في الارض فلا
يخفى ان الامر بالمشي والاكل للاباحة قال واليه النشور يعني ينبغي ان يكون مشيكم في الارض واكلكم من رزق
الله مشي من يعلم واكل من يتيقن ان المصير الى الله والمراد التحذير من المعاصي سرا وجهارا ثم بين ان بقائهما
سالمين عن هذه الارض انما هو بفضل الله ولو شاء الله لخسف بهم الارض او امطر عليهم مطر القهر واستدلال
المشبهة بقوله في السماء ظاهر واهل السنة تاولوه بوجوه منها قول ابي مسلم ان العرب كانوا يقرون بوجود
الاله لكنهم يزعمون انه في السماء فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من يزعمون انه في السماء ومنها قول
جمع من المفسرين ءامنتم من في السماء ملكوته او سلطانه او قهره لان العادة جارية بنزول البلاء من السماء ومنها
قول اخرين ان المراد جبرئيل يخسف بهم الارض بامر الله والمور حركة في اضطراب وقد مر في الطور والحاصب ريح
فيها حصبا وقد مر ايضا ثم هدد واوعد قايلا فستعلمون كيف نذير قال عطاء والضحاك عن ابن عباس هو المنذر
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه حين لا ينفعكم وقيل معنى الانذار اي عاقبة انذاري
اياكم بالكتاب والرسول ثم مثل بحال الامم السالفة قال ابو مسلم النكير عذاب المنكر وقال الواحدي اي انكاري
وتغييري ثم برهن على الوحدانية وكمال القدرة بوجوه الاول اولم يروا الى الطير فوقهم صافات اي باسطات
اجنحتهن لانهن اذا بسطتها صففتهن قوادمها صفا قال اهل المعاني وانما قيل ان يقبضن دون قابضات
نحو على صافات لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في كل منهما مد الاطراف وبسطها والقبض
طارى على البسط لاجل الاعانة والمعنى انهن صافات ويكون منهن القبض في بعض الاوقات كما يكون من السابح
وانما قال في النحل ما يمسكهن الا الله وفي هذه السورة ما يمسكهن الا الرحمن لان التسخير في جو السماء محض
الالهية وذكر ههنا انها صافات وقابضات فكان الهامها كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق
الرحمن انه بكل شي بصير فيعلم او يرى كيف يدبر العجايب قالوا وفي الاية دليل على ان الافعال
الاختيارية للعبد مخلوقة لله تعالى لان استمساك الطير في الهواء فعل اختياري لها وقد اضافه الله تعالى الى نفسه
ثم ان الكفار يمتنعون من الايمان ولا يلتفتون الى دعوة الرسول وكان تعويلهم على امرين احدهما القوة من
جهة الاموال والاعوان والثاني الاستظهار بالاصنام والاوثان وكانوا يقولون انها توصل الينا جميع الخيرات
وتدفع عنا كل الافات وابطل الله الاول بقوله امن هذا الذي يعني امن يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم
من دون الرحمن ان ارسل عذابه عليكم ان الكافرون الا في غرور من الشيطان يغرهم ان العذاب
لا ينزل بهم ولو نزل اصنامهم وابطل الثاني امن يشار اليه بانه هذا الذي يرزقكم بزعمكم ان امسك
الله رزقه بامساك اسبابه من المطر وغيره هل يقدر على رزقكم بل لجوا في عتو تباعد عن الحق ونفور عنه بالطبع
والاول دليل فساد القوة العمليه والثاني اشارة الى فساد القوة النظريه ثم نبه على قبح هذين الوصفين قايلا
افمن يمشي مكبا قال الواحدي اكب مطاوع كب وانكر عليه صاحب الكشاف بان مطاوع هو انكب ومثله قشعت

الريح السحاب فانقشع واما الهمزة في كب واقشع فللصيرورة اي صار ذا كب وقشع او دخل فيهما ولا شيء
من بناء افعل مطاوعا ولا يخفى ان هذا نزاع لفظي اما المثل فقيل هو في حق راكب التعاسيف وفي الذي
يمشي على الصراط السوي وقيل هو الاعمى والبصير او العالم والجاهل وعن قتاده والكافر اكب على معاصي الله
فحشر يوم القيمة على وجهه والمؤمن كان على الدين الواضح فهداه للطريق السوي الى الجنه ومنهم من قال
هو في الشخصين فقال مقاتل ابو جهل والنبي صلى الله عليه وسلم وقال عطاء عن ابن عباس ابو جهل
وحمزة بن عبد المطلب وعن عكرمه ابو جهل وعمار بن ياسر والاصح التعميم وان كان سبب خاصا البرهان
الثاني ابتداء خلق الانسان وتبيين جوارحه وفي قوله قليلا ما تشكرون اشارة الى انه اعطاهم هذه القوى
الشريفة ولكنهم ضيعوها في غير ما خلقت لاجلها البرهان الثالث ذرءِ الناس وبثهم في الارض
ثم اشار الى المعاد بقوله واليه تحشرون لان القادر على البدا قادر على الاعادة وقد مر تفسير الاثنين
في سورة المؤمنون وحين امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخوفهم بعذاب الله حكى عن الكفار انهم
طلبوا تعيين الوقت قال ابو مسلم المراد وكانوا يقولون متى هذا الوعد يعني عذاب النار بعاد وثمود
وغيرهما بقوله بعد ذلك فلما راوه ومن حمل اللفظ على المستقبل وفسر الوعد بالقيمة كان قوله فلما راوه
من قبيل وسيق ونادى فاجابهم الله بقوله انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين اي العلم بوقوعه حاصل
عندي وهو كاف في الانذار والتحذير واما العلم بوقته فليس الا لله ولا حاجة في الانذار الى ذلك و
الضمير في راوه للوعد في الدنيا او في الاخرة والزلفة القرب قال الحسن اذا دعيانا لان ما قرب من الانسان
راه معاينه وقال في الكشاف انتصابها على الحال او الظرف اي راوه ذا زلفه او مكانا ذا زلفة قوله
سيئت قال ابن عباس اسودت وعلتها الكابة والغبرة في كوجه من يقاد الى القتل وقال الزجاج تبين فيها
السوء وهذا الفعل يستعمل لازما ومتعديا بمعنى القبح او التقبيح قوله وقيل هذا الذي الاكثرون على ان القايل
هم الزبانيه وقال اخرون بل يقول بعضهم لبعض ويدعون يفتعلون من الدعاء اي يتمنون ويستعجلون
به يؤيده قراءة من قرا بالتخفيف وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه يدعون انكم لا تبعثون او كنتم بطلانه
مدعين وقيل استفهام على سبيل الانكار والمعنى هذا ما ادعيتموني لا بل كنتم تدعون عدمه يروى ان كفار
مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ويتربصون بهم الدواير فامره
الله بنوعين من الجواب الاول قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي كما تتمنون فننقلب الى الجنة او رحمنا بالنصر
وامهال المدة كما نرجوا فمن يجير الكافرين من عذاب النار فنحن متربصون لاحدى الحسنيين وانتم فالكون
الهلاك الذي لا هلاك بعده او اهلكنا الله بالموت فمن يخلصكم من النار بعد موت هداتكم وان رحمنا بالامهال
والغلب عليكم فمن يخليكم من العذاب فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الاخرة بذنوبنا فنحن
مسلمون فاي خلاص ومناص للكافرين وان رحمنا لاجل الايمان فمن يرحم الكافرين ولا ايمان لهم النوع الثاني
في الجواب قل هو الرحمن امنا به ولم نكفر كما كفرتم عليه خاصه توكلنا لا على غيره وفيه تعريض بالكفرة انهم متكلون
على الرجال والاموال واذا كانت حالنا هكذا فكيف يقبل الله دعاءكم علينا ثم اشار الى وجوب الاعتماد عليه
في كل حال مع انه برهان اخر على كمال قدرته ووحدانيته فقال قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غايرا مصدر
بمعنى الفاعل للمبالغة من الكلبي لا ينالها الدلاء والمعين الجاري على وجه الارض وقد ذكرنا الخلاف في اشتقاقه
في الصافات يحكى ان بعض المحرمين على الله قرئت الاية عنده فقال ياتينا به العوس والمعاول فنزل الماء في
عينه وهذا من الاعجاز وقال الضعيف مؤلف الكتاب وحكم القريحة كذلك فان فتح الباب العويصات لا يتيسر
الا بلغنا انه رب الارض والسموات

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم وما يسطرون ۝ ما انت بنعمت ربك بمجنون
وان لك لاجرا غير ممنون ۝ وانك لعلى خلق عظيم ۝ فستبصر
ويبصرون ۝ بايكم المفتون ۝ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝ فلا تطع المكذبين ۝ ودوا
لو تدهن فيدهنون ۝ ولا تطع كل حلاف مهين ۝ هماز
مشاء بنميم ۝ مناع للخير معتد اثيم ۝ عتل بعد ذلك زنيم
ان كان ذا مال وبنين ۝ اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين ۝ سنسمه على الخرطوم ۝ انا بلوناهم كما بلونا اصحاب
الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ۝ ولا يستثنون ۝ فطاف عليها
طائف من ربك وهم نائمون ۝ فاصبحت كالصريم ۝ فتنادوا
مصبحين ۝ ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ۝ فانطلقوا
وهم يتخافتون ۝ ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ۝ وغدوا
على حرد قادرين ۝ فلما راوها قالوا انا لضالون ۝ بل نحن
محرومون ۝ قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون ۝ قالوا
سبحان ربنا انا كنا طاغين ۝ عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها
انا الى ربنا راغبون ۝ كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر
لو كانوا يعلمون ۝ ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ۝ افنجعل
المسلمين كالمجرمين ۝ ما لكم كيف تحكمون ۝ ام لكم

كتاب فيه تدرسون ۝ ان لكم فيه لما تخيرون ۝ ام لكم ايمان
علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون ۝ سلهم ايهم بذلك
زعيم ۝ ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ۝
يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ۝ خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم
سالمون ۝ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ۝ واملي لهم ان كيدي متين ۝ ام تسئلهم
اجرا فهم من مغرم مثقلون ۝ ام عندهم الغيب فهم يكتبون ۝
فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو
مكظوم ۝ لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم ۝ فاجتبه ربه فجعله من الصالحين ۝ وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون
انه لمجنون ۝ وما هو الا ذكر للعالمين ۝

القراءة نون والقلم يظهر يزيد وابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وابن كثير ونافع وعاصم غير يحيى وحماد وابن
غالب وهو الاصل للوقف ووجه الاخفاء بنية الوصف ان كان بهمزتين حمزة وابو بكر وحماد ان كان بقلب الثانية
الفا ابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون بهمزة واحدة يبدلنا بالتشديد ابو جعفر ونافع وابو عمرو لما تخيرون بتشديد
التاء البزي وابن فليح ليزلقونك بفتح الياء ابو جعفر ونافع الاخرون بالضم من الازلاق **الوقوف** يسطرون لان ما بعده
جواب القسم لمجنون لان ما بعده يصلح مستانفا وعطفا على جواب القسم ممنون لذلك عظيم ويبصرون لان ما بعده
مفعول المفتون سبيله لاتفاق الجملتين بالمهتدين المكذبين فيدهنون مهين بنميم اثيم زنيم لمن قرا ان كان
ستغنها وبنين ومن قرا ان مقصورا وقف على بنين دون زنيم الاولين الخرطوم الجنة لاحتمال ان يكون اذ ظرفا لبلونا
وان يكون مفعول اذكر محذوفا مصبحين ولا يستثنون نائمون كالصريم مصبحين لتعلق ان المفسرة صارمين
يتخافتون مسكين قادرين لضالون لعطف بل واتحاد المقول محرومون تسبحون ظالمين يتلاومون طاغين
راغبون العذاب اكبر يعلمون النعيم كالمجرمين ما لكم وقفة لطيفة لاستفهام اخر تحكمون تدرسون لان ما بعده
مفعول تدرسون وانما كسرت ان لدخول اللام في خبرها تخيرون لان ام معادل الاستفهام او بمعنى الالف الاستفهام
القسم لان جواب الايمان يحكمون زعيم لما مر في تخيرون شركاء للابتداء بامر التعجيز مع الفاء صادقين فلا يستطيعون
لان ما بعده حال ذله سالمون بهذا الحديث لا يعلمون للعطف لهم مبين مثقلون يكتبون الحوت بناء على ان اذ

منقول اذ كر مكظوم مذموم الصالحين لمجنون لبلائهم ان ماصدع بقول الكفار العالمين القشيري الاقوال المنزلة في
فواتح هذه السور مذكورة اما المخصوصة بالمقام فعن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدى ان النون السمكة التي
بالحوت الذي يحوي على ظهر الارض وهو في بحر تحت الارض السفلى وبالحوت الذي احتبس يونس في بطنه وبالحوت لكنه
لظهرهم منزود بدم اقوال وعن ابن عباس في رواية الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة وقال شعر
اذا ما الشوق برح بي اليهم ❊ الفت النون بالدمع السجوم ❊ فيكون الدواة والقلم لعظم النفع بهما فان التفاهم يحصل
بالكتابة كما يحصل بالعبارة وعن بعض الثقات هو اصحاب البحر يستخرجون من بعض الحيتان شيئا اسود كالنقس واشد
سواد منه يكتبون به فيكون وهو الحوت عبارة عن الدواة ويعضده ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول شي
خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال اكتب ما هو كاين من عمل او اثر او رزق او اجل فكتب ما هو كاين وما كان
الى يوم القيمة ثم ختم على القلم فلم ينطق الى يوم القيمة ثم ختم على فم معاوية بن قرة مرفوعا ان النون لوح من نور تكتب الملائكة
فيه ما يامرهم الله به وقيل نهر في الجنة اعترض المحققون على هذه الاقوال بانها ان كانت اللفظة اسما للجنس فالتنوين
وكذا ان كان علما ... كان مجرورا غير منصرف ... الفتح لتقدير حرف القسم وقيل نون اخر حروف من حروف الرحمن فانه
يجمع من الرحيم وهذا الاسم الخاص اما القلم فالاكثرون على انه الجنس ليكون قسما بكل قلم يكتب به في السماء وفي الارض
وقال الآخرون هو القلم المعهود الذي جاء في الخبر ان اول ما خلق الله القلم الحديث كما مر وقال القاضي ان القلم الكتابة
غير معقول لانه جماد ولكنه تمثيل يفهم منه المكلف ان الناس يجرون على امر قد فرغ منه ومن الناس من زعم ان القلم
بالعقل الذي جاء في الخبر اول ما خلق الله العقل ويحقيقة الذي ورد في اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين
الهيبة فذابت وسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض كلها ...
قدير تفصيل هذه المعاني في الكتاب ... وما يسطرون ما هو موصولة او مصدرية والضمير لكل من
يسطر او للحفظة وقيل ... واصحاب القلم بحذف المضاف ... قال الزجاج ... قوله ما انت بنعمة ربك كلام
وقع في البين والمعنى انتفى عنك الجنون بواسطة انعام ربك عليك ... انت بنعمة الله عاقلا كما تقول انت
عاقل بحمد الله اى ثبت لك العقل حال كونك متلبسا بالحمد ... وعطاء وابن عباس يريد
بنعمة ربك عليك بالايمان والنبوة وسائر الاخلاق الفاضلة وفيه اشارة الى ان نعم الله ... كانت ظاهرة وفيه
من الفصاحة وكمال العقل والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم ظاهرة فوجودها ينافى حصول الجنون فلا
العدى ضرب من الهذيان وان لك على احتمال اعباء النبوة ومشاق تبليغ الرسالة لاجرا غير ممنون قال الاكثرون اى
غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ وعن مجاهد ومقاتل والكلبي انه غير مكدر عليك بسبب المنة فطالت المعنى
في تقرير هذا الوجه انما لم يمن لانه ثواب يستوجبه على عمله وليس بتفضل ابتدا وضعف بانه يلزم منه التكرار
لان الاجر عندهم ينبئ عن كونه غير ممنون والحاصل انه لا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الخطب
الجسيم وهو دعا الخلق الى الدين القويم وان لك بسببه ثوابا عظيما وانك لعلى خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية
تقتدر بها على الاتيان بالفعل الجميل بسهولة فاذا وصفه مع ذلك بالعظم وهو كونه على الوجه الاعظم
جمل والنهج الافضل لم يكن خلق احسن منه وفيه اشارة الى نفي الجنون عنه ودلالة على تكذيب الجهاد لان المجنون
لاخلق له محمدا وعليه يعتمد والنبي صلى الله عليه وسلم كان من حسن الخلق المنشا بحيث كان يجمع اخلاق سائر
الانبياء وكان يوجد فيه ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله فبهداهم اقتده اى اقتد بكل منهم فيما اختص به
من الخلق الكريم وفي قوله لعلى اشارة الى انه مستول على عورات الاخلاق الفاضلة لا انزعه عنها وازع قال سعيد
بن هشام قلت لعايشة اخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن وفي رواية فقرأت
قد افلح المؤمنون وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله ما دعا
احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك وقال انس خدمت رسول الله صلعم عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته
ولا في شيء لم افعله هلا فعلت ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم وهدد اعداءه بقوله فستبصر يا محمد ما قدر لك من
عز الدارين ويبصرون في الدنيا بالقتل والسبي كما في بدر وفي الآخرة قوله بايكم المفتون قال الاخفش وابو عبيد
وابن قتيبة الباء صلة والمعنى ايكم المفتون وهو الذي فتن بالجنون وقال الفراء والمبرد وهو قول الحسن والضحاك
عن ابن عباس المفتون مصدر بمعنى الجنون كالمعقول والمجلود وقيل الباء بمعنى في وعلى هذا يجوز ان يكون المفتون

لان الشيطان

بمعنى المجنون اى في اى الفريقين من يستحق هذا الاسم او في ايهما الشيطان مفتون في دينه وكانت العرب تزعم انه تخبل
الجن فقال تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل وفيه تعريض بابي جهل بن
هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما ثم احال كيفية الحال الى كمال علمه فقال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اى لمن جن
وهو اعلم بالمهتدين وهم العقلاء والاظهر ان يراد الضلال والاهتداء في الدين وفيه وعيد ووعد قال المفسرون ان
المشركين ارادوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يعبدوا الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عن غوايلهم فانزل الله تعالى فلا تطع
المكذبين وهو كالنتيجة لما تقدمه لانه سبحانه حين وعده ابصار العزة في الدارين واوعد اعداءه بضد ذلك وكان
علمه شاملا لحال الفريقين وخزيهما لم يبق لطاعة الاعداء وجه ثم ذكر بعض منهم فقال ودوا لو تدهن فيلين وتصانع فيدهنون
اى فهم يدهنون حينئذ لان النفاق او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك قال المبرد ادهن الرجل
في دينه وداهن في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما يضمر ثم خص النهي قايلا ولا تطع كل حلاف مهين لان من كثر
الحلف بالله ولم يعرف قدر المعبود بالحق ادله الله وفيه اشارة الى ان عزة النفس منوطة بتصحيح نسبة العبودية
ومهانة النفس مربوطة بالغفلة عن سر الربوبية وايضا الحلاف سيقوله الكذب كثيرا والكذاب حقير عند الناس والهماز
الذي يذكر الناس بالمكروه وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم اى لاجل سعاية والنميم مصدر ثم نميم
مناع للخير اى للمال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع فكانه قال مناع من الخير معتد
مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثم عتل غليظ في الخلقة خان في الخلقة والزنيم الدعي ومعنى بعد ذلك البعيد في الرتبة
اى مع الاوصاف المعدودة له هذا الوصف الذي هو اسمها لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث جميع اخلاق الولد
ولهذا روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده واصل الزنيم من الزنمة وهي
الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله عن ابن عباس في رواية انها نزلت في
الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وله عشر بنين يقول لهم من اسلم منكم منعته رفدي وفي رواية اخرى ابو جهل
وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة وقيل كان
الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده ويقال لعل امه ولم يعرف حتى نزلت الاية
وقوله ان كان بهمزة واحدة تقديره لان كان اى لا تطعه مع هذا الثالث لكثرة ماله واولاده ومن قرا بهمزتين فمعناه
ألان كان ذا مال كذب فمتعلق الجار مدلول قوله اذا تتلى عليه آياتنا قال وذلك ان قال لا يصلح ان يعمل فيه لان ما بعد
الشرط لا يعمل فيما قبله ولا قوله تتلى لانه مضاف اليه لا يعمل فيما قبله سنسمه على الخرطوم اى الانف وفيه استخفاف به من
جهة الوسم ومن جهة التعبير عن انف الادمي بالخرطوم الذي هو انف الحيوانات المنكرة كالخنزير والفيل كما لو عبر عن
شفاه الناس بالمشافر وعن ايديهم وارجلهم بالاظلاف والحوافر ثم الانف اكرم موضع من الوجه ولهذا قيل الجمال في الانف
وله المقدم ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فالوسم
في الانف اهانة ومعنى هذا الوسم منهم من قال في الدنيا فعن ابن عباس خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على انه خرطومه و
عن النضر بن شميل الخرطوم الخمر اى سنجده على شربها وسمي الخمر خرطوما كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او
لانها تطير في الخياشيم ويوثر فيها ومنهم من قال في الآخرة نعلمه بعلامة سوداء نبين بها عن ساير الكفرة كما انه في الدنيا كان
غالبا في عداوة الرسول والطعن في الدين الحق ويحتمل ان يعبر عن سواد الوجه كله بسواد الخرطوم ومنهم من قال في الدارين
اى نشينه بهذا الشين وهي انه خلاف العادة فلا يخفى كما لا يخفى السمة على الخرطوم ولا شك ان هذه الاوصاف الذميمة
ونتيجتها بقيت في حق الوليد بن المغيرة في الدنيا والآخرة كالوسم على الانف والوسم على الجبهة ثم بين انه انما اعطى رؤساء
مكة مالا وولدا ليواظبوا على شكر نعم الله تعالى والا صب عليهم بدل الالاء البلاء ومكان السراء الضراء وهذه صورة الابتلاء
كما انه كلف اصحاب الجنة ذات الثمار ان يشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم يروى ان واحدا من ثقيف وكان مسلما كان يملك
ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء وكان يجعل منها نصيبا وافرا للفقراء فلما مات ورثها منه بنوه فقالوا عيالنا كثير والمال
قليل فلو فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها اى ليقطعن ثمر نخيلها في وقت الصباح ولا يستثنون
لا يقولون ان شاء الله واصله من الثني وهو الرد كان الحالف يرد انعقاد اليمين بالثنا ولعلهم انما لم يقولوا ان شاء الله
لوثوقهم بالتمكن من صرافها هذا قول الاكثرين وزعم آخرون ان المراد يصرمون كل ذلك ولا يستثنون للمساكين من جملته
ذلك القدر الذي كان يدفع ابوهم اليهم فطاف عليها عذاب طائف من حكم ربك او بعض من عذاب ربك والطايفة لا يكون

الابلاء قال الكلبي ارسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون فاصبحت الجنة كالصريم فقيل بمعنى فاعل او بمعنى
مفعول والاول قول من قال انها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم وسمي الليل صريما لانه يصرم نور البصر ويقطعه او لا
يقطع بظلمته عن التصرف وقيل النهار يسمى ايضا صريما لان كل واحد من الملوين ينصرم بالاخر فالصريم بمعنى الصارم ووجه
التشبيه انها يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا افرغه والثاني وهو الاولى قول من قال انها
لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر وان كان اثر الاحتراق معاير الاثر الصرم وقال الحسن اي صرم عنها الخير
وقيل الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال وجمعه الصرائم شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة
المنقطعة عن الرمال وهي لا تنبت شيئا ينتفع به قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم وعنوا بالحرث الزروع
والثمار والاعناب ولذلك قالوا صارمين لانهم ارادوا قطع الثمار من هذه الاشجار وضمن الغدو معنى الاقبال فلهذا عدي
بعلى اي اقبلوا على حرثكم باكرين او عن غير الغدو لاجل الصرم بالغدو واعليه كما يقال غدا عليهم العدو ويتخافتون يتشاورون
فيما بينهم والنهي عن الدخول للمسكين نهي لاصحاب الجنة عن تمكين المسكين كانهم قالوا فيما بينهم لا يمكنوه من الدخول قوله و
غدوا على حرد وهو المنع ومنه حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها اي قادرين على منع المسكين
لا عن غيره يعني انهم عزموا على حرمان المسكين مع كونهم قادرين على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب ثمر لا يقدرون فيها الا على
النكد والمنع وفيه انهم طلبوا حرمان الفقراء فعوقبوا بنقيض مقصودهم فتعجلوا الحرمان والمسكنة ويجوز ان يكون
المحاردة للجنة اي غدوا حاصلين على منع الجنة خيرها لا على اصابة النفع منها ويجوز ان لا يكون قوله على حرد صلة
قادرين ولكن الكلام يعود الى قوله ان اغدوا على حرثكم اي عاقبهم الله بان حاردت جنتهم فلم يغدوا على حرث وانما
غدوا على حرد وقوله قادرين يكون من باب عكس الكلام للتهكم قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين
وقيل الحرد بالتسكين وبالتحريك وهو الاكثر بمعنى الغضب اي لم يقدروا الا على غضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون
وقيل الحرد القصد والسرعة قطا حراد اي سراع يعني وغدوا على حاله سرعة ونشاط قادرين عند انفسهم على صرامها
ومنع خيرها من المساكين وقيل حرد علم للجنة بعينها والمعنى كما تقدم الان قوله انا لضالون يحتمل ان يراد
الضلال عن الطريق كانهم لما راوا جنتهم محترقة سبق الى ذهنهم انها ليست هي وانهم ضلوا الطريق فلما تاملوا وعرفوا
انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها بشوم عزمنا على البخل ومنع المساكين ويحتمل ان يراد الضلال عن الدين لان
منع حق الله نوع من الضلال ومعنى بل انهم اعتقدوا كونهم قادرين على الانتفاع بها ومنع الغير منها فقالوا بل الامر انقلب
علينا فصرنا نحن المحرومون قال اوسطهم اي اعدلهم وخيرهم كما مر في قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون
قال الاكثرون معنى التسبيح ههنا الاستثناء لانه تعالى نعتهم بقوله ولا يستثنون والاستثناء نوع من التنزيه لانه لو دخل
في الوجود شيء على خلاف مشيته كان نقصانا في كمال القدرة وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتكاسلون فيها والا لنهتهم
عن الفحشاء والمنكر وقال اخرون ان اوسطهم كان يقول لهم عند عزمهم على منع حقوق الفقراء لولا يذكرون الله ويتوبون
اليه من هذه العزمة الخبيثة فلم يلتفتوا الى قوله الا بعد خراب البصرة قائلين سبحان ربنا عن ان يجري في ملكه شيء على خلاف
مشيته وقالت المعتزلة سبحان الله عن الظلم وعن كل قبيح انا كنا ظالمين بمنع المعروف وترك الاستثناء ومعنى يتلاومون
يلوم بعضهم بعضا يقول واحد لغيره انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول الاخر انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث انت
الذي رغبتني في جمع المال ثم قالوا جميعا يا ويلنا انا كنا طاغين اعترافا بالذنب ثم فوقوا رجاءهم قائلين عسى ربنا الاية سئل
قتادة عنهم اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا كانه يتوقف في المسئلة وعن مجاهد ان هذه كانت توبة
منهم فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها
الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا ثم هدد المكلفين بقوله كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا
به اهل مكة من القحط والقتل وبلونا اصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اشد واعظم ثم مزج وعيد
الاشقياء بوعد السعداء قائلا ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه منغص
كجنان الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد ان يفضلنا
عليكم في الاخرة لا اقل من المساواة فنفى الله معتقدهم بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين قال القاضي فيه دليل
واضح على ان وصفي المسلم والمجرم متنافيان فلا يكون الفاسق مسلما واجيب بانه تعالى لم ينف التماثل من كل الوجوه
لتماثلهما في الوجوه والجسمية وسائر الاوصاف التي لا تكاد تنحصر فاذن المراد نفي التسوية في اثر الاسلام والاجرام

ولا نزاع في ذلك فان اثر الاجرام وعيد او يكون ثواب المسلم غير المجرم اكثر من ثواب المسلم المجرم في الاية يحتمل ان يراد به الكافر
الذي ضرب مثل اهل الجنة وفي امثاله نظير الاية ام نجعل المتقين كالفجار وقد مر في ص ثم قال لهم على طريقة الالتفات
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم المعوج وتخير الشيء واختاره اذا اخذ خيره ام لكم ايمان علينا يقال لفلان علي يمين بكذا اذا
ضمنته منه وحلفت له على الوفاية ومعنى بالغة موكدة مغلظة وقوله الى يوم القيمة متعلق بالظرف وهو علينا اي
هي ثابتة علينا الى يوم القيمة ويجوز ان يتعلق ببالغة اي هذه الايمان في قوتها وكمالها بحيث تنتهي الى يوم القيمة
لم يبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه وهو قوله ان لكم لما تحكمون ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم او لكل من
يتاهل للخطاب سلهم ايهم بذلك الحكم زعيم اي كفيل بالاستدلال على صحته ام لهم ناس شركاء في هذا القول والمراد من
الايات انه ليس لهم دليل عقلي في اثبات مذهبهم ولا نقلي في كتاب يدرسون ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم
به ولا لهم من يوافقهم من العقلاء فدل ذلك على انه باطل من كل الوجوه وقوله يوم يكشف قيل منصوب بقوله فليأتوا اي ان كانوا
صادقين في انها شركاء فليأتوا بها يوم القيمة لتنفعهم ولتشفع لهم وقيل باضمار اذكر وقيل التقدير يوم يكشف عن ساق
كان كيت وكيت احتجت المشبهة بالاية على ان الله تعالى ساقا وايدوه بما روي عن ابن مسعود مرفوعا انه تعالى يتمثل
للخلق يوم القيمة ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون اذا عرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يكشف الرحمن عن ساق فاما
المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فيكون ظهورهم كالطبق الواحد وذلك قوله ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
حال كونهم خاشعة ابصارهم يعني يلحقهم ذل بسبب انهم لم يكونوا مواظبين على خدمة مولاهم في حال السلامة ووجود
الاصلاب والمفاصل على هيئاتها المواتية للركوع والسجود وقال اهل السنة الدليل الدال على انه تعالى منزه عن الجسمية و
عن كل صفات الحدوث وسمات الامكان دل على ان الساق لم يرد بها الجارحة فاولوه بانه عبارة عن شدة الامر وعظم
الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن ومثله قامت الحرب على ساق ومعناه يوم تشتد الامر
ويتفاقم هوله قال في الكشاف ثم كان من حق الساق ان يعرف على ما ذهب اليه المشبهة لانها ساق مخصوصة معهودة
عنده وهي ساق الرحمن وانما جاء منكرا في التمثيل للدلالة على انه امر فظيع هائل قلت الانصاف ان هذا لا يرد على
المشبهة فان له ان يقول انما نكر الساق لاجل التعظيم اي ساق لا يكتنه كنه عظمتها كما يقول خصمه وقال ابو سعيد الضرير
ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان فمعنى الاية يوم تظهر حقائق الاشياء واصولها وقيل يكشف
عن ساق جهنم او عن ساق العرش بهين وقال ابو مسلم هذا في الدنيا لانه تعالى قال في وصف ذلك اليوم ويدعون الى السجود
ولا ريب ان يوم القيمة ليس فيه تعبد وتكليف بل المراد زمان الهرم والعجز او اخر ايام دنياه فانه في وقت النزع يرى الناس
يدعون الى الصلوة بالجماعة اذا حضرت اوقاتها وهو لا يستطيع الصلوة لانه الوقت الذي لا ينفع نفسا ايمانها والتحقيق
ان الذي ذكره يحتمل الا ان في تعليله ضعفا فانا نوافقه ان يوم القيمة ليس وقت تعبد وتكليف ولكن لا مانع من الدعاء
الى السجود للتوبيخ والتفضيح على رؤوس الاشهاد وقال الجبائي لما خص عدم الاستطاعة بالاستطاعة دل ذلك
على انهم في الدنيا كانوا يستطيعون فيبطل بهذا قول من قال لا قدرة له على الايمان وان القدرة على الايمان لا
يحصل الا حال وجود الايمان واجيب بان علم الله انه لا يؤمن مناف لوجود الايمان والجمع بين المتنافيين محال فالاستطاعة
في الدنيا ايضا غير حاصلة على قول الجبائي والجواب الصحيح عندي ان عدم الاستطاعة في الاخرة لمانع فقدان
السجود وهي لين المفاصل ومطاوعة الاعصاب وسلامة الفقرات ثم خوفهم بنوع اخر قائلا فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم كانه قال حسبي مجازيا لمن يكذب القران فلا تشغل قلبك بشانه و
قوله سنستدرجهم الى قوله متين قد مر في اخر الاعراف وقوله ام تسئلهم الى يكتبون قد مر في الطور ثم امر نبيه صلعم
بالصبر ونهاه عن الضجر في امر التبليغ كحال يونس عليه السلام وقد تقدم مرارا قال بعض العلماء العامل في اذ معنى قوله
كصاحب الحوت وذلك انه كان في ذلك الوقت مكظوما اي مملوا من الغيظ فكانه قيل لا تكن مكظوما ولا يوجد منك
ما وجد منه من الضجر والمغاضبة قال الجمع من المفسرين ان الاية نزلت باحد حين حل بالمؤمنين ما حل فاراد ان
يدعو على من انهزم وقيل نزلت حين اراد ان يدعو على ثقيف والنعمة التي تداركت يونس اي لحقت به وسد خلله
هي النبوة او عبادة سابقة او قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهذه نعمة التوبة
بالحقيقة وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم والمعنى ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ
بالعراء اي الفضاء كما مر في الصافات ولولا تسبيحه لكانت حاله على الذم وقيل اراد لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت

الى يوم القيمة ثم بين بالقراءة يوم القيمة اى بعرضتها مذموما فاجتباه ربه لقبول التوبة فجعله من الصالحين اى الانبياء وعن
ابن عباس رد الله اليه الوحى وشفعه فى نفسه وقومه ثم اخبر نبيه صلعم عن حسد قومه وحرصهم على ايقاع المكروه به
بعد ان صبر وشجعه فقال وان يكاد هى مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها وزلق وازلق بمعنى يقال زلق الراس وازلقه
اى حلقه قال جار الله يعنى انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلقون قدمك او
يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى او يكاد ياكلنى اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله ثم بين بقوله لما سمعوا الذكر
ان هذا النظر كان يشتد منهم فى حال قراءة النبى صلعم القرآن حسدا على ما اوتى من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة فى امره و
تنفيرا عنه مع علمهم بانه اعقلهم ثم قال تعالى وما هو الا القرآن الا ذكر وموعظة للعالمين وفيه استجهال لمن يحيق خاء
بمثله من الاداب والحكم واصول كل من العلوم والمعارف واعلم ان للعقلاء خلافا فى ان الاصابة بالعين هل لها فى الجملة حقيقة
ام لا وبتقدير كونها حقة فهل الاية مفسرة لها ام لا اما المقام الاول فقد شرحنا فى البقرة فى قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين
وفى يوسف فى قوله يا بنى لا تدخلوا من باب واحد والذى نقوله هٰهنا ان منهم من انكر بناء على تاثير الجسم فى الجسم لا يعقل الا بواسطة
المماسة وهو ضعيف لان النفوس والامزجة لها تاثيرات خاصة ويروى انه صلعم قال العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر
واما المقام واما المقام الثانى فقد قال بعض المفسرين وكانت العين فى بنى اسد وكان الرجل منهم يجوع ويراض ثلاثة ايام
فلا يمر به شئ فيقول فيه ام ار كاليوم مثله الا عابه فالتمس الكفار من بعض من كانت له هذه الصفة ان يقول فى رسول الله ذلك
فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وطعن الجبائى فى هذا التاويل وقال الاصابة بالعين مفسرة باستحسان الشئ والقوم كانوا
يمقتون النبى صلى الله عليه وسلم واجيب بانهم كانوا يبغضون من حيث الدين الا انهم كانوا يستحسنون فصاحته بايرادها
الاعاجيب من الحجج والبينات وانواع المعجزات وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الاية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة ۝ وما ادريك ما الحاقة ۝ كذبت ثمود وعاد بالقارعة
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية ۝ واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى
كانهم اعجاز نخل خاوية ۝ فهل ترى لهم من باقية ۝ وجاء فرعون
ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة ۝ فعصوا رسول ربهم فاخذهم
اخذة رابية ۝ انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية ۝ لنجعلها لكم
تذكرة وتعيها اذن واعية ۝ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ۝ وحملت
الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ۝ فيومئذ وقعت الواقعة ۝
وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ۝ والملك على ارجائها ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية ۝ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ۝
فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه ۝ انى ظننت
انى ملاق حسابيه ۝ فهو فى عيشة راضية ۝ فى جنة عالية ۝ قطوفها دانية
كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية ۝ واما من اوتى كتابه
بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ۝ ولم ادر ما حسابيه ۝ يا ليتها كانت
القاضية ۝ ما اغنى عنى ماليه ۝ هلك عنى سلطانيه ۝ خذوه فغلوه
ثم الجحيم صلوه ۝ ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ۝ انه
كان لا يؤمن بالله العظيم ۝ ولا يحض على طعام المسكين ۝ فليس له اليوم
ههنا حميم ۝ ولا طعام الا من غسلين ۝ لا ياكله الا الخاطؤن ۝ فلا اقسم
بما تبصرون ۝ وما لا تبصرون ۝ انه لقول رسول كريم ۝ وما هو بقول
شاعر قليلا ما تؤمنون ۝ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ۝
تنزيل من رب العالمين ۝ ولو تقول علينا بعض الاقاويل ۝ لاخذنا منه
باليمين ۝ ثم لقطعنا منه الوتين ۝ فما منكم من احد عنه حاجزين ۝
وانه لتذكرة للمتقين ۝ وانا لنعلم ان منكم مكذبين ۝ وانه
لحسرة على الكافرين ۝ وانه لحق اليقين ۝ فسبح باسم ربك العظيم ۝

القراءة ادريك بالامالة حيث كان حمزة وعلى وخلف والخزاز عن هبيرة وابو عمرو والبخارى عن ورش
وابن مجاهد والنقاش وابن ذكوان فهل يرى كما فى الملك ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء ابو عمرو وسهل ويعقوب
الاخرون بفتح القاف وسكون الباء ويحيها بسكون العين تشبيها بحذف القاف من حلف وحمزة وخلف لنفسه
والهاشمى عن قنبل والخزاعى عن ابن فليح وابو ربيعة عن اصحابه فهى يومئذ بالادغام شجاع وابو شعيب لا يخفى عن
التذكير حمزة وعلى وخلف كتابى وحسابى بغير هاء السكت فى الوصل سهل ويعقوب مالى وسلطانى بدون الهاء فى
حمزة وسهل ويعقوب يؤمنون ويذكرون على الغيبة ابن كثير وسهل ويعقوب وابن عامر **الوقوف** الحاقة لا لان
ما بعدها خبرها ما الحاقة لاحتمال الحاقة بالقارعة بالطاغية عاتية ايام لان نحو ما صفة الثمانية صرعى
لان ما بعد الحال والاستيناف الواو بعد الحال والاستيناف صفة خاوية للاستفهام مع الفاء باقية بالخاطئة
رابية واحدة واحدة الواقعة للعطف واهية لذلك ارجائها لاختلاف النظم ثمانية خافية كتابيه

مات
حابيه راضيه عاليه دانيه الخاليه كتابيه حسابيه القاضيه ماليه كلها جايزات تفضيلا بين الندا
مع اتحاد المقولات سلطانيه فغلوه للعطف صلوه لذلك فاسلكوه العظيم المسكين حميم غسلين الخاطئون
تبصرون وما لا تبصرون كريم شاعر يؤمنون كاهن تذكرون اى هو تنزيل العالمين باليمين الوتين فى
الوصل اجوز لدخول الفاء واتحاد الكل الحاجزين للمتقين مكذبين الكافرين اليقين العظيم القسير
الحاقة هى لا اتفاق الا انهم اختلفوا فى سبب التسميه فقال ابو مسلم هى الفاعله من حقت كلمه ربك اى الساعه الواجبه
الوقوع التى لا ريب فى مجيئها وقريب منه قول الليث انها النار التى حقت فلا كاذبة لها وقيل انها التى يحق فيها الامور اى
تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل هى التى يوجد فيها حوا
الامور وهى الواجبه الحصول من الثواب والعقاب وغيرهما من احوال القيمة وهذا الوجه والذى يقدمه يشتركان
فى الاسناد المجازى الا ان الفاعل فى الاول بمعنى المفعول وفى الثانى على اصله وقريب منه الزجاج انها يحق ان يكون
فيه جميع اثار اعمال المكلفين ويخرج عن حد الانتظار وقال الازهرى سميت بذلك لانها يحق كل محاق فى دين الله بالباطل
اى يخاصم كل مخاصم وتغلبه واورد فى التفسير الكبير وجوها اخر الى مقام العشرة وهى فى التحقيق مكدر فلذلك حذفناها
قوله ما الحاقة مبتدا وخبر والمجموع خبر الحاقة والاصل ما هى بمعنى اى شى هى وفى هذا الاستفهام تهويل وتفخيم لشانها وفى وضع
الظاهر موضع الضمير تهويل فوق تهويل وفى قوله وما ادريك ما الحاقة مبالغه اخرى والمعنى اى شى اعلمك ما الحاقة وفيه
ان مدى عظمها بحيث لا يبلغه وصف واصف ولا نعت مخبر قال جار الله ما يعنى فى ما فى الحاقة الثانيه فى موضع الرفع
على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام قلت ولولا ذلك لنصب الجزءين على انها مفعول ثان وثالث
كقولك اعلمتك زيدا فاضلا وحين ذكر الحاقة على ابلغ وجوه التفخيم ابتعها ذكر من كذب وما حل بهم بسبب التكذيب تخويفا
لاهل مكة فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة والاصل بها اى الحاقة الا انه وضع القارعة موضع الضمير ليدل بذلك على معنى
القرع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها ولا ريب انها تقرع الناس بالافزاع والاهوال السماء بالانشقاق والارض بالدك
والنجوم بالطمس الى غير ذلك وكان عادة القران جاريه بتقديم قصة عاد على ثمود الا انه قلب ههنا الا قصة ثمود تنبيها على
غاية الاختصار ومن عادتهم تقديم ما هو احضر قوله بالطاغيه اى بالواقعة المجاوزة للحدود وهى الرجفة او الصاعقة او
الصيحة وقيل الطاغيه مصدر اى بسبب طغيانهم واعترض بانه لا يطابق قصة عاد فاهلكوا بريح ويمكن ان يجاب بان
السبب الفاعلية والسبب الاولى كلاهما يشتركان فى مطلق السببيه وهذا القدر من المناسبة كان فى الطباق
وعلى هذا القول يحتمل ان يكون الطاغية صفة موصوف محذوف اى بشؤم الفرقة الطاغية التى تواطات على عقر
الناقة ويجوز ان يراد بها عاقر الناقة وحده والتاء للمبالغة كالراوية والصرصر الشديد الصوت او الكثيرة البرد
لقياد
وسميت عاتية لشدة عصوفها قال جار الله العتو استعارة قلب لانه مستعمل فى مجاوزة الانسان حد الطاعة والا
وقال عطا عن ابن عباس يريد ان الريح عتت على خزنتها من الريح الا بمكيال ولا قطرة فى مطر الا بمكيال الا يوم نوح ويوم عاد
فان الماء يوم نوح طغى على الخزان والريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل وقيل العاتيه من عتا ء البيت اى
بلغ منتهاه وجف به قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اى ريح بالغه منتهاها فى الشدة والقوة سخرها اى سلطها بدليل
قوله عليهم وقال الزجاج اقامها وقيل ارسلها قوله حسوما اجمع حاسم كشهود والتركيب يدور على القطع والاستيصال
ومنه الحسام لانه يحسم العدو عما يريد منه بلوغ امله وذلك ان تلك الريح حسمت كل خير واستاصلت كل بركة وقيل انها
تتابعت من غير فتور ولا انقطاع حتى اتت عليهم فمثل تتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء مرة اخرى الى ان
يحسم ويجوز ان يكون حسوما مصدرا كالدخول والخروج وعلى هذا ينتصب بفعل مضمر اى تستاصل استيصالا او
يكون وصفا بالمصدر اى ذات حسوم او مفعولا له قيل هى ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعها الريح
فى اليوم الثامن فاهلكتها والصحيح انها ايام العجز وهى اخر الشتاء واساميها الصن والصنبر والوبر والامر والموتمر ومطفى الجمر
ومكفى الظعن والضمير فى فيها للمهاب او الليالى والايام الحاويه لساقطه وقيل الخاليه كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم
وعلى هذا يحتمل ان يكون الخاليه بمعنى البالية لان النخل اذا بليت خلت اجوافها الباقيه مصدر وقيل من نفس باقيه قال
ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانيه ايام احياء فى عذاب الله فلما كان اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم فى
البحر فذلك قوله فهل ترى لهم من باقيه وقوله فاصبحوا لا ترى مساكنهم من قرا ومن قبله بالفتح والسكون فظاهر
اى ومن تقدمه من رؤساء الكفر والضلال كنمرود ونحوه ومن قرا بالكسر فالفتح اراد ومن عنده من اتباعه وجنوده

والخاطئه مصدر اى بالخطاء او صفة بالفعلة او الافعال ذوات الخطاء العظيم قوله رابيه من ربا الشى يربو اذا
زاد اى زايده فى الشدة كما كانت فعلاتهم زايدة فى القبح وقيل معنى الزيادة اتصال عذابهم فى الدنيا بعذاب الاخرة كما
قال اغرقوا فادخلوا نارا ولا ريب ان عذاب الاخرة اشد فكان عذابهم ينمو ويربو الى حد ليس فوقه قال الواحدى الوجه
فى قوله رسول ربهم ان يكون رسول الامم المذكورة كلهم اعنى موسى ولوطا وغيرهما من رسل من تقدم فرعون فقال انا
لما طغى الماء فطغيان الماء كعتو الريح وقد سبق فى السورة ومعنى حملناكم حملنا اباكم وانتم فى اصلابهم فى الجارية
فى السفينه وهى سفينه نوح لنجعلها قال الفراء اى الجارية لانها المذكورة والاظهر عوده الى الواقعه او الحاله وهى
نجاة المؤمنين واغراق الكافرين فانها هى العظة والعبرة لقوله وتعيها اذن واعيه من شانها حفظ كل ما تسمع ويعمل
به قال اهل اللغة كل ما حفظته فى نفسك فقد وعيته ما حفظته فى غير نفسك فقد اوعيته يقال وعيت العلم
واوعيت المتاع فى الوعاء قال شعر والشر اخبث ما اوعيت من زاده قال جار الله وانما قال اذن واعية على التوحيد
والتنكير للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت فهى عند
الله لكان وما سواها لا يلتفت اليهم وان ملاء والعلم عن النبى صلعم انه قال لعلى عند نزول الايه سالت الله ان يجعلها اذنك
يا على قال على كرم الله وجهه ما نسيت شيئا بعد ذلك وما كان لى ان انسا وحين فرغ من بيان الحكمة عاد الى ما انجز منه الكلام
وهو حديث الحاقة والنفخة الواحدة عن ابن عباس انها الاولى التى عندها خراب العالم وفى روايه عنه انها الثانيه
لقوله بعد ذلك يومئذ يعرضون والعرض عند الثانيه ولتاخر الروايه الاولى ان يقول اليوم اسم للحين الواسع الذى
يقع فيه النفختان والصفقة والنشور والوقوف والحساب كما يقول جئته عام كذا وانما جئت فى وقت واحد من
اوقاته وقوله واحدة صفة موكدة قوله وحملت اى رفعت من جهاتها بريح شديدة او بملك او بقدرة الله من غير
واسطة والضمير فى فدكتا الجماعة الارضين والجبال والمراد ان هاتين الجملتين يضرب بعضها ببعض حتى تندك و
يرجع كثيبا مهيلا هباء منثورا والدك ابلغ من الدق وقيل اراد فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا من
قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء قوله فيومئذ جواب فاذا نفخ والواقعة النازلة وهى القيمة
واهيه مسترخيه بعد ان كانت مستمسكه والملك جنس ولهذا كان اعم من الملائكه لشموله الواحد والاثنين
دونها والارجاء الجوانب جمع رجا مقصورا والمعنى ان السماء اذا انشقت عدلت الملائكه من مواضع الشق الى
جوانب السماء سوال الملائكه يموتون فى الصفقه الاولى فكيف يقفون على ارجاء السماء بجواب يقفون
لحظه ثم يموتون او هم المستثنون بقوله الا من شاء الله والضمير فى فوقهم عايد الى الملك على المعنى لان التقدير
الخلق الذى يقال له الملك والمقصود التمييز بينهم وبين الملائكه الذين هم حملة العرش وقال مقاتل الضمير للحملة
اى فوق رؤسهم والاضمار قبل الذكر جايز لانه بعده حكما كقوله فى بيته يوتى الحكم وعن الحسن لا ادرى ثمانيه
اشخاص او ثمانيه الاف او ثمانيه صفوف او ثمانيه الاف صفوف وعن الضحاك ثمانيه صفوف لا يعلم عددهم الا الله
قال المفسرون الحمل على الاشخاص اولى لان هذا اقل ما يصدق اللفظ عليه والزايد لا دليل له وكيف لا والمقام مقام
التهويل وتعظيم فلو كان المراد ثمنيه الاف لوجب ذكره ليزداد التعظيم والتهويل ويؤيده ما روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليوم اربعة واذا كان يوم القيمه يدهم الله باربعة اخرين وروى ثمانيه املاك ارجلهم فى تخوم
الارض السابعه والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون يسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة
الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانيه املاك فى خلق الاوعال ما بين اظلافها الى
ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد
قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولولا هذه الروايات لجاز ان يكون
الثمانية من الروح او من خلق اخر قالت المشبهه لو لم يكن الله على العرش لم يكن لحمله فايدة واكد واشبهتهم بقوله يومئذ
يعرضون للمحاسبة والمسايلة فلو لم يكن الا انه حاضر لم يكن للعرض معنى اجاب اهل السنة ان الدليل دل على ان حمل الاله
محال فلا بد من التاويل وهو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه وليس ليسكن فيه وجعل فى ذلك
البيت حجرا هو يمينه فى الارض اذ كان من شانهم ان يعظموا رؤسائهم بتقبيل ايمانهم وجعل على العباد حفظه لا لان
النسيان يجوز عليه لان المتعارف فكذلك لما كان من شان الملك اذا اراد محاسبة عماله ان يجلس لهم على سرير ويقف
الاعوان حواليه صور الله تعالى تلك الصورة المهيبة لا لانه يقعد على السرير وروى ان فى القيمة ثلث عرضات فاما

عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تطاير الكتب وقوله لا يخفى منكم خافية اي يعرضون على من لا يخفى عليه
شيء اصلا وقيل اراد لا يخفى منكم يوم القيمة ما كان مخفيا في الدنيا على غير الله وذلك ليتكامل سرور المؤمنين ويعظم توبيخ
المذنبين ثم اخذ في تفصيل عرض الكتب وها صوت يصوت به فيفهم معنى خذ وله لغات واستعمالات مذكورة في اللغة
منها ما ورد به الكتاب الكريم وهو هاء بالكسر للمؤنثة هاؤن لجمعها وكتابيه هاؤم عند الكوفيين مفعول اقرؤا وعند البصريين
لانه اقرب واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال البصريون ولو كان العامل الاول
لقيل اقرؤه اذ المختار اضمار المفعول ليكون دليلا على المحذوف اجاب الكوفيون بان الظاهر قد اغنى عن الضمير كما في قوله
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والهاء في كتابيه وغيرها للسكت ومن حقها ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل
لكنه استحب التلفظ بها في الوصل عند جماعة اتباعا لوجودها في المصحف وانما قال من اوتي كتابه بيمينه هاؤم
اقرؤا كتابيه ابتهاجا وفرحا وقيل يقول ذلك لاهل بيته وقرابته وفي قوله اني ظننت وجوه كما مر في قوله الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم ومما يختص بالمقام قول بعضهم اي اراد الظن في الدنيا لان اهل الدنيا لا يقطعون بنيل
الدرجات وفي هذا الوجه نظر لانهم وان كانوا غير قاطعين بالجنة الا انهم يجب ان يقطعوا بالحساب والجزاء وعن
ابي هريرة انه قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل يؤتى به يوم القيمة فيكتب حسناته في ظهر كفه فينظر الى سيئاته فيحزن
فيقال له اقلب كفك فينظر فيه فيفرح ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت عند النظرة الاولى اني ملاق حسابا
على سبيل الشدة واما الان فقد فرج الله عني ذلك الغم واما في حق الاشقياء فيكون ذلك على الضد مما ذكرنا ثم بين
عاقبة امره وما يلاقيه فهو في عيشة فعلة من العيش للنوع راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل المنسوب الى
الدرع والنبل وهذه من النسبة بالصيغة كما ان قولك بصري وهاشمي من النسبة بالحرف ويجوز ان يكون من
الاسناد المجازي كقولك نهاره صايم جعل الصوم للنهار وهو لصاحبه كذلك جعل الرضا للعيشة وهو لصاحبها
رضي الله عنهم ورضوا عنه في جنة عالية درجاتها لانها فوق السموات على تفاوت الطبقات او في جنة رفيعة
المباني والقصور والاشجار قطوفها دانية ثمارها قريبة التناول والقطوف جمع قطف بالكسر وهو المقطوف
كالطحن بمعنى المطحون يروى ان ثمارها يقرب تناولها للقايم والجالس والمضطجع وان اجتبان يدنوا الى فيه دنت كلوا
على ارادة القول وهنيئا مصدر او صفة كما مر في والطور جمع الخطاب في كلوا مع انه وحد الضمير في قوله اوتي وعينه
حملا على اللفظ ثم على معناه والغرض من هذا الامر التوفير والغرض لا التكليف ومن قال الاباحة ليست بتكليف
فلا اشكال وقوله بما اسلفتم كقوله في الطور بما كنتم تعملون والاسلاف في اللغة تقديم ما ترجو ان يعود عليك بخير
فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف في كذا اذا قدم فيه ماله والمعنى بسبب ما عملتم من الاعمال الصالحة في ايام الدنيا
الماضية وعن مجاهد والكلبي هي ايام الصيام فيكون الاكل والشرب في الجنة عوضا عنه بدلا عما في الدنيا من الجوع في قصة
الاشقياء وانما تحسر يريد ان يتم حسابه لانه كان عليه ولا يعلم منه الا سوى الضر والضمير في ياليتها عايد الى الموتة
الاولى يدل عليها سياق الكلام وليعل في قوله ولم ادر اشارة اليها لانها العدم الادراك الى الوقت منها اي ليتها كانت
القاضية لامر يا بعدها ولا الحشور وقيل الضمير للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي فان العقلاء
تمنى الموت حين راى بوادر الجزاء وسوء المنقلب ماهو اشد واشنع من الموت وقوله ما اغنى نفي ويجوز ان يكون استفهاما
على سبيل الانكار ومعناه اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار فانه لم يدفع منه الا وبال هلك عني تسلطي على الناس او
عن ما كنت الصورة حجة وبرهانا قال ابن عباس ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها على محمد في الدنيا وقال مقاتل انما
يقول هذا حين تشهد عليه الجوارح بالشرك يحكى عن عضد الدولة انه قال قصيدة مطلعها هذا شعر
ليس شرب الكاس الا في المطر * وغناء من جوار في السحر * غانيات سالبات للنهى * ناعمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر * عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر
يروى انه بقي بعده لم يفلح بعدها ومات سريعا ... ولاريب ان المصراع الاخير فيها سوء الادب
والجراءة على الله تعالى من وجهين احدهما انه سمى نفسه ملك الاملاك ولا يصلح هذا الاسم الا لله سبحانه وهذا جاء
في الحديث اخنع الاسماء عند الله رجل يسمى ملك الاملاك ويقال له بالفارسية شاهنشاه والثاني انه دعم انه
على القدر والقدر وهذا ايضا من اوصاف الله جل وعلا لا يصلح لغيره ومن زعم انه قال ذلك بالنسبة الى الملوك دون
ذلك فبعد لا يدل عليه الاطلاق وسوء الادب يابى عن هذا ويروى ان الله ابتلاه عقيب بالجبل وفساد الذهن وجوده

القوى فكان لا يطلق لسان الابتلاء ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه على ارادة القول اي
يقال له خذوه ايها الخزنة يروى انه يبتدر اليه مائة الف ملك ويجمع يده الى عنقه والتصلية في الجحيم وهي
النار العظمى اشارة الى انه كان سلطانا يتعظم على الناس والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها وكل شيء مستمر
بعد كل شيء على الولاء والنظام فهو مسلسل والذرع في اللغة التقدير بالذراع من اليد وقوله سبعون ذراعا يجوز
ان يكون محمولا على الظاهر وان يراد المبالغة على عادة العرب وتقديم الجحيم على التصلية والسلسلة على السلك للحصر
اي لا تصلوه الا في الجحيم ولا تسلكوه الا في هذه السلسلة الطويلة لانها اذا طالت كانت الكلفة اشد قالوا كل
ذراع سبعون باعا ابعد مما بين مكة والكوفة وقال الحسن الله اعلم باي ذراع هو وقال ابن عباس يدخل السلسلة
في دبره ويخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته وقدميه وقال الكلبي كما يسلك الخيط في اللؤلؤ ثم يجعل في عنقه
سايرها وعن بعضهم ان جمعا من الكفار نظمت في هذه السلسلة الطويلة ليكون العذاب عليهم اشد وانما لم يقل
فاسلكوا السلسلة فيه لانه اراد ان السلسلة يكون ملتفة على جسده بحيث لا يقدر على حركة وقيل هو كقولهم ادخلت
القلنسوة في راسي او الخاتم في اصبعي ومعنى ثم التراخي في الرتبة ثم ذكر سبب هذا الوعيد الشديد وهو عدم الا يمان
بالله العظيم وعدم بذل المال للمساكين ولعل الاول اشارة فساد القوة النظرية والثاني الى فساد القوة العملية قال جار
الله في اغطفه حرمان المسكين على الكفر تغليظ وفي ذكر الحض دون الفعل تغليظ فوق تغليظ ليعلم ان تارك الحض بهذه
المنزلة فكيف تارك الفعل عن ابي الدرداء انه كان امر امراته بتكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف
السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الاخر والطعام بمعنى الاطعام كالعطاء بمعنى الاعطاء وفي الاية دلالة على ان الكفار
مخاطبون بالفروع والحميم القريب الشافعي وقوله ههنا اشارة الى مكان عذابهم او الى مقام الوصول الى هذا الحد
من العذاب يروى عن ابن عباس سئل عن الغسلين فقال لا ادري وقال الكلبي هو ما يسيل من اهل النار فغسلين من الغسالة
والطعام ما هيئ للاكل ويجوز ان يكون اطلاق الطعام عليه من باب التهكم وهو مثل عتابك السيف قال ابن عباس
الخاطئون في الاية هم المشركون ثم عظم شان القران بالاقسام بكل الاشياء لانها اما مبصر او غير مبصر وقيل الدنيا والاخرة
او الاجسام والارواح والانس والجن والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاكثرون على ان الرسول الكريم ههنا هو
محمد صلى الله عليه وسلم واما في سورة التكوير فالاكثرون على انه جبرائيل عليه السلام لان الاوصاف التي بعده ثمه
كما يجي وفي ذكر الرسول اشارة الى ان هذا القران ليس قوله من تلقاء نفسه وانما هو قوله المؤدى عن الله بطريق
الرسالة وهكذا لو كان المراد جبرئيل وفي وصفه بالكريم اشارة الى امانته وانه ليس ممن يغير الرسالة طمعا في اعراض
الدنيا الخسيسة وايضا من كرمه انه اتى بافضل انواع المزايا والعطايا وهو المعرفة والارشاد والهداية وانما قال عند
نفي الشعر عنه قليلا ما تؤمنون وعند نفي الكهانة قليلا ما تذكرون لان انتفاء الشعرية عن القران امر كالبين المحسوس
اما من حيث اللفظ فظاهر لان الشعر كلام موزون مقفى والفاظ القران ليست كذلك الا ما هو في غاية الندرة بطريق الاتفاق
من غير تعمد واما من جهة العقل فلان القران فيه اصول كل المعارف والحقايق والبراهين والدلايل المفيدة للتصديق
اذا كان المكلف ممن يصدق ولا يعاند وانتفاء الكهانة عنه امر يفتقر الى ادنى تامل يوقف على ان كلام الكهان اسجاع لا معاني تحتها
واوضاع تنبو الطباع عنها وايضا في القران سب الشياطين وذم سيرتهم والكهان اخوان الشياطين فكيف رضوا باظهار
قبايحهم ثم صرح بالمقصود فقال تنزيل من رب العالمين اي هو تنزيل ثم بين ان المفتري لا يفلح وان فرض انه نبي فقال ولو تقول
والتقول تكلف القول من غير ان يكون له حقيقة والاقاويل جمع اقوال وقال في الكشاف في اللفظ تصغير وتحقير كالاعاجيب و
الاضاحيك كانها جمع افعولة من القول ومعنى الاية لو نسب الينا قولا لم نقله لقتلناه اشنع قتل وهو ان يوخذ بيمينه ويضرب
رقبته وهو ينظر الى السيف وهذه فايدة تخصيص اليمين لان القتال اذا اخذ بيسار المقتول وقع الضرب في قفاه ومعنى
لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا تفسير بين منقول عن الحسن البصري
والوتين العرق المتصل من القلب بالراس فاذا انقطع مات الحيوان قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه
لو كذب لاستناه كما يفعل الملوك فكان كمن اخذ بيمينه فقطع وتينه ونظيره ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطع
ابهري عرق متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وعن الفراء والمبرد والزجاج ان
اليمين القوة وقوة كل شيء في ميامنه والباء زايدة ومعنى الاخذ السلب اي سلبنا عنه القدرة على التكلم بذلك القول
وهذا كان واجبا في حكمة الله تعالى كيلا اشتبه الصادق بالكاذب وقال مقاتل اليمين الحق كقوله انكم كنتم تاتوننا عن

اليمين اى من قبل الحق والمعنى لعناه بواسطة اقامة الحجة ولقضينا له من يعارضه فيه فيظهر للناس كذبه فما منكم من احد
عنه اى عن الرسول او عن القتل والخطاب للناس واحد في معنى الجمع لانه في سياق النفي ولذلك قال حاجزين اى مانعين
وحين بين ان القرآن تنزيل من عند الله بواسطة جبرائيل ومحمد الذى من صفته انه ليس بشاعر ولا كذاب بين ان القرآن
ما هو دال اى صنف يعود نفعه فقال وانه لتذكرة للمتقين ثم اوعد على التكذيب قايلا وانا لنعلم ان منكم مكذبين ثم بين ان
التكذيب او القرآن سبب حسرة الكافرين في القيمة اذا راوا ثواب المصدقين او في الدنيا اذا ادبر ولذا المؤمنين لان
القرآن حق اليقين اى حق يقين لا ريب فيه فاضيف احد الوصفين الى الاخر للتاكيد كقولك هو حق العالم ثم امر
بالتسبيح شكرا لما على الايجاء عليه او ان عصمه من الافترا عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل بعذاب واقع ۞ للكافرين ليس له دافع ۞ من الله ذى المعارج
تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة ۞ فاصبر صبرا جميلا ۞ انهم يرونه بعيدا ۞ ونريه قريبا ۞ يوم تكون
السماء كالمهل ۞ وتكون الجبال كالعهن ۞ ولا يسال حميم حميما
يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ۞ وصاحبته
واخيه ۞ وفصيلته التى تؤويه ۞ ومن في الارض جميعا ثم ينجيه ۞ كلا انها
لظى ۞ نزاعة للشوى ۞ تدعوا من ادبر وتولى ۞ وجمع فاوعى ۞ ان الانسان
خلق هلوعا ۞ اذا مسه الشر جزوعا ۞ واذا مسه الخير منوعا ۞ الا المصلين
الذين هم على صلوتهم دائمون ۞ والذين في اموالهم حق معلوم ۞
للسائل والمحروم ۞ والذين يصدقون بيوم الدين ۞ والذين هم من
عذاب ربهم مشفقون ۞ ان عذاب ربهم غير مامون ۞ والذين هم
لفروجهم حافظون ۞ الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين ۞ فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ۞ والذين هم

لاماناتهم وعهدهم راعون ۞ والذين هم بشهاداتهم قائمون ۞ والذين
هم على صلوتهم يحافظون ۞ اولئك في جنات مكرمون ۞
فما للذين كفروا قبلك مهطعين ۞ عن اليمين وعن الشمال عزين ۞
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم ۞ كلا انا خلقناهم
مما يعلمون ۞ فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون ۞
على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين ۞ فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ۞ يوم يخرجون من
الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون ۞ خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ۞

القراءة سال بغير همز مثل باع ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة بين بين على
التذكير على ولا يسال بضم الياء البرجمى من طريق الهاشمى والبرجمى يومئذ بالفتح على البناء ابو جعفر ونافع غير اسمعيل
وعباس وعلى الشمونى والبرجمى ويؤويه بغير همز يزيد والاعشى وحمزة في الوقف نزاعة بالنصب حفص والمفضل الا الامام
على التوحيد ابن كثير بشهاداتهم على الجمع حفص وعباس وسهل ويعقوب ان يدخل من الدخول المفضل يخرجون من الاخراج
الاعشى الى نصب بضمتين ابن عامر وسهل وحفص نصب بالضم فالسكون المفضل الباقون بالفتح فالسكون **الوقوف**
واقع دافع المعارج سنة جميلا بعيدا قريبا كالمهل كالعهن حميما لان ما بعده منقطع عنه مستانف ولكن
اصطلحوا الوقف على يبصرونهم ببنيه واخيه تؤويه جميعا للعطف ينجيه كلا لظى لان من قرا نزاعة بالرفع جاز
ان يكون بدلا او خبر لظى والضمير في انها للقصة او خبر مبتدا محذوف ومن نصب فعلى الحال المؤكدة او على الاختصاص
للشوى لان يدعوا يصلح مستانفا وبدلا من نزاعة وتولى واوعى هلوعا جزوعا منوعا المصلين دائمون معلوم
والمحروم الدين مشفقون مامون حافظون ملومين العادون راعون قائمون يحافظون مكرمون لانقطاع
المعنى مهطعين عزين نعيم كلا يعلمون لقادرون منهم بناء على ان الواو للحال بمسبوقين توعدون لان
ما بعده حال الضمير ذلة يوعدون **التفسير** من قرا سال بالهمز ففيه وجهان الاول عن ابن عباس ان النضر بن
الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الاية فانزل الله تعالى سال سائل اى دعا داع ولهذا
عدى بالباء يقال دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه وقال ابن الانبارى الباء للتاكيد والتقدير سال سائل عذابا لا دافع له
البتة اما في الاخرة واما في الدنيا كيوم بدر الثانى قال الحسن وقتادة هو رسول الله صلعم استعجل بعذاب للكافرين او
سال عن عذاب والباء بمعنى عن قاله ابن الانبارى او عنى واهتم بعذاب انه على من ينزل وبمن يقع فبين الله تعالى
هذا واقع بهم فلا واقع له والذى يدل على صحة هذا الوجه قوله في اخر الاية فاصبر صبرا جميلا ومن قرا بغير همز فله وجهان
ايضا الاول مخفف سال وهى لغة قريش والمعانى كما مرت والاخر ان يكون من السيلان ويعضده قرا ابن عباس سال سيل
وهو مصدر في معنى سائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم واهلكهم اما سائل فلا يجوز
فيه الا الهمز وفاقا لانه ان كان من سال المهموز فظاهر وان كان من غير المهموز انقلب الياء همزة كما في بايع وقائل وقوله
للكافرين صفة اخرى للعذاب اى بعذاب واقع لا محالة كائن للكافرين او متعلق بالفعل اى دعا للكافرين والظاهر ان قوله

من الله يتعلق بدافع اى لا دافع له من جهة الله لانه قضاء مبرم ويجوز ان يتصل بواقع اى نازل من عنده والمعارج للصاعد
روى الكلبي عن ابن عباس انها السموات لان الملائكة يعرجون فيها وقال قتادة ذى الفواضل والنعم بحسب مراتب
الاستحقاق والاستعداد وقيل هى فى الجنة لانها درجات وقال فى التفسير الكبير هى مراتب الارواح الملائكة المختلفة
بالشدة والضعف بسببها يصل اثار فيض الله تعالى الى العالم السفلى عادة او غير عادة فتلك الارواح كالمصاعد لمراتب
الحاجات التى ترفع اليها وكالمنازل الاثار الرحمة من ذلك العالم الينا قوله تعرج الملائكة والروح وفى موضع اخر
يوم يقوم الروح والملائكة قيل ان الروح اعظم الملائكة قدرا وهو اول فى درجة النزول كما فى تلك الاية ولذلك
قدم واخر باعتبار العروج كما فى السورة فلهذا اخر قال بعض المكاشفين والروح نور عظيم هو اقرب الانوار الى جلال
الله ومنه ينشعب ارواح ساير الملائكة والبشر فى اخر درجات منازل الارواح وبين الطرفين معارج مراتب ارواح
الملائكة ومدارج منازل الانوار القدسية ولا يعلم تفصيلها الا الله واما المتكلمون فالجمهور منهم قالوا ان الروح
هو جبرائيل عليه السلم ولا استدلال لاهل التشبيه فى لفظ المعارج فانا بينا انها المراتب وقوله اليه اى الى عرشه
او حكمه او الى حيث يهبط او امره او الى موضع العز والكرامة والاكثرون على ان قوله فى يوم من صلة تعرج اى يصلح
العروج فى مثل هذا اليوم وهو يوم القيمة قال الحسن يعنى ان من توقيفهم للحساب الى حين يقضى بين العباد خمسين الف
سنة من سنى الدنيا ثم بعد ذلك تستقر اهل النار فى النار واهل الجنة فى الجنة الى الابد والاصح ان هذا الطول انما يكون
للكافر لما روى عن ابى سعيد الخدرى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذى نفسى بيده انه
ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة فى الدنيا ومنهم من قال ان ذلك الموقف وان طال فقد يكون سبب
لمزيد السرور والراحة للمؤمن ومنهم من قال ان هذه المدة على سبيل التقدير لا على سبيل التحقيق والمعنى لو اشتغل بذلك
القضاء والحكومة اعقل الناس واذهاهم لبقى فيه خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة فى مقدار نصف
يوم من ايام الدنيا وايضا الملائكة يعرجون الى موضع لو اراد واحد من اهل الدنيا ان يصعد اليها لبقى فى ذلك الصعود خمسين
الف سنة ثم انهم يصعدون اليها فى ساعة قاله وهب وجماعة من اهل التفسير وقال ابو مسلم ان هذا اليوم يوم الدنيا
كلها من اول ما خلق الله العالم الى القيمة وفيه يقع عروج الملائكة ونزولهم ثم لا يلزم من هذا ان يصير وقت القيمة
معلوما لان لا ادرى كم مضى وكم بقى وقد مر فى الم السجدة وقال جمع من المفسرين قوله فى يوم من صلة واقع اى يقع ذلك
العذاب فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة ثم يحتمل ان يكون المراد منه استطالة ذلك
اليوم لشدته على الكفار ويحتمل ان العذاب الذى سأله السائل يكون مقداره بهذه المدة لم ينقله الله تعالى الى نوع اخر
من العذاب يروى عن ابن ابى مليكة عن ابن عباس سئل عن هذه الاية وعن قوله فى يوم كان مقداره الف سنة فقال
ايام سماها الله هو اعلم بها كيف يكون واكره ان اقول فيها ما لا اعلم وقال وهب فى الجواب من اسفل العالم الى اعلى شرف
العرش مسيرة خمسين الف سنة ومن اعلى السماء الدنيا الى الارض مسيرة الف سنة لان عرض كل سماء من السموات السبع
مسيرة خمسماية سنة وبين اسفل السماء الى قرار الارض خمسماية اخرى فالمراد مقدار الف سنة لو صعدوا الى سماء
الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى عالى العرش وفى قوله اصبر صبرا جميلا تسلية للنبى صلعم كانه قيل له ان
العذاب قرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام قال الكلبى هذه الاية نزلت قبل ان يومر النبى صلعم بالقتال انهم
يرون العذاب او يوم القيمة بعيدا الامد او بعيدا عن الامكان ونراه قريبا منه ثم قال يوم اى اذكر يوم يكون السماء
كالمهل كدردى الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة ويكون الجبال المسيرة فى الجو كالعهن اى الصوف المصبوغ الوانا
لقوله ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود وجوز جار الله ان ينتصب يوم بقريبا او باضمار
يقع لدلالة واقع عليه او يراده يوم يكون السماء كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل من يوم المقدم فيمن علقه بواقع
قوله ويسأل من قرأ بفتح الياء فظاهر اى لا يسأله كيف حالك لاشتغال كل بنفسه ومن قرأ بالضم فالمعنى لا يسأل حميم
عن حميم ليعرف شانه من جهته كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه فيكون على حذف الجار وقال الفراء لا يقال
لحميم اين حميمك ثم كان لسائل ان يقول لعله لا يبصره فلهذا لا يسأله فقال يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من
تسائلهم ويجوز ان يكون صفة اى حميما مبصرين معرفين اياهم وانما جمع ضمير الحميم لانه فى معنى الجمع حيث وقع فى
سياق النفى وقيل ان الجملة يتعلق بما بعدها والمعنى ان المجرمين يبصرون المؤمنين حال ما يود احدهم ان يفتدى نفسه
بكل ما يمكنه فان الانسان اذا كان فى البلاء ثم راى عدوه فى الرخاء كان ذلك اشد عليه وفصيلته عشيرته الادنون

الذين فصل عنهم يؤويه يضمه اليها للانتماء فى النسب واعداد للنوايب ومعنى ثم استبعاد الانجاء عن الافتداء ثم اكد
الاستبعاد بقوله كلا وهو ردع للمجرم عن كونه بحيث يود الافتداء وتنبيه على انه لا ينفعه ذلك والضمير فى انها للقصة
كما ذكرنا او للنار وانث لظى لخبرها او لدلالة العذاب التانيث باعتبار الخبر لان لظى علم للنار جهنم ولهذا لم ينصرف نقول
فى اللظى اللهب الخالص والشوى الاطراف وهى اليدان والرجلان والشوى ايضا جلد الراس الواحدة شواة وقال
سعيد بن جبير العصب والعقب ولحم الساقين واليدين ينزعها نزعا فيكلها ثم يعيدها الله سبحانه وفى قوله تدعو
وجوه منها انها يدعوهم بلسان الحال كما قيل سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك فان لم يجبك حوارا اجابتك
اعتبارا فههنا المكان يجمع كل من الكفرة اى دركة من دركات جهنم فكانها تدعوهم الى نفسها ومنها ان الله تعالى
يخلق الكلام فى جرم النار حتى يقول صريحا فصيحا الى يا كافة الكفرة الى ثم يلتقطهم التقاط الحب ومنها ان يكون
على حذف المضاف اى يدعون زبانيتها ومنها ان الدعاء بمعنى الاهلاك من قول العرب دعاه الله اى اهلكه من ادبر
اى عن الطاعة وتولى اى عن الايمان وجمع المال حرصا عليه فاوعى جعله من وعاء وكنزه ولم يؤد حقوق الله فيه املا
وهذه مجامع افات النفس ثم بين ان الانسان بالطبع مايل الى الاخلاق الذميمة فقال ان الانسان هو الكافر عند
بعضهم والاظهر العموم بدليل الاستثناء عقيبه خلق هلوعا والهلع قلة الصبر وشدة الحرص كما فسره الله تعالى بقوله
اذا مسه الشر اى الفقر والمرض ونحو من المضار كان جزوعا واذا مسه الخير اضداد ذلك كان منوعا عن النبى صلعم
شر ما اعطى ابن ادم شح هالع وجبن خالع قال اهل السنة الحالة النفسانية التى هى مصدر الافعال الاختيارية كالجزع و
المنع لا شك انها يخلق الله تعالى بل الجزع والمنع ايضا من خلقه ولا اعتراض لاحد عليه خلق بعض الناس هلوعا وخلق
المستثنين منهم غير هلوع بل مشغول القلب باحوال الاخرة وكل يتصرف منه فى ملكه وقالت المعتزلة ليس المراد انه مخلوق
على هذا الوصف لانه تعالى ذكره فى معرض الذم والله تعالى لا يذم بجعله فعله ولانه تعالى استثنى منهم جماعة جاهدوا
انفسهم وطلقوها عن الشهوات ولو كانت ضرورية لم يقدروا على تركها والجواب ان الذين خلقهم الله كذلك لم يقدروا
على الترك والذين تركوها هم الذين لم يخلقوا على ذلك الوصف وهم اصناف ثمانية الاول المداومون على الصلوة والمراد
منه اداؤها فى اوقاتها واما المحافظة عليها فترجع الى الاهتمام بشانها وذلك يحصل رعاية امور سابقة على الصلوة كالوضوء
وستر العورة وطلب القبلة وغيرها حتى اذا حان وقت الصلوة لم يكن متعلق القلب بشرايطها وامور مقارنة للصلوة
كالخشوع والاحتراز عن الريا والاتيان بالنوافل والمكملات وامور لاحقة بالصلوة كالاحتراس عن اللغو وما يضاد الطاعة
لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فارتكاب المعصية بعد الصلوة دليل على ان تلك الصلوة لم يقع خير القبول الثانى
الذين فى اموالهم حق قال ابن عباس والحسن وابن سيرين هو الزكوة المفروضة قلت الدليل عليه وصفه بانه معلوم
واقترانه بادامة الصلوة وقال مجاهد وعطا والنخعى هو ما سوى الزكوة وانه على طريق الندب والاستحباب قلت هذا
التفسير يعلم فى الذاريات شبه لانه لم يصف الحق هناك بانه معلوم ولانه مدح هناك قوما بالتزام ما يلزمهم كقلة الهجوع و
الاستغفار بالاسحار الثالث والذين يصدقون بيوم الدين اى يؤمنون بالبعث والجزاء الرابع والذين هم من عذاب ربهم
مشفقون خايفون والمؤمن خايف من التقصير فى الطاعة وبعض الفسقة لا يخافون من ارتكاب انواع الظلم واصناف
المعصية ثم اكد ذلك الخوف بقوله ان عذاب ربهم غير مامون منه لان الامور بخواتيمها والخاتمة غير مقطوع بها الخامس
والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون وقد مر فى المؤمنين السادس والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقد
مر ايضا السابع والذين هم بشهاداتهم قائمون من افرد فلانها مصدر ومن جمع فللنظر الى اختلاف الشهادات وكثرة انواعها
واكثر المفسرين قالوا هى الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق ولا يكتمونها وهذه من جملة الامانات خصها بالذكر
تنبيها على فضلها لان فى اقامتها احياء للحقوق وفى تركها تضييعها لها روى عطا عن ابن عباس انها الشهادة بالله انه
واحد لا شريك له الثامن والذين هم على صلوتهم يحافظون وقد ذكرناه ثم عين مكان هؤلاء بقوله اولئك فى جنات مكرمون
وقال المفسرون كان المشركون يحتفون حول رسول الله صلعم فرقا يستهزؤن به وبالمؤمنين ويقولون ان دخل هؤلاء
الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت فمال الذين كفروا قبلك اى نحوك فى مقابلتك مهطعين مسرعين مادين
اعناقهم اليك عزين وقال ثم جمع عزة محذوف العجز واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم
مفترقون جمع الواو والنون عوضا عن المحذوف كما مر فى عضين قوله كلا ردع لهم عن الطمع الفاسد وذلك من وجهين
احدهما انهم ينكرون البعث فمن اين لهم هذا الطمع والثانى انهم لم يستعدوا لها زاد من الايمان والعمل الصالح فى قوله انا خلقناهم

مما لا يعلمون رد عليهم من الوجهين فان من علم ان اوله نطفة لم ينكر النشاة الثانيه او من علم ان اوله نطفة مدبرة
كسائر بني ادم لم يدع التقدم والشوق بل توسل من الايمان والعمل الصالح ثم بين كمال قدرته على الاتحاد والاعدام مؤكدا
بالاقسام وانه لا يعوزه شيء من الممكنات والمعنى المشارق والمغارب قد تقدم في اول الصافات والرحمن ان الشمس في كل يوم
من نصف السنة مشرقا ومغربا وقيل مشرق كل كوكب ومغربه وقيل المراد انواع الهدايات والخذلانات والدنى وصف الله
نفسه بالقدرة عليه هل خرج الى الفعل ام لا قال بعضهم بدل الله بهم الانصار والمهاجرين وقال اخرون بدل الله كفرهم
بالايمان وقيل لم يقع التبديل يعني الهلاك الكلي لهم واتخاذ اخرين مكانهم ولكنه هددهم بذلك ليؤمنوا ثم زاد في التهديد
بان يخلوا وشانهم الى ان لقاء الجزاء والاجداث القبور كما مر في يس ثم شبه اسراعهم الى الداعي مستبقين باسراعهم الى انصابهم وهي
كل ما نصبت فيعبد من دون الله وقد مر في قوله وما ذبح على النصب ومعنى يوفضون يسرعون وترهقهم تغشاهم والباقي ظاهر

بسم الله الرحمن الرحيم ●

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب
اليم ● قال يا قوم اني لكم نذير مبين ● ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون ● يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل
مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ● قال رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا ● واني كلما
دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم
واصروا واستكبروا استكبارا ● ثم اني دعوتهم جهارا ثم
اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ● فقلت استغفروا ربكم
انه كان غفارا ● يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ● ما لكم
لا ترجون لله وقارا ● وقد خلقكم اطوارا ● الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ● ثم يعيدكم

فيها ويخرجكم اخراجا ● والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا
منها سبلا فجاجا ● قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده
ماله وولده الا خسارا ● ومكروا مكرا كبارا ● وقالوا لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ● وقد
اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا ● مما خطياتهم اغرقوا فادخلوا
نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ● وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ● انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا ● رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ●

القراآت دعائي الا بالفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو واني اعلنت بالفتح ابو عمرو وابو جعفر ونافع
وابن كثير وولده بالضم فالسكون ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بفتحتين واو بالضم
ابو جعفر ونافع الاخرون بالفتح خطاياهم على التكسير ابو عمرو بيتي بالفتح حفص وهشام **الوقوف** اليم مبين
واطيعون مسمى لا يؤخر تعلمون ونهارا فرارا استكبارا لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد القائل جهارا
اسرارا لعطف مقصود الكلام غفارا لجواب الامر مدرارا انهارا لابتداء الاستفهام وقارا لان ما بعده يحتمل
الحال والاستيناف اطوارا طباقا سراجا نباتا اخراجا بساطا فجاجا خسارا للاية مع العطف واتحاد الكلام
كبارا لذلك ونسرا لان ما بعده ليس بمعطوف ولكنه حال من فاعل قالوا وذكر السجاوندي انه حال من مفعول لا
تذرون وفيه نظر كثيرا لان قوله ولا تزد لا يصح عطفه ظاهرا ولكنه متصل بما قبله بطريق الحكاية اي قال نوح
رب انهم عصوني وقال ولا تزد ضلالا انصارا ديارا كفارا والمؤمنات تبارا **التفسير** لما حذر الناس
احوال يوم القيمة ذكرهم قصة نوح وما جرى على قومه من الاغراق وقيل الاحراق حين عصوا رسولهم وان في ان انذر
ان اعبدوا مفسرة لما في الارسال والانذار من معنى القول او ناصبة والجار محذوف اي ارسلنا بان قلنا له انذر
اي ارسلناه بالامر بالانذار ثم حكى انه امتثل الامر فامر قومه بعبادة الله وينبأ ولجميع الواجبات والمندوبات
وبتقواه ويشتمل على الزجر على جميع المحظورات وبطاعة نفسه تنبيها على ان طاعة الله هي طاعة نبيه وان
الالهيات لا يكمل معرفتها الا بمعرفة النبوات ثم وعدهم على العبادة والتقوى والطاعة شيئين احدهما رفع مضاد
الاخرة وهو غفران الذنوب والثاني وصول منافع الدنيا وهو بتاخير الاجل الى اقصى الامكان وقد مر في سورة ابرهيم
استدلال من جوز زيادة من في الاثبات بنظير هذه الاية واجيب عنه والسدي مزيدة ههنا ما قيل انه لم لا يجوز ان
يراد يغفر لكم كل ما كان من ذنوبكم فيكون فايدته عدم المواخذة بمجموع الذنوب ولا بكل فرد من افراده لصدق قول
القايل لا اطالبك بمجموع ذنوبك ولكني اطالبك بهذا الذنب الواحد وقوله يغفر لكم من معنى لا يؤاخذكم قاله الامام
فخر الدين الرازي وهو شبه مغالطة لانه يوجب استعمال مقتضى النفي مكان مقتضى الاثبات وبالعكس بتاويل
الاثبات نفيا وبالعكس مثلا انفقوا على وجوب النصب في قولك جاني القوم الا زيدا وعلى قوله يمكن رفعه على البدل
بتاويل لم يتخلف القوم الا زيد وهكذا قولك جاني رجل لا يشمل المجي سواه ولو قلت ما يخلف رجل عن المجي رجل ثم

فالوهب انه يقتضي التبعيض لكنه حق لامن امن فانه يغفر ما تقدم من ذنوبه على ايمانه اما المتاخر عنه فانه لايصير بذلك السبب مغفورًا فثبت انه لابد ههنا من حرف التبعيض قلت هذا التاويل جائز في حق هذه الامة ايضا فوجب ان يذكر من سورة الصف ايضا قوله ان اجل الله اشارة الى الاجل المسمى وفيه تنبيه على ان توبيخ لهم على انهم الهاكم في امور الدنيا بلغ الى حيث صيرهم شاكين في وقوع الموت ثم حكى شكوى نوح الى ربه بعد ان لم ينجع في قومه طول دعوته ومعنى ليلا ونهارا دائما دائبا من غير توان وفتور وقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا كقوله ما زادهم الا نفورا في قوله ليغفر لهم ذكر ما هو المقصود وترك ما هو الوسيلة واصل الكلام ليؤمنوا فيغفر لهم ذنوبهم السالفة هذا قول صاحب الكشاف ويمكن ان يقال انه وعدهم المغفرة على العبادة والتقوى والطاعة فكانه قال دعوتهم الى عبادتك وتقويك وطاعتي ليغفر لهم وهذا الكلام منشق مبني على الاول كما ترى ثم ذكر انهم عاملوه باشياء منها جعل الاصابع في الاذان كيلا يسمعوا قوله ومنها تغطيهم بثيابهم تاكيدا لعدم سماع الحجة او لئلا يبصروا وجهه ومنها اصرارهم على مذهبهم واستكبارهم من قبول الحق استكبارا بالغا نهايته ثم حكى نوح انه كان لدعوته ثلاث مراتب بداء بالمناصحة في السر ليلا ونهارا فعاملوه بما ذكر ثم ثنى بالمجاهرة لان النصح بين الملا تقريع وتغليظ فلم يؤثر وانتصب جهارا على المصدر لانه نوع من الدعوة او على انه صفة دعاء محذوف وفي الوصف بالمصدر مبالغة او على انه في موضع الحال ثم انه جمع بين الامرين كما يفعل المجتهد المتحير في التدبير فلم ينفع ثم فسر الدعوة بقوله فقلت استغفروا الى اخره وفيه ان الاستغفار يوجب زيادة البركة والنماء وله وجه معقول وهو ان الله سبحانه مفيض الخيرات والبركات بالذات كما قال سبقت رحمتي غضبي فكل ما يصل الى العباد مما يضاد ذلك كالفقر والقحط والالام والمخاوف فانها بشوم معاصيهم فاذا تابوا واستغفروا زال الشوم والبلاء وعاد الخير والنماء يروى انهم لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة او سبعين فوعدهم نوح انهم ان امنوا دفع الله عنهم البلاء والمدرار الكثير الدر يستوي فيه المذكر والمونث ثم ذكر انه وبخهم بقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اصل الرجاء الامل والوقار التوقير فعال بمعنى تفعيل مثل سراح بمعنى تسريح وقد يستعمل الرجاء بمعنى الخوف فمعناه على هذا ما لكم لا تخافون عظمة الله وعلى الاول جار الله ومعناه اي شيء لكم وما بالكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان او حال ولو تاخر لكان صلة للوقار او صفة ويحتمل ان يكون الوقار فعلا للقوم وذلك انهم كانوا يستخفون برسول الله فحثهم على تعظيمه لاجل الله راجين ثوابه وعن ابن عباس ان الوقار هو الثبات من وقر اذا ثبت واستقر قال جار الله في تقريره اي لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب وقال غيره ثم الكلام عند قوله ما لكم ثم استفهم منكرا لا يرجون اي لا يعتقدون لله ثباتا وبقاء فانكم لو رجوتم ذلك لما اقدمتم على الاستخفاف برسوله قال الليث الطور التارة اي خلقكم مرة بعد مرة نطفة ثم علقة الى اخرها وقال ابن الانباري الطور الحال فيجوز ان يراد الاصناف المختلفة التي لا يشبه بعضهم بعضا وهذا دليل التوحيد الماخوذ من الانفس ثم اشار الى دليل الافاق بقوله الم يروا الاية ومعنى طباقا قد مر في اول الملك ولا يلزم منه ان لا يبقى للملائكة مساكن فيها فلعلها متوازية لا مماسة واما على قول من يزعم ان الملائكة روحانية فلا اشكال وقوله فيهن في حيز من السموات وشبه الشمس بالسراج لان نورها ذاتي كما ان الليل عبارة عن ظل الارض نباتا يحتمل ان يكون من باب التفضيل فيكون مصدرا متعديا او تبيانا من لفظ الفعل وان يكون ثلاثيا لازما فيكون ابعد ويجوز ان يراد انبتكم فنبتم نباتا قال جار الله استعير الانبات للانشاء ليكون ادل على الحدوث وفي قوله اخراجا تاكيدا اي يخرجكم حقا ولا محالة ثم ذكر دليلا اخر افاقيا من حال الارض والفج الطريق الواسع ثم ان سائلا كانه سال ماذا قال نوح بعد هذه الشكوى فبين سبحانه انه قال نوح رب انهم عصوني مكان قول واطيعوا واتبعوا روساءكم يردهم مالهم وولدهم الا خسارا في الاخرة كان التمتع القليل في الدنيا كالعدم والولد بالضم لغة في الولد ويجوز ان يكون جمعا كالفلك ومكروا معطوف على لم يزده لان المتبوعين هم الذين مكروا وقال للاتباع لا تذرن وجمع حملا على المعنى والكبار بالتشديد اكبر من الكبار بالتخفيف ولهذا لم يقرء مخففا الا في الشاذ وكلاهما مبالغة في الكبير ولا ريب ان راس الخيرات هو الارشاد الى التوحيد فنقيضه وهو الدعاء الى الشرك يكون اعظم الكبائر واقطع انواع المكر وانما سمي مكرا لانهم دلوا عليهم بانه دين ابائكم والاباء اعرف من الابناء بان هذه الاصنام تعطيكم الخيرات والمنافع انها شفعاؤكم ثم خصوا الاصنام الخمسة بالذكر لانها كانت عندهم اكبر قالوا قد انتقلت من قوم نوح الى العرب لاسباب لا يعلمها الا الله ولانها لم يكن مما يغرق بالطوفان فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وصورة

ايضا كصورة النسر وانما ود فعلى صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس وانما دعا نوح عليهم بالضلال غضبا عليهم حين عرف بالقراين المفيدة للجزم انهم لا يكادون يؤمنون او اطراد ضلال الطريق الجثة او ضلال مكرهم المذكور وعدم ترويجه او المراد العذاب كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر وقالت المعتزلة اراد الخذلان ومنع الالطاف وحض هذا الموضع بالضلال دون التبار لموافقة قوله وقد ضلوا قوله مما خطيئاتهم من للتعليل كقولك جئتك من اجل كذا وما صلة للتوكيد وسبب تقديم الجار بيان انه لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطاياهم وهي كفرهم المضموم انواع ايذاء رسول الله في مدة الف سنة الا خمسين عاما وقد يستدل بفا التعقيب لا سيما وقد دخل على ما من عطوفت على مثله على اثبات عذاب القبر وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وهكذا حال من مات من المجرمين من ماء او في نار او في جوف سبع اصابه ما يصيب المقبور من العذاب العقلي وهو ظاهر ومن العذاب الحسي وهو غير بعيد في قدرة الله سبحانه وتنكير النار مختص بهم وفي قوله فلم يجدوا تهكم بهم بالهتهم قوله وقال نوح معطوف على مثله ولهذا دخل العاطف كانه قيل جمع نوح بين ذلك القول وبين هذا وانما وقع قوله مما خطيئاتهم الى اخر الاية اعتراضا في البين تنبيها على ان خطيئاتهم هي المذكورات في الاية المتقدمة من عصيان رسول الله واتباع غيره والمكر الكبار والحث على التقليد والاشراك بالله خصوصا الاصنام الخمسة وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وهو فيعال من الدور او من الدار اي نازل دار قاله ابن قتيبة فعل به ما فعل بخوابام و لو كان فعالا لكان دوارا وقوله انك ان تذرهم الى اخره قال العلماء عرف ذلك بالوحي كما قال انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن او بالتجربة في المدة المتطاولة ومعنى لا يلدوا الا فاجرا لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يؤول اليه حالهم واتفق الجمهور على ان صبيانهم لم يغرقوا على وجه العذاب قال الحسن علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب ولكن كما يموت اكثر الناس باجال اخترامته ومنه الحديث يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى ومما روي ان الله سبحانه اعقم ارحام نسائهم اربعين او سبعين سنة قبل الطوفان فلا اشكال ثم ان نوحا كان تنبه ان دعاءه عليهم كان بسبب الانتقام وبعض حصة النفس فاستغفر الله من ترك الاولى ثم عقبه بذكر والديه وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخا بنت انوش قال عطا لم يكن بين نوح وادم عليهما السلام من ابائه كافر وكان بينه وبين ادم عشرة ابا وقيل اراد بالوالدين ادم وحوا ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل شيعتي وقيل ديني وعلى هذا يكون قوله مؤمنا احترازا من المنافق اي دخولا مع تصديق القلب ثم عم دعاء الخير للمؤمنين والمؤمنات ودعاء الشر لاهل الظلم والشرك الى يوم القيمة والتبار الهلاك ويجوز ان يريد بالظالمين قومه فقط

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ۝ يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا ۝ وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ۝ وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا ۝ وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ۝ وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ۝ وانهم

ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا ۝ وانا لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا ۝ وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن
يستمع الان يجد له شهابا رصدا ۝ وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا ۝ وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا
طرائق قددا ۝ وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا
وانا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ۝
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ۝
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ۝ وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا ۝ لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه
عذابا صعدا ۝ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا ۝ وانه لما
قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ۝ قل انما ادعوا
ربي ولا اشرك به احدا ۝ قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ۝
قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا ۝ الا بلاغا من الله
ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا
حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا ۝ قل ان
ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا ۝ عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا ۝ الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن
خلفه رصدا ۝ ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى
كل شيء عددا ۝ القراءة وانه تعالى الى قوله وان منا المسلمون بالفتح يزيد وابن عامر وحمزة
وعلي وخلف وحفص والمشهور عن ابي جعفر انه كان يفتح الالف في سبعة مواضع واثنين في قوله وان لو استقاموا
وان المساجد وهما بالفتح لا غير بالاتفاق يقول الا من بالتشديد من التفعيل يعقوب يسلكه على الغيبة عاصم وحمزة

وعلي وخلف وسهل ويعقوب الباقون بالنون وانه لما قام بالكسر نافع وابو بكر وحماد لبدا بالضم هشام قل انما ادعوا
على الامر عاصم وحمزة ويزيد الاخرون قال على صيغة الماضي والضمير لعبد الله ربي امدا بفتح الياء ابو جعفر ونافع و
ابن كثير وابو عمرو ليعلم مبنيا للمفعول يعقوب الوقوف عجبا ۝ فامنا به للعدول عن الماضي للمثبت الى الجحد
ثم الوقف على الايات التي بعدها للتجانس ضرورة انقطاع النفس والوقف الضرورية في قراءة الكسر اجوز احدا
ولا ولدا شططا كذبا رهقا احدا وشهبا للسمع رصدا نصف الجزء ذلك قددا هربا امنا به
رهقا ۝ واما القاسطون ۝ للابتداء بالشرط رشدا حطبا غدقا فيه صعدا احدا لمن قرا انه بالفتح
ابدا احدا رشدا ملتحدا ورسالاته ابدا لان حتى للابتداء بما بعدها عددا امدا احدا رصدا
عددا التفسير روى يونس وهرون عن ابي عمرو وحي بضم الواو من غير الف والوحي والايحاء بمعنى وهو
القاء المعنى الى النفس في خفاء وسرعة كالالهام وانزال الملك وقدم من اذا وقرا احي بقلب الواو همزة والكلام
في الجن اسما وحقيقة قد سلف في الاستعاذة فلا حاجة في الاعادة وكذا بيان اختلاف الروايات انه صلعم
هل راى الجن ام لا وذلك في اخر السورة حم الاحقاف والذي اريده هاهنا ما ذكره بعض حكام الاسلام انه لا يبعد
ان يكون الجن ارواحا مجردة كالنفوس الناطقة ثم يكون لكل واحد منهم تعلق بجزء من اجزاء الهواء كما اول متعلق
النفس الناطقة وهو الروح الحيواني في القلب بواسطة الشريان ذلك الهواء في جسم اخر كثيف يحصل التدبير
والتصرف فيه كما للنفس الناطقة في البدن ومنهم من جوز ان يكون الجن عبارة عن النفوس الناطقة التي
فارقت ابدان الانسان فتتصرف فيما يناسبها من الارواح البشرية التي لا تفارق بعد فتقويها بالالهام ان كانت
خيرة وبالوسوسة ان كانت الضدا اما الذاهبون الى ان الجن اجسام فمنهم الاشاعرة القائلون بان البنية ليست
شرطا في الحيوة وانه لا يبعد ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما بامور كثيرة وقدرة على اعمال شاقة فعنده هذا
يظهر القول بامكان وجود الجن سواء كانت اجسامهم لطيفة او كثيفة وسواء كانت اجزاؤهم صغارا او كبارا ومنهم
من قال البنية شرط وانه لا بد من صلابة في البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة من الاولين من جوز ان
يكون المرئي حاضرا والشرائط حاصلة والموانع مرتفعة ثم انا لا نراه واعلم انا ذكرنا في تفسير الاحقاف عن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم ما راى الجن وعن ابن مسعود تقدير ان واقعة الجن كانت مرة واحدة فلعله صلعم
امر بالذهاب اليهم وقراءة القران عليهم الا انه ما راهم من اعرف جوابهم فالله تعالى اوحى اليه في هذه السورة انهم
قالوا كذا وكذا او راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به لما رجعوا الى قومهم وذكروا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا
عجبا الى اخر كقوله في الاحقاف فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين اوحى الله تعالى الى نبيه محمد صلعم ما جرى بينهم
وبين قومهم والفائدة فيه ان يعلم انه مبعوث الى الثقلين وان الجن مكلفون كالانس وانهم يسمعون كلامنا ويفهمون
لغاتنا وان المؤمن منهم يدعوا سائرهم الى الايمان اجمع القراء على فتح انه استمع لانه فاعل اوحى وكذا على فتح وان
لو استقاموا وان المساجد لانه فيما يعلم بالوحي فهما معطوفان على انه استمع واجمعوا على كسر انا في قوله انا سمعنا الاية
وقع بعد القول وفي البواقي خلاف فمن كسر فهو عطف على مفعول القول وانه صريحا من كلام الجن ومن فتح فعلى انه فاعل
اوحى ولا بد من تقدير ما في معنى الحكاية ليكون حكاية كلام الجن كانه قيل وحكوا انه تعالى جد ربنا الى اخره الا قوله
وانه لما قام فانه كالذين قدماه بعيد وقوعه فاعل اوحى من غير تقدير وجوز صاحب الكشاف فيمن يقرا بفتح الكل
من قوله فامنا به ان يكون عطفا على محل الجار والمجرور في امنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه
كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي قلت فيه نظر لنبوة عن الطبع في اكثر المواضع اذ لا معنى لقول القائل مثلا صدقنا
انا لمسنا السماء وصدقنا انا لما سمعنا الهدى امنا به وبالجملة وكلامه في هذا المقام غير واضح ولا لائق بفضله فقوله سبحانه
عجبا مصدر وضع موضع الوصف للمبالغة اي قرانا عجبا بديعا خارجا عن حد اشكاله بحسن مبانيه وصحة معانيه يهدي
الرشد اي الصواب او التوحيد والايمان وامنا به لان الايمان بالقران ايمان بكل ما فيه من التوحيد والنبوة والمعاد
ويجوز ان يكون الضمير لله لان قوله ولن نشرك بربنا يدل على دلالة الحال والمراد وان نعود الى ما كنا اليه الشرك ذكر
الحسن ان فيهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين قلت ومما يدل على ان فيهم نصارى قوله تعالى جد ربنا اي عظمته من
قولهم جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا
ويحتمل ان يراد ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون

وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيدة لا ينفع ذا الغنى بذلك غناه وفي حديث اخر قمت على باب الجنة
فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا اصحاب الجد محبوسون يعني اصحاب الغنى في الدنيا اي ارتفع عن ربنا عن
الاحتياج الى الصاحبة والاستيناس بالولد كانهم بسماع القران تنبهوا على خطا اهل الشرك من اهل الكتاب وغيرهم
فقوله ما اتخذ بيان للاول وقيل الجد ابو الاب وان علا فهو مجاز عن الاصل اي تعالى اصل ربنا وهو حقيقة المخصوصة
عن جميع جهات التعلق بالغير قاله في التفسير الكبير النوع الثالث مما ذكره الجن قوله وانه كان يقول سفيهنا على
الله شططا السفه خفة العقل والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره منه اشتط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول
قولا هو في نفسه شطط وصف بالمصدر للمبالغة والسفيه ابليس او غيره من مردة الجن الذين جاوزوا الحد في طرف
النفي الى ان افضى الى التعطيل او في طرف الاثبات الى ان ادى الى الشريك والصاحبة والولد الرابع وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا وانما اخذنا قول الغير لانا ظننا اي لا يفتري الكذب على الله احد فلما سمعنا القران عرفنا انهم
قد يكذبون قال جار الله صفة اي قولا مكذوبا فيه او مصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرا بالتشديد وضع
تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا قال بعض العلماء فيه ذم التقليد وحث على الاستدلال والنظر الخامس
وانه كان رجال من الانس الاية قال جمهور المفسرين ان الرجل في الجاهلية اذا سافر فامسى في واد قفر وخاف على نفسه قال
اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فبات في جوار منهم حتى يصبح وقال اخرون كانوا اذا قحطوا بعثوا
روادهم فاذا وجدوا مكانا فيه كلا وماء رجع الى اهله فيسير بهم فاذا انتهوا الى تلك الارض نادوا نعوذ برب هذا الوادي ان
يصيبنا انه من الجن فان لم يفزعهم احد نزلوا وربما افزعهم الجن فهربوا وقيل المراد انه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الانس ايضا لكن من شر الجن كان يقول مثلا اعوذ برسول الله من شر هذا الوادي قال الواحدي وانما ذهبوا الى هذا التاويل
ظنا منهم بان الرجل اسم الانس لا اسم الجن وضعف بانه لم يقم دليل على ان الذكر من الجن لا يسمى رجلا اما قوله فزادوهم رهقا
فمعناه ان الانس بالاستعاذة بهم زادوهم اثما وجرما وعصيانا وكبرا لانهم اذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا
الجن والانس وقيل ضمير الفاعل للجن اي فزاد الجن الانس خوفا وغشيانا شرا باغوائهم واضلالهم او لانهم لما تعوذوا بهم ولم
يتعوذوا بالله استذلوهم واجتروا عليهم السادس وانهم اي الانس ظنوا كما ظننتم لاهل مكة والاولى ان يكون الكل من
كلام الجن كيلا يقع كلام اجنبي في البين السابع وانا لمسنا السماء قال اهل البيان اللمس مستعار للطلب لان الماس طالب
متعرض والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم بمعنى الخدام ولهذا قيل
شديدا الثامن وانا كنا نقعد منها مقاعد الى اخره وفي قوله شهابا رصدا وجوه قال مقاتل يعني رميا بالشهب ورصدا
من الملائكة وهو اسم جمع له كما قلنا في حرس فقوله رصدا كالخبر وقال الفراء هو مصدر بمعنى مفعول اي شهابا قد ارصد
ليرجم به وقيل بمعنى فاعل اي شهابا راصدا لاجله واعلم انا قد بينا في هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث نبينا في هذا
الكتاب ان هذه الشهب كانت موجوده صلعم وقد جاء ذكرها في اشعار الجاهلية وفي كتب الفلاسفة وانما غلظت
وشدد امرها عند البعث للايتوس لامر الوحي بسبب تخليط الكهنة وفي قوله كنا نقعد منها مقاعد اشارة الى
ان الجن كانوا يجدون بعض المقاعد خالية عن الشهب والحرس والان ملئت المقاعد كلها التاسع وانا لا ندري
الاية وفيه قولان احدهما لا ندري ان المقصود من منع الاستراق شر اريد بمن في الارض ام خير وصلاح الثاني
لا نعلم ان المقصود من ارسال محمد الذي وقع المنع من الاستراق لاجله هو ان يكذبوه فيهلكوا كما هلك المكذبون من
الامم وان يؤمنوا فيهتدوا وفيه اعتراف من الجن بانهم لا يعلمون الغيب على الاطلاق العاشر وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك اي الصالح من المذكورين حذف الموصوف واكتفي بالصفة كما في قوله وما
منا الا له مقام معلوم وهذا القسم يشمل المتصدقين والصالحين وقوله كنا طرائق جمع الطريقة السيرة والمذهب
والقدد جمع قدة من قد كالقطعة من قطع اي كنا قبل الاسلام ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او على حذف الجار
اي في طرائق مختلفة او على حذف المضاف اي كانت طرائقنا طرائق قددا او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق
المختلفة الحادي عشر وانا ظننا اي تيقنا وقد يستعمل الظن الغالب مكان اليقين ان لن نعجز الله في الارض ان
اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي هاربين او بسبب الهرب وفيه اقرار منهم بان الله غالب كل شيء الثاني عشر وانا لما
سمعنا الهدى الاية عنوا سماعهم القران وايمانهم
الفاء والفائدة في هذا المساق تحقيق ان المومن ناج لا محالة كانه واقع فاخبر انه لا يخاف ودلالة انه هو المختص

بذلك دون غيره اذ يعلم من بناء الكلام على ضمير ان غيره خايف وقوله بخسا ولا رهقا على حذف المضاف اي
جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا ولا رهق احدا وفيه ان المؤمن ينبغي ان يكون غير باخس ولا ظالم ويجوز
ان يراد فلا يخاف البخس من الله لانه يجزي الجزاء الاحسن الاوفر ولا يرهقه ذلة الثالث عشر وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون اي الجائرون عن طريق الحق بالكفر والعدوان وهذا قريب من العاشر الا ان في هذا النوع
تفصيل جزاء الفريقين فذكر الايعاد صريحا وفي الوعد اقتصر على ذكر سببه وهو تحري الرشد اي طالب الصواب
المتتبع للثواب قال المبرد اصل التحري من قولهم ذلك احرى اي احق واقرب قال ابو عبيدة تحروا توخوا وفي العدول
عن الحقيقة الى المجاز في باب الوعد بشارة واشارة الى تحقيق الثواب لما عرفت مرارا ان المجاز ابلغ من الحقيقة قوله
وان لو استقاموا معطوف على انه استمع كما مر ومعناه واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة
المثلى وجوز جمع من المفسرين ان يعود الضمير في استقاموا الى الانس لان الترغيب في الانتفاع بالماء الغدق انما يليق
بهم لا بالجن ولان الاية روي وانها نزلت بعد ما حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين وزعم القاضي ان الثقلين
يدخلون في الاية لانه اثبت حكما معللا بعلة وهو الاستقامة فوجب ان يعم الحكم بعموم العلة اما على قول من يقول ان
الضمير عائد الى الجن فله معنيان احدهما لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله ولم يستكبر عن السجود
لادم وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع لاجل
البركات فيكون الاية نظير قوله ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم الاية وثانيهما لو استقام الجن الذين
استمعوا القران على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق في الدنيا
ليذهبوا طيباتهم في الحيوة الدنيا الفانية نظيره ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا الى اخره واما الذين قالوا الضمير
عائد الى الانس فالوجهان جاريان فيه بعينهما وعن ابي مسلم ان المراد بالماء الغدق جنات تجري من تحتها الانهار يعني
في الجنة واحتجاج الاشاعرة بقوله لنفتنهم على انه سبحانه هو الذي يضل عباده ويوقعهم في الفتن والمحن ظاهر و
المعتزلة اجابوا بان الفتنة هنا بمعنى الاختبار كقوله ليبلوكم ثم بين وعيد المعرضين عن عبادة الله ووحيه وانتصب
عذابا صعدا على حذف الجار اي في عذاب صعد كقوله ما سلككم في سقر او على تضمين معنى الادخال والصعد مصدر بمعنى
الصعود وصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه وقد روى عكرمة عن ابن عباس ان
صعدا جبل في جهنم من صخرة ملساء يكلف الكافر صعودها ثم يجذب من امامه بالسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى
يبلغ اعلاها ثم يحدر اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف الصعود مرة اخرى وهكذا ابدا ومن جملة الوحي قوله
وان المساجد لله ذهب الخليل الى ان الجار محذوف والمتعلق ما بعده والحاصل لان المساجد لله خاصة فلا تدعوا مع الله احدا
فيها اعني الحسن يعني بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلعم مسجدا وهو مناسب لمدح النبي صلعم في هذا المقام
اي كانه مفضل على الانبياء ببعثه الى الثقلين كما كان مخصوصا بهذا المجد الاخر وقال جمع من المفسرين انها كل موضع
بني للصلوة ويشمل مساجد الخاص والكنائس ايضا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا
بالله فامرنا بالاخلاص والتوحيد وعن الحسن ايضا ان المساجد جمع مسجد بالفتح فيكون مصدرا بمعنى السجود وبه قال
سعيد بن جبير والمضاف محذوف اي مواضع السجود من الجسد لله وهي الاراب السبعة الجبهة والكفان والركبتان
والقدمان وقال عطا عن ابن عباس هي مكة بجميع ما فيها من المساجد وبالقبلة الدنيا فلا تحدثوا فيها الا الحق من
السنة اذا دخل الرجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله ودعائه قوله
سبحانه وانه لما قام عبد الله هو النبي صلعم باتفاق المفسرين قال الواحدي هذا من كلام الجن لان الرسول لا يليق به
ان يحكي عن نفسه بلفظ المغايبة ولا يخفى ضعفه فانه وارد على طريق التواضع والادب والاختيار لا انتساب الى عبودية
المعبود الحق وهذا طريق مسلوك في المحاورات والمكاتبات يقولون عبدك فعل كذا وكذا ومن ان بقاء الا اعلات كذا وفي
تخصيص هذا اللفظ لهذا المقام دون الرسول والنبي نكتة اخرى لطيفة هي ان ما يفعله النبي من عبادة غير الله وما يدعو
ذكر عناية النبي اياه فان هنا معنى العبادة فيفهم منه ان عبادة عبد الله لا غيره امر واجب شرعا وطبعا وعرفا
ثم ان كان هذا من جملة الوحي فلا اشكال وفي النسق ولانه من كلام الجن وفرضنا ما قبل قوله وان لو استقاموا
ايضا من كلامهم كانت الايات المتوسطة كالاعتراض بين طايفتي كلام الجن ومناسبة الاستقامة على الطريقة
تخصيص المسجد بعبادة الله وحده ولما قبلها ظاهرة فلا اعتراض على هذا الاعتراض وفي قوله كادوا ثلاثة اوجه اظهرها

ان الضمير للجن والقيام قيام النبي صلعم لصلوة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القرانه مزدحمين عليه متراكمين تعجبا مما
راوه من عبادته واقتداء اصحابه به والثاني ان الضمير للمشركين والمعنى لما قام رسول الله يعبد الله وحده مخالفا للمشركين
كاد المشركون لتظاهرهم عليه يزدحمون على عداوته ودفعا
فظاهروا عليه ليطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ولبدا جمع لبدة و
ومنه اللبد من قرا قل انما ادعوا فظاهر وهو امر من الله تعالى لنبيه
فاخبار من الله تعالى ان نبيه صلعم قال للمتظاهر ممن يدعوا غير الله
ويجوز في الكشاف ان يكون هذا من قول الجن لقومهم حكاية عن رسول الله صلعم ثم امره ان يخبر امته بكلمات قاطعة
للاسباب والوسايل سوى الايمان والعمل الصالح والرشد بمعنى الرفع او النفع بمعنى الغي او كل منهما امارة على ضده ثم من
ههنا الى قوله الا بلاغا اعتراض اكد به نفي الاستطاعة اثبات العجز بمعنى ان الله ان اراد بي يخلصه منه احد ولن
تجد من غير الله ملتجأ التجئ اليه والمقصود اني لا املك شيئا الا البلاغ الكاين من الله ورسالاته والجار صفة لا صلة
ان التبليغ انما يعدى بعن قال صلعم بلغوا عني ولو اية وقال الزجاج انتصب بلاغا على البدل ان لن اجد من دونه منحى
الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به قلت على هذا جاز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الا معناه ان لا والمراد ان لا ابلغ
بلاغا لم اجد ملتجأ كقولك ان لا قياما فقعودا استدل جمهور المعتزلة بقوله ومن يعص الله الاية على ان فساق
اهل القبلة مخلدون في النار ولا يمكن حمل الخلود على المكث الطويل لاقترانه بقوله ابدا واجيب بان الحديث التبليغ
عن الله فلم لا يجوز ان يكون هذه القرينة مخصصة اي ومن يعص الله في تبليغ رسالاته واداء وحيه ومما يقوي
هذه القرينة ان ساير عمومات الوعيد لم يقترن بها لفظة ابدا فلا بد لتخصيص المقام بها من فايدة وما هي الا التفخيم
في التبليغ اعظم الذنوب وقد يجاب ايضا بان قوله ومن يعص الله لا يحتمل ان يجري على عمومه مكان يراد ومن يعص
الله بجميع انواع المعاصي فمن المحال ان يقول شخص واحد بالتجسيم وبالتعطيل واذا صار هذا العام مخصصا بدليل
العقل فلم لا يجوز ان يتطرق اليه تخصيص اخر كان يقال ومن يعص الله بالكفر وحينئذ لا يبقى للخصم شبهة بل لهول
لا حاجة الى الالتزام تخصيص اخر فان الاتي بالكفر اتي بجميع المعاصي الممكنة بجمع قال جار الله قوله حتى اذا متعلق بمحذوف دلت
عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون امر ان يفوض
علم تعيين الساعة الى الله لانه عالم الغيب ومن رسول بيان لمن ارتضى وفيه ان الانسان المرتضى للنبوة خاصة قد
يطلعه على غيبه وعلم الكهنة والمنجمين ظن وتخمين فلا يدخل فيه وعلم الاولياء الهامي لا يقوى قوة علوم الانبياء كنور القمر
بالنسبة الى ضياء الشمس وههنا اسرار لا احب اظهارها ولنرجع الى التفسير قوله فانه يسلك الاكثرون على ان الضمير لله
سبحانه ويسلك بمعنى اسلك ورصدا مفعول اي يدخل الله من امام المرتضى ومن ورائه حفظة يحرسونه من
الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحى الله قال الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملايكة
يحفظونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك وفي الكلام اضمار والتقدير الا من ارتضى من رسول فانه
يطلع على غيبه بطريق الوحي ثم يسلك وقيل الضمير للمرتضى ويسلك بمعنى سار وفاعله الملايكة ورصدا حال قاله
في الكواشي ثم بين غاية الاظهار والسلك فقال ليعلم اي ليظهر معلوم الله كما هو في الواقع من غير زيادة ولا نقص ومثل
هذا التركيب قد مر مرارا قال قتادة ومقاتل اي ليعلم محمد ان قد ابلغوا اي الرسل وقيل ليعلم محمد ان قد بلغ جبرائيل
ومن معه من الملايكة الوحي بلا تحريف وتغيير وقوله من بين يديه مع قوله ان قد بلغوا كقوله فان له نار جهنم
خالدين الحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى ثم اكد ما ذكرنا من ان المراد بالعلم هو الظهور بقوله واحاط بما لديهم
من الحكم والشرايع اي وقد احاط قبل به ثم عمم العلم فقال واحصى كل شيء حتى ورق الاشجار وزبد البحار وقطرات
الامطار وعددا اصله في معنى الاحصاء او حال اي ضبط كل شيء معدودا محصورا او تمييز والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل ● قم الليل الا قليلا ● نصفه او انقص منه قليلا ● او زد
عليه ورتل القران ترتيلا ● انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ● ان ناشئة
الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ● ان لك في النهار سبحا طويلا ●
واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ● رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ● واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا
جميلا ● وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ● ان لدينا
انكالا وجحيما ● وطعاما ذا غصة وعذابا اليما ● يوم ترجف الارض
والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ● انا ارسلنا اليكم
رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا ● فعصى فرعون
الرسول فاخذناه اخذا وبيلا ● فكيف تتقون ان كفرتم يوما
يجعل الولدان شيبا ● السماء منفطر به كان وعده مفعولا ● ان
هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ● ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر
الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القران
علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر
منه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا
الله ان الله غفور رحيم القراءة او انقص بكسر الواو للساكنين حمزة وعاصم وسهل
الاخرون بضمها للاتباع ● ناشيه بالياء يزيد والشموني والاصبهاني عن
ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز وطاء بكسر الواو وسكون الطاء ابن عامر وابو عمرو والاخرون بالمد مصدر

واطاءت مراطات و وطارب المشرق بالخفض على البدل من ربك ابن عامر ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى
حفص والمفضل الباقون بالرفع على المدح اى هو رب ونصفه وثلثه بالنصب فيهما عاصم وحمزة وعلى وابن كثير وخلف
الوقوف المزمل الاقليلا قليلا ترتيلا ثقيلا قيلا طويلا تبتيلا لمن قرا رب بالخفض وكيلا جميلا قليلا
وجحيما اليما قد قيل يوصل بناء على ان ظرف لدينا والوقف اجوز لان ثبوت الانكال لا يختص بذلك اليوم بل المراد ذكر يوم كذا
يرون ما يرون مهيلا رسولا وبيلا شيبا بناء على ما بعده صفة يوما به مفعولا تذكرة للشرط مع الناء سبيلا معك
والنهار القران مرضى للعطف من فضل الله لذلك فى سبيل الله لطول الكلام والوصل اولى لتكرار فاقرؤا منه للعطف
حسنا اجرا لاختلاف الجملتين الله رحيم **التفسير** المزمل اصله المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف بها وادغم
التاء فى الزاى ونحو المدثر فى الدثر والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بالاتفاق الا انهم اختلفوا فى سببه فعن ابن
عباس ان اول ما جاءه جبرائيل خافه وظن ان به مسا من الجن فرجع من الجبل مرتعدا وقال زملونى فبينما هو كذلك اذ جاءه
الملك وناداه يا ايها المزمل فهذه السورة على هذا القول من اوايل ما نزل من القران وقال الكلبى انما تزمل النبى صلعم
بثيابه ليتهيا للصلوة فامر بان يداوم على ذلك ويواضب عليه ومثله عن عايشة وقد سئلت عن تزمله فقالت كان
مرطا سداه شعر ولحمته وبر طوله اربع عشرة ذراعا نصفه على وانا نايمة ونصفه عليه وهو يصلى وقيل انه صلعم كان
بالليل متزملا فى قطيفة فنودى بما يهجن تلك الحالة لانها فعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان وامر بان يختار على الهجود
التهجد وعلى التزمل الموجب للاشتغال فى النوم التشمر للعبادة وقال عكرمة اشتقاقه من الزمل الحمل ومنه ازدمله
اى احتمله والمعنى يا ايها الذى حمل امرا عظيما ويدعى عباء النبوة بناسبة التكليف بعده بقيام الليل قال ابن عباس انه
انه كان فريضة عليه بناء على ظاهر الامر ثم نسخ وقيل كان واجبا عليه وعلى امته فى صدر الاسلام وكانوا على ذلك سنة
او عشر سنين ثم نسخ بالصلوات الخمس قال جار الله قوله نصفه بدل من الليل والاقليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل
من نصف الليل او انقص من النصف قليلا او زد على النصف خيره بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على
البت وبين ان يختار احد الامرين النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا لان
النصف قليل بالنسبة الى الكل ولان الواجب اذا كان هو النصف لم يخرج صاحبه عن العهدة الا بزيادة شئ فيصير الواجب
بالحقيقة نصفا او شيئا فيكون الباقى اقل منه وكان تخييرا بين الثلث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص
منه وبين قيام الزايد عليه ولك ان تقول على تقدير ابدال النصف من الليل ان الضمير فى منه وعليه راجع الى
الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء
النصف الى الثلث مثلا وان شئت على تقدير ابدال النصف من قليلا جعلت قليلا الثانى بمعنى نصف النصف
وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعنى الربع كانه قيل او زد عليه اى على
الربع قليلا نصفه وهو الثمن فيكون تخييرا بين النصف وحده ويجوز ان يجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الربع
الى الثلث وهى نصف السدس فيكون تخييرا بين النصف والربع كما قلنا والثلث هذا حاصل كلامه مع بعض الايضاح
وما فى التفسير الكبير فقد اختير ان المراد بقوله الاقليلا الثلث لقوله تعالى فى السورة ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه ففيه دليل على ان اكثر المقادير الواجبة كان الثلثين الا ان النبى صلعم ربما يقوله
خطاء لاجتهاد او للنوم فينقص شئ منه الى النصف او الى الثلث على قراءة الخفض وليس هذا مما يقدح فى العصمة
لعسر الضبط على البشر ولا سيما عند استماله بالنوم ولذلك قال علم ان لن تحصوه فيصير تقدير الاية قم الثلثين ثم نصف
الليل او انقص من النصف او زد عليه والغرض التوسعة وان اكثر الفرض هو الثلثان واقله الثلث ليكون النقصان
من النصف بقدر الزيادة عن الكلبى قال كان الرجل يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين
ثم علمه ادب القراءة فقال ورتل القران ترتيلا وهو قراءته على تان وتثبت ولا يحصل الا بتبيين الحروف واشباع الحركات
ومنه ثغر مرتل اذا كان بين الثنايا افتراق ليس بالكبير ومنه قال الليث الترتيل تنسق وثغر رتل حسن التنضيد كنور الاقحوان
سئلت عايشة رض عن قراءة رسول الله صلعم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها وفى قوله ترتيلا
زيادة تاكيد فى الايجاب وانه لابد للقارى منه ليقع قراءته عن حضور القلب وتذكر المعانى فلا يكون كمن نثر على كثر
يملو من التجاوز عن عقله وعدم شعوره وحين امره بقيام الليل وتدبر القران فيه وعده بقوله انا سنلقى عليك
قولا ثقيلا كانه قال صبر نفسك بانوار العبادة والتلاوة مستعدا لقبول الفيض الاعظم وهو القران وما فيه من

الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة على نفوس البشر وقيل ثقله انه كان اذا نزل عليه الوحى تربد جلده و
ارفض جبينه عرقا ومنه قيل برحاء الوحى وقال الحسن اراد ثقله فى الميزان وقال ابو على الفارسى ثقيل على
المنافقين من حيث انه يهتك استارهم وقال الفراء كلام له وزن وموقع لانه حكم وبيان ليس بالسفساف وحملا
يعبا به وقيل باق على وجه الدهر لان الثقيل من شانه انه لا يزول عن حيزه وقيل ثقيل ادراك معانيه واحصاؤها
والفرق بين اقسامها من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والظاهر والاول وغيرها ثم عاد الى حكمة الامر بقيام
الليل ان ناشية الليل وفيها قولان احدهما انها ساعات الليل كلها لانها تنشا اى تحدث واحدة بعد اخرى
وما الساعات الاول لما بين المغرب الى العشاء وهو قول زين العابدين وسعيد بن جبير والضحاك والكسائى وذلك
انها مبادى نشوء الليل والثانى انها عبارة عن الامور التى تحدث فى الليل وعلى هذا اختلفوا فمنهم من قال هى النفس
الناشئة بالليل التى تنشا من مضجعها الى العبادة اى تنهض وترتفع من نشاة السحابة اذا ارتفعت ومنهم من
قال هى مصدر كالعاقبة اى قيام الليل ولابد من سبق النوم لما روى عبيد بن عمير قلت لعايشة رجل قام من اول
الليل تقولين له قام ناشية القيام بعد النوم وقد فسرها بعض اهل المعنى بالواردات الروحانية والخواطر النورانية
والانفعالات النفسانية للابتهاج بعالم القدس وفراغ النفس من الشواغل الحسية التى تكون بالنهار والوطاء و
المواطاة والموافقة قال الحسن يعنى النفس اشد موافقة بين السر والعلانية والقلب واللسان لانقطاع رؤية
الخلايق او يواطى فيها قلب القايم لسانه ان اردت الساعات والقيام ومن قرا وطاء بغير مد فالمعنى اشد ثباتا قدم
فابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلى من صلوة النهار ومنه قوله صلعم اللهم اشدد وطاتك على مضر واقوم
قيلا اشد مقالا او اثبت قراءة لهدو الاصوات وسكون الحركات فلا يكون بين القراءة وبين تفهم معانيها حايل
ولا تشويش قال فى الكشاف عن انس انه قرا واصوب قيلا فقيل له يا با حمزة انما هى اقوم فقال هما واحد قال ابن
جنى وهذا يدل على ان القوم كانوا يعتبرون ولا يلتفتون نحو الالفاظ قال العلماء الراسخون هذا النقل يوجب
القدح فى القران فالواجب ان يحمل النقل لو صح على انه فسر احد اللفظين بالاخر لانه زعم ان يغير لفظ القران
جايز ثم اكد امر قيام الليل بقوله ان لك فى النهار سبحا طويلا قال المبرد اى تصرفا وتقلبا فى مهماتك فلا يفرغ لخدمة
الله الا بالليل ومنه السابح لتقلبه بيديه ورجليه قال الزجاج اراد ان فاتك من الليل شئ فلك فى النهار مجال
للنوم والاستراحة وللتصرف فى الحوايج ثم بين ان اشرف الاعمال عند قيام الليل ما هو فقط له فى شيئين ذكر
اسم الرب والتبتل اليه وهو الانقطاع الى الله بالكلية والتبتل القطع فالاول مقام السالك والثانى درجة الواصل
والاول كالاثر والثانى كالعين وانما لم يقل وتبتل نفسك اليه تبتلا لان المقصود بالذات وهو التبتل مبين اولا
ما هو المقصود ثم اشار اخيرا الى شبيه تاكيدا مع رعاية الفاصلة ثم اشار الى الباعث على التبتل فقال رب المشرق
والمغرب ان التكميل والاحسان يوجب المحبة جبلت القلوب على حب من احسن اليها والمحبة يقتضى الاقبال على المحبوب
بالكلية لا اله الا هو وهو اشارة الى كماله تعالى فى ذاته والكمال محبوب لذاته وهو منتهى مقامات
الطالبين وانه يستدعى نفى الاختيار من البين وتفويض الامر بالكلية الى المحبوب الحقيقى حتى ان المحبوس لو كان
لو كان رضاه فى عدم التبتل اليه رضى المحب بذلك وان كان رضاه فى التبتل والتوجه نحوه فهو المطلوب
لا من حيث انه تبتل بل من حيث انه مراد المحبوب الحق جل ذكره وقوله فاتخذه وكيلا كالنتيجة لما قبله وفيه ان من لا
يفوض كل الامور اليه لم يكن راضيا بالهيته معترفا بربوبيته وفيه تسلية للنبى صلعم انه سيكفيه شر الكفار و
اعداء الدين ثم امره بالصبر عند الاختلاف وبالهجر الجميل اذا اراد ان يخالطهم والهجر الجميل ان يخالطهم بقلبه ويباينهم
بالاعضاء وترك المكافات ومن المفسرين من قال انه منسوخ باية القتال وقد عرفت مرارا انه لا ضرورة الى التزام
التبييع فى امثال هذه الاى ثم امره بان يخلى بينه وبين المكذبين اصحاب الثروة والنعمة بالفتح التنعم وهم صناديد
قريش ولم يكن هناك منع ولكنه سبحانه اجرى الكلام على عادة المحاورات والغرض انه سبحانه يكفى فى دفع شرور
الكفرة ودفع ايذائهم ثم فصل ما سيعذب به اهل التكذيب مما يضاد تنعمهم والانكال جمع نكل بالكسر او نكل بالضم وهى
القيود الثقال عن الشعبى اذا ارتفعوا استفلت بهم والطعام ذو الغصة هو الذى ينشب فى الحلق كالزقوم والضريع
فلا ينساغ وقد يمكن حمل هذه الامور على العقوبات الروحانية فالانكال عبارة عن بقاء النفس فى قيود العلايق
الجسمية والملكات الذميمة والجحيم نيران الحسرة والحيرة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ثم انه يتجرع غصة

الحرمان والم الفراق ويعذب شالمأ بالبعد عن حضرة الجلال والبقاء في الظلمة الضلال والتنوين في هذه الالفاظ
للتعظيم او للنوع ثم وصف اليوم الذي يحدث فيه هذه الاحوال والاهوال فقال يوم ترجف الارض والجبال
والرجفة الزلزلة والكثيب الرمل المجتمع فعيل بمعنى مفعول من كثب الشي جمعه وقال الليث الكثيب نثر التراب او الشي
يرمى به وسمي الكثيب كثيبا لان ترابه دقاق كانه نثر بعضه على بعض لرخاوته والمهيل السايل تراب مهيل ف
مهول اي مصبوب وانما لم يقل كثبا ناً مهيله لانها باسرها تجتمع فيصير واحدا والمراد كل واحد منها وحين خوف
المكذبين باهوال الاخرة خوفهم باهوال الدنيا مثل ما جرى على الامم السالفة ولا سيما فرعون وجنوده وانما خص
قصة موسى بالذكر لان امته اكثر الامم الباقية ومعجزاتهم فكان تشبيه نبينا صلعم بحاله انسب ومعنى شاهدا عليكم
كما مر في قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وانما عرف الرسول ثانيا لانه ينصرف الى المعهود السابق في الذكر والاخذ
الوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل المطر العظيم وقال ابو زيد هو الذي لا يستمرى او خامته ومنه كلا مستوبل ثم عاد
الى تخوفهم مرة اخرى قايلا فكيف يتقون وانتصب يوما على انه مفعول به لتتقون اي كيف تحذرون ذلك اليوم
ان تكفرتم اي ان جحدتم يوم الاحزاب كيف تدعون تقوى الله وخوف عقابه ويجوز ان يكون ظرفا لتتقون اي فكيف
لكم بالتقوى يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ثم ذكر من هول ذلك شيئين الاول انه يجعل الولدان شيبا جمع اشيب نحو
بيض جمع ابيض قيل انه وصفه بالطول بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب والاكثرون على انه مثل
في الشدة كما قيل يوم تشيب نواصي الاطفال والاصل فيه قول الحكماء ان الهموم والاحزان يسرع الشيب لافضائها
احتباس الروح الى داخل القلب المستتبع لانطفاء الحرارة الغريزية المستعقب لنجاحة الاخلاط واستيلاء البلغم المنكح
وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان اتصال الالم او الخوف الى الصبيان غير جاين وجوزه بعضهم
بناء على ان ذلك امر غير داخل تحت التكليف وقد حكي ان رجلا فاحم الشعر كحنك الغراب اصبح وهو ابيض الراس واللحية
فقال رايت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هوله ذلك اصبحت
كما ترون الثاني قوله السماء منفطر به وانما ذكر السماء لان تانيثه غير حقيقي بتاويل السقف او بتاويل شي منفطر
او ذات انفطار والباقي بمعنى في عندا والدالة نحو فطرت العود بالقدوم اي انها منفطر بسبب هول ذلك اليوم او
شقل به انقالا يؤدي الى انفطارها كقوله ثقلت في السموات والارض كان وعده اي وعد الله وقيل وعد اليوم
فيكون من اضافة المصدر الى مفعول ان هذا الايات المشتملة على التكاليف والتخاويف تذكرة موعظة فمن شاء
فمن شاء اتخذ الى قرب ربه سبيلا بالاتعاظ والاذكار والتوسل بالطاعة والتجنب عن المعصية قال ان النبي صلعم
واصحابه تهجدوا بعد نزول اوايل السورة عن ساق الجد في شان قيام الليل وتركوا الرقاد حتى انتفخت اقدامهم واصفرت
الوانهم فلا جرم رحمهم وخفف عنهم قايلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما قال اهل المعاني
والبيان انما استعير الادنى للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا ادنت قل ما بينهما من الاعيار ويقوم نصفه وثلثه
وهذا مطابق لما مر اولا من التخيير بين النصف واقل من النصف وهو الثلث وهو الربع وهو مطابق للوجه الاخير
من الكشاف وقوله وطايفة عطف على المستتر في يقوم وجاز من غير تاكيد للفصل والله دون الفعل ما اكد للمعنى
المذكور بقوله علم ان لن تحصوه اي لن يصح منكم ضبط اوقات الليل كما هي الا ان تاخذوا بالاوسع الاحوط وذلك شاق
عليكم فتاب عليكم ما فرط منكم في مساهلة حصر الاوقات ورفع تبعيدكم فاقروا ما تيسر من القران الاكثرون
على ان القراة ههنا عبارة عن الصلوة كما يعبر عنها بالقيام والركوع والسجود والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم بالليل فيكون
هذا ناسخا للاول ثم انهما نسخا جميعا بالصلوات الخمس او نسخ هذا وحده بهن وعن بعضهم انها القراة حقيقة وروي
من قرا ماية اية او خمسين كتب من القانتين ثم بين الحكمة في هذا النسخ فقال علم وهو استيناف على تقدير السؤال
عن وجه النسخ وان في قوله ان سيكون مخففة من الثقيلة اسمها الشان وكان تامه اي سيوجد منكم مرضى هو جمع
مريض واخرون عطف عليه في الموضعين سوى الله سبحانه بين المسافرين لكسب الحلال والمجاهدين في سبيله فيما
اضعف من جانبه من العلماء مستكفا عنه الى الطلب ما يجوز له اخذ الاجرة عليه كالامامة والقضاء والتدريس برى انه
منصب من المناصب الدينية فيضيع دينه لكدح خياليه لا اعتدادها عند العقلاء عن عبد الله بن عمر ما خلق الله
موتا اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من موت بين شعبه رجل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعن عبد الله
بن مسعود مرفوعا ايما رجل جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من

الشهدا وظاهر ان المرضى لا يمكنهم الاشتغال بالتهجد لمرضهم واما المسافرون والمجاهدون فيشتغلون في النهار بالاعمال
الشاقة فلو اشتغلوا بالعبادة في الليل لتوالت اسباب المشقة عليهم وقوله فاقرؤا ما تيسر منه اعادة للكلام الاول تاكيدا
للرخصة عن ابن عباس سقط عن اصحاب رسول الله قيام الليل وصار تطوعا وبقي ذلك فرضا على رسول الله صلعم ثم
امرنا باقامة الصلوات الخمس وايتاء الزكوة الواجبه وهذا ايضا مما يغلب على الظن الاية مدنيه وقيل هي
زكوة الفطر ثم اشار الى صدقة التطوع بقوله واقرضوا الله ويحتمل ان يعود هذا ايضا الى الزكوة اي اقرضوا
بايتاء الزكوة وفيه ان اخراج الزكوة ينبغي ان يكون على احسن وجه من مراعاة النية الخالصة والصرف الى
المستحقين وكونها من اطيب الاموال لا اقل من الوسطة ثم حث على الانفاق مطلقا بقوله وما تقدموا الاية
وقوله هو صيغة الفصل وقوله خيرا ثاني مفعولي يجدون ثم حرص على الاستغفار في جميع الاحوال وان كانت طاعات
لما عسى ان يقع فيها تفريط والله علم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر ۝ قم فانذر ۝ وربك فكبر ۝ وثيابك فطهر
والرجز فاهجر ۝ ولا تمنن تستكثر ۝ ولربك فاصبر ۝ فاذا نقر
في الناقور ۝ فذلك يومئذ يوم عسير ۝ على الكافرين غير يسير
ذرني ومن خلقت وحيدا ۝ وجعلت له مالا ممدودا ۝ وبنين شهودا
ومهدت له تمهيدا ۝ ثم يطمع ان ازيد كلا ۝ انه كان لاياتنا عنيدا
سارهقه صعودا ۝ انه فكر وقدر ۝ فقتل كيف قدر ۝ ثم قتل
كيف قدر ۝ ثم نظر ۝ ثم عبس وبسر ۝ ثم ادبر واستكبر ۝ فقال ان
هذا الا سحر يؤثر ۝ ان هذا الا قول البشر ۝ ساصليه سقر ۝ وما
ادريك ما سقر ۝ لا تبقي ولا تذر ۝ لواحة للبشر ۝ عليها تسعة عشر
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ۝ وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين

في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك
يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي
الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر
انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون
عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك
نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب
بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين
فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من
قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا
بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما
يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة

القراءة والرجز بضم الراء يزيد وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالكسر تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات يزيد والحراز عن هبيرة اذ بسكون الذال ادبر من الادبار نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص والمفضل والباقون اذا بالالف دبر من الدبور مستنفرة بفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل تخافون بتاء الخطاب نافع ويعقوب الوقوف المدثر فانذر فكبر فطهر فاهجر تستكثر فاصبر وقد يجوز الوقف على الايات قبلها الاعلى الاولى الناقور عسير يسير وحيدا ممدودا شهودا تمهيدا ان اريد كلا عنيدا للابتداء بان وقدر قدر قدر نظر وبسر واستكبر يوثر البشر ما سقر سقر لتناهي الاستفهام ولا تذر لان التقدير هي لواحة مع اتحاد المقصود للبشر للاية ولان ما بعده من تمام المقصود ملائكة لاتفاق الجملتين مع استقلال كل منهما بنفي واستثناء كفروا التعلق اللام والمؤمنون لذلك مثلا ويهدي من يشاء الا هو للبشر قد يوصل على جعل كلا ردعا والوقف على البشر دون كلا اصوب لانه تاكيد القسم بعدها والقمر اذا ادبر اسفر الكبر للبشر يتاخر رهينة اليمين على تقديرهم في جنات والوقف على جنات اولى لعدم الاضمار وسقر المصلين المسكين الخائضين الدين اليقين الشافعين للابتداء بالاستفهام معرضين لان ما بعده صفتهم مستنفرة قسورة منشرة كلا للردع عن الارادت الاخرة على جعل كلا بمعنى حقا تذكرة للشرط مع الفاء ذكره الله المغفرة التفسير روى جابر بن عبد الله ان النبي صلعم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض فخفت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل جبرائيل عليه

فقال يا ايها المدثر وروى الزهري مثله وقريب منه ما قيل انه كان يختفي في غار حراء فقيل له يا ايها المدثر بدثار الخمول والاختفاء اشتغل بدعوة الخلق فالسورة على هذا من اوايل ما نزل وقيل سمع من قريش ما كرهه كما يجي حكايته عن الوليد فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا فامر ان لا يدع انذارهم ولا يصبر على اذاهم فقيل اراد يا ايها المدثر بدثار النبوة مثل لباس التقوى والدثار ما فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد قال صلعم الانصار شعار والناس دثار وقوله قم اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم وقوله فانذر متروك المفعول لئلا يختص باحد نحو فلان يعطي اي فافعل الانذار واوجده وقيل فانذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا قوله وربك فكبر اي عظم ربك مما يقوله عبدة الاوثان او من ان يامرك بالانذار من غير حكمة وصلاح عام وعن مقاتل هو نفس التكبير انه لما نزل قال النبي صلعم اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ولا يبعد ان يكون للنبي صلعم في اول الامر صلوات مخصوصة والفاءات في فكبر وما يتلوها ليلازم ما قبلها وما بعدها كانه قيل كان مهما كان من شيء فلا تدع تكبيره قوله وثيابك فطهر في تفسيره وجوه اربعة الاول ان يترك كل من لفظي الثياب والتطهير على ظاهره وعن الشافعي ان المراد الاعلام بان الصلوة في الاثياب طاهرة من الانجاس والاقذار ولا ريب هذا هو الاصل الا ان في حال الصلوة ايضا لا يحل استعمال النجس ولان النجس قبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبيثا وروي انهم القوا على رسول الله صلعم سلا شاة فرجع الى بيته حزينا وتدثر بثيابه فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا يمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر عن ان لا ينتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات الثاني الثياب حقيقة والتطهير كناية عن التقصير لان العرب كانوا تطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه قصر ثيابك فانه ابقى واتقى وقيل تطهيرها ان لا يكون مغصوبة ولا محرمة بل تكون مكتسبة من وجه حلال الثالث عكسه عبر عن الجسد بالثياب لاشتماله على النفس وكان العرب لا يتنظفون وقت الاستنجاء فامر النبي صلعم بالتنظيف الرابع ان يكون كل من اللفظين مجازا قال القفال انهم لما لقبوه بالساحر شق عليه ذلك فرجع الى بيته وتدثر وكان ذلك اظهار جزع وقلة صبر فامر بحسن الخلق وتهذيب الاخلاق اي طهر قلبك عن الصفات الذميمة كقطع الرحم وعزم الانتقام وسامة من الدعوة الى دين الله لاجل اذى القوم وهذا بعد مناسبة لخطابه بالمدثر مجاز مستعمل يقال فلان طاهر الجيب نقي الذيل اذا كان بريئا من المثال ويقال المجد في ثوبيه والكرم في برديه وذلك ان الثوب كالشيء اللازم للانسان فجعل طهارته كطهارته ولان الغالب ان من طهر باطنه من ظاهره وقيل هو امر بالاحتراز عن الاثام والاوزار التي كان مقدم عليها قبل النبوة وهذا تاويل من حمل قوله ووضعنا عنك وزرك على اثام الجاهلية وقيل معناه نساءك طهرهن وقد يكنى عن النساء بالثياب هن لباس لكم قوله والرجز فاهجر هو بالضم والكسر العذاب والمراد اهجر ما يودي اليه من عبادة الاوثان وغيرها اي اثبت على هجره مثل اهدنا وهذا يوكد تاويل من حمل قوله وثيابك فطهر على تحسين الاخلاق والاجتناب عن المعاصي قوله ولا تمنن تستكثر اي لا تعط مستكثرا اي طالبا ما اعطيته كثيرا بل يجب ان تعطي ما ويرى ان الاخذ منه عليك بقبول ذلك الانعام وهذه نهاية الكرم على ان الاستكثار ينبئ عن المنة وهي مبطلة للعمل كما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فقوله تستكثر مرفوع والجملة في موضع الحال منصوبا ويجوز ان يكون الاصل لان تستكثر فحذف اللام ثم ان وابطل عملها كما روي الا ايهذا الزاجري احضر الوغى بالرفع واختار ابو علي الفارسي الوجه الاول الا انه قال تاويله لا تمنن مقدار الاستكثار كما في قول القايل مررت برجل معه صقر صايدا به غدا واقول هذا التاويل مما لا حاجة اليه لان طلب الكثرة مقرون بالاعطاء بخلاف الصيد غدا وذهب جم غفير من المفسرين الى انه نهي عن الاستعزاز وهو ان يهب شاة طامعا في ان ياخذ اكثر منه فيكون نهي تنزيه لانه جاء في الحديث المستغزر يثاب من هبته اي يعوض ويجوز ان يكون نهي تحريم خاصا برسول الله صلعم لان منصبه يجل عن طلب الدنيا خصوصا بهذا الوجه ومنهم من حمله على الربوا فيكون نهي تحريم للكل والمن بمعنى القرض وقال القفال يحتمل ان يكون المقصود النهي عن طلب العوض مطلقا سواء كان العوض زايدا او مساويا او ناقصا اما الزايد فظاهر واما المساوي والناقص فلان طالب العوض كان ينقص المال بسبب العطاء فكانه يطلب الكثرة ويجوز ان يقال انما حسنت هذه الاستعارة لان الغالب ان الثواب يكون زايدا على العطاء فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشيء على اغلب احواله وهذا كما ان الاغلب ان المراة ذات الولد انما يتزوج للحاجة الحسن بربي ولدها فسمي الولد بيناثم اتسع فسمي ولد المراة ربيبا وان كان كبيرا خارجا عن حد التربية امر صلعم ان

يكون عطاؤه خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه كيف كان يقع خالصا لوجه الله ويكون صابرا محتسبا وعن
الحسن وغيره انه لما امر بانذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجران قال لا تمنن على ربك بهذه الاعمال الشاقة
كالمستكثر لما تفعله بل اصبر على ذلك كله ويؤكد قوله بعد ذلك ولربك فاصبر اى استعمل الصبر في مطاوعة خالصا لوجه
ربك وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحى كالمستكثر لذلك الانعام فانك انما فعلت ذلك بامر الله و
قيل لا تمنن عليهم بنبوتك تستكثر اى لتاخذ منهم على ذلك اجرا فيكثر مالك وقال مجاهد لا تمنن اى لا تضعف ومنه المنين
اى ضعيفه والمعنى لا تضعف ان تستكثر من هذه الاوامر ووجه الرفع ما مر في قوله اختصر الوجه قوله فاذا نقر
الفاء للسبب كانه قال اصبر على التكاليف المعدودة وعلى اذى المشركين فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم
وتلقى عاقبة صبرك والفاء في فذلك للجزاء ونصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على
الكافرين والناقور فاعول من النقر كالهاضوم من الهضم ويشبه ان يكون البناء للآلة لان الهاضوم ما يهضم به
فالناقور ما ينقر به وهو الصور باتفاق المفسرين فكان آلة النقر اى النفخ وذلك ان النفخ سبب حدوث الصوت كما ان النقر
سبب الحدوث في الآلات ذوات الاوتار وقال الجوهرى في الصحاح فاذا نقر في الناقور اى نفخ في الصور وقد
يلوح من كلام فخر الدين الرازى في التفسير الكبير ان النقر غير النفخ وهذا من كلام الحليمى في كتاب المنهاج وذلك انه قال
جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها فاذا نفخ فيه للاصعاق جمع بين النقر والنفخ ليكون الصيحة اهول
واعظم واذا نفخ فيه للاحياء لم ينقر فيه واقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها ويظهر
من مجموع كلامه انه حمل هذا النقر على انه مقرون بالنفخة الاولى بعد ان ثبت المغايرة من المفسرين من ذهب الى انه النفخة الثانية
او هو عندها لانه سبحانه اخبر ان ذلك الوقت شديد على الكافرين والاصعاق ليس بشديد عليهم ولذلك يقولون يا ليتها كانت
القاضية اى يا ليتنا بقينا على الموتة الاولى قلت لا دليل له في هذا لان الاصعاق شديد عليهم لا محالة ثم اذا جاءت النفخة الثانية
راوا من اهوال ما تمنوا فيها حالة الاصعاق او يقول مبتداء الشدة في حين الاصعاق ثم يصير الامر بعد ذلك اشد لانهم
يناقشون في الحساب وتسود وجوههم وتتكلم جوارحهم الى غير ذلك من الفضايح والاهوال قوله فذلك يحتمل ان يكون اشارة
الى النقر ويتم الكلام بتقدير مضاف اى فذلك النقر يومئذ نقر يوم عسير وقوله غير يسير تاكيد كقولك انا محب لك غير
مبغض وفايدته ان يعلم انه عسير على الكافرين لا يرجى زواله كما يرجى تيسر العسير من امور الدنيا او يراد انه عسير على الكل
لان اكثر الانبياء يقولون نفسى نفسى والولدان يشيبون الا ان الكافر يختص بمزيد العسر بحيث يكون اليسر منتفيا عنه راسا
ويعلم هذا من تقدم الظرف روى المفسرون ان الوليد بن المغيرة المخزومى وجماعة من صناديد قريش كابى جهل وابى لهب
وابى سفيان والنضر بن الحرث وامية بن خلف والعاص بن وايل اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب يجتمعون في ايام
الحج ويسلوننا عن امر محمد فكل منا يجيب بجواب آخر فواحد يقول مجنون وآخر يقول كاهن وآخر يقول شاعر فيعلم
العرب باختلاف الاجوبة على كون هذه الاجوبة باطلة فهلموا نجمع على تسمية محمد باسم واحد فقال واحد انه شاعر
فقال الوليد سمعت كلام عبيد بن الابرص وكلام امية بن ابى الصلت وكلامه ما يشبه كلامهم فقال الآخر هو كاهن
فقال الوليد ان الكاهن يصدق تارة ويكذب اخرى ومحمد ما كذب قط فقال الآخر انه مجنون فقال الوليد المجنون يخنق
الناس وما خنق محمد احدا قط فقام الوليد وانصرف الى بيته فقال الناس صبا الوليد فدخل عليه ابو جهل وقال ما لك
يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا زعموا انك احتجت وصبأت فقال الوليد ما لى اليه حاجة ولكنى فكرت في امر محمد
فقلت انه ساحر لانه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله سحر يؤثر عن مسيلمة من اهل بابل فاجتمعوا
على تلقيب محمد بهذا اللقب وفرحوا بذلك وتعجبوا من كياسته وفكره ونظره ثم انهم خرجوا ونادوا بمكة ان محمدا الساحر
فلما سمع رسول الله ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته حزينا فتدثر بقطيفة فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر الآيات
ثم هدد الوليد وسلى نبيه صلعم بقوله ذرنى ومن خلقت وهو كقوله في المزمل فذرنى والمكذبين وقوله وحيدا حال
من مفعول ذرنى وحدى معه فانا اكفيك شره من غير واسطة او من فاعل خلقت اى خلقته وحدى من غير شركة احد
او من مفعول خلقت المحذوف اى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد ويجوز ان يكون نصبا على الذم والمراد
عنى وحيدا بناء على ما روى ان الوليد كان يلقب بالوحيد فان كان علما فلا اشكال وان كان صفة على ما روى انه
كان يقول انا وحيد بن الوحيد ليس لى في العرب نظير ولا لابى نظير فهو استهزاء به وتهكم بحسب ظنه واعتقاده
نحو ذق انك انت العزيز الكريم فيقصد انه ليس وحيدا في العلو والشرف ولكنه وحيد في الخبث والدناءة والكفر

وقيل ان وحيدا مفعول ثان قال ابو سعيد الضرير الوحيد الذى لا اب له فيكون طعنا في نسبه كما في قوله عتل بعد
ذلك زنيم وفي المال الممدود وجوه اظهرها انه المال الذى يكون له مدد ياتى منه الجزء على الدوام كالزرع والضرع
وانواع التجارات ولهذا فسره عمر بن الخطاب رض بغلة شهر بشهر وقال ابن عباس هو ما كان بين مكة والطايف
من صنوف الاموال وعلى هذا يكون المال الممدود دايما بمعنى المدد كما قلنا او بمعنى امتداد مكانه وقريب منه ما
روى مقاتل انه كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء ومن المفسرين من قدر المال الممدود فقيل
الف دينار او اربعة الاف او تسعة الاف او الف الف وهذه تحكمات لا اصل لها الا ان يكون رواية صحيحة ان مال
الوليد كان على احد هذه الاعداد وحينئذ يمكن ان يقال العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب وفي قوله بنين
شهودا وجوه احدها انهم حضور معه بمكة لا يفارقونه لاستغنائهم عن الكسب وطلب المعاش فهو مستانس بهم
غير محزون بفراقهم الثانى انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل الثالث انهم من اهل الشهادات في الحكومات
يسمع قولهم ويعتد بهم واما عددهم فعن مجاهد عشرة وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد
وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس قال في الكشاف اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قلت انه ابقى
الوليد بن الوليد في حوزة الكفرة وهو مسلم حسن الاسلام مشهور الصحبة كما ذكر رشيد الدين الوطواط في رسالته
وذكر صاحب سنن السلف سيد الحفاظ ابو القسم فيه ان الوليد بن الوليد بن المغيرة كان من المستضعفين
حبسه المشركون فدعا النبى صلعم في قنوته اللهم انج الوليد بن الوليد بن المغيرة وعياش بن ابى ربيعة وسلمة بن هشام ثم
قدم المدينة فتوفى بها فكفنه رسول الله صلعم في قميصه وكانت ام سلمة تنشد شعر ابكى الوليد بن الوليد بن
المغيرة ، ابكى الوليد بن الوليد فتى العشيرة ، وقال ابن الاثير مؤلف كتاب جامع الاصول في احاديث الرسول
رحمه الله هو الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى اخو خالد بن الوليد اسر يوم بدر
كافرا ففداه اخواه خالد وهشام فلما افتدى اسلم فقال له هلا اسلمت قبل ان تفتدى فقال كرهت ان يظنوا بى
اسلمت جزعا من الاسار فحبسوه بمكة وكان النبى صلعم يدعو له في القنوت مع من يدعو له من المستضعفين بمكة ثم انسل من اسارهم
ولحق بالمدينة والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر في سورة الزمر في تفسير قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على
انفسهم ان الوليد اسلم واسلم معه نفر وهاجروا ثم انه ابقاه ههنا في بقية الكفار قوله سبحانه ومهدت له تمهيدا اى
بسطت له الجاه واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا حتى جعلوه دعاء الخير فيما بينهم قائلين ادام الله تاييدك وتمهيدك
اى بسطتك وتصرفك في الامور وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش
ومعنى ثم في قوله ثم يطمع ان ازيد استبعاد وتعجب من طمعه وحرصه على الزيادة بعد ان لم يعرف حق بعض ما اوتى
قال الكلبى ومقاتل ثم يرجو ان ازيد في ماله وولده وقد كفر بى وقيل ان تلك الزيادة في الآخرة كان يقول ان كان محمد
صادقا فما خلقت الجنة الا لى ثم قال تعالى كلا وهو ردع له عن طمعه الفارغ قال المفسرون ولم يزل الوليد في نقصان
بعد قوله كلا حتى افتقر ومات فقيرا ثم علل الردع على وجه الاستيناف كانه قال لم لا يزاد فقيل لانه كان لآياتنا
عنيدا معاندا والكافر لا يستحق المزيد ولا سيما اذا كان كفره افحش انواعه وهو كفر العناد بعد ما حكينا عنه ما روى
ان الوليد مر برسول الله صلعم وهو يقرا حم السجدة فرجع وقال لبنى مخزوم والله لقد سمعت آنفا من محمد كلاما ما هو من
كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى ولا
ريب ان من عرف هذا القدر ثم زعم ان القرآن سحر فانه يكون معاندا والعنيد هو الذى كان العناد خلقه ودينه
فلشدة عناده وصفه الله به وتقديم الظرف يدل على ان عناده كان مختصا بآيات الله وان كان تاركا للعناد في
ساير الامور وفي جمع الآيات اشارة الى انه كان منكرا للتوحيد والنبوة والبعث وغير ذلك من دلايل الدين ومعجزاته
ولهذا اوعده الله سبحانه اشد الوعيد قايلا سارهقه صعودا اى ساغشيه عقبة شاقة المصعد وفيه قولان
احدهما الظاهر وهو ما روى عن النبى صلعم الصعود جبل من نار يصعد فيه خمسين خريفا ثم يهوى فيه كذلك
ابدا وعنه صلعم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت
فاذا رفعها عادت الثانى انه مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذى لا يطاق كما مر في قوله يسلكه عذابا
صعدا ثم فسر كيفية عناده بقوله انه فكر ما يقول في هذا القرآن وقدر في نفسه كلاما فقتل كيف قدر وهذا
الكلام مما ينطق به العرب عند التعجب والاستعظام يقولون قتله الله ما اشجعه وقاتله الله ما اشعره واخزاه وما

اطرفه والمراد انه بلغ المبلغ الذي حق له ان يحسد فيدعى عليه والمعنى في الاية التعجب من قوة خاطره انه كيف
استنبط هذه الشبهه في امر محمد بحيث وافق غرض قريش كما حكينا وهي بالحقيقه بناء عليه على طريقه الاستهزاء ومعنى
ثم الداخله في تكرير الدعاء والدلاله على ان التعجب في الكره الثانيه ابلغ من الاولى وهي حكايه لما كرره من قولهم قتل كيف
قدر ويجوز ان يكون التقدير الاخير بتقدير التقدير اى نظر فيه بتمام الاحتياط فهذا ما يتعلق باحوال الغلبه ثم وصف
احوال الظاهره قايلا ثم نظر في وجوه القوم ثم عبس وبسر كالذى ان عضب مع ذلك قبل ان يسلم ثم ادبر عن ساير الناس الى اهله واستكبر
عن الايمان ويحتمل ان يقال فدرما يقوله ثم نظر فيه احتياطا والدعاء بينهما الليث عبس عبوسا اذا قطب ما بين عينيه
فان ابدى عن اسنانه في عبوسه قيل كلح فان اهتم لذلك وفكر فيه قيل سرح اعراض ثم قطب في وجه رسول الله صلعم
ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه ومعنى في هذه الافعال سوى فعلى الدعاء الثاني والمهله والفاء في قوله للدلاله على انه
كاولى واستكبر ذكر هذه الشبهه وان الكلمه لاخطرت بباله بعد التفكر لم يمالك ان نطق بها من غير تراخ وقوله يؤثر الاثر
بالسكون الروايه كما مر اى من الاتباع اى هو مختار على جميع انواع السحر وقوله ان هذه الاقوال البشر جار مجرى التوكيد من
الاولى ولهذا لم يوسط العاطف بينهما اراد بذلك انه ملفوظ من كلام غيره ومن تامل في هاتين الجملتين عرف انه حكايه
كلام متحير مضطر فاضطرب عليه وجوه الحيل في دفع الحق الصريح ولذلك جازاه الله تعالى بقوله ساصليه سقر ولعله بدل
من قوله سارهقه صعودا ثم قال وما ادريك ما سقر والمراد التهويل ثم بينها بقوله لا تبقي ولا تذر قال بعضهم معناهما
واحد والتكرار للمبالغه وقال آخرون لا بد من الفرق فروى عطاء عن ابن عباس انها لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيا
فاذا اعيدوا خلقا جديدا فلا تذر اى تعاودهم وهكذا ابدا وقيل لا تبقي من المستحقين للعذاب الا حرقتهم ثم لا تذر من
ابدان ذلك المعذبين شيا الا احرقته وقيل لا تبقي على شي ولا تذر من قوتها الا استعملته والتقدير هي لا تبقي بدليل قوله
خبر لواحة ويجوز ان يكون هذا خبر المبتدا اخر قال اكثر المفسرين وهي من لاحة العطش ولوحته اى غيره وذلك انها
تسود البشر وهي اعلى الجلود باحراقها واعترض الحسن والاصم بان وصفها بالتغيير لا يناسب بعد قوله لا تبقي ولا تذر ثم
لوعكس الترتيب لا اتجه لانها تغير البشرة او لا ثم تفنيها فمعنى لواحة لماعه من لاح البرق وعلى هذا يلوح اذا المعنى والبشر بمعنى
الانسان وذلك انها تظهر لهم من مسيرة خمسمايه عام ثم بين ان عدد الخزنه الموكلين عليها تسعه عشر فزلنا المنس فقيل
صنفا والاكثرون شخصا مالك ومعه ثمانيه عشر اعينهم كالبرق وانيابهم كالصياصى تخرجون اشعارهم يخرج لهب
النار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنه تسع كف احدهم مثل ربيعه ومضر نزعت عن الرافه والرحمة منهم يأخذ
احدهم سبعين الفا في كفه ويرميهم حيث اراد من جهنم وذكر العلماء في هذا العدد وجوها فقال المتشرعون
هذا ما لا يصل اليه عقول البشر كاعداد السموات والارضين والكواكب وايام السنة والشهور وكاعداد الزكوات
والكفارات والصلوات وقيل ان العدد على وجهين قليل وهو من الواحد الى التسعه وكثير وهو من العشرة الى ما لا
نهاية له فجمع بين نهاية القليل ونهاية الكثير وقيل ان ساعات اليوم بليلته اربع وعشرون خمس منها تركت لاجل
الصلوات الخمس والباقيه لكل منها ملك يعذب من يضيعها في غير حق الله وقيل ان ابواب جهنم للفساق وله زبانيه
واحد بسبب ترك العمل ولكل من الابواب الباقيه ثلاثه املاك لان الكفار يعذبون لاجل امور ثلثه ترك الاعتقاد
وترك الاقرار وترك العمل وقال الحكيم ان فساد النفس الانسانيه في قوتها النظرية والعملية بسبب استعمال القوى
الحيوانيه والطبيعيه لا على وجهها والقوى الحيوانيه الشهوة والغضب والحواس الخمس الظاهره والخمس باطنه واما القوى
الطبيعيه فالجاذبه والماسكه والهاضمه والرافعه والغاذيه والناميه والمولده فلما كان منشاء الافات هذه القوى
التسع عشرة لا جرم كان عدد الزبانيه كذلك يروى انه لما نزلت الايه قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم ايعجز كل عشرة
منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال المسلمين ويحكم لا تقاس الملائكه بالحدادين اى السجانين وجرى مثل هذا مثله في كل شي
لا يسوى بينهما وانزل الله سبحانه وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اى ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون ويرحمون
فان الجنسيه مظنه الرافه ولذلك جعل النبي من جنس الامة ليكون بهم رؤفا رحيما والاستبعاد في كون الملائكة في
النار غير معذبين بناء على القول بالفاعل المختار ولعلهم قد غلب عليهم ظاهر واما على اصول المعتزلة فقال الجبائي المراد
بالفتنه تشديد التعبد وليستدلوا به على كمال قدرة الله وقال الكعبي هي الامتحان فيؤمن المؤمن المتابر ويفوض حكمه
التخصيص بهذا العدد الى علم الخالق والكافر يعترض عليه وقال بعضهم اراد ما وقعوا فيه من الكفر بسبب انكارهم والتقدير
الا فتنه على الذين كفروا وحاصله يرجع الى ترك الالطاف واجيب عن هذه التاويلات بان انزال هذه المتشابهات

لابد ان يكون لها اثر في تقوية داعية الكفر والا كان انزالها كلا انزال ومع هذا الترجيح لا يحصل الايمان البته وهو المعنى
بالاضلال واعلم ان في الاية دلاله على انه سبحانه جعل افتتان الكافر بعدد الزبانيه سببا لامور اربعه اولها ليستيقن
ثانيها ويزداد ولا يرتاب رابعها وليقول وفيه اشكال قال جار الله انه ما جعل افتتانهم بالعدد سببا ولكنه وضع
فتنه موضع تسعه عشر بتغيير عن المؤثر باللفظ الدال على الاثر تنبيها على ان الاثر من لوازم ذلك الاثر وقال الآخرون
تقديره وما جعلنا عدتهم الا فتنه للكافرين والا ليستيقن كما يقال فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك قالوا و
العاطفه تذكر في هذا الموضع تاره وتحذف اخرى واما سبب استيقان اهل الكتاب فهو انهم قراوا هذا العدد في
كتابهم ولكنهم ما كانوا واثقين به لتطرق التحريف الى كتابهم من غير سابقه دراسه وتعلم ولانه اخبر كفار قريش
لهذا الامر الغريب من غيره الاية واستهزاءهم وتكذيبهم فعرفوا انهم من قبيل الوحي والا لم يجترئ على التكلم به خوفا من
التخريه واما زياده ايمان المؤمنين فلحمولها على آرائه ولوازمه ونتائجه واما نفي الارتياب عن اهل الكتاب والمؤمنين
بعد اثبات الاستيقان وزياده الايمان لهم فمن باب التوكيد كانه قيل حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل بعده شك
ولا ريب لان الذي حصل له اليقين وقد يغفل عن مقامه من مقاماته الدليل فيعود له الشك وفيه ايضا تعريض
بحال من عداهم كانه قيل ولتخالف حالهم حال المرتابين من اهل الزيغ والكفران واما الذين في قلوبهم مرض فهم اهل
النفاق الذين حدثوا بعد ذلك لان السورة مكيه ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينه ففي الايه اخبار بالغيب وقد رفع
مطابقا فكان معجزا واللامات في الامور الاربعه للغايه عند الاشاعرة والمعتزلة يسمونها لام العاقبه وقد مر في موضع
وقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا الى قوله اى من يشاء قد مر في اول البقرة وسمى ذكر هذا العدد مثلا لغرابته حيث لم
يقل عشرين سواء والمعنى اى شي اراد الله بهذا العدد العجيب مع انهم منكرون له من اصله والكاف في كذلك منصوب
المحل اى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل ويهدي قوله وما يعلم جنود ربك الا هو اشار الى ان ما
عليه عدد الخزنة لا يعلم حكمته ولا حكمة ما عليه كل صنف من العدد الخاص الا الله سبحانه كما يقوله اهل الحق وقد
مر وقيل ان القوم استقلوا ذلك العدد فقال تعالى في جوابهم هب ان هؤلاء تسعه عشر الا ان كان لكل واحد
من الاعوان والجنود ما لا يحصيهم الا الله او ما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين
وازيد ولكن له في هذا العدد حكمة اختص هو بمعرفتها قوله وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر قوله وما جعلنا
اصحاب النار الى ههنا اعتراض اى وما سقر وصفتها الا موعظة للناس ويحتمل ان يعود الضمير الى هذه الايات
المشتمله على هذه المتشابهات وهي ذكرى لجميع العالمين وان لم ينتفع بها الا اهل الايمان قوله كلا قيل انكار لان يكون للكفار
وذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن نكر ان يكون احدى الكبر نذيرا او ردع لقول ابي جهل واصحابه انهم يقدرون
على مقامه خزنه النار او ردع لهم عن الاستهزاء بالعدد المخصوص وقد انه يجوز ان يكون بمعنى حقا تاكيدا للقسم بعده
قال الفراء دبر وادبر بمعنى واحد كقبل واقبل وروى بعضهم ان ابن عباس كان يفتش قراءة الثلاثي ويقول انما يدبر
ظهر البعير وفي صحة الرواية نظر لان القراءة السبع كلها متواترة قال الواحدي والقراتان عند اهل اللغة سواء
ومنه امس الدابر وعلى هذا يكون دبور الليل وادباره واسفار الصبح اى اضاءته كشي واحد وقال ابو عبيد وابن
قتيبه هو من دبر الليل النهار اذا خلفه ومجاهد ثم قال انها اى ان سقر التي جرى ذكرها لاحدى البلايا والدواهي
الكبر وهي جمع الكبرى قال جار الله جعلت الف التانيث كتابها وكما جمعت فعله على فعل جمعت فعلى عليها ونظير
ذلك السوافي جمع السافياء وهو التراب الذي تسفيه الريح القواصف في جمع القاصف كانها جمع فاعله قال المفسرون
المراد من الكبر دركات جهنم وهي سبع وجهنم ولظى والحطمه والسعير وسقر والجحيم والهاويه فعلى هذا يكون سقر
احديهن ظاهر وقال اهل المعاني اراد انها من بين الدواهي واحدة في العظم لا نظير لها ونذيرا تمييز من احدى اى
انها لاحدى الدواهي انذارا كما يقول هي احدى النساء عفافا وقيل نذيرا حال ومن غريب التفسير اى نذيرا متصل
باول السورة اى قم فانذر نذيرا ثم قال لمن شاء منكم وهو خبر وما بعده وهو ان يتقدم او يتاخر مبتدا كقوله لمن
توضا ان يصلي اى مطلق لمن شاء السبق الى الخير او التخلف عنه التقدم او التاخر وهو للتهديد كقوله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من قوله للبشر اى انها منذرة للذين ان شاؤا تقدموا وان
شاؤا تاخروا فهلكوا واستدلال المعتزلة بهذا ان العبد مختار ظاهر والاشاعره يحملونه على التهديد او على ان فاعل
شاء هو الله سبحانه اى لمن شاء الله منه التقدم او التاخر سلمنا ان الفاعل ضمير عايد الى من لكن مشية العبد

تابعة لمشية الله تعالى كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء ثم اكد المعنى المتقدم بقوله كل نفس بما كسبت رهينة اى لا ترى
الا جزاء عمله كما مر نظيره فى الطور قال النحويون التاء فى رهينة ليست للتانيث لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر
والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم واقول يحتمل ايضا ان يكون التاء للمبالغة الا اصحاب اليمين فانهم
فكوا رقابهم من الرهن بسبب اعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق قال الكلبى هم الذين كانوا على يمين آدم
فقال الله هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وقال مقاتل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابن عباس هم الملائكة وعن
على كرم الله وجهه وابن عمر هم الاطفال قال الفراء هذا القول اشبه بالصواب لان الولدان لم يكتسبوا اثما يرهنون
به ولانه تعالى ذكر فيهم انهم يتساءلون عن حال المجرمين وهذا انما يليق بالولدان الذين لا يعرفون موجب دخول النار
والاولون حملوا السؤال على التوبيخ والتخجيل قال فى الكشاف معنى التساؤل بعضهم بعضا عن حالهم ويتساءلون غيرهم عنهم كقولك
دعوته لنا وتداعيناه نحن ثم زعم ان الوجه قوله ما سلككم على الخطاب مع ان سياق الكلام يقتضى الغيبة هو انه
حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم
وقال غيره والمراد ان اصحاب اليمين كانوا يتساءلون عن المجرمين اين هم فلما راوهم قالوا ما سلككم واقول لو فرض التكلم
مع المجرمين زال الاشكال اى يتساءلون المجرمين اى عن حال انفسهم وليس فيه الا وضع المظهر مكان
المضمر وهذا التكرار مما جاء فى القران وغيره من فصيح الكلام سابقا كقوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم
فانزلنا على الذين ظلموا ان يسال الحق سايله واذا جاز ذلك مع التصريح بهما فكيف لم يجز واحدهما محذوف وهذا
من غرايب نظم القران وفصاحته غير بعيد والمعنى ما ادخلكم فى هذه الدركة من النار فاجابوا بان ذلك الامور اربعة
احدها ترك الصلوة الثانى ترك اطعام المساكين قال العلماء يحتمل ان يحمل هذان على الصلوة والصدقة الواجبتين
والا لم يجز العذاب على تركهما الثالث الشروع فى الاباطيل مع اهلها كايذاء اهل الحق وكل ما لا يعنى المسلم الرابع
التكذيب بالبعث والجزاء الى حين عيان الموت وامارات ظهور نتايج اعمال المكلف عليه وقد يستدل بالاية على ان
الكفار معذبون بفروع الشرايع كما يعذبون باصولها كالتكذيب بيوم الدين وانما اخر لانه اعظم الذنوب او لانهم
بعد ذلك كله مكذبون بهذا الاصل كقوله ثم كان من الذين امنوا ويجوز ان يكون سبب التاخير انه اخر الاصول
اولها المبدا واخرها المعاد وايضا اراد ان يرتب قوله حتى اتانا اليقين وهو اخر حالات المكلف فلو قدم لم يحسن معنى
ولا لفظا لوقوع الفصل بين المعطوفات قال فى الكشاف يحتمل ان كل واحد منهم دخل النار لمجموع هذه الاربع او
دخلها بعضهم ببعضها والباقون بسايرها او بكلها قلت انهم مستوون فى الدركة فالظاهر انهم كلهم دخلوها بمجموع
الامور ثم بين غاية خسرانهم بقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وفيه دليل على ان غيرهم تنفعهم الشفاعة وذلك لغيرهم
الفساق عند الاشاعرة والمرتضون عند المعتزلة وفايدة الشفاعة زيادة درجاتهم او العفو عن صغايرهم ثم وبخهم
بقوله فما لهم عن التذكرة اى عن القران الذى هو سبب الموعظة وقوله معرضين حال نحو ما لك قايما كانهم حمر
مستنفرة من قرا بكسر الفاء فمعنى الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها وفى تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتنديد
عليهم بالبلادة والعناد وعدم التاثر عن مواعظ القران بل صار ما هو سبب الاطمينان موجبا لنفرتهم ولا ترى مثل
نفار حمر الوحش ولا سيما اذا ارابها رايب ولهذا وصف الحمر بقوله فرت من قسورة وهى اسم جمع للرماة او اسم جنس
للاسد من القسر وهو القهر والغلبة وقال ابن عباس هى ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل من قرا بفتح
الفاء فهى المحمولة على النفار ورجح بعضهم قراءة الكسر بناء على ان الفرار يناسب النفار واما النفر فانه يناسب الطرد
ذكر المفسرون انهم قالوا لرسول الله صلعم لن نتبعك حتى ياتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين
الى فلان بن فلان يؤمر فيها باتباعك وروى بعضهم انهم قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة
فيها براءته وامنه من النار فانكر الله تعالى عليهم بقوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة اى قراطيس تنشر وتقرا
كالصحف او منشرة على ايدى الملايكة انزلت ساعة كتبت قبل ان يطوى وقيل كانوا يقولون بلغنا ان بنى اسرائيل
كان الرجل منهم يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك فعلى هذا المراد من الصحف المنشرة الكتابات الظاهرة
المكشوفة ثم ردعهم عن اقتراح الايات فقال كلا بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة ثم وصف القران بانه
موعظة بليغة وتذكرة شان فمن شاء ذكره وتذكير الضمير ههنا وفى اية سبا بتاويل الذكر والقران ثم بين السبب الاصل فى عدم
الذكر قايلا وما يذكرون الا ان يشاء الله واستدلال الاشعرى به ظاهر والمعتزلة حملوه على مشية القسر والالجاء ثم ختم السورة بذكر ان

له ما ينبئ عن كمال الهيبة وهو صفة القهر الذى بسببه يجب ان يتقى وصفة اللطف الذى بواسطته يجب ان يرجى

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيامة ۞ ولا اقسم بالنفس اللوامة ۞ ايحسب الانسان
الن نجمع عظامه ۞ بلى قادرين على ان نسوى بنانه ۞ بل يريد الانسان
ليفجر امامه ۞ يسئل ايان يوم القيمة ۞ فاذا برق البصر ۞ و
خسف القمر ۞ وجمع الشمس والقمر ۞ يقول الانسان يومئذ
اين المفر ۞ كلا لا وزر ۞ الى ربك يومئذ المستقر ۞ ينبؤا
الانسان يومئذ بما قدم واخر ۞ بل الانسان على نفسه بصيرة ۞ ولو
القى معاذيره ۞ لا تحرك به لسانك لتعجل به ۞ ان علينا جمعه وقرانه ۞
فاذا قراناه ۞ فاتبع قرانه ۞ ان علينا بيانه ۞ كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة ۞ وجوه يومئذ ناضرة ۞ الى ربها ناظرة ۞ ووجوه
يومئذ باسرة ۞ تظن ان يفعل بها فاقرة ۞ كلا اذا بلغت التراقى ۞
وقيل من راق ۞ وظن انه الفراق ۞ والتفت الساق بالساق ۞
الى ربك يومئذ المساق ۞ فلا صدق ولا صلى ۞ ولكن كذب
وتولى ۞ ثم ذهب الى اهله يتمطى ۞ اولى لك فاولى ۞ ثم اولى
لك فاولى ۞ ايحسب الانسان ان يترك سدى ۞ الم يك نطفة
من منى يمنى ۞ ثم كان علقة فخلق فسوى ۞ فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى ۞ اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى ۞

القراءة روى الهاشمي وابو ربيعه عن قنبل لاقسم على ان اللام حرف الابتداء لا اختلاف في قوله لا اقسم بالنفس اللوامه برق بفتح الراء ابو جعفر ونافع الاخرون بكسرها يحبون ويذرون على الخطاب ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزه وعلى وخلف ولا صلى الى اخر السوره بالاماله اللطيفه ابو جعفر ونافع وابو عمرو وقرا حمزه وعلى وخلف بالاماله الشديده تمنى على التذكير حفص والمفضل وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ورويس الباقون بتاء التانيث الوقوف القيامه اللوامه عظامه لاستيناف الجواب اى بلى نجمعها بنانه امامه لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف القيمة البصر القمر والقمر المفر لان كلا يصلح للردع عن الفرار والا جوز لا وزر المستقر واخر بصيرة معاذيره لتعجل به وقرانه قرانه لاحتمال ثم لترتيب الاخبار بيانه العاجله الاخره ناضره ناظره للفصل بين اهل السعادة والشقاوة باسره فاقرة التراقي راق الفراق بالساق المساق ولا صلى وتولى يتمطى للعدول الى الخطاب فاولى فاولى سدى يمنى فسوى والانثى الموتى التفسير المشهور ان في قوله لا اقسم صله زايده كما مر في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم واعترض عليه بوجوه احدها انه يوجب الطعن في القران من حيث انه لا يبقى الوثوق بنفيه واثباته قلت اذا عرف من استعمالات العرب زياده لا في هذا الفعل المخصوص لم يبق للطاعن مجال على ان الحكم بزيادتها انما هو بالنظر الى اصل المعنى ولا فلها في التركيب فايدتان الاولى كانها نفي الكلام قبل القسم وذلك انهم انكروا البعث كما اخبر الله سبحانه عنه في اواخر السورة المتقدمه فقيل ليس الامر على ما ذكر ثم اقسم بكذا وكذا انه الواقع والثانيه انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له فكانه بادخال حرف القسم يقول ان اعظامي بما يقسم به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك الاعتراض الثاني ان هذا الحرف انما يزاد في وسط الكلام لا في اوله واجيب بالمنع الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وفايده الزياده كما تقرر وقد يجاب بان القران كله في كلام واحد متصل بعضه ببعض ولا سيما اول هذه السورة واواخر السورة المتقدمه كما قلنا وقيل ان لا غير زايدة والمعنى على النفي كانه قال لا اقسم بذلك اليوم وبتلك النفس لعظم شانهما او لظهور المقسم عليه ولكني اسالك غير مقسم انا لا نجمع عظامك اذا تفرقت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم انا قادرون وقيل المعنى على الاستفهام الانكاري والتقدير الا اقسم بيوم القيمه ولا اقسم بالنفس اللوامه على ان الحشر حق وهذا التاويل يعضده قراءة من قرا لاقسم على ان اللام للابتداء وقال بعضهم على هذه القراءة انه اقسم بالقيمة تعظيما لها ولا يقسم بالنفس اللوامه تحقيرا لها لانها اما كافرة بالقيمه مع عظم امرها واما فاسقه مقصرة في العمل اما تفسير النفس اللوامه فقد سبق لنا في سورة يوسف في قوله ان النفس لامارة بالسوء بيان سبب تسمية النفس تارة بالامارة واخرى باللوامه ثم بالملهمه بالمطمئنه والذي ذكره المفسرون ههنا وجوه منها ما قال ابن عباس ان كل نفس فانها تلوم نفسها يوم القيمة على ترك الازدياد من الطاعه ان كانت محسنه وعلى التفريط ان كانت مسيئه وضعف بعضهم هذا النقل بناء على اهل الجنة لا يكون لهم مثل هذه الخواطر والا لدام حزنهم وعن الحسن ان هذا اللوم في الدنيا والمومن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي على سيرته لا يعاتب نفسه ومنها النفوس المتقيه التي تلوم النفوس العاصيه يوم القيمة بسبب انها تركت التقوى ولا يخفى وجه المناسبه بين القسمين اعني بين يوم القيمه و بين النفس اللوامه على هذه الوجوه وقد خص النفس اللوامه بعضهم بادم عليه السلام وذلك انه لم يزل يتلوم على فعله الذي خرج به من الجنه وقيل ان الانسان خلق هلوعا فاي شيء طلبه فاذا وجده امله فيلوم نفسه على ان في طلبته فكثرة هذا العمل سميت باللوامة والجمهور على ان جواب القسم محذوف وهو لتبعثن يدل عليه قوله يحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وفي الاقسام بيوم القيمة على وقوع يوم القيمة مزيد تقرير وتاكيد لوقوعه فان الاقسام بالمعدوم لا يعقل معناه وفي ضم النفس اللوامه اليه تنبيه على ان الغرض من يوم القيمة هو اظهار احوال النفوس ومراتبها في السعاده وضدها قال جمع من الاصوليين الانسان في الاية هو المكذب بالبعث على الاطلاق وقال ابن عباس هو ابو جهل وقال اخرون ان عدي بن ابي ربيعه ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلعم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال يا محمد حدثني عن يوم القيمة كيف امرها فاخبره النبي صلعم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام فانزل الله سبحانه ايحسب الانسان الاية قوله قادرين حال مؤكدة لانه يستحيل جمع العظام بدون القدرة الكاملة التي نبه عليها بقوله ان نسوي بنانه لان من قدر على ضم سلاميات الاصبع مع صغرها ولطافتها كما كانت اولا كان على ضم العظام الكبار اقدر وانما خص البنان وهو

الانمله بالذكر لانه اخر ما يتم خلقه فذكره يدل على تمام الاصبع وتمام الاصابع يدل على تمام ساير الاعضاء التي هي اطرافها وقيل معنى التسويه يجعلها شيا واحدا كخف البعير وحافر الحمار بحيث لا يقدر على البطش والمراد انه قادر على رد العظام والمفاصل الى هياتها الاولى وعلى ضد ذلك بل يريد اضراب عن قوله ايحسب والظاهر انه يجاب ويجوز ان يكون استفهاما مقدرا والمعنى ليفجر امامه ليدوم على فجوره في الاوقات التي بين يديه وهي المستقبله وهذا نحو قول سعيد بن جبير يقدم الذنب ويوخر التوبه حتى ياتيه الموت على شر احواله قال اهل النظم ان انكار البعث يتولد تارة من الشبهة بان يستبعد اجتماع الاجزاء بعد تفرقها وتلاشيها واخرى من الشهوة بان ينكر العلم باسترسال الطبع والميل الى الفجور فاشار الى الجواب عن الشبهه بقوله ايحسب الانسان الى قوله بنانه وانكر على الثاني بقوله بل يريد اي يكذب بما امامه من البعث والحساب لئلا ينغص عليه اللذات العاجله يسال سوال متعنت ايان يوم القيمة ثم ذكر من امارات الساعة امورا اولها فاذا برق البصر اي تحير فزعا واصله من برق الرجل بالكسر اذا نائه ناظره من تامل البرق ثم استعمل في كل حيرة ومن قرا بفتح الراء فهو من البريق اي لمع من شدة شخوصه كقوله انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وبابها وخسف القمر اي ذهب ضوءه كما نشاهده في الدنيا وقت خسوفه او ذهب بنفسه من قوله فخسفنا به وبداره الارض وهذا التفسير عندي لا يلايم ما بعده لان الجمع بينه وبين الشمس بعيد الا بعد انعدامه غير معقول ظاهرا وثانيها وجمع الشمس والقمر قيل اي في اطلاعهما من المغرب وقيل في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار جاء في الحديث ولعل ذلك لانهما عبدا من دون الله والثور مثل الذل والبلادة فاذا كان عقيرا اي جريحا كان ابلغ في ذلك وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى طعن بعض الملاحدة في الايه بان خسوف القمر لا يحصل باجتماع الشمس والقمر واجيب بانه تعالى قادر على خسف القمر في غير حالة المقابلة وحيلولة الارض والاولى عندي بان اجتماعهما في الاية بمعنى اخر غير ما هو المعهود بين اهل التنجيم كما مر في الاقوال ولئن سلم ان المراد هو الاجتماع المعهود فالقمر حينئذ في المحاق وهو خسفة ولعل القمر ينخسف في وسط القمر والاجتماع يكون في اخره فان اتحاد الزمان في هذه الامور غير مذكور ومنهم من جعل هذه الامور من علامات الموت اما شخوص البصر وتحيره حين الموت فظاهر واما خسوف القمر فمعناه ذهاب ضوء البصر بعد الحيرة يقال عين خاسفه اذا انفقت فغارت حدقتها في الراس واما جمع الشمس والقمر فكناية عن اتصال الروح بعالم الاخرة فالروح كالشمس وعالم الاخرة عالم الانوار والكسوف كالشمس وكان القمر يقبل النور من الشمس فالروح يقبل نور المعارف من ذلك العالم وهذا التفسير بالتاويل اشبه قال الفراء انما قال جمع ولم يقل جمعت لان التانيث الحسن لان المراد انه جمع بينهما في زوال النور وقال الكسائي المعنى جمع النوران والضياءان وقال ابو عبيد القمر شارك الشمس في الجمع فغلب جانب التذكير يقول الانسان المذكور قبله ابن المفر والاستفهام في اصله وهو اقوال منه بانه لا مفر كقولك اذا يئس من وجدان زيد فيقول ابن زيد كلا ردع عن طلبه مكان الفرار او الفرار وهذا اصح عند اهل اللغة قال الاخفش والزجاج المصدر من يفعل بكسر العين مفتوح العين والمكان مكسور وجوز بعضهم ان يكون المفتوح موضعا واصل الوزر الجبل المنيع ثم استعمل لكل ما التجات اليه وتحصنت به والمعنى انه لا شيء يعتصم به وقيل من امر الله الا الله فلذلك قال الى ربك خاصة دون غيره يومئذ المستقر اي استقرار العباد ولا بد من تقدير مضاف اي الى حكم ربك او الى جنته وناره ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم من عمل وما اخر لم يعمله او بما قدم من ماله او تصدق به وما اخر خلفه لورثته او بما قدم من الخير والشر وما اخر من سنة حسنة او سيئة وعن مجاهد باول عمله واخره ان يجمع اعماله والاظهر ان هذا الانبا انما هو يوم القيمة ويجوز ان يكون عند الموت حين يرى مقعده من الجنة او النار ثم بين ان الانسان يعلم احواله وان لم ينبا فقال بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة وقال ابو عبيدة الهاء للمبالغه كعلامة قال الاخفش جعله في نفسه بصيرة كما يقال فلان جود وكرم وذلك انه يعلم بالضرورة متى رجع الى عقله ان طاعة خالقه واجبة وعصيانه منكر فهو حجة على نفسه بعقله السليم وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل ان المراد شهادة الجوارح عليه وقوله ولو القى معاذيره تاكيد اي ولو جاء بكل معذرة يجادل بها عن نفسه و انها الاعتذار لم ينفعه فان نفسه واعضاؤه تشهد عليه وقال الواحدي والزمخشري المعاذير جمع المعذرة كالمناكير للمنكر ولو كان جمعا لها لقيل معاذر والمعنى وعن الضحاك والسدي ان المعاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى وان اسبل الستور ليخفي ما عمله فان نفسه شاهد عليه قال جار الله انه حسن هذا القول والسبك في التسمية ان الستر من دون الحجاب كما يمنع المعذر

عقوبة المذنب فمدار التركيب على الحجب والمنع ومنه العذران قال الامام فخر الدين الرازي رحمة الله رغم قوم
من قدماء الشيعة ان هذا القران مغير بالزيادة والنقصان ومن جملة ما استدلوا به انه لا مناسبة بين هذه الاية
وبين قوله عقيبها لا تحرك به اى القران يتلوه عليك لسانك لتعجل به اى تاخذه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس
ان رسول الله صلعم كان يشتد عليه حفظ التنزيل فكان اذا انزل عليه الوحى حرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبرائيل
مخافة النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك نظيره ما مر في طه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا من قبيل
ترك الاولى ولعل هذا ماذونا فيه اولا ثم ورد النهى ناسخا له ان علينا بحكم الوعد او بالنظر الى الحكمة جمعه في صدرك وقرآنه
سيعيد عليك جبرائيل او توفيقك لدراسته وحفظه كقوله سنقرئك فلا تنسى فالقارى على الاول جبرائيل وعلى الثاني
وقيل اراد بالجمع ترتيبه على ما هو عليه في الخارج وبالقران جمعه في ذهنه والتركيب يدل على الضم ومنه القران
فاذا قراناه بقراءة جبرائيل فاتبع قرانه قال قتادة اى حلاله وحرامه وضعف بان هذا ليس موضع الامر باتباع
الحلال والحرام بل المراد انه لا ينبغى ان يكون قراءتك مقارنة لقراءة جبرائيل لكن يجب ان تسكت حتى يتم جبرائيل القراءة
ثم تاخذ انت في القراءة قال ابن عباس فكان النبى صلعم بعد ذلك اذا انزل عليه جبرائيل بل اطرق واستمع فاذا
ذهب قراه انه صلعم كما كان حريصا على القراءة حتى لا ينسى لفظه كان حريصا على فهم المعنى وكان يسئل جبرائيل في
اثناء الوحى عن المعانى المشكلة فنهى عن هذا ايضا بوعد البيان وهو قوله ثم ان علينا بيانه قال بعضهم وفيه دليل على
ان تاخير البيان عن وقت الخطاب جائز اذا عرفت تفسير الاية فاعلم ان العلماء استنبطوا النظم وجوها منها ان هذا
الاستعجال لعله اتفق للنبى صلعم عند نزول هذه الايات فلا جرم نهى عن ذلك في الوقت كما ان المدرس اذا كان يلقى
على تلميذه شيئا من العلم واخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس في اثناء درسه لا يلتفت يمينا وشمالا ثم يعود
الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام في اثناء اشتبه وجه المناسبة على من لا يعرف الواقعة ومنها انه
علت كلمته اخبر عن الانسان انه يحب السعادة العاجلة فيفجر لذلك امامه فبين بعد ذلك ان التعجيل مذموم مطلقا
ولو في امور الدين لا تحرك به لسانك ورتب عليه ذم الاستعجال لقوله كلا بل تحبون العاجلة ومنها انه حين قال ولو القى
معاذيره وكان النبى صلعم يظهر التعجيل واعتمد على هذا انسا ولا يستعين في طلب الحفظ بالتكرار وفيه ان الكافر كان يفر
من الله الى غيره حين قال اين المفر ضل المؤمن ان يصاده ويفر من غير الله الى الله ولا يستعين في كل اموره الا بالله
ومنها انه تعالى كانه قال يا محمد ان غرضك من هذا التعجيل هو التبليغ لكنه لا حاجة اليه فان الانسان على نفسه بصيرة وغير
فتح الكفر مهما رجع الى نفسه وقال القفال يجوز ان يكون المخاطب هو الانسان المذكور في قوله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم
واخر كانه حين عرض عليه كتابه ويقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراءة ساءت قبح اعماله
تلجلج لسانه من الفزع وسرعة القراءة فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد والحكمة ان نجمع اعمالك
عليك وان نقراها عليك فاذا قراناه عليك فاتبع قرانه بالاعتراف ثم ان علينا بيانه امره وشرح مراتب عقوبته قوله
سبحانه كلا بل تحبون قال بعضهم هو بمعنى حقا وقال جار الله هو ردع لرسول الله صلعم عن عادة العجلة وحثه على الاناة
والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بنى ادم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون
الدنيا وتتركون الاخرة ثم وصف اليوم الاخر بقوله وجوه يومئذ ناظرة ذات نضارة وبهاء والوجه عبارة عن الجملة قال في الكشاف
والاولى عندى تقليلا للمجاز ان يراد بالوجوه العيون فيكون من اطلاق الكل على الجزء عكسه الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
باسرة شديدة العبوس تظن ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة اى داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه
الناظرة ان يفعل بها كل خير قال الاصمعى الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم ويقرب منه ثم يجعل فيه خشبة يحز
البعير بها وقيل علمت به الفاقرة وقال الكلبى هى ان تحجب عن روية ربها فلا تنظر اليه واعلم ان اهل السنة طالما استدلوا
بالاية على امكان روية الله تعالى في الاخرة بل على وجوبها بحكم وحاصل كلامهم ان النظر ان كان بمعنى الروية فهو المطلوب
وان كان بمعنى تقليب الحدقة نحو المرئى فهذا في حقه تعالى لانه منزه عن الجهة والمكان فوجب حمله على مسببه وهو الروية
وهذا مجاز مشهور ولعل المعتزلة فرعوا ان النظر المقرون بالى انما يراد به تقليب الحدقة نحو المرئى التماسا للروية فقد
يحصل الروية وقد لا يحصل كما قال سبحانه وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ويقال دور فلان متناظرة اى متقابلة
ولا ريب ان تقليب الحدقة نحو الشيء يستدعى جهة لذلك الشيء وهذا في الله تعالى محال فوجب حمل النظر على الانتظار اى
منتظرة ثواب كقولك انا ناظر الى فلان ما يصنع بي والانتظار اذا كان في شيء متيقن الوقوع لا يوجب الغم والحزن بل يزيد

اللذة والفرح واعترض بان النظر اذا كان بمعنى الانتظار ولا يعدى بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم هل ينظرون
الا تاويله واجيب بان ذلك انما يكون اذا منتظر للشخص فاما اذا كان منتظرا اليه لوفده ومعونته فانه يستعمل مقرونا
بالى كقول الرجل انما نظرى الى الله ثم اليك وقد يقول الاعمى عيني ناظرة اليك سلمنا لكن لا يجوز ان يكون الى واحد
الالاء اى نعمه ربها منتظرة وتقديم المفعول لاجل الفاصلة او للاختصاص اى لا ينتظرون الا الله ورحمته قال في
الكشاف وهذا المعنى اعنى افادة الاختصاص احد الدلائل الدالة على ان النظر ههنا ليس بمعنى تقليب الحدقة ولا بمعنى
الروية لانهم ينظرون الى الاشياء ويرون اشياء لا يدخل تحت الحصر فلا بد من حمل النظر على معنى يصح معه الاختصاص
وهو التوقع والرجاء وحين وصف القيامة اتبعه نعت القيامة الصغرى فردعهم عن ايثار العاجلة على الاجلة و
ذكر حالة الموت الذى هو اول منزل من منازل الاخرة والضمير في بلغت للنفس بدلالة قرينة الحال والمقال كما في قوله فلولا
اذا بلغت التراقى العظام المكتنفة بثغرة النحر من الجانبين واحدها ترقوة واذا بلغت النفس الناطقة او قوة تدبيرها
وتصرفها الى هذا الحد كان اخر عهد الانسان بالحيوة وقرب حدان هو قوة الروح ولا متعلق هو الروح الحيوانى
الذى منبعه القلب اذا فارق المنبع لم يبق من اثاره في حواليه الا قليل كما لو عادت العين لم يبق في نواحيها الا اثر
قليل من النداوة وقيل لعن كذا قوله وقيل من راق ان كان من الرقية يقال رقاه يرقيه اذا عوذه بما يشفيه و
منه بسم الله ارقيك من كل ما يوذيك فالقائل بعض اصحاب الميت واقاربه والاستفهام على مواصلة لان
العادة جارية بطلب الطبيب والراقى وقت ما يشتد المرض واما بمعنى الانكار اى من الذى يقدر ان يرقى هذا
الانسان المشرف على الموت وان كان اشتقاقه من الرقى الصعود ومنه المرقاة قال تعالى ولن نؤمن لرقيك فالقائل
بعض الملئكة يعنى ايكم يرقى بروح هذا المحتضر ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وعن ابن عباس ان الملائكة يكرهون
القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر وقال الكلبى يحضر العبد عند الموت سبعة املاك
من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعضهم الى بعض ترقى بروحه الى السماء وظن
المحتضر اى تيقن انه وقت الفراق من الدنيا واوان العظام عن ما لو فاتها وفي التعبير عن اليقين ههنا بالظن تهكم
بالميت واشارة الى ان الانسان لانهماكه عن الدنيا وحرصه على الحيوة العاجلة لا يكاد يقطع بحلول الاجل وان لم يبق منه
الا حاشيه يسيرة غايته انه يغلب على ظنه الموت مع رجاء الحيوة قال بعض حكماء الاسلام في الاية دلالة على ان الروح
جوهر مجرد قائم بنفسه باق بعد خراب البدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق والوصال والصفة يستدعى وجود
الموصوف والتفت الساق بالساق وفيه وجهان احدهما انه كناية عن الشدة كما مر في قوله يوم يكشف عن ساق
اى اتصلت شدة فراق الدنيا وترك الاهل والولد والمال والجاه وشماتة الاعداء وحزن الاولياء وغير ذلك بشدة
الاقبال على الاجل الاخرة واهوالها الثاني ان الساق هى العضو المخصوص قال الشعبى ما رايته في النزع كيف يضرب
احدى رجليه على الاخرى وقال الحسن وسعيد بن المسيب هما ساقاه اذا التفتا في اكفانه وقيل التفاف ساقيه
هوانه اذا مات يبست ساقاه والصقت احدهما بالاخرى وقريب منه قول قتادة ماتت رجلاه فلا يحملانه وقد
كان عليهما جوالا الى ربك يومئذ المساق اى الحكم خاصة يومئذ المساق اى التوفى وقيل الى ربك سوقه وقيل مفوض الى الله
دون عمره والفراق [illegible] في الاول والمسوق اليه وفي الثاني سابق لسوق الى الجنة او الى النار قوله فلا
صدق الضمير فيه عائد الى الانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع وقد سبق بعينه صدق [illegible]
اخر الله سبحانه عن [illegible] فيما يتعلق باصول الدين وبفرعه فلا صدق بالرسول او القران والبعث
ولا صلى ولكن كذب بالحق وتولى [illegible] ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر مفتخرا بذلك واصله يتمطط لان
المتبختر يمد خطاه فقلب الطاء الاخيرة ياء [illegible] ويحتمل ان يكون من المطا الظهر لان المتبختر يلوى ظهره
قال اهل العربية [illegible] الداخلة على الماضى [illegible] ومنه الحديث لا اكل ولا شرب ولا استهل
قوله عز من قائل [illegible] قال قتادة والكلبى ومقاتل اخذ رسول الله صلعم
بيد ابى جهل ثم قال اولى لك فاولى [illegible] فبعدا له الهلاك [illegible] وقد
مر في قوله [illegible]
[illegible] اولى لك فاولى [illegible] هذا محتمل ويحتمل ايضا
ان يكون وعيدا مبتدا من الله للكافر على طريقة الالتفات ويحتمل ان يكون امرا من الله لنبيه بان يقوله لعدو الله [illegible]

القول مقدار للاى ضلت الك يا محمد قل له هذا ثم اقسام دليلين على صحة الحشر الاول يحسب الانسان ان يترك سدى اى
هملا لا يكلف ولا يحاسب بعمله وهذا خلاف الحكمة نظيره لفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون الثانى الاستدلال
بالخلق الاول على الاعادة ومعنى يمنى يراق فى الرحم من ذكر فللمنى دمن انت فالنطفه والنطفه اسم لما ينطف كالقبضه
لما يقبض والغرفه لما يغرف الا انها غلبت على الماء المخصوص الذى هو للحيوان بمنزلة البذر للنبات والمعنى فعيل بمعنى
مفعول من المنى بالسكون وهو المذى عليها ايضا على الماء المخصوص فقوله من منى اى من هذا الجنس كالتاكيد لها ولو
بمنى تاكيد على تاكيد وفيه اشارة الى حقارة الانسان فى ذاته وانه لا يليق به التمطى والفخر والاستكبار عن طاعة خالقه
فانه مخلوق من المنى الذى يجرى على مجرى النجاسه ونظيره فى عيسى وامه كانا ياكلان الطعام والمراد قضاء الحاجة
قوله فخلق فسوى اى قدر فعدل اركانه وقيل خلق فيه الروح فنصب عضاء متناسبه فجعل منه اى من الانسان
الزوجين الصنفين الذكر والانثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرا خاتمة السورة قال عقيبها سبحانك بلى

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ● انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ● انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا ● انا اعتدنا للكافرين سلاسلا
واغلالا وسعيرا ● ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها
كافورا ● عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ● يوفون
بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ● ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ● انما نطعمكم لوجه الله لا
نريد منكم جزاء ولا شكورا ● انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطريرا ● فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ● متكئين فيها على الارائك
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ● ودانية عليهم ظلالها وذللت
قطوفها تذليلا ● ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب

كانت قواريرا ● قواريرا من فضة قدروها تقديرا ● ويسقون فيها
كاسا كان مزاجها زنجبيلا ● عينا فيها تسمى سلسبيلا ● ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ● واذا
رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا ● عاليهم ثياب سندس
خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا
ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ● انا نحن
نزلنا عليك القران تنزيلا ● فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم
اثما او كفورا ● واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ● ومن
الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ● ان هؤلاء يحبون العاجلة
ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ● نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا ● ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا ● وما تشاءون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما
يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما ●

القراءة سلاسلا بالتنوين والوقف بالالف ابو جعفر ونافع وعلى وابو بكر وحماد وهشام سلاسل فى
الحالين ابن كثير وحمزة وخلف وسهل ويعقوب الباقون يصلون بغير الف ويقفون بالالف قواريرا قواريرا غير
مصروفين فى الحالين حمزة ويعقوب كلاهما بالتنوين والوقف بالالف ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد وقرا ابن
كثير وخلف لقيته الاول بالتنوين فى الوصل والوقف بالالف والثانى بغير الف فى الحالين الباقون كليهما بغير
تنوين والوقف على الاول بالالف لؤلؤا بالواو فى الاول شجاع ويزيد وابو بكر وحماد الاخرون بهمزتين عاليهم
بسكون الياء وكسر الهاء ابو جعفر ونافع وحمزة والمفضل الباقون بفتح الياء وضم الهاء خضر واستبرق بالرفع فيهما
نافع وحفص خضر بالرفع واستبرق بالخفض ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الوقوف مذكورا امشاج قد قيل
يوقف عليه لئلا يوهم ان نبتليه صفة له وليس بذاك لانه حال من خلقنا اى خلقناه مريدين ابتلاءه والوهم
المذكور زايل لان ضمير المفعول فى نبتليه واحد والامشاج جمع بصيرا كفورا وسعيرا كافورا لاحتمال ان يكون
عينا بدلا تفجيرا مستطيرا واسيرا شكورا قمطريرا وسرورا لا الايه مع العطف وحريرا الارائك لاحتمال
ما بعده الحال والاستيناف زمهريرا لا لعطف فى التفسير تذليلا كانت قواريرا وقيل يوقف عليه ولين
به لان الثانيه بدل من الاولى تقديرا زنجبيلا كما مر فى كافورا سلسبيلا مخلدون بناء على ان حسبتهم صفة
الولدان والطوف عارض منثورا كبيرا واستبرق لاختلاف الجملتين مع ان وجه الحال فى الواو واضح

اى وقد حلوا صنه لان الواو يحتمل الحال والاستيناف وهذا اولى لافراد هذه النعمة العظيمة عن ساير النعم ظهورا
مشكورا تنزيلا للاية مع الفاء وكفورا اصيلا لما ذكرنا طويلا ثقيلا اسرهم تبديلا تذكرة سبيلا ان
يشاء الله حكيما والوصل اوجه بناء على ان الجملة صفة فى رحمته اليما التفسير اتفقوا على ان هل ههنا
وفى الغاشية بمعنى قد وهذا مما ذهب اليه سيبويه قال وانها تفيد معنى الاستفهام حيث تفيد لتقدير الهمزة
لكثرة الاستعمال والدليل على تقدير الهمزة جواز اظهارها مع هل كقوله شعر سائل فوارس يربوع بشدتنا
اهل راونا بسفح القاع ذى الاكم ويربوع ابو حى من تميم ومعنى الاية اقد اتى فالاستفهام تفيد التقرير وقد تفيد التقر
فيكون حاصله انه اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر وهو طايفة من الزمان غير محدود وعن ابن عباس
وابن مسعود ان الانسان ههنا ادم والحين محدود وكذلك انه مكث اربعين ثم من صلصال اربعين سنة ثم من
حماء مسنون اربعين من خلقه بعد ماية وعشرين سنة واطلاق الانسان على ما قبل نفخ الروح فيه من باب اطلاق
الجزء على العصير ويجوز ان يراد قد اتى على هذا الذى هو الان انسان بالفعل زمان لم يكن فيه انسانا الا بالقوة وهذا
صادق على ادم كما قلنا وعلى بنيه ايضا عند الاكثرين ولعل هذه الاية كالمقدمة والتوطية التى تعقبها وكالتاكيد والتقرير
لخاتمة السورة المتقدمة وفى قوله لم يكن محله رفع على انه نعت حين او نصب على الحال من الانسان لانه فى تقدير
المفعول يروى ان الصديق لما سمع هذه الاية قال ليتها تمت اى ليت تلك الحالة تمت وهى كونه غير مذكور لم يخلق ولم يكلف
وقيل الانسان ادم كما ذكرنا ولكن الحين هو ستة ايام التى خلق فيها السموات والارض ثم فرغ لخلق ادم فى عصر يوم
الجمعة وقيل الانسان عام والحين مدة فترة الرسل وقيل الحين مدة لبثه فى بطن امه قال ابن الاعرابى وطايفة من
اهل اللغة الامشاج جمع مشيج او مشج فالخلط والخليط لفظا ومعنى والجمع اخلاط وقال الاكثرون هو مفرد كالمشيج
وليس بتكسير له ولهذا يقال نطفة مشيج وامشاج فيوصف المفرد بهما جميعا نحو برمة اعشار القدر المتكسرة قطعا
وثوب اكياش للذى قيل غزله مرتين يقال عليك بالثوب الاكياش وانه من لباس الاكياس للمعنى من نطفة قد
امتزج فيها الماءان ماء الرجل وهو ابيض غليظ وماء المراة وهو اصفر رقيق والاول يخرج من الصلب والثانى
من الترائب فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم فمن ماء المراة وعن ابن مسعود هى
عروق النطفة وقال الحسن اى مزجت بدم الحيض الذى منه غذا الجنين وعن قتادة هى اطوارها نطفة ثم علقة
ثم مضغة وذهب الحكيم الى انها العناصر وبالجملة فانها عبارة عن انتقال النطفة من حال الى حال ولهذا فسر
الابتلاء بعضهم لهذا الانتقال ومنه قول ابن عباس نبتليه اى نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة ثم مضغة
والاظهر ان حاصل المعنى خلقناه من امشاج لا للعبث بل للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء
وهو السميع البصير اللذان هما اشرف الحواس ولهذا خصا بالذكر وفيه اشارة الى ان الحواس السليمة اسباب كلية
لتحصيل الكمالات النفسية فمن فقد حسا فقد علما وقيل فى الاية تقديم وتاخير ونبتليه معناه لنبتليه كقوله الرجل
جئتك اقضى حقك اى لاقضى حقك والمعنى فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اجزائه بعد ان ركبه واعطاه الجوانح
الظاهرة والباطنة اوضح له بوسايطه ان اتاه العقل السليم سبيل الهدى والضلالة فقوله شاكرا او كفورا حالان
من مفعول هدينا اى مكناه او قد زلنه فى هاتين الحالتين وقيل تقديره هديناه السبيل فيكون اما شاكرا واما
كفورا وفيه جهة الوعيد اى فان شاء فليكفر وان شاء فليشكر فانا اعتدنا للكافرين كذا وللشاكرين كذا وجوز اهل
العربية ان يكونا حالين من السبيل على الاسناد المجازى لان وصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وهذه الاقاويل يناسب
اصول المعتزلة اما الذى اختاره الفراء وهو مطابق لمذهب اهل السنة ان اما فى هذه الاية كما فى قوله واخرون مرجون
لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والمعنى هدينا السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا والمراد بالشكر
الاقرار بالله وبالكفران انكاره حتى لا يكون من الفريقين واسطة ويجوز ان يريد بالشاكر المطيع وباهل الكفران كل ما
سواه سوا كان كفرانه مطلقا وهو الكافر بالله او ببعض المعاصى وهو الفاسق قوله سلاسلا من قراه بالتنوين
فانه للمناسبة قال الاخفش سمعنا من العرب صرف جميع ما لا ينصرف وهذه لغة الشعراء اضطروا اليه فى الشعر فجرت
السنتهم على ذلك فى النثر ايضا وقيل انه مختص بهذه الجموع لانها اشبهت الاحاد ولهذا جاء صواحبات يوسف وجوز
فى الكشاف ان يكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف ومثله قواريرا من قرا بالتنوين
والاعتاد الاعتداد والسلاسل للارجل والاغلال للايدى والسعير لاجل العذاب الابدى والابرار جمع بر او بار عن

الحسن هم الذين لا يوذون الذر من كاس اى من اناء فيه الشراب وقال ابن عباس ومقاتل هو الخمر بعينها والمزاج ما
يمزج به والكافور اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورايحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعم الكافور ولا
مضرته والمضاف محذوف اى ماء كافور والحاصل ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين قيل كان زايدة
والاظهر انها مفيدة ولكنها مسلوب الدلالة على المعنى كقوله وكان الله عليما حكيما عن قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم
لهم بالمسك وقيل يخلق فيها رايحة الكافور وبياضه وبرده فكانها امزجت بالكافور قال جار الله فقوله عينا على
هذين القولين بدل من محل كاس على تقدير حذف مضاف كانه قال يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص
ولا خلاف بين العلماء ان عباد الله فى الاية مختص بالمومنين الابرار فغلب على ظنهم ان العباد المضاف الى اسم الله
سبحانه مخصوص فى اصطلاح القران بالاخيار وعلى هذا يسقط استدلال المعتزلة بقوله ولا يرضى لعباده الكفر كما مر
فى اول الزمر وانما قال ولا يشربون من كاس واخيرا يشرب بها لان الكاس مبدا شربهم واما العين فانما يمزجون
بها شرابهم فالباء بمعنى مع مثل شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاءوا من منازلهم تفجيرا سهلا قال
الضعيف مولف الكتاب لا يبعد ان يكون الخمر عبارة عن العلوم اللدنية الحاصلة بالذوق والمكاشفة والكافور
عبارة عن المعارف الحاصلة بواسطة القوى البدنية ومزجهما تركيبهما على الوجه الموصل الى تحصيل لذات وكمالات
اخر وتفجيرها اشارة الى ايصالها الى اهلها من النفوس المستعدة لذلك قال اهل النظم حين وصف سعادة الابرار
كان لسايل ان يقول ما لهم يرزقون ذلك فاجاب يوفون بالنذر وفيه ان الذى وفى بما اوجبه على نفسه لوجه
الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ذكر الواحدى فى تفسير البسيط والزمخشرى فى الكشاف وكذا الامامية اطبقوا
على ان السورة نزلت فى اهل البيت النبى صلعم ولا سيما هذه الاى يروى عن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما
رسول الله صلعم فى ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما ان برأهما
الله مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شى فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلث اصوع من
شعير فطحنت فاطمة صاعا فاختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل
فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد مسكين اطعمونى اطعمكم الله من موايد الجنة فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا
صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فاثروه ووقف عليهم اسير فى الثالثة ففعلوا
مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ على بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله صلعم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ
من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءنى ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فراى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها
وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبرائيل عليه وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك فاقراه السورة ويروى
ان السايل فى الليالى الثلث كان جبرائيل اراد بذلك ابتلاهم باذن الله سبحانه وصفهم الله تعالى بالخوف من اهوال
القيمة فى موضعين اولا فى قوله ويخافون يوما كان شره اى مكروهه مستطيرا فاشيا منتشرا من استطار الحريق و
الفجر المستطير واصله من طار والغرض انه عم مكانه وذلك اليوم جميع المكلفين حتى الانبياء يقولون نفسى نفسى الا
نبينا صلعم فانه يقول امتى امتى والسموات ينفطرن والكواكب ينتثرن الى غير ذلك من المكاره والاهوال ولا ما فى هذا من
المسلمين بالاجر على ما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وثانيا فى قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا واذا كان حال اهل بيت
النبى صلعم وعلى اله او حال الابرار على العموم فى الخوف من الله الى هذه الغاية فغيرهم اولى بالخوف اما الضمير فى حبه
فللطعام اى مع اشتهايه والحاجة اليه كقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة وقال الفضيل بن عياض اى على حب الله عز وجل نظير الاية قوله واتى المال على حبه ومعنى المسكين واليتيم
قد عرفت مرارا واما الاسير فعن سعيد بن جبير وعطا وهو الاسير من اهل القبلة وعن ابى سعيد الخدرى وهو
المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلعم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك وقد سمى الزوجة
ايضا اسيرا فقال اتقوا الله فى النساء فانهن عوان عندكم اى اسراء وعن الحسن كان رسول الله صلعم يوتى بالاسير فيدفعه
الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلثة فيوثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان
الى الكفار فى دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات والاحسان اليهم فى الحال الى ان يرى الامام فيهم ما يرى من قتل
او فداء واسترقاق لا ينافى احتمال حكم الامام عليهم بالقتل فى المال لان سد خلتهم بالاطعام واجب على المسلمين قال
قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه ثم الاطعام ليس بواجب على التعيين ولكن الواجب اساسهم

باى وجه كان وانما عبر عن ذلك بالاطعام لان سبب النزول كان كذلك ولان المقصود الاعظم من انواع الاحسان الطعام
الذى هو قوام الابدان يقال اكل فلان مال فلان اذا بلعه باى وجه وان لم يكن الاكل بعينه قوله انما نطعمكم لوجه الله
اى لرضاه خاصه ولابد من اضمار اطعامهم خالصا لله ويجوز ان يكون الحال قال مجاهد اما انهم ما تكلموا بذلك ولكن
علم الله ذلك منهم فكشف عن نيتهم واثنى عليهم وفيه تنبيه على ما ينبغى ان يكون عليه كل مطعم بل كل عامل من اخلاص
عمله لله عن عايشه انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى
ثواب الصدقة لها خالصا والشكور مصدر كالكفور ولو صحت اولهما عادا تعيين مبالغه شاكر وكافر قوله انا نخاف
ظاهره انه تعليل للاطعام ويجوز ان يكون تعليلا لعدم اراده المجازاه ووصف اليوم بالعبوس مجاز وذلك بطريقين
احدهما ان تشبيه فى ضرره وشدته بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل **الثاني** ان يوصف بصفه اهله من
الاشقيا يروى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والقمطرير اشد
ما يكون من الايام واطوله بلا واصله الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه والتركيب يدل على الجمع ومنه القمطر
خريطه فيها الكتب واقمطرت الناقه اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها قاله الزجاج فاشتقه من
القطر وجعل الميم زايده والظاهر انها اصليه وحين اخبر عن اعمال الابرار واخلاصهم ذكر ما سيجزيهم على ذلك
واكد تحقق الوعد بان عبر عنه بصيغه الماضى فقال فوقيهم الله شر ذلك اى مكروهه فان كل ما يشق على النفس
وتكرهه فهو شر بالاضافة اليها فان كان خيرا فى نفس الامر مشتملا على الحكم والفوايد كالقصاص وساير الحدود
ولقيهم اى اعطاهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب بدل عبوس الكفار وحزنهم وجزاهم بما صبروا على التكليف
او الايثار المودى الى افناء المال المستتبع للجوع والعرى جنه وحريرا اى بستانا فيه ماكل هنى ولباسا له منظر بهى
قال الاخفش والزجاج متكئين على نصب الحال من مفعول جزاهم وقيل على المدح وقيل حال من الجنه وضعف لانه يستدعى
ابراز الضمير بان يقال متكئين فيها هم والزمهرير شدة البرد والاظهر ان الميم والها اصليتان لعدم النظر لو جعل
احدهما زايدا ووجود نظير والمعنى ان هواها معتدل وفى الحديث هواء الجنه سجسج لا حر ولا قر وعن ثعلب ان الزمهرير
القمر بلغه طى واشتقاقه من الزهر والمراد ان الجنه لضيائها لا يحتاج الى شمس ولا قمر قوله ودانيه ذكر الاخفش و
الكسائى والفراء والزجاج انه معطوف على متكئين كما يقول فى الدار عبد الله متكيا ومرسله عليه الحجال وان جعلنا
قوله لا يرون حالا صارت الاحوال ثلثا والتقدير جزاهم جنه متكئين فيها على الارائك غير رائين فيها هواء موذيا ودانية
عليهم ظلالها وحلت الواو فى الثالثه للدلاله على الاجتماع كانه قيل وجزاهم جنه متكئين فيها على الارائك جامعين
فيها بين البعد عن الحر والبرد وبين الدنو من الظلال وجوزان يكون دانيه معطوفا على جنه ولانهم وصفوا
بالخوف وقد قال سبحانه ولمن خاف مقام ربه جنتان والتقدير جزاهم جنه اخرى دانيه عليهم ظلالها و
قوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا من باب علفتها تبنا وماء باردا وذلك الزمهرير لا يرى فالمراد ولا يجدون
زمهريرا وان اريد بالشمس كانه شعاعها وحرها فمعنى لا يرون لا يجدون ولا يخفى ان هذا الظل ليس بالمعنى
المصطلح فى الدنيا وهو الضوء الثانى فانه لا شمس هناك فمعنى دنو الظلال ان اشجار الجنه خلقت بحيث
لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار قرينه الاظلال على اهل الجنه وقد اكد هذا المعنى بقوله وذللت قطوفها
تذليلا اى لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا وقال ابن قتيبه ذللت اى دنيت من قولهم حايط ذليل اذا كان قصيرا قال
البرا ابن عازب من اكل قايما برده ومن اكل جالسا او مضطجعا امكنه وحين وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم
واعتدال هوايه وهيئة جلوسهم فيه اخبر عن شرابهم وقدم ذكر الاوانى ومعنى قوارير من فضة ان جنس
الانية من الفضة الا ان تلك الفضه فى صفا الكوارير وشفيفها حتى يرى باطنها من ظاهرها واذا كانت قوارير الدنيا
واصلها من الحجر فى غايه الصفاء والرقه بحيث تحكى ما فى جوفها فما ظنك بقوارير الجنة واصلها من الفضه و
معنى كانت كما مر فى قوله كان مزاجها كافورا وقال فى الكشاف هو من قوله كن فيكون اى تكونت قوارير بتكوين الله
والمراد تفخيم تلك الخلقه العجيبه الجامعه بين صفتى الجوهرين المتباينين والضمير فى قدروها لشرابها على قدر
اى كل واحد من غير زياده ونقص وقريب منه قول مجاهد لا يفيض ولا يغيض وقال الربيع بن انس ان تلك
يكون بمقدار ملى الكف لم تعظم فيثقل حملها قوله علت كلمته ويسقون فيها اى فى الجنة كاسا اى اناء مملوا من خمر
ويجوزان يكون الضمير للاوانى والكاس للخمر بعينها والعرب تستطيب طعم الزنجبيل فى المشروب وتستلذه قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مستورا فلذلك وصف الله مشروبهم فى الاخرة بذلك قال ابن عباس
وكل ما ذكر الله فى القران مما فى الجنة فليس منه فى الدنيا الا الاسم اما السلسبيل فقد قال ابن الاعرابى لم اسمعه
الا فى القران وقال الاكثرون اشتقاقه من السلاسه يقال شراب سلسال وسلسبيل اى عذب سهل المساغ فكان
الباء واللام زيدتا للمبالغة حتى صارت الكلمه خماسيه ويرد عليه بان الباء ليست من حروف الزياده قال الزجاج
السلسبيل فى اللغة صفه لما كان فى غاية السلاسه والفايده فى تسميتها بالزنجبيل هى انها فى طعم الزنجبيل ولذته
ولكن ليس فيها اللذع الذى هو مناف للسلاسه وقد نسب الى على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ان معناه سل
سبيلا ووجه ان صحه الروايه بانها حينئذ جمله سمى بها مثله تابط شرا وسبب التسميه فى الاصل انه لا يشرب
منها الا من سال اليها سبيلا بالايمان والعمل الصالح او فى شعر بعض المتاخرين سل سبيلا فيها اليراحه النفس براح
كانها سلسبيل والظاهر منع صرفه للعلمية والتانيث ولكن لم يقرا به الا فى الشواذ والمتواتر التنوين ووجهه مامر
فى سلاسلا على ان غايه المشاكله هنا اولى لكونه راس ايه ثم وصف خدمهم بقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون
ويجوزان يكون هذا بيان الطايفين فى قوله ويطاف عليهم بانية وقد صرح به فى الواقعه ورادهينا ان شبههم
فى حسنهم وصفاتهم ونقابهم وتفرقهم فى المجلس لاصناف الخدمه باللولو المنثور يحكى ان المامون ليلة زفت اليه
بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نسا دار الخلاف اللولو نظر اليه منثورا
على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابى نواس كانه شاهد مجلسنا هذا حيث قال شعر كان صغرى
وكبرى من فواقعها ؞ حصباء در على ارض من الذهب ؞ وقيل شبهوا باللولو الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن
احسن واكثر ماء ثم اجمل نعيمهم لانه مما لا ينحصر ولا يخطر ببال احد ما دام فى الدنيا فخاطب نبيه او كل راء قايلا
واذا رايت قال الفراء مفعوله وهو الموصول مضمر تقديره واذا رايت ما ثم كقوله لقد تقطع بينكم يريد ما بينكم
وانكر الزجاج وغيره حذف الموصول والاكتفا بالصله والذى اختاره اصحاب المعانى ان يكون المفعول
متروكا ليشيع ويعم والمعنى ان الراى اينما اوجد الرويه لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير اى واسع هنى ثم طرح
مكان اشربة الى الجنة يروى ادنى اهل منزله ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل الملك الكبير
هو الذى لا زوال له وقيل هو انه اذا ارادوا شيئا كان ومنهم من حمله على التعظيم وهو ان ياتى الرسول بكرامة من الكسوة
والطعام والشراب والتحف الى ولى الله وهو فى منزله فيستاذن عليه ولا يدخل عليه رسول العزه وان كان من
الملايكة المقربين الا بعد الاستيذان قاله الكلبى وقال اهل العرفان الملك الكبير هى اللذة الحقيقيه والمعارف
الالهية والاسرار الربانية التى يستحقر عندها اللذات البدنيه وعن على كرم الله وجهه انه قرا وملكا بفتح الميم
وكسر اللام والملك هو الله سبحانه من قرا عاليهم بسكون اليا فعلى انه مبتدا وثياب سندس خبره اى ما يعلو
من لباسهم ثياب سندس ومن قرا بالنصب فعلى انه ظرف بمعنى فوق فيكون خبرا مقدما ويجوزان يكون نصبا على
الحال من ضمير الابرار ولقيهم نضرة وسرورا حال ما يكون عاليهم ثياب سندس ويحتمل ان يكون العامل رايت
المضاف محذوف والتقدير رايت اهل النعيم وملك عاليهم ثياب من قرا خضر فظاهر ومن قرا بالجر فعلى الجوار
وعلى صفة سندس بالاستقلال لانه جنس فكان فى معنى الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار والصفر والدرهم البيض
واما الرفع فى استبرق والعطف على سندس وكلاهما ظاهر قوله وحلوا اساور من فضة ان كان الضمير للولدان
فلا اشكال لان اساور المخدومين تكون من ذهب كما قال سبحانه فى مواضع يحلون فيها من اساور من ذهب واساور
الخدام تكون من فضة وان كان الضمير للابرار فلا اشكال ايضا فلعلهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبه واما على
الجمع وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضه وايضا والطباع مختلفه فرب
انسان يكون استحسانه لبياض الفضه ورب انسان يكون استحسانه لصفرة الذهب فالله تعالى يعطى كل احد
بفضله ما يكون رغبته فيه اتم وقال اهل التاويل البيا ورا ليدا عمالها واكسابها التى صارت ملكات نورانيه بها
التى صارت ملكات يتوسل الى جوار الحضرة الصمدية كما ان الذهب والفضة فى الدنيا وسايل الى تحصيل المطالب
العاجله ثم ختم جزا الابرار بقوله وسقيهم ربهم شرابا طهورا هو اما مبالغة الطاهر والمراد انها ليست بنجسة كخمور
الدنيا ولا مستقذره طبعا لمساس الايدى الوضرة والاقدام النجسة الدنسة ولا تؤول الى النجاسة ولكنها ترشح عرقا من
ابدانهم له ريح كريح المسك واما مبالغة مطهر قال ابو قلابة يؤتون بالطعام والشراب مرة فاذا كانوا بالكافور والزنجبيل

فاذا كان في اخر ذلك سقوا هذا الشراب فيطهر بطونهم ويفيض عرق من جلودهم كريح المسك ريحها وذكر اصحاب التاويل
الانوار القايضة من العالم العلوي متفاوتة في الصفاء والقوة والتاثير فبعضها كافورية طبعها البرد واليبس
ويكون صاحبها في الدنيا مقيم والبكا والقبض وبعضها زنجبيلية على طبع الحر واليبس ويكون صاحبها
قليل الالتفات الى ما سوى الله قليل المبالاة بالجسمانيات ثم لا يزال الروح الانساني ينتقل من نوع ومن مقام
الى ان ينتهي الى حضرة نور الانوار فيضمحل في نور تجليه ساير الانوار وهذا اخر سير الصديقين ومنتهى درجاتهم
في الارتقا الى مدارج الكمال فلهذا اضاف السقي الى نفسه قايلا وسقيهم ربهم ثم ختم الوعد بقوله ان هذا كان
لكم جزاء عن ابن عباس ان هذا المعنى انما يقال لهم بعد دخولهم الجنة فالقول مقدر والغرض اعلامهم ان كل ما تقدم
من اصناف العطا انما هو جزاء اعمالهم والغرض اذاقة لذة الاجر فان سرورهم يزيد بذلك وقال اخرون انه ابتداء
خبر من الله تعالى بعبادة في الدنيا ليعلموا في دار التكليف ان هذه الاشيا معدة في الاخرة لمن بر واطاع واعلم
انه سبحانه بين في اول السورة ان الانسان وجد بعد العدم ثم ذكر انه خلقه من امشاج وهي العناصر او الاخلاط
او المآء ان ماء الرجل وماء المراة او الاطوار المتعاقبة على النطفة او النفس والبدن وعلى جميع التقادير فذلك
يدل على كونه فاعلا مختارا صانعا حكيما ثم اخبر انه ما خلقه لاجل البعث عاطلا باطلا ولكنه خلقه للابتداء والامتحان
واعطاه كل ما هو محتاج اليه من العقل والحواس ثم الامر بالجبر وبالقدر الى الشكر او الكفر اما الكافر فله سلاسل
والاغلال واما الشاكر فله النعيم والضلال واختصر في العقاب واطنب في ذكر الثواب اشارة الى ان رحمته سبقت
غضبه وحين فرغ من شرح احوال الاخرة بدا بكيفية صدور القران الذي يعلم منه هذه العلوم والحقايق فقال
انا نزلنا عليك القران تنزيلا وفيه انواع من المبالغة من قبل ايقاع الضمير اسما لان ثم تكريره ومن جهة صيغة الجمع
ومن جهة ذكر المصدر بعد الفصل ومن جهة لفظ التنزيل دون الانزال لان تنزيل القران منجما مفرقا اقرب الى
تسلية قلب النبي وتثبيت فواده حيث سلى قلبه امره بالصبر على اذى الكفار الى ان تنزيل اية القتال ونهاه عن طاعة
كل اثم منهم وخصوص لكفور فان الكفر اعظم الاثام قال النحويون كلمة او مفيدة لاحد الشيئين او الاشيا فاورد
عليه انه يلزم في الاية انه لا يجوز طاعة الاثم والكفور اذا تخالفا اما اذا توافقا فانه يجوز طاعتهما ان لا يبعد
ان يقول السيد لعبده اذا امرك احد هذين الرجلين فخالفه ما ذا توافقا فلا تخالفهما والجواب انه لا ريب ان قولك
لا تضرب زيدا او عمرا معناه في الاظهر لا تضرب زيدا ولا عمرا ويحتمل احتمالا مرجوحا الا تضرب احدهما واضرب الاخر
الا ان هذا الاحتمال مدفوع في الاية لقرينة الاثم والكفر فان احدهما اذا كان منهيا عنه فكلاهما معا اولى لان
زيادة الشر شر ولهذا قال الفراء معناه لا تطع واحدا منهما سوا كان اثما او كفورا ولو كان العطف بالواو كان نصا
في النهي عن طاعتهما معا ولا يلزم منه النهي عن طاعة كل منهما على الانفراد فنقصان الشر خير وقد خص بعض المفسرين
فقال الاثم هو عتبة لانه كان متعاطيا لانواع الفسوق والكفور هو الوليد لانه كان شديد الشكيمة في الكفر يروى
ان عتبة بن ربيعة قال للنبي صلعم ارجع عن هذا الامر حتى ازوجك ابنتي فاني من اجمل قريش ولدا وقال الوليد
انا اعطيك من المال حتى ترضى فاني من اكثرهم مالا فقرا عليهم رسول الله صلعم من اول حم السجدة الى قوله فان
اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع
وقال الحسن الاثم هو المنافق والكفور مشركوا العرب امره بالصبر على التكاليف مطلقا قسمها الى نهي وامر على هذا
الترتيب ان التخلية اما النهي فقد مر واما الامر فقوله ذكر الله ولا سيما في الصلوة اول النهار واخره وهو المراد
بقوله بكرة واصيلا ويشمل صلوات الفجر والظهر والعصر واول الليل وهو المراد بقوله ومن الليل فاسجد له اي
وفي بعض الليل فصل له يعني صلوات المغرب والعشا وسطه وهو المعنى بقوله وسبحه اي وتهجد له طويلا نحو الليل
ثلثيه او نصفه او ثلثه كما مر في المزمل ثم شرع في توبيخ المتمردين عن طاعته مستحقرا اياهم قايلا ان هؤلاء يحبون
العاجلة ونعيمها الزايل ويذرون وراءهم يوما ثقيلا اي شديدا كقوله ثقلت في السموات والارض ثم بين كمال
قدرته قايلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم اي ربطهم وتوثيقهم ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وسمي القد اسارا
المعنى ركبناهم تركيبا محكما ووثقنا مفاصلهم بالاعصاب والربط والاوتار حسب ما يحتاجون اليه في التصرف
لوجوه الحوايج واذا شئنا اهلكناهم بالنفخة وبدلنا امثالهم في شدة الاسر عند النفخة الثانية وقال جار الله قيل
معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجي بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم ويات

بخلق جديد قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام كانه طعن في لفظ القران وهو ضعيف لان كل واحد من اذا
حرف الشرط قلت ما ذكره جار الله ليس طعنا في القران وانما هو طعن في تفسير ذلك القول بناء على ان اذا لا يستعمل
الا فيما كان مقطوع الوقوع كالاماتة بالنفخة الاولى والاحيا في النشاة الاخرى واما الاهلاك على سبيل الاستيصال
فذلك غير مقطوع فلهذا لا يحسن تفسير اللفظ ويعين التفسير الاول والمبادرة بالاعتراض قبل الفهم التام ليس من
داب العلما المتقنين فتعجب في مثله ذلك قوله ان هذه تذكرة قد مر في المزمل والمقصود من اعادته ان هذه السورة
بما فيها من الترتيب الانيق تبصرة للمتاملين المتخذين الى كرامة الله سبيلا بالطاعة والانقياد وفيه دليل القدر
في قوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله الى اخر السورة دليل الجبر والتوفيق بينهما مفوض الى فهم اهل التوفيق وقد سلف
منا في التحقيق وانتصب الظالمين بفعل يفسره ما ناه اعد لهم نحو اوعد وعذب ونحوهما والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا ۝ فالعاصفات عصفا ۝ والناشرات نشرا ۝ فالفارقات
فرقا ۝ فالملقيات ذكرا ۝ عذرا او نذرا ۝ انما توعدون لواقع ۝ فاذا
النجوم طمست ۝ واذا السماء فرجت ۝ واذا الجبال نسفت ۝ واذا الرسل
اقتت ۝ لاي يوم اجلت ۝ ليوم الفصل ۝ وما ادريك ما يوم الفصل
ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نهلك الاولين ۝ ثم نتبعهم الاخرين ۝ كذلك
نفعل بالمجرمين ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نخلقكم من ماء
مهين ۝ فجعلناه في قرار مكين ۝ الى قدر معلوم ۝ فقدرنا فنعم
القادرون ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نجعل الارض كفاتا ۝
احياء وامواتا ۝ وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ۝
ويل يومئذ للمكذبين ۝ انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ۝
انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب ۝ لا ظليل ولا يغني من اللهب ۝ انها ترمي
بشرر كالقصر ۝ كانه جمالات صفر ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝
هذا يوم لا ينطقون ۝ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ۝ ويل يومئذ للمكذبين

هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ۝ فان كان لكم كيد فكيدون ۝
ويل يومئذ للمكذبين ۝ ان المتقين في ظلال وعيون ۝ وفواكه
مما يشتهون ۝ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ۝ انا كذلك
نجزي المحسنين ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ كلوا وتمتعوا قليلا
انكم مجرمون ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ واذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ فباي حديث بعده يؤمنون

القراءة فالملقيات ذكرا بتشديد الذال للادغام ابو عمرو وحمزة في رواية عنهما بضم الذال الشموني والبرجمي او نذرا بالسكون ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقتت بالتشديد وبالواو ابو عمرو ويعقوب بالتخفيف يزيد وفي رواية عنه بابدال الواو همزة كقولهم اجوه في وجوه الباقون بالابدال والتشديد الم نخلقكم مظهرا روى النقاش عن ابي ربيعة عن اصحابه والحلواني عن قالون وحفص والبخاري عن ورش فقدرنا مشددا ابو جعفر ونافع وعلي انطلقوا الى ظل بفتح اللام رويس جمالة بالتوحيد حمزة وعلي وخلف وحفص وحيلة جمالات بضم الجيم مجموعة يعقوب الاخرون بالكسر مجموعا **الوقوف** عرفا عصفا نشرا فرقا ذكرا نذرا لواقع طمست فرجت نسفت اقتت بناء على ان عامل اذا محذوف اي اذا كانت هذه الامور يفصل بين الخلق اجلت للفصل بين الجواب والسؤال الفصل الفصل للمكذبين الاولين لان ما بعده مستانف اي ثم نحن نتبعهم الاخرين بالمجرمين للمكذبين مهين مكين معلوم قادرون المكذبين كفاتا وامواتا فراتا للمكذبين تكذبون للتكرار مع الاية والوقف لمن قرا بفتح اللام اوضح لانه ابتداء اخبار عن موجب عملهم بما امروا به شعب اللهب كالقصر لان ما بعده وصف بشرر لا للقصر صفر للمكذبين لا ينطقون فيعتذرون للمكذبين الفصل لاحتمال ما بعده الاستيناف و الحال اي اشر اليوم مجموعا فيه الاولين فكيدون للمكذبين وعيون يشتهون يعملون المحسنين المكذبين مجرمون المكذبين لا يركعون المكذبين يؤمنون **التفسير** الكلمات الخمس في اول السورة يحتمل ان يكون المراد جنسا واحدا او اجناسا مختلفة اما الاحتمال الاول فذكروا فيه وجوها الاول انها الملائكة اقسم رب العزة بطوائف الملائكة الذين ارسلهم باوامره حال كونهن عرفا اي متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا اجتمعوا عليه ويجوز ان يكون العرف بمعنى خلاف النكر اي ارسلهن للاحسان والمعروف فان هؤلاء الملائكة ان كانوا بعثوا للرحمة فمعنى الاحسان ظاهر ولئن كانوا قد بعثوا لاجل العذاب فذلك ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف الانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله من الكفار لاجلهم ومعنى العاصفات انهن عقيب الامر عصفن في مضيهن كما تعصف الرياح بدارا الى امتثال الامر وقيل هو من قولهم عصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم واهلكتهم ويقال ناقة عصوف اي عصفت براكبها فمضت كانها ريح من السرعة والمراد انهن حين ارسلهن للعذاب طرن بروح الكافر ثم قسم من الملائكة نشرن اجنحتهن من الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع من الارض واحيين نفوس الميتة او بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين قال الاخفش والزجاج هما بالسكون مصدرا كالشكر والكفر والضم في كل منهما كالنكر والمنكر والمعنى اعذارا وانذارا وكل منهما بدل عن ذكرا ومفعول له وقال ابو عبيدة المثقل جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار وبمعنى القادر والمنذر فيكونان حالين من الالقاء اي عاذرين او منذرين الوجه الثاني انها الرياح اقسم الله سبحانه برياح عذاب ارسلهن متتابعة فعصفن عصفا ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا اي صرن سببا في حصول الذكر لان الانسان اذا شاهد تلك الرياح التجا الى ذكر الله والتضرع اليه فيكون

عذرا للذين يعتذرون الى الله عز وجل بالتوبة والاستغفار او انذارا للذين يغفلون عن الله ويعقلون شكره او ينسبونها الى الانواء الوجه الثالث انها القران واياته ارسلت متتابعة او بكل معروف وخير فعصفت اي نسخت ساير الملل والاديان والكتب اي ابتداء بالقهر والنسخ عقيب الارسال ونشرت بعد ذلك بالتدريج اثار الحكم و انوار الهداية في قلوب العالمين ففرقت بين الحق والباطل فالقت الذكر والتشريف الى النبي وامته كما قال وانه لذكر لك ولقومك الرابع انها طوائف الانبياء ارسلوا بالوحي المستعقب لكل خير ومفتاحه لا اله الا الله فاخذ امرهم في العصوف والاشتداد بحيث ازالت عن القلب حب ما سوى الله وانتشر اثارها في ساير الاعضاء والجوارح فلا يسمع الا بالله ولا يبصر الا بالله وكذا البطش والمشي وساير الحركات والسكنات ففرقه بين الوجود المجازي وهو ما سوى الله وبين الوجود الحقيقي وهو البقا بالله فالقت الذكر على كل الجوارح فلم يذكر غير الله واما الاحتمال الاخر وفيه وجوه ايضا احدها وهو منقول عن الزجاج واختاره القاضي ان الثلث الاول هي الرياح كما في الوجه الثاني من الوجوه المتقدمة والثانيتان الملائكة كما مر في الوجه الاول منها ووجه الجمع بينهما ان الرياح والملائكة هو اللطافة وسرعة الحركة وثانيها ان الاولين هما الرياح والثلثة الاخيرة الملائكة لانها تنشر الوحي ثم نعمه اثر ان ظهور الفرق بين اولياء الله واعلامه ودوران ذكر الله على القلوب والالسنة وقد يتايد هذا الوجه بعطف الثانية على الاول بناء الرتيل المبني عن التعقيب والتسبيب ثم التبيين بالواو و عطف الباقيين عليها بالفاء به وثالثها ان الاول ملائكة الرحمة والثانية ملائكة العذاب والباقية ايات القران على ما سبق سؤال ما سبق قوله عز اسمه انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه على ما قال الكلبي كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع والاكثرون يخصونه بمجيء القيامة بدليل ذكر امارات بعده وهو قوله فاذا النجوم طمست اي ازيلت عن اماكنها بالانتثار واذهب ضوءها بالانكدار وقد ورد كل منهما واذا الكواكب انتثرت واذا النجوم انكدرت فذكروا في وجه الجمع بينهما انه يجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر محوقة النور وفسر الانتثار في الكشاف بمحق الذوات وفيه بعد لان الانتثار غير الانعدام وان اراد بالمحق غير هذا فعليه البيان قوله واذا السماء فرجت اي فتحت كقوله وفتحت السماء فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت اي سيرت اجزاؤها في الهواء كما اذا نسفت بالمنسف وقد مر في طه في قوله ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال مجاهد والزجاج اقتت الرسل بتبيين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وكان هذا الوقت مبهما عليهم قبل ذلك وقرب منه قول جار الله ان معنى وقت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره في يوم القيمة ثم عجب العباد من هول ذلك اليوم فقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بهؤلاء الرسل وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من صدقهم وظهور ما كانوا يدعون الامم اليه ويخوفونهم به من العرض والحساب والنشر الدواوين ووضع الموازين ثم اجاب بانهم اجلوا ليوم الفصل بين الخلائق ثم عظم ذلك ثانيا فقال وما ادريك ما يوم الفصل واي شيء شدته ومهابته ثم عقبه بتهويل ثالث فقال ويل يومئذ اي يوم اذ كان كذا وكذا من الاهوال للمكذبين واعرابه كاعراب سلام عليكم وقد سبق وقد كرر هذا التهويل في تسعة مواضع اخر لمزيد التاكيد والتقدير كما مر في سورة الرحمن هددهم بقوله الم نهلك الاولين كعاد وثمود وغيرهما الجزم من نهلك على ثم نتبعهم الاخرين وهم كفار مكة اهلكهم الله يوم بدر وفي غيره من المواطن قوله كذلك اي مثل ذلك الاهلاك العظيم نفعل بكل مجرم ونحكم بعد بيد النعم واثار القدرة عليهم فقال الم نخلقكم من ماء مهين حقير لا يعبا به وهو النطفة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم ولو انه لم يتمكن فيه لم يكن الولد الى قدر معلوم من الزمان لم يعلمه الا مقدره ولهذا قال فقدرنا بالتشديد فنعم القادرون اي فنعم المقدرون له ومن قرا بالتخفيف فبمعنى التقدير ايضا ليتوافق القراتان قال الفراء قدر وقدر بالتخفيف والتشديد لغتان ويجوز ان يكون التخفيف من القدرة اي فقدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم اصحاب القدرة نحن حيث خلقناه في احسن تقويم وفي قوله ويل يومئذ للمكذبين توبيخ من وجهين احدهما ان النعمة كلما كانت اعظم كان كفرانها افحش والثاني ان القادر على الابتداء اقدر على الاعادة فالمنكر لهذا الدليل الواضح يستحق غاية التوبيخ ثم عد عليهم نعم الافاق بعد ذكر الانفس والكفات اسم ما يكفت مبنيا للفاعل قاله جار الله اي يضم ويجمع ويجوز ان يكون اسما لما يكفت به مبنيا للمفعول كالشداد والضمام ما شد به راس القارورة وانتصب احياء وامواتا بفعل مضمر دل هذا الاسم عليه ان تكفت احياء على ظهرها وامواتا

على بطنها والتنكير للتفخيم اى احياء وامواتا لا يعد ولا يحصى وجوز انتصابهما على الحال والضمير الذى هو ذو
الحال محذوف للعلم به اى يكفتكم فى الحال حيوتكم وفى حال مماتكم وقيل معنى كونها كفات الاحيا انها يجمع
ما ينفصل عنهم من المستقذرات وقيل معناه انها جامعة لما يحتاجون فى التعيش وقيل هما راجعان الى الارض
يعنى ما ينبت منها وما لا ينبت والكل تكلف والوجه هو الاول وباقى الاية ظاهرة مما سلف عرفت ثم اخبر عما
يقال للمكذبين فى يوم الفصل فقال فانطلقوا اى يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به والعذاب ثم بين ما احمل بقوله
انطلقوا يروى ان الشمس تقرب يوم القيمة من روس الخلايق وليس عليهم يومئذ لباس فتلفحهم الشمس وتسفعهم
وتاخذ بانفاسهم فينجى الله برحمته من يشاء الى ظل من ظلاله فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقنا عذاب
السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه انطلقوا الى ظل قال الحسن ما ادرى
ما هذا الظل ولا سمعت فيه بشى وقال قوم سمى النار بالظل مجازا وشعبها الثلث كونها من فوقهم ومن تحت ارجلهم
ومحيطة بهم وعن قتادة هو الدخان شعبة على يمينهم واخرى عن يسارهم والثالثة من فوق تظللهم حتى يفرغ
من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش وقال فى الكشاف هو عبارة عن عظم الدخان العظيم تراه يتفرق ذوايب
وقال اهل التاويل الشعب الثلث هى القوة الغضبية ومنشاها القلب فى الجانب الايسر والشهوية منشاها الكبد
فى الجانب الايمن والشيطانية منشأها الدماغ من فوق فيتولد من هذه الينابيع الثلثة ثلثة انواع من الظلمات
وقال ابو مسلم هى الاوصاف الثلثة الذى ذكرها الله تعالى عقيبها وهى لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر
وفيه تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين اى ذلك الظل غير مانع من حر الشمس وغير مغن من حر اللهب شيا
اى لا روح كما قال فى الواقعة لا بارد ولا كريم يقال اغن عنى وجهك اى ابعده لان الغنى عن الشى تباعده كما ان المحتاج
اليه يقاربه وانما عدى فى الاية بمن لانه اراد ان ابتداء الاغناء منه وعن قطرب ان اللهب ههنا هو العطش
ثم شبه الشرر وهو ما يتطاير من النار متبددا فى كل جهة بالقصر والاكثرون على انه واحد القصور وعن سعيد
بن جبير ومقاتل والضحاك انه الغليظ من اصول الشجر العظام الواحدة قصرة كجمرة وجمر وروى عن ابن عباس
انه سئل عن القصر فقال خشب كنا ندخره للشتاء ثم زاد فى البيان بان اتبعه تشبيها اخر فقال كانه جمالات صفر
وهى جمع جمالة بمعنى جمل ويجوز ان يكون جمع جمال جمع جمل كرجالات وقال ابو على التاء فى جمالة لتاكيد الجمع كحجر وحجارة
اما الجمالة بالضم فهى قلوس سفن البحر اى حبالها كما مر فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط وعن على ابن ابى طالب
وابن عباس انها قطع النحاس ومعظم اهل اللغة لا يعرفونه وقال الفراء يجوز ان يكون الجمالات بالضم من
الشئ المجمل يقال اجملت الحساب وجاء القوم جملة اى مجتمعين والمعنى ان هذه الشرر يرتفع كانها شئ مجموع غليظ
اصفر والاكثرون على ان المراد بهذه الصفرة سواد تعلوه صفرة وقال الفراء لا ترى اسود من الابل الا وهو
مشرب صفرة والشرر اذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار كان اشبه بالجمل الاسود الذى يشوبه شئ من
الصفرة وقال اخرون الشرر انما يسمى شررا ما دام مرتفعا وحينئذ يكون نارا واذا كان واقعا واعلم انه عز اسمه
شبه الشرر فى العظم والارتفاع بالقصر ثم شبهه مع ذلك فى اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر
نقل عن ابن عباس انه قال هذا التشبيه انما ورد على ما هو المعتاد فى بلاد العرب وقصورهم قصيرة السمك جارية
مجرى الخيمة فسمع ابو العلاء ذلك فشبه الشرر بالطراف وهو الخيمة من الاديم قال شعر حمراء ساطعة الذوائب
فى الدجى ترمى بكل شرارة كطراف فزعم صاحب الكشاف انه اراد معارضة المعجز قال الامام فخر الدين الرازى
ره كان الاولى بصاحب الكشاف ان لا يذكر ذلك لانه اخذ معنى تابعا والمعجز اظهر حالا واجل منصبا من ان يتصدى
لمعارضته احد بعيد استغراق امره او يليق ان الى المعارضة واذا قد ذكر صاحب الكشاف ذلك فلنذكر التفاوت
بين القران وبين كلام ابى العلاء وذلك من وجوه الاول ذهب ان لون الاديم قريب من لون الشرار الا ان الجمالات متحركة
كالشرارة دون الخيمة الثانى ان القصر موضع الامن تشبيه الشرار به اشارة الى ان الكافر انما تولدت افة من الموضع
الذى يتوقع منه الامن هو دينه ونحلته التى ظن انه منها على شئ وليست الخيمة موضع الامن الكلى الثالث ان الشرر
متتابعة كالجمال ولا كذلك الطراف الرابع ان العرب اعتقدوا ان الجمال فى ملك الجمال وتمام النعم ولهذا قال تعالى و
لكم فيها جمال حين تريحون وفى الاية اشارة الى انكم ان كنتم تعدون كل الجمال فى حصول الجمال فخذوا هذه الشرارات
التى هى كالجمال وهذا التهكم غير موجود فى الشعر الخامس ان الابل اذا نفرت وشردت متتابعة نال من وقع فيما بينها

بلاء شديدا فتشبيه الشرارات بها يفيد كمال الضرر والطراف ليس كذلك السادس ان القصر السابع ان التشبيه
بشيئين كالقصر والجمالات فى اثبات وصفين كالعظم والصفرة اقوى فى ثبوت الوصفين من التشبيه بشئ
واحد للوصفين بعينهما لان الاول كالبين المفصل والثانى كالمجمل المبهم اذ يحتمل ان يكون وجه التشبيه واحدا
منهما فقط الثامن الانسان انما يكون طيب العيش اذا كان وقت الانطلاق راكبا ووقت النزول راقدا فى
الظل فكانه قيل فى الاية على سبيل التهكم مركوبكم هذه الجمالات من الشرر وظلكم فى مثل هذا القصر ولو شبه
بالطراف لم يحصل هذا المقصود التاسع ان نظاير القصر وهو من اللبن والحجر والخشب فى الهواء اعرب من نظاير
الخيمة وهى حقيقة الحجم والعاشر ان سقوط القصر اقطع واهول من سقوط الطراف هذه خلاصة كلام الامام
فى هذا المقام اوردناها لئلا يكون كتابنا خاليا عن شئ من فوايد تفسير قوله علت كلمته هذا يوم لا ينطقون
يروى ان نافع بن الازرق سال ابن عباس عن الجمع بين هذه الاية وبين نحو قوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم
تختصمون فاجاب بتغاير الزمانين وتباين الموطنين وقال الحسن اراد لا ينطقون بحجة صحيحة وعذر واضح
فكانهم لا ينطقوا ولم يعتذروا قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون انما لم يقل فيعتذروا بسقوط النون للنصب كقوله
لا يقضى عليهم فيموتوا لانه لو نصب لاوهم انهم انما لم يعتذروا لاجل انهم لم يؤذن لهم فى الاعتذار ولولا المنع لاعتذروا
وهذا غير جائز ولكن المراد انه لا عذر لهم فى نفس الامر كما لا اذن لهم فالفاء لمطلق النسق لا السبب هذا مع
ان فيه رعاية الفاصلة وهى من جملة الفصاحة اللفظية ولهذا لم يقرا فى سورة اقتربت الى شئ نكر الا مثقلا وقرى
قوله فى اخر الكهف والطلاق عذابا نكرا بالوجهين قالوا وانما لا يؤذن لهم فى الاعتذار لانه سبحانه ازاح الاعذار
فى الدنيا بتقديم الانذار بدليل قوله فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا ولهذا فى اخر هذا الاخبار ويل يومئذ للمكذبين
ثم اشار لمزيد التهديد والتوبيخ الى يوم المذكور بقوله هذا يوم الفصل ثم اوضح هذه الجملة بقوله جمعناكم ايها المتاخرين
والاولين ولان الفصل بين الخلايق لا يجوز الا باحضار الكل وقد يستدل به على عدم جواز القضاء على الغايب ثم
عجزهم وحقر امرهم بقوله فان كان لكم كيد فكيدون وقد انه لا حيلة لهم فى دفع البلاء عن انفسهم يومئذ كما كانوا
يحتالون فى الدنيا ويؤذون بذلك انبياء الله واولياءه وهذا التعجيز والتخجيل من جنس العذاب الروحانى فلهذا
عقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين ثم زاد فى حسرتهم وغمهم بتعديد ما اعد للمطيعين المتقين من الظلال والعيون
والفواكه بدل ظلالهم التى لا روح فيها ولا يغنى عن الحر والعطش استقرارا فى النعيم مقولا لهم كلوا واشربوا وهو امر
اكرام لا امر تكليف وهذا ايضا من جنس العذاب الروحانى بالنسبة الى الكافرين حين يرون الذين اتقوا الشرك
فى النعيم المقيم ولهذا اردفه بقوله ويل يومئذ للمكذبين ثم ذكر هذا التاويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم فى الاخرة
كلوا وتمتعوا قال جار الله هذا فى طريقة قول القايل اخوتى لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا اى كنتم احقاء فى
حيوتكم بان يدعى لكم بهذا وفيه توبيخ لهم وتذكير بحالهم السمجة وما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم
المقيم وعلل ذلك بكونهم مجرمين ابدا والكل مجرم ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين
فى الدنيا ثم ذمهم على ترك الخشوع والتواضع لله بقبول وحيه وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود يروى
ان وفد ثقيف امرهم رسول الله صلعم بالصلوة فقالوا لا نجبى اى لا نركع ولا نسجد فانها مسبة علينا فقال صلعم لا خير فى دين ليس فيه
ركوع ولا سجود واول الله الاية ثم ختم السورة بالتعجب من حال الكفار واصرارهم على جهالاتهم وضلالاتهم بعد القران وبيانه وقد مر فى
اول الجاثية نظيره

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا
سيعلمون ثم كلا سيعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال

أوتادا ۞ وخلقناكم أزواجا ۞ وجعلنا نومكم سباتا ۞ و
جعلنا الليل لباسا ۞ وجعلنا النهار معاشا ۞ وبنينا فوقكم
سبعا شدادا ۞ وجعلنا سراجا وهاجا ۞ وأنزلنا من المعصرات ماء
ثجاجا ۞ لنخرج به حبا ونباتا ۞ وجنات ألفافا ۞ إن يوم الفصل
كان ميقاتا ۞ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ۞ وفتحت
السماء فكانت أبوابا ۞ وسيرت الجبال فكانت سرابا
إن جهنم كانت مرصادا ۞ للطاغين مآبا ۞ لابثين فيها أحقابا ۞
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ۞ إلا حميما وغساقا ۞ جزاء وفاقا
إنهم كانوا لا يرجون حسابا ۞ وكذبوا بآياتنا كذابا ۞
وكل شيء أحصيناه كتابا ۞ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ۞
إن للمتقين مفازا ۞ حدائق وأعنابا ۞ وكواعب أترابا ۞ وكأسا
دهاقا ۞ لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ۞ جزاء من ربك عطاء
حسابا ۞ رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا ۞ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ۞ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ
إلى ربه مآبا ۞ إنا أنذرناكم عذابا قريبا ۞ يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه ۞ ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا

القراءة كلا ستعلمون بتاء الخطاب في الموضعين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفتحت بالتخفيف عاصم وحمزة وعلي وخلف لبثين مقصورا حمزة ولا كذابا مخففا علي رب بالرفع بتقدير هو رب ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والمفضل الباقون بالجر على البدل الرحمن بالجر على البدل والبيان ابن عامر وسهل و يعقوب وعاصم غير المفضل الآخرون بالرفع على هو الرحمن او على خبر آخر **الوقوف** يتساءلون لا احتمال ان الجار متصل بالفعل المذكور والمراد التهديد قال الفراء عن بمعنى اللام اي لاي شيء او متصل بمحذوف كان سائلا سأل عن اي

شيء يتساءلون فاجيب عن النبأ العظيم مختلفون بناء على ان معنا كلا حقا سيعلمون سيعلمون مهادا اوتادا ازواجا سباتا لباسا معاشا شدادا وهاجا ونباتا الفافا ميقاتا لان ما بعده بدل افواجا ابوابا سرابا مرصادا مآبا احقابا لان ما بعده يصلح استينافا او حالا ويجوز ان يكون صفة لاحقابا والمكان عود والضمير في فيها اليها شرابا وغساقا وفاقا حسابا كذابا لان التقدير واحصينا كل شيء احصيناه كتابا عذابا مفازا واعنابا اترابا دهاقا لانه لو وصل اشتبه بالصفة وللوصف وجه كما يجيء في التفسير كذابا لا لان جزاء يصلح مصدرا او مفعولا له حسابا لمن قرأ رب بالرفع ولا وقف على بينهما الا لمن قرأ الرحمن بالرفع ورب بالجر و على الرحمن وقف على الوجوه الا لمن جعله مبتدأ لا يملكون خبره خطابا بناء على ان يوم ظرف لا يملكون صفا بناء على ان ظرف لا يتكلمون صوابا الحق اذ للشرط مع الفاء مآبا قريبا لان يوم متعلق باذكر او بعذابا ترابا **التفسير** حرف الجر اذا دخل على ما الاستفهامية حذف الفها نحو عم وفيم وعلامة والام تشديدا للاتصال وكثرة الاستعمال ثم ان كان الكلام مبنيا على السؤال والجواب فالسائل والمجيب واحد هو الله والفائدة في هذا الاسلوب ان يكون في التفهيم اقرب ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما وقع فيه التسائل بيانه ان مطلب ما وضع للسؤال عن حقائق الاشياء والمجهوله والشيء العظيم الذي يعجز العقول عن ادراكه او يدعى فيه العجز يكون مجهولا فوقع بين المسؤل بما هو بين الشيء العظيم مشابهة من هذا الوجه والمشابهة احد اسباب المجاز والنبأ العظيم القيمة بدليل الردع عن الاختلاف والتهديد بعده وتقديم الضمير وبناء الكلام عليه لتقوي الحكم لا للاختصاص فان غير قريش ايضا مختلفون في امر البعث فمنهم من يثبت المعاد الروحاني فقط ومنهم من يشك فيه كقوله وما اظن الساعة قائمة ومنهم من يقطع بعدم البعث ان هي الا حياتنا الدنيا كان يسأل بعضهم بعضا عن القيمة ويتحدثون عنها متعجبين من وقوعها ويجوز ان يكون المفعول محذوفا اي يتساءلون النبي المسلم فليزدادوا خشية واستعدادا واما الكافر فلاجل الاستهزاء وقيل النبأ العظيم القرآن واختلافهم فيه ان بعضهم جعلوه سحرا وبعضهم شعرا او كهانة وقيل نبوة محمد صلعم كانوا يقولون هذا الذي حدث وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقالت الشيعة او علي كرم الله وجهه قال القائل في حقه **شعر** هو النبأ العظيم وفلك نوح ۞ وباب الله وانقطع الخطاب ۞ قال اهل المعاني تكرير الردع مع الوعيد دليل على فانه التهديد و في ثم اشعار بان الوعيد الثاني ابلغ ويجوز ان يكون الاول في الدنيا والثاني في الآخرة وقيل الاول للكفار والثاني للمؤمنين وقيل الاول ردع عن الاختلاف والثاني عن الكفر وحذف المفعول للعلم به اي سيعلمون ان ما يتساءلون عنه مختلفين فيه حق وصدق وذلك اتصل العيان بالخبر ومن قرأ بتاء الخطاب فقد سلك سبيل الالتفات ثم عدد دلائل القدرة على البعث دلائل الحكمة في الجزاء على ان كلا منهما نعم يجبان بشكر بالتوفيق على الطاعة ولا يكفر بالاقدام على المعصية و المهاد الفراش والاوتاد ما يشد بها اطناب الخيمة شبهت الجبال الرواسيات بها لا يحفظ الارض ان تميد بما عليها وقد سبق تقريره والازواج الاصناف او المقابلات الصبح بازاء الحسن والطويل بحذاء القصير وغير ذلك من الاضداد والسبات الراحة والتركيب يدل على القطع والازالة ومنه سبت الرجل رأسه اذا حلقه فالنوم يزيل التعب عن الانسان فيعقب الراحة قال ابن الاعرابي والمبرد وقال الزجاج وغيره هو الموت وهذا التفسير لا يناسب مقام تعديد النعم واللباس ما يتغطى به والليل اخفى **شعر** وكم لظلام الليل عندك من يد ۞ تخبر ان المانوية تكذب ۞ والمعاش مصدرا واسم زمان لان الناس يتقلبون فيه لوجوه معيشتهم والشداد المحكمة التي لا تقبل الشق والخرق الا ما شاء الله والوهاج المتلالئ او الوقاد وفي كتاب الخليل الوهج حر النار ولا شك ان الشمس جامعة للنور والحرارة والمعصرات السحائب بلغة قريش من اعصرت اذا شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اي جان ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وهذا القول مروي عن ابن عباس واختاره ابو العالية والربيع والضحاك قال مجاهد والكلبي ومقاتل وقتادة هي الرياح التي تنشئ السحاب قد رد لخلافة فكانها مبادي للانزال والثجاج المنصب بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج صب دماء الهدي ثم بين غاية الانزال وهي اخراج الحب للاناسي والنبات للانعام غالبا والجنات والملتفة لاجل التفكه والتلذذ قال الكسائي والاخفش الالفاف جمع لف بالكسر ويحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف وقال في الكشاف انه لا واحد له كالاوزاع للجماعات المتفرقة ومثله قولهم اخوة احباب اي مختلفة واعلم ان هذه الاشياء التسعة نظر الى حدوثها او امكانها تدل على الفاعل المختار ونظر الى ما فيها من الاحكام والاتقان يدل على كمال علمه و حكمه

الدنيه وبعد ثبوت كماله فى هذه الاوصاف لم يبق للمتامل شك فى امكان اخراج الموتى من القبور وبعثهم لجزايهم
بعد تفرق اجزايهم فلهذا رتب على هذه البيانات قوله ان يوم الفصل كان ميقاتا اى حدا موقت به الدنيا او حد
الفصل الحكومات ينتهى الخلايق اليه والنفخ ههنا هى الثانيه التى يكون عندها الحيوة بدليل قوله افتاتون افواجا
اى طايفه طايفه الى ان يتكامل اجتماعهم وقال عطا كل نبى ياتى مع امته وروى صاحب الكشاف ان معاذا سأل
رسول الله صلعم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم
على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها و
بعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة وعن صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد
نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازمة بجلودهم فاما الذى على صورة القردة فالقتات
من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون رؤسهم فاكلة الربوا واما العمى فالذين
يجورون فى الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين
خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون الجيران واما المصلبون على جذوع
من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات و
منعوا حق الله فى اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتح السماء شقها وانفطارها
او معنى اخر معا بوابها والضمير فى فكانت للسماء كانها لكثرة ابوابها المفتوحة لنزول الملائكة صارت بكليتها ابوابا
كقوله وفجرنا الارض عيونا ويحتمل ان يعود الى مقدر دل عليه الكلام اى فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا وقال
الواحدى المضاف محذوف اى فكانت ذات ابواب والجبال فانه سبحانه ذكر حالها بعبارات مختلفة ويمكن الجمع
بينهما بان يقال اولا وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ثم تصير كالعهن وتكون الجبال كالعهن ثم تصير كالهباء
وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وهى فى كل هذه الاحوال قارة فى مواضعها ثم تنسف بارسال الرياح عليها واذا
الجبال نسفت ثم يظهر ههنا احوال احدها للارض اذا نورث من تحتها ويوم تسير الجبال وترى الارض بارزة و
الثانى للجبال متطيرة فى الهواء كالهباء فمن نظر اليها حسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهى فى الحقيقة تارة بتحريك الهوا
كما قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب والثالث لها باعتبار اماكنها الاصليه فمن نظر الى تلك المواضع
من بعيد يظن ان الجبل هناك حتى اذا دنا منها لم يجد فيها شيا كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيا ووجد الله وقد اشار الى هذه الحاله وسيرت الجبال فكانت سرابا ثم اخبر عن احوال الاشقياء والسعداء
يومئذ وقدم ذكر الاشقياء لان الكلام بنى فى السورة على التهديد قال ان جهنم كانت اى فى علم الله او هى مسلوبة الدلالة
على المضى والمرصاد اما اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان
الذى ينهج فيه والمعنى ان خزنة جهنم يرصدون الكفار بها وان خزنة الجنة يستقبلون المومنين عندها لان
جوازهم عليها بدليل قوله وان منكم الا واردها ولهذا قال الحسن وقتاده يعنى طريقا وممرا الى الجنة واما صفة
نحو مقدام بمعنى انها ترصد اعداء الله وقوله للطاغين متعلق بما بعده او بما قبله وعلى التقديرين لا بد من اضمار و
هو لطفه لهم ولاهل الجنه ثم ذكر كمية استقرارهم هناك فقال لابثين ومن قرا بغير الف فهو ادل على الثبات قال
جار الله اللابث من وجد منه اللبث واللبث الذى من شانه اللبث لا يكاد يبرح بالمكان اما الاحقاب فزعم الفراء
ان اصله الترادف والتتابع اى دهورا مترادفة لا يكاد تتناهى كلما مضى حقب تبعه اخر وقال الحسن للاحقاب
لا يدرى احد ما هى ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون وسئل هلال
الهجرى عليا رضى الله عنه فقال الحقب مايه سنة السنة اثنا عشر شهرا الشهر ثلثون يوما اليوم الف سنة من ايام
الدنيا ونحو هذا يروى عن ابن عمر مرفوعا فان قيل عذاب اهل النار لا سيما الطاغين غير متناه والاحقاب فى المعانى
المذكوره وان كثر مبلغها متناهيه فما وجه الجمع بينهما قلنا الحقب متناه ولكن الاحقاب لا نسلم انها متناهيه فان
الجمع لا يلزم تناهى احاده فيجوز ان يكون المعنى كلما مضى حقب تبعه اخر كما قال الفراء سلمنا ان الاحقاب تفيد التناهى
لكن بالمفهوم والنصوص الداله على التابيد كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها يدل بالمنطوق
راجح وقال الزجاج المعنى انهم يلبثون فيها احقابا غير ذايقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يقلبون

الى جنس اخر غير الحميم والغساق وذكر فى الكشاف وجها اخر وهو ان يكون احقابا من حقب عامنا اذا قل خيره وحقب
فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم اى نكدين وفى اسواء حال والبرد
اى لا يجدون هواء باردا ولا ماء باردا وقال الاخفش والكسائى والفراء وقطرب هو النوم وذلك ان البرد لازم
النوم ولهذا يسكن العطش وسببه توجه الحرارة الغريزية الى الباطن عند فتور الحواس الظاهرة والحركات
الاختياريه وفى امثالهم منع البرد البرد اى اصابنى من البرد ما منعنى من النوم وقد يعضد هذا القول بانهم لا يقولون
وقت الكرى وربما انهم يجدون للزمهرير فكيف يصح نفى البرد عنهم وقد يجاب عن الاول بان الذوق فى الصورتين
مجاز فاى ترجيح لاحدهما على الاخر وعن الثانى بان المراد برد له روح لا الذى فيه عذاب والحميم الماء البالغ
فى الحرارة والغساق صديد اهل النار وقد مر فى سورة صاد وقوله جزاء نصب على المصدر اى جزاء وهم جزاء و
انتصب وفاقا على الوصف اى ذا وفاق او موافقا لعملهم فى القبح والقطاعة والدوام ثم ذكر علة التابيد فقال
انهم كانوا لا يرجون لا يخافون او لا يتوقعون حسابا وهذه اشارة الى نقصانهم بحسب القوة العمليه فان الذى
اعتقد انه لا حشر ولا حساب لا يبالى باى شى فعل من القبايح والمظالم واى شى ترك من الخيرات والفضايل وقوله
كذبوا باياتنا كذابا اشارة الى فساد عقايدهم حتى جحدوا الحق وكذبوا الرسل ومصدر فعل مشدد العين يجى على فعال
بالتشديد وهو الاكثر وبالتخفيف عند بعضهم ولهذا لم يقرء به الا فى الشواذ قال جار الله هو مصدر كذب بدليل
قوله شعر فصدقتها وكذبتها ⁂ والمرء ينفعه كذابه ⁂ وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعنى وكذبوا
باياتنا فكذبوا كذابا وينصبه يكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة
فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبه وكذبوا بها مكاذبين فبينهم مكاذبه ولانهم يتكلمون بما هو افراط فى الكذب فعل من
يغالب فى امر فيبلغ فيه اقصى جهده اقول اراد بهذا الوجه الاخير ان باب المغالبه يبنى على المفاعله فيمكن ان يستدل بالمفاعلة
على المغالبه بطريق العكس الحرى قوله وكل شى احصيناه من باب الاضمار على شريطة التفسير وقوله كتابا مصدر لانه
والاحصا يتلاقيان فى معنى الضبط والتحصيل ويجوز ان يكون حالا اى مكتوبة فى اللوح او فى صحف الحفظة قال جار الله
وهذه جمله معترضه واقول انها من تمام التعليل المذكور اى انهم ضلوا كذا وكذا وكنا نحن عالمين بجميع المكلفات والجزئيات
فلهذا امكنا جزاء العاصين على وفق اعمالهم ثم اظهر غاية السخط بطريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب والتعقيب
بفاء الجزاء الدال على ان المذكور مسبب عن كفرهم الحساب وتكذيبهم بالايات وزياده العذاب يحتمل ان يكون لاجل ان
المؤثر اذا استمر ودام ازداد الاحساس باثره ويحتمل ان يكون لازدياد كفرهم وعتوهم حينا بعد حين كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم ويحتمل ان يكون زيادة العذاب عبارة عن نفس استمراره لانه يتزايد بمرور الزمان والمراد انا لن
نخلصكم من العذاب الى خلافه ثم شرع فى شرح احوال السعداء فقال ان للمتقين مفازا فوزا وظفرا بالمطالب والاماني
او موضع فوز ثم فسره بقوله حدايق الى اخره والحدايق البساتين فيها انواع الشجر وقد مر فى قوله حدايق ذات بهجة وخص
منها الاعناب لبيان مزيته على ساير الفواكه والكواعب النواهد واحدها كاعب كطالق وطامث وهى التى ظهر
ثديها كالكعب لها موقليل وللاتراب اللذات والدهاق المترعة المملوءة وهذا قول اكثر اهل اللغة كابى عبيدة و
الزجاج والكسائى والمبرد يروى ابن عباس دعا غلاما فقال اسقنا دهاقا فجاء الغلام بها ملائ فقال ابن عباس
هذا هو الدهاق وعن ابى هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد هى المتتابعة قال الواحدى واصل هذا من قول العرب
ادهقت الحجارة ادهاقا وهو شدة تلازمها ودخول بعضها فى بعض وعن عكرمة دهاقا اى صافيه والدهاق
على هذا القول يجوز ان يكون جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والكاس الخمر اى خمر ذات دهاق وهى التى عصرت
وصفيت بالدهاق لا يسمعون فيها اى فى الجنه وهو الاظهر وفى الكاس وشربها لغوا كلاما باطلا ولا كذابا اى لا
يكذب بعضهم بعضا لانهم اخوان الصفا واخدان الوفا ومن قرا بالتخفيف فمعناه انه لا يجرى بينهم كذب او مكاذبة قال
جار الله جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء
نصب المفعول به اى جزاهم عطاء وقال الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء واعطاهم عطاء ومعنى حسابا كافيا من
احسبه الشى اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل اى على حسب اعمالهم فمعنى الحساب العدد التقدير لبعضهم عشر ولبعضهم
سبعمايه واكثر وقال ابن قتيبه هو من احسبت فلانا اى اكثرت له يعنى عطاء كثيرا وانما قال فى الاول جزاء
وفاقا لان جزاء السيئة مثلها اى موافقة لها واما ههنا والمراد ثواب المومنين وليس ذلك بعدد العمل فقط ولكن بمقدار

مايكفيه ثم مدح نفسه بقوله رب السموات والارض ومابينهما الرحمن وقد تقدم اعرابه في الوقوف والضمير في لا يملكون
قيل للكافرين بقله عطا عن ابن عباس يريد لا يخاطب المشركون الله واما المؤمنين فيشفعون ويقبل الله ذلك
منهم وقيل للمؤمنين لان ذكرهم اقرب من ذكر الكفار والمراد انه لا يحسن حججهم فباى سبب يخاطبوه والاكثرون على
ان الضمير لاهل السموات والارض فان احدا من المخلوقين لا يملك مخاطبه الله ومكالمته ولا يرد عليه الشفاعة لانها
بالاذن لا بالملك والذى يدل على المعقول على ان احدا لا يملك خطابا من جهه ما لكه شيا والا لم يكن للمالك كمال
الملك وقالت المعتزله انه علم بقبح القبيح غنى عن فعله وعلم بغناه فلا يفعل الا الحسن وح لا وجه للمطالبه والمخاطبه
ثم اكد معنى المذكور بقوله يوم يقوم الروح وهو اعظم المخلوقات قدرا كما مر فى سوره سبحان فى تفسير قوله يسئلونك
عن الروح والصف مصدر فى الاصل لا يثنى ولا يجمع غالبا فلهذا جاز ان يكون المراد بهم يقومون صفين الروح وحده
وصف والملائكة باسرهم صف وجاز ان يراد يقوم الكل صفا واحدا ويقومون صفوفا كقوله وجاء ربك والملك
صفا صفا ثم بين انهم مع جلاله قدرهم لا يتكلمون الا بشرطين احدهما الاذن من الله والضمير فى اما للشافع فالمراد انهم
لا ينطقون الا بعد ورود الاذن فى الكلام ثم بعد الاذن يجهدون حتى يتكلمون الا بما هو الحق والصواب ولما المشفعون
والقول الصواب على هذا التفسير شهادة ان لا اله الا الله وذلك اليوم الحق اى لا باطل فيه ولا ظلم وهو الكائن
لا محاله فمن شاء اتخذ بالطاعة الى ربه مابا ومرجعا والظاهر ان الضمير فى شاء عايد الى من وفيه دليل القدرى
وروى الجبرى عن ابن عباس ان الضمير لله عذابا قريبا هو عذاب الاخرة لان هو آت قريب فى المرء اقوال عن عطاء
انه الكافر لتقدم ذكر الانذار وقوله الكافر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وعن الحسن وقتاده انه المؤمن لمجى ذكر
الكافر بعده ولان المؤمن لما قدم الخير والشر فهو منتظر لامر الله كيف يحدث واما الكافر فانه قاطع بالعقاب ومع
القطع لا يحصل الانتظار والاظهر انه عام فى كل مكلف وما استفهاميه منصوبه بقدم او موصوله منصوبه
ينظر فيلزم اضمار ان حذف العايد من قدمته وحذف الجار لان الاصل ان يقال ينظر اليه قوله كنت ترابا
فيه وجوه احدها ليتنى لم اكن شيا مكلفا الثانى ليتنى لم ابعث وبقيت غير محشور الثالث ما ورد فى الاخبار
ان البهايم تحشر فيقتص للجماء من القرناء ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها ليتخلص من العذاب وانكر بعض المعتزلة
ذلك لانه تعالى اذا اعادها فهو بين معوض وبين متفضل عليها وعلى التقديرين لا يجوز ان يقطعها عن
المنافع لان ذلك كالاضرار بها وقال القاضى اذا وفر الله تعالى اعواضها وهى غير كامله العقل لم يبعد ان يزيل
الله حيوتها على وجه حسن الصورة ثوابا لاهل الجنه وما كان قبيح الصوره عقابا لاهل النار الرابع قال بعض
الصوفيه اراد يا ليتنى كنت متواضعا فى طاعه الله كالتراب لا مترفعا كالنار الخامس قيل الكافر ابليس يرى آدم وثواب
اولاده ان يكون الشى الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين   والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا ● والناشطات نشطا ● والسابحات سبحا فالسابقات
سبقا ● فالمدبرات امرا ● يوم ترجف الراجفه تتبعها الرادفه
قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة ● يقولون ائنا لمردودون
فى الحافرة ● ءاذا كنا عظاما نخرة ● قالوا تلك اذا كرة

خاسرة ● فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة ● هل اتاك
حديث موسى ● اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ● اذهب الى
فرعون انه طغى ● فقل هل لك الى ان تزكى ● واهديك الى
ربك فتخشى ● فاريه الاية الكبرى ● فكذب وعصى
ثم ادبر يسعى ● فحشر فنادى ● فقال انا ربكم الاعلى ●
فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ● ان فى ذلك لعبرة لمن
يخشى ● ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها
واغطش ليلها واخرج ضحيها ● والارض بعد ذلك دحيها
اخرج منها ماءها ومرعيها ● والجبال ارسيها ● متاعا لكم
ولانعامكم ● فاذا جاءت الطامة الكبرى ● يوم يتذكر
الانسان ما سعى ● وبرزت الجحيم لمن يرى ● فاما من طغى ● و
اثر الحيوة الدنيا ● فان الجحيم هى الماوى ● واما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى ● فان الجنة هى الماوى ● يسئلونك
عن الساعة ايان مرسيها ● فيم انت من ذكريها ● الى ربك
منتهيها ● انما انت منذر من يخشيها ● كانهم يوم يرونها لم
يلبثوا الا عشية او ضحيها ● القراءة والسابحات سبحا فالسابقات سبقا بالادغام
فيها ابو عمرو وغير عباس اينا ايذا كما مر فى الرعد الا ابن عامر
فانه وافق الكسائى بالاخرة بالفتح وعلى غير نصير وقتيبه وخلف ورويس وعاصم غير المفضل وحفص طوى
كما مر فى طه وكذا ما بعدها الاخرة وخلف فى اختياره فانهما يفتحان دحيها تزكى بتشديد الزاء ابو جعفر ونافع وابن
كثير وعباس ويعقوب منذر من بالتنوين يزيد وعباس الاخرون بالاضافة للتخفيف الوقوف غرقا نشطا
سبحا سبقا امرا لان جواب القسم محذوف وهو لتبعثن ولانه لو وصل لاوهم ان ظرف المدبرات وليس كذلك
لان تدبير الملائكة قد انقضى وقيل عامل يوم تتبعها او غيره الراجفه الرادفه واجفه خاشعه للتناهى
وصف القيمه وابتداء حكاية قولهم فى الدار فى الحافره لمن قرا اذا استفهاما نخرة خاسره للتناهى قولهم
بالانكار والابتدا اخبار الله واحده بالساهرة موسى لان اذ لا يجوز ان يكون ظرفا الا اذ ذكر فاله السجاوندى ويحتمل

عندی تعلقه بالحدیث وان لم یحر تعلقه باتان الحدیث طوی لاحتمال ان یکون مقول القول المحذوف طغی
للایه مع اتفاق الجملتین والوصل اوجه للغایر کی للعطف فتخشی للایة واسها الاستفهام مع العطف بقاء التعقیب
الکبری وانما کان الوصل اولی للقاء واتصال المقصود وعصی لذلك یسعی فنادی الاعلی والوصل ههنا
الزم للعبرة بتعجیل المواخذه والاولی یخشی لتجدد الکلام لفظا ومعنی وابتداء والاستفهام السماء بناء علی ان الجملة
لا یقع صفه للمعرفه وتقدیر حذف الموصول من ضیق العطن فاعرفه بناها فسویها ضحیها دحیها بناء علی
ان ما بعد کالتفسیر للوجود هو تمهیدها لاجل السکنی وجوز ان یکون اخراج حالا باضمار قد فلا وقف مرعیها
ارسیها ولانعامکم الکبری لان یوم طرف جاءت وعامل اذا مقدر بعد یری ای ترون ما ترون او کان
ما کان وجوز ان یکون یوم مفعول اذکر وعامل اذ مقدرا قبل یوم ویجوز ان یکون مجموع الشرط والجزاء وهو قوله
فامامن طغی الی اخره جوابا لقوله فاذا جاءت سعی لمن یری طغی الدنیا الماوی الهوی الماوی مرسیها
ذکریها منتهاها یخشیها ضحیها التفسیر فی الکلمات الخمس المذکوره فی اول هذه السوره وجوه علی نسق
ما سبق فی اول المرسلات احدها انه صفات طوایف الملایکة اقسم سبحانه بطوایف الملایکه الذین ینزعون
نفوس الکفرة من بنی ادم غرقا ای نزعا شدیدا من اقاصی الاجساد من انا ملها واظفارها والغرق والاغراق فی اللغة
واخذ یقال نزع فی القوس فاغرق ای بلغ غایته حتی انتهی الی النصل وبالذین یحدثون النفوس المومنین
برفق ولین کما ینشط الدلو من البیر وبالطوایف التی یسبح فی مضیها ای تسرع فتسبق الی ما امروا به
فتدبر باذن الله امرا من امور العباد او جنس الامر قال مقاتل یعنی بهذا الطوایف جبرائیل ومیکائیل واسرافیل
وعزرائیل واعوان کل منهم فجبرائیل موکل بالرياح والجنود ومیکائیل موکل بالقطر والنبات واسرافیل بنفخ الصور
وملك الموت بقبض الروح قال الامام فخر الدین الرازی النازعات هم الذین نزعوا انفسهم عن الصفات البشریة
والاخلاق الذمیمة من الشهوت والغضب والموت والهرم والسقم لانهم جواهر روحانیة مجرده والناشطات
اشارة الی ان خروجهم من هذه الاحوال لیس علی سبیل الکلفه والمشقه ولکنه بمقتضی الطبیعیه والماهیة و
السابحات هم الذین سبحوا فی بحار جلال الله فسبق بعضهم بعضا فی میدان العرفان وحلیه الدهان فدبروا
امر العالم العلوی والعالم السفلی باذن مبدعهم المنان اقول ویمکن حمل هذه الامور علی مراتب النفس الانسانیه
بمثل التقدیر المذکور الوجه الثانی وهو قول الحسن البصری انها النجوم وتلخیص ذلك علی وجه المطابق للغه
وللهیئه انها تغرق فی النزع من المشرق الی المغرب بالحرکة السریعه وتنشط نشطا ای تخرج من برج الی برج من
قولك ثور ناشط ای خرج من بلد الی بلد وهذا بحرکته البطیه الثانیه واما السابحات فهی السیارة لقوله کل فی
فلك یسبحون ولان سیرها المتفاوت یصیر سببا لسبق بعضها وتیرتب علی السبق الاتصالات والانصرافات
ومعرفه الفصول والاوقات وتقدم العلم بالکاینات بل العالم السفلی وتدبیر انها باناط بتلك الحرکات باذن
خالق الارض وفاطر السموات فلهذا ادخل الفاء فی القرینین الاخیرتین دون الاولیات الوجه الثالث
انها صفات خیل الغزاة ینزع فی اعنتها نزعا بعرق الاعنة وفیه لطول اعناقها لانها عراب وهی ناشطات
یخرج من دار الاسلام الی دار الحرب وهی سابحات یسبح فی جریها ویسبق الی الغایه فتدبر امر الغلبه والظفر
وینسب فیه الوجه الرابع وهو اختیار ابی مسلم النازعات ایدی الغزاة وانفسهم ینزع القسی باغراق السهام والناشطات
السهام الخارجه من ایدیهم او قسیهم والسابحات الخیل العادیات او الابل والمدبرات بمعنی المعقبات لانها تاتی
فی ادبار هذه الافاعیل بامر الغلبه والنصر قال جار الله یوم ترجف منصوب بجواب القسم المحذوف وهو لتبعثن
قوله تتبعها حال ثم اورد علی نفسه ان هذا یوجب ان یکون البعث عند النفخة الاولی واجاب عنه بانهم یبعثون
فی الوقت الواسع الذی یقع فیه النفختان کما یقال رایته عام کذا وانما رایته فی ساعة منها والراجفه الواقعه
التی ترجف عندها الارض والجبال النفخة الاولی فهی من الاسناد المجازی الرادفة رجفه اخری یتبع الاولی
فیضطرب الارض فی هذه لاحیاء الموتی کما اضطربت فی الاولی بموت الاحیاء وقد ورد فی الحدیث انما بین
النفختین اربعین عاما ویروی انه تعالی یمطر الارض فی هذه الاربعین ویصیر ذلك الماء علیها کالنطف فیکون
سببا فی الاحیاء والله تعالی ان یفعل ما یشاء وقیل الراجفه مثل النفخه الاولی والرادفه هی قیام الساعه من
قوله عسی ان یکون ردف لکم بعض الذی تستعجلون وقیل الراجفه الارض والجبال من قوله یوم ترجف الارض

هكذا قال الامام فخر الدين الرازي

والجبال والرادفه السماء والکواکب لانها تنفطر وتنتثر علی اثر ذلك وقیل الراجفه هی الارض تتحرك وتتزلزل
والرادفه زلزله ثانیه تتبع الاولی حتی ینقطع الارض وتفنی وقال ابو مسلم بناء علی تفسیره الذی روینا عنه
ان کلا من الراجفه والرادفه هی خیل المشرکین واریدیهما طایفتان من المشرکین حاربوا رسول الله صلعم فسبقت احدیهما
الاخری والقلوب الراجفه هی العلقه والابصار الخاشعه هی ابصار المنافقین وعلی الاقوال القلوب الموصوفه
مبتدا وقوله ابصارها خاشعه خبره وفی الکلام اضمار ای ابصار اصحابها خاشعه بدلیل قوله یقولون اءنا
لمردودون فی الحافرة ای فی الحالة الاولی وهی الحیوة واصله من قولهم رجع فلان فی حافرته ای فی طریقته
التی جاء فیها جعل اثر قدمیه حفرا فالطریقه فی الحقیقه محفورة الا انها سمیت حافرة علی الاسناد المجازی او علی
ونیزع النسبه الی ذات حفر کما قلنا فی عیشه راضیه ونحوه کرة خاسرة کما یجی نخرة ولفی الانکار مع الاشارة الی
وجه الاحالة قائلین ءاذا کنا عظاما نخرة نرد او نبعث نخر العظم فهو نخر وناخر مثل حذر وحاذر وهو
الاجوف الثانی الذی یمر فیه الریح فیسمع له نخیر وهما لغتان فصیحتان لان النخر وان کان ابلغ فی المعنی الا ان
الناخرة بالالف اشبه باخواتها من رؤس الای ثم اخبر انهم قالوا علی سبیل الاستهزاء تلك الکرة اذا ای اذا انا
نرد ونرجع کرة خاسرة رجعه ذات خسران لانا کذبنا بها ثم اخبر بقوله فانما هی زجرة ای لا تحسبوا تلك الکرة صعبه
علی الله عزوجل فما هی الا صیحه واحده یقال زجر البعیر اذا صاح علیه وهی صیحه اسرافیل فی النفخة الثانیه یروی
انه تعالی یحییهم فی بطون الارض فیسمعونها فیقومون والساهرة الارض البیضا المستویه سمیت بذلك لان سالکها
لا ینام خوف الهلاك او لان السراب یجری فیها من قولهم عین ساهرة ای جاریه والاظهر انها ارض الاخرة وقیل هی ارض
الدنیا ثم ذکرهم بقصه موسی لانه ابهر الانبیاء المتقدمین معجزه وفیها تسلیه للنبی صلعم فان فرعون کان اکثر جمعا
واشد قوة من کفار قریش والوادی المقدس المبارك المطهر فطوی اسم وادٍ بالشام عند الطور وقد مر فی طه
قوله هل لك الجار والمجرور خبر مبتدا محذوف ای هل لك حاجه او مثل والتفات ونحو ذلك وهذه کلمه جامعه
لواجب التکالیف لان المکلف لا یصیر زکیا الا بالتحلیه عن کل ما لا ینبغی ویجوز ان یکون التزکی اشارة الی تطهیر
النفس عن النفوس الفاسدة وقوله واهدیك اشارة الی التحلی بالاخلاق الفاضله التی اولها وافضلها التوحید
المرتب علیه الخشیه التی منها ینشی جوامع الخیرات ولهذا قال صلعم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل وعن بعض
الحکما اعرفوا الله فمن عرفه لم یقدر ان یعصیه طرفه عین ثم ههنا اضمار کانه قال فذهب موسی الی فرعون فقال
له ما امر به فلم یصدقه فرعون وجحد نبوته فاریه وفی ابتداء المخاطبه بالاستفهام الذی معناه العرض من اللطف
والمداره ما لا یخفی فهو کقوله فی طه فقولا له قولا لینا والایه الکبری العصا او الید او هما کما مر فی طه فکذب بالقلب
واللسان اذ نسب المعجز الی السحر وعصا باظهار التمرد والطغیان ثم ادبر خوفا من الثعبان یسعی هاربا او یجتهد فی دفع موسی
او تولی عن موسی اظهار التجلد ویجوز ان یکون ادبر موضوعا مکان اقبل کما یقال اقبل فلان یفعل کذا بمعنی طفق یفعل
فکنی عن الاقبال بالادبار اظهارا للسخط ولقصد التفاؤل علیه ومعنی الباقی فکذب انه لم یلبث عقیب رویه الایه
الکبری بان یاردها بنقیض مقتضاها لفرط عتوه ورسوخ تفرعنه ومعنی ثم ادبر تراخی الرتبه فان المهربین
الحجه مع ادعاء الربوبیه مما لا یجتمعان وکذا السعایه والمکید بین الناس فحشر جنوده للتشاور او جمع السحرة فنادی فی
المقام الذی اجتمعوا فیه معه وامر منادیا وقیل قام فیهم خطیبا فقال ما قال وانتصب نکال علی انه مصدر موکد کانه
قیل نکل الله به نکال وهو مصدر کالتنکیل مثل السلام والتسلیم قال الحسن وقتاده عذاب الاخرة الاحراق وعذاب
الاولی الاغراق وقیل الاخرة والاولی صفتان لکلمتی فرعون ثم اختلفوا فعن مجاهد والشعبی وسعید بن جبیر ومقاتل
ورواية عطا والکلبی عن ابن عباس ان کلمته الاولی علمت لکم من اله غیری وکلمه الاخری انا ربکم الاعلی وبینهما
اربعون سنة وعشرون وفیه دلیل علی انه تعالی یمهل ولا یهمل وذکر قوم واستحسنه القفال ان کلمته الاولی
تکذیب موسی حین اراه الایه والاخری هی قوله انا ربکم الاعلی وقد ورد فی الحلال ان کلمته الاولی هی قوله انا ربکم
والاخری هی وصفه بالاعلی فانه لو اقتصر علی الاولی لم یکن کفرا بدلیل قول یوسف ارجع الی ربك انه ربی احسن
مثوای لکنه لما وصفه بالاعلی صار کفرا فاخذ علیه بالاول والاخر قال الامام فخر الدین الرازی ان العاقل لا یشك
فی نفسه انه لیس خالق السموات والارض وما بینهما والوجه ان یقال ان فرعون کان دهریا منکرا للصانع والحشر والجزا
وکان یقول لیس لاحد علیکم امر ولا نهی سوی فانا ربکم بمعنی مربیکم والمحسن الیکم واقول کان نسبه الاینات

خلق العالم الى نفسه يوجب حكم عليه بالجنون وسخافة العقل فالقول بنفي الصانع ونسبه وجود الاشياء الى ذواتها
مع تغيرها فى انفسها يوجب الحكم عليه بعدم العقل وما الفرق بين الامرين واى استبعاد فى ذلك وقد قال عزمن قايل
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وسكر الدنيا اشد من سكر الخمر فان الثمل من الخمر يرجى صحوه والثمل من شراب
حب المال والجاه الطامح من خيال الرياسه فما يرجى افاقته ثم ختم القصه بقوله ان فى ذلك الحديث والنكال
وهو فى العرف يقع على ما افتضح به صاحبه ويعتبر لغيره لمن يخشى اى يكون من اهل الخشية لا العتو ثم خاطب منكرى
البعث بقوله انتم اشد اى اصعب خلقا ام السماء فنبههم على امر معلوم بالمشاهدة وهو ان خلق السماء اعظم وابلغ
فى القدرة واذا كان كذلك فالقادر على انشاء العالم الاكبر يكون على خلق العالم الاصغر بل على اعادته اقدر ثم بين كيفية
خلق السماء فكان بناها وفيه تصوير الامر المعقول وهو الابداع والاختراع بالامر المحسوس وهو الانشاء ثم ذكرهم البناء
فقال رفع سمكها وهو الامتداد الطول والعرض فاذا اعتبر من السفل الى العلو يسمى سمكا واذا اعتبر بالعكس يسمى
عمقا وذكر اهل التفسير ان ما بين كل سماءين خمسمايه عام ولاهل الهيئة طريقة اخرى قد برهنوا عليها فى كتبهم
قوله فسويها زعم اصحاب الهيئة ان المراد بهذه التسويه جعلها كريه ولا ضرر فى الدين من هذا الاعتقاد وحملها المفسرون
على تمام التكاليف او على نفى الفطور عنها واقول من الجايز ان يراد بها جعلها طبقات مترتبه كقوله فسويهن سبع سموات
الغطش الظلمة يقال غطش الليل واغطشه الله ويقال اغطش الليل ايضا مثل اضا واظلم وعبر بالضحى لكمال جلايه فى النور
والضياء وانما اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما بسبب غروب الشمس وطلوعها الحادثين بسبب الفلك قوله والارض
بعد ذلك دحيها قد مر تفسير الدحو فى اول سورة البقرة وان بعدية دحو الارض لا ينافى تقديم خلق الارض على السماء
فى قوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء وقال اهل اللغه دحوت ودحوا ودحيت ادحى
لغتان وفى حديث على كرم الله وجهه اللهم داحى المدحيات وباسط الارضين السبع وقد روى عن ابن عباس
ومجاهد والسدى وابن جريج ان قوله بعد ذلك فى معنى مع ذلك كقوله فك رقبه الى قوله ثم كان من الذين
اى كان مع هذا من اهل الايمان بالله ونصب الارض والجبال فيما بعدهما باضمار دحى وارسى على شريطه التفسير
قال المفسرون اراد بالمرعى جميع ما ياكل الناس والانعام فيكون الرعى مستعارا للانسان ولهذا قال متاعا اى
فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم وحين فرغ من دلايل القدرة على البعث رتب عليه شرح يوم القيمه والطامه
الداهيه التى لا يطاق من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده فى الجرى فاذا وصفت بالكبرى كانت فى غايه
الفظاعه ونهاية الشدة وفى امثالهم جرى الوادى فطم على القرى وهو مفرد او جمعه اقريه وقربان وعلى الجداد
والانهار واصل الطم الدفن والعلو وكل ما غلب شيا وقهره واخفاه فقد طمه وقيل الطامه النفخة الثانيه عن
الحسن وقيل هى الساعه تساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار تعالى جار الله يوم يتذكر بدل من اذا
جاءت لانه اذا راى اعماله مدونة مكتوبه تذكرها وكان قد نسيها قوله وبرزت الجحيم لمن يرى كقولهم قد بين الصبح لذى
عين وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى على احد فعلى هذا يكون استعارة ولا يجب ان يراه كل احد لان
الاخبار انما وقع عن كونها بحيث لا يخفى على ذى بصيرة عن وقوع الابصار وقيل اراد انها برزت ليراها كل من
له بصر فعلى هذا يجب ان يراها كل احد الا ان المومنين يمرون عليها كالبرق الخاطف واما الكافرون فيقفون فيها
فكانها برزت لاجلهم فقط وبهذا الاعتبار فى موضع اخر وبرزت الجحيم للغاوين قوله طغى اشارة الى فساد قوته
النظريه فان من عرف الله بالكمال عرف نفسه بالنقصان فلم يصدر عنه الطغيان وقوله واثر الحيوة الدنيا رمز الى
اختلال القوة العمليه فان حب الدنيا راس كل خطيئة واللام فى الماوى للعهد الذهنى اى ماواه اللايق به ولهذا
استغنى العايد ولا حاجه الى التكلف لان الالف واللام بدل من الاضافة وقوله خاف مقام ربه نقيض طغى
وقوله نهى النفس اى الامارة عن الهوى نقيض قوله واثر الحيوة الدنيا فهذا الشخص اذن كامل فى قوته النظريه
والعمليه وتفسير خاف ربه قد مر فى سورة الرحمن ونهى النفس ضبطها وتوطينها على متاعب التكاليف من الافعال
والتروك ثم ان المشركين كانوا يسمعون النبى صلعم يذكر الطامه والحاقه ونحوهما من اسماء القيمه فيقولون ايان
مرسيها اى زمان ارسايها وهو اقامه اياها وقد مر فى اخر الاعراف وعن عايشه لم يزل رسول الله صلعم يذكر الساعه
ويسال عنها حتى نزلت فقوله فيم انت على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل من اى شغل واهتمام انت من
ذكرها والسوال عنها حرصا على جوابهم الى ربك علمها لم يوته احدا من خلقه ويجوز ان يكون قوله فيم انت من

ذكريها من تتمة السوال اى يسلونك فيم انت من العلم بها ويحتمل ان يكون فيهم انكار السوالهم اى فيم هذا السوال
ثم قيل انت من ذكريها اى ارسالك وانت اخر الرسل وخاتم الانبياء ذكر من اذكارها وعلامة من علاماتها فلا حاجة
الى الاستفهام عن وقتها بعد العلم باقترابها وان هذا القدر من العلم يكفى فى وجوب الاستعداد لها بل لا ينتفى
الغرض من التكليف الا باخفاء وقته كالموت انما انت منذر لا يتعدا الى علم الغيب الذى العلم بالساعة جزء
منه الانذار باهل الخشيه لانهم هم المنتفعون بذلك ثم اخبر انهم حين يرون الساعة يستقصرون مدة
لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور روى عطا عن ابن عباس ان الهاء والالف صله والمعنى لم يلبثوا الا عشية
او ضحى وقال النحويون فيه اضمار والتقدير الا عشيه او ضحى يوم تلك العشيه على ان الاضافة يكفى فى صحتها
ادنى ملابسه وهو ههنا اجتماعهما فى نهار واحد قال صاحب الكشاف فايدة الاضافة الدلالة على ان مدة
لبثهم كانهما لم يبلغ يوما كاملا قلت سلمنا ان هذه الفايده مفهومه من عبارة القران الا انها يحصل ايضا بتقدير
عدم الاضافه كما لا يخفى فلا يصح ان يسند الفايده الى الاضافة وحدها فالوجه ان يقال فايدة الاضافة ان يعلم
ان مجموع مدة الدنيا فى ظنهم كيوم واحد وزمان لبثهم فى الدنيا كساعة منه وعشيته او ضحاه نظيره قول القايل
ما نرت الا عشية او ضحها لم يكن ان يكون اللبث الا فى احد هذين الوقتين من يوم واحد قال بعضهم فايدة الترديد
ان زمان المحنة يعبر عنه بالعشيه وزمان الراحه يعبر عنه بالضحى فكانه قيل ما كان عمرنا فى الدنيا الا ما بين
الساعتين اقول ويحتمل ان يقال ان مبداء اليوم بليلته كان قبل شرعنا فى اكثر الاديان من نصف النهار وقد صار
المبداء من شرعنا من اول الفجر فكانهم حين ارادوا التعبير عن بعض اليوم قالوا ان كان المبداء من نصف النهار فنحن
لم نلبث الا عشية وهو ما بعد الزوال الى الغروب وان كان المبداء من اول الفجر الى الضحى ولعل هذا
هو السر فى تقديم العشية على الضحى مع رعاية الفاصله والله تعالى اعلم باسرار الكلام المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى • ان جاءه الاعمى • وما يدريك لعله يزكى •
او يذكر فتنفعه الذكرى • اما من استغنى • فانت له
تصدى • وما عليك الا يزكى • واما من جاءك يسعى • وهو يخشى
فانت عنه تلهى • كلا انها تذكرة • فمن شاء ذكره • فى
صحف مكرمة • مرفوعة مطهرة • بايدى سفرة • كرام بررة •
قتل الانسان ما اكفره • من اى شىء خلقه • من نطفة خلقه
فقدره • ثم السبيل يسره • ثم اماته فاقبره • ثم اذا شاء انشره •
كلا لما يقض ما امره • فلينظر الانسان الى طعامه • انا صببنا

الماء صبا ۞ ثم شققنا الارض شقا ۞ فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا
وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا ۞ وفاكهة وابا متاعا لكم
ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة ۞ يوم يفر المرء من اخيه
وامه وابيه ۞ وصاحبته وبنيه ۞ لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه ۞ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ۞
ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ۞ اولئك هم الكفرة الفجرة ۞

القراءة كل ايات هذه السورة في الامالة والتفخيم مثل سورة طه فتنفعه بالنصب على انه جواب لعل عاصم غير الاعشى تصدى بتشديد الصاد للادغام ابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون بتخفيفها بناء على فناء الفعل او الخطاب عنه تلهى اشباع ضمة الها وتشديد التاء البزى وابن فليح انا بالفتح على البدل من الطعام عاصم وحمزة وعلى وخلف **الوقوف** وتولى الاعمى يزكى الذكرى استغنى تصدى يزكى يسعى يخشى تلهى لان كلا للردع فلا يوقف او بمعنى حقا فتوقف بذكره للشرط بعده مع الفاء ذكره لان الظرف لا يجوز ان يتعلق بما قبله ولكنه خبر مبتدا محذوف اى هو في صحف مكرمة مطهرة سفرة بررة اكفره خلقه لان الجواب محذوف اى خلقه من نطفة فقدره يسره فاقبره وانشره بناء على ان كلا بمعنى حقا ولا يصلح للردع ولكن للرد وجه كما يجئ امره الى طعامه الا لمن قرا انا بالفتح صبا شقا حبا وقضبا ونخلا غلبا وابا ولانعامكم الصاخة فان الاوضح ان يكون ظرف جاءت وجوز ان يكون مفعول اذكر محذوفا والعامل مقدرا اى فاذا جاءت الصاخة كان ما كان اخيه وابيه وبنيه يغنيه مسفرة مستبشرة فصل بين حالتى الفريقين مع اتفاق الجملتين غبرة قترة الفجرة

التفسير اطبق المفسرون على ان الذى عبس هو الرسول صلعم والاعمى هو ابن مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى وذلك انه اتى رسول الله صلعم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلعم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه نزلت فكان رسول الله صلعم بعد ذلك يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رايته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء والجار محذوف على القياس يتعلق بعبس او بتولى على الخلاف في باب تنازع الفعلين للكوفيين والبصريين والتقدير عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك يروى انه صلعم ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغنى قال اهل المعانى في الالتفات من الغيبة الى الخطاب دلالة على مزيد الانكار كمن يشكو جانيا بطريق الغيبة وهو حاضر ثم يقبل على الجانى مواجها بالتوبيخ قالوا وفي ذكر الاعمى نحو من الانكار ايضا لان العمى يوجب التعطف والرفق عند ذوى الاداب غالبا الا التولى والعبوس ولا يخفى ان نظر النبى صلعم كان على امر كلى رجاء اسلام اشراف قريش فانه في الظاهر اهم من اجابة رجل اعمى على الفور الا انه سبحانه عد هذا الجزئ كليا من جهة اخرى هى تطييب قلوب الفقراء والضعفاء واهمال جانب اهل الغنى والثرا فان هذا ادخل في الاخلاص وابتغاء رضوان الله وذاك مظنة التهمة والريا يحكى عن سفيان الثورى ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وايضا فايدة الارشاد والتعليم بالنسبة الى هذا الاعمى امر معلوم وبالنسبة الى اولئك امر موهوم لانه جاء طالبا مسترشدا وانهم جاؤا مستهزئين ومعاندين وترك المعلوم للموهوم خارج عن طريق الاحتياط والى هذا المعنى اشار بقوله وما يدريك لعله يزكى اى لعل الاعمى يزكى عما لا ينبغى ان يذكر تمطه فتنفعه الذكرى فيفعل ما ينبغى وقيل الضمير في لعله للكافر يعنى اى شئ ادراك بحال كل من اولئك الكفرة حتى طمعت في تطهرهم عن الاوزار انفا عهم

بالاذكار ثم زاد تصريحا لمن عقل فقال اما من استغنى اى بالمال وقال عطا اى عن الايمان وقال الكلبى اى عن الله والاول اولى لانهم كانوا اغنياء وما توجه العتاب الا من هذه الجهة وان كان اسلامهم موهوما فانت له تصدى تتعرض واصله تتصدد من الصدد وهو ما استقبلك فبالك وما عليك الا البلاغ فما الموجب للحرص والتهالك على سلامته حتى تكسر قلوب الفقراء بالعبوس والاعراض وهذا معنى قوله واما من جاءك يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار فاذاهم في اتيانك وقيل يخشى الكبوة لانه اعمى وما كان له قايد فانت عنه تلهى اى تتشاغل قال اهل الكلام في بناء الكلامين على ضمير المخاطب تقوية لانكار التصدى والتلهى عليه اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للغنى ويتلهى عن الفقير قوله كلا ردع عن المعاتب وعن معاودة مثله اى لا تفعل مثل ذلك ثم قال انها يعنى ايات القران وهو قول مقاتل او هذه السورة وهو قول الكلبى واختيار الاخفش تذكرة وهى في معنى الذكر والوعظ فلذلك قال فمن شاء ذكره والمراد ان هذا القران وعن التاديب الذى عرفناك في اجلال الفقراء وعدم الالتفات الى اهل الدنيا مثبت في اللوح المحفوظ الذى قد وكل بحفظه اكابر الملائكة وفيه ان القران الذى بلغ في العظمة الى هذا الحد اى حاجة له الى ان يقبله هؤلاء الكفرة فسواء قبلوه او لا فلا تلتفت اليهم واجتهد في تطييب الفقراء الذين هم اهل الاخلاص وحزب الله ثم وصف الصحف بانها مكرمة عند الله مرفوعة المقدار مطهرة عن اهل الجنا لا يمسها الا المطهرون من الملائكة تلك الصحف بايدى سفرة قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتاده هم الكتبة من الملائكة واحدها سافر مثل كتبة وكاتب وقد مر في اول التفسير ان التركيب يدل على الكشف فالكتابة يتبين ما في الضمير ويتضح وقال الفراء اشتقاق السفرة من السفارة لان الملك سفير بين الله ورسوله ولا يخفى ما في السفارة من معنى الكشف ايضا كرام على ربهم وقال عطا اراد انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة بررة اتقياء واحدها بار وقيل هى صحف الانبياء فيكون كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل الصحابة ثم عجب من صناديد قريش واضرابهم من اهل العجب والكبر المترفعين على الفقراء مع ان اولهم نطفة قذرة واخرهم جيفة قذرة وهم فيما بين الوقتين حملة عذرة فقال قتل الانسان هو دعاء عليه اشنع دعوة لانه افظع من القتل وما اكفره تعجيب من حال افراطه في الكفران وتلقى نعم خالقه بالجحود والطغيان وهذا قد ورد على اسلوب كلام العرب وانه لا يمكن ان يجهل في حقه تعالى الا على ارادة اتصال العقاب الشديد وليكون لطفا للمعتبرين المتعجبين المتاملين في مراتب حدوثهم التى اولها نطفة واشارة اليها بقوله من اى شئ خلقه من نطفة الى وقت انشائه خلقا اخر او على احواله من كونه ذكرا او انثى وشقيا او سعيدا وقال الزجاج قدره على الاستواء كقوله ثم سواك رجلا ويحتمل ان يراد قدر كل عضو في الكمية والكيفية على القدر اللايق لمصلحته واما المرتبة الوسطى فاليها الاشارة بقوله ثم السبيل يسره ونصب على شريطة التفسير نحو فقدره بالاطوار وتفسير السبيل بخروج الولد من بطن امه يقال ان راس المولود في بطن امه يكون من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب بالهام الله تعالى اياه على ان نفس خروج الولد حيا من ذلك المنفذ الضيق من اعجب العجايب وعلى التفاسير الاخر والمراد يسهل سبيل الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل واشار الى المرتبة الاخيرة بقوله ثم اماته فاقبره اى جعله اقبر فيكون متعديا الى واحد ويحتمل ان يكون الثانى محذوفا اى اقبر غيره يقال قبر الميت اذا دفنه بنفسه واقبر غيره الميت اذا امر بدفنه والمراد ان الله سبحانه امر بدفن الاموات الانسية بكرمه لهم دون ان يطرحوا على وجه الارض طعمة للسباع كساير الحيوان ثم ان كل هذه الانتقالات دلالات واضحة على انه سبحانه اذا شاء ان ينشر الانسان في بعثه من قبره انشره قوله كلا يجوز ان يكون ردعا للانسان عن تكبره وترفعه او عن كفره وانكار المعاد وقال في الكشاف هو ردع للانسان عما هو عليه وهذا قول مجاهد ان انسانا لم يخل من تقصير قط فلم يقض احد من لدن ادم الى هذه الغاية جميع ما كان مفروضا عليه وقال اخرون معناه ان الانسان الكافر لم يقض بعد ما امره الله تعالى به من التامل في دلايل التوحيد والبعث وقال الاستاذ ابو بكر بن فورك القضاء بمعنى الحكم والضمير لله اى لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان وترك التكبر بل امره بما لم يحكم به وحين فرغ من دلايل الانفس اردفها بدلايل الافاق قايلا فلينظر الانسان نظر الاستدلال ويتدبر الى طعامه الذى يعيش به كيف دبرنا امره من انزال الماء من السماء ثم شق الارض بالنبات او بالكراب على البقر فيكون اسناد الفعل الى السبب والحب ما يصلح للقوت كالحنطة والشعير والقضب العلف بعينه قاله الحسن وقال اكثر المفسرين انه القت لانه يقضب مرة بعد اخرى اى يقطع والغلب الغلاظ في الاعناق

في الاصل يقال اشد اغلب ثم استعير للحدايق لتكاثف اشجارها لغلظها وعلفها ثم اخر الفاكهة ليعم الكل واخر العلف
بقوله وابا للعموم وهو المرعى لانه يؤب اى يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال جار الله وقيل الاب الفاكهة اليابسة
المعدة للشتاء والفاء في قوله فاذا جاءت مثل ما مر في النازعات والصاخة النفخة الاخيرة قال الزجاج اصل الصخ الطعن
والصك صخ راسه بالحجر اى شدخه والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير اى يطعن والنفخة لشدتها تصك الاذان وقال
جار الله صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصف النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها اى يستمعون وفرار المرء
من الجماعة المذكورين اما بالصورة وذلك للاحتراز عن المطالبة بالتبعات يقول الاخ ما واسيتني بمالك ويقول الابوان
قصرت في برنا والصاحبة يقول اطعمتني الحرام وفعلت كذا وكذا والبنون يقولون لم يعلمنا ولم يرشدنا قال جار الله انما
بدا بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه والفرار انما يقع من الابعد ثم من الاقرب واخر الصاحبة والبنين لان البنين
اقرب واحب فكانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه واقول هذا القول يستلزم ان يكون
الصاحبة اقرب واحب من الابوين ولعله خلاف العقل والشرع والاصوب ان يقال اراد ان يذكر بعض من هو مطيف
بالمرء في الدنيا من اقاربه في طرفي الصعود والنزول فبدا بطريق الصعود لان تقديم الاصل اولى من تقديم الفرع وذكر
اولا في كل من الطرفين من هو معه في درجة واحدة وهو الاخ في الاول والصاحبة في الثاني على ان وجود البنين موقوف
على وجود الصاحبة فكانت بالتقديم اولى وقيل اول من يفر من اخيه هابيل وقد جاء هكذا في بعض الروايات و
الاظهر ان الفرار هو بالمعنى وهو قلة الاهتمام لشان هؤلاء بدليل قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اى يصرفه
ويصده عن قرابته قاله ابن قتيبة ويقال اغن عني وجهك اى اصرفه وعندي ان اشتقاقه من الغنى وذلك ان من اغناك
فقد صرفك عن نفسه او عن طلب حاجته ثم ذكر ان الناس يومئذ فريقان وان اهل الكمال من اسفر الصبح اذا اضاء و
يستبشرون بانواع المسار ويضحكون بدل ما كانوا يبكون في الدنيا خوفا من عقاب الله وان اهل النقايص يظهر على
وجوههم سواد مع غبرة كوجوه الزنوج مثلا اذا اغبرت والقترة سواد كالدخان نجم الله تعالى في وجوههم ظلمة الضلال
والكفر مع غبار الفجور والفسق ولهذا نعى عليهم بقوله اولئك هم الكفرة الفجرة اعاذنا الله تعالى في الدارين من مثل احوالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت • واذا النجوم انكدرت • واذا الجبال
سيرت • واذا العشار عطلت • واذا الوحوش حشرت • واذا البحار
سجرت • واذا النفوس زوجت • واذا الموءودة سئلت • باى ذنب
قتلت • واذا الصحف نشرت • واذا السماء كشطت • واذا الجحيم
سعرت • واذا الجنة ازلفت • علمت نفس ما احضرت • فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس • والليل اذا عسعس • والصبح اذا تنفس •
انه لقول رسول كريم • ذى قوة عند ذى العرش مكين •

مطاع ثم امين • وما صاحبكم بمجنون • ولقد راه بالافق المبين
وما هو على الغيب بضنين • وما هو بقول شيطان رجيم • فاين تذهبون
ان هو الا ذكر للعالمين • لمن شاء منكم ان يستقيم •
وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين •

القراءة سجرت بالتخفيف ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب قتلت بالتشديد يزيد نشرت مخففا ابو
جعفر ونافع وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب سعرت بالتشديد ابو جعفر ونافع وابن عامر غير الحلواني عن هشام
ورويس وعاصم غير يحيى وحماد الجوار ممالة قتيبة ونصير وابو عمرو في رواية بظنين بالظاء ابن كثير وعلي وابو عمرو
ويعقوب الباقون بالضاد **الوقوف** كورت انكدرت سيرت عطلت حشرت سجرت زوجت
سئلت قتلت لاعتراض الاستفهام بين النسق نشرت كشطت سعرت ازلفت احضرت لتمام الشرط والجزاء
والتقدير اذا كورت الشمس كورت وارتفعت الشمس بفعل مضمر يفسره الظاهر وكذلك ما بعدها وقوله علمت جواب
عن الكل وهو العامل في اذا وما عطف عليها بالخنس عسعس الكنس تنفس كريم مكين امين بناء على ان ما بعده
نفي مستانف ومن جعل وما صاحبكم وما بعدها معطوفا على جواب القسم لم يقف على امين الى قوله فاين تذهبون
لمجنون المبين بضنين رجيم تذهبون للعالمين لان ما بعده بدل البعض يستقيم العالمين **التفسير**
انه سبحانه لما ذكر الطامة والصاخة في خاتمتي السورتين المتقدمتين اردفهما بذكر سورتين مشتملتين على امارات
القيمة وعلامات يوم الجزاء اما هذه السورة ففيها اثنا عشر شيئا اولها تكوير الشمس ففيه وجهان احدهما ازالة النور لان
التكوير هو من التلفيف على وجهة الاستدارة كتكوير العمامة وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من
التشتت بعد الالفة والاجتماع ومنه كارة القصار وهي ثوب واحد يجمع ثيابه فيه ولا يخفى ان الشيء الذي يلف
يصير مخفيا عن العين فعبر عن ازالة النور عن جرم الشمس وصيرورتها غايبة عن الاعين بالتكوير والثاني ان يكون
من قولهم طعنه فجوره وكوره اذا القاه اى لفت ورميت عن الفلك وثانيها انكدار النجوم اى تساقطها وتناثرها
والاصل في الانكدار الانصباب وكل متراكب ففيه كدورة ولهذا يقال للجيش الكبير دهماء قال الخليل انكدر عليهم
القوم اذا جاؤا ارسالا وانصبوا عليهم قال الكلبي تمطر السماء يومئذ نجوما قال عطاء وذلك انها في قناديل معلقة بين
السماء والارض بسلاسل من النور وتلك السلاسل في ايدي الملائكة فاذا مات من في السماء والارض تساقطت تلك
السلاسل من ايدي الملائكة ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها وثالثها تسيير الجبال
وتقدم في سورة عم ورابعها تعطيل العشار وهي جمع عشراء كالنفاس والنفساء والعشراء الناقة التي اتى عليها من يوم
ارسل فيها الفحل عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها وهم العرب فخوطبوا
بما هو مركوز في اذهانهم معصور في خزانة خيالهم والغرض بيان شدة الاشتغال بانفسهم حتى تعطلوا ويهملوا ما هو
اهم شيء عندهم وقيل العشار هي السحاب تعطلت عما فيها من الماء ولعله مجاز من حيث ان العرب تشبه السحاب
بالحامل قال تعالى والحاملات وقرا وخامسها حشر الوحوش والوحشي ضد ما يستانس به من دواب البر قال قتادة
يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وفيه انه سبحانه اذا كان لا يهمل امر الوحوش فكيف يهمل جزاء المكلفين قال
الامام فخر الدين الرازي رح وفيه دليل على ان هول ذلك اليوم بلغ مبلغا لا يفزع الوحوش النفار عن الانسان ولا بعضها
للاحتراز عن بعض مع العداوة الطبيعية بين بعض الاصناف قلت هذا استدلال ضعيف فان الوحوش
في الدنيا ايضا مجتمعة مع الناس ومع اضدادها لكن في امكنة مختلفة فلم لا يجوز ان يكون في القيمة ايضا كذلك
وعن ابن عباس في رواية ان حشر الوحوش عبارة عن موتها وذلك اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه
سرور لبني ادم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه يقال اذا اجحفت السنة الناس واموالهم حشرتهم السنة اى اهلكتهم
السادس تسجير البحار اى تشقق ما فيها من الرطوبة حتى لا يبقى فيها شيء من المياه وقد سبق في الطور السابع تزويج النفوس

وهو اقتران الارواح بالاجساد وقال الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلثه اى صنفت اصنافا ثلثه وقريب منه قول من قال هو ان يضم كل واحد الى من يجانسه ويكون فى طبقة من خير او شر وقول من قال هو ان يقرن بين الرجل وبين من كان يلازمه فى الدنيا من ملك او سلطان وقال ابن عباس زوجت نفوس المومنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين ونقرب منه قال الزجاج هو ان يقرن النفوس باعمالها الثانى سوال الموءودة قال جابر الله وارايد مغلوب ادبيتا اذا ادخل لانه اثقال بالتراب وكانوا يدفنون بناتهم فى الارض احيا خوفا من الفقر ومن طرف العار كما مر فى النحل وغيره ومعنى هذا السوال التبكيت قايلها كما كانت عيسى بقوله ا انت قلت للناس والغرض تبكيت النصارى وقيل الموءودة هى سالت نفسها وهى السائلة فالمسئول عنها وهما قتلت صنيا مجهولا غايبا بنا على ان الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطب به حين سئلت لقيل قتلت متكلما مجهولا وبه قرا ابن عباس قالت المعتزله وبه يحتج صاحب الكشاف فى الايه دلاله على ان اطفال المشركين لا يعذبون لانه تعالى اذا بكت الكافر بسببها فلان لا يعذبها اولى ويمكن ان يجاب ان تعذيب الوالد للولد من جهة انه تصرف فى ملك الله تعالى بغير حق لا ينافى فى تعذيب الموءوده من جهة اخرى وهى ان حكمها فى الاسلام والكفر حكم ابيها التاسع نشر صحف الاعمال عن قتاده هى صحيفتك يا ابن ادم تطوى على عملك حين موتك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما يملى فى صحيفته ويجوز ان يراد بين اصحابها اى فرقت بينهما عن مرتدين ورايه اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن فى جنة عاليه وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك فهى صحف غير صحف الاعمال قاله فى الكشاف العاشر كشطت السماء كما يكشط الاهاب عن الذبيحه والغطاء عن الشئ اى كشفت وازيلت عما فوقها وهو الجنة وعرش الله تعالى الحادى عشر والثانى عشر السعير الجحيم اى من ايقادها وازلفت الجنه اى ادنوها استدل بعضهم بالايه على ان النار غير مخلوقة الان لانه علق تسعيرها بيوم القيمة ويمكن المعارضه بانها تدل على ان الجنة مخلوقة والا لم يكن [illegible] على ان تعليق تسعير الجحيم بيوم القيمه لا ينافى فى وجودها قبل ذلك غير موقد انقادا شديدا قبل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى ادم وقوله علمت نفس ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا والتنوين فى نفس للتقليل على انه مفيد للتكثير بحسب المقام نحو قد يعلم الله ربما يود الذين كفروا ويجوز عندى ان يكون للتعظيم او للنوع يعنى النفس الانسانيه لا النباتيه والحيوانيه ولا الفلكيه عند القايلين بها واسناد الاحضار الى الانفس مجاز لان الملائكة احضروها فى الصحف وفى الموازين الا انها بسبب [illegible] ان اثار اعمالها انما يلوح عليها قال اهل التاويل هذه الاحوال يمكن اعتبارها فى وقت القيمة الصغرى وهى حالة الموت والشمس النفس الناطقه وتكويرها قطع تعلقها وانكدار النجوم تساقطها القوى وتسيير الجبال انقراض الاعضا الرئيسه عن افعالها والعشار البدن يهمل امره وحشر الوحوش ظهور نتايج الافعال البهيميه والسبعيه على الشخص وتسجير البحار نفاد الاوهام الباطلة والامانى الفارغة فانها بحر لا ساحل له دون الموت الاختيارى والاضطرارى وتزويج النفوس انضمام كل ملكه الى جنسها الظلمة الى الظلمة والنور الى النور والموءودة القوة التى [illegible] المكلف فى غير ما خلقت لاجله وسمعت بعض المحققين من اساتذتى انها كل رسيله بحث للخاطر [illegible] بالكتابه حتى غابت والسماء سماء الارواح والباقى ظاهر وحين اثبت المعاد شرع فى النبوات واكدها بالحلف والخنس جمع خانس والكنس جمع كانس والاكثرون على ان السيارات الخمسه الجاريات مع النيرين فى افلاكها [illegible] من الهيئة وقد ذكرنا طرفا منها فى البقرة فى قوله ان فى خلق السموات والارض وفى قوله فسويهن سبع سموات فخنوسها ورجوعها ومنه الخناس للشيطان وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس من كنس الوحشى اذا دخل [illegible] وهى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد بتحيرها مثلا الوقوف والرجوع عنها بعد الاستقامة وهو حركتها الخاص من المغرب الى المشرق على توالى البروج اى من الحمل الى الثور ثم الى الجوزا وهكذا على الترتيب فاذا تحركت القهقرى بعكس هذا الترتيب شبه الحركة اليوميه يقال انها راجعه اقسم الله بها لان احوالها اغرب [illegible] كما بين فى ذلك العلم وعن على وهو قول عطا ومقاتل وقتاده انها هى جميع الكواكب وخنوسها غيبتها عن البصر بالنهار وكنوسها ظهورها للبصر فى الليل كما يظهر الوحشى فى كناسته وعن ابن مسعود والنخعى انها بقر الوحش وخنوسها [illegible] ومنه رجل اخنس وامراه خنسا وفى هذا القول بعد لخسة المقسم بها ولانه لا يناسب ما بعده وقال اهل التاويل هى الحواس الخمس تظهر اثارها تاره وتغيب اخرى ثم اقسم

بالليل والنهار ومعنى عسعس اقبل او ادبر فهو من الاضداد وتنفس الصبح مجاز عن تخلصه من ظلمة الليل كتنفس المكروب اذا وجد راحه او مجاز عما يكون عنده من روح من نسيم والضمير فى انه للقران والرسول الكريم جبرائيل ع وكرمه على ربه اى جعله واسطه بينه وبين اشرف عباده وهم الانبياء وكرمه فى نفسه انه لا يدل الا على الخير والكمال ومعنى كون القران قول جبرائيل انه وصل منه الى النبى صلعم وذلك ان النزاع وقع من الكفرة فى انه قول محمد او هو من السماء فاثبت الثانى ليلزم نفى الاول وفى لفظ رسول دلاله على انه ليس قوله بالاستقلال وقوله ذى قوة ذو مرة وقد مر فى النجم وقوله عند ذى العرش اى عنديه بالقرب كقوله ومن عنده والمكين ذو الجاه الذى يعطى ما سال يقال مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكانة وقوله ثم اشاره الى الظرف اى مطاع عند الله فى ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين الى الوحى والسفارة قد عصمه الله من الخيانه والزلل استدل فى الكشاف بالايات على تفضيل الملائكه على الانبياء قال لانه وصف جبرائيل بصفات الكرامة ثم وصف النبى صلعم بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين قلت امثال هذا التغليط من باب الجنون ولهذا نشا من سماع لفظ المجنون والتحقيق ان ذكر جبرائيل ومدحه وقع استطرادا لبيان مدح النبى صلعم والمبالغة فى صدقه فان الكفرة زعموا ان القران افك افتراه لجنون به واعانه عليه قوم اخرون فلم يكن بد من نفى الجنون عنه ووصف جبرائيل بالامانه والمكانه وغيرهما فان شرف الرسول يدل على شرف المرسل اليه وصدقه فلا عجب من الزمخشرى انه كيف سمع لفظ المجنون فاعتريه حتى استدل به على مفضولية اشرف المخلوقات ولم يعلم ان ذكر جبرائيل ووصفه باوصاف الكمال اتفق بعرض غرض تزكيه النبى صلعم والعجب من الامام فخر الدين الرازى ايضا انه كيف ورد حجة الواهنه فى تفسيره ولم يتعرض للجواب عنه مع كمال حرصه على تزييف ادلتهم ثم حكى انه صلعم قد راى جبرائيل على صورته الاصليه بحيث حصل عنده علم ضرورى بانه ملك مقرب لا شيطان رجيم فقال ولقد راه بالافق المبين وهو افق الشمس كما مر فى النجم ثم اخبر عن صدقه واشفاقه فقال وما هو على الغيب بظنين من قرا بالظاء الذى مخرجه طرف اللسان واصول الثنايا العلى كالذال والثاء فهو من الظنه التهمه اى ليس بمتهم بل هو ثقه فيما يودى عن الله تعالى بواسطه جبرائيل ومن قرا بالضاد الذى مخرجه من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره واخراجه من الجانب الايسر اسهل وقد يسهل على بعض الناس كلاهما فمعناه انه لا يظن بالوحى ولا يبخل به من الضن البخل وفيه انه لا يكتم شيئا من الوحى مما امر باظهاره وانه لا يمنع المستعدين من الارشاد والكمال فاين تذهبون بعد هذه البيانات وفيه استضلال لهم كقولك لتارك الجاده اين تذهب مثلت حالهم فى ترك الحق وعدولهم عنه الى الباطل براكب التعاسف الذى يستاهل ان يقال له اين تذهب قوله لمن شاء فايده هذا الابدال ان يقع التذكير يعود اليهم وان كان غيرهم لم يوعظ به والاستقامة هى سلوك الصراط المستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ولا يخفى ما بينهما وبين قوله فاين تذهبون من التناسب والطباق وفيه دليل القدريه الا ان قوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله فيه دليل الجبريه كما مر فى اخر هل اتى وغيره

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت ۝ واذا الكواكب انتثرت ۝ واذا البحار فجرت ۝ واذا القبور بعثرت ۝ علمت نفس ما قدمت واخرت ۝ يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ۝ الذى خلقك فسويك فعدلك ۝ فى اى صورة ما شاء ركبك ۝ كلا بل تكذبون

بالدين • وان عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يعلمون
ما تفعلون • ان الابرار لفي نعيم • وان الفجار لفي جحيم • يصلونها
يوم الدين • وما هم عنها بغائبين • وما ادريك ما يوم الدين
ثم ما ادريك ما يوم الدين • يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله •

القراءة فجرت بالتخفيف ابن شنوذ عن اهل مكه فعدلك مخففا يزيد وحمزه وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ركبك كلا مدغما ابو عمرو وقتيبة في رواية عنه تكذبون على الغيبة يزيد يوم لا بالرفع ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون بالفتح الوقوف انفطرت انتثرت فجرت بعثرت واخرت الكريم فعدلك بناء على ان الظرف بعده متعلق به ومن خفف فعدلك لم يقف بناء على انه جعل في بمعنى الى اي اما الثاني اي صورة ما شاء فيجوز ان يكون المخفف بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضايك ببعض حتى اعتدلت فصارت معتدله ركبك بناء على ان كلا توكيد للتحقيق بل ومن جعله ردعا عن الاغترار لم يقف بالدين لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف والوصل اجود الا لمن قرأ تكذبون على الغيبه فانه يقف مطلقا للعدول لحافظين كاتبين تفعلون نعيم جحيم لاحتمال ان ما بعده مستانفا وصفة جحيم الدين يوم الدين لمن قرأ يوم بالنصب اي ذلك يوم من رفعه على انه بدل من يوم الدين فلا وقف شيئا لله التفسير انه سبحانه يذكر طرفا اخر من اشراط الساعه في هذه السورة فاولها انفطار السماء اي انشقاقها كقوله في الفرقان ويوم تشقق السماء بالغمام وكما مر من قوله اذا السماء انشقت وفيه وكانت في قوله واذا الكواكب انتثرت ابطال قول من يزعم ان الفلكيات لا تخرق اما الدليل المعقول الذي للامام فخر الدين الرازي في تفسيره وهو ان الاجسام متماثلة في الجسمية فيصح على كل واحد منها ما يصح على الباقي لكن السفليات يصح عليها الانخراق فيصح على العلويات ايضا غير معتمد ولا مقنع لان الخصم لو سلم الصحة فله ان ينازع في الوقوع لمانع كالفتوة الفلكيه او غيرها واما تفجير البحار فقد مر وهو انفتاح بعضها الى بعض حتى تصير البحار كلها بحرا واحدا وذلك لتزلزل الارض وتصدعها حتى يرتفع الحاجز الذي بين البحار الشرقيه وبين البحار الغربيه وقد مر في الكشاف زوال البرزخ بين العذاب والمالح حتى يختلطا وهو تصور فاسد شيئا من مجرد سماع لفظ ارتفاع البرزخ وعن الحسن ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستويه وهو معنى التسجير عنده كما مر في السورة المتقدمه قال جار الله بعثر وبحثر بمعنى وهما من البحث والبعث زيد فيهما الراء والمعنى بحثت القبور واخرج موتاها ولاهل التاويل ان يحملوا بعثرة القبور على كشف الاسرار والاحوال الخفيه ومعنى التقديم والتاخير قد سبق في القيمة في قوله ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر والمراد جميع اعمالها وما يحصل لها العلم الاجمالي عند الموت او في اوايل اشراط الساعة ثم يزيد تفتيشا المحيين مطالعه صحيفه العمل ولا اخر عن وقوع الحشر بين ما دل عليه عقلا فقال يا ايها الانسان هو الكافر المنكر للبعث عن طايفه لقوله بعد ذلك كلا بل تكذبون بالدين وقد خص بعضهم روى عن ابن عباس انها نزلت في الوليد بن المغيره وعن الكلبي ومقاتل انها في الاسدين كلدة وذلك انه ضرب النبي صلعم فلم يعاقبه الله وانزل الاية و الاولى انها تتناول جميع العصاة وخصوص السبب لا يقدح في العموم وههنا سوال وهو انه وصف نفسه في هذا المقام بالكرم وهذا الوصف يقتضي الاغترار به حتى قالت العقلاء من كرم الرجل سوء ادب غلمانه وسمع الموبد في مجلس انوشروان ضحك الخدم فقال اما يهاب هولاء الغلمان فقال انما نهابنا اعداونا وعن علي كرم الله وجهه انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك فامنت من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه قال الضعيف مولف الكتاب اني في عنفوان الشباب رايت فيما يرى النايم ان القيمة قد قامت وقد دار في خلدي ان الله تعالى لو خاطبني بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فماذا اقول ثم الهمني الله تعالى في المنام انا اقول غرني كرمك يا رب ثم اني وجدت هذا المعنى قد ذكر في بعض التفاسير وعن الفضيل بن عياض انه قال اقول في الجواب غرتني ستورك المرخاة واذا ثبت ان الكرم يقتضي ان يعين صاحبه فكيف وقع الانكار

عليه والجواب من وجهين الاول كل كريم فانه حكيم لان ايصال النعمة الى الغير لم يكن مبنيا على داعية الحكمة كان تبذيرا لا كرما فكانه سبحانه قال كيف اغتررت بكرمي وكرمي حقيقي صادر عن الحكمة وهو يقتضي ان لا يهمل فان امهل وان ينتقم للمظلوم من الظالم ولو بعد حين ولا يهمل الناس لاجل المجازاة حتى يظهر المحسن من المسيء والبر من الفاجر ولا يضيع حقوق الناس فالحاصل ان الكرم بالخلق والتسويه وهي انتصاب القامة او سلامة الاعضاء وبالتعديل هو تناسبها وجعله مستعدا لقبول الكمالات لا يقتضي ان لا يعيده الى الحالة الاولى لاجل المجازاة بل يجب ان يعيده تتميما للنعمة واظهارا للحكمة الثاني ان كرمه السابق بالخلق وغيره لا يوجب كرما لاحقا بالعفو والغفران لجميع المعاصي لان غاية الكرم هي ان يسدي بالنعم من غير عوض ولا غرض اما ان الكريم اذا امر المنعم عليه بشيء فانه يتلقاه بالعصيان فليس من الكريم ان يغمض عن جرمه بل قد يعد ذلك ضعفا وذلة ولا سيما اذا كان المامور به هو معرفة المنعم ولهذا روي عن عمر مرفوعا غره جهله وعن الحسن غره والله شيطانه الخبيث حتى طمع في الكرم اللاحق لاجل الكرم السابق خصوصا اذا لم يكن ممن حصل له معرفة ربه في الدنيا قال النحويون ما في قوله ما شاء مزيدة قلت وذلك بالنظر الى اصل المعنى والا فهي مفيدة للتاكيد اي في كل صورة من الصور شاء كقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وانما لم يقل ففي اي صورة بالفاء العاطفة على نسق ما تقدمها لانها كالبيان لعدلك والجار متعلق بركب اي ركبك في اي صورة اقتضتها حكمته او بمحذوف اي حاصلا في بعض الصور المراده وجوز جار الله ان يتعلق بعدلك ولكن في معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك ما شاء من التراكيب قال الحسن منهم من صوره ليستخلصه لنفسه ومنهم من صوره ليشغله بغيره قلت الاولون مظاهر اللطف والجمال والاخرون مظاهر القهر والجلال ثم زجرهم عن الاغترار بقوله كلا وبل حرف وضع في اللغة لنفي ما تقدم

وتحقيق غيره اي ليس الامر كما يقولون من الله لا بعث ولا نشور ولئن فرض بعث فانه كريم غفار للذنوب ولئن قدر انه معاقب فلعله غير عالم بالجزئيات فكيف يحاسب فنبههم الله تعالى على خطايهم بان تكذيبهم بالجزاء انما وقع في حال تسليط الحفظة عليهم وهذا التكذيب ايضا من جملة ما يكتبونه او نقول لما ردعهم عن الطمع الناشئ و الامل المنكر اضرب عنه الى ما هو شر منه وهو انكار الجزاء اصلا وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم اشارة الى ان امر الجزاء عند الله مهم من عظايم الاشتغال قال بعضهم لم يرجو الجزاء اصلا وفي تعظيم الكتبة عن المعاصي مراقبة الله اياه كيف يرده عن الكرام الكاتبين قلت لا ريب ان الاول اصل والثاني فرع الا ان المكلف لالفه بالمحسوسات ينزجر مما هو اقرب الى عالم الحس اكثر مما ينزجر مما هو اقرب الى عالم الارواح ولهذا اكثر نفع والروادع في المدينه الفاضله ثم ذكر فائدة الكتابة الحفظة وغايتها ان الابرار الى اخره يحكى ان سليمان بن عبد الملك مر بالمدينه وهو يريد مكة فقال لابي حازم كيف القدوم على الله غدا فقال اما المحسن فكالغايب يقدم على اهله واما المسيء فكالابق يقدم على مولاه قال فبكى ثم قال ليت شعري ما لنا عند الله فقال ابو حازم اعرض عملك على كتاب الله قال في اي مكان قال في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال جعفر الصادق رضه النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم ظلمات الشهوات وقال اخرون النعيم القناعة والتوكل والجحيم الطمع والحرص وقال العارفون النعيم الاشتغال بالله والجحيم الاشتغال بما سواه وقوله وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم عنها اولا وما كانوا يغيبون عنها قبل ذلك اي في قبورهم فيكون فيه تبيين حال البرزخ كما شرح حال المبداء والمنتهى ثم نبه بقوله وما ادريك مكررا مرتين ان يوم مما لا يكتنه كنه شدته والخطاب للنبي صلعم انه لا يعرفه الا بالوحي وقيل للكافر ثم وصفه مجملا بقوله يوم لا تملك نفس الاية الامالك ولا تصرف في ذلك اليوم ظاهرا وحقيقة الا لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ● واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون ● الا يظن اولئك انهم مبعوثون ●
ليوم عظيم ● يوم يقوم الناس لرب العالمين ● كلا ان كتاب
الفجار لفي سجين ● وما ادريك ما سجين ● كتاب مرقوم ويل
يومئذ للمكذبين ● الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب
به الا كل معتد اثيم ● اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ●
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ● كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون ● ثم انهم لصالوا الجحيم ● ثم يقال
هذا الذي كنتم به تكذبون ● كلا ان كتاب الابرار
لفي عليين ● وما ادريك ما عليون ● كتاب مرقوم يشهده
المقربون ● ان الابرار لفي نعيم ● على الارائك ينظرون ●
تعرف في وجوههم نضرة النعيم ● يسقون من رحيق مختوم
ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ● ومزاجه
من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ● ان الذين اجرموا كانوا
من الذين امنوا يضحكون ● واذا مروا بهم يتغامزون
واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين ● واذا راوهم
قالوا ان هؤلاء لضالون ● وما ارسلوا عليهم حافظين ●
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون ● على الارائك
ينظرون ● هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

القراءة بل ران حفص يقف على بل وقفه يسيره ومع ذلك يصل وقراء الحلواني عن قالون مظهرا ران بالامالة حمزة وعلي وخلف وحماد ويحيى تعرف مبنيا للمفعول نضرة النعيم بالرفع يزيد ويعقوب خاتمه بالالف بعد الخاء والتاء مفتوحة على اهلهم انقلبوا بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقراء حمزة وعلي وخلف بضمها الباقون بضم ميم الجمع فقط فكهين مقصورا يزيد وحفص هل ثوب الكفار بالادغام حمزة وعلي وهشام **الوقوف** للمطففين يستوفون للفصل بين تناقض الحالين ولكن يلزم التفريق الوصفين مع اتفاق الجملتين يخسرون للاستفهام عظيم لان التقدير لامر يوم عظيم في لان يوم كذا بدل بني على الفتح للاضافة الى الجملة لرب العالمين لان كلا للتحقيق ان بمعنى الا التنبيه او حقا وهو ردع عن التطفيف وكذا اخواتها في سورة سجين ما سجين للحذف اي هو كتاب مرقوم لان ويل مبتداء للمكذبين الذين للابتداء للنفي اثيم لان الشرطيه بعد صفة اخرى له الاولين والوقف كما ذكر يكسبون لمحجوبون لان ثم لترتيب الاخبار الجحيم لاختلاف الجملتين تكذبون عليين عليون مرقوم لانها بعد صفة المقربين نعيم لان ما بعده حال وصفه ينظرون كذلك النعيم لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا مختوم لان ما بعده وصف مسك المتنافسون تسنيم بناء على ان عينا حال كما قال الزجاج وان اريد النصب على المدح جاز الوقف المقربون يضحكون للاية ولكن اتمام الكلام اولى يتغامزون لذلك فاكهين لضالون لان النفيه حال حافظين لتبدل الكلام معنى يضحكون لا ينظرون يفعلون **التفسير** انه سبحانه لما ذكر في السورة المتقدمة بعض اشراط الساعة اخبر عن طرف من احوالها صدر في هذه السورة بالنعي على قوم اثروا الحيوة الدنيا الزايله على الحيوة الباقية بما يكون الحرص على استيفاء اسبابها حتى اتهموا باخس السمات وهي التطفيف والتركيب يدل على التقليل وطف الشيء جانبها وحوفه وطف الوادي والاناء اذا بلغ الشيء الذي فيه حوفه ولم يمتلي وقال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكون الذي يسرق في المكيال الا الشيء اليسير الطفيف روي ان الرسول الله صلعم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل قلت ان كانت مدنيه فظاهر وان كانت مكية فلعل النبي صلعم حين قدم المدينة قراء عليهم وهكذا الوجه فيما روي ان اهل المدينة كانوا تجارا فهم يطففون وكان بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة بمعنى بيع الغرر كالطير في الهواء فنزلت فخرج رسول الله صلعم فقراءها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس فقال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله فيهم الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي كرم الله وجهه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل اي لا يلتبس الحوايج ومن رزقه في دوش المكيال والسن الموازين الاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالوزن قال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع فمعنى اكتلت عليك اخذت ما عليك وهو معنى اكتلت منك وقال اهل البيان وضع على مكان من للدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه ضرر ويجوز ان يتعلق الجار بيستوفون والتقديم للتخصيص اي يستوفون على الناس خاصة وما انفسهم فيستوفون لها والضمير في كالوهم او وزنوهم منصوب راجع الى الناس والاصل كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل قال الكسائي والفراء هذه لغة الحجاز ومنه المثل الحريص يصيدك لا الجواد اي الحريص يصيد لك الغرض الجواد ويجوز ان يكون على حذف المضاف والتقدير واذا كالوهم مكيلهم او وزنوا موزونهم وعن عيسى وحمزة انهما كانا يجعلان الضمير للمطففين على انهما توكيد للمرفوع ويقفان على الواوين وقفة يبينان بهما ما ارادا وخطاؤهم بعضهم بان الالف التي تكون بعد واو الجمع غير ثابتة وفيه لو كان الضمير ان للتاكيد ثم لم يكن بد من الالف وزيفت هذه التخطية بان خط المصحف لا يقاس لكم من اسماء فيه خارجة عن اصطلاح الخط وقد ذكر الزمخشري في ابطال قولهما ان المعنى حينئذ يؤل الى قول القائل واذا تولوا الكيل والوزن هم على الخصوص بانفسهم اخروا اي نقصوا وهذا مسافة لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر قلت النظم على قولهما باق على حالة من الاعجاز والفصاحة لانه يفيد ضربا من التوبيخ فانهم اذا اخسروا وقد تولوا الوزن والكيل بانفسهم ولم يمنعهم من ذلك مانع من الدين والمودة فلا وصولا الاحسار وقد تولاه لاجلهم بعض من تعلق يكون اولى ومن قلة مروتهم ودينهم كانوا متمكنين في الاعطاء من البخس في الكيل وفي الوزن جميعا ولهذا قال سبحانه واذا كالوهم او وزنوهم واما في الاخذ فالميزان غالبا بيد البايع فلا يتمكن المشتري من التصرف فيه بالزيادة المعتد بها فان الكفة تترجح بادنى ثقل وانما يتمكن

في الاكيال فان يحتال في ملائه بالتحريك ووضع اليد عليه بقوة فلذلك لم يقل هناك او اتزنوا واعلم ان امر المكيال
والميزان عظيم لان موار معاملات الخلق عليهما ولهذا جرى على قوم شعيب بسببه ما جرى وذهب بعض العلماء
الى ان المطفف لا يتناوله الوعيد الا اذا بلغ تطفيفه نصاب السرقة والاكثرون على ان قليله وكثيره موجب
الوعيد بالغ بعضهم حتى عد العزم عليه من الكبائر وقال الاستاد ابو القسم القشيري رحمه الله لفظ المطفف يتناول
التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار العيب واخفائه في طلب الانصاف ومن لم يرض لاخيه المسلم ما يرضا
لنفسه فليس بمنصف والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس
ولا يطلب من احد لنفسه حقا ويحكى ان اعرابيا قال لعبد الملك بن مروان ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم
الذي سمعت به فما ظنك بنفسه وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل و وزن ثم زاد في توبيخهم بقوله الا يظن فان كانوا
من اهل الاسلام كما روي ان اهل المدينه كانوا يفعلون ذلك فالظن بمعنى العلم وان كانوا كفارا منكري البعث فالظن
بمعناه الاصلي والمراد هب انهم لا يقطعون بالبعث فلا يظنونه ايضا كقوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
وفي الاشارة اليهم باولئك وقد ذكرهم عما قريب تبعيدهم عن رتبة الاعتبار بل عن درجه الانسانية وفي هذا
الانكار ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لرب العالمين بيان بليغ لعظم هذا الترتيب كما قال الخالف
والله الطالب الغالب الحي القيوم ففيه تعظيم شان المقسم عليه عن النبي صلعم يقوم الناس مقدار ثلثمائة سنة من
الدنيا لا يؤمر فيها بامر وقال ابن عباس هو في حق المؤمن قدر انصرافهم من الصلوة وفيه انه اذا اظهر التطفيف الذي
يظن بانه حقير فكيف سائر الظلامات وحمل بعضهم هذا القيام على رد الارواح الى اجسادها حتى يقوموا من
مراقدهم وعن ابن عباس اراد به الخضوع التام كقوله وقوموا لله قانتين ثم بين ان كل ما يعمل من شر وخير فانه
مكتوب عند الله وقدم ذكر اهل الشر لانه مذكور قبله وهو وعيد اهل الفجور وسجين فعيل من السجن وهو الحبس والضيق
جعل علما لديوان الشر الجامع لاعمال الكفرة والفسقه والشياطين وهو منصرف لانه ليس فيه الا العلمية وانه
كتاب مرقوم مسطور فيه تفاصيل احوال الاشقيا وقيل معلم يعلم من راه انه لا خير فيه وقال الواحدي
مختوم لان الختم علامه والحاصل ان كتاب الفجار موضوع من ديوان الشر الذي هو الاصل اليه وقال القفال ان قوله
كتاب مرقوم ليس تفسير السجين بل التقدير كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وان كتاب الفجار مرقوم ووقع قوله وما
ادريك ما سجين اعتراضا لان السجين بل التقدير كلاه او لان ذلك لم يكن مما كانت العرب تعرفه اي ليس ذلك مما كانت
تعلمه انت ولا قومك وقيل مرقوم اي مطروح وعلى هذا يكون سجين اسم مكان ثم اختلفوا وعن ابن عباس في رواية عطا
وقتاده ومجاهد والضحاك عن البراء مرفوعا انه اسفل سبع ارضين وفيه ابليس وذريته وعن ابي هريرة مرفوعا
انه اسفل سبع ارضين وفيه جب في جهنم وقال الكلبي صخرة في تحت الارض والتحقيق انه سبحانه اجرى امور عبادة
على ما تعارفوه فيما بينهم ولا شك ان السفل والظلمة والضيق وحضور الشياطين الملاعين من صفات النقص
فوصف الله كتاب الفجار بانه في هذا الموضع استهانة بهم وباعمالهم كما انه وصف كتاب الابرار في عليين
ويشهده الملائكة المقربون تعظيما لحالهم ثم اوعد المكذبين عامة ووصفهم بقوله الذين يكذبون للذم لا للبيان
لان كل مكذب فالوعيد يتناوله سواء كان مكذبا بالبعث او بسائر ايات الله فهو كقولك فعل فلان الفاسق
الخبيث وانما التكذيب لتقدم ذكره وذكر ما يتعلق به ثم بالغ في الذم بقوله وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن
الاعتدال في استعمال القوة النظرية اما لطرف الافراط وهو الجربزة حتى عد الممكن محالا واقدم على التكذيب واما
في طرف التفريط وهو البلاده والغباوة حتى قنع بالاستبعاد المحض واعرض عن النظر في دلايل البعث من الخلق الاول
وغيره اثيم في اعمال القوى البدنيه في غير موقعها حتى اعتزله الباطل بدل الحق وحكم على ايات الله بانها اساطير
الاولين وفيه انكار النبوة ايضا ثم ضرب عن ان يكون لهم اختيار فيما قالوا او يكون لهم مراعاة ادعوا عما ارتكبوه
لان ما كسبوه قد ران على قلوبهم اي ركبها كما يركب الصداء وغلب عليها قال اهل اللغة ران النعاس والخمر في الراس
يرين رينا وريونا اذا رسخ فيه ولهذا قال الحسن هو الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب قيل الغين هو الحجاب
الرقيق الذي يزول عن كثب ومثله الغيم والرين هو الغليظ الذي لا يرجى زواله ولهذا جاء في الحديث انه ليغان
على قلبي واما الرين ففي صفة الكفار الذين صارت ملكاتهم الذميمة في غاية الوضوح حتى اظلم سطوح قلوبهم بل
دخلت الظلمة اجوافها وبلغت الكدر شغافها ثم قال كلا اي حقا وهو ردع عن الكسب الراين على القلب انهم عن

ربهم يومئذ لمحجوبون وذلك ان النور لا يرى الا بالنور فاذا كانت نفوسهم في غاية الظلمة الذاتية والعرضية
الحاصلة من الملكات الردية احتجبوا عن نور الله ومنعوا من رؤيته قال اهل السنة وفي تخصيصهم بالحجب دلالة
على ان اهل الايمان والاعمال الصالحة لا يكونون محجوبين عن ربهم وقالت المعتزله المضاف محذوف اي عن
رحمة ربهم او كرامته وقال في الكشاف هو تمثيل للاستخفاف بهم لانه لا يوذن للملوك الا للوجهاء المكرمين
ثم اخبر بقوله ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلوها عن نفية احوالهم ولا يتركون على حجب الحرمان بل يعذبون بنار الطبيعة
والهجران لانهما متلازمان ثم تقول في معرض التوبيخ هذا الذي كنتم به تكذبون جميعا بين عذاب الوجل وعذاب
الخجل ثم شرع في شرح قصة الابرار وعليون جمع علي فعيل من العلو واعرابه كاعراب الجمع لانه على صورته وان صار
مفردا كقنسرين من حيث انه جعل علما للديوان الخير الذي فيه اعمال الملائكة وصلحاء الثقلين لانه سبب الارتقا
الى اعالي الدرجات في الجنه واما لانه مرفوع السماء السابعة حيث تحضره الملائكه المقربون وقال مقاتل هو ساق
العرش عن ابن عباس هو لوح من زبرجد معلق تحت العرش وبالجملة كتاب الابرار ضد كتاب الفجار بجميع معانيه كما
عرفت ثم اخبر عن بقيه حال الابرار ومفعول ينظرون محذوف ليشمل انواع نعيمهم في الجنه من الحور العين والاطعمة
والاشربة والملابس والمراكب والمساكن وكل ما وعد الله لهم قال صلى الله عليه وسلم يلحظ المومن فيحيط بكل ما اتاه الله
وان ادناهم يتراى له مثل سعة الدنيا وقال مقاتل ينظرون الى عدوهم حين يعذبون ولا يحجب الحجال ابصارهم عن
الادراك وقال بعضهم ينظرون الى الله تعالى بدليل قوله تعرف ما من له اهل العرفان في وجوههم نضرة النعيم
وقوله في موضع اخر وجوه يومئذ ناضرة ولا ريب ان هناك قرائن واحوالا يعرف بها بهجتهم ورواءهم كالضحك
والاستبشار وتجلي الانوار والاثار والرحيق الخمر الصافيه التي لا غش فيها مختوم اوانيه ختامه اي ما يختم به
مسك بدليل مكان الطينة او الشمعه وانما ختم تكريما له وصيانة على ما جرت به العادة فكانها اشرف من الخمر
الجاريه في انهارها من الجنه وقيل ختامه اي مقطعه رايحه مسك اذا شرب وهذا قول علقمه والضحاك وسعيد
بن جبير ومقاتل وقتاده وقال الفراء الختام اخر كل شي ومنه يقال ختمت القران والاعمال بخواتيمها مثله ومنه خاتم
النبيين والتركيب يدل على القطع والانتها بجميع معانيه عن ابي درداء مرفوعا هو شراب ابيض مثل الفضة
يختمون به اخر شربهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريحه الطيبة
قال بعضهم مزج الخمر بماء لافادة الحرارة مما يعين على الهضم وتقوية الشهوة فلعل فيه اشارة الى قوة شهوتهم وصحة
ابدانهم ثم رغب في العمل الموجب لهذه الكرامة قايلا وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فليرغب الراغبون بالمبادرة
الى طاعة الله تعالى وقال اهل اللغة نفست على الشي انفسه نفاسة اذا ضننت به ولم تحب ان يصير اليه والتنافس
تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريدان يستاثر بما يظهر من نفسه من الجد والاعتمال في الطاعة والعبوديه
والجملة معترضة وفي تقدم الجار اشارة الى ان السعي والارتقاب يجب ان يكون في مثل ذلك النعيم لا في النعيم الزايل والتسنيم
علم لعين بعينها في الجنه من سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب هنالك او لانها ياتيهم من فوق على ما روي انها
تجري من الهواء متسنمه فتنصب في اوانيهم او لانها كثرة فانها تعلو على كل شي تمر به او يرى فيها ارتفاع وانخفاض و
التركيب يدل على الارتفاع ومنه سنام البعير عن ابن عباس اشرف شراب اهل الجنه هو التسنيم فالمقربون يشربونها
صرفا ويمزج لاصحاب اليمين قال بعض اهل العرفان وذلك ان المقربين السابقين لا يشتغلون الا بمطالعة وجه
الله الكريم واما اهل اليمين فانه يكون شرابهم ممزوجا لان نظرهم تارة الى الله وتارة الى المخلوق ثم حكى قبايح اعمال الكافرين
على ان التكلم واقع في يوم القيمة بدليل قوله عقيبه فاليوم قال المفسرون هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم
كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المومنين وقيل جاء علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في نفر من
المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت
هذه الاية قبل ان يصل علي الى رسول الله صلعم والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالعين او الحاجب والشفة
واكثر ذلك انما يكون على سبيل الخبث ومعنى فكهين متلذذين بذكرهم والسخرية منهم قوله وما ارسلوا حال معترضة
انكارا من الله عليهم وتهكما بهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال والحال انهم لم يرسلوا على المسلمين موكلين بهم
حافظين عليهم احوالهم وجوز في الكشاف ان يكون التقية من جملة قول الكفار فيكون انكارا لصدهم اياهم على عن
الشرك ودعائهم الى الاسلام قلت لو كان من جملة قولهم لكان الظاهر ان يقال وما ارسلوا الاى المسلمون علينا

ان تفتح للكفار باب من الى الجنه فيقال لهم اخرجوا اليها اغلق الباب دونهم يفعل ذلك مرارا فيضحك المومنون منهم ناظرين اليهم على الارائك ولا يخفى ما فى هذه الاخبار والحكاية من تسليه المومنين وتثبيتهم على الاسلام والتعيير على متاعب التكاليف واذيه الاعداء فى ايام المعدودات لنيل ثواب لا نهاية له ولا غايه قال المبرد ثوب واثاب بمعنى وقد يستعمل الاثابة فى الشر كالمجازاة ويجوز ان يراد به التهكم نحو فبشرهم بعذاب وفى هذا القول مزيد غيظ وتوبيخ للكافرين ونوع سرور وتنفيس للمومنين ويحتمل ان يكون الاستفهام للتقرير اى هل قدرنا على الاثابة نحو هل وجدتم ما وعد ربكم حقا

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السمآء انشقت • واذنت لربها وحقت • واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت • واذنت لربها وحقت • يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه • فاما من اوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حسابا يسيرا • وينقلب الى اهله مسرورا • واما من اوتى كتابه ورآء ظهره • فسوف يدعوا ثبورا • ويصلى سعيرا • انه كان فى اهله مسرورا • انه ظن ان لن يحور بلى • ان ربه كان به بصيرا • فلا اقسم بالشفق • والليل وما وسق • والقمر اذا اتسق • لتركبن طبقا عن طبق • فما لهم لا يومنون • واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون • بل الذين كفروا يكذبون • والله اعلم بما يوعون • فبشرهم بعذاب اليم • الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون •

القرآءة ويصلى ثلاثيا مفتوح العين مبنيا للفاعل ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وحمزة وعاصم وخلف الباقون يصلى بالتشديد مبنيا للمفعول لتركبن بفتح الباء للتوحيد والخطاب للانسان ابن كثير وحمزة وعلى وخلف الاخرون بالضم على خطاب افراد الجنس الوقوف انشقت مدت وتخلت وحقت لان الجواب محذوف اى اذا كانت هذه الامارات ظهر ما ظهر فملاقيه وقد يقال عامل اذا فملاقيه اى اذا السمآء

انشقت لا فى الانسان كدحه فلا وقف الى فملاقيه وفيه تكليف وقيل قوله واما من وقى الشرط مع جوابه للشرط الاول وقوله يا ايها الانسان الى قوله فملاقيه اعتراض فلا وقف على فملاقيه بيمينه يسيرا مسرورا ظهره ثبورا سعيرا يجوز بل الجواز تعلق بلى بما قبله وبما بعده بصيرا للابتدآء بالقسم بالشفق وسق اتسق طبق لا يومنون لا يسجدون سجدة يكذبون للاية والوصل وجب لان الواو للحال يوعون لفاء التعقيب اليم ممنون التفسير عن على كرم الله وجهه ان السماء تنشق من المجرة ومعنى اذنت لربها استمعت له ومنه قوله صلعم ما اذن لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقران والمراد انها لم تمتنع عن قبول ما اريد بها من الانشقاق والانفطار فعل المامور المطاع الذى اصغى بحيث امره وحقت بذلك لان الممكن لا بد له ان يقع بحسب بقدرته الواجب لذاته ومد الارض تسوية جبالها واكامها بحيث لا يبقى فيها عوج عن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظى لان الاديم اذا مد زال فيه من الانثناء واستوى وقيل من مدة بمعنى امداى زيدت فى سعته وبسطته ليمكن وقوف الخلايق الاولين والاخرين عليها والقت ما فيها اى رمت بما فى جوفها من الكنوز والاموات وتخلت اى غاية الخلو كانها تكلفت اقصى ما يمكنها من الفراغ قوله واذنت لربها وحقت ليس بمكرر لان الاول فى السمآء وهذا فى الارض وحذف جواب اذا ليذهب الوهم كل مذهب او اكتفاء بما مر فى سورة التكوير والانفطار وقيل فى الكلام تقديم وتاخير والمعنى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السمآء انشقت والاقرب ان الانسان للجنس بدليل التفصيل بعده وقيل هو رجل بعينه وهو اما محمد صلعم والمعنى انك كادح تكدح فى تبليغ رسالات الله فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل واما امية بن خلف كان يجتهد فى ايذآء النبى صلعم قاله ابن عباس والكدح اى تحزنه يؤيده التفصيل الذى بعده عن عايشه ان الحساب اليسير هو ان يعرف ذنوبهم ثم يتجاوز عنه وعن النبى صلعم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض من نوقش فى الحساب عذب اقول سوف من الكريم اطماع ليمكن ان يقال الفائدة فى ايراده ان يكون المومن على ثقه واطمئنان بالوعيد ويمكن ان يكون اشارة الى حلول الابتدا دبين مواقف لذلك اليوم وينقلب الى اهله من الحور العين فى الجنة او الى قربانه من المومنين او الى عشيرته كقوله جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابآئهم وازواجهم وذرياتهم ومعنى وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره ولكن قيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره وقيل تحول وجوههم الى الخلف فيكون الكتاب قداوتى من جانب ظهره ولكن بشماله فمثله فى الحاقة والوراء ههنا يجرد بمعنى الجانب او هو بمعنى قدام والثبور الهلاك ودعاءه ان يقول واثبوراه وسمى المواظبه على الشئ ثبورا لانه كانه يريد ان يهلك نفسه فى طلبه والنفس تمنعه عن ذلك لانه كان فى الدنيا مسرورا فى اهله كقوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين وفيه ان الفرح فى الدنيا يستعقب الغم فى الاخرة كقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومن كان فى الدنيا حزينا مفكرا فى امر الاخرة كان حاله بالعكس و الفرح المنهى هو الذى يتولد عن البطر والترف لا الذى يكون من الرضاء بالقضاء ومن حصول بعض الكمالات و الفضائل النفسية كقوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم بين ان سروره انما كان لاجل ان البعث والنشور لم يكن محققا عنده وقال انه ظن ان لن يحور اى لن يرجع الى الله والى خلاص حاله من التردد والشك عن ابن عباس ما كنت ادرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حورى اى ارجعى ثم نفى منطوية بقوله بلى يحور وفى قوله ان ربه كان به بصيرا اشارة ان ان العلم التام باحوال المكلفين يوجب ايصال الجزاء اليهم فلا بد من دار سوى دار التكليف والا كان قدحا فى القدرة والحكمة قال الكلبى كان بصيرا به من يوم خلقه الى ان بعثه وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه فى ام الكتاب من الشقاء ثم اكد وقوع القيمة وما يتبعها من الاحوال بقوله فلا اقسم بالشفق وهو الحمرة الباقية من اثار الشمس فى الافق قاله ابن عباس والكلبى ومقاتل وعن الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق وكان احمر وعن ابى حنيفة فى احدى الروايتين انه البياض وروى انه رجع عنه لان البياض يمتد وقته فلا يصلح ولان التركيب يدل على الرقة ومنه الشفقة ملزقة القلب ثم ان الضوء ياخذ من عند غيبة الشمس الرقة والضعف وعن مجاهد ان الشفق ههنا النهار لما فى النور من الرقة والطافة كما ان فى الظلمة الغلظ والكثافة ولان القسم بالنهار يناسب القسم بالليل فى قوله والليل وما وسق والتركيب يدل على الاجتماع والضم ومنه الوسق لانه جامع بستين صاعا واوسقت الابل اذا اجتمعت والليل فى قوله والليل وانضمت وقد وسقها

الراعي جمعها ونظيره فى وقوع افتعل واستفعل مطاوعين لفعل اتسع واستوسع اقسم الله سبحانه بجميع ما ضمه
الليل واواه وستره من النجوم والدواب وغيرها ويمكن ان يكون من جملة اعمال العباد الصالحين ثم اقسم بالقمر اذا
اتسق اى اجتمع نوره وتكامل كما يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة والطبق
ما يطابق غيره ومنه قيل للغطاء الطبق ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق قوله عن طبق حال من فاعل لتركبن
او صفة اى طبقا مجاوزا الطبق وعن تفيد البعد والمجاوزة اى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها
فى الشدة والهول وجوز ان يكون جمع طبقة اى احوال بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من بعض
وهى الموت وما بعده من اهوال القيامة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله سبحانه ان ذلك كائن وان الناس
يلقون بعد الموت شدايد متنوعة واهوالا مترتبة حتى يتبين السعيد من الشقى والمحسن من المسئ وقيل لتركبن
سنة الاولين من المكذبين المهلكين عن مكحول لكل عشرين يوما يجدون امرا لم يكونوا عليه والركوب على هذه
التفاسير مجازا عن الحصول على تلك الحالة وقد يقال على قراءة فتح التاء انها صيغة الغايبة والضمير للسماء و
احوالها المختلفة انشقاقها ثم انفطارها ولعل هذا كان الاحتراق ثم تصير وردة كالدهان او كالمهل وهذا قول
مناسب لاول السورة وهو مروى عن ابن مسعود وقيل الخطاب للنبى صلعم والمراد اعباء الرسالة وانه يجب
عليه ان يتلقاه بالصبر والتحمل الى اوان الظفر والغلبة لقوله لتبلون فى اموالكم وانفسكم وعن ابن عباس
وابن مسعود ان المراد حديث الاسراء وان النبى صلعم ركب اطباق السماء وبين المقسم والمقسم مناسبة لانه اقسم
بتغيرات واقعة فى الافلاك والعناصر على صحة ايجاد ساير التفاسير من احوال القيامة وغيرها ولا شك ان القادر
على بعض التقادير المعتبرة قادر على امثالها فلا جرم قال على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون وتاويل الاية ان النفس
اذا استغرقت فى بحر المجهولات التصورية والتصديقية كانت شبيهة بالشمس العادية فاذا اقبلت على تحصيل قضية
من تلك القضايا المجهولة مثلا يحكى عليها نور من النفس يتزحح بما عندها احد طرفى النقيضين على الاخر لكنها لم تكن جازمة
به فكذلك النور كالشفق بالنسبة الى ضياء الشمس ثم اذا بحثت فى جمع المعلومات المناسبة لها طالبة للحد الاوسط
عرضت هناك شبهة شبيهة بالليل وما وسقه فاذا حصل الحد الاوسط بالتحقيق وانتقل الذهن منه الى
النتيجة الحقة صارت المسئلة كالبدر التم المستفاد ضوءه من الشمس النفس الناطقة القدسية التى يكاد زيتها
يضئ ولو لم تمسسه نار وطبقا عن طبق هى مراتب العلوم النظرية من اول بدايتها وهى كونها عقلا هيولانيا
الى نهايتها وهى كونها عقلا مستفادا فكانه سبحانه اقسم باحوال المعلومات المستحصلة على امكان حصول العلم
بها ثم وبخهم على انهم لا ينظرون فى الدلايل حتى يورثون الايمان والسجود عند تلاوة القران وقوله لا يؤمنون
ولا يسجدون فى موضع الحال والعامل معنى الفعل فما لهم عن ابن عباس والحسن وعطاء والكلبى ومقاتل
المراد من السجود ههنا الصلوة وقال ابو مسلم وغيره اراد به الخضوع والاستكانة والاكثرون على انه السجود نفسه
ثم اختلفوا فعن ابى حنيفة وجوبه لانه ذمهم على الترك وعن الحسن وهو قول الشافعى انه سنة كساير السجدات
التلاوة عنده ثم بين بقوله بل الذين كفروا يكذبون ان الدلايل الموجبة للايمان وتوابعه وان كانت جلية ظاهرة
لكن الكفار يكذبون بها تقليدا للاسلاف او عنادا ثم اجمل وعيدهم والله اعلم بما يوعون اى يجمعون ويظهرون فى
صدورهم من الشرك والعناد وساير العقايد الفاسدة والنيات الخبيثة فهو يجازيهم على ذلك وقيل بما يجمعون
فى صحفهم من اعمالهم ثم صرح بالوعيد قايلا فبشرهم بعذاب اليم وقوله الا الذين امنوا استثناء منقطع عند الزمخشرى
ولا باس بكونه متصلا كانه قال الا من امن منهم فله اجر غير مقطوع او هو من المنة بنى الكلام ههنا على الاستيناف
فلم يحتج الى الفاء وعلى التعقيب فى التين فاورده الفاء والاستيناف اجمع فقدمه وهو اعلم ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج • واليوم الموعود • وشاهد ومشهود •

قتل اصحاب الاخدود • النار ذات الوقود • اذ هم عليها قعود •
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود • وما نقموا الا ان يؤمنوا
بالله العزيز الحميد • الذى له ملك السموات والارض والله على
كل شئ شهيد • ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم
يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق • ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك
الفوز الكبير • ان بطش ربك لشديد • انه هو يبدئ ويعيد
وهو الغفور الودود • ذو العرش المجيد • فعال لما يريد
هل اتاك حديث الجنود • فرعون وثمود • بل الذين كفروا فى تكذيب
والله من ورائهم محيط • بل هو قران مجيد • فى لوح محفوظ •

القراءة المجيد بالجر صفة العرش حمزة وعلى وخلف والمفضل الاخرون بالرفع خبر بعد خبر محفوظ بالرفع صفة
القران نافع الوقوف البروج الموعود ومشهود بناء على ان جواب القسم محذوف وان معنى قتل لعن واصحاب
الاخدود هم اهل الظلم وان جعل قتل بمعنى الاصلى واصحاب الاخدود هم مظلومين صح جعله جوابا للقسم بتقدير
لقد قتل ولا وقف الاخدود لان النار بدل اشتمال منه الوقود قعود شهود الحميد والارض شهيد الحريق
الانهار الكبير الا لمن جعله ان بطش ربك جوابا للقسم وساير الوقوف بينهما لا بد منها لطول الكلام لشديد ويعيد
لاختلاف الجملتين الودود المجيد يريد للابتداء بالاستفهام الجنود لان ما بعده بدل وثمود للاضراب تكذيب لان
الواو للحال محيط مجيد محفوظ التفسير لما اخبر سبحانه فى خاتمة السورة المتقدمة ان فى الامة مكذبين سلى نبيه
صلعم بان ساير الامم السالفة كانوا كذلك كاصحاب الاخدود كفرعون وثمود اما البروج فاشهر الاقوال انها الاقسام
الاثنا عشر من افلاك الحمل والثور الى اخرها واما اقسم بها لشرفها حيث ينط تغيرات العالم السفلى بحلول الكواكب فيها
وقيل هى منازل القمر الثمانية والعشرون وقيل هى المستنيرات من الكواكب العظام سميت بذلك لتبرجها وظهورها
واليوم الموعود يوم القيامة وقيل وقت انشقاق السماء وانفطارها بطلان بروجها اما الشاهد والمشهود ففى اقوال
المفسرين فيهما كثرة وقد ضبطها القفال رحمه الله بان اشتقاقهما اما من الشهود والحضور واما من الشهادة والصلة
محذوفة اى مشهود به او عليه والاحتمال الاول فيه وجوه الاول وهو مروى عن ابن عباس والضحاك ومجاهد والحسن
بن على رض وابن المسيب والثورى والنخعى ان المشهود يوم القيامة والشاهد الجمع الذى يحضرون فيه من الملائكة والثقلين
الاولين والاخرين كقوله من مشهد يوم عظيم ذلك يوم مجموع له الناس قال جار الله وطريق تنكيرهما اما مر فى قوله
علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود ويجوز ان يكون للتعظيم اى شاهد ومشهود
لا يكتنه وصفهما وانما حسن القسم بيوم الدين لانه يوم الفصل والجزاء وتفرد الله بالحكم والقضاء الثانى وهو ابن عمر
وابن زبير ان المشهود يوم الجمعة وروى ابو الدرداء الى رسول الله صلعم قال اكثروا الصلوة يوم الجمعة فانه يوم مشهود
تشهده الملائكة الثالث انه يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج قال تعالى ياتين من كل فج عميق ليشهدكم الى قوله

لهم وان ابليس يصرخ ويضع التراب على راسه لما يرى في ذلك اليوم من نزول الرحمة الرابع انه يوم النحر لان اهل الدنيا
يحضرون في ذلك اليوم بمنى والمزدلفة الخامس انهما كل يوم فيه اجتماع عظيم للناس فينا ولما الاقوال المذكورة كلها و
الدليل عليه تنكيرهما لان المقصد لم يقع فيه الى يوم بعينه والاحتمال الثاني ففيه وجوه احدها ان الشاهد هو الله
تعالى والمشهود هو التوحيد لقوله شهد الله انه لا اله الا هو وثانيها الشاهد هو الانبياء والمشهود عليه النبي صلعم
لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وثالثها العكس كقوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ورابعها الشاهد الحفظة
والمشهود عليه المكلفون لقوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وان عليكم لحافظين وخامسها وهو قول
عطاء الخراساني والشاهد الجوارح والمشهود عليه الانسان يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وسادسها
الشاهد والمشهود عيسى وامته وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وسابعها امة محمد صلعم وساير الامم
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وثامنها قال في تفسير الكبير الشاهد جميع الممكنات
والمشهود له واجب الوجود اخذ من قول الاصوليين استدلال بالشاهد على الغايب وتاسعها الحجر الاسود
الحجيج للحديث الحجر الاسود امين الله في ارضه يوتى يوم القيامة وله عينان يبصر بهما يشهدان على من زاره
ولفظ هذا معناه وعاشرها الايام والليالي واعمال بني ادم كما روى عن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد
واني على ما تعمل فيه شهيد اما جواب القسم فعن الاخفش انه قتل واللام مقدرا والكلام على التقديم والتاخير
اى قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج وعن ابن مسعود وقتاده واختاره الزجاج ان الجواب هو قوله
ان بطش ربك وقيل ان الذين فتنوا المومنين وما بينهما اعتراض واختيار الزمخشري وطايفة من المتقدمين
انه محذوف ثم اختلفوا فقال المتقدمون المحذوف هو ان الامر حق في الجزاء على الاعمال وقال في الكشاف هو
ما دل عليه قيل كانه اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة
وردت في تثبيت المومنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على
الايمان حتى يعتدوا بهم ويصبروا على اذى قومهم ويعلمون ان كفارهم احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما لعنوا
كما قتل اصحاب الاخدود وهو الخد اى الشق في الارض يحفر مستطيلا ونحو بناه معنى الحق والاحقوق بالخاء الفوقانية
ومنه الحديث فساخت قوايمه في اخاقيق جرذان يعني به قريش سراقة حين تبع رسول الله صلعم بعد خروجه من الغار
والمعتمد من قصص اصحاب الاخدود ما جاء في الصحاح عن رسول الله صلعم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر
ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب يتكلم بالمواعظ لاجل الناس فمال قلب الغلام الى حديثه فرأى
في طريقه ذات يوم دابة او حية قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها بهذا الحجر فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يتعلم من الراهب الى ان صار بحيث ان يبرئ الاكمه والابرص
ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابراه فابصر الملك فساله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب
الملك فعذبه على الغلام حتى دل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فنشر الراهب بالمنشار فاتى بالغلام فذهب
به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهبوا به الى قرقور وهي سفينة صغيرة فلججوا
به ليغرقوه فدعا فانكفات بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد و
تصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدره فوضع
يده عليه ومات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك
واوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى اذا جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال
الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق وما هي الا غميضة فصبرت واقتحمت وعن علي كرم الله وجهه انهم حين اختلفوا
في احكام المجوس فقال لما ولكنهم هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها فسكر
فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له ان تخطب الناس فتقول ان الله عز وجل احل لكم نكاح الاخت
ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف
فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها وقيل وقع الى نجران من كان على دين عيسى فدعاهم
فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بالنار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا
من الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر وقد اشار سبحانه الى

عظيم النار اشارة مجملة بقوله ذات الوقود لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وهذه الروايات
لا تعارض بينها ولا منافاة فيحتمل ان يكون الكل واقعا والمجموع مراد الله او بعضه وهو اعلم به وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا وصل الى ذكر اصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء واضطرب لقتل وهم عائد الى الاصحاب و
قعود جمع قاعد فان كانوا مقتولين فمعنى قعودهم على النار انطرحوا عليها او قعدوا حواليها للاحراق وذلك انهم كانوا
يعرضون المومنين على النار فكل من ترك دينه تركوه ومن صبر على دينه القوه في النار وان كانوا قائلين فاما ان يراد انه
اذا ارتفع لها النار سرت اليهم فهلكوا بنفس ما فعلوا وخسروا الدنيا والاخرة واما ان يكون على بمعنى عند كقوله ولهم
على ذنب اى عندي فالمراد بالقتل على هذا التفسير اللعن ويعضده قوله وهم اى الظالمون على ما يفعلون بالمومنين شهود
اى حضور وفيه وصفهم بقسوة القلب ووصف المومنين بالصلابة في دينهم حيث لا يلتفتوا اليهم وبقوا مصرين
على الحق وهو من الشهادة والمعنى انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهود الشهداء بعضهم لبعض عند الملك ان احدا
منهم لم يفرط فيما امر به من التعذيب ويجوز ان يراد شهادة جوارحهم على ذلك يوم القيمة ثم ذم اولئك الجبابرة بما
في ضمنه مدح المومنين قائلا وما نقموا منهم اى وما عابوا وما انكروا عليهم الا ان يومنوا وانما اختص بناء الاستقبال
زعما انهم كانوا يطلبون منهم ترك الايمان في المستقبل ولم يعذبوهم على الايمان في الماضي اى عذبوهم على ثباتهم
وصبرهم على ايمانهم بمن يستحق ان يومن به لكونه الها قادرا لا يغالب بليغا في الكمال بحيث استاهل الحمد كله مالكا لجميع
المخلوقات وفيه اشارة الى انه لو شاء لمنعهم عن ذلك التعذيب لكنه اخرهم الى يوم الجزاء ودل عليه بقوله والله
على كل شيء شهيد ثم عمم الوعيد والوعد في ايتين اخريين الفتنة والبلاء والابلاء هو الاحراق وفي قوله ثم لم يتوبوا دلالة
على ان توبة القاتل عمدا مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس وعذاب جهنم وعذاب الحريق ما متلازمان كقوله الى
الملك القدوس وابن الهمام والغرض التاكيد واما مختلفان في التذكر الاول لكفرهم والثاني لانهم فتنوا اهل الايمان ويجوز
ان يكون الحريق في الدنيا لما روى ان النار تسلطت عليهم فاحرقتهم ثم ذهب ورغب بوجه اخر في ايات الله والبطش
الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة كان نهايته ثم اكده بقوله انه هو يبدئ ويعيد اى يبطش بالجبابرة في الدنيا والاخرة
ويجوز ان يدل على الابداء والاعادة على شدة بطشه وفيه وعيد الكفرة لانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ كفروا
بنعمة الابداء وكذبوا بالاعادة قال ابن عباس ان اهل جهنم تاكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا
فذلك قوله هو يبدئ ويعيد والودود هو بليغ الودادة والمراد به ارادة ايصال الثواب الى اهل طاعته على وجه الاتم
فيكون كقوله يحبهم وان شئت قلت هو بمعنى مفعول فيكون كقوله ويحبونه وقال القفال قد يكون بمعنى الحليم
من قولهم فرس ودود وهو المطيع العناق قال في الكشاف فعال خبر مبتدا محذوف قلت الاصل عدم الاضمار و
الاولى ان يكون خبرا اخر بعد الاخبار السابقة ولعله حمله على ذلك وما قبله معارف والعذر عنه من وجهين
احدهما عطف النسق بقوله ذو العرش ولا سيما عند من يجعل المجيد صفة صفة العرش والثاني تخصيص
فعال بقوله لما يريد فانه صير مضارعا المضاف قال وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة قلت يجوز ان يكون
المعنى ان ما يريده فانه يفعله البتة لا يصرفه عنه صارف ثم ذكرهم وسلى نبيه صلعم بقصة فرعون وثمود من متاخري
الكفار ومتقدميهم والمراد بفرعون هو وجنوده ثم اضرب عن التذكير الى التصريح بتكذيب الكفار قريش والتنبيه على انه
محيط عالم بهم فيجازيهم ويجوز ان يكون مثلا لغاية اقتداره عليهم وانهم في قبضة حكمه كالمحاط اذا احيط به ومن
ورائه فسد عليه مسلكه بحيث لا يجد مهربا ويجوز ان يكون بمعنى الاهلاك كقوله وظنوا انهم احيط بهم ثم سلى رسوله
صلعم بوجه اخر وهو ان هذا القران الذي كذبوا به شريف عال رتبته في نظمه واسلوبه حتى بلغ حد الاعجاز وهو مصون
عن التغيير والتحريف كقوله وانا له لحافظون قال بعض المتكلمين اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤنه وامثال هذه
الحقايق مما يجب به التصديق سمعا والله حسبي

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق ● وما ادريك ما الطارق ● النجم الثاقب ●
ان كل نفس لما عليها حافظ ● فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق ● يخرج من بين الصلب والترائب ● انه
على رجعه لقادر ● يوم تبلى السرائر ● فما له من قوة ولا ناصر ●
والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل ●
وما هو بالهزل ● انهم يكيدون كيدا واكيد
كيدا ● فمهل الكافرين امهلهم رويدا ●

القراءة لما بالتشديد ابن عامر وعاصم وحمزه ويزيد الوقوف الطارق الثاقب
حافظ مم خلق للفصل بين الاستخبار والاخبار دافق والترائب لقادر بناء على ان الظرف معمول اذكر و
من جعل يوم ظرفا للرجوع وهو اولى ثم يقف السرائر ولا ناصر الرجع الصدع فصل بالهزل كيدا كيدا
رويدا التفسير انه سبحانه اكثر في كتابه الكريم الاقسام بالسماويات لان احوالها في مطالعها ومغاربها وسيرها
عجيبة اما الطارق فهو كل ما نزل بالليل ولهذا جاء في الحديث التعوذ من الخلايق طوارق الليل وذكر طروق
الخيال في اشعار العرب كثيرة لان تلك الحالة تحصل في الاغلب ليلا وقد نهى رسول الله صلعم ان ياتي اهله طروقا ثم
انه تعالى بين انه اراد بالطارق في الاية النجم الثاقب اى هو طارق عظيم الشان رفيع القدر وهو جنس النجم يهتدى
به في ظلمات البر والبحر قال علماء اللغة سمى ثاقبا لانه يثقب الظلام بضوءه كما سمى دريا لانه يدرؤه اى يدفعه او لانه يطلع
من المشرق نافذا في الهوى كالشئ الذى يثقب الشئ ولانه اذا رمى به الشيطان ثقبه اى نفذ فيه واحرقه وقد خصه
بعضهم بزحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقال ابن زيد هو الثريا وروى ان ابا طالب اتى النبى صلى الله عليه
وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلا ماء ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اى شئ هذا فقال
رسول الله صلعم هذا نجم رمى به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب ونزل السورة ومن قرا لما مشددة بمعنى
الا فان نافيه ومن قراها مخففة على ان ما صلة كالتى في قوله فبما رحمة من الله فان مخففة من الثقيلة والاية على هذا
التقدير جواب القسم والحافظ هو الله تعالى او الملك الذى يحصى اعمال العباد كقوله وان عليكم لحافظين او الذى
يحفظ الانسان من المكاره حتى يسلمه الى القبر عن النبى صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون
عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين او الذى يحفظ
عليه رزقه فاصله حتى يستوفيهما وحين ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبداه
ومعاده والدفق صب فيه دفع ولا شك ان الصب مثل الشخص فهو من الاسناد المجازى او على النسبة اى ماء ذى دفق
كالتمر في مبداه ومعاده اى عيشة راضيه ومعنى خروجه من بين الصلب والترائب ان اكثره ينفصل من هذين
الموضعين لاحاطتهما بسائر البدن والذى ينفصل من اليدين ومن الدماغ ايضا عليها وطالما اعطى للاكثر حكم
الكل وهذا المعنى يشمل ماء الرجل وماء المراة ويحتمل ان يقال اريد ماء الرجل فقط اما بحكم التغليب بناء على مذهب من
لا يرى للمراة ماء ولا سيما دافقا وذهب جم غفير الى ان الذى يخرج من بين الصلب وما دونه من النخاع الاتى من الدماغ وهو
ماء الرجل والذى يخرج من الترائب وهى عظام الصدر الواحدة تريبة هو ماء المراة وانما نقل ماء بين لاختلاطهما في
الرحم واتحادهما عند ابتداء خلق الجنين وقد يقال العظم والعصب من ماء الرجل واللحم والدم من ماء المراة وقد ورد
في الخبر ان ماء الرجل اذا علا وغلب فان الشبه يكون منه ثم بين قدرته على الاعادة بقوله انه على رجعه يعود الى الماء

والمراة قادر على رد الماء الى الاحليل وقيل الى الصلب والترائب وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان ان شئت
رددته من الكبر الى الشباب ومن الشاب الى الصبى ومن الصبى الى النطفه والقول هو الاول بدليل قوله يوم تبلى السرائر
اى تمتحن بما اسر في القلوب من العقايد والنيات وما اخفى من الاعمال الحسنة والقبيحة والحقيقة البلاء في حقه
تعالى يرجع الى الكشف واظهاره كقوله ونبلوا اخباركم ويحتمل ان يعود البلاء الى المكلف كقوله هنالك تبلوا كل نفس
ما اسلفت ومنه قول عمر رض يبدى الله يوم القيمة كل شئ فيكون زينا في الوجوه يعنى من اداها كان وجهه مشرقا ومن
ضيعها كان وجهه مغبرا ثم يسقط القوة الذاتيه والقوة العرضية الخارجية عن الانسان يومئذ لقوله فما له من قوة و
لا ناصر ثم اكد حقيقة القران في هذه البيانات الشافية للمواعظ الوافيه فقال والسماء ذات الرجع اى المطر لان الله
يرجعه وقتا فوقتا على سبيل التفاؤل او زعما منهم الضحاك تحمل الماء من البحار ثم يرجعها اليها والصدع ما يتصدع عنه
الارض من النبات وقيل الرجع الشمس والقمر يرجعان بعد مغيبهما والصدع الجبلان بينهما شق وطريق والضمير في
انه للقران والفصل الفاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وقال القفال المراد الذى اخبركم به من قدرتى على الرجوع كما قدرت
على الابتداء قول حق ثم اكد حقيقته بقوله وما هو بالهزل لان البيان الفصل قد يذكر لا على سبيل الجد والاهتمام بشانه وفيه
ان قارى القران ادنى مرتبته في القران ان يكون غير هازل واعلاها ان يكون خاشعا باكيا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن
خروا سجدا وبكيا ثم صلى بنبيه صلعم وحثه على الصبر الجميل فقال انهم يعنى اشراف مكة يكيدون كيدا في اطفاء نور الحق
وذلك بالقاء الشبهات والطعن في النبوة والتشاور في قتل النبى كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا واكيد كيدا سمى جزاء
الكيد والاستدراج او الامهال المودى الى زيادة الاثم الموجبه لشدة العذاب كيدا ثم انتج من ذكر ذلك قوله فمهل الكافرين
اى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به ثم كرر ذلك المعنى للمبالغه ولوصف الامهال بقوله رويدا اى سهلا يسيرا والتركيب
يدل على الرفق والتانى ومنه قولهم في باب اسماء الافعال رويد زيدا اى ارود ارواد او ارفق به وكانه سبحانه قال
مهل مهل امهل ثلث مرات بثلث عبارات وهذه نهاية الاعجاز واجل الامهال يوم بدر او يوم القيمة وهذا اولى ليتم التحذير
عن مثل سيرتهم ويتم الترغيب في خلاف طريقتهم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ●
سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى ● والذى قدر فهدى ● و
الذى اخرج المرعى ● فجعله غثاء احوى ● سنقرئك فلا تنسى
الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ● ونيسرك لليسرى ● فذكر
ان نفعت الذكرى ● سيذكر من يخشى ● ويتجنبها الاشقى
الذى يصلى النار الكبرى ● ثم لا يموت فيها ولا يحيى ● قد افلح
من تزكى ● وذكر اسم ربه فصلى ● بل تؤثرون الحيوة الدنيا
والاخرة خير وابقى ● ان هذا لفى الصحف الاولى ● صحف ابرهيم وموسى

القراءة فسوى وجميع اياتها مثل طه وكذلك في سورة والشمس والليل والضحى واقرأ باسم ربك من قوله ارايت الذى ينهى الى اخر السورة قدر بالتخفيف على بل تؤثرون على الغيبة قتيبة وابو عمرو ويعقوب الوقوف الاعلى فسوى فهدى المرعى احوى فلا تنسى الله يخفى للعدول وقيل قوله ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض فلا وقف لليسرى والوصل اليق للفاء للذكرى يخشى الاشقى الكبرى لان ثم لترتيب الاخبار ولا يحيى لان ما بعده مستانف تزكى فصلى لان بل للاضراب الدنيا بناء على ان الواو للاستيناف والحال اوجه وابقى الاولى وموسى التفسير روى انه صلى الله عليه وسلم كان يحب هذه السورة واكثر السلف كانوا يواظبون على قراءتها في التهجد ويتعرفون بركتها وعن عقبة بن عامر لما نزل قوله سبحانه وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلعم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم ومن الناس من تمسك بالاية في ان الاسم نفس المسمى لان التسبيح اى التنزيه انما يكون المسمى لا للاسم واجاب المحققون عنه بان الاسم صلة كقوله اسم السلام عليكما سلمنا انه غير صلة ولكن تسبيح اسمه تنزيهه عما لا يليق معناه بذاته تعالى او بصفاته او بافعاله او باحكامه فان العقايد الباطلة والمذاهب الفاسدة ثم تنشاء الا من هذه ومن جملة ذلك ان يصان اسمه عن الابتذال والذكر الا على وجه الخشوع والتعظيم وان كان لا يسمى غيره باسماء الحسنى وان لا يطلق من الاسامى الا ما ورد به الاذن الشرعى فان بعض العلماء الذين نقل عنهم ان الاسم نفس المسمى ارادوا بان الاسم حدوه بانه ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان وهو نفس مدلول هذا الحد قال الفراء لا فرق بين سبح اسم ربك وبين سبح باسم ربك واعترض عليه بان الفرق بين لان الاولى معناه نزه الاسم من السوء والثاني معناه سبح الله اى نزهه بسبب ذكر اسمائه العظام او ملتبسا بذكره الى ان تجعل الباء صلة في الثاني نحو ولا تلقوا بايديكم ومضمر في الاول نحو واختار موسى قومه ثم لو زعم الفراء ان التفسير ان مثلان زمان صار معقولا ومن المحدث من طعن في القران لانه يقتضى ان يكون للعالم ربان عظيم وهو في قوله فسبح باسم ربك العظيم والاخر اعلى منه وهو قوله في اول هذه السورة والجواب انه عظيم في نفسه واعلى واجل من جميع الممكنات والصفة كاشفة لا مميزة ونظيره وصفه بالكبير تارة وبالاكبر اخرى والمراد بالعظم والعلو عظم الشرف وعلو القدر فلا استدلال فيه للمشبهة ثم شرع في بعض اوصافه الكمالية فقال الذى خلق فسوى وقد مر نظيره في الانفطار اى خلق الانسان فجعله منتصب القامة في احسن تقويم او خلق كل حيوان بل كل ممكن فجعله مستعدا الكمال اللائق بحاله والذى قدر لكل مخلوق ما يصلح له فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به كما يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت قد الهمها الله تعالى ان تمسح العين بورق الرازيانج الرطب فطلبه الى ان تجده فيعود بصرها والهامات البهايم والطيور مشروحة مسطورة في كتب العجايب وقال الحكيم كل مزاج مستعد لقوة خاصة وكل قوة فانها لا تصلح الا لفعل معين والتقدير عبارة عن التصرف في الاجزاء الجسمية وتركيبها على وجه خاص لاجل ان تستعد لقبول تلك القوى والهداية عبارة عن خلق تلك القوى في تلك الاعضاء بحيث يكون كل قوة مصدرا لفعل معين ويحصل من مجموعها تمام المصلحة وقد خصه بعض المفسرين فقال مقاتل هدى الذكر للانثى كيف ياتيها وقال غيره هداه لمعيشه ومرعاه وقيل هداه سبيل الخير والشر وقال السدى وقدر مدة الجنين في الرحم وهداه للخروج وقال الفراء قدر فهدى واضل واكتفى بذكر احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل الهداية بمعنى الدعاء الى الايمان وقد دعا الكل الى الايمان فدعاهم اليه وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقيل دلهم بافعاله على توحيده وكبريائه ففى كل شى له اية تدل على انه واحد من جملة ذلك اخرج المرعى وهو الكلاء الاخضر ثم جعله غثاء وهو ما يبس من النبات فحملته الاودية واطرحته الرياح والظاهر ان احوى صفة للغثاء والحوة السواد والغثاء اذا يبس واستولى البرد عليه يحيل يضرب الى السواد وقد يحمله السيل فيلتصق به اجزاء كدرة وقال الفراء وابو عبيدة الاحوى هو الاسود لشدة خضرته وعلى هذا يكون حالا من الضمير المرعى ان صيره في حال حيوته غثاء وقال جار الله هو حال من المرعى اى اخرجه اسود من الخضرة والرى فجعله غثاء وصيره وامره بالتسبيح وبشره وشرفه باياته بامره وهى ان يقرأ عليه جبرئيل ما يقرأ من الوحى الذى هو اشرف انواع الذكر فيحفظه ولا ينسى الا ما شاء الله ان ينساه وهو احد طريقى النسخ وقال مجاهد ومقاتل والكلبى كان النبى صلى الله وسلم اذا نزل عليه القران اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى فقيل له لا تعجل بالقراءة فان جبرئيل مامور بان يكرره عليك الى ان تحفظه نظيره ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وعلى هذا يجوز ان يراد بالتعليم والاقراء شرح الصدر وتقوية الحفظ بحيث يبقى القران محفوظا له من غير دراسته ومع انه امى فيكون اعجازا مع اعجاز وعن بعضهم

ان قوله فلا تنسى نهى لا خبر والالف مزيدة للفاصلة نحو الظنونا والسبيلا وضعف بان الزيادة خلاف الاصل فلا يصار اليها الا بدليل ظاهر وبانا اذا جعلناه خبرا كان معنا الاية البشارة بانا جعلناك بحيث لا تنسى وانا ان جعلناه نهيا كان امرا بالمواظبة على الاسباب المانعة من النسيان وهى الدراسة والقراءة والبحث ولا يكون من البشارة بانا جعلناه شئ وايضا النسيان لا يتعلق بقدرة العبد فيلزم ان يحمل النهى عنه الا على الاسباب المانعة منه وهو خلاف الظاهر اما الاستثناء ففيه قولان الاول انه ليس على حقيقته فقد روى عن الكلبى انه صلى الله عليه وسلم لم ينس بعد نزول هذه الاية شيئا وعلى هذا فالمقصود من الاستثناء اما نفى النسيان راسا كما يستعمل القلة من معنى العدم واما التبرك بذكر هذه الكلمة وتعليم العبادان لا يتركها في كل ما يحترزون عنه وفيه انه تعالى قادر على نسيانه الا انه لا ينسيه بفضله ولحسانه وفيه لطف للنبى صلعم ان يكون متيقظا مبالغا في دراسته كل ما ينزل عليه من الوحى قليلا كان او كثيرا فان كل جزء من اجزائه يحتمل ان يكون هو المستثنى الثانى انه حقيقة ثم حمله مقاتل على النسخ لما مر وقال الزجاج اراد الا ان يشاء الله فينساه ثم تذكر بعد النسيان كما روى انه اسقط في قراته اية في الصلوة فحسب ابى انها نسخت فساله فقال نسيتها وقيل اريد القلة والندرة لا في الواجبات فانه يورث الخلل في الشرع ولكن في غيرها ثم علل جنس النسخ بقوله انه يعلم الجهر وما يخفى وان كان كذلك كان وضع الحكم ورفعه واقعا بحسب مصالح المكلفين وقيل اراد كمن يجهر بقراتك مع قراءة جبرئيل مخافة النسيان والله يعلم ما في نفسك من الحرص على تحفظ الوحى فلا تفعل فانا اكفيك ما تخاف ثم بشره ببشارة اخرى وهى تيسير اى نوفقه للطريقة التى هى اليسير وهى حفظ القران او الشريعة السهلة السمحة وعن ابن مسعود هى الجنة يعنى العمل المودى اليها والعبارة المشهورة ان يقال جعل الفعل الفلانى ميسرا لفلان وانما عكس الترتيب فى الاية لدقيقة هى ان الفاعل ما لم يوجد فيه قابلية لصدور الفعل عنه امتنع حصوله منه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وفي الاية دلالة على انه سبحانه فتح عليه من ابواب فيول الفيض ما لم يفتحه على غيره حتى صار يتيم ابو طالب قدوة للعالمين وهاديا للخلق اجمعين كما قال فذكر ان نفعت الذكرى وليس له مفهوم حذف احدى القرينتين للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر وهو مبنى على الاغلب فان التذكير انما يكون غالبا اذا كان رجاء التذكير حاصلا كقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفيه حث على الانتفاع بالذكرى كما تقول المراد لغيره اذا بين له الحق قد اوضحت لك ان كنت تسمع وتقبل فيكون مراده الحث على سماع وقبول او تنبيه للنبى صلعم على ان الذكرى لا تنفعهم كما يقال للرجل ادع فلان ان اجابك والمعنى اراه يجيبك ووجه اخر وهو ان التذكير العام واجب على ولا الامر واما التكرير والضابط ان العرف انما يجب عند رجاء حصول المقصود فلهذا اردف بالشرط قيل التعليق بالشرط انما يحسن في حق من يكون جاهلا بعواقب الامور والجواب ان امر الدعوة والبعثة مبنى على الظاهر لا على الخفيات وروى في الكتب انه تعالى كان يقول لموسى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وانما سمى الوعظ بالتذكير لان حسن هذا الدين مركوز في العقول فطرة الله التى فطر الناس عليها فكان هذا العلم كان حاصلا في نفسه بالقوة ثم زال عنها العوايق والغواشى وعند بعض العقلاء ان النفوس قبل تعلقها بالابدان عالمة بما لها ان تعلم الا انها نسيتها لاستغالها بتدبير البدن ومن هنا قال افلاطون لست اعلمكم بما كنتم تجهلون ولكن اذكركم بما كنتم تعلمون ثم انه تعالى بين المنتفع بالتذكير من هو فقال سيذكر من يخشى وقال في التفسير الكبير الناس في امر المعاد ثلثة اقسام القاطع في صحته والمتردد فيه والجاحد له والفريقان الاولان ينتفعان بالتذكير والتخويف وكثير من المعاندين انما يجحدون باللسان فقط فتبين ان اكثر الخلق ينتفعون بالوعظ والمعرض نادر وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فلهذا وجب تعميم التذكير قلت هذا خلاف القران حيث قال عز من قائل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقليل من عبادى الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين وخلاف الحديث حيث قال صلعم في بعث الناس من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وخلاف المعقول فانه لو سلم ان قسمين من الاقسام الثلثة ينتفعان بالتذكير وينضم اليه من القسم الثالث بعض اخر فقد لا يلزم ان يكون الباقى اقل من المجموع المفروض لجواز اختلاف الاقسام بل السبب في تعميم التذكير انتفاع المنتفعين به وهم اهل الخشية اعنى العلماء بالله والزام الحجة للعنيد والتين في سيذكر اما لمجرد الاطماع كان سوف من الله واجب واما لان التذكير متراخ عن التذكر غالبا لتخلل زمان النظر والتامل بينهما غالبا قيل نزلت الاية في عثمان بن عفان رضى الله عنه وقيل في ابن مكتوم ونزل في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة قوله ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى اى السفلى من اطباق النار لان اشقى الكفرة واشد عتوا وعن الحسن النار الكبرى نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا والاشقى هو الكافر على الاطلاق وذلك ان الكافر اشقى من

الفساق ولا يلزم من تخصيص ذكر الكافر بدخول جهنم النار لا يدخلها غيره وان يكون الاشقى بمعنى الشقى كقوله وهو اهون
عليه اى حين يدخل فيه الفاسق لانه تجنب بوجه من الوجوه وقوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى تقدم تفسيره في طه ومعنى
ثم تراخى الرتبة لان هذا النوع من الحيوة اقطع من نفس الدخول في النار ثم ذكر وعد السعداء بعد وعيد الاشقياء ومعنى
تزكى تطهر من ادناس الشرك والمعاصى والعقايد الفاسدة وذكر اسم ربه بالتوحيد والاخلاص فصلى اى اشتغل بالخدمة
والطاعة حتى يكون كاملا بحسب قوتيه النظرية والعملية بعد تخليه لوح الضمير عن النقوش الفاسدة وقال الزجاج
تزكى اى تكثر من التقوى واصله من الزكاء النماء فيكون تفصيله في قوله قد افلح المؤمنون الى اخر الايات وفي اول البقرة
الى قوله هم المفلحون وقال مقاتل تزكى من الزكوة كتصدق من الصدقة قد افلح من تصدق من ماله وذكر ربه بالتوحيد و
الصلوة فصلى له وخصه قوم بصلوة العيد وصدقة الفطر اى افلح من تزكى قبل خروجه الى المصلى فذكر اسم ربه في طريق
المصلى او عند تكبيرة الافتتاح فصلى العيد وهذا قول عكرمة وابى العاليه وابن سيرين وابن عمر وعلى رضى الله عنه
وقد روى مرفوعا الى النبى صلعم وضعف بانه خلاف ما ورد في مواضع اخر من القران من تقديم الصلوة على الزكوة والجواب
ورد هكذا لان زكوة الفطر مقدمة على صلوته واعترض النقلين بان السورة مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة واجاب
الواحدى بانه لا يمتنع ان يقال لما كان في معلوم الله ان ذلك سيكون اثنى على من فعل استدل بعض الفقهاء بالاية على وجوب
تكبيرة الافتتاح واحتج بعض اصحاب ابى حنيفه بها على ان الاولى ليست من صلب الصلوة لعطف الصلوة عليها وعلى ان
الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه واجيب بما روى عن ابن عباس ان المراد ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وبانه
تذييل الكرمشى قولهم وبالعكس من غير فرق وقد زيف هذا الجواب الثانى بانه خلاف الظاهر وبان خصوصيه المراد
بلغاء فلا يلزم من عدم الفرق في الامثال المضروب عدم الفرق فيما يتعلق به حكم شرعى ثم بحثهم بقوله بل تؤثرون الى اخر
ما في هذه السورة من التوحيد والنبوة والوعيد والوعد كانت بالله في صحف الانبيا الاقدمين لانها قواعد كلية لا تتغير بتغير
الزمان فهو كقوله وانه لفى زبر الاولين وقيل المشار اليه بهذا هو قوله بل تؤثرون الاية لانه اقرب المذكورات ولانه حاصل جميع
الكتب السماوية الزجر عن الدنيا والاقبال على الاخرة قال في الكشاف روى عن ابى ذر انه سال ابى موسى الاشعرى رسول الله
صلعم كم انزل الله تعالى من كتاب قال مائة واربعة كتب منها على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسون وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون
صحيفة وعلى ابراهيم عشرة صحايف والتورية والانجيل والزبور والفرقان فتقدير الاية ان هذا لفى الصحف الاولى التى منها صحف
ابراهيم وموسى قال الواو في صحف ابراهيم صلعم ينبغى للعاقل ان يكون حافظا لسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه الله حسبى

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتك حديث الغاشية ● وجوه يومئذ خاشعة ● عاملة ناصبة ● تصلى نارا حامية ● تسقى من عين انية ● ليس لهم طعام الا من ضريع ● لا يسمن ولا يغنى من جوع ● وجوه يومئذ ناعمة ● لسعيها راضية ● في جنة عالية ● لا تسمع فيها لاغية ● فيها عين جارية ● فيها سرر مرفوعة ● واكواب موضوعة ● ونمارق مصفوفة ● وزرابى مبثوثة ●

افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ● والى السماء كيف رفعت ● والى الجبال كيف نصبت ● والى الارض كيف سطحت ● فذكر انما انت مذكر ● لست عليهم بمصيطر ● الا من تولى وكفر ● فيعذبه الله العذاب الاكبر ● ان الينا ايابهم ● ثم ان علينا حسابهم ●

القراءة يصلى بضم الياء من الاصلاء ابو عمرو ويعقوب وابو بكر وحماد والباقون بالفتح لا يسمع بضم الياء التحتانية لاغية بالرفع ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب وقرا نافع بياء التانيث والرفع الاخرون بفتح تاء التانيث والخطاب لكل سامع لاغية
بالنصب بمصيطر بالصاد ابو جعفر ونافع وعاصم وعلى وخلف وقرا حمزة في رواية باشمام الزاء والباقون بالسين
ايابهم بالتشديد يزيد الوقوف الغاشية خاشعة ناصبة حامية انية لهمام الاوصاف نصفا الجزء
ضريع جوع للابتداء بعده ناعمة راضية عاليه لاغية جارية لئلا يوهم ان ما بعده صفة للعين الجارية
سرر وليس كذلك مرفوعة موضوعة مصفوفة مبثوثة خلقت رفعت نصبت سطحت وهذا يوقف على
الايات الاربع لاجل مهلت النظر والا فلا لكل متسعة مذكر بمصيطر وكفر الاكبر ايابهم حسابهم التفسير
لما انجر الكلام في السورة المتقدمة الى ذكر الاخرة شرح في هذه السورة بعض احوال المكلفين فيها والغاشية القيامة لانها
تغشى الناس بشدايدها ولكل ما احاط بالشئ من جميع جهاتها فهو غاش له قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقال تغشى وجوههم النار اى لم ياتك حديث هذه الداهية وقال اياك الان فاستمع وقدم وصف
الاشقياء لان مبنى السورة اتفق على التخويف كما ينبئ عنه لفظ الغاشية والمراد بالوجه الذات ووجه حسن هذا
المجاز ان الخشوع والانكسار والذل واضدادها يتبين اكثرها في الوجوه كقوله وتريهم يعرضون عليها خاشعين
من الذل ينظرون من طرف خفى والعمل والنصب قيل كلاهما في الاخرة وهو الاظهر لقوله يومئذ اى يعمل في النار عملا
يتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار خوض الدابة في الوحل وترددها في صعود من نار
وحدور منها قال الحسن كان يجب عليها ان تعمل لله في الدنيا خاشعة ناصبة فلما قصر في ذلك وقع في مثله بعد
المفارقة الى ان يشاء الله ليكون معارضا بنقيض قوله مقصودة وقيل كلاهما في الدنيا وهم اصحاب الصوامع خشعت
وجوههم لله وعملت ونصبت في اعمالها من غير نفع لهم في الاخرة لان اعمالهم مبنية على غير اساس في الدين
الحنيفى وقيل عملت في الدنيا اعمال السماء فهى في نصب منها في الاخرى ثم شرح مكانهم وهو النار الشديد الحر وشربهم
وهو من عين انية اى متناهية في الحرارة ومطعومهم وهو الضريع وانما قدم المشروب على المطعوم لان الماء يناسب
النار مناسبة الضدين والشبهين من حيث بساطتها ولانه اذا اثر فيهم حر النار غلب عليهم العطش فكان الماء عندهم اهم
ثم اذا اثرت فيهم الحرارة ارادوا ان يدفعوا الم الاحساس بهما بايراد الغذاء على البدن مع ان الواو ليس للترتيب قال الحسن
لا ادرى ما الضريع وما اسمع فيه من الصحابة شيئا وقد يروى انه فعيل بمعنى مفعل كالاليم والتعدد ومعنى الامن
طعام يحملهم على الضراعة والذل عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة والحرارة وعن سعيد بن جبير انه شجر ذات
شوك قال ابو الجوزاء وكيف يسمن من ياكل الشوك وفي الخبر الضريع شئ يكون في النار شبيه الشوك امر من الصبر
انتن من الجيفة واشد حرا من النار قال العلماء ان للنار دركات واهلها على طبقات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم
من طعامه من غسلين ومنهم من طعامهم من ضريع ومنهم من شرابه الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم ووجود النبت
في النار ليس ببدع من قدرة الله تعالى كوجود بدن الانسان والعقارب والحيات فيها وقوله لا يسمن ولا يغنى من جوع
صفة الطعام او الضريع وفيه ان طعامهم ليس من جنس طعام الانس ولكن من هذه الشوك الذى ترعاه الابل ما دام
رطبا فاذا يبس نفرت عنه لانه سم قاتل ويحتمل ان يراد انه لا طعام لهم اصلا لان الضريع بيبس هذا الشوك والابل
تنفر عنه كما قلنا فهو كقولك ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفى الظل على التوكيد وروى ان كفار قريش قالوا على

سبيل التعنت حين سمعوا الاية ان الضريع واو ليهم بعد تسليم ان ضريعهم يسمن على ان ضريع النار ليس كذلك لان
كل ما في النار يجب ان يكون خاليا عن النفع ثم اخذ في وصف السعداء فقال وجوه وانما ترك العاطف خلاف ما
في سورة القيامة لانه اراد ههنا تفصيل ما اجمل في قوله هل اتيك حديث الغاشيه ومعنى ناعمة ذات بنعومة
او متنعمة وقوله لسعيها راضيه اى رضيت بما عملت في الدنيا واثنت عليها بنحو قولها ما احسن ما عملت وذلك اذا رات
محلها ومنزلها في الكرامة والثواب لجزاء سعيها حين رات ما لا مزيد عليه واللاغية اللغو مصدر كالعافية
والباقيه ويجوز ان يكون صفة لمحذوف اى كلمة ذات لغو قوله عين جاريه قال جار الله يريد عيونا في غاية الكثرة
كقوله علمت نفس قال الكلبي لا ادري جرت بماء او غيره وقال القفال عين شراب جارية على وجه الارض في غير اخدود
وتجري لهم كما ارادوا ومرفوعة من الرتبة او من رفعه عن الارض ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما اتاه الله من الحشم
والملك اذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت الى حيث اراد الله وقد وصفها
ابن عباس بان الوجهات من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وقيل مرفوعة اى مخبوة لهم من رفع الشيء
اذا خباه والكواب الكيزان التي لا عرى لها كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم حاضرة او موضوعة على حافات
العيون مملوة مهياة للشرب وجوز في الكشاف ان يراد موضوعة عن الكبر الى التوسط والاعتدال والنمارق الوسائد واحدها
نمرقة بضم الميم وروى الفراء بكسرها ايضا مصفوفة بعضها بجنب بعض اينما اراد ان يجلس جلس على واحدة واستند الى
الاخرى والزرابي البسط العراض الفاخرة واحدها زربية بكسر الزاء وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق ومبثوثة اى مبسوطة او متفرقة
في المجالس وحين ذكر احوال المعاد عاد الى الاستدلال على المبداء فان من عادة كتاب الله الكريم انه يرجع الى تذكير الاصول
عودا على بدء وللمحققين في نسق الاية وفي تناسب هذه الامور وجوه منها قول اكثر اهل المعاني القران انما نزل
بلغة العرب فيجب ان يخاطبوا بحسب ما هو مركوز في خزانة خيالهم فلا ريب ان جل همهم مصروف الى شان الابل
فيها ياكلون ويشربون ومن اصوافها واوبارها ينتفعون عليها في متاجرهم وسبب فراقهم يحملون فحيث اراد الله سبحانه ان
ينصب لهم دليلا من مصنوعاته يمكنهم ان يستدلوا به على كمال حكمة الصانع ونهاية قدرته لم يكن شيء احضر صورة في
متخيلهم من الابل فخصها لهم ولا ريب انها من اعاجيب مصنوعات الله تعالى صورة وسيرة لما ركب فيها من التحمل والجلد ولم
السير مع كثرة الاثقال ومن البروك حتى تحمل ومن النهوض بما حملت ومن الصبر على العطش وعلى العلف القليل اياما وتشرب
الماء الكثير اذا وجدت ومنه تذللها مع قوتها للصبي او ضعيف قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى كنت مع جماعة
في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان ذلك الجمل ينعطف من تل الى تل ومن جانب الى جانب حتى وصل الى
الطريق فتعجبنا من قوة تخيله وعن بعض اهل الفراسة انه حدث عن البعير وبديع خلقته في بروكه ونهوضه عنه مثقلا
وقد نشا في بلاد لا ابل فيها ففكر ثم الكلام صار رحل فكرهم الى السماء التي منها نزول المطر الى الجبال التي هي اقرب الى
السماء واسرع لوقوع المطر عليها واحفظ للثلج الذي منه مادة العيون والانهار عند انقلاع الامطار على انها ماء منهم
ومسكنهم في الاغلب لتاجيل يجعله من تحير منبع يرد الطرف وهو كليل ثم الى الارض التي فيها نبت العشب وعليها متقلبهم
ومرعاهم فبين كيف وردت منتظمة بحسب ما انتظم في خزانة خيال العرب بحسب الاغلب ومنها ان جميع المخلوقات
متساوية في دليل التوحيد غير ممكن وكل طائفة منها تختص بالذكر ورد هذا السوال فوجب الحكم بسقوطه ولعل
في ذكر هذه الاشياء التي لا تناسب في الظاهر بينها تنبيها على ان هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون
نوع بل هو عام في الكل ومنها ان المراد بالابل السحاب على طريق التشبيه والمجاز فان العرب كثيرا ما يشبه السحاب
بالابل في اشعارهم ومنها ان تخصيص الانسان بالاستدلال منه على التوحيد يستتبع الوقوع في الشهوة والفتنة وكذا
الكفر في البساتين المنزهة والصور الحسنة فخص الابل بالذكر لان النظر فيها متمحض لداعية الحكمة وليس للشهوة فيها
نصيب على ان الف العرب بها اكثر كما مر وكذا السماء والجبال والارض دلائل الحدوث فيها ظاهرة وليس فيها نصيب
للشهوة والمراد بالنظر الى هذه الاشياء هو النظر المودي الى الاستدلال بدليل قوله كيف خلقت كيف رفعت
كيف نصبت كيف سطحت وليس في التسطيح دلالة على عدم كرية الارض لانها في النظر مسطحة وقد تكون في الحقيقة كرية
الا انها لعظمها لا تدرك تحدبها ثم امر نبيه صلعم بتذكير الامة بهذه الادلة وامثالها لان امره مقصور على كونه مذكرا
على انه لا يتخطاه الى كونه مسيطرا اى مسلطا عليهم فان اراد بالتسليط الاكراه بمعنى خلق الهداية فيهم فالاية ثابتة لان
ذلك لا يقدر عليه الا الله سبحانه وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وان اراد القتال معهم ان لم يؤمنوا فالاية منسوخة

وهذا قول كثير من المفسرين وعلى هذا فالاظهر ان يكون الاستثناء في قوله الا من تولى وكفر متصلا باعتبار الحال
فان السورة مكية ولكن بالنظر الى الاستقبال اى الا المصرين على الاعراض والكفر فانك ستصير مامورا بقتالهم مستوليا
عليهم بالغلبة والقهر وقيل هو استثناء منقطع اى لست بمستول عليهم ولكن من تولى وكفر فان لله الولاية و
القهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي هو القتل والسبي او عذاب جهنم او عذاب الدرك الاسفل وقيل هو استثناء
من قوله فذكر اى فذكر الا من انقطع طمعك عن ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويرد عليه
انه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع ايمانه عن الكفرة ما داموا احياء الا ان يعلمه الله بذلك وعلى تقدير الاعلام ايضا
لا يجوز ان يقطع التذكير والدعوة لان الدعوة عامة في الاصل ولو جعلت خاصة لم تبق مضبوطة كرخصة المنافق
ميلا ولقائل ان يلزم ان السيف منفي والتذكير غير مشروع في حقه ثم ختم السورة بما يصلح للوعد والوعيد والترغيب
والترهيب من قرا ايابهم بالتشديد فاما ان يكون فعالا مصدر ايب فيعل من الاياب واما ان يكون اصله اوابا
فعالا من اوب ثم قلبت احدى الواوين ياء ثم الاخرى كما سيد قاله جار الله وفائدة تقديم الظرف في الموضعين الحصر
اى ليس ينبغي ان يكون مرجعهم الا الى الجبار المقتدر على توفيقه جزاء كل طايفة ولا ان يكون حسابهم ولجا الا على حكم من هو احكم الحاكمين

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل
في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد
ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين
جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا
في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك
سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فاما الانسان اذا ما
ابتلىه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما
اذا ما ابتلىه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا
بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين
وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما
كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك

والملك صفا صفا ● وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان
وانى له الذكرى ● يقول يا ليتنى قدمت لحيوتى ● فيومئذ لا
يعذب عذابه احد ● ولا يوثق وثاقه احد ● يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعى الى ربك راضية مرضية ● فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى

القراءة روى ابن مهران وابن اسكندرانى عن ابن عمرو انه كان يقف على والفجر واشباهها من ذوات الراء بنقل حركة الراء الى ما قبلها كراهة اجتماع الساكنين نظيره ما روى خلف عن الكسائى انه كان يقف على عنه ومنه بنقل حركة الهاء الى ما قبلها والوتر بكسر الواو حمزة وعلى وخلف المفضل الباقون بالفتح يسرى بالواو واكرمنى واهاننى بالياء فى الحالين يعقوب والحاشى عن البزى والهوانى وابو ربيعة عن اصحابه وقرا ابو جعفر وابو عمرو ونافع وسهل يسرى واكرمنى واهاننى بالياء فى الوصل بغير ياء فى الوقف بالوادى بالياء فى الوصل ورش وعباس الباقون كلها بغير ياء فقدر بالتشديد ابن عامر ويزيد ربى بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو يكرمون ولا تحاضون وتاكلون وتحبون كلها على الغيبة ابو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون بتاء الخطاب يتحاضون بفتح التاء الفوقانية والالف من التفاعل عاصم وحمزة وعلى وخلف ويزيد لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء على والمفضل وسهل ويعقوب الآخرون بكسرهما الوقوف والفجر عشر والوتر يسر لجواز ان يكون جواب القسم المحذوف وهو لتبعثن او لتعذبن مقدارا قبل هل وبعد حجر ثم الوقف المطلق على لبالمرصاد وما قبله وقف ضرورة بعاد العماد البلاد بالواد الاوتاد البلاد الفساد عذاب لاحتمال التعليل ولما قيل ان جواب القسم قوله ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض لبالمرصاد اكرمن لابتداء شرط آخر اهانن لان كلا يحتمل معنى الردع وحقا ومعنى الروع اليتيم المسكين لما جما دكا دكا صفا صفا بجهنم الذكرى لان ما بعده مستأنف كانه قيل كيف يتذكر لحياتى احد احد المطمئنة مرضية عبادى جنتى التفسير اقسم الله تعالى بهذه الامور لما فيها من شرفها فان فيها فوائد دينية ودنيوية اما الفجر فعن بعضهم انه العيون التى تتفجر منها المياه والاظهر ما روى عن ابن عباس انه الصبح الصادق ويوافقه قوله فى المدثر والصبح اذا اسفر وفى كورت والصبح اذا تنفس وذلك ان فيه عبرة للمتامل لا يحصل من انفجار الضوء فيما بين الظلام وانتشار الحيوانات من اوكارها لطلب المعاش تشبه الموتى من قبورهم وقيل المضاف محذوف اى ورب الفجر واقسم بصلوة الفجر وخصه بعضهم بفجر النحر لانه يوم الضحايا الى القرابين وبعضهم بفجر المحرم لانه يوم من السنة وبعضهم بفجر ذى الحجة وقوله بعده وليال عشر وانكر لانها ليال معدودة من ليالى السنة او لانها تختص بفضايل كما جاء فى الخبر ما من ايام العمل الصالح فيهن افضل من عشر ذى الحجة قال اهل المعانى لو عرفت بناء على انها ليال معلومة جاز الا ان التعظيم المستفاد من التنكير يفوت حينئذ كما يفوت التناسب بين الايات اذ ذاك فقد اللام خير من وجوده مخالفا الباقية قيل انها عشر المحرم وقيل العشر الاخيرة من رمضان ولهذا سبق فيها الاعتكاف وفيها ليلة القدر قال صلعم اذا دخل العشر الاخير شد المئزر وايقظ اهله اى كف من الجماع وامر اهله بالتهجد واما الشفع والوتر فمعناهما الزوج والوتر بالفتح لغة اهل العالية وبالكسر لغة تميم واختلف المفسرون فيهما اختلافا عظيما فمنهم من حملها على الاشياء كلها لان الموجودات لا تخلو من هذين القسمين فيكون كقوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقيل الشفع صفات الخلق كالعلم والقدرة والحيوة نقايضها الجهل والعجز والموت والوتر صفات الحق وجود بلا عدم وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وحيوة بلا موت وقيل الشفع والوتر نفس العدد فكانه تعالى اقسم بالحساب الذى لا بد للخلق منه فهو فى معرض الامتنان بمنزلة العلم والبيان كقوله علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الرابع الشفع الممكنات ومن كل شيء خلقنا زوجين والوتر الواجب تعالى وتقدس الخامس الشفع الصلوات الثنائية والرباعية والوتر الثلاثية عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الصلوة منها شفع ومنها وتر السادس الشفع درجات الجنة وابوابها وهى ثمانية والوتر دركات النار وابوابها وهى سبعة السابع الشفع البروج الاثنا

عشر والوتر الكواكب السبعة الثامن الشفع الشهر يكون ثلاثين والوتر تسعة وعشرون التاسع الشفع اليدان والوتر الركوع العاشر الشفع العيون الاثنا عشرة لموسى وانفجرت منه اثنتا عشرة عينا والوتر معجزاته ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات والاظهر الاقوال ما روى عن النبى صلعم ان الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة لانه تاسع ايام الليالى المذكورة وحين اقسم بالليالى المخصوصة اقسم على العموم بالليل اذا يسر اى اذا يمضى كقوله والليل اذ ادبر وعن مقاتل هو ليل المزدلفة وعلى هذا يجوز ان يراد بالسرى الاسناد المجازى لان السارى فيه هو الحاج يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقدم ضعفة اهله فى هذه الليلة والحجر بالكسر العقل سمى بذلك لانه يمنع عن الوقوع فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة لانه يحصى اى يضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمراد بالاستفهام تقرير ان هذه المذكورات لشرفها وعظم شانها يحق ان يؤكد بمثلها المقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرت حجة يريد انه لا حجة فوق هذا ومن هنا قال بعضهم فيه دليل على انه تعالى اراد ورب هذه الاشياء ليكون غاية فى القسم ولقائل ان يقول المقسم والكفاية من العناية والنهاية ثم انه تعالى ذكر للعبرة ولتسلية نبيه صلى الله عليه وسلم قصة ثلث فرق على سبيل الاجمال لانهم اعلام فى القوة والشدة والتجبر ومعنى الم تر الم تنبه علمك اليهم علما تقريب المشاهدة لتعاضده بالوحى وبالتواتر والخطاب للنبى صلعم او لكل راء والمراد بعاد هو عقيب عاد الاولى القديمة ولهذا بين بارم لانهم اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فسموا باسم جدهم وقيل ارم بلدهم وارضهم التى كانوا فيها ولم ينصرف قبيلة او ارضا للعلمية والتانيث وقيل الارم العلم لانهم كانوا يبنون اعلاما كهيئة المنارة كقوله اتبنون بكل ريع آية وعلى هذين الوجهين يكون المضاف محذوفا اى اهل البلدة او الاعلام وعلى الوجه الاخير لا يكون لمنع الصرف وجه ظاهر لكونه اسم جنس والعماد العمود لانه ما يعمد وهو جمع عمد ثم ان كانت صفة القبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او كانوا طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة او كانت ذات البناء الرفيع فان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين ثم قيل هذه المدينة اسكندرية وقيل دمشق واعترض بان بلاد عاد كانت فيما بين عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال المسماة بالاحقاف وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر الى شداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة و اساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا ويروى انه وضع اخرى قدميه منها فامر ملك الموت بقبض روحه وروى عن النبى صلعم انه سأل ملك الموت حين عرج به الى السماء فقال هل رثيت لاحد ممن قبضت روحه قال نعم اثنان احدهما طفل ولدته امه بالمفازة ثم امرت بقبض روح امها ولم يكن هناك انسان يتعهد الطفل والثانى ملك اجتهد فى بناء مدينة لم يخلق مثلها ثم لم يرزق دخولها ونزعت روحه عند بابها فهو شداد فذكر الله نبينا صلعم ان ذلك الملك هو ذلك الطفل الذى رباه وانشاه ملك الدنيا حين قابل النعمة والملك بالكفران والطغيان فهى مفقودات الحس خرابها ما الجنة والحرمان هكذا وجدت الحكاية فى بعض التفاسير وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع على تلك المدينة فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب الاحبار فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن ابى قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ومعنى لم يخلق مثلها لانهم اطول الناس قدودا واشدهم بنى فى البلاد والكلام فى اختلاف الاحوال وجوب الصخر اى الحجر العظيم قطعه كقوله وينحتون من الجبال بيوتا والواد وادى القرى قال مقاتل وقد مر فرعون ذى الاوتاد لكثرة جنوده او لتعذيب الناس بالاوتاد الاربعة وقد مر فى ص وصب السوط كناية عن التعذيب المتواتر وفيه اشارة الى ان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الآخرة كالسوط بالنسبة الى القتل وقد اشار الى عذاب الآخرة او الى هو مع عذاب الدنيا بقوله ان ربك لبالمرصاد اى يمهل ولكنه لا يهمل والمرصاد المكان الذى يرتب فيه الرصد والباء بمعنى فى وهو مثل لعدم الاهمال وقيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرا السورة عند المنصور حتى بلغ الآية فقال

ان ربك لبالمرصاد يا اباجعفر عرض له فى هذا النداء بانه من الجبابرة الذين وعدوا بها وقال الفراء معناه اليه
المصير فيكون وعدا ووعيدا للمؤمن والكافر قال اهل النظم لما ذكر انه تع بمرصد من اعمال بنى ادم عقب بتوبيخ الانسان
على قلة اهتمامه بامر الاخرة وفرط تمادية فى اصلاح المعاش كانه قيل نحن مترقبون بمجازاة الانسان على ما سعى فاما
فانه لا يهمه الا الدنيا وطيباتها فان وجد راحة فرح بها وان مسه الضر قنط وكيد والظاهر ان الانسان للجنس وعن
ابن عباس انه عتبة بن ربيعة وعن الكلبى هو امية بن خلف ومعنى الابتلاء فى البسط والضيق هو انه سبحانه يعامل
الكلف معاملة المختبر ليظهر انه هل يتلقى النعمة بالشكر والضيق بالصبر لا كقوله ويبلوكم بالشر والخير فتنة وتقدير
الكلام واما الانسان فيقول ربى اكرمنى اذا ما ابتليه فاكرمه واما هو فيقول ربى اهانن اذا ما ابتلاه فقدر اى ضيق عليه
رزقه فقوله فيقول خبر المبتدا فى الموضعين واذا ما ابتلاه ظرف ليقول وانما قال فى جانب البسط فاكرمه ونعمه
اى جعله ذا نعمة ومشروع ولم يقل فى طرف القبض فاهانه وقدر عليه لان رحمته سبقت غضبه فلم يرد ان يصرح
باهانة عبده ولئلا يكون الكلام يعنى فى ان القبض دليل الاهانة من الله فقد يكون سببا لصلاح معاش العبد ومعاده
اما البسط فهو اكرام فى الظاهر الغالب والبسط لاجل الاستدراج قليل وعلى قلته فهو خير من خسران الدنيا
والاخرة جميعا وعلام توجه الانكار والذم فيه وجهان احدهما على قوله ربى اهانن فقط لانه سمى ترك التفضل
اهانة وقد لا يكون كذلك والثانى على مجموع الامرين لامن حيث مجموعهما بل على كل منهما انها على دعوى الاهانة
فكما قلنا واما على دعوى الاكرام فلانه اعتقد حصول الاستحقاق فى ذلك الاكرام كقوله انما اوتيته على علم عندى
وكان عليه ان يرى ذلك محض الفضل والعناية منه تعالى او لانه قال ذلك كبرا وافتخارا وتكاثرا ولان هذا
القول يشبه قول من لا يرى السعادة الا فى اللذات العاجلة او قول غفل عن الاستدراج والمكر ويحتمل ان
يتوجه الذم على مجموع الامرين من حيث المجموع حتى لو قال فى البسط اكرمنى بحمد بنعمة الله وفى القبض لم
يقل اصابنى بل قال الحمد لله على كل حال لم يكن مذموما ثم ردع الانسان عن تلك المقالة بقوله كلا اى لم ابتله
بالغنى لكرامته على ولا بالفقر لهوانه لدى ولكنهما من محض المشية او على حسب المصالح ثم نبه فى الاضراب فى
قوله بل لا تكرمون اليتيم على ان هناك شرا من ذلك القول وهو ان يكرمهم بكثرة المال ثم لا يودون حق الله فيه
عن مقاتل قال طعون يتيما فى حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه نزلت والتراث اصله الوراث نحو
تجاه ووجاه واللم الجمع الشديد ومنه كتيبة ملمومة مصدر يحمل نعتا اى اكلا جامعا لجميع اجزائه كقوله ولا تاكلوها
اسرافا وقال الحسن لانهم يجمعون نصيب اليتامى الى نصيبهم كقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم وقيل جامعا بين حلال
ما جمعه الميت وحرامه وقيل جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة اللذيذة والملابس الفاخرة كما
يفعل اهل البطالة من الوراث والجم الكثير جم الماء يجم جموما اذا كثر فهو جام وجم نهى عن التهالك والشره على
جمع المال وفى وصف الحب بالجم دلالة على ان حب المال وتعلق القلب بتحصيل ما يسد الخلة منه غير مكروه بل مندوب
اليه لبقاء نظام العالم على ان كل السلامة وجل الفراغ فى الترك كما هو شان المتوكلين ان السلامة من ليلى وجارتها
ان لا تمر على حال بواديها ولا ينبئك مثل خبير ثم ردعهم عن الفعل المذكور وذكر تحسر المعرض عن طاعة الله يوم القيمة
وجواب اذا محذوف بعد وصفا وبعد قوله بجهنم ليذهب الوهم كل مذهب اى كان ما كان من الاهوال ثم
وجئ يومئذ وعطف على ما قبله ويوقف على التقديرين على قوله بجهنم ويكون يومئذ الثانية متعلقا بما بعده و
يجوز ان يكون انتصوبا باذكر يومئذ الثانية بدلا عنه ومعنى دكا دكا بعد دك كما قيل فى لبيك اى كرر عليها
بالدك حتى صارت هباء منبثا وقال المبرد استوت الانغراس فذهب دورها وقصورها وجبالها وتلالها حتى
يصير قاعا صفصفا ولعل هذا الدك بعد الزلزلة قوله وجاء ربك اى امره بالجزاء والحساب او قهره او دلائل
تدرته ويجوز ان يكون تمثيل الهول ذلك اليوم كما اذا حضر الملك بنفسه وبجنوده كان اهيب وينزل الملائكة كلهم
صفا صفا اى مصطفين صفوفا مرتبة يروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلعم حتى اشتد على اصحابه فجاء
على كرم الله وجهه فاحتضنه وقبل عاتقه ثم قال يا نبى الله بابى انت وامى ما الذى حدث اليوم حتى غيرك فتلا عليه
الاية فقال له على كيف يجاء بجهنم قال يجىء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف سلك يقود ونها بسبعين
الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع قال الاصوليون معنى جئ بجهنم برزت واظهرت فان جهنم لا ينتقل
من مكان الى مكان قوله وانى له اى ومن اين له منفعة الذكرى وانما قدرنا المضاف احترازا من التنافى والا فلا وجه لاستثنائهم

الانكارى بعد اثبات التذكر ثم فسر التذكر بانه يقول يا ليتنى قدمت خيرا وعملا صالحا بحيوتى هذه وهى حيوة الاخرة
واللام بمعنى الوقت اى وقت حيوتى فى الدنيا وقد رجح هذا الوقت لاجل ان النار لا حيوة لهم فى الحقيقة كما قال
لا يموت فيها ولا يحيى ويمكن ان يجاب بان الحيوة الماهية للموت او التى هى اثر من الموت حيوة ايضا او بان حيوة الاخرة
يراد بها المستمر الدايم وهذا المعنى شامل لاهل النار ولاهل الجنة جميعا قالت المعتزلة فى هذا التمنى دليل واضح على
ان الاختيار كان زمامه فى الدنيا بيده ويحتمل ان يجاب بان استحالة متمناه قد يكون من جهة ان الامر فى الدنيا لم يكن
اليه ويتحسر على ذلك وقال فى التفسير الكبير فيه دليل على ان قبول التوبة لا يجب عقلا ويرد عليه انه لا يلزم من
عدم قبولها فى دار الجزاء عدم قبولها فى دار التكليف كايمان الناس من الخلق وضعف بان القيمة لا يعذب احد
سوى الله فلا يتصور لهذا النفى فايدة واجيب بان المراد لا يتولى يوم القيمة عذاب الله احد لان الامر يومئذ لله وحده
او لا يعذب احد فى الدنيا ولا يوثق مثل عذاب الله الكافر ومثل ايثاقه اياه فى الشدة والايلام وقال ابو على الفارسى
تقديره لا يعذب احد من الربانية احدا مثل عذاب هذا الانسان وهو امية بن خلف ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وفساده ومن قرا على بناء الفعل للمفعول فيهما ظاهر او الضمير فى عذابه ووثاقه للانسان ثم نبه
ويمكن ان يراد انه لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الواحدى وهذا اولى الاقوال ثم ذكر
بشارة الابرار وهو ان القول المؤمن بدايا او على لسان ملك يا ايتها النفس المطمئنة بذكر الله او بتحصيل الاخلاق
الفاضلة والعقايد الصحيحة التى تسكن النفس السليمة اليها ارجعى الى ربك الى حيث لا مالك سواه او الى ثوابه راضية
بما حكم عليك وقد مرضية عند الله نظيره رضى الله عنهم ورضوا عنه وهذه صفة ارباب النفوس الكاملة
وان كانوا بعد فى دار التكليف ولهذا رتبت على هذه الصفة قوله وادخلى فى عبادى اى فى جملة الصالحين فادخلى
جنتى وهى فى الدنيا مقام الرضا والتسليم واذا كانت قوله النفس متحلية بالكمالات الحقيقية والمعارف اليقينية
فى صورتها العاجلة كانت اهلا لهذه البشارة عند الموت وعند البعث وفى كل المواطن الى دخول الجنة وقيل انما
يقال له عند البعث والمعنى فادخلى فى اجساد عبادى يؤيده قراءة ابن مسعود فى جسد عبدى قالوا نزلت فى حمزة
بن عبد المطلب او فى حبيب بن عدى الذى صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى
عندك خير فحول وجهى قبلتك فحول تعالى وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يغيرها فان الظاهر العموم ولو سلم
فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم
لا اقسم بهذا البلد • وانت حل بهذا البلد • ووالد وما ولد
لقد خلقنا الانسان فى كبد • ايحسب ان لن يقدر عليه احد
يقول اهلكت مالا لبدا • ايحسب ان لم يره احد • الم نجعل
له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم
العقبة وما ادريك ما العقبة • فك رقبة او اطعام فى يوم ذى
مسغبة يتيما ذا مقربة • او مسكينا ذا متربة ثم كان من

الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة • اولئك اصحاب الميمنة • والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة عليهم نار موصدة

صدق

القراءة البدا بالتشديد يزيد فك رقبة او اطعم على الفعلين ونصب رقبة ابن كثير وابو عمرو وعلى الباقون على المصدرين فاضافوا الاول ونونوا الثاني اى هى الفك او الاطعام موصدة بالهمزة ابو عمرو ويعقوب وحمزة وخلف وحفص والمفضل الوقوف البلد البلد ولد كبد احد لبدا ايوم ان ما بعده صفة لبدا احد عينين وشفتين النجدين للنفي مع الفاء العقبة العقبة رقبة مسغبة مقربة متربة لان ثم لترتيب الاخبار المرحمة الميمنة المشامة موصدة التفسير انه سبحانه تغرر في هذه السورة وفي اكثر ما يتلوها من السور مراتب النفوس الانسانية واحوالها في السعادة وضدها فاكد ذلك بالاقسام بالبلد الحرام وهو مكة التى جعلها الله مثابة كل بركة وخير وقوله وانت حل بهذا البلد اعتراض بين القسمين كانه تعالى عظم مكة من جهة انه صلعم حل بها والخادم فيها وقيل الحل بمعنى الحلال انه سبحانه عجب من اعتقاد اهل مكة كيف يؤذون اشرف الخلق في موضع محرم عن تنهم حل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وقال قتادة وانت حل اى ليس باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت كما جاء في الحديث ولم يحل الى لا ساعة من نهار فان كانت السورة مكية او مدنية قبل الفتح فقوله حل بمعنى الاستقبال نحو انك ميت وانهم ميتون وكثيرا ما يرد الافعال المستقبلة في القرآن في صنع المعنى لتحقق الوقوع وان كان نحال الفتح او بعده فظاهر وعلى الاول يكون فيه اخبار بالغيب وتقدير الله فتح مكة كما وعد فيكون معجزا اما الوالد والولد فقيل ادم وذريته لكرامتهم على الله ولقد كرمنا بنى ادم وقيل كل والد ومولود وقد خص الاقسام بالصالحين لان غيرهم اولئك كالانعام بل هم اضل والاكثرون على ان الوالد ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والولد محمد صلعم كانه اقسم ببلده ثم بوالده ثم به والتنكير للتعظيم وانما لم يقل من ولد للفائدة المذكورة في قوله والله اعلم بما وضعت اى بشيء وضعته هو مولود عجيب الشان والكبد المشقة والتعب كقوله انك كادح الى ربك كدحا واصله من كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت ولا يخفى الشدائد الواردة على الانسان من وقت احيائه في الرحم وانفصاله الى زمان رضاعه ثم بلوغه ثم ورود اطوار الشباب وبوادر القضاء وعلايق التكاليف وعوايق التمدن والتعيش عليه الى الموت ثم الى البعث من المساكنة وظلمة القبر ووحشة الى الاستقرار في الجنة والنار من الحساب والعقاب والجحيم والحشر والوقوف بين يدى الجبار اللهم سهل علينا هذه الشدائد بفضلك يا كريم و [illegible] الخلاص منها الى النعيم المقيم وقيل الكبد مرض القلب وفساد العقيدة والمراد به الذين علم الله عز وجل انهم لا يؤمنون وقيل الكبد هو الاستواء والاستقامة اى خلقناه [illegible] ثم اشتق منه اسم العضو لانه [illegible] الانسان [illegible] الاديم [illegible] التفسير قوله ايحسب يعني ذلك الانسان الشديد ان لن يقدر عليه احد بسبب شدته وقوته وعلى الاول معناه لن يقدر على بعثه [illegible] يقول اهلكت مالا لبدا اى كثيرا بعضه فوق بعض وهو جمع لبدة [illegible] كان غالبا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

الاعضاء قادر على محاسبتك وعن ابن عباس وسعيد بن المسيب هما اليدان لانهما كالطريقين لحيوة الولد يغذيه هديه الله الطفل الصغير حتى لم تضعها قال القفال والتفسير هو الاول ثم قرر وجه الاستدلال به فقال ان من قدر على ان خلق من الماء المهين قلبا عقولا ولسانا قولا فهو على اهلاك ما خلق اقدر فما الحجة في الكفر بالله مع تظاهر نعمه وما العلة في التعزز على الله واوليائه بالمال وانفاقه وهو المعطى والممكن من الانتفاع به ثم عرف عباده وجوه الانفاق الفاضلة تعريضا بان ذلك الكافر لم يكن انفاقه في وجه مرضى وعلى وجه معتد به الا بنيانه قبول الطاعة على الايمان الذى هو اصل الخيرات والاقتحام الدخول بشدة ولهذا يستعمل في الاخطار والاهوال والعقبة في الجبل وعن ابن عمر هي جبل ذلال في جهنم وعن مجاهد والضحاك هي الصراط يضرب على جهنم وهي معنى قول الكلبي عقبة بين الجنة والنار وزيف الواحدي وغيره هاتين الروايتين بانه من المعلوم ان هذا الانسان وغيره لم يقتحموا العقبة بهذا المعنى وبان تفسير الله سبحانه العقبة عقيبه ينافيه وعن الحسن عقبه والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه عدوه الشيطان قال النحويون قلما يوجد لا الداخلة على الماضي الا مكررة كقوله فلا صدق ولا صلى ويقول لا احسن ولا دبق والقرآن افصح الكلام فهو اولى برعاية هذه القاعدة والجواب ان القرآن حجة كافية ولو سلم فهي مكررة في المعنى قال الزجاج الا ترى انه فسر العقبة بفك الرقبة والاطعام فكانه قيل فلا فك ولا اطعم مسكينا ولا يتيما فيمن قرأ فك واطعم على الابدال من اقتحم وجعل ما بينهما اعتراضا ويجوز ان فلا اقتحم العقبة ولا امن بدليلة قوله ثم كان من الذين امنوا ومن قرأ فك واطعام على المصدرين فالفاعل محذوف وهو من خواص المصدر لا يجوز حذف الفاعل من غيره والتقدير فك قال رقبه او اطعام مطعم يتيما والمسغبه مصدر على مفعلة من سغب اذا جاع وكذا المقربة من قرب في النسب والمتربة من ترب اذا افتقر والتصق بالتراب فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطيه عن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى ماواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة مجازا باعتبار صاحبه نحو نهاره صائم وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل يدخلنى الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها ان ينفرد بعتقها وفكها ان يعين في تخليصها من قود او غرم وقد استدل ابو حنيفة من تقديم العتق على انه افضل من الصدقة وعند بعضهم بالعكس لان في الصدقة تخليص النفس من الاشراف على الهلاك فان قوام البدن بالغذاء وفي العتق تخليصها من القيد في الاغلب وايضا فلعل الامر في الاول اصدق ولا شك ان اطعام اليتيم القريب افضل من اليتيم الاجنبى وقد يستدل الشافعى بانه المسكين احسن حالا من الفقير وانه قد يكون بحيث يملك شيئا والا وقع قوله متربة تكرارا وقال بعض اهل التاويل فك الرقبة اى يقى المرء نفسه على اقامة الوظايف الشرعية ليتخلص بها عن النار وعندى هو ان يفك رقبته عن تعلق الكونين لئلا يلزم عليه زوال ملكه الحرص المستتبع لمواتاة النفس على الاطعام والايثار في قوله ثم كان وجوه احدها ان هذا التراخي في الذكر لا في الوجود فان الايمان مقدم على جميع الخصال المعتد بها شرعا فهو كقوله شعر

ان من ساد ثم ساد ابوه • ثم قد ساد قبل ذلك جده •

اى ثم اذكر انه ساد ابوه وثانيها التاويل العاقبة اى ثم كان في عاقبة امره فمن يموت على الايمان وثالثها ان الاية نزلت فيمن اتى بهذه الخصال قبل ايمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم امن به بعد مبعثه فعند بعضهم يثاب على تلك الطاعات يدل على ما روى ان حكيم بن حزام بعد ما اسلم قال لرسول الله صلعم انا كنا ناتى باعمال الخير في الجاهلية فهل لنا منها شئ فقال صلعم اسلمت على ما قدمت من الخير ورابعها وهو اولى الوجوه عند اصحاب المعاني ان المراد تراخي الرتبة والفضيلة لان ثواب الايمان اكثر من ثواب العتق والصدقة وقد توجه البيت المذكور على هذا بان المراد ثم ساد ابوه مع ذلك ثم ساد جده ما ذكر ولا ريب ان مجموع الامرين والامور اشرف من ان ساد هو بنفسه فقط وحين ذكر خصال الكمال عقبه بما يدل على التكميل قائلا وتواصوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على التكاليف الشرعية وعلى البلايا والمحن التى قلما يخلو المؤمن عنها وتواصوا بالمرحمة اى التعاطف والتراحم كما قال نبينا صلعم لا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا اخوانا متعاضدين في الاية نكتة لطيفة وهى انه سبحانه ذكر في باب الكمال امرين فك الرقبة والاطعام ثم الايمان وذكر في باب التكميل شيئين التواصى بالصبر على الوظايف الدينية والتواصى بالتراحم وكل من النوعين مشتمل على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله الا انه في الاول قدم جانب الخلق وفي الثاني قدم جانب الحق ففي الاول اشارة الى كمال رحمته ونهاية عنايته بالمخلوقات كان رعاية مصالحهم عنده اهم وفي الاخرة رمز الى حسن الادب وتعليم للمكلفين ان يعرفوا ما هو الاقدم الاهم في نفس الامر

زادنا الله اطلاعا على دقايق هذا الكتاب الكريم قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة قد مر في اول الواقعة تفسيرهما قال اهل اللغة اوصدت الباب واصدته بالواو وبالهمز اى اطبقته واغلقته قال مقاتل فلا يخرج احد منها ولا يدخل روح فيها والايصاد بالحقيقة صفة ابواب النار اى موصدة ابوابها فهو من الاسناد المجازي وقيل اراد احاطة النار بهم من

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحها • والقمر اذا تلها • والنهار اذا جلها • والليل اذا يغشها • والسماء وما بنها • والارض وما طحها • ونفس وما سوها • فالهمها فجورها وتقوها • قد افلح من زكها • وقد خاب من دسها • كذبت ثمود بطغوها • اذ انبعث اشقها • فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيها • فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوها • ولا يخاف عقبها •

القراءة تلها وطحها مثل دحيها في النازعات فلا يخاف بالفاء وضم الباء ابو جعفر ونافع وابن كثير **الوقوف** وضحها تلها جلها يغشها بنها طحها سوها تقوها بناء على ان قد افلح جواب القسم و اللام محذوف اى لقد افلح وقد قيل ان جواب القسم محذوف قبل قد افلح وهو ليغشين او ليدمدم بدلالة قصة ثمود فله ان يقف زكها دسها بطغوها لان الظرف يتعلق بتكذيب او بالطغوى اشقها وسقيها فسوها عقبها **التفسير** قال النحويون اما في ناصب اذا في قوله اذا تلها وما بعده اشكال لان ما سوى الواو الاولى ان كررت للقسم لزم اجتماع اقسام كثيرة على مقسم به واحد وهو مستكره عند الخليل وسيبويه لان استينافه قسم اخر دليل على ان القسم الاول قد استوفى حقه من الجواب فيلزم التغليظ وان كن عاطفة لزم العطف على عاملين بحرف واحد و ذلك ان حرف العطف ناب عن واو القسم النايب عن الفعل المتعدي بالباء فكان واو القسم يعمل الجر في القسم والنصب في الظرف انا قلت مثلا ابتداء والليل اذا يغشى لقيامه مقام قولك اقسم بالليل اذا يغشى فكذا حرف العطف النايب منابه نظيره قولك ضرب زيد عمروا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب قال بعض المتكلمين المضاف في هذه الاقسام محذوف تقديرها ورب الشمس الى اخرها وزيف بلزوم التكرار في قوله وما بناها وما بعده واجيب بان ما في بناها وما بعده مصدرية واعترض عليه بالكشاف بانه يلزم من عطف قوله فالهمها على قوله وما سوىها فساد النظم فالوجه ان يكون ما موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الذى سواها على انه قد جاء مستعملا في من كقولهم سبحان من سخر لنا اما الذين لم يقدروا المضاف فاورد عليهم انه يلزم تاخير القسم برب السماء والجواب ان الله عز وجل فاملا اراد ان يتدرج من المحسوسات الى المعقولات ومن المصنوعات الى الصانع ولا يخفى ان اعظم المحسوسات واظهرها هو الشمس فذكرها سبحانه مع اوصافها الاربعة الدالة على عظمتها فاول الاوصاف الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار وثانيها تلو القمر لها غاية في منتصف الشهر او تلوه في اخذ الضوء عنها وفي غروبه ليلة الهلال بعدها قاله قتادة والكلبي وقيل في كبر الجرم بحسب الحس

وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته والثالث والرابع بروزها بمجي النهار واختفاؤها بمجي الليل ثم ذكر ذاته المقدسة و عقبه بانواع تدابير في السماء والارض في البساط وما يترك منها واشرفها النفس ولنشتغل بتفسير بعض الالفاظ قال الليث الضحو ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالمد اذا امتد النهار وقرب ان ينتصف وتلاها تبعها باحد المعاني المذكورة والتجلية والكشف والعيان والضمير في جلاها للشمس في الظاهر على ما قال الزجاج وغيره لان النهار كلما كان اصفى نورا كانت الشمس اجلى ظهورا فان قوة الاثر وكماله وكان النهار يبرز الشمس ويظهرها وذهب جم غفير الى ان الضمير يعود الى الظلمة او الدنيا او الارض بدلايل قراين الاحوال وسياق الكلام ولعل الوجه الاول اولى لان عود الضمير الى المذكور اقرب منه الى المقدر ولانه يلزم تفريق الضماير فان الضمير في يغشاها للشمس لاتفاق وكذا في ضحاها وتلاها لان غشيان الليل الشمس عبارة عن ذهاب الضوء وحصول الظلمة بسبب غيبة الشمس في الافق وكذا تجلية النهار اياها يجب ان يكون اشارة الى كمال الضوء وظهور الجنس بواسطة ظهور الشمس فوق الافق والحاصل ان الذهن كما ينتقل من عدم الاثر الى عدم المؤثر فجعل كان لعدم الاثر تاثيرا في عدم المؤثر فكذلك ينتقل وجود الاثر علة للعلم بوجود المؤثر وهذا معنى كون النهار مجليا للشمس والطحو مثل الدحو وقد مر في النازعات اى بسطها على الماء وتنكير النفس اما للتنويع اى نفس خاصة من بين النفوس وهي النفس القدسية النبوية التي تصلح لرياسة ما سواها من النفوس واما للتكثير على الوجه المذكور في قوله علمت نفس ما احضرت وتسويتها اعطاء قواها بحسب حاجتها الى تدبير البدن وهي الحواس الظاهرة والباطنة والقوى الطبيعية المخدومة والخادمة وغيرها فالهمها فجورها وتقواها قالت المعتزلة هو كقوله وهديناه النجدين اعلمناه وعرفناه سلوك طريق الخير والشر ويعضده ما بعده قد افلح من زكاها وقد خاب من دسها والتدسية ضد التزكية واصل دسى احد حرف التضعيف ياء كما في تظننت والتدسيس مبالغة الدس وهو الاختفاء في التراب قال العزيز ام يدسه في التراب والضمير في زكى ودسى لمن وقال اهل السنة الضميرات لله تعالى ومن عبارة للنفس والمعنى قد سعدت نفس زكاها الله تعالى وخلقها طاهرة وخابت نفس دساها الله وخلقها كافرة فاجرة وقد يروى هذا الوجه عن سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومقاتل والكلبي قالوا اصل الالهام من قولهم لهم الشي والتهمه اذا ابتلعه والهمته اياه اى ابلعته ذلك فالالهام الابلاغ اى وضع الايمان في قلب المؤمن والكفر في قلب الكافر ثم وعظهم بقصة ثمود لقربها من ديارهم ولاهل التاويل ان يقولوا انما خص هذه القصة لان ناقة الله هي البدن وعقرها صالح عن الروح فلما كانت قصة ثمود مناسبة لاحوال النفس الانسانية كما مرت في التاويلات وكانت هذه السورة مسوقة لشان مراتب النفس في السعادة والشقاء حسب القصة بالذكر لذلك وعلى هذا التاويل قد يراد بالشمس تجلي النفس الناطقة على البدن بالتدبير الكامل بالقمر الروح الحيواني وبشمس المعرفة وقمر المكاشفة ونهار الصحو وليل المحو وسماء الروح وارض القلب كما مر مرارا والطغوى اسم من الطغيان كالتقوى من الوقاية قلبت ياؤه واوا فرقا بين ماهو اسم وبين ما هي صفة في قولهم امراة خزيا وصديا والباء للالة اى فعلت التكذيب بواسطة طغيانها وقيل المضاف محذوف والمجموع صفة العذاب والباء للالصاق اى كذبت ثمود بما اوعدت من العذاب ذى الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية والاول اصح لئلا يكون قوله فكذبوه تكرارا ومعنى انبعث تحركت داعيته وقوي عزمه على العقر واشقاها عاقر الناقة قدار بن سالف وهو مع من ساعده على ذلك فان فعل التفضيل يجوز ان لا يفرق فيه بين الواحد والجمع وعلى هذا يجوز ان يكون الضمير في لهم عايدا الى جماعة الاشقياء وعلى الاول يكون عايدا الى قوم صالح وناقة الله نصب على التحذير اى احذروا عقرها وسقيها ولا تعتدوا فيها فان لها شربا ولكم شرب فكذبوه فيما وعدهم به من نزول العذاب اى ضلوا فعقروا الناقة فدمدم اى فاطبق عليهم العذاب قالوا وهو تضعيف من قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم والباقي بذنبهم للسببية فسوى الدمدمة بينهم بحيث لم يهرب منها احد ولا يخاف عاقبتها كما يخاف ملوك الدنيا فيحترز ذلك عن اشقياء العقوبة وجوز ان يكون الضمير لثمود اى فسواها بالارض او في الهلاك ولا يخاف تبعة هلاكها وهو تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

والليل اذا يغشى ۝ والنهار اذا تجلى ۝ وما خلق الذكر
والانثى ۝ ان سعيكم لشتى ۝ فاما من اعطى واتقى ۝ و
صدق بالحسنى ۝ فسنيسره لليسرى ۝ واما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى ۝ فسنيسره للعسرى ۝ وما يغني عنه
ماله اذا تردى ۝ ان علينا للهدى ۝ وان لنا للاخرة والاولى
فانذرتكم نارا تلظى ۝ لا يصليها الا الاشقى الذي كذب
وتولى ۝ وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى ۝ وما لاحد
عنده من نعمة تجزى ۝ الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى ۝

القراءة نارا تلظى بتشديد التاء الادغام البزى وابن فليح الوقوف يغشى تجلى والانثى لشتى
واتقى بالحسنى لليسرى واستغنى بالحسنى للعسرى تردى للهدى للعطف مع رعاية جانب
ان الوصل اجوز لاتمام الكلام والاولى تلظى لان ما بعده صفه او استيناف الاشقى وتولى الاتقى يتزكى
لان ما بعده استيناف او حال تجزى الاعلى لاختلاف الجملتين يرضى التفسير هذه السورة باتفاق كثير من المفسرين
في ابي بكر رض وفي سفيان بن حرب او امية بن خلف الا ان المعنى على العموم لقوله تعالى ان سعيكم لشتى فانذرتكم
ومفعول يغشى محذوف وهو اما الشمس كقوله والليل اذا يغشاها او الظلمة او كل شيء ويمكن تواريه بالظلام اقسم سبحانه
بالليل والنهار الذين بتعاقبهما يتم امر المعاش والراحه مع انهما ايتان في انفسهما ومعنى تجلى ظهر بزوال الظلمه الليل وبين
بطلوع الشمس ثم بذاته الذي خلق كل شيء ذي روح لان ذا الروح اما ذكر او انثى والخنثى المشكل معين في علم الله وان كان
مبهما في علمنا ولهذا قال الفقها لو حلف بالطلاق انه لم يلق بعد ذلك ذكرا ولا انثى فقد لقي خنثى مشكلا حنث وقيل هما
ادم وحوى وشتى جمع شتيت وهو التفرق المختلف بين اختلاف الاعمال في ذاتها وفيما يرجع اليها في العاقبة من الثواب
والعقاب والتوفيق والخذلان عن علي رضي الله عنه انه قال خرجنا مع رسول الله صلعم في جنازة فقعد رسول الله وقعدنا
حوله فقال ما منكم من نفس منفوسة الا وقد علم مكانها من الجنة والنار فقلنا يا رسول الله الا نتكل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق
له ثم قرا فاما من اعطى يعني حقوق ماله واتقى المحارم وصدق بالخصله الحسنى وهو الايمان او كلمة الشهادة او بالملة الحسنى
او بالمثوبة فسنيسره فسنهيئه للطريقة اليسرى يقال يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومعنى استغنى انه رغب
عما عند الله كانه مستغن او استغنى باللذات العاجلة عن الاجلة والتحقيق فيه ان الاعمال الفاضلة اذا واضب المكلف
عليها حصل في نفسه ملكه نورانيه يسهل بها عليه سلوك سبيل الخيرات بصيرا الكلفه طبعا والتعب راحة والتكليف
عاده ولان هذه الملكه تحصل بالتدريج فلا جرم ادخل الفاء في فسنيسره ومن فسر اليسرى بالجنة فمعنى الاستقبال
عنده واضح والرذايل بالضد حتى يصير النفس من الكسل بحيث لا توافق صاحبها الا في مواجب الكسل وجذب الراحات
العاجلة وانها لكبيرة الا على الخاشعين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى ويقرب مما ذكرنا قول القفال ان كل ما ادت عاقبته
الى يسر وراحة وامور محموده فان ذلك من اليسرى وذلك وصف كل الطاعات وكل ما ادت عاقبته الى عسر وتعب
فهو من العسرى وذلك وصف كل المعاصي ومن جملة اليسرى الجنة رزقنا الله نعيمها ومن جملة العسرى النار اعاذنا الله
من عذابها استدل بعض الاشاعرة بقوله فسنيسره للعسرى على انه تعالى قد يخلق القبايح في المكلف ويقويه ويعينه
على فعلها والمعتزله عبروا عن هذا التيسير بالخذلان وعن الاول بمنح الالطاف والتوفيق ثم وبخ هذا الكافر بقوله وما يغني

منه ماله وهو استفهام في معنى الانكار او نفي اي لا ينفعه ماله الذي بخل به اذا تردى اي مات في الردى وهو الهلاك ويجوز
ان يكون من قولهم تردى من الجبل اي تردى في الحفره اذا اقبر في قعر جهنم استدل المعتزله بقوله ان علينا الهدى
على انه تعالى ازاح الاعذار وما كلف المكلف الا في وسعه وطاقته وعلى انه يجب على الله الهدايه وعلى ان العبد
لو لم يكن مستقلا بالايجاد لما كان في وضع الدلايل فايده واجوبه اهل السنه عن المسايل الثلث معلومه ونقل الواحدي
عن الفراء وجها اخر وهو ان المراد ان علينا للهدى والاضلال فاقتصر كقوله سرابيل تقيكم الحر واكدوا ذلك ما روي
عن ابن عباس في رواية عطاء ان معنى الاية ارشد اوليائي الى العمل بطاعتي واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي ثم بين
بقوله وان لنا للاخرة والاولى ان لله كل ما في الدنيا والاخرة فلا يضره عصيان العاصين ولا ينفعه طاعة المطيعين
وانما يعود ضره او نفعه اليهم ويمكن ان يراد ان سعادة الدارين يتعلق بمشيته وارادته فيعطي الهداية من يشاء و
يمنعها من يشاء والاول وفق للمعتزله والثاني للاشاعرة ثم ذكر نتيجة المواعظ المذكوره قايلا فانذرتكم يعني اذا عرفتم
هذه البيانات الوافية والتقريرات الشافيه فقد صح اني انذرتكم ويجوز ان يراد بالمضي تحقيق الوقوع والمعنى على
الاستقبال اي اذا تقررت مراتب النفوس الانسانيه وعرفتم درجاتها ودركاتها فاني انذرتكم ويجوز ان يراد بالمضي
تحقيق الوقوع والمعنى على الاستقبال اي اذا تقررت مراتب النفوس الانسانيه وعرفتم درجاتها ودركاتها فاني
انذرتكم نارا تلظى تلتهب وتتوقد واصله تتلظى حذف احد التائين ثم ان كان المراد بالاشقى هو سفيان وامية
وبالاتقى هو ابا بكر رض فلا اشكال ويتناول الاية غيرهم من الاشقياء والاتقياء بالتبعيه اذ لا عبرة بخصوص
السبب وان كان المراد اعم فاذا ويديهم الشقي والتقي فلا اشكال ايضا وان اريد حقيقة افعل التفضيل فاما ان يراد نار
مخصوصه بدلالة التنكير واما ان يراد بالاشقى الكافر على الاطلاق لانه اشقى من الفاسق واما الكلام في الاتقى فقوله
انه لا يلزم من تخصيصه بالذكر نفي ما عداه وقال صاحب الكشاف هذا الكلام وارد على سبيل المبالغة فجعل الاشقى مختصا
بالصلي كان النار لم تخلق الا له وجعل الاتقى مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وجعل الاتقى مختصا بالنجاه كان الجنه
لم تخلق الا له وقوله يتزكى اي تطلب ان يكون عند الله زاكيا وهو من الزكوة لا محل له لانه بدل من يوتي والصلة لا محل لها الا انها
كبعض الكلمة وهو منصوب على الحال قال بعض المفسرين ان بلالا كان يعذب في الله وهو يقول احد احد فسمع بذلك
ابو بكر رض فحمل رطلا من ذهب فابتاعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر الا ليد كانت لبلال عنده فنزل وما لاحد
عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وقال اكثر النحويين هذا الاستثناء منقطع لان ابتغاء ليس من جنس النعمة وقال الفراء
هو مفعول له اذ يؤتي على المعنى ان لا ينفق ماله الا ابتغاء رضوان الله لكانا فعمه فلسوف يرضى على الله او يرضى
الله عنه فيكون راضيا مرضيا واعلم ان الشيعة زعموا ان السورة نزلت في علي كرم الله وجهه لقوله يتزكى وقوله في
موضع اخر ويؤتون الزكوة وهم راكعون وقال بعض اهل السنة انها تدل على افضلية ابي بكر رض لانه قال في وصف
علي وساير اهل البيت ويطعمون الطعام الى قوله انا نخاف وذكر في صفة ابي بكر انه لا ينفق الا لوجه الله من غير
شايبه رغبه او رهبه وهذا المقام اعلى واجل وعندي ان مثل هذه الايات لا تصلح لترجيح اكابر الصحابة بعضهم
على بعض وان نزول ۝ السورة في الشخص الفلاني ۝ مبني على الرواية ولا سبيل ۝ للاستدلال اليه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم
والضحى ۝ والليل اذا سجى ۝ ما ودعك ربك وما قلى ۝ وللاخرة
خير لك من الاولى ۝ ولسوف يعطيك ربك فترضى ۝ الم يجدك

يتيما فاوى ● ووجدك ضالا فهدى ● ووجدك عائلا فاغنى ●
فاما اليتيم فلا تقهر ● واما السائل فلا تنهر ● واما بنعمة ربك فحدث ●

القراءة سجا شل ديها في والنازعات الوقوف والضحى سجى قلى الاولى فترضى فاوى فهدى فاغنى فلا تقهر فلا تنهر فحدث التفسير الاكثرون على ان المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتظهر سلطانها وقيل هو النهار كله لاقترانه بالليل في القسم وهو ضعيف لان معنى سجا سكن ويستقر ظلامه او سكن الناس فيه فيكون الاسناد مجازيا يقال سجا البحر اذا سكنت امواجه وطرف ساج اي ساكن فاتر ولا ريب ان سجو الليل وقت استيلاء الظلام منه لا كله فهو بمنزلة الضحى من النهار وههنا لطايف الاولى قدم ذكر الليل في السورة المتقدمة وعكس ههنا لانفراد كل منهما بفضيلة مخصوصة فالليل للراحة والنهار لا نظام امر المعاش فقدم هذا عن ذاك تارة وبالعكس اخرى ليلا يخلو شيء من النوعين من فضيلة التقديم وايضا تلك سورة ابي بكر وقد سبقه كفر يشبه الليل في الظلمة وهذه سورة محمد ولم يسبقه كفر طرفة عين ولا اقل من ذلك فبدأ بالنهار الذي هو مشابه للايمان فان ذكرت الليل اولا وهو ابو بكر ثم صعد وحدث بعده النهار وهو محمد وان ذكرت الضحى اولا وهو محمد ثم نزلت وجدت بعده الليل وهو ابو بكر من غير واسطة بينهما كما وقع في نفس الامر وكما ثبت من قصة الغار الثانية ما الحكمة في تخصيص القسم في اول هذه السورة بالضحى والليل اذا سجى والجواب لان ساعات النهار كلما ينقص فان ساعات الليل تزداد وبالعكس فلا تلك الزيادة لهوى ولا ذاك النقصان لقلى بل للحكمة فكذا الرسالة وانزال الوحي بحسب المصالح فمرة انزال ومرة حبس لا عن الهوى ولا على القلى واما السبب في الاقسام بهما فلان الكفار لما ادعوا ان ربه ودعه وقلاه وقد ثبت ان البينة على المدعي واليمين على من انكر قالوا انهم هاتوا الحجة فعجزوا فلزمه اليمين بانه ما ودعه ربه وما قلاه وفيه ان الليل والنهار لا يسلمان من الزيادة والنقصان فكيف الطمع ان يسلم على الخلق وفيه ان الليل زمان الاستيحاش والنهار وقت الاجتماع والمعاش فكانه قيل الاستبشار وا فان بعد الاستيحاش بسبب انقطاع الوحي يظهر ضحى بنزول وفيه ان الضحى لما كان وقت موعد موسى لمعارضه السحرة كما قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى شرفه الله بان اقسم فيعلم منه ان فضيلة الانسان لا تضيع ثمرتها وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ان الذي قلب قلوب السحرة حتى سجدوا يقلب قلوب اعدائك حتى يسلموا وفيه ان الضحى وهو ساعة من النهار يوازي جميع الليل كما ان محمدا وامته يوازي جميع الانبياء واممهم وفيه ان النهار وقت السرور والاجتماع والليل وقت الغموم والوحشة ففي الاقتصار على ذكر الضحى اشارة الى ان غموم الدنيا ادوم من سرورها يروى ان الله حين خلق العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا امطر واجيب ان امطري الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ماذا امطر فاجيب ان امطري ساعة فلهذا السبب يرى الهموم دائمة والافراح نادرة وفي تقديم الضحى على الليل اشارة الى ان الحيوة اولى للمومن من الموت الى ان يحصل كمالاته الممكنة له وايضا انه ذكر الضحى حتى لا يحصل الياس من روحه ثم عقبه بالليل حتى لا يحصل الامن من مكره الثالثة لا استبعاد فيما يذكره الوعاظ من تشبيه وجه محمد بالضحى وشعره بالليل اشارة الى انه سيعود غربتها او الضحى كمال العقل والليل وقت السكون في القبر او اراد اقسم بعلانيتك التي ترى عليها الخلق غيبا وسرك الذي لا يعلم عليه عالم الغيب غيبا قال المفسرون ابطا جبرئيل عن النبي صلعم اثني عشر يوما عن ابن جريج او خمسة عشر عن الكلبي او خمسة وعشرين يوما عن ابن عباس او اربعين عن السدي ومقاتل والسبب فيه ان اليهود سالوه عن ثلث مسائل كما مر في الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله او لان جروا للحسن والحسين كان في بيته او لانه كان فيهم من لا يقلم الاظفار فزعم المشركون ان ربه ودعه وصح قلاه وذكر ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت السورة والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك فقد بالغ في تركك والقلى البغض وحذف المفعول عن قلاك واواك وهداك واغناك للفاصلة مع دلالة قرينة الحال والمقال والذي قال ان النبي صلعم شكا الى خديجة ان ربي ودعني وقلاني ان ثبت فمحمول على انه اراد امتحان خديجة ليعلم بعد عذرها في المعرفة والعلم كما روي انها قالت والذي بعثك بالحق ما ابتداك الله بهذه الكرامة الا وهو يريد

ان يتمها لك ثم زاده تشريفا بقوله وللاخرة خير لك من الاولى يعني ان هذا التشريف وهو ان اعلام ان ما القاه الجاه فيما بينهم من التوديع والقلى بهت بحت وان كان تشريفا عظيما الا ان الذي اعلاه امره وفي تخصيص الخطاب اشارة الى ان في امته ان كانت الاخرة شرا له الا ان الله ستر عليهم ونظيره قول موسى ان معي ربي سيهدين لانه كان في قومه من لم يكن لايقا بهذا المنصب وحين لم يكن في الغار الا نبي او صديق قال نبينا صلعم لا تحزن ان الله معنا يروى ان موسى خرج للاستسقاء ومعه الالوف ثلثة ايام فلم يجدوا الاجابة فسال موسى عليه السلم عن سبب ذلك فقال ان في قومك نماما فسال موسى من هو فقال تعالى اني ابغضه فكيف اعمل عمله فما مضت مدة حتى نزل الوحي بان ذلك النمام قد مات وهذه جنازة في الموضع الفلاني فذهب موسى الى ذلك الموضع فاذا فيه سبعون من الجنائز بهذا ستره على اعدائه فكيف على اوليائه وههنا لطيفة وهي انه تعالى رد الوفا من المطيعين لمذنب واحد وههنا يرحم الوفا من المذنبين لمطيع واحد دليله قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فلعله بين ان الاخرة خير له عقبه ببيان تلك الخيرية وهي رتبة الشفاعة يروى عن علي كرم الله وجهه انه قال اذن لا ارضى وواحد من امتي في النار وعن جعفر الصادق رضي الله عنه رضى جدي ان لا يدخل النار موحد وقال ابن عباس هو الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك وفيها ما يليق بها واللام في ولسوف خالصة للتاكيد دون الحال كانه قيل للموعود كاين لا محالة وان تاخر زمانه بحسب المصلحة وقال في الكشاف تقديره ولانت سوف يعطيك لان اللام لا يدخل على المضارع الا مع نون التاكيد وفيه نظر ثم عدد بعض نعمه التي انعم بها عليه قبل الرسالة فكانه قال ما تركناك وما قليناك قبل ان اخترناك واصطفيناك اتظن انا بعد الرسالة نتركك ونخذلك قال اهل الاخبار ان عبد الله بن عبد المطلب توفي وام رسول الله حامل به ثم ولد رسول الله فكان مع جده عبد المطلب وامه امنة فهلكت امه وهو ابن ست سنين فكان مع جده ثم هلك جده بعد سنتين فكفل ابو طالب رسول الله الى ان ابتعثه الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة وعطفه الله عليه فاحسن تربيته وذلك قوله فاوى اي جعل لك من ياوي اليك وهو ابو طالب وفي تفسير الضلال قولان الاول انه الضلال عن الدين فقال السدي والكلبي كان على دين قومه اربعين سنة والشافعي وعليه الجمهور انه ما كفر بالله طرفة عين والمراد الضلال عن معالم الشريعة الحنيفية كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فاتى ابو جهل على ناقة ومحمد بين يديه يقول لا تدري ماذا نرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال لاني انخت الناقة ان يقوم فلما اركبته امامي قامت الناقة فكان الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يكون خلف المقتدي قال ابن عباس رده الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى حين رباه على يد عدوه وقيل اضلته حليمة عند باب مكة فظمته وجاءت بردده على عبد المطلب تحت نخلات هبل وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام وسمعت صوتا انما هلاكنا بيد هذا الصبي وروي مرفوعا انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي ضايع كاد الجوع يقتلني فهداني الله يعني حديث ابي جهل المذكور وقيل ضالا اي مغمورا بين الكفار من قبل الماء في اللبن وقيل تحيرا في الاستثناء والمعنى وجد قومك ضالا فهداهم بك وقيل كنت منفردا عن اختلاط اهل الضلال فهداك الى الاختلاط بهم والى دعوتهم وقيل عن الهجرة او القبلة او عن معرفة جبرائيل اول مرة او عن امور الدنيا او عن طريق السموات فهداك ليلة المعراج وقيل الضلال المحبة انك لفي ضلالك القديم فهداك الى وجه الوصول الى المحبوب وهو المراد بالسلوك روي عن علي رضي الله عنه انه قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي يا علي مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشبان فلما اتيت اول دار من دور مكة سمعت الدفوف والمزامير فقالوا فلان بن فلان تزوج بفلانة فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم قلت ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ما هممت بعدهما بشيء حتى اكرمني الله برسالته والعايل في الاصل كثير العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال لان الفقر من لوازم العول اغناه الله بتربية ابي طالب اغناه بمال خديجة يروى انه صلعم دخل على خديجة وهو مغموم فقالت له ما لك فقال الزمان زمان قحط فان انا بذلت المال ينفد مالك فاستحيي منك وان انا لم ابذل خفت الله فدعت قريشا وفيهم الصديق قال الصديق فاخرجت دنانير حتى بلغت مبلغا لم يقع بصري على من كان جالسا قدامي ثم قالت اشهدوا ان هذا المال ماله ان شاء فرقها وان شاء امسكها واما في زمان الرسالة فاغناه بمال ابي بكر ثم امر بالهجرة واغناه باعانة الانصار حسبك ومن اتبعك من المومنين ثم اغناه بما افاء عليه من الغنايم قال صلعم رزقي تحت ظل رمحي وبعض هذه الامور وان كانت بعد نزول السورة الا ان معلوم الله كالواقع فيكون

من قبيل الاخبار بالغيب وقد وقع فيكون معجزا وقيل الغنا هو القناعة وغنى القلب كان صلعم يستوى عنده الحجر والذهب
قال اهل التحقيق الحكمة فى يتم النبى صلعم ان يعرف قدر الايتام فيقوم بامرهم وان يكرم اليتيم لمشاركته له فى الاسم كما قال
صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له فى المجلس وفيه انه لا يعتمد من اول عمره الى اخره على احد
سوى الله فيحصل له فضيلة التوكل كما قال جده ابرهيم صلوات الرحمن عليه حسبى من سوالى علمه بحالى وفيه ان اليتيم منقصة
ومذلة فاذا صار مع ذلك اكرم كان من جنس المعجزات يروى انه صلعم قال سالت ربى مسئلة لوددت انى لم اسالها قلت اتخذت ابرهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال واعطيت سليمان كذا وكذا فقال الم يجدك يتيما فاويتك الم اجدك
عايلا فاغنيتك قلت بلى قال الم نشرح لك صدرك الى اخره قلت بل اقول ان صح اسناد هذا الحديث وجب حمله على الشكاية
مع الله والى الله لا عن الله فان الاول قد يتفق للعارفين فى مقام الانبساط والقبض دون الثانى وحين اذكره الله تعالى
نعمه حتى لا ينسى نفسه اوصاه بان يعامل مع الخلق مثل معاملة الله معه فقال فاما اليتيم فلا تقهر اى فلا تغلبه على
ماله وحقه لضعف حاله وانتصاب اليتيم بالفعل بعده والفاء ليلازم ما بعدها ما قبلها وقرئ فلا تكهر اى لا تعبس فى وجهه يروى
انها نزلت حين صياح النبى صلعم على ولد خديجة واذا كان العتاب لمجرد الصياح او العبوس فكيف اذا اذاه او اكل ماله عن انس
مرفوعا اذا بكى اليتيم وقعت دموعه فى كف الرحمن فيقول الله تعالى من ابكى هذا اليتيم الذى واريت والده فى التراب من
اسكته فله الجنة ويروى انه صلعم كان جالسا فجاء عثمان بعذق من تمر فوضعه بين يديه فاراد ان ياكل فوقف سايل بالباب
فقال رحم الله عبدا يرحمنا فامر بدفعه الى السايل فكره عثمان ذلك واراد ان ياكله النبى فخرج واشتراه من السائل ففعل
ذلك ثلث مرات الى ان قال النبى اسايل انت ام بايع فنزل واما السائل فلا تنهر اى فلا تزجر وعن النبى صلعم اذا رددت السايل
ثلثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره قال العلماء اما انه ليس بالسايل المستجدى ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره ثم امره بان يحدث
الناس بما انعم به عليه من الايواء والهداية والاغناء وغيرها واعلم انه تعالى نهاه عن شيئين وامره بواحد عن قهر اليتيم جزاء لما
انعم به عليه فى قوله الم يجدك يتيما فاوى ونهاه عن نهر السايل فى مقابلة قوله ووجدك عايلا فاغنى وامره بتحديث لنعمه
ربه وهو فى مقابلة قوله ووجدك ضالا فهدى فلا اشكال ان يكون المراد به التبليغ واداء الرسالة وتكميل الناقصين بالدعا
الى الدين كما قال مجاهد ولقد روعى فى الترتيب نكتة لطيفة فقدم فى معرض المنة ذا النعمة الدينية وهى الهداية على
النعمة الدنيوية وهى الاغنا واما فى معرض الارشاد فقدم الاشفاق على الخلق واخر التحديث ليكون ادخل فى الاستمالة
واجلب للدواعى فانه لم ينتظم امر المعاش لم يفرغ الخواطر لقبول التكاليف والتزام امور المعاد قال المحققون التحديث بنعم الله
تعالى جايز مطلقا بل مندوب اليه اذا كان الغرض ان يقتدى غيره به او ان يشيع ذكره بلسانه واذا لم يامن على نفسه الفتنة و
الاعجاب والستر افضل قالوا انما اخر التحديث تقديما لحظ الخلق على حظه لانه غنى وهم المحتاجون ولهذا رضى لنفسه القول
نطقا ولان الاستغراق فى بحر الشكر ومعرفة النعم غاية الغايات وخاتمة الطاعات تنبيه روى عن البزى انه قال قرأت على
عكرمة بن سليمان قال قرأت على اسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة
فانى قرأت على عبد الله بن كثير فامرنى بذلك واخبرنى ابن كثير انه قرأ على مجاهد فامره بذلك واخبره مجاهد انه قرأ على عبد الله
بن عباس تسع عشرة ختمة فامره بذلك فى كلها واخبره ابن عباس انه قرأ على ابى بن كعب فامره بذلك وروى عن الشافعى انه
راى التكبير سنة من خاتمة والضحى الى اخر القران وهكذا روى عن قنبل والسبب فيه انه حين انقطع الوحى على ما سبق ذكره
ثم نزلت السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر تصديقا لما اتى به وتكذيبا للكفار قال العلماء لا يقول انه لا بد لمن ختم
ان يفعله ولكنه من فعله فقد احسن ومن ترك فلا حرج واختلفوا فى لفظ التكبير فكان بعضهم يقول الله اكبر لا غير والاخرون
يقولون لا اله الا الله والله اكبر فيهللون قبل التكبير واما كيفية الادا فاعلم ان القارئ اذا وصل التكبير باخر السورة فان كان
اخرها ساكنا كسر لالتقاء الساكنين فان همزة الوصل من اول اسم الله تسقط فى الدرج وذلك ثلثة مواضع فحدث الله
اكبر واقترب الله اكبر وان كان منونا كسر ايضا سواء كان المنون مفتوحا وهو تواب الله اكبر او مضموما وهو ثلثة لخبير الله
اكبر وحاميه الله اكبر واحد الله اكبر او مكسورا وهو اربعة مدد الله اكبر وما كول الله اكبر وخوف الله اكبر ومسد الله اكبر
وان كان اخر السورة متحركا غير منون بقى الحركة بحالها فالمفتوح ثلثة الحاكمين الله اكبر والماعون الله اكبر وحسد الله
اكبر والمضموم ثلثه ربه الله اكبر ويره الله اكبر والابتر الله اكبر والمكسور خمسة مطلع الفجر الله اكبر ومن
النعيم الله اكبر وبالصبر الله اكبر ولى دين الله اكبر والناس الله اكبر الله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم
الم نشرح لك صدرك ● ووضعنا عنك وزرك ● الذى انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك ● فان مع العسر يسرا ● ان مع العسر
يسرا ● فاذا فرغت فانصب ● والى ربك فارغب ●

الوقوف صدرك وزرك ظهرك ذكرك يسرا يسرا فانصب فارغب التفسير روى ان طاوس وعمر
بن عبد العزيز انهما كانا يقولان هذه السورة وسورة الضحى واحدة وكان يقرانهما فى الركعة الواحدة من غير فصل بالبسملة
والذى دعاهما الى ذلك ما رايا من التناسب فى معرض تعديد النعم بين قوله الم يجدك يتيما وبين قوله الم نشرح وفيه ضعف
والله اعلم لان القران كله فى حكم كلام واحد فلو كان هذا القدر لوجب المباينة لا المناسبة قال فى الكشاف استفهم
عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه ووضعنا
اعتبارا للمعنى قلت اعتبار المعنى من جانب وضعنا اصوب او انسب ليكون الكل داخلا فى الاستفهام الانكارى كانه قيل
الم نشرح ولم نضع ولم نرفع ومثله ما مر فى الضحى الم يجدك يتيما ولم يجدك ضالا او نقول معنى الم نشرح اما شرحنا فيصح العطف
عليه بهذا الاعتبار ويشمل الاستفهام مجموع الافعال وهكذا فى والضحى وفايدة العدول من المتكلم الواحد الى الجمع اما تعظيم
حال الشرح واما الاعلام بتوسيط الملك فى ذلك الفعل كما روى ان جبرئيل اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه
من المعاصى ثم ملاه علما وايمانا ووضعه فى صدره طعن القاضى فيه من جهة ان هذه الواقعة من قبيل الاعجاز فكيف
يمكن تصديقها قبل النبوة ومن جهة ان الامور محسوسة لا يقاس بها الامور المعنوية واجيب عن الاول بان الارهاص
جايز وعندنا وعن الثانى بان يفعل ما يشاء الا ابعد انه تعالى جعل ذلك الغسل والتنقيه علامة تعرف الملائكة بها عصمته
عن الخطايا والاكثرون على ان المراد من الشرح امر معنوى وهو ما يقتضى ضيق البطن بحيث لا يتاذى من كل مكروه و
احباش يلحقه من كفار قومه فيسع لاعباء الرسالة كلها ولا ينحجر من علايق الدنيا باسرها فاما اخلاق الضلال والعمة
حتى لا يرى الا الحق ولا ينطق الا بالحق ولا يفعل الا بالحق قال المحققون ليس للشيطان الى القلب سبيل ولهذا لم يقل الم
نشرح قلبك وانما الشيطان يجى الى الصدر الذى هو حصن القلب فيثبت فيه غموم الدنيا والحرص على الزخارف فيضيق
القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للايمان حلاوة ولا على الاسلام طلاوة فاذا طرد العدو بذكر الله والاعتراض عما لا
يعنيه حصل الامن وانشرح الصدر ويتيسر له القيام باداء العبودية وفوايد اللام لك دون ان يقتصر على قوله الم
نشرح صدرك مثل ما مر فى قوله رب اشرح لى صدرى من الاجمال ثم التفصيل ومن ارادة الاختصاص او كونه اهم
قال اهل المعانى ومنهم صاحب الكشاف الوزر الذى انقض ظهره اى اثقله مثل ما صدر عنه من بعض الصغاير قبل النبوة
او ما جهله من الاحكام والشرايع وما كان يتهالك عليه من اسلام اولى العناد فيغتم بسبب ذلك ووضعه عنه ان غفر له
او انزل عليه الكتاب وقيل له انما عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر والاصل فى الانقاض ان الظهر اذا اثقله الحمل
سمع له نقيض وصوت خفى كصوت المحامل والرحال وكل ما فيه انتقاض وانفكاك وقيل المراد بالوزر اعباء الرسالة
ويوصف تسهيل الله تعالى ذلك عليه ومن حملها انه كان يفزع فى الاوايل حتى كاد يرمى بنفسه من الجبل فقوى
والف بالوحى حتى كاد يرمى بنفسه اذا فتر الوحى وقيل اراد اله الحيرة التى كانت له قبل البعث كان يريد ان يعبد ربه
وما كانت نفسه تسكن الى الشرايع المتقدمة لوقوع التحريف فيها ورفع ذكره ان اسمه باسم الله فى الشهادة والاذان
والتشهد والخطب وما ذكره فى القران مقرونا بذكر الله فى غير موضع على سبيل التعظيم النبى والرسول ومن رفع الذكر

ان جاء نعته في الكتب السماوية كلها واخذ على اسم الانبياء كلهم ان يؤمنوا به ثم انهم كانوا يعيرون رسول الله صلعم
بالفقر فقيل له لا يحزنك قولهم فان مع العسر يسرا اى بعد العسر الذى انتم فيه يسر واى يسر حمل الزمان القريب
كالمتصل والمقارن زيادة في التسليه وقوع الرجا وروى مقاتل عن النبي صلعم انه خرج ذات يوم وهو يضحك وقال لن يغلب
عسر يسرين فقال الفرا والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك معهود سابق فينصرف الى الحقيقه فيكون
المراد بالعسر في الموضعين شيئا واحدا واما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان احدهما غير الاخر وزيفه الجرجاني
بانه من المعلوم للقائل اذا قال ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا لم يلزم منه ان يكون هناك فارس واحد معه سيفان
واقول اذا كان المراد بالعسر الجنس لا العهد لزم اتحاد العسر في الصورتين واما اليسر فمنكر فان حمل الكلام الثاني على التكرار
مثل فباى الاء ربكما تكذبان ونحوه كان العسران واحدا وان حمل على انه عدة مستانفة لزم ان يكون اليسر الثاني غير الاول وانما كان
تكرارا والمفروض خلافه وان كان المراد بالعسر المعهود فان كان المعهود واحدا وان كان الثاني تكرارا كان اليسران ايضا واحدا
وان كان مستانفا كانا اثنين والازم خلاف المفروض وان كان المعهود اثنين فالظاهر اختلاف اليسرين والازم حسن
ان يعاد اليسر الثاني معروفا بلام العهد واذا عرفت هذه الاحتمالات وان لم يثبت صحة الحديث امكن حمل الاية على جميعها وان
ثبت صحته وجب حملها على وجه يلزم منه اتحاد العسر واختلاف اليسر وحينئذ يكون فيه قوة الرجا ومزيد الاستظهار
وهو الكريم واما اليسران على التقدير لاختلافهما قيل يسر الدنيا ويسر الاخرة اى ان مع العسر الذى انتم فيه يسر العاجل ان مع
العسر الذى انتم فيه يسر الاجل وقيل ما يتيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلعم ثم في ايام الخلفاء الراشدين والاظهر
ان العسر الجنس لكون وعدا عاما لجميع المكلفين في كل عصر وحين فهو واحد والكلام الثاني تكرير للاول لتقريره في النفوس الا انه
لحسن ان يجعل اليسر فيه مغايرا للاول لعدم اللام العهدى ولعل هذا هو معنى الحديث ان ثبت والله تعالى ورسوله اعلم وحين عدد
عليه نعمه السابقه ووعده النعم اللاحقه من اليسر والظفر رتب عليه قوله فاذا فرغت فانصب قال قتاده والضحاك ومقاتل
اذا فرغت من الصلوة المكتوبة فانصب اى اتعب للدعا وارغب الى ربك في انجاح المامول لا الى غيره يعطيك خير الدارين وعن
الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وعن مجاهد اذا فرغت من امور دنياك لما وعدناك من اليسر والظفر فانصب
للعباده والدعوه وعن شريح انه مر برجلين يتصارعان فقال ما بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل قريب من
العبث والاشتغال بما لا يعني فعلى العاقل ان لا يضيع اوقاته في الكسل والدعه ويقبل بجميع قواه على تحصيل ما ينفعه في الدارين والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون وطور سينين • وهذا البلد الامين • لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم • ثم رددناه اسفل سافلين • الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون • فما يكذبك بعد بالدين • اليس الله باحكم الحاكمين •

الوقوف الزيتون سينين الامين تقويم للعطف سافلين بناء على ان المراد بالرد هو الخذلان الى
الكفر ولو حمل على الرد الى ارذل العمر كان الاستثنا منقطعا وجاز الوقف حينئذ عند تقويم ممنون بالدين الحاكمين
التفسير ان التين والزيتون كيف اقسم بهما من بين ساير المخلوقات الشريفة للمفسرين فيه قولان فعن ابن عباس
هو تينكم وزيتونكم هذا ان ذكروا من خواص التين انه غذاء وفاكهة ودواء لانه طعام لطيف سريع الهضم ملين الطبع
ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن ويفتح مسام الكبد والطحال وروى انه

972

اهدي لرسول الله صلعم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة
بلا عجم فكلوه فانها تقطع البواسير وينفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من
الفالج ومن خواصه ان ظاهره كباطنه ماله قشر ولا نواة وانها شجرة يظهر المعنى قبل الدعوى يأتي بالثمرة ثم بالنور بخلاف المشمش
واللوز ونحوهما من سائر الاشجار كارباب المعاملات في قوله صلعم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول لانها تلبس نفسها اولا نورا وورقا
ثم يظهر ثمرها وثمرة التين كالمصطفى صلعم كان يبتدا بغيره ثم بنفسه كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة فانها تعود ثمرتها في العام مرة اخرى وانها في المنام رجل يتفرع عنه من راها نال خيرا وسعة ومن اكلها رزقه
الله اولادا وروي ان ادم تستر بورقها حين نزع عنه ثيابه فلما نزل وكان مستترا بورق التين استوحش فطاف الظباء
حوله فاستانس بها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال والملاحة صورة والمسك طيبة معنى وحين تفرقت الظباء
ورأى غيرهن منهن ما اعجبها جاءت من الغد على اثرهن فاطعمهن من الورق فغير الله حالها الى الجمال والملاحة دون طيب المسك
وذلك ان الطائفة الاولى جاءت الى ادم لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت للطمع سرا والى ادم ظاهرا فلا جرم غير ظاهرها دون
باطنها واما الزيتون فانه الشجرة المباركة وهو فاكهة من وجه وادام من وجه ودواء من وجه كما تقدم وصفه في سورة النور
قال رجل لابن سيرين رايت في المنام كانه قيل ان كل اللاتي يسمى فقال كل الزيتون فانها لا شرقية ولا غربية وقيل من اخذ
ورق الزيتون بالنوم استمسك بالعروة الوثقى فهذه المصالح والمنافع هي التي جوزت الاقسام بهما
انه ليس المراد بهما هذه الثمرة ثم اختلفوا فعن ابن عباس في رواية هما جبلان في الارض المقدسة يقال لهما طور تينا وطور
زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وهما منشاء عيسى ومبعثه ومبعث اكثر الانبياء بني اسرائيل كما ان طور سينين مبعث
موسى والبلد الامين مبعث محمد صلعم وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقيل التين مسجد الكهف
والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس ايضا التين الكوفة والزيتون الشام وعن الربيع هما جبلان بين همدان وحلوان واما طور
سينين فالطور جبل موسى عليه السلام وهو ارض النجف وسينين الحسن بلغة الحبشة وقال مجاهد المبارك وقال الكلبي
ومقاتل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط وقال الواحدي الاولى ان يكون سينين اسما للمكان الذي فيه الطور
سمي بذلك لحسنه او لبركته ثم اضيف اليه الطور للبيان ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه وسميت مكة
امينا لانه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول لانه مامون الغوائل كما
جعل الله الكوثر ذا امن قال الضعيف مؤلف الكتاب رحمه الله من المعلوم ان الاقسام ينبغي في باب البلاغة ان يكون متناسبه
وكذا المقسم عليه فكان الله سبحانه اقسم بالمراتب الاربع التي للنفس الانسانية من العقل الهيولاني والعقل بالملكة والعقل
بالفعل والعقل المستفاد ان الانسان خلق في احسن تقويم وهو كونه مستعدا للوصول الى المرتبة الرابعة في العلم بالعمل
ثم اذا لم يجتهد في الوصول الى كماله اللائق به فكانه رد الى اسفل السافلين الطبيعة وانما عبر عن العقل الهيولاني بالتين لضعف
شجرته لانه زمان الصبي واللهو والالتذاذ والاشتغال بالامور التي لا طائل تحتها ولا يدرك فيها بخلاف زمان العقل بالملكة لقوة
المعقولات فيها وكونه بحيث يطلب للاشياء حقايق والمعاني حتى بمنزلة الزيت وفي زمان العقل بالفعل يكون قد ازدادت المعاني
رسوخا حتى صارت كالجبل المبارك وفي اخر المراتب اجتمعت عنده صور الحقائق دفعة بمنزلة الفاضلة
ولعلنا قد كتبنا في هذا المعنى رسالة مفردة فلنقتصر في التفسير على هذا القدر من التاويل ثم ان اكثر المفسرين قالوا معنى في
احسن تقويم في احسن تعديل شكلا وانتصابا وقال الحسن في اكمل عقل وفهم وبيان والاولون قالوا لو حلف انسان ان زوجته
احسن من الشمس لم يحنث لانه تعالى اعلم بخلقه وقد قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا
اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الاخرة احسن الخصال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب ومعنى
اسفل سافلين قال ابن عباس ارذل العمر ومثله قول ابن قتيبة السافلون هم الضعفاء والزمنى ومن لا يستطيع حيلة ولا يجد
سبيلا قال الفرا لو قيل اسفل سافل جاز حملا على لفظ الانسان كان صوابا ايضا وقال مجاهد والحسن هو النار ومثله ما قال علي رضي
الله عنه ابواب جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدأ بالاسفل فيملأ وعلى هذا القول تقدير الكلام رددناه الى اسفل
سافلين او في اسفل سافلين ثم قال الا الذين الايه اى الا الذين استكملوا الجنبتين القوتين النظرية والعملية فلهم ثواب دائم غير
منقطع اما بسبب صبرهم على ما ابتلوا به من الشيخوخة والهرم والمواظبة على الطاعات بقدر الامكان مع ضعفها لبني فخور
الالات حصول الكمالات لهم فهذا الاستثناء على القول الاول منقطع بمعنى لكن وعلى الثاني متصل ولا يبعد ان يكون على
الاول ايضا متصلا والمعنى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات في حال القوة والاستطاعة فلهم ثواب جزيل في حالة الشيخوخة

والضعف وان لم يقدروا على شل تلك الاعمال فكانهم لم يردوا الى اسفل من اسفل ثم خاطب الانسان بقوله فما يكذبك بعد
بالدين يعني فاي شيء يلجيك بعد هذه البيانات الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب ولا ريب
ان خلق الانسان من نطفة الى ان يصير كاملا في الخلق والخلق ثم ● الكمال لخاذل القوى وتقويس الظهر
وابيضاض الشعر ونحوه اوضح دليل على قدرة الصانع وحكمه فمن قدر على هذا كله لم يعجز عن اعادة مخلوقه ● اجراء هذا بالنظر
الى القدرة اما بالنظر الى الحكمة والعدالة فان ايصال الجزاء الى المحسن والمسيء والفرق بين الصنفين واجب واشار الى هذا الدليل
بقوله اليس الله باحكم الحاكمين فامر المعاد بالنظر الى القدرة ممكن الوقوع وبالنظر الى الحكمة والعدل واجب الوقوع وقال الفراء
الخطاب للنبي صلعم والمعنى فمن يكذبك بالجزاء ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلايل قالت المعتزلة قوله في احسن تقويم دليل
على انه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلق افعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم ولو خلق ذلك لكان هو اولى بان يدعى سفيها وظالما
واجيب بان خلق السفه لا يلزم منه الاتصاف بالسفه كما ان ايجاد الحركة لا يلزم منه الاتصاف بالحركة ويمكن ان يقال نحن لا ندعي
لزوم الاتصاف به ولكن ندعي ان خلق السفه في نفسه نوع سفاهة والجواب الصحيح بعد المعارضة بالعلم والدواعي ان يعارض بقوله
ثم رددناه فانه دليل على اضافة الشر الى ذاته عن رسول الله صلعم انه كان اذا قرا السورة قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اقراء باسم ربك الذي خلق ● خلق الانسان من علق ● اقرأ وربك الاكرم
الذي علم بالقلم ● علم الانسان ما لم يعلم ● كلا ان الانسان
ليطغى ● ان راه استغنى ● ان الى ربك الرجعى ● ارايت الذي
ينهى ● عبدا اذا صلى ● ارايت ان كان على الهدى ● او امر
بالتقوى ● ارايت ان كذب وتولى ● الم يعلم بان الله يرى ●
كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ● ناصية كاذبة خاطئة ●
فليدع ناديه ● سندع الزبانية ● كلا لا تطعه واسجد واقترب ●

القراءة قرا بالالف الاوقيه والاعشى وحمزة بالوقف ان راه بامالة مكسورة الراء وحمزة وعلي وخلف ويحيى و
عباس والخزاز عن ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وقرا ابو عمرو وعن عياس والنجاري عن ورش بفتح الراء وكسر الهمزة
وروى ابن مجاهد وابو عون عن قنبل مفتوحة الراء مقصورة على وزن رعه **الوقوف** الذي خلق لا لابتداء مثله
بلا عطف فان الجملة الثانية مفسرة للاولى المبهمة ولو جعل للعنى الذي خلق كل شيء ثم خص خلق الانسان ازداد الوقف
حسنا علق لان اقرا ابتلى مستانفا وتكرار للاول الاكرم بالقلم يعلم ليطغى استغنى الرجعى ينهى صلى الهدى
بالتقوى وتولى يرى بالناصية خاطئة ناديه الزبانية كلا على الردع واقترب **التفسير** قد مر في اوايل
الكتاب ان اكثر المفسرين زعموا ان هذه السورة اول ما نزل من السماء وفي الباء وجهان **الاول** انها زائدة وضعف بانه خلاف
الاصل وبان معناه حينئذ يكون اذكر اسم ربك فلا يحسن من النبي صلعم ان يقول ما انا بقارئ كما جاء في الحديث وبانه يحصل
الحاصل لانه لم يكن له شغل سوى ذكر الله **الثاني** وهو الاصح انه نصب على الحال اي اقرا القران مفتتحا او ملتبسا باسم ربك

او هو لغو والباء للآلة وقد مر وجهه في تفسير البسملة وكذا اوجه من جعله متعلقا باقرا الثانية اي استعن باسم
ربك والمحذوف الله في تحصيل هذا الذي عسر عليك وقيل هي بمعنى اللام اي احرر هذا الفعل وافعله كقولك بنيت
الدار باسم الامير وصنعت الكتاب باسم الوزير فالعبادة اذا صارت لله تعالى لم يكن للشيطان فيها نصيب
وفي تخصيص الرب بالذكر في هذا الموضع معنيان **الاول** ربيتك فلزمك القضاء والشكر فلا تتكاسل **الثاني**
ان الشروع ملزم وقد ربيتك منذ كنت فكيف اضيعك بعد هذا فلا ينبغي ان تدع لهذا كونه تربية فقوله الذي خلق اطلق
الخلق اولا ليتناول كل المخلوقات ثم خص خلق الانسان بالذكر تشريفا او تعجيبا من فطرته او لان شرف الانسان لاجله ويجوز ان
يكون الاول متروك المفعول اشارة الى انه لا خالق سواه ولا يتصف بهذا الاسم غيره وحينئذ يستدل به على ابطال مذهب
المعتزلة فان العبد خالق افعاله عندهم قال اهل العلم ان الحكيم اذا اراد بناء امر استعمل فيه التدريج كما يحكى ان نوح حين
بعثه ابو حنيفة الى البصرة لتقرير مذهبه لم يلتفتوا الى قوله وابو حنيفة فرجع الى ابي حنيفة واخبره بذلك فقال
انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم ثم اذكر في المسئلة اقاويل ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول اخر واذكر
قولي وحججي فاذا تمكن ذلك في قلبهم قل هذا قول ابي حنيفة فانهم يقبلونه حينئذ والمقصود من الحكاية ان الله تعالى كان
يقول لنبيه هؤلاء عبدة الاوثان والفطام من المالوف شديد وقلوبهم القيم فلو صرحت بتعيين الحق اولا ربما لم يقبلوه
فاذكرهم اولا انهم المخلوقون من العلقة فلا يمكنهم انكاره ثم قل ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الى
الوثن لعلمهم انهم نحتوه فاذا تاملوا علموا ان منبع التخليق هو الله والعلق جمع العلقة وانما لم يقل علقة لان الانسان
في معنى الجمع وتكرار اقرا وجوه اقرا بنفسك ثم اقرا للتبليغ او اقرا في صلاتك ثم اقرا خارج صلوتك او الاول للتعلم والثاني
للتعليم وهذا قريب من الاول والاوجه ان يراد بالاول احد القران ويكون قوله باسم ربك متعلقا باقرا الثانية كما مر في
تفسير البسملة قلت ويمكن ان يكون الاول اشارة الى كونه قادرا بالقوة ولهذا رتب عليه خلق الانسان من علق والثاني
اشارة الى كونه قادرا بالفعل ولهذا وصف نفسه بالاكرمية ورتب عليه تعليم الخط والعلم وفضايل الخط كثيرة حتى مدح
بالرسايل والاشعار وكذلك في مدحه انه تعالى حين عدد على الانسان نعمه الخلق والتسوية وتعديل الاعضاء الظاهرة
والباطنة وصف نفسه بالكريم قال ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسويك فعدلك وحث من علمه بالخط والتعليم
مدح ذاته بالاكرمية فقال معترضا وربك الاكرم الذي علم بالقلم اي علم الانسان بواسطة القلم او علم الكتابة بالقلم يروى
ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال ما قيده قال الكتاب والقلم صياد يصيد العلوم يبكي تارة
ويضحك اخرى بركوعه يسجد الانام وبحركته تبقى العلوم على ممر الليل والايام وقوله علم الانسان ما لم يعلم يجوز ان يكون بيانا
للاول اي علمه بالقلم ما لم يعلم كقول القايل احسنت اليك ملكتك الاموال وليتك الولايات ويحتمل ان يراد علم بالقلم وعلمه
ايضا غير ذلك وفي الاية اشارة الى اثبات العلوم السمعية الموقوفة على النقل والكتابة بل الى اثبات النبوة كما ان اول السورة
يدل على الاوصاف الالهية قوله سبحانه كلا ذكر بعض العلماء انه بمعنى حقا لانه ليس قبله ولا بعده شيء يتوجه اليه الردع
وقال صاحب الكشاف انه ردع لمن كفر بنعمة الله عليه وطغى وهذا معلوم من سياق الكلام وان لم يذكر وقال مقاتل
كلا لا يعلم الانسان انه خلق من علقه وصار عالما بعد ان كان جاهلا وذلك لاستغراقه في حب المال والجاه فلا يتامل في
هذه الاحوال ومعنى ان راه لان راى نفسه فحذف حرف الجر على القياس وحذف النفس الخاصية نفل القلب وهي
جاز الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول فيه واكثر المفسرين على ان المراد بالانسان ههنا انسان واحد وهو ابو جهل ومنهم
من يقول نزلت خمس ايات من اول هذه السورة والانسان عام فان قيل لم قال في حق فرعون انه طغى وفي حق ابو جهل ليطغى
قلنا انما اخبر بذلك عن فرعون قبل ان يلقاه موسى وقيل ان يعرض عليه الادلة واما هذه الاية فنزلت تسلية للنبي صلعم
حين اراد ابو جهل عليه واقبح الرد وايضا ان فرعون مع كمال سلطنته ما كان يؤذي موسى الا بالقول وابو جهل مع قلة جاهه
كان يقصد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وفرعون كان قد احسن الى موسى اولا وقال اخرا امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو
اسرائيل واما ابو جهل فكان يحسد النبي صلعم في صباه وقال في اخر عمره بلغوا عني محمدا اني اموت ولا احد ابغض الي منه
وايضا انهما كانا رسولين ولكن الحبيب في مقابلة الكليم كاليد في مقابلة العين والعاقل يصون عينه فوق ما يصون
يده بل يصون عينه باليد فلهذا كانت المبالغة ههنا اكثر واعلم ان المال ليس شيئا للطغيان على الاطلاق ولهذا ذهب
جم غفير الى ان الانسان في الاية مخصوص وانه لم يرد لسليمان عليه السلام الا تواضعا وعبودية روي انه كان يجالس المساكين
ويقول مسكين جالس مسكينا وكان عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة كثير المال وقال صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح

ولو انصف العاقل وتامل وجد نفسه في الغنى اشد افتقارا الى الله لان الفقير لا يتمنى الا سلامة نفسه والغني يتمنى سلامة
نفسه وماله واهله وجاهه وقيل السين في استغنى للطلب في المعنى ان الانسان قد ينسى فضل الرب وعنايته بحاله
وان راه طلب الغنى فنال الغنى بسبب الجهد والكد فينسب ذلك الى كفايته لا الى عناية الله ولم يدر انه كم من باذل وسعه
في الحرص والطلب لم يحصل الا على خفي حنين والله تعالى قد يرجع الغنى اخر الامر الى حالة الفقر ليتحقق ان ذلك الغنى لم
بفعله وكسبه وانما ذلك بحول الله وقوته وههنا نكتة وهي ان اول السورة دلت على فضيلة العلم وبعد هله دل على
ذم المال فكفى ذلك مرغبا في العلم ومنفرا عن الدنيا وفي قوله ان ربك يا انسان الرجعى اي الرجوع وعيد وتذكير كانه
قيل مصيرك الى الله والحساب لا يدفع عنك المال والكسب فما هذه الحيلة في العصيان والكبر والطغيان يروى ان ابا
جهل قال لرسول الله صلعم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع
ديننا ونتبع دينك فنزل جبرائيل فقال يقول الله ان شئت فعلنا ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف
رسول الله صلعم عن الدعاء ابقاء عليهم وروي ان ابا جهل لعنه الله قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال
والذي يحلف به لئن رايته توطات عنقه فجاء وهو صلعم في الصلوة ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك يا ابا الحكم فقال
ان بيني وبينه لخندقا من نار فنزلت ارايت الذي ينهى عبدا اي اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله وهذا خطاب للرسول
صلعم على وجه التعجب وفيما انه صلعم كان يقول اللهم اعز الاسلام بعمر او بابي جهل بن هشام فكانه تعالى قال له يا محمد
كيف انه يعز به الاسلام وهو ينهى عن الصلوة التي هي اول اركان الاسلام وكان يلقب بابي الحكم فقيل كيف يليق بهذا اللقب
وهو ينهى العبد عن خدمة ربه ويامر بعبادة الجماد وفي تنكير العبد دلالة على التفخيم كانه قال هو عبد لا يكتنه كنه اخلاصه
في العبودية ولا يوصف شرح اخلاقه بالكلية يروى ان يهوديا من اصحاب اليهود جاء الى عمر في ايام خلافته وقال اخبرني
عن اخلاق رسولكم فقال عمر اطلبه من بلال فهو اعلم به مني ثم ان بلالا دله على فاطمة وهي دلته على علي كرم الله وجهه فلما
سال عليا عنه فقال صف لي متاع الدنيا حتى اصف لك اخلاقه فقال اليهودي هذا لا يتيسر لي فقال علي عجزت عن وصف
الدنيا وقد حكم الله بتقليله قال قل متاع الدنيا قليل فكيف اصف اخلاق النبي وقد شهد الله بانه عظيم في قوله وانك لعلى
خلق عظيم والحاصل انه سبحانه كانه قال حين ما اجهل من ينهى اشد الخلق عبودية عن الصلوة والنهي عن الصلوة مذموم عند
العقلاء يروى عن علي رضي الله عنه راى في المصلى اقواما يصلون قبل صلوة العيد فقال ما رايت رسول الله صلعم يفعل ذلك
فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل تحت قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي واخذ ابو حنيفة منه هذا
الادب الجميل حين قال له ابو يوسف ايقول المصلي حين يرفع راسه من الركوع اللهم اغفر لي فقال يقول ربنا لك الحمد
ويسجد ولم يصرح بالنهي عن الدعاء ويحتمل ان يراد بالتنكير الوحدة كانه قيل الظن ابو جهل انه لو لم يسجد محمد لي وهو عبد واحد
احدا غيره فلي من الملائكة المقربين ما لا يحصيهم الا الله وفيه تفخيم شان النبي لانه من شهر بالعبودية لا يحتاج الى سبق
الذكر كقوله اسرى بعبده وانزل على عبده وعن الحسن ان الناهي امية ابن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة اما الخطاب
في قوله ارايت ان كان على الهدى فالاكثرون على انه للنبي صلعم ايضا ليكون الكلام كله على نسق واحد قال في الكشاف معناه اخبرني
ان كان ذلك الناهي على طريق سديد فيما ينهى عنه من عبادة الاوثان كما يعتقد او كان على سبيل التكذيب والتولي عن الدين
الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهو وعيد فقوله
الذي ينهى مفعول اول لارايت وارايت الثاني مكرر للتاكيد ولطول الكلام وقوله ان كان على الهدى مع ما عطف عليه مفعول
ثان له وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب الشرط الثاني وهو قوله الم يعلم ويجوز ان يكون ارايت الثالث ايضا مكررا والجواب
بالحقيقة هو ما يدل عليه هذه الجملة الاستفهامية كانه قيل ان كان على الهدى او امر بالتقوى ان كذب وتولى فان الله مجازيه
وقيل ان جواب الشرط الاول شي اخر يدل عليه سياق الكلام والمراد ارايت ان صار هذا الكافر على حالة الهدى او امر بالتقوى
يدل على النهي على عبادة الله اما كان يليق به ذلك ان هو رجل عاقل ذو ثروة فيه تعجيب من حاله انه كيف فوت على نفسه مراتب
الكمال والاكمال واختار بدلهما طريقي الضلال والاضلال وقيل الخطاب في ارايت الثاني للكافر كان الظالم والمظلوم عبدان
قاما بين يدي مولاهما اللذان حضرا عند الحاكم احدهما المدعي والاخر المدعى عليه فيخاطب هذا مرة وهذا مرة فلما قال
للنبي صلعم ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى التفت الى الكافر وقال ارايت يا كافر ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله
امر بالتقوى اتنهاه مع ذلك ثم ان كان الخطاب في ارايت الثالث للنبي صلعم فالمعنى ارايت يا محمد ان كذب بهذا الكافر
بتلك الدلايل الواضحة وتولى عن خدمة خالقه الم يعلم بعقله ان الله يرى منه هذه الاعمال القبيحة حتى يصير زاجرا

له عنها وان كان الخطاب للكافر فالمراد ان كان محمدا كاذبا او متوليا الا يعلم ان خالقه يراه حتى ينتهي فلا يحتاج الى نهيك قالت
العلماء هذه الاية وان نزلت في حق ابي جهل الا ان كل من ينهى عن طاعة الله فهو شريك في وعيد ابي جهل ولا يرد عليه المنع
عن الصلوة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة ومنع المولى عبده عن قيام الليل وعن التطوع ومنع زوجته
عن الاعتكاف لان ذلك لاستيفاء مصالح اخرى باذن الله وحده ثم ردع ابا جهل عن نهيه او عن عدم علمه باحاطة الله
تعالى بجميع الكاينات وعن عزمه على ان يقتل محمدا او يطا رقبته فان تلميذ محمد هو الذي يقتله ويطا صدره والسفع القبض
على الشي وجذبه بشدة ومنه سفع النار لفحها كانها تاخذ من الجسد بياضه وطراوته وقد كتبت لنسفعن في المصحف
بالالف على حكم الوقف لان النون الخفيفة المؤكدة يوقف عليها بالالف واللام في قوله بالناصية للعهد والمراد لناخذن
بناصيته ولنسحبنه الى النار ثم ان هذا السفع اما ان يكون الى نار الاخرة وهو ظاهر واما ان يكون في الدنيا كما روي انه عاد
الى النهي فمكن الله المسلمين يوم بدر حتى جروه بالناصية ويحكى انه لما نزلت سورة الرحمن قال النبي صلعم من يقراها على رؤسا
قريش فتثاقل القوم مخافة اذيتهم فقام ابن مسعود فقال انا فاجلسه النبي صلعم لما كان يعلم من ضعفه ثم قال من يقراها
عليهم فلم يقم الا ابن مسعود فاجلسه ثم قال في الثالث كذلك فلم يقم الا هو فاذن له فجاء حتى دخل عليهم وكانوا مجتمعين حول
الكعبة فقرا السورة فقام ابو جهل فلطمه فانشق اذنه ودماه فانصرف وعينه تدمع فلما راه النبي صلعم رق قلبه واطرق
قلبه واطرق راسه مغموما فاذا جبرائيل عليه السلم جاء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبرائيل تضحك وابن مسعود يبكي فقال
سيعلم فلما كان يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال صلعم خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق
فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع فخاف ان يكون به قوة فيوذيه فوضع الرمح على
منخره من بعيد ويطعنه ولعل هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى
اليه بحيلة فلما راه ابو جهل قال يا راعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى ثم قال ابو جهل
بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض منه في حال حيوتي ولا احد ابغض الي منه في حال مماتي فروي انه صلعم لما سمع ذلك قال
فرعوني اشد من فرعون موسى فانه قال امنت وهو قد زاد عتوا ثم قال لابن مسعود اقطع راسي بسيفي هذا لانه احد واقطع
فلما قطع راسه لم يقدر على حمله قال اهل المعاني ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا لاجل ان لا يقوى على الحمل لوجوه منها انه
كلب والكلب يجر الثاني تشق اذنه فيقتص الاذن بالاذن الثالث تحقيق الوعد المذكور في قوله لنسفعن فان ابن مسعود لما لم
يطقه شق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلعم وجبرائيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن
لكن الراس ههنا مع الاذن والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية وقد كنى ههنا عن الوجه والراس بالناصية
قالوا والسبب فيه ان ابا جهل كان يتعهد ترجيل الناصية وتطييبها فلقاه الله بقبض الناصية حين اعرض عن حكم المعبود
ثم وصف الناصية بانها كاذبة خاطئة والمراد كذب صاحبها وخطاه حين سمى النبي الصادق ساحرا كذابا او حين زعم انه
اكثر اهل الوادي ناديا والخاطي اقطع من المخطي ولهذا قال لا ياكله الا الخاطئون فالخاطي معاقب ماخوذ والمخطي لا يكون
ماخوذا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا وقوله ناصية بدل الكل من الاول ووجه حسنها كونها موصوفة كما علم من قواعد
النحو يروى ان رسول الله صلعم لما اغلظ في القول لابي جهل وتلا عليه هذه الايات قال يا محمد بمن تهددني فاني اكثر
هذا الوادي ناديا اي اهل مجلس لاملان عليك هذا الوادي خيلا جردا ورجالا مردا فزاد الله سبحانه في تهديده قايلا
فليدع ناديه سندع الزبانية والزبني كل متمرد من انس وجن ومثله زبنية بتخفيف التاء كعفريت وعفرية واصله
من الزبن الدفع ولعل كثرة الراي لتعيين الشبع عن النبي صلعم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا قال المقاتل هم خزنة جهنم ارجلهم
في الارض ورؤسهم في السماء وقال قتادة الزبانية الشرط بلغة العرب اي الحرس وقيل هو جمع لا واحد له ثم ردع
ابا جهل من قبايح اقواله وافعاله بقوله كلا وشجع النبي صلعم بقوله لا تطعه ثم قال واسجد واقترب اي دم على سجودك وتقرب
به الى ربك ومنه قوله علا اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد وقيل صل وتوفر على عبادة الله فضلا وابلاغا وقيل
اسجد يا محمد واقترب يا ابا جهل وضع قدمك عليه فان الرجل ساجد مشغول بنفسه وهذا تهكم به وتعريض بان الله عاصم نبيه وحافظه

وناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر ۝ وما ادريك ما ليلة القدر ۝ ليلة القدر خير من الف شهر ۝ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ۝ سلام هي حتى مطلع الفجر ۝

القراءة تنزل بتشديد التاء البزي وابن فليح مطلع بكسر اللام علي وخلف **الوقوف** في ليلة القدر للنفي او الاستفهام والوصل اولى لاتصال المبالغة في التعظيم بما ليلة القدر لان ما بعدها مبتدا شهر لان ما بعده مستانف ربهم لاحتمال تعلق من كل بقوله تنزل ولاحتمال تعلقه بقوله سلام اي هي من كل مخوف به سلام او من كل واحد من الملائكة سلام على المؤمنين قاله ابن عباس وعلى هذا لا يوقف على امر ويوقف على سلام ايضا والتقدير هي سلام من كل امر الى مطلع الفجر **التفسير** الضمير في انزلناه للقران اما لان القران كله في حكم سورة واحدة واما لشهرته كانه من شاهد شانه مستغن عن التصريح بذكره وقد عظم القران في الاية من وجوه اخر هي اسناد انزاله الى نفسه دون غيره كجبرائيل مثلا وضميره الجمع الدالة على عظم رتبة المنزل اذ هو لوحده في نفسه عقلا ونقلا والرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه وهو ليلة القدر و هنهنا مسائل **الاولى** كيف حكم بانه انزل في هذه الليلة مع انه انزل نجوما في ثلث وعشرين سنة والجواب كما مر في البقرة في قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران اي انزل فيها من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا جملة ثم منها الى الارض نجوما ووجه حسن المجاز انه اذا انزل الى السماء الدنيا فقد شارف النزول الى الارض فيكون من قبيل التشويق كما قيل **شعر**

وابرح ما يكون الشوق يوما ۝ اذا دنت الخيام من الخيام ۝

وقال الشعبي ابتدي بانزاله في هذه الليلة لان المبعث كان في رمضان وقيل اراد انا انزلنا القران يعني هذه السورة في فضل ليلة القدر والقدر بمعنى التقدير قال عطا عن ابن عباس ان الله تعالى قدر كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق احيا واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الاتية بطرح قوله فيها يفرق كل امر حكيم في احد الوجوه والمراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة فان المقادير من الازل الى الابد ثابتة في اللوح المحفوظ وهذا قول اكثر العلماء ونقل عن الزهري انه قال ليلة القدر يعني ليلة الشرف والعظمة من قولهم لفلان قدر عند فلان اي منزلة وخطر ويؤيد هذا التاويل قوله ليلة القدر خير من الف شهر ثم هذا الشرف اما ان يرجع الى الفاعل اي من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف واما ان يرجع الى الفعل لان الطاعة فيها اكثر ثوابا وقبولا وعن ابي بكر الوراق من شرفها انه نزل كتابه وقدر على لسان ملك ذي قدر الى امة ذوي قدر ولعل الله تعالى انما ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلث مرات لهذا السبب وقيل القدر الضيق وذلك ان الارض في هذه الليلة تضيق من الملائكة **الثانية** وهذه الليلة هل يضاف الى يومها الذي بعدها قال الشعبي نعم يومها كليلها كقوله ثلث ليال سويا وفي موضع ثلثة ايام ولهذا لو نذر ان يعتكف ليلتين لزمه يومهما **الثالثة** قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القران فيها يقول انقطعت وكانت مرة والجمهور على انها باقية ثم ان المروي عن ابن مسعود انها في جميع السنة فمن حافظ على الليالي كلها ادركها وعن عكرمة انها ليلة البراءة والاكثرون على انها في رمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقوله انا انزلناه في ليلة القدر فيجب عن الاثنين ان يكون ليلة القدر في رمضان ثم في تعيينها خلاف وقال ابن رزين هي الليلة الاولى منها في غاية الشرف وعن الحسن البصري السابعة عشر لان وقعة بدر في صبيحتها وعن اثنين مرفوعا التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق هي الحادية والعشرون لما روى حديث الماء والطين ومعظم الاقوال انها السابع والعشرون وذكروا فيه امارات ضعيفة منها ان السورة ثلثون كلمة وقوله هي السابعة والعشرون منها وروي عن ابن عباس وعنه ايضا ان ليلة القدر تسعة احرف وهي مذكورة ثلث مرات وروي انه كان لعثمان بن ابي العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر فقال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون قلت ومن الامارات التي يحتمل اعتبارها ان الضعيف مؤلف الكتاب وصل الى تفسير هذه السورة في السابعة والعشرين من رمضان سنة سبع وعشرين وسبعماية من هجرة النبي صلعم ولعل الله سبحانه فيه سر لا يطلع عليه الا هو وحده وانا ارجوا ان يجعل ذلك سببا لبركات الدارين لي ولمن نظر في هذا الكتاب من اخواني في الدين وما الاعتصام الا بحوله وقوته

هي الليلة الاخيرة لان الطاعات في الشهر تتم وقيل بل اول رمضان كآدم واخره كمحمد وقد جاء في الحديث يعتق في اخر رمضان بعدد ما اعتق من اول الشهر واول الليالي ليلة شكر واخرها ليلة فراق وصبر وكم بين الشكر والصبر فان الصبر امر من الشكر **الرابعة** الحكمة في اخفاء ليلة القدر في الليالي كالحكمة في اخفاء وقت الوفاة ويوم القيمة حتى يرغب المكلف في الطاعة ويزيد في الاجتهاد ولا يتغافل ولا يتكاسل ولا يتكل يروى انه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فراى نائما فقال يا علي نبهه ليتوضا فايقظه علي ثم قال يا رسول الله انك سباق الى الخيرات فلم ما نبهته بنفسك فقال لان رده علي كفر ورده عليك ليس بكفر ففعلت لتخف جنايته لو رد فاذا كان هذا رحمة الرسول فقس عليه رحمة الله تعالى فكانه سبحانه يقول اذا عرفت ليلة القدر فان اطعت فيه اكتسبت ثواب الف شهر وان عصيت فيه اكتسبت عقاب الف شهر ودفع العقاب اولى من جلب الثواب فالاشفاق ان لا يعرفها المكلف بعينها لئلا يكون بالمعصية فيها خاطئا متعمدا وايضا اذا اجتهد في طلب ليلة القدر باحياء الليالي المظنونة باهى الله ملائكته ويقول كنتم تقولون فيهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فهذا جده في الامر المظنون فكيف جعلتها معلومة لهم فهنالك يظهر سر قوله اني اعلم ما لا تعلمون **الخامسة** معنى كون ليلة القدر خيرا من الف شهر ان العبادة فيها خير من الف شهر ليس فيها هذه الليلة وذلك لما فيها من الخيرات والبركات وتقدير الارزاق والمنافع الدينية والدنيوية فقال مجاهد كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس فاستقصرها وخاف ان لا يبلغوا من الاعمال مثل ما بلغه ساير الامم فاعطاه الله ليلة القدر هي خير من الف شهر لساير الامم وقيل ان الرجل فيها هو ما كان يستحق اسم العابد حتى يعبد الله الف شهر وذكر القسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال قلت للحسن بن علي يا مسود وجوه المؤمنين عمدت الى هذا الرجل فبايعته يعني معوية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري في منامه بني امية يطأون منبره واحدا بعد واحد وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة فشق ذلك عليه فانزل الله تعالى انا انزلناه الى قوله خير من الف شهر يعني ملك بني امية قال القسم فحسبنا ملك بني امية فاذا هو الف شهر لا يزيد ولا ينقص وزيف بان ايامهم كانت مذمومة فكيف يذكر في مقام التعظيم واجيب بانها كانت اياما عظيمة بحسب السعادات الدنيوية فلا يمتنع ان يقول الله اني اعطيتك ليلة هي في السعادات الدينية افضل من تلك الايام في بابها **السادسة** في الاية بشارة عظيمة للمطيعين وتهديد بليغ للعاصين اما الاول فلانه ذكر ان هذه الليلة خير من الف شهر ولم يبين قدر الخيرية وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم المبارزة علي مع عمرو بن ود افضل من عمل امتي الى يوم القيمة فكانه قال هذا لك بذاك والثناء على عطيتك بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن احيى ليلة القدر فكانه عبد الله نيفا وثمانين سنة ومن احياها كل سنة فكانه رزق اعمارا كثيرة ومن احيا ليالي الشهر لينالها بيقين فكانه عبد الله اربعماية سنة ويجاء برجل من هذه الامة قد عبد الله اربعين سنة فيكون ثوابه اكثر فيقول الاسرائيلي رايت العدل واري ثوابه اكثر فيقول لانكم تخافون العقوبة المعجلة فعبدتموني وامة محمد كانوا امنين بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم انهم كانوا يعبدوني فلهذا السبب كانت عبادتهم افضل واما التهديد فلان الظالم لا يخلصه من المظلوم ولحده وان احيى مائة ليلة من القدر وكذا من عنده مظلمة لان كانت بتطفيف حبة **السابعة** انه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله اجرك الله على قدر نصبك ومن المعلوم ان الطاعة في الف شهر اشق من الطاعة في ليلة واحدة فما التوفيق بين الحديثين الاية والجواب ان الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الاعتبارات الشرعية او العقلية فصلوة الجماعة تفضل على صلوة الفرد بكذا درجة لاجل شرف الاجتماع ولو قلت لمن يرجم انما يرجم لانه زان فهو قول حسن ولو قلته للنصراني فقذف يوجب التعزير ولو قلت للمحصن فهو موجب الحد ولو قلته في حق عائشة رضي الله عنها التي كانت رجلا في العلم لقوله خذوا ثلثي دينكم من هذه الحميراء وطعن في صفوان وهو رجل بدري وطعن في كافة المؤمنين لانها ام المؤمنين وللولد حق المطالبة بقذف الام وان كان كافرا بل طعن في النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو اشرف المخلوقات بل طعن في حكمة الله اذ لا يجوز ان يتركه حتى يتزوج بامراة زانية فتبين ان الاوصاف تختلف اثارها في الثواب والعقاب باختلاف الجهات وبحسب الازمنة والامكنة وذلك من فضل الله وعنايته بمخلوقاته على حسب مشيته وارادته وقوله سبحانه تنزل الملائكة ظاهره يقتضي نزول كل الملائكة اما الى السماء الدنيا واما الى الارض وهو قول الاكثرين وعلى التقديرين فان المكان لا يسعهم الا على سبيل التناوب والنزول فوجا فوجا لاهل الحج فانهم على

كثرتهم يدخلون الكعبة افواجا عن كعب ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة وساقها في الجنة واغصانها تحت الكرسي
فيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبرائيل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطي الرافة والرحمة للمومنين ينزلون
مع جبرائيل ليلة القدر فلا يبقى بقعة في الارض الا وعليها ملك ساجدا وقايم يدعو للمومنين والمومنات وجبرائيل
لا يدع احدا من الناس الا صافحهم وعلامة ذلك ان يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه ومن قال فيها لا اله الا الله ثلث
مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وادخله الجنة بواحدة واول من يصعد جبرائيل حتى يصعد امام الشمس
فيبسط جناحين اخضرين لا ينشرهما الا تلك الساعة من يوم تلك الليلة ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد الكل فيجتمع نور الملائكة
ونور جناح جبرائيل فيقيم جبرائيل ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا يومهم ذلك مشتغلين بالدعاء و
الرحمة والاستغفار للمومنين ولمن صام رمضان احتسابا فيسالونهم عن رجل رجل وعن امراة امراة حتى يقولون
ما فعل فلان كيف وجدتموه فيقولون وجدناه عام اول مبتدعا وفي هذا العام متعبدا او في بعضهم
بالعكس فيدعون للاول دون الاخر ويقولون وجدنا فلانا تاليا وفلانا راكعا وفلانا ساجدا فهم كذلك يومهم وفي
ليلتهم حتى يصعدوا الى السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا الى السدرة فيقول لهم السدرة يا سكان
حدثوني عن الناس فان لي حقا عليكم واني احب من احب الله وتقول الجنة اجعلهم اللهم الي والملائكة واهل السدرة
يقولون امين وانما دل نزول الملائكة على فضيلة هذه الليلة لان الجماعة كلما كانت اكثر كان نزول الرحمة
اوفر والطاعة في حضور الملائكة الذين هم العلماء بالله والعباد له يكون ادخل في الاخلاص واجلب لاسباب القبول
اما الروح فالاظهر انه جبرائيل عليه السلام خص بالذكر لزيادة شرفه وقيل ملك يقوم صفا والملائكة صفا وقيل طائفة
من الملائكة لا يراهم غيرهم الا في هذه الليلة وقيل خلق من خلق ياكلون ويلبسون وليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم
هم خدم اهل الجنة وقيل عيسى عليه السلام ينزل في جماعة الملائكة ليطالع امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران وكذلك
اوحينا اليك روحا وقيل الرحمة وقيل هم كرام الكاتبين يروى انهم يطالعون اللوح فيرون فيها طاعة المكلفين مفصلة
فاذا وصلوا الى معاصيهم ارخي الستر فلا يرونه فحينئذ يقولون سبحان من اظهر الجميل وستر على القبيح فيشتاقون الى لقائهم
فينزلون لذلك ومن فوايد نزولهم انهم يرون في الارض من انواع الطاعات ما لم يروها في سكان السموات ويسمعون انين
العصاة الذي هو احب الى الله من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نسمع صوتا هو احب الى ربنا من تسبيحنا ولعل الطاعة في
الارض خاصية في هذه الليلة فالملائكة ايضا يطلبونها طمعا في مزيد الثواب كما ان الرجل يذهب الى مكة ليكون طاعاته
هناك اكثر ثوابا وفي قوله باذن ربهم اشارة الى انهم لا يفعلون شيئا الا باذن الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وفي
قوله ربهم توبيخ للعصاة وتعظيم لشان الملائكة كانه قال لو كانوا الي لكنت لهم يروى ان داود عليه السلام في مرض الموت
قال الهي كن لسليمان كما كنت لي فنزلت الوحي قل لسليمان فليكن لي كما كنت لي وقوله من كل امر اشارة عند الاكثرين الى فايدة نزولهم
اي من اجل امر قدر في تلك السنة الى قابل ومعنى العدول من لام التعليل الى من السايل كانه يقول لهم من اين جئتم فيقولون ما لكم
وهذا السوال ولكن قولوا لاي امر جئتم لانه حظكم وقيل من كل امرئ اي من اجل كل منهم وبعضهم للركوع وبعضهم للسجود
وبعضهم للدعاء وبعضها للتسليم يروى انهم لا يلقون مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يقدر المقادير في ليلة البراة فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى اربابها وقيل يقدر في ليلة البراة الاجال والارزاق
وليلة القدر الخير والبركة وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به صلاح معاش المكلف ومعاده ويكتب في ليلة
البراة اسماء من يموت ويسلم الى ملك الموت ومعنى سلام هي ان هذه الليلة ما هي الا سلامة وخير واما ساير الليالي فيكون
فيها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة سلام الملائكة على المومنين وقال ابو مسلم يعني ان هذه الليلة سالمة من
الرياح المزعجة والصواعق ونحوها او هي سلامة عن تسلط الشيطان ونحوه او سالمة من تفاوت العبادة شيء من
اجزائها بخلاف ساير الليالي فان الغرض منها يستحب في الثلث الاول والنفل في الاواسط والدعاء في السحر والمطلع بالفتح
المصدر بمعنى الطلوع وبالكسر اسم زمان او مصدر عند بعضهم ومنهم ابو علي هذا ما تقرر عندنا وعند ساير العلماء
في تفسير هذه السورة الشريفة واقول ايضا في تاويله يمكن ان يفهم من ليلة القدر طرف الازل من الابتداء الوهمي
الزماني الذي تقدر فيه ما كان وما سيكون الى يوم الدين بل الى الابد وانما عبر عنه بالليلة لان الاشياء كلها او ذاك
في حيز العدم او الخفا كنت كنزا مخفيا وانما كانت خيرا من الف شهر بل من ثلثين الف سنة كما قال وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون وهي الدهر الاعظم الدور الثوابت لما تقرر في المعقول والاصول ان العناية الازلية هي

الكفاية الابدية ولهذا كانت الامور بخواتيمها وكل ميسر لما خلق له فلو لم يكن للشخص سعادة مقدرة في الازل لم يفد
طاعة ثلثين الف سنة واكثر فانزل القران في هذه الليلة عبارة عن احصايه في اللوح المحفوظ الامام المبين وهو في
وقت نزول الروح الاعظم والملائكة المقربين بسبب كل امر هو كن من غير توسط سادة ومدة لكنها سالمة عن الشوايب
الجسمانية والعلايق الجرمانية الى ظهور فجر عالم الاشباح الظاهرة بالحواس المعرضة للعهد والقوى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينه ● رسول من الله يتلوا صحفا
مطهرة فيها كتب قيمة ● وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاتهم البينه ● وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة و
ذلك دين القيمه ● ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البريه
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريه ●
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ●

القراءة البريه بالهمزة نافع وابن ذكوان الوقوف البينه مطهرة قيمه البينه القيمة فيها
البريه الصالحات البريه ابدا عنه ربه التفسير استصعب بعض العلماء ومنهم الواحدي نظم هذه الاية لانه
تعالى لم يبين انهم منفكون عن اي شيء الا ان الظاهر انه يريد انفكاكهم عن كفرهم ثم انه فسر البينه بالرسول ومعلوم ان
حتى لانتهاء الغاية فالاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول وهذا ينافي قوله وما تفرق الاية
والجواب على ما قال صاحب الكشاف ان هذه حكاية كلام الكفار وتقريره ان الكفار من الفريقين اهل الكتب وعبدة الاوثان
كانوا يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن فيه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي
هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم
يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره من كلام البشر ان يقول الفاسق
لمن يعظه لست بممتنع مما انا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فلما رزقه الله الغنى ازداد فسقا فيقول واعظه
لم يكن منفكا عن الفسق حتى يوسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكر ما كان يقوله توبيخا والزاما لان الذي

وقع كان خلاف ما ادعى وقيل ان حتى للمبالغة تيول المعنى الى قولك مثلا لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم
البينة وقال القوم انا لا نحمل قوله منفكين على ما مر بل نحمله على كونهم منفكين من ذكر محمد بالمناقب والفضايل ثم لما جاءهم
محمد تفرقوا وقال الكل واحد فيه قولا اخر ونظيره فيكون الاية كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به ولا يبعد في هذا الوجه ان يكون بعضهم قد قال في محمد قولا حسنا وامن به لان التفرق يحصل بان
لا يكون الجميع باقين على حالهم الاولى فاذا صار بعضهم مومنا وبعضهم كافرا على اختلاف طرق الكفر حصل التفرق ولا
يبعد ايضا ان يراد انهم لم يكونوا منفكين عن اتفاق كلمتهم على كفرهم حتى جاءهم الرسول فحينئذ تفرقوا وما بقوا على ذلك
الايتلاف واضطربت اقوالهم وفي قوله منفكين اشارة الى هذا لان انفكاك الشيء عن الشيء هو انفصاله عنه
بعد التحامه والتيامه كالعظم اذا انفك عن مفصله فالمعنى انهم تخلوا بما خلت عن تلك العقايد والجزم بصحتها الا بعد
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقوله من اهل الكتاب والمشركين بيان للذين كفروا والمراد ان الكفار فريقان بعضهم
اهل الكتاب ومن يجري مجراهم كالمجوس وبعضهم مشركون وقيل المشركون هم اهل الكتاب ايضا وذلك ان النصارى
هم اهل التثليث واليهود هم اهل التشبيه وقد يقال القايل جاءني العقلاء والظرفاء واراد قوما باعيانهم وفايدة الواو
وانهم جامعون بين الوصفين ومما يويد هذا الوجه انه لم يعد الا ذكر اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
والاولون اعتذروا عن ذلك بانهم انما خصوا بالذكر لفضلهم وبركة علمهم او لمن يريد ان توبيخهم فان المعوق والعناد من
العالم اقبح ولعل هذا هو السبب في تقديم ذكرهم اولا والبينة الحجة الواضحة واطلاقها على الرسول كاطلاق النور والسراج
عليه والصحف القراطيس التي يكتب فيها القران المطهر من النقايص ومس المحدث اياه ومعنى تلاوته اياها وعن جعفر
الصادق رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ من الكتاب فان كان لا يكتب ولعل هذا من معجزاته والكتب المكتوبات
والقيمة المستقيمة او المستقبلة بالدلالة من قولهم قام فلان بامر كذا وقال ابو مسلم البينة مطلق الرسل وهم الملائكة اي رسل
من السماء يتلون عليهم صحفا كقوله يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء كقوله بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا
منشرة قال الجبائي في قوله وما تفرقوا الامر بعد كذا دلالة على ان الشقاوة والسعادة لم تثبتا في الازل ولا في اصلاب الاباء
وزيف بان المراد ظهور التفرق منهم لا حصوله في علم الله وهو ظاهر قوله وما امروا اي وما امروا به في التورية والانجيل
الا لاجل ان يعبدوا الله على حالة الاخلاص والميل عن الاديان الباطلة فقوله حنفاء حال مرادفة او متداخلة وذلك دين
القيمة موصوفها محذوف اي دين الملة القيمة ويعلم من هذا الاخبار ان الامر المذكور ثابت في شرعنا ايضا كما في شرايعهم
ويحتمل ان يراد وما امروا على لسان محمد قال المعتزلة استدل بالاية من قال ان الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والعمل
بيانه انه تعالى ذكر العبادة المقرونة بالاخلاص وهو التوحيد ثم عطف عليه اقامة الصلوة وايتاء الزكوة ثم اشار الى المجموع
بقوله وذلك دين القيمة ورد بالمنع ان المشار اليه هو المجموع ولم لا يجوز ان يكون اشارة الى التوحيد فقط سلمنا لكن
لا يجوز ان يراد بدين القيمة الدين الكامل المستقل بنفسه وهو اصل الدين مع شرايعه وثمراته ثم ذكر وعيد الكفار ووعد
الابرار وقدم في الوعيد اهل الكتاب على المشركين والسر فيه بعد ما مر انه صلى الله عليه وسلم كان يقدم حق الله على حق نفسه
ولهذا حين كسر رباعيته قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وحيث فاتته صلوة العصر يوم الخندق قال
ملأ الله بطونهم وقبورهم نارا فقال الله تعالى كما قدمت حقي على حقك فانا ايضا اقدم حقك على حقي
فمن ترك الصلوة طول عمره لا يكفر ومن طعن فيك بوجه يكفر ثم ان اهل الكتاب طعنوا فيك فقدمتهم في الوعيد
على المشركين الذين طعنوا في وايضا المشركون راوا صغير اتيتنا فيها بينهم ثم انه بعد النبوة سفه احلامهم وكسر اوثانهم
وهذا امر شاق يوجب العداوة الشديدة عند اهل الظاهر واما اهل الكتاب فقد كانوا مقرين بمبعث نبي اخر الزمان
وكان النبي مصدقا لنبيهم وكتابهم فلم يوجب لهم ذلك عداوة شديدة وطعنهم في محمد طعن في غيره فوقعه
فاستحقوا التقديم في الوعيد لذلك وكانوا شر البرية وهذه جملة يطول تفصيلها اشر من السراق لانهم سرقوا
من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا على سفلتهم طريق الحق وشر من
الجهال لان العناد اقبح انواع الكفر وفيه دليل على ان وعيد العلماء السوء اقطع قوله تعالى في هذه الاية خالدين فيها
وفي اية الوعد خالدين فيها ابدا اشارة الى كمال كونه وسعة رحمته كما قال سبقت رحمتي غضبي قالوا العلماء هذه
الاية مخصوصة في صورتين احدهما ان من تاب منهم واسلم خرج من الوعيد والثاني من معنى من الكفر
ويجوز ان لا يدخل فيها الا فرعون كان شرا منهم قوله وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فلا تكلف يأتي بجميع الصالحات

بل لكل مكلف حظ فحظ الغناء الاعطاء وحظ الفقير الاخذ احتج بعضهم بقوله اولئك هم خير البرية على تفضيل
البشر على الملك قالوا وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اتعجبون من منزلة الملائكة من الله والذي
نفسي بيده لمنزلة العبد المومن عند الله يوم القيمة اعظم من ذلك وقرا هذه الاية اجاب المنكرون بان هذا
للملك ايضا داخل في الذين امنوا وعملوا الصالحات او المراد بالبرية بنو ادم لان اشتقاقها من البراة وهو التراب
لا من الخلق وتمام البحث في المسئلة قد سبق في اول البقرة قوله سبحانه ذلك لمن خشي ربه مع قوله انما يخشى الله من
عباده العلماء ظاهر في ان العلماء بالله ● هم خير البرية ● اللهم اجعلنا منهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها ● واخرجت الارض اثقالها ● وقال الانسان ما لها ● يومئذ تحدث اخبارها ● بان
ربك اوحى لها ● يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا
اعمالهم ● فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ● ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

القراءة يره ساكنة الهاء في الحرفين الحلواني عن هشام الوقوف زلزالها ○ اثقالها ○ ما لها ○ لاحتمال
حذف عامل اذا اي كانت هذه الامور ترى ما ترى واحتمل ان يكون العامل تحدث يومئذ بدلا من اذا اخبارها ○ لها ○ اعمالهم ○
يره ○ التفسير لما ختم السورة المتقدمة بالوعيد والوعد اتبعه ذكر وقت الجزاء وعدد من اماراته الزلزلة الشديدة
التي يتاملها الارض وهي معنى اضافة الزلزال الى ضمير الارض قال اهل المعاني هو كقولك اكرم التقي اكرامه واهن
الفاسق اهانته تريد ما يستحقانه من الاكرام والاهانة وقريب منه قول من قال المراد زلزالها كل الزلزال وجميع ما
هو ممكن منه ان يوجد من الزلزلة كل ما يحتمله المحل وقيل زلزالها الموعود والمكتوب عليها لما انها قدرت تقدير الحي يروى
انها تزلزل من شدة صوت اسرافيل عليه السلام ومن امارات الساعة اخراج الارض اثقالها اي ما في جوفها من الدفائن
والاموات قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وسمي الجن
والانس بالثقلين لذلك يروى انها تخرج كنوزها فتملأ ظهر الارض ذهبا ولا احد يلتفت اليه وكان الذهب يصيح ويقول
ما كنت تخرب دينك ودنياك لاجلي ويمكن ان يكون الفايدة في اخراجها ان يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها الجباه و
الجنوب والظهور قالوا انها عند النفخة الاولى تتزلزل فتلفظ بالكنوز والدفاين وعند النفخة الثانية ترجف
فتخرج الاموات احياء كالام تلد حيا وقيل تلفظهم امواتا ثم يحييهم الله تعالى وقيل اثقالها اسرارها فيومئذ تكشف
الاسرار ولذلك قال يومئذ تحدث اخبارها اي تشهد لك وعليك وقال الانسان ما لها تعجبا من حالها وقيل هو الكافر
لانه كان لا يومن بالبعث فيقول من بعثنا من مرقدنا هذا فاما المومن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
والباء في قوله بان ربك اما ان يتعلق بتحدث والايحاء بمعنى الامر اي تحدث بسبب ان ربك امرها بالتحديث ومفعول
تحدث محذوف اي تحدث الناس او متروك لان المقصود تحديثها بان ربك اوحى لها تحدث باخبارها كما تقول
نصحني كل نصيحة ان نصحني في الدين وقيل بدل من اخبارها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى
اوحى اليها وهو مجاز عند بعضهم كصاحب الكشاف وابي مسلم لانها بلسان الحال تبين لكل احد جزاء عمله او تحدث
ان الدنيا قد انقضت والاخرة قد اقبلت والجمهور على انه تعالى يجعل الارض ذات فهم ونطق ويعرفها جميع ما عمل
عليها فحينئذ تشهد لمن اطاع وعلى من عصى وكان علي كرم الله وجهه اذا فرغ المال يصلي فيه ركعتين ويقول اشهدي

ان ملائكة بحق وفرعتك بحق وقيل لفظ التحديث يفيد الاستيناس فلعل الارض تبث بشكواها الى اولياء
الله وملائكته وقالت المعتزله ان الله تعالى يخلق في الارض وهي جماد اصواتا مقطعه مخصوصة فيكون
المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى قوله يصدر دون الصدر وضد الورود فالوارد الجائي والصادر
المتصرف واشتاتا اى متفرقين جمع شت وشتيت اى يذهبون من مخارج قبورهم الى الموقف بعضهم راكبين
مع الثياب الحسنة وبياض الوجه وينادي مناد بين يديه هذا ولي الله وبعضهم مشاة حفاة عراة سود الوجوه
مقيدين بالسلاسل والاغلال والمنادي ينادي هذا عدو الله وقيل اشتاتا اى كل فريق مع شكله اليهودي مع
اليهودي والنصراني مع النصراني وقيل من كل قطر من اقطار الارض ليروا صحايف اعمالهم او جزاء اعمالهم وهو الجنه
او النار وما يناسب كلا منهما والذرة اصغر من النمل او هي الهباء وعن ابن عباس اذا وضعت راحتك على الارض ثم رفعتها
فكل واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة فليس من عبد عمل خيرا او شرا قليلا كان او كثيرا الا اراه الله تعالى
اياه قال مقاتل نزلت هذه الاية في ان احدهم كان ياتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ويقول
ما هذا بشيء وانما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وكان احدهم يتهاون بالذنب الصغير يقول لا شيء علي من هذا فرغبهم الله تعالى
في القليل من الخير لانه يوشك ان يكثر وحذرهم من الذنب اليسير فانه يوشك ان يعظم ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم اتق النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة والتحقيق ان المقصود النيه فان كان العمل قليلا والنيه
خالصه حصل المطلوب وان كان العمل كثيرا والنيه فاسدة فالمقصود فايت ولهذا قال كعب لا تحقروا شيئا من المعروف
فان رجلا دخل الجنة باعارة ابرة في سبيل الله وان امراه اعانت بحبه في بناء بيت المقدس دخلت الجنه وعن
عايشه كان بين يديها عنب قدمت الى نسوة بحضرتها فجاء سايل فامرت له بحبة من ذلك فضحك بعض من كان
عندها فقالت فيما ترون مثاقيل كثيرة وتلت هذه الاية قال في الكشاف ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيات
المومن معفوة باجتناب الكباير فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر واجاب على مذهبه بان المعنى
فمن يعمل من فريق السعداء مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل من فريق الاشقياء مثقال ذرة شرا يره وذلك ان الحكيم
جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا والاولى في جوابه ما روى عن ابن عباس ليس من مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا
الا اراه الله اياه فاما المومن فيغفر له سياته ويثاب بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسياته وقيل ان
حسنات الكافر وان كانت محبطة بكفره لكن الموازنة معتبرة فيقدر تلك الحسنات انحبطت من عقاب كفره و
كذا القول في الجانب الاخر وعن محمد بن كعب القرظي معناه فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب
ذلك في الدنيا حتى يلقى الاخرة وليس فيها شيء وهذا مروي عن ابن عباس ايضا ويويده ما روى انه صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر يا ابا بكر ما رايت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى توفاها يوم القيمه فان
قيل ان كان الامر على هذا الحد فاين الكرم قلنا هذا هو الكرم لان المعصية وان قلت ففيها استحقاق والكريم لا يحمله و
الطاعة تعظيم فان قلت فالكريم لا يضيعه وقال اهل العرفان كانه تعالى يقول ابن ادم انك مع ضعفك وعجزك لم تضيع
ذرة من مخلوقات بل نظرت فيها واعتبرت بها واستدللت بوجودها على وجوب الصانع فانا مع كمال قدرتي وكرمي كيف اضيع

ذرتك

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا ۝ فالموريات قدحا ۝ فالمغيرات صبحا ۝ فاثرن
به نقعا ۝ فوسطن به جمعا ۝ ان الانسان لربه لكنود ۝ وانه على

ذلك لشهيد ۝ وانه لحب الخير لشديد ۝ افلا يعلم اذا بعثر ما في
القبور ۝ وحصل ما في الصدور ۝ ان ربهم بهم يومئذ لخبير ۝

القراءة والعاديات ضبحا بالادغام ابو عمرو وغير عباس فالمغيرات صبحا ابو عمرو غير عباس وخلاد عن حمزه
الوقوف ضبحا قدحا صبحا نقعا جمعا لكنود لان ما بعده يصلح عطفا واستينافا لشهيد لذلك لشديد
القبور الصدور لخبير التفسير انه سبحانه ذكر في هذه السورة رداءة ما عليه جبلة الانسان من قلة الصبر
والشكر والحرص على المال بحيث يكاد يشغله عن تحصيل الكمال الحقيقي وعن المعاد الذي اليه مآب العباد فاقسم على
ذلك بالتي هي مركوزة في الخزانة خيالهم ولا يكاد يخلو في الاغلب عن الخطور ببالهم وفي تفسيرها قولان مرويان الاول
ان العاديات هي الابل يروى عن ابن عباس انه بينا انا جالس في الحجر اذ جاء رجل فسالني عن العاديات ضبحا ففسرتها
بالخيل فذهب الى علي رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على راسه
قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام يعني بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس
للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى مزدلفة الى منى والضبح على هذا استعارة لان اصل استعماله
في الخيل وهو صوت انفاسها اذا عدون وهذا الصوت غير الصهيل وغير الحمحمه واستعاره على تضمين ضبحا و
بالعاديات لان العدو لا يخلو من الضبح او على الحال وهكذا القول في الموريات قدحا لان الابل قلما يودي اخفافها يقال
قدح ما دوري وقدح فاصله فالمغيرات اى المسرعات يدفعون ضحوه يوم النحر مسرعين الى منى فاثرن من الاثارة
اى هيجن وهو حكاية الماضي وهو نحو نادي وسيق به اى بالعدو او بذلك الوقت نقعا غبارا فوسطن به ذلك الوقت
او بالعدو او ملتبسه بالنقع جمعا وهو المزدلفه لاجتماع الحاج بها القول الثاني عن مجاهد وقتاده والضحاك واكثر
المحققين ان العاديات الخيل ويروى ذلك مرفوعا قال الكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى اناس من كنانه
فمكث ما شاء الله ان تمكث لا ياتيه منهم خبر فتخوف عليها فنزل جبرائيل عليه السلم بخبر مسيرها وعلى هذا اللام في العاديات
للعهد ويحتمل ان يكون للجنس ويدخل خيل السرية فيها دخولا اوليا وقوله فالمغيرات على هذا يكون من اغار على العدو واذا اتت
عليهم الغارة والجمع جمع الغزاة والكفرة وقيل الايراء عبارة عن نشب نيران الحرب وايقادها كقوله كلما اوقدوا نارا
للحرب وقيل هي نيران الغزاة بالليل لحاجة طعامهم وغيره وعن عكرمه هي الالسنة وقيل يعني المنجحات في الامور فيحتمل
ان يكون الخيل او الابل لانه وحدها المقصود من الحج او الغزو ويحتمل ان يراد جماعة الغزاة بانفسهم فقال النجح في حاجته
وورى زنده وفي اقسام الله تعالى بالابل دلالة على عظم شانهن وكثرة منافعهن دينا ودنيا كما قال افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت وذلك انها الهم فيها ركوبهم ومنها ياكلون وكذا في الاقسام بالخيل وذلك مشاهد من عدوها وكرها وفرها
بحسب مشية الراكب ولامرها قال صلى الله عليه وسلم فيها الخيل معقود بنواصيها الخير وقالت العقلا ظهرها حرز
وبطنها كنز قال الواحدي اصل الكنود منع الحق والخير ولهذا فسره ابن عباس وعكرمه ومجاهد والضحاك وقتاده
بالكفور قالوا ومنه سمي الرجل المشهور بكنده لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان العاصي وبلسان بني مالك
البخيل وبلسان مضر وربيعه الكفور وروي عن ابو امامه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكنود الكفور الذي يمنع
رفده وياكل وحده ويضرب عبده وفي تقديم الظرف مزيد تقريع يعني انه لنعمه ربه خصوصا لشديد الكفران فكيف نعمه
غيره من الابوين ونحوهما وقال الحسن الكنود اللوام لربه يعد المحن والمصايب لانه ينسى النعم والراحات والاكثرون على
ان الانسان هو الكافر لقوله بعد ذلك افلا يعلم ويجوز ان يكون توبيخا على انه لا يعمل بعلمه والضمير في قوله وانه على ذلك
اما ان يعود الى الرب وهو اقرب فيكون كالوعيد من حيث ان الله يحصي عليه اعماله واما ان يعود الى الانسان اى انه على
كنوده لشهيد لا يقدر ان يجحده لظهور اماراته عليه وقد يرجح هذا الوجه بان الظاهر في قوله وانه لحب الخير الخيرات الحقيقية
غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض وقال الفراء اراد انه لحب الخير لشديد الحب اى انه يحب المال لكونه محبا له فاكتفى
بالحب الاول عن الثاني وقال قطرب باللام بمنزلة ذلك ۝ والتقدير لشديد حب الخير ثم وبخه وخوفه بالعلم
التام الازلي الابدي الشامل لاحوال مبدا الانسان ومعاده وبعثر مثل بحثر كما مر في ۝ وانما لم يقل من في القبور
بل قال ما في القبور بحكم التغليب فان اكثر ما في الارض ليسوا مكلفين والذين هم مكلفون يجوز ان يكون الحال البعث امواتا

يعني عقلا وبصيرا والاحياء بعد البعث قال ابو عبيد وحصل ما في الصدور اي ميز ما فيها فلكل واحد من الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحظور حكما حكم خاص وقيل معنا وجمع ما في الصدور في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا وقيل بكشف ما في البواطن من الاخبار وما في الاستار من الاسرار ويندرج فيه اعمال الجوارح تبعا وانما لم يقل ما في القلوب لان القلب مطية الروح وهو بالطبع يحب لمعرفة الله تعالى انما التارع في هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر وانما جمع الضمير في قوله ان ربهم بهم حملا على معنى الانسان ومعنى تقييد العلم بذلك الزمان حيث قال يومئذ وهو عالم باحوالهم ان لا مزيد التوبيخ فكانه تعالى قال عالم في الازل كان يصير بعد الاختيار عالما فالذي هو عالم في الازل كيف لا يكون خبيرا بهم في الاخر ويجوز ان يكون سببا التقييد هو ان ذلك وقت المجازاة على حسب العلم بالاحوال والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة • وما ادريك ما القارعه • يوم يكون الناس كالفراش المبثوث • وتكون الجبال كالعهن المنفوش • فاما من ثقلت موازينه • فهو في عيشة راضية • واما من خفت موازينه • فامه هاوية • وما ادريك ماهية • نار حامية •

القراءة ماهي نار بغير هاء السكت في الوصل حمزة وسهل ويعقوب والاخرون بالهاء وان كانت وصلا اتباعا لخط المصحف الوقوف القارعة ما القارعة ما القارعه المبثوث للاية والعطف المنفوش للابتداء بالشرط موازينه لان ما بعده جواب فاما راضيه موازينه هاوية ماهيه حاميه التفسير لما ختم السورة المتقدمة باحوال المعاد وذكر في هذه السورة بعض اهوال الاخرة والقرع الاصطكاك بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة الهائلة قارعة والمراد ههنا القيامة ولا اهول منها ولذلك قال في الاخبار عنها ما القارعة لانه يفيد زيادة التهويل ثم قال وما ادريك ما القارعة وانتصب يوم بفعل محذوف دل عليه القارعة اي يقرع الناس يوم كذا وهذا القرع عبارة عن الصيحة التي يموت فيها الخلائق ثم يحييهم الله عند النفخة الثانية كما روي ان الصور • عدة الابواب لكل واحد شعبة معلومة فيجيء الله بتلك النفخة الارواح اليه من الشعبة المعينه وقيل القرع هو اصطكاك الاجرام العلوية والسفلية حتى التحريف والتبديل وهو في انفطارها وانتثارها واندكاكها قاله الكلبي وقال مقاتل انها تقرع اعداء الله بالعذاب واما اولياؤه فهم من القرع فهم امنون والفراش اسم لهذه الدواب التي تتهافت وتقع في النار سمي فراشا لتفرشه وانتشاره واكد هذا المعنى بقوله المبثوث وشبه الناس يومئذ بها لكثرتهم وانتشارهم ذاهبين في كل اوب كما شبههم بالجراد ثم يؤول حالهم الى الهزال والضعف لحر الشمس ولسائر اصناف المتاعب فشبهوا اخرا بالفراش ويمكن ان يكون وجه التشبيه الذلة والضعف كقوله صلى الله عليه وسلم الناس اثنان عالم ومتعلم وسائر الناس همج وشبه الجبال بالعهن لاختلاف اجزائها في الحمرة والبياض والسواد كما مر في المعارج وزاد ههنا وصفه بالمنفوش لتفرق اجزائها بزوال التاليف ثم قسم الناس فيه الى قسمين بحسب ثقل موازين اعمالهم وخفتها وقد مر تحقيقه مرادا ولاسيما في اول الاعراف والحاقة وله فامه هاوية فيه وجوه احدها ان الام هي المعروفة والهاوية الهالكة وهو ظهور • وسقطت يعنون الدعاء عليه بالويل والثبور والخزي والهوان وقال الاخفش ينكسون في النار

على رؤسهم وقيل اللام الاصل والهاوية من اسماء النار لانها نار هو النار ويؤيد هذا الوجه قوله ماهيه اي ما الهاوية هذا هو الظاهر والاولون قالوا الضمير للداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية وفي قوله نار حامية اشارة الى ان نيران الدنيا بالنسبة اليها والاخرة غير حامية والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم التكاثر • حتى زرتم المقابر • كلا سوف تعلمون • ثم كلا سوف تعلمون • كلا لو تعلمون علم اليقين • لترون الجحيم • ثم لترونها عين اليقين • ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

القراءة لترون بضم التاء من الاراءة مجهولا ابن عامر وعلي الوقوف التكاثر المقابر لان كلا بمعنى حقا وقد يحمل على الردع عن التكاثر سوف تعلمون سوف تعلمون اليقين لان جواب لو محذوف وقوله لترون جواب قسم الجحيم اليقين النعيم التفسير لما ذكر القارعة واهوالها قال الهيكم اي شغلكم التكاثر وهو المغالبة بالكثرة او تكلف الافتخار بها مالا وجاها عن التدبر في امر المعاد فنسيتم القبر حتى زرتموه روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم اي غلبهم بالكثرة بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات اي عدوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا فزاد بنو سهم فنزلت الاية وهذه الرواية شديدة الطباق لظاهر الاية لقوله زرتم بصيغة الماضي وفيه تعجب من حالهم انهم زاروا القبور في معرض المفاخرة والاستغراق فنزلت في تجب ما الا طائل تحته من التباهي بالكثرة والتمادي فيها مع ان زيارة القبور مظنة ترقيق القلب وازالة القساوة كما قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي فزوروها فان في زيارتها تذكرة ومن هنا قال بعضهم ان الحرص على المال قد شغلكم عن الدين فلا تلتفتون اليه الا اذا زرتم المقابر فحينئذ ترق قلوبكم بعض ان تحظكم من دينكم اليس الا هذا القدر ونظيره قوله قليلا ما تشكرون اي لا اقنع منكم بهذا القدر من الشكر وقيل معنى الاية الهيكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك ويندرج فيه منع الحقوق المالية الى حين الموت ثم يقول وصيت لفلان بكذا ولفلان بكذا واستدلوا عليه بما روى مطرف بن عبد الله الشخير عن ابيه انه صلى الله عليه وسلم قال ابن ادم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت ثم قرا الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر اي حتى متم واورد عليه ان الزائر هو الذي يجيء ساعة ثم ينصرف والميت يبقى في قبره مدة مديدة وايضا ان قوله زرتم صيغة الماضي فكيف يحمل على المستقبل فيمكن ان يجاب عن الاول ان مدة اللبث في القبر بالنسبة الى الابد اقل من لحظة كما قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وعن الثاني بان المشرف على الموت كانه على شفير القبر او هو خبر عن تقدمهم فالخبر عنهم كالخبر عن متاخريهم لانهم كانوا على طريقتهم وقال ابو مسلم انه تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيمة تعبيرا للكفار وهم في ذلك الوقت قد تحققت منهم زيارة القبور والمقابر جمع المقبرة فتحا او ضما والتاء فيه غير قياسي قال العلماء التكاثر مطلقا ليس بمذموم لان التكاثر في العلم والطاعة والاخلاق الحميدة ليس بمذموم اذا كان المراد ان يقتدي غيره به كما مر في قوله واما بنعمة ربك فحدث فلما المذموم ما يكون الباعث عليه الاستكبار وحب الجاه والغلبة والفخر والاستعاذة حقيقية فيه فليست السعادة الحقيقية الا فيما يرجع الى العلم والعمل والى ما يعين عليهما من الامور الخارجية عن الحسن لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتحاسب وتكرير الوعيد وهو سوف تعلمون للتاكيد وقيل الاول

عند الموت حين يقال له لا بشرى والثاني في سؤال القبر اذ يقال من ربك وفيه دليل على عذاب القبر ما روي عن علي كرم
الله وجهه او حين ينادي المنادي فلان شقي شقاوة لا سعادة بعدها ابدا وحين يقال وامتازوا اليوم وعن الضحاك اراد
سوف تعلمون ايها الكفار ثم كلا سوف تعلمون ايها المومنون والاول وعيد والثاني وعد وقيل ان كل واحد يعلم قبح الكذب
والظلم وحسن الصدق والعدل لكن لا يعرف مقدار اثارها ونتايجها والله تعالى يقول سوف تعلمون علما تفصيليا مدرجا
شيا فشيا عند الموت ثم عند البعث في النار او في الجنة قوله سبحانه لو تعلمون علم اليقين اتفقوا على ان جواب لو محذوف
لان قوله ثم لتسالن امر واقع قطعا فلو كان قوله لترون جوابا للشرط كانت الروية امرا مشكوكا فيه فيلزم المخالفة بين المعطوفات
او الشك فيما هو واقع قطعا وكلاهما غير سديد ثم في تقدير الجواب وجوه قال الاخفش لو تعلمون علم اليقين ما الهيكم التكاثر
وقال ابو مسلم لو علمتم ما يجب عليكم وما خلقتم لاجله لاشغلتم به وقال اهل البيان الاولى تقديره ما هو عام في كل شي يعني
لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه كنهه ولكنكم ضلال جهلة ومعنى علم اليقين فاضيف الموصوف الى الصفة نحو ولدار الاخرة
ويحتمل ان يكون اليقين هو الموت كقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فان الشك وتقيد يزول والاحوال الى اليقين
يزول والانسان اذا علم ما يلقاه حين يموت لم يلهه التكاثر واضافة العلم الى بعض انواعه جايز كعلم الطب وعلم الحساب وفي
الاية بعث للعلماء على ان يعملوا بعلمهم والا لم يكن بعد فوات ايان العمل سوى الحسرة والندامة يروى ان ذا القرنين لما دخل
الظلمات امر من معه بان ياخذوا من الحرز الذي كانت عنده فاخذ بعضهم فلما خرجوا من الظلمات وجدوا الحرز جواهر
فكان للاخذين فرحا وسرورا وللتاركين غما وحسرة اما تكرار روية الجحيم فقيل ان الاولى رويتها من بعيد كما قال اذا راتهم
من مكان بعيد والثاني رويتها من قريب اذا وصلوا الى شفيرها وقيل الاولى عند الورود والثانية بعد الدخول وورد
قوله ثم لتسالن فان السوال قبل الدخول وقيل الشبه للتكرار والمراد تتابع الروية واتصالها وكانه قيل لهم ان كنتم شاكين
فيها فلترونها روية دايمة متصلة فيجوز ان يكون قوله علم اليقين متعلقا بالرويتين جميعا ويجوز ان يكون متعلقا بالثانية
لان علمهم بها واحوالها والامها يزداد شيا فشيا حتى يصير الخبر عيانا ومعنى علم اليقين وحق اليقين قد مر في اخر الواقعة
وفي السوال عن النعيم وجهان الاول ان الكفار لما روي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت الاية قال يا رسول الله
ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب ايكون من النعيم الذي يسال عنه
فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قرا وهل يجازى الا الكفور ولان الخطاب في اول السورة للذين الهيكم التكاثر
عن المعاد فناسب ان يكون الخطاب في اخر السورة اياهم ويكون الغرض من السوال التقريع حتى يظهر لهم ان الذي
ظنوه سببا للسعادة هو اعظم اسباب الشقاء لهم الثاني العموم لوجوه منها رواية ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم اول ما يسال عنه العبد يوم القيمة النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك الم نروك من الماء البارد ومنها قول محمد بن
لبيد لما نزلت السورة قالوا يا رسول الله انما هو الماء والتمر وسيوفنا على عواتقنا والعدو حاضر فعن اي نعيم يسال فقال
اما انه سيكون وعن انس لما نزلت الاية قام محتاج فقال هل علي من النعمة شي فقال الظل والنعلان والماء البارد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما العبد يوم القيمة حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه
وعن ماله فيما اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به وعن الباقر ان النعيم العافية وعنه ان الله تعالى اكرم من يطعم
عبدا ويسقيه ثم يساله عنه وانما النعيم الذي يسال عنه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت قوله تعالى لقد
من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا وقيل هو الزايد على الكفاية وقيل خمس نعيم شبع البطون وبارد الشراب ولذة النوم
واظلال المساكن واعتدال الخلق وعن ابن مسعود الامن والصحة والفراغ وعن ابن عباس ملاذ الماكول والمشروب وقيل
الانتفاع بالحواس السليمة وعن الحسن بن الفضل تخفيف الشرايع وتيسير القران وقال ابن عمر الماء البارد والظاهر العموم
لاجل الاسم الجنس الا ان سوال الكافر للتوبيخ لانه عصى وكفر وسوال المومن للتشريف فانه اطاع وشكر والظاهر ان هذا السوال
في الموقف وهو متقدم على مشاهدة جهنم ومعنى ثم الترتيب في الاخبار اي ثم اخبركم انكم تسالون يوم القيمة عن النعيم
وقيل هو في النار توبيخا لهم كقوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير وقوله ما سلككم ونحوه ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

الوقوف والعصر لفي خسر
بالصبر التفسير لما بين في السورة
المتقدمة ان الاشتغال بامور الدنيا والتهالك عليها مذموم اراد ان يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الايمان
والاعمال الصالحات وهو حظ الادمي من جهة الكمال ومن التواصي بالخيرات وبكشف النفس عن المناهي وهو حظه من حيث
الاكمال فاكما اراد بقوله والعصر وللمفسرين فيه اقوال الاول انه الدهر لوجوه منها ما جاء في القراءة الشاذة انه صلعم
كان يقرا والعصر ونوايب الدهر وحمله العلما ان صح على التفسير لا على انه من القران ولهذا لا يجوز قراته في الصلوة ومنها
ان الدهر يشتمل على الاعاجيب الدالة على كمال قدرة خالقها من تعاقب الملل والدول وساير الاحوال الكلية والجزئية بل نفس
الدهر من اعجب الاشياء لانه موجود يشبه المعدوم ومتحرك يضاهي الساكن واري الزمان سفينة تجري بنحو المنون
ولا نرى حركاته ومنها ان عمر الانسان كبعض منه قال شعر اذا ما مر يوم مر بعضي ولا شي انفس من العمر وفي
تخصيص القسم به اشارة الى ان الانسان يضيف المكاره والنوايب اليه ويحمل شقاوة وخسرانه عليه فاقسام الله تعالى
به دليل على شرفه وان الشقاء والخسران انما لزم الانسان لعيب فيه لا في الدهر ولذلك قال ولا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
القول الثاني وهو قول مسلم ان العصر هو اخر النهار اقسم الله بالفجر والضحى لان اخر النهار يشبه تخريب العالم واماتة الاحياء
كما ان اول النهار يشبه بعث الاموات وعمارة العالم فعند ذلك اقامة الاسواق ونصب الموازين ووضع المعاملات
وفيه اشارة الى ان عمر الدنيا ما بقي الا بقدر ما بين العصر الى المغرب فعلى الانسان ان يشتغل بتجارة لا خسران فيها فان
الوقت قد ضاق وبعد لا يمكن تدارك ما فات وقال قتادة انه صلوة العصر لشرفها وفضلها ولهذا فسر بها الصلوة الوسطى
عند كثير وقد مر في البقرة وقيل اقسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم او بزمانه الذي هو عصر نهار الدنيا كما جاء في حديث
طويل وقد اقسم بمكانه بقوله لا اقسم بهذا البلد وبحياته في قوله لعمرك وكل ذلك تشريف له وتوبيخ لمن توقف فيه واما اللام في
الانسان فاما للمعهود معين كما روي عن ابن عباس انه اراد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود
بن عبد المطلب وعن مقاتل انه ابو لهب وفي خبر مرفوع انه ابو جهل كانوا يقولون ان محمدا لفي خسار فاقسم الله تعالى ان
الامر بالضد مما توهموه وعلى هذا يكون الاستثنا منقطعا والاكثرون على ان اللام للجنس ثم ان كان المراد بالخسر الخسران
كالكفر والكفران هو الهلاك كان المراد جنس الانس على الاطلاق وان كان المعنى بالخسر الضلال والكفر كان المراد جنس الكافر
هكذا قال بعضهم ولقايل ان يمنع الفرق ولا يخفى ما في ان ولام التاكيد وكلمة في التنكير خسر من المبالغات فكانه ابتلاه
جهات الخسر كلها واعظما خسرانه عن جناب ربه قال بعضهم ان الانسان لا ينفك من خسر لان عمره راس ماله فافناء
العمر فيما يمكن ان يكون خيرا منه عبارة عن الخسران ووجهه انه افنى عمره في المعصية فخسره وخسرته ظاهران وان
كانت مشغولة بالمباحات فكذلك لانه يمكنه ان يعمل فيه عملا يبقى اثره ولذته دايما وان كانت مشغولة بالطاعات فلا طاعة
الا ويمكن الاتيان بها على وجه احسن لان مراتب الخشوع والعبادة غير متناهية كما ان جلال الله وجلاله ليس لها
نهاية والتحقيق منه ان الانسان لا يكلف الا بما هو وسعه وطوقه لا بالنسبة الى نوعه بل بالنسبة الى شخصه فاذا اجتنب
المعاصي بقدر الامكان واستعمل المباح بمقدار الضرورة والحاجة واتى بالطاعة على حسب امكانه لم يسم خاسرا ولكنه
يكون اكمل الاشخاص البشرية فلهذا استثناه الله تعالى بقوله الا الذين الى اخره وعن بعضهم انه قال في التين لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فابتدا من الكمال الى النقصان وقال ههنا لفي خسر الا الذين فعكس
القضية لان ذلك المذكور في احوال البدن وهذا مذكور في احوال النفس قلت ويمكن ان يقال ان كلتا الايتين في شان
النفس الا انه اراد في التين ذكر استعداده النظري وهو كراس المال وههنا اراد حكاية معاملته بعدما اعطي راس
المال ولا ريب ان اكثرهم منهمكون في طلب اللذات العاجلة المضيعة للاستعداد الاصلي الا الموفقين الموصوفين
بالكمال والاكمال وفي اكمال الخسر وتسريحه الى نفقه الابهام ثم في تفصيل الربح بانه منوط بالايمان والعمل الصالح
والتواصي بالحق وبالصبر دليل على غاية الكرم وان رحمته سبقت غضبه وفي لفظ التواصي دون الدعاء والنصيحة

تاكيد بليغ كانه امر مهتم به كالوصية وفيه انهم ماتوا بالارادة عن الشهوات الفانية فيكون امرهم ونصحهم بمنزلة
قول من اشرف على الوفاة والحق خلاف الباطل ويشمل جميع الخيرات وما يحق فعله وقوله والصبر يشتمل على جميع المناهي
فهم بالحقيقة امرون بالمعروف ناهون عن المنكر وفي لفظ التواصي اشارة الى تحقق وقوعه منهم والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة • الذي جمع مالا وعدده • يحسب ان
ماله اخلده • كلا لينبذن في الحطمة • وما ادريك ما الحطمة
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة • انها عليهم موصدة •
في عمد ممددة

القراءة جمع بالتشديد ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف عمد
بضمتين جمع عماد حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون
بفتحتين جمعا او واحدا في معناه الوقوف لمزة بناء على ان الذي وصف ولو كان منصوبا على الذم او مرفوعا
على الذم فالوقف وعدده واخلده لا ان وصل وقف على كلا الحطمة الحطمة الموقدة الافئدة موصدة
ممددة ه التفسير لما ذكر حكم جنس الانسان في خسرهم عقبه بمثال واحد قال عطا والكلبي نزلت في الاخنس بن
شريق كان يكثر من اعراض الناس وتكثر الطعن فيهم والتركيب يدل على الكسر ومثله اللمز وهو العيب قال تعالى ولا
تلمزوا انفسكم وقال ابن زيد الهمز باليد واللمز باللسان وقال ابو العالية الهمز المواجهة واللمز يظهر العيب وقد يكون سرا
بالحاجب او العين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كانت عادته الغيبة والوقيعة وبناء فعله يدل على ان ذلك كان عادته
واما فعله بسكون العين فهي المفعول وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان السورة نزلت في امية بن خلف والمحققون
على ان خصوص السبب لا ينافي عموم النهي ويحتمل ان يكون النهي عاما ويدخل فيه شخص دخولا اوليا كما لو قال لك انسان
لا ازورك ابدا فيقول كل من لا يزورني لا ازوره تعريضا به ومثله يسمى في اصول الفقه تخصيص العام بقرينة العرف
ولا يخفى ان الهمز واللمز من اقبح السير وخاصة في حق من هو اجل منصبا واعلى قدرا من كل المخلوقات وهو النبي صلعم
فلا جرم اوعد بالويل وهو كلمة جامعة لكل شر ومكروه او هو واد في جهنم وقد تقدم مرارا ووصفه بقوله الذي
وكانه سبب الهمز واللمز لان الغنى مما يورث الاعجاب والكبر والتشدد في جمع التنكير في المفعول فيؤيد تنكيرا لا
وكذا التشديد في عدده ولا يبعد ان يكون التكثير في الفعل ولا ريب ان عد المال في غير صون وضبطه ازيد
وعن المعاد يوجب للنفس شغلا عن السعادات الباقية وحرصا على الزخارف الدنية وعلى التمتع بتلك الاسباب
ولهذا قال يحسب اي طول المال امله وغناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته يحسب ان ماله تركه خالدا في الدنيا
وقيل عدده اي امسكه وجعله عدة وذخيرة لحوادث الدهر وقيل اراد بقوله يحسب تشييد البنيان واحكامه بالجص
والآجر وغرائس الاشجار وعمارة الاراضي عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح المخلد لصاحبه
الاجر الجزيل والثناء الجميل واما المال فهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر عن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في
الوف لم افتديها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر
ومخافة الفقر قال اذا ايدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك قوله لينبذن جواب قسم محذوف او جواب
حقا لانه في معنى القسم والنبذ الطرح وفيه اشعار باهانته وفي قوله بالحطمة وهي النار التي من شانها ان تحطم
اي تكسر كل ما يلقى فيها اشارة الى غاية تعذيبه ويقال للرجل الاكول انه لحطمة ووزنها فعلة لهمزة لمزة وكانه قيل له

كنت همزة لمزة فها بلناك بالحطمة وايضا في الحطم معنى الكسر الهمار اللماز يكسر الناس بالاغتياب والعيب
او ياكل لحمهم كما ياكل الرجل الاكول ثم كان قائلا سال كيف هو يل الوصفان بوصف واحد فقيل انك لا تعرف ذلك
الواحد ما ادريك ما هذه الحطمة نار الله هي اضافة تعظيم كبيت الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اي تدخل
في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على خباياها وخباياها ولا شيء في الانسان الطف منه ولا اشد تالما
ويجوز ان يكون في تخصيص الافئدة اشارة الى زيادة تعذيب القلب لانه محل الكفر والعقايد الفاسدة وعند
اهل التاويل اذا كانت النار امرا معنويا فلا ريب انه لا يتالم بها الا الفواد الذي هو محل الادراكات والعقايد
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم اي يعلوها ويغلبها انتهت
ثم ان الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى والموصدة المطبقة الابواب اوصدت الباب واوصدتها العيان
موصدة عليهم الابواب ثم يمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يراد ان ابواب النار عليهم
موصدة حال كونهم موثقين في عمد ممددة والممددة خشبية فيها خروق يدخل فيها رجل المحبوسين اللهم
اجرنا منها قال المبرد العمد بفتحتين جمع عمود على غير واحد اما الجمع على واحد فهو العمد بضمتين مثل زبور
وزبر ورسول ورسل وقال الفراء والعماد والعمد كالاهاب والاهب فالتانيث لانه اسم جمع اوبا ويل الاسطوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل • الم يجعل كيدهم
في تضليل • وارسل عليهم طيرا ابابيل • ترميهم بحجارة
من سجيل • فجعلهم كعصف ماكول •

الوقوف الفيل تضليل ابابيل سجيل ماكول التفسير روي ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة
النجاشي بنى كنيسة بصنعاء واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فتغوط فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت
رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا
عظيما وقيل كان معه اثنا عشر فيلا غيره وقيل الف فيل فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث
اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم ترك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن
والى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا او خضراء او بيضا او بلقاء كالخطاطيف على اختلاف
الاقوال مع كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة قال ابن عباس اني رايت
منها عند ام هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري وكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر
اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومرض ابرهة فتساقطت انامله واراييه وما مات حتى انصدع صدره
عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا
بين يديه وعن عايشة رايت قايد الفيل وسايسه اعمين مقعدين يستطعمان قال اهل التاريخ كان ابرهة جد
النجاشي الذي عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين عام الفيل وبين المبعث نيف واربعون سنة
وكان قد بقي بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة وقد بلغت حد التواتر حينئذ فما ذاك الا ارهاص للرسول وزعمت
المعتزلة انها معجزة لنبي قبله كخالد بن سنان او قس بن ساعدة ويروى ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير
فخرج اليه يطلبها وقيل لابرهة هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس
الجبال وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فعظم في عين ابرهة فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث

لا هدم البيت الذي هو دين نبيك ودين آبائك وعظمتكم وشرفكم من قديم الدهر فالهاك عنه ذود احد لك فقال انا رب الابل
وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول شعر لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ۞ الحلال جمع حل وهو الموضع الذي يحل فيه الناس والمحال المكر كقوله تعالى
وهو شديد المحال ثم قال شعر ان كنت تاركهم وكعبتنا ۞ ما بدا لك ۞ وقال ايضا شعر يا رب فامنع
منهم حماكا ۞ يا رب لا ارجو لهم سواكا ۞ فالتفت فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ما هي
بنجدية ولا تهامية فاهلكتهم كما ذكرنا ثم ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب منها ما صار سبب يساره
وسئل ابو سعيد الخدري عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته
وهو اول جدري ظهر في الارض ولنرجع الى تفسير الالفاظ انما لم يقل الم تعلم اما لان الخطاب لكل راء او لانه صلى الله
عليه وسلم كان يعلمه علما كالمشاهد المرئي لتواتره ولقرب عهده به قال النحويون قوله كيف مفعول فعل لان الاستفهام
يقتضي صدر الكلام فيتقدم على فعله بالضرورة ثم ان قوله الم تر وقع على مجموع تلك الجملة وقال في الكشاف كيف
في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام قلت اما قول صاحب الكشاف ففي غاية الاجمال
لان المنصوبات بالفعل انواع شتى واما قول غيره فقريب من الاجمال لان للفاعل خمسه والقول المبين فيه انه مفعول
مطلق والمعنى فعل اي فعل يعني فعلا ذا عبرة لاولي الابصار وتقدير الكلام الم تر ربك او الى ربك فعل باصحاب الفيل
فعلا كاملا في باب الاعتبار لانه خلق الطيور وجعل طبع الفيل على خلاف ما كان عليه واستجاب دعاء
اهل الشرك تعظيما لبيته وان اريد بالفعل المفعول لم يبعد ان يكون مفعولا به كقوله يفعل ما يشاء وفي قوله
ربك اشارة ربيتك وحفظت البيت لشرف قومك وهم كفرة فكيف اترك تربيتك بعد ظهورك واسلام اكثر
قومك وفي القصة اشارة الى اني حفظت البيت وهو موضع العلم افلا احفظ العالم وهو من المسجد كالدر من
الصدف فمن اراد تخريب البيت وهدم وكسر دموية فالذي همز ولمز في العالم وهو المقصود من البيت افلا ادمر
وههنا تظهر المناسبة بين هذه السورة وبين السورة المتقدمة وهذه القصة تجري مجرى مثال آخر لخسر الانسان
قال بعضهم انما قال اصحاب الفيل ولم يقل ارباب الفيل او ملاك الفيل لان الصاحب يكون من جنس القوم فكانه
اشار الى انهم من جنس البهائم بل هم اضل لان الفيل كان لا يقصد البيت ويقول بلسان الحال لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق وانهم لم يفهموا ذلك سؤال الى ان كفار مكة ملأوا البيت من الاوثان الم يكن ذلك اخبث من تخريب
الجدران ثم انه تعالى سلط عليهم الطير الجواب قال بعضهم وضع الاوثان في البيت اضاعة حق الله وتخريب
الجدران تعدي على الخلق وانه تعالى يقدم حق العباد على حق نفسه ولهذا امر بقتل قاطع الطريق والقاتل وان كانا
مسلمين ولا يامر بقتل الشيخ الكبير والاعمى وصاحب الصومعة والمرأة وان كانوا كفارا لانه لا يتعدى ضررهم الى الخلق
واقول لا اسلم انه تعالى لم يسلط على كفار مكة عذابا لانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم وسبي ذراريهم ونسائهم
ثم فصل الفعل المذكور المتعجب منه بقوله الم يجعل كيدهم في تضليل اي في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله
ضالا ضائعا ومنه قولهم لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه كادوا البيت اولا ببناء الكنيسة
وصرف وجوه الحاج اليها فضلل الله كيدهم بان اوقع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال
الطير عليهم ومعنى ابابيل حزائق اي الجماعات في تفرقة الواحد ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة شبهت الطير في
اجتماعها بالابالة وهي الحزمة الكبيرة قاله ابو عبيدة وقيل ابابيل مثل عباديد لا واحد لها والعباديد الفرق الذاهبون
في كل وجه قاله الاخفش والفراء وقال الكسائي سمعت بعضهم يقولون واحدها ابول كعجول وعجاجيل والتنكير في
طير اما للتفخيم لانهم كانت طيرا عجائبا او للتحقير لانها كانت صغار الجثة وهذا ادل على كمال القدرة وذكروا
في وصفها عن ابن مسعود عن ابن عباس انها كانت لها خراطيم كخراطيم الفيل واكف كاكف الكلاب وفي سجيل قولان
احدهما ان اللام مبدلة من النون واصله سجين فقدر انه قد علم لديوان الشر كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب
المدون وجوز في الكشاف ان يكون اشتقاقه من الاسجال والارسال لان العذاب موصوف بذلك عن ابن عباس
انه معرب سنك كل وقيل هو طين مطبوخ والعصف ورق الزرع الذي يبقى في الارض بعد الحصاد يعصفه الرياح
وياكله المواشي وقال ابو مسلم هو التبن كقوله والحب ذو العصف والريحان وقال الفراء هو اطراف الزرع وقيل
هو الحب الذي اكل لبه وبقي قشره والماكول الذي وقع فيه الاكال اي الدود ونحوه او الذي اكلته الدواب وراثته

لانه جاء على آداب القرآن كقوله كانا ياكلان الطعام قال مقاتل وقتادة وعطا عن ابن عباس وقيل ماكول حبه كما
مر وتشبيههم بورق الزرع المذكور اشارة الى تدميرهم وتصييرهم ايادي سبا قالوا ان الحجاج خرب البيت ولم
يحدث شيء من ذلك فاجيب بان قصده لم يكن تخريب الكعبة انما كان شيئا آخر وايضا كان ارسال الطير عليهم
ارهاصا للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تقرير نبوته لم يكن افتقار الى الارهاص والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ۞ ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ۞
فليعبدوا رب هذا البيت ۞ الذي اطعمهم من جوع و
امنهم من خوف ۞ القراءة ليلاف بتخفيف الهمزة لانه بطرح الياء يزيد
لايلاف بطرح ادنا اليمنى راهها الياء ايلافهم باثباتها ابن عامر الباقون
باثبات الياء فيهما حمزة يقف بتليين الهمزة العنيم يوزن العلم ابن قليح الشتاء بما له قتيبه ونصير الوقوف
قريش والصيف لاحتمال تعلق اللام بما قبلها وبما بعدها كالجي البيت من خوف التفسير في هذا اللام ثلاثة اقوال
الاول انها لا يتعلق بظاهر وانما هي لام التعجب يقولون لزيد وما صنعنا به اي اعجبوا له اعجبوا الله تعالى من عظيم حمله
وكرمه بهم فانهم كل يوم يزدادون تجلدا وانغماسا في عبادة الاوثان والله تعالى مؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم وينظم
اسباب معاشهم وهذا القول اختيار الكسائي والاخفش والفراء الثاني انها متعلقة بما بعدها وهو قول
الخليل وسيبويه والتقدير فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا
وفي الكلام معنى الشرط وفائدة الفاء وتقديم الجار ان نعم الله لا تحصى وكانه قيل ان لم يعبدوا لسائر نعمه فليعبدوا
لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة والقول الثالث انها متعلقة بالسورة المتقدمة اي جعلهم كعصف ماكول لاجل
ايلاف قريش وهذا لا ينافي ان يكونوا لاجل كفرهم ايضا ويجوز ان يكون لاجل الايلاف فقط ويكون جزاء الكفر مؤخرا الى يوم
القيامة ويجوز ان يكون هذه اللام لام العاقبة ويحتمل ان يتعلق اللام بقوله فعل ربك كانه قال كل ما فعلنا بهم من تضليل
كيدهم وارسال الطير عليهم حتى تلاشوا انما كان لاجل ايلاف قريش ولا يبعد ان يكون اللام بمعنى الى اي فعلنا كل ما فعلنا
مضمومة الى نعمة اخرى وهي ايلافهم الرحلتين تقول نعمة الى نعمة ونعم النعمة قاله الفراء ومما يؤيد هذا القول
الثالث ما روي ان ابي بن كعب جعلهما في مصحفه سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قرأهما في الثانية
من صلوة المغرب من غير فصل بالبسملة والمشهور المستفيض هو الفصل بينهما بالبسملة فان لم يكن اللام متعلقة
بما قبلها فلا اشكال وان تعلقت بما قبلها من السورة فالوجه فيه ان القرآن كله بمنزلة كلام واحد والفصل بين الطائفة
طائفة منه لا يوجب انقطاع احدى الطائفتين عن الاخرى بالكلية ثم ان هؤلاء قالوا ان مكة كانت خالية
عن الزرع والضرع وكان اشراف مكة يرتحلون للتجارة هاتين الرحلتين ويأتون لانفسهم ولاهل بلدهم بما يحتاجون اليه من
الاطعمة والثياب وان ملوك النواحي كانوا يعظمونهم ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وقطان حرمه فلا يجترئ
احدهم عليهم فلو تم لاهل الحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز وصار سكان مكة كسكان سائر
النواحي يتخطفون ويغار عليهم ولا يتيسر لهم تجارة ولا ربح فلما اهلك الله اصحاب الفيل ورد كيدهم في نحورهم
ازداد وقع اهل مكة في القلوب واحترمهم الملوك فضل احترام وازدادت تلك المنافع والمتاجر قال علماء اللغة الفت
الشيء والفته الفا وايلافا بمعنى اي لزمته وعلى هذا يكون قوله لايلاف قريش من اضافة المصدر الى الفاعل وترك المفعول
الاول ثم جعل مقيدا ثانيا في قوله ايلافهم رحلة اما لان المقيد بدل من ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتعظيما لعظيم
المنة فيه واما لان الاول عام في كل مؤانسة وموافقة كان منهم فيدخل فيه مقامهم وسفرهم وسائر احوالهم ثم خص

ايلافهم الرحله بالذكر كما فى قوله وجبريل وميكائيل لانه قوام معاشهم وفايده ترك واو العطف البينه على انه كل النعم
ولا لزلم ضربان الزام بالتكليف والامر والزام بالمودة والمواننة فانه انا احب الشيئا الزمه لقوة الداعى اليه ومنه
والزمهم كلمة التقوى كما ان الالجاء قد يكون لدفع الضرر كالهرب مع السبع وقد يكون لجلب النفع العظيم يكن وجد كنزا
ولا مانع من اخذه لا عقلا ولا شرعا ولا حسا فانه ياخذه البته كالجاء وقال الفراء وابن الاعرابى الايلاف التهيئة و
التهنيه والمعنى لتهيئة قريش رحلتها حتى تصلا ولا ينقطعا وعلى هذا القول يكون المصدر مضافا الى الفاعل ايضا وقيل
الف كذا الزمه والفه غيره اياه فيكون الايلاف متعديا الى اثنين والاضافة فى ايلافهم اضافة المصدر الى المفعول
والمعنى ان هذه الالفه انما حصلت فى قريش بتدبير الله فى لطفه وذلك بانهزام اصحاب الفيل واتفقوا على ان قريشا
ولد النضر بن كنانة عن معوية انه سال ابن عباس لم سميت قريش قال بدابة البحر ياكل ولا يؤكل ويعلو ولا يعلى وهى التى
تعبث بالسفن ولا يطلق الا بالنار وانشد **شعر** وقريش هى التى تسكن البحر بها ۰ سميت قريش قريشا والتصغير
للتعظيم والدابة القريش وقيل القريش الكسب لانهم كانوا اهل كسب وتجارة فسموا بذلك وقال الليث كانوا متفرقين
فى غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب فى الحرم حتى اتخذوها مسكنا فسموا قريشا لان القرش الجمع ويقرش القوم اجتمعوا
ولذلك سمى قصى مجمعا قال بعضهم **شعر** ابوكم قصى كان يدعى مجمعا ۰ به جمع الله القبايل من فهر ۰ وقيل القرش
التفتيش وقال ابن حلزة **شعر** ايها الشامت المقرش عنا ۰ عند عمرو وهل لذلك بقاء ۰ وكانت قريش يتجسسون
عن حال الفقراء ويسدون خلة المحاويج والرحلة اسم من الارتحال قال اكثر المفسرين كانت لقريش رحلتان رحلة
الشتاء الى اليمن لانه ادفى ورحلة الشتاء والصيف الى الشام وكانت معايشهم قد استقر على ذلك كما قررنا وقال الحربى
الرحلتان رحلة الناس الى اهل مكة اما فى رجب فللعمرة واما فى ذى الحجة فللحج وكان احدهما يقع فى الشتاء والاخر
فى الصيف وموسم منافع مكة يكون بهما فلو كان تم لاصحاب الفيل ما اراد وا لتعطلت هذه المنفعة والتقدير رحلتى
الشتاء والصيف او رحلة الشتاء ورحلة الصيف فاقتصر للالباس وفى قوله فليعبدوا وجهان **احدهما**
ان العبادة مامور بها شكر لما فعل باعدائهم ولما حصل لهم من ايلافهم الذى صار للاطعام وقوله من خوف هى
للتعديد يقال امنه الله الخوف **وجه الثانى** انه معناه فليتركوا رحلة الشتاء والصيف وليشتغلوا بعبادة
رب هذا البيت فانه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ولعل فى تخصيص لفظ الرب اشارة الى ما قالوه
لابرهة ان للبيت ربا سيحفظه ولم يعولوا فى ذلك على الاصنام فلزمهم لاقرارهم ان لا يعبدوا سواه كانه يقول
لما عولتم فى الحفظ فاصرفوا العبادة اليه وفى الاطعام وجوه **احدها** ما مر **والثانى** قول مقاتل شق عليهم
الذهاب الى اليمن والشام فى الشتاء والصيف لطلب الرزق فقذف الله تعالى فى قلوب الحبشة ان يحملوا
الطعام الى مكة حتى خرجوا اليهم بالابل والحمر واشتروا طعامهم من جده على مسيرة ليلتين وتتابع ذلك وكفاهم الله
مؤنة الرحلتين **والثالث** قال الكلبى معنى الاية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم
اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط فاصابهم الجهد فقالوا يا محمد ادع الله فانا مؤمنون فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخصبت اهل مكة فذلك قوله اطعمهم من جوع وجه المنة بالاطعام مع انه ليس
من اصول النعم فى الظاهر انه سبب الفراغ للعبادة وفيه ان البهيمة تطيع من يعلفها ولا يليق بالانسان ان يكون
دون الانعام على انه يندرج فى الاطعام النعم السابقة التى لا يحصل الغذاء الا بعد وجودها كالافلاك والعناصر
وغيرها والنعم اللاحقة التى لا يتم الانتفاع بالاكل الا بها من القوى والالات البدنية والخارجية وفى قوله من
جوع اشارة الى فايدة الطعام وبعد وقعة اصحاب الفيل يعظمونهم ولا يتعرضون لهم وقال الضحاك والربيع امنهم
فى خوف الجذام وقيل من ان يكون الخلافة فى غيرهم وفيه تكلف وقيل اطعمهم من جوع الجهل بطعام الاسلام والوحى
وامنهم من خوف الضلال ببيان الهدى وقيل اشارة الى ما دعا به ابراهيم صلوات الرحمن عليه وقوله رب اجعل هذا
بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم فاجاب الله تعالى بقوله ومن كفر والتنكير فى جوع للتعظيم فقد
روى انه اصابهم شدة حتى اكلوا الجيف والطعام المحرقة واما الخوف فهو الخوف الشديد الحاصل من اصحاب الفيل ويحتمل
ان يكون المراد التعليل اى اطعمهم من جوع ليكون الجوع الباقى مذكرا لما كانوا فيه اولا فيكونوا شاكرين تارة وصابرين اخرى
فيستحقون ثواب الخصلتين والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذى يكذب بالدين ۝ فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ۝ فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ۝ الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون ۝

الوقوف بالدين لان قوله فذلك كالجزاء الشرط محذوف اى ان لم تعرفه فهو فلان اليتيم المسكين للمصلين
ساهون يراؤن الماعون **التفسير** هذا مثال اخر لكون الانسان فى خسر قال ابن جريج نزلت فى سفين كان
ينحر جزورين فى كل اسبوع فاتاه يتيم فساله لحما فقرعه بعصاه وقال مقاتل نزلت فى العاص بن وايل السهمى
وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيمة والاتيان بالافعال القبيحة وعن السدى نزلت فى الوليد بن المغيرة
وقيل فى ابو جهل حكى الماوردى انه كان وصيا ليتيم فجاءه وهو عريان يسأله شيئا من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ
به فايس الصبى فقال له اكابر قريش استهزاء قل لمحمد يشفع لك فجاء الى النبى والتمس منه الشفاعة وكان صلى الله
عليه وسلم لا يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعير قريش فقالوا
اصبأت فقال لا والله ما صبأت ولكن رايت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها فى وقال كثير
من المفسرين انه عام لكل من كان مكذبا بيوم الدين والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من عرفت فان لم تعرفه فهو الذى
يدع اليتيم وذلك لان اقدام الانسان على الطاعات واحجامه عن المحظورات انما يكون للرغبة فى الثواب والرهبة من
العقاب واذا كان منكر القيمة لم يترك شيئا من المشتهيات واللذات وانكار المعاد كالاصل لجميع انواع الكفر والمعاصى
والغرض منه التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا ارتكب والخطاب لكل عاقل او للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل
الدين ههنا هو الاسلام لانه عند الاطلاق يقع عليه وساير الاديان او يتناولها مع التقييد كقولك دين النصارى
او اليهود والدع الدفع بالعنف كما مر فى الطور وذكر شيئين من قبايح افعال المكذب بالجزاء على سبيل التمثيل وسبب تخصيصهما
انهما منكران بحسب الشرع وبحسب العقل والمروة ايضا وفى لفظ الدع بالتشديد رحمة من الله على عباده واشارة
الى انه صدر ذلك استخدام له او شيء مما يكره الطبع دون الاستخفاف التام والزجر العنيف كان معفوا عند الله
ولا سيما اذا كان بغير اختيار والحض الحث وقدمر فى الفجر ولما كان ايذاء اليتيم والمنع من الاطعام دليلا على النفاق
والصلوة لا مع الخشوع كانت اولى بان يدل على النفاق قال فويل للمصلين وجوز جار الله ان يكون فذلك عطفا على الذى
يكذب اما عطف ذات او صفة ويكون جواب ارايتك تمام معناه محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرنى و
ما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذى اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع اواخبرنى وما تقول فى وصف هذين
الشخصين امر صوح لك ثم قال فويل للمصلين اى اذا علم انه مسى فويل لهم فوضع صفتهم موضع ضميرهم وجمع لان
المراد بالذى هو الجنس ووجه الاتصال انهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين
اموالهم وفيه انهم لما قصروا فى شان المخلوق حيث زجروا اليتيم ولم يحضوا على طعام المسكين فما صلوا وما زكوا والسهو عن
عن الصلوة تركها راسا او فعلها مع قلة مبالاة بها كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وهو قول سعد بن ابى وقاص
ومسروق والحسن ومقاتل وفايدة عن المفيد للبعد والمجاوزة احدى فما السهو فى الصلوة فذلك امر غير اختيارى
فلا يدخل تحت التكليف وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم سها فى الصلوة وقد اثبت الفقهاء لسجود السهو بابا فى كتبهم
وعن انس الحمد لله الذى لم يقل فى صلوتهم اليهم اشارة الى ان تلك الصلوة لا يليق بهم لانها كلا صلوة من حيث انهم

تركوا شرايطها واركانها فلم يكن هناك الا صورة صلوة صح باعتبارها اطلاق المصلين عليهم في الظاهر ويجوز ان يطلق لفظ المصلين على تارك الصلوة بناء على انهم من جملة المكلفين في الصلوة ومعنى المفاعلة في المراءاة ان المرائي الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به وقد مر في قوله رئاء الناس يراؤن الناس ولا باس بالاداء اذا كان الغرض الاقتداء او نفي التهمة واجتناب الرياء صعب الا على من راض نفسه وملكها الاخلاص ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على الصخرة السوداء وفي الماعون اقوال واكثر المفسرين على انه اسم جامع لا يمنع في العادة ويسأله الفقير والغني في اغلب الاحوال ولا ينسب الى لوم بل ينسب الى اللوم والبخل كالفاس والقدر والدلو والمقدح والغربال والقدوم ويدخل فيه الماء والملح والنار لما روي ثلاثة لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك ان تلتمس جارك الخبز في تنورك او ان تضع متاعك عنده يوما او نصف يوم قالوا هو فاعول من المعن وهو الشيء القليل ومنه ماله سعنة ولا معنة اي كثير وقليل وقد يسمى الزكوة ماعونا لانه ياخذ من المال ربع العشر فهو قليل من كثير قال العلماء ومن الفضائل ان يستكثر الرجل في منزله مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على قدر الضرورة وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وعن ابي بكر وعلي وابن عباس وابن الحنفية وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والضحاك هو الزكوة لانه تعالى ذكره عقيب الصلوة وقال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون هو الماء ولعله خص بالذكر لانه اعز مفقود فارخص موجود واول الالام اهل النار افيضوا علينا من الماء واول لذات اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا وقيل هو حسن الانقياد والطاعة وفي الايتين اشارة الى ان الصلوة لي والماعون للخلق فالذي يجب ان يفعل لاجلي يرونه الناس والذي هو حق الخلق يمنعون منهم فلا يراعون جانب التعظيم لامر الله ولا جانب الشفقة على خلق الله وهذا كمال الشقاوة ونعوذ بالله منها

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ● ان شانئك هو الابتر ●

القراءة شانئك بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف وقراقيبه ونفيره الوقوف الكوثر وانحر الابتر التفسير هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة لان تلك مثال لكون الانسان في خسر وهذا للمستثنين منهم بل الاشرف منهم وافضلهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم بل له ولشانئه فكانها مثال للفريقين جميعا هذا وجه اجمالي واما الوجه التفصيلي فقوله انا اعطيناك الكوثر اي الخير الكثير وقع في مقابلة الدع والمنع من الاطعام وقوله فصل اي دم على الصلوة وقع بازاء قوله صلوتهم ساهون وقوله لربك مكان قوله يراؤن وقوله وانحر والمراد به التصدق بلحوم الاضاحي بحذاء قوله ويمنعون الماعون ثم ختم السورة بقوله ان شانئك هو الابتر الذي يضاد طريقته طريقتك سيزول عنه ما يفتخر به من المال والجاه والاحباب والاولاد ويبقى لك ولتابعيك الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى بل يدوم لك النسب الصوري بسبب اولاد الشرفاء والنسب المعنوي بواسطة اتباعك العلماء ثم في الاية اصناف من المبالغة منها التصدير بان ومنها الجمع المفيد للتعظيم ومنها لفظ الاعطاء دون الايتاء فان الاعطاء دليل التمليك دون الايتاء ولهذا حين قال ولقد اتيناك سبعا من المثاني كان امته مشاركين له في فوائدها ولم يكن له سهم منها ومنها صيغة المضي الدالة على التحقق في وعد الله تعالى كما هي عادة القران ومنها لفظ الكوثر وهو مبالغة في الكثرة بزيادة الواو وبجعل فيشمل خيرات الدنيا والاخرة الا ان اكثر المفسرين خصوه فحملوه على انه اسم نهر في الجنة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم رايت نهرا في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي الى مجرى الماء فاذا انا بمسك اذفر فقلت ما هذا قيل هو الكوثر الذي اعطاك الله وفي رواية ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور خضر لها اعناق كاعناق البخت من اكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء

فاز برضوان قال اهل المعنى ولعله انما سمي كوثرا لانه اكثر انهار الجنة ماء وخيرا او لان انهار الجنة يتفجر منها كما روي انه ما في الجنة بستان الا وفيه من الكوثر نهر جار او لكثرة شاربيه وقد يقال ان الكوثر حوض في الجنة على ما ورد في الاخبار فلعل منبعه حوض ومنه تسيل الانهار والقول الثالث ان الكوثر اولاده لان هذه السورة نزلت ردا على من زعم انه الابتر كما يجيء المعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم مملوء منهم ولم يبق من بني امية في الدنيا احد يعبا به والعلماء الاكابر منهم لا حد لهم ولا حصر منهم الباقر والصادق والكاظم والرضا والنقي والتقي والزكي وغيرهم الكوثر علماء امته لانهم كانبياء بني اسرائيل واختلافهم في فروع الشريعة رحمة كما كان اختلاف الانبياء في الفروع رحمة مع اتفاقهم على الاصول والتوحيد والنبوة والمعاد كاصول الشجرة واديان الانبياء كشعبها الكبار والمذاهب كالاغصان المتفرعة من الشعب وقيل الكوثر النبوة ولا يخفى ما فيهما من الخير الكثير لانها ثانية رتبة الربوبية ولهذا كانت طاعة الرسول ثم لرسولنا الحظ الاوفر من هذه الفضيلة لانه المذكور قبل ساير الانبياء والمبعوث بعدهم ثم هو مبعوث الى الثقلين ولن يصير شرعه منسوخا وله كل معجزة كانت لغيره من الانبياء المشهورين فكتاب آدم كان كلمات كما قال فتلقى آدم من ربه كلمات وكتاب ابراهيم وموسى كان كلمات وصحفا واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات صحف ابراهيم وموسى وكتاب محمد صلى الله عليه وسلم مهيمن على الكل كما قال رحمه الله وان آدم عليه السلام تحدى بالكلمات والاسماء انبئوني باسماء هؤلاء ومحمد صلى الله عليه وسلم انما تحدى بالمنظوم قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية واما نوح عليه السلام فان الله اكرمه بان امسك سفينته على الماء وفي حق محمد صلى الله عليه وسلم وقف الحجر على الماء وروي انه صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن ابي جهل فقال لئن كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي هو في الجانب فليسبح ولا يغرق فاشار الرسول اليه فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال النبي يكفيك هذا قال حتى يرجع الى مكانه فامره النبي صلى الله عليه وسلم الى مكانه واكرم ابراهيم فجعل النار عليه بردا وسلاما وروي محمد بن الحاطب قال كنت طفلا فانصب على القدر من النار فاحترق جلدي كله فحملتني امي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت هذا ابني حاطب احترق كما ترى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جلدي ومسح يده على المحترق فقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي واكرم موسى ففلق البحر في الارض واكرم محمدا صلى الله عليه وسلم ففلق القمر فوق السماء وفجر له الماء من الحجر وفجر لمحمد صلى الله عليه وسلم من اصابعه عيونا واكرم موسى بتظليل الغمام في زمان نبوته واكرم محمدا بذلك قبل ظهور نبوته واكرم موسى باليد البيضاء واكرم محمدا بالقران العظيم الذي هو نور من الله وبرهان وقلب الله عصا موسى ثعبانا ولما اراد ان يرسه بالحجر راى على كتفيه ثعبانا فانصرف مرعوبا وسبحت الجبال مع داود وسبحت الاحجار في يده وبيد اصحابه وكان داود اذا مسح الحديد لان وكان النبي حين مسح الشاة الجرباء درت واكرم داود بالطير المحشورة ومحمدا بالبراق واكرم عيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص واكرمه باحياء الشاة المسمومة وبتكلمه انها مسمومة وروي عن معاذ بن عفراء كانت له امراة برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بغصن فاذهب الله عنها البرص وحين سقطت حدقة الرجل يوم احد رفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها الى مكانها وكان عيسى يخبر بما في بيوت الناس والرسول عرف ما اخفاه ام الفضل فاسلم العباس لذلك ورد الشمس لسليمان مرة والرسول صلى الله عليه وسلم كان نائما وراسه في حجر علي بن ابي طالب وقد غربت فردها حتى صلى وردها مرة اخرى لعلي فصلى العصر لوقته وعلم سليمان منطق الطير وفعل ذلك في حق محمد وروي ان طائرا فجع بولده فجعل يرفرف على راسه ويكلمه فقال ايكم فجع هذه بولدها فقال رجل انا فقال اردد ولدها وكلام الذئب والناقة معه مشهور واكرم سليمان بمسيره الى بيت المقدس في ساعة وكان يعفور رسله الى من يريد فيجيء به وارسل معاذا الى بعض النواحي فلما وصل الى المفازة فاذا اسد جاثم فهاله وذلك لم يستجر ان يرجع فتقدم وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبصبص وكما انقاد الجن لسليمان وكذا انقادوا لمحمد وحين جاء الاعرابي بالضب تكلم الضب معترفا برسالته وكل كفل الظبية حين ارسلها الاعرابي رجعت بعد وحين اخرجته من الكفالة وحين لسعت الحية عقب الصديق في الغار قالت كنت مشتاقا اليه منذ كذا سنين فلم حجبتني عنه واطعم الخلق الكثير من الطعام القليل ومعجزاته من ان تحصى خصوصا في هذا المقام فثبت صحة قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر وقيل هو القران لان فوائده عديدة لا تحصى وقيل الاسلام او الشفاعة او رفع الذكر والعلم وعلمك ما لم تكن تعلم او الخلق الحسن وانك لعلى خلق عظيم فهذه اقوال وقد يقال ان هذه السورة لانها مع قصرها معجزة من وجوه لما قبلها الاخبار

بالغيوب وهو الوعد بكثرة الاتباع والاولاد وزوال الفقر حتى نحر مائة بدنة في يوم واحد وقد وقع مطابقا ولانهم عجزوا
عن معارضتها مع قصرها فانها اقصر سورة من القران قوله سبحانه فصل لربك وانحر في الصلوة اقوال الغرض مجاهد وعكرمة
معناه اشكر ربك وفايدة الفاء ان شكر النعمة يجب على الفور لا على التراخي وقيل هي الدعاء كانه قيل انا قبل سؤالك
ودعائك ما بخلنا عليك بالكوثر فكيف بعد سؤالك فسل تعط واشفع تشفع وذلك انه كان ابدا كان في هامته
والاقرب وعليه الاكثرون انها الصلوة ذات الهيئات والاركان لانها مشتملة على الدعاء والشكر وعلى ساير المعاني
المبنية عن التواضع والخدمة ولانه حمله على الشكر وهم انه ما كان شكر قبل ذلك لكنه كان من اول عمره مطيعا لربه
شاكر النعمة اما الصلوة فانه انما عرفنا بالوحي يروى انه حين امر بالصلوة قال كيف اصلي ولست على الدعاء فقال
الله انا اعطيناك وضرب جبرائيل بجناحه على الارض فنبع ماء الكوثر فتوضا فقيل له عند ذلك فصل وان حمل الكوثر
على الرسالة والمعنى اعطيناك الرسالة لتامر نفسك وساير الخلق بالطاعات فصل وفي قوله لربك الى الوجوب مخالفة
عبدة الاوثان وانما لم يقل لنا سلوكا لطريقة الالتفات وافادة لنوع من التعظيم كقول الخلفاء يرسم امير المؤمنين كذا ولانه لو
الجمعية في هذا المقام توهم الاشراك والعدول الى الوحدة لو قال لي يقطع النظم ولانه يفيد ان سبب العبادة هو التربية
ثم الذين فسروا الصلوة بما عرف في الشرع اختلفوا فالاكثرون على انها جنس الصلوة لاطلاق اللفظ وانما لم يذكر الكيفية
لانها كانت معلومة قبل ذلك وقال اخرون انها صلوة عيد الضحى لاقترانها بقوله وانحر كانوا يقدمون الاضحية
على الصلوة وامر بتاخيرها عنها والواو يفيد الترتيب استحسانا وادبا وان لم تفد قطعا وقال سعيد بن جبير صل الفجر
بالمزدلفة وانحر بمنى والمناسبة بين نحر البدن وبين جنس الصلوة ان المشركين كانت صلوتهم وقرابينهم للاصنام فامر
بان يكون صلوته وقربانه لله وكان النحر واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلث كتبت علي ولم تكتب على امتي الضحى
والاضحى والوتر وانما لم يقل ضح وان كان شاملا لان اعز الاموال عند العرب هو الابل فامر بنحرها وصرفها الى طاعة الله تع
ففي ذلك قطع العلايق الجسمانية ودفع العوايق النفسانية يروى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب فنحر منها صلى الله عليه وسلم حتى اعيى ثم امر عليا بذلك وكانت النوق يزدحمن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اخذ علي السكين تباعدت منه قال عامة اهل التفسير كابن عباس ومقاتل
والكلبي ان العاص بن وايل وجمع من صناديد قريش كانوا يقولون ان محمدا ابتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات
انقطع ذكره واسترحتم منه وكان قد مات ابنه عبد الله من خديجة فانزل الله تعالى هذه السورة والشاني المبغض
كما مر في اول المائدة والشاني البغض والبتر في اللغة استيصال القطع ومنه الابتر المقطوع الذنب فاستعير
للذي لا عقب له ولمن انقطع خيره وذكره فبين الله تعالى بهذه الصيغة المفيدة للحصر ان اوليك الكفرة هم الذين
ينقطع نسلهم وذكرهم وان محمدا باق الى يوم القيمة كما اخبر عنه كل حسب ونسب ينقطع الا حسبي ونسبي فان دين
الاسلام لا يزال يعلو ويزيد والكفر يعلو ويقهر الى ان يبلغ الدين مشارق الارض ومغاربها كما قال اولم يروا انا ناتي الارض
ننقصها من اطرافها قال بعض اهل العلم ان الكفار لما شتموه بانه ابتر اجاب الله تعالى عنه بلا واسطة فقال ان شانئك
هو الابتر هكذا سنة الاحباب اذا سمعوا من يشتم حبيبهم تولوا بانفسهم جوابه ونظيره في القران كثير قالوا هل ندلكم
على رجل ينبئكم اذا مزقتم الى قوله ام به جنة فقال سبحانه بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد وقالوا
هو مجنون فاقسم الله ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وقالوا لست مرسلا فقال يس والقران
الحكيم انك لمن المرسلين وقالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون فرد عليهم بقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين ثم ذكر
وعيد خصمائه بقوله انكم لذائقوا العذاب الاليم وحين قال حاكيا ام يقولون شاعر قال وما علمناه الشعر وقالوا ان هذا
الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فاجابهم بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين فقال قل انزله الذي
يعلم السر وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فاجابهم بقوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فما اجل هذه الكرامة وقال اهل التحقيق السالكون بل الواصلون لهم ثلث درجات
اعلاها ان يكونوا مستغرقين في الكوثر عن ساير الارواح البشرية بالكم لانها اكثر مقدمات وبالكيف لانها اسرع انتقالا من القدس
الى السابح واوسطها ان يكونوا مشتغلين بالطاعات والعبادات البدنية فاشار اليها بقوله فصل لربك وادونها ان يكونوا
في مقام منع النفس عن الانصباب الى اللذات العاجلة وهي قوله وانحر فان منع النفس الشهوية جارية مجرى الذبح والنحر ومن
البين ان ترتيب السالك هو الاخذ من الادون الى الاعلى وانما ورد القران بما ورد بعينها على انه صلى الله عليه وسلم كان في

نهاية الوصول فان هذا الترتيب بالنسبة اليه ينعكس وذلك انه جاء من الحق الى الخلق ثم اشار بقوله ان شانئك
هو الابتر ان دواعي النفس التي هي اعدى الاعداء لا بقاء لها وانما هي لذات زايلة وتخيلات فانية والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله النبي الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون ۝ لا اعبد ما تعبدون ۝ ولا انتم عابدون ما اعبد ۝ ولا انا عابد ما عبدتم ۝ ولا انتم عابدون ما اعبد ۝ لكم دينكم ولي دين ۝

القراءة عابدون وما عبد بالامالة قتيبة والحلواني عن هشام ولي دين بفتح الياء نافع غير اسمعيل وحفص
والمفضل وهشام وزمعة عن ابن كثير ديني بالاسكان في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل الوقوف
الكافرون ما تعبدون اعبد للتكرار مع العطف عبدتم اعبد دين التفسير هذه السورة تسمى ايضا سورة المنابذة
وسورة الاخلاص والمقشقشة وروي من قراها فكانما قرا ربع القران قالوا العلماء بان القران فيه مامورات و
ومنهيات وكل منهما اما ان يتعلق بالقلب واما ان يتعلق بالجوارح وهذه السورة تتضمن القسم الثالث اعني
المنهي المتعلق بالقلب فكانت ربع التكاليف كما قال سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وروي

سبب النزول

الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف قالوا لرسول الله تعالى حتى نعبد الهك مدة
وتعبد الهتنا مدة فيحصل الصلح بيننا وبينك وتزول العداوة من بيننا فان كان امرك رشيدا اخذنا منه حظا وان
كان امرنا رشيدا اخذت منه حظا فنزلت هذه السورة مرة ونزلت قوله افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
تارة وصفهم بالجهل وتارة خاطبهم بالكفر والجهل كالشجر والكفر كالثمرة ولكن الكفر اشنع فقد يكون الجهل غير
ضار كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في علم الانسان علم لا ينفع وجهل لا يضر ولهذا خصت السورة بهذا الخطاب
لانها باسرها ضمهم روي عن علي كرم الله وجهه ان يا نداء النفس واي نداء القلب وها نداء الروح وبوجه اخر يا للغائب
واي للحاضر وها للتنبيه كان الله تعالى يقول ادعوك ثلثا ولا تجيبني مرة ما هذا الا لجهلك بحقي ثم خطاب مع جميع الكفار
او مع بعضهم وعلى الاول يدخل التخصيص لا محالة لان فيهم من يعبد الله كاهل الكتاب فلا يجوز ان يقول لهم لا اعبد
ما تعبدون وفيهم من امن بعد ذلك فلا يجوز ان يخبر عنهم بقوله ولا انتم عابدون ما اعبد وعلى الثاني يكون خطابا
لبعض الكفرة المعهودين الحاضرين وهم الذين قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة ولا يلزم التخصيص فيكون
اولى اما الظاهر التكرار الذي وقع في هذه السورة ففيه قولان احدهما انه للتاكيد واي موضع احوج الى التاكيد
من هذا المقام فانهم راجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما طلبوا منه مرارا وسكت الرسول عن الجواب فوقع في
قلوبهم انه مال اليهم بعض الميل وروي انهم ذكروا قولهم نعبد الهتنا مدة ونعبد الهك مدة مرتين فاجيبوا مكررا
على وفق قولهم وهو نوع من التهكم فان من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد فقد يجاب بذلك تكرارا للاستخفاف
وحسم مادة الطمع القول الثاني ان الاول للمستقبل وعلامته لا التي للاستقبال بدليل ان لن نفي للاستقبال
على سبيل التوكيد والتابيد وزعم الخليل ان اصله لا ان والثاني للحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني
من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهي ثم قال ولا انا عابد في الحال ما عبدتم
ولا انتم في الحال بعابدين لمعبودي وعلى هذا القول زعم بعضهم ان الامر بالعكس اذ الترتيب ان ينفي الحال وكان معلوما
انه ما كان يعبد الصنم والكفار كانوا يعبدون الله في بعض الاحوال الهي ان لا يتوهم احد انه يعبد غير الله كان [illegible]

وطمعًا وعبادة الكفار لم تكن معتدا بها لاجل الشرك ولابي مسلم قول ثالث وهو ان ما في الاولين بمعنى الذي وما في الاخيرين مصدرية اي ولا انا عابد عبادتكم المبنية على الاشراك ولا انتم عابدون عبادتي المبنية على اليقين ووجه رابع وهو ان يحمل الاول على نفي الالتماس الصادر عنهم والاخر على النفي المطلق العام المتناول لجميع الجهات كمن يدعوا غيره الى الظلم لجهة التنعيم فيقول لا اظلم للغرض التنعيم بل لا اظلم راسا لا لهذا الغرض ولا لسائر الاغراض قوله ما تعبدون ليس فيه اشكال انما الاشكال في قوله ما اعبد فاجيب بعد تسليم ان ما ليست اعم بان المراد بها الصفة كانه قيل لا اعبد الباطل ولكن اعبد الحق او هي ما المصدرية على نحو ما هي للطباق كقوله وجزاء سيئة سيئة فان قيل لما كان المقام مقام التاكيد والمبالغة لهذا كرر ما كرره فلو لم يقل لن اعبد كما قال اصحاب الكهف لن ندعو من دونه الها قلنا ان اصحاب الكهف كانوا متهمين بعبادة الاصنام لانه قد وجد منهم ذلك قبل ان ارشدهم الله وان محمدا لم يكن منهما بذلك قط فلم يحتج الى المبالغة بلى ثم ان اول السورة اشتمل على التشديد البليغ وهو النداء بالكفر والتكرير فاشتمل اخره على اللطف من بعض الوجوه كانه قال قد بالغت في منعكم عن هذا الامر القبيح فان لم تقبلوا قولي فاتركوني سواء بسواء قال ابن عباس لكم كفركم بالله ولي التوحيد والاخلاص ومن هنا ذهب بعضهم الى ان السورة منسوخة باية القتال والمحققون على انه لا نسخ بل المراد التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل الدين الجزاء وقيل المضاف محذوف جزاء دينكم ولي جزاء ديني وقيل الدين العبادة والله اعلم بمراده ٥ ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله والفتح ● ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ● فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

الوقوف والفتح افواجا واستغفره توابا التفسير السورة المتقدمة اشتملت على نصره الله بقوله يا ايها الكافرون وعلى فتح مكة القلب وعلى تخريج القوى البدنية في طاعة خالقها بقوة البراءة من الاديان الباطلة كلها فقال الله سبحانه نصرتني بلسانك وكان جزاءه واذا جاء نصر الله وفتحت قلبك فكان جزاؤه فتح مكة في ظاهر وبحركات جوارحك لطاعتي فجازيتك بدخول الناس في الدين افواجا ثم انك قابلت هذه الخلع الثلاث بحكم تهادوا وتحابوا بثلاثة انواع من العبودية ان نصرتك فسبح تنزيها للفعل عن مشابهة المحدثات وتنبيها على انه لا يستحق احد على شيئا فاذا فتحت مكة فاحمد لان النعمة يجب مقابلتها بالحمد واذا رايت الناس قد طاعوك فاستغفر لذنبك وهو الاشتغال بما عسى ان يقع من لذة الجاه والقبول وللمؤمنين والمؤمنات لانهم كلما كانوا اكثر كانت ذنوبهم اكثر وكان احتياجهم الى الاستغفار اشد وقوله اذا جاء نصر الله معناه لا تذهب الى النصر يجي اليك نظيره رويت لي الارض يعني لا تذهب الى الارض بل يجيء الارض اليك ولا ترحل الا الى مقام قاب قوسين سبحان الذي اسرى بعبده بل اريد على هذا فاضل فقراء امتك على اغنيائهم ثم امر الاغنياء بالضحايا ليتخذوها مطايا فاذا بقي الفقراء من غير مطية اشوق الجنة اليهم وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وانما قال في السورة المتقدمة ما اعبد وهاهنا قال نصر الله اشارة الى انه يحب ان لا يذكر اسمي مع الاعداء حتى لا يهينوه ولكن اذكر اسمي مع الاحباب حتى يكرموني والفرق بين النصر والفتح ان النصر اعني الاعانة على تحصيل المطلوب هو الطريق والفتح هو المقصود ولهذا تقدم الاول على الثاني وقيل النصر كمال الدين والفتح الاقبال الدنيوي له ولامته كقوله اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقيل النصر هو الظفر على المنى في الدنيا والفتح في الاخرة وفتحت ابوابها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا منصورا بالدلايل والمعجزات الا ان الغلبة على قريش بل على اكثر العرب لما حصلت في هذا التاخير

صح التقييد به ثم ان جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس ذكروا ان الفتح هو فتح مكة الذي يقال له فتح الفتوح يروى ان فتح مكة كان سنة ثمان ونزول السورة سنة عشر ولم يعش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها الا سبعين يوما ولذلك تسمى سورة التوديع وقد اتفق اكثر الصحابة على انها دلت على نعي الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه بعض الصحابة منها وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان عبدا خيره الله بين الدنيا والاخرة ولقائه في الاخرة فاختار لقاء الله قالوا ومما يدل عليه انه ذكر معرفا بالنصر وقد كان يجب النصر دون الفتح كبدر والفتح دون النصر كاجلاء بني النضير فانه فتح البلد لكن لم يأخذ القوم اما يوم فتح مكة فاجتمع الامران وصار الخلق له كالارقاء حتى اعتقهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم وقف على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فسموا بذلك وقيل فتح خيبر وقيل فتح الطايف وعن ابي مسلم النصر على الكفار وفتح بلاد الشرك على الاطلاق وقيل النصر انشراح الصدر للخيرات والاعمال الفاضلة والفتح انفتاح ابواب المعارف والكشوف اما الذين قالوا ان الفتح فتح مكة وكان نزول السورة قبله على ما يدل عليه ظاهر صيغة اذا فالاية من جملة المعجزات لانها اخبار بالغيب وقد وقع واللام في الفتح الله قوله ورايت ظاهره انها رؤية القلب ويجوز ان يكون رؤية البصر فيكون يدخلون حالا وظاهر لفظ الناس يقتضي العموم فيجب ان يقدر غيرهم كالنسناس بدليل قوله اولئك كالانعام وسئل الحسن بن علي منه فقال نحن الناس واشياعنا اشباه الناس واعداؤنا النسناس فقبل علي بين يديه وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته قيل انهم لما دخلوا في الاسلام بعد مدة طويلة وتقصير كثير فكيف استحقوا المدح بانهم الناس واجيب بانه اشارة الى سعة رحمة الله فان العبد بعد ان اتى بالكفر والمعصية سبعين سنة فاذا اتى بالايمان في اخر عمره قبل ايمانه كان الرب تعالى يقول ربيته سبعين سنة فان مات على كفره وقع في النار وضاع لخاني اليه في سبعين سنة ويروى ان الملائكة يقول مثل هذا الانسان وابيت وان كنت قد ابيت وعن النبي صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة احدكم من المضال الواجد والظمأن الوارد قد يجوز ان المراد بالناس اهل اليمن على ما روي عن ابي هريرة انه لما نزلت السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن قال الجمهور الفقهاء وكثير من المتكلمين ان ايمان المقلد صحيح لانه تعالى حكم بصحة ايمان اوليك الافواج وجعله من اعظم المنن على نبيه ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدلايل ولا صفات الكمال ونعوت الجلال وكونه سبحانه متصفا بها منزها عن غيرها ولا ثبوت المعجز التام على نبوة محمد ولا وجه دليل المعجز على النبوة وعن الحسن لما فتح رسول الله مكة قالت العرب لا يدي لنا به فقد ظفر باهل وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل عن كل من ارادهم بسوء فاخذوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال ولا شك ان هذا القدر ربما يفيد غلبة الظن فقط والفوج الجماعة الكثيرة كانت تدخل في القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وروي عن جابر بن عبد الله بكى ذات يوم فقيل له ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ثم انه امر بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار كانه صلى الله عليه وسلم ضاق قلبه عن تاخير النصر كما قال وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله فامر بالتسبيح تنزيها لله عما لا يليق بكماله وحكمته وعنايته بخلقه وامر ان يكون التسبيح مقرونا بالحمد لان المقام يستدعي تذكير النعمة وهي الفتح والنصر ودخول الناس في الدين غير متاعب الجهاد ومؤن القتال ثم امر بالاستغفار كفارة لما عسى ان يبدر او يبدو منه في الخلد من ملاحظة حاله بعين الكمال وكان التسبيح المقرون بالحمد نظر من الحق الى الخلق والاستغفار عكسه وهي التفات من الخلق الى الحق وانما فهمت الصحابة من السورة نعي النبي صلى الله عليه وسلم لان كماله يدل على زواله كما قيل اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم ويمكن ان يقال اذا امر بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا ولا يخفى ان الاشتغال بهذه الاعمال يمنع من الاشتغال باعباء التبليغ واذا ما كان يواظب عليه من رعاية مصالح الامة فكان هذا كالتنبيه على ان امر الرسالة قد تم وكل ذلك يوجب الموت والا لزم العزل روت عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة كان يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وفي رواية انه كان يكثر ان يقول في ركوعه سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية اخرى كان نبي الله في اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال سبحان الله وبحمده فقال يا رسول الله انك تكثر من قول سبحان الله وبحمده

قال انى امرت بها وقرأ السورة وعن ابن مسعود لما نزلت هذه السورة كان عليه الصلوة والسلام يكثر ان يقول سبحانك
اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك انت التواب الرحيم وفى الاية تنبيه على ان العاقل اذا قرب اجله وانذره الشيب
اقبل على التوبة والاستغفار وتدارك بعض ما فات فى اوان الغفلة والاغترار وفى معنى الباء فى قوله بحمد ربك
وجوه للمفسرين منها ان المراد قل سبحان الله والحمد لله متعجبا مما اراك من مقصودك يقال شربت اللبن بالعسل اى
خلطتهما فشربت المخلوط ومنها ان الباء للآلة اى سبحه بواسطة تحميده لان الثناء بنعوت الكمال ينفى النقايص
والدليل عليه انه صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة بدأ بالتحميد قائلا الحمد لله الذى نصر عبده ومنها ان المراد فسبح ملتبسا
بالحمد نيه لانه لا يتأتى له الجمع بينهما لفظا فاجمعهما نية وقيل سبحه مقرونا بحمد الله على ما هداك الى تسبيحه كما روى
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول الحمد لله على الحمد لله وقيل الباء للبدل اى ائت بالتسبيح بدل الحمد الواجب عليك
فى مقابلة نعمة النصر والفتح لان الحمد لا يحصى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقيل فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد
امران لا يجوز تأخير احدهما عن الاخر لوجوب الاتيان بكل منهما على الفور كما لو ثبت له حق الشفعة وحق الرد بالعيب
يجب ان يقول اخترت الشفعة برد ذلك البيع وقيل الباء صلة اى طهر محامد ربك عن النقايص او الريا وفى تخصيص
الرب بالمقام اشارة الى ان التربية هى الموجبة للحمد اما الاستغفار فان كان لاجل الامة فلا اشكال وان كان لاجل
نفسه فاما للاقتدا واما لترك الاولى والافضل واما بالنظر الى المرتبة المتجاوزة فان السالك يرى نفسه عند الارتقاء فى كل درجة
يصل اليها ان يستغفر عما خلفها وفى قوله توابا دون ان يقول غفارا كما فى سورة نوح اشارة الى ان النبى بل هذه الامة امتثلوا
فاستغفروا وتابوا فوجب على فضل الله قبول توبتهم بخلاف قوم نوح عليه الصلوة والسلام ه

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا ابى لهب وتب ۝ ما اغنى عنه ماله وما كسب ۝ سيصلى
نارا ذات لهب ۝ وامرأته حمالة الحطب ۝ فى جيدها حبل من مسد

القراءة ابى لهب بسكون الهاء ابن كثير سيصلى بضم الياء البرجمى حمالة بالنصب عاصم جيدها ممالة قتيبة
الوقوف وتب ط كسب ط لهب ج لاحتمال الكون وامرأته مبتدأ خبره حمالة الحطب وفى جيدها الى اخره واحتمال كونه
عطفا على ضمير سيصلى والاوجه الوصل وامرأته لمن قرأ حمالة بالنصب فله ان يصل ذات لهب بما بعدها ويقف على مسد
التفسير لما اخبر عن الفتح الولى وهو النبى صلى الله عليه وسلم نبه على مآل حال العدو فى الدارين قال ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتم امره فى اول المبعث ويصلى فى شعاب مكة ثلث سنين الى ان نزل قوله وانذر
عشيرتك الاقربين فصعد الصفا ونادى يا آل غالب فخرجت اليه غالب من المسجد فقال ابو لهب هذه غالب قد اتتك
فما عندك ثم نادى يا آل لوى فرجع من لم يكن من لوى فقال هذه لوى قد اتتك فما عندك ثم قال يا آل كلاب ثم قال بعده
يا آل قصى فقال ابو لهب هذه قصى قد اتتك فما عندك فقال ان الله امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين وانتم الاقربون
انى لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله واشهد لكم بها عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك
تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت السورة وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع اعمامه وقدم اليهم طعاما فى صحفة فاستحقروه
فقالوا ان احدنا يأكل الشاة فقال كلوا فاكلوا فشبعوا ولم ينقص من الطعام الا القليل ثم قالوا فما عندك فدعاهم الى الاسلام
فقال ابو لهب ما قال وروى انه قال ابو لهب فما لى ان اسلمت فقال ما للمسلمين فقال افلا افضل عليهم فقال النبى صلى
الله عليه وسلم وبماذا الفضل فقال تبا لهذا الدين يستوى فيه انا وغيرى فنزلت تبت يدا ابى لهب والتباب
الهلاك كقوله وما كيد فرعون الا فى تباب وقيل الخسران المفضى الى الهلاك وقيل الخيبة قال ابن عباس لانه كان يدفع
القوم عن النبى صلى الله عليه وسلم قائلا انه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة وكان له كالاب فكان لا يتهم

فلما نزلت السورة وسمع بها غضب واظهر العداوة الشديدة فصار متهما فلم يقبل قوله فى الرسول بعد ذلك فكأنه خاب سعيه و
بطل غرضه قالوا ولعله انما ذكر اليد لانه كان يضرب بيده على كتف الوافد عليه فيقول انصرف راشدا فانه مجنون ويروى
انه اخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن طارق المحاربى انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى السوق يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد ادمى عقبيه وقال لا تطيعوه
انه كذاب فقلت من هذا فقال محمد وعمه ابو لهب وقال اهل المعانى اراد باليدين الجملة كقوله ذلك بما قدمت يداك
لان اكثر الاعمال انما تعمل باليد فاليمين كالسلاح واليسار كالجنة بالاولى يجر المنفعة وبالاخرى يدفع المضرة وروى
انه صلى الله عليه وسلم لما دعاه نهارا فابى ذهب الى داره ليلا مستنا بسنة نوح ليدعوه ليلا كما دعاه نهارا فلما دخل
عليه قال له جئتنى معتذرا فجلس النبى صلى الله عليه وسلم امامه كالمحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال ان كان يمنعك
العار فاجبنى فى هذا الوقت واسكت فقال لا او من بك او يؤمن هذا الجدى فقال النبى صلى الله عليه وسلم
للجدى من انا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلق لسانه يثنى عليه فاستولى الحسد على ابى لهب واخذ يدى
الجدى ومزقه وقال تبا لك اثر فيك السحر فقال الجدى بل تبت يداك فنزلت السورة وفق ذلك تبتين بعد يدى الحيوان
الشاهد بالحق الناطق بالصدق وفى ذكر ابى لهب بالكنية الدالة على التعظيم المنبئة عن شبه الكذب اذ لم يكن
له ولد يسمى بلهب وجوه منها ان اسمه كان عبد العزى فكان الاحتراز عن ذكره اولى ومنها انه اشارة الى انه من اهل
النار كما يقال ابو الخير لمن يلازمه وكما قال النبى صلعم لعلى كرم الله وجهه يا ابا تراب لتراب لصق بظهره وقيل سمى
بذلك لتلهب فى وجهه فسماه الله تعالى بذلك تهكما ورمزا الى مآل حاله فى قوله سيصلى نارا ذات لهب قال اهل الخطابة
لم يقل فى اول هذه السورة قل تبت كما قال قل يا ايها الكافرون لئلا تشتد على عمه بما فيه تشديد غضبه ورعاية للحرمة
وتحقيقا لقوله فبما رحمة من الله لنت لهم وايضا ان الكفار فى تلك السورة طعنوا فى الله فقال الله يا محمد اجبهم عنى قل يا ايها
الكافرون وفى هذه السورة طعنوا فى حق محمد فقال الله تعالى اسكت انت فانى اشتمهم تبت يدا ابى لهب وفيه تنبيه
على ان الذى لا يشافه السفيه كان الله ذابا عنه وناصرا له ويروى ان ابا بكر رضه كان يؤذيه واحد فبقى ساكتا فجعل الرسول
صلى الله عليه وسلم يذب عنه ويزجر ذلك المؤذى فشرع ابو بكر فى الجواب فسكت الرسول فقال ابو بكر ما السبب فى ذلك
فقال لانك حين كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك فلما شرعت فى الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان قال ابو على اللهب
واللهب لغتان كالنهر والنهر ولكن الفتح اوجه ولهذا قرأ بها اكثر القراء واجمعوا فى قوله ذات لهب على الفتح رعاية للفاصلة
وفى دفع التكرار عن قوله وتب وجوه منها ان الاول دعاء والثانى اخبار ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب ومنها ان الاول
اخبار عن هلاك عمله لان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه باليد والثانى اخبار عن هلاك نفسه وقيل ان الاول هلاك ماله
فقد يقال للمال ذات اليد والاخر هلاك نفسه وهو قول ابى مسلم وقيل الاول نفسه والثانى ولده عتبة على ما روى ان عتبة
بن ابى لهب خرج الى الشام مع ناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا قال لهم عتبة بلغوا محمدا انى كفرت بالنجم اذا هوى وروى انه قال
ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفل فى وجهه وكان مبالغا فى عداوته فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فوقع الرعب فى قلب عتبة وكان يحترز دائما فسار ليلة من الليالى الى قريب من الصبح فقال له اصحابه هلكت الركاب فما زالوا به
حتى نزل وهو مرعوب واناخ الابل حوله كالسرادق فسلط الله الاسد والقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخلل حتى افترسه فقوله
تب قيل هذه الواقعة على عادة اخبار الله تعالى فى جعل المستقبل كالماضى المحقق والفرق بين المال والكسب من وجوه احدها
ان المال عنى به رأس المال والمكسوب هو وجوه الربح وثانيها اراد الماشية والذى كسبه من نسلها وكان صاحب النعم
والنتاج وثالثها اريد ماله الموروث والذى كسبه بنفسه وعن ابن عباس المكسوب الولد كقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب
ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وروى انه لما مات تركه ابناؤه ليلتين او ثلثا حتى انتن فى بيته لعلة كانت به خافوا
عدوها وقال الضحاك وقتادة ما ينفعه ماله وعمله الخبيث وكيده فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وساير اعماله التى
ظن انه منها على شىء كقوله وقدمنا الى ما عملوا وفى قوله بلفظ الماضى تأكيد وتحقيق على عادة اخبار الله تعالى وقد زاد تأكيدا
بقوله سيصلى نارا ذات لهب وطالما استدل به اهل السنة فى وقوع تكليف ما لا يطاق قائلين انه تعالى كلفه بالايمان
ومن جملة الايمان تصديق الله فى كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يؤمن وانه من اهل النار فقد صار مكلفا بان يؤمن بانه
لا يؤمن وهو تكليف بالجمع بين النقيضين واجيب بانه كلف بتصديق الرسول فقط لا بتصديقه وعدم تصديقه حتى
يجتمع النقيضان وغاية ذلك انهم كلفوا بالايمان بعد علمهم بانهم لا يؤمنون وليس فيه الا انتفاء فائدة التكليف لا انه

التكليف بما علم الله انه لا يكون هو الابتداء والزام الحجة وهذا لا يتصور بعد ان يعلم المكلف حاله من امتناع صدور الفعل
عنه والتكليف من غير فايدة جاير عندكم لان افعال الله تعالى غير معللة بغرض وغاية على معتقدكم ثم ان امراة ابي لهب هي ام جميل
بنت حرب اخت ابي سفين بن حرب عمة معوية كانت في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن المفسرين من
قال كانت تحمل الشوك والحطب وتلقيها كانت بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم فلعلها مع كونها من بيت العز
كانت خسيسة او كانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لتلقيه في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن
هولاء من زعم ان الحبل اشد في جيدها فماتت بسبب الاختناق فقوله في جيدها حبل من مسد يحمل على هذا ان يكون
دعاء عليها وقد وقع كما اريد فكان معجزا ومنهم من حمل غيرها بذلك تشبيها لها بالحطابات وايذاء لها ولزوجها وعن
قتادة انها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فعيرت بانها كانت تحتطب والاكثرون على ان المراد بقوله
حمالة الحطب انها كانت تمشي بالنميمة يقال للمشاء بالنمايم المفسدين بين الناس انه يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النايرة و
يقال للمكثار هو كحاطب الليل وقال ابو مسلم وسعيد بن جبير اراد ما حملت من الاثام في عداوة الرسول لانه كالحطب في مصيره
الى النار نظيره فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وليحملن اثقالهم ويروى عن اسماء انه لما نزلت السورة جاءت ام جميل ولها
ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلعم جالس ومعه ابو بكر وهي تقول مذمما قلينا ودينه ابينا وحكمه عصينا
فقال ابو بكر يا رسول الله قد اقبلت اليك فانا اخاف ان تراك فقال صلى الله عليه وسلم لا تراني وقرأ واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا فقالت لابي بكر قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب
البيت ما هجاك قالت العلماء لعل ابا بكر عنى بذلك ان الله تعالى قد هجاها ولم يهجها الرسول واعتقد ان القران لا يسمى
هجوا ثم ان ام جميل ولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها ثم قال الواحدي المسد في كلام العرب الفتل يقال مسد الحبل
مسدا اذا اجاد فتله ورجل ممسود اذا كان مجدول الخلق فالمسد بالحقيقة ما فتل من اي شيء كان كالليف والخوص
وجلود الابل والحديد وقد عرفت معنى قوله تعالى في جيدها حبل من مسد على راي بعض المفسرين وقال الاخرون والمعنى
ان حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها في المعنى عند النميمة وفي الظاهر حين كانت تحمل الحزمة من
الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم وفي جيدها حبل من سلاسل النار العياذ بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد ۝ الله الصمد ۝ لم يلد ولم يولد ۝ ولم يكن
له كفوا احد ۝ القراءة كان ابو عمرو يستحب الوقف على قوله قل هو الله احد
واذا وصل كان له وجهان من القراءة احدهما التنوين وكسره والثاني حذف
التنوين كقراءة عزير ابن الله لاجتماع الساكنين وكل صواب كفوا بالسكون والهمزة حمزة وخلف وعباس والفضل واسمعيل
ورويس عن يعقوب وكان حمزة يقف ساكنة الفاء ملينة الهمزة ويجعلها شبه الواو اتباعا للمصحف وقرا حفص
غير الخزاز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا الوقوف احد لاحتمال ان ما بعده جملة اخرى وخبرا اخر
ان الصمد مثل ذلك ولم يولد احد التفسير قد وردت الاخبار الكثيرة بفضل سورة الاخلاص وانها تعدل
ثلث القران فاستنبط العلماء لذلك وجها مناسبا وهو ان القران مع غزارة فوايده اشتمل على ثلثة معان فقط معرفة
ذات الله تعالى وتقديسه ومعرفة صفاته واسمائه ومعرفة افعاله وسننه مع عباده ولما تضمنت سورة الاخلاص من
احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران وعن انس ان رجلا
كان يقرا في جميع صلواته قل هو الله احد فسأله الرسول عن ذلك فقال يا رسول الله اني احبها فقال حبك اياها يدخلك
الجنة اما سبب نزولها فعن ابي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله تعالى
هذه السورة وعن عطاء عن ابن عباس قال قدم وفد نجران قال صف لنا ربك ازبرجد ام ياقوت ام ذهب ام فضة فقال

ان يبين لهم من شيء لانه خلق الاشياء فنزلت قل هو الله احد فقالوا هو واحد وانت واحد فقال ليس كمثله شيء قالوا زدنا من
الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد قال الذي تصمد اليه الخلق في الحوايج فقالوا زدنا فنزل لم يلد كما ولدت مريم
ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا احد يريد نظيرا من خلقه ولشرف هذه السورة سميت باسام كثيرة اشهرها الاخلاص
لانه يخلص العبد من الشرك او من النار وقد يقال لها سورة التفريد او التجريد والتوحيد والنجاة او الولاية لان من قراها صار
من اولياء الله او المعرفة لما روى جابر ان رجلا صلى فقرا قل هو الله احد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا عبد عرف
ربه او الجمال يقول صلعم ان الله جميل يحب الجمال ومن كمالات الجميل كونه عديم النظير او الاساس لقوله صلى الله عليه وسلم
اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد وهذا معقول لان القول بالثلث يوجب خراب السموات والارض
كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فوجب ان يكون التوحيد سببا
لعمارة العالم وتقديسه سورة النسبة لما مر انها نزلت عند قول المشركين انسب لنا ربك فكانه قيل نسبة الله هذا او المانعة
لرواية ابن عباس انه تعالى قال لنبيه حين عرج به اعطيتك سورة الاخلاص وهي من ذخاير كنوز عرشي وهي المانعة تمنع
فتان القبر ونفحات النيران او المحضرة لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قريت والمنفرة اي للشيطان او البراءة اي
عن الشرك وسورة النور لقوله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء نورا ونور القران قل هو الله احد قلت وذلك لان الله
تعالى نور السموات والارض وكما ان نور الانسان في اصغر اعضائه وهو الحدقة فنور القران في اقصر السورة سورة
الكوثر ثم ان العلماء اجمعوا على الوحدانية مما يمكن معرفتها بطريق السمع والعقل جميعا وليست كمعرفة ذات
الصانع حيث لا يمكن معرفته الا بطريق العقل فقال اهل العرفان في بيان ان العقل يريدها لما كان امينا تودع عنده
الحسنات والشهوة تريد غنيا يطلب منه المستلذات فمثل العقل كالانسان الذي له همة عليه الا انقياد مولاه والهوى
كالمنفخ الذي يطلب غنيا يتكدى منه بل العقل يطلب معرفة المولى ليشكره على النعم السابقة والهوى يطلبها ليستفيد
منه النعم اللاحقة فلما عرفاه كما اراداه تعلقا بذيل عنايته فقال العقل لا اشكر احدا سواك وقالت الشهوة لا اسال احدا
الا اياك فجاءت الشبهة وقالت يا عقل كيف افردته بالشكر ولعل له مثلا ويا شهوة كيف اقتصرت عنه ولعل ههنا بابا اخر
فبقي العقل متحيرا وتنغصت عليه راحة المعرفة حين اراد ان يسافر في عالم الاستدلال لتحصيل ربح التوحيد ويغوص
في بحر الفكر ليفوز بجوهرة اليقين وادركته عناية المولى وقال كيف انغص على عبدي لذة الاشتغال بخدمتي وشكري
فبعث الله رسولا صادقا وقال لا تقله من عند نفسك فيوقفك الوهم في الشك ولكن اقبله من الصادق الامين قل هو الله
احد فالضمير للشان اي الشان والحديث الله احد هذا قول جمهور النحاة وقريب منه قال الزجاج ان المراد هذا الذي
سألتم عنه الله احد وقيل هو كناية عن الله تعالى فيكون كقولك زيد اخوك قايم قال الازهري لا يوصف شيء بالاحدية
غير الله تعالى لا يقال رجل احد ولا درهم احد وقال غيره الفرق بين الواحد والاحد من ثلثة اوجه احدها ان الواحد
يدخل في الاحد والاحد لا يدخل فيه وثانيها انك اذا قلت فلان لا يقاومه واحد جاز ان يقال لكنه يقاومه اثنان
وثالثها ان الواحد يستعمل في الاثبات كقولك رايت رجلا واحدا والاحد يستعمل في النفي نحو ما رايت احدا فيفيد
العموم قلت ولعل وجه تخصيص الله بالاحد هو هذا المعنى وذلك انه ابسط الاشياء فكانك قلت انه لا جزء له اصلا
بوجه من الوجوه ومن هنا قال بعضهم ان الاحد يدل على جميع المعاني السلبية لكونه ليس بجوهر ولا عرض ولا متحيز
وغير ذلك كما ان اسم الله يدل على مجامع الصفات الاضافية لان اسم الله للمعبود بالحق واستحقاق العبادة لا يتجه
الا اذا كان مبدا لجميع ما سواه عالما قادرا الى غير ذلك واما لفظة هو فانها يدل على نفس الذات والصفات جميعا
وههنا لطيفة وهي ان قوله هو اشارة الى مرتبة السابقين الذين لا يرون معه شيئا اخر فيكفي الكناية بالنسبة اليهم واما
اسم الله فاشارة الى مرتبة اصحاب اليمين وهم الذين عرفوه بالبرهان مستدلين على الوجوب بالامكان فهم ينظرون
الى الحق والى الخلق جميعا فيما دون في التمييز الى اسم العلم واما الاحد فرمز الى ادون المراتب الانسانية وهم اصحاب
الشمال الذين يثبتون مع الله الها اخر فوجب التنبيه على ابطال معتقدهم بان الله احد لا شريك له ولا جزء له بوجه من الوجوه
وبعبارة اخرى هو للاخص والله للخواص واحد للعوام اما الصمد فقيل انه فعل بمعنى مفعول من صمد اذا قصد اي هو السيد
المقصود اليه في الحوايج كما مر في الحديث الوارد في سبب النزول وقيل هو الذي لا جوف له ومنه قولهم لسداد القارورة صماد
وشيء مصمد اي صلب ليس فيه رخاوة قال ابن قتيبة يجوز على هذا التفسير ان يكون الدال بدلا من التاء في مصمت وقال بعض
المتاخرين من اهل اللغة الصمد هو الاملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء ولا يخفى ان هذين المعنيين من

صفات الاجسام حقيقة الا ان مقدمة الاية وهي الله احد يمنع من حملهما على حقيقتهما لان كل جسم مركب فوجب الحمل على المجاز
وانه لوجوب ذاته يمتنع التغير في وجوده وبقائه وساير صفاته ومن هنا اختلفت عبارات المفسرين فعن بعضهم
الصمد هو العالم بجميع المعلومات لان كونه سيدا مرجوعا اليه في قضاء الحاجات لا يتم الا بذلك وعن ابن مسعود و
الضحاك هو السيد الذي انتهى سودده وقال الاصم هو الخالق للاشياء لان السيد الحقيقي هو هو وقال السدي
هو المقصود في الرغايب المستغاث عند المصايب وقال الحسين بن الفضل هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال
قتادة لا ياكل ولا يشرب هو يطعم ولا يطعم وعن جعفر الصادق رضي الله عنه انه يغلب ولا يغلب وساير عباراتهم
كلها متقاربة تدور حول ما ذكرنا سؤال لم جاء الخبر معرفا وفي قوله الله احد منكرا الجواب لانه كان معلوما عندهم
انه غني على الاطلاق مرجوع اليه في الحوايج فاذا مس الانسان ضر ادعا به اما التوحيد فلم يكن ثابتا في اوهامهم بل ذكر في
اوهام العامة ان كل موجود فانه محسوس فهو منقسم فلا جرم جاء لفظ احد منكرا ولفظ الصمد معرفا اخر لم كرر اسم الله ولم
يقتصر على ضميره ثانيا الجواب لما قيل هو الملك ما كرر ليتنوع ولانه قد سبق ضمير الشان فكان يلزم الاشتراك ولما مر
ان البشارة بلفظه هو مرتبة الصديقين والخطاب بقوله الله الصمد لعموم الخلايق والسابقون منهم قليل فاعتبار
الاغلب ولما اخر كون الشخص مولودا اقدم من كونه والدا فلم قدم لم يلد على قوله ولم يولد اجيب بان النزاع انما وقع في كونه والدا
حين قالت النصارى المسيح بن الله واليهود عزير بن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله بل المتفلسفة الذين قالوا
انه يتولد عن واجب الوجود عقل وعن العقل عقل اخر ونفس الى اخر العقول العشرة والنفوس وهو العقل الفعال المدبر
بزعمهم لما دون فلك القمر فكان نفي كونه والدا اهم ثم اشار الى طريق الاستدلال بقوله ولم يولد كانه قال الدليل على
امتناع الولد اتفاقنا على انه ما كان ولد الغير وانا اقول كون الشخص مولودا في اعتبار المعلولية وكونه والدا اعتبار العلية و
لا ريب ان اعتبار العلية مقدم على اعتبار المعلولية كما ان العلة بالذات متقدمة على المعلول فالسؤال مدفوع قالوا وانما
اقتصر على لفظ الماضي لان النزاع كان واقعا في المسيح وعزير ونحوهما فوقع قوله لم يلد جوابا عما ادعوه اليه واما قوله ولم يولد
لم يكن مفتقرا الى هذا التوجيه لان كل موجود اذا لم يكن مولودا في مبدا كونه فلم يكون مولودا بعد ذلك ويحتمل ان المراد بقوله
لم يلد نفي ان يكون هو من شانه الولادة وهذا المعنى يشمل كل زمان وبهذا التفسير لا يبعد على العاقل انه لا يلد ويصح انه يلد و
انه سبحانه بين كونه في ذاته وحقيقته منزها عن جميع انحاء التراكيب بقوله هو الله احد ثم بين كونه ممتنع التغير عما هو عليه من
صفات الكمال ونعوت الجلال بقوله الله الصمد ثم اراد ان يشير الى نفي مماثله وهو مثل الاجرة وابطاله بقوله لم يلد واما سابق
واحاله بقوله ولم يولد واما مقارن له في الوجود ونفيه بقوله ولم يكن له كفوا احد ويجوز ان يكون الاول اشارة الى نفي من
يماثله بطريق التولد والتوالد والثالث تعميما بعد التخصيص ويحتمل ان يراد بالاخير نفي الصاحبة لان المصاهرة يستدعي
الكفاءة شرعا وعقلا فيكون ردا على من حكى الله عنهم في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد سؤال قد نص سيبويه
في كتابه على ان الخبر قد يتقدم على الاسم في باب كان ولكن متعلق الخبر حينئذ لا يتقدم على الخبر كيلا يلزم العدول عن الاصل
بمرتبتين وكيف قدم الظرف وهو له على الاسم وعلى الخبر جميعا اجاب النحويون عنه بان هذا الظرف وقع بيانا للمحذوف
كانه قال ولم يكن له كفوا احد فقيل لمن فاجيب بقوله له نظيره قوله وكانوا فيه من الزاهدين قوله فلما بلغ معه السعي وقد سبقنا

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق • من شر ما خلق • ومن شر غاسق
اذا وقب • ومن شر النفاثات في العقد • ومن شر حاسد
اذا حسد الوقوف الفلق خلق وقب العقد حسد التفسير لما امر بقراءة سورة
الاخلاص تنزيها له عما لا يليق به في ذاته وصفاته وكان ذلك من اشرف الطاعات امر ان يستعيذ به

من شر من يصدر عنه ذلك كالمشركين وكفار شياطين الانس والجن يروى ان جبرئيل اتاه وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فقل
اذا اتيت على فراشك اعوذ برب الفلق اعوذ برب الناس وعن سعيد بن المسيب ان قريشا قالوا تعالوا نتجوع لمحمد ففعلوا
ثم اتوه وقال ما اشد عضدك واقوى ظهرك وانضر وجهك فانزل الله المعوذتين وقال جمهور المفسرين ان
لبيد بن الاعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشر عقدة في وتر ودسه في بئر ذي اروان
فمرض النبي صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك عليه ثلث ليال فنزلت المعوذتان واخبره جبرئيل بموضع السحر فارسل عليا فطلبه
وجاء به وقال جبرئيل اقرا السورتين فكان كلما يقرا اية يحل عقدة فيجد بعض الراحة والخفة اذا اتمها فكانما انشط
من عقال وطعنت المعتزلة في هذه الرواية بانها توجب تجويز تسليط الكفار والاشرار على الانبياء وايضا لو صحت
لصح قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا والجواب ان التسليط الكلي بحيث يمنعه من تبليغ الرسالة لا يجوز
ولكن لا نسلم ان بعض الاضرار في بدنه لا يجوز لا سيما وقد تداركه الله بلطفه وخصوصا اذا كان فيه لطف
لغيره من امته حتى يفعلوا في مثل تلك الواقعة كما فعل ولهذا استدل اكثر العلماء على انه يجوز الاستعانة
بالرقى والعوذ ويؤيده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك
والله يشفيك وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول اعيذكما بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان ابي ابرهيم يعوذ ابنيه اسمعيل واسحق
وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الحمى ومن الاوجاع كلها بسم الله الكبير اعوذ بالله العظيم
من كل عرق نعار ومن شر حر النار وعن علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل على مريض
اذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شافي الا انت وروي انه صلى الله عليه وسلم اذا سافر
فنزل منزلا كان يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك ومن شر ما يخرج منك
ومن شر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد وعن
عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى شيئا من جسده قرا قل هو الله احد والمعوذتين في كفه
اليمنى ومسح المكان الذي يشتكي وروي انه صلى الله عليه وسلم دخل على عثمن بن مظعون يعوذه بقل هو الله
احد وبهاتين السورتين ثم قال تعوذ بهن فما تعوذت بخير منها واما قول الكفار انه مسحور فانما ارادوا
به المجنون والسحر الذي اثر في عقله ودام معه فلذلك وقع الانكار عليهم ومن الناس من لم يرخص في الرقى لرواية
جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى وقال ان عباد الله لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون
واجيب بان النهي وارد على الرقى المجهولة التي لا يفهم معناها واختلف في التعليق فروي انه صلى الله عليه وسلم
قال من علق شيئا وكل اليه وعن ابن مسعود انه راى على ام ولده تميمة مربوطة بعضدها فجذبها جذبا عنيفا
فقطعها ومنهم من جوزه سئل الباقر رضي الله عنه عن التعويذ يعلق على الصبيان فرخص فيه واختلفوا
في النفث ايضا وروي عن عايشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفث على نفسه اذا اشتكى بالمعوذات
ويمسح بيده فلما اشتكى رسول الله وجعه الذي توفي فيه طفقت انفث بالمعوذات التي كان ينفث بها
على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اخذ مضجعه نفث في يديه وقرا فيهما بالمعوذات ثم مسح بهما
جسده ومنهم من انكر النفث عن عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وعن ابرهيم كانوا يكرهون
النفث في الرقى وقال بعضهم دخلت على الضحاك وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا محمد قال بلى ولكن لا تنفث
فعوذته بالمعوذتين قال بعض العلماء انهم كرهوا النفث لان الله تعالى جعل النفث مما يستعاذ منه فوجب
ان يكون منهيا عنه وقال بعضهم النفث في العقد المنهي عنه هو الذي يكون سحرا مضرا بالارواح والابدان و
اما الذي يكون لاصلاح الارواح والابدان فيجب ان لا يكون حراما سؤال كيف في فتتح القراة فاستعذ بالله
وقال ههنا اعوذ بالرب دون ان يقول بالله واجيب بان المهم الاول اعظم من حفظ النفس والبدن
عن السحر والوسوسة فلا جرم ذكر هناك الاسم الاعظم وايضا الشيطان يبالغ في منع الطاعة اكثر مما يبالغ في
ايصال الضرر الى النفس وايضا كان العبد يجعل تربيته السابقة وسيلة في التربية اللاحقة والفلق
بوجوه والاكثرون على انه الصبح من قوله فالق الاصباح وخص ههنا بالذكر لانه انموذج من صبح القيمة ولانه
وقت الصلوة والجماعة والاستغفار ان قران الفجر كان مشهودا وفيه اشارة الى ان القادر على ازالة الظلمة

من وجه الارض قادر على دفع ظلمة الشر والآفات على العبد بصباح النجاح روى ان يوسف عليه السلم حين القى
فى الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبرئيل عليه السلم يسليه
ويامره بان يدعو ربه فقال يا جبرائيل ادع انت وأومن انا فدعا جبرائيل فأمن يوسف فكشف الله ما كان به
من الضر فلما حصل له الراحة قال يا جبرائيل انا ادعو وتؤمن انت فسال يوسف ربه ان يكشف الضر عن
جميع اهل البلى فى ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة فى آخر الليل وروى دعاه فى الجب يا عدتى
عند شدتى ويا مونسى فى وحشتى ويا راحم غربتى ويا كاشف كربتى يا مجيب دعوتى ويا الهى واله آبائى ا
براهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سنى وضعف ركبتى وقلة حيلتى ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام وقيل
هو كل ما يفلقه الله الارض عن النبات ان الله فالق الحب والنوى والجبال عن العيون فان منها لما يتفجر
منه الانهار والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والقبض عن البسط والشدة عن الفرح والقلوب
عن المعارف وقيل هو واد فى جهنم اذا فتح صاح جميع من فى جهنم من شدة حره كان العبد قال يا صاحب العذاب
الشديد اعوذ برحمتك التى هى اعظم واكمل واسبق واقدم من عذابك وصاحب هذا القول زعم ان المراد من
شر ما خلق فيها وعن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تعالى لم يخلق خلقا هو اشر منه ويدخل فيه الاستعاذة
من السحرة لانهم اعوانه وجنوده ويدخل اصناف الحيوانات المؤذية من الهوام والسباع وقيل الاسقام والآلام
والمحن بانها شرور بالاضافة وان جاز ان يكن خيرات باعتبارات أخر والكل يقيد كما مر فى مقدمة الكتاب
فى تفسير الاستعاذة وذكر فى الغاسق وجوه فعن الفراء وابن عبيدة هو الليل اذا اخذ ظلامه ومنه غسقت
العين والجراحة اذا امتلأت دمعا او دما وقال الزجاج هو البارد وسمى الليل غاسقا لانه ابرد من النهار ولعل
هذا العلة اريد بها الزمهرير وقال الخليل هو السائل من قولهم غسقت العين تغسق غسقا اذا سالت بالماء
وسمى الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض قلت ولعل الاستعاذة على هذا التفسير انما تكون من الغاسق
لا لاجتماع الغساق او غرب التحول فى الشيء بحيث يغيب عن العين هذا من حيث اللغة ثم ان الغاسق
اذا فسر بالليل فوقبه دخوله وهو ظاهر ووجه التعوذ عن شره ان السباع يخرج من اجامها والهوام من مكامنها
واهل الفتنة والشر من اماكنها ويقل فيه الغوث ولهذا قالت الفقهاء لو شهر احد سلاحا على انسان ليلا
فقتله المشهور عليه لم يلزمه قصاص ولو كان نهارا لزمه لوجود الغوث وقد يقال انه ينتشر فى الليل الارواح
المؤذية المسماة بالجن والشياطين وذلك لان قوة الشهوة وشعاعها كالمانع لهم فيحصل لهم نوع استيلاء وعن
ابن عباس هو ظلمة الشهوة البهيمية اذا اغلبت داعية العقل وقال ابن قتيبة الغاسق القمر لانه
يذهب ضوءه عند الكسوف ووقوبه دخوله فى ذلك الاسوداد وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ بيدها فقال استعيذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وعلى هذا التفسير يمكن تصحيح قول
الحكيم ان القمر جرم كثيف مظلم فى ذاته لكنه يقبل الضوء عن الشمس ويختلف حاله فى ذلك بحسب قربه منه و
بعده عنه ووقوبه اما دخوله فى دائرة الظلام فى الخسوفات واما دخوله تحت شعاع الشمس فى آخر كل شهر
وحينئذ يكون منحوسا قليل القوة ولذلك يختار السحرة فى ذلك الوقت التمريض والاضلال والتفريق ونحوها
وقيل الغاسق الثريا اذا سقط فى المغرب قال ابن زيد وكانت الاسقام تكثر حينئذ وقال فى الكشاف يجوز ان
يراد به الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه وقيل هى الشمس اذا غابت وسميت غاسقا لسيلانها وحركتها واما النفث فهو النفخ بريق وقيل النفخ فقط والعقد جمع عقدة والسبب فيه ان الساحر اذا اخذ فى قراءة
الرقية اخذ خيطا ولا يزال يعقد عليه عقدا بعد عقد وينفث فى تلك العقد وجه التانيث اما الجماعة لان اجتماع
السحرة على عمل واحد ابلغ تاثيرا واما لان هذه الصناعة انما يعرف بالنساء ولانهن يعقدن وينفثن وذلك
ان الاصل الكلى فى ذلك الفن هو ربط القلب وتعليق الوهم بذلك الامر والله فى النساء اوفر لقلة علمهن
وشدة شهوتهن وقال ابو عبيدة انهن بنات لبيد بن الاعصم اليهودى اللاتى سحرن النبى صلى الله عليه وسلم
وقال ابو مسلم العقد عزائم الرجال والنفث حلها لان من يريد حل عقدة الحبل ينفث بريق يقذفه عليه
ليطير حله سهلا فالمعنى ان النساء لكثرة حيلهن يتصرفن فى عزائم الرجال يحولهم من راى الى راى ومن
عزيمة الى عزيمة فامر الله تعالى رسوله بالتعوذ من شرهن وهذا القول مناسب لما جاء فى مواضع أخر من القرآن

من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ان كيدكن عظيم والاستعاذة منهن ان كيدكن عظيم فى الاستعاذة
منهن الاستعاذة من اثم عليهن او من فتنتهن الناس بسحرهن او من اطعامهن الاطعمة الردية المورثة
للجنون او الموت والحاسد هو الذى يشتد محنته لازالة نعمة الغير اليه حتى لو تمكن ذلك بالحيل لفعل فلذلك
امر الله رسوله بالتعوذ منه وقد دخل فى هذه السورة كل شر يتوقى ويتحرز منه دينا ودنيا فلذلك
لما نزلت فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها لكونها مع اختها جامعة فى التعوذ من كل شيء بل قوله من
شر ما خلق والبواقى تخصيص بعد تعميم تنبيها على انها اعظم الشرور واهم شيء يستعاذ منه وعرفت
النفاثات لانه كل نفاثة شريرة ونكر غاسق وحاسد لانه ليس كل غاسق بشر بل الليل الغاسق يتهجد
وليس كل حسد مذموما بل منه ما هو خير كما قال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله
القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار ورجل اعطاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار وفائدة
الظرف وهو قوله اذا حسد لانه يستعاذ من حاسد من جهات اخرى ولكن من هذه الجهة ولو
جعل الحاسد بمعنى العايد او بمعنى اعم وقوله حسد بالمعنى المذموم كان له وجه ٥

سورة الناس مدنية حروفها تسعة وتسعون كلامها عشرون آياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم ٥

قل اعوذ برب الناس ٥ ملك الناس ٥ اله الناس ٥ من شر الوسواس الخناس ٥ الذى يوسوس فى صدور الناس ٥ من الجنة والناس ٥

القراءات الناس وما بعدها بالامالة قتيبة ونصير الباقون بالتفخيم الوقوف
الناس ٥ لا الناس ٥ لا الناس ٥ لا الخناس ج بناء على ان الفصل بين الصفة وموصوفها لا يصلح الا للضرورة
ولو قيل ان محله النصب او الرفع على الذم حسن الوقف الناس ٥ لا الناس ٥ التفسير
انه تعالى رب جميع المحدثات ولكنه خص الناس ههنا بالذكر للتشريف ولان الاستعاذة لاجلهم وكأنه
قيل اعوذ من شر الوسواس الى الناس ربهم الذى يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث
بعض الموالى اذا دهمهم امر بسيدهم ومخدومهم وولى امرهم وقوله ملك الناس اله الناس عطفا بيان
لان الرب قد لا يكون ملكا كما يقال رب الدار والملك قد لا يكون الها وفى هذا الترتيب لطف آخر وذلك
انه قدم اوائل نعمه الى ان تم تربيته ووصل فيه العقل فحينئذ عرف بالدليل انه عبد مملوك وهو ملك يفتقر
كل الاشياء اليه وهو غنى عنهم ثم علم بالدلائل العقلية والنقلية ان العبادة لازمة له وان معبوده
يستحق العبادة ويمكن ان يقال اول ما يعرف العبد من ربه وهو كونه مربيا له منعما عليه بالنعم الظاهرة
والباطنة ثم لا يزال ينتقل من معرفة هذه الصفة الى صفات جلاله ونعوت كبريائه فيعرف كونه ملكا قيوما
ثم اذا خاض فى بحر العرفان وغرق فى تياره وله عقله وتاه لبه فيعرف انه فوق وصف الواصفين
فيسميه الهاما وله اذا تحير وتكرير لفظ الناس فى السورة للتشريف كأنه عرف ذاته فى خاتمة كتابه الكريم
بكونه ربا ملكا والها لهم او لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الكشف والتوضيح ولو قيل ان الثانى بدل الكل
من الاول فالاحسن ايضا وضع المظهر مقام المضمر لئلا يكون المقصود منتقلا الى ما ليس بمقصود فى
الظاهر مع رعاية فواصل الآى وقيل لا تكرار فى السورة لان المراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه
لشدة احتياجهم الى التربية وبالثانى الشبان ولفظ الملك المبنى على السياسة يدل عليه لمزيد افتقارهم
الى الزجر لقوة دواعى الشهوة والغضب فيهم مع ان العقل العارف لم يقو بعد ولم يستحكم وبالثالث
الشيوخ ولفظة الاله المبنى عن استحقاق العبادة له يدل عليه لفتور الدواعى المذكورة وتمكن وتوحد النفس

الى تحصيل ما يزلفه الى الله يتدارك ما فات فالمراد بالرابع الصالحون الابرار فان الشيطان مولع باغوايهم
وبالخامس المفسدون الاشرار لانه بيان الموسوس فان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس
كما قال شياطين الانس والجن والخناس هو الذي من شانه ان يخنس اي يتاخر وقد مر في قوله فلا اقسم
بالخنس وعن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى فاذا غفل وسوس اليه
وكما ان شيطان الجن يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس يرى نفسه كالناصح المشفق
فان زجره السامع انخنس وترك الوسوسة وان تلقى كلامه بالقبول بالغ فيه حتى نال منه قال قوم
الناس الرابع يراد به الجن والانس جميعا وهو اسم للقدر المشترك بين النوعين كما روي انه جاء نفر من
الجن فقيل لهم من انتم فقال اناس من الجن وقد سماهم الله رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن والناس الخامس هو المخصوص بالبشر ومعنى الاية على هذا التقدير ان هذا الوسواس
الخناس لا يقتصر على اضلال البشر ولكنه يوسوس لنوعي فيكون قوله من الجنة والناس بيانا للناس وفي
هذا القول نوع ضعف لانه بعد تسليم ان لفظ الناس يطلق على القدر المشترك يستلزم الاشتراك
المخل بالفهم وذكر صاحب الكشاف انه ان جعل قوله من الجنة والناس بيانا للناس فالاولى ان يقال
الناس محذوف اللام كقولك الداع والقاض قال تعالى اجيب دعوة الداع وحينئذ يكون تفسيره الى
الجن والانس جميعا لانهما النوعان اللذان يتصفان بنسيان حق الله تعالى وقيل من الجنة والناس بدل من
الوسواس كانه استعاذ بربه من ذلك الشيطان الواحد ثم عمم فاستعاذ به من جميع الجنة والناس
وقوله من شر الوسواس المضاف محذوف تقديره من شر ذي الوسواس وهو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال
بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر ويحسن ان يقال سمي الشيطان به لانه كانه وسوسة
في نفسه لانها صنعته وعمله الذي هو عاكف عليه نظيره انه عمل غير صالح وانما قال في صدور
الناس ولم يقل في قلوبهم لان الشيطان لا تسلط له على قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من اصابع
الرحمن واعلم ان المستعاذ به مذكور في السورة الاولى بصفة واحدة وهو انه رب الفلق والمستعاذ منه
آفات واحدة وهو الوسوسة وفيه اشارة الى ان حفظ النفس والدين اهم من حفظ البدن بل لا نسبة لان الثاني يتعلق
بالغرض والاول مقصود بالذات **التاويل** اعوذ بالرب الذي فلق ظلمات بحر العدم بنور التكوين
والابداع من شر عالم الخلق الممزوجة خيراته بالآفات ولا سيما عالم الكون والفساد الذي هو جمادات و
حيوان والجمادات لبعدها عن الانوار لخلوها عن جميع القوى الروحانية وهو المراد بقوله ومن شر غاسق وقوله
النفاثات النباتات في الاقطار الثلاثة الطول والعرض والعمق وهو العقد الثلث ولذلك سميت نزاها
بالنفاثات وفوقها القوى الحيوانية من الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب المانعة للروح
الانسانية عن الانصباب الى عالم الامر كالحاسد يمنع المرء عن كماله وتغيره عن حاله ثم اراد ذكر مراتب النفس
الانسانية التي هي اشرف درجات الحيوان بقوله رب الناس اشارة الى العقل الهيولاني المفتقر الى
مزيد تربية وترشيح حتى يخرج عن معدنها ويظهر من كمينها وقوله ملك الناس اشارة الى العقل بالملكة
لانه ملك العلوم البديهية وحصلت له ملكة الانتقال منها الى العلوم الكسبية والنفس .
الحالة احوج الى الزجر عن العقايد الباطلة والاخلاق الفاسدة والتاديب في الصغر كالنقش على الحجر
وقوله اله الناس اشارة الى . العقل بالفعل والعقل المستفاد لان الانسان اذ ذاك كانه صار
عالما معقولا مضاهيا لما عليه الوجود يعرف المعبود بوجه . اتصف بصفاته وتخلق باخلاقه
كما حكي عن ارسطو انه قال افلاطون اما انسان باله او اله بانسان ثم ان العقل والوهم قد يتساعدان على تسليم
بعض المقدمات ثم اذا آل الامر الى النتيجة ساعد العقل عليها دون الوهم وكان الوهم خنس اي رجع عن تسليم
المقدمة فلهذا امر الله سبحانه بالاستعاذة من شره وقد ورد في الحديث مثله روى ابو هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك
فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته وهذه آخر درجات النفس الكاملة الانسانية فلاجرم وقع ختم الكتاب
الكريم والفرقان العظيم عليه وايضا نحن نختم التفسير بهذا التحقيق والله ولي التوفيق والهادي

في العلم والعمل الى سواء الطريق قال [illegible] الضعيف مؤلف كتاب احوج خلق الله تعالى رحمته ورضاه
الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه هذه [illegible] ايها المعروف
باعتلاء غرابك المجد المستغرق بالثناء شبابك الحمد الكامل ستر فقال غرائب القران فما القران كله غرائب
ورغائب الفرقان والفرقان باسره رغائب مقابل مسائل جهرها فطنه من كان بها الشديد حامدة وفرائد
فوائد لطفها قريحة من صنوف الصوف جامدة قد نطقت بها عن خير سار بادي بحريها وتحركت بها الاجل زلاه
طالما عجب بها على انها مع سواد ما سقط من بينها ابيض الحلال ومع مرارة مذاق ما في لجيها حلوة المباني ملهجة
المقال والذي فلح نورها مع عفوصته ما فيها عذبه على العذبات سلسلة على الاسلات يبكي ويضحك ويملك
ويهلك ويفقر ويثري ويمرض ويبري ويمنع ويعطي ولولا الله لذكرت انه يميت ويحيي في رقتها دقة ومع
طلاوتها حلاوة فان شئت فنزاعة فيها براعة وانثر فيه من الحكم فاسلوب واي اسلوب وكيف لا وقد
اشتملت مطاوي ما رسمه على مخاوي كتاب الله الكريم واجوبة بشاق ما رقمه على معاني الفرقان العظيم الذي
اخرس شقاشق الفصحاء حين ارادوا معارضته بعجزهم لا يحل في ادمغتهم وافر مسامع اولي العنا دمن
العباد في البلاد لجهلهم لا لصمم في اصمختهم صفيحة تلوح عنها اثر الحق ولطيفه يفوح منها عبق الصدق
بضاعة يحملها اهل النهى في بحر الروح الى مكان نهاد تجارة جنات النعيم واجارة اعواضها الفوز بلقاء رب
العرش العظيم وقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير وجامع لاكثر التفاسير وضمن حل كتاب الكشاف
الذي رزق له القبول من اساتذة الاكناف والاطراف واحتوى مع ذلك على النكت المستحسنة الغريبة
والتاويلات المحكمة العجيبة مما لم يوجد في ساير تفاسير الاصحاب وما وجدت معنى في الاسباب متفرقة
الاسباب لو جمعت طويلة الذيول الاذناب اما الاحاديث فاما من الكتب المعتبرة المشهورة كجامع الاصول
والمصابيح وغيرهما واما من كتاب الكشاف والتفسير الكبير نحوهما الا الاحاديث المورده في الكشاف
في فضايل سورة سورة فانا قد اسقطناها لان النقاد زيفوها الا ما شذ منها واما الوقوف فللامام السجاوندي
رحمه الله مع اختصار لبعض تعليلاته لانها ثابتات للايات ليوقفها على الوقف واما اسباب النزول من
كتاب جامع الاصول اما التفسيرين او من كتاب الامام الواحدي واما اللغة فمن الصحاح الجوهري ومن
التفسيرين والمفتاح وساير الكتب العربيه واما الاحكام الشرعية منها من جهة معتبرة في الفقه و
لا سيما بشرح الوجيز للامام الرافعي رحمه الله واما التاويل فاكثرها للشيخ المحقق المتقي المتقن نجم الملة و
الدين المعروف بدايه قدس نفسه وروح رمسه وطرف منها ما دار في خلدي وسمحت بها ذات يدي
غير جازم بان المراد من الاية هو هي بل خايف من ان يكون ذلك براءة منها خوضا فيها لا يعنيني وانما شجعني
على ذلك سابقة تقدم الايمة الذين اشتهروا بالذوق والوجدان وجمعوا بين الايمان والعرفان والاتقان
والايقان وفتحوا باب التاويل الذي هو باب واسع لا يكاد يطمع في تضييقه طامع فاذا اصبت فيها وان
اخطات فعلى الامام ما سهوا والعذر مقبول عند اهل الكرم والنهى والله المستعان لنا ولهم في مظان
الخلل والزلل وعلى رحمته التكلان في مجال الخطا والخطل فعلى المرء ان يبذل وسعه لادراك الحق ثم الله
معين لارادة الصواب ومعين على الهام الصدق وكذا الكلام في بيان الارتباطات والمناسبات بين السورة
والايات وساير انواع التكريرات واصناف المتشابهات فان للخواطر والظنون فيها مجالا وللناس [illegible]
واستنباط الوجوه والنسب هنالك مقالا فعليك ايها المتامل الفطن والمنصف المتدين ان لا
تبادر في امثال هذه المقامات الى الاعتراض والانكار وتعرف ان المولف في اعمال القريحة هنالك اجو
الافكار والاسكار وتعمل فكرتك الصايبة وفطنتك الثاقبة في اداء وجه جميل لما فرغ سمعك وشعب
خاطرك التفطن وذهنك النجيب الثاقب فان برز محل لطيف لما بينا في الحال طبعك ثم ان استبان لك
حسن ذلك الوجه فانصف تفلح وان غلب على ظنك قبحه فاصلح او ارسم فان لكل جواد كبوة ولكل صارم
نبوة ولزيغ البصر وطغيان القلم موصوفان بالخطا والنسيان عن هذه الامة مرفوعان واني لم اميل
في هذا الاملاء الا الى مذهب اهل السنة والجماعة فبينت اصولهم ووجوه استدلالاتهم بها وما ورد
عليها من الاعتراضات والاجوبة عنها واما في الفروع فذكرت استدلال كل طائفة بالاية على مذهبه

990

من غير تعصب ومراء وجدال فاختلاف هذه الامة رحمة ونظر كل مجتهد على لطيفه وحكمة وجعل الله سعيهم
وسعينا مشكورا وعملهم وعلنا مبرورا فلقد وقفت لاتمام هذا الكتاب فى مدة خلافة على كرم الله وجهه
وكان تقدير اتمامه فى مدة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم اجمعين وهى ثلثون سنة ولو لم يكن ما
اتفق فى اثناء التفسير من وجود الاسفار الشاسعة وعدم الاسفار النافعة ومن غموم لا يعد عديدها و
هموم لا يبادى قليدها لكان يمكن اتمامه خلافة ابى بكر رض كما وقع لجار الله العلامة رحمه الله وكان ذلك
ذلك ببركة جوار بيت الله الحرام فهذا . يرجو ان يرزقنى الله تعالى ببركة اتمام هذا الكتاب زيارة
هذا المقام ويشرفنى بوضع الخد على عتبة مزار نبيه المصطفى عليه الصلوة والسلام فاسمع واستجب يا قلب
ويا علام واعلموا اخوانى وعشيرتى رحمنا الله واياكم وجعل الجنة مثواى ومثواكم ان لكل مجتهد نصيبا قل او كثر
ولكل نفس ما اكتسبت نقص او كمل وانما الاعمال بالنيات وبها تجلب البركات وترفع الدرجات وان المرء
باصغريه وكل عمل بنى آدم سوى الخير كل عليه والذى نفسى بيده وناصيتى بحكمه ومشيته عالم السر و محيط
بنيتى انى لم اقصد فى تاليف هذا التفسير مجرد جلب نفع عاجل لان هذا الغرض عرض زايل ولا يفتخر
عاقل بما ليس تحته طايل . سحابة صيف ليس يرجى دوامها وهل بشرف الى الامور الفانية او يستلذ بها
من هو من اهل الابد عظامها وكاد يفتر من قراءة اكثرها بل تمامها وانما كان المقصود جمع المتفرق وضبط المنتشر
وتبيين بعض وجوه الاعجاز الحاصل فى كلام رب العالمين وحل الالغاز الواقع فى كتب بعض المفسرين
بقدر وسعى وجهدى على حسب ما وصل اليه استعدادى فالقرآن اجل ما وقف عليه الذهن و
الخاطر واشرف ما صرف اليه الفكر والناظر واعمق بالغاص على دره ومرجانه واعرق وكاد يكد فى تحصيل عقد
وعقبانه ولو لم يكن العلوم الادبية بانواعها والاصولية بفروعها والحكمية بجملها وتفاصيلها وسيلة الى فهم
معانى كتاب الله العزيز واستنباط نكتها من معادنها واستخراج خباياها من مكامنها لكنت متاسفا على
ما ضيعت من العمر فى بحث تلك العواليب وما املت من الفكر فى تاليف ما الفت فى كل اسلوب من اولئك
الاساليب ولكن لكل حالة آلة ولكل ارب سبب وطالما اعيت المهور للعقايل وجنيت الوسايل للاوايل
شعر امر على جدار ديار ليلى . اقبل ذا الجدار وذا الجدارا . وما حب الجدار شغفن قلبى . ولكن حب
من سكن الديارا . وكان من معاظم المقاصد من انشاء هذا التفسير ان يكون جليسى مدة حياتى ونديمى
وقت مماتى حين لا انيس للمرء الا ما اسلف من بره ولا ينفع الانسان الا ما قدم من خيره ولعمرى انه لنعم المنيل
الافادة نعم العون على تلاوة كتاب الله لان الكتاب العزيز حضره مع القراءة وجهها ان اشتبه عليه شئ منها ومع
الابى ما لو وقف ان ذهل عن اماكنها ومظانها مع الترجمة بالفارسية ان لم يكن اهلا لا لهما او التبس عليه التعبير
بالفارسية فى مواقع بحاذاتها وكنايا بتها وكذا التفسير بتمامه ان اراد البحث عن الحقايق او عزب عنه شئ من تلك
الدقايق وكذا التاويل ان كان مايلا الى بطون الفرقان وسالكا سبيل الذوق والعرفان فانى ارجو من فضل الله
العظيم وما توسل اليه بوجهه الكريم ثم بنبيه القرشى الابطحى وولنيه المعظم العلى وساير اهل بيته الغر الكرام
واصحابه الزهر العظام ولكل من له عنده مكان ولديه قبول وشان ان ينتفع بتلاوة كتابه فى كل حين واوان تفسير
غرايب القرآن ورغايب الفرقان على الوجه الذى ذكرت ولاجل هذا الغيث فى تاليفه من عرق الجبين وكد اليمين
ما لقيت وان يعم النفع به لساير اخوانى فى الدين ورفقايى فى طلب اليقين ثم ان يجعله عنى فى ليلة يجع عن قرى
العشاير والاهلون ذخيرة يوم لا ينفع مال ولا بنون والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة والسلم
على جميع الانبياء والمرسلين خصوصا على رسوله المصطفى الامين محمد وآله وصحبه اجمعين

تم التفسير المسمى بانوار التنزيل للمولى الاعظم حسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيشابورى رضى الله عنه
وارضاه وفى جنته منقلبه ومثواه وقد وقع الفراغ من تسويده فى تاريخ
اوايل شهر ذى القعدة الحرام من شهور سنة ست وعشرين
والف من الهجرة النبوية عليه افضل الصلوة والتحية ١٠٢٦
والحمد لله رب العالمين